العدد ١٣٤ - شوال ١٣٨٩ - يناير (كانون الثاني) ١٩٧٠

العربي

١١

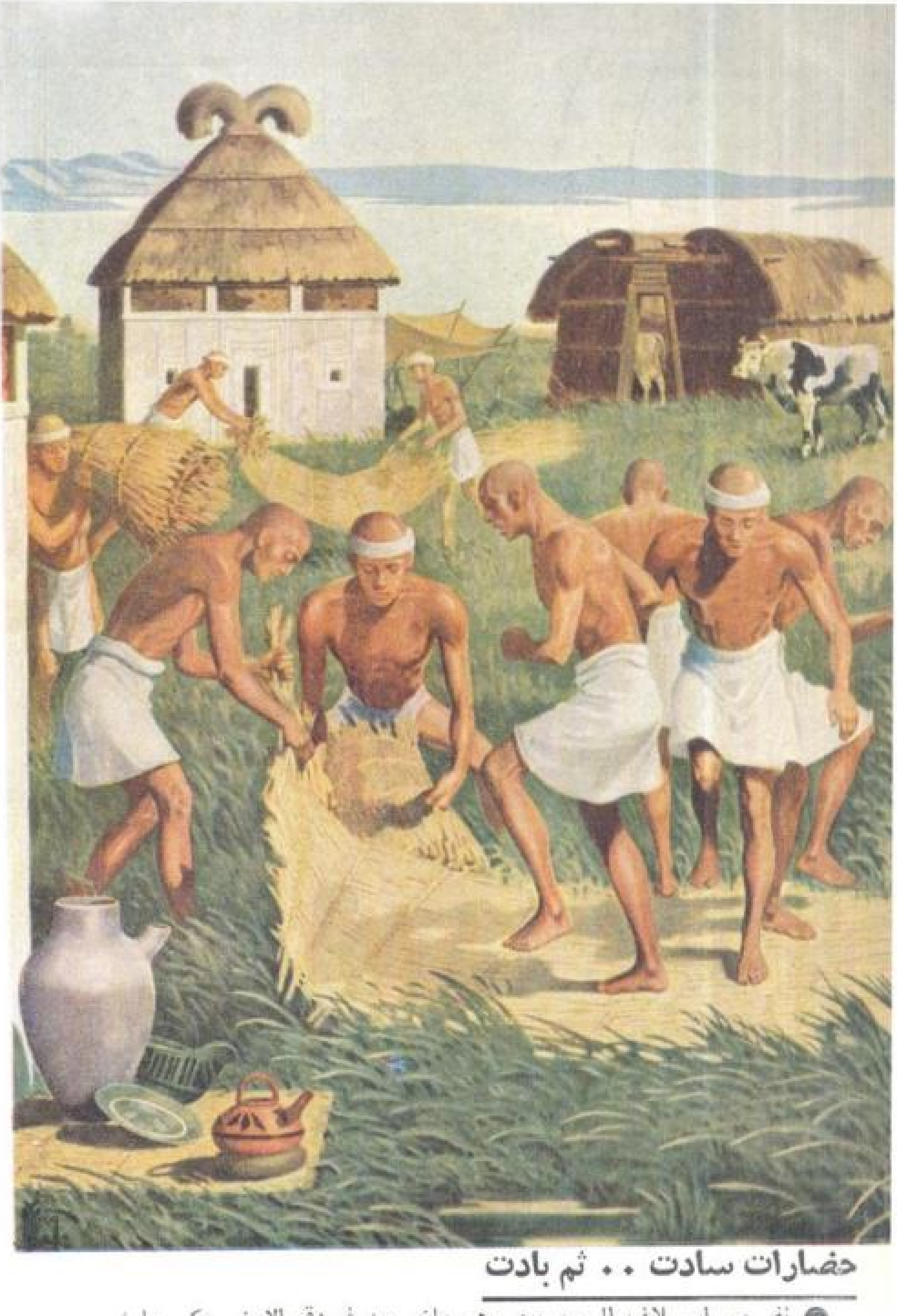
عدد ممتاز بمناسبة عامه الحادي عشر



٢٢٨ صفحة
بثمن
كالمعتاد

ابتسامة العام الجديد

هدية :
خريطة الشمس وكواكبها
اطلبها من البائع مجاناً



حضارات سادت .. ثم بادت

● نفر من اسلاف السومريين وهم ماضون في دق الارض وكبسها ، وقد انحسرت عنها مياه الفيضان وكساها القصب في كل مكان . فهم اذن بناة ارض فوق كونهم بناة حضارة .

(انظر صفحة ١٨٠)

عزيزي القارئ

انتهى من الزمان عام وبدأ عام .

ولقد تكشف من العام الذى مضى ، فى ختامه هذا ، ما كان غامضا ، فى أوله ، حين كنا نحاول ان نتنبأ بما كان خباه الغيب فى طياته ، وتابى النبوءات ان ترفع عن الغيب الغطاء .

ولقد نذكر بالغبطة ، فيما يختص بالعرب ، دون الدخول فيما يحاك لهم من حولهم ، أن حال العرب اليوم أحسن منها قبل عام ، واحسن كثيرا .

■ ■ ■

● فالعمل الفدائي صار اكثر استقرارا ، وقد زادت المقاومة به عنفا ، وزادت التضحية . وزاد به قلق الأعداء . وهو قد أصبح عنصرا فعّالاً من عناصر القضية المصيرية ، لا يمكن لقوة ، مهمـا عظمت ، ان تحدّ منه . وان في العمل الفدائى لقصصا من البطولة تروى ، شغل العملُ رجالَ الفداء عن روايتها ، وهي لو رويت لعلّمت الكثير كيف يكون الصمود ، وكيف تصغر الدنيا فى عين الرجل وهو يفتدى ولده بنفسـه ، او أخته ، او اخاه أو امه وأباه . وان فى القصاص من عدو يقتل الشهداء ، ويهدم منازل الابرياء وهم أحياء ، لحلاوة لا يعرفها الا ذائقوها .

■ ■ ■

● وكالعمل الفدائي الجيوش الجائمة عند الحدود .

لقد ازدادت قوة وازدادت فى الحرب دُربة . وطالت سنوات الحرب ، فعلّمت الجند ، ولأول مرة ، كيف يحارب الجند ، وكيف تساس الحرب . ان اليوم خير من أمس،والغد خير لاشك من اليوم.

■ ■ ■

● ولكن بقي أمر العتاد ، وامر السلاح . والصداقات تبذل، وهي وجب ان تبذل دبابات وطائرات .

فغد العرب مرتبط بدبابة وبطائرة .

إذا تهيا لهم من ذلك ما يريدون ، كسروا السلاسل التى يقوم أهل الكيد بنصبها من حولهم لاحتوائهم فيها ، وبدأوا بعون اللـه الحياة التي رائدها العلم والتكنية ، تلك التي وجبت أن تكون من نصيبهم منذ قرون ، لو انهم صدقوا وصدقت فيهم الظنون .

المحـرر

العربي

رئيس التحرير: الدكتور أحمد زكي

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الارشاد والانباء بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABY =No. 134 January 1970 P. O. B. 748 = KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٢٧١٤١ ـ تلغرافيا « العربي »

الاعـــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراســـلات : تكون باسم رئيس التحرير

طبع من هذا العدد الممتاز

٢٥٠٠٠٠ نسخة

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربي ٢ ريال قطرى . البحرين ٢٠٠ فلس بحريني. العراق ١٢٠ فلسا . سوريا ١٠٠ قرش . لبنان ١٠٠ قرش الاردن ١٠٠ فلس . السعودية ٢ ريال . السودان ١٠ قروش . ج.ع.م ١٠ قروش . تونس والجزائر ٢٠٠ مليم . المغرب ٢ درهم . اليمن ٥ر٣ شلن . ليبيا ١٥ قرشا .

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت - ص.ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربى .

١١ عاماً مِنْ حيَاة

بقلم رئيس التحرير

■ هذا عام تعلنه الدورة الشمسية جديد ، ومع حكم الشمس اصطلاح الناس .

والعام الذى انصرم هو العام الحادى عشر من عمر « العربي » ، وهذا العام الجديد هو سنته الثانية عشرة ، قد بداها .

و « العربي » عندما بدأناه طفلا ، خفى عنا الكثير من امره . كانت رمية لم يدر راميها كم يكون مداها . ولكنه نما كما لا بد ان ينمو كل شيء حي . وتغير الكثير من سماته ، ولكنه مع هذا حفظ الكثير من سمات خلناها له أولى . واشتد على السنين عوده ، وقوى زنده ، وكان لا بد ان يشتد عوده ، وان يقوى زنده ، لأن الرياح من عادتها ان لا تترك طريقا يسلكه حي متشبث بالحياة وأسبابها ، الا عصفت به بعض حين . وعصف الرياح يعطي الحياة . ولقد عرف « العربي » عصف الرياح كيف يكون . ولقد عصفت به ريح عاتية كادت ان تطيح بسقفه من عل ، وهزت جدرانه حتى خلناه سيصبح في لحظة او ما بعدها ركاما . ولكن قوة الصمود كانت أقوى من قوة الريح ، ومشيئة الله كانت فوق كل مشيئة .

على ان عصفات الريح هذه ، اكسبت « العربي » خبرة ، تحصن بها ضد اكثر الرياح ، ونال بها الخير الكثير .

● لَوْ دَرَتِ الشعوبُ العَربيَّة ما يُرادُ بِهَا

العربي

- بدأناه ٤٠٠٠ نسخة،
وهذا العدد ٢٥٠٠٠٠ نسخة،
والنسخ التي بيعت من العربي
إلى اليوم أكثر من ١٣ مليونا .
- خطة سابقة رسمناها ،
وعلى السنين لزمناها ،
- بين العربي وكتابه .
- بين العربي ورقبائه
- خطورة الرأي الحرفي
أزمة العروبة الحاضرة

مقياس لبعض الخير عند « العربى »

واذا نحن طلبنا لبعض هذا الخير مقياسا ، فلن نجد مقياسا أصلح مما يطرح « العربي » من نسخ في الأسواق ، وما يصل منها الى ايدى القراء من بعد طرح ، فالخير عند « العربي » هو مقدار ما يعطيه لقارئيه من خير ، والقراء ، وهم منتشرون في شتى البلاد العربية وشتى الأجواء ، لا احسبهم يتقبلون الا على الخير .

واني لأذكر يوما في اواخر عام ١٩٥٨، عندماتهيأناالاصدار اول عددمن«العربي» . جاءني السيد ذو الأمر المشرف على مشروع اخراج هذه المجلة التي تم

لما استطاع أن يعبث بالوحدة عابث .

العربي : العدد ١٣٤ يناير ١٩٧٠

تكن وُلدت بعد ، يسأل كم نسخة نطبع منها ؟ ولم يلبث هو ان ادلى باقتراحه على استحياء : « **عشرة آلاف نسخة ؟** » وقرأ رأيي من سمة وجهي ، فأردف يقول : « **اذن خمسة عشر الف نسخة ؟ .. عشرين الفا ؟** » قلت على الفور : « **لا اقل من اربعين الفا .** » فاشرق وجهه .

وطبعنا « العربي » اربعين الفا ، خرجت منها ..٣٧٥ نسخة صافية ، ما كادت تصل الى الأسواق العربية حتى انهالت علينا البرقيات تسأل هل من مزيد ؟ وما كان مزيد بمستطاع . وكثرت البرقيات واشتد الطلب حتى كدنا ان نعيد طبع العدد الأول . ومن الناشرين من تقدم لاعادة طبعه، وتريثنا ، وقلنا فورة لا تلبث ان تهدأ .

ومضت الأشهر ، وزدنا ما نطبع آلافا .

وفي الرسم البياني المنشور على صفحة ١١ يرى القارىء ، وهو بعض اسرة « العربي » ، امثلة من الأعداد التي طبعنا من « العربي » طوال هذه السنين .

رقم قياسي تاريخي

واذ بلغنا « بالعربي » عامه العاشر ، رأينا ان نكرم هذه الذكرى العاشرة بأن نصدر من « العربي » ، في ذكراه العاشرة ، ٢٠٠٠٠٠ نسخة ، طرحناها في الأسواق ، فما أسرع ما اختفت منها .

وجاءت الذكرى الحادية عشرة هذه الحاضرة ، فكرمناها بطبع ربع مليون نسخة ، من عددك هذا الحاضر ، الذى انت قارئه ، يا قارىء « العربي » !

رقم قياسي تاريخي لا شك في هذا .

دلالة الأرقام

ولكن على اى شيء تدل هذه الارقام ؟ هل تدل على أن « العربي » بلغ الذروة من الاحسان ؟

الجواب : لا . فليس اعرف بما في « العربي » من قصور من رجاله . فـ « العربي » عندهم ما بلغ الذروة



غلاف العدد الاول من « العربي »

ولا قاربها ، وانما هو مجهود يُحمَد بقدر ما أعطى «العربي» من رجال ، وما أقلهم ، وبقدر ما تهيأ له عند الطبع والتنفيذ من جهاز .

ولكن ، ان دلت هذه الأرقام على امر ، فانما تدل على شيء يتصل بقارئي « العربي » اكثر مما يتصل بكاتبيه وناشريه . انه يدل على ان القارىء العربي ، اينما كان ، متعطش الى ان يرد موارد العلم والمعرفة ، فاذا هو وردها شرب حتى ارتوى ، ولو لم يكن الماء من ماء زمزم على الأرض ، ولا من ماء الكوثر في جنات الخلد .

انها خطة سابقة رسمناها وعلى السنين لزمناها

و « العربي » لم يكسب رواجه هذا باثارة الغرائز الجنسية ، ولا باستغلال بسائط المفاهيم الشعبية والعواطف الجماهيرية . و « العربي » ينعطف معها لا شك أن صدقت ، ولكنه كسب ما كسب بالحقيقة يطلبها فيما يكتب ، وباطراح اللغو جانبا .

ولعل مما ثبّت « العربي » عند طالبيه خطة سابقة رسمناها ، وعلى السنين لزمناها ، وسبق ان ذكرناها . ذلك ان « العربي » استقى في كل عدد من سائر صنوف المعرفة ، ما اشتهر منها وعم . ولقد تذكر من هذه الأبواب :



غلاف العدد الأخير الماضي من « العربي »

اللغة العربية ، والأدب العربي ، وما يتصل بالأدب العربي من طرائف ، وكذا الأدب الغربي ، والشعر والشعراء . والقصص . والعروبة . والاسلام ، دينا وشئونا . والتاريخ النافع من شرقي وغربي ، وحياة الرجال والنساء. والتربية . وعلم النفس . والفلسفة . والمرأة والأسرة .

الاستطلاعات

وغير ذلك ، الاستطلاعات المصورة ، وهي تعريف « العربي » بأوطانه العربية، وبوطن « العربي » الكويت ، صاحبة الفضل في كل هذا . وهي صفحات في « العربي » مشرقة بألوانها الأربعة ومبانيها ومعانيها .

والعلم الحديث

وتميزت « العربي » ، فيما تميزت ، بالعلم الحديث تنشر منه اطرافا .

فأخبار العلم واخبار الطب لها باب وحده . والطب له بابان ، باب يصف من الأمراض ما شاع ، وباب يجيب ما يسأل عنه القراء من امراض واعراض . وباب ثالث ، تلك صفحة الطب المصور ، وهي لا تتصل بالمرض ، وانما تصف الجسم على الصحة ، تركيبا ووظائف . واستبدلناها ، بادئين في هذا العدد ، بباب جديد ، يجمع بين الأحياء جميعا ، والانسان منها ، وأسميناه **« وحدة الله تتراءى في وحدة خلقه »** . وقد شرحنا اهدافه هناك ، فليطلبها القارىء حيث هي من هذا العدد .

وباب جديد في العلم مشينا فيه خطوات . بدأناه تجربة ، فاذا بالبريد يحمل الينا عنه الحمد الكثير المستطاب. ذلك باب **« في سبيل موسوعة علمية »** . واقترح علينا كثيرون ان نجمعه في كتاب، بعد أن تبعثر وتوزع في « العربي » على الأشهر والصفحات . وقد بدأ ناشر عربي في جمعه ونشره .

واخترنا لهذه الموسوعة العلمية من الأشياء ما شاع استخدامه واستعجم فهمه ، في منزل او شارع او مرفق من مرافق الحياة . وهذا العدد الحاضر كان من نصيبه « الثلاجات » ، شرحنا عملها ، وجئنا على طرف من خطرها في الحضارة الحاضرة .

ونزول الانسان على سطح القمر

ويجد القارىء في هذا العدد خاصة استعراضا للرحلة الاولى التي انتهى بها الانسان بالنزول على سطح القمر . وهو عرض طال لأننا لم نرده عرضا صحفيا فحسب ، ولكن أردناه عرضا علميا كذلك ، ضمناه ما اتسعت له الصفحات من اجابات على اسئلة لا بد هي عارضة للقراء غير العلميين اذا هم قراوا . وجعلناها من البساطة في مكان .

وحدث ، كدق الانسان تربة القمر بقدميه ، حدث من دون الأحداث جميعا ، لا بد من تسجيله . انه ثورة عقلية في الخيال ، وهو في القلب ايمان .

ولحقنا بالرحلة الثانية للقمر ، فلحقت منا بكلمة .

وبريد القراء

والبريد إتخذنا منه همزة وصل بين « العربي » وقرائه ، به ندرك اثر ما يكتب فيه في قارئيه . وكم انتفعنا من

قرائنا بآراء ، وكم انتفعنا منهم بتصحيح اخطاء . ويسألون الاسئلة في شتى الشئون ، فنجيب . وننشر الجواب بعد الدرس ، لا خطفا ، ولا عفوَ القلم وخطرةَ الخاطر . لا بد من فائدة فيما تكتب ترتجَى .

حتى المسابقات نؤلفها شحذا للذهن . وقد يكفي ذهن القارىء وحده في اصابة « اجوبتها » . والا فقد وجب على القارىء الحدَث استطلاعُ الكتب ، او استطلاع اهل العلم والخبرة والفن .

حتى الهدية التي نهديها لا بد تتصل بالثقافة . وهدية هذا العدد ، وهي صورة للشمس ، وبنيها وبناتها التسع ، هدية جليلة النفع ، لا سيما في عام انفتح فيه اول باب من ابواب السماء ، يلجه الانسان ، ووقع فيه على اقرب الاجرام ، فكان القمر .

نحن والكتاب

واذ بدأنا قصة « العربي » ، وجب ان لا يفوتنا فيها ذكر ما بين « العربي » وكتابه .

ان العربي يصنع في داره ، وبين رجاله ، اكثر ما يكتب في العربي ، وقد يبلغ ذلك الثلثين . ولكن « العربي » يستكتب كذلك من الأساتذة كل قادر وراغب . وهو يتلقى ما يجيئه بغير استكتاب بسرور غامر .

ويقرأه رجال « العربي » ، واحيانا غير رجاله ، فان اقروه ، وفرغ رئيس التحرير من تبعته فيه، اغتبط «العربي» بقبوله ونشره .

ورفض « العربي » ان يقبل شيئا تبرعا .

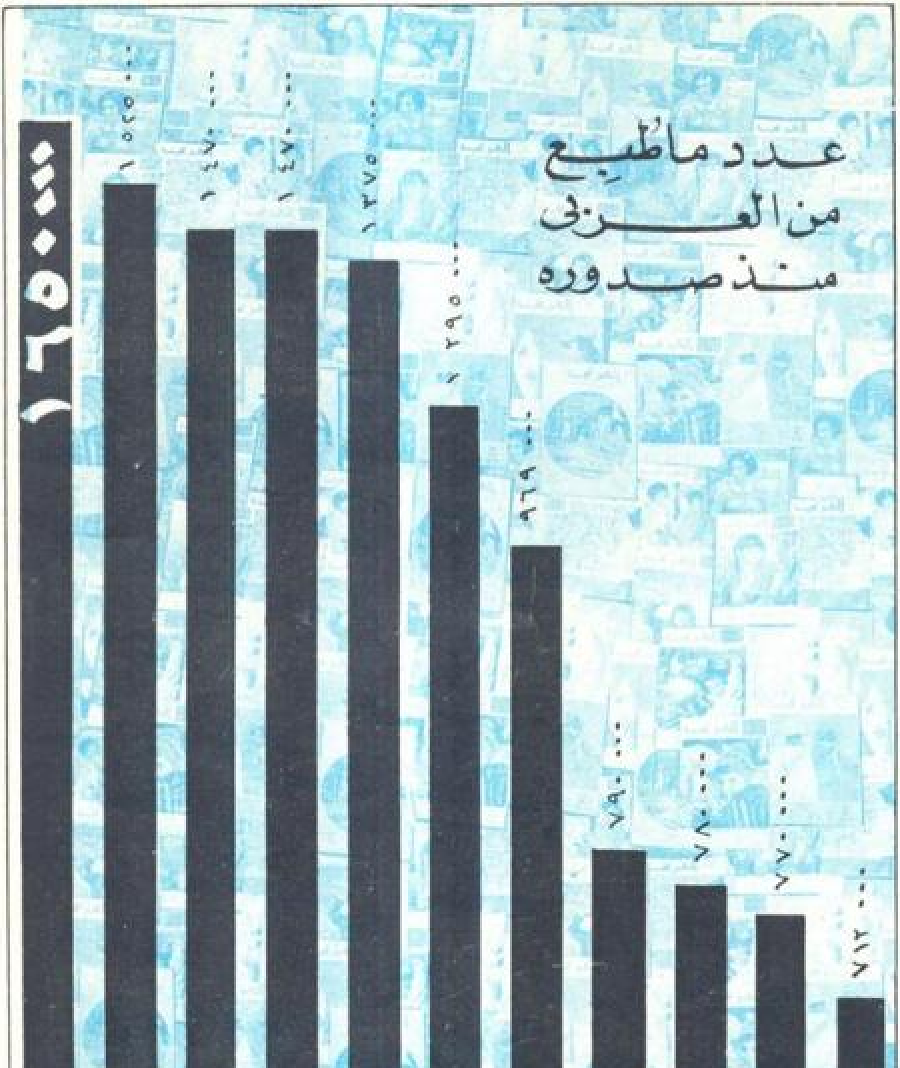
و « العربي » لا يشترط في جودة المقال اسما يزكيه ، فالجَودة وحدها تزكية كافية . وقد نشرنا لمدرسين يعملون في مدارس ابتدائية ، وقد رفضنا لاساتذة يعملون في كليات جامعية . لأن المقال الجامعي ليس بالضرورة مقالا قيما . واحيانا كان بلغ الغاية من احسان، وودنا نشره حتى على اختلافنا مع ما فيه رأيا ، ولكن حال دون ذلك حوائل شتى ، تتصل بأمور في « العربي » تحريرية ، او تتصل بأمور في خارج « العربي » نظامية .

وأردنا ان نجمع في « العربي » ، من كتاب العرب ، فئات شتى ، تتمثل فيهم العروبة مجتمعة ، ولم ننجح . وعندنا الكتب الكثيرة التي كتبناها راجية ، وارسلناها الى شتى الأقطار ، ولم يأت حتى للرجاء جواب ، الا من القليل . فقد شاع عن الكثير ان السكوت عن جواب معناه الرفض . وهو اقتصاد في المجهود الانساني عظيم ومع هذا سوف نعيد الكرة .

وندرك بالطبع ان البلاد الأربعة عشر ، المتمثلة في الجامعة العربية ، لم تنل كلها بعد خلاصها من ربقة الاستعمار ، حظا من الثقافة العربية الصريحة الحديثة كبيرا فياضا . ولكن في الآخريات حظوظ كثيرة من الثقافة قديمة عريقة رغم ماكان فيها من استعمار طال .

فهذه لا بد ان تفسر تردُّد كتابها في الاستجابة الى رجائنا بظروف قائمة فيهم . واعلم أن منهم من لا يود ان يكتب الا اذا انطلق انطلاق السهم ، في حين ان اخشى ما يخشاه هو على نفسه انطلاق السهام .

ومن الكتّاب من يرسل المقال الجديد الينا في الشهر الأول ، مثلا ، من العام ، ويحسب ان سوف يراه منشورا في الشهر الثاني أو الثالث . ويطالع « العربي » فلا يجده ، فيعتب . ثم يظهر المقال بعد ستة أشهر فيضيق صاحبه بهذا التأخير زاعما أنها قلة العناية بالذي كتب ، وما هي بذلك . وانما هي العناية بذلناها أولا لمن سبق . ولقد ذكرنا أن « العربي » من حيث التحرير ابواب بضعة عشر متفاصلة . خانات مستقلة . ولا بد أن يملأ كل خانة مقال . وفي الشهر مقال واحد لا مقالان الا لأسباب غير عادية . ويسبق المقال الذي ارسله كاتبه خمسة



رسم بياني يوضح نسبة الزيادة المطردة في طبع اعداد العربي منذ صدوره .. وقد بلغ مجموع ما طبعناه خلال الاحد عشر عاما الماضية نحو ١٢ مليون نسخة ، نفدت كلها من الاسواق ..

او ستة من المقالات ، او اكثر ، فوجب ان يتأخر .

والكويت بلد يقع من الوطن العربي في اقصاه شرقا . و « العربي » يحمل الى سائر البلاد العربية بالسيارات ، تعززها في آخر الشقة السفن او المطارات . واذن لا بد من خروج « العربي » من البلد الأم قبل اول الشهر الذى هو يحمل اسمه بزمن طويل . والمطابع ، الا ان تتغير ، تحتاج الى سبقنا بتسليمها النصوص محررة ، مجموعة مصفوفة ، لتحظى عند الطبع بالوقت الوفير .

ولقد حدث قريبا ان ارسل كاتب كريم مقالا عن رمضان ، وصلنا والسيارات تحمل عدد رمضان الىسائر البلدان .

وماذا بيننا وبين الكتّاب الاكرمين بعد ذلك .

ان بعض الكتّاب ، وهم قلة ، مازالوا على عهدهم القديم ، وفهمهم القديم ، ان المقال لا يحتاج الا الى قلم وورق ، وذهن متوقد . وبهذه الثلاثة يستطيع الكاتب ان يكتب ما شاء فيما يشاء . وهذا جائز في الأدب يحيكه كاتبه من نسج خيال . ويمتلىء قلبه حزنا ، او يمتلىء فرحا ومرحا ، فيسكب كل هذا على الأوراق . ولكن بتطور الاحوال اصبح الآن ، حتى الأدب ، فنا يُدرس ويدرّس . واصبحت المقالات فنونا شتى ، وهي فنون شاردة لا يستأنسها صاحبها الا بعد الدرس الطويل .

ومقالات « العربي » ، غير مقالات الصحف السيارة . ف « العربي » للبقاء والدوام ، ومن أجل هذا كانت مقالاته على تخصص رجالها ، ومرانهم الطويل فيما يكتبون ، مقالات وراءها دراسة وقراءة . اما المقالات التي تأتي عفو الخاطر ، والتى قد يكتبها كاتبها على مائدة بقهوة ، قلّت حتى ندرت . انه جاز عليها الابداع الذى يصل بها الى القمة ، ولكن تغيّر الزمن وتدز المبدعون .

العربي والرقباء

ان حياة كل دورية تنشر في الناس تتوقف على نصيبها عندما تكتب من حرية .

و « العربي » لا يستطيع ان يقول انه كان له في هذه السنوات الاحدى عشرة الماضية نصيب من حرية الراى ، على اطلاقها ، كبير .

اما في البلد الأم ، الكويت ، فرعايتها « للعربي » هي رعاية الأم كاملة لولدها . ومن حيث حرية القول خاصة ، فهي قد اطلقت « للعربي » حريته ايمانا منها بأن حرية القول من اولى ضرورات الحياة الصالحة، ثم ثقة منها بحصافة الاقلام .

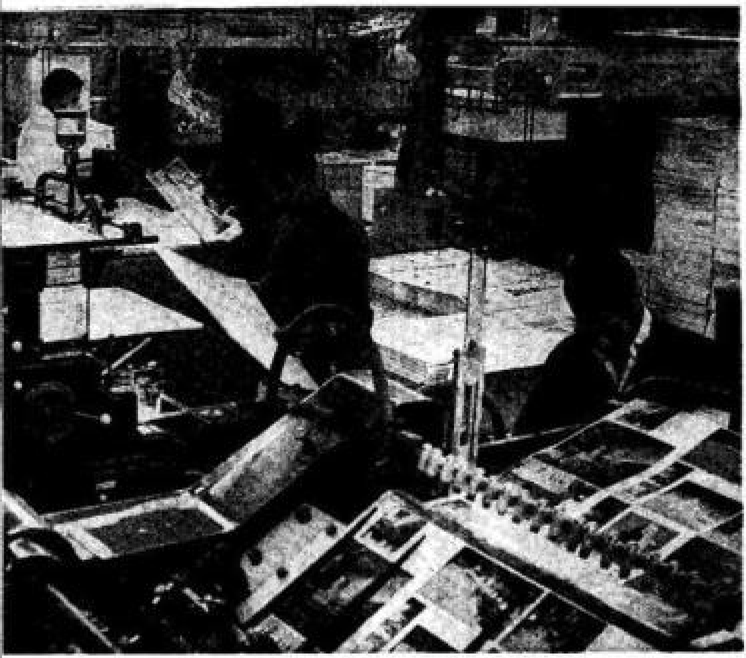
ولكن وراء البلد الام بضعة عشر من بلاد عربية لا بد ان يرضى رقباؤها عند ابوابها عما يكتب « العربي » .

و « العربي » يريد ان يدخل كل بلد عربي ، لأنها رسالة يؤديها ، لا يود ان يقف دون وصولها رقيب ، له في خطأ الحكم كما له في صوابه نصيب .

ونحن نعطف على الرقباء ، ونقدر عملهم أين كانوا . والفكر لا بد له من ضابط . وخير ضابط للفكر كتّابه . ومن الكتّاب من لا يقدّر تبعة ما يكتب، فيكون كالفرد في المجتمع الذى يعمل ما يشاء على هواه ، ولا يقدّر تبعة ذلك ، فيقف له رجل الشرطة بالمرصاد . ولكن في مجال المواطن الفرد كما في مجال الكاتبين ، حدود مرسومة ، وهي تتسع وتضيق وفقا لظروف قائمة وملابسات . والذى قد يشكوه الكتّاب ، والذى قد تشكوه الصحف والكتب ، ليس قيام رقابة ، ولكن مقدار ما تعطيه الرقابة لحرية العمل وحرية الفكر والكتابة من رحابة .

يقولون ان الحلال بيّن ، وان الحرام بيّن ، ولكن وضوحهما ليس بهذه البساطة في مكتب كل رقيب .

ومن الرقباء في بلد من يحلّل ما يحرمه رقيب آخر في بلد آخر ، فمعنى الحلال ومعنى الحرام اذن يختلف من بلد الى



منظر مما هو قائم في جانب من مطبعة الحكومة التى وقع عليها عبء اخراج ربع مليون نسخة والمطابع لم يتم تطويرها ، ولكن روح العاملين عملت ، وانجزت ، واستحقت الشكر الجزيل .

بلد ، فلكل مذهب . واذن وجب على الكاتب فيما يكتب ان يرضي مذاهب عشرة شتى ، وطقوسا عشرة مختلفة ، واحيانا امزجة خاصة مئات . وهذا عنت للكاتب العربي كبير .

ولقد عرفت الكثير من الرقباء ، وعرفت فيهم الكثير من سعة الفكر ، والكثير من النبل ، واذن تكون الشكوى ليست من هؤلاء دائما ، عند منع ، ولكن من اوامر تلقوها فيها من الابهام ما يجيز الخلط بين الحلال والحرام .

وعرفت كذلك من الرقباء القليل الذى لا يجيز فيما يقرأ الا الذى يرضاه هو رأيا . وهذا اخطر شيء يكون في رقابة . فالصحف والكتب والخطابة معترك تصطدم فيه الأفكار وتحتدم ، وتتعارض وتتناقض .

ان الرقيب خادم دولته ، واكرم بها خدمة ، وعليه واجب عسير ، من اخطر الواجبات لبلده ، ولكنه من اغرب الواجبات ، ذلك ان التفريط فيه خير من الافراط . فالتفريط فيه بذل من حرية . والافراط حجر وكبت وكتم انفاس .

ثم انه من اثر الرقابة المفرطة في البلد انها كثيرا ما تمنع أهل الفكر من ان يكتبوا ، فاذا كتب منهم من كتب ، انسجم تحت وطأة الرزق ، ومطالب العيش . وهو ينسجم ولو لم يوعز له احد بذلك . وتسأله في ذلك فيقول : ان فيه فطانة تقرأ غير مقروء . ويقول لك انه ليس فدائيا ، وهو لا يود استشهادا على صفحات من أوراق .

ان امتناع اهل الفكر ، الملتزمين بولائهم للفكر ، عن كتابة ، ضرر ببلدهم عظيم . وصاحب الفكر يفكر أولا ثم يكتب ، وليخرج الفكر بعد ذلك على النيـة الحسنة ، بما يخرج . فتارة منسجم وتارة غير منسجم . وليس له في الانسجام وغير الانسجام غاية .

والمنسجم يفيد ويهدي والمنهج خير . ولكن الانسجام المتصل ، حتى والمنهج خير ظاهر ، عقم للفكر .

والمنسجم يضر آخر الامر بقومه وصحبه . ذلك ان النقد عين ثالثة ، وهي قد تكون ابصر بالذى لا تراه العيناه . وهي عين قد ترى من خلف ، بينا العينان لا ينظران الا الى امام .

والقول نور وهدى ، وحبس القول ظلمة . وفي الظلام قد يدور المرء على نفسه وهو لا يدرى ، فاذا به يهدف الى عكس غايته .

وادرى ان من النقد الهادم ، ولسنا منه وليس منا . وان من النقد الخبيث . وان من الكتاب في البلد الحر من يكتب بناب افعى ، ينفث السم ، ويدس بين العرب يريد الفرقة ، اما عن كراهة قلب، او عن امتلاء جيب . وهذا شيء جار في كل الامم .

ولكني مع هذا ما رضيت يوما بكسر ناب الافعى .

يقول العلماء ان الحامض يعالج بالقلوى فيخرج منهما ملح متحايد . وعند الاطباء لكل سم ترياق .

وترياق هذا السم كشفه ، وفضحه ، بالقلم . وكم قلم كان اقطع من سيف .

ومع هذا لابد من ان اعترف ، عن تجربة ، انى رايت عوامل الشر في البلد المتخلف اقوى من عوامل الخير ، واهل الحق اضعف من اهل الباطل ، واقل علما ، واقل فطانة، واقل مالا . ومنهم من فتنه فحيح الافاعي ، وفتنته ملاسة ظهورها ، وانسياب حركاتها ، ونقوش في جلودها والوان ، فراح يرقص رقصاتها على انغام من عمل الشيطان .

خطورة الراى الحر المنطلق في أزمة العروبة الحاضرة

قد اكون تحدثت في امر الراى واطلاقه هذه المرة ، واكثرت .

وما كان هذا عن نزوة .

فانى بذلك انما اعبر عن احساس الكثرة من العرب .

ان العرب لم يوجدوا في ضيق من امرهم كالضيق الذى هم فيه اليوم . فلقد تكاثرت عليهم نسور الارض ، وتكاثرت من كل جانب ، ومن شرق ومن غرب . ووصل الخطر المحدق بهم الى صميم الحياة . وكل شيء ، بل اخطر الاشياء محجوب عنهم . وهم في اطمئنانهم اليوم لا يدرون ما غدهم . وهم يودون ان يعلموا ما غدهم . وهم يريدون ان تفتح الابواب ، في كل البلاد ، لنقاش حر يجمع بين حاكم ومحكوم ، ومسئول وغير مسئول (واحسب انه لا يوجد في بلد رجل وامراة الا مسئول او مسئولة) ؛ وبحيث لا يكون هناك احتقان واضطغان، بل النيات تسلم كلها للوطن ولله ، فالكل اخوان . والكل في السفينة الواحدة ، ان غارقة وان ناجية . نقاش لا يقال فيه هذا موضوع ذو حساسية . ولا هذا موضوع لا يطرقه الا خونة . وان عز هذا النقاش في المجتمعات فليكن في الصحف . فان عز في الصحف ففي الجماعات من اهل الثقافة والدراية والراى ، تشمل مساحة الارض والناس جميعا .

لقد جل الخطب عن ان يكون موضوع

بمناسبة استطلاع القمر صفحة ٣٠

بين أمريكا

● العربى ، كل عربي ، لا يقرا اليوم عن الولايات المتحدة شيئا حسنا الا ويلقى به من يده . ويجيء بلوغ رجال الولايات المتحدة القمر في الوقت الذى ، بينا تظهر فيه الولايات المتحدة علما عاليا وتكنية رفيعة ، تسلك في السياسة العالمية مسلكا غير رفيع . في العلم رائدها المنطق ، وفي السياسة رائدها الهوى . انه انفصام بين راس وقلب . وهو الانفصام الذى يشكو منه العالم . فالعلم تقدم ، ولكن مضابط السلوك في الانسان لم تلاحقه . وهذه هي الطامة الكبرى . وهي اللعنة العظمى ، الذى ود معها من بقيت فيهم بقية من حكمة ولو ناشزة ، ان لو تاخر العلم قليلا ، وتقدمت الاخلاق وتوازع الخير كثيرا .

على ان على العرب ، وعلى كل امة تشقى في تخلفها الحاضر ، ان لا تخلط في الحكم . فان رات العلم عاليا والتكنية رفيعة في

والعـــرب

الولايات المتحدة او روسيا ، او غير هاتين ، وجب أن نحمد ذلك ، وان نرحب به ، وان نتزوده ، غذاء طيبا وسقاية . وان رات مع العلم والتكنية ما نكره ، وجب ان نعلن على الملأ هذا الجانب الكريه ، وان نصب عليه اللعنات. على كل بمقدار،حتى يكون للموازين احترامها . ومع اللعنات العمل على احقاق الحق ، وابطال الباطل فما اللعنات الا هواء .

ان الانسان خلق ومعه الخير والشر . والعلم والتكنية فيهما الخير والشر معا . بل هما اداتان عجماوان ليس فيهما ارادة الخير او ارادة الشر،ولكن في الانسان . كالسكين تقطع بها الثمر من شجرة ، او بها تقطع الرقاب . كذلك العلم والتكنية مطيتان طيعتان يركبهما بنو الناس ليسلكا بهم الطريق الى الله او الطريق الى الشيطان . وما اكثر ما يتعمى على البشر الطريقان .

لجان . لابد ان تشترك الأمــة كلها في الرأى لتشترك في التضحية .

غفلــة في الجماهير

اني ارى الجماهير في غفلة عما يريد الأعداء بهم ، وكاد كل ذى خطر في الدنيا ان يكون لهم عدوا ، وحتى من ليس له خطر .

ان الشعوب العربية لو درت ما يريد اهل الأحقاد من زعماء الأرض بها ، لعز نومها ، ولما استطاع ان يعبث بالوحدة العربية اليوم عابث من بينها .

كل خلاف يتصاغر الى جانب قضايا المصير . وكل أذن لابـد ان تنفتح وسعها ، فتسمع وتطيع ، في كل ما يتصل بقضايا المصير . وليس احد فوق أن يسمع وأن يطيع ما اجتمعت عليه الأمة ، او اجتمعت عليه الكثرة .

وعلى مسارح الدول الكبرى

ولا يخدعن عربي بما يجرى على مسارح الدول الكبرى . انها رواية ذات فصل واحد . خدعونا فجعلوا منها فصولا . قرار مجلس الأمن في نوفمبر ١٩٦٧ ، ثم اجتماع الدول الاربع الكبرى ، ثم اجتماع الاثنتين الكبريين ، ثم المبعوث يارنج . وتنقضي الأشهر الستة ، فتبدأ الستة التالية باجتماع الدول الاربع الكبرى ، ثم اجتماع الاثنتين الكبريين، ثم المبعوث يارنج .. وهلم جرا .

وفي أثناء ذلك يقدم السلاح للاعداء ، ويقدم المال ، ويقدم العتاد .

حياكـة

ثم هم يحاولون ان يحيكوا بين الدول العربية ما يحيكون .

ومن آخر حياكتهم تلك العروض التي ارسلت للدول العربية المواجهة للأعداء، تعرض على كل حلا مفردا . وبالتفريق تؤكل الأغنام .

وسخروا بعقول العرب . قالوا فيما قالوا : ان الضفة الغربية ترد الى الاردن ، ولكن تبقى بلا سلاح ، ويكون للعدو فقط مراكز للحماية . فان وقع هذا فلن يبقى في الضفة عربي واحد بعد خمس سنوات ، انها سياسة التهجير المعروفة ، على السلم ، وتتم بغير مؤونة، وبغير سلاح .

وكذلك ارادوا ان يمنعوا السلاح عن سيناء بعد رد سيناء الى العرب ، هذا ان صدقوا . وما رد سيناء بغير سلاح، وسلاح رابض على الضفة الشرقية من سيناء ، يتسللون به اليها ، يقيمون ، ويستعمرون ؟ ولقد اصبح التسلل في العصر طريق اكتساب الحق فيما يختلف عليه الناس من ارض .

ارض بغير سلاح ، عطاء بغير جزاء .

••

احمد زكـي



البكتريا ..
حيوانات أم نباتات ؟

● ذكرتم في جوابكم على المسابقة رقم ١٣٠ أن البكتريا نباتات. وقد ثبت علميا أن البكتريا ليست حيوانات ولا نباتات . واذكر لكم فيما يلي نص كتاب علمي حول هذا الموضوع: « اعتبرت البكتريا في بدء اكتشافها حيوانات ، لقدرة بعضها على الحركة . ثم اعتبرت بعد ذلك نباتات ، من ضمن الفطريات ، وذلك لأنها تشبه النبات في تركيبها أكثر مما تشبه الحيوان . أما الآن فلا تعتبر البكتريا نباتا ولا حيوانا وتدرّس بعلم خاص بها يعرف باسم علم البكتريا ـ Bacteriology » .

فالرجاء الايضاح والتعليق .

محمد حسن شاكر العبيدى بغداد ـ العراق

العربي : صحيح أن البكتريا والفطريات وما اليها تجمع الآن تحت عنوان واحد هو Protists أو Protista ومعناها الأوليات . وهذا رأى لبعض علماء الحياة حديث ، لعله ظهر قبل منتصف القرن الحاضر بغير كثير من السنين . ومع هذا فحتى هؤلاء العلماء لا يزالون يؤكدون ان البكتريا بالنباتات أشبه ، وأشبه كثيرا . ومن أجل هذا بقى كثير من العلماء الآخرين على النظرة القديمة وهى أنها من النباتات .

وتقرأ في دائرة المعارف البريطانية أن البكتريا تعتبر من النباتات البسيطة . وتقرأ منها في صفحات أخرى فتجد قولها ان علاقة البكتريا بالبروتوزوا Protozoa ، (وهى حيوانات ذات خلية واحدة) علاقة بعيدة . ثم تقرأ في كتاب البيولوجيا العامة للاستاذين تيلور وفيبر فتجدهما يقولان ان البكتريا عبارة عن كائنات ميكروسكوبية نباتية واحدة الخلية ، خالية من الكلوروفيل .

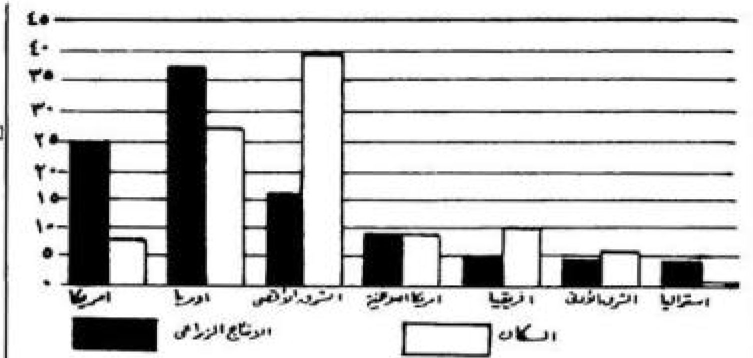
وتقرأ في كتاب الحياة للاساتذة سمبسون وشركاه ، وهذه الكتب وغيرها مراجع مشهورة ، وهم يقولون : ان بعض الدارسين الحديثين اقترحوا انشاء قسم جديد اسموه الاوليات Protista وضمنوه البكتريا . وناقش الاساتذة هذا الرأى ومالوا الى الابقاء على اعتبار البكتريا ضمن النباتات .

والخلاف اختلاف نظرة لا تؤثر مطلقا في دراسة البكتريا وحقائقها المعروفة. فهى درست حاضرا ، كما درست قديما ، ولم تؤثر أى النظرتين في مجرى تلك الدراسات . كأن تنظر الى رجل اسمر فبعض يسميه من البيض وبعض من السود .. ولم يؤثر هذا في دراسة جسمه من الوجهة البيولوجية .

الصورة معكوسة !

● اطلعت في العدد ١٣١ على مقال الدكتور خالد الصوفي بعنوان : « من المدينة المنورة الى مدائن صالح » . فلفت انتباهي ظهور صورة المسجد النبوى الشريف على نحو معكوس . فجانب هذه الصورة الأيمن هو الجانب الأيسر . ثم ان هذه القبة هى قبة بيت الرسول صلى الله عليه وسلم.

يحيى ذنون ــ المدينة المنورة



الأرقام تبين حصص الأقاليم السبعة من الإنتاج العالمي بالنسب المئوية

أمم تنتج ناسا ومع الناس مؤونتها وأمم تنتج من الناس أكثر كثيرا مما تنتج من مؤونة

● قرأت كلمتكم عن التوالد في العالم في عدد اكتوبر الماضي وقد ختمتموها بالاشارة الى ان نصف الكرة الجنوبي يجمع بين ارتفاع نسبة التوالد وبين الفقر والتخلف ، ووصفتم ذلك بالخطورة دون أن تبينوا المقصود بهذه الخطورة على وجه الدقة .

واغلب الظن أن الذى تقصدون اليه انما هو انفجار السكان وانتشار المجاعة الذى ان لم يضمنه تكاثر الناس فسيكفله بلا ريب نقص المحاصيل الزراعية والأغذية .

سالم ابو خالد ــ المعرة

العربي : ليس لدينا ما نضيفه الآن الى ماذكرتم حول هذا الموضوع سوى أن ننقل الى قراء العربي رسما بيانيا يوضح الفرق بين تكاثر السكان وبين زيادة الانتاج في المحاصيل الزراعية التى هى مؤونة الناس . وترى من الرسم كيف زاد الانتاج كثيرا عن زيادة السكان في الامم التى تعودنا أن نسميها بالمتقدمة ، وهى الامم التى اتخذت لها من التكنية الزراعية سبيلا ، في حين أن الامم التى تعودنا على تسميتها بالمتخلفة ، وهى المتخلفة علما ، وتكنية ، وثقافة ، ومجتمعا ، هى التى اذا نشطت ، فانما تنشط في انتاج واحد ، ذلك هو انتاج البنين والبنات ..

مدارس جيزان ..

● قرأت استطلاعكم عن منطقة جيزان (العدد ١٣٢) ويهمنى أن أضيف اليه ان في جيزان مدرسة ثانوية ، واخرى متوسطة ، بالاضافة الى المدارس الابتدائية التى يوجد منها اربع للبنين وثلاث للبنات . هذا عدا معهدى التعليم العالى ، واحدهما للمعلمين والآخر للمعلمات .

معدى بن سالم السديرى
مدرسة ثقيف الثانوية

سكون الراء .. خطأ !!

● في عدد نوفمبر تشرين الثانى ، قرأت قصيدة من الغزل الرقيق بعنوان « اغنية حب » ، للشاعر المبدع الاستاذ صالح جودت. ولقد وجدت في هذه القصيدة ماخذا أربأ بمثل هذا الشاعر ان يقع فيه .

ذلك انه سكن الراء في كلمة فرحى الواردة في البيت الآتى :

كم رويت الثرى بدمعة فرحى
كيف ارويه بعد هذا بجرحى

ولا يخفى ان الشاعر انما صنع ذلك لكى يستقيم له الوزن ، وكان بوسعه أن يجد مخرجا من مازق الوزن غير ذلك .

انور خليل ــ العمارة ــ العراق



وحدة الله تتراءى في ..

بقلم الدكتور أحمد زكي

لا احسب ان احدا ، عاش هذه الحياة التى نعيشها ، الا وادرك ان هذا الوجود غامض .

ان الطفل يدرك غموضه وهو لم يعرف بعد منه الا قليلا . وهو يبدأ يسال الاسئلة التى تنبىء عن ذكاء . تلك التى نعتبرها احيانا « فوق قدر نموه » ، ونجيبه عليها بمقدار ما يفهم . ولكنه كثيرا ما يسال الاسئلة المحرجة التى يجب ان نعترف بانها « فوق نمونا نحن » ، ونجيبه عليها بمقدار ما نفهم ، وما اقل في هذه الامور ما نفهم .

وينشأ الطفل فيصبح صبيا ، واذا بالصبي يافع ، واذا اليافع شاب ورجل . ويقل سؤاله ايانا نحن الآباء ، أولا لأنا عودناه على ان يكتفى في الامور المتصلة باصول هذا الوجود بالجواب غير الشافي ، ثم انه اصبح هو قادرا بحكم النمو على استخراج الجواب غير الشافي . وثانيا ، لانه باشتغاله بالعيش ، تلهى ، واصبحت اسئلته التى تتصل بواقع العيش ، الذى هو حاضر هذا الوجود ، اخطر عنده واملأ لزمانه ، من اسئلة تتصل بماضي هذا الوجود ، بأزله ، وكذا بمستقبل هذا الوجود ، وابده .

في الأزمات

الا في الأزمات ، فهو يتنبه من تلهيه ويستيقظ من غفوته .

في موت ابن له او ابنة . او موت اب او ام ، او اخ او اخت . او موت زوجة حبيبة . وأحيانا موت الصديق . موت



وَحدَةِ خَلْقِه



وكثيرا ما يسال الطفل الاسئلة المحرجة ، التي لا تجيبه عليها الأ بمقدار مافهم .

من كان ارتبط بالقلب بوثاق شديد ، ثم انكسر الوثاق بغتة .

ازمات يقف امامها العقل يسأل .. ويسأل، ويريد ان يعلم . والعلم درجات . وهي تبدا بعلم كالجهل . صيغ من كلام لا هدف له الا التعلل . كالمرأة الفقيرة التي جاءها عمر فوجدها تعلل ابناءها الجياع بالماء يغلي فوق النار ولا طعام فيه . والعلم تنتهي درجاته بما تطمئن به القلوب ، ذلك الاطمئنان الذي حكاه القرآن عن ابراهيم وهو يخاطب ربه : « واذ قال ابراهيم ربّ أرني كيف تحيي الموتى ، قال : او لم تؤمن، قال بلى، ولكن ليطمئن قلبي». (سورة البقرة ٢٦٠)

ومن الأزمات التي يتنبه فيها الانسان من تلهيه بعيشه ، ويستيقظ فيها من غفوته ، المرض الذي يصيب عزيزا عليه

يهدد بالفراق ، أو يصيبه هو فتأخذه الرهبة من نهاية لم يكن يذكرها على الصحة قط ، وكانت من البعد عن الفكر بحيث تهون ، فاذا بها حاضرة . واذا به يفكر في غد لا يكون هو فيه ، ويكون فيه وحدهم أولاد له وبنات ، أو أخوة صغار له أو أخوات .

ومن الأزمات مصائب الدهر . وأحداث للزمان مريبة ، نسميها أقدارا ، ونضعها في كفة ميزان للعدالة فيتراءى لنا ان الميزان لا يستقيم . وقد كنا نحسب هذا الوجود عدالة واستقامة .

وعلى الراحة في غير الأزمات

وفي غير الازمات ، وحتى على الراحة والدعة ، قد يفرغ الانسان من هموم الرزق ، ومتاعب العيش ، فتتفتح في رأسه طاقات للفكر تنطلق منها أشعة نفاذة ، تنفذ في باطن الأشياء ، فلا تقف عند ظواهرها ، ولا يعوقها في مسيرها في أعماق الامور عائق .

انه الفكر الذي يقف أمام غوامض هذا الكون وجها لوجه .

انه الفكر الذي يعمل ، لا ليكسب

ومن الأزمات ، التي يتنبه فيها الانسان من تلهيه بعيشه ، المرض



وجبة من الطعام شهية ، ولكن وجبة من المعرفة ثرية .

ان الانسان ، بالجسم ، والصنعة الرائعة التي فيه ، تميز عن سائر الحيوان . وهو بالفكر ازداد تميزا . وهو بالفكر في ممارسة العيش نفع وانتفع . ولكنه عمل فيما بان من الاشياء وظهر . وغير ذلك الفكر فيما هو اخفى ، فيما لا تراه عين ولا تسمعه اذن. الفكر فيما وراء الستائر والحجب. فهذا هو الفكر في اعلى مراقيه ، واصعب مراقيه ، ولسنا نعلم مخلوقا غير الانسان يستطيع أن يرقى هذه المراقي ولو خطوات معدودة .

وقديما حاول الانسان أن يفسر وهو الى اليوم لم ينته من تفسير

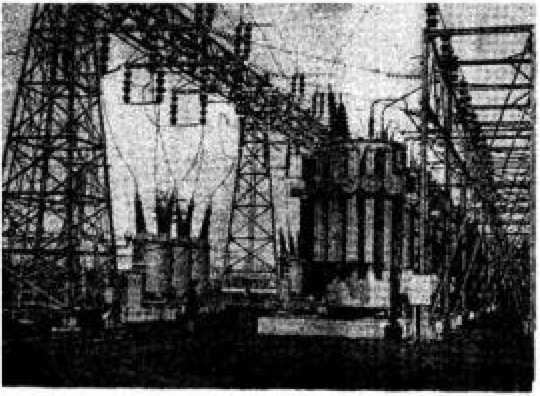
وحاول الانسان ان يفسر هذا الوجود، الذي هو فيه موجود ، منذ القدم : الحياة والموت . الغنى والفقر . سعادة العيش لقوم والشقاء لقوم . رجل يعمل الخير فيلقى شرا ، ورجل يعمل الشر فيلقى خيرا . أمراض تعيث في الناس فلا تكاد تبقي على احد ، ثم هي تقلع . وتأتي بغير استئذان ، وتقلع بغير استئذان . ايجاد وافناء مختلطان، هدفان متناقضان . وزلزلة تحيق ببلد فتجعل عاليه سافلا بدون حكم قضاء ظاهر . وطوفان من السماء يغرق الناس بغير ذنب بين جنوه .

بركان يحرق، وبحر يفيض ويغرق. ويرفع الانسان يديه الى السماء ،ودائما الى السماء ، يسأل:لماذا ، لماذا ؟ ولا يأتيه جواب .

والزمن ؟ يفكر الانسان ، في خلوته ، في الزمن . ما الزمن ؟ فلا يدرى ما الزمن ، ومع هذا هو يتحدث عن الزمن، عن أيامه وساعاته وسنواته ، حديث الاشياء التي هو اكثر معرفة لها واكثر الفة بها . انه الجهل الذي تقوم عليه الألفاظ فتغلفه بحروف تقرأ وتقال وتسمع ، هي الأسماء،فيظهر بذلك كأنه العلم، أوثق العلم ، وما هو بذاك .



ويرفع الانسان يديه الى السماء ،
يسال : لماذا ! لماذا ! ولا ياتيه جواب



وقاس الانسان الكهرباء ،
قبل ان يعرف ما الكهرباء

ويربط الانسان الزمن بدوران الأرض. لا ، عفوا ، فالأرض ما تدور في عينيه ظاهرا . ان هذا علم سبيله الفكر العميق . الفكر الذي يحاول أن ينفذ فيما وراء الحجب ، فيكشف عن خبايا الوجود .

اقول ويربط الانسان الزمن بالسماء. بنورها وظلمتها ، ويسمى هذا نهارا ، وتلك ليلا . ويربط الزمن بالقمر ، فينشأ عنده معنى الشهر . ثم يربطه بمجرى الشمس في ابراجها بين النجوم ،واختلاف الفصول ، فينشأ عنده معنى العام .

قاس الزمن ،وهو ما درى ما الزمن .

كذلك قاس الانسان الكهرباء ، قبل ان يعرف ما الكهرباء .

وبقيت السماء اشد شيء دغدغة للفكر

وبقيت السماء أروع شيء في فكر الانسان، وبقيت أخفى شيء . وبقيت أشد شيء دغدغة للفكر . والصواعق نزلت من السماء ، ونزل منها الماء ومعه الغرق ، وخال الانسان القديم أن منها عبث الزوابع . فأصبحت السماء اكثر اشياء الوجود رهبة .

ونجوم السماء ، مصابيح الليل ،

وبقيت السماء اشد شيء دغدغة للفكر ، واصبحت اكثر اشياء الوجود رهبة



انتشرت على سقف أسود ، فهال الانسان جمالها .

واصبحت السماء موضع الجمال والرهبة معا . موضع الاغراء والخوف ، وموضع الرجاء واليأس .

أرواح وآلهة

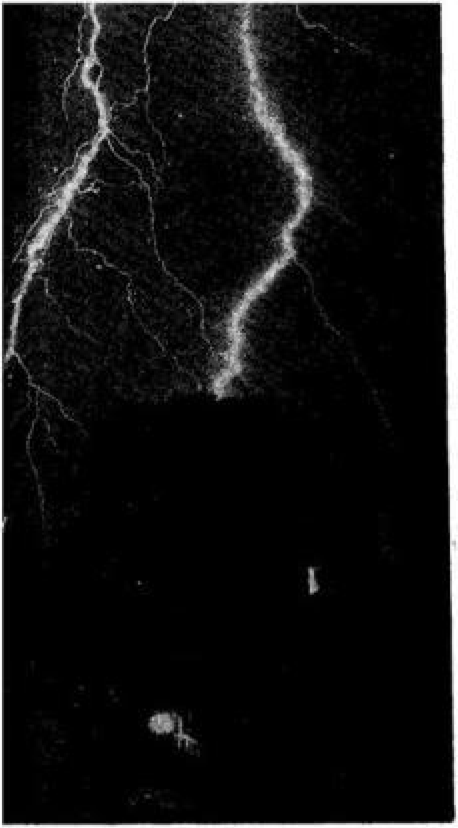
وحاول الانسان القديم تفسير المتناقضات في الحياة ،، فردها الى الأرواح . لكل شيء روح ، ولنقيضه روح . وابتدع السحر ، وهو اغراء الانسان الأرواح لتعمل للخير والشر من وراء ستار .

واذا الارواح تصبح آلهة . الروح المبهَم يصبح الها قد تعيّن وقد تبيّن . والناس تزيده على الأيام تعيينا وتبيينا ، تبعا لحاجة العيش وحاجة النفس .

وظواهر الكون تكون اول ما يلفت الناس ، ويبهر الناس ، ويخيف الناس ، ويطمعهم ، فيكون لكل ظاهرة اله .

راى الانسان القديم ان الحَب ينمو في تربة الارض ، فخال ان لا بد هناك ما ينمّيه ، فخال انها روح خافية في القمح هى التى تنميه ، وخال ان الهـا ، هو اله الحَب،هو الذى ينميه . والانسان ياكل الحب فيعطيه الحياة ، واذن وجب عليه ان يعبد هذا الاله .

واغبرّت السماء ، وتجهّم وجهها ، وابرقت وارعدت حتى خال الانسان ان شيئا في السماء يتحطم ، فخال انها روح تعمل . خال انه اله غَضِب ، فكان من غضبه ما كان .



وابرقت السماء ، وارعدت ، فخال الانسان ان الهـا غضب ، فكان من أمره ما كان

وتكونت عقائد
وتكونت اديان

واجتمع الانسان مع الانسان ، فكانت القرى ، وكانت المدن ، وتجمعت معهـا العقائد ، فصارت لهم دينا .

فصار الاله اله قوم . وصار الدين دين قوم .

وحمدوا من طيبات العيش ما حمدوا ، ووجب الشكر ، فجعلوا لكل طيّبة كبيرة خطيرة في العيش الها ، حمدوه وعبدوه .

فالآلهة تتولى تكثير الحصاد ، فذكروها وحمدوها كلما كان حصاد . واله يتولى العودة بالربيع كل عام ، وبالربيع بشائر الحياة ، فذكروه وحمدوه وعبدوه . وآخر انضج العنب ، وغيره حمى البيت ، فعبدوا كل من اسدى خيرا . واحتفلوا به في اعيادهم ، فدقوا الطبول ، وشربوا الخمور ، وقصفوا ما شاءوا في نهار لهم او ليل .

واتصلت هذه الأخيلة بما يصنع الالهة من خير . واتصلت بما يصيب الانسان من شر وضر . فنشأت عن ذلك معان للخير والشر ، وموازين للسلوك ربطوها بشرف الانسان يعلو بها وينحدر . فكانت من ذلك قواعد ، امتزجت بعقائد . وهى قواعد ، وهى عقائد ، امتزجت بعادات

العيش امتزاجا حماها من التلف دهورا طوالا .

آلهة اليونان

ومن اشهر الآلهة آلهة اليونان .

وهي آلهة انشأتها عقول عرفت الطبيعة صافية جميلة ، على ظهور جبال ، أو في ظلال وديان ، أو في زرقة مياه صافية ببحار . فجاءت موافقة لذلك كله . وهي آلهة اعاشوها على جبل عال جميل هو جبل اولمبس ، عيشة صفو . وتنزل الآلهة احيانا فتختلط بالناس .

كان زيوس Zeus أقوى الآلهة ، وهو صاحب الرعد ، فأطاعته الآلهة جميعا . وهو حكم الدنيا بمعونة احد عشر من آلهة آخر .

الاله بوسيدون Poseidon ، اخ زيوس ، تولى شئون مياه الارض .

والاله هاديس Hades ، وسمي بعد ذلك بلوتو Pluto ، كان ملك ما تحت الارض وملك الموتى .

وهستيا Hestia ، اخت زيوس ، قدّسوها الهة للبيت .

وهيرا Hera ، زوجة زيوس ، كانت الهة الزواج ، وعبدتها النساء .

وارس Arcs ابن زيوس ، كان اله الحرب .

وأبولو Apllo ، ابن زيوس ، وهو الذي ساق عربة الشمس عبر السماء ، وهو صانع الموسيقى ، وهو اله النور والغناء .

وأفروديت Aphrodite الهة الحب . وقيل انها ابنة زيوس أيضا .

الى آخر ما هناك من آلهة .

هكذا زعموا .

ولفّوا كل هذا في اقاصيص رائعة (اذكرْ الالياذة والأوديسة للشاعر الاغريقي القديم هومير) هي في الأدب تحَفٌ عملت طرافتها الادبية على ابقائها القرون ، وجاء عصر النهضة الاوروبية ، وكان الأدب الاغريقي هذا حاضرا ، فتأثرت به الحركات الأدبية في أوروبا عند ذلك .

وليس من احد يؤمن بما آمن به الاغريق قديما .



هاديس رب عالم الاموات تحت الارض ، يحمل الفتاة الجميلة ، برسيفون ، بعد ان خطفها من امها ، من فوق سطح الارض . اسطورة من اساطير الاغريق رائعة لا مجال هنا لسردها .

والعجيب ان هذه الاخايل عاشت مع القرون التى عدت انها العصر الذهبي للفكر الاغريقي وفلسفة اليونان ، عصر سقراط وافلاطون وارسطو . ولكنه عجب يزول اذا ذكر الانسان انه كثيرا ما يحتل الفكر الصالح في امة ، جيوبا يستقل بها عن سائر ما يحيط بها من أفكار اثبت وأبقى ، يعينها على البقاء كثرة ما طلعت عليها الشمس ، وما غربت، وانها صارت عناصر صنعت منها وتركبت عادات الشعوب . وليس اصعب على الشعوب من اطّراح عادة . واصعب العادات اطّراحا عادات فكر .

على أننا لا ننسى أن عمل الانسان القديم في خلق الآلهة ، التى تتمثل فيها ظواهر الكون ، انما كان خطوة في سبيل الفهم . يرى الانسان أشياء جلّت عن فكره الحاضر ، وطلب لها تفسيرا ، فكانت الآلهة تفسيرها .

اطلس

اله من الهة الاغريق قوى ، خرج عندهم على رب الارباب زيوس ، فكان عقابه ان حمل الارض والسماء على اكتافه العراض ، الى الابد . ومن اسمه اقتبسنا اسم كتاب الخرائط فسميناه « اطلس » .



وهي خطوة اشبه بخطوة اولى في سبيل العلم . فالعلم يبدأ بالفضول الذهني . يريد الانسان أن يعلم ، ويريد ان يفهم ، ويريد ان يدرك كيف تجرى هذه الظواهر الكونية ، ومن يجريها . وكيف تجرى قسمات العيش واحكام الاقدار . ولم يجد تفسير ذلك في الانسان ، ولا في الطبيعة ، فهدف الى ما وراء الطبيعة ، يطلب هناك حل طلاسمها .

وهذه الخطوة هى من ناحية أخرى خطوة تهدى الى ما جاء بعدها في سبيل العقيدة الدينية ، والايمان بالاله الواحد الاحد ، من خطوات .

بوادر التجميع بعد التفريق

ان الشعوب التى عبدت الآلهة قديما، كان منها البابليون ، ومنها الاغارقة ، ومنها المصريون ، وكذا اهل الهند . نظروا الى ظواهر الكون ففرّقوها تفريقا، فالرعد والبرق عندهم شيء . والمد والجزر عندهم شيء آخر . والزلزلة وخروج البراكين الى سطح الارض بأفواهها المليئة نارا، شيء وحده . ووحده كذلك الربيع، ووحده الخريف . والشمس شيء في السماء وحده ، ووحدها كذلك النجوم .

ولكن كل هذه الظواهر مرتبطة ارتباطا وثيقا ، فهي لا تعيش وحدها . كلها وجه من وجوه الكون الواحد .

فلو ان هؤلاء الاقدمين دروا من امر هذا الكون ما درى الاحدثون ، لأحلوا التجميع محل التفريق ، ولأقاموا في مكان هذه الكثرة من الآلهة ، الها واحدا .

على ان هذه الشعوب بدرت منها بوادر هدفت بها ناحية الجمع . كأنها احست بوحدة هذه الظواهر احساسا مبهما ، فظهر هذا الاحساس بأن مال بهم الى شيء من التجميع مكان التفريق .

فنحن نشاهد في آلهة الاغريق أنهم جعلوا منهم الها واحدا سيدا ، بأمر فيطاع .

وقدماء المصريين تعددت فيهم الآلهة .

ولكن حدث في منتصف الاسرة الوسطى من حكم فراعنة مصر القديمة ، ان شاع بين رجال الدين ان الاله «رع» ، اله الشمس . هو الاله الاول والأوحد ، وما كان سائر الآلهة عندهم الا وجوها مختلفة من ذلك الاله الأكبر .

واخناتون ، فرعون مصر، ورث عرش ابيه ، وابى ان يرث اربابه . كان اله الآلهة زمان ابيه الاله « آمون » ، والى جانبه آلهة . فجاء الابن الشاب بدين جديد . أعطى للشمس اسما لها قديما . سماها « آتون » . رسمه قرصا يمد بأشعته ، أشعة الحياة الى الارض . وهو خرج عن معنى الشمس الكياني الى معناها الروحي ، فجعل من آتون الها ، جبّ به الآلهة جميعا . وقام على كل التماثيل ، في المعابد والقصور ، وما كان اكثرها في طيبة ، العاصمة (الأقصر اليوم) ، يمحو منها اسم آمون وارباب . ونفى منها صيغ الجمع فجعل الأرباب ربا مفردا .

وواضح من اقوال اخناتون انه كان يرمي ، فيما يرمي اليه ، الى تقديس الحرارة ، وتقديس النور ، وتقديس الحياة التي نمت وازدهرت بسببهما على سطح هذه الأرض .

ويقول النقاد انه في تلك العصور ما كان يفقه الناس قوانين الطبيعة في أعماق تفاصيلها كما نفهمها اليوم . وصدق النقاد . فما فهمها اخناتون ذلك الفهم ، ولكن لا شك انه هالته سيطرة الشمس على حياة هذه الارض ، وادرك بحسه الباطني ان منها الحياة ومنها الموت . وهو خاطبها ، رمزا ، كما نخاطب نحن اليوم الرب الأوحد الصمد ، في مزامير رائعة ، اشبه بمزامير التوراة . خاطب فيها آتون ، « صانع الليل والنهار » ؛ و « خالق الانسان والحيوان » ،و«مبدع الخلق جميعا » .

تجميع من بعد تفريق .

فرّق اباه ، وفرّق اجداده الاله ، وجمعهم هو في اله واحد أحد .

وفي الهند وفي الصين

وكما في اليونان،وكما في مصر القديمة، فكذلك كان في سائر الأمم . في الهند والصين . وحيثما تعددت الآلهة كان مع هذا التعدد شيوع مبدأ الشمول المحتوي لهذا الوجود ؛ ذلك الذي لا تكاد تجمعه الى العقيدة التي تقول بتعدد الآلهة ، حتى يولد في رؤوس معتقديها فكرة جديدة ، هي انه يوجد وراء هذه الآلهة المتعددة قوة مشتركة، واذن هي تقودهم الى ان هؤلاء الآلهة ، ليسوا الا وجوها مختلفة من الحقيقة الأزلية الأبدية الواحدة ، تلك التي نسميها نحن الله .

الوحدة الكونية تصبح مذهبا

كل هذا الذي وصفنا من تدرج الى معنى الاله الواحد،دفع اليه نظر الانسان في الكون ، وتأمله في هذا الوجود .

وما العلم الحديث الا نظر في الكون وتأمل فيه .

ولم يكن حظ الأمم القديمة من العلم بالشيء الكثير . فتحقيق معنى الوحدة القائمة في الكون ، التي هي سبيل الفكر الى وحدة الله،لم يكن عندهم من الثبوت الا بمقدار ما ثبت عندهم من علم .

وممن تحققت عندهم فكرة الوحدة الكونية ، جماعة الرواقيين ، وهي فئة من فلاسفة الاغريق ، وهي تحققت في وقت لم يكن فيه علم الاغريق الطبيعي كثيرا ، ولكن كان حدسهم شديدا ، ونظرات لهم ثاقبة كانت كثيرا ما تصيب .

وممن آمن بوحدة الكون في القرون الوسطى وكتبوا فيها ، كتاب من الأديان الثلاثة الكبرى ، اليهودية والمسيحية والاسلام . من اليهود القباليون Kabbalists ، ومن المسيحيين عدة، ومن المسلمين ابن رشد(١١٢٦–١١٩٨) .

وجاء عصر النهضة بأوروبا فأحيا مبدأ الوحدة الكونية بين اهلها .احيوه متأثرين بالفلسفة الافلاطونية الجديدة ، وكان من اكمل فلاسفة هذا العهد دراسة لما

الفيلسوف الهولندى اسبينوزا Spinoza (١٦٣١ — ١٦٧٧) .

وتأثر بالوحدة الكونية الأدب الأوروبي بعد ذلك ، نجد اثرها في شعر جوته Goethe (١٧٤٩ — ١٨٣٢م) شاعر الألمان ، ووردورث Wordworth الشاعر الانجليزى (١٧٧٠ — ١٨٥٠م) .

وتأثر بها فلاسفة القرن التاسع عشر . وفلسفة فشته Fichte ، وفلسفة هيجل Hegel ، وفيهما اقترب كلاهما من مبدأ الوحدة الكونية اقترابا كبيرا .

الوحدة الكونية والأديان السماوية

لم يكن من هدفي ان اذكر الأديان السماوية ، فأنا في هذا المقال ، وفي توابعه ، احاول الاجابة على السؤال الذى طالما خطر بالبال: هذا العلم الحديث ، بتقدمه هذا الحاضر ، وباتساعه الشامل ، وببلوغه اغوار السماء ، واعماق الارض ، هل هو قادر وحده على كشف وحدة الله بدون استعانة من دين موحى ؟ واذا هو يقدر ، فكم يقدر ؟

فحديثي اذن موجه الى المسلم ، والى المسيحى ، والى اليهودى ، والهندوسي ، والبوذى ، ومن له دين ، ومن ليس له .

ومع هذا فقد وجدت هنا ان اقف وقفة ازيل بها لغطا قد يسببه بعض من قرأ من الحاضرين ما كتب بعض الفلاسفة الغابرين .

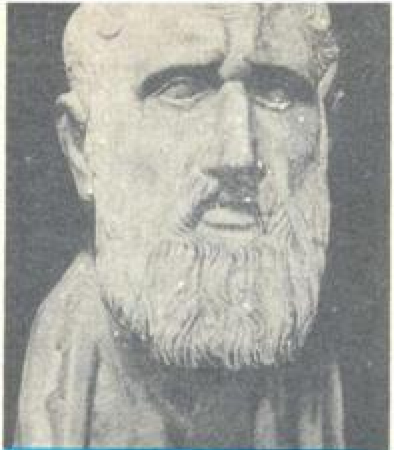
فبعض هؤلاء الكاتبين القدماء السالفين اضاف الى دراسة الوحدة معاني من عنده ، ابعدها عن معنى الاله بعدا كبيرا ، حتى ليلغوا بها حدا وصفها عنده الواصفون بأنه جحود لمعنى الله .

وليس يعنينا الآن من جحدوا .

وليس يعنينا الفلاسفة الآخرون الذى قالوا ان كل ما نراه في الكون ليس بالحقيقة وانما نراه توهما وما الحياة الا حلم .

ليس يعنينا هؤلاء ولا هؤلاء .

وانما نحن ننظر على أى شيء انطوى الكون وينطوى ، حتى جعلنا من ظواهره وحدة كاملة شاملة .



زينو الرواقي
(نحو ٣٤٠ — ٢٦٥ ق . م)
مؤلف مذهب الرواقيين . ولد في بلدة كتيوم Citiom بجزيرة قبرص ، وجاء بعد ذلك الى اثينا . وهو من اصل فينيقي ، واكثر من وسّعوا المذهب كانوا اسيويين اكثر منهم الفارقة . ويعد المذهب آخر مجهود فلسفي في اليونان الوثنية . وهو مذهب علّم ان الكون يسوده النظام ويسوسه المنطق ، وان على الانسان ان ينظم نفسه فيحتل مكانه فيه . وجاءت المسيحية فمزجه بها بعض آبائها . وكان احياء المذهب في عهد النهضة الاوروبية . وتأثر كثير من فلاسفة اوروبا وكتابها بعد ذلك بما رسمه المذهب من آداب . ومنهم شكسبير وشلر وكنط ، ورجال الثورة الفرنسية .

وحدة الكون، توسلا بها الى وحدة الله ، دراسة لا تتم الا بدراسة العلم

لقد علم السابقون من ظواهر هذا الكون ما علموا ، وعلى قدر علمهم هم فكروا وتأملوا ، والنظريات نسجوا .

وظواهر الكون كلها تلين عند ممارسة العلم . والعلم الحديث فروع كثيرة . وتفرعت الفروع وتخصصت . وزاد الانسان بها لكل ظواهر الكون علما .

فنحن اليوم اقدر على متابعة دراسة الوحدة الكائنة في هذا الوجود من آباء لنا واجداد .



اسبينوزا

(١٦٣٢ - ١٦٧٧ م)

فيلسوف هولندى ، من ابوين يهوديين . درس اللاتينية والعلوم الطبيعية والفلسفة . قرا كتب اليهود المقدسة والتلمود ، ووضع سلطان العقل فوق كل سلطان . نظر في اشياء الكون وظواهره فربطها جميعا في وحدة ردها الى الله . سموه بالرجل المخمور بالله . طرده اليهود من كنيسهم وكرهه النصارى . بعد اكثر من قرن اعتنق فلسفته الكثير من فلاسفة اوروبا وادبائها ، وتاثر به جوته شاعر الالمان ، تاثرا كبيرا . كان دمث الاخلاق رفيقا ، ومع هذا قسا عليه زمانه قسوة منكرة . رفض استاذية بجامعة هيدلبرج بالمانيا ، وآثر ان يظل يكسب قوته من سن العدسات وصقلها .

الكون ارض وسماء

والكون قسمان : ارض وسماء . او سماء وارض .

اما السماء التي يدرسها العلم فمن جوامد . نار ونور ، وحركة دائبة ، تجرى وفقا لقوانين ثابتة . وقد سبق ان عالجناها ، واثبتنا وحدة خلق فيها كاملة . وانتهينا ، بعد اثبات الوحدة ، الى ان هذا الكون السماوى لو امره آمره بان ينفرط ، لا الى عناصره الاولى فحسب ، ولكن الى ما هو ادنى من ذلك وابسط ، الى ما في العناصر من بروتونات ونترونات ، اذن لانفرط الى كومة كبيرة عظيمة هائلة تملأ الفضاء شرقا وغربا ، ليس فيها الا هذان : البرتون والنترون .

وهل ابلغ من ذلك وحدة اصول .

هذا الى جانب وحدة قوانين ، وبراعة تقنين (١) .

اما الارض ، فأما الارض الجامدة فبعض اجرام السماء يجرى عليها ما يجرى على هذه الاجرام . واما ما عليها من خلق ، فهذا الخلق هو موضوع دراستنا الحاضرة . انها الوحدة ندرسها فيما على الارض من احياء .

ومخلوقات الله على الارض حيوانات ونباتات .

دراسة وخطة

ونبدا بالحيوانات

والحيوانات على راسها الانسان ، وهو اكملها خلقا . ونتدرج من الانسان الى ما دونه ، الى الحصان مثلا ، والى الكلب ، والضفدع ، والسحالى ، والاسماك ، وننزل في السلسلة الى بسائط الحيوان حتى الخلية الاميبية الحية الواحدة .

ونبين ما فيها جميعا من تصميم بناء واحد مشترك ، نتدرج فيه من المعقد الى البسيط ، ونرد كل مخططات بنائها الى المخطط الاول والاكمل ، جسم الانسان . نردها اليه تشريحا ، ونردها اليه وظائف اعضاء .

اريد بالعلم ان ابين ان المخطط واحد . ان القلم الذى رسم التخطيط واحد ، وان الاصبع الذى ركب القلم عند تخطيطه واحد .

واذن فصانع الخلق واحد .

الوحدة لا تكفى

ولكن الوحدة لا تكفى .

لا بد مع الوحدة الاعجاز . الاعجاز في

---

(١) ورد كل هذا في كتاب « مع الله في السماء » لكاتب هذا المقال : طبعة دار الهلال بالقاهرة . وقد سال عنه الكثير من القراء ، فهذا جوابنا .

الصنع . والاعجاز في الاهداف . وتتباين الاهداف في الجسم الواحد ، وتتعارض ، وقد تتناقض ، فيكون في الخطة البارعة المرسومة الجهاز الذي يتخطى بهالجسم كل هذه العقبات .

اجسامنا ، كم نمتلك منها ؟

ان الجسم يعمل وصاحب الجسم غافل عما يجري فيه . وهو يغفل لانه لا يفهم حتى اذا استيقظ له . الا ان يدرس علما . والعلم ، حتى الحديث ، ان اضاء جانبا ، ترك جوانب كثيرة في ظلام .

ان اللغة تجري في الناس مجازا .

قال صاحبي هذا جسمي . قلت ما هو بجسمك .

قال : انا آكل على هواى ، وانا اهضم ولي حرية امتلاكي اياه .

قلت : تأكل لا على هواك ، وانما على تنبيه جسمك اياك الى حاجته للطعام ، انه الجوع ، وهو حس انت لا تمتلكه . اما انك تهضم ما تأكل فقول غير صحيح . والصحيح ان جسمك يهضم ما تأكل . ان الهضم عملية ، تأتي وراءها عملية ، وراءها اخرى ، وتجري كلها وصاحب الجسم لايراها ، ولا يفهمها . ولايستطيع ان يتدخل فيها مسرعا او مبطئا اياها . ويتعسر هضمه ولا يدرى لم تعسر . ويذهب الى الطبيب فقد لا يجد حتى الطبيب غير الظن الى تفسير العسر سبيلا .

وهكذا انت من سائر جسمك . من قلبك ، من كبدك ، من كليتك ، من غددك ، من اعصابك . انت من جسمك جالس مثل ما جلس رائد القمر في سفينته الفضائية ، يحسب انه ارتفع بها ، وانه يقودها . وما ارتفع وما قاد . وانما ارتفعت به من حيث لا يحسب صواريخ . ادارتها تلقائيا حاسبات الكترونية ، هو لا يفهمها . وحاسبات اخرى هي التي جعلت الصاروخ يعود ويشتعل لتفلت السفينة من الارض الى القمر . وقد جاز ان يظل رائد القمر اثناء كل هذا نائما .

دخلت في الصميم من حيث لا ادرى

انى بهذا المثل دخلت في الصميم من حيث لا ادرى .

وانما اردت بهذا المثل ان اقول : ان اثبات ان الاصبع الذى يقوم بالتخطيط لهذا الكون كله والصنعة كلها ، اصبع واحد ، لا يكفي .

لا بد من اثبات ان هذا الاصبع الواحد به من الفطنة والذكاء والمهارة والتدبير والحكمة ، اذا قورن بها ما للانسان من ذلك ، تحطم ميزان المقارنة خجلا . ومع هذا يجب ان لا ننسى ان فطنة الانسان التي هممنا بمقارنتها ، انما هي من صنع هذا الاصبع ، من صنع تلك الفطنة الكبرى .

صفحات سبقت كان لا بد منها

واذكر بهذه الدراسة « صفحات من الطب المصور » سبقنا بها ، نشرا في اعداد « العربي » من العدد ١٠٣ الى العدد ١٣٣ اى نحوا من ٣ سنوات .

وهي صفحات كان لا بد منها .

انها تعطى القارىء صورا من بناء جسم الانسان ، وامثلة من وظائف اعضائه . وهو البناء ، وهي الوظائف ، التي سوف نقارن بها ابنية أجسام سائر الحيوانات ، ووظائف اعضائها ، لنوضح ما بينها من تواحد .

جسم الانسان مثل اول . مثل اعلى . نموذج ترد اليه سائر اشكال الخلائق على اختلافها . في تدرج ، هبوطا ، نحو الادنى من المخلوقات فالادنى .

وبعد اجسام الحيوانات تأتي على انفسها . ونبدأ بنفس الانسان . وبالطباع والغرائز . ونثنى بالحيوان ، طبائعه وغرائزه .

ومن الحيوان الى النبات ، درجة تتراءى منخفضة يحتاج نزولها الى سلم ، وما هي في المعيار العلمي بهذا الانخفاض .

بدأنا وعلى الله التوفيق . ●●

احمد زكى

نتيجة مسابقة العدد ١٣٢

١٠ إجابات

ومائة دينار جوائز للقـــراء..

■ جاءنا من القراء أعداد من الأجوبة آلاف اقتضت منا لفحصها وقتا طويلا ، وقد تضمنت المسابقة عشرة أسئلة ليست من الصعوبة بمكان ولكنها تكشف مقدار ما عند أصحابها من معلومات عامة .

ويستطيع كل قارىء ان يقارن ما كتب بالأجوبة الصحيحة التى ننشرها وبذلك يقدر كم يعلم .

واليك الأجوبة والفائزين بهذه المسابقة :

١ ـ هولندا ليست دولة اسكندنافية .

٢ ـ يقع متحف اللوفر الشهير بباريس .

٣ ـ اكتشف العالم اسكندر فلمنج البنسلين .

٤ ـ اللغة الاسبانية هى اكثر اللغات انتشارا فى امريكا اللاتينية ، (اى دول امريكا الجنوبية وامريكا الوسطى) .

٥ ـ روبنصون كروزو كان بحارا على سفينة فى القصة المشهورة باسمه .

٦ ـ ماجلان اكتشف الطريق البحرى المار باقصى الطرف الجنوبى لامريكا الجنوبية .

٧ ـ جاليليو اخترع التلسكوب .

٨ ـ جزيرة تسمانيا ولاية فى استراليا .

٩ ـ انشئت الأمم المتحدة سنة ١٩٤٥ .

١٠ـ ليما عاصمة بيرو .

الفائزون بالجوائز

❋ **الجائزة الاولى** : وقيمتها ثلاثون دينارا فازت بها :

ـ **عقيلة حسن نصير** ـ القادسية ـ الكويت .

❋ **الجائزة الثانية** : وقيمتها عشرون دينارا فاز بها :

ـ **الحاج احمد تميم** : بيروت ـ لبنان

❋ **الجائزة الثالثة** : وقيمتها عشرة دنانير فاز بها :

ـ **ضياء عبد الهادى** : بغداد ـ العراق .

٨ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا كل منها خمسة دنانير فاز بها كل من :

١ ـ أحمد محمد عبده النبراوى : دمياط ـ ج٠ع٠م٠

٢ ـ سمير محمد سلمان على : الزرقاء ـ الاردن.

٣ ـ محمد عبد الرحمن أبو هاشم : تبوك ـ السعودية .

٤ ـ الطاهر محمد القديرى : بنغازى ـ ليبيا .

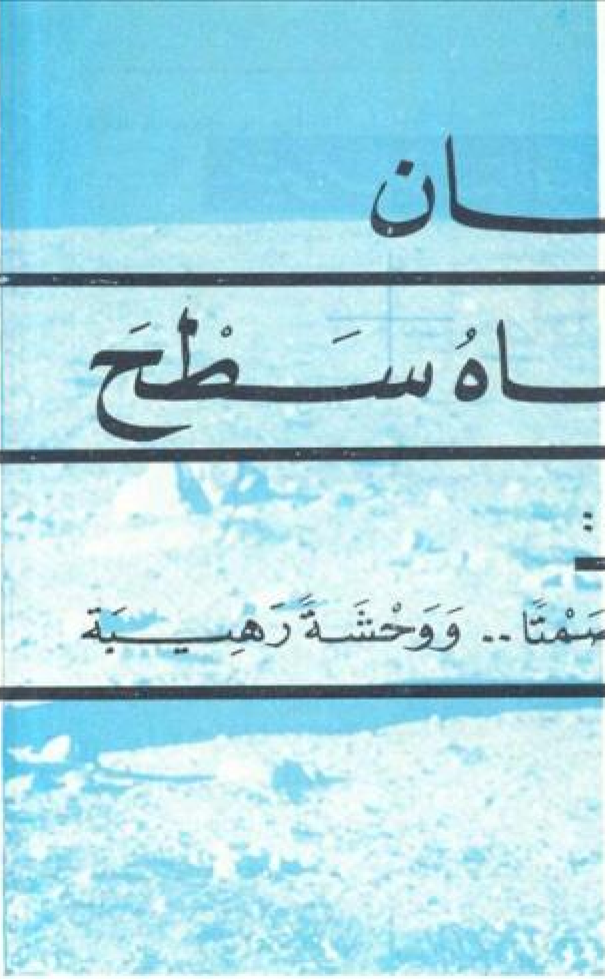
٥ ـ ردينة عبد الصمد : دمشق ـ سوريا .

٦ ـ محمد حسن محمد البحر : ديرة ـ دبى .

٧ ـ على الجبارى: تونس ـ الجمهورية التونسية

٨ ـ صبحى عبد الجبار : لاهور ـ باكستان .

وسوف ترسل الجوائز الى أصحابها . ■■



أَوَّلُ إِنسـانٍ

دَقَّتْ قَدَمَاهُ سَطْحَ

وَتَفَقَّدُوهُ فَوَجَدُوهُ :

خَلاءً.. وَفَرَاغًا .. وَصَمْتًا.. وَوَحْشَةً رَهِيبَةً

■ اذا انت سالت : متى فتح الترك القسطنطينية ، وجدت الجواب حاضرا ، انه عام ١٤٥٣ .

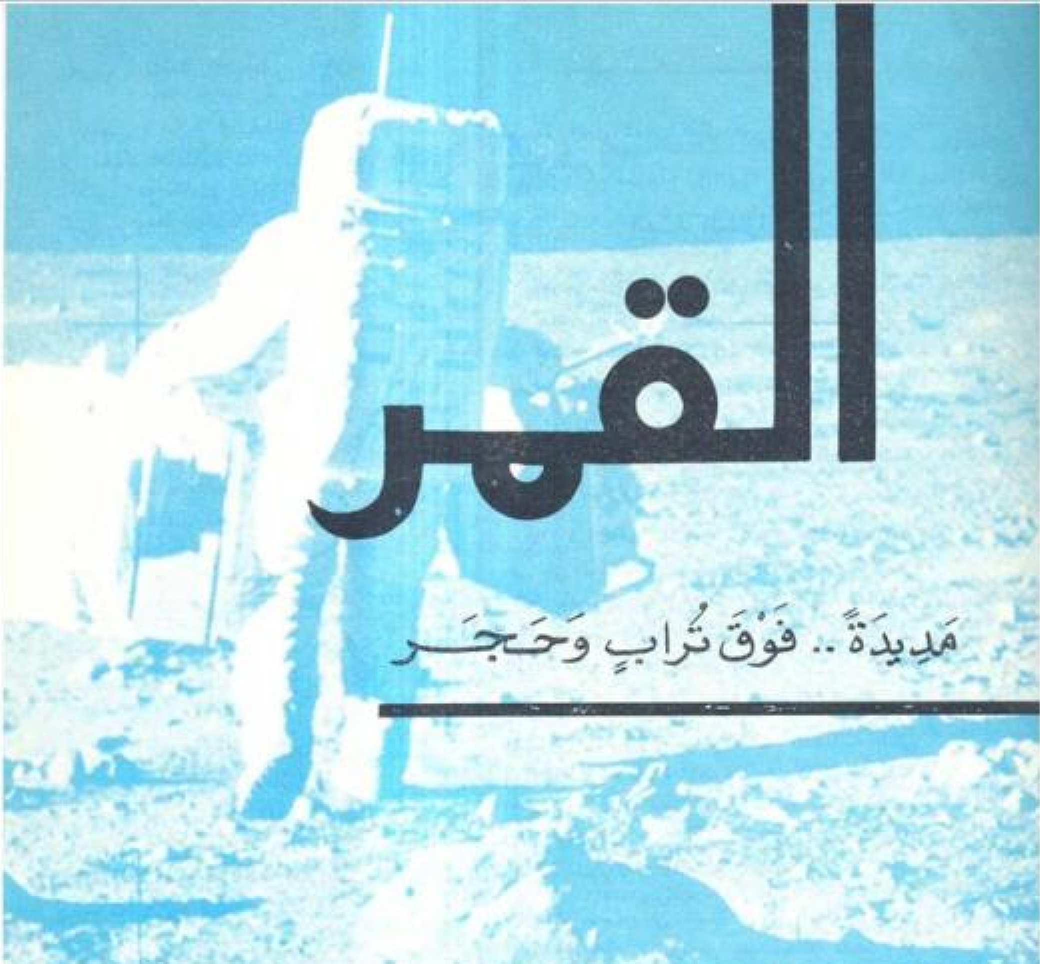
واذا انت سالت : متى فجّر الانسان القنبلة الأولي الذرية ، وجدت الجواب حاضرا ، انه عام ١٩٤٥ .

واذا انت سالت : متى كشف كولمبس امريكا ، وجدت الجواب حاضرا ، انه عام ١٤٩٢ .

احداث خطيرة كثيرة ، لعل هذه الثلاثة ليست اخطرها ، كان من شأنها تغيير مجرى الحياة على هذه الأرض .

ولا احسب انه كان لها هذه الخطورة الكبيرة يوم حدثت ، ولكنها خطورة تكشفت بمرور السنين ، ومرور الأحقاب والقرون .

وعامنا هذا المنصرم ، عام ١٩٦٩ ، لا شك قيّده المقيدون في التاريخ بين تلك السنين ذات الأحداث الكبيرة ، ويكفيه خطرا ان الذى حدث فيه ، فوق انه لم يسبقه حدث مثله في تاريخ الانسان ، فهو حدثٌ لا يرتبط بعلاقة الانسان بالانسان ، ولا بعلاقة الانسان بالأرض ، ولا الأرض بالانسان . ولكنه حدث خرج عن هذه الكرة الارضية اتصالا . انه اول وَصلة للانسان



القمر

مَدِيدَةٌ .. فَوْقَ تُرَابٍ وَحَجَر

بالسماء . وهي ليست وصالَ فكر ، ولا وصال خيال ، ولكن وصال اقدام . قدمُ الانسان دقت سطح القمر ، فلو ان للقمر روحا لذُعِر . فهذه اول مرة ، منذ الخليقة ، يحسُّ القمر بان على سطحه شيئا يجرى له روح ، وهو ما عرف قط ما الروح . ما عرف ما الحياة ، وقد حرمه الله مقومات الحياة جميعا .

ان نزول الانسان على القمر حدثٌ من احداث الدنيا عظيم ، ولعله ، فيما بين الانسان والطبيعة ، هو اكبر حدث عرفه الانسان الى الآن . انه باب السماء انفتح . ومن يدرى فقد تتفتح للسماء من بعد هذا الباب ابواب .

ولقد احسستُ بهذا الفتح ، ان قد انفتحت في قلبي كوةٌ دخل منها اليه بصيص من نور . ولقد كنت سبق ان قلت ، وانا اتحدث عن مخاطر القمر قبل الوصول اليه بسنين : من ذا الذى لا يود ان يرى القمر بعينيه ، ويحس ترابه بيديه ، ثم لا يموت فوق ذاك التراب هادئا هانئا .

انه الغموض الذى يحيط بالانسان الذى اشتبك جسما وطعاما ولباسا ومعاشا بتروس هذه المكنة الدوارة

العظمى ، مكنة هــذا الكون ، فاصبح لا يخلصه منها الا الكثير من الفهم ، والكثير من العلم ، ولا فهم كفهم العين التى ترى ، واليد التى تحس .

« واذ قال ابراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى ، قال : أو لم تؤمن ، قال بلى ، ولكن ليطمئن قلبى » (٢٦٠ سورة البقرة) .

واليوم القمر ، وغدا المريخ ، وبعد المريخ المشترى ، وزحل .

وتكشف القمر ، وتكشف المريخ ، فما كان أشبه المريخ بالقمر .

نقر في حجر .

وكاني بكل الكواكب الشمسية كشفت عن وجهها فكانت كلها يباباً ، وكانت سرابا .

يوم أطلقوا الصاروخ برجاله الثلاثة الى القمر

كان هذا اليوم هو اليوم السادس عشر من شهر يولية عام ١٩٦٩ .

وكان المكان هو مركز الفضاء « ليكيندى » Kennedey Space Center في فلوردة بالولايات المتحدة . وهي محطة للاطلاق اتخذوا لها من اسم رئيس الولايات المتحدة ، القتيل الراحل ، اسما .

وكانوا ضربوا موعدا لاطلاق الصاروخ بالذى حمل من رجال ، هو منتصف الساعة العاشرة من ذلك اليوم . ومع هذا فقد سبق خلق كثير ، من امريكا ، ومن غير امريكا ، من شرق وغرب ، الى هذا المكان حتى قدّر الحاسبون ان عددهم بلغ المليون من الانفس ، ازدحمت بهم الطرقات الى مكان الاطلاق ، بل انسدت بهم . والسيارات مس بعضها بعضا ، في طوابير تعطلت فيها عن الحركة . هذا غير من جاءوا ساهرين ، او من قضوا الليل في سياراتهم في العراء نائمين .

والصحفيون جاءوا من نحو ثمانين دولة . انه لم يثر اهل الارض كمثل خبر نزول رجل على سطح القمر .

العد التنازلي

وازدحم المشاهدون وازدحم الصحفيون في مدرج لهم هناك عظيم ، يبعد عن منصة الاطلاق بُعدا قد احتاج النظارة معه الى استخدام النظارات المقربة .

وراى الناظرون من الصباح الباكر لوحة ، عليها اعداد ، تتغير ارقامها كل ثانية . انها لوحة التعداد التنازلي .

فاذا قرات على اللوحة ٢١/١٥ كان معناها انه بقي على الاطلاق ٢١ دقيقة و ١٥ ثانية ، وتقرا على التو بعدها ٢١/١٤ ثم ٢١/١٣ . وهلم جرا ، نزولا ، حتى اذا قرات ١٥/٠ علمت انه لم يبق على الاطلاق غير ١٥ دقيقة فقط .

والتعداد التنازلي يبدا حين يبدا الفنيون يختبرون الصواريخ والمركبات الفضائية التى فوق الصاروخ للمرة الاخيرة ، وقد تطول مدة هذه الاختبارات اياما وساعات طويلة ، لان عدد الاختبارات كبير . وليس جاذبا لعين المشاهد كهذه اللوحة المتحركة ، الدائمة الحركة .

وترفع بصرك عن هذه اللوحة فيملؤ عينك الصاروخ وقد تراءى من بعيد هائلا عارما ، لا ينافسه طولا الا برج الصعود الذى الى جانبه ، وعليه يصعد الرجال والفنيون ، يصعدون الى اى طبقة شاءوا من الصاروخ ومن المركبات الفضائية التى فوقه .

وتسأل : اين رجال الفضاء ؟

وتسال عن رجال الفضاء الثلاثة ، اين هم ؟ فتعلم انهم جميعا احتلوا مكانهم من مركبة القيادة في اعلى الصاروخ منذ اكثر من ساعتين ونصف ، وانهم اشتغلوا هذه المدة بفحص أجهزتهم هناك . وتعلم كذلك انهم استيقظوا ، في بيتهم المعزول ، وهو على بعد بضعة كيلو مترات من مكان الاطلاق ، في فجر ذلك اليوم . وجاءهم الاطباء اول شيء فحصوهم آخر فحص . ثم هم تناولوا الافطار ، وكان طعاما لا يخلف في الجسم الا القليل من

الفضلات . وتسأل فما كان ذلك ؟ فيأتيك الجواب، انه اللحم والبيض وعصير البرتقال والقهوة . واتصل رجال الفضاء ، او ان شئت فرُوّاد الفضاء ، او ان شئت فملاّحو الفضاء الثلاثة الذين غايتهم القمر ، اتصلوا بالتلفون بزوجاتهم واهلهم آخر اتصال ، للوداع . فمن يدرى !

وتعلم انهم بعد ذلك لبسوا ملابس الفضاء ، وحُمِلوا الى سفينة الفضاء حملا سريعا .

واقتربت الساعة

ويلفت انتباهك سكون حلّ في المكان طارىء ، وتنظر في الجمع الحاشد فتجد النظارات قد ارتفعت الى الأعين تنظر الى بعيد . وترمي بنظرك الى اللوحة الراقمة فتقرأ عليها ٨/١٠ فتعلم انها دقائق ثمان وعشر ثوان ، بعدها يصعد الصاروخ بسفينة الفضاء التى حمل .

وما هى الا دقيقتان او ثلاث حتى ترى برج الصعود قد انزاح بغتة عن موضعه ، واذا الصاروخ واقف وحده ، على منصة الاطلاق ، لا يسنده شيء . وتعلم انه انقطع ما بينه وبين من حوله وما حوله من اتصال ، وانقطعت الطاقة الخارجية التى كانت تَمُدّه ، واصبح لا يعتمد الا على ما فيه من طاقة داخلية ، وبقي اللاسلكي وحده طريق الكلام .

وتنظر فاذا اللوحة تقول ان الزمن ٣/١٠ ، ومعنى ذلك انه لم يبق على الاطلاق غير ٣ دقائق وعشر ثوان . وتعلم مما قرأت ان هذه هي اللحظة التى عندها يَنْفُض رجال الاطلاق ايديهم من اجهزة الاطلاق ، ويتركونها في ايدى الحاسبات الالكترونية ، تجرى عمليات الاطلاق في تتابعها خطوة خطوة ، ولا سلطان للرجال عليها . الا ان يحدث خطأ مريع ينذر بكارثة ، في الثانين من الثواني الباقية ، وعندئذ فقط يستطيع الرئيس المسئول عن ذلك ان يضغط على زرّ ، ضغطة يوقف بها حركة كل شيء .

وتقرأ على اللوحة ١٠ر٩ر٨ر.. انها الثواني تجرى . وبغتة تتصاعد الأبخرة بيضاء من تحت الصاروخ ، ثم هي تمتد وتثور وتصطخب فيما حوله .

وتقرأ اللوحة . انها ٥ر٤ر٣ر٢ر١ ...

واهتز الصاروخ قليلا بالذى حمل ، وتراءى للعين كأنه تململ من ثِقَل . ودَمْدَم ، فسمع الناس له قصفة كالرعد . ثم اذا به ينطلق كالسهم الى السماء انطلاقا ، وهو يجر وراءه ذيلا طويلا من لهب .

اعتذارٌ عن تأخر الاطلاق وراءه معنى خطير

وجاء صوت الرجل الكبير القائم على اطلاق الصاروخ يقول :

لم يتأخر عن موعد انطلاقه غير ٧٢٤ مللى ثانية Milli-Seconds .

وحسب الرجل أن السامعين لم يستطيعوا ان يدركوا معنى ما قال ، فزاد فقال :

ان مِلِّي الثانية عبارة عن جزء من ألف من الثانية .

ودهش السامعون . ان تأخر الاطلاق عن موعده بلغ أقل من ٣/٤ الثانية .

ولكنّ وراء هذه الدقة في قياس الزمن ، وغير الزمان ، في رحلات الفضاء ، خطر عظيم .

وذلك ان الراحل الى القمر يضرب له موعدا يلقاه فيه بعد ثلاثة أيام مثلا .ولكنه يريد ان يلقاه في موضع من فلكه خاص ، وان يلقاه على وضع له خاص ، وان ينزل عليه في نقطة خاصة بمنطقة منه خاصة . والقمر في أثناء الرحلة يسير في الثانية بسرعة كبيرة.وهو في رحلة الثلاثة الايام يبتعد عن موضعهساعة الاطلاقباكثر من..٢١٥ كيلومتر وهو في مداره حول الارض . وهو بالاضافة الى كل هذا يدور حول نفسه نحو ١٢ درجة في اليوم الواحد . والأرض كذلك تدور في فلكها ، وتدور حول نفسها . فالأوضاع النسبية بين الأرض والقمر تتغير كل ثانية ، فالراحل الى الفضاء لا بد ان يعتبر كل هذا في تحديد موعد الاطلاق من الأرض ، وموعد لقاء القمر على الوضع المطلوب في الموضع المطلوب على سطحه . ومن اجل هذا لا بد من ضبط كل مواعيد اللقاءات التي تجرى في السماء بالثواني . وروائدو القمر عندهم في مركباتهم القدرة على التصرف أثناء الرحلة بحيث يصححون الأخطاء ، ولكنها قدرة محدودة .

سفينة الفضاء وصاروخها ((ساترن)) رقم ٥

سفينة الفضاء وصاروخها ، اجزاء ، ركب بعضها بعضا . واستطالت جميعا نحو السماء ، حتى بلغت اكثر من ١٠٠ متر ارتفاعا (انظر الرسم المرفق) وثقلت حتى بلغت اكثر من ... ٢٩٠٠ كيلوجرام وزنا .

اما الاجزاء السفلى فهي الأجزاء المتعلقة باطلاق السفينة ، ثلاثة منها للدفع ، كل منها صاروخ وحده ، ومن الصواريخ الثلاثة يتالف الصاروخ المعروف باسم ساترن رقم ٥ Saturn 5 وهي تحمل السفينة الى الفضاء الى هدفها في مراحل ثلاث ، مرحلة اولى ، وثانية ، وثالثة وتسمى هذه الصواريخ الثلاثة باسم مراحلها ، فصاروخ المرحلة الأولى ، وهو اكبرها . ثم صاروخ المرحلة الثانية . ثم صاروخ المرحلة الثالثة ، وهو اصغرها . وعند رأس هذا الصاروخ العظيم ، أو بالاحرى عند رأس صاروخ المرحلة الثالثه ، توجد وحدة الات لتوجيه السفينة الوجهة الصحيحة ، وهي على صغرها مليئة بالاجهزة الكهربائية والالكترونية.وهي تقيس سرعةالسفينة وارتفاعها، وتحسب كم من التصحيح تحتاج السفينة لتلتزم الطريق الصحيح . وهي تصدر الأوامر للمحركات فتزيد من احتراقها او تنقصه لتبلغ السرعة المطلوبة للاهداف القائمة . فلا عجب اذن انهم يطلقون عليها ((مخ السفينة المدبر)) .

وتكاد تؤلف هذه الصواريخ الثلاثة مع وحدة التوجيه مجموعة بذاتها . ويبلغ ارتفاعها نحو ٢٨١ قدما (نحو ٨٦ مترا) .

سفينة الفضاء

وتعلو فوق هذه المجموعة سفينة الفضاء ذاتها ، Space Ship ، ويبلغ ارتفاعها نحو ٨٢ قدما فقط (نحو ٢٥ مترا) . وهي تتالف في الترتيب التصاعدى من :

(١) المركبة القمرية مغلق عليها غلافها (تابع نظر الرسم المرفق) ، وهي التي سوف تحمل ، عند انفصالها من المركبة الأم ، رجلين من الرجال الثلاثة الى سطح القمر .

(٢) ثم وحدةالخدمة او حجرتها،وهي وحدةلدفع السفينة في الفضاء عندما يجيء دورها ، وهي في نفس الوقت ملحق يمون سفينةالفضاء بالضرورات التي تحتاجها من قوة كهربائية، ومن جو اصطناعي للتنفس ، ومن صواريخ للحركة

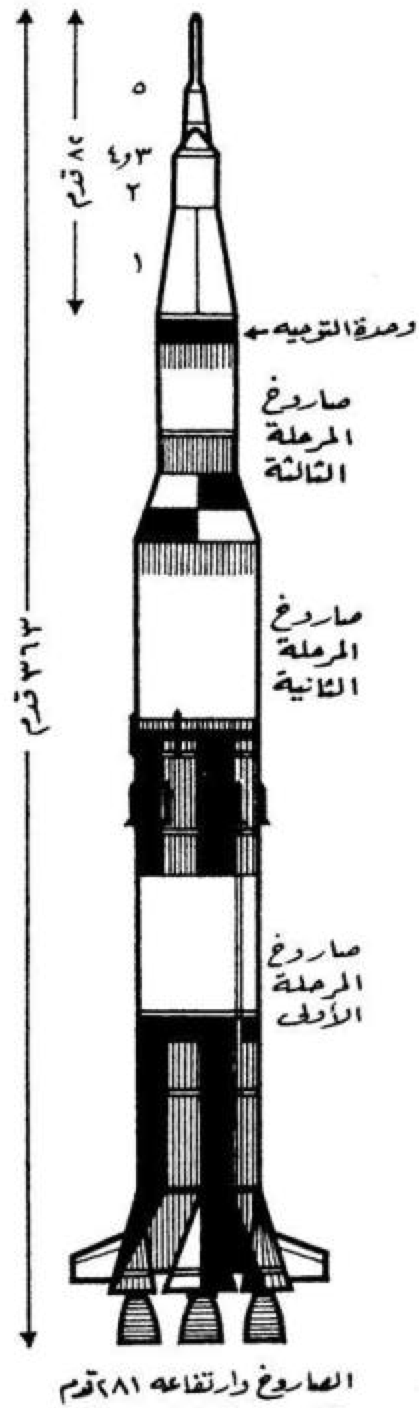
(٣) ثم مركبة القيادة أو المركبة الام ، وهي التي يقبع فيها الرجال الثلاثة ، فيها يعيشون وفيها يعملون ، حتى يغادرها رجلان الى المركبة القمرية للنزول الى القمر . ويلاحظ أن وحدة الخدمة تظل مرتبطة بالمركبة الام ، مركبة القيادة، الى حين العودة الى الارض . فكانما هما وحدة واحدة

(٤،٥) بقي الجزء الاخير،وهو اعلى الاجزاءجميعا (٥) في الرسم.وهو يستخدم لنجاة رجال الفضاء عند الخطر الذى قد يحيق بالسفينة اثناء اطلاقها. وهو يتالف من برج في راسه صاروخ اشبه بقلم الرصاص ، اذا اطلق حمل مركبة القيادة برجالها الثلاثة الى ارتفاع في الهواء يأذن لهم بالهبوط بمظلاتهم الى سطح الارض.ومن تحت هذا الصاروخ غلاف يقي مركبة القيادة وهي تصعد الى الفضاء (٤) في الرسم .

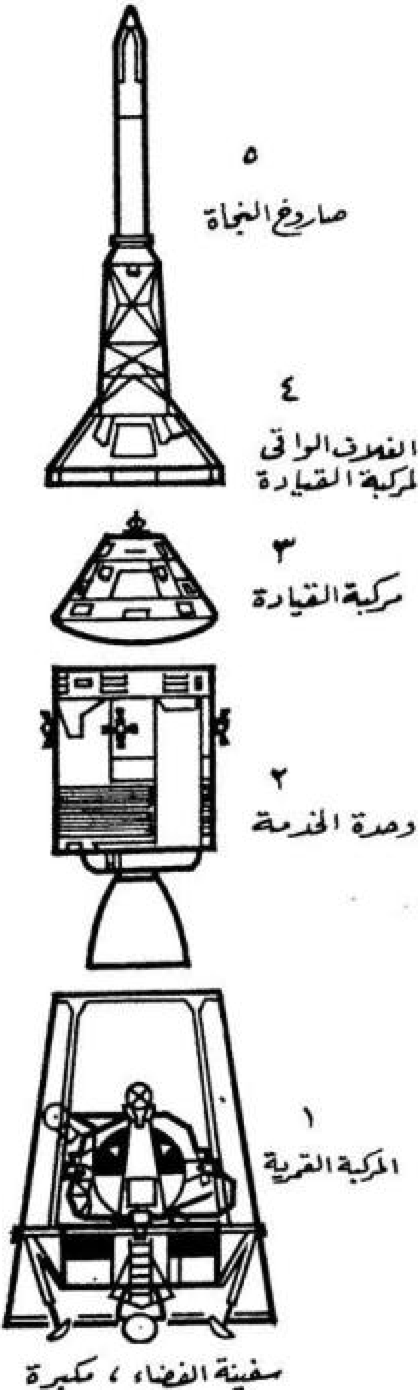
ان هذه الوحدات بها آلاف من القطع الميكانيكية والكهربائية والالكترونية وغيرها . وتتوقف سلامة سفينة الفضاء ، ويتوقف حسن ادائها على حسن أداء كل منها عمله . ولهذا يقوم مئات من الخبراء بفحص هذه الالات ، ثم اعادة فحصها ، ثم اعادة الاعادة ، حتى لا يبقى هناك خرم يتسرب منه الى السفينة خطر .

صاروخ المرحلة الاولى

انه اقوى الصواريخ الثلاثة ، وبه من المحركات خمسة ، ووقوده الاكسجين السائل والكيروسين . يشتعل ويلتهم وقوده التهاما . انه يلتهم في الثانية الواحدة ١٣٦٠٠ كيلوجرام ، يعينه على ذلك مضخات تضخ الوقود اليه في ٣٠ حيزا للاحتراق،وهى تضخها بقوة ٣٠ قاطرة من قاطرات الديزل . من اجل هذا ما لبثت سفينة الفضاء في العشر الثواني الاولى ان ارتفعت مسافة تبلغ نحو طولها . ولكن الصاروخ في هذه العشر من الثواني يستهلك من وقوده ١٣٦٠٠ × ١٠ = ١٣٦٠٠٠ كيلو جرام ،



الصاروخ وارتفاعه ٢٨١ قدم وفوقه سفينة الفضاء ٨٢ قدم



سفينة الفضاء ، مكبرة وهى ٤ أجزاء

واذن فالسفينة تخف وزنا بهذا القدر فيسهل دفعها الى أعلى .

ولا تمضي دقيقتان ونصف الدقيقة حتى تبلغ السفينة ارتفاعا قدره نحو ٦٤ كيلومترا ، وسرعة قدرها نحو ٨٨٥٠ كيلومترا في الساعة . وبذا يكون الصاروخ الأول قد ادى مهمته . وعندئذ ينفصل من السفينة ويسقط عبر الجو في المحيط الأطلسي . انها المرحلة الأولى من عمل هذا الصاروخ قد تمت .

صاروخ المرحلة الأولى اقوى الصواريخ الثلاثة

وذلك لانه حمل سفينة الفضاء ، وهي اثقل ما تكون ، ضد جاذبية الارض ، وهي على أتمها ، وضد احتكاك هواء جو الارض ، وهو اكثف ما يكون .

وبزوال هذا الصاروخ الأول ، وما حمل في احشائه من وقود ، وبتغيير موضع السفينة من الفضاء ، خف حملها الى الفضاء كثيرا ، واذن لم تعد هناك حاجة كبيرة الى مثل هذا الصاروخ القدير الشديد .

ان قوة دفعه تبلغ ٣٠٠٠ طن .

وصاروخ المرحلة الثانية يبلغ دفعه نحو ٥٢٠ طن فقط

صاروخ المرحلة الثانية

وقوة دفعه كما ذكرنا نو^٦ ....٥٢٠ كيلو جرام .

وبه من المحركات خمسة ووقوده الادروجين السائل والاكسجين السائل .

وهو يدفع السفينة الفضائية مرتفعا بها في الجو ، وهي تميل فوق المحيط الاطلسي وفوق افريقية .

● الصحفيون ، وقد بلغ عددهم ٣٥٠٠ من الولايات المتحدة ومن ٥٥ بلدا آخر ، يراقبون سفينة الفضاء أبولو ١١ وقد أخذت ترتفع ببطء الى السماء.





● سفينة الفضاء ابولو ١١ . وقد اشتعل صاروخها ، واخذت تصعد الى السماء .

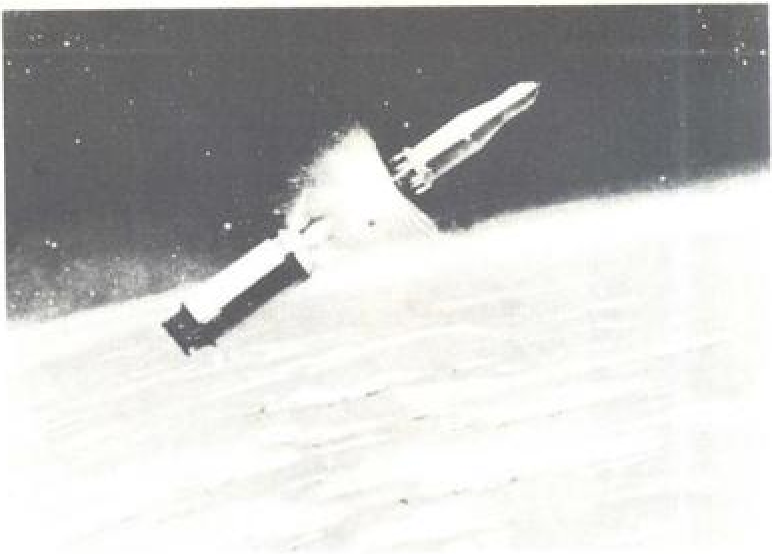
وفي هذه الاثناء تعمل وحدة التوجيه التي سبق ان ذكرنا (مخ السفينة المدبّر) ، فهي تدرك تلقائيا اذا حادت السفينة عن اتجاهها المرسوم ، وعندئذ تؤثر في حركة الصاروخ بنبضات الكترونية ، فينصلح الحال .

وعندما تبلغ السفينة علو ٩٦٠٠٠ كيلومتر ينفصل عن السفينة برج النجاة الذي عند رأس مركبة القيادة ، ويسقط الى الارض .

ويمضي صاروخ المرحلة الثانية في عمله ، وتظل محركاته تحترق حتى اذا زادت مدة احتراقها من اول ما بدأ على ٦ دقائق قليلا ، بلغت سرعة المركبة سرعة قريبة من سرعة افلاكها في مدارها حول الارض ، وهي فوق الـ ٢٤٠٠٠ كيلومتر في الساعة ، وتكون المركبة على ارتفاع عن الارض بلغ ١٨٣ كيلومتر . وعندئذ يكون صاروخ هذه المرحلة الثانية قد قام بواجبه ، ولم تعد للمركبة

● بعد ١٥ دقيقة من بدء صعود السفينة الفضائية . ونرى في الصورة النظارة وهم يشهدون السفينة بمناظرهم المقرّبة وياخذون صورا لها .





● صاروخ المرحلة الثانية ينفصل ، بعد ان ظل يحترق ست دقائق بقوة دفع مقدارها اكثر من ٥٠٠٠٠٠ كيلو جرام ، ورفع السفينة الفضائية الى مستوى ارفع عن الارض ٩٦ كيلو مترا .



● صاروخ المرحلة الثالثة يبدا يحترق عند انفصال صاروخ المرحلة الثانية ، وهو ذو محرك صاروخى واحد لا خمسة كالتى كانت للصاروخ الثانى والاول ، وهو يظل يحترق مدة دقيقتين و٤٥ ثانية . وهو يضع السفينة فى مدار حول الارض حيث يكون ارتفاعها فيه نحو ١٨٥ كيلو متر وسرعتها ٢٨٠٠٠ كيلو متر فى الساعة . وعندئذ لا يكون مضى من الزمن منذ لحظة الاطلاق غير ١٢ دقيقة .

اليه حاجة . واذن ينفصل عنها ويسقط ناحية الارض .

صاروخ المرحلة الثالثة

انه اصغر الصواريخ الثلاثة .

وهو مؤلف من محرك واحد .

ووقوده الادروجين السائل والاكسجين السائل .

وقوة دفعه نحو ٩٣ طنا

وعمله الاول زياده سرعة السفينة بحيث يبلغ بها السرعة التي تأذن لها بالافلاك حول الارض .

انه يعمل حارقا وقوده لمدة دقيقتين و ٤٥ ثانية لرفع السرعة ، والوحدة الموجهة ، التي اسميناها مخ السفينة المدبر ، تعمل في توجيه السفينة بحيث ترتبط بشيء ثابت في السماء ، تظل مرتبطة به حتى لا تحيد . وهي اذا وقعت عليه كان هذا دليلا على دخولها فلك الارض ، وعندئذ يكف هذا الصاروخ الثالث عن احتراق .

ولكنه لا ينفصل . ان واجباته نحو السفينة لم تنته بعد ، وان وقوده لم يفرغ بعد .

وتاخذ سفينة الفضاء ، ومعها الوحدة الموجهة، ومعها الصاروخ الثالث ، وتدور حول الارض في مدار دائرى تقريبا ، بدون دافع يدفعها ، او محرك يحركها ، وبسرعة ٢٨٠٠٠ كيلو متر في الساعة ، وهي على ارتفاع قدره ١٨٥ كيلومترا من سطح الارض .

وكم مضى من الزمن بين انطلاق المركبة الى السماء وبدئها الافلاك حول الارض ؟ مضى ١٢ دقيقة فقط .

افلات السفينة من مدارها حول الأرض ...

وتدور السفينة في مدارها حول الارض مرة وبعض مرة ، وعلى العموم لا اكثر من ٣ مرات . ويغتنم رجال الفضاء هذه الفرصة فيختبرون الاجهزة والالات داخل السفينة . ويختبرها رجال المراقبة في الارض ، في مركز المراقبة Control Center في بلدة هوستن Houston بولاية تكساس وهي الى القرب من مركز فضاء كندي الذي منه اطلقت السفينة .

ان مركز المراقبة هذا هو همزة الوصل بين السفينة والارض واهل الارض . والمواصلة السلكية جارية بين رجال هذا المركز ورجال السفينة ، وهم على علم دائم بالذي يجرى فيها ، وعلى علم بأخبارهم ، وهم الذين يذيعون اخبار الرحلة وصورها في العالم وهي تاتيهم من اعماق الفضاء .

بعد دورة ونصف دورة حول الارض ، استعد رجال الفضاء لان يفلتوا من مدار الارض وان ينطلقوا بسفينتهم الى القمر متخذين اليه سبيلا.

ان القمر على بعد ٣٨٤٠٠٠ كيلومتر .

ولكي يفلتوا لا بد من اشعال الصاروخ الثالث من جديد حتى يبلغ بالسفينة سرعة الافلات اللازمة وهي نحو ٣٩٢٦٠ كيلومتر في الساعة .

ولكن متى يصدر الامر الى الصاروخ بالعمل للافلات ، وفي أي نقطة من مدار السفينة حول الارض ؟

ان تحديد هذه النقطة ، وتلك الثانية ، من الخطورة بمكان ، لان بهما يتحدد اتجاه المركبة الصحيح لتلقى القمر ، ويلقاه رجال السفينة ، في الوضع الذى يريدون ، وعلى الوضع الذى يريدون . انها حسابات عويصة يقوم بها مركز المراقبة في الارض ، وهو يرسل بها الى الوحدة الموجهة بالسفينة تلك التي اسموها « مخ السفينة » ، وهي في اللمحة الحاسمة تامر الصاروخ بالعمل ، فينطلق بالسفينة خارج نطاق الارض في المسار الصحيح .

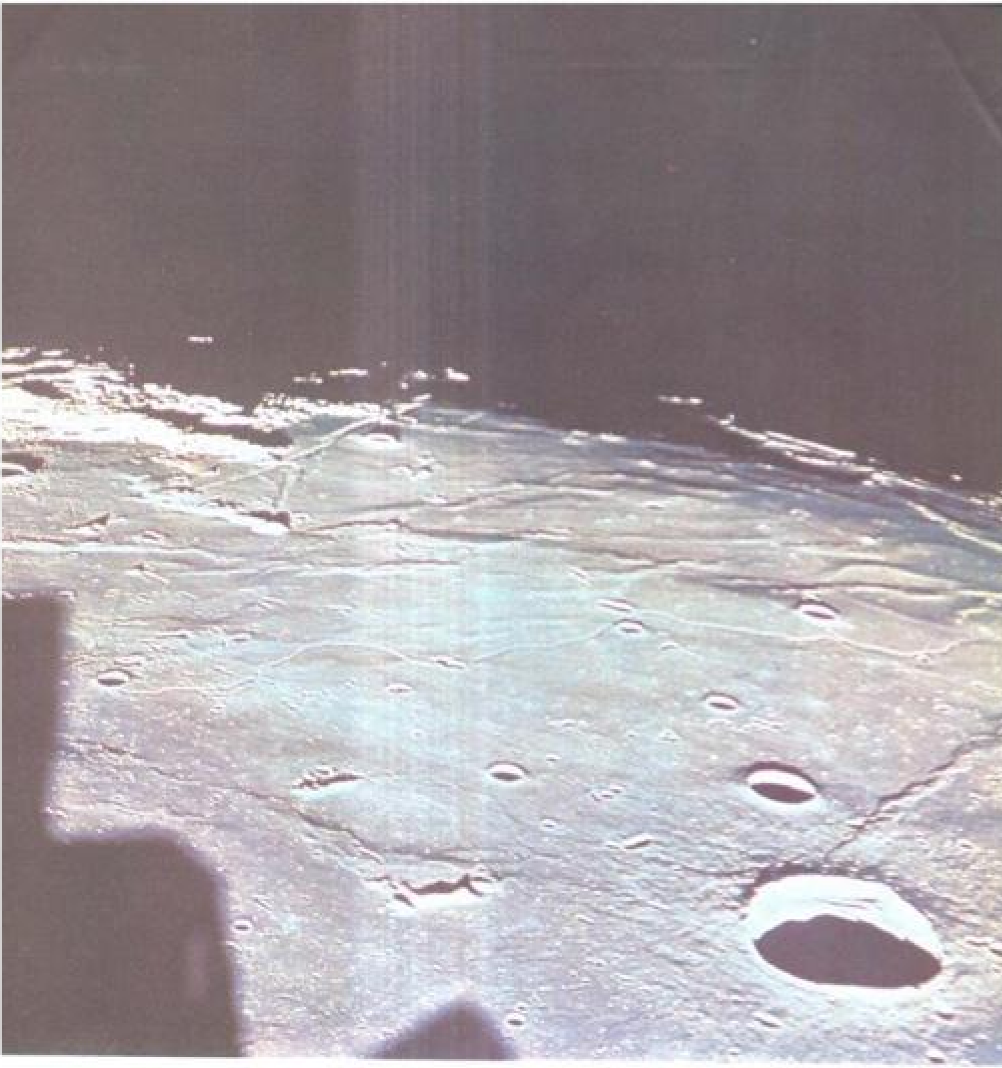
وقلنا خارج نطاق الارض ، ولم نقل خارج جاذبيتها ، فالسفينة لا تستطيع الخروج من جاذبية الارض ، وانما تخف الجاذبية كلما بعدت السفينة عن الارض . والسفينة ، اذ تقترب من القمر ، تبدأ تحس بجاذبية القمر .

وسؤال لا بد يخطر للقارىء : لم لم يطلقوا السفينة الفضائية من سطح الارض الى القمر مباشرة

والجواب : ان الخطا في توجيه السفينة للقمر



● الأرض تتراءى من سفينة الفضاء : هذه صورة فريدة أخذت من سفينة الفضاء لأبولو ١١ بينا هي تتجه نحو القمر ، وقد كانت السفينة عند ذاك على بعد ١٦٠٠٠٠ كيلو متر من الأرض ، تلك السفينة التى كانت اطلقت من منصة اطلاق الصواريخ بفلوردة فى ١٦ يوليو ١٩٦٩ وبها رجال الفضاء الثلاثة نيل ارمسترنج Neil Armstrong ، وادوين الدرين Edwin Aldrin وميكل كولنز Michael Collins . وانت تستطيع ان ترى فى صورة الأرض هذه اكثر افريقية واجزاء من اوروبا ومن اسيا .



● حيث هبطت المركبة القمرية لابولو ١١ : هذا منظر شاهده رجال الفضاء من المركبة القمرية ، وهي لاتزال مرتبطة بمركبة القيادة ، وهما يدوران معا في فلك حول القمر . والموضع الذي هبطت فيه المركبة يوجد في الصورة ، في أوسط أعلاها ، حيث يبدأ الظلام . ويرى الفوهة المسماة مسكلين Maskelyne Crater في اقصى اليمين من أسفل . أما الوادي هاباتيا (Hypatia Rille(U.S.I فيوجد في الاوسط اليساري العلوي ، والى يمينه مباشرة فوهة ملتكه Miltke . ويمتد كل من وادي سيدوندر Sidewinder Rille ووادي دياموندباك Diamondback Rille من اليسار الى اليمين عبر الوسط . وهذا الجزء الجنوبي الغربي من بحر الهدوء Sea of Tranquility يقع في عمومه في الجهة القريبة من القمر .

قد يحدث على الارض ، فيتأخر الاطلاق او يتقدم ولو دقائق خمس او عشر . وتصعد السفينة وقد كانوا جمدوها على مسار يتفق والاطلاق الصحيح، فتصل السفينة فلا تجد القمر هناك . لهذا ابتدع الروس فكرة افلاك السفينة حول الأرض أولا ، ثم تصحيح ما قد يكون وقع من خطأ في فترة الافلاك هذه . وكان من نتيجة ذلك ان استطاع الروس اصابة كوكب الزهرة بمركبتهم الفضائية، والزهرة على بعد ١.٨ مليون كيلومتر من الارض .

أثناء الرحلة بين الأرض والقمر

افلتت السفينة من فلكها حول الأرض واتخذت مسيرتها نحو القمر ، وسرعتها كما ذكرنا نحو ٢٩٢٦٠. كيلومتر في الساعة . والقوانين الطبيعية تقتضي بانها تحتفظ بهذه السرعة في الفراغ ، مالم يؤثر فيها مؤثر خارجي ، او مؤثر داخلي كأن يشغل رجال الفضاء صاروخهم الثالث .

ولكن ...

لا تزال جاذبية الأرض تفعل في السفينة ، فتجذبها اليها ، واذن فهي تضعف سرعتها الى امام . ومع هذا فمقدار هذا التخفيض في السرعة يقل كلما بعدت السفينة عن الأرض . وتهبط سرعة السفينة الى نحو ٧٦٠٠ كيلو متر في الساعة عندما يكون بعدها عن الأرض ١٢٨٠٠٠ كيلو متر . وتبلغ سرعتها حدها الأدنى في الهبوط وهو ٢٤٠٠ كيلو متر عندما يكون بعدها عن الارض ٣٢٠٠٠٠ كيلو متر . وعندئذ تأخذ السفينة تحس جاذبية القمر اياها ، واذن تأخذ سرعتها تزيد ، ناحية القمر طبعا . حتى اذا بلغت سفينة الفضاء النقطة التي تقطع بها مدار القمر حول الارض ، اى بعد نحو ٣ ايام ، كانت سرعتها نحو ٩٠٠٠ كيلو متر .

اجراء في أثناء الرحلة والمسيرة الى القمر في أولها

انه اجراء واجب ، نغير فيه اجزاء المركبة اوضاعها فيما بينها .

وهم أجروه ولم يكن مضى على اطلاق السفينة غير ٣ ساعات زادت ١٢ دقيقة ، والسفينة على بعد غير بعيد من سطح الارض . ان المسألة اشبه شيء بأربعة ركبوا سيارة ، رتبو انفسهم فيها وفق المهمة التي سوف يقومون بها . ثم بعد ان اتموا نصف المهمة ، وجدوا ان باقيها يحتاج الى تغيير مواضع الركاب ليكونوا اصلح في اداء ما تبقى من المهمة الخطيرة. كأن يكون في ركاب المقعد الخلفي من هو اخبر في القيادة او اهدى الى الطريق ، واذن يقدمونه ليحتل محل سائق السيارة .

ولنبدأ بذكر الترتيب الذى بدأت به السفينة مسيرتها الى القمر .

مركبة القيادة في الصدر .

تليها وحدة الخدمة ومنها تتزود السفينة بالطاقة من كهرباء وغير ذلك وبها ايضا محرك صاروخي ، يعمل من فوهته عند الحاجة ، وكذا صواريخ جانبية به تدور بالمركبة راسا على عقب . ووحدة الخدمة هذه تظل مرتبطة بمكنة القيادة في هذه العملية الخاطرة كأنهما شيء واحد .

ثم يأتي النصف الثاني من السفينة وفيه بالترتيب التنازلي ٣ اشياء ، المركبة القمرية وقد لفتها ظاهرا فأخفتها اربع صفائح انضمت من الخارج عليها من السهل فتحها نسفا فتظهر من اوسطها المركبة القمرية كما تظهر الموزة وقد نزعت عنها قشرتها اقساما أربعة (وهذا ما سوف يحدث). ويلي المركبة القمرية وحدة التوجيه «مخ السفينة» ويلي هذه الوحدة الصاروخ الثالث .

انه ترتيبوافق أغراض الرحلة فيما سبق منها.

مثال ذلك ان مركبة القيادة وجب ان تتقدم وعليها صاروخ النجاة الذى ينجو بها لو تعرض رجال الفضاء عند الاطلاق لخطر كما سبق ان ذكرنا .

ولكنه ترتيب اصبح لا يتفق والاغراض القادمة .

كذلك انفصلت ، في هذا الوضع ، مركبة القيادة عن المركبة القمرية ، وكان لا بد ان يتصلا ، ليصل رجلان من الثلاثة من المركبة الاولى الى الثانية عبر نفق بينهما ، لينزلا بها معا الى القمر .

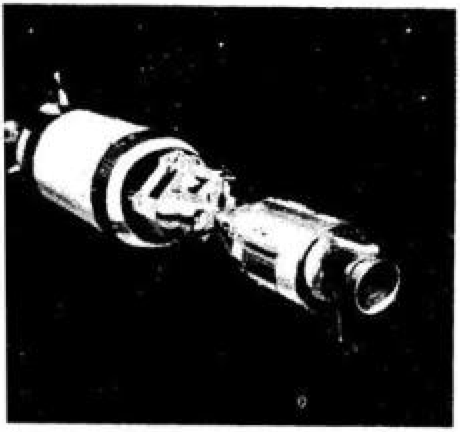
مثال ذلك ان مركبة القيادة حال بينها وبين المركبة القمرية وجود وحدة الخدمة بينهما ، وقد



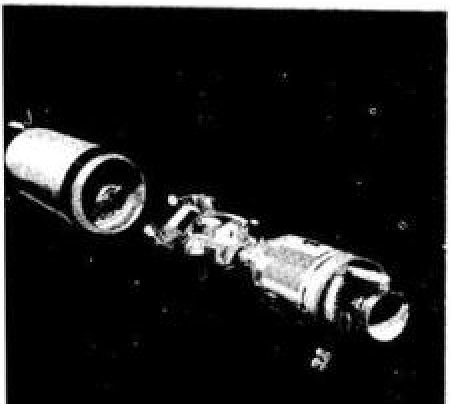
● تغيير اوضاع أجزاء السفينة فيما بينها والتخلص من صاروخ المرحلة الثالثة ، هى عمليات أربع ، العملية الاولى منها فى هذه الصورة ،ويبدأها قائد السفينة باشعال شحنة ناسفة ، تنسف عن المركبة القمرية أغلفتها الأربعة وتطيح بها فى الفضاء ، وفى نفس الوقت تفصل ما بين وحدة الخدمة (التى هى الآن جزء من مركبة القيادة وستظل كذلك الى حين) وبين المركبة القمرية .



● يشعل قائد السفينة محركات صاروخية جانبية من المحركات الستة عشر القائمة فى جدار وحدة الخدمة ، بحيث تدور وحدة الخدمة ومعها مركبة القيادة ، أماما الى خلف ، نصف دورة ، وبذلك يتجه أنف مركبة القيادة الى فوهة المركبة القمرية لترتبط بها.



● يقوم قائد مركبة القيادة بقيادة مركبته حتى يلتحم انفها بفوهة المركبة القمرية ، واذن تلتحم المركبتان .



● فى العمليات كلها ظلت المركبة القمرية متصلة بصاروخ المرحلة الثالثة ووحدة التوجيه ليعطياها شيئا من الاتزان . وفى هذه الصورة ينفصل الصاروخ ، ومعه الوحدة الموجهة ، ليدور فى الفضاء حيث شاء . وفى هذا الوضع تكون وحدة الخدمة هى المتقدمة فى السير ، تليها مركبة القيادة وهى على شكل مخروط قاعدته هى السابقة فى السير ، ثم المركبة القمرية وارجلها الأربع الى خلف .

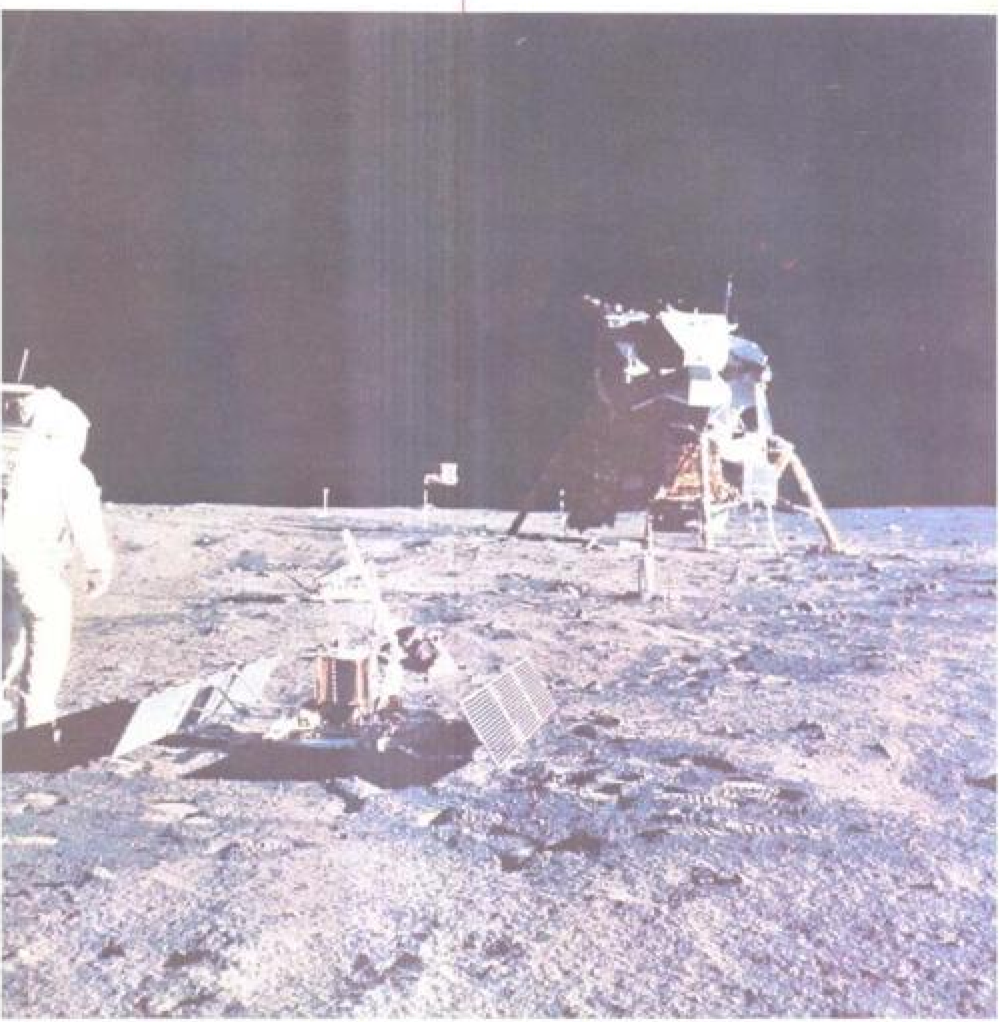


● في الصورة يظهر رجل الفضاء لأبولو ١١ ، ادوين الدرين ، وقد حمل الصرة التي تحتوي على اجهزة التجارب السئمية (الارتجاجية) ، وحمل في يده اليسرى العاكس اللازاري Laser ، وذلك لتوزيعهما على سطح القمر . والذي اخذ هذه الصورة رجل الفضاء الآخر نيل ارمسترنج . وهما تركا هذه الأجهزة على سطح القمر يوم انطلقا عن سطح القمر يوم ٢١ يوليو ليلتقيا برجل الفضاء الثالث ، ميكل كولنز ، الذي بقي في مركبة القيادة .



● رجل الفضاء ادوين الدرين وهو يهبط بواسطة سلم المركبة القمرية الى سطح القمر، وقد كاد يطؤه بقدمه . اخذ هذه الصورة رجل الفضاء ارمسترنج اثناء وجوده على سطح القمر .

● قاعدة بحر الهدوء : هذا منظر عام لقاعدة الهدوء Tranquility Base على سطح القمر كما صورها « نيل ارمسترنج » رجل فضاء ابولو ١١ في ٢١ يوليو ١٩٦٩ ، وترى في الصورة رجل الفضاء « ادوين الدرين » يمشي قريبا من شحنة اجهزة التجارب الشمسية ، التي تسجل ارتجاج السطح ، ومن بعدها نجد جهاز اللازار Laser . وفي اعمق الصورة، من اليسار ، نجد الكمرة التلفازية لأخذ الصور غير الملونة ، تلك التي مكنت مئات الملايين من المشاهدين على سطح الأرض من متابعة ما كان يجرى على سطح القمر ، ومن بعد الكمرة نجد المركبة القمرية التي هبطت على القمر .



وجب الآن اتصال المركبتين لينتقل الرجلان الى المركبة القمرية ليهبطا بها الى القمر .

فالتغيير المراد الآن هو :

(١) فصل مركبة الفضاء ووحدة الخدمة المتصلة بها عن سائر السفينة ، وذلك باطلاق شحنة متفجرة تحدث هذا الفصل ، وهي في نفس الوقت تفتح الأغلفة الاربعة التي كانت تغطي المركبة القمرية ، وتنسفها في الفضاء ، وبذلك تنكشف المركبة القمرية انكشافا .

(٢) اطلاق صواريخ صغيرة جانبية من الصواريخ الـ ١٦ التي تتمنطق بها وحدة الخدمة ، تجعل هذه الوحدة ومركبة القيادة الملتحمة تدور في الفضاء رأسا على عقب ، مقدار نصف دورة ، فيصبح أنف مركبة القيادة يواجه المركبة القمرية .

(٣) ربط مركبة القيادة بالمركبة القمرية ، بوصل أنف الأولى بفتحة في الثانية ، وبهذا يتهيأ الاتصال بينهما بواسطة نفق صمموه لذلك .

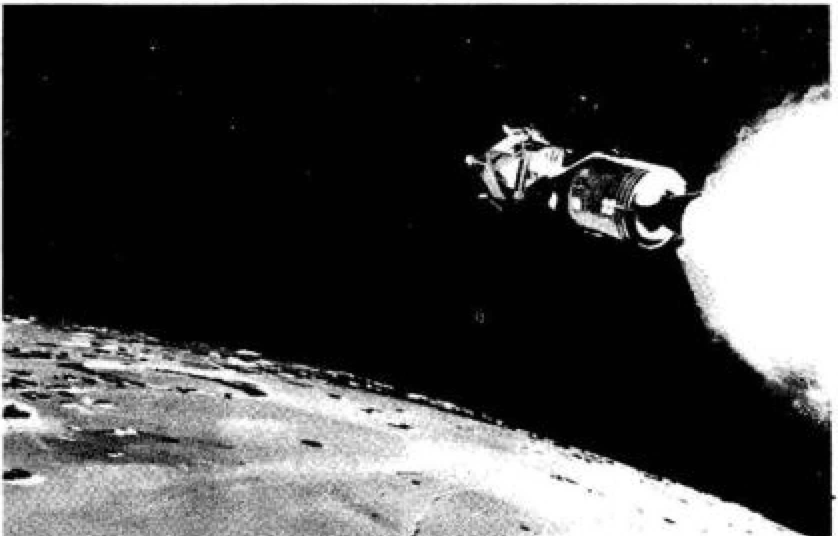
كل هذا والمركبة القمرية ما زالت متصلة من خلفها بوحدة التوجيه والصاروخ الثالث وذلك ليعطيا المركبة القمرية شيئا من الاتزان الى ان يتم رائد الفضاء وصلها بمركبة القيادة . وعندما يتم ذلك يفصل رائد الفضاء الصاروخ الثالث ومعه وحدة التوجيه عن السفينة .

ويكون الذى تبقى من السفينة بعد هذا الانقلاب شيئين ، المركبة القمرية تتقدمها في السير مركبة القيادة وهي مرتبطة بها . وتتقدم مركبة القيادة وحدة الخدمة ، وتراها في الصورة وقد ظهرت في مقدمتها فتحة مخروطية الشكل هي فتحة الصاروخ القابع في داخل هذه الوحدة . وهو لم يستخدم بعد . وسيأتي دور استخدامه .

السفينة يتقاطع مسارها ومدار القمر حول الارض ..

وتبلغ السفينة مدار القمر حول الأرض بعد زمن من اطلاقها من فلوردة يتراوح بين ٦٢ و ٧٦ ساعة (٣ ايام = ٧٢ ساعة) وقد بلغته سفينة أبولو ١١ هذه فعلا في ٧٥ ساعة و ٥٧ دقيقة ، متأخرة ٣ دقائق عن الموعد المحسوب . وهي ساعات ، قضاها رجالها ، في غير ما ذكرنا من أعمال ، في النوم والطعام ، وممارسة العيش قدر الامكان ، ثم المداومة

● المحرك الصاروخي لوحدة الخدمة وهو يشتعل ليكبح سفينة الفضاء ويتزل بسرعتها الى سرعة تتفق واتخاذها فلكا تدور فيه حول القمر .



● صخر القمر من قرب : صور صورها رجال الفضاء لأبولو ١١ بكمرة مجسّمة عدستها ٢٥ ملم، لقطع من الصخر جمعوها من مساحة تبلغ ٧٥ مليمترا مربعا من سطح القمر . الصورة العليا اليمنى لكتلة من مسحوق السطح بها قطع صغيرة مختلفة الالوان ، وبها جسيمات كروية مضيئة تراها العين . وفي الصورة العليا اليسرى توجد كتلة صغيرة أخرى قطرها نحو ١٢ مليمترا ، وعليها رشاش من مادة زجاجية يظن العلماء انها قطرة من مادة منصهرة سقطت عليها ، وترششت ، ثم انجمدت . وفي الصورة السفلى اليمنى قطعة من صخر قمري طولها نحو ٦٤ مليمترا غائصة في مسحوق من تربة القمر .وحول هذه القطعة الصخرية تناثرت قطع صغيرة أوحت الى العلماء بان عوامل التعرية لا بد أصابت هذه الصخرة بعض الشيء . وعلى سطح الصخرة عدة من نقر صغيرة ، اغلبها حجمه دون المليمتر ، ولها سطح مصقول ، وكذلك أحرف عالية تشبه احرف تلك النقر التي تسببها نيازك مكروئية صغيرة عندما تصطدم مع الصخر . وفي الصورة السفلى اليسرى تتراءى قطعة صخرية قمرية مستقرة في التربة التي هي بها ، تمتد نحو ١٩ ملم ، ولونها غير لون ما حولها . وعلى سطحها تتراءى عدة نقر أغلبها اقل من ثلاثة مليمترات ، ولها سطح زجاجي .

على اختبار اجهزة السفينة ، ثم اختبارها ، والاتصال لاسلكيا بمركز المراقبة في بلدة هوستن بالولايات المتحدة . وهذا الاتصال لاسلكيا بالأرض، على هذا المدى البعيد ، بعض الأعاجيب . ويسمع رجال المراقبة اصواتهم واضحة ، كما لو سمعوها من قريب . وكذلك يسمع رجال السفينة رجال الأرض .

وتهيا رجال السفينة للدوران في فلك يختارونه حول القمر .

النزول بالسفينة الفضائية الى مدار حول القمر

ان السفينة الفضائية وصلت الى القمر وهي تسير بسرعة ...٩٠٠ كيلومتر في الساعة .

ولكي تدور السفينة حول القمر ، وفي فلك قريب من سطحه، وجب تخفيض هذه السرعة الى السرعة التي تتفق والفلك الذى نريده للسفينة .فالمعروف بالطبع ان السرعة كلما نقصت ، ضاقت دورة الفلك ، وكلما زادت ، اتسعت دورة الفلك .

وللنزول بالسفينة الى فلك يرتفع عن القمر ١١٢ كيلومتر وجب النزول بسرعتها الى سرعة ..٥٨٠ كيلومتر في الساعة .

فكيف نصنع ذلك ؟

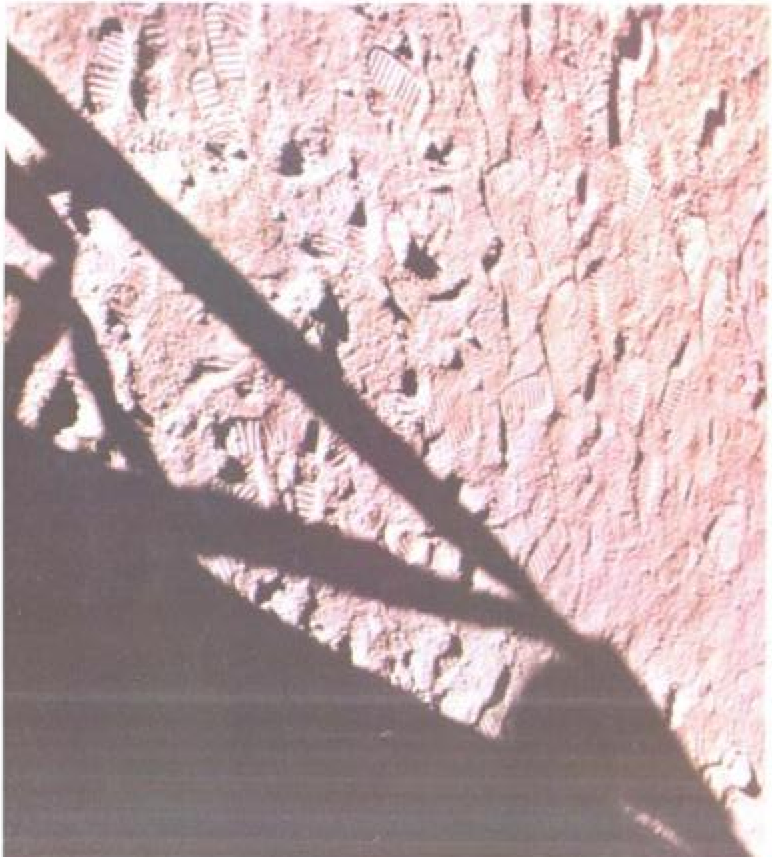
صنعوه بالمحرك الصاروخي الذى هو في داخل وحدة الخدمة المتصلة بمركبة المراقبة . انهم اشعلوه ليدفع السفينة في عكس الاتجاه الذى هي ماضية فيه، أى والسفينة في وضع يجعل الصاروخ ينزل بسرعتها لا يزيدها . انه بذلك عمل عمل المحرك الصاروخي الكابح (انظر الصورة المرفقة).

وحصلوا على مدار اهليلج اى بيضاوى . واعادوا اشعال الصاروخ فحصلوا منه في المرة الثانية على مدار حول القمر اقرب الى الدائرة ، ارتفاعه ١١٢ كيلومتر .

وتراءى القمر للرجال عندئذ واضحا . انه لا هواء فيه ولا سحب تحول دون وضوح الصور . وظلوا ينقلون ما راوا الى أهل الأرض ، عبر مركز المراقبة على الأرض ، كما سبق ان فعلوا وسوف يفعلون . ونقلوا كذلك صورا من القمر بالتلفاز الى الأرض .

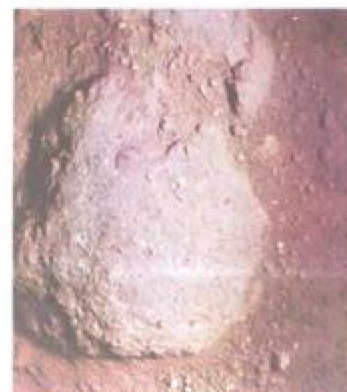
وبعد الاستيقان مما بلغوه ، والوضع الذى هم فيه ، خرج اثنان من الرواد ، هما ارمسترنج والدرين من مركبة القيادة الى المركبة القمرية عبر النفق الذى بينهما ، واطمانا الى ان كل الاجهزة فيها تعمل ، وامداها بالضغط اللازم والتكييف ، اعدادا لها وللنزول بها . ثم غادراها وعادا الى المركبة الأم ياكلون وينامون . لقد كان التعب بلغ بهم ما بلغ .

انهما دارا حول القمر مرارا . واطلعا راى العين على ذلك الجانب من القمر الذى لا يراه



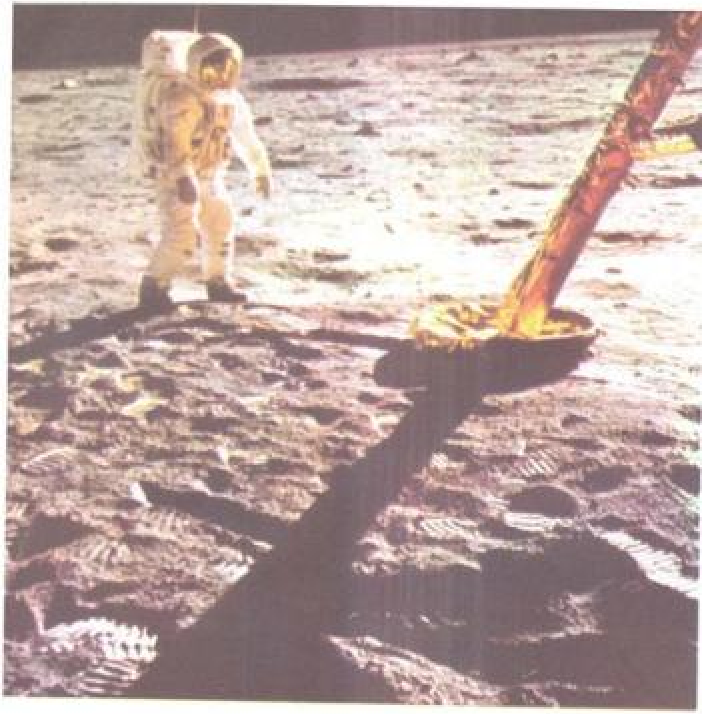




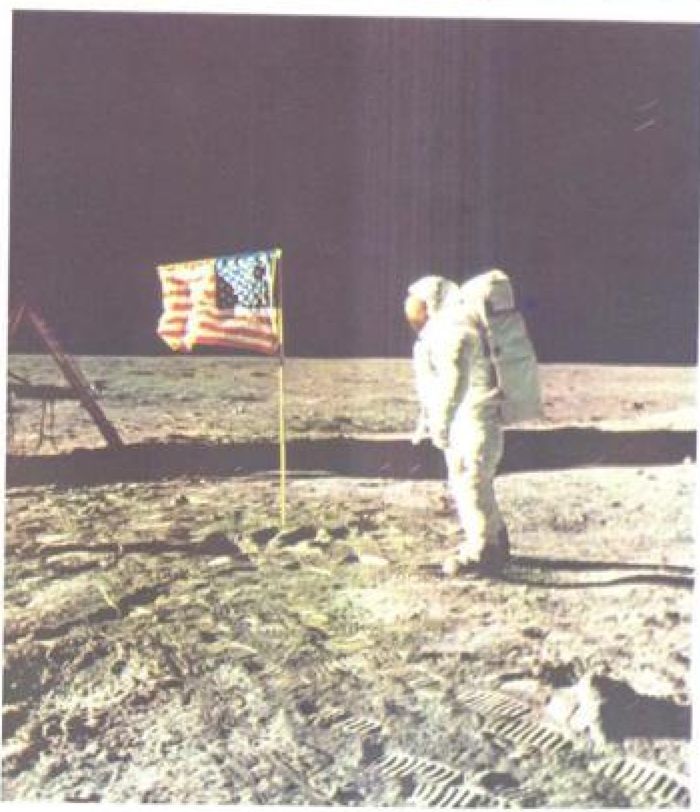




(شرح الصور في ظهر الصفحة)

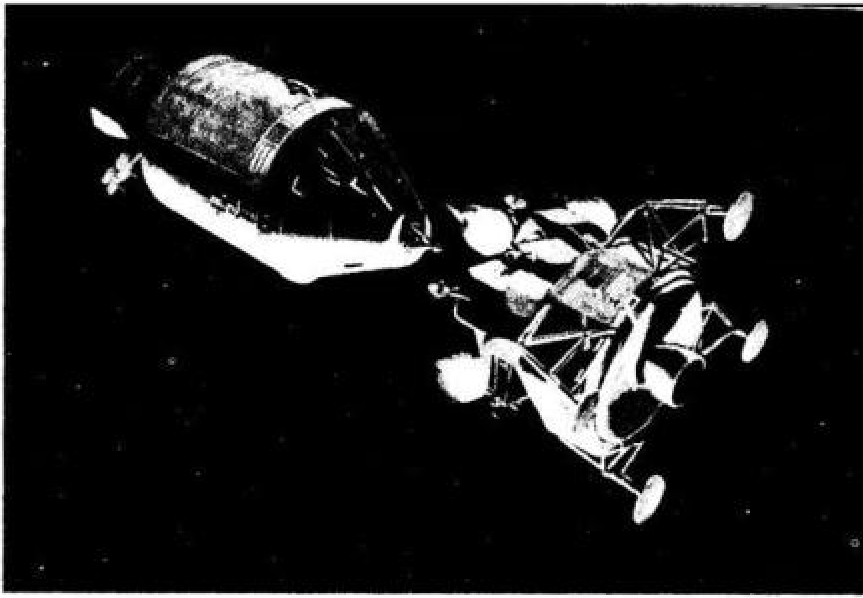


● رجل الفضاء ادوين الدرين يمشى على سطح القمر قرب رجل من ارجل المركبة القمرية اثناء رحلة ابولو ١١ . اخذ هذه الصورة رجل الفضاء ارمسترنج ، لاحظ آثار الاقدام الواضحة في مقدمة الصورة .



● صورة رائد الفضاء ادوين الدرين وقد وقف الى جوار علم الولايات المتحدة بعد دكه في سطح القمر في رحلة ابولو ١١ ، وترى المركبة القمرية امام رجل الفضاء، كما ترى آثار اقدامه واضحة وضوحا بينا في مقدمه الصورة . اما الذى اخذ الصورة فهو رجل الفضاء ارمسترنج .

● هذه صورة تظهر أثر اقدام رجلي الفضاء ارمسترنج والدرين واضحة على سطح القمر ، وقد وقع عليه ظل المركبة القمريه . ان هذه الأقدام اول اقدام لانسان نزل على جرم سماوى ، وذلك في العشرين من يوليو ١٩٦٩ .



● تشتعل المحركات الصاروخية التى بالمركبة القمرية لتفصلها عن المركبة الام وما اتصل بها من وحدة الخدمة . وفى المركبة القمرية الرائدان ارمسترنج والدرين ، وفى مركبة القيادة الرائد كولنز ، وقد بقى يفلِكُ حول القمر حتى يعود اليه صاحباه .

اهل الأرض ابدا . وهم كلما داروا اليه انقطع ما بينهم وبين الأرض من اتصال ، فجسم القمر يقطع اللاسلكى ويحجبه، وتصبح السفينة ورجالها فى عزلة تامة .

الهبوط على سطح القمر

وتقترب اللحظة الحاسمة .

يعود الرجلان ، ارمسترنج وألدرين ، الى المركبة القمرية ، استعدادا للنزول بها الى سطح القمر ، وَيظل الرائد كولنز فى مركبة القيادة المركبة الأم ، لا ينزل الى القمر ابدا . انه يظل يفلك بها حول القمر حتى يعود اليه الرائدان .

وتنفصل المركبتان عندما تشتعل الصواريخ فى المركبة القمرية فتدفع بها بعيدا عن المركبة الأم . وتسير المركبتان معا نحو ربع دورة قمرية ، وبينهما عشرات الأمتار (تابع نظر الصورة المرفقة دائما).

ثم يطلق رجال المركبة القمرية الصاروخ المسمى بصاروخ النزول (اى الذى يسبب نزولها الى القمر) يطلقونه طلقة قصيرة ، فيعمل ضد سير المركبة ، فهو اذن ينقص من سرعتها ، واذن يصغر من فلكها ، واذن هى تقترب من سطح القمر .

ان الصواريخ عندما تطلق تزيد فى السرعة اذا عملت مع مسيرة الجسم ، وهى تقلل منها اذا عملت ضد مسيرة الجسم وعندئذ تعمل عمل الفرملة الكابحة ، كما سبق ان ذكرنا .

وتبلغ السفينة القمرية فى هبوطها الى ارتفاع ١٥٠٠ متر من سطح القمر . عندئذ يعود قائدها فيشعل صاروخ النزول بها ليزيدها هبوطا . وهنا ينظر الرائدان ليتعرفا على البقعة التى يريدان النزول عليها من سطح القمر ، ان كان عندهما سابق علم بها ، او هما يتخيرانها مبسوطة بعيدة عن المخاطر .

واذ تبلغ المركبة سطح القمر تكون ارجلها الأربع اعتدلت واستقامت ، فتحط على السطح بلطف وفى هوادة ، وتمسه مسا رفيقا .

اللحظة الحاسمة

كنا عند ذلك في عاصمة الولايات المتحدة .

وفرغت الطرقات من المارة أو كادت .

ذلك ان كلاً جلس الى مستقبلة تلفازية يرى ويسمع . ذو المنزل هرع الى منزله ، وذو الفندق اسرع الى فندقه . وذو النادي الى ناديه .

لا في وشنجطن فحسب ، ولا في امريكا فحسب ، ولكن في اوروبا ، وفي آسيا ، وفي كل قطر دبروا لحمل الصور القمرية اليه حملا حيّا .

وضربوا لنا هناك موعدا في الثانية بعد منتصف الليل ، يبدأ فيه مركز المراقبة ، في بلدة هوستن ، بوصل اهل القمر ، ورحاب القمر ، بأهل الأرض ، ورحاب الأرض .

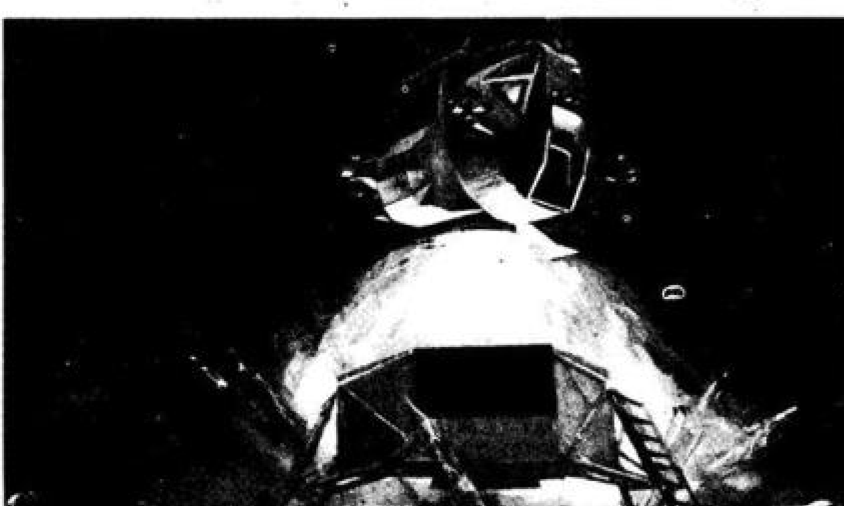
واخيرا تلطّفوا فجعلوا الموعد العاشرة مساء . وعلمنا ان ذلك حدث بسبب ان المفروض كان ان ينام رجلا القمر ، في مركبة القمر ، على سطح القمر ، ساعتين او اكثر ليستريحا قبل الخروج منها للذى اصابهما من اجهاد ، لعله كان اجهاد اعصاب اكثر من اجهاد اجساد . ولكنهما لم يستطيعا ان يصبرا وهذا سطح القمر حاضر يدعوهما الى تسجيل حَدَث التاريخ الأكبر .

وقضينا الفترة من بعد الفترة . نستمع الى الحديث الذى كان يجرى بين رجال مركز المراقبة على الارض . ورجال المركبة فوق القمر . وينخيّم الصمت ، ثم يعود الحديث . وترقبنا حتى بدا القلق يحل محل الترقب .

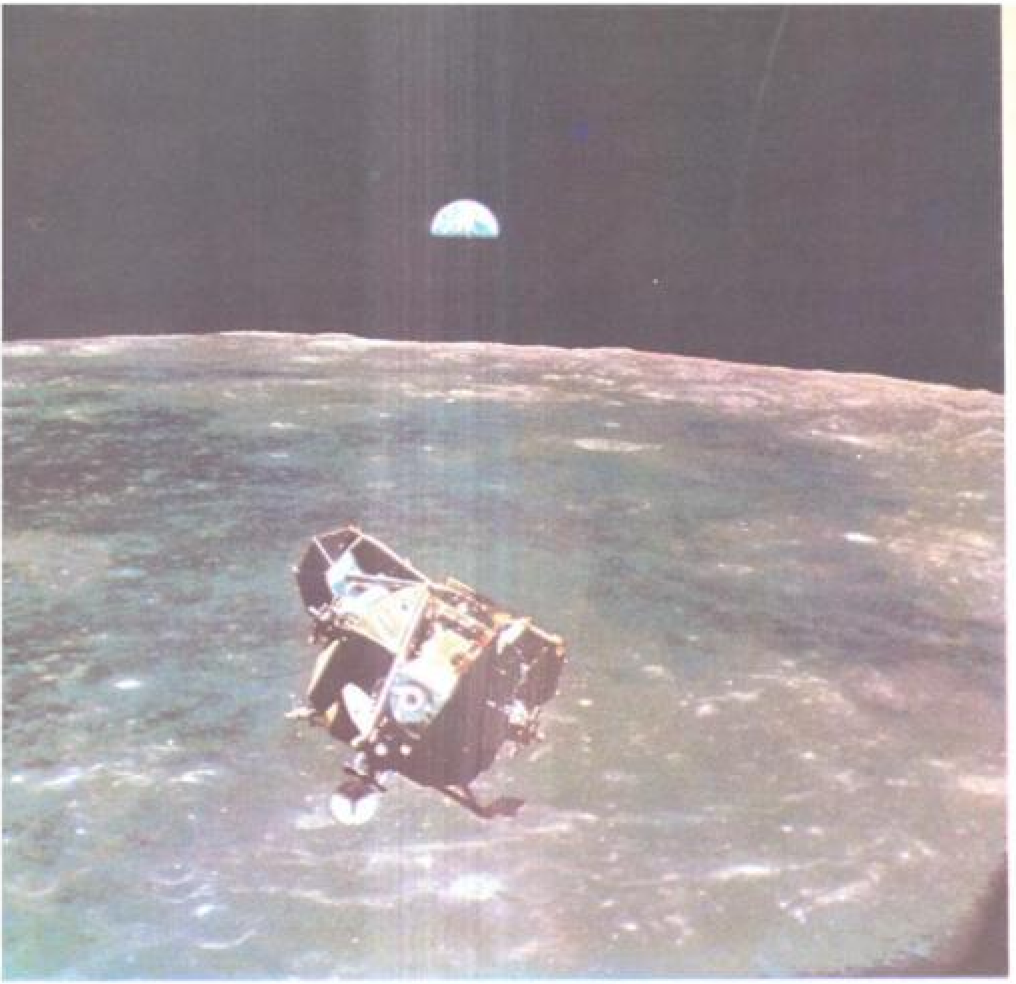
وبغتة ظهرت المركبة القمرية وعليها شيء يتحرك . انه سلمها المؤدى الى القمر ، وانه رجل الفضاء ظهر لنا ظهره وهو يخطو بقدم من بعد اخرى هابطا على مدارج السلم، ولكن فى حذر شديد. واذ اقترب من السطح نزل بقدمه اليه ، وخلناه يتحسسه في بطء ثم اذا هو يمسه .

وعندئذ صاح صائح التلفاز صيحة

● النصف الأعلى من المركبة القمرية ، وفيه الرائدان القمريان ارمسترنج والدرين ، وقد اشتعل صاروخه ، ففصله عن نصف المركبة الأسفل الذى بقى على سطح القمر ، وارتفع النصف الأعلى ليدور في فلك حول القمر مرة اخرى للالتحام بمركبة القيادة التى ما زالت هناك تفلك .







● نرى في هذه الصورة رجل الفضاء أدوين ألدرين Edwin Aldrin وهو يمشي على سطح القمر ، ونرى في مقدمة الصورة آثار أقدامه مرسومة على تربة القمر . ونرى كذلك ما انعكس في واجهة الخوذة التي يلبسها رجل الفضاء من أشياء ، منها رجل الفضاء الأول « نيل ارمسترنج » Neil Armstrong ، وكمرته الفوتوغرافيه ، وكذلك علم الولايات المتحدة ، وكسرة التلفاز غير الملون ، وجزء من المركبة القمرية التي حطت على القمر ، وذلك في الهبوط التاريخي عليه الذي وقع ٢٠ يوليو ١٩٦٩ وفقا لمشروع أبولو ١١ .

● الصعود فوق سطح القمر : المركبة القمرية التي كانت هبطت على القمر ، تتراءى في الصورة وهي تصعد فوق سطح القمر ، وفقا لبرنامج أبولو ١١ ، وقد حملت رجلي الفضاء ارمسترنج والدرين ، لتلحق بمركبة القيادة التي ظلت تدور في فلك لها حول القمر ، وبها رجل الفضاء ميكل كولنز Michael Collins كان هذا في ٢١ يولية ١٩٦٩ . وفي الصورة تراءت صورة الأرض ، وكأنها وجه من وجوه القمر وقد تنصف . ولا يفوتنا أن نقول أن المركبة القمرية هذه صعدت بنصفها الأعلى فقط عن سطح القمر وتركت على هذا السطح النصف الثاني الأسفل وذلك للفراغ من الحاجة إليه .

مدوية : زادت النظارة ما هم فيه من توتر اعصاب . صاح : هذي هي اللحظة التاريخية الحاسمة . انها قدم اول انسان تمش سطح القمر .

ودار رجل القمر حول نفسه ينظر فيما حوله قبل ان يخطو خطوة ثانية . ورويدا رويدا يتمرّن على السير فيسهل السير . ورأينا حذاءه يطبع آثار نعله الثقيل على التربة . وتمضي فترات طويلة وكأنها لمحات .

وينزل رجل القمر الثاني من المركبة القمرية فيلتقي الرجلان على سطح القمر . ويتحدثان معا باللاسلكي ، فليس على القمر هواء يحمل الصوت ويتحدثان مع مركز المراقبة على الارض . ونسمع كل هذا الحديث .

ويرتاد الرجلان ماحولهما من أرض اغلبها البسيط ، سوى كتل من حجر هنا وهناك ، وعدّة من نقر ليست بالعميقة . ويصوّران . ويوزعان الاجهزة العلمية هنا وهنا ، وهم تاركوها لتعمل وترسل بنتائجها الى الارض بالامواج الكهربائية المغناطيسية . وعلم الولايات المتحدة يغرزون عصاه في ارض القمر . وشيء آخر لعله اعظم خطرا ، ذلك جمع عينات من تربة القمر ومن حجره ، أرطالا ، يحملونها الى التحاليل في مختبرات الارض .

تركُ رجلي الفضاء سطح القمر والصعودُ للقاء رجل الفضاء الثالث

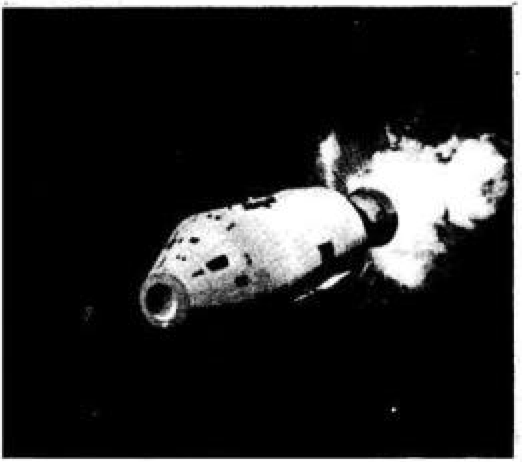
ويحين الوقت ليترك هذان الرائدان سطح القمر بعد ان فرغا مما خططا له من عمل . يتركان سطح القمر ليلتقيا برجل الفضاء كولنز وهو بدور



● في محاولة لالتحام المركبتين ، وهي عملية من اشق العمليات ، وظل الرواد كل في مركبته ، يعملون لها ٤ ساعات .



● والتحمت المركبتان آخر الأمر ، كما ترى في الصورة . وانتقل الرائدان من المركبة القمرية الى مركبة القيادة عبر النفق، الى صاحبها في مركبة القيادة . وعندئذ فصلوا المركبة القمرية عن مركبتهم فلم تعد بهم اليها حاجة ، فاخذت تدور حول القمر الى ما شاء الله .



● لم يبق من السفينة ، بعد الذى كان ، غير مركبة القيادة ، ومعها وحدة الخدمة . فاطلقوا صاروخ الخدمة ليدفعهم في سبيلهم الى الارض، سبيل العودة . وهى عملية غاية في الدقة والخطورة ، تحتاج الى تعيين مكان ، وضبط زمان ، كالتى احتاجوا اليها عند الاطلاق من الارض . انها عملية تخلصهم من جاذبية القمر .

بمركبة القيادة حول القمر، في انتظار صعودهما اليه .

وهنا تعود التكنية البارعة فتكشف عن وجه من وجوهها .

ان المركبة القمرية نصفان . نصف اعلى وفيه رجلا الفضاء بعد دخولهما اليه ، ونصف أسفل اظهر ما يظهر للرائي منه في الصورة الأرجل الاربع ، وهذا النصف الاسفل هو الذى احتوى صاروخ الهبوط الذى استطاعت به المركبة كلها ان تقلل من سرعتها فتهبط على القمر هبوطا هينا .

ويبدأ الصعود بان يطلق الرائدان صاروخ النصف الاعلى الذى هما فيه من المركبة ، فتخرج انفاسه الملتهبة قوية دفاعة فتفصل ما بينه وبين النصف الاسفل الذى يظل على سطح القمر بعد ذلك الى الابد . لقد اتخذوا منه منصة اطلاق .

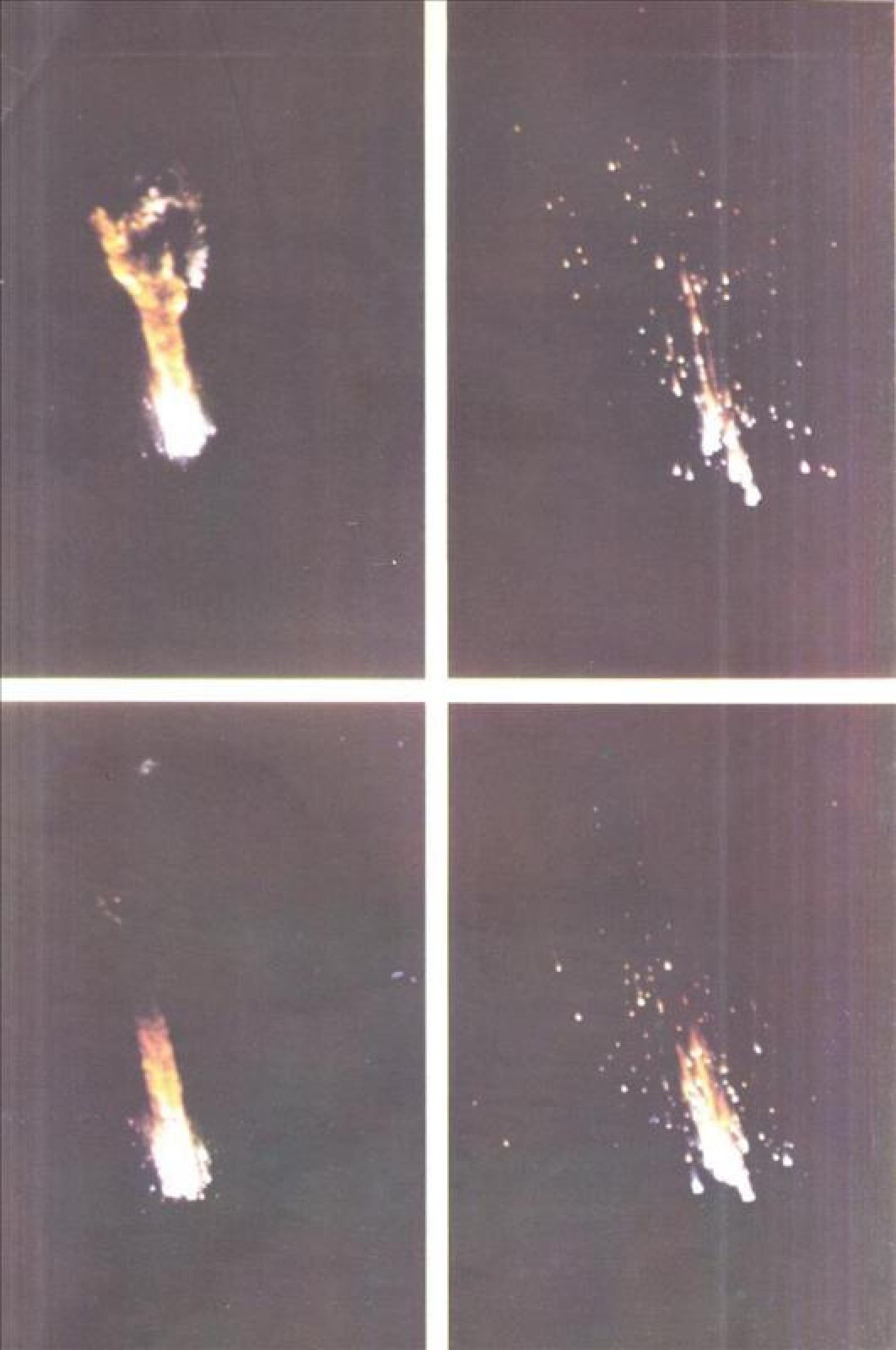
وتصعد المركبة القمرية (نصفها الاعلى) برجليها الى مدار حول القمر بيضاوى ، ثم بدفعة صاروخية اخرى الى مدار حول القمر دائرى .

وبعد حسابات ، وبعد اتصالات ، تشترك فيها المركبتان ، ورجال المراقبة في الأرض تتم عملية من اصعب العمليات وأخطرها ، تلك التحام المركبتين . وبالتحامهما ينتقل رائدا الفضاء من المركبة القمرية الى مركبة القيادة ، المركبة الأم ، وبها رائد الفضاء كولنز .

عندئذ تكون المركبة القمرية قد ادت كل ما يراد منها . وعندئذ يفصلها الرواد عن المركبة الأم ، فتنفصل ، فتظل تدور في فلكها حول القمر .

انه لم يبق من سفينة الفضاء عندئذ غير المركبة الأم ، مركبة القيادة ، ومعها وحدة الخدمة التى ظلت ملتحمة بها طوال الرحلة لا تفارقها .

واذ حان الوقت للعودة من القمر الى الأرض وجب الاستعداد لذلك بعناية زائدة ، كتلك التى



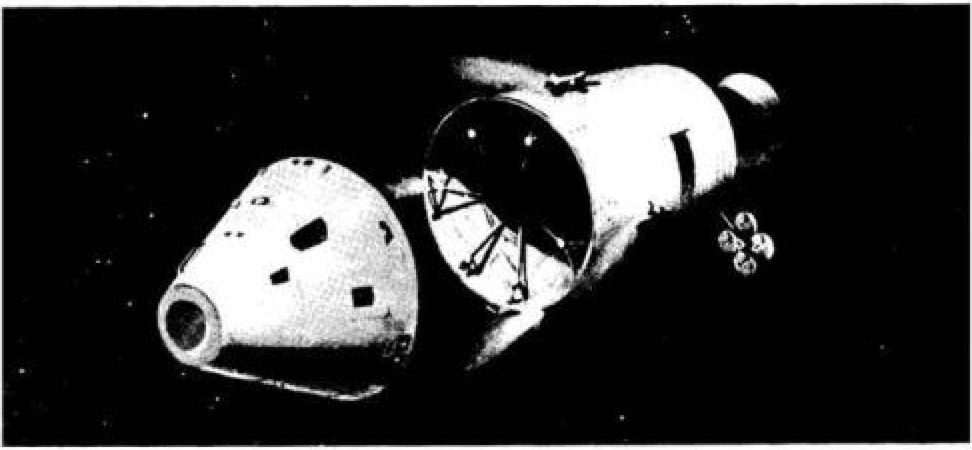


● عندما دخلت مركبة الفضاء ابولو ١١ جو الأرض ، فوق المحيط الهادى ، وهى عائدة فى يوم ٢٤ يوليه ١٩٦٩ وفيها رجال الفضاء الثلاثة ، احترقت المركبة بسبب سرعتها فى الهواء احترارا أدى الى تطاير أجزاء من سطح المركبة ، والصورة المرفقة تريك بعض هذه الأجزاء ، وقد صورتها طائرة طارت من الأرض الى ارتفاع ١٠ آلاف متر .

● الغسيل بالمطهرات : عندما هبط رجال الفضاء فى المحيط الهادى بجوار هاواى فى ٢٤ يولية ١٩٦٩ ، صعد اليهم الضابط المختص ليغسلهم جيدا بالمطهرات . وبعد ذلك لبس هؤلاء الرجال ملابس بيولوجية خاصة ، ثم غادروا المركبة ، واحتفظوا بهذه الملابس حتى دخلوا خزانة اشبه بالشاحنة ، مغلقة ، على ظهر سفينة بحرية الولايات المتحدة المسماة هورنت Hornet وذلك لتعود بهم الى الولايات . ثم نقلوا وهم فى هذه الخزانة الى المختبر القمرى فى ولاية تكساس بالولايات ، وهناك استمر الحجر الاحتياطى عليهم .



● رجال الفضاء الثلاثة ، ارمسترنج ، وكولنز ، والدرين ، وهم فى غرفة الحجر ، على السفينة الحربية هورنت Hornet فى المحيط الهادى . وكانوا قد عادوا على التو من رحلتهم الى القمر . وهم بقوا فى الحجر وللفحص بعد ذلك اياما .



● وانطلقوا الى الارض ، وكادوا يدخلون « الممر الهوائي » الذى رسموه لهم.والخطر كل الخطر في الخروج عنه . وتقدم وحده الخدمة خدمة أخيرة في التوجيه . واذ فرغوا من الحاجة اليها فصلوها ، بصواريخ تشتعل فيها ، كما ترى في الصورة .

راعيناها عند انطلاق سفينة الفضاء من الارض الى القمر .

ان المركبة الآن تسير في فلكها حول القمر بسرعة ٥٨٠٠ كيلومتر في الساعة . ولكنها تحتاج الى رفع سرعتها الى ٨٨٥٠ كيلو مترا في الساعة لتفلت من القمر ، أى لتتغلب على جاذبيته ، فهذه هي سرعة الانفلات .

ويصل الرواد اليها باشعال محرك صاروخي بوحدة الخدمة يوجد في مؤخرتها ، وتخرج انفاسه من تلك الفوهة التى لها شكل القمع ، وهم يشعلونه في المكان المفروض ، والوقت المحسوب ، وعندها تنطلق المركبة (وهى لا تزال تحمل وراءها وحدة خدمتها) لتبدأ رحلتها الى الأرض ، والأرض على بعد ٣٨٤٠٠٠ كيلو متر .

ويقل جذب القمر للمركبة كلما بعدت عنه ، ولكن جذب الارض لها يزيد ، وهي لاتقترب من الارض حتى تكون بلغت من السرعة سرعة كتلك التى افلتت من الارض بها . انها ٣٩٢٦٠ كيلو متر في الساعة .

وتصل المركبة الى نحو ١١٢ كيلو متر ارتفاعا عن سطح الارض ، وعند ذلك تبدأ تحس جو الارض، خفيفا جدا .

انها بدأت الدخول في « الممر » الهوائي .

وهنا خطر كبير ، تلك هى الزاوية التى تدخل فيها طبقة هذا الهواء . انها اذا دخلت الى الطبقة الهوائية باتحدار في الزاوية شديد قارب ان يكون رأسيا ، احترت باحتكاكها فيها ولم ينفع درعها الواقي من الحرارة لوقايتها ، فاحترقت . وهي اذا دخلت الطبقة الهوائية في انحدار قليل ، فربما انزلقت وخرجت عن الهواء الى الفضاء مرة اخرى .

ان المركبة تبدأ في دخول الطبقة الهوائية بعد الحساب والتدبير . فاذا هى حادت قليلا تدخلت اجهزة التوجيه في وضعها في الزاوية الصحيحة ؟

وعندئذ لاتكون لوحدة الخدمة فائدة .

واذن هي تفصل عن المركبة ، وتسقط آخر الامر الى الارض .

لم يبق من السفينة الجبارة غير ٥٥٠٠ كيلو

جرام ، هي وزن مركبة القيادة ، وبها الرواد الثلاثة .

وتمضى المركبة في ممرها الهوائي ، بعد ادارتها راسا على عقب ، بواسطة دوافعها المحركة (وهي تستخدم لاول مرة) بحيث تمضى في الهواء وقاعدتها العريضة اولا لا راسها المدبب ، فهي المحصنة ضد الحرارة .

ومع هذا تصل حرارة المركبة عند احتكاكها الاول بالهواء الى نحو ٢٧٦٠ درجة مئوية . انها كرة من نار . ولكن الرواد في داخلها في امان بفضل ما في حائط المركبة من مواد للحرارة عازلة .

على ان احتكاك الهواء يهدىء من سرعة المركبة النازلة كثيرا ، وهي اذا بلغت في هبوطها ارتفاع ٧٣٠٠ متر عن سطح الارض انخلع عن المركبة وقاؤها العلوى الذى وقاها من الحرارة ، وارتفع منها تلقائيا مظلتان تنفتحان لحملها . وعند الهبوط الى ارتفاع ٣٠٠٠ من سطح الارض تنفتح تلقائيا مظلاتها الكبرى فتزيدها حملا .

في المحيط الهادى

واخيرا مست المركبة سطح الماء في المحيط الهادى حيث انتظرها كثرة من رجال لانتشالهم من الماء . في طائرة عمودية أولا ، ثم الى سفينة حربية . وحياهم رئيس الولايات المتحدة هناك ، ولكن عبر الزجاج ، فقد كانوا دخلوا خزانات للحجر يحملون فيها الى مركز المراقبة ، في بلدة هوستون ، حتى يتأكد العلماء والاطباء انهم لم يحملوا الى اهل الارض من سطح القمر من المكروبات ما لم يألفه الناس ، واذن يعبث فيهم الموت العاجل .

اما الاحتفالات ، واللقاءات ، ولا سيما لقاء أهلهم ، فتكون بعد انتهاء مدة الحجر ، هذه .

فخر
لم تستطع الولايات المتحدة اخفاءه

كانت دولتان كبيرتان في مجال الفضاء تتنافسان ، امريكا وروسيا . وكانت روسيا هي الاولى . وكانت اول من قذف الى السماء بقمر فدار حول الارض ، هو القمر اسبتنك الاول Sputnik I في اكتوبر عام ١٩٥٧ . وظل الروس هم السابقين . ثم اخذت كفتا الميزان تتأرجحان ، حتى كان من هذا النصر الامريكي ما كان .

ولكن الامريكان حرصوا في كل ما اعلنوا من كلام ان هذا النصر انما كان نصرا للانسان .

قال الرائد الاول ، ارمسترنج ، عندما خطا خطوته الاولى على القمر ، انها خطوة صغيرة خطاها اليوم انسان ، هي خطوة كبيرة للانسانية جمعاء .

وقال رئيس الولايات في احدى مقدمات بعض النشرات : اذا كان هذا اليوم هو يوم الولايات في كشف اسرار القمر ، فغدا يكون لغير الولايات من امم .

ومع هذا لم يستطع الامريكان الا ان يعرزوا علمهم في سطح القمر . افليسوا هم ناس كسائر الناس ؟

أبولو ١٢

هذه هي قصة رحلة أبولو رقم ١١ الى القمر .

وتلتها رحلة أبولو رقم ١٢ الى القمر .

وانتهت الرحلة الثانية في نفس اليوم الذى انتهيت فيه من كتابة هذه الكلمة عن رحلة أبولو ١١ .

وان كان لا بد من تعليق سريع على هذه الرحلة الثانية فهي انها رسمت على غرار الرحلة الاولى بشيء قليل من التغيير ، كان بقى رجلا القمر على القمر اكثر كثيرا مما بقى الأولان ، وجمعا من القمر من العينات مقادير اكبر. وكان هدف الرحلة الثانية علميا اكثر من الرحلة الأولى .

ولعل لنا اليها عودة . ●●

أ. ز.

استطلاع

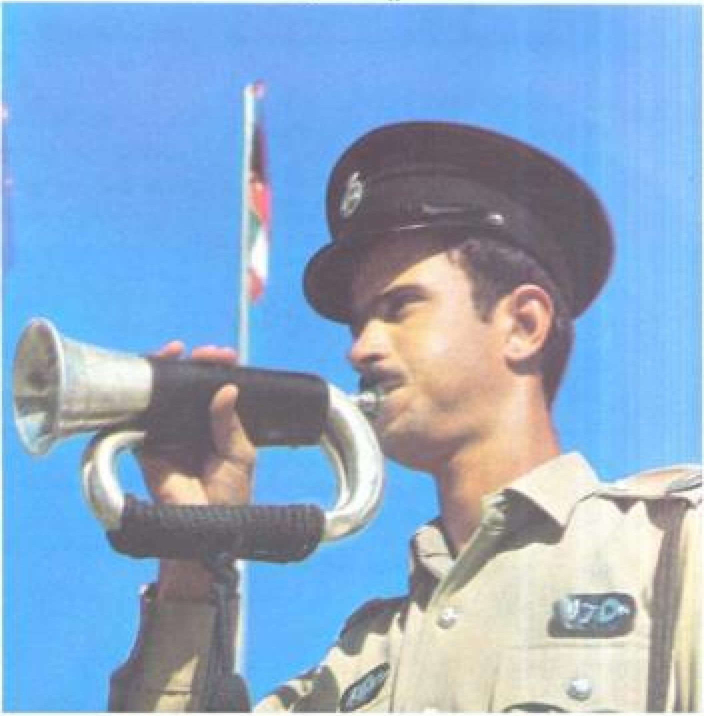
الكويت

كيف يتخرّج ... حُماة الأمن والقانون ؟

بقلم

منير نصيف





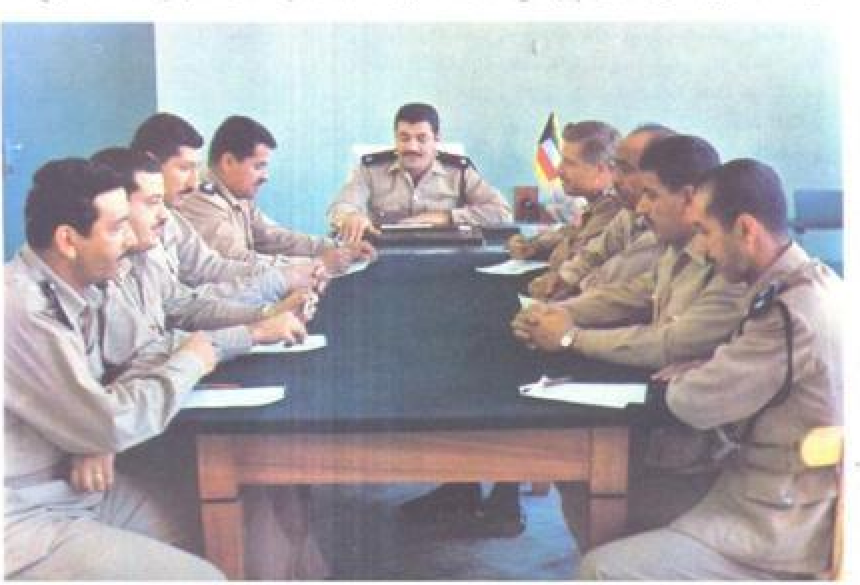
البروجي ينفخ النفير معلناً بداية يوم جديد في كلية الشرطة .. أول كلية من نوعها في الكويت وفي منطقة الخليج العربي .

تصوير : اوسكار متري



مجموعة من طلبة الكلية .. أول دفعة تقبلها الكلية الجديدة التي افتتحت وبدأت الدراســـة فيها يوم ٣ أكتوبر عام ١٩٦٩ ..

هيئة ضباط الكلية الذين يتولون تدريس المواد الشرطية للطلبة ويشرفون على شئونهم ، يتوسطهم مدير الكلية الرائد عبد الحميد حجي وقد جلس الى يمينه النقيب عبد الله حمزه الرومي كبير المعلمين .. لقد ترك الضباط منازلهم وأسرهم وأقاموا مع الطلبة طوال مدة الخمسة والاربعين يوما الاولى من مدة الدراسة ، وهي الفترة التي لم يسمح خلالها للطلبة بمغادرة مباني الكلية حتى في عطلة الاسبوع .



■ المكان : منطقة هادئة قامت فوق أرضها الثكنات والملاعب والمباني الخاصة بقاعات المحاضرات .. وسور عال يحيط بها على الطريق الرئيسي المؤدى الى قرية الجهراء ، على بعد ستة كيلو مترات تقريبا من قلب عاصمة الكويت .

الزمان : الساعة الخامسة واربعون دقيقة صباحا (موعد شروق الشمس صيفا في الكويت).

كل شيء هادىء في كلية الشرطة بالكويت .. السكون يحتوى المنطقة فلا يعكره سوى صوت حذاء الديدبان وهو يضرب الأرض بقوة في خطوات عسكرية ثابتة روحة وجيئة ..

ومع خيوط الشمس الرفيعة التي راحت تتسلل في رفق في كبد السماء ، تمتد يد الجندى صاحب النوبة ، الى الصارى لترفع العلم .. معلنة بداية يوم جديد ..

رجال الحرس في وقفة عسكرية تحية للعلم المرفوع .. ثم ينصرفون كل الى عمله ..

وتمر بضع دقائق .. ومع دقات الساعة السادسة صباحا بالضبط ينطلق صوت النفير الذى وقف البروجي ينفخ فيه ، وتتردد اصداؤه في جميع الارجاء ، ايذانا بانتهاء وقت النوم وبداية يوم العمل ..

تمام الصباح

وفي الطابق الثاني من المبنى الجديد الواقع وراء مبنى الادارة الرئيسي ، وقفنا نرقب اولى مراحل العمل الذى بدأ مع نفخات النفير .

الملازم احمد محمد الوهيب قائد الفصيل الاول .. والملازم ناصر احمد العثمان ، قائد الفصيل الثاني .. كل منهما يدخل عنبر نوم الطلبة التابعين له ، ليجرى « تمام الساعة السادسة صباحا » .. فيصطف طلبة الفصيل ، امام اسرتهم .. ويمر الضابط امامهم ، وهم واقفون وقفة عسكرية في بجامات النوم .. ثم لا يلبث ان يصدر اليهم اوامره بالبدء في ارتداء ملابسهم .. والاستعداد لطابور الصباح .. فينهمك كل طالب في تسوية فراشه ثم تلميع حذائه بيديه .. ثم يتوجه الى الحمام ليحلق لحيته ، ويغسل وجهه ، ويعود مسرعا الى خزانة ملابسه التي ه نفة فيها كل شيء بعناية ..

الاستعداد للعمل

وفي لحظات قصيرة يكون كل طالب قد خلع جامته ، وطواها بعناية ليضعها في مكانها في الخزانة ولايكاد يفرغ من ارتداء ملابسه حتى يقف امام فراشه ينتظر .. وتتوالى عودة الطلبة من الحمام ، ويتسابقون على ارتداء ملابسهم وترتيب حاجياتهم في خزاناتهم ، فلا بد ان يفرغوا من ذلك في ثلاثين دقيقة ، وفي الساعة السادسة والنصف تماما ، لا بد ان يكونوا وقوفا بملابسهم في طابور طويل ، حيث يبدأ العد .. واحد .. اثنين .. ثلاثة .. حتى رقم ٢٥ ، وهو عدد طلبة الفصيل .

ثم يصدر القائد اوامره الى طلبته بالانصراف ، فيتجهون الى حيث وقف عامل المقصف ، يقدم لهم الشاى وحده ، ويقضي الطلبة عشرين دقيقة تقريبا في تبادل الأحاديث .

طابور الصباح

الساعة الآن السابعة الا بضع دقائق .. الطلبة يصطفون في طابور آخر في طريقهم الى الساحة الفسيحة التي خصصت للتدريب .. انه طابور المشاة الصباحي .. ويسير الطلبة في خطوة عسكرية تحت اشراف العريف ، فيتقدمون خطوتين ويتاخرون خطوة ، ويدورون حول انفسهم .. ثم لايلبث الطابور ان يعاود السير من جديد على صوت موسيقى القرب .. فقد وصلت فرقة الموسيقى وسارت تتقدمهم .. وساروا وراءها في خطواتهم العسكرية ..

ويستمر طابور الصباح ساعة كاملة من الساعة السابعة حتى الثامنة صباحا .. ان هذا الطابور هو مظهر من مظاهر النظام الذى يعيش الطلبة في ظله بالكلية .

طابور الافطار

وفي الثامنة تماما ، يتجه الطلبة الى المقصف لتناول طعام الافطار .. ويجلس الطلبة حول الموائد الصغيرة التي صفت في المطعم .. ولكنهم لاياكلون ، قبل ان يصدر اليهم الأمر بالاكل .. ويجلس ضباط الكلية بدورهم وسط طلبتهم .. ويتناول الجميع طعام الافطار .. انه افطار روعي في اعداده توافر العناصر الغذائية الرئيسية التي





النظام والاعتماد على النفس ، أول ما يتعلمه الطالب في كلية الشرطة ، وهو يبدأ يومه بترتيب فراشه بعد نوبة الاستيقاظ من النوم الساعة السادسة صباحا ، موعد « تمام الصباح » ، حيث يصطف الطلبة في طابور داخل عنبر نومهم وقد وقف كل واحد منهم أمام فراشه ، بينما سار قائد الفصيل التابعين له .. ويبدأ العد ثم ينتهي بالتمام .. ويصدر اليهم القائد أوامره ، فيبدأون في الاستعداد لارتداء ملابسهم ، فيغسلون وجوههم ويحلقون لحاهم وينظفون أحذيتهم ويعيدون ملابس النوم الى خزاناتهم ، ليعودوا مرة اخرى الى طابور آخر .. بملابس التدريب هذه المرة ..

يحتاج اليها الجسم ، ويتألف من بيضتين لكل طالب ، وجبن وعسل نحل او مربى وشاي ولبن ..

وفي قاعة الطعام مائدة صغيرة احتلت ركنا من اركان القاعة الكبيرة ، وقد امتلأت بالادوية والاقراص التي وصفها الطبيب لبعض الطلبة ، وعلى كل دواء اسم صاحبه .. ويشرف قائد كل فصيل على تقديم الدواء لطلبته قبل الاكل او بعده بناء على تعليمات الطبيب.. لقد حرص المسئولون في الكلية على وضع الدواء في قاعة الطعام ، حفاظا منهم على سلامة العلاج واستمراره ..

بـدء الدراسة

الساعة الآن التاسعة صباحا .. وهو موعد بدء الدراسة في كلية الشرطة ..

ويتجمع الطلبة ليصطفوا في طابور جديد في طريقهم الى قاعات المحاضرات .. وتستمر الدراسة حتى الساعة الواحدة تماما بعد الظهر ، حيث يصطف الطلبة في طابور آخر لتلاوة اوامر الفصائل بعد انتهاء المحاضرات وقبل تناول وجبة الغداء مباشرة .. وهي تتألف من سمك او دجاج او لحوم وخضراوات وارز وسلطة وفاكهة ..

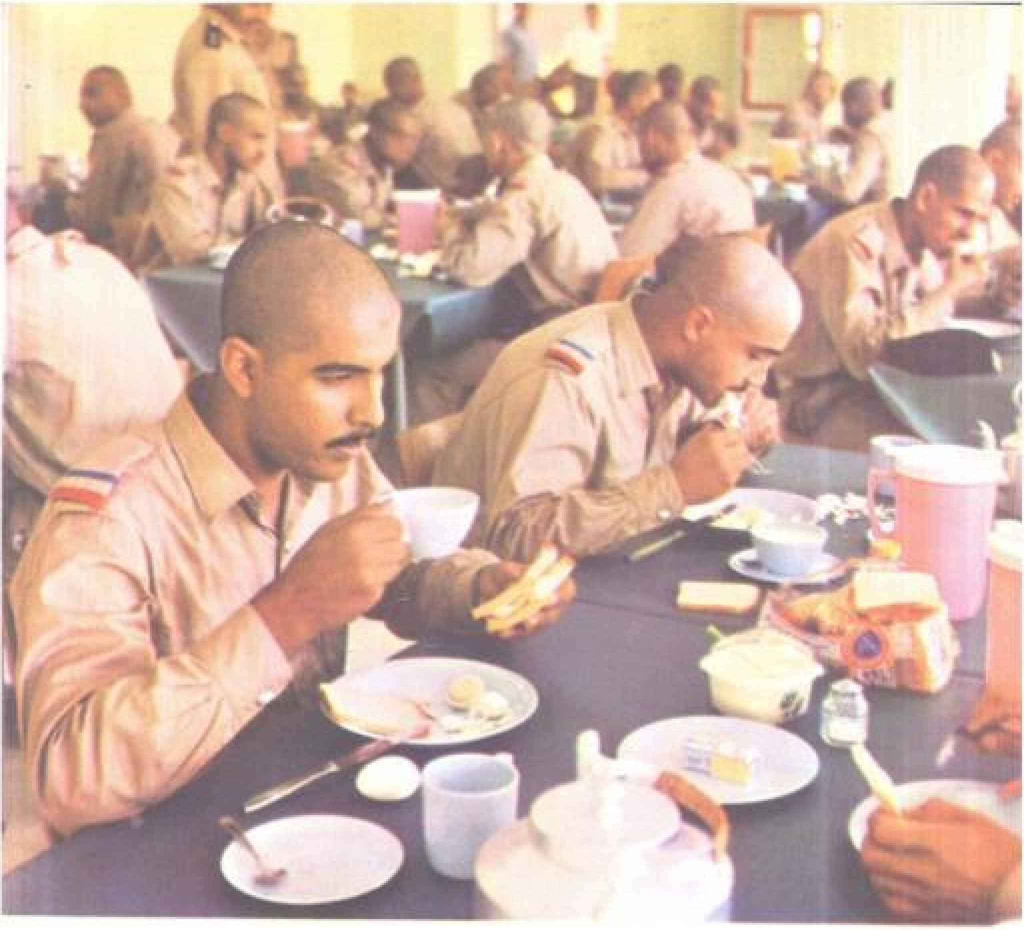
اللياقة البدنية

الساعة الآن الثالثة والنصف بعد الظهر ، الطلبة الآن يتجمعون في طابور جديد لممارسة الالعاب السويدية في الملعب تحت اشراف مدرب خاص من وزارة التربية ، ثم ينصرفون بعد ذلك الى هواياتهم الخاصة ، فيشتركون في مباريات ودية في كرة السلة ، والكرة الطائرة ، والاسكواش راكيت في الملاعب المغلقة التي شيدت حديثا في الكلية .. بينما ينصرف فريق آخر لممارسة السباحة ..

وقبل الساعة الخامسة مساء بقليل يعود الطلبة الى عنابرهم ليغتسلوا ويستعدوا لطابور التفقد المسائي. وامام المبنى الرئيسي لكلية الشرطة يقوم احد قائدي الفصيلين بتلاوة الاوامر لليوم المنصرم .. ثم يهتف الطلبة بالولاء للوطن وبحياة امير الكويت ، وهنا تكون الشمس قد اوشكت على المغيب ..

نهاية اليوم

ومع الغروب ، يعود البروجي الى نفيره ينفخ فيه معلنا نهاية يوم في كلية الشرطة بالكويت ..







الى اليمين : الطلبة اثناء تناول طعام الافطار،ويقدم اليهم في الساعة الثامنة صباحا ، بعد طابور الصباح الذي يبدأ في السابعة ويستغرق ساعة كاملة. وتبدأ المحاضرات في الساعة التاسعة ، **وفي الصورة السفلى « الى اليمين »** ، الطلبة يستمعون الى محاضرة في اللاسلكي يلقيها عليهم أحد الاساتذة المتندبين ، وقد التفوا حول أجهزة الارسال والاستقبال .

الى اليسار : الزى الرسمي المقترح : احدهما (الى اليمين) وهو خاص بالطلبة عندما يتركون مبنى الكلية لقضاء عطلة الاسبوع في الخارج ،والثاني للمراسيم .

الى اسفل : في عطلة الاسبوع حيث لم يسمح للطلبة بمغادرة الكلية خلال الخمسة والاربعين يوما الاولى من بدء الدراسة ، ظلت الكلية تفتح ابوابها لمدة ساعتين بعد ظهر الخميس وصباح يوم الجمعة ، لاستقبال اسر الطلبة .





الطلبة ، وقد فرغوا من ارتداء ملابسهم استعدادا لطابور المشاة الصباحي .. وفي الصورة قائد الفصيل الثاني الملازم ناصر احمد العثمان ، وهو يصلح من وضع بنطلون احد طلبته ، قبل الخروج الى الطابور .

ويتقدم شرطيان من حرس الكلية الى الصاريين لينزلا العلم .. علم دولة الكويت ، وعلم الكلية .. ويؤدي الطلبة التحية العسكرية مع ضباطهم .. ثم تصدر اليهم الاوامر بالانصراف ..

لقد انتهى يوم النظام والعمل والدراسة والتدريب ، وما تبقى منه فهو وقت خاص بالطلبة وحدهم .. انهم يقضون الساعات الباقية في استذكار دروسهم او مشاهدة برامج التلفاز في نادي الطلبة بالكلية ، او في الاستماع الى محطات الاذاعة التي تنقل اليهم النشرات الاخبارية والبرامج الثقافية والتعليمية ، والقرآن الكريم ، والاناشيد والمارشات العسكرية .. اما الاغاني ، فلا مكان لها في هذا الجو النظامي العسكري ..

العشاء .. ثم النوم

وفي الساعة الثامنة والنصف يتوجه الطلبة الى المقصف لتناول طعام العشاء ، مع رؤسائهم وضباطهم .. وهو يتألف من حساء ولحوم او دواجن او سمك وخضروات وسلطة وشاي ..

وفي الساعة التاسعة والنصف تماما يعود الطلبة الى عنابرهم .. حيث يقوم كل من قائدي الفصيلين باجراء « تمام العنابر » ثم يخلد الطلبة بعد ذلك الى الراحة والنوم ..

خشونة ونظام

حياة جديدة لا تمت الى الحياة التي اعتادها هؤلاء الشبان بصلة .. كانوا يعتمدون على غيرهم في اي شيء .. فاصبحوا يعتمدون على انفسهم في كل شيء .. كانوا يعيشون حياة ناعمة مليئة باسباب الترف ، وبعضهم من الشبان العصاميين الذين كونوا انفسهم بانفسهم .

وفجأة وجد الطلبة انفسهم وسط هذه الحياة الخشنة التي تسير وفقا لنظام صارم لا يعرف التهاون او التساهل ، طوابير ثم طوابير ثم طوابير .. ومواعيد دقيقة لصحوهم ونومهم ودراستهم.. حتى طعامهم لا يأكلونه الا باذن ..

ولكنهم مع ذلك سعداء .. سعداء لأنهم اكتشفوا انفسهم بعد سنوات من الحيرة والتردد ، فالشباب حائر دوما ، وسط تلك المحاولات المستمرة التي يقوم بها خلال مرحلة تعليمه الثانوي ، في البحث عن ميوله واتجاهاته التي ستحدد مصيره ومستقبله .. سعداء بحياتهم الجديدة بعد ان وضعوا اقدامهم على بداية الطريق .. سعداء بتلك الزمالة الفريدة والاخوة الصادقة التي جمعت بينهم



طلبة الكلية يسيرون فى خطوة عسكرية في طابور المشاة الصباحي تتقدمهم فرقة الموسيقى من حرس الشرطة .. ويستمر هذا الطابور ساعة كاملة من السابعة حتى الثامنة تماما .

فى هذا المكان الذى يسير كل شىء فيه وفقا لنظام مدروس وتوقيت موضوع .. وسعداء أخيرا بالمستقبل الذى سيتيح لهم فرصة يضعون فيها جهدهم وحياتهم فى خدمة بلدهم ووطنهم وشعبهم .. فهؤلاء هم حراس الغد وحماة القانون ضد الجريمة بمعناها الشامل ، وبكل ما فيها من معان ، وما تحويه من خروج على القانون والقيم والاخلاق ..

مدير الكلية يتحدث

قال لنا مدير كلية الشرطة الرائد عبد الحميد حجى : « لقد كان الاقبال على الكلية الوليدة شديدا .. ما كادت وزارة الداخلية تعلن عن فتح باب القبول للطلبة الحاصلين على الثانوية العامة او ما يعادلها ، حتى تقدم أكثر من مائة وعشرين طالبا للالتحاق بها .. بينما لم يكن العدد المطلوب يزيد على خمسين طالبا دفعة" اولى .. واخترنا حاجتنا من بين الطلبة المتقدمين الذين تتوافر فيهم الشروط الموضوعة ، ورفضنا بقية الطلبات » ..

قلنا : « متى بدأ الاعداد لافتتاح الكلية الجديدة » ؟

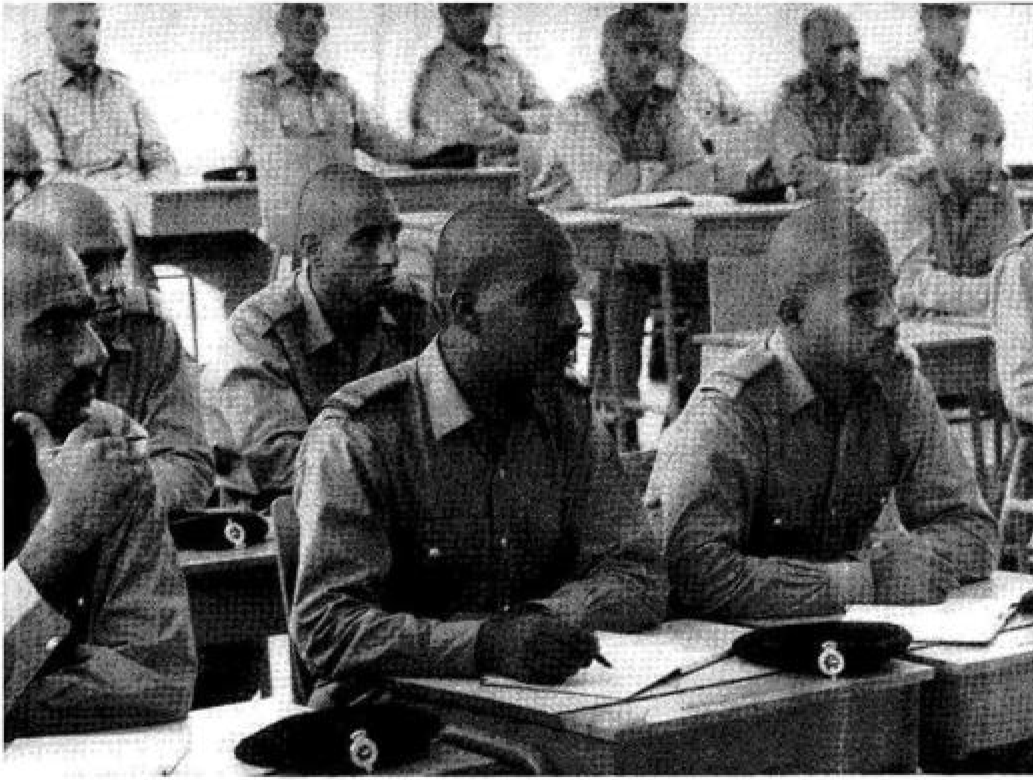
وقال مدير الكلية الذى تخرج من كلية الشرطة بلندن : « منذ عام تقريبا ، على أثر صدور المرسوم الاميرى بانشاء اول كلية للشرطة فى الكويت ، ومنطقة الخليج ، وكان ذلك فى شهر نوفمبر من عام ١٩٦٨ .. لقد كان لدينا كما تعلمون مدرسة للشرطة ، لتخريج الانفار ، اما ضباط الشرطة : فقد تخرجوا من كليات الشرطة بالقاهرة ولندن وغيرهما .. كان الطلبة يوفدون الى الكليات فى الخارج ثم يعودون حاملين الينا دراساتهم وخبراتهم الى ان رئى أخيرا تخريج ضباط شرطة الكويت ، فى الكويت » ..

جهود وزير الداخلية

واستطرد المدير :

« وقد كان الفضل الاول فى انشاء هذه الكلية الاولى من نوعها ، لسعادة وزير الداخلية الشيخ سعد العبد الله الصباح الذى لم يأل جهدا فى سبيل تحقيق هذا الحلم الذى ظل يراودنا سنوات طويلة » ..

« وما كاد المرسوم الاميرى يصدر فى أواخر العام الماضى ، حتى بدأنا نستعد لهذا اليوم الكبير ، واستقبال اول دفعة من الطلبة الكويتيين



في قاعة المحاضرات جلس الطلبة ينصتون باهتمام الى شرح أحد الأساتذة المنتدبين .. وهناك مجموعة من الأساتذة الذين انتدبوا للتدريس من جامعة الكويت ، ومن الكليات الأخرى .

.. وقبل الافتتاح ببضعة شهور ، رأت وزارة الداخلية ان توفد مدير الكلية مع فريق من ضباط كلية الشرطة في دورة دراسية واستطلاعية الى كلية الشرطة بالقاهرة للوقوف على النظم المتبعة هناك ، وتطبيق الملائم منها ، في كلية الشرطة بالكويت » ..

« واستغرقت الدورة ثلاثة اشهر ، كان العمل يجرى خلالها على قدم وساق هنا في الكويت ، للانتهاء من تشييد المباني الجديدة التي ستخصص للكلية في نفس المكان الذى شيدت فيه مدرسة الشرطة الكويتية في عام ١٩٥٦ » .

« وما كدنا نعود من مهمتنا في القاهرة ، حتى اعلنت الوزارة عن فتح باب القبول وفقا للشروط الموضوعة ، وهي تتلخص في ان يكون الطالب كويتي الجنسية ، وان يكون حاصلا على الثانوية العامة ، والا يقل طوله عن ١٦٥ سنتيمترا ، والا تقل سنه عن ١٨ سنة ولا تزيد عن ٢٥ سنة ، وان يكون لائقا طبيا . وأخيرا الا يكون قد سبق الحكم عليه في اية جريمة مخلة بالشرف او الامانة .

وتحدد يوم ٢ اكتوبر عام ١٩٦٩ لبدء الدراسة بالكلية .

« وكان الطالب المستوفي لكل هذه الشروط يمر بعد ذلك باختبار آخر .. هو اختبار او كشف الهيئة وقد اشرف عليه وكيل وزارة الداخلية شخصيا » ..

مدة الدراسة سنتان

قلنا لمدير الكلية : « ما هي مدة الدراسة ، وماذا يدرس الطالب ، وهل هناك هيئة تدريس خاصة بالكلية ؟ » .

قال : « مدة الدراسة الآن سنتان ، ولكنها ستصبح في المستقبل أربع سنوات ، كما هو الحال في القاهرة . وقد اختصرناها حاليا نظرا لحاجة

البلاد الى ضباط للعمل في الشرطة .. ويحصل الطالب بعد تخرجه رتبة ملازم ، وشهادة دبلوم في علوم الشرطة .. وقد انتدبت وزارة الداخلية بعض الاساتذة من كلية الحقوق بجامعة الكويت لتدريس المواد القانونية لطلبة الكلية ، كما انتدبت مدرسين من الكلية الصناعية لتدريس الميكانيكا ، واللاسلكي ، وكذلك مدرسين من ثانوية الشويخ لتدريس مادة اللغة الانجليزية ، وكذلك التربية البدنية . أما المواد الشرطية والتدريبات العسكرية والفروسية ، فيقوم بتدريسها نخبة من ضباط الكلية المقيمين بها . ويدرس الطلبة في السنة الاولى ، مدخل القانون، وقانون العقوبات الخاص والعام ، والقانون الدستوري ، والشريعة الاسلامية .

« اما الدراسة في السنة الثانية فتشمل مدخل القانون ، وقانون الاجراءات الجنائية والقانون الاداري ، وما يتصل بالمواريث في الشريعة الاسلامية . »

المواد الشرطية

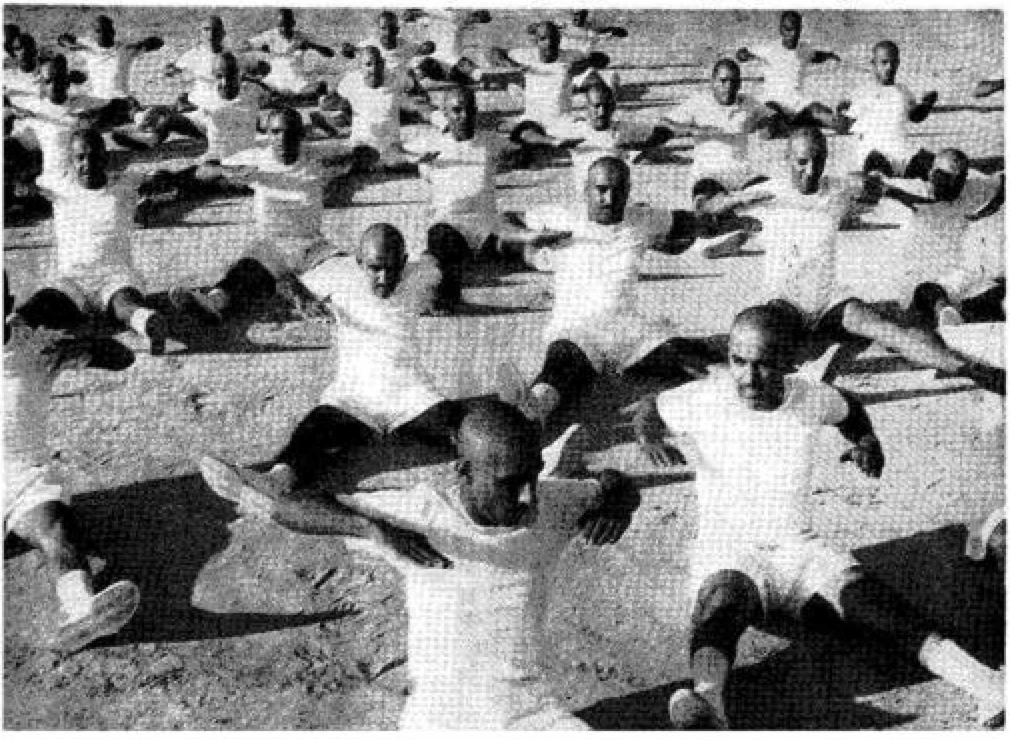
ويتابع مدير الكلية كلامه بقوله :

« أما المواد الشرطية فتدرس للطلبة في السنتين .. وهي تنقسم الى مواد شرطية نظرية ، وتشمل مادة نظام الشرطة والتحقيق الجنائي عمليا وفنيا، والاسعافات الاولية ، ثم هناك المواد الشرطية العملية ، وتشمل الميكانيكا ، وقيادة السيارات والدراجات النارية، والطبوغرافيا أي فن الخرائط واللاسلكي .

« كما يدرس الطلبة في السنة الاولى أيضا التدريب العسكري ويشمل المشاة والخيالة ، والاسلحة ، وكذلك التدريب الرياضي ويشمل اللياقة البدنية والسباحة .

« على أن هناك بعض المواد التي تضاف الى برنامج الدراسة في السنة الثانية وهي التاريخ المقارن لنظم الشرطة في العالم، ومادة الطب الشرعي، وكذلك بالنسبة للمواد الشرطية العملية التي يضاف اليها التصوير الجنائي والدفاع المدني

يعنى المسئولون في كلية الشرطة باللياقة البدنية ، ويقوم الطلبة بتمرينات رياضية تحت اشراف مدرب فني ، كما يمارسون مختلف أنواع الرياضة الأخرى كالسباحة والتنس وكرة السلة وغيرها



والمفرقعات ، ثم قيادة الجماعات (الطوابير) والتكنيك العنيف . كما ستعد الكلية مستقبلا برامج خاصة لتدريس مادة الجوازات والاقامة والجنسية ، ومادة قانون السير وتحقيق الشخصية والاطفاء العام .

« حتى في التدريب الرياضي ، نجد طلبة السنة الثانية يتدربون أيضا على المصارعة اليابانية والدفاع عن النفس ، والملاكمة ، وانواع الرياضة الأخرى بما فيها الفروسية . »

ثم قال مدير الكلية : « واحب ان انوه هنا ، بأن منهاج الدراسة العلمية في كلية الشرطة ، هو شبيه بالمنهاج الذى يدرس في كلية الحقوق ، مع مراعاة الاختصار في كل شيء .



مع غروب الشمس ، يعود البروجي ينفخ نفيره من جديد ، ويقوم اثنان من رجال الشرطة بانزال العلمين .. علم دولة الكويت ، وعلم الكلية .. بينما يقف الطلبة وضباطهم يؤدون التحية العسكرية ، امام مبنى الكلية الرئيسي حيث تقرأ الاوامر اليومية وبهذا ينتهي اليوم .. وينصرف الطلبة بعد ذلك لاستذكار دروسهم .. الى ان يحين موعد العشاء ثم النوم .. ثم الاستعداد ليوم جديد .

مدرسة للضباط ايضا

ان رسالة كلية الشرطة بالكويت لن تقتصر على تخريج ضباط جدد ، ولكنها ستصبح ايضا مدرسة لضباط وزارة الداخلية الحاليين .. يقول مدير الكلية : « ستقوم الكلية باعداد دورات تخصصية للضباط ، يدرسون خلالها كل المواد الشرطية .. وستسمى هذه الدورات ، « بدورات الانعاش والتنشيط » .. وستشمل التدريب العسكري بأنواعه ، وستحدد مدة معينة ينجح فيها الضابط الطالب ، أو يرسب ، وستبدأ هذه الدورات في أول يناير من عام ١٩٧٠ ! »

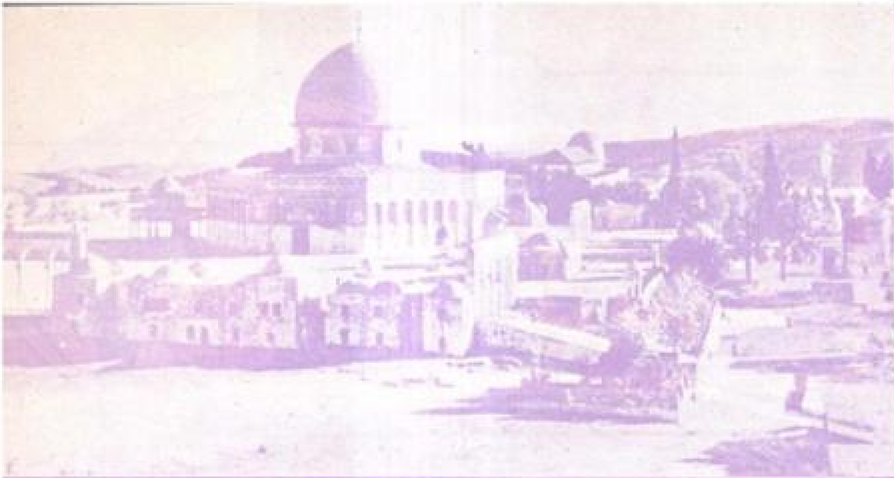
هذه هي كلية الشرطة الجديدة بالكويت .. انها تضم اليوم خمسين طالبا يشرف على اعدادهم ثمانية ضباط من مختلف الرتب ، الى جانب مدير الكلية وكبير المعلمين .. وكلهم تخرجوا من كلية الشرطة بلندن والقاهرة ..

الضباط مع ابنائهم

قال لنا النقيب عبد الله حمزة الرومى كبير المعلمين : « لقد تركنا بيوتنا وأسرنا وأقمنا في الكلية وسط ابنائنا الطلبة خلال الخمسة والاربعين يوما الأولى من الدراسة وهى الفترة التى لايسمح فيها لأى طالب بالخروج من باب الكلية حتى في عطلات الاسبوع .. وقد فعلنا هذا حتى نشعرهم بأنهم ليسوا وحدهم ، كما سمحنا في نفس الوقت لذويهم واقاربهم بزيارتهم يومى الخميس والجمعة من كل أسبوع . »

ان كبير المعلمين هو « الدينامو » المتحرك الذى لا يهدأ ، فهو لا يكتفى بمهام عمله في الارشاد والتوجيه ، وانما يشرف على كل شيء يتصل بطلبته ودراستهم وتدريبهم .. فتراه في الطوابير .. وفي قاعات المحاضرات .. وفي حصص الرياضة البدنية .. وفي عنابر النوم ، وقاعة الطعام .. وفي كل مكان .. انه يقول : « لقد كنا طلبة مثلهم .. ومررنا بما يمرون به الآن ، فنحن أقدر الناس على معرفتهم ومعرفة مشاعرهم . » ■■

منير نصيف



فديتكِ هل نسيتِ القدس !

للشاعر : احمدغازى النمرى

■ فَدَيْتُكِ ! هلْ نَسِيتِ القُدْسَ والسِّحْرَ الذى فِيهَا ؟
وَأَوْقَاتاً قَضَيْنَاهَا هُنَاكَ عَلَى رَوَابِيهَا ؟
نُطوفُ في شِعَابِ الحُبِّ في شَتَّى ضَوَاحِيهَا !
وَنَلْهُو مَا حَلاَ لَهْوٌ ، وَنَمْرَحُ في مَغَانِيهَا !
وَنُسْرِعُ إنْ دَنَا وَقْتُ الأَصِيلِ إلَى أَعَالِيهَا
نُوَدِّعُ شَمْسَ ذَاكَ اليَوْمِ في أَبْهَى مَجَالِيهَا !
وَنَضْرِبُ مَوْعِداً في يَوْمِنَا التَّالِي نُوَافِيهَا
فَكَمْ مِنْ وَقْفَةٍ عِنْدَ الغُرُوبِ لَهَا مَعَانِيهَا !

★ ★ ★

نُحِبُّ القُدْسَ مَا حَبَّتْ جَمَالَ دِيَارِهَا الشَّمْسُ !
وَمَا قَامَتْ لَنَا في مَسْجِدٍ صَلَوَاتُنَا الخَمْسُ !
فَوَا أَسَفَا عَلَيْهَا كَيْفَ خَيَّمَ فَوْقَهَا البُؤْسُ
نَعِيشُ هُنَا وَلَكِنْ لَنْ تَلَذَّ لَنَا هُنَا كَأْسُ !
وَلَنْ تَرْضَى بِغَيْرِ ظِلاَلِهَا عَيْنٌ وَلاَ نَفْسُ
وَتَقْسُو النَّاسُ وَالدُّنْيَا عَلَيْنَا وَهْيَ لاَ تَقْسُو !
فَلَيْسَ لَنَا بِأَرْضٍ غَيْرِهَا عِزٌّ وَلاَ أُنْسُ
وَلَيْسَ لَنَا ثَرَى أَغْلَى عَلَيْنَا مِنْكِ يَاقُدْسُ ! ■■





أجمل الأنغام .. صوت الحياة

● سئل الكاتب المسرحي الامريكي الشهير يوجين أونيل Eugene O'neill (١٨٨٨ — ١٩٥٣) الذي قضى حياته مغامرا متنقلا بين عمله في الصحافة ،وفي البحار فوق السفن التجارية،وفي البحث عن الذهب في اراضي امريكا .. سئل يوما : « اي الغناء أحب الى قلبك ! » .

وتوقع السائل ان يعقد الكاتب الكبير مقارنة بين مطربي عصره ، ويتحدث عن اغانيهم واصواتهم! ولكن كم كانت دهشته عندما فاجاه أونيل بقوله : « يعجبني غناء الطيور في الفجر ، وصوت الأمواج وهي تتلاطم قريبا من الشاطىء ،وصوت الفاس وهي ترتطم بالارض .. وصوت ماكينات الطباعة وهي تدور عندما تنام المدينة في ساعات الصباح الأولى .. فهذه كلها أصوات الفتها وعشتها وأحببتها ! »

وقال الكاتب الكبير : « ثم لا أنسي الجانب الآخر من الحياة بعيدا عن العمل .. لقد اطربني صوت طفلي وهو يضحك وحده في الغرفة المجاورة .. وصوت دقات الساعة تشق سكون الليل معلنة الحادية عشرة بعد أن يذهب الأطفال الى فراشهم ليناموا .. وأخيرا صوت مقص البستاني في الأمسيات ، وهو يقص الحشائش في حديقة بيتي .. هذا هو الغناء الذي أطربني يا بني .. فهو نغم الحياة ! » .

مولد أغنية خالدة !

●● سقط مغني الأوبرا الشهير بنيامينو جيلي Beniamino Gigli (١٨٩٠ — ١٩٥٧) يوما من فوق خشبة المسرح على مقاعد الجمهور في الصف الأول، وهو يغني احدى اغانيه الشهيرة، واصيب اصابة بالغة في راسه ..

وفوجيء الجمهور بامراة مسنة ، تقفز من مقعدها وتلقي بنفسها على المغني المصاب ، وتسند راسه بيدها ،



جوجان

اغتنى ، ولكن من بعد موت !

● الرسام الفرنسي بول جوجان Paul Gaugin ، الذى اشتهر باحتقاره الشديد للقيم السطحية الزائفة للحياة العصرية في أواخر القرن التاسع عشر ، هذا الرسام الذى هجر بلاده (فرنسا) بحثا عن الجمال والطبيعة في جزر تاهيتى ، مات معدما مثقلا بالديون في عام ١٩٠٣ ، باحدى الجزر النائية من البحار الجنوبية .

ولما لم يجد الدائنون سوى لوحات جوجان التي وضع فيها عصارة فنه وعبقريته فقد اقاموا مزادا لبيعها ... وكان أكبر ثمن دفع لأجمل لوحة من لوحاته هو ٧ شلنات و ٦ بنسات ! ولكن تشاء الصدف أن تقع بعض لوحات جوجان في يد صياد سمك كان صديقا له ورأى الصياد أن يبقى على ذكرى صديقه الراحل ، فأخفى اللوحات عن الدائنين .. ثم مضت السنون ومات الصياد وعثر جيرانه على اللوحات المخبأة ..

وفي عام ١٩٥٩ ، وفي احد المزادات التي اقيمت في مدينة سوزبى Sotheby بانجلترا دفع تاجر تحف ١٤ ألف جنيه استرليني ثمنا لاحدى لوحات الفنان الكبير .. أما بقية لوحاته فقد أجمع النقاد على أنها لا تقدر بثمن !

الى ان حملوه اخيرا الى المستشفى لاسعافه بالعلاج !

واعتكف بنيامينو في بيته بعد شفائه اسابيع طويلة ، وظن الجمهور ان المغنى الكبير قد اعتزل الغناء .. ولكنهم عندما زاروه في بيته وجدوه يعكف على تلحين اغنية جديدة .. ولم تكن هذه الاغنية سوى « ماما » .. التى تغنى فيها بحبه لامه .. وغناها معه الايطاليون سنوات طويلة بعد موته !

أقوال ..

✻ انني أشكو من قصر الحياة لأنني لا أجد متسعا من الوقت يتيح لى أن امنح حبى وعطفى لعدد كاف من الناس

مارجوت اسكويث (١٨٦٤ ــ ١٨٤٥)

✻ الحياة ملك لامرأة عاقلة .

مارى باشكرتسيف (١٨٦٠ــ١٨٨٤)

✻ السعادة ليست في امتلاك كل شيء ، ولكنها في الشعور بالقناعة باقل شيء .

الكونتيسه بليسنجتون (١٧٨٩ــ١٨٤٩)

سر نجاح جالتون !

● كان سير فرانسيس جالتون Francis Galten ، مؤسس علم الوراثة (١٨٢٢ ــ ١٩١١) رجلا قوى الملاحظة ، حتى انهم يعزون نجاحه في ميدان العلوم الى هذه الموهبة التى كان ينفرد بها .

حدث مرة ان دعى جالتون لالقاء محاضرة عن الوراثة ، وكان قد اصبح شيخا جاوز الثمانين .. ولكنه ما كاد يقف لالقاء محاضرته حتى تذكر فجاة انه مصاب بالربو ، فطلب الى احد اصدقائه ان يقراها بالنيابة عنه ..

ولكن جمهور المستمعين صمم بعد انتهاء القراءة على ان يستمع الى كلمة قصيرة من صاحبها ، وراح الجميع يتوسلون اليه ان يقول شيئا .. اى شيء .. فوقف جالتون اخيرا والقى الكلمة التالية :



« سيداتى ، سادتى .. لقد لاحظت دائما انه عندما ينصت الناس الى شيء يثير اهتمامهم لا تتحرك اطرافهم اكثر من مرتين في الدقيقة الواحدة. بينما يرتفع هذا المعدل الى الضعف او أكثر ، عندما يتطرق الملل الى نفوسهم.. وقد ملأت السعادة قلبي ، عندما راقبتكم وصديقي يلقي محاضرتي ، فلم اجدكم تحركتم أكثر من حركة واحدة كل دقيقة في المتوسط ! » .

في سبيل

موسوعة علمية



كيف تعمل ..

● **التبريد غير التجليد**

● **لكل طعام درجة تناسبه**

● **تجليد الفواكه يضر بها وكذا يضر بالخضراوات**

● **الفواكه تتنفس فلا بد من تهويتها**

● **التبريد والتجليد لا يحفظان الطعام الى الأبد**

■ لا يذكر الانسان الثلج ، الا ذكر المشروبات المثلوجة وما يجتنى منها من متعة وانعاش ، لا سيما في أيام الصيف . ولكن للثلج والتثليج منافع أخرى ، منها حفظ الأطعمة مدة تطول او تقصر ، لا يأتيها فيها الفساد . فالتبريد يبطىء فعل المكروب الذى هو السبب في افساد الطعام ، او هو يوقفه ايقافا . ومن التبريد الذى يدوم الايام والاسابيع . ومن التبريد الذى يطول الأشهر فأكثر من ذلك ، وهو عندئذ تبريد ذو برودة أشد . وخطر كل هذا من الوجهة الاقتصادية خطر كبير ، فالأطعمة تشترى في فصول السنة التى تكثر فيها وترخص ، لتستهلك في الفصول التي تعز فيها او تنقطع انقطاعا .

والسمك سريع الفساد ، ومع هذا هو اليوم ينقل من مدن السواحل الى مدن الداخل وعواصمه ، وهي سفرة طويلة ، فيجهزون له السيارة الثلاجة الطويلة تحمله مئات الأميال الى غايته المطلوبة ، طازجا كساعة ما ادخلوه فيها .

وجهزوا القطارات بالعربات الثالجة، وجهزوا السفن ، على اى درجة من البرودة شاءوا ، وحملوا بذلك اللحوم الحمراء ، ولحوم الدجاج البيضاء ، وحملوا السمك ، وحملوا الخضر والفواكه ، وكل طعام من شأنه ان يفسد ، حملوها جميعا الى ما وراء البحار ، وبلغت اسواقها البعيدة على خير ما نرجى من صلاح ، وطيب في الأنف واللسان . وقارب هذا بين مناطق الدنيا لا سيما بين بلاد في النصف الجنوبي من الكرة ، وبلاد في النصف الشمالي ، اختلفت بينهما فصول العام ، فاختلفت بذلك الثمرات ومواسمها . فلما جاءت السفن ذات العنابر وبها



التثليج ، صار الانسان يأكل في شمال الأرض مثلا كل ثمار الأرض ، من شمال وجنوب ، طوال العام .

ولا ننسى اثر هذا في التجارة العالمية ورخاء الكثير من البلاد .

ثلاجتك المنزلية ❋ كيف تعمل

لفهم الثلاجة ، اى ثلاجــة ، كيف تعمل ، لا بد من معرفة سابقة بسيطة عن الغازات والسوائل ، وكيف يتحول الغاز الى سائل . وكيف يتحول السائل الى غاز ، وكيف تتأثر الحرارة التي بهذا او بذاك عند تحوله هذا ، وما اثر الضغط الواقع على ايهما في هذا التحول. وهذا علم سبق ان حصّله كل طالب بقي في المدارس العربية يتعلم الى سن الخامسة عشرة .

عندما يغلي الماء فيصير بخارا

الماء اقرب السوائل الينا فلنتخذ منه

❋ هذا عصر التكنيّة ، فان كنت بافارلي ابناصبيا ، فستنشا في عصر اشد تكنيّة . وان كنت ابا فسوف لا يعفيك ابناؤك من السؤال عن كلما يحيط بهم من انتجة هذا العصر التكنى . قالوا ان العرب تخلفوا ، واكبر تخلفهم انما كان في التكنيّة ، التى هى رزق ، ورفع مستوى حياة ، وهى للعرب بين الدول قوة ، وعزة ، وغلبة .

مثلا . والماء نسخنه ، اى نعطيه حرارة (من مصباح بترول او غاز استصباح او كهرباء) فترتفع درجة حرارته ، حتى اذا بلغت المائة (١٠٠°) على الترمومتر المئوى ، بدأ يغلي ، اى يتحول الى غاز . ونضع الترمومتر في هذا الغاز (البخار ان شئت) فنجد ان درجة حرارة هذا الغاز ١٠٠ درجة . ونزيد الماء حرارة من المصباح ، فيظل الماء الغالي على درجة ١٠٠° ، ويظل الغاز الذى يتحول اليه الماء على درجة ١٠٠° ايضا . اذن ، فاين ذهبت الحرارة التى زدنا الماء الغالي اياها ؟

ذهبت في تحويل السائل (الماء) الى الغاز (بخار الماء) .

ولو انك رجعت الى معنى الحرارة التى ذكرناها في صفحة ٢٨ من «العربي» لشهر نوفمبر عام ١٩٦٩ وذكرت ان الحرارة انما هي حركة جزيئات الاجسام فيما بينها ، وان الغاز جزيئاته اكثر حركة ، واوسع حركة ، وان الحيز الذى يشغله بعد تحوله الى غاز اكبر مما شغله السائل واكبر كثيرا ، اذن لفهمت حاجة الغاز الى زائد من حرارة (من طاقة) لمجرد التحول ، مع بقائه عند درجة ١٠٠ .

والجرام من الماء عند المائة ، يحتاج ليتحول الى غاز عند المائة ، يحتاج من الحرارة الى ٥٤٠ سعرا . ونسمي هذه الحرارة بالحرارة الكامنة ، للتبخر ، وسميت كامنة لانها حرارة خافية لا يسجلها الترمومتر .

عندما يتكثف بخار الماء فيصير ماء

والسؤال الثاني هو : اذا نحن تركنا بخار هذا الماء يبرد ، فماذا يحدث ؟

بالطبع يتكثف الى ماء ، وتحسه فتجده ساخنا ، ثم تحسه فتجده قد برد .

وبلغة العلم نقول ان الجرام من بخار الماء في درجة مائة ، تحول الى ماء في درجة مائة ، فأعطى للهواء الذى حوله ، ذلك الذى هو يبترد فيه ، ٥٣٠ سعرا . ثم اخذ الماء يبرد من ١٠٠° الى درجة حرارة الحجرة .

الخلاصة التى يجب ان نذكرها

هي ان السائل ياخذ حرارة اذا تحول الى غاز ، كان هذا السائل ماء او كحولا ، او غير ذلك .

وان هذا الغاز يعود فيعطي هذه الحرارة اذا تحول الى سائل ، كان هذا الغاز بخار ماء او كحول او غير ذلك .

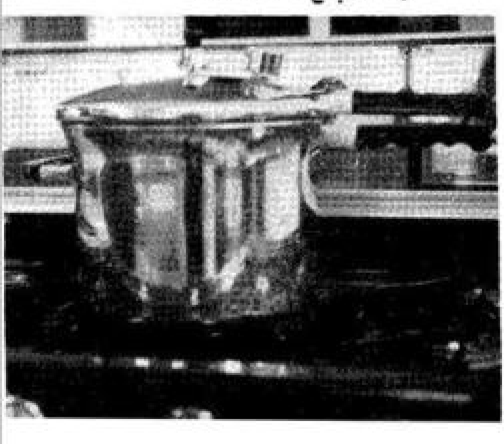
وهذه هي الحقيقة الأولى التي يبنى عليها عمل الثلاجة . عمل الثلاجات من شتى الأصناف .

أثر الضغط في التحول من سائل الى غاز وفى التحول من غاز الى سائل

قلنا ان الماء يغلي عند درجة ١٠٠ مئوية . واذن نحن افترضنا ان ضغط الجو هو الضغط الذى اعتبر قائما فى متوسط الأحوال العادية وهو ٧٦٠ مليمترا من الزئبق ، نقراها على البارومتر .

ولكن كل طالب درس فى مدرسته ان الماء قد يغلي في درجة اقل من مائة . ذلك أننا اذا وضعناه فى قارورة فوق النار ، ووصلنا عنقها بواسطة انبوبة من المطاط ، نصلها بمضخة تمتص بعض الهواء الذى في القارورة ، لنقلل ضغطه على الماء ، اذن لحدث ان الماء يغلي في درجة اقل من

وعاء للطبخ تحت الضغط



مائة ، كأن تكون ٩٠° مئوية ، فاذا نحن زدنا هـواء القارورة الذى فـوق المـاء تفريغا ، زدنا درجة الغليان (اى التحول من سائل الى غاز) هبوطا . ونحن نعلم ان ضـغط الهواء قليل فـوق رؤوس الجبال ، ومنها ما يغلي المـاء فوقـه فيدرجـة ٧٠ مئـوية مثـلا ، واذن يصبح حتى سلق البيض فى الماء ليس من اليسر بمكان كبير .

وعلى عكس ذلك ، اذا زاد الضغط فوق الماء على ٧٦٠ مليمترا ، ارتفعت درجة غليانه عن مائة درجة . وتستخدم هذه الحقيقة فى الطبـخ فى الأواني المغلقـة Pressure Cookers ، ذلك أن البخار المتصاعد المحبوس يرفع درجـة غليان الماء فتكون ١٠٥ او ١١٠ درجة ، واذن يكون الطبخ اسرع .

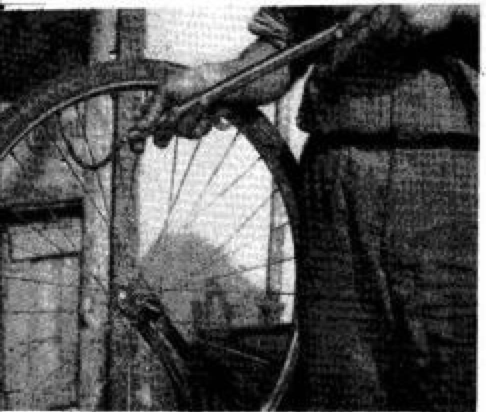
ونجمل الجزء النافع لنا من هذه الحقيقة فى موضوع الثلاجات الذى نحن فيه ، فنقول ان تقليل ضغط الغاز فوق سائل يساعد هذا السائل على ان يتغوز ، أي يصبح غازا . ولا ننسى ما يصحب هذا التحول من أخذ الغاز حرارة ، هي الحرارة الكامنة ، من البيئة التي هو فيها ، وهو بذلك يبردها .

وعلى العكس من ذلك نقول ان زيادة ضغط الغاز تساعد الغاز على أن يتسيّل ، اى ان يصبح سائلا . فان كان مع زيادة الضـغط تبريد كانت الاسالة ايسر . ولا ننسى ما يصحب هذا التحول من اعطاء الغاز حرارة ، هي الحرارة الكامنة ، وهو يعطيها الى البيئة التي هو فيها ، وهو بذلك يسخنها . وخطر هذا ، فى شغل الثلاجة عظيم .

اسالة الغاز تحتاج الى ضغط وتبريد

ان المادة المستخدمة للتبريد فى الثلاجات مادة هي في درجات حرارة الجو العادية غازية ، ولكنها لا تلبث تحت الضغط ، ومع التبريد ، ان تسيل .

ومن امثلة هذه المواد المبرِّدة في الثلاجات غاز النشادر ، وثاني اكسيد الكبريت وغاز الفريون Freon .



شاب ينفخ الهواء فى اطار عجلته
فتحتر المنفخة في يده بسبب ضغط الهواء

واختاروا هذه المواد لأن اسالتها لاتحتاج الى الضغط الكبير والتبريد الكثير كما يحتاج الهواء مثلا ، او كما يحتاج غاز الادروجين .

ونحن اذا ضغطنا الغاز المبرِّد ، او اى غاز آخر ، احترّ بسبب الضغط . تعلم ذلك من مسّ نفاخة دراجتك وانت تنفخ اطارها ، وهو من مطاط . ان النفاخة ، وهي معدن ، لا تلبث ان تسخن بالهواء الذى تضغطه فيها ، وتحس أنت ذلك حرارة في يدك .

المادة المبردة في الثلاجة
تبدأ غازا يسيّل بالضغط والتبريد

وفي الثلاجات ، نحن نضغط الغاز المبرِّد بواسطة كابسة Compressor يديرها محرّك كهربائي ، وكلاهما يوجد خارج الثلاجة وذلك لكي يستطيع الغاز المبرِّد المكبوس (المضغوط) ان يعطى الحرارة الناشئة فيه بسبب هذا الكبس ، الى جو الحجرة (خارج الثلاجة) فيبرد . وعندما يبرد هذا الغاز المضغوط يكفي الضغط الواقع عليه لاسالته . ويصحب هذا انبعاث حرارة جديدة تعطى الى جو الحجرة ، كذلك خارج الثلاجة . واذن هو يدخل الثلاجة سائلا ، قد ابترد خارج الثلاجة ، ولكن يبقى تحت ضغط ، هو ضغط الكابسة .

وفي داخل الثلاجة يرفع عن هذا

السائل الضغط ، فيتحول الى غاز . ولكن هذا التحول يحتاج الى حرارة ، فهذه يأخذها من باطن الثلاجة فتبرد . ويخرج هذا الغاز بما حمل من حرارة الى خارج الثلاجة الى الكابسة ، ليضغط من جديد ، ويَبرد خارج الثلاجة ، ويَسيل ، ويدخل الى الثلاجة سائلا تحت ضغط . وهلم جرّا .

بعد هذا نعرض لصورتين من صور الثلاجة الكهربائية ، احداهما بسيطة ، قليلة التفصيل ، ثم ننتقل الى صورة للثلاجة اخرى اكثر تفصيلا .

الثلاجة المنزلية الكهربائية (صورة مجملة لها)

هذه صورة للثلاجة الكهربائية ، وهي قسمان :

قسم داخل حيث يوضع الطعام ليبرُد ، وعليه يغلق باب الثلاجة . وفي هذا القسم تتبخر مادة التبريد الجارية في الانابيب ، انابيب المبخّرة Evaporator ، آخذةً الحرارة اللازمة للتحول (من سائل الى غاز) من باطن الثلاجة ، فتبرد الثلاجة وما فيها .

ويمضي الغاز بعد ذلك في سبيله الى خارج الثلاجة ، كما يشير السهم الذي على يسارك ، الى القسم الثاني من الثلاجة ، وهو خارجها ، ويوجد في اسفل الثلاجة او خلفها ، وهو اذن متصل بجو الحجرة التي بها الثلاجة . والذي يحرك الغاز في هذا الاتجاه ، نحو كابسة الغاز ، انما هي الكابسة نفسها ، وهي اشبه بالمضخة ، يحركها محرك كهربائي ، تأتيه الاسلاك الكهربائية بالكهرباء من مصادرها بالمنزل . فالكابسة تجر الغاز مصًا (شفطا) ، فهو اذن يكون تحت ضغط قليل (اى على شيء من الفراغ) قبل ان يصل الى الكابسة ، وهذا الفراغ النسبي يعين على تبخيره في المبخّرة السالفة الذكر .

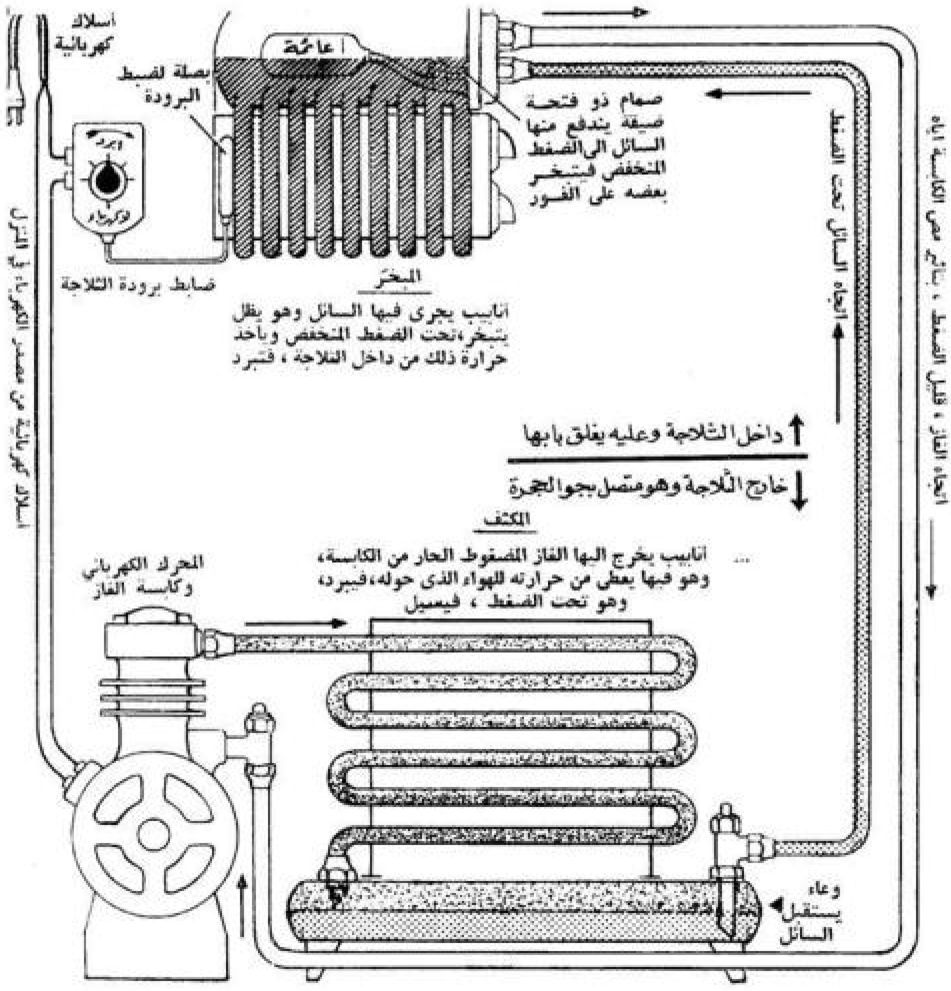
ولكن عندما يمر الغاز بالكابسة ، تكون قد كبسته ، فيخرج عنها وهو مضغوط ، واذن فهو قد احترّ تحت الضغط ، ويدخل في المكثف ، فيبرِّده هواء الحجرة البارد الذي هو قائم حوله . واذ يبرد هذا الغاز ، وهو لا يزال تحت الضغط ، يتحول الى سائل . ولهذا سمي هذا الجهاز بالمكثّف Condenser .

وهذا السائل ، يمضي في طريقه ، مضغوطا ، فيدخل داخل الثلاجة . وهو لا يصل الى المبخّرة Evaporator ، فوق ، حتى يدخل الى انابيبها عن طريق صمام ذي فتحة ضيقة ، وفي هذه الانابيب يفاجئه الفراغ النسبي الذي تحدثه الكابسة في هذا الجانب من دورة هذه المادة المبردة . واذن يتبخر هذا السائل المضغوط في هذا الفراغ النسبي فجاة ، وهو يأخذ الحرارة اللازمة لتبخره هذا من داخل الثلاجة فتبرد الثلاجة .

ويبدأ الغاز دورة اخرى فدورة ، وفي كل دورة يزيد داخل الثلاجة ابترادا .

صورة مجملة لثلاجة المنزل وشرحها في نص المقال





صورة اكثر تفصيلا لثلاجة المنزل وشرحها في نص المقال

والخلاصة ان هذه الدورة المغلقة ، التى تدور فيها المادة المبردة ، في هذه الانابيب ، داخل الثلاجة وخارجها ، مؤداها هو حمل الحرارة من داخل الثلاجة في قسمها الذى يحتوى على الطعام ، وعليه باب مغلق هو باب الثلاجة ، حمل هذه الحرارة الى خارج الثلاجة الى قسمها المفتوح المتصل بجو الحجرة .

فبينا داخل الثلاجة يَبرُد ، تسخن الحجرة . ولكنها سخونة لا تؤثر في الحجرة كثيرا فهي واسعة التهوية .

الثلاجة الكهربائية
(صورة اكثر تفصيلا)

وهذه صورة للثلاجة اكثر تفصيلا . نبدأ بها من عند الكابسة . فالكابسة يحركها المحرك الكهربائي الذى تأتيه الكهرباء من مصادرها في المنزل داخل هذه الأنبوبة القائمة في يسار الصورة . فالكابسة تكبس المادة المبردة ، وهي غاز ، (غاز النشادر ، او ثاني اكسيد الكبريت او غير ذلك) فتدخل الى أنابيب المكثفة تحت الضغط ، وقد ارتفعت

حرارتها . ولكن ما اسرع ما تبترد في هواء الحجرة . ذلك ان الكابسة والمحرك الكهربائي والمكثفة كلها في القسم الاسفل من الثلاجة وهو مفتوح على الحجرة التي بها الثلاجة . وهذا الغاز حين يترد ، يبقى له ضغطه ، واذا يتحول الى سائل . وهذا السائل يسير تحت الضغط في انابيبه الى المبخرة ، وهي في داخل الثلاجة المغلق عليه بابها . ويدخل السائل الى المبَخّرة عن طريق صمام به خرق للمرور ضيق ، يفصل بين ضغط السائل في الأنبوب القادم اليه ، الذى سببه الكابسة ، وبين الفراغ القائم في انابيب المبَخّرة ، الذى سببه ايضا مص الكابسة للغاز وجذبها اياه لتضغطه .

والسائل المضغوط عندما يمر من هذا الصمام ، الضيق الخرق ، يلتقي فجاة بالفراغ النسبي في انابيب المبخرة فيتحول بعضه الى غاز ، وهو يأخذ الحرارة اللازمة لهذا التحول من داخل الثلاجة ، فتبرد على نحو ما سبق ان وصفنا .

ومن المبَخّرة يذهب الغاز الى الكابسة ، على شيء من الفراغ لا الضغط ، لأنها تمتصه (تشفطه) نحوها . وهكذا دواليك .

حرارة تأخذها المادة المبرّدة من داخل الثلاجة (في المبَخّرة) لترمي بها خارج الثلاجة ، في الحجرة ، من المكثّفة .

ولكن في الصورة كذلك منظم للبرودة ، يحركه الانسان يمينا او يسارا ، ليزيد البرودة او ينقصها ، او يحركه الى اسفل ليُطفيء الثلاجة فلا تعمل . ومنظم البرودة هذا تعمل معه بَصَلة مستطيلة هي التي تنظم البرودة ، فتزيدها او تنقصها بالتحكم في سرعة جريان مادة التبريد في الدورة . وتهبط درجة البرودة التي ضبطت عليها منظم البرودة ، فتنقطع الكهرباء عن الثلاجة ويقف محركها الكهربائي . فاذا بدات درجة الحرارة في الارتفاع ، اتصل التيار وعمل المحرك الكهربائي .

وانت دائما تسمعه عند وقوفه والحركة .

الثلاجة الماصة

وصفنا الثلاجة الكهربائية ، وهي تعرف كذلك بالثلاجة الكابسة Compression Refrigerator لأن الغاز يكبس فيها ليضغط ، ويحتر ، ثم يبرد في هواء الحجرة . الى آخر ما وصفنا .

ولكنْ هناك نوع آخر من الثلاجات ، وهي الثلاجات التي تعرف بالثلاجات الماصة Absorption Refrigerator وهي لا تشتغل بالكهرباء ، ولكن بالحرارة تأتي من وقود غازى كغاز الاستصباح او وقود سائل كالكيروسين .

وهذه الثلاجة تستخدم في بعض المنازل ، وفي الثلاجات التجارية . ومادة التبريد فيها هي غالبا غاز النشادر ذائبا في الماء . والوقود يطرد غاز النشادر من مائه ويعطيه ضغطاً ، ويتكثف هذا الغاز ويدخل الى المبَخّرة سائلا ، وفيها يتبخر ، ويكتسب من داخل الثلاجة حرارته التي يحتاجها للتفوز فتبرد الثلاجة . ويعود غاز النشادر الى حيث يمتص من جديد ، يمتصه الماء البارد ، وهكذا دواليك .

القسم المجمد او المجلد في الثلاجة

وهو قسمها الداخلي الاعلى غالبا ، حيث توجد المبَخّرة . ويبلغ من درجة تبريده انه يجمّد الماء ، او يجلّده ، اى يصيّره جليداً ، ويجمّد كل طعام به ماء ، كاللحم والفواكه ، وغير ذلك ، ولكن هذا يتوقف على درجة الحرارة التي يبلغها ، هل هي تحت الصفر المئوى قليلا ، او كثيرا .

ومن الناس من يطلق على هذا القسم اسمه الافرنجي فيقول مثلا « ضع اللحم في الفريزر ولا تضع الخضار في الفريزر » .

اما سائر الثلاجة من الداخل فهو غالبا

للتبريد المتوسط ، فلا تهبط حرارتها تحت الصفر غير درجة او درجتين ، ولا تزيد على نحو درجة ١٥ مئوية .

ويفصل القسم المجمّد عن سائر الثلاجة ، ويكون له باب يغلقه داخل باب الثلاجة . وفى الثلاجات الاحدث يستقل القسم المجمّد بباب خاص به غير باب الثلاجة .

بين التبريد والتجليد

التبريد Refrigeration يكون عادة في درجة تقع بين الصفر المئوى او تحته قليلا ، الى ما فوقه ، ثماني درجات ، او عشرا ، أو اكثر حسب الطعام المراد تبريده .

وتبريد الفواكه والخضراوات تختلف درجة حرارته الحسنى من فاكهة لفاكهة ، وكذلك في الخضراوات . ذلك ان الفواكه ، حتى بعد قطفها من شجرها لا يزال بها نوع من الحياة ، فهي مثلا تنضج فى حين أنها قد تكون قطعت غير ناضجة .

وخير درجة لحفظ البرتقال والطماطم هي درجة ٧ مئوية . وللموز درجة اعلى هي ما بين ٧ر١١° و ٤ر١٤° مئوية . وللتفاح من درجة -٦ر٠° الى + ٤ر٤° مئوية .

والفواكه،الذى بها من حياة مستمرة، تتنفس من بعد قطف ، فهي تأخذ الاكسجين من الجو ، وتعطيه ثاني اكسيد الكربون والماء . وتراكم انتجة التنفس هذه تضر بانسجة الفواكه والخضراوات ، فلا بد من العناية بتهوية الثلاجة . وبعض الفواكه ، كالتفاح ، والكمثرى ، يعطى فى غيبة التهوية مادة الاثيلين Ethylene ، وهى غاز يعين الفاكهة على النضج السريع ، فتتلف .

اما التجميد أو التجليد Freezing فيكون فى درجة حرارة منخفضة ، عشر درجات تحت الصفر المئوى او خمس عشرة . وفى التجليد يتحول كل ماء فى الطعام الى ثلج . والتبريد البطيء يأذن لبلورات الثلج المتكونة أن تتكون كبيرة فتمزق خلايا الفاكهة والخضراوات وغيرها ، فاذا أخرج الطعام من الثلاجات وساح الثلج ، خرج من الطعام ماؤه ومعه الكثير من العناصر التي هي سبب جودته وسبب من أسباب قيمته الغذائية .

وابتدعوا من نحو ٣٠ عاما طريقة التبريد السريع ، وفيها يبرد الطعام قبل حفظه بسرعة لا تأذن لبلورات الماء الكبيرة ان تتكون في نسيج الطعام المراد حفظه وانما تأذن لها ان تتكون صغيرة لا تجرح النسيج وتمزقه . ولكن هذه امور هي على الاغلب من شأن التبريد التجارى الكبير .

الطعام يصلح على التبريد والتجليد ولكن لمدة محدودة

اجريت تجارب تقريبية على بعض الأطعمة ، المبردة عند درجة ٥ مئوية ، والمجلدة عند درجة ١٨ مئوية تحت الصفر ، فوجدوا ان صلاحها يمتد الى مدد مختلفة تبعا لنوع الطعام .

اللحم المبرّد يبقى صالحا بين خمسة ايام وثلاثة أسابيع .

واللحم المجلد يبقى صالحا بين شهر و ١٢ شهرا .

والدجاج المبرد غير المطبوخ يبقى صالحا نحو اسبوع .

والدجاج المجلد غير المطبوخ يبقى صالحا ما بين ٨ الى ١٢ شهرا .

والسمك المبرّد الطازج يبقى صالحا من يومين الى ٤ أيام .

والسمك المجلد الطازج يبقى صالحا ١٢ شهرا .

والفاكهة المبردة تبقى صالحة اسابيع او اشهرا ثلاثة حسب نوعها .

والفاكهة المجلدة منها ما يبقى صالحا ١٢ شهرا .

والخضراوات بالفواكه اشبه .

الحقائق باقية ما بقى الزمان ..

حقائق

بقلم : الدكتور زكي نجيب محمود

■ من الكلمات ما قد امتزج بمشاعر الناس امتزاجا ، بحيث باتت تلك الكلمات وكانما هي المقدسات ، التى لا يجوز للكاتب ان يمسها الا على حذر شديد ، فليست هي عند الناس بالفاظ كسائر الالفاظ ، يستطيع الباحث ان يتحدث عنها حاسبا انه يتحدث عن رموز باردة مجردة ، مهمتها ان تشير وان تسمى ، دون ان يكون لها في ذاتها حياة نابضة حساسة ، ليست هي كالالفاظ التى من قبيل قولك : « شجرة » و « نهر » و « جبل » لا ، بل هي الى الكائنات الحيه اقرب ، ان مسستها بقلمك فقد مسست بالمشرط جهازا عصبيا شديد الحساسية سريع التأثر والهيجان ـ ومن هذه الكلمات كلمة « مبادىء » ، فقد الف الناس استخدامها مقرونة بالقيم الخلقية ، حتى لاوشك اللفظان ان يكونا مترادفين، اذا قلت عن رجل انه ذو مبادىء فكانك قلت عنه انه على خلق قويم ، والعكس صحيح كذلك ، أعنى انك اذا رويت عن انسان بانه على خلق قويم ، كانت روايتك منطوية على القول بانه ثابت على مبادئه .

الحقائق .. والفروض

والاجدر بي ـ قبل ان امضى في الحديث ـ ان أوضح هذه المقابلة بين ما هو حقائق من جهة ، وما هو فروض من جهة أخرى ، فاما الحقائق فهي ما لا حيلة للانسان فيه ، عليه أن يتقبلها لانها وقائع قائمة هنالك ، رضي الانسان او كره ، ثم يبني عليها اذا شاء ، ويستنبط منها النتائج اذا شاء ، اما هي نفسها فكيان مستقل عن الانسان ورغباته وميوله وارادته ، فالمحيطات ماؤها أجاج والانهار ماؤها عذب ، وفي هذه البقعة ، من جوف الارض نفط ، ولا نفط في تلك ، والضوء يسير بسرعة كذا ميلا في الثانية ، وينعكس شعاعه على الاسطح المصقولة بزاوية يتناسب مقدارها مع زاوية السقوط ، وهكذا وهكذا مما يستطيع كل قارىء ان يذكر من امثلته الوفا ـ تلك هي الحقائق التى يتقبلها الانسان ولا يصنعها ، وفي مستطاعه الافادة منها الى اى مدى وسعت قدرته .

واما الفروض فشانها آخر ، لانها ممكنات يتصورها الانسان ليستنبط منها النتائج ، فاذا قلت لمن انحدث اليه : افرض ان ا ب جـ مثلث متساوى الاضلاع ، فماذا تكون الحال بالنسبة الى زواياه ؟ فيجب بعد عملية استنباطية يجريها على هذا الفرض ان زوايا مثلث تساوت اضلاعه يلزم ان تكون هي الاخرى متساوية ، وان هذا الحوار ليتم بيني وبين محدثي دون ان يتحتم علينا ايجاد مثلث من هذا القبيل في عالم الواقع .

وسواء كان الذى بين ايدينا « حقائق » واقعة ، او « فروضا » من عندنا ، فهذه او تلك بداية محتومة لاى تفكير ، انه ليستحيل على العملية الفكرية ـ كائنة ما كانت مادتها ـ ان تتحرك قيد شعرة الا اذا كانت بين ايدينا « نقطة الابتداء » التى منها نسير ، وقد تكون نقطة الابتداء هذه من « الحقائق » وقد تكون من « الفروض » ، فان كانت الاولى كانت العملية الفكرية من الضرب السائد في علوم الطبيعة ، وان كانت الثانية كانت العملية الفكرية من الضرب السائد في علوم الرياضة ، ولا ثالث لهذين الضربين في عمليات الفكر ، فمهما تنوعت موضوعات البحث ، الفيتها ـ بعد شيء من التحليل ـ اما منتمية الى النوع الذى يبنى على الحقائق الواقعة ، واما منتمية الى النوع الذى يبنى على الفروض ـ وقد تسمى

..أمّا المبادئُ فتتغيّرُ بتغيُّرِ الأزْمان

هِيَ أمْ فُروض؟

الفروض باسماء اخرى ، كالبديهيات ، او المسلمات ، او غير ذلك ، لكن ذلك لا ينفى عنها طبيعتها ، وهي انها فروض نفرضها لنستنبط منها ، وكان في وسعنا ان نفرض سواها فتخرج لنا نتائج اخرى .

المبدأ نقطة بدء لتحول لا بد منه

وكلمة « المبدأ » انما تعنى ما يدل عليه لفظها ، اذ تعنى النقطة التي « نبدأ » التفكير من عندها ، غير ان نقطة البدء اذا كانت حقيقة واقعة من حقائق الطبيعة ، فانه لا يحسن تسميتها « بمبدأ » لأنها عندئذ تكون مفروضة على الانسان ، ولا يكون الانسان هو فارضها . فاذا كان من حقائق الطبيعة ان الضوء يسير بالسرعة الفلانية ، ثم اقمنا على هذه الحقيقة بعض نتائجها ، فان اللغة عندئذ لا تسيغ أن يقول العالم ان « مبدئي » هو أن سرعة الضوء هي كذا ، لكن الأمر على خلاف ذلك حين تكون نقطة البدء من اختيار الانسان ، اختارها حين ادرك انها قد تعطيه من النتائج اكثر مما يعطيه سواها ، وها هنا في وسعه ـ دون غضاضة ـ ان يقول : ان « مبدئي » هو كذا ، وقد يجيء انسان آخر ، فيختار لنفسه ، في الموضوع نفسه ، مبدأ آخر ، ولا يكون بين الرجلين تناقض ، فكل منهما بمثابة من ابتنى لنفسه من مبدئه بيتا يؤويه ، ثم تجاور البيتان لا ينقض وجود احدهما وجود الآخر .

والأمثلة في دنيا الفكر كثيرة لا تحصى : فالفروض في الرياضة هي « مبادىء » مختارة ، ليس فيها الزام لاحد من غير اصحابها ، فقد يفرض الرياضي ان المكان مستو ثم يبنى النتائج على فرضه هذا ، او قد يفرض ان المكان كرّي ثم يستنبط ، او ان المكان اسطواني ، وهكذا ، وانها لفروض ثلاثة تخرج لنا ثلاث هندسات مختلفة النتائج ، لا تنقض واحدة منها واحدة ، فكل مجموعة من النتائج تكون صوابا بالنسبة الى فرضها الاول ، أعني بالنسبة الى « مبدئها » .

المبادىء والديانات

والديانات المختلفة مثل آخر للنسقات الفكرية التي تنبني على « مبادىء » كل منها يضع كتابه أمامه « مبدأ » يسير منه ويستنبط ، وانما تكون الأحكام الفقهية في كل دين صوابا بالنسبة الى نص كتابها . ولا بد لى هنا ان الفت الانظار الى نقطة هامة وخطيرة ، وهي أن المنظومات الفكرية المختلفة ، وان تكن كل منها مستقلة عن الاخرى في صواب احكامها او خطأ تلك الاحكام ، أعنى أن كلا منها اذا استشهد على صواب حكم معين ، فمرجعه هو مبدؤه ، لا مبدأ المنظومة الأخرى ، الا اننا نستطيع المفاضلة بين هذه المنظومات الكثيرة المتجاورة ، على اساس ما تؤديه كل منها للحياة الانسانية من سعادة أو من نماء أو غير ذلك ، فالأمر هنا شبيه بأن ترى بيوتا متجاورة ، لكل منها اساسه الذى اقيم عليه ، ولكل منها اجزاؤه الداخلية التي بنيت على ذلك الأساس ، فلا يكون بيت منها حجة على بيت آخر ، فقد يهوى احدها لضعف اساسه ، بينما يبقى الآخر بقوة اساسه ، لكن استقلال هذه البيوت المتجاورة بعضها عن بعض ، لا يمنع من المفاضلة بينها من ناحية ما تؤديه في حياة ساكنيها .

المبادىء ليست حقائق تفرض نفسها

على أن الجانب الذى يعنينا هنا هو جانب نظرى بحت ، فنحن نسوق الأمثلة على المنظومات الفكرية كيف تقام على « مبادىء » اى أن كلا منها يختار نقطة يبدأ من عندها السير ، وقد ضربنا مثلين هما : مثل العلوم الرياضية ، ومثل البناءات الدينية ، ونستطيع أن نسوق مثلا ثالثا من الفكر السياسي ، فها هنا كذلك تبدأ النظرية السياسية من « مبدأ » معين نقيم عليه بناءها كله ، خذ مثلا فيلسوفين انجليزيين من اصحاب النظريات السياسة المعروفة هما « هوبز » و« لوك » . الأول

يقيم نظريته السياسية على اساس ان حق الحكم للاقوى ، وان هذا الاقوى اذا ظفر بالسلطان ، لم يعد من حق الشعب المحكوم ان يقيله او ان يعترض عليه ، واما الثاني فيقيم نظريته السياسية على اساس أن حق الحكم لمن يختاره الشعب ، وبذلك يكون للشعب حق اقالة الحاكم اذا انحرف عما ارادوه من أجله . من المبدأ الأول ننتهي الى حكم الفرد المستبد ، ومن المبدأ الثاني ننتهي الى حكم الشعب لنفسه، وهكذا نجد انفسنا امام منظومتين فكريتين ، كل منهما ترتكز على ركيزة ، وكل منهما يحكم على نتائجها بالصواب او بالخطا بحسب طريقة استنباطها من مبدئها ، فكيف نفاضل بينهما اذا اردنا ان نختار لانفسنا احداهما دون لأخرى ؟ اننا لا نفاضل بينهما على اساس صواب احداهما وخطا الاخرى ، لأن كلا منهما قد تكون صحيحة الاجزاء ما دامت هذه الأجزاء مستنبطة استنباطا سليما من المنبع ، بعبارة اخرى قد تكون كلتا المنظومتين الفكريتين لسنا نفاضل بينهما على أساس الصواب والخطأ ، صوابا على ما بين تفصيلاتهما من اختلاف بعيد ، لا لأن كلا منهما مبنية على « مبدأ » ، والمبدأ «فرض» والفرض لا يوصف بصواب أو خطا ، وانما تكون المفاضلة بينهما على أساس النفع للانسان في حياته، فقد تكون احدى المجموعتين ـ برغم صواب الاستدلال فيها ـ قليلة النفع عند التطبيق في حياة الانسان العملية ، وقد تكون زميلتها غزيرة النفع عند التطبيق العملي ، فعندئذ تكون هي أولى بالتفضيل والاختيار .

واسوق مثلا رابعا لزيادة التوضيح ، مثل النسقات الفلسفية ، فلكل فيلسوف شيء يسميه في فلسفته « بالمبدأ الاول » قاصدا ذلك الفكرة الام في نسقه الذى يبنيه ، وهى الفكرة التى يعتصر منها كل أجزاء بنائه الفلسفي ، فبها يقيم البرهان على كل ما يزعمه بعدها ، وأما هي فلا برهان عليها ، اذ لو كان عليها برهان لكانت فكرة البرهان في الاسبق في اولويات العقل ، ولم يعد « المبدأ الأول » لا « مبدأ »ولا « اول » . فاذا جاء فيلسوف آخر ، فالاغلب الا يوجه نقده الى الفيلسوف السالف من ناحية طرائقه في استدلال النتائج الفرعية من المبدأ الأول ، بل يوجه نقده الى « المبدأ الأول » نفسه ، بأن يضع « مبدأ أول » آخر ، فتختلف النتائج ، ونصبح امام بناء فلسفي جديد ، والمفاضلة بين البناءين تكون على أساس مدى قدرة كل منهما على تفسير أكبر عدد ممكن من ظواهر الوجود ، فالأقدر منهما على التفسير اولى بالتفضيل ، فمثلا كان المبدأ الاول عند افلاطون هو افتراضه وجود « المثل » التى على غرارها جاءت الطبيعة وكائناتها ، ثم تبعه ارسطو ونقده ، ثم وضع لنفسه مبدأ اول جديدا ، هو فكرة « الصورة والهيولى » زاعما بالطبع انها اقدر من فكرة المثل الافلاطونية على تفسير الوجود .

من هذه الأمثلة كلها يتبين أن « المبادىء » في شتى البناءات الفكرية ، ليست « حقائق » تفرض نفسها على الانسان بحيث لا يكون له قبل على تغييرها وتبديلها ، بل هي ـ بحكم طبيعتها ـ « فروض » يفرضها الانسان لنفسه حرا مختارا ، وهو يفرضها لتخدم اغراضه ، فان هي افلحت في خدمة تلك الاغراض ، كان بها ، والا فهو يبدلها بسواها حتى يقع على انفع المبادىء لحياته العملية .

المبادىء تتغير بتغير الظروف والازمان

ثم ماذا ؟ ماذا نستهدف بهذه النتيجة التي بلغناها ؟ ها نحن اولاء قد رأينا وآمنا بان « المبادىء » هي نقاط ابتداء لا بد منها لمسار الفكر ، هي نقطة الصفر التي لولاها لما تسلسل العدد ، هي خط جرينتش الذى بغيره لا نستطيع تحديد الزمن في أى جزء من اجزاء الكرة الأرضية ، ثم ها نحن اولاء قد رأينا وآمنا بأن « المبادىء » هي بمثابة فروض يفرضها الانسان لنفسه ، وفى مكنته تغييرها ليضع فروضا اخرى . كان الانسان ذات يوم ـ مثلا ـ يضع لنفسه مبدأ ـ اعني يفرض لنفسه فرضا ـ هو أن الناس من حيث الحقوق والواجبات صنفان : احرار وعبيد ، ثم يرتب على هذه التثنية نتائج ونتائج في اقامة نظامه الاجتماعي . وعلى مر الزمن ، تغيرت دنياه، فاضطر الى اصطناع مبدأ آخر ، هو ان الناس من حيث الحقوق والواجبات صنف واحد : احرار ولا عبيد ، ولو كانت المبادىء من قبيل الحقائق لا الفروض ، لما اصابها التغيير مع مر الزمن ، لو كانت من قبيل قولنا ان الماء يتحلل الى نسبة معينة من الهيدروجين والاوكسجين ، لظلت على حالها الى ابد الآبدين .

نعم ها نحن اولا قد رأينا ذلك عن « المبادىء » وآمنا به ، فماذا عندك بعد ذلك ؟ عندى أن ما اسلفته هو التمهيد الضرورى لما اردت أن اقوله ،

المرأة التي .. لن أنساها



لامرتين

■ قال الشاعر الانجليزى روبرت هيريك Robert Herrick «(١٥٩١ – ١٦٧٤) :
لقد احببتها ، وساظل احبها حتى نهاية الدنيا .. كانت اقرب الي من نفسي وروحى ! »

من هى هذه المراة ؟

لا احد يدرى ..

ولكن الذى سجله المؤرخون انها كانت ملهمته، التى اوحت اليه باروع اعماله ! لقد قضى حياته كلها بجوارها ، فلما ماتت ، ترك القلم ، وهجر الناس والدنيا ، وعاش وحيدا في عزلته على الذكريات ، حتى وافته منيته !

ما هو هذا الشيء الذى رآه شاعر الانجلير الرقيق فى هذه المراة ،لم يره في غيرها ؟

ما الذى يخلد المراة فيجعلها تعيش ابدا في قلوب هؤلاء الذين عرفوها واحبوها ؟

الرجل .. لا يدرى !

لماذا تتمتع احدى النساء بهذا السحر الغريب، بينما غيرها كثيرات يتضين ، وتضيع صورهن وسط زحام الحياة ، رغم ما يتمتعن به من جمال وجاذبية ، وكانهن طيف يمر أمام اعيننا ، فيبهرها، ثم لا يلبث ان يخبو ضوءه وينطفىء ؟

ليس هناك اجابة سهلة مقنعة ، فالمقاييس تختلف ، والمعاير تتباين .

ونحن اذا سالنا الرجل ، اى رجل ، يعيش على ذكرى امراته ، او من احب ، كما عاش هيريك او غيره من الرجال ، لقال لنا على الفور : « انا نفسي لا أدرى ! » .

هل هو جمال المراة ؟

هل هو ذكاؤها ؟

النساء في التاريخ

ان التاريخ يقول غير هذا .. فكثيرات من النساء اللواتى خلدهن ، استطعن الاحتفاظ بسحرهن الآسر ، حتى بعد أن ذبل جمالهن وتقدمت بهن السنون .. وكثيرات من النساء اللواتى جاء ذكرهن ، كن زوجات وكن أمهات،ولم يكن نصيبهن من الذكاء وافرا بالقدر الذى يؤهلهن لهذا الخلود .. فما هى اذن تلك الصفات التى تجعل من المراة شخصية لا تنسى ؟

انها شيء آخر يصفه شاعر ايطاليا الكبير دانتي اليجيري Danti Alighieri ، (١٢٦٥ – ١٣٢١) في ملحمته الخالدة الحياة الجديدة Vita Nouva ، التي كتبها في ذكرى حبيبته بياتريس تلك الفتاة العاملة الرقيقة التي ملكت عليه لبه ومشاعره ، فيقول :

– كانت حلوة ، بسيطة ممتلئة حياة وحيوية .. وكانت تحب الناس وتعشق الطبيعة وتهيم بتغريد الطيور .. كانت تعرف كيف تنقل الانفعالات الجميلة السعيدة التي تحس بها ، الى نفوس هؤلاء الذين يعيشون حولها .. وكانت معلمة : .. لقد علمتني كيف أحب، ومتى أتألم .. وعلمتني أيضا أن أسعد لحظات حياتي هي تلك التي أقضيها في الحديث معها !

وقال الشاعر الفرنسي لامارتين Lamartine (١٧٩٠ – ١٨٦٩) يصف فتاته انتونيلا Antonella : « لقد جعلتني أشعر أنني موجود ، وأنني أحيا وأنعم بالحياة .. و.. أجمل الحياة عندما يحس المرء بنعيمها ! »

أين هي اليوم ؟

أين هي هذه المرأة في حياتنا اليوم .. تلك التي خلدها الشعراء قديما ، وعاشوا على ذكراها .

يقول الباحثون ، انها تلك المرأة التي تعيش حياتها ولا تتبرم بها .. انها تلك التي لا تقف متفرجة على ما يدور حولها ، بل تشعر بالناس من حولها وتعيش معهم آلامهم وافراحهم .. فهي منهم وهم منها ..

انها المرأة التي لا تكتفي بحل مشاكلها ومشاكل اسرتها فحسب ، بل وتشترك في حل كل مشكلة لكل قريب او بعيد عنها ، كلما طلب اليها ذلك .. انها تلك التي ترفض أن تلقى بما يفيض من غذاء في وعاء القاذورات ، لانها تعرف أن هناك افواها جائعة تبحث عن لقمة تملأ بها جوفها .. فهي تحسن الى الفقير وتساعد المحتاج ، وتفعل ذلك دون أن تدع احدا يحس بما قدمته يداها ..

هـدوء وبساطة

انها المرأة التي لا تضيع وسط الزحام .. ولكن ليس معنى هذا ان تحاول ان تجعل من نفسها نجمة في المجتمع ، فتتسابق للوصول الى الاضواء وتقف تحتها ، ليرى الناس جمالها واناقة ثيابها ، ثم تجلس لتفاخر بمحاسنها وسجاياها .. ولكنها تلك التي تتحدث في هدوء وبساطة وثقة بالنفس ، فيحس المرء وهو يستمع اليها ، بعمق الفكرة وسهولة التعبير في غلاف جميل تلفه ابتسامة مشرقة تنم عما تحويه هذه النفس من صفاء وشعور بالأمن والرضا .

وهي المرأة التي يرتاح الرجل الى صحبتها فلا يشعر بلذة الحياة الا معها ، ولا يرى ما يحيط به من جمال الا بعينيها هي ، فاذا ابتعدت عنه او افترق عنها ، لم يعد يشعر بطعم للحياة ، او يرى فيها شيئا مما يراه غيره ..

رسالة ايزنهاور لزوجته

كتب الرئيس الامريكي الراحل دوايت ايزنهاور من باريس الى زوجته في امريكا ، عندما كان يقود قوات الحلفاء ابان الحرب العالمية الثانية يقول :
« مررت بكنيسة نوتردام ، تلك التي يأتي اليها الناس من كل انحاء الدنيا ، ولم أر فيها شيئا يستوقفني ، ان مجرد شعوري بأنك بعيدة عني، افقدني متعة التطلع الى هـذا المبنى الأثري القديم ! »

برافو ليوبولد !

وكتب الزعيم الافريقي ليوبولد سنغور Leopold Senghor ، من باريس ايضا الى زوجته في السنغال ، وكان قد سافر الى العاصمة الفرنسية حاملا دعوته الى استقلال بلاده .. كتب يقول : « ما كدت انتهي من القاء خطابي في نادي الصحافة ، حتى دوت القاعة بالتصفيق .. لقد نجحت في اقناع المستمعين بعدالة قضية بلادي .. ولكن بعدك عني يا عزيزتي افقدني الشعور بلذة النجاح . ان صورتك لم تغب لحظة واحدة عن مخيلتي طوال الفترة التي استغرقها القاء خطابي .. فصورتك دائما أمام عيني ، وأنت تجلسين في مقاعد الصف الاول ، وعلى وجهك تلك الابتسامة الهادئة الجميلة وكأنك تقولين لي : « برافو ليوبولد ! » . ليتك كنت هناك »

نهرو عاش على الذكرى

كتب جواهر لال نهرو ، زعيم الهند الراحل الى زوجته في سويسرا قبل وفاتها في عام ١٩٣٦ ببضعة اسابيع وكانت قد سافرت اليها لتعالج من مرض

السل .. كتب يقول : « لم أعد أطيق الحياة بدونك .. ان كل شيء في بيتنا الصغير يذكرني بك .. المقعد الخالي القابع في حجرتك الذي طالما جلست عليه تتأملين من وراء زجاج النافذة قطرات الندى وهي تبلل أوراق الشجر .. تمثال بوذا الصغير الذي كنت تناجينه وتحدثينه عن آلام الهند وتضحياتها في سبيل الحرية والاستقلال .. الأطفال الصغار الذين كنت تمدين لهم القطائر والحلوى كلما جاءوا للعب مع ابنتنا أنديرا ؛ وكأنك تبحثين لها عن أخوة بينهم .. ان صورتك دائما امامي .. وكل شيء يذكرني بك ..

ولكن كامالا لم تعد .. فقد ماتت في سويسرا بهذا الداء الوبيل ..

وعاش نهرو وحده مع الذكريات لأكثر من ربع قرن من الزمان دون أن يفكر يوما في ان يملأ حياته بامرأة اخرى .. كانت ابنته الوحيدة انديرا غاندي (رئيسة وزراء الهند اليوم) هي سلواه في وحدته :

– ان كل يوم قضيته مثل هذه المراة مع رجلها كل شيء فعلته معه اصبح ذكرى !

ذكريات لا تنسى

والمراة هي صانعة الذكريات ..

فهي وحدها التي تستطيع أن تجعل زوجها يعيش حياته كلها على ذكراها .. ذكرى ذلك اليوم الذى اصطحبها فيه الى سوق السمك ليشتريا سمكة كبيرة للغداء .. لقد كان الجو حارا والشمس حارقة ، ولكنها لم تأبه بلسعاتها .. كانت مرحة سعيدة لأنها معه .. لقد تعلقت بذراعه ووضعت حقيبة يدها الصغيرة فوق راسه لتحميه من حرارة الشمس .. انه يذكر ضحكاتها وهي تسير بجواره غير عابئة بلسعات الشمس ، دون أن يبدو عليها الضجر لحظة واحدة ..

لقد ظلت على مرحها طوال اليوم ، ولأيام أخرى عديدة ، حتى عندما ارتفعت حرارتها في المساء ولازمت فراشها من اثر ضربة الشمس ..

انه يذكرها في كل صيف ، عندما يشتد الحر يحس بلسعة الشمس في راسه ! .

السعادة في كل شيء

انها امراة تعيش للحظة التي تحياها .. فهي تعطى نفسها وروحها للعمل الذى تؤديه .. وهى تجد السعادة اينما كانت ، وحيثما حلت ، طالما انها قريبة من هؤلاء الذين تحبهم ويحبونها .. فسعادتها بوجبة الطعام البسيطة التى تناولتها مع زوجها واطفالها فوق الحشائش الخضراء في بطن الوادى ، لا تقل عن سعادتها بالوجبة الدسمة التى قدمت لهم في مطعم المدينة الفاخر .. وحياتها في البيت الصغير الذى كانت تسكنه الأسرة عندما كان زوجها لا يزال موظفا صغيرا ، لا تقل جمالا عن حياتها في هذا البيت الكبير الذى انتقلوا اليه بعد ان كبر الزوج ، وتضاعف دخله ..

بل وما اكثر اللحظات التي تحن فيها الى بيتها الصغير الذى شهد قصة كفاحهما معا من أجل حياة افضل !

اكتشاف المواهب

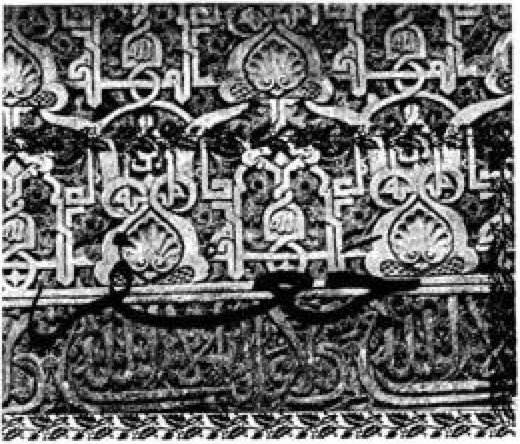
ثم هي المراة التى تتميز بقدرة على اكتشاف مواهب الناس ، فهى قد تكتشف أن زوجها مثلا يتمتع بقدر لا باس به من الذكاء ، ولكن خجله الشديد يحول بينه وبين استخدامه لذكائه ، فتشعل بيدها فتيل هذه القدرة .. او قد تكتشف انه موهبة ضائعة في تلك الوظيفة التى قضى فيها بعض سنوات عمره ، فتساعده وتشجعه على تغيير عمله ، رغم ما قد يعترض هذه الخطوة من عقبات ، فايمانها بموهبته ، ثم شعوره هو بوجود شخص آخر يؤمن به ، كفيلان بتغيير مجرى حياته ومستقبله كله ..

الاستماع الى مشاكل الناس

ثم هى المراة التى تفرض شخصيتها كمستمعة اكثر منها محدثة .. فلا شيء يريح الناس ويملأ نفوسهم بالثقة والاطمئنان ، اكثر من شعورهم بأن هناك من يستمع اليهم ويهتم بمشاكلهم .. وهى التى تستطيع ان تشعر محدثها بانه يفكر بذكاء اكثر وعمق اكبر ، فتساعده في التعبير عن نفسه وتعاونه في بلورة افكاره دون ان يحس بتأثيرها عليه !

مثل هذه المراة التى تعطى اكثر مما تأخذ .. التى تبنى جسرا يصل دائما بين تفكيرها وتفكير رجلها .. التى يقوم عقلها دائما بوظيفة المضيف لكل رأى ولكل فكرة جديدة تطرح امامها .. التى تفتح قلبها لأفراح رجلها وأحزانه .. مثل هذه المراة التى يشعر المرء في وجودها انه اكبر من نفسه ومن الحياة ذاتها .. مثل هذه المراة لن ينساها الرجل أبدا .. ■■

الإمام



بقلم : حسن الأمين

■ قال الحسين بن علي الوشاء وهو يتحدث عن جعفر الصادق : « أدركت في هذا المسجد ـ يعني مسجد الكوفة ـ تسعمائة شيخ كل يقول : حدثني جعفر بن محمد » .

ويقول المؤرخ الهندي السيد امير علي : « ولا مشاحة ان انتشار العلم في ذلك الحين قد ساعد على فك الفكر من عقاله فاصبحت المناقشات الفلسفية عامة في كل حاضرة من حواضر العالم الاسلامي ، ولا يفوتنا أن نشير الى ان الذى تزعم تلك الحركة هو حفيد على بن ابى طالب المسمى (جعفر) والملقب (بالصادق) وهو رجل رحب افق التفكير بعيد أغوار العقل ، ملم كل الالمام بعلوم عصره ، ويعتبر في الواقع اول من اسس المدارس الفلسفية المشهورة في الاسلام ، ولم يكن يحضر حلقته العلمية أولئك الذين أصبحو مؤسسي المذاهب فحسب : بل كان يحضرها طلاب الفلسفة والمتفلسفون من الانحاء القاصية » .

هذان قولان لمؤرخين واحد قديم وواحد حديث تقع بينهما أقوال لا تحصى لمؤرخين مروا تباعا من هاتيك العهود البعيدة الى هذا العهد القريب ، وكلها تنطبق على ما كان عليه جعفر الصادق من تميز في العلم والفكر والتوجيه السليم والقيادة الحكيمة .

ويوم يقول المؤرخ القديم انه أدرك تسعمائة شيخ في مسجد الكوفة يلقون الى طلابهم ما ألقاه اليهم جعفر الصادق من علم ، فان ذلك يعني أن تسعمائة مدرسة كانت تنعقد حلقاتها في المسجد الجامع مشتملة على طلاب من اقطار شتى ، وافدين الى الجامعة الكبرى للتزود بالعلم الغزير والمعرفة الواسعة . ويوم نعلم أن رجلا هو مصدر التثقيف لتسعمائة مدرسة فاننا ندرك ما كان عليه هذا الرجل من الاحاطة والشمول والحنكة .

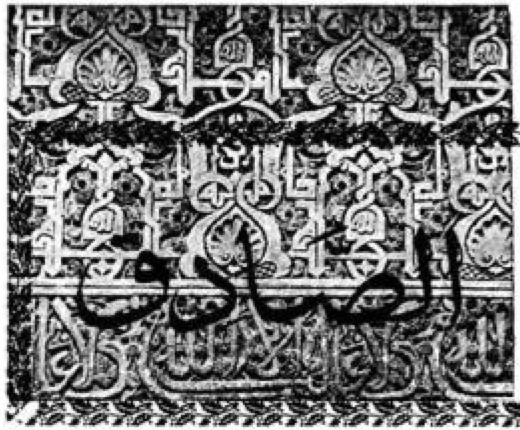
عصر الامام الصادق

ولد جعفر الصادق في المدينة العام الثمانين او الثالث والثمانين للهجرة وتوفي فيها سنة ١٤٨ وعمره ٦٥ أو ٦٨ سنة عاش فيها مع جده الامام علي بن الحسين ١٢ سنة أو ١٥ سنة ومع ابيه الامام محمد الباقر بعد جده ١٩ سنة وبعد ابيه ٣٤ سنة .

وهي بقية ملك هشام بن عبد الملك والوليد بن يزيد ويزيد بن الوليد وابراهيم بن الوليد ومروان ابن محمد الأمويين ، والسفاح العباسي وتوفي بعد انقضاء عشر سنين من ملك المنصور العباسي .

أسرته

هو ابن محمد الباقر بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب . وامه فاطمة بنت القاسم بن محمد ابن أبي بكر وأمها أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي



بكـر . ولذلك كان يقـول الصادق : لقد ولدني أبو بكر مرتين .

ثقافته

لعل أول ما يتبادر الى الذهن عند ذكر الامام الصادق أن ثقافته لا تتجاوز المجال الديني ، ولا تتعدى التفسير والحديث والفقه وما الى ذلك مما لا بد منه لامام في مثل منزلة جعفر الصـادق ، يفترض فيه أن يكون عارفا بكل ما له ارتباط بأحكام الشريعة ومشاكلها .

ولكن الامر كان عند الصادق أوسع من هذا : فقد احاط احاطة كاملة بعلوم شتى تتجاوز الفقه وما اليه وتشتمل على جوانب متعددة من علوم مختلفة كانت في عهدها قمة الثقافات العالمية . ثم اخذ في تأسيس المدارس المستندة على هذه العلوم فراينا بين خريجي معاهده : الفقيه والمحدث والمفسر والفيلسوف والرياضـي والكيماوي والطبيـب والشاعر والكاتب والمثقف ثقافة عامة .

وهذا ما جعـل ابن حجر يقول في كتابـه (الصواعق) : نقل الناس عن جعفر بن محمد من العلوم ما سارت به الركبان وانتشر صيته في جميع البلدان .

وجعل الدكتور يحيى الهاشمي يقول : ان اسم جابر بن حيان الكوفي ينزل في تاريخ الكيمياء منزلة ارسطو في تاريخ المنطق ولم يكن لجابر استاذ غير الامام الصادق .

والعالم الغربي هولميارد يقول : ان جابر هو تلميذ جعفر الصادق وصديقه وقد وجد في امامه الفذ سندا ومعينا وموجها لا يستغنى عنه وقد سعى جابر لأن يحرر الكيمياء بارشاد استاذه من اساطير الأولين التي علقت بها من الاسـكندرية فنجح في هذا السبيل الى حد بعيد .

عوامل نجاحه

العوامل التي جعلت للصادق كل هذا الأثر حتى ادت الى ان مذهبا اسلاميا كبيرا ينسب اليه ، فيقال عنه المذهب الجعفري ، في حين أن جعفر الصادق هو واحد من عدة ائمة لهم من المنزلة مثل ما لجعفر الصادق ولأقوالهم من التقدير نفس ما لأقواله .

العوامل التي ميزته فجعلت لأسمه هذا الذيوع انه عاش في فترة كان فيها اثر السلطة ضعيفا ، فكان له حرية نسبية ادت به الى الانطلاق العلمي الواسع الذي شهدنا أثره .

فقد عاش كما رأينا في أواخر الدولة الأموية في بقية ملك هشام بن عبد الملك ومن تلاه من الأمويين، وفي هذه الفترة كانت الدولة قد اخذت بالانحلال وكان بعضها قد أخذ يأكل بعضا فانشغلت بنفسها عن غيرها ، فشـهدنا بروز العديد من العلماء في التفسير والنسب أمثال محمد بن السائب الكلبي والسدي الكبير اسماعيل بن عبد الرحمان وأبي حمزة الثمالي ، وفي الفقه والحديث أمثال الامام أبي حنيفة وتلميذه أبي يوسف والامام مالك بن انس ومحمد بن عبد الرحمان بن أبي ليلى . وفي علوم اللغة أمثال معاذ بن مسلم الهراء الكوفي واضع علم الصرف ، وفي الفلك نوبخت وبنوه . وهذا يشمل أوائل الدولة العباسية أيام السفاح وأوائل عهد المنصور حيث كانت الدولة متفرغة لتركيز قواعدها وتثبيت أمورها .

هذه الحرية النسبية مكنت الصادق من أن ينطلق في ميدان رحب ويعكف على نشر العلم ويدلي بآراء أهل البيت في التشريع والتوجيه ، فكانت مدرسته الكبرى التي خرج منها الاساتيذ التسعمائة الذين تولوا انشاء جامعة الكوفة والتدريس فيها ، ثم كانت تلك النهضة العلمية العظيمة التي شملت العالم الاسلامي كله .

يقول الشيخ الأزهري الأستاذ أبو زهرة :

« ما أجمع علماء الاسلام على اختلاف طوائفهم في أمر ، كما اجمعوا على فضل الامام الصادق وعلمه ، فائمة السنة الذين عاصروه تلقوا عنه واخذوا ، أخذ عنه مالك واخذ عنه طبقة مالك

كسفيان بن عيينة وسفيان الثوري وغيرهم كثير ، واخذ عنه ابو حنيفة مع تقاربهما في السن واعتبره أعلم الناس لأنه أعلم الناس باختلاف الناس » .

مدرسة الصادق

كانت المدينة هي مقر مدرسة الصادق واتخذ من المسجد النبوي مكانا للتدريس فاقبلت الوفود اليها من كل مكان ، ويذكر الرواة أن عدد المنتمين اليها بلغ الاربعة الاف من أهل العراق والحجاز والشام وخراسان وغيرها وفيهم من كبار العلماء والفقهاء والمحدثين الذين اصبحوا ائمة ومؤسسين لمذاهب اسلامية ، كما فيهم الشعراء والادباء .

وعكف طلاب الصادق على التاليف وتدوين العلوم ، فالف ابان بن تغلب (معاني القرآن) والف المفضل بن عمر كتاب (التوحيد) والفجابر ابن حيان كتابه في الكيمياء . كما انصرف غير هؤلاء الى التاليف أمثال زرارة بن أعْيَن وأبي بصير ومحمد بن مسلم واسماعيل بن أبي خالد وامثالهم حتى بلغ عدد المؤلفات اربعمائة كتاب لأربعمائة مؤلف من تلاميذ الامام الصادق .

وكان يحض طلابه على التاليف ويحرضهم على التدوين اذ لم يكن التاليف متاصلا في البيئات الاسلامية وكان قليل الحدوث ، فكان من منهج الصادق ، الحث عليه لترسخ قواعده ويغدو مبدأ عاما ، فكان يقول مثلا لأصحابه : اكتبوا فانكم لا تحفظون حتى تكتبوا . وقال للمفضل بن عمر : اكتب وبث علمك في اخوانك ، فان مت فورث كتبك بنيك . وقال لأصحابه : احتفظوا بكتبكم فانكم سوف تحتاجون اليها .

كما كان يعنى بتخريج الكتاب والشعراء ، فممن اشتهر من الشعراء في عصره وبعضهم كان من مادحيه : السيد الحميري والكميت وابنه المستهل وأبو هريرة العجلى وابراهيم بن هرمة ومنصور النمري .

ويرى الأستاذ باقر قرشي أن اسباب نجاح مدرسة الامام الصادق تعود الى ثلاثة عوامل :

١ ـ شخصية جعفر الصادق .

٢ ـ المحتوى الفكرى للمدرسة .

٣ ـ جذور المدرسة الفكرية .

فمن ناحية المحتوى ألفكرى فان محتواها يمتاز بالتماسك الفكرى الوثيق والترابط فيما بين افكارها واتجاهاتها ومثل هذا التماسك يشد اتجاهات المدرسة بعضها الى بعض ويؤدى الالتزام باي جزء منه الى الالتزام بالجزء الآخر، فالمدرسة الجعفرية مثلا فتحت باب الاجتهاد وتركته مفتوحا ، وقد كان لهذا العامل تأثير كبير على نمو المدرسة بعد عصر الصادق .

اما جذور المدرسة الفكرية فليس الصادق في الحقيقة هو المنشيء الاول للمدرسة ، بل ان الائمة من آبائه هم المؤسسون الأول ، ولكن المدرسة انطلقت في عهده انطلاقها الواسع .

فمنذ عهد الامام زين العابدين علي بن الحسين كانت المدرسة قد تركزت وامتدت آثارها الى جميع انحاء العالم الاسلامي ـ كما راينا في مقال سابق ـ ثم جاء الامام محمد الباقر بن على بن الحسين ، فمضت المدرسة في طريقها الصاعد مؤلبة حولها رواد العلم من كل مكان ، ولما تولى الزمام جعفر الصادق ، وكانت ظروف الدولة لا تسمح لها بالتضييق الشديد استطاع الصادق أن يفعل ما فعل .

المبادىء الكبرى التي اعتمدها الصادق

١ ـ كل ما فيه خير للمجتمع فهو حلال ، وكل من اضطر الى شيء فهو له مباح .

٢ ـ لكل بالغ عاقل صفة ذاتية تؤهل للالزام والالتزام بما له وما عليه . والشرط الرئيسي لصحة الالزام والالتزام ان يكون العمل حقا للملتزم وسائغا في نفسه لا يستدعي ضررا على من الزم أو التزم ولا على غيرهما . فكل معاهدة تخرج عن اختصاص المتعاهدين او تضر بهما أو باحدهما او بغيرهما او تكون مجهولة القيمة يجب الغاؤها . وكل تجارة او زراعة أو صناعة فيها شائبة الضرر فهي فاسدة . وكل من نذر او اقسم او عاهد الله أن يفعل ما يضر به أو بغيره ، فنذره وقسمه وعهده لغو .

٣ ـ الثقة بالانسان ، فقد جاء في اقواله : « يَنْبِيَ الانسان على خصال فمهما بنى عليه فانه لا يبنى على الخيانة والكذب » .

٤ ـ شدد في الطلاق وضيق دائرته الى اقصى الحدود . ولم يجز وقوع الطلاق ثلاثا بلفظ واحد.

٥ ـ اعتمد في الارث قاعدة الاقرب فالاقرب فجعل الأولاد والآباء أولى بالارث من الاخوة والأجداد ، والاخوة أولى من الأعمام والأخوال .

فالبنت عنده تحجب عمها كما يحجبه الابن من غير فرق . وكذلك اعتمد نفس القاعدة في النفقات .

الصادق رائدا اجتماعيا

اذا كان الصادق قد عني بالتعليم فهو لم يهمل التربية بل لقد عني بها اشد عناية ، وكانت تربيته من نوع التربية الاجتماعية التي تحاول ان تخلق مجتمعا كريما أصيل الأخلاق متماسك الجوانب ، ويمكن تلخيص منهجه بهذه الجملة التي قالها لأصحابه فيما كان يقول لهم من مناهجه التربوية : (كونوا زينا لنا ولا تكونوا شينا علينا ليقول الناس رحم الله جعفر بن محمد ، لنعم ما ادب اصحابه) .

وقال لهم : اوصيكم بتقوى الله واداء الأمانة لمن ائتمنكم وحسن الصحبة لمن صحبتموه وان تكون لنا دعاة صامتين .

فقالوا : وكيف ندعو ونحن صامتون ؟ قال : تعملون بما امرناكم به من العمل بطاعةالله وتعاملون الناس بالصدق والعدل وتؤدون الأمانة وتأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ، ولا يطلع الناس منكم الا على خير ، فاذا رأوا ما انتم عليه علموا فضل ما عندنا فسارعوا اليه .

وله في النهي عن التعصب والعصبية قول هو خير ما يقال في هذا الموضوع ، لو انه اتخذ مبدأ انسانيا ونفذ بحذافيره على نطاق عالمي واسع سواء بين الأفراد او الجماعات او الدول لنجت الانسانية من كثير من الشرور التي لا يبعثها الا التعصب الأعمى .

قال : (ليس من العصبية ان تحب اخاك ولكن العصبية ان ترى شرار قومك خيرا من خيار غيرهم) .

وقد بدأت في عصره تطغى الروح الانهزامية في المجتمع بدعوى الزهد والايغال في التصوف والاستغراق به استغراقا يخرجه عن حقيقته الخيرة . لذلك كان يحث على الجدية في الحياة ، والكفاح من أجل العيش الكريم . فكان من اقواله في ذلك : « ان الله يحب الجمال والتجمل ويبغض البؤس والتباؤس ، فان الله اذا انعم على عبده نعمة أحب ان يرى عليه اثرها » ، قيل له كيف ذلك ؟ .

قال : ينظف ثوبه ويطيب ريحه ، ويجصص داره ويكنس افنيته .

وقد كان كثيرا ما يحلي وعظه بالنكتة والطرفة كما قال حين مر به رجل وهو يتغدى فلم يسلم ، فدعاه الى الطعام ، فقيل له : السنة ان يسلم ثم يدعى ، وقد ترك السلام على عمد . فقال : هذا فقه فيه بخل .

الصادق والشعر

لقد مدح جعفر الصادق بشعر كثير ومن اشهر مداحه السيد الحميري ومما قيل فيه ما قاله عبد الله بن المبارك :

أنت يا جعفر فوق الـ
مدح والمدح عناء
انما الأشراف ارض
ولهم انت سماء
جاز حد المدح من قد
ولدته الأنبياء

على انه هو نفسه كان يقول الشعر احيانا فمن ذلك قوله :

لا اليسر يَطرونا يوما فيبطرنا
ولا لأزمة دهر نظهر الجزعا
ان سرنا الدهر لم نبهج لصحته
أو ساءنا الدهر لم نظهر له الهلعا
مثل النجوم على مضمار أولنا
اذا تغيّب نجم ، آخر طلعا

وفي البيت التالي دلالة على الحياة العلمية التي كان يحياها مع تلاميذه بين الاملاء والتدوين والتاليف مما لا بد فيه يومذاك من وصول المداد الى الأنامل والأيدي والملابس :

لا تجزعن من المداد فانه
عطر الرجال وحلية الآداب

ولما مات وحمل الى البقيع انشد ابو هريرة العجلي :

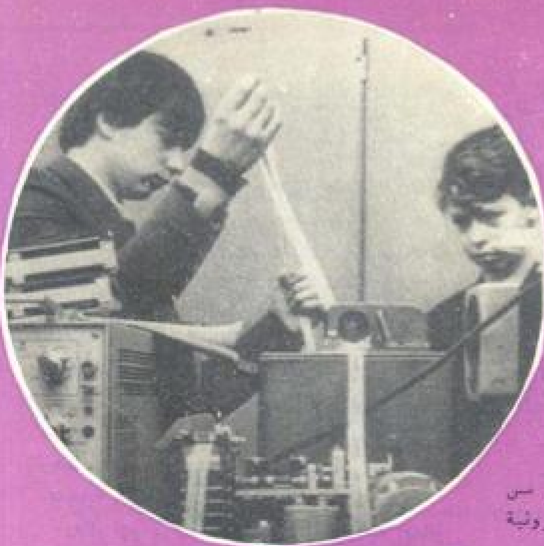
اقول وقد راحوا به يحملونه
على كاهل من حامليه وعاتق
اتدرون ماذا تحملون الى الثرى
ثبيرا ثوى من راس علياء شاهق
غداة حثا الحاثون فوق ضريحه
ترابا واولى كان فوق المفارق

■■

بيروت ـ حسن الأمين



النظام التقليدي عندنا الاستاذ والسبورة والتلاميذ



.. بينما في انجلترا يتدرب الطالب من سن ١٢ عاما على استعمال الحسابات الالكترونية

ثورة التربية في عصرنا هذا

وَصِلتُها

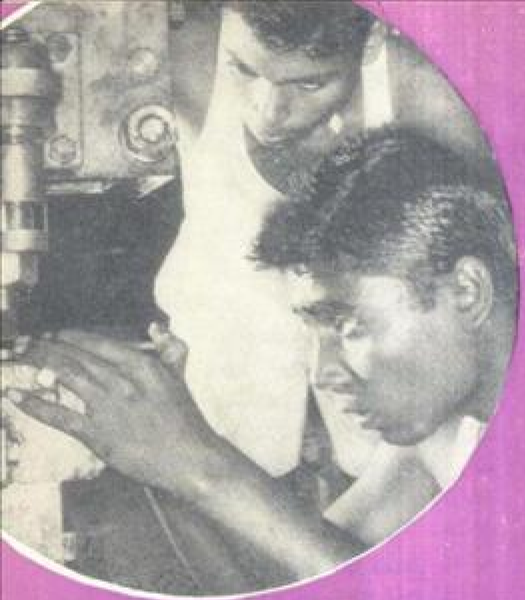
((... ان مشكلات التربية في عصرنا لن تحلها النظرة القديمة ، ولن يتسع لها الاطار التقليدى ، ولا بد من موقف نفسى جديد ، قوامه الانقلاب على تلك النظرة ، وأعادة بناء ذلك الاطار ...))

■ في السنوات العشر الأخيرة ، أمام تزايد مشكلات التربية في شتى انحاء العالم ، اخذت في النماء والظهور بذور ثورة تربوية، جرى أصحابها على تسميتها باسم الثورة التكنية (التكنولوجية) في التربية .

اما بواعث هذه الثورة ، فالحديث عنها يطول ، وما هو غرض هذه الكلمة . وحسبنا أن نقول بوجيز العبارة ان هذه البواعث ترتد الى أمرين اساسيين :

عجز اطار التربية عن استيعاب الأعداد المتزايدة من الطلاب

اولهما عملي ، يرجع الى عجز الاطار الحالى للتربية عن تلبية حاجات التعليم المتزايدة بسبب تدافع الأعداد الهائلةمن الطلاب . وهذا التدافع مرده الى ظاهرتين : ظاهرة التفجر السكاني في انحاء المعمورة قاطبة وفي بلدان العالم الثالث خاصة ، وظاهرة الاقبال المتزايد



.. مشكلات التربية في عصرنا لن يحلها الا موقف نفسي جديد ، قوامه الانقلاب على النظرة القديمة



.. النتيجة الحتمية للتدافع على التعليم ، عجز في الابنية والتجهيزات المدرسية ..

بمفهوم التربية الدائمة

بقلم : الدكتور عبد الله عبد الدائم

على التعليم لدى جميع فئات الشعب ، او ما يعرف باسم تزايد الطلب الاجتماعي على التعليم . وايا كان الامر ، فالنتيجة المحتومة لهذا التدافع في اعداد المتعلمين، عجز الوعاء التعليمي في معظم بلدان العالم ، وفي البلدان السائرة في طريق النمو بوجه اخص ، عن استيعاب هذه الاعداد المتزايدة وعن امتصاص افواج الطلاب التي تطرق بعنف ابواب التعليم الابتدائي والثانوي والعالي . فمن العسير ، امام هذا التسارع الحثيث في الخطى ، ان يلحق بتزايد الاعداد الطلابية المدرسية اي تزايد ، مهما عظم شأنه ، في اعداد الابنية المدرسية وفي مقدار التجهيزات والاثاث وفي اعداد الاموال اللازمة للتوسع في هذه المجالات .

ومن فضول القول ان نذكر ان مثل هذه الاموال لا تتوافر حتى لاكثر البلدان غنى وثراء ، وان طاقة ميزانية التربية في العديد من البلدان قد نفدت ، بعد ان

بلغت حدا لا مزيد بعده لمستزيد . وهل بعد اقطاع التربية وحدها حوالى ربع ميزانية الدولة في الكثير من البلدان السائرة في طريق النمو ، فضل من عطاء وجود ؟

امام هذا الواقع العملى ، امام هذا الطريق المسدود ، لا بد من اعمال الفكر ومن الاستنجاد بقدرته على التجديد والابداع ، لايجاد مخرج من المأزق الصعب . والحاجة دوما وابدا ام الاختراع ، وهى التى تفتق الحيلة . ومن هنا ولد المهاد العملى للثورة التكنولوجية التى يرهص بها قادة الراى التربوى ايامنا هذه .

والتربية الحاضرة لم تساير حاجته المتزايدة من علم وتكنية

ولقد انضاف الى هذا المهاد العملى واتحد معه ، بل انبثق من خلاله ، سبب تربوى مهد بدوره لهذ الثورة التكنولوجية في التربية ، واعطاها بعدها الفكرى والفلسفى الى جانب بعدها العملى الواقعى .

فالتربية الذائعة في انحاء المعمورة لم يفلس منها الشكل والوعاء فحسب ، ولم تواجه فقط التفجر في بنيتها العددية الكمية امام تزايد أعداد الطلاب، بل عانت من افلاس في المحتوى والمضمون، وواجهت قوى تدعو الى تحطيم ما فيها من مناهج وطرائق واساليب شائعة.ذلكان عصرنا لم يشهد تدافع الأعداد السكانية والطلابية وحدها ، ولم يواجه مشكلات الرقم والكم من دون سواها ، بل شهد وعرف مشكلات ادهىوامر ، ترجع الى تسارع التقدم العلمى وتعاظم التطور الصناعى والتكنى. وطبيعى أن تؤدى الثورة العلمية الحديثة والثورة الصناعية والتكنية المصاحبة لها الى تشكيك عميق في صلاح المناهج التعليمية والطرائق التربوية التى وضعت لغير هذا الزمان ، وولدت من غير حاجات هذا العصر . لقد وجدت النظم التعليمية نفسها امام تكاثر في المعارف والمعلومات لا تستطيع اللحاق به ، وامام تقادم سريع في المعرفة الانسانية يفرض عليها أن تكون اسرع من التطور واقدر على مسايرة ركب العلم المتحرك دوما . المتجدد ابدا . ومن هنا بدت النظم التعليمية التقليدية الذائعة ـ فيما ترسم من مراحل تعليمية وفيما تفرض من سنوات دراسية وفيما تشرع من مناهج وطرائق وما تقدم من علم ومعرفة ـ متخلفة عن ركب مغذ في السير ، تخطو خطوات السلحفاة امام معرفة تتقدم بخطى العمالقة . وكانت الدعوة الى التجديد ، الى الانقلاب في نظم التعليم ومحتواها ، الى الثورة في التربية .

لا بد من تحطيم اطار التربية التقليدى

ومن العسير في هذا المقام أن نتحدث عن أهم معالم هذه الثورة المرجوة . وندع ذلك لمناسبة اخرى . على ان اهم ما في هذه الثورة الموقف الفكرى الثاوى وراءها والذى يجعل منها ثورة قمينة بهذا اللقب .

ان ديدنها القول بان الثورة التكنية قد تحققت في شتى حياتنا ، وغدونا نعيش عصر التكنية بكامل ابعاده واعماقه . غير أن التربية التى كانت صاحبة الفضل الأول فيما تحقق من ثورة تكنية في شتى ميادين الحياة ، ظلت هى نفسها في منأى عن هذه الثورة ، فلم تحقق ثورتها، ولم تحدث تغييرا جذريا في طرائقها ومفهومها . ولا نغلو اذا قلنا ان اطار التربية الذى نعرف ـ الاطار الذى يقوم على ثالوث اساسي ، الطالب والمعلم وحجرة الصف الثابتة ـ اطار لم يتغير طوال مئات السنين بل آلافها . وهذا الاطار يحبس التربية في حذاء صينى يجعلها عاجزة عن السير والانطلاق : فكل شيءفي النظم التربوية المألوفة تحدده العلاقة الثابتة بين عدد الطلاب والمعلمين وعدد حجرات الدراسة بالتالى . فلعدد معين من الطلاب عدد معين من المعلمين (يضيق ويتسع في حدود ضيقة جدا) وعدد معين من الحجرات . وكل شيء في النظام التعليمى ينطلق من هذه النواة : الاعداد التى يستطيع انيستوعبها النظام التعليمى، اعداد المعلمين اللازمين ، مقدار التجهيزات والاثاث ، مقدارالأبنية والحجرات واخيرا وليس آخرا مقدار الاموال اللازمة .

والسؤال الذى تطرحه الثورة التكنية بوضوح وقسوة : من قال لنا ان هذا النظام التعليمى الذى يستند الى الطالب والمعلم وحجرة الصف (في علاقة ثابتة محددة) نظام لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ؟ من قال لنا انه نظام منزل معصوم؟افلا نستطيع اعادة النظر فيه اعادةجذرية،

فنكسر العلاقة العددية الثابتة بين المعلم والطلاب، وبين الطلاب وحجرة الصف ، ونلجأ الى نظام تعليمي مرن ، لا تشكل فيه نسبة عدد الطلاب الى المعلم الواحد عائقا ، ولا تكون فيه جدران حجرة الصف الثابتة حاجزا وحدا؟ ؟ افلا نستطيع تحطيم جدران الصف كما يقولون ، وتغيير العلاقة العددية بين الطلاب والمعلم ، وامداد المعلم بوسائل تعليمية جديدة توسع امكانيات عطائه بل تغنى عنه في بعض الأحيان ؟

المسألة اذن مسألة ثورة حقة ، لانها تتناول جوهر العملية التعليمية . وهي ثورة تكنية لأنها تتساءل عن ادوات العملية التعليمية وتريد ان تحدث انقلابا جذريا فيها .

« التربية الدائمة » فكرة قديمة جدا جديدة جـدا

ولكن ، لندع ، مكرهين ، موضوع هذه الثورة لنرى اين تقع التربية الدائمة منها . فالذى قادنا الى هذه المقدمة الطويلة عن الثورة التربوية التى انطلقت على الالسن هذه الأيام هو أن صلتهـا بمفهوم التربية الدائمة وثيقة ، وأننا لا نستطيع ان نفهم هذه التربية الدائمة الا من خلال هـذا الموقف الروحى العام الذى تبشر به تلك الثورة .

وقد لا تبدو فكرة التربية الدائمة جديدة للوهلة الاولى ، فمنذ ازمان بعيدة نادى المنادون بتربية لا تنقطع طوال مراحل العمر ، وبشروا بعلم يمتد من المهد الى اللحد . ومن اقوال النبى العربى الكريم (ص) : « يظل المرء عالما ما طلب العلم فان ظن أنه علِمَ فقد جهل». ومن اقواله : « منهومان لا يشبعان ، طالب علم وطالب مال » . والاية القرآنية « وقل رب زدنى علما » تحمل هذا المعنى دون شك .

ومع ذلك فظروف العصر التى اشرنا اليهـا فتنقت في هذه الفكرة التالدة معاني طارفة . والثورة التكنية التى نشير اليها جعلت منها جزءا عضويا مكملا لها .

فلا تكتفي فكرة التربية الدائمة ـ على نحو ما ظهرت خلال السنوات الاخيرة القريبة ـ بتأكيد اهمية تربية الانسان منذ نعومة اظفاره حتى شيخوخته ، ولا يكفيها ان تقول مع روسو ان تربية المرء تبدأ مع الولادة بل قبل الولادة (عن طريق انواع العناية التى تقدم للحامل) ، ولتمتد حتى مشارف الوفاة (عن طريق ضروب العناية بالشيخوخة وعن طريق تهيئة الشيخ لفكرة الموت) ، بل تذهب الى ابعد من هذا والى غير هذا ، وتدخل معنى جديدا على هذه التربية المستمرة للكائن . انها ترى في خاتمة المطاف ان اشكال التربية التي تقدّم للمرء ، عن طريق ما يدعى بالتربية المدرسية النظامية ، بدءا من رياض الاطفال حتى خاتمة الدراسة العليا ، ليست جماع ما في التربية ، بل لا تمثل أهم ما فيها . لقد جاء حين من الدهر ـ ايام انتشار المدارس في انحاء المعمورة ـ خيل فيه الى كثيرين ان اعداد المرء علميا ومهنيا يتم كله او جله خلال مراحل التعليم النظامي وعن طريقها . وكان عبور هذه المراحل يوصل المتعلم الى خاتمة المطاف في المعرفة والاعداد للمهنة ، وليس بعد ذلك فضل لمستزيد ، الا ما كان من توسيع عفوى لآفاق الثقافة وتحسين غير منظم للاعداد عن طريق مزيد من الخبرة ومن سنوات العمل .

التربية المدرسية ليست سوى جزء يسير من التربية

اما التربية الدائمة في مفهومها المُحـدَث ، فتريد ان ترى في الاعداد الذى تأتى به مراحل الدراسة النظامية جزءا ، وجزءا يسيرا ، من عملية اعداد منظمة ينبغي ان ينظر اليها على انها تمتد طوال مراحل العمر . وهكذا ، فالتعليم غير الرسمي والتدريب في غير عمر الدراسة النظامية ، ينبغي ان يكون الامل والجوهر في اعداد الانسان لعالم تتغير المعرفة فيه سريعا وتتقادم وتتبدل المهن والاعمال وتتجدد . ولا قيمة في نظرها لانواع المعرفة والخبرة والتدريب التى يحصل عليهـا المرء على مقاعد الدراسة ان لم تغنهـا وتضف اليها وتجدد منها دوما وابدا ضروب شتى من اعادة التأهيل واعادة التدريب واعادة التعلم ، حسب مستلزمات تقدم المعرفة وحسب مستلزمات المهن والاعمال والصناعات .

وبتعبير آخر ، ان منطلق هذه التربية الدائمة ان من المستحيل ، في مثل عصرنا المتغير في معارفه ، المتحول في حاجات الطاقة العاملة وسوق العمل ، ان تقدم خلال مراحل الدراسة ، مهما تطل ، كل ما يمكن ان يحتاج اليه الدارس من زاد علمى

في العاجل والآجل . فمثل هذا الظن سوف يقودنا دونما طائل الى اطالة سنوات الدراسة يوما بعد يوم دون ان نعرف لهذه الاطالة حدا ، كما سيقود الى تقديم معلومات موسوعية لا حصر لها ، واثقال المناهج بحشد من المعارف وانواع من التدريب ينوء بحملها الطالب ، ولن تكفيه على اية حال زادا لرحلته الطويلة عبر الحياة . والاصح أن تنطلق من موقف عكسي يقلب الامور ويسهل المسألة ، فنقول : ان ما نقدمه خلال مراحل الدراسة النظامية لن يكون الزاد الوحيد ، ولا يجوز أن يكون الزاد الوحيد ، وان ما لا نقدمه خلال هذه المراحل لا بد ان يكون ، ويجب ان يكون ، اقل بكثير مما لا نقدمه ، ومما ينبغي ان نقدمه طوال مرحلة العمر عن طريق اشكال التدريب اثناء الخدمة واعادة التأهيل المستمر والدورات المقصودة لتجديد المعلومات ومراكز التدريب المهني والفني المرتبطة بمؤسسات العمل المختلفة .

وداعا للمعرفة الموسوعية

ولهذا الكلام ما بعده ، انه يعني الشيء الكثير والتغير الكبير والثورة الحقة في مفهومنا للتعليم والتدريب خلال مراحل الدراسة النظامية . فالذى ينبغي ان يقدم خلال هذه المراحل ، على ضوء التصور الذى اشرنا اليه ، لن يكون سوى اساسيات المعرفة واصول العلوم ، والادوات اللازمة لاستكمال المعرفة ومتابعة التدريب دوما ، ونقاط الاستناد الاساسية في كل فن وعلم ، تلك التى تمكن الفرد اخيرا من ان يعلم نفسه بنفسه من جانب ، ومن ان يغدو ، من جانب آخر ، قادرا على متابعة تدريب مستمر وتربية دائمة سوف يجدها على اشكال شتى بعد تخرجه . فلتذهب اذن الى الابد المعرفة الموسوعية، ولتودع ذلك الحشو من المعارف الزائدة ، ولتقم بعملية تصفية وتنقية فيما تقدم من علم وتدريب ، بحيث نحذف الزائد والفضول وتبقى الأصل والأساس .

وواضح أن مثل هذا الموقف لا بد ان ينعكس على امور كثيرة في عملية التعليم : انه قمين بان يحدث تغييرا جذريا في المناهج بحيث يقضي على ما فيها من ثِقَل كمّي ، ويُبقي على ما هو أساسي ونوعي. وهو قمين بعد ذلك بان يحدث تغييرا جذريا في فهمنا للصلة بين التعليم النظامي وأنواع التدريب المختلفة : انه سوف يزيل الهوة بين المدرسة وعالم العمل ، فيجعل التعليم مختلط الهوية ، يتم - خلال مراحل الدراسة نفسها - عن طريق المدرسة حينا وعن طريق العمل في المصانع والمؤسسات وسواها حينا آخر . وهو قمين فوق هذا وقبل هذا بأن يحدث تغييرا جذريا في معنى السنة الدراسية ، وفي عدد سنوات الدراسة ، وفي عدد الساعات الاسبوعية ، بحيث يجعل هذه كلها امورا تخضع لمتطلبات الموقف الجديد ، نعني متطلبات تعليم وتدريب يرتبطان بالعمل من جهة ويتمان من جهة ثانية خلال مراحل طويلة تدريجية تبدأ مع الطفولة وتمتد عبر سنوات الدراسة وتتصل بسنوات العمر كلها .

وقد يؤدى ذلك الى تقليل ساعات الدراسة النظامية والى تخفيض عدد سنوات هذه الدراسة ما دامت بداية وليست نهاية ، وما دام بعدها كل ما ستيسره للتعليم بعد تخرجه انواع التدريب والاعداد واعادة التدريب والاعداد تبعا لحاجات التغير والتجدد في العلم والمعرفة وتبعا لحاجات السوق من انواع الخبرات والمهن والاختصاص .

النظام المدرسي وحاجات سوق العمل

ولعل القارىء يدرك من خلال ما نقول نتيجة هامة من نتائج فكرة التربية الدائمة هذه ، من شأنها ان تقدم حلا جيدا ، ولعله الحل الوحيد ، لمشكلة كبرى من مشكلات التربية ، بل لعلها مشكلتها الأولى ، نعني مشكلة الربط بين حاجات التربية وحاجات سوق العمل ، بين الأعداد التى تخرجها المدرسة من شتى انواع الاختصاص وبين الحاجات الفعلية للطاقة العاملة من هذه الاختصاصات . وكلنا يعرف كيف ان الربط بين مردود النظام المدرسي وبين حاجات العمل غدا هما أساسيا من هموم المربين والاقتصاديين والمخططين في عصر ينظر فيه الى التربية كأداة أساسية من ادوات التنمية الاقتصادية والاجتماعية المختلفة من الخبراء والاختصاصيين والعمال المؤهلين وأنصاف المؤهلين وسواهم . وكلنا يعلم في الوقت نفسه كيف أن الجهود الكبيرة التى يبذلها الباحثون من أجل التنبؤبحاجات الطاقة العاملة ومن أجل الربط بالتالى بين هذه الحاجات وبين ما تعده المدرسة لها ،جهود ما تزال تلقى الصعاب الكثيرة،

رغم التقدم الكبير الذى احرزته الدراسات في هذا المجال . ورأس هذه الصعاب ان من العسير ان نتنبأ بحاجات الطاقة العاملة وحاجات سوق العمل في عصر يتغير بسرعة وتتغير فيه المعرفة ووسائل الانتاج والوسائل التكنية المختلفة تغيرا مذهلا ، وتتغير فيه بالتالي مطالب سوق العمل من مختلف افراد الطاقة العاملة ومستوياتهم .

واذا كان الأمر كذلك ، فلا اجدى لمواجهة هذه الصعوبة من مفهوم للتربية الدائمة، يجعل الاعداد عملية مرنة ومستمرة تتم خلال مراحل العمر وتتم اثناء العمل نفسه ، حسب مقتضى الحال . ان ما يقدمه النظام المدرسي ــ في تربية تاخذ بمعاني التربية الدائمة ــ لن يحدد الى الأبد معرفة الشخص ودربته ومهنته ومن عمل الى عمل ، ما دام الشخص يملك المعارف الاساسية اللازمة والخبرات الجوهرية الضرورية التى تمكنه من هذا الانتقال كما تمكنه من التطور والتقدم خلال ممارسته للعمل . ولا يتسع الحديث للاشارة الى الجوانب الفنية لهذا الربط بين الاعداد المدرسي وبين حاجات الطاقة العاملة في مفهوم التربية الدائمة . وحسبنا ان اشرنا الى ما لهذا المفهوم من انعكاس هام على مسألة العمل والعمالة .

فكرة « التربية الدائمة » فكرة ولود

وبعد قد نمضي طويلا وبعيدا اذا نحن اردنا ان نفتق مفهوم التربية الدائمة ونفتح جوانبه ونقلبه على وجوهه العديدة . وحسبنا ــ من خلال هذه الاشارات ــ ان حددنا هذا المفهوم واظهرنا ما فيه من خصب وعطاء ، وبينا كيف انه يمثل حقا ثورة تربوية ولودا ، محملة بالف نتيجة ونتيجة ، يرجى لها ان تحمل وتثمر وتغل الشيء الكثير للتربية .

وقد كان بودنا ان نشير الى ما لمفهوم التربية الدائمة هذه من نتائج تتصل بحل مشكلة تزايد اعباء التعليم وتكاثر اعداد المتعلمين وتعاظم النفقات المالية الضرورية للتعليم . غير ان مثل هذا المطلب يحتاج الى مقال براسه . والذى نكتفي بقوله ههنا هو ان هذا المفهوم ــ خلافا لما قد يتراءى للنظرة الأولى ــ يخفف من اعباء التربية المادية والمالية ، ويساعد بشكل جذري ــ ولا سيما حين يرتبط بسائر مفهوم الثورة التكنية في التربية ــ على ايجاد مخرج لمشكلة التدافع فى اعداد الطلاب وعجز النظم المدرسية الحالية عن استيعابها . وهو يفعل ذلك حين يطرح على بساط البحث موضوع سنوات الدراسة وساعات الدراسةوشكل الدراسة ، وحين يضع العبء الاكبر في التعليم على العديد من مؤسسات المجتمع، اذ يربط الجزء الاكبر من هذا التعليم بالمصانع والمؤسسات الصناعية والتجارية والزراعية والحكومية وسواها ، ويقسط اعباءه المالية على سنوات طويلة وعلى جهات عديدة .

وأيا كانت الحال، فمثال التربية الدائمة نسوقه اولا وآخرا للتدليل على حقيقة اساسية ، وهى ان مشكلات التربية في في عصرنا لن تحلها النظرة القديمة ولن يتسع لها الاطار التقليدى ، ولا بد من موقف نفسي جديد ، قوامه الانقلاب على تلك النظرة واعادة بناء ذلك الاطار . لا بد من نظرة مبدعة مجددة ، كانت دوما وابدا سبيل الانسان للتغلب على مشكلاته، وطريقه لتذليل عوائق المادة وعقبات الندرة في الموارد والامكانات . ■■

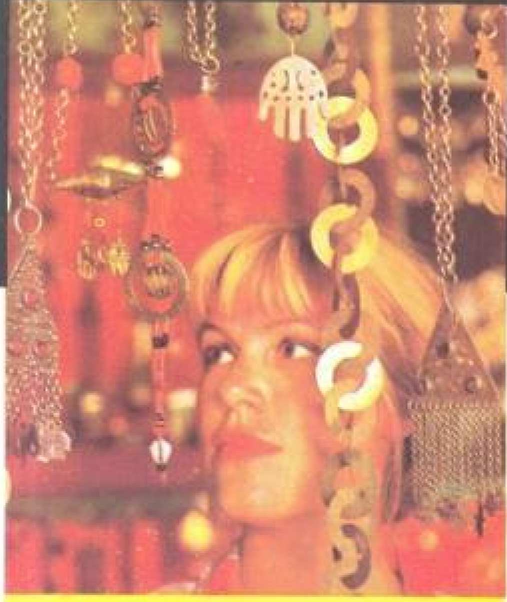
عبد الله عبد الدائم

العربي: أكد الاستاذ الكاتب ، في مقاله هذا القيم ، الصلة بين التعليم النظامي وبين حاجات المصانع والمؤسسات الصناعية والتجارية والزراعية وسواها . وهو قال باعادة التدريب المهني والصناعي وتكرار ذلك على امتداد العمر . وهو قال « وداعا للمعرفة الموسوعية » . والكاتب بالطبع لم يرد بنا ان ننسى ما بين التعليم النظامي واهداف انسانية أخرى لا تتصل بغذاء وكساء وسيارة وطائرة ، وانما تتصل بالانسان ، وبكينونته على سطح هذا الكوكب .

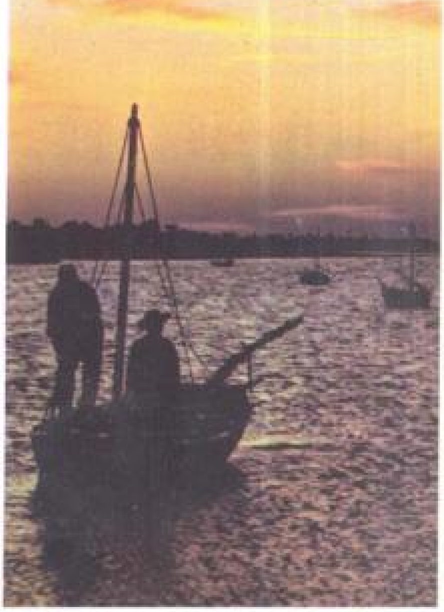
جربة

جزيرة يعرفها أهل الغرب ويجهلها أكثر أهل الشرق!

قام بهذا الاستطلاع
سليم زبال
وصوّره
أوسكار متري



نتقلك في هذا الاستطلاع الى جزيرة الأحلام .. كل ما فيها جميل .. حلى وطنية تشتهيها كل امرأة .. وغروب للشمس ياخذ بالألباب .. وبحر تتموج مياهه اللازوردية على رمال الشاطىء الذهبية .. وماكولات وطنية تفتح الشهية .. انها جزيرة جربة .. كما توضحها الصور المنشورة على هاتين الصفحتين .







■ ... فتح سكان « حومة السوق » أعينهم ، وهب السياح من رقادهم ، يزيحون الستائر عن النوافذ بحثا عن الزمّار العجيب الذي انطلق يرسل انغامه العالية في منتصف الليل .

ونزل الناس من منازلهم ، وساروا في الازقة الضيقة وراء ذلك النغم السحرى ، حتى وصلوا الى ساحة فسيحة جلس في احد اطرافها الرجال والشباب ، وفي الطرف الثاني النساء والفتيات ، وهن يطلقن الزغاريد ويصفقن للزمّار الذى انتفخت اوداجه من فرط الجهد الذى يبذله ، بينما زميله الطبّال يدق بقوة على طبله الاجوف ، فيتردد الصدى عاليا مدويا ، وكأنه طلقة مدفع



تكثر في جزيرة جربة الآثار التى تركها الفاتحون والغزاة .. واشهرها القلعة الاسبانية .. شيدها الاسبان عندما احتلوا جربة لحساب حاكم جزيرة سقلية عام ١٢٨٩ ميلادية ، لحماية مدخل الجزيرة ترب الطريق الروماني .. اما الآن فتجرى عملية ترميم لاحجار القلعة المتآكلة ، يقوم بها منذ عامين المساجين مع بعض العمال الفنيين ، وتاريخ انتهاء هذه الترميمات مرهون بتأمين الاعتمادات المالية اللازمة !

توقظ النيام وتدعوهم للمشاركة في موكب « الجَحْفة » الذى ينقل العروس من بيت ابيها الى بيت « عريسها » ..

وكانت العربى هناك .. في بلدة حومة السوق « عاصمة » جربة .. تلك الجزيرة الساحرة ، التى تختلف عن كل جزرنا العربية !

اعذب الأسماء ، لجزيرة الاحلام !

لقد تعودنا رؤية مدننا عند اودية الجبال وفوق قممها ، وقرب مجارى الانهار .. ولكن قيام مدينة في جزيرة عربية شيء لم نره الا عندما وصلنا الى جزيرة جربة التونسية .. ففي هدوء وثبات راحت هذه الجزيرة تزدهر وتتقدم حتى اصبحت اليوم تضم ١٢ قرية ومدينة ، وشواطيء للاستحمام خلابة ساحرة ، يؤمها السياح بالآلاف ، يأتونها من فرنسا ، وايطاليا ، والمانيا ، وانجلترا ، ودول شبه جزيرة اسكندينافية، ليعيشوا فترة من الزمن بعيدا عن متاعب المدنية وتعقيداتها ، يسيرون حفاة بملابس البحر ، يداعبون باقدامهم مياهه الدافئة .. ويتمتعون بهوائه فوق الرمال الذهبيه الناعمة .. تظللهم سماء زرقاء صافية ..وتحتويهم حياة هادئة ناعمة .. هذا الصفاء الذى جعل السياح والكتاب يطلقون على الجزيرة اعذب الاسماء : جزيرة الاحلام .. جزيرة اللوتس .. جزيرة الرمال الذهبية .. الجنة .. جزيرة اوليس .

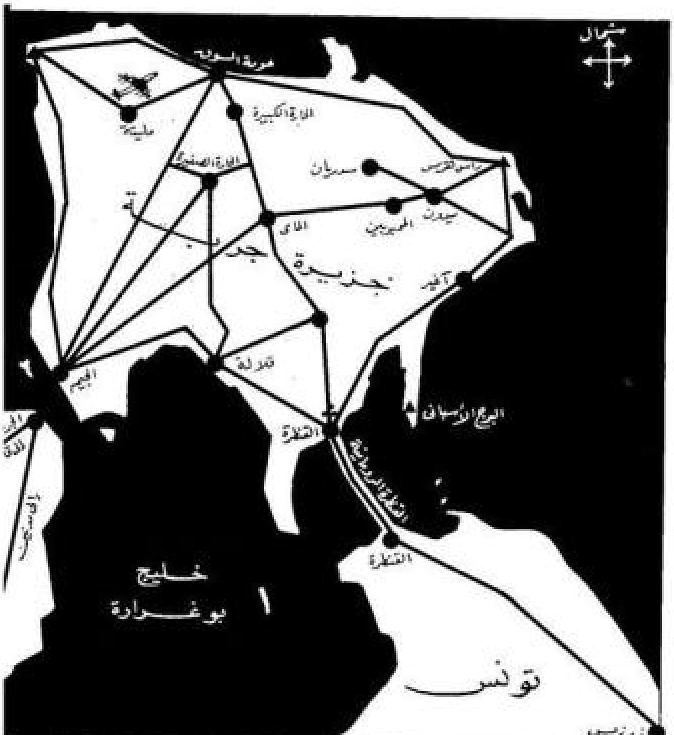
نار وحديد .. وجنس لطيف

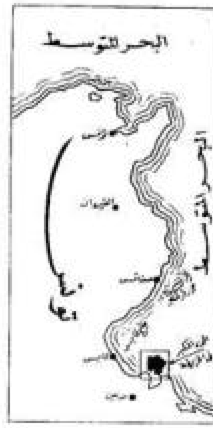
ان هذه الجزيرة الهادئة تتعرض اليوم لحملة غزو ، ولكنه غزو يختلف تماما عن الغزوات الكثيرة التى تعرضت لها الجزيرة في تاريخها الحافل الطويل .

فقديما كان الدق على ابواب المنازل يَعني الموت والدمار .. بارود وحديد ومنجنيق ، تنطلق من فوهات اسلحة الرومان والطليان والاسبان .. تقتل الرجال والنساء والاطفال ..

اما اليوم فان ابن جربة يقف مشدوها عندما يفتح باب منزله ، فامامه يقف سائح وسائحة يطلبان منه ـ بصفاقة ـ مشاركته سكنى منزله للتعرف على اسلوب حياته !!

ويسقط في يد الجربي المحافظ المتمسك بتقاليده الخاصة ..





جربة في سطور .

توضح الخريطة اليمنى موقع جزيرة جربة بالنسبة للجمهورية التونسية .. اما الخريطة اليسرى فهى رسم كبير تفصيلي للجزيرة الصغيرة التى تبلغ مساحتها ٥٢٨ كيلو مترا ، وعدد سكانها ٧٥ الف نسمة ، و « عاصمتها » حومة السوق ، .. وتبعد جربة نحو ٥٢٠ كيلو مترا عن تونس العاصمة .. يفصلها عن الساحل خليجان : الشمالى لايزيد اتساعه عن ميل ونصف .. والجنوبي واتساعه نحو ستة كيلو مترات ، ومياهه ضحلة ، وخاصة وقت الجزر .. وعلى هذا الخليج الضيق اقام الرومان طريقا قديما تم ترميمه وتعبيده لسير السيارات ، فربط الجزيرة بالشاطىء ..

ان مجتمعه ظل مجتمعا مغلقا منزويا .. كل منزل يرتفع بعيدا عن الآخر .. وداخل حجرات المنزل الكبير تعيش الاسرة باكملها : الاب والام ، والفتيات .. والاولاد مع زوجاتهم واولادهم .. كلهم في بيت واحد ، حتى اصبحت هذه المنازل بمثابة مجتمعات منفصلة لكل منها عادته وتجارته وصناعته ، حتى زيه الخاص ..

الأسواق تتحول الى قرى

اما الاجتماعات العامة فكانت تتم عندما تنعقد الاسواق حول آبار المياه .. ومع الايام بدات هذه الاسواق تاخذ طابع قرى مستقلة مستقرة بلغ عددها اليوم ١٤ قرية اكبرها حومة السوق .. انها قلب جربة النابض ومركزها الادارى والتجارى ، فيها الميناء الصغير ، والاسواق .. والمصانع .. يعيش فيها ١٥ الف نسمة من مجموع ٧٥ الفا يعيشون في الجزيرة كلها ..

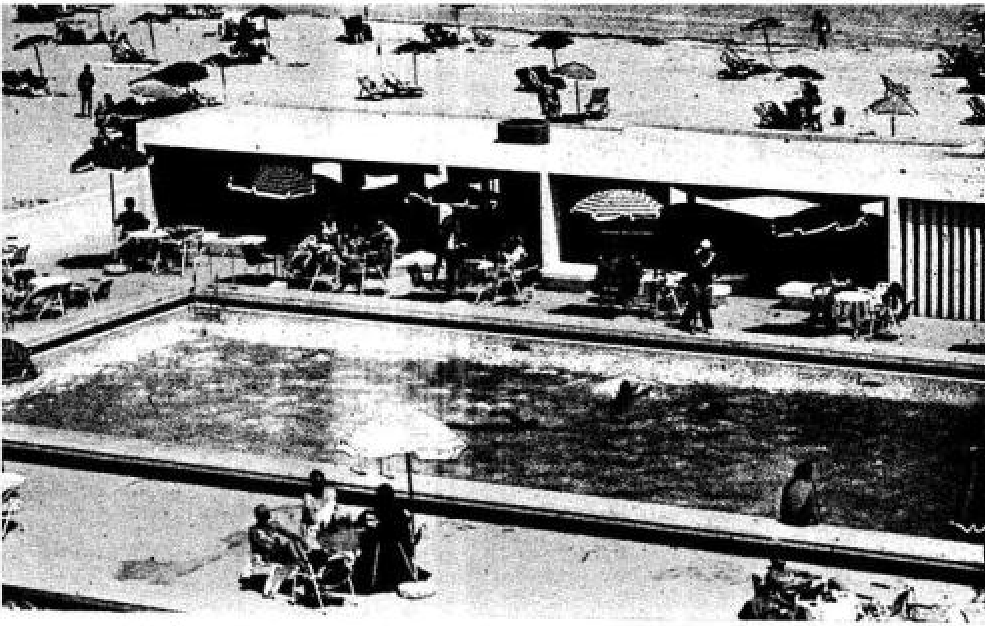
ومن الغريب ان جميع قرى الجزيرة اقيمت وسط الجزيرة بعيدا عن سواحلها ، لتصبح بمنأى عن قذائف مدافع الاساطيل الغازية قديما .

١١ الف سرير عام ١٩٧٢

وقد وجد المخططون والمهندسون المحدثون في موقع هذه القرى فرصة ذهبية ، فاستولوا على الشواطىء البكر التى لم يقربها احد ، وحولوها الى مدن وفنادق سياحية حديثة تحوى جميع وسائل الراحة والتسلية ، وتضم ٣٩٠٠ سرير

الى اسفل : اشتهرت جزيرة جربة منذ العصور الأولى للانسان بصناعة الفخار ، ومركز هذه الصناعة قرية قلالة .. انهم يستخرجون الطين اللازم لهذه الصناعة من عمق ٨٠ مترا تحت سطح الأرض .. ويعجنونه بمياه الآبار اذا أرادوا للفخار لونا أحمر .. أما اذا أرادوه أبيض فانهم يخلطون الطين بمياه البحر المالحة .. ونرى هنا أحد العمال يعبىء الجرار بمياه البحر لنقلها على ظهر الجمل الى قرية قلالة القريبة ..





يقول لك اهل جربة : « في هذا المكان هبط الامير اوليس منذ ١٢ قرنا ومعه جنوده .. » أما اليوم فقد ارتفع في نفس المكان فندق من الدرجة الاولى يحمل اسم « اوليس » .. يضم الى جانب شاطئه الساحر ، حوضا للسباحة مكيف المياه شتاء .. ان هذا الفندق كامل العدد لمدة سنة كاملة ..

الى اسفل : ادخلت السياحة الى الجزيرة الكثير من العادات التي لم تكن معروفة من قبل .. فالليالي كانت طويلة مملة .. اما اليوم فهناك ملهى للسياح يقدم الرقص الشعبي التونسي .. كما ترى في الصورة .. وقريبا سوف يتم تنفيذ مشروع ضخم يهدف لاقامة كازينو كبير حديث في جربة .



سيرتفع عددها الى ٥٥٠٠ سرير عندما تفتح قريبا الفنادق الثلاثة التي تحت الانشاء .

ليس هذا فحسب ، وانما بدأت البنوك والشركات ، واصحاب الاعمال والمال ، وفي مقدمتهم الامير اغا خان ، تخطط وتنفذ مشاريع سياحية جديدة خيالية لاقامة فنادق وملاه ومدن سياحية ضخمة متكاملة .

ويتوقع المسئولون ان تستمر الزيادة في عدد اسرة الفنادق بمتوسط الفي سرير كل عام ، حتى يصل مجموع عدد الأسرة الى ١١ الف سرير



بائع السمك .. من الشخصيات التقليدية في جربة .. يجلس على مقعد بمسندين فوق منصة عالية ، واضعا ساقا على ساق مفتتحا المزاد على الاسماك .. الجمهور لايتحدث ، وانما مجرد ايماءة ، او طرفة عين تجعله يرفع السعر من ٤٠ الى ٥٠ الى ٦٠ مليما .. ويباع السمك صباحا « بالشقة » اى ربطة خيط بها انواع مختلفة من الاسماك ، بدون وزن لان ابن البلد يعتقد ان : « **الكيلو ما فيهش بركة** » .. وعند الظهر يبدأ البيع بالكيلو للمصطافين .. وفي العام الماضي بلغ وزن الاسماك التي تم صيدها في جربة اكثر من ٢٠٠ طن .

.. ولن يتحقق هذا الهدف الا في نهاية المخطط الرباعي عام ١٩٧٢ .

خمسة وخميس

ومع مطلع كل فجر تبدأ هجرة يومية من وسط الجزيرة الى اطرافها .. انها هجرة العاملين من ابناء حومة السوق والقرى الى الفنادق السياحية الضخمة .. وعند الابواب الزرقاء للمنازل البيضاء تقف الأم مرتدية الفوطة والتلثيمة والمريول الطويل ، تودع ابنها وهي تردد : « خمسة وخميس حضر محمد وغاب ابليس .. » وكان المقصود قديما بابليس جنود الاحتلال من اسبان وطليان وغيرهم .. اما اليوم فقد اصبح ابليس — في نظر الأم على الاقل ! — يتمثل في السائحات الفاتنات !!

وتغلق الأم الباب الازرق وتختفي داخل منزلها المشابه للقلاع الصغيرة التي يبنيها الاطفال من رمال الشاطىء .. ان هذه المنازل شيدت لتخدم غرضا خاصا ، فهي تمنع رؤية ما يجري بداخلها ، وتسمح برؤية مايجري خارجها .. انها قلاع حصينة للمحافظة على الاسرة ..

١٣ شهرا في السنة !

وينطلق الشباب بعمل في الفنادق المحجوزة غرفها لشهور عديدة مقدما .. وسألناهم : « ما هي فترة الموسم السياحي في جزيرتكم ؟ »

اجابوا مبتسمين « يستمر الموسم السياحي عندنا مدة ١٣ شهرا في السنة .! » وتعجبنا فزادوا بقولهم : « .. وعندنا كذلك خمسة فصول في السنة .. ان مناخ جزيرتنا لامثيل له في العالم ، فعندما تهطل الثلوج على اوربا يأتي السائح ليستحم على شواطئنا الدافئة ! اننا نستقبل السياح طوال ايام السنة دون انقطاع » ..

ونتج عن هذا الازدحام السياحي المنقطع النظير مشكلة غريبة ، فالمسئولون في الجزيرة لا يستطيعون حاليا توجيه اى دعوة رسمية لزيارة جزيرتهم ، لعدم وجود اماكن خالية يقيم فيها المدعوون !!

لقد عشق الاوروبيون الجزيرة وهاموا بها ، واراد ابن البلد ان يلاحق الركب فاشترى دراجة





الغاز ينافس العرجون ! : ما زال الكثيرون من اهل جربة يطهون طعامهم على « العرجون المفسخ » اى الياف سعف النخيل الرفيعة ، يستعملونها بدلا من الحطب .. وفي حومة السوق يبيعون الكيلو جرام من « العرجون » بتسعين مليما .. الا ان التعاضديات بدأت تستورد مواقد الغاز مع انابيبها ، وتبيعها بأسعار التكلفة ، مما ساعد على رواجها بدلا من « العرجون » ، الذى تفسخه نساء قرى جربة .

بخارية لتنقلاته .. والواقع ان الجربى اسم معروف في اغلب الاقطار انه « البقال » رقم واحد للساحل الافريقي .

وفي تونس العاصمة ، تقول الأم لابنها : « اذهب للجربى .. » اى اذهب للبقال .. لقد اخذ الجربى اسم البقال واحتكره ..

وينفرد اهل جربة عن سائر ابناء العروبة ، باحتقارهم للوظيفة ، وتفضيلهم للمهنة الحرة .. الاولى تعنى عندهم الكسل والخمول ، والثانية تعنى العمل والجهد والتعب ..

ان الجربى يهجر جزيرته ويستقر في مدينة عربية وهو في سن مبكرة جدا ، يتعلم التجارة على يد احد اقاربه ، ويشقى كثيرا حتى يلم باسرارها ، وبعدها يفتح متجرا خاصا به .. وعندما تمتلىء خزينته بالمال ـ وهى عادة لا تمتلىء الا عندما يبلغ سن التقاعد ـ يعود الى جزيرته لقضي بقية أيام حياته .

وكان من نتيجة ذلك ، أن جاء يوم اختفى فيه عنصر الشباب العامل المنتج ، وتحولت الجزيرة الى ماوى للنساء ، وحضانة للاطفال ، ودارا للبقالين الاثرياء المتقاعدين !!

رحلة العودة

ولم تتوقف هجرة ابناء جربة الا منذ ثلاث سنوات فقط ، بعد ان بدا السياح يتقاطرون بالالاف على الجزيرة وعندها فقط احس الشباب الهارب ، ان فرصة العمر قد لاحت أمامه .. فبدا رحلة العودة الى مسقط راسه .. وعلى نفس درب العودة بدا عمال الجمهورية التونسية يتقاطرون على الجزيرة ، التى بدات تزدحم بسكانها حتى بلغت كثافتهم ١٢٦ شخصا في الكيلومتر المربع الواحد ، وهى اعلى نسبة في القطر التونسي الذى لا يزيد متوسط كثافة سكانه عن ٣٠ شخصا في الكيلو متر المربع ..



مجموعة من السائحين والسائحات ، يعاينون بعض المنتجات المصنوعة من سعف النخيل في أحد الاسواق المسقوفة الحديثة ببلدة حومة السوق ، انها المركز التجارى للجزيرة ..





كانت جربة قبل الاستقلال تعاني أزمة اقتصادية شاملة بطالة " وفقرا ، يضربان أطنابهما فى كافة أرجائها .. أما الآن ، وبعد مضي ١٣ عاما على استقلال تونس ، فقد تبدل حال الجزيرة ، وأصبحت تنعم برخاء لم تشهد له مثيلا .. وعندما تسمعهم يتحدثون عن مشاريع المستقبل ، تدرك أن اليوم أفضل من الأمس ، ولكن الغد أفضل من اليوم بكثير !! لقد كان أبناء جربة بالأمس يهربون من جزيرتهم ليعيشوا في بلاد البحر الابيض المتوسط اما الآن فقد بدأت عودتهم تتوالى بأعداد كبيرة ليعملوا على رفع شأن جزيرتهم الساحرة .. وتحتل المنتجات المصنوعة محليا مركزا مرموقا فى تكملة روعة الفسيفساء التي تبهر أنظار السائح فى تلك الجزيرة .. انه التخصص الذى توارثه أبناء هذه الجزيرة عن آبائهم ، فجعلهم يتقنون حرفتهم ، ويكتسبون مهاراتهم الخارقة .. والصورة العليا لبعض السائحين أمام أحد التاجر يبدون اعجابهم بمختلف المصنوعات المحلية .. بينما **الصورة اليمنى** لفتاة سائحة وسط عشرات الأحذية الجلدية .. لقد تطورت هذه الصناعة من البلغة التقليدية الثقيلة ، الى الحذاء النسوى الدقيق الجميل !! . ان الصناعات التقليدية شهدت تدهورا شديدا ايام الحماية الفرنسية ، من جراء المنافسة الاجنبية .. اما اليوم فان ديوان الصناعات التقليدية يقوم بحماية هذه الصناعات



ثلاث فتيات جئن من باريس الى جربة ، لم تمنعهن قلة نقودهن من الحضور الى جزيرة الاحلام ، توقفن على قارعة الطريق الطويل يوقفن السيارات ليركبن فيها مئات الكيلو مترات ، حتى وصلن الى الجزيرة .. وتراهن جالسات على قارعة الطريق ، يشربن القهوة التونسية



في منطقة آقير على ساحل جربة ، يقوم الشباب من الجنسين لقضاء عطلاتهم تشمل الاقامة مع الاكل والجولات .. جاءوا من فرنسا وبلجيكا ، وعدد قليل

التعاضديات بدلا من التاجر التقليدي

وبدا التاجر الجربي العائد يستكشف جزيرته ، فوجدها جزيرة جديدة غريبة عنه .. حتى اسلوبه التقليدي القديم في التجارة لم يعد له أثر فيها .

لقد شعر المسئولون في تونس ، ان الفلاح والعامل والتاجر يتمتعون بحرية تجارية زائفة استمرت قرونا متعاقبة .. حرية لم يجن منها احد الا التعب والفقر ، مع انعدام التحسين والتطوير لقلة راس المال اللازم .. وهكذا ولد نظام التعاضديات (وهو الاسم الذى يطلقونه على التعاونيات) ليكون بديلا لأسلوب التجارة القديم.

ويتلخص النظام الجديد في تجميع كل مجموعة من التجار او الصناع ، او الفلاحين في تعاضدية تهتم بأمور مهنتهم .. ولم يعد يسمح للافراد ببيع شيء من انتاجهم الا عن طريق التعاضديات .. وكانت النتيجة انتعاشا للتعاضديات . وازدهارا للمصنوعات .. وخاصة المصنوعات التقليدية التى شهدت تحسينات هامة على اصباغها ورسومها وخيوطها وموادها الأولية الاخرى .. وفتحت التعاضديات اسواقا عالمية جديدة أمام هذه المصنوعات الوطنية ، حتى تساوى رقم الانتاج الشهري لتعاضدية الصناعات التقليدية مثلا برقم الانتاج السنوى للاهالي في الماضي .. ليس هذا فحسب وانما اصبح كل انتاج التعاضدية مباعا لفترة ستة شهور مقدما !!

غير ان هذا النجاح لم يحالف كل «التعاضديات» فبدا المسئولون يعيدون النظر في هذا النظام وجاءت الاخبار اخيرا من تونس تفيد ان تعديلا سيطرأ على نظام بعض التعاضديات التى لم تحقق نجاحا ..

السائح يتحسر

وشكا الينا بعض السياح من ان نظام التعاضديات وتسعير المنتجات قد حرمهم من متعة المساومة مع





مركز السياحة للشباب .. وباتيه الصيفية مقابل ثلاثة دولارات يوميا ، وقد ضم المركز ٢٢٠ شابا اغلبهم جاء من المغرب والجزائر ..

يتميز أهل جربة بالبشاشة وحسن الاستقبال .. لقد تعودوا على رؤية الاجنبي في جزيرتهم منذ فجر التاريخ ، ولهذا لم يتأثروا كثيرا عندما جاءهم السائح الاوربي .. الشيء الوحيد الذي تبدل هو تبادل الضحكات والاحاديث ، بدلا من التراشق بالنيران والحديد !

التاجر الجربى .. وتابعوا كلامهم بقولهم : « لقد أصبحنا نعشق المساومة ونجد فيها متعة زائدة .. تقف تساوم التاجر مدة نصف ساعة ثم تتظاهر بالانصراف ، بينما هو يتظاهر بإعادة البضائع الى مكانها .. ويتدخل المارة والاصدقاء يتوسطون لتحديد السعر النهائي .. اننا افتقدنا هذا النوع من المساومة الذى نتسلى به والذى تتميز به أقطاركم العربية .. »

والغريب ان المواطن الجربى نفسه أصبح يشعر ان عصر المساومة قد انقضى زمانه ، وبدأ يدرك قيمة الوقت بالنسبة له كعامل منتج وخاصة بعد ان راى انتاجه يغزو اسواق اوربا ، وتتسابق الدول على شرائه قبل ان يخرج من المصانع .. ولكن السائح الاوروبى ، الذى يأتى الى جربة يشعر بغير ذلك .. انه لم يات للعمل ، وانما جاء ليقتل الوقت بالراحة والنوم والتمتع بالبحر والشمس وشراء الذكريات ..

عالم جديد في جربة

وفي شوارع « حومة السوق » قلب الجزيرة القديم تشهد العجب العجاب .. سائحات يجلسن على الأرصفة يحتسين القهوة .. وسائحات قادمات من السويد والنرويج يسرن حافيات ، مرتديات الميكرو جوب ، والفساتين ذات القطعتين ، وكأنهن يسرن على شاطىء البحر .. ومجموعة اخرى من « الهيبز » يسيرون بشعرهم المرسل المنكوش ، فلا تعلم ان كانوا اناثا ام ذكورا !!

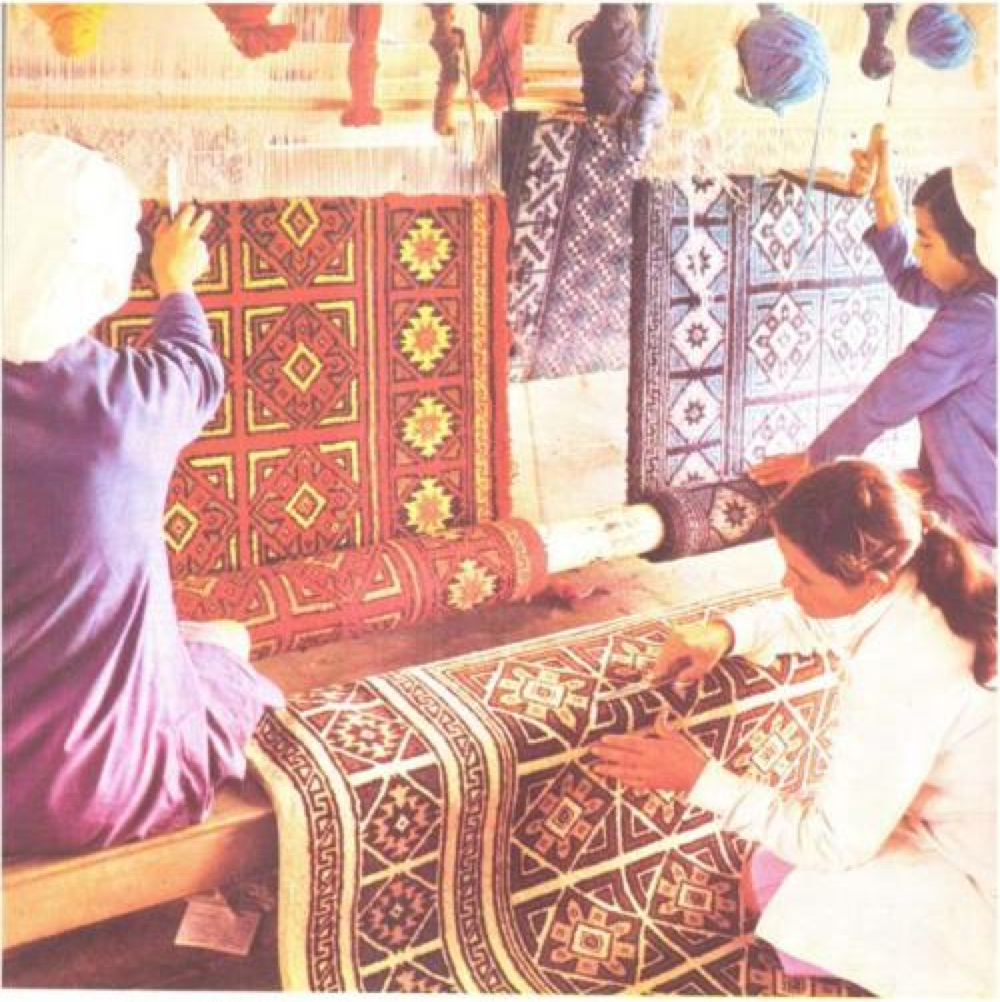
وينظر ابن البلد الى الرائحات والغاديات بامعان ولكن بدون انفعال .. انه يشعر ان عالما اخر اصبح يعيش معه .. انه يدرك تماما مقدار النقص في ثروات بلاده الصالحة للتصدير ، ويدرك ان العملات الصعبة اصبحت تدخل بلاده مع السائحين ، وان صناعة السياحة اوجدت عملا للالوف من اشقائه وابنائه .. ومن اجل هذا تراه يحترم السائح ويعامله بلطف زائد ، ويتحدث اليه ويدعوه



تشتهر جربة منذ قديم الزمان بنسج الصوف والقطن والحرير .. وفي كل منزل تقريبا نول بدائي بسيط ، تستخرج منه المرأة والرجل بدائع المصنوعات ، من اغطية صوفية مزخرفة وزرابي وبرانس للعائلة .. وتأخذ الاسرة حاجتها من الخيوط الصوفية الملونة من مقر الديوان القومي للصناعات التقليدية ، ومعها الرسوم .. وعند الانتهاء من صنعها في المنزل ، يأخذها الديوان ويدفع الثمن المناسب لمقدار العمل .



الى اليمين : الفنان مصطفى بن محمود يقوم برسم مختلف النماذج وتلوينها قبل تحويلها الى سجاد وزرابي .. وتحتل الألوان الزاهية المقام الأول في رسومه



كان اللون المفضل للسجاد في جربة هو اللون البني ، أما اليوم فقد أدخلت ألوان جديدة لتناسب مع الذوق والأثاث الحديث .. وقد بدأ استعمال اللونين الأحمر والأزرق منذ ثلاث سنوات فقط .. وتستطيع الفتاة الواحدة صناعة ٦٠ سنتيمترا من السجاد يوميا .. أما الصورة السفلى فهي لسجادة عليها رسوم من « جفصة » ، تم صنعها في جربة ، لأن الأسواق العالمية تتهافت على شراء هذا النوع ..



لشرب الشاي ولكنه في نفس الوقت يسعى جاهدا للتمسك بعاداته وتقاليده في وجه هذا الزحف القريب القادم اليه عبر مياه البحر الزرقاء .

المرأة هي السبب .. !

وعندما اخبرنا احد المسئولين ان فتيات قرية جلاله وافقن على ان نلتقط لهن صورة وهن يملأن جرارهن من الصنبور العام .. ضرب المسئول كفا على كف وقال : « في الماضي كانت النساء والفتيات يرجمن من يتجاسر على تصويرهن أو الاقتراب منهن ، أما اليوم فسبحان مغير الأحوال !! »

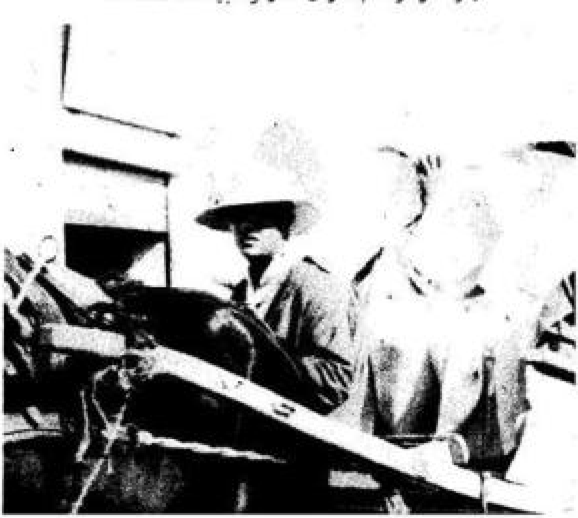
والواقع ان تطور المرأة المذهل في تونس العاصمة، لم يصادف تجاوبا سريعا في جزيرة جربة التي كانت من مراكز الاباضية ، وهم فرقة من الخوارج اشتهرت بالتمسك الزائد بالتقاليد ، ولكن هذا التزمت فقد الكثيرين من اتباعه .. وبدات الفتاة تسير سافرة في طريقها الى مدرستها ، انها تتلقى تعليمها وبجانبها الفتى ، لان التعليم في تونس مختلط في جميع مراحله ..

تقول السيدة زينب عنان رئيسة فرع الاتحاد النسائي في جربة : « لا يعود السبب في بطء تطور المرأة الجربية الى الرجل بل يعود الى المرأة نفسها ، التي تعودت على حياة الانغلاق والانطواء فأصبحت ترتعب من التطور وتخافه .. ان التعليم هو أملنا الكبير لاخراج المرأة من عزلتها .. وقد بدأت مجموعات كبيرة من النساء المثقفات يعملن في الفنادق والمحال التجارية ، ولم تعد الفتاة تتزوج في سن الرابعة عشرة ، بل أصبحت تنتظر سن الثامنة عشرة لتتزوج .. ان شخصية المرأة الجربية بدأت تتبلور وتنطلق .. »

تحسين البشر .. وتطوير الأزياء الوطنية !

ان تطوير المرأة هو جزء من عملية تطوير شاملة، شرحها لنا معتمد جربة بقوله : « لا يمكن أن تتحسن صناعتنا ولا اقتصادنا الا اذا تم تحسين البشر .. لهذا ترانا نسير على هذا الدرب ، نقوم بتسليط العقل على العاطفة ، وتقديم الأهم على المهم ، نصلح أوضاعنا الاقتصادية المتخلفة ، ونطور مجتمعنا .. والتعليم هو دعامة هذا الاصلاح .لقد كان عدد أبنائنا في المدارس لا يزيد على بضع عشرات من الأطفال قبل الاستقلال ، أما اليوم فلدينا ١٧ الف طالب وطالبة من جربة فقط يتعلمون في المدارس .. »

« المظلة » اي قبعة الخوص تغطي رؤوس النساء والرجال على حد سواء .. ولكن المرأة تخفي وجهها وملابسها بالفوطة البيضاء الصوفية .. ويختلف شكل هذه الفوطة من قرية الى أخرى . مرة سوداء ، ومرة مزخرفة بالالوان ، ومرة بيضاء تماما ..



في مشغل الاتحاد النسائي بجزيرة
بتطوير الأزياء الشعبية القديمة
في المشغل ١٣ فتاة ينتجن عشرة
يذكر ان انتاج المشغل اقل بكثير



● اعرف وطنك ايها العربي



تنفرد جربة برسوم خاصة بها .. لاحظ الحناء على يد العاملة. ان لون الحنة الاحمر يتحول الى الاسود ، لانهم يخلطونها بالكحل والحديد والبيض !!

دموع السياح ، والسلاطة التونسية !

وفي جربة لسنا ظاهرة غريبة للغاية، ففي الوقت الذى تسعى فيه الجزيرة لتطوير نفسها نجد حفنة من السياح تحتج على التطوير ، انها تريد الابقاء على الجزيرة بنفس حالتها القديمة : الطرق تظل ترابية .. والمرأة تسير محجبة ، وتستمر في حمل جرتها على ظهرها ، بعد ان تملأها من الصنبور العام ..

ويحاول هؤلاء السياح اثبات نظريتهم بروعة القديم ، فتراهم يتنقلون في القرى واضعين « الشموم » اى حزمة الياسمين خلف آذانهم مثل ابن البلد ، ويختلطون بالجماهير ..

ولكن محاولة هذا السائح التشبه بالمواطن المحلى ، تجعله يندم على فعلته ، ويعانى الأمرين، عندما يحين موعد تناول الطعام . اذ كم من مرة دمعت عيون الرجال والحسان عند تناولهم السلاطة التونسية ، لفرط ما تحويه من فلفل حار ..

نحن لسنا بخلاء !!

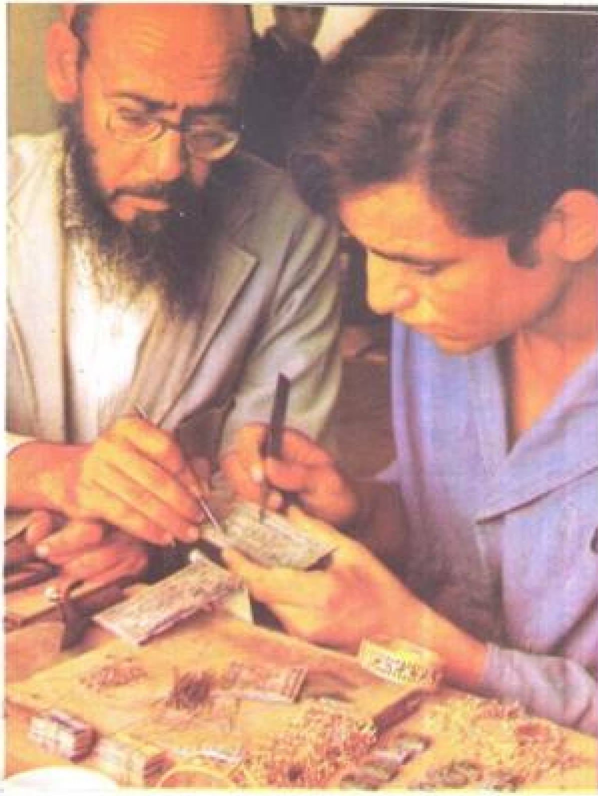
واذا نظرنا الى قائمة الطعام المحلية في جربة ، وجدناها هزيلة بدائية .. وفي مقدمة ماكولاتهم « البروشيت » اى اللحم المشوى بالاسياخ .. و « البريك » وهو رقاق ملفوف على بيضة نيئة . ومن الاكلات الجربية الشعبية : « البسة »

جربة ، تقوم فتيات الجزيرة الى ازياء جميلة حديثة .. وتعمل فساتين في اليوم الواحد .. ومما من حاجة السوق المتزايدة ..



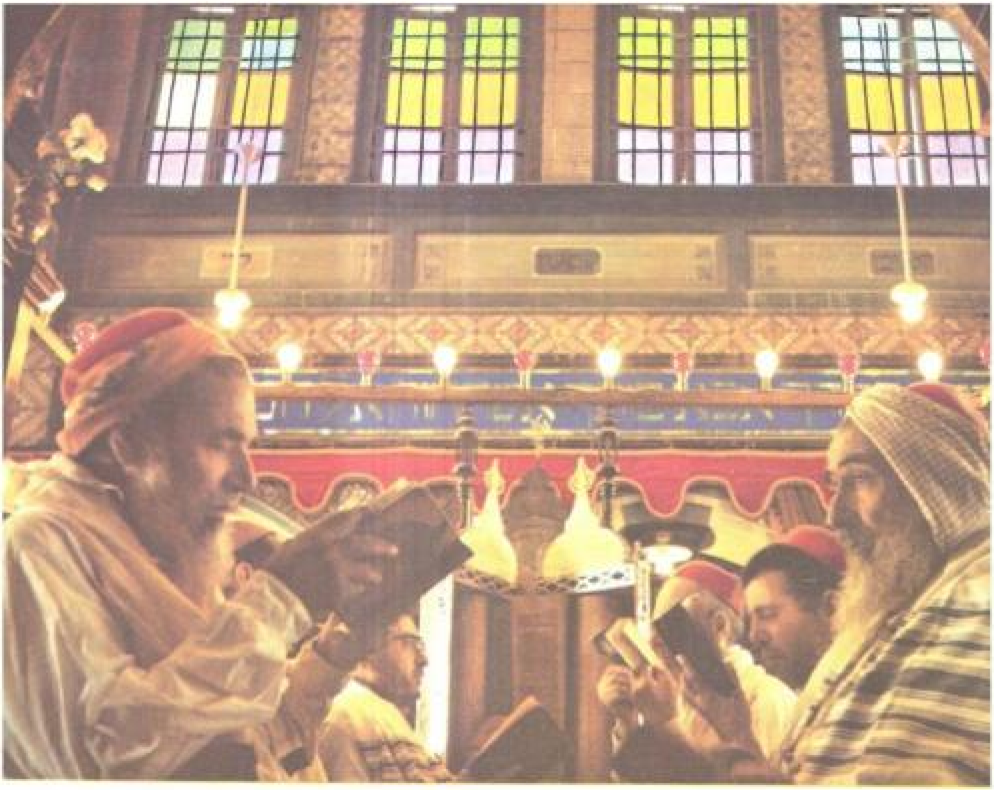
مشاكل بالجملة ، امام فرع الاتحاد النسائي في جربة .. فالمرأة في جربة متأخرة عن شقيقتها في الاراضي التونسية .. « ولكننا سوف نلحق بالركب ونتقدم بسرعة ، بفضل التعليم » هكذا قالت لنا السيدة جريرة رئيسة فرع جربة ..

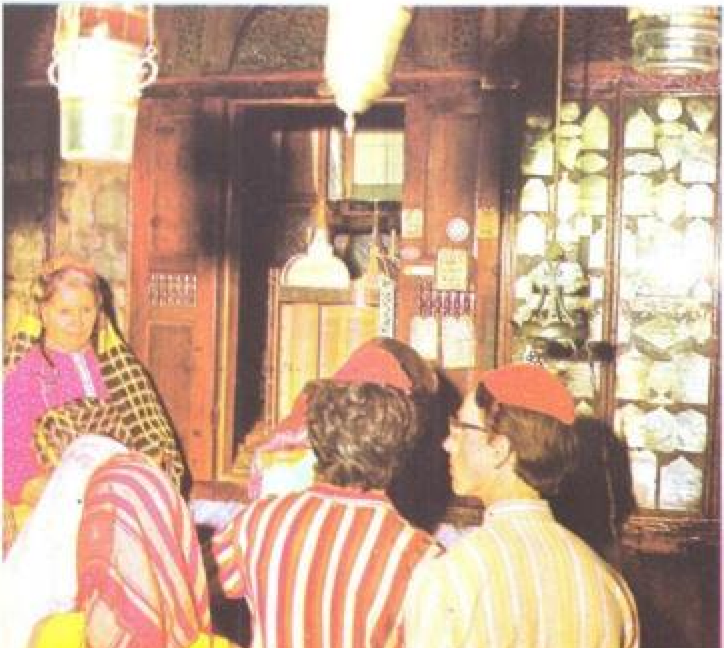




التسامح سنة في الاسلام قديمة .. عاش اليهود بين المسلمين في سابق القرون آمنين مطمئنين ، والصورة التي يجدها الزائر في جزيرة جربة هي صورة من هذا التسامح القديم ، ففي جربة تعيش جالية من أقدم الجاليات اليهودية في العالم ، لتمارس شعائرها وطقوسها وتجارتها بكل حرية واطمئنان .. لقد برع ابناء هذه الجالية في صناعة الفضة والذهب ، وترى في الصورة اليمنى احد الاشياخ منهم يعلم شابا عربيا هذه المهارة القديمة .. ويعيش هؤلاء اليهود في قريتين بجربة هما : قرية الحارة الصغيرة ، وقرية الحارة الكبيرة ، وفيهما كنيس لليهود يسمى « الغريبة » نرى جزءا منه في الصورة السفلى.







« هذا مقام صغير عتيق ، تأسس من وقت ان اخلي بيت المقدس الأول في عهد نبوخذنصر ، اي منذ ٢٦ قرنا تقريبا ».

هذا ما تراه مكتوبا على قطعة من رخام في كنيس اليهود ، الذي ترى بعضا منه في الصورتين العليا ، والتي بجانب هذا الكلام لقد ترك اليهود بيت المقدس في هجرتهم القديمة ، وجاءوا الى جربة ، حاملين معهم توراتهم وقطعا من احجار هيكلهم شيدوا بها كنيسهم في الجزيرة ..

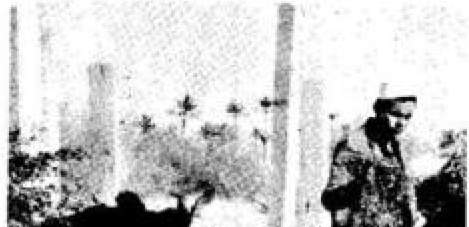
.. وتصنع من الدار ُع ، وهو نوع من الذرة الرفيعة يطحن ويخلط بالزيت ويؤكل في الصباح ايام الصيف .. وفي الشتاء يخلطونه بالماء والسكر ويضعونه على النار ويسمونه « سحلب » ..

والواقع ان هذه الاطباق الهزيلة من اصناف الطعام هي انعكاس لبخل الارض ، وبخل اهلها المشهور ..

ولو انهم ينفون هذه الصفة عن انفسهم ويقولون: نحن لسنا بخلاء ، وانما اقتصاديون ، مثلنا في ذلك مثل أهل صفاقس » .

امطار متقلبة !

والواقع ان طبيعة الجزيرة الجافة وقلة



كانوا يقولون أن الابقار لايمكنها العيش في جربة ، حتى ظهرت الفنادق الكبيرة ، ومعها بدات الحاجة الى الحليب الطازج ، فجلبوا منذ عامين ٦٠ بقرة من هولندا انتجت ٦٥٠ لترا من الحليب يوميا .. وتوالدت هذه الابقار فوضعت ٥٦ عجلا .. وهكذا بدات الابقار تحتل مركزا كبيرا في الجزيرة !!

مياهها هي التي تدفع اهلها للاقتصاد . ونقص المياه كان دائما المشكلة الاولى في الجزيرة ، حتى ان اسمها القديم « مانكس » يعني « ماء ناقص » !

وما زال كل منزل في جربة يحوي بئرا لاستخراج المياه الجوفية نصف المالحة ، ومستودعا كبيرا تحت الارض ، يسمونه « ماجن » تجمع فيه مياه الامطار لتستعمل في الاغراض المنزلية .

ولكن هذه الأمطار لا تهطل بكميات معروفة منتظمة ، ففي عام ١٩٤٥ كان معدلها ٧٨ مليمترا ، ارتفعت الى ٢٨٨ مليمترا في عام ١٩٤٦ .

ولمواجهة الاستهلاك المتزايد من الماء اقاموا عام ١٩٦٦ خطا لانابيب المياه ، يمتد من آبار منطقة مارث ، ثم يعبر على الطريق الروماني المستصلح حتى قرى الجزيرة وفنادقها .

الزراعة تعود للجزيرة

ويعتمد الفلاح في زراعته على مياه الأمطار ، وبعض المياه الجوفية المتجمعة وسط الجزيرة وشرقها حيث تزرع عليها بعض شجيرات الرمان والتفاح .. اما الزيتون ، وعدد اشجاره ..٤٠ الف شجرة ، والنخيل وعدده ٥٧٠ الف نخلة ، فكلها اشجار لتجميل الجزيرة وحفظ تربتها من الانجراف .. اما محصولها فشبه معدوم ..

ويعقد المسئولون الآمال الكبار على عودة الجربي الى خدمة ارضه ، ويحنون الى ماضي الجزيرة الزراعي الذي وصفه التيجاني في رحلته منذ ٦٦٠ عاما بقوله : « وهي أرض كريمة المزارع ، عذبة المشارع .. واكثر شجرها النخيل والزيتون والعنب . وبها اصناف كثيرة من سائر الفواكه .. وتفاحها لا يوجد في جميع بقاع الارض له نظير ، لما يوجد فيه من صفاء وجفاف وطيب مذاق ، وعطارة استنشاق .. ورائحته توجد من المسافة المديدة ، والاميال العديدة .. وكان من شجره بهذه الجزيرة قبل هذا كثير ، ثم قل الآن بسبب أن أهل أوربا يتحفون به ملوكهم وكبارهم دون تعويض لاربابه عنه .. فرأى أهل الجزيرة أن غيره من الشجر أعود بالفائدة عليهم فقطعوا اكثره » .

هكذا كانت حالة الزراعة في الجزيرة سابقا .. اما الآن فان فنادق الجزيرة لا تجد حاجتها من اصناف المأكولات الممتازة التي تقدمها للنزلاء .



غابة النخيل تحركها نسمات البحر المتوسط انها تضفي على جربة جمالا خاصا ، جعلهم يطلقون عليها اسم : الجزيرة الواحة .. ومما يذكر ان الاصلاح الزراعي الذي تم في تونس أذاب الملكية الفردية في تعاضديات جماعية (جمعيات تعاونية) ، وجاءت الانباء الاخيرة تفيد ان تعديلا كبيرا قد طرأ على نظام هذه التعاضديات .

ولكن النشاط الزراعي بدأ يعود الى الجزيرة ، وخاصة بعد صدور القانون الذي يحتم على الفنادق شراء حاجياتها من السوق المحلية في الجزيرة ، ومن التعاضديات بالذات .. لقد عادت الحياة تنبض في ٢٣٠ هكتارا من الارض المهملة .. وبدات مزارع الابقار تظهر في الجزيرة لتقدم الحليب الطازج ومشتقاته الى الفنادق .. وفي هذا العام بدات زراعة الهليون Aspergos الذي يقبل السياح على اكله .

جبال الألب الجربية !!

وارض جربة ، رملية منبسطة تتخللها بعض التلال الرملية التي يعتز بها ابناء الجزيرةفيطلقون عليها اسم « جبال الألب الجربية » وهذه مبالغة واضحة، اذ لا يتعدىارتفاع اكبر تل منها ٤٥ مترا.

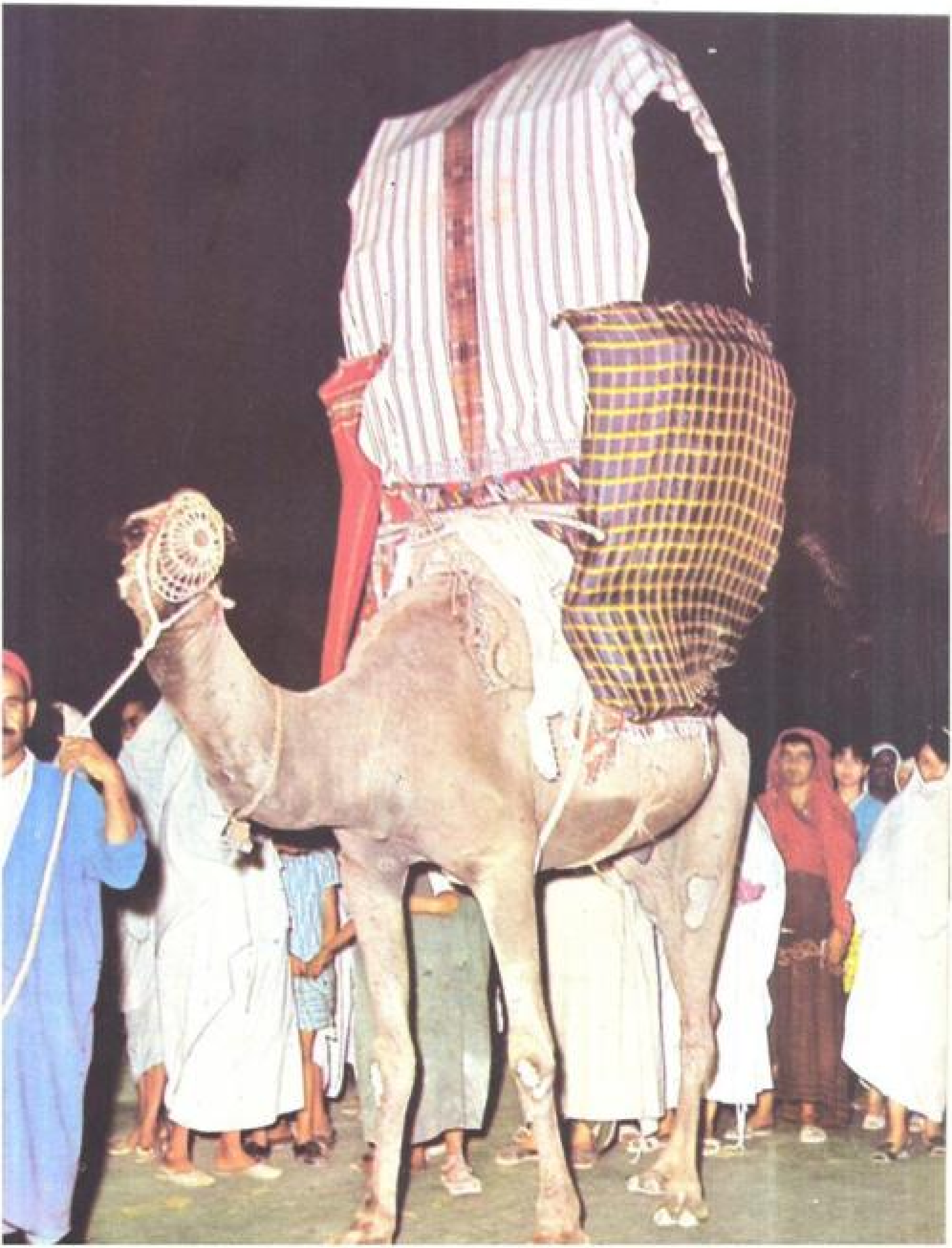
وتحت هذه التلال تقبع بقايا آثار جربة .. اما الجزء الذي سبق اكتشافه فقد أضحى مفخرة لمتاحف باريس وتونس العاصمة .

بطل طروادة في جربة

حقيقة انها جزيرة صغيرة لا تتعدى مساحتها ٥٢٨ كيلو مترا مربعا اي ضعف مساحة جزيرة مالطة ، ولكن تاريخها قديم مثير يمتد الى ٣٠ قرنا مضت ، عندما خلدها هوميروس في « الالياذة » .. وهي من روائع اساطير الميثولوجيا الاغريقية ..

فقد ذكر في الالياذة قصة القائد الأسطوري اوليس بطل حصار طروادة ، وزوج بينلوب ، نزل مع جيشه الى جزيرة مانكس .. وتناولجنوده ثمار شجر اللوتس ، تلك الفاكهة العسلية التي تضيع ذاكرة آكلها وتجعله يغطفي سبات عميق للابد .. ولم يفق رجال اوليس من اغفاءتهم الا بعد ان قيدهم اوليس ووضعهم في قاع سفينته ورحل عن هذه الجزيرة الساحرة ليعود الىزوجته بينلوب بعد غياب ثلاث سنوات ، ظلت خلالها تفك في الليل ما تحيكه في النهار ، لتتخلص من مريديها الذين اعتقدوا أن زوجها اوليس قد مات ، بينما كان هو في جزيرة مانكس .

في صفاقس : تبلغ حفلة الزواج الشعبية أوج روعتها عندما تزف العروس الى عريسها في موكب حاشد لا ترى منه العروس شيئا ! . فهي تجلس بكامل زينتها داخل « الجحفة » (الهودج) المقفلة عليها تماما فوق ظهر الجمل ، يتمايل بها ذات اليمين وذات اليسار ، وهو يسير في موكبه التقليدي بعد منتصف الليل من بيت العروس ، الى منزل الزوج الذي لا يصله الا عند بزوغ الفجر ، لأنه يتجول في شوارع المدينة كلها ، ويقف كل خمس دقائق ليغني الشبان ويرقصون . فيضطر المركب الى التوقف حتى ينتهي الغناء !!





.. وهذا الزواج يتم على أسلوب حديث في مبنى البلدية .. لقد وصلت العروس متأخرة عن موعدها ٤٥ دقيقة ، ومع ذلك انتظرها عشرات المدعوين ، لأن المثل الجربي يعطيها العذر بقوله : « **ايش يخرج العروسة من بيت أبوها** » .. ونرى هنا الدكتور صادق المقدم رئيس مجلس الأمة التونسي ، ورئيس بلدية جزيرة جربة ، يعقد قران العروسين صادق عثمان وآمال الشاهد من أبناء الجزيرة ..

الى أسفل : فرقة الموسيقى الشعبية التي تحيي حفلات الزواج الشعبية .. الطبال يدق على الطبلة ، والزمار ينفخ في مزماره العجيب .. ان الاصوات الصاخبة التي تنطلق من الطبلة والزمار توقظ جميع سكان مدينة حومة السوق !! . لاحظ باقة « المشموم » اي الياسمين ، فوق اذن الزمار ..



ومانكس هو الاسم القديم للجزيرة ، التى لم تعرف باسم جربة الا في بداية القرن الرابع الميلادى .. والبعض يقول ان جربة هو اسم قبيلة من قبائل الاباضية ..

التاريخ مر من هنا ..

ومنذ فجر التاريخ وجزيرة جربة تتنقل من محتل الى محتل ، واول من احتلها كان سكان جزر بحر ايجه الذين مكثوا فيها من سنة ٣٠٠٠ حتى سنة ١٦٠٠ قبل الميلاد ، ادخلوا خلالها غراسة اشجار الزيتون وصناعة الفخار ، ثم جاءالفينيقيون في القرن الثانى عشر قبل الميلاد ، وتبعهم الرومان من القرن الثانى قبل الميلاد حتى القرن الرابع الميلادى ، واقاموا خلال حكمهم الطويل الجسر الروماني وطوله ستة كيلو مترات ، ليربطوا بين الشاطىء التونسي وشاطىء الجزيرة .. وانتهى عهد الرومان لتدخل جربة تحت حكم الامبراطورية البيزنطية عام ٥٣٤ م ، ولكنها لم تستمر طويلا تحت حكمهم ، فقد جاءها الصحابى رويفع بن ثابت الانصارى وفتحها عام ٤٦ هـ . (٦٦٧م .)

ثم جاءها اليهود هاربين من مذابح الاندلس فوجدوا فيها ماوى لهم .. وعاشوا بين اهلها وشيدوا قريتهم المعروفة باسم « الحارة الكبيرة ».

وتتعاقب الأحداث الدامية على الجزيرة بصورة متلاحقة سريعة ..مرة يحتلها الصقليون ،فيحررها الموحدون ، ويعود الصقليون ويقتلون الالوف ، وياخذون معهم ثمانية الاف اسير .. ويثور الجربيون ويحررون جزيرتهم ، ولكن العناد الصقلي يستمر فيعاودون الاحتلال بشراسة زائدة فيقتلون بحد السيف كل ذكر في الجزيرة يزيد عمره عن ١٢ سنة وياسرون جميع النساء والفتيات.

ويهرب من الموت من يهرب .. ولا يلبث الاطفال الذين بقوا احياء ان يشبوا ويكبروا ويثوروا محررين جزيرتهم عام ١٣٣٣ م. ويتحول الخلاف الداخلي بين طائفتي الجزيرة الوهبيين والنكارة الى حرب اهلية دموية .. وتستمر الجزيرة الممزقة في محنتها حتى يأتيها الحفصيون .. ولكن الهدوء لم يدم طويلا اذ ياتي الاسبان في اضخم حملة شهدتها المنطقة .. لقد جاءوا في جيشجرار تعداده ١٥ الف جندى .. وقاومهم الاهالي بشجاعة مذهلة بقيادة الشيخ سليمان يحيي السموني ، وتنتهي المعارك الضارية بفشل الحملة ومقتل ١٠ آلاف من جنودها بينهم رئيسها دوق البا .. لقد هزم الجربيون جيش اسبانيا في أوج مجدها .. وكانت صفحة اخرى من صفحات البطولة ، سجلها العرب في التاريخ ..

وبعدها اصبحت الجزيرة وكرا لقراصنة البحر المتوسط .. جاءها باربروس ، ودارغوث الملقب بأسد البحر الذى جعلها قاعدته ، وعندما حاصره اسطول شارلكانت سارع بشق ترعة وسط الجزيرة ، ونقل اسطوله خلالها ليهرب من الحصار المفروض عليه . (١) .

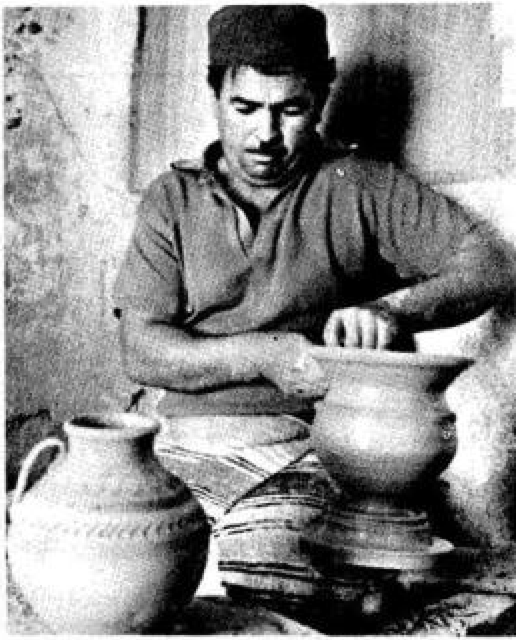
وقد وصف التيجانى جزيرة جربة عام ١٣٠٦ م. بقوله : « وجزيرة جربة من أعظم الجزائر خطراً ، وأشهرها في سالف الزمن عمارة وذكرا ..

ان تاريخ الجزيرة بالتفصيل يحتاج الى كلام كثير ، وهذا الذى ذكرناه لا يعدو ان يكون لمحة عابرة من تاريخها .



الطريق الروماني القديم بعد ان تم تعبيده . انه الطريق الذى يوصل الجزيرة بالارض التونسية .. وعند طرفه مدوا أنبوبا ضخما يحمل الماء العذب من جنوب منطقة مارث الى الجزيرة ..

(١) انظر مقال أسد البحر في العدد ٢٠ من « العربي » يوليو ١٩٦٠ .



يتباهى اهل جربة بصناعة الفخار في جزيرتهم ، ويقولون انه اقدم صناعة من نوعها في العالم .. ونرى هنا « رمضان بن محمود » يقوم بصنع الفخار على الطريقة التقليدية القديمة ، رغم انه تلقى دراسة عملية على الآلات الميكانيكية في فرنسا وبلجيكا وألمانيا ولكنه يفضل طريقة آبائه ..

قرية للتعذيب والقتل

ولكن لا يمكن ترك التاريخ دون الاشارة الى الطاغية « ابن عياد » احد عمال العائلة الحسينية. الذى تفنن فى التنكيل بابناء الجزيرة ، فاقام لهم قرية خاصة ـ ما زالت معالمها واضحة الى اليوم قرية ضمت منازلها كل ادوات التعذيب والقتل ..

٣٦٠ وليا في جربة !

وعندما فرضت الحماية الفرنسية على تونس عام ١٨٨١ عاشت جزيرة جربة فترة تناحر بين اهلها كان يغذيها المستعمر مستغلا وجود المذهبين والطرق العديدة المختلفة من عيساوية وعامرية وكدائرية وتيجانية .. فاوقع افراد كل طائفة منها مع افراد الفريق الاخر .. وشجع التقاليد البالية والخزعبلات حتى اصبح للجزيرة ٣٦٠ ضريحا لاولياء لا تربطهم بالولاية اية صلة !!

وعندما حصلت تونس على استقلالها عام ١٩٥٦

دخلت الجزيرة عصرا جديدا من البناء والتعمير .. لقد بدأت حركة بطيئة متثاقلة مع مطلع الاستقلال ، ولكنها ما لبثت ان انطلقت مع بداية عام ١٩٦٤ بسرعة هائلة وتقدم مذهل ..

ازدهار خيالي في الطريق

ثم كان السؤال الذى يسعى اهل جربة للاجابة عليه : « ما هو المجتمع الجديد الذى نريده .. وفي أى قرن من الزمان سنعيش .. ؟»

وحدثنا الدكتور صادق المقدم رئيس بلدية جربة ورئيس مجلس الأمة التونسي ، ذلك الرجل الذى مثل تونس في مؤتمر القمة الاسلامى ، ومع ذلك ظل وفيا للجزيرة التى هى مسقط راسه ،فاختارته رئيسا لبلديتها .. انه يقول : « نحن الآن نمر بفترة انتقال اجتماعية حساسة .. ومشكلتنا الاولى في تونس هى تكوين الجهاز البشرى وتدريبه للعمل في مختلف المجالات الجديدة التى اخذت تتسع اتساعا هائلا منذ لحظة ولادتها .. ان أبناء جربة الذين نزحوا عنها طلبا للرزق بدأوا يعودون اليها ثانية ، انهم رصيد هائل من القوة البشرية .. لقد ذابوا كلهم في البوتقة التونسية ، أما الانتماء العشائرى فهذا أمر تعداه الزمان وتجاوزته الاحداث ..

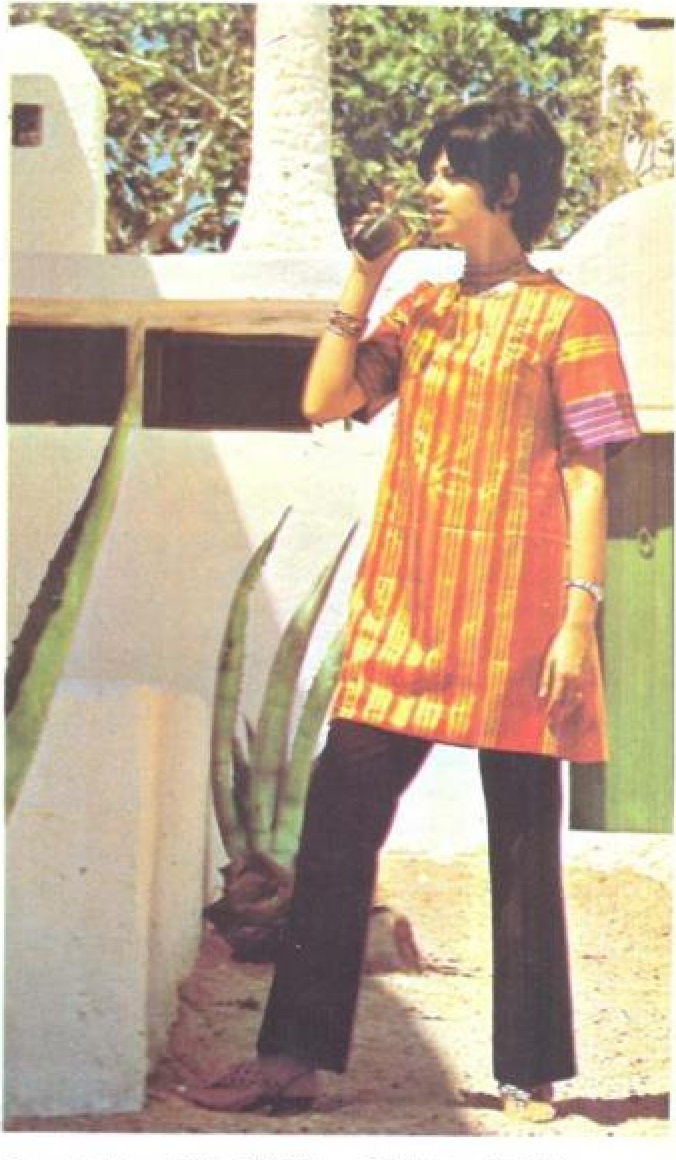
« واليهود الذين عندنا في الجزيرة هم مواطنون جربيون ، مثلهم مثل أى مواطن آخر ، لهم حقوقهم وعليهم واجباتهم .. اننا لا نفرق بين المواطنين على أساس دياناتهم .. ما داموا يحترمون قوانين البلاد .. فالدين لله والوطن للجميع ! » .

وينهى الدكتور صادق المقدم حديثه بقوله : « اننا نعيش تجربة خاصة في جربة .. فوجود اربعة آلاف سرير في فنادقنا مشغولة دائما بالسائحين الزائرين ، حرك كل عجلات الحياة في كل شبر بالجزيرة .. ولن ينقضي عام ١٩٧٢ الا وتكون الجزيرة قد انتقلت الى فترة ازدهار لم تشهد لها مثيلا فى تاريخها .. »

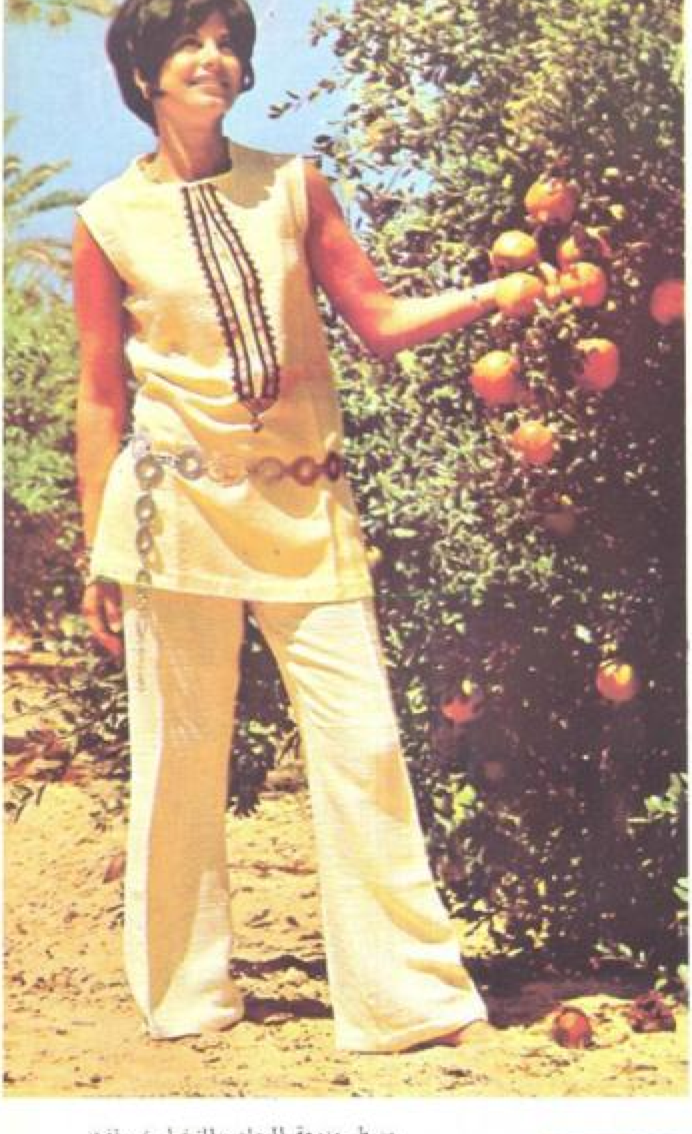
السياحة وسيلة للنهوض بالمواطن

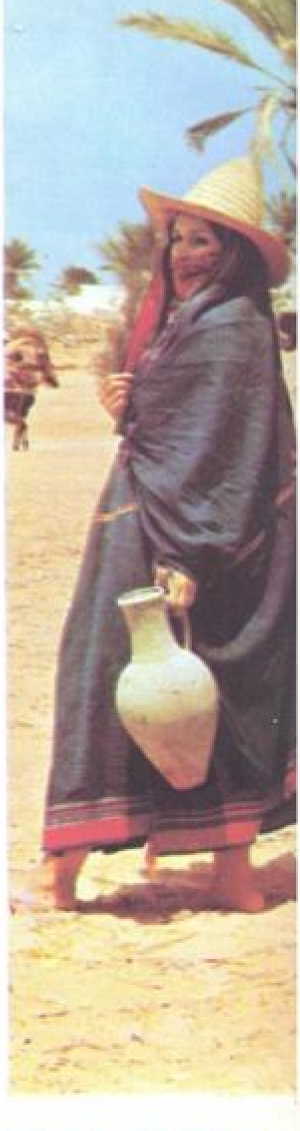
ويتابع السيد بشير بخروف معتمد جربة ، الحديث بقوله : « ان السياحة هى وسيلة من وسائلنا للنهوض بالمواطن الاقتصادى التونسي .. ان السائح يأتى الينا للراحة ، لهذا تجده يستهلك وينفق أكثر من غيره .. انه في حاجة الى خدمات





« **الفوطة .. والتلثيمة .. والمظلة** » أى الملاءة .. والبرنع .. وقبعة الخوص .. هذا هو زى المرأة في جربة .. انها امرأة تحصد الزرع وتغزل الصوف ، وتقطف الزيتون وتطبخ وتنظف المنزل .. بينما رجلها يهتم بفخاره واسماكه وزراعته وتجارته .. انه لا يعرف شيئا عن الطبخ أو محتويات المنزل .. واذا مرضت زوجته فانه يستدعى قريبته أو جارته لتطبخ له وترعى المنزل .. وما زال عدد كبير من بنات جربة يمشن هذا الأسلوب ويرتدين الزى التقليدى القديم ، ولكن فرع الاتحاد النسائي بدأ عملية تطوير هائلة لهذا الزى الوطنى ، بحيث أصبحت السائحات يقبلن على ارتدائه والتفاخر به .. والصورة اليمنى لأحد هذه الأزياء ، وهو « الملحفة سبعة » أى ذات السبعة خطوط ، بعد تطويره الى قميص وبنطال يصلحان للسهرة .. والصورة الثانية لامرأتين ترتديان الزى التقليدى : الفوطة الزرقاء ، والمظلة.في منطقة قلالة .. وهى المنطقة التى يصنع فيها الفخار الجربى ، ذو الشهرة العالمية ..





وسط مزرعة الرمان والنخيل ، وقفت عارضة أزياء الاتحاد النسائي مرتدية زي « الملية » الوطني بعد تطويره الى بنطال وفستان يصلحان للسهرة .. والى اليمين صورةاللباس الوطني : المظلة على الرأس ، والتلثيمة على الفم،والفوطة على الجسم .. ومما يذكر ان زي المرأة التقليدي في جربه، يختلف باختلاف المناطق ، في تلك الجزيرة الصغيرة ...





ظلت جزيرة جربة محرومة من مركز لائق لاقامة الاجتماعات والحفلات ، حتى تم بناء دار الشعب الفسيحة في مدينة حومة السوق .. وعلى اثر ذلك تألفت فرقة موسيقية من ٢١ شابا ، يعزفون الموسيقى العربية ، والمالوف التونسي ، في الحفلات ..



هذه المنازل الجميلة الرائعة الملحقة بالفنادق ، منها مفروشا كاملا بنحو سبعين جنيها تونسيا

كبيرة .. وهذه الخدمات هي التي يقوم بها ابن البلد ويجني ثمارها .. اننا نبذل جهدا مضاعفا من أجل النهوض بجزيرتنا ، ونحن لا نطورها بأفكارنا فقط ، وانما نقبل أي فكرة جديدة تتمشى مع تقاليدنا وعاداتنا التونسية .. ان مشاريع المستقبل في الجزيرة تشترك فيها شركات وشخصيات كبيرة من كل انحاء العالم .. »

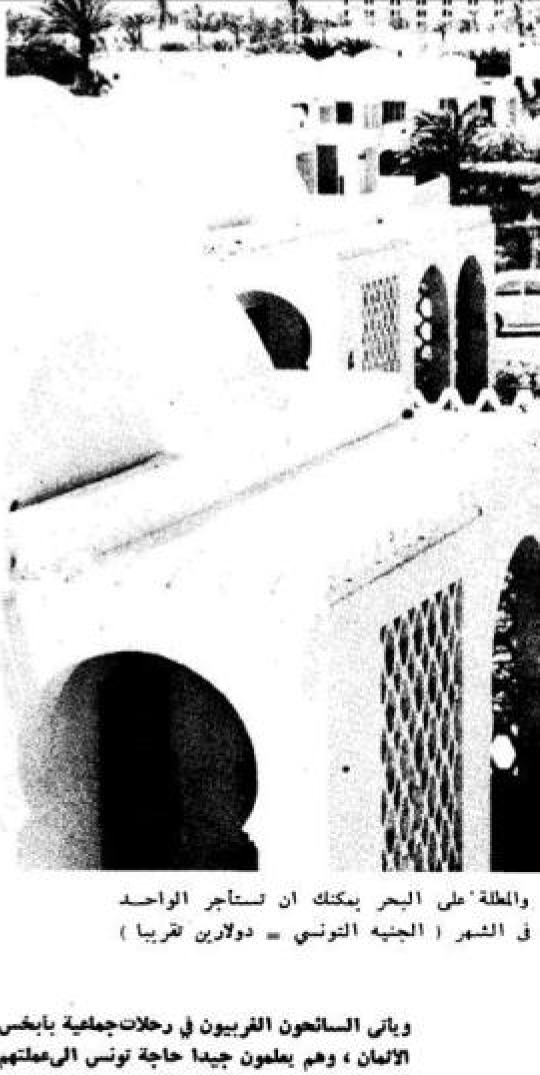
الحاجز ينهار ..

وتتساءل اين « الرأسمال » العربي ، وأين رجال المال العرب ؟ ويأتينا رد المعتمد صريحا قاسيا :
« ان غالبية العرب لم يسمعوا بعد باسم جزيرتنا جربة ، فكيف يمكننا أن نطلب منهم الاشتراك معنا في النهوض بشيء ، لا يدرون عنه شيئا ؟ .. ولكن هذا الحاجز بدأ ينهار عندما توافد ابناء ليبيا على جربة .. وعشقوها ، فتركوا غرفهم في الفنادق التي ينزلون بها ، وابتاعوا المساكن الدائمة يأتونها في الوقت الذي يريدونه صيفا كان أو شتاء .. فهي تبعد ٢٠٠كيلومتر فقط عن طرابلس الغرب.. »

استغلال .. وقناعة !

ان أوليس قطع المسافة الى جزيرة جربة من اليونان في عشرة ايام منذ ٣٠ قرنا ، اما اليوم فان بضع ساعات قليلة كافية لأن تنقلك من أبعد عاصمة عربية واوروبية الى جربة مباشرة .. ان هذه الجزيرة الساحرة الصغيرة تحوي مطارا عالميا تهبط فيه اكبر طائرات البوينج الى جانب الطائرات الخاصة الصغيرة ..

وما يكاد السائح يهبط من الطائرة حتى ينتقل مباشرة الى المناطق السياحية والفنادق الكبيرة ..



والمطلة على البحر يمكنك ان تستأجر الواحد في الشهر (الجنيه التونسي = دولارين تقريبا)



كان الشباب في الماضي يهجر جزيرته الى مدن البحر المتوسط بحثا عن العمل والرزق .. اما اليوم فقد بدا الاستقرار ، ولم يعد احد يهجر الجزيرة .. ولكن المشكلة هي : الفراغ الكبير الذى يعيشه ابن البلد في جزيرته الجميلة ؟

وياتي السائحون الغربيون في رحلات جماعية بابخس الاثمان ، وهم يعلمون جيدا حاجة تونس الى عملتهم الصعبة فتراهم يستغلون الظروف ويتمادون في استغلالهم، حتى انقلب الوضع في الجزيرة واصبح السائح هو الجشع ، والجربى هو القانع !!

ورغم كل هذا فان جزيرة الاحلام لا تسلم من حملات صهيونية كاذبة مسعورة تشن عليها ، فكم من مرة حاربتها الصحافة الغربية ، فراحت تروى قصصا مختلقة عن الجزيرة .

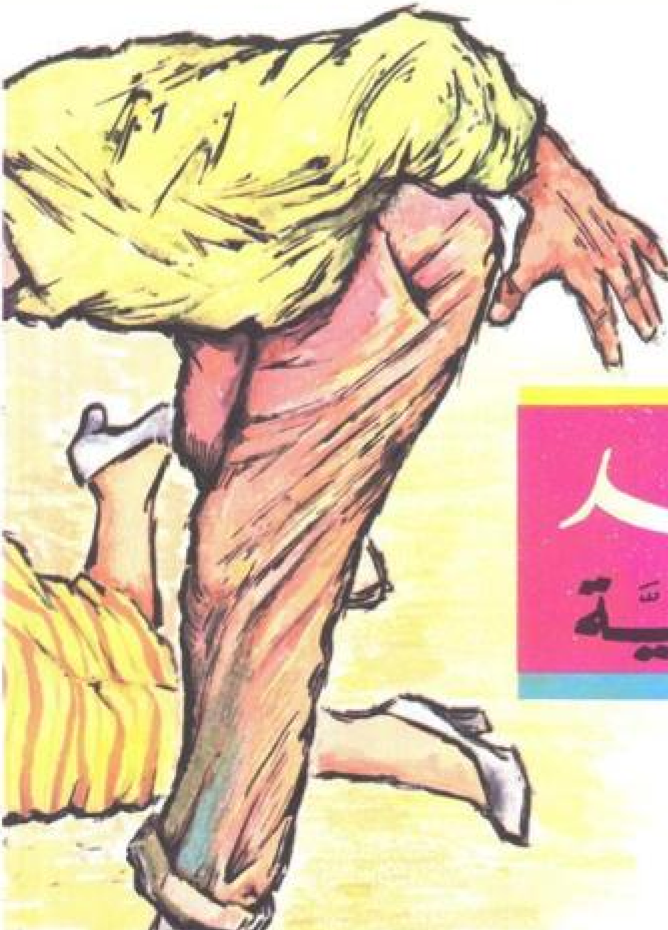
« لقاء الاشقاء .. »

ان اهل جربة يريدون السائح العربى .. ولكن نظام السياحة التونسي مرتكز كله على اجتذاب السائح الاوروبى .. وبالرغم من هذا ، فقد بدا السائح العربى يعرف الطريق الى جربة ..

هذه الجنة المنسية بدات تنتشي بهذا اللقاء الجديد بين العربى وشقيقه العربى .. لقد جاء العرب اليها وسبحوا في مياهها الدافئة ونعموا بجوها الجميل الرائع، واكتشفوا اخوة لهم يعيشون في هذه الجزيرة الهادئة ، ثم عادوا الى بلادهم ينقلون ذكريات ايام حلوة امضوها فوق رمالها الناعمة ..

عادوا ولسان حالهم يقول : « تعالوا معنا لنشترى قطعة ارض في الجنة نقيم فوقها بيتا يصبح لنا عشا نأوى اليه كلما احسسنا بحاجتنا الى الراحة والهرب من دوامة الحياة .. سعيد ذلك الذى يهيىء لنفسه بيتا فوق رمال جزيرة اللوتس والجمال والاحلام ! . » ■■

سليم زبال



العيد لهُ ضَحِيَّة

قصة بقلم

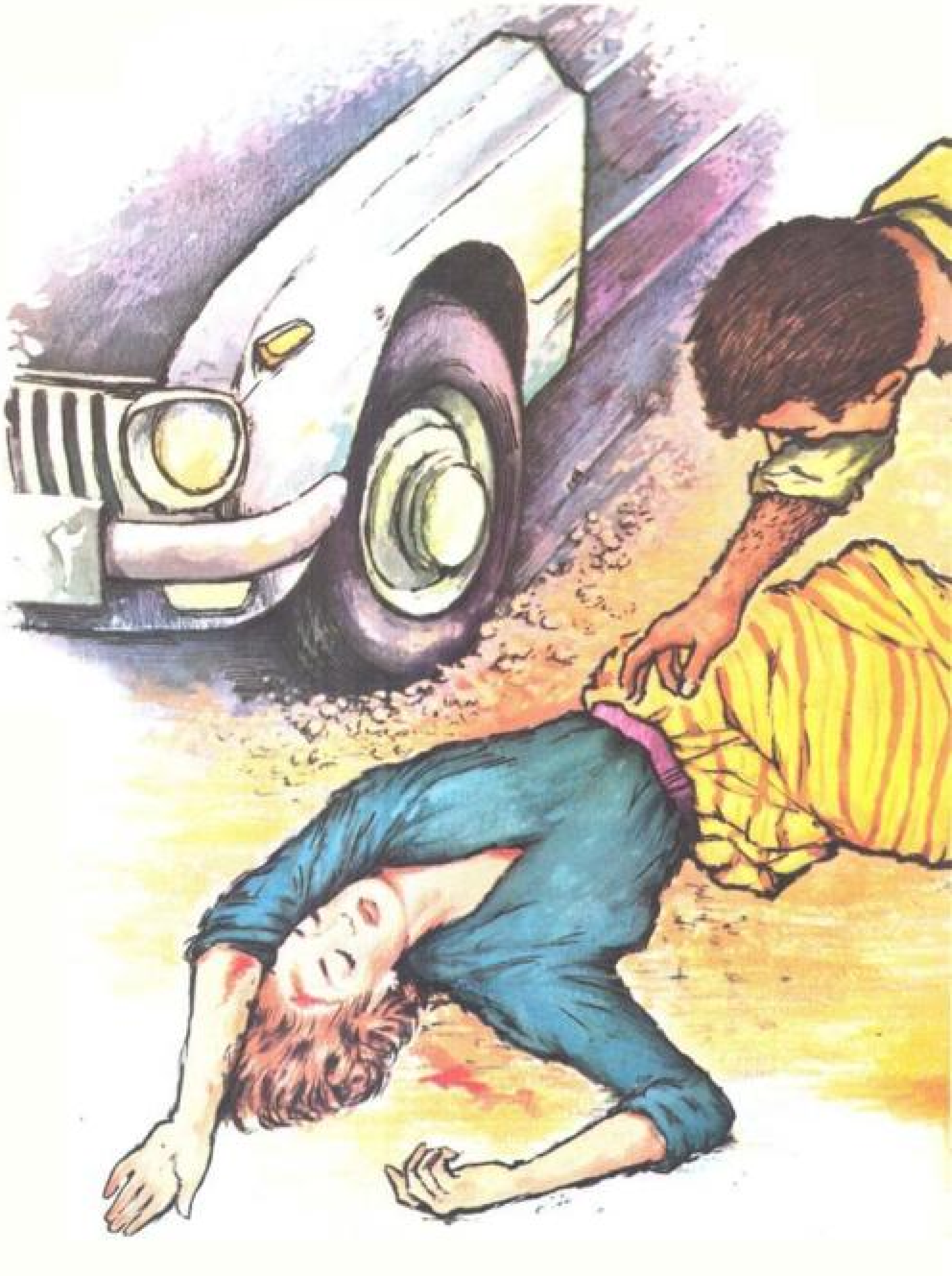
محمود تيمور

■ نعم ، أنا سائق سيارة اجرة

نشيط ، ميسور الحال ، لم اذق في حياتي الخمر ، ولم تفتني مرة واحدة صلاة الجمعة ... رجل مستقيم ، في حالي ، من منزلي الى ماوى السيارات ، ومن ماوى السيارات الى منزلي ... قليلا ما اقصد الى القهوة لاجتمع بالرفاق ، اشرب معهم الشاى ، وادخن الطباق ... احب زوجتي واولادي ، وهم يحبونني ... لدينا مذياع نقضي امامه متجمعين بعض الوقت ، فنستمع الى الموسيقى والاغاني .. وقد وعدت الاولاد أن أحضر لهم جهاز « تلفزيون » لكي يستمتعوا بالاذاعة المرئية ، فكادوا يطيرون فرحا .

غدا عيد ، أعني عيد الاضحى ، وقد أعددنا له كل شيء : اللحم ، والثياب الجديدة ، وسنتحلق

... وفيما انا على هذه الحال، سمعت صرخة ، ولمحت جسما يرتطم بالارض امام السيارة ، فوقفت دفعة واحدة ... كانت هناك سيدة ملقاة ليس بها حراك ...



كلنا حول قصعة الثريد ، ونملأ بطوننا ونحن نتضاحك ونتبادل التهنئة .

كل عام وانت بخير يا « ام محمد » ...

كل عام وانتم بخير يا أولاد ...

كل عام وانت بخير يا « ابو محمد » ...

كل شيء يسير سيره الطبيعي ، والسعادة تغمر قلوبنا جميعا ... حتى وقعت الواقعة !

ماذا جنيت يا رب حتى القى منك هذا العقاب ؟

عفوك يا رب .. ليس هو بعقاب ، بل هو امتحان ، انها محنة تبلوني بها .. فهل استطيع احتمالها احتمال المؤمن الصابر على بلواه ؟

في هذا اليوم العصيب ، صبحتني بوجهه « عبد العال » ، وكنت اتحاشى دائما أن أصطبح به ، ولكن وقع المحذور .

انى على يقين انى اصطبحت اول ما اصطبحت بخلقة « عبد العال » الفحام ... وكلنا يعلم أن من يصطبح به يكابد في يومه ما لا يحمد .

وافلتت منى تنهيدة ، وانا اردد .

لا حول ولا قوة الا بالله ... يا لوجهه العكر الملطخ بغبار الفحم ، تبص منه عينان براقتان تقدحان شررا ... جسمه كله مسود مغبر ، لا يغطيه الا زكيبة قذرة مهلهلة من زكائب الفحم ، هي ثوبه ... انه رجل حقود حسود ... ينعى علينا كلنا رزقنا الحلال ، ولسانه لا يفتر عن الشكوى والتأفف :

غيرى مبسوط ، وانا الذى اشقى بالفقر ... غيرى يسير معتدل القامة ، نظيف الثوب ، وانا الذى قد تقوس ظهرى من حمل الزكائب ، واسود وجهى من الفحم ، واسودت معه ايامى ... عيشتى كلها هباب في هباب !

ولكن ما ذنبى انا يا « عبد العال » فيما قسمه لك القدر ؟ ... ما ذنبى حتى تترصد لى وتلقانى في الصباح المبكر بهذه المحنة السوداء ؟

وعلى الرغم من كل شيء صحت به قائلا :

كل عام وانت بخير يا « عبد العال » !

اى عام تطلب لى فيه الخير يا رجل ، وانت تعلم حق العلم انه لا عيد لى في حياتى كلها ؟ اترالا تشمت بى ؟

وتوخيت مأوى السيارات ، وانا أطلب من الله أن يرد عنى حسد « عبد العال » .. وخرجت بالسيارة أطلب رزقى .

وبدأت يومى بمخالفة صريحة لنظام المرور ... وصعدت السيارة مرة على الرصيف وكادت تصدم كلبا ، فمضى يعدو خلفى ، وهو يحاول أن يلحق بالسيارة .. ورأيتنى بعد حين أغلظ القول لسائق سيارة ، فسبنى ، وكدت اتشاجر معه .

وانتحيت ركنا خاليا على مقربة من النيل ، ووقفت بالسيارة ، وتناولت منديلى امسح به وجهى وأروحه ، ومثلت انظر الى صفحة النيل الرجراج تلتمع عليها اضواء الشمس متكسرة ... وهب على نسيم رخى انعشنى ، فشاعت في أوصالى الطمأنينة ، فتضاحكت ، وسرت بالسيارة صوب « هيلتون » ، فلم أعتم أن رأيت سائحا اجنبيا يشير الى ، كان ضخم الجثة ، منتفخا في ثيابه ، كأنه مبطن بأوراق النقد ... وكانت مسيرة الى « الاهرام » مرت في هدوء وسلام .

انزلت السائح المتنفخ امام فندق « ميناهاوس » وكان سخيا في عطائه ، ولم اكد اتمهل حتى الفيت رجلا بدويا من التراجمة مندفعا نحوى ، وفي اثره سائحة هرمة تحاول اللحاق به ... وصعدا في السيارة ، وتوجهت بهما الى متحف الآثار ... وكانت مسيرة أخرى طيبة ، لم يهدأ فيها لسان الدليل ، والسيدة الهرمة مصغية اليه في تشوف واهتمام ، وانا لا افهم شيئا مما يقال ... ونقدتنى السيدة أجرا مجزيا ... وتلفت حولى اقهقه ... وسرت بسيارتى متسكعا ، اباسط هذا وافاكه ذاك من الزملاء الذين يعبرون بسياراتهم الطريق ، ونحن نتبادل التهانى ، وكل عام وانتم بخير !

وعدت الى دارى ، فافرغت ما كسبته في حجر زوجتى ، واوصيتها أن تجيد في الصباح صنع الثريد وطهو لحم العيد .

ثم تناولت طعامى مع اسرتى هنيئا مريئا ، وفي نومة القيلولة رأيت حلما مزعجا : « عبد العال » يلبسنى على الرغم منى في يوم العيد زكيبة مهلهلة ملطخة بالسواد ، وهو يتضاحك في بشاعة مرددا :

هذا ثوب العيد يا « ابو محمد » ... لن تكون افضل منى ... لن تشمت بى !

واستيقظت من نومى فزعا أصايح مختنق الصوت فهرعت نحوى « أم محمد » تتساءل ... ثم اخذت تهدىء من روعى .

واصيلا توخيت مأوى السيارات ، وخرجت بسيارتى ، وكنت أشعر بشيء يثقل على صدرى ، وانثنيت اسير في الطريق متمهلا ، احاول أن أتصيد زبونا ، وتنقلت من شارع الى شارع بعض الوقت ، وبدأ الليل يرخى أستاره ، وبانت اضواء المصابيح هزيلة متراجعة أمام جحافل الظلام ، ومضيت

بسيارتي هنالك ، وتهت في خضم من الافكار ، واشتدت وطأة الهم على قلبي .

وفيما انا على هذه الحال ، سمعت صرخة ، ولمحت جسما يرتطم بالارض امـام السيارة ، فوقفت دفعة واحدة ، وقفزت وانا انتفض ... كانت هنالك سيدة ملقاة ليس بها حراك ، وهي تئن انينا ضعيفا لا يكاد يسمع ... ولفظت السيدة بضع كلمات بلغـة اجنبية ، واستبان لى في وجهها جرح ينزف ، وتلفت حولي انشد عونا ، فالفيتنى وحيدا في شارع منعزل مظلم لم يكتمل فيه بنـاء الدور بعد ، والمنطقة شبه صحراوية موحشة ... اأترك السيدة الجريحواهرب ناجيا ببدني؟ يا لله! كيف يخطر لى هذا الخاطر الوضيع ؟ الست مؤمنا موحدا بالله ؟ وانحنيت على السيدة اجاهد في سبيل نقلها الى السيارة ، والسيدة تحاول ان تعاونني بقدر مااستطيع .

الى الاسعاف ... الى المستشفى .. الى اى مكان تلقى فيه السيدة عناية الطب .

ورحت ادور يَمنة ويَسرة ، وانا اتبين السبيل ، على حين كانت السيدة لا ينقطع لها انين ... انين خافت تشوبه حشرجة وقد يمتزج ببعض الفاظ لا تبين ، ولكن فيها رنة التوسل والضراعـة .

وامتد بى السير ، وانا في بحران من الحمى والاضطراب ، والانين يتواصل ، والضـراعات لا تنتهي ... بيد انهما يضعفان رويدا ... وبعد قليل لم يعد يطرق سمعى صوت ، فوقفتبالسيارة انصت ، ليس من حس ، فالتفت ببصرى الى الجريحة فاذا هي قد انزلقت عن الاريكة ، فنزلت من السيارة واقبلت عليها اتفحص ، لا حركة ولا صوت .. واشعلت عود ثقاب ، وادنيته من وجهها ... يا للشيطان ! . لشد ما كان الوجه متقلصا ملطخا بالدم ، وجفناها مفتوحـين لا يطرفان ! ووجدتني ازعق من اعماق قلبي :

لا .. لا ... لا يمكن ان يكون ذلك !

وامسكت المرأة من كتفيها ، وهززتها وانا اكرر: قومي ياست ... ارجوك ان تقومي !

وانسابت من بين يدى الى وضعها السابق ، واخذت اضرب راسي بيدى قائلا :

لا ... مستحيل ان يقع هذا !

وتركت السيارة ، والقيت بجسدى على كثيب من الرمل على الطريق ، وما عتمت ان انخرطت في بكاء ونحيب .

ومكثت على هذه الحال وقتا ، ثم كفكفت من عبراتي ، وعدت الى السيارة تداعبني بارقة امل ... حاولت ان اوقظ السيدة من غيبوبتها ، ولكن بلا طائل ، بلا جدوى ، ووضحت امامى رهبـة الحقيقة التي لا تنكر .

وانثنيت اتطلع حولي .. ظلام في ظلام !

ورفعت بصرى الى السماء استوحى النجوم ، فاذا هي تبص الى رامشة ، كانها تخفى عنى سناها ...

غدا العيد ... الاولاد حول قصعة الثريـد يتحلقون ، و « ام محمد » رائحة غادية بما يطلبون .. الكل فرحان مبتهج ، بل الدنيا كلها في فرح وابتهاج . وانا ؟ اين يكون من كل هذا مكاني ؟ ماذا فعلت لأحرم متعة العيد بين اسرتي ؟

وقصدت الى السيارة اجر قدمىجرا ، واتخذت مجلسي في القيادة ، وادرت المحرك ... فانطلقت السيارة في بطء .. الى اين اتجه ؟ االى الشرطة اسلم نفسي واشرح ما جرى ؟ وهل يكون الا السجن نصيبي الى ان يحين موعد شنقى) هل اخفى معالم الجريمة لأحظى بالسلامة وبقضاء العيد في دارى ؟ اليس ذلـك هـو السبيـل الـى ان اواصل السعى في الدنيا الواسعة ؟ انى برىء ، برىء الف مرة ، ولكن من يسمع لقولى ؟ ساشنق بالسجن منفردا فيه ، ثم ينتهى بى الامر الىارتداء البدلة الحمراء ، ثم يسلمونني الى الجلاد !

السيارة تضرب في الطريق خبط عشواء ،وانا امعن في التفكير على غير هدى ،واحسست كأن دماغي ينفلق ، اذ تشعبت امامي المسالك والتوت، ولكانى في متاهة ادور فيها ولا افتأ ادور ... واخيرا وقفت السيارة ، فحاولت تسييرها فلم افلح ، وتبين لى ان وقودها قد نفد ، وزايلتها انظر ماذا افعل ... انى في طريق صحراوى غير معبد ، والرمال تحيط بى من كل صوب ، والهواء يصفر بشدة ، كأنه عويل الارواح ... لابد ان ابحث عن وقود ، ولكن البقعة نائية جرداء ، وهذه الجثة القابعة في السيارة ، لزام ان اتخلص منها قبل كل شيء !

واكرهت نفسي على ان انزل الجثة من السيارة، وعانيت من ذلك عنتا ومشقة ، ولكنى كنت جامدا جمود الصخر ،يشملني تبلد مميت ... ولماملك الا ان اجر السيدة من قدميها جرا ، كما يجر الحمار مركبته ، وكنت اسمع وانا اتابع خطاى صوت جسدها وهو ينسحب على الرمل ،وراسها وهو يرتطم بالحصا ، وامسكت عن الجر : وانا

امسح العرق المتصبب على جبيني ... ودرت براسي اتوضح الامر ... يالهول ما ارى ... انحسر ثوبها عنها حتى كاد يغطي وجهها ، فبانت ساقاها عاريتين كأنهما العاج المصقول ، وتبدت غلائلها الداخلية في غير احتشام .

وسترت وجهي بيدي !

الستر يارب ... الستر !

وسحبت ثوبها اعالج ان اخفي به ما انكشف من اوصالها ، ثم جعلت اجذبها من يديها لاغير وضعها ... كانت يداها في برودة الثلج وشعرها يكنس الرمل خلفي .

وتوقفت عن السير ، ومددتها على الارض ، وانا اسوي من ثيابها .. وظللت ارنو الى وجهها الصامت المحجب بالأسرار .

اية امراة كنت ؟ اى موطن قذف بك الينا ؟ وهل سنح بخاطرك انك ملاقية مصيرك على هذا النحو ، وان سيكون قبرك بطن الصحراء ؟

وبينما انا مائل حيالها اناجي نفسي ، اذ صافحت سمعي طقطقة ، فتلفت حولي مذعورا ، فاذا الطقطقة تعود ، يغلفها نواح الرياح ..

وسرت القشعريرة في بدني ، واذا انا اقفز دفعة واحدة ، واعدو .. كانت قدماي تغوصان في الرمل ، ولكني ظللت اعدو .. وصك سمعي صوت قهقهة ، اخذ يرجعها الفضاء وقتا .. انها قهقهة « عبد العال » الفحام ، ورب السماء ! .. انه يشفي غليله بالتطلع الى والشماتة بي ...

وعم السكون المنطقة ، الا من صفير الهواء ، وانا اواصل العدو ، ثم لاحت لي الانوار من بعيد ، وبعد حين كنت في طريق قليل السابلة ، اسلمني الى شارع فيه الحركة دائبة ، واصلحت من هندامي قدر ما استطيع .

لم يعرني اهتمامه مخلوق .

وواجهتني سيارة عامة يحتشد فيها خلق كثير ، فدسست نفسي بينهم لا الوي .

وانتهى بي المطاف الى داري .

واقبلت على زوجتي هامسا لها بالتحية ، فراحت تتفرس في وجهي ، ثم قطبت جبينها ، وهمهمت : « الشر بعيد .. مالك ؟ »

ــ انا مريض ..

وتهاويت على الارض ، فتصايحت ، وهرعت نحوي تعنى بي ، ثم انهضتني ، وسارت بي الى المتكا ،فتمددت عليه ، وقالت ونظراتها لا تفارقني :

ماذا ؟ أجريح انت ؟

فاجبت مغمض العينين : « نعم .. انا جريح .. بل انا مجرم .. مجرم قاتل ! »

ماذا تقول ؟ انت مجرم .. ساجهز لك قدح شاي ..

ــ بل شربة ماء .. فقط !

ولبت طلبي في الحال ، وجرعت ما في الكوب دفعة واحدة ، والقيت براسي على الوسادة ، وجفناي مغمضان .. ثم امسكت بيد « ام محمد » وقلت :

لقد قتلت امراة ، ودفنتها في الرمل ..

فضربت صدرها بيدها وصاحت :

ماذا تقول يا « ابو محمد »؟ انت محموم .. استرح .. ولتغف لك غفوة !

فقلت وقد عدت امسك بيدها :

اصغي الى .. ثم اخبريني ماذا اصنع ؟

ورويت لها قصتي بكل ما فيها من تفاصيل .. واحسست بها تنشج ، وهي تقول :

كذا ، هي الدنيا .. قسمة ونصيب !

ــ اريد ان استمتع بالعيد معكم « يا ام محمد » .. اريد ان اشاركم صباح غد في قصعة الثريد.. اريد ان استمع معكم الى اناشيد العيد !

فاجابتني مخنوقة الصوت :

ولكن يجب يا « ابو محمد » ان تذهب الى الشرطة ، وتشرح لها كل شيء . وشدت على يدي ، وهي تحاول الابتسام ، وقالت :

لن يصيبك مكروه .. الله اكبر من ان يظلمك !

فغمغمت :

الشرطة .. الشرطة .. لا .. لا اريد ان افارقكم ، بل اريد ان استمتع بالعيد معكم !

★ ★ ★

هانذا يا سيدي الضابط .. قد انتصحت بما رسمته لي « ام محمد » زوجتي ، فقدمت اليك ، ورويت ما حدث كله لك ، لم انقص ولم ازد ، فافعل بي ما تريد !

الدنيا حظوظ ..

ان في الحياة اسرارا وخفايا لا يعلمها الا علام الغيوب .. لن تكون الحياة الا كما هي ..

صور من المتناقضات لا نعرف لها تعليلا ، ولا نحسن لها تأويلا ..

مهما يحاول المرء ان يتفهمها ، لا يبلغ اربا .. كن في الحياة كما تشتهي لك الحياة ان تكون !

■■

محمود تيمور

مروءة العرب

■ خرج الأمير سيف الدولة لمحاربة بني كلاب ومن انضمَّ اليهم ، فوصل الى أول حيّ ، وهو دور لبني تميم فأحاط بهم ، واستولى على ما يملكون . فخرجت اليه ابنة رئيس الحي حافية مسفرة الوجه ، كأنها الشمس طالعة ، ومعها صواحبها ، صارخات مستنجدات ، فصفح سيف الدولة عن قومها ، وأمر برد ما أخذ منهم .

وكان أبو فراس الحمداني حين ذاك مع سيف الدولة يسامره ، فكتب هذا الشعر يداعبه :

وما أنسَ لا أنسَ يوم المَغارِ(١) ... مُحجَّبـةً (٢) لَفظَتْها الحُجُبْ
دَعـاكَ ذَوُوها بسوء الفِعـال ... لِمَا لاتَشـاءُ ومـا لاتُحِـبّ
فوافتْكَ تَعْثرُ في مِرْطِهـا(٣) ... وقد رَأتِ المَوْتَ مِنْ عَنْ كَثَبْ(٤)
وقد خلَطَ الخوفُ ، لمَّا طَلعـتَ ، دَلَّ الجَمالِ بِذُلِّ الرُّعُبْ
تُسارع في الخَطْوِ لاخِفَّـةً ... وتَهتَزُّ في المَشْـيِ لا مِنْ طَرَبْ
فلمَّـا بدَتْ لكَ دون البُيُـوتِ ... بدا لكَ مِنْهنَّ جَيْشٌ لَجِبْ(٥)
فكُنْـتَ أخاهُـنَّ إذْ لا أخٌ ... وكُنْـتَ أباهُـنَّ إذ لَيس أبْ
ومازِلْتَ مذْ كُنْتَ تأتي الجَميلَ ... وتَحمِي الحريمَ وتَرعَى النَّسبْ
وتَغضب حتَّى إذا ما مَلَكْـتَ ... أطعْتَ الرِّضا وعَصيْتَ الغَضَبْ
فَوَلَّـيْنَ عَنكَ يُفَدِّينَهـا(٦) ... ويَرفَعْـنَ من ذَيْلها ما انسَحَبْ
يُنادِينَ بَيْنَ خِلالِ البُيُـو ... تِ : لا يَقْطَعِ اللهُ نَسْلَ العَرَبْ
أمَـرْتَ وأنتَ المُطاعُ الكَريمُ ... بِبَـذْلِ الأمانِ وَرد السَّلَبْ(٧)
وقد رُحْنَ من مُهَجاتِ القُلوبِ ... بأوْفـرِ غُنْمٍ وأغـلَى نَشَبْ(٨)
فإن هُـنَّ يا ابن السَّراةِ الكرامِ ... رَدَدْنَ القُلوبَ رَدَدْنا النَّهَبْ (٩)

---

١ ـ المغار : الغارة ٢ ـ محجبة : يشير الى بنت القبيلة السافرة ٣ ـ مِرْطِها : ثوبها الذى لفّها ٤ ـ كَثَب : قُرب ٥ ـ لجِب : كثير الأصوات والجلبة ، كناية عن كثرة العدد ٦ ـ يُفَدّينها : يجعلن أنفسهن الفداء لهذه الفتاة ٧ ـ السَّلَب : ما سُلب منهن من متاع ٨ ـ النَّشَب : المال والثروة : ٩ ـ رددنا : أى نحن رجال سيف الدولة ١٠ ـ النَّهَب : ما نهبوه منهن .

أصول إسلامية
في الفلسفة الغربية

بين الفيلسوف الألماني : لَيْبنتس ..

بقلم
الدكتور محمود محمد قاسم
عميد كلية دار العلوم بجامعة القاهرة



■ جرت عادة بعض المفكرين المعاصرين في الشرق على أن يشيروا بين حين وآخر الى تأثير الحضارة العربية في التفكير الاوربي منذ عهد النهضة ، سواء أكان ذلك في مجال الأدب أم العلم أم الفلسفة، وربما كان من المجدى أن نفسح صدورنا لنوع آخر من الدراسة لا يكتفى بالقضايا العامة المجردة ، وانما يتسع للمقارنات التفصيلية في مجالات ضيقة ومحددة . فمن هذا النوع الذى نشير اليه ما سبق أن بيناه من تأثير ابن رشد في القديس توماس الاكويني Thomas Aquinas واليوم نريد أن نعقد مقارنة بين تفكير محيى الدين ابن عربى وبين فلسفة ليبنتس .

ابن عربى

اما ابن عربى فقد نشأ في الاندلس في اواخر القرن الثاني عشر الميلادى (١) (٥٦٠ هـ) وزار كثيرا من بلاد المغرب ، ثم استقر في المشرق ،ومات في دمشق حيث دفن فيها في النصف الاول من القرن الثالث عشر ، وهو يُعدّ عند بعض الدارسين قمة للتصوف الاسلامي . ويمتاز بانه حصل الثقافة الاسلامية على نحو قل ان يدانيه فيه احد ، مع طابع موسوعى ونظرة تركيبية فريدة في جنسها .

---

(١) ابن عربى ، ١١٦٥ — ١٢٤٠ ميلادية

كلاهما يقول: إنّ الحياة تسري في كل شيء: في جماد ونبات وحيوان

.. والصوفي الإسلامي

ابن عربي

ليبنتس

اما ليبنتس (٢) فقد انفرد هو الآخر في النصف الثاني من القرن السابع عشر ،واوائل القرن الثامن عشر ، بثقافة موسوعية هائلة جمعت بين القديم والحديث . ومع ذلك فقد نستطيع البرهنة بطريقة موضوعية على أن أهم عناصر فلسفته توجد على نحو اكثر تفصيلا فيما سبقه اليه محيى الدين بن عربى .

الصلة بين الله والعالم

ولكي لا نضيع الوقت في مثل هذه الملاحظات العامة ، التى قد نعود اليها في وقت متاخر او في بحث اخر فانا نبدا بالمقارنة ابتداء من نقطة اساسية بنى عليها كل من محيى الدين بن عربي وليبنتس فكرته عن الصلة بين الله والعالم ، ونعنى بهذه النقطة الاساسية فكرة أن الحياة تسرى فى كل شىء . وعندئذ نستطيع أن نبرهن على ان جميع التفاصيل الدقيقة فيفلسفة ليبنتس لا تعدم اصولها فى انتاج محيى الدين بن عربى .

عند ليبنتس ان الحياة تسرى فى كل شىء

فقد ذكر ليبنتس في آخر كتاب كتبه وهو كتاب « المونادولوجى » (١٧١٤) Monadologie اى كتاب الجواهر الروحية ان أصغر جزء من المادة يحتوى على عالم من المخلوقات اى من الأحياء ومن الحيوان ومن الصور الجوهرية التى تشبه الارواح ، والتى تميز كل كائن عن غيره ، بحيث لا يوجد كائنان فى الطبيعة يتماثلان أو يتطابقان فلكل كائن وحدبه الخاصة .

وهو يطلب الينا ان نتصور أن كل جزء من المادة يشبه أن يكون حديقة مليئة بالشجر أو مستنقعا مليئا بالسمك . ولكن كل فرع من فروع الشجر وكل عضو من اعضاء الحيوان وكل قطرة من هذه الاخلاط تعد هى الاخرى حديقة أو مستنقعا . ثم يقول انه على الرغم من ان الأرض والهواء اللذين يتخللان أشجار الحديقة ، او الماء الذى يفصل بين اسماك الغدير او المستنقع ، ليست شجرا ولا سمكا ، فانها تحتوى ، مع ذلك ، على اسماك وعلى أشجار ايضا . ولكن هذه الكائنات لا تقع تحت ادراكنا لشدة لطافتها، او كما سيقول ابن عربى لان الله أخذ بأبصارنا عنها فلا نراها .

وهكذا فليس هناك فى رأى ليبنتس جدب ولا عقم ولا موت فى الكون ، وليس ثمة فوضى ولا غموض فى هذا العالم الا بحسب الظاهر . وهذا يشبه شبها قريبا مانراه فى مستنقع ننظر اليه عن بعد ، فنرى فيه حركة مضطربة تزخر بأسماكه ، اذا صح هذا التعبير ، دون أن نميز هذه الاسماك نفسها .

فهو يرى أن كل جسم من الأجسام كائن حى له صورته الجوهرية أو الروحية المسيطرة عليه، لكن اعضاء هذا الجسم الحى مليئة هى الأخرى بأحياء واشجار وحيوانات أخرى ، لكل منها صورته الجوهرية أو روحه المسيطرة .

غير أن ليبنتس يزيد فكرته تحديدا فينفى أن تكون هذه الارواح السارية فى الكون يلتصق كل روح منها بجسم لا يفارقه الى الأبد « وأن كل جزء أو كتلة من المادة تحتوى ، تبعا لذلك ، على كائنات حية دنيا ، قد خصصت لخدمتها دائما ، وذلك لان جميع الاجسام فى تحول مستمر،

(٢) ليبنتس ١٦٤٦ — ١٧١٦ ميلادية ، وكان مولده فى مدينة ليبزج بألمانيا

اى انها تخضع لحركة مدة دائبة، كما هى حال الانهار التي تدخل اليها اجزاء ، ثم تخرج منها بصفة مستمرة » . وتلك هى فكرة الخلق الجديد التى نجدها عند ابن عربى .

فهناك تحول فى صور الحيوانات والكائنات . لكن لا يوجد تناسخ مطلقا ولا رحلة للارواح . وهكذا يمكن ان نفهم الموت فهما جديدا ، فليس الموت غاية قصوى ليس وراءها شيء ، بل هو انتقال من حال الى حال اخرى . ثم يضيف ليبنتس فكرة دينية وهى ان كل كائن ذى روح من حيوان ونبات وجماد انما كان حياً لانه تعبير جيد عن المجد الالهى ، وكل كائن عندما يمارس طبيعته الخاصة فانه يرتقى فى مرتبة الوجود ، لانه ينزع الى خالقه .

تلك هى الخطوط الرئيسية فى فكرة ليبنتس عن سريان الحياة فى كل شيء ، وقد اعتمدنا فى بيانها على نصوصه نفسها .

ابن عربى : نصوصه اكثر ، ومعانيه اعمق

لكن اذا نحن انتقلنا الى ابن عربي وجدنا نصوصا اكثر عددا ، ولا نغلو ان قلنا انها اكثر عمقا واشد ارتباطا بفكرة دينية واضحة وهى أن كل شيء حى ، لأن العالم يخضع لتأثير الاسماء الالهية . فالحياة انما تسرى فى الكون باسره لانها تعد فيضا مستمرا من الاسم الالهى « الحي » . وهذا الاسم هو اول الاسماء الالهية . هذا ومن الممكن أن نفهم العلاقات السببية فى الكون على انها اثار لهذا الاسم الالهى ، بمعنى ان كل علة انما هى احدى صور الحياة السارية فى الكون . فليس هناك تأثير حقيقى للمخلوقات ، بل من الواجب ان ينسب هذا التأثير الى الله . وقد عبر ابن عربي عن ذلك فقال : « كذلك كل علة لابد أن يكون لها حكم الحياة ، وحينئذ يكون عنها الاثر الوجودى، ولا يشعر بذلك كل احد من نظار العلماء من أولى الالباب الا أرباب الكشف الذين يعاينون سريان الحياة فى جميع الموجودات كلها ، جوهرها وعرضها ،ويرون قيام المعنى بالمعنى حتى يقال فيه : سواد مشرق وسواد كدر . أما من لا يعرف حقيقة الامر فى ذلك فانه ينسب الاشراق للجسم الذى يحل فيه هذا اللون ، فى حين انه ينبغى أن ينسب هذا الاشراق الى اللون فى ذاته، تبعا لما يسرى فيه من طابع الحياة الذى يختلف قوة أو ضعفا فيكون السواد مشرقا أو كدرا فمن لا علم له يجعل الاشراق للمحل لا للسواد ، وما عنده خبر . وكذلك قيام الحياة بجميع الاعراض قيامها بأعيان الجواهر . فما من شيء من جوهر وعرض الا وهو يسبِّح بحمد الله ، ولا يسبح بالله الا حى عالم بمن يسبح وبما يسبح ... ».

ويذهب ابن عربى الى حد ابعد من ذلك فلا يكتفى بنسبة الحياة الى الجواهر او الى الاعراض اى الحالات التي تطرا على الكائنات ، بل ينسبها أيضا الى افعال الجواهر مستشهدا لذلك بان المؤمن يبعث الحياة فى اعماله الطيبة ، فينشئها صورا ، وينفخ فيها من روحه ، فيجد اعماله يوم القيامة صورا حية تشفع له وتاخذ بيده . اما المنافق فيجد اعماله ،التى خلت من روح الاخلاص، اعمالا ميتة « فيقال له : احيها فلا يستطيع ، وهى حية فى نفس الامر باحياء الحق . وذلك ان الله ياخذ ببصر هذا المنافق عن ادراك حياتها ،كما اخذ بابصارنا عن ادراك حياة الجماد والنبات مع علمنا بانه حى فى نفس الامر » .

الجماد والنبات لهما أرواح

وهو يؤكد لنا من جانب آخر ان اصحاب الكشف الصوفي يعلمون حق العلم « ان المسمى بالجماد والنبات لهم ارواح بطنت عن ادراك غير اهل الكشف ، فالكل عند اهل الكشف حيوان ناطق . » فجميع المخلوقات اذن تسرى فيها الحياة، حيوانا كان ام نباتا أم جمادا ، وتلك الحياة هى التي تحدد فطرة كل شيء ، بحيث نجد أن بعض الحيوان قد يصل بغريزته الى ما يقصر عن ادراكه المهندس النحرير ، كما هى الحال فى بناء النحل لبيوت العسل . ثم يفسر لنا ابن عربي الحياة ، التي تسرى فى جميع الموجودات ، بانها دليل على انه ما من مخلوق الا وتعد حياته تسبيحا وتمجيدا للخالق ، وهذا هو ما يطلق عليه اسم « توحيد الحياة ، أو اخلاص التوحيد من الله ومن العالم وليس التسبيح الا تمجيدا وثناء على الله او هو اثبات لوجوده فما ثم الا حي لانه ما ثم الا من يسبح بحمده ، ولا يسبحه الا حي ، سواء كان ميتا او غير ميت فانه حي ، لان الحياة للاشياء فيض من حياة الحق عليها » ولولا ان جميع الكائنات حية لما سمعت قوله تعالى اذا دعاها الى الوجود بقوله للشيء كن فيكون . فالحياة فى جميع المخلوقات ـ سواء بدت لنا حية أو ميتة ، وسواء ادركنا انها حية فى حقيقة الامر أو لم ندركه ـ

ليست الا فيضا من اسمه الحي ، وهي تفيض منه ، كما يفيض نور الشمس على الاماكن التي ينبسط عليها .

فجميع المخلوقات التي نراها في كوكبنا من جماد ونبات وحيوان لها ارواحها ، وهذه الارواح او الصور الجوهرية ، على حد تعبير ليبنتس فيما بعد ، ليست الا نفوسها التي « بها تعلم خالقها ومنشئها ، وبها سرت الحياة فيها كلها ، وبها خاطبها الحق وكلفها ... فما بطنت حياته سمي جمادا ونباتا » وانما كان الجماد والنبات حيين لانهما يخضعان لظاهرة النمو والتغذي ، اذ ليس هناك سكون او جمود او عقم ، ولكنها اجزاء تزيد او تنقص . فليس ثمة خلاف بين الجماد والنبات من جانب ، وبين الحيوان من جانب آخر الا من جهة ظهور خواص الحياة في الحيوان من احساس وحركة . اما الكل ، اي الجماد والنبات والحيوان « فقد عمته الحياة ، فنطق بالثناء على خالقه من حيث لا تسمع ، وعلمهم الامور بالفطرة من حيث لا تعلم . فلم يبق رطب ولا يابس ، ولا حار ولا بارد ، ولا جماد ولا نبات ولا حيوان الا وهو مسبح لله تعالى بلسان خاص بذلك الجنس» كذلك يسبح الرعد بحمده . ، بل يرى ابن عربي ان كل صوت في العالم انما هو تسبيح لله تعالى .

حقائق لا يهتدى اليها الا اصحاب الذوق الصوفي

ويحرص محيي الدين بن عربي على تأكيد ان هذه الحقائق لا يصل اليها اصحاب التفكير النظري ، وانما يهتدي اليها اصحاب الذوق الصوفي ، ومع ذلك فان هؤلاء لا يعرفون هذه الحقائق المعرفة الكاملة « بل على التقريب والامر في نفسه صحيح ... وهذا العلم لا تفي الاعمار بادراكه ، فيعلم اصله من النبوات » انهم يعلمون ان الاسم « الحي » هو المصدر الذي نبع منه كل شيء ، وان كل ماتشا عنه يُعدّ فرعا له ، ومن الواجب أن يحتوى الفرع على خواص الاصل ، ولو كان ذلك بدرجات تتفاوت تبعا لمراتب الموجودات . وفي الجملة فان الحياة لما كانت هي الاصل فمن الضروري أن تنتقل الى جميع الفروع « وهذا علم لا يمكن أن يحصل الا لصاحب كشف، واذا حصل له ، لا يمكن أن يقسم العالم الى حي وغيرحي ، بل هو عنده كله حي » ..

ويجب ان نصرح هنا بان فكرة الحياة التي تسري في جميع المخلوقات ترتبط لدى ابن عربي ، ولدى ليبنتس ايضا ، بنظرية وحدة الوجود ، وهي التي ترمي الى تفسير الصلة بين الله والعالم على اساس ان هناك ذاتا واحدة وان تعددت مظاهرها ، او نقول بعبارة اكثر وضوحا انها هي التي تكاد تسوي بين الله والعالم . وقد كشف لنا ابن عربي عن هذه الفكرة بوضوح عندما قال : « فاعلم أن سر الحياة الالهية سرى في الموجودات فحييت بحياة الحق ، فمنها ما ظهرت حياتها لأبصارنا ، ومنها ما أخذ الله بأبصارنا عنها في الدنيا الا الانبياء ، وبعض اولياء الله ، فانه كشف لهم من حياة كل شيء،والمؤمنون يدركونها بالايمان اذا كانوا مؤمنين» اما غير المؤمن فانه لا يدرك ذلك لا كشفا ولا ايمانا. وصاحب الكشف انما ينتهي الى معرفة هذه الحقيقة عندما يشاهد ان الحياة امانة او عارية لديه ، وعندئذ يفني عن نفسه ويعلم انه انما يحيا بحياة الحق « فالحياة التي كان يدعي فيها ، قبل دخوله الى حضرة الحق ، لم تبق عليه في هذا الشهود أصلا ... » اما اذا ادعى الحياة لنفسه فانه يكون ميتا على الحقيقة ، وذلك لأن « من لم يصحبه الحق في جميع صفاته فما هو حق فان الحق لا يتبعض » .

واخيرا فانا نجد عند محيي الدين بن عربي اصلا لما قاله ليبنتس من وجود تحول في صور الكائنات دون أن يكون ذلك سببا في القول بالتناسخ . فهذا التحول احدى صفات الحياة . فليس ثمة جمود ولا سكون او عقم ، ذلك « انه ليس في العالم سكون البتة ، وانما هو متقلب دائما من حال الى حال دنيا وآخرة ، ظاهرا وباطنا ، الا ان ثمة حركة خفية وحركة مشهودة » . وهكذا لا يمكن النظر الى الموت على انه عدم مطلق، بل هو استحالة من حال الى اخرى .

ولا ريب في ان المقارنة بين نصوص كل من ليبنتس وابن عربي الخاصة بسريان الحياة في كل شيء تكشف لنا عن تماثل عميق بين اتجاه هذين الرجلين ، كما توضح لنا ان تفاصيل الفكرة عندهما واحدة وان كانت اكثر ثراء وتنوعا وترابطا عند ابن عربي ، فاذا نحن انتقلنا من هذا الاساس المشترك الذي بنى عليه كل منهما مذهبه فجأنا ان نرى ان فلسفة ليبنتس الخاصة بالله والعالم والانسان ليست سوى صدى للمذهب الصوفي عند ابن عربي . ■■

محمود محمد قاسم

أنباء الطب والعلم والاختراع

ضجة حول المحليات الاصطناعية

الفرق بين السكارين والسيكلامات

السيكلامات سبب السرطان للحيوان ؟

● ونبدأ القول بأن نؤلف بين القارىء وبين الموضوع ، فنقول ان السكر ، من سكر قصب ، الى سكر عنب ، الى غير ذلك ، وهي سكاكر طبيعية ، هي التي تحلي الأطعمة ، جاهزة ومطبوخة حين تضاف اليها . ثم ظهر مرض السكر ، ووجب امتناع مرضاه عن تناول السكر الطبيعي . وعزّ على المرضى أن تفوتهم حلاوة المذاق . ثم ظهرت مادة في المختبرات الكيماوية على غير قصد ، لا تتصل من حيث التركيب بالتركيب الكيماوي للسكر ، ولا بتركيب اى طعام معروف . وهي مشتقة من البنزين المستخرج من الفحم الحجري . وكان بها خاصة غير منتظرة ، ذلك أنها حلوة . كانت أحلى من السكر بعض مئات المرات .

حدث هذا في أوائل هذا القرن .

واسموها بالسكارين Saccharin . واستخدمها مرضى داء السكر بديلا عن السكر . ولما شاع عند النساء أن الخير في النحافة ، والشر في البدانة ، شاع استعمال السكارين بينهن بديلا من السكر لا يسمن .

ثم حدث حول منتصف هذا القرن ان دخلت الى السوق مادة جديدة ، تنافس السكارين . ونفسته ، لا لأنها كانت أحلى من السكارين ، فهي أحلى من السكر بنحو ثلاثين مرة فقط . ولكن لأنها لم يكن لها في الطعم ذلك الطعم المر الذي كان يأتي في آخر مذاق السكارين .

أما هذه المادة فاسمها سيكلامات ، او بالاصح سيكلامات الصديوم Sodium Cyclamate وهي ، كالسكارين ، مخلقة من أصل بنزيني .

واحلّ أهل الصناعة السيكلامات محل السكارين ، في المحليات التي باعوها لمرضى السكر ، وتلك التي باعوها لطالبات النحافة من السيدات ، او هم جمعوا بين حلاوة السكارين ، وحلاوة السيكلامات الخالية من المرارة . واعطوا هذه المحليات ، التي ظهرت في الاسواق بكثرة في العشرة من السنوات الماضية ، أسماء عديدة ، منها سوينكس وسويتا ، وسكاريل وغير ذلك .

ولكن اخطر من ذلك ، واوسع ،



لهذا حرّموه على الانسان !

واحلب للربح ، ان اهل الصناعات احلّوا المحليّات الصناعية، ومنها السيكلامات، محل السكر ، في الاشربة المنعشة الشائعة ، وكذلك في كثير من الاطعمة . وبلغت تجارة الاطعمة هذه خطرا في الاسواق كبيرا ، فقد قدروا ما يباع منها في العام ، فبلغ الف مليون دولار .

بحوث طبية

وهنا بدات بحوث طبية ، بعضها مغرض ،وبعضها خال من الغرض . وبالطبع شايع البحّاث من اهل المنفعة جهات كثيرة . تجارة الاطعمة والاشربة المحلاة تشايع البحوث التى لا تنتهى الى شيء يضر بتجاراتها . وصناعة السكر الطبيعي تشايع البحوث التي تنتهى بكشف اضرار لهذا المحلى الاصطناعى او ذاك . ثم ظهر اثناء هذا الصراع ان شركة للبحوث خاصة كانت تقوم في مختبرات مؤسسة الأطعمة والعقاقير ، وهى المؤسسة الحكومية الشهيرة التى تستطيع ان تمنح او تمنع ، كانت تقوم ببحوث على الفتران تستخدم فيها السيكلامات لترى أثرها في الانسال ،وفي التلقح الجنسى ، وكذلك فى الجنين قبل ان يولد . وعندما أعدمت هذه الفئران وشرحتها ، وجدت اوراما خبيثة قد تكونت فى مثاناتها . انه السرطان .

وبسرعة البرق انتشر الخبر . وبسرعة البرق انتقل العلماء الى المختبر يحققون . وبسرعة البرق تألفت اللجان . وتدخلت على الفور مؤسسة الاطعمة والعقاقير . حتى شركة ابوت Abbot ، وهى الشركة التى تجني من صناعة السيكلامات ١٤ مليون دولار كل عام ، ارسلت رجالها الى المختبر ليروا ما وقع ، باعينهم ، وعادوا ، وقد القوا السلاح .

واصدرت مؤسسة الأطعمة والعقاقير الأمريكية على الفور امرها بوقف صناعة السيكلامات ، ووقف استخدامها في الأطعمة والمشروبات،وفي استخدام مرضى السكر لها بديلا من السكر ، وكذا استخدام النساء لها طلبا للنحافة .

ووقتوا هذا المنع بأنه يبدأ من أول فبراير ١٩٧٠ .

(البقية على الصفحة التالية)

بقية المنشور على الصفحة السابقة

منع فرضه القانون القائم

● ان القانون القائم في الولايات، قانون الخمسينيات من السنين الماضية، يقول:

« يمنع اضافة اي مادة تحدث السرطان في اى حيوان ، الى طعام يستهلكه الانسان » .

ولكن ...

ينظر الانسان الى الجرعات التى اعطاها الباحثون للفئران فيجد انها تراوحت بين ٥٠٠ و ١٠٠٠ و ٢٥٠٠ مليجرام في اليوم .

وينظر فيجد أن الفئران التى ظهر في مثانتها السرطان كانت تلك التى تعاطت أعلى الجرعات ، اى ٢٥٠٠ مليجرام في اليوم .

ولو صح أن الذى تحدثه السيكلامات في الفئران هو نفس الشيء الذى تحدثه في الانسان ، لقلنا ان الجرعة اللازمة للانسان ،التى تتناسب وجرعة ٢٥٠٠ مليجرام للفئران ،تبلغ يوميا قدرا كبيرا جدا أعلى مائة مرة من المقدار الذى يتعاطاه أى انسان مدمن على هذه المشروبات والماكولات في اليوم . ان الرجل الذى وزنه ١٥٠ كيلوجرام يجب ان يتعاطى ٣٥٠٠ قرص من السكاريل Sucaryl (اسم تجارى للمحلّى) في اليوم .

قال أحد أعضاء اللجنة التى قررت منع السيكلامات :

« اننا منعناها تطبيقا للقانون القائم ، لا لان هناك سببا يدعونا الى الاعتقاد بأن السيكلامات تحدث السرطان في الانسان»

فالمنع كان بسبب القانون القائم ، وهو لم يذكر شيئا عن الجرعة ، كبيرها أو صغيرها .

الأشعة النيوترونية من بعد الأشعة السينية

● الأشعة السينية لا أحسب أن احدا لا يعرفها اليوم . والذى شهرها استخدامها في الطب . فالطبيب اذا تعذر عليه رؤية ما في باطن المريض ، أرسله الى رجل الأشعة ، الأشعة السينية X. Ray ،فاخذ لباطن جسمه صورة، الأشعة فيها تدخل من سطح ، لتلتقى بورقة فوتغرافية حساسة عند خروجها من سطح الجسم الآخر . والأشعة السينية تخترق اللحم ، ولكن لا تخترق العظام ،ولا تخترق الكثير من المواد التى احدثها المرض ،مثل حصوة في الكلى ، أو مرض خبيث في الصدر، واذن يتعرف بذلك عليه الطبيب .

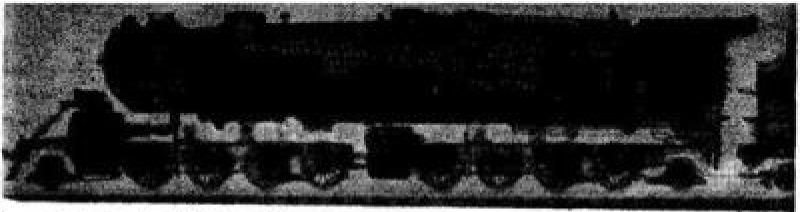
والنيوترون Neutron ، وهو شبيه البروتون Proton ، ومنهما تتألف نويات العناصر . فهو جُسيم ، كما أن البروتون جسيم ، كما أن الالكترون جسيم .

ولكن النيوترونات تنطلق من المفاعلات

تطويع العلم للسياسة

● ظهر كتاب اسمه «ارتفاع ليسنكو وسقوطه» ، وهو تأليف عالم روسي اسمه زوروس مدفيدس Zhores A. Medvedes يعمل في روسيا .

أما ليسنكو Lysenko ، فهو العالم الروسي الذى اشتهر بأنه ، بسبب تجربة وحيدة قام بها على نبات واحد ، خرج بنظرية تناسلية قصد بها خدمة المذاهب السياسية التى كانت جارية



هذه صورة اخذت لنموذج قاطرة بالنيوترونات، اخذها علماء شركة جنرال الكتريك وفيها ترى ان النيوترونات اخترقت الغلاف المعدني الخارجي ، وكشفت بوضوح ، بواسطة الظلال السمراء على وجود المطاط واللدين الذي استخدم لصناعة النموذج ، وذلك لأن هاتين المادتين ، المطاط واللدين ، يحتويان في تركيبهما على الكثير من الادروجين .

الذرية انطلاقا متلاحقا ، واذن نعبر عن ذلك بأنها الأشعة ، أشعة نيوترونية .

وقد جربوها في اختراق الأجسام فاتضح انها تعطى لها صورا شبيهة بصور الأشعة السينية ، اى انها تفرق بين باطن ما تخترق . فالصورة الناتجة فيها المعتم وفيها غير المعتم .

غير انهم وجدوا ان النيوترونات اشد تفرقة من اشعة س ، فهى تعطى في الصورة الأسود الفاحم ، والأقل فحامة ، والاسمر ، والاقل سمرة ، وهكذا . انها اكثر تفصيلا ، فهى اذن اكثر كشفا لما احتوى الجسم الذى اخترقته من اشياء . مثال ذلك ان هذه الأشعة تستطيع أن تخترق علبة من المعدن ، وتكشف عما تحويه من لدين ومن مطاط ، في حين أن الاشعة السينية تعجز عن ذلك .

ويرجع ذلك الى أن النيوترونات تتفاعل ، لا مع ذرات المواد ، ولكن مع نوياتها ، وهى تتفاعل بالقدر الذى تمتص هذه النويات من النيوترونات ، والقدر الذى ترده عاكسة اياه فلا تمتصه .

والادروجين ، واذن فالمواد الذى يدخل الأدروجين فيها ، تمتص النيوترونات .

وظاهر أن فائدة هذا الكشف الجديد ستكون الصناعة والتكنية اول منتفع به .

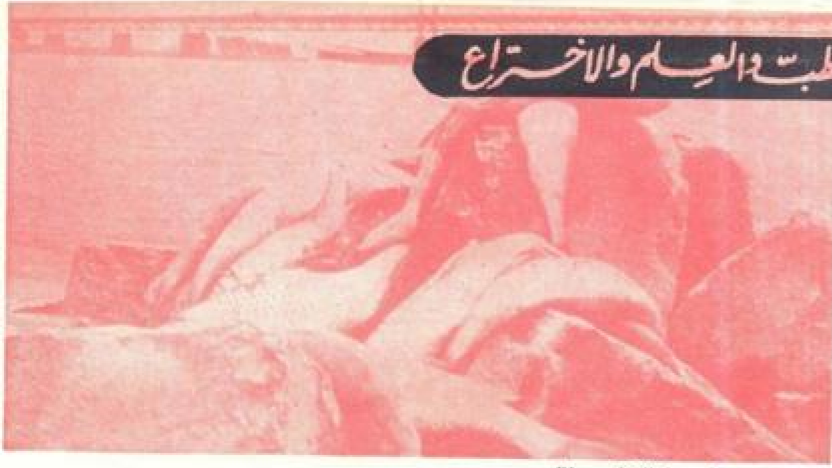
عند ذلك ، وذلك في عام ١٩٣٥ . وعلى الاخص المذهب الذى كان اعتنقه ستالين ، مذهبا سياسيا ، لا دخل له بالعلم . ونال ليسنكو بذلك حظوة كبيرة عند الساسة .

وملخص نظرية ليسنكو الجديدة هي ان الانسان يستطيع ، بواسطة البيئة ، اكساب النبات صفات وراثية في انساله ، لم تكن في الآباء ، وان يغير بنفس الوسيلة صفات وراثية سابقة في الانسان .

وكان هذا بالطبع مناقضا لحقائق علم الوراثة المعروفة . وقام العلماء في اقصى الارض يعارضونها .

اما السياسة فشاءت ان تنتفع بأن ما يجرى على النبات يجرى على الانسان ، وانه بتغيير البيئة الانسانية سياسيا واجتماعيا يمكن تغيير بعض الصفات بين جيل وجيل .

وكان سقوط ليسنكو في بلده ، روسيا ، في عام ١٩٦٢ . وكان هذا بسبب فشل مشاريعه الزراعية والاقتصادية التى بناها على نظرياته الوراثية .



من مآسي الصناعة الحديثة

٤٠ مليون سمكة تموت على شاطىء السين

● هذه صورة تكشف عن جانب من المأساة التي وقعت في نهر الرين ، في شهر يونيو الماضي ، وذلك بسبب التخلص من قدر من مبيد للحشرات بافراغه في ذلك النهر . وقد سبب هذا موت مقدار من السمك خالوه زاد على ٤٠ مليون سمكة .

والنهر يقع في منطقة كلها صناعة ، ومخلفات الصناعة شتى ، وهي كثيرة . وايسر سبيل للتخلص منها هو القاؤها في مياه هذا النهر الجارية . هذا بالطبع غير ما تلقى فيه المدن الواقعة عليه من نفايا الحياة الانسانية .

من اجل ذلك سموا النهر بالوعة اوروبا .

وهذه ليست الا صورة واحدة من الصور العديدة التي جرتها الصناعات الحديثة على الانسان ، التي منها توسيخ الجو بما يخرج من المداخن من دخان ، وما يخرج من عادمات السيارات من مواد لا شك سامة .

وحتى استخدام الأسمدة الكيماوية الحديثة الاصطناعية ، كالآزوتات ونحوها ، والاعتماد عليها كليا دون القديم من الأسمدة الحيوانية ذهب بالكثير من انتاج الارض اذ جعلها صماء . والازوتات ونحوها ، ذهب الفائض عن الارض منها ، او حملته الامطار الى الانهار فزاد مقدارها فيه ، في بعض الأنحاء ، عن الحد المأذون به للصحة السليمة .

الصناعة ؟ نعم نتقبلها . ولكن لما كان لكل خير جانب من السوء ، وجب ان ندفع بعض ثمن الخير بما نبذله من مجهود ونفقة في درء السوء .

رفض البيض اختلاطهم بالسود

● قضى مجلس القضاء الأعلى في الولايات المتحدة ، منذ ١٥ عاما ، بأن عزل الزنوج فيما يختص بمعاهد العلم مخالفة للقانون صريحة في كل الولايات ، ومع هذا فقد دل الاحصاء اليوم على ان عدد السود الذين دخلوا جامعات البيض من القلة بحيث لم يكن دخولهم الا من قبيل الرمز ليس الا ، ذلك ان عدد هؤلاء السود اقل من ٢ في المائة من عدد الطلبة في هذه الجامعات .

أمراض شائعة

● السكتة القلبية

أمراض القلب

● السدة القلبية (الجلطة)

● الذبحة الصدرية

بقلم : الدكتور محمد ابو الشوك

■ لا شك انه مما يشغل بال كل فرد في هذا المجتمع الذى نعيش فيه اليوم ، هو هذا المرض الذى شاع وانتشر ، وادى الى حوادث يتناقلها الناس في اجتماعاتهم من آن الى آخر – فهذا خرج من بيته وودع زوجته واولاده واذا هو يعود في وسط النهار جثة هامدة ، وذاك كان يقود سيارته واذا به تفاجئه نوبة الم شديده في صدره قضت على حياته ، وآخر بينما هو يحتد في نقاشه وجداله ، بادية عليه كل سمات الصحة ، اذا به يسقط بين الجمع ، وكأنه لم يكن . حوادث تفتت الاكباد ، وتترك وراءها جوا مفعما بالحسرة والبكاء .

ولقد لوحظ ان نسبة هذا المرض آخذة في الزيادة ويكفى ان نعلم ان هذا المرض يسبب ما يقرب من نصف الوفيات في العالم بين مختلف الامراض .

ولكى نعرف كنه هذا المرض لا بد وان نتعرف على الدورة التاجية تلك الشبكة من الأوعية الدموية التى تغذى القلب وتحفظ عليه حياته كباقى الاعضاء .

الدورة التاجية

تخرج هذه الاوعية من الابهر أو الاورطة Aorta وهى أول شرايين تخرج منه لتغذى هذه المضخة الحيوية التي بدونها تتوقف الحياة . فلا عجب اذن أن اول الشرايين تكون هى التاجية والتي تخرج على هيئة شريانين رئيسيين هما : الأيسر والايمن واللذان يلتفان حول القلب بين حجراته على هيئة تاج يغطى القلب ويتفرع منه فروع كثيرة تنقسم حتى تصل الى كل خليه من خلايا عضلات القلب سواء في ذلك الخلايا التى تكوّن العضلات او الغشاء الداخلي او الخارجي للقلب .

وكذلك الجهاز المسمى بالحزمة الموصلة Bundle of Hiss والتي تتفرع الى فرعين ايضا

ولو امعنا النظر الى هذه الدورة لوجدنا ان هناك التفرع الرئيسي والفروع الصغيرة . وعلى هذا الاساس اذا حدث اى انسداد فى الفرع الرئيسي ، سبب ذلك فقدان الحياة لجزء كبير من عضلات القلب ، وربما سبب الوفاة السريعة والمعروفة لدينا بالسكته القلبية ، اما اذا انسد فرع دقيق سبب موت جزء من عضله ، ويعرف ذلك بمرض الجلطة او السدة القلبية Myocardial Infarction .

وهناك من الامراض ما يسبب ضيقا او تصلبا فى هذه الشرايين فلا يمكنها ان تحمل الى عضلات القلب ما تحتاجه من دم ـ فلا يحصل القلب على ما يحتاجه من غذاء لعضلاته . وينتج عن ذلك قصور فى عمل هذه العضلات مما يسبب ما يسمى بالذبحة الصدرية Angina Pectoris فى الحالات الشديدة او فى الحالات المزمنة ما يسمى بمرض عدم استكفاء القلب من الدم Myocardial Ischaemia .

أسباب تصلب شرايين القلب

لعل من اهم ما يشغل الباحثين فى الطب فى وقتنا الحاضر هو التوصل الى السبب المباشر فى هذا التصلب وما يعرو جدران الشرايين من تغيرات تجعله مرتعا خصبا لتكوين الجلطة وبالتالى انسداد الشريان . ولقد لوحظ انه فى بعض الامراض تزداد نسبة هذا التصلب ويتعرض المصابون به اما للذبحة الصدرية او مرض الجلطة او عدم استكفاء القلب بالدم وهذه الامراض هى : ـ

أولا : ارتفاع ضغط الدم

لقد لوحظ انمرضتصلبالشرايين يزداد بنسبة عالية مع ارتفاع ضغط الدم ، وكذلك وجد ان نسبة امراض شرايين القلب التاجية عالية فى اولئك الذين يعانون من هذا المرض . ولقد ثبت ذلك عندما اجريت تجارب على الحيوانات ووجد انه مع ارتفاع الضغط تزداد نسبة تصلب الشرايين . ويعتقد البعض ان السبب فى ذلك راجع الى ان ارتفاع الضغط الارتخالى يؤثر على شكل المواد الدهنية الجارية فى الدم Lipids مما يجعلها قابلة للتجمع وبالتالي تساعد على التجلط والترسيب فى جدار الشرايين بل ويذهب البعض الاخر الى انه ربما يكون لارتفاع ضغط الدم اثر فى غرس هذه المواد الدهنية فى الجدار الداخلي المبطن للشرايين مما يعرضه لفقدان هذه الطبيعة الملساء فيه وبالتالي تترسب عليه صفائح الدم وتتجمع وتلتصق وتكون نواة الجلطة فى الشريان .

ثانيا : مرض البول السكرى

Diabetes Milletus

وفى هذا المرض ايضا تزداد نسبة تصلب الشرايين بين مصابيه ويعتقد الكثيرون ان تصلب الشرايين يحدث فى سن مبكرة عما هو الحال فى الأصحاء وان معظم السيدات اللاتى يصبن بجلطة فى شريان تاجى القلب يعانين من مرض البول السكرى وتندر هذه النسبة بين المرضي الأصحاء بنسبة ٢ : ١ ومما يزيد الامور تعقيدا ان مرض البول السكرى هو السبب المباشر لتصلب الشرايين وحدوث ارتفاع فى ضغط الدم مع اضطراب فى الكليتين او حدوث تغيرات فى دهن الدم مع ازدياد نسبة السمنة فى هذا المرض .

ثالثا : السمنة

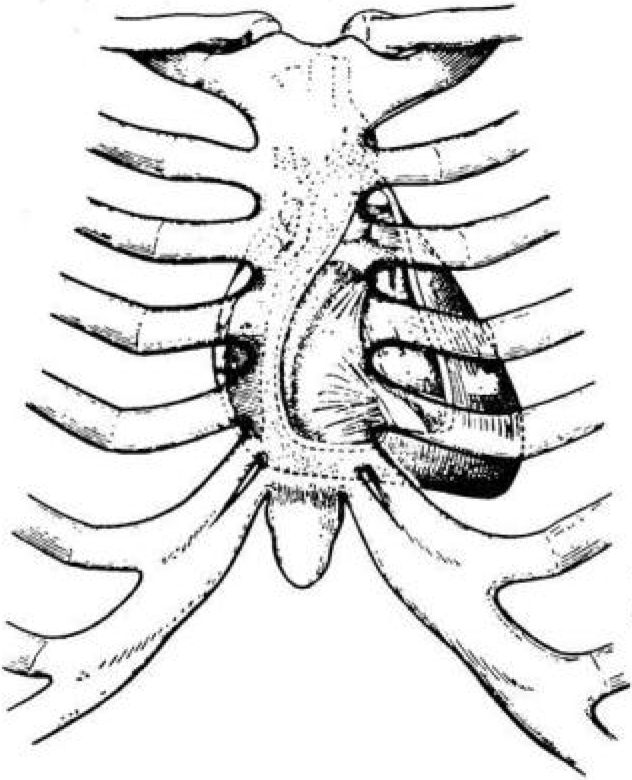
وترتفع نسبة تصلب الشرايين Athero Sclerosis فى ذوى السمنة المفرطة . ولكن لا يمنع من ان ذوى النحافة يصابون بهذا المرض وفى الوقت نفسه نرى بعض مفرطى السمنة لا يعانون من هذا المرض .

ومما يجب ملاحظته هنا فى هذا المجال ، وما تلعبه السمنة فى تصلب الشرايين حدوث ارتفاع فى ضغط الدم ومرض البول السكرى فى هؤلاء ولا يمكن لمستقص ان يجزم بان هذا او ذاك هو السبب المباشر فى حدوث التصلب ـ ولكن مما لا شك فيه انه اذا اجتمع الثلاثة السمنة وضغط الدم والبول السكرى ـ وكثيرا ما يحدث ذلك وجدت الجلطة لها ارضا طيبة ـ وما اسرعها فى الحدوث فى القلب او فى المخ .

رابعا : مرض خمول الغدة الدرقية

Hypo Thyroidism

وهذا يصحبه اضطراب فى دهن الدم مع ارتفاع فى نسبة الكوليسترول ـ ويصحب ذلك مرض تصلب الشرايين .



القلب وقد ظهر من خلف عظم القص والضلوع الامامية من الصدر

خامسا : مرض النقرس

لوحظ ان مرض الشرايين يزداد في المصابين بمرض النقرس سواء في ذلك بالمشاهد بين الأحياء او في تشريح جثث الموتى ولم تعرف للآن العلاقة بين ازدياد حامض البوليك Uric Acid في الدم وبين تصلب الشرايين ولكن يعتقد ان هذا الحامض يغير من طبيعة الطبقة الداخلية للشرايين ويساعد على ترسب الدهون والكوليسترول فوقها وبالتالي يساعد على حدوث الجلطة .

سادسا : اضطراب في تمثيل الدهون في الدم

وهذا نراه في بعض المرضى المصابين بارتفاع في الكوليسترول ـ وهو يحدث في بعض الحالات من الوراثة وفي الحالات الأخرى لا يعرف له سبب ونرى ان دم المريض يكون لبني المظهر لكثرة الكوليسترول فيه ـ وفي هذه الحالات نرى ان نسبة تصلب الشرايين ترتفع وكثيرا ما تحدث الجلطة في مثل هذه الحالات . هذه بعض الحالات التي يحدث فيها مرض تصلب الشرايين وبالتالي تساعد على حدوث الجلطة ، وغيرها معروف ولكن لم يثبت بعد مدى تأثيرها على هذا المرض ـ وبعضها لم يكشف النقاب عنه : وما زالت معامل ومختبرات العالم تسعى وتجد لتصل في يوم ما الى السبب المباشر لهذا المرض ، وعندها يكون العلاج الناجع المصحوب بالهبوط في عدد الكوارث التي تحدث من هذا المرض كما جد العلماء من قبل في أمراض كثيرة لعلنا نذكر منها مرض السل والالتهابات المختلفة واكتشاف

المضادات الحيوية التي تتغلب على الميكروبات ، والتي رحمت الانسانية من اوبئة وامراض فتاكة .

اعراض الذبحة الصدرية وعدم استكفاء القلب بالدم

اجد نفسي في حل من ان استرسل في ذلك لالقي بعض الضوء على هذه الاعراض لعلها تزيل بعض القلق الذى ينتاب الناس فى هذه الايام وهم متوترو الاعصاب اذا احس احد منهم بالم بسيط ، او وخز طارىء طار قلبه هلعا ، واستولى الفزع على نفسه - وايقن ان هذا هو مرض القلب او السكتة التى يتحدثون عنها ، اذكر مرة انني شاهدت مريضا يبكى ، ولا يريد ان يمد يده على طعام او يحرك اى عضو في جسده لانه خائف من ان يكون اصيب « بمرض القلب » فيهبط قلبه او تنتابه السكتة .

وآخر لم ينم ليلة لانه احس بوعكة تحت ثديه الأيسر وهاله ان يكون قلبه في خطر .

واخرى تصحب زوجها كل يوم الى طبيب لعله يجد يوما ما يفسر لها ما تحسه من الم او شبه الم فى منطقة القلب - وتراها تتحدث ساعات طوال وتقول في النهاية ان عندها « القلب »

فالى كل هؤلاء - وامثالهم - والى متوهمي مرض القلب اريد ان اسهب فى هذا الموضوع لكي يكون كل فرد منا على علم بهذا المرض ولا يستمع الى ما يقوله غيره وليبعد عنه الهلع والفزع .. فمتوهمو مرض القلب اسوأ حالا ممن يعانون من مرض عضوى بالقلب . وفي الوقت نفسه اراني اضع « نورا احمر » امام عين من عنده الاستعداد لمرض الجلطة ، لكي يحترس ، ويعرض نفسه على طبيبه اذا احس بهذه الاعراض .

ويحس مريض الذبحة الصدرية بالم شديد ضاغط خلف عظمة القص ، والعظمة الوسطى او القفص الصدرى ويشمل جزئين من الصدر بجانب هذه العظمة حتى ان المريض يضع راحة يده على صدره ويقول هنا يا طبيب الضغط الشديد ولا يمكنني ان اتنفس واحس بالم ساختنق ، وعندما اقول شديدا فانني اعني هذه الكلمة حتى ان المريض يحددها بالضبط فى المكان والوقت المحدد بل ولا ينساها - اى انه ليس



الشريانان التاجيان الأيسر والأيمن يتفرعان على السطح الأمامي للقلب

الما عارضا - وهذا الالم ربما ينتشر الى أعلى ويشمل جانبي العنق الى الفك الاسفل ، وكذلك ينتشر الى الذراع الايسر حتى البنصر والخنصر ويحس الانسان بثقل في ذراعه مع الم في صدره وربما ينتشر الى الذراع الايمن وفي بعض الحالات الى الظهر . ثم ان الالم له علاقة بالمجهود العضلي كالصعود على سلم او السير لمدة طويلة . والعجيب في ذلك انه اذا حدث بعد صعود ٢٠ درجة من السلم مثلا فانه يحدث لمدة قصيرة - واذا استراح المريض الى ان يزول الالم وقام وصعد الدرج مرة أخرى فان الالم يعتريه بعد عشرين درجة . ويذهب هذا الالم اذا استراح المريض وكذلك تخف هذه الآلام او تزول بان يمتص المريض او يضع تحت لسانه قرصا من النيتروجليسرين .

وقد يحدث الم الذبحة الصدرية عند الانفعال الشديد او بعد تعاطي كمية كبيرة من الطعام والقيام بمجهود بسيط . واحب ان انوه هنا بهذا الانذار لمرضى الذبحة انه اذا حدثت النوبات على فترات قصيرة وتقاربت من بعضها وطالت مدتها بعض الشيء عن عادتها - واصبحت النوبات لا تستجيب بسرعة لاقراص النيتروجليسرين - فهناك احتمال



الشريانان التاجيان وهما يتفرعان على السطح الخلفي للقلب

كبير لحدوث جلطة في شريان تاجي القلب وعلى المريض ان ياخذ حذره ويستشير طبيبه ـ ليعمل له تخطيط القلب ـ ويقيم حالة شرايينه التاجية.

اسباب أخرى للذبحة الصدرية

كما نوهت ان الذبحة الصدرية تنتج من نقص مفاجيء لكمية الدم المتدفقة في الشرايين التاجية ، وهذا كما قلت في معظم الحالات ناتج من تصلب الشرايين التي اوضحت اسبابها ولكن هناك امراضا اخرى تسبب الذبحة الصدرية وهي : ـ

ا ـ ضيق في فتحتي الشريانين التاجيين وهذا يحدث في مرض الزهرى .

ب ـ فقر الدم الشديد .

جـ ـ نوبات ازدياد ضربات القلب .

د ـ ضيق او توسع في صمام الأورطة .

كل هذه تقلل من سريان الدم في الشريانين التاجيين مع قلة كمية الأوكسجين اللذى تحتاج اليه عضلات القلب ومن ذلك تحدث آلام الذبحة الصدرية .

كيف تشخص الذبحة الصدرية ؟

لعل احسن تشخيص للذبحة الصدرية هو ان يستمع الطبيب الى مريضه بكل دقة وعناية عندما يصف له الالم اللذى يعتريه خصوصا اذا كان هذا المريض يعتمد على اقواله دون ان يتغالى في وصفه للالم . اما اذا اشتبه الأمر فيستعان على ذلك بالفحص الطبي وعمل الاشعة للقلب ، وربما اخفقت هذه الطرق في تحديد المرض ، فيعمل للمريض تخطيط للقلب قبل وبعد الاجهاد حتى يتبين المرض اذا لم ترَ شواهده الا عند القيام بمجهود عضلي ـ واحب ان الفت النظر هنا الى انه اذا كان وصف المريض للمرض يتمشى مع وصف الم الذبحة وان هذا الالم يذهب مع الراحة او مص حبوب النيتروجليسرين وعمل للمريض تخطيط ولم يدل على مرض الذبحة فيؤخذ المرض على انه ذبحة صدرية اذ انه في بعض الحالات يكون رسم القلب طبيعيا في حين ان المريض يعاني من محنة المرض .

العلاج

في هذه الحالة اى الذبحة الصدرية ـ لا بد من الاخذ في عين الاعتبار نفسية المريض فاذا كان من متوترى الاعصاب كان الواجب تهدئة حالته وتخفيف وطأة المرض عليه ، ووصفه له في قالب مقبول لين يكتنفه الاحتراس وعدم التمادى في عدم الاكتراث والافراط وما احسنها نصيحة لمريض الذبحة الصدرية « عش في حدود قلبك وكن معتدلا ـ في اكلك وفي عملك وفي سهرك ـ وفي كل شيء » وابتعد قدر امكانك عما يكدر صفو حياتك واحرص على ان تقضي نهاية الاسبوع بعيدا عن ضوضاء المدينة وفي الهواء الطلق ـ وكذلك لا بد ان يقضى المريض اجازته السنوية ، لكي يعطي جسمه الراحة النفسية والجسمانية . ويهيئه لاستئناف عمله ثم الابتعاد عن كل ما يزيد من حدوث النوبات او يكون عاملا من عوامل التاثر على الشرايين التاجية ومنها السمنة ، والتدخين ، والافراط في الدهنيات والبول السكرى وارتفاع ضغط الدم والامساك الشديد . واخذ المهدئات يفيد كثيرا فيمن تنتابهم نوبات كثيرة من الاضطرابات النفسية والتهيج والانفعال الشديد لاقل سبب واخذ الادوية الموسعة للشرايين وأجداها نفعا هو

اقراص النيتروجليسرين والتي تمص تحت اللسان عند الشعور بالالم .

وهناك انواع كثيرة من الادوية تستعمل لتوسيع الشرايين ولكن فعاليتها مختلفة وربما كانت بسيطة للغاية ولا يحس المريض باى تحسن مع استمرار استعمالها . ولقد ظهر مؤخرا دواء يسمى تجاريا Inderal اندرال اثبت فاعلية ملموسة عند مرضى الذبحة وقلل من الالام الموجعة التي تكتنفها .

وما زالت الابحاث والمعامل في داب مستمر لعلنا نصل في يوم من الايام الى دواء ناجع ومفيد يزيل الام الذبحة الصدرية الى غير رجعة .

العمليات الجراحية

اما في مجال الجراحة فقد استحدثت عمليات عدة ولعل ما يجرى منها على نطاق واسع هي تلك العملية التى يوصل بها شريان من الشرايين القريبة للقلب الى عضلات القلب ليمدها بالدم فيعوض النقص الذى يحدث من ضيق الشريانين التاجيين .

مرض السدة القلبية ـ او الجلطة في شريان تاجي القلب

وكما قلنا اعراضها تختلف كثيرا عن اعراض الذبحة الصدرية فالالم الضاغط الشديد يحدث في اى وقت ـ حتى انه يحدث في بعض الاحيان والمريض نائم ـ ويستمر لمدة طويلة ـ وقد يكون الالم شديدا ويحدث صدمة مع هبوط شديد في ضغط الدم وعرق غزير بارد يغطى جميع اجزاء الجسم وربما فقد المريض وعيه وربما صحب ذلك قيء شديد وشحوب بالوجه . وكذلك ينتشر الالم في الذراع الايسر وفي بعض الاحيان في الايمن وزيادة على كونه خلف عظم القص الا انه يرتفع في بعض الاحيان الى اعلى على جانبي الفك الاسفل وفي احيان اخرى يحس في الظهر وفي اعلى البطن .

وهذا الالم لا يذهب باستعمال النيتروجليسرين . ولقد لوحظ في الآونة الاخيرة ان المرض يصيب صغار السن كما يصيب متوسطى الاعمار من الرجال ، وازدياد نسبة حدوثه مما يدل على ان هناك علاقة وثيقة بين ما يعانيه الناس من اضطرابات نفسية في حياتهم وغير ذلك من الاسباب التي ذكرناها انفا ـ اما في الاناث فيحدث ذلك عادة بعد زوال الطمث (العادة الشهرية) مما يؤكد نظرية فعالية هرمون الايستروجين Eostrogen في تلافي حدوث الجلطة .

تشخيص المرض

هناك امراض تسبب الما يشبه الى حد كبير مرض الجلطة في شريان تاجي القلب ـ ولكن الوصف الدقيق للمريض خصوصا اذا كان من الصنف الواعي يكفي لتشخيص المرض ـ ويستعمل جهاز تخطيط القلب للتأكد من المرض ومدى انتشاره في القلب واحتمالات النجاة والشفاء ـ ويعاد التخطيط ليرى مدى التآم انسجة القلب المصابة بعد الجلطة وهناك بعض الفحوصات المخبرية ايضا ترجع كنه حدوث الجلطة مع تهتك انسجة القلب ـ وهي كذلك تلقى الضوء على مدى تأثر عضلات القلب وهي : ـ سرعة الترسيب ، عدد كرات الدم البيضاء ، وارتفاع انزيم الدم S.G.O.T. ' S.G.P.P. .

العلاج

والعلاج هنا يتلخص في نقاط بسيطة حتى يحس القارىء لماذا يصر الطبيب على ان يتبع المريض كل التعليمات ويشاركه في ذلك زائروه ومن يحبون مساعدته ـ واراني مضطرا أن اعرض بعض الصور امام القارىء الكريم ليشاركني مدى ما يعانيه المريض من الجلطة وما يلاقيه الطبيب من عائلة المريض ومحبيه . تصور يا اخي القارىء مريضا يكاد الالم في صدره ان يقتله وارى في غرفته ما لا يقل عن خمسة عشر شخصا بعضهم صحب اطفاله معه ـ تصور اذا قال الواحد منهم فقط للمريض كيف حالك ؟ ويرد المسكين « أحسن ـ الحمد لله ... » ثلاث او اربع كلمات لكل واحد منهم يريد ان يسمعها منه ـ ثم بعد ذلك يخرج هؤلاء لتمتلىء الغرفة مرة اخرى ويستمر ذلك لمدة ثلاثة ساعات ماذا يبقى في المسكين بعد ذلك ـ آخر الزيارة انهاك شديد ـ هبوط في الضغط ، سرعة القلب ـ وربما تكون الزيارة الاولى او الثانية قاضية على حياته ـ وهذا عدا القيل والقال امام المريض وتوتر اعصابه اكثر فاكثر وغير ذلك من اسباب الازعاج التي لا تحصى ولا تعد ـ ثم يقولون للطبيب انهم محبوه وانا اقول بل انهم قاتلوه .

وصورا اخرى لن يعطى المريض نصـــائح من

عندياته او من خبرته الواسعة او مما حدث لجاره عندما سمع كلام الاطباء ولم ياكل ما يشتهي او ذاك المريض الذى مات عندما اصيب بجلطة - اما انت فالحمد لله لا تسمع للاطباء فهذه « لا جلطة ولا يحزنون » - صور كثيرة اسوقها على سبيل المثال .

فمريض السدة القلبية يحتاج : -

اولا: الى الراحة التامة بمعنى الكلمة . هدوء تام من حوله - زائر واحد مقرب الى قلبه يرتاح اليه، لايقوم من فراشه الا براى الطبيب - يساعده المرض المسئول في تناول طعامه ، ونظافة جسده. وتحريكه في فراشه - ثم نعطي له كل الراحة في نومه - فمنهم من يحب ان ينام جالسا بعض الشيء أو على وسادات عالية او على جنبه - ثم يدلك من حين الى آخر ليساعد ذلك على نشاط دورته الدموية خصوصا في سيقانه ، ويمنع الجلد من التقرحات .

ثانيا: ومريض السدة القلبية يحتاج الى مسكنات للالم الذى يشكو منه بمخدرات شديدة الفعالية كالبثدين Pecidine والمورفين Morphine

ثالثا : الغذاء ويكون خفيفا سهل الهضم . صغير الحجم وعلى دفعات كل ساعتين او ثلاث ساعات - اى اننا لا نريد ان يملأ المريض معدته ليجهد جهازه الهضمي وبالتالي يجهد قلبه ! ويكون الغذاء في بادىء الامر من السوائل التى يحبها المريض ويرغب فيها ويستحسن ان تكون عصير فواكه طازجة ولبنا (حليبا) وحساء خضار مع قليل من الخبز الجاف وبعض الحلوى المطبوخة سهلة الهضم . ثم يزداد الاكل نوعا وكما بمرور الوقت وتحت ارشاد الطبيب دون اجهاد للمريض او الضغط عليه ليأكل ما لا يطيق او ما لا يحب ويستسيغ .

رابعا : لا بد أن يقضى المريض فترة طويلة من النوم ويساعد على ذلك باعطائه المهدئات والمنومات.

خامسا : استنشاق الاوكسجين وفي بعض الحالات الشديدة يزود المريض بالاوكسجين - لكي لا يجهد نفسه في عملية التنفس ويأخذ الاوكسجين الذى يحتاجه ولا بد من ان يفهم المريض ذلك لان معظم المرضى يكرهون هذه العملية . بل وفي بعض الحالات يظنون انها دليل على قرب الوفاة - بل اقرباء المريض يظنون ذلك ويجعلونه يحس به مما يرى في أعينهم من حسرة والم على حالته .

سادسا : علاج الامراض التي ساعدت على الجلطة - كمرض البول السكرى وارتفاع ضغط الدم - وارتفاع كوليسترول الدم Cholesterole اذا كان هذا ورائيا وفي بعض الحالات تعطى المواد التي تساعد على عدم تكرار تجلط الدم وجعله في حالة سيولة كبيرة وذلك بمركبات الهبارين Heparin والدنديفان Dendivan وغيرها واحب ان انوه هنا بان هذا لا يزيل الجلطة التي حدثت ولكن احتمال التجلط مرة ثانية يكون بعيدا بعض الشيء .

سابعا : علاج المضاعفات : من صدمة - وتغير ضربات القلب - وهبوط في القلب - والتجلط في شرايين الساقين . أو التجلط في الشريان الرئوى كلها تحتاج الى علاج خاص ورعاية خاصة .

ثم ماذا بعد الشفاء ؟

يمكث مريض الجلطة في المستشفى ما بين اربعة وستة اسابيع ويستحسن ان يقضى فترة نقاهة مماثلة في بيته ويتدرج في تحركه في هذه الفترة ويعود تدريجيا الى حالته الطبيعية ثم يعود الى عمله شريطة ان لا يكون ذلك العمل مجهدا او مضنيا . ويجب أن يفهم مريض الجلطة ان يعيش كما قلت في حدود قلبه فيكون متوسطا في كل شيء ولا بد ان يقضي اجازة نهاية الاسبوع - ثم اجازته السنوية ثم يراعي نفسه في العلاج من الأمراض مثل مرض السكر او الضغط ولا يزيد في وزنه وان كان من ذوى السمنة ان يخفف منها ويبتعد عن الدهنيات خصوصا الحيوانية منها ثم يستحسن ان يكف عن التدخين نهائيا فاذا سار على هذا المنوال يكون قد « عقل الناقة » ثم نرجو منه ان يتوكل مصداقا لحديث رسول الله « اعقلها وتوكل » . ولا يجعل لليأس الى قلبه سبيلا ، ولا الى القلق ، والخوف على القلب ، وتوهم الأشياء الرهيبة مما يجعل الحياة مظلمة كئيبة فكم من اناس اصيبوا بالجلطة وعاشوا ارذل العمر الى الثمانين والتسعين - وكم من اناس اصيبوا مرتين او مرات وعاشوا الى السبعين والثمانين - فمش يا أخي مثلهم والله يتولاك برعايته ما دمت ترعى بدنك ، وتحافظ على صحتك ، وتبعد الوهم والقلق عن نفسك . ■■

محمد أبو الشوك



احتفلت الهنـد هـذه
الايام بذكرى مرور مائة
عـام على مولد غاندى

مُحَرِّر الهِنْد الأَوَّل

غاندى

• تزوَّج وَهُوَ فى الثانية عَشْرَة مِنْ عُمْره •

بقلم : محمد طنطاوي

■ **قال غاندى :**

« انه لا سبيل الى رؤية الحق الا بعد السمو الى أقصى المراتب فى محبة الكائنات جميعا .. نعم، فلكي نستطيع ان نشاهد روح الحق التي تسود الكون وتتخلل كل جنب من جنباته ، ونلقاها وجها لوجه ، يجب ان نتعلم كيف نحب أدنى المخلوقات واقلها شأنا كما نحب أنفسنا .. والرجل الذى يطمع فى ذلك لن يستطيع مع ذلك ان ينأى بنفسه عن أى ميدان من ميادين الحياة . وهذا هو السبب فى أن اخلاصي للحق قد جذبني الى ميدان السياسة . واني استطيع ان أقول فى غير تردد على الاطلاق ، ولكن فى تواضع كبير ، ان من يقولون بأن الدين لا شأن له بالسياسة لا يعرفون كنه الدين .

« وكذلك لن يستطيع المرء ان يتعرف على كل شيء حي الا اذا طهر نفسه من أدرانها . فمن غير ان يطهر الانسان نفسه ستبقى كل طاعة لقانون المحبة حلما غامضا وسرابا يخدع الناظرين . والله تعالى لن يتجلى لمن كان قلبه أعمى ، لذلك كان تطهير النفس معناه تخليصها من جميع أدرانها فى كل ناحية من نواحي الحياة . ولما كان تطهير النفس ينتقل بالعدوى كان تطهير الانسان لنفسه باعثا على تطهير البيئة التي يعيش فيها .

« غير ان طريق الطهر طريق شاق شديد الانحدار . ولكي يصل الانسان الى أكمل درجات



● صاحب مبدأ: "القوة التى تتولد عن الحق والحب" مات مقتولاً بثلاث رصاصات!

● طاغور أطلق عليه اسم "المهاتما" أى "الروح السامية".

الطهر ، يجب ان يتخلص فى تفكيره ، وفى حديثه ، وفى فعله ، من كل اثر للشهوات ، وان يرقى بنفسه فوق مستويات التذبذب بين الحب والكراهية ، وبين الوصل والبعد . واني لادرك انني لم اصل بعد الى الطهر المنشود فى هذه النواحي الثلاث ، على الرغم من جهودى التي لا تنقطع فى سبيل ذلك . ولقد كان ثناء العالم كله لا يهزني او يحركني ، بل اني كثيرا ما احس بوخزه . »

وقال غاندي :

« ان قهر الشهوات الكامنة فى النفس اشق بكثير من قهر العالم اجمع بحد السيف . وقد احسست بأثر هذه الشهوات التي ترقد فى كوامن النفس وتختفي فى اعماقها ، فكان احساسي بذلك يشعرني بالذلة والهوان وان لم يشعرني بالهزيمة .

« ومع ان تجاربي كانت تشد من أزرى وتبعث فى نفسي سرورا عظيما ، الا اني اعلم علم اليقين ان الطريق امامي لا يزال طويلا وصعبا ، وان علي ان انقص من قدر نفسي وان اتضاءل حتى اكون صفرا ، فانه لا سبيل الى خلاص المرء الا اذا اتخذ مكانه طائعا مختارا فى نهاية الصف بين زملائه فى البشرية . ذلك ان المحبة والتعفف عن العنف والكراهية هما اعلى مراتب التواضع » .

بهذه الكلمات التي تحمل من المعاني السامية اروعها لخص الزعيم الهندى المهاتما غاندى فلسفته السياسية والانسانية .

وقد مر على مولد هذا الرجل الذى سجل اسمه فى التاريخ بحروف مدادها من الحب ، وتضحية النفس ، وانكار الذات ، مائة عام .. ومع هذا فلا تزال تعاليمه وفلسفته تثير الاعجاب ، وتهز العواطف ، وتعتبر منارا لكل من يريد أن يهتدى.

نشأة دينية

فى الثاني من اكتوبر عام ١٨٦٩ شهدت بلدة « بوربندر Porbandar » فى مقاطعة كاتياوار Kathiawar » بالهند مولد « موهانداس كراماشاند غاندى » Mohandas Karamchand Gandhi . وكان هذا المولود هو الابن الرابع لكراماشاند غاندى رئيس وزراء راجكوت Rajkot من زوجته الرابعة بوتليباى Putlibai فقد كان سبقه الى الدنيا شقيقة واحدة وشقيقان.

امضى غاندى سبع سنوات من طفولته فى مدينة « بوربندر » مسقط رأسه . ثم انتقل بعد ذلك الى مدينة « راجكوت » حيث التحق بالمدرسة الابتدائية بها .. وقد كانت امه شديدة التدين ذات شخصية قوية ، وكان لها تأثير كبير على شخصية غاندى .. فمنها تعلم التسامح ، وتعلم الحب لبني الانسان على اختلاف مذاهبهم وطوائفهم ، ومنها تعلم الزهد فى مظاهر الحياة والميل الى الصيام وعدم اكل اللحوم أو ارتكاب المنكرات .. ويقول غاندى عن الأثر الذى خلفته امه فى نفسه :

« لقد خلقت امي فى نفسي الشعور بالقداسة والطهر . فقد كانت شديدة الورع ، لم تفكر يوما فى ان تأكل قبل ان تؤدى صلاتها . ولست أذكر انها انقطعت يوما عن اداء فريضة الصيام المقررة خلال الاشهر الأربعة المطرة !! »

.. ويستطرد غاندى فى ذكرياته عن امه قائلا :

« لقد حدث ان نذرت أمي مرة أن تمتنع عن تناول الطعام الا اذا أبصرت الشمس فى كبد السماء ، فكنا نحن الأطفال نقف فى تلك الأيام لنترقب ظهور الشمس حتى نزف اليها النبأ .. وكنا نعلم ان الشمس كثيرا ما تمر على الناس فلا تشرق عليهم بطلعتها عندما يبلغ فصل الأمطار ذروته . واني لأذكر تلك المرات التي كنا نجرى اليها فيها كلما ظهرت الشمس فجأة لنحمل اليها الخبر فكانت تخرج لتراها بنفسها فلا تكاد تصل خارج الباب حتى تكون الشمس قد عادت الى مكمنها خلف السحب فتحرمها بذلك من تناول وجبتها . وكانت تقول وهي مستبشرة النفس : هذا لا يهم . ان الله لم يشأ ان آكل اليوم . وتعود ادراجها لتؤدى واجباتها المنزلية » .

غاندى وزوجته كاستورباى .. صورة التقطت لهما اثر عودتهما الى الهند من جنوب افريقيا .



زواج فى الثانية عشرة .. !!

كان من عادة الأسر الهندية فى ذلك الوقت ان تؤيد زواج الاطفال . والزواج عند الهندوس لم يكن بالأمر الهين او البسيط ،بل هو كثيرا ما يجلب الخراب على الآباء وينتهي بهم الى الافلاس نتيجة للنفقات الكبيرة والتبذير الشديد على الحفلات التي تقام بهذه المناسبة . ولهذا قررت اسرة غاندى ان تقوم بتزويجه هو وشقيقه الذى يكبره بعامين وابن عم لهما فى نفس اليوم . وكان عمر غاندى فى ذلك الوقت لا يزيد عن ١٢ عاما وبضعة شهور فهو لم يكن أتم عامه الثالث عشر .. وتم الزواج ، وكانت العروس وتسمى كاستورباى Kasturbai فى الثانية عشرة من عمرها ايضا ، وكانت خطبتها الى غاندى قد تمت قبل زواجهما بخمس سنوات اى عندما كانا فى السابعة من عمرهما . !!



غاندى وهو في السابعة عشر من عمره (الى اليمين) مع شقيقه لاكسميداس وذلك قبل سفر غاندى الى لندن لتلقى علومه .

كان غانـدى يحب زوجته الصغيرة وفى نفس الوقت يغار عليها غيرة عمياء ، وكان يراقب حركاتها وسكناتها ولا يسمح لها بالخروج الا باذن منه . وكان ذلك مثار نزاع مرير بينهما .

ويقول غاندى عـن تلك الفترة مـن حياته : « انني لن اغفر لنفسي قسوتي على زوجتي وما سببته لها من شقاء ... ولعل المرأة الهندوسية وحدها هي التي تستطيع ان تحتمل ما احتملته زوجتي ، حتى لقد اصبحت منذ ذلك الوقت اعتبر المرأة رمزا مجسدا على التسامح والاحتمال .. »

وكانت زوجة غاندى امية تتمتع ببساطة فطرية، نزاعة الى الاستقلال ، متحفظة ، ولم تكن متبرمة بجهلها . وحاول غاندى ان يجعلها تقبل على تعليم نفسها ولكن انغماسه فى الحياة الجسدية معها فى تلك الفترة قضى على حماسه فى محاولة تعليمها .

ولكن غاندى الزوج الطفل لم يقض مع زوجته خلال السنوات الخمس الاولى من زواجه بها سوى عامين على الاكثر ، اذ ان عادة زواج الاطفال كان يصاحبها ايضا عادة ان اهل الزوجة كانوا ياخذونها لتعيش بينهم كلما حلا لهم ذلك .

غاندى ... منبوذ

انهى غاندى دراسته الثانوية وعمره يناهز الثامنة عشرة ، والتحق بكلية « سامالداس Samaldas » حيث قضى بها فصلا دراسيا واحدا ، شعر بعده انه لا يستطيع ملاحقة اساتذة الكلية لصعوبة العلوم التي تدرس بها . وعاد غاندى الى بلدته ، وهو يشعر بالفشل . وهناك نصحه واحد من اصدقاء ابيه بالسفر الى انجلترا لدراسة القانون وتحمس الشاب الصغير للفكرة . وعارضت امه فى سفره خوفا عليه من ان يضل الطريق السوى ، فهي تعلم ان الانجليز ياكلون اللحم ويعاقرون الخمر .. ولكن غاندى اقسم لها يمينا مقدسة ان لا يمس الخمر ولا يقرب النساء ولا ياكل اللحم . وتغلب غاندى بذلك على العقبة الاولى فى طريق سفره الى بريطانيا .

بقيت هناك عقبة كئود .. فقد ثار اهل طائفته ثورة عارمة عندما بلغهم خبر اعتزامه السفر الى الخارج ، وعقدوا اجتماعا عاما حضره غاندى ، وانتهوا فيه الى ان دينهم يحرم سفره .. وطلبوا منه عدم السفر ، ولكن غاندى اخبرهم بصراحة انه لا يوجد اى شيء فى هذه الدنيا يستطيع ان يمنع هذا السفر . وقررت الطائفة معاملة غاندى معاملة المنبوذين منها ، وان يمتنع كل من افرادها عن تقديم اية مساعدة لهذا الصبي المنبوذ او استضافته فى منزله ، والا اصبح هو الآخر منبوذا.

ولكن اصدقاء غاندى واسرته لم يابهوا بقرار الطائفة ، وسافر الشاب الصغير الى انجلترا ، ليبدا فترة جديدة من فترات حياته .

غاندى .. والخجل

وفى انجلترا حافظ غاندى على قسمه المقدس الذى اقسمه امام والدته ، لم يقرب الخمر ولم ياكل اللحم ، وابتعد عن النساء .. واخضع حياته كلها لنظام قاس من التقشف والاقتصاد .. واستطاع ان يدرس اللغة اللاتينية وان يحصل على شهادة المعادلة الانجليزية .. ثم درس القانون واصبح محاميا بعد ٣ سنوات من الدراسة .

وفى لندن انضم لجماعة النباتيين، وبعد ان كان لا

ياكل اللحم لأسباب دينية ، اصبح نباتيا عن قتناع بان الابتعاد عن اللحوم يحافظ على صحة الانسان .

وكان غاندى يعاني دائما من الخجل الزائد الذى ينتابه عندما يواجه اناسا كثيرين .. حتى انه اضطر مرة الى القاء خطاب في حفل وداع اقامه في لندن قبل عودته الى بلاده .. ووقف غاندى ليتكلم ، ولكن لسانه خانه ، ولم يجد ما يقوله سوى : « اشكركم ايها السادة .. على تلطفكم بقبول دعوتي » .

وقد لازم الخجل « غاندى » طوال حياته .

ويصف غاندى حالته هذه فيقول : « ان حيائي الفطرى — فيما عدا تعريضي لسخرية الناس بين الفينة والفينة — لم يلحق بي اى ضرر على الاطلاق . والواقع ان في استطاعتي ان ارى انه كان لمصلحتي .. كانت فائدته العظمى انه علمني الاقتصاد في الكلمات .. لقد علمتني التجربة ان الصمت جزء من النظام الروحي للرجل الذى ينشد الحقيقة .. فالنزعة الى المبالغة ، والى اخماد الحقيقة او تحريفها ، عن قصد او غير قصد، هي ضعف طبيعي في الانسان ، والصمت ضرورى للتغلب على هذا الضعف . ان الرجل القليل الكلام نادرا ما يكون احمق في حديثه . انه يزن كل كلمة .. »

ومن كلام غاندى هذا نستطيع ان نرى كيف استطاع هذا الشاب الخجول ان يستفيد من خجله هذا ، وان يجعله نقطة قوة في شخصيته بدلا من ان يكون نقطة ضعف فيها .

محام فاشـــل

عاد غاندى من انجلترا الى بومباى حيث قرر ان يمارس بها مهنة المحاماة ، ولكن الفشل كان حليفه بسبب خجله .. ويحكى غاندى قصة اول قضية يترافع فيها فيقول : « كانت هذه أول قضية لي أمام المحاكم الجزئية ، فوقفت ادافع عن المدعى عليه .. غير انني ما كدت اتقدم امام هيئة المحكمة حتى غاص قلبي الى قـدماى ، ودارت راسي ، وشعرت بأن قاعة المحكمة بمن فيها وما فيها تدور معي .. ولا بد ان القاضي تملكه الضحك وقتها ، وان المحامين الجالسين شعروا بمتعة لا حد لها وهم يشاهدون هذا المنظر ، ولكني كنت قد تجاوزت المرحلة التي استطيع ان ادرك فيها اى شيء ، او احس بما يجرى حولي .وجلست وانا اقول لموكلي انني لا استطيع ان استمر في القضية .. وابديت له استعدادي لرد الاتعاب التي كان قد دفعها لي » .

وفكر غاندى في ان يصبح مدرسا .. ولكنه فشل ايضا في الحصول على وظيفة ملائمة .. وبعدها قرر أن يعود الى بلدته « راجكوت » حيث استطاع ان يشق طريقه في المحاماة عن طريق كتابة العرائض والمذكرات القانونية فقط دون الذهاب الى قاعات المحاكم والمرافعة امام قضاتها ....!!

حادث لم ينسه

وفي راجكوت تعرض غاندى لحادث لم ينسه طوال حياته بل استفاد منه على مر السنين .. ويتلخص هذا الحادث في ان شقيقه طلب منه ان يتوسط له لدى المندوب السامي البريطاني الذى كان غاندى قد تعرف به اثناء وجوده في انجلترا . ورفض غاندى التوسط في البداية ولكنه ازاء الحاح شقيقه قبل ان يقوم بالوساطة . وكانت مقابلة عاصفة انتهت بطرد غانـدى من مكتب المندوب السامي . وخرج غاندى من هذا الحادث بفائدة كبرى وبقاعدة عاهد نفسه على ان يتبعها طوال حياته .. فقد قرر ان لا يضع نفسه مرة اخرى في مثل هذا الوضع الزائف ،وان لا يحاول في المستقبل ان يستغل الصداقة بينه وبين اى شخص على هذا النحو .. ولم يتخل غاندى عن هذا القرار في اى يوم من الايام بعد هذا الحادث .

حرب ضد التفرقة العنصرية

في الوقت الذى بدأت فيه نفس غاندى تضيق بالجو السياسي والاجتماعي الذى يعيش في ظله .. تدخلت يد القدر لترسم طريقا جديدا امام هـذا الشاب الموهوب .. وجاء هذا التدخل على شكل عرض من احدى المؤسسات التجارية الهندية التي تعمل في جنوب افريقيا تطلب فيه ارسال المحامي الشاب الى هناك لمتابعة احدى قضاياها عن كثب والاشتراك مع المحامين هناك في اعداد الوثائق القانونية اللازمة .. وقبل غاندى العرض على الفور ، ولم يكن يدرى ان هذا العرض بالذات سيغير من مستقبل حياته كلها .

وصل غاندى الى جنوب افريقيا في عام ١٨٩٣ وهناك بدأت شخصيته الحقيقية في الظهور .. فبعد وصوله الى « دربان » عاصمة اقليم « ناتال » قررت الشركة التي تعاقد معها ارساله الى بريتوريا حيث يقوم بدراسة القضية مع المحامين الاخرين.



في عام ١٩١٣ التقطت هذه الصورة للمحامي الشاب غاندى أمام مكتبه
في جنوب افريقيا وقد أحاط به بعض أفراد الجالية الهندية هناك .

وركب المحامي الهندى الشاب القطار في طريقه الى بريتوريا وكان معه تذكرة بالدرجة الأولى . وفي محطة بيترماريتزبرج Pieter Maritzburg دخل احد الركاب المقصورة التي كان غاندى بها وجعل يتفرس فيه من قمة راسه الى اخمص قدميه .. ثم خرج مستاء ليعود ومعه اثنان من موظفي السكك الحديدية . وقال احد الموظفين لغاندى آمرا : « تعال معي ، فان مكانك في الدرجة الثالثة » .

ورد عليه غاندى بهدوء : « ولكنني احمل تذكرة للسفر بالدرجة الأولى » فقال الموظف : « هذا لا يهم . لقد قلت لك يجب ان تذهب الى الدرجة الثالثة » .

ورفض غاندى الخروج من الدرجة الأولى وقام الموظف باستدعاء رجل الشرطة الذى جاء وامسك بغاندى ثم دفعه الى خارج المقصورة والقى بحقائبه الى الرصيف .

ويصف غاندى اللحظات التي تلت هذا الحادث فيقول :

« مضيت وجلست في غرفة الانتظار ، وكان هناك رجل ابيض شعرت بالخوف منه . وسألت نفسي: ما هو واجبي الآن ؟ هل اعود الى الهند ؟ ام أمضي قدما متكلا على الله ، واواجه كل ما يخبئه لي القدر . وقررت ان امضي قدما وأماني . وفي هذه اللحظة بالذات ولدت سياسة عدم العنف التي اتبعتها بعد ذلك » .

وخاض غاندى معارك كثيرة في جنوب افريقيا ضد التفرقة العنصرية،واسس هناك في عام١٨٩٤ حزب مؤتمر ناتال الهندى Natal Indian Congress وقرر ان يبقى في هذه البلاد بناء على رغبة الجاليةالهنديةالذينوجدوا فيهالقائد المنقذ.

الساتياجراها Satyagraha

وجد غاندى ان تعبير المقاومة السلبية لا يعبر عن ايديولوجية الدعوة التي ينادى بها تعبيرا كافيا، فقام باطلاق وصف جديد على دعوته هو « الساتياجراها » Satyagraha وترجمة

هذا اللفظ الحرفية هي : « القوة التي تتولد من الحق والحب وعدم استعمال العنف » .

واستمرت هذه الدعوة في جنوب افريقيا ٨ سنوات منذ عام ١٩٠٦ حتى عام ١٩١٤ .

وفي هذه الأثناء كان غاندي دائم الاطلاع والدراسة .. وخاصة في الأديان المختلفة ، وقد تأثر بما قاله رسكين Ruskin عن انّ خير الفرد هو خير المجتمع ، وان حياة العامل هي الحياة التي تستحق ان يعيشها الانسان . وترك العمل في المحاماة ليقوم بعدة اعمال مختلفة .. عمل مزارعا وطباخا وكناسا .. واختار حياة الفقر والزهد .

وقد نشر الفيلسوف الهندي في عام ١٩٠٩ كتابه الأول Hind Swaraj اى « اسس الحكم في الهند » وضمنه خلاصة افكاره السياسية التي تنادي باقامة مجتمع حر يستطيع فيه الفرد العادي ان يطالب بحقوقه ويدافع عنها . وبعد نشر هذا الكتاب بدأت مراسلات طويلة بين غاندي والكاتب الروسي تولستوى L. Tolstoi الذي اعجب بافكار المؤلف الهندي التي تضمنها كتابه .

ونشر تولستوى عدة مقالات عن غاندي وعن فكرة الساتياجراها التي اعتبرها فكرة ذات اهمية عالية .

المهاتما او الروح السامية

عاد غاندي الى الهند في يناير عام ١٩١٥ وفي مايو من نفس العام كون مجموعة من ٢٥ فردا في مدينة « احمد آباد » اقسموا على ان يقفوا في جانب الحق ، وعدم استعمال العنف ، والتبتل ، وعدم الخوف ، وممارسة ضبط النفس ، والعمل على انهاء حركة المنبوذين وتشجيع التعليم باللغات القومية ، وان لا يرتدوا سوى الـ Khadi اى الملابس المنسوجة باليد فقط ، وان يمارسوا السواديشي Swadeshi اى استعمال المنتجات المحلية فقط .

ومنذ ذلك الحين بدأ جهاد غاندي المعروف في سبيل استقلال بلاده والذي سجلته كتب التاريخ .

وفي هذه الفترة اطلق شاعر الهند وفيلسوفها العظيم رابندرانات طاغور على غاندي لقب « المهاتما » اى « الروح السامية » .

جهاد وسجن

بدأ غاندي جهاده في الهند ضد اعداء ثلاثة في وقت واحد .. الاستعمار البريطاني ، والفقر ، وتحرير المنبوذين .. وقد تعرض غاندي في جهاده هذا للاضطهاد والاعتقال . وقد قبض عليه في ١٣ مارس ١٩٢٢ وقدم للمحاكمة بتهمة التحريض على الثورة . وفي المحكمة اعترف غاندي بالتهمة قائلا :

« انني هنا لاخضع وارحب بأقسى عقوبة ستوقع عليّ ، لما يقول عنه القانون انه جريمة متعمدة ، ولما ظهر لي انه واجب اسمى » .

وحكم على الزعيم الهندي بالسجن ٦ سنوات ، ولكنه في عام ١٩٢٤ نقل الى المستشفى لاجراء عملية الزائدة الدودية وافرج عنه بعدها .

وبدأ غاندي دعوته لاستعمال الأنوال اليدوية وخصص لهذه الدعوة كل وقته ، حتى انه كان يجوب القرى في مختلف الولايات الهندية يحث اهلها على تبني فكرته ، ونجحت الدعوة نجاحا كبيرا بالرغم من سخرية الكثيرين منه ومن دعوته..

واعتقل غاندي بعد ذلك عدة مرات ما بين اعوام ١٩٣٠ و ١٩٤٢ ، وكانت آخر مرة اعتقل فيها في اغسطس عام ١٩٤٢ بسبب اطلاقه شعار « اتركوا الهند الآن » ، اطلقه ضد قوات الاحتلال البريطاني، وقد ماتت زوجته « كاستورباى » اثناء اعتقاله ذاك .

وافرج عن غاندي في عام ١٩٤٤ افراجا بسبب مرضه .

وفي شتاء ١٩٤٦ ــ ١٩٤٧ ذهب غاندي ليعيش في ولاية البنغال الشرقية ، وكان يسير حافي القدمين من قرية الى قرية ليحض المسلمين والهندوس على عدم استعمال العنف .

وفي مارس ١٩٤٧ انتقل غاندي الى ولاية بيهار حيث وقف الى جانب الاقلية المسلمة في محنتها هناك .

نهاية عنيفة لداعية السلام

ويبدو ان القدر كان يدبر نهاية عنيفة مؤلمة لذلك الرجل الذي آمن ودعا لسياسة اللاعنف ، ففي ٣٠ يناير عام ١٩٤٨ بينما كان غاندي في طريقه الى الصلاة اعترض سبيله شاب هندوسي واطلق عليه الرصاص ٣ مرات ، اصابته في مقتل ولم ينبس غاندي بعدها الا بكلمة واحدة اطلقها قبل ان يلفظ انفاسه : He Rama « يا الهي » ..

وانتهت حياة رجل من اعظم رجال القرن العشرين ..

انتهت من سجل الاحياء لتدخل سجل الخالدين . ■■

محمد طنطاوي

١

هدية العدد

المجموعة الشمسية

الشمس وكواكبها التسعة

■ مع هذا العدد الخاص هدية ، هي رسم ايضاحي منفصل ، طوله ٦٣ سنتيمترا ، وعرضه ٤٨ سنتيمترا ، وهي جزء لا يتجزا من هذا العدد . وهو رسم يصف الأفلاك التى تدور فيها الكواكب التسعة حول الشمس ، وابعاد هذه الأفلاك ، وكم تستغرق في دورانها حول الشمس ، ثم حول نفسها ، وقد ضمناه كذلك معلومات اخرى عن هذه الكواكب .

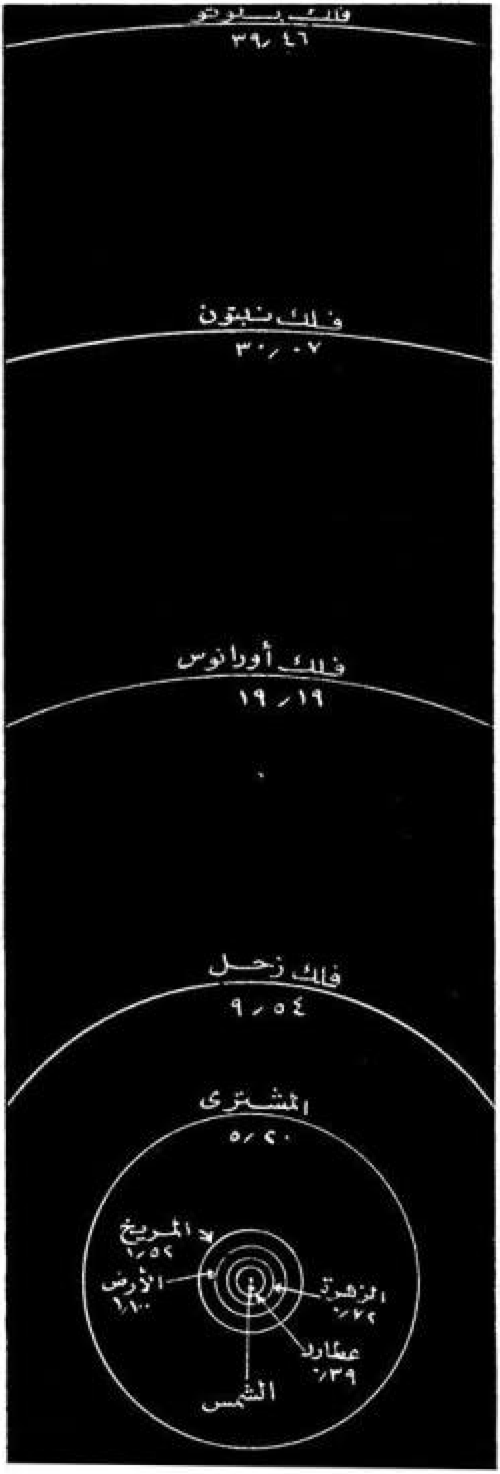
ولكن الورقة المهداة لم تتسع لمراعاة نسب أبعاد الكواكب عن الشمس . لهذا ننشر مع هذه الكلمة الرسم المرفق ، وفيه أثبتنا ابعاد الكواكب متخذين بعد الارض عن الشمس وحدة للقياس ، وهي الوحدة المعروفة عند الفلكيين بالوحدة الفلكية Astronomical Unit . فزحل يبعد عن الشمس ٩٫٥٤ مرة كبعد الأرض عن الشمس .

ومثلنا الشمس بنقطة هي في الاوسط من هذه الافلاك .

أما من حيث تمثيل الأحجام النسبية للكواكب ، فيكفي ان تعلم ان قطر الشمس يبلغ نحو ١٣٩٠٠٠٠ كيلومتر ، وان قطر الارض عند خط الاستواء يبلغ ١٢٧٥٧ كيلومترا ، اى ان قطر الشمس اكبر من قطر الأرض بنحو ١٠٨ مرة ، اى ان حجم الشمس اكبر من حجم الارض اكثر من ١٢٩١٠٠٠ مرة تقريبا .

ملاحظة : استوحينا رسم الهدية المذكورة هنا من رسم للمجموعة الشمسية نشرته شركة راند ماكنالي الامريكية ، ولكنا ادخلنا فيها من التعديل ما ابعدها عن اصلها ، واضفنا من اوصاف الكواكب وارقامها على الرسم ما الشركة المذكورة ليست بمسئولة عنه ، ولهذا وقعناه بتوقيع « العربي » .

●●



"المنجد" "معجم في اللغة"

نقد لا مفر منه...

بقلم : عبد الستار فراج

■ هو في الحق معجمان في مجلد واحد .

المعجم الأصل ، والاول ، وهو للاب لويس معلوف ، ويقع في اكثر من الف صفحة . وهو معجم نافع ، انتفع به الكثيرون من دارسي اللغة العربية . وزادهم انتفاعا به استجابة الطبعات المختلفة الى النقد الذى اتصل بسوابقها . وما يزال ياخذ عليه بعض اللغويين مآخذ ليست هي اليوم من همنا . ومن اجل سهولة مطالع هذا المعجم اقبل عليه الكثيرون ، وحق لهم ان يقبلوا .

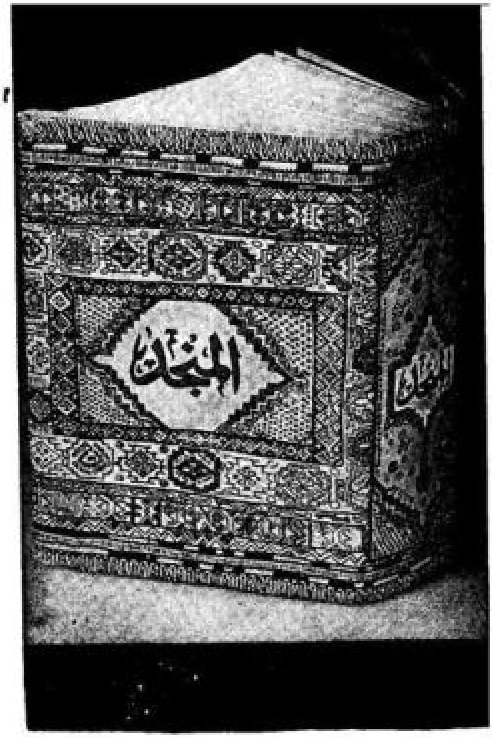
اما المعجم الثاني ، فقد اضيف الى المعجم الاصل من بعد ذلك . وعلى التحقيق في عام ١٩٥٦ على ما ورد في مقدمة المؤلف . اما مؤلفه فالاب فرديناند توتل . واسماه « المعجم في الآداب والعلوم : معجم لاعلام الشرق والغرب » . وهو في الحق معجم تاريخي جغرافي .. حوى اسماء الكثير من الرجال ومواضع كثيرة من الارض واسماء كتب.

وهذا المعجم يقع في اكثر من ٥٠٠ صفحة .

وكلمتنا هذه لاتتعلق ، بالمعجم الاول ، معجم الاب لويس معلوف ، ولكن بالمعجم الثاني ، معجم الاب فردينان توتل .

فقد وقع بين ايدينا خطا في اسم علم من الاعلام الاسلامية ، جاء في مقال فبحثنا عن مصدره مع كاتبه ، فكان هو المنجد ، معجم اعلام الشرق والغرب ، للاب فردينان توتل . فحدا بنا هذا الى تصفح في هذا المعجم ، فخرجنا منه باخطاء ، نذكر منها مائة ولو زدناه قراءة ، لزادنا أخطاء .

ومتوسطو الثقافة حينما يتصفحون كتابا يظنون انه مرجع موثوق بـه ، يتناولون ما فيـه دون تمحيص ، فترسخ في اذهانهم المعلومات المشوهة والالفاظ المحرفة . وقد ينقلون ذلك الى غيرهم عن حسن قصد ، اغترارا بالمرجع الذى اعتمدوا عليه ، ووقعوا في شراكه . ومن اصعب الامور ان يزال ما رسخ في الأذهان البريئة والقلوب الخالية، واذا وجد بعضهم احدا يصحح له ما وقع فيه من خطا ، فان الاكثرين سيظلون على ما وقعوا فيـه لا تقال لهم عثرة .



ان هذا الجزء من المعجم يجب ان تعاد كتابته مرة اخرى ان اريد له ان يكون في ايدى العرب والمسلمين خاصة .

١ – « محمد نبي المسلمين، من بني هاشم، تزوج من خديجة ، فرزق منها فاطمة، دعا الأعراب إلى الإسلام، انتصر على المكيين في بدر ، لكنهم غلبوه في أحد، وعاد فحاربهم في حنين ، ودخل مكة ظافراً »

هذه معلومات في تفاهتها وخللها لا تحتاج إلى بيان ، وأسوأ ما فيها قوله « دعا الأعراب إلى الإسلام » .

٢ – « الأثر الشريف أو الذخيرة ، وهي بعض مخلفات يقال إنها لمحمد ، مثل شعره وأسنانه وقطع من ملابسه ونماذج من خطه » . كذا كتب .

مع العلم أن النبي صلى الله عليه وسلم أمي لا يقرأ ولا يكتب .

٣ – « الصاد الصورة ٣٨ من القرآن » . يعني بذلك سورة « ص » ولكن هكذا وقع التعبير والتحريف .

٤ – « الخُضَر أحد أولياء المسلمين، رفعه القرآن فوق الأنبياء» .

وهذا القول مع الضبط كله خلل وافتراء وقد يكون بعضه من أقوال السذج الغافلين .

٥ – « آدم ... وعصى آدم وحواء أوامر الله ، فطردا من جنة الفردوس ، ولكنهما وُعدا بمخلص هو المسيح » كذا قال ، وقد وجب أن يقول « إن هذا في اعتقاد المسيحيين » وهو يعلم أن الأكثرية الكبرى التي تقرأ المعجم مسلمون لا يرون في المسيح إلا نبياً كريماً .

٦ – « أسامة بن زيد بن حارثة من مواليد محمد » هكذا ، ولعلها محرفة عن موالي ، ولكن من يدري !

٧ – « لقمان من الحكماء الذين يتمثل بحكمهم ، شخصية أسطورية » هكذا كتب . وكيف تكون شخصيته أسطورية بالنسبة للمسلمين على الأقل ، وقد جاءت باسمه سورة في القرآن ، وقص الله علينا موعظته لابنه (يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم) الآيات.

وإذا كانت تحاك حوله بعض الأساطير الإسرائيلية ، وغيرها من الخرافات ،

كما تحاك حول الرسل والأنبياء ومن أكرمهم الله من عباده ، كمحمد وموسى وعيسى ويوشع والعزير ومريم ابنة عمران ، فهل تعد شخصياتهم أسطورية بسبب ما يحاك حولهم مما هم بريئون منه؟!

٨ – « إدريس شخص ذكر مرتين في القرآن لقب بالبار وبالنبي » .

إن القرآن وصفه بالصديق وبالنبي ، فلم يحسن المؤلف الترجمة من مراجعه إلى العربية ولم يرجع إلى القرآن . « إنه كان صديقا نبيا » سورة مريم الآية ٥٦ .

٩ – « مسيلمة نبي بنى حنيفة في اليمامة عاصر محمدا وعرض عليه أن يشاركه بالنبوة ، فقتل في وقعة عقرباء » .

وهكذا سكت ولم يزد ، فهل كانت نبوة مسيلمة صادقة أو كاذبة ، وما حقيقته ؟ هذا ما أهمله المنجد .

١٠ – « عاتكة هى بنت عبدالمطلب عم النبي » مع أن عبدالمطلب جده ، وهى عمة النبي .

١١ – « ألف ليلة وليلة تحكيها السلطانة شهرزاد لأختها دنيازاد في حضرة أمير المؤمنين »

إنا لنتساءل : من هو أمير المؤمنين ، فإنه لم يذكره ولا يستطيع أن يذكر أحدا من أمراء المؤمنين ، والقصة يعرفها أقل الناس علما ، فهى تحكيها شهرزاد أمام الملك شهريار وهو وهى وأختها شخصيات من صنع الخيال ، ولكن أبى كاتب النص إلا أن يقحم فيه أميراً للمؤمنين .

١٢ – « ذو الكِفْل رجل ذكر في القرآن مع الأنبيـــاء » هكذا ! وصحة ضبطه ذوالكِفْل ، بكسر الكاف وسكون الفاء.

١٣ – « الشعّراء السورة ٢٦ من القرآن » هكذا ، وصحة اسمها « الشُعَراء » جمع شاعر .

ونكتفى بهذا القدر من الإساءات الخاصة بالدين الإسلامى وننقل نماذج حافلة بالخطأ والتحريف .

١٤ – « الأصمعى تعلم في البصرة على الخليل وعيسى بن عمر ، وأبى عمر بن الأعلى وعليه تعلم أبو الفضل الرياشى وأبو عبيدة والسجستانى والسكرى » .

في هذا النص عدة أخطاء ، فليس هناك من اسمه أبو عُمر بن الأعلى ، وإنما هو أبو عَمْرو بن العلاء ، أما أبو عبيدة فهو أكبر من الأصمعى سنا ، ولم يتعلم على الأصمعى ، والسكرى ولد في العام الذى مات فيه الأصمعى ، فكيف تعلم عليه ؟

١٥ – « العلاء (أبو عُمَر زُبان) » ، وصحــة ضبطه ، أبو عَمْرو زَبّان ؛

١٦ – « الأزهرى قرأ على ثعلب وابن دريد ونفطويه » مع أن الأزهرى لم نقرأ على ابن دريد .

١٧ – « مجنون ليلى لقب قيس بن الملوّح التقى بامرأة اسمها ليلى ونحر بعيره ليخطب ودها »

ومجنون ليلى اسمه قيس بن المُلوّح ،ولم يذكر في قصته أنه التقى بها ونحر بعيره ليخطب ودها ، وإنما ذلك في قصة امرئ القيس . أمـــا مجنون ليلى فقد كان هو وليلاه صغيرين نشآ معا يرعيان البَهم .

صَغيرين ِ نَرْعَى البَهْمَ ياليت أنّنا
إلى الآن َ لم نكبرْ ولم تَكبَرِ البَهْمُ

١٨ ـ « أنساب الأشراف للبلاذرى .... وفيه كثير من أخبار بنى أمية في زمن عبدالملك والوليد » وهذا كلام من لم يطلع على أنساب الأشراف ولا يعرف ما فيه . انظر مقالنا عنه في « العربي » (عدد ٩٩) .

١٩ ـ « الأغانى .. وعثر على جزء آخر في بعض خـزائن الـكتب في أوروبا فطبع » وهذا أيضا كلام من لا يعرف شيئا عن الجزء الواحد والعشرين من الأغانى ، وحقيقة أمره أن المستشرق راجع ما طبع من الأغانى قديما ، وراجع المخطوطات ، فوجد بعض تراجم سقطت مما طبع ، فجمعها ورتبها ترتيبا هجائيا وجعلها الجزء الواحد والعشرين .

٢٠ ـ « جعفر بن يحيي البرمكى ..... وزوج العباسة أخت الرشيد »

وهذه معلومات خرافية ، فزواج العباسة بجعفر بن يحيي البرمكى لا حقيقة له ، وإنما هى أسطورة حدثت بعد عشرات السنين من مقتل البرامكة لتلمّس الأسباب في قتلهم . أما العباسة فقد تزوجت أحد أبناء عمومتها ، ثم تزوجت بعـده لما مات ، ثم مات زوجها الثانى ، وعاشت إلى أيام الأمين ، وفي شؤمها على من تزوجه قال أبو نواس يخاطب الأمين :

إذا ما خالِـــــفٌ سَـــرَّ
كَ أن تُفْقِـــدَه راسَــــــهْ
فلا تقتلْـــــه بالسَيْـــف
وزَوِّجْـــــــه بعبَّاسَـــــهْ

٢١ ـ « المازنى أبو عثمان بكر (٨٦٢) أخذ عنه المبرد والرياشي والتبريزى »

في حين أن التبريزى المعروف ،وكما ذكر في المنجد نفسه عاش بين (١٠٣٠ـ ١١٠٩)

٢٢ ـ « الحَرّث بن كلدة » ، هكذا كتب وضبط ، وصحة اسمه«الحارِث».

٢٣ ـ الحَرّث بن كعب المَزْحجى .... هكذا كتب وضبط ، وصحة اسمه ونسبته الحارِث بن كعب المَذْحجى .

٢٤ ـ « الحَرْقة بنت النعمان » هكذا ضبطت ، وصحتها الحُرَقة .

٢٥ ـ « ذو الرمة .. وله ديوان يحوي ثلثى لغة العرب .. » وهذا من الكلام الذي يلقى على عواهنه ولا يصدقه إلاّ ساذج . لأن شعر ذى الرمة لو طبع بدون شرح لا يبلغ مع ما فيه من تكرار في الألفاظ واحدا من خمسين مما في كتب اللغة ، فكيف يحوى ثلثى لغة العرب ؟ !

٢٦ - « بُريدة بن الخصيب » ، وصحته بُريدة بن الحُصَيب ، بالحاء المهملة المضمومة وفتح الصاد .

٢٧ - « بشر بن أبي حازم » وصحته « خازم » بالخاء المنقوطة من فوق ، وله ديوان مطبوع .

٢٨ - « عُبَيد بن الأبرص » وصحة ضبطه عَبِيد ، بفتح العين .

٢٩ - « عبدالله بن جَدْعان » وصحة ضبطه جُدْعان ، بضم الجيم .

٣٠ - « عبدالله بن رُواحة » وصحة ضبطه رَواحة ، بفتح الراء .

٣١ - « قيس عِيلان » وصحة ضبطه عَيلان ، بفتح العين .

٣٢ - « قيس بن سعد بن عِبادة » وصحة ضبطه عُبادة . بضم العين .

٣٣ - « زُبَيد مدينة باليمن » وصحة ضبطها زَبِيد بفتح الزاى .

٣٤ - « الزُبيدى المرتضى » وتكرر هذا الضبط في مواضع من المنجد، وصحة ضبطه الزَّبيدى ، انظر ترجمة له في الجزء الأول من تاج العروس الذى نشرته وزارة الارشاد والأنباء بالكويت .

٣٥ - « النضر بن الحرث بن كلدة الثقفى ابن خالة النبي . من أطباء العرب ، تعلم الطب على أبيه ... قتل بعد وقعة بدر » . وهذا كلام كله خلط ، وخطأ حتى في الكتابة . فالحارث بن كلدة الثقفى لم يخلف ولدا اسمه النضر . والذى يريده صاحب « المنجد » هو النضر بن الحارث ابن علقمة بن كلدة بن عبد مناف من بنى عبد الدار من قريش ، فليس إذن هو ثقفيا ، وليس ابناً للحارث بن كلدة الثقفى ، ولم يتعلم الطب من أبيه المزعوم وبالتالى هو ليس من أطباء العرب .

٣٦ - « الصَوْلى أبو بكر محمد » وصحة ضبطه الصُّولى ، بالضم لا بالفتح .

٣٧ - « عبدالله بن عُمَر بن الخطاب » وصحة ضبطه عُمَر ، وهو أشهر من أن يجهل ، فكيف يضبط هكذا

٣٨ - « ضُمْرة بن ضَمْرة » وصحة ضبطه ضَمْرة بن ضَمْرة ، بفتح الضاد فيهما .

٣٩ - « عَكْرَمَة بن أبي جهل » وصحة ضبطه عِكْرِمة ، بكسر العين والراء .

٤٠ - « عِزّة الميلاء » وصحة ضبطها عَزّة ، بفتح العين .

٤١ - « طَيِّئْ » وصحة ضبطها طَيِّئ بتشديد الياء بعد الطاء .

٤٢ - « المزهَر كتاب في علوم اللغة » وصحته المُزْهِر ، بضم الميم وكسر الهاء .

٤٣ - « مسلم بن عُقَيل بن عم الحسين ابن على » وصحة ضبطه عَقِيل ، بفتح العين وكسر القاف .

٤٤ - « ضبة (بنو -) قبيلة .. كان مسكنهم حمى ضارية في نجد » هكذا ،

وهو يقصد ، الضّباب وهم غير ضبة . وضبَّة بفتح الضاد ، والضّباب مسكنهم حمى ضَرِيَّة ، بدون ألف ، وبتشديد الياء ، وليس حمى ضارية ، وذلك لاشك من سوء الترجمة عن الكتب الأجنبية .

٤٥ ـ «شمائل النبي كتاب ألفه الإمام الترمزى شرحه جماعة أشهرهم الاسفرانى» وصحة الكلام الترمِذى ... بالذال : والاسفراينى .

٤٦ ـ «جعفر الصادق ودفن في البُقَيع» وصحتها البَقِيع ، بفتح الباء وكسر القاف .

٤٧ ـ «عائشة قبرها في البُقَيع» وصحتها البَقِيع ، بفتح الباء وكسر القاف

٤٨ ـ «قحطبة بن شُبَيب الطائي» وصحتها شَبِيب ، بفتح الشين .

٤٩ ـ «قُنَا فيها مزار عبد الرحيم بن أحمد .. يكرمه مسلمو مصر تكريمهم البدوى وإبراهيم الدسوقي وأبا الحجاج العقصورى» هكذا .. وصحة الضبط قِنا ، بكسر القاف . وصحة الاسم «أبا الحجاج الأقصرى» ، ولكن الترجمة من المصادر الأجنبية هى التى حرفت اسم الأقصرى إلى العقصورى .

٥٠ ـ «محمد بن رزين أبو الشيص شاعر» وصحته أبو الشِّيص

٥١ ـ «مجمع فؤاد الأول للغة العربية» إذا لاحظنا أن المنجد في الأدب والعلوم طبع أولا سنة ١٩٥٦ عرفنا أن معلومات المؤلف غير صحيحة ، لأن اسمه صار مجمع اللغة العربية من سنة ١٩٥٢ .

٥٢ ـ «لَهْبَعَة (عبدالله بن ـ) أول قاض ولى بمصر من قبل الخليفة المنصور» هكذا ضبط وحرف ، وصحته لَهِيعة ، بكسر الهاء وبعدها ياء بنقطتين من أسفل وغير محركة .

٥٣ ـ «القُرْمُط وقُرْمُط حمدان» وصحة الضبط القَرامطة ، وقَرْمَط بفتح القاف وفتح الميم .

٥٤ ـ «قرة بن شَرَيك» وصحتها شَرِيك ، بكسر الراء .

٥٥ ـ «قتيبة (ابن ـ الدَّينورى» وصحتها الدِّينورى ، الدال مكسورة .

٥٦ ـ «عبدالله بن جهش» وصحته عبدالله ابن جحش بالحاء لا بالهاء ، وهذا من سوء الترجمة دون الرجوع إلى الكتب العربية . وليس خطأ مطبعيا لأنه وضع بعد عبدالله بن جعفر .

٥٧ ـ «الفتح بن خاقان وزير المتوكل ناصر ابنه الأصغر المعتز على ابنه الأكبر المنتظر» وصحته المنتصر ، بالصاد لا بالظاء ، وهو أيضا من سوء الترجمة دون الاعتماد على مصادر عربية .

٥٨ ـ «أبرهة الاشرم الحبشى حاكم اليمن حارب الفرس (٥٧٠) مستخدما الفيلة في القتال ، وتسمى سنة هذه الحرب

عام الفيل وفيها يؤرخون مولد محمد » وصحة النص « حارب قريشاً مستخدماً الفيل » وفي ذلك جاءت سورة في القرآن « ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل » .

٥٩ — « صبح الأعشى في كتابة الإنشا » صحته « في صناعة الإنشا »

٦٠ — « تبالة موضع في عسير شمالى اليمن على مسيرة سبعة أيام من جنوبى شرقي مكة كان فيها صنم اسمه ذو الخلصة من الحجر الأبيض ، حطمه النبي » وتَبَاله صحّة ضبطها بفتح التاء . والمنجد في العصر الحديث يجب أن يقيس بالمسافات لا بسير الإبل في العهود القديمة .إن سبعة أيام توصل إلى القمر في عصرنا ، وتعيد منه . والنبي لم يذهب إلى ذى الخلصة ، وإنما أرسل جرير بن عبدالله فحطم الصنم.

٦١ — « القطامى عمر بن شويم بن عمْر » هكذا وصحته عمير بن شُيَيم بن عَمْرو.

٦٢ — « محمد بن عبدالله الملك ابن الزيات » وصحته « محمد بن عبد الملك . »

٦٣ — « جامعة صفحة ١٢٨ « في مصر جامعة فؤاد الأول .. جامعة إبراهيم باشا .. ويلاحظ أن المنجد في طبعته الأخيرة سنة ١٩٦٦ ومع هذا يكتب معلوماته خاطئة ناقصة ، فهاتان صارتا جامعة القاهرة وجامعة عين شمس وزادت جامعات ، وواضح أن الطبعة الأخيرة من المنجد تكلمت عن الجمهورية العربية المتحدة في سنة ١٩٦١ .

٦٤ — « الفسطاط » كان موقعها بين القاهرة ومصر العتيقة ، تسمى الآن امبابة ». وهذه معلومات خاطئة ، فإمبابة في محافظة الجيزة غربى النيل ممتدة إلى مايقابل الوجه البحرى ، أما مصر القديمة او العتيقة فهى من أقسام القاهرة شرقي النيل .

٦٥ — « جُبُلة (يوم —) وصحته جَبَلة بفتح البـاء .

٦٦ — « جبْلة بن الأيهم » وصحته جبَلة ، بفتح البـاء .

٦٧ — « ذو الاصبع (حرثان بن الحَدَث) ، وصحته حرثان بن الحارث . فهو بالحاء الممدودة وبالراء .

٦٨ — « جُعْدة عامر » وصحتها جَعْدة بفتح الجيم .

٦٩ — « جُعْدة بن كعب » وصحتها جَعْدَة بفتح الجيم .

٧٠ — « كبير (أبو — الهزيلى) شاعر » وصحته الهُذَلى .

٧١ — « جُذَيمة بن الأبرش » وصحته جَذِيمةُ الأبرشْ ، بضم الجيم وكسر الـذال

٧٢ — « ذو النون أبو الفايض المصرى » وصحته أبو الفَيْض .

٧٣ — « زهير بن جناب بن هَبْل الحميرى » وصحته هُبَل ، بضم الهاء وفتح البـاء ، والأحسن أن يقال: الكلبي ، فهو بذلك أشهـر .

٧٤ـ« الشيباني (أبو عَمَر) »صحته أبو عَمْــــرو

٧٥ -« ضابئْ بن الحَرَث » وصحته الحارث

٧٦ - « الطُرْمَاح بن حكيم » وصحته « الطِرِمَّاح » الطاء مكسورة وكذلك الراء أما الميم فمشددة مفتوحة .

٧٧ - « ذو الشَرّاه من آلهة العرب في الجاهلية كان له معبد فخم في صلَع »

أما اسم الصنم فهو ذو الشَرَى ، بفتح الشين ودون مد ، وكان لدوس أو لبني الحارث بن يشكر وقيل فيه :

إذاً لَحلَلْناحَوْلَ ما دون ذيالشَرَى

وشجَّ العِدا منّا خَميس عَرَمْرَمُ

وصلَــع لا أدرى مــا أصلها المحرفة عنه ، ولعلها « صَيْلَع » .

٧٨ - «علْك قبيلة عربية » صوابها عَك بفتح العين.

٧٩ - « حجّة الوِداع » وصحة ضبطها الوَداع ، بفتح الواو .

٨٠ - « ثَمامة بن أشرس » وصحة ضبطه ثُمامة ، بضم الثاء .

٨١ - « البَرّاء بن معرور » وصحته البَرَاء ، بدون تشديد الراء .

٨٢ - « البَرَّاء بن عازب » وصحته البَرَاء ، بدون تشديد الراء .

٨٣ - « بشربن البَرَّاء » وصحته البَرَاء، البدون تشديدراء .

٨٤ - « فَضَلَة بن عبيد الأنصاري قائد عربي حاصر القسطنطينية » وصحة نطقه فَضَالَة .

٨٥ - « المراغي محمد مصطفى شيخ الأزهر١٩٢٨ »إن فترة مشيخة الأزهر في ١٩٢٨ قليلة ، والذى لم يذكره هو أنه تولى مشيخة الأزهر في ١٩٣٥ وظل شيخا للأزهر عدة سنوات إلى أن مات بعد سنة ١٩٤٢وهو شيخ للأزهر ،وكل هذا قبل أن يؤلف المنجد في الأدب والعلوم .

٨٦ - « العزى .. أرسل النـــبي خالداً ابن الوليد »

٨٧- « الصمصامة أعطاه خالداً بن سعيد».

في هذين المثالين دلالة على الضعف في اللغة العربية.ومثله فيه كثير .وصحة الكتابة خالد بنَ الوليد وخالدَ بنَ سعيد .

٨٨ - « ليلى الأخيلية » لها مراثى ....

إذا لم تصبه في الحياة المعابر »

وجملة « لها مراثى » ، تكتب هكذا «لها مراثٍ » وصحة عجز بيت الشعر «المعاير » بالياء لا بالباء .

٨٩-« لبيد بن ربيعة ، اشتهر برثاء أخيه إربد بن قيس » وصحته أرْبَد .

٩٠ - « البغْوى ولد في باغ » كذا وصحة الضبط البَغَوى ، بفتح الغين ، ولد في بغشور ، واسمها أيضاً «بغ » .

٩١ - « لاميــة .. إصالة الرأى » صحتها أصالة الرأى .

٩٢ ــ « بُقَيع الغرقد أو البُقَيع » صحة الضبط بَقِيع الغرقد أو البَقِيع ، بفتح الباء فيهما وكسر القاف .

٩٣ ــ «هذا ونظرة الى الصورة المنشورة في صفحة ٤٥٢ عن الكويت نجد فيها إيهاما ، وفيها خطأ ، من ذلك « باب الشام » وصحة الضبط « باب الشامية ، والصفت » وصحته الصفاة .

٩٤ ــ « سيبويه .. هو بشر عمرو بن عثمان .... » وصوابه ، أبو بشر عمرو ابن عثمان .

٩٥ ــ « محمد الجوَّاد .... » صوابه الجَوَاد ، بدون تشديد الواو .

٩٦ ــ « مَعَاذ بن جبل » صوابه مُعاذ بضم الميم .

٩٧ ــ « عذري (بنو ــ) فرع من قضاعة صوابها عُذْرَةُ .

٩٨ ــ « عدنان هو ابن إسماعيل بن إبراهيم جد القبائل العربية المقيمة شمالى بلاد العرب ..... »

وعدنان ليس ابن إسماعيل ، وإنما هو من نسله ، وبينه وبين إسماعيل أجداد كثيرون . فلا يقال مثلا عن موسى أو داود أو يحيي أو عيسى إنه ابن إبراهيم.

٩٩ ــ « عرَقوب رجل ضرب به المثل .. » صحة ضبطه عُرْقوب بضم العين .

١٠٠ ــ « العتابي (كلثوم بن عُمَر) » صحته ، كلثوم بن عَمْرو .

هذه أمثلة بلغت المائة بل وأكثر إذا عددنا مازاد في بعض الأمثلة عن خطأ . ولو تتبعنا المنجد بدقة لوجدنا فيه أضعاف ذلك ، مما يجب أن يحذف أو يصحح ، أو يصاغ بطريقة تبرئه من الشك والإيهام والاتهام .

وإنا لنحسن الظن بمن ألف هذا المنجد في الأدب والعلوم ، لكن المصادر التى اعتمدوا عليها قد لا تخلو من الشبهات . وليس فيها مما ذكر في المقدمة ، مع الأسف ، ما يعد من المصادر العربية المعتمدة ، وإلى القارئ ما يقوله الأب فردينان توتل :

« بين أيدينا من المصنفات الشرقية والغربية قديمها وحديثها ما يقرّب المواد إلينا ، فأخذنا بالتأليف ، مستندين خاصة إلى دائرة المعارف الإسلامية لكبار المستشرقين مع ترجمتها العربية إلى حرف الدال ، ومعجم المطبوعات العربية والمعربة ليوسف إليان سركيس ، ومجانى الأدب للأب شيخو ، وتاريخ التمدن الإسلامى لجرجى زيدان ، وتاريخ الآداب العربية لبروكلمان بالألمانية ، وتاريخ الآداب العربية المسيحية لغراف بالألمانية . والانسيكلوبيديات الغربية الكبرى » .

وانا لنرجو ان يكون فيما كتبناه ما يبعث حثيثا على تدارك ما فيه .

■■

عبد الستار احمد فراج





طبيب الأسرة

هبوط ضغط الدم أو فقر الدم قد يسببان الدوار

عند محاولة الوقوف بعد طول جلوس

● اعاني فى بعض الاحيان عندما احاول الوقوف بعد طول جلوس من دوار خفيف، ثم خفقان فى القلب ، واشعر بان درجة حرارة راسي قد زادت . فما هو سبب ذلك وما علاجه ؟

ــ فى اعتقادى أن صاحب السؤال يعانى من أحد شيئين :

اولهما : هو هبوط في ضغط الدم ــ وعدم قدرة جهازه الدورى على التكيف عند الوقوف . فبدلا من ان يرتفع الضغط بعض الشيء عند الوقوف فى الانسان الطبيعي ، نرى انه فى حالة السائل ينخفض ، ويسبب له دوارا واحساسا بحرارة فى الراس .

ثانيا : من المحتمل أن يكون السائل يعاني من فقر دم ، فعند وقوفه بعد طول الجلوس او الرقاد ، فان كمية الدم الذاهبة الى المخ تكون قليلة ، وتسبب دوارا وشعورا بحرارة في الراس ، مصحوبين بخفقان فى القلب ، وهبوط عام ، وفى بعض الأحيان تتكون سحابة امام العينين فلا يرى لفترة طويلة وعلى حد تعبير المريض « تسود الدنيا » .



والعلاج فى هذه الحالة هو معرفة السبب بعد فحص المريض ، وعمل التحليل اللازم على الدم ، وسبب فقر الدم ان وجد ، ثم علاج ذلك السبب واعطاء الحديد والفيتامينات اللازمة .

ثم الوصول الى سبب هبوط الضغط وعلاجه اذا كان ذلك هو السبب فى حدوث الدوار .

طبيب الأسرة

الغدة الدرقيــة وأهميتها في حياة الانسان

● **ما هي الغدة الدرقية ، وما هي وظيفتها ، وما الذى ينتج عن تعطلها عن اداء وظيفتها . وما هو العلاج في هذه الحالة؟**

ـ الغدة الدرقية هي واحدة من الغدد التي تسمى بالغدد الصماء ، أي التي ليس لها قناة تحمل افرازها الى جزء آخر من الجسم . وافراز الغدة الدرقية ـ كباقي الغدد الصماء ـ يسري الى الدم مباشرة . ومكانها من الجسم في الرقبة . وتتكون من فصين على جانبي الغضروف الدرقي (تفاحة آدم) وأعلى القصبة الهوائية . ويمتد بين الفصين برزخ يوصلهما ببعضهما ، ويمر امام الغضروف الدرقي وأعلى القصبة الهوائية .

تفرز الغدة الدرقية مادة (الثيروكسين) «Thyr xin» وهي تلزم لنمو جميع خلايا الجسم ، ولعملية التمثيل الغذائي فيها ، وما يتبعها من قلة نشاط الخلية . لذا نرى انه اذا قلت هذه المادة في الجسم قل معها النمو ونشاط خلايا الجسم ، وما يتبع ذلك من فقدان لنشاط القوى العقلية والجسدية .

والغـدة الدرقية ـ كباقي الغـدد الصماء ـ اما ان يزداد افرازها وتسبب ما هو معروف ـ بالجوتر Goitre ـ مع ازدياد في حجم الغدة الدرقية ـ ويسمى كذلك بالتسمم الدرقي .

واما ان يقل افرازها ، وتسبب ما هو معروف بخمول الغدة الدرقية . واذا حدث هذا في الأطفال سبب لهم عدم النمو جسمانيا وعقليا ، فيكون الطفل قزما متخلف العقل «Cretin» يتسم بالبلاهة ، وبرودة جلده ، وخروج لسانه من فمه ، وبثقل وعدم تناسق في سماته .

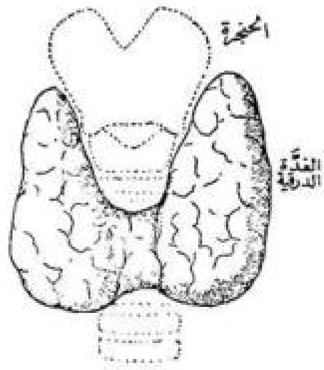
اما اذا حدث ذلك في السن المتأخرة فتكون الاعراض تـدريجيـة ، ويحس المريض بكآبة وعدم اكتراث بمن حولـه

ركوب السيارة يسبب لي دواراً !

● **انا طالب في الخامســة عشرة من عمري . أصاب بالدوار واضطرابات المعدة المصحوبة بالقيء ، عند ركوب السيارة . فما هو سبب ذلك وما علاجه ؟ .**

ـ ان الدوار واضطرابات المعدة ، المصحوبة بغثيان وقيء ، تنتج عن اضطرابات تحدث في القنوات الشبه دائرية الموجودة في الاذن الداخلية ، والتي تتحكم في توازن الشخص عند الحركة . وتحدث هذه الاضطرابات عند التغير المفاجىء لحركة الراس في اى اتجاه . وهي تختلف باختلاف الاشخاص ، ونوع الحركة التي تحدث للجسم والراس . فنرى أن بعض الاشـخاص لا يتأثرون عند ركوبهم سـيارة ، أو طيارة ، أو قطارا أو سـفينة ، لأن هذا الجهاز الحساس الموجود في الأذن عندهم يتكيف بسرعة ، ولا يتأثر بالحركات المفاجئة . في حـين ان هذا الجهـاز عند بعض الاشخاص يتأثر كثيرا بالحركة . حتى أنه في بعض الحالات يحدث الـدوار بمجرد تغيير موضع الراس من جهة الى جهـة ، أو من النظر الى اعلى او الى أسفل . وهؤلاء طبعا يتأثرون بركوب





وما حوله ، وخمول ظاهر وميل الى الركون وقلة النشاط ، مع الاحساس بضعف عام وارهاق شديد ، وتيبس بالاطراف والأصابع ، والشعور بالبرودة فى الجسم ، والميل الى الجلوس بجوار المدافىء ، والكره الشديد للشتاء ، وزيادة الوزن ،وانتفاخ فى الوجه ،وحول بالعينين ، وورم باليدين والقدمين . بل وبالجسم كله ، وفقدان الشهية ثم الامساك المستمر ، وفقدان الشعر ، وبصفةظاهرةعند السيدات . والاحساس بقلة العرق وجفاف الجلد . ثم ملاحظة أن الصوت أصبح اجش ــ ليس فيه اى نغمة ، مع قلة فى السمع واضطرابات فى العادة الشهرية عند السيدات ثم اضطرابات فى القوى العقلية ، حتى يخيل لمن حول المريض بأنه يعاني فى مرض عقلى .

ويلاحظ كذلك ان المريضة تشكو من آلام عضلية مختلفة ، تتغير من يوم الى آخر ، وتنتقل من جزء الى جزء ، مما يحير الطبيب ويحسب ان ذلك نوع من الروماتيزم .

من ذلك يتضح أن الأعراض كثيرة ، ومشابهة لأعراض كثير من الامراض وتحتاج الى فحص دقيق وعمل التحاليل والفحوصات اللازمة ، للتوصل الى معرفة المرض في الوقت المبكر ، وعلاجه فى أسرع وقت ممكن ، فان المريض يتحسن بسرعة مع العلاج ، وتتغير حاله من حالة يائسة الى حالته الطبيعية بأسهل علاج ، وهو اعطاء أقراص « الثيروكسين » بالكميات اللازمة ،تحت اشراف الطبيب حتى يصل الى الكمية اللازمة للمريض وتعطى له مدى الحياة .

السيارة والطائرة . ولعل ذلك لا يكون مصحوبا بأى مرض فى الأذن ، ولكنه مجرد استعداد عند هؤلاء الأشخاص ، لحدوث مثل هذه الحالة . وفى بعض الحالات يكون ذلك ناتجا من التهابات في الأذن الداخلية ، او حساسية داخل الأذن ، أو اضطرابات في الجهاز الدورى ، وما يصحبه من اضطرابات فى الأذن ، خصوصا عند متقدمي السن ، ومرض تصلب الشرايين، وارتفاع ضغط الدم،وغير ذلك من الامراض التي تصيب الأذن ، أو بعد حادث اثر على الراس .

والعلاج فى هذه الحالة هو ان نبحث عن أى سبب من الاسباب ونعالجه ، ونتأكد من سلامة الأذن . واذا اتضح انه لا يوجد اى مرض يستدعى العلاج ، فتؤخذ حبوب قبل السفر تساعد على عدم حدوث الدوار والقىء ، مثل اقراص افومين Avomin او درامامين Dramamin او ما شابهها . وفى بعض الحالات تعطى اقراص مهدئة ، مثل الومينال بكميات قليلة ، حتى لا يتأثر المسافر بكثرة الحركة وما يصحبها من اضطرابات .

وأحب ان اطمئن اولئك الذين عندهم استعداد للدوار والقىء ، ولا يوجد اى مرض عضوى فى الأذن ، انه بمرور الوقت يتكيف الجهاز داخل الأذن ، فيقل حدوث هذه المضاعفات بتعود السفر وتقدم السن . ■■



جِهـاد شعْب فلسْـطين

خلال نصف قرن

بقلم
الدكتور محمود السمرة

■ هذا كتاب يقع في أكثر من ستمائة صفحة من القطع الكبير ، يقص حكاية جهاد شعب فلسطين منذ بداية مقاومتهم لوعد بلفور حتى اليوم ، وهو ينقل الينا هذه القصة بأحداثها الكبيرة والصغيرة ، مدعومة بالوثائق والأسانيد ، مروية بقلم باحث جاد يدرك مشاكل أمته ، والعقبات التي اعترضت مسيرتها ،ابتداء من الثورة العربية على يد الشريف حسين ، الى يومنا هذا . وكل هذه المزايا مجتمعة تجعل من هذا الكتاب مرجعا لاغنى عنه للراغبين في اكتساب المعرفة ، والقلقين المهتمين بمصير هـذه الامـة .

والكتاب في اثنى عشر فصلا ، وثمانية ملاحق ، وثبت بالمصادر والمراجع . ولي كلمة هنا حـول المصادر والمراجع : فهي تكاد تكون كاملة من حيث المصادر والمراجع العربية ، ولكن هناك مصـادر ومراجع غير عربية ، ومهمة ، لانجدها ضمن مـا اعتمد عليه المؤلف . وعلى كل حال فان الوصول الى الكمال أمر شاق وعسير ، بل ولعله مستحيل .

وفصول الكتاب هي : خديعة بريطانيا للعرب ـ بعض النتائج السريعة للثورة العربية ـ شعب فلسطين يواجه المحنة ـ صور من تآمر الاستعمار والصهيونية على فلسطين ـ ثورة العرب ١٩٢٩ ـ ثورة العرب الكبرى ١٩٣٦ ـ لجنة بيل تقترح تقسيم فلسطين ـ التطورات الخطيرة امام شعب فلسطين بعد الحرب العالمية الثانية ـ الحرب بين عرب فلسطين واليهود ـ الحرب الرسمية ونتائجها (١٩٤٨ ـ ١٩٤٩) ـ صلابة شعب فلسطين امام المحن ـ الفصل الاخير .

نحن في عرضنا لهذا الكتاب ، سنقف عند القمم فيـــه .



في القدس وفي ابريل ١٩٢٠ وقع اشتباك بين العرب في جانب ، واليهودوالجيش البريطاني في جانب آخر . واستمر الاشتباك خمسة أيام وقتل فيه تسعة من اليهود واربعة من العرب . وكان هؤلاء الشهداء الأربعة هم طليعة سلسلة طويلة من الشهداء لا يزال الشعب الفلسطيني يقدمهم الى اليوم .

خديعة بريطانيا للعرب

بذرت البذور الاولى للمشكلة التى نواجهها اليوم ، يوم أن عقد المؤتمر الصهيوني الاول في بال عام ١٨٩٨ . واخذ زعماء الصهيونية ينشطون من أجل تكتيل الدول الكبرى معهم ، ويذكر هيرتسل في مذكراته انه عرض على السلطان عبد الحميد الثاني أن تشترى الصهيونية منه فلسطين ، فكان رده ـ حسب رواية هيرتسل ـ ما يلي : « انصحوا الدكتور هيرتسل بالا يتخذ خطوات جديدة في هذا الموضوع ، اني لا أستطيع أن أتخلى عن شبر واحد من الارض ، فهي ليست ملك يميني ، بل ملك شعبي ، الذى ناضل في سبيل هذه الارض ،ورواها بدمه ، فليحتفظ اليهود بملايينهم . واذا مزقت امبراطوريتي يوما ، فانهم يستطيعون آنذاك أن يأخذوا فلسطين بلاثمن ، أما وأنا حي فان عمل المبضع في بدني لأهون علي من أن ارى فلسطين قد بترت من امبراطوريتي ... اني لا أستطيع الموافقة على تشريح أجسادنا ، ونحن على قيد الحياة » .

لقد كان هذا في عام ١٩٠١ ، وبعد سبع سنوات صدر الدستور العثماني .. وتسير احداث التاريخ ، فيشتعل اوار الحرب العالمية الاولى ، ويعلن الشريف حسين الثورة العربية ، وتنتهي الحرب بانتصار بريطانيا وحلفائها ، ويوم اقبل اللنبى Allenby على القدس ترجل ، وسار الى المدينة ماشيا ،حتى اذا وقف امام كنيسة القيامة، قال : « اليوم انتهت الحروب الصليبية » **. وفي الوقت نفسه دقت اجراس الكنائس في اوروبا ، وحتى في برلين حليفة الامبراطورية العثمانية ، ابتهاجا بدخول الجيش البريطاني الى القدس . وتكرر المشهد نفسه يوم دخل الجنرال غورو الى**

دمشق ، حيث وضع قدمه على ضريح صلاح الدين، وقال : « ها نحن قد عدنا ثانية ، ياصلاح الدين».

وهذان الموقفان يكذبان الوعد الذى قطعته بريطانيا على نفسها للعرب بالاستقلال ، ويؤكدان ما ورد في تقرير المؤتمر الذى عقدته بريطانيا ، وفرنسا ، وهولندا ، واسبانيا ، وبلجيكا ، والبرتغال ، وايطاليا . لقد تم عقد هذا المؤتمر عام ١٩٠٧ ، وورد في التقرير الذى اتفق عليه المؤتمرون ما يلي : « ان الخطر الذى يهدد الاستعمار الغربي ، يكمن في البحر المتوسط ، الذى يقيم على سواحله الشرقية والجنوبية ، شعب واحد يتميز بكل مقومات الوحدة والترابط .. » واوصى التقرير بان تعمل الدول الغربية الاستعمارية على تجزئة هذه المنطقة والابقاء على تفككها ، وفصل الجزاين الافريقي والاسيوى احدهما عن الآخر ، بفاصل بشرى غريب ، وذلك في نقطة التقاء هذين الجزاين . وبهذا يكون هذا الفاصل نقطة انطلاق للدول الاستعمارية لتحقيق اغراضها في المنطقة .

شعب فلسطين يواجه المحنة

وتنفيذا لوعد بلفور ، حلم الصهيونية ، وتحقيقا لمخطط الدول الاستعمارية ، عهدت عصبة الامم الى بريطانيا بالانتداب على فلسطين .

ولكن الشعب الفلسطيني بدا ، منذ السنوات الاولى للانتداب ، بمقاومة عمليات التهويد : ففي ابريل (نيسان) ١٩٢٠ وقع اشتباك بين العرب في جانب ، واليهود والجيش البريطاني في جانب آخر ، وذلك في القدس ، واستمر الاشتباك خمسة ايام ، وقتل فيه تسعة من اليهود ، واربعة من العرب ، وسقط ٢٥٠ جريحا من الفريقين . وكان هؤلاء الشهداء الاربعة من العرب هم طليعة سلسلة طويلة من الشهداء لايزال الشعب الفلسطيني يقدمهم الى اليوم .

وقد اثار هذا الاشتباك الحاكم العسكرى البريطاني ، الذى انحى باللائمة على اليهود ، وكتب الى قيادة الجيش البريطاني في القاهرة تقريرا ورد فيه : « ان اللجنة الصهيونية تدعي لنفسها سلطتي ، وسلطة كل دائرة من دوائر الحكومة ، وتتعدى عليها .. وحيثا نقول للمسلمين والنصارى اننا قائمون بما صرحنا به من المحافظة على الوضع القديم ... فالحقائق تشهد بخلاف ذلك : فمن ادخال اللسان العبرى كلغة رسمية ، الى اقامة قضاء يهودى ، الى التشكيلات الحكومية التي تتألف منها اللجنة الصهيونية والامتيازات الممنوحة لاعضاء اللجنة .... انه ليستحيل ارضاء جماعة لاتطلب رسميا الا « وطنا قوميا » ، ولكنها لاتقنع بالفعل بما هو اقل من حكومة يهودية .. »

صور من تآمر الاستعمار والصهيونية

وكانت نتيجة هذا التقرير ان ابعد الحاكم العسكرى عن الحكم .

وحل الحكم المدنى محل الحكم العسكرى في فلسطين ، وكان اول مندوب سام هو هربرت صموئيل ، وهو صهيونى عتيق ، وكانت الصهيونية هى التى جاءت به ليحكم فلسطين . وهربرت صموئيل هذا هو الذى كتب الى (جراى) ، وزير خارجية بريطانيا ، يقول : « ان نحن اجبنا مطالب اليهود في فلسطين ، نكن قد أوجدنا في جوار مصر وقناة السويس دولة جديدة موالية لنا . » وهربرت صموئيل هذا هو الذى قال فيه (وايزمن): « ان صموئيل تاج يهوديتنا ، ونحن الذين عيناه مندوبا ساميا .. ان صموئيل صديقنا ، ولم يقبل أن يقوم بهذه المهمة العسيرة الا نزولا عند رغبتنا .. »

وقد عمل صموئيل بجد ونشاط من اجل تحقيق حلم الصهيونية : فقد خلق جهازا حكوميا يرضى اليهود وينفذ اغراضهم ، وعين الصهاينة من اليهود في المراكز العليا الحساسة ، وسن القوانين التى تسهل هجرة اليهود الى فلسطين ، واخضع المدارس العربية لاشراف المفتشين الانجليز بينما اطلق لليهود حرية الاشراف على مدارسهم ، وجعل اللغة العبرية لغة رسمية الى جانب العربية والانجليزية ، وتفنن في اصدار القوانين التى تؤدى الى افقار العرب من اجل أن يضطروا لبيع اراضيهم . واقطع اليهود اراضي شاسعة ،ومنحهم المشروعات المهمة التى من أهمها «امتياز الكهرباء».

ولم تكتف الحكومة البريطانية بما فعله المندوب السامي ، ولهذا نرى ونستون تشرشل ، وزير المستعمرات يزور القدس في الثامن والعشرين من مارس (آذار) ١٩٢١ ، ويقف خطيبا ليمجد قتلى



نشبت اضطرابات في يافا سنة ١٩٢١ احتجاجا على تحيز قوات الانتداب البريطاني لليهود وتذكر البلاغات الرسمية أن اليهود خسروا في هذه الاشتباكات ٣٠ قتيلا و١٤٣ جريحا بينما خسر العرب ١٠ قتلى و٢٧ جريحا.وفي الصورة بعض منازل يافا التي تهدمت أثناء الاضطرابات

الصليبين ، وقد ثار العرب لهذا الخطاب،وتصدى الجند لهم ، ووقعت اشتباكات سقط فيها قتلى وجرحى من الفريقين . ولكن تشرشل لم يكتف بهذا ، بل قام بغرس نخلة حيث أنشئت الجامعة العبرية ، وتمنى أن تكون هذه النخلة في نموها رمزا لمجهودات الحركة الصهيونية .

ونشبت الاضطرابات من جديد في العام نفسه في بيسان ، وفي يافا سنة ١٩٢١ . وتذكر البلاغات الرسمية أن اليهود خسروا في هذه الاشتباكات (٣٠) قتيلا و (١٤٣) جريحا ، بينما خسر العرب (١٠) قتلى و(٢٧) جريحا . ووصلت الاضطرابات الى الناصرة ، وحيفا ، وطبريا ، ونابلس .

وعندما تجمهر أهالي يافا لمنع المهاجرين اليهود من النزول في الميناء ، أعلن المندوب السامي الاحكام العرفية ، وأمر الجند باطلاق الرصاص على المتظاهرين . وفي الثاني من نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٢١ ، وهو مناسبة وعد بلفور ، اشتبك العرب مع اليهود في يافا ، وتدخلت القوات البريطانية الى جانب اليهود ، وقد قتل وجرح في هذا الاشتباك أربعون من العرب واليهود .

في الوقت الذي كان فيه الشعب الفلسطيني يقاوم المؤامرة البريطانية ـ الصهيونية وحيدا ، كانت الشعوب العربية الأخرى منصرفة الى قضاياها، مشغولة بمشاكلها ، وقد عقد الشعب الفلسطيني عدة مؤتمرات لمناقشة قضيته ، وقد بلغ عددها سبعة تمت بين عامي ١٩١٩ و١٩٢٨ . وقد سافر وفد فلسطيني الى لندن عام ١٩٢١ لمناقشة الأمر مع الحكومة البريطانية ، ولكن وزير المستعمرات ونستون تشرشل ، طلب من الوفد الذي يمثل ٩٤٪ من سكان فلسطين أن يتفاوض مع وايزمن ممثل يهود فلسطين الذين كانوا لا يزيدون عن ٦٪ من السكان ، هذا مع العلم ان وايزمن لم يكن في يوم من الأيام من سكان فلسطين .

وجاء « الكتاب الابيض » في عام ١٩٢٢ الذى نشره تشرشل تاكيداً لسياسة بريطانيا المتحيزة لليهود ، وفيه يقول : « ان وجود الشعب اليهودى في فلسطين حق لا منّة ، وذلك هو السبب الذى جعل من الضرورى ضمان انشاء الوطن القومى اليهودى ضمانا دوليا ، والاعتراف به رسميا بأنه يستند الى صلة تاريخية قديمة » .

وبسبب هذا الدعم المطلق للصهيونية ، اعلن جابوتنسكى رئيس « الحزب اليهودى الاصلاحى » ، أن على اليهود أن يتسلحوا ، وأن يسلكوا طريق العنف والقوة لتحقيق اهدافهم ، ولم يلبث هذا القول أن اخذ شكلا عمليا ، فاذا باليهود يرفعون العلم اليهودى ويسيرون هاتفين «الحائط حائطنا» وينشدون الأناشيد الصهيونية.وزيادة في التحدى اخذ المسئولون الانجليز يوزعون الأسلحة على اليهود ، ويجندون بعضهم في الفرق النظامية .

هذا التحدى السافر المثير هو الذى ادى الى اندلاع ثورة ١٩٢٩ .

ثورة العرب ١٩٢٩

بدات ثورة ١٩٢٩ يوم ٢٠ اغسطس (آب) ودارت معارك في شوارع القدس استمرت أربعة ايام ، خسر اليهود فيها ٢٨ قتيلا ، وجرح من العرب ١٣.ومن القدس امتدت الثورة الى الخليل، وتقول البلاغات الرسمية انه سقط من اليهود في الخليل ٦٠ قتيلا . ويقول كاتب عربى معاصر ، هو الأستاذ عيسى السفرى ، في كتابه « فلسطين بين الانتداب والصهيونية » : « ان الثورة استمرت خمسة عشر يوما ، قتل وجرح خلالها ٤٧٢ يهوديا ، وكانت ضحايا العرب ٣٢٨ بين قتيل وجريح »

ويفخر وزير المستعمرات ، فيعلن في مجلس العموم أن حكومته « استطاعت أن تقمع تجمعا عربيا ، حيث قتلت الطائرات البريطانية عددا كبيراً منهم . » !!

وقد استعمل المندوب السامى كل أساليب العنف ضد العرب : فاعتقل مئات الشبان ، وصدر حكم الاعدام في عشرين منهم ، ونفذ فورا في ثلاثة منهم ، هم : فؤاد حجازى ، وعطا الزير ، ومحمد جمجوم ، الذين اصبحوا رمزا للاستشهاد عند الشعب الفلسطينى . وقد حدد يوم الثلاثاء السابع عشر من يونيو (حزيران) ١٩٣٠ موعد لتنفيذ الحكم . وقد اظهر الثلاثة شجاعة وبطولة جعلتهم مضرب الامثال . وقبل ساعة الاعدام طلبوا حناء فخضبوا به أيديهم . حسب عادات اهل الخليل في الأفراح . وقال عطا الزير : « نحمدا لله على أننا نحن ، الذين لا أهمية لنا ، نذهب فداء للوطن ، لا أولئك الرجال الذين يستفيد الوطن من جهودهم وخدماتهم . »

وقد وصفت جريدة «الزهور» الحيفاوية يوم الاعدام فقالت : « لم تجتز فلسطين في أدوارها السابقة يوما مثل يوم ١٧ يونيو (حزيران) الرهيب . لقد تصاعدت أصوات المؤذنين على المآذن تستنزل الرحمات ، وقرعت نواقيس الحزن في الكنائس ، وولولت النساء ، وتصاعد عويلها في البيوت،وتساقطت الدموع غزيرة من مآقى الرجال المجتمعين في الجوامع والمعابد ، وانشدت الجماهير : « يا ظلام القبر خيم » ، وقد خيمت روعة الموت، وسادت رهبة الموقف، بينما وقف الجنديتبخترون ذهابا وايابا ، والمدفع معد ، والسيف مصلت ، والطيارات سابحة في الفضاء الواسع ترقب الحالة عن كثب .

وفي الساعة الثامنة نفذ الحكم في الشهيد فؤاد حجازى ، وفي التاسعة نفذ في الشهيد عطا الزير ، وفي الساعة العاشرة نفذ في الشهيد محمد جمجوم . وكانت الجماهير تقف خاشعة كلما دقت الساعة معلنة الثامنة والتاسعة والعاشرة، وتملأ الفضاء أصوات المؤذنين ، وقرعات أجراس الكنائس حزنا على الشهداء . »

هنا ايقن الشعب الفلسطينى أن المؤتمرات واللجان ، لا تحل له قضيته ، وأن حلها انما يكون بالثورة على الانجليز ، لا على أذنابهم اليهود . فتقارير اللجان التى الفتها الحكومة البريطانية ، والتى حاولت أن تبرز عدالة القضية العربية ، اهملت كلها :

لقد اهمل تقرير اللجنة الامريكية التى جاءت الى فلسطين عام ١٩١٩ ، والتى أعلنت بوضوح أن السياسة الرامية الى اخضاع شعب لهجرة يهودية غير محدودة ، والضغط اقتصادياواجتماعيا، من شأنه أن يجبره على تسليم البلاد ، سياسة تعتبر خرقا صريحا لمبدا ويلسون الذى اعلن في الرابع من يوليو (تموز) ١٩١٨ ، والذى ينص

على ضرورة تسوية كل قضية على أساس قبول السكان لتلك التسوية .. ثم ان ادعاء اليهود بأن لهم حقا في فلسطين ، أمر لا يمكن ان ينظر اليه نظرة جدية ، ولذلك يجب أن يصرف النظر نهائيا عن جعل فلسطين دولة يهودية .

واهمل ايضا تقرير لجنة هيكرافت عام ۱۹۲۱ ، الذى أعلن : « ان استياء العرب ناتج من أن بريطانيا راعت في تشكيل الحكم بفلسطين رغبات الصهيونيين ، متناسية حقوق السكان الأصليين . وان اقتحام أناس لفلسطين هم أقدر من العرب في التجارة والصناعة ، لهو عمل يقصد به الاستيلاء على موارد البلاد ، ونزعها من أيدى أبنائها . »

واهمل أيضا تقرير شو ، القاضي البريطاني المشهور، الذى قال : « بالرغم من أن الفلسطينيين يؤلفون الاكثرية الكبرى من السكان ، فانه ليس لديهم مرجع معترف به للاتصال بالادارة ، على حين أن اقلية من شعب آخر لها علاقات معينة ورسمية معا ، توجه نظر الحكومة الى مصالح الأقلية فقط .»

وأهمل أيضا تقرير سمبسون، الخبير البريطاني المشهور ، الذى قال : « ان الفلاح العربي يرزح تحت عبء الديون ، مثقل بالضرائب التى يتعذر عليه دخلها الا اذا عمد للاستدانة بفائدة كبيرة لا تكد تصدق . ان قسما من الشعب اضطر الى بيع أرضه ، اما لتسديد ديونه ، أو لدفع ضرائب الحكومة ، أو للحصول على ما يسد به رمق العائلة . »

واهملت بريطانيا كتابها الابيض لعام ۱۹۳۰ ، الذى يقول : « ليس في استطاعة الحكومة وضع الاراضى تحت تصرف اليهود لاستقرارهم فيها ، وذلك لوجودها فعلا بيد العرب . »

وأهملت كذلك تقرير جونسون ، الذى بين ان ظلم حكومة فلسطين للفلاح العربي بلغ حدا لايطاق، اذ انه يدفع ۳۳٪ ضريبة ثابتة ، وبهذا وقع تحت طائلة الديون المرهقة ، بينما هي تحمى الانتاج اليهودى ، وتقدم له كل التسهيلات .

واخيرا فانها اهملت تقرير لجنة فرانش الذى فضح سياسة الحكومة في تسليم الاراضي لليهود ، فهو يقول : « لو لم ترتكب الحكومة خطأ جسيما بسياستها ، لما رأينا مشكلة المزارعين الذين لا أرض لهم . وعلى بريطانيا أن توقف فورا انتقال الاراضي الى اليهود ، ففى انجلترة نفسها يوجد قانون لحماية الفلاحين الانجليز .»

لقد ادارت الحكومة البريطانية ظهرها لهذه التقارير ، رغم ان واضعيها قد وضعوها بتكليف رسمى . ولما أيقن الشعب الفلسطينى أن الكلام لم يعد يجدى ، اعلن ثورته على الانجليز انفسهم. لقد يئس من الوصول الى حل سلمى . وهكذا كانت ثورة الشهيد عز الدين القسام ، الذى قام هو واخوانه باعمال بطولية ضد الانجليز الى ان استشهد في معركة في غابة (يعبد) بمنطقة جنين، وذلك يوم ٢٥ نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٣٥ . وقد رثاه الشيخ فؤاد الخطيب بقصيدة ، منها :

أولت عمامتك العمائم كلها ... شرفا ، تقصّر عنده التيجان
ان الزعامة ، والطريق مخوفة ، ... غير الزعامة والطريق أمان
ما كنت أحسب قبل شخصك أنه ... في بردتيه يضمهما انسان
يا رهط عز الدين ، حسبك نعمة ... في الخلد لا عنت ولا أحزان

ثورة العرب الكبرى ١٩٣٦

في شهر ابريل (نيسان) ١٩٣٦ ابتدا اضراب عم فلسطين كلها ، لم تعرف المنطقة في سابق عهدها اضرابا مثله ، اذ انه استمر مائة وستة وسبعين يوما ، وقد اضرب العرب مطالبين :

١ ــ بوقف الهجرة اليهودية نهائيا .
٢ ــ ومنع انتقال الاراضي الى اليهود .
٣ ــ وانشاء حكومة وطنية وحياة برلمانية .

واخذت الصحف العالمية تنشر تحقيقاتها اليومية، متابعة انباء الاضراب . واشتعلت الثورة في كل مكان ، وهجر اليهود مستعمراتهم ، وتجمعوا في المدن الكبيرة . ومن اشهر المعارك التى حدثت : معركة بلعا ، ومعركة ترشيحا ، ومعركة جبع .. وحملت هذه المعارك اقاصيص خالدة عن بطولة الشعب العربي الفلسطيني : فهذه امراة قروية تقف الى جانب احدى الجثث ، وتشير بيدها قائلة : « انه يشبه ابنى » ، ثم تترك الجثة لتدخل القرية وهى تزغرد ، لانه تبين لها ان الشهيد كان ابنها . وتلك عروس شابة لاحقت حزن زوجها لانه لا يملك المال لشراء بندقية ،

والانضمام الى الثوار ، فاذا بها تبيع بيتها الذى ورثته عن أبيها ، لتجهز زوجها بالسلاح والذخيرة .. ومثل هذه القصص الكثير .

ولم تستطع بريطانيا رغم القوات التى نقلتها من مصر الى فلسطين ، ان توقف الاضراب ، ولكنه توقف بعد وساطة ثلاثة من رؤساء الدول العربية. ولكن الثورة استمرت الى ان قامت الحرب العالمية الثانية . وخلال هذه المدة قدم الشعب العربى الكثير من الضحايا ، واوقع بالعدو ضحايا كثيرة ايضا ، واطلق النار على المندوب السامى ، وقتل حاكم لواء الجليل الانجليزى ، وأردى مساعد مدير البوليس ، وقتل حاكم جنين . وقد هدمت السلطات البريطانية اكثر من خمسة آلاف بيت، وجعلت الاعدام عقوبة لكل من يحمل رصاصة أو قطعة سلاح ، وشنقت فى سجن عكا ١٤٨ شهيدا واعتقلت أكثر من خمسين الفا ، ومن قادة الثورة الذين استشهدوا الشيخ فرحان السعدى ، وعبد الرحيم الحاج محمد ، الذى رثاه شهيد فلسطينى آخر هو الشاعر عبد الرحيم محمود ، فقال فيه :

أنذا أنشدت يوفيك نشيدى
حقك الواجب ، يا خير شهيد ؟
أى لفظ يسع المعنى الذى
منك أستوحيه ، يا وحى قصيدى ؟
كملت فيك المروءات فلم
يبق منها زائد للمستزيد
حسرتا للوطن العانى ولي
لآمل الفانى ، ويا تعس الجدود .
اقفر الميدان من فرسانه
وخلا من أهله غاب الأسود

وحتى اثناء الحرب ، بقيت بريطانيا على موقفها العدائى من عرب فلسطين ، رغم ان كل امكانيات العالم العربى كانت تحت تصرفها : فقد اعلن ونستون تشرشل ، رئيس الوزارة البريطانية ، عن تاليف فرقة يهودية مسلحة بضباطها وجنودها وسلاحها وعلمها اليهودى الخاص . ويذكر تشرشل فى كتابه عن الحرب العالمية الثانية ان القائد البريطانى (ويفل) نصحه بعدم تاليف هذا الجيش لئلا يثير ثائرة العرب ، ولكنه لم يستمع لنصيحته، والف الفيلق اليهودى . يقول تشرشل : « لقد تحديت ويفل، وكتبت الى الدكتور وايزمن سامحا بتأليف ذلك الجيش ، ومع هذا لم أسمع كلبا عوى » والنص الانجليزى «and no dog barked»

وهكذا اصبح لليهود جيش رسمى ، استحال الى عصابات ، تقتل الجنود الانجليز ، وتشنقهم.

التطورات الخطيرة بعد الحرب العالمية الثانية

وبعد الحرب العالمية الثانية تبنت امريكا المطامع الصهيونية بحماسة لا تقل عن حماسة بريطانيا . وفي ٢٩ نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٤٧ فاز قرار التقسيم في هيئة الأمم المتحدة باغلبية الثلثين وكانت الدول التى صمدت ضد التقسيم هى : مصر ، والسعودية ، واليمن ، وسوريا ، ولبنان، وايران ، وافغانستان ، وباكستان ، والعراق ، وتركيا .

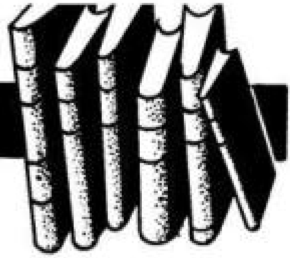
ولولا الضغط الامريكى لما فاز مشروع التقسيم باكثرية الثلثين : وكلنا يذكر كيف ان مندوب الفلبين الذى وعد بتاييد العرب ، اضطر الى الهرب حتى لا ينقض وعده ، وذلك استجابة للضغط الامريكى . ونذكر ايضا كيف ان مندوب هايتى بكى عندما وقف ليؤيد التقسيم ، بضغط امريكى على بلاده ..

ويقف الشعب الفلسطينى وحيدا في الميدان يقاوم كل هذه القوى الجبارة ، ويقدم الضحايا بلا ثمن . واخيرا تقرر الدول العربية الدخول الى فلسطين محاربة ، وهى سبع دول ، واذا بالحال تنتهى الى ما انتهت اليه .

ان الامة العربية ، حتى بعد ان دخلت الدول العربية الحرب ، لم تكن تحس انها في حالة حرب. ونظرة واحدة الى حياة الناس تكفى لبيان كيف أن فلسطين كانت تحترق ، بينما كانت العواصم العربية تعيش خالية البال ، لا يكدر حياة الليل فيها مكدر : فالصحف حافلة بالاعلانات عن الحفلات الراقصة ، وأفلام الحب والغرام ، ومباريات كرة القدم .. وهل هذه حياة امة تدخل جيوشها حربا لانقاذ جزء من وطنها مهدد بالضياع ؟؟

ونحن رغم الظلمة الحالكة التى تحيط بنا ، نؤمن بانه سيأتى يوم نقول فيه : ها نحن قد عدنا ، يا قدس . ■■

محمود السمره



من الكتب التي وصلتنا

بلاد الشمس المشرقة
القصة الحقيقة لليابان

تأليف : مختار الجوهري . الناشر : دار المعارف بمصر ـ القاهرة

● دراسة عن اليابان ذات الماضي الغامض ، والحاضر الناهض بكل ما تحمله هذه البلاد من مزيج سحر الشرق وجماله بقلم كاتب عاش في اليابان سنوات طويلة واحتك بالسكان هناك وأتاح له عمله الثقافي والدبلوماسي ان يلم بكل صغيرة وكبيرة عن هذه البلاد .

والكتاب يتناول كذلك عادات وتقاليد اليابان كما يتناول تلك القفزة الرائعة التى قفزتها اليابان في كافة ميادين العلم والصناعة والاختراع . ثم حديث عن الكيمونو تلك الملابس الوطنية التى تشتهر بها اليابان ثم مراسم شرب الشاي التقليدية وفتيات الجيشا .

المرفا الأزرق

تأليف : عبد الامير الموسوي . الناشر : مطبعة دار البصري ـ بغداد

● مجموعة قصائد متنوعة .

المسالة الكردية
والقوميات العنصرية فى العراق

تأليف : لوثازودو : الناشر : سناب ـ بيروت

✱ كتاب يتناول دراسة المسالة الكردية . وقد قسم المؤلف وهو من الاشوريين كتابه الى ثمانية فصول،تناول بالدراسة في الفصول الثلاثة الاولى تاريخ الاكراد القديم ، اما فى الفصل الرابع فدرس تاريخ اليزيدية واصل ديانتهم وعلاقتها بالاديان الاخرى . ثم الصابئة واصولهم والاشوريين ثم المشكلة الكردية والعهد العراقي الجديد .

ابن حزم الاندلسى
حياته وادبه

تأليف : الدكتور عبد الكريم خليفة ـ الناشر : مكتبة الاقصى ـ عمان . والمكتب الاسلامي للطباعة والنشر ببيروت ودمشق ، والدار العربية للطباعة والنشر والتوزيع .

● قسم المؤلف كتابه الى خمسة فصول وخاتمة عرض فيها لسيرة ابن حزم وثقافته وآثاره ورسائله وشعره . ويقول المؤلف ان لهذا الكتاب هدفين ، الاول يتلخص فى رسم صورة واضحة ودقيقة لحياة ابن حزم فى مختلف مراحلها ، مستقاة من مصادر عدة . اما الهدف الثاني فهو ابراز عبقرية هذا الفيلسوف الاسلامي فى شتى مجالات المعرفة ، فى الادب ، والشعر ، والاخلاق والفلسفة والاديان . ويصف المؤلف ابن حزم بانه فيلسوف اسلامي عميق ، واديب انساني فذ .

الفجر المدمي

تأليف : عبد الكريم شمس الدين /الناشر : مطبعة حايك وكمال . بيروت /لبنان .

● مجموعة قصائد متنوعة .

الأخطل شاعر بنى أمية

تأليف : الدكتور السيد مصطفى غازى ـ الناشر : دار المعارف بمصر .

● بحث نال به مؤلفه درجة الماجستير فى الآداب من جامعة الاسكندرية بمرتبة الشرف الاولى . والأخطل احد الشعراء الفحول الذين علا ذكرهم فى صدر الاسلام . والمؤلف يحقق فى هذا الكتاب شعر الاخطل تحقيقا تاريخيا ، يكشف عن الفترة التى نظم فيها ، والمناسبة التى أنشد من أجلها ، والأحداث التى لابسته ، بعد دراسة جادة للعصر الذى عاش فيه الاخطل ، والبيئة التى اضطرب فى ظلها ، والتيارات المختلفة التى أثرت فى حياته .

■■

طرائف

اوفت بعهدها

● ذكر ان فتى من العرب يسمى مالك بن نصر ، له بنت عم يحبها وتحبه يقال لها الرباب ، وكانت ذات جمال وظرف ، فبينا هو يوما معها اذ بكى : فقالت ما يبكيك ؟ قال : انى نظرت اليك فقلت : أموت فتتزوجين بعدى ، قالت : فلعلك أن تبقى بعدى ؟ قال : ان بقيت بعدك فلك عهد أنى لن اتزوج ما حييت ، ثم تعاهدا وتواثقا لذلك .

ثم ان الفتى خرج مع قتيبة بن مسلم الى خراسان ، فلم يزل يقاتل بين يديه حتى طعن فسقط عن فرسه وهو يجود بنفسه ويقول :

الا ليت شعرى عن غزال تركته	**اذا ما اتاه مصرعى كيف يصنع**
ايلبس اثواب السواد تسليا	**على مالك ام فيه للبعل مطمع**

ثم مات ، فبلغ الرباب ذلك ، فكاد الحزن يقتلها ، وكانت لا تهدأ من البكاء والنحيب ، فتشاور اهلها في تزويجها كى تسلى ، فزوجوها على كره منها .

فلما كانت الليلة التى ارادت أن تزف فيها الى زوجها الثانى ، نامت فرات في منامها مالك بن نصر يقول :

حييتَ ساكنَ هذى الدار كلهم	**الا الرباب فانى لا احييها**
استبدلتْ بدلا غيرى وقد علمت	**ان القبور توارى من ثوى فيها**

فانتبهت من نومها مذعورة ، وحكت لامها ما رات ، فعاهدت الله أن لا يجتمع راسها مع راس رجل ما عاشت . .

كتمان

● قال الوليد بن عتبة لابيه : ان امير المؤمنين قد اسرَّ الىَّ حديثا ، ولا اراه يخفى عنك ما يبسطه لغيرك ، افلا احدثك به ؟ قال : لا يا بنى ، ان من كتم سره كان الخيار له ، ومن افشاه كان

بايهم تقتدى

● حكى ان احد القضاة في مدينة مرو بخراسان اراد ان يزوج ابنه فشاور مجوسيا ، فقال : الناس يستفتونك وانت تستفتيني ! قال : لا بد ان تشير عليَّ . فقال : ان رئيسنا كسرى كان يختار المال ، ورئيس النصارى قيصر كان يختار الجمال ، وجاهلية العرب كانت تختار الحسب والنسب ، ونبيكم محمد كان يختار الدين ، فانظر انت بايهم تقتدى .

● اوصى اكثم بن صيفيّ قوما استشاروه في الحرب فقال : اقلوا الخلاف على امرائكم ، واعلموا ان كثرة الصياح من الفشل ، والمرء يعجز لا محالة . تثبتوا فان احزم الفريقين الركين ، ورب عجلة تعقب ريثا ، واتزروا للحرب ، وادرعوا الليل فانه اخفى للويل ، ولا جماعة لمن اختلف عليه .

عربية

السر

الخيار عليه ، فلا تكونن مملوكا بعد ان كنت مالكا . قلت : وان هذا ليجرى بين الرجل وابيه ؟ قال : لا ، ولكني اكره ان تذلل لسانك بأحاديث السر . فحدثت به معاوية فقال : يا وليد ، اعتقك اخي من رقّ الخطا .

معرفة

● دخل شريك الحارثي على معاوية فقال له معاوية : من انت ؟ فقال له : يا امير المؤمنين ما رايت لك هفوة قبل هذه ، مثلك ينكر مثلي من رعيته ! فقال له معاوية : ان معرفتك متفرقة ، اعرف وجهك اذا حضرت في الوجوه ، واعرف اسمك في الاسماء اذا ذكرت ، ولا اعلم ان ذلك الاسم هو هذا الوجه ، فاذكر لي اسمك تجتمع معرفتك .

ولج من غير اذن

● بينما كان عبد الله بن جعفر يسير في بعض ازقة المدينة اذ سمع غناء ، فاصغى اليه فاذا بصوت شجي رقيق لقينة تغني :

قل للكـرام ببابنا يلجـوا ‏ ‏ ‏ ‏ ما في التصابي على الفتى حـرج

فنزل عبد الله عن دابته ، ودخل على القوم بلا اذن فلما راوه قاموا له اجلالا ورفعوا مجلسه ، ثم اقبل عليه صاحب المنزل ، فقال : يابن عم رسول الله دخلت منزلنا بلا اذن . فقال عبد الله : لم ادخل الا باذن . قال : ومن اذن لك ؟ قال : قينتك هذه سمعتها تقول :

قل للكـرام ببابنا يلجوا

فولجنا ، فان كنا كراما فقد اذن لنا ، وان كنا لئاما خرجنا مذمومين . فضحك صاحب المنزل وقال : صدقت جعلت فداك ، ما انت الا من اكرم الأكرمين ، ثم بعث عبد الله الى جارية من جواريه وكانت حاذقة في الغناء ، فقال لها : غني فغنت وطرب القوم وطرب عبد الله ودعا بثياب وطيب ، فكسا القوم وصاحب المنزل وطيبهم .

●●●●●●●●●●● اسير لبق ●●●●●●●●●●●

● اسر معاوية يوم صفين رجلا من اصحاب علي رضي الله عنه فلما مثل بين يديه قال : الحمد لله الذي امكنني منك . قال : لا تقل ذلك فانها مصيبة . قال : واي نعمة اعظم من ان يكون الله اظفرني برجل قتل في ساعة واحدة جماعة من اصحابي . اضربوا عنقه . فقال الاسير : اللهم اشهد ان معاوية لم يقتلني فيك ولا لانك ترضى قتلي ، ولكن قتلني في الغلبة على حطام هذه الدنيا ، فان نعل فافعل به ما هو اهله ، وان لم يفعل فافعل به ما انت اهله . فقال معاوية : قاتلك الله لقد سببت فاوجعت في السب ، ودعوت فابلغت في الدعاء ، خلوا سبيله .

حضارات سادت .. ثم بادت

طلائع الزراعة في حضارة مابين النهرين

■ الصورة التى بين ايدينا ، والمنشورة على الصفحة الثانية من هـذا العدد ، ليست صورة فوتوغرافية عادية . فهي في الاصل لوحة فنية رائعة تروى لنا بلغة الرسم والالوان قصة جادة ومثيرة . وقد لايصعب على الناظر الى اللوحة التعرف الى المكان الذى اتخذت منه مسرحا لقصتها تلك . ولعله يجد في القصب الذى يكسو ذلك المكان ، فضلا عن النهر العظيم الذى يخترقه ، دليلا على أنه جزء من جنوب العراق ، حيث يلتقي الرافدان ، ويتكون شط العرب ، وتتكاثر الاهوار ، وحيث عاش السومريون القدماء وترعرعت حضارتهم الرائدة طوال الف عام اعتبارا من القرن الثلاثين قبل الميلاد .

وقد يحسب القارىء بعد ذلك ان الزمن الذى تنقلنا اليه اللوحة لابد وأن يدخل ضمن ذلك التاريخ القديم ، وان القصة التي ترويها لابد وأن تكون حديثا آخر عن حضارة السومريين . والحقيقة غير ذلك . اذ أن اللوحة تعود بنا الى ماض أبعد من التاريخ السومرى ، الى ازمنة ما قبل التاريخ ، والى الحقبة الاخيرة من تلك الازمنة على وجه التخصيص . فهي تنقلنا الى القرن الاربعين قبل الميلاد لتقص علينا بلغة الفن المشوقة كيف عاش اسلاف اولئك السومريين ، وماذا صنعوا في ذلك الماضي السحيق الذى طالما اكتنفه الغموض . وهي تفعل ذلك بقصد استجلاء بوادر الحضارة السومرية ، التي اشتهرت بالسبق الى ممارسة الكتابة وبناء المدن ، فضلا عن استعمال المعادن في صنع الادوات بدلا من العظام والحجارة ، كما اشتهرت بانشاء الاقنية والترع لأغراض الرى والزراعة . وقد يذكر القارىء أثر تلك الحضارة المباشر في آشور وبابل وقد يذكر أيضا اثرها غير المباشر في حضارة الاغريق وغير ذلك ، فيشعر بمزيد من الرغبة في استطلاع تلك البوادر التي سبقت حضارة سومر .

ولعل ابرز ما يلاحظه الناظر الى اللوحة القصب وقد نما وانتشر على ضفاف النهر . ويلاحظ أيضا كيف استعمل اولئك الرواد ذلك النبات البرى في بناء منازلهم ، واقامة الزرائب لماشيتهم ، فضلا عن تشييد معابدهم ، وقد ظهر احدها في اعماق الصورة الى اليسار ، وتميز برمز الزهرة المقوس القائم عند قمة المعبد . ويلاحظ المدقق في الصورة انهم صنعوا الحصر من ذلك القصب ايضا ، لا ليجلسوا أو يناموا عليها فحسب ، ولكن بقصد دق الارض باقدامهم من فوقها . فهذه الاستعمالات التي استحدثها اولئك الرواد الاوائل قد اقتبسها عنهم السومريون ، دون اضافة تذكر ، كما اقتبستها عنهم الاجيال اللاحقة ، حتى آل امرها الى اهل المنطقة في القرن العشرين . ولايستثنى في ذلك عمل دق الارض الذى ذكرنا . فهذا العمل الخطير هو الذى يقوم به رجال اللوحة في عزم وهمة . انهم ماضون في تكبيس أو (تجبيش) الارض المكسوة بالحشائش ، وذلك بالضغط عليها بارجلهم من فوق حصيرة صنعوها من القصب وبسطوها على حشائشة تلك . انهم يثبتون بذلك الارض الرخوة



خريطة العراق ، وقد ظهرت عليها اسماء المناطق التي ورد ذكرها في المقـال .

التي كانت في السابق جزءا من قاع النهر لا من اليابسة ، والتي ارتفع سطحها نتيجة لتراكم الطمي او الغرين ، وقد تدفق به الرافدان العارمان من اعالي البلاد . انهم منهمكون في توطيد تلك الارض ، وقد انحسرت عنها مياه الفيضان ، وذلك بقصد استصلاحها للزراعة وبقصد الابقاء عليها ارضا يابسة والحيلولة دون غرقها في المياه مرة ثانية .

ولو ذكرنا ما يؤكده العلماء من ان مياه الانهار غمرت في الماضي البعيد جانبا كبيرا من جنوب العراق ، بدليل ان بعض المدن التي تقع حاليا داخل القطر الشقيق لم تكن في ذلك الماضي سوى ثغور على شواطىء الخليج ، لو ذكرنا هذا لقدرنا خطورة اعمال دق الارض تلك ولادركنا ما يقصد العلماء حينما يقولون بان اسلاف السومريين كانوا بناة ارض بالمعنى الدقيق .

على ان اولئك الاسلاف كانوا رواد حضارة فوق كونهم بناة ارض . ويتجلى ذلك في البقرة التي تظهرها اللوحة داخل الزريبة والثور الذي تصوره خارجها . وهذا يعني ان اهل ذلك الماضي السحيق قد تقدموا في تأنيس الحيوان . لقد دجنوا الماشية ليأكلوا لحمها ويشربوا لبنها ، كما لايخفى. وتمكنوا ايضا من الاستفادة من جلدها وعظمها . وفعلوا ذلك لابوصفهم رعاة ابقار او جاموس ـ او كما يسمونهم في جنوب العراق ، معدان ـ بل فعلوه بوصفهم فلاحين ، ارتبطوا الارض واقاموا عليها ، وعملوا فيها حرثا وزرعا وسقاية ، واستنبتوا منها القمح والشعير وغير ذلك . وكان قصدهم من هذه الاعمال الزراعية جميعا تأمين الطعام والغذاء لانفسهم وذويهم بالعمل المتواصل. لا عجب اذن ان هم تجمعوا فانشأوا القرى الصغيرة، واقاموا مساكنهم بالقرب من مزروعاتهم ومواشيهم. فالطعام الضروري للحياة بحاجة الى حماية من غائلة الحيوان وعدوان بني الانسان . وهو بحاجة ايضا وكما ذكرنا الى العناية والرعاية باستمرار. ولاسبيل الى هذا الا في العيش جماعات جماعات، وبالاقامة المستقرة في مساكن واكواخ .

وادى ذلك بالتدريج الى التعاون بين الافراد وآل امر هذا التعاون الى ظهور الفائض في المحاصيل بحيث اصبح في مقدور بعض فئات الناس ان يتفرغوا الى غير الزراعة من الحرف والاعمال . ونجم عن تأمين الغذاء وكثرة المحصول تكاثر عدد الناس . واذا بالقرية تصبح مدينة او تكاد ،واذا بالحاجة الى مبادلة المحصول بغيره تدفع بالناس تدرجا الى ابتكار الرموز التي تحولت الى حروف وكتابة على مر الاجيال . واذا بحضارة سومر تنمو وتنضج بفضل هذه الاعمال التي كانت منها بمثابة الجـذور .

وتجدر الاشارة بعد هـذا كلـه الى ان نمط الحضارة الذي تظهره اللوحة هو النمط الـذي يعرف لدى علماء الآثار بالعُبيْد .

وتجدر الاشارة ايضا الى ان الزراعة لم تكن من مكتشفات اهل العبيد (انظر الخريطة) . اذ يعود تاريخ ظهور الزراعة الى حوالي القرن السبعين قبل الميلاد . وكان ذلك في شمال العراق ، لا في جنوبه ، وفي قرية جارمو التي تعتبر هي واريحا في فلسطين من اولى القرى الزراعية التي عرفها الانسـان .

■■

أنت تسأل ونحن نجيب ..

واق الواق .. حقيقة هي أم خيال؟

● ما المقصود باسم واق واق ...
وهل هو اسم لبلد حقيقي أم
أنه لفظ ابتدعوه لمكان خيالي ...

نور الدين أحمد علي البدراني / الموصل

ـ يعتقد الكثيرون ان الواق واق بلاد اسطورية من نسج الوهم او الخيال ، كبساط الريح وخاتم سليمان وما الى ذلك مما تردد ذكره في حكايات الف ليلة وليلة . ولا ريب في ان لهذه الحكايات اكبر الأثر في انتشار ذلك الاعتقاد ، وطمس حقيقة الواق واق ، وقد اتخذت منها مسرحا لمغامرات السندباد الخيالية .

والحقيقة هي ان الواق واق اسم اطلقه العرب على بلدين مختلفين من البلدان التي طالما ارتادها البحارة منهم والتجار . ويقع البلد الاول في الشرق الاقصى . وهو في رأى اكثر المستشرقين اقليم يقع على الساحل الشرقي من آسيا ، شمالَ الصين . ويأخذ بهذا الرأى المستشرق الفرنسي فران Ferrand ، وقد كتب بتفصيل عن الواق واق ، والمستشرق الروسي كراتشكو فسكي .وذهب بعض المستشرقين يؤكدون ان البلد الاسيوى الذى سماه العرب واق واق لم يكن جزءا من ساحل آسيا الشرقي بل كان جزائر اليابان نفسها. ويذهب هذا المذهب المستشرق البريطاني كرامرز Kramers وقد ذهب هذا المستشرق أيضا الى أن العرب اطلقوا اسم الواق واق كذلك على جزيرة مدغشقر في القارة الافريقية وهو البلد الآخر الذى سبقت الاشارة اليه .ولعل في الخريطة المرفقة المنسوبة الى الادريسي دليلا قاطعا على صدق هذا الراى .

ويذكر في هذه المناسبة ان العرب طالما ترددوا على جزيرة مدغشقر وهم في طريقهم الى اقليم آخر من اقاليم الساحل الشرقي من افريقيا . وقد سموا ذلك الاقليم سُفَالا واكثروا من السفر اليه نظرا لكثرة ما وجدوه فيه من ذهب آنذاك .

وتجدر الاشارة الى ان لونا خرافيا

طريقة تحويل التاريخ الهجرى إلى التاريخ الميلادى وبالعكس

● هل هنالك طريقة تستطيع الاعتماد عليها في تحويل التاريخ الهجرى الى ميلادى وبالعكس ؟

محمد امين عبد الله / الرياض

هنالك معادلتان رياضيتان للتحويل الذى تطلب . أما الاولى ، وهى التى تستعمل لتحديد سنة ميلادية تقابل سنة هجرية نعرفها ، فهي :

$$م = هـ + ٦٢٢ - \frac{هـ}{٣٣}$$

واما المعادلة الثانية المستعملة في التحويل من التاريخ الميلادى الى التاريخ الهجرى ، فهي .



خريطة العالم المنسوبة الى الادريسي وتظهر فيها الواق واق بوضوح. لاحظ أن وضع العالم في هذه الخريطة وضع مقلوب ، بحيث لو انت قلبتها راسا على عقب لسهل عليك التعرف الى معالمها

بقي عالقا باسم الواق واق ، وأن عددا من الجغرافيين العرب الذين سلموا بوجود تلك البلاد انزلقوا الى وصفها وصفا خرافيا . ومن هؤلاء محمد بن ابى بكر الزهرى (غرناطة حوالى ٥٣٢ هـ) وقد تحدث عنه كراتشكوفسكى فقال : « ويبدو من كتاباته في الجغرافيا الفلكية ميل واضح الى جميع أنواع العجائب ، وهو في هذا الصدد يقص علينا حكاية من أكثر الحكايات طرافة . تلك هى أسطورة الشجرة المسحورة بجزائر واق واق التى تثمر اشجارها كل عام نساء بدلا من الفاكهة !! » (راجع تاريخ الأدب الجغرافي « العربى » ص ٢٧٩) .

ى. ذ.

$$\text{ه} = \text{م} - ٦٢٢ + \frac{\text{م} - ٦٢٢}{٣٢}$$

وجدير بالذكر ان هاتين المعادلتين لاتمكنانك من تحويل غير السنوات ولا تتعرضان للشهور أو الايام ، التى لا بد لك ، ان انت أردت تحويلها ، من الرجوع الى الجداول المفصلة، كالجدول الملحق باطلس التاريخ الاسلامي تاليف هارى هازارد وترجمة ابراهيم زكي خورشيد وهذا الاطلس من منشورات مكتبة النهضة المصرية .

ولنضرب مثلا على التحويل المطلوب بسنة ٥٨٣ الهجرية . فلو اردت العثور على السنة الميلادية التى تقابل هذه السنة لاعتمدت المعادلة الأولى ولوجب عليك تطبيق هذه المعادلة على النحو التالي :

٥٨٣+٦٢٢=١٢٠٥

٥٨٣÷٣٢=١٧ر٦(تصبح ١٨ بتقريب الكسر ٦ر٠)

١٢٠٥ − ١٨=١١٨٧

فهذا الرقم الأخير ١١٨٧ هو السنة الميلادية الموافقة لسنة ٥٨٣ هجرية . ولو ذكرت أن هذه السنة هي السنة التى وقعت فيها معركة حطين لسهل عليك الرجوع الى كتب التاريخ والتثبت من صحة التحويل الذى اجريناه . ى. ذ.

أنت تسأل ونحن نجيب



جيوش وقواعد منتشرة في مشارق الارض ومغاربها للولايات المتحدة

● من المعلوم ان الولايات المتحدة الأمريكية لها قواعد عسكرية وقوات عديدة ترابط او تحارب خارج بلادها ... فأين توجد هذه القوات ؛ وكم يبلغ عدد افرادها .. ؟

راتب ضياء الدين ـ لبنان

ليس من السهل الحصول على المعلومات التي تطلب . فهي تنطوى على اسرار عسكرية تحرص الدول المعنية ، ومنها امريكا طبعا ، على اخفائها .. ولو امكن الحصول عليها بطريقة او باخرى لما امكن الوثوق بها ثقة تامة ، ولما جاز اعتبارها اكثر من معلومات تقريبية .

اضف الى ذلك ان القوات العسكرية المرابطة او المحاربة خارج بلادها عرضة لتحركات روتينية او مفاجئة .. ومن شان هذه التحركات ان تزيد من حجم بعض تلك القوات وان تحدّ من حجم بعضها الآخر . وقد يصدق هذا اكثر ما يصدق على قوات الولايات المتحدة الامريكية المنتشرة هنا وهناك ، ولا سيما قواتها المحاربة في فتنام ، وقد خضعت منذ مطلع الصيف الماضي لتناقص مستمر . لذلك كان لا بد من أخذ الاحصائية التالية التى استقيناها لك من مصادر امريكية رصينة ، بمزيد من الحذر والتحفظ .

يبلغ مجموع القوات الأمريكية الموجودة خارج الولايات المتحدة ، بما فيها جيوشها المحاربة في فتنام ، نحو مليون وربع مليون جندى .هذا بحسب تقديرات الاحصائية التى ذكرنا والتى جرى نشرها بتاريخ ١٨ تموز (يوليو) سنة ١٩٦٩ .

اما حجم تلك القوات فرادى بحسب البقاع العديدة التى ترابط فيها فقد جاء في الاحصائية المذكورة على الوجه التالي :

فتنام	٥٢٨ر٥٠٠
المانيا الغربية بما فيها برلين الغربية	٢٢٨ر٠٠٠
غرب المحيط الباسفيكي بما في ذلك	
القوات البحرية	٩٧ر٠٠٠
كوريا الجنوبية	٥٥ر٠٠٠
الصين الوطنية	١٠ر٠٠٠
تايلاند	٤٧ر٠٠٠
شرق المحيط الباسيفيكي وكلها	
قوات بحرية	٤٢ر٠٠٠
جزيرة اوكيناوا	٤٥ر٠٠٠
اليابان	٤٠ر٠٠٠
الفيليبين	٣٠ر٠٠٠
البحر الابيض المتوسط بما في ذلك	
قوات الاسطول السادس	٢٨ر٠٠٠
بريطانيا	٢٢ر٠٠٠
المحيط الاطلسي وكلها قوات بحرية	٢٠ر٠٠٠
امريكا اللاتينية	١٦ر٠٠٠
كندا وجرينلند وايسلندة	١٠ر٠٠٠

الــــراديكالى ..

● من هو الراديكالى ، وما هى الراديكالية التى نسمع بها كثيرا ؟ ارجو أن تقدموا لنا نبذة قصيرة عن معنى هذه الكلمة .

محمود عبد العزيز ـ القاهرة

ـ الراديكالى Radical ، معناها «الجذرى» وباللاتينية Radix ، ومعناها الجذور ، وهى كلمة تطلق على كل من يؤمن بمبدأ التغيير في كل جزء من النظام الاجتماعى او السياسي القائم تغييرا يتصل بالاصول (الجذور) . وقد استخدمت هذه الكلمة اول ما استخدمت في المجال السياسي في عام ١٧٩٧ ، وكان صاحبها تشارلز جيمس فوكس Charles James Fox النائب البريطانى ، ثم وزير الخارجية بوزارة وليام

اسبانيا	١٠.٠٠٠ر٠
تركيـا	١٠.٠٠٠ر٠
الشرق الاوسط وافريقيا	١٠.٠٠٠ر٠
المجمـوع	١ر٢٥٣ر٥٠٠

ويذكر في هذه المناسبة ان الولايات المتحدة الأمريكية كانت تلتزم جانب العزلة في سياستها الدولية قبل الحرب العالمية الثانية . الا انها ما لبثت ان اخذت بسياسة التدخل بل التغلغل في شئون غيرها من الدول ، بعد تلك الحرب . ولا يقتصر تغلغلها هذا على الناحية العسكرية ، بل انه يتعداها الى الناحية الاقتصادية التي لا تقل خطورة عنها . ولعل حكومة واشنطون تهدف من سياستها هذه الى بسط نفوذها على اكبر عدد ممكن من اقطار العالم . ولعلها نجحت في ذلك كثيرا او قليلا بسبب ما تملك من طاقات هائلة وثروات طائلة . الا ان عدد الذين لا يقرونها على سياستها تلك من اقطابها ومواطنيها كبير . ونذكر منهم على سبيل المثال السناتور وليم فولبرايت الذى طالما وصف الدور الذى تلعبه الولايات المتحدة في الشئون الدولية بدور البوليس الدولي الغاشم الذى ما زال يضرب عرض الحائط باعتبارات العدالة والمبادىء ، ولا يقيم وزنا لغير الأهواء والمصالح .

ى. ز.

للسن أحكام

● أنا طالب ثانوى ، لي مشكلة ، آمل أن تجد لها مكانا على صفحات « العربى » ، ومشكلتي تتلخص في ان زملائي الطلبة في المدرسة ، قد دأبوا على السخرية مني ، والاستهزاء بي ، فتارة يشبهونني بالفتيات ، وأخرى يطلقون على النكات .. وقد بلغ من ضيقى بهم أنني فكرت في ترك المدرسة والانتقال الى مدرسة أخرى .. قولوا لي بالله عليكم ماذا أفعل ؟

ف. ر. ب ـ حلب

ـ هروبك لن يفيدك ، بل على العكس ، فهو قد يشجع زملاءك على ملاحقتك في مدرستك الجديدة .. ان ما تشكو منه ليس بالخطورة التى تصورتها أو تتصورها . فحالك لا يعدو ان يكون حال طالب يضيق بالنكتة ، والسبيل الوحيد الى التخلص من هذا الشعور في يدك وحدك .. فتقبل نكات زملائك واضحك لها معهم وبادلهم النكتة بالنكتة ومن الشباب من يتفوق النكتة على أصدقائه بأن يبدأ بالتنكيت على نفسه ! فكن واسع الصدر ولا تحفل كثيرا بما يفعل أصدقاؤك فهم لا يريدون بك شراء .

(م. ن)

ومبدأ التغيير

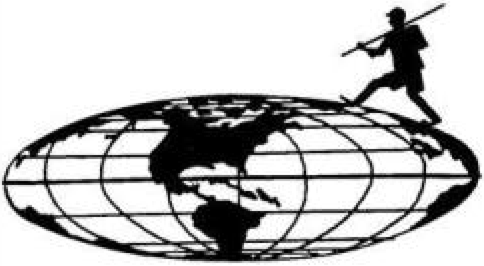
بيت في عهد الملك جورج الثالث . وكان تشارلز هو اول من نادى بتغيير جذرى في السياسة فعارض تجارة الرقيق الأبيض واستنكر الحرب بين بريطانيا وفرنسا ، وأخيرا دعا الى اجراء اصلاحات أساسية في نظام الحياة النيابية عن طريق منح الشعوب حق الانتخاب Suffrage .

وبناء عليه فقد أصبحت كلمة راديكالي تستخدم في وصف الذين يؤيدون حركة الاصلاح في الحياة البرلمانية .

ومن عام ١٨٧٤ حتى عام ١٨٩٢ أصبحت كلمة راديكالي تطلق على كل عامل نقابي يجلس في البرلمان البريطاني ، ونتيجة للجهود التى كان يبذلها هؤلاء النواب العمال في تحسين ورفع مستوى الطبقة الكادحة ، فقد التفت حولهم كل نقابات العمال .

اما في فرنسا ، فقد كان الراديكالي قبل عام ١٨٤٨ ، هو كل عضو ينتمي الى الحزب الذى يدعو الى النظام الجمهورى ، وكان حزبا خارجا على القانون في ظل النظام الملكي . وكان الراديكالي ايضا كل من يطالب بمنح الشعوب حق انتخاب ممثليها في البرلمان .

واما في أمريكا ، فالراديكالية تعنى التطرف السياسي في اى الاتجاهين ، سواء كان الى اليسار ، او الى اليمين ، فماركس راديكالي لأن نظرياته قامت على أساس تغيير جذرى في النظام الاجتماعي وهو يمثل أقصى اليسار ، وكذلك هتلر والفاشية التى تمثل اقصى اليمين . (م. ن)



الأرض وكرويتها

● متى عرف الانسان ان الارض كروية ؟

جودت عبد الله ــ الاردن

ــ تعود معرفة الانسان بـأن الارض مستديرة او كروية الى ازمان بعيدة القدم . فقد قال بذلك الفيلسوف الاغريقي فيثاغورس Pythagoras ، في القرن السادس قبل الميلاد . وقام « ارسطو » Aristotle في القرن الرابع قبل الميلاد بتاييد راى فيثاغورس وساق على ذلك عدة ادلة منها : ان ظل الارض عندما يكون هناك كسوف في القمر ، يكون على شكل دائرى . وكذلك ما لاحظه ارسطو من تغير موقع الشمس والنجوم بالنسبة لاى شخص يتجه من شمال سطح الارض الى الجنوب من سطحها او بالعكس .

وقد عرف العرب الارض مكورة حتى لم يختلفوا في امرها ، ويظهر ذلك في مناقشة البيروني لموضوع دورانها وهل تدور الارض حول الشمس او تدور حول الارض ، وهى مناقشة في التاريخ مشهورة ، كانت كروية الارض شيئا مسلما به فيها . وبالرغم من هذا فان فكرة كروية الارض لم تنتشر على نطاق واسع الا عندما جاء عصر النهضة في اوربا . وكان من جراء شيوع هذه الفكرة ان قام كثير من الرحالة برحلات الدوران حول الارض وكان من ذلك ان اكتشفت امريكا . وكان ان دار ماجلان حول افريقيا حتى وصل الى الشرق .

(م. ط)

١٠ أسئلة و ١٠٠ دينار جوائز

■ عشرة اسئلة في مختلف الميادين ، ومع كل منها اربع اجابات من بينها الاجابة الصحيحة ، فايها الصحيح ؟

.. لا تتصور انها مسابقة سهلة ، فقد تخونك ذاكرتك . عد الى المراجع اذا تعثرت لتعرف الاجابة الصحيحة ، وهذه هي الاسئلة :

١ — من بين الاسماء التالية موسيقى ، كتب موسيقى وهو أصم ، فمن هو :

واجنر — باخ — بتهوفن — موزار ؟

٢ — شاعرة عربية قديمة ، بكت اخويها ، ثم بكت .. ثم بكت .. ولم يكد قارئه يجد في ديوانها غير هذا البكاء ، فمن هي :

ليلى الاخيلية — الخنساء — علية بنت المهدى؟

٣ — من هو العالم الذى ربطت الاسطورة اسمه ، باسم تفاحة :

داروين — باستور — فليمنج — نيوتن ؟

٤ — اى هذه المناطق تقع فى اقصى الجنوب من الكرة الارضية :

كاب تاون — جزيرة سيلان — ريودى جانيرو — جزيرة تاسمانيا ؟

٥ — « العقد الفريد » من اشهر كتب الادب العربي في الاندلس ، من هو مؤلفه :

ابن عبد ربه — ابن قتيبة — المبرد ؟

٦ — كم عدد الاسنان عند الرجل ، وكم عدده عند المراة :

٣٠ — ٣٢ — ٣٤ — ٣٦

٧ — اين تبدأ منابع النيل :

تنجانيقا — كينيا — نياسالند — اوغندا ؟

٨ — من الذى كتب الكوميديا الالهية :

فيكتور هوجو — ليوناردو دافنشي — دانتي — شكسبير ؟

٩ — ما اسم العملة المستعملة في الكويت :

الليرة — الجنيه — الروبية — الدينار ؟

١٠ — امبراطور مغولي شيد ضريحا رائعا في الجمال سماه « تاج محل » تخليدا لذكرى زوجته اذكر اسم هذا الامبراطور :

نادر شاو — شاه جيهان — ناصر خسرو — محمود الغزنوى ؟

شروط المسابقة

١ — ان يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور في ذيل هذه الصفحة .

٢ — اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .

٣ — ضع اجابتك في مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتى .

مجلة العربي — صندوق البريد ٧٤٨ الكويت« مسابقة العدد ١٣٤ » .

٤ — آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم الثالث من شهر فبراير (شباط) ١٩٧٠ .

٥ — كل خطاب يفقد شرطا من هذه الشروط عرضة لان يهمل ولا يدخل عملية الاقتراع على الجوائز .

الجوائز ١٠٠ دينار

يمنح الفائزون جوائز ١٠٠ دينار كويتى على الوجه الآتى :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا .

الجائزة الثانية ٢٠ دينارا

الجائزة الثالثة ١٠ دنانير .

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريق الاقتراع .

كوبون مسابقة

حديث الشهر

بقلم رئيس التحرير الدكتور أحمد زكي

طبيب الأسرة

يجيب على هذه الأسئلة نخبة من الأطباء

أدب ولغة

الموضوع	الكاتب	الشهر والسنة	العدد	الصفحة
مع العقاد في ديوانه « هدية الكروان »	محمد احمد العزب	٦٩/١	١٢٢	٦٦
الصومالية بين الحروف اللاتينية والعربية	محمد محموداحمد محمدين	٦٩/١	١٢٢	٧١
اسعاف النشاشيبي	اكرم زعيتر	٦٩/٢	١٢٣	٤٥
اللغة العربية	صالح الصالح	٦٩/٢	١٢٣	٥٧
انشاد الشعر	د.ابراهيم انيس	٦٩/٣	١٢٤	١٧
اللغة الصينية	الشيخ جلال الحنفي	٦٩/٤	١٢٥	٦٦
عصارة الأيام / تاليف سمرست موم	عبد الرزاق البصير	٦٩/٤	١٢٥	٧٣
الشيخ جعفر الخطي شاعر الخليج	حسن الامين	٦٩/٤	١٢٥	٩٩
محمد سعيد العريان	محمد كامل حته	٦٩/٥	١٢٦	٤٢
الاديب	اسمي طوبى	٦٩/٥	١٢٦	٦٤
ادب العقاد	جمال بهجت حسن	٦٩/٦	١٢٧	٥٦
النابغة الذبياني	د.محمد محمود الدش	٦٩/٧	١٢٨	٥٨
ليلى الاخيلية نموذج واضح للتضحية والوفاء	محمد رجاء حنفي عبد المتجلي	٦٩/٧	١٢٨	١٢٢
اسعاف النشاشيبي ، أسلوبه وأدبه	اكرم زعيتر	٦٩/٨	١٢٩	١٢٨
ابو حيان الاندلسي : نحوي عصره ومفسره	د.عبد المجيد المحتسب	٦٩/٩	١٣٠	٢٦
اللغات يقترض بعضها من بعض	د.ابراهيم انيس	٦٩/٩	١٣٠	٦٦
قصة كاتب موريسكي	محمد عبد الله عنان	٦٩/١٠	١٣١	٥٢
أدب البحرين	محمد جابر الانصاري	٦٩/١٠	١٣١	١٢٣
عند حافة الربع الخالي	محمد سعيد رشدان	٦٩/١١	١٣٢	٢٤
ابن المقفع	محمد رجاء حنفي عبد المتجلي	٦٩/١١	١٣٢	٢٥
مطية الشعراء	الدكتور ابراهيم انيس	٦٩/١١	١٣٢	٤٧
على مشارف الذكرى المئوية لميلاد أمير الشعراء	صالح جودت	٦٩/١٢	١٣٣	٦٠
الجاحظ يحكي عن الأدب في زمانه	د.مصطفى الصاوي الجويني	٦٩/١٢	١٣٣	١٢٥

شعر وشعراء

الموضوع	الكاتب	الشهر والسنة	العدد	الصفحة
حب الوطن	عبد الرزاق العائش	٦٩/١	١٢٢	٦٤

صفحة في اللغة

بقلم عبد الستار فراج

تاريخ

الموضوع	الكاتب	الشهر والسنة	العدد	الصفحة
تدويل القدس	الشيخ احمد حسن الباقورى	٦٩/ ١	١٢٢	٢٢
موقعة القادسية	محمد رجاء حنفي عبد المتجلي	٦٩/ ١	١٢٢	٤٨
الاندلسية التي غدت" امبراطورة فرنسا	محمد عبد الله عنان	٦٩/ ١	١٢٢	٥٨
فتح العرب فرنسا وما وراء جبال البرانس	نور الدين بن محمود	٦٩/ ١	١٢٢	٧٤
التراجم والسير	علي ادهم	٦٩/ ١	١٢٢	١٢٦
روبسبير ، اكبر شخصيات الثورة الفرنسية واعجبها	علي ادهم	٦٩/ ٢	١٢٣	٦٤
انشاد الشعر	د.ابراهيم انيس	٦٩/ ٣	١٢٤	١٧
الحجاب عند الشعوب القديمة	د.محمد سلام زناتي	٦٩/ ٣	١٢٤	٤٠
العرب في الاتحاد السوفياتي	نجدة فتحي صفوة	٦٩/ ٣	١٢٤	٥٥
الناصر لدين الله العباسي	د.مصطفى جواد	٦٩/ ٣	١٢٤	٥٨
خرستوف كولمب في رحلاته الكشفية	علي ادهم	٦٩/ ٣	١٢٤	١٠٣
في حدود ثقافة الصحابة ، كان فهمهم للقرآن	الشيخ عبد المنعم النمر	٦٩/ ٤	١٢٥	٢٠
غزوة خيبر	عبد الصاحب جعفر جمال الدين	٦٩/ ٥	١٢٦	٢٠
الفجر في المراجع العربية	د.مصطفى جواد	٦٩/ ٥	١٢٦	٣٥
هل تغيرت الطبيعة البشرية	علي ادهم	٦٩/ ٥	١٢٦	٥٠
اليهود تحت مظلة العروبة والاسلام	محمد عبد الله عنان	٦٩/ ٦	١٢٧	١٧
العقل في تراثنا العربي الذى كان	د.زكي نجيب محمود	٦٩/ ٧	١٢٨	٣٦
جاليليو : تاثيره الحضارى ومأساة حياته	علي ادهم	٦٩/ ٧	١٢٨	١٠٠
عهد من الاستشراق جديد	عفت الشرقاوى	٦٩/ ٨	١٢٩	١٢٣
الحجاب عند العرب وفي الاسلام	د.محمود سلام زناتي	٦٩/ ٩	١٣٠	٢٠
الطب العربى في مدرسة سالرنو الطبية	د.فيصل ديدوب	٦٩/ ٩	١٤٠	٣٢
الشخصية الانسانية لها التاثير الاول في الحركة التاريخية	علي ادهم	٦٩/ ٩	١٣٠	٥٨
اللغات يقترض بعضها من بعض	د.ابراهيم انيس	٦٩/ ٩	١٣٠	٦٦
ماوتسي تونغ	محمد طنطاوى	٦٩/ ٩	١٣٠	١٠٢
من المدينة المنورة الى مدائن صالح	الدكتور خالد الصوفي	٦٩/١٠	١٣١	٩٦
بطرس الاكبر ومكانته في تاريخ روسيا	علي ادهم	٦٩/١١	١٣٢	٥٥
بالعمل الفدائى انتصر الاسلام في أول ظهوره	عبد الله كنون	٦٩/١٢	١٣٣	٥٣

دين ورجال دين

تاريخ أشخاص عرب

تاريخ أشخاص غير عرب

أنت تسأل .. ونحن نجيب

الموضـــوع	تاريخ السنة	العدد	الصفحة
الفن القوطي / سوازيلاند والمستعمرات البريطانية في افريقيا / ارز غزير المحصول / جمهورية ديجول الخامسة / اسطول كلمة يونانية / هل تتزوج المراة باكثر من رجل / عمر الخيام ابدع في العلوم / تشيكوسلوفاكيا / هل يتزوج الطالب	١ /٦٩	١٢٢	١٦٨
الرباب بنت امرىء القيس / جائزة نوبل / مشكلة الزنوج مشكلة قديمة في امريكا / رجال كانوا في الامس نساء / الكترا هل كانت تعاني من مركب النقص / الدولة رقم ٢٧ في الكومونولث البريطاني	٢ /٦٩	١٢٣	١٤٦
البترول في فلسطين المحتلة / اصغر دولة في العالم / الدول المتقدمة في صناعة السيارات / المسيح بين التوراة والانجيل	٣ /٦٩	١٢٤	١٤٤
التوراة .. هل شوهت ام كتبت ثانية على ايدى اليهود ؟ تمثال الحرية / مذهب التوحيد في المسيحية / تفريقك في معاملة اطفالك	٤ /٦٩	١٢٥	١٤٢
ارنولد توينبي / قصة الدكتور جكل والمستر هايد / ليوناردو دافنشي / الكويكرز او الرجافين / الشركس / العقدة البحرية	٥ /٦٩	١٢٦	١٥٨
هرتسل وتوطين اليهود في فلسطين / ايزنهاور / القطب الشمالي : متى اكتشف/السفسطة والسفسطائيون/الكاريكاتور/الوحدانية قبل نزول الاديان السماوية	٦ /٦٩	١٢٧	١٤٠
المهابهارتا / جزيرة انجويلا / ثورة الزنوج / السفن البخارية ومتى بدأت تمخر البحار	٧ /٦٩	١٢٨	١٤٦
السيرك والمسرح الروماني / القوزاق / جمهورية اليمن الجنوبية تضم ٦ محافظات / مياه الخليج المالحة تهدد مياه شط العرب / اتحاد ماليزيا / بلاد المطاط وما جرى فيها اخيرا من معارك	٨ /٦٩	١٢٩	١٣٨
لندن تبيح الاجهاض / الاوبك والمنظمة العربية للنفط / البيروني الطبيب المؤرخ العالم / كندا اكبر دول العالم انتاجا للورق / نيوزيلاندا اول دولة منحت المراة حق الانتخاب / بحر قزوين يتقلص وينخفض عن سطح البحر / اليهود في نيويورك اكثر عددا من اليهود في فلسطين المحتلة	٩ /٦٩	١٣٠	١٤٦
اكثر الامم استهلاكا للورق / ملحمة الخلق / البحر الاسود كان بحيرة / غرفة الغاز لعلها اكثر وسائل الاعدام تعذيبا / فقراء في الولايات المتحدة / التوالد في العالم	١٠/٦٩	١٣١	١٣٠
الكيبوتز في اسرائيل / نهر جيحون وما وراء النهر / صناعة السيارات في العالم / اين توجد وكم تصنع	١١/٦٩	١٣٢	١٤٧
٦٠٠ الف جنيه يتقاضى الخنافس / داء الملوك / حواء عند اليونان / من هم الزنج / تركيا وآسيا الصغرى / تشارلي تشابلن الصعلوك الشهير	١٢/٦٩	١٣٣	١٥٠

تربية وعلم نفس

الموضوع	الكاتب	الشهر/السنة	العدد	الصفحة
مطالب الطلاب وعصر القلق والتغير	د.عبد الله عبد الدايم	٢ /٦٩	١٢٣	٦٢
شاب غلبته أنوثة زائفة ثم إشتفى	محمد طنطاوى	٢ /٦٩	١٢٣	١٢٦
الطاعة وقيمتها التربوية	د.علي احمد علي	٣ /٦٩	١٢٤	٤٧
الانتماء : كل الى جماعة منتم	د.فخرى الدباغ	٣ /٦٩	١٢٤	٧٠
النوم سلطان	د.فاخر عاقل	٤ /٦٩	١٢٥	٥٨
الإمتحانات المدرسية	كريم مناحي الصريفي	٥ /٦٩	١٢٦	٢٨
المرض الوهمي طريق للهروب من صعوبات الحياة	محمد طنطاوى	٥ /٦٩	١٢٦	٥٦
اللعثمة واللجلجة في مرحلة الطفولة	د.علي احمد علي	٥ /٦٩	١٢٦	١١٤
التنويم المغناطيسي	د.مصطفى احمد فهمي	٦ /٦٩	١٢٧	١٣٤
خواطر حول التعليم الجامعي والمعاهد العليا	د.حلمي اللحام	٧ /٦٩	١٢٨	٢٠
النظام الاجتماعي : مفهوم الشباب الجامعي عنه	د.محمد جواد رضا	٨ /٦٩	١٢٩	٢٥
اخطاء في فهم السلوك غير السوي في عصرنا الحاضر	د.عبد الله ناصر	٩ /٦٩	١٣٠	١١٨
المقامرة ، مرض نفسي عصابي	د.فخرى الدباغ	٦٩/١١	١٣٢	٤٢
اضواء على مرحلة الشيخوخة	د.علي احمد علي	٦٩/١٢	١٣٣	٢٠
التربية الخلقية ومسؤولية المدرسة فيها	د.صلاح الدين مجاهد	٦٩/١٢	١٣٣	٩٩

استطلاعات الكويت المصورة

المستطلع سليم زبال والمصور أوسكار متري
الا ما ذكر خلاف ذلك

الموضوع	الشهر/السنة	العدد	الصفحة
الكويت في عشر سنوات ١٩٥٨ – ١٩٦٨	١ /٦٩	١٢٢	٣٦
المرأة الكويتية في ربع قرن من الزمان	٢ /٦٩	١٢٣	٣٨
الصيد بالصقور	٣ /٦٩	١٢٤	١٢٤
مركز التدريب المهني في الكويت	٤ /٦٩	١٢٥	٣٨
من أين تشرب الكويت	٥ /٦٩	١٢٦	١٠٧
الحافلات ساعدت على امتداد العمران في الكويت	٦ /٦٩	١٢٧	١٠٠
الكهرباء في الكويت ، أرخص كهرباء في العالم	٧ /٦٩	١٢٨	١١٦
مولد احدث مدينة رياضية	٨ /٦٩	١٢٩	٥٢
الشقايا : من أكبر حقول المياه في العالم	٩ /٦٩	١٣٠	٣٦

الاستطلاعات العربية المصورة

المستطلع سليم زبال والمصور أوسكار مترى إلا ما ذكر خلاف ذلك

أنباء الطب والعلم والاختراع

بقلم الدكتور أحمد زكى

الموضوع	تاريخ السنة	العدد	الصفحة
والتقدم في سبيل الحد منه			
الوصول الى القمر / قوانين الاجهاض / اصوات مزعجة في المدينة الحاضرة لا بد من حماية الناس منها / الادمان الكحولي / الادمان المركب / بين الفحم والزيت في الولايات المتحدة	٢/٦٩	١٢٣	٥٢
انفلونزة هونج كونج / طعم الدجاج الذى تنتشه المفارخ / الرئيس نكسون والابحاث العلمية / آمال جديدة لمرضى الكلي / الكيّ لا بالحرارة العالية ولكن بالحرارة الواطئة / الفيروس يسبب داء السكرى	٣/٦٩	١٢٤	١٠٢
قتال بنما الجديد / سرطان الفم / التحليات الكيماوية / سكان استراليا الاصلاء / الحصبة الالمانية / في المناطق المتجمدة بيوت على اعمدة عالية / اى من المضادات الحيوية هو افضل لهذا المرض العفن	٤/٦٩	١٢٥	١٠٦
اجور رجال العلم / قرصة الثعابين صار لها ترياق واحد / نظائر فيما وراء اليورانيوم / لقاح ضد مرض ذات الرئة / تطوير الطبيب العام ليصبح من اهل الاختصاص	٥/٦٩	١٢٦	١٠٢
تلقيح بيضة الانثى خارج الرحم / داء السكر السبب الثامن المؤدى الى الموت / الاينو جنس من الاجناس البشرية في اليابان قديم / بليون طن من مطاط السيارات القديمة ، ماذا نصنع بها / اشباع الاحاسيس ضرورة / الحصبة الالمانية ، من الآن احذروها / الاستيلاد بين الاقارب من الحيوانات / حافلة الهواء / الفار الابيض ومكانه من بحوث العلم / ليس الكحول وحده يحرّم على السائق قيادة سيارته	٦/٦٩	١٢٧	٦٨
السرعة السرعة في القطارات كما في الطائرات / ايتها الحبالى : حذار ان تنقصنّ اوزان اجسامكن / الزلازل والمنتظر منها في الثلاثين سنة القادمة/ اغراء السحب بالمطر / بين الاطباء المدمنون / في بطن الارض مخازن لبخار الماء / ذكر هو ام انثى	٧/٦٩	١٢٨	١٠٨
لقاح الحصبة/فتاة زنجية امريكية ابيضّ لونها من بعد علاج / الروس عند كوكب الزهرة / الانتحار : اسبابه وعلاجه	٨/٦٩	١٢٩	٣٢
الطب البريطاني ينتقل الى المتر والقياس العشرى/انابيب الانسان والحيوان، داخل أجسامهما / كذلك وجب أن تكون المدينة / الحافلة الطائرة / ملابس تمنع اختراق الرصاص /كاب كندى وفاندنبرج/ التوابع التى تهدى السفن/ الطبع أم التطبع	٩/٦٩	١٣٠	٩٧
تابع للمواصلات الحربية الامريكية يدور حول الارض / ثورة في صناعة الاقمشة / ايهما أشد فتكا القنابل النووية ام القذائف عابرات القارات /	١٠/٦٩	١٣١	٦٦
توفير ١٢ مليون دولار سنويا في صناعة الماس / تلسكوب في استراليا / امل للمصابين بالجلطة	١١/٦٩	١٣٢	٥٠
حصوة المرارة : هل قارب علاجها بالعقاقير / التلفاز الملون يستخدم فوق سطح القمر / للاقمار الصناعية آجال تنتهي عندها / العقاقير القاتلة / الحشيش صار اليوم عند اهل الغرب مشكلة / البعوض تزايد خطره في بعض البلاد / اذا لم تتحول الجامعات عن تخصصها الفاحش فقدت مراكز القيادة	١٢/٦٩	١٣٣	٦٨

في سبيل موسوعة علمية

بقلم الدكتور أحمد زكي

مجتمع واجتماع

سياسة واقتصاد

أمراض شائعة

كتاب الشهر

الطب المصور

بقلم الدكتور أحمد زكي

ركن الأسرة والمرأة

بقلم منير نصيف

فلسفة

الفنون واللوحات الفنية

عروبة

الموضوع	الكاتب	الشهر / السنة	العدد	الصفحة
تدويل القدس	الشيخ احمد حسن الباقوري	١/٦٩	١٢٢	٢٢
موقعة القادسية	محمد رجاء حنفي عبد المتجلي	١/٦٩	١٢٢	٤٨
الصومالية بين الحروف اللاتينية والعربية	محمد محمود احمد محمدين	١/٦٩	١٢٢	٧١
فتح العرب فرنسا وما وراء جبال البرانس	نور الدين بن محمود	١/٦٩	١٢٢	٧٤
سوريا تحقق الاكتفاء الذاتي في البترول	—	١/٦٩	١٢٢	١١٥
بعد عشرين شهرا من هزيمة حزيران	احمد السقاف	٢/٦٩	١٢٣	٢٨
اللغة العربية	صالح الصالح	٢/٦٩	١٢٣	٥٧
العرب في الاتحاد السوفياتي	نجدة فتحي صفوة	٣/٦٩	١٢٤	٥٥
اللغة الصينية	الشيخ جلال الحنفي	٤/٦٩	١٢٥	٦٦
ساطع الحصري : أقوى الدعاة للقومية العربية حجة	اكرم زعيتر	٦/٦٩	١٢٧	٤٨
خواطر حول التعليم الجامعي والمعاهد العليا	د.حلمي اللحام	٧/٦٩	١٢٨	٢٠
الطب العربي في مدرسة سالرنو الطبية	د.فيصل دبدوب	٩/٦٩	١٣٠	٣٢
عند حافة الربع الخالي	محمد سعيد رشدان	١١/٦٩	١٣٢	٢٤
بالعمل الفدائي انتصر الاسلام في أول ظهوره	بقلم : عبد الله كنون	١٢/٦٩	١٣٣	٥٣

علوم مختلفة

الموضوع	الكاتب	الشهر / السنة	العدد	الصفحة
مثبتات الازوت من النباتات	د.عبد الحليم منتصر	٣/٦٩	١٢٤	١١٩
التنويم المغناطيسي	د.مصطفى احمد فهمي	٦/٦٩	١٢٧	١٣٤
من آفاق العلم الحديث	د.عبد الحليم منتصر	٩/٦٩	١٣٠	١١١

قصص وجرائم

قام باعداد رسومها احمد الوردجي

العربي

العدد ١٣٥
ذو القعدة ١٣٨٩
فبراير
(شباط) ١٩٧٠



من ريف دمنهور .. فلاح وزوجته

جوائز ١٢٠٠

الثمن

الكويت	١١٠ فلوس	العراق	١٢٠ فلسا	السودان	١٠ قر
الخليج العربي	٢ ريالان	لبنان	١٠٠ قرش	ليبيا	١٥ قر
السعودية	٢ ريال	الاردن	١٠٠ فلس	تونس	٢٠٠ مل
البحرين	٢٠٠ فلس	سورية	١٠٠ قرش	الجزائر	٢٠٠ مل
اليمن	٢ر٥ شلن	ج.ع.م.	١٠ قروش	المغرب	٢ در



حضارات سادت .. ثم بادت

● هيرودوتس ، وهو يتامل احد التماثيل في اثينا . لقد كان من ابناء بلدة هليكار ناسوس اليونانية لواقعة على الساحل الغربي من آسيا الصغرى ، وزار اثينا في عصرها الذهبي ، أيام بريكلس ، رتين ، الاولى سنة ٤٤٧ والثانية سنة ٤٣١ قبل الميلاد . الا انه قضى نحبه في البلدة اليونانية لصغيرة ، ثورى Thurii ، التي كان بريكلس انشاها في جنوب ايطاليا . وكان موته في سنة ٤٢٥ بل الميلاد ، عن عمر يناهز ٥٩ عاما .

(انظر صفحة ١٤٨)

عزيزي القارئ

● انعقد مؤتمر القمة لملوك العرب والرؤساء ، وانفض . ولم يصدر بعد انفضاضه بيانا . واختلفت الأقوال فيه . فمن أعضائه من قال انه مؤتمر فاشل . ومن أعضائه من قال : بل ناجح في صورة فاشل . وآخرون قالوا كانت نتائجه بين الفشل والنجاح . ولكن شيئا واحد دلت عليه دلائل ، ان الدول العربية لم تفترق عن هذا المؤتمر اقل وحدة مما كانت قبله ، ولا أفتر عزما في الوصول الى الغايات . ذلك لأن الفرقة نفسها مزعجة ، وهى مخيفة . والخوف يدعو الى ضم الصفوف لا الى خلخلتها .

● وكثرت في هذه الايام الاخبار ، تأتينا من كل صوب . وأتذوقها فأجد منها المطبوخ الذى زادوا في فلفلته عند الطبخ عمدا ليسيل له اللعاب . واخبارا أخرى مسمومة ، تعصر المعدة عصرا ، ويجف لها الريق . وكلها اخبار هي بعض تلك الحروب النفسية السياسية التى يركز عليها الاعداء هذه الايام . فليقرأ القارىء العربى منها ما يشاء ، ولكن حذار أن ينخدع بها أحد . فليس في أهل الغرب والشرق أحد يريد بالعرب خيرا ، عن ايمان . أن حب انسان لانسان شيء عز في هذا الزمان .

● في الصحافة العربية ، في أكثر الاقطار ، كتاب يكتبون ، فتحسب انهم هم الملائكة وسائر الخلق الشياطين ، وهم العالمون وسائر الخلق الجاهلون ، وهم القادة ، وقادة الراى خاصة ، وسائر القراء اغنام يتبعون. وهم خبراء حرب ، وهم خبراء سلام . وتبحث عن المنطق فيما يقولون فلا تجد منطقا . ولكن تجد العاطفة المشبوبه ، وهى مصبوبة في لفظ كريه ، ملؤه البغض ، وملؤه الحقد . وهم يتسترون فلا يوقعون ما يكتبون .

امثال هؤلاء الكتاب ، منهم المدسوسون على العرب فليحذرهم القراء . وليحذروا كل كاتب يكتب ، فيكون اقرب الى البذاءة منه الى الحجة والمنطق ، والى ما اصطلح عليه الناس من أدب الحديث .

المحرر

رئيس التحرير : الدكتور أحمد زكي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الارشاد والانباء بحكومة الكويت

ALARABY — No, 135 February 1970 P . O . B 748 — KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ــ تلفون ٢٧١٤١ ــ تلغرافيا « العربي »

الاعـــلانات : يتفق عليها مع الادارة ــ قسم الاعلانات

المراســـلات : تكون باسم رئيس التحرير

● جاءت اليه في حقله بعد ان أوشكت الشمس على الغروب .. وسارت معه في طريق العودة الى البيت ليرتدي ملابسه .. اما هي فقد تجملت وتزينت ، استعدادا للحفل الفنائي الساهر الذي أقيم في المساء وخصص دخله للمجهود الحربي .. فلاح وفلاحة من ريف مدينة دمنهور ، احدى مدن الوجه البحري بالجمهورية العربية المتحدة (اقرأ الاستطلاع ص ٧٦) .

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربي ٢ ريال قطري . البحرين ٢٠٠ فلس بحريني. العراق ١٢٠ فلسا . سوريا ١٠٠ قرش . لبنان ١٠٠ قرش الاردن ١٠٠ فلس . السعودية ٢ ريال . السودان ١٠ قروش . ج.ع.م ١٠ قروش . تونس والجزائر ٢٠٠ مليم . المغرب ٢ درهم . اليمن ٣٫٥ شلن . ليبيا ١٥ قرشا .

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت – ص.ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربي .

بريد القرّاء

« العربي » وأبطال التاريخ الاسلامي

• أنا من قراء مجلة العربي المعجبين بمواضيعها ومقالاتها . الا انني اتساءل احيانا لماذا تولي مجلتنا الحبيبة أبطال الغرب بمزيد من اهتمامها ولا تولي ابطال التاريخ الاسلامي ، كابن خلدون وصلاح الدين الأيوبي وعبد الرحمن الغافقي ومن اليهم بمثل ذلك الاهتمام ...

علي اليماني ــ صنعاء

العربي : نعتقد أنك ظلمت العربي في حكمك هذا ، وقد اطلقته ، على ما يبدو ، دون تدقيق او مراجعة لأعداد العربي الماضية ، البعيدة منها او حتى القريبة .

ولو انك راجعت الفهرست العام لسنة ١٩٦٩ ، وقد نشرناه في عدد يناير الأخير الممتاز ، لوجدت ان عدد مقالات السِّيَر العربية والاسلامية التي ظهرت في اعداد السنة المذكورة بلغ ٢٣ مقالا ، اى نحو ضعف عدد مقالات السِّيَر الاجنبية الذى لم يزد على ١٢ مقالا . وتصدق هذه النسبة كثيرا أو قليلا على أعداد سنة ١٩٦٨ ، والسنوات الأخرى التي سبقتها .

وتجدر الاشارة هنا الى بعض السير العربية والاسلامية التي ظهرت في اعداد السنة الماضية والتي تجد بيانها في الفهرست ، كالتالي :

اسعاف النشاشيبي بقلم أكرم زعيتر العدد ١٢٣

الناصر لدين الله العباسي بقلم الدكتور مصطفى جواد العدد ١٢٣ .

النابغة الذبياني بقلم الدكتور محمد محمود الدش في العدد ١٢٨ .

الطبرى بقلم الشيخ عبد المنعم النمر في العدد ١٢٩ .

ابن المقفع بقلم محمد رجاء حنفي عبد المتجلي في العدد ١٣٢ .

وتجدر الاشارة كذلك الى أن العربي كتب منذ سنوات عديدة عن الأبطال الثلاثة الذين تذكر في رسالتك .

فقد نشر مقالا عن ابن خلدون للمرحوم ساطع الحصرى (شهر ١٩٥٩/٧)،ومقالا آخر عن الغافقي بقلم محمدعبد اللهعنان(شهر ١٩٦٩/٦)ومقالا ثالثا عن صلاح الدين الأيوبي بقلم المرحوم عباس محمود العقاد في شهر ١٩٥٨/١٢ .

فرانسيس بيكون :

• قرأت في العدد ١٣٢ مقالا للأستاذ حسن الجداوى عن فرانسيس بيكون . جاء في هذا المقال أن هذا الفيلسوف العظيم كان يرتشي وأنه كان فاسد الخلق ... فمن اين جاء الأستاذ بهذا الاتهام ؟! اذ انني قرأت كتابا ضخما عن حياة فرانسيس بيكون ولم اجد فيه كلمة طعن واحدة تسيء الى هذه الشخصية اللامعة من قريب أو من بعيد ..

محمد ابو حامد
دمشق / الجمهورية العربية السورية

العربي : أغلب الظن أن الكتاب الضخم الذى قرأته لم يكن عن فرانسيس بيكون Francis Bacon (١٥٦١ ــ ١٦٢٦) بل كان عن روجر بيكون

الشيخوخة
على صعيد علم النفس

● قرأنا في العدد ١٢٢ مقالا عن الشيخوخة بقلم الدكتور علي احمد علي . وكنا نود لو أعطانا الكاتب فكرة عن الخدمات والمساعدات التي تقدمها بعض دول الغرب الى المواطنين في شيخوختهم ...

خليل الاعظمي ـ بغداد

العربي : مقال الدكتور علي أحمد علي يتناول الشيخوخة من زاوية علم النفس ، كما لاحظت ولا شك . أى أنه لا يعالج الموضوع من نواحيه الاجتماعية .

ولا مفر له من أن يغفل ذكر المساعدات والخدمات التي تذكر في رسالتك .

وجدير بالذكر أن هذه المساعدات والخدمات على أنواع ، وتختلف كثيرا أو قليلا باختلاف الدول التي تعطيها . ولعلها تستحق مقالا خاصا يلم بتفاصيلها ويقارن فيما بينها. ونرجو أن تسنح الفرصة للعربي لنشر مثل هذا المقال في مستقبل قريب .

خطـــأ وتصويب

● ورد في العدد ١٢٩ ، صفحة ٣١ ، تحت عنوان « ستن عبد المطلب » ، ذكر للآية الكريمة « اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر .. » وقد سقطت في طباعة هذه الآية اللفظة الثالثة منها اى «الحاج» بنتيجة الخطأ ولذلك وجب التنويه .

صالح علي عياش ـ أبها / السعودية

هل كان فاسد الخلق مرتشيا .. !

Roger Bacon ، (١٢١٤ ـ ١٢٩٢) . فالرجلان كانا من مفكري الانجليز أو فلاسفتهم الشهيرين . الا أن روجر بيكون عاش في القرن الثالث عشر ، أى قبل فرانسيس بيكون بأكثر من ثلاثة قرون ، ومارس التعليم في جامعات اكسفورد وباريس أيام كانت الفلسفة والعلوم العربية هي الشغل الشاغل في تلك الجامعات ، وأيام كانت تعاليم ابن رشد وشروحه لكتب ارسطو هي الفلسفة السائدة فيها . وقد اشتهر روجر بيكون بدعوته الى الأخذ بالطريقة العلمية التجريبية حتى في اللاهوت والفلسفة .

الا انه لم يعرف عن روجر بيكون هذا شيء من الفساد أو الرشوة التي أدين فرانسيس بيكون بها ، وفصل من منصبه الكبير في القضاء بسببها . وحسبك أن تعلم ما علق به فرانسيس بيكون نفسه على قرار البرلمان بفصله ، لتقرأ الاستاذ الجداوي على مقاله ، اذ قال : « لقد كنت أعدل قاض في بريطانيا طيلة الخمسين سنة الماضية . ولكن قرار البرلمان كان أعدل قرار صدر عن برلمان انجليزي طوال مائتي عام » .



* وَلاءُ الإنسانِ لِبَناتِهِ وبَنِيه ، أشَدُّ مِنْ ولائه لأمِّهِ وأبِيه .

حديث الشهر

الوَلاء

■ سألني : ما الولاء ؟

وسال . ما هو ، وكم هو ، ولمن هو ؟

والولاء شيء من الاشياء التي هي حاضرة دائما مع الحياة ، ممتزجة دائما بالحياة ، ولكن غلبت عليها الوان عدة من الوان العيش ، فضل الفكر السبيل السهل اليها ، الا ان تنزع عنه الأغشية، غشاء من بعد غشاء ، فتتراءى له فى النهاية واضحة عارية بيّنة .

ان الانسان الفرد ، الذى يعيش وحده ، ان جاز لأحد ان يعيش وان يمضي فى حياته وحده ، هو وحده الذى يستطيع ان يعيش عيشة بلا ولاء .

فالولاء لا يكون من شخص لشخص آخر بذاته ، او لاشخاص بذواتهم ، او لمعان ينسبها الانسان الى الخير حينا، والى الشر حينا ، والى الحق حينا والى الباطل حينا ، وهذه كلها لا تكون الا اذا عاش الشخص بين اشخاص ، فى بيت ، او حي ، او مجتمع صغر او كبر ، او فى امة ، او بين امم ، ولو فرقت الأجناس بينهم واللغات والألوان .

ولاء الانسان لنفسه

واول صنوف الولاء ولاء الانسان لنفسه . وحتى هذا الولاء لا يكون له معنى الا اذا رجا الانسان النفع او خشي الضر يأتيه من غيره . فالفير

ما هو؟ ولمن هو؟ وكم هو؟

* والأم أشد ولاء لبنيها، وكأم الإنسان، أم الحيوان.

* ولاء للوطن بحكم الطبع عاطفي، وولاء بحكم الممارسة سياسي.

* يضعف ولاء المواطن في الحرب، وأهداف الحرب مريبة، ويقوى الولاء والأهداف صادقة غير مريبة.

بقلم رئيس التحرير

اذن لا بد من وجوده ليكون ولاء ، حتى ولاء الفرد لنفسه .

بالامس نظرت على شاشة التلفاز ، فرأيت جماعة فعل الزلزال بقريتهم ما فعل . وجاءت النجدة لهم بالطعام . وحمل كل طاسته بيمينه . وانتظر كل مغرفة الغارف ليعطيه نصيبه . وكل مدّ يده طويلة حرصا على أن ينال نصيبه . ولو في كثير من التأدب ، ولكن في عزم وتأهب اكيد . فقلت : انه ولاء للنفس امسك بزمام كل واقف بطاسة ، من رجل ، الى امرأة ، الى صبي ، الى طفل . وانتظموا جميعا في شيء من الهدوء لانهم امنوا وصول انصبتهم اليهم . وتخيلت حالة لا يكون فيها وصول الطعام مضمونا . وتصورت ما يكون . تصورت تزاحما على الطعام هائلا ، وعراكا شديدا وتقاتلا .

ونسميه انانية . واسميه ولاء النفس للنفس ، كشفت عنه خشية الجوع ، فالهلاك ، فرأيناه عاريا .

الأنانية
صورة من ولاء الانسان لنفسه

والناس تتحدث عن الأنانية . وتعني بها الغلو في ولاء النفس للنفس مما يؤدي الى حرمان الغير . ولكنهم كثيرا ما يذكرون الأنانية اذا هم ذكروا غيرهم . اما اذا ذكروا انفسهم ، فلا أناني ولا

أنانية . وكثيرا ما يستخدم هذا الأسلوب في تخذيل الناس عن التمسك بالولاء لأنفسهم . ونقصٌ في ولاء هؤلاء لا بد عامل على زيادة في ولاء أولئك ، فعلى زيادة أنصبتهم من الخير .

والأنانية لفظ من الألفاظ التي ابتدعها الأخلاقيون ، من محترفين ، وغير محترفين ، ليمنعوا الفرد من الغلو في الولاء لنفسه ، والسطو بذلك على ولاء الآخرين . هذا في الأصل . ثم صرنا نرى لفظ الأنانية يستخدمه الطامعون لتتحقق اطماعهم في الآخرين .

الجود وولاء الانسان لنفسه

والجود أن تجود مما عندك . ان تعطي مما تملك . وهذا يتعارض مع ولاء الانسان لنفسه . قال الشاعر :

الجود يفقر والاقدام قتّال

ولهذا قال قوم ان الجود ، لا ان تجود بكل ما عندك . ولكن أن تجود بفضل ما عندك . وهذا معقول ومفهوم في الأحوال العادية . ولكن ما بالك اذا حلّت مصيبة بجارك ، وبجار جارك . زلزالٌ ، او فيضٌ مغرق ، او حريق مهلك ثم جاءك الجار وليس عندك ما يكفيك .

اني اشك عندئذ في انك تغلق دون الجار بابك . ان الولاء للنفس طبع لا حيلة لك فيه . هو وقاء لكل حيٍّ من التهلكة . ولكنّ في الانسان طباع أخرى تهدمه هدما . ومن هذه ، الرحمة ، وبها تميز الانسان .

انها ولاء من صنف آخر .

ولكن ما دوافعه ؟

لا أحد يدري . ولا تقلْ لي انه رجاء في ثواب . يمنع من هذا الاحتمال ان رد الفعل بالرحمة سريع لا يمهل الانسان ليفكر ، وليحسب ربحا وخسارة . وهو رد فعل واحد ، عند من آمن بثواب وعند من لم يؤمن . انه ولاء لمعنى من معاني الانسانية عجيب . ولن آذن لفيلسوف ان يتدخل فيه بالتحليل والتفسير . ان الوردة او الزهرة جمالها في ان لا تمسها يد انسان فتعزكها وتفركها في سبيل البحث والتنقيب .

ولاء الانسان لأهله

ومن الولاء ولاء الانسان لأهله ، لأمه وأبيه ، ولبناته وبنيه .

ولاء الانسان لأمه وابيه

اما الولاء للأم والأب ، فمطبوع ومصنوع معا . فالمرء يدفع عن امه وابيه بحكم الطبع . ولكن كذلك هو يدفع عنهما عند الخطر بحكم آخر ، هو حكم التزام بوفاء دين . أنه دين سبق . انهما ربّياه في الصغر ، حين هو عاجز ،فوجب عليه ان يرعاهما في الكبر ،عند عجزهما. اقول هذا اول مثل يدخل فيه معنى « الواجب » .

ولاء الانسان لأمه وأبيه اذن مطبوع مصنوع .

وهو مصنوع لأنه يدخله شيء من موازنة الحساب . اعطياه فوجب ان يعطي . وهو مصنوع لأنه دخله معنى الواجب . وما وصفه بالواجب الا توكيد للالزام فيه لمّا رأينا من الناس من يَغفل عن التزام بأمه وأبيه .

وسمينا ولاء الانسان لأمه وابيه واجبا، ولم نسم ولاء الانسان لنفسه واجبا . بهذا جرت عادة اللغة . وهي جرت صادقة لأنه لايكاد يوجد بين الناس من يغفل عن التزام بالولاء لنفسه . والسبب؟ أن الانسان يرعى نفسه ، ويدفع عنها عند الخطر ، بحكم الطبع كله . فاذا اعتدى عليه معتد ، قام على الفور يدفع اعتداء باعتداء . فهو لايتردد ولايتريث .

ولاء الانسان لبناته وبنيه

ومثل ذلك ولاء الانسان لبناته وبنيه.

انه ولاء لايدخله حساب . لا يدخله جمع ولا طرح . وتعطي الأم ، ويعطي الأب ، لابنه وابنته ، ولا يكاد يسأل نفسه كم أعطى الا اذا نضبت الموارد واخذ يسأل نفسه هي ايضا ، كم اعطاها .

وعند الفزع يدفع الرجل عن بنيه وبناته في فورة وثورة ، لا تأذن له بثانية من الزمان يفكر فيها ويتردد .
وهو يدفع حتى الموت .

واذن فولاؤه لبنيه وبناته يأتي فوق ولائه لنفسه .

وهو ولاء قد يهلك فيه الانسان نفسه ، دون ثواب يبتغيه ، او عقاب يخافه .

وهنا يبرز السؤال العجيب : في هذه التضحية التي تجري بحكم الطبع ، هل يجاز الانسان عليها ؟ فان قال احدنا نعم . قال آخر : لا . لأن الرجل ما فعل ، وانما الطبع هو الذى فعل .

الأم
اشد ولاء

والأم اشد ولاء لبنيها وبناتها من الأب ، وهذا امر في الأمومة عامة ، ومنها امومة الحيوانات ، معروف شائع .

عدت الى بيتي يوما فوجدت في الحديقة منظرا عجبا . قطة كانت لدينا ، حملت ، ووضعت من القطيطات اربعا . وبينا هي ترعاها دخل اليها كلب ضخم له ظفر وناب . واتجه نحو الأم . وخلتُ انها هاربة . وتنجو ولا يكون للكلب بعد ذلك رغبة في مضايقة صغار لها ، فهذا ما عرفتُ في طبع الكلاب ، فكأنما هي الاخرى تحترم الطفولة . ولكن راعني ان القطة الأم لم تهرب . لقد جعلت اولادها خلفها ، واقعت على الأرض اقعاءة متحفزة . واقترب الكلب الكبير فصرخت فيه . وزاد اقترابا فلطمته بيمناها لطمة لا شك جعلته يفكر في امر هذه المغامرة التي بداها هل تساوى ما قد يناله منها . وقبل ان يعود ادراجه حاول محاولة اخيرة ، فنبح واقترب . فرأيت القطة ، الأم ، تثب بمخالبها الى وجهه ، وهي تزفر نارا . وعندئذ فقط تراجع الكلب . وظلت القطة ترقبه حتى اختفى . ثم اخذت تلعق اطفالها .

وكأم الحيوان ، أم الانسان .

وما ولاء الأمومة بعجيب . فالأم اوثق ارتباطا بالحياة من الأب . ان الأب يرمي بحبته في الأرض ، ثم يغفل عنها او ينسى ، وتنساه الحبة . اما الأم فهي الأرض ، وهي الخصب ، وهي الماء وهي النماء ، وهي الترعرع والخضرة ، وهي الزهرة والثمرة .

وينزل الطفل فيعرف الناس امه ، ويعرفونها عيانا . اما الأب فيعرفون ابوته خبرا . والأم هي التي ترعى طفولة الطفل بعد ذلك ، وترعاها طويلا ، ولا يكاد يرعى الأب من هذه الطفولة شيئا ذا بال .

فولاء الأم لولدها ولاء الطبع ، لا ولاء

الأمومة تدفع ، حتى في الحيوان



الصنعة . وهو يأتي فوق ولاء الأم لنفسها . وكم من أم ضيعها الابن ، او ضيعتها البنت ، فى غفلة . ورأت الأم نفسها تضيع ، واستعذبت الضياع .

ولاء الانسان لبناته وبنيه اشد من ولائه لأمه وأبيه

وذلك لأن الولاء للأب والأم ، كما ذكرنا ، مطبوع ومصنوع معا ، اما ولاء الأب والأم للولد والبنت فولاء مطبوع صرفا . انه ولاء لا حيلة لأب او أم فيه. وهو ولاء ينشأ فى نفس الأم طبعا ، بنفس الاسلوب ، ولنفس الحاجة ، التي يأتي به اللبن الى ثديها غصبا .

وان تكن فى ذلك حكمة ، فهي حكمة الحياة .

ان الحياة لا بد ان تتصل . والآباء الذين انتجوا البنين والبنات ، والأمهات

حنان الأمومة



اللاتي انتجن ، فرغوا من عمل الحياة . ومن حاجة الحياة اليهم . فحرص الحياة عليهم اقل . اما النتاج الجديد ، من ابناء وبنات ، فهو لحياة جديدة . انه لاطّراد حياة . فحرص الحياة عليه اكثر .

القديم الى انطواء ، والجديد الى تفتح وعطاء .

فللقديم الوداع ، ومعه الشكر . وللجديد التأهيل والتسهيل .

تلك هي سنّة العيش .

ويَقْدُم الجديد ، ويستجد جديد آخر . وكل ينال حظه من زمانه بمقدار ما أمضى فيه .

وولاء يجتاز الحياة الى ما بعد الوفاة

فهذا ولاء الآباء للابناء ، من بنين وبنات .

لهم ولاؤهم فى الحياة ، ولكن كذلك لهم ولاؤهم من بعد ممات .

ويموت الأب ، وتموت الأم ، وهما احرص ما يكونان على توريث ابنائهما شيئا ، يكون ذخراً لنوائب الدهر .

والأب يموت ، والأم تموت ، وليس آلم لهم وهم فى فراش الموت ، من ان يجدوا لهم اولادا ، كانوا لهم فى الحياة عمادا ، فجاء الموت يقوّض هذا العماد .

انه احساس الفطرة . والفطرة كثيرا ما تتحدث، فيجبُ حديثُها، كل حديث .

وقد خلّد هذا الاحساس الانساني الفطرى ، اسحق بن خلف حين جاءه الموت ، فذكر ابنته اميمة فأخذ يقول :

لولا اُمَيمةُ لم اجزع من العَدَمِ
ولم اقاس الدُجَى في حِندس الظلم
وزادني رغبة في العيش معرفتي
ذلَّ اليتيمة يجفوها ذوو الرَّحِم
احاذر الفقر يوما ان يُلِمَّ بها
فيَهتك الستر عن لحم وعن وَضَم
تهوى حياتي واهوى موتها شفقا
والموت اكرم نزّال على الحُرَمِ

أخشى فظاعة عم ، أو جفاء أخ ..
وكنت أبقي عليها من أذى الكلم

ومن الاشتراكيين من حرم الارث والميراث ، ومنهم من اجاز .

والذين حرموه ناقضوا الطبيعة ، الا ارثا ضخما قالوا انه يفسد العيش ، ويفسد النفس ، ويجعل صاحبه ، وقد نفض يديه من عمل ، عالة على العاملين . وقد يتخذ صاحبه منه اداة للسيطرة على الآخرين ، بفضل مال غمر عظيم لم يكسبه هو ، ولكنه كسبه ابوه ، فتركه به عاطلا عاجزا عن كسب العيش مع الكادحين الكاسبين .

ولاء الانسان لوطنه

وهذا ولاء يتضمن ولاءين: ولاء عاطفي يحسه الانسان بحكم الطبع . وولاء سياسي يكتسبه الانسان بالممارسة والحكم .

ولاء للوطن عاطفي يتولد بحكم العادة والألفة المتصلة

اما ولاء الانسان لوطنه ، فينشأ أولا بحكم العادة . بحكم الألفة المتصلة . وبحكم التواصل والتعارف والتصادق .

ويغيب الانسان عن بلده ، فيحن الى سابق عهده فيه :

وحبب اوطان الرجال اليهم
مآرب قضاها الشباب هنالكا
اذا ذكروا اوطانهم ذكرتهمو
عهود الصبا فيها فحنوا لذلكا

ولكم رأيت عائدا الى وطنه من بعد غياب طال ، فما خطا في تربته اول خطوة ، حتى أرتمى على الأرض يلثم من وطنه ترابه .

والرجل البدوى وطنه الصحراء . والرجل الحضرى وطنه الخضرة والماء . ومن الأوطان ذوات التلال والجبال ، ومن الأوطان ذوات البطائح والوديان . ومن الأوطان الجامد القاسي . ولكن



كم عائد بعد غياب طال ،
ارتمى على الارض يلثم من وطنه ترابه

لكل هذه الأوطان من اهلها الولاء الواحد . وولاء الأوطان عاطفة مشبوبة ، لا ترمى بشررها الا على البعد . هي الحب لا يذكيه شيء كافتراق .

والشعراء يخلدون العواطف .

وابحث في ذاكرتي الآن عن شاعر خلد ولاء لوطنه ، فيثب الي اول واثب ، شوقي بشعره الذى يتشوق فيه في منفاه الى بلده ، وكان المستعمر اخرجه منه والحرب العالمية الأولى قائمة :

وطني لو شغلت بالخلد عنه
نازعتني اليه في الخلد نفسي
احرام على بلابله الدو
ح ، حلال للطير من كل جنس
كل دار احق بالأهل الا
في خبيث من المذاهب رجس

وهي قصيدة من اروع القصائد اكتفى بهذه الثلاثة منها

وولاء الانسان لحيه ، ولاء الطبع ، اشد من ولائه لمدينته . وولاؤه لمدينته ، ولاء الطبع ، اشد من ولائه لوطنه . الا لرجل اتسعت حركته ، واتسع نشاطه، حتى شمل المدينة ، لا سيما ان كانت عاصمة . والا لرجل اتسع نشاطه حتى وسع الوطن كله .

وقد فطن الشاعر العربي لهذا العامل الجغرافي حين قال :

ايها المنكح الثريا سهيلا
عمرك الله ، كيف يلتقيان

هي شامية" اذا ما استقلت"
وسهيل" اذا استقل" يمانى

ولاء للوطن سياسي بحكم القانون والممارسة

وهذا هو الولاء الذى اتخذه الاغارقة الاقدمون ، للدولة المدينة ، من امثال اثينة ، واسبرطة ،وغيرهما من المدن التي انتشرت فى الوطن الاغريقي القديم .

كانت كل مدينة وطنا ، وكان لكل قانون وكان لكل شعب ، وكان الشعب يمارس التقنين ويمارس الحكم ، أو هو يراجَع فيه ليرضاه . ويراجَع جملة . وسُمّيَ حكم المدينة من اجل ذلك ديمقراطيا ، اى حكم الناس بالناس ، وكانت الديمقراطية عندئذ اقرب الالفاظ صدقَ معنى . ويجتمع الشعب فى عرصات المدائن الواسعة فيقول نعم او يقول لا .

ومن اجل هذا لم يعد ولاء الوطن ، حب ارض فقط ، ولا حب اهل فقط ، ولا الفه عادة ، ولكن كذلك تبعة حكم ، ومسئوليةَ سياسة.

وفي هذا المعنى ، قال ارسطو : ان الانسان حيوان سياسي .

وتبع ذلك ان صار ولاء الانسان لوطنه عاطفيا وسياسيا معا .

وسقراط ، فيلسوف الاغريق ، اتهمته اثينا بالمروق ، وحكمت عليه بان يشرب السم ليموت . واجتمع عليه تلاميذه ومريدوه ، وهيأوا له سبيل النجاة والهرب ، فأبى عليهم ، بسبب ولائه لوطنه . ولائه لأثينا ولاء سياسيا. ولم يمنعه من ولائه لوطنه ، والرضا بالموت اطاعة لحكمه ، انه كان حكما لا يرضاه ، وهو الذى مشى في الشباب يؤلبه عليه .

فهذا ولاء يبنى على التربية والتثقيف. انه الفكر هنا حدد معنى الوطن ، ومعنى ولاء المواطن لوطنه . فهو ولاء مصنوع ، لا ولاء مطبوع . ولا يحط منه انه ولاء مصنوع . انه ولاء أخرجه الفكر وعَمَدَه المنطق .

والولاء عند الرومان

وكما كان الولاء عند الاغريق سياسيا، فكذلك كان عند الرومان . كان من فخر الرومانى ان يقول الرجل منهم : « انى مواطن رومانى » .

والمسيحية قسمت الولاء ولاءين ولاء لله ، وولاء للوطن

وجاءت المسيحية من بعد الرومان فجعلت الولاء ثنائيا ، ولاء للحاكم في الأرض، وولاء لله في السماء .واستندت في ذلك الى قول المسيح « اعطوا لقيصر ما لقيصر ، واعطوا لله ما لله » .

وجاء القديس اوغسطين Augustine فاكد هذا المعنى حين قال : ان الانسان مواطن في مدينتين ، مدينة للانسان ، ومدينة لله .

ومن الكتّاب السياسيين من اتخذوا من ذلك تكأة يتكئون عليها في مقاومة الظلم ، اذا وقع هذا في الحكم ، وما أكثر ما يقع ، وذلك بأن يتخذوا من ولائهم لله رفضا لكل ما لا يرضاه الله .

ومن الطريف الذى يذكر ، انه بعد ختام الحرب العالمية الثانية ، اقام الحلفاء محكمتهم الشهيرة في نورنمبرج Nurnberg لمحاكمة النازيين الذين فعلوا ما فعلوا في عهد هتلر ، فقام من بين هؤلاء نفر يقولون انهم انما فعلوا ما فعلوا ولاء للدولة واطاعة لأمرها . وكان الرد السريع هو احياء ذلك المعنى القديم : انه لا ولاء لأحد في الارض اذا هو تعارض وولاء السماء .

والولاء في الاسلام

والاسلام كالمسيحية في هذا الامر



القديس اوغسطين
جعل المدينة مدينتين ،
مدينة للانسان ، ومدينة لله

الذي ذكرنا . وقد جاء في الأثر انه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

والاسلام لا يفرق بين مدينة سياسية ومدينة الهية ، على الصيغة التي ارتآها القديس اوغسطين ، وهو عاش بين القرن الرابع والخامس من الميلاد ، ومات قبل الهجرة النبوية بنحو قرنين .

ان الاسلام يرى ان المدينتين مدينة واحدة . وأن حكم الارض مستمد من حكم الله . ولم يمنع ذلك من ان يكون الحكم شورى ، وان يكون ديمقراطيا . وفعلاً جرى الحكم ديمقراطيا ، ولو على الورق ، قرونا طويلة . واتسع الاسلام لحب الوطن ، وحب الولد والوالد . « وقضي ربك الاّ تعبدوا الاّ اياه وبالوالدين احسانا ، امّا يبلغنّ عندك الكِبَر أحدُهما او كلاهما ، فلا تقلْ لهما أُفٍّ ولا تنهرهما ، وقل لهما قولا كريما » .

والولاء العاطفي اتسع له الاسلام اتساعا كبيرا .

ولكن لم يتسع كل هذا الاتساع للولاء الوطني المحلي السياسي . انه احتمله بمقدار ما يحتمله الطبع الانساني . ولكنه تجاوز الوطن الأوسع ، الى أرض الله الواسعة . فحيثما ذكر اسم الله فهذا هو الوطن ، على اختلاف لون ، واختلاف لسان . ومن أجل هذا كثرت في الاسلام الأوطان . وينزل العالِم ببغداد او بدمشق أو القاهرة او القيروان أو قرطبة ، وهو حيثما حل يجد وطنا واحدا ، وولاء واحدا، وترحيبا بالضيف واحدا ، وكثيرا ما زاد . فأين وُلد ابن خلدون ، واين درس ؟ واين وُلد عبد اللطيف البغدادي واين علّم ؟ والكندي وابن الهَيْثم ؟ وهل عاش في تلك القرون رجل نابه الا وقطع الوطن الاسلامي ، ولا سيما العربي ، رَوْحة وجيئة . وهو حيثما حل ، عنده الولاء يُعطيه ، وله الولاء يُعطاه .

ان انسان هذه الارض ما ربطه في قديم الزمان رباط كرابط الاسلام . وانا لا اتحدث هنا عن الاسلام عقيدة ، ولكن عن الاسلام حركة انسانية ، جمعت من الانسان ، وربطت بينه ، ما لم يكن سبق مثله ربطٌ ولا جمع .

الولاء في الدولة الحديثة

ونعود ننظر الى الولاء على أنه ولاءان ، ولاء مطبوع ، هو ولاء الفطرة ، وولاء مصنوع ، هو ولاء السياسة والحكم .

اما ولاء الفطرة ، ولاء للارض والأهل والوطن ، فاحسبه دائما خالدا ما بقى الزمان على دوامه وخلوده .

اما الولاء المصنوع فهو الولاء المتغير بتغير الأحوال والازمان .

وهذا الولاء الأخير لم يكن شيئا كبيرا حين كان الانسان في تجمعاته الاولى ، على البساطة والقلة ، ثم على الانسياح والكثرة ، ولكن في حظيرة القبيلة . فهناك



« وبالوالدين احسانا »

الولاء كان من الناس جملة ، للقبيلة جملة . وتحلله فلا تجد فيه الكثير من العناصر .

ولكن قارن القبيلة بدولة كبيرة من دول هذا العصر الذى نحن فيه . انك تحار . ثم لا تجد وجها لمقارنة ، لا من حيث الكم ، ولا من حيث الكيف .

وتسأل في الدولة الحديثة عن الولاء. ويأتيك السؤال على الفور : الولاء لمن ؟ والولاء ممن ؟ وتدرك على الفور ان هناك ولاء الفرد لوطنه ، وولاء الوطن للفرد ، وان كليهما له وجوه عدة .

لم يكن للوطن في قديم الزمان خدمة يؤديها الفرد في سبيل الولاء كبيرة .وان ذكر من ذلك شيئا ، فاول ما تذكر حماية الفرد من اعداء البلاد . اما اليوم فواجبات الدولة للمواطن عشرات،مئات. في امن خارجي . في امن داخلي . في تخطيط للحياة وتنظيمها ، ولهذا الف وجه . وفي تخطيط لاقتصادها ، في زراعة وصناعة ، وطرق ومواصلات ، وعلم وتكنية، وفي تعليم في كل الدرجات، وبكل الصنوف، من نظري وعملي وفني. وفي طب وصحة ، وملاحقة كل جديد ينتفع به المواطن. وفي العمارة والاسكان. وفي توفير العدالة ومطاردة الظلم .

الف فن وفن ، ولكل فن فنون تتفرع منه .

وسميناها واجبات على الدولة نحو المواطن .

ولكنها واجبات لا تقوم الا بالمواطن . فالمواطن هو الذى سوف يتعلم ليكون اهلا للقيام بكل هذه الفنون . وهو الذى سوف يقوم بها ، محسنا او مسيئا .

فولاء الدولة فى صدق ما تقوم به .

وولاء المواطن فى صدق التعلم والمران، ثم حسن القيام بالأعمال .

انه اذن ولاء مشترك . متعدد غاية التعدد بحكم التعقد الذى طرأ على الحياة ، وبحكم ازدياد العلم واتساع التكنية ،وبحكم الرفه الذى صار ضرورة عند الرجل الحديث من ضرورات الحياة .

فهذا الصنف من الولاء من صنع الفكر كما ذكرنا .

من صنع الفكر المدني ، لا من صنع الطبع .

واذا قصر احد الناس فى ولائه (وما ذاك الا تقصير فى عمله) فأنت لا تستحثه بأن تقول له انه يسيء الى وطنه . ولكنك تستحثه بقولك ان الآخرين يكدحون لكي يعيش هو فى سعة ، فهمْ يسدون اليه الخير . وهو لا يكدح ، فهو لا يبادلهم خيرا بخير . احساسه باختلال الميزان افعل به من احساسه بالنَّيل من حق الأوطان .

وذلك لان الوطن الذى اتسع ، حتى صار به عشرات الملايين او مئاتها ، كبر عن ان تحتويه عاطفة . ولكن يحتويه فى العمل منطق .

ومن اجل هذا كلما صغر الوطن كبر ولاء اهله .

الولاء والتضحية بالنفس

واظهر ما يظهر ولاء المواطن لوطنه عند التضحية له . تحيط بالوطن المخاطر فلا يدفعها الا المواطن يبذل من جهده، وبذل من حنكته، وبذل من ماله. ويأتي فى آخر المطاف بذل روحه فداء له .

والمواطن يستيقظ لذلك كلما اقتربت هذه المخاطر منه ، ومسته من قرب . هو اكثر استيقاظا لها اذا هي هددته فى عيشه، او فى اهله، او فى ذويه وصحبه. عندئذ هو لا يحتاج الى اثارة .

ولكن من الحروب التي تشعلها امم الارض اليوم ، لا سيما الكبيرة القادرة حروب مريبة ، لها اهداف بعيدة عن فهم السواد . وكثيرا ما تكون من النوع الذى لو فهمه السواد ما اطاع . واذن تتخذ الحكومات من الصحافة ابواقا تخلق فى الجمهور ، اصطناعا ، ما يسمونه بالجو الملائم للحرب . عظمة الأمة تذكر ، ومجدها الماضي والحاضر لا بد ان يتصل . والعدوّ يريد بكم ويريد . وتؤمر الموسيقى فتأخذ تعزف بالمثير من النغم .

ولعل من هذه الحروب حرب فتنام .

ولم يستطع الامريكان ، على الرغم من ثروتهم ، وعلى الرغم من قوتهم ، ان ينالوا النصر من امة صغيرة تنتسب الى الأمم المتخلفة . وما كان ذلك لقلة العتاد ، ولكن لفتور فى عزمات الرجال . تساءلوا لماذا هم يحاربون ، وللتهلكة بأنفسهم يلقون ؟ وتعذر الجواب او تعسر ، وانبهم الهدف ، وامتدت الحرب على الرغم من ذلك . وقال قائل فى الاعتذار عن امتدادها ان المصانع التي تصنع السلاح لا يمكن أن تتوقف هكذا بغتة ، فهذا يضر باقتصاد البلاد .

وعلى العكس من ذلك كان قتال الفتنامي، قتال المستقتل، ، حتى لكأن الموت عندهم حياة ، وكانت الحياة موتا . فقد علموا واستوثقوا ان الذى يراد بهم ، انما هو الذل والاستعباد .

وكاستماتة الفتناميين استقتال الفلسطينيين

وكاستماتة الفتناميين استقتال اخواننا العرب الفلسطينيين . فمن يكون اسرع قياما لحرب ، وأنشط فى اقتحام اسوار الموت ، ممن فقد الارض، وفقد البيت ، وفقد اسباب العيش جميعا ، واخذ ينظر الى كل هذا من بعيد ، لا يحول بينه وبينها الا هذه الأسوار ، فلم يجد فى اقتحامها الا اللذة والشوق ، فان نفذ ووصل فقد اشتفى حيا ، وان سقط فى الطريق فكم فى الموت من شفاء عزّ أن يناله الأحياء .

●●

احمد زكي

التوحيدي يعود إلى ..

بقلم : الفة الادلبي

■ أبو حيان التوحيدي فيلسوف الادباء ، وأديب الفلاسفة . فرد الدنيا الذي لا نظير له ذكاء ، وفصاحة ، وفطنة ، ومكنة .

هكذا كان يقول عنه ياقوت الحموي .

أما آدم متز فيقول عنه في كتابه (الحضارة العربيةفيالقرن الرابع عشر) : ربما كان التوحيدي اعظم كتاب النثر العربي على الاطلاق .

وهذا الأديب النابغة كان سيىء الطالع في حياته : فالمطلع على سيرة ابي حيان يلحظ ان الرجل عاش طوال حياته المديدة في فقر وحرمان ، وخيبة وتشرد ، ولعل هذا الذي كان يدفعه احيانا لينحو منحى أكثر أدباء عصره ، فيقسر النفس على التزلف والنفاق لعظماء ذلك العصر ، كالوزيرين : ابن العميد ، والصاحب بن عباد وغيرهما . ولكن سرعان ما كان يغلب فيه طبع الأديب الأصيل المعتز بفنه على التطبع الذي اراده ، فتفلت منه احيانا عبارة تهكم أو نقد ، او ترفع واعتزاز بالنفس أمام من كان يرجو خيره وبره ، فاذا هو ينقلب عليه حاقدا متوعدا ، وحينئذ كان لا يجد أبو حيان مناصا من الفرار ، أو اللجوء الى التخفي والعزلة التي قد تمتد اعواما طويلة لينجو بنفسه من بطش الحكام وجورهم. ولعل هذه العزلة التي واكبت أبا حيان فترات طويلة من حياته المديدة أتاحت له التفرغ للتثقيف والتاليف ، حتى استطاع أن ينجز هذا التراث الضخم من المؤلفات القيمة التي كتبها بأسلوب رصين ، رشيق ، مطواع ، أبرز ما يميزه هو هذا التلاؤم بين المبنى والمعنى الى حد لا يجاريه فيه أحد ، وبظل سوء الطالع يلازم أبا حيان في مماته كما لازمه في حياته فتبقى أكثر آثاره مخبوءة في المكتبات ما يقرب من ألف عام لم يحقق منها الا القليل مثل كتاب « الامتاع والمؤانسة» (١) ، وكتاب «الهوامل والشوامل»(٢) .

ويشاء الله أن يبتسم الحظ لأبي حيان فيقيض له صديقا صادقا ، وفيا لعلمه وفاء ابي حيان لفنه ، هو الدكتور ابراهيم الكيلاني الدمشقي الذي أخذ على نفسه أن يتحرى عن آثار ابي حيان فيحققها ، ويبرزها الى النور في حلل قشيبة لو رآها أبو حيان لعوضته كثيرا عما أصابه في دنياه من غبن .

وصحبة الدكتور الكيلاني لأبي حيان بعيدة العهد ، بدأت منذ أكثر من عشرين عاما ، حينما قدم الدكتور بحثا عن أبي حيان لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب العربيمنجامعةالسوربون (٣) ومنذ ذلك الحين ما يزال الدكتور الكيلاني جادا في البحث عن آثار أبي حيان في مكتبات العالم يحققها وينشرها . يقول في احدى مقدماته عن أبي حيان :

«قد يعجب المرء عندما يعلم أن التوحيدي الذي لم يمتع بالهدوء ، ولم ينعم في حياته بالاستقرار والجو الملائم للنتاج الفكري ألف ستة وعشرين أثرا بين كتاب ضخم بلغت أجزاؤه العشرة ، ورسالة صغيرة في صفحات معدودة ، وهذا ما يحمل على الاعتقاد بأن مراحل الاستتار والتخفي عنده لم تكن مراحل عطالة وضياع ، وتبديد وتسكع ، بل هي مراحل عمل ودأب ، ومطالعة نهمة ، وتجميع وتمثيل ، ولعل عمره الطويل الذي رافق القرن الرابع كله مكنه

---

(١) حققه الدكتور أحمد أمين والاستاذ أحمدالزين ونشرته لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة سنة ١٩٥٣ .

(٢) حققه الدكتور أحمد أمين والاستاذ أحمدصقر ونشرته لجنة التأليف سنة ١٩٥١ .

(٣) للدكتور عبد الرزاق محييالدين أيضا رسالة عنوانها « أبو حيان التوحيديسيرته وآثاره » .

ايضا من النتاج . حتى رويت عنه اسطورة تقول : ان وزن المداد الذى صرفه فى تصانيفه اربعمائة رطل » .

كان اول ما حقق الدكتور الكيلاني من آثار ابي حيان ثلاث رسائل عام ١٩٥١ هى (رسالة الحياة). ورسالة فى علم الكتابة ، ورسالة (الامامة) المعروفة (برواية الثقيفة) .

وفى عام (١٩٦١) اخرج له كتاب (مثالب الوزيرين) (٤) فى اربعمائة صفحة من القطع المتوسط ويحدثنا المحقق فى مقدمته عن الكتاب كيف « اهتدى الى هذا المخطوط النادر » فيقول :

اني من المولعين بابي حيان ، ومن اشد المتتبعين لآثاره حماسة ، وقد ظللت زمنا اتشوق للعثور على رسالة مثالب الوزيرين حتى عددت ذلك من امنيات العمر الى ان قيض لي القدر احد المستشرقين وهو السيد (مارك بيرجيه) الذى عثر عليها مصادفة ، وكان يعرف مبلغ تعلقي بابي حيان ، وحرصي على نشر آثاره ، فصور المخطوطة واهدانيها ، فاليه شكرى الخالص وشكر القراء ، والمعجبين بادب التوحيدى على هديته الثمينة .

والرسالة تصور جوانب هامة ومثيرة للحياة الادبية والفكرية والاجتماعية فى القرن الرابع الهجرى ، كما تطلعنا على خفايا العلاقات الشخصية بين المشتغلين فى صناعة الادب فى زمن بني بويه .

وفى عام (١٩٦٤) اخرج له رسالة (الصداقة والصديق) فى خمسمائة صفحة من القطع المتوسط . والكتاب فريد من نوعه فى ادبنا العربي، وربما فى الاداب الاخرى ايضا . وفى اعتقادى ان هذا الكتاب سيظل جديدا لاتبلى جدته ابد الدهر، وماذاك الا لان اديبا كابي حيان دقيق الملاحظة ، عميق النظرة ، وافر التجربة ، قد خبر النفس الانسانية وما تنطوى عليه من خير وشر قد انتقى لنا خير ما قيل فى موضوع الصداقة والصديق .

ويقول مؤلفه عنه :

« سمع مني فى وقت بمدينة السلام كلام فى الصداقة والصديق ، والعشرة ، والمؤاخاة والالفة وما يلحق بها من الحفاظ والوفاء والمساعدة والنصيحة والبذل والمواساة والجود والكرم ،وقد ارتفع رسمه بين الناس وغض اثره بين الخاص والعام وسئلت اثباته ففعلت » .

ويقول المحقق عنه :

« امتد تاليف هذه الرسالة فترة طويلة من حياة ابي حيان . بداها فى سن الشباب وانتهى من تاليفها فى اواخر حياته . واذا علمنا ان التوحيدى رافق القرن الرابع من مطلعه حتى منتهاه ، وانه كان على صلة مع مشاكل عصره ، كان لابد ان تنعكس فى الرسالة من خلال مزاج التوحيدى الاديب ، ومنظاره احوال هذا العصر العجيب ، وصور تلك المجتمعات المضطربة » .

وفى عام ١٩٦٤ حقق الدكتور الكيلاني الجزء الاول من كتاب (البصائر والذخائر) (٥) وهو كتاب ضخم استنفد جهد خمسة عشر عاما من حياة التوحيدى اودعه ما رآه وسمعه وحفظه فى المجالس والدروس التي كان يحضرها ، والكتب التي يطالعها فهو كما يقول عنه مؤلفه :

« قد انشات هذا الكتاب علىرواية ما حصلت، لانه ثمرة العمر ، وزبدة الايام ، ووديعة التجارب. ولاعليك ان تستقصي النظر فى جميع ما حوى هذا الكتاب لانه كبستان يجمع الوان الزهر ، وكبحر يضم اصناف الدرر ، وكالدهر الذى ياتي بعجائب العبر » .

وفى عام ١٩٦٦ اتم الدكتور الكيلاني تحقيق الجزء الثاني من البصائر والذخائر وهو يقع فى مجلدين وفى ٩٥٠ صفحة من القطع المتوسط ، وفى عامي ١٩٦٧ — ١٩٦٨ اتم تحقيق الجزء الثالث وهو ايضا يقع فى مجلدين وفى ٧٢٧ صفحة . وفى عام ١٩٦٩ اتم تحقيق الجزء الرابع الذى استنفد ٣٥٤ صفحة وبذلك اتم تحقيق هذا الاثر النفيس الذى يقول عنه ان كتاب البصائر والذخائر درة متلالئة فى تاج التراث العربي القديم ، ذلك التراث الذى نفخر به ونعمل مخلصين على احيائه ■■

الفة الادلبي

---

(٤) هذا الكتاب حققه ايضا الأستاذ محمد ابن تاويت الطنجي ونشره المجمع العلمي العربي بدمشق .

(٥) اشتغل بهذا الكتاب ايضا الدكتور عبدالرزاق محيى الدين ونشر جزءه الاول ببغداد سنة ١٩٥٤ كما طبع ايضا فى القاهرة محققا .

وَحْدَةُ الله تتراءى فى وَحْدَةِ خَلْقِه



الشَّمْس أُمُّ الحَيَاة

■ ما بدأت اكتب في خلق الله ، حتى سألت نفسي : كم يعرف القارىء من خلق الله ؟ كم يعرف المدنيُّ من مخلوقات الله ؟

الرجل المدني يعرف القليل الأقل من مخلوقات الله

ان رجل المدينة ، الذى نشأ بها ، واقتصر عيشه وتجواله فيها ، يعرف القليل الأقل من مخلوقات الله . انه يعرف الكثير من بني الانسان ، وهؤلاء خلق واحد. ويعرف ما استأنس الانسان من حيوان ، من حيوانات تجرُّ الأثقال ، وحيوانات تحرث الأرض ، وحيوانات تألف البيت .

ومن الطير عرف العصفور . وكل طير صغير عند الرجل المدني عصفور . وعرف الغراب ، وعرف الحداة وعرف الصقر . وتسأله عن الفرق بين الحداة والصقر فلا يدرى . وعرف طيورا اخرى ، تأتي حينا وتختفي حينا ، لها اشكال ، ولها الوان ، وتسأله عنها فلا يكاد يعرف لها اسما ولا لها موطنا .

والسمك يعرف الرجل المدنى منه ما أكل . واغلب الظن انه عرفه طعما مطبوخا ، لا حيوانا حيا . وهو ما درى في البحر كيف هذا السمك يعيش .

والحشرات ، قلَّ علم الرجل المدني بها ، والمرأة المدنية ، بحكم أن المدينة

الشمسُ نجمٌ،
والأرضُ كوكبٌ،
وبينهما ٩٣ مليون ميل،
ورغم هذا البُعْد، رسمت الشمسُ
صُوَر الحياة واحدة على ظهر هذه الأرض

بقلم الدكتور أحمد زكي

تحدث من نشاط الحشر . فالطفل يعرف الذباب والبعوض ، ويعرف الصرصور والخنفساء ، ومن اطفال المدينة من لم ير البق عمره .

وجعلوا للرجل المدني، والمرأة المدنية، والطفل المدنيّ والطفلة ، حدائقَ جمعت بين شتى الحيوانات ، مما تيسر جمعه من شتيت الأصناف . ففى حدائق الحيوانات عرف الرجل المدني ما الأسد، وما النمر ، وما الفهد ، وما الذئب ، وما الفيل ، وما وحيد القرن ، وعرف صنوفا من الغزلان والوعل ، ورأى الثعابين صنوفا ، والعناكب انواعا ، والعقارب . ورأى الطير أحجاما والوانا. والأسماك رآها تسبح في ماء ووعاء أشبه ما يكون بمائها ووعائها في الطبيعة .

فهذا هو الرجل المدني ، رجل المدينة. رجل خرجت به الحياة الاصطناعية عن حياة الطبع ، فهو لم يمارس العيش حيوانا بين حيوانات .

ورجل القرية كم عرف من مخلوقات الله

ورجل الريف ، رجل القرية ، اقرب الى مخلوقات الله من رجل المدينة . وحتى على القلة مما يرى من الحيوانات، هو مارس العيش مع ما عنده منها ممارسة قريبة وثيقة ، وعرف منها بسبب ذلك ، لا اشكالا والوانا فحسب، ولكنه عرف حياتها في شتى وجوهها ، وعلى شتى درجاتها ، وحين تنشط وحين تهبط ، وعند الولادة وعند الموت .

والنبات الحيّ عرف منه القروى الشيء الكثير . انه حضر نبته ، وحضر نشأته ، وحضرَ ازهارهُ واثماره ، وحضر ما فعل الزمن به من خير ومن شر . ولعله بسبب ذلك كان القروى بالنبات أعرف ، ولظواهر الحياة فيه أفهم .

ما الذى نقصده بخلق اللــه

ومع هذا فالذى نقصــده في هــذه الدراسة بخلق الله ، ليس المخلوقات القليلة التى اطلع عليها الرجل المدني ، ولا المخلوقات الأكثر التى عرفها وألفها الرجل القروى، ولكن المخلوقات بجملتها التي بثهــا باثهــا في شتيت المنـاطق والأرجاء على ظهر هذه الأرض . مئات الألوف من الأنواع التى تنبض بالحيــاة فوق سطح الأرض ، او في جوف الماء ، او في جو من هواء . وعلى راسها جميعا انت وانا : راسُ الخلائق جميعا ، على ما نعرف ، الانسانُ .

احياء الأرض الى انقراض

الانســان ، منــذ تحضّرَ ، وكلمــا تحضّرَ ، باعد وبباعد بين نفسه وبين مخلوقات الله ، الاّ ما احتاج اليه منها لعيشــه ، أو لراحته او للهــوه ، والاّ ما فرضته هي عليه من اجناسها فلم يستطع منه خلاصا .

وكأني بالانسان قد ملأ الأرض من ذريته اعدادا ، وملأها حضارة ، فطارد بذلك اكثر حيوان البر ، واكثر نبـات البر، فان استبقى منهما شيئا ، فنماذج في حدائق ، هى متاحف حية ، تعرّف الخلف من أصناف الأحياء بما كان عرَّف السلف . وقد يسمع طفل بني النـاس بعد قرنين عن كثير مما يعرف الآن من صنوف حيوان ونبات ، ويسأل عنها ، فيقال له انها انقرضت ، الا نسخا حية احتفظوا بها حتى لا يضيع هذا العلم كله من الكون . والاّ صورا فوتغرافية زانوا بها حوائط متاحف للتاريخ الطبيعى، في هذه العاصمة ، او في تلك ، او في هذه الجامعة القريبــة ، أو تلـك الاخـرى البعيدة .

وعندما تقل أحياء الأرض ، تقل تبعا لذلك أحياء الهواء .

والبحار يحمى أحياءَها من تمـدد الانسان بمدنيته ، ماؤها . الا أن تسهل سكنى الماء ، وتؤلف ،وتريح ، وهيهات .

الحيــاة وسعت الأرض كلها ما تمهدت اسبابها

ان سطح الأرض يختلف بيئة. يختلف تربة ، فهى رمل ، وهى غرين ، وهـى صخر . ويختلف جوا ، فهـو حـار او بارد ، أو هو جاف او ماطر . وتبعا لذلك يختلف نوع النبات الذى ينمـو فيه . وتبعا لذلك يختلف نوع الحيوان الذى يعيش فيه .

ولكن ليست بيئةٌ أثرى بالذى بها من خلائق كالغاب في المنطقة الدافئــة . هناك الطبيعة عارية تفعل على سجيتها، لا عائق لها من أحد . الشجر الطويل الباسق ، والشجر الصغير المتقاصر ، والعشب المديد ، من انواع شتى ، كلها تتنافس في حيازة اكثر خط من اصـول الحياة . ومن الحيوانات أجناس شتى، هى الاخرى في صراع ، هادىء حينا ، وعنيف حينا ، ومن دم مسفوح حينا . وبين الأحيــاء الســاكنة ، والأحيـاء المتحركة ، توازنٌ في الكسب والخسارة يكاد يعطى المجتمع الغابى عمرا مديـدا وكيانا مستقرا .

وكالمجتمع الغابى المجتمع الصحراوى، فيه النبت ، وفيــه الزهر ، وفيـه الحيوان الحي . وكلٌ لبس للحيـاة هناك لبوسها ، فلا هى تضيق به ولا هو يضيق بها .

وكالمجتمـع الغـابى والصحراوى ، المجتمع الجبلى ، والمجتمع النهـرى ، والمجتمع البحري ، والبحار مجتمعات شتى تختلف عمقا وضحالة .

انه ما اجتمعت على الأرض اسباب الحياة ، في أى ركن من اركانها، او صقع من صقوعها ، علا أو انخفض ، ضـاق او اتسع ، احتر او برد ، الا ونشـأت هناك حياة . وهل أعجب من انه في



الغابة الرى البيئات ، بشتيت النباتات والحيوانات

اطراف جرينلندة ، عند الشمال من امريكا ، لا يكاد يبدأ الربيع حتى يخرج النبت من الأرض ، نافذا في الذى غطاه من ثلوج ، أعوادا من خضرة ، جريئة ، تنفذ من ثلج ابيض بارد . انها جراة الحيــاة .

خلائق اللــه
آلاف من اشكال
وآلاف من احجام
وآلاف من الوان
تاه فيها العقل البشري
حتى دخل يبحث فيها عن اشباه

امـا اختلاف الأشكال فيتمثل في الكلب ، والثعبان ، والبعوض ، ثلاثة لا يكاد يجمعها في الشكل جامع .

وامـا اختلاف الأحجـام فيتمثل في الفيل والبرغوث . ضخامة الى جانبها ضآلة ، وكل عرف السبيل الى العيش .

واما اختـلاف الالـوان فيتمثـل في صنوف الطير جميعا . واللون فيها بعض خصائصها .

وكما في الحيوان ،

فكذا الحال في النبات .

فالى جانب النبـات ذى السـاق القائمة ، تجد النبات ذا الساق المتسلقة ، او الأخرى طريحة الأرض الزاحفة . او تلك التى اختفت في تربة الارض فهى باطنة .

والى جانب شجرة الكافور الكبيرة تجد العشبة الخضراء الصغيرة .

والى جانب الخضـرة الضـاربة في النبات ، تجد الزهر قد خرج بألوانـه البديعة المختلفة ، تلك التى اوحت للانسان بمعان للجمال ، ظن انها معانيه ، وما هى الا معان من النبات بحكم العادة مقتبسة .

فهم الانسان الأشياء ، بدأ بتقسيمها

وحين بدأ الانسان ينظر في الأحياء ، ليفهم ، جرى على عادته يبحث بينها عن وجوه من الشبه ، ليقسّم . فالتقسيم هو الخطوة الأولى في الفهم اذا ازدحمت عليك الأعداد الكثيرة ، والأصناف العديدة التى يضيق الذهن عن استيعابها .

ومن اقدم من يذكر التاريخ في محاولة البحث عن أشباه في الأحياء ، رجاء التقسيم ، الفيلسوف الاغريقى الشهير، ارسطاليس (٣٨٤ ـ ٣٢٢ قبل الميلاد) وقسم النبات بناء على أشباه ، وضاع كتابه . وقسم الحيوان بناء على اشباه، ونزل الينا مع الزمان كتابه .

وهو احصى من الحيوان ما زاد على ٥٠٠ نوع.وقسمها الى قسمين اصليين، قسم ذىدم (أحمر) وقسم لا دم فيه . اما القسم الاول فضم الحيوانات ذات الثدي ، والطير ، والزواحف والأسماك. اما القسم الثاني فضم أنواعا من أحياء البحر الصدفية والحشرات .

وتبع ارسطو آخرون ، من الاغريق والرومان .

وللجاحظ كتاب في الحيوان .

ولقد ساعد هؤلاء المصنفين الأولين، أن عدد الأصناف كان من القلة بحيث يسهل تناوله .

ولكن بتوالي القرون ، اتسع علم الحيوان وعلم النبات ، اتساعا جعل من المئات المعروفة من الأحياء الوفا ، ومن الألوف مئات الوف .

حتى لبلغ عدد الأحياء اليوم ، من حيوان ومن نبات ، مليونا من الانواع فما فوقها ، زادت فيها انواع الحيوانات على أنواع النباتات .

والعلماء كل عام يبحثون ، وهم في ابحاثهم دائما يكشفون جديدا ، ولهم في كل عام ، من صنوف الأحياء بنوعيها ، حصيلة* منشورة .

وباتساع العلم تجددت طرق التقسيم ، واتسعت :

فالحياة اليوم مملكتان ، مملكة حيوان ، ومملكة نبات .

والمملكة تنقسم الى شعب. والشعبة Phylum الى طوائف . والطائفة Class الى رتب. والرتبة Order الى فصائل. والفصيلة Family الى اجناس . والجنس Genus ينقسم الى انواع Species .

واريد ان أضرب الأمثال ، من حيوان ونبات ، واخشى ان اضل ببعض القراء في متاهات لم يألفوها ، وأسماء غلبت الأسماء اللاتينية فيها .

واكتفى بان اضرب بالكلب مثلا . فهو في شعبة الفقريات من المملكة الحيوانية، لأن له سلسلة فقار في ظهره ، فهو في هذه الشعبة انضم الى امثاله . الى اشباهه ، وما اكثرها .

والكلب من بعد الشعبة يدخل في الطائفة ، وهو في طائفة الثدييات ، اى الحيوانات التي لها أثداء ، فهي ترضع ما تلد . فهو في هذه الشعبة انضم الى امثاله ، الى أشباهه في هذه الخاصة وحدها ، وما أكثرها أشباها .

والكلب من بعد الطائفة يدخل في الرتبة ، وهو في رتبة آكلات اللحوم .

والكلب من بعد الرتبة يدخل في الفصيلة ، وهو في فصيلة أشباه الكلاب Canidae ويدخل فيها الذئب والثعلب. وتجمعه واياهم كل ما سبق من رتبة وطائفة وشعبة . فهى اذن آكلة لحوم ، وهى ذات ثدى ، وهى ذات فقار .

وينتهى التقسيم بالكلب بأن يمثل نفسه ، ويمثل نوعه ، فهذا هو النوع . وتختلف صنوف الكلاب العادية، ويتفنن المربون في تربيتها ، وتبقى كلها نوعا واحدا ومع هذا أصالتها التى من أجلها سميت كلابا .

التقسيم بنى على اختلاف في الصفات عظيم ولكنه كشف في طياته عن تماثل في الصفات اعظم

وهذا أمر واضح .

فالتقسيم احتجنا له لنفرز هذه الأعداد الكثيرة ، البالغة الكثرة ، في حيوان ونبات ، الى اقسام . ولكل قسم صفة أو صفات هى واحدة في افراده جميعا . فالاقسام جميعا دليل التواحد

في الصفات . دليل التواحد في أساليب الخلق .

فالفقريات مثلا تشمل الانسان ، واكثر ما عرف من حيوان ، وتشمل الأسماك ، وتشمل الطيور ، وتشمل كل ذات ثدى . وكلها بنيت اجسامها على ان يكون عمادها سلسلة من فقار . تخطيط واحد في البناء شمل الجميع . فأى وحدة أوضح من هذه واشد قوة . .

والثدييات ، وما اكثرها ، وهى كل ما يلد ويرضع ، صُممت اجسامها بحيث تصنع غذاء ، هو ذلك السائل الأبيض الذى نسميه لبنا . وتصنعه اكمل غذاء . وصمم وليدها ليأتلف وليشبع بهذا الغذاء . فأى وحدة في الخلق أوضح من هذه واشد قوة . .

وسنعالج كل هذا في موضعه، لنقدّر مكانه بالتفصيل من الوحدة الكبرى .

فانما همنا الآن في تبيان اصول في الحياة، لا تشمل قسما من الحيوان دون قسم ، ولا قسما من النبات دون قسم (كوجوه الوحدة التى كشف لنا عنها تقسيم الأحياء) ولكنْ اصول تشمل الأحياء جميعا ، وتنظمها كلها في نظام واحد ، كما ينظم الخيط حبات العقد جميعا، وتدخل في نظام هذا العقد الفيل مع البرغوث ، وندخل ساق العشب الرفيعة الضئيلة مع الشجرة السنديانة الكبيرة العظيمة .

الغذاء
أصل الحياة الأول

انك لو بحثت عن شيء يقع في الصميم من الحياة ، ويقع في الخطو الأول من الحياة ، وتتمثل فيه حاجة الأحياء الأولى ، لم تجد كالغذاء أصلا .

تنظر الى الاغنام في المرعى فتجدها دائما ترعى. وهى ان توقفت فلتستريح. والنمل تجده يجد في الأرض ، رائحا غاديا ، وهو مشغول بالبحث عن طعام. والكلاب الضالة تدور ، وكذا القطط ، تبحث مع طلوع الفجر عن طعام . والطير لا يفتأ يحط على الشجر وعلى الأرض ، ويرتفع ، واكبر غايته الحَب طعاما . والأسماك تمخر الماء تطلب رزقها . والانسان يعمل ويعرق ، وغايته الرزق، واول الرزق الطعام . حتى الفلاسفة اهل الفكر ، يجوعون ، فيطلبون الطعام.

ما حيوان ، صغر او كبر ، عظم او حقر ، الا والطعام اول مطلبه . فاذا هو أكل فقد يتوجه بعد ذلك الى مطالب اخرى .

والحيوان كله ، صُمم خلقه بحيث لا يأكل الا النبات . ثمره ، وورقه ، وحتى خشبه . أو هو يأكل حيوانا آخر بنى جسمه من نبات .

عالم الحيوان ، صمّمه مصمّمه ، ليعيش على عالم النبات . وليس عالم من حيوان ، الا سبقه ، وصحبه ، عالم من نبات . وهذا معنى من معانى الوحدة كبير .

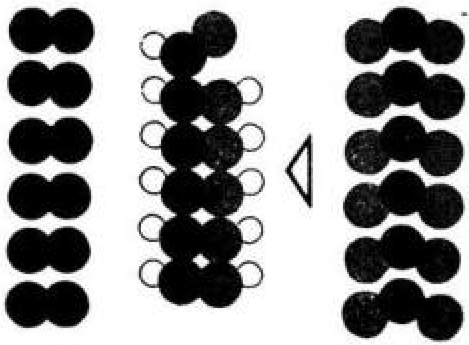
واذن يأتى السؤال مندفعا : فكيف يأتى النبات بغذائه ؟ . كيف يأتي النبات بالغذاء الذي يبنى به نفسه ، ويكوّن به جرمه ، ويخرج به من جرمه حبا وثمرا ، ليأكل الحيوان ؟

والجواب : ان النبات يجمع بين الماء (وشيء من أملاح ذائبة فيه)، وغاز في الهواء هو اكسيد الكربون ، ويصنع منهما ما شاء من غذاء . من سكر أولا ، ثم من بعد السكر سائر ما كشف دارس الكيمياء من مركبات هى الأطعمة ، ومنها البروتينات ومنها الدهون .

ولكن هذا الصنع يشترط شيئين : المادة الخضراء التى هى في النبات ، ونسميها اليخضور Chlorophyll ، وأشعة الشمس الساقطة عليه . ويقوم بهذا في الشجر ورقه الأخضر .

ان اليخضور لا يدخل في تركيب السكر الحادث ، ولكن تدخله اشعة الشمس .

ان صانع الملابس يجمع بين قطع



يمثل هذا الرسم التخليق الضوئي . وهو يتم بتفاعل ٦ جزيئات من الماء (بجزيء الماء ذرة اكسجين متحدة بذرتين من الادرجين) ، مع ٦ جزيئات من ثاني اكسيد الكربون (وبجزيئه ذرة من الكربون متحدة بذرتين من الاكسجين) ، يضاف اليهما ضوء الشمس ، في حضرة صبغ النبات الأخضر (اليخضور) فينتج من ذلك ذرة واحدة من السكر (سكر الجلوكوز او العنب وبجزيئه ٦ ذرات كربون) ، ومعها ستة جزيئات من الاكسجين (وبجزيء الاكسجين ذرتان) . وذرة الكربون سوداء . وذرة الادروجين رمادية . وذرة الاكسجين بيضاء .

وكل هذا واضح في الرسم .

وقد أحصى العلماء فوجدوا ان نباتات الارض تنتج كل يوم نحو ..، مليون طن من الكربوادراتات (النشويات والسكريات وهما طائفة واحدة) والبروتينات (مادة اللحم) والدهون (الشحوم) .

القماش ليربطها معا لتكون لباسا . ولكن لا بد له من ابرة وخيط . ففي صناعة الطعام في الورق الأخضر تقوم اشعة الشمس تجمع بين ذرات اكسيد الكربون ، وذرات الماء على اسلوب اشبه بما يصنع الخيط في قِطَع الملابس . انه يضمها ويبقى فيها . أما الابرة ، اليخضور ، فتنسل لتقوم بخياطة جديدة ، بالجمع بين ذرات جدد تصنع منها سكرا جديدا . تشبيه لتقريب الفهم لا صلة له بواقع الحقيقة .

اما فهم واقع الحقيقة فيتصل بفهم الذرات الكيماوية والمركبات ، وما فيها من طاقات . ثم ما في الشمس من أشعة هي الأخرى طاقات . ويقول العلماء في التعبير عما حدث في الأوراق ان اكسيد الكربون وهو قليل الطاقة الكيماوية ، والماء وهو الآخر قليل الطاقة الكيماوية نسبيا ، تحركت ذراتهما وتفاصلت ثم ترابطت فيما بينها ترابطا جديدا هو ذلك الذى نجده في ترابط ذرات السكر . فكان السكر ، وقد احتوى طاقة كيماوية اكبر مما في اكسيد الكربون والماء مجتمعين . فمن اين جاءته الزيادة في الطاقة ؟ جاءته من الشمس . طاقة اشعاع تحولت الى طاقة كيمياء (١) .

اما ان السكر به طاقة فوق طاقة الماء واكسيد الكربون ، فدليل ذلك يظهر عند حرقه حرقا علميا كاملا في المختبرات . يحرق السكر في كثرة من الهواء ، فيعود عند تمام الحرق الى اكسيد كربون وماء ، ومعهما حرارة منبعثة كثيرة فيها تتمثل زيادة الطاقة التى اضافتها الشمس .

الشمس ام الحياة على ظهر هذه الأرض

ان المركبات الكيماوية التى تبدأ الأوراق الخضراء بتخليقها ، اعنى السكر ، ثم هى تحولها الى مركبات أزوتية (بروتينات) باضافة ما في املاح الأرض من آزوت ، ثم الى دهون ، هذه الثلاثة هي غذاء النبات أولا . ومنه يتخذ الحيوان غذاءه .

ولولا الشمس ما كان شيء منها .

ولولا الشمس ما كان للنبات وجود .

ولولا النبات ما كان للحيوان وجود .

فالشمس اذن أم الحياة على هذه الأرض .

---

(١) راجع مقالنا عن الطاقات في « العربي » بالعدد ١١١ فبراير ١٩٦٨ .

وفيه تجد كيف تتحول الطاقات بعضها الى بعض فالكهرباء الى حرارة . والحرارة الى حركة والطاقة الكيماوية الى طاقة كهربائية ، اوالى طاقة حرارية . الى آخر ما هنالك .

واذا نحن نصرنا الى كل هذا من حيث التخطيط للحياة على سطح الأرض ، نجد ان الذى خطط لها ، ربط بين كل الاحياء ، بكل صنوفها التي زادت على المليون عددا ، وبكل الأعداد التي احتواها كل صنف منها ، من نباتات وحيوانات ، وربط كل هذه الأحياء بالشمس .

انه لم يربطها ، في هذا الصدد الذى نحن فيه ، بشيء على سطح الأرض .

انه ربطها بشيء في السماء يبعد عن الأرض بمقدار ٩٣٠٠٠٠٠٠ ميل .

انه ربط الحياة على الأرض ، التي هى كوكب ، بنجم في السماء ، ذلك هو الشمس .

ان المخطّط استطاع ان يربط بين الاثنين وهما على هذا البعد . فهو مخطّط ارض وسماء . انه مخطّطٌ كونيٌ .

وعملية التمثيل الضوئي هذه Photosynthesis ، التي يتكون بها في أشعة الشمس غذاء النبات ، فغذاء الحيوان، تلك التي قد نسميها بالتخليق اليخضوري ، عملية حاول علماء من بنى الناس الى اليوم ان يفهموها فهما يذهب الى أغوارها ، فعجزوا . وحاولوا ان يقلدوها ، في سهولتها ، وفي صمتها ، فما أفلحوا .

مخطّط هذه الخلائق ، والمخطط لها، اذن ليس واسع المدى بالذى جمع بين هذا الكوكب الأرضي والشمس، فحسب، ولكنه كذلك هو واسع العلم ، بارع الصّنعة، الى اقصى المدى. وما الصّنعة الا التكنية التي يتحدث عنها الأحدثون.

ولا يمكن لعاقل ان يقول انها صدفة وقعت ، فكان هذا الربط . فقد عرف العلماء مما درسوا ان هذه الظاهرة أعقد في الفكر ، وأوغل في العلم ، واعصى في الفهم ، من ان تكون حادثا صدَف .

ما الحياة

وهل فرغنا بعد كل هذا من قصة الغذاء، بعد ان ربطنا بينه وبين الشمس، وربطنا عبره ، بين الشمس وخلائق هذه الأرض ؟

والجواب : اننا لم نفرغ . فقصة الغذاء تمتد الى صوُر يتحول اليها الغذاء في اجسام هذه المخلوقات كلها ، وسنجد انها صور متشابهة في ظل الوحدة ، تقوم بها اجهزة ، مركّبةٌ حينا ، وبسيطةٌ حينا ، ولكنها متماثلة الأصول في ظل الوحدة دائما . وستنتهى القصة بقصة الحياة .

وعندئذ نسأل ما الحياة ؟

والجواب : ان الحياة تستَمد من الغذاء ، والغذاء مستمَدٌ من طاقة (هى طاقة الشمس) . والغذاء نفسه طاقة (طاقة كيماوية) . وهو يعطى اجسام المخلوقات الحركة (وهى طاقة حركية)، وهو يعطيها الدفء (وهو طاقة حرارية)، ويعطيها البصر والسمع والشم ومن احاسيس أدنى (وهى تتضمن طاقات كهربائية) ، ويعطى الخلائق الفكر ، والفكر طاقة تزيد وتنقص حتى تكاد تمحى . وهذه كلها ظواهر الحياة .

ونعود نسأل ما الحياة ؟

ونجيب بانها تتألف من هذه الطاقات.

ونعود نسأل ما الطاقات ؟

ونجيب بأنها كالحياة ، أشياء نعرفها حسا ، ونعيشها واقعا ، وتتعمّى علينا كنهاً .

ويكفينا منها انها ظواهر واحدة ، ينسجها منوال واحد . وهذا المنوال ينسج الحياة للانسان ، وهو على رأس الخليقة ، وبنفس الأسلوب ينسجها للأميبة ، ذات الخلية الواحدة ، في أوطأ درجات الخلق .

●●

احمد زكي

في سبيل
موسوعة
علمية

الألوان

ازدان الصخر باللون ، فكانت الأحجار الثمينة ،

وازدان الزهر والثمر باللون ، فكان من ذلك جمال الطبيعة .

وابتدع الإنسان الفن ، فكان اللون أصرخ ما فيه .

■ انت ترى دقيق القمح ، او دقيق الذرة ، او الأرز ، او لعلك ترى الجبن واللبن ، وتريد أن تصف لونها ، فتقول انه اللون الأبيض .

وانت ترى سحيق الفحم ، او قطران الزيت ، أو شعر بعض بني الانسان وهو ملء راسه ، فتقول : هذا اللون الأسود .

وتخلط دقيق قمح أبيض ، بدقيق فحم اسود ، فينتج لديك لون هو بين البياض والسواد ، هو اللون الرمادى ، وهو درجات ، يكثر بياضها او يكثر سوادها .

فهذه هي الألوان التي يتألف منها بياض النهار وسواد الليل ، وما بينهما .

وتجوب سطح الأرض تبحث فى صخورها ، فتتكشف لك صخورها عن الوان شتى . وتزدهر هذه الألوان ازدهارا حتى ليصبح الصخر حجرا ثمينا ، فيكون منه الياقوت ، والزمرد والزبرجد وما اليها . وتجوب زرع الأرض فتجد اللون الأخضر غالبا . وتخرج الثمار ، وتخرج الأزهار ، بالالوان الشتى . فالخيار أخضر ، والموز اصفر ، والورد احمر واصفر . وكما فى الزرع ففي كل كائن آخر حي .. فى الحشرات ، وفى سائر الحيوانات ، وفى الأسماك ، وفى الطيور خاصة .

ان الطبيعة فى شتى مناشطها على

ألوانُ الطيف ، غيرُ ألوان الأصباغ .
الأولى تمتزج بالجمع ، والثانية بالطرح .
وتجمع من الأولى أصول اللون فيها ،
فتُعطيك البياض . وتَجمع من الثانية
أصول اللون فيها ، فتُعطيك السواد .

من الألوان ما ترتاح إليه الأنفس ،
ومن الألوان ما به تضطرب وتهتاج ،
والأزرق هادئ بارد ، والأحمر ثائر ملتهب .

سطح هذه الأرض ، وشتى مخلوقاتها ، انتجت من الالوان ما عجز جرم سماوى آخر ، كالقمر ، أن ينتجه .. ان القمر لا حياة فيه ، فامتنعت عليه الوان لا ينتجها الا النبت ، والا ما يعيش على النبت من احياء .

وفى سماء الأرض زرقة ، ليست فى سماء القمر .

ولم يقنع الانسان بالذى نتج فى الأرض المَوات من لون ، ولا بالذى لبسته وازدانت به سائر الأحياء ، فراح بالعلم ، وبالكيمياء خاصة ، يصنع اللون ، فصنع منه آلافا . فزين البيوت، وزين أثاثها ، وزين ملابس سكانها . وبعلم الزهور اصطنع للحدائق الوانا جديدة لم يعرفها النبات وحده ، حتى أصبح الانسان يعيش عيشا ، اللون بعض أصوله .

وابتدع الانسان الفن ، فكان اللون أصرخ ما فيه . وتوارث الانسان الفن صورا رائعة ، تصور حياة الناس على هذه الأرض . ريشات حملت من رقعة الالوان الصبغ الأصفر والأحمر والأخضر ، وبسطته على لوحات من خيش ، فخلقت من كل ذلك ما ابكى حينا ، وما أضحك حينا ، وما سكت الناظر أمامه عن ضحك وعن بكاء ، حالما ، ساهما ، يحاول أن يستكنه الحركات النفسية الدفينة فى هذه الصور الرائعة .

العربي : العدد ١٢٥ فبراير ١٩٧٠

اللـــون
كان شيئا مبهما
ثم تكشف

عرف القدماء اللون ، لا شك فى هذا . ولكن كيف فهموه ؟ وكيف فسروه ؟ .

ان التاريخ يقول انهم فهموا اللون على انه خصيصة من خصائص الجسم ، فالجسم الأحمر احمر لان فيه الحمرة ، والاصفر اصفر لأن فيه الصفرة . فكان الحمرة والصفرة شيئان يخرجان من الأجسام .

وهذا القول تضمن شيئا ليس بالحق كله ، ولا هو بنصف الحق ، ولكنه يشبه بعض الحق . ويتراءى ذلك مما نذكر عن كيف فهم اللون الأحدثون .

ان فهم اللون يرتبط ارتباطا وثيقا بفهم الضوء ، وضوء الشمس خاصة .

ولا شك انه كان قد اتيح للانسان القديم ان يفهم ان الضوء الأبيض ، شيء مركب . انه عرف الزجاج ، وهو لا شك راي النور يخرج أحيانا من اطرافه المشطوفة ، وهو شيء ملون . يخرج لا لونا أبيض ، ولكن ألوانا .

وكذا فقاعات الصابون تراءت له فى النور ، وكأنها مصدر لألوان عدة .

وقوس قزح ، هذا الذى يظهر فى السماء من بعد مطر ، هذا ظهر للناس من قديم ، وظهرت فيه الوان هي كالألوان التي عرفها الأحدثون ، وعرفوا أن اللون الأبيض ينحل اليها .

وتنبه لقوس قزح الفيلسوف العالم الفرنسي ديكارت Decartes فكان أول من أعطى الفكرة لأوروبا أن لون الشمس الأبيض نفذ من قوس قزح ، وهو قطرات من ماء ، منحلا الى ما راى الناس منه من الوان .

تحليل الضوء الأبيض الى الوانه

حتى اذا جاء العالم الانجليزى نيوتن



نيوتن

الذى حلل ضوء الشمس الى الوان الطيف ثم ضم الوان الطيف بعضا الى بعض وردها جميعا الى اللون الابيض .

Isaac Neuton ، فى عام ١٦٦٦ م ، قام بالتجارب التي حسمت الأمر كله . فهو أقام فى حجرة مظلمة منشورا مثلث القاعدة من زجاج ، ومن خرق فى نافذة الحجرة ادخل اليها شعاعا رقيقا من نور الشمس ، بحيث وقع هذا الشعاع على وجه من وجوه المنشور الثلاثي الثلاثة موازيا لقوائم المنشور . ونفذ الشعاع في الزجاج ، في هذا الوجه منه ، وخرج من الزجاج من الوجه المجاور . فرمى نيوتن بالشعاع الخارج على حاجز ، فاذا هو يرى على هذا الحاجز بدل الضوء الأبيض اضواء عدة ، هي الطيف الذى نعرفه اليوم . واخترنا منه أظهر الوانه الينا ، فقلنا انه يحتوى سبعة ألوان : الأحمر ، فالبرتقالي ، فالأصفر ، فالأخضر ، فالأزرق ، فالنيلي ، فالبنفسجي .

ولم يكن نيوتن بالصاحب الأول لفكرة ان ضوء الشمس الأبيض مركب من اضواء ذات الوان . ولكنه عاد فأمر

هذه الأضواء الملونة فى مناشير من زجاج، رجاء حلها الى ما هو ابسط ، فلم تنحل . فاذن هي « عناصر » الضوء . ثم هو عاد ، وجمع اضواء الطيف هذه ، وامرّها فى المناشير عكسا ، فاذا بها تتحد ولا تنتج الا الضوء الابيض الذى منه تولدت .

فلعل هذا هو الجديد الأخطر الذى صنعه نيوتن .

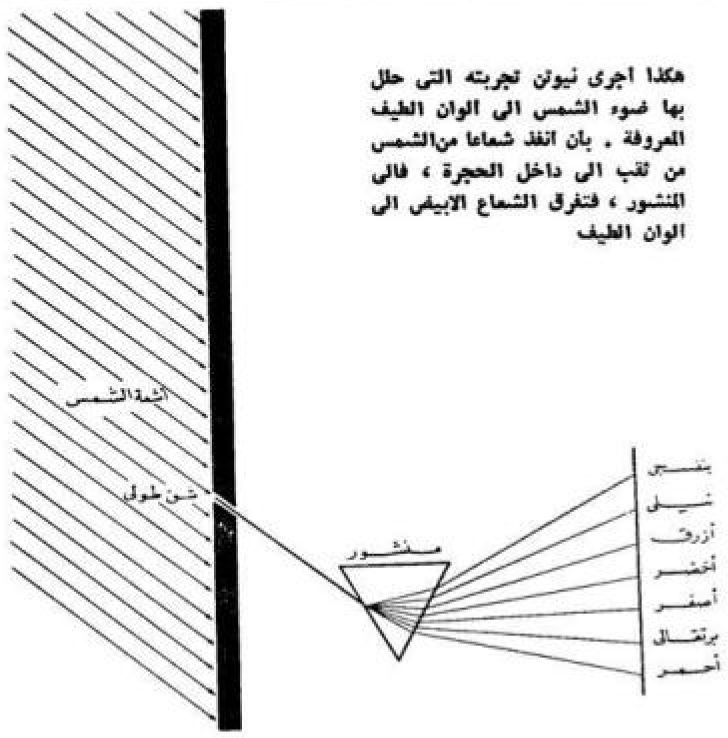
ان الظاهرة هذه ، هي فى علم الضوء ، ظاهرة « انكسار » أشعة. وهي انكسرت عندما نفذت في سطح الزجاج الأول ، ثم عادت تنكسر عند خروجها من سطح الزجاج الآخر (وهو يصنع زاوية مقدارها ٦٠ درجة مع سطح الزجاج الأول) . ولكن كان انكسار الأشعة البنفسجية أكثر ، فحدث تفريق هذه الأشعة بعضا عن بعض . فكان الطيف .

وتسمى هذه الألوان التي تفرّق اليها ضوء الشمس بطيف الشمس .

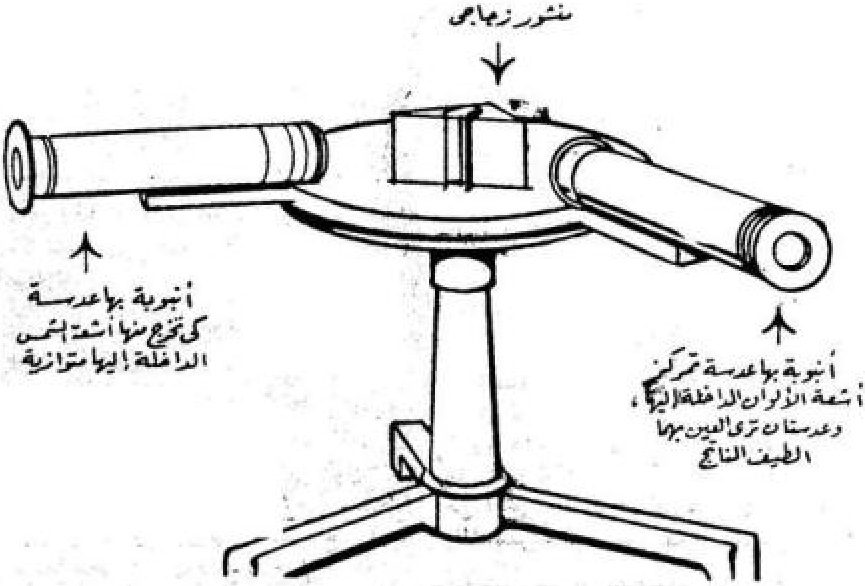
تفسير الألوان بعد ظهور الطيف

اتضحت بعد ذلك طبيعة الألوان .

فأولا اصل الالوان التي نراها ، هو ضوء هذه الشمس ، فلولا هذا الضوء ما رأينا لونا . واجمعْ أنت ما تشاء من ازهى المواد الوانا ، وتمتع بمرآها بالشمس ، ثم ادخل بها جميعا الى حجرة



هكذا اجرى نيوتن تجربته التى حلل بها ضوء الشمس الى الوان الطيف المعروفة . بان انفذ شعاعا من الشمس من ثقب الى داخل الحجرة ، فالى المنشور ، فتفرق الشعاع الابيض الى الوان الطيف



المطياف ، وهو جهاز تدخل فيه أشعة الشمس البيضاء عبر الاسطوانة التى على اليسار ، وتخرج منها متوازية وتمر بالمنشور الزجاجي فتتفرق الأشعة فيه ، وتدخل الانبوبة الثانية ، ويراها الناظر عبر عدساتها الوانا مختلفة.

مظلمة ، وانظر الى الوانها ، وعندئذ لن تجد فيها الا سوادا .

فما حقيقة اللون الاحمر في جسم احمر ، كالدم ، اذن ؟.

ان الدم جسم شرب من ضوء الشمس ، وامتص من الوان طيفه ما امتص ، الا الاحمر ، فهو اخرجه ، او كما تقول عكسه الينا ، فرأيناه لونا احمر .

وما الذى جرى للذى امتصه من الوان ؟ ان الضوء من اى نوع ، طاقة من الطاقات ، فهذه الأضواء الملونة التي امتصها الجسم تحولت الى طاقة من نوع آخر : الى حرارة (راجع مقالنا عن الطاقات في العدد ١١١ فبراير ١٩٦٨).

وكذا الجسم الاصفر امتص من الوان الطيف ما امتص ، وابقى على الاصفر .

والأزرق امتص ما امتص الا الأزرق .

وهلم جرا .

ولكن ما الذى يؤهل الجسم لامتصاص الوان دون الوان ، سواء امتصها كاملة أو امتصها بعضا ؟ .

انه تركيبه الكيماوى الذى يؤهله لامتصاص ما يمتصه ، ويؤهله لرد ما لم يمتص من أشعة فهو يعكسها الى عين الناظر .

واذن صدق بعض ظن القدماء : ان اللون مرتبط بالجسم ، ولكن فقط من حيث انه يتقبل ضوء الشمس ، فيحبس منه ما يتفق وتركيبه ، ويطلق سائره .

الوان الطيف والوان الأصباغ

ضوء الشمس الأبيض ينحل ، كما حله نيوتن ، الى الوان ، هي الوان الطيف . طيف الشمس . وهي شعاعات ذات لون ، لا جرم لها ولا وزن .

اما الأصباغ فمواد ذات الوان ، بها

تصبغ الاشياء . مواد لها جرم ولها وزن .

ونقول ان الاصباغ مواد ذات الوان . وهذا تعبير فى العلم غير دقيق . انما الدقيق أن نقول انها مواد من شأنها اذا وقع عليها ضوء الشمس ، عكست من طيفها اللون الذى به عرفت .

والأصباغ غالبا نوعان : نوع يستخدم في دهان الحوائط والأثاث والمعادن والأخشاب ، ونوع تصبغ به الأقمشة والملابس .

أدهنة الحوائط

أما النوع الأول من الاصباغ Pigments فهو غالبا ما يكون مادة كيماوية بسيطة ، كسخام الفحم ، أو اكسيد الحديد الاحمر ، أو اكسيد الكوبلت الأزرق ، أو كبرتيد الكدميوم الاصفر ، أو كبريتات الرصاص الابيض، أو هو صبغ يتكون من خلط هذه الألوان بعضها ببعض .

والصبغ فى هذه الحالة يمزج بزيت سريع الجفاف فى الجو كزيت الكتان ، فاذا دهن به الحائط أو الباب فما أسرع ما يجف . وهو عندئذ يتألف من طبقة من الزيت قد انتشر فيها الصبغ دقائق صغيرة ملونة ، يقع عليها الضوء ، كضوء الشمس مثلا ، فتمتص منه ألوان الطيف ، الا لونها ، وهي تعكسه الى عين الناظر .

وهذا هو النوع الأول من الأصباغ .

أصباغ الملابس

أما النوع الثاني من الأصباغ فهو الذى تصبغ به الأنسجة والثياب Dyes . وقد كانت تصبغ قديما بأصباغ تستخرج من النبات ، كالنيلة الزرقاء مثلا . ثم اهتدى الكيماويون الى تخليق هذه الأصباغ من قطران الفحم الحجرى، حتى بلغ ما خلقوه منها عشرات الالوف ، يستخرج منها الآن فى الصناعة آلاف .

والصبغ من النوع الأول ، دهان الحائط مثلا ، يلتصق بالحائط التصاقا . اما الصبغ من هذا النوع الثاني ، صبغ القماش ، فتصل بين جزيئاته الكيماوية ، وجزيئات القماش ، روابط كيماوية . وهو مع هذا كصبغ الحائط ، يقع عليه الضوء ، كضوء الشمس مثلا ، فيمتص منه الوان الطيف الا لونه ، فهو يعكسه الى عين الناظر .

طيف الأصباغ

ذكرنا أن الأصباغ مواد يصبغ بها الحائط ونحوه ، أو أصباغ تصبغ بها الملابس ونحوها .

وتنظر للصبغ فتقول انه احمر . ولآخر فتقول انه أخضر .

وقد يتطرق الى الذهن مما ذكرنا ، ان الصبغ يمتص كل الوان طيف الشمس التى تقع عليه فيمتصها جميعا، الا الأحمر فى المثل الأول ، والا الأخضر فى المثل الثاني .

فان تطرق هذا الى الذهن ، فهذا فهم غير صحيح ، وقع بسبب تعبير غير دقيق ، فنحن لم نقل « كل » الوان الطيف . ولم نقل يمتصها « جميعا » .

والجواب الصحيح نأتي به من دراسة الصبغ الشهير المعروف بالأخضر الزمردى Emerald Green فهذا الصبغ سميناه كما رأيناه أخضر .

ولكن بالكشف بأجهزة الطيف فى المختبر عما يعكس من أشعة ، بعد أن يمتص من طيف الشمس ما يمتص . نجد أنه يعكس اللون الطيفي الأخضر قويا ، ولكنه يعكس كذلك من سائر طيف الشمس ، من على يمين اللون الأخضر ، ومن على يساره ، مقادير ، تأخذ تقل حتى تمحى . انه يعكس الوانا رأسها الأكبر هو الأخضر .

ومن الأصباغ ما يكون له فيما يعكس

من اشعة الراس راسان كبيران . ومثل ذلك الأصباغ الأرجوانية ، فلها غالبا راس عند طرف الطيف الأحمر ، وآخر عند طرف الطيف البنفسجي .

خلط الوان الطيف غير خلط الألوان في الأصباغ

والسبب في هذا الخلاف ان الوان الطيف اشعة ، فاذا وصل شعاعان منها ، ذا لونين مختلفين ، الى العين ، أحست بهما مجموعين معا ، في لون واحد . انهما يعملان بالجمع ، بالاضافة . ولا يضيع من ايهما شيء .

اما الصبغ فمادة تمتص من اشعة الطيف ما تمتص ، وتعكس شعاع اللون الغالب ، وهو الذي يتراءى لنا احمر او اخضر حسب الصبغ المعطى لنا .

المهم هنا ان الصبغ يمتص . فاذا خلطت به صبغا آخر ، تعاون الاثنان على امتصاص . فالذي يتركه الاول فلا يمتصه ، قد يمتصه الثاني . واذن قد نخرج من الجمع بين الصبغين على صبغ اسود ، قد امتص كل الوان الضوء .

وقد ذكرنا ان نيوتن جمع الوان طيف الشمس ، فردها عبر منشوره الثلاثي ، فأنتج منها الضوء الأبيض مرة أخرى . ونحن ، لو جمعنا هذه الألوان ، اصباغا بدل اشعة ، لما نتج عنها شيء غير السواد . لأن بعضها يمتص ما يعكسه البعض . انهما يعملان بالنقص . بالطرح . قد يطرح احدهما ما استبقاه الآخر .

ومن الخطأ الشائع قول نسمعه من الطباعين للألوان ، وغيرهم . فهم يحدثونك ، فيقولون ان اللون الأصفر تخلطه باللون الأزرق فينتج لك اللون الأخضر . وهم يعنون خلط صبغ بصبغ . وهذا يوحي أن الأخضر ناتج بالجمع . والواقع انه ناتج بالطرح ، ولا علاقة له بالأصفر ولا بالأزرق . ذلك ان الصبغ الأصفر والصبغ الأزرق اللذين يذكران ، يمتصان معا كل اشعة الطيف ، ويبقى الأخضر لم يمس . فهما لم يصنعا الأخضر ، وانما تركاه ينعكس الى العين .

وبما ان علم الأصباغ ، لا سيما تلك التي تصبغ الأقمشة ، علم له خطر في الاقتصاد والصناعة كبير ، لهذا درس العلماء الأصباغ دراسة طيفية مستفيضة ، فعرفوا ما يمتص الصبغ من اشعة الطيف ، وما يعكس . (ولا يكاد يوجد في الأصباغ صبغ حاسم كل الحسم في مصه للألوان وعكسه لها) ووصفوا انتجة هذه الدراسات في جداول يستعينون بها ، اذا ارادوا لونا بذاته ، على خلط تلك الأصباغ التي تؤلف اللون المطلوب اقرب ما يكون . انهم يخلطون اول الأمر اطيافا ، فاذا وقعوا على اللون الذي يريدون ، نظروا لمن كانت هذه الأطياف التي خلطوها . وخرجوا بالأصباغ التي يخلطون .

الوان الأشياء في غير ضوء الشمس

تعودنا ان نسمى الوان الأشياء بما نرى منها في ضياء الشمس ، ولكن في الليل توجد اضواء اصطناعية لها اطياف غير طيف الشمس فهي تختلف عنه كما وكيفا .

ومن اضواء الزينة ما يكاد ان لا يعطي من الوان الطيف سوى لون واحد ، فتظهر فيه الوان الأشياء على غير ما تعودنا في ضوء الشمس .

مثال ذلك أن رباط الرقبة الأحمر يظل يتراءى أحمر في الضوء الأحمر ، ولكن اذا دخلت به في الضوء الأزرق لم تر منه الا سوادا . ذلك لأنه يمتص الضوء الأزرق ، واذن لا يكون لديه ما يعكسه .

حتى وجه الانسان ، ولون جلده ، قد يظهر غريباق بعض الأضواء الحديثة.

وانت عندما تشترى شيئا من محل تجارة ، ثوبا ملونا مثلا ، تخرج به الى نور الشمس لتستيقن من لونه .

ومن أجل هذا عمل الكثير من التجار الى اضاءة محلاتهم بمصابيح تعطى ضوءا هو اقرب ما يكون من ضوء الشمس ، اى ان طيفه اقرب ما يكون من طيف الشمس ، عدد الوان وشدة الوان .

الالوان الاولية والالوان الثانوية

ان المشتغلين بالالوان يصفون بعضها بأنها الوان أولية وبعضها بأنها الوان ثانوية .

وانت اذا نظرت الى الشكل رقم ١ بالصفحة ٣٦ وجدت ثلاثة الوان في ثلاث دوائر ، هي الاحمر ، فالاصفر ، فالازرق .

فهذه هي الالوان الاولية ، وسموها اولية لأنها لا تنتج من مزج الوان غيرها .

ولكنا اذا مزجنا صبغا لونه احمر بآخر لونه اصفر نتج عن ذلك برتقالي .

واذا مزجنا صبغا اصفر بآخر ازرق نتج عن ذلك لون أخضر .

واذا مزجنا صبغا ازرق بصبغ احمر نتج عن ذلك لون ارجواني .

وهذه الالوان الثلاثة الناتجة ، اى البرتقالي ، فالاحمر ، فالارجوانى ، يطلق عليها الوان ثانوية ، لأنها نتجت من خلط لونين اوليين .

ونحن اذا جمعنا اصباغا ثلاثة، احمر واصفر وازرق ، نتج عنها لون اسود ، وذلك لأن هذه الاصباغ تعمل بامتصاص الوان الطيف، فاذا مزجنا الالوان الثلاثة الاولية ، امتصت الوان اخواتها . ونقول عندئذ ان الالوان تعادلت فنفى بعضها بعضا .وقد ينتج من هذا التعادل لون ليس بالاسود تماما . لون رمادى او بني. وما ذاك الا لأن الالوان المتعادلة لم تكن بقوة واحدة كافية ينفي بعضها بعضا .

كم لونا في طيف الشمس ؟

من الناس من ينظر الى طيف الشمس ، مهما كان مأتاه ، ولو كان قوس قزح ، فيتبين فيه الوانا سبعة ، هي على الترتيب الأحمر فالبرتقالي ، فالأصفر ، فالأخضر ، فالأزرق ، فالنيلي ، فالبنفسجي . ومنهم من يختصر النيلي ، فيما بين الأزرق والبنفسجي ، فلا يرى الا ستة الوان .

والحق ان بالطيف من الألوان آلافا ، لا تدرك الأعين الانسانية الفروق التي بينها ، ولكن تدركها الآلات الخاصة بذلك .

اما العين الانسانية فتستطيع أن تتصور بين كل لونين متجاورين من الوان الطيف الوانا ثانوية تزيد فى مقدارها ، باختلاف الشخص الناظر . وقد قدروا ان الرجل العادى يستطيع أن يتبين فروقا بين الوان الطيف تبلغ به الى ٤٠ لونا . ثم تنبهم عليه بعد ذلك الفروق .

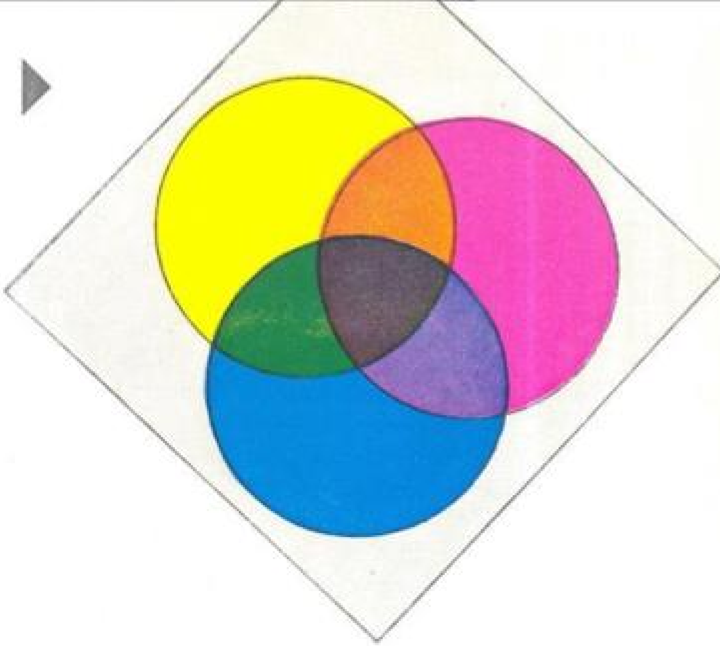
كيف تميز عين الانسان الألوان

ان عين الانسان اذا جاءها شعاعان ، مختلفا اللون ، فى آن واحد ، لم تر الا لونا واحدا ، هو مجموع اللونين معا .

ولكن احساس العين بلون ما قد يتأدى اليها عن طريقين مختلفين . مثال ذلك : ان اللون الأبيض قد يتأدى اليها بأن ترسل اليها اللون الأحمر مع الأزرق مع الأخضر ، او بأن ترسل اليها لونين متكاملين Complementary مثل الأزرق مع الأصفر . فهذا معنى اللونين المتكاملين .

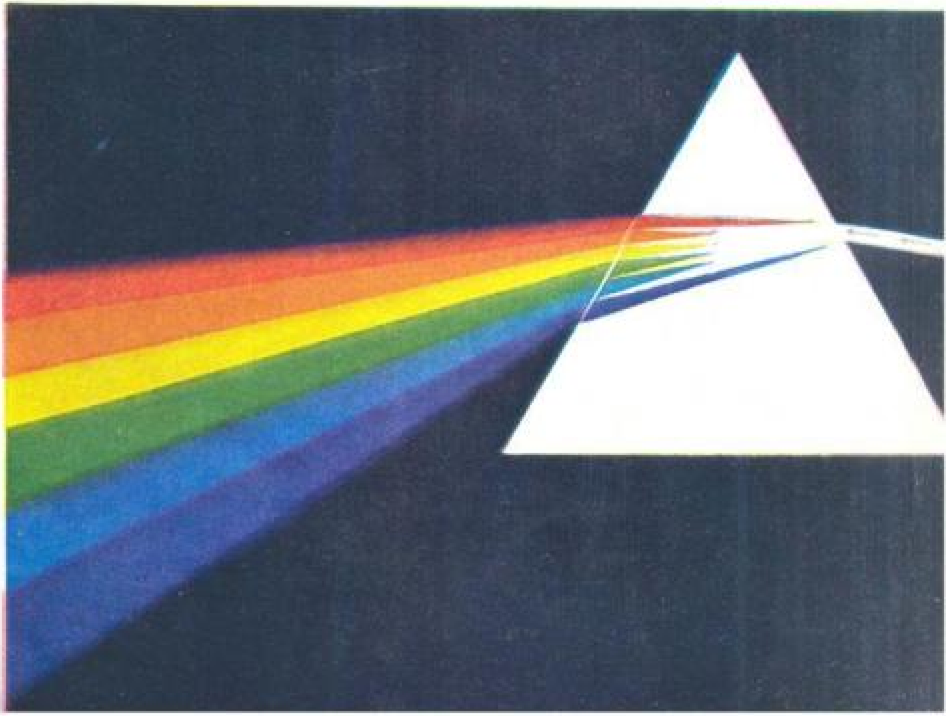
(شكل ١)

الالوان الثلاثة الاولية للاصباغ وهى الاصفر والاحمر والازرق ، يخلط اللونان منها فينتجان الاخضر او البرتقالى او الارجوانى ، واذا خلطت الثلاثة خرج منها لون اسود ، الا اذا لم تتساو النسب المطلوبة لظهور السواد ، فيظهر مكانه اللون البني عند زيادة الصفرة ، او اللون الرمادى عند غلبة البياض .



(شكل ٢)

المنشور الزجاجي ، وقد سقطت عليه اشعة الشمس البيضاء ، وهى مؤلفة من الوان كثيرة انكسرت داخل الزجاج على درجات مختلفة ، وخرجت هكذا على زوايا مختلفة فتفرقت وبسقوطها على ستار من ورق ظهر لونها . وهى لا نرى الا بسقوطها على مثل هذا الستار ، اما ما نراه بالصورة من الوان فبدل ، لا على ما تتراءى به الاشعة ، ولكن على ما سوف تتراءى به اذا سقطت على الورقة البيضاء .





(شكل ٣)

رسم واحد، لوّن الوانا مختلفة، بعضها المؤتلف وبعضها المتنافر، ونترك للقارىء استبانة المؤتلف والمتنافر من بين هذه الرسوم الثلاثة .



(شكل ٤)

الوان ثلاثة أولية هى الازرق البنفسجى ، ثم الأخضر الصفراوى ، ثم البرتقالى الأحمر ، وقد اسقطت جميعا على ستار فانتج كل اثنين منها اللون الأخضر المزرق ، واللون الأصفر ، واللون المجينتا. واجتمعت الثلاثة الألوان الأولية ، فانتجت الابيض ، لانها الوان ضوء لا ألوان اصباغ .

وانظر كذلك بماذا تحس العين اذا ارسلنا اليها مخلوطا خصيصا من الاحمر والأخضر ؟ انها تراه أصفر . مع ان اللونين ليس بأيهما اللون الأصفر .

ان تفسير هذا لا يزال غامضا .

ولكن المعروف ان الاحساس باللون يصحبه فعل كيماوى يحدث حيث تلتقي الألوان فى قاع العين .

الألوان وأثرها فى النفس

لا شك اننا كثيرا ما ارتحنا الى لون دون لون آخر . ويقول العارفون ان مرد هذا قد يكون بسبب ما تترك الألوان بأعصاب العين الباصرة من اثر .

والملاحظ فى المستشفيات أن المرضى يكونون اكثر راحة ، واهدأ واطول نوما فى الحجرات التي طليت حوائطها بالصبغ الأزرق ، على عكس ما يجدون من ذلك فى الحجرات التي طليت حوائطها بالصبغ الأخضر أو الأصفر أو الأحمر .

وعند الجمع بين الألوان فى صورة واحدة او منظر واحد . منه ما ترتاح العين له وتنبسط وتتسع ، ومنه ما تضيق به النفس ، ومنه ما يبلغ بها الضيق أن تتقزز منه .

لا بد لهذا التقزز من سبب ، ولهذه الراحة والانبساط كذلك .

ان الشيء المركب الذى انسجمت اجزاء تائف منها هو الذى يفرح . وغير ذلك المسيء المقبض .

ان الانسجام اساس من اسس الجمال . وكذا الألوان قد تجتمع على جمال ، وقد تجتمع على قبح . ومن الألوان المنسجم ، ومن الألوان المتنافر .

ومن القواعد التي تذكر :

١ ـ ان الصورة لا بد من غلبة لون فيها على سائر الألوان . ووجود لونين متنافسين في اجتذاب عين الرائي يضعف الصورة .

٢ ـ التنافر لا يمكن حدوثه اذا جمعنا بين لون كالأحمر أو كالأزرق وبين الألوان المعروفة بالمحايدة ، وهي الأبيض والأسود والرمادى . ولكن مع الأحمر ، وهو اللون « الملتهب » ، يجتمع الاسود والرمادى الداكن فى انسجام . ومع الأزرق ، وهو اللون « البارد » ، يجتمع الأبيض والرمادى الفاتح فى انسجام .

٣ ـ الجمع بين ألوان الطيف القريب بعضها من بعض يحدث انسجاما بينها لما بينها من اشتراك . فالأخضر والأصفر والبرتقالي تنسجم . والأزرق، والازرق المخضر ، والأخضر ، تنسجم .

ولا نزيد فوق ذلك .

فعلم الألوان علم جديد ، له دراسات حديثة ، وله طلاب ، وقد ازداد خطرا للخطورة التي وجدهافى الألوان والتلوين اهل الصناعة فى كل ما تنتج من أشياء . فصناعة النسيج وحدها صناعة من اسس رواجها ما تصطبغ به الأقمشة من الوان ذات جمال . وكذا مفروشات المنازل ومفروشات الأرض من أبسطة وسجاجيد . والعمارة دخلتها الألوان فوق ما كانت فعلت . وزينة البيت ، من الداخل ، صارت فنا درسه الكثير من النساء .

والكتب والمجلات والصحف دخلتها الصورة ، أولا سوداء بيضاء ، ثم اذا بها تتلون .

والسينما كانت صورها بيضاء سوداء فاذا بها تتلون .

ودرج التلفاز على ما درجت عليه السينما ، وما درجت عليه الكتب والمجلات .

افتقد الانسان اللون ببعده عن الريف ، وتجمعه فى المدن حيث يعز اللون ، فابتدع الوانا من عنده ، بعض شاكل به الطبيعة ، وبعض زاد به على الطبيعة ازدهارا ، ولكن لم يزد عليها روعة .

●●

مسابقة العربي

كم تعرف من بسائط العلم سمة هذا العصر؟!

١٠ أسئلة و ١٠٠ دينار جوائز

■ مسابقة هذا العدد وجهناها وجهة جديدة، طلبا للتنوع، ثم مسايرة لمطالب الزمان .. انها عشرة أسئلة مطلوب منك الاجابة على ثمانية منها على الاقل، لتربح احدى الجوائز .. وهذه هي الاسئلة:

١ – قلم الرصاص .. من أقدم الأقلام التي استخدمها الانسان .. مادته الملونة تتألف اليوم من :
رصاص – قصدير – جرافيت .

٢ – اكتشف علماء العصر الحديث فولاذا لا يصدأ، وهو مؤلف من الحديد، أضافوا اليه :
معدن الكروم – معدن الزنك – عنصر الفلور .

٣ – ورق الصحف مصنوع من :
خشب الشجر – القطن – الكتان .

٤ – ماء البحر، نسبة الملح الذي فيه :
٥ر٣ في المائة – ٥ر٣ في الالف – ٥ر٢ في المليون .

٥ – الصوف يختلف عن القطن بوجود ذرة في التركيب الكيماوي للصوف لا توجد في القطن هي :
ذرة الاكسجين – ذرة الازوت – ذرة الايدروجين – ذرة الكربون .

٦ – الجيلاتين .. الى أي أقسام الأغذية الثلاثة ينتسب :
السكريات – البروتينات – الشحوم .

٧ – الاسمنت يصنع من مادتين اصيلتين من هذه، فما هما ؟ :
الفوسفات – الحجر الجيري – الفحم الحجري – الطفل – الرمل .

٨ – اللون الرمادي يتركب من مزج صبغين من هذه، فما هما ؟ :
الأحمر – الأخضر – الأبيض – الأصفر – الأسود .

٩ – أي هذه العناصر يوجد في الهواء ؟ :
الايدروجين – الاكسجين – الأزوت – الارجون – الهليوم – النيون .

١٠ – جاذبية الأرض أكبر من جاذبية القمر :
٤ مرات – ٦ مرات – ٨ مرات – ١٠ مرات .

شروط المسابقة

١ – أن يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور في ذيل هذه الصفحة .
٢ – اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .
٣ – ضع اجابتك في مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتي :
مجلة العربي – صندوق البريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ١٣٥ » .
٤ – آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم الثالث من شهر مارس (آذار) ١٩٧٠ .
٥ – كل خطاب يفقد شرطا من هذه الشروط عرضة لان يهمل ولا يدخل عملية الاقتراع على الجوائز .

الجوائز ١٠٠ دينار

يمنح الفائزون جوائز ١٠٠ دينار كويتي على الوجه الآتي :
الجائزة الاولى ٣٠ دينارا . **الجائزة الثانية** ٢٠ دينارا . **الجائزة الثالثة** ١٠ دنانير .
٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا، كل منها ٥ دنانير .. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريق الاقتراع . ■■

كوبون مسابقة





صورتان من غرفة المراقبة حيث يتم التحكم في عمل كل الأجهزة الخاصة بالإرسال والاستقبال

استطلاع الكويت

الكويت تتصل بالعالم
عن طريق الأقمار الاصطناعية

بقلم : محمد طنطاوى

هوائي المحطة الضخم يتجه الى السماء ليتلقى ويرسل من والى القمر الاصطناعي « أنتلسات ٣ »





سمو امير الكويت الشيخ صباح السالم الصباح يضغط على زر خاص لازاحة الستار عن اللوحة التذكارية مؤذنا بافتتاح المحطة الأرضية للاتصالات عبر الأقمار الاصطناعية رسميا ، بينما ظهر في الصورة الى جوار سمو الامير السيد عبد العزيز الصرعاوى وزير البريد والبرق والهاتف

قصة محطة "أم العيش" التي تربط الكويت بالقمر الاصطناعي

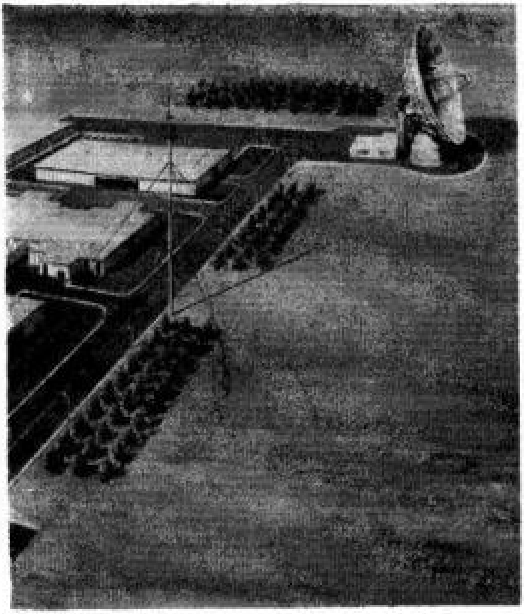
■ تحت سماء الكويت الصافية وفوق رمال الصحراء ، وعلى بعد ٧١ كيلومتر من العاصمة الكويت في الطريق الدولي الذي يربط بين هذه الدولة الفتية والعراق وسوريا والاردن ولبنان ، يشاهد المسافرون ، برجا من الصلب يعلوه طبق دائري كبير يتجه الى السماء . ويتساءل البعض عن ماهية هذا البرج .. وتجيب على تساؤلهم اللافتات الموضوعة على طول الطريق الدولي والتي تشير الى محطة « ام العيش » الارضية للاتصال عبر الاقمار الاصطناعية . وهي تلك المحطة التي قام سمو امير الكويت الشيخ صباح السالم الصباح بافتتاحها رسميا في ١٥ ديسمبر ١٩٦٩ .

ولهذا البناء الشامخ وسط رمال الصحراء قصة طويلة .. بدأت منذ ان نجح الانسان في اكتشافاته العلمية في القرن التاسع عشر .. ولم تنته بوصول الانسان الى القمر في نهاية الستينيات من القرن العشرين . انها قصة العقول الجبارة التي عملت ولا تزال تعمل من اجل رفاهية الانسان .. ولنبدأ القصة من أولها .

من هرتس الى الأقمار الاصطناعية

في اواخر القرن التاسع عشر قام العالم الالماني هرتس Herts باكتشاف موجات عجيبة خفية تسبح في الهواء المحيط بنا ، تلك الامواج التي سماها العلماء في ذلك الوقت بموجات هرتس ، لعدم وجود اسم غير ذلك ، وهي نفس الموجات التي تسمى الآن بالموجات اللاسلكية .. وجاء بعده عالم آخر هو ماركوني Marconi ليتمكن من نقل رسالة كلامية عن طريق هذه الموجات ، من غير أسلاك تحملها ، من نقطة الى نقطة . وبدأ بذلك عصر اللاسلكي .. وتطور العلم والبحث العلمي في القرن العشرين حتى استطاع العلماء ان يعرفوا بعض اسرار الموجات اللاسلكية وانواعها ، من طويلة الى متوسطة الى قصيرة الى اقصر واقصر ، وظهرت محطات الاذاعة .. وظهر التلفاز لينقل عبر الموجات اللاسلكية الاقصر الصورة ايضا . وانتشرت دوائر المواصلات السلكية واللاسلكية . وضاقت الارض بسكانها او كادت تضيق ، وازدادت الحاجة الى الاتصال بين البشر عبر القارات وانتشرت الكابلات تحت المحيطات ، ولكنها لم تكن كافية لسد حاجة الدول في عصرنا الحديث . وفكر العلماء واتجهوا بتفكيرهم الى الفضاء كوسيلة من وسائل تحسن المواصلات اللاسلكية ، وخاصة بعد ان نجحوا في اواخر الخمسينيات من هذا القرن في اطلاق اول قمر اصطناعي « سبوتنيك » . اطلقه الروس ، وجاء بعده « التلستار » في اواخر عام ١٩٦٢ . (١)

وفي اغسطس عام ١٩٦٤ قامت احدى عشرة دولة بتوقيع اتفاق لتكوين منظمة من أجل تطوير شبكة الاتصالات العالمية عبر الاقمار



منظر عام يبين المباني الحديثة للمحطة الارضية « أم العيش » وفي مقدمة الصورة ، المبنى الرئيسي للادارة والمعدات عبر ممر داخلي ، وفي الخلف

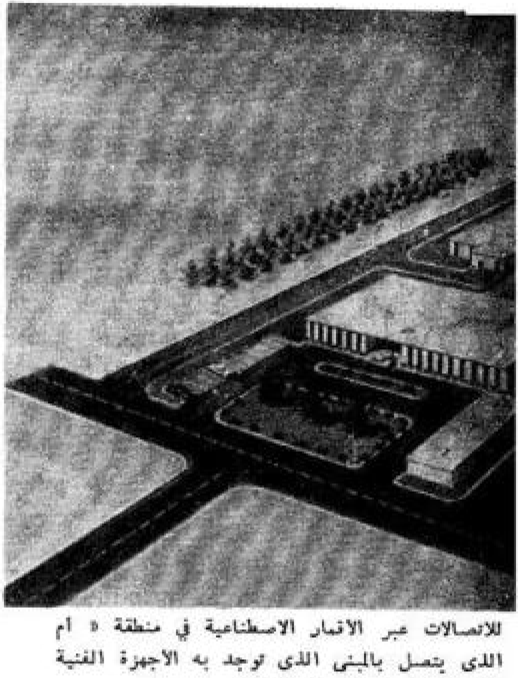
(١) أنظر مقال الدكتور أحمد زكي عن « التلستار » في العربي عدد يناير ١٩٦٣ ص ٢٨

الاصطناعية . وفى اغسطس عام ١٩٦٥ انضمت الكويت الى مجموعة الدول الموقعة على اتفاقية المنظمة التي سميت فيما بعد بالمجموعة الدولية للاتصالات عبر الاقمار الاصطناعية ، وبذلك اصبحت واحدة من ٦٨ دولة فى العالم اعضاء فى هذه المنظمة حتى الآن .

وتقوم المنظمة الدولية للاتصالات عبر الأقمار الاصطناعية بالعمل على تطوير وانشاء وتشغيل وصيانة الاقمار الاصطناعية والاشراف على المحطات الأرضية التي تتحكم في هذه الاقمار .

بداية إنشاء المحطة الأرضية

ولم يمض ٣ سنوات على انضمام الكويت الى منظمة الاتصالات عبر الاقمار الاصطناعية الا والعمل يجرى على قدم وساق فى منطقة « أم العيش » .. التى تقع فى منتصف الطريق تقريبا بين الكويت العاصمة ومدينة البصرة فى العراق . ففى شهر يونيو ١٩٦٨ تم وضع الحجر الأساسي للمحطة الأرضية للاتصالعبر الأقمار الاصطناعية.



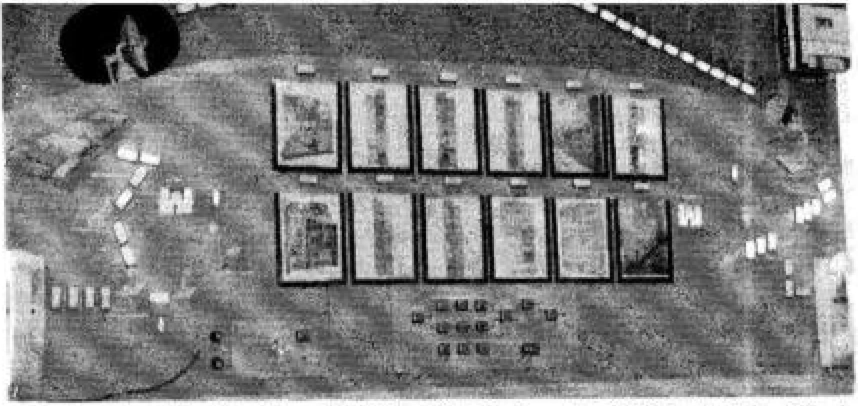
للاتصالات عبر الاقمار الاصطناعية في منطقة « أم الذى يتصل بالمبنى الذى توجد به الأجهزة الفنية المخازن ثم هوائي المحطة الى اليمين

وبدأ العمل خبراء من اليابان يساهم معهم عدد من المهندسين والفنيين الكويتيين الذين تلقوا تدريبا خاصا . ومر عام وبعض عام لينتهي العمل في المحطة الأولى من نوعها في المنطقة والتي كلفت حوالي ٠٠٠ر٠٠٧ر١ دينار كويتي .

شاشات التلفزيون تنقل أحداث هبوط رواد ابولو ١٢ على سطح القمر

وانتهت عمليات بناء مباني المحطة ، وانتهى بناء برجها الهوائي الذى يبلغ ارتفاعه ٢٥ر٢٧ مترا ، وتم تركيب الاجهزة الالكترونية واللاسلكية وربط الهوائي بأجهزة المحطة . وفى يوم ٢٧ اكتوبر عام ١٩٦٩ تقرر اجراء تجربة اولى لتشغيل المحطة الجديدة . وقام السيد عبد العزيز الصرعاوى وزير البريد والبرق والهاتف ومعه كبار رجال وزارته بالذهاب الى « ام العيش » حيث تابعوا التجربة الأولى . وهي اتمام اتصال عبر الهاتف بين سمو الشيخ صباح السالم الصباح امير البلاد ، وسمو الشيخ عيسى بن سلمان الخليفة حاكم البحرين وتوابعها. واعلنت حالة الطوارىء في « أم العيش » .. اتخذ الفنيون والمهندسون اماكنهم امام الاجهزة .. الكل فى انتظار نتيجة التجربة الأولى التي ستكلل بالنجاح مجهوداتهم التي استمرت اكثر من ١٥ شهرا . ودار قرص الهاتف على لوحة الاتصال الهاتفي بغرفة المراقبة الرئيسية .. ولم تمر ثوان الا والمكالمة تتم في وضوح .. وتنتهي التجربة الأولى بنجاح تام .

وتستمر التجارب عشرة ايام اخرى .. كل يوم تجربة جديدة للارسال والاستقبال سواء كان تلفزيونيا او برقيا او هاتفيا .. تجربة مع محطة المانيا الغربية الأرضية .. وتجربة ثانية مع محطة بريطانيا ، واستقبلت محطة « أم العيش » برامج تلفازية فى نفس لحظة ارسالها من المانيا وبريطانيا .. وكانت هاتان التجربتان بمثابة خطوة اولى نحو التجربة الكبرى التي كانت وزارة البريد والبرق والهاتف تعد لها بالاشتراك مع وزارة الارشاد والانباء . وكانت هذه التجربة الكبرى هي نقل اللحظات الحاسمة لرحلة ابولو ١٢ الى الشعب الكويتي عبر أجهزة التلفاز فور قيام رواد الفضاء برحلتهم عن



لوحة كهربائية تمثل طريقة الاتصال بين المحطات الأرضية المختلفة عبر القمر الاصطناعي . الى اليمين : هوائي محطة « أم العيش » يرسل اشاراته الى القمر الاصطناعي فوق المحيط الهندي ، الذي يستقبلها ثم يعيد ارسالها مباشرة الى محطة ارضية أخرى .. أو بالعكس .

« كيب كنيدى » بالولايات المتحدة الامريكية .. وقامت وزارة البريد والبرق والهاتف بالاتصال بمنظمة الاقمار الاصطناعية الدولية لاستئجار القمر الصناعي الخاص بمنطقة المحيط الهندي وهو من طراز « انتلسات » .

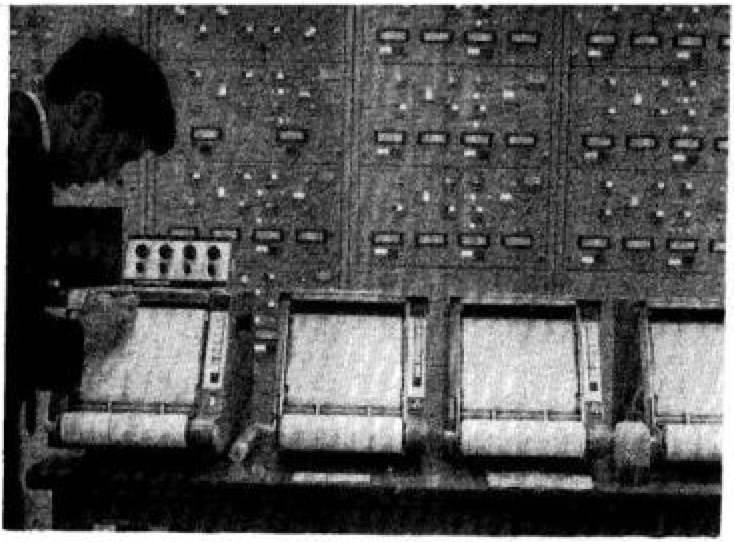
كما اتصلت بمحطة ريستنج « Raisting » بالمانيا الغربية ، حيث تمتلك هذه المحطة هوائيين واجهزة تمكنها من الاتصال بقمرين صناعيين هما القمر الخاص بمنطقة المحيط الأطلسي ، والقمر الخاص بالمحيط الهندي . وبهذه الطريقة يتم وصل الكويت بمحطة ريستنج عن طريق قمر المحيط الهندي ، وتنقل محطة المانيا برامج ابولو ١٢ وهبوط روادها على سطح القمر ، والتي تصلها مباشرة من محطة اتام Etam بولاية فرجينيا في الولايات المتحدة الامريكية عبر القمر الاصطناعي فوق المحيط الأطلسي الى قمر المحيط الهندي ، الذي يقوم بنقلها بدوره الى محطة « ام العيش » الأرضية ، التي تقوم عن طريق شبكة ذات موجات قصيرة اعدت خصيصا ، بنقلها الى محطة التلفاز في المطلاع ، ومنها الى اجهزة التلفاز في كل بيت .

وبهذه الطريقة اصبحت محطة « ام العيش » على اتصال بالفضاء الخارجي ، وتم نقل تفاصيل الرحلة المثيرة الى سكان الكويت لحظة حدوثها . وشاهد الشعب الكويتي عبر شاشات التلفاز اللحظات المثيرة لانطلاق الصاروخ من كيب كنيدي برواده الثلاثة ، كما شاهدوا رائدى الفضاء وهما يهبطان من مركبتهما الفضائية ويسيران على سطح القمر ويقومان باداء المهام العلمية الموكولة لهما. ثم شاهدوا عودة المركبة ابولو ١٢ الى الارض ، وانتشالها من المحيط الهادى .. كل هذا شاهدوه فور حدوثه بفارق لا يتعدى الثواني .

وبعد هذه التجربة التى شاهدها كل الشعب الكويتي بدأت أهمية محطة « ام العيش » الارضية تتضح امام كل شخص ، وبدأ الناس يتحدثون عن هذه المحطة التي جعلت اتصال الكويت بأى مكان في العالم أو في الفضاء واقعا ثابتا .

زيارة للمحطة

وقامت بعثة « العربي » بزيارة لمحطة « ام العيش » الأرضية ..حيث شاهدت على الطبيعة كيف تعمل هذه المحطة الحديثة .. وفى المبنى الرئيسي للمحطة الذى شيد على احدث طراز ، شاهدنا في قاعة الانتظار لوحة كهربائية توضح كيفية الاتصال بين القمر الاصطناعي والمحطات الأرضية . وقام المهندس الكويتي الشاب عبد العزيز الأيوب ، وهو احد ثلاثة مهندسين كويتيين يعملون في المحطة ، بشرح كيفية حدوث الاتصال بين محطة الكويت الأرضية وبين اية محطة أخرى بالقمر الاصطناعي الواقع في منطقة المحيط الهندى قال : « ان محطة الكويت ترسل رسالتها الى القمر الاصطناعي انتلسات ٣ الذى يقوم بدوره بنقلها الى المحطة الاخرى المرسلة اليها . فالقمر ليس الا مرآة عاكسة تتلقى الموجات المرسلة من اية محطة ارضية تقع فى



في غرفة المراقبة احد الفنيين الكويتيين يقوم بتسجيل رسم بياني عن الاشارات الواردة الى المحطة عبر القمر الاصطناعي

نطاقه ثم تنقلها مباشرة الى المحطة الاخرى التي تستقبلها فورا .. »

وانتقلنا الى مكاتب المسئولين عن المحطة ، وكلها مكاتب بسيطة مؤثثة على احدث طراز ، والمبنى كله مكيف الهواء،وتتصل مكاتب المسئولين بمباني الأجهزة عن طريق ممرات داخلية ، كما يوجد بالمبنى الرئيسي مكتبة بها الكثير من الكتب الفنية والعلمية وقاعة للمحاضرات « وكافتيريا » لتناول الطعام ملحق بها مطبخ خاص . وانتقلنا الى غرف الأجهزة حيث شاهدنا مولدين للطاقة الكهربائية تبلغ قوة كل منها ٧٥٠ كيلوفولت ، وهما يمدان المحطة بالطاقة الكهربائية حاليا الى أن يتم توفير موصلات للطاقة الكهربائيةالرئيسية، وبعدها سيستخدمهذان المولدانكمصدر احتياطي، وهناك ايضا غرفة للبطاريات الكهربائية كاحتياط ثالث ، ففى حالة قطع الطاقة الكهربائية لأي سبب من الاسباب تقوم هذه البطاريات بسد حاجة الأجهزة بالطاقة الكهربائية .

وفي غرفة المراقبة Control Room شاهدنا برنامجا تلفازيا ملونا على شاشة صغيرة ، وهذا البرنامج كان يتم نقله مباشرة من انجلترا . وبعدها شاهدنا ايضا اتصالا تلفازيا مع اليابان .

هذه البطاريات تقوم بسد حاجة أجهزة محطة « أم العيش » من الطاقة الكهربائية في حالة حدوث اى عطل في مصادر الطاقة الأخرى .



ويتم في غرفة المراقبة التحكم في عمل كل الاجهزة، كما يتم عن طريقها الاتصال بكافة المحطات الارضية الأخرى .

وفي كل مكان انتقلنا اليه داخل المحطة كان السيد عبد العزيز الايوب وهو خريج جامعة نيومكسيكو في الولايات المتحدة الامريكية ينقل لنا صورة عن كيفية عمل هذه الاجهزة المعقدة .

وانتقلنا بعد ذلك الى برج هوائي المحطة الضخم Antenna . وقد جرى تصميم الهوائي لاحتمال اقسى العواصف والرياح التى قد تصل سرعتها الى ١٢٥ ميل في الساعة . ويجرى تحريك الهوائي في مثل هذه الظروف الى وضع الانزواء الافقى ، وبذلك تتم حمايته من الرياح .

كيف يجرى تتبع ارشادات القمر الاصطناعي

في أوائل عام ١٩٦٩ قامت منظمة الاتصالات اللاسلكية الدولية عبر الاقمار الاصطناعية باطلاق ٣ اقمار اصطناعية من طراز « انتلسات ٣ » الى مدارات في الفضاء على ارتفاع حوالى ٢٢٫٣٠٠ ميل فوق خط الاستواء . وتدور هذه الاقمار الثلاثة حول الارض مرة كل ٢٤ ساعة في نفس اتجاه دوران الارض ، اى انها بذلك تصبح شبه ثابتة جغرافيا . ويغطي كل قمر من هذه الاقمار الاصطناعية منطقة تبلغ حوالي ثلث العالم .. فهناك قمر خاص بمنطقة المحيط الهندى (وهو القمر الذى تتصل به محطة ام العيش الارضية)، وقمر ثان خاص بمنطقة المحيط الهادى ، وقمر ثالث خاص بمنطقة المحيط الأطلسي . وهناك الآن في العالم كله ٣٣ محطة ارضية في ٢٠ دولة تقوم بالاتصال عن طريق هذه الاقمار الثلاثة من سلسلة انتلسات ٣ ، ومن المتوقع اطلاق قمرين آخرين من نوع انتلسات ٣ ، لأن عدد الدول التى ستقيم محطات أرضية بها يصل الى حوالى ٧٠ دولة .

ويجرى تتبع القمر الاصطناعي عن طريق استقبال اشارة مرشدة يقوم القمر الاصطناعى بارسالها . ولما كانت هذه الاشارة المرشدة ضعيفة جدا ، فقد زودت المحطة بنظام خاص



لوحة تذكارية مثبتة على قاعدة برج هوائى محطة « أم العيش » تسجل أن المحطة قد افتتحت في عهد حضرة صاحب السمو الشيخ صباح السالم الصباح أمير دولة الكويت المعظم ، في الساعة الرابعة من مساء الاثنين ٦ شوال ١٣٨٩ الموافق ١٥ ديسمبر ١٩٦٩ ، وقد تم افتتاح عمل المحطة رسميا بعد أن تفضل سموه وأزاح الستار عن هذه اللوحة

للاستقبال الفرعى يستطيع التقاط الاشارات المتناهية في الضعف .

ويبلغ عدد المكالمات الهاتفية التى يمكن تمريرها الآن من محطة أم العيش في وقت واحد ١٦ مكالمة مع ارسال تلفازى ملون . أما عدد المكالمات الهاتفية الممكن تمريرها في المستقبل كحد اقصى فيبلغ ٤٣ مكالمة مع ارسال او استقبال برنامج تلفازى .

ويبلغ عدد موظفى المحطة ٦٣ موظفا ، بينهم الآن ٣ مهندسين و ٧ فنيين من الكويتيين ، كما يتم الآن تدريب عدد آخر من المهندسين والفنيين الكويتيين .

وتبلغ نفقات تشغيل المحطة وصيانتها سنويا حوالى ٢٠٠ الف دينار كويتى ، بينما يقدر دخلها من أجور المكالمات والبرقيات والتلكس والخدمات الاخرى بحوالى ٩٠٠ الف دينار سنويا .

فوائد المحطة الأرضية

وتتلخص فوائد المحطة الارضية للأقمار الاصطناعية بالنسبة للكويت في النقاط الهامة التالية :

* خدمة هاتفية ذات وضوح تام ، فالصوت نقى واضح لا توجد به الشوشرة التى تصاحب الاتصالات الهاتفية البعيدة المدى التى تتم بالطرق العادية . وكذلك توفير خدمات برقية لمدة ٢٤ ساعة يوميا ، خصوصا مع الدول التى لم يتوفر لها الاستفادة من الكوابل البحرية .

* امكان نقل البرامج التلفازية الحية عبر القارات وتسجيل الأحداث الهامة فور وقوعها في اى مكان في العالم او في الفضاء .

* التوسع فى استخدام عدد كبير من القنوات الهاتفية والبرقية للاتصالات الدولية مما يقضي على الشكوى من قلة عدد الخطوط الخارجية بالنسبة لحاجة المواطنين .

* تبادل صور خرائط وبيانات الطقس بين الدول مما يساعد على تخطيط رحلات الطيران بين هذه الدول .

اتصال مباشر بواشنطن عبر القمر الاصطناعى فوق المحيط الهندى ، عبد الرحمن الغنيم وكيل وزارة البريد والبرق والهاتف يجرى محادثة تليفونية مع رئيس مؤسسة الاقمار الاصطناعية في واشنطن بمناسبة حفل افتتاح المحطة رسميا .



* تستطيع محطة الكويت الارضية القيام بالكثير من الاتصالات للدول العربيةالمجاورة ، مما يوفر على هذه الدول تكاليف انشاء محطات ارضية خاصة بها ، يستثنى من ذلك الدول التي لديها محطات .

* ترتبط محطة الكويت حاليا مباشرة بالمحطات الأرضية لليابان والبحرين والمانيا الغربية وانجلترا .. وسيتم ربطها بمحطات باكستان الغربية والهند ولبنان وايطاليا في المستقبل القريب . كما ترتبط بمحطات فرنسا عن طريق المانيا ، والولايات المتحدة عن طريق انجلترا . وهذا الارتباط يجعل الاتصال بهذه الدول ميسرا وسهلا في اى وقت من الأوقات .

امير الكويت يفتتح المحطة رسميا

واخيرا جاء اليوم المشهود ... وقام امير الكويت سمو الشيخ صباح السالم الصباح بافتتاح محطة « أم العيش » رسميا يوم ١٥ ديسمبر عام ١٩٦٩ في احتفال رسمي شهده سمو ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء ورئيس مجلس الأمة واصحاب السعادة الشيوخ والوزراء وكبار الشخصيات والمدعوين .. وقد تفضل سموه بتسجيل الكلمة التالية في سجل الشرف الذهبي للمحطة :

* « بسم الله الرحمن الرحيم نفتتح محطة الكويت الأرضية للاتصال عبر الاقمار الاصطناعية، هذا الانجاز العظيم الذى تم في بلدنا ، ويسرنا بهذه المناسبة ان نشكر جميع المسئولين الذين ساهموا في انجاز هذا المشروع ، ونسأل الله سبحانه وتعالى ان يوفقنا الى كل ما فيه خير بلدنا وامتنا العربية والانسانية جمعاء . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ... » .

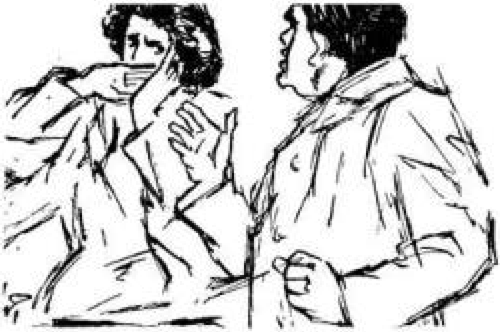
وقد صاحب حفل الافتتاح استقبال برنامجين تلفزيونيين على الهواء مباشرة من واشنطن ومن طوكيو . كما تمت مكالمة تليفونية ايضا مع واشنطن بين وكيل وزارة البريد والبرق والهاتف وبين رئيس مجلس ادارة مؤسسة الاقمار الاصطناعية .

وانتهى الاحتفال... ليبدا عمل المحطة رسميا. وبذلك اصبحت الكويت واحدة من ٢٠ دولة تتصل بالعالم عن طريق الاقمار الاصطناعية . ■■

محمد طنطاوى

● ركن الاسرة والمرأة

أبناء .. وآباء



ابن ضل الطريق ..

.. وابن اهتدى

ووراء الاثنين قصة ابوين !

■ كان اليوم هو عطلة نهاية الاسبوع ، وفى العطلة يترك الناس بيوتهم بحثا عن الراحة والمرح بعيدا عن الجو الرتيب الذى تعودوه طوال ايام العمل .

واتفق الزوجان على أن يقوما برحلة فى سيارتهما الصغيرة الى احدى الضواحي القريبة فى قلب الريف الهادىء .

وانطلقت السيارة بهما ، الا انها ما كادت تقطع بضعة كيلومترات حتى اصيب محركها بخلل مفاجىء . اضطر الزوج الى اللجوء الى اقرب محل لاصلاح السيارات ، ونزلت الزوجة لتبحث لنفسها عن مكان تنتظر فيه ، ثم جلست واخرجت كتابا من حقيبة يدها ، راحت تقرأ فيه ، وهي لاتكف عن التطلع الى زوجها بين الفينة والفينة ، وكأنها تهيب به ان يعجل قبل أن ينقضى النهار ، وقد وقف هو يشرف على اصلاح سيارته ، فتلتقى عيونهما،ويبتسم الزوج،وتعود الزوجةالى كتابها .

صوت يبحث عن السعادة

وفجأة قطع السكون صوت صغير يقول :

ــ هذا الرجل يحبك يا سيدتي !

واذهلتها المفاجأة .. ترى من يكون صاحب هذا الصوت ؟ وراحت تتلفت فيما حولها ، فاذا بهـا تجد نفسها وجها لوجه ، امام صبي صغير جميل فى التاسعة من عمره ، وقد وقف ينظر اليها بعينين بريئتين ، ويتوقع منها أن تقول شيئا .

وتكلمت السيدة ، فقالت بعد أن دعته فى حنان الى الاقتراب منها :

ــ ماذا قلت يابني ؟

وعاد الطفل يكرر ما قاله منذ لحظات ، ولكن فى صوت خفيض يشوبه شيء من الخجل والارتباك:

ــ قلت ان هذا الرجل يحبك .. أليس كذلك ؟

وقالت الزوجة :

ــ طبعا يحبنى ، فهو زوجى يابنى ، ولكن كيف عرفت ذلك ؟

قال ، وقد بدات نفسه تطمئن للحديث الى هذه السيدة الغريبة :

ــ لقد رأيته وهو ينظر اليك ويبتسم .. كم كنت اتمنى ان يبتسم ابى لامى ، كما يفعل زوجك الآن .. لا اظن انكما تفكران في الطلاق، أليس كذلك ؟!

طفل محروم !

وعقدت الدهشة لسان السيدة ، وهي تسمع هذا الصغير يتحدث عن الطلاق .. ولكنها تمالكت نفسها وقالت فى هدوء ، وهي تحاول أن تصل الى جذور تلك العقدة التي يعانى منها الطفل المسكين .. قالت : « لا ياعزيزى ، اننا لانفكر فى الطلاق.. لقد مضى على زواجنا اكثر من عشرين عاما .. وها أنت ترى أننا مازلنا نحب بعضنا بعضا ! ولكن لماذا تسأل يابنى ؟ »

ونظرت الى وجهه الصغير البرىء .. فرأت عينيه غارقتين في الدموع .. وقال الطفل في صوت متهدج وهو يغالب البكاء : « لقد قال أبي لامي انه سيطلقها ، وانا احب أبي ، واحب امي ، واريد



ان اعيش معهما في بيت واحد .. لا اريد ان احرم من احدهما .. ان الطلاق يعنى هذا اليس كذلك ! »

ولم يسمع الطفل جوابا على سؤاله ، لقد انشغلت عنه السيدة بالبحث عن منديلها تجفف به دموعها .

واستدار الطفل ليبحث عن مجموعة الصحف والمجلات التي كان يحملها ليبيعها للناس ، ثم ما لبث ان اختفى وسط الزحام !

لقاء جديد

وانقضى على هذا الحادث عشر سنوات او يزيد .. وفى مساء احد الايام ، كانت السيدة تقف مع زوجها امام محل صغير لبيع الصحف فى المدينة ، عندما اقترب منها شاب فى العشرين ، ومد يده اليها مصافحا ، وقال : « كيف حالك ياسيدتي ؟ »

وقالت : « انا بخير اشكرك ! »

وعاد الشاب يقول: « انت لاتذكرينني ياسيدتي، ولكنني اذكرك جيدا ، واذكر حديثك معي ، كما لو كان بالامس القريب ! »

ـ ولكن من تكون أنت ؟

وراح الشاب يذكرها بنفسه وبالحديث الذى دار بينهما امام محل اصلاح السيارات منذ اكثر من عشر سنوات .. انه نفس الصبي الصغير الذى كان يحمل الصحف ، ويبكى لان اباه يريد ان يطلق امه .. لا ، كبر الان وصار رجلا ، ولم يعد يبيع الصحف فى الشارع ، فقد اصبح يمتلك محلا صغيرا ياتي اليه الناس ، بدلا من ان يبحث عنهم فى البرد والظلام !

المأساة تتكرر !

وقالت السيدة ، وقد بدت سعيدة بلقائها بهذا الصبى الصغير المحروم مرة اخرى ، قالت : « لا بد أنك سعيد الآن ! »

ولم تسمع جوابا .. فقد توقع ان تقول له اى شيء الا ان تحدثه عن السعادة واكفهر وجهه وبدا وكانه يريد ان يخفى عنها شيئا .. ولكنه مالبث ان رفع عينيه ، وراح يتطلع الى هذا الوجه الحنون ، والى تلك الابتسامة الرقيقة التي ارتسمت عليه ، ثم انفجر يبكى ، كما يبكي الاطفال، وراحت تجفف له دموعه وتهدىء من روعه .. ثم جلس يقص عليها مأساته .. قال : « لقد مات ابي، ودخلت امى مستشفى للامراض العقلية .. واحسست بوحدة قاتلة ، فرحت أبحث عن فتاة تملأ وحدتي وتخفف عني مأساتي .. وتصورت انني وجدتها .. ولكننا ماكدنا نحتفل بزواجنا حتى بدأت المتاعب .. ولم يكن ممكنا ان يستمر هذا الزواج ، فانفصلنا بالطلاق ، قبل ان ارى طفلى الذى ستضعه زوجتى بعد اسابيع !! »

وتركته السيدة مع احزانه وانصرفت .. ولكنها لم تنس الصورة ابدا .. صورة الصبى الصغير الذى التقت به منذ عشر سنوات ، وهو ضائع شريد يبحث عن الحب والعطف ، بعد ان راى بيته او عالمه الصغير الذى لايعرف سواه وهو يتحطم امام عينيه .

ثم صورة الصبي ، وقد كبر واصبح شابا ، فاذا بمأساة ابيه وامه ، تتكرر معه هو وزوجته ، ثم هذا الطفل الذى لم ير النور بعد ، والذى سيصل الى الدنيا دون ان يعرف له ابا !

لماذا يفشلون ؟!

لماذا فشل مثل هذا الزواج وغيره من زيجات ؟ !

ان الفشل فى غير الزواج انما يجيء نتيجة لضعف اساسى فى بناء او فى مبدأ او فى عمل .. وهو كذلك ايضا فى الزواج .. فهو يأتي بسبب ضعف البناء الذى قامت الاسرة على اساسه .. أو بسبب سوء العلاقات القائمة بين أفراد هذه الاسرة ، او بسبب انهيار المبادىء التي يؤمنون بها .. فالحياة ليست سوى مجموعة من العادات والتقاليد ثم المبادىء التي يؤمن بها الابوان ويغرسانها فى نفوس ابنائهما .

فهذا الشاب شاهد حياة اسرته تتحطم امام عينيه ، وسمع اباه يتحدث عن الطلاق ، وهو بعد طفل لايعى من الدنيا شيئا .. ثم عاش المأساة كلها من بدايتها الى ان القت به الى الشارع

وحيدا حائرا بلا سند في الحياة .. فشب وهو لايعرف سوى الحقد والكراهية لهؤلاء الذين تسببوا في حياة البؤس والشقاء التي يحياها .. ولم يكن نصيبه من الحياة افضل من نصيب والديه .

الصورة مقلوبة !

يقول الشاعر والمؤلف الانجليزي الشهير الدكتور صاموئيل جونسون (١٧٠٩ - ١٧٨٤) :

« لقد تعلمت ان احترم زوجتي اليزابيث ، ومن اجل هذا عاش الحب بيننا ، فكما أن الزواج لايعيش بغير حب ، كذلك الحب لايمكن ان يدوم بغير احترام » .

وكان الرجل الذي تعلم منه صاموئيل احترام زوجته ، هو ايضا والده مايكل جونسون Michael Johnson عمدة مدينة ليشفيلد Leichfield بمقاطعة ستافورد شاير .

حدث يوما ان كان مايكل ضيف الشرف في مأدبة عشاء هو وزوجته ساره ، اقامها احد المواطنين الانجليز الذي شاء ان يكرم عمدة المدينة الجديد .

وعندما حان موعد العشاء ، واتجه المدعوون الى المائدة ، لاحظ صاحب البيت ان مايكل قصد فورا الى المقعد الذي كان مخصصا لجلوس زوجته ، وامسك به وظل واقفا وراءه حتى وصلت زوجته ، ولم يترك المقعد ليجلس هو الا بعد ان جلست ساره .

واقترب صاحب الدعوة من ضيفه ، وكانت تربطه به علاقة صداقة وود ، وقال يسأله :

هل تفعل ذلك دائما في البيت ، اما انها مجرد مجاملة امام الناس ؟ »

وقال مايكل وابتسامة عريضة ترتسم على وجهه:

« الا ترى ان هذا السؤال يجب ان يوجه الى زوجتي ؟ »

ولم يعد الحديث سرا ، فقد سمعته الزوجة واشترك فيه المدعوون ، واخيرا تكلمت ساره ، فقالت وهي تقترب بوجهها من زوجها وتطبع قبلة خاطفة على وجهه : « لقد تعودت منه هذا ، واشياء كثيرة أخرى ، منذ ان احتفلنا بزواجنا قبل اكثر من عشرين عاما ! »

وابتسمت الزوجة ثم قالت : « ولكن يجب ان تروا ابنائي عندما نجتمع على مائدة الغداء ، وهم يتسابقون على مساعدة امهم على الجلوس فوق مقعدها ! »

من شابه أباه

وانقضت الاعوام .. وتشاء الصدف ان يلتقي صاحب هذه الدعوة صديق الاب بمجموعة من علية القوم في مأدبة عشاء في مدينة اخرى .. وقد اقيم الحفل لتكريم احد ابناء العمدة السابق مايكل جونسون .. ولم يكن هذا الابن سوى الدكتور صاموئيل جونسون . وقد اصبح يومها شاعرا واديبا مرموقا . وكان صديق الاب القديم يتحرق شوقا للقاء ابن صديقه ، ولكن احدا من المدعوين لم يهتم بتقديمه اليه .

واخيرا حان موعد العشاء .. واتجه المدعوون الى المأدبة ، وفجأة شاهد الرجل ، شابا يتجه الى المقعد الذي خصص لجلوس زوجته ويمسك به ويقف وراءه ، حتى وصلت زوجته وجلست عليه.

واسرع الرجل يقدم له نفسه : ويقول :

« لابد أن تكون انت الدكتور صاموئيل جونسون ، وهذه زوجتك اليزابيث ! »

- بالضبط ياسيدي !

- انني صديق قديم لوالدك ، وقد سعدت بلقائك يابني !!

ثم جلس الصديق بعد هذا يروي قصة نفس هذا المشهد الذي تكرر امامه الليلة ، والذي حدث منذ اكثر من ثلاثين عاما !

ولكن قصة الصديق لم تنته فقد اكملتها اليزابيث فقالت : « يجب ان تروا ابنائي وهم يتسابقون لمساعدتي على الجلوس امام مائدة العشاء » !!

★ ★ ★

قصة من التاريخ ، ولكنها تعبر تعبيرا صادقا عما يمكن ان يفعله الحب والاحترام في حياة الاسرة .. فالابناء هم نتاج البيت الذي نشأوا فيه وتربوا بين جدرانه .

والأب الذي يهمل زوجته وبيته وأسرته لابد أن يكون أبوه قد سبقه الى هذا .. وكذلك الام التي تنسى ان لها ابناء يرقبون كل حركاتها وسكناتها ، لابد وأن تكون قد عانت هي الاخرى من طفولة تعسة ! طفولة وطفولة .. وحياة وحياة .. وما ابعد الفارق بين الطفولتين .. وما أوسع الشقة بين الاسرتين وحياة كل منهما.

■■



الأَخطَل الصَّغِير

فى احياء ذكراه

للشاعر : احمد السقاف

■ لبنانُ كان ولم يزلْ يُشكَرْ وعلى مدى الأجيال ما قصَّرْ
هيهات يرهب طُغمةً سَكِرتْ بالنصر فالأيّام لا تُسكر
وبنوه من غسّان مطلعهم أيخاف في أَجَماته القَسْوَر
لبنان علمنا عروبتنا وبها بكل ديارنا بشّر
لم يخش ظلمة ليل غفوتنا فعلام يخشى فجرنا الأنور
ليس الصمود وإن قسا خطرا إن التخاذل وحده أخطر

★ ★ ★

قل للذى شاعت دسائسه وزها بأسطول له يَمْخَر
وشدتْ على آلامنا طربا أصنامه ودماؤنا تُهدر
العُرْب أقوى من حماقته وعلى هزيمته همو أقدر
وَحِلتْ بسيغونٍ جحافله فحذارِ وَحْلتُه هنا أكبر

★ ★ ★

لبنان يا أحلى منازلنا يادرة كالبدر بل أقمر
يالهفة في ثغر وَحْدتنا يابسمة من طرفها الأحور
ياهمسة في أذن ساهرة ولَهَى إلى ميعادنا الأخضر

يا جنة كشفت محاسنها   فتحيَّر الفردوسُ والكوثر
ما جئت لولا أن عاطفتي   تهفو إليك وخاطرى أكبر
فاصفحْ سلمتَ إذا بدا شطط   فالشعر كالإنسان قد يَعْثُر

★ ★ ★

يفنى الوجود وذكر شاعرنا   مسكٌ يَضُوع وخالصُ العنبر
الأخطل العملاق مدرسةٌ   في كل حاضرة له منبر
حاز الإمارة غير مفتقر   للمجد ، وهو بمجدها أجدر
والفضل محفوظ وما جُحدت   وقفاته يوما ولم تُنكَر
كَرِهَ التعصب فهو يلعنه   ويراه أقبح سُبَّة تُذكر
إن هزه الناقوس أطربه   صوتٌ لذكر الله قد كبَّر

★ ★ ★

أبشارة الحورى معذرةً   عَشِيت عيون الشعر في عبقر
التمرُ لا يُهدَى إلى هَجَرٍ   والناى لا يَرقَى إلى المِزْهر
قسما لأنت الشعر أجمعه   أنت المحيط بموجه يزْخر
في الجِدّ بركانٌ يسيل لظىً   ولدى النسيب حبائلُ الجُوْذر
يَهنيك أنك ألفُ رائعة   جُنَّت بها الحفلات والسُمَّر

★ ★ ★

ولرب موهوب نكرمه   ونُزيل جفوته إذا ما ازور
نكأ الجراحَ غداة نكستنا   فتلوثت بهوامش الدفتَر
واستل ألفاظا مسمَّمة   الحرفُ منها يُرعب الخنجر
عجبي له فالحرب دائرة   ما مسَّنا وَهَنٌ ولم نُكسر
يأبى النضالُ سِبابَ متَّهِم   جهلٍ النضالَ وود أن يَظهر
والشعر يرفض أن يسخره   ويصول في حلباته عنتَر
لولاه ما سُحقت أبالسة   رضعت ثُدىَّ البغى والمنكر
كم أيقظ الشعراء من أمم   لولا القريض الظلم لم يثأر

★ ★ ★

ما للعصابة أصبحتْ تجأر   هل خالت العدوانَ قد سيطر

إن الشباب، وكلُّه أمـــل قــدر إذا ما ثار أو دمَّـــر
ومخيمات البؤس تطعمـــه حتى غدا يكاد من الطَّوى يَحمـر
حتى غدا تميد بها زلازلـــه والغَـوْر بركانٌ متى غَــوَّر
بذل الحياة وكل مطلبـــه وطـنٌ يعود ويرجع المَعْشر
رفعت جباهَ العرب ثورتـه فتسربلوا بالمجد والمفخر
وكأنهم في كل معركـــة صَحْبُ الرسول تصول في خَيْبَرْ
متلثمــون . الله يكلأهــم لا الـدرع يعرفهـم ولا المِغْفَر
ومحطِّمـون غـرور شِرْذمـة إرهابُها ورثتـه عن هتلــر
تُمسـى وتصبح في مخابئهـا لم تحمها الفانتوم والعسـكر

★ ★ ★

يانيل مجدك باذخ يَســحر شهدت له الأهرام والأزهـر
فاسخَرْ فأنت إذا عدَتْ نُـوَب يانيل أنت بسُخفها تَسخـر
كوهـين أصبح فارسـا بطـلا يهـوى النِّزال وقائـدا أمهـر
وَيْلـي على مُضَر فخشيتهـا منه كخشية أختهـا حِمْـير
نشوان يرفـل في تبجحـه بالغدر ليس بغيره يفخـر
قالوا لنا في النيـل معجـزةٌ تغفو النجوم وطرفهـا يسـهر
فتلفتت للنيـل أفئـدة كادت بحمـل كفاحنـا تُعصَـر
فعسـى البناء يظـل مزدريـا لغُةَ الخيال وبُهْرُجَ المَظهـر
وعسى النسور بألف ماحقـة تمحو خرافة معتـد مغـتر
والسُرب قد عرفـت مسيرتهـا من ذا الذى إن لم يسر يُعـذر
ومن الذى ينسـى مكارمنـا تلك المكارم لم تزل تنشـر
ومن الذى ينسـى وقائعنـا كسرى ، تُرى خفناه أو قيصر
وبلادنا تاريـخ معرفـة من بنـدر حُملـت إلى بنـدر
وشبابنا أسد فإن غضبـت ألفيتهـا في ثـورة تـزأر
قومى همو التاريخ إن خرجـوا من بابه فالكـون لن يُعمَر ■■

الكويت : احمد زين السقاف

الأحكام الإسلامية

بين الدوام والتغير

بقلم : زكريا البري

رئيس قسم الشريعة والدراسات الاسلامية ـ جامعة الكويت

١ ـ اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى ، وعدله ورحمته ، أن يبعث الى الناس انبياءه ورسله ، وينزّل عليهم كتبه السماوية ، بالهداية والارشاد ، مع الترغيب والترهيب ، اعانة للعقل البشرى على الوصول الى الحق والعدل والخير ، فى صلة الانسان بربه ، وصلته بنفسه ، وعلاقته بغيره من الافراد والجماعات ، حتى يحقق الانسان رسالته الكبرى فى تعمير الكون ، والانتفاع بخيراته وثمراته ، على احسن وجه ، واتم نظام ، وحتى تسير قافلة البشرية فى ظلال من طاعة الله ، جامعة بين ثواب الدنيا وحسن ثواب الاخرة . والاخرة خير وابقى .

وفى هذا يقول الله تعالى : « لقد ارسلنا رسلنا بالبيّنات ، وانزلنا معهم الكتاب والميزان ، ليقوم الناس بالقسط ، وانزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس ، وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوى عزيز . »

ويقول تعالى « من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ، ومن ضل فانما يضل عليها ، ولا تزر وازرة وزر أخرى ، وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ، واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها ، فحق عليها القول فدمّرناها تدميرا » .

٢ ـ وقد تعددت النبوات والرسالات ، فى مختلف الامم ، وعلى مر العصور ، مسايرة للعقل البشرى فى مراحل نموه وتطوره ، ومعالجة للادواء الاجتماعية المتنوعة ، من وقت أن عمرت الدنيا بأبى البشرية « آدم » عليه السلام ، الى مبعث محمد ، ـ عليه الصلاة والسلام ـ فكان خاتم النبيين ، وكان الاسلام دينا خالدا الى يوم القيامة وشريعة عامة للدنيا ، مهما اختلفت البلاد ، وامتدت الازمان ، بعد أن اكتمل للعقل البشرى نضجه ، وبلغت البشرية رشدها ، بحيث تكفي فى هدايتها شريعة الاسلام الخالدة . والى هذه المعاني يشير القرآن الكريم فى قول الله عز وجل : « انا أوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده ، واوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمان ، وآتينا داود زبورا ، ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ، ورسلا لم نقصصهم عليك ، وكلم الله موسى تكليما ، رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ، وكان الله عزيزا حكيما » . « انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ، وانْ من امة الا خلا فيها نذير » . « ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ، ولكن رسول الله وخاتم النبيين » . « ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه ، وهو فى الآخرة من الخاسرين » .

وحدة الديانات السماوية

٣ ـ وقد قامت جميع الاديان السماوية على أصول واحدة فى العقيدة والشريعة : عبادة لله وحده لاشريك له ، وايمان بالبعث والجزاء ، وتحلٍّ بالفضائل ، واجتناب للرذائل ، وامر بالمعروف ونهي عن المنكر . ويقول الله سبحانه : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك ، وما وصينا به ابرهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » . « وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب

- اقتصر الشارع الإسلامي على تغيير ما فسد من عادات ومعاملات.
- شرع الشارع بعض الأحكام لأسباب وقتية، إلى أن زالت بزوال دواعيها.
- النصوص الإسلامية، منها المقطوع به، ومنها المظنون الراجح.

ومهيمنا عليه » . « ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة ، وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا ، لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين » .

وكان الخلاف بينها فى احكام جزئية ، وامور زمنية ، اقتضت نوعا من العلاج اختلف من وقت الى آخر، تبعا لتغير الامراض الاجتماعية والنفسية، التي اعتلت بها صحة البشرية فى تاريخها الماضي الطويل ، وجاءت الشرائع السماوية دواء لادوائها. يقول الله سبحانه : « فاحكم بينهم بما انزل الله، ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق ، لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا » .

وحين يقص علينا القرآن الكريم قصص الماضين، ويروى لنا بعض شرائعهم ، نجد من ذلك ان الله سبحانه كان قد حرم على اليهود بعض الطيبات ، تأديبا لهم ، وفطما لنفوسهم عن الشهوات التي غرقوا فيها الى اذقانهم ، وعقوبة لهم على قتل الانبياء ، والصد عن سبيل الله ، واستغلال الناس عن طريق الربا ، وأكل اموالهم بالباطل ، « وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر ، ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا ما حملت ظهورهما او الحوايا (١) أو ما اختلط بعظم ، ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون » . « فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم ، وبصدهم عن سبيل الله كثيرا ، وأخذهم الربا وقد نهوا عنه ، وأكلهم اموال الناس بالباطل » .

كما اشترط فى قبول توبتهم من معاصيهم ، ان يقتلوا انفسهم ، وينهوا حياتهم ، لانقطاع الرجاء فى صلاح احوالهم وسوء طبيعتهم ، وما بالذات لايتخلف . « واذ قال موسى لقومه : ياقوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل ، فتوبوا الى بارئكم ، فاقتلوا انفسكم ، ذلكم خير لكم عند بارئكم ، فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم » .

ثم جاءت الشريعة الاسلامية تنسخ مثل هذه الاحكام ، يقول الله سبحانه : « .. ويحل لهم الطيبات ، ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم » . « ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به » .

فى ظلال الاسلام

٤ ـ ثم كان من حكمة الشارع الاسلامي ايضا تدرجه فى تشريع أحكامه ، حتى لا يجد الناس حرجا وضيقا فى الانتقال والتحول من حال الى حال ، وحتى تكون اوائل الاحكام وسوابقها مهيئة لقبول اواخرها ولواحقها . تقول السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ : « انما نزل اول مانزل سور من المفصل ، فيها ذكر الجنة والنار ، حتى اذا ثاب الناس الى الاسلام ، نزل الحلال والحرام ، ولو نزل اول شيء : لاتشربوا الخمر ، لقالوا لاندع الخمر ابدا ، ولو نزل : لاتزنوا ، لقالوا : لاندع الزنا ابدا » .

بل انه حين حرم الخمر تدرج فى ذلك ، فقد نزل فيها اولا قول الله تعالى : « ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا، ان فى ذلك لآية لقوم يعقلون » ، **فكان فى ذلك اشارة الى مضار الخمر ، فقد سماها القرآن سكرا ، واشار الى انها ليست رزقا حسنا ، فالعطف ـ كما يقول العلماء ـ يقتضى المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه ، ثم زاد الامر بيانا بعد ذلك فى قوله تعالى :** «يسألونك عن الخمر والميسر، قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس ، واثمهما اكبر من نفعهما » ، **فقد دل ذلك على ان مضار الخمر**

---

(١) الامعاء

اكبر واكثر مما ينسب اليها من منافع . وهذا ينبه الاذهان السليمة ويهيىء النفوس السوية للاذعان لتحريمها فيما بعد . ثم انتقل بعد ذلك الى التحريم الجزئي في بعض الاوقات ، استعدادا للصلاة ، حين طلب منهم عدم الدخول في الصلاة وهم سكارى لايعلمون مايقولون ، وذلك في قوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا ، لاتقربوا الصلاة وانتم سكارى ، حتى تعلموا ما تقولون » . واخيرا وبعد ان تهيأت العقول والنفوس بالبيان القولى والتدريب العملي ، انتهى الامر بالتحريم الدائم ، باوضح عبارات التحريم في قوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ، انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة ، فهل انتم منتهون ؟ » .

٥ ـ وقد اقتصر الشارع الاسلامي على تغيير ما فسد من عادات ومعاملات ، وابقى غيرها مما قامت عليه حياة الناس ، وتحققت به مصالحهم وسعادتهم ، من غير ضرر ولا ضرار ، ومن ذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ نهى عن بيع الانسان ماليس عنده ، حتى ينتفي الغرر في المعاملات ، ومع ذلك رخص في بعض انواعه مما جرت به عادتهم ، ورضيته اعرافهم ، واشتدت اليه حاجتهم ، ونظمه بقوله عليه الصلاة والسلام: « من اسلف فليسلف في كيل معلوم ، ووزن معلوم ، الى اجل معلوم » .

كما نهى عن مبادلة الشيء بمثله مع الزيادة ، سدا لباب الربا ، ورخص في بعض انواع هذه المبادلات التي اعتادوها ، واحتاجوا اليها ، ولم يظهر فيها قصد الربا .

بل انه شرع بعض الاحكام لاسباب وقتية ، ثم غير هذه الاحكام بعد زوال الاسباب الداعية اليها. ومن ذلك ان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ نهى عن ادخار لحوم الاضاحي ، وقت ان قدم عليهم في المدينة ضيوف يحتاجون الى الطعام والاكرام ، ثم اباحه لهم بعد ذلك ، وقال : « كنت نهيتكم عن ادخار لحوم الاضاحي من اجل الدافة التي دفت ـ يعني الضيوف ـ فكلوا وادخروا » .

كما نهاهم عن زيارة القبور في اول الامر ، ابتعادا عما يشبه مظاهر الوثنية التي كانوا فيها ، فلما استقرت العقيدة على اساسها السليم ، شرع لهم زيارتها ، وقال : « كنت نهيتكم عن زيارة القبور ، الا فزوروها ، فانها تذكر بالآخرة . »

٦ ـ وقد قضى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ نحوا من ثلاث وعشرين سنة ، يبلغ ما انزل اليه من ربه ، ويبيّن للناس ما نزل اليهم ، حتى انتقل الى الرفيق الاعلى ، بعد ان بلغ الرسالة ، واكتمل التشريع : « اليوم اكملت لكم دينكم ، واتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الاسلام دينا».

ويقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدى ابدا ، كتاب الله وسنتي » .

في عهد الصحابة

٧ ـ وقد خلفه من بعده خلفاؤه الراشدون وصحابته ـ رضوان الله عليهم ـ بعد ان تخرجوا في مدرسة النبوة ، اعلاما للاجتهاد ، وائمة في التشريع ، وجدت في حياتهم حوادث ، وطرأت مشاكل ، وحدثت اقضية ، فبينوا حكم الله فيها ، مستندين الى النصوص ، ومستنيرين بروحها وفحواها ، واجتهدوا في ذلك ولم يألوا جهدا ، واقتضاهم ذلك بيان احكام جديدة لحوادث جديدة ، وتغيير احكام تطبيقية كانت معروفة فيما قبل ، مستهدفين تحقيق مصالح الناس ، وهي اساس التشريع ، وغايته الاولى . من غير تجاوز للنصوص ، ومن غير افراط ولا تفريط .

ثم سار على منوالهم من تابعوهم باحسان من التابعين والفقهاء المجتهدين .

وهنا نتساءل : ما الحدود الفاصلة بين الاحكام المستقرة والاحكام المتغيرة ؟ ومتى يكون تغيير الاحكام تجاوزا للنصوص وخروجا عليها ، ومتى يكون هذا التغيير في رحابها وتحت ظلالها ؟ وهذا ما نريد الاجابة عنه ، بعد ان نقدم لذلك بالقواعد التالية :

النصوص الاسلامية
بين القطعية والظنية في الثبوت

٨ ـ النصوص التشريعية ليست في درجة واحدة من الثقة بثبوتها عن الشارع ، فمنها ماتيقن ثبوته وصدوره عنه ، بدون ادنى شك او ريبة ، وهو القرآن الكريم ، وما صح عن رسول الله ـ صلعم ـ من سنة نبوية متواترة .

ومنها ما يترجح ثبوته وصدوره عن الشارع ، وهو السنة النبوية التي لم تبلغ مبلغ التواتر ،

وبعبارة اخرى هي السنة الاحادية الشاملة لما اطلق عليه بعض العلماء : « السنة المشهورة او المستفيضة » فان شهرتها او استفاضتها عندهم لم تخرجها عن دائرة الرجحان الى اليقين ، وان وصلت عندهم فى الرجحان الى قمته ونهايته ، حتى افادت عندهم ما اسموه علم « الطمانينة » .

النصوص الاسلامية بين القطعية والظنية فى الدولة

٩ ــ ثم ان هذه النصوص قرآنا كريما او سنة نبوية ، ليست فى مرتبة واحدة ايضا ، من جهة دلالتها على معانيها والاحكام التي تؤخذ منها ، فبعضها يدل على معنى واحد لايحتمل غيره مطلقا، وبعضها تترجح دلالته على معنى معين ، مع احتمال دلالته على معنى آخر يغايره .

ويتضح الفرق بين النوعين من المقارنة بين دلالة قوله تعالى : « ولكم نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد » على ان الزوج يرث نصف تركة زوجته التي ماتت عن غير ولد ، تلك الدلالة التي لا تحتمل الاية غيرها مطلقا .

ودلالة قوله تعالى : « .. وامسحوا برءوسكم »

على مقدار ما يمسح من الراس فى الوضوء ، وهل هو الراس كله او بعضه ، او دلالة قوله تعالى: « والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء » على ما تعتد به المراة المطلقة ، وهل هو وقت الدورة الشهرية المعروفة للمراة او ما يعقبها من طهر .

وغير ذلك من امثلة كثيرة ، مما اختلفت فيه انظار العلماء قديما وحديثا من عصر الصحابة الى الان ، تبعا لاختلافهم فى معنى الكلمة فى اللغة العربية ، وفي مقصود المشروع ، وتبعا لاختلافهم فى صحة بعض الاحاديث النبوية المبينة لهذه الالفاظ وعدم صحتها ، ومدى ما تفيده هذه الاحاديث اذا صحت روايتها .

النصوص التشريعية بين الاجمال والتفصيل

١٠ ــ ولما كانت العلاقات الاجتماعية تختلف بطبيعتها ، فيما تحتاج اليه من احكام تنظمها ، وتحقق المصلحة بها ، ومدى استقرار هذه الاحكام ودوامها ، فقد جاءت آيات القرآن الكريم وبيانها فى السنة النبوية بالاحكام مفصلة فيما لايتغير بتغير الزمان او المكان ، وبالاحكام مجملة فيما يتغير ويتطور باختلاف البيئة او العصر ، فى عمر الدنيا الطويل ، وما يحمله من اساليب علمية وحضارية واجتماعية ، واقتصرت فى هذا النوع الاخير على وضع القواعد العامة ، والمبادىء الاساسية ، تاركة التفصيلات والجزئيات واختيار ما يتلاءم من احكامها لاولى الامر واهل الذكر فى الامة الاسلامية ، فى كل زمان ومكان .

ويظهر لنا الفرق جليا بين احكام فصلها القرآن واحكام اجملها ، حين نقارن بين النصوص التي بينت المحرمات من النساء فى الزواج ، والتي فصلتها تفصيلا فى قوله تعالى : «ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء ، الا ما قد سلف ، انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا ، حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم .. » الى آخر الايات وما اتصل بها من احاديث نبوية ، او النصوص التي فصلت القول فى انصبة الورثة فى قوله تعالى : « يوصيكم الله فى اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين ، فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك ، وان كانت واحدة فلها النصف ، ولابويه لكل واحد منهما السدس مما ترك .. » الى آخر هذه الايات وغيرها من آيات وأحاديث نبوية فى هذا الشان فصلت الاحكام فى هذا الجانب الذى لا يمكن ان تدعو اسباب الى تعديله او تطويره .

وبين النصوص التي وضعت الشورى اساسا للحكم ، حيث جاءت مجملة فى قوله تعالى : « فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الامر ، فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين » وقوله تعالى : « والذين استجابوا لربهم واقاموا الصلاة وامرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون » من غير تفصيل لاحكام الشورى ونظامها وصورها لا فى القرآن الكريم ولا فى السنة النبوية.

او النصوص الخاصة بالعقوبات حيث اقتصرت على بيان عقوبات امهات الجرائم ، التي يشتد خطرها ، ويتساوى جزاؤها فى كل عصر ومصر ، تاركة ما عداها من الجرائم ــ وما اكثرها ــ الى القواعد الكلية ، ثم الى اولى الامر واصحاب الاختصاص ، يشرعون لها العقوبات المناسبة ، الكافية فى تطهير المجتمع ، وردع المجرم .

يبحث له وصل ان شاء الله . ■■

زكريا البرى

طرائف

بين ابى ذر الغفارى

● أوفد عثمان بن عفان رضى الله عنه بعطية من النقود الى ابى ذر الغفارى مع عبد له وقال له :

ان قبل منك ابو ذر الغفارى هذه العطية فانت حر لوجه الله ، فتوسل

● قال احد الحكماء : ليس من خلة يمدح بها الغني الا ذم بها الفقير ، فان كان شجاعا قيل اهوج ، وان كان وقورا قيل بليد .. وان كان لسنا قيل مهذار ، وان كان زميتا (اى كثير الوقار) قيل عيى .

طبيب يداوى الآذان

● ارق معاوية ذات ليلة . فقال لخادمه : اذهب الى عبد الله بن جعفر واخبره بخروجي اليه ، فذهب فاخبره . فأخذ معاوية يمر على مجلس اصحابه ويدعوهم للذهاب الى بيت عبد الله بن جعفر ، فمر على مجلس فقال : مجلس من هذا ؟ قال : مجلس رجل يداوي الآذان . انه مجلس خادمك حديج . قال : ان اذني عليلة فاحضر مجلس عبد الله بن جعفر في الحال .

فلما اجتمع المجلس كله . قال معاوية : يا حديج داو اذني من علتها ، فاخذ العود ثم غنى :

آمِنْ ام آوفى دمنة لم تكلّم　　　بحَوْمانة الدّراج فالمتثلم

فحرك عبد الله راسه ، فقال معاوية: لم حركت راسك يا ابن جعفر ؟ قال : اريحية اجدها يا امير المؤمنين . لو لقيت عندها لابليت ، ولئن سئلت عندها لاعطيت . ثم قال ابن جعفر لحديج : هات غير هذا . فغنى حديج :

اليس عندك شكر للتى جعلت　　　ما ابيض من قادمات الشعر كالحمَم
وجددت عنك ما قد كان أخلقه　　　صرف الزمان وطولُ الدهر والقدَم

فطرب معاوية طربا شديدا وجعل يحرك رجله ، فقال ابن جعفر : يا امير المؤمنين سألتنى عن تحريك راسي فاخبرتك، وانا أسالك عن تحريك رجلك. فقال معاوية : كل كريم طروب ، ثم قام وقال : لا يبرح احد منكم حتى يأتيه اذنى . فبعث الى ابن جعفر بعشرة آلاف دينار ، ومائة ثوب من خاص ثيابه والى كل رجل منهم بالف دينار وعشرة أثواب .

عربية

وعثمان بن عفان

العبد الى ابى ذر ، وقال له : تقبل هذه العطية من امير المؤمنين يا ابا ذر ففيها عتقى، فنظر اليه ابو ذر نظرا شزرا وقال له والله أن كان في قبول هذه العطية عتقك فان فيها رقى .

لا عافاكم الله

● لما قتل مصعب بن الزبير خرجت سكينة بنت الحسين تريد المدينة ، فاحاط بها اهل الكوفة ، وقالوا : احسن الله صحابتك يا بنت رسول الله . فقالت : والله لقد قتلتم جدى وابي وعمي وزوجي مصعبا،ايتمتموني صغيرة، وارملتموني كبيرة ، فلا عافاكم الله من اهل بلد ولا احسن عليكم الخلافة .

تهنئة وتعزية معا

● لما توفي معاوية بن ابى سفيان ،واستخلف يزيد ابنه ، اجتمع على باب قصر الخلافة جمع غفير من الرؤساء والأدباء والأمراء ، كل يريد ان يجمع بين التهنئة والتعزية للخليفة الجديد ، فلم يستطيعوا ذلك ، ثم أتى عبد الله بن هشام السلولى ، فتخطى رقاب الناس ومثل بين يدى يزيد فقال : يا امير المؤمنين آجرك الله على الرزية ؛ وبارك لك في العطية . وأعانك على الرعية ،فقد رزئت عظيما ، واعطيت جسيما ، فاشكر الله على ما أعطيت ، واصبر على ما رزئت .

فقدت خليفة الله ، ومنحت خلافة الله ، ففارقت جليلا ، ووهبت جزيلا ، اذ قضى معاوية نحبه فغفر الله ذنبه ، ووليت الرئاسة فأعطيت السياسة ، فأوردك الله موارد السرور ووفقك لصالح الأمور ثم أنشد :

اصبر يزيد فقد فارقت ذا ثقة
واشكر حباء الذى بالملك أصفاكا

لا رزء اصبح في الأقوام نعلمه
كما رزئت ولا عقبى كعقباكا

اصبحت والى أمر الناس كلهم ..
فانت ترعاهم والله يرعاكا

★ ★ ★

رجل بلغ السؤدد

● كتب معاوية الى زياد : انظر رجلا يصلح لثغر الهند فوله ، فكتب اليه : ان قبلي رجلين يصلحان لذلك ، الاحنف ابن قيس : وسنان بن سلمة الهذلي ، فكتب اليه معاوية : بأى يومي الاحنف نكافيه : ايخذلانه ام المؤمنين ، ام بسعيه علينا يوم صفين لا فوجه سنانا . فكتب اليه زياد : ان الاحنف بلغ من الشرف والحلم والسؤدد ما لا تنفعه الولاية ولا يضره العزل .

نتيجة مسابقة العدد ١٣٣

ساسة قادة و علماء أدباء

■ انحصرت مسابقة العدد ١٣٣ من « العربي » في شخصيات تاريخية نبغت واثرت في منحى من مناحيه العديدة ، وكان المطلوب ذكر صفة تلك الشخصيات ، وفي اى قرن ماتوا ، وكان الخيار لك في أن تذكر القرون الهجرية أو الميلادية ، وقد تكرم البعض فذكر التاريخين معا .

اليك أيها القارىء نموذجا للاجابة الصحيحة ، وأسماء الذين فازوا بهذه المسابقة .

اسم الشخصية	صفتها	التاريخ الهجرى بالقرون	التاريخ الميلادى بالقرون
خالد بن الوليد	قائد عربى	الاول	السابع
عبد الرحمن الناصر	قائد وخليفة أندلسي	الرابع	العاشر
صلاح الدين الايوبى	قائد	السادس	الثانى عشر
تيمورلنك	طاغية وقائد	التاسع	الخامس عشر
ابن جرير الطبرى	مؤرخ وفقيه	الرابع	العاشر
صفى الدين الحلى	شاعر	الثامن	الرابع عشر
جنكيزخان	قائد تترى	السابع	الثالث عشر
محمد بن عبد الوهاب	مصلح دينى	الثالث عشر	الثامن عشر
ياقوت الحموى	جغرافي	السابع	الثالث عشر
ابن الهيثم	عالم فزيائى	الخامس	الحادى عشر
عبد الرحمن المهدى	زعيم دينى	الرابع عشر	العشرين
ابو فراس الحمدانى	شاعر عربى	الرابع	العاشر
عنترة بن شداد	شاعر وفارس	في الجاهلية	السادس
الفيروزآبادى	صاحب قاموس	التاسع	الخامس عشر
الزمخشرى	مفسر دينى	السادس	الثانى عشر
الجاحظ	كاتب	الثالث	التاسع
ابن المقفع	كاتب	الثانى	الثامن
عبد الحميد الكاتب	كاتب	الثانى	الثامن
على مبارك	مصحح وكاتب	الرابع عشر	العشرين
عبد القادر الجيلانى	متصوف	السادس	الثانى عشر

ملاحظة : الاوصاف التى ذكرنا ، قد تستبدل بأوصاف أخرى صحيحة ، أجزناها ما تحققت صحتها .

أسماء الفائزين

الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها :

عبد الرحمن محمد شاغوش ــ طرابلس ــ ليبيا

الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها :

عبد الوهاب على الحسن ــ المنامة ــ البحرين

الجائزة الثالثة وقيمتها عشرة دنانير فاز بها :

ممدوح ياسين عرابى ــ حماة ــ سوريا

٨ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا كل منها خمسة دنانير فاز بها :

احمد جمال قاسم الرفيع ــ شتورة ــ لبنان .

فوزى خالد محمد اشبير ــ القاهرة ــ ج.ع.م.

احمد على القطان ــ الرميثية ــ الكويت

عبدالرحيم شاكر محمود ــ السماوة ــ العراق

عثمان بن محمد القاضي ــ عنيزة ــ السعودية

عبد الله ابراهيم السقاف ــ المكلا ــ اليمن الجنوبية

احمد على بيضون ــ عمان ــ الاردن

حمد عبدالرحمن الأزرق ــ أم درمان ــ السودان

وسوف ترسل الجوائز لأصحابها . ■■

فلسفة ابن رشد

منهج جديد لدراستها

بقلم : الدكتور محمد عاطف العراقى

■ نشأ ابن رشد (١) في بقعة محدودة من ارجاء الوطن العربى ولكن صيته امتد وانتشر في ارجاء العالم شرقا وغربا ، وحارت الأذهان امام عمق فلسفته وتضاربت الآراء تضاربا لا حصر له حول النظريات التى تحتويها مؤلفاته وشروحه وتفاسيره وتلاخيصه .

ولد في أوائل القرن الثانى عشر الميلادى وتوفى في مراكش ١١٩٨م، واننا نجد من واجبنا – وقد اشتغلنا سنوات عديدة بتراث ابن رشد – التعريف بجانب من حياة فيلسوفنا ، ثم بيان نواحى نبوغ هذا الفيلسوف مقدمين من جانبنا تفسيرا وتأويلا جديدا للفلسفة الرشدية عله يكون دافعا للمشتغلين بدوائر الفلسفة في أرجاء العالم الى اعادة النظر في بعض التفسيرات التى توصل اليها نفر من الدارسين لفلسفة ابن رشد .

لقد نشأ ابن رشد في بيئة عقلية . فجده كان من كبار الفقهاء . وكذلك كان أبوه . اذ أن ابن رشد قد استظهر على أبيه الموطأ حفظا . ولم يأخذ ابن رشد الفقه عن أبيه فحسب ، بل أخذه عن أبى القاسم بن بشكوال وأبى مروان بن مرة وأبى بكر بن سمحون وأبى جعفر بن عبد العزيز وأبى عبد الله المازرى .

والدليل على تعمقه في دراسة الفقه ، وضعه لكتابه القيم « بداية المجتهد ونهاية المقتصد » في الفقه وأصبح بذلك أوحد عصره في علم الفقه والخلاف . بل ان من المؤرخين من ذهب الى أن شهرة فيلسوفنا انما ترجع أساسا الى اشتغاله بالفقه .

فاذا انتقلنا من الفقه الى الميادين الاخرى ، وجدنا تعمقا لا حد له من جانب فيلسوفنا . فبالنسبة لعلم الكلام، نجد من جانبه نقدا وتفنيدا لآراء علماء الكلام يكشفان عن دراسته العميقة لهذا العلم . وما يقال عن الفقه وعلم الكلام يقال عن دراسته لمذاهب الفلاسفة ، وشرحه لارسطو ، ودراسته للطب . وبذلك جمع فيلسوفنا الخالد بين هذه الميادين العديدة بعد دراسته الطويلة

(١) انظر ايضا العربي العدد الثامن صفحة ٧١ عن « ابن رشد مؤسس الفكر »

طيلة حياته . يقول ابن الابار : « انه لم يدع النظر ولا القراءة منذ عقل الا ليلة وفاة أبيه وليلة بنائه على اهله ، وانه سوّد فيما صنف وقيد والف وهذّب واختصر نحوا من عشرة آلاف ورقة» .

هذا ما يقوله ابن الابّار ، وهذا صدق ، اذ اننا لو رجعنا الى تلك القوائم (١) التى وضعها امثال المستشرقين بروكلمان Brockelmann ورينان Renan ، وجدنا فيلسوفنا قد تعمق في دراسة ميادين عديدة تكاد تشمل كل العلوم والمعارف الموجودة في عصره .

ونشير بايجاز الى سبب نكبته فنقول :

اننا اذا رجعنا الى كتب التراجم ، سواء القديمة منها والحديثة ، وجدنا الكثير منها يورد سببا او اكثر من سبب لنكبته ، ومنها من يورد جملة اسباب ويحاول ترجيح واحد منها .

من هذه الأسباب ما ذكره لنا عبد الواحد المراكشي في كتابه « المعجب في تلخيص اخبار المغرب » ، حيث قال : « ان من اهم اسباب نكبته هو أن ابن رشد حين أخذ في شرح كتاب الحيوان لأرسطو قال فيه عند ذكر الزرافة « وقد رايتها عند ملك البربر » ، غافلا بذلك عما يجب عليه من تعظيم الملوك عند ذكرهم .

ومن الأسباب التى ذكرها انه كانت هناك صلة قوية بين ابن رشد وبين ابى يحيى ، أخى المنصور ووالى قرطبة . ولا يخفى انه كانت هناك جفوة بينهما كما تذكر ذلك كتب التاريخ .

والمهم عندنا أن جمهرة المؤرخين قد اتفقوا على ان بداية النكبة كانت عندما قدم قوم ممن يناوئونه من اهل قرطبة الى المنصور — وهو ذلك الذى حدثت في عهده نكبة فيلسوفنا — بعض التلاخيص التى كان يكتبها ابن رشد على مؤلفات ارسطو ، وفيها يقول : « فقد ظهر أن الزهرة احدى الآلهة » واوقفوا ابا يوسف المنصور على هذه الكلمة . ونجم عن ذلك أن استدعاه المنصور في جمع من الرؤساء والأعيان ، ولعنه وأمر بطرده من المجلس. هذا علما بان ابن رشد انما كان يحكى عن غيره لا عن نفسه .

وقد انتهى الأمر بنفى ابن رشد الى اليسانة وهى على مقربة من قرطبة . ثم استدعاه المنصور الى حضرة مراكش في اخريات ايامه للاحسان اليه والعفو عنه . ويبدو لنا — اذا أردنا أن نرجع سببا حقيقيا لنكبته — انه من الضرورى عدم اقتطاع هذا الحادث الذى أريد به النيل من اعظم فلاسفة الاسلام على وجه الاطلاق ، عن التيار العام الذى كان موجودا بالاندلس . وهو ذلك التيار الذى كان مصبوغا بمحاولة بعض الفقهاء الاخذ بناصية الفكر ، محاولين من جانبهم توجيه الاتهام والذم الى كل من حاول منازعتهم في هذا المجال . ومن هنا فانه يبدو لنا ان السبب الحقيقى لنكبته انما يكمن في تهويلات بعض الغلاة من الفقهاء الذين حاولوا تصوير الدين وكأنه يتنافى والفلسفة ، اىّ فلسفة . وهذا فيما نرى قد يعد السبب الحقيقى لنكبته .

يقول ابن رشد : « فكم من فقيه كان الفقه سببا لقلة تورعه وخوضه في الدنيا ، بل اكثر الفقهاء ، هكذا نجدهم . وصناعتهم انما تقتضى بالذات الفضيلة » .

لقد صوروا مبادىء ابن رشد على انها كفر وزندقة،قام بهذا بعض الغلاة من الفقهاءواشياعهم ممن رغبوا في الاستيلاء على الجو الفكرى ،ونظروا الى علوم الأوائل على أنها علوم يجب هجرها .

شرحه لأرسطو ، وكيف وقع له ذلك

قلنا ان ابن رشد قد تعمق في دراسة جوانب عديدة من المعرفة الانسانية . ولكننا لم نتحدث عن أهم وأعظم عمل قام به . عمل كان سببا في تلك المكانة التى حظى بها في أوربا دهرا طويلا . ذلك شرحه لأرسطو وتقديم فلسفة خالية من الشوائب والمتناقضات والتأويلات الفاسدة التى طالما وجدناها عند أسلافه من الشراح والفلاسفة

ولكن ما الظروف التى هيأت له ذلك ؟

يجدر بنا ان نتحدث عن اتصاله بالخليفة اذ ان هذا الاتصال كان من أهم الأسباب التى دفعت به الى القيام بهذا الشرح . يقول ابن رشد : « لما دخلت على أمير المؤمنين أبى يعقوب وجدته هو وابا بكر بن طفيل ، ليس معهما غيرهما . فأخذ أبو بكر يثنى على ويذكر بيتىوسلفى ويضم بفضله الى ذلك أشياء لا يبلغها قدرى . فكان أول ما فاتحنى فيه أمير المؤمنين بعد ان سألنى عن اسمى واسم ابى ونسبى ، أن قال لى : ما رأيهم في

---

(١) يمكن الرجوع الى القائمة التى وضعناها للموجود فعلا من مؤلفات وشروح ابن رشد ، وذلك في كتابنا : « النزعة العقلية في فلسفة ابن رشد » ص ٢٢٥ وما بعدها . (طبعة دار المعارف بمصر) ...

السماء ــ يعني الفلاسفة ــ أقديمة هي أم حادثة؟ فأدركني الحياء والخوف وأخذت أتعلل وأنكر اشتغالي بعلم الفلسفة ، ولم أكن أدري ما قرر معه ابن طفيل . ففهم أمير المؤمنين مني الروع والحياء . فالتفت الى ابن طفيل وجعل يتكلم على المسألة التي سألني عنها ويذكر ما قاله ارسطو وافلاطون وجميع الفلاسفة ، ويورد مع ذلك احتجاج أهل الاسلام عليهم . فرايت منه غزارة حفظ لم أظنها في أحد من المشتغلين بهذا الشأن المتفرغين له . ولم يزل يبسطني حتى تكلمت ، فعرف ما عندي من ذلك (١) . »

هذه هي المقابلة التي كانت بداية لقيام فيلسوفنا ابن رشد بشرح ارسطو .

الدعوة لمنهج جديد في دراسة فلسفة ابن رشد

المنهج الجديد الذي ندعو اليه هو ضرورة الرجوع الى شروحه على ارسطو . ويجب علينا معشر المشتغلين بالفكر الفلسفي العربي عدم الاقتصار على مؤلفات ابن رشد الاخرى ، تلك التي لا تمثل عندنا غير جانب تقليدي من فلسفته. اما اذا اردنا الغوص وراء المعاني الباطنة والحقيقية لفلسفته ، فلا بد لنا من الرجوع الى شروحه . ودليلنا على ذلك ان المتتبع لهذه الشروح يجد انها قد تضمنت أهم واكثر عناصر فلسفته . فطالما نجد بين تضاعيفها نقدا حرا جريئا للمتكلمين وغيرهم من مفكري الاسلام . وطالما نجد فيها أيضا دعوة الى اللجوء الى البرهان ، والتجاوز عما عداه من اساليب اقناعية وخطابية وجدلية .

ولكن قد يقال ان هذه الشروح لا تمثل وجهة نظره الحقيقية . اذ أن العادة قد جرت على ان المفكر حين يؤلف كتابا يودعه افكاره الخاصة . وحين يشرح او يفسر كتابا لغيره يقتصر على ايراد افكار واضع الكتاب نفسه . ولكن ردنا على ذلك أن ابن رشد على وجه الخصوص يختلف تماما عن ذلك . فهو :

اولا : يبدي اعجابه الشديد بارسطو ، كما سيتبين لنا بعد قليل .

ثانيا : نجد بين ثنايا مؤلفاته الاخرى تأييدا لما يذهب اليه في شروحه على ارسطو كما سيتضح بعد قليل .

وهذا ان دل على شيء فانما يدل على ضرورة الرجوع مباشرة الى شروح الفيلسوف واعتبار مؤلفاته مجرد كتب احتوت حقائق اراد بها مجرد التعبير عن جوانب تقليدية . وقد يكون ما دفعه الى ذلك ظروف المجتمع في عصره والتي لم تكن تسمح بالتعبير حرا عن افكار قد يبدو في بعضها من الجرأة والصراحة ما لا حد له .

« فصل المقال » و « مناهج الادلة »

توضح ذلك من جانب آخر .

فمشكلة التوفيق بين الدين والفلسفة تعد مشكلة زمنية .

بمعنى ان فلاسفة الاسلام كان واجبهم في عصرهم قبل البدء في تقرير نظرياتهم وضع محاولة للتوفيق بين الدين والفلسفة . وهذا هو دافع ابن رشد مثلا لكتابة « فصل المقال » و « مناهج الادلة » ، وهذان الكتابان طالما احتفلنا بهما وبالغنا في بيان عمقهما متغافلين عن شروحه . بالاضافة الى ان كتابا مثل « تهافت التهافت » لابن رشد انما كان الهدف الاساسي منه مجرد الرد على الغزالي ، بمعنى انه يتضمن عرضا نقديا اكثر من كونه يحتوى على عناصر بنائية في صلب مذهب ابن رشد .

اعجاب ابن رشد بأرسطو

قلنا ان فيلسوفنا ابن رشد قد ابدى اعجابه بارسطو . دليل هذا اننا اذا رجعنا الى شروحه وبعض تآليفه وجدناه قد فضله على جميع الفلاسفة الذين سبقوه والذين أتوا بعده حتى زمان ابن رشد .

فهو مثلا يقول في مقدمة تفسيره لكتاب الطبيعيات:

« مؤلف هذا الكتاب أكثر الناس عقلا ، وهو الذى الف في علوم المنطق والطبيعيات وما بعد الطبيعة ، وأكملها . وسبب قولي هذا أن جميع الكتب التي الفت في هذه العلوم قبل مجيء ارسطو لاتستحق جهد التحدث عنها » .

ويقول ابن رشد في مقدمة تلخيصه لكتاب الحيوان لارسطو : « نحمد الله كثيرا على اختيار ذلك الرجل ــ اي ارسطو ــ للكمال . فوضعه في اسمى درجات الفضل البشري ، وهو يقول : ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء » .

---

(١) المعجب في تلخيص اخبار المغرب لعبد الواحد المراكشي ص ٢٤٢ ــ ٢٤٣ وأيضا :

E. Renon : Averroes et L'Averroisme P 33

ونود ان نشير من جانبنا في معرض دعوتنا الى هذا المنهج الجديد – الذى قلنا انه يتمثل في المطالبة بالرجوع الى شروح الفيلسوف على ارسطو – الى ان هذا الاعجاب من جانب فيلسوفنا لم يكن منه مجرد شعور طارىء فحسب ، بل نحسب انه كان صادرا عن عقيدة . ودليلنا على ذلك أن هذا الاعجاب من جانبه قد استحال الى محاولة لتأييد ارسطو وتبرير اقواله فى اكثر نظرياتـه .

ان ابن رشد يعمد الى عرض آرائه الخاصة في سياق شروحه لارسطو . وهو اذا كان يفسر كتب ارسطو ويعلق عليها ، فانه بدوره يتجاوز التفسير والتعليق ويتطرق الى بعض القضايا الفلسفية واللاهوتية ولا سيما في معرض رده على الاشاعرة بصفة خاصة والمتكلمين على وجه العموم . ونلاحظ انه اذا كان ينقد رأيا من الاراء فذلك لانه لايتفق مع فلسفته وايضا مع مبادىء ارسطو وفلسفته التي قلنا فيما سبق انه يؤيدها تأييدا ظاهرا .

الطريق البرهاني هو الطريق الذى يتبعه ابن رشد

واذا كان ابن رشد – كما اتضح لنا – يؤيد ارسطو دون غيره فان سبب ذلك انه يحاول الارتفاع الى مستوى البرهان ، ومحاولته الارتفاع الى هذا المستوى البرهانى هو الذى جعله ينقد المتكلمين تارة والفارابي وابن سينا تارة اخرى، مبينا ان الكثير من اقوالهم لاتعدو كونها طرقا اقناعية او على احسن الفروض طرقا جدلية . وكل من الطريقتين تعدان في مرحلة ادنى من مرحلة البرهـان .

ونسوق قولا من « تهافت التهافت » لابن رشد يؤيد اتجاه فيلسوفنا الى البرهان . فهو يقول : « اعنى بالحكمة النظر في الاشياء بحسب ما تقتضيه طبيعة البرهان » . كما يقول – في معرض تفضيله الطريق البرهاني على ما عداه من طرق اخرى – « ان الاقاويل البرهانية قليلة جدا حتى انها كالذهب الابريز في سائر المعادن والدر الخالص من سائر الجواهر » كما يقول فيلسوفنا ايضا – في معرض رده على الغزالي – « ان الفلاسفة يبحثون على اساس هذا البرهان . فهم طالبو معرفة الموجودات بعقولهم لامستندون الى قول من يدعوهم الى قبول قوله من غير برهان . بل ربما خالفوا الامور المحسوسة » .

ونستطيع ان نستخلص من اقوال ابن رشد انه ينقد طريقين ويرتضى لنفسه طريقا ثالثا . فهو ينقد الادلة الخطابية – وهذا هو الطريق الاول – لانها جعلت لاهل الاقناع الذين يسلكون المسلك الاقناعي في جوانب بحثهم واعتقادهم .

وهو ينقد ايضا الأدلة الجدلية – وهذا هو الطريق الثاني – اذ انها خاصة بالجدليين اصحاب علم الكلام . ونقده لهم أعنف من نقده لاصحاب المسلك الاقناعي .

اما الطريق الثالث – وهو كما قلنا ان ابن رشد يرتضيه لنفسه – فهو طريق البرهان . وهو عنده خاص بالفلاسفة ، أو ينبغي أن يكون كذلك. وابن رشد يؤيد المسلك البرهاني او القياس البرهاني لانه فيلسوف اصلا . والمبادىء التى يلزمها اهل البرهان هي المبادىء العقلية والمنطقية التي لا يستطيع اى فيلسوف التخلى عنها في بحثه فى قضايا الفلسفة .

مبادىء يقررها طريق البرهان

ولكن ما هي أهم المبادىء التى يقررها طريق البرهان هذا الذى ارتضاه ابن رشد آخذا اكثر عناصره عن أرسطو ، ثم مطبقا له على قضايا فلسفته ؟

اذا رجعنا الى تلخيص ابن رشد لبرهان ارسطو ، وهو لم يزل بعد حبيسا في عالم المخطوطات (١) ، وجدنا ابن رشد يقول : « ان البرهان يقرر أننا نعلم الشيء علما حقيقيا متى علمناه ، لا لأمر عارض على نحو ما يفعل السوفسطائيون بل متى علمناه بالعلة الموجبة لوجوده ، وعلمنا أنها علة ، وأنه لايمكن ان يوجد دون تلك العلة » (٢) .

كما يذهب الى انه اذا كان من الضرورى ان يفيد البرهان علم الشيء على ما هو عليه في الوجود بالعلة التى هو بها موجود – اذ كانت تلك العلة من الامور المعروفة لنا بالطبع – فانـه

(١) شرعنا في تحقيق هذا المخطوط الهام اعتمادا على نسخة دار الكتب المصرية . ونرجو ان يظهر قريبا .

(٢) ص ١٧٦ من المخطوطة .

يجب أن تكون مقدماته صادقة ، واوائل ، وغير معروفة بحد أوسط ، وأن تكون أعرف من النتيجة ، وأن تكون علة النتيجة بالوجهين جميعا : اى علة لعلمنا بالنتيجة .. وعلة لوجود ذلك الشيء المنتج نفسه (١) .

بالاضافة الى ان هذه المقدمات تعرف بالعقل ، وهو الذى يدرك اجزاء القضية المعروفة بنفسها . دليل هذا ان النتيجة الضرورية ــ فيما يرى ابن رشد ــ لاتكون الا عن مقدمات ضرورية . واذا كان من شرط العلم الحق ان تكون النتيجة ضرورية ، فانه يجب ان تكون مقدمات البرهان ضرورية اى غير مستحيلة ولا متغيرة (٢) .

نظرية المعرفة

قلنا ان ابن رشد قد ارتضى طريق البرهان مستمدا اساسه عن ارسطو من خلال شروحه ثم حاول تطبيقه على كافة المشكلات الفلسفية . وهذا يؤدى بنا الى القول بضرورة الاعتماد اساسا على الشروح . بحيث اننا اذا وجدنا ثمة تعارضا بين قضاياه التى بثها في تضاعيف شروحه وقضاياه التى ذهب اليها في مؤلفاته ، فان الاساس عندنا هو الشروح لا المؤلفات ، التى لا يخفى ــ كما قلنا ــ ان بعض ما فيها قد وضع لظروف وحاجات اجتماعية .

واذا كنا قد سقنا فيما سبق بعض الاقوال التى ذكرها ابن رشد والتى تهدينا الى الطريق الذى ارتضاه ، فاننا ايضا اذا رجعنا الى الاسس الرئيسية التى تحكم نظرياته، وجدنا صدق ذلك. بمعنى انه من السهل علينا رد عناصر فلسفته الى مبادىء استقاها عن ارسطو وتوصل اليها ــ كما قلنا ــ من خلال قيامه بالشرح والتفسير ، مقدما لنا الدليل تلو الدليل على صحة ما ارتضاه وقرره . ويمكن ان ندلل على ذلك بامثلة موجزة غاية في الايجاز في حدود النطاق المرسوم لهذه المقالة ، قاصدين من ذلك الدعوة الى تجاوز ذلك الطريق التقليدى الذى طالما بحثت فلسفته على اساسه .

فهو مثلا في نظرية المعرفة يتجاوز المعرفة الحسية ليصل الى المعرفة العقلية ، طبقا لما يقول به من تدرج الوظائف العقلية . كما يعتقد القول بوجود كليات مفارقة ، وذلك بناء على رايه الذى يذهب فيه الى ان المعقولات تستند الى المحسوسات .

وهذا ان دلنا على شيء فانما يدلنا على ان فيلسوفنا شانه في ذلك شان ارسطو ، يصعد من الحسى الى العقلى ومن الجزئي الى الكلى . فليس العلم علماً للمعنى الكلى ، ولكنه علم للجزئيات بنحو كلى يتمثل في قيام الذهن بتجريد الطبيعة الواحدة المشتركة التى انقسمت في المواد .

من هذه النقطة ــ فيما نعتقد ــ يبدأ ابن رشد في بيان رايه في مشكلة غاية في الاهمية لعبت دورا هاما عند فلاسفة ومتصوفة الاسلام . فاذا كان هنالك طريقان للاتصال : اتصال يبدأ بالمحسوسات حتى يصل الى حصول المعقولات في عقلنا ، واتصال يعتمد على القول بانه موهبة الهية لا تتيسر الا للسعداء ، فان ابن رشد يقول بالطريق الاول ، وذلك طبقا لمذهبه في تدرج المعرفة الانسانية من المحسوسات حتى تصل الى المعقولات ، اى يقول بتطور طبيعي للمعرفة ، منكرا طريق التصوف . وذلك ــ كما قلنا ــ يتمثل في اعلانه انه لا سبيل الى الاتصال الا بالعلم ، اى عند النقطة التى تصل فيها ملكات الانسان الى اقصى قوتها .

خاتمة

هذه نقاط سقناها . وكل ما نرجوه هو ان نعيد النظر في تلك الدراسات التى كتبها نفر من المستشرقين والمؤلفين العرب في دوائر الفلسفة في العالم كله والتى تدرس اساسا فلسفة ابن رشد. هذه الدراسات التى اعتمدت أكثر ما اعتمدت على المؤلفات دون الشروح . صحيح اننا لو رجعنا الى ما كتب عن فيلسوفنا وخاصة ما كتبه مونك Munk ورينان Renan وجدنا ايمانا بأهمية هذه الشروح . ولكن ذلك من جانبهما يعد محاولة لا ترتفع الى مستوى التفسير الكلى الشامل لحقيقة مذهبه . هذا التفسير الكلى الشامل لن يتحقق الا بالاعتماد على شروحه وجعل مؤلفاته تابعة لهذه الشروح ان صح هذا القول .

■■

محمد عاطف العراقى

(١) المصدر السابق ص ١٧٦

(٢) المصدر السابق ص ١٧٩ ــ ١٨٠

الجاحظ

نصير المرأة

بقلم : ظافر القاسمي

أستاذ اللغة العربية في الجامعة اللبنانية

■ لم يكن موضوع المرأة من المواضيع التي يمكن ان يعرو عنها قلم ابي عثمان الجاحظ ، وهو الامام الذى خاض فى كل فن ، وحلق فى كل باب ولجه ، وكان بحق كما قال عنه بديع الزمان فى مقاماته ــ وهو من هو ــ : « وليس منا من لم يشن عليه الغارة ، وخرج على كتفه منه الكارة » (١) .

ولقد رأيت الذين كتبوا عن الجاحظ من الادباء والعلماء المعاصرين ، قد اغفلوا هذا الموضوع الاجتماعي الهام ، على الرغم من أن معلم العقل والادب قد افرد له كتابا برأسه . سماه «كتاب النساء » لم يصلنا بكامله وانما وصلت الينا منه قطع ضمنها حسن السندوبى في الكتاب الذى سماه « رسائل الجاحظ » ونشره عام ١٩٣٥ ، ولاندرى هل هذا الواصل هو اختيار السندوبي ، ام انه وجده كما هو فنشره ، لانه عنونه «من كتاب فى النساء » .

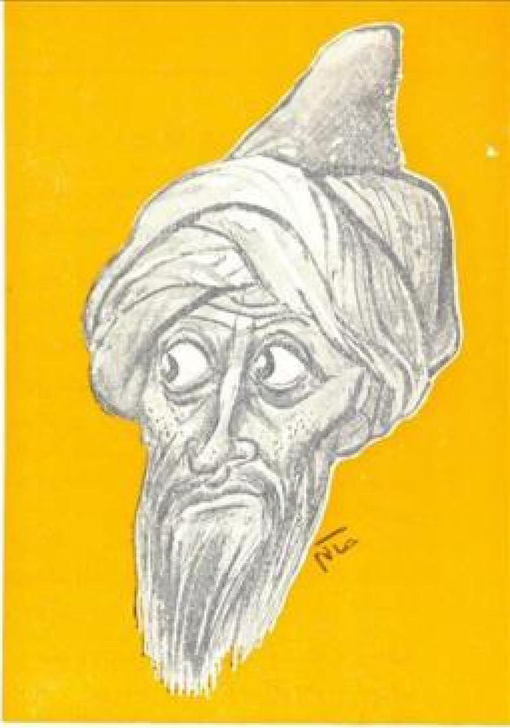
ولعل الباحثين فى امور المخطوطات يرشدوننا الى مكان وجود الكتاب ، اذا كان مازال موجودا .

الذى بين ايدينا لايعدو ثماني صفحات . وعلى انها من النزر اليسير ، فقد تضمنت حلاوة الجاحظ وفكاهته ، وتهكمه ، وعلمه بالشريعة ، وتملكه ناصية اللغة ، وطلاوة سبكه للعبارة ، وحسن اختياره للالفاظ ، وجمال الاسلوب واشراقه . وعلى الجملة فهذه الصفحات من أروع الأنموذجات التى تدل على شخصية الجاحظ القوية ، وعلى انه « معلم العقل والادب » .

وسترى أن الجاحظ قد نصب نفسه في هذا الكتاب نصيرا للمرأة ، مدافعا عنها ، رافعا لشانها مكرما لمزاياها ، معددا لخصالها ، لسبب ادلى به هو نفسه في اواخر كتابه حيث يقول (ص ٢٧٢) :

---

(١) الكارة : ما يحمل على الظهر من الثياب .



« ولسنا نقول ، ولا يقول احد ممن يعقل : ان النساء فوق الرجال ، أو دونهم بطبقة أو طبقتين او بأكثر ، ولكنا رأينا ناسا يزرون عليهن أشد الزراية ، ويحتقرونهن أشد الاحتقار، ويبخسونهن اكثر حقوقهن . وان من العجز أن يكون الرجل لا يستطيع توفير حقوق الآباء والأعمام ، الا بأن ينكر حقوق الأمهات والأخوال ، فلذلك ذكرنا جملة ما للنساء من المحاسن . ولولا أن أناسا يفخرون بالجَلَد وقوة المُنّة ، وانصراف النفس عن حب النساء ، حتى جعلوا شدة حب الرجل زوجته وولده دليلا على الضعف ، وبابا من الخور، لما تكلفنا كثيرا مما شرطناه في هذا الكتاب».

فالجاحظ يقدم الينا هذه الصورة الواضحة عن المجتمع العربي في القرن الثالث الهجري ،وعن نظرة هذا المجتمع الى المرأة . وليست هذه الصورة مجهولة بالنسبة الى بعض أصقاع العالم العربي حتى اليوم ، فما زالت موجودة بكل معانيها ، ان لم يكن قد اضيف عليها ما يجعلها اشد ظلما وابلغ كآبة . كما ان هذه الصورة ليست جديدة في عصر الجاحظ ، وانما هي قديمة قدم العصر الجاهلي . وقبل ان نصل الى العصر الجاهلي ، نرى اماما آخر من ائمة الأدب والعلم ، هو عبد الله بن المقفع ، سبق الجاحظ بأكثر من مئة عام ، ومات في أواسط القرن الثاني الهجري ، وقد تجرأ على المرأة فسلقها بألسنة حداد ، فقال :

ـ وانما النساء أشباه ، وما يتزين في العيون والقلوب من فضل مجهولاتهن على معروفاتهن ، باطل وخدعة ، بل كثير مما يرغب عنه الراغب مما عنده ، أفضل مما تتوق اليه نفسه منهن . وانما المرتغب عما في رحله منهن الى ما في رحال الناس ، كالمرتغب عن طعام بيته الى ما في بيوت الناس ، بل النساء بالنساء ، أشبه من الطعام بالطعام ..

ولم يكن ليفوت الجاحظ ان كتب ابن المقفع يحرص عليها الخاصة من الناس ، ويتأدب بها المبتدئون من طلاب العلم . وما كان تشبيه ابن المقفع للمرأة بالطعام ، الا صورة ايضا لصور المجتمع العربي في القرن الثاني امتدت الى أيام الجاحظ فأكدها في كتابه . ولهذا نراه قد انبرى ليؤلف كتابا برأسه للدفاع عن المرأة .

وعلى الرغم من أن الرسول الاعظم ، صلى الله عليه وسلم ، قد جاء في رسالته العظيمة ، بما يمحو الأثر السيىء الذي تركه العصر الجاهلي في نفوس العرب،بشأن المرأة ، حيث كانوا يئدونها ويحرمونها الارث ، ويشبّونها كالمتاع ، ولا يعرفون ـ اذا سبوها ـ براءة الأرحام وطهارتها ، وربما عرفت بعض القبائل تعدد الأزواج ، وعلى الرغم من أن الاسلام قدجعل الجنة تحت اقدام الأمهات، وقال الرسول عن النساء انهن القوارير فأوصى بالرفق بهن ، كما أوصى في خطبة الوداع فقال :

ـ استوصوا بالنساء خيرا فانهن عندكم أعوان، لا يملكون لأنفسهن شيئا ، وانكم أخذتموهن بأمانة الله .

كما قال الرسول لمن طلب اليه أن يدله على أفضل البر : « عليك أمك » **. فقال السائل :** « ثم ؟ » **فقال الرسول :** « عليك أمك » **، فقال السائل :** « ثم ؟ » **فقال الرسول :** « عليك أمك».

ثم قال : « عليك أباك » ، بعد أن أعاد الوصية بالأم ثلاث مرات ، الى غير هذا كثير مما تجده مبثوثا في كتب السنة والسيرة .

على الرغم من هذا فان النظرة الى المرأة لم تكن في المجتمع العربي بالعمق الذى اراده الاسلام، ولا بالرفعة التى امرت بها الشريعة وقد يكون نظام الجوارى بين العوامل الكبرى التى لم تفسح مجالا كبيرا لترسيخ قواعد الاسلام من حيث النظر الى المرأة . فقد سارع هذا النظام منذ ان بدأت الفتوحات في الصدر الاول وما بعده الى تسرب الاماء في المجتمع ، وما رافقهن من بيع وشراء،وتبذل وابتذال،وعرض وطلب،وامتهان في أكثر الأحيان . وكان طبيعيا أن لا يفرق أكثر الناس بين الحرائر والاماء ، فكلهن في الخلقة والتكوين والطبائع نساء.وبقيت القلة القليلة من المسلمين، التى ادركت أن الدين الجديد انما هو تنظيم اجتماعي كامل، الى جانب انه أوامر ونواه الهية.

ولعل عمر بن الخطاب أجل من أدرك هذه الحقيقة ، وهو الذى وأد بنتا له في الجاهلية ثم عرف في الاسلام حق البنت على أبيها ، وأنه ينبغى عليه أن يسعى لايجاد زوج لها ، فلما عادت بنته حفصة أرملة من الحبشة جاء الى أبى بكر يقول : « هل لك في حفصة ؟ » فيرده أبو بكر ويقول : « ليست لى حاجة في النساء » . فيذهب الى عثمان ، فلا يلقى منه خيرا مما لقى من أبى بكر . فيذهب الى الرسول الانسان السياسي غاضبا ، شاكيا ، فاذا بالرسول الأعظم يبتسم ويقول : « فأما حفصة فتتزوج خيرا من عثمان » ، ويتزوجها هو صلوات الله عليه ،فكان زواجا سياسيا ، عرف عمر أسبابه ، فربما دخل على بنته وقال لها كما في الصحاح : « لولا عمر لطلقك محمد ! » .

على الرغم من هذا كله بقى كثير من العامة والخاصة على السواء ، ينظرون الى المرأة نظرة لا ترضى عنها الشريعة . ونكاد نجزم بأن وراء تاليف الجاحظ لكتابه في النساء أسبابا خاصة ، كما نقول في هذه الأيام ، الا ان الجاحظ لم يشر اليها من قريب أو بعيد .

أما كيف دافع الجاحظ عن المرأة ، وما هى الأدلة التى ساقها لاقامة الحجة على خصومه ، فاليك البيان :

الأدلة الشرعية

لقد أورد الجاحظ دليلين من كتاب الله ، فقال في الأول منهما (ص ٢٦٨) :

« انا لم نجد أحدا من الناس عشق والديه ولا ولده ، ولا عشق مراكبه ومنزله ، كما رأيناهم يموتون فى عشق النساء الحرام .

قال الله تعالى : « زُين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ». فقد دل تبارك وتعالى على جملة أصناف ما خولهم من كرامته ، ومنَّ عليهم من نعمته ، ولم تر الناس وَجَدوا بشيء من هذه الاصناف وَجْدهم بالنساء. ولقد قدَّم ذكرهن في هذه الآية ، على قدر تقدمهن في قلوبهم ».

وحجة الجاحظ هنا عاطفية خالصة ، ولفظية محضة . فهو يتجه الى قلوب الرجال ، ليبرهن لهم ان الله تعالى حينما عدد الشهوات قدم النساء ، فهن اذن مقدَّمات في قلوب الرجال . ولا ريب في أن بعض المفسرين قد نحا هذا النحو ، فاعتبر ترتيب القرآن الكريم دليلا على التقديم في جميع آيات الاحكام . فليس الجاحظ اذن بدعا بين المفسرين في هذا التأويل .

واما الدليل الثانى فقد كان تخريجه في غاية الذكاء والفطنة . قال الجاحظ (ص ٢٧١) :

ـ « ان الله تعالى خلق من المرأة ولدا من غير ذَكَر ، ولم يخلق من الرجل ولدا من غير انثى . فخصَّ بالآية المجيبة والبرهان المنير ، المرأة دون الرجل ، كما خلق المسيح في بطن مريم من غير ذكر » . وهذا أسلوب قد تميز به الجاحظ بين كتاب العربية .

الأدلة العقلية

وفي هذه الأدلة تتبين شخصية الجاحظ ،وقصص قواه العقلية ، وطريقته في الاقناع ، التى شهر بها ، حتى قيل انه معلم العقل والأدب . واليك بعض الأمثلة من هذه الادلة . قال الجاحظ (ص ٢٦٩) :

« المرأة أرفع حالا من الرجل فى أمور منها : انها التى تُخْطَب ، وتراد وتعشق وتطلب ، وهى

التى تفدى وتحمى . قال عنبسة بن سعيد للحجاج بن يوسف : أيفدي الامير أهله ؟ قال : والله ان تعدونني الا شيطانا ، والله لربما رايتني اقبّل رجل احداهن . »

ويغنيني ان الجاحظ قد ساق هذا المثل متعمدا ، للدلالة على أن اقسى القلوب ، كمثل قلب الحجاج ، تلين للاهل ، حتى يصل اللين الى درجة تقبيل الرجل .

ودليل آخر يسوقه الجاحظ فيقول (ص ٢٦٧):

« لم نر الرجال يَهَبون للرجال الا ما لا بال له في جنب ما يهبون للنساء، حتى كان العطر والصبغ والخضاب والكحل والنتف والقص والتحذيف والحلق وتجويد الثياب وتنظيفها والقيام عليها وتعهدها ، مما لم يتكلفوه الا لهن ، ولم يتقدموا فيه الا من أجلهن . وحتى كأن الحيطان الرفيعة، والابواب الوثيقة ، والستور الكثيفة، والخصيان، والظؤورة ، والحشوة ، والحواضن ، لم تتخذ الا للصون لهن ، والاحتفاظ بما يجب من حفظ النعمة فيهن » .

ويتناول الجاحظ في فصل من الكتاب لم يبق مع الاسف الا اقله ، اسرار الحياة الخاصة ، وصميم الحياة الزوجية ، والعلاقة بين الازواج فيتخذ من ذلك دليلا على ان شان الزوجة اجل شان عند الرجل ، فيقول ص ٢٧٠ :

« ومما يستدل به على تعظيم شأن النساء أن الرجل يستحلف بالله الذى لا شيء أعظم منه، وبالمشي الى بيت الله ، وبصدقة ماله ، وعتق رقيقه ، فيسهل عليه ولا يأنف منه . فان استحلف بطلاق امرأته تربّد وجهه ، وطار الغضب في دماغه ، ويمتنع ، ويعصي ، ويأبى ، وان كان المحلِّف سلطانا مهيبا ، وان لم يكن يحبها ، ولا يستكثر منها ، وكانت نفسها قبيحة المنظر ، دقيقة الحسب،خفيفة الصداق ، قليلة النشب . وليس ذلك الا لما قد عظّم الله تعالى من شأن الزوجات في صدور الازواج » .

الخاتمة

ويختم الجاحظ كتابه بجملة من جوامع الكلم ، لخص رأيه في سطور ، فكان آية الآيات في المعنى حيث قال (ص ٢٧٢) :

« ونحن وان رأينا أن فضل الرجل على المراة في جملة القول في الرجال والنساء أكثر وأظهر ، فليس ينبغي لنا أن نقصّر في حقوق المراة ، وليس ينبغي لمن عظّم حقوق الآباء أن يصغّر حقوق الأمهات ، وكذلك الاخوة والاخوات ، والبنون والبنات . وأنا وان كنت أرى أن حق هذا أعظم ، فان هذه أرحم . » ■■

ظافر القاسمي

بخيل وجبان

● لما قتل عبد الملك بن مروان مصعب بن الزبير وجه اخاه بشر بن مروان على الكوفة ، ووجه معه رَوْح بن زنباع الجذامي كوزير ، وكان روح رجلا عالما داهية ، غير انه كان من اجبن الناس وابخلهم ، فلما راى اهل الكوفة من بخله ما رأوا ، تخوفوا ان يفسد عليهم امرهم ، وكانوا قد عرفوا جبنه ، فاحتالوا في اخراجه عنهم ، فكتبوا ليلا على بابه :

ان ابن مروان قد حانت منيته
فاحتلْ لنفسك ياروحٍ بن زنباع

فلما أصبح ورأى ذلك لم يشك انه مقتول ، فدخل على بشر واستأذنه في الشخوص ، فأذن له . وخرج حتى قدم على عبد الملك ، فقال له : ما أقدمك ؟ قال يا أمير المؤمنين : تركت اخاك مقتولا أو مخلوعا . . قال : كيف عرفت ذلك ؟ فأخبره الخبر فضحك عبد الملك حتى فحص برجليه ثم قال : احتال لك اهل الكوفة حتى اخرجوك عنهم .

الجوع

الجوع له في الجسم مراكز عدة تبدأ في تقلصات المعدة وتنتهي في مراكز المخ .

بقلم : الدكتور فاخر عاقل

استاذ علم النفس في جامعة دمشق

■ لما كانت المادة التي يتكون منها الانسان تفنى وتتناقص كان لا بد لتعويضها من ان يأكل الانسان ويشرب ، فبالانسان اذن حاجة الى الاكل والشرب . وينتج عن الطعام والشراب فضلات لا بد من اخراجها ، ولذا كانت للانسان حاجة لاخراج الفضلات . والجسد الانساني يتعب ولذلك فهو يحتاج الى الراحة . ولكي يحفظ الانسان بقاءه لا بد له من الابتعاد عن كل ما يصيب جسمه باذى فهو محتاج الى ذلك . وقل الامر نفسه عن حاجة الانسان الى الاكسجين وحاجته ـ لتخليد نوعه ـ الى الجنس الآخر . وغير ذلك .

وهكذا نجد ان للحياة حاجات اساسها فيزيولوجي صرف . وهذه الحاجات اما ان تدفعنا الى اعمال ايجابية كالاكل والشرب واما الى اعمال سلبية كاجتناب كل ما قد يضر بكياننا .

ونحن اذا لم نرض حاجاتنا العضوية الفيزيولوجية يختل التوازن الفيزيولوجي لكياننا ويتحتم علينا حينئذ ان نقوم بنشاطات لا تتوقف الا بارضاء الحاجات او بتعب الكيان لدرجة يعجز معها عن الاستمرار في هذه النشاطات .

وعلى هذا فنحن حين نقول ان الطعام والشراب (الماء) يُرضيان حاجات طبيعية نعني بذلك انهما يعيدان الاتزان الفيزيولوجي الذى اخلّت به حاجاتنا .

يقول عالم من علماء النفس :

« ان الكائن الحي مخلوق بشكل ، يستطيع معه كلّ تأثير مزعج ان يدعو آليّاً فاعلية مكافئة تصلح الازعاج » .

ولا شك في ان ما قصده هذا العالم هو ترميم الانسجة المخربة بواسطة الكريات البيضاء للدم وبشكل آلي ، وكذلك تنظيم حرارة الجسد بالتعرق . والفاعلية التى تخلقها حاجة لم ترض كالحاجة الى الطعام تساعد هي نفسها على الحصول على الطعام الذى يقضي على الجوع .

وهذا الذى قلناه لا يعني طبعا ان هذه الحاجات تؤدى دوما وبالضرورة الى افعال ترضيها مباشرة، ففي الجوع مثلا يجب ان يتعلم المخلوق ، ولا سيما اذا كان انسانا ، كيفية الحصول على الطعام ليقضي على الجوع . وهكذا فان الحيوان الذى يندفع للمرة الاولى بحاجة الى الطعام لا يعرف ان الطعام يعيد الى كيانه توازنه . ان الحيوان يمص ، والمص بحد ذاته ارتكاس (فعل منعكس) مناسب ولكنه غير محدد . فالحيوان يمص كل ما يقع في فمه سواء اكان ما يمصه شعرا او قماشا او حلمة ثدى ، ولكن حلمة الثدى وحدها هي التى يزيل مصها الشعور بالجوع ولذلك يتعلم المخلوق في النهاية ان يمصها وحدها اذا اراد التخلص من الجوع .

الجوع صنوف ...
فهناك جوع للسكر، وجوع للدهن، وجوع للحم وغير ذلك ..

أجسام الكائنات قد تهدي أصحابها الى نوع من الطعام بسبب نقص مقداره في أجسامها.

ومن هنا نتبين ان الحاجة الى الطعام حاجة فيزيولوجية ضرورية لبقاء المخلوق وان الجوع دافع فيزيولوجي يشعر بهذه الحاجة ويدفع الى ارضائها .

ومن نافلة القول ان نشير الى ان هذه الحاجات الفيزيولوجية وما يقابلها من دوافع اساسية في الحياة النفسية وانه ما لم نفهمها فهما صحيحا مبنيا على البحث والتقصي العلميين فان فهمنا للحياة النفسية سيكون ناقصا ومشوها .

طبيعة الجوع

عمل (كانون Cannon) وهو احد مشاهير علماء الفيزيولوجيا المعاصرين عام ١٩٣٤ على اكتشاف طبيعة دافع الجوع . وكان من الطبيعي ان يعتقد ان المعدة على علاقة بهذه الطبيعة . ولما كان يعلم ان المعدة كيس عضلي ذو جدران ثخينة فقد قرر ان يكتشف ما اذا كان لتقلصات المعدة علاقة بالاحساس بالجوع ولذلك فقد طلب الى



اشخاص مجرَّبٍ عليهم أن يبتلع كل منهم بالونا صغيرا وقد نفخ البالون فيما بعد وربطه بآلة تسجيل . وحين تقلصت المعدة ضغطت على البالون الذى كانت نهايته الخارجية متصلة بآلة التسجيل التى سجلت التغيرات في الضغط الهوائي . وفي نفس الوقت طلب كانون الى كل من المجرَّبِ عليهم الضغط على زر يشبه أزرار البرقة كلما شعر بالجوع فوجد ترابطا عاليا بين الاحساس بالجوع وتقلصات المعدة .

ولكن قصة الجوع لا تقف عند تقلصات المعدة ، اذا ما الذى يسبب تقلصات المعدة ؟ وقد جاء الجواب عن طريق دراستين أجريتا عام ١٩١٥ و١٩٣٠ وذلك حين حقن كلب شبع بدم كلب جائع فلوحظ ان تقلصات المعدة قد بدأت عند الكلب الشبع . ولما فعل العكس اى حقن كلب جائع بدم كلب شبع توقفت تقلصات المعدة عند الكلب الجائع مما دعا العلماء الى الاستنتاج بانه اذا كان من الممكن بداية التقلصات عند الكلب الشبع بحقنه بدم الكلب الجائع وايقاف التقلصات عند الكلب الجائع بحقنه بدم الكلب الشبع فلا بد اذن من وجود صلة بين الاحوال الكيميائية للدم وتقلصات المعدة. وحينئذ طرح السؤال : ما هي هذه الاحوال الكيميائية ؟

ان واحدة من الفرضيات التى افترضت هي مقدار السكر في الدم . وقد لوحظ فيما بعد اننا اذا خفضنا مستوى السكر في الدم بواسطة حقن الانسولين لاحظنا ان تقلصات المعدة تبدأ حالا وان قرصات الجوع تظهر بشكل جلي ، كما لوحظ اننا اذا أعطينا المجرب عليه الجليكوز ، وهو مادة ترفع مستوى السكر في الدم ، فان تقلصات المعدة وعضات الجوع تقف حالا .

على انه من الواجب أن تسجل هاهنا أنه رغما من تأكيدنا بان بعض وجوه كيمياء الدم مسؤولة عن هذه الظاهرة الفيزيولوجية التى ترافق الجوع فان طبيعة كيمياء الدم ليست واضحة حتى الآن . ذلك بانه على ما يبدو لا توجد صلة في الظروف السوية بين مستوى السكر في الدم عند الانسان والجوع .

وحينئذ قامت فرضية ثانية تنسب المسؤولية عن تقلصات المعدة وقرصات الجوع الى بعض الهورمونات التى توجد في الدم . ان هذه الهورمونات هي التى تسبب قرصات الجوع وتقلصات المعدة والشعور بالجوع وبالتالي تدفع الى الفاعلية العامة الناتجة عن الحرمان من الطعام .

هذا وقد دلت دراسات اخرى على ان شيئا اكثر من تقلصات المعدة موجود في اساس الجوع ، كما دلت على ان الحيوانات ، مثلها في ذلك مثل البشر ، تخضع لعدد عديد من دوافع الجوع وما تستتليه من شهيات ، مما سنعرض له عما قليل . والحق ان محاولة استكشاف الظروف الكيميائية القابعة وراء الحرمان من الطعام ادت الى سلسلة من البحوث لم تنته بعد ، وان الاجابة على سؤال ما بهذا الخصوص ادت وتؤدى الى اسئلة اخرى لا بد لها من جواب .

ان الجوع لا يمكن ان يوصف بسلسلة من الاسباب تقود فيها حلقة واحدة (مثل تقلصات المعدة) الى حادث آخر (مثل الشعور بالجوع) مسبب عن حادث ثالث (هو كيمياء الدم) ان مثل هذا التسلسل غير موجود بالرغم من الحقائق التي ذكرنا .

ان تقلصات المعدة مثلا ليست اساسية في الاحساس بالجوع والدفع الى البحث عن الطعام . فالاشخاص الذين ازيلت معداتهم لسبب من الاسباب قالوا بأنهم يحسون بالجوع . والفئران التى استئصلت معداتها تصرفت تماما كتصرف الفئران التى لم تحرم من معداتها في تعلم المشكلات التى تكون على صلة بالثواب الطعامي . وهكذا يتضح انه من الممكن التجاوز عن تقلصات المعدة دون الاضرار بالاحساس بالجوع .

ولقد دلت البحوث المتاخرة على انه لا بد من اخذ الدماغ بعين الاعتبار في البحث عن دافع الجوع ومحاولة فهم الظروف الفيزيولوجية المرافقة له . لقد دلت بحوث العالم ستيللر Steller عام ١٩٥٤ على انه من الممكن استثارة تقلصات المعدة بواسطة الاثارة الكهربائية المباشرة لبعض اجزاء الهايبوثلاموس Hypothalamus وهي جزء من منطقة السرير البصرى الموجودة على جذع الدماغ .

اما اثارة بعض المناطق الاخرى من الهايبوثلاموس فانها تستطيع ايقاف تقلصات المعدة . وهكذا يبدو ان الدافع للاكل مرتبط مباشرة بوظائف الهايبوثلاموس وقيامه باعماله . وقد ايدت هذه الحقائق تجارب أجريت على الفئران . ان تخريب بعض المناطق الصغيرة من الهايبوثلاموس عند الفئران يستطيع ان يؤدي الى تزايد اكل الفئران ولدرجة ان وزنها يتضاعف خلال شهرين (ميللر ١٩٥٧) وبالمقابل فان اذى صغيرا يلحق باقسام اخرى من الهايبوثلاموس عند الفئران يستطيع ان يقضي على سلوكها الطعامي نهائيا . وهكذا يبدو ان الهايبوثلاموس يحتوي على مراكز عصبية قادرة على استثارة دافع الطعام او القضاء عليه ، ويتضح من ذلك كله ان سلسلة الاحداث التي وصفنا (الاحساس بالجوع، تقلصات المعدة ، كيمياء الدم الخ .....) لا بد من اكمالها بعمل المراكز العصبية في الدماغ ولا سيما منطقة الهايبوثلاموس .

أنواع من الجوع خاصة

لقد تحدثنا حتى الآن عن الجوع بصفة عامة ، ولعلنا قد خلقنا بذلك انطباعا لدى القارىء بان الجوع دافع واحد موحد . ولكن القارىء اذا نظر في خبرته الخاصة يلاحظ انه لا يشتهي — في كثير من الاحيان — الطعام او اي طعام وانما يشتهي طعاما معينا . ان الخبز مثلا رخيص وهو قادر على ايقاف تقلصات المعدة ولكن الانسان لا يكتفي به ولكنه يصرف الكثير من وقته وجهده وماله للحصول على شريحة من اللحم .

ولذلك فانه من الانسب في معظم الاحيان ان نتكلم عن جوع معين وشهية خاصة الى طعام معين بدلا من التحدث عن الجوع بصورة عامة . اننا نلاحظ انئذ ان سلوك البحث عن الطعام يتجه الى انواع خاصة منه . ولهذا الامر اسباب عديدة . وقبل أن نتحدث عن هذه الاسباب لا بد من تفحص بعض الحقائق الهامة .

ان الفئران التي تطعم طعاما كاملا وتحرم في الوقت نفسه من السكر تظهر تفضيلا واضحا للسكر حين تخير بين السكر والدهن والقمح . وقل الامر نفسه عن الفئران التي تحرم من الدهن والتي تظهر تفضيلا دقيقا له حين تتاح لها فرص الاختيار . والشيء نفسه صحيح عن الفئران التي تحرم من القمح والتي تفضله تفضيلا كبيرا اذا ما سنحت لها الفرصة للتعويض عما ينقصها . وكل ذلك دلت عليه تجارب يونغ Young عام ١٩٤٠ . لقد دلت دراسات هذا العالم على ان الفئران قادرة على اظهار تفضيلها للسكر والدهون والملح والصوديوم والكالسيوم والفوسفور والفيتامين والريبوفلافين حين تحرم من هذه المواد الغذائية الاساسية .

ان الفئران ليست من خبراء التغذية ومع ذلك فانها تتصرف وكانها على قدر كبير من الخبرة في هذا الصدد . انها قادرة على ان تختار من أصناف عديدة من الطعام ما يلزمها للحصول على طعام متوازن .

ولقد أجرى يونغ تجارب على الطعام الاختياري طبقها على العديد من الحيوانات الاليفة . وقد سميت هذه التجارب بتجارب الطعام الاختياري لان المخلوق حر في ان يختار طعامه من عدد عديد من الاطعمة . وقد دلت هذه التجارب على ان الخنازير والابقار وفراخ الدجاج قادرة على اختيار طعامها بشكل متوازن تماما . والواقع ان نمو الخنازير — حين اطعمت باختيارها — كان لا يقل عن نمو الخنازير التي اطعمت وفق جدول وضعه علماء التغذية .

وقد دلت تجربة اجراء ديفيس Dav's عام ١٩٢٨ في مستشفى للاطفال ودامت طيلة عام على ان الاطفال قادرون على اختيار طعامهم من عدد عديد من الاطعمة النيئة والمطبوخة بشكل جعل نموهم لا يقل عن نمو أمثالهم من الأطفال . وفي هذه التجربة كانوا يذهبون للحصول على بعض الاطعمة (مثل الموز والكبد) باستمرار والحاح لحاجتهم اليها .

ان مثل هذه التجارب تثبت أن الكائنات الحية لها أنواع من الجوع خاصة وتتطلب لارضاء هذا الجوع أطعمة خاصة . كما تثبت أيضا أن هذه الكائنات قادرة — بطريقة ما — على اختيار الاطعمة التي ترضي أنواع جوعها الخاصة .

والسؤال الذى يطرأ هنا هو : كيف تختار الكائنات اطعمتها ؟

تفضيل الأطعمة

للفئران وغيرها من الحيوانات بما في ذلك الانسان ، ميول خاصة نحو بعض الأطعمة الخاصة ، وهذا واضح من اختيارها لبعض الأطعمة أكثر من بعضها الآخر بالرغم من توفر جميع الانواع . ولقد ظهر من الفقرة السابقة ان هذا التفضيل يختلف باختلاف حاجات الجسد . ولكن السؤال الذى طرحناه في نهاية الفقرة السابقة عن كيفية اختيار الكائنات اطعمتها ما زال بحاجة الى جواب .

ان واحدا من الأجوبة الممكنة هو طريقة المحاولة والخطأ . ومعنى هذا أن الكائن الحى يختار طعامه في البداية اختيارا عشوائيا ولكنه لايلبث أن يتعلم ان بعض الاطعمة ـ التى يلاحظها بصريا او ذوقيا او شميا ـ قادرة على ارضاء حاجاته وعلى اعادة التوازن الجسدى له في حين أن الاطعمة الاخرى عاجزة عن ذلك فينتهى من هذا كله الى البحث عن هذه الاطعمة حين يشعر بالحاجة اليها .

وثمة تعليل آخر ممكن وهو أن الحاجة الفيزيولوجية تؤثر مباشرة على حاسة الذوق أو الشم او كلتيهما بحيث أن الكائن ينجذب الى بعض الأطعمة وينفر من بعضها الآخر وبحسب هذه النظرية تكون الحاجة الى البروتين سببا في جعل اللحم طيبا في مذاقنا او شمنا فننجذب اليه .

واهمية الذوق في اختيار الطعام المناسب دللت عليها تجربة لجأ فيها الى قطع العصب الموجود في لسان الفار مما خرب حس الذوق عنده فلوحظ حينئذ ان الفار اصبح عاجزا عن اختيار الطعام المناسب حين سمح له بالتغذى على طريقة الطعام الاختيارى .

ولعلنا لا نخطىء اذا قلنا ان هاتين النظريتين صحيحتان جزئيا وانه لا تكفى كل واحدة منهما لتعليل قدرة الحيوان على اختيار طعامه وتلبية حاجاته الطعامية . وهكذا فان النظريتين تتكاملان في تعليل قدرة المخلوق على اختيار طعامه .

وبقى سؤال هام جدا وهو : اذا كانت العضويات قادرة على اختيار الطعام المناسب لها فلماذا لا تفعل ذلك دوما ؟

وفى الجواب عن هذا السؤال نقول ان الطعام غير المناسب ينتج عن أسباب ثلاثة مختلفة :

اولها « انه ما كل طعام خاص له دافع خاص وهكذا فانه بالرغم من أن الفئران المحرومة من الدهون تطلب الدهون وتختارها فان الفئران المحرومة من فيتامين (أ) لا تفضل الاطعمة الغنية بهذا الفيتامين كما دللت على ذلك تجارب أجراها وايلدر عام ١٩٢٧ . ان بعض الجرذان التى حرمت من البروتين لم تستطع اختيار الطعام الغنى بالبروتين والذى يعوض نقصه عندها وحاجتها اليه بالرغم من أن هذا الطعام كان موفورا . ان من سوء الحظ أن لا تكون الفاعليات ذات التنظيم الذاتى بالنسبة لاختيار الطعام موجودة بالنسبة لكل الحاجات الطعامية .

وثانيها : ان العادات الاجتماعية قد تتدخل في اختيار الطعام فتحرم الكائنات الحية من بعض حاجاتها ومثال ذلك ان بعض الشعوب الآسيوية في الشرق الأقصى تشكو من نقص فيتامين (ب١) عند افرادها مما يسبب لهم مرض البرى برى Beri Beri ان طعام هذه الشعوب يتألف بالدرجة الأولى من الأرز المقشور ، وحين ازالة القشرة الخارجية للأرز يقضى على مصدر هام من مصادر فيتامين (ب١) .

وفى الشيء نفسه عن امكان الحاق الضرر بالناس عن طريق تفضيلهم لبعض الاطعمة او كراهيتهم لبعض الأطعمة الاخرى . وهكذا فان الشخص الذى يفرط في اكل السكر او يكره اكل الخضار والحبوب قد يحرم من بعض ضرورات التغذية .

وثالثها : هو ان الكائنات قد تنمى شهيات لأطعمة لا تحتاجها وهكذا فان الكثيرين من البشر اليوم يفضلون تناول الخمور على تناول بعض المشروبات الأكثر فائدة .

الجوع في الحياة اليومية

الشهية البشرية يمكن أن تثار بالنظر والشم والمذاق بالرغم من فقدان الجوع بمعناه الفيزيولوجى

كما أن الشهية تستثار بواسطة الشهيات المختلفة من مشروبات وتوابل ومخللات وسواها . أضف الى ذلك أن رؤية الآخرين يتناولون طعامهم تستثير شهية الطعام لدى الانسان .

وهذه المؤثرات جميعها لا تؤثر في وقت الطعام فحسب بل تؤثر الى جانب ذلك في مقدار الطعام ونوعه ايضا .

أما آثار الاشتراك فى الطعام مع الآخرين فقد لوحظت عند الحيوانات اذ لوحظ أنه اذا حفظت سجلات للمقادير التى يأكلها الحيوان منعزلا والمقادير التى يأكلها وهو مع الحيوانات الأخرى فاننا نجد أن الحيوان يأكل أكثر حين يكون مع الآخرين .

كما لوحظ أن مرات الطعام المعتادة لها أهميتها وبقطع النظر عن الحاجات الفزيولوجية ، فاذا تعودنا مثلا أن نأكل عددا من المرات في اليوم نجد اننا نميل الى الطعام في الأوقات المعينة حتى ولو كنا غير جائعين . وهكذا تلعب العادة دورا كبيرا في مناسبات الطعام .

ثم ان العادات الاجتماعية والتقاليد هى المسؤولة عن انجذابنا الى بعض الأطعمة المعينة وعزوفنا عن بعضها الآخر كلحم الخيل مثلا .

ولا ننسى أن نشير ها هنا الى دور الحضارة والمدنية في تنظيم عملية الأكل وجعلها أمرا يتميز لا باللذة فحسب بل وبالذوق والجمال أيضا . ان نظرة واحدة الى وجبة الطعام في بيت متحضر أو الى وليمة تقام بمناسبة اجتماعية تكفى للدلالة على مقدار ما وصل اليه دافع الجوع من تنظيم وتحضير . ان ادوات الطعام المختلفةوطرق التجميل الكثيرة جعلت من تناول وجبة الطعام علما وفنا وذوقا وجمالا نستمتع بها جميعا .

تجارب على الجوع

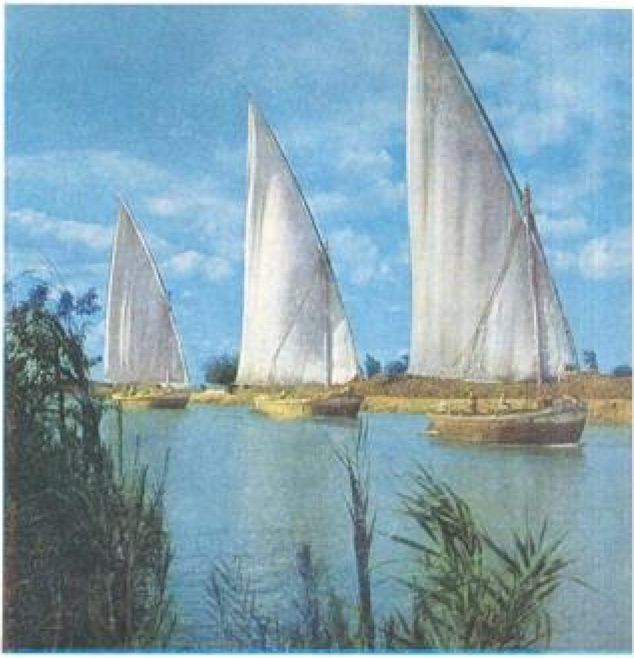
وختاما لحديثنا عن الجوع نسوق تجربة أجريت خلال الحرب العالمية الماضية وأشرف عليها علماء من جامعة منيسوتا في الولايات المتحدة الامريكية . لقد كان القصد من الدراسة التعرف على آثار الجوع عند اثنين وثلاثين من المتطوعين . لقد بدأ العلماء بدراسة هؤلاء المتطوعين مدة ثلاثة أشهر في ظروف سوية . وأعقب ذلك ستة أشهر من التجويع المنظم بحيث نقص وزن كل مجرب عليه قرابة ٢٥٪ ، ثم تلا ذلك فترة من ثلاثة أشهر عوض فيها على المجرب عليهم .

ولقد بحث المجربون أمورا كثيرة تتصل بالصحة والفيزيولوجيا العامة وعلم النفس . ولقد ظهرت فروق فردية كبيرة بين المجرب عليهم . ومن الآثار السيكولوجية التى لوحظت الشعور بالضعف والاحساس بقرصات الجوع وسهولة الاستثارة واضاعة الاهتمام بالجنس والاهتمام غير العادى بكتب الطبخ وصور الطعام . لقد ساد دافع الجوع كل الدوافع الأخرى وتفوق عليها . وبالرغم من أن الذكاء العام للمجرب عليهم لم يهبط (بحسب روائز الذكاء) فان الحياة العقلية العامة للمجرب عليهم استقطبت حول الحاجة الى الطعام . لقد نقل مثلا « ان الاهتمام الشديد بالطعام جعل من الصعب على الأشخاص المجرب عليهم أن يركزوا انتباههم على العمليات العقلية التى أرادوا التركيز عليها ، فاذا أراد واحد منهم أن يدرس وجد نفسه بعد قليل يحلم بالطعام . انه كان يفكر في الطعام الذى أكله سابقا أو يندم على الفرص التى كانت قد عرضت له فى السابق للأكل ولم يستفد منها . وكثيرا ما كان يحلم احلام يقظة بساعة الوجبة التالية والتى لم تكن بعيدة. ولقد كان المجرب عليهم يسجلون ما يجب عليهم فعله . ولقد شاعت اللامبالاة العامة بينهم وظهرت العادات السيئة من مثل المضغ بصوت عال ولعق الصحون . بل ان بعض المجرب عليهم اظهروا تدنيا في الضبط الاخلاقى من مثل ابتياع الطعام خلسة وسرقة الطعام . لقد لاحظ معظمهم أن الجوع هبط بمستواهم الاخلاقى وعجبوا من ضعف هذا المستوى عندهم وكذلك المستوى الاجتماعى . »

وهكذا اتضح أن الجوع يهبط بحوافز الانسان الأخلاقية والاجتماعية والعقلية . والحق ان نتائج هذه الدراسة ذات قيمة نظرية وعملية لأنها تعين على فهم آثار الجوع في الانسان لا سيما ونحن نعيش في عالم أكثره جائع . ■■

فاخر عاقل





القوارب الشراعية تجرى على صفحة المياه الهادئة في ترعة المحمودية عند دمنهور . انها من أقدم وسائل النقل التى يتعلق بها الفلاح

اعرف وطنك أيها العربى

دمنهور

القرية التى حوّلها أبناؤها إلى مدينة فى أقلّ من ست سنوات

استطلاع
منير نصيف

تصوير
أوسكار مترى



جانب من مدينة دمنهور ، وقد ظهرت فيه العمارات والمباني الحديثة التي حولت هذه المدينة الصغيرة الى واحدة من أحدث مدن مصر

● أقاموا بها مصنعا للسجاد الميكانيكي ينتج ٣٠٠ الف متر مربع في العام .

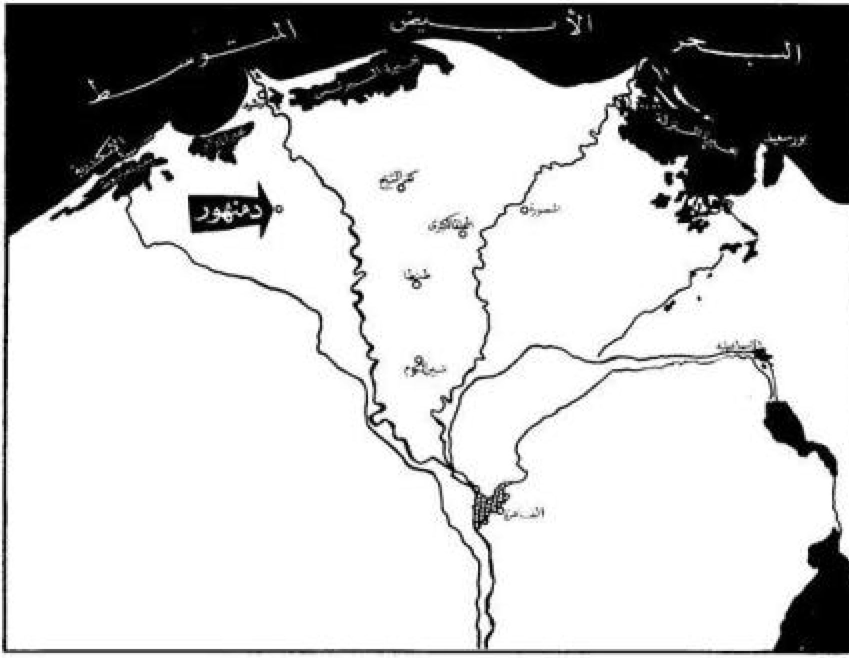
● وانشاوا فيها مستشفى كاكبر واحدث ما تكون المستشفيات في الشرق العربي .

● وشيدوا معهدا لتدريب النشء من فتيان وفتيات، لكسب الرزق الحلال .

● وفي الفن قام العاملون والعاملات بتكوين فرقة للفنون الشعبية، عرفها العرب من طوافها بالأقطار .



الفلاح المصري .. عزيمة وصبر وساعد قوي ، تسانده امرأته في البيت وفي الحقل ، عندما تنثر البذور ثم عندما تطيب الثمرة ويحين موعد قطافها .. انها دائما معه تشد من أزره وتعاونه في عيشه !



خريطة لدلتا نهر النيل ، تبين موقع مدينة دمنهور موضوع هذا الاستطلاع .

■ كانت بلدة صغيرة، اقرب الى القرية منها الى المدينة .. كانت أشبه ما تكون بطفلة صغيرة تحبو ، تخطو خطوة وتتعثر خطوات .. رزقها في ارضها ، يزرعونها قطنا وارزا ، فاذا جاء موسم الحصاد ، جمعوا خير الارض الى المحالج والمضارب .. وكانت تلك هي الصناعة الوحيدة القائمة في مدينة دمنهور ، عاصمة اقليم البحيرة ، احد اقاليم الوجه البحري من الجمهورية العربية المتحدة .. تلك المدينة العربية القديمة التي تبعد عن القاهرة بنحو ١٨٠ كيلو مترا .

كان آخر عهدنا بها منذ عشر سنوات تقريبا عندما زرناها ، كما يفعل اى سائح قادم الى بلد غريب .. وكان ذلك في يوم من ايام صيف عام ١٩٥٩ ..

ولم نجد شيئا يشدنا اليها ، او يرغبنا في البقاء فيها .. لم يكن فيها فندق واحد نستريح فيه ، ولا مطعم يمكن ان يقدم لنا وجبة تملأ جوفنا .. كانت دمنهور مدينة مهملة يطويها النسيان .. ويخيم عليها التخلف والظلام .. شوارع ضيقة متربة وطرق صغيرة غير معبدة ، ومساكن شيد اغلبها بالآجر والطين .. ومئات من الاهالي يقعون على ضفتي القناة او الترعة التي كانت مياهها تجرى في قلب دمنهور فتشطرها شطرين .. ينتظرون دورهم لتنقلهم المعدية من احد طرق المدينة الى طرفها الآخر .. ولا شيء اكثر من هذا ..

كانت هذه هي مدينة دمنهور ..

بعد عشر سنوات

ومرت السنون .. عشر سنوات او اكثر .. وذهبنا الى دمنهور .. واذهلنا اللقاء .. أهذه دمنهور حقا ؟ الم يخطيء القطار ويتوقف بنا في محطة اخرى .. ولم تطل حيرتنا .. فقد جاءنا الجواب سريعا من مندوب المحافظة الذى كان في استقبالنا : « بل انتم في دمنهور .. مرحبا بكم في دياركم »

وسرنا معه نجول في اتجاه المدينة الحديثة .. العمارات الجديدة اصطفت على جانبي الشوارع والطرق الممهدة المرصوفة ..

المصانع والمدارس والمحال التجارية والمستشفيات والنوادى الرياضية والاجتماعية في كل مكان منها .. المساجد والكنائس جنبا الى جنب في الاحياء القديمة والحديثة ..

كانت دمنهور اشبه بعروس في ليله زفافها ،

تخطر فى ثوبها الجميل ، والكل يخطب ودها ، والكل يسعى الى رضاها ..

اين الترعة ؟

ثم ماذا .. لقد اختفت الترعة التي كانت تقسم المدينة نصفين .. والتي تتفرع من الرياح البحيرى وتسير من الجنوب الى الشمال حتى تلتقي بترعة المحمودية واختفت معها طوابير الناس الذين كانوا يقفون على ضفافها ينتظرون المعدية لتنقلهم من احدى ضفتيها الى الضفة الاخرى او من احد شطرى المدينة الى شطرها الآخر .. قلنا لمرافقنا: « اين ذهبت ترعة الخطاطبة القديمة ، او ترعة الخندق الشرقى ، كما تسمونها .. اين نحن منها ، واين هي منا ؟ » .

قال : وهو يشير باصبعه الى الارض من تحت اقدامنا « هنا كانت تجرى مياه الترعة قبل ان ننقلها الى مجراها الحالي » .

ورحنا نجول ببصرنا فيما حولنا .. ارض عامرة بالحدائق والمدارس والميادين والمباني الحديثة .. ولا اثر لمياه القناة من قريب أو من بعيد ..

ردمناها وحولنا مجراها

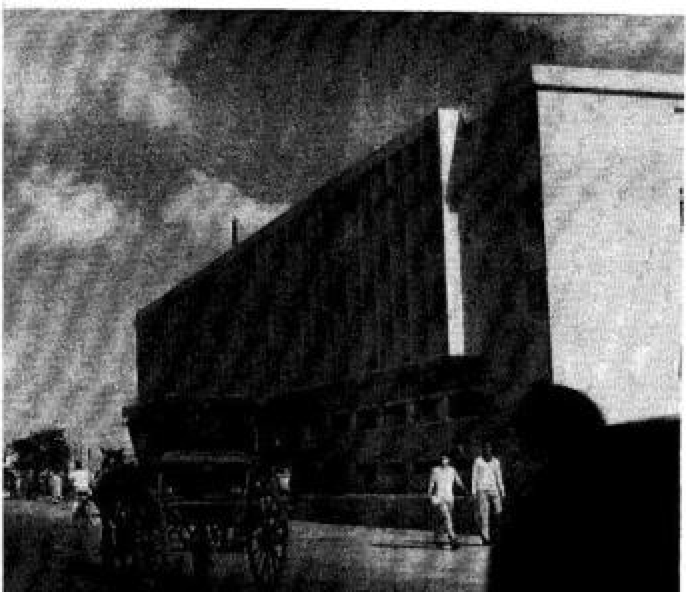
وقطع تاملاتنا صوت محدثنا يقول : « لقد ردمناها ، وحولنا مجراها الى خارج المدينة » ! ثم توقف الشاب الريفى عن الحديث برهة قبل ان يمد ذراعه ويجمع قبضة يده في الهواء امامه ، ويقول ، وابتسامة عريضة تملأ وجهه النحيف : « نعم ردمناها بايدينا وحدها ، بأيدى ابناء دمنهور وشبابها .. وبأيدينا حفرنا لها مجراها ومسراها ، وكان يوما كبيرا في حياة ابناء دمنهور » ..

ولكن مهلا فلهذه الترعة قصة تبدأ مع بداية الحكم المحلى واللامركزية فى عام ١٩٦١ ، عندما رصدت وزارة الاشغال في ميزانيتها مبلغ ٩٦ الف جنيه لهذه العملية .. ونظر المسئولون في الادارة المحلية الى هذا المبلغ الهائل وقالوا : « بلد غنى بالقوى البشرية ليس في حاجة الى هذا المبلغ الكبير لردم ترعة وحفر مجرى جديد لها .. سوف يقوم ابناء المدينة بهذا العمل ، وسوف تستغل هذه الالوف من الجنيهات في سدحاجة المدينة وقراها من المدارس والمرافق العامة .. »

وسرعان ما خرج ابناء دمنهور بسواعدهم المفتولة ، واذرعتهم الشابة ، حاملين المعاول والفئوس ، تساندهم الهيئات الشعبية ومنظماتها ..وان هي الا اشهر معدودات حتى تمكن ابناء المدينة من ردم اربعة كيلو مترات من مجرى الترعة وحفر مجرى جديد لها .. ولم تتكلف العملية اكثر من سبعة آلاف جنيه ..

مدارس فى القرى

اما باقي المبلغ وقدره ٨٩ الف جنيه فقد ذهب الى النهوض بقطاع التعليم في القرى الصغيرة المتناثرة حول دمنهور والتابعة لهذا المركز وعددها ٤٣ قرية ، فانشات المحافظة



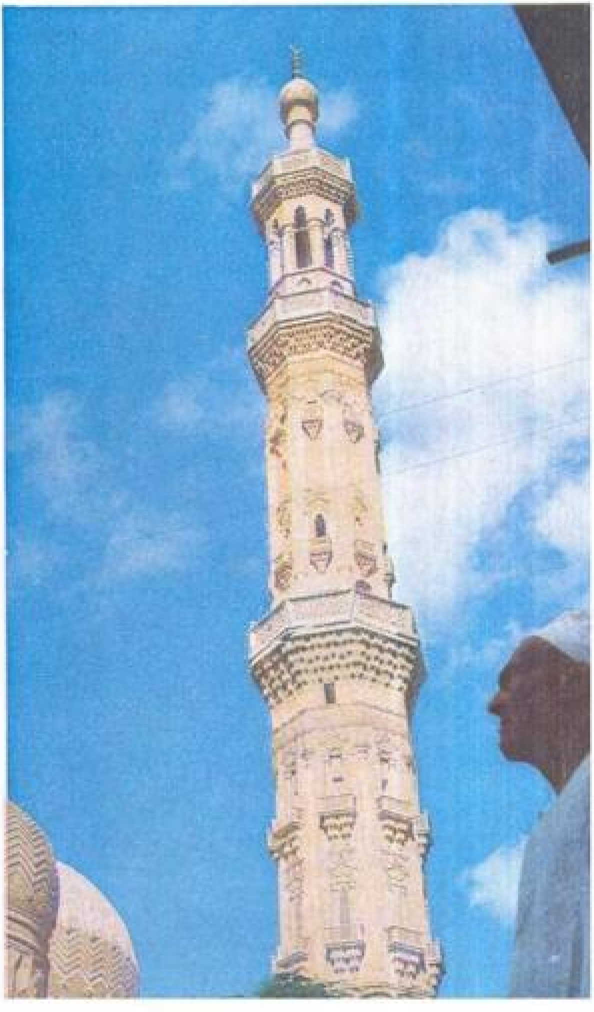
مقر محافظة البحيرة ، وهو مبنى حديث شيد على أحد جانبي طريق فسيح (أوتو ستراد) نصفه فقط ظهر في الصورة يصل ما بين قلب مدينة دمنهور والطريق الزراعي الرئيسي الذى يربط القاهرة بالاسكندرية .. ومن هذا المبنى تنطلق القرارات البناءة لتشمل كل مرافق دمنهور ومحافظة البحيرة

الى اليمين : مجموعة من طبيبات المستشفى العام بدمنهور ، وقد جلسن في غرفة القراءة يطلعن على أحدث الكتب والمجلات العلمية التي تصل الى ادارة المستشفى بانتظام .



الى أسفل : مسجد الحبشي ، من أجمل مساجد دمنهور وأروعها تصميما وزخرفة ، وقد شيده حسين الحبشي (باشا) عميد أسرة من أكبر الأسر الكريمة في دمنهور منذ خمسين عاما . فلما مات دفنوا جثمانه فيه .

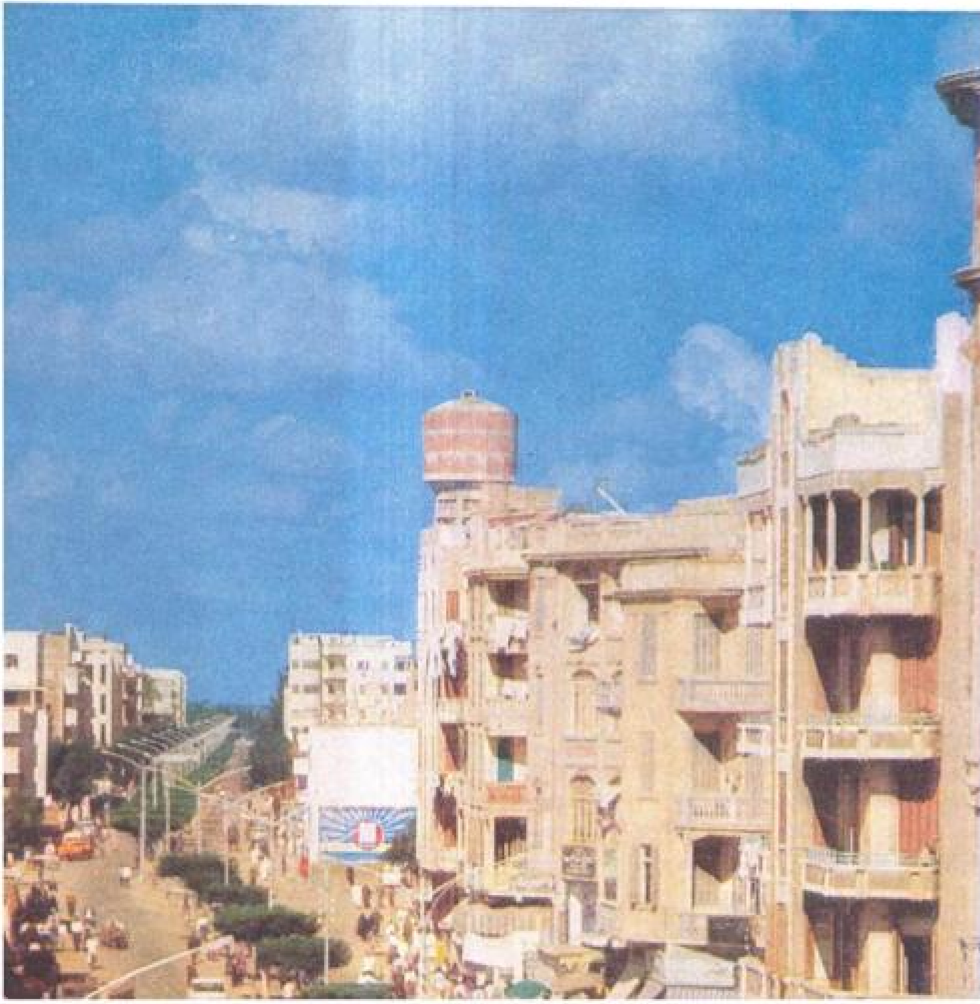






الى اليسار : منظر عام لمستشفى دمنهور بالليل ويعد واحدا من احدث واكبر المستشفيات في مصر

الى اسفل : شارع الجمهورية ، وهو الشارع الرئيسي في المدينة ، وتقع فيه المحال التجارية الحديثة والمدارس الثانوية ، والبنوك والشركات



الكتاتيب والمدارس الالزامية في عدد كبير من القرى والنجوع ..

قال محدثنا يكمل القصة: « لقد آمن المسئولون في الادارة المحلية في دمنهور بالحلول الذاتية ، وكان ردم القناة القديمة وحفر مجرى جديد لها ، أول تأكيد لروح التعاون التي تربط بين أبناء دمنهور في سبيل تطوير مدينتهم والتغلب على مشاكلهم والنهوض بمستواهم في مختلف النواحي الاجتماعية والثقافية والصحية والاقتصادية والعمرانية .. ذلك التعاون الذي كان له أكبر الاثر في تحويل مدينة دمنهور الى مدينة حديثة جميلة . »



جانب صغير من المدرسة الثانوية للبنات في دمنهور ، وهي تضم ما يزيد على الألف ومائتي طالبة وقد وقفت بعض الطالبات يراجعن دروسهن في حديقة المدرسة .. وفي دمنهور مدرسة واحدة ثانوية للبنات ومدرستان للبنين ، وهناك عشر مدارس أخرى للتعليم الفني والمتوسط لأبناء المدينة وحدها .

اختفى قطار الدلتا

وكما اختفت الترعة من قلب مدينة دمنهور ، اختفى أيضا خط سكة حديد الدلتا ، ذلك الخط القديم الذي كان يجري عليه قطار يسير بسرعة السلحفاة ويخترق المدينة من حدودها الأربعة ..



عنيت دمنهور بشبابها فأنشأت لهم النوادي الرياضية ومراكز رعاية الشباب ، وأقبل شباب المدينة وفتياتها على مزاولة مختلف أنواع الرياضة ، وأقيم استاد رياضي كبير في مركز شباب المحافظة ، يتسع لاربعين ألف متفرج .. تقام فيه المباريات الرياضية بين الفرق المتنافسة ، وفي الصورة مباراة في كرة اليد بأحد الملاعب الملحقة بالاستاد ..



الى اليسار : احد طلبة المدرسة الثانوية الصناعية بدمنهور ، امام فرن اللحام ، ان غالبية المتخرجين في هذه المدرسة يلحقون بوظائف فنية بالمؤسسات الصناعية المختلفة بمحافظة البحيرة ، والبعض منهم يتجهون الى الاعمال الحرة ، بينما يحرص المتفوقون منهم على اتمام دراساتهم بالمعاهد العليا وكليات المعلمين الصناعية ويشتغلون بالتدريس بعد تخرجهم

فقد وجدت الادارة المحلية ان استمرار بقاء هذا القطار يشكل خطرا على حياة اهالي المدينة ، اذ كان مصدر حوادث يومية دامية يروح ضحيتها الكثير من الأرواح البريئة ، وخاصة بين صغار التلاميذ الذين كانوا يضطرون يوميا الى عبور خطوطه في طريقهم الى مدارسهم في الصباح ، او في عودتهم في المساء الى بيوتهم المنتشرة وراء هذا الخط ..

وقد بذلت عدة محاولات في الماضي ، لتخليص المدينة من شر هذا القطار ، بنقله بعيدا عن حدودها ، ولكنها باءت كلها بالفشل ، بسبب النفقات الباهظة التي يتطلبها مثل هذا المشروع ، والتي لم تكن متوافرة يومئذ لمجلس المدينة .

ومرة اخرى ، عاد المسئولون في الادارة المحلية يهيبون باهالي المدينة .. ولم تكد تنقضي بضعة اسابيع حتى كانت القضبان الحديدية قد انتزعت من المدينة وما حولها في حل ذاتي رائع .. وتم تعبيد الارض التي كانت هذه الخطوط قائمة عليها، وهدمت محطة الدلتا العمومية بدمنهور وكذلك كل فروعها وورشها ، وشقت الشوارع والميادين الفسيحة فوق ارضها واقيمت المساكن الشعبية لتفريج ازمة المساكن ..

قرية تبنى في ٢١ يوما

وزال خطر القطار الذى ظل جاثما فوق صدر دمنهور أجيالا طويلة .. ولكن لم تكن هذه اول ولا آخر مشكلة في حياة أبناء دمنهور .. فقد شاء القدر أن تروع محافظة البحيرة بحريق هائل في يوم ١٥ مايو من عام ١٩٦٣ ، عندما اندلعت النيران فجأة في قرية صغيرة تبعد عن مدينة دمنهور بحوالى كيلومترين .. وهى قرية « ابعادية » .. وظلت ألسنة النيران مستعرة زهاء اثنتين وعشرين ساعة أتت خلالها على ٣٧٠ منزلا ، وشرد الحريق ما يزيد على الالفى شخص من الرجال والنساء والأطفال الذين اصبحوا بلا ماوى بعد أن ذهبت قريتهم كلها طعما للنيران ..

ولكن لم يكد يطلع الصباح على هذا اليوم المشئوم حتى صدر قرار ببناء قرية جديدة تتوافر فيها جميع الخدمات .. وعلى الفور ، شرع المقاولون والعمال تؤازرهم المنظمات الشعبية وقياداتها في دمنهور ، في البدء بعملية البناء ، كل في ميدان اختصاصه وعمله .. وفي اقل من ٢١ يوما ، كانت القرية قد اعيد بناؤها ، وتم تمليك المساكن الجديدة لسكانها ، وشيدوا مسجدا للاهالى ووحدة علاجية ، كما اقاموا فيها الحدائق



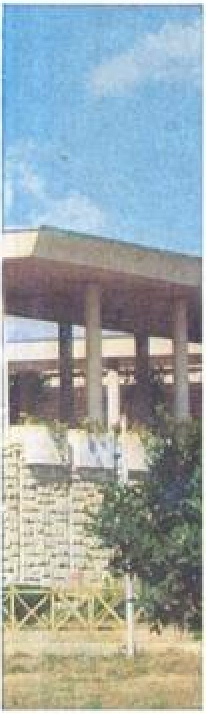


بعض طلبة المدرسة الثانوية الصناعية الميكانيكية في دمنهور ، أمام الات الخراطة ..
لقد ادى التحول الى الصناعة في مصر الى الاهتمام باعداد وتخريج الصناع المهرة

الى اليسار :
صورة لجانب من نادى دمنهور الاجتماعى ، وهو ناد كبير شيد على احدث طراز ، وقد زود بكل وسائل الراحة والترفيه والثقافة ، ويلتقى فيه ابناء دمنهور واسرهم في اوقات فراغهم واجازاتهم .



لم تكن الفتاة أقل اقبالا من الفتى على التعليم الفنى والصناعى .. وفي الصورة طالبتان تعملان على مثقاب كهربائى بقسم الاجهزة الالكترونية بالمدرسة الثانوية الفنية للبنات بدمنهور





بعض العاملات بقسم تصفيف شعر السيدات ، أحد الأقسام العديدة التى تعنى بتدريب الشباب والفتيات على الصناعات والحرف المختلفة بمركز التدريب المهنى بدمنهور .. خطوة أخرى في سبيل نشر التعليم الصناعى والفنى في البلاد ...





مجموعة من الوحدات السكنية الاقتصادية التى شيدتها المحافظة مساهمة منها في تفريج أزمة المساكن بمدينة دمنهور .. وايجار الشقة التى تتألف من غرفتين وصالة ودورة مياه لا يزيد على ثلاثة جنيهات شهريا .. ويرتفع هذا الايجار بمعدل جنيهين عن كل غرفة في الشقق الكبيرة ..

والميادين الفسيحة ، وزودوها بالتيار الكهربائى والمياه الصالحة للشرب .. وتكلف بناء القرية الجديدة حوالى ١٣٠ الفا من الجنيهات .

ان عمر هذه القرية هو نفسه عمر مدينة دمنهور الحديثة .. ففى هذا العام .. عام ١٩٦٣ بدات تلك الحركة العمرانية الهائلة التىساهمتمساهمة فعالة في تفريج ازمة المساكن في المدينة من ناحية ، وفي تجميلها وتحويلها الى مركز من أهم المراكز الحديثة فى دلتا نهر النيل .. مركز يضم اليوم ما يزيد على ١٦٠ الف نسمة .

لقد كانت أزمة الاسكان في المدينة مستحكمة ، وبالرغم من الجهود التى بذلتها المحافظة في تفريج الأزمة عن طريق بناء الوحدات السكنية التىبلغت في مجموعها ما يزيد على ٦٠٠ وحدة سكنية ، بدمنهور وحدها ، الا ان المشكلة بقيت قائمة .

مساهمة القطاع الخاص

ووجد المسئولون انه لا بد من مساهمة القطاع الخاص في الجهود المبذولة لتوفير المسكن الصحى الملائم لكل فئات الشعب العامل ، لما في ذلك من اثر في رفع مستوى المعيشة وبالتالى زيادة العمل والانتاج .. وعلى الأثر بدأت حملة ضخمة تهدف الى تشجيع اهالى دمنهور على الاسهام في حل تلك الأزمة على النطاق المحلى ، عن طريق تقديم كل التسهيلات والتيسيرات الممكنة لكل فرد راغب في استثمار مدخراته في بناء عمارة سكنية جديدة.

فقدمت المحافظة الأرض اللازمة للبناء بأسعار معتدلة وبالتقسيط على آجال طويلة . ثم يسرت لهم الحصول على التراخيص اللازمة للبناء ، ووفرت مواد البناء بالأسعار الرسمية عن طريق الجمعية التعاونية للانشاء والتعمير ..وهىجمعية انشاتها المحافظة ، مهمتها العمل على تحقيق هذا الهدف الأخير ، بما تقدمه للمواطنين من مواد للبناء يصنع بعضها محليا مثل البلاط في دمنهور، والطوب فى رشيد ، الى جانب ما كان يصل الى الجمعية من مواد اخرى للبناء والأدوات الصحية من جميع أنحاء الجمهورية ..

خمسة ملايين جنيه

واقبل الأهالى على البناء ، اقبالا فاق كل ما كان مقدرا ، وتحولت المدينة الى مصنع هائل لبناء المساكن والعمارات ، وفي اقل من ست

سنوات بلغت قيمة ما استثمره الأهالي من مدخراتهم في البناء مبلغا يزيد على خمسة ملايين جنيه مصرى .. وبلغ عدد العمارات السكنية الحديثة التي غيرت وجه دمنهور أكثر من ثلاثة آلاف عمارة وانتشرت فوق أرض تزيد مساحتها على ١٨٥ ألف متر مسطح ..

مستشفى حديث

ومع حركة العمران التي شملت كل مرافق المدينة،انتشرت الوحدات العلاجية والمستشفيات، أهمها وأحدثها المستشفى العام بدمنهور ، الذي يمكن أن يقف على قدم المساواة مع أحدث وأكبر المستشفيات الموجودة في مصر ، قديمها وحديثها ، وهو يتألف من ثمانية طوابق ،ويتسع لأربعمائة سرير ، وقد أقيم المستشفى الذي افتتح في شهر أكتوبر من عام ١٩٦٥ ، فوق أرض تزيد مساحتها على ٢٣ ألف متر مربع ، وتكلف بناؤه مبلغا يقل قليلا على المليون جنيه ، بما في ذلك الأجهزة والأدوات الطبية الحديثة ، والمطابخ والمغاسل الكهربائية ، وأجهزة تكييف الهواء المركزية ، ومساكن الأطباء والطبيبات التي أقيمت في أرض المستشفى ..

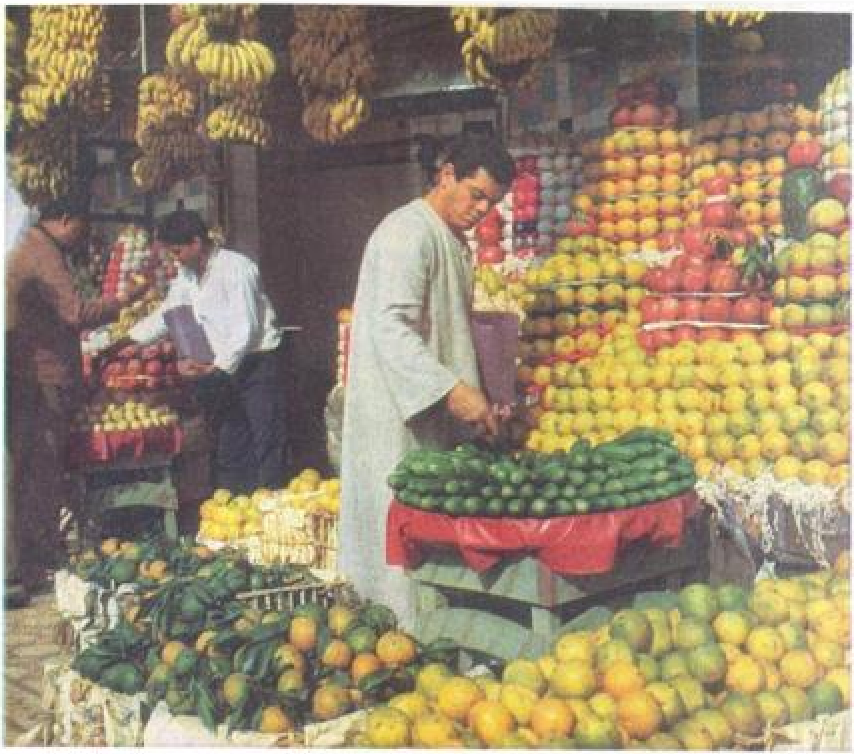
قال لنا مدير المستشفى ، الدكتور محمد عبد الوهاب مردان : « النظافة والنظام هما شعار العمل في هذا المستشفى ، ان نظرة سريعة على الأرقام التالية ، يمكن أن تعطيكم فكرة عن حجم العمل الذي يؤديه مستشفى دمنهور الذي كان قيامه نقطة تحول في حياة أهالي المدينة وكل مدن محافظة البحيرة وقراها .. يكفي أن تعلموا مثلا أنه في عام ١٩٦٧ بلغ عدد الذين ترددوا على العيادات الخارجية المختلفة الملحقة بالمستشفى وعيادات المدينة التابعة له ، أكثر من ٢٢٠ ألف مريض ..

« وبلغ عدد العمليات الجراحية الكبرى والصغرى التي أجريت في المستشفى في العام نفسه حوالي ثمانية آلاف عملية .. » .

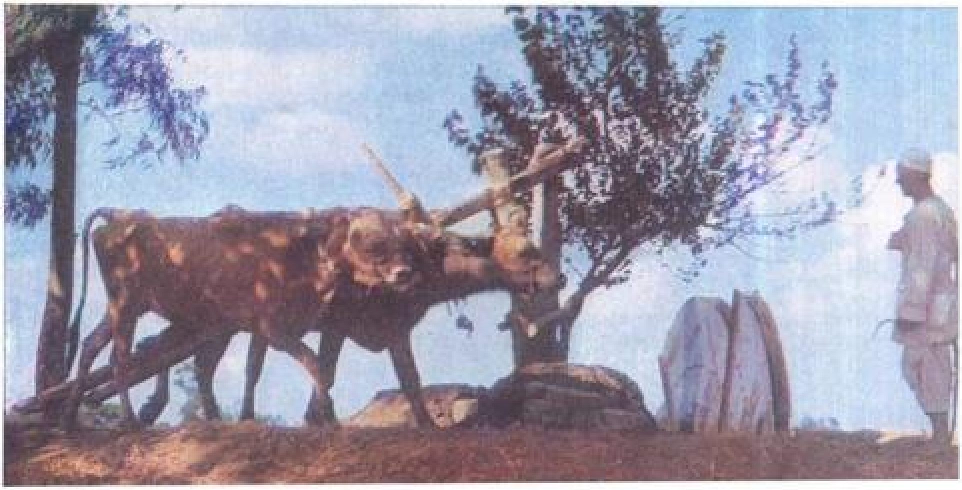
ومضى الدكتور مردان يقول : لقد كانت هناك عدة مبادىء روعيت عند انشاء المستشفى واعداده ، وفي مقدمتها تأنيث الوظائف ما أمكن ، واستطعنا أن نحقق هذا الهدف ، وأصبحت جميع خدمات الهيئات المساعدة بالاقسام العلاجية تؤديها المرأة .. وأقمنا مدرسة للتمريض لتزويد المستشفى بحاجتها من الممرضات المؤهلات فالمرأة وحدها هي القادرة على القيام بهذه المهمة الانسانية النبيلة .. مهمة التمريض ! » .

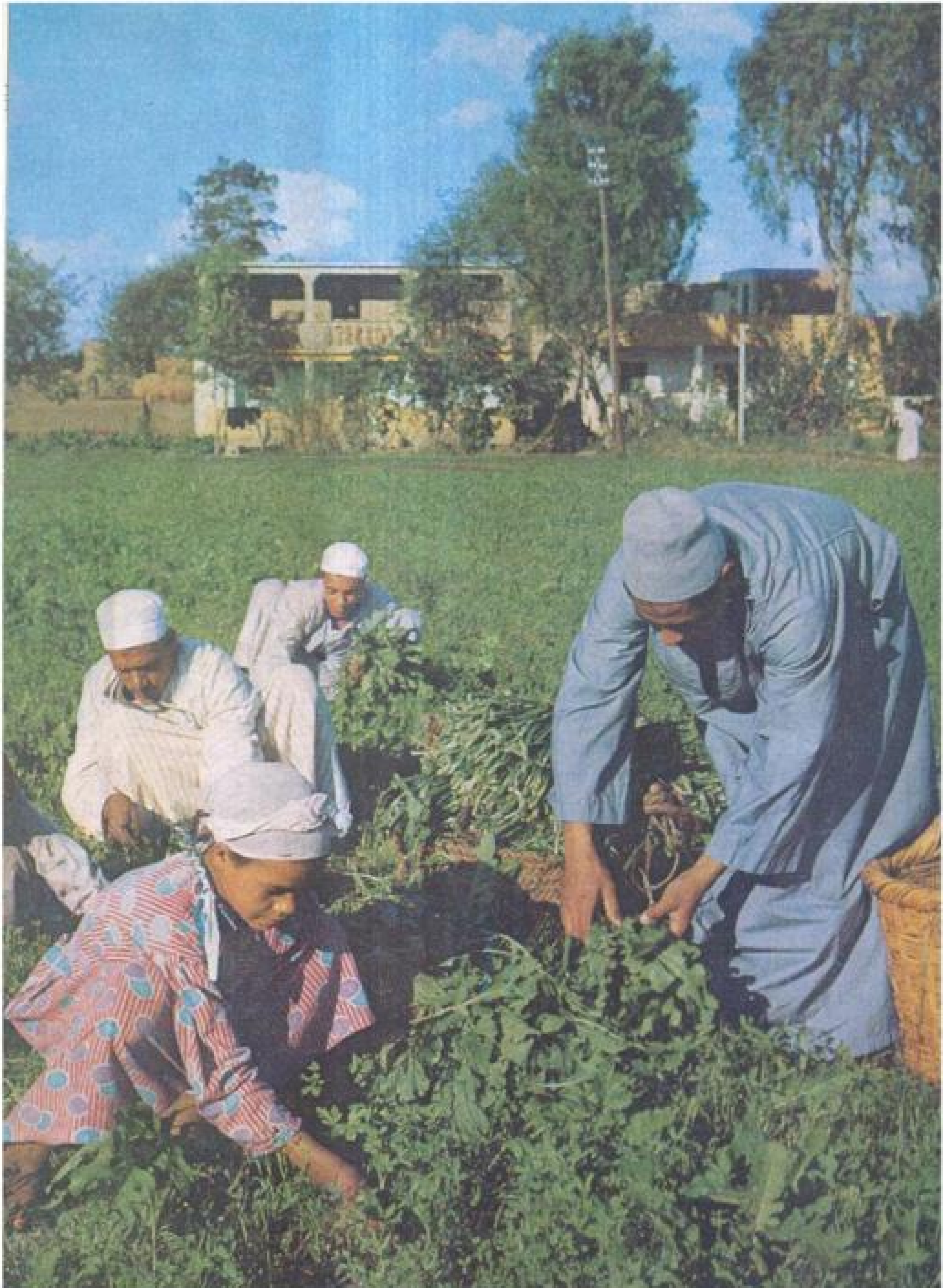


العمارات الحديثة في دمنهور .. لقد أقبل أهالي المدينة على استثمار مدخراتهم في بناء المساكن والعمارات الجديدة .. وفي أقل من ست سنوات بلغ مجموع الاستثمارات ستة ملايين جنيه مصرى ، وبلغ عدد ما شيد من العمارات السكنية الحديثة التي غيرت وجه دمنهور أكثر من ثلاثة آلاف عمارة .



الصورة العليا : لأحد تجار الخضر والفواكه بمدينة دمنهور يبيع ثمار الأرض للناس .. بينما تمثل **الصورة السفلى** الساقية (أقدم وسيلة للري) ، وهي تدور حاملة الماء للأرض الظامئة .. أما **الصورة اليسرى** ، فهي لفلاح من أبناء قرية زاوية غزال ، احدى قرى محافظة دمنهور ، مع أبنائه وهم يعملون في الأرض ويجمعون خيرها .. انها قصة الأرض ، أصل الحياة ، وقصة هؤلاء الذين يتعلقون بها ويرتبطون بترابها ويعيشون على خيراتها .. انها قصة الفلاح دعامة المجتمع ..







مجموعة من الممرضات اللواتي تخرجن من معهد التمريض الملحق بالمستشفى العام بدمنهور ، ويقبل المعهد الحاصلات على الشهادة المتوسطة (الاعدادية) من أبناء محافظة البحيرة ، وتعين الممرضة بعد تخرجها بمرتب قدره ١٧ جنيها شهريا ، الى جانب الاقامة الكاملة في بيت الممرضات بالمستشفى .. وفي الصورة الدكتور محمد عبد الوهاب مردان مدير المستشفى يتفقد دفعة جديدة من الخريجات .

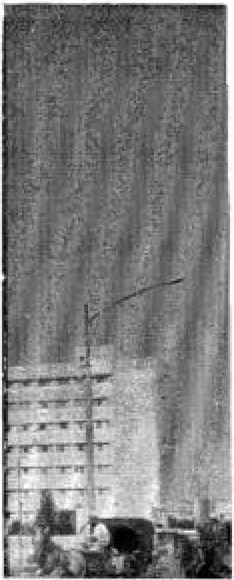
المرأة في دمنهور

ولقد التقينا بالمرأة العاملة في دمنهور في كل مكان ذهبنا اليه .. في الجمعيات النسائية .. وفي مراكز رعاية الشباب ، وفي المصارف والبنوك .. وفي المحال التجارية الكبرى ، وفي المصانع ، وفي كل مرفق من مرافق العمل ، وجدنا المرأة العربية في دمنهور ، تقف جنبا الى جنب مع الرجل ، تعمل وتساهم في بناء بلدها وتطويرها .. وفي الشركة العربية للسجاد ، او مصنع السجاد الميكانيكي ، وهو من أكبر واحدث المصانع في الشرق الاوسط ، شاهدنا صورة من صور التعاون الصادق بين المرأة والرجل في هذا المجال من مجالات العمل .

اضخم مصنع للسجاد

لقد تكلف انشاء هذا المصنع مليونا وربع مليون جنيه ، واقيمت المباني الخاصة فوق أرض تبلغ مساحتها ١٥ فدانا ، وخصصت ستة أفدنة أخرى للمشروعات التي ستتم مستقبلا وهي تتمثل في انشاء وحدات انتاجية وسكنية للعمال والعاملات في المصنع ، ووحدات أخرى للخدمات العامة .

ويقوم المصنع بجميع الخطوات الخاصة بصناعة السجاد ، ابتداء من وصول صوف الاغنام الخام الذى يستورد من بعض الدول العربية وخاصة العراق ، الى جانب ما يتوفر من صوف الأغنام المحلى ، فيفسل الصوف في ماكينات خاصة ثم يخلط ويمشط ويغزل وينقل بعد هذا الى قسم الصباغة لصبغه باللون المطلوب ، ويعصر الصوف بعد هذا ثم يجفف ويحول الى بكر قبل تركيبه في ماكينات النسيج الضخمة (الانوال) التى تعمل بالكهرباء ، وقد استوردت معظم ماكينات المصنع من بلجيكا وانجلترا .



صورتان ، الاولى للمستشفى العام في دمنهور ، وقد ظهرت بجواره مئذنة المسجد الملحق به ، أما الثانية (الى اليسار) فللغرفة بالقسم الاقتصادى أو القسم الخاص بالمستشفى، حيث يدفع المرضى أجرا عن علاجهم واقامتهم يبلغ في مجموعه ٢٥ جنيها مهما طالت مدة الاقامة بالمستشفى .. والصورة تبين احدى السيدات في غرفتها الخاصة المزودة بجهاز تلفزيوني وتليفون ، بعد أن وضعت مولودها ، وبدأت تستعد لترك المستشفى .

ويعمل في اقسامه المختلفة ٧٠٠ عامل وعاملة .. وهم يعملون طوال الاربع والعشرين ساعة في ثلاث نوبات .. ان انتاج المصنع في العام الواحد يزيد على ٣٠٠ الف متر مربع من السجاد الذى يصدر ٨٠٪ منه للخارج . ويقوم المصنع بتصدير بعض انتاجه الى السودان والكويت ، كما تستورد بولندا ورومانيا وبلغاريا والنمسا وتشيكوسلوفاكيا والاتحاد السوفييتي كميات كبيرة منـه .

ومصنع البشر

وتركنا مصنع السجاد ، فقد كنا على موعد مع مصنع آخر .. مصنع الرجال والنساء العاملين والعاملات في دمنهور .. انه مركز التدريب المهنى ، او المدرسة الكبيرة التى تغذى المصانع بالأيدى العاملة المدربة .. مصانع السجاد والكبريت والادوية ومنتجات الالبان والنسيج والزيوت والصابون والبلاط الى غير ذلك من صناعات اخرى في دمنهور ..

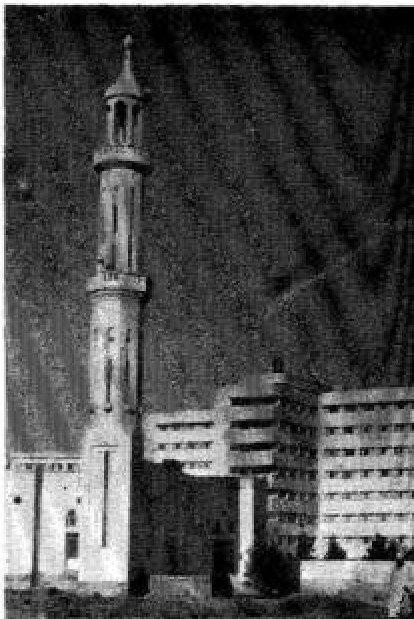
ووصلنا اليه .. انه أشبه ما يكون بمدينة صغيرة انتشرت فوق أرضها الفسيحة التى تزيد مساحتها على سبعة أفدنة ، عشرات المبانى الصغيرة .. ان كل مبنى منها يضم قسما خاصا بالتدريب على حرفة معينة .. هذا قسم النجارة .. وذاك قسم الحدادة .. وثالث لاصلاح السيارات ، ورابع لتعليم الفتيات فن التطريز ، وخامس لتصفيف شعر السيدات ، وسادس وسابع الى آخره .. أربعون قسما تضم ٢٥٠٠ دارس ودارسة ، هيئت لهم كل الامكانيات اللازمة لتدريبهم على مختلف الحرف ، على أيدى عمال مهرة ، يبلغ عددهم ١٦٠ مشرفا ومدربا من الجنسين .

انقاذ للطفولة المشردة

لقد انشىء هذا المركز في سنة ١٩٦٣ .. نفس السنة التى كانت بداية لتلك الحركة العمرانية الهائلة في دمنهور .. وقد بدأ المركز بعدد بسيط من اقسام التأهيل ، ثم ما لبثت بقية الأقسام ان اضيفت اليه قسما بعد الآخر ، حتى صار عددها اربعون قسما اليوم .

قال لنا مرافقنا ونحن نتجول بين اقسام هذا المصنع البشرى الكبير : « لقد قام هذا المشروع أساسا ضمن مشروعات الخدمات في ميدان العمل نحو الاطفال المشردين وأبناء الأسر الذين فاتتهم فرص التعليم بسبب فقرهم أو تفكك روابط الأسرة بينهم . وكان الهدف الأساسي من انشاء المركز هو انقاذ هؤلاء الابناء وتحويلهم الى طاقة انتاجية ، بدلا من تركهم يعيشون عالة على المجتمع الذى ينتمون اليه .

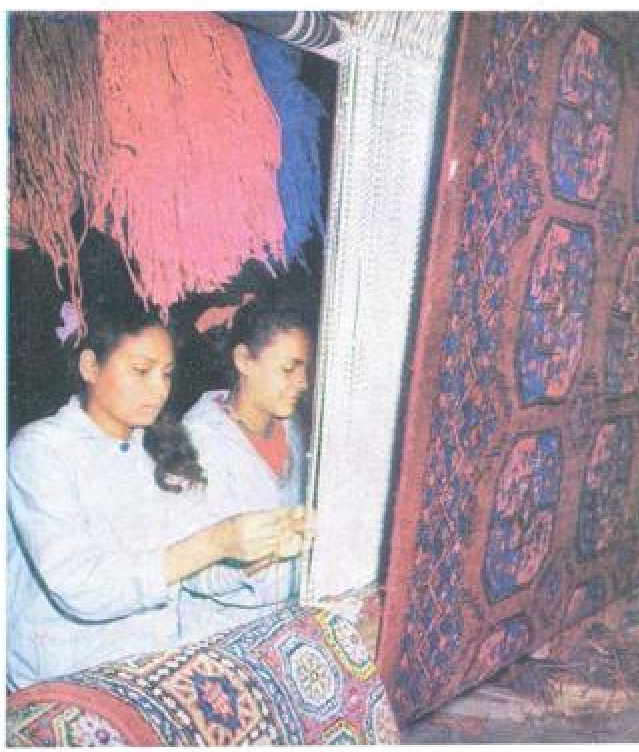
« وقد تقرر تحديد سن القبول ، وهو بالنسبة للاولاد بين ١٢ ، ١٧ عاما وبالنسبة للفتيات بين ١٢ ، ١٥ عاما ..



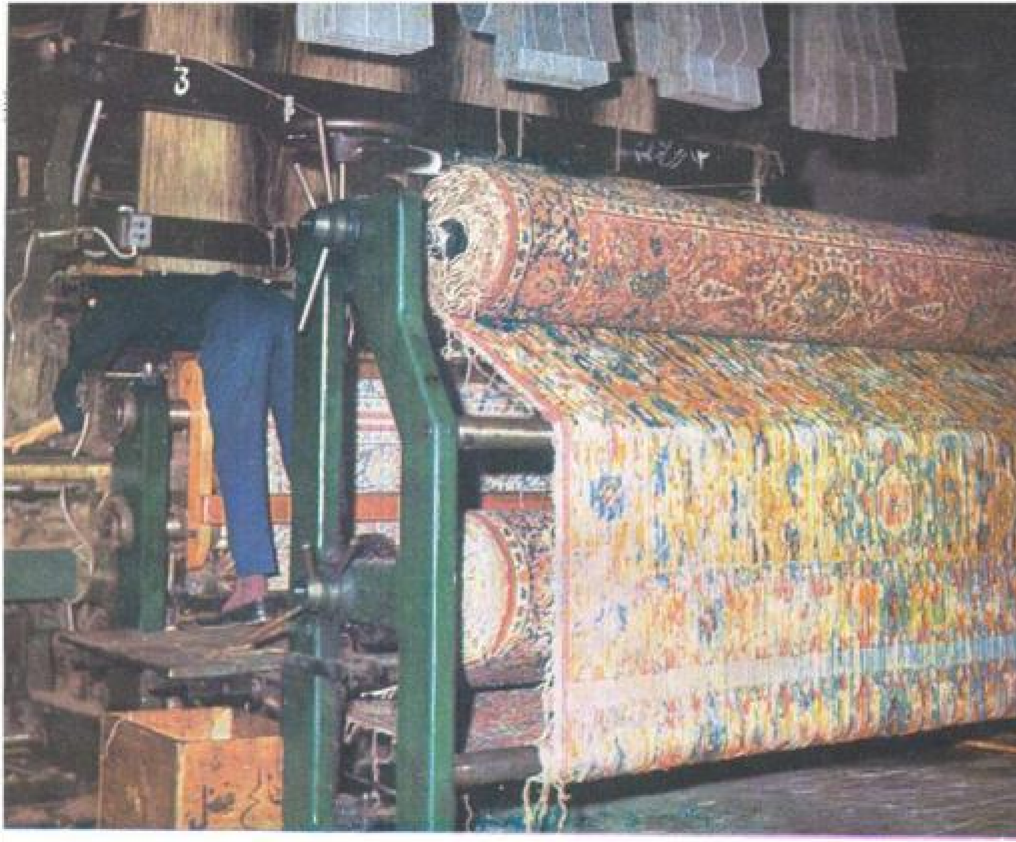




صورتان .. **الاولى الى اليمين** تمثل عينات من السجاد الذى ينتجه مصنع السجاد الميكانيكى في دمنهور ، ويصدر معظم انتاجه للخارج . أما **الصورة الثانية الى اليسار**) فهي لواحدة من عشرات الماكينات الخاصة بالنسيج او الانوال الآلية ، وهي مستوردة من بلجيكا .. ويبلغ انتاج المصنع سنويا ٣٠٠ الف متر من السجاد .



الى اليمين : فتاتان تتدربان على نسيج السجاد بالأنوال اليدوية ، انهما من العاملات بمركز التدريب المهنى ، أو المدرسة الكبيرة التى تزود مصنع السجاد الآلى وغيره من مصانع اخرى بالأيدى العاملة المدربة ..





الى اليمين : القطن أحد المحاصيل الرئيسية التي تشتهر بها مدينة دمنهور ، وفي الصورة بالات القطن في « الشون » لوطئة لنقله الى المحالج ، وفي دمنهور ١١ محلجا للقطن ...

« ويعمل المركز فترة واحدة يوميا من الساعة الثامنة حتى الساعة الرابعة بعد الظهر ، ما عدا ايام الجمع والعطلات الرسمية ، ويقدم وجبة غذائية رئيسية لجميع الدارسين والمشرفين على التدريب فيه ، كما يصرف لهم زيا خاصا بهم مرتين في العام .

« ويمر الدارسون بمراحل ثلاث وهي ، فترة التدريب الاولى ، ثم فترة تطبيق التدريب وأخيرا فترة الانتاج .. أما في الفترة الاولى فيتقاضى الدارس مكافأة يومية قدرها خمسة قروش ترتفع الى خمسة وعشرين قرشا في فترة الانتاج الى جانب المكافآت الانتاجية والتشجيعية التى تقدم للمنتجين والمتفوقين منهم . »

مولد فرقة للفنون .. عالمية

ثم ماذا .. لقد كان هذا المركز هو المدرسة التى تخرجت منها فرقة البحيرة أو فرقة دمنهور للفنون الشعبية .. الفرقة التى اصبحت حديث الناس في مصر ، وفي عدد كبير من الدول العربية التى ادت فيها رقصاتها الشعبية الرائعة .. لقد تكونت هذه الفرقة من أبناء مركز التدريب المهنى الذين يهوون الفن ..

قال لنا مدير الفرقة السيد احمد عَصْر ، وهو مفتش التربية المسرحية بوزارة التربية والتعليم،وتخرج من المعهد العالى للتمثيل ،قال:



مركز التدريب المهنى ، أو المدرسة الأولى (الى اليمين) مجموعة من الجاهزة .. اما الصورة الثانية

« ان فكرة تكوين فرقة للفنون الشعبية لم تكن واردة أساسا ، عندما بدأنا في تدريب أبناء المركز على الرقص والعزف علىالآلات الموسيقية المختلفة في شهر مايو من عام ١٩٦٤ .. لقد كان الهدف الأساسي هو اكتشاف مواهب أبناء دمنهور ، وتوجيههم التوجيه الصحيح ..

« ولكن ، ما كدنا نقدم أول عرض لنا على

→



تشطت المراة في دمنهور ، وخرجت لتعمل وتساهم في بناء مجتمعها الجديد .. وفي جمعية تحسين الصحة ، التقينا بعدد من كرام السيدات اللواتى تطوعن لرعاية أبناء المصدورين (المصابين بداء الرئة) ، والنهوض بمستواهم الاجتماعى والصحى .. وتتولى الجمعية تربية الاطفال وتنشئتهم وتعليمهم في مقرها الى أن يبلغوا سن الالتحاق بالمدارس ، فيلحقوا بالمدارس الثانوية اذا كانوا من المتفوقين ، أو المدارس الصناعية اذا كانوا من المتخلفين . اما الفتيات فلا يتركن مقر الجمعية الى أن يبلغن سن الزواج او اذا التحقن بعمل .




الكبيرة التى تغذى المصانع بالأيدى العاملة المدربة على مختلف الصناعات والحرف .. وفى الصورة الفتيات وهن يجلسن أمام ماكينات الحياكة للتدرب على هذه المهنة ، قبل الحاقهن بمصانع انتاج الملابس (الى اليسار) ، فتجمع بين فتاة وشاب يتدربان على العمل في قسم صناعة المنتجات الجلدية .

مسرح المدينة ، حتى حدثت المفاجأة التى لم يكن يتوقعها أحد .. فقد لاقت الفرقة استحسانا وتشجيعا منقطع النظير .. »

دعوة الى اوربا

وهكذا ولدت فكرة تكوين فرقة البحيرة أو فرقة دمنهور .. وكان هذا النجاح الذى صادف العرض الأول ، حافزا على استمرار العمل حتى وصلت الفرقة الى ما وصلت اليه من مستوى كان موضع الاعجاب في كل مكان قدمت فيه عروضها سواء في مصر أو في الخارج . وأصبحت تضم اليوم ٧٥ راقصا وراقصة الى جانب فرقة الموسيقى التى تضم خمسين عازفا تتراوح أعمارهم بين الثانية عشرة والخامسة عشرة ..

وقد سافرت الفرقة في العام الماضي الى الاتحاد السوفيتي ، كما قدمت عروضها على مسارح الكويت ، وكان من المقرر أن تسافر الفرقة الى أوربا في عام ١٩٦٧ عندما تعاقدت مع الامبرازاريو العالمى نورمان ماكان Norman Mackan لعرض رقصاتها في لندن وباريس ونابولى ، ثم وقع العدوان على مصر والدول العربية وتأجل السفر . ومنذ بضعة اسابيع تجدد العقد مرة أخرى ، وينتظر أن تقوم الفرقة بهذه الجولة الفنية قريبا ..

زلزال مدمر

وقد بقيت دمنهور مدينة عامرة في العصر الاسلامى ، تصنع المنسوجات وتصدرها الى بقية بلاد القطر ، الى أن منيت في مطلع القرن الرابع عشر الميلادى ، بزلزال عنيف أتى على بنيانها ، فظلت خرابا مدة تزيد على الثمانين عاما ، حتى قيض الله لها السلطان برقوق ، فأعاد بناءها ، وأعادها الى مكانتها المرموقة .

لقد عرفت مدينة دمنهور في التاريخ منذ عهد الفراعنة الأقدمين ، فهم الذين شيدوها ،وجعلوا منها مقرا للاله « هور » الذى كان يعبده الكثير من المصريين ، وأسموها « تمنهور » تيمنا باسم الههم .. وكانت بهذا الاسم ترمز الى معان كثيرة سامية خلعها المصريون القدامى على معبودهم « هور » فهى مدينة النور ومدينة النصر !

الى اليمين : فندق دمنهور السياحى ، أحد الفنادق الفخمة ويقع في الشارع الرئيسي وتجرى فيه عربات الحنطوروهى وسيلة المواصلات الرئيسية بين اجزاء المدينة التى تبلغ مساحتها ١٢٥ كيلومترا



الى اسفل : الغروب في دمنهور .. وقد بدأت الشمس تغوص في الافق وراء قلاع القوارب المنشورة فوق سطح مياه ترعة الخطاطبة القديمة في مجراها الجديد .. هذا الذى حفره أبناء المدينة بأيديهم ..







فرقة دمنهور الشعبية ، تقدم رقصتين **الاولى (فوق)** رقصة مستوحاة من حياة اهالي النوبة بمصر ، أما **الثانية (الى اليسار)** ، فهي رقصة الحجالة، وهي رقصة عربية مشهورة .. ان عمر هذه الفرقة لايزيد على خمسة اعوام ، ولكنها استطاعت في هذه السنوات القليلة أن تنتزع اعجاب كل الذين شاهدوا عروضها في مصر وفي الخارج ...

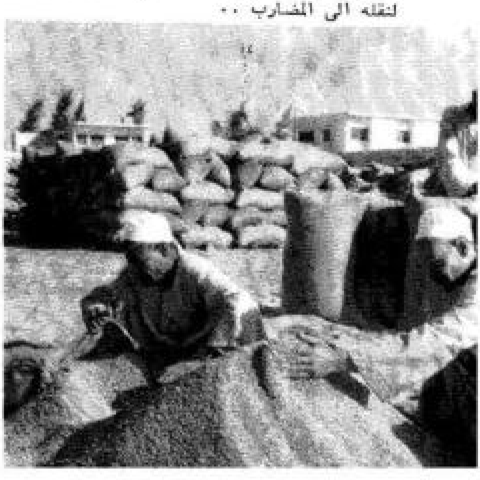
ريف دمنهور

ولكن أين الريف .. ريف دمنهور ، هذا البلد الزراعي الذى اشتهر كما قدمنا بوصفه مركزا من أهم مراكز زراعة القطن وحلجه ، وانتاج الأرز وضربه .. ثم زراعة القمح والذرة والموالح .

وفي ريف دمنهور ثلاث وأربعون قرية تتبع كلها مركز دمنهور .. اشرنا الى قرية واحدة منها ، تلك التى التهمتها النيران واعيد بناؤها في ٢١ يوما .. ولنختتم جولتنا الآن بقرية ثانية ، هى قرية زاوية غزال .. لقد اخترناها لأنها تمثل احسن تمثيل ما يجب أن تكون عليه الحياة في الريف من ناحية ، ولقربها من مدينة دمنهور حيث تقع على بعد ثلاثة كيلو مترات عن المدينة عند التقاء ترعة الخندق الشرقي أو الخطاطبة في مجراها الجديد ، بترعة المحمودية ..

قرية نموذجية ، يبلغ عدد سكانها خمسة آلاف نسمة ، شيدت غالبية مساكنها بالطوب . دخلها التيار الكهربائى ، بفضل الجهود الذاتية لمجلس القرية والاهالى في عام ١٩٦٧ ، ودخلتها مياه الشرب النقية قبل ذلك بست سنوات .. أقاموا فيها الكتاتيب ، لتحفيظ القرآن ، والمدارس لتعليم أبناء الفلاحين ، كما انشأوا بها وحدة صحية ، اجريت في قسمها الداخلى ما يزيد على سبعمائة عملية جراحية ، في الشهور الثمانية الماضية .. وفي أواخر العام الماضي ، عام ١٩٦٩ ، شهدت قرية زاوية غزال ، اجتماع اللجنة الوزارية لتطوير القرية والنهوض بها .. وهو الاجتماع الذى حضره ١٤ وزيرا ، ثم تقدموا في نهايته بعدة توصيات في مختلف مجالات الحياة في الريف ..

الأرز من المحاصيل الرئيسية التى تشتهر بها دمنهور ، وفي المدينة عدد كبير من مضارب الأرز القديمة والحديثة التى تتم فيها عملية ضرب الأرز وتبييضه واعداده للانتاج المحلى والتصدير .. وفي الصورة نرى الفلاحين بقرية زاوية غزال ، القرية النموذجية التى شيدت مبانيها بالطوب ، وهم يملأون الجوالات بالأرز لحفظه في الشون توطئة لنقله الى المضارب ..



حديث مع محافظ البحيرة

وانتهت جولتنا في دمنهور ، ولكن لم يكن ممكنا ان نتركها دون أن نلتقى بالرجل الذى يحمل اليوم عبء القيادة في هذه المدينة الجديدة المتطورة .. السيد على فوزى يونس محافظ البحيرة .. قال لنا وهو يودعنا ويحملنا رسالة تحية للعربي والقائمين على اصدارها وتحريرها :

« ان أى بلد يأخذ بسبيل التقدم ، لا بد له وأن يبتعد عن الارتجال والعفوية .. لا بد له أن يقف على ما وصل اليه العقل البشرى من علوم ، لأننا اذا أغفلنا دور العلم ، فاننا نكون قد حرمنا انفسنا من أهم مصادر التطور ..

« والشعب العربي ليس غريبا على المنهج العلمي ، فقد كان للعرب فضل لا ينكر على أوربا باكتشافاتهم العلمية المختلفة ..

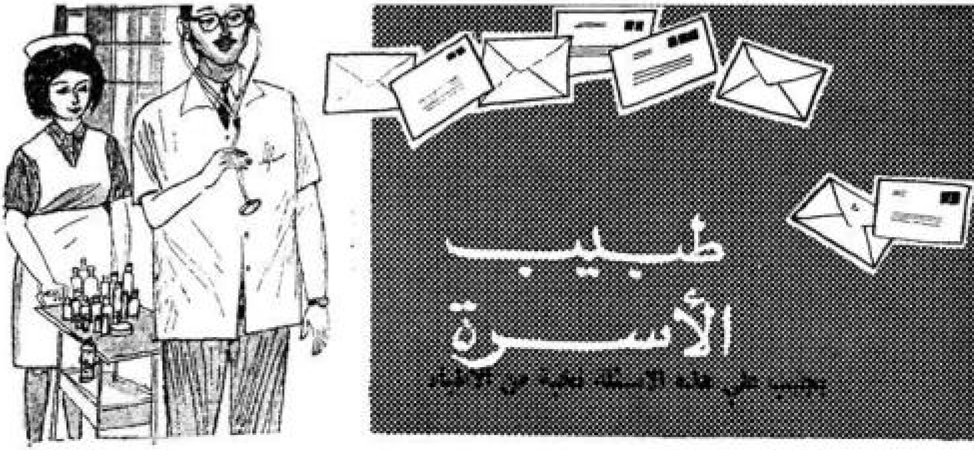
« لقد كانت لى مع محافظة الفيوم تجربة مع العلم أعتز بها كل الاعتزاز اذ استطاعت المحافظة مع احدى الهيئات العلمية المتخصصة أن تقوم بدراسة كاملة لكافة مشاكل المحافظة ، وكذلك دراسة المشروعات التى يمكن تنفيذها بكفاية انتاجية كبيرة تحقق ارتفاعا في دخول المواطنين .. وقد بلغ عدد هذه المشاريع ما يقرب من ثمانين مشروعا .. وأملى كبير في أن أقوم بنفس التجربة في محافظة البحيرة ، في المستقبل القريب .. »

قلنا : « متى يجيء هذا المستقبل ؟ » .

قال : « أقرب مما تتصورون .. وستكون أولى مشروعاتنا هى تحول المستشفى العام بدمنهور الى كلية للطب ، تابعة لجامعة الاسكندرية .. ! »

هذه هى دمنهور التى اصابها زلزال في القرن الرابع عشر الميلادى ، فظلت خرابا بلقعا زهاء قرن من الزمان ثم احترقت احدى قراها في عام ١٩٦٣ ، فقامت مكانها قرية جديدة في أقل من ٢١ يوما .

منير نصيف ■■



املاح البول

● منذ مدة وانا اشكو من حرقان في البول مع ألم في الجنب الأيمن ، وقد استشرت احد الأطباء الذى اخبرنى ان في بولى املاحا معينة تسبب لى كل هذه المتاعب . فما هى هذه الأملاح ؟.

ـ تترسب أحيانا وتحت ظروف معينة انواع عديدة من الأملاح، قد يسبب بعضها، مثل املاح اوكسالات الكالسيوم ،مغصا كلويا شديداً يشبه مغص حصو الكلى تماما . وتختلف هذه الأملاح باختلاف تفاعل البول. ففي البول القلوى تترسب أملاح الفوسفات Phosphates ويوريات الأمونيوم Am. Urates وفي البول الحامض تترسب أملاح اوكسالات الكالسيوم Calcium Oxalate وحامض اليوريك Jric Acid ومما يساعد على ترسب هذه الأملاح في البول التهاب الكلية او وجود ركود في البول لأى سبب من الاسباب، كضيق مجرى البول او انسداده في مكان ما . وما يحدث أثناء الحمل كذلك في الحالات التى تسبب تركيزا للبول ، ومن المعروف أن عقار السلفوناميد قد يترسب في قنوات الكلية الدقيقة Tubes مسببا حالة تسمى Xanthinuria (نوع من الأملاح في البول) .

وفي حالات نشاط الغدة فوق الدرقية او احتواء الطعام على كميات زائدة عن الحاجة من الكالسيوم تترسب أملاح الفوسفور والكالسيوم في البول. كذلك اذا زادت نسبة فيتامين (د) في الجسم وعدم تحرك المريض لمدة طويلة كلها عوامل تساعد على ترسيب الأملاح في البول .

وعلاج أملاح البول هى الآتى :

ـ علاج التهابات الجهاز البولى بكافة انواعها ، وعلاج ركود البول اذا عرف له سبب يمكن ازالته .

ـ الاعتدال في تناول الاطعمة التى تحتوى على عنصر الكالسيوم (كاللبن مثلا) .

ـ علاج نشاط الغدة فوق الدرقية Hyperpara hyroidism او ازدياد فيتامين (د) في الجسم ومراعاة تحريك المريض من حين لآخر كي تعالج الحالات التى يزداد فيها افراز حامض اليوريك مثل النقرس وسرطان الدم ، كذلك مراعاة تناول كميات كبيرة من السوائل القلوية مع السلفوناميد .

ـ زيادة كمية السوائل التى يتعاطاها المريض لتزيد عن ٣ لتر في اليوم على الأقل .

ـ تغيير تفاعل البول حسب نوع الأملاح المترسبة كما سبق، وجعله قلويا في حالة الاوكسالات او حمضيا في حالة ترسب الفوسفات او يوريات الامونيوم .
وعلى كل حال يجب مراجعة طبيبك في كل هذا .

دوالي في الساق

● أنا فتاة في العشرين من عمري بدأت عروق حمراء تظهر في ساقي ، وخاصة في المنطقة التي في جانب الركبتين . واشعر بإرهاق عند قيامي بالعمل في الساعات الاولى من النهار ، واتضايق خاصة عند الوقوف . وقد علمت من الطبيب أن الذي اعاني منه هو « دوالي العروق » .. واعطاني حبوبا وأمرني بارتداء جوارب من المطاط ، وانا اتضايق من هذه الجوارب فهل هناك علاج آخر ؟ .

ـ اذا كان حقا ما تعانين منه هو مرض الدوالي في الساقين ، فان هذا المرض ينتج عن انسداد في الأوردة العميقة في داخل (سمانة الرجلين) ويصحب ذلك تمدد في الأوردة الظاهرة تحت الجلد ، والمنتشرة في الساقين . وكذلك ينتج عن ضعف في الصمامات الموجودة في الأوردة الكبيرة ، فلا يسري الدم في مجراه الطبيعي بالسرعة المطلوبة . بل يملأ هذه الأوردة فتنتفخ ، وتكون عادة زرقاء اللون ذات التواءات كثيرة .

وتظهر عادة خلف الركبة وعلى السطح الخلفي للرجلين . ولكن عندما تزداد الحالة فانها تنتشر في الرجلين والفخذين ، ويصحب ذلك تورم في القدمين وفوق القدمين . ويزداد الألم في الساقين عند الوقوف لمدة طويلة ، لأن الدورة الدموية في الأوردة الدموية تكون بطيئة ، ولا يندفع الدم الى أعلى بفعل العضلات عند المشي ، فيتبع ذلك تجمع الدم في الأوردة وتمددها . زيادة على تراكم الفضلات الناتجة عن عملية تمثيل المواد الغذائية ،

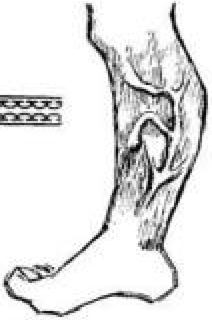
عرق النسا .. هل هذا هو اسمه الحقيقي ؟!

● ما هو (النسا) وما هي اسبابه وأعراضه وعلاجه ؟ وهل هذا الاسم هو اسمه الحقيقي ؟

(عرق النسا) مرض يطلق على اصابة عصب الطرف السفلي الاسفل والمسمى بعصب السياتيك Siatic Nerve وهذا يتكون من الاعصاب القطنية والعجزية والتي تبدأ في أسفل العمود الفقري ، وتتجمع وتكون العصب الذي يمتد لبعض الوقت على جانب العمود الفقري في اعلى الحوض ، ثم يتجه خلف عظم الالية (عظمة الحوض) ويأخذ مجراه خلف الفخذ ، وخلف بطن الرجل ، ثم الى اصابع القدم . واذا حدث والتهب هذا العصب ، أو ضغط عليه في اي جزء من أجزائه ، اثناء سريانه من العمود الفقري الى القدم . وذلك بواسطة انزلاق غضروفي في العمود الفقري ، أو ورم طيب او خبيث ، فان المريض يحس بألم شديد . يبدأ من اسفل العمود الفقري في الظهر ، ويسري كالكهرباء خلف الفخذ والرجل ، الى اصابع القدم . ويزداد هذا الألم بالحركة أو المشي ، ويقل عند النوم على الظهر دون حركة ، خصوصا على سطح غير قابل للحركة ، او الالتواء . كأن يكون فراش النوم على الأرض او قطعة خشب متينة .

ويزداد الألم كذلك عند السعال ، او عند زيادة الضغط في البطن اثناء قضاء الحاجة . او عند العطس .

واهم سبب هو الانزلاق الغضروفي في الظهر ، ويحدث ذلك اذا سقط المريض من عل ، وحدث ان سقط جالسا . او



اللازمة للعضلات ، نتيجة لتباطؤ الدورة الدموية فى الساقين .

ولا بد فى حالة وجـــود الدوالي أن نعرف ســـبب حدوثها ، وهل هناك انسداد فى الأوردة العميقة فى الساقين ؟ . فاذا كان ذلـك موجودا اتبع العـــلاج بالجوارب المصنوعة من المطاط ، لان هذا يساعد على عدم انتفاخ الأوردة، ويساعد على دفع الدم الى اعلى ، فلا يتجمع فيها ولا يزيد من حجم الأوردة المتمددة ، ولا تحدث الأورام التـــي تصـــحب هذه الدوالي. وأرى كذلك أن تعمل تمرينات رفع الرجلين الى اعلى ، ثم خفضهما لمدة خمس أو عشر دقائق عدة مرات يوميا . وعند النوم ترفع الرجلان بوسائد حتى لا يتجمـع الـــدم فى الأوردة . فى بعض الحالات المصحوبة بضعف فى صمامات الأوردة ، وغير المصحوبة بانســـداد فى الأوردة العميقة ، تجرى عمليات جراحية خصوصا اذا كانت الأوردة متضخمة ويخشى انفجارها ، أو انســـدادها ، مع حدوث التهابات فى السـاقين .

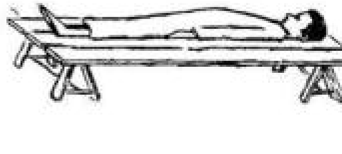
واستعمال الجوارب المصـــنوعة من المطـــاط فى بادىء حدوث المـــرض من الأهميــــة بمكان ، حتى لا تتضـخم الأوردة . ويمكن تبديلها اذا كانت تسبب ضيقا عند استعمالها ، لانه من المحتمل ان تكون الجوارب غير ملائمة وضـيقة أكثر من الـــلازم . وتختار الجوارب المناسبة والتي لا تسبب ضيقا عند المشى أو الوقوف .

عندما يرفع بيده حملا ثقيلا وهو ينحني الى الامام ، فان الغضروف بين الفقرة القطنية الرابعة والخامسة . أو بـين الفقرة القطنية الخامســـة والعجزيــة الاولى ، أو كليهمـــا ، يتحـــول عن موضعـــه ، ويضـغـط على العصـــب ، ويسبب اعراض عرق النســا .

والعلاج : هو ان نبحث عن السـبب ونعالجه ، فاذا كان هنـاك ورم أزيـل بعملية مثلا .

وفي حالة الانزلاق الغضروفي : فــان العلاج ــ فى بادىء الامر ، هو ان ينـام المريض على ظهره مـــدة تتراوح بـين اسبوعين وثلاثة اسابيع ، دون حركـــة كثيرة ، مع اعطائه مسكنات للألم ، كأقراص الاسبرين ، ومهدئات كالفاليوم ، ومركبات فيتامين ب . فاذا تحسنت الحالة وزال الألم ، تحرك المريض تدريجيا ، وعمل له تدليك وتمرينات على الظهـــر حتى تقوى عضـلات الظهـــر ، ولاينزلـق الغضروف ثانية . وفي بعض الحـــالات يزود المريض بحزام للظهر . وفى بعض الحالات الأخرى يستعـــان بارجـاع الغضروف الى موضعه بواسطة شـد على القدم او الرجل ، ويبقى المريض نائما على ظهره لفتـــرة تتراوح بـين اسبوعين وثلاثة اسابيع . وفى حالات اخرى اذا تكرر الانزلاق ، يوضع المريض في جبس لمدة طويلة ، بعد ان يعمـل له شد ، ويرجع الغضروف الي موضعه.

ــ وفى الحالات المستعصية ، والتي لا تستجيب لكل هذه العلاجات ، تعمل عملية لازالة الغضروف .





بسم

رجل الدم والحديد

بقلم : على ادهم

الذى يدرس تاريخ أوروبا في العصر الحديث ويحاول ان يتبين التيارات السياسية والاجتماعية التي سادت فيه ، وغلبت عليه ، يواجهه اينما اتجه اسم بسمارك Bismark فان له مكانة بارزة وتأثيرا بعيد المدى بين كبار الساسة الذين عرفهم القرن التاسع عشر . وهو ونابليون بونابرت يعتدان فى الرعيل الأول من الرجال العمليين فى العالم الحديث .

وقد عنى الكثيرون من المؤرخين الالمانيين والفرنسيين والانجليز والأمريكيين بدراسة تاريخ حياته ، وكان منهم المعجبون به ، والمقدرون لخططه واساليبه وانجازاته السياسية ، ومنهم الناقدون ، والناقمون على سياسته التى شجعت على اتباع اساليب القوة والعنف ، وتسويغ السياسة المكيافلية التى تضع مصلحة الدولة فوق الاعتبارات الأخلاقية والانسانية ، ولا تبالى باى لوم أو نقد يوجه اليها فى هذا الصدد ، وقد استطاع بسمارك فى خلال ثمانى سنوات أن يغير خريطة أوروبا ، ويجعل امبراطورية الهوهنزولرن الالمانية اقوى قوة حربية في العالم ، وكان الالمان بعد هزيمتهم فى الحرب العالمية الاولى ينادون بالعودة الى

رئيس وزراء بروسيا : هزم الدنمارك ، فالنمسا ، فايطاليا ، وختم بهزيمة فرنسا ، ثم وحد ألمانيا وكان أول مستشار لها .

ارك

سياسة بسمارك البناء القدير الذى كان لا يعرف متى يضرب الضربة الموفقة فحسب ، بل كان يعرف كذلك متى يتوقف عن الضرب ، ويؤثر المهادنة والصلح وتأكيد العلاقات الودية. وقد جمعت تاملاته الفكرية وأحاديثه . ويضعها الالمان في مستوى احاديث شاعرهم الكبير جوته ومصلحهم الديني الشهير مارتن لوثر .

منشؤه

ولد بسمارك فى ٢ ابريل سنة ١٨١٥ . وكان الامبراطور نابليون قد فر من جزيرة البا وعاد الى فرنسا ، وانفض مؤتمر فيينا . ونشأ فى كنيبهوف فى بومرانيا ، وكان ابوه فردينان فون بسمارك من سادة الريف ، وكانت والدته من اسرة مينكن Mencken التي اخرجت بعض اساتذة القانون والتاريخ ، والمعروف انه ورث عنها الفطنة الحادة ، والذكاء اللامع ، والطموح المترامي ، كما ورث عن ابيه الترفع الارستقراطي ، وقد كان اجداده من ملاك الاراضي في براندنبرج Brandenbirg ويرجع تاريخهم بها الى اكثر من خمسمائة سنة ، وقد عرفوا بالكبرياء والصلابة ، وكان جده من الالمان الذين تأثروا بآراء روسو ، وجرّ عليه ذلك غضب فردريك الاكبر . اما والده فكان هادىء المزاج غير طموح ، التحق فى مطلع شبابه بالجيش ، ولكنه سارع الى التقاعد ، وعاد الى ممتلكاته ، ولم يشترك في حرب سنة ١٨٠٦ أو حرب سنة ١٨١٣ . وقد اثرت الوراثة الارستقراطية ، في بسمارك فمالت به الى مذهب المحافظين طوال حياته .

وقد نشأ اوتو أبيّ النفس ، لا يقبل الضيم . ومن ذكريات حداثته انه هرب من منزل اسرته حينما اساء اخوه معاملته ، وعثر عليه تحت شجرة زيزفون فى المزارع التابعة لأسرته . ولم تكن ايام طفولته سعيدة ، فقد كان لا يحظى بعطف والدته ، ولم تكن التربية فى المدرسة ملائمة لمزاجه ، وقد لبث طوال حياته يشكو المعاملة القاسية التي عومل بها فى المدرسة . وكانت معاداة طبقة النبلاء عامة فى تلك الفترة بالمدارس ، وكان ذلك من بواعث تأصل دوافع التحدى فى نفسه . وقد اتقن اثناء دراسته اللغة الالمانية وقرأ الكثير من كتب التاريخ ، وعُرف عنه التقصير فى احترام مدرسيه، وغلبت عليه نزعة الشك . وحينما التحق بجامعة جوتنجن Gottingen كان يدعو زملاءه الطلبة الى المبارزة اذا اعتقد أن احدهم قد سخر منه او استخف به .

وكان من اترابه بها موتلى الذى صار بعد ذلك من كبار المؤرخين الامريكيين والدبلوماسيين البارزين ، وقد ظل صديقا لبسمارك حتى شيخوخته، وقد اكسبه ميله الى المبارزة وانتصاره فيها احترام زملائه ، وروى عنه موتلى انه كان لا يتحدث معه حديثا معقولا الا حينما يكونان منفردين ، وقد استشف موتلى عناصر البطولة التي كانت كامنة فى اعماق نفس هذا الطالب الشاغب الكثير الاعتداد بنفسه ، والشديد التعصب لطبقته .

عند بلوغه الحادية والعشرين

وحينما بلغ الحادية والعشرين عين فى منصب دبلوماسي فى اكس لاشابل ، ولكن لم ترقه الواجبات التي كلف القيام بها ، فاستقال منه ، واتيحت له فرصة اخرى ، ولكنه سرعان ما مل حياة الوظيفة الرتيبة ، فرأت اسرته ان تعهد اليه بالاشراف على املاكها فى كنيبهوف ، وعاش من سنة ١٨٣٩ الى ١٨٤٧ عيشة النبيل الريفي الشاب ، يقضي معظم وقته فى الصيد والشراب والمغامرات الغرامية ، واسرف فى هذه الناحية حتى اشتهر بالتهور ، ولكنه مع ذلك اكتسب خبرة بالزراعة ، ودرسها دراسة عملية ونظرية ، وقرأ فى خلال ذلك الكثير من الشعر والتاريخ بالفرنسية والانجليزية والالمانية ، وقام برحلة الى انجلترا واعجب باهلها وبنظمهم السياسية ، ولكنه مع ذلك كان يرى ان هذه النظم التي يغلب عليها الطابع الديمقراطي لا تصلح الا للشعب البريطاني ، ويعاوده السأم بعد عودته من رحلته ، ويمل الاقامة فى بوميرانيا ، وكان يتسلى اثناء ذلك بقراءة شعر بيرون ، وفكر فى القيام برحلة الى مصر وسوريا ، وربما الى ابعد من ذلك ، كما فكر فى العودة الى خدمة الحكومة . واتفق ان مات والده فى تلك الفترة ، وتولى وهو فى الثلاثين من عمره ضيعة شينهوزن ، وترك كنيبهوف حيث شب ونشأ ، وقد شعر بالأسى حين فارقها ، واتجه تفكيره الى الزواج ، وكان قد تعرف بيوحنا فون بوتكمر Johanna Von Puttkamer قبل وفاة ابيه بعام ، وكانت تصغره بتسع سنوات ، وميالة الى التدين ، وتم زواجه بها ، وكان بسمارك زوجا مثاليا ، جم العطف على أسرته ، شديد التعلق بها ، كثير العناية باولاده ، شغوفا بهم .

دخوله ميدان السياسة

ولم يكن فى وسع هذا الرجل الصارم العزم ، الشديد الاعتداد بنفسه ، والممتلىء حيوية ، ان يظل بعيدا عن مجال الحياة العامة وميدان السياسة ، وسعى سعيه حتى صار فى سنة ١٨٤٧ عضوا فى مجلس النواب البروسي ، وعرف بتأييده الشديد لآراء المحافظين ، وكان فى اعتقاده ان هذا هو اللائق بالسادة البروسيين .

فى عهد فردريك وليم ملك بروسيا

وكان ملك بروسيا من سنة ١٨٤٠ الى سنة ١٨٦١ فردريك وليم الرابع ، وكان رجلا شديد الزهو والخيلاء متشعب النزعات والأهواء ، وينقصه الثبات والاستقرار وسعة الاحاطة بالمشكلات السياسية . وبعد ان كان فى اول امره ميالا الى تأييد مبادىء الحرية اعتنق المذهب القديم ، وهو الاعتقاد بحق الملوك الالهي ، ولم ينفذ شيئا من مقترحات الاصلاح التي قدمت له . وقد اجبره الرأى العام على ان يعقد فى برلين فى فبراير سنة ١٨٤٧ ، اول برلمان بروسي ، وادعى هذا البرلمان لنفسه حق سن القوانين ومراقبة مالية الدولة ، والتصديق على القروض العامة ، وازعجت هذه المطالب فردريك وليم ، فلم يسعه الا ان يحل هذا البرلمان . ولكنه واجه فى مارس سنة ١٨٤٨ ثورة خطيرة بعد ان عُرف عنه انه مناوىء لحركة الاصلاح ، واخافته هذه الحركة الثورية فوعد بدعوة البرلمان ، وكان الجيش مواليا له ، واعيان الدولة لم يكونوا ميالين الى تأييد الحركة الديمقراطية . وفى شهر نوفمبر من السنة نفسها فضّ البرلمان بعد دعوته اياه معتمدا على مؤازرة الجيش ، وحدث بعد ذلك ان جاءته دعوة من برلمان فرانكفورت ليقبل عرش الامبراطورية الالمانية ، ولكنه رفض قبول تاج غير مرفوع اليه من الامراء ، كما انه لا يقر دستورا لم توافق عليه الحكومات الالمانية ، وقد ادرك ان قبوله لتاج الامبراطورية الالمانية ومقترحات برلمان فرانكفورت الديمقراطي النزعة يعرضه لصدام مسلح مع النمسا ، وربما مع روسيا كذلك ، وآثر ان يظل ملكا على رعاياه البروسيين المخلصين ، وقضى بذلك على محاولة برلمان فرانكفورت ومشروع قيام المانيا متحدة حرة ، واطمأن بال الامراء الذين خافوا ان يفقدوا عروشهم .

ولما هدأت فورة الثورة وجد ملك بروسيا فى مواجهته شفارتزن برج رئيس وزراء النمسا ، الذى رفض ان يعترف بقيام اتحاد بين بروسيا وكثير من الولايات الالمانية تحت زعامة بروسيا ، وايدته فى ذلك حكومات بافاريا وسكسونيا وورتمبرج وهانوفر التي كان ملوكها يخشون الانضمام الى اتحاد تتزعمه بروسيا ، واصر شفارتزن برج على حل الاتحاد الالماني الذى دعا اليه فردريك وليم ، وتوعد بروسيا بالحرب اذا اصرت على انشاء

العصبة الجديدة ، ورأى فردريك ان جيشه غير كامل الأهبة ، وانه لا يستطيع منازلة النمساويين وبخاصة بعد ان ناصرهم القيصر الروسي نيقولا الأول ، وفي اولمتز Olmütz سلمت بروسيا بمطالب النمسا .

قضى بسمارك هذه السنوات في التدرب على الاعمال الرسمية ، بينما هو يراقب الحوادث الجارية

وكان الشاب البروسي البوميراني اوتو بسمارك يراقب هذه الحركات ، فقد كان عضوا في برلمان برلين ، وقد ساءته هزيمة بروسيا في هذا الصراع على النفوذ ونشدان الوحدة الالمانية ، وقد قضى السنوات من ١٨٥١ الى سنة ١٨٦٢ في التدريب على الاعمال الرسمية ، وكان فيما بين سنة ١٨٥١ وسنة ١٨٥٨ المبعوث البروسي الى المجلس الاتحادي في فرانكفورت ، ومن سنة ١٨٥٩ الى سنة ١٨٦٢ كان سفير بروسيا في البلاط القيصري بسان بطرسبرج ، ثم نقل في السنة نفسها سفيرا في باريس لمدة بضعة اشهر .

بسمارك رئيسا لوزراء بروسيا

واستدعى بعد ذلك رئيسا لوزراء بروسيا ، وكان هو الموجه لسياسة بروسيا من سنة ١٨٦٢ الى سنة ١٨٩٠. التي استقال فيها .

سبب استدعائه لرئاسة الوزارة

وكان سبب استدعائه ان الملك وليم الاول الذى تقلد زمام الأمر في بروسيا في سنة ١٨٥٨ ، بوصفه وصيا على العرش حينما ظهرت اعراض الجنون على اخيه الملك فردريك وليم الرابع ، كان يمقت الحركات الشعبية ويحرص على ان تصبح بروسيا قوة حربية مرعية المكانة مرهوبة الصولة حتى لا تتعرض مرة اخرى لمثل الاذلال الذى اصابها في اولمتز Olmütz ، وقد وُلّي الملك بعد وفاة اخيه في سنة ١٨٦١ . وحدث في سنة ١٨٦٢ خلاف شديد بينه وبين البرلمان البروسي ، فقد اقترح الملك تقوية الجيش واعادة تنظيمه ، ولكن البرلمان عارض في ذلك ورفض الموافقة على فرض الضرائب التي يستلزمها اعادة تنظيم الجيش ، واضطر الملك الى حل البرلمان .ولكن الاحرار الذين عارضوه عادوا في البرلمان الجديد اقوى مما كانوا، وأخاف ذلك الملك ، فمال الى التسليم بمطالبهم ، ولكن المحافظين اقنعوه بأن يقوم بمحاولة اخيرة قبل الاذعان ، واشار عليه فون رون وزير الدفاع ان يدعو بسمارك لانقاذ الموقف ، فاستدعى من افينيون ، وقبل ان يتقلد رئاسة الوزارة .

بسمارك يصارح البرلمان

وابلغ بسمارك البرلمان انه سيعد العمل بالضرائب السابقة بموجب مرسوم ، وانه سيترك للمستقبل امر اصدار قانون لتصحيح الوضع ، وصارح البرلمان قائلا : « ان المانيا لا تبغي ان ترى بروسيا تعتنق المبادىء الحرة، ولكن تبغي السلطان، وللدول الالمانية في الجنوب ان تغض الطرف عن مبادىء الاحرار ، ولكنها من اجل هذا لن يعهد اليها احد بالدور الذى تقوم به بروسيا ! ويجب ان تستجمع بروسيا قواها ، وتحتفظ بها للحظة المواتية التي افلتت مرارا . ان حدودنا منذ معاهدات فيينا لا تلائم دولة سليمة ، والخطب وقرارات الاكثرية لا تفصل في كبرى مشاكل هذا العصر ، بل يفصل فيها الحديد والدم ، لا ما ارتكب عام ١٨٤٨ » .

وكان لهذه الكلمة صدى مدو في انحاء بروسيا: ولامه عليها صديقه رون ، وقال بسمارك معتذرا عن صدورها منه « ان كل ما قصدت ان اقوله هو ان الملك بحاجة الى جنود لا الى خطب كيما يتقدم بالمسالة الالمانية ، وهذا مجرد انذار لفيينا وميونخ، لا دعوة الى استخدام القوة مع الدول الالمانية الاخرى بحال من الأحوال . والدم معناه الجند فحسب ، على انه كان خليقا بي ان اتخير الفاظا اخرى اكثر احتياطا » .

الخصومة على ولايتين

وثارت حينذاك مشكلة شلزويج وهولشتاين ، وكانت هاتان الدوقيتان تابعتين لملك الدنمارك منذ سنة ١٤٦٠. ، ولكنهما لم تكونا تؤلفان جزءا من مملكة الدنمارك . وفي سنة ١٨٦٣ صارتا مثار خلاف بين الدنمارك من ناحية وبروسيا والنمسا

من جهة اخرى ، وكان الغالب على شلزويج العنصر الدنمركي ، اما هولشتاين فكانت الكثرة فيها من العنصر الالماني ، وكانت الدنمارك تتطلع الى ضمهما كما كانت بروسيا من ناحيتها تميل الى ضمهما اليها . وفي سنة ١٨٦٣ ، اقدم ملك الدنمارك كريستيان التاسع على ضم شلزويج الى الدنمارك ، فاتفق بسمارك مع النمسا على ان تتناول الدولتان مشكلة شلزويج وهولشتاين ، وكان هذا الاتفاق سريا ، وطلبت بروسيا والنمسا من الملك كريستيان ان يلغي ضم شلزويج الى الدنمارك ، ولما رفض هاجمت جيوشهما شلزويج في اوائل سنة ١٨٦٤ ، وبطبيعة الحال لم تستطع الدنمارك مقاومة جيوش الدولتين ، ولم تظفر الدنمارك بتاييد عملي من فرنسا وانجلترا ولذلك اضطرت الى تسليم الولايتين للنمسا وبروسيا ، وتم الاتفاق بين الدولتين على أن تتولى النمسا الاشراف على هولشتاين ، وان تحكم بروسيا ولاية شلزويج .

بين بسمارك والنمسا

وادركت الحكومة النمساوية ان بسمارك قد استدرجها بدهائه الى المشاركة في هذه الحرب ، وحاولت الخروج من هذا المأزق ، ولم يكن بسمارك قد أكمل استعداده لمصارحة النمسا بالعداء ، اذ كان عليه ان يقنع أولا الملك وليم بضرورة محاربة النمسا .

ولحسن حظ بسمارك كان نابليون الثالث مع اغلب الساسة البارزين في اوروبا مخطئين في تقدير قوة بروسيا وقوة النمسا ، وكانوا يرون ان اي توسع لدولة النمسا يخل بالتوازن الدولي ، ولكن اتساع رقعة بروسيا ليس فيه خطر ، اذ يجعلها قوة مواجهة لقوة النمسا .

بسمارك يكتسب فرنسا لحرب النمسا

وحينما اجتمع بسمارك في سبتمبر سنة ١٨٦٥ بامبراطور فرنسا في بيارتز Biarritz تلقى منه تأكيدات بأن النمسا لن تظفر بأي مساعدة من فرنسا ، وقدر نابليون الثالث انه في حالة اشتباك النمسا في حرب مع بروسيا وايطاليا يستطيع ان يتدخل في المرحلة الأخيرة ليصلح ما بين الطرفين المتحاربين وينال لقاء خدماته بعض المزايا لفرنسا في منطقة الراين ، ولم يعكر بسمارك صفاء هذه الأحلام .

بسمارك يشرك ايطاليا لحرب النمسا

ومضى في محاولة ضم ايطاليا الى جانب بروسيا ، ويسر له ذلك ان النمسا كانت مستولية على مقاطعة البندقية في ايطاليا ، ولذلك كانت ايطاليا مستعدة للمشاركة في اى حرب تثار على النمسا ، وبدأ بسمارك محاولته في ربيع سنة ١٨٦٥ وفي ابريل سنة ١٨٦٦ حصل على موافقة ايطاليا ، ولكنها اشترطت ان تعلن الحرب في خلال ثلاثة اشهر ، وتعهد الطرفان بأن لا يعقدا صلحا الا مشتركين ، واتم بسمارك استعداده للحرب ، لم يعجزه التماس اسباب اثارة الخلاف بينه وبين النمسا ، وفي يونيو سنة ١٨٦٦ ارغم النمسا على اعلان الحرب ، ولم ينضم الى جانب بروسيا من الولايات الالمانية الا بعض الولايات الصغيرة التى كانت تخشى بأسها ، اما الممالك الالمانية الأربع وغيرها من الولايات الصغيرة فقد اخذت جانب النمسا ، وكان بسمارك واثقا الثقة كلها من الجيش ، ومتأكدا من انه اكثر اهبة واعظم تدريبا من جيش النمسا ، وكان يعرف شدة تعلق البروسيين بالنظام وولائهم لوطنهم .

وهزم الايطاليون في موقعة كاستوزا ، ولكنهم برغم ذلك شغلوا بمحاربتهم جانبا كبيرا من الجيش النمساوى . وكان الميدان الرئيسي للحرب في بوهيميا . وقد انتصر البروسيون على النمساويين انتصارا حاسما في موقعة كونجراتز ، ولم يستغرق هذا الصراع أكثر من ستة أسابيع .

انتصار الجيش البروسى الالماني يخيف اوروبا

وقد ادهشت كفاية الجيش الالماني اوروبا واخافتها ، وبرغم هزيمة الايطاليين في كاستوزا فقد سأل الامبراطور فرانسيس جوزيف نابليون الثالث ان يتوسط في انهاء الحرب ، وعقدت معاهدة براج في شهر اغسطس ، ونزلت النمسا عن مقاطعة البندقية لايطاليا ، واكتفت بروسيا بطرد النمسا من الاتحاد الالماني الذى اصبح

بشمل الولايات الشمالية ومعها سكسونيا . واحتفظت الولايات الجنوبية باستقلالها ،وضمت بروسيا هانوفر Hanover ونساو Nassau وهس كاسل ومقاطعتا شلزويج وهولشتاين Holstin الى رقعتها ، وحينما التمست الولايات الالمانية الجنوبية من نابليون الثالث التدخل من اجل حمايتها افهمها بسمارك ان نابليون الثالث يتطلع الى ان يضم الى فرنسا بعض الأراضي الالمانية تعويضا له عن تزايد قوة بروسيا ، فرأت الولايات الجنوبية ان محالفة بروسيا اهون الضررين ، وفي الشر خيار . وهكذا ساعدت انانية نابليون الثالث سياسة بسمارك .

بسمارك يهدف الى توحيد المانيا

وقد كان الهدف الذى ترمي الى اصابته سياسة بسمارك هو توحيد المانيا تحت زعامة بروسيا ، وبعد الانتصار على النمسا لم تكن الوحدة المنشودة قد تحققت ، فما زالت الحكومات الأربع الجنوبية خارجة عن الاتحاد ، وقد رأى بسمارك ان من الخير ضمها بعد هزيمة فرنسا ، وقدر بسمارك ان انتصار بروسيا فى محاربة فرنسا كفيل بان يحمل الحكومات الأربع الجنوبية على طلب الانضمام الى بروسيا ، وتكتمل بذلك الوحدة الالمانية ،وكان الأحرار البروسيون ناقمين على بسمارك لاستبداده برأيه وتنكره للديمقراطية والمبادىء الحرة ولكن انتصار بروسيا في الحرب على النمسا جعلهم يعجبون به ، ويغضون الطرف عن مقاومته لهم ،وقبلوا رايه في التعويل على القوة ، فقد تبين لهم ان القوة هي صاحبة الحق ، وغلب هذا الرأى على الشعب الالمانى ، وأثر فى تفكيره السياسي ، وثقافته بوجه عام .

بسمارك يعزل فرنسا تمهيدا لحربها

ولكي تتم الوحدة بعد الانتصار على فرنسا كان على بسمارك ان يظهر فرنسا أمام الالمان فى مظهر الدولة المتغطرسة ، وان يفقدها عطف الدول الكبرى الأخرى حتى لا تقف فى صفها اذا نشبت الحرب بينها وبين بروسيا ، وكان لا بد من اعداد اقصى ما تستطيعه بروسيا من قوة لاحراز النصر، وقد اعتمد فى ذلك على كفاية القائد القدير مولتكن ، وكان هذا الرجل جديرا بما وضعه فيه بسمارك من ثقة . وقد نهض بأعباء هذه المهمة اقوى نهوض . ووعد بسمارك روسيا بتاييدها فى مسالة اعادة النظر فى معاهدة سنة ١٨٥٦ الخاصة باغلاق مضيقي الدردنيل والبسفور .

وكان من المحتمل ان تساند انجلترا فرنسا حليفتها فى حرب القرم ، ولكن بسمارك احتاط للأمر ، وخدع نابليون الثالث بان جعله يبدى رغبته فى ضم بلجيكا الى فرنسا ، واحتفظ بهذه الرغبة مكتوبة ليعلنها فى الوقت الملائم ليحمل انجلترا على الاحجام عن مساعدة فرنسا ، وكانت حماية فرنسا لأملاك البابا فى ايطاليا تحول دون وقوف الملك عمانويل فى جانبها ضد بروسيا .

الفرصة تسنح لاستدراج فرنسا للحرب

وسنحت الفرصة لبسمارك لاستدراج فرنسا الى الحرب حينما خلا عرش اسبانيا عقب حدوث ثورة فى سنة ١٨٦٨ وطرد الملكة ، وسعى الاسبان ليضعوا على العرش من يعوضها ،واتجهت انظارهم الى بيوت الامارة الالمانية ، وكانت زودت نصف اوروبا بالملوك ، ووقع اختيارهم على الأمير ليوبولد، وهو من امراء اسرة هوهنزولرن سيجمرنجن ،احد الفروع الجانبية لاسرة هوهنزولرن ، وهو يمت بقرابة بعيدة لملك بروسيا ، وكان هذا الأمير اخا للامير شارل الذى انتخب سنة ١٨٦٦ امير على رومانيا ، وعرض هذا البيت الامر على الملك وليم باعتباره رأس اسرة الهوهنزولرن ،ولكن الملك لم يوافق على ذلك .

ولما نمى الى باريس ان الامير قبل عرش اسبانيا الخالي احدث بها توترا دبلوماسيا شديد الخطورة، ورأى الفرنسيون ان في اعتلاء أمير الماني عرش اسبانيا تهديدا لهم ، وخطرا عليهم ، ورجح عندهم ان بسمارك وراء هذا التحدى،وان المقصود به اذلال الأمة الفرنسية ورأت الحكومة الفرنسية انه اذا لم يسحب هذا الترشيح فانها ستكون مضطرة الى اشهار الحرب على بروسيا . واعلن الدوق دى جرامون وزير خارجية فرنسا فى مجلس النواب ان هذه المسالة تمس شرف بلاده وتنال من مكانتها ، ولما علم الأمير بتأزم الموقف ، وانه سيجر الى حرب طاحنة بين فرنسا وبروسيا غير مأمونة العواقب اعلن تنازله عن الترشيح ، وعد

الفرنسيون هذا التنازل او التراجع نصرا دبلوماسيا عظيما ، وطاروا به سرورا ، وحملت الحماسة الدوق دي جرامون ـ وكان اكثر من كبير الوزراء ميلا الى الحرب واخذ بروسيا بالشدة ـ على ان يطلب تاكيدا صريحا من ملك بروسيا بالتصديق على هذا التخلي ، وان يتعهد بعدم تجديد هذا الترشيح في المستقبل ، بل ذهب الى مدى ابعد من ذلك ،وذلك بان اقترح على السفير البروسي بباريس انه يجدر بمليكه ان يعرب عن اسفه على حدوث هذا الترشيح .

وتاثر نابليون الثالث بهذه الحماسة الطاغية ، فانفذ هو ووزير خارجيته تعليمات في ١٢ يوليو الى بنديتي السفير الفرنسي في برلين بأن يقابل الملك وليم في مدينة امز ، ويحصل منه على تأكيد لتنازل الامير عن العرش ، وانه لن يقر في المستقبل اية محاولة لاقامة أمير من اسرة هوهنزولرن على عرش اسبانيا . وكان في مأمول جرامون انه متى تم ذلك يستطيع ان يحرز انتصارا باهرا في مجلس النواب الفرنسي . ولما علم بسمارك بما طلب من وزير المانيا المفوض في باريس غضب ، لان هذا الوزير اكتفى بأن ينصح في ادب بصرف النظر عن هذا الطلب ، واقال الوزير من منصبه ، وابرق الى الملك في امز يهدد بالاستقالة اذا استقبل بنديتي السفير الفرنسي في برلين مرة اخرى .

وزاره في اثر ذلك بمنزله مولتكن ورون ،ووردت اليه وهما عنده برقية من امز مضمونها ان الكونت بنديتي فاجأ ملك بروسيا وهو يتنزه وطلب منه بالحاح شديد ان يبرق الى الحكومة الفرنسية في الحال بأنه يتعهد بعدم الموافقة على ترشيح اى أمير من اسرة هوهنزولرن لعرش اسبانيا في المستقبل ، وان الملك رفض ذلك في شيء من الحزم ،وان الملك تلقى في تلك الأثناء كتابا من الامير كارل انطون يؤكد ما تلقاه بنديتي من باريس عن تنازل الامير ليوبولد عن العرش الاسباني ، وانه لذلك قرر بعد ابلاغ ذلك للكونت بنديتي ان لا يستقبله ، وان ليس لديه ما يقوله، ولما اطلع بسمارك على هذه البرقية وجه الى مولتكن بضعة اسئلة عن مدى قوة الجيش واستعداده ، وصارحه مولتكن قائلا : ان الاسراع بشن الحرب خير من التلكؤ ، وتناول حينذاك بسمارك البرقية ، واجمل مضمونها الخاص برفض الملك ان يستقبل السفير الفرنسي ، وانه ليس لدى جلالته ما يبلغه اياه فوق ما بلغه ، واصدر بيانا الى الصحف ضمنه فحوى البرقية بعد التعديل الذى ادخله على نصها .

وقد ادرك بسمارك من أول لحظة ان الحرب واقعة لا محالة .

وفي صباح يوم ١٤ يوليو احدث نص البرقية الذى نشر في الجرائد الالمانية هياجا في الوزارة الفرنسية والرأى العام الفرنسي،وقال الامبراطور نابليون الثالث « لو لم يكن ثمة باعث لنا نستطيع ان نتقدم به لخوض غمار الحرب ، فاننا مضطرون الى الامتثال لمشيئة الشعب » ..وكانت جموع الشعب تهتف في شوارع باريس قائلة «الى برلين لتحيا الحرب » .

ويرى المؤرخ البريطاني الاستاذ فيشر ان تبعة نشوب هذه الحرب بين فرنسا وبروسيا يجب ان تقع على كتفي بسمارك وجرامون ، ولا يخلى كذلك من اللوم الملك وليم والامبراطور نابليون الثالث ، وبطبيعة الحال يحاول المؤرخون الفرنسيون ان يلقوا تبعة هذه الحرب على عاتق بسمارك ،لأنه كان يراها لازمة لاستكمال الوحدة الالمانية ، كما يحاول المؤرخون الالمان من ناحيتهم القاء اللوم على نابليون الثالث لرغبته في اذلال بروسيا وكراهته لتزايد قوتها واتساع نفوذها وادعاء وزيره جرامون وعنفه البالغ حد الحماقة .

في سبيل الكشف عن مسئولية الحرب بين المانيا وروسيا

ولما حاول الاستاذ لورد R. H. Lord من جامعة هارفارد الأمريكية ان يضع كتابا عن « اصول الحرب الفرنسية البروسية » في سنة ١٩٢٣ طلب من وزارة الخارجية الالمانية الاطلاع على الوثائق الخاصة بها ، وكان بها ستة ملفات خاصة بترشيح الأمير الألماني لعرش اسبانيا ، ولكن قد كتب عليها انها ملفات سرية ، ولذلك كانت السلطات الالمانية لا تسمح بالاطلاع عليها ، لأن ما احتوت عليه كان ينقض ادعاء بسمارك ان مسالة الترشيح كانت مقصورة على الحكومة المؤقتة في مدريد ، واسرة الهوهنزولرن

التي انفق ان رئيسها كان ملك بروسيا ، الى أن تدخل الفرنسيون في الأمر . وكانت الناس لا تصدق ذلك .

ولم تطلق حكومة ويمار يد الاستاذ لورد في الاطلاع على الملفات السرية ، وانما سمحت له بالاطلاع على الوثائق الخاصة بسير الأحداث من ٤ يوليو سنة ١٨٧٠ الى ما بعد ذلك ، وظلت وثائق المفاوضات التي ادت الى قبول الامير ليوبولد سرية ، واستشارت بعد ذلك وزارة الخارجية اثنين من المؤرخين الألمان الخبيرين بالوثائق في مسألة السماح بالاطلاع على وثائق المفاوضات السرية ، ولكن هذين المؤرخين قدما مذكرة في ١٤ مارس سنة ١٩٢٤ يشيران فيها بالمحافظة على سرية تلك الوثائق لأنهما وجدا انه من الممكن أن يستخلص منها أن بسمارك كان يحاول أن يجد عذرا وجيها لاشعال نار الحرب ، وانه ليس من المرغوب فيه أن يسمح للمؤرخين بالوصول الى هذه النتيجة، وقالا ضمن ما قالاه في هذه المذكرة : « ان الألمان يحملون العبء الثقيل وهو عبء تبعة حرب سنة ١٩١٤ وانه يجمل بهم أن لا يساعدوا على اقامة الدليل الذي يمكن من القاء تبعة حرب سنة ١٨٧٠ عليهم » ..

وقد جمعت هذه الوثائق بعد ذلك في كتاب طبع بالألمانية (١) وترجم الى الانجليزية في سنة ١٩٥٨ وقد أظهرت هذه الوثائق ان بسمارك كان يحاول اغراء اعضاء فرعي الأسرة الفرع الكاثوليكي والفرع البروتستانتي ـ بقبول العرض الاسباني ، ويلوح لهم بما ينطوي عليههذا القبول من احراز الأمجاد، وتحقيق الاماني والأحلام ، ولم يكن هذا العمل سهلا ، لأن ملك بروسيا لم يكن مستعدا للموافقة على قبول هذا الترشيح . وقد نجح بسمارك في حمل الأمير كارل انطون رئيس الفرع الكاثوليكي والأمير ليوبولد على القبول ، ولكنحينما اعترضت فرنسا وافق الأمير على الانسحاب من الترشيح ، واقرته الأسرة على ذلكولم تصبح الحرب محتومة الا بعد ان اذاع بسمارك مضمون برقية امز .

على أن هذه الوثائق لا تدين بسمارك ، وانما تكشف عن اهتمامه بوصفه رئيس وزراء بروسيا بتقوية نفوذها وبسط سلطانها . ولكن من سوء حظ بسمارك أن بونين Bonnin ناشر الوثائق الحقبها بيوميات الصاغ فون فرسن Von Versen وكان من ضباط أركان حرب الجيش البروسي وموضع ثقة بسمارك ومولتكفيالمفاوضات الخاصة بالعرش الاسباني . ففي يونيو سنة ١٨٧٠ كان هذا الصاغ في سيجمارنجن لاقناع الأمير بالقبول ، وقد ذكر في يومياته أن الأمير كارل انطون كان مترددا في الاشارة بالقبول ، وانه قال : « ماذا يكون رأي فرنسا في هذا الموضوع ؟ أليس من المحتمل أن يثير مشكلات ؟ » .

فقال له فرسن : « ان هذا هو ما يريده بسمارك .

فاجابه الأمير كارل انطون : « نعم ، قد يريد ذلك الكونت بسمارك ، ولكن هل هذا في مصلحة الدولة حقيقة » .

فاجابه فرسن قائلا : « ان مصلحة بسمارك ومصلحة الدولة شيء واحد » ..

ولذلك هددت الحكومة الامبراطورية مترجم حياةفرسن بأنهسيتهمهبالخيانة اذا قدم اليوميات للنشر ، وحفظت اليوميات مع الوثائق السرية ، وكان بسمارك مثل كافور Cavour الايطالي ونابليون الثالث يرى ضرورة اخفاء مثل هذه الوثائق ، ويحرص على ذلك ، ويحتاط له ، ولكن الأمر كما يقول المثل العربي « من مأمنه يؤتى الحذر » .

بعد انتصار الألمان في حرب فرنسا

وبعد انتصار الألمان في الحرب ، واستكمال الوحدة ، وانتزاع الألزاس واللورين من فرنسا ، صار بسمارك ينشد السلام ويتحاشى الحرب ، وقد ظل الموجه للسياسة الألمانية طوال حياة الملك وليم الأول ، وقد طبع سياسة ذلك العصر بطابعه الخاص ، ولونها بلون شخصيته الجبارة ولم يكن يعرف الرحمة ولا الهوادة في تنفيذ خططه،وتحقيق اهدافه ، ولا يتردد في اتباع الأسلوب الذي يراه قمينا بأن يوصله الى ما يريد .

---

(١) وقد تناول الملحق الادبي لجريدة التايمزالبريطانية هذا الكتاب بالعرض والنقد في :لعدد ٢٩٢١ المؤرخ ٢١ فبراير ١٩٥٨ .

وفي اول مارس سنة ١٨٨٧ تداعت صحة الامبراطور وليم الأول وقضى نحبه .

وليم الثاني امبراطور المانيا

وكان الامبراطور الجديد في بيته يحتضر ، ومهد ذلك السبيل لأن يرتقي عرش الامبراطورية الالمانية وليم الثاني ، وكانت سنه لا تتجاوز الثامنة بعد العشرين . وقد عرف بسمارك كيف يحمل الامبراطور وليم الأول على اتباع نصائحه واقرار خططه وتوجيهاته ، وقد هدد بالاستقالة في بعض الأزمات التي اشتد فيها الخلاف بينه وبين الامبراطور وليم الأول . وكان الامبراطور في النهاية يذعن لرايه وينزل على حكمه ، ولكن طبيعة وليم الثاني كانت مختلفة عن طبيعة جده ، ولم يكن مستعدا لاطلاق يد بسمارك كما فعل الجد .

بوادر الخلاف بين بسمارك ووليم الثاني

وظهرت بوادر الخلاف بين الامبراطور ومستشاره منذ اول عهده بارتقاء العرش الامبراطوري ، وكان في حاشيته من يحرضونه على عدم الانقياد لنصائح المستشار الحديدي . وقد كان فالدرسي رئيس اركان حربه في طليعة المتملقين الذين كانوا يحرضونه على الاستشار بالسلطة ، ويترضون بدواته ونزواته ، ومن اقواله له : « ان فردريك ما كان ليصبح الأكبر لو انه وجد عند توليه الحكم رجلا في سلطان بسمارك وخطر شأنه واحتفظ به » . وكان فالدرسي يتطلع الى منصب المستشار . وكان غياب بسمارك عن البلاط يتيح الفرصة للدساسين وصانعي الشر ، حتى صمم وليم الثاني على ان يسير في طريقه ، ويعمل برايه الخاص .

بسمارك يقدم استقالته

واضطر بسمارك بعد ان كثرت الخلافات بينه وبين الامبراطور الى ان يستقيل ، وقبلت استقالته سنة ١٨٩٠ وقد توفي بسمارك سنة ١٨٩٨ .

راى المؤرخين في بسمارك

ولا ينكر احد على بسمارك انه كان من مهرة صناع الدول وبناة الأمم ، وانه من الشخصيات العظيمة التي تحاك حولها الأساطير ، وتتناقض الأخبار ، وتختلف في تقديرها الموازين ، وقد وجد فيه بعض مواطنيه السياسي الحكيم الذي ادى اهمال نصائحه الى وقوع الكوارث . واخذ عليه بعضهم اتباعه فلسفة القوة التي كان ممثلوها ، وعباد البطولة ونقادها ، يسلمون بعظمة شخصيته المنيفة ، ويرى المؤرخ الألماني أيك Eyck :

« ان الجدير باللوم في أعماله أكثر من الذي يستأهل المدح ، وأنه حتى حينما كان يتبع النهج السليم فان أساليبه كانت خشنة بغير موجب ، وكان يتحدى الأصدقاء والأعداء على السواء ، ويعادي الكنيسة والأحزاب ، وقد أغرق سعادة ابنه بأن منعه لأسباب سياسية من الزواج بالمرأة التي أحبها . ومقاومته للحركة الاشتراكية تنم على قلة صبره ، وضيق خياله ، وقصر نظره . وكان مرور الأيام يزيده استبدادا برايه ، وأن وليم الثاني كان محقا في قبول استقالته سنة ١٨٩٠ ، وربما كانت اكبر أخطائه انه لم يدرب مواطنيه على أن يحملوا تبعة الحكم حينما يتخلى عنه » .

وحكمه الاخير عليه : « انه كان يستطيع أن يكون مرنا لينا مثل رجال البلاط ، ومهذبا اريبا كيسا مثل مركيز من الطراز القديم ، وأن يكون هجاء ساخرا مثل هيني ، ورقيق الاحساس مثل الشعراء ، وكذلك أن يكون فظا غليظ القلب مثل طغاة عصر الاحياء ، وماكرا حوّلا مثل الثعلب ، وشجاعا مقداما مثل الأسد . وقد أغدقت عليه الطبيعة اغداقا يندر أن جادت على غيره من البشر بمثله ، ولكنها مع ذلك حرمته الاحساس بالحق والعدالة ، ولذا تراه واقفا في صفوف العمالقة شخصية غير محبوبة ، واقل من ذلك أن يرغب أحد في أن يتشبه بها او يحذو حذوها ، وانما هو شخصية تدرس ، وبرغم ضيق حدودها تستحق الاعجاب » .

ويرى المؤرخ الألماني ماركس Marcks انه « كان أسدا وثعلبا معا ، وأنه كان صادق الايمان برسالته المقدسة ، ولكنه أدرك أن خطبة الجبل لا يمكن الأخذ بها في لعبة السياسة الخشنة ، فبغير الشدة والغش من المتعذر أن تفوز » .

ويلقي هذا المؤرخ تبعة حرب سنة ١٨٦٦ وحرب

سنة ١٨٧٠ على منافسيه الذين رفضوا الاعتراف بحق المانيا في ان تكون امة يدير حكومتها الزعيم الوحيد القادر على ذلك ، وباى حق كان يرفض نابليون الثالث اختيار ملك لاسبانيا ؟ والآثم في الموضوع ليس هو بسمارك ، ولا الامبراطور الضعيف ،وانما هو جرامون وزير الخارجية الذى ارغم بروسيا على ان تختار بين الذل والالتجاء الى حمل السلاح . ويدافع عن برقية امز بقوله : « انها كانت ردا على تحد يجب أن لا يحدث » .

ويرى المؤرخ الالماني براندنبرج : « ان من أعظم صفات بسمارك انه كان يرى الاشياء كما هي في الواقع ، وانه كان يقدر نتائج الاجراءات التى يتخذها بدقة مدهشة ... وكان عديم الرحمة في اختيار الوسائل القمينة بتحقيق أغراضه ، وأستاذا في فنون الدسائس والحيل الماكرة ، ولكن اى رجل دولة قد استغنى عن هذه الاساليب ، واحوال الدنيا على ما هي عليه) » .

ويؤكد براندنبرج أن بسمارك لم يكن من غواة الحرب والمغامرة ، ولكنه في سنة ١٨٦٦ لم يجد امامه طريقا آخر . وكذلك كان حكمه على حرب سنة ١٨٧٠ ، وقد عمل على ترشيح الأمير الألماني لعرش اسبانيا ، ولكن هل كان هذا حقيقة شركا منصوبا لاصطياد نابليون الثالث كما راى لوناربوخر ؟ ويرد على ذلك قائلا : « كلا ، انه أراد أن يقيم العقبات في طريق محاولات نابليون الحصول على حلفاء في حالة نشوب حرب في المستقبل ، وكان يعلم أن هذا الترشيح قد يسفر عن الحرب ، ولكنه كان يعتبر ان نشوب المعركة امر لا بد منه ، ورأى ان نابليون نفسه كان يعد لها العدة ، فهل ينتظر حتى يستكمل الامبراطور استعداده ، ويرى أنه من القوة بحيث يستطيع أن يوجه الضربة ؟ وهل تهمل بروسيا تقوية مرغوبة لموقفها السياسي لمجرد ان فرنسا قد تعترض على ذلك وتلجأ الى اشهار السلاح ؟ لقد أوجد عمله فرصة الحرب ، ولكن السبب الأخير هو غضب فرنسا من الوحدة الالمانية ، ورغبتها في منعها » .

والمؤرخ الالماني اونكن Oncken يكيل لبسمارك المدح ويعجب به اعجابا لا حد له ، ويرى انه كان يجمع بين الارادة القوية والمرونة العظيمة ، وبين الواقعية اليقظة والخيال الخلاق ، وانه فعل الشيء الصحيح في الوقت المناسب ، وربما أسرف في حديثه عن الدم والحديد ، ولكن ايطاليا اتبعت الطريق نفسه ، ومن السخف القول انه في جيل لويس بونابرت وجورتشاكوف وفيكتور عمانويل وكافور وبالمرستن ودزرائيلى كان السياسي الوحيد الذى يلبس الدرع تحت السترة الدبلوماسية ، وان تشجيعه وضع امير من اسرة هوهنزولرن على العرش الاسباني كان اقل اثارة للعداء من محاولات نابليون الثالث تكوين حلف ثلاثي من النمسا وايطاليا ، وكانت فرنسا طامعة في ضم منطقة الراين ومتلهفة على الحرب، وبرقية امز حملت الفرنسيين على الاسراع باعلان الحرب التى كان الامبراطور وجرامون قد صمما على اعلانها .

ويفند المؤرخ الامريكي جوزيف فولر Joseph Fuller الراى القائل ان بسمارك كان ميالا الى السلم بعد سنة ١٨٧١ وانه العملاق الذى حال بين وقوع حرب بين النمسا وروسيا ، ويقول ان مخادعاته وتلفيقاته جعلت المانيا عرضة لعداوة الخصمين .

وهكذا تختلف آراء المؤرخين في تقدير سياسته الخارجية وسياسته الداخلية ، وما احسب أنه من الممكن أن تقال الكلمة الفاصلة في تقدير أعمال المستشار الحديدي ووزن شخصيته ، لا لأن المؤرخين ينظرون من زوايا مختلفة ، ويضعون على عيونهم نظارات متباينة الالوان والابعاد فحسب ، بل لأنه كذلك كلما تتابعت الايام وتوالت الاحداث صعب استخلاص النتائج من الاعمال ، وتكاد تتفق الآراء في أنه كان في معالجته أمور السياسة الخارجية أكثر حصافة ، واعظم كفاية منه في تناول المشكلات الداخلية ، وانه كان يحتقر الديمقراطية ويتنكر لفكرة الحرية ، وانه لم يعمل على اعداد مواطنيه لحمل تبعة الحكم ، انه بعد أن أوجد الدولة القومية في أعقاب الحروب الثلاث التى اثارها عرف متى يقف ويساعد على توطيد السلم في اوروبا ، وقد قصر جهوده على خدمة بروسيا في أول الامر ، ثم الامبراطورية الالمانية بعد ذلك وقنع بهذا النصيب . ■■

علي أدهم

كان..!

■ كانَ لي أمسٌ ، وكانتْ لي على الدنيا أماني
زورقٌ في النورِ والأحلام يمضي في أمانِ
وكؤوسٌ ، ورحيقٌ ، وينابيعُ حنانِ
وليالٍ غفلتْ عن فجرِها عينُ الزمانِ

★★★

تُنْصِتُ الدنيا لآمالي وترعى موْعِدي
وتُغنيني أناشيدَ اللقاء المُسْعِدِ
يا مُنى نفسي ، ويا حُبي ، ويا حُلْم غدِي
كيفَ ولَّتْ هذه الدنيا وراحتْ من يدِي

★★★

نسِيتْني هذه الشطآنُ والموجُ رماني
لظلامٍ كم سقاني من أساهُ وسقاني
أين يا حبُّ لياليَّ وخمري ودناني
نسِيتني هذه الشطآنُ والموجُ جفاني
يالقلبي ذلك التائه في ليلِ الفراقِ



من عـــذابٍ ، وسُهـــادٍ ، ودُمــوعٍ واشتيـــاقِ
ومــن اللهفـــةِ في عيـــني لأيـــام الفـــراقِ
ومــن الـنَّـيْــرةِ للمحــروم مــن كأسٍ وســـاقِ

★★★

أنــا وَحْــدي تائــهُ الخُطْــوةِ ، ياشاطئُ ، وَحْــدي
أشتكــى همّــى ، وآلامــى ، وحرمـــانى وسُهــدى
آهِ مــن حيْــرةِ آمـــالى ، ومِنْ ثــوْرةِ وجْـــدي
فمتى تلقـاكَ عيـــني ، ومتى تَصْـدُقُ وعْــدي

★★★

وأرى فـى نـورِك الأمسَ الذى كانَ ورَاحَـــا
وأرى الدُنيـــا أمانـــاً وحنانـــاً وسَمَـاحا
وأرى العمـــرَ فُتُـــوناً وأرى العَيْشَ مِراحَـــا
والجِـراحاتُ الـتى في القلـــبِ ماعَـادتْ جِراحَـا

★★★

كان لى أمس ... ...
... ...

الاسكندرية : **مصطفى عبد الرحمن**





الثعلبة في بداية تكوينها وفيها تظهر شعيرات على شكل علامة الاستفهام دليلا على استمرار توسعها .

أمراض شائعة

الثَّعْلَبَة

أو

الصلع البقعي

Alopecia Areata

بقلم : الدكتور ابراهيم القشلان

■ الثعلبة من الامراض الجلدية المنتشرة فهي تكون نسبة كبيرة من مجموع الامراض الجلدية الموجودة في العالم اذ تصل حوالي ٢٪ من مجموع المترددين في بريطانيا والولايات المتحدة وتزيد نسبتها في اسبانيا فتصل الى ٣ر٥٪ ولكنها أقل نسبة في البلاد العربية ثم تقل كثيرا في القارة الافريقية .

وهي تتميز بسقوط الشعر كلية وبسرعة في رقعات محددة وعادة تؤثر على شعر الرأس وكذلك ممكن حدوثها على اللحية والحواجب والرموش وأحيانا شعر الجسم .

الثعلبة تحدث في الاطفال والكبار وممكن حدوثها في أى عمر من الطفولة حتى الشيخوخة ولكنها بصفة عامة تكثر بين عمر ٥ الى ٤٠ سنة وتزداد النسبة حتى عمر ٣٠ سنة ثم تقل تدريجيا ، ويتعرض لها الذكور والاناث ولكن نسبة انتشارها بين الذكور أعلى بكثير من الاناث .

مسبباته والعوامل التى تؤثر على انتشاره

هناك من يعتقد بان الثعلبة مرض معد نظرا لحدوث حالات كثيرة تشبه الوباء في المدارس .. ولكن هذه فكرة خاطئة ، حيث انه ثبت ان الثعلبة مرض غير معد ، وهذه الحالات الموجودة بالمدارس ظهر انها نتيجة اسباب اخرى ، مثل القراع ، والدمامل ، واصابات الاطفال نتيجة الجروح وخلافه ، ولكن هناك ظاهرة جديرة بالاهتمام وهي



الثعلبة وقد ظهرت في السيقان كما انها اثرت في جسم نفس الشخص .

انه بالرغم من انه مرض غير معد الا انه احيانا تحدث بعض حالات في الاصدقاء الذين يقطنون مسكنا واحدا او المدارس الداخلية والسبب في ذلك غير معروف .

الناحية الوراثية

وهي مسئولة عن حوالي ٢٠٪ من الحالات حيث انه بسؤال المصاب بهذا المرض نجد انه موجود في بعض أفراد العائلة من قريب او بعيد ، وقد لاحظنا اصابة التوائم سويا بنفس المرض ، واحيانا يصابون به في نفس اليوم وفي نفس الموضع. ولكن بالرغم من هذه الأدلة فحتى الآن لم يمكن التوصل الى كيفية حدوث هذه الظاهرة الوراثية.

تأثير الهرمونات

لا يوجد هرمون ذو تأثير معين على مرض الثعلبة الا انه لوحظ أن هناك بعض العلاقة بين انتشار الثعلبة وبين هرمون الغدة الدرقية والشدية والمبايض ، فقد وجدت بعض الحالات في المرضى المصابين بالغدة الدرقية وعند علاج الغدة الدرقية شفي بعض المرضي من الثعلبة تلقائيا ، الا ان البعض الآخر ظلت الثعلبة كما هي ولم تتأثر بشفاء الغدة الدرقية .

كذلك في فترة الحمل تزداد الفرصة لحدوث الثعلبة مع أن الحمل ليس له تأثير مباشر على هذا المرض ، كذلك في سن الياس تعود الثعلبة الى الظهور ثانية .

الناحية النفسية والعصبية

وهذه من أهم العوامل وأكثرها انتشارا ، فالثعلبة كثيرا ما تتبع الاضطرابات النفسية والعصبية ، والانشغال الذهني ، وحالات القلق والخوف ، وكثيرا ما تجد مريض الثعلبة متوتر الاعصاب سريع الغضب والانفعال .

والثعلبة لها علاقة وطيدة بالجهاز العصبي ، ولذلك نجدها في بعض حالات البهاق ، وربما تحدث بجوار اصابات الراس بعد العمليات ، او اصابات الحروب ، وعادة تحدث بعد الاصابة ببضعة أيام الى بضعة أسابيع ، وأحيانا تمتد الى شهور . وهذا يحدث نتيجة ضمور العصب المصاب في الحرب او في العملية والذى في نفس الوقت يغذى منطقة الجلد والشعر القريبة من الاصابة ، وكذلك فان الحادثة تؤثر على الثعلبة نظرا لمفعولها على الناحية النفسية .

هناك عوامل أخرى كثيرة تؤثر على هذا المرض مثل الصدمات والكدمات على الراس،واضطرابات العين ، ووجود بؤرة صديدية في الجسم مثل التهاب مزمن في اللوز والاسنان او الجيوب الانفية .

كما انه يصاحب امراضا أخرى مثل الروماتزم



وامراض الحساسية ، ويحدث ايضا في بعض امراض التسمم مثل تسمم الخارصين والثاليوم .

الوصف المرضي وظواهره

تنشأ الثعلبة بدون اى اعراض او الم او حكاك ولذلك غالبا لا يلاحظها المريض في البداية ولكن يراها الحلاق او احد اصدقاء المريض . وهى تبدأ على شكل رقعات خالية من الشعر تماما ، وتكون مستديرة ، أو بيضاوية ، او شريطية . وتحدث في اى مكان من الجسم ولكنها عادة تتكون على الراس في ٨٠ - ٩٠٪ من الحالات، ثم بعد ذلك في اللحية والحواجب والرموش والسيقان ، وتكون رقعة واحدة او عدة رقعات منفصلة والجلد في هذه المنطقة ناعم املس وابيض عاجى ، ولا يوجد به اى شعر بالمرة ، ونادرا ما يوجد به بعض الاحمرار او الورم الخفيف عند بداية تكوينها . والحساسية الجلدية في هذه الرقع طبيعية مثل الجلد العادى ولكن نادرا ما يحدث بعض الاضطرابات الحسية في هذه المناطق سواء كانت خدورا او زيادة حساسية فيها . وعند حافة الرقعة الجديدة توجد بعض الشعيرات على شكل علامة تعجب Exclamation Mark Laws لان الشعرة تكون غليظة عند الطرف ورفيعة عند الراس وتوجد خاصة عند الحافة النشيطة التي لا تزال تمتد في سريانها . ووجود علامة التعجب هذه دليل على نشاط الرقعة واستمرار توسعها ولذلك فهى لا توجد في الرقعات القديمة، وعلى حدود الرقعة توجد بعض الشعيرات المتعلقة التى تتقصف تاركة شعيرات قصيرة .

وهذه الرقعات تمتد وتتوسع لبضعة اسابيع وفي بعض الحالات يتحسن المرض تلقائيا وينمو الشعر ثانية في هذه الرقعات في خلال بضعة شهور ، ويبدأ بالنمو في منتصف الرقعة ويكون الشعر خفيفا فاتح اللون في البداية ثم يتحول الى شعر طبيعي . ولكن في كثير من الحالات بعد فترة تتراوح بين اسبوعين الى ستة اسابيع ، وقد تمتد الى شهور ، تبدأ رقعات اخرى في الظهور على الراس .

والتاريخ المرضي غير محدد ويختلف من شخص لاخر ، او ربما تخف بعض هذه الرقعات وتتحسن ولكن في نفس الوقت تظهر رقعات اخرى، واحيانا تمتد هذه الرقعات وتلتحم مع بعضها مؤدية الى صلع كامل في الراس .

وفي الاطفال تختلف الرقعات الاولية احيانا بعض الشيء فتكون غير منتظمة واحيانا يوجد بداخلها بعض الشعيرات الطويلة واحيانا يكون تكوين الرقعات سريعا وكاملا فتظهر الرقعات في خلال اسبوع او اسبوعين .

وهناك نوع عادة يحدث في الاطفال ويسمى Ophiasis ، حيث تتكون الرقعة الاولى في مؤخرة الراس ثم تمتد على شكل شريط حول الراس وقد تؤدى الى صلع كامل .

ومن الملاحظ اننا نجد أن حوالى ٥ - ١٠٪ من حالات الثعلبة قد تتحول الى صلع كامل وقد يحدث ذلك في خلال فترة قصيرة ، ولكن عادة تاخذ بضعة شهور الى سنتين .

وفي ١٠٪ من الحالات تتأثر أجزاء الجسم المختلفة بهذه الثعلبة فقد تؤثر على الحواجب او الرموش او الذقن او العانة او شعر الجسم على الساقين والذراعين ، وقد تحدث في هذه الاجزاء كرقعة منفصلة او تكون متعددة في عدة مناطق مختلفة من الجسم وقد تؤدى الى سقوط الحواجب او الرموش في ناحية واحدة او في الناحيتين سويا ، وقد تمتد هذه الثعلبة حتى تؤدى الى سقوط الشعر من الرأس وكذلك من الجسم ، وفي المرضى المصابين بالبهاق او في كبار السن ربما يظل الشعر الابيض مكانه في الرقعات لفترة ما بعد اختفاء الشعر الملون ولكنه اخيرا يسقط هو ايضا .

وهناك بعض حالات حادة حين ينام الشخص في المساء عاديا ويصبح في الصباح فيجد الثعلبة في راسه .

وفي حالات الصلع الحاد الكامل تظهر بعض التغيرات في الاظافر ولكنها نادرة الحدوث في الثعلبة ، وتكون على شكل حروف او سلاسل طولية متعرجة وسميكة ، وقد تزداد هذه الظاهرة في الاظافر مؤدية الى سهولة تقصف الاظافر وربما خلعها .

واحيانا تظهر رقعات الثعلبة بعد علاجها ، في نفس المريض ، ولكنها في المرات التالية تاخذ وقتا اطول في علاجها ، واذا ظهرت لاول مرة قبل سن البلوغ فهناك احتمال كبير لعودتها ثانية .

وذلك النوع من الثعلبة الذى يتبع الامراض

الشديدة او الحمى المرتفعة فعامة تكون كبيرة وتؤثر على جزء كبير من الجسم وعلاجها اطول واصعب .

التشخيص

من السهل تشخيص الثعلبة نظرا لوجودها في شكل رقعات منظمة محدودة ليس فيها اى ندبة او قرحة او اى شكوى منها سوى منظرها وسقوط الشعر منها .

ونحب ان نذكر هنا ذلك النوع من الثعلبة الذى يحدث كوباء في مجتمعات كبيرة خاصة في الاطفال مثل المدارس ونطلق عليه اسم Alopecia Parvimaculata ، ولم يعرف حتى الآن سبب حدوث هذا الوباء النادر بالرغم من ان علاجه سهل باستعمال الادوية المطهرة موضعيا.

وهناك بعض امراض اخرى مشابهة للثعلبة الى حد كبير ولذلك يجب التفريق بينها لان بعض هذه الامراض الاخرى معد وله نتائج سيئة .

ومن اهم هذه الامراض المشابهة :

– القراع : وعادة يكون فى الاطفال وبه قشور وشعر متقصف مطفى .

– رقعات نتيجة قروح او جروح : وفيها تظهر الندبات وآثار الجروح ويكون فيها الشعر ملتويا او متقصفا .

– سقوط الشعر بعد الحميات وبعد اشعة اكس .

– الزهرى : وقد تظهر رقعات مشابهة تماما للثعلبة وفي حالة الزهرى عادة تظهر الثعلبة على شكل Ophioses Type .

اما في الزهرى الثانوى فتظهر في مؤخرة الراس على شكل رقعات صغيرة متعددة على شكل Moth Eaten ، اما فى الزهرى الثلاثي فتكون بها ندبات وقروح .

واحيانا نجد الثعلبة مع الزهرى معا فى نفس المريض مما يعرقل التشخيص .

– سقوط الشعر في بعض الامراض مثل الانيميا الخبيثة ومرض الذئب الاحمر .

– وهناك حالات مشابهة كثيرة وتسمى Pseudopelada Of Brocq ، وهى حالة نادرة من الصلع تؤثر على الشعر مؤدية الى رقعات كثيرة مستديرة او بيضاوية غير منتظمة وتكون بيضاء اللون او وردية خفيفة وسطحها ضامرا وهي تتكون تدريجيا والصلع يكون مستديما في هذه الرقعات او عادة تكون نتيجة التهابات مختلفة .

– كذلك بعض حالات تنتج من ان المريض تكون عنده عادة شد الشعر اثناء انهماكه فى اى عمل حتى تتكون رقع خالية من الشعر تشبه الثعلبة وتسمى هذه الحالة Trichotillomania وذلك نتيجة ناحية عصبية .

العلاج

قد يطول العلاج او يقصر حسب امتداد المرض وسببه وتجاوب المريض مع العلاج وعادة كلما زاد عدد الرقعات في الشخص طال العلاج ، وذلك النوع من الثعلبة الذى يتبع الامراض الشديدة او الحمى المرتفعة يصعب علاجه .

كما ان ثعلبة الذقن يطول علاجها عن ثعلبة الراس .

واهم العلاجات التي تستعمل في الثعلبة هي :

– الاشعة فوق البنفسجية وكثيرا ما تؤدى الى نمو الشعر ثانية في الرقعات المريضة .

– استعمال بعض الدهون الموضعية Counter Irritants . مثل الفيفول وصبغة اليود او حمض الخليك او مركب من ريزورسين مع الثر وكحول .

– استعمال المقويات العامة خاصة في الاطفال وضعاف الجسم .

– علاج النواحي النفسية والعصبية وتهدئة المريض وشرح الحالة له وانه لايوجد اى ضرر منها وبالراحة والطمانينة يعود الشعر الى طبيعته مع استعمال بعض الحبوب المهدئة .

– الكورتيزون ومشتقاته عن طريق الفم كثيرا ما تؤدى الى اختفاء اكثر هذه الرقعات ولكن تاثيرهانادرا ما يكوندائما مستمرا . وترجع الثعلبة ثانية بعد وقف العلاج بها خاصة في الحالات المزمنة . وكذلك ممكن استعمال الكورتيزون بالحقن الموضعي في نفس الرقعات حيث يؤدى الى نتائج طيبة بعد ٣ او ٤ اسابيع ، ولكن عادة ما يفقد الشعر ثانية بعد ٦ شهور ولكنه علاج لا باس به في الحالات المحدودة المزمنة او المستعصية للعلاجات العادية . كما ان العلاج بالدهانات المحتوية على الكورتيزون يؤدى الى بعضالنتائج .

– استعمال هرمون الغدة الدرقية خاصة في النساء بعد سن الياس .

■■

ابراهيم محمد القشلان .
اخصائي الامراض الجلدية والتناسلية

اللوالب
لا تمنع الحمل منعا قاطعا

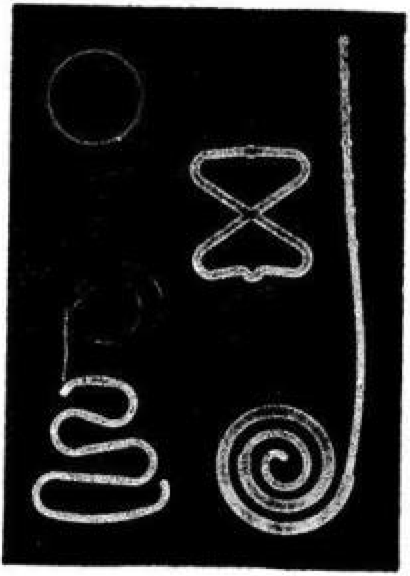
● بهذا يقول عالمان قائمان معا في بحوث الحمل ، ومنع الحمل باللوالب ، في الانسان ، وانواع شتى من الحيوان .

ان عندهم ان اقراص منع الحمل اكثر ضمانا للمنع من اللوالب ، وان اللوالب ، على احسن صورها التي ظهرت في الأسواق اخيرا ، تفشل في هذا المنع بنسبة تتراوح بين ٢ و ٥ في المائة من الحالات التي تستخدم فيها .

وهما عالجا موضوع المنع ، يحاولان تفسيره بناء على ما أجريا من تجارب على الحيوان ، وعلى ملاحظات لاحظوها في النساء المانعات ، فلم يهتدوا الى الآن الى تفسير مقنع .

وللتاريخ كلمة نقولها في شأن هذه اللوالب .

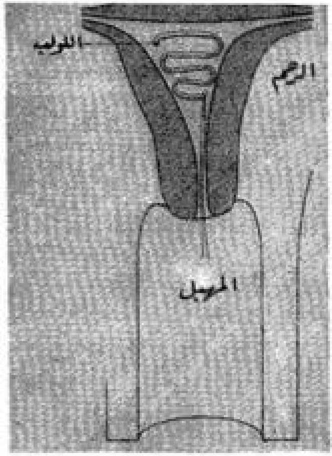
ان الكثير من الناس يظن انها من ابتداع هذه السنوات الأخيرة في منتصف هذا القرن الحاضر . والظاهر انها قديمة قدم الدهر . ويستيقظ التاريخ لأول شيوعها في اوروبا في القرن التاسع عشر ، القرن الماضي . والعجيب ان شيوعها عندئذ لم يكن لمنع الحمل ولكن لتشجيعه عند من لم يحملن . عرف الأطباء ان الرحم له عنق ، وانه يحدث كثيرا ان لا يستقيم امتداد العنق مع امتداد



اشكال من لوالب

الرحم ، بل يميل الى الانطواء . ينطوي العنق بميله الى الامام ، او ينطوي بميله الى الخلف . وظنوا ان انطواءه الى الامام افعل في منع الحيوان المنوي من الدخول من الفتحة في العنق الى الرحم ، الى التقائه ببيضة الأنثى .

واذن لزم لاقامة هذا الانطواء من



لولب
في الرحم

تعديله بادخال شيء الى الرحم يمتد منه طرف عبر العنق فيستقيم ، ويستقيم الطريق للحيوان المنوى للدخول الى الرحم .

وفي السبعينيات من القرن الماضي تبين ان هذه اللوالب كانت افعل في منع الحمل منها في تسهيله . وظهر لهذه اللوالب اشكال كثيرة في الأسواق .

وفي عام ١٩٢٠ اكتشف ، بمجرد الصدفة ، ان المنع يمكن احداثه حتى بحلقة صغيرة من معدن او من خيط مصنوع من غدد دودة القز ، وذلك لمتانته ولينه .

ولكن في تلك السنين كان الأطباء غير راضين عن منع الحمل باية طريقة كانت، وساعدهم على ذلك انه في بعض حالات ظهر في حوض النساء تلوث مكروبي شديد ، اتخذ الأطباء منه تكأة في رفضهم .

ومع هذا فقد داوم عدد من الأطباء على استعمال هذه اللوالب حتى اذا جاء العقد السابع من قرننا هذا طرأتحسين كبير على شكل هذه اللوالب يتصل بحسن ادائها .

وحدث في هذه الأثناء كذلك ان تغير مزاج الأطباء . وفي الصيحة العارمة التى تنذر العالم بازدحام سكان الأرض الموشك على ظهرها ، عاد الأطباء بقوة الى هذه اللوالب يبحثونها وينصحون بها .

ويقدر عدد من يستخدمنها الآن من النساء في العالم نحو بضعة ملايين . والغريب ان هذا يحدث والطب لا يزال يبحث في هذه اللوالب كيف تعمل في الأرحام .

مبيدات حيوية تخلق صناعيا

● أمكن الآن انتاج المبيدين ، الاوروميسين Auromycin والتراسيكلين Tetracyline بالتخليق في الصناعة . والذى أعلن ذلك هو الدكتور مكسفلت Muxfeldt بجامعة كورنل Cornell وهو الذى اعلن في العام الماضي تخليق مبيد حيوى آخر هو التراميسين Terramycin ، وهو الاسم التجاري لأكسي تراسيكلين .

وهذه المبيدات الثلاثة تستخدم لمحاربة المكروبات التي تسبب مرض ذات الرئة ، والزهرى ، والكلزة ، والجمرة ، والتهاب السحايا ، وغيرها من الامراض .

كندا .. تخزن مقادير من الزيت

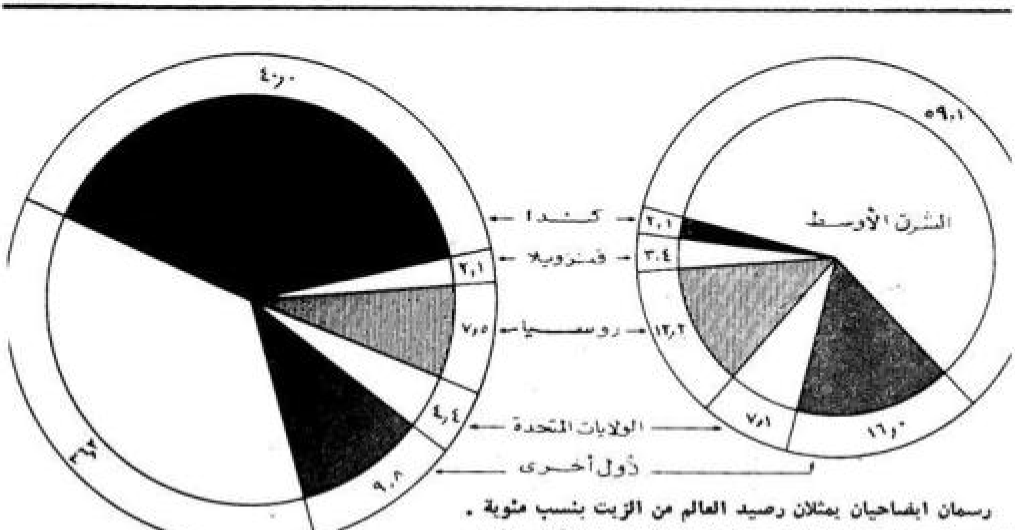
● انك تسأل خبراء البترول فى العالم عن رصيد كندا الحاضر من الزيت ، فتعلم منهم انه يبلغ نحو ٢ فى المائة من رصيد العالم .

ولكن فى ارض كندا مساحة فيها خزين من الزيت يرفع رصيدها بالنسبة لرصيد العالم الى ٤٠ فى المائة . ولكنه لا يحسبه الحاسبون اذا ذكرت ارصدة الزيت ، لأنه ليس بالزيت الجاهز للضخ . انه رصيد رمل متقطرن ، اى مزيج من رمل وقطران معا Tar Sand فهو يحتاج الى فصل . انها خطوة صناعية أو خطوتان يدر بعدها هذا الرمل المقطرن مقادير هائلة من الزيت .

وخطر هذا الرصيد يكمن فى ضخامته، فهو يحتل مساحة من الأرض طولها ٢٠٠ كيلو متر ، وعرضها ١٠٠ كيلو متر ، ممتدة على طول نهر اثابسكا



خريطة كندا . وانك واجد فى المربع الابيض المنطقة التى بها رصيد الرمل ذى القطران .



رسمان ايضاحيان يمثلان رصيد العالم من الزيت بنسب مئوية . الرسم الايمن الرصيد الحاضر وحظ كندا منه ٢,١ فى المائة . والرسم الايسر ، وذلك لو انتجت كندا الزيت من رملها المقطرن ، واذن لبلغ رصيدها ٤٠ فى المائة .

كبيرة لحين الحاجة

Athabasca بمقاطعة البرتا Alberta في غرب كندا .

اما سمك الطبقة المذكورة فيتراوح بين ١٥ الى ٦٠ مترا ، وهي مغطاة بطبقة من الأرض يتراوح سمكها بين الصفر و ٣٠٠ متر ، نبت فوقها القليل من الشجر .

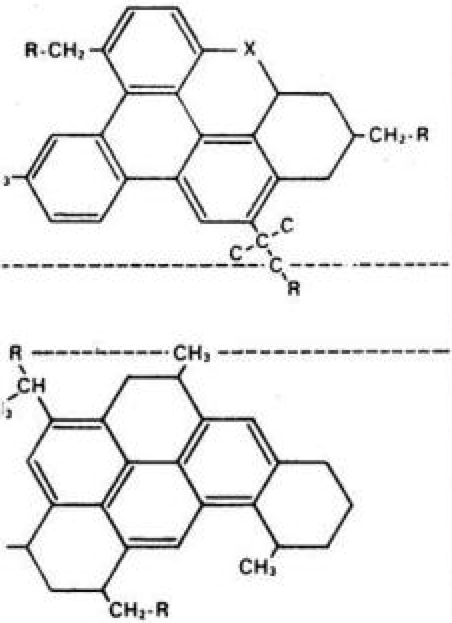
وليس كشف هذه الطبقة بالكشف الجديد . انه كشف قديم تتجدد خطورته كلما زاد امر البترول في العالم خطرا .

واجروا عليه تجارب عديدة لاستخراج الزيت منه . وهي صناعة عندما تتم لن تكون تكنية زيت خالصة ولا تكنية استعدان خالصة ، بل مزيجا جديدا من هذه وتلك .

وقد قامت بكندا عدة شركات تخطط طرقا اولية هادية للانتاج النهائي . وعملت بعضها وانتجت . ومن هذه الشركات شركة قدرت أنها تنتج البرميل من الزيت ، وتدفع كل تكلفته ، وتكلفة نقله كذلك ، ثم تحصل بعد هذا من البرميل الواحد على ربح قدره ٤٠ سنتا . ووجدت ان هذا يضمن لراس المال المستخدم نحوا من ٥ الى ٦ في المائة من الربح . والمصنع ينتج فقط ٢٠٠٠ برميل في اليوم .

وفي عام ١٩٥٩ قامت شركة اخرى ببناء مصنع تجريبي كلفها كلفة كبيرة ، وبناء على النتائج التي استخرجتها منه ، الى عام ١٩٦٣ ، طلبت من الحكومة ان تأذن لها ببناء مصنع كبير ينتج في اليوم الواحد ١٠٠٠٠ برميل من الزيت ، ولكن الحكومة رفضت أن تأذن ، لأن ضخامة هذا المصنع الكبير كان من شأنها ان تؤثر في اسواق الزيت التقليدية القائمة في المقاطعة المذكورة تأثيرا غير مرغوب فيه .

والسؤال الملح : متى يبدأ هذا الحقل الكندي في انتاج الزيت ؟ والجواب : عندما تزيد حاجة العالم على ما ينتجه من الزيت ، وتبدأ الولايات المتحدة وكندا تحس بالشح ، عندئذ ينطلق الحقل في انتاجه .



R=hydrocarbon group

X=sulphur, nitrogen or oxygen atom

C=carbon atom

H=hydrogen atom

ان هذا القطران الكندي يتألف من مركبات عضوية تتألف جزيئاتها من حلقات بنزينية ، مئات قليلة او آلاف . وهذه المجموعات المتطاولة تتألف من وحدات صغيرة ، اربع أو خمس ، منها اثنتان فقط في هذه الصورة ، وهما يوحيان للكيماوي العارف باحتمال ان يكون هذا القار مصدرا للمركبات العضوية الحلقية المسماة بالعطرية Aromatic ، كالبنزين والتلوين واذن يكون خطره اكبر مما لو اتخذه الناس مصدرا للبترول فللوقود .

سرير عازل



في الطب حالات كثيرة يحتاج فيها المريض ، بعد جراحة كبرى ، الى جو معقم لا تناله فيه عدوى .

والمستشفيات تصنع ذلك بطرق شتى ، من بينها عزل المريض عما حوله بخيمة بسيطة تقيمها فوقه . ولكن هذا له أثر سيىء فى كثير من المرضى ، فالعزل فوق كآبته ، له معنى مخيف يزيد فى خطورة الحال عند بعض المرضى .

ولهذا ابتدعوا سريرا معقما ، كالذى تراه فى الصورة . له سقف فيه ثلاث فتحات . الفتحة الوسطى يدخل منها الهواء معقما غاية فى العقم ، يولد جوا طاهرا حول المريض يزيد على طهارة حجرة الجراحة الفارغة مائتي مرة . اما الفتحة اليمنى واليسرى ، فيخرج منهما ستار من هواء يمنع اختلاط جو السرير بما حوله من اجواء .

الاعطاء والتضحية يشفيان المنتحر من ضيقه فيكف عن انتحار

هكذا وجد الباحثون .

وجدوا ان نزول الرجل او المراة للمستشفيات عن بعض دمهما ، او حتى النزول بعضو من اعضائهما لشخص مريض ، كثيرا ما يشفى الأنفس التي تميل الى الانتحار من امراضها .

ذلك ان هذا العطاء يزيد صاحبه احتراما لنفسه وتقديرا لها . وهذا العمل يثير فى نفسه لاعج حب ، ولو لشخص لا يعرفه ، والاحساس بالحب احساس يرفع الانفس دائما ولا ينخفض بها . وان كان المزمع ان ينتحر انما اعتزم ذلك بسبب الم شديد لجرم سابق جناه ، فهذا العطاء الذى يعطيه من صميم نفسه يفعل به فعل الكفارة الكبرى ، وهو يعيد الى روحه اطمئنانها الذى زايلها فأورثه ذلك القلق الذى اورثه ذلك الميل الى التخلص من حياته .

وقد لاحظ الباحثون ان التضحية كانت عند قدماء بني الناس دواء لما يصيب الأنفس من داء . تضحية كانت تبدأ من بذل مال ، وقد تنتهى ببذل دم وروح . ولاحظوا ان الاحدثين غفلوا عن هذا العلاج دواء للأنفس التي قد يخرج بها مرضها الى حد الرغبة فى الخروج عن هذه الدنيا .

صفحة في اللغة

المِصْباح المُنِير



بقلم : عبد الستار فراج

■ هذا كتاب ضم ذخيرة علمية نافعة ،يحرص على أن يلم بها أو يراجعها كل من يبحث فى قواعد اللغة العربية ، من اشتقاق ، وتصريف لأفعال ،ومصادر وجموع وتذكير وتأنيث ... هي خلاصة ما انتخبه عالم منظم متمكن ، غاص في بحور الكتب،وتصيد منها ما ينمى ملكات ، ويرصع مؤلفات.

وليس معنى ذلك انه ليس بمعجم لغوى ، بل هو معجم أولا ثم ينتهي بتلك الذخيرة ، فصولا منسقة فى وضوح ويسر وسهولة .

ويبدو أن ما وضع فى بعض مقدمات المعاجم الحديثة من قواعد عامة فى الاشتقاق والتصريف والجموع وغيرها انما هو فكرة اقتبست مما فعله صاحب المصباح المنير ،وجعله خاتمة غنية بالفوائد، التي كانت أشتاتا مبعثرة فى مؤلفات مطولة .

كان سببه كتب فقه

ومن العجب أن يكون هذا الكتاب اللغوى جاء فى الأصل شرحا لألفاظ اشتمل عليها كتاب فى فقه الشافعية .

فالغزالي أبو حامد محمد بن محمد بن محمد (٤٥٠ – ٥٠٥ هـ) (١٠٥٨ – ١١١١ م) ألف كتابا فى فروع الشافعية سماه « الوجيز » .

ثم جاء الرافعي عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم (٥٥٧ – ٦٢٣ هـ) (١١٦١ – ١٢٢٦م) فشرح كتاب الغزالي « الوجيز » وسمى هذا الشرح « فتح العزيز فى شرح الوجيز » .

ولما جاء الفيومي ودرس هذا الكتاب « فتح العزيز فى شرح الوجيز » أخذ يجمع ما فيه من ألفاظ لغوية ويشرحها . ثم أضاف اليه زيادات ، حتى صار كتابا مطولا . يقول الفيومي : « جمعت كتابا فى غريب شرح الوجيز للامام الرافعي ، وأوسعت من تصاريف الكلمة ،وأضفت اليه زيادات من لغة وغيره » .

ثم اختصر هذا المطول ، ورتبه ترتيبا فنيا ، ثم بعد ذلك أعاد قراءته ، وسمى هذا المختصر « المصباح المنير » .

الفيومي وأبو حيان والمؤيد اسماعيل

ولانعلم السنة التي ولد فيها الفيومي صاحب هذا الكتاب ، ويخيل الينا انه ولد قبل سنة ٧٠٠ هجرية بعشرة أعوام على الأقل . ذلك أن نسخته الأولى من المصباح عليها تاريخها الذى أنجزها فيه ، وهو كما يقول : « بمدينة حماة المحروسة ، فى العشر الأخير من شوال من شهور سنة ٧٢٥ على صاحبها أفضل الصلاة والسلام » وهذه

المخطوطة موجودة فى دار الكتب بالقاهرة ، ومكتوبة بخطه النسخي الجميل .

« انظر صورة الصفحة الاخيرة منها فى « كتاب الاعلام » للزركلي ، الجزء الاول، اللوحة ١٥١ تابع صفحة ٢١٦ » .

واذا علمنا أن الكتاب التقط من عدة مصادر تتجاوز الستين ، غير الأصل الذى الفه من أجله ، ثم رتب ذلك ونسقه ، قدرنا حينئذ أن عمره لم يكن يقل عن خمسة وثلاثين عاما حين انجزه للمرة الأولى .

واذا علمنا أيضا أن الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل بن علي بن محمود الأيوبي ، صاحب حماة (٦٧٢ – ٧٣٢هـ) (١٢٧٣ – ١٣٣١م) وقد ولى حماة من سنة ٧٢١ (١٣٢١م) انشا مسجدا اسمه « جامع الدهشة » وجعل الفيومي خطيبه ، ترجح لدينا أن الفيومي لا يقل مولده عن الزمن الذى قدرناه .

انه ولد فى الفيوم ، وهي من صعيد مصر ، واحدى محافظات الجمهورية العربية المتحدة الآن ، واسمه كما دوّنه بنفسه فى كتابه هو أحمد ابن محمد بن علي. وقد تلقى علومه الاولى،ولا شك فى بلده ، ثم ارتحل الى القاهرة ، واتصل بأبي حيان النحوى العالم الجليل صاحب المؤلفات فى التفسير والنحو واللغة ، والذى أصله من غرناطة، وانتقل الى القاهرة واقام بها وتوفي فيها واسمه محمد بن يوسف (٦٥٤ – ٧٤٥هـ) (١٢٧٦ – ١٣٤٤ م) فأخذ الفيومي عن أبي حيان اللغة العربية ، واطلع أيضا على كثير من المعارف العربية ودرس القراءات . فانه يقال له « المقرى » . وتبحر فى الفقه على مذهب الشافعي ، يدلنا على ذلك انه استخلص ما فى كتاب « شرح الوجيز » من الفاظ . ويبدو أيضا انه كان خطيبا بارعا ، اذ انه لما سافر من مصر الى الشام ووصل حماة، جعله الملك المؤيد اسماعيل خطيب الجامع الذى انشاه . ولايقع الاختيار على الفيومي الا اذا كانت له خصائص مميزة ، تقربه الى المؤيد اسماعيل ، ذلك الملك الذى كان عالما فى عدة فنون ، والذى اقتنى كتبا نفيسة ، ونظم الشعر والموشحات ، وصنف فى تقويم البلدان ، وله كتاب فى التاريخ مشهور . ومن كانت هذه حاله من الملوك يزن الرجال ، ولايختار منهم الا من أوتى بسطة فى العلم ، وفصاحة فى اللسان .

الكتاب ومراجعه

قلنا ان المصباح المنير تمّ جمعه فى ٧٢٥ هـ (١٣٢٥ م) كما هو مكتوب على مخطوطة بدار الكتب ، ولكنه اعاد مراجعته والتعليق عليه ،حتى صار على الوجه الذى يطالعنا منه الآن . وفى ذلك يقول : « وكان الفراغ من تعليقه على يد مؤلفه فى العشر الاواخر من شعبان المبارك سنة أربع وثلاثين وسبعمائة هجرية » (١٣٣٣م) .

اما مراجعه فيذكر عنها فى آخر الكتاب أيضا ما يأتي : « وهذا ما وقع عليه الاختيار من اختصار المطول . وكنت جمعت أصله من نحو سبعين مصنفا ، ما بين مطول ومختصر ، من ذلك : التهذيب للازهرى .. والمجمل لابن فارس ... واصلاح المنطق لابن السكّيت . وكتاب المصادر لابي زيد سعيد بن أوس الأنصارى وكتاب النوادر له ، وأدب الكاتب لابن قتيبة ، وديوان الأدب للفارابى (الفارابى خال الجوهرى ، وكتابه فى اللغة لا فى الأدب) والصحاح للجوهرى، والفصيح لثعلب... وأساس البلاغة للزمخشرى . وغريب الحديث لابن قتيبة ، والنهاية لابن الأثير . ومن كتب التفسير والنحو ودواوين الأشعار »

ونلحظ انه لم يذكر لسان العرب لابن منظور ، الذى توفى سنة ٧١١هـ وكان الفيومي شابا فى طور التعلم . ولعل ذلك يرجع الى أن اللسان لم يكن اذ ذاك قد انتشر بين الناس ، أو أن المعاصرة لها اثرها فى أن لا يرجع اليه ، أوان يغفل ذكره، وبخاصة أن الفيومي عاش بعد ابن منظور حوالى نصف قرن . ولعل اقامته فى حماة هي التى باعدت بينه وبين الاستفادة من اللسان الذى كانت أصوله فى القاهرة .

طريقة الكتاب

والطريقة التي سار عليها صاحب المصباح تشبه الطريقة التي سار عليها صاحب أساس البلاغة . وهو من مراجعه . وهذه الطريقة هي التي تسير عليها المعاجم الحديثة ، ذلك أن ينظر الى أول الكلمة ، فيجمع كل ما كان أوله همزة

أصلية ويرتبه ، مراعيا تقدم الحرف الثاني في الهجاء على ما يليه في الترتيب الهجائي ، والحرف الثالث على مايليه ثم يجمع كل ما كان أوله حرف الباء فيرتبه ، مراعيا الترتيب أيضا في الحرف الثاني فالثالث ، بان يكون الأسبق في الهجاء هو الأسبق في الترتيب ، وهكذا يفعل في كل ما أوله تاء أصلية ... كما شرحنا ذلك في الكلام على أساس البلاغة «انظر العربي العدد ١٣٢ صفحة٢٥»

الا أن صاحب أساس البلاغة له تسمية ، وللمصباح تسمية ، فكل ما جمعه الزمخشرى مما أوله همزة أو باء .. الخ يسميه « باب الهمزة» « باب الباء » « باب التاء » ... أما صاحب المصباح فيسميه « كتاب الألف » « كتاب الباء » «كتاب التاء » ... ويفصل تحت كل كتاب عناوين موضحة « الألف مع الباء وما يثلثهما » ـ مثل أبد ، أبر ـ « الألف مع التاء ومايثلثهما » ـ مثل أتب ، أتن ـ ولايخلو من ان يأتي بشواهد من الشعر ، ولكنها لاتبلغ عشر ما جاء في أساس البلاغة . ويمتاز بأنه جعل لأوزانه مقاييس لفظية مشهورة ، تغني في أحيان كثيرة عن الضبط بالحركات التى تنسى ، فيقول مثلا عن فعل من الأفعال انه من « باب ضرب » أو من « باب تعب» أو من « باب قتل » .. الخ اى أن وزنه في الماضي والمضارع والمصدر مثل هذا الباب الذى ذكره لنا .

أمثلة من فوائده

وبدأنا القول عن الكتاب انه ضم ذخيرة علمية ، ومن أمثلتها « فصل : كل اسم ثلاثي على فُعْل بضم الفاء وسكون العين ـ عُشْر ويُسْر ـ فبنو أسد يضمون العين اتباعا للأول ، نحو عُشُر ويُسُر وان كان بضمتين ـ عُنُق . طُنُب . رُسُل . كُتُب ـ فبنو تميم يسكنون تخفيفا نحو عُنْق وطُنْب ورُسْل وكُتْب ... »

ومثل آخر « فصل : الأعضاء ثلاثة أقسام : الأول يذكر ولايؤنث ، والثاني يؤنث ولايذكر ، والثالث جواز الأمرين .. » ويأتي بذكر الأعضاء التي تذكر ، والتي تؤنث ، والتي يجوز فيها الأمران .... انها فصول كثيرة ، نحوية وصرفية ، ولغوية ، لا يستغنى عن مراجعتها متادب أو اديب.

طبعات المصباح

ولقد حظى « المصباح المنير » بكثرة الطبعات ، فقد طبع سنة ١٢٧٨ هجرية (١٨٦١م) طبع حجر بالقاهرة . ثم طبع في القاهرة في مطبعة بولاق وغيرها سنة ١٢٨١ ، فسنة ١٢٨٢ فسنة ١٢٨٩ فسنة ١٢٩٣ فسنة ١٣٠٠ وهكذا بعد ذلك عدة طبعات متوالية ، مع العناية بورقه وحروفه . وأقبلت المطابع الأخرى على طبعه ، لرواجه وكثرة الطالبين له . فطبعته بالقاهرة أيضا المطبعة البهية والمطبعة الجمالية والمطبعة الخيرية والمطبعة العثمانية والمطبعة الميمنية ، والمطبعة الوهبية والمطبعة العلمية .

وصفحات الكتاب تتجاوز التسعمائة ولاتصل الى الألف .

وفاة الفيومي

لقد عاش الفيومي أكثر من سبعين سنة ولعله تجاوز الثمانين ببضع سنوات ، فقد قال أكثر المؤرخين انه توفى حوالي سنة ٧٧٠ هـ (١٣٦٨م) وبعضهم قال انه حوالي ٧٦٠ هـ (١٣٥٨ م) . والظاهر انه مات في حماة ، ويؤيد ذلك أن ابنه ، وهو القاضي نور الدين أبو الثناء محمود ، ولد في حماة سنة ٧٥٠هـ (١٣٤٩م) وتوفى بحماة سنة ٨٣٤ (١٤٣١) . وابنه هذا أيضا كان عالما جليلا، وله ولع باللغة . فقد ألف كتبا جمع فيها غريب ماق بعض كتب الحديث . وأحد كتبه كان من مراجع الزبيدى صاحب تاج العروس كما كان المصباح المنير من مراجعه أيضا . ومن الطريف أن الشهرة التي عرف بها ابنه محمود هي « ابن خطيب الدهشة » ، فأبوه الفيومي كما قلنا عُيِّن خطيباً لجامع الدهشة ، فقيل له « خطيب الدهشة » وقيل لابنه « ابن خطيب الدهشة» . ويبدو أن أصلهم من قبائل هَمْدان، فقد ذكر ذلك في ترجمة ابنه ، وان كان قد كتب « الهمداني » خطأ ذلك أن قبائل همدان كانت من أهم الجنود التي فتحت مصر ، وأن كثيرا منها انتشر بين الجيزة والفيوم ، فنشأ صاحب المصباح من نسل تلك القبائل الهمدانية ثم ارتحل الى حماة . ■■

عبد الستار فراج



القفطي

٥٦٨ ـ ٦٤٨هـ

١١٦٥ ـ ١٢٤٨م

بقلم : ابراهيم القطان

■ كانت القاهرة في القرنين السادس والسابع الهجريين في طليعة البلدان للعلوم والمعارف ، وموردا للفنون والآداب ، حافلة بالعلماء ، وقبلة للشعراء والأدباء ، ودور الكتب فيها ميسرة لكل طالب علم ، ومعاهدها مفتوحة لكل وافد . والملوك الايوبيون يشجعون الدارسين ، ويبنون المدارس ، ويجزلون الهبات والاعطيات لاهل العلم والادب .

وكانت « قوص » بالصعيد الاعلى لمصر وبالقرب منها « قفط » ـ وبينهما ثلاثة اميال ـ من البلاد العامرة لانهما على طريق الرحالة والتجار والحجاج الذاهبين الى الحجاز وبلاد العرب والشرق ، والعائدين منها الى مصر والمغرب والاندلس وغيرها، فكانتا في تلك الفترة مزدهرتين عامرتي الاسواق ، فائزي اهلهما . واستفاض فيهما العمران .

وفي قفط ولد ابو الحسن جمال الدين ، علي بن يوسف بن ابراهيم الشيباني القِفطي في منتصف سنة ٥٦٨ هـ ، الوزير ، المؤرخ ، الكاتب ، المؤلف الذي ترك ما يقرب من ثلاثين كتابا ضاع اكثرها ، ولم يصل الينا منها سوى كتاب واحد كامل . هو « انباه الرواة على أنباه النحاة » ومختصر كتاب « اخبار العلماء باخبار الحكماء » وجزء من اخبار المحمدين من الشعراء .

نشـاته

ولد القفطي في بيت علم وفضل ، فقد كان ابوه يوسف بن ابراهيم الشيباني من علماء القوم ووجوههم يلقب بالقاضي الاشرف ، وهو عربي

صريح من بني شيبان . وكان كاتبا ناصع البيان ، متصرفا في ضروب الانشاء ، حسن الترسل مليح الخط . وكانت امه بدوية من عرب قضاعة ، فصيحة مطبوعة تحفظ الشعر وترويه . فنشا في هذا البيت الرفيع ، وتلقى دروسه الاولى في بلده ، وقضى شطرا من طفولته فيه ، ثم ذهب الى القاهرة وهي قبلة الطلاب فدرس فيها ، وجد في طلب العلم ، وحصل منه على قدر كبير مع صغر سنه ، ولقي من افاضل علمائها في ذلك الوقت محمد بن محمد بن بنان الانبارى ، فاخذ منه واجازه في جميع رواياته ، وسمع منه « الصحاح للجوهرى » . وذهب الى الاسكندرية ، ولقى فيها عالمها الاكبر الحافظ ابا طاهر احمد بن محمد السلفي الملقب صدر الدين . ودرس عليه وافاد منه الشيء الكثير . وحدث عنه كثيرا في كتابه « الانباه » .

عودته الى قفط

ثم عاد الى قفط وطنه الاول،الى ملاعب طفولته، ومنبت أهله وعشيرته ، وجعل يتابع دراسته فاخذ على أكبر علمائها صالح بن عادى القفرى ، وتعمق فيه ، واستفاد منه علما كثيرا ، وخالط علماء قفط ، واخذ عنهم ، وافادوا منه ، وناظر ادباءها، وساجل شعراءها . واكتمل عقله ، ونمت مداركه ، واصبح من المعروفين بالعلم ، المرموقين وهو لا يزال دون الثالثة والعشرين من عمره .

وداع قفط وداعا لا رجوع بعده

ولم تطل ايامه في قفط فقد نشبت فيها فتنة اذ خرج رجل على السلطان صلاح الدين وتبعه خلق كثير ، فبعث أخاه الملك العادل على رأس جيش أخمد الفتنة وادب الخارجين وقتل نحو ٣٠٠٠ رجل ، فاضطر والده القاضي الأشرف الى النزوح عن بلده طلبا للسلامة، فذهب الى القاهرة، واتصل بالأيوبيين فانزلوه منزلا كريما، وولوه اعمالا بالصعيد ثم في بلبيس ، وناب عن القاضي الفاضل بحضرة صلاح الدين ، ثم تولى بيت المقدس من قبل الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين الأيوبى فسافر جمال مع والده مودعا بلده وداعا لا لقاء بعده .

حل القفطى مع والده ببيت المقدس ، وطاب له المقام فيها ، وخالط أهلها ، ولقى عندهم جوارا كريما ، ومنزلا طيبا ، ووجدوا فيه رجلا محمود الصحبة ، جميل العشر ، لطيف الطبع ، اديبا بارعا عذب الموارد ، وعالما فاضلا جم الفوائد ، يتجمل بالخلق الكريم ، والطبع السرى النبيل ، فاحبهم واحبوه ، ثم رغبوا اليه في أن يتولى شيئا من أمور الحكم فابى عليهم ، وآثر اندية العلم ، ومجامع الأدب والفضل ، وعاش فترة من الزمن في بيت المقدس كانت من أحلى الأيام يقضي جل وقته مع العلماء والادباء ، يتزود من المعرفة ويعب من مناهل العلم ، ولكن هذه الحياة الهادئة الهانئة لم تطل ، فقد كانت هناك فتن واضطرابات بعد وفاة السلطان صلاح الدين ، فعصفت ببيت المقدس الأقدار ، وتقلبت عليها الأهوال ، وانتهت بها الحال الى أن صارت في حوزة الملك العادل . وكان له وزير يقال له ابن شكر . ولم يكن القاضي الأشرف والد القفطى على وفاق مع ذلك الوزير ، فغادر القاضي القدس ليلا هاربا منها الى حران وهناك استوزره الملك الأشرف موسى بن العادل ، وبعد أن قضي مدة فيها استأذنه في الحج على ان يعود ، فذهب الى الحج ولم يعد ، بل ذهب الى اليمن ، فاستوزره آغا بك سنقر ، واقام في الوزارة زمنا ثم ترك الخدمة وانقطع عن الناس وآثر العزلة واقام في بلدة يقال لها ذو جبلة الى أن توفي سنة ٦٢٤ هـ .

القفطى في حلب

أما على بن يوسف جمال الدين القفطى فذهب مع جماعة الى حلب ، كان من بينهم ميمون القصرى صديق والده الذى لمع نجمه بعد ذلك في حلب وأصبح من كبار الولاة .

استقر جمال الدين القفطى في حلب ، ولازم صديقه أمير الجيوش ميمونا القصرى ، وجعل يتعرف على المجتمع ويخالط العلماء فيها ، وينهل من علمهم ، ويستفيد من أدبهم ، وشرع في جمع الكتب وجد في شرائها واقتنائها ، وتوافد عليه الوراقون والناسخون وباعة الكتب ، واصبح مجلسه منتدى للعماء والشعراء وذوى الفضل والأدب .

وذاع صيته ، وتوافد عليه الناس ، وكان ممن وفد اليه ياقوت الحموى المؤلف المشهور صاحب معجم البلدان ومعجم الادباء ومعجم الشعراء وغيرها من المصنفات ، فانزله في داره ، وافرد له مكانا

خاصا في مجلسه ، واكرمه . وعرف ياقوت فيه الفضل والعلم ، وجعل يثني عليه ، ويذكره بخير في كل مجلس ، وروى عنه فيما صنف من الكتب، واهدى الى خزانته كتابه العظيم« معجم البلدان».

كان يملك حلب في تلك الفترة الملك غازي بن صلاح الدين الأيوبي المعروف بالملك الظاهر ،وكان ملكا حازما متيقظا كثير الاطلاع على احوال الرعية، عالي الهمة حسن التدبير ، محبا للعلماء والشعراء واهل الفضل والادب ، وقد حكم حلب نحو ثلاثين سنة ثم توارثها اولاده من بعده . وكانت حلب ومنطقتها بعيدة عن الفتن ، فازدهرت فيها الآداب وانبعت العلوم ، ورحل اليها العلماء ، وكان هذا هو الجو الذي يلائم القفطي ، ويوافق هواه ، فاستقر بها ، وطاب له العيش فيها ، واقبل على الدرس والمطالعة والتاليف ، ومجالسة العلماء ومناظرة الادباء ، والمرت حياته وانتجت ، وذلك كله بفضل صديقه امير الجيوش ميمون القصري الذي كان يجرى عليه رزقا يكفيه . وكان يود ان يبقى طول عمره على هذه الحال ، مشتغلا بالعلم والدرس والتحصيل والتاليف بعيدا عن كل ما يشغله عن كتبه من امور الدنيا ، ولكن ما كل ما يتمنى المرء يدركه .

القفطي يصبح وزير ميمون القصري

فقد توفي وزير صديقه ميمون القصري ، فطلب اليه ميمون ان يحل مكانه فلم يسعه الا القبول ، فقبل على كره وذلك ما يحدثنا به ياقوت الحموي في معجم الادباء حيث يقول : « الزمه ميمون القصري خدمته ، والاتسام بكتابته ففعل ذلك على مضض واستحياء ، ودبر اموره احسن تدبير ، وساس جنده احسن سياسة ، وفرغ بال ميمون من كل ما يشغل به بال الأمراء . واقطع الاجناد اقطاعات رضوا بها ، وانصرفوا شاكرين له ، لم يعرف عنه - منذ تولى امره الى ان مات ميمون - جندي اشتكى او تالم ، وكان وجيها عند ميمون المذكور ، يحترمه ويعظم شانه ، ويتبرك بآرائه الى ان مات ميمون سنة ٦١٠ » .

القفطي يعود الى كتبه بعد موت ميمون القصري

عاد القفطي بعد وفاة صديقه ميمون الى داره وكتبه والعمل في الدرس والمطالعة والتاليف ، وقد حزن لفراق صديقه وتالم عليه . فبقى أكثر من عام يؤلف ويطالع .

القفطي يتولى خدمة الملك الغازي

ثم طلب وألزم بالخدمة مرة أخرى،فظل متوليا امور الديوان مدة حياة الملك غازي الى ان توفي سنة ٦١٣ . وتولى ابنه الملك العزيز محمد وكان طفلا صغيرا نشا تحت حجر شهاب الدين طغريل ، ورتب اموره احسن ترتيب الى سنة ٦٢٩ فاستقل بالامر .

يعود القفطي الى كتبه ثم الى الديوان

وفي هذه الفترة عاد القفطي الى كتبه ومؤلفاته، وكان شهاب الدين طغريل وزير الملك العزيز يجرى عليه رزقا يكفيه ، وفي سنة ٦١٦ طلبه الوزير شهاب الدين المذكور والزمه تولى امور الديوان وبقي في الخدمة الى سنة ٦٢٨ . وفي هذه السنة راى ان طول هذه المدة في العمل قد اقصاه عن عمله الذي خلق له وهو العلم والعمل به ، فاعفى نفسه من الخدمة وخلع عنه ربقة الامارة كما يحدثنا اخوه مؤيد الدين بقوله : « وانقطع في داره مستريحا من معاناة الديوان . مجتمع الخاطر - على شانه - للمطالعة والفكرة وتاليف الكتب ، منقبضا على الناس ، محبا للتفرد والخلوة ، لا يكاد يظهر لمخلوق » .

وعندما جاوز الملك حداثته ، واستقل بالملك وحده دعاه اليه ، واتخذه وزيرا له ، والقى اليه زمام اموره ، مطمئنا الى نفاذ بصيرته ، واصالة رايه ، فاصفى له النصح ، وسار سيرة عادلة رشيدة سديدة . ومات الملك العزيز وتولى بعده ابنه الملك الناصر صلاح الدين يوسف ابن الملك العزيز بن غازي بن صلاح الدين وكان ابن سبع سنوات .

وفـــاة القفطي

فاستمر القفطي في تدبير المملكة وفيا بالعهد ، قائما بمصالح الملك ، بعيد الصيت مرعى الجانب الى ان توفي سنة ٦٤٦ ودفن بمقام ابراهيم عليه السلام ظاهر حلب رحمه الله ، وقد ظل معروفا بالقفطي نسبة الى بلده الذي ولد فيه ، مع انه سكن حلب نحو نصف قرن الى ان توفي فيها ولم ينسب اليها .

ثقـافته

كانت ثقافة القفطي متنوعة شأنه شأن علمـاء عصره جامعا لأشتات الفنون ، مشاركا في كل ناحية مـن نـواحي المعـرفة في ذلـك العصر ، وذلـك ما يحدثنا به ياقوت الحموي في معجم الادباء حيث يقول : « اجتمعت بخدمته في حلب . فوجدته جم الفضل ، كثير النبل ، عظيم القدر ، سمح الكف ، طلق الوجه ، حلو البشاشة ، وكنت الازم منزله ويحضر اهل الفضل وارباب العلم ، فما رأيت احدا فاتحه في فن من فنون العلم ، كالنحو واللغة والفقه والحديث وعلم القرآن والأصول والمنطق والرياضة والهندسة والنجوم والتاريخ والجرح والتعديل وجميع فنون العلم على الاطلاق، الا قام به باحسن قيام ، وانتظم في وسط عقدهم احسن انتظام » .

وكان القفطي مع غزارة علمه واطلاعه اديبا ناثرا وشاعرا. وقد كان نثره على طريقةالقاضيالفاضل، يحتفل بالسجع ، وبتنميق الالفاظ ، ويقصد الى التورية والجناس ، والاستشهاد بالشعر في أثناء الكتابة ، وقد أورد له ياقوت عدة فصول في معجم الادباء .

وله شعر تبدو عليه الصنعة والتكلف وهو مقل. قال ياقوت انشدني لنفسه بحلب :

ضـدان عنـدي قصّـرا همتي
وجـه حَيِيّ ولسان وقـاح

ان رمت امرا خانني ذو الحيـا
ومقولي يُطمعني في النجـاح

واورد له بعض المقطوعات في مدح الملك الظاهـر الايوبي .

القفطي جماعا للكتب

وبعد أن عدد مؤلفاته قال : « وكان القاضي الاكرم ــ وهو لقب القفطي ــ جمّاعة للكتب حريصا عليها جدا ، لم أر مع اشتمالي على الكتب، وبيعي لها وتجارتي فيها اشد اهتماما منه بها ، ولا اكثر حرصا منه على اقتنائها ، وحصل له منها ما لا يحصل لأحد . »

كان القفطي من اعيان زمانه صدرا محتشما ، وعالما فاضلا ، محبا للكتب كما قال ياقوت ، مغرما بها غراما شديدا . وقد بذل المال الكثير في شرائها ، وانفق وقته في حفظها وترتيبها ،واصبحت داره قبلة الوراقين ، ومقصد النساخين ، قال ابن شاكر الكتبي في فوات الوفيات : « جمع من الكتب ما لا يوصف ، وقصد بها من الآفاق ، وكان لا يحب من الدنيا سواها ، ولم تكن له دار ولا زوجة ، واوصى بكتبه للناصر صاحب حلب ، وكانت تساوي خمسين الف دينار » .

وكثيرا ما نجده في كتبه يفخر بانه اقتنى كتابا بخط مؤلف معروف ، أو ناسخ مشهور ، أو عثر على نسخة فريدة من كتاب لا توجد سواها ، كما سيأتي عند الكلام على كتابيه « تاريخ الحكماء » و « انباه الرواه » . وقد جمع مقدارا وافرا من التعليقات والفوائد والطرف التى تعوّد العلماء ان يضعوها على ظهور الكتب ، فعمل منها كتابا سماه : « نهزة الخاطر ، ونزهة الناظر ، في احاسن ما نقل من ظهور الكتب » ، وهذا دليل على كثرة اطلاعه ، وكثرة ما عنده من الكتب .

مؤلفاته

ذكر المؤرخون الذين ترجموا للقفطي عـدة مؤلفات بلغت ستة وعشرين كتابا ، وقد ضاع اكثر هذه الكتب ولم يصل الينا منها الا ثلاثة كتب ، كتاب واحد منها كامل وهو كتاب « انباه الرواة » و « مختصر كتاب اخبار الحكماء » وقطعة مـن كتاب اخبار المحمدين من الشعراء . اما بقيتها فقد ادركه الضياع او انه مغمور في دور الكتب لم تكشف عنه الايام .

كتاب « اخبار العلماء ... »

اما كتاب « اخبار العلماء باخبار الحكماء » ، الذى اشتهر بتاريخ الحكماء ، فانه لم يصلنا ، وانما وصلنا كتاب باسم « المنتخَبات الملتقطات من كتاب تاريخ الحكماء تاليف الوزير جمال الدين ابن القفطى » . والذى اختصره اسمه : محمد بن على بن محمد الخطيبى الزَّوْزنى . اختصـره بعد وفاة المؤلف باقل من سنة ، والزوزنى هذا لا يعرف الا اسمه وتاريخ تاليفه ، ولم يذكره احد من الذين كتبوا في التراجم ، والزوزنى نسبة الى زوزن وهى بليدة مشهورة في اقليمقوهستان من بلاد العجم الشمالية جنوبى نيسابور . وقـال ياقوت في معجم البلدان : « وكانت تعرف بالبصرة الصغرىلكثرة ما اخرجت من الفضلاءواهلالعلم».

وهذا المختصر يحتوى على أربعمائة واربع عشرة ترجمة لعلماء من العرب واليونان وغيرهم ممن اشتهروا بالعلوم الفلسفية والرياضية والطب من اقدم الأزمان الى ايام المؤلف . وهذا الكتاب هو الذى اشتهر به القفطى وعرف في العالم به ، وهو مصدر مهم ، ووثيقة عظيمة حفظها لنا القفطى رحمه الله ، ومؤلف نفيس يتضمن أخبارا نفيسة، وتراجم عظيمة مستقاة من موارد صافية غزيرة لا نتمكن الآن من الوصول اليها ، وهذا يدل على اطلاع غزير ، وجهد شاق بذله القفطى ، في جمعه وتاليفه . وكثيرا ما يذكر المؤلف الكتب الغريبة التى تملكها أو اطلع عليها ، والرجال الذين افادوه الاخبار مشافهة ، مثال ذلك ما قال في آخر مادة اقليدس : « ورأيت شرح المقالة العاشرة — أى في كتاب اقليدس — لرجل يونانى قديم اسمه بيبس ، (وهو تصحيف بپُّس ، Pappos الاسكندرانى الذى عاش في أواخر القرن الثالث الميلادى) وقد خرجت الى العربى وملكتها بخط ابن كاتب حليم وهى عندى والحمد لله » .

« ورأيت شرح العاشرة للقاضي ابن محمد بن عبد الباقى البغدادى المعروف بقاضي البيمارستان، وهو شرح جميل حسن مثل فيه الاشكال بالعدد وعندى هذه النسخة بخط مؤلفه والحمد لله .»

والكتاب مرتب على حروف الهجاء بحسب تقادم عهد المترجَمين في كل حرف . وقد طبع في ليبسك Leipzig بالمانيا سنة ١٩٠٣ . وطبع في مصر سنة ١٩٠٨ طبعه محمد امين الخانجي الكتبى .

ويوجد في الكتاب بعض الأساطير والخرافات فيما يختص بالأزمنة القديمة لعصر اليونان والعرب وغيرهم . وأحيانا يجعل رجلا اثنين مثال ذلك ما حكاه عن اخبار ثاون الفلكى الاسكندرانى في حرف الثاء ، ثم تكلم عنه ايضا في حرف الفاء في مادة فثون كانه رجل آخر فلم ينتبه الى ان فثون تحريف لاسم ثاون . وكذلك التبس عليه اسم ميلاوس وهو تصحيف قديم لمنلاوس الهندسي الفلكى ، وجعل له مادتين منالاوس ، وميلاوس وهما واحد ، وكذلك ظن الفرغانى الفلكى رجلين احدهما اسمه احمد بن محمد بن كثير الفرغانى ، والآخر اسمه محمد بن كثير الفرغانى . وسبب الأغلاط جاءت من المصادر التى نقل عنها . وهى اغلاط هينة لا قيمة لها بالنسبة لأهمية الكتاب وما فيه من فوائد .

ومن اغرب الاغلاط ما اخذه من كتاب الفهرست حيث قال : في مادة خاصة : بادروغوغيا (هندى رومى جيلى) له كتاب استخراج المياه وهو ثلاثة ابواب الخ .. وهذه اللفظة بادروغوغيا هى اسم الكتاب الموصوف،زعمه بعض العرب القدماء اسما للمؤلف ، وهو لفظ يونانى محرف تحريفا خفيفا يدل على مضمون الكتاب ، والصواب : أندراغوغيا ومعناه صناعة استخراج المياه واستنباطها الى موضع بعيد بالقنوات والمجارى .

وهذه الاخطاء كما قدمت خفيفة وقليلة ،لا تنقص من قدر الكتاب ، وعظيم فضله ، وكل انسان معرض للخطا والنسيان،وما اجمل قول الشاعر :

كفى المرء نبلاً ان تعد معايبه

كتاب « انباه الرواة »

اما كتاب « انباه الرواة على انباء النحاة » فهو الكتاب الذى وصلنا كاملا وطبع منه بدار الكتب المصرية ثلاثة أجزاء وما زال جزؤه الاخير لم يطبع مع انه مضى على الجزء الثالث اكثر من خمسة عشر عاما . وهو يشتمل على ثمانمائة وثلاث عشرة ترجمة،وقد تضمن تراجم كثيرة للشعراء والفقهاء ، والمحدثين والمتكلمين والمتصوفين والعروضيين والأدباء والشعراء ، والكتاب والمؤرخين والمنجمين ممن كان لهم أدنى مشاركة في اللغة في معرفة بالنحو .

وكتاب انباه الرواة وكذلك تاريخ الحكماء يصوران لنا ناحية حية في التاليف ظهرت في القرنين السادس والسابع تصويرا صحيحا ، فقد تميز هذا العصر بالتوسع في المعاجم التاريخية ، والموسوعات العلمية . نتيجة لكثرة المعارف،وتنوع الفنون ، ووفرة الكتب ، واتصال العلماء بعضهم ببعض .

يقول في مقدمته : « وشرعت بتأييد الله وتوفيقه في جمع ما امكن من ذلك .. وذكرت مشايخ علمى النحو واللغة ممن تصدر لافادتهما تصنيفا وتدريسا

ورواية ، في أرض الحجاز ، واليمن ، والبحرين ، وعمان ، واليمامة ، والعراق . وأرض فارس . والجبال ، وخراسان ، وكرمسير ، وغزنه ، وما وراء النهر ، واذربيجان ، والمذار ، وارمينيه ، والموصل ، وديار بكر ، وديار مضر ، والجزيرة ، والعواصم ، والشام ، والساحل ، ومصر وعملها ، وافريقية ، ووسط المغرب واقصاه ، وجـزيرة الاندلس ، وجزيرة صقلية . »

وهذه ديار الاسلام في تلك الأيام وكانت كلهـا متصلة بعضها ببعض ، تزخر بالعلماء والمؤلفين . ثم تكلم على تاريخ النحو واول من وضعه وما قاله الرواة في ذلك . فقال : « الجمهور من أهـــل الرواية على أن أول من وضع النحو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه . قال أبو الأسود الدؤلي رحمه الله : دخلت على أمير المؤمنين علي ـ عليه السلام ـ فرايته مطرقا مفكرا ، فقلت : فيم تفكر يا أمير المؤمنين ؟ فقال : ســمعت ببلدكم لحنا فاردت ان اضع كتابا في اصول العربية ، فقلت له : ان فعلت هذا أبقيت فينا هذه اللغة العربية ، ثم اتيته بعد ايام فالقى الى الصحيفة فيها : « بسم الله الرحمن الرحيم . الكلام كله اسم وفعل وحرف ، فالاسم ما انبأ عن المسمى ، والفعل ما انبأ عن حركة المسمى ، والحرف ما انبأ عن معنى ليس باسم ولا فعل . ثم قال : « تتبعه وزد فيه ما وقع لك . واعلم أن الأشياء ثلاثة : ظاهر ومضمر ، وشيء ليس بظاهر ولا مضمر ، وانما يتفاضل العلماء في معرفة ما ليس بمضمر ولا ظاهر . » فجمعت أشياء وعرضتها عليه ،فكان من ذلك حروف النصب ، فذكرت منها : ان وأن وليت ولعل وكان ، ولم اذكر لكن ، فقال : لِمَ تركتها ، فقلت لم احسبها منها . فقال : بلى هي منها فزدها فيها .

هذا هو الاشهر من أمر ابتداء النحو ، وقد تعرض الزجاجي أبو القاسم الى شرح هذا الفصل في كلام على كرم الله وجهه » .

ثم ذكر روايات أخرى وكلاما مطولا في موضوع بدء علم النحو ،وسببه ، يطول شرحها ، ولا يتسع المقال لذكرها هنا . ثم يبدأ التراجم بترجمة مختصرة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

واعتذر عن عدم الاطالة بقوله : « ولو أردت أن اجعل أخباره في عدة مجلدات لوجدت من المواد ما يعين على ذلك بمن الله وجوده،ولكنني اقتصرت على هذه النبذة لتكون لائقة بهذا المختصر .

وهو لا يقف فيما ذكره عند حد الرواية أو النقل بل يتجاوز ذلك أحيانا الى النقد والتحليل ، وكثيرا ما ابدى رايه فيمن ترجم له ـ وخاصة المعاصرين له منهم ـ في صراحة ، ويتناول كتبهم بالوصف ، وكثير من هذه الكتب لا يعرف الا مـن طريق كتابه هذا ، وكذلك يظهر سروره وفخره بانه تملك نسخة من كتاب عزيز او لا يوجد سواه.

فيقول مثلا في ترجمة الحسن بن عليل بن جيش العنزي : « فمما رايته من تصنيفه ـ وهو بخطه ، وملكته ولله الحمد ـ كتاب النوادر » .

واحيانا يذكر المترجم له وينبه على انه كتب فيه مؤلفا خاصا . ففي ترجمة أبي سعيد السيرافي يقول : « وقد ذكرت أخباره هنا مختصرة ،وافردت لها مصنفا سميته : « المفيد في أخبار أبي سعيد» وهو كتاب ممتع .» . وغالبا ما تكون التراجـم متوسطة أو مختصرة ، ولكنه اطال في ترجمة أبي العلاء المعري فقد كتب عنه نحو أربعين صفحة ، ويجوز أن سيرة أبي العلاء تقتضي ذلك لما فيها من أخذ ورد بين العلماء والمؤرخين ، ويكتب أحيانا اسم المترجم ولا نجد شيئا الا مجرد الاسم ولعله كتب الكتاب ولم يبيضه ..

وترجم للشاعر الابيوردي المشهور وأورد عنه نكتة طريفة فقد كان الأبيوردي متعاظما فخورا بنسبه معجبا بحاله ، قال القفطي : « كتـب الأبيوردي قصة الخليفة وكتب عليها .. العبــد المعاوي » نسبة الى معاوية الأصغر بن محمــد ابن عثمان بن عقبة ، فكره الخليفة هذه النسبة ، وأمر بكشط الميم فصار « العاوي » وردها اليه.

ويقول في ترجمة محمد بن عبد الله الكرماني : « كان عالما باللغة متقنا لها ، محققا للنحو ، خلط المذهبين رايت بخطه كتاب « المعارف » لابن قتيبة وملكته وهو في غاية الحسن » .

■■

ابراهيم القطان

شيطان

رابض تحت البوابة

قصة
بقلم : الدكتور حسين مؤنس



.. نفرت منه دون أن اعرفه ، وتشاءمت منه دون أن يصيبنى منه اذى ، وتصورت انه بليد كسول وشيطان شرير ، ثم عرفت في النهاية كيف كنت بعيدا عن العدل والصواب !

■ كنت أراه أربع مرات في اليوم . في الصباح وانا خارج الى عملي كنت اصطدم بهيكله المخيف، وفي العودة من العمل وانا منهوك القوى كنت اجده رابضا على قارعة الطريق ، وفي الخروج بعد الظهر لقضاء حاجاتي كنت ارى عينيه ترقبانى من بعيد ، وفي الليل عندما أعود يبدو لي شبحه كتلة سوداء في مكانها تحت البوابة الكبيرة .

مع الزمن اصبح هذا الشقى عقدة في نفسى . اذا خرجت من بيتى رميت ببصرى الى بعيد ابحث عنه . ها هو في مكانه ألبت من جبل المقطم . تبا لهذا التعس اما يخطفه الموت أو يأخذه البوليس أو يحدث له شيء يريحنى من هيأته ! انظر اليه في جلسته المخيفة قاعدا القرفصاء تحت بوابة بستان الفزاوى ويده اليمنى تمسك بعصى ضخمة طويلة تقوم الى جانبه كأنها عمود ، ويده اليسرى مفتوحة ليضع أهل الخير او الغفلة فيها القروش والملاليم . ما ابشع صدره البارز الاضلاع كأنه قفص فارغ ، وما اقبح راسه يتدلى على هذا القفص تغطيه عمامة كان لونها ابيض قبل خمسين او ستين سنة ... من يدرى ما عمره ! ووجهه قد تغضن وجمد واسود حتى اصبح كجلد حذاء عتيق تعاقبت عليه الأمطار واشعة الشمس ، وهناك ، تحت افريز الزيت الذى يعين آخر العمامة ترى شرطتين سوداوين . هاتان عيناه ينفذ منهما احيانا خلال الشرطتين شعاع من بصر خافت ولكنه مخيف . كنت اتحاشاه ما استطعت ولكن لا فائدة ، لا بد ان يدركني اربع مرات في اليوم كأنها اربع سياط من يد جلاد ...

بدأ رعبي من هذا اللعين من عام ونصف على



وجه التقريب . في ذلك الحين كنت غارقا الى اذناى في غرام يائس كله عذاب وهموم .

كان القلب الطامع قد رمى بي عند قدمي بنت القزاوى نفسه ، قيصر الحي كله وجبار المال والعمائر والضياع . انه هو صاحب البستان الذى يجلس تحت بوابته الرقيب الملعون .

لم تكن اجمل بنات الحي فقط ، بل اغناهن ايضا ... سمراء ياسيدى ذات شعر اسود مسترسل لامع يحيط بالوجه الوسيم فيزيده فتنة . كانت في العشرين أو دونها او اشف قليلا ، وكنت اراها قبل ذلك فى الذهاب والمجىء ، فما كان يطمع بي الامل الى النظر الى وجهها ، ثم ذات مرة ... ذات مرة سعيدة شقية لا ادرى اقبلت تجرى من حديقة بيتها ووقفت على بابها وكنت مارا في هذه اللحظة ، وعلى اقل من ذراع منى رايت الفتنة كلها .. رايت العينين الساحرتين ، وكانت تلهث فقد كانت تعدو قبل ذلك ، وتدفق الدم في وجهها ، ورأتني بعينين فيهما سحر الشبابوجبروته ، وضحكت ساخرة منى طبعا ، ثم انثنت وغابت في الاشجار .

لا ادرى ما الذى جرى لي ، هل تسمرت مكاني ؟ هل انطلقت اعدو ؟ صدقني لا ادرى . بعد لحظات كنت هناك على كرسي أنام وكان حسن العتريس ، تاجر الحلوى الذى كان يأتينا من القاهرة بالصحف والمجلات . اتاني بالمجلة الاسبوعية التى كان يدخرها لي فتناولتها منه وطويتها تحت ذراعي ولبثت واجما : « مالك ؟ فيه ايه ... عيان ؟ لماذا لاتذهب الى الطبيب » ؟

غمغمت وانا انظر اليه : « طبيب ؟ اى طبيب

تمنى ؟ من عند الطبيب أتيت ! دائي هو طبيبي باحسن باعتريس » .

ونظر الي حسن العتريس وقال وهو يهز راسه : « هذا كله من قراءة المجلات ! تسع مجلات تقرؤها في الاسبوع حتى اختل عقلك ، ومحاسبة الناس واقرارات الضرائب والانذارات والاخطارات ... كنت اتوقع لك الجنون ...

وانا ايضا كنت اتوقع الجنون لنفسي . كنت ايامها محاسب ضرائب . حياتي السوداء كانت ملفات واستمارات واقرارات وربطا أوليا وربطا نهائيا ، وغلبا وتعبا . وزفتا وقطرانا اذا شئت .

كنت ابكر الى مكتبي حتى افرغ من «البوسطة» قبل ان ياتي السيد مامور الضرائب . كان انسانا هائل الجثة يفطر مرتين ، مرة في البيت والثانية في المكتب . وكان هذا الافطار الثاني مصيبة سوداء علينا ، فان طبق الفول كان يستقر في معدته الملأى ويابى ان يتزحزح . ويضيق خلق البيه المامور فيصب غلبه كله في اتعس خلق الله الذي هو انا ، ويصرخ : اين ملف الدمنهورى وربط عثمان النورى واقرار حسنين ثعلب البورى! ياالهي ! لعنة الله عليها اثنين وعشرين جنيهـا ومائة وسبعة وثلاثين مليما اشرب بها ظلم الاولين والآخرين ... ولكن .. هذا هو الفرج قد جاء ...

وتمشي شعاع الحب الذهبى في ظلمات قلب موحش وصحارى حياة قاحلة ، وزايلت الوحشة القلب وفاض انسا ، وفى رمال القلب الجافة نبت زهر جميل في حمرة الورد ووردية القرنفل .

ونوم الليل الطويل الساكن كانه الموت تخلله سهاد الهوى المشرق ، وساعات الليل ضاقت بأحلام الشباب الساذج . كنت في الماضي انام ثماني ساعات واصحو محطما ، فصرت انام ساعتين واقفز من فراشي خفيفا اتعجل الطعام والحلاقة والملابس ثم أجرى لأمرء من تحت النافذة فلا اجدها .. ادور دورة اخرى ثم اعود ، ثم اعود حتى ارى نافذتها قد انفتحت للنور .. اذا رأيتها هان على كل شيء حتى طبق الفول الراكب على نفس البيه المامور .. ماذا يهم ؟ طبق فول أو قدرة زلط واحجار تزهق نفس اخينا حتى يصب عليّ لعنات الابالسة والشياطين .. ماذا يهم ؟

لقد رايتها .. رأيت اليد الجميلة تزيح الشعر من على العين وتبسم ! ماذا يهم أن يفطر صاحبنا مرتين او ثلاثا ... بل اربعا وخمسا ، وليصرخ ما شاء ، وليطلب ما شاء فالدنيا كلها زهر وابتسام ...

ولكن .. ما أكاد اسعد بالنظرة حتى الح غراب البين الرابض تحت البوابة يرميني بشعاع خافت من عينه التى لايراها احد ... ماذا يريد هذا الابليس ؟ رقيب هو ؟ جاسوس لابيها ؟ انه يبتسم في صمته الرهيب ساخرا مني .. لا استطيع ان ارفعه بيدى واضرب به الارض ... اى سعادة تكون هذه ! ولكن اين انا من السعادة ؟ انها نظرة من بعيد ، نظرة من وراء الاسوار ، نظرة عليها الشيطان نفسه رقيب .

وكان اخواني يتضاحكون بي ويقولون لي : انها تحبك ! كنت اتمنى لو صدقت ذلك ، ولكن كيف يمكن ان يخدع الانسان نفسه على هذا النحو الهائل : سميرة عبد السلام زاهر الفزاوى تحبني انا ، انا الصعلوك كاتب الضرائب ؟ نعم كاتب .. هل اسخر من نفسي ، انهم يسمونني محاسبا ، انعم واكرم ياحضرة المحاسب ، كل ثمنك اثنان وعشرون جنيها ومائة وسبعة وثلاثون مليما فقطلاغير ، يلقونها لك آخر كل شهر كما تلقى العظمة لاى كلب ، ثم تحلم بسميرة عبد السلام زاهر الفزاوى ! ما أجراك او ما اغفلك !

ولكن ، لم لا ؟ كاتب او محاسب ، ٢٢ جنيها أو ٢٢ عفريتا ماذا يهم ؟ الست شابا في أوائل مراحل النضال ؟ وأبوها هذا سى عبد السلام زاهر الى آخره ماذا كان في مثل سنى ؟ يقولون انه كان كاتب طابونه او مخبز ، ثم بدأ يتاجر في الدقيق بالشوال ثم بالجملة ، ثم تاجر في القمح والبيوت واصبح ما هو اليوم ... من يدرى ماذا يخبىء لى القدر ، اليس من الممكن ان اقفز انا ايضا هذه الدرجات : محاسب فمساعد مامور ضرائب فمامور فمفتش عام فمدير عام ... آه .. حسبك .. حسبك .. حسبك أيها التعس ، كيف تنتقل من مكانك وهذا الشيطان الخبيث الرابض لك تحت بوابة البستان واقف لك بالمرصاد ! لعنة الله عليه ، لا بد أن أزيله من الطريق قبل أن ينتبه الى العيون ويبلغ اهل

سميرة بما يدور في راسي حول ابنتهم فيعصفوا بي عصفا ...

وهل هناك شيء في الدنيا اسهل على هذا العملاق من ان ينفخ في مثلي فابدد غبارا ...

وبالفعل كاد . تداركتني رحمة الله قبل ان ينفخ فلم يتطاير كياني غبارا ...

والحكاية - باختصار - انني في ذات يوم شتاء قارس ، كنت عائدا من جلسة سمر مع اخواني في المقهى ، وعند عودتي رأيت انوارا تتلألأ وحركة كبيرة في بيت سميرة ... كانت هناك موسيقى تصدح ففهمت أن هناك عرسا ... دق قلبي كالمجنون ! لقد زوجوها وقضوا على أحلامي ... هؤلاء الظالمون ... زوجوها على رغمها وحرموها ممن تحب .. يا الهي ما اقساهم !

ووقفت امام بوابة البيت انظر الى الداخلين والخارجين ، والى الاضواء والملابس والخدم والحشم والاطفال يجرون في مرح ولعب ... وفاضت عيناى بالدمع وكدت اصرخ : سميرة لاتخافي .. لقد اتيت لكي انقذك من أيدى المردة والشياطين ... ساقتلهم جميعا واحملك بين يدى ونهرب الى عالم الحب والنور ...

وافقت من حلمي او هواجسي . واذا بخادم نوبى اسمر وسيم الوجه يقول : اتفضل يابيك ...

وتلفت حولي باحثا عن البيك .. فعاد الخادم يقول :

- اتفضل ياسعادة البيك .. اتفضل سعادتك .. انهم ينتظرونك ...

- ينتظروني انا ؟

- نعم سعادتك امين بك مجدى ...

وسرت خلفه كانني أسير . هذا فعلا اسمى ، ولكني لست بيكا ولا تراب بيك ، انا كاتب الضرائب ، ما عساهم يهيبون بكاتب الضرائب ... ولكنني محاسب ، وبكالوريوس تجارة ... وعلى وشك الترقية...معقول أن يحتفلوا بي ...

وصعدت سلما عريضا مغطى ببساط أحمر ، هناك وجدت ناساكثيرين حيوني ورحبوا بي ووقفوا يحدقون فيّ ، واقبل خادم فناولني كوب شربات أحمر ، وقال لي واحد لا اعرفه :

- الحاج عبد السلام يعرفك .

- يعرفني أنا ...

- نعم .. سمعنا انهم سيحيلون اليك ملفات ضرائب الحاج .

وحاولت أن ابلع ريقى فلم استطع ، فقد كانت مع ريقى مصيبة اضخم من أن تنفذ في حلقي .

مصيبة ملفات الحاج وكلها تزوير وتضليل والغام وقنابل وطوربيد تكفى واحدة منها لتزيلني من الوجود انا وسعادة مامور الضرائب وكل اطباق الفول الراكبة على انفاسه - وانفاسي - طبقات من بعد طبقات .

وقلت - « ولكنكم لم تدعوني الى زفاف سميرة هانم ... »

- لا .. ليست سميرة هانم ، هذه اختها الكبيرة ايناس هانم ..

ورقصت الدنيا امام عينى . اذن فهي لم تتزوج بعد . يا الهي كم انت رحيم بالمساكين ! انها لم تتزوج .. انها تنتظرني ، حقا انني سعيد .

وافقت من غفلتي وقلت :

- وما حكاية ملفات الضرائب هذه .. ؟

- وابتسم محدثي في شيء من دهاء وقال :

- ان الحاج معجب بكفايتك .

- كفايتي ؟ فيم ؟

فاقترب مني ووكزني في رفق وقال في شبه الهمس :

- في المحاسبة والضرائب وكل شئون التجارة ... ان اسمك يدوّى عندنا .

وقلت لنفسي : « هذا الثعلب يضحك علي ... اى اسم لي هذا الذى يدوى ؟ واين يدوى ولماذا ! » .

وسكت لحظة ثم عدت اقول لنفسي : « ومن يدرى . ربما كان هذا صحيحا،ربما كنت كفؤا ولا أدرى ، وربما كنت شهيرا وانا غافل » .. ثم قلت له :

- ولكن ... من الذى حدثكم عنى .. ؟

- البيه مأمور الضرائب ... اسماعيل بيك

راضي .. طال الاخذ والرد بينه وبين الحاج في موضوع الضرائب فقال : انا سأعهد بملفاتك الى اكفأ شاب عندي وانت تتفاهم معه ... ثم قال لنا اسمك ...

وقلت في نفسي : « الآن فهمت ، انها والله لبئر يحفرها لي هذا الخنزير آكل الفول ... الم يقسم بالله من اسبوع فقط انه لا بد ان يرمي بي في داهية ؟ هذه هي اذن ... »

ودقت الطبول وعزفت الموسيقى واقبل الطعام، ومضت الساعات ...

وفي منتصف الليل ، والعروس تزف رايت سميرة .. اجمل ما في الدنيا في اجمل ثيابها ، كانت ترتدي ثوبا احمر محلى بالذهب ، وكان وجهها مشرقا ضاحكا منيرا كان ربك سبحانه جمع فيه نجوم السماء ..

ورمت ببصرها نحوي ، اجل نحوي .. ثم ابتسمت ، لي انا ، واقتربت مني ولم تقل شيئا ، فقلت ولا ادري كيف استجمعت اطراف نفسي :

ــ ما اجملك .. صحيح .. انت اجمل ما في الدنيا ..

ولبثت تنظر الي ، وطفقت انظر اليها جزءا من لحظة ، ثم انتبهنا الى صوت الرجل الذي كان يحدثني وهو يضع يده على كتفي ويقول :

ــ هل اكلت ؟ لماذا لا تذهب مع الشباب ، لقد خصصنا لهم اشياء لطيفة في غرفة خاصة .. تعال معي ...

واخذ بيدي واراد أن يمضي ، ولكنها قالت :

ــ دع هذا وحده .. انه ليس كالآخرين ...

ثم قالت لي : « لقد اتوا لهم بويسكى .. انت لاتعرف الويسكى .. »

فقلت : « ويسكى .. لا اعرفه ولا ذقته ... »

وقلت للرجل : « دعني من فضلك ... »

والتفت ابحث عنها . اختفت . احلم هذا ام علم ؟ هل كانت هي حقا ؟ هذا كثير جدا على .. كثير جدا .

وعندما استلقيت في فراشي كان راسي يدور ...

وعندما اخذني النوم رايت وجه الشيطان الجالس تحت بوابة البستان ، رايته ينظر الي طويلا من خلال شقي عينيه ...

في اليوم التالي زارني الحاج بنفسه وتلطف وتظرف واثنى ومدح ... وناداني المامور واوصاني .

كانت مقاومتي قد انتهت . فضي عليها الفستان الاحمر المحلى بالذهب .

ودعوني الى الطعام في بيتهم وذهبت مرة ومرة ... وتحدثت الى سميرة والى امها ، اصبحت فردا من افراد الاسرة ...

وكان الحاج يقول : « اي وظيفة هذه التي تتمسك بها يابني وكم يعطوك ... عندي تأخذ اكثر .. لا تخف .. »

وفي ذات يوم اخذتني سميرة بيدي وعندما كنا على سلم الحديقة قالت في صوت غاضب :

ــ كل ما أمروك به تفعله .. ؟

ــ لم افعل شيئا بعد ...

ــ لماذا تريد أن تقضي على نفسك في سبيله .

ــ ولكنه ابوك ياسميره ..

ــ انه ليس ابي ، انه زوج امي .

ــ انه يستطيع ان يقف بيني وبينك ..

ــ نعم ، ولكنك لن تكسبني اذا فعلت ما يريد منك ، لن اتزوج شابا يرضى هذا لنفسه ...

ــ وما العمل ...

ــ ابق مكانك ، حافظ على اسمك ويفعل الله الله ما يريد .

ووقفت مكاني ، ورفضت كل شيء . وغضب على المامور . وغضب على الحاج عبد السلام زاهر الغزاوي واقفل دوني باب الجنة ، فما عدت اخطو عتبة البيت الجميل ، بل همس في اذني احد زملائي بانه سمع انهم سينقلونني الى عنيبة ، مركز الدر ، لكي انشيء دفاتر ضرائب للثعابين والحيات .

وفي ذات يوم مررت فلم أجد الرجل الجالس تحت بوابة البستان ..

ورايت كاميونات وعمالا : « ما هذا يا ناس ؟ »

.. الحاج سيزيل البستان لينشيء مكانه بنايات وعمارات .. ولكن" هناك في ذلك البستان بيوت كثيرة لفقراء كثيرين وبيوت لناس آخرين اشتروا منه الارض ..

وقال لي حسن العتريس :

ـ كلهم القى بهم في الطريق دون رحمة ... ناس مساكين دفعوا له اثمان أراضيهم وآخرون أعطاهم هو الارض مقابل خدمات قاموا بها له ، القاهم كلهم في الطريق - ضربهم رجاله وطردوهم، من ينصفهم يا ويلاه .. وابن يذهبون ؟ ان نهاية هذا الرجل سوداء ..

قلت لحسن :

ـ هؤلاء لا تنتهي حياتهم بسواد ابدا .. هؤلاء دائما في رخاء .. السواد خاص بنا نحن ، احتكار لنوعنا الرديء .. ان جمع المال يا عزيزي حسن يحتاج الى جراة وعنف لكى تحطم حاجز الفقر . نحن اجبن من أن نحطم حاجز الفقر ..

بعد يومين اثنين ، صحوت من نومي على ضجة هائلة . انقلب بيتنا رأسا على عقب ، وكذلك بيت جيراننا .. وبيوت الحى كله ..

لقدقتلأمس الحاج عبدالسلام زاهر الغزاوى.

كان يتمشى في حديقته بعد منتصف الليل عندما هجم عليه انسان وطعنه طعنات وخلفه جثة هامدة وهرب ، لم يعثر له على أثر ..

وهتفت من اعماق نفسي : « سميرة ! » .

وانقضت أسابيع ..

وكنت عائدا يوما الى دارى بعد الظهر ... كان الشارع خاليا تماما .

ودون وعى منى مررت على نفس الرصيف الذى يجلس عليه الشيطان الرابض تحتبوابة البستان .. كنت سابحا مع افكارى وهمومى عندما مررت به حتى كدت المسه ..

ومد يده التى يستوحى بها الاحسان وجذبنى من ثيابى فتسمرت مكانى . ونظرت فاذا هو ينظر الى ويبتسم ، وقال :

ـ الآن تتزوج البنت ..

ـ أى بنت ..

ـ سميرة .. سميرة بنت الشيطان ..

ـ أيها الوقح ..

ـ لا تغضب .. اجلس الى جانبى ..

لا ادرى كيف جلست القرفصاء ونظرت اليه فقال :

ـ تحلف بسميرة انك تكتم على ..

ـ احلف ..

ـ لقد قتلته .. بهذه اليد قتلت الشيطان واحتفظت ببوابتى وللمساكين ببيوتهم ولك بسميرة ..

وفجاة بدا لى وجهه جميلا لطيفا كوجوه اهل الخير ..

ووضعت يدى على كتفه ونظرت اليه في شكر عميق وقلت :

ـ انا مدين لك بكل شيء ..

ـ لا .. انت مدين لى بشيئين فقط ..

ـ وما هما ؟

ـ ان تكتم على ما حييت .. وان تعطينى فدانين من الارض بعد أن تتزوج سميرة .. أريد ان انتقل الى الريف .. لقد سئمت هذه البوابة .. لقد ادت هى واجبها ، وآن أن تزول ..

ـ ذلك لك ..

واردت ان اعطيه شيئا فرفض ، وقمت عنه ومشيت خطوات فاستوقفنى وقال : « سميرة تنتظرك .. لماذا لم تذهب اليها منذ مات أبوها..»

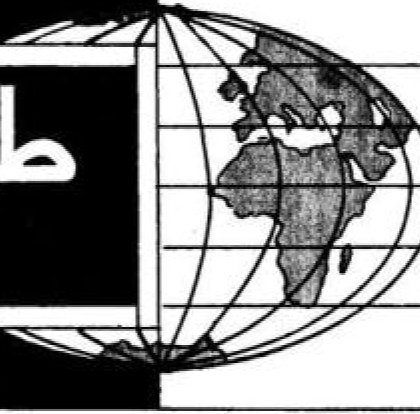
ـ ساذهب ..

ـ لا تدعنى الى زفافك .. ذلك أسلم .. لا تدعنى .. ذلك أسلم ..

وعادت يده .. فامتدت مفتوحة لتلقى الاحسان، وانتصبت العصى في يده الاخرى ، ومر رجل فوضع في اليد قرشا .. ومضت الايام . ■■

حسين مؤنس

طرائف غريبة



تزوجها وهى صماء !

● قالت الأميرة أندرو Princess Andrew اليونانية التى توفيت في قصر باكنجهام يوم ٥ ديسمبر من العام الماضي عن ٨٤ عاما : « لقد عشت سعيدة ، لأنني حرمت من حاسة السمع ! »

والأميرة اندرو هى حماة الملكة اليزابيث ، فهى ام الأمير فيليب زوج ملكة بريطانيا ، وقد ولدت في انجلترا عن أبوين انجليزيين ، وكان اسمها عند ولادتها الأميرة أليس Alice ، وهى من احفاد الملكة فيكتوريا ، ولكنها ما لبثت ان حملت الجنسية اليونانية بعد زواجها من أحد أمراء اليونان وكان يعرف أن زوجته ولدت صماء ..

قال له أبوها يوما قبل الزواج : « انها لن تستطيع أن تسمعك أبدا ، وأنت تحدثها عن الحب ! » وكان خطيبها يقول : « ستراه في عينى، فما أبلغ لغة العيون ! »

وتزوجت اليس امير أحلامها ، ورات وتعلمت واجادت اربع لغات ، فلما مات زوجها واميرها ، دخلت الدير الذى شيدته بنفسها في احدى جزر بحر ايجه وأمضت به اثنى عشر عاما ، ثم عاشت ترتدى ملابس الراهبات حتى وافتها منيتها وهى في زيارة لابنها في لندن !

سحر المرأة

● قال برنارد شو فيلسوف الانجليز الساخر : « سحر المرأة الحقيقى في قدرتها على أن تجعل الشاب الصغير يشعر أنه قد أصبح رجلا ، والشيخ شابا والرجل الذى بلغ منتصف العمر واثقا من نفسه ومن الحياة ! » .



* * نـــدم

● كتب الشاعر والمؤرخ الفرنسي المولد ، البريطاني الجنسية هيلير بيلوك Hilaire Belloc (١٨٧٠ – ١٩٥٣) في كتابه « روبسبير » * Robespierre : « كان هذا الجلاد الذى دفع بالمئات من افراد الشعب الفرنسي الثائر الى المقصلة يريد أن يصبح بطلا .. قال يوما لاحدى بائعات الزهور في حى مونمارتر ، وهو يدفع لها ثمن باقة من الورد : « لا يهمنى ماذا تقولون عنى اليوم ، ولكن يهمنى أن تقراوا في الغد ما سيكتبه التاريخ عن : « حياة البطل الذى اخمد ثورة



أهون الشرين !

• كان ونستون تشرشل السياسي البريطاني الراحل من اشد المتحمسين للديمقراطية ونظام الحكم الديمقراطي ، وقلما خلت احدى خطبه المشهورة من التشدق بالديمقراطية والثناء عليها والاشادة بها .. الى ان سألوه يوما : **« هل معنى هذا انك تؤمن بان الديمقراطية في بريطانيا هي النظام المثالي للحكم في العالم ؟ »**

وأجاب تشرشل بقوله : **« بل هو اسوأ أنواع الحكم في العالم ! ولكن يجب الا تنسوا ان هناك من الانظمة ما هو اسوأ منه وأخطر .. فكل نظام للحكم غير النظام الديمقراطي ، جربه البعض في وقت او في آخر في أي بلد من بلاد العالم هو أسوأ من النظام الديمقراطي الذي لا يعجب البعض في بريطانيا !! »**

روسيا وأمريكا

• كان رائد الفضاء السوفيتي الراحل يوري جاجارين Yuri Gagarin ، يزور الهند عقب أول رحلة يقوم بها انسان الى الفضاء في ابريل من عام ١٩٦١ ، عندما وجهت الدعوة الى اعضاء الوزارة الهندية والنواب لمشاهدة فيلم روسي عن رحلة جاجارين .

ولكن ما كاد عرض الفيلم يبدأ حتى تعطلت آلة العرض ، واضيئت الانوار ، وعبثا حاول مهندس العرض اصلاحها ! .

واخيرا التفت جاجارين الى الوزراء والنواب الهنود وقال : **« لا اظن أن هناك سبيلا لاصلاح هذه الآلة لسبب بسيط ، فانتم تدركون أن الفيلم روسي ، وآلة العرض مصنوعة في امريكا .. ولا يمكن للاثنين ان يجتمعا في سبيل انجاز عمل مشترك »** .

الجـــلاد * *

رجالها من الرعاع !! »

وقال بيلوك : « وعندما قادوا روبسبير الى المقصلة اثناء محاولته الهرب بعد انتصار الثورة بكى وهو يردد : ليتني استمعت لنصيحة امي وهي تقول : القتل والقمع يا بني هما غذاء الثورة عند الشعوب ! »

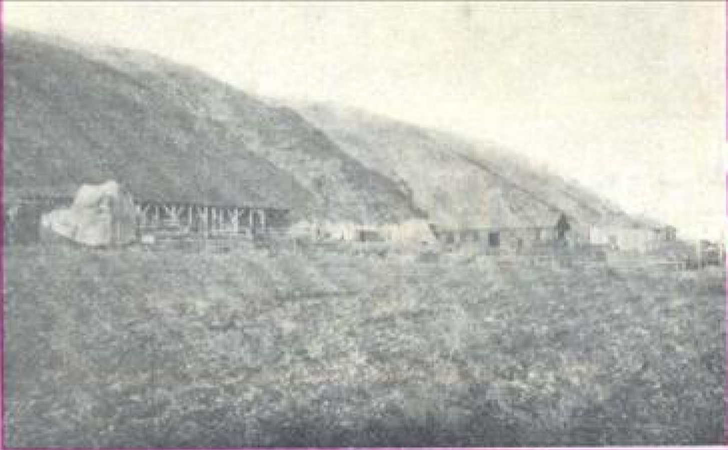
✻ ومما يذكر أن روبسبير كان من رجال الثورة الفرنسية ، بل كبير من كبرائها ، وقسا حتى اطاح بالكثير من زعمائها ، ثم جاء دوره فطحنته الثورة ، كما طحنت رجالا ممن سبقوه !

مقياس الخلافات !



• **قال الرئيس الفرنسي السابق شارل ديجول مشيرا الى كثرة الخلافات وتباين الأذواق في الأمة الفرنسية** : « لا اعرف كيف يمكن لرجل واحد ان يحكم امة تصنع أكثر من ثلاثمائة صنف من الجبن ! »

اعرف عدوك



هكذا بدا الكيبتس

منظر عام يمثل كيبتس « بيت الفا » الذى انشىء عام ١٩٢٢

كتاب الشهر

الكيبوتز*

بقلم : الدكتور محمود السمره

■ ان العمود الفقرى لجيش اسرائيل هو ابناء هذه المزارع الجماعية، المعروفة باسم الكيبتسات . والجنود الآتون من الكيبتس هم اكثر جنود اسرائيل عصبية، وقسوة : لانهم نشئوا ليكونوا هذا النوع من الناس . واسرائيل لا تجد نفسها مضطرة لأن تعلن عن خسائرها ، اذا كان قتلاها من ابناء الكيبتس ، لانه ليس هناك من عائلة تسأل عنهم ، ويهمها مصيرهم .

وهذا الكتاب الذى نقدمه للسيد عبد الوهاب كيالى ، يتناول موضوع الكيبتس من جوانب متعددة . وهو في خمسة فصول ، هي : نشأة فكرة الكيبتس واطارها العقائدى ، والحياة في الكيبتس ، والكيبتس كعامل عسكرى استراتيجى ، والكيبتس والدعاوة الصهيونية ، واخيرا نظرة تقييمية .

ورغم صغر حجم الكتاب ، فانه يتسم بوضوح التصور ، واتساق البناء ، وان كنا نود لو انه اعتمد على مصادر ووثائق ، اكثر من التى اعتمد

* العربى : اتضح لنا من البحث أن كلمة Kibbutz هى كما يظهر من هجائها الالمانى كلمة من اللغة اليدية وهى خليط من العبرية والالمانية اتخذه يهود المانيا لغة لهم ، واذا فالنطق الصحيح للكلمة هو كيبتس لاكيبوتز .



وهكذا اصبح الكيبتس

منظر عام لاحد الكيبتسات الحديثة في فلسطين المحتلة .

أو المزارع الجماعيــة في إسرائيل

لعبد الوهاب كيالي

عليها . وحبذا لو أورد اسماء المستعمرات اليهودية ، كما هي معروفة بالعربية ، لا نقلا حرفيا عن الانجليزية ، مثال ذلك : زيكرون يعقوب (هى زخرون) وجديرة ، فهما معروفتان عندنا باسم زمارين والخضيرة . وثبت المصادر والمراجع اصبح اليوم ضرورة في آخر كل كتاب ؟!

وقد كتب عن الكيبتس الكثير ، ولكن اكثر الذى كتب لم يقصد به كاتبوه الا الدعاية لاسرائيل ، عن طريق امتداح نمط الحياة القائم في هذه المزارع الجماعية ، وانها تجربة فريدة في الحياة الاشتراكية .

وقد سبق أن تحدثنا عن الموشاف ، اى القرى التعاونية في اسرائيل ، في هذا الباب من «العربي» العدد ١٢١ ، واشرنا اشارة سريعة الى الكيبتس. والكيبتس والموشاف هما اهم مظهر من مظاهر الحياة الاجتماعية في اسرائيل ، ولهذا السبب رأينا من المفيد تقديم كتاب عن الكيبتس ، كما قدمنا كتابا عن الموشاف .

ويرتبط نشوء الكيبتس بالعقيدة الصهيونية ، وبالمؤتمر الصهيوني الاول الذى عقد في بال سنة ١٨٩٧ ، والذى كان من مقرراته « العمل على استعمار فلسطين بواسطة العمال الزراعيين والصناعيين اليهود ، وفق أسس مناسبة . »

وقد أثبتت الهجرة اليهودية التى تمت في ثمانينات القرن التاسع عشر ، من أوروبا الشرقية وروسيا القيصرية الى فلسطين ، أنها لا تحقق الغاية التى هدفت اليها الصهيونية ، لأن هؤلاء المهاجرين لم تكن لهم خبرة في الزراعة ، ولهذا اعتمدوا على الفلاح العربى . كما أن المستعمرات التى اقاموها كانت تعتمد نظام الملكية الخاصة ، والانتاج الفردى . وهذه الهجرة تعرف عند الصهاينة بـ « الهجرة الاولى » .

وبعد وفاة هيرتزل ، اى بعد عام ١٩٠٤ ،كانت « الهجرة الثانية » ، هجرة من يعرفون في تاريخ الحركة الصهيونية باسم « الرواد » ، وهم أفراد من الأعضاء المتحمسين في « حركة الشباب » Youth Movement الصهيونية في أوروبا الشرقية ، والعاملين من أجل « استعادة أرض اسرائيل ، وعودة شعب اسرائيل الى أرضه .. » ومن هؤلاء الرواد أكثر زعماء اسرائيل ، وعلى رأسهم بن جوريون .

واذا كانت الهجرة الأولى غير مرتبطة باهداف الصهيونية ، وانما هاجر افرادها الى فلسطين هربا من الاضطهاد ، فان الهجرة الثانية كانت مرتبطة باهدافها ، ولهذا اقام المهاجرون مستعمرات اعتمدت على النظم التعاونيةوالجماعية في الانتاج ، والاستثمار ، والاستعمار . وفي هذه المستعمرات لا مكان للفلاح أو العامل العربي . وقد روعي في اختيار مواقع هذه المستعمرات ان تكون قادرة على التوسع من جهة ، وان تكون منيعة عسكريا .

وهؤلاء الرواد « هم الذين أقاموا الكيبتسات، ومجدوا العمل اليدوى ، لكي يربطوا اليهودي بالارض . » وهذا التمجيد البالغ للعمل اليدوى نجده واضحا في قيم الكيبتس ، فهي تحتقر الاعمال غير اليدوية ، ومناهجها الدراسية لا تؤهل الطالب للالتحاق بالجامعة . ونجد هذه الروح واضحة في محاضرة القاها بن جوريون عام ١٩١٥ ، حيث يقول : « ان عرق الجبين هو الذي يصنع الوطن القومي . وبعملنا وكدحنا سوف نحصل على وطننا القومي .. ان أرض اسرائيل تصبح ملكا لنا عندما يكون عمالها وحراسها من صفوفنا . »

ويقول في مكان آخر : « ان الوطن لا يعطى ولا يهدى، انه لا ينال بامتيازات أو اتفاقيات سياسية، وانما يصنع بعرق الجبين . »

وكانت التجربة الأولى لاقامة مزرعة جماعية ، في المزرعة التدريبية في قرية الشجرة ، عام ١٩٠٨ ، حيث تولت مجموعة من العمال ادارة هذه المزرعة ، ووزعت العمل على افرادها ، وجعلت المسؤولية جماعية ، دون وجود طبقة من المدراء او المتعهدين الخارجيين . ومع أن هذه

الكيبتس .. والانتاج الزراعي

● يملك الكيبتس ٣١٫٧٪ من الاراضي الزراعية في اسرائيل (حسب احصائيات عام ١٩٦٦) .

ويبين الجدول المرفق الانتاج الزراعي للكيبتس بالنسبة للانتاج الزراعي في اسرائيل كلها :

قمح	٦٢٪	بطاطس	٣٨٪
شعير	٢٥٪	حمضيات	١٢٪
أذرة رفيعة	٦٤٪	موز	٨٩٪
قطن	٧٠٪	فواكه مختلفة	٧٤٪
بنجر	٣٧٪	خضراوات	٧ ٪

التجربة نجحت ، وحققت المزرعة ارباحا ، الا ان عقد الجماعة انفرط بعد عام .

وفي عام ١٩٠٩ قامت تجربة ثانية في مزرعة بالقرب من بحيرة طبريا ، فكانت أول كيبتس في فلسطين ، واسمها دجانيا .

★ ★ ★

وفي الفصل الثاني يجيب المؤلف عن السؤال التالي : كيف يعيش سكان الكيبتس ، وما هي مشاكلهم ؟ ويبدأ فيذكر أن احصاءات عام ١٩٥٩ تذكر أن في الارض المحتلة ٢٢٨ كيبتسا . وكان من الافضل لو اعتمد المؤلف على احصائية متاخرة عن هذا التاريخ،خاصةوان كتابه صدر عام ١٩٦٦.

والقارىء لخطب زعماء حركة الكيبتس ،يلمس بوضوح أنهم يتمنون لو استطاعوا تحويل اسرائيل كلها الى كيبتس كبير ، لأن هذه الحركة تجسد آمال الصهيونية . وهم يمجدون ، الى أبعد حد ، الحياة في الكيبتس ، وهي حياة تذكرنا بالنظام العسكري الذي كان سائدا في اسبرطة . ويخيل لي ان اسبرطة كانت في خيال زعماء هذه الحركة، عندما فكروا فيها .

وسكان الكيبتس خليط من المهاجرين اليهود من اوروبا الشرقية ، والوسطى ، والغربية ، ومن « الصابرا » Sabra اى ابناء المهاجرين الذين ولدوا في فلسطين . وقد تلقى هؤلاء المهاجرون تدريبا على حياة الكيبتس ، قبل هجرتهم .



مزارع القطن التابعة للكيبتسات الاسرائيلية .. ويتم جمع القطن بواسطة الآلات

والحياة في الكيبتس تتصف بالتقشف : فالسكان يقطنون بيوتا صغيرة ، ويخصص للعائلة غرفة واحدة . اما الحمام ، والمنافع ، والمطبخ ، وغرفة الغسيل ، وغرفة الطعام ، فهي مرافق جماعية . والعمل في الكيبتس اجباري ، لا اختيار فيه ، وهو مفروض على السكان فرضا بحيث لا مجال للمناقشة فيه ، ومن يخالف يعرض نفسه للطرد والتشهير .

والحياة في الكيبتس جماعية بكل معنى الكلمة: فالانتاج ، والعمل ، والاستهلاك ، تتم على اساس جماعي . ويحظر على السكان القيام بنشاط اقتصادي فردي ، وهم في غير حاجة للنقود داخل المستعمرة ، لان حاجاتهم مؤمنة ، حسب المبدأ القائل : « من كل حسب قدرته ، ولكل حسب حاجته . » وعندما ينضم فرد الى الكيبتس ،فان عليه ان يحول كل ما يملك اليها . واذا كسب مالا من خارجها ، فان المال للمستعمرة .

* * *

والعائلة بمفهومها عندنا ، لا وجود لها في الكيبتس . وقد اعتبر زعماء هذه الحركة الزواج « مؤسسة مهترئة » وهي جزء من النظام البرجوازي ، ولهذا فالزواج فيها لا يعني اكثر من اتفاق بين رجل وامرأة على العيش معا ، دون اية مراسم ، ويستطيعان ان يفترقا متى ارادا ، ولا شان لاحد او لاية سلطة بهما . ولا تعرف المرأة في هذه الحالة بانها زوجة فلان ، بل رفيقته ، وهو رفيقها . والمرأة بعد عيشها مع رفيقها ، تبقى محتفظة باستقلالها ، وكان شيئا لم يحدث . وعندما يولد الاطفال يتولى « بيت الاطفال » في المستعمرة رعايتهم ، ويتلقون تعليما لا يؤهلهم بعد الدراسة الثانوية ، للالتحاق بالجامعات ، بل بالجيش ، لانه يغذي فيهم روح الانضباط العسكري ، ويعودهم على حياة الجندية بما فيها من تقشف ، وتحمل للصعاب .

والمرأة هي المشكلة الرئيسية في الكيبتس . واذا كان زعماء حركة الكيبتس قد نادوا بمساواة المرأة بالرجل في جميع الامور ، وجعلوها مستقلة عنه استقلالا تاما ، حتى بعد مرافقتها له ، فان هذا الوضع الجديد لم يرض انوثة المرأة .ويقول سبيرو في كتابه« Kibbutz, Venture in Utopia »:

« ان المرأة هي العامل الاساسي في أزمة الكيبتس: فالمرأة هي سبب الاستقالات منها ، وهي وراء المطالبة بالملكية الفردية ، والحياة الخاصة . وبالتالي ، فليس من المستغرب أن نجد المرأة غير سعيدة ، بدورها ، في الكيبتس . »

* * *

ومجتمع الكيبتس مجتمع مغلق ، ولهذا فليس من السهل أن ينضم اليه اى فرد متى شاء . والراغب في الانضمام الى الكيبتس ، يقضي أولا فترة تجريبية مدتها ستة اشهر ، يكون فيها ضيفا عليها . وبعد انقضاء هذه المدة ينظر

الاجتماع العام ، الذي يعقده سكان الكيبتس ، في طلبه ، فاذا حاز ثلثي الاصوات على الاقل ، اصبح عضواً في الكيبتس . ولكن علينا ان نذكر « ان عضوية الكيبتس تزداد ، لا بفضل الانتسابات الفردية ، بل بفضل انتساب أعضاء حركات الشباب جماعيا . »

والسلطة في الكيبتس ، من ناحية نظرية ، في يد الاجتماع العام للكيبتس ، الذي يضم جميع اعضاء الكيبتس ، ويعقد اجتماعا مرة كل اسبوع . ولكن السلطة ، في الواقع ، هي في يد السكرتير العام ، واللجان المساعدة له .

واذا كانت حركة الكيبتس تجسيدا عمليا لاهداف الصهيونية ، فان هذا لا يعني ان كل الكيبتسات تدين بولاء سياسي وحزبي واحد ، فحسب احصاء ١٩٥٩ نجد ان : ٧٣ مستعمرة تدين بولائها السياسي لحزب (الماباى) و ٧٣ مستعمرة اخرى تتبع حزب (المابام) ، و ٥٨ مستعمرة ترتبط بحزب (احدوث افوده) ، و ١١ مستعمرة يمينية تتمسك بالشعائر والعادات الدينية وترتبط بحزب (مزراحي) ، ومستعمرتين تسيران في فلك حزب سياسي ديني متطرف .

★ ★ ★

والهدف العسكرى هو العامل الاول وراء قيام الكيبتسات .

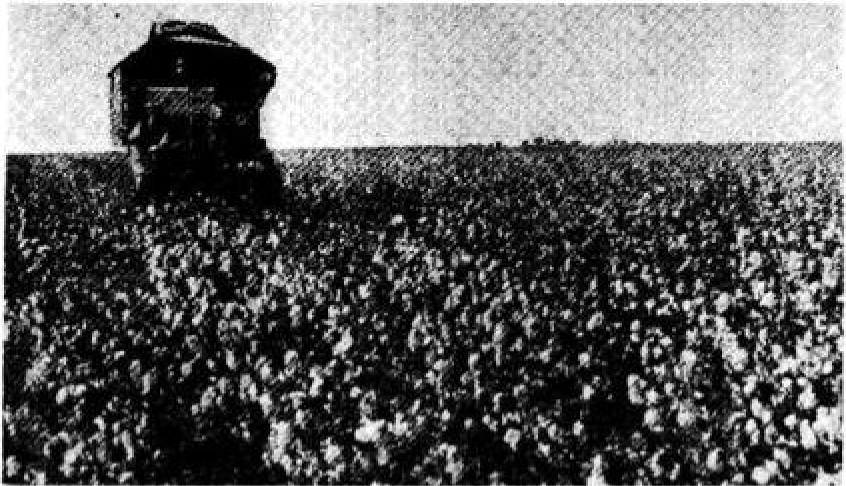
يقول موشي كريم : « استند الجيش الصهيوني شبه السرى (الهاغانا) في فلسطين ، تحت الانتداب البريطاني ، على الكيبتسات في التجنيد ، والتدريب السرى ، واخفاء الاسلحة » .

ويقول يوزباشي السيد فرج في كتابه « جيشنا في فلسطين » : « ومما ينبىء بدقة الاستعدادات الصهيونية في المستعمرات ، ذلك النظام المعيشي الدقيق الذى يجعل كل مستعمرة قادرة على الصمود مدة طويلة من غير ما معونة او تموين من مستعمرة اخرى : ففي كل حصن احتياط كاف من المؤن والذخيرة والمياه التى تصل بواسطة

كيف يعيش الاطفال في الكيبتس ؟

● بعد ان يولد الطفل في الكيبتس يؤخذ مباشرة الى بيت الاطفال بعيدا عن والديه اللذين يسمح لهما بزيارته ، وهناك نظام دقيق يتبع مع كل مولود جديد ومع كل طفل حسب سنه ، ويتلخص هذا النظام في الجدول الآتي :

	العمر	عدد الاطفال في كل مجموعة	المشرفون	ساعات الدراسة	ساعات العمل
دور الاطفال	منذ الولادة حتى ١٥ شهرا	ـ	مربية	ـ	ـ
دور الحضانة	من ١٥ شهرا ـ ٤	٦	مربية	ـ	ـ
رياض الاطفال	من ٤ ـ ٧ سنوات	١٨	مدرسة ومربيتان	غير محددة	غير محددة
مدرسة ابتدائية	من ٧ ـ ١٢ سنة	١٨	مدرسة ومربية	٤ ـ ٦ ساعات يوميا	ساعة واحدة
مدرسة ثانوية	من ١٢ ـ ١٨ سنة	٢٥	مدرسة ومربية	٢٤ ساعة في الاسبوع	ساعة من سن ١٢ ـ ١٣ ساعتان من سن ١٤ ـ ١٥ ٣ ساعات من سن ١٦ ـ ١٨



مزارع القطن التابعة للكيبتسات الاسرائيلية .. ويتم جمع القطن بواسطة الالات

والحياة في الكيبتس تتصف بالتقشف : فالسكان يقطنون بيوتا صغيرة ، ويخصص للعائلة غرفة واحدة . اما الحمام ، والمنافع ، والمطبخ ، وغرفة الغسيل ، وغرفة الطعام ، فهي مرافق جماعية . والعمل في الكيبتس اجبارى ، لا اختيار فيه ، وهو مفروض على السكان فرضا بحيث لا مجال للمناقشة فيه ، ومن يخالف يعرض نفسه للطرد والتشهير .

والحياة في الكيبتس جماعية بكل معنى الكلمة: فالانتاج ، والعمل ، والاستهلاك ، تتم على أساس جماعي . ويحظر على السكان القيام بنشاط اقتصادي فردي ، وهم في غير حاجة للنقود داخل المستعمرة ، لأن حاجاتهم مؤمنة ، حسب المبدأ القائل : « من كل حسب قدرته ، ولكل حسب حاجته . » وعندما ينضم فرد الى الكيبتس ،فان عليه ان يحول كل ما يملك اليها . واذا كسب مالا من خارجها ، فان المال للمستعمرة .

★ ★ ★

والعائلة بمفهومها عندنا ، لا وجود لها في الكيبتس . وقد اعتبر زعماء هذه الحركة الزواج « مؤسسة مهترئة » وهي جزء من النظام البرجوازي ، ولهذا فالزواج فيها لا يعني اكثر من اتفاق بين رجل وامرأة على العيش معا ، دون اية مراسم ، ويستطيعان ان يفترقا متى ارادا ، ولا شأن لأحد او لاية سلطة بهما . ولا تعرف المرأة في هذه الحالة بأنها زوجة فلان ، بل رفيقته ، وهو رفيقها . والمرأة بعد عيشها مع رفيقها ، تبقى محتفظة باستقلالها ، وكان شيئا لم يحدث . وعندما يولد الأطفال يتولى « بيت الأطفال » في المستعمرة رعايتهم ، ويتلقون تعليما لا يؤهلهم بعد الدراسة الثانوية ، للالتحاق بالجامعات ، بل بالجيش ، لأنه يغذى فيهم روح الانضباط العسكرى ، ويعودهم على حياة الجندية بما فيها من تقشف ، وتحمل للصعاب .

والمرأة هي المشكلة الرئيسية في الكيبتس . واذا كان زعماء حركة الكيبتس قد نادوا بمساواة المرأة بالرجل في جميع الأمور ، وجعلوها مستقلة عنه استقلالا تاما ، حتى بعد مرافقتها له ، فان هذا الوضع الجديد لم يرض أنوثة المرأة .ويقول سبيرو في كتابه« Kibbutz, Venture in Utopia »:

« أن المرأة هي العامل الاساسي في أزمة الكيبتس: فالمرأة هي سبب الاستقالات منها ، وهي وراء المطالبة بالملكية الفردية ، والحياة الخاصة . وبالتالي ، فليس من المستغرب أن نجد المرأة غير سعيدة ، بدورها ، في الكيبتس . »

★ ★ ★

ومجتمع الكيبتس مجتمع مغلق ، ولهذا فليس من السهل ان ينضم اليه اى فرد متى شاء . والراغب في الانضمام الى الكيبتس ، يقضي أولا فترة تجريبية مدتها ستة أشهر ، يكون فيها ضيفا عليها . وبعد انقضاء هذه المدة ينظر

والشابات تدعى (الناحال) Nahal » اى الشباب الطلائعي المحارب ، وحشدتهم في مستعمرات الحدود . وينظر القادة في اسرائيل الى كتائب الناحال نظرة خاصة ، وينتدبونها للمهام الشاقة الصعبة . وكتائب الناحال جزء من الجيش الاسرائيلي ، وهي لا تسرح من الخدمة، ولا تقطع صلتها بالعمل العسكرى ، وانما تبقى دوما مرابطة على الحدود ، « ولهذه الكتائب اليوم مستعمراتها الخاصة بها ، والقائمة في اخطر مناطق الحدود » .

وليست الكيبتس معسكرا فقط ، فهي بالاضافة الى هذا ذات اثر بعيد في الحياة السياسية في اسرائيل ومنها خرجت الاحزاب السياسية المتنفذة : فمن عصابة الهاجاناه تنشا اشهر حزب في اسرائيل ، وهو حزب الماباى الحاكم ، ومن عصابة الارجون ولد حزب حيروت ، ومن عصابة البالماخ ولد حزب المابام ...

★ ★ ★

وقد رسمت الحركة الصهيونية للكيبتس صورة رومانسية ، فجعلتها افضل صورة للاشتراكية ، وانقى شكل من اشكال الديمقراطية ، وحرصت على ان تبرز رواد حركة الكيبتس كابطال اسطوريين ، وكل ذلك من اجل تشجيع اليهود في الخارج على ان يهاجروا الى فلسطين .

والواقع ان الكيبتسات ، بنظمها المختلفة ، اجتذبت اليها اناسا من فئات متعددة : فالكيبتسات الدينية بدت للمتدينين خير مكان للعبادة ، وراى اليساريون في الكيبتسات اليسارية المكان الامثل لتطبيق الاشتراكية ، ووجد الشباب المغامر الباحث عن اللذة الجنسية جنته في هذه الكيبتسات ، وهي الملاذ والملجأ للفقراء والمعوزين .. وهكذا .

واتخذت الصهيونية من الكيبتس تبريرا لغزو فلسطين ، وسلب سكانها اراضيهم . فهي قد صورت فلسطين ارضا مهملة ، وسكانها بدوا متاخرين ، وتأتي هذه الكيبتسات لتعمر الارض ، وتحضر البلاد . وقد اعتمدت الصهيونية كثيرا على هذا النوع من الدعاية .

وعن طريق الكيبتسات استطاعت اسرائيل النفاذ الى الدول النامية في افريقيا وآسيا : فهي تجربة مثيرة لاخيلة هذه الدول الحديثة الاستقلال ، والمتطلعة الى حياة افضل تساوى بين المواطنين . وكان افراد من الكيبتس هم ممثلي اسرائيل في هذه الدول ، حيث يعملون فيها في مختلف الحقول والمجالات ، وذلك بسبب قدرتهم على تحمل ظروف الحياة الشاقة ، ورضاهم بالمرتبات الضئيلة . وهم انفسهم الذين نقلوا الى هذه الدول تنظيم الشبيبة في منظمات شبه عسكرية ، على غرار ما هو جار في الكيبتس . ونتيجة لجهود رجالات الكيبتس ، فقد تألفت تنظيمات للشبيبة شبيهة بما هو موجود في الكيبتس ، في اثنى عشر بلدا افريقيا هي : غانا ، وتنزانيا ، ونيجيريا ، وليبريا ، وملاوى ، وشاطىء العاج ، والكمرون ، وجمهورية افريقيا الوسطى، وتشاد ، وداهومي ، والنيجر ، وتوغو .

والواقع ان الكيبتسات قد قامت بدور كبير جدا في بناء اسرائيل ، قبل قيامها وبعده ، وكسبت لها كثيرا من الانصار في الخارج ، وافرادها هم المعدون للقيام بالمهام الصعبة ، داخل اسرائيل وخارجها .

★ ★ ★

ومع هذا فان الكيبتس لاتستحق شيئا من هذا التمجيد الزائف : فهي بعيدة عن الديمقراطية ، معادية للاشتراكية ، كارهة للبشر، تؤمن « بشعب الله المختار » ، وتؤمن ايضا بالتمييز العنصرى .

ويكفي ان اشير في بيان هذا الى ما يلي :

لقد قامت الكيبتس على الغصب والسلب ، وطرد سكان البلاد من أراضيهم ، واستمرأت سفك

الصناعة في الكيبتس

● لايقتصر عمل سكان الكيبتس على الزراعة فقط ، بل يتعداها الى العمل في المشروعات الصناعية التابعة لادارة الكيبتس . وتشمل هذه الصناعات : آلات الزراعة، مواسير الرى ، الاثاث ، مصنوعات البلاستيك ، الادوات الكهربائية ، الصبغات ، والسيراميك .

وتبلغ نسبة سكان الكيبتس الذين يعملون في الصناعة ، حسب احصائيات عام ١٩٦٦ ، ١٧ر٤٪ من مجموع سكان الكيبتس .

الدم العربي في سبيل تحقيق اطماعها الاستعمارية .

وهي لم تقم على التمييز العنصري بين اليهود وغيرهم فحسب ، بل على التمييز حتى بين اليهود الاوربين وغيرهم من اليهود الشرقيين .

والكيبتس اقرب الى ان تكون منظمة فاشية ، لانها تربي الاطفال على الروح العسكرية ، وتعلمهم كراهية العرب ، وكل من ليس يهوديا .

وهي من غرس اصحاب الملايين من يهود اوروبا وامريكا ، وهي في تركيبها كارهة للدول الاشتراكية .

★ ★ ★

لقد قام (المر برغر) برحلة في الشرق الاوسط سنة ١٩٥٥ ، وزار الكيبتسات ، ورأى مجموعة من الاولاد والبنات تتراوح اعمارهم بين ١٥و١٦ سنة ، يحملون البنادق ، فقال في كتابه Who Knows Better Must Say So. واصفا هذا المشهد :

« ان صورة دولة اسرائيل تنعكس على وجوه الاطفال المسلحين هؤلاء ، الذين يحملون السلاح كرمز لتفوقهم . وهكذا نرى ان « اهل الكتاب » اصبحوا اهل المدافع الرشاشة والقنابل اليدوية » .

هذا وصف دقيق لطبيعة تكوين الكيبتس . فماذا أعد العرب لكسر سن الرمح هذه ؟؟ ■■

محمود السمره

(الوشاف والكيبتس)

● يتبع الموشاف (المزارع التعاونية) والكيبتس (المزارع الجماعية) لمؤسسات الهستدروت ويبلغ انتاجهما الزراعي حوالي ٧٠٪ من انتاج اسرائيل الزراعي كله .

وحسب احصائيات عام ١٩٦٥ بلغ عدد سكان الموشاف ١٢٤٫٣٢٠ نسمة انتجوا ٥٥٪ من الانتاج الزراعي لمؤسسات الهستدروت . بينما بلغ عدد سكان الكيبتس ٨٠٥٥٨ نسمة وانتجوا ٤٥٪ من هذا الانتاج الزراعي .

ويختلف النظام الاقتصادي والاجتماعي في الموشاف اختلافا بينا عن النظام في الكيبتس .



مِنَ الكتب التي وصلتنا

ياما الشام

تأليف : سهام ترجمان .

● طبع بمطابع ادارة التوجيه المعنوي في وزارة الدفاع السورية .

مؤلف جمعت فيه كاتبته ذكرياتها وحنينها الى الارض والبيت والاهل ، في اسلوب شاعري جميل ، زينته لوحات ملونة بريشة مجموعة من الفنانين السوريين .

المبسوط الجزء الثاني

تأليف: محمد بن الحسن بن على الطوسي ـ تحقيق: محمد تقي الكشفي ـ الناشر المكتبة المرتضوية ـ النجف ـ العراق

● كتاب في فقه الشيعة الامامية ينقسم الى عشرة كتب : كتاب الجهاد ، وكتاب الجزايا واحكامها وكتاب البيع وكتاب السلم والرهن والمفلس وكتاب الحوالة والضمان ، وكتاب الشركة والوكالة .

البقية على صفحة ١٥٨

حضارات سادت .. ثم بادت

هيرودوتس

أبو التاريخ

(انظر صفحة ٢)

■ هيرودوتس هو مؤرخ الاغريق الذي وصلت الينا آثاره . فهو بحق أبو التاريخ ، كما لقبه شيشرون Cicero الخطيب والفيلسوف الروماني المعروف. والى هيرودوتس يعزى الفضل في بداية التاريخ ، أو دراسة التاريخ على أساس من البحث والتدقيق . فهو لم يقف عند تدوين الشائع من أحداث الماضي ، أو ترديد المتواتر عنها، على نحو ما فعل الرواة والشعراء ، بل عمد الى تحري حقائقها . وكان هيرودوتس اول من استعمل لفظ Historia بمعنى التاريخ الذي ذكرنا ، واتخذ من هذا اللفظ عنوانا لكتابه ، الذي لولاه، لما عرفنا الكثير مما نعرف عن أحداث العالم القديم وشعوبه وحضاراته . الا أن هيرودوتس كان رحالة وجغرافيا الى جانب كونه مؤرخا . ولعلك تجد اصدق دليل على ذلك في سيرة حياته .

فقد ولد في آسيا الصغرى ، وفي بلدة هليكارناسوس اليونانية الواقعة في أقصى الجنوب من ساحلها الغربي . وكان مولده في حوالى سنة ٤٨٤ ق.م. ، اى في ظل حكم فارس الاستعماري . اذ كان الفرس قد انتصروا على كافة الممالك التى كانت في آسيا الصغرى ، وانتصروا كذلك على المستعمرات أو الجاليات اليونانية التى انتشرت منذ القدم هناك ، والتى أطلقوا عليها اسم « ايونيا » . أحرز الفرس نصرهم الحاسم هذا سنة ٥٢٠ ق.م. ، فبسطوا نفوذهم أو استعمارهم على كل تلك الجهات .

والذى يهمنا من أمر ذلك الاستعمار انه اتصف بمزيد من الظلم والطغيان ، وأن هيرودوتس الشاب لم يسلم من معاناة مساوئه . وحسبنا ان نذكر أنه لم يلبث أن غادر بلدته هليكارناسوس مختارا ، أو كما يقول بعض المؤرخين ، منفيًا ، فراح يسافر ويتنقل بين بلدان العالم القديم حتى اصبح بحق رحالة الاغريق الأسبق وجغرافيهم الاول .

وتجدر الاشارة الى ان هيرودوتس وصل الى شواطىء البحر الاسود ، وضفاف نهر الدنيبر في الشمال ، ووصل من حوض النيل الى اسوان في الجنوب . وامتدت رحلات هيرودوتس الى ليبيا في الغرب ، والى سوسة عاصمة فارس آنذاك في الشرق ، وكانت بالقرب من الخليج العربى . هذا الى جانب آسيا الصغرى وبلاد اليونان وجزر بحر ايجه، وقد زارها هيرودوتس كلها عدة مرات. اما بابل ومصر ، وهما مهد الحضارات ، فقد مكث هيرودوتس في الاولى طويلا ، حتى تمكن من وضع كتاب كامل عنها . الا أن هذا الكتاب فُقد ولم يصلنا منه بالأسف الا عنوانه Assyria Logi وبعض ما استشهد به ارسطو من عباراته. كذلك اقام هيرودوتس مدة طويلة في مصر بحيث تمكن من ان يحدثنا عنها باسهاب وتفصيل في الفصل الثانى من كتابه « التاريخ » .

ويتالف كتاب هيرودوتس هذا من تسعة فصول او كتب . يحدثنا في أولها عن آخر ملوك ليديا ، كروزوس ، Croesus الذى اشتهر بكثرة امواله ، ووفرة كنوزه ، حتى أصبح مضرب الأمثال . ويذكر لنا كيف حطم قورش Cyrus ملك فارس مملكة ليديا،وكيف حكم على كروزوس ملكها بالموت حرقا ، ثم عفا عنه في اللحظة الأخيرة، واتخذ منه صديقا حميما . اما سبب ذلك العفو المفاجىء فهو ترديد كروزوس لاسم صولون حكيم اليونان القديم ، عدة مرات وباعلى صوته . فقد لفت ذلك انتباه قورش فاستفسر ،فروى له كروزوس قصته مع صولون .وتتلخص هذه القصة في ان كروزوس كان قد دعا صديقه صولون لزيارته في مملكته ليديا ، وساله في اثناء تلك الزيارة : « من هو أسعد الناس في نظرك ؟! » فكان جواب صولون صريحا وبعيدا عن التملق فذكر أسماء أناس عاديين عرفهم ، وثبت له أنهم كانوا سعداء بالرغم من كونهم فقراء .. فغضب كروزوس لذلك غضبا شديدا ، وقد كان واثقا ان صولون لن يتردد في اعتباره هو أسعد السعداء نظرا لانه كان أغنى الاغنياء .. عندئذ لم يملك صولون نفسه عن اسداء النصح لكروزوس وتحذيره ، اذ قال : لا تغتر بما بين يديك .. واحذر نوائب الدهر الخافية عن عينيك ..

ويقول لنا هيرودوتس بان هذه الكلمات كانت كافية لانقاذ كروزوس من السنة النيران المشتعلة. اذ لم يكد يسمعها ملك فارس حتى شعر بالخوف من نوائب الدهر ، فاصدر عفوه عن كروزوس الذي اصبح فيما بعد ذلك من اصدقائه المقربين.

اما في الفصل الثاني من كتاب «التاريخ» الذي نحن بصدده ، فيحدثنا هيرودوتس عن مصر ، كما ذكرنا ، ويصف لنا احوال حوض النيل الجغرافية ويحدثنا عن تاريخ الفراعنة .. ويذكر لنا امثلة من امجاد مصر وعادات اهلها وتقاليدهم. ومن طريف ما يسوق في هذا الصدد قوله : «ومن عادات المصريين الفريدة التي لا يشاركهم فيها اليونان ، ان صغارهم يحترمون كبارهم بحيث لا يلقونهم في الشوارع الا وينتحون جانب الطريق، فيخلون لهم السبيل . كذلك ترى الصغار ينهضون عن مقاعدهم للكبار ليجلس هؤلاء عليها .. هذا والمصريون لا يكلمون بعضهم بعضا كثيرا في الشوارع حينما يلتقون فيها ، على نحو ما يفعل اهل اليونان ، بل يكتفون بتبادل التحية بالانحناء قليلا ، والنزول بالذراع الى اسفل ، الى مستوى الركبة .. »

ويحدثنا هيرودوتس في هذا الباب ايضا عن طرق التحنيط عند المصريين ، وعن التقويم الزمني الذي ابتدعه الفراعنة ، والذي تفوقوا به على تقويم اليونان ، ويحدثنا كذلك عن الزراعة واقنية الري في مصر . وهنا يحضرنا ما اورده هيرودوتس في مكان آخر من كتابه عن الزراعة في بابل اذ قال: « وتكثر الاقنية في بابل كما في مصر . ويصل اكبر هذه الاقنية نهر دجلة بنهر الفرات .. وليس بين البلدان التي نعرفها بلد اكثر انتاجا للحبوب من بابل . وتبلغ غزارة الانتاج فيها مبلغا كبيرا اذ تتضاعف كمية البذور المزروعة اضعافا مضاعفة .. ويصدق ذلك على السمسم والذرة العوجا بقدر ما يصدق على القمح والشعير .. » .

ثم يحدثنا هيرودوتس عن الحروب التي قامت بين مصر وفارس في الفصل الثالث من كتابه وعن حروب اخرى قال انها قامت بين داريوس والليبيين ، في الفصل الرابع منه .

اما الفصول الخمسة الاخيرة من كتاب التاريخ هذا فيكرسها هيرودوتس للحديث عن الحروب التي قامت بين فارس واليونان .

ولعل هذه الفصول الاخيرة هي اكثر ما اشتهر به تاريخ هيرودوتس . ولعلها هي التي دفعت بلوتارخ Plutarch ، كاتب السِيَر الروماني الشهير ، الى نقد هيرودوتس النقد المرير. وقد فصّل نقده هذا في كتاب خاص عنوانه : « حول مفاسد هيرودوتس وأضاليله » On the Malignity of Herodotus . وهذا يعني ان بلوتارخ لم يقف عند نقد هيرودوتس بل ذهب ، هو والكاتب الروماني الآخر لوشيان ، الى الطعن في امانته .

والحقيقة هي ان ناقدي هيرودوتس قد ظلموه كثيرا . فهم ينسون مهمته الرائدة ، وينسون المبدأ الأساسي الذي اعتمده في تاريخه ، وقد عبّرت عنه احدى العبارات التي تضمنها كتابه ، اذ يقول :

« أنا ملزم بنقل كل ما عرفته .. ولكنني غير ملزم بتصديقه .. »

ولعل هيرودتس قد اساء في نقله عن الكثير ممن نقل عنهم ، الا انه لم يسيء حيث اعتمد على ملاحظته هو ومشاهدته . اضف الى ذلك ان فضله في التاريخ لا يقاس بمقدار ما أعطانا من حقائق وتفاصيل ، بل بقدر ما اوضح لنا مبدأ البحث في احداث الماضي و« التاريخ » بالمعنى الدقيق .

وجدير بالذكر ان هيرودوتس كتب تاريخه ، او اكثر فصوله ، في اثينا ، وذلك في عصرها الذهبي في زمن بريكليس (٥٠٠ ـ ٤٢٩ ق.م). ويذكر التاريخ ان هيرودوتس اندمج في مجتمع بريكليس هذا وصادق فيمن صادق سوفوكليس كاتب الدراما الشهير .

ومن طريف ما يذكر هنا ان هيرودوتس كان يقرا او يتلو فصول كتابه على جموع الشعب الأثيني تباعا ، وان اهل اثينا قد اعجبوا بتاريخه بحيث قرروا الانعام عليه بجائزة هامة ، كانوا يسمونها جائزة « المواهب العشر » ، كما قرروا منحه مكافأة مالية سخية .

ولعل خير ما نختم به هذه الكلمة العبارة التي افتتح بها هيرودوتس تاريخه اذ قال :

« هذه هي ابحاث هيرودوتس من مواليد هاليكارناسوس . وهو ينشرها من أجل الحفاظ على ما يذكره مما صنع الناس .. ومن اجل الحيلولة دون الانتقاص من المنجزات العظيمة ، سواء التي حققتها امة اليونان او تلك التي حققها غيرهم .. وكذلك من اجل تسجيل اسباب الصراع الذي نشا بين أولئك وهؤلاء ... » ■■

صورة يوم وليلة

[redacted]



بقلم : سلمى الحفار الكزبري

■ انتصف الليل والكتبيّ سليم (أبو خليل) قابع في فراشه يتقلب تارة ويسكن اخرى،والفِكَر تدور في راسه كانها شياطين مسحورة تصوب عليه سياطا لاسعة . زوجته الثكلى مستغرقة في النوم في فراش مجاور . لقد تنهنهت المسكينة من شدة الحرقة وطول البكاء . رمقها بنظرة تحسر واشفاق فلمح على وجهها ، على ضياء نور الشارع المحتضر، تعبير ارتياح . فقال لنفســه : انها تحلم بزيارة نصْب الشهداء هذا اليوم ، النصب الذى اقمناه نحن ابناء القدس في مقبرة اليوسفية خفيةً عن اعين قوات الاحتلال ، وسوف تحمل لابننا الشهيد خليل حوض الريحان الذى ربته بحنان لتضعه الى جانب النصب التذكارى الرائع فتخضل بعطره روح خليل وارواح رفاقه البواسل الذين استشهدوا في معركة الشرف ، دفاعا عن مدينـة المقدّسات قبل سنة كاملة .

تحوّل سليم عن افكاره المتزاحمة هنيهة ، ثم حوّل نظره عن زوجته ، فنزلت دمعة حرّى على وجهه الذابل تفجعا على ابنـه الفقيد ، ولكـن مجرد التفكير في انه سيزور هـو كذلك النصب الخالي بعد ساعات اثلج صدره ، وهل النصب المقام سوى الرمز الخالد لاستشهاد خليل ورفاقه الابطال جميعا ؟ ياللذكرى السنوية للاحتـلال ما امرّها ..



.. ويستمر سليم في مخاطبة نفسه وهو يتقلب على وسادة الاشواك متسائلا : هل صحيح اننا هزمنا قبل عام مضى ؟ كيف أصدق اندحار جيوشنا بمثل تلك السرعة المذهلة ؟ كيف اطقنا العيش في ديارنا تحت رحمة الصهاينة المحتلين ..

ترى اهي ذكرى الاغتصاب أم ذكرى الهزيمة النكراء ؟ القدس حزينة حزن كبرياء . انها موشحة بالكآبة عوضا عن السواد ، تئن ولا تبكي ، مياهها تئن ، ارضها وحجارتها وآثارها تئن موجعة ، وانينها نفثات ملتهبة تتوجه ضارعة الى السماء . ان كل من في القدس ، بل كل ذي ضمير حي يقدس القدس ، عربيا كان او غير عربي ، يتفطر ألما ويثور استنكارا على اغتيال السلام فيها ، وانتشار الغاز المدمر والنار والدخان بدلا من المحبة والطهر والبخور !

ويستمر سليم في مخاطبة نفسه وهو يتقلب على وسادة الاشواك متسائلا : هل صحيح اننا هزمنا قبل عام مضى ؟ كيف اصدق اندحار جيوشنا بمثل تلك السرعة المذهلة ؟ كيف اطقنا العيش في ديارنا تحت رحمة الصهاينة المحتلين ، وكيف رضينا بالذل قوتا مسموما ؟ لا ! لا اطيق التصديق ، ولكن كيف لا اصدق وكل ما حولي يؤكد هذا الواقع المميض ؟ فهذه داري ودور جيراني ، ومكتبتي ومتاجر اخواني قد فتشت اكثر من مرة بحثا عن السلاح ... وهذه ناجية بنتي مشردة مع زوجها واولادها لا اعلم لهم قرارا .. وهذا الترانسستر في قبضة يدي اعالجه كل يوم منذ سنة ولا اسمع الا مزيدا من انباء المناوشات بين ضفتي نهر الاردن، والا مزيدا من اخبار التشرد والاضطهاد ، ومزيدا من التحليلات المضللة لازالة آثار العدوان ، تصدر عن المحافل الدولية ، عن السادة السياسيين ، تشجب العدوان ، وتلوم المعتدي والمعتدى عليه على حد سواء ... واسمع كذلك ، فيما اسمع ،

انباء عن جولات اشبال الفدائيين الموفقة الذين نذروا نفوسهم لاسترداد الارض الطيبة ، واخذوا يزرعون الامل فينا بزرع الغامهم في ديارنا المحتلة ، ويزرعون الرعب في الوقت ذاته في قلوب المغتصبين، ويمعزون امنهم .. صحيح ان العدو احتل بلدنا، وان اجناده تتربص بنا ، مزهوة بالنصر ، فتبطش بوحشيتها المفضوحة لدى اى بادرة تحد او احتجاج ، غير اننا لم نمت بعد ، اذن نحن لم نهزم .. ما زلنا احياء ، ضمائر ، وكرامات ، وآمالا .. ولئن اغتصبت حريتنا واحتلت بلادنا فان الحمية لم تهزم في دنيانا ، وديارنا لم تستسلم ولن تستسلم ! وها انا فدائي وان لم اكن نظاميا . كل حر شريف يجب ان يصبح فدائيا ليغسل العار بدمه ، فنحن لم نخضع ، نحن واشباهنا هنا ، وفي كل مكان ، قلوب وسواعد وضمائر ، بل كتل من الارادة والعزم متاهبة لاسترجاع الحق والكرامة ، رحم الله ابا القاسم الشابي اذ قال :

اذا الشعب يوما اراد الحياة
فلا بد ان يستجيب القدر !

وهنا ضاق الكتبي الثائر ذرعا بالفراش ، والوسادة ، واستعراض المأساة ، واستلهام القيم ، فنهض مستمدا القوة من نفسه المتمردة على الهوان ، والعزيمة من بيت الشابي ، واتجه وهو يغلي غليانا الى نافذة غرفته المطلة على شارع الزهراء ليرقب طلوع الفجر وولادة النهار . ان هذا اليوم ليوم عظيم ! فتح النافذة بهدوء واطل على الشارع النائم بنظرات تأهب ورجاء تدعوه الى الاستيقاظ ، ولكنه غفل عن ضرورة الوقاية من لفحات نسيم الصباح الرطبة .

لقد ارجعته احلام الغد الى حديث قلبه وفكره، وتوافدت على مخيلته الاماني والمخططات ، فارسل ابتسامة باردة لهذا الغد ، نابعة من ايمانه الراسخ بقدرة الرجال .

وقال لنفسه : امكن ان نسترجع حقنا وكرامتنا هذا اليوم ؟ لا احسب ، ولكننا سنقطع في مسيرتنا اليوم شوطا محمودا فيطريق الوصول الى الهدف، فالطريق وعرة ، طويلة ، ويجب ان نعرفها على حقيقتها كيلا نتعثر في سيرنا عليها.اليوم ستسير مئات من المتظاهرين والمتظاهرات ، بل الوف ، نسيروجباهنا مرفوعةنساء ورجالاواطفالا وشيوخا. ان مسيرة اليوم المنظمة احتجاجا على الظلم والاحتلال الغاشم والاضطهاد تعبير صامت بليغ عن احتقارنا للقوة وتحدينا للجور ، (والصمت على القبر لوعة لا هوان !) ها ابني خليل فلذي نحبه محروقا بقنابل الشيطان التي يسمونها « نابلم » وهو يدافع عن الكرامة والحق ، حرقوا جسمه القوي الجميل الشاب ، ولكن روحه لم تحرق ، ولن تحرق .. روحه وارواح رفاقه الشهداء وثبت من الجلود المحروقة والضلوع الممزقة ، وثبت الى جوار الافلاك لتنير لنا طريق النضال ، لتوقظ الضمائر النائمة ، لتشفي الهمم الواهنة ، لتدفعنا بايمان وامل الى ساحة الشرف ، لتعلمنا ان نزهد في الحياة لكي تكتب لنا الحياة ، وان نصنع اقدارنا بانفسنا !!

وفيما كان سليم يستنبط القدرة على الفداء من شجاعة ابنه الوحيد والشهداء وتضحيتهم ، القديمة رويدا رويدا ، ورأى قبة المسجد الاقصى شاهد امتداد رداء النور على معالم القدس وكنيسة القيامة تنضحان بالضياء ، وسمع المؤذن ينادي بصفاء : « حيّ على الفلاح! حيّ على الفلاح! الله اكبر » .

فتدفق الى صدره البشر والارتياح مع النفس الجديد النظيف ، واقفل النافذة برفق ملقيا آخر نظرة من بيته العالي على متاجر الشارع التي قرر في الامس مع زملائه التجار تركها موصدة دون تسرب الحياة والنور فيها هذا اليوم . واذ بزوجه تتحرك مستيقظة من نومها ، تلملم بقايا احلام غامضة مرهقة دون جدوى .. لا ! لم يزرها خليل في المنام منذ رحيله في المعركة ولو فعل لخفف من وطأة اساها ، لو فعل ...

وبينما كان الزوجان يحتسيان قهوة الصباح ، في ذلك الصباح المثقل بالاحداث ، خيم الوجوم عليهما ، ولكن سليما جمع نفسه وقال :

— ستسبقينني الى مقبرة اليوسفية لان مسيرة النساء ستتقدم مسيرتنا بنصف ساعة ، فلا تنسي مرق الريحان ، وكوني يا ام خليل شجاعة بين الناس .

أجابته بايماءة من رأسها ، وانهت فطورها البسيط ، ثم ارتدت ملابسها السوداء ، ولفّت الغطاء الابيض الطويل على رأسها ومنكبيها ، واتجهت نحو نافذة المطبخ حيث تناولت حوض الريحان واخذت تشمه وتبلله بالعبرات .

وانضمت الام الثكلى في الثامنة صباحا الى المظاهرة .

اما هو ، فقد انتظر موكب الرجال الذى حان موعد مروره في الثامنة والنصف ، فسار فيه بصمت وخشوع ، رأسه مثقل متعب ، وحلقه مفعم بالمرارة وبيده زكام ، وفي عينه الخائرة دمعة يغالبها الاباء ، وفي قلبه رجاء متوثب ، واى رجاء ! كيف لا يتوثب الرجاء بين الضلوع وفتيان القدس وشيوخها واطفالها يسيرون في الموكب العظيم ، يزفون البشرى بالحزم والصمود ، بانهم حفدة اولئك الابطال من امثال خالد بن الوليد ، وطارق بن زياد ، وصلاح الدين عن حق . انه لموكب رائع مهيب ! لم يبالغ جاره البقال يوم امس حين اعلمه ان المسيرة نظموها قبل اسبوعين في السر احسن تنظيم ، وان طلاب المدارس تولوا توزيع برنامجها على السكان العرب في مختلف الاحياء .

لقد حسب سليم لكل شيء حسابه غير انه لم يخطر له على بال ان جنود الاحتلال سيتعرضون لتفريق المتظاهرين الصامتين بالقوة ، وينهالون عليهم ضربا بالهراوات لدى وصولهم الى منطقة باب العمود . لقد صعد الدم الى رأسه بغزارة ساعة رآهم يهجمون على الصغار والكبار بعنف وضراوة لاذلالهم بالبطش ، وارغامهم على الخضوع والتفرق، ولكن هيهات ان يفلحوا ،وان يستطيعوا محو ذكرى حرب حزيران في القدس من سجل المخازى في التاريخ . يالها من ذكرى بل سلسلة ذكريات ، انها ذكرى العار ، ذكرى سيادة شريعة الغاب ، ذكرى الغدر الملوثة بالجرائم ، وانها كذلك ذكرى تفوق العدو ، وذكرى تفككنا نحن ، وجهلنا ، وغرورنا ، ولهونا بالمصائر والاقدار لهو الاطفال بالدمى واكوام الرمال ... هذه الذكرى المفعمة بالاسى والمرارة تدمغنا بالتخلف كما تدمغ العدو بالهمجية والوحشية ، انها تدينه بانتهاك حرمة الاماكن المقدسة ، ووثيقة حقوق الانسان وبالتفنن باساليب القتل والحرق والتعذيب ، التى يعجز عن وصف بشاعتها لسان ..

وبينما كانت العصي تقصم الظهور ، وتفتح الجروح أحس سليم بحفيف هراوة من خلفه ، فالتفت الى الوراء مسرعا واستقبل براحته اليمنى العصا المنحدرة على رجل عجوز ، يمسك بد صبي حدث . العجوز كان ضريرا يتمتم بآيات مبهمة وقد نال منه الفزع ، والصبي كان شجاعا يحاول شد الضرير اليه شدا لكي يجنبه الضربة المنهالة ... استقبل صاحبنا الهراوة بكلتا راحتيه القويتين فمزقت قوة انحدارها لحم اصابع يمناه وكسرت اثنتين منها ، غير انه لم يعبأ بما اصابه قدر اهتمامه بارشاد المتظاهرين الى الدرب الجانبي الموصل الى المقبرة ، وان كان الم الاصابة قد تحول الى شعور بالرضا كبير ، ايمانا بوثبة الهمم المتقاعسة ، وهبوب نفحات النصر المرتقب . وبعد دقائق تمكن من اللحاق بالذين سبقوه الى مكان الاحتفال سالكين، فرادى ، مختلف الدروب والمنعطفات ، وقد انساه تعبير الصمود في وجوه الاطفال والنساء والشيوخ والشباب بقايا آلمه ، بعد ان استعان باحدى الفتيات لربط يده المكسورة بمنديل كان في جيبه . دنا صاحبنا من النصب العزيز ليسهم مع الجماهير في تقديم التحية له بخشوع واحترام، تخالجه نوازع الرضا والفخر لانه اسهم معها في صنع قدر امته الابيّة التى رفضت الانحناء للعنف ، والتى ترفض الحياة بلا حرية وكرامة ..

وهنالك امام نصب الشهداء حاول سليم ، مدفوعا بعاطفته وآلمه ، ان يشارك في حمل احد الاكاليل ، واذ بالصبي الجميل الذى كان يقود الضرير يتقدم منه مسرعا ، متألق النظرات ، متوثب الامل ويقول له بصوت متهدج معبر عن رجولة مبكرة :

ـ هات عنك ياعم ، ودعني اقبل يدك المجروحة لانها حمت رأس أبي الاعمى ، ونجته من موت محتوم ... ■■

سلمى الحفار الكزبري



أنت تسأل .. ونحن نجيب

بلدان أفريقية لا تزال تحت أغلال

● هل لكم ان تفيدونا عن البلدان الافريقيةالتى ما زالت تحت أغلال الاستعمار البرتغالي ؟ وان تكتبوا لنا شيئا عن كل بلد منها ؟

م . ا . الهفوف / السعودية

ـ هناك ٥ بلدان افريقية لا تزال تحت الاستعمار البرتغالي وهي :

١ ـ انجولا : ويبلغ تعداد سكانها حوالي ٥٫٣٦٠٫٠٠٠ نسمة ومساحتها ٤٨١٫٣٥١ ميلا مربعا . وهي تقع على المحيط الاطلسي . وقد بدا الاحتلال البرتغالي لها في اواخر القرن السادس عشر في عام ١٥٧٥ . والثروة الرئيسية في البلاد هي الماس ، والنحاس ، والبترول الذى اكتشف بكميات صالحة للاستغلال في عام ١٩٥٥ . وهناك حركة مقاومة شعبية كبيرة تناوىء البرتغاليين منذ عدة اعوام ، وقد اشتدت المقاومة في اعوام ١٩٦٧ و ١٩٦٨ و ١٩٦٩ . وحقق الثوار عدة انتصارات عسكرية على القوات البرتغالية هناك التى اصبحت شبه محصورة في المدن الكبرى للبلاد .

٢ ـ جزر كيب فردى Cape Verdi Islands : وهي تتكون من حوالي ١٤ جزيرة في المحيط الاطلسي على بعد ٢٨٠ ميلا جنوب غربي راس فردى ، وهو اقصى نقطة تقع في الغرب من افريقيا . وتبلغ مساحة الجزر كلها ١٥٥٧ ميلا مربعا . وهي جزر بركانية ، لم يكن بها سكان اصليون قبل الاستعمار البرتغالي الذى بدا في عام ١٤٦٠ . واصبحت هذه الجزر نقطة تجميع لشحن العبيد الى امريكا في القرن الثامن عشر .

★ ★

اتفاق تجارى هام بين

● ذكرت الصحف بأن اتفاقا تجاريا قد تم بين روسيا وايطاليا ، يعد من اكبر الاتفاقيات الدولية التى وقعت . فما هو هذا الاتفاق ، وما حجمه ،وكيف يتفق هذا مع وجود ايطاليا عضوا في حلف شمال الاطلنطى ؟

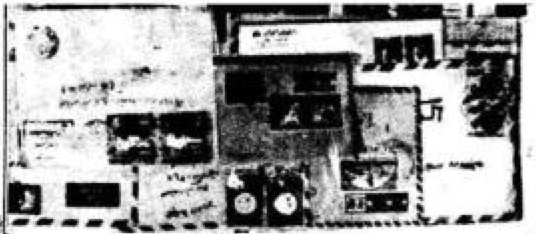
جابر محمود/عمان

ـ الاتحاد السوفييتي يتعامل تجاريا مع عدد كبير من دول اوروبا الغربية وفي مقدمتها فرنسا وانجلترا وايطاليا ، وهناك اتفاقية قديمة للتبادل والتعاون التجارى بين روسيا وايطاليا مدتها خمس سنوات ، تلعب فيها شركة « فيات » لصناعة السيارات الدور الرئيسي ، وتجدد هذه الاتفاقية باتفاق الطرفين .

وفي اوائل شهر ديسمبر من عام ١٩٦٩ ، وصل وفد تجارى سوفييتي الى روما برئاسة وزير التجارة الخارجية في الحكومة السوفييتية نيكولاى باتوليشيف Nikolai Patolicehv

وظن البعض ان زيارة الوفد الروسي ستكون مقصورة على تجديد الاتفاق التجارى القائم .

ثم كانت المفاجاة عندما دعى الصحفيون ورجال الأعمال الى مؤتمر صحفى ، اعلن فيه ان الدولتين روسيا وايطاليا قد توصلتا الى اتفاق تجارى خطير ، يعد من اضخم الاتفاقات التى وقعت بين الاتحاد السوفييتي واحدى دول اوروبا الغربية ، وستقوم روسيا بمقتضى هذا الاتفاق بتزويد ايطاليا بالغاز الطبيعي الذى سيصل اليها من



الاستعمار البرتغالى



وتعتمد هذه الجزر على الزراعة في مواردها ويزرع بها البن وقصب السكر والدخان .

٣ – موزمبيق : وهي تقع على ساحل افريقيا الشرقي على المحيط الهندى ، وتبلغ مساحتها ٣٠٢،٢٢٨ ميلا مربعا ، ويبلغ تعداد سكانها حوالي ٧ ملايين نسمة . وهنالك تعاون وثيق بين السلطات البرتغالية المحتلة وحكومة جنوب افريقيا البيضاء ضد العناصر الوطنية بموزمبيق . وتعتبر الزراعة من اهم موارد موزمبيق .

٤ – غينيا البرتغالية : وهي تقع على ساحل افريقيا الغربي على المحيط الاطلسي ، وتصل مساحتها الى ١٣،٩٤٨ ميلا بينما يبلغ تعداد سكانها نحو ٥٢٩ الف نسمة .

٥ – جزيرة ساو تومي So Tome : وهي جزيرة صغيرة في المحيط الاطلسي وتقع في خليج غينيا ، ولا تزيد مساحتها عن ٣٧٢ ميلا مربعا . ويبلغ تعداد سكانها نحو ٥٩ الف نسمة .

من هذه المعلومات السريعة يتضح ان اكبر مستعمرات البرتغال في افريقيا هما موزمبيق وانجولا . ويقوم اهالي هاتين المستعمرتين بمقاومة الاحتلال البرتغالي بكل الوسائل بما فيها الثورة المسلحة .

م . ط

★★

الاتحاد السوفيتي وايطاليا

سيبريا واوكرانيا بطريق الانابيب الممتدة عبر الاراضي السوفيتية الى مدينة براتيسلافا على الحدود التشيكية النمساوية . وستقوم ايطاليا مقابل ذلك بتزويد روسيا بالانابيب ، والمعدات الخاصة بمحطات الضخ ، وغير ذلك من معدات اخرى قد يحتاج اليها الاتحاد السوفيتيى في صناعة البترول .

وتنص الاتفاقية التي قدر حجمها بحوالى ثلاثة الاف مليون دولار على ان تتولى ايطاليا بالاشتراك مع روسيا والنمسا مد انابيب الغاز من براتيسلافا الى مدينة ترافيزيو على الحدود الايطالية النمسوية ، وهى تبعد عن موسكو بحوالى ٢٨٠٠ كيلومتر .

وقد اتفقت الدولتان على ان يمتد اجل هذه الاتفاقية الجديدة عشرين عاما ، تبدأ في عام ١٩٧٢ وقدرت كمية الغاز الطبيعى التي ستصل الى ايطاليا خلال هذه الفترة بما يزيد على ١٠٠ الف مليون متر مكعب .

والذى لا شك فيه ان مثل هذا الاتفاق بين روسيا زعيمة المعسكر الشرقي ، وبين احدى دول حلف شمال الاطلنطى ، سيكون له الآثار بعيدة المدى ، وخاصة اذا نظرنا بعين الاعتبار الى اجل الاتفاقية الطويل .. وفي مقدمة هذه الآثار اضعاف التحالف الغربى الذى يتمثل في منظمة حلف شمال الاطلنطى ، وتمزيق الروابط التقليدية التي تربط بين اوروبا من ناحية ، والولايات المتحدة الامريكية من ناحية اخرى .

م.ن



انت تسأل ونحن نجيب



أوناسيس الثري اليوناني الكبير وزواج أرملة كندي .. جاكلين

● قرانا قبل حين من زواج الارملة جاكلين كندى من رجل يوناني يكبرها سنا باكثر من ربع قرن . وقيل فى سبب ذلك انه ثرى من اثرياء العالم ، بل اغناهم على الاطلاق . وقيلت أسباب اخرى شخصية ، لعلكم اقدر على ايضاحها لنا . ولعل هذه الاسباب هي التى دفعت بصحافة العالم الى الاهتمام بذلك الزواج والتحدث عنه وكأنه حدث خطير ... فنرجو الايضاح ...

سليم دمياطي ــ الاسكندرية

ــ لا ريب فى ان ارسطو اوناسيس زوج جاكلين كندى ارملة الرئيس الامريكي الراحل يحتل مكان الصدارة بين كبار الاغنياء في العالم . ولعلك تجد فى المعلومات والاحصائيات التالية دليلا واضحا على ضخامة ثروته واتساع اعماله .

فهو يملك اسطولا تجاريا كبيرا لا يقل عدد سفنه عن ٧١ قطعة من ناقلات البترول وسفن الشحن . وتقدر قيمة هذا الاسطول ، الذى تدير اعماله ثمانون شركة من الشركات التى يملكها اوناسيس أيضا ، باكثر من ٢٠٠ مليون جنيه استرليني ولا تشمل هذه التقديرات ١٢ ناقلة من ناقلات النفط العملاقة التى تصنع حاليا لحساب اوناسيس فى اليابان وغيرها والتى تزيد حمولة الواحدة منها على ٢٠٠٫٠٠٠ طن . ولا يدخل ضمن تلك التقديرات كذلك ناقلات اخرى ثلاث تبلغ حمولة كل منها ٢٥٥٫٠٠٠ طن وتعتبر اضخم ما تبنيه مصانع اليابان من الناقلات في الوقت الحاضر . وبالاضافة الى هذه الناقلات المقرر استلامها قبل سنة ١٩٧٣ فقد اتجهت نية اوناسيس مؤخرا نحو بناء ناقلة اخرى هائلة لا تقل حمولتها عن ٤٠٠٫٠٠٠ طن . اما المصانع التى اختارها المليونير اليوناني لانجاز هذه المهمة فيما اذا قررها نهائيا فليست سوى المصانع الاسكتلندية التى اشترى مؤخرا حصة كبيرة من اسهمها .

ويبدو ان ثروة اوناسيس اضخم من ان تستوعبها البحار والمحيطات وما يمخر عبابها من سفن وناقلات . فقد تعدت هذه وتلك الى ما هو ارحب منهما . الى الجو وعالم الطيران . واول ما يذكر هنا هو ان اوناسيس يملك شركة الخطوط الاولمبية اليونانية بكاملها ، وهي شركة كبيرة يبلغ عدد موظفيها ٣٢٠٠ موظف . اما اسطولها الجوى فيضم ٢١ طائرة ، خمسا منها من طراز كومت (٤ ب) وثلاثا من نوع بوينج ٧٠٧ واخرى رابعة من هذا النوع سيجرى استلامها قريبا .

ولعل فى الحياة المترفة التى يعيشها اوناسيس اصدق دليل على ثرائه الوفير او بالاقل نفقاته الكبيرة التى تربو على ٤٠٠٫٠٠٠ جنيه في السنة الواحدة . وحسبك ان تعلم انه يملك قصرا فخما فى كل من باريس واثينا ومونت كارلو وبوينس ايرس بالاضافة الى البيوت الحديثة التى له فى نيويورك ولندن وغيرهما ، وتقدر القيمة الاجمالية لهذه المساكن الخاصة بنحو عشرين مليون جنيه . وقد تتضاءل هذه جميعا لدى ذكر سكوربيوس الجزيرة اليونانية الصغيرة وهي مملكة لاوناسيس خالصة فقد أنفق عليها وعلى قصوره فيها ملايين الجنيهات حتى بدت كجنة النعيم ، ثم عاد فانفق فى سبيل تزيينها وتجميلها مليونا آخر من الجنيهات حتى اصبحت لائقة بزفافه من جاكلين .

غير أن أوناسيس يملك قصرا آخر فريدا في نوعه ويختلف عن هذه القصور جميعا . فهذه ثابتة جامدة فى مكانها بينما قصره الآخر متنقل طليق . انه اليخت كريستينا (١٦٠٠ طن) الذى كان سفينة حربية كندية قبل أن يشتريه الثرى اليوناني بمبلغ ٢٫٥ مليون دولار وهو ثمن بخس

كما ترى ، وينفق في سبيل تحويله الى فردوس عائم نحو مليوني جنيه .

اما عن مظاهر البذخ والترف في هذا اليخت فحدث ولا حرج ، فاحدى صالات الرقص فيه لا تلبث ان تتحول الى بركة سباحة تفيض بالماء لدى الضغط على زر صغير . وجدران ذلك اليخت تزدحم باللوحات القيمة لبعض مشاهير الفنانين ، القدامى منهم والمحدثين . ومما يسترعي الانتباه من تلك اللوحات اثنتان للفنان ال" جريكو El Gréco ، وقد قدروا قيمتهما بنحو ٥٠٠،٠٠٠ دولار . ولوحة اخرى كبيرة لرئيس وزراء بريطانيا الراحل ونستون تشرشل . فقد كان هذا السياسي الشهير فنانا وكان من الذين استهواهم اليخت كريستينيا ، فزاروه مرارا وقضوا فيه اياما ، مستجمين مستمتعين .

ولعل من حقك بعد هذا كله ان تتساءل ثانية عما اذا كان اوناسيس هو اغنى اغنياء الدنيا . اذ ان كل ما ذكرناه عنه حتى الآن لا يتعدى القول بانه غني من اغنى الاغنياء في العالم ، وانه احد كبار رجال الاعمال فيه .

اما الجواب على سؤالك فبالنفي . اذ ان اكبر اغنياء العالم هو احد اثنين من الاثرياء الامريكيين ، هما ج . ب جيتي ، صاحب شركة البترول المعروفة باسمه ، وهوارد هيوز . فقد قدرت مجلة فورتشن الامريكية ثروة كل منهما بنحو ١٢٠٠ مليون دولار ، اي ضعف ثروة اوناسيس تقريبا ، ويبلغ تقديرها نحو ٧٠٠ مليون دولار . غير ان ثروة هذا المليونير اليوناني تتميز على غيرها بانها ثمرة جهوده الخالصة. فقد كان عصاميا لم يرث عن اهله شيئا ، بل انه بدا حياته العملية عاملا بسيطا من عمال التلفون في الارجنتين وكان ذلك وهو في السادسة عشرة من عمره ، علما بانه لم يكد يبلغ الخامسة والعشرين حتى بدأ يدخل في عداد أصحاب الملايين.

اما فيما يختص بما ورد في بقية سؤالك من اشارة لاسباب شخصية تتصل بزواجه من ارملة الرئيس الامريكي الراحل وبما كان منه وما كان منها من علاقات خاصة ، فهذه امور ليس من حق احد ان يتدخل فيها . انها شؤون من شؤونهم الخاصة وفي حظيرتهم الخاصة وهي محرمة على اي رجل او اي امراة ولن يدخل فيها بغير اذن سابق .

(ي . ز)

شهادة ال G.C.E

● شهادة الثقافة العامة لجامعة لندن المعروفة بشهادة ال G.C.E. ، هل هي شهادة عالية وهل هي تعادل شهادة الثانوية العامة ، وهل في مقدور الطالب العربي أن يحصل عليها ؟

س. م. م — عدن

— ال G.C.E. شهادة انجليزية وهذه الحروف الثلاثة هي اختصار لاسمها الكامل General Cert .of Education اي شهادة التعليم العامة وهي اشبه بما يعرف بالبلاد العربية بشهادة الثانوية العامة . وهي شهادة تؤهل حاملها لدخول الجامعات الانجليزية ، ولكنها من الناحية العملية تختلف اختلافا بينا ، لان الحصول عليها يتطلب اجادة تامة للغة الانجليزية ، بحيث يكون الطالب في مستوى زميله الانجليزي ، حتى يستطيع ان يستوعب المستوى العالي من اللغة الانجليزية وآدابها الذي يتحتم عليه دراسته والنجاح فيه..

ولهذا يعجز كثير من الطلبة العرب عن الحصول على ال G.C.E. والناجحون وحدهم هم المثابرون المكافحون الذين يوجهون اهتماما خاصا بدراسة اللغات .

(م. ث)

من الكتب التي وصلتنا

بقية المنشور على صفحة ١٤٧

جيل الفداء
قصة الثورة الكبرى ونهضة العرب

تأليف : قدري قلعجي ـ الناشر : دار الكاتب العربي .

● تاريخ شامل للنهضة العربية في مظاهرها الفكرية والسياسية والنضالية ، منذ اواخر القرن التاسع عشر حتى سنة ١٩٢٠ وعرض علمي معزز بالوثائق للعوامل والاحداث التي رافقت نشأة القومية العربية وظهور الانسان العربي على مسرح التاريخ بعد انقطاع دام عدة قرون استطاع الفاتحون ان يهدروا خلالها كثيرا من القيم المادية ولكنهم عجزوا عن هدر الروح العربي الذي بقي يضطرم تحت الرماد . فما ان واتته الفرصة حتى تعالى منه اللهيب وسطع نوره في الآفاق . ودراسة هذه النهضة ضرورة قومية لكل عربي يتطلع الى افق العروبة الواسع .

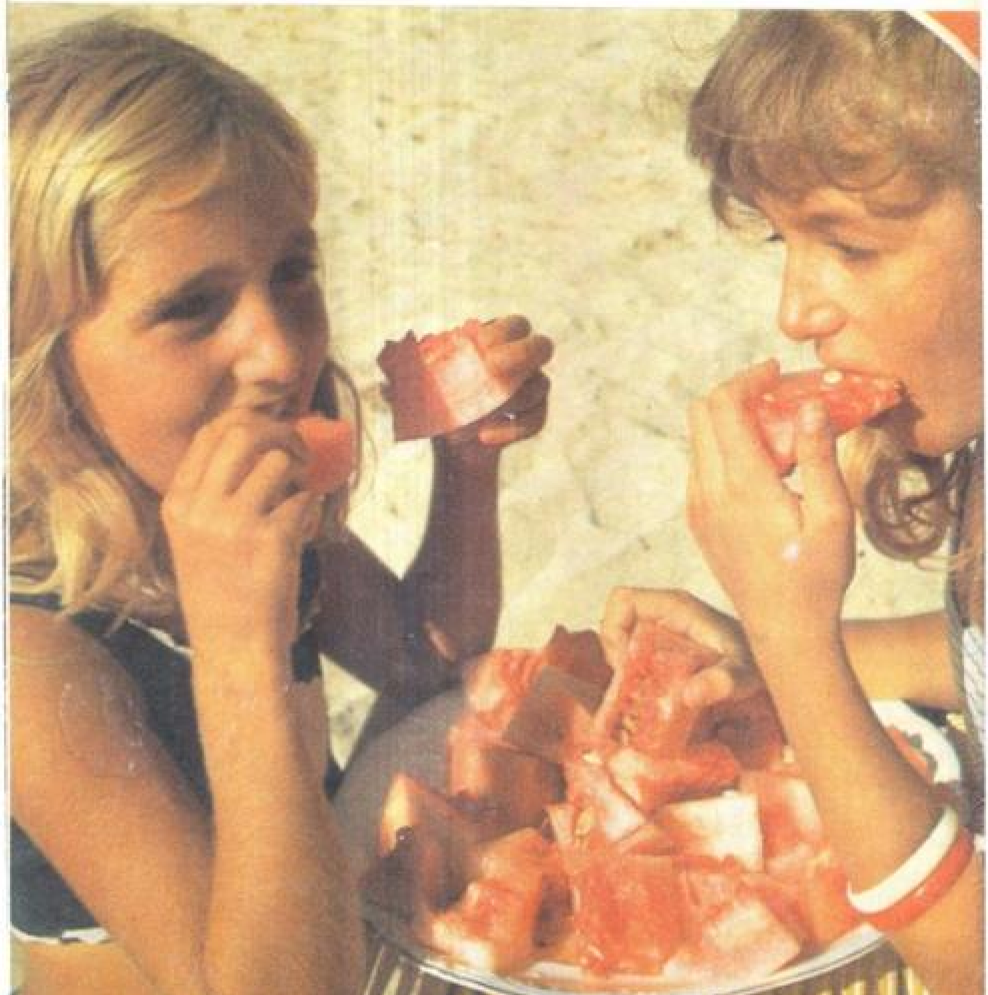
« هكذا تكلم زرادشت »

تأليف الفيلسوف الالماني فريدريك نيتشه ترجمة : فليكس فارس ـ الناشر : المكتبة الاهلية بيروت .

● تتلخص فلسفة نيتشه في انه داعية للقوة فلا رحمة للضعيف في عرفه ، كما يقول على لسان زرادشت . وقد بدأت صور زرادشت ترتسم في ذهنه عندما نظر الى الوجود فرأى وراء صوره المتحولة مادة تتعالى عن الاندثار . وقد كتب نيتشه كتابه في اوقات متقطعة من سنتي ١٨٨٣ و١٨٨٥ ، في فترات كانت تسكن فيها حدة مرضه او هو يسكنها بما كان يتناوله من جرعات الكلورال المخدر . وقد ترجم كتاب نيتشه الذي يمثل فلسفته الى جميع اللغات الحية في العالم .

العربي

العدد ١٣٦
ذو الحجة ١٣٨٩
مارس
(آذار) ١٩٧٠

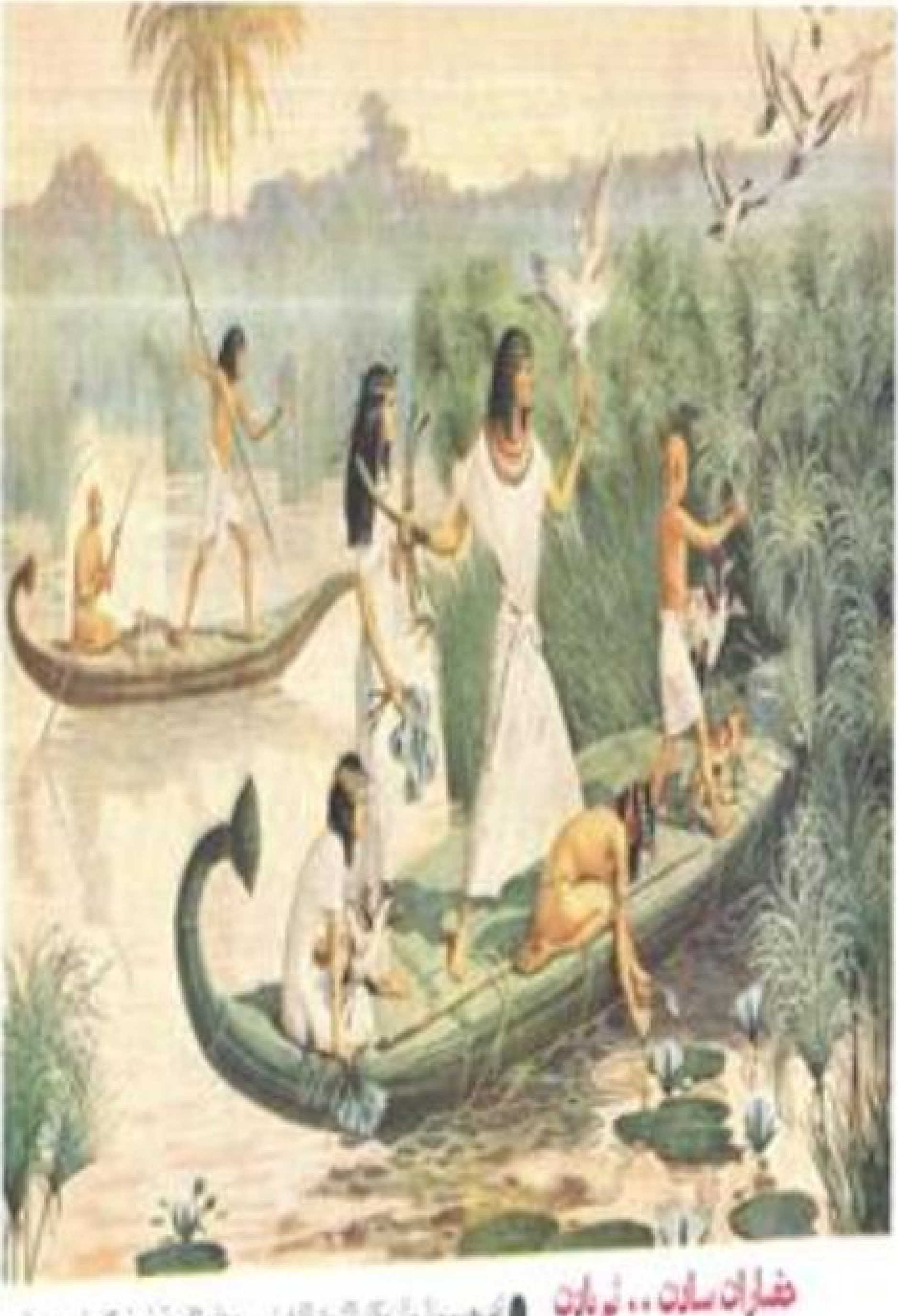


الصيف على شواطىء سوريا

جوائز
١٢٠
نار سنويا

الثمن

الكويت	١١٠ فلوس	العراق	١٣٠ فلسا	السودان	١٠ قروش
الخليج العربي	٢ ريالان	لبنان	١٠٠ قرش	ليبيا	١٥ قرشا
السعودية	٢ ريال	الأردن	١٠٠ فلس	تونس	٢٠٠ مليم
البحرين	٢٠٠ فلس	سورية	١٠٠ قرش	الجزائر	٢٠٠ مليم



حضارات سادت .. ثم بادت

[illegible]

عزيزى القارئ

الطائرة اولا ..
والطائرة اخيرا

هذه المعركة بين العرب واسرائيل معركة تعتمد على الكثير ، لكنها تعتمد اكثر ما تعتمد على **الطائرة** .

● فمحنة الخامس من يونيو عام ١٩٦٧ كانت محنة **طائرة** .

● والأجهزة التى سعت اسرائيل للحصول عليها من فرنسا أولا هى **الطائرة** ، طائرة الميراج .

● والاسلحة التى سعت وتسعى اسرائيل لحيازتها من الولايات المتحدة اهمها واولها **الطائرة** ، طائرة الفانتوم .

● ووعدت فرنسا ليبيا بأن تبيعها **طائرات** بعد عام وعامين وثلاثة اعوام !! فاتخذت اسرائيل من هذا الوعد البعيد تكأة لتطلب من الولايات مزيدا من **الطائرات** ، وهى اليوم طائرات الفانتوم وطائرات السكاى هوك ومعها هدية ... ١٠٠ مليون دولار !!

● ورئيس الولايات يحرص دائما على ما يسميه بالمحافظة على ميزان القوى بين العرب واسرائيل . ويخرج من هذا ، وتخرج معه صحافة بلاده وشيوخها ، بأن اسرائيل فى حاجة الى المزيد .

من ماذا ؟

من **الطائرات**

فى اى زمن ؟

فى الزمن الذى تفتخر فيه اسرائيل بانها تستطيع ان تنال من مصر وغير مصر ابعد اعماقها **بالطائرة** .

فميزان القوى عند رئيس الولايات يقضي بأن :

١٠ طائرات = ٥ طائرات
عند اسرائيل عند العرب

وهو يقضي كذلك بأن :

٥ر٢ مليون = ١٠٠ مليون
من الصهاينة من العرب

معادلات لا تصح فى الحساب ، ولكنها تصح مع الهوى .

المحرر

العربي

رئيس التحرير : الدكتور أحمد زكي

القسم العام :

اسلاميات :

لغة وآداب :

استطلاعات مصورة :

طب .. وعلوم :

عـروبة :

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة
تصدرها وزارة الارشاد والانباء بحكومة الكويت
والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABY — No. 136 March 1970 P. O. B. 748 — KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٢٧١٤١ ـ تلغرافيا « العربي »

الاعـلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراسـلات : تكون باسم رئيس التحرير



صورة الغلاف

● طفلتان من اللاذقية .. لقد تركنا البحر لهواته يغوصون في مياهه للتخلص من لسعة حر الصيف .. أما هما فقد كانت لهما طريقتهما الخاصة في اطفاء ظمئهما لقد اختطفت الطفلتان هذا الطبق الكبير الملىء بالبطيخ المثلج وجلستا في هدوء على الرمال تلتهمانه بعيدا عن العيون !

(انظر استطلاع مصايف سوريا ص ٦٠)

ركن الأسرة والمرأة :

تربية وعلم نفس :

تاريخ .. وتاريخ أشخاص :

شــعر :

كــتب :

قصص وقضايا :

منوعـــات :

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربى ٢ ريال قطرى • البحرين ٢٠٠ فلس بحرينى ، العراق ١٢٠ فلسا • سوريا ١٠٠ قرش • لبنان ١٠٠ قرش الاردن ١٠٠ فلس • السعودية ٢ ريال • السودان ١٠ قروش • ج.ع.م ١٠ قروش • تونس والجزائر ٢٠٠ مليم • المغرب ٢ درهم • اليمن ٢٫٥ شلن • ليبيا ١٥ قرشا •

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت – ص.ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربى •

بريد القرّاء

قصيدة في ذكرى الاخطل

● تلقت « العربي » هذه الرسالة من الأستاذ أحمد السقاف حول قصيدته التى نشرت في عدد فبراير / ١٧٠ بمناسبة ذكرى الأخطل الصغير ، وهذا هو نص الرسالة :

فلقد حدثت بعض الاخطاء في الشكل المرسوم على بعض كلمات قصيدتي المنشورة في العدد الماضي ، فلقد حلت الضمة محل الفتحة في كلمة (تسكر) في آخر البيت الثاني ، وفي هذا ما فيه من تشويه . وفي عتابي لاحد الشعراء في نفس القصيدة حلت الضمة محل الكسرة في كلمة (ندى) وكنت قد اخترت الكسرة لخفتها ، ولكن المصحح هداه الله لم يعبأ بالكسرة التى رسمتها بقلمي .

وفي مناجاتي لنهر النيل وردت (بهرج) بضم الأول والثالث،والصحيح عندى الفتح في الحرفين، ولقد رسمت الشكل بنفسي ولكن المصحح لم يعبأ أيضا بما رسمت . أرجو نشر هذا التصويب .

الكويت ـ أحمد السقاف

فهرس جامع للعربي

● اقترح ان تصدروا فهرساً مستقلاً لمجلة العربي في كافة اعدادها السابقة على أن يكون بحجمها لكي يسهل تجليده او حفظه معها .

حمود محمد النافع

العربي : اقتراحكم الوجيه جاءنا من غيركم أيضا وقد نعمل به في المستقبل ان شاء الله .

أبو حيان الاندلسى بين النقل والتلخيص

● نشر الدكتور عبد المجيد المحتسب في مجلة « العربي » العدد ١٣٠ سبتمبر ١٩٦٩ بحثا عن ابى حيان الاندلسي . وكنت أظنه حينما وقع نظرى عليه دراسة جديدة تضيف الى ما كتبته عنه في بحثي « أبو حيان النحوى » الذى نلت به الدكتوراه من جامعة القاهرة بمرتبة الشرف الاولى ، وطبع في بغداد عام ١٩٦٦ .

وعندما قراته هالني ما رايت لان الموضوع نقل وتلخيص لكتابي « أبو حيان النحوى » الذى قضيت في تأليفه سنوات ، وابيضّت عيناى من قراءة المخطوطات . وليت الكاتب الفاضل اشار الى انه نقل أو تلخيص ليبرىء نفسه من تهمة السطو ! ولكنه حاول أن يثير غبارا ، فذكر خمسة مصادر اخرى لا يمكن أن تكوّن هذا البحث بأى حال من الأحوال ، لأنها بعيدة عن تصوير منهج ابى حيان في النحو والتفسير.ولكى يزيد التضليل اشار الى كتابي : « أبو حيان النحوى » مرتين ، ولو انصف لقال : « أبو حيان . لخصه وعرضه الدكتور ... » .

الدكتورة خديجة الحديثي
استاذة مساعدة في كلية الآداب
جامعة بغداد

العربي : **الحقت الدكتورة خديجة الحديثي بهذا الخطاب ٢٤ نبذة أو عبارة منقولة أو مقتبسة أو ملخصة شملت معظم المقال ، ان لم يكن كله .**

وقد راجعنا كتاب الدكتورة خديجة الحديثى ، « أبو حيان النحوى » ، وقابلنا المقال على ما كتب في الصفحات التى اشارت اليها . والحق أن الحق معها في أغلب ما تقول .

احمد بن ماجد ... هو مكتشف الطريق الى الهند

● قرات في العدد ١٣٢ ما ذكرتموه من انالفضل فى اكتشاف راس الرجاء الصالح لا يعود لفاسكوديجاما وانما لدياز وهو البحار البرتغالىالذى أرشد فاسكوديجاما في رحلته تلك ، كما ذكرتم .

وانا اذكر اننى قرات في العربى قبل نحو عشرسنوات ان البحار العربى أحمد بن ماجد هو الذى قام بارشاد فاسكوديجاما في رحلته تلك ..

زيد بن منيع الجوفي

الخبر ـ المملكة العربية السعودية

العربى : **ان ما قراته في العربى سابقا صحيح.وكذلك ما قراته في العربى مؤخرا ، فهو صحيح ايضا .وتفسير ذلك هو فى ان احمد بن ماجد لميرشد فاسكوديجاما الى راس الرجاء الصالح بل الى الهند (سنة ١٤٩٨) . فهو لم يلتق به الاوبعد اجتيازه راس الرجاء الصالح .**

اى بعد دوران فاسكوديجاما حول القارة الافريقيةفي مالندى Malindi على ساحل افريقيا الشرقى،

وجدير بالذكر ان المصادر البرتغالية نفسهاتؤكد فضل البحّار العربى في هذا الصدد ، وتذكر فيما تذكر ، انه كان لديه خريطة بحرية ولوازم ملاحة ممتازة ، لم يكن في حوزة فاسكوديجاما مثلها .

رسالة من خط النار

● اكتب لكم هذا الخطاب بعد ان قرات مقالكم الاخير (رتابة) في عدد ديسمبر من العربى ١٩٦٩.

اكتبه بعد ان قرات هذا المقال بملء قلبى وانا اقف مع زملائى على خط النار في قناة السويس حيث نحاول ان نؤدى امانة وتبلغ رسالة كلفتنا بها امتنا الجريحة ..

وياليتنا يا سيدى فهمنا الحقيقة التى جاءنا بها مقالكم ، بل ويا ليت الفاهمين منا يعّونها .. ويعز على الا ارى العرب قلبا واحدا ويدا واحدة بالرغم من الوضوح الكامل الذى تجلت به حقوقهم من جهة ، وبالرغم من الجلاء الذى برزت به اطماع الصهاينة فيهم وفي اقطارهم من جهة ثانية.

نستحلفكم الله مزيدا من هذه المقالات ..

ا.ع.م. الوحدة رقم ....



الشعر أم النثر ؟! أيهما أقدم عهدا

● قرات في العدد ١٣٣ صفحة ١٢٧ مقالا بعنوان « الجاحظ يحكى عن الادب في زمانه ومن العلم في كل الازمان » للدكتور مصطفى الجوينى ، نسب فيه الكاتب الى الجاحظ الرأى بأن الشعر حديث الميلاد وأن أصحابه قريبو العهد بالاسلام ، بما لا يبعد عن مائتى عام ، بينما كتب العلماء كانت قبل بدء الشعر بالدهور والازمان ..

فهل هذا صحيح .. !!

ا. م. السعودية

العربى : **ليس من الضرورى أن ناخذ براى الجاحظ أو غيره،خاصة وأن الشائع هو أن احداث الجاهلية أول ما سجل منها كان بالشعر ، ومن هذه الاحداث الحروب ومنها حرب البسوس ، وقد سجلت أحداثها بالشعر الجميل الرائع لا بالنثر.**

ومثل ذلك يقال في أحداث حرب طروادة وغيرها من أحداث حياة الاغريق القديمة ، فقد سجلها لنا هوميروس ، كما تذكر في رسالتك ، شعرا بديعا في ملحمتيه المعروفتين الالياذة والأوديسة .

حديث الشهر

فَقْرٌ

أمم بلغت الدرك الأسفل من الفقر، أفرادًا وجماعات

بقلم رئيس التحرير

■ كانت تتحدث عن خادمها .

قالت : تنقصه فطنة كثيرة .

قلت : لو كان له حظ من فطنة كثيرة ما كان خادما .

وسألتها : هل هو يكتب ويقرأ ؟

قالت : لا .

قلت : انه اذن لم يتعلم . ولو تعلم لتفطن ، ولو تفطن ما كان لك خادما .

قالت : ولِمَ لم يتعلم ؟

قلت : لأنه كان طفلا لا يدرك ، ثم صار صبيا لا يعي .

قالت : واين كان ابوه ؟

قلت : كان مثله ، لم يتعلم . وهو لم يدرك خطورة ذلك طفلا ، ولا وعاه صبيا .

قالت : واين كانت الدولة ؟

قلت : لم تكن هناك دولة .

★ ★ ★

بهذا الحديث افتتح الحديث عن الفقر .

لأؤكد ان اول اسباب الفقر الجهل ، وان الجهل سبب كل بلاء . بلاء فرد وبلاء امة .

ثم انتقل الى الموضوع .

ما الفقــــر ؟

قد يكون من الغريب ان يسأل انسان ما الفقر ، فليس احد في هاذه الدنيا الا مسه الفقر يوما ، في نفسه ، فان لم يكن في نفسه ، ففي اهله الاقربين ، او اهله الابعدين ، او فيمن لا يمتون اليه بقرابة .

ان للعيش حاجات واجبة الوفاء .

وَغِنَى

وَأُمَمٌ بَلَغَتِ الدَّرَجَ الأَعْلَى، مِنَ الغِنَى أَفرادًا وَجَمَاعَات

فالطعام حاجة يجب الوفاء بها، والملبس حاجة يجب الوفاء بها . والمسكن حاجة يجب الوفاء بها .

وهذه حاجات ظاهرة . ولكن من حاجات الحياة ، حاجات أقل ظهورا . حاجة الرجل الى الانثى ، وحاجة الأنثى الى الرجل ، وحاجات الخلف من بعد ذلك . وحاجة التعليم والتعلم . وحاجة العمل وكسب العيش . وحاجة التنقل فى الغدو والرواح . وكثير غير ذلك .

وكل هذه الحاجات، ظاهرها وخافيها، تستوفى على أساليب شتى ، وبنفقات مختلفة . فالأسرة قد تستوفى حاجتها الى الغذاء بنصف دينار أو دون ذلك . وأسرة أخرى تستوفيها بدينار أو ما فوق ذلك. وهكذا الوفاء بسائر الحاجات، له أساليب شتى على درجات من الضرورة وغير الضرورة شتى .

ضرورات لم تكن فى الحسبان ، ثم كانت

ونشأت فى الحضارات أشياء عديدة : السيارة ، الطيارة ، التلفون، التلغراف، الاذاعة ، ونشأت غيرها صارت كلها لأهل الحضارة من الضرورات . وجهلها أهل البدو أو هم لم يمارسوها ولم يألفوها ولم تدخل الى حياتهم ، فهى عندهم كالشىء الغائب لا يحفلون به . الا اذا هم انتقلوا الى الحضر، وتحضروا ، وخلقت لهم الحضارة عادات أو أذواقا أخرى جديدة ، فعندئذ فقط تسبغ لهم



الدخان بـدا كماليا ، ثـم تحكم عادة ، فصار بعض الضرورات .

حاجات ، هي ضرورات حياة كما هي لأهل الحضر ضرورات حياة .

والضرورة هنا ليس معناها ان الشيء هذا الذي نسميه بالضروري ، اذا غاب، هلك الانسان ، ولكنه ضروري بمعنى أنه اذا غاب افتقده الانسان افتقادا شديدا.

كالدخان ، انت لا تعرفه ، فهو ليس عندك بالضروري ، وأنت لا تحفل به . ولكنك اذا مارسته حتى تعودته ، ثم غاب عنك،أصابك الضيق والهلع لفقده. اذن فهو صار لك بعض الضروريات . ولاخراجه من صفة الضرورة أشجان واشجان .

والانسان الحضري ابتدع أشياء عدة، اكثرها نتيجة من انتجة العلم والتكنية ، بدات عنده كمالية ، ثم صارت بشيوعها ضرورية ، وذلك بسبب تولد عادتها عند الناس .

حظوظ الأمم من فقر وغنى

والأفراد تختلف حظوظها من فقر وغنى . وقد تختلف اختلافا كبيرا .

ولكن كذلك الأمم ، تختلف حظوظها من غنى وفقر . وهي تختلف اختلافا كبيرا .

ان متوسط دخل الفرد في الولايات المتحدة في عام ١٩٥٠ كان ١٩٥٣ دولارا، بينما هو كان ٥٠ دولارا او دون ذلك قدرا في الهند (١) وفي الاقطار المستعمرة من امريكا الوسطى ، وفي الصين ، وفي اواسط افريقيا .

وفي نفس المعنى نستطيع أن نقول انه في عام ١٩٤٨ كان دخل الولايات المتحدة، واهلها يكونون ٧ في المائة من أهل الأرض، يمثل ٤٣٪ من دخل أهل الارض ، بينما آسيا ، وهي تتضمن ٥٥ في المائة من سكان الأرض ، لم يمثل دخلها كله غير ١٥ في المائة من دخل أهل الارض .

وكان كل هذا بسبب التقدم في التكنية الصناعية ، وكذلك الزراعية . ولكن التكنية الصناعية كان لها الأثر الاكبر .

وفي سبيل التدليل على هذا نذكر أن الولايات المتحدة ، بعد الحرب العالمية الثانية ، لم يمثل انتاجها الزراعي أكثر من ١٠ في المائة من انتاجها الكلي . وما هذا لنقص في الانتاج الزراعي ولكن لزيادة فيه . فقد كان زاد الانتاج الزراعي ٢٠ ضعفا عما كان في الولايات منذ قرن فات ، أي منذ أيام الحرب الأهلية الأمريكية ، مع أن العاملين في الزراعة عندئذ كانوا يمثلون ثلثي السكان ، بينا هبط عددهم عام ١٩٤٨ الى ما دون سدس السكان .

وما السبب في زيادة الانتاج هذه مع قلة العمال ؟

السبب : التكنية الزراعية . وهي لا

---

(١) نصيب الفرد من الانتاج القومي الاجمالي في الولايات المتحدة لعام ١٩٦٥ بلغ ٣٥٥٧ دولارا ونصيب الفرد من الانتاج القومي الاجمالي في الهند لعام ١٩٦٥ بلغ ٩٩ دولارا .

تزال قائمة . والفائض من انتاج أمريكا الزراعي عن حاجة أهلها معروف مشهور.

واذا نحن ذكرنا سائر بلاد الغرب ، في أوروبا ، وجدنا الحال أشبه ما يكون بالحال في أمريكا . أمم اتخذت العلم والتكنية الى الحياة سبيلا .

لا دفع للفقر الا بزيادة الانتاج فوق زيادة السكان

أما أن زيادة الانتاج تذهب بالفقر فقول من البداهة بمكان . ولكن يشترط لذلك أن تكون زيادة الانتاج في العام فوق زيادة السكان ، فاذا تساوت الزيادتان لم يتأثر مقدار الفقر العام بها . أما ان كانت زيادة السكان فوق زيادة الانتاج ، فان الأمة لا تزداد الا فقرا .

ولن يقول احد باطلاق النسل « لأن الله يرزق من يشاء بغير حساب » . ذلك أن الله أول ما رزق الانسان العقل ، والعقل يقضي بأن زيادة السكان مع ثبات الانتاج يؤديان الى زيادة الحرمان . والتاريخ دليل ذلك . وقد دلّ التاريخ فيما دلّ ، على أن سكان الهند ، في العهد المغولي ، كان فقيرهم يأكل حتى يشبع ، بينا أكثر سكان الهند اليوم ،



زيادة السكان ، مع ثبات مقدار الانتاج، فقر متصل

لتضخم السكان ، وقلة مسايرة الانتاج لهذا التضخم ، يأكلون الأقل .

وانا أؤمن باطلاق النسل ومعه التخطيط الأوفى لزيادة الانتاج . الجمع الجمع بينهما ، فدون ذلك فناء العرب . ولكن لهذا حديثا غير هذا .

ومن الفقراء من يشكو الفقر لأن جاره ذو غنى . ومن الفقراء من يحسب ان تقارب الأجور مما يذهب بالفقر . وتقارب الأجور ، وحتى الأخذ من الغنى للفقير ، انما يجعل الفقير اقل فقرا . ولكنه لا يجعل الأمة اقل فقرا ، ما دام الانتاج نسبته الى السكان نسبة ثابتة لم تتغير .

موارد البلاد الطبيعية تدفع الفقر

ويل للبلد الذي لا مورد للخير فيه . وموارد الخير كثيرة . أرض ذات تربة تنفع للزرع . أو رمل غير مخصب الظاهر ثري الباطن لكثرة ما فيه من زيت . أو صخر انطوى على الكثير من معادن الصناعة . والجو احيانا يكون من الصلاح ، فيكون لأصحابه موردا للرزق عظيما .

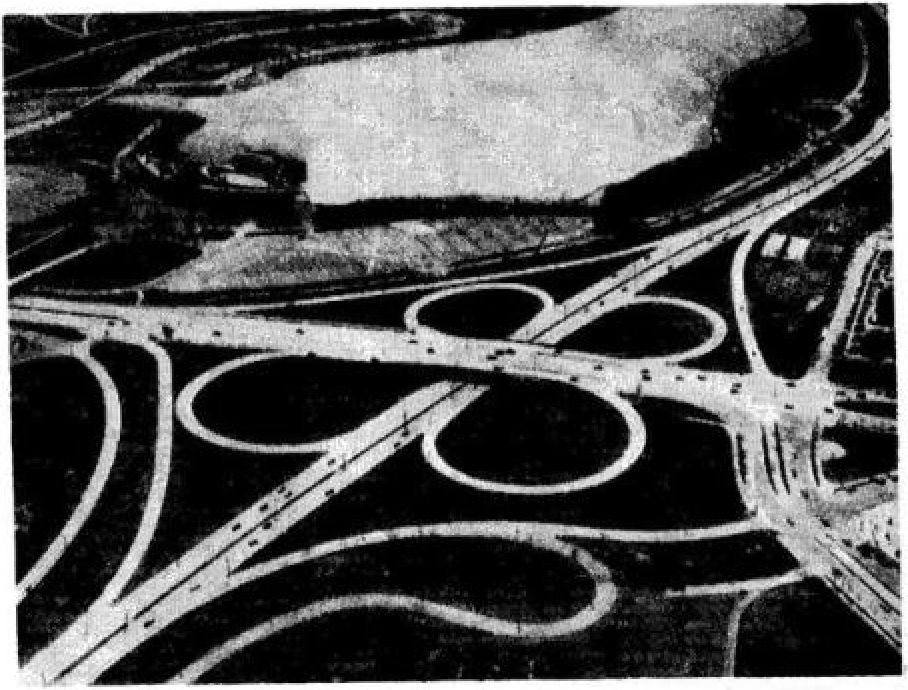
والبلاد العربية، هل مسحوها مسحا جيولوجيا ليكشفوا عما بها من ثروات ؟ كل ارض لا بد ان تمسح ، وكل ركن وكل شبر .

ان العرب ما صحوا الى مثل هذا الا في السنوات الأخيرة ، ففي هذه السنوات الأخيرة فقط بداوا يدقون باب الثراء ، وأحسبه سوف ينفتح واسعا .

ولكن اود ان اقول اننا نذهب نمسح الرمل ، ونمسح الصخر ، نطلب الذهب الأسود ، وفي التربة التي بين ايدينا الوف ملايين من الذهب الأخضر الذي يجلب لنا الذهب الأحمر . فماذا عوّقنا عن التربة وهي اقرب منالا . وثمرة التكنية الزراعية ، هي اكبر ثمرة . ان لنا في الولايات المتحدة وغير الولايات المتحدة امثلة رائعة .

اسم البلد	متوسط الانتاج القومي الاجمالي للفرد لسنة ١٩٦٥	
الولايات المتحدة	٣٥٥٧	دولار
السويد	٢٤٩٧	دولار
المانيا الغربية	١٩٠٥	دولار
المانيا الشرقية	١٥٧٤	دولار
فرنسا	١٩٢٤	دولار
المملكة المتحدة (انجلترا)	١٨٠٤	دولار
تشكوسلوفاكيا	١٥٥٤	دولار
اليابان	٨٥٧	دولار
استراليا	٢٠٠٩	دولار
الاتحاد السوفييتي	١٢٨٨	دولار
ايطاليا	١١٠١	دولار
بولندا	٩٦٢	دولار
رومانيا	٧٥٧	دولار
نيوزيلند	١٩٣٢	دولار
الارجنتين	٤٩٢	دولار

اسم البلد	متوسط الانتاج القومي الاجمالي للفرد لسنة ١٩٦٥	
تايوان (الصين الوطنية)	٢٢١	دولار
الجمهورية العربية المتحدة	١٦٦	دولار
تايلاند	١٢٦	دولار
الصين	٩٨	دولار
جنوب افريقيا+جنوب غرب افريقيا	٥٠٣	دولار
الهند	٠٩٩	دولار
البرازيل	٢٨٠	دولار
الباكستان	٩١	دولار
مكسيكو	٤٥٥	دولار
نيجريا	٨٣	دولار
كولمبيا	٢٧٧	دولار
اندونيسيا	٩٩	دولار
(اسرائيل)	١٣٣٤	دولار



اصبحت الطرق عاملا خطيرا في انتاج الامم : من صناعي وزراعي وغير ذلك ، ونظروا في التاخر الذي يطرأ على المواصلات بتقاطع الطرق فتجنبوه بالطرق الدائرة التي يدور بعضها فوق بعض ، وبذلك لا تقطع سيارة في طريق سيارة الا ان تكون متجهة في نفس اتجاهها .

وطرق المواصلات تدفع الفقر

والمواصلات تحمل الحركة . والحركة لازمة للنقل والتنقل . وكل بلد زراعي او صناعي قليل المواصلات ، كالجسم الذي ضعفت دورته الدموية فهو يؤذن بالزوال . ان البضائع تتحرك على الطرق وان الناس تتحرك في السيارات والطائرات . وانه الزمن للبلد المتقدم له الحساب ادق الحساب ، وأثمنه .

والمواصلات تكون في بحر ، وتكون في نهر ، وتكون فوق الارض ، وفي الهواء .

والعرب ، كم تحدثوا عن وصل بلادهم بالطرق . وقالوا الوحدة ، والوحدة اول الوحدة في وحدة المواصلات .

ومجلة « العربي » لا تجد طريقها الى تونس الا عن طريق جنوا . ولا تجد طريقها الى المغرب الا عن طريق مرسيليا .

وارادوا ربط مصر بالسودان ، والسودان بمصر ، لزيادة التجارة . وفكروا . فكانت الطرق اول ما فكروا فيه . وحسنا فعلوا .

والرساميل المادية من أدوات واجهزة ومكنات تزيد الانتاج فتدفع الفقر

وبالرساميل المادة نعني ما يستعين به العامل من ادوات واجهزة ومكنات في انتاج يومه ، فكلما زاد حظ العامل



اليابان لم تستخدم المكنات في كل انتاجها كما استخدمها الأمريكان . وهذه فلاحة تحمل المحصول بين يديها . ولو كانت امريكية لأغنت عنها الحاصدات المكنية .

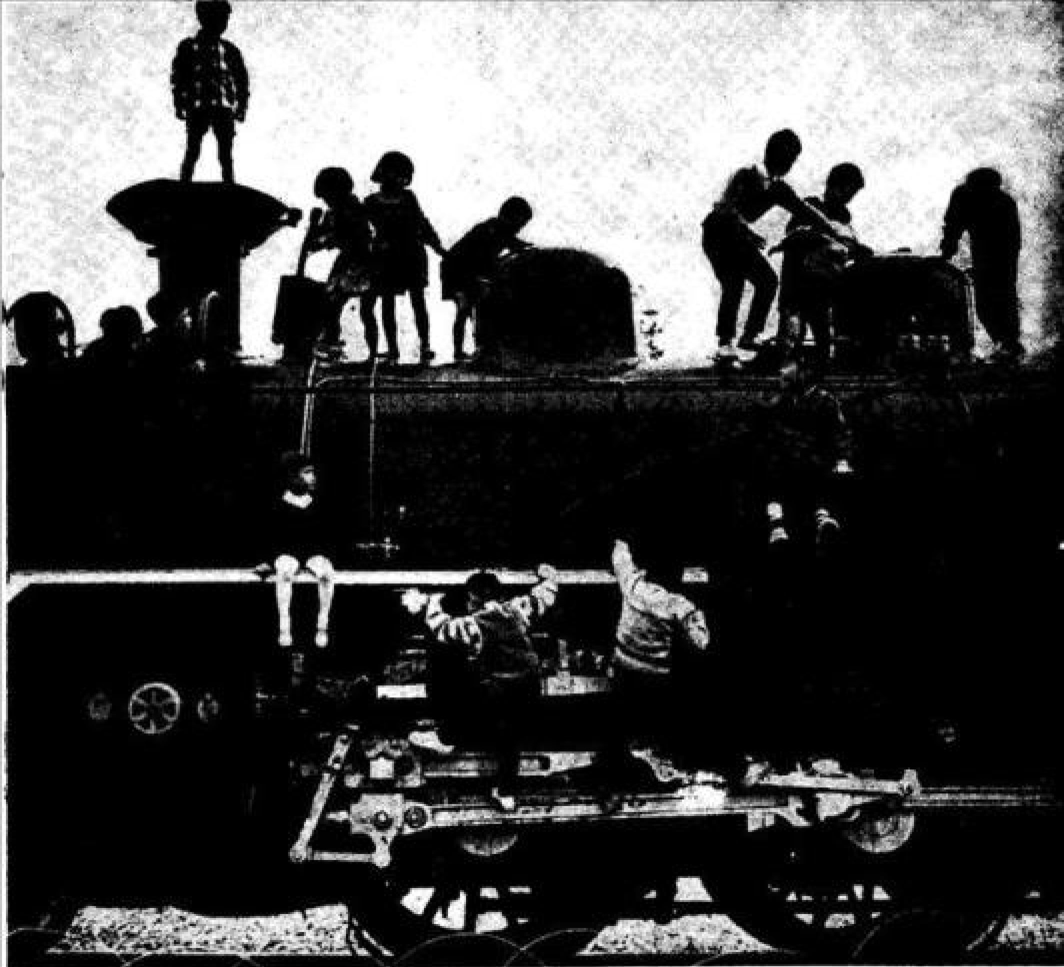
من هذه الرساميل (وهي جمع راس مال) زاد حظه من انتاج ، فحظه من غنى .

ويقارن رجال الاقتصاد عامل الولايات المتحدة الامريكي بعامل اليابان الاسيوى . كلاهما عامل مجد . وكلاهما عنده كفايات فنية كبيرة . ولكن الملاحظ ان انتاج العامل الأمريكي ، متخذين العمال الأمريكان كلاً واحدا ، ضعف انتاج العامل الياباني .

وينسبون هذا ، فيما ينسبون ، الى وفرة الرساميل المادية الأمريكية ، اذا

الصين لا تزال تعمل في الحقول بأيديها : لا بالمكنات . ومن هذا كان انتاجهم ليس بالعالي .





هذه قاطرة بخارية ، وقد اطلقوا عليها في اليابان الاطفال الصغار يلعبون ويفحصون ويالفون ، حتى يشبوا وفي دمهم الفة البخار والحديد .

هى قورنت بالرساميل المادية اليابانية .

والعمال اليابانيون ، مع قلة أجهزتهم التى يستعينون بها فى الانتاج، هم كثيرو الأجهزة اذا هم قورنوا بالعمال العرب فى انتاجهم . فى انتاجهم التقليدى الذى هبط اليهم من مساقط القرون .

المكنَ المكنَ ، يا سادةَ العرب ويا دهماءهم . تمكّنوا بالمكنِ ، فليس اليوم فى حاضر هذا العيش من سكّنة سواه . ان الذراع الذى يعمل اليوم من حديد ، وان بقى ذراع من عظم ولحم يعمل الى اليوم فهو ذراع البقر والخيل والحمير .

والرساميل الانسانية تدفع الفقر

وبعد ذكر الرساميل المادة ، يجب أن لا ننسى ما يجب أن يصاحب هـــذه الرساميل المادية من فطنة انسانية ، هى بدورها بعض الرساميل .

يجب أن لا نغفل عما يجب أن يصاحب وجود الأداة الجديدة ، أو المكنـــة

الجديدة ، من فطنة تكون فى العامل ، حتى يحسن استخدامها ، فالجهاز لا ينتج وحده ، انما هو ينتج وهو اداة يحركها الانسان . حتى لجاز ان نقول أن فطنة الانسان تأتي أولا ، يليها ما يحل به الجهاز ، محلّ يد الانسان واصابعه ، من تشكيل وابداع .

وفى الانسان فطنة طبيعية ، ولكنها لا تكفى لمواجهة شتى وجوه الخبرة الصناعية . لا بد للعامل من التعليم العام أولا ، من القراءة والكتابة والحساب وشتى علوم الثقافة العامة ، تلك التى يجوز عندها ان نقول انه بلغ الحد الأدنى الذى لا بد أن يبلغه انسانُ اليوم ليجارى به حضارة هذا الزمان وعيشه. ثم يأتي بعد هذا دور التخصص فى استخدام المكن . وهو دور لا يقل خطورة عن الدور الذى سبق فى التعليم العام . وهو دور يطول ، عماده الخبرة غالبا بعد الدرس النظرى، وآلفة المكنات واجزائها ، وقد يدخل فى ذلك حلها واصلاحها ، او أصلاح الخلل البسيط الذى يطرأ عليها . ان العامل على المكنة كراكب الفرس لا بد من دراسته ودراسة طباعه ، وحتى الفته . والمكنَات تؤلف كما يؤلف الفرس . ولكم رأيت عاملا ماهرا لا يترك مكنته حتى ينظفها ، ثم هو يغطيها ، ثم هو يربِّت بيمناه عليها قبل ان يغادرها كأنما يقول لها عمى مساء والى اللقاء . هكذا يبلغ حب المكنات ببعض هواتها .

من هذا ندرك لماذا حل الفقر بأمم ، وحل الغنى بأمم اخرى .

ان الولايات المتحدة يبلغ من يكتب من اهلها ويقرأ ٩٧ فى المائة من اهلها . واليابان يبلغ من يكتب من اهلها ويقرأ ٩٨ فى المائة من اهلها . واعكسْ وقل معى ان بلادا كالهند مثلا يبلغ الأميون بها ٨٢ فى المائة .

هذا هو الشرط الاول من التجهيز للانتاج المكنى: ان يقرأ العامل وأن يكتب. فكيف يعمل المكن ثم كيف تحسن ادارته ، وحسن الانتاج به عامة .

والرساميل ، من مادية ، ومن انسانية ، تتراكم على الزمان . فخبرة هذا العقد من الزمان فى بلد متقدم كاليابان هى لا شك اكثر من خبرة هذا البلد نفسه فى العقد الذى مضى . لأن الخبرة تزيد على مجرى السنين . وخبرة الولايات المتحدة فى هذه الأيام اكثر اضعافا من خبرتها فى مثل هذا اليوم او الشهر من قرن مضى .

ونذكر الهند مثلا ولا نذكر بلدا من بلاد العرب ، تأدبا ، وصيانة لشعور عربى قد يرق حتى يحس بأن كرامته قد خدشت. وفينا قوم بلغت بهم الرقة انهم يفضلون أن لا تخدش الكرامة ولو خفى وراءها دُمّل قد امتلأ صديدا .

عدد الأميين في اليابان يبلغ ٢ فى المائة من سكانها . وهم يبدأون بتعليم الاطفال فى سن صغيرة . وجوه نضرة . وصحة متوفرة .





المانيا بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة لم تكن بها مدينة لم تنل منها الحرب بالدمار والتخريب اكثرها . وبعد عامين اخذت الابنية ترتفع كانما يرتفع بها الجن . وكان كل مواطن يعمل بقدر طاقته لانه شعر بمحنة وطنه .

وعدد ساعات العمل يعطي الفقر أو يعطي الغنى

فى القرن الماضي كان العامل مرهقا بالعمل خاصة . كان يعمل فى الأسبوع ٦٠ او ٧٠ ساعة ، او فوق ذلك من الساعات . ثم اخذت الساعات تتقاصر ، فنزلت الى ٥٥ فالى ٤٨ فالى ٤٠ . كذلك زادت ايام الراحة السنوية للعامل .

وساعد على هذا وجود المكنات . فهى بانتاجها الكثير عوضت عما خسره الانتاج بنقص الساعات ، وزادت .

وفى الدول العربية ، وهى دول فى الانتاج ناشئة ، كان اول الهم نقص ساعات العمل بصرف النظر عن الانتاج ، يعلو او يهبط . وكان هذا لدواع انسانية وصحية . وكان المفروض ان يستجيب العمال بحكم تخلف بلادهم الى الاستفادة من كل ساعة بل من كل دقيقة من الساعات المنقوصة فى الانتاج . وبعض استجاب ، وبعض لم يستجب .

وفى بعض البلاد العربية رأيت من جعل من بعض ساعات العمل القليلة ، ساعات راحة . وهى ساعات للراحة بداها اول النهار حين لم يكن مسه التعب . وفترات للراحة وشرب الشاى توسطت ساعات العمل . وسألت بعضهم : ماذا ينتظرون من المجهود القومى بعد ذلك ؟ فخلت كانى اتحدث اليهم باللاتينية او الصينية ، فامسكت .

ان تكن ساعات للعمل قليلة ، فنعم ، شريطة ان تمتلىء عملا .

والا فهو الفقر الدائم ، والتخلف الدائم ، لعامل وامة معا .

ومع التخلف الذل بين الأمم .

وبذكر هذا أذكر زيارة قمت بها لألمانيا عقب الحرب العالمية الثانية . لم أجد فى مدنها مدينة لم تنل منها الحرب بالدمار والتخريب أكثرَها . وفى مدينة دوسلدرف Düsseldorf رحت أبحث عن عنوان فندق فى حيٍّ من أحياء المدينة العظيمة مشهور . وما حللت به حتى خلت انى ضللت الطريق . لم يكن هناك منزل قائم . ثم هدانى الهادى الى بيت متهدم ، وقال فى الجزء الأسفل منه ، تحت الأنقاض، تجد الفندق الذى تطلب. وذهبت ، وطلبت ، ووجدت فندقا ارضيا كأمتع ما تكون الفنادق .

وغبت عن ألمانيا سنتين ، وعدت ازورها . فعجبت من التغير الحادث . الأبنية اخذت ترتفع كأنما يرتفع بها الجن . وأمرُّ بنفس هذه المدينة ،مدينة دوسلدرف ، فأجد المصابيح فى الليل ، تعلو فوق الأبنية المشادة . ووقفت أمعن النظر ، واستفسرت . فرأيت البنائين يبنون ما تهدم من مدينتهم على أضواء ضئيلة أشبه بضياء الشموع . ويظلون يبنون حتى مطلع الفجر . وسألت عن ساعات العمل . اجابنى من سألت كأنه لم يفهم . ولما فهم قال : كل يعمل بقدر طاقته ، فنحن فى محنة ، انها محنة أوطان .

واذكر المانيا عند ذاك ، واذكرها اليوم بعد عشرين عاما قد تزيد ، فأجد الأمة التى كانت منكوبة فى كل مدنها ، منكوبة فى اقتصادها ، منكوبة فى وسائل العيش جميعا، ومنكوبة فى علم وتكنية ، ومخذولة فى حرب ومضيَّعة فى كرامة ، أراها اليوم فى الصف الأول من صفوف الأمم . وهدد ارتفاع قيمة المرك الالمانى الغربى الجنيه الاسترلينى فوجب تخفيض قيمته . وهدد ارتفاعه الفرنك الفرنسى فوجب تخفيض قيمته . وبدا المارك الالمانى بارتفاع قيمته يهدد الدولار ، فلم تكن هناك مندوحة من رفع قيمة المارك فوق ما كان ارتفع . ورفع الالمان قيمته طوعا واختيارا ، لتغلو بذلك أثمان ما يصنعون فيقل اقبال دول الارض على شرائها ويتوجهون الى الشراء من انجلترا وفرنسا والأمريكان .

تضحية كان لابد منها .

ومَنْ الألمان ؟ انهم الذين خذلوا في حرب عام ١٩٣٩ ــ ١٩٤٥ .

ومَنْ انجلترا وفرنسا والامريكان ؟ انهم الذين انتصروا عليها .

انقلب الميزان .

وانقلب بوطنية العامل الالمانى من كل الفئات ، وكل الألوان ، ومن لابس بذلة زرقاء أو ياقة بيضاء . وهى وطنية ليست بالحمقاء ، يفرق الانسان فيها بين نفسه وبين وطنه . انها وطنية جعلت من النفس والوطن شيئا واحدا . أنا الوطن والوطن انا . وأنا ان عملت اليوم للوطن وخسرت ، للضرورة ، فسوف اربح غدا . وسوف يربح اهلي ، أم واب ، او بنت أو ولد . وطنية مبنية على الحساب، على الجمع والطرح ، وعلى حب لا رومانتيكية فيه ، ولا عذرية . وهى وطنية ضَمن الاعتمادَ عليها ، وأَمِنَ خللَ الحساب فيها ، ديمقراطية قائمة صادقة. هى صادقة قائمة متصلة عنده على الأقل وهو يخطط فى يومه لما يكون عليه وطنه فى غده . وأغلب ظنه أنه سوف تصدق الأيام .

والنتيجة من كل هذا ؟

ان المانيا ، تلك التى كانت لا تملك شيئا عقب الحرب العالمية الثانية وخذلانها فيها ، صارت اليوم من أغنى أمم الارض . ●●

احمد زكى

نتيجة مسابقة العدد ١٣٤

تفاحة نيوتن .. ومنابع النيل !!

■ قامت مسابقة العدد ١٣٤ على المعلومات العامة حيث تضمنت المسابقة عشرة أسئلة فى مختلف أوجه المعرفة الانسانية . فمن سؤال عن الجغرافيا ، الى آخر عن الأدب والأدباء . . وكان الهدف من ذلك هو قدح زناد الفكر وسبر أغواره.

واليك أيها القارىء نموذجا للاجابة الصحيحة ، وأسماء الفائزين بالمسابقة :

١ – اسم الموسيقار الذى كتب الموسيقى وهو أصم لودفيج فان بتهوفن .

٢ – الشاعرة العربية التى بكت اخويها ولا يكاد قارىء يجد فى ديوانها غير البكاء هى الخنساء .

٣ – العالم الذى ربطت الأسطورة اسمه باسم تفاحة ، هو نيوتن .

٤ – جزيرة تسمانيا تقع فى أقصى الجنوب من الكرة الأرضية .

٥ – ابن عبد ربه هو مؤلف كتاب العقد الفريد.

٧ – تبدأ منابع النيل فى أوغندا .

٨ – دانتى اليجيرى هو الذى كتب « الكوميديا الالهية » .

٩ – الدينار الكويتى هى العملة المستعملة فى الكويت .

١٠– شاه جيهان هو الامبراطور المغولى الذى شيد « تاج محل » تخليدا لذكرى زوجته .

الفائزون بالجوائز

وفيما يلى أسماء الفائزين بالجوائز :

* **الجائزة الاولى** وقيمتها ثلاثون دينارا فاز بها : على محمد عقيل على – عمان – الاردن .
* **الجائزة الثانية** وقيمتها عشرون دينارا فاز بها: حسين بن خليفة عزيز – المهدية – تونس .
* **الجائزة الثالثة** وقيمتها عشرة دنانير فاز بها : سهيل عبد الكريم الجهيمان – الرياض – السعودية .

٨ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا كل منها خمسة دنانير فاز بها كل من :

١ – **خالد وليد سعد الله البورنو** – الكويت .

٢ – **تحسين عثمان محمود** – الموصل – العراق .

٣ – **حسين على حيدر** – جبلة – سوريا .

٤ – **ابن سعد على** – بوزريعة – الجزائر .

٥ – **ماهر يوسف قوشه** – القاهرة – ج.ع.م.

٦ – **محمد أحمد عمر** – تعز – اليمن .

٧ – **عدالت ناجح البسطامى** – الدوحة – قطر .

٨ – **مريم حسن شبانى** – – بيروت – لبنان .

وسوف ترسل الجوائز الى أصحابها .

حقوق الإنسان أعلنها

بقلم : الدكتور عبد المنعم البهي
استاذ بقسم الشريعة في كلية الحقوق والشريعة ــ جامعة الكويت

■ في ١٠ كانون الأول « ديسمبر » الماضي ، احتفلت الامم المتحدة بالذكرى الحادية والعشرين لاعلان حقوق الانسان ، اى انه تم اعلانها في مثل هذا اليوم من عام ١٩٤٨ م.

ولاعلان حقوق الانسان في العالم الحديث قصة تقوم على الجراة والمغالطة ، ذلك ان مؤرخى الغرب نسبوا اعلانها الى الثورة الفرنسية في سنة ١٧٨٩ م. فقد كان من نتائجها ، وما تمخض عنها، اعلان حقوق الانسان . والتى يتلخص مضمونها في ان الناس يولدون احرارا متساوين في الحقوق، وانه يمكن للانسان ان يفعل ما لا يضر بغيره ، ومن حق الناس ان يفكروا ، ويكتبوا ، ويطبعوا في حرية ، ولافراد الامة الحق المطلق في ادارتها ، وانه يجب العمل على ضمان حقوق الافراد مع عدم الاخلال بالمصلحة العامة .

وكان الشعار لمضمون هذه الحقوق ثلاث كلمات « الاخاء والحرية والمساواة » .

ولا يعنينا هنا ان كانت الثورة الفرنسية قد حققت هذا المضمون او لم تحققه، كما انه لا يعنينا ايضا ان كانت فرنسا نفسها حافظت على تحقيق هذا الاعلان او تجاهلته .

انما الذى يعنينا هنا هو ما قيل من أن الثورة الفرنسية كان لها الفضل في اعلان حقوق الانسان وانه قبل هذه الثورة كانت حقوق الانسان مضيعة فاعلنتها هذه الثورة في ميثاقها .

ومع مرور الايام ، ظل هذا يردده كبار المؤرخين الغربيين ، ويتناقله عنهم غيرهم ، وفرض في مناهج التعليم عندنا في مدارس الشرق والبلاد الاسلامية.

الأمم المتحدة واعلان حقوق الانسان

ثم انتقل هذا الامر في عصرنا الراهن الى مرحلة اخرى كانت رهنا بانشاء الامم المتحدة ، فقد رات هذه الاخيرة أن ما اعلنته الثورة الفرنسية من حقوق الانسان يحتاج الى اعادة النظر فيها لاضافة مبادىء جديدة اليها توائم التطور الاجتماعي ، ومن ثم الفت لهذا الغرض لجنة انتهت الى ميثاق جديد لحقوق الانسان أعلنته في ١٠ ديسمبر سنة ١٩٤٨ في قصر شايو بفرنسا .

ويتكون هذا الميثاق الجديد من ٣٠ مادة ، نصت المادتان الأولى والثانية منه على ما يأتي :

« يولد البشر جميعا احرارا متساوين في الكرامة والحقوق ، وأن لهم التمتع بكافة الحريات المعلنة في الميثاق ، دون التمييز بسبب العرق او اللون او الدين او الراى السياسي ، أو الثروة ، او النسب او غير ذلك من الاسباب » .

وتناولت المواد من الثالثة الى الثالثة والعشرين تقرير الحقوق المدنية والسياسية للانسان ، فنصت على حقه في الحياة والامن على شخصه ، والتحرر من الاسترقاق والاستعباد والتعذيب ، ومن المعاملات والعقوبات القاسية او الوحشية او المحطة بالكرامة مع الاعتراف له بشخصه امام القانون ، وحقه في الانتصاف امام المحاكم ، والتحرر من القبض ومن الاعتقال والنفي قسرا .. ومن ذلك ايضا التحرر من التعرض التحكمي في حياته الخاصة او اسرته أو منزله أو مراسلاته ، وحريته في التنقل ، وله الحق في اللجوء والتملك، مع ضمان حريته في الفكر والعقيدة والتدين وحرية الراى والاجتماع او تكوين الجماعات ، وله الحق في حكم بلده ، والحق في المساواة في تقلد الوظائف العامة .

وتناولت المواد من الثالثة والعشرين الى الثلاثين ، الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بما في ذلك الضمان الاجتماعي ، والحق في مستوى معيشي كاف للصحة والرفاهية ،

الإسلام .. قبل أن تعلنها الثورة الفرنسية وقبل أن تعلنها هيئة الأمم المتحدة



والحق في التعليم ، والحق في الاشتراك في حياة المجتمع الثقافية ، كما نص أيضا على أن لكل انسان الحق في نظام اجتماعي ونظام دولي يتحقق فيهما ما سبق ايضاحه من الحقوق والحريات تحقيقا كاملا مع تأكيد واجبات الفرد ومسؤولياته في المجتمع .

الاسلام وحقوق الانسان

هذه خلاصة شاملة لما تضمنه اعلان حقوق الانسان في الأمم المتحدة وما سبق أن اعلنته الثورة الفرنسية في هذا الشأن .

وربما ظن بعض الناس أن الانسانية مدينة لهذه او تلك باعلان حقوقها ، وهذا هو عين المغالطة والافتراء على الحق .

والحقيقة التي ينبغي أن يعرفها كل مسلم ، والتي أنشرها على صفحات « العربي » الأغر هي أن الاسلام أعلن حقوق الانسان كاملة مكتملة منذ أربعة عشر قرنا . قبل ان تعلن فرنسا بعضها منذ أكثر من اثنى عشر قرنا وقبل ان تعلنها الامم المتحدة بنحو ثمانين وثلثمائة والف عام . أعلنها الاسلام في وقت كان مجرد تشوف الانسان الى أن يعرف بعض حقه ، وان يعتز بكيانه ، وان يصبح حرا في مجتمعه جريمة قد يدفع حياته ثمنا لها ، او تستوجب انزال أشد الوان العذاب والنكال به .

وأعلنها لا لشعب بعينه ، ولا لأمة دون امة ، ولكنه اعلنها للناس جميعا .

وحين رغب ياسر وسمية وبلال وغيرهم من الضعفاء في المجتمع المكي التمتع بحرية العقيدة بالانضمام الى الاسلام لقوا من ضروب النكال الشيء الكثير لمجرد انهم ابوا أن يطيعوا سادات مكة بالبقاء على عبادة الاصنام .

اما الاسلام فلم يحمل أحدا بالقوة على اعتناقه، واعلن أن حرية العقيدة مكفولة في ظله وتحت رايته ، ولم يستجب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى دعوة طفيل بن عمرو الدوسي حين رغب اليه أن يرسل معه قوة محاربة على حمل قومه على الاسلام بالقوة وقال :

عد الى قومك فادعهم وارفق بهم .

وجاءه عليه الصلاة والسلام صحابي من اهل المدينة يسأله أن يحمل ولديه على الاسلام بالقوة . فنزل قول الله تعالى « لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي » . (آية ٢٥٦ سورة البقرة) .

غزوات الرسول وفتوح الخلفاء

وربما قيل ونحن بصدد هذه الدراسة ، اذا كان هذا موقف الاسلام من حرية العقيدة ، ففيم كانت غزوات الرسول وفتوحات الخلفاء الراشدين؟

والرد على ذلك أنها لم تكن لحمل الناس على اعتناق الاسلام بالقوة بدليل المصالحات والمعاهدات وعقود الامان التي تمت بين الرسول صلى الله عليه وسلم وخصوم الدعوة حين رغبوا في هذا واعلنوا ترك الحرب ، وبدليل العهود التي أعطاها الخلفاء الراشدون لغير المسلمين ، وانما كانت هذه الغزوات والفتوحات لتأمين الدعوة من أعدائها الذين يجمعون للقضاء عليها او يتحينون الفرصة لاضعافها ـ مما قد نعرض له بالتفصيل في مقال آخر باذن الله .

ولم تكن حرية العقيدة وحدها هي التي عني الاسلام بتحقيقها فهناك الحريات الاخرى التي أعلنها . وعلى سبيل المثال أعلن حرية العبادة والحرية الشخصية وحرية القول والنقد والمراقبة

مما نسميه الحرية السياسية ، والحرية المدنية للمتمتع باهلية التصرف .

وهناك ابعد من ذلك حرية محاسبة الحكام فقد جاء رجل الى عمر بن الخطاب وقال في معرض حديثه : « اتق الله يا عمر »

فغضب بعض الجالسين من قوله واستنكروا ان يقول هذا لامير المؤمنين فرد عليهم عمر بقوله :

« دعوه فليقلها ، فلا خير فيكم ان لم تقولوها لنا ، ولاخير فينا ان لم نسمعها منكم » .

الى غير هذا مما كان يجرى على رؤوس الاشهاد في معرض التمتع بالحريات في ظل الاسلام .

ولا يتسع المقام للحديث هنا عن حقوق الانسان التى اعلنها الاسلام ولذا فاني اكتفى بذكر بعضها والاشارة الى باقيها .

المساواة بين الناس

فمن ذلك مثلا ان الاسلام اعلن حق المساواة بين الناس في الانسانية وفي الحقوق والواجبات .

وهذه قضية قررها الاسلام واكدها في اكثر من مناسبة ، فلا مفاضلة عنده بين جنس وجنس ، ولا بين لون ولون ، ولا بين غنى وفقير . وميدان المفاضلة عنده هو التقوى والعمل الصالح لخدمة الجماعة الانسانية . قال تعالى « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم » (آية ٦٣ سورة الحجرات) .

وبهذا اصبح بلال الأسود اخا لابي بكر المنسب القرشى ، كما اصبح صهيب الرومي وسلمان الفارسي اخوين لجميع المسلمين ، ولم تعد هناك نعرة الاصل والحسب .

حق التعليم

وكما اعلن الاسلام حق المساواة اعلن ايضا ان التعليم حق لكل مواطن ، بل انفرد بجعله فرضا من الفروض . ولم يسبق في جعل التعليم فرضا وضرورة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » .

هذا الى جوار ما ارشد اليه من مكانة العلماء وفضلهم على غيرهم وذلك حثا للناس على التسابق في ميدانه . قال تعالى « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » . (آية ١٣ سورة المجادلة) .

حق الملكية

اما حق الملكية فكان له من رعاية الاسلام ما يشعر بضمانه لهذا الحق ، فالتملك بالطرق المشروعة والكسب الشريف من أسمى الغايات عنده ، وحمى هذا الحق بسياج قوى متين طالما لم يقم على استغلال الناس او بأسباب غير مشروعة .

حق الحياة

واعلن الاسلام حق الحياة ، وأمن الناس على حياتهم كما امنهم على اموالهم . قال تعالى : « ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق » (آية ٣٣ سورة الاسراء) .

ولما كان الامن يدور على الحفاظ على هذين الحقين حق الحياة ، وحق المال ، نرى رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤكدهما في خطبة الوداع فيقول « ان دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا الا فليبلغ الشاهد منكم الغائب » .

حقوق أخرى

وهناك من الحقوق الأخرى التى أعلنها الاسلام واكدها حق حفظ العرض وصيانته ولذا نراه يفرض اشد العقوبة على المستهين والمجترىء على حرماته . كما اعلن ايضا حق العمل الشريف ودعا اليه وحبب فيه وبين حقوق الأسرة والأولاد والوالدين . حتى من يعملون في الأسرة أمر بالاهتمام بهم والعناية بأمرهم مما يضيق امر التفصيل فيه .

حق الانسان في التكافل الاجتماعي

اما موقف الاسلام من التكافل الاجتماعي وحق الانسان في أن يعيش في مستوى لائق فانه يعتبر بحق ثورة محطمة للانظمة الاجتماعية التىسبقته .

ومهما تقدم الانسان وتطور في مختلف العصور فلن يجد خيرا مما اعلنه الاسلام في هذا الشان .

فقد جعل على الدولة رعاية كل فرد فيها ، وفي سبيل ذلك جعل للفقراء والمساكين ربع ما تحصله الدولة من أموال الزكاة .

ليس هذا فحسب بل ان هذا النصيب اذا لم يف بحاجة الفقراء والمساكين فيجعل حقا آخر

على الأغنياء يستوفى منهم لحاجة هؤلاء . وفي هذا يقول عليه الصلاة والسلام « ان الله فرض على على الاغنياء من أموالهم بقدر ما يسع فقراءهم ».

ويقول : « ان في المال حقا سوى الزكاة » .

ومن أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم ومن مفهوم الآيات الكثيرة التى وردت تامر بالانفاق فى سبيل الله استخلص الامام ابن حزم العالم الاندلسي مبدا في تحقيق التكافل الاجتماعى على الدولة تحقيقه . وفي هذا يقول :

« وفرض على الاغنياء من أهل كل بلد أن يقوموا بفقرائهم ، ويجبرهم السلطان على ذلك ان لم تقم الزكوات بهم ، فيقام لهم بما يأكلون من القوت الذى لا بد منه ، وفي اللباس للشتاء والصيف بمثل ذلك وبمسكن يكنهم من المطر والشمس » .

وهناك أيضا ما سنه عمر بن الخطاب رضي الله عنه بجعل عطاء في بيت المال لكل وليد يولد بما يفيد أن العلاوة الاجتماعية التى تعطى الآن للعاملين في حقل الدولة أصلها مقرر في الاسلام بصورة أعم وأشمل فقد كان عمر يعطى كل وليد بصرف النظر عن أن والده عامل في حقل الدولة أو غير عامل فيه .

ومن الصفحات المشرقة في الاسلام عن تحقيق معنى التكافل الاجتماعى بما لا يخطر على البال ان عمر بن الخطاب امر بتخصيص مراع لأغنام الفقراء ترعى فيها وحدها واصدر امرا بذلك وفي هذا القول ان هذه المراعى لا تباح لغنم الأغنياء امثال عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان .

يقول في تبرير هذا « فانه ان تهلك ماشية الغنى يرجع الى ماله ، وان تهلك ماشية الفقير يأتنى متضررا يقول يا أمير المؤمنين ، طالبا الذهب والفضة ، وليس لى ان اتركه . وبذل العشب من الآن أيسر على من بذل الذهب والفضة يومئذ».

هذا جانب من التكافل الاجتماعى الذى ابتدعه الاسلام واقامه قبل ان تعرف الانسانية شيئا في هذا المجال .

وهكذا نجد ان ما اعلنته الثورة الفرنسية وما أعلنته المنظمة الدولية من حقوق الانسان ليس جديدا على الانسانية وان الاسلام سبق بقرون باعلان هذه الحقوق والحفاظ عليها .

واى حق في حقوق الانسان يقال انه جديد في هذين الاعلانين قد اغفله الاسلام او لم يوجه اليه؟

الحق انى لا اجد في هذا المقام شيئا جديدا يمكن ان يقال انهما تفردتا او امتازتا به عما أعلنه الاسلام .

وربما قيل ان ميثاق الامم المتحدة نص على الغاء الرق بينما لم يعلن الاسلام هذا ضمن حقوق الانسان .

وما أيسر الرد على هذا فميثاق الامم المتحدة حين أعلن الغاء الرق نص على الغاء شيء لا وجود له في معظم انحاء العالم . أما الاسلام حين جاء كان الرق ظاهرة اجتماعية في كل مكان ،فاقتضت حكمته الا ينص على الغائه دفعة واحدة ، وانما اتخذ مما سنه في هذا المضمار وسائل حكيمة للقضاء عليه رويدا رويدا ومن هذا :

أولا : أنه ضيق في سببه وكان له أكثر من سبب، فقصره على أسرى الحرب من أعداء الاسلام الذين يرى الامام عقابهم بهذا . وليس ضرورة أن يعامل به كل الأسرى فهناك المن وهناك الفداء وهناك أيضا هذا الاسترقاق .

ثانيا : حبب في عتق الرقبة قربة يتقرب بها العبد الى الله .

ثالثا : جعل العتق كفارة لبعض الذنوب .

رابعا : جعل ثمن حصيلة الزكاة كل عام لشراء ارقاء واعتاقهم باسم الدولة فى سبيل الله .

خامسا : أباح مكاتبة الرقيق على مال ليحصل به على حريته يؤديه على أقساط لمالكه .

وهكذا نجد الاسلام وضع الوسائل التى تؤدى الى اضمحلال الرق مع الايام لينهى امره بهذه السياسة الحكيمة التى سنها .

ولا يبقى بعد ذلك شيء في هذا المجال يعرض في معرض الشبهة او التساؤل .

ومن ثم فاني لا استسيغ واعتقد أن غيرى من ابناء العروبة والاسلام لا يستسيغ ان يقال ان الأمم المتحدة هى التى أعلنت حقوق الانسان . ولو قيل انها أعادت اعلان حقوق الانسان ، لوجدنا في ذلك مندوحة لها عن هذا الخطأ الجسيم في طمس حقيقة معلومة من حقائق الاسلام .

ولهذا انادى من فوق منبر « العربى » ان يفكر المسلمون جبريا في تخصيص مناسبة يحتفلون فيها حقا وصدقا بذكرى اعلان الاسلام لحقوق الانسان اعتزازا بحق الاسلام وردا للفرية الكبرى عليه لأن السكوت على مثل هذا ضيم ، والرضاء به ، تخلف يأباه الاسلام . ■■

أحمد عبد المنعم البهى

وَحْدَةُ اللهِ تتراءى فى وَحْدَةِ خَلْقِه

أَجْسَامُ الخَلائِق

بقلم الدكتور أحمد زكى

■ وتقول الخلائق جميعا ، ادماجا لها فى وحدة من الأصول كاملة ، وشملا لها فى وحدة من التصدّع والتهدّم لا تخرج عنها ابدا . وهذا وجه عظيم من وجوه الوحدة ، وحدة الخطّة ، وحدة السنّة التي تتراءى فيها وحدة الله .

ولقد ذكرنا فى الكلمة الماضية ان النبات يؤلف جسمه من ثاني اكسيد الكربون ، وهو غاز فى الهواء ، ومن الماء والأملاح الذائبة فيه لا سيما املاح الأزوت ، وهى فى الأرض ، ثم من الشمس . تدخل باشعتها بين اكسيد الكربون والماء كما تدخل الابرة بخيطها في الثياب فتجمع ما تفرّق من اجزائه . ويخلق النبات من كل هذه الأشياء ، فى حضرة صبغه الأخضر ، السكر . ومن السكر والأزوت يصنع النبات بعد ذلك البروتينات .

ويخلق النبات مما لديه كذلك الدهن .

واذن فقد تهيأ للنبات أن يجمع بين اصول الغذاء الثلاثة الشهيرة . وكذلك هو يصنع مواد اخرى غير اصوله الشهيرة هذه كالفيتامينات والهرمونات والانزيمات وغيرها .

● أجسام الأحياء ملابس مستعارة ، تخلعها بعد حين ، ليلبسها جيل من الأحياء من بعد جيل .

جميعًا

، مِنْ هَواءِ الجَوِّ ،

وَمِنْ مَاءِ الأَرْضِ وَمِلْحِهَا ،

تتخلّق .

وَإِلَى الجَوِّ ، وَإِلَى الأَرْضِ ، هِيَ تَعُود .

وَهكَذا دَوَالَيْكَ .

وعلى هذا يحيا النبات ، وعلى هذا النحو ينمو .

انها مواد بسيطة ، قليلة النشاط ، خامدة الحيوية نسبيا (ثاني اكسيد الكربون والماء والازوت وسائر الاملاح) فى ارض وهواء ، اقتبسها النبات ، ليصنع منها جسما لنفسه ، وذلك بتحويلها الى مواد كيماوية اعقد تركيبا ، واكثر نشاطا ، واسرع تحولا فى التركيب عندما تلتقى باضراب لها .

وتسأل عن سر هذه النقلة ، من قلة النشاط ، الى كثرته وشدته ، فتعلم انها طاقة الشمس دخلت الى عناصر هذه المواد المركبة فربطت بينها ربطا جديدا ، واستقرت فيها .

وطاقة الشمس ، وهي طاقة اشعاع ، اصبحت فى هذه المركبات ، فى اجسام تلك النباتات ، طاقة كيماوية ، بعد ان كانت طاقة اشعاعية .

وتأتي الحيوانات ، كل الحيوانات ، لتبنى اجساما ، ولتجرى حياة ، فلا تجد امامها الا النبات سبيلا ، انها تأكله .

ان الحيوان ليس له ورق اخضر يمارس به التخليق الضوئي ، بأشعة الشمس ، واكسيد كربون الهواء ، وماء الارض فينتج من ذلك سكرا .

ليس فى الحيوانات هذا الجهاز .

ولكن في الحيوانات الجهاز الذي به تهضم ما اكلت من نبات ، ومن هذا المهضوم ، تَبْنِي جسمها ، وتجرى الحياة .

ومن الحيوانات ما لا يستطيع اكل النبات غذاء ، فيصبر حتى يأكل النباتَ حيوانٌ من آكلات العشب ، فيأتي هذا الحيوان الأول الذى عاف النبات ، فيأكل آكل النبات .

وسمينا الأول آكل لحوم . وما اللحوم الا من نبات . انه طعام تجهز مرتين ، مرة فى النبات، ومرة فى الحيوان المعشب . والأصل واحد .

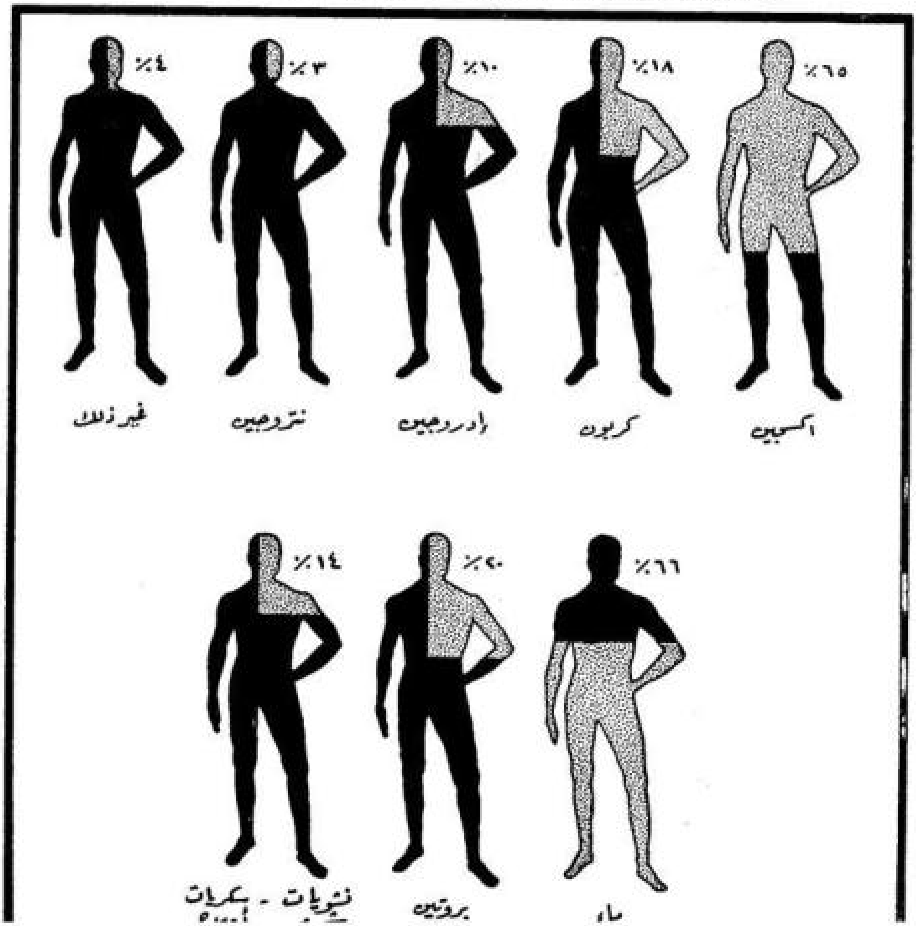
ناشط وانشط ومصدر النشاط واحد

والحيوان حيٌّ أنشط من النبات وانشط كثيرا . ولنشاطه وجوه عدة . وهي وجوه مختلفة . وهي وجوه قل منها ما يوجد فى النبات . والحركة اظهرها .

ومردُّ هذا النشاط الى طاقته الكيماوية .

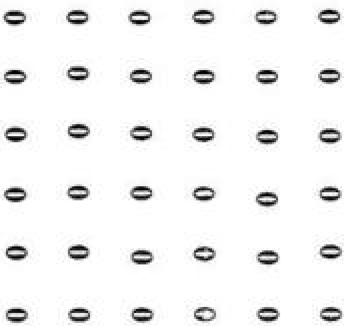
ومردُّ طاقته الكيماوية الى تلك الطاقة الأولى الشمسية ، الطاقة الاشعاعية ،

رسم يوضح كم في جسم الانسان من عناصر وكم من اصول الاغذية الثلاثة



مسابقة العربي

احذف ٦ دوائر .. واربح ١٠٠ دينار



■ في هذا الشكل ٣٦ دائرة صغيرة .. موزعة على ستة أسطر ، يحوى كل منها ٦ دوائر .. سواء كان العد راسيا أم افقيا ..

المطلوب منك أن تحذف ست دوائر من المجموعة كلها ، على شرط أن يبقى حاصل الجمع في كل صف سواء كان راسيا أم افقيا ، رقما مزدوجا لا مفردا .. اى ، ٢ أو ٤ أو ٦ .

ان المسابقة ليست سهلة .. ولكنها في نفس الوقت ليست صعبة .

شروط المسابقة

١ ـ أن يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور في ذيل هذه الصفحة .

٢ ـ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .

٣ ـ ضع اجابتك في مظف مغلق واكتب عليه العنوان الآتي :

مجلة العربي ـ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ١٣٦ » .

٤ ـ آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم الثالث من شهر ابريل « نيسان » ١٩٧٠ .

٥ ـ كل خطاب يفقد شرطا من هذه الشروط عرضة لان يهمل ولا يدخل عملية الاقتراع على الجوائز .

الجوائز ١٠٠ دينار

يمنح الفائزون جوائز ١٠٠ دينار كويتي على الوجه الآتي :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا .

الجائزة الثانية ٢٠ دينارا .

الجائزة الثالثة ١٠ دنانير .

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريق الاقتراع .

■■

كوبون مسابقة
١٣٦

كَثُرَتْ فيها الأَصوات حَتّى فَقَدَتْ فيها الكَلِمات مَعانيها ومَراميها

بقلم
الدكتور سري ناصر



■ ان من اخطر مخاطر الانسان في هذا العصر أنه يعيش بمنأى عن التيارات الحضارية والثقافية مهما بعدت الشقة بينه وبينها ، وهو لا يستطيع ان يلتف حول ذاته مكتفيا بالرضى النفسي المنبثق عن الارهاصات الصوتية التي يطلقها بين الفينة والاخرى ليؤكد وجوده ويقنع وجدانه بأنه كائن فاعل قادر على الحركة واحداث التغير .

ان انسان هذا العصر ـ مهما كان عنصره او سلالته او لونه ـ لايستطيع ان يفلت من الضغوط والقوى الانسانية العالمية ، او يتجنب الحياة في مجتمع له سلطانه الجاذبة والطاردة في الوقت ذاته . فاذا كان الانسان المنعزل يعيش في جو الاساطير والمجتمعات التي تصنعها الروايات الكلامية ، فان الحقيقة الاجتماعية تؤكد ان الانسان ـ كحيوان ناطق ـ لم يكن في يوم من الايام بمعزل عن اقرانه او بمناى عن تاثيراتهم الحضارية .

اول مظهر من مظاهر التعبير اطلاق اصوات

ومن جهة اخرى ، فقد اثبتت البحوث والدراسات الاجتماعية التي اجريت ـ سواء في الجماعات البدائية او على الطفل كانسان بدائي ـ ان اول مظهر من مظاهر التعبير عن الوجود هو اطلاق الاصوات بدرجات تتفاوت في عمقها او ضحالتها ، في تنغيمها او رتابتها بحسب درجة النمو الذي يتطور فيه الكائن الانساني من طور الطفولة الى الشباب فاكتمال النضج والاستقلال الذاتي ، وبحسب درجة التحضر الذي يصاحب

المجتمع البدائي في تحركه من البساطة الى التعقيد في حياته اليومية . ولا ينحصر النمو الذى نعنيه في الجانب المادى ـ سواء من ناحية البناء الجسمى في الانسان كفرد ، او في المصادر والقوى المادية والبشرية في المجتمع ككيان انساني ، وانما تنصرف بنفس الدرجة من الاهمية الى النمو العاطفى والمعنوى والوجداني بكافة درجاته واعماقه .

ان اطلاق الاصوات خاصية ملازمة للكائنات الحية سواء فى الاسرة الحشرية او الحيوانية او الانسانية ، واذا حاولنا ان نتتبع نشأة هذه الاصوات ونموها وتدرجها نجد ان حدتها تخف وتكراراتها تتباعد كلما ارتقى الكائن الحي في سلم النمو الجسمي والعقلي والنفسي داخل فصيلته المميزة له . ومن ناحية اخرى اظهرت الدراسات المقارنة في علم الاجتماع الحيواني من جهة ، وعلم الاجتماع الانساني من جهة اخرى ، ان الفصائل الحيوانية لا تتمايز فحسب من ناحية القوة والتسلط ، وانما تتمايز ايضا من ناحية ما تصدره كل فصيلة من تعبيرات صوتية في جانبي الكم والنوع ، او بعبارة اخرى كلما تدرج الكائن الحي ـ حشرة كان او حيوانا او انسانا ـ في سلم الترقي قل حجم التعبيرات الصوتية التى يصدرها ، وقل تنوع درجة هذه التعبيرات الصوتية التى يلجأ اليها في المواقف المختلفة .

اصوات يطلقها الطفل هي لنفسه اولا ، ثم لمن حوله

فاذا تناولنا الطفل كانسان بدائي نجد ان ما يصدره من اصوات انما تتركز حول ذاته هو سواء في مرحلة ما قبل النطق او بعدها ، ولا تظهر الوظيفة الاجتماعية لهذه الاصوات الا في وقت متأخر جدا ، لدرجة ان بعض الثقات في علم نفس الطفل يؤكدون انها تمتد الى سن السابعة حيث تصبح الكلمة مرآة للشخصية واداة لضبط سلوك الفرد ازاء نفسه وازاء الآخرين . فبينما يكون للاصوات دلالة في ارضاء الذات او مخاطبة الذات لدى الرضيع ، تصبح هذه الاصوات الاداة التى تعكس طبيعة الفرد الاجتماعية ، اذ يكتسب الطفل خلال تفاعله مع الآخرين من الكبار والصغار المحيطين به انه يعيش في عالم تحكمه قوى متعددة. وهذا العالم ليس عالما من الاصوات والكلمات فحسب ، بل ان هناك عالما فسيحا من الاشياء يبدأ بادراك الاشياء الملموسة منها . وكلما نمت قدراته ومهاراته وطاقاته الفاعلة استطاع ان يميز نوعا آخر من الاشياء المجردة كالجنة والنار والصدق والكذب وما الى ذلك ، بل انه يعيش في ظل قوى لا فكاك من سطوتها وسلطانها هى عالم الاشخاص الذى يبدأ تمثله لهم في عالمه الكبير الصغير ، وهو عالم الاسرة الذى يصبح لوالديه واخوته والمحيطين به اثر عميق في افكاره وافعاله، ومن اهمها ذلك القدر الذى يصدره من اصوات وكلمات ، ويتسع عالم الاشخاص مع مراتب نمو الطفل فيتسع ليضم عالم الرفاق ثم المربين في المدرسة والمسئولين عن قيادته في جماعات العمل او اوقات الفراغ ، ثم يمتد هذا العالم في اتساعه حيث تتداخل في اطاره ـ مع كل يوم جديد ـ انماط ونماذج جديدة من عالم الاشخاص . وبقدر ما يحدث من احتكاك وتفاعل بين الفرد وهذه القوى المتمثلة في عالم الكلمات وعالم الاشياء وعالم الاشخاص تنصهر استجاباته وتتحدد مظاهر شخصيته التعاونية والتسلطية ، القائدة او المقودة بحسب الثقل المنبثق عن الخبرات السارة والمؤلمة التى يتعرض لها في حياته اليومية .

دور الكلمة المنطوقة في الأمة العربية

فاذا وجهنا النظر ـ على وجه التخصيص ـ



الى حياتنا العربية ، حياتنا داخل الأسرة وخارجها سواء كان ذلك في جماعات الأنداد والرفاق أو في الجماعات الاختيارية المنظمة ، كجماعات العمل والتشكيلات المهنية والترويحية ، وسواء كان ذلك في اطار العلاقات الافقية بين الناس بعضهم مع البعض الآخر من جهة ، أو في اطار العلاقات الرأسية بين الحكام والمحكومين أو المحكومين وحكامهم من جهة أخرى ، امكننا أن ندرك دور الكلمة المسموعة والمنطوقة في الأمة العربية .

فالطفل في كثير من أسرنا العربية يجد للكلمة دلالة تتجاوز وظيفتها الرمزية ، ذلك لان التنشئة الاجتماعية في هذه الأسر تقوم على الكلام الذى لا تسنده الأفعال ، فعندما تهدد الأم طفلها تستخدم اساليب التخويف والتهديد اللفظى ، وحتى عندما تمجد طفلها تستخدم نفس الأساليب المجردة عن الأفعال الملموسة ذات الأثر المباشر امام حواس الطفل ودوافعه . فالطفل العربى في مثل هذه الأسر ينشأ فيجد ان للكلمة وزنا بالغ العمق لدرجة تتحول فيها مهمة هذه الكلمة من كونها مجرد رمز لشيء معين فتصبح قسما من هذا الشيء ومن ثم تتحول الى درجة تغدو فيها هى الشيء نفسه .

ويظهر ذلك في شخصية هذا الناشيء الصغير وفي سلوكه في مستقبل حياته . يدرك هذا الطفل ان للاصوات أثرا فعالا على جميع مستويات حياته في مجتمعه الأسرى الصغير من جهة ، ثم في علاقاته الخارجية على تعدد اشكالها ومظاهرها من جهة اخرى . ويبدأ في تمثل حقيقة كبرى (مثله في ذلك كمثل أهل حوض البحر المتوسط) هى ان استعمال الكلمة لا يكون بهدوء وانما تصبح الكلمة مقرونة بالصياح أو بمعنى آخر يصبح للنبرة والدرجة الصوتية للكلمة ارتباط وثيق بهذه الكلمة . فالكلمة تتغير دلالتها في نظره لمجرد ارتفاع او انخفاض الدرجة الصوتية التى تنطلق بها ومن هنا يصبح للسلوك النطقى دور فعال في حياة الطفل العربى لدرجة تجعله يعطى للخطابة وللشعر ولكافة المعطيات اللفظية اهمية قصوى في حياته اليومية .

وهكذا يصبح للكلمة صدى عميق، ويعتبر الكلام اشياء بحد ذاتها وليست مجرد دلالات او رموز لاشياء معينة .

التنشئة اللفظية خارج نطاق الأسرة

ويمتد هذا الأسلوب في التنشئة اللفظية خارج نطاق امثال هذه الأسر . فاذا أخذنا ـ على سبيل المثال ـ بعض جماعات الأنداد والرفاق بصورتها التلقائية غير الموجهة نجدها امتدادا طبيعيا لأسلوب التنشئة في الأسر التى تتألف منها بعض البيئات. فهذه الجماعات ـ هى في الحقيقة ـ حصيلة لمجموعات من الأسر وملتقى تتجمع فيه نماذج وانماط متعددة لألوان متباينة من التنشئة الاجتماعية في الأسرة .

وبالرغم من أن برامج هذه الجماعات الاختيارية يختلف بعضها عن بعض على ضوء اختلاف مستوياتها الثقافية والاجتماعية والتكوينية والرابطة القائمة بين اعضائها الا أن الأمر الذى يطبع شكل النشاط في كثير من هذه الجماعات ان الكلام والمعطيات الصوتية واللفظية تمثل جانبا كبيرا من أوجه النشاط في كافة مظاهره. بل يمكن القول ـ بصورة لا ينصرف اليها الشك ـ أن القيادة في جماعات الانداد هى كثيرا ما تكون قيادة اصوات ، وان التهديد والوعيد والتعبيرات اللفظية كثيرا ما تكون هى المعيار الذى يعتبره قادة هذه الجماعات اساسا لكافة المظاهر السلوكية . فعندما يتناقش الاعضاء أو يمارسون بعض الهوايات أو يلعبون أو يسمرون أو يتشاجرون نجد أن التعبيرات اللفظية لها قيمة كبيرة . ومن الطبيعى أن هذا النضال قد يتجه اتجاها بناء أو ينحرف انحرافا تخريبيا . وحتى يصبح للنشاط اثر اجتماعى في اعضاء الجماعة لا بد وان يتصف بالميزات التى تسمح له بان يكون قادرا على هذا التأثير . ولا يتم هذا التأثير ما لم ترتبط الكلمة بالعمل وما لم يتجه وقت هذه الجماعات او اغلبه للتفكير بصمت، وما لم تقتصر الكلمة على حدودها الحقيقية وهى ان تكون رمزا للشيء بدلا من أن تصبح الشيء نفسه.

في جماعة المدرسة

واذا ذهبنا الى جماعة أخرى اكثر تنظيما وتوجيها ، وهى جماعة المدرسة ، تواجهنا في الكثير منها نفس الظاهرة ، اهتمام واضح وتركيز كبير على الحفظ والتلقين ، فيغرس في الناشيء الصغير الفهم وتقدير قيمة الأشياء عن طريق الكلمة لا عن طريق العمل . ففى الغالب الأعم من مدارسنا يركز المعلمون على حفظ الكلمة وتحويلها الى شيء في ذاته دون تدريب على تقدير قيمة هذه الكلمة أو اختبارها بنفسه . ولا شك أن التعليم الكثيف

وانعدام الاتصال الفردى بين المعلم وتلاميذه الى جانب الارهاق الفكري والمادى الذى يعانيه المعلم وخاصة معلمى المرحلة الاولى يطفىء لديهم جذوة الإبداع والتفاعل الايجابى مع تلاميذهم .

ان جماعة المدرسة هى الحلقة الوسيطة بين جماعة الأسرة الصغيرة والجماعة الاجتماعية الكبيرة في المجتمع ، ويقع على عاتق المعلم تدريس تلاميذه على الفهم والتقدير والقياس . والقياس هنا لا يكون بالتهديد والوعيد أو بحجم الاصوات وشدة نبراتها وانما عن طريق تمكين الناشئين الصغار من تقييم نشاطهم من جهة ، والنشاط الذى تزاوله جماعاتهم المدرسية من جهة أخرى . كما أن من واجبه ان يشيع في التلاميذ القدرة على مجابهة الواقع بما فيه من نجاح أو فشل . ومواجهة الواقع هنا تتضمن ضرورة تقدير التلميذ لأهمية محاسبته على نشاطه وانتاجه وتنبيهه اذا اخطأ وتقديره اذا أحسن عمله .

ففى جماعة المدرسة بوصفها اهم الجماعات التربوية المنظمة فيحياةالناشئين الصغار ينبغى أن تقترن الكلمة بالعمل فتتحول الى اداة بناء . فعندما يرتبط النطق بوجه خاص بأشياء واقعية ملموسة تلعب المدرسة دورا ايجابيا فيربط التلميذ برباط قوى يدفعه قدما الى الأمام ، كما تتجه الجماعة المدرسية ككل تصاعديا صوبأعلى اهدافها الى أن تتمكن من الوصول الى قمة هذه الأهداف. ويفيد هذا التدرج في اشاعة الاحساس بالنجاح والتوفيق في الوصول الى الهدف . وبهذا ينتقل التلاميذ من عالم الكلمات غير المقدمة بافعال ، الى عالم الواقع المرتكز على الكلمات المقترنة باشياء مادية لها ثقل وعمق يتفق مع ما ترمز اليه هذه الكلمات بالفعل .

في مجتمع الحياة الواسع

وفي مجتمع الحياة الواسع ، سواء في مجتمع العمل اوعلى مستوى العلاقة بين الحكام والمحكومين ـ نجد امتدادا واضحا لنفس الصورة التى انبثقت في مجتمع الاسرة ثم نمت وترعرعت في جماعات الانداد على مختلف مظاهرها واشكالها ـ يصبح للكلمة دلالة كبيرة حتى أن قيمة الرجل تقاس بانه خطيب مفوه أو متكلم ساحر . فالكلمة والسلوك النطقي لا الافعال والسلوك التحليلي تاخذان مكانة الصدارة في العلاقة بين الناس في المجتمع . فالمواطن يتوعد الحاكم وينعته بالكلمة فقط ، والحاكم يهدد المواطنين أو يقدم الوعود اللفظية التى لا تقترن بالعمل الايجابى أو النوايا الطيبة . وليس هذا التصوير تشاؤميا او مفتعلا وانما هو حقيقة واقعة وسائدة في ارجاء كبيرة من عالمنا العربى . فاذا نظرنا الى الفرد وحياته في المجتمع العربى ـ سواء القائد أو المقودين ـ نجد انه يعيش في عالم الكلمة غير المقومة باعمال وبهذا أصبحت الكلمة رخيصة لدرجة انها تحولت الى ادوات لارضاء الذات فحسب دون أن تكون قادرة أو قابلة للتأثير على الاخرين أو تحريكهم . فالكلماتلم ترتبط بالاشياء الماديةوانماظلتمرتبطة بالاشياء النفسيةالبحتة.ففىاطار المجتمع صارت الكلمة هيالشيء ولم يعد مضمونها هو هذا الشيء.

وامامنا ـ في حياتنا اليومية ـ أمثلة صارخة بهذه الحقيقة . فلو اخذنا المذيع الذى يقرأ الاخبار ، فهذا الرجل في الحقيقة لا ينبغى أن يكون اكثر من حامل ناقل لهذه الأنباء دون أن يؤثر في جوهرها أو في مضمونها لانه لا يستطيع أن ينقل الينا شيئا خاصا من عنده . ولكن بعضا من هؤلاء ـ متأثرا بالتنشئة اللفظية التى أثرت في بنائه النفسي طوال سنوات طفولته وشبابه ـ يؤثر في سامعيه بالمستوى الصوتى واللفظى للكلمة، فاصبح الشكل هو الذى يسيطر على نشرة الاخبار دون محتواها . والمستمع ـ كفرد ـ لا يهمه ولا يفيده أى شيء من صوت الكلمة وانما الذى يعنيه هو مضمون هذه الكلمة ومحتواها . ولا شك أن هذا الترديد اليومى والتأثير على السامعين بالعمق الصوتى للكلمة جعلها تدور في فراغ ، فاخذت التعبيرات اللفظية دلالات أعمق واخطر من قيمتها الحقيقية ، فاصبح لها من الهلع أو الخوف أو التمجيد الذى قد يصل الى حد التقديس والعبادة ما جعلنا نحن نفقد ـ مع الاصطدام اليومى بين التصور والواقع ـ القدرة على استخدام الكلمة للتأثير أو لتحريك الاخرين سواء كانوا افرادا أم جماعات أم مجتمعات . وهكذا اصبحت كلماتنا وبياناتنا ، في الكثير من أوجه حياتنا ، تدور في فراغ قاصر عن الاقناع . ربما استطاعت هذه الكلمات أن تثبت وجودنا وترضي ذواتنا عن طريق التهديد أو الوعيد ، ولكنها ـ بدون أدنى شك ـ لم تستطع أن تتوامم مع واقعنا وان تكون رمزا لأفعالنا وسلوكنا في المجتمع العالمي الكبير . ■■

سري ناصر

كلية الآداب الجامعة الاردنية

استطلاع الكويت

صنع
لمعجزات

يف يتحول الطفل غير العادي
فرد منتج في المجتمع ؟

م بهذا الاستطلاع وصوره
سليم زبال عبد الناصر شقره



الى اعلى : هذه الطفلة الصماء تلمس مخرج الصوت صحيحا ما أمكن ، والحروف الحلقية هي اصعب .. اما الحروف الشفاهية مثل م . ب وغيرها فهي حركة شفاه المعلمة .. ان هذه الصورة تبين لك مدى

الى اسفل : حصة القراءة في معهد الأمل للصم .. المعلمة تتحدث في الميكرفون ، فينتقل الصوت مدويا الى السماعات المثبتة فوق آذان التلميذات .. انها احدث الوسائل المتبعة في هذا النوع .







من الاحبال الصوتية للمدرسة ، وتحاول النطق نطقا
الحروف ، مثل الحاء والخاء والغين والكاف والقاف
سهل تعلما .. والوقوف امام المرآة ضروري لتقليد
المجهود الكبير الذي تبذله المعلمة .

احد طلبة معهد النور للمكفوفين ، يبحث عن موقع
دولة الكويت فوق خريطة خاصة مجسمة في المعهد .

الى اسفل : الاخصائية النفسية اقبال عبد الجليل
تجرى اختبارا عمليا لذكاء احدى التلميذات .



■ لم نصدق ما تراه أعيننا .

لقد رأينا الايمان يتغلب على اليأس .. ورأينا المثابرة تحول الظلام الى امل ونور .. فقد استطاع المكفوفون والصم والمقعدون ، والمتاخرون عقليا ، اختراق جدار الانكماش والانزواء ، والانطلاق الى حياة متفتحة .. حياةطبيعية، لا مجال فيها للشفقة أو الرثاء ، ان كل واحد من هؤلاء يريد أن يصبح عضوا عاملاً منتجا في مجتمعه ، لا عبئا وعالة على افراده ..

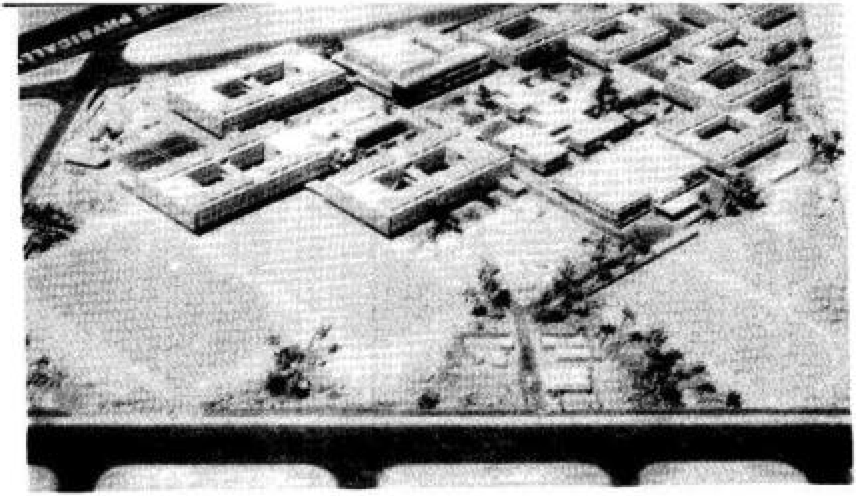
لقد أصبحوا ينظرون الى فقدهم البصر أو السمع او الحركة لا على انه نكبة دائمة ، بل على انه صعوبة تمر بهم ، وعليهم أن يتغلبوا عليها .. عليهم ان يرتفعوا فوق آلامهم .. جاعلين شعارهم النظر الى القدرة لا الى العجز .. انها فلسفتهم الجديدة .. اكتسبوها بعد أن شعروا بأن هناك ايديا اخصائية مدربة تقف الى جانبهم ترشدهم الى الطريق بأسلوب علمي صحيح .

انهم طلبة المعاهد الخاصة في الكويت .. هؤلاء الذين بداوا يرون معالم الطريق تتفتح أمامهم بانتقالهم الى المبنى الجديد لمعهدهم الذي تكلف بناؤه أربعة ملايين دينار ، فجاء معهدا فريدا من نوعه في العالم يضم ٦ معاهد ، ثلاثة منها للبنين وثلاثة للبنات ، وهي المعاهد الخاصة بالمكفوفين والصم والمتخلفين ذهنيا .. والى جانب هذه المعاهد الستة تقوم مباني الورش .

الذكور يتدربون على الاعمال الخشنة : من نجارة ، وتنجيد للمفروشات ، وكهرباء ، وطباعة وسمكرة وصناعة الجلود والخيزران وتبريد وعمارة وخرسانة ولحام ، ومواد صحية .. بينما الفتيات يتدربن على التخصص



١٢ مشرفة وباحثة اجتماعية يعملن في المعاهد الخاصة بالكويت .. وتقع عليهن مسئولية اجراء اختبار الذكاء للاطفال المتقدمين للالتحاق بالمعهد ، ولكن هذا الاختبار لا يكفي بمفرده .. لهذا تقوم المشرفات والباحثات بمراقبة سلوك الطفل في المدرسة والمنزل ، ومدى توافقه مع بيئته الاجتماعية .. ومما يذكر ان المعهد بدأ بمشرفة واحدة عام ١٩٥٥ هي السيدة دلال الشمان ، التي تراها وسط الصورة مع بعض زميلاتها أثناء اجتماعهن الصباحي .



زاد عدد تلامذة المعاهد الخاصة من ٣٦ طالبا في ١٩٥٥ الى ٨٠٠ طالب في هذا العام .. وسيرتفع عددهم الى ١٣٠٠ في العام القادم ، لهذا اقامت وزارة التربية مجمّعا للمعاهد على أرض مساحتها ٩٢ الف متر مربع ، يضم المعاهد الخاصة جميعها ؛ كل معهد منها على حدة ، وفي كل منها قسمه الداخلى الخاص به ، والورش المتصلة بالتأهيل المهنى ، فضلاً عن صالتين للألعاب الشتوية وحمامين للسباحة .. انه بلاريب من مفاخر الكويت الحديثة

في الاعمال النسوية مثل صناعة التريكو والحياكة والطهى والتطريز وعمليات التجميل .

براعة هندسية

ويشتمل مبنى المعاهد الخاصة على مطبخ كبير مزود بالأفران الحديثة وأواني الطهى على البخار ومكنات غسل الصحون ، وبامكانه تقديم اكثر من الفي وجبة طعام مرة واحدة ولكنه يكتفى اليوم بتقديم ٨٠٠ وجبة للطاليات والطلبة الذين سيقفز عددهم في العام القادم الى أكثر من ١٢٠٠ طالب وطالبة .. ولن نطيل الحديث عن المسرح الذى يتسع لستمائة وخمسين مقعدا ولا عن الملاعب الداخلية المزودة بأحدث المعدات ، ولا عن عيادات أطباء السمع والبصر والأسنان ، ولا عن مباني الادارة..وانما يكفى انْنشير الى البراعةالهندسية التي مكنت المعماريين من تحديد أوضاع الشمس المختلفة في فترات النهار المختلفة ، وفي فصول السنة المختلفة ، بحيث امكنهم الابقاء على الظل في الساحات الداخلية وحجب شمس الصيف عنها لأطول مدة ممكنة ..

وفي مطلع عام ١٩٧٢ سينضم الى مجمع المعاهد الخاصة مبنى جديد كبير هو معهد الشلل ، الذى انتهت ادارة المشاريع الكبرى بوزارة الاشغال العامة من مخططاته الأولية .. وستبلغ تكاليفه مليونا و ٢٠٠ الف دينار ، ويتسع لأربعمائة تلميذ وتلميذة .. وسيكون على أحدث النظم العالمية ..

من هو الطفل « غير العادى » ؟

ان الكويت تنفق بسخاء على ابنائها غير العاديين لتعوضهم بعض الشيء عما فقدوه .. ولكن من هم هؤلاء الاطفال غير العاديين ؟ .

وتجيبنا ملفات الادارة الثقافية في امانة جامعة الدول العربية بقولها : « هم أولئك الذين ينحرفون عن مستوى الخصائص الجسمية او العقلية أو الانفعالية أو الاجتماعية للاطفال في سن محدودة ، الى الحد الذى يحتاجون معه الى خدمات تربوية خاصة تصل بهم الى اقصى درجة يمكن أن تبلغها قدراتهم .. »

وبمعنى آخر ان الاطفال غير العاديين هم الأطفال المكفوفون وضعاف البصر ، والصم وضعاف السمع ، والمشلولون والمقعدون والمتاخرون ذهنيا .. وحتى الأطفال الموهوبون يعتبرون من الأطفال غير العاديين الذين يحتاجون لرعاية خاصة ! .

لقد اصبح حق هؤلاء الأطفال في التعليم معترفاً به في جميع المجتمعات العالمية ..

ولم يعد في وسع الآباء أن يمنعوا التعليم عن



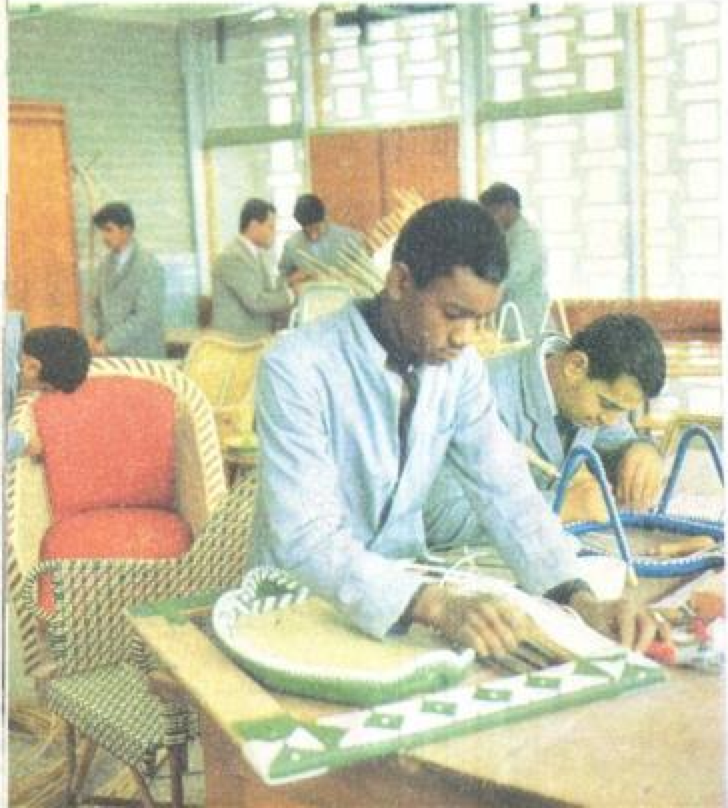


يعقوب جاسم .. ظهرت مواهبه في قسم الخزف بمعهد الامل للصم .. كان يعيش حزينا منزويا .. اما اليوم فاصبح يعتز بانتاجه ومصنوعاته التي عرضت في معرض لندن فحازت على الاعجاب والتقدير

الى اليسار : في معهد التربية للمتأخرين دراسيا : الفتيات يعملن بمهارة على آلة التريكو الحديثة .. **والى اسفل :** مجموعة من فتيات معهد الامل يقمن بعملية تجميل لزميلة لهن تحت اشراف المدرسة .. ان المبنى الجديد للمعاهد الخاصة اصبح يضم قاعات لمختلف اوجه نشاط الطلبة والطالبات .







الي اليسار : تهدف ادارة المعاهد الخاصة في الكويت الى تأهيل الطلبة بمهنة تساعدهم عند تخرجهم .. وتلعب صناعة الخيزران دورا رئيسيا في هذا السبيل .. ويجرى التفكير حاليا لانشاء مصانع تابعة للدولة ويعمل فيها خريجو المعاهد الخاصة جنبا الى جنب مع العمال العاديين .. وتعطيها الدولة الاولوية في شراء منتجاتها وتشجيعها ..

أبنائهم بحجة العاهة التي يشكون منها .. كما لم يعد من حق الحكومات أن تهمل في تعليم الأطفال غير العاديين في مجتمعها ، لأن هذا المجتمع في حاجة الى رفع مستوى هذا الفرد ، تماما مثل حاجته الى رعاية الطفل المتفوق .. ان المجتمع الحديث يُعنى بكافة افراده ويرفع مستواهم جميعا ، ولم يعد هناك مجال لانسان يعيش عالة على انسان آخر ..

كارثة

لقد وجهت الادارة الثقافية في جامعة الدول العربية ٤٥ سؤالا الى وزارات التربية والمعارف في الدول العربية .. وجعلتها على هيئة استقصاء عن الأطفال غير العاديين .. وكانت اجابات دولنا العربية مؤلمة ومحزنة للغاية ، لأنها تمثل مقدار تخلفنا في مجال العناية بمثل هؤلاء الأطفال .

واليك بعض الأمثلة : هل توجد احصاءات عن الاطفال المتخلفين ذهنيا ؟ .

وكانت الاجابات : ١٢ دولة ليس عندها اى احصاء ، ودولة واحدة اجابت بالايجاب رغم أن مصادر احصاءاتها غير معتمدة ! .

وسألوا عن عدد المكفوفين .. فاجابت ثلاث دول بان عندها احصاء لهم ولكنه غير دقيق . !! .

وسألت الجامعة : هل توجد معاهد خاصة لتأهيل المدرسين ؟ ، فكانت جميع الاجابات بالنفي ما عدا دولة واحدة هي الجمهورية العربية المتحدة.

ثم كان السؤال عن الموهوبين وهل توجد احصائية بعددهم أو معاهد خاصة بهم ؟ .. فكانت اجابة جميع الدول بالنفي باستثناء معهد واحد خاص للأطفال الموهوبين !!

قرارات كثيرة لسد النقص

وانعقدت « حلقة تربية الموهوبين والمعوقين في البلاد العربية » وحضر الحلقة نخبة من الأساتذة العرب المتخصصين في تربية هؤلاء الأطفال .. وخرجوا من الاجتماعات بقرارات وتوصيات كثيرة ، وكان لا بد أن تكون كثيرة ، لأن العمل المطلوب كبير وكثير ..

بين التقاليد والعادات ، يضيع الاطفال !

ومن أهم القرارات التي اتخذتها حلقة تربية الجامعة العربية ، قرار بأن يتم التعليم والعلاج



حنان وامومة تحاط بهما التلميذة في معهد النور الخاص بالمكفوفات في الكويت ..



الاستاذ حمد فهد الخالد - الى اليسار - وهو الذى تعلم في معهد النور بالكويت سابقاً .. ثم حصل على ليسانس قسم الفلسفة وعلم النفس من جامعة القاهرة . انه يعمل الآن استاذا ..

في نفس الوقت ، وان يتم الاكتشاف المبكر للأطفال المعوقين في بداية اصابتهم، حتى يمكن التغلب على الاعاقة في حينها ..

وتحدثنا مع المربي عبد العزيز شاهين ذلك الرجل الذي عاصر المعاهد الخاصة في الكويت منذ عام ١٩٥٧ حتى يومنا هذا ، وبذل الجهد الكبير لتطويرها حتى اصبحت على ما هي عليه اليوم فقال : « ما زالت العادات والتقاليد القديمة تسيطر على تفكيرنا ، وتقف حجر عثرة في سبيل معرفتنا بالحالات التي تحتاج الى رعاية وعناية.. فالآباء والأمهات يحاولون اخفاء حالة أبنائهم الذين تصيبهم علة ، أو تنزل بهم كارثة تعوقهم بدنيا ، او تجعل قدرتهم العقلية في مستوى أقل من المعتاد .

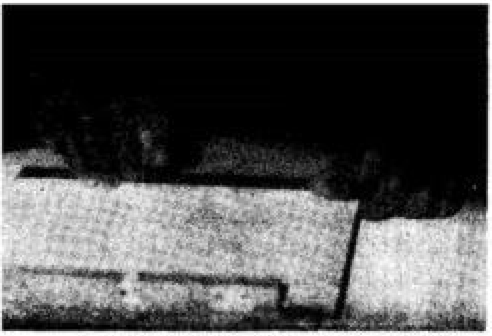
« ان الذين يتقدمون الينا من تلقاء أنفسهم قليلو العدد نسبيا ، وكم من أطفال يقبعون في أركان منازلهم محرومين من نعمة التعليم بسبب جهل الأباء ووقوفهم مكتوفي الأيدي أمام مشاكلهم، حتى أصبح هؤلاء الأبناء عبئا على الأسرة ، بدلا من ان يكونوا عنصرا نشيطا عاملا فيها ..

« ان تمييز الطفل المكفوف أو الأصم من السهولة بمكان ولكن الطفل المتأخر ذهنيا ، الذى تصل درجة ذكائه الى أقل من ٦٠٪ هو الذى نسعى جاهدين للبحث عنه ..

« وحتى نعثر على هذا الطفل طلبنا من المدارس أن ترسل لنا كشفا باسماء جميع الطلاب الذين رسبوا لمدة سنتين متواليتين .. وتبدأ الباحثات الاجتماعيات في دراسة ملف كل طفل والاتصال بأهله .. لمعرفة سبب تأخره وهل يعود تخلفه لعوامل عضوية وراثية ، أو عوامل بيئية مثل زواج الأب بأكثر من واحدة ، أو افتراق الابوين بالطلاق .. وفي معاهدنا الخاصة استطعنا أن نعيد عشرة طلبة من المتخلفين ذهنيا الى مدارسهم العادية ، بعد أن قمنا بعلاجهم وتعليمهم وفقا لأساليبنا الخاصة .. » .

ويسترسل الأستاذ عبد العزيز شاهين فيقول :

« لقد اقتنع أولياء الطلبة المكفوفين والصم والمشلولين بأن هذا المعهد هو خير مكان لأبنائهم، ولكن المشكلة تبدأ مع والد الطفل المتأخر ذهنيا .. انه لا يريد الاعتراف او الاقتناع بأن طفله غير عادى ، ولكن رسوبه مرتين متتاليتين ، ونتائج الاختبار تجعله يقتنع بضرورة ادخال ابنه الى معهدنا ..



ست نقاط هي اساس طريقة بريل للكتابة البارزة وهذه صورة طريقة الكتابة في الابتدائي مخراز في اليد ومجرى ، لحفر النقطة في المكان المناسب



وهذه لوحة الحساب .. الارقام مصنوعة من قطع معدنية تحرك على اللوحة ، وكل منها يشير الى رقم معين .. طبقا لزواياها



مكنة برايل الطابعة .. انها الآلة الكاتبة الحديثة المستعملة في الفصول الثانوية ، مكونة من ستة اصابع كل منها يضع النقطة في المكان المعين لها ..

« وتضم المعاهد الخاصة ٨٠٠ طالب حاليا وقد أقيمت هذه المعاهد لخدمة أبناء الكويت والخليج العربي خاصة ، ولكننا نتيح منحا دراسية لأبناء البلاد العربية تأتينا عن طريق وزارة الخارجية .. وفي المعهد حاليا طلبة من ٦ دول عربية غير أبناء الخليج هي: ج.ع.م. والمملكة العربية السعودية، والجمهورية العراقية ، والمملكة الاردنية ، وفلسطين ، والجمهورية السورية ، والجمهورية اللبنانية .. ومجموع هؤلاء الطلبة ١٦١ طالبا .

« ان الطلبة المكفوفين يتناقص عددهم باستمرار .. ولكن للأسف نجد أن عدد طلبة وطالبات قسم شلل الأطفال في تزايد مستمر ، انها جريمة الآباء في حق ابنائهم ، لانهم لا يعطونهم المصل المضاد لشلل الأطفال في حينه .. ومنذ اسبوع قدمنا ١٥ شخصا الى المحاكمة لانهم امتنعوا عن تعليم ابنائهم المشلولين ، مخالفين بذلك قانون التعليم الالزامي الذي يكفل التعليم لجميع أبناء الأمة .. ان الدولة تصرف بسخاء على ابنائها غير العاديين ويكفي ان تعلم أنها انفقت ٢٥ الف دينار في هذه السنة ثمنا للمواد الخام فقط ، التي يستعملها الطلبة والطالبات في ورشهم .. ان مشكلتنا الرئيسية هي الحصول على الاساتذة، ورغم حاجة الجمهورية العربية المتحدة الماسة الى هؤلاء الاساتذة الا أنها لا تبخل علينا ، وتعيرنا اياهم .. كما ان الوزارة أوفدت هذا العام عشرة من المدرسين الكويتيين ، للتخصص في تعليم الصم في الجمهورية العربية المتحدة .. وهي عازمة على ارسال مثل هذا العدد كل عام .. »

المدرس الممتاز فقط

ومما لا شك فيه أن اعداد المعلم اللازم للمعاهد الخاصة يختلف عن طريقة اعداد المعلم العادى ، حتى أن بعض الدول العربية تعطى للمعلم الذى يلتحق بالدراسة الخاصة مرتب موظف كامل . أثناء تخصصه .

والمعلم الذى يتلقى هذه الدراسة الخاصة يجب أن يكون قد أمضى في التدريس سنتين على الأقل ، حصل خلالهما على درجة جيد من المفتشين ، والا تكون قد وقعت عليه جزاءات خلال هذين العامين .. وذلك ضمانا لاختيار افضل العناصر ، اذ أن العمل الذى سيعدون له لا تنجح فيه الا الفئات الممتازة المخلصة ..

شعب ثلاث

ويتخصص المعلم في احدى الشعب الثلاث المختلفة ، وهي : شعبة التربية البصرية ، وشعبة التربية السمعية ، وشعبة التربية الفكرية ..

ويتلقى خلال هذه الدراسات تدريبات متعددة عن الاتجاهات التربوية الحديثة ، وعليه اذا اختار الشعبة الاولى أن يتعلم قراءة وكتابة طريقة برايل Braille الخاصة بالمكفوفين .. وفي حالة اختياره الشعبة الثانية عليه أن يتقن قراءة

الى اسفل : ما من شك ان التربية الرياضية تساعد على نمو الجسم وتكسبه مرونة ، وهذا يعتبر من العوامل المهمة في نمو العقل .. كما تلعب الموسيقى دورا اساسيا في تمرين الاذن على الانغام والتحكم فيها







الاستاذ عبد العزيز الشاهين ١٢ سنة من العمل المتفاني في خدمة الاطفال غير العاديين ..

الشفاه ومخارج الأصوات وطرق تدريسها وتصحيحها .. اما اذا التحق بشعبة التربية الفكرية فعليه أن يكتسب القدرة على تدريب الطفل المتخلف حتى ينتقل ذلك التدريب الى حياته المستقبلة ..

فلسفة تعليم المكفوفين

ان هذه التدريبات هي بعض المواد التي يتلقاها المعلم لأن تعليم أطفال المعاهد الخاصة يحتاج الى فلسفة خاصة .. فمثلا رعاية الكفيف شعارها : الإبقاء على كل مظاهر الحياة العادية ، بتحاشي العاطفة وتحاشي الانسياق وراء الشفقة والرثاء ، لأن ذلك لا يحل المشكلة بل يزيدها تعقيدا .. ان

في استطاعتنا دائما ـ باستخدام الاسلوب الصحيح ـ ان نجعل الكفيف عضوا فعالا في المجتمع لا عبئا عليه .. وعلى المعلم أن يتجنب كل ما يؤدى الى سلبية التلميذ الكفيف عن طريق تدريب جميع حواسه السليمة وتنمية قدراته وميوله ومهاراته في جميع مجالات الحياة ..

الطفل الاصم

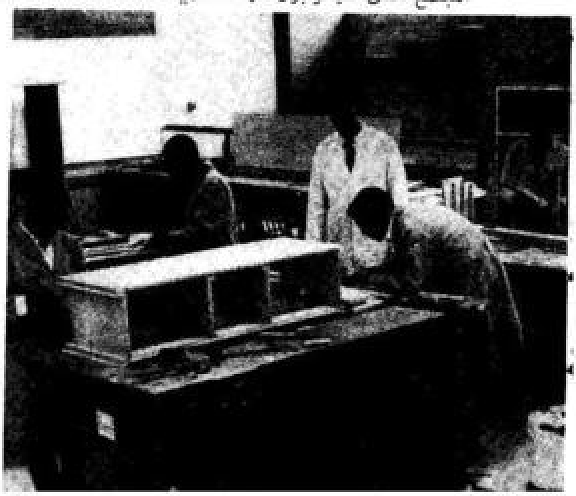
اما تعليم الطفل الاصم الذى تعوزه القدرة على الاستماع والكلام .. فهذه دراسة تحتاج الى مجهود مضاعف لتفهم هؤلاء الأطفال فبعضهم حرم حاسة السمع منذ ولادته، أو فقد القدرة السمعية قبل تعلم الكلام ، او فقدها بمجرد تعلمه الكلام .. ويعتبر الصمم في الواقع عاهة أكثر اعاقة من العمى .. اذ أن الأصم يتعذر عليه ـ بسبب عاهته ـ الاشتراك في المجتمع ..

كل هذا يجعل عملية تعليم الطفل الأصم امرا شاقا لتعذر الكلام والاستماع ، ولكن رغم كل هذا يجرى تعليمه ، لأن الطفل الاصم له من « ميكانيكية » الكلام ما للطفل العادى : له حلق .. له لسان .. له اسنان له شفاه ، ولا ينقصه الا حاسة السمع .. انه طفل يحس كما يحس الطفل العادى، يتألم لآلام الناس ويفرح لأفراحهم.

من هو المتاخر ذهنيا ؟

اما المتاخرون ذهنيا فهم اولئك الأطفال الذين

الى أسفل : تلعب ورش المعهد دورا هاما فى تأهيل الطلبة واعدادهم ليصبحوا اعضاء عاملين في المجتمع الذى سيخرجون اليه .. وفي المعاهد الخاصة خمس ورش حاليا سيرتفع عددها الى ١٣ ورشة





توقف نموهم العقلي عند مستوى أدنى كثيرا من ذلك الذي يبلغه النمو العقلي لغالبية الناس ، فكما يوجد في الناس عمالقة وأقزام من حيث نمو أجسامهم كذلك يوجد العمالقة والأقزام من حيث النمو العقلي ، والأولون هم العباقرة والآخرون هم المتاخرون ذهنيا ..

اى ان المتاخر ذهنيا هو شخص توقف نموه العقلي لسبب ما ، فلم يتح لهذا النمو ان يكتمل بل توقف عند حد محدود ، وقد يكونهذا السبب هو الوراثة ، وقد يكون أحد العوامل البيئية التي أثرت على الطفل قبل الولادة أو أثنائها او بعدها .. ونسبة هؤلاء الأطفال تتراوح بين ٥ر٢ و ٣٪ من مجموع الأطفال العاديين ..

ان وضع هؤلاء الأطفال يقتضيان تهيأ لهم برامج تعليمية واجتماعية خاصة ، ومعلمون ، مُعدون اعدادا خاصا لتنفيذ هذه البرامج .

وتتضح الفروق بين الطفل العادى والطفل المتاخر عندما تجرى اختبارات وارقام معاملات الذكاء :

معامل الذكاء للطفل العادى المتوسط ١١٠ - ٩٠ درجة .

معامل الذكاء للطفل المتاخر ذهنيا ٧٠ - ٥٠ درجة .

وقد تنخفض هذه النسبة الى ٣٠ درجة .

ويراعى في تعليم المتاخرين ذهنيا الاهتمام بتنمية شخصيتهم واعدادهم لمهنة او حرفة ، اكثر من الاهتمام بنتائج التحصيل الدراسي ، وعلى المعلم ان ينمى عندهم الثقة بالنفس والعلاقة الانسانية ، والقدرة على العمل ، وتحمل المسئولية .

المقعدون والشلل

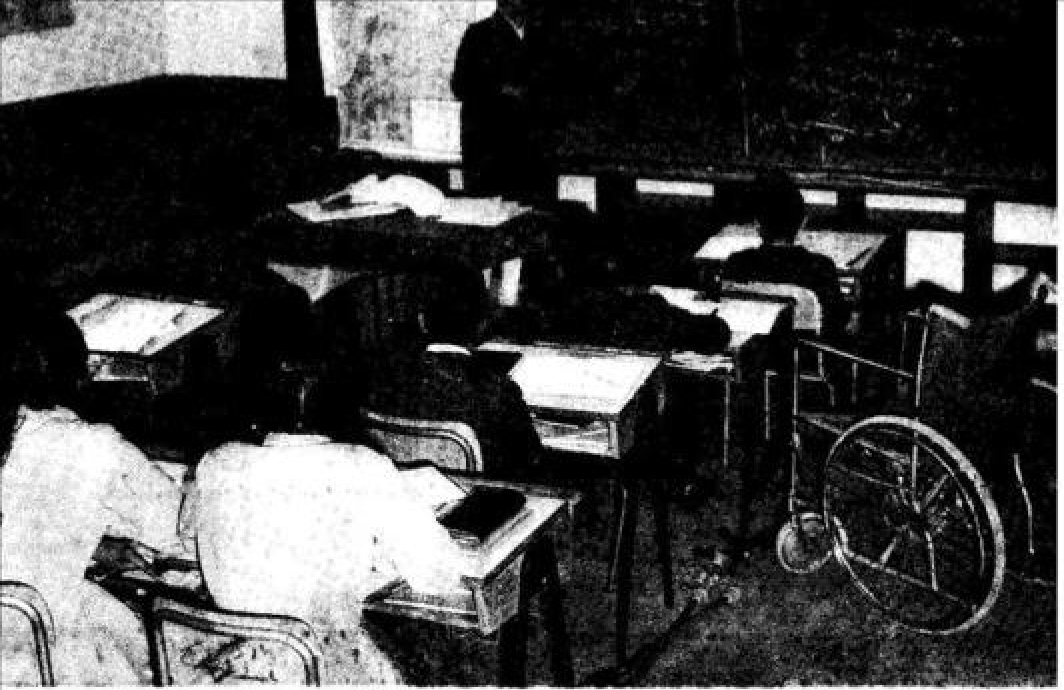
ومن الأطفال الذين يحتاجون الى رعاية خاصة نجد الطفل المشلول أو المقعد ، وهو الطفل الذى يشكو من اعاقة ناتجة عن اصابته بقصور يتدخل في حرية حركته ، وقد تكون هذه الاعاقة في العظام أو العضلات أو المفاصل ، مما يجعل استعمال طرف او اكثر من اطرافه غير طبيعي، فلا يقدر على التنافس على قدم المساواة مع اقرانه الاصحاء في نفس السن ، لذا نجد ان الطفل المقعد في أمس الحاجة الى تخصص فني دقيق ، سواء في العلاج أو التاهيل الاجتماعي والنفسي والرعاية التربوية .. وعند توفر هذه الشروط تتحقق الكثير من أهداف تربية المشلولين .



زود معهد شلل الأطفال بصالة كبيرة للعلاج الطبيعي مزودة باحدث الاجهزة والادوات المناسبة .. ونرى هنا احدى الاخصائيات تقوم بمراقبة احد الاطفال اثناء تعرضه للاشعة تحت الحمراء ..



عندما يكون العمل جزءاً من نشاط محبب للنفس ، فان الطفل ينسى نفسه ، وينسى اصابته ، أثناء قيامه بالعمل .. وسروره هذا يمكنه من الحركة التى يجدها صعبة في الظروف العادية ..



يؤمن المسئولون في الكويت بان التعليم حق طبيعي من حقوق ابناء البلد .. وهم يؤمنون كذلك بان الطفل المعوق اشد حاجة الى رعاية خاصة متكاملة ، تربويا وبدنيا وصحيا ومهنيا ، حتى يمكنه مواجهة الحياة المقبلة بثقة وايمان .. وهذه الصورة لاطفال معهد الشلل المختلط اثناء حصة الهندسة ..

واكتشاف الاصابة والبدء فورا بعلاجها طبيا وجراحيا والتدريب المناسب للعضلات والعلاج الطبيعي ، هذا العلاج يؤدي في بعض الحالات الى شفاء تام والعودة الى الحياة الطبيعية العادية .. وحتى اذا لم ينجح العلاج ١٠٠ في المائة بسبب أو بآخر ، فان مما لا شك فيه ان تحسنا كبيرا يطرأ على الحالات التي تخضع للعلاج ..

جريمة الآباء

وفي الكويت معهد للاطفال المشلولين هو الوحيد من نوعه في الوطن العربي .. وقد زود هذا المعهد بصالة للعلاج الطبيعي تضم أحدث الأجهزة لعلاج الطلبة والطالبات يشرف عليها ٩ من الأخصائيين والاخصائيات في العلاج .. كما زود بورشة لعمل الاطراف توزع على الطلبة بالمجان ، ويضم هذا المعهد ١٣١ طفلا و٨٠ طفلة .. ومن المؤسف أن مرض شلل الاطفال كان العامل الأول في الاصابة بالشلل بالنسبة لهؤلاء الطلبة .. فنسبة الطلبة المصابين بهذا المرض مرتفعة للغاية اذ تبلغ ٧٠٪ من مجموع أطفال المعهد .. في حين ان هذه النسبة تنخفض مثلا الى ١٣ر٢٪ فقط في مركز علاج الشلل بالولايات المتحدة .

وهذا الفرق الهائل بين النسبتين يدل دلالة واضحة على مدى اهمالنا على درء هذا الخطر الوبيل .. انها جريمة نرتكبها نحن الآباء في حق أطفالنا الذين كان من الممكن أن نحميهم ونحصنهم ضد العجز والشلل ..

قصة المعجزة

ان الكويت تسعى جاهدة للتخفيف عن الام هؤلاء الذين حرموا من نعم الحياة .. وامنيتنا هي ان نرى هذا الذى يحدث هنا ، يحدث في كل بلد عربي شقيق .. فاطفالنا هم اكبادنا التي تجرى على الأرض ، وهل اعظم وانبل من ان نعيد البصر لطفل ضرير ، والسمع لطفل اصم ، والحركة لطفل مقعد مشلول ، والثقة والقدرة والنجاح لطفل فاشل متاخر عقليا .. حقيقة انهم لن يروا ولن يسمعوا ولن يتحركوا ، ولكنهم سيرون الحياة ويفهمون أسرارها ويتحركون فيها بخيالاتهم ..

انها قصة المعجزة في مصنع المعجزات .. ■■

سليم زبال

في سبيل موسوعة علمية

الخشب

■ انه خطر قديم . فالانسان الاول ،عندما بنى اول بيت يلجأ اله من عوادى الطقس وعوادي الحيوان بناه من الخشب . انه المادة الطبيعية الاولى التى كانت لديه . وهو حفر في الخشب حتى جوفه ،وركب هذا الجوف ، ونزل به في الماء فلم يغرق به . فكان هذا اول سفينة بنيت . وهو استخدم الخشب ،لسهولة تشكيله ، فصنع منه الادوات الكثيرة ، للصنع ، وفي خدمة البيت والحقل .

والسفن ظلت تصنع من الخشب الى منتصف القرن الماضي . ولولا هذه السفن القديمة لما عرف الناس بركوب البحار سائر الناس ، ولا كانت كشوفات البحر الكثيرة والأرض .

والخشب الى اليوم ، هو مادة الانسان الكبرى ، تأتى بعد الغذاء والكساء . وهى ارخص المواد ، واخف المواد ، واسهل المواد تشكيلا ، وايسرها ربط بعضها ببعض . والخشب يجمع بين القوة والمتانة والمرونة .

ومن أهم صفات الخشب التى قد يغفل عنها الانسان في غمرة المواد الأخرى الحاضرة اليوم بكثرة كالمعادن واللدائن وغيرها . ان كل هذه المواد مآلها الى الفناء بالاستهلاك ، ويبقى الخشب وحده المادة الوحيدة المتجددة بالزرع ، ما دامت التربة هناك ، وكانت الشمس، وكان الماء .

وذكرنا الخشب وفضائله ، لا يقلل من قيمة سائر المواد الأخرى .

ولا ننسى اننا صرنا اليوم ننتج من الخشب ، بحسبانه مادة اولية خيوط النسيج الاصطناعية ، وننتج الورق ، والصابون ، وغذاء الأبقار ، وكذلك الوقود .

الخشب
استهلاك العالم منه

قدر العارفون ان استهلاك الدنيا السنوى للخشب يبلغ نحو ٥٦٠٠٠ مليون قدم مكعبة منه .

وَخطَرُهُ فى حيَاةِ الإنسَان

لولا الخشب ما كانت السفن ، ولولا السفن ، ما اكتشف الانسان البحار وسائر الاقطار .

••

الخشب من الشجر ، وهو الجزء الذى فيه مات .

••

الخشب يتالف من السليولوز والخشبين ، والسليولوز مادته ، والخشبين لصاق .

••

من الخشب يصنع الورق وتصنع اللدائن واشياء كثيرة أخرى .

••

الخشب القشرة الغالى يغطى الخشب الرخيص ، وفيه اقتصاد كثير .

وتستهلك امريكا الشمالية من ذلك نحو خمسين في المائة اى ۲۸۰۰۰ مليون .

وتستهلك اوروبا ۱۷۰۰۰ مليون .

وآسيا ۸۰۰۰ مليون .

وامريكا الجنوبية ۲۵۰۰ مليون .

والباقى تستهلكه افريقيا واستراليا وجزائر المحيط الهادى .

ولو اتخذنا دولة كالولايات المتحدة مثلا ، نجد ان الذى تستهلكه يزيد على ما تنتجه الغابات انتاجا طبيعيا في العام . واذن وجب أن تزيد الأمم انتاج الغابات بزرع أشجار جديدة ، لا لتعوض زيادة الاستهلاك الحاضر فحسب ، ولكن لتعوض الزيادة المتزايدة على السنين .

الخشب من الشجر

الخشب من الشجر قول ظاهر البداهة .

ومن الخطا ان نقول ان الخشب من النبات ، فما كل نبات به خشب . فالخشب في النباتات ذات الجذوع ،

وكلما كبر الجذع، بمعنى أنه غلظ وطال، اعطى خشبا اكثر وافضل .

وانت لو قطعت جذع شجرة قطعا مستعرضا ، ونظرت المقطع ، لوجدته يتالف من حلقات متحلق بعضها حول بعض ، والمركز واحد .

فهكذا ينمو الجذع كل عام ، وهو كل عام يزيد الساق حلقة . ومن أجل هذا دلت الحلقات على اعمار الشجر غالبا .

والساق ينمو منه الجزء القريب من القشرة الخارجية للساق، حيث النسيج طري . وهناك أيضا تجري عصارة النبات المسماة النسغ Sap ، صاعدة من الارض بالماء والملح والسماد ، هابطة بما صنعت الأوراق من غذاء .

وخشب الساق ، منه الخشب الغض Soft Wood ، أو هو خشب النسغ ، وهو القريب من القشر ، وهو الأجد صنعا ، وخشب القلب Heart Wood وهو خشب زايلته الحياة فأصبح للشجرة عمادا ولا شيء الا العماد .



الجلوع يلقى بها في النهر القريب ، ثم تربط معا ، وتجر في الماء تسهيلا للنقل

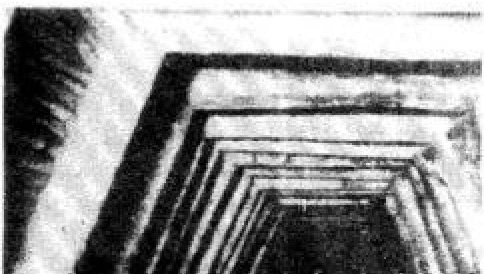
★ ★ ★

تركيب الخشب

يتألف الخشب، كيماويا، واجمالا ، من نوعين اساسيين ، السليولوز ، وهي مادة القطن البيضاء، والخشبين Lignin وهو مادة كيماوية عملها لصق الياف الخشب بعضها ببعض، واعطاؤها القوة، والسليولوز يؤلف ٦٠ في المائة من الخشب، والخشبين يؤلف نحو ٢٥ في المائة . وفي الخشب ١٢ في المائة من السكر والراتنج وغير ذلك .

تجفيف الأخشاب

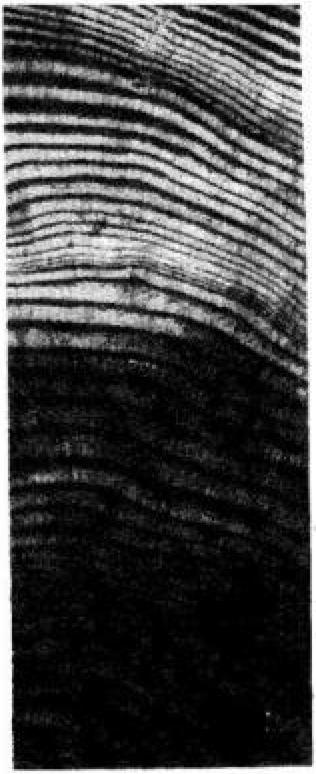
خشب الاشجار ، عندما يقطع ، يحتوي على رطوبة ماء تزيد على رطوبة الجو . واذن لا بد من تقليلها . وهي تقلل بالتجفيف . وهي تجفف حتى تتفق رطوبتها مع المنطقة التي سوف يستخدم فيها الخشب، فهي تجفف كثيرا أو قليلا، وذلك حتى اذا صنعت منها الأشياء لم



عروق من خشب تسند الحوائط والسقف في ممر بمنجم .



مقطع مستعرض لشجرة التنوب (Fir) ويتراءى فيه تغير الحلقات السنوية البادئة من الضيق الى السعة بسبب تقليم الشجرة



مقطع مستعرض لشجرة خشب لين، وتتراءى فيه الحلقات السنوية

تزد جفافا أو لم تزد رطوبة ، وبذلك تزيد أو تقل حجما .

وكثير منا لاشك لاحظ ان بعض الأبواب في منازلنا يصعب اغلاقها شتاء. ونأتي بالنجار فيقول لك انه الشتاء ، شرب فيه الخشب ماء ، فزاد حجما ، وسيجيء الصيف، ويسهل اغلاق الباب.

وللتجفيف طريقتان :

تجفيف في الهواء الطلق ، وفيه يجففه الريح وتجففه الشمس ، وتنزل بمائه الى ١٢ والى ١٤ في المائة .

والتجفيف بالتسخين ، وتستخدمه الصناعة في تحضير خشب السوق او خشب الأثاث . وفي الحيز الذى تقوم الافران على تسخينه يضبط التجفيف فتضبط حرارته، ورطوبة الهواء، وسرعة دورة الهواء بين الخشب او بطؤها .

ولكل صنف من الخشب معالجة خاصة به .

والسرعة في التجفيف ينتج عنها انفلات الخشب والتواؤه .

والتجفيف يزيد الخشب قوة .

الأشجار صنفان
ذات الخشب اللين
وذات الخشب الصلب

أما الشجر ذو الخشب اللين Soft Woods فشجر يظل اخضر طول العام، ويحمل بذوره من غير غطاء . واسم هذا الشجر فى العلم عارى البذور Gymnosperms . وأوراق هذه الأشجار كالابر . وخشب هذا الشجر هو المستخدم في التجارة العادية لعمل الأبواب والصناديق والأرفف .

أما الشجر ذو الخشب الصلب ، Hard Woods ، ويعرف في العلم بكاسي البذور Angiosperms فبذوره مكسية كما يدل على ذلك اسمها . ومثال ذلك

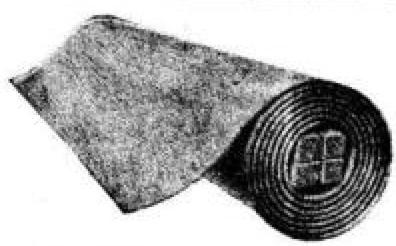
البندق وسائر الفواكه . واوراق هذا الشجر عريضة ، وهي تسقط عادة في الخريف .

تجازيع الأخشاب يكسبها جمالا

ان الخشب يتألف من خلايا عدة ، وهي مختلفة ، وبعضها الذى كان ثم بان ، وبعضها الذى لا يزال . وتوزعت هذه الخلايا ، وما أنتجته من الياف ، اشكالا في الخشب شتى . وهي تظهر في قطع الخشب بالعرض . ولكنها كذلك تظهر عندما يقطع جذع الشجرة بالطول.

والصور التى يكشف عنها هذا القطع تدل الخبراء على نوع الخشب . وعن هويته ، وعن وفائه بالأغراض التى تطلب له ، وعدم وفائه بها ، ولعله اذن يفى باغراض اخرى .

ومن اهم ما يطلب له الخشب،لاسيما خشب الأثاث، الخشب الصلب ،خشب الأرو ،والمجنة،وخشب الابنوس،والورد، انه يطلب لتجازيع تطلب على سطوح الواحه،عندما تشق موازية لمحور الجذع. فهذه بأشكالها، والوانها وبقبولها للصقل الشديد،تدخل بالحب الى قلوب الناس.



الخشب القشر . ويقشر من الخشب الصلب، لا سيما ذو التجازيع ، بادارة الجذع من الخشب ، بعد غليه في الماء ، حول محوره ، في حين قيام سكين طويلة الشفرة ثابتة بتقشيره . وترى الخشب القشر في الصورة كانه ثوب ملفوف

وتسمى هذه الأشكال بالتجازيع . ويعرف الخشب الأرو بتجازيعه. ويعرف الخشب الزان بتجازيعه، وخشب الورد وما اليها .

ومن هذه التجازيع ما يستقيم ويجرى موازيا لمحور الجذع .

ومنها ما يلتوى فيكون كالحلزون .

ومنها ما يتموج ولكن تموجا خفيفا .

ومنها ما يتنقط ، نقطا صغيرة ونقطا كبيرة .

خشب القشرة

الخشب منه الرخيص الكثير ، ومنه القليل الغالى .

وفي الأثاثات وامثالها يطلب الخشب القليل الغالى . وهو يطلب لمظهره الخارجي . والزبون يطمع في حسن المظهر الخارجي ، وهو من الخشب الصلب الغالى ، ويطمع كذلك في رخص الثمن .

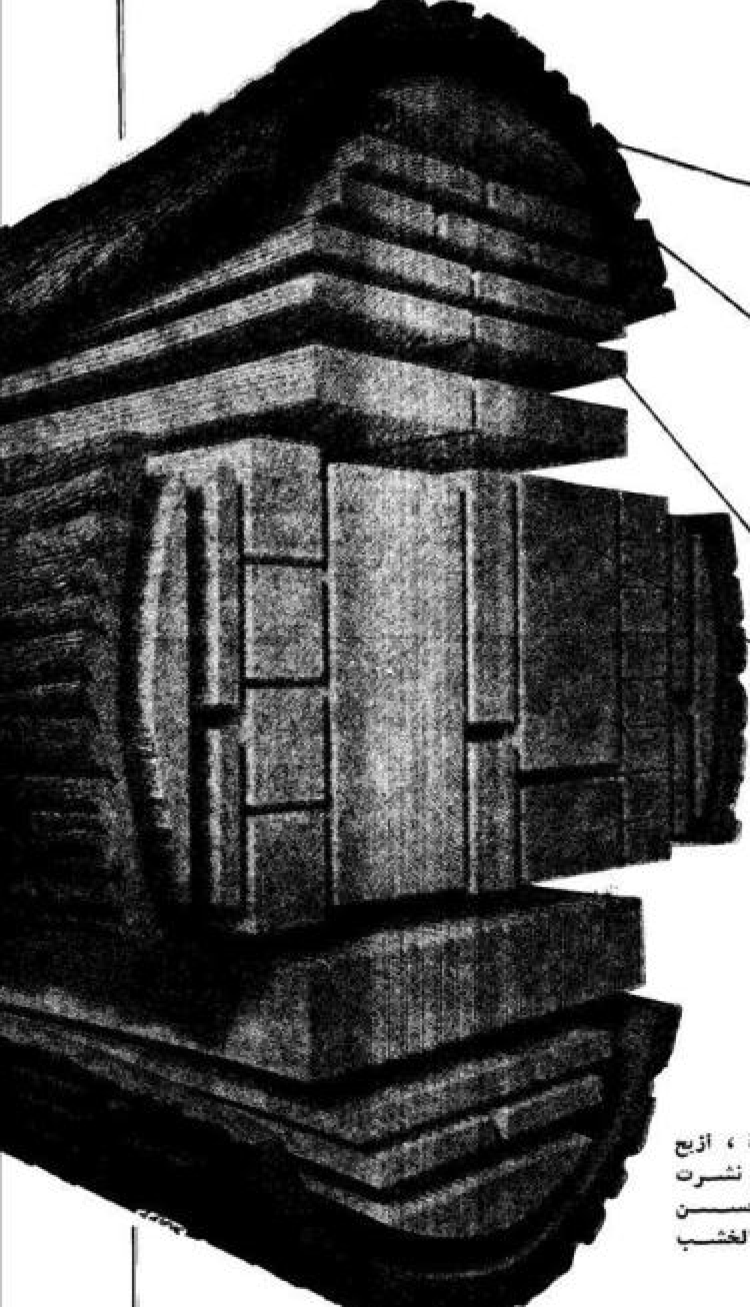
واهل الصناعة جمعوا بين هذين المطلبين بأن جاءوا بألواح من الخشب الأبيض الرخيص . ولصقوا بها تحت الضغط الشديد،ومع الضغط الحرارة، قشرة ذات مظهر جميل قشروها من الخشب الصلب الغالى .

واصبحت هذه الصناعة رائجة .وهي راجت ، ليس فقط لأنها وجدت من الزبائن راغبين ، ولكن كذلك لأنها استجابت لحاجة الصناعة في توفير الخشب الصلب الغالى .

والحق أنها صناعة قديمةعرفها قدماء المصريين والرومان .

اما القشرة فسمكها عادة يقع بين جزء من عشرين من البوصة ، وثلاثة أثمانها ويعتبر سمك ثلاثة أثمان البوصة حدا أعلى .

ولصناعة هذا القشر يؤتى بجذع الشجرة ، وتزال قشرته ، ويغلى بالماء العطرى ، ثم يدار الجذع على محوره وتأكل منه سكين كبيرة ثابتة سمكا ،



جذع شجرة كبيرة ، أزيح عنها قشرها ، ثم نشرت بحيث انتجت أحسن قدر نافع من الخشب

هو القشر المطلوب يخرج ممتدا كأنه ثوب القماش .

وعيب هذه الطريقة ان هذا القشر يجرى في موازاة حلقات النمو السنوية للشجرة ، فلا تخرج القشرة بأشكال وتجازيع رائعة .

وطرق اخرى يشق فيها الجذع شقا طوليا يمر بالمحور ، ثم يشق كل ربع على حدة .

ومن القشر المعروف قشرة المجنة وخشب الجوز والأرو والورد ونحوها .

خشب الرقائق

خشب الرقائق Plywood .

وهو خشب يصنع من مثل القشر الخشبي الذى تحدثنا عنه ، ولصنعه يجمعون بين ثلاث طبقات من القشر . الى تسع طبقات ، ويصنعون الثانية



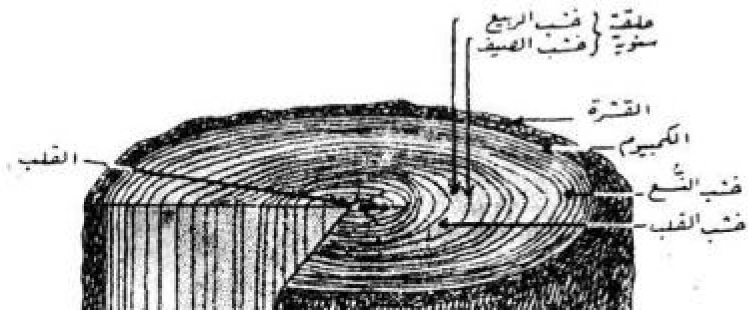
جذع تزال عنه قشرته بنافورة ماء . وهو بعد ذلك يقطع الواحا ، والذى لا يصنع لوحا وسائر النفايات يصنع منه الورق

بعرض على طول الاولى ، والثالثة ، بطول على عرض الاولى، وهكذا دواليك.

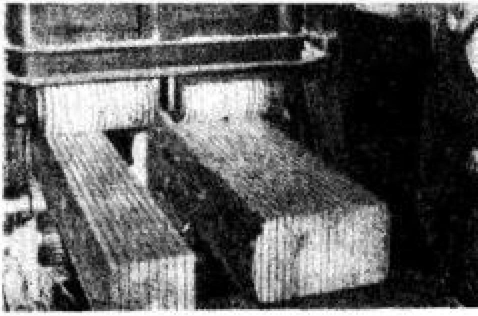
وبينها توضع مادة الغراء وتكبس الطبقات .

وغالبا ما تكون القشرات من الخشب الابيض لأن الغراء امسك بها .

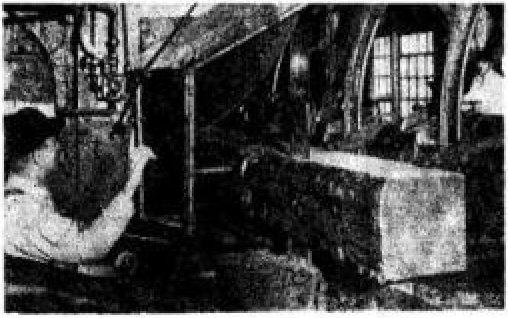
ولكن تكون القشرة الاخيرة ذات تجزيع لطيف وجمال .



ترس مقطوع أفقيا من جذع شجرة لينة الخشب صغيرة



منشار ذو اسلحة عدة يقوم بقطع جذع الى الواح عدة دفعة واحدة



جذع تقوم مكنة بتقشيره ، وجعله قطعة مربعة يسهل شقها . وفي الصورة العامل قاعد يحرك في هدوء المنشار القاطع

وقد شاع استعمال هذا الخشب الرقائقي استعمالا واسعا ، فمنه تصنع الآن الأبواب ، والحوائط ، والارضيات، والحواجز التي بين الحجرات، والأرفف. والقمطرات ، والأثاث عامة . ويستخدم ايضا في صناعة البيوت التي تجهز اجزاؤها في المصانع ، وفي الطائرات ، وفي السفن وعربات السكة الحديد وسيارات الشحن .

ومن فوائد خشب الرقائق انه لايتفتل، ويلتوى كما يفعل الخشب الصمت .

الخشب
مادة لصناعة الورق

والسليولوز هو مادة الخشب التي يصنع منها الورق .

واول شيء يجب عمله فصل الخشبين عن السليولوز . وهو يفصل منه بطرق كيماوية .

ومن عجينة السليولوز الناشئة يصنع الورق ، فما الورق الا سليولوز أصلا ، ومن يوم أن استخدم قدماء المصريين ورق البردى .

ومن هذا السليولوز يصنع ورق الصحف. ولكن كذلك يصنع ورق الكتب، واطباق الورق ، والسلفان ، وورق اللف ، والاكياس ، ومئات اخرى من الاصناف . ولا ننسى الحرير الاصطناعي (الرايون) فهو يصنع من سليولوز الخشب .

الخشب
تصنع من سليولوزه اللدائن

وكذا اللدائن تصنع من سليولوز الخشب . ومنها الافلام الفوتغرافية ، والاسطوانات الفونغرافية ، والصواني ، والامشطة ، وايدى الفرش ، واقلام الحبر ،واغطية الزجاجات، وكثير غيرها.

تأمين الخشب
من الحريق
ومن البلى

اما تأمينه من الحريق فاشرابه بشتى الكيماويات، وكذلك بدهن سطوحه بها.

ولكن الخشب كذلك يبليه صنوف من النباتات الطفيلية من الفطر . والرطوبة التي تزيد في الخشب عن ٢٠ في المائة تزيد في احتمال اصابته بها ، ولكن هناك عقاقير تحفظ الخشب من هذا الفطر الطفيلي . اذا شرب الخشب بمحاليلها، وهي عندئذ تعيش من العمر الضعف ، الى الخمسة الاضعاف من عمر الخشب غير المعالج .

وكذلك الكريوزوت Creosote ،وهو من نتاج تقطير قطران الفحم،ومن أحفظ المواد للخشب . فآلاف مؤلفة من اعمدة التلفونات والتلغرافات،والجسم مدهونة به لحفظها . ●●

عندما يكون الحب عونا على مصائب الحياة وأشجانها



السعادة

بعض الناس وجدوها وعاشوها

والبعض عاشوا عمرهم يبحثون عنها

■ قال روبرت لويس ستيفنسون ،الشاعر والقصصي الأسكتلندى الشهير (١٨٥٠ ـ ١٨٩٤) لاصدقائه يوما :

« اجعلوا السعادة عادة » .

ولقد كان ستيفنسون مريضا بداءالرئة الذى اصيب به فى شبابه ، وكان اطباؤه يقولون ان ايامه معدودة ، حتىلقد منعوه من الكتابة ..

ولكنه لم يحاول أبدا أن يعد ايامه .. لم يفكر يوما فى الموت ، بل كان كل تفكيره منصرفا الى الحياة وما فيها من صورجميلة .. بل لقد كتب اروع اعماله وهو على فراش المرض ، عندما رحل الىالريفيرا ، ساحل فرنسا الجنوبي ، والى غيرها من بلاد الارض الواسعة بحثا عنالشفاء ..

قال لصديق جاءه يوما ينصحهبالخلود الى الراحة ، وهو يرى ذلك الشحوب الذى يكسو وجهه النحيل :« اسمع يا عزيزى .. قد أكون مريضا حقيقة ، ولكنني سعيد .. هل تعلم لماذاأنا سعيد ؟ لانني اكتب ، وعندما اكتب اشعر بهذا الشعور الغريب الذى يشغلالانسان عن التفكير فى التعاسة !! »

سعيد فى موته

وعندما اشتدت عليه وطأة المرض ، وعاده اطباؤه فى مساء ذلك اليوم من شتاء عام ١٨٩٤ ، احس بشيء يشده شدا الى فراشه الناعم ليريح عليه راسه المتعب ..

ومات روبرت لويس ستيفنسون فى تلك الليلة ، ولكنه لم يمت بداء الرئة ، كما توقع الاطباء ، وانما مات بنزيف مفاجيء فى المخ !!

قال لزوجته مارجريت ايزابيلا بالفور ، ولكل من وقف حول فراشه يبكي ، وهو يودع الحياة :

« ولكن لماذا تبكون .. لقد عشت حياة طويلة سعيدة ، فقد عرفت كيف اسعد نفسي واسعد الناس .. ولو عشت حياتي من جديد لما فعلت غير ما فعلت ! » .

وكان عمر ستيفنسون يوم وفاته ٤٤ عاما ، قدم فيها للادب مايزيد على الخمسين مؤلفا ..

ولكن ماهي تلك السعادة التي حدثنا عنها هذا الاديب الذى قاس عمره بانتاجه ؟

لقد كتب الكثيرون عن السعادة التي عرفها البعض ، وامضى البعض الاخر حياتهم كلها يبحثون عنها دون أن يجدوها ..



زوجته صوفيا بيبودى Sophia Peabody وصفها صديقه وزميله الفيلسوف ايمرسون Emerson ، بقوله : « لقد كانت اروع من كل قصص الحب التى كتبها هوثورن خلال حياته الادبية التى لم تدم لاكثر من ربع قرن من الزمان ! » .

وهل هناك اروع من ان يجد المرء السعادة فى فشله وفى فقره ، وهل هناك اعظم من أن يغرس الرجل السعادة فى قلوب هؤلاء الذين أحبهم ، حتى اذا مات وجدناهم وقد قنعوا بالحياة بجوار هذا الاديم من الارض التي تضم رفات حبيبهم يجترون الذكريات ، ويتطلعون الى ذلك اليوم الذى سيجمع بينهم فى السماء ، كما جمع بينهم على الارض ..

هكذا كانت حياة هوثورن وحبيبته صوفيا .. ولكن لنبدأ القصة من أولها ..

السعادة نتاج لعمل مشترك

يقول برنارد شو فيلسوف الانجليز الساخر : « اذا كنا قد اتفقنا على أنه ليس من حق انسان أن ينفق مالا لم يكسبه ، فليس من حقه أن ينعم بسعادة لم يشارك فى ايجادها ! » .

فالسعادة نتاج لعمل وجهد يشترك فيه اثنان او اكثر .. وهي ليست فى المال ، وليست فى الشهرة ، وليست فى النجاح .. فقد يكون المرء فقيرا ولكنه سعيد .. وقد يكون مغمورا ولكنه واثق من نفسه ومن عمله ، وقد يكون فاشلا ، ولكنه قد يجد فى فشله التجربة التي كان يحتاج اليها وهو يتحسس طريقه الى النجاح ، تماما كما يسقط الطفل وهو يخطو اولى خطواته فى الحياة ، ولكنه يقوم من سقطته ويحاول من جديد ، لانه لابد أن يتعلم .. لابد ان يمشى .

ولكن الحب وحده هو قمة السعادة ، وهو باعثها وخالقها .. فالحب يمحو الموت ويقهره ، وكم من اناس اكتشفوا السعادة حتى فى الموت !

أروع قصص الحب

فى مدينة سالم ، وهي مدينة صغيرة بولاية ماساشوسيت الامريكية ، كان الاديب القصصي الكبير ناثانيال هوثورن Nathaniel Hothorne (١٨٠٤ – ١٨٦٤) ، يعيش قصة حب خالدة مع

أديب فاشل

كان الوقت شتاء ، والثلوج تغطى أسقف البيوت المنتشرة على جانبي احد الشوارع الصغيرة بمدينة سالم .. ووراء مكتب صغير ، وتحت ضوء مصباح كادت تجف ذبالته ، جلس شاب نحيل وسيم ، وقد أمسك بقلمه فى يده ، ولكنه لم يخط به كلمة واحدة .. كان يقرأ فى كومة من الاوراق المتناثرة امامه ، وقد ازدحمت كلها بالخواطر والافكار ..

وكان يبتسم فى كل مرة تمتد يده الى ورقة من تلك الاوراق ويهم بتمزيقها .. وعندما احس بعجزه فى النهاية ، امسك بورقة بيضاء وسجل فيها ما كان يدور بخاطره فى تلك الليلة الباردة .. كتب يقول :

« فى هذه السنوات العشر الاخيرة ، لم اعش يوما واحدا .. لقد كنت احلم فقط بالحياة .. ان كتاباتي كلها جوفاء .. فانا لا اعرف شيئا عن حقائق الحياة العميقة الدافئة ! » .

الحسناء المريضة

ولم يكن هذا الشاب سوى ناثانيال هوثورن الذى اصبح فيما بعد من أشهر كتاب تلك الحقبة من الزمن ..

ولم يكن ناثانيال وحده فى تلك الليلة ، فقد كانت هناك امرأة ساهرة على بعد خطوات منه ،

ولكنه لايعرفها ولايشعر بوجودها .. وكانت المرأة بدورها تجلس وراء نافذتها الصغيرة في البيت المواجه لبيته تماما ، وهي تخوض في وحدتها احدى معاركها المريرة مع المرض والالم ..

انها صوفيا بيبودى ، تلك الفتاة الشقراء الجميلة التي اضطرها المرض الى نبذ فكرة الزواج حتى بلغت عامها الخامس والعشرين .. وكانت صوفيا تقرأ في مذكراتها في تلك الليلة ، فاذا بها تعود الى اليوم الذى فاجأها فيه الداء اللعين ، عندما اخطأ الطبيب واعطاها جرعة مضاعفة من دواء سبب لها حالة عصبية وآلاما حادة ظلت تعاودها بين الحين والحين !!

وقرأت صوفيا ماخطته بيدها في ذكرى ذلك اليوم المشئوم ، قالت : « اتوسل اليك يالهى ان تضيء هذا الظلام الذى احتوى كياني ! ».

لقـاء

ومرت الايام وكان اللقاء .. التقى الاديب الفاشل بجارته المريضة الحسناء .. وكان حبا من النظرة الاولى .. ولكن صوفيا المسكينة اشفقت على نفسها وعلى حبيبها ، فحاولت الهرب من طريقه ، بيد انها لم تفلح ، فقد كان حبها له اقوى من نفسها واقوى من الحياة .

كانت رسائله تلاحقها في صحوها ، وكلماته تتردد في اذنيها كلما حاولت النوم لتستريح ..

كتب اليها يوما يبثها لوعته ، قال : « ما نحن ؟ اننا لسنا سوى اشباح ، اما الواقع يا حبيبتي فهو هذا الخيط الرفيع من الامل ، الذى يداعب قلوبنا .. ونحن نتعلق به ، فاذا مس جنبات القلب ، احسسنا بوجودنا .. لم يعد لي امل الا ان القاك والا ان اكون قريبا منك ! » .

ولاول مرة في حياته .. احس ناثانيال وهو في الخامسة والثلاثين من عمره ، انه قد بدأ يكتب وبدأ يعيش وبدأ يعرف معنى الحياة !

شفاء القلب

اما صوفيا المريضة ، التي نبذت فكرة الزواج من راسها ، فقد احست بشبابها يعود اليها ، وبالحرارة تجرى في اوصالها .. ورات النور وهو يضيء كيانها المعتم !

وعادت الى مذكراتها ، ولكن لا لتقراها ، وانما لتلقي بها بعيدا بعيدا الى حيث لن تجدها ابدا .

ثم جلست بعد ذلك امام مرآتها الصغيرة تتامل وجهها لاول مرة .. واذهلتها الصورة الجديدة .. لقد زال الشحوب عن الوجه الجميل الصغير .. واكتست وجنتاها بحمرة الحياة .. ولمعت عيناها ببريق غريب لم تعهده ابدا .

لقد شفيت صوفيا من مرضها ..

وعادت الى رسالته الاخيرة اليها تقرأها وتضمها الى صدرها ، لقد كتب اليها يقول :

« يا أحب انسان الي في هذا الوجود .. فليكن حبنا من القوة بحيث يشفى قلبك ، فينفض العلة عن جسدك .. خذى من صحتي يا حبيبتي .. خذى من قوتي وشبابي ماتشائين .. اليس كل ماهو ملكي ملكك ايضا ؟ ! »

في عش الزوجية

واحتفلت مدينة سالم بعد خمس سنوات على لقاء الحبيبين لاول مرة ، بزواج ناثانيال وصوفيا .. وعاش العروسان .. كانا اشبه بعصفورين في الجنة .. وجاء الاصدقاء والاقارب الى عشهما مهنئين ثم زائرين .. ولكن قلما كانا يردان زيارة او يقبلان دعوة لحفل او مأدبة .. كانا يجدان ان الوقت الذى يقضيانه معا اجمل واسعد من ان يضيع في مجاملة الاصدقاء وزيارة الاقارب !

فاذا جاء الصيف خرجا الى الشاطيء يسبحان ويصطادان السمك من مياه النهر ..

وفي الشتاء كانا يتدثران بملابسهما الثقيلة ، ويتزحلقان على مياه النهر التي تجمدت من البرد .. حتى اصبحت الحقول والتلال المكسوة باشجار الغابات من حولهما ، مسرحا لقصة هذا الحب الذى انتصر على المرض والالم والفقر والفشل ..

وما اكثر ما أحس العاشقان بعضة الجوع تؤلم معدتيهما .. فكانت صوفيا تقول :

« لقد امتلأ قلبي بالحب ، حتى لم يعد هناك مجال للشعور بالجوع .. غذائي في قلبي ولن اشبع منه ابدا ! »

سعداء حتى في فقرهما

وحتى حينما حلت النكبة اخيرا بالزوج ، عندما

افلست دار النشر التي كانت مدينة له بمبالغ كبيرة ثمنا لقصصه القصيرة .. وحتى عندما تراكمت عليهما الديون بعد وصول اول ثمرة لزواجهما .. لم يشعر الزوجان يوما بهذا التحدى الجديد لسعادتهما ..

وقفت صوفيا يوما تتأمل الطيور من نافذة بيتها ، وهي تغرد فرحة سعيدة ، ثم كتبت تقول :

« وهل تجوع الطيور .. انها تقتات على الفتات .. وعلى الفتات تطعم صغارها ..وسرعان ما تشبع لتحلق مغردة من جديد ! »

ومن صندوق صغير امتلأ بالقطع الفضية وبعض الاوراق المالية التي ادخرتها الزوجة من مصروف البيت راحت الاسرة تنفق على ضروريات الحياة.. وكان ناثانيال في ذلك الوقت قد شرع في بداية كتابة مؤلفه الجديد ، ولكنه ما كاد يبدأ حتى فاجاه مرض امه ، وكان مرضا عضالا ، استنفد كل مدخرات صوفيا التي قدمتها عن طيب خاطر.. ولكن الام ماتت اخيرا .. ولم تعدم الزوجة حيلة ، فلجأت الى صناعة اغطية المصابيح تطرزها وتزخرفها وتبيعها لتعين زوجها على متابعة الكتابة.

وجاء المجد اخيرا

وعاد ناثانيال الى قلمه ، يكتب ، ثم يمزق ما كتب ، ليعاود الكرة من جديد ، فقد كان اقسى النقاد على نفسه ، حتى فرغ اخيرا من « الرسالة القرمزية » The Scarlet Letter » ، باكورة انتاجه .

ونجح الكتاب نجاحا فاق كل تصوره وتقديره.. وجاء اليه المجد اخيرا ..

كتب في تلك الليلة التي زف اليه الناشر فيها نبأ نفاد كتابه من الاسواق ، يقول :

« الان فقط ستستريح صوفيا ، فهي لن تضطر بعد اليوم الى صناعة اغطية المصابيح والخروج الى الاسواق لبيعها .. ما اجمل ان يجني المرء ثمرة كفاحه .. ولكن اليس غريبا ان افتقد ايام الفقر واحن اليها ! »

فراق ولقاء

ولم يغير النجاح والمال شيئا في حياتهما .. وبقي بيتهما الصغير الذى اصبح يمرح فيه الان ثلاثة من الاطفال ، هو هو ، كما كان !

كل ما حدث هو انهما قد اصبحا الان يقضيان وقتا أطول في اللعب مع اطفالهما ، وفي اصطحابهم في نزهات بين احضان الريف ، وفي سرد القصص عليهم ساعة النوم ..

وعاشت الاسرة السعيدة بعد ذلك اربعة عشر عاما كاملة ، لم يفترق فيها ناثانيال عن زوجته وحبيبة عمره لحظة واحدة .. كانت المرة الوحيدة التي افترقا فيها ، يوم سافرت مع ابنائها لزيارة والديها في بوسطن ،

وتعطلت بهم العربة في طريق العودة .. فلما وصلوا اخيرا فوجئوا به يقف عند مدخل المدينة.. وما ان لقيهم حتى راح يمطرهم بالقبلات ويردد في صوت مخنوق : « حمدا لله وشكرا ! » .

وانقضت الاعوام .. سعيدة هانئة مليئة بالعمل والانتاج الذى رفع ناثانيال الى قمة النجاح .. اما هو فقد كتب يصف شعوره في تلك الحقبة من حياته ، قال :

« لم أصل بعد الى النهاية .. فالسعادة لاتنتهي ابدا ، لانها جزء من الخلود .. وقد عشنا في الخلود منذ زواجنا ! »

مات ناثانيال

ولكن شاء القدر ان يفرق بين الزوجين العاشقين ، فقد مات ناثانيال اخيرا بعد زواج دام ٢٢ عاما .. وذهبت صوفيا تودع زوجها ثم عادت الى بيتها واطفالها بعد ان واروا جثمانه التراب.. وامسكت بصورة صغيرة له معها على شاطىء النهر ، وراحت تتأملها في هدوء .

وأمام مكتبه الصغير الشاغر ، وعلى نفس المقعد الذى طالما جلس عليه حبيبها ، محاولا ان يقدم للناس عصارة فكره وحبه للحياة .. جلست صوفيا وراحت تدون بيدها آخر كلمات في قصة هذا الحب الخالد السعيد ، قالت : « لن ابكي.. ولن أحزن ، لانني اعلم انه سيكون دائما في انتظارى هناك ، ولن يمر وقت طويل حتى نلتقي.. وسيكون لقاء حارا سعيدا ابديا ! » .

ولم تكد تنقضى خمس سنوات حتى ماتت صوفيا .. لقد ذهبت في رحلتها الطويلة لتلتقي بحبيب عمرها ! ■■

اعرف وطنك أيها العربي

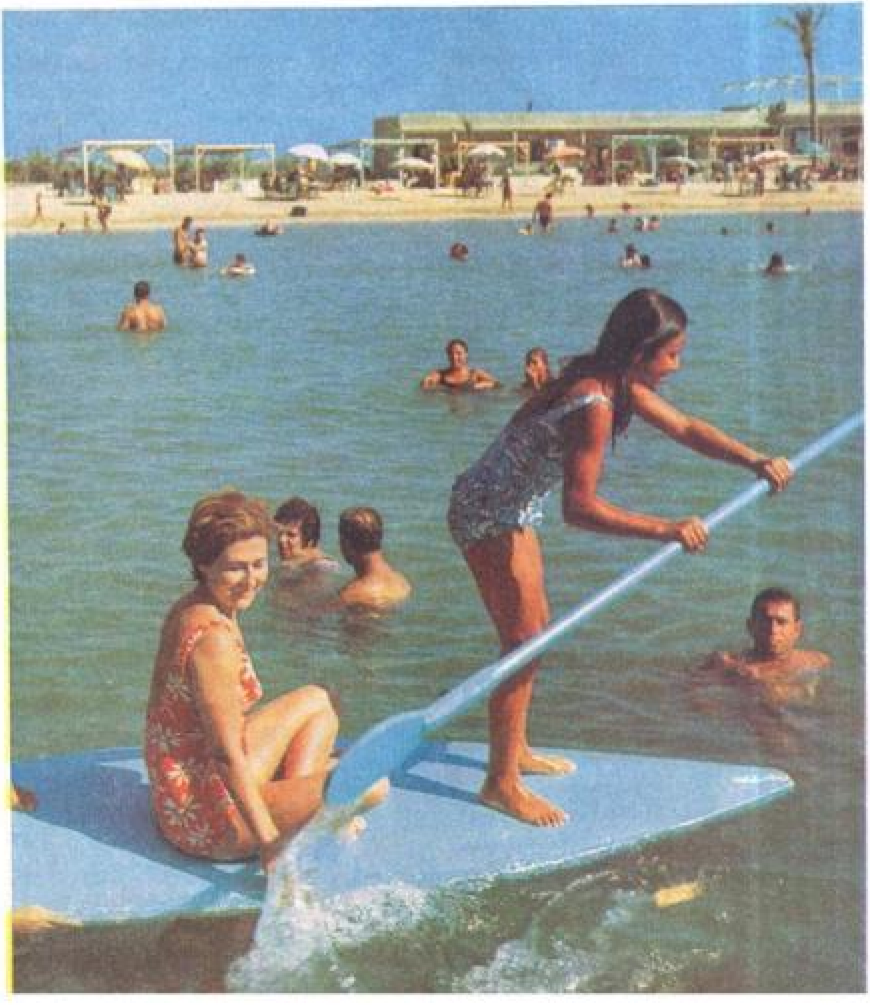
مصايف سوريا

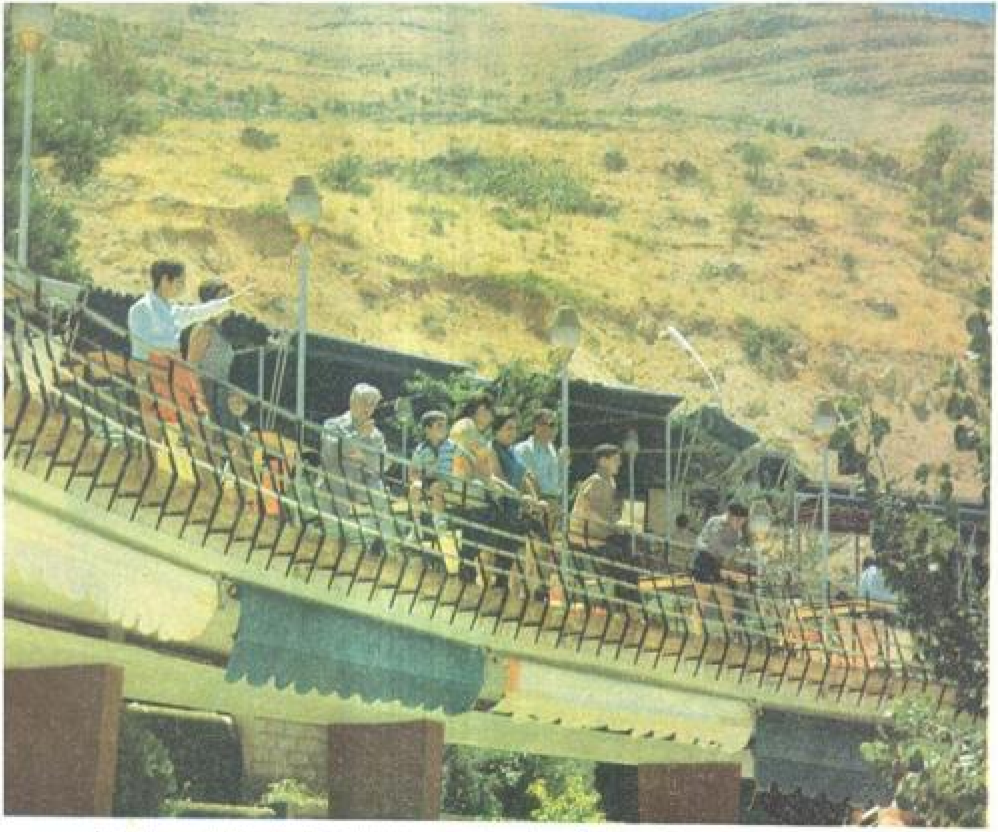
قام بهذا الاستطلاع

منير نصيف

وصوره

أوسكار متري





بقين ، او منطقة العين التي تفجرت مياهها المعدنية في بطن الجبل .. واليها يأتي المصطافون هربا من حر دمشق لقضاء عطلاتهم بين احضان الطبيعة العارية ..

• ضنّوا عليها .. ولكنهم عادوا فبذلوا لها..

• جاءت بداية النهضة متأخرة، ونرجو لها أن تدوم وتنتعش..

قطار السكة الحديد الذي يجري على الخط بين دمشق وبلودان والزبداني .. ويزدحم القطار في عطلة الاسبوع برواد الجبل ، فهو المتنفس الوحيد لسكان العاصمة.



الى اليمين : البحر عند شواطىء ميناء اللاذقية .. لقد اصبح البحر يجذب الكثير من المصطافين بعد أن اكتشف المنابع على الساحل السوري.

■ نحن نقترب من الربيع ، فقد انتهى فصل الشتاء او كاد ، وبعد الربيع يأتي الصيف بقيظه ، ويبدأ الناس يستعدون للهرب .. الهرب من حر الصيف .. من جو المدن الخانق .. من حياة الروتين المملة .. من كل ما يذكرنا بشهور العمل الطويلة من أجل العيش والرزق ..

ولكن الى أين ؟

الى اى مكان تستطيع ان تنعم فيه بالراحة والهدوء والاستجمام .. الى اى بقعة نصطاف فيها ، والاصطياف عادة قديمة يرجع تاريخها الى عصور الرومان ، فقد عنى اباطرتهم وقياصرتهم بمصايفهم ، فشيدوا القصور على شواطىء مصر وفوق جبال الشام .. ثم انتقلت هذه العادة الى العرب ، طبعا او تقليدا فاتخذ الخلفاء والأمراء لانفسهم القصور المزدانة بالازهار والورود ليصطافوا فيها ، حيث يعتدل الجو . وتطيب الاقامة .

ثم مرت القرون .. ودارت عجلة الزمن ، ولم يعد الاصطياف مقصورا على الملوك والقياصرة،وانما اصبح عادة عند الشعوب .. كل شعوب الارض .. فلا يكاد يحل فصل الصيف حتى نرى سكان المدن قد حزموا حقائبهم الى حيث الهواء الطلق المنعش يملاون به صدورهم المتعبة .. والى حيث الماء يبللون به اجسامهم المكدودة ، واصبح في مقدور كل مواطن أن يصطاف ما دام قد ادخر مبلغا يمكنه من مواجهة نفقات الاصطياف ..

المصايف الجبلية

وطرنا الى سوريا بحثا عن مصايفها وعن المصطافين فيها .. ومن دمشق انطلقنا راسا الى منطقة الجبال الشرقية او جبال سورية التى تمتد على خط مواز تماما لسلسلة جبال لبنان ..

ووصلناها بعد نصف ساعة تقريبا بالسيارة.. فهي لا تبعد باكثر من ٥٠ كيلو مترا عن العاصمة .. منطقة عالية غنية بمناظرها الطبيعية الجميلة، وتضم فوق تلالها المرتفعة ثلاثة مصايف معروفة ، وهي بقين والزبداني وبلودان .. يؤمها ابناء سوريا وتزدحم بهم في العطلات الاسبوعية والاجازات، فهي المتنفس الوحيد لسكان دمشق .

اما بقين او بوقين (اى ملء الفم مرتين) ، فهى قرية صغيرة تفجرت فيها مياه معدنية من

في بقين يقضى المصطافون سحابة النهار في المقهى والمطعم السياحى الذى يشرف على الوادى السحيق وهم يأتون ليشربوا من مياهها المعدنية المتفجرة ، وينعموا بجوها الجاف .



يدفع النزلاء في فندق بلودان الكبير مبلغ ٣٠ ليرة سورية (حوالى دينارين ونصف) ، مقابل الاقامة مع الوجبات الثلاث .. وتمثل الصورة احدى غرف الفندق من الداخل .. وهو يحوى ٩٠ غرفة.





منظر عام لجانب من مصيف بلودان ، اجمل مصايف سوريا واقدمها .. وفي هذا المصيف لمسنا اثر العمل الجاد في سبيل النهوض بالسياحة والاصطياف .

تحولوا كل مصيف عندكم الى بلودان اخرى .. ان السائح الجديد يبحث عن الارخص والافضل ، فلم تعد السياحة والاصطياف وقفا على الاثرياء واصحاب الملايين .. وبلادكم من ارخص بلاد الله، فماذا اعددتم لجلب المصطافين ؟!

حديث لمدير السياحة

قال لنا السيد احسان حصني مدير عام السياحة : « انها النكسة وما تركته من آثار مست كل مرافق حياتنا العربية .. قبل النكسة كانت هناك عدة عروض مقدمة من شركات سياحية غربية للقيام بمشروعات مختلفة في سوريا ، ثم توقف كل شيء ، ولو ان هذه الشركات بدات مرة اخرى في اجراء اتصالات جديدة لانجاز هذه المشروعات السياحية .. ونحن نامل أن نصل معها الى اتفاق بعد زوال آثار العدوان وعودة الحياة الى حالتها الطبيعية في المنطقة العربية . هناك مثلا مشروع مسح سياحي للقطر السوري يشمل تقويم المناطق السياحية وسد النقص في كل منطقة منها ، وتوفير جميع التسهيلات التى يحتاج لها المصطافون والسائحون .. » .

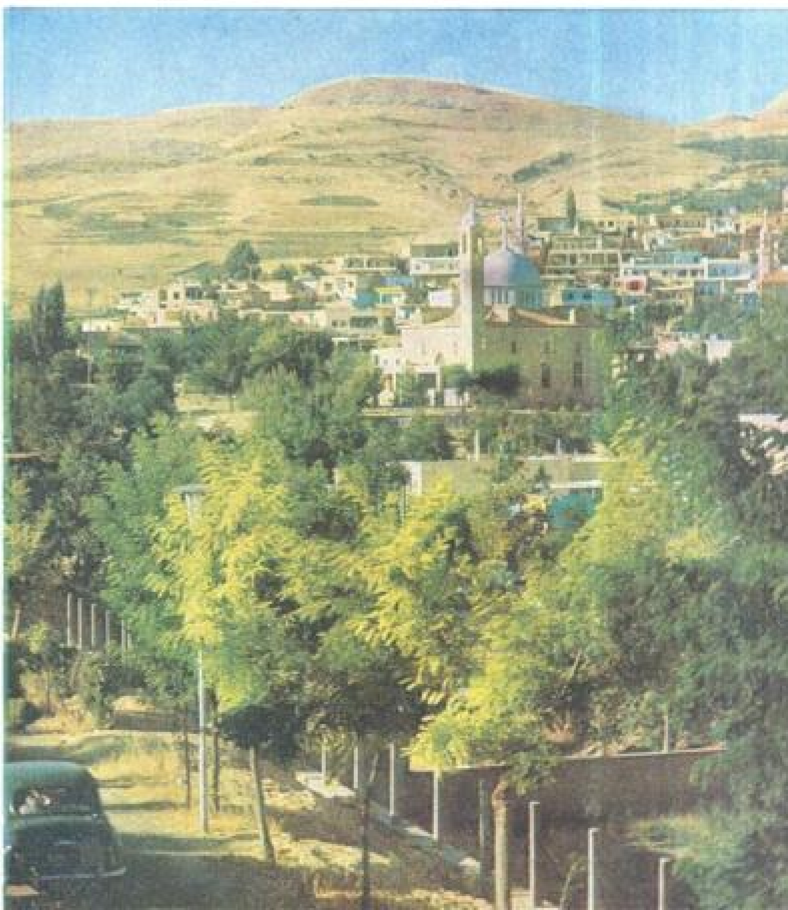
السياحة بين الاقطار العربية

ومضى مدير عام السياحة يقول : « هذا فيما يتعلق بسوريا وحدها ، أما فيما يتعلق بتنشيط السياحة والاصطياف بين الدول العربية الشقيقة، لقد اعددنا خططا سياحية مشتركة ، وتشمل تنسيق الجهود من اجل ربط الاقطار العربية بعضها ببعض وشق وبناء طرق جديدة ، ونشر الدعاية المشتركة في الخارج ، وانشاء مكاتب





فوق : فندق بلودان الكبير ، أكبر واقدم فنادق مصيف بلودان ، اجمل مصايف سوريا اطلاقا وقد شيد فوق ربوة عالية ترتفع عن سطح البحر بحوالي ١٥٠٠ متر . **تحت :** منظر لجانب من هذا المصيف الجبلي ، وقد انتشرت على جانبي شوارعه وطرقاته المرصوفة الاشجار العالية التي ملأت الجو بعبق زهورها .





حمام السباحة الذي اقيم في فناء فندق بلودان ، وهو يزدحم
بروّاده عند الظهيرة حيث يأتون اليه لاطفاء قيظ الحر ولسعة الشمس



منطقة « ابو زاد » ،
اعلى قمة في بلودان ،
وقد اقاموا فيها مقهى
ومطعما كبيرا وسط
بستان زرعوه بالفاكهة،
ويزدحم المقهى بروّاده
في العطلات الاسبوعية
والاجازات .

سياحية عربية في مختلف عواصم العالم الخارجي .. وسيقوم بتنفيذ هذا المشروع الاتحاد العربي للسياحة ومقره الآن في عمان . »

وتركنا مدير السياحة ، فقد كنا على موعد لاستكمال جولتنا بين بقية مصايف سوريا او بعضها ..

وقلنا لمرافقنا : الى اين ؟

قال: « الى الشاطيء السوري .. الى طرطوس واللاذقية على الساحل.. ثم الى صلنفه وصافيتا فوق قمة الجبل ..

اين الفنادق

ووصلنا الى طرطوس بعد رحلة استغرقت خمس ساعات تقريبا قطعت فيها السيارة ما يقرب من ٢٧٥ كيلومترا هي المسافة ما بين دمشق وهذه المدينة الساحلية ، ولكننا آثرنا المضي في رحلتنا لنزور شواطيء اللاذقية اولا على ان نترك طرطوس في طريق العودة .. والمسافة بينهما حوالى ٩٠ كيلومترا . .

ووصلنا اخيرا الى هذه المدينة التاريخية القديمة بعد الغروب .. فكان اول عمل لنا هو البحث عن فندق نستريح فيه ونقضي ليلتنا .. ولم نكن نتصور ونحن نطوف بالفنادق ، اننا امام مهمة من اشق المهام التى واجهتنا خلال رحلتنا القصيرة . .فلم نجد غرفة واحدة في اى فندق حتى من فنادق الدرجة الثالثة .. واخيرا قالوا لنا : « اذهبوا الى الجبل .. الى مصيف صلنفه .. تستطيعون هناك ان تجدوا مكانا تبيتون فيه، ثم تعودون الى اللاذقية في الصباح ! »

قلنا : وكم تبعد صلنفه عن اللاذقية ؟

قالوا : خمسين كيلومترا تقطعها السيارة في ساعة تقريبا ! وكدنا نفعل ، لولا ان جاءنا صاحب احد الفنادق يعرض علينا قضاء الليلة في فندقه، بعد ان تخلف بعض النزلاء عن الحضور..

وصحونا من نومنا في ساعة مبكرة ، وخرجنا نبحث عن شواطيء اللاذقية ومسابحها والمصطافين فيها ..

شواطيء سوريا

والتقينا اخيرا بالساحل السوري .. ذلك الساحل التاريخي القديم الذى سكنته الاساطير وتعاقبت عليه الحضارات ، انه يمتد لمسافة ١٧٣ كيلو مترا ، من مدينة طرطوس جنوبا حتى حدود تركيا شمالا مارا بمدينتى « بانياس » و « جبلة » ثم اللاذقية وعلى هذا الساحل اقاموا نافذتى سوريا على البحر .. ميناء اللاذقية اولا، ثم ميناء طرطوس الذى ما زال العمل يجرى فيه لاتمامه .

اما ما بينهما من شواطيء فقد تركوها لامواج البحر تتلاطم عندها وتتكسر على صخورها .. لم تمتد يد لتبنى مسبحا او تنشيء مصيفا .. لقد بقى الساحل برماله الصفراء الناعمة مهجورا مهملا ، يقف الناس فوق صخوره ليتاملوا مياه البحر ويصطادوا منها السمك ، الى ان فطنت الدولة اخيرا الى اهمية الاصطياف والسياحة ، فاصدرت اول قرار في عام ١٩٥٨، تحولت بمقتضاه شعبة السياحة الى مديرية تابعة لوزارة الاقتصاد.

وبقى الشاطيء ينتظر .. ومر صيف وصيفان وقبل حلول صيف ١٩٦١ ، صدر القرار الذى حقق اول لقاء بين المصطافين والبحر ، فشيد مسبح الشاطيء الازرق في اللاذقية ، كما تقرر ايضا انشاء مسبح آخر في ميناء طرطوس اسموه مسبح الجزيرة ، وسنعود الى الحديث عنه في مكان آخر ..

مسابح على الطريق الدولى

وهكذا كانت بداية عهد المصايف الساحلية في سوريا .. وبعد الشاطيء الازرق ، اقاموا مسبح « جول جمال » ، ثم دخل الافراد ميدان السياحة والاصطياف ، فقام البعض بمجهودات فردية اقتناعا منهم بحاجة اللاذقية الى « بلاجات » على هذا الطريق الدولى الذى يبدأ من بيروت مارا بالشام ثم تركيا فاوربا .. ان مئات السيارات تنطلق يوميا في هذا الطريق الموازى للشاطيء تماما ، حاملة المصطافين الذين يبحثون عن الشمس والماء والهواء على الشواطيء الهادئة ..

واقاموا مسبح « افاميا » على بعد ثلاثة كيلو مترات من اللاذقية ، ليصبح مصيفا يرتاده ابناء سوريا ، ومحطة يستريح فيها المسافرون الى اوربا ، وقالوا : « من يدرى ، فربما استطاب المسافرون الاقامة على شواطئنا ؟ » وصدق حدسهم ، فقد توقف المسافرون ليستريحوا ، واستطابوا الاقامة في « افاميا » ..



الاشجار الكثيفة تغطى مساحات كبيرة من صلنفه .. وهي قديمة ، قدم المصيف نفسه .. وقد انشئت وسطها الملاعب والساحات التى كانت تعج بالشباب قبل ان يستهويه البحر ويجذبه ..

بحيرة مغلقة

وزرنا مسبح « آفاميا » .. بلاج جميل قامت فوق ارضه الرملية الناعمة عشرات الشاليهات المبنية بالخشب ، ورست على شاطئه الهادىء الزوارق البخارية التى تنقل المصطافين في رحلات بحرية صغيرة .. وانتشرت حوله ملاعب الكرة الطائرة ، والالعاب الرياضية الاخرى وزودوه بكل وسائل الترفيه والتسلية .. قال لنا صاحب هذا المشروع : « لقد اخترنا هذه البقعة من الشاطىء لنبنى فوقها مصيفا ، لأن مياه البحر هنا أشبه ما تكون ببحيرة مغلقة تحف بها الصخور من كل جانب ، فتمنع وصول الامواج الى الشاطىء » ..

« ولقد تكلف هذا المشروع ما يقرب من ١٥٠ الف ليرة سورية ، اى ما يوازى ١٥ الف جنيه استرليني تقريبا ، اما الارض التى اقمنا عليها المباني والشاليهات ، فقد أجرناها من الدولة بايجار اسمى قدره ألف ليرة سنويا ، ولكننا ندفع الى جانب ذلك ضرائب للدولة تصل في مجموعها الى سبعة آلاف ليرة » ..

قلنا نسأله : « وهل هذا كثير » ؟

قال : كثير نسبيا اذا اخذنا بعين الاعتبار اننا لا نعمل لاكثر من ثلاثة اشهر فى السنة ، هي فترة الصيف ، ثم لان الايجار الذى نتقاضاه من النزلاء مقابل تأجير هذه الشاليهات ، ايجار معتدل للغاية فنحن نتقاضى ٢٥ ليرة سورية فى اليوم عن الشاليه الواحد الذى يتسع لأسرة تتألف من اربعة افراد بما في ذلك الافطار .. وكذلك أسعار الوجبات الرئيسية ، الغداء والعشاء ، لاتتجاوز عشر ليرات للاسرة بأكملها ! »

ثم قال صاحب المصيف : « اننا نقدم خدمات جليلة للسياحة والاصطياف على شواطىء سوريا ، ويكفى أن تعلموا مثلا اننا نقوم بالاتصال بالمكاتب

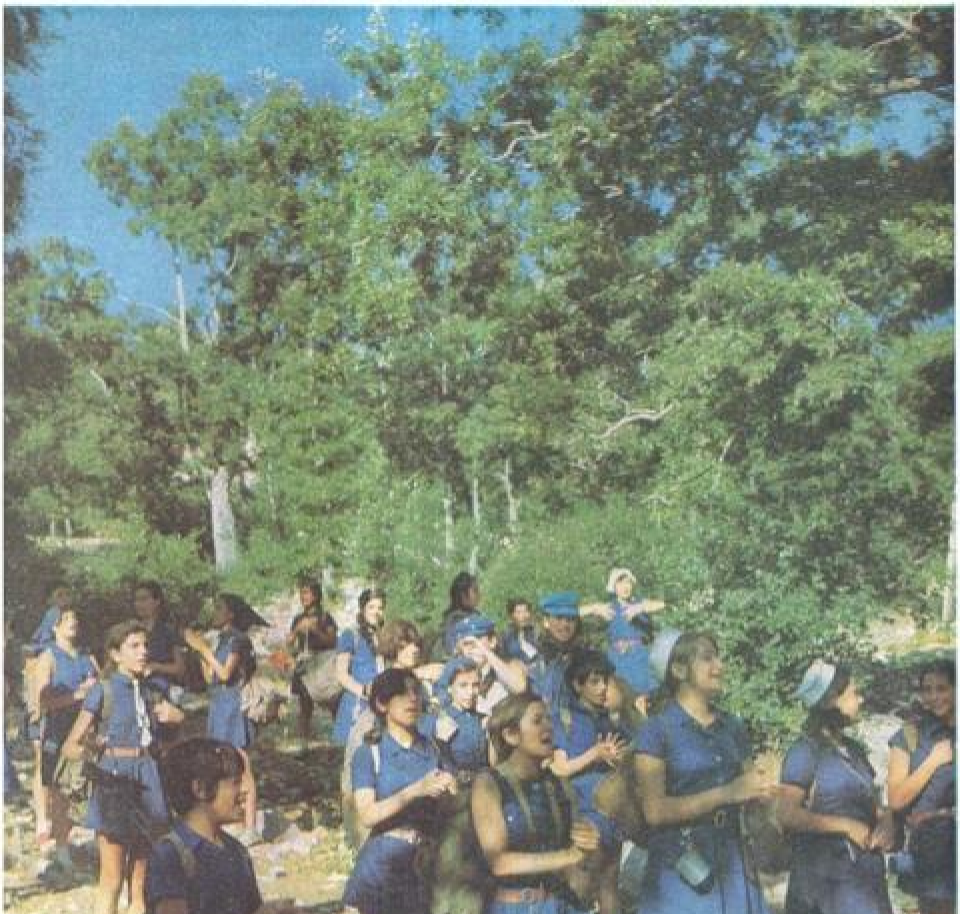


الى اليمين : اسرة من دمشق جاءت الى صلنفه ، واتخذت من الجبل مقاما لقضاء فصل الصيف بين احضان الطبيعة الساحرة .. وفي **الصورة السفلى** يظهر احد الطرقات في صلنفه ، وقد تشابكت فوقه اغصان الاشجار الوارفة التي اضفت على المكان جمالا فوق جماله .. انها الجنة المهجورة ..





الى اليسار : احدى المرشدات اللواتي جئن في رحلة مدرسية بدأت من دمشق الى صلنفه بالسيارات ، واختارت المشرفات على الرحلة هذه المنطقة الجميلة التي تظللها الاشجار العالية لاقامة معسكرهن من الخيام التي قضين فيها ١٢ يوما .. **وفي الصورة السفلى** المرشدات الصغيرات وهن يتجمعن استعدادا لرحلة العودة ..



السياحية في العالم العربي وفي الخارج ، وتقوم بتنظيم رحلات سياحية الى بلادنا .. اننا مشتركون في الدليل السياحي العالمي تحت اسم « مسبح افاميا » وعدد كبير من رواد مسبحنا يأتون اليه من الخارج » .

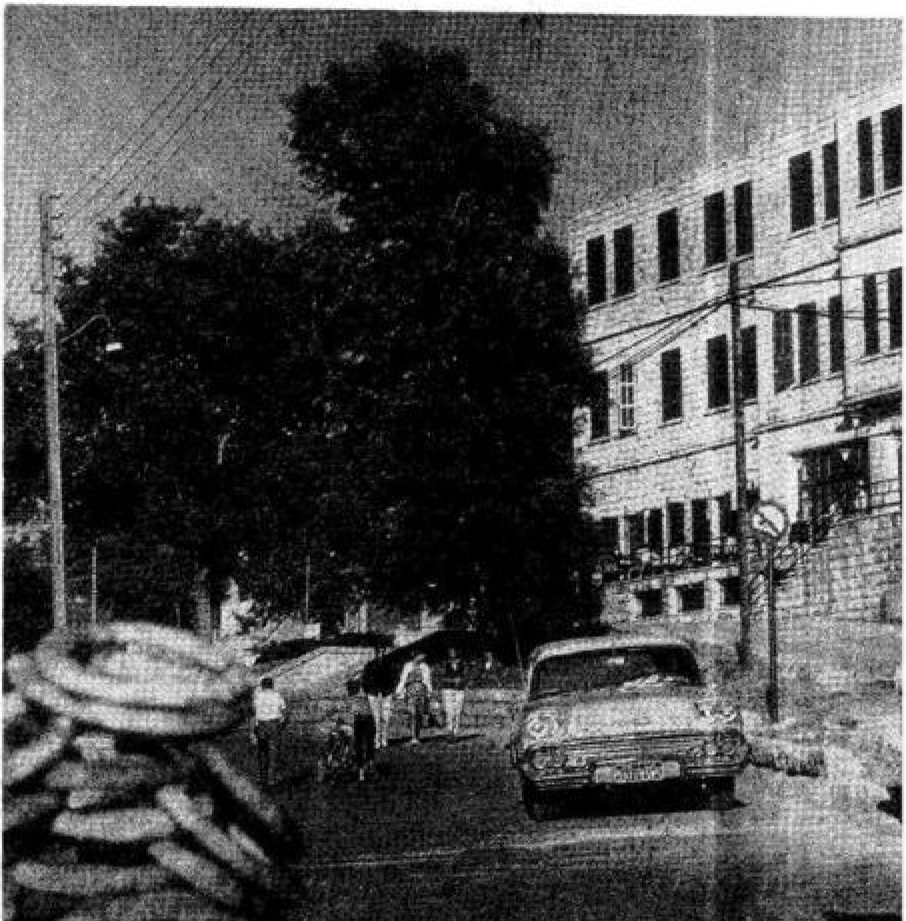
بقيت لنا كلمة ، وهي ان مشروعا سياحيا ناجحا مثل هذا المشروع ، كان اولى بتشجيع الدولة ، او على الاقل باعفائه من الضرائب ..

الازدحام على الشواطىء

وخرجنا نطوف ببقية المسابح على شواطىء اللاذقية .. لقد ازدحمت كلها بالمصطافين من ابناء المدينة والمدن الاخرى القريبة والبعيدة ، حتى من دمشق نفسها رغم بعد المسافة التي تفصل بينها وبين البحر .. ولكنهم مع هذا يأتون ، وخاصة بعد ان اشترت مديرية السياحة عددا من السيارات الفخمة الضخمة المكيفة بالهواء والتي تسير الآن بين دمشق واللاذقية وتتسع السيارة الواحدة لاربعة واربعين راكبا ، فيبدأ الاوتوبيس رحلته من دمشق في الساعة السابعة صباحا ، ويصل الى اللاذقية في الواحدة ، ثم يبدأ رحلة العودة في الرابعة مساء ويصل العاصمة في العاشرة من مساء نفس اليوم ..

وتعمل هذه السيارات صيفا وشتاء على هذا الخط الذى كانت الطائرات الصغيرة تسير عليه حتى عام ١٩٦٦ وتقطع المسافة بين دمشق واللاذقية في ساعة واحدة تقريبا .

قلنا : « لماذا ألغى الخط الجوى وخاصة بعد



أن بدأت هذه النهضة بمصايف سوريا الساحلية ؟ »

ولم نجد جوابا على تساؤلنا ..

مشكلة الفنادق

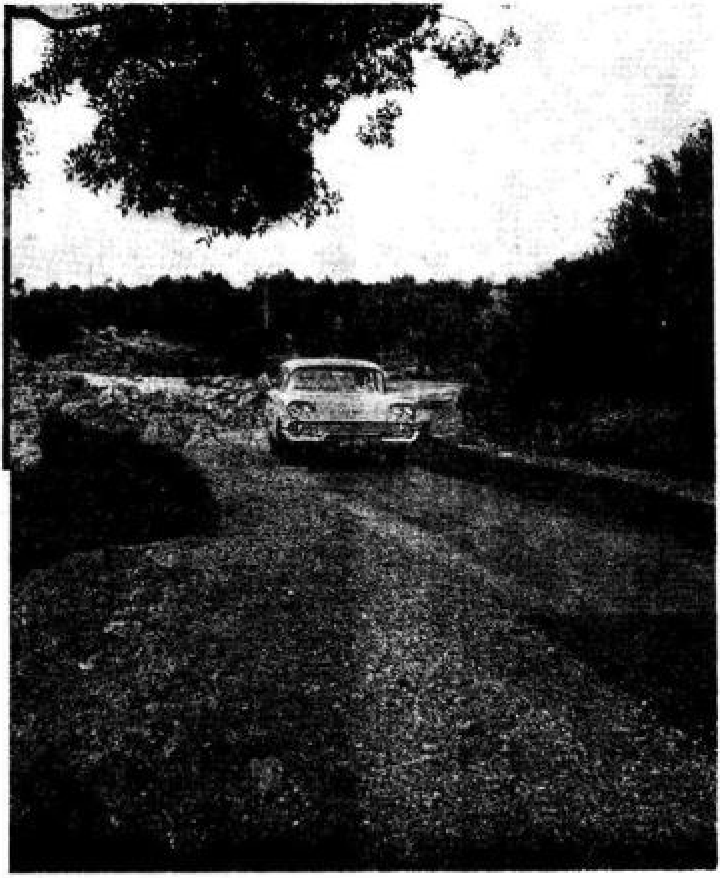
وتركنا الشاطىء عائدين الى المدينة لنرى ماذا أعد لاقامة هذا العدد الكبير من المصطافين في اللاذقية .. حقيقة ان الشاليهات التي اقيمت على البحر في مسابح اللاذقية الثلاثة .. « الشاطىء الازرق » « وجول جمال » « وافاميا » يمكن ان تستوعب عددا من المصطافين .. ولكنها لاتستطيع ان تستوعب كل المصطافين .. فماذا أعدوا لهم من اماكن للاقامة ؟

مجموعة من فنادق الدرجة الثالثة ، وقد بتنا ليلتنا الاولى في واحد منها وقاسينا الامرين ! والفندقان الوحيدان اللذان يمكن ان يصلحا لاقامة المصطافين في اللاذقية هما فندق الكازينو الكبير الذي يطل على البحر مباشرة ، وفندق جمال ، وهو فيلا انيقه حولها صاحبها الى فندق اشتهر بين كل المصطافين في اللاذقية بالعناية والرعاية التي يجدها النزلاء في رحابه .

جنة فوق الجبل

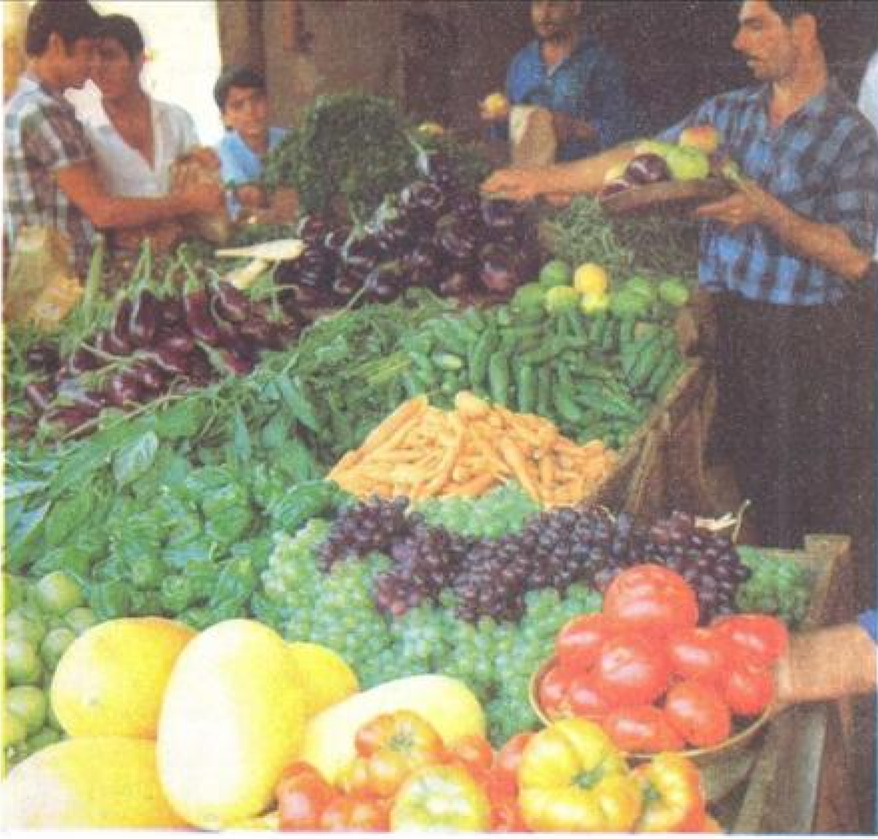
وتركنا المدينة وشواطئها الى الجبل .. الى مصيف صلنفه الذي يبعد حوالي خمسين كيلو مترا ، تقطعها السيارة في ساعة تقريبا ، كما ذكرنا ..

مصيف جميل لا شك في ذلك .. وقربة

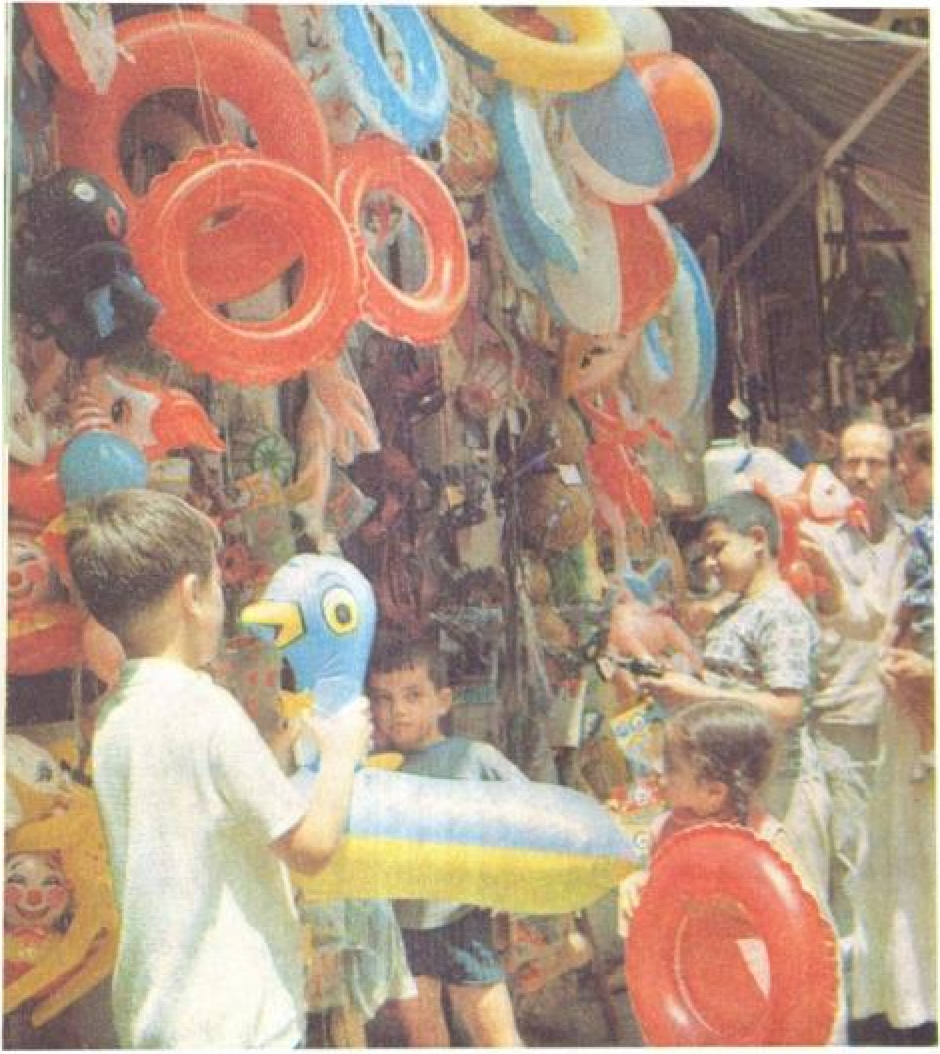


الى اليمين : فندق صلنفه الكبير ، وبعض المصطافين يفضلونه على غيره من فنادق اللاذقية ، وهم يقضون يومهم كله على شاطىء البحر ، فيقطعون المسافة بين صلنفه واللاذقية وقدرها ٥٠ كيلو مترا تقريبا بالسيارة ذهابا وايابا كل يوم ، وبذلك ينعمون بشمس الشاطىء ومياه البحر نهارا ، وبهواء الجبل المنعش ليلا ..

الى اليسار : الطريق من صلنفه الى اللاذقية طريق ضيق خطر ، مليء بالاكواع ، لا يكاد يتسع لمرور اكثر من سيارة واحدة ، رغم انه طريق ذو اتجاهين .. ولعل هذا هو السبب في احجام كثير من المصطافين عن الاقامة في هذا المصيف الجميل ..









اربع صور من اللاذقية : **الاولى (الى اليمين)** لاحد تجار الفاكهة والخضراوات التي تعد بكميات كبيرة لاستهلاك المصطافين ، **وتحتها** مجموعة من الشباب الذي هجر الجبل الى البحر ، بينما ظهر في **الصورة العليا** مجموعة من الاطفال امام احد متاجر بيع لعبات البحر ، اما **الصورة السفلى (الى اليمين)** فتمثل اسرة تصطاف في مسبح افاميا احدث واجمل مسابح اللاذقية .

نموذجية شيدت فوق قمة جبل يرتفع بحوالي ١١٠٠ متر عن سطح البحر .. وقد انتشرت فيه الأشجار الضخمة التى غطت الشوارع والطرقات بأغصانها الوارفة ، فأضفت على المنطقة منظرا ساحرا خلابا .. وفي المصيف فندق من الدرجة الاولى ، وعدد كبير من المنازل يزيد على ١٥٠ منزلا ، أنشأها أصحابها وأعدوها لتأجيرها للباحثين عن الهدوء والجمال في بطن الجبل ..

ولكن ما أعسر الوصول الى هذه الجنة القابعة فوق هذا المرتفع حيث يصحو الجو ويعتدل الطقس وتسخو الطبيعة .. ان بلوغه يكاد يكون ضربا من المغامرات ، فالطريق اليه متعرج ضيق لايكاد يتسع لمرور سيارة واحدة .. احصينا عدد الاكواع فوجدناها اكثر من خمسين كوعا .

الفراغ بين البحر والجبل

قلنا لبعض المسئولين الذين التقينا بهم في فندق صلنفه الكبير : « هل هذا هو السبب في قلة عدد المصطافين في الجبل ؟ »

قالوا : « لا ، بل هو الصراع القائم الآن بين البحر والجبل .. فمنذ أن بدأت الدولة تهتم بالمصايف الساحلية ، وعدد الوافدين الى الجبل في تناقص مستمر .. كانوا في الماضي يأتون الى صلنفه لقضاء جانب من أشهر الصيف ، وكان معظم المصطافين في هذا المصيف الجبلي من أهالي مدينة حلب التى تبعد عنا بحوالي مائة وثمانين كيلو مترا تقطعها السيارة في ثلاث ساعات تقريبا .. ولكن معظم هؤلاء تحولوا الآن الى الشاطىء .. فالبحر يشد الجيل الجديد من الشباب الذي يبحث عن المرح بين امواجه ورماله » .

وانتهت جولتنا في صلنفه ، تلك القرية الجبلية الجميلة التى خرجت مهزومة في معركتها مع البحر ، انها تعيش اليوم على الذكريات .. وفي بداية كل صيف يعود اليها سكانها الذين لايتجاوز عددهم المائتى شخص ، والذين يهجرونها في الشتاء تماما .. يعودون وهم يمنون النفس بحظ افضل ونصيب اوفر .. ولكن هيهات ، فقد نسى المصطافون جنتهم الصغيرة التى تقبع فوق قمة الجبل باسطة لهم ذراعيها ..

شواطىء طرطوس

وعدنا الى طرطوس (انظر استطلاع طرطوس العدد رقم ١٣٠) ، واتجهنا فورا الى شواطئها .. الى مسبح الجزيرة ..

لا شك ان هناك محاولة جادة لخلق مصيف على هذا الشاطىء ، ولكنها محاولة لم تتم ..

فقد قامت البلدية منذ اربع سنوات فقط بتنفيذ عدد من المشاريع السياحية وفي مقدمتها بناء مجموعات من الشاليهات على البلاجات التى اعدت للاصطياف والسياحة .. ويحتوى كل شاليه غرفة نوم فسيحة تتسع لاربعة أسرة ، ومطبخا وحماما ، ولايتجاوز ايجاره في اليوم الواحد ١٥ ليرة ..

وتم بناء الشاليهات ، ولكنهم لم ينتهوا من عملية توصيل الكهرباء اليها !!

انه شاطىء جميل تغطيه الرمال الصفراء الناعمة ، وهو أيضا شاطىء هادىء لاتصله الامواج الثائرة لأن جزيرة « ارواد » المواجهة له تماما تحجب عنه غضب البحر وثورته .. ولكن الزيت والشحم اللذين يتسربان من السفن الراسية في الميناء الجديد يفسدان جمال الرمال ، وأجسام السابحين في مياه البحر الدافئة » ..

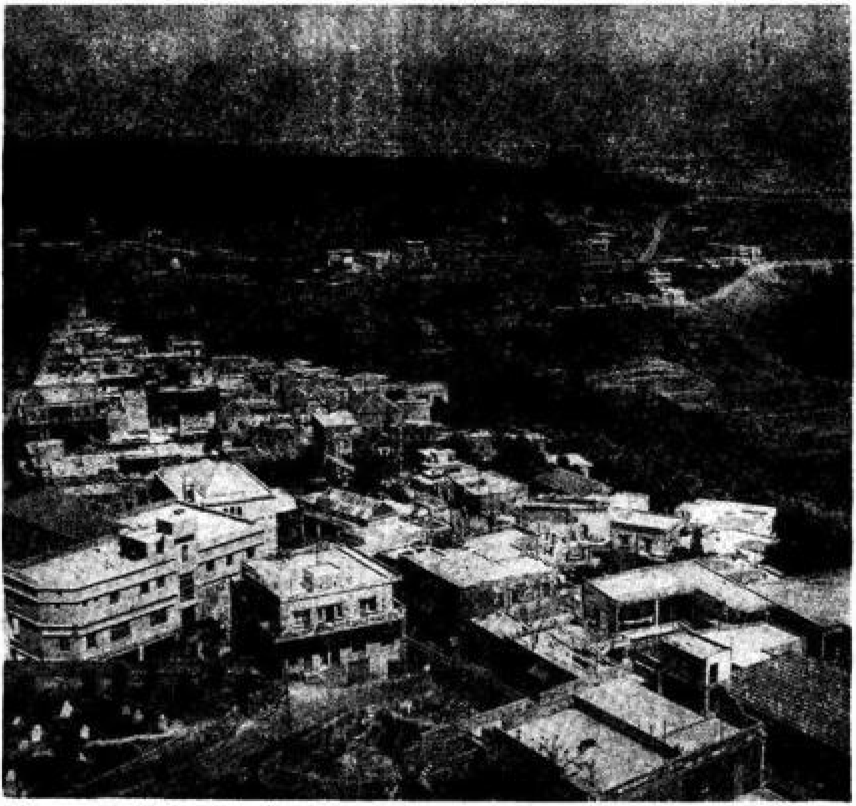
وبالرغم من هذا يأتي الناس الى شواطىء طرطوس لقضاء اجازاتهم وعطلاتهم .. وفي مسبح الجزيرة التقينا بعدد من المصطافين العرب الذين قدموا اليها من لبنان ، فهي قريبة من الحدود اللبنانية .. والتقينا ببعض الاجانب الذين جاءوا بسياراتهم ومنازلهم الصغيرة المتنقلة التى تجرى على عجل ..

والحديث عن المصايف لا بد وأن يتبعه حديث عن الفنادق والمطاعم ، فما دامت هناك مشروعات للنهوض بحركة السياحة والاصطياف ، فلا بد ان تشمل الفنادق والمطاعم ..

فنادق من الدرجة الثالثة

وليس في طرطوس فندق واحد من الدرجة الاولى ، وكل الفنادق الموجودة حاليا من الدرجة الثانية او الثالثة ، وهناك ثلاثة مطاعم فقط تقدم الوجبات للمصطافين ، احدها مسبح الجزيرة او الكازينو الذى اقيم على الشاطىء ..

لقد اعلنت الصحف السورية والعربية أخيرا عن مشروع بناء مدينة سياحية جديدة في طرطوس برأسمال وطني وعربي في المنطقة الجنوبية منها ،



منظر عام لجانب من « مصيف » صافيتا .. وهي بلدة جميلة تحيط بها اشجار الزيتون .. ولكن ليس فيها شيء واحد من مقومات المصيف .. لا مطاعم ولا فنادق ، ولا شيء اطلاقا .. وبالرغم من هذا فقد وضعوها على خريطة المصايف ، معتمدين على كرم ضيافة اهالي صافيتا !

حيث قسمت الارض الى مقاسم سياحية وهي معروضة للبيع باسعار رمزية ، بشرط ان يتقيد صاحب الارض ببناء الشاليه طبقالمواصفات معينة تحددها البلدية للشكل الخارجي للبناء .. وقد دعت الاعلانات المواطنين السوريين والعرب على السواء الى شراء هذه الارض والمساهمة في بناء المدينة الجديدة .. وفي نفس الوقت بدا العمل في بناء فندق سياحي من الدرجة الاولى .

ترى متى نرى مصيف طرطوس في ثوبه القشيب ؟ اننا نريده ثوبا يليق بمركز هذه النافذة التجارية الجديدة على البحر .

مصيف .. ولكن

وصعدنا مرة اخرى الى الجبل ، لنختتم رحلتنا بجولة في صافيتا .. ووصلناها بعد نصف ساعة بالسيارة قطعت خلالها حوالي ثلاثين كيلو مترا .. وهي المسافة التى تفصلها عن شاطىء طرطوس .. ونزلنا لنكمل الجولة سيرا على الاقدام ..

مدينة جبلية صغيرة ترتفع عن سطح البحر بحوالى ..) متر ويعيش فيها ما يقرب من ١٢ الف نسمه يعملون كلهم في زراعة الزيتون ..

ورحنا نبحث عن معالم هذا المصيف الذى وضعوه على الخريطة السياحية ، فلم نجد لها اثرا ..

لم نر شيئا واحدا يمكن ان يجعل من صافيتا مصيفا .. ليس فيها مطعم واحد ولا فندق واحد يمكن ان يرتاده المصطافون ..

وحان موعد الغداء ونحن نجول بين شوارعها وطرقاتها ، وسالنا : « اليس هناك مكان يستطيع ان يقدم لنا وجبة ، فتقدم اكثر من مواطن يدعونا لتناول الغداء في بيته » .





وعلى الشاطىء يقضى المصطافون وقتهم فى السباحة ، فاذا تركوا البحر ، جلسوا على شاطئه يتسامرون ، أو راحوا يلعبون ويلهون .. ان الناس تنتظر الصيف لتستريح وتروح عن نفسها ..

وفوق الرمال الناعمة ، تسير مواكب الحسان بين الخيام التى نصبها اصحابها على الشاطىء مقابل أجر زهيد .. وهن يسمين الى أشعة الشمس الدافئة لتجفيف أجسامهن بعد خروجهن من البحر ..





والبحر في مناطق كثيرة بالقرب من شواطيء اللاذقية ، اشبه ما يكون بحيرة كبيرة تحيط بها الصخور وتحتضنها وتمنع عنها وصول الامواج



وفي البحر تنتشر القوارب التي يستقلها المصطافون في نزهات قصيرة بالقرب من الشاطيء وهي تسليتهم المفضلة عند شروق الشمس وعند الغروب .

وشكرناهم ، ودلونا اخيرا على المطعم الوحيد في المدينة .. انه مطعم الزورق الفضي ، وهو مطعم من الدرجة الثالثة ..

الفندق الوحيد !

وعدنا نسأل : « واين فنادق صافيتا ؟ » ومرة اخرى ، قالوا لنا : « ولماذا لا تنزلون ضيوفا علينا .. مرحبا بكم في دياركم ! » واخيرا قالوا لنا : « اذهبوا الى فندق العهد الجديد . انه احسن فنادق صافيتا ! » ولم يكن من الصعب العثور على الفندق الذى دلونا عليه ، فقد بدا وكان كل اهالى صافيتا يعرفونه .. ووصلنا اليه .. شقة صغيرة في الدور الاول تضم ثلاث او اربع غرف وفي كل غرفة اربعة او خمسة من الاسرة التى خصصت للنزلاء .. وحمام واحد كبير يستحم فيه كل من في الفندق .. ثم لافتة عريضة تحمل اسم فندق صافيتا الوحيد ..

قال لنا صاحب الفندق السيد عيسى بيطار : « انني اؤجر الفراش الواحد بليرتين او بليرة ونصف وكلما ازداد عدد النزلاء في الغرفة الواحدة، انخفض الايجار .. انه اقدم فندق في صافيتا ، فقد افتتحته منذ اكثر من نصف قرن من الزمان ! ولكنني قررت ان اغلق ابواب فندقي في العام المقبل ، فلم اعد قادرا على الاستمرار في دفع الضرائب .. انهم يتقاضون مني ٧٠٠ ليرة سنويا ، وهو مبلغ كبير لا طاقة لي به ! » .

فندق العهد الجديد ، او « احسن » فنادق صافيتا ، وكل اهالى البلدة يعرفونه .. وقد دلونا عليه عندما سألناهم عن مكان نبيت فيه .. وهو فندق من الدرجة الرابعة او الخامسة .. والاقامة فيه بليرة اوليرتين



اين المصيف اذن ؟

اين المصيف في صافيتا اذن ؟

هل يكفى ان نضع اصبعنا على بقعة جميلة تتوافر فيها شروط المصيف ، ونقول ان هذه البلدة مصيف" .. ان صافيتا بلدة جميلة لا شك في ذلك ، فهي تقع فوق قمة هضبة عالية تشرف على اودية سحيقة شاسعة ، وهي ذات مناخ لطيف وهواء منعش وفيها برج شامخ يرجع تاريخه الى عهد الصليبيين ..

ولكن ماذا فعلوا لتشجيع الاصطياف والسياحة الى صافيتا ؟

لاشيء .. !

الاعتماد على كرم أهل صافيتا

انهم يتحدثون اليوم عن مشروع اقامة فندق سياحي من الدرجة الاولى في صافيتا ، ولكنه مازال مشروعا على الورق .. ان احدا لا يعرف حتى الآن متى يصبح هذا المصيف مصيفا فيستعيد سابق عهده ومجده ، عندما كان الطريق من دمشق الى الساحل يمر بصافيتا ، وكان المسافرون يمرون بهذا المصيف الجبلى فيقفون فيه بعض الوقت ، قبل ان يفتتح الطريق الجديد الذى يربط بين الشام والساحل عن طريق حمص ..

قلنا : « واين كانوا ينزلون ويقيمون خلال فترة الاستراحة على الطريق ؟ » .

قالوا : « في ضيافة اهل صافيتا ! » .

وتذكرنا كرم ضيافة اهالى هذه البلدة الصغيرة وهم يقدمون لنا بيوتهم لنبيت فيها وموائدهم لنأكل عليها . ■■

منير نصيف

مَلَك



■ مَلَكْتَ سِرَّ الحُسْنِ .. ما أجمَلَكْ !   سُبحانَ من مَلَّكَ .. أو مَنْ مَلَكْ .
بُورِكَ باري الحُسْنِ .. سبحانه ..   مَثَّلَ معنى الحسن إذ مثَّلَكْ ..
وجهك كم ضَلَّ به ناظري   فلا تُرَعْ إنْ جار أو ضَلَّلَكْ
وصوتك العَذْبُ حلا جَرْسُهُ   كأنّه تسبيحةٌ من مَلَكْ
عذراً إذا جارت عليك اللُّغى   هيهات هذا الحرف لن يَعْدِلك !
أينقل الحرفُ رفيف الضحي ..   أو سُدْفة الليل إذا ما احتلك ؟
أينقلُ الحرفُ شميمَ الرُّبى   أو السحاب الجَوْن أنّى سَلَكْ؟
أو رَفّةَ الأنجم مِلءَ الفضا   ودورةَ الكوكب عَبْرَ الفَلَكْ ..؟
عذرًا إذا أعجزت هذي اللُّغى   إنَّ الذى سوّاك قد أكملك !

■■

عاتكة الخزرجي
كلية الآداب ـ جامعة بغداد

الحروب النفسانية

بقلم : محمد طنطاوي

■ ينقسم العالم الآن الى كتل وشيع وأحلاف يكاد الخلاف بينها يصل الى مرحلة الحروب الدموية . ومنذ ان انتهت الحرب العالمية الثانية انقسم الحلفاء بعضهم على بعض ، ودبت الفرقة في صفوفهم ، وتشيعت دول للغرب وانضمت دول أخرى للشرق وبدأت الحرب الباردة بين الكتلتين الكبيرتين . وتغيرت خريطة العالم السياسية . وبدأ الصراع يشتد بين قوى الاستعمار وبين قوى التحرر فى الدول التى ترسف فى أغلال الاستعمار واستطاعت كثرة من الدول أن تحقق استقلالها .

وفى وسط المحيط الدولى الذى تتلاطم فيه الامواج الجبارة ، والتيارات الرهيبة. وسط الصراع السياسي المرير بين الدول الكبرى والصغرى ، بعضها البعض ، بدأت اهمية الحروب النفسانية تزداد يوما بعد يوم .

ما هى الحروب النفسانية ؟

للحروب النفسانية أسماء متعددة ، ومن هذه الأسماء : الحرب الباردة ، وحرب الأفكار ، وحرب السيطرة على العقول ، والحرب الايديولوجية ، وحرب الاعصاب ، والحرب السياسية .

وهناك تعريفات علمية متعددة للحروب النفسانية ولعل من أبسط هذه التعريفات واشملها : « ان الحروب النفسانية هى استخدام مخططات دعائية مدروسة من جانب الدولة فى وقت الحرب ، أو فى وقت الطوارىء ، بقصد التأثير على آراء وعواطف وسلوك ، جماعات أو دول أجنبية ، عدائية ، أو محايدة ، أو صديقة . بطريقة تساعد على تحقيق سياسة الدولة واهدافها . »

حروب نفسانية تاريخية

والحروب النفسانية أو الدعائية ليست شيئا جديدا على البشرية ، بل على العكس فهى قديمة قدم التاريخ نفسه . ويحكى لنا تاريخنا قصصا كثيرة عن زعماء وفلاسفة ، وقواد عسكريين قاموا باستخدام الحروب النفسانية لتحقيق أهدافهم . فالقائد المغولي « جنكيز خان » كان يعمل على بث الاشاعات ، داخل صفوف اعدائه ، عن الأعداد الهائلة من الفرسان المغول الاشداء الذين يضمهم



أو حروب الدعايات

جيشه ، وكانت هذه الاشاعات التى يتم ترويجها بمهارة وحذق تثير الرعب والفزع فى صفوف أعداء جنكيز خان مما يجعلهم يستسلمون للقائد المغولى .

ومن قبل جنكيز خان ، وفى العصر اليونانى القديم قام الشاعر الاسبرطى تيراتيوس Tyrataeus بالهاب مشاعر الاسبرطيين Spartians ، بأشعاره الحماسية ، وجعلهم يقفون فى وجه الغزو المسينى.

وقد عرف الاسلام الحروب النفسانية أيضا ، ومن امثلتها ما حدث فى غزوة أحد عندما خالف الرماة أمر النبى (صلعم) وكان قد شدد عليهم ان يلزموا اماكنهم فى مؤخرة جيش المسلمين يحمون ظهره ، مهما كانت الاسباب ومهما كانت النتيجة . وبعد أن انتصر المسلمون فى بداية الموقعة ولى المشركون مدبرين تاركين وراءهم غنائم كثيرة ، فترك الرماة مواقعهم يبتغون نصيبا من الاسلاب والاموال . وانتهز جيش المشركين تلك الثغرة واستداروا بخيلهم واحاطوا بالمسلمين فقتلوا منهم عددا كبيرا . واستعمل المشركون اسلوب الحرب النفسية فاشاعوا ان النبى قد قتل ، وعملت هذه الاشاعة تأثيرها فى نفوس المسلمين فشاعت بينهم روح الانهزام وكسرت نفوسهم . وقام النبى



(صلعم) بمحاربة هذه الشائعة فنادى فى المسلمين « الىَّ عباد الله، الىَّ عباد الله » .وعلم المسلمون ان محمدا لم يقتل ، وبدأوا يلتفون حوله ، وارتفعت روحهم المعنوية وأعادوا تنظيم صفوفهم من جديد .

وهناك أمثلة تاريخية أخرى كثيرة تدل على أن الانسان عرف الحروب النفسانية منذ فجر التاريخ .

أسلحة الحروب النفسانية

كما أن هناك أسلحة تستخدم فى المعارك الحربية العسكرية كالصواريخ والطائرات والغواصات وغيرها من أسلحة الفتك والتدمير فهناك أيضا أسلحة تستخدم فى الحروب النفسانية ، وتتركز هذه الاسلحة فى الكلمة بنوعيها المسموع والمكتوب ، وفى الصورة .

والكلمات المسموعة أو المكتوبة تنقسم الى أنواع منها : الاغانى الوطنية والحماسية ، النكات ، الخطب ، الاشاعات ، القصص ذات الهدف ، المقالات الساخرة ، والمنشورات ، وهذه كلها يتم نقلها عن طريق الاحاديث الشخصية والاذاعات ، والصحف والنشرات .

والصورة تلعب دورا هاما هى الاخرى لا يقل عن دور الكلمة ، وفى كثير من الاحيان قد تؤدى الصورة الى تأثير أكبر من تأثير أى كلمة أو كلمات .

العواطف الانسانية وتأثير الدعاية

ولكن كيف تصبح الكلمة سواء كانت مكتوبة أو مسموعة ، والصورة مهما كانت ، سلاحا من أسلحة الحروب النفسانية ؟ !

من المعروف أن العواطف الانسانية والغرائز هى التى تغذى منظمى الدعايات والحروب النفسانية بوسائل التأثير على السلوك . ونجاح الحروب النفسانية يعتمد على التأثير على العواطف او الغرائز فى الشعوب أو المجموعات التى توجه اليها تلك الحرب . والعواطف كلها سواء الأولية منها كالخوف ، والمركبة مثل الكبرياء وحب المغامرة ، والدنيئة مثل الجشع ، والعواطف الأخرى مثل الرثاء واحترام النفس ، والطموح ، وحب الاسرة . تتأثر بطريقة مباشرة او غير مباشرة بوسائل الدعاية المختلفة من كلمات الى صور .

ففى زمن الحرب مثلا تعتمد الحرب الدعائية التى توجه للشعب المحارب اعتمادا كليا على تنمية عاطفة حب الوطن ، وحب الاسرة ، وكراهية العدو أو الخوف منه ، والايمان بالنصر ، والشجاعة وحب المغامرة . أما الدعاية التى توجه للعدو فهى تعتمد على تنمية عواطف الخوف لديه ، أو استغلال تشاؤمه .

ويعتمد نجاح الحروب النفسانية على قوة العواطف المتوترة فى الجماهير التى توجه لها الدعاية . وفى بعض الاحيان يعمد منظمو الدعايات الى خلق عواطف جديدة فى نفوس الجماهير مثل اللامبالاة ، والاتكالية ، والانهزامية .

الحقيقة أقوى من الكذب

الحروب النفسانية ـ كما رأينا ـ هى اسلوب من أساليب الحرب بين الدول ـ حرب من نوع جديد يحاول كل طرف فيها أن يحقق النصر على الطرف الآخر باستعمال أسلحته الجديدة ..

ولاستعمال هذه الأسلحة أساليب مختلفة ووسائل نشر مختلفة أيضا ، ولكن هناك قواعد نفسانية ثابتة يجب مراعاتها دائما فى الحروب النفسانية . ومن أهم هذه القواعد :

* أن تحتوى الكلمات الموجهة على قدر من الحقائق ، ان لم تكن الحقيقة كلها . وكلمات الفيلسوف اليونانى القديم ارسطو « ان الحقيقة تميل دائما الى الانتصار على الباطل » لا تزال تعتبر أساسا ناجحا لأى حرب دعائية .

* دراسة نفسية وعواطف الشعوب التى ستوجه اليها الحرب الدعائية . واختيار الوتر الحساس الذى تركز عليه الحرب النفسية . فمن المحقق انه يمكن التأثير على عواطف الفرد ، فأنت تستطيع أن تدخل السرور الى قلوب الاصدقاء ، واليأس الى قلوب الاعداء ، ولكن هذا يختلف تماما عن جعلك هذا التأثير يحقق التغيير المطلوب فى الشعوب التى توجه لها الحرب النفسية . واجهزة الدعاية قد تؤثر فى الحالة النفسية للجماهير ولكنها من الصعب أن تؤثر على السلوك ، اللهم الا اذا كان هذا الجمهور يحمل بين طياته عوامل الاستسلام .

ومن هذا نرى ان الحرب النفسانية يجب أن توجه الى حواس الجمهور وقلبه قبل عقله ، وأن لا تعتمد تماما على التضليل والكذب وأن يكون مستواها

الفكرى مساويا للمستويات الفكرية الموجودة فى الجمهور الذى توجه اليه وذلك ليتسنى لاكبر عدد من أفراد هذا الجمهور استيعاب ما تريد الدعاية لهم أن يستوعبوه .

* الايحاء Suggestion ، من العناصر الهامة فى تهيئة الافراد نفسيا لتقبل الدعاية .

حرب الاشاعات

من أخطر أسلحة الحروب النفسانية وامضاها وافتكها الاشاعات. وهي من أهم وسائل التاثير على الجماهير ، وتحويل آرائها ، وبث روح الفرقة بينها . وتنتشر الاشاعات بسرعة رهيبة خاصة فى ظروف الحرب ، والازمات الاقتصادية ، وفترات القلق ، وعند حدوث اوبئة او كوارث طبيعية . كما تنتشر الاشاعات ايضا عندما تجد الشعوب صعوبة فى الحصول على الاخبار من مصادرها الرسمية .

ويمكن تعريف الاشاعة بانها خبر أو قصة يتداولها الناس ، دون أن يعرف احد مصدرها .. فهي منقولة عن فلان .. عن فلان .. عن فلان ، ولا يوجد أى مصدر موثوق يستطيع ان يؤكد صحتها . ولها تعريفات اخرى كثيرة لكنها لا تخرج عن هذا المضمون ، والاشاعات الناجحة سريعة الانتشار ، ويجب أن تتضمن شيئا من الحقيقة وان تتسم بالغموض الذى يثير تساؤل وخيال الجمهور ، وان يقوم مروجوها بتكرار الاشاعة واعادتها مع اختلاف فى التفاصيل التي لا اهمية لها ، وذلك حتى تجد اذنا مصدقة بين من يسمعها من اكثر من مصدر .

أنواع الاشاعات

جرت دراسات اجتماعية وسيكلوجية كثيرة عن الاشاعات لما لها من أهمية فى عصرنا الحاضر الذى تمزقه الحروب النفسانية المعلنة وغير المعلنة بين الدول وبعضها البعض . وقد جرى تقسيم علمي للاشاعات فقسموها الى اقسام رئيسية منها :

* من حيث الزمن الذى يحدد سرعة انتشارها : .. فالاشاعة بطيئة الانتشار اطلقوا عليها اسم « الزاحفة » والاشاعة سريعة الانتشار اسموها « المندفعة » والاشاعة التي تظهر وتختفي اسموها « الغاطسة » .

* ومن حيث الموضوع الذى تتناوله الاشاعة : .. ومن هذه الاشاعات :

(١) اشاعات الخوف ـ وهى التى تجعل سامعيها يتملكهم الرعب والخوف من خبر او كارثة .

(٢) اشاعات الامل : وهي تعمل على تحقيق عكس ما تحققه اشاعات الخوف ، وتهدف الى بث الثقة فى النفوس ولكنها أيضا سلاح ذو حدين قد يستطيع العدو استخدامه بان ينشر اشاعات الامل ثم يدبر صدمة عنيفة تحطم الثقة فى النفوس وتخلق انهيارا نفسيا مدمرا يصحبه فقدان الثقة فى النفس من الصعب علاجه .

(٣) اشاعات الحقد : وتهدف الى تمزيق شمل الامة وتحطيم معنوياتها وهي تطلق بغرض التخريب وتتناول اشاعات عن الأرزاق ومواد التموين وعن الهزائم العسكرية ، وعن قصص التمرد فى القوات المسلحة ، والغرض منها هو العمل على تحطيم الروح المعنوية تماما وتحقيق الاستسلام .

الاشاعات وقت الحرب

تعتبر الحروب الوقت الذهبي بالنسبة لنشر الاشاعات ورواجها ، لما يصاحب الحروب دائما من قلق وتوتر وتغيير فى أساليب المعيشة بين الشعوب المشتركة فى هذه الحروب . ويحرص العدو على استغلال هذا الوقت الذهبي فينشط فى اغراق عدوه بسيل عرم من الاشاعات المدمرة وفق مخطط يخدم اهدافه العسكرية . وفي كثير من الاحيان قد تنتشر الاشاعات عن الهجوم على موقع معين أو مدينة معينة لتضليل العدو وابعاد تفكيره عن منطقة اخرى ستهاجم . أو تشاع انباء هزائم وهمية فى صفوف الاعداء مع المغالاة فى عدد ضحاياهم ، وكذلك المغالاة فى اظهار قوة جيش منطلق الاشاعة ، حتى يصاب الجانب الاخر بالذعر وتثبط همته وتهبط معنوياته . وتستخدم اشاعات الحرب لتمزيق معنويات العدو ، وكعامل من عوامل حجب الحقائق وتضليل العدو بنشر اسرار كاذبة وخلق الظروف والملابسات التى تجعله يصدقها . كما تستخدم الاشاعات ايضا فى كثير من الاحيان كطعم للحصول على معلومات

حقيقية من العدو ، وذلك باطلاق اشاعات كاذبة حول موضوع معين حساس ، مما قد يجعل العدو يسرع بتكذيبها بنشر الحقائق ! !

وتستخدم الاشاعات وقت الحرب ايضا لتحطيم الثقة في مصادر أخبار العدو واذاعاته وصحفه وذلك بأن تذيع دولة من الدول اشاعات قوية عن نجاح قوات اعدائها مثلا في تدمير اماكن استراتيجية هامة .. وكيف ان الغارات التي قامت بها طائرات العدو قد نجحت في ذلك نجاحا تاما .. وتذيع اذاعات العدو أخبار هذا النجاح وتهلل له ، وبعد ذلك تقوم الدولة الاولى التي نشرت الاشاعة بدعوة الصحفيين العالميين وتريهم على الطبيعة أن الاماكن الاستراتيجية التي ادعى العدو تدميرها لا تزال سليمة .. وبهذا تتزعزع الثقة في مصادر أخبار العدو ، وبعدها تصبح التربةخصبة في اى وقت لتكذيب أخبار العدو حتى لو كان من بينها أخبار صحيحة ١٠٠٪

كيف تقاوم الاشاعات

ويتم نشر الاشاعات عن طريق الاذاعات ، وعن طريق العملاء الذين يهمسون بها في آذان الناس كأنها أسرار هامة .. أو عن طريق الانباء المدسوسة على الصحف والتي قد يخطيء الصحفيون فهم مدلولها الصحيح .وغيرذلك من وسائل الاعلام الحديثة .

وهناك عاملان هامان يتحكمان في انتشار الاشاعات ، وعن طريق ــ هذين العاملين ــ يمكن مقاومة الاشاعات .

١ ــ مستوى الوعي : كلما ازداد وعي المواطنين قلت فرص نجاح الاشاعات ، فالاشاعات توجه الى القلب وتحاول دائما أن تثير العواطف الى درجة تمنع العقول عن التفكير في صحتها . وبالوعي وبالتفكير في كل ما نسمع نستطيع أن نقتل اى اشاعة في مهدها .

٢ ــ كشف الحقائق للجمهور : ان نشر الحقائق وعدم اخفائها عن الجمهور يعتبر من أهم اسلحة مقاومة حرب الاشاعات . فالانسان محب للاستطلاع بغريزته فهو يستمع الى الاذاعات ، ويقرأ الصحف ويتعقب الاحداث ، ويستطلع الاخبار بحثا عن الحقيقة التي تهمه بل وتؤثر على حياته وحياة وطنه . فاذا ملك هذا الانسان الحقيقة من مصادرها فانه تلقائيا سيرفض تقبل الاشاعات التي تحاول ان تجعل حياته كلها قلقا وحيرة .

الحروب النفسانية والصحافة

ولا تقتصر الحروب النفسانية على الاشاعات ، بل هي كما قلنا تستعمل الكلمة في كل ميدان . ومن اهم الميادين ، التى تصبح فيها الكلمة سلاحا جبارا ، ميدان الصحافة . والحملات النفسانية التي تقوم باستغلال الصحافة غالبا ما تكون على مستوى كبير من الذكاء . ويمتاز واضعو هذه الحملات بمعرفة فن اقناع الجماهير عن طريق مخاطبة عواطفهم لا عقولهم . ومن الامثلة التي تبين اهمية استغلال الصحافة في الحروب النفسانية بذكاء ودهاء هو ما حدث في الحرب العالمية الثانية حينما اوعزت هيئة الدعاية البريطانية الى صحف سويسرية ، بنشر قصة عن أن ربات البيوت في انجلترا يشكون مر الشكوى من ان الحكومة قد منعت بيع اللحوم في الاسواق يومين في الاسبوع ، بعد ان كان الحظر يشمل يوما واحدا فقط . والتقطت الصحف الالمانية هذا الخبر وقامت بنشره كدليل على سوء الاحوال داخل بريطانيا . وفات على هذه الصحف الالمانية ان الاحوال داخل المانيا أسوأ من هذا بكثير وانهم عندما نشروا هذا الخبر قد خدموا الدعاية البريطانية وحققوا لها اغراضها .

ومنظمو هذا النوع من الحروب النفسانية يعتمدون اعتمادا كليا على أخطاء الصحفيين واندفاعهم الى التقاط الطعم الذى يلقى اليهم ، عن جهل وسوء تقدير .

ان الحروب النفسانية ، اصبحت الان من أخطر الحروب التي يواجهها الانسان ، فهي لا تقتل الروح ، والجسد ، ولكنها تقتل الارادة وقوة المقاومة وتجعل من الشعوب التي تستسلم لها او تهزم امامها عبيدا لا كرامة لهم . لهذا كان على العرب وهم الان يتعرضون لحرب نفسانية عنيفة الوقوف امام الرياح المسمومة للحروب النفسانية سواء مارق منها الى درجة النسيم ، او ما عنف الى درجة الاعصار الذى يكتسح كل شيء امامه . ■■

محمد طنطاوى

من معاجم اللغة العربية

بقلم : عبد الستار فراج

■ في منتصف القرن التاسع عشر بدأت معاجم اللغة العربية تأخذ طريقها الى المطابع : القاموس. الصحاح ومختار الصحاح . المصباح المنير . لسان العرب . أساس البلاغة . شرح القاموس .

وقد كتبت عن كل ذلك وبينت زمن طباعته ومكانه ، وشرحت المنهج الذى سار عليه مؤلفه . كما عرَّفت بالمؤلفين في ايجاز .

وأبادر فاصحح ما قلته سابقا عن طباعة القاموس ، ذلك انه صدر أولا طَبْعَ حجر سنة ١٢٦٦ هجرية (١) (١٨٤٩ — ١٨٥٠م) ثم طبع سنة ١٢٧٠ ، ١٢٧٢ هـ (١٨٥٣ ، ١٨٥٥م) أما طباعته في سنة ١٢٨٩ (١٨٧٢م) فهي التي صدرت عن مطبعة بولاق بالقاهرة .

ولقد كان لشعور الامة العربية بأصالة لغتها ، وتطلعها الى النهضة ، أكبر الأثر في الاتجاه نحو التخلص مما لوث اساليبها وتخاطبَها من عُجمة وعامية . فدعا ذلك الى احياء ما كان للسلف من مؤلفات تجمع كلماتها الاصيلة وتشرحها ، ليعرف الناس اللفظ الفصيح فيستعملوه . ويتجنبوا ما كان غريبا عليهم ، مما املاه التقليد لسلطان أو استعمار أو واغلين ، متمثلا أكثر ذلك في الفاظ تركية وانجليزية وفرنسية وايطالية ويونانية ، لها في اللغة العربية الفصحى نظائر وأشباه . ولم تكن من المصطلحات العلمية التي تمليها الضرورة ، وتدعو اليها حاجة النهضة من امثال (آبلَه ، آيكل ، تانْت ، تيزَه ..)

مصر أحيت ، ولبنان رتبت

ولئن كانت مصر هي السابقة في القرن الماضي الى احياء هذه الكتب الاصيلة من المعاجم ، على اختلاف ما فيها من مناهج ، وتباين ماتحويه من قلة وكثرة ، او توسع واختصار ، فان الجزء اللبناني من الشام ، في ذلك العهد كان السابق الى الاستفادة من هذه المعاجم القديمة ، بان جعل يرتبها ترتيبا سهلا ميسرا ، متبعا طريقة اساس البلاغة والمصباح المنير التي سبق أن وضحتها ، مع الدقة في الترتيب والتنظيم بحيث يمكن الحصول على اللفظ المراد معرفة معناه بدون عناء، مهما تكن مادته مطولة .

المعاجم القديمة وما نطلبه في الحديثة

لقد كانت المعاجم القديمة في طريقة عرضها للمادة لا تتبع نظاما سهلا يناسب عهدنا الحديث ، ومع هذا لا يمكن أن نعد السابقين مقصرين فيما فعلوا ، فان همهم الاول كان الجمع والاستقصاء ، ولم تكن الوسائل والادوات ، من ورق وطباعة واضاءة بالقدر المتاح لنا الآن .

والذى نطلبه في المعاجم الحديثة ، الى جانب نظامها الميسر الدقيق هو :

١) أن تكون شروحها واضحة مستوفية للمعنى.

٢) أن نختار لها الصور الشمسية المناسبة ، واذا كانت رسما يدويا فلابد أن يكون معبرا تمام التعبير عما وضع له ، بحيث لو رأى انسان الرسم او الصورة ، ثم ابصر المسمى على حقيقته ، يعرف انه هو المقصود بما رآه ، ولايصح أن نقتصر على قولنا انه « معروف » بل لابدّ له من تعريف .

٣) أن تخصَّص المعاجم ، ولانجعلها دوائر معارف . فلا ينبغي أن نحشد في المعجم الخاص

---

(١) انظر مجلة العربي العدد ١٣٢ فقد ذكرت نقلا عن كتاب «المعجم العربي بين الماضي والحاضر» للدكتور عدنان الخطيب أن أول طبعة ظهرت للقاموس كانت في سنة ١٢٨٩ (١٨٧٢م) .

بمفردات اللغة اسماء البلدان ونعرّف بها ، ولا يحسن ان نحشر فيها اعلام الاناسي ونترجم لهم ونؤرخ ، ذلك اننا لايمكننا أن نذكر كل البلاد ، ولا نستطيع ان نضع قاعدة نفضل بها بلدا على بلد ، أو موضعا على موضع ، وفي عصر دون عصر ، ومن الخير ان نخصص لهذا كله معاجم تسمى « معاجم البلدان » ولنا فيما فعل السابقون قدوة .

واعلام الناس يكون من الغبن أن نؤثر بالذكر فردا دون آخر ، حاكما كان او عالما او اديبا ، أو فنانا .. وفي دولة دون دولة ، قديما وحديثا . حتى مع تخيُّر الاعلام المتميزين نحتاج الى عشرات المجلدات ، لهذا وجب أن نخصص للاعلام كتبا تسمى « كتب التراجم » . ولنا ايضا فيما قام به السابقون أسوة .

مع ملاحظة ان اسماء البلدان واعلام الناس ترتب في كتبها حسب نطقها « احمد » فيما اوله همزة ، و « محمد » فيما اوله ميم و « حمدان » فيما أوله حاء .. لكن في معاجم مفردات اللغة تندرج هذه الثلاثة في مادة « حمد » .

اما المصطلحات العلمية ـ وما أكثرها ـ مما دعت حاجة العصر الى استعماله بترجمته او تعريبه او نطقه بلفظه ، فان الاراء تختلف في ان نجعل لذلك كتبا خاصة نسميها « معاجم المصطلحات » أو أن ندمجها في معاجمنا اللغوية ، وان كنت افضل أن تكون لتلك المصطلحات معاجمها الخاصة ، فهذا مجمع اللغة العربية بالقاهرة اقر أكثر من خمسين الف مصطلح ، واصدرها في كتب بلغت عشرة اجزاء الى الآن عدا ما يجد ، فلو ادخلناها في معاجم لشرح المفردات اللغوية لضاعفناها ، ولاختلفنا في ان نجعلها بلفظها الكامل في مادة لغوية مستقلة او ان نجردها من بعض حروفها الزائدة او شبه الزائدة ، كما نفعل في مواد اللغة العربية ونلحقها بها ، وفي كلا الأمرين خلل واضطراب في المنهج .

أول المرتبين في لبنان

وأول القائمين في لبنان بمحاولة اخراج معجم لغوي حديث هو بطرس بن بولس بن عبد الله البستاني ، فقد ألف في ذلك ماسماه « محيط المحيط » .

ولد في الدبية من قرى لبنان سنة ١٢٣٤ هـ (١٨١٩م) وبها تعلم ، ثم ببيروت . أتقن السريانية والايطالية واللاتينية ، ثم العبرية واليونانية . اشتغل بالتدريس ، ثم كان ترجمانا للقنصلية الامريكية في بيروت . واستعان به المرسلون الاميركيون على ادارة الاعمال في مطبعتهم ، وعلى ترجمة التوراة من العبرية الى العربية . أنشأ اربع صحف ، وكانت اعظم اعماله دائرة المعارف ، التي مات قبل ان يكملها ، وهي المعروفة بين الناس باسم « دائرة المعارف للبستاني » أكمل منها ستة مجلدات وبدأ بالسابع . وقام بعض ذريته بعده بالاستمرار في العمل فيها . ولقد توفي ببيروت سنة ١٣٠٠هـ (١٨٨٣م) .

وسبق ان قلت في المقال المنشور عن القاموس المحيط ، في العدد ١٣٢ أن الصاحب بن عباد ألف كتابا في اللغة سماه « المحيط » وان ابن سيده الف كتابه « المحكم والمحيط الاعظم » ، وان الفيروزبادى الف كتابه « القاموس المحيط » ، وفي هذا المقال عرفنا ان القاموس المحيط كان قد صدر في ١٢٦٦هـ (١٨٤٩ ـ ١٨٥٥م) . فلفظ « المحيط » اغرى بطرس البستاني بعد اطلاعه على القاموس المحيط ، فسمى كتابه « محيط المحيط » . يقول عنه : « هذا المؤلف يحتوى على مافي محيط الفيروزبادى ، وعلى زيادات كثيرة عثرنا عليها في كتب القوم ، وعلى مالابد منه لكل مطالع من اصطلاحات العلوم او الفنون ، سميناه بمحيط المحيط » .

من عيوب محيط المحيط

ولئن صح أن تدمج مصطلحات العلوم والفنون في معاجم مفردات اللغة ـ كما فعل بعض المؤلفين القدامى بالنسبة لما بلغهم من مصطلحات ، أو أن تفرد المصطلحات في كتب مستقلة كما فعل بعضهم، مثل « كشاف مصطلحات الفنون » ، فان مايجرى على السنة العامة ، مما لا أصل له في اللغة ، وليس من المصطلحات التي لانظير لها في لغتنا ، لاينبغي ان نلوث به معاجمنا لينازع مفرداتنا الأصيلة حقها في الحياة .

وعلماؤنا الأول حينما جمعوا اللغة ، اخذوها من موطنها الاصلي ، من أفواه أربابها الخُلّص ، لا ممن خالطوا الدول غير العربية ، فلا نجيء نحن بعد أكثر من الف سنة ، ونبدأ في جمع مالا نحتاج اليه ، والذى عندنا مثله أو أحسن منه ، وندسه في ثنايا مؤلفاتنا ومعاجمنا بدعوى التجديد والتطور .

لهذا كان أشد ما يعيب على محيط المحيط هو هذا الخلط السيء الذى لقى منه نقدا مرا ، من امثال الشرتوني صاحب « اقرب الموارد » والاب انستاس الكرملي ، وغيرهما .

فمن المضحك مثلا أن نجد في محيط المحيط في اماكن متقاربة جدا ما يأتي :

« البوليتيكة : صناعة الادارة او حالة السياسة ، يونانية » .. « البوليجة والبوليصة والبولصة : الوصل » .. « البويا : صبغ يصبغ به الخشب » . « البوياتس : نبات يستعمل اصله وصمغه في معالجة الجراح والقروح ، يوناني » . « البنارون : اصل نبات » . « البيبروز : نبات».

ولئن قلنا . انه حاول اخراج معجم لغوى حديث فلا نبالغ فنقول انه نجح في ذلك . وكلمة « محاولة » هي التي تنطبق تمام الانطباق على مافعل . فليس في كتابه صور ولا رسوم . وليس فيه توضيح دقيق ، ولا تعريف واف . كما راينا في بعض امثلته . والذى يذكر له بالثناء هو حسن ترتيبه . الافعال فالمصادر ، والاصلي فالمزيد . مشبها طريقة الأساس والمصباح ، مع الدقة في الترتيب .

اعتذار المؤلف

وانه ليعتذر للقراء في آخر حرف الراء فيقول :

« ولقد أضفت الى أصول الأركان فروعا كثيرة وتفاصيل شتى ، والحقت بذلك اصطلاحات العلوم والفنون ، وكثيرا من المسائل والفوائد والقواعد والشوارد ، وغير ذلك مما لايتعلق بمتن اللغة ، وذلك لكي يكون هذا الكتاب كاملا شاملا ، يجد فيه كل طالب مطلوبه من هذا القبيل . وبهذا الاعتبار تنازلت الى ذكر كثير من كلام المولدين والفاظ العامة ، منبها في اماكنها على انها خارجة عن أصل اللغة ، وعسى بذلك ان يتمهد لي العذر في هذا التساهل الذى ارتكبته .

وقد يتزيّا بالهوى غيرُ أهلِه
ويستصحب الانسانُ من لايلائمه

هذا وقد صادفَ الفراغُ من طبع هذا الجزء اليوم الحادى والعشرين من شهر تموز سنة ست وستين وثماني مائة والف مسيحية ، موافقة سنة ثلاث وثمانين ومائتين والف هجرية » .

ومع هذا فانه في كثير من الذى أقحمه لم ينبه عليه .

انجاز محيط المحيط وطبعه

اما نهاية الكتاب فكان الفراغ منها في ١٢ تموز ١٨٦٩ موافقة ١٢٨٦ هجرية ، لكنه طبع عليه ما يأتي : « طبع في بيروت ١٨٧٠ ، ١٢٨٦ هـ » .

وقد كان في نيته ان يلحق به فهرسا . يقول في مقدمته « وقد جعلنا في آخره فهرسا ادرجنا فيه على ترتيب حروف المعجم اسماء ما اشتهر من الاماكن والاشخاص والقبائل ، ولا سيما ماورد من ذلك في التصانيف العربية » .

والظاهر ان فكرته هذه هي التي جعلت لجنة المنجد تلحق به منجدا خاصا بالعلوم والفنون والآداب .

على أن البستاني لم يف بما وعد ، واعتذر في آخر الكتاب فقال :

« اذا كان طول الوقت وكبر حجم الكتاب ولجاجة المشتركين وغيرهم لم تسمح لنا أن ندرج اسماء الاعلام في آخر هذا الكتاب قد استصوبنا ان نفردها في كتاب خاص بها ونقدمها للمشتركين حال خروجها من المطبعة ».

ولا ادرى افعل ذلك او لم يفعله ، على ان كتابه « محيط المحيط » بلغت صفحاته ٢٣٠٨ من القطع الكبير ، وعلى عمودين وبحروف غير صغيرة ، في كل عمود ٣٢ سطرا ، وقد وزن الافعال في كتابه باللفظ ، فيقول انه « من باب ضرب » . « من باب نصر » . « من باب علم » . « من باب منع ». « من باب حسب » . « من باب كرُم أو فضُل ».

ويعني بذلك أن مضارعه مثل مضارع الباب الذى يذكره وان مصدره غالبا مثله .

وقد اورد شواهد شعرية في كتابه ، فلا تخلو صفحة من بيت او بيتين ، واذا علمنا أن الكتب التي فيها شواهد كثيرة لم تكن طبعت في عهده عرفنا انه كان عظيم الاطلاع .

وفي الحق لقد كان معجمه « محيط المحيط » محاولة . ولئن فتحت هذه المحاولة الباب لغيره، فان كتابه هذا في اللغة لم يصبح مرجعا يعوّل عليه ، لما فيه من قصور ، ولما فيه أيضا من خلط وحشو ، وقد عوضه عن سقوط هذا المعجم ان ارتفع بجهوده الكبيرة في كتابه المعروف باسم « دائرة المعارف » فابقت هذه ذكراه تتردد على السنة الباحثين والكاتبين . ■■

عبد الستار فراج

أنباء الطب والعلم والاختراع

● ليس من يعلم ان الافران النووية، ويسمونها بالدقة المفاعلات النووية ، تلك التي اعطتنا وتعطينا اليوم الكهرباء بمقادير هائلة ، فاغنتنا عن كثير من مصادر الطاقة الاولى ، كالفحم وكالزيت ، هذه الافران الذرية تعتمد فى تشغيلها على عنصر اليورنيوم .

ونعلم ان عنصر اليورنيوم كان اول العناصر التي انشقت ذرتها فانتجت من القنابل الذرية ما انتجت . ثم عمل الانسان على ترويضها ، فانتجت الطاقة، وان شئت فالحرارة ، على هوادة ، فاستخدمناها في ادارة المولدات الكهربائية لانتاج الكهرباء على ماذكرنا .

ولكن القنبلة الذرية اليورنيومية (واختها البلوتونومية) اعقبتها القنبلة الادروجنيية فكانت اقوى الوف الاضعاف واكثر طاقة ، واكثر تخريبا .

وان تكن ذرة اليورنيوم تعطى طاقتها بانشقاق ذرتها ، فطاقة الادروجين ، تعطى طاقتها ، لا بانشقاق ذراتها ، ولكن باندماجها . وهي طاقة اشد واغنى .

ومن اجل هذا اتجه العلماء منذ سنوات الى محاولة ترويض ذرة الادروجين لتندمج ذراته ، ولكن على هوادة ، فتعطينا من طاقتها الهائلة ما نستخدمه فى انتاج الكهرباء .

والنجاح فى هذا يعد وثبة عارمة الى الامام لاتقل أن لم تفق وثبة الانسان الى القمر .

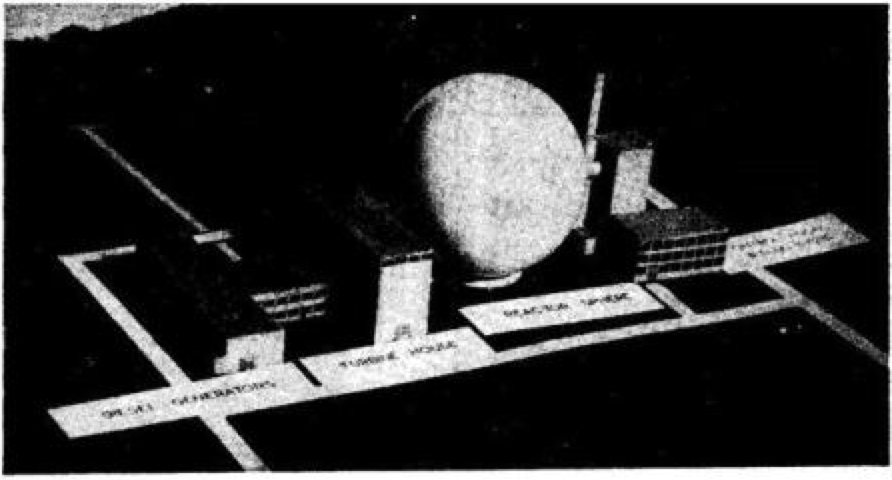
وقد اجتمع فى بريطانيا ، فى شهر اغسطس عام ١٩٦٩ ، اول مؤتمر عالمى ينظر فى شكل الفرن النووى الادروجيني (المفاعل) المرتقب .

ونقول المرتقب لأنه لم يتم ، ولكن الظاهر ان العلماء اقتربوا من الحل اقترابا .

والمحاولة العلمية هي رفع الادروجين، فى حيز محدود ، وفى كثافة شديدة ، الى درجة من الحرارة هائلة ، وهو عندئذ

بروتين من ورق الجرائد ،

● انه جهاز تجريبي به تنقلب المادة المعروفة بالسليولوز (مادة القطن) الى بروتين (مادة اللحم) الضرورية للغذاء . والطريقة تتضمن الجمع بين كائنات مكروبية ومصاصة سكر القصب . وقد حصلوا من نحو ٢٠٠ رطل من المصاصة ما بين ٤٠ الى ٥٠ رطلا من البروتين في اليوم، ويتكلف الرطل من البروتين الناتج ما بين ٦ الى ٧ سنتات . والسنت هو جزء من مائة من الدولار .



تنفك ذراته فتكون خليطا من نويات الذرات وما كان يدور حولها من الكترونات، وقد اسمى العلماء هذا الخليط بالبلزمة Plasma .

وكان احد علماء الروس، وهو الاكديمى ارتسيموفتش Artsimovich ، اجرى سلسلة من التجارب ، صنع لها جهازا يُبشّر بالمفاعل المنتظر اسماه توكاماك Tokamak وصل فيه بالادروجين (او بالضبط بعنصر الديوتريوم Deuterium ، وبه ذرتا ادروجين ، وعنصر التريتيوم Tretium وبه ٣ ذرات ادروجين) ، او على الاصح بالبلزمة الناشئة ، الى درجة من الحرارة بلغت ٣ مليون درجة مئوية ،وذلك فى زمن مقداره جزء من خمسين من الثانية ، وبينا كانت كثافة البلزمة ٣٠٠٠٠ بليوم جُسيم فى السنتيمتر المكعب الواحد . وقد حَصَر هذه البلزمة هذا الحصر نطاقٌ من مجالين مغناطيسيين عظيمين .

واجتمع المؤتمر ليناقش صحة هذا الكشف الجديد ، الخطير .

والروس يرجون من بعد ذلك ان يقوموا من بحوثهم بالتجربة التالية لانتاج مفاعل، هو التوكاماك رقم ١٠ Tokamak-Ten وهم يرجون ان يبلغوا به المستوى الذى عنده ينتج الجهاز من الطاقة فوق ماينْفق العلماء فيه منها . وهم يرجون ، اذا بلغوا هذا الحد ، ان يصنعوا وحدة المختبر الاولى التى تنتج من الحرارة ما مقداره ١٥٠٠ مليون وط .

آمال ، كانت احلاما ، لاتزيدها الايام الا صدقا .

والكتب والاخشاب

والهدف الوصول بتكلفة البروتين الناشىء بهذه الطريقة الى مثل ثمن فول الصويا الذى اتخذه الصانعون هدفا يهدفون اليه عند المقارنة .

أما مصدر السليولوز فورق الجرائد بعد الفراغ منها ، والكتب والخشب ونفايا الثياب القديمة . وكذا نفايات المنازل والمدن ، وقد قدروا ان بها من السليولوز ما بين ٥٠٪ الى ٦٠٪ من وزنها .

الطب والاضطرابات النفسية والجنون

● ان الجسم يختل ، وتصيبه الأمراض . وفرّقوا بين الأمراض الجسمية فجعلوها فروعا ، وجعلوا لها اختصاصات . فاصبح الى جانب الطبيب العام ، الطبيب المختص ، فهذا يختص فى امراض الصدر ، وهذا فى القلب والدورة الدموية ، وهذا فى الأذن والأنف والحنجرة .. وهلم جرا .

حتى اذا تركتَ الاجسام ، وجئتَ الى الأنفس ، قلّ فيها المختصون ، وقل نفعهم ، لا لأنهم غير قادرين ، ولكن لأن البحوث النفسية ، التي منها يستمد الطبيب النفساني قوته ونفعه ، غير قادرة بعد .

والغريب ان جمهور الناس يهتم بصحة الأجسام ، ويأسى لمرضاها ، حتى اذا اختل عقل انسان ، فأغلب الظن ان له الحيلولة ، تفرض عليه ، لتحول بينه وبين الناس ، وبينه وبين العيش والحياة . وينساه الناس نسيا كاملا .

والظاهر أن ضمائر الجمهور ، فى شتى بلاد العالم ، بدات تدرك ، ما فى العالم ، فى هذه الناحية ، من خبال ، وسوء حال ، غفل عنه طويلا .

وبدأوا بحال المهنة ، مهنة الأطباء النفسانيين ، فلم يجدوه خير حال . فالطبيب النفساني ، بين الأطباء ، لا ينال من التقدير ما يناله طبيب القلب مثلا ، او طبيب الغدد ، أو الجراح . والأطباء النفسانيون فى الجامعات ، وفى المصحات والمستشفيات قلّة . ومن اجل هذا قل الأطباء المتخصصون فى هذا الباب .

وعلى سبيل المثال ، وجدوا أن فى المملكة المتحدة (انجلترا وضواحيها) ٦٥٠٠٠ طبيب ، ليس بينهم غير ٢٦٠٠ ...

ابحاث قمر

● جرت ابحاث أولية نتجت من رحلة رواد الفضاء الى القمر ، تلك التي سموها رحلة ابولو ١١ ، دلت الى اليوم على الأشياء الآتية :

١ ــ ان القمر جرم سماوى تجرى فيه الحرارة منتظمة واحدة ، على خلاف الأرض ، تلك التي بها قشرة باردة ، تليها عباءة دافئة ، يليها لبّ من معدن مصهور .

٢ ــ ان النتائج تشير الى ان القمر قد يكون مثل كرة سهلة الكسر ، تكسّر منها باطنها الذى يلي القشرة . وان هذا التكسر أحدث شقوقا من صخر تمضي غائرة الى قلب القمر .

٣ ــ ان اختلاف شد القمر لمركبة الفضاء وهي تدور فى فلكه ، قد عزاه البعض الى أن حشو القمر ، يتركز ثقيلا فى ناحية من باطنه ، ويخف فى ناحية . ولكن يترجح الآن ان اختلاف الشد قد يكون سببه ، لا اختلاف الحشو ، ولكن وجود « البحار » الواسعة الفارغة التي لا ماء فيها على سطح القمر .

٤ ــ وجدوا أن نحو ٥٠ فى المائة من تراب القمر من زجاج (أعواد لامعة صغيرة ، وجسيمات مكورة بارقة) ، لا كما كانوا ذكروا أولا من ان هذا الزجاج يؤلف ٣٠ فى المائة من هذا التراب .

٥ ــ ان صورا جاء بها الرائدان تشير



طبيب نفساني . وان ليس من هؤلاء غير ١٥٠ يشتغلون بالأبحاث النفسانية ، وليس من هؤلاء من يعطي وقته كله للبحث غير ٥٠ .

ووجدوا فيما احصوا ان مدارس الطب لا تجد العدد الذي يكفيها من الأطباء النفسانيين نتيجة لسوء حال المهنة ، وعدم الاقبال عليها . وفى مدارس الطب الاثنتى عشرة التي توجد فى لندن لا يوجد بينها غير اربع مدارس بها استاذ للصحة النفسية . وفى عام ١٩٦٨ كان فى المملكة المتحدة ١١ مدرسة للطب ليس بها قسم للطب النفساني .

ليس شيء يبدأ الخطى فى سبيل التقدم كالنقد . ونحن نقرأ اليوم كثيرا من النقد ، فى امم البحوث العلمية والطبية ، فيما يختص باهمال امراض العقول ، والتركز على امراض الاجسام . وقد بدأ يظهر أثر النقد فيما بدأت الميزانيات المختلفة من تخصيصه من اموال لدفع البحث الطبي ، فى أمراض العقول ، الى أمام .

ان الناس لا تدرك خطر اختلال العقول ، وما يسببه لأصحابه من تعاسة . والغريب أن من الناس من يرى ان فى فقدان العقل نعمة ، وهو قول مردود ، يقال سببا للهروب من التبعة . وغير ذلك الرجل الذى نزل عليه مرض العقل فى اهله وفى ولده . هو وحده الذى يحس بأن الطب النفساني ، قل اهتمام اهل الاهتمام به ، وقل كثيرا ، بينما زاد اهتمامهم بالطب الجثماني ، بسبب أن سبيله أيسر ، وطريقه أهدى .

الى انهما انما كانا يسيران من سطح القمر على طبقة رقيقة من زجاج معتم ، ومن اجل هذا هم وصفوا سطح القمر بأنه زلق .

٦ ـ استنتج الدكتور جَست Gast ، الأستاذ بجامعة كولمبيا بمدينة نيويورك ، أن تاريخ نشأة القمر يختلف اختلافا كبيرا عن تاريخ نشأة الأرض ، وذلك بسبب كثرة الزجاج على سطح القمر كثرة غير منتظرة ، وبسبب المقدار الكبير من النشاط الاشعاعي المختزن فيما حمله الروّاد من عينات القمر ، وبسبب كثافة صخور القمر بالنسبة لكثافة سائر سطحه ، واخيرا بسبب ما قدروه لعمر القمر ، حيث بلغ ٣١٠٠ مليون عام .

فان صح تفسير العلماء الذى وقع لهم اليوم عن القمر ، كان من المحتمل جدا ان القمر كان فى غاية النشاط فى الـ ١١٠٠ مليون عام الأولى من حياته بسبب ما أصابه من نيازك السماء ، وما تفجر فيه من براكين . ثم هدأ ظاهرا وباطنا ، ولم يعكر سكونه شيء فى الـ ٢٠٠٠ مليون سنة التى تلت . ان سطح القمر يظهر عليه القدم البالغ ، وانه لم يمس .

وهذا على نقيض الأرض . فالأرض هي اليوم نشيطة كما كانت منذ ملايين خلت من السنين ، تبنى فى سطحها الجبال ، وتخرج من بطنها حُمَم من براكين ، وتتحرك سطوحها فتختلف على السنين مواقعها .

معركة على الدخان في برلمان الولايات المتحدة

● يتألف برلمان الولايات المتحدة من مجلس النواب ومجلس الشيوخ . وبين هؤلاء وهؤلاء من يناصر التدخين، وبينهم من يعاديه . وبينهم من يعاديه حرصا على صحة السواد وايمانا بما يقوله الأطباء ، ومنهم من يناصره حرصا على مصلحة صناعة الدخان والسجائر وسائر انتجة التدخين .

وقد كان الهجوم على التدخين شديدا بسبب ما كشفت عنه الجمعية الطبية الامريكية من اخطار ، اعظمها الاصابة بالسرطان ، ونتج عن ذلك فيما مضى قيام قانون يحتم على صانعي السجائر ان يضعوا في علب سجائرهم تحذير الأطباء ، بأن هذا الذي تدخنونه يا قوم قد يسبب لكم الاصابة بالسرطان وغير ذلك . وهذا القانون كان لمدة محدودة كادت تنتهي .

وبايعاز من الصناعة قام مجلس النواب بصيغ قانونا هو أشبه بالقانون القديم ، فكان أن وافق على صيغة يجب أن توضع في علب السجائر تقول : « ان الجراح العام قد قضى بأن تدخين السجائر خطر على صحتكم ، وقد يصيب رئتكم بالسرطان، ويسبب لكم امراضا اخرى» .

وظاهر الأمر ان مجلس النواب انما هدف الى امتداد فعل القانون القديم .



ولكن الواقع انه اراد بذلك أن يشل يد مجلس الشيوخ ، ذلك الذي كان اعتزم ان يسير في الموضوع خطوة اقسى ويحتم على شركات صناعة السجائر أن تنشر هذا التحذير في كل اعلان تعلن به عن سجائرها ، في الصحف كان ، او في التلفاز او غير ذلك .

وعلم مجلس الشيوخ بما صنع مجلس النواب فاهتاج ، وقام فاصدر قانونا ، وافق عليه سبعون وعارضه سبعة ، يقضي بمنع صناعة السجائر من الاعلان عنها في التلفاز او في الاذاعة ، وذلك ابتداء من اول يناير عام ١٩٧١ . وعند مجلس الشيوخ انه لو حدث بناء على هذا المنع ان حولت الصناعة اعلاناتها الى الصحف، فعندئذ يصدر المجلس قانونا يقضي على الصحافة بأن تنشر مع كل اعلان ، ذلك التحذير الذي يحذر المدخنين من الاصابة بالسرطان .

اختصم المجلسان اذن .

ووجب اجتماعهما والمناقشة .

وسوف تكون المناقشة لا شك حامية، لأن وراءها المصالح الصناعية التجارية الهائلة .

وذلك لأن صناعة السجائر تعاني الآن اكبر خفض في البيع منذ بدات الحملة ضد التدخين في عام ١٩٦٤ .

وقد اصدر المركز القومي للاحصائيات الصحية في ديسمبر هذا الماضي تقريرا يذكر فيه أن الذين تركوا عادة التدخين في الولايات بلغ مليونين ونصف مليون من الناس . وان الشبان الذين يشبون على غير عادة التدخين في ازدياد .

ودراسة جرت في ديسمبر هذا أيضا دلت أن بيع السجائر انخفض بمقدار ١٠ بليون سيجارة سنويا ، اى نحو ٢ في المائة من الانتاج ، وذلك في عام ١٩٦٩ عن عام ١٩٦٨ .

●●

اللغة

منها تبدأ ثورة التجديد

«إن نسبة ضخمة من اللغة التى نتداولها فى كتاباتنا الأدبية هى من هذا القبيل الأجوف، لا يقدم حياتنا خطوة إلى الأمام»

بقلم: الدكتور

زكى نجيب محمود

■ لست أتصور لأمة من الأمم ثورة فكرية كاسحة للرواسب، الا أن تكون بدايتها نظرة عميقة عريضة تراجَع بها اللغة وطرائق استخدامها، لأن اللغة هي الفكر، ومحال ان يتغير هذا بغير تلك. فقد تسود العصر روح دينية صوفية، تبحث عن الغيب وراء الشهادة، عن الخفاء وراء الظهور، عن الثابت وراء المتغير، عن المطلق وراء الجزئي النسبي العابر، عن البقاء وراء الفناء، فعندئذ ينعكس هذا كله على طريقة استخدام الناس للغة ــ في مدارج الثقافة العليا لا في تصاريف الحياة اليومية ــ فتراهم يجعلونها للايحاء لا للدلالة، فهي اداة عروج الى السماء لا وسيلة اتصال بالواقع. ثم قد تسود العصر روح علمانية واقعية، ينشغل الناس فيها بالعلوم الطبيعية والرياضية اكثر مما ينشغلون بالوجد الصوفي وتسبيح المتدين، فعندئذ كذلك ينعكس ذلك على اللغة، فترى اصحابها يتخذون منها أداة ترمز الى الواقع المحسوس، اكثر مما يتخذونها عدسات ينفذون منها الى اللانهاية والخلود، ذلك على وجه التعميم الذى لا ينفى ان يتناثر في الحالة الأولى افراد أشبه بالعلماء في استخدامهم للغة، كما لا ينفي أن يكون في الحالة الثانية افراد اشبه بالشعراء في صياغة القول.

فاذا كان الناس في مرحلة من تاريخهم الفكرى تشبه الحالة الأولى، وارادوا الانتقال منها الى مرحلة أخرى تشبه الحالة الثانية، كان لا بد لهم من تغيير الاداة. والعكس صحيح أيضا بالنسبة الى من يأخذ العلمُ الطبيعي برقابهم ويريدون الافلات من قبضته ولو قليلا، فهنا كذلك ترى الدعاة انما يسوقون دعوتهم بلغة الايحاء الشاعرة، لا بلغة الاعلام الواقعية العلمية المحدودة المعنى.

فى الثورة الفرنسية الكبرى

وقبل أن انصرف بالحديث الى انفسنا ، اود ان انقل الى القارىء لمحة من النشاط الفكرى الذى نشط به الفرنسيون فى ثورتهم الكبرى ، ليرى معي كيف انهم ما كادوا يعلنون الثورة السياسية الاجتماعية ، حتى اجتمع رجال الفكر منهم ليبحثوا فى اللغة على اى نحو يتصورونها ، وفى اى اتجاه يوجهونها .

ولم يكن قد مضى على الثورة (١٧٨٩) أربعة أعوام ، حين حلت السلطة القائمة ما كان هنالك من مجامع علمية ، رغبة منها فى أن تعيد بناءها على خطة جديدة تتفق وروح الثورة التي أرادت أن يستدبر الفرنسيون من تاريخهم مرحلةليستقبلوا مرحلة جديدة جدة كاملة شاملة . ومضى عامان بعد هذا الالغاء ، ثم انشىء (١٧٩٥) « المعهد القومي للعلوم » فسموه اقساما ثلاثة : قسم منها للعلوم الطبيعية ، وقسم آخر لعلوم الأخلاق والسياسة ، وقسم ثالث للفنون الجميلة بما فيها الأدب ، ويهمنا في هذا الحديث ، القسم الثانى ـ قسم علوم الأخلاق والسياسة ـ فقد فرعوه فروعا ستة : فرع لتحليل الاحساسات والأفكار ، وفرع للأخلاق ، وثالث لعلم الاجتماع ، ورابع للاقتصاد السياسي ، وخامس للتاريخ ، وسادس للجغرافيا : شيء يذكرنا بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية فى الجمهورية العربية المتحدة اليوم .

اللغة الوسيلة الوحيدة لنشأة المعرفة الانسانية

والذى يعنينا الآن هو أول الفروع ، الخاص بالنظر فى تحليل الاحساسات والأفكار ، لأنه هو الفرع الذى عني بتحليل المعرفة الانسانية تحليلا يبين وسائلها ومداها وحدودها ، وهنا يأتي البحث فى اللغة من حيث هي الوسيلة التي لا وسيلة سواها لنشأة المعرفة الانسانية وتكوينها وتطويرها ـ أو جمودها فى بعض الحالات ـ وغني عن البيان أن يقال ان البحث في المعرفة الانسانية من حيث النشأة والتكوين ، هو من أهم الموضوعات التي يتصدى لها الفلاسفة ، بل هو أهمها على الاطلاق منذ القرن السادس عشر والى يومنا هذا ، فلا عجب أن نرى بعض اعضاء هذا الفرع من فروع « المعهد القومي للعلوم » من الفلاسفة البارزين عندئذ ، منهم « فولنى » Comte de volney و « كاباني » Cobanus ، الأول منهما يؤمن فى الله ، والثاني يرفض مثل هذا الايمان ، أعنى ان اعضاء ذلك الفرع كانوا على جهات شتى فى وجهة النظر ، الا فكرة واحدة التقوا عندها جميعا ، هي ضرورة البحث فى فلسفة اللغة ، ليكون هذا البحث ركنا ركينا لأى تفكير يجيء بعد ذلك . وعلى ما كان بين « فولني » و « كاباني » من اختلاف بالنسبة للايمان فى وجود الله ، فقد اتفقا معا على أن موضوع الايمان أو عدم الايمان ، لا يجوز أن يدرج فى نطاق الحديث العلمي .

يقول « فولني » انه كلما وقف الناس عند مشاهدة الأشياء الواقعة كما هي واقعة ، اتفقوا عليها ، واما اذا رايت بينهم خلافا فى الرأى ، فاعلم انهم عندئذ قد جاوزوا حدود الأشياء الواقعة ، ولم يقفوا بمشاهدتهم لها عند ظاهرها المرئي المحدود ، واذن فكل ضروب الخلاف بين الناس ، بل ان ما يصيبهم من تفكك اجتماعى ، انما ينشأ حين يتصدى الناس فى أحاديثهم لأمور تستحيل على المراجعة والتحقيق على أساس الخبرة الحسية وحدها ، وهنا خلص « فولني » الى نتيجة ، هي : « ينبغي أن نرسم خطا فارقا بين ما يمكن التحقق من صوابه وما لا يمكن ، وأن يقام سور منيع بين عالم الوهم وعالم الواقع ، وأعنى بذلك ضرورة اخراج ما يقوله اللاهوتيون اخراجا عن مجال العلوم الاجتماعية » .

وأما « كاباني » فقد تقدم الى اللجنة الفرعية ببحوث مستفيضة ، عن انطباع الحواس ـ من بصر وسمع ولمس الخ ـ بالأشياء الخارجية ، كيف يتم من الناحية الفسيولوجية الصرف ، ثم كيف تتحول تلك الاحساسات الى « افكار » بعد ذلك . ويكفي « كاباني » هذا من الأهمية فى تاريخ الفكر انه هو الذى صاغ العبارات التيأصبحت بعد ذلك شعارات لانصار المذهب المادى في القرن التاسع عشر ، مثل قولهم ان المخ يفرز الأفكار كما تفرز الكبد الصفراء ، وهم بذلك يعنون أن العالم كله مادة فى مادة ، وحتى الجانب العقلي منه فيمكن تحليله ورده الى عضو مادى فى الجسم هو المخ .

اللغة جزء لا يتجزأ من عملية التفكير

كان « فولني » و « كاباني » بمثابة من قذف الكرة على ارض الملعب ليبدأ اللاعبون ، فما هو الا ان تقدم « دي تراسي » الى اللجنة الفرعية بتحليل واف لطبيعة الفكر ، وكيف ترتبط تلك الطبيعة ارتباطا وثيقا باللغة ، وقد استمد في بحثه مادة مفيدة من فيلسوفين : احدهما انجليزي هو « جون لوك » Lock ، والثاني فرنسي هو « كوندياك » Condillac ، لانهما كانا قد سبقاه الى تناول الموضوع من اصوله ، قائلا انه اذا كان « لوك » في مجال البحث في علم الافكار ، بمثابة « كوبرنيق » Copernic في علم الفلك ، لانه هو اول مستكشف للتفسير الصحيح الذي يفسر ظاهرة التفكير من حيث نشأتها ونموها ، فان « كوندياك » هو بمثابة « كبلر » Kepler — في علم الفلك ايضا — الذي وضع القوانين لحركة الاجرام في المجموعة الشمسية ، بعبارة اخرى : اوضح « لوك » كيف ينشأ الفكر ، وبيّن « كوندياك » كيف تكون الصلة بين الافكار ، ولم يفت كليهما ان يدرك العلاقة بين الفكر واللغة ، على اختلاف بينهما ، فبينما « لوك » قد حسب ان الفكر ينشأ أولا ثم تأتي اللغة بعد ذلك لتجسده ، رأى « كوندياك » ان عملية الفكر نفسها مستحيلة بغير اللغة ورموزها .

عرض « دي تراسي » على الأعضاء أركان هذا العلم الجديد المقترح انشاؤه والبحث فيه — العلم الذي يكون موضوعه طبيعة الافكار وما بينها من علاقات — ونظر الى الاعضاء ليجدهم فلاسفة وعلماء فسيولوجيا ، فاسف ان لم يكن بين الاعضاء نحويون ، قائلا : « ان تكوين الافكار وثيق الصلة بتكوين الكلمات ، فكل علم يمكن رده الى لغة اجيدت صياغتها ، ومعنى قولنا عن علم معين انه تطور وتقدم ، هو ان ذلك العلم قد ضبط لغته ، لا اكثر ولا اقل ، ضبطا يتم اما بتغيير الفاظه ، واما بان يجعل الالفاظ القائمة ادق في معانيها » .

كانت الفكرة الاساسية التي اراد « دي تراسي » عرضها على اعضاء اللجنة الفرعية ، مستمدة من الاضافة التي أضافها « كوندياك » الى « لوك » ، وهي أن اللغة ليست لمجرد التعبير عن افكار تكونت ، بل هي جزء لا يتجزأ من عملية التفكير نفسها ، فاستنتج « دي تراسي » من ذلك أن تطوير العلوم مرهون بتطوير اللغة — وهي نتيجة لها من الاهمية والخطورة ما لا يحتاج منا الى بيان ، لانه في هذه الحالة يصبح محالا أن يتغير للناس فكر دون أن تتغير اللغة في طريقة استخدامها .

لا معرفة بغير تحليل .. ولا تحليل بغير الفاظ

وبالطبع لم يكن « كوندياك » قد ارسل قوله هذا بغير سند وتدليل ، بل اوضح (في كتابه « مقال في أصل المعرفة الانسانية » — ١٧٤٦) كيف أن قوام المعرفة تحليل لما يأتي الى حواس الانسان مدمجا ، « فلو ادخلنا انسانا — خلال عتمة الليل — قلعة » تطل على منظر فسيح ، حتى اذا ما أصبح عليه الصباح ، فتحنا له النافذة ثم اغلقناها على الفور ، بحيث يتاح له أن يلقط من المنظر كله لمحة واحدة شاملة ، فهاهنا سيتطبع المشهد على بصره ، ولكنه لن « يلاحظ » شيئا معينا فيه ، وبالتالي لن يستطيع وصفه لسواه ، اما اذا اراد أن « يعرف » ما يرى ، كان لا بد للنافذة أن تظل مفتوحة أمامه فترة ، تتيح له أن يوجه الانتباه الى هذا الجزء ثم الى ذاك ، بعبارة اخرى ، ما كان قد رآه من المنظر في لمحة واحدة ، يجب الآن أن يُفكك الى عناصره ثم يعاد ضم العناصر آخر الأمر في مشهد واحد ، فعندئذ يكون الرائي قد « عرف » المشهد باجزائه وبالعلاقات التي تربط تلك الاجزاء بعضها ببعض .

على أن المهم هنا هو أن نلاحظ أن هذا التحليل — في رأى كوندياك — مستحيل بغير أن تسايره رموز كرموز اللغة ، فكلما وقفنا عند جزء من المشهد كانت لنا عنه لفظة تميزه ، كقولنا « شجرة » او « جدول » او غير ذلك ، فبهذا وحده يمكن بعد ذلك أن يصور الرائي لغيره ما قد رآه ، وبغيره تعود الأجزاء فيتداخل بعضها في بعض بغير تمييز ، وخلاصة القول انه لا معرفة بغير تحليل، ولا تحليل بغير رموز ، أي بغير ألفاظ . . . وبعد ذلك يمضي كوندياك فيبين كيف تتطور هذه الالفاظ معنا من اشارتها الى المفرد الجزئي ، الى اشارتها الى الكلي الذي يطلق على مجموعة متجانسة من الافراد .

مسابقة

عرض « دى تراسى » هذا على اللجنة الفرعية ، شارحا ومعلقا ، فأثار اهتمام الأعضاء بالموضوع الى الحد الذى حملهم على اعلان مسابقات متتالية على الأعوام ، يعرضون فيها على ذوى الكفاية أن يكتبوا ليجيبوا عن هذه الأسئلة الخمسة الآتية ، وللفائزين السابقين جوائز ، وحسبنا أن نذكر هنا ان الاغراء قد استدرج فلاسفة بارزين في عصرهم أن يسهموا بالرأى ، من أمثال « مان دى بران » و « بيير بريفو » ــ والأسئلة هي :

١ ــ هل يتحتم أن يستعين الانسان برموز (= لغة) لينتقل من احساسه المباشر بالأشياء الى مرحلة يحول فيها ذلك الاحساس الى أفكار ؟

٢ ــ هل تعتمد دقة التفكير على دقة الرموز المستخدمة فيه ؟ .

٣ ــ هل يرجع اتفاق المشتغلين بالعلوم المضبوطة النتائج ، الى دقة الرموز التي يستخدمونها ؟ .

٤ ــ هل تكون علة الخلافات التي تدب بين المشتغلين في فروع المعرفة التي هي موضع خلاف ، ان الرموز التي يستخدمونها تنقصها الدقة ؟ .

٥ ــ اذا قومنا الرموز المعيبة في دقتها ، هل تصبح كل العلوم على اختلاف ضروبها مضبوطة النتائج ؟ .

تلك هي الأسئلة المطروحة للمتسابقين من رجال الفكر ، وقد فاز بالجائزة الاولى في المسابقة الاولى ، رجل لم يكن من الفلاسفة المحترفين ، هو « جوزيف ديجراندو » ، ببحث قدمه في اربعة مجلدات ضخام ، يجيب بها على الأسئلة (وكان الثاني هو بيير بريفو استاذ الفلسفة في جنيف) .
وكانت اجابات ديجراندو مختلفة عما كان ارتآه كوندياك في علاقة الفكر باللغة ، لا في أنه لا علاقة بينهما ، فذلك أمر لا اختلاف عليه ، ولكن في امكان أن يتم الفكر اولا بعملية عقلية صامتة ، كل ما فيها انتباه يوجه الى هذا الشيء أو ذاك ، وبعد ذلك يأتي الرمز اللغوى فيجسد الفكرة في لفظ يمكن نقله وتداوله .

فبدل أن نقول مع كوندياك ان تطور العلم هو نفسه تطور مصطلحه الرمزى ، يقول ديجراندو ان تطور هذا المصطلح واكتمال دقته يأتي بعد أن يكون العلم قد حقق لنفسه التقدم والدقة ، كما تأتي الآثار بعد وقوع التاريخ ، وبدل أن نقول مع كوندياك انه مع دقة الرموز اللغوية ترتفع درجات التفاوت بين العلوم المختلفة ، وتصبح كلها قائمة على البرهان ، اذ لا فرق ــ على حد قوله ــ بين « المعادلات الرياضية والقضايا المنطقية واحكامنا على الاشياء » فكلها تصنع منهجا واحدا ، بدل ذلك ينبهنا « ديجراندو » الى أن هنالك مصادر اخرى للخطأ والاختلاف غير دقة الرمز ، كاختلاف الناس في المزاج ، وفي الظروف ، وفي آرائهم المسبقة ، وفي اهتماماتهم ومصالحهم ، فمع هذه الاختلافات كلها لا يجدى أن يتفقوا على دقة في الرمز الذى يستخدمونه ... الى آخر ما ملأ به « ديجراندو » مجلداته الأربعة من نظرات .

ليس كل نطق بألفاظ من اللغة فكر !

بمثل هذا شغل المفكرون في صبيحة الثورة الفرنسية ، ايمانا منهم ــ كما أسلفت ــ بأن الثورة الفكرية مستحيلة بغير معاودة النظر في اللغة المستخدمة ، للعلاقة الوثيقة بين الفكر واللغة ، فسواء كان الصواب مع « كوندياك » في دمج الفكر واللغة دمجا يجعلهما عملية واحدة ، أو كان الصواب مع « ديجراندو » في التفرقة بينهما تفرقة تجعلهما متتابعين ، وان يكن اللاحق منهما ضروريا للسابق ، فهنالك بينهما تلك الصلة القوية على كل حال .

والآن فلنصرف الحديث الى أنفسنا ، في نهضتنا هذه الراهنة ، التي نريد لها أن تكون قوية من جذورها الى فروعها .

وأول ما أود أن ألفت اليه النظر ، هو أننا حين نربط الفكر باللغة ، فلسنا نقصد أن كل نطق بألفاظ من اللغة يكون فكرا ، اذ من النطق ما هو هراء وتخليط كتلخيط المجانين ، فلا بد اذن من شروط ينبغي لها أن تتوافر في المنطوق ليكون ذا علاقة بما نسميه فكرا ، لقد كان أول ما افتتح به « ابن جني » حديثه في الجزء الأول من كتابه « الخصائص » هو أن يفرق بين « القول » و « الكلام » ، بحيث جعل « القول » ما تتحرك به الشفتان ، وأما « الكلام » فلا يكون الا اذا اكتمل

اللفظ حتى بات مستقلا بنفسه ، مفيدا لمعناه ، فلئن كان كل كلام قولا ، فليس كل قول كلاما .

تلك ملاحظة اولى ، والثانية هى اننى اود ان الفت النظر الى تقسيم بالغ الأهمية ، يفرقون به بين نوعين من اللفظ الذى يكون فكرا : فنوع منهما يربط — الكلام — بالواقع الخارجي المحسوس ، ونوع آخر يربط الكلام بكلام آخر ، بحيث يجيء الكلام الأول والكلام الثاني كلاهما — وان ارتبط احدهما بالآخر — ولا علاقة بينهما قط بما هو واقع فى العالم الخارجي المحسوس ، فمثلا اذا قلت : « ان الكويت واقعة على الخليج العربي » ، فهذا كلام ذو علاقة بامر واقع يمكن رؤيته ويمكن رسمه على الورق ، وأما اذا قلت — مثلا — « ان ركوب البحر امتع من ركوب الطائرة ولما كانت الطائرة اسرع من السفينة ، كانت المتعة غير متوقفة على السرعة » ، فها هنا كلام ارتبط بكلام آخر ارتباطا أنتج نتيجة لكن لا « الكلامان » ولا « النتيجة » التي لزمت عنهما تشير الى اى شيء في دنيا الأشياء الواقعة ، وانى لأرجو القارىء ان يدقق النظر فى هذه النقطة ، لأننا سنرتكز عليها — مع نقاط أخرى — فى تحديد النقص فى طرائق استخدامنا للغة ، وهو نقص لا مندوحة لنا عن معالجته اذا اردنا لأنفسنا فكرا ذا اثر .

اللغة العربية فى التراث الأدبى بعيدة عن دنيا الناس

وبعد هاتين الملاحظتين اقول بصفة عامة — وهو قول اتفق فيه مع جاك بيرك فى كتابه عن « العرب » — : ان اللغة العربية كما نراها فى التراث الأدبي ، وكما لا تزال تستخدم عند كثيرين ممن يظنون أنهم يكتبون أدبا — توشك الا تنتمي الى دنيا الناس ، فلا تكاد ترى علاقة بينها وبين مجرى الحياة العملية ، ولذلك لم يجد المتكلمون بالعربية مفرا لهم من أن يخلقوا — الى جانب الفصحى — لغات عامية يباشرون بها شئون حياتهم اليومية ، وقد تقول : أليست لغة الصحافة — مثلا — من الفصحى ، وهي تعالج شئون الحياة العملية من سياسة واقتصاد وأحداث وما الى ذلك ، فأجيب بأن هذه فصحى قد اقتربت من العامية لتنجح ، وليست هي من قبيل الفصحى التي نراها فى التراث الأدبي .

لم تكن الفصحى فى تراثنا الأدبي أداة للاتصال بمشكلات العالم الأرضي ، ولا وسيلة للثقافة المتصلة بحياة الناس وأزماتهم ، بل كانت مجالا للفن الذى يحوم فى السماء أو ما يشبه السماء . كان الكاتب بها يعني بالقول فى ذاته كيف يجيء مسبوكا ، ثم بالقول الآخر كيف يتولد منه تولدا يراعى فيه الظرف أكثر مما يراعى منطق التسلسل الفكرى . ولن أنسى ما حييت قصة صبي من ذوى قرباى ، كان تلميذا فى مدرسة ابتدائية ، طلب استاذ اللغة العربية منه — ومن زملائه معه — أن يكتبوا موضوعا انشائيا ، خطابا يوجهه الكاتب الى أبيه بمناسبة بدء العام الدراسي ، فكتب الصبي الذى أعنيه خطابا الى ابيه ، مهتديا فيه بالسليقة السليمة الحية ، فجعله متصلا بحياته المباشرة ، وذكر له بعض الصعاب التي لقيها فى حياته المنزلية مع من كان يساكنهم فى المدينة والوالد في الريف فطعامهم ليس على ما يشتهى ، ومخادع النوم تقفى المضاجع ، والبيت ينقصه المواد الغذائية الأساسية ، ولذلك أخذ يطلب فى خطابه ان يرسل اليه أبوه مع فلان الفلاني شيئا من البيض والسمن والرقاق .. فدهش الأستاذ ان يكون هذا « انشاء » عربيا ، وكانت الدرجة عنده « صفرا » وجاءني الصبي يشكو ، ويسأل فى حيرة : ماذا — اذن — يكتب فى خطاب الى ابيه ؟ فعندئذ تذكرت مالم استطع ان أرويه للصبي ، لانه كان اصغر من ان يتابعه ، تذكرت مارُوى لي عن شيخ مرموق من اعلام اللغة كيف علم « الانشاء » لمن كان مصيرهم ان يكونوا اساتذة للغة فى المدارس اذ أخذ يمليهم بادىء ذى بدء قائمة « بما يقال فى مدح الشيء » ثم قائمة « بما يقال في ذم الشيء » لايهمه اى شيء هو — وبعد ذلك بدأت كتابة الموضوعات الانشائية على هذا الأساس ، وداخل ذلك الاطار ، يطرح على طلابه موضوعا فى « اكرام الضيف » ثم يسأل : أهو مما يمدح او مما يذم ؟ فيقال له : انه مما يمدح .. اذن فعليكم « بما يقال فى مدح الشيء » ثم يعقب عليه بموضوع فى « النفاق » فهل النفاق مما يمدح او مما يذم ؟ انه مما يذم ، اذن فعليكم « بما يقال فى ذم الشيء » .

فجوة كبيرة بين دنيانا الفكرية وخبراتنا الشعورية

تلك هي وقفتنا من « اللغة » حين نكتب من اجل

ذاتها ، انها عالم وحدها غير هذا العالم ، بل ان الامر لايقتصر عليها مكتوبة ، وانما يتعدى ذلك اليها مقروءة ، افتحسب ان العرف قد جرى بيننا على ان تقرأ العربية ـ حين تكون في مستواها الادبي التقليدي ـ كما يقرأ عباد الله ما يقرءون ليفهموا ؟ كلا ، وان شئت فاستمع الى التلاميذ في مدارسهم وهم « يطالعون » ، المطالعة شيء من الخطابة، وبذلك يتعاون المكتوب والمقروء على الايحاء باننا ـ اذ ندخل في اللغة ـ فانما ندخل عالما مسحورا لا عالما مألوفا ، هو هذا العالم الذى يطعم فيه الطاعمون ويشرب الشاربون .

الفجوة فسيحة فسيحة بين دنيانا الفكرية كما يصورها لنا الكاتبون ، وبين خبراتنا الشعورية كما يكابدها المكابدون ، ليست تلك من هذه ، ولذلك لا يقرأ منا احد مقالا او كتابا ، الا ويحس كانما خرج من نفسه ليتقمص انفسا اخرى ليست هي انفسنا ، انما هي انفس الذين ننقل عنهم اذا نقلنا ، او يحس كانما خرج من نفسه ليدخل في مجموعة نغمية تقصد اجراسها الى الاذان ولاتقصد الى العقول او القلوب ، وليس ببعيد عن ذاكرتنا ما كان يحدث بصغار الاطفال في الكتاتيب ، حين يطالبون بحفظ اجزاء من القرآن الكريم ، فلا يحفظون الا نغما صوتيا ، لا يدركون من معناه ذرة ، واني لاخجل ان اقول عن نفسي كم عاما مضى من عمري قبل ان اتبين تفصيل المفردات التي ركبت منها آيات حفظتها صغيرا ، كالاية « لايلاف قريش ايلافهم ... » او كالاية الكريمة « الهاكم التكاثر .. »

اللغة عندنا نغم يطير بنا عن ارض الواقع يصعد بنا الى اللانهائي المطلق ، وان شئت فاختر لنفسك اى كتاب شئت من عيون تراثنا الادبي ، واقرأ مقدمة المؤلف ، والارجح جدا ان تجد نفسك في احبولة عجيبة من الفاظ وتراكيب ، خيوطها سحرية تصرفك عما يراد بها من معنى ، لتعكف على النغم والجرس ، انك تقرأ سطرا ، كما تقرأ سطرين ، كما تقرأ عشرين سطرا ، فاحساسك هو انك واقف مسمر القدمين في مكان واحد ، لاتتقدم من فكرة الى فكرة ، انما هو دوران في لاشيء ، فمن الجائز ـ بل لعله من المؤكد ـ ان ذلك الضرب من الكتابة كان ينفق ومزاج من لم يرد ان يعمل شيئا ، فهو في فراغ يملؤه بالزخارف ، لكنه ضرب من الكتابة لايصلح اداة في عصرنا تصل بين كاتب وقارىء فيما يراد عمله بالنسبة الى اوضاع الحياة اليومية الجارية .

لا صواب ولا خطأ في التركيبات اللفظية التي تبنى كلاما على كلام

لقد اسلفت لك ملاحظة عن الفرق بين ضربين من الكلام : ضرب منهما يتصل بالواقع الذى يتحدث عنه اتصالا مباشرا ، كقولنا « الكويت تقع على الخليج العربي » ، وضرب آخر يصل جزءا من الكلام بجزء آخر ، دون ان يكون لاى من الجزءين ، او للجزءين معا شأن بدنيا الواقع ، وضربت لذلك مثلا قول القائل : « ان ركوب البحر امتع من ركوب الطائرة ، ولما كانت الطائرة اسرع من السفينة، كانت المتعة غير متوقفة على السرعة» فمثل هذا الكلام قد يوهم بان في الامر تفكيرا ، لكنه في الحقيقة « كلام في كلام » لايعني شيئا ، يوضح لك ذلك ، ان تقول نقيض هذا الكلام فلا يتغير في العالم شيء ، كأن تقول : « ان ركوب الطائرة امتع من ركوب البحر : ولما كانت السفينة ابطأ من الطائرة ، كانت هنالك علاقة بين السرعة ومتعة السفر » فانت هنا بازاء تركيبتين كلاميتين لاتستطيع ان تصف احداهما بصواب والاخرى بخطأ ، لانه لاصواب ولا خطأ في امثال هذه التركيبات اللفظية التي تبنى كلاما على كلام ، وانعدام الصواب والخطأ فيها علته انها لاتقول عن دنيا الاشياء شيئا ، فلا المتكلم افاد ولا السامع استفاد ، هو نطق صوتي ينتقل من فم الى اذن ، وانتهى الامر .

واني لازعم ـ وراجيا ان اكون قد اخطأت فيما ازعم ـ ان نسبة ضخمة من اللغة التي نتداولها في كتاباتنا الادبية هي من هذا القبيل الاجوف ، لا يقدم حياتنا خطوة الى امام .

ان الفاظ اللغة تتصاعد في درجات متفاوتة من التركيب والتعميم ، فقولك « اسماعيل » قد يصعد ليصبح « رجلا » ، وهذا بدوره قد يصعد ليصبح « امة » ثم يصعد ليصبح « انسانية » ، وواضح انك كلما صعدت مع مدارج التعميم والتجريد ، بعدت عن الواقع الجزئي الملموس ، ولا ضير في ذلك ، فالعلوم كلها تعميمات مجردة

تبعد عن الواقع الملموس بعدا شديدا ، لكن هنالك حالتين من الصعود ، حالة تتدرج من ارض الواقع الحسى الى سماء التعميم المجرد ، تدرجا لا تطمس فيه الدرجات ، بحيث يستطيع الصاعد ان يعود فينزل الى الارض مرة اخرى درجة درجة. فلو سالت عالما عن قانون علمي : كيف تبين انه قانون صحيح ينطبق على الواقع ؟ اخذ يبدلك هابطا من تعميم القانون الى وقائع الارض المشهودة التي كانت في الاصل نقطة البداية . غير ان هنالك حالة اخرى امرها غريب ، هي حالة يقفز فيها الانسان الى الفاظ عامة مجردة ، دون ان تكون هنالك الرابطة التي تربطها بوقائع الارض ، كقولك ـ مثلا ـ « خلود » . هذا معنى عام غاية التعميم ، مجرد اقصى التجريد ، ولا باس في ذلك، لولا ان من يستخدمه يغلب الا تكون عنده الحلقات الوسطى الموصلة بينه وبين الجذور الارضية التي منها نبت ونما ، واذن فالكلمة في هذه الحالة رنين اجوف ، لا يفيد صاحبها علما .

وكلما كثرت كلمات كهذه في اللغة التي يستخدمها كاتب ، او تستخدمها مجموعة ثقافية من الناس ، ازدادت درجة الترجيح عندنا ان ذلك الكاتب ، او هذه المجموعة من الناس ، انما يسبح ـ او تسبح ـ في سمادير ، لا تطعم جائعا ولا تروى ظمآنا ولا تكسو عاريا ـ واني لازعم ـ راجيا ان اكون مخطئا فيما ازعم ـ بان نسبة ضخمة مما نقوله ونكتبه هو من هذا القبيل ، واحسب اني لست بحاجة الى تنبيه القارىء الى انني بهذا لا اقصد احاديث الناس في حياتهم اليومية ، فالحمد لله ان هؤلاء الناس في حياتهم اليومية يعرفون كيف يتفاهمون بلغة دالة على واقع ، وانما اقصد من يقطنون في منازل الثقافة العليا ـ او هكذا يظنون .

انه لا يغيب عني ان نهضتنا الحضارية في القرن التاسع عشر واوائل العشرين ـ او قل الى يومنا هذا ـ قد صحبتها بالضرورة نهضة في مجال اللغة ، فذلك امر محتوم في دورات التطور لا مفر منه ، لكنني الاحظ ان النهضة اللغوية قد اخذت مجرين مختلفين : اما احدهما فطريق سلكه فريق من الناهضين ارادوا باللغة ان تنافس العامية في وسيلة ادائها ، واما الطريق الاخر فهو الذى سلكه فريق ظن ان النهوض باللغة انما يكون باحياء القديم وكان الله يحب المحسنين .

وعندى ان الامل المنشود هو ان تتطور اللغة بحيث تحقق شرطين : ان تحافظ على عبقريتها الادبية اولا ، وان تكون اداة للتوصيل لا مجرد وسيلة لترنم المترنمين ، ثانيا ، وبغير هذه الثورة في استخدامنا للغة فلا رجاء في ان تحقق لنا الوسيلة الاولية التي ندخل بها مع سائر الناس عصر التفكير العلمى الذى يحل المشكلات . ■■

زكي نجيب محمود

حـديث العصـا

● لقي الحجاج اعرابيا ، فقال له : من اين اقبلت ؟ قال : من البادية . قال : وما بيدك ؟ قال : عصاى أركزها لصلاتي واعدها لعداتي ، واسوق بها غنمي ودابتي . وأقوى بها على سفرى ، واعتمد بها في مشيى ليتسع بها خطوى . وابث بها النهر فتؤمنني ، والقي عليها كسائي فيسترني من الحر ، ويقيني من القر ، وتدني ما بعد مني ، وهي محمل سفرتي ، وعلاقة أدواتي ومشجب ثيابي . واعتمد بها عند الضراب ، وقرع الأبواب ، واتقي بها عقور الكلاب . تنوب عن الرمح في الطعان وعن الحراب في منازلة الأقران . ورثتها عن ابي ، وأورثها بعدى ابني ، واهش بها على غنمي ، ولي فيها مآرب اخـرى .

زيــارة

لبيــت..

تولستوى

وكأنما تركه صاحبه بالأمس القريب..

بقلم الزائر : نجدة فتحى صفوة

■ « ياسنايا بوليانا » ضيعة واسعة ورثهاالكاتب الروسي « تولستوى » من أبيه ، وفيها ولد وترعرع ، وقضى فيها زهاء خمسين عاما منحياته ، وكتب أروع مؤلفاته .

وتحت أشجارها الباسقة يرقد الكاتبالفيلسوف في زاوية شمرية هادئة .

سعيت اليها في عصر سبت مطير لاقضي فيها ليلةبدعوة من ادارة متحف « تولستوى » ، فقد أصبح بيته متحفا يؤمه الزوّار والسيّاح من مدينة« تولا » القريبة ، ومن « موسكو » التى تبعد عنها مئة وخمسين كيلومترا ، ومن مشارق الارضومغاربها ،وانت ترى بين الزوار العامل الروسي ، والسائح الامريكي ، والطالبة الهندية ،والدبلوماسي العراقي .

وبعد عشاء روسي خالص مع مدير المتحفوأمنائه ، وحديث طويل عن « تولستوى » وحياته ، وعن « ياسنايا بوليانا » وتاريخها ،أويت الى مضجعي في جناح مخصص للضيوف بجوار بيت تولستوى .

نهضت في ساعة مبكرة من صباح الأحد ، قبل ان يحضر موظفو المتحف ،فخرجت الى الحديقة اجول في مماشيها ، وأطوف حول بيت تولستوى ، وهو ما يزال مغلقا . وكانت السماء صافية ، والحديقة مطلولة النبات عذبة النسيم ، والغابة عميقة السكون ، لاتسمع فيها الا حفيف غصن هنا ، أو زقزقة طائر هناك .

في بيت الكاتب العظيم

ولما اخذت الحياة تدبّ في «ياسنايا بوليانا» وحضر الأمناء والموظفون ، فتحت الأبواب ، فدخلنا بيت الكاتب العظيم ، فاذا هو بيت بسيط ليس فيه شيء من مظاهر الفخامة أو التكلف ، وهو يعدّ صغيرا بالمقاييس القيصرية . وهو في



بيت تولستوي وامامه شجرة الفقراء

بساطته ينسجم كل الانسجام مع فلسفة تولستوي في الحياة (وان لم ينسجم مع ارومته الأرستقراطية) على الرغم من ان اباه من النبلاء وامّه اميرة .

في مدخل البيت قاعة صغيرة تغطي جدرانها دواليب ذات ابواب زجاجية ، ازدحمت فيها الكتب . وفي يسار القاعة سلّم يفضي الى الطابق العلوي ، حيث يواجه الداخل فناء واسعاً فيه عدّة ابواب تنفتح على غرف الدار . وعلى اليمين باب كبير يؤدي الى الغرفة التي كانت الاسرة تجتمع فيها يوميا ، وحدها او مع ضيوفها ، وهي اكبر غرف الدار ، وكانت تتخذ ايضا غرفة للطعام ،وكان تولستوي ، بعد العشاء ، يقرأ فيها على افراد أسرته وضيوفه فصولا مما يكتب ، بصوته الناعم والقائه المتهدّج .

ان بساطة الأثاث في بيت تولستوي بصورة عامة لتبعث على العجب حقا ، وليس بينها ما يتميز بطراز خاص أو يعود الى عصر معيّن . ولا يبدو عليها شيء مما يميّز الأثاث في بيوت النبلاء من مبالغة وتكلف . وكانت الادوات المنزلية تضفي على غرفه دفئا ، وتبعث فيها حياة . كل شيء في البيت ترك على حالته ، وفي مكانه ، كأنما غادره ساكنوه بالأمس ، وقد يعودون اليه غدا . وقد احتفظ بكثير من الادوات والحاجات الشخصية للاديب الكبير بعناية فائقة . وهنالك صور زيتية عديدة له رسمها كبار المصوّرين الذين كانوا يزورونه في « ياسنايا بوليانا » لهذه الغاية خصيصا ، ويقضون في ضيافته اياما . وهنالك مكتبة هائلة تحتوي على كتب بعشرين لغة (ويقال ان تولستوي كان يعرف ثلاث عشرة لغة) ، وساعة عظيمة من صنع شركة « اردلي نورتن » جلبها الأمير فولكونسكي ـ جدّ تولستوي لأمّه ـ من لندن قبل مائتي سنة ، ولا تزال تضبط الوقت بدقة . والى جانبها كرسي ذو عجلات ارسل الى تولستوي من موسكو وهو مريض في القرم في سنة ١٩٠١ ، وقد استعمل الكاتب هذا الكرسي مرّة أخرى عند الاحتفال بعيد ميلاده الثمانين في سنة ١٩٠٨ ، وكانت ساقه مهيضة . والجدران تغطيها صور زيتية لمصوّرين غير معروفين من القرنين الثامن عشر والتاسع عشر .

في غرفة نومه

وهذه غرفة نوم تولستوى ، وفيها سريره القديم ، وعصاه التى كان يتوكا عليها بعد ان هيضت ساقه ، والمغسلة التى كان يأبى الا ان يفرغها وينظفها بنفسه ، وملابسه البسيطة لاتزال معلقة في خزانة داخل الجدار . وعلى الجدران بضع صور لأسرة تولستوى التى كانت مؤلفة من ثلاثة عشر ولدا (١) ، مات خمسة منهم في طفولتهم. اما غرفة زوجته ، فهي على النقيض من غرفته ، واسعة ، مزخرفة ، ازدحمت على جدرانها الايقونات والصور .

في غرفة مكتبه

وما اروع الشعور الذى ينتاب المرء وهو يدخل مكتب تولستوى الذى كتب فيه معظم رواياته الخالدة ، بينها « الحرب والسلم » و « آنا كارنينا » ، وفيه حبّر الرسائل الى من كان يراسلهم من عظماء العالم ، والى من كان يكتب اليه من المعجبين به ، بينهم عالم أزهرى اسمه « محمد عبده » ، وشاب هندى يدعى « غاندى » واديب ايرلندى ناشيء هو « برنارد شو » .

وفي الغرفة امتعة وادوات يروى كل منها قصة ، ويبعث على التامل العميق . وخلف كرسي تولستوى تقوم الاريكة الصلبة السوداء التى ولد عليها ، والى جانبها جهاز « فونوغراف » أهداه اياه « أديسون » ، وعلى الجدار صورة « تشارلز ديكنز » التى جلبها تولستوى معه من انكلترة ، وكان « ديكنز » أحبّ الكتاب الانكليز الى نفسه .

وهناك ايضا المنضدة التي كان يكتب عليها ، وفوقها اقلامه تحمل آثار الحبر . لقد جلس تولستوى وراء هذه المنضدة للمرة الأخيرة ليلة العاشر من تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩١٠ ، حين قرر ان يهجر بيته وزوجه وضيعته ، ويخرج ليعيش عيشة الزهد والبساطة ، وهو في الثانية والثمانين من عمره .

زوجة ، لم تمتزج روحها بروح زوجها

ان روحا واحدة فقط بقيت غريبة عن تولستوى حتى النهاية ، وهي روح زوجه ، فلم تمتزج بروح هذا الرجل الذى تغلغل في اعماق النفوس البشرية، وكشف سرائرها . وكلما أمعن تولستوى في روحانيته ، أمعنت زوجه « سونيا أندريسيفا » في تمسكها بالواقع . وبينما كان تولستوى يجوب « ياسنايا بوليانا » مرتديا لباسا ريفيا بسيطا ، تكسو وجهه لحية الانبياء ، ويعيش في عوالم الروح بين احضان الطبيعة او مغاليق مكتبه ، وقع على كاهلها تعليم أولادها وتنشئة بناتها وادارة شؤون زوجها .

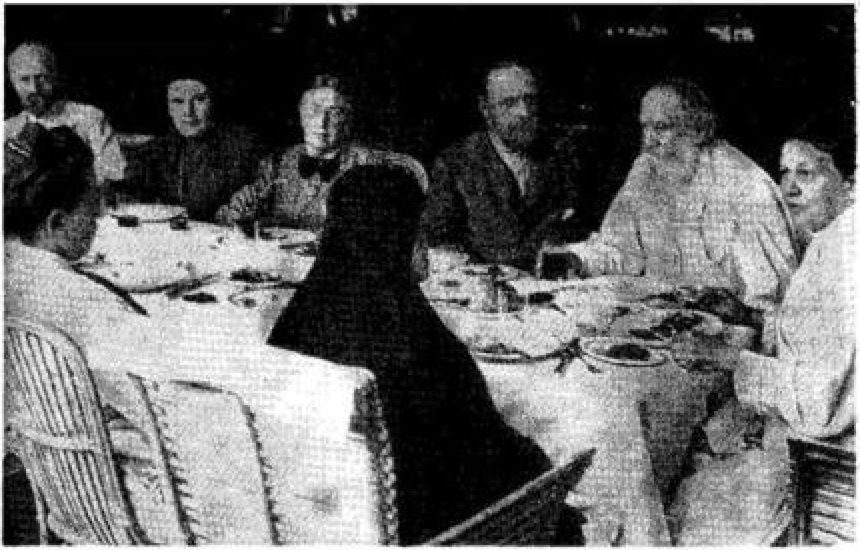
لم قرر تولستوى ان يفتح في القرية مدرسة لتعليم ابنائها على اختلاف طبقاتهم ، وتطبيق آرائه التربوية الحرة ، كما اصدر مجلة تربوية ينشر فيها تلك الآراء . وكانت زوجه تعنفه على الدوام ، ولا تنفك عن التذمر والبكاء ، وتلومه على اهتمامه

تولستوى وزوجته : صورة التقطت سنة ١٩١٠ ـ وهي سنة وفاته ـ وكانت آخر صورة للكاتب الروسي الكبير .



---

(١) الولد يطلق على الذكر والانثى ، كما يطلق على المثنى والجمع .



تولستوى وعائلته على مائدة العشاء

باطفال القرية الفقراء اكثر من اهتمامه باولاده ، ولا تفهم كيف ينبذ مختاراً وسائل الراحة المتوافرة لديه ، مؤثرا التقشف والتعب والعناء ، وهو في هذه السن . حتى اصبحت حياتهما سلسلة من المتاعب لا تطاق .

رحلة المـوت

وقرر اخيرا ان يهرب من بيته ومن « ياسنايا بوليانا » الحبيبة الى نفسه . وفي تلك الليلة جلس على مكتبه للمرة الأخيرة ، وقد نام كلٌ من في البيت ، وكتب الى زوجه رسالة اخبرها فيها بما اعتزمه ، وشكرها على الزمن الذى قضياه معاً ، واعتذر اليها عن قراره هذا ، ثم نزل على اطراف اصابعه الى الطابق الارضيّ ، حيث كان طبيبه الخاص راقداً في غرفته ، فايقظه ثم ايقظ حوذيّه ليعدّ العربة التي غادر بها « ياسنايا بوليانا » للمرّة الأخيرة في تلك الليلة المقرورة . وتعرّض تولستوى خلال رحلته هذه للبرد ، فاصيب بالتهاب رئويّ ، ولفظ انفاسه الأخيرة في محطة قطار صغيرة بعد أيام قلائل .

ان زوج تولستوى لم تفهمه قط وان عاشت معه ثمانية وأربعين عاما ، ولكنها مع ذلك لم تقتصر على ان تلد له ثلاثة عشر طفلا وتتولى ادارة شؤونه ، بل كانت تعيد كتابة مؤلفاته بخطها مرّة بعد اخرى ، وقد نسخت روايته الضخمة « الحرب والسلم » سبع مرات . واراني ادلاني في احدى زوايا الدار حوضا حاولت أن تغرق نفسها فيه حين علمت بمغادرة زوجها ، ولكن سكرتير تولستوى الخاص وثب الى الحوض وراءها فانقذها .

غرفة تشرف على القرية

وأمام مكتب تولستوى شرفة تطل على الحديقة التى كان يعنى بها بنفسه ، وعلى الغابة الحالمة التى كان يعشقها ، ومنها ايضا يشرف على القرية التى كان يقضى فيها الساعات الطوال يساعد أهلها ، ويفضّ مشكلاتهم ، ويبادلهم النكات .

وغرفة للضيـوف

وفي البيت غرف أخرى للنوم ، وغرفة للضيوف الذين كانوا يؤمون « ياسنايا بوليانا » لزيارة تولستوى ، بينهم تورغينيف ، وتشيخوف ، وكورولينكو ، وغوركى وغيرهم من مشاهير الأدباء والموسيقيين والمصوّرين .

عندما تركوني وشاني

وبعدالفراغ من زيارة البيت انصرف ادلاني الى

اعمالهم ، وتركوني وشاني حتى يحين موعد الغداء، فبقيت وحيدا اصور البيت،واطوف في الحديقة ، واتامل المزرعة والقرية ، واقف على كل ساقية ، وأحيي كل اثر . وكان في جانب قصي من الحديقة اسطبل خيول تولستوى . وعلى غير بعيد من البيت كوخ صغير جميل هو كوخ سائس خيوله وسائق عربته الذى أيقظه ليلة مغادرته .

عند « شجرة الفقراء »

وتقوم ازاء عتبة البيت شجرة عتيقة ضخمة ، كثيفة الأغصان ، وارفة الظل ، هى « شجرة الفقراء »وكانوا يسعون الى « ياسنايا بوليانا » من قراهم القريبة والبعيدة ،يسألونه النصيحة أو يطلبون قليلا من المال .

وهناك تمثلت « تولستوى » يخرج من بيته ، ويتقدم بخطاه السريعة المتارجحة نحو الفقراء الذين لفحتهم الشمس ، وارهقهم التعب ، فينحنى له بعضهم حتى الأرض ، على الطريقة الروسية القديمة : « ألديكم طلبات ما ؟ » فيجيبه أحدهم متلعثما : « انني أود يا سيدى ... »

فينهره تولستوى : « أنا لست (سيدى) .. ليس هناك (يا سيدى) سوى الله ! .. »

ويقضى تولستوى حاجاتهم واحدا بعد آخر ، فينصرف منهم من ينصرف ،ويجلس في طلب المزيد من يجلس .

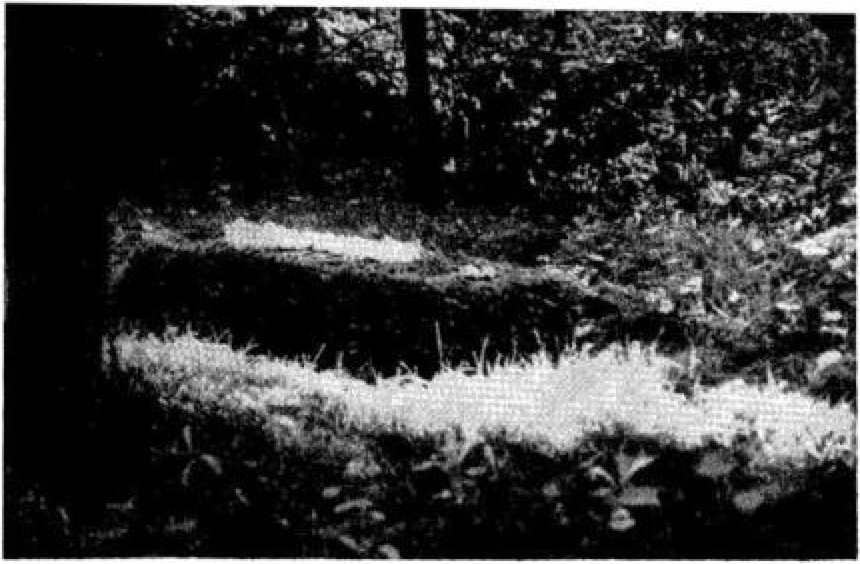
وتفضى الحديقة الى غابة ذات اشجار باسقة، ويقال ان زوجة تولستوى احتمت مع طفلها الرضيع في عربته تحت مجموعة من تلك الأشجار خلال عاصفة رعد شديدة مفاجئة . وقد وصف تولستوى ذلك الحادث في « آنا كارنينا » .

متعة تولستوى الكبرى

كان تولستوى يعشق « ياسنايا بوليانا » ـ ومعناها بالروسية المروج الساطعة ـ وكان يجد متعته الكبرى في حياته البسيطة فيها ،



كان تولستوى يعشق « ياسنايا بوليانا » ومعناها بالروسية المروج الساطعة ـ وكان يجد متعته الكبرى في حياته البسيطة بها وخاصة ركوب الخيل والتجول في انحائها . لقد اصبح هذا المكان جزءا من حياة تولستوى وادبه



قبر تولستوى .. مظهر رائع للبساطة ، فى قلب الغابة التى أحبها ..

وفى ملاعبة الأطفال ، وركوب الخيل ، والصيد ، والجلسات العائلية فى أمسيات الشتاء حول « الساموفار » الذى يغلى فوقه الشاى ، وفى اخضرار أوراق الشجر فى الربيع ، ونضج المحصول وقت الحصاد .

لقد كان تولستوى جزءا من هذا المكان ،وأصبح هذا المكان جزءامن حياة تولستوى وأدبه ، اذ وصف كل زاوية منه فى أحد كتبه ، وخلد كل شجرة وكل ساقية وكل منعطف فى احدى رواياته ، وكتب عنه مرة : « بدون ياسنايا بوليانا لا استطيعان افكر فيروسيا، او في موقفيمنها » .

وكنت ، وانا اسير فى الغابة ، كأننى أراه يلعب بين أشجارها طفلا ، ويخطر على مماشيها يافعا ، ويصطاد فى مجاهلها كهلا ، ويجول بين مسالكها شيخا ، وأكاد أتوهم فى كل منعطف انه سيظهر امامى ، مرسل اللحية ، مفتول العضل ، باسم الثغر ، وسيوقف جواده ليحييني بصوته الجهورى : « دراستفيتى ! » (١) .

فى قلب الغابة رقد تولستوى فى قبره

وبلغتفىقلب الغابة بقعة يرقد فيها تولستوى.

وقبره ــ مثل بيته ــ مظهر رائع للبساطة ، فلا رخامة ، ولا نُصُب ، ولا صليب . بل مرتفع من الارض لا يزيد عن شبر واحد ، يكسوه عشب أخضر رقيق ، وتتشابك فوقه الأشجار العالية . وذلك كل ما أوصى تولستوى أن يكون على قبره . وكان على القبر أيضا اكليل جميل من زهور بيضاء وصفراء ، وضعه زائر مجهول ..

وقد اختار تولستوى هذه البقعة الهادئة بنفسه لتكون مرقده الأخير ، ويروى أنه كان يلعب فيها مع أخيه « نيقولاى » وهما طفلان ، ويبحثان عن عصا سحرية خضراء ، قيل انها أخفيت هناك ، وأن من يعثر عليها يستطيع أن يجلب السعادة للناس جميعا .

قضى « تولستوى » فى « ياسنايا بوليانا » خمسين عاما،وهو يبحث عن تلكالعصا السحرية، فلم يجدها ،ولكن مؤلفاته الرائعة لا تفتأ تجلب السعادة والمتعة والطمأنينة الى قلوب الملايين من الناس ، على اختلاف اوطانهم ولغاتهم . ■■

نجدة فتحى صفوة

الوزير المفوض السابق ــ بغداد

(١) مرحبا : بالروسية :

النازح

بقلم : انور العطار

■ بَكَيْتُ الفراقَ وأفعالَهُ ... وبِتُّ أُكابدُ أهوالَهُ
وأوجعَ قلبي بُعْدُ الديارِ ... فزَلْزلَ صدْري زِلزالَهُ

★ ★ ★

أيا نازحَ الدارِ حانَ المساءُ ... وقدْ بَسطَ البَيْنُ أظلالَهُ
وأنتَ على عتباتِ النهارِ ... شُعاعٌ يُلَمْلِمُ أذيالَهُ
على كتفيكَ وقارُ السنين ... وما أنكرَ الطرْفُ إجلالَهُ
وفي مُقْلَتيْكَ صفاءُ الفؤادِ ... أقامَ صفاؤُكَ تمثالَهُ
خُلقْتَ من الشوقِ والذكرياتِ ... وأوْفى لكَ الشوقُ مكيالَهُ
فكُنْتَ من الحُبِّ ، أوجاعَهُ ... وكنتَ مِنَ الهمِّ ، أغلالَهُ

★ ★ ★

ويا نازحَ الدارِ طالَ الفراقُ ... وكمْ ذكرَ القلبُ نُزّالَهُ
لئِنْ بَلْبَلَتْهُ عوادي الزمانِ ... لقد آثرَ القلبُ بِلْبالَهُ
وإنْ روَّعتْهُ السجونُ الثقالُ ... فما كرِهَ الدهرَ أثقالَهُ
وفي القلبِ منزِلُكَ المستطابُ ... ومنزِلُكَ اشتاقَ حُلاّلَهُ
إذا حنَّ أضناهُ فرْطُ الحنينِ ... وهاجَ رؤاهُ وآمالَهُ
فمَنْ ذا يُنَهْنِهُ آلامَهُ ... ومَنْ ذا يُخفِّفُ أوجالَهُ
ومَنْ ذا يُشاطرُهُ شجْوَهُ ... ويَسألُهُ دائباً ما لَهُ
ويرْفُقُ بالخافقِ المستطارِ ... ويَمْسَحُ بالصبْرِ إعوالَهُ

★ ★ ★

كأنَّكَ ياقلبُ تنوي الرحيلَ ... إذا الحبُّ أزمعَ ترحالَهُ



لئِن أوحشَ القلبَ نأيُ الحبيبِ ... وأبلتْ يدُ البيْنِ أطلالَه
لقد علِقَ القلبُ سُمّارَهُ ... ولم ينْسَ ماعاشَ أقتالَه (١)
وأنى له أنْ يذمَّ الوفاءَ ... وقد كرَعَ الحُبَّ ، أنّى لَهُ
تألّفَ بالرفْقِ لُوّامَهُ ... وحاسَنَ باللينِ عذّالَهُ
حرامٌ عليه ارتشافُ السُرورِ ... وقد قطَعَ البُعْدُ أوصالَهُ
فما كانَ أطوَلَ إعلالَهُ ... وما كانَ أقصَرَ إبلالَهُ
وقلبيَ ماخانَ عهدَ الوِدادِ ... وما زالَ مُدّكِراً آلَهُ

★ ★ ★

ويا نازحَ الدارِ لا تكتئبْ ... ولا تبكِ عُمرَكَ آصالَهُ
إذا قطَّعَ البيْنُ حبلَ الوِصالِ ... وصلتَ بصبرِكَ سلسالَهُ
وإنْ حجبَ الليْلُ فجرَ اللقاء ... أعدْتَ بعزمِكَ إطلالَهُ
يُحامي عن الرَّبعِ أشبالُهُ ... فيارَبِّ صُنْهُ وأشبالَهُ

★ ★ ★

وياسارقَ الدارِ لا تبتهِجْ ... ولا تأمنِ الدهرَ إقبالَهُ
سرابٌ وُجودُكَ يا ابنَ التَبابِ ... وحالُكَ قد أشبهتْ حالَهُ

انور العطار

---

(١) الاقتال جمع قِتْل وهو القِرْن والنظير والمثل وابن العم .



بقلم : الدكتور محمد اسماعيل الندوى

■ قد نبعت الحضارات الانسانية على ثلاثة شواطيء شهيرة في العالم هي : السند والدجلة والوالد في الريف ــ فطعامهم ليس على ما يشتهي، الهندية في وادي السند مع بلاد ما بين النهرين ومصر التقاء خصبا ، وتجاوبت تجاوبا عميقا ، وازدهرت ازدهارا عظيما ، وتركت آثارا بعيدة المدى في مجالات الفكر والثقافة والادب والسياسة .

ولن نتعرض هنا لهذه القصة المشرقة ، لاننا قد اوردناها بتفصيل ووضوح في كتابنا عن « تاريخ الصلات بين الهند والبلاد العربية » والذى سوف تصدره « دار الفتح » ببيروت قريبا ان شاء الله وسنكتفي هنا لعرض التقاء « بغداد » ــ وهي مهد حضارة ما بين النهرين وعاصمة الخلافة العباسية ، مع « دهلي » عاصمة « الدولة المملوكية » في الهند الاسلامية .

الدولة المملوكية في الهند

لقد اسس قطب الدين أيبك الدولة المملوكية في الهند في سنة ٦٠٢ هـ/١٢٠٥ م واتخذ دهلي عاصمة له . وفي هذا العصر كانت الخلافة العباسية في بغداد تلفظ آخر انفاسها . ومع ذلك وطد ملوك المماليك علاقاتهم الدبلوماسية الوثيقة مع الخلفاء العباسيين في بغداد . ويرجع هذا الفضل الى السلطان شمس الدين التمش (٦٠٧ــ٦٣٣هـ) الذى بعث رسوله الى المستنصر الخليفة العباسي في بغداد في سنة ٦٢٦ هـ ، يطلب منه وثيقة الاعتراف بحكمه في الهند .

فسر الخليفة بهذه السفارة ، وبعث الى السلطان التمش بالاعتراف به .

فلما وصلت سفارته تحمل الوثيقة الى « دهلى »

رحب بها الملك ترحيبا حارا واقام لها احتفالا كبيرا احتشدت فيه جماهير ابناء الهند ، حيث قرئت وثيقة الاعتراف ، كما وفد عشرات من العلماء العرب على عاصمة « دهلي » ، ومن اشهرهم القاضي جلال العروسى الذى حمل معه رسالة من الخليفة العباسي ببغداد الى السلطان التمش، فطار الملك فرحا بهذه الرسالة وبعناية الخليفة به، وشكر هذا العالم الجليل شكرا جزيلا ، واغدق عليه الكثير من هداياه الغالية وجوائزه السنية نظير حمله هذه الرسالة .

اول سيدة تحكم دولة مسلمة

ثم ارتقت ابنته الشهيرة الملكة السلطانة رضية (٦٣٤ ـ ٦٣٦ هـ/١٢٣٦ ـ ١٢٤٠ م) عرش دهلى وهي اول سيدة فى تاريخ المسلمين حكمت دولة اسلامية كبرى مثل الهند ما يقرب من ثلاث سنوات . ولقد توطدت علاقاتها هي الاخرى مع الخليفة العباسي ببغداد ،كما كان شانها ايام ابيها ، فارسل الخليفة الشيخ رضى الدين الصفانى اشهر عالم لغوى ليكون اول سفير له الى بلاد السلطانة رضية في دهلى .

وقبل ان نتحدث عن مهمة الصفانى في كونه سفيرا من الخليفة العباسى الى الهند ، يحسن بنا ان نذكر نشاته ورحلاته .

الشيخ رضى الدين الحسن الصغاني

ولد الشيخ رضى الدين الحسن بن محمد بن حيدر العمرى الصغانى في مدينة لاهور ـ عاصمة باكستان الغربية الان ـ في ٥٧٧هـ ، ايام الملك خسرو ملك بن خسروشاه الغزنوى حيث تربى فيها وترعرع ودرس الى ان صار شابا ، ثم قام بعدة رحلات في طلب العلمالى « غزنة » ـ عاصمة الدولة الغزنوية ـ والحجاز واليمن وعدن والعراق . والصغاني او الصاغاني ، نسبة الى صغانيان ، وقد كانت ولاية متصلة بمدينة ترمذ .

لقد ولد الصغاني في اواخر عصر الغزنويين ، ولذلك شهد هذا العصر ، ثم عصر الغزنويين ، ثم عصر المماليك . وكانت لاهور ـ مسقط راس الصغاني ـ مركز الثقافة الاسلامية حينذاك ، وموطن العلماء ، ومنبع العلوم والفنون . فقد ظهر فيها علماء كثيرون .

واهم ما يلفت نظرنا في حياته كطالب يقوم برحلات واسعة حول العالم العربى انه ارتحل اولا الى « غزنة » بعد استكمال دراسته في الهند ، حيث ظل مدة وجيزة يدرس ويفيد بها ، ثم دخل العراق ، واخذ من علمائها ، واستجاز عن جمع كثير من العلماء ، ثم رحل الى بغداد سنة ٦١٥هـ ، في ايام الناصر لدين الله الخليفة العباسي ، فطلبه وخلع عليه ، وارسله بالرسالة الشريفة الى ملك الهند « شمس الدين التمش » سنة ٦١٧ هـ ، فبقي بها مدة ، ثم خرج من الهند سنة ٦٢٤ هـ ، فحج ودخل اليمن ، ثم عاد الى بغداد ، ثم اعيد الى الهند سفيرا من حضرة المستنصر باللهالعباسي الى السلطانة رضية ـ ملكة الهند ، ورجع الى بغداد سنة ٦٣٧ هـ ، وتوفي بها سنة ٦٥٠ هـ ، ثم نقل جثمانه الى مكة .وكان قد اوصى بذلك وجعل لمن يحمله الى مكة ويدفنه بها خمسين دينارا .

الروابط بين دهلي وبغداد كانت دينية لا سياسية

ومن المعروف أن الاتصالات بين دهلي وبغداد في هذه الاونة كانت ثقافية ودينية محضة ، وكان الاسلام أهم عنصر لعقد الروابط بين البلدان الاسلامية ، وان اللغة العربية وثقافتها كانت أهم وسيلة للتقارب والتجاوب بين الشعوب الاسلامية. وعلى الرغم من رغبة ملوك الهند في توطيد الروابط مع بغداد العاصمة الاسلامية ، وعلى الرغم من اعتراف الخليفة بملوك الهند ومنحه اياهم وثيقة الاعتراف ، فلم يكن لاحد منهم سلطان سياسى على الاخر .

كانت الهند الاسلامية مستقلة استقلالا تاما عن اية سيطرة للخلافة العباسية عليها . ومن هنا كان الامام الصغاني اجدر شخصية تولت مهام السفارة بين دهلي وبغداد بسبب مكانته العلمية والدينية في هذه الاونة في البلدان الاسلامية كلها .

كانت ثقافة الصغاني متسعة جدا في جميع آفاق العلوم الاسلامية المتداولة وقتذاك .

كان اماما في اللغة العربية متبحرا في علوم الشريعة ، وحجة في علم الحديث وفروعه .

وهذا هو السبب في أن الخليفة اختاره سفيرا الى الهند ، لكى يساعد على توثيق الروابط الاسلامية والثقافية بين البلدين وبين الشعبين .

الصغاني في بغداد لاول مرة

وفي بغداد لما قدم عليها الصغاني لاول مرة في ٦١٥ هـ ، نال فيها اعجاب العلماء به ، واقبالهم عليه للتتلمذ عليه والاستفادة منه . ومن هنا وصلت اخباره الى الخليفة ، ذلك الذى دعاه وقربه اليه ، واعجب به وقدر مكانته العلمية . وبهذا ازدادت الروابط بين الخليفة والصغاني ، ووجده الخليفة اجدر شخصية لتمثيله في الهند ، وتوثيق علاقة الخلافة بالدولة المملوكية الهندية . وقد مكث الصغاني في بغداد قرابة سبع سنوات .

وهذه المدة الكبيرة قد ساعدته للعكوف على التراث الاسلامي الضخم الذى كانت تحتويه المكتبات العربية في بغداد ، تلك التى لم يكن حل بها الدمار بعد . وهنا الف كتبه الشهيرة بتكليف من الخليفة ووزيره ابن العلقمي كما سنذكر قريبا .

سفارة الصغاني في بلاد السلطان التمش

وبعد اقامة الصغاني في بغداد ما يقرب من سبع سنوات اسند اليه الخليفة الناصر لدين الله (المتوفي سنة ٦٢٢ هـ / ١٢٢٥ م) مهام السفارة الى بلاط السلطان شمس الدين التمش في دهلى . وكانت هذه السفارة بمثابة اعتراف كامل من الخليفة العباسي بحكومة المماليك الهندية ، مما دفع الى تزايد هذه الصلة وتضاعفها بمرور الايام.

وقد عاد الصغاني بعد تمثيله مهام السفارة قبل وفاة الخليفة الناصر لدين الله . فلما توفي الناصر لدين الله اعاده الخليفة المستنصر بالله سفيرا له في بلاط السلطان التمش في ٦٢٦هـ / ١٢٢٩ م . وفي هذه المرة استقبله السلطان التمش استقبالا حارا في « دهلى » العاصمة ، واقام له احتفالا كبيرا . ولقد امضى الصغاني في هذه المرة مدة كبيرة في الهند ، ثم سافر الى اليمن ، وقضى بها زمنا يسيرا ، ثم عاد الى بغداد . وفي هذه الاونة كانت قد تولت الحكم في الهند السلطانة رضية بنت التمش .

سفارة الصغاني في بلاد الملكة رضية

ولهذه المناسبة بعثه الخليفة المستنصر بالله مرة اخرى سفيرا له الى الملكة رضية في ٦٣٤ هـ/١٢٣٦ م ، ومكث عندها ثلاث سنوات حتى اضطرب الامر في الهند ، وتوفيت الملكة وتولى الحكم اخوها في ٦٣٧ هـ/١٢٤٠ م ، فعاد الصغاني الى بغداد سنة ٦٣٧ هـ .

مؤلفات الصغاني

كان الصغاني من اعظم العلماء في عصره ، والف اشهر الكتب في اللغة والمعاجم مثل : الكلمة على الصحاح للجوهرى ، والذيل والصلة لكتاب التكملة ومجمع البحرين واخيرا « العباب الزاخر واللباب الفاخر » .

وبالاضافة الى هذه المعاجم الشهيرة الف في شتى فروع اللغة الكتب الآتية : الشوارد في اللغات، كتاب الاضداد ، وشرح أبيات المفصل ، ويفعول ، وكتاب ما تفرد به بعض ائمة اللغة . وناهيك عن كتبه الشهيرة في الحديث مثل : مشارق الانوار

« الذي الفه بناء على طلب الخليفة العباسي المستنصر . وشرح صحيح البخاري ، ودر السحابة في مواضع وفيات الصحابة .

معجم الصّحاح

وقبل ان نتحدث عن معاجم الصغاني ينبغي لنا ان نقف وقفة يسيرة على الامام ابى نصر اسماعيل بن حماد الجوهري (٣٣٢ ـ ٣٩٨ هـ) ، ذلك الذي ابتكر منهجا جديدا لمعجمه « الصحاح » . واهم ما يتميز به منهجه انه رتب الكلمات على حروف المعاجم ، واعتبر آخر حرف في الكلمة بدلا من الاول وجعله الباب للحرف والفصل للاول مثل : شرف ، يبحث عنها في باب الفاء ، فصل الشين . ويذكر في الباب كل كلمة في اللغة وصلت اليه وصحت لديه عروبتها الصحيحة على ان تكون منتهية بحرفه ، ويوزع الكلمات على الفصول ، وهي ثمانية وعشرون فصلا ، بعددحروف المعجم كالابواب ، الا ان بعض الابواب تقل فصولها عن ثمانية وعشرين ، وهو الاكثر .

ولم يكن هذا النظام وحده موضع الاعجاب والتقدير لدى علماء اللغة ، واتخاذ « الصحاح » مرجع اللغة الاول ، بل اغراهم به ان المؤلف اخذ نفسه بما لم ياخذ به غيره ، فالتزم ايراد ما صح عنده رواية ودراية وسماعا ومشافهة من اصحاب اللغة الاصلاء . وهذا هو السبب في ان علماء اللغة عكفوا على دراسة هذا المعجم وابراز خصائصه ومزاياه ، وكشف اخطائه وهناته ، وتاليف الشروح والهوامش عليه ، واستكمال نقصه وسد فراغه .

« العباب الزاخر واللباب الفاخر » اعظم معجم لغوى سبق لسان العرب وتاج العروس

وهذه الظاهرة هي التى دعت الصغاني الى ان يقف حياته كلها في استكمال الصحاح ، وشق طريق جديد في النزعة الموسوعية في كتابه « العباب الزاخر واللباب الفاخر » .

ان معجمه « العباب الزاخر » اعظم معجم لغوى يسبق لسان العرب وتاج العروس ، وعلى الرغم من ان الصغانيلم يستكمله بسبب وفاته،واستطاع الوصول فيه الى مادة « بكم » ، فان هذا الكتاب يعطينا صورة واضحة لنزعة ظهور « دائرة المعارف » في اللغة ، والمستوى العلمي والفكرى الذي بلغه الصغاني وعصره في ذلك الحين ، كما تتجلى فيه شخصيته بارزة ، ويظهر تبحره وتمكنه في العلوم الاسلامية ، ولا سيما في الحديث والرجال والمعارف العامة ، ونتائج رحلاته وخبراته وما الى ذلك .

لقد الفه الصغاني فيما بين سنتى ٦٤٣ـ٦٥٠هـ بتكليف من الوزير محمد بن على الجوهرى العلقمى الذى تولى الوزارة للمستعصم آخر خلفاء العباسيين نحوا من اربع عشرة سنة . ولذلك اثنى عليه في المقدمة ثناء بالغا ، وشكره شكرا جزيلا يستغرق ما يقرب من صفحتين .

ولقد استهدف الصغاني في العباب ـ كما كان يود الوزير ابن العلقمي ـ جمع الصحيح من الالفاظ ، وانتهج في ذلك نفس منهج الجوهرى في الصحاح ، وبالاضافة الى استفادته من منهج ابن فارس ، كما تلوح احيانا بوادر أثر الزمخشرى، الا ان شخصيته الاصيلة وعبقريته الفذة وجهوده الجبارة واضحة كل الوضوح ،ولا تندمج شخصيته ابدا في شخصيات هؤلاء الاعلام .

وفيما يتعلق بأثر الجوهرى صاحب «الصحاح» فيه ، انه سبق له تأليف : التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية للجوهرى، ومجمع البحرين ، وهذه الجهود الجبارة هي التى ساعدته على التمكن من مادة اللغة ، ثم الف « العباب » على نفس ترتيب الجوهرى ، ولكنه لم ينقل نص ما أورده الجوهرى في الصحاح ، او كل ما اورده في التكملة ، ومجمع البحرين ، بل اكتفى بنقل جزء مما اورده في معجماته مع حذف وزيادة .

واهم ما يتميز به هذا المعجم الشهير عن سائر المعاجم اللغوية السابقة انه زاد فيه مواد أخرى ، ومادة علمية غزيرة تخيل الينا انها نزعة موسوعية تظهر لاول مرة في المعاجم اللغوية . ونعني بذلك ميله الى جمع المعلومات المختلفة والحقائق المشتتة والنصوص المبعثرة التى تجمعها جامعة واحدة ، وتربط بينها فكرة موحدة . وهذه الفكرة قد برزت في العصر العباسي ، ولكنها ازدهرت ازدهارا كبيرا في العصر المملوكي .

ولعل هذه النزعة هي التى دعت الصغاني لاول مرة في تاريخ المعاجم اللغوية الى ان يطبقها في العباب الزاخر . وهذا هو السبب في ان « العباب

الزاخر » تضخم تضخما كبيرا بالنسبة الى جميع المعاجم التى الفت حتى ذلك الحين .

ولهذا التضخم او النزعة الموسوعية نواح كثيرة ومظاهر عديدة :

اولها ـ قد حاول الصغاني شحن جميع المعلومات التى تتعلق بمادة من المواد ، دون مغادرة شيء فيها ، ولهذا السبب رجع الى كتب كثيرة (كما ذكر في المقدمة) ، يبلغ عددها ما يقرب من ٩٩ كتابا من امهات الكتب في الادب واللغة والحديث والتفسير والتاريخ والانساب . كذلك اورد اسماء ٦١ علما من اعلام اللغة للرجوع الى اسمائهم الكاملة حيث اشار اليهم اشارات خاطفة في الكتاب في اثناء شرحه للكلمات . وبهذا يعد « العباب الزاخر » اهم كتاب يتضمن التراث اللغوى الذى وصل اليه العرب في ذلك الحين . واذا قارنا هذه المراجع بما اورده الصغاني في « التكملة » و « مجمع البحرين » فلا نجد الخلاف الا قليلا ، وذلك في عددها فقط ، اذ انه اورد في « العباب » اكثر مما اورده في الكتابين السابقين .

يقول الصغاني عن جهوده في هذا الصدد : « هذا كتاب جمعت فيه ما تفرق في كتب اللغة المشهورة والتصانيف المعتبرة المذكورة ، وما بلغني مما جمعه علماء هذا الشان والقدماء الذين شافهوا العرب العرباء ، وساكنوها وسايروها في نقلها من مورد ومن منهل الى منهل ، ومن منتجع الى منتجع ، ومن بعدهم ممن ادرك زمانهم ، ولحق اوانهم آتيا على عامة ما نطقت به العرب خلا ما ذهب منها بذهاب اهلها من المستعمل الحاضر والشارد النادر .

وثانيهما : انه استكثر من ايراد الشواهد والامثلة والنصوص من امهات كتب الادب واللغة على وجه الدقة والصحة . وفي ذلك قوله : « ... بالفصح من الاشعار والسائر من الامثال ، ذاكرا اسماء خيل العرب وسيوفها ، واصقاعها ، وبرقها ، وفرسانها ، وشعرائها آتيا بالاشعار على الصحة ، غير مخلة ولا مغيرة ، ولا مداخلة ، معزوا ما عزوت منها الى قائله ، غير مقلد احدا من ارباب التصانيف واصحاب التاليف ، لكن مراجعا دواوينهم معتمدا اصح الروايات ، مختارا اقوال المتقنين الثقات . »

وثالثها : ان مكانته الكبيرة في الحديث النبوى ساقته الى العناية بالحديث وتصحيح الاقوال المنسوبة الى النبي صلى الله عليه وسلم . ولا شك ان كثيرا من اللغويين عنوا عناية كبرى بهذا الجانب ، الا انهم اختلطوا في امره ، ولم يفرقوا بين الاحاديث النبوية والاقوال المأثورة للادباء والصالحين والصحابة والتابعين بسبب ضعفهم في علم الحديث .

اما الصغاني فقد كان متمكنا فيه والف فيه مؤلفات قيمة ، فقد استطاع التغلب على هذا الامر ، فصحح اخطاء السابقين ، وكشفها ، وبين الغث والسمين منها .

ورابعها : انه قد حرص كل الحرص على شرح كل مادة ناظرا الى تطوراتها الاخيرة ، واتخاذها عدة معان واشكال لم تعرف من قبل . وهذه الظاهرة غير متوافرة في معاجم اخرى ومن بينها لسان العرب لابن منظور .

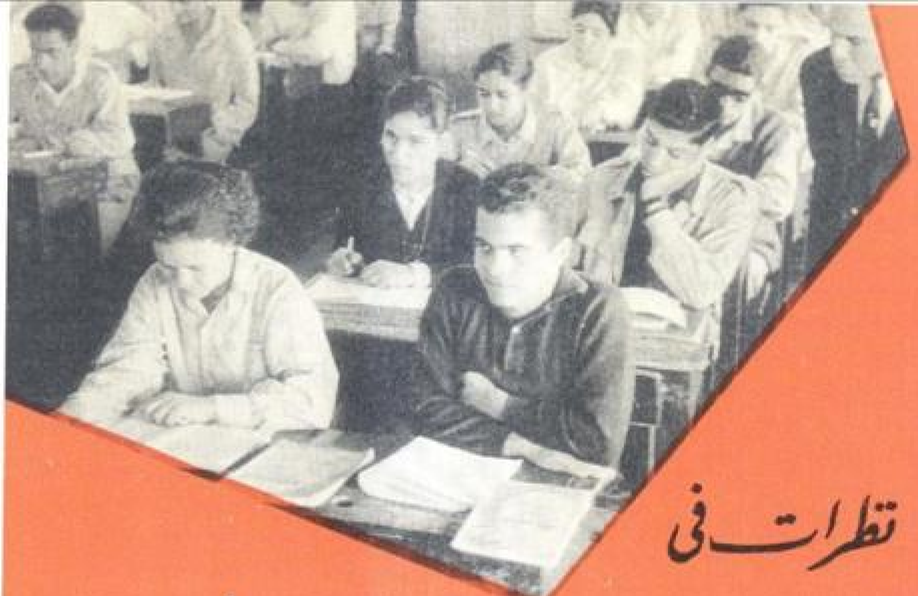
وخامسها : انه اتحف كتابه بذخيرة كبيرة من المعلومات والمعارف التي وصل اليها عصر الصغاني . كما تتجلى فيه صلته بالهند ، اذ انه اول معجم يحمل اماكنها وبلدانها وشخصياتها الشهيرة بكمية كبيرة . وكذلك تتجلى بين حين وآخر اثر رحلاته وخبراته وتجاربه واضحة المعالم . ولهذه الاسباب تضخم العباب الزاخر واتخذ شكل الموسوعة وصار دائرة المعارف في المعجم اللغوى .

ومما يؤسف له ان هذا المعجم رغم اهميته وخطورته البالغة لم يتصد احد حتى الان لنشره ، وهو لم يزل بعد في طي النسيان من المخطوطات .

وقد ترك العباب الزاخر اثرا بعيدا في المعاجم التى الفت فيما بعد ، فاذا لم يستفد منه « ابن منظور » في « لسان العرب » ، فقد استفاد منه الشيخ الامام احمد بن محمد بن على الفيومي في معجمه « المصباح المنير في غريب الشرح الكبير » ، والفيروزابادى في « القاموس المحيط » ، واخيرا « السيد مرتضى » في معجمه الشهير « تاج العروس » .

كما ترك الصغاني مؤلفات ضخمة كذلك خلف تلاميذ كثيرين في كل من الهند والبلاد العربية . اولئك الذين برزوا في المجال العلمي بعد وفاته ، ونالوا شهرة كبرى في ديارهم ، ومن اشهرهم الشيخ الحافظ عبد المومن بن خلف الدمياطي ، والشيخ شرف الدين الدمياطي ، وابن الصباغ الكوفي ، والشيخ برهان الدين البلخي صاحب « آثار النيرين في اخبار الصحيحين » . ■■

القاهرة : **محمد اسماعيل الندوى**



نظرات فى
مراحل التعليم فى البلاد العربية
التعليم الابتدائى والثانوى والمهنى والتعليم الجامعى

بقلم الدكتور عبد الحليم منتصر

■ يؤسفنى أن أتحدث عن الأمية في وطننا العربي ، ونحن على أبواب سبعينات القرن العشرين في الوقت الذى بلغ فيه العلم هذا الشأن في الدول المصرية . فمن سخرية القدر بنا ، أن تكون الأمية منتشرة في البلاد العربية ، وان يكن ذلك بنسب متفاوتة مستشرية في اغلبها بصورة تدعو الى الاشفاق والرثاء حقا . وانها لتقل بنسبة ملحوظة في المدن والحواضر ، ولكنها ترتفع الى نسب ساحقة في كثير من القرى والدساكر في معظم البلاد العربية .

ولقد حاولت مصر منذ أكثر من اربعين عاما تنفيذ ما قرره دستورها آنذاك من أن التعليم الاولى الزامى ، ومع ذلك فان الدولة لا تستطيع حتى الساعة أن تعلم جميع من هم في سن الالزام لان المدارس والامكانيات لم تهيأ لهم ولان المال الكافى لم يرصد لهذه العملية ، ثم ان التعليم ليس كافيا ليمحو الامية كما ينبغى ولعلنا قرانا

عن هذا الامتحان الذى عقد للمنتهين من السنة السادسة الابتدائية ، فلم ينجح واحد في كتابة اسمه ، فضلا عن ان الزيادة المطردة في السكان قمينة أن تمحو أثر هذا التقدم البسيط ، ان صح أن هناك تقدما ما ، وتبين الاحصاءات أن الزيادة فى عدد المواليد على الوفيات ، وتقدر بنحو ثمانمائة الف كل عام ، على حين أن من يقبلون في المدارس الابتدائية لا يزيد على نصف هذا القدر ، فضلا عن نظام الفترات المتتابعة،الذى اتبع في السنوات الاخيرة ، وذلك لقلة الاماكن بالمدارس ، وتفتيت اليوم المدرسي على هذه الصورة ليس من المصلحة مطلقا ،وذلك بالاضافةالى بدعةالنجاح الآلى،فكاننا مع الأسف الشديد ندور في حلقة مفرغة ، ووصمة الأمية جاثمة فوق صدورنا ، لا نستطيع لها دفعا ، ولنا الاسوة الحسنة في امم كثيرة سبقتنا في هذا الميدان ، فجندت امكانياتها لمحو الأمية ونجحت فى ذلك الى ابعد الحدود .

الامية في البلاد العربية

ولقد كانت نسبة الامية ٧٦٫٥٪ ، وهى نسبة مسرفة في الارتفاع وكانت بين الذكور ٦٦٫٢٪ وبين الاناث ٨٦٫٨٪ ،وصحيح انه بذلت محاولات كثيرة في العشرين السنة الاخيرة في هذا المجال ، الا أنى اشك في انخفاض هذه النسبة ، وما ذلك الا للفائض الذى يضاف الى الرصيد سنويا ، ففى احصاء احدث، هبطتنسبةالامية الى ٥٠٪بالنسبة للذكور ، ٧٠٪ بالنسبة للاناث ، ولكن لم يدخل في هذا الاحصاء الاطفال دون السادسة وعددهم بضعة ملايين ، ولا العرب الرحل ، ولا الحالات التى لم يمكن تبينها وهذه وتلك تقرب من المليون ، واذا عرف ان مثل هذا الاحصاء ، يعنى مجرد الالمام بالقراءة والكتابة ، وان نسبة عالية من هؤلاء انما هم الى الامية اقرب ، وبالاميين اشبه فاذا كان الامر كذلك ، وانه لكذلك فيما يبدو عرفنا ثقل العبء الملقى على عاتقنا حين نامل في محو عار الامية في المستقبل القريب .

ونظرا لان ما لدينا من بيانات ليس وافيا بالغرض ، فسنفرض احسن الفروض بالنسبةلهذا الموضوع ، فنقول ان نسبة الامية في الدولالعربية مجتمعة هى ٥٠٪ ، والذين انمحت اميتهم على اية صورة ٥٠٪ ، وسنفرض ان مجموع السكان في الدول العربية هم مائة مليون نسمة ، فمعنى ذلك ان هناك نحو خمسين مليونا من الانفس ينبغى ان نعمل على محو اميتهم فى اقرب وقت وبايسر سبيل فلا نترك نار الامية ترعى هذا الهشيم ، فتذروه الرياح وبالتالى يتاخر الشعب وينال منه الغالب الغاصب المتعلم ، ويتكون في هذه الدول راى عام مستنير،يفهم واجباته ويقدس حقوقه فلا يعود يبطش به مستعمر أو مستغل ، وينبغى أن يرسم لذلك برنامج تفصيلى دقيق ، وان ترصد له ميزانية معقولة ، تفى باعبائه ، وتحققه على اكمل صورة ، وأن تجند له جميع القوى والامكانيات والكفايات ، ويحتاج الأمر اول ما يحتاج الى ايمان قوى بالمشروع ، ودعاية واسعة للنهوض باعبائه وان يفتح باب التطوع في هذا الجهاد لجميع القادرين من المتعلمين وطلبة الجامعات،فتنتشر الدعوة وتوزع الاستمارات لجميع البيانات ورصد الاحصاءات ، فنعرف عدد من سيتولون مهمة التعليم ، وهؤلاء يأخذون مقررات تدريبية ، حتى يعرفوا ماذا يراد منهم على وجه التحديد، وهؤلاء يحصرون الاميين المراد تعليمهم ، كلٌ في منطقة وحيٍ ، ويتولى كل متعلم محو الامية بين خمسة وعشرين من مواطنيه فيكون لكل مائة اربعة من المعلمين المدربين ، يتولون هذه المهمة ، وعليهم اتمامها تطوعا في مدى عام واحد ، في دراسات مسائية منتظمة ، لا تزيد مدتها على ساعتين كل ليلة ، وتتناول هذه الدروس القراءة والكتابة والحساب والمعلومات العامة ومبادىء الجغرافيا والتاريخ والصحة والدين ، واذا استبعدنا من هذه النسبة شهرين اجازة ، بقيت عشرة شهور ، فيها نحو اربعين اسبوعا ، واذا عملنا في الاسبوع خمسة ايام خلص لنا من ذلك نحو مائتى يوم ، اعتقد انها كافية لمحو امية المواطن الراغب في التعلم ، والذى يقوم على تعليمه معلم متحمس امين ، راغب فى خدمة وطنه العربى .ويستفاد في هذا المشروع من جميع الاماكن التى تصلح للتعليم من مدارس ومراكز ومساجد وكنائس ونواد وما اليها .

وعلينا في الوقت نفسه ان نزيد في ميزانيات وزارات التربية والتعليم في الدول العربية ، بما يسمح بمواجهة الزيادة المطردة في عدد السكان ، حتى نعلم الصغار أولا بأول ، فلا يعود رصيد

الامية الى ازدياد وانما يمحى عارها الى الابد .

هذه الامية التى استشرى خطرها ، يجب أن تجند لها كل الكفايات للقضاء عليها دفعة واحدة فلا تعود تطل برأسها أبدا ، ولا تعود يعيرنا بها أحد ، ولا نعود نحن العرب ، نطاطىء الرأس بسببها حياء وخزيا أن يقال اننا نحن العرب أمة أمية في عصر النور والعرفان .

ونحتاج أولا الى حصر وتقص للذين يعملون ويرغبون في دفع ضريبة علمهم ، والذين لا يعملون ونريد أن نمحو اميتهم محوا فيما بين سن العاشرة والستين ، لا بد من حصر شامل لهؤلاء وأولئك في كل منطقة وحى ، وفي كل بلد وقرية ولتحصر الاماكن التى تصلح لهذا الغرض ، وتحدد العدد اللازم من المعلمين لكل عدد من الذين يجب محو اميتهم . فكان الامر يحتاج الى مايسمونه امر تكليف ودفع ضريبة العلم ، ومن الخير أن يدفع المتعلم اشتراكا زهيدا ، وليكن نحو عشرة قروش في الشهر اى جنيه في العشرة الشهور التى تكون السنة الدراسية ، وذلك حتى يشعر انه أدى ضريبة من حقه أن يستادى الدولة ما يقابلها من علم وتعلم ، ولتكن هذه النفقة اليسيرة لقاء اعداد المكان ومصاريف هذا الاعداد وما يلزم من كتب وأدوات وما اليها من اضاءة وخدمة وغير ذلك .

ومن الواجب أن يؤخذ الأمر بالجد الصارم الذى لا هوادة فيه ، فلا عذر لمتخلف ولا اعتذار لمن لا يواظب على الحضور المواظبة اللازمة لنجاحه ، ولا بد من تسجيل الحضور ، وعقد امتحان عقب فترة الخمسة الشهور التالية ، ويمنح الناجح شهادة معتمدة بانه قد جاز امتحان محو الامية ولابد ان تشرف على هذه الامتحانات هيئة فنية ، أو على الاقل تشارك في الاشراف ، على أن يكون كل ذلك حسبة لله والوطن ، انما تقدر الدولة هؤلاء بالاوسمة والنياشين رمزا لما بذلوه من جهد مشكور .

العودة الى امتحانات النقل في التعليم الابتدائى

وفى الوقت نفسه تعنى الدولة بالتعليم الابتدائى ، تعنى باعداد المعلم اولا ، كما تعنى باعداد المدارس وأماكن التعليم لمواجهة الزيادة المطردة في السكان ، وتوفير الكتب والادوات ، وحسن اعدادها ، واختيارها وتنظيم اليوم المدرسى ، ليستغل الطفل اليوم كله ، والغاء طريقة شرشر التى ثبت فسادها ، أو على الأقل عدم نجاحها فى تعليم الطفل القراءة والكتابة والعودة الى تنظيم امتحانات النقل والغاء نظام النقل الآلى والعودة الى الجدية في التعليم الابتدائي باعتباره الاساس الذى يقوم عليه البناء العلمى كله للمواطن فانه من المؤسف حقا ان يضيع الطفل ست سنوات فى المدارس الابتدائية ثم يخرج منها وهو لايكاد يحسن القراءة والكتابة ، بل لايكاد يعرف كتابة اسمه صحيحا .

ولست ادرى فيم الاصرار على اتباع اسلوب في التعليم الابتدائى ثبت فشله ، أن يخرج الطفل بعد ست سنوات لايكاد يعرف كتابة اسمه صحيحا ، والعدول عن أسلوب كان يكفل تعلم الطفل القراءة والكتابة فى بضعة أسابيع أو بضعة أشهر على أكثر تقدير ، وأظنه ينبغي على المسئولين سرعة تدارك الموقف فى حسم وقوة ودون ابطاء .

اما مشروعات محو الامية عن طريق المذياع أو التلفاز ، فما أظنه يفيد بالدرجة الاولى ، الا القائمين على المشروع ، ولاسبيل الى اثبات عكس ذلك ، وما اظن أن عدد الذين يستفيدون من هذا المشروع بين الاميين يمكن أن يقابل مما يبذل فيه من جهد ونفقة . والرأى عندى أن محو الامية يحتاج الى دراسة جدية وأن التعليم الابتدائى يجب أن نعود به الى الاسلوب الذى ثبت نجاحه .

التعليم المهنى والثانوى

اما التعليم المهنى ، فالامر فيه أعظم خطرا ، وابعد اثرا ، فقد أعرضت عنه الدولة حينا ، وحين اقبلت هى عليه ، اعرض عنه الشباب ، وازور عنه ، ونأى عنه بجانبه ، وانتحى نواحى أخرى من التعليم رآها أجدى عليه ، واليق به ، ورأى نفسه أقمن به واجدر ، وكانت نتيجة ذلك أن تضخم التعليم الجامعى فى مصر ، فاصبحنا نرى وفرة من خريجى الجامعات ، على حين أن هناك قحطا شديدا فى الفنيين والتقنيين ومهرة الصناع ، مع أنهم عدة الصناعة ، ولا غنى للباحث العلمي عنهم .

لقد فتحت مجانية التعليم الثانوى الباب على مصراعيه ، يلجه غير ذوى الاستعداد من التلاميذ املا فى الوصول الى التعليم الجامعي ،منصرفين عن التعليم الفنى أو المهنى مع حاجة البلاد اليه ، وهناك ظاهرة مبشرة نوعا ، هى زيادة عدد الطلاب فى المدارس المهنية ، وربما كان مرد ذلك الى عدم كفاية الاماكن بالمدارس الثانوية فلعلّ ذلك أن يؤدى الى أن نجد لصناعتنا مهرة الصناع ، فان الاقبال على التعليم الجامعى والازورار عن التعليم المهنى ، قد أدى الى هذا الوضع الشاذ ، الذى تعانى منه البلاد العربية أشد معاناة ، حيث نجد فقرا مدقعا فى الفنيين والتقنيين الذين يباشرون الصناعات المختلفة ، على حين نجد فى بعض القطاعات وفرة فائضة من الاخصائيين الاكاديميين على حين ان الحاجة امس للاولين ، ومن الواجب تشجيع الطلاب على الاقبال على هذا النوع من التعليم ، بل واغراؤهم بالرواتب المجزية ، وفتح باب الاستزادة من العلم لمن تثبت كفاءته كما ينبغى رسم سياسة تصنيعية تستوعب هذه الاعداد من الطلاب الذين تخرجهم هذه المدارس فلا يدهمهم التعطل ، فيعودوا الى الازورار عن هذه المدارس.

وظاهر من بحث مقارن عن التعليم المهنى فى البلاد العربية ، أنه ما زال متخلفا جدا ، وانه وان بدا متطورا ومتقدما عن ذى قبل ، الا انه ما زال بعيدا عن ان يفى بمطالب البلاد وحاجتها ، فى نهضتها العلمية والصناعية ، فمن الواجب أن تعنى الدول العربية عناية خاصة بهذا اللون من التعليم ، حتى تستطيع أن تستنبط خاماتها الزراعية وثرواتها المعدنية ، وان تصنعها ، فلا تعود تعتمد على الاستيراد الاجنبى فى سد احتياجاتها ، بل تكتفى اكتفاء ذاتيا ، فى شئونها الزراعية والصناعية . فمن المعروف أننا ما زلنا نعتمد الى حد بعيد على ما نستورده من الخارج من صناعات واجهزة. وأدوات وقطع غيار وما اليها من مواد أساسية ، مما يعتبر من مطالب الحياة العصرية الضرورية . خاصة وأن دولنا العربية فى حالة حرب ، وامثال هؤلاء الصناع المهرة ، لا يستوردون فى زمن الحرب ابدا ، ولا بد أن نعتمد على انفسنا فيما تحتاجه هذه الصناعات فى زمن السلم أو الحرب على السواء . فلتعتمد الدول العربية على نفسها فى تخريج المهنيين المتخصصين من أبناء البلاد العربية ، ولتعمل على تشجيع ابناء البلاد على الالتحاق بالمدارس المهنية ومراكز التدريب المهنى بمختلف الطرق ولتهيىء لهم سبل العمل بالالتحاق بالمصانع والشركات والمعامل والمختبرات ، أو تساعدهم ولو عن طريق الجمعيات التعاونية أو البنوك الصناعية والزراعية ، باعطائهم المال اللازم لانشاء صناعات جديدة أو باصلاح اراض ، او ادارة مزارع تعاونية ، وبذلك لايلجأ خريجو هذه المدارس المهنية الى الوظائف المتواضعة او الى ترك ماتخصصوا فيه والالتحاق بأى عمل كتابى او ادارى كسبا للرزق او طلبا للراحة أو فرارا من المسئولية او خوفا من الفشل ، وبذلك يعدون فى حساب الضائع من الموارد البشرية العربية فى هذا المجال . وقد سبق للدولة أن منحت خريجي هذه المدارس اقطاعيات زراعية ، فاذا بهم يؤجرونها لصغار الزراع ، ويلجأون الى وظائف اخرى ، قد لاتمت لتخصصهم بصلة، وكذلك الحال بالنسبة لخريجى المدارس الصناعية، الذين يعملون فى غير ماتخصصوا فيه ، وهؤلاء وأولئك يضافون الى رصيد الضائع من الموارد البشرية العربية .

سياسة بعيدة المدى لانشاء المدارس المهنية

ويحتاج الامر الى عملية حصر وتقصٍّ للصناعات المختلفة القائمة فعلا فى البلاد العربية وما بها من صناع ومعرفة التخطيط البعيد المدى لهذه الصناعات وغيرها مما ينشأ فى المستقبل القريب والبعيد وما تحتاجه هذه وتلك من اخصائيين فى الصناعات المختلفة ، ورسم سياسة بعيدة المدى لانشاء المدارس المهنية لتخريج هؤلاء الاخصائيين فى الصناعات البترولية والقطنية والنسيج والأثاث والسكر ، والورق ، والجلود ، والدباغة والزجاج والحرير ، والسجاير والخشب والحدادة والبرادة والصابون والزيوت والسجاد والكبريت والتعدين والبناء ، وما الى ذلك من صناعات لايكاد يحصيها عد ، ينبغي أن تحصى وتحصر وتستقصى، ويقدر مدى احتياجاتها من مدارس ومعامل ومدرسين وفنيين واجهزة وأدوات لتخرج الاخصائيين المهرة وان تعد لمجابهة الزيادة المحتملة فى عدد السكان ، والزيادة المرتقبة ، نتيجة للاقبال على

هذا النوع من التعليم ، بعد أن تقتنع الشعوب بأهميته ، وبعد أن تثبت الدولة مدى اهتمامها به ، وتقديرها لأهله ، بالراتب السخي والمكافآت المجزية المغرية ، وكذلك التقدير المعنوي والأدبي ، التي تجعل الطالب يقبل عليه طائعا مختارا ، لا كارها مضطرا ، وتجعل الخريج مزهوا بفنه ، فخورا بصناعته ومهنته وأنه يقدم لوطنه خدمة لاتقل قيمة او قدرا عما يقدمه المختصون الاخرون .

التعليم الجامعي والعالي

لا مراء في ان التعليم الجامعي هو الطور الذروي للتعليم العام كله ، هو القمة التي يستهدفها الصاعد نحوها ، القادر على الدخول اليها . الراغب في اجتياز مسالكها ، ولكن ليس معنى ذلك أن يصل كل المتعلمين الى هذه القمة او ان يتعلم الشعب كله تعليما جامعيا ، أو يسمق البناء كله الى هذا العلو الشاهق ، دون تدرج هرمي ، ينتهي الى قمة معقولة المساحة ، تتفق والقاعدة التي استقام عليها ، والاساس الذي بني عليه ، وتدرجت هي منه ، وليس معنى ذلك أن الوان التعليم الأخرى من مهني أو غيره ليست هي الاخرى قمما ، ينبغي السعي للوصول اليها . فاذا سلمنا أن أساس البناء ، والذي ينبغي ان يشمل الامة كلها هو التعليم الابتدائي الذي يمحو الامية ويعلم الطفل فيما بين السادسة والثانية عشرة القراءة والكتابة والحساب والمعلومات العامة الاساسية في التاريخ والجغرافيا والصحة والدين وينمي ملكات الطفل ويوسع مداركه ، ويفتح ناظريه على آفاق الحياة ، وانه حبذا لو ارتفع هذا الاساس قليلا ليشمل الدراسة الاعدادية كذلك ، فتتابع هذه الملكات وتزيد في تلك المعلومات حتى سن الخامسة عشرة ، اننا بذلك نكون قد اعطينا المواطن فرصة ليلج ابواب الحياة ، ويختار من الوانها ما يلائمه ، وما يتفق واستعداده وملكاته وقدراته وما يتلاءم وميوله ورغباته . ثم يقسم هؤلاء الى خمسة اقسام ، أربعة منها للتعليم المهني من زراعي وتجاري وصناعي ، ومهني نسوي والخامس فقط للتعليم الثانوي العام الذي يؤدي للجامعة . فاذا امضى التلميذ في هذا التعليم الفني ثلاث سنوات استطاع ان يحصل على شهادة تخصصية تكنية ، يخرج بها الى الحياة العامة ليزاول مهنة من هذه المهن التي رآها تتفق وميوله ورأت الدولة توجيهه اليها ، لأن الاحصاءات دلت على أنها بحاجة الى هذه الاعداد من الزراعيين يفلحون ارضها ، والصناع يديرون مصانعها والتجاريين يقومون اقتصادياتها ، والفنيين والفنيات يجملون حياتها ، أما الباقون ، فينبغي الا يزيدوا على عشرين بالمئة فهؤلاء هم الذين يلتحقون بالتعليم الثانوي العام تمهيدا ، لالتحاق الناجحين بل الممتازين منهم بالتعليم الجامعي ، بل لعل من الخير ان تعقد الجامعات امتحان قبول لا يدخلها الا من يجتازه بتفوق ، وبذلك لا يصل الى التعليم الجامعي الا الصالح له والذي توسمت فيه الجامعة بوسائلها انه اهل لها ، وبذلك يتسق بناء التعليم ، ويتدرج الهرم الى قمته الطبيعية المعقولة ، فلاينتفخ من اعلاه ولا ينبعج من وسطه ، وانما يسير وئيدا رتيبا نحو غايته وقمته المرموقة .

ولا شك ان الجامعات هي معقل آمال الامة ، لتخريج قادة نهضتها وأولي الرأي والامر فيها ، يلتقي فيها خيرة الشباب من الطلاب ، وخيرة الشيب من العلماء ، يتعاونون على الدرس والبحث في الوان المعرفة المختلفة ، ليحققوا لوطنهم كمال وجوده .

زيادة عدد الطلاب أثرت على مستوى التعليم الجامعي

ومهما يكن الامر ، فتنبغي العناية بالتعليم في مراحله المختلفة ، وان يكون طابعه الجدية الحازمة ، وجعل اليوم المدرسي عملا كله وان تكون الهوايات والرياضة البدنية وما اشبه خارج الجدول ، قبل بدء الدراسة أو بعد انتهائها ، اذ المعروف ان غالبية الطلبة ينصرفون عن هذه الهوايات ولا يقبلون عليها ، وقد يضحون باليوم المدرسي كله ، اذا تعددت ساعات الهوايات في يوم واحد ، كذلك يجب العدول الى غير رجعة عما اصطلح عليه بالناجح الراسب أو ما اسميه بالنجاح المشوب ، والعناية بتدريس اللغات العربية منها والاجنبية ، اذ الملاحظ أن طلابنا على مستوى ضعيف جدا في اللغات . ومن الخير العودة الى نظام الدور الثاني لمن فاتته فرصة النجاح في الدور الاول .

وليس من شك في أن الاعداد الوفيرة من الطلاب

فى جامعاتنا قد أثرت على مستوى التعليم فوجود عشرات الالوف من الطلاب فى كل جامعة يؤثر على كيف التعليم الجامعى ، خصوصا اذا صاحب ذلك ، عدم توافر الامكانيات فى المعامل والامكنة والاجهزة والادوات والكتب والدوريات مع زحمة العمل فى الامتحانات وتصحيح الاوراق واعلان النتائج ، كل ذلك يقتضى من الاساتذة جهدا ، لا شك انه يؤثر على البحث العلمى الذى ينبغى ان يتوافروا عليه ، وأن يكون له من وقتهم وجهدهم النصيب الاوفى ، وانه ليؤثر على الكيف نفسه ، اداء وتدريسا وفائدة للطلاب مما يجعل تحصيلهم وتمكنهم من مادتهم غير متيسر عمليا ، لأن الاستاذ لا يستطيع ان يخلص الى تلميذه بالقدر الذى يستطيع فيه أن يطبعه بطابعه ، ولا يستطيع ان يعطيه من الوقت القدر الكافى ، لتتم الفاعلية على اكمل وجه وليؤتى التعليم الجامعى اطيب الثمرات وليحقق اغراضه الاصلية ، فيعطى الفرصة للممتازين ليعلوا على مرتبة الانسانية .

التعليم الجامعى فى مصر

وفى مصر الآن خمس جامعات ، هى الازهر ، اقدم جامعات العالم ، وقد تحولت اخيرا منجامعة تختص بالعلوم الدينية واللغوية الى جامعة تعنى الى جانب ذلك بالعلوم الطبية والزراعية والهندسية والعلوم الطبيعة والتجارية ، وقد مضى على انشائها نحو الف عام .

ثم جامعة القاهرة وقد تطورت عن الجامعة المصرية القديمة التى انشئت سنة ١٩٠٨ ، حيث كانت مؤسسة اهلية أصبحت منذ ١٩٢٥ جامعة حكومية ترعاها الدولة ، وكانت تضم اربع كليات هى الحقوق والطب والاداب والعلوم ، تطورت الاداب عن الجامعة القديمة وكلية الطب عن مدرسة الطب القديمة التي انشئت سنة ١٩٢٧ ، والحقوق عن مدرسة الحقوق . وكانت كلية العلوم هى وحدها التي انشئت انشاء فى ذلك التاريخ،وعاون فى انشائها عدد من جهابذةالاساتذة الاجانب ، وفى سنة ١٩٣٥ ضمت الى الجامعة كليات الزراعة والهندسة والتجارة . وكانت حتى ذلك العهد مدارس عليا تشرف عليها وزارة التربية والتعليم .

وانشئت جامعة الاسكندرية فى سنة ١٩٤٢ ، كما انشئت جامعة عين شمس سنة ١٩٥٠ وجامعة اسيوط سنة ١٩٥٧ .

ولست أدرى لماذا لا تفتت هذه الجامعات الوفيرة الاعداد الى جامعات صغيرة كما تنشأ جامعات أخرى ، ويحدد العدد الاقصى لطلاب كل جامعة ببضعة آلاف طالب لا ينبغى أن يتعداه باى حال من الاحوال ، وان يحتفظ بالنسبة العالمية المعترف بها بين عدد الطلاب وعدد القائمين بالتدريس ، وهى فى مصر منخفضة جدا عن النسبة العالمية كما ينبغى أن يحظى القائمون بالتدريس بالجامعات بمزيد من التقدير حتى لا ينصرفوا عن التعليم الجامعى ، فيهجروه الى أعمال اخرى او يهجروا وطنهم للعمل فى الخارج ، حيث التقدير اوفى واكثر ، وانى لاعرف اقساما فى بعض الكليات العملية هجرها اساتذتها ، فلم يبق للعمل بها سوى مدرسين او ثلاثة يقومون على فروع العلم المختلفة ، وذلك بدلا من خمسة عشر على الاقل ينبغى توافرهم حتى يكون العمل قريبا من المرضى، وحتى تتحقق للاساتذة فرصة البحث العلمى المنظم والانتاج العلمى الرفيع ، ويحقق التعليم الجامعى غرضه الاصيل ، من تعاون فى البحث العلمى المثمر فى زيادة المعارف الانسانية .

التعليم الجامعى فى البلاد العربية

وفى سوريا توجد جامعتا دمشق وحلب ، وأعداد الطلاب فى كل منهما معقولة جدا اذا قورنت باعداد الطلاب فى الجامعات المصرية . وكذلك الحال فى العراق حيث جامعة بغداد وانشئت أخيرا جامعتا الموصل والبصرة .

وانشئت منذ بضع سنوات جامعات فى كل من المملكة العربية السعودية ، وليبيا والاردن والكويت والسودان ، كما توجد فى لبنان الجامعة الامريكية ، والجامعة اليسوعية والجامعة اللبنانية وجامعة بيروت العربية كما انشئت فى بلاد المغرب العربية بعض الجامعات او المعاهد كما توجد فى بلاد الوطن العربى معاهد عليا كثيرة مثل معاهد المعلمين والمعلمات ومعاهد التربية الفنية والثقافية النسوية والتربية الرياضية والتدبير المنزلى والفنون الطرزية وذلك الى جانب

المعاهد النوعية المتخصصة ومعاهد الفنون المسرحية والموسيقية ، والسينما وغيرها .

صور من الموارد العلمية الجامعية المفقودة

وهناك فاقد كثير من هذه الموارد العلمية الجامعية فى البلاد العربية يشمل الصور الآتية .

١ ـ اولئك الذين اتموا دراستهم الثانوية العامة ولم يستطيعوا الالتحاق بالجامعة .

٢ ـ اولئك الذين التحقوا بكليات جامعية لا تتفق وميولهم الشخصية ، انما اضطروا الى الالتحاق بها لعدم وجود اماكن فى الكليات التى تتفق ورغباتهم .

٣ ـ اولئك الذين اضطروا للانتساب .

٤ ـ فاقد نتيجة لزحمة الطلاب وعدم توافر الامكانيات .

٥ ـ فاقد من هؤلاء المتخرجين الذين لايجدون عملا اصلا .

٦ ـ فاقد من هؤلاء الذين يلتحقون باعمال ليست مما تخصصوا فيه .

وهناك صور اخرى كثيرة لهذا الفاقد منها هذه التعديلات والتطويرات والتغيرات فى اللوائح والنظم ، وآخرها ذلك التطوير الذى يدعو الى التخصص المبكر ، مع أنه نظام هجرته جامعات كثيرة وما يتخذ لذلك من ذرائع ما أنزل الله بها من سلطان ، نحو ربط العلم بالمجتمع ، وربط البحث العلمى بمواقع العمل والانتاج ، كانما هؤلاء العلماء الباحثون يعملون فى المريخ أو فى مجتمع آخر غير المجتمع العربى لايعرفون آماله ولا يعيشون آلامه . مثل تعدد الجهات التى يتخرج منها المتخصص الواحد ، او لبغى فئة على اخرى ، تعضدها نقابات او تكتلات مهنية ، فيكون هناك فاقد على حساب المصلحة العامة ، وفاقد لأن الدولة تغدق على فئة الابدال وما اليها على حين تحرم خريجى جهة أخرى ، مع ان الفئتين تؤديان نفس العمل فيترك هذا التمييز الجائر مرارة فى النفس ، بل مرضا فيها ، ويظل المريض يسعى دائما جاهدا طالبا المساواة ، فيضيع الجهد الذى ينبغى ان يبذل لصالح العمل والانتاج .

جامعات أهلية

ولقد نشأت فكرة انشاء جامعات أهلية منذ بضع سنوات ، ولكن الفكرة وئدت قبل أن يرى المشروع النور ، بحجة انه لا ينبغى ان نفرق بين الطلاب القادرين على دفع نفقات التعليم الجامعى الذين يلتحقون بالجامعات الاهلية ، وغير القادرين الذين يلتحقون بالجامعات الحكومية . وكلنا يعلم أنه فى جميع مراحل التعليم توجد مدارس خاصة ذات نفقات الى جانب المدارس الحكومية المجانية . ثم ان انشاء الجامعات الاهلية يخلق فرصة تنافس كريم فى سبيل نشر العلم والمعرفة وغير خاف أن الجامعات فى كثير من الدول المصرية أهلية ، ليس للدولة عليها شبهة سلطة ـ وانما تتمتع باستقلال لاشك فيه . وحبذا لو نعمت جامعاتنا باستقلال فى شئونها العلمية والمالية والادارية ، حتى تكون بحق منارة للعلم والرأى والفكر ، لتقترب بالمواطنين الى مستوى الدول العصرية التي يبلغ فيها احترام الانسان غايته ، واحترام العلم غايته ، فيسمو الانسان بانسانيته الى اعلى مراتبها ، بسيادة الحرية والقانون والعلم ، وتستغل الدولة مواردها العلمية وطاقاتها وامكانياتها المادية والمعنوية الى اقصى حد ، وترفع مستوى الحياة بين افرادها الى اعلى مستوى ممكن ، وتفرض احترامها بين الدول جميعا سواء فى ذلك الدول الصديقة وغير الصديقة ـ يطبق غالبية افرادها مستحدثات العلم والتكنية فى الزراعة والصناعة والاقتصاد والصحة والتعليم ، فى المسكن والمأكل والمشرب والملبس والتي يبلغ افرادها مستوى كريما فى العلم والخلق والنظافة والنظام والامانة ، دولة ترعى افرادها وتؤمن حياتهم فى مراحلها المختلفة صحيا واجتماعيا وثقافيا وعلميا وادبيا وفنيا واقتصاديا ، فينتشر بينهم الوعى العلمى والفنى ، ويكون للفنون اثرها الكبير فى اشاعة الحق والخير والجمال ـ دولة ترعى العلم والعلماء وتخطط لحاضرها ومستقبلها على اسس علمية ، وتحتل بذلك مكانة مرموقة بين الامم والشعوب ويكون لها من القوة والمنعة ما يكسبها احترام الاصدقاء ورهبة الاعداء فى السلم والحرب على السواء . ■■

عبد الحليم منتصر

أمـــراض شـــائعة

الــربو

صُورُهُ ، أَسبابُهُ ، طُرُقُ عِلاجِهِ

بقلم : الدكتورة فاطمة الغرباوى

■ الربو مرض من أمراض الصدر تسأل عنه المريض فيقول انه صعوبة فى التنفس مصحوبة بحشرجة موسيقية ذات أسباب متعددة ، وتسأل عنه الطبيب فيخبرك أنه انقباض فى عضلات شعيبات الرئة المتوسطة والدقيقة ، وتسأل عنه النفسانيين فيقولون بانه مرض نفسانى .

وللربو أسباب كثيرة تتعدد حتى فى الشخص الواحد - فالنوبات الربوية يمكن حدوثها اثر تعرض لمسببات الحساسية Alergey ، ويمكن ان تاتي تلك النوبات للشخص نفسه اثر غضبة او ازمة نفسية ، او عند تنفسه هواء باردا ، أو عند وجود اى التهاب بالجهاز التنفسي .

وفي كل حالة من حالات الربو توجد أسباب معروفة وفي نفس الوقت توجد أسباب أخرى غير معروفة . وهدف الطبيب المعالج فى هذه الحالة هو مساعدة المريض فى التغلب على اعراض المرض وليس ايجاد العلاج الناجع . ويجب ان يعرف المريض ذلك من البداية . وحدث ان شفى بعض المرضى شفاء تاما ولكن ليس بسبب تدخل الطبيب المعالج سواء كان هو الطبيب الباطنى او طبيب الحساسية أو الطبيب الصدرى .

ومن بين الاسباب المعروفة للربو - حلت الحساسية مكان الصدارة التى تستحقها لانها من الاسباب القليلة المعروفة التى يمكن علاجها وتلافي شرها ، رغم أن مسببات الحساسية كثيرة ومتشعبة .

وتسبب الحساسية فى الصدر تورما فى الغشاء المخاطي للشعيبات الدقيقة والمتوسطة الحجم - وكذلك تقلصات فى العضلات اللاارادية التى تكسو هذه الشعيبات ، وتكون النتيجة ان تضيق تجاويف مجارى الهواء في الرئتين . ولما كانت الشعيبات - في حالة التنفس الطبيعي - تتسع في الشهيق وتضيق قليلا فى الزفير ، فان عملية الزفير تحدث لا اراديا وبدون اية مشقة ، اما في حالات الربو فيحدث عكس ذلك حيث تضيق الشعيبات تبعا لانقباض العضلات الدائرية حولها ويتورم الغشاء المخاطى المبطن لها - فتصبح عملية الزفير عبئا على المريض وتثقل عليه شيئا فشيئا حتى انه - تدريجيا - يبدأ في استعمال عضلات أخرى ليزفر بها الهواء خارج الرئتين ، وتصبح بذلك عملية الزفير اطول وقتا وأصعب اداء ، وينتج عن ذلك عدم التوافق في تبادل الاكسجين فى الحويصلات الهوائية وبالتالى تزيد نسبة ثانى اكسيد الكربون المفروض التخلص منه بالتنفس الطبيعى . ويتضاءل نسبة الاكسجين في الدم وزيادة ثاني أكسيد الكربون ينشط مركز التنفس فى المخ طالبا زيادة التنفس الى ان يتعب ليصبح عديم الجدوى ، وحينئذ تصبح عملية التنفس محاولة اشباع للجوع

الربو ـ فالبرد القارس والحر اللافح والذرات الترابية السابحة في الهواء يمكنها ان تكون الشرارة الأولى لهذه النوبات ـ وكذلك السعال يمكن أن يكون بداية لها .

الاعـراض

قصور التنفس الفجائي في الزفير ، أى سهولة دخول الهواء للرئتين وصعوبة خروجه منهما ، مصحوبا عادة بحشرجة موسيقية Wheezing Respiration يسمعها المريض ومرافقوه ، وأحيانا يسمعها الطبيب عند الفحص فقط .

والنوبات الربوية قد تقصر لدقائق وقد تطول لساعات او أيام وربما لأسابيع . وقد تلازم تلك الحشرجة بعض المرضى لسنوات عديدة ، ويمكنهم العيش مع الأعراض البسيطة ويمكنهم أيضا مزاولة نشاطاتهم العادية .

والنوبات الشديدة التى تطول ولا تتجاوب مع العلاج يمكن ان تسبب اعراضا وخيمة نظرا لنقص نسبة الاكسجين بالدم لدرجة قد تصل بالمريض الى فقدان الوعى ـ وهذه اذا لم تعالج فورا لا يفيق منها المريض وقد يموت مختنقا .

والكشف على المريض بين النوبات قد لا يعطينا تشخيصا واضحا ملموسا الا اذا رأى الطبيب مريضه اثناء النوبة ذاتها . ووصف المريض للنوبة يجعل الطبيب اكثر اقتناعا بالتشخيص ـ وفي بعض الأحيان لا يحس المريض نفسه بالأعراض الخفية ـ أما أثناء النوبات الحادة فتكون الاعراض ظاهرة فعلا ويمكن تشخيصها بسهولة حتى قبل أن يخلع المريض ملابسه للفحص .

اما أشعة الصدر فهى عادة تكون طبيعية بين النوبات في الحالات الخفيفة ، اما في الحالات المزمنة فتظهر بعض التغيرات كاتساع المساحة المخصصة للرئتين نظرا لانتفاخهما وفقدان بعض المرونة الطبيعية مع التنفس .

اما الفحص المخبرى فقد يظهر ازديادا في بعض انواع خلايا الدم ، ويمكن أن يصاب المريض بفقر الدم لعدم استطاعته تناول كل أنواع الأطعمة .

الربو عند الاطفال

وتكون أعراضه هى نفس الأعراض عند الكبار . ومن أهم أسبابه الحساسية لبعض ما يستنشقه



بالنسبة لغاز الأكسجين. ويصف مرضى الربو هذا الاحساس بانه ابشع احساس بالحاجة يمكن ان يحس به الانسان .

وفي أثناء نوبة الربو تتدفق افرازات مخاطية داخل الشعيبات وهذه الافرازات بدورها تزيد من صعوبة التنفس .

واذا تكررت حالات الربو فان الرئتين تفقدان بعضا من مرونتهما في التنفس وتصبحان في انتفاخ دائم .

ومن أسباب الربو المعروفة والهامة ـ الحالة النفسية للانسان ـ فان الخوف مثلا يكون سببا وكذلك نتيجة لاحدى نوبات الربو .

كما أن تقلبات الجو تعتبر سببا مهما من أسباب

الطفل من ذرات التراب السابحة في الهواء ، أو حبوب اللقاح لبعض الزهور ، وايضا لبعض الاطعمة التي يتغذى عليها .

وتوجد نسبة كبيرة من أعراض الربو عند الأطفال مصاحبة لالتهابات الجهاز التنفسي. وعندما يكون في العائلة او احد المخالطين اى من أعراض الحساسية مثل الاكزيما او ال Hay fever « حمى القش » فانه من الارجح أن تكون اصابته بالربو الذى نعرفه وليس بالربو المصاحب لالتهابات الصدر ، وكذلك عندما تعاوده النوبات في وقت معين من السنة فذلك ايضا دليل على اصابته بالربو المعروف .

ونوبات الربو في الأطفال لها أسباب كثيرة منها الاجهاد الجسماني - والحالة النفسية للطفل كالذى يحدث له عند الانفصال المفاجيء عن احد ابويه ممن يحبهم ويتعلق بهم سواء بالسفر أو الوفاة - كذلك حالة التفكك في المنزل تسبب للطفل احساسا بعدم الاستقرار مصحوبا بنوبات من الربو .

وتبدأ النوبة عند الطفل بسعال خفيف مع حكة في الذقن والجزء الامامى من الرقبة والصدر. اما الحشرجة الموسيقية فتظهر يومين أو ثلاثة بعد ظهور افرازات غزيرة في الأنف ، ثم يظهر ازدياد في ضيق التنفس مع طول مدة الزفير وشدة الحاجة للهواء Air Hunger ، واتساع فتحتى الانف طلبا لسهولة التنفس ، ويصبح الطفل قلقا ومرهقا ويعرق بغزارة ، وأحيانا يصاحب ذلك الم بالبطن مع سعال شديد وقيء حيث يرتاح الطفل بعده نوعا ما .

وفي بعض الأطفال المصابين بالربو يظهر شعر غزير على الاكتاف والذراعين .

وعند فحص الطفل المريض بالربو يجب فحص الانف للزوائد الانفية والجيوب الانفية واللوزتين ، وهذه الاعضاء كثيرا ما تكون بؤرة مزمنة للالتهابات مما يهيج الأغشية المخاطية ويسبب نوبات الربو .

مستقبل الاطفال المرضى بالربو

قام العلماء في الولايات المتحدة بأبحاث على ٤٤٩ طفل مريض بالربو على مدى ٢٠ عاما ، فوجدوا ان ٢٠٪ قد شفوا تماما ، ١٩٪ شفوا من الأعراض طيلة بعدهم عن المهيجات والمسببات للنوبات ، ٢١٪ شفوا تماما من أعراض الربو ولكن ظهرت عليهم أعراض أخرى للحساسية مثل الاكزيما ، ٢٦٪ ما زالوا يعانون من بعض أعراض الربو . ١١٪ في حالة ميئوس منها ، ١٪ وفاة بسبب الربو .

وبعد ذلك كله فان الربو في الأطفال يميل الى الاختفاء عند البلوغ .

العلاج

علاج الربو نوعان : علاج عام ، وعلاج طبى .

اما العلاج العام فيتلخص في تنظيم حياة المريض من حيث المحافظة على صحته بصفة عامة حتى لو كان ذلك على حساب نجاحه في عمله أو تمتعه بمباهج الحياة ، وتحديد مواعيد الطعام والنوم والراحة والنزهات الخلوية . ومن الضرورى تجنب الارهاق الجسمانى والابتعاد عن كل ما يثير الأعصاب ويسبب الأزمات النفسية ، حتى لو اضطر المريض لتغيير عمله وسكنه .

كما يتحتم الاقلال من المشروبات الروحية ما امكن ان لم تمنع تماما .

ويجب أن يمتنع المريض عن التدخين منعا باتا ، وأن يبتعد عن مهيجات الأغشية المخاطية المبطنة للرئتين والجهاز التنفسي كوجوده مع أصحابه من المدخنين في غرفة مقفلة غير متجددة الهواء .

اما المزارعون فيمكنهم تغيير محل اقامتهم والابتعاد عن هذا المجال الذى نشأ معهم الربو فيه .

ومن المعلوم أن شدة الحرارة وشدة البرودة هما عدوان لمرضى الربو ، وأنسب الأجواء لهم هو الجو الدافيء الجاف الخالي ما أمكن من التقلبات الجوية ، ففى مثل هذا الجو تقل نسبة الاصابة بالرشح وامراض الجهاز التنفسي وتكون اقل احتمالا . وأجهزة تكييف الهواء التى تتحكم في تدفئة الجو أو تبريده تعتبر ضرورة نافعة لمرضى الربو سواء في العمل أو في المنزل .

غرفة النوم الخالية من ذرات التراب

يحتاج مرضى الربو لفترة من الراحة أكثر نسبيا من غيرهم . ويجب أن تكون غرفة نومهم خالية تماما من اى مهيجات للجهاز التنفسي . فالحشايا

والمخدات يجب أن تكون مغطاة بالبلاستيك أو النايلون ، وحلزونيات السرير (اسبرنجات) تكون معدنية بحيث يسهل غسلها من التراب ، ورأس السرير يجب أن يكون مكشوفا دائما سهل التنظيف وأن تكون جميع المفروشات من القطن ما امكن .كما يجب ابعاد السجاد المصنوع من الصوف او الوبر من غرفة المريض ويستعاض عنه بآخر مصنوع من القطن بحيث يسهل غسله . ويلاحظ ان تكون البرادى (الستائر) من النوع السهل التنظيف .

ويراعى كنس الغرفة بالمكنسة الشفاطة حتى لا تثير الغبار في جو الغرفة . وعموما فلا يجب ان يكون مع المريض اى فرش منجد الا ان يغطى بطبقة مانعة من البلاستيك او النايلون .

كذلك يجب ان يغلق الباب والنوافذ تماما حتى لا يتسرب الغبار من الخارج . ومن الافضل ان تبعد عن منزل المريض جميع الحيوانات الاليفة مثل القطط والكلاب والحمام والدجاج وطيور الزينة ، والا يدخن اى شخص فى غرفته . وفي بعض الأحيان قد يشفى المريض المصاب بالربو من اعراضه المجهولة عند اتباع هذه النصائح بدقة وحرص ، الا انه يمكن ظهور أعراض المرض ثانية عند التعرض لبعض المسبباب او التراخى في تطبيق النظام .

علاج الحالات النفسية

المعروف أن الخوف والغضب والكراهية والقلق المستمر والأعصاب المرهفة كلها من الأسباب التى تشعل شرارة نوبة الربو . ويجب أن يعرف المريض ذلك حتى يحاول تكييف ظروفه ويبتعد عما يضايقه ما امكن .

وفى بعض الاحيان يقال ان المهدئات ـ Tranquilisers لها تأثير كبير على تحسن حالة المريض بصفة عامة ويستحسن الاستعانة بالطبيب النفسانى في مثل هذه الحالات .

العلاج الطبي

لا يجد للآن علاج يشفى مرضى الربو شفاء تاما حتى في احسن المراكز الطبية ، وانما هي محاولات قد تنجح احيانا اذا ما اتبعت نصائح وتعليمات الطبيب المعالج بدقة تامة ، خصوصا في بداية الاصابة بالمرض .

ومن العقاقير المفيدة في علاج الربو الادرينالين Adrenaline حقنا تحت الجلد ، أو الايزوبريثيلين Isoprithiline استنشاقا شريطة ان يكون ذلك تحت اشراف دقيق . والامينوفللين Amino-Philline ، مفيد كذلك سواء منه بالحقن او الحبوب أو اللبوسات وقد يحتاج المريض أحيانا الى استعمال مضادات الحساسية ولكن ليس لها مكان كبير في علاج الربو . ولا ننسى العلاجات الطاردة للبلغم Expectorants وكذلك الاكسجين عند الحاجة . اما الكورتيزون ومشتقاته فهى أسلحة ذات حدين، ويجب الاحتراس عند استعماله فلا تستخدمه الا عند فشل جميع الجهود والعقارات الأخرى ، ويعطى الكورتيزون في جرعة او جرعتين ويوقف تماما عندما يتحسن المريض ـ ومن الخطر الجسيم أن تستعمله فترة طويلة سواء بالنسبة للكبار او الصغار .

التحصين بالمصل الواقي

يمكن التحصين بالمصل المستخلص من المواد المسببة للأزمات عند بعض المرضى وعدد المحتاجين اليه قليل اذا ما اتبع النظام السابق بيانه في تنظيم حياة المريض . وهو علاج يحتاج الى خبرة ومهارة .

ويعطى هذا المصل بجرعات مخففة تزداد تدريجيا الى ان تقترب أو تساوى ما يتعرض له المريض في حياته اليومية .

والمصل يعطى قبل بدء ظهور أعراض المرض بشهرين أو ثلاثة ، وموعد ظهور هذه الاعراض يكون معروفا عادة لدى مرضى الربو .

وبهذه الطريقة يمكن أن نشفى نسبة كبيرة من الحالات ، وهذا ما يسعى اليه العالم جاهدا وستكشف لنا الايام القادمة عن علاجات أخرى نرجو أن تكون شافية وحاسمة . وبفضل العلم والعلماء سنتوصل الى الدواء ونقضى على الداء ونعيش جميعا أصحاء سعداء . ■■

فاطمة الغرباوى

مستشفى الامراض الصدرية ـ الكويت

كتاب الشهر

هل ينتهي



تأليف : جورج فريدمان

بقلم : الدكتور محمود السمرة

■ مؤلف هذا الكتاب يهودي فرنسي(١)، واستاذ جامعي في علم الاجتماع ، وهو الآن مدير دراسات في « مدرسة الدراسات العليا التطبيقية » بجامعة باريس . وهذا الكتاب فيه كثير من الموضوعية ، وان عمي مؤلفه ، احيانا عن كثير من الحقائق . ومن اجل وضعه، قام بزيارتين الى اسرائيل ، في عامي ١٩٦٣ و١٩٦٤ .

ويدعي **فريدمان** في مقدمة الكتاب انه فرنسي اولا واخيرا ، ولا يؤمن بالديانة اليهودية ، ولهذا فهو يتناول الموضوع بعيدا عن الهوى والميول الشخصية ، وقد شارك المؤلف في حرب التحرير ، اثناء الاحتلال النازي ، ولم يشعر ابدا انه ينتمي الى بلد غير فرنسا ، ولا الى شعب غير الشعب الفرنسي .

وقد اغراه بتناول هذا الموضوع انه يرى ان تجربة الصهيونية في اقامة وطن لليهود في فلسطين ، تجربة فريدة تستحق الدراسة ، وبخاصة لانه يشارك علماء الانتروبولوجيا القول ان شيئا اسمه « الجنس اليهودي » لم يعد له وجود .

والكتاب في مقدمة ، وعشرة فصول ، تستغرق ثلاثمائة صفحة بالتمام. وقد صدرت هذه الترجمة الانجليزية في آخر عام ١٩٦٧ في عن دار هتشنسون Hutchinson ، بلندن ، ولا يكاد المؤلف يترك قضية هامة من قضايا اسرائيل دون ان يتناولها، اما باسهاب ، واما بايجاز . انه يعرض مشاكل الهجرة اليهودية الى اسرائيل ، ومشاكل اجتماع يهود من بلاد مختلفة ليكونوا شعبا واحدا موحدا، ويناقش دور الدين في بناء المجتمع الاسرائيلي ،

---

(١) Georges Friedmann. The End of The Jewish People ?

الشعب اليهودى ؟

والعقبات التي تهدد الكيبوتزات في وجودها .. الخ. وسنقف هنا عند ما نعتبره أهم القضايا الواردة في الكتاب ، ومنها :

« الصبرة » وازمة القيم

و« الصبرة » Sabra هم اليهود الموجودون الآن في فلسطين ، والمولودون فيها وآباؤهم من المهاجرين اليها . ويورد المؤلف قصة طريفة تشرح سبب تسميتهم بهذا الاسم . انه يقول : « ان أبناء المهاجرين المولودين في فلسطين ، كانوا يحسون في المدرسة أنهم « غلمان » دون أبناء المهاجرين في الغرب . ولهذا فانهم ، من أجل التعويض ، كانوا يتحدون زملاءهم من المهاجرين أن يمسكوا بأيديهم كيزان الصبر (أى التين الشوكى) بما عليها من شوك ، وينزعوا عنها القشر ، ويأكلوها . وكانوا هم يفعلون ذلك ، ويعجز عنه الآخرون . وكلمة « الصبر » هى الكلمة العربية المستعملة في فلسطين ، لما يعرف في بلاد عربية أخرى باسم « التين الشوكى » .

ويبلغ عدد الصبرة ثلث سكان اسرائيل اليهود، وجلهم لم يبلغوا سن الشيخوخة . ويلاحظ فريدمان أن الصبرة قد أصيبوا بالغرور ، بعد قيام اسرائيل ، وبسبب الانتصارات التى يرون أن نصيبهم فيها كان أوفى نصيب . ويبلغ بهم التعصب حد أنهم يرفضون التحدث بغير اللغة العبرية ، رغم أنهم يعرفون لغات أوروبية عديدة. وهم ماديون في نظرتهم لكل شؤون الحياة ، ولا يكترثون للقيم الروحية ، شديدو الاعتزاز بقوميتهم الاسرائيلية . ونضيف هنا الى ما قاله فريدمان ان الاستعلاء وانكار حقوق الآخرين ، صفتان بارزتان في الفكر الصهيوني ، ومعتنقيه . وهم لا يؤمنون باى قيم انسانية ، وتاريخهم شاهد على ذلك، ويكفي ان نشير هنا الى رايين لصهيونيين على سبيل المثال : فالصهيونى البريطانى (زانجويل) دعا الى ترحيل عرب فلسطين ، وهو رأى أرحم بكثير من رأى (وايزمن) الذى نادى بان الصهيونية يجب ان تضع نصب عينيها خنق عرب فلسطين ، ولكن ببطء .

ويرى فريدمان ان الصبرة أكثر يهود اسرائيل رغبة في عقد صلح مع العرب ، ولكن اذا فشلوا في الحصول عليه ، فانهم مستعدون للقتال . انهم يريدون دولة لهم في فلسطين تكون القدس عاصمتها، اما حائط المبكى فلا يهمهم ابدا من ناحية دينية ، ولكنهم يستخدمونه لتحقيق أطماع توسعية .

ويبدو من هذا الكلام ان المؤلف يحبذ موقف الصبرة هذا . ولكن اى سلم هذا الذى يمكن أن يرضى به العرب ، الذى هو في الحقيقة استسلام! واى سلم هذا الذى يتحدث عنه اولئك الذين تلطخت أيديهم بدماء الابرياء ؟ ان السلم الحقيقى انما يقوم على مبادىء العدالة ، وتطبيق حقوق الانسان ، والطريق اليهما تكون بالغاء كيان اسرائيل ، وعودة فلسطين الى أصحابها الشرعيين من عرب وغير عرب .

ويقول فريدمان ان الشباب من الصبرة وغيرهم من يهود اسرائيل ، هم في غالبيتهم العظمى لادينيون . وقد قابل شبابا من اليهود ولدوا في المجر وبولونيا وايطاليا وغيرها ، وكانوا في أوطانهم من اليهود المتدينين ، ولكنهم بعد هجرتهم الى

اسرائيل ، وبعد احتكاكهم سنوات بهذا الخليط من يهود العالم الذين تجمعوا في اسرائيل ، أصبحوا لادينيين . واذا كان فريدمان يرى في هذه الظاهرة تعبيرا عن أزمة قيم في المجتمع الاسرائيلي ، فاننا نرى فيها تعبيرا حقيقيا عن واقع الصهيونية القائمة على الغزو والعدوان . وهذا القول يؤكد ايضا ما سبق ان قلناه من ان الحركة الصهيونية انما تستخدم الدين ستارا تخفي وراءه اطماعها ، وخططها الاستعمارية ، والتوسعية ، ولتخدع به البسطاء والسذج .

اليهود واسرائيل

وتحت هذا العنوان يناقش المؤلف كثيرا من القضايا . ويبدا فيذكر ان عدد اليهود في العالم كان نحو ستة عشر مليونا ، سنة ١٩٣٩ ، وذلك حسب تقديرات « المؤتمر اليهودي العالمي » الذى عقد في ذلك العام . وانخفض هذا العدد فكان عشرة ملايين في عام ١٩٤٥ ، ثم أخذ في الازدياد حتى اصبح ثلاثةعشر مليونا ونصفمليون في عام ١٩٦٦ . وتعود هذه الزيادة ، بالدرجة الاولى ، الى ارتفاع نسبة المواليد بين يهود شمال افريقيا وآسيا .

وورد في« الكتاب الامريكي اليهودي السنوي»(٢) لعام ١٩٦٦ ، أن عدد اليهود يزيد عن اثنى عشر مليونا ، موزعين كما يلي :

الولايات المتحدة الامريكية	٥ر٧٢٠ر٠٠٠
الاتحاد السوفييتي	٢ر٤٨٦ر٠٠٠
اسرائيـــل	٢ر٢٩٩ر٠٠٠
فرنسا	٥٢٠ر٠٠٠
بريطانيا	٤٥٠ر٠٠٠
الارجنتين	٤٥٠ر٠٠٠
كندا	٢٧٥ر٠٠٠
البرازيل	١٣٠ر٠٠٠
رومانيـا	١٢٠ر٠٠٠
جنوب افريقيا	١١٦ر٦٦٦
المغـرب	٧٠ر٠٠٠
تونس	٢٣ر٠٠٠
الجـزائر	٣ر٠٠٠

ومما يجدر ذكره هنا أن الكثرة الساحقة من يهود العالم العربي قد هاجروا الى اسرائيل ، ليزيدوا من عدد سكانها ، وقدراتها ، وانا اورد الاحصائية التالية :

المغـرب	٢٥٠ر٠٠٠
العـراق	١٢٠ر٠٠٠
مصر	٨٠ر٠٠٠
اليمـن	٥٠ر٠٠٠
تونس	١٢٠ر٠٠٠
الجزائر	١٥٠ر٠٠٠
ليبيـــا	٣٦ر٠٠٠
سوريا	٣٠ر٠٠٠

وقد هاجر اكثر يهود الجزائر الى فرنسا ، فارتفع عدد اليهود فيها حتى اصبحت ثالث بلـد خارج اسرائيل ، بالنسبة لعدد اليهود .

والاحصائية السابقة التى اوردناها لعدد اليهود في العالم ، تبين لنا ان ١٧٪ فقط من يهود العالم ، يعيشون في اسرائيل ، رغم كل محاولات الصهيونية التى تبذلها لجعلهم يهاجرون اليها . وهذا ، في رأيي ، يكـذب ادعاء الصهيونيـة بان اسرائيل هي الممثلة ليهود العالم . وهـذه الحقيقة نفسها تقلق زعماء الصهيونية .

والواقع أن هـذا الموضوع يجب ان يحظى بعناية الدارسين عندنا : علينا ان ندرس امكانيات الهجرة المحتملة الى اسرائيل ، وتأثير هذا على قدرتها العسكرية ، وتطويرها تكنيكا . اننا ، ونحن المهددون بالفناء ، لانقوم بمثل هذه الدراسة ، بينما يقوم بها اليهود انفسهم . ومن اشهر هذه الدراسات ، دراسة بقلم ب . جيل ، بعنوان «أضواء على سكان اسرائيل» أصدرها مركز الاحصاء الاسرائيلي ، ودراسة اخرى بقلم ن . هاليفي بعنوان « اضواء على السكان والدخل للفترة من ١٩٦٥ ــ ١٩٧٥ » . واذا كنا لا نقوم بالدراسات ، فلا اقل من ان نقرأ ما يكتبون !!

وعلينا ان نذكر أن اليهود يبذلون الجهد ، وفوق الجهد ، لاغراء اليهود بأن يهاجروا الى اسرائيل . في الثالث من شهر يوليه (تموز) من عام ١٩٦٤ كان ليفي اشكول في باريس ، فوقف خطيبا في اجتماع ليهودها ليقول : « ان في هذه البلاد نصف مليون يهودي ، ومع هذا فان علينا ان نحمل المصابيح لنطوف في شوارع باريس الجميلة بحثا عن اليهود الذين يرغبون في الهجرة الى اسرائيل . » وقبل مـدة زار بن غوريون الولايات المتحدة الامريكية وخطب في يهودها ايضا

---

(٢) The American Jewish Year Book.

قائلا : « نحن لا تريد اموالكم ، بل ابناءكم » !! ليكونوا طبعا ، جنودا في الجيش الاسرائيلي .

اليهود والاسرائيلية

وهنا يرى فريدمان ان الفرق كبير بين اليهودية والاسرائيلية ، اي الايمان بالدين اليهودي والايمان بالقومية الاسرائيلية . وفي رايه أن جل الشباب في اسرائيل ، بل الكثرة الساحقة منهم ، تعتز بقوميتها الاسرائيلية ، ولكنها لا تؤمن بالدين اليهودي . ويستنتج من هذا ان قيام اسرائيل ، يؤدي في اسرائيل نفسها ، الى القضاء على اليهودية .

واشير هنا الى دراسة قام بها سيمون هرمان Simon N. Herman وهي دراسة قائمة على استبيانات وزعها على عدد كبير من المهاجرين الجدد ، اكثرهم من الولايات المتحدة الامريكية ، وانتهى فيها الى النتيجة نفسها التي انتهى اليها فريدمان . وقد ورد في رد احدهم ما يلي : « كنت قبل ان اصل الى اسرائيل ، اعتقد ان اليهود يكونون شعبا واحدا ، ولكن هذا الاعتقاد تبخر من ذهني بعد وصولي اليها ، حيث وجدت فيها خليطا عجيبا من أمم عدة ، ينتسب الى اجناس مختلفة . انهم هنا اسرائيليون لا يهود » .

وهذه المشكلة تشغل بال المسؤولين في اسرائيل ، وقد اشار اليها ليفي اشكول في خطابه الذي القاه في « المؤتمر العالمي للشبيبة اليهودية » في الرابع من اغسطس (آب) ١٩٦٣ . وبعد هذا اتخذت الوزارة الاسرائيلية قرارا بتدريس تاريخ اليهود ، وتراثهم ، وكل ما من شانه ان يقوي في نفوس الشباب شعورهم بالانتماء الى امة واحدة . وهذه الموضوعات هي الان موضوعات اجبارية على تلاميذ المدارس الثانوية .

يهود الولايات المتحدة الامريكية

وزعماء اسرائيل شديدو النقد ليهود الولايات المتحدة ، لانهم — وان قدموا الاموال الطائلة لاسرائيل — الا انهم لا يميلون الى الهجرة اليها . وعلى راس هؤلاء المنتقدين بن غوريون . انهم يريدون منهم أن يهاجروا اليها على نطاق واسع . ويرى فريدمان ان مثل هذه الهجرة الواسعة غير واردة في بال يهود امريكا ، ويستشهد بدراسة اجتماعية اجراها استاذان هما مارشال سكلير Marshall Sklare ، ومارك فوسك Marc Vosc : (٢) فقد قاما بدراسة لاحدى مدن نيوجيرزي ، يبلغ عدد سكانها نحو ١٢٠٠٠٠ منهم ٦٠٥٠٠ من اليهود . وكان السؤال الذي وجه الى اليهود الراشدين ، هو : هل تحب ان تهاجر الى اسرائيل؟ وكانت النتيجة كما يلي : ٧٪ أجابوا بانهم يرغبون في ذلك ، و ٦٠٪ قالوا انهم لا يفكرون في ذلك ابدا ، ٣٣٪ اعربوا عن عدم ميلهم الى الهجرة في الوقت الحاضر .

وقد اجريت دراسات مماثلة في مناطق اخرى ، وكانت النتائج متشابهة .

وهكذا نرى ان التوقعات الحالية لا تدل على ان من المحتمل ان تكون هناك هجرة واسعة من الولايات المتحدة الى اسرائيل . وما زال يهود الولايات المتحدة هم اقل يهود العالم ميلا الى الهجرة ، اذ لم يهاجر منهم الى اسرائيل سوى عشرة آلاف ، من عدد اليهود فيها البالغ ٥٥٠٠٠٠٠ ، اي بنسبة ١٨ر٠٪ .

ومن الاساليب التي يلجأ اليها زعماء اسرائيل لاغرائهم بالهجرة ، تكرارهم القول : انه لن يمضي زمن طويل حتى يحل بهم ما حل بيهود المانيا على يد هتلر ، ولهذا فمن الخير لهم ان يهاجروا .

ويعلق فريدمان على هذا الاسلوب قائلا انه لم ينجح ، ويستشهد على ذلك برسالة وصلته من معلم مدرسة ، اصله من نيويورك ، وقضى سنتين في اسرائيل . انه يقول : « قد يحدث هذا الذي يقولونه من انه سيحل بنا ما حل بيهود المانيا ، ولكن هذا مازال في عالم الغيب ، وليست هناك دلائل تشير اليه . اما الحياة هنا في امريكا فهي عالم الواقع، بما فيه من فرص كبيرة للعمل والتقدم» .

واضيف الى ما قاله فريدمان فاقول : ان الكتب الرسمية الصادرة عن اسرائيل ، لا تشير فقط الى عزوف يهود الولايات المتحدة عن الهجرة الى اسرائيل ، بل انها تذكر بالارقام ان اليهود الذين هاجروا من اسرائيل الى الولايات المتحدة اكثر من الذين هاجروا من الولايات المتحدة الى اسرائيل : ففي سنة ١٩٦١ هاجر من اسرائيل ٢٫٩٣٥ ، منهم ٢٫٤٤١ الى الولايات المتحدة الامريكية . واعلنت الحكومة الكندية في سنة ١٩٦٢ أن ٢٫٠٠٠ اسرائيلي

(٢) The Riverto Study, 1957.

تقدموا بطلبات لنيل الجنسية الكندية . وتذكر الوثائق الرسمية الاسرائيلية انه حتى الصبرة انفسهم ، عندما يذهبون الى الولايات المتحدة للدراسة ، او للزيارة ، لا يميلون الى العودة الى اسرائيل ، وخاصة اذا قضوا مدة كافية في امريكا.

ومما يقلق المسؤولين الاسرائيليين ان هذه الهجرة الى خارج اسرائيل تأتي في المرتبة الاولى بين المثقفين والفنيين ، وهما الفئتان اللتان تعتمد اسرائيل عليهما لبناء مجتمع اوروبي صناعي فيها.

ولكن هل تغير الوضع بعد حرب يوليه (تموز) ١٩٦٧ ؟ هذا سؤال مازال ينتظر دراسة علمية للاجابة عليه .

هل هناك شعب يهودي ؟

وردا على هذا السؤال ، يرى المؤلف انه ليس هناك شعب يهودي ، اسرائيل جزء منه . والدليل على هذا أن يهود اسرائيل جاؤوا اليها من بلاد مختلفة تبلغ ١٠٢ عدا ، وكثيرون منهم لا يحسون برابطة تربطهم بالاخرين ، ونجد هذا الشعور واضحا بين اليهود الغربيين (الاشكنازيين) واليهود الشرقيين (السفرديين) . وهو يقول : « انك لو سرت في اسرائيل لما استطعت ابدا ان ترد هذا الخليط المجيب الى جنس واحد . ولكن اسرائيل تحاول أن تصهر الجميع ، فتجعل لهم لغة واحدة هي اللغة العبرية ، وتصبغهم بصبغة واحدة هي انهم اسرائيليون . أما أن اليهود في العالم يكونون شعبا واحدا ، او امة واحدة ، فهذا غير صحيح ، وقد اثبته المؤرخون وعلماء الانتربولوجيا » .

وتوضيحا لقول فريدمان من ناحية تاريخية ، اضيف ما يلي : لم يحكم اليهود فلسطين الا مدة ١١٣ عاما خلال تاريخها الطويل الذي يمتد اكثر من اربعين قرنا ، ولم يجتمعوا قط في مكان واحد، فقد كانوا مفرقين في أرجاء المعمورة . والكثرة الساحقة من اليهود اليوم هم من اصول لا تمت بصلة الى اليهود الذين كانوا في فلسطين لفترة قصيرة من الزمن . انهم يعودون في اصولهم الى قبائل الخزر التي تهودت ، والى الاوروبيين الذين اعتنقوا الدين اليهودي ، وهناك ايضا هنود وصينيون قد تهودوا . (انظر تفصيل هذا في باب «كتاب الشهر» العربي العدد ١٢٥ أبريل ١٩٦٩).

الانتماء ، والولاء المزدوج

يرى زعماء الصهيونية ان الخطر الذي يهدد « الشعب اليهودي » ليس اللاسامية ، بل احتمال انتماء اليهود انتماء حقيقيا الى الاوطان التي هم فيها ، وذوبانهم في شعوبها . وفي ١٦ مارس (آذار) ١٩٦٣ ، وقف ناحوم جولدمان Nahum Goldmann خطيبا في المؤتمر الصهيوني العالمي ، ليقول : « ان الانتماء هو الخطر الاول الذي يهدد الشعب اليهودي ، بالانتماء كيهود . » وقد اثار هذا القول تعليقات كثيرة في الصحف العربية في حينه .

وقد صدرت دراسة في هذا الموضوع للاستاذ موشه ديفيز Moshe Davis مدير « معهد الدراسات العبرية المعاصرة » بالجامعة العبرية ، وفيها يرى ان خطر ذوبان اليهود في البلاد التي يعيشون فيها ، قائم ،وخاصة في الولايات المتحدة، وكندا ، والارجنتين .

ان زعماء الصهيونية لا يرضون حتى عن الولاء المزدوج : ولاء اليهود لأوطانهم ، وولاؤهم لاسرائيل في الوقت نفسه . انهم يريدون منهم ، اينما كانوا ، ان يكون لهم ولاء واحد ، لا ثاني له ، هو ولاؤهم لاسرائيل . وفي نظرهم أن كل اليهود الذين يعيشون خارج اسرائيل ، انما هم يهود في المنفى. ونحن نجد هذه المعاني مكررة دائما في خطب زعماء الصهيونية .

ويبقى السؤال بعد هذا : كيف يمكن لأمة من الامم ، ان تامن لليهود فيها ، اذا كانت هذه هي افكار زعماء الصهيونية ؟!

وعلينا ان نذكر ان المسؤولين في اسرائيل لا يكفون عن تخويف اليهود خارجها ، من اللاسامية، وان ما حل بيهود المانيا قد يحل بهم . كل هذا من اجل دفعهم الى الهجرة الى اسرائيل . ويضاف الى ذلك أنواع الضغط والارهاب التي يلجأون اليها .

ورغم كل هذا فان المؤرخ بارون S.W. Boron يرى في دراسة طويلة في خمسة مجلدات ، ان صهر كل هذه الاجناس المختلفة والمتعددة الموجودة في اسرائيل ، لخلق شعب واحد ، معضلة تاريخية ، يصعب تصور نجاحها (٤)

(٤) Baron, A Social And Religious History Of The Jews.

القضية الفلسطينية

وعند حديث المؤلف عن القضية الفلسطينية يقول : « ان العرب يسيرون نحو الوحدة، رغم كل خلافاتهم ، وخصوماتهم . ويوم تتحقق هذه الوحدة ، ولو على نطاق محدود ، فان فيها ستكون نهاية اسرائيل ، وبهذا يكون اليهود قد خسروا يهوديتهم ، واسرائيليتهم معا » ـ واليهود في رأيه ، داعون لهذه الحقيقة . ومن يتحدث الى زعمائهم ، يستطيع ان يلمس بوضوح خوفهم من اي نوع من انواع الوحدة العربية . واذا كان العرب اليوم يسيرون نحو التصنيع بخطى بطيئة، فان اليوم الذى ستصبح فيه البلاد العربية صناعية ، لا بد آت .

وينتقل فريدمان بعد هذا ليناقش موضوعين ، هما : اللاجئون الفلسطينيون ، والعرب في اسرائيل .

وعند حديثه عن اللاجئين الفلسطينيين يورد مزاعم اليهود بأن هؤلاء اللاجئين تركوا وطنهم بمحض اختيارهم ، وبتحريض من الدول العربية . ونرد على هذا بان كل التسجيلات للاذاعات العربية ، والاذاعة البريطانية في هذه الفترة المذكورة ، لم يرد فيها مطلقا ان الدول العربية قد حرضت الفلسطينيين على ترك وطنهم . ونحن هنا نود لو اشار المؤلف أيضا الى الوسائل الارهابية التي لجأت اليها العصابات الصهيونية لطرد العرب من وطنهم وهي كثيرة ، ولا اظنها تخفى عليه .

وهو عندما يتحدث عن العرب في اسرائيل ، يكشف اما عن تجاهل للواقع ، او جهل به . ولعل التجاهل أدق واصح . انه يرى ان هناك تمييزا بين اليهود والعرب في اسرائيل ، ولكنهم مع هذا يتمتعون بحقوق لا يتمتع بها اخوانهم في البلاد العربية .

والواقع الذى لم يعد خافيا على دارس منصف، هو أن العرب في اسرائيل يعيشون في ظل احكام عسكرية صارمة ، وتصدر القوانين تباعا لتسلبهم حتى الارض التي يزرعونها ، او البيت الذى يسكنونه ، وقد سبق أن شرحنا أوضاعهم بالتفصيل (كتاب الشهر « العرب في اسرائيل » ـ العربي العدد ١٣١ اكتوبر ١٩٦٩)

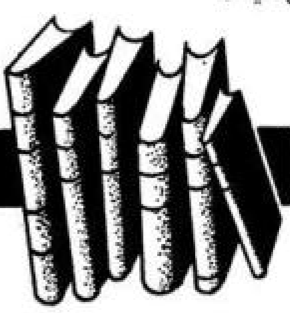
والتمييز نفسه موجود ايضا بالنسبة لليهود الشرقيين ، وقد طلعت علينا جريدة « يديعوت احرنوت » الصادرة بتاريخ ١٩٦٩/١٢/٤ ، بمقال اضافي يتحدث عن هذا التمييز ، وعن التمييز الطبقي في اسرائيل .

ان اسرائيل ، حسب وثائقها الرسمية المنشورة، تهدف الى ان تجمع في اسرائيل خمسة ملايين يهودى صهيوني ، لا من اجل التغلب على امة عربية مفككة ، بل من اجل التفوق على امة عربية موحدة ، ودخلت في طور الصناعة المتقدمة .

ومن اجل تحقيق هذا الهدف ، فان عينيها مسلطتان على يهود الاتحاد السوفييتي ، بسبب وفرة عددهم ، ولاعتقادهم انهم مستعدون للهجرة اليها اذا فتح الباب امامهم .

فهل وعينا كل هذا قبل فوات الاوان ؟! ■■

محمود السمره



من الكتب التي وصلتنا

بدءا من حزيران

تأليف : خالد محيى الدين البرادعي ـ الناشر : مؤسسة فهد المرزوق الصحفية / الكويت

● مجموعة من القصائد الوطنية .

أوراق الغربة

تأليف : عبد الله الشيتي ـ الناشر : دار الخليج للطباعة والنشر

● مجموعة رسائل تمثل شعور الفرد العربي بعد نكسة حزيران ١٩٦٧ .

البقية على صفحة ١٥١

طرائف غريبة

تواضع ملك !

●● يروون عن الملك فردريك التاسع ، ملك الدانيمرك الحالي ، انه شديد التواضع ، رقيق الشعور . حدث فى عام ١٩٥٠ ان كان الملك يستضيف فى قصره سير ونستون تشرشل السياسى البريطانى الراحل . وقد كان تشرشل يصطحب معه خادمه نورمان ماكجوان Norman Mcgowan

وما كاد تشرشل وخادمه يصلان الى قصر الملك فى المساء ، حتى خرج نورمان فى هدوء لقضاء السهرة فى أحد النوادى الليلية ، ولكنه فوجىء اثناء وجوده برسول من القصر يصل الى النادى ويبحث عنه ليقول ان سير ونستون يطلبه بسرعة لانه نسى ان يعد له طبقه المفضل للعشاء وهو حساء السلحفاة البحرية ! .

وهرول نورمان عائدا الى القصر مع الرسول الذى اوفد لاستدعائه ، وما ان وصلا الى جناح تشرشل حتى رأيا كبير الخدم يحمل صينية فضية مليئة بالحساء فى طريقه الى غرفة مستر تشرشل ، واسرع الخادم يطلب الى الرسول ان يرجو كبير الخدم ان يعطيه صينية الحساء ليحملها الى سيده بنفسه ، وبذلك يغفر له تقصيره ! .

ونظر خادم تشرشل الى الرسول فوجده يقف مشدوها فاغرا فاه ، دون أن يبدى حراكا .. واخيرا قال له الرسول بعد ان اختفى كبير الخدم داخل غرفة تشرشل : « هل تعرف من يكون هذا الرجل الذى يحمل الصينية ! انه الملك فردريك نفسه !! » .

لقد سمع الملك برغبة ضيفه ، فقرر ان يصنع له الحساء ويحمله اليه فى غرفته !! .



نحن والآخرون

نحن نشعر بجهلنا عندما نحاول ان نعرى أنفسنا امام الآخرين ، هنا فقط سوف ندرك أنه لا بد لنا من ان نبني بيتنا حجرة من بعد حجرة ، قبل ان نسمح للزائرين بدخوله ورؤيته .

« اندريه موروا »

الحرية ومصير العالم

●● الدكتور بوريس باسترناك هو الكاتب الروسي الشهير Boris Pasternak ، مؤلف قصة الدكتور زيفاجو : وقد تساءل يوما : هل يستطيع الرجل أن يحدد مصيره ومستقبله ؟ « ثم قال مجيبا على تساؤله : نعم يستطيع ، فبالرغم من شكل نظام الحكم القائم في بلادهم ، استطاع الكثيرون من الرجال في مختلف انحاء الدنيا أن يغيروا مستقبل بلادهم بصورة ما ولكن المهم دائما ان نمارس الحرية التي كفلها لنا قانون حقوق الانسان ..

« فما نفعله اليوم ، هو الذى سيحدد معالم الطريق الذي سيسير عليه عالم الغد » .

« ان احدا لا يستطيع ان يعرف الآن شكل هذا الطريق ، ولكن يجب الا ندع اليأس يتطرق الى قلوبنا لحظة واحدة مهما كانت قسوة الظروف التي نعيش في ظلها .. يجب أن ننتهز كل فرصة من أجل معونة بلادنا ، ومعونة العالم من حولنا من أجل تحقيق السلام والحرية والاخاء للجميع ! » .

الحياة حفل كبير !

● ما هى الحياة ؟ يقول الكاتب المسرحى الروسي الكبير انطون تشيكوف Anton Chekov (١٨٦٠ - ١٩٠٤) : « انها حفل كبير .. يصل اليه البعض متاخرا ، ويتركه البعض قبل أن ينتهى ، بينما يبقى البعض الآخر حتى بعد انصراف غالبية المدعوين .. وفى الحفل تتركز الاضواء على بعض النجوم ، بينما نجد الكثيرين ينزوون بعيدا عن عيون الناس ، فلا يشعرون بأحد ، ولا يشعر بوجودهم أحد .. ولكن الكل يستوون عندما تطفأ الانوار ، وتهدأ الموسيقى وينصرف الجميع عائدون من حيث أتوا ! » .

عندما احترقت آمال اديسون!

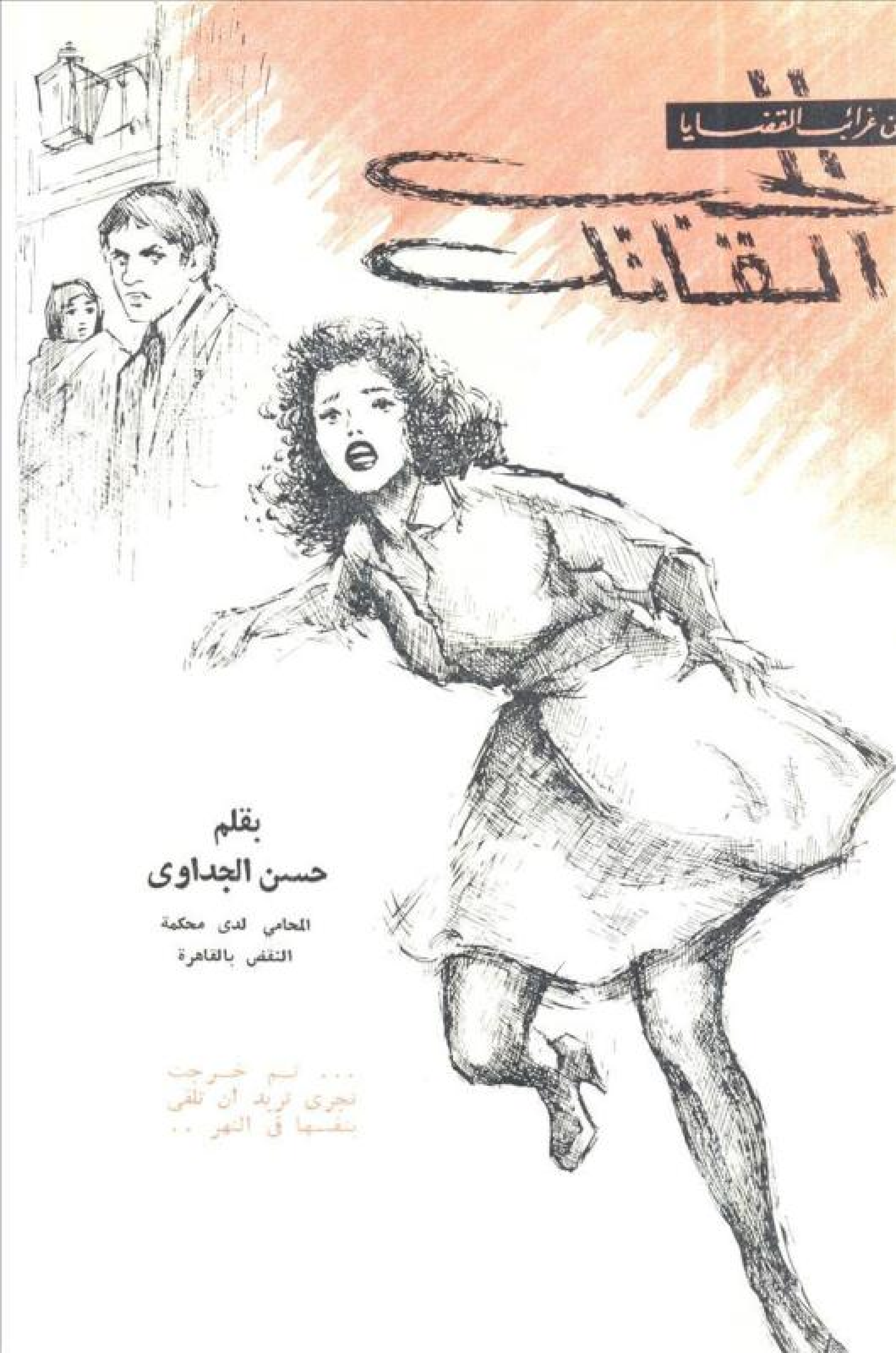
●● احترقت معامل اديسون الهائلة فى مدينة نيوجرسي الامريكية في شهر ديسمبر من عام ١٩١٤ . وهكذا فقد العالم الكبير توماس اديسون Thomas Edison (١٨٤٧ - ١٩٣١) فى ليلة واحدة معدات وآلات قدر ثمنها باكثر من مليونين من الدولارات ، الى جانب المعلومات العلمية الهامة التي قضى حياته كلها يبحث عنها !

وقد روى تشارلز ابن اديسون قصة تلك الليلة الرهيبة ، قال : « وقفت امام السنة الدخان المتصاعدة ابحث عن ابي وسط الناس الذين



ازدحموا حول مكان الحريق .. واخيرا وجدته يقف وحده يتامل النيران فى هدوء وهي تلتهم ثمرة كده وكفاحه .. وعندها فقط ادركت اثر الكارثة عندما رايت شعر رأسه الأبيض الذى نكشته رياح الشتاء الباردة .. لقد تقدم به العمر وهدته الشيخوخة .. يا لها من كارثة ! ووقعت عيناه علي أخيرا ، فاذا به يصيح في قائلا : « أين امك نادها بسرعة ، فهي لن ترى منظرا كهذا طول حياتها ! » .

« وفى صباح اليوم التالي جئنا - أبي ، وامي ، وأنا ، ورحنا نسير وسط حطام آمال واحلام والدى الذى قد جاوز وقتها عامه السابع والستين .. وفجاة توقفنا عن السير ، وقال توماس اديسون : « حقيقة كارثة ، ولكنها لا تخلو من نفع .. فقد التهم الحريق جهدى ومالي ، ولكنه خلصني أيضا من أخطائي .. شكرا لله ، فنحن نستطيع الآن أن نبدأ من جديد بلا أخطاء !! » . ■■



من غرائب القضايا

القاتل

بقلم

حسن الجداوى

المحامي لدى محكمة

النقض بالقاهرة

... ثم خرجت
تجرى تريد أن تلقى
بنفسها فى النهر ..



■ نحن فى عام ١٨٨٠ فى احدى قرى فرنسا عند مصب نهر النيفل تسمى « اسكين » . سكانها من البسك Basque المعروفين بسرعة الغضب وحدة الطباع.ومن بينهم صاحب مطحن اسمه «سوجاريه» أكثر اهل القرية ثراء . اعزب يعيش فى عزلة ، ويقيم فى مطحنه مع فتاة اسمها مارى توبليا تتولى شئونه المنزلية ، لا يُعرَف عنها اى انحراف خلقى . ولكن السنة السوء تتهمها بانها عشيقة سوجاريه . وسواء صح هذا الاتهام أو لم يصح فان مارى توبليا هذه كانت وراء جميع المصائب التى حلت على رأس سوجاريه .

فبينما كان بعض العمال يسيرون بجوار مصب النهر أبصروا جثة طافية فانتشلوها وعرفوها لاول وهلة . انها جثة أحد سكان القرية اسمه جوليمون ، شاب غنى وسيم الطلعة ممتلىء حيوية كثير الاختلاط يحب النساء ويبادلنه الحب . ليس فى حياته ما يحمله على الانتحار ، ولايتصور ان يكون وقع فى النهر . والجرح العميق الذى فى عنقه يشير الى أن هنالك جريمة قتل .

فما هو الباعث على القتل ؟ لقد عثروا فى جيوبه على محفظته سليمة وساعته ونقوده فى جيوبه . فالسرقة لم تكن الباعث على القتل . ان أحدا فى القرية لا يعرف له عدوا . بهذا شهد كل من سمعت اقوالهم . ولكن من الواضح ان فى الامر جريمة . فالصخور المحيطة بالمكان الذى اكتشفت به الجثة عليها آثار دماء ، مما يشير الى ان الرجل قتل فى هذا المكان ثم ألقى به فى النهر .

واذا بخطاب ــ غُفل من التوقيع ــ يصل الى المحققين . يقول مرسله : « استجوبوا الطحان سوجاريه . لقد مضت عشرة اعوام وهو يرقب جوليمون لينتقم منه . »

كان يمكن للبوليس أن يتغاضى عن مثل هذا الخطاب لان الظروف كلها تستبعد أن يكون سوجاريه هو القاتل . وكيف يتصور أن ينتظر غريم" غريمه عشر سنوات وهما يسكنان قرية واحدة قليلة السكان ؟ ولكن البوليس لا يمكن ان يغفل بحثا ــ فى جريمة قتل ــ مهما بدا خيطا رفيعا . وقاده البحث الىحكاية قديمة مضى عليها عشر سنوات . لقد وقع الاثنان فى غرام فتاة واحدة ولكن الفتاة أدارت ظهرها لسوجاريه وارتمت فى أحضان جوليمون ولكن غرامهما لم يطل فقد هجرته هو الآخر وذهبت الى باريس .

هل يتصور ان يؤدى هذا الحادث الى حقد وكراهية تدوم عشر سنين ؟ ليس ذلك بالأمر المستحيل ولكنه بعيد التصور . لقد دل التحقيق انهما فى البداية كثيرا ما تشاتما كلما تقابلا وجها لوجه ، ولكن ذلك خلاف لم يطل أمده . ومع ذلك قبض على الطحان ، وضيق المحققون عليه الخناق . ولكنه انكر باصرار وأكد انه أوى الى فراشه فى الساعة العاشرة مساء يوم الحادث . صحيح انه لم يستطع أن يثبت أقواله بشهود . ولكن ذلك حال الشخص البرىء . ان مرتكبى الجرائم هم الذين يحتاطون ويعدون من قبل وسائل دفاعهم . لقد أكد للمحققين انه لم يعلم بخبر موت غريمه مقتولا ــ ان كان قد قتل ــ الا عند الظهيرة ولم يعر الامر اهتماما . أما حكاية الفتاة اللعوب التى كانت سبب الخصومة بينهما فتلك مسألة قديمة وقد خانتهما معا ولم يعودا يفكران فى أمرها .

ثم جاء تشريح الجثة مؤيدا لاقوال سوجاريه فقد اكد الاطباء انه لا دليل قاطع على الجريمة وان الجرح الفاغر الذى وجد بعنق القتيل يمكن ان يحدث نتيجة وقوع القتيل على صخر مدبب ،

ثم انزلاق الجسم الى التيار وحشره بين الصخور حتى مات غريقا .

وافرج المحقق عن سوجاريه . ومع ذلك بقيت نقطة غامضة . فان جوليمون حين أخرج من النهر كان عاري الرأس ولا يلبس حزاما حول بنطلونه ويلبس قميصا ليس قميصه لأنه كان فضفاضا عليه ...

★ ★ ★

ومضت شهور تسعة . وذات يوم شاهد رجلان الخادمة ماري نوبليا تجري في الشارع كالمجنونة تصرخ وتقطع ملابسها وصدرها باظافرها وتريد أن تلقي بنفسها في النهر لولا ان امسكا بها . ولما هدأت ثائرتها قالت ان سوجاريه - وكانت خادمته كما يذكر القراء - في ليلة مقتل جوليمون لم يعد الى المطحن الا في الساعة الواحدة صباحا وكان في حالة هياج واضح ممزق الملابس ملوثا بالدماء . وكان يحمل خابورا حادا في أحد اطرافه القى به في النار بمجرد وصوله ، وقال لها : « لقد قضيت على جوليمون . لقد طعنته في رقبته . لقد انتظرت هذه اللحظة من عشر سنوات . » .

وسألته ماري : « واين الجثة ؟ » فقال لها : « بقرب النهر » . وطلب منها قميصا . فلما سألته لماذا ، قال لها ان قميص جوليمون ملوث بالدماء وانه ينوي أن يغيره له ويلقيه في النهر . وانها اعطته أحد قمصانه بعد ان ازالت منه العلامة الدالة عليه وانه خرج واعاد لها قميص جوليمون ملوثا فالقت به في النار .

★ ★ ★

ترى لماذا سكتت ماري نوبليا كل هذه الشهور التسعة . ذلك ان سوجاريه كان قد قطع علاقته بماري واستبدل بها احدى قريباته « فرانسواز » وقيل انه اعتزم أن يتزوجها وانها اصبحت عشيقته منذ الليلة الاولى التي وصلت الى المطحن . ولكن ماري لم تتقبل هذا الوضع بسهولة . انها فتاة قوية الارادة نافرة عنيدة .

وكانت كلما قابلت عشيقها السابق تحذره وتقول له انها لن تغفر له هجرانها .

وادرك سوجاريه ان تهديدات ماري ليست فارغة . ففقد اتزانه وارتكب الغلطة التي ما كان له أن يقع فيها . فقد اعترف لعشيقته الجديدة فرانسواز بجريمته . وهكذا اصبح مهددا من امرأتين بدلا من واحدة . وفقد اعصابه ذات ليلة فحاول الانتحار شنقا ولكن فرانسواز انقذته في اللحظة الاخيرة وقطعت الحبل .

وعرفت ماري بما حدث وأدركت ان سوجاريه اعترافا منه بجميل فرانسواز لن يتردد في أن يتزوجها ، وعندها تنتقل ملكية المطحن وجميع ثروة سوجاريه الى غريمتها . فانذرته انذارا قاطعا : « اما أن يطرد فرانسواز ويعيدها هي الى منزله ، والا عرف وكيل النيابة ان جوليمون لم يمت غرقا . » .

وتوالي ماري نوبليا اعترافها امام وكيل النيابة فتقول، انه أراد أن يضع نهاية لتهديداتها ويتخلص من خطورة السر الذي افضى به اليها فقال لها :

- ان كنت تريدين أن اتخلص من فرانسواز فساعديني . فتلك هي رغبتي . انك تعلمين انني لا أحب أحدا غيرك ولم أحب سواك .

- ولكنك طردتني ؟

- في لحظة جنون كما يحدث لنا جميعا .

- وما العمل اذا ؟

- يجب أن تختفي فرانسواز . سوف أعد كل شيء . فان كنت شجاعة فلا تتركيني اعمل لوحدي .

★ ★ ★

واستمر اسبوعا كاملا يقابل ماري يوميا ويبثها حبه ويسكرها بغزله ويسيطر عليها بقبلاته حتى استجابت له . واحضر لها يوما حبلا وعلمها كيف تعقده ، ثم قال لها سوف تخنقها غدا فتعالي الى المطحن وسافتح للكباب غرفتها .

وفي الغد - وكان يوم احد - ذهبت ماري الى الكنيسة وصلت بحرارة ثم اتجهت الى المطحن . ووجدت سوجاريه في انتظارها وفتح لها الباب ثم صعد معها الى الدور الاول ، واشار لها على باب نصف مفتوح وقال لها : « عليك بها »

ووجدت ماري فرانسواز عارية تسرح شعرها فهجمت عليها ووضعت الحبل حول عنقها وسقطت فرانسواز من طولها وصرخت ولكن ماري ضغطت

على الحبل وداست عليها باقدامها بوحشية وبكل قوتها ودخل سوجاريه في هذه اللحظة يحمل بلطتين صغيرتين وقال لها : « يجب القضاء عليها »

فاخذت ماري احدى البلطتين . ومزق العاشقان وجه الضحيةوصدرها ودفعا بالجثة نحو الباب . ثم قال لها سوجاريه ساعديني لانزالها الى القبو وساقوم بدفنها بالليل . امسكي بالقدمين .

وعندها حدث ما لم يكن يتوقع . ان منظر غريمتها ، وقد تشوه وجهها ، أصابها برعشة وانقباض مفاجيء وظهرت لها فظاعة جريمتهـا . فركعت امام الجثة وصلت صلاة الاموات وانفجرت تسب عشيقها وشريكها في الجريمة ، ثم خرجت تجري كالمجنونة تريد ان تلقى بنفسها في النهر .

* * *

وامام محكمة الجنايات اتهمت ماري عشيقها بثلاث جنايات أخرى . وقالت انه اغتصبها وهي قاصر ، وانها حملت منه ثـلاث مرات ، وكـان يجهضها . مستعينا باحدى الدايات التيتوفيت. ولكن سوجاريه لم يضعف امام التهم الفظيعة التي وجهتها اليه خادمته القديمة كما يحلو له ان يسميها .. فهي لم تكن في يوم من الايام عشيقته وانكر ان له يدا في قتل جوليمون أو فرانسواز . فقد قتلتها ماري بتاثير الغيرة بينما كان هو في الغابة ينصب فخاخا لصيد السناجيب ، وقال انه لا يدري ان كان احد قد رآه لانه ــ هو ــ لم ير احدا . اما عن حوادث الاجهاض المدعى به فلا علم له بها لأن ماري لم تكن عشيقته في اى وقت .

وكانت كذبة ضخمة كبيرة احدثت حركة بين الموجودين وهبت ماري تصرخ وتقسم انها لم تكذب وانها تستاهل أن تحرق في نار جهنم ان كانت تتهم بريئا . وقال سوجاريه انه بريء بريء .

وكان الشهود في مجموعهم ضد المتهم . فاخو القتيل اكد كراهية المتهم لاخيه ومحاولته القاءه في النهر . وشهدت فتاتان بان ماري ذكرت لهما مرتين انها حامل ، وشهدت امراة عجوز انها التي باعت لها (واشارت باصبعها الى ماري) الحبل. حتى انها قالتلي انه ــ اى الحبل ــ لربط خيول في الاسطبل تعض بعضها ، وسالت ان كان الحبل متينا لا ينقطع تحت شد الخيول ، وانها لم تر سوجاريه اطلاقا ولا تعرفه .

واستغل الدفاعهذه الشهادة لصالحسوجاريه. ولكن الشهـود الذين حضروا الى المطحن عقب الامساك بماري ومنعها من الانتحار وجدوا فعلا بجوار الجثة بلطتين . فان كانت ماري هي التي قتلت وحدها فما حاجتها لبلطتين ؟ .. اضف الى ذلك ان سوجاريه اثناء اعتقاله كتب الـى ماري معاتبا يقول في احد خطاباته الذى وصل الى المحقق بدلا من ماري : « انك تسعين للقضاء عليّ وانا « الذي كنت أريد أن أعيدك اليّ ». وحين علم ان خطابه وقع في يد المحقق فقد الامل وحاول أن ينتحر شنقا داخل زنزانته .

ومع ذلك بقي متمسكا بدفاعه .. لقد قتلت ماري فرانسواز ليخلو لها الجو ، وهي تتهمه بالجريمة الأولى انتقاما من طرده لها . ولا يتصور أن يحمل ماري على أن تتخلص من حملها منه ــ ان صح قولها ــ مع ان امنيته كانت ان يرزق بوريث ولم يكن ما يحول دون زواجه منها . ثم كيف يتصور ان يعترف لها بقتل جوليمون وهو الذى كان معتزما أن يطردها من خدمته . وكيف ينتظر عشر سنوات لقتل جوليمون مع ان الفرص سنحت له بدل المرة ألف مرة ؟ وكيف يلبسه قميصه بعد قتله ؟ وهكذا وهكـذا يجد طوال المحاكمة ردا على كل حجة للاتهام .

واقتنع المحلفون بحججه بالنسبة لقتل جوليمون ولكنهم ادانوه في جناية قتل فرانسواز وفي جرائم اجهاض ماري ، وحكموا عليه بالاشغال الشاقة المؤبدة ، اما ماري فمنحوها ظروفا مخففة انزلت عقوبتها الى اثنى عشر سنة .

★ ★ ★

كيف يمكن التوفيق بين عناصر هذا الحكم ؟ ان كان سوجاريه لم يقتل جوليمون كما يقول الحكم . فبماذا يعلل الحكم قتله لفرانسـواز ؟ وكيف يعترف لماري بجريمة لم يرتكبها ويعترف ايضا لفرانسواز على حد ادعاء ماري ؟

هل تكون أقوال ماري مجرد هستريا امراة غيورة حقودة اعتزمت الانتقام من رجل لم يعد يحبها ؟

ان من النادر أن ينكر المجرم ويمتد انكاره الى اكثر من الجريمة التي اتهم فيها . ان انكـار سوجاريه لجريمتي القتل مفهوم ، وان يمتد

انكاره الى جرائم الاجهاض فمفهوم أيضا اما ان ينكر انه كان عشيقا لماري فذلك يخرج عن نطاق الانكار المعروف . ولذلك يرى أحد علماء النفس الذين درسوا القضية انه اميل الى تصديق سوجاريه. يؤيده في ذلك محاولة سوجاريه الانتحار مرتين مما يدل على انه ليس الرجل الصلب القادر على ارتكاب جنايتي قتل .

اما ماري فامرها عجب . ان تصرفاتها تدل على ارادة قوية واعصاب من حديد. فحين يوقظها سيدها في منتصف الليل ويفضي اليها بجريمته(!) ويطلب منها قميصا يلبسه للقتيل ويخلع ملابسه الملوثة بالدماء ويحرقها فانها لا تنزعج ولا تتردد بل تعاونه .

وحين يستبدل عشيقها بها فتاة اخرى فانها لا تبكي بل تعمل وتخضع سوجاريه لارادتها ، فيضعف ويطلب منها ان تساعده ، فلا تتردد ولا تتراجع . فهي التى تشترى الحبل وهي التي تضعه حول عنق فرانسواز وهى التى تخنقها . بينما يهرب سوجاريه او على حد قول ماري يذهب ليحضر البلطتين . انما الثابت انه لم يكن موجودا اثناء ارتكاب الجريمة . وانما يتدخل (ان كان قد تدخل) ليقضي على جثة . فهل يتصور ان تنهار هذه الارادة القوية بعد ان تتم الجريمة . لا . ان كل ما فعلته ماري من هروب وصراخ في الشارع ومحاولة انتحار تمثيل في تمثيل . بدافع الانتقام .

وبعد خمسين عاما من ارتكاب هذه الجريمة تولى أحد كبار الاطباء الشرعيين العالميين دراستها وانتهى به البحث الى ان ماري لم تكن عشيقة سوجاريه وانما عشيقة جوليمون وانها حملت منه ، واجهضت نفسها ثلاث مرات ثم راودتها فكرة الزواج من سوجاريه لثرئه ، فدبرت قتل جوليمون وقتل فرانسواز ،فلما لم تحقق اطماعها ارادت الانتقام منه .

اين الحقيقة واين الخيال في كل هذا ؟ من يدري ؟

■■

حسن الجداوى

اعتذار جميل

● بعث زياد بن ابيه الى معاوية برجل من بني تميم كان من أهل الفتنة ، فلما مثل بين يديه قال له معاوية : انت القائم علينا ، المكثر لعدونا . قال : يا امير المؤمنين انما كانت فتنة عمّ عماها ، واظلم دُجاها ، ورجع فيها الوضيع ، وخف الحليم والرفيع ، فاحتدمت واكلت علينا وشربت ، حتى اذا انحسرت ظلماؤها وانكشفت غطاؤها ، ارتفع العبوس وثابت النفوس ، فتركنا وعرفنا خليفتنا ، ومن يجد متابا ، لم يرد الله به عقابا ، ومن يستغفر الله يجد الله توابا غفورا رحيما . فعجب معاوية من فصاحته وجميل اعتذاره ، وعفا عنه واحسن اليه .



اختبارات الحمل البولية

● تزوجت منذ عدة اشهر وقد انقطع عني الحيض فجأة في الشهر الماضي وبعد عدة أسابيع من القلق والشك حللت البول لدى احد المختصين الذي اخبرني باني حامل ، فما هو هذا الشيء الذي يدل على الحمل في البول ، وما هي الاختبارات التي اجروها ؟

ـ أثناء الحمل تفرز مادة معينة في البول تشبه هرمون الغدة الكظرية (الغدة فوق الكلية Suprarenal Gland) ولكنها تنشأ من المشيمة الموجودة داخل الرحم اثناء الحمل ، وهذه المادة اسمها كوريونيك جونادوتروفين Chorionic Gonadotrophin ، ووجودها في البول يدل على وجود الحمل ، وهي تظهر في البول ابتداء من اليوم الثامن بعد اختفاء أول عادة شهرية في مبدأ الحمل ، اي والحمل اقل من شهر ، وتبلغ ذروتها ما بين اليوم الخمسين والستين من الحمل (من شهر ونصف الى شهرين) ثم تهبط في اليوم الثمانين وتظل على هذا المستوى لتختفي من البول قبل الولادة بعدة ايام واثناء النفاس يدل وجودها في البول على احتباس جزء من المشيمة داخل الرحم كما انها تختفي اذا مات الجنين في الرحم .

وهناك طرق عديدة تتبع للكشف عن هذه المادة في البول وذلك بواسطة حقن البول في انواع معينة من الضفادع ذات وزن وعمر معين ، فاذا كانت ضفدعا انثى ظهرت حويصلات دامية Bleeding Cysts في مبيضها ، واذا كان ضفدعا ذكرا افرز حيوانات منوية ، كما تحقن هذه المادة في بعض الأرانب الأنثى المبعدة عن الذكر لمدة طويلة ، ثم يكشف على مبايضها لوجود هذه الحويصلات الدامية اذا كانت المراة حاملا ، وهذه الاختبارات تعطي نتائج ايجابية أو سلبية خلال وقت يتراوح من ٤٨ ساعة الى ٢٤ ساعة الى ٦ ساعات . وقد استبدلت هذه الاختبارات البيولوجية المعقدة الباهظة التكاليف الى اختبارات أخرى اقل تكلفة وتعقيدا وأسرع في اظهار النتائج وهي تعتمد على نظرية الحصانة والمناعة المكتسبة ، وذلك باستعمال لقاح معين من أرانب حقنت ببول حامل + كريات دموية حمراء لخراف مغطاة بمادة الكوريونيك جونادوتروفين التي سبق الاشارة اليها (HCG) + بول الحامل . ويعطي هذا الاختبار اجابة دقيقة خلال ساعتين وقد تصل نتائجها الى ١٠٠ ٪ من الصحة .



بقع حمراء على الوجه

● انا فتاة في السابعة عشرة من عمري اصبت بانفلونزا مع ارتفاع في درجة الحرارة منذ اسبوع ومنذ يومين ظهرت على وجهي بقع حمراء وعليها بعض الحبوب الصغيرة وخاصة حول الفم والانف مما شوه وجهي .

ـ ان ما ظهر على الوجه بعد الانفلونزا هو ما يسمى العقبول البسيط Herpez Simplex وهو كثير الحدوث مع نزلات البرد والانفلونزا والالتهابات الصدرية والرئوية وهو نتيجة لاصابة الجلد بفيروس Virus ، مما يؤدى الى ظهور بقع حمراء مع شعور الشخص بتورم ووجع في هذه المنطقة ولا يلبث ان يظهر عليها بثور صغيرة مائية او صديدية وهى تحدث على جانبى الفم والانف وقد تمتد الى الجفون مما يؤدى الى ورم في هذه المناطق علاوة على الشعور بعدم الارتياح المصاحب لهذه البقع .

وتبقى هذه البقع حوالى خمسة الى سبعة ايام لا تلبث البثور أن تجف وتصبح قشورا ثم تجف المنطقة وتزول ولا تترك مكانها اى اثر .

وعلاج هذه الحالة هو علاج الانفلونزا مع وضع غسول برمنجانات البوتاسيوم بتركيز ١/٥٠٠٠ ك « كمادة » لمدة عشر دقائق ثم يدهن المكان بالمكروكروم ٢٪ وذلك في الصباح وبعد الظهر . وفي المساء يدهن بمرهم اوورمايسين أو التراميسين ٣٪ .

واحب ان انبه الى عدم ازالة القشور المتكونة بل تترك لتزول مع العلاج حتى لا تترك مكانها علامة .

وعلى كل حال فيجب عمل كل هذا تحت اشراف الطبيب .

الدم في البول أو البول المدمم



● اشكو من حرقان البول وتغير لونه ولما حللت البول لدى احد المختصين اخبرني ان في بولى دما ، وانه يجدر بى ان اعرض نفسي على اخصائى مسالك بولية ، فما هى هذه الحالة وما علاجها ؟

ـ وجود الدم في البول له أسباب كثيرة من اهمها الآتى :

١ ـ الحوادث التى تؤدى الى اصابة الكلية او المثانة او الحالب او قناة مجرى البول كحوادث السيارات والرصاص والضربات المباشرة والجراح النافذة .

٢ ـ اثناء العمليات الجراحية واستعمال « الجفت » لاستخراج الجنين في الولادات الصعبة قد يجرح الحالب او يثقب قناة مجرى البول .

٣ ـ بعض الأمراض الخلقية كالكلية الحوصلية وبعض الأورام Neoplasm التى تصيب الجهاز البولى كسرطان الكلية واورام المثانة عنقودية كانت او سرطانية .

٤ ـ الالتهابات : مثل التهاب الكلية الحاد والمزمن .



اصفرار الوجه ..
هل يعني المرض .. ؟!

● أعاني من اصفرار وجهي. فهل معنى هذا انني مريض .. وما الذى يدل عليه هذا الاصفرار ؟ .

ـ ان ميل الوجه الى الاصفرار ليس معناه ان صاحبه يكون مريضا ، والدليل على ذلك اصفرار بشرة الصينيين واليابانيين وغيرهم . ولكن هناك امراض تكون مصحوبة باصفرار فى لون الجلد ، مع حدوث اعراض اخرى لمثل هذه الأمراض .

ـ مرض التهاب الكبد الفيروسي ، او انسداد فى مجرى الصفراء التي تخرج من الكبد، وتجمعها في الدم ، وصبغ جلد المريض وبياض عينيه باللون الاصفر .

ـ فقر الدم الشديد يكون مصحوبا بشحوب الوجه وميله الى اللون الأصفر .

ـ مرض تكسر الكرات الدموية الحمراء .

ـ مرض التهاب الكلى المزمن وما يصحبه من شحوب فى الوجه .

ـ مرض ارتفاع ضغط الدم الشديد ، يكون مصحوبا بشحوب الوجه وميله الى الاصفرار .

وهناك امراض اخرى عديدة تكون مصحوبة بشحوب فى الوجه مع ميل الى الاصفرار . ولكن كما قلت لكل مرض اعراضه المختلفة . ويمكن معرفته بهذه الاعراض او **الفحوصات المختلفة** .

ولا احب ان اطيل على السائل بذكر اعراض كل مرض ، لكى لا يتوهم انه يعانى من ذاك المرض . وانصح السائل بزيارة واحدة لطبيبه ليتاكد من خلوه من من اى مرض عضوى ، وليرتاح نفسا ويطمئن بالا . فليس اقسى على الانسان من توهم الأمراض ، والاندفاع فى تيارها ، وسماع اقوال الناس عن معرفتهم المحدودة . بل وفى بعض الاحيان الخاطئة عن الأمراض المختلفة .

---

٥ ـ الطفيليات مثل البلهارسيا وهى من اهم الاسباب في مناطق كثيرة من العالم .

٦ ـ حصو الكلى وتوسع حوض الكلية والحالب بسبب ضيق في المجرى Stenosis او ورم ضاغط على المجرى من الخارج لتضخم البروستاتا .

وكيفية وجود الدم في البول تختلف باختلاف السبب . ففى البهارسيا مثلا يشعر المريض بحرقان شديد وبنزول عدة نقط من الدم في نهاية البول ، اما في حالات الأورام العنقودية فينزل دم كثير وبدون الم ، وفي حالة التهاب الكلية الحاد يكون لون البول بنيا او مدخنا وفي حالات حصو الكلى يكون الدم ميكروسكوبيا .

وعلاج الدم في البول يكون بعلاج السبب كما اسلفنا ، اما حالتك فقد يكون سببها التهابا في المجارى البولية او طفيليات مثل البلهارسيا وعلاجهما مختلف . فالالتهاب يعالج بالمضادات الحيوية المناسبة اما بلهارسيا البول فتعالج بامبولات فؤادين Foadin تعطى على هيئة كورس كامل يبلغ حوالى ١٢ امبولة وتكون تحت اشراف طبيب مختص . واخيرا عليك بطبيبك المعالج .



قصة

القُربان

من تأليف : نرجس دلال

العربة تسير ناشرة ضوضاءها فوق الطريق المرسوم المغطى بالحصى .. وكانت طبقة من التراب الرمادى تبطّن أجنحة العربة الفاخرة وغطاءها وسائر أجزائها تلك التى كانت تتلألأ منذ قليل . ومن كل جهة ، كانت الحقول الجرداء القاحلة تمتد فى أخاديد متكلسة حتى سفوح الجبال التى تتوجها ضبابة حارة، خفيفةمائلة الى الزرقة مثل الدخان.

وكان السيد « تريانا » ، وهو ملتصق بالوسائد، لا يغفل عن لمحة طفيفة من البقعة . لقد قام بالرحلة لكي يرى بلاد الهند ، وكان قد وطد العزم تماما على أن ينال منها كل ما يستطيع مقابل نقوده . لقد رأى المراعي الغنيـة والروابي الخضراء فى الشمال ، ومزارع الشاى فوق المنحدرات . وقام بزيارة بعض المعابد والأطلال ، وبعض السدود التي أقيمت منذ عهد حديث . أمّا الآن ، فهو يرغب فى زيارة المنطقة التي تجتاحها المجاعة . كان يلزمه بعض الصور التي تمثل بعض النساء الهزيلات ، ذوات الأثداء الخاوية التي تتدلى مثل القرب ، والأطفال ذوى الاعضاء الهزيلة والبطون المنتفخة بطريقة بشعة . هذه الصور سينشرها فى جريدته ،



بمجرد عودته . وسيكون من شأن هذا العمل أن يثير القراء .

أما ركاب العربة الآخرون ، فكان لا يبدو عليهم كثيرا أنهم يقاسمونه حماسته . ولكن هذا الامر لم يكن يعكر صفو السيد « تريانا » على الاطلاق ، فلا شيء يمكن أن يحوله عن غرضه . ومن خلال النوافذ الزجاجية المغلقة ، كانت الحرارة تنقض عليهم بشدة لا تكاد تطاق . وكانت الاتربة تنفذ من بعض الشقوق الخفية فتعفر الجلد الفخم الذى يكسو المقاعد .

وراحت صفرى المرآتين تجفف جبينها وتسترخي فوق الوسائد . كان وجهها أملس نضيرا على الرغم من الارهاق الذى كان يحفر التجاويف في ملامحها . وكان لها شعر أسمر ،وعينان يترافص فيهما فيض من الاشعة الذهبية . ربما كانت في الثلاثين من عمرها . أما الأخرى ، وهي الاكبر ، فقد كانت شقيقة السيد « تريانا » ، وكانت مسترخية في أحد الاركان ، متجهمة الوجه ، فاغرة الفم . وكانت تنام نوما عسيرا . وقد تعفر شعرها ووجهها

وعيناها . وكان يلوح عليها ، انها لا تدرك شيئا مما حولها .

اما السائق فقد كان شابا هندوكيا ذا رسغين رفيعين مرنين ، وكانت يداه الرقيقتان تأخذان مكانهما فى يسر فوق عجلة القيادة فى تلك العربة الضخمة وتوجهانها دون جهد واضح . كان هذا السائق هو الشخص الوحيد الذى لا يعاني من حرارة الجو . كان ضابطا سابقا فى القوات البرية، وهو « معار للسيد تريانا » طوال فترة الرحلة ، وكان يقوم فى نفس الوقت بدور المرشد والمساعد . كان لا يفتح فمه على الاطلاق ، اللهم الا ليشير فى عبارات موجزة الى المواقع المثيرة التي يمرون بها .

ومال عليه السيد « تريانا » قائلا :

ـ اسمع ، يا « بريتام » ، ابحث لنا عن ركن نستطيع أن نتوقف فيه للغداء ، فبي رغبة أن اتناول بعض الطعام .

ودون أن يحول عينيه عن الطريق ، اوما بريتام بحركة من راسه اشارة بانه قد سمع .

وتكدر السيد « تريانا » . لم يكن يحب الهندوكيين ، وخصوصا الصموتين منهم . كان شخصا يميل الى الثرثرة ، قصير القامة ضخم الجسم ، ذا عضلات قوية ثقيلة ،وكان يجاهر باعلان اصله الاوروبي ويلوح بجواز سفره ليؤكدمزاعمه ولكن كان هناك خطأ فى مكان ما ، ولم يكن جواز السفر الذى يحمله السيد « تريانا » ليحول دون ان تكون بشرته فى مثل دكنة بشرة « بريتام » ، وان تكون له عينان صغيرتان سوداوان براقتان ، وشعر طويل أسود ، يلمع من فعل البريانتين . وكما يفعل الاشخاص الذين ينحدرون من اصل مشكوك فيه ، كان عليه دائما أن يعود الى طرق هذا الموضوع . فما اشد الحنين الذى كان يخالجه وهو يتحدث عن « وطنه » وتفوقه على غيره من الامم . وبنفس شعور الازدراء ، كان يجمع بين سائر الاجناس الملونة . ان ذوى البشرة الصفراء والنحاسية والابنوسية ، هؤلاء الناس ، فى رايه ، ليسوا سوى زنوج . وكان ينتقد كل ما يراه فى لهجة لاذعة . وكان الخراب والجدب اللذان يسودان القرى التي يمرون خلالها يملآنه غبطة خبيثة ، ومن وقت لآخر كان يفرك يديه وهو بادى السعادة. وربما كان يتصور وهو يحشر نفسه فى زمرة الاوروبيين ، ان باستطاعته أن يغير من لون بشرته او شكل عينيه .

وكان « بريتام » الضابط السابق بسلاح المدفعية ، يتساءل ساخرا عما يمكن أن يكون مسقط راس السيد « تريانا » . من المحتمل ان يكون ولد تحت سماء فى مثل زرقة هذه السماء ، وفى مناخ اشد حرارة من هذا المناخ . ولكن ، لما كان « بريتام » يتمتع بدماثة الخلق ، فقد كان يحرص على ان يكون موقفه سليما تماما ، دون أن يدع فرصة للتكهن بمدى ما كان يجده فى مظاهر تعاظم السيد « تريانا » من لهو وتسلية .

وانحرفت العربة الضخمة ، وخرجت عن الطريق لتبلغ تلا كان يبدو ، من بعيد ، وكانه كومة قبيحة من الحجارة . لقد اكتشفوا مبنى مهجورا يمكن على اقل تقدير ، أن يجد المرء بداخله ملاذا من حرارة الجو ويعثر فيه على شيء من الطراوة .

فخرجوا من العربة يتمطون فى تلذذ واستمتاع ، وتثاءبت الفتاة ، ورفعت ذراعيها فوق راسها كقط صغير كسول . واذا بالسيد « تريانا » الذى كان لايفارقها بعينيه ، يمرر طرف لسانه على شفتيه السميكتين ، ويقترب من الفتاة ، ويمسك بين اصابعه الضخمة ذراعها العارية .

وقال بلهجة مازحة :

ـ اجلسي فى الظل يا « هلين » .

وقرصها من ذراعها ، ليمازحها .

ـ كيف تصبح اذا أصابتك ضربة شمس ، هيه ؟

وابتعدت الفتاة عنه فى برود . ودخلت المبنى خلف السيدة الاخرى . لم تكن تحب السيد « تريانا » . وكان وضعها كمصاحبة للسيدة « جوردان » شقيقة السيد « تريانا » يحتم عليها ان تتحمل كثيرا من الأمور التي لاتروقها ، ولكن الوقت كان قد فات للندم على ذلك .

وتوقفت خلفهم عربة نقل صغيرة كانت تتبعهم على مسافة كافية ، ونزل منها خادمان . فاخرجا من العربة سلالا ، وبسطا فراشا ، واعدا المائدة فى حرص ومهارة ينمان عن خدم مهذبين مدربين .

اما السيدة « جوردان » ، التي ظلت اثناء كل هذه الاستعدادات لاتنطق بكلمة واحدة ، فقد كانت تتامل الغداء بعين نهمة . ومدت الى كومة « الشطائر » يدا غير صبورة خرقاء ، وشرعت تأكل فى شره .

كانت « هيلين » ترقبها بشعور من الشفقة الممتزجة بالاشمئزاز . وكان « بريتام » ينتحي جانبا بعض الشيء ، ويبدو على سجيته تماما في قميصه الأزرق ذى الياقة المفتوحة ، وعلى وجهه ، ذلك التعبير الذى كان يلازمه دائما والذى ينم عن البرود والتباعد كما لو كان يرجو ان يضع حاجزا بينه وبينهم .

كان السيد « تريانا » لا يكف عن اثارته طوال فترة الرحلة باسرها ، فيضايقه بالملاحظات المحرجة عن عادات الشعب الهندوكي ومعتقداته . ولكن « بريتام » ظل ثابت الجنان لايتاثر، وكان موقفه يثير حيرة « هيلين » ، فتارة كانت تغتاظ من عدم اكتراثه ، وتارة كانت تعجب لمثل هذا الضبط للنفس الذى لا يمكن تصوره . وأدّى هدوء « بريتام » في النهاية الى اثارة سخط السيد « تريانا » الذى صاح قائلا في ازدراء :

ــ بلد رائع . يمكن أن نقول انكم ناضجون للتمتع بالاستقلال ! او بتعبير آخر ، يمكن نقول ان من حقكم أن تموتوا من الجوع في سلام . دون أن يأتي احد للتدخل في شئونكم . **فمكث « بريتام » صامتا . وانتابت السيد « تريانا » نوبة حنق بارد . كان قد قرر العزم على عمل كل شيء في سبيل الحصول على جواب . كان يريد أن يرى الغضب وهو يقلص هذا القناع الذى لا يمكن النفاذ منه ، ويلون هذه البشرة الرقيقة ، ويشعل الشرر في هاتين العينين اللتين كان هدوؤهما اسوأ من الاهانة . وطوح بذراعه في اتجاه القرية القاحلة ، في اتجاه الأرض التى كانت تتشقق من الجفاف تحت الشمس وهو يقول :**

ــ فيضانات ، مجاعات ، فساد ، رشوة ، زيادة في السكان ، ميزانية جميلة ، أليس كذلك ؟ منذ أن رحلنا عن هذا البلد ، لم يظهر فيه شخص يستطيع أن يفرض أقل قدر من النظام ، فبدلا عن الحكومة الحكيمة ليس لديكم سوى الثرثرة الفارغة التي يقوم بها بعض السياسيين الذين اسكرتهم نشوة السلطان . كيف تجرؤون على حضور جلسات مجلس الأمن ؟ كيف تتأتي لكم القحة لتقدموا للعالم ارشادات وتوجيهات ــ انتم يا من تتخبلون في ابشع الوان الفوضى ؟ يالها من وقاحة لا تطاق تلك التى تدفع الناس الى الرغبة في اسداء النصح واقامة النظام ، في حين انهم لا يعرفون كيف ينظمون انفسهم !

لمحة برق ، ولاح ان « بريتام » يهم بالانقضاض على السيد « تريانا » ، ويمسكه من عنقه باصابعه الطويلة ، ويضغط بكل قواه ، ولكن سرعان ما ارتخت يداه المتقلصتان . وقال :

ــ أظن أن وقت الرحيل قد حان ، اذا اردنا أن نصل الشاليه قبل حلول الليل .

كانت السيدة « جوردان » تتطلع بالتوالي الى الرجلين . وكان القلق يرسم على وجهها تعبيرا اكثر بلاهة من المعتاد . فقالت كيفما اتفق ، وبلهجة تنم عن الرغبة في التوفيق والمصالحة :

ــ يا سيد « بريتام » أليس لديك شيء مثير تريد أن تطلعنا عليه بخصوص هذا المبنى ؟

فتطلع اليها « بريتام » وابتسم قائلا :

ــ انه ليس سوى حصن قديم بلا تاريخ . ولكن القرى المجاورة لديها عادة جديرة بالذكر ، وهي أن السكان كانوا قد اعتادوا أن يقدموا قرابين من البشر الى اله المطر . أما في أيامنا هذه ، فان القانون ، طبعا ، يحرم هذه العادات ، ولكن كثيرا من الفلاحين في الناحية يعتقدون اعتقادا راسخا أنهم ما كانوا يواجهون هذه المجاعة لو كانوا قد قدموا الى الاله قربانا .

فاطلقت السيد « جوردان » صيحة ضعيفة ، ينم شطرها عن الاثارة وشطرها الآخر عن الرعب .

ــ تعنى أنهم كانوا يتقربون الى الاله بمخلوقات بشرية ؟ **واردفت هيلين :**

ــ يا الهى ، ليس هذا معقولا !

فهز « بريتام » كتفيه ، بينما كان يدخل الى عجلة القيادة وهو يقول :

ــ عجبا ، ليست هذه سوى وسيلة مختلفة في مواجهة الامور . انهم يضحون بكائن بشرى لينقذوا حياة المئات من المخلوقات البشرية . فنحن هنا نرى أن من البشاعة ارسال الناس الى بلد أجنبي ، في مهمة قتل أناس آخرين لا يكنون لهم أي عداء . ثم ان هذه العادة بَلِيت من زمن بعيد .

فصرخ السيد « تريانا » بلهجة غاضبة :

ــ هل تتطاول فتقارن الشعائر الهمجية التى

تؤديها قبيلة جاهلة لا تعرف الألف من الباء بالحملات التي تنظم تنظيما دقيقا في الحروب الحديثة .

فقال « بريتام » وقد فاض به : « ها هو ذا بعيد الكرة » .

كانت العربة تسير في بطء فوق الطريق المرسوم. يا للثلاثة الرائعة ! ربما لا تواتيه الفرصة بعد ذلك ليقود عربة في مثل هذه الروعة والمرونة . وراح ، وهو متقلص الجبين ، يركز كل اهتمامه على الطريق . بحق السماء ، ترى ماذا سيتسنى لهذا الانسان المترهل أن ينشر في جريدته ؟

كانت الحقول العارية التي الهبتها الشمس ، تتابع في خط واحد على مدى البصر . ومن بعيد الى بعيد ، يظهر هيكل شجرة ، منفردة ، تمد الى السماء اغصانها ، ومجموعات صغيرة من الاكواخ المتناثرة خلال تلك المساحات المترامية الموحشة ، لا نفس بشرية تقع عليها العين . فيبدو انه لم يحدث لمخلوق حي انه خاطر بالتوغل في هذه الصحراء .

واخيرا بلغوا « الشالية » . وعند عتبة المظلة ، ظهر رجل كهل بادي النعاس وراح في بلاهة يتأمل العربة الضخمة وركابها . كان الشاليه نموذجا للمسكن الكلاسيكي : أثاث عتيق تغطيه الأتربة ، نسيج العنكبوت ، حشيات يسمع صرير زنابكها المحطمة . وسرعان ما ظهرت العربة الثانية ، فقام الخدم بنصب أسرة المعسكرات ونشر الملاءات النظيفة ، وذلك قبل أن يشرعوا في الترتيبات الخاصة بوجبة المساء .

وحضر الى المكان بعض الأهالي الشاحبين ، النحاف ، يرتدون خرقا بالية ، قد جذبتهم أنوار المصابيح والضوضاء والروحات والغدوات غير العادية ، فكانوا يحومون حول الشاليه . كانت « هيلين » أول من رآهم ، فاطلقت صيحة قصيرة لتخطر رفاقها . فلمحوا بعض الأطفال ، كائنات صغيرة تثير الشفقة ، وكانت أعضاء اجسامهم على قدر بالغ من النحافة ، وبطونهم ضخمة . وكانوا يتأملون الغرباء بنظرة ثابتة ، لا تنطق بشيء ، من عيون واسعة في وجوهم التي ذوى بهاؤها .

فتمتمت « هيلين » وقد غص حلقها :

ـ اوه ! بالاطفال المساكين !

اما السيد « تريانا » فكان يفرك يديه وقد بدا عليه الافتتان :

ـ اعتقد تماما انني سأحصل على بعض الصور المثيرة .

ثم قال وهو يلتفت نحو « بريتام » :

اخبرهم انني أريد أن يحضروا غدا لتلتقط لهم بعض الصور الفوتوغرافية وقل لهم أن يحضروا لي أشد النساء نحافة في المنطقة ، اولئك اللائي يعطين حقا الاحساس بالموت جوعا ، انت تدرك ما أعني . والأطفال الصغار أيضا . قل لهم انني سامنحهم بقشيشا طيبا .

ونطق « بريتام » ببعض الألفاظ السريعة مخاطبا أكبر الرجال سنا . ثم حطت نظرة الكهل على السيد « تريانا » ، وظل يتأمله محدقا به طيلة لحظات عديدة . فاضطرب السيد «تريانا» وقال :

ـ ماذا أصابه ؟ لم يفهم ، أم ماذا ؟

فدمدم المواطن بشيء ما « لبريتام » وقام هذا الاخير بترجمة الاجابة :

ـ صباح غد ، عند شروق الشمس ، ستذهب الى أكواخهم ، وسيعرض عليك هؤلاء القوم كل ما تحب أن تراه . هل تحب أن توجه أسئلة أخرى ؟

فاردف « تريانا » بلهجة جذلة :

قل لهم انني أحب ان أشهد عملية تقديم قربان بشرى .

ثم اطلق قهقهة صاخبة .

ورمقه « بريتام » في صمت ، فراحت ضحكة السيد « تريانا » تخمد في حلقه وتتلاشى ، واختفى الأهالي ، بعضهم في اثر البعض في طيات الظلام .

ولما كان العشاء معدا ، فقد اتخذ افراد الجماعة الصغيرة اماكنهم الى المائدة . وجبة ممتازة ،

كانت بمثابة تشريف لصناعة الاغذية المحفوظة . ثم تناولوا بعد ذلك قهوة مسكرة باللبن .

كانت « هيلين » تأكل بطرف شفتيها . وعندما رفعت عينيها ، لاحظت ان « بربتام » لم يمس اى طبق من الاطباق . كان يحتسي قهوته في رشفات صغيرة ، غافلا عما حوله ، وقد شردت نظرته بعيدا محلقة فوق رؤوس المدعوين . كانت السيدة « جوردان » ، وقد خالجها القلق ، تقضم الطعام دون اقبال . وكانت في بعض الأحيان تلتفت ناحية النوافذ بنظرة قلقة تسائل الظلام الذى يلف الشاليه ، كما لو كانت تخشى ظهور عينين لامعتين في وجه هزيل .

اما عن السيد « تريانا » ، فقد كان يأكل بكل ارتياح ، متذوقا كل صنف ، مجففا شفتيه بمنشفة ناصعة البياض ، ملتهما كميات ضخمة من الطعام .

ومنذ مطلع الفجر ، كان على اهبة الاستعداد . وكان النهار يبشر بيوم محرق . وكانت السماء شديدة الزرقة . ومن بعيد ، الى اليمين ، كان الناظر يلمح مجموعة من الاشجار بالقرب من بئر جافة،كانت العين تعود دائما لتقع على هذا المكان ، منجذبة بطريقة لا سبيل الى مقاومتها الى هذه البقعة الخضراء . وقام السيد « تريانا » بتجهيز آلة التصوير وتثبيت سير الجلد حول عنقه .

ــ حسن ستأتى معنا « يا بريتام » .

فاجاب بريتام :

لن اذهب .

لقد خيل للناظر ان السيد « تريانا » لن يلبث أن يصاب بسكتة قلبية .

وكرر الشاب بنفس عدم الحماس :

ــ انى اتقاضى أجرى لاريك البلد . هذا هو كل ما في الأمر .

ومكث السيد « تريانا » متسمرا امامه ، وقد اخرسه الذهول واصطبغ وجهه بمسحة همود وخمود . كان الجهد الذى يبذله لكي يكتم غضبه ينفخ شرايين رقبته وصدغيه . وبدون أن ينطق بكلمة واحدة ، وضع قبعته فوق راسه وخرج وسط الضوء الباهر الذى كان يغمر السهل . فانقضت عليه الحرارة دفعة واحدة قاسية ، لا ترحم . فلم يعرها أى اهتمام . كان الحنق والسخط يهدران في داخله . وكانت الارض الوعرة تجعل سيره عسيرا صعبا . وفي الحقول : كانت المحصولات تقترب من نهاية ذبولها تحت الشمس. وكان مجرى النهر الذى تراكم فيه الرمال قد جف منذ وقت طويل . وكان السيد « تريانا » يتعثر في مشيته من وقت لآخر ويسب في هدوء من بين اسنانه . وكانت حلته الخفيفة لا تزال ثقيلة لا تتناسب مع حرارة المناخ . وكان العرق يسيل على طول جسمه ويكون بقعا مبتلة فوق سترته . وعلى مقربة من القرية اخرج منديلا مفعما بالعطر ، وجفف به وجهه .

كان ثمة رجال ونساء راقدون أمام الاكواخ ، أو على اعتاب الابواب وهم غارقون في سبات مخيف . ومنذ اول وهلة ، لم يكن من اليسير ان يميز الناظر بين الشباب منهم والشيوخ من فرط ما اصاب وجوههم من آثار العذاب والجوع . لم يأت احدهم بادنى حركة عند اقتراب السيد « تريانا » . الا أن عيونهم التى كانت تتقد من أثر الحمى ، راحت تتعلق به .

اتخذ السيد « تريانا » الطف مظهر له . كان ذلك كله من الطراز الاول حقا . كانت سحنتهم تثير الذهول . يا للصور المثيرة التى ستنشر في الجريدة ! . ومال برقة على سيدة شابة كانت منبطحة ، وهي شبه عارية في التراب . كانت تحتضن طفلا وليدا . ومال السيد « تريانا » اكثر قليلا ، وتفحص الطفل بعناية . كان ميتا . وكان لا يزال فاغرا شفتيه ، كما لو كان يصر من بعد الموت على طلب الطعام .ووضع السيد تريانا يدا غليظة فوق كتف الأم ، التى كانت بشرتها مشدودة فوق عظامها البارزة . ان كل ما كان يبغيه هو أن تخرج الأم من الظل ليلتقط لها صورة . ولكن حركته فجرت ما يشبه الصدمة الكهربائية في الجو الساخن . فتراجع خطوة الى الوراء وهو مضطرب قليلا . وتطلع الى ما حوله .

وامام الاكواخ ، كان جميع الرجال والنساء قد

نهضوا سويا منذ قليل ، في حركة واحدة مرنة ، وهم صامتون كأنهم رؤى حلم مزعج . كانت المساكن قائمة على شكل مربع لا تشغل منه سوى ثلاثة اضلاع ، وكان الضلع الرابع يمثل القرية . وتكدس بعضهم عند المخرج قاطعين بذلك خط الرجعة عليه . كانوا يتقدمون نحوه في صمت رهيب ، ووراء السيد « تريانا » عشرات من النظرات المتقدة تتسلط عليه .. نظرات تنم عن تصميم لا يُرد . كانوا دائما يقتربون ويقتربون ، ويزدادون اقترابا .

وسرت رعشة رُعْب في جميع اوصاله . وراح ، ، وقد استسلم للخوف يتراجع غريزيا حتى شعر خلفه بجدار ساخن ، فتسطح عليه . محال أن يذهب ابعد من ذلك . ومن كل الجهات حوله ، كانت ترمقه عيون قريبة بحيث ان بريقها كان يعميه ويحطمه ، عيون داكنة ، في وجوه داكنة ، غامضة ، قوية في حقيقتها الذاتية الملتهبة .

انه الآن يشتم رائحتهم . كان كأنه يترقب فناءه الذاتي ، دون أن يأتي بمجرد حركة ليدافع عن نفسه . وفتح سترته بيد مرتعدة ، واخرج من جيبه حافظة منتفخة باوراق النقد .

وتلجلج قائلا وهو ينزع حفنة من الأوراق المالية التي بسطها اليهم ـ خذوا ، خذوا هذا .

سقطت الأوراق من يده وديست بالأقدام . كان هذا الاحتقار الذى قوبل به المال هو الذى اجهز على تحطيم اعصابه ، فانهار .

ـ « النجدة » ! ، صرخ بها ، فعاد اليه صوته مهزوزا بالغ الضعف : النجدة ! النجدة ! .

العيون ، الوجوه ، كل شيء ضده . وبغتته شفرات الخناجر التي تتطاير شررا تحت الشمس . صرخة كرْبٍ ، حادة ومتصلة . وفي السماء المتصهرة شرعت العقبان تحوم ، في بطء واناة .

وفي الشاليه ، انقضى النهار في بطء . ولم يظهر السيد « تريانا » عند الغداء ، ولكنّ احدا لم يسرف في القلق . كانت قرعات الطبول الأولى هي التي أثارت في نفوسهم شعورا غامضا بعدم الارتياح .

كانت قرعات الطبول تتصاعد وسط بخار الهواء الحار نبضات بطيئة في باديء الامر ، شبه هامدة . ثم ازدادت السرعة وراحت الطبول تدوى موحشة متوثبة . وسرعان ما امتلأ الجو بهذه الاختلاجات القاهرة التي يصاحبها الترنيم الذى تردده الاصوات القوية . وبينما هم كذلك محصورون بين جدران الشاليه ، اذ بقرع الطبول الذى يزداد سرعة باستمرار يلقي في قلوبهم شعورا برعب لا يرقى اليه البيان .

وعندما قرروا الخروج بحثا عن السيد « تريانا » ، كانت الطبول الخفية ، تحاصرهم من كل مكان . كانوا يشعرون بها من خلفهم ومن امامهم ، تدق وتدق في ظفر ، في نشوة العاطفة البدائية . ولم ير احدٌ السيد « تريانا » . لقد اصطدموا بوجوه لا سبيل الى النفاذ اليها ونظرات خالية من أى تعبير . كل فرد أصيب بالعمى وبالصمم .

ان منظر الطيور السوداء التي كانت تحوم في السماء على ارتفاع قريب جدا جسدت كل مخاوفهم . فاقتربوا ، فاذا بهم يزعجون ، نحو مائة من الطيور الجارحة كانت جاثية فوق جثة السيد « تريانا » واذا كانوا قد عرفوه ، فقد كان ذلك بالكاد . فدثروه في احدى ملاءاته البيضاء ، ورفعوه الى عربة النقل الصغيرة . كانت السيدة « جوردان » تطلق انينا ضعيفا مبحوحا ، بينما كانت « هيلين » وهي بالغة الشحوب ، تتطلع في صمت الى « بريتام » كما لو كانت توشك ان توجه اليه سؤالا . ولم يفقد « بريتام » شيئا من هدوئه . واتخذ جميع التدبيرات اللازمة لرحلة العودة . وبينما كانوا يرحلون ، شرعت الأمطار في السقوط .

حبات ضخمة فاترة ، تتحول الى طوفان من المياه ينهال فوق سقف العربة مصحوبا بزمجرة الرعد .

وتطلع ثلاثتهم بعضهم الى بعض في صمت . ومن خلال دوامات المياه ، كانوا يواصلون الاستماع الى دقات الطبول المنتصرة القاهرة التي كانت تبدو وكأنها تتدفق من ذات احشاء الارض الجائعة التي بدات قوتها في تلك اللحظة تعود اليها من جديد . ■■

ترجمة : حماده ابراهيم

من الكتب التى وصلتنا

(بقية المنشور على الصفحة ١٢٣)

استراتيجية للغرب

تأليف : ف . ت . شنيدر

الناشر : ادارة الشؤون العامة والتوجيه المعنوى دمشق / سوريا

● عانى الكاتب قضايا الغرب التى يتصدى لمعالجتها في مؤلفه هذا معاناة مباشرة فقد اشترك في الحرب العالمية الاخيرة ، وعمل مدة طويلة في هيئة الأركان الفرنسية ، ومدة اطول في هيئة اركان حلف شمال الاطلسي . كما اشترك وما يزال يشترك في عدد كبير من المجالس والندوات والمؤتمرات الدولية حتى اصبح في طليعة الاختصاصيين بالشؤون العسكرية والدولية في الغرب . لذلك كان لكتابه هذا صدى كبير في القارتين الاوربية والامريكية ، ولذلك ايضا كانت العدة التى يحملها والخبرة التى اكتسبها وقد هياتاه لمعالجة موضوع « استراتيجية للغرب » تناول حاضر الغرب ومستقبله وعلاقات دوله بعضها ببعض ومواقفها بعضها من بعض كذلك العلاقات بين اوربا وامريكا والمعسكر الشرقي ثم الوحدة الاوروبية والوحدة الغربية ، وما ينبغي ان تتخذا من مواقف اذا ما تحققتا كمجابهة المعسكر الشرقي ولا سيما الشرق الاصفر على حد زعمه .

اغانينا الشعبية في الضفة الغربية من الاردن

تأليف : نمر سرحان

الناشر : منشورات دائرة الثقافة والفنون ـ وزارة الثقافة والاعلام / عمان ـ الاردن

● تتناول هذه الدراسة الاغاني الشعبية المعروفة في الضفة الغربية من المملكة الاردنية الهاشمية ، ولما كان الفولكلور من أهم المصادر لدراسة التاريخ الحقيقي للشعوب يصور حياتها العاطفية تصويرا واقعيا فان هذه الدراسة تشير الى الصلة الوثيقة بين اغاني الضفة الغربية والمناطق العربية المجاورة في الضفة الشرقية وسوريا ولبنان والجمهورية العربية المتحدة على انه فلوكلور عربي واحد يحمل الصفات المحلية جنبا الى جنب مع الصفات العربية .

فلسفة الجمال ونشاة الفنون الجميلة

تأليف : دكتور محمد علي أبو ريان

الناشر : دار المعارف / القاهرة

● يتعرض الكتاب لطائفة من المشكلات التى تعالج الظاهرة الجمالية ويتعرض لميادين تطبيقها في الفنون الجميلة على مختلف صورها بالدراسة العلمية . كما يدرس مشكلة الابداع الفني والتلوق الفنى وارتباطه بمناهج التربية الجمالية ، وحيث ان التجربة اليونانية لا تزال هي التجربة الرائدة في محيط هذه الدراسات التى تدور حولها مناقشات المدارس المختلفة فقد بدا المؤلف بالتعرض لموقف افلاطون من فكرة الجمال وتفسيره لها على ضوء نظرته المثالية ثم الموقف الارسطى ، ثم اهم المشكلات التاريخية التى تلقى ضوءا على التطورات التى طرات على مباحث الجمال الى عصرنا هذا .

بين الدعوة القومية والرابطة الاسلامية

تأليف : أبو الاعلى المودودى

الناشر : دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت

● كتيب سجله المؤلف منذ أكثر من ٢٥ سنة حينما كانت القارة الهندية تضج بالدعوتين المتنافستين دعوة القومية المسلمة التى كانت ترفع لواءها الرابطة المسلمة ، ودعوة القومية الموحدة التى كان يدعو اليها المؤتمر الوطني الهندى بقيادة زعماء الهندوس .

ولما كانت هذه الدعوة من شانها القضاء على الشخصية الاسلامية قام المؤلف بايضاح حقيقة هذه الدعوة واطلاع الناس على مواطن الدمار فيها واماط اللثام عن مزاعم هذه القومية الموحدة. والبحث يتناول قضية القومية من ناحية المبدا والفكرة وما يترتب عليها من نتائج وآثار كما يتناول موقف الاسلام منها على ضوء ما جاء فيه من التوجيهات والتعاليم لتنمية هذه الاواصر وتوثيق الروابط بين الانسان والانسان لما فيه صلاحه في الدنيا والآخرة . ■■

طرائف

● قال احد الحكماء : الاخوان ثلاثة : مخالب ومراغب ومحاسب . فالمخالب الذى ينال معروفك ولا يكافئك . والمراغب الذى يرغب فى مواصلتك بغير طمع . والمحاسب الذى ينيلك بقدر ما يصيب منك .

تعدد

● سئل المغيرة بن شعبة عن تعدد الزوجات ، فقال :

صاحب المراة الواحدة عليل ، ان مرضت مرض معها ، وان حاضت حاض

يسقط الراء في كلامه

● كان واصل بن عطاء رئيس المعتزلة متكلما بليغا وكان يسقط الراء من جميع كلامه ، لانه كان الثغ في الراء . فلما سمع ان بشار بن برد قد هجاه في مجلس الخليفة المأمون . قال : اما لهذا الأعمى الملحد المشنف المكتني بأبي معاذ من يقتله؟ والله لولا ان الغيلة من سجايا الغالية ، لبعثت اليه من يبعج بطنه في جوف منزله، ولا يكون الا سدوسيا او عقيليا .

فانظر اليه حيث قال الأعمى ولم يقل الضرير . وقال الملحد ولم يقل الكافر . وقال المشنف ولم يقل المرعث ، وقال المكتني بأبي معاذ ولم يقل بشارا ولا ابن برد ، وقال الغالية ولم يقل المغيرية ولا المنصورية ، وقال لبعثت ولم يقل لارسلت . وقال يبعج ولم يقل يبقر ، وقال في جوف منزله ولم يقل في عقر داره .

وقال بعض الشعراء في بلاغته :

ويجعل البر قمحا في تصرفه
وخالف الراء حتى احتال للشعر

ولم يطق مطرا والقول يعجله
فعاذ بالغيث اشفاقا من المطر

● ● ●

صادق فى الوعد والوعيد

● دعا رجل من البخلاء احد اصحابه الى منزله ، وقال وهو يدعوه : لناكل معك خبزا وملحا . فظن الرجل ان ذلك كناية عن طعام لطيف لذيذ أعده ، فمضى معه ، فوجد ان الاكل لم يزد على الخبز والملح . وبينا هما ياكلان اذ وقف بالباب سائل ، فنهره البخيل مرارا ، فلم ينزجر ، فقال له : اذهب والا خرجت وكسرت راسك . فقال المدعو : يا هذا ، انصرف ، فانك لو عرفت من صدق وعيده ما عرفت من صدق وعده ، ما تعرضت له .

عربية

الزوجات

معها ، وان صامت صام معها . اما صاحب الاثنتين فهو بين جمرتين ، ايتهما ادركته احرقته. وصاحب الثلاث يبيت كل ليلة في قرية . وصاحب الأربع عروس كل ليلة .

الصديق يعرف عند الضيق

● قيل لبعض الفضلاء ، كم لك من صديق ؟

قال : لا اعلم ، لأن الدنيا مقبلة عليّ ، والأموال موفورة لديّ ، ولكن اعرف ذلك لو زالت الدنيا .

امتنعت لترعى أيتامها

● ذكر ان علي بن ابي طالب كرم الله وجهه قال : يارسول الله ، لو تزوجت ام هانيء بنت ابي طالب ؟ فقد جعل الله لها قرابة ، وتكون صهرا ايضا .

فخطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : والله لهو احب اليّ من سمعي وبصري ، ولكن حقه عظيم :ولدي ايتام ، فان قمت بحقه خفت ان اضيع ايتامي ، وان قمت بامرهم قصرت عن حقه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « خير نساء ركبن الابل نساء قريش ، احناها على ولد في صغره ، وارعاها على بعل في ذات يده » .

جواب شاف

● قدم هشام بن عبد الملك حاجا أيام خلافته فقال : ائتوني برجل من الصحابة . فقيل قد تفانوا . قال : فمن التابعين ، فأتوا بطاووس اليماني . فلما دخل عليه خلع نعله بحاشية بساطه، ولم يسلم عليه بامره المؤمنين ، بل قال : السلام عليك . ولم يكنه . وقال : كيف أنت يا هشام .. فغضب هشام غضبا شديدا ، وقال يا طاووس ما الذي حملك على ما صنعت ؟ فقال : وما صنعت ؟ فازداد غضبه وقال : خلعت نعلك بحاشية بساطي ، ولم تسلم عليّ بامره المؤمنين ، ولم تكنني ، وقلت كيف أنت ياهشام ...

فقال طاووس : اما خلع نعلي بحاشية بساطك ، فاني أخلعها بين يدي رب العزة كل يوم خمس مرات ، فلا يغضب عليّ لذلك . واما قولك لم تسلم عليّ بامره المؤمنين ، فليس كل الناس راضين بامرتك ، فكرهت ان اكذب . واما قولك لم تكنني ، فان الله تعالى سمى أولياءه فقال : يا داود ويا يحيى ويا موسى، وكنى أعداءه فقال : تبت يدا ابي لهب

نزهة في أحراش البُردى

(انظر صفحة ٢)

■ لا ريب في انها لوحة رائعة ومعبرة. فهى تصور لنا احد رجال البلاط الفرعونى « مَننا » وقد خرج مع عائلته الى احد المستنقعات ، حيث يكثر نبات البردى وحيث تكثر الطيور ويطيب الصيد . وجدير بالذكر أن هذه اللوحة مستمدة من الرسوم التى وجدوها على جدران قبر مَننا .

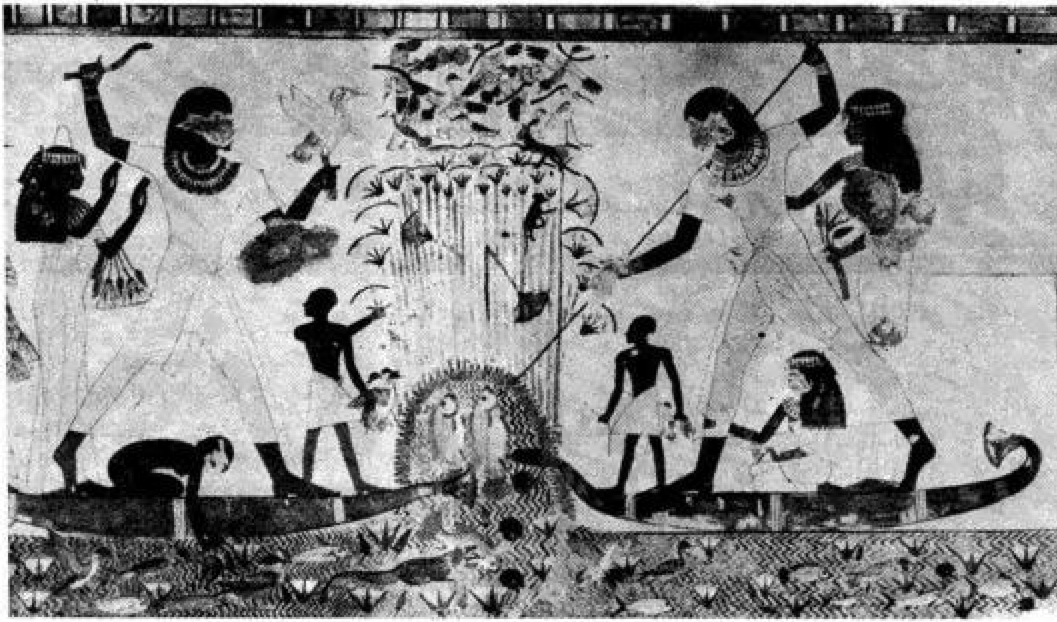
ولعلك تتساءل عن مَننا هذا الذى لا تكاد كتب التاريخ ان تذكر عنه شيئا . لقد كان من الكتّاب Scribes الذين كانوا يعملون في خدمة الملك تحتمس الرابع (١٤٢٠ – ١٤١١ ق.م) ، وكان على وجه التخصيص الكاتب المختص بمزارع الملك وحقوله .

وتجدر الاشارة الى ان الكتّاب ايام الفراعنة كانوا يكوّنون طبقة خاصة ، وانهم كانوا يضطلعون بأعباء كثيرة ومسئوليات جسيمة ، وكانوا بمقابل ذلك يحظون بمكانة مرموقة . فكان على الكاتب، اذا هو نجح في امتحان الكتّاب، ان يجيد القراءة والكتابة اجادة تامة ، ويتقن الرسم والتصوير الى درجة تفوق الوصف . وكان عليه ايضا ان يحيط باللغة وآدابها وبالتاريخ والرياضيات والمحاسبة فضلا عن القانون وشؤون الادارة . وفوق ذلك كله ، كان على الكتاب ايضا ان يلموا بالهندسة المعمارية وشؤون المساحة وبالميكانيك ، او ما عرف منها آنذاك .

لا عجب اذن اذا حظى أولئك الذين سموهم كتّابا ، او بعضهم على الأقل ، بأرفع المناصب والمراكز ، واذا نعم الكثيرون منهم بوافر الرخاء والثراء . ولا غرابة اذا هم خرجوا للنزهة مع عائلاتهم ومارسوا الهوايات في أوقات فراغهم على نحو ما يفعل مَننا في الصورة، وقد كان بلا جدال من ابرز اولئك الكتّاب .

والطريف ان الطريقة التى اتبعها مننا في صيده ، حسبما تظهر لنا الصورة ، هى طريقة الصيد بالعصا ، يلقيها بيمناه على اسراب البط والأوز البرى ، فيما كان يحمل بيسراه طيورا اليفة ، القصد منها تأمين الطير البرى حتى يقترب بلا خوف . اما القطة التى تراها فوق مقدمة القارب فمهمتها احضار ما يصيبه الصياد من الطيور . اى انها قامت بالمهمة التى كان يقوم بها الفهود في الهند القديمة ، والتى يقوم بها حاليا العقاب في بعض البلاد والكلاب في اكثرها .

ولعل من الواضح أن طريقة الصيد هذه هى اقرب الى الرياضة والتسلية منها الى الصيد بقصد التجارة . فقد



انتشر هذا الصيد أيام الفراعنة ، الا انهم استعملوا من أجله الشباك الكبيرة التي يَبسطها الصيادون المحترفون على الارض ، حتى اذا حَطّت الطيور عليها ، شدّها الرجال بالحبال فاطبقت الشبكة باحكام على تلك الطيور .

على أن الصورة تظهر لنا نواحي أخرى من حياة مصر الفرعونية . ولعل اهم تلك النواحي ما اتصل منها بالبردي . فقد نما هذا النبات دون زراعة ونما خاصة في المستنقعات والبحيرات . وانتشر على نطاق واسع في جنوب البلاد.

وحسبك ان تعلم أن أهل مصر الفرعونية استعملوا البردي في صنع الأعمدة التي سندوا بها سقوف البيوت والمعابد . وقد صنعوا منها أيضا الحبال والبُسط والسلال والأحذية وشتى انواع الأثاث . ولعل اكثر ما قد تستغرب له هو انهم استعملوا البردي في صنع قواربهم الصغيرة كالتي نراها في الصورة والتي تنقلوا بها على سطح النيل ان لم يكونوا قد مخروا بها عباب المحيط ، ووصلوا بها الى امريكا كما يقول بذلك بعض المؤرخين .

على أن أهم ما استعملوا البردي في صنعه هو ورق الكتابة ، وقد برعوا في نسج الياف هذا النبات الداخلية وفي حياكتها وكأنها خيوط الكتان ، وحصلوا بنتيجة ذلك على ورق صالح للكتابة . وتكفي الاشارة الى أن ورق البردي هذا كان بمثابة الوعاء الذي حفظ الحضارة الانسانية منذ أيام الفراعنة حتى القرون الوسطى . اذ كان واسطة الكتابة والقراءة لا في مصر الفرعونية فحسب ، ولكن أيام اليونان والرومان أيضا . واصبح ورق البردي هو الورق المألوف والمستعمل في الدولة الاسلامية الى القرن العاشر للميلاد حين بدأت تظهر صناعة الورق الصينية في سمرقند وغيرها .



[redacted]

حركة التعاونيات نشأت في بريطانيا

● نرى الكثير من الجمعيات التعاونية في كل مكان في العالم العربي الآن . فهل لكم أن تذكروا لنا اين نشأت فكرة التعاونيات ومتى ؟ .

احمد عبد الله   القاهرة ــ ج.ع.م

ــ منذ اقدم الازمان قام الناس بالعمل في جماعات متعاونة صغيرة او كبيرة لتحقيق اهدافهم سواء كانت هذه الاهداف اجتماعية او اقتصادية. ولكن الحركة التعاونية الحديثة Cooperative لا يتعدى تاريخها المائة والثلاثين عاما تقريبا .

وقد بدات هذه الحركة التعاونية في بريطانيا في اواخر القرن الثامن عشر اثناء الثورة الصناعية التى كان لها في بدايتها آثار سيئة على الاحوال المعيشية للناس في ذلك الوقت . فقد بنيت المدن بسرعة بالقرب من المصانع ، ولم يكن هناك تنظيم في عملية البناء بل انها ازدحمت بالسكان فجاة وارتفعت اسعار الطعام بالرغم من سوئه . وفي هذه الظروف السيئة جاء روبرت اوين Robert Owen ، بنظرياته عن التعاون التى تتلخص في انه اذا قام كل فرد بالعمل مع الفرد الآخر لمساعدة انفسهم والآخرين ، فان الكثير من المشاكل يمكن حلها .

واكتسب « اوين » مؤيدين كثيرين وقام بعدة تجارب في مجال التعاونيات ولكنها باءت بالفشل. اما اول حركة تعاونية استطاعت ان تحقق نجاحا فقد بدات في عام ١٨٤٤ في مدينة روشديل Rochdale بمقاطعة لانكشير بانجلترا .

وقد سمى الذين بداوا هذه الحركة التعاونية « برواد روشديل » وكان عددهم ٢٨ فردا واغلبهم من اتباع اوين .

وقد بدا هؤلاء ــ بالرغم من فقرهم ــ بالتعاون بعضهم مع بعض فجمعوا اشتراكات واموالا مكنتهم من افتتاح محل لبيع الماكولات باسعار معقولة . واعلنوا ان كل فرد عليه ان ينضم الى جمعيتهم عليه ان يدفع مبلغا بسيطا من المال يعتبر مساهمة منه في راس المال وان يقوم بشراء حاجته من الطعام على ان يدفع ثمنها نقدا ، اى ان التقسيط ممنوع . وكان الاعضاء يعقدون اجتماعات دورية كما قاموا ايضا بانتخاب لجنة لادارة الجمعية . ونجحت الجمعية واستطاعت ان تحقق ارباحا ، قاموا بتوزيع جزء منها على المساهمين في راس المال على اساس ان العضو او المساهم الذى يشترى بضائع اكثر من غيره يحصل على ربح اكثر. اما بقية الربح فقد خصصت لانشاء مكتبة ونادٍ ومدرسة للاعضاء .

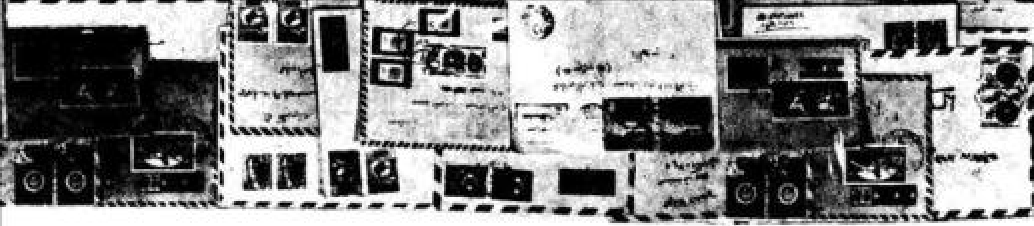
وبعد عام من انشاء حركة « رواد روشديل » كان قيمة ما باعوه من بضائع لا يتعدى الالف جنيه

السادية

● كنا نشاهد فيلما سينمائيا ، وفجاة رأينا بطل الفيلم يهجم على البطلة وينهال عليها ضربا وتعذيبا . ثم اذا به في النهاية يضمها الى صدره ويقبلها بنفس القوة التى كان يضربها بها ... وسألت صديقى : « كيف تفسر هذا الذى شاهدناه ؟ » فقال هذه هى السادية . هل لكم أن تعرفونا بها ؟

عبد السلام مصرى ــ حلب

ــ السادية مرض نفسي يصيب الرجل والمراة على السواء ، والمصابون به يجدون متعة في تعذيب من يحبون ويتلذذون برؤية الالم على وجوه ضحاياهم . وغالبا ما تقترن عملية التعذيب الجسمانى هذه بالشهوة الجنسية .. فيضرب



فى أوائل القرن التاسع عشر

وكان عدد اعضائها ٧٤ عضوا . اما بعد خمسين عاما من انشائها فقد قدرت مبيعاتها بمبلغ ٥٠٠ الف جنيه سنويا ووصل عدد اعضائها الى ١٢ الف عضو .

وكان لرواد روشديل عدة مبادىء تتلخص في :
« عضوية مفتوحة امام كل من يرغب في الانضمام ـ ادارة ديمقراطية ـ ربح محدود ـ توزيع أرباح لكل عضو تتناسب مع ما يقوم بشرائه ـ التجارة فقط في المواد النقية غير المغشوشة ـ المحافظة على دقة المقاييس والموازين ـ نشاط تعليمى بالنسبة للأعضاء ـ موقف دينى وسياسى محايد . »

وانتشرت حركة التعاونيات في بريطانيا حتى انشئت تعاونيات للتجارة بالجملة ، وذلك لان التجار العاديين ساءهم نجاح الحركة التعاونية ، التى اثرت على أرباحهم ، فقاموا بالتكتل ضد التعاونيات ومنعوا عنها الكثير من البضائع التى كانوا يحتكرون استيرادها او تجارتها .

وامتد نشاط التعاونيات الى العمليات المصرفية والتامينات ايضا .

وانتشرت التعاونيات في كل بلاد العالم سواء البلدان المتقدمة او البلدان النامية . ومن اجل هذا تم انشاء اتحاد التعاونيات الدولى في عام ١٨٩٥ لتنضم اليه جميع التعاونيات في مختلف البلدان .

ولا تقتصر حركة التعاون على الجمعيات التعاونية الغذائية فقط ولكنها تتعداها الى الجمعيات التعاونية الزراعية التى توجد فى كثير من البلدان الآن وهى تطبق نفس مبادىء التعاون بين الفلاحين والزراع .

(م. ط)

الرجل المصاب بالسادية خليلته قبل أن يطارحها الغرام .. او تدفع المراة المصابة بهذا المرض رجلها دفعا الى ضربها ، وبذلك تنتشي .!
وقد اشتق اسم هذا المرض من اسم كاتب



فرنسي فاجر يدعى الكونت دوناتيان الفونس فرانسوا سادى Count Donatien Alphonse François Srde (١٧٤٠ـ١٨١٤)
كان مصابا بهذا المرض ، واشتهر اسمه في باريس في اواخر القرن الثامن عشر من عام ١٧٩١ حتى عام ١٨٠٠ بعد ان قدم للمحاكمة عدة مرات وحكم عليه بالسجن في الباستيل ، ثم ارسل الى مستشفى الامراض العقلية في شارنتون Charenton وفى مستشفاه وضع اشهر مؤلفاته ومن بينها جوليت Julliette ، وجوستين Justine ، وفلسفة مخادع النساء Philosophie Dans Le Boudoir وجرائم الحب Les Crimes De L'Amour وكلها مؤلفات تحكى قصص المصابين بهذا المرض الذى ما لبث أن عرف بعد ذلك باسمه .

(م. ن)



سباق الماراثون .. وقصة الجندي اليوناني فيدبيدس

● اقرأ في صفحات الرياضة بجرائدنا العربية عن سباق « الماراثون » فهل لي أن أعرف لماذا سمي هذا السباق باسم « الماراثون » .. ؟

مصطفى التنير بيروت - لبنان

- كلمة « ماراثون » Marathon ، هي في الحقيقة اسم مكان وقعت فيه معركة شهيرة في اليونان ، يبعد ٢٤ ميلا عن شمال شرق اثينا . اما سبب اطلاق هذا الاسم على سباق العدو في الطرقات العادية فله قصة تاريخية طريفة وقعت في اليونان عام ٤٩٠ قبل الميلاد . ففي هذا العام قام جندي يوناني يدعى فيدبيدس Pheidippides ، وكان عداء مشهورا ، بقطع مسافة ١٥٠ ميلا عدوا من اثينا الى اسبرطة في ٤٨ ساعة . وابلغ الدولة الاغريقية الأخرى « اسبرطة » خبر غزو قوات الامبراطور الفارسي « داريوس » لأثينا . واستمر فيدبيدس يجري خلال ٤٨ ساعة فوق التلال ويعوم في الأنهار ، ويتسلق الجبال حتى استطاع ان يقطع المسافة . وبعدها خاض الجندي الباسل معركة « ماراثون » والتي حقق فيها الأثينيون نصرا ساحقا على قوات داريوس . وعندما تحقق النصر قام « فيدبيدس » مرة أخرى بالعدو الى اثينا ليحمل لأهلها أخبار النصر . وكان هذا الجهد الذي قام به هذا العداء فوق طاقته واكبر مما يستطيع جسده البشري أن يتحمله ، فبعد ان وصل الى اثينا سقط على الارض وهو يقول : « مرحى .. لقد انتصرنا » وبعدها فاضت روحه .

وقد جرى في عام ١٨٩٦ ، في اول دورة اولمبية رياضية في عصرنا الحديث ، عقد سباق عدو بين اثينا وماراثون تكريما لذكرى الجندي اليوناني فيدبيدس . وفي عام ١٩٠٨ حددت مسافة سباق الماراثون في الالعاب الاولمبية ب ٢٦ ميلا و ٣٨٥ ياردة . وبذلك تحددت مسافة سباق الماراثون دوليا .

ويعتبر سباق الماراثون أصعب أنواع مسابقات العدو فهو يتطلب مقدرة فائقة اذ انه يتم في الطرقات العادية بعيدا عن مضمار العدو المصمم خصيصا لراحة المتسابقين .

ويجدر بنا هنا ذكر الرقم القياسي الذي سجله عداء اثيوبيا الشهير أبيبي في سباق الماراثون في الدورة الأولمبية لعام ١٩٦٠ وهو ساعتان و١٥ دقيقة و١٦٫٢ ثانية .

(م. ط)

كلمات لبركليس

● سمعنا عن بركليس قائد اليونان وخطيبهم الشهير .. ترى ما الذي خلد ذكر هذا الرجل العظيم ، خطابته أم شجاعته أم غير ذلك .. ؟

نعيم عبد البر الاسكندرية - ج.ع.م.

- لا ريب في أن لشجاعة بركليس Pericles (٥٠٠ - ٤٢٩ ق.م) ولبراعته في الخطابة نصيبا في تخليد ذكراه . ولعل النصيب الأكبر في ذلك يعود الى ما اتصف به الرجل من رجاحة عقل وحكمة ، وما تمسك به في حكمه لأثينا من مثل ومبادىء رشيدة . ولا يسمح لنا المجال هنا باكثر من الاستشهاد باجزاء من خطبة له مشهورة القاها في اثينا في مستهل الحرب البلبونيزية حوالي سنة (٤٣١ - ٤٣٠ ق. م) ، اذ يقول :

« دستورنا او نظام حكمنا يعرف بالديمقراطية نظرا لأن السلطة فيه ليست وقفا على القلة من

خلدته فى التاريخ



الناس بل يمارسها الشعب باسره . وفيما يتصل بالشؤون والقضايا الخاصة ، فالمساواة هى المبدأ والناس جميعا متساون امام القانون . اما فيما يتصل بالشؤون العامة ، فالذين يختـــارون للمناصب الهامة ذات المسئولية العامة انما يتم اختيـارهم لا على اسـاس حسبهم ونسبهم او مكانتهم ، بل على اساس مؤهلاتهم وكفاياتهم .

والافراد في مجتمعنا لا تشغلهم امورهم الخاصة عن امور الدولة والشؤون العامة . فهم يولون هذه من اهتمامهم بقدر ما يولون تلك . والمرء الذى لا يهتم بالسياسة لا نرى فيه انسانا التزم حدوده وآثر الاهتمام بشؤونه الخاصة ، بل اننا نرى فيه انسانا غير مؤهل لشؤون عامة او خاصة .

وثمة ناحية اخرى نختلف فيها عن غيرنا . فنحن لا نفتقر الى الشجاعة وقادرون على المغامرة وركوب المخاطر كثيرا. ولكن قدرتنا هذه لاتشترط الجهل ، بل تفترض العلم المسبق بالنتـــائج التى تترتب على تلك المخاطر . اما شجاعة غيرنا فشجاعة الجاهل التى لا تلبث ان تنقلب الى خوف وجبن في اللحظة التى يرى فيها ذلك الجاهل ما قد خفى عليه . ولا ريب في ان الشجاع الذى يستحق هذا الوصف فعلا هو الذى يخرجويتصدى للامور بثبات ، ويتقبل كل ما هو آت على الرغم من علمه التام بالحلو والمر في هذه الحياة » .

(ى. ز)

الامتحانات فى الصيـن

● بمناسبة ما ذكرتم عن الامتحانات المدرسـية في العربى سمعت ان هذه الامتحانات كانت تقليدا قديما عند الصينيين لا سيما في وظائف الدولة . فما نصيب هذا القول من الصحة ؟

سليمان عبد الباقى ـ القاهرة

ـ كان الصينيون هم اول من لجا الى الاختبـار التحريرى في اختيار المتقدمين للوظائف الحكومية في القرن الثانى قبل الميلاد ، فكانوا يعدون قائمة من الاسئلةفي التاريخ والادب ويطلبون الى المرشحين الاجابة عليها ، كما كانوا يختبرونهم ايضا عمليا في نظم الشعر والرماية والعـــزف على الآلات الموسيقية .

ولم تكن الاختبارات تنتهى عند نجاح المتقدمين وفوزهم بالمناصب الشاغرة في الدولة ، اذ كانت قوانين الحكومة تقضي بان يجرى امتحان جـديد لهؤلاء الموظفين مرة كل تسع سنوات ، ولا بد لهم ان يجتازوه بنجاح اذا ارادوا ان يحتفظوا بوظائفهم او التقدم فيها . فاذا رسب احدهم فصل من وظيفته .. وكانت هذه القوانين تطبق على جميع موظفى الدولة ابتداء من اصغر موظف حتى رئيس الوزراء ، الذى كان يتحتم عليه دائما ان يثبت جدارته وكفاءته عن طريق الدخول في مناظرات وندوات يفسح فيها المجال للمتنافسين على هذا المنصب .

(م. ن)

أنت تسأل .. ونحن نجيب

عرف العرب صناعة الورق وأقاموا لها مصانع عديدة

● قرأت في بعض الكتب القديمة ان صناعة الورق كانت معروفة لدى أسلافنا العرب القدامى .. فاستغربت لذلك كثيرا .. ولذلك فقد جئت اليكم راجيا أن تفيدوني حول هذا الموضوع ..

سميح الكاظمي ـ دمشق

ـ السلف الصالح يا اخ سميح لم يقف عند حد معرفة الصناعة التي تذكر ، بل انه نشرها وعممها حتى ظهرت في عدد كبير من مدن العالم الاسلامي . أضف الى ذلك ان اسلافنا هم الذين اعطوا صناعة الورق هذه الى اوربا ، علما بأنهم نقلوا هذه الصناعة عن الصين .

كان ذلك في اواسط القرن الثامن الميلادي وفي اعقاب معركة نهر تلاس Talas التي انتصر فيها المسلمون على جيوش الصين سنة ٧٥١ م . اذ كان بين الصينيين الذين وقعوا اسرى في تلك المعركة عدد ممن كان لهم خبرة ودراية في صناعة الورق ، وهي الصناعة التي كان قد مضى على ابتكار اهل الصين لها وممارستهم اياها مئات السنين .

ولا يعرف بالتفصيل كيف ساهم اولئك الأسرى في انشاء المصنع الاسلامي الاول للورق . ولكن الثابت ان المصنع المذكور الذي قام في سمرقند انما قام بمساعدة اولئك الاسرى الصينيين . ومن سمرقند انتقلت صناعة الورق الى العراق والى العاصمة بغداد بالذات حيث ظهر مصنع الورق الثاني في العالم الاسلامي . وكان ذلك في العقد الاخير من القرن الثامن الميلادي وقد جاء نتيجة لمساعي الفضل بن يحيى البرمكي، والي خراسان في تلك الأثناء. ومما يذكر في هذا الصدد ان جعفرا البرمكي، اخا الفضل هذا ، كان وزيرا في بلاط هارون في بغداد آنذاك ، وانه ما لبث ان امر بتعميم استعمال ورق مصنع بغداد في دوائر الحكومة لدى مباشرة ذلك المصنع انتاجه .

وظهرت مصانع الورق بعد ذلك في عدد لا يستهان به من مدن العالم الاسلامي ، نذكر منها تهامة وطرابلس الشام ومدن الدلتا المصرية . والجدير بالذكر ان هذه المدن الاخيرة كانت مشهورة فيما سبق بصنع ورق البردي ، وقد درجت على تصديره الى مختلف الجهات بما في ذلك بلدان البحر المتوسط الناطقة باللغة اليونانية اذ ذاك . اما طرابلس الشام فقد تمكن مصنعها من انتاج ورق ممتاز فاق في جودته سائر صنوف ورق المصانع الاسلامية بما في ذلك ورق سمرقند الشهير الذي اعتبر حتى ذلك الحين اجود تلك الصنوف بلا استثناء . واما مصنع « تهامة » فقد كان له الفضل في ابتكار صنع الورق من خامة أخرى غير الخرق والاسمال الكتانية وهي الخامات التي اعتمدتها صناعة الورق على الطريقة الصينية . ولو ذكرنا ان مصنع تهامة قد اتخذ من الالياف النباتية خامة جديدة يصنع منها ورقه لما خامرنا شك في ان اسلافنا القدامى لم يقفوا عند حد النقل عن الصين فيما يختص بصناعة الورق بل انهم اسهموا في تطوير تلك الصناعة وتحسينها الى حد كبير .

وتجدر الاشارة الى ان الورق لم يعرفه العالم الاسلامي باسم الورق في بادىء الامر . فقد اطلق عليه الاجداد اسم الكاغد وهي ، كما يقول البعض ، لفظة صينية دخلت العربية عن طريق اللغة الفارسية . ولعل من هذه اللفظة جاء الاسم الافرنجي Card الذي يطلق على بطاقة الزيارة وورق اللعب واشباهها . اما ورق البردي فقد كانوا يسمونه بالقراطيس وقد شاع استعماله في العالم الاسلامي قديما قبل ظهور مصانع الورق فيه . وقد اطلقت لفظة قراطيس فيما بعد على ما جاء بعد ذلك من صحائف الورق ، كما هو معروف . ■■

(ى.ز)

العربي

العدد ١٣٧
محرم ١٣٩٠
ابريل
(نيسان) ١٩٧٠

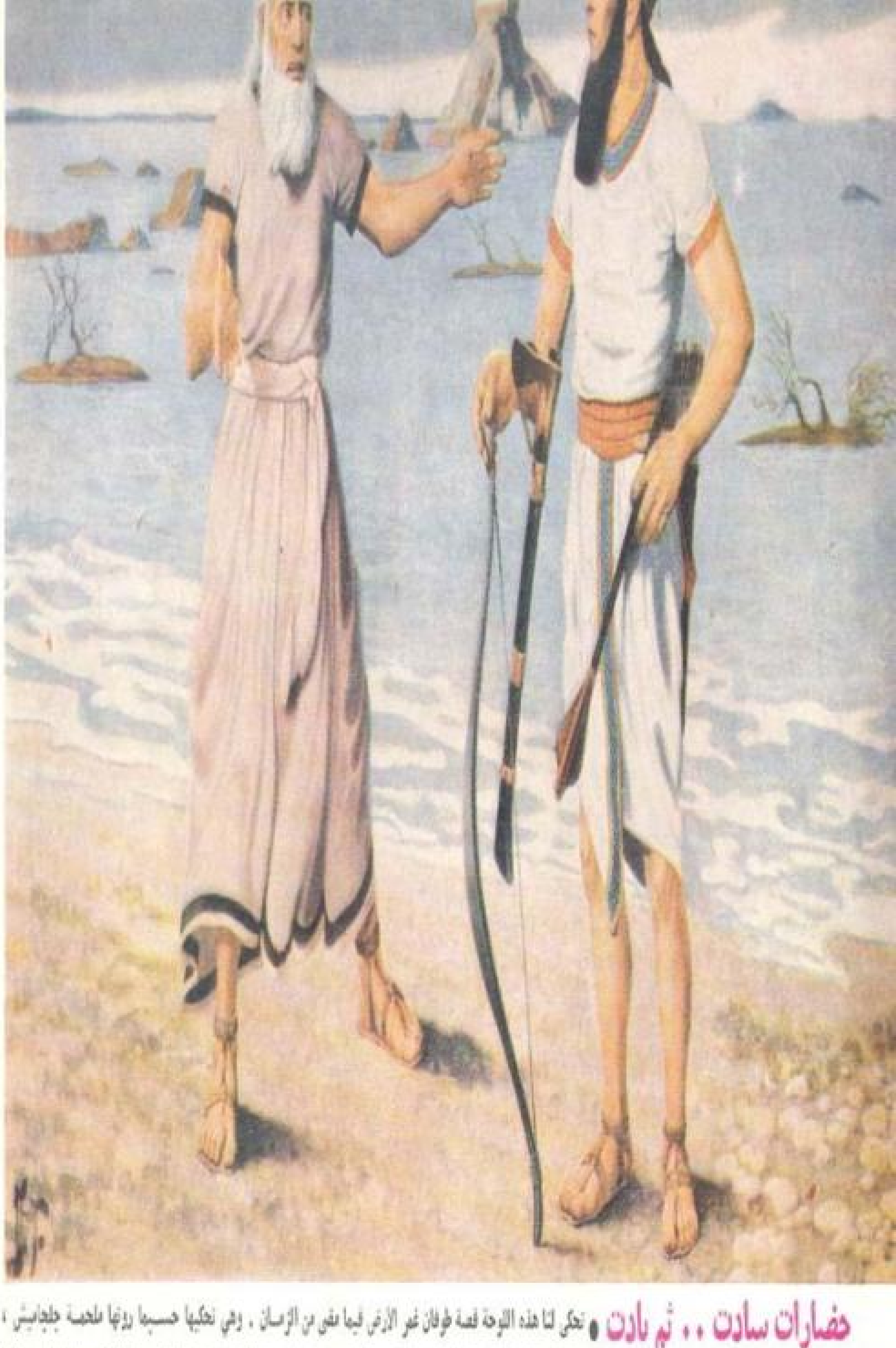


لقطة لطالبات كن في زيارة مصنع بالكويت

الثمن

الكويت	١١٠ فلوس	العراق	١٢٠ فلسا	السودان	[illegible] قروش
الخليج العربي	٢ ريالان	لبنان	١٠٠ قرش	ليبيا	١٥ قرشا
السعودية	٢ ريال	الأردن	١٠٠ فلس	تونس	٢٠٠ مليم
البحرين	[illegible]	سورية	[illegible]	الجزائر	[illegible]

جوائز
١٢٠...
... سنويا



حضارات سادت .. ثم بادت

● تحكي لنا هذه اللوحة قصة طوفان غمر الأرض فيما مضى من الزمان ، وهي تحكيها حسبما روتها ملحمة جلجامش ، الأسطورة البابلية الشهيرة . أما الرجل المسن الذي نرى فهو أوت ـ نابشتيم ، وقد انطلق يحدث فيه جلجامش عن ذلك الطوفان ، ويروي له كيف نجا منه هو وأصحابه في السفينة التي صنعها ، والتي نراها في اللوحة وقد استقرت على قمة الجبل (أنظر صفحة ١٥١) .

عزيزي القارئ

بدات اسرائيل تدخل الأديان عنصرا من العناصر الاسترانيجية فى صراعها مع العرب ، من مسلمين ومسيحيين :

● احسّ العرب ، واغلبهم مسلمون ، بأن اليهود اخذوا يستغلون عطف العالم المسيحي ، وهو عالم المدنية الحاضرة ، من الناحية الدينية ، ومن النواحي التاريخية ، والسياحية ، والاعلامية .

● **واستجاب هذا العالم لهم ، واستجابت على الأخص الولايات المتحدة ، فعطفت على اسرائيل عطفا كاملا به من الحرارة ما لا ينتج الا عن عواطف دينيــة عميقة .**

● واحس المسلمون بذلك ، فأرادوا ان يضمّوا الشمل فى مؤتمر يوقي المسلمين كيد اليهود ، بحسبان أن المسلمين أهل دين ، لهم من حرية العقيدة ، ومن حرية التحرك السياسي ، ما لسائر الأديان على حد سواء .

● **وأجاب اليهود على هذا بأن اوعزوا الى محكمتهم العليا فأصدرت قرارا يقول ان الحركة الصهيونية ، حركة لا دينية . واذن فالمسلمون وحدهم هم الذين يثيرون امر الدين . واحتج الشعب الاسرائيلي على هذه الفرية . ولكن أوعز لهم ان هذا القرار انما صنع لتقليم اظافر المؤتمر الاسلامي وسائر المسلمين . فسكنوا .**

● فاليهود اليوم ، بصفتهم القومية وحدها ، يريدون أن يهدموا ما فى الدنيا ، وما عند العرب خاصة ، من قومية ودينية معا .

وفى افتتاحية هذا العدد ، تكييف للوضع الذى نرى ان يتخذه المؤتمر الاسلامي من هذا الصراع .

المحــرر

العربي

رئيس التحرير : الدكتور أحمد زكي

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الارشاد والانباء بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABY — No. 137 April 1970 P. O. B. 748 — KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٢٧١٤١ ـ تلغرافيا « العربي »

الاعـــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراســلات : تكون باسم رئيس التحرير



صورة الغلاف

● اصبح التطور الصناعي ملازما للتطور الحضاري في عصرنا الحديث .. وفي الكويت بدأت المصانع الاهلية ترتفع بجوار الصناعات البترولية الضخمة المتنوعة .. وعن هذه الصناعات الاهلية ومشاكلها ، يدور استطلاعنا المنشور على صفحة ٥٢ من هذا العدد .. اما هاتان الطفلتان فقد كانتا في زيارة لاحد مصانع الحلويات عندما التقطنا صورتهما ..

تاريخ .. وتاريخ اشخاص :

ركن الاسرة والمرأة :

شعر .. وشعراء :

كتب :

قصص :

منوعات :

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربي ٢ ريال قطري ، البحرين ٢٠٠ فلس بحريني، العراق ١٢٠ فلسا ، سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش ، الاردن ١٠٠ فلس ، السعودية ٢ ريال ، السودان ١٠ قروش ، ج٠ع٠م ١٠ قروش ، تونس والجزائر ٢٠٠ مليم ، المغرب ٢ درهم ، اليمن ٣٫٥ شلن ، ليبيا ١٥ قرشا .

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت - ص.ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربي .

بريد القرّاء

لوحات فنية لظاهرها ودراسات تاريخية بحقيقتها

● ارجو أن تفيدونا عن الصور التي تعتمدونها في « باب حضارات سادت ثم بادت » والتي تنشرونها على الصفحة الثانية من « العربي »..

وقد استغربت خاصة للصورة التي ظهرت في العدد ١٣٤ والتي تظهر لنا نفرا من أسلاف السومريين .. فكيف تصورتم لبسهم ومسكنهم .. فالرجاء الايضاح وشكرا .

فواز محمد بارودي ـ حماة ـ سوريا

« العربي » : الصور التي تذكر ليست من صنع رسامي « العربي » ، ولا هي صور لنقوشات أو منحوتات أو تماثيل توجد في بعض المتاحف أو دور الآثار ، كما ظن قراء آخرون .

فهذه الصور ، أو بالحرى اللوحات الفنية ، لأنها في الاصل رسوم زيتية ملونة ، انما يعود الفضل في رسمها الى فنانين من فناني الغرب الأكفياء . انهم لا يستوحونها من فيض الخاطر ، بل يعتمدون في رسمهم هذه اللوحات معلومات وتفاصيل دقيقة ، من أقدم عصور التاريخ وما قبل التاريخ، يزودهم بها مؤرخون معروفون وعلماء آثار من ذوى الاختصاص .

حول موضوع الشمس أم الحياة

● لاحظنا في العدد ١٣٥ ، ص ٢٢ ، في موضوع الشمس أم الحياة ، أن المعادلة الكيماوية ظهر فيها الاكسجين، وهو الأخير في المعادلة، على هيئة دوائر سوداء ، وكان من حقه ، اطرادا مع الرموز السابقة ، أن يكون رمادى اللون ، فاردنا التنبيه .

سليم عزاز ـ حلب

« العربي » : هذا صحيح . والظاهر أن الرسام ، في غفلة منه ، رأى أن يؤكد اللون الرمادى فجعله أسود. ولم تكن هذه هي الغلطة الوحيدة . ففي الكلام المرفق بالصورة ورد ما يلي : « .. وذرة الكربون سوداء . وذرة الايدروجين رمادية .وذرة الاكسجين بيضاء ».وهذا خطأ .والصحيح أن ذرة الكربون سوداء ، وذرة الايدروجين بيضاء ، وذرة الاكسجين رمادية .

الأشهر والأيام في

● اطلعت على ما جاء في العدد ١٣٤ من « العربي » (صفحة ١٨٢ ـ ١٨٣) بخصوص طريقة تحويل التاريخ الهجرى الى التاريخ الميلادى ، وبالعكس ، أرجو أن الفت انتباهكم الى الكتاب التالي :

The Muslim and Christian Calenders
G.S.P. Freeman, O. U. Press (London 1963)

فهذا الكتاب يساعد على ايجاد التاريخ الهجرى من التاريخ الميلادى وبالعكس . والأهم من ذلك انه لا يساعد على ايجاد السنوات فحسب : ولكن على تحديد الشهور والأيام المتقابلة في التقويمين أيضا ، وذلك ابتداء من أول أيام السنة الهجرية الأولى ، وحتى آخر أيام السنة الهجرية (١٤٢١ هـ) الموافقة لسنة ٢٠٠٠ ميلادية ، وجدير بالذكر أن الطريقة التي يتبعها هذا الكتاب (الذى لا يزيد ثمنه على عشرة شلنات ونصف) سهلة وقريبة من الفهم للغاية .

سليمان موسى
دائرة الثقافة والفنون

منشورات
منظمة التحرير الفلسطينية ومركز الابحاث التابع لها

● اتقدم اليكم بالشكر للمراجعة القيمة لكتاب « الكيبوتز » في العدد (١٣٥) من مجلة « العربي » واشكركم ايضا ، بهذه المناسبة ، للمراجعات القيمة التي سبق أن نشرتموها لمنشورات أخرى صادرة عن مركز الأبحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية .

ولكن حبذا لو كنتم ذكرتم اسم الناشر في تلك المراجعات ، أي مركز الأبحاث ، وذلك وفق الاصول المرعية لمراجعة الكتب . ولعل في ذكر الناشر ، فضلا عن ذلك ، فائدة للقارىء الذي يود التوسع في الموضوع والذي يرغب في شراء الكتاب من احدى المكتبات .

الدكتور انيس صايغ
المدير العام لمركز الأبحاث

التقويمين الهجري والميلادي

العربي : لا شك في ان الكتاب الذي تذكرون مفيد ، ولعله ضروري للمهتمين بشؤون التاريخ عامة ولطلاب التاريخ الاسلامي بصفة خاصة . الا أن الكتاب ليس رخيص الثمن كما قد يظن البعض ، وذلك بالنظر لصغر حجمه (٨٧ صفحة من الحجم الصغير) : وهو عبارة عن جداول مفصلة للتقويمين الهجري والميلادي تبين الاشهر والايام متقابلة في هذين التقويمين ، فضلا عن السنين . اي انه لايعطي معادلة او طريقة تمكننا من تحويل السنوات والشهور والايام الهجرية الى امثالها الميلادية وبالعكس . وقد ذكرنا في العدد ١٣٤ مثلا من تلك الجداول . ونذكر هنا اسم كتاب آخر طالما اعتبر الجدول المعتمد في هذا الصدد :

Comparative Tables of Mohammadan & Christian Dates .
Sir Wolseley Haig

ولعل هذا المرجع القيم مفقود من الاسواق ، وقد نفدت طبعته الاخيرة ولم تتجدد طباعته .

قلق على الدين .. بسبب رجال الدين ..

● اطلعت في باب بريد القراء من العدد ١٣٣ على ردكم على رسالة الحائر ع.م. ، من وجدة في المغرب ، حول ما اذا كان الأمريكان قد وصلوا فعلا الى القمر ، أم انهم يدعون ذلك كذبا وبهتانا كما اكد ذلك خطيب الجامع في البلدة المغربية المذكورة . وليس لدي ما اضيفه الى ما ذكرتم سوى مناشدة العلماء ورجال الدين بان يخرجوا بنا جميعا الى العالم الحديث الذي نعيش فيه كي لا يشطط بعضنا وينتسب بعضنا الآخر الى اي حزب من الأحزاب غير حزب الله ..

ع. أ. شهاب ـ بيروت

نقد الفهرس الملحق بالمنجد وجيه ولكنه متأخر

● في العدد ١٣٤ قرات للاستاذ عبد الستار فراج نقدا لمعجم الاعلام الملحق بالمنجد واسمه بالكامل « المعجم في الآداب والعلوم : معجم لأعلام الشرق والغرب » وهو القسم الذي وضعه الأب فرديناند توتل ، والحقه بالمنجد ، معجم الأب لويس معلوف عام ١٩٥٦ .

ان ما دعاني للكتابة هو ظهور النقد بعد مرور اربعة عشر عاما على صدور معجم الاعلام الذي ذكرنا . ترى ، هل يستغرق تدقيق المعجم مثل هذه المدة ، وهي تكفي ، على ما اعتقد ، لتصنيف معجم جديد .. وانه لما يدعو للدهشة عدم صدور مثل هذا النقد عن الاستاذ عبد الستار ، او عن غيره من المهتمين بهذه القضايا، في السنوات القريبة التي تلت ظهور المعجم ، ذلك النقد الذي كان ينتظره صاحب المعجم بلهفة . اقول هذا لأنني سمعته منه شخصيا عندما اهداني نسخة من المعجم عليها كلمة بخط يده ، وقد قال عندئذ ما معناه : « كم اكون مسرورا يا بني لو أسعفني النقاد بالكتابة عن المعجم لأن ذلك سوف يعينني على تصحيح الاخطاء في الطبعة التالية .. »

ابراهيم عليان العطاري

حديث الشهر

رباطان هما مساك الأمم لا ينحلان أبدا:

بقلم رئيس التحرير

■ ولقد وددنا وود معنا كثيرون من عقلاء اهل الأرض ، لو ان اهل الارض كانوا جميعا قوما واحدا .

ولقد وددنا ، وود معنا الكثيرون من مفكري هذا القرن وما سبق من قرون ، لو ان الأجيال جميعا كان لهم دين واحد .

اذن لانتفى عن الأرض الكثير من متاعب اهل الأرض .

وقد سالت راى صديق عربي مسلم فى هذا التمنى فقال : نعم ، ما اجمل الدنيا لو ان قوميتها عربية ودينها الاسلام .

وسالت صديقا آخر فرنسيا فقال نعم ، وابتسم وقال ، وكان حاضرا جواب صديقي العربى : نعم ، نعم ، ما احسن الحياة لو أن القومية فرنسية والدين الكثلكة .

امنية غير نافعة .

ونسيت ان اقول انها امنية ، وجب ان يباركها الله قبل ان يباركها عباده .

مشكلة القومية والدين تكاد تمتزج بمشاكل الارض كلها بين ظاهرة وخافية

وهى مشكلة تحتل محلا وثيقا فى الخلاف بين الأمم .

القومية والدين

مشكلة بين الهند وباكستان ، مشكلة قومية هى أم دينية ، أم كلتاهما معا ؟

ومشكلة قبرص بين الترك واليونان ؛ مشكلة قومية هى أم دينية ، أم كلتاهما معا ؟

ومشكلة ايرلندة تلك القائمة بين شمالها وجنوبها مشكلة قومية هى أم دينية ، أم كلتاهما معا ؟

ومشكلة بين العرب واسرائيل ، مشكلة قومية هى أم دينية . أم كلتاهما معا ؟

وعداء الغرب للشرق ، لا سيما الشرق العربي ، ولا سيما الشرق العربى المسلم ، مشكلة قومية هى أم دينية ، أم كلتاهما معا ؟

وتدخل فى صميم الأمم ، تلك التى تعتز بقومية واحدة ، فتجد مشاكل القومية قائمة . فالولايات المتحدة بها السود لا تكاد تشملهم القومية الأمريكية ، يمنع من ذلك السواد .. والولايات المتحدة بها الصفر من أهل الصين واليابان ، وهم عن سواد الناس بمعزل . ومشكلة الدين لا تزال قائمة فى الولايات حتى بين مذاهب الدين المسيحى الغالب وسائر المذاهب ، وهى أشد اشكالا بين المسيحية وسائر الديانات .

وبلجيكا دولة واحدة ، ولكنها تألفت من قوميتين ، احداهما الفلمنج ، والفلمنج نصفهم فى بلجيكا والنصف الآخر فى هولندة ، وهما يتكلمان لغة واحدة واختلفت الديانتان ، فانضم نصف الى هولندة ونصف الى بلجيكا .

وشبيه بهذا ما بين التشك والسلوفاك فى تشيكوسلوفاكيا .

وشبيه به ما بين الكروات Croats والصرب Serbs كلاهما

الآن فى يوغوسلافيا ، فلغتهما تكاد تكون واحدة، ولكن الأولى كاثوليكية ،والثانية ارثوذكسية . وكان من ذلك قسمتهما الى قوميتين ، وقيام عداء تثير بينهما .

والأمثلة كثيرة . فيها الخصومات تقوم بسبب القوميات ، أو تقوم بسبب الديانات ومذاهبها .

ولم يكن المسلمون بمعزل عن هذه الخلافات .

القومية فى الديانات قديما القومية فى اليهودية

لا نريد أن نذهب فى الزمان الى الوراء بعيدا .

يكفينا ان نصل الى حيث كان اليهود قوما من الناس ، وجاءهم الرسل ،وكان لهم دين ، وهم من أول من آمنوا بالله الها واحدا . وجرت لهم احداث فى التاريخ كثيرة بحسبانهم شعبا ، ولكن مما لا شك فيه أن المجتمع الذى عاشوه كان مجتمعا دينيا أيضا . وكيف لا ،وهم شعب الله المختار .

الصحيح الذى لا مرية فيه انهم كانوا ذوى قومية ودين معا .

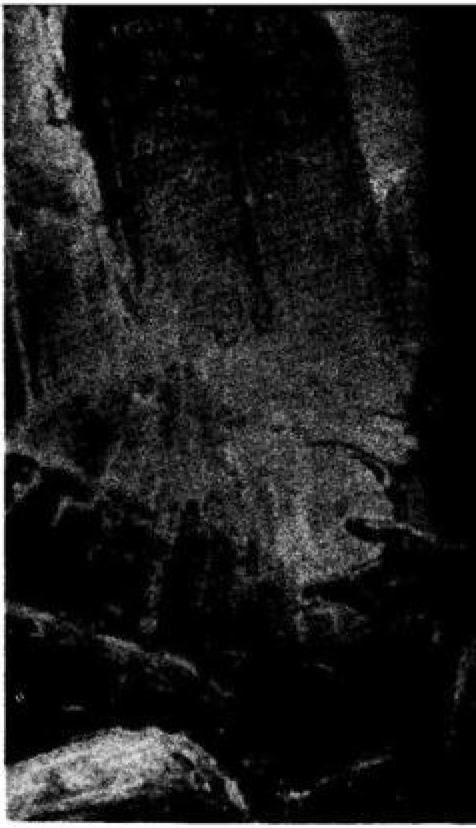
وجاءت الصهيونية فى هذه العصور الحديثة ، ومن أهلها من اراد ان يسقط عن اليهود الصفة الدينية ، بمعنى انها ليست الحافز الذى يحفز الصهاينة الى الوصول الى الأهداف التى يعملون لها. حتى ان المحكمة العليا باسرائيل أصدرت هذه الأيام الماضية قرارا بهذا . ولكنه قرار فهم العارفون منه انهم انما أرادوا به أن لا يتهمهم أحد بالتعصب الدينى . وما صدّق ذلك منهم احد . ولا صدّقه الجمهور الاسرائيلى نفسه فى فلسطين المحتلة ، فقد قام بمظاهرات تشجب هذا القرار،وتريد الغاءه واثبات الدين حافزا. وجرى اعتداء على حياة جلدا مائير ، رئيسة وزرائهم ، قيل ان بعض الغاية منه كان الاحتجاج على تلكئها فى الغاء هذا القرار .

وليس فى هذا القرار شىء جديد ، فهو جزء من المخطط الذى خططه الصهاينة منذ ختام القرن الماضى ليكسبوا به رأى العالم الغربى ، فوق ما كسبوا منه ، وما أكثر ما كسبوا .



وليس فى احتجاج من احتج الآن من الاسرائيليين ايضا شىء جديد . فقد قرأت خطاب احتجاج ، كتبه فى عام ١٩٠٠ ، حاخام يهودى اسمه ربى Dzikover Rebbe ، من أوربا الشرقية ، ينكر فيه التحول فى اليهودية الذى هدف اليه الصهاينة ليكسبوا به مكاسب سياسية ، فيقول فيما يقول :

« انه بسبب خطايانا قدر للقطيع المقدس (يقصد اليهود) أن يقوم فيه أغراب عنه (يعنى الصهاينة) يقولون أن الاسرائيليين (اليوم) يجب أن يتزيوا بزى القومية الدنيوية ، قومية كسائر القوميات ، وأن اليهودية تعتمد على ثلاثة أشياء ، الشعور القومى، والارض،



واللغة ، وان الشعور القومي هو أثمن ما فى السلة ، وانه أفعل شيء فى الحفاظ على اليهودية . وقالوا اما اتباع التوراة والوصايا ، فمسألة يختص بها كل فرد على حدة وفق مزاجه . هؤلاء رجال للشر ، جزاؤهم عند الله » .

والحق الذى لا مراء فيه أن الدين هو حافز اليهود اليوم ، مهما حاول الصهاينة ان يقنعوا العالم بغير ذلك . انه شعارهم قديما ، وفى العصور الوسطى،وحديثا . والا، فلماذا يقومون بدعوة كل صاحب دين يهودى، فى أمريكا، أو روسيا ، او اوروبا ، ان يهاجر الى اسرائيل،وهو من حيث القومية اليهودية لا يعرف حتى اللغة التى جعلوها لغة اسرائيل ، ولا هو من حيث النشأة ولا من حيث التعليم . الشرط الواحد ان يكون دينه دين موسى .

ويجمع اليهود بهذا بين القومية والدين واحسب أنهم هكذا كانوا ، ويكونون .

قرات لأحد الكتاب اذ يقول : ان ابراهيم لم تمنعه مكانته عند الله من ان يكون شيخ قبيلة بدوية يريد لها ما يريد من قومية . وموسى ، كان رسولا نبيا ، ولكن لم يمنعه ذلك من انه كان زعيم قومه ، وانه خرج بهم من عبودية .

القومية والمسيحية

وننتقل من اليهودية ، وهى التى جمعت بين الدين والقومية ، وجعلتهما وقفا عليها ، الى المسيحية : لا سيما فى اوائل ايامها الأولى ، حين كانت دينا ولا قومية .

قال الدارسون للمسيحية من اهلها انه لم يكن لها فى اول امرها حكومة ، ولم يكن لها نظام سياسى ولا نظام اجتماعى اختصت به بحسبان أنه من صنعها ، او مما أوصت به فى أزمانها تلك الخالية ، وان روح الفرد هى الشيء ذو البال الذى عنيت به ، وأن الحب ، والصدق ، والخدمة المتواضعة ، والنظر فى العواقب هى بعض أهداف الحياة عندها ، وانه لا غصب فيها ، ولا هوى ولا خداع .

اما عن الدولة التى وجد فيها مسيحيون فقد نصحهم السيد المسيح عليه السلام بالطاعة لسلطان هذه الدولة او تلك ما لم تتعارض وواجبات العبد نحو الله . وكان من ذلك أن رفض المسيحيون الأوائل أن يحنوا الرؤوس لتماثيل الأباطرة من الرومان ، والكثير منهم رفضوا الحرب والخدمة فى الجيش.

واعتبر المسيحيون الأوائل انفسهم أمة وحدها ، هى أمة الله . فلم يشاركوا فى شئون الدولة ، لا فى الرسمى ولا الخاص منها ، حتى خال الرومان أنهم أصبحوا دولة داخل دولة .

ورفض المسيحيون الأوائل ان يكون

لهم ولاء يختصون به وطنا بذاته ، وظل هذا حالهم دهرا طويلا .

كتب كبير منهم بعد اكثر من الف عام من ظهور عيسى عليه السلام يقول :

« ان الضعيف من لا تزال فكرة الوطن تأخذ بتلابيبه فتمنعه من الخروج عن بلد هو فيه .

وان القوى ، هو الذى يعتبر كل ارض وطنا ، والكمال يبلغه من المؤمنين من يرى الأرض كلها منفى الى حين » .

يشير بذلك الى ان الأوطان فى السماوات لا فى الأرضين .

هكذا كان الآباء المسيحيون الأولون .

كانوا على ما يظهر رجالا بسطاء طيبين ، لا يبالون بالثراء ، ولا يوغلون فى علم ، ولا يطلبون رقة المدنية .

ثم تغير الحال

ثم تغير الحال بدخول فكر الاغريق الى الدين الجديد وعلم الرومان. ونشأت كنيسة كانت لها مع الزمن ادارة من اكبر ادارات الأرض ، صرفت بها شئون دولة دينية ، رئيسها البابا . جمعت من القوميات اشتاتا . قوميات لم يكن لها معالم خاصة تظهر بها وتتحدد ، فقد غمرتها الامبراطورية الكنسية غمرا .

وترسل الكنيسة رسلها الى بقاع الأرض تنشر النصرانية ، فالنصرانية عندهم ، لم تكن لقوم بذاتهم ، أو لأقوام بذواتهم ، ولكن لكل بلد ولكل جنس ولكل لون ولكل لسان . ولاقتهم صعاب حيث اختلفت الألسنة واختلفت الألوان، فطوعوا الدين لكل هذه الصعاب . انها اوطان جديدة، والمسيحية لكل الأوطان.

مثال ذلك عقبة اللغات . فهذه طوعوها باتخاذ اللغة الدارجة فى تلك الأوطان لغة دين .

ومثال ذلك عادات بدائية وتقاليد وثنية ، فهذه طوعوها باحتمال ما فيها حينا ، وباعطائها معانى لم تبعد بها عن اصول معانيها كثيرا .

وعلموهم الكتابة ففتحوا لهم ابواب ما صحب الدين المسيحى من مدنية .



السيدة مريم وقد خرجت بالسيد المسيح الى مصر

وتقبل الكثير من القبائل البدائية ، والشعوب التى لم تكن أخذت حظا من مدنية ، تقبلوا هذا الدين لأسباب عدة ، منها ما حمل رسل هذا الدين معهم من مدنية ، ومع المدنية علم ، ومع العلم ثراء .

ومن اجل هذا كان نجاح المسيحية ، من حيث التمدد، أكثر النجاح فى افريقية، لا سيما فى الأوسط والجنوب منها .

فلما أراد رجالها أن يمتدوا بها الى الشمال

من هذه القارة ، والى آسيا مع اتساع ارجائها ، تعذر عليهم ان يخترقوا جدرانا سميكة اقامتها دونهم حضارات سابقة قديمة . وكان الاسلام من أسمكها جدارا ، وكان لا يزال فى عنفوانه ، وكان جمع الى الدين العلم ، وكان جمع الى العلم الثراء . فلم يكن عند أهل الغرب مزيد من اغراء .

ثم ان الكنيسة تفتحت لها فى تلك العصور أبواب قارة جديدة لم تكن معروفة (عام ١٤٩٢ م) ، تلك أمريكا ، فكان معنى هذا كسب اوطان جديدة للمسيحية وتدبير اوطان .

تفكك الكنيسة وقيام القوميات

ثم تجرى القرون فتتفتق عن تفكك الكنيسة وولادة القوميات Natioalities على النحو الحديث الذى سوف نعود اليه فى هذه الكلمة . وهى تكونت فى اوروبا ، وهى تكونت من حطام الامبراطورية الكنسية بعد ان تقاصرت اذيالها فصارت تقبع اليوم ، فى وطنها القديم فى روما ، فى مساحة قليلة من الارض . وان تكن الامبراطورية فقدت سلطانها الدنيوى فقد استبقت الكثير من سلطانها الدينى عبْر الكلمة المكتوبة والمسموعة والمذاعة .

وهذا التطور الذى وقع فى العالم المسيحى ، من حيث ظهور القومية ، انما كان مناقضا لما اوصت به المسيحية الاولى ، من ان كل ارض للمسيحى وطن ، وكل وطن منفى ، ولا استقرار الا فى وطن السماء .

والذى نريد ان نقوله بعد كل هذا ان اليهودية كانت دينا مغلقا وقومية مغلقة معا ، فلم تمتد فى أرجاء الدنيا . ولعلها بسبب هذا عانى أهلها ، ولا سيما من أهل الغرب ، ما عانوا فى القرون الذاهبة من معاملة لم تكن احسن المعاملات .

والذى نريد ان نقرنه مع هذا القول ان المسيحية كانت دينا مفتوحا وقومية واحدة امتدت فاحتوت الكثير من ارجاء الدنيا .

والاسلام
بين الدين والقومية

ونأتى على الاسلام ، وهو من حيث التاريخ ثالث الثلاثة .

والاسلام جاء صراحة لكل الخلق .

وصاحب الدعوة ، صلوات الله عليه ، وهو عربى ، وهو قرشي ، كان من أشيع اقواله انه جب العروبة ان يكون لها فى الاسلام فضل سابق باعتبار عروبتها وحدها ، فهو الذى قال القولة الشهيرة التى يرددها الكبار والصغار : « ليس لعربى على اعجمى فضل الا بالتقوى » وهو الذى يقول : « سلمان منا آل البيت » .. وما كان سلمان الا فارسيا . وهو الذى اتخذ بلالا مؤذنه وكان حبشيا . وردد الرسول هذه المعانى فى اقوال كثيرة ، ورددها من بعده الخلفاء .

وكانت كل اقطار المسلمين فى الاسلام امة واحدة ، مهما اختلف اللسان واختلفت الالوان . وكان للمسلمين فى المدينة خلفاء هم رؤساء المسلمين وقادتهم اين كانوا . وكان لهم فى دمشق خلفاء ، وكان لهم فى بغداد ، وفى القاهرة ، حتى آلت الخلافة آخر الأمر الى الترك وبقيت حتى اوائل هذا القرن .

وهذا يؤكد ان الاسلام ما كان يوما الا دينا واحدا ، وقومية واحدة ، وجمعت كل القوميات فى هذه القومية الواحدة . او ان شئت قلت ان الاسلام ، كالمسيحية ، كان دينا واحدا ، ووطنا واحدا ، وجب القوميات جميعا ، من حيث انها قوميات فرادى ، يستقل بعضها عن بعض .

ثم حدث فى الاسلام ، فى العصور الحديثة ، ما كان حدث فى النصرانية ، من قيام الدول ، فرادى ، كل له استقلاله ، يتخاصم فيه ويتصالح ، ويتصادق فيه ويعادى .

على ان الذى حدث فى المسيحية كان اسبق مما حدث فى الاسلام بقرون .

المجتمع الأوروبى بعد أن تجمع فى قومية دينية متصلة واحدة ينفرط الى قومياته الحديثة الحاضرة

ظل المجتمع الأوروبى مجتمعا تسوده الفكرة الدينية رباطا قويا ما ظلت الادارة الكنسية طيبة السمعة، مهيبة محترمة. ولكن أى ادارة ، كنسية أو غير كنسية ، انما يديرها رجال ، والرجال تخطىء وتصيب ، وتصلح وتفسد ، ويختلط صالحها بفاسدها ، والزمان الذى يأبى على الطعام ان يبقى طاهرا مطهرا ، فيصيبه العفن ، والزمان الذى يأبى على الشباب أن يظل على الصحة والقوة والقدرة فيصيبه مع الشيخوخة بالمرض الضعف والعجز ، هذا الزمان كأنما يأبى أن يترك شيئا على حال واحدة أمدا طويلا .

وحم القدر، فأصاب الكنيسة فيما اشتكى منه رجال كثيرون من المسيحيين المؤمنين الأطهار . وبدخول القرن السادس عشر ، بدأ العصر الذى سماه المسيحيون بعصر الاصلاح Reformation وهو العصر الذى اتهمت فيه الكنيسة فى روما اتهامات شتى . وهو العصر الذى انشقت فيه ، فكان بدل الكنيسة كنائس . وهو العصر الذى بدأت فيه تنحل القومية الدينية الواحدة لتحل مكانها القوميات الوطنية Nationalities المتعددة .

كان هناك فى اوروبا ، حتى والكنيسة البابوية هى المظلة الواحدة الكبرى ، أقوام اختلفت ألسنتهم ، واختلفت عاداتهم ، واختلفت اجواؤهم ، واختلف حتى ماضيهم ، تمثلت فيهم القومية الوطنية ، تمثلت فى كل على اختلاف ، ولكن حجبها جميعا ما شمل كل هذه الاقطار من مظلة دين . فلما قام رجال يمزقون هذه المظلة ، بسبب ما جنى بعض من حملها عالية رفيعة سابقة (ونحن ننقل عن المسيحيين) ، ذهب الحجاب ، فاذا بهذا فرنسي ، وهذا إسباني ، وذاك سكسوني ، وذاك الماني ، وهلم جرا .

وعارضت الكنيسة ما عارضت فى هذا التفسخ ، وغلبت على امرها ، فاذا بها حينا تعارض قيام القوميات تطبيقا لمبادئها ، واذا بها حينا تناصر القوميات نكاية بملوكها . وكان هناك ملوك سبقوا ، ولكن غير ذوى سيادة .

وبانصداع المجتمع الأوروبي الى امم، الى قوميات ، أممت هذه القوميات كنائسها ، من شاء منهم .

قيام الدول فى الدولة الاسلامية

وشبيه بالذى جرى فى المسيحية ما جرى فى الاسلام ، ولكن لغير هذه الاسباب .

بدأت الرقعة واحدة ، ثم اخذت تتسع ، فجنى اتساعها عليها .

وسارع فى اظهار أثر الاتساع ما صاحب الاسلام من تفرق المسلمين شيعا ، بدأت بمقتل علي رضي الله عنه ، وقيام دولة لم تنل من المسلمين كل الرضى . نازعها على الحكم فى آخر الأمر ، ولا اقول على الاسلام ، دولة كل تكأتها فى ذلك قرابة برسول الله (صلعم) . وضعفت الدولة عن ان تمد سلطانها الى اطراف البلاد غربا فقامت فى هذه الأطراف دولة ودول، كان لها رؤساء وكان خلفاء . وضعفت الدولة العباسية حتى حيث هي فى بغداد ، فتساقط عنها واستقل من حولها اقرب البقاع اليها .

والواقع ان الدولة الاسلامية لم تكتمل تحت سلطان واحد الا فى عهد النبي والخلفاء الراشدين ودولة بني امية . وما كادت الدولة العباسية تشتد حتى اخذت الدول الاسلامية تتعدد .

وتصاغرت الرقعة فى عصر دولة آل عثمان ، حتى اذا ضعفت ، دخل الاستعمار يذهب بالبقية الباقية . واختلف المستعمرون فيما ذهبوا اليه . فالانجليز هدفوا الى ان يجعلوا من



مارتن لوثر ، في ثيابه الكهنوتية ، وهو يعلق احتجاجه على ما زعمه مساوىء رجال الكنيسة في روما ، وذلك على باب كنيسة فيتنبرج بالمانيا

اقطار احتلوها دولا ، فكانت مصر ، وكان السودان ، وكان العراق . وقسّم حلفاء اوروبا الشام بعد الحرب العالمية الاولى ، فكان منها سورية ولبنان وفلسطين والاردن ، ثم السعودية واليمن . وفرنسا ارادت ان تجعل من الجزائر ولاية فرنسية .

لم يكن المستعمرون ، في هذه العصور الحديثة ، يعرفون من صور البناء غير الدولة ، لهذا صنعوا من العرب دولا ، وارادوا ان يكون لهم من الدول هذه اوطانا توابع .

الجامعة العربية والجامعة الاسلامية

ونظر ساسة اهل الشرق الاوسط فيما صنع بهم اهل الغرب من تقسيمات وتنظيمات ، كان اسوا ما فيها التفتيت .

وليس في الفتات قوة .

وهذا ما ظنوا ان هدف الغرب اليه .

فمن العرب سياسيون قاموا يطالبون بضم الفتات ليصنعوا منه شيئا ذا بال ، فقالوا بالوحدة العربية .

ومنهم سياسيون قاموا يطالبون بضم الفتات ليصنعوا منه شيئا اكثر بالا ، فقالوا بالجامعة الاسلامية .

الخشية من الأديان ظهرت في دساتير الأمم

ولكن الخشية من الأديان ظهرت في دساتير الامم الحديثة ، لا سيما دول اهل الغرب . وذلك للذي عاناه المجتمع الاوروبي من حروب سببها اختلاف الاديان . فحرب الثلاثين عاما . وحرب المائة عام . وكلها حروب اختلطت فيها الأطماع الدنيوية بالمذاهب الدينية . وارتقت فيها دماء كثيرة لطوائف من البشر عديدة ، كلها آمنت بالله .

وكان مظهر هذه الخشية عند هذه الامم حذف ما كانت تجري به الدساتير من ان الدين دين هذه الدولة او تلك .

وممن حذف ذكر الدين من دستوره فرنسا .

حتى الترك خرج دستورهم بغير دين .

ولكن كلمة سمعتها من الرئيس التركي منذ سنتين ، وقد ذُكر له احتفال ديني ، فلما لم يَستجبه ، اعترض المراسل الصحفي بأن قال له : ولكن تركيا دستورها خلا من الدين . . . فردّ الرئيس التركي مستنكرا : قال : وهل معنى هذا ان اكون انا ، او يكون غيري من الاتراك ، بغير دين . ؟!

والحق ان هذا سوء فهم وقع فيه الكثيرون .

فحذف الدين من الدساتير انما يفيد عندهم (هكذا ذكر لي ذاكر منهم) ان الأديان لديهم سواسية وانه لا يُجزَى مواطن بينهم جزاءً ، خيرا او شرا ، بسبب دينه .



« وأذّن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق »

بين الوحدة العربية والجامعة الاسلامية

وكخشية الأمم التى حذفت من دساتيرها ذكر الدين ، خشى اصحاب الوحدة العربية ، وكثرتهم الكبرى مسلمة ، من قيام الجامعة الاسلامية . خشوا ان تسىء دول فهم الجامعة الاسلامية ، فتحسبها دعوة هدفها مناواة الدول غير الاسلامية ، بسبب انها غير اسلامية .

والجامعة الاسلامية ، ان قامت اليوم لمناواة الدول غير الاسلامية ، بسبب انها غير اسلامية ، كان قيامها نشازا فى هذا الزمان .

اما ان تقوم لرعاية مصالح المسلمين ، والامم الاسلامية ، فشىء لا يعيبه الا من اراد بالمسلمين شرا . وما مسيحي ، وما هندوكي ، وما بوذي ، وما حتى يهودي مؤمن حقا بتعاليم دينه ، يريد بأحد من الناس شرا ، الا ان يكون حاد وجنح . وما مسلم ، مؤمن حقا ، يريد بمسيحي او غير مسيحي شرا ، الا ان يكون حاد وجنح .

جامعة للدفاع لا للهجوم

ان الذى ابرز الحاجة الى الجامعة الاسلامية ، فى هذه الايام خاصة ، هو ما حدث بين العرب واسرائيل ، لا فى هذه السنوات القريبة الحاضرة ، ولكن على طول سنوات هذا القرن الحاضر . وبالتحديد من يوم اعطى بلفور لليهود وعدا بوطن لهم فى فلسطين .

هذا الوعد وما تلاه ، والحرب التى وقعت عام ١٩٤٨ ، وتلك الاخرى التي وقعت عام ١٩٥٦ ، وعلى الأخص الحرب التي وقعت عام ١٩٦٧ ، وما صحبها وتلاها من مناصرة اوروبا المسيحية وامريكا النصرانية اسرائيل مناصرة لم تقف عند حد ، مع فرحة تجلت فى كل صحيفة وكل مجلة وكل ناد وكل مجتمع ، كانت اشبه باشتفاء غليل .

وتساءل العرب ، والمسلمون خاصة ، اى غليل هذا يا ترى ؟!

وهذه المناصرة لم تزدها الايام ، والى يومنا هذا الحاضر ، الا غلوا ولم يوقفها حتى خشية حرب شاملة تصيب العالم اجمع بالنكبة ، واى نكبة !

واسرائيل ، بما اعطاها الغرب وامريكا من التفوق فى الطيران المطلق تروح تضرب الاهداف المدنية فى اعمق البلاد العربية الاسلامية ، ولا يذيع الغرب الا ها ، ولا يصفق لسواها . ويطلب الصهاينة من

الطائرات المزيد ، فيكون لهم من الامريكان المزيد من بعد المزيد . ويجتمع برلمانهم ، ويطلب من حكوماتهم ان تعطي الاسرائيليين من السلاح كل ما يطلبون .

أعن حرارة سياسية كان كل هذا ، ام هو دفء ايمان ، وشفاء من اشجان؟

ام هو الشجن الذى اشتفى منه القائد البريطاني اللنبي Allenby ، حينما قهر بجيشه الترك فى الحرب العالمية الاولى ، ولما بلغ من الشام قبر صلاح الدين ، وقف عليه يحدثه فى كبرياء واشتفاء : اى صلاح الدين ، لقد عدنا ....

ان الغرب ، وامريكا من الغرب ، باعدوا بين الدين والسياسة رسميا . ولكن بقي الدين فى الشعب ، وبقي فى المدارس . وبقي التاريخ يدرس ، واحتلت الحروب الصليبية مكانها فيه . والحروب الصليبية لا تدرس لصبية الا بالسنة من نار . ويكبر الصبي الغربي وفى قلبه من هذا التاريخ ما به ، ويحس ان بينه وبين المسلمين احقادا ، يزيدها اليهود الهابا ، وقد احتكروا فى الغرب نشر الصحيفه والكتاب .

انها احقاد تهبط من الوعي الى اللاوعي ، حتى تأتيها المناسبات ، فتطفو .

وقد كانوا زعموا ان الوعى يحرك الناس .

فجاء فرويد ليقول : بل ان سلطان اللاوعي هو المحرك الثابت الدائم على الازمان .

والنهاية التى اريد ان انتهي اليها من كل هذا ، هي القول بأن الذى ابرز الحاجة الى جامعة اسلامية هذه الايام ، هو الاحساس بأن العداء بين العرب والاسرائيليين ، وهو عداء انشئوه على دين ، واحكم اليهود ادارته حتى جعلوه عداء شمل اليهود والغرب معا ، آخوا فيه بين اليهودية والمسيحية ، وجعلوا فيه من الاسلام والمسلمين هدف عداء .

فالجامعة الاسلامية المطلوبة انما هي جامعة دفاع لا جامعة هجوم .

جامعة سياسية هدفها الدفاع عن العقيدة واهلها

انها جامعة سياسية هدفها الدفاع عن العقيدة ، ذلك الحق الذى سجله العصر الحاضر ،وما اسموه بالديمقراطية الحاضرة ، وهو حق من ابرز حقوق الانسان : حرية العقيدة .

وهي جامعة احسبها تدفع عن العقيدة الاسلامية ، كما تدفع عن العقيدة المسيحية ، كما تدفع عن كل عقيدة .

انه الدفاع الذى لا يتواءم غيره وهذا العصر .

انه الدفاع الذى اوحت به الآية الكريمة : لكم دينكم ولي دين .

ومن اجل هذا لا احسب ، مثلا . ان احدا من اهل الكتاب يمنع من حضور مجالسها ، فغاية الأديان ، فى استقلال الأديان وامنها ، وامن اهلها ، واحدة .

وازيد قولي وضوحا ، فأضرب مثلا بلبنان ، المسلم المسيحي ، او ان شاء بعضهم فالمسيحى المسلم . من حق لبنان المسلم ان يحضر الجامعة الاسلامية . وبما ان لبنان دولة ، فمن حق الدولة أن ترعى مصالح مواطنيها جميعا ، ومن صالح مواطنيها المسلمين ان لا يصابوا باذى بأنهم مسلمون . ومن حق رئيس لبنان ، المسيحي ، ان يحضر ويدافع عن حق مسلميه فى تجنيبهم الأذى . ومن حق رئيس وزراء لبنان المسلم ، ان يحضر الجامعة المسيحية ، ان وجدت ، ويدافع عن حق مسيحييه فى تجنيبهم الأذى .

ذلك ما أراه .

فان اصبت ، فحمدا لله .

وان اخطات ، فما انا باول رجل طلب الماء ، فلما جاءه ، لم يجد الا سرابا .

●●

احمد زكي

في الدراسات الاسلامية

بقلم عبد الله كنون

■ حضرت في الحلقة الخامسة للدراسات الاندلسية الاسلامية التي عقدت بمدينة مالقة في شهر (ديسمبر) متم سنة ١٩٦٦ واستمرت أسبوعا كاملا ، وشارك فيها كالعادة باحثون أوربيون وشرقيون بالاضافة الى الباحثين الأسبان أصحاب البلاد .

والذي يهم ذكره هنا من وقائع الحلقة انه أقيمت عدة حفلات لتكريم العلماء والأساتيذ الذين حضروها ، وكان من جملتها حفلة محافظ المدينة التي امتازت بخطاب ترحيبي رائع القاه المحافظ واليه يساق الكلام :

حيّا المحافظ الباحثين المشاركين في الحلقة ، ونوه بعملهم الذي يكشف النقاب عن حضارة الاندلس وتراثها الفكري ، وحياتها في ظل الاسلام طوال ثمانية قرون ، كانت خلالها مركز اشعاع وموطن علم وفن وثقافة تستمد منه القارة الاوروبية كلها . وقال ان الاسلام الذي كان دين اجدادنا في هذه الفترة الطويلة من الزمن ، هو باعث تلك النهضة ونافخ روح الجد والعمل في بلادنا التي كانت قبل دخوله اليها تغط في نوم عميق .

ثم قال ولا على اذا قلت كلمة انصاف في الدين الاسلامي ، وانا المسيحي المخلص لدينه ، فلن يتهمني احد في عقيدتي وايماني .

اني بحبي للاطلاع ، وحرصي على المعرفة قرأت القرآن كتاب الاسلام المقدس ، ودرست سيرة النبي محمد

ويمكنني ان أقول : ان الاسلام كدين كبير أتى بكل العناصر التي لا يكون الدين كاملا بدونها ، انه يحتوي على عقيدة سامية في الاله العلي القدير . تتمثل في شعاره القائل لا اله الا الله ، ولا غالب الا الله ، وهي أساس التدين في الاسلام. ويأتي بعدها الامر بالصلاة التي هي في نظر الاسلام الصلة الروحية بين الانسان والخالق عز وجل ، وبعد الصلاة الزكاة وهي صدقة واجبة على المسلم الغني لأخيه الفقير . ومع الصلاة والزكاة الصيام ، وهو عبادة يراد منها التحكم في جموح النفس وتحقيق الصفاء الروحي ، والقاعدة الخامسة في الاسلام هي الحج ، والأديان كلها لها مكان مقدس يقصده المؤمنون للتطهير من الرجس والآثام .

وزاد المحافظ بعد هذا الكلام قائلا : اي سمو كهذا . وهل كان التدين في وقت من الاوقات خاليا من هذه الشعائر كلها .

خطاب المحافظ يقابل بالترحيب

ان محافظ مالقة الذي فاه بهذه الكلمات الذهبية في حق الاسلام ، كان شابا في نحو الاربعين سنة ، وهو دكتور في الطب ، واسع الثقافة ، وخطيب بليغ . وقد أصغى اليه كل الحاضرين وفيهم مدعوون من طبقات مختلفة من المدينة ، وفرق فولكلورية وموسيقية من الجنسين ، فضلا عن الوفود المحتفل بها ، فلم ينكر عليه أحد شيئا مما قال ،

بمدينة مالقة الاسبانية

محافظ المدينة يشيد بالاسلام دينا لآبائه

بل هنأه الكثير من الحاضرين على خطابه القيم . وبالطبع فانه لم يكن يقصد الى ترضينا نحن المسلمين الذين كنا هناك فان احدا لا يرضى غيره على حساب دينه . وزيادة على ذلك فاننا لم نكن الا ثلاثة أفراد : الدكتور حسين مؤنس والاستاذ محمد عبد الله عنان وأنا ، فلماذا يترضانا ونحن أقلية فى ذلك الجمع الكبير .

نظرة المحافظ التحليلية للاسلام

والحقيقة ان ما قاله المحافظ بشأن قواعد الاسلام الخمس ، هو نظرة تحليلية لهذه القواعد ، وبيان لمغزاها السامى الذى يرضى النزعة الفطرية فى الانسان الى التدين ، ويجعله مطمئن القلب ، طيب النفس ، لا يشعر بقلق روحي ولا بظمأ حياتي في حاله ومآله . وقيمة هذه النظرة انها أتت من اجنبى يدين بغير الاسلام ، وهو فى الوقت نفسه شخصية مثقفة ، ومن رجال السلطة فى بلد من هذه القارة التى يعترف لها الجميع بالرقي والتقدم ، فهى شهادة للدين بعامة وللاسلام بخاصة ، نقدمها الى شبابنا الحائر ومثقفينا المنحرفين عن الدين ، المحتجين بأوربا والغرب والتقدمية وعصر العلم . لم نقلها نحن وانما قالها رجل من الصنف الذى يكبر فى اعينهم ، والبلاد التى تستأثر باعجابهم .

المحافظ يتركز على العبادات

وهى بعدُ شهادة تتعلق بما قل أن يهتم به الاجانب عن هذا الدين من شعائره ورسوم عباداته التى يهملها الكثيرون ولا يرون لها أهمية ان اعطوا غيرها من تشريعاته ومبادئه العامة بعض الاهمية . فقد كثر كلام الاجانب عن الثورة التى احدثها الاسلام فى الافكار والمجتمع ، وما قرر من حقوق الانسان ورفع من شأن المرأة ، وشرع من قوانين للأمم والأفراد ، وانقذ العالم مما كان يتخبط فيه من ظلام الجهل والعبودية .. ولكنهم لم يتكلموا الا نادرا عن الواجبات الدينية ، والاعمال التعبدية فى الاسلام كما تكلم عنها محافظ مالقة ونوه بها فى حماس واكبار .

ليس من الرجعية أن تدعو الشباب الى اقامة الشعائر الدينية

وليس من الرجعية اذن ان ندعو الشباب المسلم الى التمسك بشعائر دينه ، واهمها الصلاة التى تأتى بعد العقيدة مباشرة . فنحثه على ادائها بايمان وخشوع ، ونهمس فى اذنه بأن الدين كما قال هذا الاجنبي لا يكون بدون صلاة .

وليس من التخلف ان نتمسك بتشريع الاسلام الذى فكر قبل اربعة عشر قرنا فى حل مشكلة الفقر بفرض الزكاة ، وجعلها واجبا عينيا على الاغنياء يزاحم فرض الصلاة ووجوبها ، فضلا عما سنّه فى هذا الصدد من أحكام أخرى لم يعرفها هذا الأجنبي او لم يذكرها اكتفاء بذكر الزكاة .

وليس من الجمود أن نصوم ونعتبر شهر رمضان فرصة للتطهير والاستجمام والرياضة الروحية كما قال هذا الأجنبي ، وهو الطبيب العارف بما فى الصيام من منافع صحية الى فضائله الدينية ، لا أن نتسخطه ونرفضه . ولو راجعنا التاريخ لوجدنا أن أعظم الاعمال

واهم الفتوح التى قام بها المسلمون انما كانت فى هذا الشهر المبارك .

وليس من التاخر ان يحج المسلم بيت الله الحرام ، ويطوف بالكعبة المشرفة ، التى هى من بناء أبى الانبياء ابراهيم عليه السلام ، ويؤدى المناسك ، ويقف فى عرفات ضاحيا لله عز وجل ، متعرضا لنفحاته متأثرا خطا أنبياء الله ورسله ، فى تلك البقاع المقدسة ، التى تحتفظ بذكريات عزيزة وجليلة ، مر عليها آلاف السنين ، وهى ما تزال توحى بمعان من السمو والطهر النفسى لا يرغب عنها الا المحروم . اما قال هذا الاجنبي ، ان لكل الاديان مكانا مقدسا يحجه أتباعه ، ومصداق ذلك قوله تعالى (ولكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه) .

وهكذا ينجلى الشك عن مقاصد الاسلام فى عباداته بتزكية رجل ليس من أهله ، ولا يمكن أن يتهم بالفرض أو التعصب ، لأنه مدح ولم يذم ، ولأنه مسيحى وليس بمسلم ، ولهذا اهتبلنا بكلامه وقدمناه فى معرض الحجة على على الذين يقولون ان الدين لم يبق فيه غناء للشعوب ، وان هذه الرسوم التعبدية بالخصوص قد فاتها الركب ولم تعد تؤدي مهمة فى حياة الانسان . فالى شبابنا ومثقفينا ، نوجه كلمة صادقة مخلصة تبصرهم بالحقيقة فى أمر الدين على العموم ، وفى دين الاسلام وشعائره على القصد والتعيين .

عبقرية الاسلام ايضا فى تشريعاته الاخرى

وكان صاحبنا انما اقتصر فى التنويه بالاسلام على قواعده الخمس تأثرا بمفهوم الدين عند المسيحيين الذين يقصرونه على العقيدة والطقوس التعبدية . والا فنحن نعلم ان عبقرية الاسلام ، أعظم ما تظهر فيما أتى به من نظام شامل للحياة ، وأصول الحكم وقوانين المعاملات ، ودستور الاخلاق والحقوق الدولية وبناء المجتمع الانسانى على أساس الاحترام المتبادل ، والتعايش السلمى بين الافراد والجماعات والشعوب على اختلاف أجناسها وألوانها ومعتقداتها . فلم يقم فى ظل دولة غير دولة الاسلام نظام تعم فيه بالحياة الكريمة أهل المشرق والمغرب معا ، من غير أن ينشب بينهم نزاع طبقى أو خلاف مذهبى أو عناد دينى أو تمييز عنصرى يكدر عيشهم ، ويهدد أمنهم ، ويحيل راحتهم واطمئنانهم الى قلق وخوف دائمين ، كما هو الحال فى أرقى الانظمة السياسية فى الدول المتحضرة اليوم .

ان بلادا من أعظم بلاد التمدن الحديث ، لا يزال يقتل البيض فيها السود ، يصطادونهم كما يصطادون الحيوانات العجماء ، وفى أحسن الاحوال يعاملونهم معاملة المنبوذين ، فيعزلونهم عن مجتمعاتهم وأنديتهم ومدارسهم ، ولا يقبلون ان يتزوج أحدهم بامرأة منهم ، واذا وقع وتجاوز أحد السود بل أحد الملونين حدا من هذه الحدود ، تعرض هو وقبيلته لأشد أنواع العنف وأقسى وسائل البطش ، وكانت تلك فرصة القمع والتنكيل بالملونين من قبل رجال الأمن واصدار الأحكام الجائرة عليهم من طرف رجال القضاء فأين هذا من شرع الاسلام الذى أهدر كل الفوارق بين بنى الانسان ، ولم يقم لأحد قيمة الا تقوى الله ، اى خوفه والوقوف عند أوامره ونواهيه ، مما يحيي ضميره ويجعله مثال العدل والاستقامة كما قال تعالى (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم) وشدد النبى صل الله عليه وسلم على هذا المعنى فصرح بمضمون الآية الكريمة فى قوله (لا فضل لعربى على عجمى ولا لأحمر على أسود الا بتقوى الله) .

اين تأتى هذه الحضارة المزعومة التى تبيد المواطنين لا لجرم الا لمجرد أنهم ملونون . من حضارة الاسلام التى احتضنت الأبيض والأسود والأحمر

والأصفر ، واليهودي والنصراني والمجوسي والصابيء وسائر الملل والنحل والأجناس ، وكفلت لهم حرياتهم العامة، وحمت كنائسهم وبيعهم ومعابدهم ، وفوضت لهم في حكم انفسهم بشرائعهم الخاصة في الاحوال الشخصية ، وفتحت في وجوههم ابواب المعاملات التجارية والمالية على مصاريعها حتى تمولوا وتأثلوا الأصول والعقار ، وسمحت لهم بالتوظف في مصالح الدولة : وأرسلت منهم السفراء والرسل الى البلاد الأجنبية ، وضربت أروع الأمثلة في التعايش السلمي فعلا قبل عدة قرون لاقولا كما يتبجح به المتبجحون اليوم .

ومثالان آخران

(أحدهما) هذه الحروب الجهنمية التي تشن على الأبرياء والضعفاء وتقتل النساء والأطفال ، وتهدم البيوت على السكان ، تحرق المدنيين بقنابل النابالم، **بغيا وعدوانا على الناس لأنهم يأخذون** بسياسة أو مذهب لا يوافق المغيرين .

(ثانيهما) هذا التضامن مع المعتدين من الصهيونيين المجرمين والاسناد لهم ومدهم بالمعونة المادية والأدبية ، مع العلم بأنهم غاصبون مترامون اخرجوا العرب من ديارهم وأموالهم ، واستولوا على ارضهم ووطنهم بالمكر والخداع ، ثم بالحديد والنار .

ان حضارة هذه سياستها وهذا سلوكها لهي احرى أن تسمى وحشية ، وأن تتبرأ منها الانسانية ويستعاذ بالله منها . فأين هذا من مبدأ حرية العقيدة المقدس في الاسلام ، والمعبر عنه بهذه الآية الفذة (لا اكراه في الدين) وبالآية الأخرى التي تستنكر اكراه الناس على الايمان وهي قوله تعالى (أفانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) .

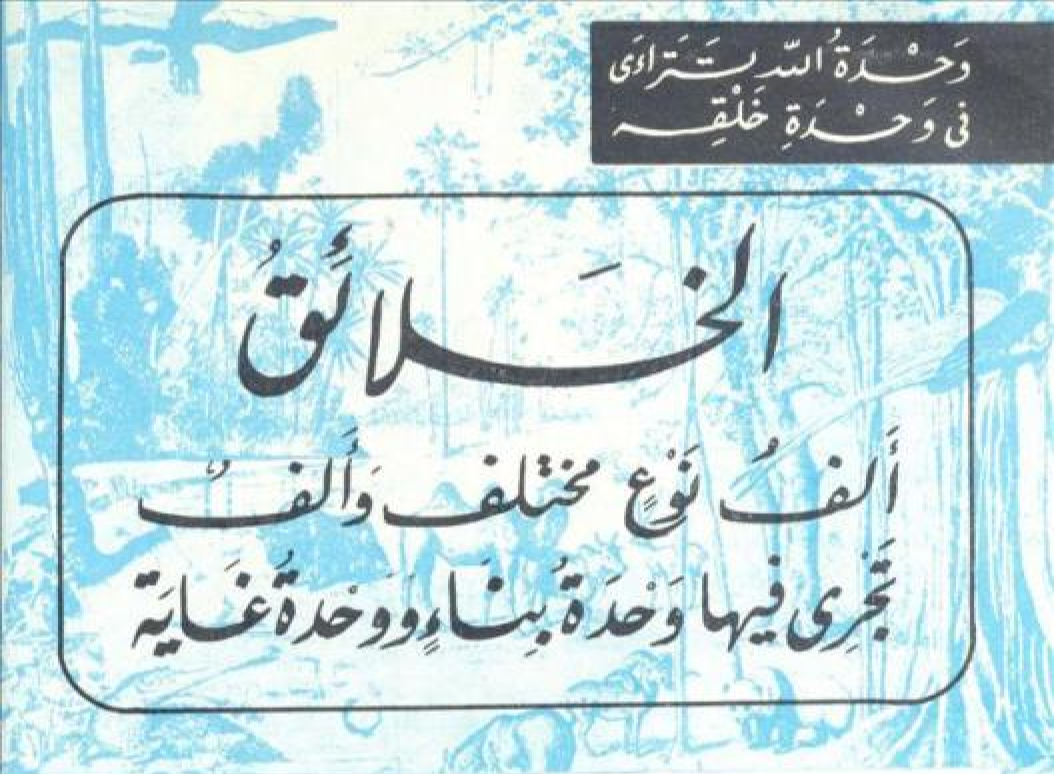
وأين هذا من شريعة الاسلام التي تمنع التواطأ مع المعتدين ، بل توجب العمل على كفهم عن عدوانهم ولو بقتالهم كما قال تعالى (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله ، فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ان الله يحب المقسطين) ويقول النبي صلى الله عليه وسلم مؤكدا على هذا الأمر (انصر اخاك ظالما او مظلوما ، قيل كيف انصره اذا كان ظالما، قال تكفه عن ظلمه) .

ان اعتداء كاعتداء الصهاينة على فلسطين ، لو وقع على سويسرا مثلا ، او على المكسيك لكان علينا معشر المسلمين ان ننكره ونعمل على منعه ان قدرنا على ذلك . فليس هذا الامر خاصا بما ينشأ بين طوائف المؤمنين بدليل الآية الأخرى (ولولا دَفعُ الله الناس بعضَهم ببعض لهُدمت صوامعُ وبِيَعٌ وصَلَواتٌ ومساجدُ يذكر فيها اسم الله كثيرا ، ولَينصُرنّ اللهُ من ينصره، ان الله لقوي عزيز) وبذلك جعل الله عز وجل المسلمين خير امة اخرجت للناس لا لكونهم مسلمين فحسب وانما لانتصارهم للحق وتعاونهم على البر والتقوى . قال تعالى (كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) .

رحمة الاسلام بالضعفاء

نعم وأين حربهم من حرب الاسلام الرحيمة التي تمنع ان يقتل صبي او امراة او شيخ او راهب ، وان يقطع شجر او يحرق زرع ، وان يمثل بقتيل او يجهز على جريح . حتى لقد قال الدكتور جوستاف لوبون الفرنسي صاحب كتاب حضارة العرب « لم يعرف العالم فاتحا اعدل ولا ارحم من العرب » وحتى اننا نستطيع ان نقول استنادا الى الحديث الشريف (لا يعذب بالنار الا خالقها) ان الحرب بالنار في جميع اشكالها محرمة في الاسلام ؛ ولولا ان العدو يحاربنا بها لم يجز لنا ان نحارب بها . ■■

عبد الله كنّون



وَحْدَةُ اللهِ يَتَرَاءَى
فِى وَحْدَةِ خَلْقِهِ

الخَلَائِقُ

أَلْفُ نَوْعٍ مُختلِف وأَلفٌ تَجْرِى فيها وَحْدَةُ بِنَاءٍ ووَحْدَةُ غَايَةٍ

بقلم الدكتور أحمد زكى

■ خلق اللهالأحياء على الأرض خلقين متباينين متمايزين ، هما النباتات والحيوانات .

وقد سبق أن ذكرنا أن النبات والحيوان فى الحياة قرينان ، فان خفيت بينهما اول الأمر وحدة فى التركيب، وان خفيت بينهما وحدةفى الوظائف (وسنعود آخر الأمر الى ازالةهذا الخفاء، والكشف بلا شك على أن مؤسس الخلق هو فى الحالين واحد)، فيكفينا الآن من التدليل على أن المخطط لكليهما واحد ، تلك الرابطة التي ذكرنا وكررنا ، تلك التي جعلت من النبات ماكولا ، ومن الحيوان آكلا ، وصنعت الحيوان بحيث لا يَحيا اشكالَ اجسام ، ووظائف أعضاء ، وعصارات هضم ، وافرازات جسم ، الا على هذا النبات ماكولا ، وصنعت النبات بحيث لا ينتفع به مهضوما ، ومَغذّيا ومحترقا ، ومعطيا من طاقة الحياة ، الا في الأجهزة الهاضمة ، الفارزة ، الحارقة ، التي تزوّد بها هذا الحيوان ، بالذى تضمنته من تفاعلات كيماوية معقدة ، واخرى فزيائية وتكنية لعلها اكثر تعقيدا .

لهذا نكتفي الآن، والى حين، بالكشف عن الوحدة التى توجد فى صنوف

غِطاءُ الأَجْسَام

جِلْدُ الإنسانِ، وجُلودُ سائِرِ الحيوانِ أَغطِيَةٌ لِلأَجْسامِ سَاتِرَةٌ شَامِلَةٌ تَقِفُ عِنْدَ الحُدودِ كالجُنْدِيِّ، حَارِسَةً حَامِيَةً

الحيوانات ، وما أكثرها . انها آلاف مؤلفة . وندع النبات جانبا ، الا ما اغرت المناسبة بذكره شملا للوحدة فى سائر الخلق .

الخلية هي الوحدة
التي تتألف منها الأجسام الحية
ومن الخلايا تتألف الأنسجة
كنسيج البشرة
ومن الأنسجة تتألف الأعضاء كالمعدة
ومن الأعضاء تتألف الأجهزة
كالجهاز الهضمي

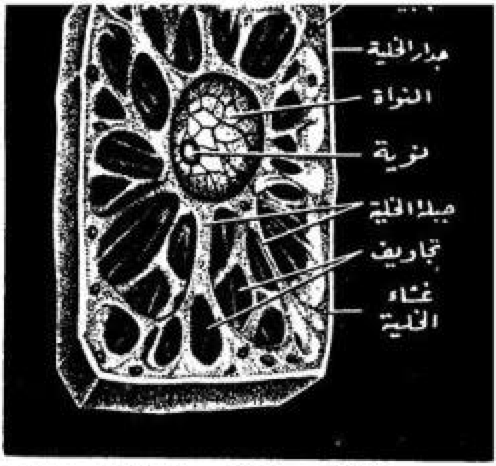
ان الخليّة هى أول كشف ، وابسط كشف فى معنى الوحدة التى تجمع بين اجسام الحيوانات جميعا (والنبات) ، من حيوانات ارض الى حيوانات بحر ، الى حيوانات هواء . ومن حيوانات ترى رأى العين ، الى حيوانات صغرت حتى دقت عن الأبصار .

ان الخلية Cell هى وحدة الخلق. انها الوحدة التى تتألف منها المخلوقات الحية جميعا . يضارعها ، من غير امعان فى التشبيه ، الذرّة ، التى هى وحدة المادة ، من حديد ونحاس وغير ذلك .

والحيوانات فيها من الأحياء ما لا يتألف الا من خلية واحدة . وهذه الخلية الواحدة تقوم بكل وظائف الحياة، على بساطة ، بالطبع .

ومن الحيوانات ما يتألف من الخلايا متكاثرة فيما بينها متعاونة .

وتتعدد الخلايا كلما كبر جسم الحيوان ، وتتشكل ، وتختلف وظائفها،



الخلية ، وحدة الاجسام الحية جميعها ، من نباتات وحيوانات . وهذه هي خلية نبات

وتقوم كل مجموعة من الخلايا بوظيفة غير الوظيفة التي تقوم بها مجموعة أخرى متخصصة في أمر آخر غير تخصص الأولى .

وبتجمع الخلايا المتشابهة تتألف الأنسجة Tissues مثال ذلك نسيج البشرة وهو الجزء العلوى من الجلد .

وبتجمع الأنسجة تتكون الأعضاء Organs ، ولكل منها اختصاص . ولكل عضو عمل محدّد . وربما جمع العضو بين أكثر من عمل واحد . ومثال ذلك المعدة .

وقد تقوم أعضاء عدة في الجسم فتكون جهازا لغاية كبرى . انها اجهزة الجسم العضوية Organ Systems .

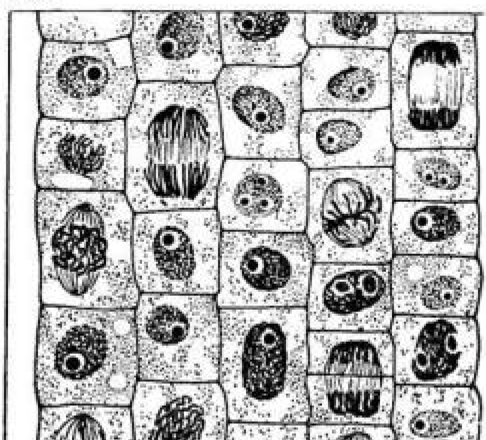
فالهضم مثلا ، في الجسم المكتمل كجسم الانسان ، يشمل الفم والبلعوم والمرىء والمعدة والمعَى الدقيق والمعَى الغليظ والمستقيم والاست ، ومع كل هذا هو يشمل أيضا الكبد والبنكرياس وغددا افرازية اخرى . فهذا هو الجهاز الهضمى .

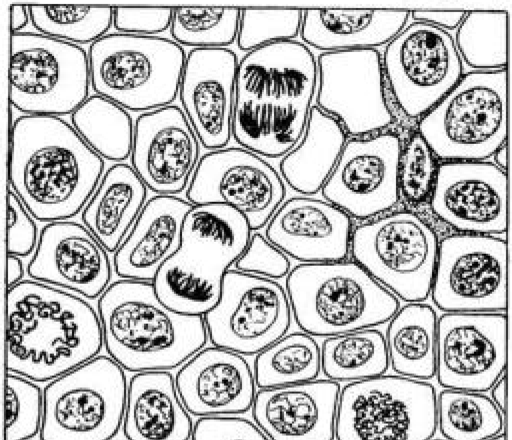
وكالجهاز الهضمى الجهاز التنفسى .

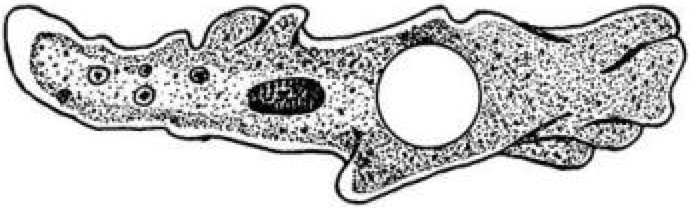
وكالجهاز التنفسي جهاز الدورة الدموية ، والقلب مضختها .

وكالجهاز العصبى . وهلم جرا .

صورتان تبينان ما بين انسجة الحيوانات والنباتات من تشابه . في الصورة اليمنى خلايا تؤلف نسيجا هو جزء من جذر بصلة . وفي الصورة اليسرى خلايا تؤلف نسيجا من جلد السلمندر وهو حيوان من الضفدعيات .







الأميبة : وهي حيوان يتألف من خلية واحدة وترى فيها نواتها ظاهرة . وهي في الماء تقوم بكل وظائف الحياة .

اجهزة تعمل متعاونة متناسقة متكاملة

كل هذه الأجهزة تعمل في الجسم المكتمل الخلق ، كجسم الانسان الذى وصفناه ، من حيث اكتماله ومن اجل اكتماله ، بانه على راس الخليقة . ويدرسها الدارسون . يدرسون كل جهاز وحده . وينسى الدارس فى اثناء ذلك الرباط الوثيق الذى يجمع بين هذه الأجهزة جميعا لاجراء الحياة ، متعاونة مترابطة متناسقة، كلا واحدا لا يتفرق. وينسى الدارس أن الجلد ، مثلا ، وهو بعض هذه الأجهزة ، لو خرقه خارق ، فدخله مكروب ، لا تراه حتى العين ، فقد يكون فى دخوله توقف هذه الأجهزة جميعا عن عمل ، يعقبه فناء هذه الدولة كلها ، دولة هذا الجسم ، تحفةِ الخلق فى هذا الوجود .

فهذا فى درجة السلم الأعلى فى مراتب الحيوانات .

وننزل في السلم الحيواني ..

وننزل فى السلم الحيوانى درجة بعد درجة .

فنجد هذه الأجهزة الجثمانية المكتملة تقل ، ونجد الأعضاء تنقص . ونجد العمل الذى كان تقسم على عدة أعضاء يقوم به عضو واحد . حتى اذا بلغنا آخر درجات السلم وصلنا الى الحيوان المائى المعروف بالأميبة مثلا ، فوجدناه يتألف من خلية واحدة ، ولكنها خلية تجرى وحدها كل مناشط الحياة من طعام وهضم وافراز وحركة وسكون وغير ذلك.

ان الحيوان المكتمل كالجامعة ، بها كليات ، وكل كلية بها فروع من المعرفة كثيرة ، وكل فرع له فروعه وله أستاذه وله معاونوه وله طلابه . وتهبط من الجامعة الى المدرسة الثانوية ، فتجد العمل الذى كان توزع على مئات اكتفى بتوزعه على عشرات ، وهو من اجل هذا تقاصر . وتنزل الى المدرسة الابتدائية ، فالى المكاتب التي تجدها في بعض القرى الصغيرة ، وليس بها الا فصل واحد ومدرس واحد يدرس كل شيء . فهذه هى الأميبة التى عنها نحكى .

او ان الحيوان المكتمل ، الانسان ، كالقصر ، تعددت حجراته، وتعدد خدمه، وتعددت وظائفه . وفى حجرة الطعام مثلا تتعدد السكاكين ، فهذه للزبدة ، وهذه للحم ، وهذه للسمك . وهذه للفاكهة . وتتعدد الشوك ، وتتعدد الملاعق ، ولكل عمل، المفروض انها بشكلها المختار اقدر على احسانه . وهكذا فى سائر مرافق القصر . وتهبط من القصر الى ما دونه من الدور، فيقل التخصيص، فالسكين التى كانت تقطع الخبز ،تقطع

الزبدة ، وتقطع اللحم ، وتقطع الفاكهة. والملعقة التي تشرب بها الحساء هي التي تأكل بها الأرز ، وهلم جرا . حتى اذا جئت الى البيت الأصفر ، الى الكوخ (الكوخ الأميبة) قد تجد الرجل الذى فيه ، هو الرجل ، وهو المرأة ، وهو الطابخ وهو الآكل ، وهو المنظف للبيت. وبأصابعه واسنانه يقشر الفاكهة ان تكن هناك فاكهة ، وما احسبها تكون في الكوخ الأميبة .

قسموا الحيوانات الى مراتب

وبناء على تقارب التركيب بين سائر الحيوانات وتشابهه ، وبناء على مقدار توزع العمل وتخصصه بين أجهزتها ، قسموا الحيوانات مراتب ، على راسها الانسان ، وفي أوطئها الحيوانات ذات الخلية مثل الأميبة كما سبق أن ذكرنا . وهو تقسيم عرفه كل طالب اتم دراسته الثانوية او هكذا أظن . ومع هذا نجمل هذا فى كلمات قليلة نذكر بها فنقول :

انهم قسموا الحيوانات قسمين عظيمين ، ذوات فقار Vertebrates ، وغير ذوات فقار Invertebrates.

اما ذوات الفقار فتحتوى أشهر ما نعرف من حيوان . وما الفقار الا سلسة العظام التى بالظهر وفيها يمر النخاع من المخ ، ومن النخاع تتفرع الأعصاب الى سائر الجسم .

ونذكر اشهر الفقاريات فنذكر الأسماك ، وهى تعيش فى الماء .

ثم البَرْمائيات التى تعيش فى البر والبحر ومثلها الضفدع.

ثم الزواحف ومثلها التماسيح والثعابين .

ثم الطيور ومثلها الدجاج والصقور . ثم الثدييات ، وهي التي لها ثدْيٌ ترْضِعُ وما اكثرها فى خبرة الانسان ، فمنها الانسان نفسه،والمواشي،والخيل، والقط ، والكلب ، والنمر ، والسبع ، والفيل والغزال ، ومنها الحوت فهو يرضع فهو ليس من الأسماك .

اما غير ذات الفقار فمنها الاسفنجيات، ومنها المرجانيات ، ومنها الديدان بشتى صنوفها ، ومنها الرَّخَويات كالمحار والحلزون، ومنها المفصليات كالحشرات والعناكب . ومنها ما دون ذلك بساطة كالأميبة ، وهى تتألف من خلية واحدة.

وبالطبع لم نأت على ذكر كل اصناف الحيوانات ، ولا راعينا فى ذكرها ترتيبا خاصا ، وانما قصدنا من ذلك ان نعطى صورا متوالية من خلائق شتى نوضح بها ما فى هذه الخلائق من اختلاف كبير فى الحجم والشكل وفى البيئة ، وفى باطن ما تحتويه هذه الأجسام وظاهرها ، لنقول من بعد ذلك ان هذا الاختلاف العظيم الشامل في هذه الأحياء الحيوانية انما يخفى وحدة سارية جارية في الجميع، تتصل بالنظم التى تعنى بأصول الحياة وتشابه الأعضاء والأجهزة التى تجريها ، وتشابه وظائفها وأسلوب اجرائها ، والغاية التى تهدف اليها .

مقارنة اجهزة الأحياء المختلفة طريق لكشف الوحدة بينها واظهار للمخطط الأساسي الواحد الذى به تم رسمها وتشكيلها

والمخطط الذى نريده مخطط تركيب هذا الجهاز وهذا

يضاف اليه مخطط وظيفة هذا الجهاز وهذا

ونبدا من الأجهزة بدراسة اكثر الأجهزة ظهورا للعين،ذلك جهاز البشرة، ذلك الغطاء « الجلدى » الذى صنع ليحتوى الحيوان كله ،ويجعله مستقلا عن بيئته ، ولكنه يتفاعل معها ، يأخذ منها ويعطى .

جلد الانسان
أغطية للاجسام ساترة شاملة تقف عند الحدود ، كالجندى ، حارسة حامية

انه غطاء يختلف من حيوان لحيوان، فهو دقيق مثلا فى الكائن البحرى الهلامي المعروف بقنديل البحر Jelly Fish ، وهو ثخين صفيق فى الحيوان المعروف بوحيد القرن Rhiocneros ، ذلك الذى قيل فيه ان رصاصة من مسدس لا تخترقه . وهو كله ، رقيقا او صفيقا ، فى اميبة ماء او دودة ارض ، او سمكة بحر ، او طائر سماء او طائر ارض ، أو فى بقرة او ثور تصنع منه الأحذية والحقائب، كله يتألف من خلايا متشابهة متراصة بعضها جنب بعض ، والصف منها فوق الصف ، تقوم بعمل واحد ، عملَ الحراسة حول هذا الحيوان أو ذاك . انه عمل أشبه شيء بعمل الجند .

وابواب فى جدار هذا الحِصن تأذن بالدخول، وابواب اخرى تأذن بالخروج.

وفي هذا الغطاء ، وان شئت في الجلد او البشرة ، تتمثل الحدود ما بين الجسم والبيئة التى يعيش فيها . ويجرى التعامل بين الحى ، وسائر احياء البيئة ، ولكن عبر هذه الحدود . وهي التي تعطي الجسم معنى استقلاله. وهى حدود تُغزَى ، يغزوها البكتير وسائر المكروب . وهي حدود تجرح عند الغزو وتفتح ، ولكن ما اسرع ما يندمل الجرح فتعود الحدود بذلك الى انسدادها . انها خصيصة من خصائص الأجسام الحية تأبى على حدودها أن تظل بالجروح مفتوحة فتتعرض للمكاره.

الجلد : بشرة وادمة

اما البشرة Epidermis ؛ فهى الجزء الظاهر من أغطية هذه الحيوانات ، أى جلودها .

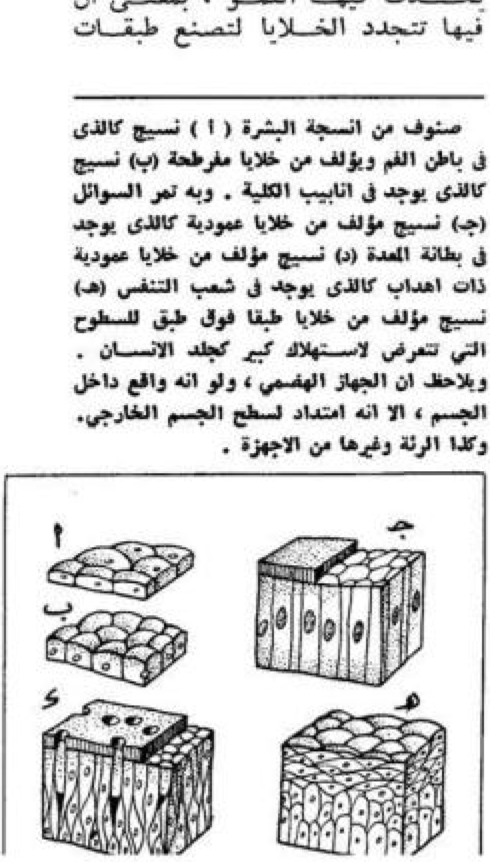
وهى طبقة واحدة من خلايا ، أو عدة من طبقات بعضها فوق بعض .

وفى الحيوانات الفقرية وحدها . كالانسان،نجد تحت البشرة طبقة أخرى تعرف بالأدَمَة . والبشرة والأدمة هما الجلد فى اللغة . وهو الذى يدبغ وتصنع منه الحقائب والنعال .

البشرة

وهي تتألف عادة من طبقات من خلايا « بشرية » ، أعمقها الطبقات التى يحدث فيها النمو ، بمعنى ان فيها تتجدد الخلايا لتصنع طبقات

صنوف من انسجة البشرة (ا) نسيج كالذى فى باطن الفم ويؤلف من خلايا مفرطحة (ب) نسيج كالذى يوجد فى انابيب الكلية . وبه تمر السوائل (ج) نسيج مؤلف من خلايا عمودية كالذى يوجد فى بطانة المعدة (د) نسيج مؤلف من خلايا عمودية ذات اهداب كالذى يوجد فى شعب التنفس (هـ) نسيج مؤلف من خلايا طبقا فوق طبق للسطوح التي تتعرض لاستهلاك كبير كجلد الانسان . ويلاحظ ان الجهاز الهضمي ، ولو انه واقع داخل الجسم ، الا انه امتداد لسطح الجسم الخارجي. وكذا الرئة وغيرها من الاجهزة .



بشرية جديدة تدفع الطبقات التي فوقها الى أعلى وتضغطها ، فتَفرطحها . وهذه الخلايا كلما ارتفعت الى ظاهر الجلد فقدت الحياة وجفَت وانفصلت عن الجسم . ويُعرف ذلك تساؤنا من نخالة الراس التي تتساقط من شعورهن ، فما هذه غير خلايا بشرية تحولت الى نوع من البروتين الجامد ، وهو المادة القرنية المعروفة بالكيراتين Keratin ، ثم انفصلت .

والحيوانات التي تعيش في البر والماء المسماة بالبرّمائيات ،وكذلك الزواحف، تنسلخ بشرتها عنها قطعةً واحدة .

الأدَمة

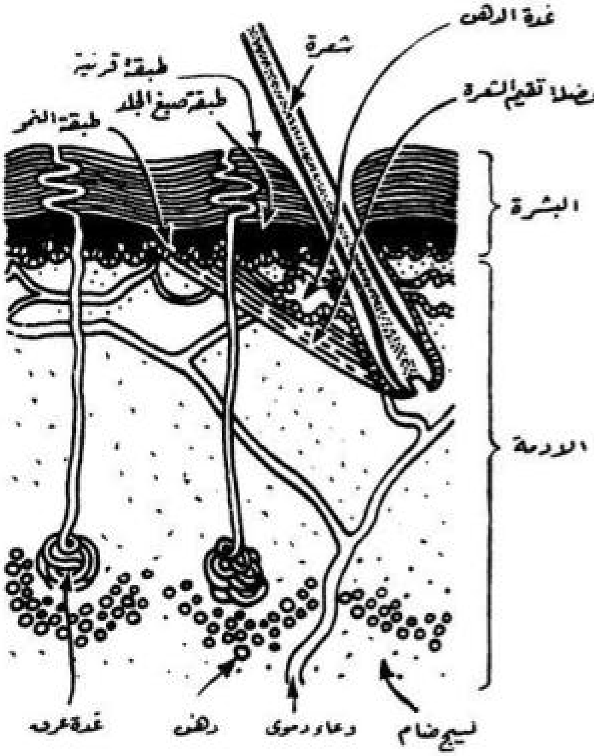
وهي طبقة الجلد التي تكون تحت البشرة ، وهي طبقة زاخرة بالحياة ، فيها الأوعية الدموية والأوعية اللمفاوية، والخلايا الدهنية ، والأنسجة الرابطة . وبها الكثير من اطراف الأعصاب ، وهي الأعصاب التي تتحكم في الأوعية الدموية فتوسّعها او تضيّقها وفقا للحاجة ، وطلبا للدفء او البرودة . واذا شكَكَ احدٌ بدبوس فأنت لا تحس الما حتى يصل الدبوس الى الأعصاب في الأدمة . وفي الأدمة كذلك غدد العرق ، وغدد الدهن التي تزيّت الشعر الذي بالجلد وتملّسه .

مشتقات تخرج من البشرة هي من صنعها

ونعود الى البشرة لنعدد ما تصنع للجسم من اشياء نافعة ، قضت الحاجة بأن تكون مواضعها عند مداخل الجسم، فكان من نصيب البشرة ان تقوم بها .

ومن هذه الأشياء الغُدَد عند ظاهر الجسم .

ومنها القشر والسُقط .



صورة تبين جلد الانسان ، وتركيبه ، ايضاحا لنص المقال



فار وذيله . وفي الذيل شعر . والى جانبه صورة مكبرة من ذيل الفار يظهر فيها الشعر ومعه القشر المتطارف الذى يغطي الذيل .

ومنها الشعر .

ومنها الظفر والمِخلب والحافر .

ومنها ريش الطير .

من مشتقات البشرة الغدد

من امثلة ذلك غدة العرق في الجلد ، وغدة الدهن فيه ايضا ، وغدة الدمع ، وغدد اللبن في الثدى، وكذلك الغدد التي تفرز الشمع في النحل ، وتلك التي تفرز المادة المخاطية في ظاهر السمك فتجعله زَلِقا ينفلت من اليد فلا تكاد تمسك به. وفي المعدة والأمعاء (وهي بعض الجلد على الرغم من اختفائها لأنها في ظاهر الجسم لا باطنه) يوجد كثير من الغدد التي صنعتها البشرة وتخصصت في افراز او امتصاص .

ولو شئنا ، عددنا الكثير غير ذلك ، في الأعداد الكبيرة الهائلة من صنوف الحيوانات ، وهي جميعا اشباه ونظائر، دليل الوحدة السائدة في الخلق .

والقشر والسفَط من مشتقات البشرة

والأمثلة كثيرة ، فالأسماك تغطيها قشور هي السفط . والزواحف كالثعابين تغطيها قشور . والطيور تغطي القشور ارجلها . والكثير من الثدييات كالفئران تغطي القشور ذيولها . ومن هذه القشور ماينشأ في الأدمة ، ومنه ماينشأ في البشرة . وقشر الزواحف ينشأ من خلايا البشرة ، فهي تثخن ، وتجمد ، ثم تتقرن ، فتكون قشرا .

ولو شئنا لزدنا امثالا وزدنا تفصيلا .

الشَعر من مشتقات البشرة

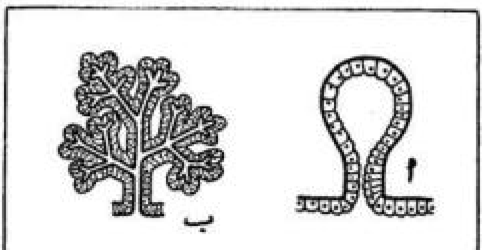
والشعر يوجد في جلود الحيوانات ذوات الثدى ، يستثنى من ذلك ، فيما يُستثنى ، الحيوان المعروف بفرس النهر او جاموس البحر Hippopotamus ، وكذلك الفيل والحوت .

والشعرة نصل مكون من خلايا البشرة ، وهذا النصل يخرج من سطح الجسم مائلا عليه ، وهكذا هو يمتد في باطن الجلد بين خلايا بشرية ، ويغوص مع ذلك على هذا النحو في الأدمة . والجزء المغمور في الجلد من هذا النصل سريع النمو ، وهو يتغذى من دم حلمة صغيرة تحت جذر الشعرة ، هي جزء من الأدمة وفيها الأوعية الدموية والأعصاب.

اما جزء هذا النصل ، نصل الشعرة، الذى نراه فوق سطح الجلد فمكون من خلايا قرنية ماتت (راجع الشكل المرفق) .

ومع الشعر غدد تفرز مادة دهنية للتزليق كما سبق أن ذكرنا . وكذلك مع الشعرة عضلة تعرف بالناصية لأنها عندما تنقبض تشد الشعرة فيذهب

صورتان تمثلان خلايا منخلايا البشرة تخصصت فصارت غدتين للافراز ، الأولى (ا) غدة بسيطة والاخرى (ب) اعقد تركيبا ، كل منهما يفرز افرازا هو متخصص فيه .



ميلها وتصبح عمودية فوق سطح الجسم .

وانتصاب الشعر من بعد ميل يحدث تلقائيا فى الحيوانات ذات الشعر الوفير عندما يبرد الطقس ، لأن انتصاب الشعر يزيد سمك طبقة الشعر فيزيد ما احتبس فيه من هواء حافظ لحرارة الجسم عازل .

ولا ننسى ان شعر الحيوان ، والفرو عامة ، من فوائده حفظ الحرارة على الاجسام . وحرم الانسان من شعر كثيف ومن فرو ، فلبس الثياب واكتسى بفراء الحيوان .

والشعر له لون ، هو عادة اللون الأسود ، وهو يتوزع على نصل الشعرة على درجات مختلفة فى الناس ، فيكون من ذلك الشعر الأصفر والبني والأشد اقتتاما . والخليمة التي بقاع الشعرة اذا عجزت ان تمد الشعرة بمادة اللون، خرجت بدون صبغ فكانت بيضاء . وهذا هو الشيب .

والحيوان يفقد شعره ، ولهذا اوانه . ويختلف الانسان فى ذلك ، فهو يفقد شعره ولكن فى غير اوان له مضروب . وشعر الانسان ، شعر راسه ، اذا بلغ من الصحة نصيبا موفورا ، فقد يعيش السنوات ولو قليلة . ورموش العين تعيش الشهور القليلة .

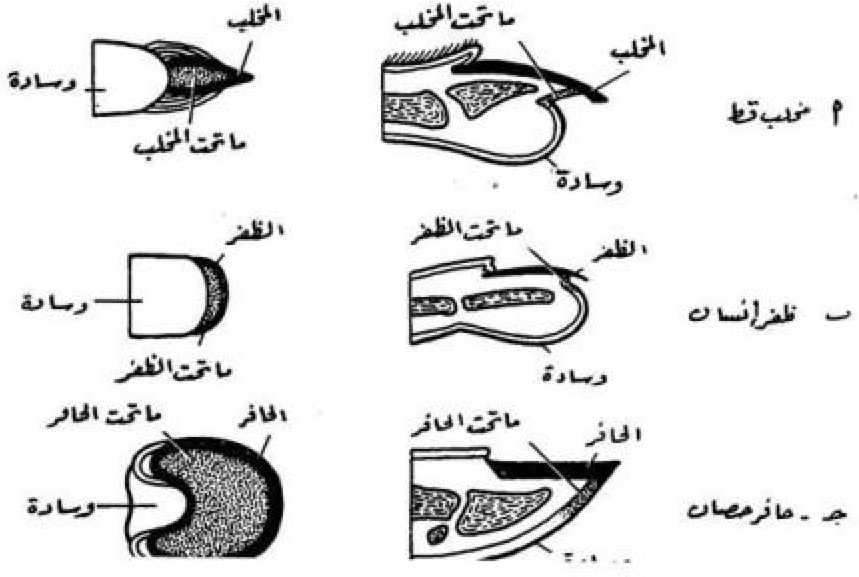
والشعر الطويل المنسرح شعر شكل الشعرة منه كالأنبوبة . ولكن الشعر المتموج شعر تفرطحت انبوبته فقصر منها جانب ، وطال جانب ، اى صار له ظاهر وباطن ، فانطوى على نفسه . ويعده الناس من الجمال . والمزين يقوم بكي الشعر ليتموج ويؤجر على ذلك اجرا طيبا .

صور من ثلاثة اشياء ، مخلب القط ، وظفر الانسان ، وحافر الحصان .

فى الصورة العليا مقطع رأسي ترى فيه مخلب القط ، والوسادة التي تحته من لحم . والى جانبها صورة للمخلب كما تراه من اسفل .

الصورة الوسطى هي مثل ذلك ولكن لظفر الانسان . الصورة الأولى لمقطع رأسي ، والثانية لمظهر الظفر من اسفل .

والصورة الدنيا لحافر حصان ، وهما صورتان لمقطع رأسي ولمنظر سفلي .





فبراير ٢ مارس ٢٠ يونيو ٢٢

قرن ايل ، وهو امتداد من عظم الرأس . وبالصورة تاريخ نموه ، والايل يرمي بقرونه بعد سنتين ، ثم بعد سنة تتوالى .

وظفر الانسان كمخلب الحيوان كحافر الحصان كلها انسجة بشرة تحولت

كلها انسجة من خلايا البشرة ، بشرة الجلد ، تحولت الى مادة قرنية ، هي مادة الظفر والمخلب والحافر . وهي اشبه بتحول هذه الخلايا لتكون شعرا .

اما الاظفار فللانسان ، ولقليل من الحيوانات الثديية المرضعة . والظفر عبارة عن صفيحة قرنية تنمو فوق السطح العلوي لطرف الأصبع ، ومن تحتها لحم الأصبع يقوم كالوسادة الطرية .

واما المخلب فيكون للطيور ، وللعظايا ، ولكثير من الحيوانات ذات الثدي . والمخلب اشبه ما يكون بالظفر ، يَركب طرف جزء مفصلي ، ومن تحته وسادة.

والحافر ظفر غلُظ حتى غطّى طرف اصبع فصار له درعا واقيا .

الخطة فى كل هذه واحدة ، وان اختلف الحيوان ، وتباعد .

والمصدر واحد : انه البشرة .

والطريقة واحدة : تحوُّل البشرة الى مادة قرنية .

والتركيب واحد : وقاءٌ جامدٌ او جارح ، من تحته وسادة ، هي امتداد لسائر اليد او القدم .

واختلفت الاغراض ، باختلاف البيئة واختلاف الحياة ، ولكنها كلها نبعت من مخطط اصيل واحد .

وريش الطير

وريش الطير يختلف عما سبق ان ذكرنا من الشعر والظفر والمخلب والحافر ، من حيث انه لاينشأ من البشرة ، ولكن من الأدَمَة .

ان الريشة تحمل خلايا البشرة معها ، ولكنها تنبت من حفرة فى ادمة الجلد .

والريشة جزء منها يختفي فى الجلد ، وجزء يظهر فوقه .

اما الذى يختفي في الجلد فمؤلف من نسيج خلَوى طبعا ، يبقى حيا ، الا حين يقترب من سطح الجلد .

والريشة ، كلها تقريبا ، تتالف من فجوات من هواء ، صغيرة مجهرية ، حيطانها من مادة قرنية ، كانت خلايا حية ، ثم صارت الى ما هي عليه .

وينتج عن هذا امران :

ان الريش ملىء بالهواء ، فهو بطانة رائعة الدفء ، فليس كالهواء عازل . ثم ان الريش خفيف ، وهذا امر خطير لكل طائر .

●●

وننتهي من ذكر البشرة ، او الجلد عامة ، وذلك بحسبانه جهازا ، يتكرر فى الحيوانات جميعا . واحسب اننا قد اوضحنا انه ، برغم ما فى هذا الجهاز من اختلاف اشكال واحجام ، باختلاف الحيوانات، وباختلاف اغراض واهداف، فان هناك وحدة سارية فيها جميعا ، من حيث التركيب ، ومن حيث الأهداف والسلوك ، وحتى من حيث الأشياء التي يتحول اليها الجلد ، والطرق التي يتحول بها والغايات التي يستهدفها .

●●

احمد زكي

الأسمنت : حجر جيرى وطفل

■ تميزت مسابقة العدد ١٣٥ بطابعها العلمى حيث انحصرت فى عشرة أسئلة تتناول بعض المواد والعناصر التى تتدخل فى حياتنا اليومية . والملاحظ أن الاجابات كانت اقل من مثيلاتها فى المسابقات الماضية . وهذا شيء يؤسف له . لأن العرب ما زالوا قليلى العناية بالعلم والتكنية ، وانما بناء مستقبل العرب لا يكون ، فيما يكون ، الا على العلم والتكنية .

واليك ايها القارىء نموذجا للاجابات الصحيحة وقائمة بأسماء الفائزين بالمسابقة .

١ ــ قلم الرصاص : من اقدم الأقلام التىاستخدمها الانسان .. مادته الملونة تتالف أساسا من الجرافيت .

٢ ــ اكتشف علماء العصر الحديث فولاذا لايصدا ، وهو مؤلف من الحديد أضافوا اليه معدن الكروم .

٣ ــ ورق الصحف مصنوع من خشب الشجر .

٤ ــ ماء البحر نسبة الملح الذى فيه ٥ر٣ فى المائة .

٥ ــ الصوف يختلف عن القطن بوجود ذرة فى تركيبه الكيميائى لاتوجد فى القطن هى ذرة الأزوت .

٦ ــ الجلاتين ينتمى الى البروتينات .

٧ ــ الاسمنت يصنع من مادتين اساسيتين هما : الحجر الجيرى والطفل .

٨ ــ اللون الرمادى يتكون من مزج صبغين هما : الأبيض والاسود .

٩ ــ كل هذه العناصر توجد فى الهواء : الأزوت (النتروجين) الاكسجين ، الأرجون ، النيون ، الهليوم ، وغير ذلك بنسب متناقصة .

١٠ ــ جاذبية الأرض اكبر من جاذبية القمر ست مرات .

الفائزون بالجوائز

الجائزة الأولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها :

محمد باكير العلبى ــ دمشق ــ سوريا .

الجائزة الثانية : وقيمتها ٢٠ دينارا فازت بها :

سوسن مصطفى درويش دبيع ــ بورسودان ــ السودان .

الجائزة الثالثة : وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها :

معن رشيد زكريا ــ بغداد ــ العراق .

٨ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا كل منها خمسة دنانير فاز بها :

ــ انور احمد السماوى ــ عدن ــ اليمن الجنوبى .

ــ السيدة نفيسة محمد عباس ــ السعودية .

ــ داود أيوب الريحانى ــ الاردن .

ــ منى محمد شحادة ــ الكويت .

ــ عمر ابو سلامة عمر ــ ليبيا .

ــ سهيل جورج مبيض ــ لبنان .

ــ فتحى معوض ابراهيم ــ الجمهورية العربية المتحدة .

ــ محمد سالم الدبيب ــ أمريكا .

وسوف ترسل الجوائز لاصحابها .

مسابقة العربي

ابحث عن الإجابة بين سطور مقالات العربي

■ عشرة أسئلة مطلوب الاجابة عليها كلها .. أما اجاباتها فموجودة بين يديك ، في عدد العربي الذي تقرأ فيه هذه السطور ..

وكل ما عليك أن تقرأ مقالات العدد لتعرف الاجابة ..

وهذه هي الأسئلة العشرة المطلوب الاجابة عليها :

١ ـ ما هو اسم النبات الذي كان العرب القدامى يستعملونه بدلا من الصابون ؟! .

٢ ـ المسح الجيولوجي الأخير لأرض الكويت اثبت وجود بعض المواد الخام التي تفتح الباب امام صناعات جديدة .. اذكر اسماء هذه المواد ؟.

٣ ـ : « ان الاسلام كدين كبير ، اتى بكل العناصر التي لا يكون الدين كاملا بدونها » هذه الجملة قالها اسباني مسئول . فمن هو ؟ .

٤ ـ تحت بشرة الانسان توجد طبقة زاخرة بالحياة ، فيها الأوعية الدموية ، والأوعية اللمفاوية ، والخلايا الدهنية ، والأنسجة الرابطة .. ما اسمها ؟ .

٥ ـ عندما يعاني بعض الافراد من غازات البطون فانهم يحاولون التجشؤ للتخلص من هذه الغازات .. فهل يخلصهم التجشؤ حقيقة من هذه الغازات ؟ (الجواب بنعم أو لا) .

٦ ـ السنة الضوئية ما طولها ؟ .

٧ ـ منظمة عالمية فتحت أمام اللغة العربية عهدا جديدا بين لغات العالم الحية ، عندما جعلت لغتنا احدى لغاتها الرسمية .. فما اسم هذه المنظمة العالمية ؟ .

٨ ـ كان مكفوف البصر ، ومع ذلك استطاع قتل أحد جنود التتر .. فامسكوه ، وحكموا عليه بالموت صلبا .. فما اسم هذا الشاعر العربي الأعمى ؟ .

٩ ـ العدو الاسرائيلي ، لكي يطلع على الجديد في العلم ـ لا سيما ما ينشر باللغة الروسية ـ اقام هيئة كبيرة تقوم بالترجمة ، وتصدر اعدادا كبيرة من الكتب سنويا تتضمن كل هذا الجديد . فكم عدد هذه الكتب ؟! .

١٠ ـ من المعروف أن امريكا متغلغلة اقتصاديا في شتى انحاء العالم ، فكم تبلغ مجموع الأموال التي تستغلها في أوربا وامريكا الجنوبية ؟ .

شروط المسابقة

١ ـ أن يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور في ذيل هذه الصفحة .

٢ ـ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .

٣ ـ ضع اجابتك في مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتي :

مجلة العربي ـ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ١٣٧ » .

٤ ـ آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم الثالث من شهر مايو (أيار) ١٩٧٠ .

٥ ـ كل خطاب يفقد شرطا من هذه الشروط عرضة لان يهمل ولا يدخل عملية الاقتراع على الجوائز .

يمنح الفائزون جوائز ١٠٠ دينار كويتي على الوجه الآتي :

الجوائز ١٠٠ دينار

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا .

الجائزة الثانية ٢٠ دينارا .

الجائزة الثالثة ١٠ دنانير .

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير

.. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريق الاقتراع .

كوبون مسا

- عشت النصف الأخير من حياتى في فترة مؤلمة من التاريخ الإنسانى

- القرن التاسع عشر استراحة قصيرة بين بربرية العهود الماضية وبربرية المستقبل

- العالم فى حاجة إلى أفكار جديدة، وآمال جديدة، وحريات جديدة.

مات

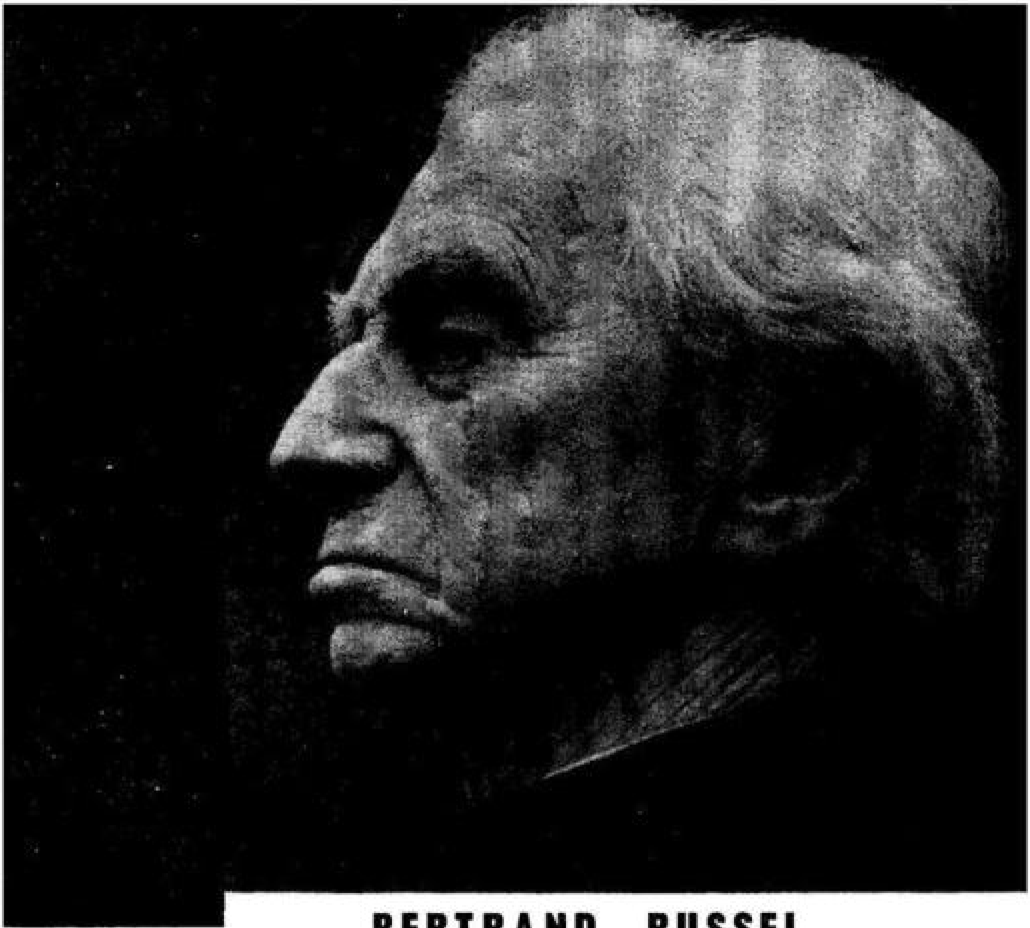
برترند رسل

فولتير

بقلم: محمد طنطاوى

■ مات الفيلسوف البريطاني المعاصر برت رند رسل .. مات فولتير القرن العشرين قبل أن يحتفل بعيد ميلاده الثامن والتسعين بثلاثة أشهر. وحياة رسل التي بدأت في ١٨ مايو عام ١٨٧٢ هي حياة حافلة مليئة بالتناقضات والصراعات النفسية والفكرية التي تجاذبت عقل رسل الفيلسوف وعواطف رسل الانسان.

وقد تناول الكثيرون من الكتاب حياة هذا العالم الرياضى فى الكثير من المقالات، ولكن لم يستطع اى كاتب أن يرسم لنا بقلمه صورة كاملة واضحة المعالم لشخصية رسل كانسان يشعر بآلام



BERTRAND RUSSEL

القرن العشرين

البشر ويتجرد من عواطفه الخاصة فى سبيل مبادىء اسمى وانبل . لم يرسم لنا واحد منهم صورة الصراع النفسي والفكرى بين عقل رسل وعواطفه عندما كان يجد نفسه مخيرا بين مبادئه وعاطفته . واخيرا وفى عام ١٩٦٧ بدأ رسل نفسه بازاحة الستار عن شخصيته الحقيقية بكل ما تحتويه من متناقضات ، باسلوب جرىء صريح . لقد قام رسل الكاتب الفيلسوف بتحليل كامل لشخصية رسل الانسان فى كتاب من ٣ اجزاء أسماه « سيرتي » The Autobiography of Bertrand Russel تناول الجزء الأول من حياته من عام ١٨٧٢ حتى عام ١٩١٤ ، وفى الجزء الثاني لخص حياته فى الفترة من عام ١٩١٤ حتى ١٩٤٤ ، بينما تناول الجزء الثالث والاخير والذى صدر في عام ١٩٦٩ حياة رسل من عام ١٩٤٤ حتى عام ١٩٦٧ .

بداية الحياة .. وبداية المتاعب

فقد رسل والديه وهو لا يزال فى الثالثة من عمره وكان جده لابيه ايرل رسل رئيس وزراء انجلترا وكان أبوه مفكرا حرا وأراد تنشئة ابنه

برت راند على نفس المبادىء التي يؤمن بها ولذلك وضعه قبل وفاته تحت وصاية مربين ممن لا يؤمنون بشيء . ولما مات الأب ثارت زوبعة في البلاط الملكي البريطاني خوفا على مستقبل الطفل برت رند وانتهت بتسليم الطفل الى جدته لأبيه ، الليدي رسل لتشرف على تربيته في قصرها المسمى بمبروك لودج في ريتشموند بارك بلندن .

وكانت جدة رسل غاية في الصرامة فيما يتعلق بالأخلاق وكانت كما يصفها هو نفسه « **لا تعرف سوى أن هناك دوافع معينة للسلوك الانساني : حب الوطن ، وروح الخدمة العامة ، وحب المرء لاطفاله .. وهي نوازع حميدة ..**

ثم حب المال ، وحب الحياة ، والغرور .. وهي نوازع سيئة . وكان في رايها ان الطيبين يتصرفون دائما بوحي دوافعهم الخيرة : اما الاشرار حتى اسوأهم لا يخلون من ومضات الخير » .

ويتذكر رسل أنه في يوم من الايام وكان في السادسة من عمره قال لجدته انه كان يتمنى لو أن والديه كانا على قيد الحياة وردت عليه جدته انه من حسن حظه أنهما ماتا .. ويقول رسل « **لقد تركت هذه الملاحظة اثرا سيئا في نفسي .. ولم أكن بطبيعة الحال أعرف أنها قالت ما قالته لسبب وجيه ، من وجهة نظرها الفيكتورية المتزمتة** » .

في جامعة كمبريدج

التحق برت رند بكلية ترينتي Trinty بجامعة كمبريدج في عام ١٨٩٠ وتجلت عبقريته في الرياضيات والفلسفة ، وعندما تخرج عمل فترة وجيزة ملحقا بالسفارة البريطانية بباريس ، ثم قام بدراسة الفكر السياسي في المانيا وبعدها عين في عام ١٨٩٥ في كلية ترينتي . وتفرغ رسل بعد ذلك لدراسة الفلسفة والرياضة وبدأ تعاونه العلمي والفكري مع صديقه الفيلسوف البريطاني الكبير الفريد نورث هوايتهيد Whitehead بين عام ١٩٠٠ الى ١٩١٠ وهو عام صدور الجزء الأول من كتابهما الشهير Principa Mathematica « مبادىء الرياضيات » وهو الكتاب الذى وضع فيه رسل أساس ما يسمى بالمنطق الرياضي وحاول فيه اكتشاف العلاقة التي تربط بين قوانين المنطق وقوانين الرياضة . وفي عام ١٩١٠ عين رسل محاضرا في جامعة كمبريدج .

الحرب العالمية الأولى

ولكن رسل الفيلسوف وعالم الرياضيات لم يكن يفصل بين العلم والحياة . فلما بدأ خطر نشوب الحرب العالمية الاولى قاوم دعوة الحرب وقاوم التجنيد الاجباري وحكم عليه بمائة جنيه غرامة لاصداره منشورا يندد فيه بالقضاء لانه حكم بالسجن سنتين على مواطن انجليزي رفض التجنيد بناء على اعتراض الضمير .. وفصلته كلية ترينتي بكمبريدج من زمالتها . وعرضت عليه جامعة هارفارد Harvard ، بامريكا وظيفة محاضر ولكن الحكومة البريطانية رفضت أن تعطيه جواز سفر .

وفي عام ١٩١٨ حكم عليه بالسجن ٦ شهور لنشره مقالا يهاجم فيه الحرب ويدعو للسلام . وفي السجن كتب لشقيقه فرانك يقول « **ان الاجازة من المسئوليات شيء سار حقيقة لدرجة انها تطغى على اى شيء آخر .. فانا هنا لا يشغلني شيء في العالم . وراحة الأعصاب والارادة شيء سماوى . والمرء حر وبعيد عن السؤال المقلق .. ماذا يمكنني ان اقوم به أكثر مما قمت ؟ هل هناك عمل فعال لم أفكر فيه بعد ؟ هل لي الحق في ان اترك كل شيء على ما هو وأعود الى الفلسفة ؟ هاأنذا هنا اترك كل شيء يمر كما هو وهذا اكثر راحة . ان للسجن بعض مزايا الكنيسة الكاثوليكية ..** » .

وقد تأثر رسل بالحرب العالمية الاولى تأثرا بالغا.واترك وصف تأثير هذه الحرب على رسل للفيلسوف نفسه يعبر فيه عن المشاعر العميقة التي تجاذبته في ذلك الوقت ..

يقول رسل « **لقد كانت الأيام الأولى للحرب تحمل لي مفاجآت كثيرة فقد أصبح أعز اصدقائي مثل هوايتهيد متحمسين بوحشية للحرب .**

« **وفي هذه الأثناء كنت أعيش على اعصابي ، فبالرغم من انني لم استطع ان اتنبأ بكل الكوارث التى ستنتج عن الحرب الا انني تنبأت أكثر بكثير مما استطاع اى شخص ان يمد بصره اليه . وقد انتابني الهلع مما اتوقع . ولكن الشيء الذى زاد الرعب والهلع في نفسي ان توقع الحرب كان أمرا سارا لحوالي ٩٠٪ من الشعب البريطاني . وهذا دعاني الى مراجعة آرائي بالنسبة للطبيعة الانسانية .**

لقد كنت في ذلك الوقت أجهل تماما التحليل



رسل وعمره ٩ سنوات لم يذهب الى المدرسة ولكن أحضروا له مدرسين في المنزل قاموا بتدريسه الفلسفة والعلوم . وقد درس تعاليم اوقليدس وعمره ١١ سنة .



في سن الحادية والعشرين وقع رسل في الغرام .. وأحب اليس برسال سميث التى أصبحت زوجته قبل أن يتخرج من الجامعة بشهور .



في سن الخامسة والثلاثين عام ١٩٠٧ كان رسل يعمل كتابه « مبادىء الرياضيات من ١٠ الى ١٢ ساعة يوميا ، ٨ شهور في السنة . واست هذا الحال حتى عام ١٩١٠

النفسي ولكن كنت قد وصلت الى رأى عن العواطف الانسانية يشابه التحليل النفسي .

لقد وصلت لهذا الرأى في محاولة لتفهم الشعور الشعبي عن الحرب .

لقد كنت افرض حتى ذلك الوقت انه من الطبيعي على الاباء ان يحبوا ابناءهم ، ولكن الحرب اقنعتني ان هذا استثناء نادر .

وكنت افرض ان اغلب الناس يحبون المال اكثر من أى شيء آخر ، ولكنني اكتشفت انهم يحبون التدمير أكثر .

وكنت افرض أن المثقفين يحبون الحقيقة في اكثر الأحيان ، ولكنني اكتشفت أيضا أن ١٠٪ منهم فقط هم الذين يفضلون الحقيقة عن الشهرة.

لقد اصبحت مملوءا بشعور من العطف اليائس على الشبان الذين سيجزرون في الحرب. وبشعور من الغضب العنيف ضد رجال الحكم في أوربا . لقد شعرت لعدة اسابيع انني لو التقيت باسكويث Asquith (رئيس وزراء بريطانيا) أو سير ادوارد جرى Edward Grey (وزير خارجية بريطانيا) لما استطعت أن امنع نفسي من ارتكاب جريمة قتل ، ولكن هذه المشاعر الشخصية اختفت بسبب فظاعة المأساة وكبرها كما اختفت أيضا عندما تبينت القوى الشعبية التي لم يفعل رجال الدولة شيئا سوى اطلاقها » .

الأبوة شعور معقد

بعد أن انتهت الحرب قام رسل بزيارة سريعة للاتحاد السوفيتي في عام ١٩٢٠ ثم قام بزيارة الصين حيث قام بالقاء محاضرات في جامعة بامبينج في عامى ١٩٢٠ و ١٩٢١ . وقد اصطحب معه الى الصين دورا بلاك Dora Black ، التي أصبحت زوجته الثانية في سبتمبر ١٩٢١ بعد أن طلقته زوجته الأولى آليس برسال سميث Allys Persal Smith ، والتي تزوجها عام ١٨٩٤ قبل تخرجه من كمبريدج .

ورزق رسل بطفله الأول « جون » في نوفمبر ١٩٢١ وهو يصف شعوره عندما أصبح أبا فيقول : « حين ولد طفلي الأول أحسست بانطلاق عاطفة جبارة كانت محبوسة داخلي ، وفي خلال السنوات العشر التالية كانت الأبوة هي غرضي الأسمى . ان الشعور الأبوى ، كما مارسته ، شعور معقد . فهناك اولا شعور عاطفي حيواني ، وسرور بمراقبة سلوك الأطفال الصغار . ويأتي بعد ذلك الشعور بالمسئولية الذى يمدك بحافز للنشاط اليومي . وهناك أيضا عامل اناني ، وهو عامل خطير جدا ويتمثل في أمل الفرد ان ينجح اطفاله فيما فشل هو فيه . وان يحلوا محله في معله عندما يضع الموت أو العجز حدا لمجهوداته .. وهم في أى حالة من الأحوال يزودونه بطريقة هروب بيولوجية من الموت ويجعلون حياته جزءا من تيار الحياة الكلي ، لا مجرد بركة موحلة راكدة لا تتدفق باستمرار في المستقبل .

لقد مررت بكل هذه المشاعر وغمرتني عدة سنوات من حياتي بالسعادة والسلام » .

ويقول رسل ان أولاده خلقوا فيه اهتماما بمسائل التعليم حتى انه ألف في عام ١٩٢٦ كتابا

أسماه « في التعليم » خاصة في سن الطفولة المبكرة »
On Education ,Specially in early Childhood
وبعد أن رزق بطفلته كيت « Kate » بدأ يشعر بحاجته الى النقود فأخذ يكتب المقالات في الصحف ، وقام بتأليف عدة كتب منها « الف باء الذرة » A. B. C. of Atoms (صدر في عام ١٩٢٣) و « الف باء النسبية » A. B. C. of Relativity ، (صدر في عام ١٩٢٥) وايكاروس او مستقبل العلم Icarus or The Future of Scince (وصدر في عام ١٩٢٤) وبماذا أؤمن What I believe (صدر في عام ١٩٢٥) .

رسل صاحب مدرسة أطفال

أسس رسل وزوجته دورا بلاك مدرسة للاطفال في عام ١٩٢٧ وكان غرضه الأساسي من هذا المشروع أن يقوم بتعليم أولاده بالطريقة المثلى التي يراها « لقد كنا نريد مزيجا غير عادي . فنحن نكره من ناحية : التزمت والتعاليم الدينية، وكذلك القيود التي تفرض على الحرية في المدارس الكنسية . ومن الناحية الأخرى لا نستطيع ان نوافق على افكار اصحاب مذاهب التربية الحديثة الذين يعتقدون أن التعاليم المدرسية والنظام السلوكي لا أهمية لهما .. » ويصف رسل المتاعب التي قابلته كصاحب مدرسة ومنها المتاعب المالية ، وعدم فهم المدرسين لاغراض المدرسة ، والمشاكل التي سببها التلاميذ انفسهم قائلا : « .. لقد كانت لدينا نسبة كبيرة من التلاميذ ذوي المشاكل . لقد كان علينا ان نكون حذرين من الوقوع في هذه الورطة ولكننا كنا في أول الأمر سعداء بقبول اى طفل.. وكان الآباء الذين يميلون الى تجربة الطرق التربوية الحديثة ، هم هؤلاء الذين يسبب لهم اطفالهم صعوبات كبيرة . وكقاعدة فان هذه الصعوبات كانت نتيجة خطأ الآباء انفسهم .

« ان ترك الأطفال على حريتهم كان يعني اقامة دولة الرعب التي يجعل القوى فيها الضعيف بائسا مرتعشا . فالمدرسة كالعالم لا يستطيع أن يمنع العنف الوحشي فيه سوى حكومة . ولذلك وجدت نفسي مضطرا للاشراف على الطلبة بنفسي في اوقات فراغهم لامنع استعمال العنف .

وقد قسمنا تلاميذنا الى ثلاثة اقسام .. الكبار ، فالمتوسطي السن ، فالصغار . وكان هناك طفل من متوسطي السن يعامل الصغار دائما معاملة سيئة ، وسألته لماذا يفعل ذلك . وكانت اجابته « ان الكبار يضربونني ، ولذلك اضرب انا الصغار ، وهذا عدل .. » وكان يؤمن حقيقة بهذا القول !! .

وفي بعض الاحيان كانت بعض النبضات السيئة تخرج الى النور . فقد كان لدينا طفل وشقيقته لهما ام عاطفية جدا علمتهما أن يظهر كل واحد منهما عاطفة مشبوبة تجاه الآخر .

وفي أحد الأيام وجد المدرس الذى كان يشرف على طعام الغذاء جزءا مدببا من دبوس في «الحساء» الذى كان على وشك ان يقدم للتلاميذ.

وبالتحقيق اتضح أن هذه الطفلة ، المفروض فيها انها تحب شقيقها ، هي التي وضعت هذا الدبوس في « الحساء » . وعندما سألناها « هل تعرفين أن هذا الدبوس كان من الممكن ان يقتلك لو ابتلعته ، كان ردها : نعم أعرف ، ولكنني لا اتناول الحساء ! » .

ونتيجة لهذا بدأت اشعر ان هناك اخطاء في المبادىء التي كانت تدار بها المدرسة . ان الأطفال الصغار في مجموعة لا يمكن أن يكونوا سعداء بدون

رسل مع ابنه جون وابنته كيت . لقد ظل رسل يتمنى أن يرزق بأولاد طوال فترة زواجه الاول ، ولكن نصيحة الطبيب الذى قال له ان اسرته تتوارث الجنون منعته من تحقيق أمنيته من زواجه الاول . وأخيرا أنجب ابنيه من دورا بلاك ثم رزق بابنه الثالث كونراد من زوجته الثالثة .





الزوجة الاولى
اليس برسال سميث
(١٨٩٤ – ١٩٢١)



الزوجة الثانية
دورا بلاك
(١٩٢١ – ١٩٣٥)



الزوجة الثالثة
باتريشيا سبنس
(١٩٣٦ – ١٩٥٢)



الزوجة الرابعة
اديث فنش
١٩٥٢

قدر معين من النظام . فنحن اذا تركناهم يسلون انفسهم بحرية فسيسأمون ويتحولون الى التصارع او التخريب .

فيجب أن يكون هناك شخص بالغ يقترح عليهم لعبة مناسبة او وسيلة من وسائل التسلية ، في اوقات فراغهم ، او يزودهم بالمبادأة التي من الصعب توقعها من اطفال صغار » .

رسل والأسرة

وفي عام ١٩٢٩ قام رسل بنشر كتابه « الزواج والأخلاق » Marriage and Morals ، والذي كان قد أملاه بينما كان في طور الشفاء من السعال الديكي ، الذي أخطأ الأطباء في تشخيصه بسبب سنه ، ونتج عن ذلك انه قد تسبب في عدوى أغلب أطفال مدرسته .

وقد عرض رسل في هذا الكتاب آراءه عن الزواج والتي تتلخص في أن الاخلاص الكامل لا يمكن أن يكون متوقعا في أغلب حالات الزواج ، ولكن على الزوج والزوجة أن يتمكنا من أن يبقيا أصدقاء بالرغم من حدوث أي خيانات زوجية . ولكنه استدرك بعد ذلك ولم يقترح أن يستمر الزواج في حالة ما اذا رزقت الزوجة بطفل او أطفال من شخص آخر غير زوجها بل اقترح أن يكون الطلاق في هذه الحالة مرغوبا فيه .

ويقول رسل في كتابه « سيرتي » : **« أنا لا أدري ماذا اعتقد الآن بالنسبة لهذا الموضوع ، فيبدو أن هناك اعتراضات كثيرة لكل نظرية عامة عن الزواج . وربما يسبب الطلاق الميسور تعاسة اقل اكثر من اي نظام آخر ولكنني لم أعد قادرا على أن أكون جازما في هذا الموضوع » .**

رسل والخوف

وفي عام ١٩٣١ أمضى رسل يوم عيد الميلاد على ظهر الباخرة في المحيط الاطلنطي في طريق عودته من امريكا الى بلاده . وفي هذه الرحلة انتابته أحاسيس متضاربة عبر عنها في مقال كتبه لصحف هيرست في ذلك الوقت تحت عنوان « عيد الميلاد في البحر » Christmas at Sea ، وقد قارن في هذا المقال بين أحاسيسه في رحلة مشابهة منذ ٣٥ عاما وأحاسيسه في هذه الرحلة بالذات وفيها يقول « **يقولون ان الزمن يجعل الرجل لين العريكة بفضل السن والخبرة وأنا لا أصدق هذا ، ان الزمن يجعل الرجل خائفا ، والخوف يجعله استرضائيا .. وعندما يصبح استرضائيا فانه يحاول أن يظهر للآخرين ما يجعلهم يعتقدون انه لين العريكة . ومع الخوف تأتي الحاجة الى الحب ، الى الدفء الانساني الذي به تدفع البرودة القاسية للعالم . وعندما أتكلم عن الخوف ، فأنا لا أعني مجرد الخوف الشخصي مثل الخوف من الموت أو العجز أو الفقر المدقع أو أي شيء من هذا القبيل ، وانما افكر في خوف اكثر تعقيدا ، افكر في الخوف الذي يتغلغل في النفس عن طريق تجربة الشرور والآثام الكبرى التي نراها في الحياة مثل خيانة الأصدقاء ، وموت من نحب ، واكتشاف القسوة التي تكمن في نفوس البشر العاديين » .**

الزواج الثالث والرابع

في عام ١٩٣٢ أصبح برت رند رسل ايرلا ، وفي عام ١٩٣٥ طلقته زوجته الثانية دورا بلاك وفي عام ١٩٣٦ تم زواجه الثالث من باتريشيا سبنس Patricia Helen Spence ، ورزق بابنه الثالث كونراد منها .

وفي عام ١٩٣٨ رحل الى امريكا حيث قضى هناك حوالي ٦ سنوات يحاضر في جامعاتها ،

وتعرض هناك لحملة شديدة اتهموه فيها بفساد آرائه الاخلاقية . وقد أدت هذه الحملة الى فسخ عقود عمله مع أغلب الجامعات الأمريكية وتعرضه للفقر والحاجة هناك . وعاد رسل الى بريطانيا حيث تابع حملته على الحروب وعلى الفظائع التي يرتكبها الانسان في حق أخيه الانسان . وفي عام ١٩٥٠ نال جائزة نوبل للأدب .

وفي عام ١٩٥٢ تم طلاقه الثالث من باتريشيا سبنس وتزوج اديث فنش Edith Finch ، للمرة الرابعة وعمره حوالي ٧٨ عاما . وكان قد تعرف بها وهي في امريكا بينما كانت هي تحاضر في كلية برين ماور Bryn Maur .

الخطر الذرى

في عام ١٩٥٥ بدأ رسل حملته المنظمة ضد الأسلحة الذرية . وفي احدى اذاعاته عن هذا الموضوع تحت عنوان « المخاطر التي يتعرض لها الانسان قال : « **ان امامنا ، اذا اخترنا ، تقدما مستمرا في المعرفة : والحكمة والسعادة .**

ولكن هل نختار الموت بديلا لأننا لا نستطيع أن ننسى خلافاتنا ؟ .

انني التمس منكم كانسان أن تتذكروا انسانيتكم وتنسوا أي شيء خلافها . واذا استطعتم ان تفعلوا ذلك ، فان الطريق الى جنة جديدة مفتوح امامكم ، اما اذا لم تستطيعوا فليس هناك سوى الموت العاجل .. » .

وكون رسل جمعية لمحاولة منع استعمال الاسلحة الذرية . واستطاع أن يجعل الكثير من العلماء في مختلف بلاد العالم ، شرقية أو غربية ، يوقعون على عريضة تطالب بمنع استعمال الاسلحة النووية .

وكان لجمعية رسل هذه الفضل الأكبر في اخراج معاهدة حظر التجارب النووية فوق الأرض الى حيز الوجود . ولا ينسى العالم له موقفه من حرب فيتنام ولا محكمته التي انعقدت في السويد عام ١٩٦٧ لمحاكمة المسئولين عن هذه الحرب . كما لا ينسى أيضا موقفه من قضية فلسطين الذي لخصه في آخر رسالة سطرها قبل أن يموت بأيام وأرسلها الى المؤتمر البرلماني الدولي الذي عقد في القاهرة في شهر فبراير ١٩٧٠ .

في ميدان الطرف الاغر وقف رسل تحت الثلوج المتساقطة يهاجم الخطر الذرى ويطالب بمنع الأسلحة النووية . وقد خصص رسل من وقته الكثير لحملته هذه ، حتى انه قال انه بدأ يشعر أن خطبه ومحاضراته قد أصبحت مملة في الفترة من عام ١٩٥٥ حتى عام ١٩٦٠ لأنها كانت تدور حول موضوع واحد هو موضوع الخطر الذرى .



فلسفة رسل كما يراها هو

يلخص رسل حياته وفلسفته في ختام سيرته الذاتية قائلا « **لقد نذرت الجزء الجاد من حياتي منذ الطفولة لهدفين مختلفين استمرا لمدة طويلة من الزمن منفصلين ، وأخيرا اتحدا ليكونا وحدة كاملة . لقد رغبت من ناحية أن أجد اذا كان من الممكن معرفة كل شيء ، ومن الناحية الأخرى أن افعل ما في امكاني من اجل خلق عالم أسعد . وحتى سن الثامنة والثلاثين ركزت نشاطي من اجل الواجب الأول وهو واجب المعرفة .**

لقد كنت مثقلا بالشكوك واضطررت رغم ارادتي الى استنتاج أن أغلب المعلومات التي تمر علينا تخضع للشك المعقول . لقد كنت أريد الحقيقة التي لا يرقى اليها شك بنفس الطريقة والقوة التي يريد بها المتدينون الايمان ، واعتقدت أن الحقيقة البعيدة عن الشك يحتمل أن توجد في الرياضيات اكثر من أى شيء آخر . ولكنني اكتشفت ان كثيرا من المسائل الرياضية ، التي توقع اساتذتي مني أن اقبلها ، مليئة بالمغالطات وانه اذا أريد اكتشاف الحقيقة اليقينية في الرياضيات ، فانها يجب أن تكون في نوع جديد من الرياضيات التي لها أساس أكثر رسوخا ومتانة من الرياضيات التي كان يظن أنها متينة محكمة .

وعندما بدأت العمل كنت دائما اتذكر اسطورة الفيل والسلحفاة ، فبعد ان اقمت فيلا يستطيع عالم الرياضيات ان يرتكز عليه ، وجدت الفيل يهتز وبدأت في اقامة سلحفاة تمنع الفيل من السقوط . ولكن السلحفاة لم تعد مضمونة أكثر من الفيل . وبعد حوالي ٢٠ عاما من الكدح الشاق وصلت الى نتيجة واحدة هي انه لم يعد امامي ما استطيع ان افعله في طريق جعل المعرفة الرياضية بعيدة عن الشكوك .

وجاءت الحرب العالمية الأولى ، وبدأت افكاري تتركز في بؤس الانسان وحماقته .

ولم يبد لي ان البؤس او الحماقة جزء من المصير المحتوم على الانسان . وقد اقتنعت ان الذكاء والصبر والفصاحة تستطيع ، عاجلا او آجلا ، ان تقود الجنس البشرى بعيدا عن العذاب الذي يفرضه على نفسه اذا فرضنا انه – اى الجنس البشرى – لم يهلك نفسه في هذه الأثناء . وعلى اساس هذا الاعتقاد ، فقد توفر لدى دائما مقدار من التفاؤل ، بالرغم من انني كلما تقدمت في العمر اصبح هذا التفاؤل اكثر خلوا من التطرف واكثر واقعية واصبحت مسألة السعادة اكثر بعدا . ولكنني بقيت غير قادر كلية على ان اتفق مع هؤلاء الذين يقبلون جبرية النظرية التى تقول ان الانسان ولد لكي يتجشم العناء والقلق ».

أسباب التعاسة

« ان أسباب التعاسة في الماضي والحاضر ليس من الصعب التحقق منها بالتجربة والاختبار ، فهناك الفقر ، والأوبئة والمجاعات وهي تنتج عن عدم كفاية الانسان في السيطرة على الطبيعة .

وهناك الحروب ، والظلم والتعذيب وهي نتيجة عداء الانسان لأخيه الانسان .

وهناك البؤس المروع المبني على العقيدة .... الكئيبة المتشائمة التي قادت الانسان الى حالة من التنافر الداخلي العميق جعلت اى نجاح خارجي غير ذى نفع .

وكل هذه الأسباب غير ضرورية ، وهناك وسائل معروفة يمكن التغلب بها عليها .

ففي العالم الحديث ، غالبا ما تعود تعاسة المجتمع الى الجهل ، والعادات ، والمعتقدات ، والعواطف التي هي أعز على الناس من السعادة او حتى الحياة نفسها . لقد وجدت رجالا كثيرين في عصرنا الخطر ، يبدو عليهم انهم يحبون البؤس والموت ، ويعلوهم الغضب عندما يلوح لهم الأمل ، انهم يعتقدون ان الأمل غير منطقي وانهم بانتظارهم اليائس انما يواجهون الحقائق . وانا لا استطيع ان اتفق مع هؤلاء الرجال .

ان الاحتفاظ بالأمل في عالمنا يستنفر ذكاءنا وطاقاتنا . ان هؤلاء اليائسين تنقصهم دائما الطاقة .

لقد عشت النصف الأخير من حياتي في فترة مؤلمة من التاريخ الانساني فترة بدأ العالم فيها يسير من سيىء الى أسوأ . وتحولت الانتصارات القديمة التى بدت حاسمة الى انتصارات مؤقتة».

العالم في حاجة الى آمال جديدة

« وعندما كنت صغيرا كان التفاؤل الفيكتورى (نسبة الى عهد الملكة فيكتوريا في انجلترا) مسألة مسلم بها . لقد كان من المعتقد ان الحرية والرخاء سينتشران في العالم تدريجيا ، وكان هناك امل ان يزول الظلم ، والطغيان ، والقسوة . ولم يكن هناك من يتملكه الخوف من حروب كبرى .

ولم يكن هناك من يفكر في القرن التاسع عشر كفترة فاصلة قصيرة بين بربرية العهود الماضية وبربرية المستقبل .

لقد أصبح تكيف هؤلاء الذين كبروا في هذا الجو ، مع العالم الحاضر ، عملية صعبة عاطفيا وعقليا . فالأفكار التي كان من المعتقد انها ملائمة أثبتت الأيام أنها غير ملائمة أو كافية .

وفي كثير من النواحي ثبت انه من الصعب المحافظة على كثير من الحريات القيمة .

وفي نواح أخرى ، وخاصة في ناحية العلاقات بين الدول ، أثبتت بعض الحريات التي كانت موضع التقدير والاحترام أنها مصدر فعال للكوارث .

ان العالم في حاجة الى أفكار جديدة ، وآمال جديدة ، وحريات جديدة ، وقيود جديدة على الحرية لانقاذه من الحالة الخطيرة الراهنة » .

هذا عرض سريع لأفكار « فولتير » القرن العشرين . كما أوردها هو بقلمه .. وهذا العرض يعطينا فكرة شاملة على مدى انسانية هذا الفيلسوف الكبير .. ومدى الصراع النفسي الذي تنازعه خلال فترات حياته الطويلة ، هذا الصراع بين المبادىء والمعتقدات والبحث عن الحقيقة النادرة الوجود .

■■

محمد طنطاوى

الصابون

مَاذا كانَ لِلناسِ قَبْلَه ؟

وَماذا جَاءَ لِلناسِ بَعْدَه ؟

■ كان الاستاذ يتحدث عن الحديد ، وهو لا يوجد في الارض الا ترابا احمر او اصفر هو على الاغلب اكسيد الحديد ، فسأله سائل : كيف اهتدى الانسان الى ان يهدا التراب مثل هذا المعدن القوى الشديد . قال الاستاذ : ان الانسان القديم والحديث على السواء ، يهتدي الى مثل هذه الكشوف عن طريقين ، طريق الصدفة ، او عن طريق التفكير والمنطق . والحديد احسبه كشفته عن طريق الصدفة . وهو اكتشفه بعد ان اكتشف النار ، اى عرف كيف يوقد الخشب ويجعل منه نارا . قال السائل : فكيف وقعت الصدفة عند ذاك ؟ . قال الاستاذ : كانت النار فوق تراب الارض ، فاجتمع في هذا التراب فحم من الخشب وخامة الحديد ، وهي بعض التراب ، فأخذ الفحم ، وهو جمر ، من خامة الحديد اكسجينها ، واستحال الى ثاني اكسيد الكربون انطلق في الهواء ، وانفصل الحديد معدنا استقر في الرماد . وطرقوه وهو ساخن فاتخذ اشكالا .

وعاد السائل يسأل : وهل عرف الانسان القديم كل هذه الكيمياء ؟ قال الاستاذ : كلا ، ما عرف . ولكن عرفتم انتم ، وباسلوب هذا العصر الحاضر احدثكم . فهكذا يستخرج اليوم الحديد من خاماته اساسا .

وكالحديد الصابون
اكتشافه كان لا بد صدفة

هذا ما خاله التاريخ عن الطريقة التي اكتشف بها الحديد أول مرة .

وشبيه بها ما خاله التاريخ عن الطريقة التي اكتشف بها رجل الغاب الصابون وهو قائم في الغاب عند نارها يحميها . كلتا الطريقتين كانت مصادفة ، لم يهتد اليهما الانسان بفكره وحده ولا بمنطقه .

العرب لم يعرفوا لفظ الصابون، وكان رسول الله يغسل رأسه بالخطمي والأشنان، واستخدم العرب ورق السدر "النبق" وأنواعا من العشب غسولا، به اغتسلوا، أجساما وثيابا.

الصابون الذي يستخدمه الناس اليوم، ٧٠ في المائة منه ليس بصابون، ولكن أشباه له، وبدائل خلقها الكيماويون تخليقا.

وملخص هذا الذى خاله التاريخ ، ان رجلا من القدماء صاد لأهله صيدا سمينا . وسلخوه ، وفوق النار علقوه . واجتمعوا حوله ينظرون وينتظرون . وينضج منه اللحم ، ويسيل منه على النار الشحم . وفي النار ، وهي من خشب ، رماد ساخن . وفي هذا الرماد مادة قلوية هي من البوتاس . ويتفاعل البوتاس بالدهن فينتج منهما هذه المادة التي عرفتها الأجيال الطويلة من بعد ذلك باسم **الصابون** . الانسان القديم عثر عليها بعد أن بردت النار في الرماد ، وعالجها في الماء فارغت وازاحت من فوق يديه الوسخ . وبالتكرار على السنين وجدوها تطهر الجسم وتنظف الملابس . وظلت الاجيال من بعد ذلك تصنع الصابون من الدهن ــ صلبا او سائلا ــ ومن البوتاس يستخرجونه بالماء من رماد النيران .

الصابون
عرفه الانسان من زمان قديم

ونبحث عن منشأ الصابون في أضابير التاريخ فنجد الكاتب **المؤرخ الروماني** القديم ، بليني Pliny ، وهو عاش في القرن الاول الميلادى ، نجده يتحدث عن صناعة الصابون فيقول انه يصنع من دهن الماعز مع قلى يتخذ من رماد الخشب ، وانه ينتج عن ذلك صابون رخو يحال الى صابون جامد باضافة ملح اليه . وهذه هي لب الطريقة الحديثة في صنعه .

ولكن يستفاد من غير ذلك من المصادر ان الصابون قد يكون اقدم من ذلك بكثير ، وانه عرف ، ولو لم يشع ، قبل ذلك آلافا من السنين .

على ان صناعة الصابون انتقلت في القرن الثالث عشر الميلادى من ايطاليا

والمانيا الى فرنسا ، ثم في القرن الرابع عشر الى انجلترا .

وفي هذه القرون كان العرب ، لا سيما عرب المغرب والأندلس ، في عز نهضتهم أو حين مالت للغروب . ولكن التاريخ يصمت عن صناعة الصابون في تلك القرون كيف جاءت الى ايطاليا ، ومن اين ؟ .

ان مؤرخي الغرب كشفوا عن تاريخهم ، وسهروا في كشفه الليالي . وسبقوا على عادتهم ، وتخلف العرب عن كشف ، فصار غامضا لدينا ابسط الحقائق اليومية التي كانت تتعلق بحياتهم ، ومنها الصابون . وحتى اليوم لا ندرى هل كان لهم في كشفه نصيب او لم يكن ، وهل كانت لهم فيه صناعة او لم تكن .

على أننا نواصل تاريخ الصابون في بلاد الغرب فنقول انه عند اكتشاف أمريكا واصل الأمريكيون صنع الصابون ، عملا من أعمال المنازل لا من انتجة المصانع . يبقى من الطبخ عند ربة البيت من المقلاة بقية من الدهن ، تجمعها الى بقية أخرى تخلفت ، فاخرى ثم هي تجمع من ناحية أخرى رماد النار التى توقدها في برميل ، حتى اذا امتلأ البرميل . صبت فيه ماء ، فأذاب البوتاس الذى به . ثم هي تعيد غسل الرماد بهذا الماء ليذيب من هذا البوتاس الكثير . فهذا كان مصدر القلوى . وتجمع بقايا الدهن الى ما تجمع لديها من قلوى ، وتغليها معا نهارها . وتحصل آخر الأمر على عجينة هي الصابون تستخدمها في التنظيف .

وظل تحضير الصابون في امريكا عملية منزلية ، مع قليل من بيوت لصناعته تساعد في انتاجه ، وذلك الى نحوم عام ١٨٠٠ فما بعده .

فلما دخل القرن التاسع عشر انقلبت صناعة الصابون راسا على عقب ، بسبب دخول العلم اليها . فقد كان الفرنسي لوبلانك Leblanc كشف طريقته الجديدة لصنع الصودا من ملح الطعام (عام ١٧٩١) ، وكان شفرول Chevreul نشر بحوثه عن تركيب الزيوت والدهون ، وكشف انها من جلسرين اتحد مع احماض عضوية شتى تضمنت سلاسل من الكربون ارتبط بعضها ببعض ، ثماني ذرات وثماني عشرة وما بينهما . واتحد الجلسرين بالحامض العضوى بطريقة اشبه باتحاد القلوى من مثل الصودا الكاوية بالحامض غير العضوى . واذن فما الصابون الا ملح مكون من الصودا الكاوية والحوامض العضوية التي تتألف منها الشحوم وازيوت من نباتية وحيوانية .

وباتضاح الصورة العلمية لهذاالتفاعل بين القلي والدهن ، الذى ظل ينجزه الانسان بلا علم بغير كثير من فهم أجيالا طوالا ، هبت صناعة الصابون في العالم هبة كبرى ، وصل فيها وعاء التفاعل بين القلي والشحم الى احجام هائلة ، فمنها ما احتوى ١٠٠٫٠٠٠ رطل ، ومنها ما أحتوى ١٠٠٠٫٠٠٠ ! .

ماذا كان للناس قبل الصابون

ذكرنا ان الصابون لا بد عرفه الناس من قديم . وقديم جدا .

ولكن وجود شيء بين ناس بذواتهم ، غير شيوع هذا الشيء بين الناس جميعا او بين كثرة منهم كبرى . وليس هناك شك في ان الصابون لم يكن يعرف في اماكن كثيرة بين سكان هذه الأرض . وحتى هو حيث عرف لا بد كان من الندرة ، ومن ارتفاع الثمن ، بحيث لا يحصل عليه ، حيث عرف ، غير ذوى الثراء .

فصح اذا تساؤلنا : ماذا كان يصنع الناس باجسامهم وبملابسهم قبل الصابون ؟ .

ان الاحساس بخطورة الصابون في الحياة لا يحسه الرجل المتحضر اليوم ، كما لا يحس خطر الماء القراح شاربه اليوم . كل شيء ميسور يفقد الانسان الاحساس بخطره . والصابون اليوم ميسور . وهو رخيص . ولكن حاول يوما أن تعيش وبيتك ليس به قطعة صابون . ومذ اليوم الى أيام ليتسخ جسمك وتتسخ ملابسك ، وانظر عندئذ كم بذلك تضيق . انك عندئذ تضيق بالحياة . ان الجوع اخف من القذر عند من صارت النظافة (فالايمان) له عادة.

واعود اسأل التاريخ مرة اخرى ، ماذا كان يصنع الناس في وسخ اجسامهم ، واوساخ ملابسهم . فأجد فيما أجد انهم كانوا يتطيبون . والطيب زيت . ووسخ الأجسام (وهو يخرج من غدد في الجلد) من زيت . فجاز ان الزيت يغسل زيتا . والطيب يعطي الرائحة ، واني اربأ بأجداد البشر ان يكونوا طلبوا الطيب لطيب الرائحة وحدها ، بقصد انه يخفى رائحة ابدان .

والتاريخ يذكر أن الناس ، لا سيما الرومان ، كانوا يستعينون على نظافة اجسامهم بالحمامات الساخنةالباخرة، وبالعرق الصبيب يتفصد من مسام جلودهم فيزيح ما يجد في سبيله من دهن اخذت رائحته تسوء .

ومن الناس من استخدم الكحول والخمور قديما ليخرج من قذر . والكحول مذيب لا شك نافع .

ومن الأعشاب والأشجار اتخذوا صوابين لتنظيف الأبدانوالثياب

ولكن كان هناك في نباتات الأرض اعشاب كثيرة فيها مثل ما في الصابون من قدرة على التنظيف كبيرة ، تنظيف ابدان وتنظيف ثياب ، وهي ترغو كما يرغو الصابون كذلك .

وقد احضرت لي سيدات في الكويت ، ممن لا زلن يحتفظن بالقديم العريق من العادات ، عينات منها ، اذا دقت ووضعت في الماء وحركت رغت . وقيل لي انها في غسل شعور النساء افضل من غسولات أهل الغرب التي اطلقوا عليها اسم الشامبو Champoo .

والعرب من عهد الرسول ، ولا شك قبل الاسلام ، كانت تستعمل النبات المسمى بالاشنان وهو لا شك بعض هذه النباتات .

والصفة الصابونية التي في هذه الاعشاب ، والتى هى منتشرة فى كثير من اجزاء الشجر والشجيرات في عالم النبات ، مردها الى احتواء هذه الغسولات الطبيعية على مادة من مجموعة المواد الكيماوية التي تعرف المادة الواحدة منها بالصابونين Saponin والجمع صابونينات . ويعلم الكيماويون انها تتألف ، في بعض ما تتألف ، من وحدات من سكر العنب ، الجلوكوز ، ومن هنا سموها الجلوكوسيدات Glucosides .

وهى تعمل فى وسخ الأبدان والثياب مثل الصابون .

ومن اشهر هذه النباتات الصابونية القشرة الصابونية Soap Bark ، وهي من قشرة شجرة تزرع في بلاد شيلي Chilie ، وهي شجرة من طائفة شجر الورد ، يدق قشرها فيعمل عمل الصابون . ويستخدمه اهل شيلي كالصابون في الغسيل .

وقد يكون الصابونين في الثمر ، وقد يكون في الورق ، وقد يكون في الجذر ، ويستخدم فيما يستخدم فيه الصابون حيث وجد ، في أمريكا الشمالية ، او في اوروبا ، أو فى آسيا الغربية أو غير ذلك.

ومن اهل بعض البلاد العتيقة ، الذين ما زالوا على فطرتهم ، من يستخدمون هذه المواد الصابونية في صيد الاسماك. وذلك بأن يدقوها ويلقوا بها في الماء

حيث يكثر السمك ، فلا يلبث ان يموت ويطفو . وهم يجمعونه . ويأكلونه . فالصابونين يميت السمك . والظاهر انه يفعل ذلك بالتدخل في خياشيمه فيوقف تنفسه .

والصابونين لا شك سام اذا هو حقن في جسم الانسان حل كرات الدم الحمراء . ولكن الانسان كان يأكل هذا السمك وبه الصابونين ولا يتأذى . وذلك لان الصابون اذا دخل الى امعاء الانسان لم تمتصه الأمعاء .

ومنذ القرن الثالث عشر صدرت القوانين التي منعت صيد السمك هكذا بالجملة ، ذلك الذى لا يبقي على صغير من السمك ولا كبير .

صناعة الصابون

هي صناعة كيماوية .

اذا عرفنا معنى الملح في الكيمياء ، وانه ينتج من تعادل قلوى كالصودا الكاوية Caustic Soda بحامض كحامض الادروكلوريك Hydrochloric Acid ، سهل فهم هذه الصناعة .

فما الصابون الا ملح . قلويه الصودا الكاوية عادة . اما حامضه فليس حامض ادروكلوريك ، ولكن حامضا عضويا .

والحامض العضوى الذى نعنى هو حامض مكون من سلسلة من ذرات الكربون ، في نهايتها المجموعة الحامضية العضوية التي هي ك ا ا يد . اى ذرة كربون ، وذرة اكسجين ، وأخرى مثلها ، ثم ذرة ادروجين هي التي تحمل معنى الحموضة وخواصها .

وهي التي تحل محلها ذرة الصديوم فتصبح المجموعة الحامضية العضوية هي ك ا ا ص . اى يحل الصوديوم (ص) محل الأدروجين (يد) . فهذه صارت مجموعة الملح لا الحامض . وهي مرتبطة بسلسلة من ذرات كربونية مثل :

ك يد٣ . كد يد٢ . ك يد٢ . ك يد٢ . ك يد٢ . ك يد٢ . ك يد٢ . كد يد٢ . كد يد٢ . كد يد٢ . كد يد٢ . كد يد٢ . كد يد٢ .ك يد٢ . ك يد٢ . ك يد٢ . ك يد٢ . ك ا ا ص .

فهذا هو الصابون .

ويختلف الحامض العضوى ، طول سلسلة ، او قصر سلسلة ، فيكون الصابون مكونا من اكثر من ملح عضوى واحد .

بقي ان نسال : ومن اين نأتي بالحامض العضوى ؟ .

والجواب : نأتي به من الدهون والزيوت . فهي عبارة عن شبه ملح عضوى ، حل الجلسرين محل الصديوم فيه .

وبالطبع هذا الكلام مبهم المعنى لمن لم يدرس الكيمياء أصلا .

اما صناعة الصابون فنراها ملخصة في الرسم المرفق .

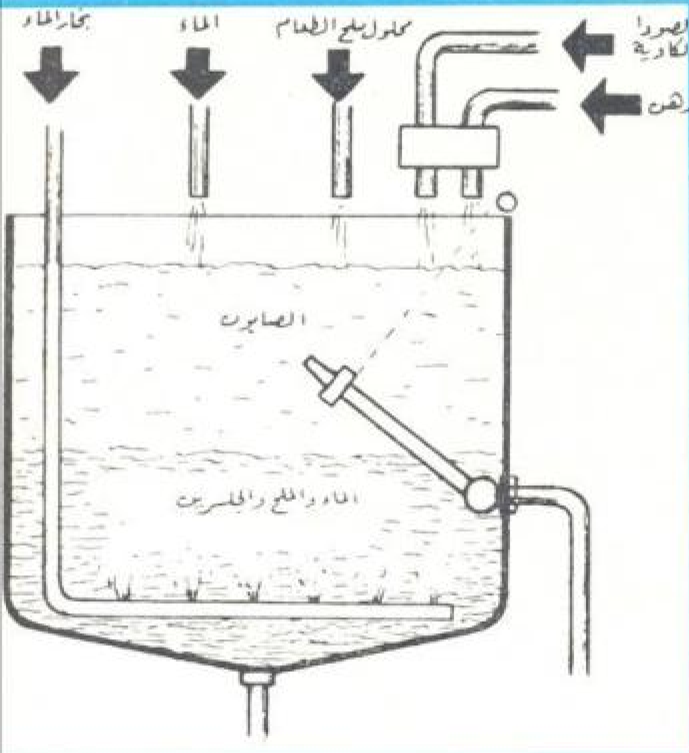
صناعة للصابون متواصلة

غير انها تطورت اليوم بحيث أصبحت صناعة متواصلة لا يفرغ وعاؤها ابدا ، تدخله الخامات من نواح من الجهاز لتخرج من نواح أخرى ، وتظل تدخل وتظل تخرج بلا توقف . وفيها ينحل الدهن بالحرارة والضغط اولا الى جلسرين وحوامض عضوية ، ثم تعالج الحوامض وحدها بالقلوى ليتم تكوين الصابون .

انواع الصابون

تختلف الأغراض التي يستخدم لها الصابون ، ولهذا اختلفت انواعه في الصناعة .

فالنوع الأول الذى تحرص الصناعة على الحصول عليه من عمليتها الكبرى انما هو صابون ليس بالطرى وليس بالجاف ، وانما هو صابون به نحو ٧٠



وعاء صناعة الصابون

وقد يتسع لما بين ١٠٠٠٠ و ١٠٠٠٠٠ رطل . يدخل الى الوعاء الزيت والصودا اولا . ثم الغلى بواسطة بخار الماء . تتحد الصودا بالصابون وينتج عن ذلك ملح الصديوم والحوامض العضوية التي كانت في الدهن، فذلك هو الصابون، وينفصل الجلسرين. يضاف ملح الطعام فينفصل الصابون كتلا ويعلو . وفي الماء من تحت يبقى الجلسرين . يخرج الجلسرين بالماء من الصنبور في اسفل . يعاد تصبين الصابون حتى يتحول كل الدهن الى صابون . يعاد غسل الصابون بالماء . الناتج صابون طرى به نحو ٣٠٪ من الماء . من هذا تصنع سائر انواع الصوابين .

في المائة من الصابون و ٣٠ في المائة من الماء .

ومن هذا الصابون الخام ، ولنسمه صابون الدعامة ، Neat Soap يبدأ الصانع التصنيع غالبا لانتاج انواع الصوابين المختلفة للأغراض المختلفة .

ومن هذه الأنواع المختلفة صابون غسل الملابس Laundry Soap ، ويخلط اولا بمواد مثل سلكات الصديوم والفسفات وغيرها ، لتحميه من تفاعله من الأملاح المعروفة التي تسبب عسر الماء ، وذلك بتفاعلها بهذه الأملاح قبل تفاعل الصابون . وبعد هذا الخلط يشكل الصابون في قوالب في اشكاله المألوفة ويختم .

ومن انواع الصابون صابون غسيل الوجه المعروف بصابون الزينة او التواليت Toilet Soap . وهذا يصنع من دهون انقى . وتبدأ صناعته من الخامة « الدعامة » بأن تسخن وتمرر في مكنة بين ازواج من اسطوانات يخرج الصابون من بينها قشرة رقيقة تجفف في فرن فتهبط نسبة الرطوبة فيها الى ما بين ١٢ و ١٦ في المائة من الماء . ثم تكسر القشرة وتخلط على البارد بالعطر ، والصبغ المطلوب ، وبمواد اخرى تجعله انعم مسا وتجعل الماء عند الغسل به ايسر ، والصابون الناشىء شديد الملاسة كثير الرغوة .

ومن انواع الصابون صابون الحلاقة

ويصنع من الصودا والبوتاس معا ، ولهذا يكون اكثر ذوبانا . اما الدهن الذي يصنع منه فدهن الحيوان مضافا اليه زيت جوز الهند ، وهو بهذا يكون اكثر رغوة .

ومن صوابين الحلاقة صابون لا رغوة له فهذا ليس بالصابون ولكنه من توليفة اشبه بتوليفة المستحضر المعروف بالكريم الذاهب Vanishing Cream مما يستخدم النساء بوجوههن .

وانواع اخرى من الصابون يكفي ذكرها . كالصابون المسحوق ، وكالصابون المحبب، وكالصابون القشر ، وكل له استخدام خاص . والصابون الطبي وهو يمزج عادة بمادة مطهرة كالفينول ، او بمادة مثل مادة Hexachlorophene لتمنع تكون مواد العرق ذات الرائحة غير المستحبة . ولا ننسى أن الصابون نفسه به شيء من قوة التطهير ضد المكروبات .

لماذا يَغسل الصابون ولا يغسل الماء وحده

سؤال سأله الناس طويلا ، ولا يزالون يسألون . وهو سؤال لايزال لهالى اليوم على ما نحسب أكثر من جواب .

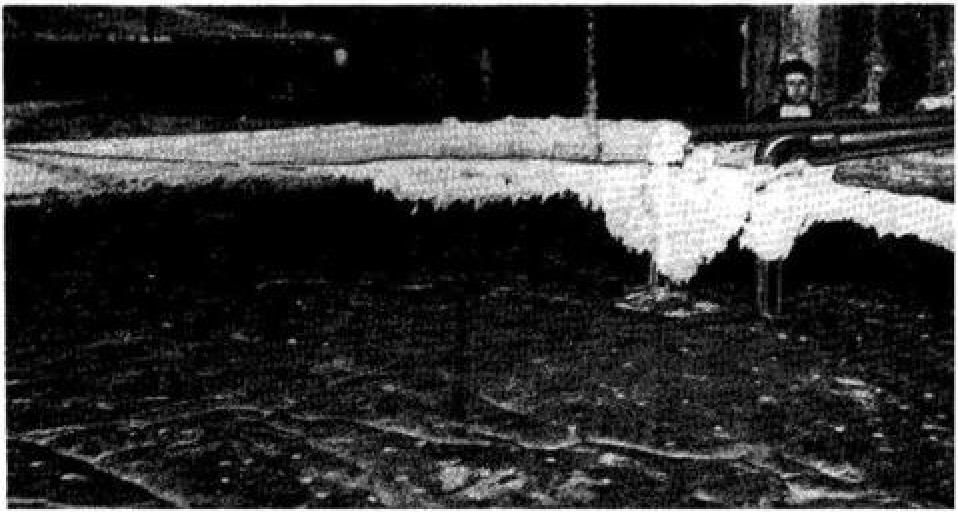
ولا جواب له الا" بعد فهم السوائل ، ومنها الماء ، وما تصنع لأنفسها من جلود ، تحيط سطوحها ، فتحميها من التمزق والتفرق والتشتت كلما جذبتها الى الأرض جاذبة .

لديك كاس به ماء . ووضعت على الماء قطرة من زيت . تظل قطرة الزيت فوق الماء لا تمتزج به ولا يمتزج بها . ان قطرة الزيت حماها من أن تمتزج بالماء كل الجزيئات من الزيت التي على سطح القطرة . ترابطت ، وتماسكت ، فكأنما هي صرّة .

وكذا الماء من تحت قطرة الزيت ، كوّنّ من جزيئات سطحه بَشَرة ، جلدةً سابغةً ، ترابطَت جزيئاتها وتماسكت . وتوتر السطح فسماه رجال علم الفزياء التوتر السطحي Surface Tension . وهو بهذا رفض أن يدخل الزيت اليه . تماما كما رفض الزيت ان يدخل الماء اليه .

سطحان متماسان ، من زيت ومن

غلاية في مصنع صابون تتسع لنحو ٢٧٥٠٠٠ رطل منه ، اما عمقها ، فكارتفاع ٤ طوابق في منزل. والصابون فيها يسخن بواسطة انابيب من بخار مدة ١١ يوما لكي يتم التفاعل .





أ ـ قطرة من ماء ، تكورت ، بفعل توتر سطحها ، وبتجاذب جزيئات هذا السطح فيما بينها .

ب ـ اضفنا الى الماء قطرة من محلول صابون ، فذهبت بتوتر السطح ، فانساحت القطرة .

ماء ، ولكن لا يَبُلّ أحدُهما الآخر .

ولكن ، ضع في الماء صابونا ، أو محلول صابون ، تجد هذا التحاجز ينهار .

التوتر السطحي يضعف او يتلاشى . وتتحرك الزيت في الماء فاذا به قد امتزج واستحلب .

وكالزيت والماء وسخ الأبدان والملابس

ذلك ان الوسخ سببه دهن يخرج من غدد في جلد الانسان (غير غدد العرق) تعرف بالغدد الدهنية Sebaceous Glands منتشرة في جلد الانسان ، وحيث تكون شعرة تخرج منه ، وهذا الدهن يفرزه الجسم لتطرية الشعر والجلد معا . وهو يتفسد اذا بقي على الجسم طويلا . ويختلط به التراب من الجو وسائر ما يحمل الهواء ويعلو من الأرض ، فيتكون من كل ذلك الوسخ الذي يظهر على الثياب .

ونحاول ان نغسل هذا الوسخ ، هذا الدهن، بالماء وحده ، فلا ننجح . بسبب ما ذكرنا من تحاجز سطحي . ولكن بالماء والصابون ، يذهب التحاجز الذي سببه توتر السطوح بينهما ، فيختلطان ، ويأتيهما الماء دافقا فيذهب بهما بعيدا عن جسم انسان أو عن ثياب .

سؤال

ولكن بقي السؤال : كيف يصنع الصابون بهذه السطوح ما يفعل ؟

يقول اهل الذكاء والعلم فى ذلك ان الصابون عبارة عن جزيء ، طرف منه فيه صديوم أو پوتسيوم ، فهو على عادة الاملاح يدخل فى الماء بلا استئذان، يقتحم ما بين جزيئات سطح الماء اقتحاما .. أما الطرف الثاني فسلسلة متطاولة من ذرات الكربون من عادتها أن لا تذوب في الماء ، ولكن تذوب في الزيت ، فهذه تدخل في الزيت بلا استئذان . تقتحم ما بين جزيئات سطح الزيت اقتحاما .

واذن فالصابون بطرفيه يجمع ما بين النقيضين ، الزيت والماء . ويأتي الماء الدافق فيذهب بهما جميعا ويترك الجسم او الثياب نظيفا .

بدائل للصابون مخلقة تخليقا ليست بصوابين

انها تختلف عن الصابون كيماويا ، فهي ليستمن الزيت والقلوىّ تصنع، ولكن من مواد اخرى تختلف عن هذه اختلافا كبيرا .

والصابون يتفاعل من املاح توجد في الماء العسِر وتترسب من ذلك في ماء الغسل رواسب غير نافعة . هكذا درس التلاميذ في مدارسهم . وهذا استهلاك

للصابون غير نافع . اما في البدائل الصابونية المخلقة Synthetic detergents فلا يحدث هذا . حتى اذا وقع تفاعل ، فهو قليل ، وهو لا يعطي رواسب كالتي يعطيها الصابون ، فانتجة ذلك تظل ذائبة او غروية .

والبدائل تنظف في الماء البارد ، وفي الماء العسر كما ذكرنا ، ومنها ما يعمل في الماء الملح ، ويرغو في الماء الحامض . وهذا ما لا يستطيعه الصابون .

وهذه البدائل انواع كثيرة ، يفي الواحد منها بكثير من اغراض التنظيف ، ولكن لكل منها منافع خاصة يتخيرها الانسان من اجلها .

وقد صنع اول بديل منها عام ١٩٣٦ ، وذلك في المانيا ، اما اليوم فهذه البدائل مئات . واحصوا كم يستخدم منها في عام ١٩٥٧ فوجدوا انها حلت محل ٧٠ في المائة مكان الصابون .

ومنها ما يستخدم غسولا لليد .

ومنها ما يستخدم غسولا للشعر (شامبو) وهو يعطي رغوة كبيرة .

ومنها قليل الرغوة وينفع اكثر النفع في غسل الصحون والأطباق . ولقد عرفت ربات البيوت ان هذه الصحون ، سواء من الصيني او من الزجاج ، اذا غسلت بالبديل لم يحتج الأمر الى تجفيفها ، فهي تجف من نفسها وتلمع على الجفاف .

وغسيل الحرير الرقيق واقمشة التنجيد والسجاجيد تقوم بها بعض هذه البدائل خير قيام .

كيف تقوم بدائل الصابون بالتنظيف

تقوم بمثل ما يقوم به الصابون ، وقد سبق ان شرحنا ذلك .

فهي اولا تضعف التوتر السطحي للماء ، واذن هي تذهب بهذا التحاجز الذى يقع بين سطح الماء وسطح الدهن (والدهن مع التراب في الأبدان والثياب يصنع القذر) واذن يتمازجان .

وجزيء بديل الصابون ، كجزيء الصابون ، طرف منه يجذب الماء ويذوب فيه ، والطرف الآخر يجذب الدهن او الزيت ويذوب فيه . فجزيء البديل يجمع بطرفيه بين النقيضين . وهذه الفكرة كانت من الأفكار التي وجهت الكيماويين الى تخليق جزيء البديل الصابوني بحيث يشبه جزيء الصابون ، طرف حادُّ التقطب فهو يضم الماء ، وطرف خامد فهو يهدف الى الزيت . ويتدفق ماء الغسيل ، فيحمل الاثنين معا (الوسخ) بعيدا عن بدن او ثياب .

البدائل ثلاثة انواع فيما يقسمها الكيماويون

ذكرنا ان جزيء البديل الصابوني ،



بطة في الماء . كانت تطفو فيه وتعوم ، يساعدها على ذلك ما في ريشها من دهن يمنعها ان تبتل بالماء . فبين الريش والماء تحاجز . فلما اضفنا الى الماء الصابون ، دخل الماء الصابوني مقتحما الدهن الحاجز ، فبلَّ الريش وبلَّ البطة . فثقلت ، وبدات تغطس لتغرق .

طرف منه حادُّ التقطيب فهو يجذب الماء ويذوب فيه ، وطرف يتكون من سلسلة طويلة من ذرات الكربون والأدروجين فهو يجذب الزيت أو الدهن ويذوب فيه .

والبديل الصابوني يذوب في الماء وينفصل جزاين ، أو ايونين Two Ions ايون موجب Positive Ion وآخر سالب Negative Ion . وقد يكون طرف الجزيء المؤلف من سلسلة ذرات الكربون والأدروجين هو الأيون السالب . وقد يكون هو الأيون الموجب . واذن فالبدائل الصابونية كما يراها الكيماوى نوعان متأينان .

ونوع ثالث لا تأين فيه .

والنوع الأول هو اهم الانواع التي تستخدم في الغسيل، واقترحوا وحضروا منه مئات ، ولكن من اهم ما استعمل منها البدائل التي صيغتها الكيماوية $R.C_6H_4SO_3Na$ ونذكرها للكيماوى فقط . اما R فتمثل سلسلة من ذرات الكربون عدد ذراتها من ٨ الى ١٨ ذرة ، وبها ذرات الادروجين التى تشبعها . واما C_6H_4 فحلقة البنزين . واما SO_3Na فالسلفونات ، وهو حامض السلفونيك ، وقد عادلته ذرة الصديوم . واذن فالجزيء كله يتأين في الماء ، وتصنع ذرة الصديوم الايون الموجب ، وتصنع بقية الجزيء بما فيه السلسلة الكربونية الأيون السالب .

وبدائل من كبريتات صيغتها الكيماوية $RO.SO_3.Na$. فهي ليست سلفونات وليس فيها حلقة بنزينية .

وهذه البدائل الصابونية المخلقة Synthetic لا تطرح فى الأسواق هكذا كما تصنع . فهي يعاد تصنيعها من جديد وفقا للأغراض التي يقصد الوفاء بها . فمن مساحيقها الشهيرة المعروضة فى السوق ما لايحتوى من البديل الا على ما دون النصف من وزنها، اما سائرها فمن الفسفات والبورات والسلكات، واشياء اخرى تزيد الرغوة، وتزيد النصاعة . ومنها ما يخلط بالذى يقلل الرغوة، فالمكنات الكهربائية الغاسلة تتدخل الرغوة الزائدة في تقليب ثيابها في الماء .

بدائل الصابون والحرب البيولوجية البكتيرية القادمة

ومن بدائل الصابون هذه بدائل تدخل فيها المجموعة النشادرية الرباعية طرفا من طرفى جزيئها المتقطب .

فهذه البدائل ظهر ان لها قوة فى تعقيم الجراثيم محمودة . فهي تستخدم اليوم في المستشفيات لتعقيم أيدى الجراحين قبل العمليات الجراحية، وكذلك لتعقيم جلد المريض قبل جَرحه وشقه . وعملها في هذا التعقيم سريع .

وهي تقضي على البكتير قضاء تاما . وقد شاع استخدامها في غسل اواني اللبن الحليب ، وزجاجاته في مصانعه .

وقد اقترحوا تعقيم ماء الشرب بقليل منه . فالقليل منه يكفي للتعقيم ولا يضر بشاربه .

وهنا خطرت لهم الحرب البكتيرية المحتملة ، التي فيها قد يقوم العدو بتلويث مصادر مياه الشرب في المدن بالبكتير الذى يصيب أهلها بالأمراض وينشر الوباء فيها . فاقترحوا ان يكون علاج هذا اذا حدث ، أن يشرب الناس هذا الماء الملوث ، ولكن بعد خلطه بقليل من البديل الصابوني النشادرى الذى نذكر . فهو يطهره .

وقى الله الناس شر الناس . ووقى الله بالعلم ما يجيء به العلم من شرور .

●●

أ • ز

استطلاع الكويت

بلد التجارة

يتجه نحو الصناعة

الصناعة المحلية تصمد أمام المنتوجات الاجنبية.

التجارة ان فاتتها الزراعة ، فلا بد من أن تدعمها الصناعة ، مدخلا رئيسيا للدخل القومى فى البلاد .

البحوث الأولية كشفت عن خامات للاسمنت وأخرى للزجاج .. وأول الغيث قطر ثم ينهمر .

قام بهذا الاستطلاع
سليم زبال

وصوره
عبد الناصر شقره

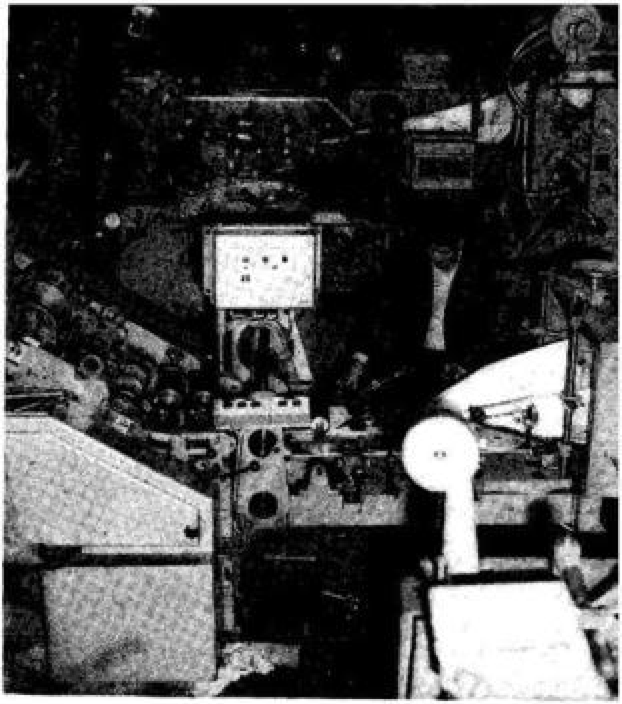




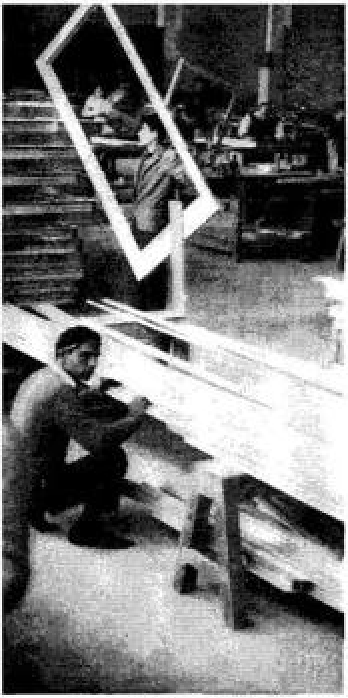
الى اليسار : كانت الصناعة في الكويت مقصورة على صناعات حرفية بسيطة لتزويد السكان بحاجتهم من الابواب والشبابيك .. الا أن ظهور الثروة البترولية غير الهيكل الاقتصادى للبلاد بكامله ، مما ساعد على نمو القطاع الصناعى فظهرت مصانع عديدة للنجارة والحدادة والكهرباء .. انها جزء من نحو ٢٠٠ مصنع تعمل اليوم في الكويت ..







اتجهت الصناعة في الكويت نحو تلبيـة حاجة الناس من السـلع الاستهلاكية الضرورية .. وكان من بينها اقامة هذا المؤسسة لانتاج اكياس النايلون والورق واطباق الكرتون ..



ثمانية مصانع للالومنيوم تنتج ما شبابيك وابواب . والمشكلة التي العرض اصبح اكثر من الطلب ..

■ من يتصور أن بلدا كان يستورد كل شيء ــ حتى ماء الشرب ! ــ يمكن أن يتحول الى بلد تزدهر فيه الصناعة ، ويبدأ بتصدير بعض انتاجه الى الخارج ؟

هذه الظاهرة الفريدة حدثت هنا في الكويت ، حيث ظلت الصناعة في هذا البلد تنمو وتتطور في هدوء وسكون ، بعيدا عن الأضواء ، دون أن يشعر بها أحد ، الى أن اشتد عودها وقويت شوكتها ، واثبتت وجودها ، فاذا بها صناعة شابة فتية ، تطورت من حرف يدوية ، الى صناعة انتاجية متقدمة ، تتميز بطابع معين هو : البذخ العربي !؟

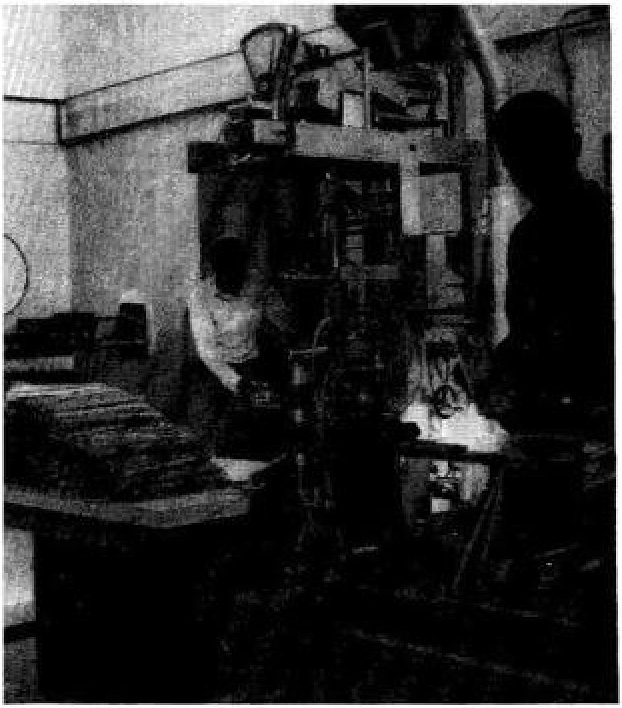
نعم .. دخل البذخ العربي الى الصناعة في الكويت ، ولكنه استطاع أن يفرض هنا معنى آخر غير البذخ التقليدي المعروف .. فقد سخا الصناعيون ، وكان سخاؤهم عاملا أساسيا في ثبات انتاجهم بالاسواق المحلية المفتوحة على مصراعيها امام مصنوعات العالم كله .. ان الصانع في الكويت لم يعبأ في بادىء الأمر بخسارة أو ربح وانما استهدف تثبيت وجود انتاجه الوطني ، فاستخدم أجود الخامات ، ادخلها بنسب مضاعفة في منتوجاته مستهدفا الجودة والنوعية، لا الكمية .. لقد بدأت معركة عناد وتحد ، من صناعة وليدة لصناعات أجنبية عتيدة ، تسيطر على الأسواق منذ سنوات طويلة ..

حسرة ورثاء

واشفق الناس على هؤلاء الصناعيين المبتدئين، وتناقلوا همسات وأقوال عديدة فمن قائل .

« الصناعة يا جماعة تراث تتوارثه الأجيال .. ومن البديهيات أن الصناعة تحتاج الى ثلاثة عناصر لنجاحها ، ونحن لا نملك في الكويت الا واحدا منها فقط ، هو رأس المال .. أما الخامات والعمال الفنيون فمن أين لنا بهم ؟ وأين هي تلك الأسواق التي سنبيع فيها انتاجنا ؟ » .

وارتفعت أصوات أخرى تقول : « ان أرض



٦٣٠ طنا من المكرونه الطويلة والقصيرة بمختلف اشكالها واحجامها و ٤٨٠ طنا من الشعرية ينتجها مصنع المكرونه في شركة مطاحن الدقيق . وهو يعمل ٨ ساعات فقط في اليوم الواحد ..



تحتاجه مباني ومنشآت الكويت من تواجه هذه الصناعة حاليا هي ان لهذا توقف منح تراخيص جديدة .

الكويت ليس فيها من الخامات الا النفط .. وعددنا قليل ، وخبرتنا في الصناعة معدومة ، اذ ليس عندنا مهارات صناعية مكتسبة أو متوارثة .. اننا تجار ولسنا بصناع » .

اول نصر للصناعة

ولكن الشباب لم يعبأ كثيرا بما قالوا ، وانما اقتحم الصناعة من أوسع أبوابها ، كهواة في بادىء الامر ، حتى كان عام ١٩٦٣ عندما سجلوا اول انتصار لهم بتبديل اسم « غرفة التجارة » الى « غرفة التجارة والصناعة » .

وفي عام ١٩٦٥ سجلوا انتصارهم الثاني باضافة كلمة الصناعة الى اسم وزارة التجارة .. ونتيجة لهذا التغيير ولدت ادارة الشئون الصناعيةلتتولى دراسة أوضاع القطاع الصناعي ومعالجة مشاكله وتقديم الارشادات الصناعية لتأمين نجاح المشاريع الصناعية .. وشكلت الى جانبها لجنة تنمية الصناعة ، التي تضم خمسة وكلاء وزارات وثلاثة من غرفة التجارة والصناعة ..

القطاع العام والقطاع الخاص

ومالت الحكومة بثقلها الى جانب الصناعة ، فعمدت الى المساهمة في رأس مال شركات تسع ضخمة ، تشجيعا للقطاع الخاص حتى يقبل على المساهمة في المشاريع الصناعية ، فمثلا ساهمت بنسبة ٨٠٪ من رأسمال شركة الكيماويات البترولية الكويتية البالغ ١٦ مليون دينار . وساهمت بنسبة ٦٠ في المائة من رأسمال شركة شركة البترول الوطنيـة البالغ ١٥ مليون دينار .. وبنسبة ٥٠ ٪ منرأسمال شركة مطاحن الدقيق الكويتية البالغ مليوني دينار .. كما ساهمت بنسب متفاوتة وصلت الى ٥٠ ٪ في عدة شركات أخرى هي : صناعة الاسبست ، وصيد الاسماك ، واللباد ، والأسمدة الكيماوية ، والمباني الجاهزة ،



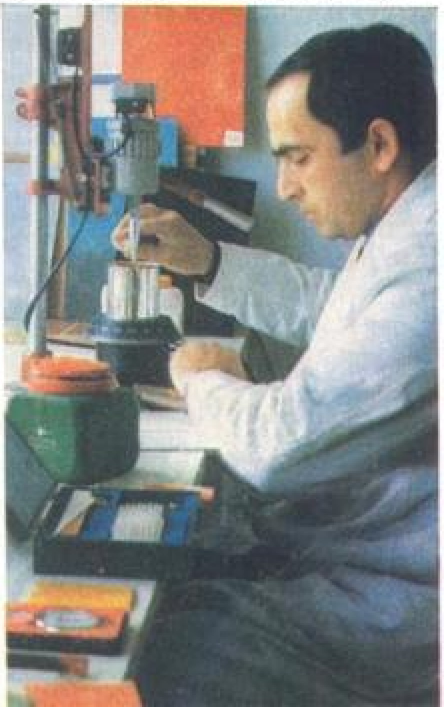
اسطوانات تتسع كل منها لالفى رطل من الكلورين المسال . . . . ويبلغ
الانتاج اليومي لمصنع الملح والكلورين اكثر من ٥ اطنان من الكلورين المسال .





عندما تبدأ صناعة كبيرة في البلاد ، تلحقها بالضرورة صناعات تكميلية أخرى .. وهذا ما حدث في مصنع الملح والكلورين ، فقد احتاجت تعبئة الصودا الجافة الى الوف البراميل لتعبئتها فكان هذا المصنع الذي ينتج ٦٠ برميلا كل ساعة .

الى أسفل : دقة متناهية ، ومراقبة زائدة ، يفرضها الصناع على منتوجاتهم حتى تستطيع الصمود امام المنتوجات المستوردة من الخارج





الى اليمين : اللمسات النهائية على مختلف المفروشات التي ينتجها واحد من ٤٦ مصنعا للنجارة في الكويت .

وصناعة الأنابيب المعدنية ، والاسمنت ، وناقلات النفط ، وشركة الصناعات الوطنية .

ولم يقتصر الأمر على هذا بل عمدت الحكومة الى دعوة المواطنين للمساهمة معها في مصنعين حكوميين ناجحين كانت تمتلكهما ، فدخل المواطنون بنسبة ٤٩٪ من راسمال هذين المصنعين ..

كل هذا كان تشجيعا للمواطن على دخول معترك الصناعة .. مع ضمان حد أدنى من الربح .

الذرة والنفط

ـ « ولكن لماذا هذا الجهد الكبير لاقامة صناعة في الكويت .. الا يكفيكم دخل البترول ؟ » .

ويجيب المسئولون : « ان ثروة النفط في الكويت ـ وأن كانت ثروة كبيرة ـ محدودة النوع ولا يجوز أن يعتمد اقتصاد البلاد على محور واحد للدخل القومي .. أضف الى ذلك أن العالم يشهد حاليا تطورا كبيرا وسريعا ، فقد تقدمت وسائل استخدام الطاقة الذرية الى درجة قد تؤدى الى اضعاف مركز النفط كمصدر للطاقة .. ولقد بدأت الطاقة الذرية تستخدم في تسيير الغواصات ، كما بدأت تستعمل في محطات توليد الكهرباء .. وفي ادارة المصانع الضخمة ..

« لذا قد يأتي يوم نجد فيه أن النفط تراجع الى المرتبة الثانية كمصدر للطاقة .. تماما كما حدث للفحم الحجرى بعد أن توسع استخراج النفط واستعماله ..

« ولكن اذا كانت المخاطر تهدد النفط من حيث هو طاقة ، الا أن دوره في أغراض صناعية جديدة أخذ يزداد في الآونة الأخيرة ، وأصبح بالامكان استخراج أنواع عديدة لا تحصى من منتوجات النفط والغاز الطبيعي ، وفي مقدمتها اللدائن (البلاستيك) .. »

الاستثمار الداخلى افضل

ان مجهود الحكومة الكويتية لتنويع مصادر الدخل القومى ، أدى الى زيادة انتشار المصانع .. اى زيادة استثمار رؤوس الأموال في الكويت ، وبالتالى زيادة النشاط الاقتصادى .. وزيادة فى الدخل القومى للبلاد ..

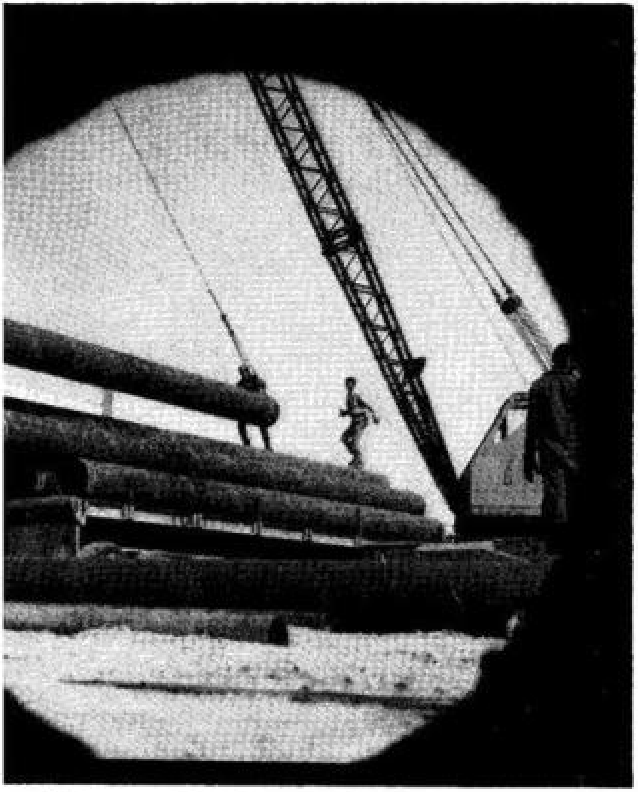


٢٠ الف طن من الانابيب ينتجها مصنع الانابيب المعدنية ، استطاعت الوقوف امام منافسة الانابيب الاجنبية لها المكافآت عند التصدير ، وتحمى اتفاقياتها التجارية

وتبدو اهمية ذلك عندما نلاحظ المبالغ الضخمة من رؤوس الأموال التى تستثمر خارج الكويت نظير فائدة تتراوح بين ٧ ـ ١٠٪ فى حين ان استثمارها في مشاريع صناعية مدروسة داخل البلاد يحقق ارباحا مضاعفة ، الى جانب خلق صناعة وطنية فى البلاد ..

٣ آلاف مليون سيجارة

ان عملية تحويل التاجر الى صانع هي المشكلة الأولى في وطننا العربى ، ولكنها هنا في الكويت تأخذ طابعا أكثر صعوبة واشكالا، لأن موقع الكويت الجغرافي عند رأس الخليج العربى جعلها مركزا للطرق التجارية التقليدية المارة من الجزيرة

انها من الصناعات الحديثة التى تفخر بها الكويت ..وعمر هذه الصناعة ثلاث سنوات فقط ومع ذلك المستوردة .. ويقول مدير المصنع : « المنافسات الاجنبيةشديدة .. وحكومات هذه الدول تدعم صناعاتها وتقدم في البلاد الاجنبية في حالة حدوث اى ازمة سياسية ،وهذا هو ما نطلبه لصناعاتنا الفتية » ..

العربية الى الشام ، ومن الهند عبر الطريق الطويل الى تركيا .. وهذا الموقع جعل منها مركزا تجاريا ممتازا ، ومن أبنائها تجارا متمرسين .. ياخذون البضائع من الشمال ويبيعونهاللجنوب .. ويكدسون البضائع المستوردة حتي يرتفع سعرها العالمى فيبيعونها باحسن الأسعار ..

ومما ساعد على رواج التجارة وانتشارها تحديد الرسوم الجمركية على الواردات بنسبة ٤٪ من قيمة البضاعة .. وهذه النسبة البسيطة جعلت من الكويت مركزا لاعادة تصدير المنتجات الى الدول المجاورة ذات الرسوم الجمركية المرتفعة ..

مثال ذلك السجاير ، فقد بلغ مجموع ما استوردته الكويتمنها ... ... ٣ سيجارة في السنة الماضية ، فاذا لاحظنا أن الاستهلاك الفعلى للبلاد لا يزيد باى حال عن ٢٠٪ من هذه الكمية ، يتضح لنا أن الزيادة المتبقية يعاد تصديرها مرة أخرى الى البلاد ذات الرسوم الجمركية المرتفعة ..

واظهرت الاحصائيات أن نحو ٥٠٪ من مجموع استيراد الكويت يعاد تصديره مرة ثانية ..

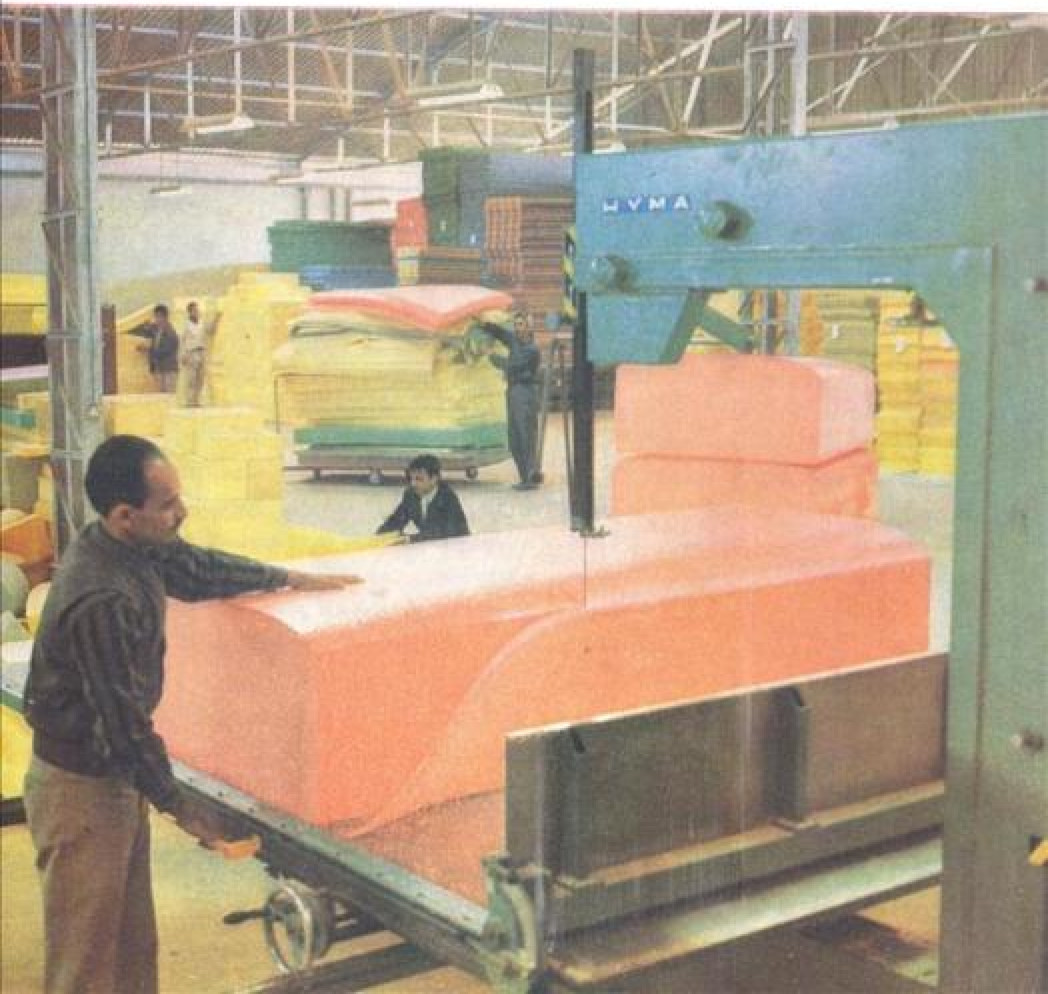
وعلى ضوء هذه الحقيقة الاقتصادية ندرك صعوبة انشاء المصانع في الكويت ، الا اذا توفرت وسائل تصديرانتاجية بنفس الأسلوب الحالى ..

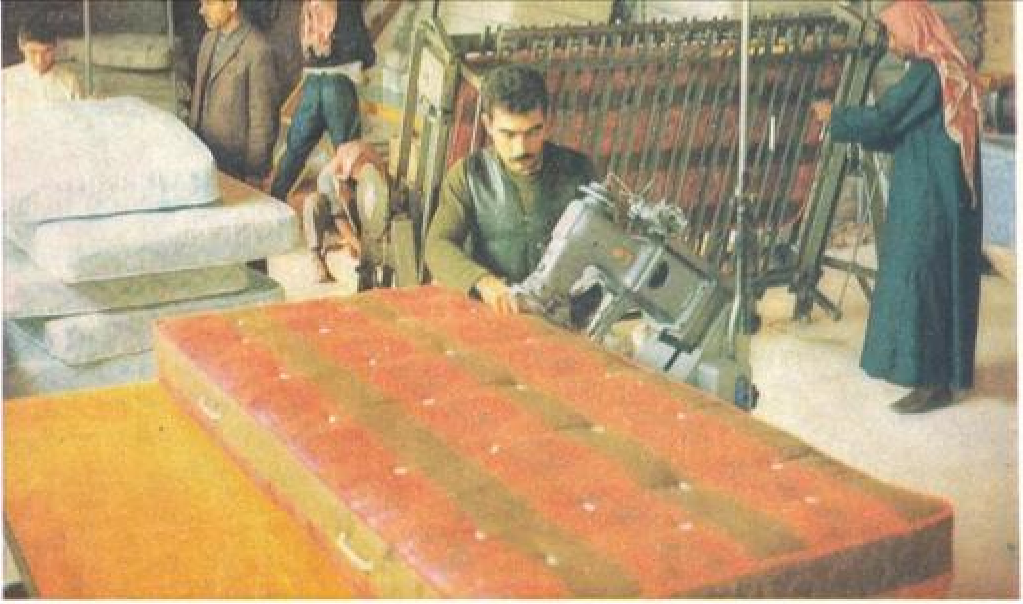
٤٪ من الدخل القومى

وكانت ادارة الشئون الصناعية الوليدة تدرس

صورتان من مصنع الاسفنج الصناعي .. ويصنع هذا الاسفنج من سوائل بتروكيماوية يخلطونها ويضعونها داخل الفرن فتتحول الى هذه القوالب الهائلة من الاسفنج ، التي تراها في **الصورة اليمنى** .
اما عملية تقطيع هذه القوالب الى شرائح رقيقة فتتم على منشار آلي خاص، يؤخذ بعدها الاسفنج ويستعمل في مختلف المصنوعات ـ الصورة السفلى ـ
ويستطيع هذا المصنع ان ينتج الف طن من الاسفنج سنويا ، لهذا بدات عمليات تصدير واسعة النطاق امتدت واتسعت حتى هونج كونج !











ثلاث صناعات جديدة ظهرت في الكويت .. **الصورة العليا** لمصنع « المراتب » الزنبركية يمكنه أن ينتج ٩٤ مرتبة كل ثماني ساعات .. **والصورة اليسرى** لمصنع منتوجات الميلامين الذي يصل انتاجه السنوي الى نصف مليون قطعة مختلفة .. اما **الصورة** الثالثة فهي لمصنع جديد ينتج مختلف انواع مبيدات الحشرات و « ملطفات الجو » وتنظيف الزجاج ، والشامبو «والاسبراي» للشعر وغيرها ، ويصل انتاج هذا المصنع الى رقم ١٦ مليون علبة سنويا .. ان هذه الصناعات الجريئة تحتاج الى حماية حكومية ضرورية حتى تزدهر وتنتعش ، ويزداد انتاجها فتنخفض اسعارها وتستطيع منافسة المنتوجات المماثلة المستوردة ...

حالة الصناعة ، وتسجل التيارات المختلفة المسيطرة على سوق الكويت المحلي ، ذلك السوق الذى يتميز بالقوة الشرائية العالية لارتفاع مستوى المعيشة ودخل الفرد ، عن طريق عائدات النفط . .

واظهرت الدراسات والاحصاءات أن اقتصاد البلاد هو اقتصاد استهلاكي وليس انتاجيا.. وان الصناعة فى الكويت لا تمثل الا اربعة في المائة فقط من مجموع الدخل القومى .. وان تغيير هذا الوضع يحتاج الى الاتجاه بكل قوة نحو التصنيع.

ولكن من الذى يقوم بهذه المهمة .. هل هو القطاع الحكومي او القطاع الأهلي ؟ .

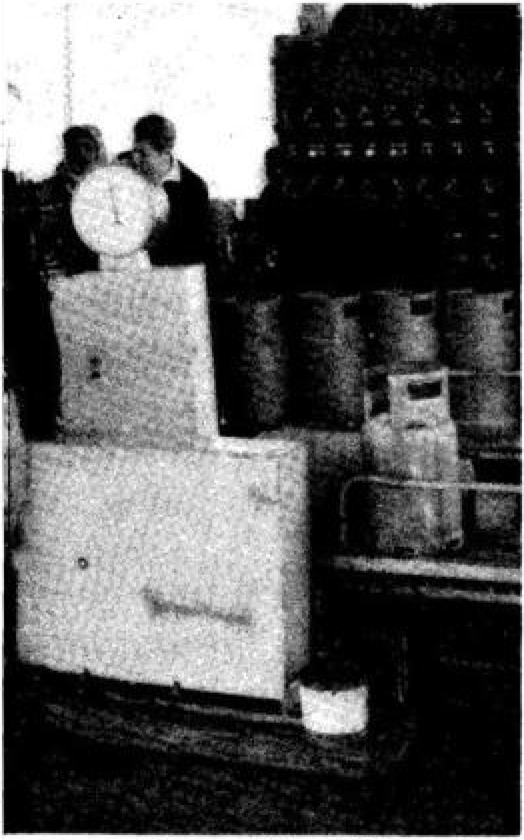
ان التجارب العديدة للدول النامية ابتت عجز القطاع الأهلى عن الاضطلاع بمهمة ازالة آثار التخلف الاقتصادى ..

ونتيجة لذلك أصبح من الضرورى مساهمة الدولة في المشاريع الصناعية الكبرى لتحقيق أهداف التنمية الصناعية وتنويع مصادر الدخل القومى .

سنصنع المكيفات !

ومن دراسة حركة السوق تبين أن الكويت تستهلك سنويا ٣٠ الف مكيف هواء ، من عشرين نوعا مختلفا .. لقد تحولتهذه المكيفات في الكويت من سلعة كمالية ، الى سلعة استهلاكية ضرورية لا يمكن الاستغناء عنها نظرا للارتفاعالزائد في درجة الحرارة خلال الصيف .. وهنا ظهرت فكرة انشاء مصنع لمكيفات الهواء في الكويت .. وعرضت ادارة الشئون الصناعية هذا الاقتراح على تجار المكيفات في الكويت فاستقبلوه مندهشين مستغربين قائلين: « كيف يمكننا أن نصنع مكيفات تنافس تلك المكيفات العالمية التي بلغت حد الكمال ؟ » .

وفتحت ادارة الصناعة ملفاتها ، ودعت التجار الى دراسة تفاصيل المشروع .. وبدا الاقتناع على وجوههم..وتكونت لجنة منهم لمتابعة الدراسة وكلهم امل في ان الكويت ستشرع قريبا في صنع مكيفات تضارع أحدث المكيفات العالمية ..



مصنع تعبئة انابيب الغاز .. وهو الوحيد من نوعه الانتاجية ...٤ انبوبة يوميا .. لقد دان يبيع الانبوبة اليوم فانخفض ثمن الانبوبة الى ..٤ فلس فقط ،

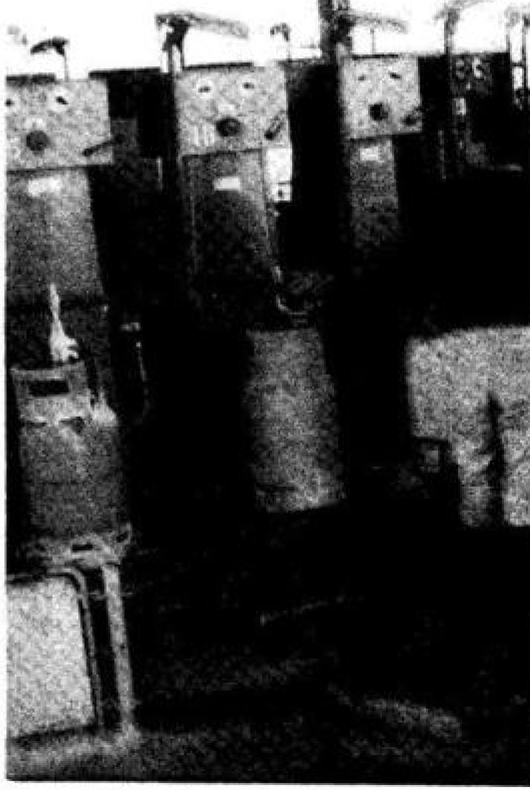
التاجر الصانع !؟

وهكذا بدات تظهر فى الكويت فئة جديدة لا هى صناعية ولا هى تجارية ، وانما هى صناعية تجارية في وقت واحد ، لأن خلق الرجل الصناعى الكامل فيه الكثير من الصعوبة ..

ويعترض صاحب مصنع الميلامين ـ وهي المادة البلاستيكية الشديدة المقاومة ـ ويقول :

« لقد أصبحت أومن بالصناعة ، وانا على استعداد لترك التجارة ، اذا وجدت التاجر الذى يقوم بشراء انتاج مصنعى وتوزيعه ، انى لا أريد الجمع بين الشخصيتين .. »

وسألنا بعض التجار : « لماذا لا تعملون على تشجيع الصناعات المحلية ؟ » .



في الكويت .. يعمل منذ سبع سنوات ، طاقته للمستهلك بسعر ٧٠٠ فلس عند بداية انتاجه ، اما لكثرة الانتاج ..

ويأتينا الرد قاسيا : « ان كل مصنع يقام ، يفتح صاحبه بجواره معرضا يبيع فيه انتاج مصنعه بسعر منخفض .. ان الصانع الذى تتحدثون عنه لم يظهر بعد في الكويت..ان الصانع الصحيح هو الذى يهتم بصناعته فقط ، لا أن يتاجر بهذه المصنوعات وينافسنا في رزقنا وعيشنا .. ان محاربته لنا تدفعنا الى الرد عليه باستيراد نفس أنواع مصنوعاته من الخارج !! »

الأفضلية للمنتوجات المحلية

وتقف الحكومة الى جانب الصناعة الناشئة تشجعها وتدعمها بكافة الوسائل، ومن هذه الوسائل تعديل قانون المناقصات الحكومية بحيث يمكن ان ترسى المناقصة على صاحب الانتاج المحلى المماثل للانتاج المستورد حتى لو كان سعر الانتاج المحلى يزيد ١٠ في المائة عن سعر المستورد ..

كما قررت لجنة تنمية الصناعة اعفاء معدات وقطع تيار آلات المصانع من الضرائب عفاء تاما ، وكذلك المواد الاولية التى يستعملها المصنع في العشر السنوات الاولى اذا لم تحقق ربحا مجزيا .

ان هذه التسهيلات الجمركية سوف تتيح للمصانع المحلية فرصة زيادة انتاجها ، وبالتالي البيع باسعار تنافس البضائع المستوردة .

واذا استثنينا المصانع الحكومية ومصانع منتجات البترول نجد ان عدد المصانع الاهلية التى اقيمت فوق ارض الكويت حتى نهاية عام ١٩٦٩ بلغ ٢٨٣ مصنعا موزعة كما ترى في الجدول المنشور في نهاية هذا المقال .

وقف التراخيص

وحتى لا يحدث تضخم وتزاحم بين المصانع ذات الطابع الواحد في فترة نموها ، اوقفت ادارة الصناعة اعطاء اى تراخيص لاقامة وحدات صناعية يوجد لها مثيل فى الكويت ، وخاصة بالنسبة لمصانع الاصباغ ـ الكاشى (البلاط) ـ الطابوق (حجر البناء) ـ الالومنيوم ـ الحدادة ـ النجارة ـ الطباعة ـ البلاستيك ـ الاسفنج ..

والسبب ان انتاج المصانع الموجودة من هذه الانواع يكفي استهلاك الكويت وتوسعاتها المتوقعة حتى السنتين القادمتين ..

مصانع الحاضر والمستقبل

وسوف يشهد عام ١٩٧٠ / ١٩٧١ مولد مجموعة جديدة من الصناعات فى الكويت ، اهمها :

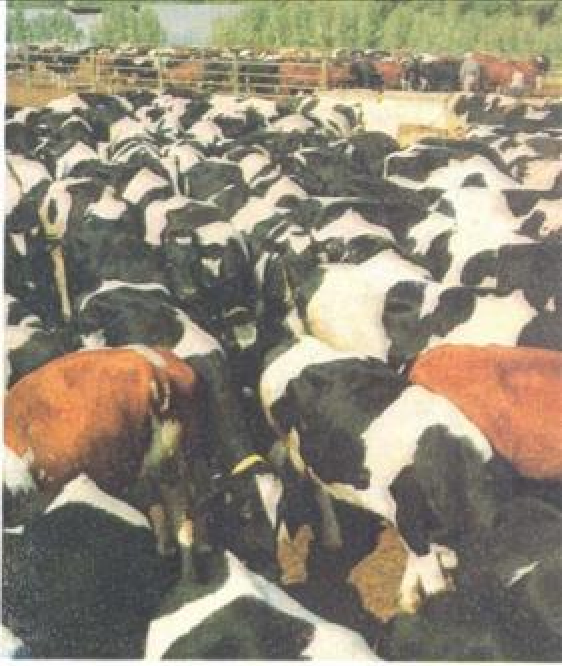
* مصنع للسدادات المعدنية لزجاجات المشروبات ونحوها .. طاقته الانتاجية ٢٥٠ مليون سدادة في العام .

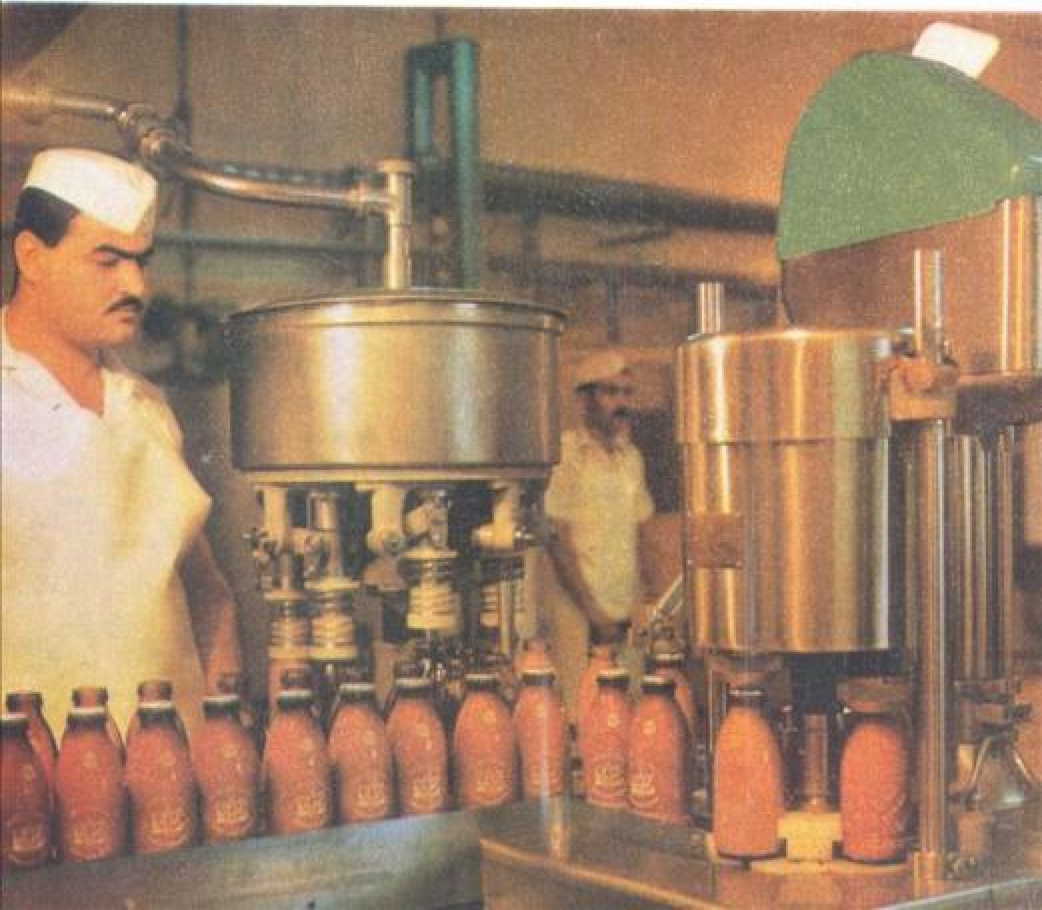
* مصنع للبطاريات الجافة .. طاقته الانتاجية ٢٠ مليون وحدة في السنة .

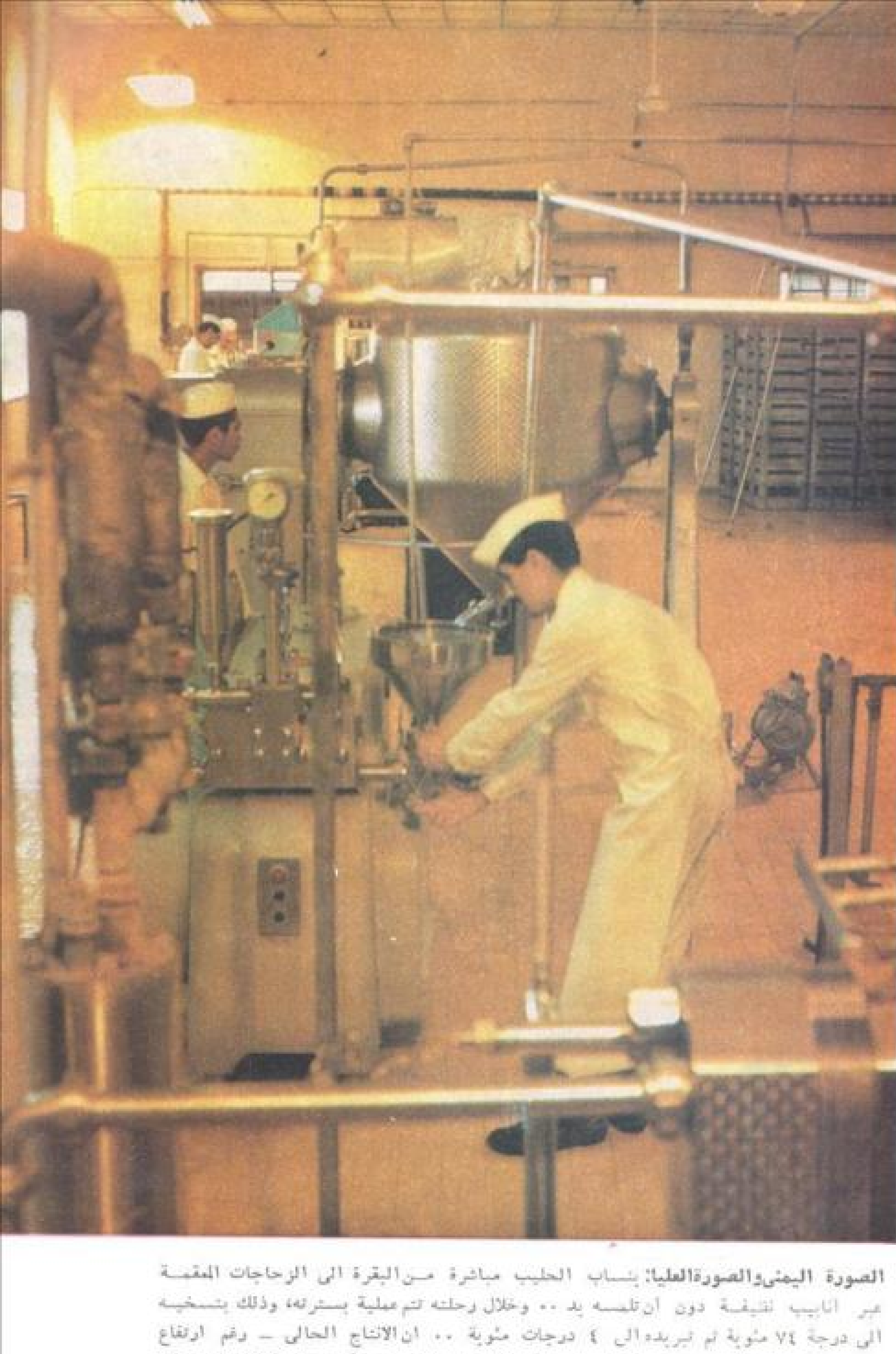
* مصنع للبطاريات السائلة .. طاقته ٦٠ الف وحدة سنويا .

* مصنع المنظمات الكيماوية، أى التى تستبدل بالصابون ، طاقته الانتاجية ٣ آلاف طن في السنة .

الى اليسار : روى لنا مدير احدى مزارع الابقار وصناعة الالبان قصة مزرعته بقوله : « بدأنا عملنا على انه هواية،اعتبرها البعض مغامرة،واعتبرها البعض الآخر جنونا ! لقد ذهلوا عندما احضرنا في عام ١٩٦٠ خمسين بقرة من هولندا والدانمرك .. لم تكن عندنا سيارات مهيئة لنقلها : فوقع بعضها، ونفق البعض الآخر بسبب الحر .. ومن اخطائنا هذه تعلمنا ، وبدأنا نطور اسلوبنا في العمل ، وزدنا في عدد ابقارنا ، حتى اصبحت اليوم ٨٥٠ بقرة من افضل انواع الابقار في العالم ، تنتج لنا خمسة الاف لتر من الحليب يوميا ..وعندنا مشروع للعشر السنوات القادمة نأمل أن نصل في نهايته الى انتاج ٨٠ الف لتر من الحليب يوميا .. وتنفيذ هذا البرنامج يقتضي رفع عدد ابقارنا الى نحو خمسة الاف بقرة »







الصورة اليمنى والصورة العليا: ينساب الحليب مباشرة من البقرة الى الزجاجات المعقمة عبر انابيب نظيفة دون أن تلمسه يد .. وخلال رحلته تتم عملية بسترته، وذلك بتسخينه الى درجة ٧٤ مئوية ثم تبريده الى ٤ درجات مئوية .. ان الانتاج الحالي – رغم ارتفاع سعره – يتخاطفه الناس بمجرد نزوله الاسواق لانه حليب طازج .. وأمام حكومة الكويت حاليا مشروع لانشاء مركز لتجميع وتصنيع وتسويق الالبان في الكويت، تشترك فيه الحكومة بنسبة ٥١٪ وأعضاء اتحاد الالبان بعشرة في المائة، ويطرح ما تبقى من الاسهم للمواطنين .

* مصنع القارورات اللدينية (البلاستيكية) طاقته ٣ ملايين وحدة سنويا .

* مصنع للاسمنت ، طاقته الانتاجية ٣٠٠ الف طن سنويا .. وهذا المشروع سينفذ على مرحلتين، المرحلة الاولى استيراد الاسمنت الخام وطحنه وتعبئته ، والمرحلة الثانية استعمال المواد المحلية في انتاج المصنع .

* مصنع للاسمدة الكيمائية طاقته الانتاجية ١٤٠٠ طن يوميا من اليوريا و ١٨٠٠ طن من الامونيا السائلة وسوف يتم تصدير ٥٠٪ من انتاج الامونيا السائلة لتصنيعها في احد المصانع المشتركة بين تركيا والكويت .

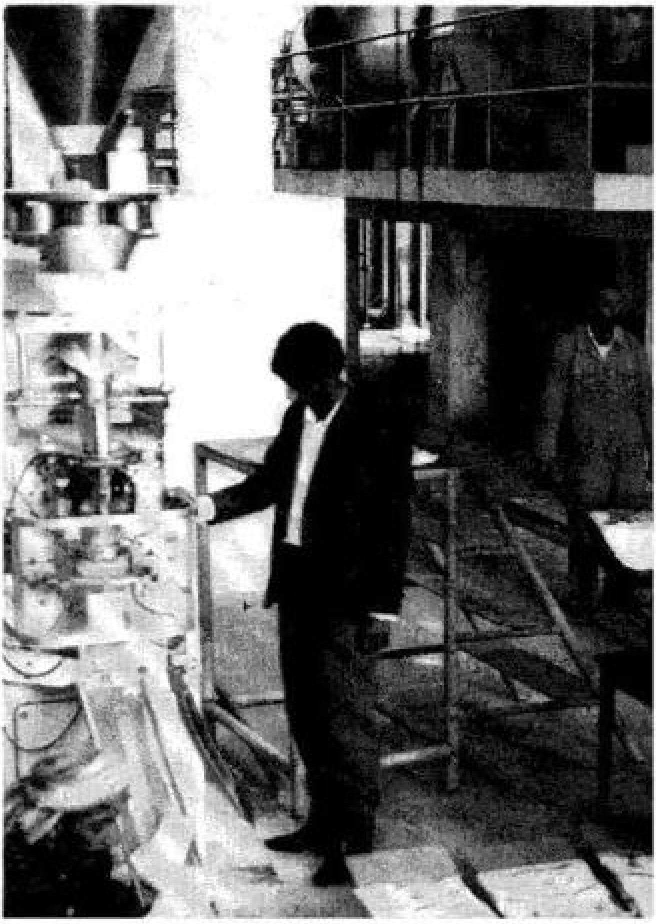
* مشروع درفلة الحديد ، طاقته الانتاجية ٦٠ الف طن سنويا .

ان انشاء هذه المصانع الجديدة يهدف الى توجيه الصناعة في الكويت صوب آفاق جديدة تبشر بمستقبل صناعي وتطور ،لان تسويق انتاجها يكاد يكون مضمونا في اسواق الكويتوغير الكويت .

خريطة جيولوجية للكويت

وقد امكن التخطيط لهذه الصناعات الجديدة ، بعد دراسات مطولة وبعد ان تم وضع خريطة جيولوجية لارض دولة الكويت .. انتهى رسمها عقب الانتهاء من عملية المسح الاولى الجيولوجية للبلاد التى قام بها مكتب المسح الجيولوجي النمساوى .

الى اليمن . في عام ١٩٥٨ ارادت وزارة الكهرباء انشاء مصنع لمادة الكلورين، وتطلب ذلك وجود المادة الرئيسية الاولية وهي ملح الطعام (كلوريد الصوديوم)، فاقيم مصنع لانتاج هذا الملح عام ١٩٦٣ بطاقة قدرها ٢٠ طنا يوميا تستهلك منها الاسواق ١٠ أطنان ، وهناك مشروع تحت التنفيذ لزيادة طاقة انتاج المصنع الى ٦٥ طنا من الملح الممتاز النقي يوميا



ويقوم حاليا مكتب جيولوجي فرنسي بعمل دراسات على كميات ونوعيات المواد التي اكتشفها المكتب النمساوي في عملية المسح السطحي للتربة ..

نهاية اسطورة !

وكانت النتائج الاولية التي ظهرت كافية لقلب النظرية القائلة : **« ان أرض الكويت ليس فيها من الخامات الا النفط »** فقط اثبتت التحليلات ان رمال منطقة أم النقا ، تصلح لصنع زجاج القناني المعتم .. واذا عولجت بمواد كيماوية يصبح بالامكان استغلالها لصناعة الزجاج الشفاف .. كما ثبت وجود الحجر والطفلة ، التي يمكن استخدامهما في صناعة الاسمنت في المناطق التالية : راس عشيرج ـ الروضتين ـ المطلاع ـ جزيرة بوبيان ـ الخيران ..

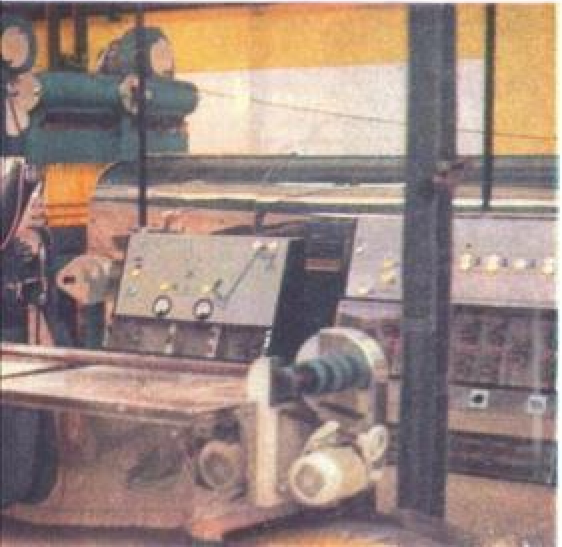
ان اكتشاف المواد الاولية الموجودة في باطن أرض الكويت واستغلالها على اكمل وجه سوف يقلبان النظريات التقليدية التي كانت تتحدث دائما عن البترول بوصفه الثروة الوحيدة في أرض الكويت .

ومع نهاية هذا العام سوف تنتهي الدراسات

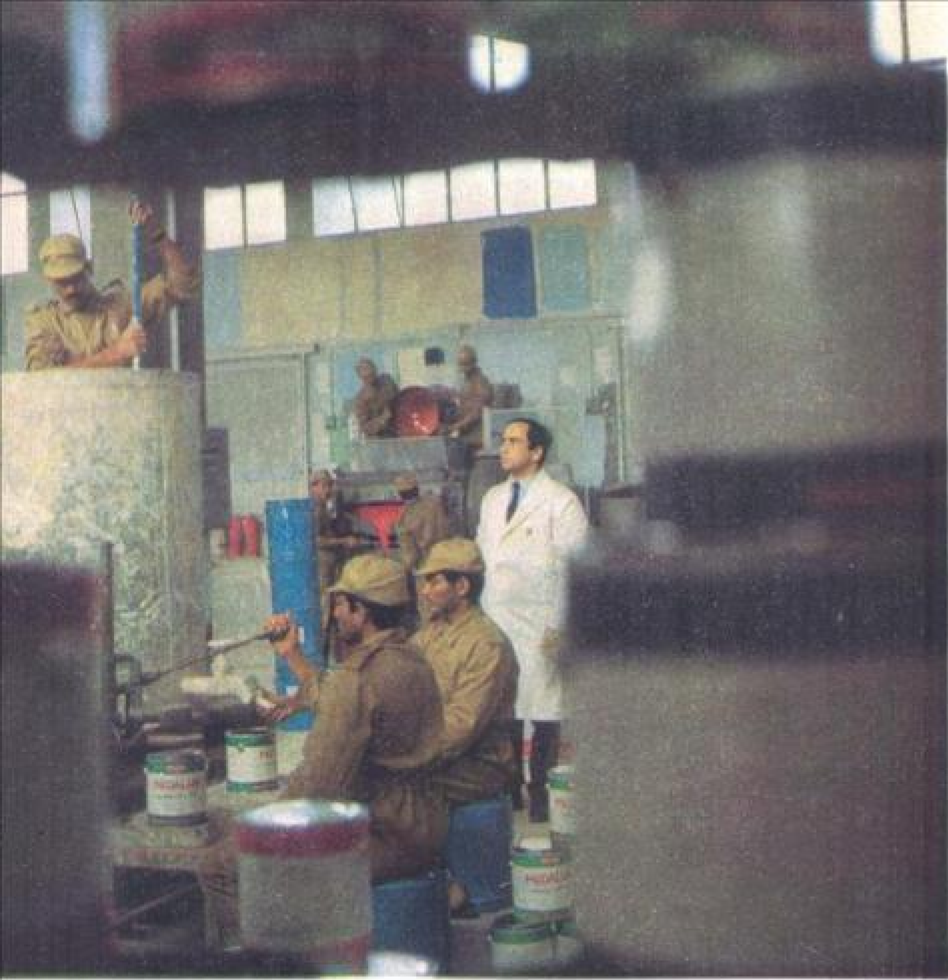


الى اليسار : توضع الصودا الكاوية المجففة ، داخل براميل كبيرة ، وترسل الى مختلف مصانع الكويت .. ان طلب الصناعات المحلية من هذه المادة في تزايد مستمر ، وفي الماضي لم يكن هذا المصنع يجد اسواقا لتصريف انتاجه الذي كان يصل الى ثلاثة اطنان يوميا .. اما اليوم فان ستة اطنان لم تعد تكفي الصناعات المحلية .. وقريبا سوف يرتفع انتاج الصودا الكاوية الى نحو ٢٠ طنا يوميا .





يباع السكر في الكويت بسعر منخفض للغاية لضآلة الرسوم الجمركية المفروضة على استيراده .. ونتيجة لذلك انتشرت مصانع الحلوى والسكاكر التى تنتج مختلف الأنواع بأسعار تمكنها من منافسة الأصناف المستوردة وقد بلغ عدد مصانع الحلوى في الكويت خمسة مصانع ، تنتج ١٥ طنا من الحلويات كل ٨ ساعات . ويقول أحد أصحاب هذه المصانع « ان المنافسة الخارجية لم تعد تؤثر على انتاجى ، بل على العكس أصبحت أصدر للبلاد المجاورة كافة الأنواع التى انتجها .. .. اننا نستعمل أفضل الآلات ، ونضع أفضل الخامات .. لهذا نجحنا في عملنا .. وأصبحنا نصدر الى الدول المجاورة »



تجرى حاليا دراسة مستفيضة لزيادة نسبة الرسوم الجمركية على الاصباغ والدهانات المستوردة من الخارج ، وذلك حماية لمصانع الاصباغ الثلاثة الموجودة في الكويت ، والتي يمكنها أن تنتج ٧٥٠ ألف جالون سنويا .

الى اليمين : يأكل سكان الكويت نحو الف طن من المكرونة سنويا ، لهذا عمدت شركة مطاحن الدقيق الكويتية الى اقامة مصنع آلي حديث ينتج ٤ أطنان من المكرونة كل ٨ ساعات .. لقد بدأ انتاجه منذ أربعة شهور فقط بنجاح رائع ، وهو ينتج ١٥ نوعا مختلفا من المكرونة ، تستعمل في صنعها اجود أنواع السميط دون استعمال الدقيق ..



الجيولوجية اللازمة ، وبعدها ستبدأ مرحلة ثالثة تكون بمثابة دراسة تخصصية لطريقة تصنيع المواد المكتشفة ..

الصوديوم والمغنسيوم من الماء الفائض !

وليست ثروات الكويت كلها من باطن الارض ، فالمياه الخارجة من محطة تقطير ماء البحر تحوى نسبا عالية من الاملاح الكيماوية .. ومن هذه المياه ذات التركيز العالي يمكن استخراج العديد من المواد الكيماوية المستخدمة في الصناعة كالصوديوم والمغنيسيوم والبروميد ، الى جانب استخراج الملح والكلورين الذى يتم حاليا ..

مشاكل الصناعة

ان الصناعة فى العالم - وخاصة في وطننا العربي ، لم تعد تعنى توافر الايدى العاملة ورأس المال والمواد الخام فحسب ، بل قبل هذا وذاك : تخطيط ودراسة وادارة ومواجهة للمشاكل بصراحة زائدة ، مع العمل على حلها دون تركها معلقة ..

والصناعة في الكويت مازالت مثل الطفل الصغير تحتاج الى رعاية كاملة لتتغلب على مصاعب النمو والتقدم ، وفي مقدمة هذه المصاعب : تأمين اليد العاملة المحلية ..

واستطلاعنا اليوم هو عن الصناعات الاهلية وليس عن صناعات النفط ومشتقاته . وهذه الصناعات الاهلية لا يمكنها ان تجارى المنشآت الحكومية في اجورها المرتفعة ولا في ساعات عملها ..

هذه هي المصانع

٥١ مصنعا للحدادة ، مجموع طاقتها الانتاجية نحو ٢٥٠ طنا من الحديد المشغول يوميا .

٤٦ مصنعا للنجارة مجموع طاقتها الانتاجية ٥٦١ بابا ونحو مائة غرفة صالون ونوم وطعام يوميا .

٤٠ مصنعا للكاشي والموزاييك تنتج نحو ٤٠٠ الف قطعة كاشي (بلاط يوميا) .

١٩ شركة طباعة تقوم بطباعة الجرائد والصحف وتصنع اكياس النايلون واطباق الكرتون وتقوم بتجليد الكتب .

١٤ مصنعا للطابوق الاسمنتى تنتج ١٨ مليون طابوقة سنويا .

٩ مصانع للثلج تنتج يوميا ٣٧٠٠ قالب ثلج .

٨ مؤسسات وشركات للألبان والايسكريم ، تنتج يوميا نحو ١٥ طنا من الالبان وألوفا مؤلفة من قطع الايسكريم .

لهذا نجد المواطن الكويتي يتجه للعمل في المنشآت الحكومية تاركا العمل في القطاع الاهلي للعمال القادمين من خارج البلاد .. وكان من نتيجة ذلك ان تعذر على مصانع القطاع الاهلي فى الكويت تطبيق المادة ٢١ من قانون الصناعة التي تحتم



الى اليمين : منازل جاهزة تنقل على الجرارات الى اى مكان .. انها من الصناعات الجديدة التي بدأ المواطنون يقبلون عليها، وهم يستخدمونها بدلا من الخيام العربية التقليدية التى ينصبونها في قلب الصحراء ..

العاملة حاليا في الكويت

٨ مصانع الومنيوم تنتج حسب المطلوب (ابواب ، شبابيك ـ حواجز) .

٦ مصانع تعبئة المياه الغازية تنتج ٣٢ الف صندوق يوميا .

٥ مصانع للحلويات تنتج ١٥ طنا من مختلف انواع الحلويات يوميا .

٥ مصانع لتقطيع الرخام طاقتها الانتاجية ١٠٢ الف متر مربع سنويا من تقطيع وصقل للرخام ..

٥ مصانع للاسفلت طاقتها الانتاجية ٢٧٤٠ طنا يوميا .

٤ مصانع للاثاث المعدني لانتاج المكاتب والستائر والاسرة وغيرها .

٤ مصانع للغازات الصناعية تنتج الاوكسيجين والنيتروجين وثاني اكسيد الكربون والاستيلين وتعبئة غاز التبريد وانتاج غاز اكسيد النيتروس (الغاز المضحك) .

٤ مصانع لتجميع وتجهيز الادوات الكهربائية .. وتنتج انواعا عدة من الاصناف .

٤ مصانع لصيد الاسماك طاقتها الانتاجية متوقفة على مواسم الصيد .

٨ مصانع للخراطة وصب وتلبيس الاطارات

٣ مصانع علف الحيوان والدواجن تنتج يوميا ٧٩ طنا من العلف .

٣ مصانع بلاستيك وميلامين تنتج آلاف القطع المختلفة المتنوعة يوميا .

٣ مصانع للاصباغ تنتج ٧٥٠ الف جالون من الاصباغ سنويا .

٣٤ مصنعا مختلفا تنتج المواد العازلة ، والادوات المكتبية ، ومسبوكات الحديد الزهر ، والاسبست والميداليات والاشارات ، والانابيب المعدنية ، والدقيق والنخالة ، والمباني الجاهزة ، وكبس الحديد الخردة ، والمراتب الزنبركية ، والاسفنج الصناعي ، ونقش المنسوجات ، ومبيدات الحشرات ومنظفات الزجاج ، وملطفات الجو والشامبو ، وامشاط الكبريت ، والرادياتيرات ، والالبسة الجاهزة، وعلب الصفيح ، وادوات المطبخ النحاسية من الالومنيوم والنحاس ، والليف المعدني .

ان يكون نسبة عدد العاملين الكويتيين بالمنشاة الصناعية ٢٥ في المائة من مجموع عدد العاملين ..

جمع الشمل ؟!

ومن المشاكل الاخرى الكبيرة التى تواجهها الصناعة في الكويت مشكلة الاختصاصات المبعثرة في اغلب وزارات الدولة .. لقد اصبحت هذه الاختصاصات جزءا مهـ كل وزارة بمضى المدة ، وسلخها عن الوزارة يحتاج الى تخطيط جديد جرئ .. فمثلا تجد البلدية مسئولة عن القسائم الصناعية .. والاشغال مسئولة عن الثروة السمكية .. وبنك التسليف والادخار يقوم بالدراسات ليقدم القروض الصناعية .. والشئون الاجتماعية مسئولة عن التدريب المهني والاوضاع القانونية للعاملين .. والتربية مسئولة عن التعليم الصناعي .. وهلم جرا .

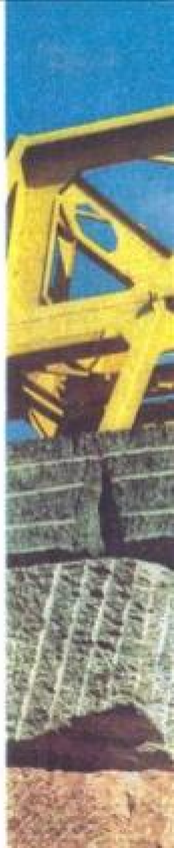
المنطق المقلوب !

وتسعى ادارة الشئون الصناعية بوزارة التجارة والصناعة ، جاهدة لايجاد نوع من التنسيق بين هذه الادارات المبعثرة ، ويقف السيد محمد عدوه ـ الوكيل المساعد لشئون الصناعة في وزارة التجارة والصناعة ـ وسط هذه التيارات يتفاعل معها ويشعر بمقدار الجهد الهائل الذى يجب بذله للنهوض بالصناعة في الكويت .. فيقول :

« الصناعة الناشئة لا يمكن ابدا ان تقف على قدميها بمفردها .. لا بد ان تتحرك النخوة القومية في ابن البلد ليحميها ويساعدها ويشجعها بمختلف الوسائل .. ان ذكاء العامل العربي لايقل ابدا في مجال الصناعة عن ذكاء الصانع الاوربي .. وانت اليوم تجد في اغلب جامعات ومصانع العالم الكبيرة، مهندسين عربا يعملون ويدرسون .. وليس



يلعب الرخام دورا كبيرا في تجميل منازل الكويت الحديثة ، اذ يقبل الناس على تغطية جدران وشرفات منازلهم بالرخام المصقول .. وفي الكويت خمسة مصانع لتقطيع وصقل الرخام ، الذي يستورد على هيئة كتل كبيرة ضخمة تأتي من كرارة في ايطاليا ، ومن لبنان والاردن ومصر .. والطاقة الانتاجية لهذه المصانع تصل الى اكثر من ١٠٠ الف متر مربع ، يتم تقطيعها وصقلها كل عام .







تحتل الثروة السمكية المركز الثانى بعد الثروة البترولية في الكويت .. ويتجه نشاط شركات الاسماك (وعددها اربعة) نحو صيد الروبيان (أو القريدس) والثليجه لم تعليبه .. وتستهلك الكويت نحو ١٪ فقط من كمية الروبيان المثلج .. اما الباقى فيتم تصديره للخارج بعد تنظيفه وقطع رأسه بواسطة آلات حديثة سريعة كما نرى في الصورة اليمنى ، اما الصورة اليسرى فتظهر ثلاجات التبريد ، وعملية اغلاق الصناديق تمهيدا لتصدير الروبيان

الى اسفل : كانت الكويت تستورد كل قطعة صغيرة من الادوات الكهربائية ، أما اليوم فان معظم المبانى أصبح يستعمل منتوجات مصنع الادوات الكهربائية المحلى ، الذى ينتج ٢٠٠ نوع مختلف من هذه الادوات الكهربائية .. وهذا احد مهندسى المصنع يدقق على احد القوالب التى تم صنعها محليا لكى تعمل على المكابس الكبيرة.



بصحيح ان التراث الصناعي ينقصنا ، لان خبرات العالم في النسيج والزجاج مثلا خرجت من مصر وسوريا .. ولكن المشكلة تكمن في اننا لم نحاول ابدا تطوير هذا التراث وتدعيمه ، بل تركناه ينام نومة اهل الكهف ، وقد آن له ان يستيقظ اليوم ويتحرك ..

ان دول العالم تتكتل وتتجمع لتصنع التشريعات والقوانين وتوفر الاسواق لمنتجاتها .. بينما نحن مازلنا الى اليوم نسمع اصوات اخواننا يرفضون قبول فكرة تعديل الرسوم الجمركية لحماية منتجاتهم الوطنية .. لقد اصبح المنطق مقلوبا في تفكيرنا » ..

الى اسفل : « الحلاوة الطحينية » نوع من الحلوى الشعبية التي يقبل الناس على شرائها بكثرة .. وينتج هذا المصنع ٢٠٠٠ علبة حلاوة كل ٨ ساعات ..



ماساتنا العربية

واستمعنا الى الدكتور احمد محمد البحيري خبير ادارة الشئون الصناعية بوزارة التجارة بالكويت يتحدث عن الصناعة بقوله : « ان تطوير التعليم الفني والصناعي هو الخطوة الاولى التي يجب ان نبدأ بها .. وبعدها يبدأ تطوير اصحاب المصانع حتى يدركوا ان مهمة المهندس هي الابداع والتجديد والابتكار ، لا الجلوس على المكاتب وحل المشاكل الادارية ، كما يحدث في اغلب اجزاء وطننا .

« ان ماساتنا العربية تتمثل في انعدام التعاون العربي انعداما تاما ، بالرغم من عشرات الاجتماعات والمؤتمرات التي تنعقد دون الوصول الى اية نتائج ايجابية ، حتى اصبح يخيل لي ان جامعتنا العربية قد تحولت الى مخزن للاوراق التي تحوي دراسات وتقارير ، اشبعناها درسا وتعليقا ، ولكننا لم ننفذ حرفا واحدا مما جاء فيها ..

« لقد اصبحت المنتجات العربية متشابهة ومكررة .. كلنا ننتج نفس النوع ونتزاحم في الاسواق العالمية لبيعه .. ولا علاج لهذه الحالة ما دام التنسيق معدوما بين اقطارنا . .وما دامت السياسة هي المسيطرة على الاقتصاد والمسيرة له » .

المهم نثر البذور

وبعد كل هذا من المهم أن نقول : ان ايماننا بالمستقبل يفوق ايماننا بالماضي والحاضر .

اننا في فترة انتقال .. فترة صعبة دقيقة .. ان صناعتنا العربية تشبه شجرة الزيتون .. نزرعها اليوم ونرعاها لنقطف ثمارها بعد سنين .. حقيقة قد يطول بنا الانتظار ، ولكن المهم هو ان نشرع الان في نثر بذور الصناعة .. وهذا ما فعلته الكويت ■■

سليم زبال

جمال الدين الصَّرْصَرِيّ في ديوان لشعر مخطوط

٥٨٨ هـ ـ ٦٥٦ هـ

بقلم : خليل الهنداوى

■ عالم المخطوطات العربية لا يزال مجهول الأغوار ، على الرغم من كثرة ما اكتشف منها ، اذ لا يزال الكثير منها طى الحجب ، والاهمال والنسيان .

ومرد غزارة هذه المخطوطات، التى لم تعرف لغة ما ، ما يشبهها غزارة ، الى أن اللغة العربية لم تكن لغة العرب وحدهم ، بل كانت ، في عصر من العصور ، اللغة الثقافية الشائعة ، والتعبير البياني لشعوب لا تحصى من عرب وأعاجم وأجانب، جمعت بينهم العقيدة الواحدة ، والعبارة الموحدة،

ثم شاء القدر لهذه الآثار أن تتناثر في أطراف الممالك والمسالك ، وأن يضيع منها ما يضيع بفعل الأحداث والنكبات ، ثم يعثر منها على ما يعثر في بطون المكاتب المهجورة، والصناديق المطمورة، والمتاحف المهملة . ولا شك أن للمستشرقين أيادى لا تجحد في الكشف عن بعض هذه الكنوز الدفينة، واخراجها الى النور .

لقد وقع بين يدى ، منذ أيام ، ديوان شعر مخطوط ، فقدت منه عدة صفحات في المقدمة ، وبذلك ضاع اسم صاحبه ، وكان البحث شاقا ، وطويلا للوصول الى صاحب الديوان الناقر من صاحبه . وبعد تدارك الأحداث . وتثبيت المعالم تبين أن هذا الديوان للعالم الفقيه الحنبلى الشاعر « جمال الدين الصرصرى » نسبة الى قرية «صرصر» التى تقع على مقربة من بغداد . (واسمه يحيى بن يوسف بن يحيى ، وكنيته أبو زكريا) .

عاش الشاعر في حقبة من أخطر فترات التاريخ

ولد هذا الشاعر العالم سنة ٥٨٨ هـ ، وامتد

به اجله الى سنة ٦٥٦ هـ ، والمتامل في هـــذه الفترة التي عاش فيها الشاعر يجد انها من اخطر الفترات واحفلها بالاحداث والفتن التي قضت على الخلافة العباسية ، والامبراطورية الاسلامية ، ووطئت اجزاءها ، وعمرانها ، وثقافتها جحافل « المغول » الذين اقبلوا من شرقي آسيا ، في المرة الاولى ، بقيادة « جنكيز خان » . وفي المرة الثانية بقيادة « هولاكو » ، وفي المرة الثالثة بقيـــادة «تيمورلنك» .وهم ينضحون شوقا الى صبغ اديم الارض بالدماء ، وتهديم الآثار العامرة ، والقضاء على الحضارة الزاهرة التي لبثت زمنا طويلا منارة هدى للاجيال !

وكتب التاريخ طافحة بوصف هـــذه الفترة الحمراء ـ لكثرة ما سال فيها من دماء ـ التي لم يعرف التاريخ لها مثيلا في اشباهها من الغزو والفتوح . وشر ما تبتلى به الحضارة أن يغير عليها اناس ابتدائيون ، يطلبون الغزو للغزو ، دون أن تدفعهم عقيدة ، أو تبرر عملهم رسالة !

وقد لقيت بلاد العراق والشام ـ ولا سيما بغداد ـ من هؤلاء الغزاة ما احال عامرها خرابا ، وقصورها وآثارها ترابا ، حتى دور الكتب التي هي عصارة ما جادت به الانسانية ، في كفاحها الطويل ـ من ثمرات الفكر ، اخرجت منها الكتب لتحرق ، والكنوز العقلية لتوقد في نار الجهالة ، وتصبغ امواه دجلة بالسواد اشهرا طوالا .

ابن الأثير يسجل ما فعل التتر

وهذا المؤرخ المعاصر « ابن الأثير » يسجل هذه الفترة في تاريخه « الكامل » ويقول :

« ولقد جرى لهؤلاء التتار ما لم يسمع بمثله ، من قديم الزمان وحديثه .. طائفة تخرج من حدود بلاد الصين ، ولا تنقضي عليهم سنة ، حتى يصل بعضهم الى بلاد ارمينية ، من هذه الناحية . ويجاوزوا العراق من ناحية همذان ، وتالله لا أشك أن من يجيء بعدنا اذا بعد العهد ، ويرى هذه الحادثة مسطورة ، ينكرها ويستبعدها والحق بيده .

فمتى استبعد ذلك فلينظر اننا سطرنا ، نحن وكل من جمع التاريخ في زماننا ، في وقت ، كل من فيه يعلم هذه الحادثة ، استوى في معرفتها العالم والجاهل لشهرتها .

ـ يسر الله للمسلمين والاسلام من يحفظهم ويحوطهم ! » (١)

★ ★ ★

في هذه الفترة ، ولد وعاش الشاعر العـــالم الصرصري الذي امتدت ثقافته الى الشعر والى اللغة ، حتى قيل انه كان يحفظ صحاح الجوهري والى الفقه ،على مذهب ابن حنبل وأكثر آثاره لا يزال مخطوطا ، ولعل أكثرها اشتهارا ما تفقه فيـه .

ديوان فيه شعر كثير في مدح الرسول الكريم

أما شعره الذي نحن في سبيل التعريف به فقد جمعه هذا الديوان المخطوط الذي يحتوي على ١٨٤ ورقة ، أو ٣٦٠ صفحة . وأكثره في مـــدح الرسول ـ صلى الله عليه وسلـم ـ . ولعل « المنتقى من مدائح الرسول » أو « المختار من مدائح المختار»انهو الا جزء منتخب منهذا الديوان.

في الديوان غزل صناعي لا بأس برقته ، ومدائح دافئة العاطفة للرسول وصحابته .. وخــلال هذا كله تقع العين على بعض ألواح من شعره ، تنعكس فيها احداث الغزو التترى ، وما أصاب الناس من قتل وتشريد وجوع ، ولا سيما أهل القرى التي مسحها التتار من الوجود .

وان الشيء الذي يستلفت النظر أن الصرصري قد أكثر من مدح الرسول ، واذا علمنا أن الشعراء الذين أكثروا من هذا اللون ـ كصفي الدين الحلي ـ سنة ٦٧٧ ـ ٧٥٠ هـ ، والبوصيري ـ سنة ٦٠٨ ـ ٦٩٦ هـ ، الذي اشتهر بقصيدة البردة ، نجد أن الصرصري قد سبق الى هذا الضرب من المديح النبوي زمنا طويلا .

أيكون الصرصري هو الذي ابتكر هذه المدرسة من المديح النبوي استجابة لعامل الضعف الذي يلجأ الى الاستسلام الى قضاء الله ، والتوسل الى رسول الله ، بعد أن تفوته عوامل القوة ؟ .

شعر ملحمي

ونشاهد أيضا أن النفس الملحمي طويل عند الصرصري ، فان له قصائد مطولة ، ينهج فيها نهج

(١) ما أشبه الليلة بالبارحة .

الشاعر الذي يؤرخ الاحداث التاريخية ، منذ ظهور الاسلام حتى عصره ، وهو ما لم نجده عند اى شاعر سابق .

شعر غير رفيع التعبير

لكن لغته الشعرية ـ على انتقاء اسلوبها ، وتخير الفاظها ـ لم تَسْمُ الى المنزلة الرفيعة في التعبير ، لأن شاعرنا ، بحكم عمله واختصاصه بالفقه ، قد امتزجت لغته الشعرية بلغة الفقهاء ، حتى غلبت عليها ، وفقدت جمال الصور ، وحرارة العاطفة ، كما يظهر عليها احيانا الابتذال في التعبير، والسقم في التركيب ، وهو البادرة الاولى من البوادر التى تميزت بها عصور الانحطاط .

ونظم في الفقه على طريقة ابن مالك في النحو

وهذا يعزى الى كثرة ما نظمه في الفقه ، على طريقة ابن مالك فى النحو . وله قصيدة دالية فى الفقه الحنبلى تبلغ ٢٧٧٤ بيتا على أن مثل هذا النظم لا يدخل في نطاق الشعر .

ومن شعره شعر المواعظ والحكم ، كعادة الشعراء ، على غير تعمق ، ويغلب عليها الزهد والحذر من الدنيا .

من مدحه رسول الله

ومن مدحه للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يستنجده لاخيه علي بن الوضاح الذى سئل في مسالة الارجاء (١) فاجاب عنها جوابا شافيا ، فوشي به ، ونصره الله :

شجاني من زمني ما شجا
فأمسيت مكتئبا ، مُحرَجا
كأني قنيص بأحبولة
اذا فرَّ لم يستطع مَخرجا
هم الفرقة المرتضاة (٢) التي
نجت ، وبها من تلاها نجا
أقاموا على سنة المصطفى
ولم يرتضوا غيرها منهجا
تَعَرَّضَ بَغْياً له المرجئون
وأبدوا من الجهل انموذجا

واكثر مديحه للرسول تضمن وصف النكبة التى حلت على ايدى الغزو التترى ، فهو مرة يدعوهم التتار ، ومرة يدعوهم الترك ، بحسبانهم فرعا منهم .

تراه يبدأ بالمدح وبث الاشواق ، واللهفة الى اللقاء ، بصور مكررة ، ثم يعرج على ما يشكوه في عصره . ومن ذلك قوله :

اشكو اليك ـ رسول الله ـ ما أجد
من الخطوب التى اعيا بها الجلد
عمر أناف على الستين ، خالطه
سقم ، لأعبائه وسط الحشا كمد
وفقد اخوان صدق ، صالحين مضوا
كانواهم الردءَ ، انغابوا وان شهدوا
وفتنة البِدَع الشنعاء ، قد خلطت
على البرية ما تنحو وتمتقد
وفتنة التتر العظمى التي قرحت
منا لوقعتها الاحشاء والكبد
رمت حميم القرى منها بفاقِرَةٍ
لم ينج من شرها مال ولا ولد
اودت بمن حولها فتكا ، وليس لنا
الا الى وعدك الميمون مُستَنَد

وفي مقطوعة اخرى يصف غاية حملة هؤلاء الغزاة :

جاءت بعصبتها الطغاة ، تروم من
دار الخلافة خطة تستشنع
فدنوا : فصفوا شر جيش ضلالة
بازاء جيش بالهدى يتدرع
فلقوا أسود الغاب ، لاتخشى الردى
والراسيات الشم ، لاتتزعزع
ألبيتك المحروس راموا غيرةً
وهو الأعز ، من البيوت ، الأمنع
سل جَبْرَ أمتِكَ الكسيرة ، انه
لم يبق في قوس التجلد منزع

---

(١) الارجاء : مذهب تقول به فرقة كلامية اسلامية وسمى رجالها بالمرجئة لانهم قالوا بارجاء المختلفين الذين سفكوا الدماء واختلفوا حول الخلافة ـ الى الله والى يوم القيامة ، دون أن يكفروا أحدا منهم . وقالت المرجئة « ان الايمان هو معرفة الله ورسله . وان من آمن بالله وبرسله وترك الفرائض وارتكب كبيرة من الكبائر فهو مؤمن ، وان الايمان هو الاعتقاد بالقلب ، وان الاعمال الظاهرة ليست جزءا من الايمان » . وكان الخوارج والمعتزلة خصوما ألدّاء للمرجئة .

(٢) أراد بها فرقة أهل السنة التابعين للمذهب الحنبلى .

محقت طغاة الترك اطراف القرى
فالمال نهب ، والمنازل بلقع

ثم يخاطب الرسول - صلى الله عليه وسلم - مذكرا اياه بنبوءته عن هؤلاء :

اخبرتَ انا نبتلى بعصابة
ترك ، ووعدك صادق يتحقق
ووصفتهم ذلف الانوف كأنما
وجه الفتى منهم مجن مطرق
فأتوا - كما حدثت (١) - بقبل فيلق
نهم الينا ، ثم يدبر فيلق
ووعدت انت لبيضة الاسلام ان
لاتستباح ، ووعد مثلك يصدق

ويبدو ان حملة التتار الاولى قد اخفقت في اجهازها على بغداد ، دار السلام :

لكنهم فتكوا باطراف القرى
فتكا ، له احشاؤنا تتمزق
طوبى لمن قتلوه منهم ، انه
ابدا مع الشهداء ، حي يرزق

وطبيعي ان يسود القلق والفساد والخيانة والسرقة في زمن يسيطر فيه الخوف ، ويقل الامان :

غلاء ، وخوف واختلاف ومطعم
خبيث ، وقرن (٢) خائنون ، شصوص (٣)

ولا ينسى أن يرد هذه الهزيمة الى ما تركته البدع من خلاف في الجماعة :

فقد ظهرت في وقتنا البدع التي
نصاب بها ، في كل عام ، بمعضل

على انه ، والغارات متوالية ، والخطوب محدقة ، لم ينس ان يصف روح التحدى والصمود :

البر من رعبها والبحر منزعج
والحرث والخيل والانعام والخول
من عصبة « تتر » لولا تخلفنا
ما صدنا منهم وهن ولا وآل
وكان كل قنام (٤) من مقانبهم (٥)
يلقاه منا ، ولا يخشى الردى ، رجل
فاسأل لنا الله نصرا قاهرا لهم
مثبتا لقلوب شفها الوجل

او قوله :

وكم تمتعت بالنصر والقهر في الوغى
رجالك خيل المشركين ، وفلت
بوعدك نرجو النصر ياسيد الورى
على عصبة ، عن خطة الرشد ضلت
اتت تبتغي دار السلام بكيدها
فلما رأت اجنادك الغر ولت

وفي احدى قصائده يصنف أمراض عصره

وفي احدى قصائده يصف امراض مجتمع عصره هذه الأمراض التى شاعت فيهم وابعدتهم عن محجة الهدى ، واشاعت فيهم المفاسد والعيوب التى اضعفت قوتهم وشلت ارادتهم :

لم اكن ارتجي لاكثر اهل الـ
وقت خيرا لجهلهم والتعامى
فرطوا في الصلاة ، حتى اضاعوا
وقتها والزكاة في كل عام
وفشا فيهم الفسوق وشرب الـ
خمر بعد الربى ، وكسب الحرام
شاع فيهم سب الصحابة والقو
ل بخلق القرآن ذى الاحكام
كذبوا بالقضاء والقدر المحـ
ـتوم من ذى الجلال والاكرام

وفي اشارة بارعة يغمز أهل الثروة الذين ابطرهم الشبع ، ولم يشعروا بما يعانى الجائعون ، ويضرب لذلك نهج الرسول مثلا :

والله أدبه ، فأحسن ربه
تأديبه في السر والاعلان
كم شد من حجر لمسغبة ، وكم
أضحى على الكربات ذا ادمان !
يغدو خميص البطن ، يعلم انه
لا فخر للمتنعم البطنان
وتمثل الدنيا كقائل دوحة
ومضى ، وخلفها بغير توان

وله شعر رقيق ينحو فيه نحوحجازيات الشريف الرضي ، لكن الأنفاس متفاوتة والفرق بينهما بين.

---

(١) أى كما وصفت ذلك في اخبارك عنهم .
(٢) القرن : لعله اراد القرناء على وزن صحب .
(٣) شصوص : ج شص : اللص الحاذق .
(٤) قنام : الجماعة من الناس ، لا واحد له من لفظه .
(٥) مقانب : ج مقنب : جماعة من الخيل تجتمع للغارة .

فالصرصري لا يحسن التقليد ، والشريف الرضي مبتكر يحسن الابتكار ..

ومقطوعة عــذبة

ومن مقطعات الصرصري التي لانت رقتها ، وسالت عذوبتها .

واطلتنـــا بطيفهـــا لمنيـــاء
حين ارخـت ستورها الظلمـــاء
ايـن ارض العـراق ياربـة الخـد
ر ، وايـن الحجـاز والبطحـاء ؟
واذا شطـت الديـار فذكـرا
ك لقلبي علـى البعـاد غـذاء
تيهت ياربـة الستور على الصب
دلالا ، وعـز منـك اللقـاء
حجبتـك الصـوارم البيض عنـا
وحمت ربعـك الرماح الظمـاء
مـا لاجسادنـا اليـك سبيـل
لا ولا للقلـوب عنـك غنـاء
يا مناخ الاحباب ! يا موسم الاف
بال ! عاقت عن قصدك الاعداء

ومن صوره البارعة ، على قلة ما يرد من صور وصفه للنياق العابرة في الصحراء :

فيا أيها المزجي تجائب ترتمي
تخال ، ببحر الآل ، فلكا مواخرا
تمور بظهر البيد مورا تخالها
نعاما رأت ذعرا ، فمرت نوافرا

حضر الصرصري ، غزوة التتر الأولى ولم تمس بغداد ، ثم حضر الثانية فود لو يموت قبل أن يرى ما صنعت

ونحن في كل ما جاء به الصرصري من وصف لغارات التتار ، ندرك ان الغزو الأول قد فتك باهل القرى وان مدينة السلام والاسلام قد نجت بفضل المقاومة من شر هؤلاء الطغاة .

والغزو التترى في عهد الصرصري تالف مــن مرحلتين : المرحلة الأولى بقيادة جنكيز خان الذى قاد جيوشه الى بلاد ما وراء النهر ، والــم بخراسان ، فدمرها تدميرا ، ثم حول اتجاهه الى بلاد روسيا واوروبا ، وبذلك نجا العراق من شر فتكاته . ولقى جنكيز خان حتفه سنة ٦٢٤ هـ . بينما المرحلة الثانية بدات بقيادة « هولاكو » الذى جهز حملة شرقية ، وحملة غربية على العراق سنة ٦٥٥ هـ ، وحاصر بغداد ودخلها عنـــوة سنة ٦٥٦ هـ .

ومن هذه المقارنة يتبين لنا ان ما ذكره الصرصري من وصف لأعمال التتار ، يعود الى ما خلفته الغزوة الأولى من خراب وتدمير في اطراف البلاد الاسلامية الواقعة شرقا ، وهى الغزوة الجنكيزية .

حتى اذا هبت عواصف الغزوة الثانية كان الصرصري في السنة الأخيرة من عمره . ويشاء القدر له ان يرى جحافل التتر تدخل بغداد ، وتعتلى راياتهم على أسوارها التى لم تعرف الا العزوالمنعة ، فود لو يموت قبل ان رأت عيناه ما رأتا !

نهاية الصرصرى القتل على يد التتر

ويخرج ذات يوم من بيته في بغداد ، يتوكا على عصاه ، وهو يعتقد بان عماه يكف العدو عن اذاه فاذا رجل تترى يعترضه ، ويسخر من عماه ، فلا يبالي به ، ولا يرتد عن سبيله ، فيهيج التترى هذا التحدى ، فيمسك به ليقذفه على الطـريق ، فيرفع الصرصري عكازه الذى لا يملك سواه للذود عن نفسه ، وقد أحس في أعماق نفسه بأن الشهادة قد حانت ، وبأن الموت فى سبيل الكرامة هو خير طريق اليها . ووكزه الصرصري في قلبه ، فقتله ، فاقتيد الى جماعة التتر ، وحكموا عليه بالموت صلبا .

وكان هذا المصلوب الأعمى قد تفتحت عيناه ، تتوقدان بحقد لا ينطفىء على الغزاةوهويرددقوله :

طـوبى لمـن قتلـوه منـا ، انـه
ابـدا مـع الشـهداء حيّ يـرزق

وحمله اهله الى « صرصر » ودفن فيها ، ليضمه ترابها ميتا ، بعد أن مسه حيا .

فرحم الله هذا الشهيد الذى كان ملتزما في رسالته وعقيدته .

خليل الهنداوى

(١) جاء في البداية والنهاية ٢١١/١٣ أنه دعى الى لقاء كرمون بن هولاكو فأبى أن يجيب ، وأعد في داره حجارة ، فحين دخل عليه التتار رماهم بتلك الأحجار فهشم منهم جماعة فلما خلصوا اليه قتل بعكازه أحدهم . ثم قتلوه شهيدا ..

تلسكوب في الفضاء

● ان التلسكوب كلما كبر ، زاد الضوء الذى يستطيع جمعه من جرم السماء ، واذن هو يستطيع أن يرى من الاجرام الضعيف الضوء الذى لا يكاد يرى .

وكبر التلسكوب لا شك عامل هام في تقديم الدراسات الفلكية ، ولكن جو الارض يحول دون الانتفاع الكامل بكبره . ذلك لأن الاشعة الداخلة الى الهواء من السماء تمر من الهواء بطبقات ذات درجات من الحرارة مختلفة ، فذات كثافات مختلفة ، فهى لذلك تلتوى فيه ، ويصبح الحصول على صورة الجرم السماوي في بؤرة وهى واضحة المعالم شيئا من الصعوبة بمكان . ويزيد هذا صعوبة في أخذ الصورة الفوتغرافية بالتلسكوبات في هذه الاجرام . فالصورة تحتاج الى زمن مهما قصر ، والاشعة الملتوية المتكسرة في الهواء لا تظل على حال واحدة حتى في هذا الزمن القصير .

ان اكبر تلسكوب ارضي هو تلسكوب هال Hale الذى موضعه جبل بالومار في الغرب من الولايات المتحدة ومرآته قطرها ٢٠٠ بوصة . ويظهر للناظر به الى السماء أن للهواء ، اى لذراته ، وهج خاص لا يظهر لعين الانسان العارية . وهذا الوهج يزيد في صعوبة وضوح الصورة الضوئية التي يريد الناظر ان يراها بهذا التلسكوب الكبير عبر الهواء لجرم من أجرام السماء .

ومن اجل هذه الصعوبات يهدف علماء الفلك الى الحصول على تلسكوب يكون موضعه ، لا الارض ، ولكن الفضاء .

ومنذ أسابيع قليلة جاء الحكومة الفدرالية للولايات المتحدة اقتراحان بالحصول على مثل هذا التلسكوب ، أحدهما من الاكديمية القومية للعلوم ، والثاني من قسم الفلك في المؤسسة القومية للطيران والفضاء .

فاذا وافقت الحكومة على هذا الاقتراح فالمفروض أن يكون التلسكوب له مرآة قطرها لا يقل عن ١٢٠ بوصة ، وهو اما يوضع في الفضاء ، ليفلك في فلك خاص به حول الارض ، أو هو يوضع على سطح القمر .

فاذا تم هذا فسوف يستفيد العلماء الفلكيون ، ليس فقط من ذهاب الاضرار التى كان يسببها هواء الارض ، ولكن كذلك من ان الفضاء يسوده الظلام ، وهو على كل حال اكثر اظلاما من هواء الارض ، فالتلسكوب فيه سوف يرى اشياء أصغر وتفاصيل أدق .

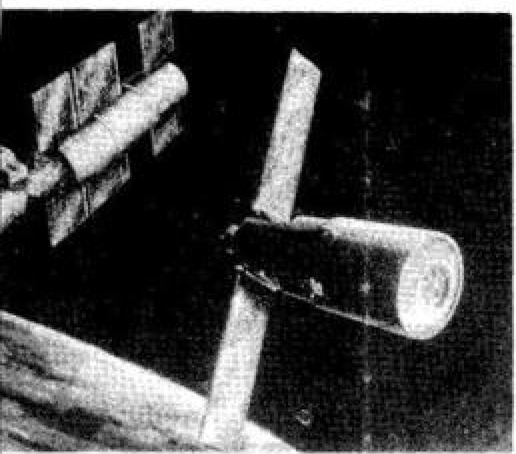
وهواء الجو كان كذلك يمتص الكثير

من موجات الطيف . ففي الفضاء يمتنع هذا، وتصل الأشعه التي فوق البنفسجية والتي تحت الحمراء ، تصل جميعا الى التلسكوب مكتملة غير منقوصة .

ومن المنافع التي تتحقق من تلسكوب للفضاء كالتلسكوب المقترح ان العلماء به يستطيعون ان يذهبوا في كشف أعماق الفضاء ابعد مما كشفوا . فاليوم يستطيع العلماء ان يصلوا في كشف المجرات الى ابعاد تصل الى ستة بلايين سنة ضوئية (السنة الضوئية عبارة عن ستة مليون مليون ميل) ، اى الى ستة وثلاثين الف مليون مليون ميل . وهذه لاتكفي. فالحكم في النظرية القائلة بتمدد الكون يحتاج الى الوصول الى أعمق من ذلك .

وممن المسائل التي تتوقف على وجود « تلسكوب فضائي،لا ارضي ، ان المعروف ان في هذا الكون مادة لم يستطع العلماء ان يكشفوا على ما يتراوح بين ٩٠ و ٩٩ في المائة منها ، ذلك اذا صحت حسابات الفلكيين التي بنوها على نظريات لهم حاضرة .

واقرب من ذلك ان العلماء اليوم ينظرون الى الكواكب ، وهي قريبة فلا يرون من سطحها صورا ثابتة . بل يرون منها صورا لا تكاد تستقر على حال . وبسبب هذا لا تستطيع أن تجد طائفة من الفلكيين راوا من سطح كوكب في المراصد الارضية صورة الا وتجد طائفة اخرى راوا غير ما رات الاولى ، وذلك بسبب اضطراب الاشعة الواصلة. ومن امثلة ذلك ان منهم من قال انه راى على سطح المريخ قنوات . راى غيرهم عليه غيرها .



تلسكوب الفضاء : يستطيع به العلماء ان يكشفوا من اعماق الفضاء ابعد مما كشفوا

المانيا الغربية تستعجل الخطى لتلحق في ميدان العلم بمن سبقها من الأمم

نشرت حكومة المانيا الغربية خططا جديدة ، في ميدان العلوم ، تريد بها ان توسع ما صار بها اليوم من هذه الميادين، ذلك أنها في السنوات الأخيرة الماضية بدا يعتري الالمان قلق من تأخرهم النسبي في هذه المجالات عن الولايات المتحدة ، وروسيا، وبريطانيا ، واليابان،

فمن اجل أن تلحق بهؤلاء ، ومن أجل ان تبقى على الاقل على الفروق الحاضرة بين هذه الدول وبينها ، فلا تزيد اتساعا،

رات أن تعجل بانشاء بضع مؤسسات هامة ، أولها مؤسسة بمدينة ستتجارت Stutgart تكون تحت رعاية جمعية ماكس بلنك Max Plunk (وهو اسم العالم الالماني الضخم ، واسم الجمعية الضخمة التي قامت على اسمه) ، وهدفها دراسة الموصلات Conductors وغير الموصلات Nonconductors ، وستجهز المؤسسة بمختبر مزود تزويدا خاصا بالمجالات المغناطيسية العالية .

اما المؤسسة الثانية فستكون في مدينة يولش Julich ، وستقترن بمختبر النوبات الذرية الذي هو هناك .

وستبلغ كلفة هاتين المؤسستين ٧٠ مليون مارك .

ومؤسسة ثالثة في مدينة دارم شتات Darmstadt ، وفيها سوف ينشأ معجل الذرات الثقيلة Accelarator ، ويرجى من هذا المعجل ان يكشف عن وجود عناصر أثقل من اليورانيوم ، أوزانها الذرية بين ٣٠٠ و ٥٠٠ (الوزن الذرى لليورانيوم ٢٣٨ » .

ومخططات أخرى كثيرة للمستقبل .

ان المانيا الغربية بدات تشعر بضرورة كسر النطاق السياسي الذى فرض عليها بعد انهزامها في الحرب العالمية الثانية ، حتى تبلغ شأن الدول الاخرى فى العلم لا سيما ذلك العلم الذى يؤدى الى التكنية ، تلك التى تؤدى الى القوة الدفاعية التي بدونها لا تكون لأمة حياة.

ولكن ، كيف تنظر روسيا الى كل هذا ، وقد كانت المانيا خرّبت بلادها في الحرب العالمية الثانية ، ووصلت بالخراب الى مدينة ستالين في القلب منها ، وذلك بالذى كان لها من علم ومن تكنية ؟

لا شك أن روسيا لا تنظر الى شيء من ذلك بارتياح،ولكن الظاهر انها لا تستطيع ان تجهر الا بالأمور التى لها علاقة مباشرة بالحرب الساخنة ، مثل الطيران الحربى والقنابل الذرية وما شاكل .

السبق الى الجديد دائما عادة فى اليابان

واليوم تتنافس فى صناعة سفن البضائع فى الجديد

الذى فاتها

● نوع جديد من السفن لم يسمع به الكثير من الناس ، اذ بدأ في نحو عام ١٩٥٠ . وكان أول من بدأ به الولايات المتحدة . فلا عجب ان تكون دائما هي السائدة ، ودائما هي الطاغية ، وهي الحاكمة والمتحكمة .

بدات بهذه السفن الجديدة الفكرة في ذلك العام ، واليوم عندها منها ٧٧ سفينة .

فما هي هذه السفينة ؟

انها سفينة صمم باطنها ، لا ليتلقى من البضائع اى حجم ، ولا ليتلقى ، اى شكل ، ولا ليتلقى المدور مع المستطيل. مع المكعب ، مع الذى ليس هو هذا او ذاك ، ولكن ليتقبل البضائع اشكالا واحدة ، في أرعية هندسية ، اذا انضم بعضها الى بعض ، لصق منها جدار بجدار ، وحمى منها جدار



هذا النوع القديم من سفن البضائع سيحل محله النوع الجديد

جدارا . ولم يضع فراغ بينها ، بسبب اختلاف اشكالها ، سدى .

انها سفن البضائع ذات الاوعية الواحدة ، ذات الاشكال الواحدة . صناديق ذات اشكال واحدة ، تملأ بالبضائع الواحدة ، وبالبضائع المختلفة، تحملها من البر الى السفن صنادل مستطيلة الشكل ، يضم الصندوق فيها الى الصندوق ، وعند السفينة تحمل اليها الصناديق ، وتوضع بها متضامة .

وفي هذا لا تعالج البضاعة في النقل قطعة قطعة ، وهي في تغليفها هكذا ، ذلك التغليف الواحد ، تأمن مما يصيبها عادة من تلف ، وتقل مصاريف حزمها ، ويقل احتمال ضياعها ، وتبعا لذلك يقل سعر التأمين البحرى عليها .

نظرت اليابان في هذا السبق للولايات، وما كان فيه من خير غامر ، فحفزها ذلك الى أن تلاحق ، والى أن تسبق .

وخططت ، وهي الامة التى عرفت بناء السفن ومهرت في صنعها أخيرا ، خططت لحملة هائلة ، تبدأ في ابريل من هذا العام ، تخطط لبناء ٢٠ سفينة من هذه السفن .

تلك السفن التى سموها Container Ships . وان وجب أن نسميها اسما عربيا ، فليكن اسمها السفينة الصندوقية . فهي مصممة لتحمل في جوفها الصناديق ، بعضها لصق بعض . فلا يضيع بينهما فراغ هباء .

وستصنع اليابان من هذه السفن ستا ، حمولة الواحدة منها ١٠٠٠٠٠ طن اجمالا ، وهى لتعبر بالبضائع من اليابان الى امريكا عبر المحيط الهادى .

واربعا حمولة الواحدة منها ٤٨٠٠٠ طن للوصول ما بين اليابان واستراليا .

ثم سبعا ، حمولة الواحدة منها ١٥٠٠٠ طن ، تجرى بين اليابان ونيويورك .

ثم ثلاثا ، حمولة الواحدة منها ٦٦٠٠٠ طن تجرى بين اليابان وغرب اوروبا .

هذا علما بأن حمولة هذه السفن ، في الولايات المتحدة ، تتراوح بين ١٥٠٠٠ و ٢٠٠٠٠ طن فقط .

والمرسوم ان ينتهى بناء هذه السفن في منتصف عام ١٩٧٢ .

وبالطبع استيقظت الولايات المتحدة لهذه المنافسة الجديدة .

قال احد رجال الولايات المتحدة ، من اهل هذه الصناعات :

« ان كل منافس يقوم انما هو تهديد جديد لصناعة اقدم . ان اليابانيين يحسنون كل ما يصنعون ، وانا متأكد من ان هذه السفن التى سوف يبنونها سيحسنون بناءها على ما عودونا . واعود فأقول ان كل داخل في صناعة هذه السفن جديد يمثل لا شك خطرا، ينقص او يزيد » .

والذى ينظر للحساب المرقوم يتوقع لهذه السفن اليابانية نجاحا سابغا . سيكون لها منافسون بالطبع،في الولايات المتحدة . وفي غرب أوروبا ، وفي شرقها .

ولكن المشتغل هو الأمم غير النامية التى ليس عندها من السفن ما لايحمل حتى طعامها يخرج به أو يعود .

فمتى يكون للعرب ، وعندهم المال ، وعندهم الفن ، وان لم يكن اكتمل ، فالفن يشترى ، اقول متى يكون للعرب سفن تحمل لهم ، وتحمل عنهم ، وتدفع اجر ذلك . ولكنه يكون كمن قال : انه انما يصب زيته في طحينه ، لا في طحين غيره ..

كم في السماء اليوم من نفايا صواريخ ومركبات فضاء !

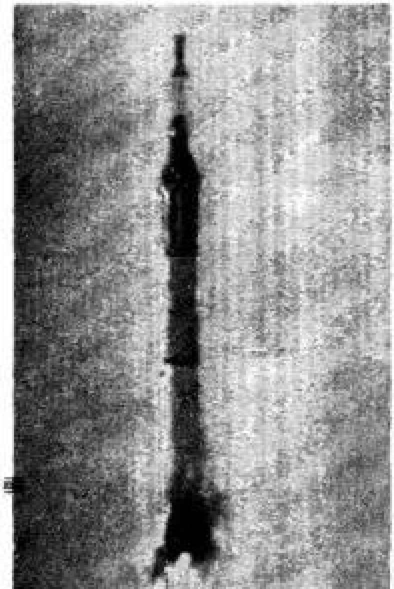
ما اكثر ما اصعد الأمريكان ، وما اصعد الروس ، الى السماء من توابع ومن صواريخ ومن اشياء شتى ظلت تدور حول الأرض بحكم قوانين الطبيعة التى لا تأذن لتابع يدور في فلك حول الأرض أن يهبط اليها الا ان يعوقه عائق من هواء خفيف او كثيف ، يهدىء من سرعته ، واذن يقربه من الارض رويدا رويدا . وهو كلما اقترب زاده جو الارض تعويقا لحركة ، واذن فأعطاه زيادة هبوط .

وقد حسب الحاسبون كم عدد الأشياء ، التى أصلها من صنع الانسان ، تلك التى تظل تدور الى اليوم في افلاك حول الأرض فكانت نحوا من ١٧٥٠ جسما ، اكثرها بقايا بالية لا نفع فيها ، كصواريخ اشتعلت ثم انفصلت وسكنت ، وكأجزاء من أجسام كانت هناك ثم تحطمت ، ومع هذا فهذا العدد يتضمن نحو ٤٠٠ من توابع تدور حول الأرض لأغراض مرسومة شتى : للتجسس من الفضاء العالى ، او لتسجيل حالات الأجواء ، او لاختبارات علمية متنوعة وغير ذلك .

وفيما يختص بالتجسس الفضائي نذكر أن رجال الفضاء الأمريكيين أخبروا انهم استطاعوا من مركباتهم الفالكة حول الارض ان يروا على سطحها أشياء صغيرة ما خالوا انهم قادرون على رؤيتها . ومن تلك قطارات السكك الحديدية !!

شيء واحد ودّ العلماء أن يجدوه بين هذه الأشياء الدوارة ، ولم تتحقق آمالهم فيه بعد : محطة كبيرة واسعة دائمة الدوران في الفضاء حول الارض ، ينطلق رجال الفضاء منها بمركباتهم الى أجرام الفضاء ، وكذلك يصعد اليها الخبراء لاصلاح تابع يدور أصابه خلل يمكن تلافيه وهو في السماء .

ولقد حدث أن اصعد الروس الى السماء ثلاث مركبات فضائية تدور حول الارض هي سويز Soyuz رقم ٦ ورقم ٧ ورقم ٨ ، صعدت الى السماء الواحدة بعد الأخرى ، وانتظر العالم التحاما بينها تبدأ به المحطة ، ولكن لسبب غير معروف لم يتم شيء من ذلك . على أن العلماء خالوا أن هذا المجهود الروسي لم يكن عبثا ، والظن أن الروس اجروا هناك تجارب هامة تتصل بالغاية المطلوبة . وذكر العلماء من ذلك انهم لعلهم نجحوا في تجربة لحام المعادن على البارد ، في الفراغ ، وهو بحث جديد اهتم به الروس أخيراً . وخلاصته ان المعادن اذا تماست في الفراغ ، على البارد ، تحت ظروف خاصة ، تبادلت الذرات المتماسة ما بها من الكترونات فالتحمت . وهذه الطريقة لو نجحت كانت هى الأساس الذى تبنى عليه المحطة الفضائية ، من أجزاء يلحم بعضها ببعض ، هكذا فى فراغ الفضاء .



توفيت في انطاكية .. ولم يستطع الشاعر ان يزورها



إلى روح أمي

■ روّى ضريحكَ دافقُ النورِ ... وسقتك عاطرهُ الأزاهيرِ
أنا لم أزل طفلا ، وأغنيةٌ ... فى منزل بالحب معمور
ما زلتِ في عيني ، وفي حُلُمي ... تنهار دونك ظلمةُ السور
لا الغربةُ السوداء تفصلنا ... كلا ، ولا حلَكُ الدياجير
يدنو الزمان ، يعود في قلمي ... حيّاً ، وفي ومَضات تفكيرى
تتحدثين إليَّ من دَرَج ... في الدار يُطرَق نصفَ مهجور
وتُطل من أهداب دالية ... أولى البراعم في مزاميرى
وتطير في الآفاق ملْحمةٌ ... وأظلُّ عندكَ ريشَ عصفور

★★★

قاتلت بالكلمات شاردةً ... كالريح تخفق ، كالأساطير
ومضيت من غسَق إلى غسق ... وتعبتُ من سفرى وتهجيرى
وأتيت ألقى رأس منهدم ... في الظل ، تعبث بى مقاديرى
سلوايَ قافيةٌ أقطّرها ... فتعيش في خلَد الأداهير
وصدى الطفولة تنسجين لها ... أحلامها بجدائل النور
مازلت في سمعى وفي بصرى ... ويجسّد النبضاتِ تصويرى
وأكاد أنشق ريح موقدنا ... ولُهاثَ جمرٍ فيه مذرور
وحكاية الليل التى اتصلت ... وضجيج ساحرة ومسحور
مسحت دموعك عبر غربتنا ... ذنبا لدهريَ غيرَ مغفور
ووددت لو ألقاك تمتمة ... قبل الضريح ، وصمت مقهور ■■

سليمان العيسى

صفحة في اللغة

اللغة العربية

وفلسفة الاعراب فيها

■ اللغة العربية : من اللغات العريقة المنبت ، الواسعة الأفق ، اتسعت فأحاطت بأبعد انطلاقات الفكر ، وارتفعت حتى صعدت أرقى اختلاجات النفس . ولقد زادتها مرونتها تبلورا وتفاعلا ونماء ، وقدرة على النهوض بتبعاتها الحضارية عبر التطور ، الذى تعيشه الانسانية فى مسيرتها .

وكان لها عبر الزمن الأصالة الجاهدة المولدة المعطاءة ، والميزات المطواعة .

وانك لتحس هذا في كلماتها التى تمثل خطرات النفوس ، ونبضات القلوب ، وكل كلمة لها في الجملة مكان يحس به المتكلم .

ولهذا صارت ـ بفعل عوامل مختلفة ـ لغة حية بارزة ، ذات دلالة ووضوح ، وزادها متانة وابانة وافصاحا عن المعانى : الاعراب .

والعربية لغة تتوخى الايضاح والاصالة : والاعراب احدى وسائلها لتحقيق هذه الغاية ، غاية الايضاح والافصاح عن صلات الكلمات العربية بعضها ببعض ، وعن نظم تكوين الجمل بالحالات المختلفة لها .

وفي اللغات الخالية من الاعراب ، يعتمد أهل اللغة على القرائن ، وعلى اضافة كلمات الى الجملة ، لفهم المقصود من المعانى . ولكن الاعتماد على القرائن ربما لا يطرد ـ كما يقول صاحب الطراز ـ فاوجبت العربية التفرقة بين الفاعل والمفعول ، والا وقع اللبس والابهام .

والاعراب : مصدر أعربت عن الشيء ، اذا أوضحت عنه . ويقال : فلان معرب عما في نفسه ، اى مبين له ، وموضح عنه .

ولذلك يرى بعض الباحثين والدارسين من علماء مقارنة اللغات ، أن الاعراب أرقى ما وصلت اليه اللغات في الوضوح والابانة وهذه المرتبة قد بلغتها العربية الفصحى ، ولا يشاركها فيه من اللغات القديمة الا اليونانية واللاتينية ، ويشاركها فيه من اللغات الحديثة اللغة الالمانية على اسلوب.

اما اللغات الارية الحديثة ـ وتشمل معظم لغات اوروبا الحديثة ـ فقد خلت من حالات الاعراب ، ولا مميز فيها بين الرفع والنصب والجر ، وانما يقوم مقامها ، الحاق أدوات خاصة بذلك ، معظمها من حروف الجر ، او بتقديم الالفاظ وتاخيرها ، مما لا يخرج عن الوضع الخارجي في المكان ، هذا في حين أن اللغة العربية قد استلزمت من اول الامر ـ ما دام الاعراب مرعيا ـ ان يكون الفكر الواعى محددا للوضع الخارجى وان يكون النظر الى المعنى ، هو المبرر للتقديم والتاخير وتاكيد الاسناد وغير ذلك .

الا ترى انك اذا سمعت : أكرم سعيد أباه ، وشكر سعيدا أبوه ، علمت برفع أحدهما ، ونصب الاخر ، الفاعل من المفعول ، ولو كان الكلام نوعا واحدا لاستبهم أحدهما من صاحبه .

فبالاعراب يعرف الخبر من الانشاء ، والمفعول

بقلم
احمد عبد الرحيم السايح

من الفاعل ، وبه يتميز المضاف من المنعوت ، والتعجب من الاستفهام ، والنعت من الحال ، الى غير ذلك .

وبالجملة : فتميز أغراض المتكلم عند السماع يكفي فيه الاعراب ، فالاعراب في مثل : « ما أحسن زيد » ، يفرق بين الاغراض الثلاثة الممثلة فيه ، فاذا قلت : « ما أحسنَ زيدٌ » بفتح نون أحسن، وضم دال زيد ، كانت « ما » نافية وانت تريد أن زيدا لم يحصل منه احسان .

واذا قلت : « ما أحسنَ زيداً » بفتح النون والدال ، كانت « ما » تعجبية ، وانت تريد أن شيئا عجيبا جعل زيدا حسنا .

واذا قلت : « ما احسنُ زيدٍ » بضم النون وكسر الدال ، كانت « ما » استفهامية وانت تريد معرفة اى شيء حسن في زيد ، علمه أم أدبه أم اخلاقه .. الخ ..

وبنت أبي الأسود الدولي وقفت مرة تشاهد السماء ، وتتعجب لجمالها ، فقالت لأبيها : « ما احسنُ السماءِ » فقال أبوها : نجومها ، فقالت ، ما عن هذا اسأل وانما أنا اتعجب « فقال لها : اذن قولي : « ما أحسنَ السماءَ » وافتحي فاك .

وسمع أبو الأسود قارئا يقرأ قوله تعالى : « ان الله بريء من المشركين ورسوله » بكسر اللام في رسوله . فاكبر ابو الأسود ذلك ، وقال : عز وجه الله أن يبرأ من رسوله .

وكان هذا سببا في وضع علامات الاعراب للمصحف .

ويروى ابن قتيبة : أن رجلا من الخوارج مدح رئيسهم شبيب بن يزيد الخارجي بقصيدة جاء في بيت منها :

ومنا سويد والبطين وقعنب
ومنا اميرَ المؤمنين شبيب

فاخذه عبد الملك بن مروان ، وسأله وهو يحاكمه عن هذا البيت ، فقال لم اقل هذا ، بل قلت : ومنا اميرَ المؤمنين شبيب ــ بفتح الراء في أمير ، اى يا أمير المؤمنين فامر بتخلية سبيله .

وكثير من كواكب الاستشراق وعلماء اللغات ، نوهوا بخصيصة الاعراب في العربية قال العلامة « بروكلمان » Brockelmann المستشرق الالماني عند حديثه عن لغة الشعر العربي : « لقد تميزت لغة الشعر العربي هذه ، بثروة عظيمة من الصور النحوية وبلغت من حيث دقة التعبير عن علامات الاعراب والنحو ، ذروة التطور في اللغات السامية » .

وقال البحاثة المستشرق الفرنسي : « لوى مسينيون » Massignon : في حين أن اللغة السريانية قد نقلت أجروميتها عن اللغة اليونانية نقلا صرفا ، استطاعت لغة الضاد أن تشيد بناء ضخما من الاعراب ، يضع امام الابصار مشهدا فلسفيا ذا روعة وأصالة .

فاللغة العربية لها من الخصائص لافهام المعاني الدقيقة والمعاني الثانوية التى تصل الى نهاية الابداع وكمال الصنع ما يملك على السامع مشاعره .

والاعراب في ذاته فلسفة لغوية تضع كل شيء في مكانه اللائق له . وتعطى كل ذى حق حقه .

■■

احمد عبد الرحيم السايح

الوضوح والغموض

فيما يكتب الكتاب والشعراء والفلاسفة

بقلم : علي أدهم

■ من الغموض ما سببه العجز، ومنه إظهار فكرة،

■ يقول الناقد البريطاني ايفور براون Ivor Brown ، في أحد الفصول النقدية التي كتبها :

« ان الشائع في هذه الايام في عالم الادب هو ان لاتعرف ماذا تعني ، فاذا تحداك انسان فما عليك الا ان تهز كتفك غير حافل ، وتقول انك تكتب ما تكتب ، وان على القارىء أن يتبين المعنى ، وان ما يبديه المؤلف من الملحوظات يحمل الكثير من المعاني ، والقارىء يقوم مقام القابلة التى تستولد هذه المعانى ، وليس من عمل العبقرى ان يجعل كلامه واضحا مفهوما » .

ويدعم الناقد رأيه برد الكاتب الشاعر النقادة ت.س. اليوت T. C. Eliot حينما وُجِّه اليه الاتهام بالغموض ، وهو أن المذهب الذى يدين به هو انه ليس هناك ما يوجب على الفنان أن يكون واضحا ، فان شأنه ان يبرز افكاره ومشاعره وتخيلاته ، وعلى جمهور القراء أن يبذلوا جهدهم ، ويكدوا اذهانهم ، فى استبانة معانيه ، واستيضاح اهدافه .

ولا يرضى هذا الموقف الناقد ايفور براون ، ويقول عنه انه يدل اما على الكسل ، واما على التكلف ، وان الكاتب في سلوكه هذا المسلك يتنازل عن رسالته ، لان واجب الفنان الاديب أن يكون على بينة مما يدور في خلده ، وان يفصح عنه ، وبذلك نستطيع ان نقف على آرائه في الموضوعات التى من حقنا ان نتلقى فيها الآراء الجلية ، والواقع ان الكاتب الذى يتركنا في عمياء من امرنا تلقاء آرائه يخذلنا ، ويتخلى عن تبعاته .



شوبنهاور



سمرست موم



اليوت

اللغة ما كانت إلا لتوضيح الأفكار لا لإخفائها

أسمى فضائل الشعر جمال النغم ، ثم الوضوح والإشراق

مع الاستعلاء ، حيث لا فكرة .

وقد لخص الكاتب البريطاني الكبير سويفت Swift رايه في الاسلوب في كلمة موجزة جامعة وهي ان الاسلوب « وضع الكلمات المناسبة في الامكنة المناسبة » وهذا ما نراه في كتابات كبار الكتاب .

الشاعر الناقد البريطاني اليوت ، والغموض

وقد كان الشاعر الناقد البريطاني اليوت في طليعة الشعراء والنقاد المحدثين الذين نالوا شهرة عالمية ، وظفروا بتقدير الكثيرين من مبرزي النقاد وكبار الادباء ، وفصوله في النقد تعد من المراجع المأثورة في الادب البريطاني الحديث ، وقد شبهه بعض كتاب الانجليز بالشاعر النقاد الكبير كولردج Coleridge ، وهو تشبيه يدل على فرط اعجاب هذا الفريق من الكتاب باليوت ، لان كولردج في رأى الكثيرين من ادباء الانجليز أمير النقد في الادب الانجليزى قاطبة .

ويشكو قراء اليوت في بعض الاحيان من غموض شعره ، وخفاء اغراضه ، وبعد مراميه ، واكتفائه باللمحة الدالة ، والاشارة الخفية ، مما يترك قراءه في حيرة من امرهم في تفسير معانيه ، وتبين اهدافه ، وفصوله في النقد اقل غموضا بطبيعة الحال من شعره ، ولكنها مع ذلك في حاجة الى ان تقرأ في عناية ويقظة ، وانتباه واحتياط وحذر ، لانه يقرر آراءه في شيء من الايجاز الجاف ، ويضمنها احكاما مستقلقة تدعو الى اطالة الروية ، ولكن الفكر والشكوى من غموضه ليست مقصورة على القراء العاديين ، فقد رماه بالغموض وتعمد الاغراب نقاد وكتاب لهم وزنهم .

ومهما يكن من الامر فان اليوت من رجال الادب الذى استفاضت شهرتهم ، وسمت مكانتهم ،

وعظم تأثيرهم في معاصريهم خلال النصف الاول من هذا القرن ، وكل من اشتهر امره يدفع ضريبة الشهرة ، وثمن المجد ، وهما قبل كل شيء كثرة المادحين والقادحين ، والمعجبين به والزارين عليه، وقد روى الاديب الهندي رانجي شاهاني Ranjee Shahani ، انه حضر احد الاجتماعات التي كان يعقدها في امسيات يوم الاحد الاستاذ هارولد لاسكي Harold Laski ، الكاتب البحاثة السياسي المعروف ، فسمعه يقول لجماعة من طلبته المعجبين به « تصوروا حجرة في بلومزبري Bloomsbury ، جمعت بين الرثاثة والاناقة ، وقد جلس على رأس المائدة الاديب الضخم الشان في هذه الايام ، اليوت ، وشخصت اليه ابصار اثني عشر شابا ، قد شحبت وجوههم ،واستطالت شعورهم ، وتملكتهم دهشة الانتظار ، واستولى الصمت على الاستاذ ، وربما كان يجيل الفكر في احدى المشكلات التي عرضت عليه ليحل عقدتها، ويكشف سرها ، واخيرا رفع الاستاذ راسه قائلا : « ايها السادة اري ان أتناول قدحا آخر من الجمة ! »

وقد روى لاسكي ــ كما يقول شاهاني ــ هذه النادرة عن اليوت لينقص من قدره ، ويدل على ان شهرته ليست قائمة على اساس متين ، فهو يظل محتفظا بالصمت ، فاذا نطق قال شيئا لا يستحق ان يستمع له ، او ان يصغي اليه متظاهرا بانه يقول شيئا ياتي فيه بالفلق ، ويستنزل الحكمة من علياتها !

ويقول شاهاني مدافعا عن اليوت : « يبدو لي هذا كله ضربا من السخف والهذيان : ولقد عرفت اليوت عدة سنين ، وبصعوبة تجد رجلا اكثر منه استقامة تفكير ، ووضوح رأي ، وهو يجيبك عن اي سؤال توجهه اليه في بساطة واستقامة بقدر ما يستطيع ، ولايظهر دهشة حينما تخالفه في هذا الامر او ذاك ، بل على نقيض ذلك ــ يحرص على ان يعرف وجهة نظرك في المشكلة الخاصة ، وهذا هو اسلوب آخر للقول بان حديث اليوت سهل وطبيعي : ومسألة اخذ وعطاء ، فهو لايدعي انه يتلقى الوحي ، ولا يتشدد في الدفاع عن آرائه ، ويقول وجهة نظره في حياء ، ولكن بدون اي تحفظ زائف . »

عند اليوت : الغموض صنوف شتى

وينتقل شاهاني الى الحديث عن الغموض في الشعر ، فيقول : « وقد وجهت الى اليوت هذه الاسئلة التي يود ان يوجهها اليه كثير من الناس في انحاء كثيرة من العالم ، وقد اجاب عن هذه الاسئلة في طلاقة ، وقد اعجبت بصبره : وقد اتعبته وارهقته مدة ساعة ونصف الساعة ، وكان لا يتوقف الا ريثما يشعل لفافة التبغ ، او يحسو حسوة من كوب الشاي ، وبدأت بهذا السؤال « ما سبب غموض الشعر الحديث ؟ وهل يقتضي الامر ان يكون كذلك ؟ »

ففكر اليوت قليلا : ثم اجاب قائلا : « اري ان هناك طرائق شتى كثيرة للغموض ، فهناك غموض هو في الواقع نوع من الادعاء : فالمؤلف يحاول ان يخدع نفسه ، ويعمل على ان يقنع نفسه بان عنده اشياء يريد ان يقولها أعمق مما عنده . »

« ومن اسباب الغموض صعوبة التعبير عن شيء نشعر به شعورا خالصا ، وهذا ما يتعرض له الكتاب الناشئون .

« وهناك غموض يأتي من طبيعة الموضوع ، ويكون هذا الغموض كامنا في الافكار التي يعبر عنها الشاعر .

« وهناك كذلك الغموض الناشيء من محاولة وضع الاشياء في اسلوب جديد ، وهذا يصدق كذلك عن التصوير فالناس الذين تعودوا ان يروا الاشياء معبرا عنها باحدى الطرق يجدون صعوبة حينما يعبر عنها بطريقة مختلفة .

« وانت حيال الطرائف الفنية المظيمة لاتستطيع ابدا ان تشعر بانك قد بلغت الغاية التي ليس بعدها مزيد من الفهم : وهذا يصدق عن اناجيل الامم برمتها : وكلما اكثرت التأمل في كلمات المسيح وجدت فيها اكثر مما سبق ان تراءى لك »

وتابع شاهاني اسئلته قائلا : « اليست اسمى فضائل الشعر اولا جمال النغم ، ثم الوضوح والاشراق ــ اي سرعة انتقال فكرة الشاعر الى القاريء ؟ »

فاجاب اليوت : « اوافقك على الشطر الاول : ولكني اري ان جمال النغم لايمكن عزله ، وسرعة

انتقال الفكرة لا تنقل كل ما رمى اليه الشاعر ، وانما المهم هو نقل الرؤية او حالة النفس » ..

فقال شاهاني : « هل الاذاعة وسيلة صالحة لنقل الشعر ؟ »

فأجاب اليوت : « لا أحسبني سمعت عددا كافيا من الناس يتلون شعرى في الاذاعة . لاستطيع أن احكم على محاولاتهم ، ولكن الاذاعة اثبتت انها وسيلة بارعة لنقل مسرحياتي ، وهي مناسبة للاشعار التي اشتملت عليها المسرحيات ، وقد ظهرت فيها اشياء لم تظهر على المسرح . »

واقف من الحديث الذى سبق ان دار بين الاديب الهندى شاهانى والشاعر الناقد اليوت عند هذا الحد ، واكتفى منه بهذا القدر الذى يمس موضوع الوضوح والغموض .

صدق اليوت فى وصفه اسباب الغموض

وارى فى رأى اليوت الكثير من الصدق والاصالة فالغموض قد يكون مصدره الرغبة فى التضليل والادعاء او محاولة ستر الاغراض المقصودة لتفاهتها ، وقلة غنائها ، او الخوف من اذاعتها ، وقد يكون سببه قصور التعبير ، وعجز الاداء ، وعدم تمكن الناشئين من الفن الذى يعالجونه ، وقد يكون سببه عمق الفكرة او طرافتها وتابيها على التعبير الواضح ، والمنطق المفهوم ، وكثيرا ما يأخذ انصار المذاهب القديمة فى الاداب والفنون على انصار المذاهب الجديدة غموض تفكيرهم ، والتواء اساليبهم ، والواقع ان المجددين فى التفكير يحاولون ان يشقوا طريقهم فى مسالك صخرية غير بعيدة ، فغير عجيب ان يتحيف بيانهم شىء من الغموض ، اما انصار المذاهب القديمة فانهم يسيرون فى ارض معبدة مسلوكة واضحة المعالم ، لا تشتبه على سالك ، ولا يضل فيها احد .

اللغة لتوضيح الأفكار ، لا لاخفائها

ومعظم الشعر الغامض تافه المعنى ، معقد الاسلوب ، سقيم التركيب ، والوضوح شىء والسطحية والفثاثة شىء آخر ، واحسب ان وظيفة اللغة هي توضيح الافكار وليست اخفاء الافكار كما زعم بعض الساخرين ، واذا كان هذا هو الحق فان وضوح التعبير ونصاعته وجلاء الافكار واجب على الكاتب كما هو واجب على المتكلم ، وارجح انه ليس من حق الشعر ان نستثنيه من هذه القاعدة . ولا نزاع فى ان الايجاز والتركيز من مزايا الشعر كما قال البحترى .

والشعر لمح تكفى اشارته
وليس بالهذر طولت خطبه

ولكن اذا بلغ الايجاز والتركيز حد الغموض والخفاء فاننا نفقد لذة الاستمتاع بقراءة الشعر .

ولست اريد ان اقول ان كل شعر واضح يعد من الشعر الجيد الممتاز ، ولا ان كل شعر ابتلى بالغموض يكون من الشعر الردىء ، ومهما يكن من امر الغموض فانه من العيوب التى يحسن تجنبها والعمل على علاجها ، واقل ما يقال فيه انه دليل العجز عن التعبير او على ان الفكرة لاتزال غامضة يحفها الضباب فى ذهن مبتكرها ، ولو انها كانت فى ذهنه جلية واضحة لارغمته على ان يعبر عنها تعبيرا واضحا لاخفاء به .

وتعمد الغموض دليل الدجل والتواء التفكير ، والكاتب الذى يشعر بان عنده شيئا يريد ان يقوله يحاول الوضوح ما وسعته المحاولة . والمفكر العميق التفكير اذا رزق قوة البيان وبلاغة الاداء فانه يستطيع ان يبدد سحب الغموض ، ويعرض افكاره فى وضوح واشراق ، وقد لاحظت فى اكثر ما قرات من الشعر ان الشعر الاصيل المطبوع الحافل بالمعانى المبتكرة والنظرات الكاشفة والاحاسيس الصادقة فى اغلب الاوقات واضح مستقيم ، يصدق فيه قول المتنبى .

ولكن تاخذ الاذان منه
على قدر القرائح والعلوم

وقد كان الكاتب الروائى البريطانى سمرست موم Somerset Maugham ، من اشد الكتاب ضيقا بالغموض ، ومن كلماته الناقدة الحكيمة فى هذا الصدد قوله فى كتابه القيم « الخلاصة » :

« ليس لى صبر طويل على هؤلاء الكتاب الذين يكلفون القارىء مجهودا ليستبطن معناهم ، وما عليك الا ان تذهب الى كبار الفلاسفة لترى انه من الممكن التعبير فى وضوح عن ادق الافكار ، وقد تجد صعوبة فى فهم تفكير هيوم Hume

واذا لم تكن قد سبق لك اعداد فلسفي فان دلالات معانيه من غير شك ستغيب عنك ، ولكن اى انسان له نصيب من التعليم لايعجز عن فهم معنى كل جملة على حدة فهما صحيحا . وقليل من الناس من كتب الانجليزية كتابة ارشق معرضا من بركلى Berekley وهناك نوعان من الغموض نراهما فى اساليب الكتاب ، النوع الاول سببه الاهمال ، والنوع الثاني سببه التعمد والقصد ، والناس في الغالب يكتبون كتابة غامضة لانهم لم يجشموا انفسهم عناء تعلم الكتابة الواضحة ، وهذا النوع من الغموض نراه غالبا في الفلاسفة المحدثين ، وفي العلماء ، وحتى في بعض نقاد الادب ، وهو موضع الغرابة ، فقد يغلب على تفكيرنا الاعتقاد بأن الرجال الذين أمضوا حياتهم في دراسة أساتذة الادب الكبار يكونون قد فطنوا لجمال اللغة ، فاذا لم يكتبوا كتابة جميلة فلا اقل من ان يكتبوا كتابة واضحة ، ومع ذلك تصادفك فى مؤلفاتهم الجملة بعد الجملة التى تضطرك الى قراءتها مرتين لتتبين معناها ، ولا تستطيع الا أن تتوهم وتترجم بالظن لانه من الواضح ان الكتاب لم يقولوا ما يقصدونه . »

« ومن اسباب الغموض ان يكون الكاتب نفسه غير متأكد من معناه ، فهو يشعر شعورا غامضا بما يريد أن يقوله ، ولكنه لم يكن له صورة واضحة في عقله ، وذلك اما لنقص في قواه العقلية او من الكسل ، ومن الطبيعي في هذه الحالة أن لا يجد التعبير الدقيق للفكرة المشوشة ، وسبب ذلك الى حد كبير هو ان الكثيرين من الكتاب لا يفكرون قبل ان يكتبوا ، وانما يفكرون حينما يكتبون ، فالقلم يخلق الفكرة ، والضرر الذى ينجم من ذلك هو ان هناك سحرا في الكلمة المكتوبة ، والحقيقة انه خطر يجب على الكتاب ان يتقوه ، وبعض الكتاب الذين لا يفكرون تفكيرا واضحا يميلون الى الظن بان افكارهم لها معنى اعظم مما يبدو لاول وهلة ، ولا يخطر ببال هؤلاء الكتاب ان الخطأ في عقولهم التى تنقصها موهبة التفكير المحكم ، وهنا يبرز مرة ثانية سحر الكلمة المكتوبة ، ومن السهل ان يقنع الانسان نفسه ان الجملة التى لا يفهمها فهما تاما قد يكون لها معنى اكثر مما يدرك ، ويسهل حينذاك على الانسان ان يقع تحت تأثير عادة تسجيل انطباعاته مشوبة بالغموض الاصلي الذى كان يحتويها . وسيوجد دائما السخفاء الذين يستطيعون ان يكشفوا فيها معنى خفيا » .

ويتابع موم حديثه فيقول : « اما النوع الثانى من الغموض فهو المقصود ، وهو يتنكر فى صورة الترفع الارستقراطي ، وذلك بان يلف المؤلف المعنى الذى يرمى اليه في اردية من الغموض تمنع الدهماء من الاهتداء اليها والمشاركة فيها ، وروح المؤلف في رايه حديقة خفية لا يسمح الا للنخبة المختارة بالتغلغل في نواحيها بعد التغلب على عدد من العقبات الخطيرة . ولكن هذا اللون من الوان الغموض ليس فقط نوعا من أنواع الادعاء ، بل هو يدل كذلك على قصر النظر ، لان الزمن يجرى عليه احكامه القديمة ، فاذا كان المعنى المستور ضحلا يهبط به الى حضيض اللغو الفارغ الذى لايفكر انسان فى قراءته ، وهذا هو المصير الذى آلت اليه بعض مؤلفات الكتاب الفرنسيين الذين اسهروا جفونهم ، وعكفوا لياليهم على تأليفها » .

وقد عنيت بان اذكر رأى موم لانه حجة في الحديث عن الوضوح والغموض ، فاسلوبه في قصصه واقصوصاته ورواياته المطولة وكتبه عن رحلاته وتجاربه ومشاهداته تمتاز بالنصاعة والوضوح والاتجاه المباشر الى الغرض المقصود بغير التواء ولا انحراف ، ولعل هذا من اقوى الاسباب – الى جانب مزاياه الاخرى – التى ساعدت على اذاعة ادبه ، واعلاء شهرته ، وتوطيد مكانته ، فاننا حينما نقرؤه نكون واثقين من اننا سنقف على ما يريده على وجه التحديد ، ومطمئنين الى انه لن يورطنا في متعميات لايعرف فيها الراس من الذنب ، ولا ان يقودنا الى مجاهل كمهالك المتنبى التى يقول فيها :

مهالك لم تصحب بها الذئبُ نفسَه
ولا حملتْ فيهـا الغرابَ قوادمُه

الفيلسوف شوبنهاور والغموض

وقد كان الفيلسوف الالمانى آرثر شوبنهاور Schopenhauer **من الفلاسفة المعنيين بالوضوح، واسلوبه بليغ السرد مشرق الديباجة ، وقد كان يمقت الغموض ، ويسيء الظن بالكتاب الذين يقصّرون فى الافصاح عن آرائهم، وتوضيح مذاهبهم الفكرية ، ومن كلماته فى هذا الصدد :**

« اسلوب التعبير الملتبس الغامض دائما ، وفي كل ناحية ، من الدلالات البالغة السوء ، وهو يجيء في تسع وتسعين حالة من مائة حالة نتيجة لغموض الفكرة ، ومعنى هذا في معظم الحالات ان هناك نقصا وتناقضا في الفكرة نفسها ـ أو بالايجاز ان الفكرة خاطئة ، وحينما تبرز في العقل فكرة صحيحة فانها تجاهد للوصول الى التعبير ، ولن يطول بحثها في الاهتداء اليه ، لان الفكرة الواضحة تجد بسهولة الالفاظ الملائمة لها ، واذا كان هناك اى انسان قادر على التفكير في اى شيء فانه دائما يستطيع ان يعبر عنه ق لغة واضحة مفهومة خالية من اللبس ، وهؤلاء الكتاب الذين يكتبون جملا صعبة غامضة ملتوية ملتبسة من المؤكد انهم لا يعرفون معرفة صحيحة ماذا يريدون أن يقولوا وانما عندهم شعور غامض به ، وهذا الشعور لا يزال ق مرحلة الجهاد ليبرز ق صورة فكرة ، وفي الغالب تكون رغبتهم الحقيقية ان يخفوا عن انفسهم وعن غيرهم انهم ليس عندهم على الاطلاق شيء ليقولوه ، وهم يحاولون أن يظهروا بمظهر انهم يعرفون مالا يعرفون ، وانهم يفكرون فيما لا يفكرون فيه ، وان يقولوا مالا يقولون ، واذا كان عند احد الناس حقيقة ما يريد ان يفضى به فاى الطرق يختار للتعبير عن نفسه ـ الطريق المبهم أم الواضح ؟ وكونتليان Quintilian يقول : « ان الاشياء التى يقولها الرجل المثقف ثقافة عالية في الاغلب الاعم ايسر فهما واكثر وضوحا ، وكلما كان الانسان أقل ثقافة كانت كتابته اكثر غموضا » . وعلى المؤلف ان يتحاشى الجمل الغامضة ، وان يعرف هل يريد ان يقول الشيء او لا يريد ان يقوله ، والذى يجعل الكثيرين من الكتاب تافهين هو عدم القدرة على الفصل في ذلك ، والمبالغة في العادة تحدث تأثيرا مخالفا للتأثير المقصود . وحقيقة ان الالفاظ تستخدم لجعل الفكرة واضحة ، ولكن هذا الى حد محدود ، فاذا تكدست الالفاظ ، وجاوزت الحد ، عاود الغموض الفكرة اكثر فأكثر ، ومشكلة الاسلوب هي معرفة الحد الذى ينتهى عنده الكاتب ، وهذا هو مجال الملكة الناقدة . واذا تجاوزت الكلمات حدودها اخطأت القصد ، وكثير من الناس يحاولون اخفاء فقر افكارهم في طوفان من الالفاظ ، ولذلك علينا ان نتجنب الحشو واللغو . وعلى الكاتب ان لا يضيّع وقت القارىء ، وان لا يمتحن صبره ، ويجهد التفاته ، وبذلك يقنعه أن ما يكتبه يستحق الدراسة ولا يضيع وقت القارىء عبثا ـ واستعمال الفاظ كثيرة للتعبير عن أفكار قليلة هو الدليل على العامية الذى لا يخطىء ، وحشد افكار كثيرة في كلمات قليلة هو طابع الرجل العبقري . واجمل ما يكون الحق حينما يكون عاطلا عن الحلى ، وبقدر البساطة في التعبير عنه يكون عمق تأثيره في النفس ، ويرجع جانب من ذلك الى انه ق هذه الحالة لا يجد عائقا في الاستيلاء على روح السامع استيلاء تاما ، ولا يترك مجالا لفكرة عابرة تلهيه ، كما يرجع جانب آخر من ذلك أنه يشعر بأنه لم تخدعه الاساليب البلاغية ولم تفسد عليه امره ، وان التأثير جميعه آت من الشيء نفسه . واى كلام ادل على ان الحياة الدنيا متاع الغرور من قول ايوب : الانسان مولود المراة ، قليل الايام ، كثير الشقاء يخرج كالزهر ثم ينحسم ويبرح كالظل ولا يتوقف . »

وعند شوبنهاور أن الايجاز الصادق في التعبير ان تقول ما يستحق أن يقال وحده وتتحاشى التفصيل الممل عن اشياء يستطيع كل انسان ان يعرفها ، ويتضمن هذا التفريق بين ماهو لازم وماهو من قبيل الحشو الذى لالزوم له ، وعلى الكاتب ان لايعمد الى الايجاز على حساب الوضوح فانه مما يدل على سوء التقدير ان تضعف التعبير عن الفكرة من اجل استعمال القليل من الالفاظ .

ويشير شوبنهاور الى كثير من العيوب والاخطاء التى لحظها في مؤلفات المعاصرين له ، وهى اخطاء كثيرا ما يقع فيها الكتاب ق مختلف العصور واللغات ، وفي رايه ان الكاتب الذى لايعنى باسلوبه لايعلق اهمية كبيرة على افكاره ، لان الانسان اذا كان واثقا من صدق افكاره ومتاكدا من اهميتها فانه لايتردد ق ان يبذل الجهد لاخراجها ق اوضح اسلوب واجمله ، ويقول ان شعور افلاطون بذلك هو الذى دفعه فيما يروى الى ان يكتب مقدمة كتاب الجمهورية سبع مرات بطرائق مختلفة ، واحسب ان الكاتب الذى يقصر ق البيان او يتعمد الغموض والاغراب يستهين بكرامة قرائه ، ويسيء الى تفكيره .

■■

علي ادهم

طرائف غريبة

درس للأب وابنه !

● كان وليام هوارد تافت رئيسا للولايات المتحدة الامريكية بين عام (١٩٠٨ – ١٩١٣) ، وكان له شقيق يدعى هوراس تافت وكان مدير المدرسة للبنين في واشنطن . وكان هوراس هذا رجلا صارما لا يميل الى التهاون ابدا مع تلاميذه . وفي احد الايام اخطأ تلميذ في حق استاذه ، ورفض أن يعتذر له ، فما كان من مدير المدرسة الا ان أمر بفصله .

وتصادف ان كان هذا التلميذ ابنا لكبير من رجال الصناعة وعضو بالكونجرس الامريكي ، ولم يقبل الأب قرار المدير ، فقد اعتبره اهانة موجهة له هو شخصيا . وحمل ابنه في سيارته وذهب لمقابلة هوراس في مكتبه ، وما كاد يصل حتى اقتحم مكتب المدير وصاح في وجهه قائلا :

– هل تعلم ان هذا التلميذ الذى فصلته هو ابني ! .

– نعم أعلم ! .

– وهل تعلم انني استطيع ان اغلق هذه المدرسة اذا لم تأمر باعادته حالا ! .

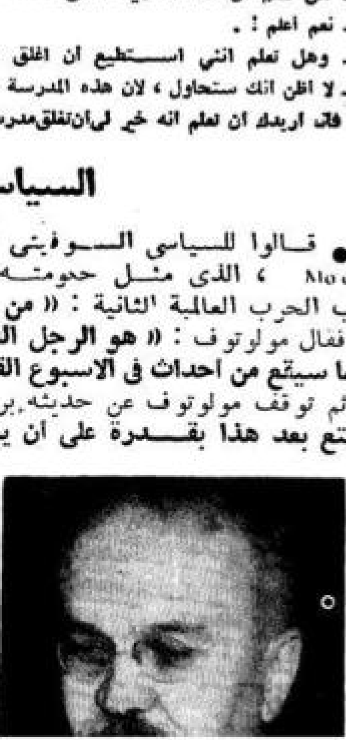
– لا أظن انك ستحاول ، لان هذه المدرسة ملك لشقيق رئيس الولايات المتحدة الامريكية ، ومع هذا فاني اريدك ان تعلم انه خير لي ان تغلق مدرستي على ان يكون فيها تلميذ انت ابوه !! .

السياسي المحنك !

● قالوا للسياسي السوفيتي فياتشيسلاف مولوتوف Vyacheslav Molotov ، الذى مثل حكومته في عدد كبير من المؤتمرات الدولية الهامة عقب الحرب العالمية الثانية : « من هو السياسي المحنك ؟ »

فقال مولوتوف : « **هو الرجل الذي يستطيع ان يتنبأ بما سيحدث غدا ، وبما سيتم من احداث في الاسبوع القادم ، والشهر القادم ، والسنة القادمة !** »

ثم توقف مولوتوف عن حديثه برهة وأضاف يقول : « **ثم هو الرجل الذي يتمتع بعد هذا بقدرة على أن يبرر الأسباب التى ادت الى عدم تحقق نبوءاته !!** »



ومن الغريب أن مولوتوف كان يتوقع ان يصبح السكرتير الاول للحزب الشيوعي السوفيتي ، ولكنه طرد من الحزب في عام ١٩٦٤ ، ولم يجد سببا واحدا يبرر به هذا الاجراء !



الصورة .. والاصل !

● الملكة اليزابيث الثانية ملكة بريطانيا تروى قصة طريفة حدثت لأمها الملكة اليزابيث الأم فى عيد ميلادها الخمسين .. فقد دعا القصر مصور الاسرة المالكة سيسيل بيتون Cecil Beaton ، لالتقاط صورة « للملكة الأم » بهذه المناسبة .. وفى اليوم التالى ارسل المصور « بروفات » للصور التى التقطها لتختار الملكة من بينها الصورة التى تعجبها لتكبيرها .. ولكن الملكة أعادت كل الصور ولم تختر منها شيئاً ، وفض المصور رسالة قصيرة كانت مرفقة بالصور فاذا بها تحمل توقيع سكرتيرها ، وقد نقل فيها راى الملكة ، قال : « ان صاحبة الجلالة تشكرك على المجهود الذى قمت به ، ولكنها تعتذر عن قبول هذه الصور ، فهى قد عاشت نصف قرن من الزمان على هذه الارض ، ولا يمكن لانسان عاش كل هذه الأعوام ، ان يخرج منها دون أن يبدو على وجهه اثر واحد يدل على عمره .. فمحاولتك اعادة الشباب الى الصورة لن تغير من الأصل !! » .



الانسان .. أعظم فنان !

● سألوا الرسام الشهير فنسنت فان جوخ Vincent Van Gogh (١٨٥٣ - ١٨٩٠) : « من أعظم فنان فى العالم ؟ » .

قال : « الانسان .. الانسان الذى يفكر بقلبه ، فينعكس تفكيره هذا على وجهه وتصرفاته وطريقة معاملته للناس ! » .

أعظم هدية

● يقول بانكى كندسن Bunky Kundsen ، ابن الرئيس السابق لمجلس ادارة شركة جنرال موتورز للسيارات ان أعظم هدية تلقاها فى حياته ، كانت من والده فى عيد ميلاده الرابع عشر ، وكان ذلك فى عام ١٩٢٧ . فقد قال له والده يومذاك : « هديتي لك يا بني سيارة جديدة .. وتستطيع ان تاتي لاستلامها الآن من الشركة » .

ويقول بانكى : « وذهبت ، ولم أجد سيارة ، ولكنني وجدت اكثر من الف قطعة وقطعة موضوعة فى صندوق كبير ، وقال ابى وهو يسلمني هديته : « هذه هي اجزاء سيارتك . وستصبح ملكك اذا استطعت تركيبها » .

وقضى بانكى اربعة اشهر كاملة فى تركيب أجزاء سيارته . ثم قضي حياته كلها بعد ذلك فى صناعة السيارات . فقد اصبح المدير الفني لشركة جنرال موتورز من بعد أبيه ! .



صلاح عبد الصبور



نازك الملائكة



بدر شاكر السياب



عبد المعطى حجازى

التجديد فى الشعر

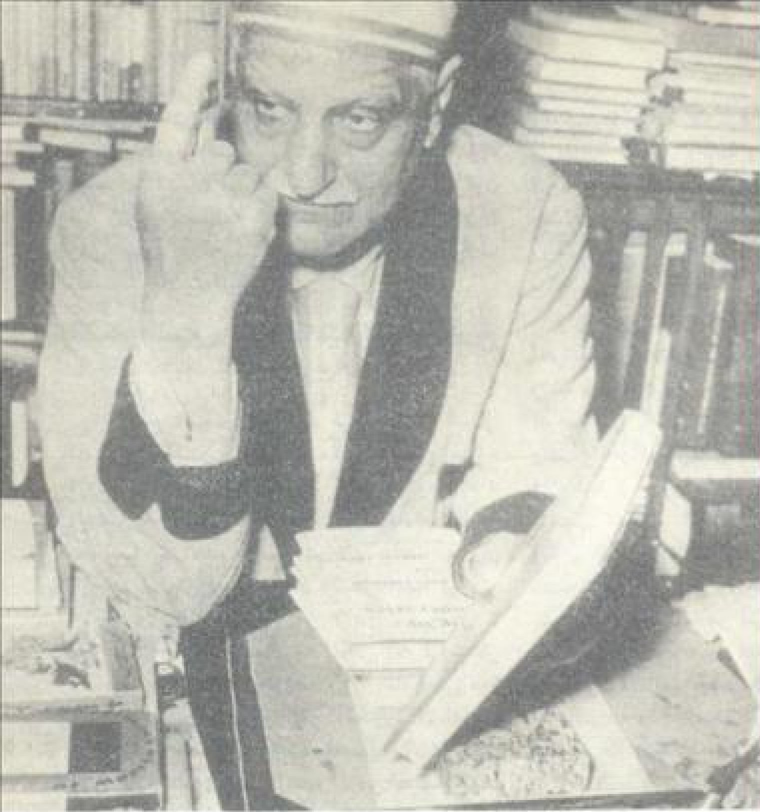
ظاهرة فى الأدب العربى قديمة

بقلم : الدكتور محمد محمود الدش

■ الخطوات الوئيدة التى سار بها التجديد فى الشعر العربي ، على سمت عصوره المختلفة ، أخذت تسرع فى السنوات القليلة الماضية ، بحيث تثير هذه السرعة ضروبا من الدهشة والتساؤل والبحث حول ما يكمن وراءها من أسباب فنية ونفسية واجتماعية . ولا شك في انه منذ بدأت حركة التجديد الحديثة في هذا الشعر بكسر الأطواق والأطر التقليدية على يد نفر من شبيبة القريض ، فى مقدمتهم صلاح عبد الصبور ونازك الملائكة وبدر شاكر السياب واحمد عبد المعطي حجازى فى الاربعينيات ثار جدل طويل حول قيمة هذه الحركة التجديدية ، وجدواها على الشعر ، وأثرها فى استمراره وبقائه .

رأى العقاد

واختلف في قضايا التجديد جمهور النقاد ومؤرخو الادب وكل من يهمهم أمر هذا الفن القولى الرفيع ، حتى الشعراء أنفسهم وقفوا من هذه القضايا مواقف شتى بين رافض ومؤيد ومعتدل ومنتظر . وكان المرحوم الاستاذ عباس العقاد حامل لواء الرفض الى حد انه اتهم هذه الحركة بالتفاهة ، وانها لاتقوم الا على ضروب من الجهل والعبث والافلاس أو نحو ذلك ، وقد أطلق عليه اسم « الشعر السايب » . ولم يكن موقف العقاد من المواقف التى يجوز المرور عليها مر الكرام أو التى يتوقف عندها وقوفا عابرا قصيرا ، وذلك بسبب القيمة الكبرى لأهمية أحكام العقاد ، وبصورة خاصة فى مجال النظر فى الشعر وله فيه عشرة دواوين . اذ لا مراء فى أن العقاد شاعر وناقد له وزنه الكبير . ولسبب آخر هو أن العقاد ظل صلبا عنيدا فى موقفه ، وكان لذلك صداه الرسمي بحكم كونه رئيسا للجنة الشعر في المجلس الاعلى



عباس
محمود العقاد

لرعاية الفنون والآداب فى مصر التى تشرف على تقويم دواوين الشعر فى المسابقات ، وما الى ذلك .

كما أن العقاد بنى حكمه ورفضه على أسباب وجيهة ، لاينبغى التقليل من أهميتها ، حين أكد ان « أوزان العروض العربية على احكامها واتقانها سهلة الأداء قابلة للتوسع والتنويع الى الغاية المطلوبة فى كل موضوع يتناوله الشعراء » . ومن الأدلة على ذلك أنها تحملت كل ظروف التطور التىحدثت منذ بداية عهد النهضة الأدبية الحديثة بما فى ذلك نظم المسرحيات العربية ، وترجمة الملاحم الأجنبية . ومن هذه الأدلة أيضا اختيار اللغات الفارسية والعبرية والاوردية لأوزان العروض العربية ، تنظم فيها أشعارها ، كما أن العوام من طلاب الشعر الشعبى نظموا الملاحم المختلفة فى قصائد عامية طويلة تناقلها الرواة والشعراء والمغنون والنائحات أجيالا شتى .

من أجل هذا كله يصف دعاة التجديد بأنهم من العاجزين الذين لم يخلقوا للشعر وليسعندهم فيه الاستعداد المطلوب ، أو أنهم طلاب هدم صريح لغرض غير صريح ، ولكنه كذلك غير مجهول ، لأن فى هذا العصر من يهدمون كل تراث ، ويقتلعون كل أساس ، ولا يقتنعون بشىء دون فوضى الآداب والعقائد والأخلاق .

ومع ذلك فاننا نعتقد أن هذا الموقف الرافض لحركة الشعر الجديد لم يكن من العوامل المعاكسة أو المثبطة لهمم الشعراء وان اثرت فى جوانب أخرى تتصل بآراء النقاد ومؤرخى الأدب .. بل على العكس فانه زاد الحركة تأججا وعنادا ، ونفخ فيها روح المقاومة والاصرار على المضى قدما فى بذل المزيد من التجارب الشعرية الجديدة الى درجة غالى فيها بعض انصار الجديد حين نزعوا الى التحلل من كل عناصر الشعر ومقوماته الموسيقية ، ليخرجوا الينا بشىء لا يمت الى الشعر بسبب قريب أو بعيد .

ولنا أن نتساءل قبل تقويم هذه الحركة أو « تقييمها » .. كيف ظل الشعر العربى جامدا ـ هذه القرون الطويلة منذ هلهل القريض المهلهل

ابن ربيعة حتى أيامنا هذه ـ على صورته التقليدية المسماة بعمود الشعر ، ثم خرج علينا هؤلاء الشعراء الشبان ببدعة الشعر الجديد ، يمزقون فيه الأطر الموسيقية المعروفة بالبحور والقوافي ؟ وهل لذلك علاقة بالأصول التاريخية والظروف النفسية والاجتماعية ؟ .

الشعر العربي صورة فنية تعكس تاريخ الامة العربية

الواقع الذي لا مراء فيه ، أن الشعر العربي صورة فنية تعكس تاريخ هذه الأمة العربية وظروفها « الانثروبولوجية » الحضارية والنفسية المختلفة ، وانه مادام التاريخ يحدثنا بان هذه الأمة لم تكن جامدة ، وان ظروفها لم تكن ثابتة ، فان الشعر ايضا لم يكن جامدا ولا ثابتا في يوم من الأيام .. ونحن لا نتعرض هنا للمضمون بطبيعة الحال لأنه لا يستقر ولا يهدأ مهما كانت الظروف ، وان كنا نمس هذا المضمون بقدر ما يؤثر على الصورة الايقاعية والموسيقية للشعر ، وهذه الصورة الأخيرة هي التي تعرضت في هذا العصر لأكبر هزة شهدها الشعر العربي في تاريخه الطويل .

وفي لمحة عابرة راسية في هذا التاريخ ، نجد أن الصورة الموسيقية تنوعت بين الرجز والتصريع والتسطير والتقطيع والتقسيم واستحداث البحور فالتربيع والتخميس والتسديس وسائر صور الموشحات ، وتنويع القوافي في القصيدة الواحدة .

ونشير الى تغير آخر من وحدة البيت أو المصراع الى وحدة الجزء ، أو وحدة القسم ، فوحدة القصيدة .. من الوجهة الموضوعية أو المعنوية أو الفكرية .

العربي القديم مولع بالايقاع الموسيقي

وينبغي أن نشير الى حقيقة مهمة في الفنون القولية العربية لا ينبغي أن تغرب عن بالنا مهما اختلف في تفسيرها طوائف شتى من المفسرين ...

وهي أن العربي القديم مغرم الى حد بعيد ، بالايقاع الموسيقي فيما ينطقه ويعبر به من فنون الكلام ، ويبدو هذا في الشعر وفي النثر جميعا . واذا نظرنا الى الخطب والامثال وسجع الكهان والمقامات والرسائل نجدها نماذج من الايقاع الفني العالي . فهذا الغرام بالموسيقا ليس ظاهرة سطحية أو شكلية في طبيعة العربي وطبعه وانما هي صفة جوهرية لازمة عميقة المدى ، بعيدة الغور ، تملك عليه حسه وشعوره وتفكيره وخياله ، بحيث تهزكيانه ووجدانه هزا عنيفا يتجلى في لغة قوله واسلوب بيانه .

وان جاز مثلا أن نقول انه كانت لدى الكاتب العباسي من امثال ابن العميد والصابي والصاحب والبديع والحريري فرصة سانحة ، ومتسع من الوقت لكي يجلس في أناة ينمق عباراته المتجانسة والمتطابقة والمسجوعة في الرسائل والمقامات وغيرها ، فان هذا لا يجوز ان يذكر في مجال الحديث عن مرتجلي الخطب المنبرية قبل الاسلام وبعده من امثال الرسول والصحابة والخلفاء والقواد ، وعن المتحدثين في المجالس والمجامع ومدارس العلم وهم كثرة كاثرة يقعد الحصر هنا عن ضرب المثال لهم .. حين كان يخرج منهم الفن القولي نقليما غنيا بالايقاع ، متناغما حافلا بالموسيقا .

وانتقلت هذه الصفة الموسيقية القوية في اللغة من العرب الى غير العرب الذين اصبحوا من كبار الكتاب والشعراء والمعلمين .

والتفسير الطبيعي لهذه الصفة القوية اللازمة لا يكمن في الظروف الاجتماعية والاقتصادية والنفسية المتغيرة ، بقدر ما يكمن في قوة اللغة واتساعها ورهافة حسها ، وان كان لذلك كله دلالات وأسباب تتعلق بالظروف المذكورة ، باعتبار أن اللغة صدى للوعي الانساني في تجاربه وخبراته وآماله ، والانسان وليد ، في ذلك كله ، للظروف البيئة في أوسع معانيها .

والواقع أن اللغة امكنت العربي ، ومن دخلوا في البيئة العربية ، ونطقوا باللسان العربي فيما بعد من الانفعال الايقاعي ، وبالتالي من التعبير الموسيقي .

وهكذا ساعدت اللغة بامكاناتها العريضة ورهافتها المفرطة على الأداء الفني في القول ، وقوت عنصر الاستمرار والبقاء للشعر في صورته التقليدية وصفاته الموروثة المعروفة .. ولم يحل دون ذلك طول القصيدة ولا تنوع الأغراض ، ولا تطور المعاني ولا استحداث الفن المسرحي في الشعر .

وكل محاولات التجديد التي حدثت على مر العصور لم تنظر الى اللغة على أنها عائق يحول دون الاستمرار في قول الشعر مع تغير الصور

والأخيلة والمعاني والمضامين جميعا من عصر الى عصر ، ومن بيئة الى اخرى .. وانما ركز التجديد في اتجاهاته على الموضوع والاسلوب والصياغة ونظام القصيدة ونسقها وترتيبها ونماذج من صور الايقاع التي لا تنفك عن الموسيقا القوية الطبيعية في اللغة وفي الانسان الناطق بهذه اللغة .

انماط الشعر تغيرت مع تغير الحضارة العربية

وطبيعي أن ينتسب كلّ تغيّر ، لا سيما في الأدب ، الى التطور الحضاري بابعاده المختلفة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والنفسية ، وقد حدثت تطورات حضارية في تاريخ الامة العربية ، فكان من الطبيعي ان يحدث تغيير في مضامين الشعر وانماطه بما يلائم عمق التطور واتساعه من جيل الى جيل ، ومن بيئة الى اخرى.

والراجح ان الرجز بايقاعه الموسيقي الرتيب من الداخل على صورة تفعيلة متكررة ، ومن الخارج على صورة قافية تاتي في نهاية كل مصرع او شطر ـ هو اقدم الاطر الموسيقية للشعر العربي ، وان كان الشعر الجاهلي لم يمدنا منه الا بالنزد اليسير ، ولكنه ظل موجودا في البادية ، وكان ينظم في اطاره نفر من الشعراء امثال ذي الرمة والعجاج ورؤبة وابي النجم العجلي ، محاولين بذلك المحافظة على أثر تقليدي قديم .

ومعنى هذا أن الشعراء المتحضرين (نوعا ما) في الجاهلية هجروا الاطار القديم أو كادوا ، الى اطر موسيقية غيرها ، دفع الى ذلك لون من ألوان التطور الذي اصاب الحياة الادبية على نحو ما ، وهو تطور مقترن بالنضج الذي أصاب اللغة العربية نفسها ، واستقطاب اللهجة الحجازية أو القرشية لباقي لهجات القبائل في الجزيرة ، حيث اصبحت هذه اللهجة انموذجا يحتذى في رقة حاشيتها وهَذَبِ طبعها ونصاعة ديباجتها .

واثر الاسلام ـ باعتباره عنصرا حضاريا فذا ، ومناخا ثقافيا عقليا ووجدانيا ، جديدا ـ على الصور الموسيقية بما فيها من ضخامة وصخب ، فهدهدها وطامن من حدتها وهذب سورتها . واعتمدت الصور الموسيقية في الأغلب بعد مجيء الاسلام على الايقاع الهادىء العاقل الرزين ، ويتضح هذا بجلاء في موسيقا شعر المخضرمين من الشعراء أمثال حسّان بن ثابت والخنساء وكعب ابن زهير والحطيئة وغيرهم حينما نعقد مقارنة بين شعرهم قبل الاسلام وشعرهم بعده .

وكما أثر الاسلام في النفوس برقة اسلوبه وسماحته وبساطته ، وبالتالي في ايقاعات الشعراء الموسيقية فان بيئات شعرية بعد هذا اتسمت بالترف والنعمة والمرح والغناء وكثرة الرقيق ـ في مقدمتها مكة والمدينة ـ كان لها أثر واضح على موسيقا الشعر ، اذ اعتمدت على الايقاعات الرقيقة الناعمة التي توفر التطريب في اللحن والغناء . ونظرة الى شعر عمر بن ابي ربيعة والأحوص والعرجي ترينا كيف ارتقت الأذواق وازدادت رهافة الاحاسيس ، وتطورت موسيقا الشعر تطورا يلائم هذه وتلك ، وعمد الشعراء الى الأوزان الخفيفة المرحة كالوافر والسريع والخفيف والرمل والمتقارب والهزج في نظم قريضهم ، بل عمدوا الى ما هو اكثر من ذلك في التخفف من الاطر الموسيقية التقليدية حين خففوا أوزانا خفيفة كالرمل والخفيف والمتقارب .

غير أن التطور الذي اصاب موسيقا الشعر فيما مر كان دقيقا بحيث يحتاج الى تامل عميق واناة وانصات وشيء من الاستغراق من أجل ادراك التغير الذي الم بضروب الايقاع في مجال الاطر الخارجية ، وكذلك في الموسيقا الداخلية النابعة من أعماق الشاعر لتنعكس في جرس الالفاظ ورنين نسقها وتناغم ترتيبها .

النقلة الواسعة التي اصابت موسيقا الشعر

أما النقلة الواسعة التي أصابت موسيقا الشعر بتغيّر أكبر واظهر ، فقد حدثت فيما يمكن أن نسميه عصر الثقافة العربية ، على يد طائفة من الشعراء ، فيهم عربي الأصل وفيهم غير العربي ، رفضوا النظام القديم للقصيدة بمقدمتها الطللية والانتقال بين موضوعات مختلفة ، من وصف الى طرد الى مدح أو هجاء او حكمة ، كما رفضوا بعض الأغراض القديمة ، واستحدثوا مما تفرضه عليهم ظروف معيشتهم وبيئتهم موضوعات جديدة تنتسب الى حياتهم وواقعهم في اللهو أو الزهد ، في الخمر أو في الوصف الناعم المترف .

تغيرت صورة الحضارة في مدن العراق ، فتغيرت صورة الشعر في المضمون وفي الشكل ، وتقدم الى

زعامة التغيير في البصرة بشار وابو نواس ، وهما من أصل غير عربي ، وتقدمها في الكوفة شاعران عربيا الأصل هما : مطيع بن اياس ، من كنانة ، ووالبة بن الحباب ، من أسد ، وثالث هو ابو العتاهية نبطي الأصل.. وامتد التغيير الى غير هؤلاء من امثال مسلم بن الوليد وسلم بن عمرو الخاسر ، واصبحت بغداد ، باعتبارها مركزا للتطور الحضاري الثقافي ، قاعدة الدعوة الى تغيير الأنماط القديمة للشعر .

تيار عنيف يعارض التجديد

وكان من الممكن أن تنجح هذه الدعوة التجديدية، لأن ظروفها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والنفسية كانت متوافرة ، لولا ان وقف في وجهها تيار عنيف من المعارضة يقوده نفر من كبار العلماء في اللغة والنحو والأدب والنقد ، ومن ورائهم يسندهم ويقويهم الخلفاء والوجوه والقواد من الأرومة العربية التي كانت تتهم كل تجديد وافد على تراث هذه الأمة وتقاليدها من فنون القول أو من الافكار والمبادىء .

تزايد الطلب على الايقاع الشعري الخفيف

ورغم هذه المواجهة القوية ، لا سيما أن الشعراء كانوا في حاجة الى مصادر أرزاق تجري على يد الخلفاء والوجوه والقواد ، بما يمنعهم عن الاصرار على نزوعهم التجديدي ـ فانهم احدثوا تغييرا غير قليل الشان في المضمون الشعري ، وتبع ذلك تغير في الاطار الموسيقي ، حين عجزت القوالب القديمة عن تحمل المضامين الجديدة واعبائها الفكرية والخيالية والتصويرية والايقاعية. فاشتد الاتجاه الى تقصير البحور وقوى الاعتماد عليها ، ولعل كثرة المجالس وازدياد النشاط الموسيقي والغنائي ، واتساع موجة اللهو والعبث، كان لها الأثر الأكبر في ذلك ، اذ تزايد الطلب على الايقاع الشعري الخفيف الرقيق ، وموسيقاه السريعة القصيرة ، فلبى الشعراء ذلك باوزان مجزوءة ومشطورة وقصيرة ، وشاعت ايقاعات الخفيف والرمل والهزج والمتقارب ، واتسع التنويع في الايقاعات الطويلة المخففة والخفيفة جميعا ، بحيث كادت تطغى على الأوزان الأخرى المعقدة والطويلة أو تحجبها .

وكان الخليل بن أحمد (م ١٧٠هـ) قد وضع البحور الخمسة عشر المعروفة أوزانها (وزادها الأخفش واحدا هو المتدارك) ـ واستكمل دوائرها وزحافها وعللها وكلما يتصل بالفجوات والمسافات الايقاعية للشعر في ضوء ما درس واستقصى من الشعر الموجود حتى عصره . ولكن ذوى النزعة التجديدية من الشعراء لم يحترموا هذا الاستقصاء، بل عمدوا الى الفجوات والمسافات فاستغلوها في تنويع الموسيقا الشعرية والاتساع في هذا التنويع.

اقتضاب الاوزان

ويبحث المؤرخون في الأوزان القديمة فلا يجدون مثل هذا الوزن المقتضب الذى قال فيه ابو نواس قصيدة :

حامل الهوى تعب
يستخفه الطرب

ولا يجدون كذلك مثل هذا الوزن المضارع الذى ابتكره ابو العتاهية :

يا عتب ما يضر
لا ان تطلقي صفادى

وتولدت أوزان عند نفر من أصحاب الشعر التقليدى ، فهذا مسلم بن الوليد ينظم قصيدتين. الأولى :

يا ايها المعمود
قد شفك الصدود

والثانية :

نبا بك الوساد
وامتنع الرقاد

على ايقاعات مولدة . كما ينظم سلم بن عمرو الخاسر أرجوزة على حرف واحد ، منها قوله :

موسى المطر ... غيث بكر
ثم انهمر ... لما اغتفر
ثم غفر ... لما قدر
ثم اقتصر ... عدل السير

خروج على اوزان الخليل

بيد ان ابا العتاهية كان اكثرهم تحديا للاطر الموسيقية القديمة ، ولما سئل في هذا التحدى قال ؟ : انا اكبر من العروض . وذكر الصولي أن له اوزانا لا تدخل في أوزان العروض التي ذكرها الخليل ، ومن ذلك قوله على وزن الخبب أو المتدارك ، الذى زاده الأخفش على أوزان الخليل :

هَمُّ القاضي بيتٌ يَطرب
قال القاضي لمّا طُولب
ما في الدنيا الا مَذهب
هذا عذرُ القاضي واقلب

وقد روى المسعودي ان هذا الوزن « فعلن » مكررة اربع مرات خارج عن العروض ولم يقل العرب عليه شعرا . ويقول ابن قتيبة ان ابا العتاهية كان لسرعته وسهولة الشعر عليه ربما قال شعرا موزونا يخرج به عن اعاريض الشعر واوزان العرب . قعد يوما عند قصّار فسمع صوت المِدَقّة ، فحكى ذلك في الفاظ شعره ، وهو عدة ابيات منها :

للمنون دائرات	يدرن صرفها
هنّ ينتقيننا	واحدا فواحدا

ومن الاوزان التي ابتكرها ايضا ، ما صاغ فيه قوله :

عُتْب ما للخيال	خبريني ومالي
لا اراه اتاني	زائرا مذ ليالي
لو رآني صديقي	رقّ لي أو رثى لي
او يراني عدوي	لان من سوء حالي

وللشاعر في ديوانه قصيدة طويلة تسمى بذات الأمثال تدل على نزوع الى تحدي القوالبالشعرية القديمة ، وكسر الأطر الموسيقية التقليدية ، وتحطيم الموروثات الشعرية المتداولة وهي التي فتح بها باب المنظومات التي جاءت مزدوجة تتغير قافيتها بيتا بعد الآخر اي مع كل بيت بحيث تكون مصرّعة كما يظهر تحديه كذلك في مقطوعته التي تبدأ هكذا :

يإذا الذي في الحب يلحى أما
والله لو كلفت منه كما ...

وتستمر بحيث لا يمكن فصل اولها عن آخرها ، اذ يعلق آخر البيت على أول البيت الذي يليه وهكذا ، وقد وجه اليه النقاد في ذلك نقدا شديدا لانه « مُضمَّن » وهذا خروج على مقاييس النقد المعروفة حينذاك ، والتي تقرر أن خير الشعر ماقام فيه كل بيت بنفسه وكفى البعض دون البعض .

فاذا كانت موسيقا الشعر العربي لها حدان يضبطان الصورة الايقاعية فيها ، ونقصد بهما : الوزن الذي يعتمد على الوحدة الايقاعية في داخل السطر او البيت اي التفعيلة . والضابط الآخر هو الحاجز او الطرف الذي يحكم اغلاق الأسطر او الأبيات واحدا بعد الآخر معتمدا على الروى والقافية ـ فان احد هذين الحدين قد تم كسره منذ اكثر من احد عشر قرنا ـ على يد الشعراء الذين ذكرنا طائفة منهم ، وعلى يد من جاءوا بعدهم بنظام الموشحات أو القصائد ذات القوافي المنوعة ، اعتمادا على وحدة القسم او الجزء الذي يتالف من مجموعة من الأسطر اربعة او خمسة او اكثر ، وبذلك يتضح ان شعراء المهجر ومن لفّ لفهم لم يحدثوا جديدا بالنسبة للحد الاول .. وأن كل مايريده شعراء التجديد المعاصر هو كسر الحد الثاني ، او الضابط الآخر : القافية او الحاجز الايقاعي .

ظهور الموشحات كان تحديا

لقد كان ظهور الموشحات آخر تطور للتحديات التي تصدّت للأنماط الموسيقية التقليدية ،وعملت على مخالفتها في صور شتى من الايقاع ، بتنويع الاوزان والقوافي ، وليس ماجاء في شعر المهجريين وغيرهم من شعراء الوطن الأم سوى امتداد لهذه الموشحات .

وعلى الرغم من ان البعض ينسب نشأة ظهورها الى الخليفة الشاعر ابن المعتز في القرن الثالث الهجري فان بيئة الأندلس ، وهي بيئة حضارية عربية تختلف في كثير من سماتها عن البيئة المشرقية ، كانت أخصب ارض لذيوع الموشحات وانتشارها في القرن الخامس الهجري ..

ولكننا نلاحظ أن الحاجز الموسيقي المسمى بالقافية ظل قائما رغم تكسّر الضوابط التقليدية للوحدات الموسيقية ، بما عرّض البحور المعروفة لكثير من التصرف والتنويع واللعب بها وبفجواتها ومسافاتها الزمنية والصوتية على نحو واسع بما يلائم التطورات الحضارية المختلفة .

على أنه لا ينبغي أن ننسى ان الثورة الحالية على الحاجز الموسيقي للايقاع لها جذور قديمة ، منذ بداها ابو العتاهية بقافية متغيرة في منظومته ذات الأمثال ، وقلده بعض معاصريه في ذلك . لقد كان ذلك العصر عصر انفتاح حضاري كبير ، كهذا العصر الذي تفتحت فيه نوافذ الحضارة العربية وترعرعت في مناخه عوامل التجديد . ■■

د . محمد محمود الدش



عبد الحميد بن باديس

باعث النهضة الاسلامية العربية في الجزائر الحديثة

بقلم : تركى رابح

بجامعة الجزائر

■ لعل اقرب الناس لثورة اول نوفمبر سنة ١٩٥٤ المجيدة ومبادئها واهدافها هو المرحوم الامام « عبد الحميد بن باديس (١٨٨٩ - ١٩٤٠) » باعث النهضة الاسلامية العربية فى الجزائر الحديثة وراعيها وموجهها - ورئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وصاحب ورئيس تحرير مجلة الشهاب الغراء (١٩٢٥ - ١٩٣٩) .

من اجل تحرير الجزائر

فالامام عبد الحميد بن باديس رضى الله عنه كان من الرعيل الاول اللذين كافحوا بصدق واخلاص من اجل تحرير الجزائر من الاستعمار الفرنسي فى دائرة العروبة والاسلام ، وهو الذى يعود اليه الفضل الاول فى توجيه الحركة الوطنية فى الجزائر فى مطلع هذا القرن نحو هذا الاتجاه القومى السليم - وبذلك استطاعت الحركة الوطنية الجزائرية ان تتخلص فى بداية الثلاثينات من هذا القرن من الاتجاهات التى تتعارض مع عروبة الجزائر واسلامها .. وتجعل من تحرير الجزائر فى دائرة الحضارة الاسلامية العربية هدفها الاساسى الذى تناضل فى سبيله وتعمل من اجله ليل نهار ..

قاد حركة التعليم العربية فى اول هـذا القرن

لقد كانت حركة التربية والتعليم العربية التى قادها ابن باديس بنجاح فى الثلث الاول من هذا القرن والتى بدأها فى مدينة قسنطينة فى عام ١٩١٣ - بتدريس الحضارة الاسلامية والادب العربى وتفسير القرآن الكريم وموطأ الامام مالك ابن انس رضي الله عنه في الحديث الشريف كانت هذه الحركة التى سرعان ما امتدت الى مختلف جهات الجزائر فى المدارس التي انشأتها جمعية العلماء التى كان الفقيد رئيسها الى ان وافته المنون فى ١٦ ابريل سنة ١٩٤٠ وفى النوادى العربية الاصلاحية التى كونها انصار ابن باديس فى معظم المدن الجزائرية وعلى رأسها نادى



« الترقي » الذي انشيء في عاصمة الجزائر في عام ١٩٢٦ هي المشعل الذى اضاء للجزائر العربية طريق الخلاص النهائي من الاحتلال الاجنبي في ظل عروبتها واسلامها .

وكان قائدا سياسيا مهما

والواقع ان ابن باديس لم يكن مربيا ومعلما لجيل كامل من ابناء الجزائر البررة الذين نهضت على كاهلهم الحركة الوطنية في الجزائر والذين ساهموا بقسط وافر في ثورتها الكبرى في عام ١٩٥٤ ـ هذه الثورة التي حررت الجزائر وطردت الاستعمار الفرنسي منها الى الابد .. وانما كان الى جانب ذلك قائدا سياسيا ملهما للوطنيين الاحرار في الجزائر في العشرينات والثلاثينات من هذا القرن ، وكان مصلحا عظيما يتمتع بقوة روحية هائلة اثرت في كل من احتك بها سواء من قريب او من بعيد وبثت اشعاعاتها الروحية والفكرية في كامل انحاء الجزائر وفي بقية اقطار المغرب العربي الاخرى .

سياسة فرنسا في الجزائر بعد احتلالها

ولا يمكن للقاريء ان يعرف الدور الكبير الذى لعبه ابن باديس في النهضة الجزائرية الا اذا ألمَّ ولو المامة بسيطة بسياسة الاستعمار الفرنسي في الجزائر بعد الاحتلال مباشرة ..

لقد أدركت فرنسا بعد احتلالها للجزائر في ٥ يوليو سنة ١٨٣٠ انه ما دام الاسلام والعروبة قائمين في الجزائر فان احتلالها لن يكتب له البقاء طويلا ولذلك خططت سياستها في الجزائر منذ اليوم الاول للاحتلال على العمل بكل وسيلة ممكنة على تحطيم الشخصية الاسلامية العربية للشعب الجزائري كي يمكنها ان تجعل منه شعبا تابعا لشعبها فيما وراء البحر المتوسط .

وكانت تريد كن تعيد ماساة الاسلام والعروبة في الاندلس من جديد في الجزائر .

ولقد تجلت سياستها لتحطيم الشخصية الجزائرية في الامور التالية :

١ ـ القضاء على الدين الاسلامي .

٢ ـ القضاء على الثقافة الاسلامية العربية .

٣ ـ القضاء على اللغة العربية التى هى وعاء الفكر والثقافة في الجزائر .

٤ ـ القضاء على الجنسية الجزائرية .

٥ ـ تشويه تاريخ الجزائر في ظل الحضارة الاسلامية العربية .

٦ ـ العمل على تفكيك الوحدة الوطنية للشعب الجزائرى عن طريق اثارة الفتن والحزازات العنصرية بين سكان الوطن طبقا السياسة الاستعمارية المعروفة « فرق تسد » .

وتمشيا مع اهداف هذه السياسة قضت فرنسا على معاهد العلم الاسلامية التى كانت مزدهرة في الجزائر قبل الاحتلال وشردت العلماء والطلاب كما حولت معظم المساجد الاسلامية الى كنائس والبعض منها سلمته لليهود الذين حولوها بدورهم الى معابد لهم ـ ثم اصدرت مراسيم اعتبرت الجزائر بمقتضاها جزءا من بلادها وضيقت الخناق على اللغة العربية حتى اصدرت في عام ١٩٣٧ قانونا اصبحت بمقتضاه لغة اجنبية في الجزائر . وقبل صدور هذا القانون الجائر اصدرت في عام ١٩٠٤ قانونا آخر ينص على عدم السماح لاى جزائرى بان يتولى ادارة اية مدرسة لتعليم اللغة العربية والدين الاسلامى، الا اذا

حصل على رخصة من عامل العمالة (محافظ المحافظة) او الحاكم العسكري في المناطق التي تخضع للحكم العسكري المباشر .

وقد انـذر هذا القانون - الغريب - كل جزائري يقوم بفتح مدرسة عربية بدون ترخيص مسبق بذلك اما بالغرامة واما بالحبس او بهما معا .

اما اذا سمح له بفتح مدرسة عربية فانـه يشترط عليه ما يلي : -

١ - اقتصار التعليم في المدرسة على تحفيظ القرآن الكريم وحده .

٢ - عدم التعرض - باية صورة من الصور - الى تفسير القرآن الكريم وبخاصة الآيات التي تحض على الجهاد في سبيل التحرير وعدم الرضوخ للظلم والاستعباد .

٣ - استبعاد دراسة التاريخ الجزائري والتاريخ العربي والاسلامي من الدراسة وكذلك جغرافية الجزائر وجغرافية سائر الاقطار العربية والاسلامية .

٤ - عدم تدريس الادب العربي بسائر فنونه وعصوره .

وامعانا في سياسة مسخ الجزائر ضربت فرنسا حصارا حولها عزلها عن العالم العربي والاسلامي عزلا كاملا طيلة اكثر من قرن من الزمان - اما التعليم في المدارس الرسمية فقد كان كله باللغة الفرنسية وكان ابناء الجزائر يدرسون جغرافية فرنسا وتاريخها بتفصيل واف وفي نفس الوقت لا يعرفون شيئا عن جغرافية بلادهم سوى انها محافظة او مقاطعة فرنسية - اما التاريخ فكان ابناؤنا يدرسون في حصصه ان اجدادهم هم الغاليون (اجداد فرنسا) .

وهكذا سارت السياسة الاستعمارية في الجزائر على هذا المنوال : وفي عام ١٩٣٠ اقامت فرنسا احتفالات صاخبة دامت لمدة شهرين وذلك بمناسبة مرور قرن على احتلالها للجزائر .

وقد اتخذت فرنسا من هذه الاحتفالات فرصة لاهانة الجزائريين والمس بعواطفهم الدينية حيث ترددت في خطب الرسميين الفرنسيين في هذه الاحتفالات - عبارات القضاء على الاسلام نهائيا في الجزائر والقضاء على العروبة قضاء ابديا الى آخر ما تبجح به الخطباء الفرنسيون في هذه الاحتفالات الصاخبة .

ظهور ابن باديس على مسرح الاحداث بالجزائر

وَسَطَ هذا الظلام الحالك والجو الاستعماري المحموم ضد العروبة والاسلام في الجزائر ، ظهر الامام ابن باديس في مطلع هذا القرن كالامل المرتجى لشعب يبحث له عن مخرج من هذا الظلام الشامل . وبدا في نشر دعوته عن طريق المدارس والنوادي ، ودروس الحضارة الاسلامية وتفسير القرآن الكريم والحديث الشريف التي كان يلقيها على طلابه ورواده في مدينة قسنطينة مسقط راسه .

وبعد نهاية الحرب العالمية الاولى اتخذ خطوة جديدة لنشر دعوته العربية الاسلامية التي تندرج تحت دائرة حركة التجديد الاسلامي التي بداها في الشرق الاسلامي « جمال الدين الافغاني » « ومحمد بن عبد الوهاب » « ومحمد عبده » وغيرهم من رواد هذه الحركة الانبعاثية « في العالمين الاسلامي والعربي » .

وكان ابن باديس يخفي اهدافه السياسية لتحرير الجزائر تحت ستار الحركة الدينية كي يتجنب مكائد الاستعمار وبطشه الشديد . وتتمثل هذه الخطوة الجديدة في الصحافة العربية التي كونها بعد الحرب العالمية الاولى حيث انشا جريدة المنتقد في عام ١٩٥٢ - ونظرا لشدة لهجتها وجراة دعوتها لمقاومة الاستعمار وعملائه اغلقتها الادارة الاستعمارية بعد صدور اعداد قليلة فقط منها . وبعد ذلك انشا مجلة الشهاب في نفس العام وكانت جريدة اسبوعية في أول الامر ثم تحولت في عام ١٩٢٧ الى مجلة شهرية - وقد استمرت في الصدور حتى قرب نشوب الحرب العالمية الثانية في عام ١٩٣٩ حيث اوقفها الفقيد من تلقاء نفسه حتى لا تضطره الادارة الاستعمارية الى نشر اشياء لا تتفق مع مبادئه الاسلامية والثورية .

وكانت مجلة الشهاب تعتبر مجلة كامل اقطار المغرب العربي ، فقد عملت على ربط الراى العام في الجزائر بالراى العام في كل من تونس والمغرب من جهة .. ومصر وكل الاقطار العربية الاخرى

التي حاول الاستعمار ان يفصله عنها من جهة اخرى لهذا كانت دعوة ابن باديس وكانت سياسته في المجال القومي هما اللذين انقذا الجزائر من سياسة الفرنسة والتجنيس اللذين كانت الادارة الاستعمارية تسعى بكل جهودها لفرضهما على الشعب الجزائري خصوصا قبل الحرب العالمية الثانية .

يقول ابن باديس في الرد على احد دعاة سياسة التجنيس في عام ١٩٣٧ الذي كتب مقالا في جريدة فرنسية بعنوان « انا فرنسا » انكر فيه وجود الامة الجزائرية العربية المسلمة والقومية العربية في الجزائر ، وقد حدد ابن باديس في هذا المقال الهام الذي اثار ضجة كبرى في ذلك الحين في الصحافة الفرنسية التي تصدر بالجزائر وبفرنسا وكذلك في الدوائر العليا الفرنسية ، حدد مفهوم الوطنية الجزائرية وخصائص الامة الجزائرية تحديدا واضحا قاطعا ، وهاجم بكل عنف كل من يدعو ضد اتجاه التاريخ والمنطق . يقول ابن باديس في هذا المقال الذي نشره في مجلة الشهاب (عدد نوفمبر سنة ١٩٣٧) (١) تحت عنوان .

كلمة صريحة

« قال البعض من النواب المحليين ومن الاعيان ومن كبار الموظفين بهذه البلاد (الجزائر) .. ان الامة الاسلامية الجزائرية مجمعة على اعتبار نفسها أمة فرنسية بحتة لا وطن لها الا الوطن الفرنسي ، ولا غاية لها الا الاندماج الفعلي التام في فرنسا ، ولا أمل لها في تحقيق هذه الرغبة الا بان تمد لها فرنسا يدها بكل سرعة ، فتلغي جميع ما يحول دون تحقيق هذا الاندماج التام ، بل قال احد النواب النابهين انه فتش عن القومية الجزائرية في بطون التاريخ فلم يجد لها من اثر ، وفتش عنها في الحالة الحاضرة فلم يعثر لها على خبر ، واخيرا اشرقت عليه انوار التجلي فاذا به يصبح « فرنسا هي انا » . حقا ان كل شيء يرتقي في هذا العالم ويتطور !!

وبعد هذا يبدأ ابن باديس في تفنيد هذه الدعوى المهلهلة فيقول :

« انا نحن فتشنا في صحف التاريخ وفتشنا في الحالة الحاضرة فوجدنا الامة الجزائرية المسلمة متكونة موجودة كما تكونت ووجدت كل امم الدنيا ولهذه الامة تاريخها الحافل بجلائل الاعمال ، ولها وحدتها الدينية واللغوية ، ولها ثقافتها الخاصة وعوائدها واخلاقها بما فيها من حسن وقبيح شأن كل امة في الدنيا .

ثم ان هذه الامة الجزائرية الاسلامية ليست هي فرنسا ، ولا يمكن ان تكون فرنسا ، ولا تريد ان تصير فرنسا ، ولا تستطيع ان تصير فرنسا ، ولو ارادت ، بل هي امة بعيدة من فرنسا كل البعد ، في لغتها ، وفي اخلاقها ، وفي عنصرها ، وفي دينها ، لا تريد أن تندمج . ولها وطن محدود معين هو الوطن الجزائري بحدوده الحالية المعروفة .

فابن باديس هنا حدد بدقة وفي عبارات قاطعة خصائص الشعب الجزائري ومقوماته الاساسية التي هي العروبة والاسلام ، ورسم الطريق واضحا لكل من يريد ان يخدم بلاده ، ويساهم في حركتها الوطنية وجهادها المقدس من أجل الحرية والاستقلال التام .

والواقع ان الذي يطلع على كتابات الامام ابن باديس المجموعة في هذا الكتاب القيم الذي نقدمه للقراء اليوم يجد ان هذا الرجل العظيم كان بالرصاد لكل بادرة تبدر من الادارة الاستعمارية او احد عملائها الظاهرين او المستترين ضد عروبة الجزائر او اسلامها ، الا ويقوم بتنفيذها ومقاومتها بكل قوة وبدون هوادة ، لا يخاف ولا يرهب ولا يبالىء اي شخص مهما كان مركزه ومهما كانت القوة التي تسنده ..

في شهر يناير سنة ١٩٣٧ القى محاضرة في اعضاء جمعية التربية والتعليم بمدينة قسنطينة تحت عنوان :

لمن اعيش ؟

نقتطف منها الفقرات التالية التي توضح للقارىء ايمان هذا الرجل العظيم بالاسلام وعمق وطنيته واخلاصه في خدمة الجزائر العربية وكل

---

(١) كتاب آثار ابن باديس جـ ٣ ص ٢٠٧

اقطار العروبة الاخرى . قال مجيبا عن سؤاله الذي بدا به المحاضرة : ـ

« انى أعيش للاسلام والجزائر » . ثم قال : قد يقول قائل ان هذا ضيق في النظر وتعصب للنفس وقصور في العمل وتقصير في النفع ، فليس الاسلام وحده دينا للبشرية » ولا الجزائر وحدها هي وطن الانسان ، ولاوطان الانسانية كلها حق على كل واحد من ابناء الانسانية ولكل دين من اديانها حقه في الاحترام .

فاقول نعم .. ان خدمة الانسانية في جميع شعوبها والحدب عليها في جميع أوطانها واحترامها في جميع مظاهر تفكيرها ونزعاتها هو ما تقصده ونرمى اليه ونعمل على تربيتنا وتربية من الينا عليه ولكن هذه الدائرة الانسانية الواسعة ليس من السهل التوصل الى خدمتها مباشرة ونقلها دون واسطة ، فوجب التفكير في الوسائل الموصلة الى تحقيق هذه الخدمة وايصال هذا النفع .. فاذا عشت فاني اعيش للانسانية لخيرها وسعادتها في جميع اجناسها واوطانها ، وفي جميع مظاهر عاطفتها وتفكيرها ، وما كنا لنكون هكذا الا بالاسلام الذى ندين به ونعيش له ونعمل من اجله فهذا هو معنى قولى أننى اعيش للاسلام » .

اما الجزائر

فهي وطنى الخاص الذى تربطني بأهله روابط من الماضي والحاضر والمستقبل بوجه خاص ، وتفرض علي تلك الروابط لاجله كجزء منه فروضا خاصة وانا اشعر بأن كل مقوماتى الشخصية مستمدة منه مباشرة ، فارى من الواجب ان تكون خدماتى أول ما تتصل بشيء تتصل به مباشرة . وكما اننى كلما اردت أن اعمل عملا وجدتنى في حاجة اليه ، الى رجاله ، والى ماله ، والى حاله ، والى آلامه ، والى آماله ، كذلك أجدنى اذا عملت خدمت بعملى ناحية او اكثر مما كنت في حاجة اليه وهكذا . هذا الاتصال المباشر اجده بينى وبين وطنى الخاص في كل حال ، وفى جميع الاعمال ، واحسب ان كل ابن وطن يعمل لوطنه لا بد ان يجد نفسه مع وطنه الخاص في مثل هذه المباشرة وهذا الاتصال .

نعم .. ان لنا وراء هذا الوطن الخاص اوطانا اخرى عزيزة علينا هى دائما منا على بال ، ونحن فيما نعمل لوطننا الخاص نعتقد انه لا بد ان نكون قد خدمناها واوصلنا اليها النفع والخير من طريق خدمتنا لوطننا الخاص .

واقرب هذه الاوطان الينا هو المغرب الادنى (تونس) والمغرب الاقصى (مراكش) اللذان ماهما والمغرب الاوسط (الجزائر) الا وطن واحد لغة وعقيدة ، وآدابا ، واخلاقا ، وتاريخا ، ومصلحة ، ثم الوطن العربي والاسلامي ثم وطن الانسانية العام ولن نستطيع ان نؤدى خدمة مثمرة لشيء من هذه كلها الا اذا خدمنا الجزائر » .

ثم يوضح فلسفته من وراء خدمة وطنه الخاص (الجزائر) فيقول : فنحن اذا كنا نخدم الجزائر فلسنا نخدمها على حساب غيرها ولا للاضرار بسواها ـ معاذ الله ـ ولكن لننفعها وننفع ما اتصل بها من اوطان ، الاقرب فالاقرب ، وهذا هو مرادى بقولى « انى أعيش للجزائر » .

وهكذا يتضح للقارىء ان عبد الحميد بن باديس كان واسع الافق الى حد بعيد بحيث شملت فلسفته خدمة الانسانية كلها عن طريق خدمة وطنه الخاص لان الذى لا ينجح في خدمة وطنه الخاص ليس صالحا في شيء لخدمة الوطن الانسانى الاكبر .

وبعد ..

لا نريد ان نكثر على القارىء في نقل النصوص التي تدل على عمق نظرة ابن باديس الفلسفية او على خدماته الجليلة التي اداها لعروبة الجزائر واسلامها في مدى ثلاثين عاما متواصلة بل لعروبة كافة اقطار المغرب العربى التى وحدت بينها المصائب والالام التى جاءتها من الاستعمار الفرنسي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر والنصف الاول من القرن العشرين . ■■

تركى رابح

ملاحظة : ظهر كتاب آثار ابن باديس ، طبع في دمشق ، وهو يحتوى على المقالات والاخبار التي نشرها ابن باديس المدرس بجامعة الجزائر . وقد جمعها الاستاذ عمار الطالبي في حياته .

دُعاءُ الحبّ !..

■ دعاني الحبُّ ، ما للحب يدعوني إلى دُنياه ؟
وقد ودّعتُه بالأمس إثرَ وداعِ من أهواه !
ألم يكفِ الذي لاقيتُ منه ولم أزل ألقاه ؟
شقيتُ العمرَ ، كلَّ العمرِ ، من جرّاء حبّ فتاه !
فكانَ الحبُّ مأساتي ! فكيفَ أجدّدُ المأساه ؟

★ ★ ★

ألا لا تدعُني يا حُبُّ لن أرضى بكَ الآنا !
لكم لبّيتُ أمسِ دُعاءكَ المحبوبَ فرحانا !
هُناكَ على رُبى بلدي أذوقُ الحبَّ ألوانا !
أنا وفتاةُ أحلامي نذوبُ هوىً وترعانا !
هُناكَ هُناكَ إن عُدنا غداً ياحُبُّ تلقانا !

★ ★ ★

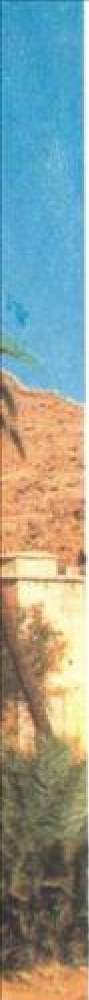
أحُبٌّ بعدَ ما ضاعت بلادُ الحُبِّ والسِّحرِ ؟
وعاثَ عدوّيَ الغدّارُ في أرضي وفي قصري ؟
أحُبٌّ ؟ أيُّ حُبٍّ ؟ أيُّ خِزيٍ بعدُ ؟ لا أدري !
حرامٌ بعدَها حُبٌّ ، حرامٌ بعدَها عُمري !
ولن أرضى بغيرِ تُرابِها أن يحفُروا قبري !

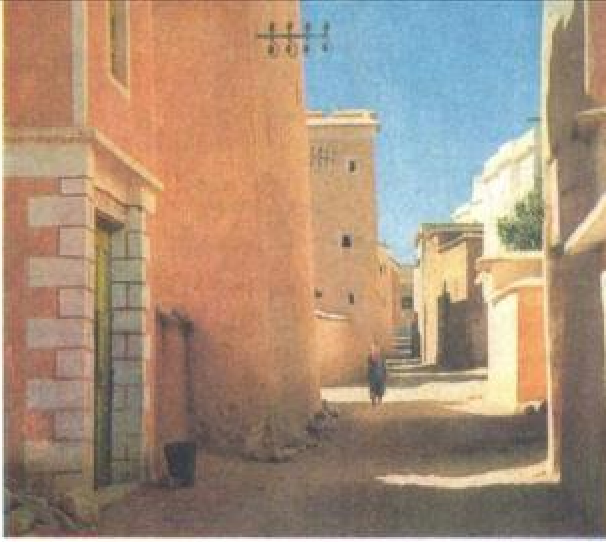
★ ★ ★

ألا لا حُبَّ لا أفراحَ لا آمالَ تُسعدُني !
إذا ما ظلَّ ذاكَ الغاصبُ المحتلُّ في وطني !
وإني إن نسيتُ الثأرَ ممّن كانَ شرّدني ،
ولم أرجع إليكِ وأستردّ حماكِ يا مُدُني ،
ألا لا فارقتني لعنةُ التاريخِ والزّمنِ ! ■■

الكويت

احمد غازي النمري





الى اليسار : الشارع الرئيسي في تافراوت ، تلك البلدة التي أصبحت سجنا كبيرا للنساء في المغرب الجنوبي !!

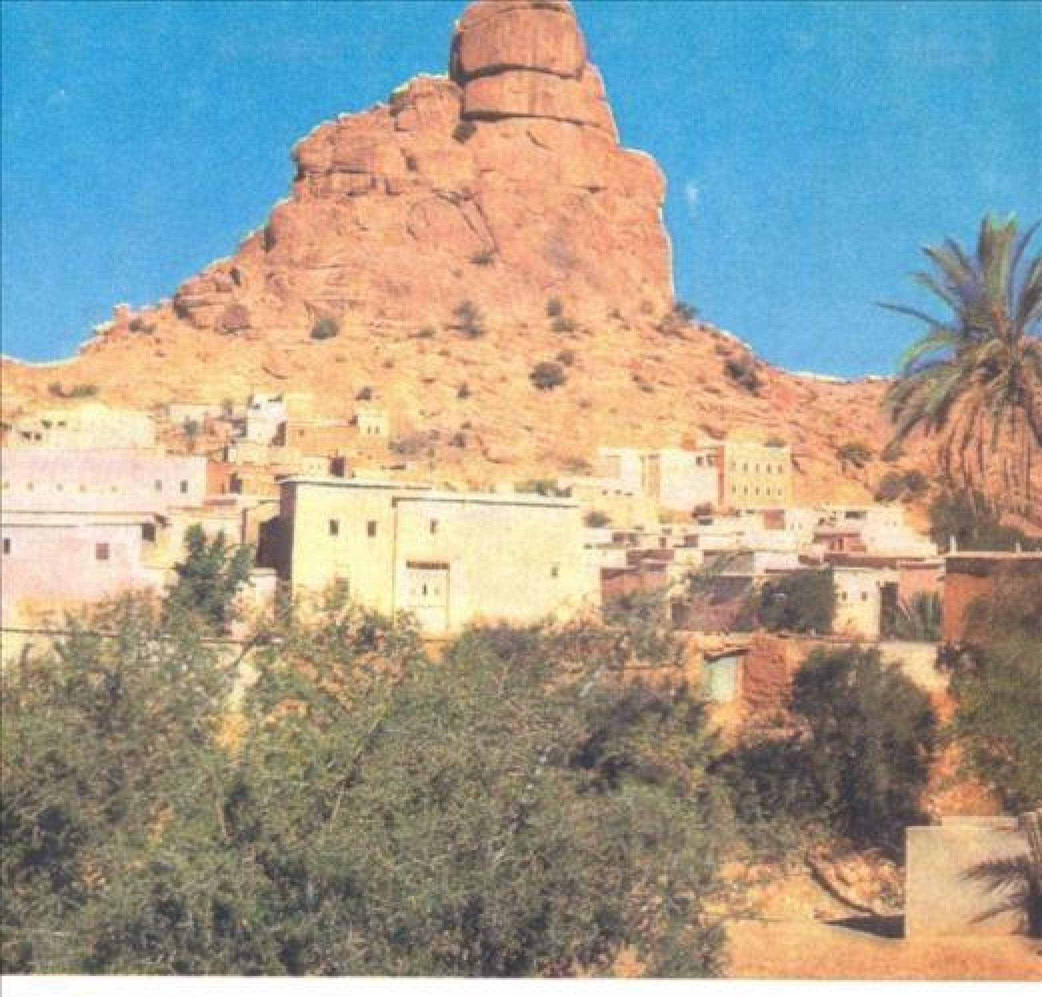
اعرف وطنك أيها العربي

تافراوت

سجنُ النِّسَاء الكبير

تصوير : أوسكار متري







تحت ظلال جبل « اجردوداد » اى الاصبع : ترتفع المبانى الوردية اللون لتافراوت

الى اليمين : الحاج عبد الله بن صالح بن حاج محمد ، شيخ تافراوت ، جالسا في صالون منزله يحتسى الاتاى بالنعناع ، وامامه اللوز المحمص وفطائر اللوز الشهية !

الى اليسار : الطبل والرقص لقتل الملل في الفندق المزدحم الجميل

■ تركنا الدار البيضاء عروس مدن المغرب العربي .. واتجهنا جنوبا على الطريق الساحلي المتعرج : مياه المحيط الاطلسي على يميننا .. وجبال أطلس على يسارنا .. السيارة تندفع جنوبا .. المدن والقرى تتلاحق امامنا .. واخيرا وصلنا الى « تيزينت » آخر المدن في جنوب المغرب .. (انظر الخريطة) ومن تيزينت اتجهنا الى قلب جبال أطلس ، على طريق معبد تكثر فيه الوديان العميقة ، وبعد مسيرة مائة كيلو متر ، وجدنا انفسنا قد انتقلنا الى عالم آخر .. الأحجار الهائلة الصماء تحيط بجانبي الطريق .. أحجار ملساء صاغتها الطبيعة على أجمل صورة .. تنظر اليها فتخالها توشك على السقوط .. ولكنها تحفظ توازنها بصورة عجيبة ، على نقطة ارتكاز ضيقة صغيرة ، ليس هذا فحسب وانما فوق هذه الأحجار الهائلة الملساء شيد الأهالي منازلهم وزرعوا أشجار اللوز والاركان والنخيل على ارتفاع ١٥٠٠ متر فوق سطح البحر .

تافراوت .. وشبام !

وظلت السيارة تسير بنا وسط هذا المنظر الحالم حتى وصلنا الى قلب مدينة تافراوت ، فرحنا نتجول على طرقها الرملية ونتطلع الى منازلها العالية ذات النوافذ الضيقة ، فخلنا انفسنا نسير في مدينة شبام على حدود الربع الخالي بالجزيرة العربية (انظر استطلاع العدد رقم ٨٥) ولكننا هنا لم نشهد اثرا لحياة ، انما سكون وهدوء .. مع احساس غريب .. احساس بان عشرات العيون مسلطة علينا ترانا ولا نراها .. نحاول رؤيتها فلا ننجح الا في سماع حفيف ملابس ، أو انغلاق متراس باب علاه الصدأ .

غرفة لستة اشخاص

ولم نمكث طويلا في المدينة ، وانما انتقلنا الى « فندق الجنوب الكبير » الذي اقامته وزارة السياحة المغربية في تلك المدينة النائية .. انه فندق مشيد على الطراز الحديث ، ولكن نظامه يخضع لترتيب عجيب !! فالى جانب الغرف الخاصة بشخص او شخصين توجد غرفة لستة اشخاص تؤجر لهم بعشرين درهما مغربيا ، اى بدينار ونصف فقط!!.. وهذه الغرف يستأجرها

(بقية المقال على صفحة ١١٥)



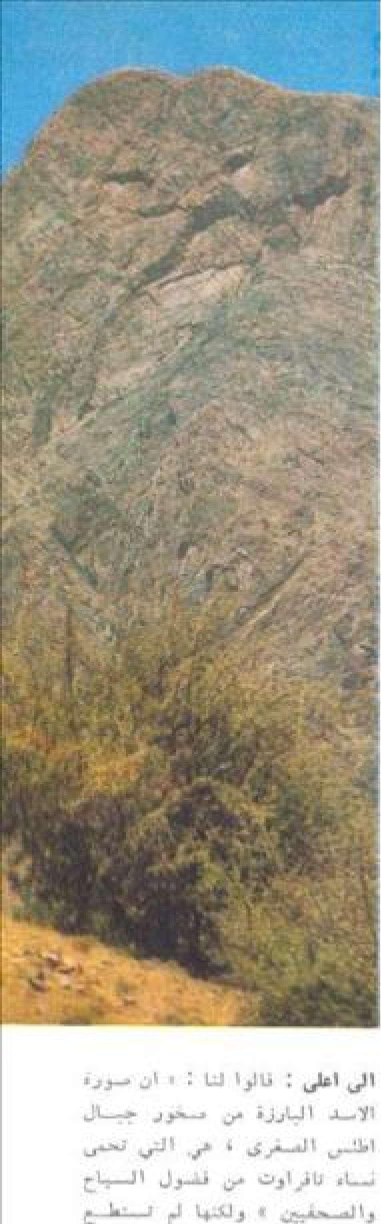


خريطة تبين موقع مدينة تافراوت في أقصى الجنوب الغربي من المغرب .. انها تقبع في هدوء وسكون ، على ارتفاع ١٥٠٠ متر فوق سلسلة جبال أطلس الصغرى .. والجزء الاسود في الخريطة اليسرى يظهر مكبرا في الخريطة اليمنى .



النخيل المثمر في تافراوت على ارتفاع ١٥٠٠ متر .. ولكن معظم تموره جافة لاختلاف درجات الحرارة بين الشتاء والصيف ، من خمسة تحت الصفر الى ٤٠ فوق الصفر .. لذا توقف اهل تافراوت عن زراعة النخيل واستبدلوا به اشجار اللوز .. **والى اسفل ،** صورة بعض منازل تافراوت وقد بنيت على صخور الجبل .





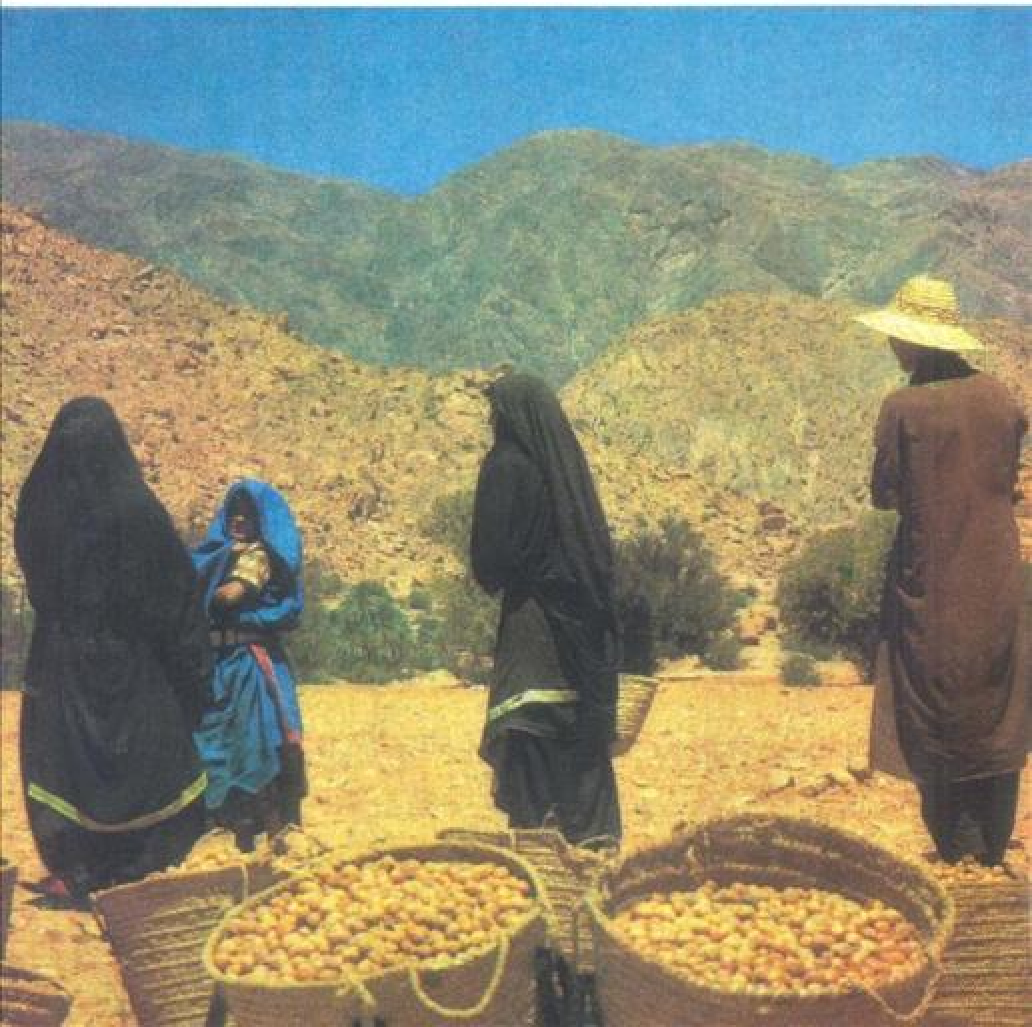
الى اعلى : قالوا لنا : « ان صورة الاسد البارزة من صخور جبال اطلس الصغرى ، هي التي تحمي نساء تافراوت من فضول السياح والصحفيين » ولكنها لم تستطع حماية هذه المرأة **الظاهرة في الصورة اليمنى** من عدسة مصورنا .. لقد غطت المسكينة وجهها وظنت ان هذا سيخفيها عن اعيننا، فتذكرنا قصة النعامة التي دفنت رأسها الصغير في الرمال !! ؟





الى اليسار : في مشغل صناعة السجاد تقوم فتيات تافراوت بصناعة السجاد ذي الالوان المتعددة .. انها الصناعة الوحيدة في البلدة ..

الى اسفل : وقفت النساء تحت صورة الاسد بجوار السلال التي امتلأت بحب « الاركان » المشابه للزيتون ، انهن يجمعنه ويستخرجن منه الزيت المليء بالفيتامينات ، على حد قولهم !!





هكذا يجلس الشيخ احمد بن ادريس ممسكا بالعصا التى تظلها من شجرة اللوز ، وهو يلقن الاطفال مبادىء الدين الحنيف وحفظ القرآن في الكتّاب الوحيد بتافراوت .. انه يعلم الاطفال مجانا ليكتسب زيادة اجر في الآخرة ، كما قال لنا .

الى اسفل : تحول وادى اميلن من جنة زراعية الى غابة ، تنبت فيها الاشجار تلقائيا .. لقد هجر المزارعون أرضهم واتجهوا للمدينة .. وهؤلاء بعضهم عادوا الى واديهم ولكن للزيارة فقط ، لا للعمل فيه !



السياح الذين يأتون في مجموعات ، والغريب في هذا الفندق ـ الوحيد في تافراوت ـ ان كل غرفة وعددها ٦٣ غرفة تضم مائة سرير ، محجوزة لمدة عام ونصف مقدما .. وفي ايام الربيع ينام السياح في الردهات وقاعات الطعام لعدم وجود أماكن لايوائهم !

الكهرباء والماء

وتعجبنا لهذا الاقبال الزائد على زيارة مدينة تافراوت المجهولة النائية .. وقلنا لا بد أن هناك سرا يجذبهم اليها .. ونزلنا في الليل محاولين استكشاف خباياها ، فوجدناها غارقة في ظلام دامس ، ان نقص الكهرباء والماء هما المشكلتان الرئيسيتان في المدينة !! فأين يذهب السائحون وماذا يفعلون ؟

وعدنا الى الفندق لنجده يسبح في الأنوار المنطلقة من مولدات كهربائية خاصة ، ودقات الطبول تتعالى منه ، انها فرقة الرقص الشعبي تؤدي رقصاتها لتقتل الملل الذي يشعر به السائح في الليل ..

« ترسانة » من العقود والتمائم !

وانطلقنا في الصباح الباكر نجوب الشوارع الرملية للمدينة .. المرأة في كل مكان ملتحفة بالملاءة السوداء او الزرقاء ذات الشريط الأصفر .. وما تكاد الواحدة تمر بنا حتى تدير وجهها وتخفيه بالحجاب . ولكنها لا تفعل ذلك بسرعة ، وهذا يتيح الفرصة لرؤية « ترسانة » من العقود والأحجبة والتمائم النحاسية والفضية تزين بها جيدها وصدرها ..

وعلى طول الطريق تصادفك المرأة دائما .. تجدها وسط أغصان شجرة اللوز تجمع ثمارها

قبعة نابليون ! هو اسم هذا الجبل لان تكوين أحجاره يقارب رسم قبعة هذا القائد !



شيد رجال تافراوت هذه « الحصون » لتعيش فيها زوجاتهم وأطفالهم ، بينما هم يعملون بعيدا في الدار البيضاء !



.. وتجدها تدفع الحمار المحمل بعيدان الذرة .. وتجدها تحمل جرة المياه تعبئها من الآبار وتحملها الى منزلها ..

ودهشنا لرؤية هذه الأعداد الكبيرة من النساء دون الرجال .. ولم نجد احدا يجيبنا على اسئلتنا حتى تقابلنا مع شيخ تافراوت الحاج عبد الله الذى انطلق يحدثنا عن مدينته الغريبة قال :

« تافراوت مدينة الموسيقى الصامتة .. اننا نعيش في هدوء بعيدا عن صخب الحياة .. اننا أناس اقتصاديون نبنى منازلنا فوق الصخور ، لأن أرضنا الطيبة قليلة المساحة ، لهذا ترانا نستغل كل شبر منها ولا نفرط فيه .

« اننا نرتفع ١٥٠٠ متر عن سطح البحر ، ومع ذلك كنا نزرع النخيل ، الذى لم يكن يعطينا تمرا الا بعد عشرين عاما من زرعه ، في حين أنه يعطى تمرا بعد اربع سنوات في المناطق الأخرى ، لهذا أوقفنا غرسه وزرعنا بدله أشجار اللوز » .

أين الرجال ؟

وسألنا : « أين رجال تافراوت ؟ » .

فاجابنا :« ان رجال تافراوت يهجرون مدينتهم للعمل في الخارج لأن دخلهم من الزراعة هنا لا يوازى تعبهم ، لهذا انخفض عدد السكان الى ١٤٠٠ نسمة فقط يعيشون فى ١٦٠ مسكنا .. ان مدينتنا هى مدينة الأطفال والنساء . الرجال يذهبون الى البيضاء للعمل هناك ، والنساء يمكثن هنا في المنازل .. أى أن كل شخص عنده منزلان ، وهذا يتطلب مصروفا زائدا .

« ان ابن تافراوت يصرف مائة درهم عندما يربح خمسمائة درهم ، بعكس ابن الشمال الذى يصرف ٧٥٠ درهما عندما يربح ٥٠٠ درهم .. لهذا نحن أحسن حالا من غيرنا ومنازلنا « مزيانة بالزاف » اى جميلة جدا !!

أسد فى الصخر !

وسألنا : من الذى يحمى النساء في اثناء غياب ازواجهن ؟



اشتقت مدينة تافراوت اسمها من اسم قبيلة تعيش في المنطقة .. لقد شيد الآباء منازلهم المائة والستين على صخور وادى تافراوت تاركين الوادى الضيق للزراعة .. ومما لا شك فيه أن منظر منازل تافراوت وأحجار الصوان الكبيرة الملساء يعد من أغرب المناظر الطبيعية في وطننا العربى .. ولكن الاغرب من هذا كله هو حياة سكان هذا البلد النائى !




هذه هى الحالة المؤسفة للمراة في تافراوت .. تعمل في الحقل ، وتتسلق أشجار اللوز تجمع حباته .. وتعيش حبيسة سواد دائم قاتم .. بينما شقيقتها في الدار البيضاء وأغادير والرباط . تعيش عيشة كلها حرية ورفاهية !

فجاءنا الرد غريبا: « الأسد هو الذى يحميهم».

وتعجبنا من الرد .. وتساءلنا : « وأين ذلك الأسد ؟ » .

فقالوا : « انه هناك .. فوق الجبل .. » ونظرنا فلم نر شيئا .. فقالوا : « لا يمكنكم أن تشاهدوه الا ظهرا .. انه يظهر واضحا جليا .. وتستطيعون أن تلتقطوا له صورا طيبة ، وأنتم عند السفح .. »

وجاءت الظهيرة ولكننا لم نر أسدا ولا حتى كلبا .. وكررنا السؤال ، فقالوا : « انه أمامكم انظروا جيدا الى صخور الجبل » . وعندما تأملنا الصخور جيدا وجدنا رسما واضحا لوجه أسد فوق الجبل ..

ان أشعة الشمس تتلاعب بظلال الصخورفترسم هذه الصورة التى تتلاشى تدريجيا كلما مالت الشمس الى الغروب .. وليس الأسد هو التمثال الطبيعى الوحيد في جبال تافراوت ، وانما هناك صخور تعكس شكل قبعة نابليون ، وأخرى تعكس رسم سمكة .. وهكذا .

كتاتيب

والى جانب النساء يعيش الأطفال في تافراوت .. انهم يتلقون علومهم على يدى شيخ القرية الذى يتفق الأهالى معه على الصلاة في الجامع ، فيقوم الى جانب عمله هذا بتعليم الأطفال ليكتسب زيادة أجر .. وعندما يشب الطفل يرسل ليكمل تعليمه في المعهد الاسلامى في سيدى بيبى أو في معهد محمد الخامس في بلدة تارودانت !

الفلاح يهجر أرضه

وقالوا لنا : لا يمكن أن تصلوا الى تافراوت دون مشاهدة وادى آميلن . انه الجنة على الأرض ،

والزراعةفيه مزدهرةوالمياه فيهمتدفقة بغزارة ..

وقررنا الذهاب الى وادى أميلن القريب .. الطريق وعر للغاية لاتسلكه الا سيارات اللاندروفر .. ووصلنا الى وادى أميلن .. خضرة على امتداد البصر .. ومياه تتدفق بغزارة .. ولكن اين المزارع ؟ أين الفلاح ؟ انك لا تجد له أثرا .. لقد جذبت أضواء المدينة الفلاح وانتزعته من أرضه ، فاصبح عاملا في مطعم أو مقهى ، تاركا أرضه الطيبة « للخماس » أى المزارع الغريب الذى يأتى من « طاطا » و « ايغرام » وهما قريتان مجاورتان .. ويأتى المزارع وادى أميلن مع عائلته يحرث ويزرع ويحصد ويأكل ويأخذ مقدار الخمس من المحصول ويعطى الأربعة الاخماس لصاحب الارض.

وأغلب هؤلاء الخماسين رجال بلغوا مرحلة الشيخوخة ، لهذا تجد أن خدمتهم للارض ضعيفة للغاية ، أى شبه معدومة ، وهكذا تحولت المزارع الطيبة في وادى أميلن الى غابات تتعانق فيها اغصان أشجار الاركان والخروب مع اللوز والزيتون والنخيل .

.. لا يوجد أحد !!

واتجهنا الى وزارة الفلاحة نسأل عن المشاريع المزمع تنفيذها في وادى أميلن لاعادة سابق مجده اليه ، فكان الرد : « ان وزارة الزراعة تبذل كل ما في وسعها لتطوير هذا الوادى الخصب ، ولكن مندوبينا يعودون دائما دون أية نتيجة لأنهم لا يجدون من يتحدثون اليه .. الرجال غائبون .. والنساء يهربن بمجرد رؤيتهن للرجل .. والاطفال لا يعلمون أى شيء عن أرض آبائهم. .انها مشكلتنا الكبرى في هذا الوادى المهجور !! » .

ابن بطوطة لم ير تافرآوت !

وتركنا الوادى ونحن نتحسر عليه ، وتذكرنا الوادى السعيدفي مكناس، الذى تحول الى الوادى التعس بسبب الاهمال الذى يعانيه ..

وعدنا الى تافراوت .. وسألنا عن تاريخ المدينة فلم يعطنا أحدهم جوابا .. وراجعنا كتب الرحالة المغاربة من ابن بطوطة حتى التيجانى فلم نجد لها أى ذكر ..

السجن الكبير ..

وتجولنا في شوارع المدينة مرة اخيرة فشعرنا ان التاريخ لم يتحرك في هذا البلد ، انها من البلاد القليلة التى ما زالت فيها أنانية الرجل هى القانون .. انه يحبس زوجته وراء جدار عال من الاحجار ، فتجلس وحيدة في هذا السجن الكبير ، بينما شقيقتها المغربية تحيا على مسافة ١٥٠ كيلو متر منها حياة بها كثير من رفه الحياة والحرية ..

مع الرجال في الدار البيضاء !

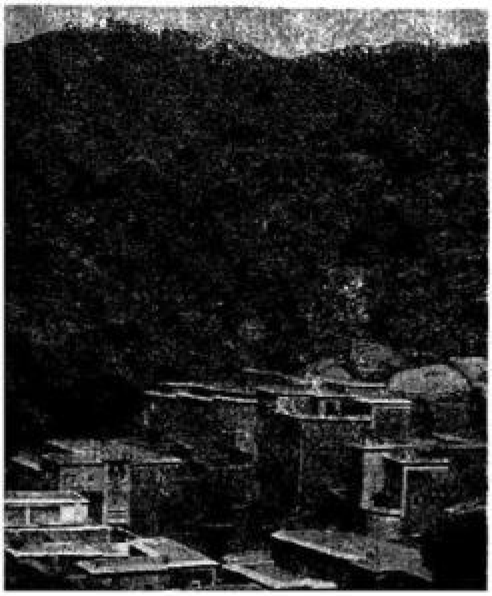
واردنا أن نعرف كيف يعيش الرجال في الدار البيضاء بعيدا عن زوجاتهم، وكيف حال تجارتهم، وهل حقيقة أن البقالة هى مهنتهم الأولى ؟

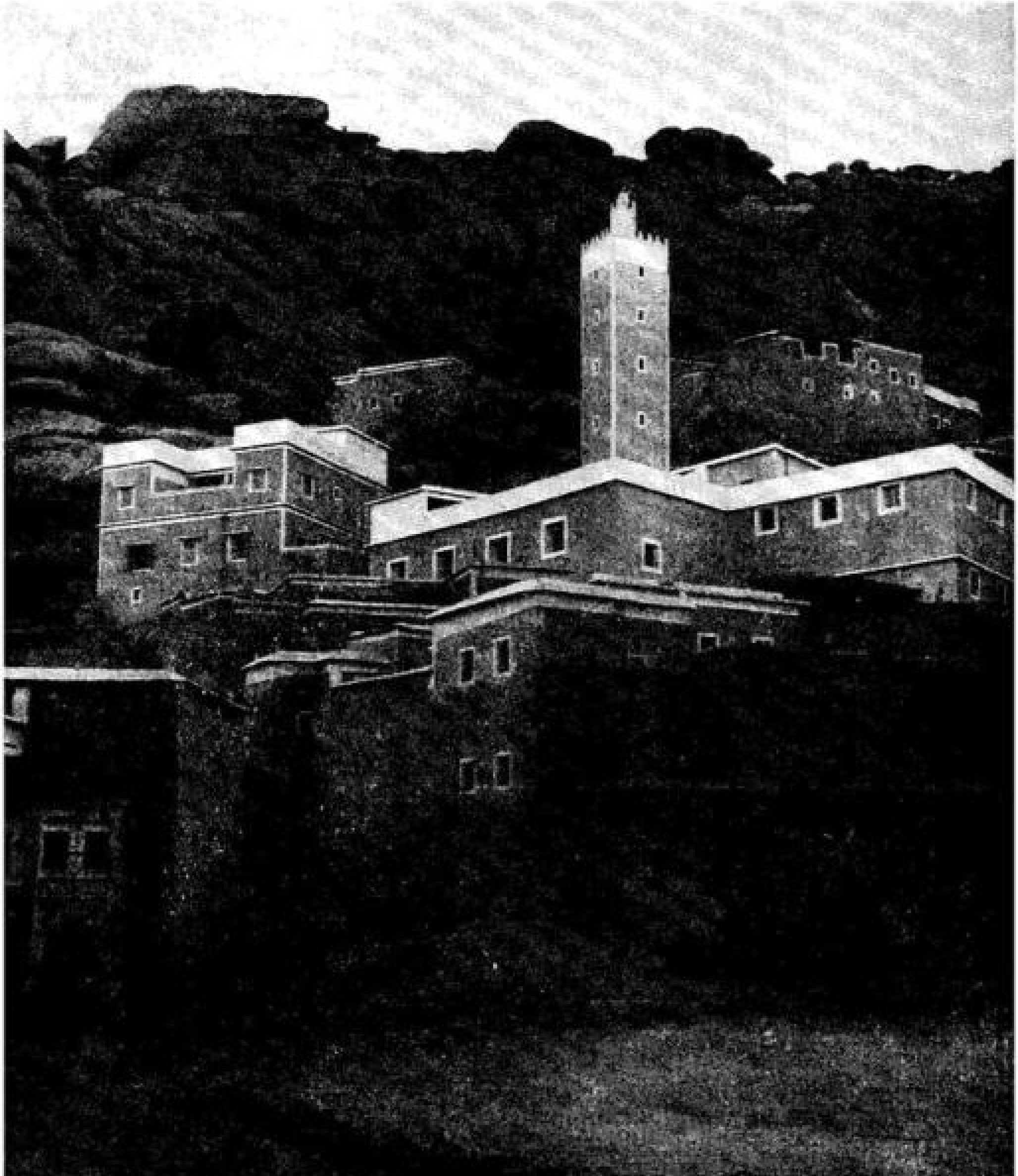
وكانت مقابلتنا مع أول رجال تافرآوت فيالدار البيضاء كافية لأن توقفنا عن متابعة بحثنا في نوع العمل الذى يزاوله بعض رجال تافرآوت في الدار البيضاء ؟!

عـزلة !؟

وبعد ،

هذه منطقة نائية من وطننا العربى الكبير .. لقد اعتدنا ان نقدم لك ايها القارىء مدنا كبيرة نعرفك بها ، وننقلك اليها ، وكأن وطننا العربى ليس فيه غير هذه المدن والعواصم .. ولكن ما أكثر المناطق المجهولة المنسية التى تعيش اليوم في معزل عن الحياة .





الى اليمين : في عام ١٩٦٠ بدأ بناء تافراوت جديدة بالقرب من البلدة القديمة .. وقد استعمل الحديد والاسمنت لاول مرة بدلا من جذوع النخيل والطين .. ان تافراوت الجديدة تضم السوق والفندق والمستشفى ومركز الشرطة والمتاجر ، بينما اقتصرت مهمة البلدة القديمة على سكنى النساء والاطفال .. ومن وسط هذه المنازل ترتفع صومعة الجامع الوحيد في البلدة ـ الصورة العليا ـ وامام هذا الجامع هو في نفس الوقت معلم الاطفال الذين يدرسون في الكتاب حتى سن ٦ سنوات ■■

أمراض شائعة



غازات البطون

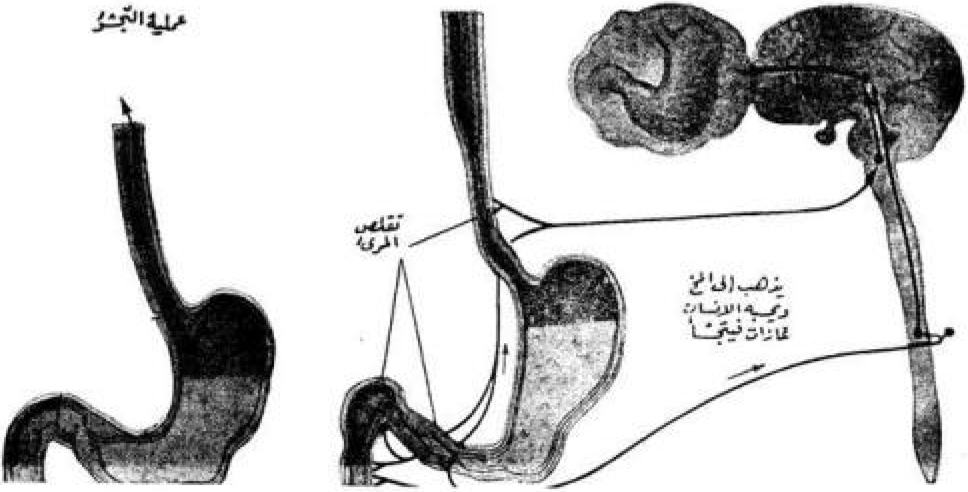
أسبابها وعلاجها

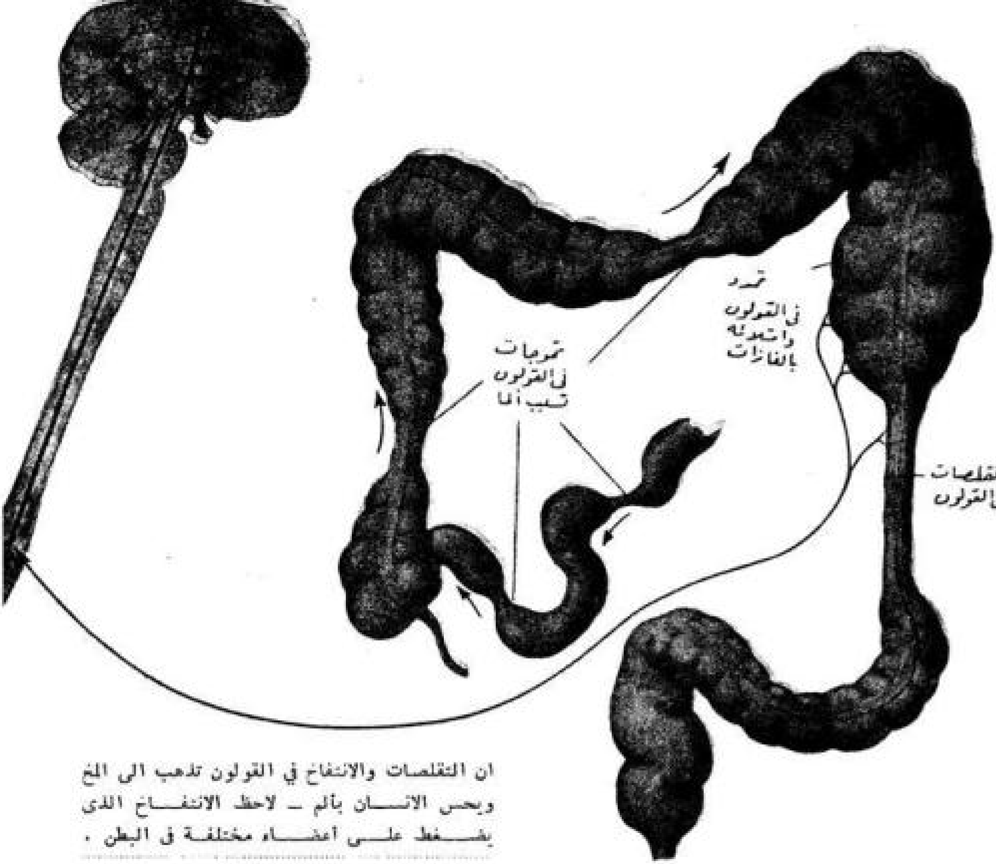
بقلم : الدكتور محمد ابو شوك

■ لعلي لا أكون مبالغا اذا قلت انه ما من أحد الا وتعرض لهذه الشكوى يوما من الايام ـ بل لقد قابلت اناسا يشكون مر الشكوى من هذا المرض ، مما ينغص عليهم حياتهم ، ويحيلها الى جحيم لا يطاق ، فترى بعضهم يشكو من كثرة خروج غازات من فمه ، وذاك من الم ومغص متعب في احشائه ، لا ينجيه منه الا خروج بعض الغازات من بطنه . وهذا يستحي أن يجلس مع الناس ، لان امعاءه تفضحه ، فهي تصيح وتزمجر ، وتبعث اصواتا قد يخالها تغطي على ما يسمع من حديث في مجلسه . وكثيرا ما ترك مجلسه ليلبي هذا النداء الفاضح ، ويذهب الى دورة المياه ليتصالح مع امعائه .

فما هي يا ترى قصة هذه الغازات ؟ وكيف تتكون ، وهل من وسيلة لاراحة الذين يعانون منها ؟ .

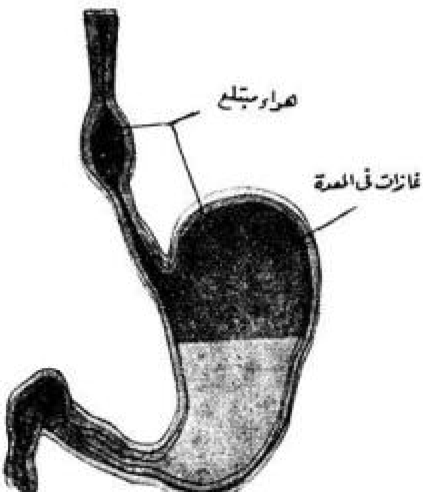
ـ يدخل الهواء الى المعدة اثناء بلع الطعام ، وبعدما يصل الهواء الى المعدة ، ويستقر بها ،





ان التقلصات والانتفاخ في القولون تذهب الى المخ ويحس الانسان بألم ـ لاحظ الانتفاخ الذى يضغط على أعضاء مختلفة في البطن .

فانه عند انقباضها يخرج جزء منه عن طريق البلعوم الى اعلى ، ويخرج من الفم ، خصوصا عندما تكون فتحة البواب (فتحة المعدة الى الاثنى عشر) مغلقة ، او بها طعام يقف حاجزا ، دون تسرب الهواء من فتحة البواب ، اما اذا كانت المعدة خالية وحدثت عملية الانقباض ، فان الهواء الموجود بالمعدة يندفع نحو الامعاء عن طريق فتحة البواب . وعند وصول هذا الهواء ، الى الامعاء الدقيقة فانه يحدث هذه الاصوات الغريبة في الامعاء ، ويلاحظ ذلك عند خلو المعدة من الطعام وأثناء الجوع . وعندما يصل الغاز الى القولون والمستقيم ، فانه يخرج من فتحة الشرج بسهولة الا انه في بعض الأحيان يحتجز ويبقى لمدة في اجزاء من القولون ، مسببا بعض الانتفاخات المعروفة ،



عملية التجشؤ : لاحظ التقلصات في المرىء يحسبها الانسان غازات فيتجشأ فيخرج بعض الغازات ، ولكنه يبتلع بعد ذلك جزءا كبيرا من الغاز فتمتلىء المعدة وتنتفخ ويخرج بعض الغاز ليذهب الى الامعاء أيضا .

في جهات متعددة من البطن ، ويكون في بعض الاحيان مصحوبا بضغط على اجزاء اخرى من الجسم . وكذلك يكون مصحوبا بآلام ، ومغص متقطع يحدث من آن الى آخر ، ويستريح منه المريض عند خروج هذا الغاز من فتحة الشرج .

على أن الامر ليس مقصورا على الهواء الذى يدخل مع البلع ، فان بعض الغازات واهمها غاز ثانى أوكسيد الكربون ، يتكون في الامعاء الدقيقة حوالي ٣ - ٤ لتر يوميا ، نتيجة للتفاعل الكيمائى بين الحامض الموجود في افراز المعدة والقلويات الموجودة فى عصارات البنكرياس . ويتكون الغاز أيضا من تخمر المواد النشوية ، وتعفن المواد البروتينية . ومعظم هذا الغاز يخرج من فتحة الشرج ، ويكون ذا رائحة كريهة ، على أن الجزء الاكبر يمتص في الدم ويذهب الى الكبد حيث تزال منه المواد المسببة للرائحة الكريهة ، ومن الكبد يذهب بطريق الدم أيضا الى الرئتين ، ويخرج في عملية الزفير مع باقى الهواء الخارج منها .

وترى معى انه اذا سارت عملية دخول الغاز في الجهاز الهضمى بكميات صغيرة ، وخروج هذه الكميات من الجسم سواء عن طريق الشرج ، أو بعملية الامتصاص في الدم ، والخروج عن طريق الرئة ، سارت الامور على ما يرام ، ولم يحس المريض بهذه العملية الدقيقة ، وما يحدث فيها ، شانها في ذلك شان القلب وضرباته ، يدق سبعين دقة في الدقيقة ليل نهار ، دون أن يعى الشخص ما يعمل هذا القلب ، اما اذا اختل الميزان وزاد الداخل من الهواء ، ونقص الخارج منه ، اختل ذلك التوازن الجميل وظهرت علامات ذلك الخلل وكانت الشكوى .

على أنه - قبل أن اخوض في هذا المضمار ، ولخوفي من أن أنسى - ليست كل الاصوات التى تحدث في الامعاء دليل مرض ، ولكنها زيادة غازات خرجت من المعدة الى الامعاء خصوصا عند خلو المعدة من الطعام ، فاذا لم تسبب ألما فلا داعى لصاحبها أن يشكو مر الشكوى ، ويكلف أعصابه الكثير ، لانه يسمع تلك الاصوات ، وليتناساها ولا يطل مدة جوعه ، حتى تزداد تلك الغازات ، بل يحرص على ان يتعاطى الوجبات في أوقاتها .

المعدة

كما أسلفت يحدث بلع للهواء أثناء تناول الطعام ، وهذا يكثر لو تناول الشخص طعامه بسرعة ، لانه بذلك يبتلع كمية كبيرة من الهواء ، ويخرج الانسان بعض الهواء بعد بلعه ، ولكن بعض الاشخاص يصابون بنوبات عصبية لمحاولة اخراج الهواء من المعدة ، وهذا ينتج من اضطرابات في المرىء والمعدة ، مما يسبب انقباضا في جزء من المرىء ، او المعدة ، او الاثنى عشر . وهذا الانقباض عند وصوله الى مراكز المخ يترجم بأن هناك انتفاخا أو احساسا بالم في المرىء او المعدة ، ويظن الشخص انه من الممكن التغلب على ذلك الانتفاخ ، او الالم بطريقة (التجشؤ) ، ولكن عندما يقوم بذلك ، فهو في الحقيقة لا يخرج غازا ، وانما يدخل هواء جديدا بطريقة البلع ، ثم يعاود ذلك مرارا فيخرج جزءا بسيطا من الهواء ، في حين انه يبتلع جزءا أكبر - ويلاحظ ذلك في اولئك المصابين بازدياد في حموضة المعدة ، مع حرقة فى أعلى البطن ، والملاحظ في هؤلاء الاشخاص انهم عندما يقومون بهذه العملية لعدة مرات فان معدتهم تنتفخ ، ولو طرق احدهم بيده أعلى البطن لاحس هذا الغاز الكثير الذى يملأ معدته ، بل انه من الملاحظ في بعض الحالات أيضا ، ان كثيرا من هؤلاء المصابين يحاولون أن يختاروا الوضع الملائم حتى يخرجوا هذا الهواء ، وذلك عندما لا يكون المرىء وفتحة الفؤاد في المستوى الذى يمكنه من خروج هذا الهواء من المعدة ، لذا تراه ينثنى الى الامام ، أو يرقد على جنبه ،اويقوم بحركة تسهل عليه خروجهذاالهواء.

ولعل سائلا يقول انى أستعمل « بيكربونات الصودا » واحس بغاز يخرج من معدتى ، الاحظ بعده زوال الانتفاخ والالم الذى يعترينى ، وهذا صحيح لان البيكربونات تتعادل مع حامض المعدة ، وبذلك يتغلب الشخص على التقلصات التى تحدث فى المرىء والمعدة ، والتى يحسها الفرد بانها انتفاخات ، ويخرج غاز ثانى اكسيد الكربون الناتج من التفاعل ، فيحس الانسان براحة بعد خروجه ويتغلب بذلك على هذا الاحساس بالألم او الانتفاخ ، أو عدم الراحة لوجود ما يسمى « بغازات » .

ونصيحتى لهؤلاء - انه اذا وجد مرض بالمعدة او الاثنى عشر او المرىء مما يسبب حرقة وحموضة وآلاما فلا يحاولوا اخراج اى هواء بل يعالجوا السبب وهذا كفيل بزوال الالم والشعور بالامتلاء

في منطقة المعدة ـ اما الذين يتخذون « التجشؤ » وسيلة لانهم يحسون بالراحة بعده وأن معدتهم تتحسن او انتفاخهم يزول فانهم واهمون ـ فهم يخرجون جزءا بسيطا ، ليدخلوا الى معدتهم غازا اكثر ، وأنصحهم بالاقلاع عن هذه العادة ، واذا احسوا أنهم يريدون التجشؤ فعليهم ان يشربوا قليلا من الماء ، او يبلعوا ريقهم ليمتنعوا بالتدريج عن هذه العادة ، وكم شاهدت أفرادا تحسنت حالتهم باتباعهم هـذه التعليمات البسيطة .

الامعاء الدقيقة

ان الامعـاء الدقيقـة في العـادة لا تحتـوى عـلى غازات اذ ان ما يصـلها مـن المعـدة مـن غاز يمتص في الدم ـ اما اذا زادت كمية الهواء الذى يبتلعه الانسان مع الطعام ، فان كميـة الغازات تزداد في الامعاء الدقيقة ، وربما سببت مغصا معويا . ويلاحظ أيضا ازدياد الغازات اذا حدث انسداد في الامعاء ، أو شلل في عضلاتها . ووجود الغاز وحده في الامعاء الدقيقة لا يسبب مغصا،الا اذا كانت عضلات الامعاء قادرة على الحركة، وتتقلص من آن لآخر ، مسببة هذا الالم الذى يسمى بالمغص المعوى .

الغازات فى الامعاء الغليظة أو القولون

وهى كثيرة الحدوث ـ تسبب ازعاجا للمرضى ، لان القولون يتمدد ، بل ان أجزاء منه تتمدد الى حد كبير وتضغط على اعضاء أخرى في البطن ، زيادة على الاحساس بالانتفاخ وعدم الراحـة والمغص ، أو الالم الذى يحدث بتحول هـذه الغازات . وكثير منا لا ينسى هذا الالم الشديد الذى يعتريه فى منطقة من البطن والذى يزول عندما يخرج بعض الغازات من بطنه .

وعندما يمتلىء القولون بالغازات تضغط عـلى القلب محدثة زيادة في ضرباته كذلك يحس المريض بالالم في جهات مختلفة في بطنه فيظنها انها ناتجة من مرض في احدى كليتيه ، أو في كبده ـ او في مرارته او في ذلك .

والاسباب فى تجمع هذه الغازات عديدة

١ ـ زيادة الغازات التى تصـل الى الامعاء الغليظة ، نتيجة لابتلاع كمية من الهواء اثنـاء تناول الطعام ، والتى لم يمكن امتصاصها جميعها في الامعاء الدقيقة .

٢ ـ الغازات الناتجة من تفاعل المواد النشوية مع سرعة في حركة الامعاء ، فانه في بعض الحالات تتجمع في القولون ، وتسبب انتفاخا .

٣ ـ عدم هضم المواد البروتينية ووصولها غير مهضومة الى القولون ، فتتعفن وينتج عن ذلك غاز كريه الرائحة .

٤ ـ كسل ، أو قلة في العصارات الهاضمة من البنكرياس ، والامعاء ، والصفراء .

٥ ـ الامساك ، وتجمع البراز في القولون مع حدوث انتفاخ في بعض الحالات .

٦ ـ انسداد في القولون سواء من الخارج أو الداخل وبذلك يعوق سير الغازات وخروجها .

٧ ـ الاضطرابات التى تعترى الدورة البابيـة (التى تذهب بعد امتصاص الاغذية من الامعاء الى الكبد) وعدم امتصاص الغازات الى هذه الدورة ، وعدم قدرة الكبد على ازالة ما بهذه الغازات من رائحة ، مما يجعل لهذه الرائحة صفة كريهة عند خروجها من الشرج أو الفم .

من هنا اصبح لا يخفى على معظمنا الاسباب العديدة لوجود الغازات ، وأن العملية ليست بسيطة ، وتحتاج الى عناية وفحص ، لا من جهة الطبيب وحده ، بل بمعاونة المريض أيضا .

اما من جهة الطبيب

فعليه ان يبحث ويدقق حتى يصل الى جذور الداء ، ويعرف سبب وجود الغازات ومكانها ، وذلك بالفحص الدقيق ، وعمـل الفحوصات اللازمة ، مستعينا بالمختبر ، والاشعة وغيرها من الوسائل التى توصله الى تشخيص المرض ، وبعد التشخيص يعطى العلاج اللازم .

ومن جهة المريض

يجب على المريض أن يقلع عن عادة اخـراج الهواء من الفم بطريق « التجشؤ » ، ويحاول بشتى الطرق ان يتذكر أن هذه العادة تزيد من حالته سوءا .

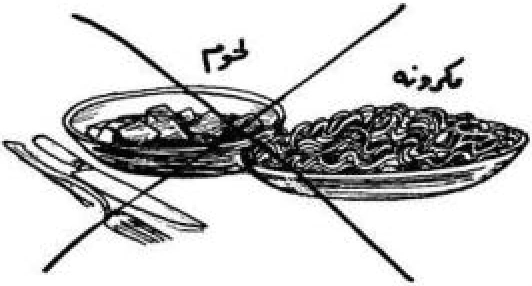
ـ واذا احس بازدياد حموضة او الم في منطقة المرىء ، او المعدة أن يخبر طبيبه بذلك ، حتى يأخذ العلاج فيجد نفسه غير معرض للتجشؤ .

ـ يجب على المريض أن يلاحظ اذا كان عنده امساك ، أو ارتباك في امعائه ، أو اسهال بعد امساك وغير ذلك .

ـ ملاحظة اى الاطعمة يسبب ازدياد الغازات



احترس من الأدوية المسهلة حتى تقي نفسك من الغازات .



النشويات والبروتينات ، لاحظ أيهما يسبب لك الغازات فقلل من تناوله .

فبعض الاشخاص تزداد مع النشويات ، وبعض الاشخاص يتعرضون لذلك مع البروتينات ، او الدهنيات ، فلكل علاج ، واعطاء العصارات الخاصة لهضم هذه المواد ، فان لم يستفد المريض من ذلك ، وجب عليه أن يقلل من تلك المواد التى تسبب الانتفاخ .

ـ ان الخمول وعدم الحركة يساعدان على تكون الغازات ، ويجب على المريض المصاب بانتفاخ ، وغازات أن يتحرك ، ويمارس الرياضة ، خصوصا تلك الرياضة التى تقوى من عضلات البطن .

ـ الاكثار من أكل الفواكه والخضراوات الطازجة ، لأن هذا يساعد على قلة الامساك ، والابتعاد عن الاكلات التى تنتج عنها غازات كثيرة ، كالثوم ، والفجل ، والبصل وما شابه ذلك .

وماذا عن الادوية التى تعطى الغازات

أظنه لا يخفى على كل من يعانى من الغازات ، كم من الادوية يستعمل وهذا يفيد وذاك لا يفيد وهذا عديم الفائدة ، والآخر زاد من هذه الغازات. ثم الحانق الذى يرى أن الحياة اصبحت لا تطاق. كل هذا يرجع للاسباب التى سردتها وعدم اتباع المريض للنصائح التى اسلفتها ، ثم يقع بعض الاسباب على كاهل الطبيب الذى لا يحاول كثيرا في الوصول الى سبب هذه الغازات ، سواء يكون سببها مرضا عضويا ـ او مرضا نفسيا ـ وعليه أن ينصح مريضه بشدة باتباع ما يعطيه من علاج . ويهمنى في ذلك الامر ، حمل المريض على ترك عادة ادخال الغازات في معدته ، مع اقناعه بأن هذا من الاهمية بمكان ، ان كان يريد حقا أن يتغلب على هذه الغازات .

ـ أما الادوية وأهمها اقراص الفحم المشهورة . فالمفروض أنها تمتص الغاز داخل مسامها ، ولا اظن ان مفعولها اكيد ، اذ انها عندما تصل الى موضع الغازات ، تكون قد امتلات بالماء ، فلا يجد الغاز اى مسام للدخول فيها . ولكننا نرى انها تفيد فى بعض الحالات ، واظن ان ذلك يرجع نفسيا الى المريض . فعندما تهدأ اعصابه ، ويهدأ « التجشؤ » وترتخى العضلات الشديدة الانقباض ، تخرج الغازات بسهولة من فتحة الشرج ، ويحس المريض بعدها براحة تامة .

ـ ثم الحبوب الهاضمة انها ذات فائدة ، اذا كان هناك حقا نقص في العصارات الهاضمة كعصارات البنكرياس وغيرها .

ـ وهناك الملينات ـ لا المسهلات ـ مثل الاجارول والكانورمال ، وما شابهها مفيدة عندما يكون هناك امساك ، مع الاكثار من استعمال الفواكه والخضراوات الطازجة .

ـ وفي حالة التقلصات ، تعطى الادوية التى تساعد على التخلص من هذه التقلصات ، وهى كثيرة وعديدة ، ونترك للطبيب ليقرر لكل حسب ما يرى .

ـ ثم الرياضة والحركة ، والمشى ، كل هذا يساعد على تحسن الحالة ، ويبعد ذلك الكابوس الذى يسمى الغازات والذى يعانى منه الكثير .

وبهذا ارجو أن اكون قد وفيت هذا الموضوع حقه ، راجيا لكل من يعانى من الغازات ، أن يجد الفائدة فيما قرأ ، وأن يتبع ما ورد فيه لعله يحس بالراحة . ■■

محمد أبو شوك
رئيس قسم الامراض الباطنية

الاكثار من أكل الفواكه يساعد على قلة الامساك وبالتالى على التخلص من الغازات



● بمناسبة قرار اليونسكو اتخاذ الفصحى لغة لها

اللُّغَةُ العَرَبِيَّةُ

بَيْنَ عَامِّيَّتِهَا والفُصْحَى

● عرب ، خريجو مدارس استعمارية يدعون الى اطراح اللغة العربية .

● وفريق يطالب بالتبسيط والتجديد ، وما التبسيط الا المسخ وضياع الكيان .

● صعوبة اللغة العربية كسائر صعوبات اللغات ، فلِمَ العربية بالذات .

● رأى طه حسين فيمن يتنحى عن الفصحى طلبا للعاميه . انه آثم .

● الفصحى لغة واحدة . والعامية لهجات ، وفي الفصحي التجميع ، وفي العاميات التفريق .

بقلم : باعزيز بن عمر

■ كثر تردد الصحافيين الغربيين على الجزائر ايام حرب التحرير لالتقاط اخبار سير الثورة ومعاركها من مصادرها الموثوق بها ، فكان من جملة ما أدلى لنا به بعضهم ممن اتصلوا بنا عن دور العربية في ميدان الاعلام قوله : « ان الدور الذى لعبته العربية قديما مع اليونانية واللاتينية في ميدان نشر الثقافة العامة ، ووصل العالم القديم بالحديث عن طريق الانتاج الفكرى قد اخذت تلعبه في هذا العصر بصورة أوسع ، في ميادين كثيرة عامة مع اللغات الحية المعاصرة ، فقد اثبتت وجودها اليوم كلغة متطورة ، لا في البلدان الناطقة بها فحسب ، بل في اوروبا وامريكا كذلك حيث نجدها ، تؤدى في اغلب محطات اذاعة الدول الغربية نفس ما تؤديه لغات البلاد الرسمية من التقارير والاخبار والبرامج المتنوعة » .

وقفنى عليه احد المذيعين من زملائه فقال : « ان القسم العربي بمحطة لندن يذيع بالعربية فيها أهم ما يذيعه القسم الانكليزى بلغته الرسمية » وزاد قائلا : « ان اللغة العربية

الفصحى تؤدي نفس المهمة في محطات باريس وموسكو وبرلين وواشنطون وروما وغيرها من عواصم الدول المتحضرة » .

فقلت أنا معلقا على القولين معا : ولكن هذه الدول المتحضرة نفسها ، وخاصة الاستعمارية منها ، لم تتورع عن محاولة اقصائها عن الحياة العامة ومطاردتها في البلدان العربية التي احتلتها حتى تصرف ابناءها عن تعلمها وتعليمها فيدفعهم ذلك الى الاقبال على تعلم لغاتها الرسمية ، وترك لغتهم العربية التي أصبحت بحكم القوة اجنبية في أرضها . والغريب أن موقف هذه الدول من العربية لم يحل بينها وبين استخدامها في نفس الوقت بمحطاتها الاذاعية ، جاعلة منها اداة صالحة لدعايتها الاستعمارية ، كما صنعت فرنسا في الجزائر . فقال أحد الحاضرين : « ان السياسة الاستعمارية ما بنيت الا على التناقض ، وهو الذي يقضي عليها ، ويطهر العالم منها طال الزمن او قصر » .

اليونسكو أعادت للعربية مكانها اللائق بها

واذا ما قامت منظمة اليونسكو اليوم ، فاحلت العربية مكانها اللائق بها بين لغاتها الرسمية ، فذلك أنها قد أدركت ما لها من منزلة بين اللغات العالمية التي خدمت الفكر الانساني قديما ، ونقلت تراثه الى الاجيال المتعاقبة عبر التاريخ فوجب ان تمكن من خدمته حديثا ، ويعترف لها بالفضل والاقتدار على مواصلة اداء رسالتها العلمية في حقل التربية والتعليم ، وما اليهما من فروع الثقافة وعلوم الاجتماع والفلسفة التي يزخر بها هذا العصر عصر امتزاج الثقافات والحضارات .

لغة مرت عليها الوان ظلم كثيرة

وهذا ان دل على شيء فانما يدل على انصاف هذه المنظمة العالمية للغة مرت بها اعوام ظلم وهضم كثيرة ، ظلمتها الجاهلية الاولى فجعلتها لغة قبيلة لا لغة امة ، ولغة بداوة لا لغة حضارة ، وجاء الاسلام فرفع عنها ظلم الجاهلية وتحجرها وضيقَ افقها ، وفتح لها كتابُه المبين آفاقا جديدة من تشريع وعلم وفلسفة وحضارة .

ثم حلت النكسة بالديار ، فتوقفت القافلة عن السير احقابا طوالا ، فلم يسعها الا ان تتوقف هي الاخرى وتنطوي على نفسها ويجني عليها انحطاط اهلها جناية لا نظير لها في تاريخ اللغات والامم ، وتحل بالبلاد اثر هذا كله الطامة الكبرى، وهي غزو الاستعمار الغربي لها وهجومه عليها من كل جانب ، فتنطمس المعالم ، وتسوء الاحوال . ولم يكن بد ، والحال هذا ، الا أن تنتاب شعوب تلك البلاد سياسة ظلم وعدوان ، لا على لغتها وحدها بل على سائر المقومات الاخرى التي من شانها ان تحمي شخصية الامة من الذوبان في غيرها من الغزاة المستعمرين ، ويشاء الله بعد هذا الليل الطويل ، ان يشرق فجر النهضة والحرية في ربوع البلاد فتنهض الامة لمقاومة الاجنبي المستعمر في كل مكان ، ويشتد النضال المسلح بينهما اشتدادا ينتهي باخراجه من الديار مذموما مدحورا .

لغة من بين ابنائها فريق يدعو الى الانصراف عنها

ولكن هل زال الظلم عن العربية بزوال الاستعمار ؟ كلا بل خلفه في ظلمها من بعده آخرون، نجدهم في ميادين مختلفة واكثرهم ممن يمتون اليها بنسب ، ففريق منهم خرجتهم مدارس استعمارية ، درجوا فيها على جهل التراث القومي من لغة ودين وتقاليد الا من شذ منهم ، فكانت العربية الفصحى لدى هذا الفريق ــ بالرغم من انتسابهم اليها وانحدارهم من أحفاد انصارها ــ من اللغات التي يعوّق تعلمها ، وصرفُ الوقت في التعلق بها يصرف المتعلق بها عن اللحاق بركب المدنية ، والاخذ باسباب الحضارة الانسانية الجديدة ، وعند هؤلاء ان عصور ازدهارها قد انقضت منذ عهد بعيد ، فالالتفات اليها التفات الى ماض سحيق لا يفيدنا بشيء في حاضرنا الزاخر بعلوم الحياة التي مكنت الانسان المعاصر من غزو الفضاء باقماره الصناعية وتسخير الطبيعة في كل مكان لفائدته وراحته .

وفريق آخر يدعو الى تبسيطها وما التبسيط الا مسخ لها

وياتي بعد هذا فريق آخر ، وهو ليس عاقا للعربية عقوق الاول ، لانه فتح عينيه على تعلمها والاختلاف الى مدارسها ، وربما ضرب في آدابها

الفصحى لغة واحدة ، والعامية لغات لهجات لا يفهمها الا أربابها

وقد اصطدمت بهذا الاختلاف القائم بين اللهجات العامية في البلدان العربية التى مررت بها في طريقي الى البقاع المقدسة . وكنت الجأ في التخاطب مع من اجتمعت بهم من اهلها الى لغة المدرسة وهي اللغة الفصحى باعتبارها واحدة عندنا وعندهم فابلغ المراد ، اذا كان مخاطبي متعلما اما اذا كان اميا فلغة الامية نبي لغة المدرسة كما هو معروف ، وهنا نجد انفسنا امام مشكل لا حل له الا في تعميم التعليم ومحو الامية ، وهو رأى من اتصلت بهم اثناء سفرى من رجال التعليم والادب . فالمدرسة هي القادرة وحدها في نظر الجميع على ازالة الفوارق الموجودة بين العامية والفصحى برفع الاولى الى مقام الثانية . وفي هذا طبعا ما يقضي على كل دعوة من الدعوات المغرضة الداعية حينا الى نبذ الفصحى واستعمال العامية، وحينا آخر الى كتابتها بالحروف اللاتينية بحجة ان هذه الحروف تقوم مقام الحركات في الرسم العربي الى غير ذلك من الآراء التى تتنافى مع اللغة الفصحى وخصائصها . وبالرغم من صوغها في قالب اصلاح وتيسير وتطوير ، ونشرها في بعض الصحف السيارة لم يقابلها رجال التربية والتعليم الا بالاعراض والتفنيد والتنديد باصحابها .

رأى ابن باديس والابراهيمي في الفصحى والعامية

وفى مقدمتهم عندنا الاستاذان الرئيسان عبد الحميد بن باديس والابراهيمي ، فقد استنكرا الكتابة بالعامية التى ان جاز في نظرهما ان تكون لأسباب وعوامل تاريخية ، لغة الألسنة في السوق والطريق وما اليهما من الاوساط الشعبية لدى العامة فلا يجوز ان تكون لغة الاقلام والاوراق والدفاتر والدروس لدى الخاصة. لأن السماح لها بالظهور في هذه الميادين معناه قطع الصلة بيننا وبين تراثنا الذى خلدته الفصحى وربطت به بين الاجيال المتعاقبة رغم ما حل بها من المشكلات والنكبات في عصور الانحطاط الاخيرة . واني لأذكر ان استاذنا عبد الحميد بن باديس كان يحثنا ونحن في حلقات دروسه على التزام الفصحى في مناقشاتنا وابحاثنا لما في ذلك من تدريب للألسنة على التخاطب ، وللاقلام على الكتابة . كما كان يوصينا ان لا نسير على نهج بعض الشيوخ في تدريس النحو والصرف بالعامية . ومما قاله لنا ذات يوم : « ان الاستعمار حاول مرارا عندنا ان يوهم الناس بان اللغة الفصحى لم تعد صالحة في هذا الزمن ، فقرر تعليم العامية في برامج مدارسه بدلا من الفصحى ، ولكنه ما لبث ان فشل في محاولته . ولا سيما بعد ان رأى ان الفصحى قد اصبحت لغة الصحافة والخطابة والمدرسة ، فعدل عن خطته ، وابقى عليها في مدارسه الرسمية المزدوجة . وزاد فسمح لها بالظهور في برامج اذاعته » .

وهذا نفس ما ذهب اليه استاذنا الابراهيمي في جوابه عن سؤال وجه اليه عن الدعوة القائمة في بعض البلدان العربية الى الكتابة بالعامية اذ قال : « ان في هذه الدعوة لكيدا للفصحى ، ومؤامرة على لغة القرآن والاسلام لقد اتخذها المستعمرون عندنا ذريعة لتقسيم لغة واحدة الى لغتين : عامية وفصيحة ، ليقضوا بالاولى على الثانية . ان اقل ما يقال فيها انها دعوة الى تاييد الجهل واقرار الامية والتمكين لهما في هذه البلدان . ولو فكر القائمون بهـا لأدركوا ان العاميات كثيرة تفرق ولا تجمع ، واما الفصحى فواحدة تجمع ولا تفرق ، اختارها الله لوحيه وتأدية رسالته ، وربط بها ماضي الاسلام بحاضره وجمع كلمة المسلمين عليها في شرقه وغربه » .

وما بال الفصحى لاتدخل المسرح والسينما، وتكون لغتهما؟

ولكن اذا كان التعليم العام قد انصف الفصحى في ظل النهضة الحديثة من ظلم دعاة العامية وغيرهم وجعلها لغة المدرسة والصحافة والتاليف، فهل استطاع ان يجعلها لغة المسرح والفن من التمثيل وغيره ؟ كلا . ان المسرح لا يزال عاجزا عن تاييد المدرسة في نشر الفصحى بين جماهيره ، فاتخذ العامية لغته الرسمية فيما يقدم للجمهور من الروايات التمثيلية ، الا ما قل منها . وحجة المشرفين عليه في العدول عن الفصحى الى العامية هى – في زعمهم – جهل الجمهور للاولى ، وفهمه للثانية . والحقيقة ان السبب عجز كثير من الممثلين المحترفين عن التمثيل بالفصحى، وقصورهم

المخجل فيها . وتعلقهم بالرخيص والسهل من الروايات العامية التى لا ترقى بالجمهور ولا بالفن، كل هذا كان السبب الحقيقى في اعراض المسرح عن الفصحى واقباله على العامية . وما يقال عن العربية في المسرح ، يقال عن السينما وافلامها فكلاهما لا يزال عندنا عاجزا عن خدمة الفصحى واداء رسالتها على الوجه الأكمل لغلبة الامية والعامية عليهما ، وسيظلان كذلك ما دامت الفصحى لغة الفن والجمال بعيدة عنهما . وما دام حرصهما على التسلية والتلهية ومسايرة الجمهور في عاميته واذواقه اكثر من حرصهما على التربية والترقية والتوجيه الادبى والفنى .

عندما زار يوسف وهبى وفرقته المسرحية الجزائر

زار الجزائر قبيل الثورة يوسف وهبى عميد المسرح المصرى على راس فرقته ، فرحبنا به وبفرقته ترحيب الروض بالطل ، وخف جمهور العاصمة الى المسرح لمشاهدة ما عزمت الفرقة على تقديمه من الروايات المسرحية اثناء اقامتها في الجزائر . ثم اتصلنا به في ندوة صحفية فأبدينا له اعجابنا ببراعة الفرقة في فن التمثيل وما احرزت من تقدم ونجاح فى النهوض بالمسرح المصرى بفضل قيادته . وزدنا فسألناه عن مستقبل المسرح المصرى وقلنا لحضرته : ان لغة المسرح يجب ان تكون ارقى مما كانت عليه الآن عندكم حتى يكون في عون المدرسة على نشر الفصحى وتعويد الجمرور على سماعها . اما العامية التى لا تزال تهيمن في الاغلب الاعم على رواياتكم وافلامكم فلا نراها قادرة على الرقى بالفن ولا بالجمهور ، فأجاب عن ملاحظاتنا وهو يبتسم : « اننا قد خطونا كما رأيتم خطوات موفقة في طريق النهوض بالمسرح المصرى ولغته ورواياته ، ولكننا ما زلنا في المرحلة الاولى من سيرنا الى الامام ، فسترون ان شاء الله قريبا ما يسركم منا . واننا لنشعر بنقصنا وتأخرنا في رواياتنا وافلامنا عن الغرب . وهذا الشعور سيظل حافزا ودافعا لنا الى اللحاق بالمتقدمين في هذا المضمار » .

لا تزال العامية غالبة على المسرح المصرى

لا شك ان المسرح المصرى قد قطع مراحل هامة وحقق التقدم الذى بشر به يوسف وهبى في تصريحه منذ سنين ، ذلك ان الامكانات التى كانت تعوزه في المرحلة الاولى قد توفرت له الآن بفضل تشجيع الدولة له ولغيره من فروع الفن اذ انشأت معاهد للتمثيل والموسيقى ، وخصصت لهما ميزانيات لرفع مستواهما ولكن بالرغم من ذلك فانّ ما كنا نراه بالامس من طغيان العامية على الروايات والافلام المصرية لا نزال نراه اليوم في اغلب ما يعرض عندنا من غير ادنى فرق بين قديم وجديد منها . وفي نظرنا ان عجز المسرح عن التمثيل بالفصحى ليس عنوانا على تقدمه وكثرة انتاجه ، ولو تم للممثل فى هذا العهد الاخير من التعليم والتدريب والتكوين ما لم يتم ازملائه من قبله .

والفصحى فى ميدان الطرب والغناء

واذا انتقلنا الى ميدان الغناء والطرب وجدنا الفصحى فيه كذلك مظلومة ، تئن من جهل المغنى وجموده وعكوفه على ترديد مقطوعات من الشعر الاندلسي الفصيح من غير ان يفقه لها معنى ، او ينتبه لما نالها من التحريف على لسانه بسبب جهله للعربية وجهل أمثاله من المغنين المقلدين ، فالأمية والعامية والتقليد ما اجتمعت على شيء جميل الا افسدته، وشوهت جماله، ولا سيما اذا كان من الفنون الجميلة كالموسيقى الاندلسية التى لها طابع تاريخى خاص ، ولكن عدم المام المغنى باللغة الفصحى التى يتغنى بها وهو جاهل بها نال من هذا الطابع نيلا ، وصيّر هذه الموسيقى نفسها ، في بلد ، غيرها في بلد آخر ، فتعددت هى الاخرى بتعدد العاميات ، وانحطت الاذواق التى يجب ان يتحلى بها أهل هذا الفن انحطاطا لا يزول الا بتثقيفهم وجعلهم قادرين على الربط بين ماضينا الفنى الغابر ، وحاضرنا المتطور .

ان تقديم العامية في هذه الميادين المذكورة على الفصحى يعتبر ظلما لهذه الثانية وهضما لحقها ، ووضعا للشيء في غير محله . لأنها ميادين يلعب فيها الفن والادب دورهما ، وليس لهما من لغة تستطيع التعبير عن آثارهما في النفوس وتأدية رسالتهما السامية الا اللغة الفصحى لا غيرها من اللغات الضيقة التى لم يكن لها من الماضى الثقافى ما يرفعها الى مستوى اللغات الثقافية . وانى للمسرح ان ينهض برسالته ، وللفن ان يزدهر اذا

المخجل فيها . وتعلقهم بالرخيص والسهل من الروايات العامية التي لا ترقى بالجمهور ولا بالفن، كل هذا كان السبب الحقيقي في اعراض المسرح عن الفصحى واقباله على العامية . وما يقال عن العربية في المسرح ، يقال عن السينما وافلامها فكلاهما لا يزال عندنا عاجزا عن خدمة الفصحى واداء رسالتها على الوجه الأكمل لغلبة الامية والعامية عليهما ، وسيظلان كذلك ما دامت الفصحى لغة الفن والجمال بعيدة عنهما . وما دام حرصهما على التسلية والتلهية ومسايرة الجمهور في عاميته واذواقه أكثر من حرصهما على التربية والترقية والتوجيه الادبي والفني .

عندما زار يوسف وهبي وفرقته المسرحية الجزائر

زار الجزائر قبيل الثورة يوسف وهبي عميد المسرح المصري على رأس فرقته ، فرحبنا به وبفرقته ترحيب الروض بالطل ، وخف جمهور العاصمة الى المسرح لمشاهدة ما عزمت الفرقة على تقديمه من الروايات المسرحية اثناء اقامتها في الجزائر . ثم اتصلنا به في ندوة صحفية فابدينا له اعجابنا ببراعة الفرقة في فن التمثيل وما احرزت من تقدم ونجاح في النهوض بالمسرح المصري بفضل قيادته . وزدنا فسألناه عن مستقبل المسرح المصري وقلنا لحضرته : ان لغة المسرح يجب ان تكون أرقى مما كانت عليه الآن عندكم حتى يكون في عون المدرسة على نشر الفصحى وتعويد الجمهور على سماعها . اما العامية التي لا تزال تهيمن في الاغلب الاعم على رواياتكم وافلامكم فلا نراها قادرة على الرقي بالفن ولا بالجمهور ، فاجاب عن ملاحظاتنا وهو يبتسم : « اننا قد خطونا كما رأيتم خطوات موفقة في طريق النهوض بالمسرح المصري ولغته ورواياته ، ولكننا ما زلنا في المرحلة الاولى من سيرنا الى الامام ، فسترون ان شاء الله قريبا ما يسركم منا . وانا لنشعر بنقصنا وتاخرنا في رواياتنا وافلامنا عن الغرب . وهذا الشعور سيظل حافزا ودافعا لنا الى اللحاق بالمتقدمين في هذا المضمار » .

لا تزال العامية غالبة على المسرح المصري

لا شك ان المسرح المصري قد قطع مراحل هامة وحقق التقدم الذي بشر به يوسف وهبي في تصريحه منذ سنين ، ذلك ان الامكانات التي كانت تعوزه في المرحلة الاولى قد توفرت له الآن بفضل تشجيع الدولة له ولغيره من فروع الفن اذ انشات معاهد للتمثيل والموسيقى ، وخصصت لهما ميزانيات لرفع مستواهما ولكن بالرغم من ذلك فانّ ما كنا نراه بالامس من طغيان العامية على الروايات والافلام المصرية لا تزال نراه اليوم في اغلب ما يعرض عندنا من غير ادنى فرق بين قديم وجديد منها . وفي نظرنا ان عجز المسرح عن التمثيل بالفصحى ليس عنوانا على تقدمه وكثرة انتاجه ، ولو تم للممثل في هذا العهد الأخير من التعليم والتدريب والتكوين ما لم يتم لزملائه من قبله .

والفصحى في ميدان الطرب والغناء

واذا انتقلنا الى ميدان الغناء والطرب وجدنا الفصحى فيه كذلك مظلومة ، تئن من جهل المغني وجموده وعكوفه على ترديد مقطوعات من الشعر الاندلسي الفصيح من غير ان يفقه لها معنى ، او ينتبه لما نالها من التحريف على لسانه بسبب جهله للعربية وجهل أمثاله من المغنين المقلدين ، فالأمية والعامية والتقليد ما اجتمعت على شيء جميل الا افسدته، وشوهت جماله، ولا سيما اذا كان من الفنون الجميلة كالموسيقى الاندلسية التي لها طابع تاريخي خاص ، ولكن عدم المام المغني باللغة الفصحى التي يتغنى بها وهو جاهل بها نال من هذا الطابع نيلا ، وصيّر هذه الموسيقى نفسها ، في بلد ، غيرَها في بلد آخر ، فتعددت هي الاخرى بتعدد العاميات ، وانحطت الاذواق التي يجب ان يتحلى بها اهل هذا الفن انحطاطا لا يزول الا بتثقيفهم وجعلهم قادرين على الربط بين ماضينا الفني الغابر ، وحاضرنا المتطور .

ان تقديم العامية في هذه الميادين المذكورة على الفصحى يعتبر ظلما لهذه الثانية وهضما لحقها ، ووضعا للشيء في غير محله . لأنها ميادين يلعب فيها الفن والادب دورهما ، وليس لهما من لغة تستطيع التعبير عن آثارهما في النفوس وتادية رسالتهما السامية الا اللغة الفصحى لا غيرها من اللغات الضيقة التي لم يكن لها من الماضي الثقافي ما يرفعها الى مستوى اللغات الثقافية . وانى للمسرح ان ينهض برسالته ، وللفن ان يزدهر اذا

اعوزتهما الأداة الصالحة والثقافة ؟ ان الجمهور اليوم في المدن غيره بالامس فقد ترقى ثقافيا واجتماعيا بفضل المدرسة ، وما تمخضت عنه الثورة من التطورات في مختلف ميادين الحياة فاصبح يحس ويفكر ، وينظر الى الحياة عن علم وبصيرة ، ويوشك ان لا يقبل مما يعرض عليه من الروايات والافلام الا ما يرضي ذوقه وعقله ، ويجد فيه من المتعة واللذة والزاد الفكرى ما ينشده لتغذية شعوره ومداركه لا ما يلهيه ويسليه فحسب .

وتقدمت الفصحى في الاذاعة والتلفاز فغلبت وسيطرت

وربما قال قائل ان العربية الفصحى التي تدعون الى استعمالها وتلحون في ذلك الحاحا قد تغلبت او كادت تتغلب على العامية فيما يذاع بمحطتى الاذاعة والتلفزة حيث أصبح لها النفوذ التام على ما يذاع فيهما من البرامج الا ما قل ، اليس في ذلك ما يرضيكم معاشر انصار الفصحى ؟ نعم ! ان تغلبها وسيطرتها على العامية في الاذاعات العربية والاجنبية هو الذى اقام الدليل الساطع على صلاحيتها وقدرتها على مخاطبة الجماهير وتوجيهها والتأثير فيها بالرغم من اختلافها في مستوى التعليم والثقافة ، وهو الذى جعلنا كذلك نطالب بتعميمها في الميادين الاخرى كالمسرح والسينما والتلفزة ، فتتقدم على العامية فيها كلها تقديما يجعل الاسبقية لها فيما يعرض من الروايات والافلام ، وهذا يتطلب طبعا تكوين ممثلين أكفاء واعدادهم للتمثيل بها . ذلك ان نجاح الممثل فيما يقوم به من ادوار يتوقف في الدرجة الاولى على اتقانه للغة التى يمثل بها . واذا وجدنا رواية قدمت الى الجمهور باللغة الفرنسية او العامية ، فنجحت ثم قدمت مرة ثانية بالعربية الفصحى فخابت ، فلنعلم ان عنصر النجاح قد توفر للممثل في المرة الاولى وهو اتقانه للغة التى مثل بها وتمكنه منها ، ولم يتوفر له في الثانية فخاب . والجمهور يتجاوب دائما مع الممثل المتقن لدوره لغة وحركات ومواقف ، ولو كان قليل الالمام بلغة الممثل . والفصحى لغة موسيقية ساحرة تؤثر في جماهير البلدان العربية افرادا وجماعات عند سماعها من متقن لها فصيح سواء أكان مذيعا أم ممثلا أم خطيبا . وانى لأذكر كيف كان بعض أصدقائى من العامة يخفون الي عند لقائى أيام الثورة ليعيدوا على ما التقطوه من اخبار سير الثورة التى تذاع يوميا في محطات الاذاعة العربية والاجنبية ومنها طبعا اذاعة الثورة الجزائرية . وهي كالمحطات الاخرى تذيع بالفصحى اخبار الثورة والمعارك ، فاجد هؤلاء الاخوان قد وعوا وفهموا ما سمعوا فهما صحيحا لا يختلف عن فهم الخاصة الا في الجزئيات الدقيقة .

محاضر من الغرب يلخص محاضرته بلغة العرب

وهنا اسوق حديثا جرى بيني وبين مستشرق زار الجزائر بعد الاستقلال فالقى محاضرة قيمة باللغة الفرنسية حضرها جمهور غفير من الجزائريين ، واثر انتهائه منها أعطى هو نفسه ملخصا عنها باللغة العربية ، وكان بجنبى أحد طلبة الجامعة ممن كانوا يقولون بصعوبة العربية الفصحى فقلت له : « أرأيت كيف ان العربية لم تكن صعبة على من يريد تعلمها ، ولو كان اجنبيا عنها كالاستاذ المحاضر ، اذ لو كانت لها الصعوبة التى كنت تصفها بها لما استطاع هذا الاستاذ ، وهو من الاجانب ان يحذقها هذا الحذق ، ويحاضرنا بها بعد ان حاضرنا بلغته القومية واضف الى هذا انه لم يتعلمها الا بعد ان تقدمت به السن ، واصبح استاذا او مؤلفا . فسكت صديقي مليا ثم قال ، جوابا عن ملاحظتي : انها المواهب تجعل الصعب سهلا ، والمحال ممكنا ، ولو بذلنا نحن الشباب في تعلمها ثلث الجهد الذى بذله هذا الاجنبي واضرابه من المستشرقين لكنا فيها اساتذة ، ومحونا عنا عار جهلها الذى لن نتخلص منه ولو تعلمنا جميع اللغات الاجنبية ما دمنا نجهلها .

ثم اتصلت بالمحاضر نفسه فاثنيت على محاضرته ، وشكرت له اجادته للعربية التى قيل ان صعوبتها المتناهية قد صرفت همم كثير من العرب انفسهم عن تعلمها فكيف بغيرهم من الاجانب . فضحك الرجل وقال : « ليست بأصعب من لغتنا الفرنسية ، ومع ذلك فقد تعلمها اطفالكم في البادية

والحاضرة ، وصاروا يكتبون بها ويتكلمون كانهم من ابنائها بفضل التعلم والتعليم ، فالعربية في نظري كغيرها من اللغات العلمية التي خدمت العلم والثقافة والادب ، لم تكن سهلة ولا صعبة ، ومعنى هذا ان تعلم اللغات لا ينبغي ان نعتمد فيه على فكرة السهولة او الصعوبة ، فافيل على تعلم السهل دون الصعب ، بل ان علينا ان نكون كما قال الشاعر :

لأستسهلن الصعب او ادرك المنى
فما انقادت الآمال الا لصابر

وزاد فقال : ان نقطة الانطلاق الى تعلم لغات الاجانب يجب ان تكون اللغة القومية دائما ، فمن اتقن لغته ، وهو عمل يعتبر سهلا ميسورا على كل واحد منا ، لا يصعب عليه ان يضيف اليها غيرها من اللغات الحية متى تعلقت بذلك همته ، وادرك ان تعلم لغة ثانية او ثالثة ليس اليوم كماليا كما كان بالأمس ، بل أصبح ضروريا لاشتباك المصالح وقيام فكرة التعاون الاقتصادي والتبادل الثقافي بين الامم والشعوب ، حتى ان العالم كاد يصبح واحدا من هذه الناحية رغم ما يعترض وحدته من التناقضات الموروثة .

واعود الى عمل منظمة اليونسكو العالمية اليوم اذ جعلت اللغة العربية احدى لغاتها الرسمية ورفعتها بذلك الى مستوى اللغات الحية المستعملة لديها ، ما يجعل الاقلام الكاتبة والألسنة الناطقة بها تلهج بالثناء العاطر على صنيعها واعترافها بلغة طالما تقول عليها المغرضون الاقاويل الظالمة لها ، ورموها بالعقم والعجز عن مسايرة ركب الحضارة الجديدة فجاءت هي فادحضت حججهم، وبددت شبههم ، وفتحت امامها عهدا جديدا بين لغات العالم الحية،وعبدت لها طريقا الى مستقبل زاهر تخدم فيه الفكر المعاصر ، وتساير ركب المدنية ومواكب العلم والمعرفة ، كما صنعت اول مرة ، ومعنى هذا ان عالميتها المعترف لها بها اليوم ما هي الا تاكيد لعالميتها بالأمس، ولولا الظلم الذي لحقها من الاقارب والأباعد في بعض اطوار حياتها لكانت في مقدمة اللغات العالمية اليوم قوة انتشار ، وسعة ازدهار ، فقد اعلنت عن عالميتها بما ترجم من روائع تراثها الى اللغات الحية قديما وحديثا وبنضالها المرير من أجل البقاء ضد الاخطار التي احدقت بها ، تريد القضاء عليها .

وفي مقدمتها خطر الاستعمار الذي اقام سياسته على محاربتها ، والانحطاط والجهل اللذان تعاونا على تحويلها الى عامية لا تقوى على التذكير بالماضي ، ولا على النهوض بالحاضر ، والدعاة اليها لا يجهلون هذه الحقيقة ولكنهم تعاموا عنها. وكان امرهم معها كما قال الشاعر :

ونهج سبيلي واضح لمن اهتدى
ولكنها الاهواء عمت فاعمت

وختاما

لسنا نريد بهذا الحديث الآن تغيير وضع لغوي ، مرت عليه قرون ، وفرضته عوامل كثيرة ، وانما نريد أن لا يكون عائقا لنا عن نشر الفصحى لغة الدين والعلم والأدب والفنون ، لان في نشرها وتعميمها ما يعجل بتغييره وبزوال الأمية التي مكنت للعامية في البلاد ، فظهرت في ميادين لا يحسن ظهورها فيها ، والتعليم العام الذي أخذ يتقدم بسرعة ملحوظة في كثير من البلدان العربية جدير بأن يزيلها في طريقه ، ويجعل للفصحى سبيلا على العامية التي اخذت فعلا تتأثر بلغة المدرسة تأثرا يرفعها تدريجيا الى مستوى الفصحى وبذلك تزول المشكلة ويجد تعريب الأوراق والدفاتر ، طريقه الى تعريب الألسنة والضمائر .

هذه لمحة سريعة تعرضت فيها باختصار لبعض ادوار اللغة العربية الفصحى التي مرت بها ، والعوامل التي اثرت فيها رقيا وانحطاطا الى ان اصبحت تحتل مكانها بين اللغات العالمية الحية في منظمة اليونسكو بفضل كفاحها ومقاومتها لكل سياسة استعمارية قامت على الكيد لها والتآمر على حياتها بوسائل مختلفة باءت كلها بالفشل في النهاية ، واذا ما أشرت فيها الى بعض من وقفوا في طريق نهوضها من الطوائف مواقف خذلان وغمط لحقوقها ، فانا لم اقصد شخصا بعينه ، ولم ارد احدا بسوء من ذوي تلك المواقف المعادية لها ، وانما اردت تسجيل بعض ما تقلبت فيه من اهوال وعراقيل حتى تم لها هذا النصر المبين . ■■

الجزائر ـ باعزيز بن عمر



ماذا يفعل هذا الشعور بنا ؟

وكيف نخلص أنفسنا منه ؟

بقلم : منير نصيف



■ كتب اونورى دى بالزاك Honore De Balzac ، كاتب فرنسا الشهير (١٧٩٩ ـ ١٨٥٠) يصور احاسيسه ومشاعره في احدى مراحل حياته المبكرة ، تلك التى لازمته وانعكست في بعض قصصه ومؤلفاته عندما امسك بالقلم ليكتب ويصبح واحدا من مشاهير الادباء في العالم ..

كتب بلزاك يقول : « كنت في الحادية عشرة ، وكانت اختى التى تصغرنى بستة عشر شهرا هي صديقتي الوحيدة ، كنا نلعب معا ، ونأكل معا ، وننام معا ، فلم يكن لي اصدقاء ! »

« وكثيرا ما كنت أتساءل : ولكن لماذا لا يكون لي أصدقاء .. ما هو سر عزوفهم عن دعوتي لمشاركتهم اللعب .. أليس غريبا ان يلجأوا الى، عندما يشعرون بعجزهم عن فهم دروس الجبر والحساب ، ثم ينسوننى عندما يخرجون للهو واللعب ! ؟ »

ذكريات الطفولة

كانت ليلة من ليالي الشتاء البارد بمدينة تور Tours ، بفرنسا ، عندما جلس الصبي الصغير بلزاك وراء زجاج نافذته يرقب الثلوج المتساقطة ، وأبناء الحي وهم يلعبون فوق التل القريب ، فيتراشقون بالثلج ثم يجمعونه ليصنعوا منه التماثيل ! وكانوا يمرحون ويغنون .. اما هو فقد كان يبكى لان احدا من هؤلاء الاصدقاء لم يهتم بدعوته لمشاركتهم في لهوهم !

وفجأة سمع الصبي الصغير صوت والده ، لقد كان يقف على مقربة منه ، ويرقب الانفعالات التى ظهرت على وجهه ، الى أن سمعه ينتحب ، فربت على كتفه في رفق وقال يحدثه : « لماذا تحزن يابني ؟ »

وقال الصبي : « لانهم لا يريدونني .. ولا

« ما أكثر الخير الذى كان يعود علينا، لو أننا بذلنا الجهد الكبير الذى كنا نبذله فى التفكير فى الشقاء الذى يصيبنا ووجهناه وجهة أخرى ، الى العمل النافع المثمر . »

« ت . س . اليوت »



يحبونني ، ولكنني سأنتقم منهم .. لن يجدوا منى مساعدة بعد اليوم فى شرح ما غمض عليهم من دروس ! »

وابتعد الصبي عن نافذته ، وذهب يبحث عن اخته التي كانت تلهو بعرائسها الصغيرة ، فجلس معها يساعدها على اعداد العرائس للنوم !

تصرف صبياني .. ولكن من منا نحن الكبار ، لم يفكر مثلما فكر بلزاك ، ويتصرف مثلما تصرف، ويفعل ما فعله هذا الصبي الصغير الذى شعر بالحقد على اصدقائه لانهم لم يشركوه في لعبهم ولهوهم ؟

الحقد عند بلزاك

ان بلزاك نفسه لم يستطع أن يتخلص من هذه الصور وغيرها من صور اخرى كان يعاني منها فى طفولته ، الا بعد أن امضى سنوات طويلة من البحث فى طبيعة النفس البشرية ، ومن الغوص فى أعماق الانسان ودراسة أخلاقه ومزاجه ..

ولم يكن بلزاك حاقدا على أصدقاء طفولته فحسب ، بل لقد حقد على امه ايضا ، تلك المرأة التى حجبت عن طفليها الحب والعطف والرعاية التى يبحث عنها كل طفل ، لأنها هي بدورها كانت حاقدة على نفسها وعلى والديها وعلى نصيبها من الحياة ، تلك التى جمعتها برجل يكبرها باكثر من ثلاثين عاما ، فاصبح زوجا ووالدا لطفليها !

قال بلزاك بعد هذا في كتابه « سيكولوجية الزواج » :

« ان الحقد عدوى .. فاذا اصاب هذا المرض

أحد أفراد الاسرة .. انتقلت عدواه الى الأسرة كلها ! »

عالم الاحقاد

ونحن نعيش في عالم مليء بالأحقاد .. اننا نحقد اذا تخلى عنا الحظ ، او تخلف بنا قطار الحياة .. ونحقد اذا فاتتنا ترقية او اذا كانت الترقية من نصيب غيرنا سواء كان يستحقها او لا يستحقها .. ثم نحقد اذا شعرنا بان ازواجنا او اولادنا لا يقدرون ما نبذله نحوهم من جهد ومن تضحيات .. ونحقد اذا أساء الينا صديق ، او اغتابنا في غيابنا،ونحقد بعد هذا كله لأي سبب ولاتفه سبب .. ونذهب لننام بعد أن ينتهي النهار ، وعندها فقط نشعر باثر هذا الحقد وما تركه في نفوسنا واذهاننا ، فقد هرب النوم من اعيننا ، وعبثا نحاول أن نطرد من رؤوسنا تلك الافكار المعتمة التي استبدت بها وسيطرت عليها..

لا نستطيع أن ننسى !

كتبت زوجة شابة تشكو ، قالت : « انني مضطرة الى العيش مع شقيقي وزوجته ، فقد توفي والدانا ، ولم يعد لي من عائل يرعاني سوى شقيقي الوحيد .. ولكن زوجته لا تريدني في بيتها .. انها تقسو في معاملتها معي ، وتغلظ لي القول .. انني لا أستطيع أن أنسى ذلك اليوم الذي قررت فيه زوجة اخي أن تصطحب زوجها للقيام برحلة خارج المدينة عندما علمت ان اليوم هو عيد ميلادي ، وذهب شقيقي وزوجته دون أن يتمنيا لي عيدا سعيدا ! »

لقد شاء سوء حظ هذه الفتاة أن يموت والداها قبل أن تتزوج ، وهكذا اضطرت الى الاعتماد على شقيقها ولو كانت تعمل لتغير الحال ، فقد كان من الممكن أن تعتمد على نفسها وتستقل بحياتها.. ومن أجل ذلك تحقد هذه الفتاة على شقيقها وعلى زوجته ، ويضاعف من حقدها انها لا تستطيع ان تنسى .

الحقد .. وحوادث الطلاق

يقول علماء النفس ان حملنا للضغينة بطريقة شعورية أو لا شعورية ، وتذكرنا بصورة دائمة لما سبق أن تعرضنا له من اذلال أو مهانة ، واحساسنا المستمر بالظلم الواقع علينا .. كل هذه العوامل تغذي الشعور بالحقد في نفوسنا ، وتدفعنا دفعا الى كراهية كل شيء يمت الى الحياة من حولنا بصلة ..

لقد احصوا حوادث الطلاق في عام واحد ، فوجدوا ان أكثر من نصفها يرجع اساسا الى نشوب خلاف بين زوجين ، كان من الممكن ومن السهل ازالة أسبابه ودوافعه ، لولا ان الزوجة لا تريد أن تنسى ـ أو ان الزوج لا يستطيع ان يطرد حوادث هذا الخلاف من راسه !

لماذا اذن نضيع حياتنا في التفكير في احداث ومشاكل ومسائل ، كان يمكن ان تطوى ، كما تطوى صفحات الكتاب الذي فرغنا من قراءته ، وننساها أو نتناساها مع الزمن ؟

يقول الفيلسوف اروين ايدمان Erwin Edman « اننا نحترق حقدا .. ولو أننا كرسنا تلك الطاقة الضخمة التي بذلناها في البكاء على جراح الماضي ، في تحسين الظروف والاحوال التي تثير احزاننا من حولنا ، لاستطعنا ان نغير من انفسنا ونغير من مسلك وتصرفات كل هؤلاء الذين تسببوا في اثارة احقادنا » .

حياة جديدة

يروي احد قضاة الانجليز قصة رجل قضى في السجن ستة عشر عاما لادانته في جريمة قتل لم يرتكبها.. فقد كان القاتل هو عم السجين ، وقد رفض ان يعترف بجريمته ، وكانت النتيجة ان تحمل ابن اخيه العقاب الذي استحقه العم .. وخرج البريء المدان من السجن ، ولكن لا لينتقم ، وانما ليبدأ حياة جديدة في الاربعين من عمره .. فقد دخل مدرسة ليتعلم فيها الوعظ والارشاد ، لكي يعود بعد هذا بما تعلمه الى زملائه وراء قضبان السجن يحدثهم ويرشدهم ويوجههم الى ما فيه خيرهم وخير الانسانية التي يمثلها هذا الرجل الذي ظلمه المجتمع .

والاطباء ينصحوننا بان ننسى ونعفو .. فهم يؤكدون ان ٨٠٪ من حالات الصداع وسوء الهضم

وفقر الدم وقرحة المعدة وارتفاع ضغط الدم سببها الاساسي تفكيرنا المستمر في احزاننا وحقدنا على الناس وسخطنا على الحياة وعلى كل من يعيشها ! حتى مرضى القلب ، ليسوا هم وحدهم الذين يعملون اكثر من طاقتهم ، ولكنهم ايضا هؤلاء الذين يشعرون بالسخط على عملهم المرهق الكثير ..

اسباب الحوادث

حتى حوادث المرور ، لقد ثبت من الاحصاءات التي اجريت كجزء من تلك المحاولات الدائبة للتقليل منها والحد من خطرها ، ان ٤٠٪ من هذه الحوادث ، يقع نتيجة للحالة النفسية السيئة التي يعاني منها سائق السيارة نفسه او المشاة الذين تشغلهم مشاكلهم عن رؤية الخطر المحدق بهم وهم يعبرون الشارع .

والمرأة كذلك ، تلك التي تعيش بين جدران بيتها ، انها معرضة للحوادث والاخطار التي قد تنجم عن سوء استعمال موقد الغاز او التيار الكهربائي ، اذا كانت من هذا النوع الناقم دائما ، الحاقد على الحياة وعلى نصيبها منها !

وكذا الانتاج في المصانع والشركات ، كثيرا ما يتأثر نتيجة للسخط الذي يشعر به العاملون تجاه رئيسهم او المسئول عنهم ..

البحث عن الاسباب

ماذا نفعل لكي نخلص انفسنا من هذا الشعور ؟ ان اول خطوة يتحتم علينا ان نخطوها هي ان نبحث عن مصدر هذا الشعور بالمرارة او الحقد الذي يملأ نفوسنا ، ثم نبذل كل ما في وسعنا بعد ذلك لازالة مسبباته ودوافعه .. وسوف نكتشف من خلال محاولتنا هذه ان السبب كامن في نفوسنا نحن .. ولكنها الطبيعة البشرية هي التي تجعلنا دائما نتغاضى عن اخطائنا ومساوئنا ، ونحاول ان نلقي دائما اللوم على الآخرين .

يقول سومرست موم : «اليس غريبا انتكتشف دائما ان اسلحتنا الهجومية اقل خطرا بكثير من اسلحة غيرنا .. ولكن ربما كان السبب هو اننا نعرف كل الظروف التي استخدمنا فيها اسلحتنا ولذلك فنحن نغفر لانفسنا مالا نستطيع ان نغتفره للآخرين ! » .

لا بد أن ننسى

اما الخطوة الثانية التي يجب أن نخطوها في سبيل التخلص من شعورنا بالمرارة او الحقد ، فهي أن نحاول أن ننسى ..

روى احد الكتاب قصة زوجين ، فقدا ابنهما الوحيد في ميدان القتال .. وقال الكاتب يكمل روايته : « لقد كان والداه يحبانه حبا يفوق كل تصور ، حتى انهما رفضا ان يتركا للحزن والمرارة على فقد ابنهما الوحيد ، اية فرصة لافساد تلك الذكرى الجميلة العاطرة التي يحملانها له في قلبيهما . »

ترى ماذا فعل هذان الأبوان ؟

قال الكاتب : « لقد جمعا كل مالديهما من مال وافتتحا به مدرسة اطلقا عليها اسم ابنهما ، لتعليم ابناء الشهداء الذين ماتوا معه في الحرب بالمجان ! »

ولكن التخلص من الشعور بالحقد والمرارة لا يكفي وحده ، فالعقلاء هم الذين يملأون نفوسهم بعد ذلك بآمال جديدة للمستقبل .

الحياة والجمال

وكما ان الحب يولد الحب ، كذلك الحقد يولد الحقد ويغذيه ، ومهما كانت اسباب شعورنا بالحقد ، فهي لا تستحق منا كل هذا الاهتمام الذي يستنفد جانبا كبيرا من نشاطنا وحيويتنا وتفكيرنا .. وكثير من الصور الجميلة من حولنا تحجبها عنا الجراح المفتوحة التي ما زالت تنزف دما ، الشمس تشرق ولكننا لا نراها ولا نشعر بدفئها ، والطيور تغرد فلا نسمعها ، الزهور تتفتح ونحن غافلون عنها ..

ان الحياة مليئة بالجمال .. فلماذا لا نستمتع بها ، لماذا لا ننسى احقادنا ، وندفن احزاننا لنرى هذا الجمال ونتمتع به ، قبل ان يتوقف بنا قطار الحياة في نهاية رحلته ! ■■

منير نصيف

كتابا الشهر: أخطار التخطيط الصناعي
أخطار التقدم العلمي

حياة بنيت على العلم

تاليف : يوسف مروه

■ من البديهات المسلم بها ان المرء لا يستطيع ان يقدر موقفه من خصمه ، الا اذا عرف مواطن قوة هذا الخصم وضعفه ، ولهذا قالوا : « اعرف عدوك » على حقيقته ، اذا اردت ان تتغلب عليه . ومعركتنا مع اسرائيل ليست معركة عسكرية فحسب ، بل هي ايضا معركة في ميادين متعددة : سياسية ، واقتصادية ، وثقافية ، ونفسية ، واعلامية ... انها معركة حضارية . وما فشلنا في الماضي سوى نتيجة للحظر الذي فرضناه على انفسنا بان نجهل كل شيء عن اسرائيل ، واذا عرضنا عنها شيئا فيجب ان تكون الاشياء التي ترضينا ، وان لم يكن لها أساس من الواقع .

واذا كان علينا ان نعرف عدونا على حقيقته ، فان هذه المعرفة وحدها لا تكفي ، لانه يجب ان نضم اليها ايضا معرفة بانفسنا ، لنستطيع ان نبني والطريق امامنا واضح ، والهدف بين . وفي رايي اننا لم نفعل شيئا ذا قيمة ، حتى الآن ، في أى من هذين الميدانين .

وهذان الكتابان للمهندس الكيميائي الفيزيائي يوسف مروة محاولة مبسطة للتعريف بما يجرى اليوم في اسرائيل ، في كل من ميدان الصناعة والعلم . والملاحظ في هذين الكتابين ، وهما من منشورات مركز الابحاث ببيروت ، ان المؤلف [illegible] على مصادر عدة ، كلها رسمية [illegible]

وانا هنا انقل الاخ[illegible] وردت [illegible]

الكتاب الأول في عشرة فصول

صدر هذا الكتاب « اخطار التخطيط الصناعي في اسرائيل » في ديسمبر (كانون الاول) ١٩٦٨ ، وفصوله هي : ملامح الصناعة الاسرائيلية ، صناعة الاغذية والاطعمة ، صناعة الاغذية المعقمة بالاشعاع ، صناعة المنسوجات والأزياء ، صناعة





في إسرائيل

في إسرائيل والتكنية

■ التقدم العلمي في اسرائيل

■ التقدم الصناعي في اسرائيل

■ التقدم الذري في اسرائيل

• • •

فهل نحن مدركون لهذه الأخطار ..

وهل نحن لاحقون ؟ !

وهل سوف نظل في الشعر منظوم ومنثوره

الى الأذقان غارقين ؟ !

بقلم الدكتور : محمود السمره

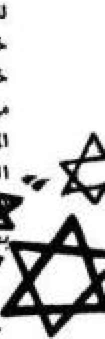
عميد كلية الآداب بالجامعة الاردنية

مواد البناء ، صناعة المواد الكيميائية ، صناعة النظائر المستقرة والمشعة ، صناعة الماس ، صناعة المعادن والكهرباء ، ملحق حول التنقيب عن البترول .

ملامح الصناعة الاسرائيلية

ان الاقتصاد الاسرائيلي لا لون له ، فلا هو اشتراكي ، ولا هو راسمالي ، لاننا نجد مشروعات القطاع الخاص الى جانب مشروعات القطاع العام، الذى تديره الدولة . وهو اقتصاد مرن ، لان اسرائيل فتحت ابوابها منذ انشائها ، لكل يهود العالم ، ليهاجروا اليها .

ومنذ قيام اسرائيل سنة ١٩٤٨ ، وهي تخطط وتجهد لتجعل مجتمعها مجتمعا صناعيا . وفلسطين ليست غنية ، ولا فقيرة ، في المواد الاولية اللازمة للصناعة : ففيها حوالي اربعين مليون طن من خامات الحديد ، ونحو احد عشر مليون طن من خامات النحاس ، واكتشف خام المنغنيز بالقرب من ايلات ، وتوجد كميات كبيرة من مركبات المغنيسيوم في البحر الميت ، كما تتوفر خامات الكلس في الطرف الجنوبي للبحر الميت . ويقدر خبراء حجم الأملاح الموجودة في البحر الميت بحوالي مائة وخمسين مليونا من الامتار المكعبة .



والبحر الميت هو اغنى مصدر للاملاح المعدنية . ويوجد الجبس بكميات تجارية في وادى بيسان . وهناك انواع مختلفة من الرخام . وقد بلغ مجموع الاستثمارات في الصناعة الاسرائيلية ، حتى نهاية عام ١٩٥٨ ، أكثر من (٧٠٠) مليون دولار .

ونستطيع أن نقسم الصناعة الاسرائيلية ، من حيث علاقة الانتاج بالطاقة البشرية والرأسمال والارض ، الى ثلاثة اقسام ، هي : القطاع الخاص، والقطاع الجماعي ، وقطاع الدولة .

اما الراسماليون ، رجال القطاع الخاص ، فان شأنهم في الحياة الاقتصادية آخذ في التضاؤل . ولا توجد ملكية فردية في القطاع الجماعي ، ويضم هذا القطاع الصناعات القائمة في بعض المدن والمزارع الجماعية بنوعيها الكيبتس والموشاف . ويتمثل قطاع الدولة بالمصانع التى تملكها الدولة او التى تديرها مباشرة ، وعمال هذا القطاع موظفون في الدولة .

وتشكو هذه المصانع من التفاوت في تدريب العمال ومهارتهم : فبينما نجد عمالا في مستوى

يضاهي مستوى العمال الفنيين في اوروبا الغربية وامريكا ، نجد الى جانبهم عمالا ليس لديهم اية مهارة او خبرة ، وهؤلاء عادة من اليهود الشرقيين. وقد ارتفع عدد العمال في المصانع بسرعة فائقة : فقد كان عددهم سنة ١٩٤٨ نحو ٥١٫٠٠٠ عامل ، واصبح سنة ١٩٥٨ يزيد عن ١٥١٫٠٠٠ عامل . وبلغ الانتاج الصناعي في هذا العام مبلغ (٩٨٠) مليون دولار ، حسب السعر الرسمي . وفي عام ١٩٦٣ ارتفع عدد العمال في الصناعة فاصبح ٢١٥٫٠٠٠ عامل ، عدا آلاف العمال الذين يؤدون خدمات متعددة للصناعة في عمليات المواصلات البرية والبحرية والجوية ، وفي البنوك وشركات التامين والاعلان ، كمدققي الحسابات والمحامين والوكلاء والمهندسين والبنائين ومصممي الاشكال والازياء . وفي هذا العام ، اي عام ١٩٦٣ ، تجاوزت صادرات الصناعة مبلغ (٢٦٠) مليون دولار وهذا المبلغ يساوي ٢٦٪ من مجموع المبيعات الصناعية .

وتصدر اسرائيل انتاجها الصناعي الى ٢٦ بلدا ، منها ١٨ بلدا في اوروبا ، تضاف اليها الولايات المتحدة ، وكندا ، وتركيا ، وبورما ، وجنوب افريقية ، والدول الافريقية عامة .

وتشكل الصناعة ٢٥٪ من الانتاج القومي ، وتشغل ٢٦٪من مجموع الايدي العاملة . وتعتمد اسرائيل على الصناعة ، لانها وسيلتها لجعلها قادرة على استيعاب المهاجرين الجدد ، ولذلك فهي تخطط من اجل تصنيع اسرائيل كلها ، من قرية الخالصة في الشمال حتى ايلات في الجنوب . ويعتبر خبراء الاقتصاد الاسرائيلي ان قيام سياسة صناعية ترتكز على مختلف عمليات التخطيط الفيزيائي ضرورة ملحة لاسرائيل .

ومن الجداول الكثيرة الملحقة بهذا الفصل . نقف عند الارقام التالية :

صناعة الأغذية والأطعمة

زاد معدل الصادرات من المنتجات الغذائية من ٨٫٤ مليون دولار عام ١٩٥٨ ، الى ١٩ مليون دولار عام ١٩٦٠ ، ثم قفز الى ٢٩٫٩ مليون دولار عام ١٩٦٢ . ومن المنتجات الغذائية الناجحة في الأسواق الخارجية الحمضيات المصنعة ، وقهوة نستله ، والشوكولاته . وتشكل صادرات المواد الغذائية حوالى ٦٪ من مجموع الصادرات الاسرائيلية .

وبسبب المضاربة الحادة فى الاسواق الخارجية فقد عنيت اسرائيل بان تكون السلع المصدرة جيدة التغليف ، جذابة المنظر . وهذا دفعها ايضا الى استخدام احدث الآلات ، والأساليب .

وتشير تقارير الخبراء في اسرائيل الى انها ستحصل على مبلغ ٧٢٫٥ مليون دولار من صادرات صناعة الأغذية ، وذلك في عام ١٩٧٠ ، وهذا المبلغ سيكون مساويا لربع قيمة الانتاج الكلى من صناعة الأغذية . ويعمل فى هذه الصناعة ٣٩٫٧٧٥ عاملا.

صناعة الاغذية المعقمة بالاشعاع

تعتبر صناعة التعقيم الاشعاعى من احدث الصناعات التى جاءت متممة لصناعة الأغذية ، وهى اليوم تلعب دورا هاما في تطوير صناعة الأغذية الاسرائيلية . ولا يزيد عمر هذه الصناعة عن اثنتى عشرة سنة .

وقد ساهمت اسرائيل في اعمال اربعة مؤتمرات علمية دولية عقدت خصيصا لمناقشة مواضيع التعقيم النووى للاغذية والاطعمة . وقد اجمع الخبراء المجتمعون في هذه المؤتمرات على ان عملية التعقيم النووى هى الطريقة المثلى في تعقيم المواد الغذائية لان التعقيم النووى (الاشعاعى) لايبدل شيئا من طبيعة الغذاء فاذا كان الغذاء طازجا ،

عدد العمال والمستخدمين في المصانع	سنة ١٩٦٥	٢٣٥٥٦٠	عاملا
الصادرات	سنة ١٩٦٦	٤٧٧	مليون دولار
الصادرات الى المانيا الاتحادية	سنة ١٩٦٥	٤٠٫٠٧	مليون دولار
الصادرات الى الولايات المتحدة	سنة ١٩٦٥	٦٢٫٢٢	مليون دولار
الصادرات الى بريطانيا	سنة ١٩٦٥	٥٠٫٨	مليون دولار
الصادرات الى سويسرا	سنة ١٩٦٥	٢٥٫١٥	مليون دولار
الصادرات الى فرنسا	سنة ١٩٦٥	١٦٫٠١	مليون دولار
الصادرات الى هولندا	سنة ١٩٦٥	٣٦٫٥٩	مليون دولار

أى غير مطهى ، فانه يبقى كذلك . وهذه الطريقة هامة ، وخاصة بالنسبة للبلاد النامية التى تفتقر الى وسائل التخزين ، والتبريد الواسعة .

وفي سنة ١٩٦١ وضعت اسرائيل تشريعا اجازت بموجبه للمستهلك الاسرائيلى ان ياكل الأطعمة والأغذية المعقمة نوويا ، فكانت بهذا رابع دولة في العالم ، بعد الولايات المتحدة ، وكندا ، والاتحاد السوفييتى وقد شععت اسرائيل البطاطا بقصد منع التبرعم ، وكذلك البصل ، كما شععت البرتقال الشموطى بقصد حفظه ضد التلف .

وقد اقيم مختبر تشعيع الأغذية الاسرائيلى في روخوبوت ، وهو تابع لمؤسسة الطاقة الذرية الاسرائيلية . وقد وضعت مؤسسة الطاقة الذرية الاسرائيلية برنامجا واسعا للتعقيم النووى ، بحيث تكون قادرة في سنة ١٩٧٠ على تشعيع اللحوم والأسماك والحبوب والليمون والتفاح والفواكه الطازجة والمجففة والاطعمة المعلبة .

صناعة المنسوجات والأزياء

بلغت قيمة صادرات اسرائيل من المنسوجات والأزياء عام ١٩٦٢ ، مقدار ٣١٫٣ مليون دولار . وفي تقدير الخبراء ان قيمة هذه الصادرات في عام ١٩٧٠ ستبلغ ١٠٨٫٧ مليون دولار . وتقول التقارير ان الملابس الخارجية الاسرائيلية لها شهرة في الاسواق الخارجية ، من حيث النوع والنقوش والرسوم ، وذلك لأن العاملين في هذه الصناعة خبراء من الدرجة الاولى . ويقام في كل عام عروض ازياء موسمية للدعاية لدور الأزياء الاسرائيلية ، وذلك في البلدان الاوروبية والولايات المتحدة ، وجنوب افريقية .

صناعة المواد الكيميائية

يرى الخبراء ان صناعة المواد الكيميائية لم تصل حتى الآن الى المستوى المطلوب ، ولكنهم يرون في الوقت نفسه انها ستصبح في السنوات القليلة القادمة من الأسس الهامة في بناء الاقتصاد الاسرائيلى . وقد قدر انتاج الكيميائيات عام ١٩٦٢ بمبلغ (١٩٠) مليون ليرة اسرائيلية (الدولار الأمريكى = ٣٫٥ ليرة اسرائيلية) ، من مجموع الانتاج الصناعى الاسرائيلى البالغ (٣٢٠٠) مليون ليرة اسرائيلية . ويعمل في هذه الصناعة ١٢٫٠٠٠ عامل . واذا كان دخل اسرائيل من صادر هذه الصناعة قد بلغ ٧٫٥ مليون دولار عام ١٩٦٢ ، فان التخطيط ان تبلغ قيمة الصادرات منها حوالى (٧٣) مليون دولار ، وذلك عام ١٩٧٠ . واهم فروع الصناعة الكيميائية في الوقت الحاضر ، هى : صناعة الكيميائيات الأساسية التى تضم منتجات كالاسمدة والحوامض والكلوريدات والصودا الكاوية والفحمية ، وصناعة الادوية ، ومبيدات الحشرات ، والعطور والزيوت العطرية ، والمنظفات والمطهرات ، والدهانات والملونات .

وفي بداية عام ١٩٦٢ بدا ممولون من الولايات المتحدة ، وامريكا اللاتينية واسرائيل ، ببناء المنشآت الكيميائية البترولية الاسرائيلية Israel Petrochemical Works التى تصنع الفضلات الناتجة عن تقطير البترول الخام في مصافي حيفا .

وهناك صناعة المطاط الاسرائيلية التى من اهم منتجاتها : عجلات السيارات ، والأحذية .

صناعة النظائر المستقرة والمشعة

وتعتبر صناعة النظائر بفرعيها المستقرة والمشعة من احدث واهم واخطر الصناعات القائمة حاليا في بقاع العالم المتقدم . وقد بدات هذه الصناعة في اسرائيل منذ شهر اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٦١ . وتستهلك الصناعة والزراعة والمستشفيات الاسرائيلية كميات كبيرة من النظائر المشعة المنتجة في المفاعل الذرى القائم في (نحال سوريك) كما ان قسما من الانتاج يصدر للدول النامية . ويعرف مركز انتاج النظائر المشعة باسم « وحدة انتاج النظائر » ، وهو تابع لمختبرات لجنة الطاقة الذرية الاسرائيلية .

صناعة الماس

تعتبر اسرائيل سوقا دوليا لتجارة الماس ، وقد بلغت كمية الماس التى صدرتها اسرائيل عام ١٩٦٢ مقدار ١٫٠٧٠٫٠٠٠ قيراط (القيراط ٠٫٢ غرام) من الماس المصقول ، والثمن الصافي لهذه الكمية هو (٤٠٫١) ملايين دولار . وتزيد كميات الماس المصدرة سنويا بمعدل ثابت تقريبا ، هو ٢٦٫٢٪ ، اى اكثر من الربع . وهناك حقيقة هامة يجب علينا ان نذكرها ، وهى ان صناعة الماس هى الصناعة الوحيدة في اسرائيل التى يصدر كل انتاجها .

وتحصل اسرائيل على المواد الاولية بسعر مناسب من بعض البلدان الافريقية ، وتقوم بتصنيعها . وهذه الصناعة تحتاج الى يد عاملة ماهرة ، لهذا السبب انشات عام ١٩٦٤ مجلسا استشاريا خاصا بشؤون صناعة الماس يضم مستشارين من وزارتي المالية والصناعة ، ويعنى هذا المجلس بتخريج المديرين والمسؤولين عن الانتاج، وتقديم التدريب اللازم للعاملين في القطع والنشر والصقل .. وتطوير طرق ووسائل فنية جديدة للانتاج . وقد قرر هذا المجلس انشاء معهد خاص للماس. وقد جاء هذا القرار نتيجة للتطور السريع في هذه الصناعة .

فصول الكتاب الثاني

والكتاب الثاني « اخطار التقدم العلمي في اسرائيل » في خمسة فصول وملحق ، هي : المعاهد التقنية العالية ونشاطاتها العلمية ، النشاط العلمي الدولي ، الذرة في اسرائيل ، الثروة المعدنية ، الأبحاث السرية الخطرة ، الاهداف العسكرية والعلمية في فلسطين المحتلة .

وقد اعتمد المؤلف ، بالدرجة الاولى ، على الوثائق الرسمية الصادرة عن اسرائيل ، وعلى الكتب التي وضعها العاملون في هذه الميادين .

المعاهد التكنية العالية ونشاطاتها العلمية

ان الجامعات ، والمعاهد العالية ذات المستوى الجامعي في اسرائيل ، تسير كلها على المنهاج الجامعي الامريكي والجامعات الاسرائيلية هي الجامعة العبرية بالقدس ، جامعة تل ابيب ، جامعة حيفا ، جامعة بار ايلان (في رامات غان). واما المعاهد التكنية العالية ، فهي : معهد اسرائيل التكنولوجي (تكنيون) في حيفا ، معهد وايزمن للعلوم في رخوبوت، المعهد الزراعي الجامعي القومي ، المعهد الاسرائيلي للبحوث البيولوجية، المعهد النباتي ، معهد النقب لبحوث المناطق الجافة ، معهد الالياف النباتية ومنتوجات الغابات . وهناك مؤسسات علمية هامة ، هي : مختبر الفيزياء الاسرائيلي ، مؤسسة المقاييس الاسرائيلية ، المجلس الوطني للابحاث والتنمية ، لجنة الطاقة الذرية الاسرائيلية ، دائرة التطوير في وزارة الدفاع الاسرائيلية .

الجامعة العبرية

وضع الحجر الأساسي لهذه الجامعة في خريف عام ١٩١٧ ، وافتتحت في أول ابريل (نيسان) ١٩٢٥ ويزيد عدد طلبتها عن عشرة الاف طالب . ويعمل أساتذة الجامعة ، في الوقت الحاضر ، في اكثر من ١٦٠٠ مشروع للبحوث ، وقد نشروا ما بين عامي ١٩٦٣ و١٩٦٤ نحو الفي بحث علمي حول نتائج البحوث والدراسات العلمية الجارية في الجامعة ، نشرت كلها في المجلات العلمية العالمية. وهناك مؤسسة خاصة تعرف باسم يسوم Yissum للبحث والتطوير، تتولى تطبيق اكتشافات العلماء الذين يعملون في الجامعة .

وتحتوي الجامعة ، في الوقت الحاضر ، على الكليات والدوائر التالية : العلوم الانسانية ، العلوم الطبيعية ، الطب ، الحقوق ، الزراعة ، العلوم الاجتماعية ، الصيدلة ، التربية . وفي سنة ١٩٦٦ تخرج من الجامعة ١٣٦ بدرجة دكتور في العلوم ، و٣٠٦ بدرجة ماجستير في العلوم .

وتهتم الجامعة العبرية بالبحوث في الميادين التالية خاصة ، وهي الفيزياء ، والكيمياء ، والاحياء ، والرياضيات . وتشرف أيضا على ادارة « مدرسة حاييم وايزمن للكيمياء » ، بحيث يمكن اعتبارها كاحدى كليات الجامعة .

معهد اسرائيل التكنولوجي (تكنيون)

Technion

بدىء العمل بهذا المعهد في بداية عام ١٩١٢ ، على جبل الكرمل ، وافتتح رسميا عام ١٩٢٤ . وبلغ عدد المشروعات الخاصة بالبحوث الأساسية والتطبيقية في عام ١٩٦٤ ، حوالي (٧٠٠)مشروع من شانها ان تقدم خدمات فنية هامة للصناعة والزراعة . وفي عام ١٩٦٦ منح هذا المعهد (٦٠٦) درجات جامعية عالية بين دكتوراه وماجستير في العلوم . وفي عام ١٩٦٧ كان في المعهد (٢٠٠) طالب يحضرون لدرجة الدكتوراه ، و (١١٠٠) طالب يحضرون لدرجة الماجستير في العلوم، وكلهم يدرسون على أيدي مجموعة من كبار العلماء في شتى فروع التخصص .

وفي بداية عام ١٩٥٩ انشئت في المعهد دائرة جديدة ، هي « دائرة الهندسة والعلوم النووية ». وكانت الغاية من انشاء هذه الدائرة ، هي

تدريب العلماء في مواضيع فيزياء المفاعلات النووية، وذلك من أجل تامين الخبراء اللازمين للعمل في المفاعلات الذرية في نبي روبين ، وديمونا ، وريشون ليزيون ، وناحال سوريك. وقد صرح رئيس دائرة العلوم النووية مرة قائلا : « ان مهمة التكنيون هى خلق العلماء الكبار الذين يستطيعون الاشراف على ادارة أعمال المفاعل الذرى والمشاريع الذرية الهامة . ولا ريب فى أن معهد التكنيون في اسرائيل لا يقل شأنا عن معهد ماساشوستس التكنولوجى في الولايات المتحدة M.I.T. » .

ويعتبر معهد « اينشتاين للفيزياء » من اهم الفروع العلمية في التكنيون .

معهد وايزمن للعلوم

تأسس هذا المعهد في رخوبوت عام ١٩٣٤ . وقد تولى الدكتور وايزمن ، الكيميائي المعروف، اول رئيس لدولة اسرائيل ، ادارة هذا المعهد لمدة طويلة . وقد اختص هذا المعهد بدراسة الكيمياء العضوية والأحياء الميكروبية . ولا شك ان هذا المعهد هو أكبر مركز للبحوث في اسرائيل ،واهمها. وهو يتمتع بشهرة عالية كبيرة . ونجد فيه احدث الأجهزة والمعدات ، وفيه ايضا احدث دماغ الكترونى . والطلبة الذين يدرسون في المعهد ويشتغلون في مختبراته ، هم من خريجي الجامعات الذين يحملون شهادة جامعية عالية لا تقل عن الماجستير ، ويحضرون لنيل شهادة دكتوراه في العلوم . وقد بلغ عدد طلبته في العام الدراسي ١٩٦٦ ـ ١٩٦٧ حوالى (٣٢٠) طالبا . وهناك شركة خاصة للبحث والتطوير ، انبثقت عن المعهد، مهمتها تحقيق الأفكار الجديدة والاختراعات التى يتوصل اليها علماء المعهد ومهندسوه ، بحيث يمكن الاستفادة منها عمليا ، وعلى نطاق تجارى واقتصادى .

وكان في المعهد عام ١٩٦٧ حوالى (٢٢٠) عالما، بالاضافة الى (١٥٠) خبيرا يعملون في مختبرات المعهد وكلياته . وهذا المعهد لا يقل ، في مستواه عن اكثر الجامعات الأمريكية شهرة . وفي المعهد قاعة للمحاضرات العامة تعتبر من اكبر القاعات في العالم واهمها .

ومن البحوث التى قام بها المعهد انه قام باحداث هزات ارضية اصطناعية من اجل دراسة الصخور الموجودة في باطن الارض ، واكتسب علماؤه بذلك خبرة هامة جعلتهم قادرين على مراقبة ورصد الزلازل الطبيعية ولو كانت على بعد آلاف الكيلو مترات .

ويعتبر الدماغ الالكتروني الموجود في دائرة الرياضيات التطبيقية من أهم الأدمغة الالكترونية في العالم ، ويحمل اسم وايزاك Weizac ، وهو من صنع المعهد . ويتألف من (١٨٠٠) انبوب الكترونى مفرغ ، ويحتوى على ذاكرة الكترونية تستطيع خزن عشرات الالوف من الارقام ، ويمكنها القيام بربع مليون عملية جمع في الثانية .

وتجرى في « دائرة البيولوجيا التجريبية » ابحاث هامة ، من أجل التوصل لمعرفة أسباب مرض السرطان .

النشاط العلمى الدولى

وتشير احصائيات اليونسكو ان العالم يشهد خلال السنوات العشر من ١٩٥٥ ـ ١٩٦٥ ،نشاطا علميا هاما في ميادين الأبحاث الذرية والفيزيائية والكيميائية والبيولوجية والكهربائية والمناخية والمائية والمعدنية والجيولوجية وقد بلغ مجموعها (٥٥٠٢) مؤتمرا علميا . وقد شاركت الولايات المتحدة بأعمال ٩٤٪ من هذه المؤتمرات ، واسرائيل ٨٨٪ ، وبريطانيا ٨٦،٥٪ ، والمانيا ٨٤ ٪ ، وفرنسا ٨١٪ والاتحاد السوفيتي ٧٢٪. واسرائيل تحرص على المشاركة في أعمال هذه المؤتمرات ، لأغراض دعائية . كما انها مكنتها من عقد اتفاقيات ثنائية للمساعدة الفنية . والجدير بالذكر هنا ان طلاب الدراسات الذرية في مركز « ديمو قريطس » اليونانى بأثينا ، الذين يحضرون لدرجة دكتوراه في الفيزياء الذرية ، لا تمنح لهم الدرجة العلمية الا بعد ان يكونوا قد قضوا ثمانية اشهر في اسرائيل يتدربون في مختبراتها الذرية .

وهكذا نجد ان اسرائيل لم تكتف بحضور المؤتمرات ، بل نجحت ايضا في اجتذاب الفنيين والعلماء اليها ، ودعتهم الى مؤتمرات مماثلة تعقد فيها .

برنامج الترجمات العالمية

ومنذ عام ١٩٦٠ بدأت اسرائيل بتنفيذ برنامج علمى هام يعرف باسم « البرنامج الاسرائيلى للترجمات العلمية I.P.S.T. » . ومقر هذا البرنامج مبنى مؤلف من ستة ادوار في القدس .

وهو يقوم بترجمة اكثر من ٦٠ الف صفحة سنويا، وتعتبر هذه المؤسسة من اهم مؤسسات الترجمة في العالم ، اذ انها تنشر ١٦٠ كتابا جديدا سنويا. وهي تعتبر ضرورية للبحث العلمي الحديث ، لانها تطلع العلماء في اسرائيل على ما يجرى من ابحاث في البلدان الأخرى المتقدمة . واكثر ترجماتها عن اللغة الروسية » .

العلماء الزائرون

وتسعى اسرائيل دوما الى دعوة العلماء المعروفين اليها ، وتقيم علاقات صداقة معهم ، وعلينا الا ننسى أن عددا كبيرا من هؤلاء العلماء هم من اليهود . وقد قام كبار علماء الذرة اليهود في امريكا بتدريب مبعوثي اسرائيل في هذا الميدان.

ومن العلماء الكبار الذين زاروا اسرائيل : الدكتور روبرت اوبنهايمر Openheimer ، الذي زارها في ١٩٦٥/١٠/١٨ حيث حضر اجتماعات مجلس ادارة «معهد وايزمن للعلوم» . واوبنهايمر هو الذي لعب دورا هاما في صنع القنبلة الذرية الامريكية سنة ١٩٤٥ ، وشغل منصب رئيس مختبرات لوس الاموس الذرية وتولى منصب رئاسة لجنة الطاقة الذرية الامريكية . وقد توفي في ١٩٦٧/٢/١٩ .

وزارها الدكتور ادوارد تيلر Teller عالم الذرة الامريكي المعروف بابي القنبلة الهيدروجينية بتاريخ ١٩٦٥/٢/١٢ ، وتفقد معاهد الفيزياء النووية في القدس ، ورخوبوت ويافن وحيفا ، وقدم بعض التوجيهات التكنية لرؤساء هذه المعاهد . وترى بعض الأوساط العلمية ان خبر انتهاء اسرائيل من صنع قنبلتها الذرية الاولى ، قد تسرب عن طريق ملاحظات هذا العالم .

وزارها البروفسور بافيل نيراك B. Nerac استاذ الفيزياء في جامعة كيمبردج ، والبروفسور ليبي Libby ، مكتشف طريقة التاريخ بواسطة الكربون المشع ، وحامل جائزة نوبل في الكيمياء ، وهو استاذ في جامعة كليفورنيا . وقد أعلن بروفسور ليبي بعد عودته ، أن هناك مشاريع تعاون مشتركة في ابحاث الفضاء ، بين معهده وجامعة تل أبيب . ولو اردنا أن نورد اسماء العلماء الكبار الذين زاروا اسرائيل ، وتفقدوا معاهدها ، وقدموا لها خبراتهم ، لحصلنا على قائمة طويلة .

مؤسسة الطاقة الذرية الاسرائيلية

لم يمض على قيام اسرائيل في فلسطين المغتصبة سوى ثلاثة اشهر ، حتى أصبحت « مؤسسة الطاقة الذرية الاسرائيلية » حقيقة واقعة ،وقامت منشآتها ومختبراتها في مدينة ناحال سوريك .

وتملك هذه المؤسسة أربعة مفاعلات ذرية موجودة في المدن التالية : ريشون ليزيون Rishon Le Zione وناحال سوريك Nahal Soreq وديمونا Dimona ، ونبي روبين Nebi Rubin وقد بلغت تكاليف هذه المفاعلات حوالي (٣٦٢) مليون دولار .

وقد نشرت مجلة « نيوسينتست » « New Scientist » الانجليزية في ١٩٦٥/١١/١٧ تقريرا لمعهد الدراسات الاستراتيجية في لندن ، جاء فيه ان بوسع المفاعل الذرى في ديمونا انتاج قنبلة ذرية واحدة في السنة ، غير ان اسرائيل لم تنف هذا النبا ، ولم تؤكده .

الابحاث الجارية

وهناك ابحاث جارية في اسرائيل ، بعضها قد فرغ منه ، وطبق عمليا ، من ذلك :

- ابحاث جارية في مختبر « معهد ابحاث المناطق الجافة » (في بئر السبع) من أجل تحلية المياه الصحراوية .
- تجارب عديدة أجريت على الامطار الاصطناعية في النقب،وذلك بالتعاون مع مؤسسات امريكية .
- تجارب أجريت من أجل مكافحة التبخر في بحيرة طبريا .
- في ايلات اقيم مصنع لفصل الملح عن الماء ، يهدف الى تامين مياه عذبة رخيصة ، بحيث يكون سعر كل ١٠٠ لتر حوالي ثلاثة فلسات ، أى ارخص من سعر الماء العذب في جل مناطق العالم.
- قامت السلطات المختصة ببناء ٢٢ مركزا لتوليد الطاقة الكهربائية للاغراض الصناعية بواسطة الرياح .
- وتوصل العلماء في أبحاثهم الى أن مقدار الطاقة الشمسية التي تهبط سنويا على متر مربع واحد في اسرائيل ، يعادل الطاقة الموجودة في ربع

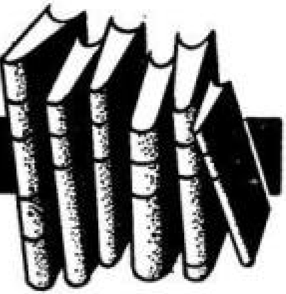
طن من البترول . وهكذا أصبح استخدام الافران الشمسية والآلات الشمسية شيئا عاديا في اسرائيل : فالماء الساخن للتدفئة المركزية ، وافران الطبخ .. هذه كلها اصبحت تعمل بواسطة اشعة الشمس . وحتى المزارع النائية التي لا تصلها خطوط الشبكة الكهربائية العامة ، اصبحت تعتمد على محطات الطاقة الشمسية لتزويدها بكل ما تحتاجه من الطاقة الكهربائية .

● طور الخبراء بصل الازهار والورود ، حتى اصبحت اسرائيل من أهم البلدان المصدرة لها ، ولا يتقدم عليها في هذا الميدان سوى هولندا .

● ويبحث علماء « معهد التكنيون » في امكانية خلق موجات مغناطيسية لتدمير القذائف الموجهة في الجو ، أو على الأقل تحويل خط سيرها عن الهدف المرسوم لها .

هذا بعض ما هو قائم الآن في اسرائيل ، وبعضه كاف لأن يدفعنا الى التفكير الجاد . ■■

محمود السمره



من الكتب التي وصلتنا

الانجليز في الشرق الأوسط
The British In The Middle East

تأليف : سارة سيرايت Sarah Searight
الناشر : اثينيم ـ نيويورك Atheneum - New York

● يستعرض الكتاب التاريخ الاجتماعي للشرق الأوسط ويتجنب النواحي السياسية التي خاض فيها كثير من الكتب . وقد ركزت المؤلفة على حياة ونشاطات كثير من الرحالة البريطانيين الذين كانوا من اوائل الاجانب الذين ارتادوا منطقة الشرق الأوسط : وكتبوا عنه في تلك الفترة من الزمان التي كانت أوربا تجهل فيها ، أي شيء عن هذه المنطقة . وقد استقت المؤلفة : وهي مؤرخة مشهورة ، معلومات الكتاب من مذكرات هؤلاء الرحالة الرواد ومخطوطاتهم ، وبذلك رسمت صورة واضحة المعالم للشرق الأوسط . وقد جمعت المؤلفة ١٥٠ صوره ، لم ينشر معظمها من قبل ، في الكتاب ، وبذلك اكملت الصورة التاريخية التي ارادت ان تعطيها للقراء عن طريق كتابها هذا .

أبو عوف وقصص أخرى

تأليف : محمود تيمور ـ الناشر : دار نهضة مصر للطباعة والنشر / القاهرة

● مجموعة قصص قصيرة .

الشهداء الحميريون في الوثائق السريانية

تأليف : اغناطيوس يعقوب الثالث ـ الناشر : مطبعة باب توما ـ ميشيل حموري ـ لبنان

● مخطوطة سريانية ضخمة مكتوبة على الرق بالقلم الاسطرنجيلي وجدت في خزانة البطريركية تشتمل على سير بعض آباء الكنيسة وملافقتها امثال مار افرام السرياني ، ومار يعقوب السروجي ومار يوحنا البلي ، وقصص بعض الشهداء والقديسين ، وهذه المخطوطة تشتمل على رسالة لمار شمعون الارشيمي تعد بحق وثيقة ، وهي تميط اللثام بنوع خاص عن ارثوذكسية مار شمعون الارشيمي والشهداء والمؤمنين الحميريين والاحباش وملكهم كالب .

ديوان الخالديين

تأليف أبي بكر محمد وأبي عثمان سعيد بن هاشم الخالدي

تحقيق : الدكتور سامي الدهان

الناشر ـ مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق

● ديوان شعر يدرس شعر الخالديين في القرن الرابع الهجري وما يمتاز به شعرهما من ناحية الاسلوب والاصالة كما يشرح المحقق كيف جمع هذا الشعر وخصائص الديوان ثم طريقة التحقيق . ■■



بقلم :

محمود تيمور

شملول

شخصيّة لا أنسَاهَا !

■ عندما اقلب ماضي حياتى ، ايام طفولتى او صباى ، احس بعد الشقة اذا وازنت بينه وبين الحاضر الذى اعيش فيه .. على اننى احس في الوقت نفسه ان احداث ذلك الماضي السحيق متدانية منى ، لم تختف عنى ، فكانما انا احياها في ايامى الراهنة .. فعلى الرغم من تعاقب السنين، أرى عصر الطفولة والصبا يتجلى في احداثــه واشخاصه واضح الملامح ، مفصل السمات ، وملء سمعى نغمة الصوت ، ولهجة القول . بل ان الشارات التافهة والمعالم الخاطفة تبدو ماثلة في



دقة كاملة ، ولكان ذلك كله يتألق تحت ضوء باهر ، فاذا ما اسدلت عليه الستر ، وفتحت جفني ، اطالع ما انا فيه من واقع الحال ، راعتني الشقة الواسعة التي تفصل بيني وبين ذلك الماضي البعيد القريب ، البغيض الحبيب !

ترسلت هذه الافكار في خاطري ، حينما امسكت بالقلم لأدون سوانح حياة « شملول » ، ذلك الذي صاحبته في رحلة العمر ، خلال فترات متقاربة او متباعدة ، فاجتذبتني شخصيته البالغة الطرافة ، المكتنزة الجوانب بنبضات الحياة الخصبة .

الذي علمته من امر « شملول » أنه لقيط ، نشأ لا يعرف له ابا ولا اما ، بل لا يعرف له كافلا يبسط عليه جناح الولاية والرعاية .. عاش تتناقله الايدي الرحيمة وغير الرحيمة ، في الازقة والحارات ، حتى انتهى به الطواف اخيرا ، وهو في الخامسة من عمره ، الى رجل علت به السن، مهنته بيع الكتب القديمة ، حانوته داره ، لا يبرحه الا فيما ندر .. ولقد وجد الشيخ في هذا الصبي عونا له في وطأة الشيخوخة التي ثقلت عليه، ولقي الصبي في كنف الشيخ امنا واستقرارا لم يعهده فيما فرط من ايامه .. ولم يقصر الشيخ في تعليم فتاه القراءة والكتابة ، وتحفيظه ما تيسر من كتاب الله .. وكان الفتى متقد الذكاء ، مشبوب التطلع ، فتابع بعد ذلك تعليم نفسه ، وصادف في حانوت الشيخ ما يشبع نهمه بالمطالعة في الكتب على اختلاف الوانها متدرجة معه ..

عرفت « شملولا » اول ما عرفته في ذلك الحانوت .. كنت في أثناء دراستي افتقر الى كتاب اعياني البحث عنه ، فدلني صديق على الكتبي الشيخ ، وعنده وجدت ما انشده . وكان « شملول » ابان ذلك يحبو الى الثانية عشرة ، واسترعى انتباهي ما يتميز به من اشراق وخفة روح ، وما في لسانه من فصاحة وذلاقة ، فلا تكاد تجاذبه الحديث حتى تؤمن بقدرته على الحوار اللبق ، والجواب الأنيس .

وكثر ترددي على الحانوت، ولقائي «الشملول»، والفيتني يوما ، والشيخ عنا في شغل ، انتبذ بالفتى مكانا قصيا من الدار . اعني مقر المكتبة، أستمع اليه يلقي بعض المقطوعات , الفقرات من

منظوم القول ومنثوره ، فاعجبت بما وهبه الله من حافظة تستوعب المأثورات ، وما أوتي من براعة في الانشاد ، وكأنه يعتلي منصة او يقف على منبر .

ومرة افضى الي بانه لا يدع حفلا سياسيا او ندوة ادبية الا سارع يستمع الى الخطباء والشعراء ، مسحورا باصواتهم الجهيرة التي تهز الارجاء .

وانقضت حقبة دون أن أذهب الى مكان الكتبي الشيخ ، فقد انصرفت الى دراستي ، ثم تلا ذلك سفري الى الخارج لاتمام تعليمي ، وعدت الى وطني أجرب حظي في الصحافة ، اذ كنت بها مشغوفا ايما شغف ، أجد فيها ميدانا رحيبا استفيد منه تجارب الحياة ، وما الصحافة الا دنيا الناس ، وقلب المجتمع ، وما هي الا الخضم الهائل الذي لا يستطيع ان يضرب في عبابه الا مهرة السابحين من ذوي المواهب والخبرات .

وسنح ببالي « شملول » ، ففتشت عنه ، حتى انتهى الى علمي أن شيخه قد قضى نحبه ، بعد ان الحق ربيبه « بالازهر » .. واما الفتى الربيب فلم يستطع أن يدلني عليه أحد ، اذ تضاربت في شأنه الأقاويل .

وعصر يوم ، كنت اجتاز « ميدان سليمان باشا » فاذا شاب يافع يقبل نحوي ، وهو يحييني تحية عامرة بالحفاوة ، واذا انا امام « شملول » !

ولما استوفينا التحايا ، قلت :

علمت أنك في « الأزهر » .. فأين العمامة والجبة ؟

فتضاحك بصوت رنان ، وهو يقول :

« الأزهر » يا سيدي اضيق من ان يحقق اطماعي في الحياة .. طلبت ميدانا أرحب .. اخترت الشارع .. انه اكبر معهد يتعلم فيه « ابن آدم » .. ان أراد أن يتعلم !

ـ ماذا تقصد ؟

ـ أصبحت كما ترى مناديا للسيارات

فصحت قائلا :

ـ من طالب ازهري الى مناد للسيارات ؟ حرام عليك يا « شملول » ..

ـ كل وما قسم له .. اني أحب الحياة الطليقة .. لا سدود ولا قيود !

ـ ولماذا لم تلتحق باحدى الصحف ؟

ـ أتريدني ان انضور جوعا ؟ ان كسبي وافر من مهنتي التي ازاولها .. بيد ان هذا لا يقلل من حبي للصحافة .

واستل من جيب سرباله رزمة من صحف ومجلات ، وسرعان ما انتزع من بينها واحدة وبسطها حيالي يشير الى قصيدة تحتل مكان الصدارة ، وقال :

يا له من شعر رائع .. انها قصيدة « حافظ ابراهيم » في حفل ابناء السبيل وشدني الى جانب من الرصيف ، وكان على وشك ان يلقي على مسمعي ابياتا من القصيدة ، لولا أن سمع من يناديه من ذوي السيارات ، فاعتذر لي ، وهرع الى مصدر الصوت .

ودارت بي الحياة في دوامتها ، وتوالى ارتحالي عن العاصمة الى البلاد الشقيقة وغير الشقيقة ، وتضاءلت الفرص التي تتيح لي رؤية « شملول » .

وظهر يوم كنت بين المشيعين وراء جنازة صديق ، فلما وصلت الى المدفن تراءى « شملول » يغدو ويروح ، في هرج ومرج ، ثم تقدم متطوعا في خشوع يحمل النعش مع حملته حتى باب القبر .. وبعد ان تمت مراسم الدفن ، وتهيأ الجميع لمبارحة البقعة ، علا صوت يجلجل قائلا :

كل ابن أنثى وان طالت سلامته
يوما على آلة حدباء محمول

ورأيت « شملولا » يصعد فوق دكة ، ويتخذ سمت الخطباء ، ويسترسل في مرثية عامرة ، يعدد فيها مآثر الفقيد ويستمطر له طيب الرحمات ، وكان المشيعون يستمعون اليه في تأثر بالغ ، واشهد أن «شملولا» أجاد الالقاء ، مندمجا في مرثيته اندماجا هز اوتار القلوب ، واستنفر المدامع من العيون .. ولمحته هو عينه يمسح مآقيه ، وقد تحشرج صوته ، واختلط نشيده بالنشيج !

وكدت اقتنع بأن صنيعه في قوله وفي القائه وليد اخلاص ووفاء ..

وتصايح الجمع طالبين الرحمة للفقيد ، وانطلق « صوات » النساء يملأ الفضاء ..

ولما انتهت المرثية ، ونزل « شملول » عن الدكة ، اقبلت عليه اصافحه في حرارة ، فقال في صوت راعش ، وهو يتمخط في منديله :

– كان رجلا عظيما وحق السماء .. رجلا عظيما يا استاذ !

وبعد قليل الفيت اهل الفقيد ينتحون به ناحية ، وينفحونه بما هو اهله .

وتواردت ايام .. وتلقيت دعوة زفاف رفيق يعمل في الصحافة الى كريمة سرى من الوجهاء ، فلبيت الدعوة مجبورا ، راجيا ان استمتع بسهرة بهيجة ، وهنالك عند باب السرادق بدا لي شبح « شملول » بقامته الفارعة يلوح بيديه ذات اليمين وذات الشمال ، في غدو ورواح ، ينظم حركة المرور ، ويوجه المركبات والسيارات الى الاماكن التى يرتبها فيها ، فارضا سلطانه على الشارع ومن فيه . وما ان لمحنى قادما حتى أصدر امره الى الفرقة الموسيقية لتحيى مقدمى باللحن التقليدى المعروف ، وتقدمنى يفسح لى الطريق وسط الزفة الصاخبة .

وكانت الحفلة غاية في الانس ، بما عمرت به من الوان الطرب ، وصنوف الفاكهة والمسامرة ، وتحلقنا حول مائدة المقصف الفاخر نطعم ونشرب مما لذ وطاب .

واخيرا حان ان يبارحنا العريس ليلقى عروسه في الحريم ، فهاج الجمع وماج ، واحاطوا بكوكب الحفل يحيونه ويطلبون له الرفاه والبنين ! واذا هامة مبسوطة تتعالى على الهامات الاخر ، وصوت جهورى ينشد :

انعم واكرم بالبلاغة والادب
يسمى الى البنت الاصالة والحسب
يا رب فاحفظه وصنها دائما
وامنحهما خير المعالى والرتب

وتابع القاءه للقصيدة وقد اخذته جلالة الموقف ، فاحتقن وجهه ، وانتفخت أوداجه ، وتسايل عرقه ، وتشنجت اوصاله ، غير واع لنفسه ، وهو يتشدق ويتفاصح ، في نغمة قوية مؤثرة ، بهرت سامعيه ، فقاطعوه بالتهليل والتصفيق ..

ولما أتم قصيدته ، اقبل عليه العريس يصافحه في حرارة ، والناس من حولهما فرحون يتصايحون .. وفي اخريات السهرة رايت « شملولا » ينادى مركبة خيل ، ويصعد اليها ، وهو محمل بلفائف ضخمة يفوح منها شذا الديك الرومى والفطائر الدسمة .

وكرت الايام ، وتكرر ظهور « شملول » في الجنازات الحارة والافراح ذات الليالى الملاح ، يشيع الراحلين بالباكى من مراثيه ، ويستقبل الاعراس بالباسم من تهانيه ، فشاع اسمه خطيبا مفوها وشاعرا مفلقا تزدان به المحافل وتأنس به الاندية .. ومن ثم بدأ الرجل طورا آخر من حياته ، فاقبل على مهنته الجديدة نشيطا ،يبذل فيها من جهده ، ويمنحها من ذات نفسه ، حتى علا نجمه ، واصبح شخصية بارزة تتخاطفه السوامر ، وكان طبيعيا ان يتسع بذلك رزقه ، وتحسن حاله .

لقد اختفى « شملول » منادى السيارات ، وحل محله « شملول » بلبل الحفلات ودرة المجتمعات .. يبدو انيقا في حلته الافرنجية ، معنيا على الأخص برباط رقبته ، لا ينسى أن يرشق في وسطه دبوسا مرصعا تتالق الوانه ..

واضحى له مسكن مستقل جيد الاثاث ،وخادم يقوم بشأنه ، اول واجباته الاستجابة للهاتف الذى لا يهدأ له رنين .

وكنت اتحين الفرصة لزيارة « شملول » احييه واحظى بحديثه ، فكان يقودنى دائما الى حجرة مكتبه ، حيث يعرض على ما تزخر به خزانة كتبه من مراجع يعول عليها فيما يبدع من قول .. ولا ينسى أن يستل من الخزانة ديوان شعر او مجموعة خطب ، فينتقى منها مختارات يمضي في القائها جياش النفس في حماس واهتياج ،فكنت اطرب واشيد به ، فيجيبنى في بساطة ، وهو يفرك كفيه :

– ليس لى فضل في شىء .. ثمة شىء في أعماق قلبى يتحرك ويثور ، فلا اجد مناصا من التعبير عنه بما اودعه الله في كيانى من قدرات .. انه فضل الله يؤتيه من يشاء كما يشاء !

وعلى مر الايام ، بل على مر الاعوام ، اتسعت دائرة أعمال « شملول » فتطورت مهنته وارتقت

درجاته .. وانفسح لقدراته وخبراته الطريق في آفاق ارحب واسمى ، فقد تلقيت مرة رقعة مطبوعة ممضاة باسمه ، بوصفه الأمين العام لرابطة ابناء الشرق العربي ، يدعوني فيها لحضور الاحتفال بتكريم الحسيب النسيب ، عين اعيان السودان ، السيد « هابان » في دار الجمعية بميدان « الاوبرا » ، فحرصت على ان احضر الاحتفال لاستطلع طلع «الشملول » في طوره الجديد ، بعد مغيب سنين .

ومن الخير هنا ان اثبت ما نشرته انا في صحيفة الصباح وصفا للحفل .. قلت :

« دخلت مقر الجمعية ، فاحسن سفير العروبة الاستاذ « شملول » استقبالي ، واوسع لي في الطريق ، فاذا انا في دار انيقة ذات قاعات رحبة منسقة ، يحتشد فيها جمهور من علية القوم ، يتوسطهم الحسيب النسيب سماحة السيد « هابان » عين اعيان السودان ، مشرق الوجه في ملابس بيض فضفاضة ، وعلى راسه عمامة موشاة ، ومنه يتضوع أريج ، وقد حييته باسم الصحافة احسن تحية ، واتخذت مكاني عن كثب منه ، مؤتنسا بحلو معشره ، وكان يقوم على خدمة المجلس فراشون بنشاط واهتمام ، لا تهدأ لهم حركة في ذهاب واياب ، وهم يحملون المرطبات للزوار . ولما اتسق عقد الجمع اخذنا مقاعدنا امام المنصة فوقف سيادة الامين العام للرابطة الاستاذ « شملول » وسط تحية حارة من الحاضرين . وبعد ان رحب بالضيف الكريم وذكر نبذة عامرة من حياته الحافلة بالجهاد في سبيل الله والوطن والعروبة ، بدا يقدم الخطباء ، وكلهم من الاعلام والكبراء ، واخيرا جاء دور الاستاذ « شملول » في القاء قصيدته ، فصعد الى المنصة ، وانشد عالي الصوت :

الله اكبر يا « هابان » يا بطل
لانت في الدين والدنيا لنا مثل

الحق والعدل والانصاف يجمعنا
والرأى مؤتلفا والقول والعمل

ومضى يترنم بقصيدته متقد العاطفة قوي النبرات وكانت ابياتها تتدفق وطنية ، فقاطعها السامعون لها بالتصفيق ..

وكان مسك الختام كلمة شكر بليغة جادت بها بديهة السيد المحتفى به ، فقابلها الجمهور بالاعجاب ، وانفرط عقد الاجتماع ، والناس تلهج السنتهم بالثناء المستطاب على ما يبذله الأستاذ « شملول » من جهود موفقة في جمع كلمة العروبة وتوثيق روابط الشرق العربي » .

وظللت بعد ذلك على مرقبة من نشاط «شملول» في هذه المرحلة من حياته .. وكانما ضاق البلد بنشاطه العارم ، فافاض منه على البلاد العربية الشقيقة ، مدعوا من اعلامها وهيئاتها .. والحق ان هذه الحقبة كانت اخصب حقب حياته كلها ، فجعل يرتع في بحبوحة من العيش لم تمر به في خيال .

وترادفت اعوام اخر ..

وتلاحقت معها بعثاتي الى الخارج صحفيا جوالا ، ازود الصحافة بانباء العالم ، وشغلتني الاحداث ، فانقطع اتصالي « بشملول » حتى كدت انساه ..

وبينما انا اقلب البريد القادم من « مصر » طالعتني الصحف بنعي « شملول » واشتد على نفسي وقع النبا ، فاستغرقني الحزن يومي كله .. وجلست اعرض حياته وذكرياته معي :

هذا الطفل اللقيط يصارع مكاره الحياة وهو في حداثة سنه ..

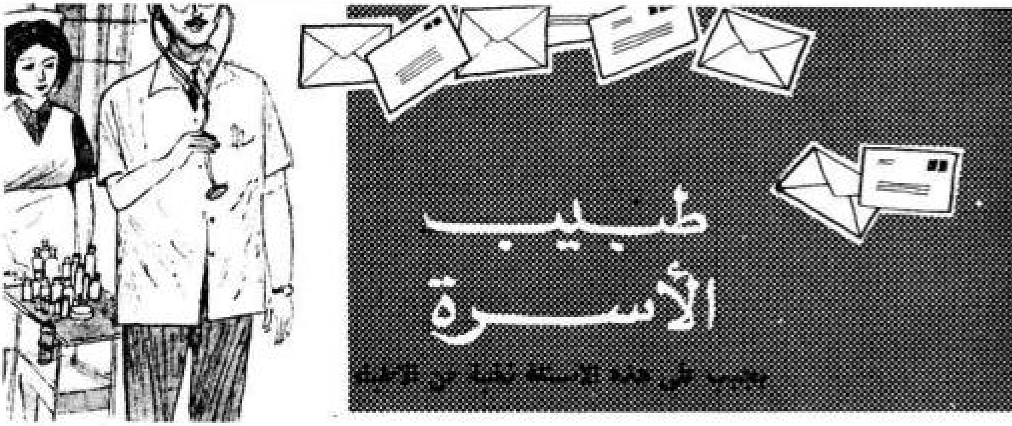
ثم هذا الصبي الوادع ينمو في مكتبة الشيخ المسن ، كما تنمو الزهرة في التربة العطشى .

ثم هذا الشاب العصامي المتوثب يقتحم غمار الحياة ، يصاول ويغالب في قوة واقتدار ، متابعا تيارها الدفاق ، يكشف عن سر النجاح ، مستثمرا موهبة مرنة اتخذها سلاحا لتحقيق ما يتطلع اليه من آمال عراض .

واخيرا هذا الرجل المكتمل يدفع بخطاه صعدا ، وقد فهم الدنيا على حقيقتها ، فجاراها في غير اختلال بقواعد الخلق المرضي .

هكذا عرفت « شملولا » وهكذا عرفت حياته بوصفه آدميا له من الفطرة الانسانية السليمة اوفى نصيب .

محمود تيمور



البولينا

● **كان لي قريب يعالج من التهاب بالكلية وساءت حالته ، فأدخل المستشفى وقيل انه يعانى من بولينا فى الدم وحالته الآن خطرة ، فما هى هذه البولينا ؟**

ـ تختص الكلية بترشيح الدم من مخلفات عمليات الهضم المختلفة ومن المواد الضارة بالجسم عموما ومن أهمها مادة البولينا Urea التى تنتج عن هضم وتمثيل البروتينات المختلفة المستمدة من الغذاء ومن انسجة الجسم واذا حدث قصور فى وظيفة الكلية لأى سبب من الأسباب فلا تتمكن الكلية من ترشيح هذه المواد الضارة فترتفع نسبتها فى الدم ويصاب المريض بأعراض أقرب للتسمم بسبب وجود هذه المواد الشديدة الضرر ، فى مجرى الدم .

والأسباب هى : التهاب الكلية ، هبوط القلب الاحتقانى C.H.F. الاصابات التي تسبب سحق الأنسجة والحروق ـ السميات كالزئبق ـ العقار مثل السلفاناميد .

كذلك فى الحالات التى يهبط فيها ضغط الدم كما فى الصدمة Shokc وفقد سوائل الجسم .

الأعراض : صداع ، كثرة الحركة ، تشنجات عضلية ، أضطراب التفكير ، قىء وأحيانا اسهال ، فقدان الشهية للطعام ، وحكة جلدية عامة ـ اعراض فقد السوائل من الجسم وحموضة الدم ، ويقل افراز البول بدرجة كبيرة وقد يمتنع بالمرة ـ تزيد نسبة البولينا عن ٤٠ ملجم ٪ .

العلاج : تحديد كمية السوائل التى يتناولها المريض على قدر المفقود من الجسم بالضبط .

ـ جلوكوز ١٥ ٪ ومحلول ملح يحقن اما وريديا او تحت الجلد بمنتهى الحرص . والكميات محددة ومحسوبة حسب الحاجة اليها .

ـ بيكربونات الصوديوم فى حالة زيادة حموضة الدم .

ـ كالسيوم جلوكونات عند وجود تشنجات عضلية .

ـ يعطى هبوط القلب الأولوية فى العلاج .

ـ المهدئات العصبية / غسيل المعدة لعلاج القىء ،

والبولينا مرض خطر يجب عرض المريض به على الطبيب فورا حتى يمكن علاجه والتغلب عليه .

ماذا تفعل
إذا أصيب طفلك بحروق ؟!

● **كثيرا ما يصاب الاطفال بحروق من نار او سوائل ساخنة في المنزل ، هل من احتياطات أوما هى احسن وسيلة للاسعاف المنزلى ؟**

ـ يصاب الاطفال فى المنازل بالحروق من جراء اشتعال الملابس وخاصة المصنوعة من قماش سريع الاشتعال كالنايلون أو الكاوتشوك ، او من اللعب بالكبريت، أواساءة استعمال البوتوجاز، أو امساك النار ، او سلك المدفئات الكهربائية ، ومعظم هذه الاصابات يمكن تفاديها بأخذ الاحتياطات اللازمة والحرص على ابعاد الاطفال عن هذه المخاطر .

وترجع خطورة اصابة الحرق الى الألم الذى ينشأ عن حرق سطح الجسم ، والصدمة التى تنتج عن فقدان سوائل بلازما الدم والمضاعفات التى تعقب ذلك من تسمم دموى والتهابات قد تودى بحياة المصاب فى الاصابات الجسمية التى تغطى مساحة كبيرة (اكثر من ٥٠ ٪) من سطح الجسم .

وتطرد خطورة الاصابة مع حالة المريض الصحية العامة وعمق الحرق وسعة سطح الاصابة وكذلك سرعة العلاج وكفاءته .

ونظرا لخطورة الاصابة فى معظم الحالات واحتمال المضاعفات فى حالات

دمامل الذقن
كيف نتخلص منها ؟!

● **انا شاب في الثلاثين من عمرى وقد بدات تظهر على ذقنى دمامل كثيرة منذ حوالى ستة شهور وانتشرت حتى أصيبت منطقة الذقن كلها والشارب ، واستعملت كثيرا من المراهم المطهرة ولكن بدون فائدة .**

ـ ان ظهور الدمامل فى منطقة الذقن والشارب هو نتيجة لاصابة بصيلات الشعر بالميكروب العنقودى او الميكروب السبحى Staphylococcus . ويحدث نتيجة لهذا حدوث دمامل صغيرة لا تلبث ان تمتد الى منطقة الذقن والشارب وخاصة عن طريق عدوى الحلاقة .

ان هذه الحالات غالبا ما تمكث مدة طويلة اولا نتيجة لنشر العدوى بالحلاقة كما ذكرنا ـ أو ان ترك الذقن تطول ، يؤدى الى تهيج الجلد وخاصة عند ثنايا الجلد بالرقبة ـ كما ان اصابة بصيلة الشعر تجعل وصول الدواء اليها غير كاف وبالتالى عدم تجاوبها لعلاج .

واحب ان الفت النظر الى ان هناك بعض الحالات التى قد تؤدى الى او تساعد على عدم الاستجابة الى العلاج وهى :

١ ـ الضعف العام مما يؤدى الى ضعف مقاومة الجلد .

٢ ـ الاستمرار فى التعرض الى ميكروبات اما من جو العمل أو الحلاقة.





اخرى ، فانه من المفضل أن تتم استشارة الطبيب او الجراح ، ويفضل اخصائي الحروق لاستعمال احسن وسائل العلاج للحصول على أفضل النتائج في اقصر وقت .. وباقل تشوه .

ويجب الامتناع عن دهن الجـزء المصاب بالدهون او الزيوت او المـواد الصابغة اذ انها تسبب صعوبة في تنظيف الجزء في المستشفى وأفضل ضماد للجزء المحروق هو لفه بـ «فوطة» معقمة أو ضماد معقم .

---

٣ ـ وجود التهاب دهني في الجلد مما يساعد على حدوث هذه الدمامل .

٤ ـ اصابة الشخص بمرض السكر مما يؤدى الى هذه الالتهابات وعـدم تجاوبها للعلاج بسهولة .

٥ ـ وجود بؤرة صديدية بالجسم مثل التهاب الاسنان واللوزتين والجيوب الأنفية .

وعلاج هذه الحالة هو علاج ما قد يكون سببا في حدوث هذه الدمامل كما سبق ان ذكرت .

كما يجب اخذ عينة من صديد الدمامل وعمل مزرعة لها مـع معرفة حساسية هذه الميكروبات للمضادات الحيوية واعطاء المريض الدواء المناسب .

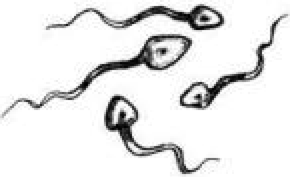
كما توضع ايضا المطهرات الموضعية والمضادات الحيوية الموضعية حسب نتائج الفحص .

لا أنجب أطفالاً..

● انا شاب متزوج منذ خمس سنوات وعمرى ثلاثون عاما ولم تحمل زوجتي . فحصت السائل المنوى فلم يوجد به حيوانات منوية بالمـرة ، يقولون انه يلزمني عملية فهل هـذا صحيح ؟

ـ ان عدم ظهـور الحيوانات المنوية بالسائل المنوى قد يكون اما :

١ ـ لوجود سدد بالمجارى المنوية مما يعـوق وصـول الحيوانات المنوية من الخصية الى السـائل المنوى لغـدة البروستاتا . وهذا السدد علاجه عملية لازالته ونسبة النجاح في هذه الحالات تتوقف على ما اذا كانت الخصيتان في حالة جيدة وتنتجان الحيوانات المنوية بصورة مرضية ـ كما تتوقف على طبيعة السدد ودرجة امتداده بحيث تكـون العملية ناجحة من الناحية الجراحية .



٢ ـ عدم قيام الخصيتين بعمل الحيوانات المنوية وهذا اما أن يكون بسبب خلقي اى أن الخصيتين لا تؤديان وظيفتهما منذ البلوغ او بسبب اضطراب هرموني ـ او بسبب وجود مواد مضـادة بالدم تؤدى الى ضعف عملية انتاج الحيوانات المنوية .

ونسبة النجاح في هذه الحالات تتوقف على السبب . لذلك ارى عرض نفسك على اخصائي للامراض التناسلية والعقم لتقرير حالتك وعمل الفحوصات اللازمة لهذه الحالة وارشادك بالعلاج المناسب لك .

طرائف

فى

● قال ابو السفاح لخالد بن صفوان: يا خالد ان الناس قد اكثروا فى النساء ، فايهن اعجب اليك ؟ قال اعجبهن يا امير المؤمنين التي ليست بالضرع الصغيرة ولا

رد حسن

● **قال بعض الظرفاء : انشد ابن الرقاع عبد الملك بن مروان قصيدة وذكر فيها الخمر ، فاجاد وابدع فى وصفها ، ووصف حالاتها . فقال عبد الملك : لقد ارتبت بك فى اجادة وصفك الشراب فقال : وانا ارتبت بك يا امير المؤمنين لمعرفتك بجودته .**

بين عثمان وابي ذر

● لما ولي عثمان بن عفان الخلافة اتاه اصحاب رسول الله يهنئونه ، وابطا ابو ذر الغفارى ، وكان له صديقا فعاتبه ابن عباس فى تاخره عن التهنئة ، فقال ابو ذر رضي الله عنه : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ان الرجل اذا ولي ولاية تباعد الله عنه .

★ ★ ★

حسن تصرف

● حكى ان ابا بكر محمد بن العباس الخوارزمي ، كان شاعرا مجيدا وكاتبا لامعا ، وكانت بينه وبين الصاحب بن عباد جفوة ، لان الخوارزمي قد هجاه حيث قال :

لا تحمدن ابن عباد وان هطلت كفاه بالجود حتى اخجل الديما
فانها خطرات من وساوسه يعطى ويمنع لا بخلا ولا كرما

وفى بعض الايام ، قصد الخوارزمي الصاحب بن عباد ، وهو بارجان ، فلما وصل الى بابه قال لاحد اصحابه :

قل للصاحب على الباب احد الادباء ، وهو يستاذنك بالدخول . فدخل الحاجب واعلمه . فقال الصاحب : قل له قد الزمت نفسي ان لا يدخل على من الادباء الا من يحفظ عشرين الف بيت من شعر العرب . فخرج اليه الحاجب واعلمه بذلك . فقال له الخوارزمي : ارجع اليه وقل له : هذا القدر من شعر الرجال ام من شعر النساء . فدخل الحاجب واعاد عليه ما قاله . فقال الصاحب : هذا لا يكون الا ابا بكر الخوارزمي ، فاذن له بالدخول .

عربية

النساء

الغانية الكبيرة : وحسبك من جمالها ان تكون فخمة من بعيد ، مليحة من قريب ، اعلاها قضيب ، واسفلها كثيب ، كانت فى نعمة فأصابتها فاقة ، فأترفها الغنى ، واد بها الفقر .

الحلم والأناة

● روى أن الامام علي بن ابي طالب كرم الله وجهه لقي كبيرا من كبراء فارس . فقال له : من احمد ملوككم سيرة ؟ قال : احمدهم سيرة انوشروان . فقال له : وما كان اغلب خصاله عليه ؟ قال : الحلم والأناة . فقال له : هما توامان ينتجهما علو الهمة .

ثالثهم اشعر

● اجتمع جرير والفرزدق والاخطل ، وهم ثلاثة من رؤساء الشعراء فى مجلس عبد الملك بن مروان ، فأحضر لهم رهانا من المال وقال : ليقل كل امرىء منكم بيتا فى مدح نفسه ، وايكم غلب وظفر ، فله هذا الرهان ، فبادر الفرزدق وقال :

انا القطران والشعراء جربى ... وفى القطران للجربى شفاء

وقام الاخطل فقال :

فان تك زق زاملة فانى ... انا الطاعون ليس له دواء

ثم نهض جرير وقال :

انا الموت الذى آتي عليكم ... فليس لهارب منه نجاء

فقال له عبد الملك : لك الرهان غلبت خصميك ، فلعمرى ان الموت يأتي على كل شيء .

* * *

لو ركب الابيض

● كان البراء بن قبيص صاحب شراب ومزاج ، فدخل على الوليد بن عبد الملك وبوجهه اثر لجرح حديث . فقال الوليد : ما هذا ؟ قال : ركبت فرسا اشقر فكبا بي . فقال : لو ركبت الابيض لم يعثر بك . فعرف بأنه شرب الخمر ولو شرب اللبن لما سقط .

حضارات سادت .. ثم بادت

ملحمة جلجاميش

بقلم : يوسف زعبلاوى

■ تروى لنا ملحمة جلجاميش عددا كبيرا من المغامرات قبل أن تبلغ بنا الى ذروتها التى تتمثل في قصة الطوفان وقد سمعها جلجاميش من احد اجداده اوت نابشتيم، كما رأينا في اللوحة التي تجدها على الصفحة (٢) من هذا العدد . وتقع تلك المغامرات الأولى التى سبقت اجتماع الحفيد بالجد في مرحلتين . وقد كان جلجاميش بطل تلك المغامرات في كلتا المرحلتين : الا انه لم يكن بطلها الوحيد في المرحلة الاولى . فقد شاركه الفخر في القيام بمغامرات تلك المرحلة بطل آخر اسمه انديكو.

والطريف أن الآلهة لم ترسل انديكو الى جلجاميش الا ليكون له عدوا أو منافسا . فقد سبق أن شكا اهل مدينة عروق ملكهم جلجاميش الى الآلهة . فمع انه كان مثال العدل والحكمة ، فضلا عن الشجاعة ، الا أن سلوكه لم يخل من كبرياء وغطرسة . وما أسرع ما تبنت الآلهة وجهة نظر الرعية فصنعت انديكو من طين وجعلته بقوة الثور البرى الكبير وأرسلته الى عروق ليكون الخصم العنيد لجلجاميش .

الا ان البطلين لم يلبثا أن أصبحا صديقين حميمين . وقد تحولت تلك الصداقة الى نوع من التعاون او الاخاء الوثيق وبدا الرجلان المتشابهان شكلا ، المتحابان قلبا ، وكأنهما رجل واحد . ولعلهما كانا في الحقيقة رجلا واحدا ، وقد تمثلت في جلجاميش الروح والملكات العقلية وتمثلت في انديكو طبيعة الجسد والغرائز البهيمية .

لا عجب اذن اذا تمكن الصديقان البطلان من الفتك بالمارد المخيف هواوا الذى اتخذ من غابات الأرز موطنا ولم يعودا الى عروق الا ومعهما رأس ذلك العملاق ..

وحدث بعد ذلك ما ألب الآلهة على الصديقين، فقررت القضاء على احدهما ، ووقع اختيارها على انديكو فمرض ثم مات . وهكذا فقد جلجاميش صديقه ، وهكذا انتهت المرحلة الأولى من المغامرات التى سبقت قصة الطوفان وبدأت المرحلة الثانية.

لقد حزن جلجاميش على صديقه حزنا بالغا ، كما لا يخفى ، وأعلن الحداد لمدة سبعة أيام وسبع ليال . الا ان تأثره لم يقف عند الحزن والحداد. فقد ادرك الملك الذى اشتهر بعلمه وحكمته معنى الموت للمرة الأولى في حياته . اكتشف ، وقد فقد اعز مخلوق على قلبه ، ان مآل الانسان ، كل انسان ، الى الفناء والزوال ، فتملكه الجزع وراح يردد ويقول :

« وهكذا شعرت بالخوف من الموت ورحت اطوف المروج والمراعى .

فنهاية صديقى اثقلت كاهلى والهبت وجدانى

ولا مبرر بعد اليوم لصمتى ولا معنى لسكوتى

فصديقى الذى أحببت قد استحال الى طين

ترى هل كتب على ان القى نفس المصير ؟

فاغط في نومى واغيب الى ابد الآبدين ؟ »

وما كان جلجاميش ليتقبل مصير الفناء الذى لقيه انديكو والذى يعتبر المصير المحتوم لكل انسان . فقد تملكه شعور دفين بانه جدير بالخلود واهل لمعرفة سره . وشعر كذلك بان ظفره بالحياة الخالدة ليس مستحيلا بالضرورة . اوَ لم يظفر بها من قبل احد اجداده الأولين ، اوت نابشتيم وقد نجا من الطوفان الذى اهلك العالمين .. ؟

وتجدر الاشارة هنا الى ان التطلع الى الخلود بل التفاني في البحث عنه هو في الحقيقة المحور الأساسي الذى تدور عليه ملحمة جلجاميش كلها .

ولعله العنصر الذى يميز هذه الملحمة على ما سواها من الملاحم والأساطير ، بابلية كانت ام اغريقية ام غير ذلك . اذ لا يخفى ان الخلود هو امنية كل انسان وأن التطلع اليه والبحث عنه انما يمثل نزعة عميقة من نزعات الطبيعة البشرية .

ومهما يكن فقد انطلق جلجاميش يبحث عن سلفه اوت طلبا لسر الخلود واجتاز في سبيل ذلك المسافات الطويلة حتى وصل الى حيث تغرب الشمس وحيث تكثر الجبال الموحشة الداكنة . وتابع سيره حتى وصل الى مقر دار اله الشمس،

شَمَش" . ولم يحفل جلجاميش بتحذيرات هذا الاله من مغبة البحث عن الخلود ، وهو ، كما قال الاله ، بحث عسير عقيم ، بل مضى في سبيله ، باحثا عن سلفه وساعيا وراء الحياة الأبدية .

والتقى بطلنا بعد ذلك بالالهة سيدوري وهي قرينة الخمر ، في عرف البابليين . وبذلت هذه قصارى جهدها في اقناع جلجاميش بالعدول عن مسعاه ، وراحت تنشده من رائع شعرها وتقول :

« يا جلجاميش : في طلب ماذا أراك تهيم
الا ترى أن طلبك الخلود طلب عقيم
فكأس الموت لا بد تشربه كل البرية
فذلك ما قررته الالهة عند خلق البشرية
وقد احتفظت لنفسها بالحياة الأبدية ...
دع عنك هذا يا جلجاميش
وانشد ملء بطنك بالاطعمة الشهية
وامرح كل صباح وابتهج كل عشية
واجعل ايامك كلها اعيادا سوية
وارقص ليل نهار على الألحان الشجية ...
وحافظ على ثيابك نظيفة زهية
واغسل راسك واستحم في المياه النقية
واوصيك خيرا بزوجتك حين تمسك بها يدك القوية
واحرص على اسعادها في خلوة هنية
ولا تبال بعد هذا شيئا تخرج به عن حدود الانسانية ».
ولاتبال بعدهذا شيئا تخرج به عن حدود الانسانية».
باوت نابشتيم . ويتم اللقاء حيث كان يعيش اوت ، حيثما تلتقي الانهار عند مصبها . ثم يطرح جلجاميش اسئلته عن الخلود : فيحكي له اوت قصة الطوفان .

ويبدأ اوت بالاشارة الى ان الخلود سر من أسرار الآلهة . ثم يذكر كيف غضبت الالهة على الناس نظرا لكثرة ما ارتكبوا من ذنوب . لا عجب اذن اذا قررت الالهة ارسال الطوفان واهلاك السواد الأعظم من بني الانسان فضلا عن النبات والحيوان . بيد ان الآلهة استثنت اوت من تلك الكارثة ، وطلبت منه ان يصنع سفينة كبيرة ينجو بها هو واهله وعماله ويملؤها بالذهب والفضة ويحملها بالوحوش والحيوانات بقصد الذبح والأكل على ان يضع فيها أيضا « بذرة من كل صنف من المخلوقات الحية جميعا . »

ثم بدأ الطوفان او كاد ، فدخل اوت وصحبه الى السفينة واغلقوا الباب . وما اسرع ما اكفهر الجو وظهرت في الافق سحابة سوداء ، وعصفت الزوابع والعواصف وهبت الرياح ، وهطلت الأمطار ، وراحت الدنيا بأسرها تبرق وترعد بلا حساب . وبلغت تلك العواصف من الرهبة والخطورة ان الآلهة نفسها جزعت لها ، وندمت على التسبب بها ومضت ستة ايام وست ليال على تلك الحال ومياه الطوفان تعلو وترتفع حتى غمرت الكثير من الجبال ، فضلا عن السهول والوديان . ثم فتح اوت نافذة السفينة في اليوم السابع وقد استقرت على قمة احد الجبال المرتفعة واذا الجو هادىء والصمت شامل « واذا بالجنس البشري قد استحال الى طين ... »

ولما لم ير اوت اثرا لليابسة ، وقد غطتها المياه كلها او أكثرها ، أرسل حمامة من السفينة فلم تلبث أن عادت ، ثم أرسل طير السنونو ، فرجع هو الآخر ، واخيرا أرسل اوت غرابا اسود . ولم يعد هذا الى السفينة فثبت لبطل الطوفان ان المياه بدأت تتراجع واليابسة بدأت تظهر وتعود الى حالتها العادية .

عندئذ ذبح اوت الذبائح وقرب القرابين فاكتسب بذلك مزيدا من رضى الآلهة بحيث أمرت هذه بان يصبح هو وزوجته من الخالدين ، ويعيش حيث تصب الانهار وحيث التقى به جلجاميش .

وعز على اوت يرى جلجاميش وقد خاب امله ، وهم بالعودة الى مملكته عروق والياس يملأ قلبه . فراح يحدثه عن عشبة بحرية ذات اشواك تنمو في اعماق مياه الخليج ، وتكفل الخلود لمن يستطيع الغوص في سبيلها ، والحصول عليها .

وما اسرع ما انطلق جلجاميش الى شواطىء الخليج يطلب تلك العشبة ، وما اسرع ما غاص الى القاع وعثر عليها . ثم خرج بها من البحر وهو يفيض فخرا وغبطة . الا انه شعر بالارهاق والنعاس ايضا . فاستلقى على الشاطىء ونام ، وفيما كان نائما خرجت من البحر حية تسعى . واتجهت حية البحر هذه الى عشبة الخلود التي كانت بجانب جلجاميش فاخذتها خلسة وعادت بها الى الماء . ولما استيقظ جلجاميش وقدر ما قد حدث ادرك ان الخلود وقف" على الآلهة ليس من نصيب البشر ، وبادراكه هذا شعر بالارتياح وعاد الى مملكته عروق في رضى واطمئنان . ■■

" روعيت فيها أصول الاسطورة البابلية الشهيرة "

أنت تسأل .. ونحن نجيب

تغلغل أمريكا الاقتصادي في العالم

● قرأنا كلمتكم عن تغلغل امريكا العسكرى فى العالم (١٢٤ من « العربى ») واسترعى انتباهنا ما ذكرتموه عن تغلغلها الاقتصادى فيه . فالرجاء أن تحدثونا بتفصيل عن هذا الموضوع فى باب « أنت تسأل ونحن نجيب .. » ؟

مختار هلال ــ القاهرة ــ ج٠ع٠م

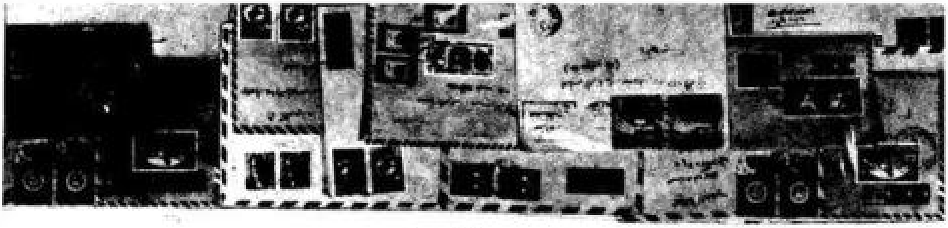
ــ المجال فى هذا الباب لا يتسع للحديث المفصل فى اى موضوع من المواضيع ، ناهيك بموضوع تغلغل امريكا الاقتصادى فى العالم . وحسبنا أن نوفق الى اعطائك فكرة موجزة عن هذا الموضوع الواسع المتشعب . ولعل سؤالك يصلح موضوعا لمقال ، بل لكتاب كامل ، وقد كتبت فيه بواقع الحال كتب عديدة ، نذكر منها على سبيل المثال كتاب « التحدى الامريكى The American Challenge » لأحد الصحفيين الفرنسيين البارزين ، واسمه جان ــ جاك سيرفان ــ شرايبر Jean — Jacques Servan — Schreiber

وجدير بالذكر أن الكتاب المذكور الذى صدر بالفرنسية سنة ١٩٦٧ وظهر فى الانجليزية سنة ١٩٦٨ أحدث ضجة كبيرة فى شتى الاوساط . فقد أوضح مؤلفه مدى تغلغل راس المال الامريكى فى اقتصاد دول غرب أوروبا . وابرز مدى تفوق الولايات المتحدة على هذه الدول فى النواحى التكنية ، بحيث باتت أوروبا الغربية مستقلة بالاسم ومستعمرة أمريكية بالفعل . وحذر الكتاب من استمرار هذه الأوضاع وتفاقمها ، ودعا الى القيام بعمل موحد ، تقوم به الدول الاوروبية الغربية قبل فوات الأوان .

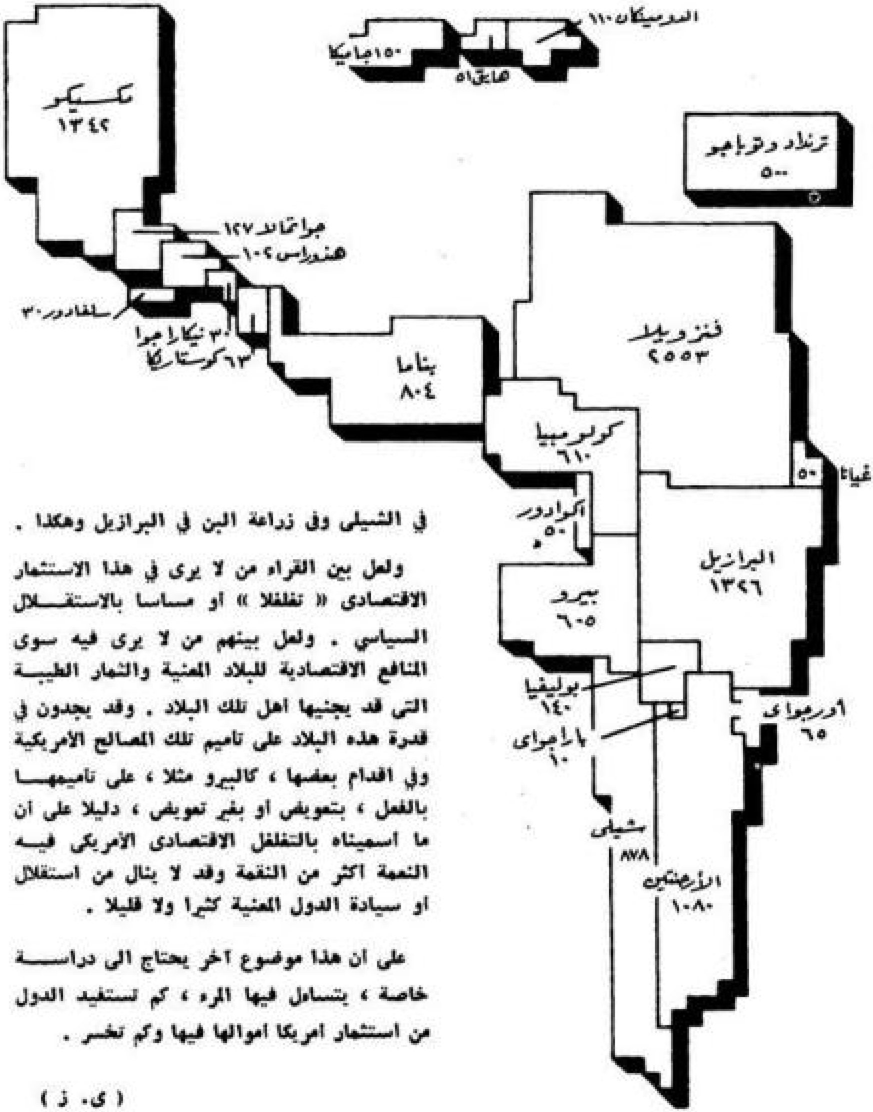
ولو علمتَ أن رؤوس الاموال الامريكية الموظفة فى دول أوروبا لا تقل بمجموعها عن ٨٫٠٠٠ مليون دولار ، لشعرت بخطورة الأوضاع التى يشير اليها الكتاب الذى ذكرنا ، ولادركت المقصود من قوله : بان اوروبا الغربية ليست مستقلة بل تكاد تكون مستعمرة امريكية .

على ان اوروبا ليست مستعمرة امريكا الاقتصادية الوحيدة فى العالم ، ولا هى الكبرى بين تلك المستعمرات . فثمة مناطق اخرى تغلغلت الولايات المتحدة فى اقتصادها اكثر من تغلغلها فى الاقتصاد الأوروبى : ولا ريب فى ان نصيب أمريكا اللاتينية من الاستغلال الأمريكى كان ولا يزال اكبر من نصيب غيرها . اذ تبلغ رؤوس الأموال الامريكية الموظفة فى اقطار امريكا الجنوبية وأمريكا الوسطى نحو (١٠٫٠٠٠) مليون دولار ، اى بزيادة ٢٥٪ على مجموع الأموال المستثمرة فى أوروبا . والاهم من ذلك هو أن ما تجنيه الحكومة والشركات الأمريكية من مردود اموالها الموظفة فى امريكا اللاتينية يفوق ما تجنيه من مردود اموالها الموظفة فى أوروبا الغربية . فقد بلغ الاول بالمتوسط ١١٫٨٪ سنويا ، ولم يزد الثانى على ٦٫٧٪ من مجموع الأموال الموظفة .

وتجد الى جانب هذا الكلام رسما ايضاحيا يعطيك التفاصيل التى قد ترغب فى الوقوف عليها . وغنى عن البيان أن المجالات التى وظفت فيها هذه الأموال مختلفة باختلاف موارد البلاد التى هى فيها . فبينما نجدها موظفة فى صناعة البترول فى فنزويلا مثلا ، نراها مستثمرة فى مناجم النحاس



رساميل للولايات المتحدة
موظفة في أقطار أمريكا اللاتينية ومقدرة بملايين الدولارات

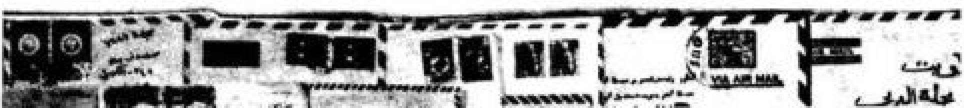


في الشيلي وفي زراعة البن في البرازيل وهكذا .

ولعل بين القراء من لا يرى في هذا الاستثمار الاقتصادي « تغلغلا » أو مساسا بالاستقلال السياسي . ولعل بينهم من لا يرى فيه سوى المنافع الاقتصادية للبلاد المعنية والثمار الطيبة التي قد يجنيها اهل تلك البلاد . وقد يجدون في قدرة هذه البلاد على تاميم تلك المصالح الأمريكية وفي اقدام بعضها ، كالبيرو مثلا ، على تاميمها بالفعل ، بتعويض أو بغير تعويض ، دليلا على أن ما اسميناه بالتغلغل الاقتصادي الأمريكي فيه النعمة أكثر من النقمة وقد لا ينال من استقلال او سيادة الدول المعنية كثيرا ولا قليلا .

على أن هذا موضوع آخر يحتاج الى دراسة خاصة ، يتساءل فيها المرء ، كم تستفيد الدول من استثمار امريكا اموالها فيها وكم تخسر .

(ى. ز)



ويلي براندت .. وسياسة المانيا الجديدة

● ما الذى حدث في المانيا الغربية بعد تولي الحزب الاشتراكي برئاسة براندت ؟ اننا نقرأ ان تغييرا قد حدث في السياسة الخارجية لالمانيا ، فما مدى هذا التغيير وخاصة فيما يتصل بنا نحن العرب وبقضايانا ؟

محمود سليم ــ القاهرة

ــ لا شك ان تغييرا اساسيا في سياسة حكومة المانيا الاتحادية او الغربية ، قد حدث منذ خروج الحزب الديموقراطى المسيحى ومجيء الاشتراكيين الى الحكم . فقد بدا ويلى برانت Willy Brandt مستشار حكومة المانيا الجديد في تخطيط سياسة بلاده الخارجية على اسس جديدة تهدف الى التخفيف من حدة الحرب الباردة في اوربا من ناحية والى التقرب من دول العالم الثالث من ناحية اخرى ، غير عابيء بالعلاقات التقليدية التى ظلت قائمة بين المانيا الغربية والولايات المتحدة الامريكية منذ هزيمة المانيا وتقسيمها في الحرب العالمية الثانية التى انتهت في عام ١٩٤٥ .

وكانت اول خطوة خطتها حكومته في هذا السبيل هو ايجاد نوع من التفاهم بين المانيا الغربية والاتحاد السوفييتى ، وقد تمثل هذا في المحادثات الثنائية الهامة التى دارت بين اندريه جروميكو وزير خارجية روسيا وبين هلميت الاردت سفير المانيا في موسكو Helmut Allardt وذلك بقصد التمهيد لتوقيع معاهدة تعلن الدولتان بمقتضاها نبذهما لاستخدام القوة في حل الخلافات القائمة بين الدولتين .

ولم تقف جهود حكومة بون عند هذا الحد ، بل امتدت لتشمل دول اوربا الشرقية ، وبدات الاتصالات فعلا بين المانيا الغربية وبولندا وتشيكوسلوفاكيا والمجر ثم المانيا الشرقية نفسها ، وتطلعت دول اوربا الاشتراكية الى موسكو تسالها الراى ، فجاءها الرد : « امضوا قدما » وبدات المحادثات فعلا بين المانيا الغربية وبين كل دولة من هذه الدول على حدة ، وكان الغرض منها هو توسيع حجم التبادل التجارى بين الجانبين ، واقامة نوع من التعاون الفنى بينهما ..

كيف تستطيع أن تكمل تعليمك الجامعي في الخارج

● أرغب في استكمال تحصيلى الجامعى في الخارج ، ولا تسمح لى امكانياتى المالية بذلك . أرجو ان أمكن أن ترشدونى الى الجامعة التى تدافوز منها بمنحة دراسية أو التى استطيع أن أقوم فيها بعمل اكتسب به أثناء الدراسة ، حتى أتزود لنفقات هذه الدراسة على نحو ما يفعل أهل الغرب ؟

سالم جزار دوما ــ دمشق ــ سوريا

ــ ليس من شان هذا الباب أن يتعرض للمشاكل الشخصية او يرد على الأسئلة التى تستهدف قضاء حاجات خاصة كالسؤال الذى تطرحه علينا . وما كنا لنرد على سؤالك هذا ، لولا شعورنا بان مشكلتك ليست مشكلة شخصية بحتة ، وأن الكثيرين من القراء يتوقون الى مثل امنيتك ، ويعانون من مثل الصعوبات التى تعترض سبيلك . يضاف الى ذلك اننا قد لا نحتاج للجواب على سؤالك الى اكثر من اعطائك عناوين اللق ان وجدا لدينا .



ويلي برانت

وعندما جاء دور المحادثات بين المانيا الغربية والمانيا الشرقية ، وجد والتر أولبريشت Walter Ulbricht زعيم الحزب الشيوعي أن الفرصة سانحة لاملاء شروطه ، فطالب باعتراف حكومة بون بحكومة المانيا الشرقية قبل البدء في اية مباحثات تمهيدية جدية بين الطرفين ، وهي خطوة طالما رفض زعماء المانيا الغربية التفكير فيها .

وتوقع المراقبون السياسيون أن تتوقف الاتصالات بين حكومة المانيا الغربية وحكومة المانيا الشرقية عند هذا الحد . ثم كانت المفاجأة عندما اعلن مسئول في حكومة بون في البندستاج Bundestag ، برلمان المانيا الغربية ، انه واثق من ان سياسة حكومته الحالية ستؤدى في النهاية الى هذا الاعتراف ...

اما عن سياسة المانيا الغربية تجاه العرب وقضاياهم ، فقد طرأ عليها تغيير كبير منذ تولى برانت الحكم . فقد اعلن تاييد حكومته لقرار مجلس الامن الصادر في عام ١٩٦٧ ، والذى يدعو في جزء منه اسرائيل الى سحب قواتها من الاراضي العربية التى احتلتها ، كما اعلن عن رغبة حكومته في استئناف العلاقات الدبلوماسية مع الدول العربية ، وكانت بعض هذه الدول قد قطعت علاقاتها بحكومة بون على اثر اكتشاف صفقة الدبابات الالمانية لاسرائيل في عام ١٩٦٥ . واعرب المسئولون في حكومة برانت عن ثقتهم بان عام ١٩٧٠ سيشهد تعاونا صادقا بين المانيا الغربية والدول العربية في كافة المجالات التجارية والاقتصادية والفنية والعلمية .

بقى أن نتساءل عن الهدف الحقيقى وراء سياسة الحكومة الجديدة في المانيا ؟ ويقول المراقبون الغربيون : « ان ويلى برانت يريد القضاء على سياسة المواجهة بين امريكا وروسيا في اوربا ، وبذلك تكون فرنسا قد وجدت حليفا قويا لها يشاركها السياسة القديمة التى حددها لها جنرالها الكبير ديجول .. واذا نجحت هذه السياسة فقد تؤدى في النهاية الى تغيير خريطة اوربا السياسية .. »

(م.ن)

دون أن ترهق ميزانيتك ؟

اما العنوان الاول فهو :

Study Abroad,
International Scholarships ,
Educational Exchange ,
Unesco

وهو كما تلاحظ عنوان كتاب تصدره هيئة اليونسكو التابعة للمنظمة الدولية . ويحتوى هذا الكتاب الضخم جردا مستوفيا بالمنح الدراسية وبالجامعات التى تعطى هذه المنح في شتى اقطار العالم . وهذا الكتاب موجود في الغالب في المكتبات العامة وتستطيع الاطلاع عليه على كل حال في وزارة التربية لديكم . ننصحك بمراجعة هذا الكتاب بدقة ولاختيار عدد من المنح الدراسية التى تناسبك والكتابة الى الجامعات التى تقدم هذه المنح مباشرة .

اما العنوان الثانى فهو :

Messrs.. International Employment Service
P. O. Box 2584 Greenville
South Carolina (29602), USA.

فهذا مكتب مهمته العمل على ايجاد الوظائف او الاعمال المناسبة للراغبين في العمل في الولايات المتحدة الأمريكية . وهو يحصر اهتمامه بمجالات معينة هى الهندسة والعلوم والتجارة والفنون والتمريض ، فلا يقوم بمهمته التى ذكرنا الا ضمن

هذه المجالات . ولا يتقاضى هذا المكتب اجرا من طلاب العمل امثالك ، فيما اذا نجح في ايجاد العمل المناسب لهم ، بل انه يدفع لهم اجرة السفر بالطائرة في تلك الحال. ونحن لا نعرف شيئا خاصا عن هذا المكتب ، وكل الذى ذكرناه انما نقلناه لك من خطاب وردنا مؤخرا من المكتب المذكور . ولعل في استطاعة هذا المكتب ايجاد العمل الذي لا مفر لك من ممارسته ، والاعتماد عليه لاستكمال تحصيلك ، فيما اذا لم توفق في الحصول على المنحة الدراسية الملائمة .

(ى. ز)

هكذا خربت الجرذان سد مأرب

● هل كان سد مأرب من الاعمال الهندسية ؟.. ارجو اعطائي نبذة وافية عن هذا السد ، لان المصادر عنه قليلة وغير وافية ..

ممهوج الشمري ـ الكويت

ـ يعتبر سد مأرب اكبر عمل هندسي عرفته الجزيرة العربية في تاريخها القديم .. حتى ان بعض المؤرخين ذكروه من بين عجائب العالم القديم .

وموقع هذا السد كان على مضيق جبل بلق ، على مسافة ثلاث ساعات من مدينة مأرب في اليمن .

ويرجع تاريخ بنائه الى الفترة الواقعة بين عام ٦٥٠ و ٦٢٠ قبل الميلاد .. فقد شيد في عهد الملك (يثع امربين) من ملوك سبأ ، ليخزن المياه خلفه ، لعدم وجود انهار في اليمن .

وقد عرف هذا السد الجبار باسم سد حبابض ، وهو سد اصم ، حدثت فيه عدة تصدعات تم اصلاحها عام ٥٤٢ بعد الميلاد في عهد ابرهة الاشرم الحبشي .. وكانت ابعاد السد ٥٠٤ ذراعا طولا و ٣٥ ارتفاعا و ١٤ سمكا ، كما جاء في نقش اثرى قديم .. هذا ما ذكره ديتلف نلسن ورفاقه في كتابهم القيم « تاريخ العرب القديم » .. علما بان الاستاذ سعيد عوض باوزير ذكر ابعادا اخرى للسد ، في كتابه « معالم تاريخ الجزيرة العربية » ، اذ ذكر ان طوله ٨٠٠ ذراع وعرضه ١٥٠ ذراعا وارتفاعه بضع عشرات من الاذرع .

اما كيفية تهدم السد فيرويها ياقوت الحموى في معجم البلدان ، باسلوب اقرب الى الاساطير منه الى الحقيقة ، اذ يتحدث عن كاهنة تسمى طريفة تنبأت بحدوث فيضانات وسيول كاسحة وظهور جرذان هائلة ، اذ يقول : « وانطلق عمران ابن عامر حاكم اليمن ، في نفر من قومه حتى اشرفوا على السد ، فاذا هم بجرذان حمر يحفرون السد بانيابهم ، ويقتلع الواحد منهم الحجر الذى لا يحمله مائة رجل ، ويدفعه بمخالب رجليه حتى يسد به الوادى مما يلى البحر ، ويفتح مما يلى السد .. فلما نظروا الى ذلك علموا ان الكاهنة قد صدقت في تنبوءها .

« واحتال عمران على بني حمير فباعهم الارض باعلى الاثمان ، وارتحل مع اهله عن ارض اليمن ..

« وجاء من بعدهم سيل هائل ، وكان ذلك الجرذ قد خرب السد ، فلم يجد مانعا فغرق البلاد ، حتى لم يبق من جميع الارضين والكروم الا ما كان في رؤوس الجبال والامكنة البعيدة .. وذهبت الضياع والحدائق والجنان والقصور والدور ، وجاء السيل بالرمل وطمها فهي على ذلك الى اليوم .. وباعد الله بين اسفارهم «فتفرقوا ايدى سبا وضرب بهم المثل ..

اما متى حدث هذا السيل العرم ، الذى دمر سد مارب وجرفه ، فلا احد يعرف التاريخ الصحيح ، وقد اختلف المؤرخون اختلافا كبيرا في تحديد زمن حدوثه ، فبعضهم ذكر انه في القرن الثالث ، وبعضهم قال الرابع وبعضهم الخامس ، وبعضهم حدد نهاية القرن السادس الميلادى .. والله اعلم على كل حال .

(س . ز)

منارات جديدة تعمل بلا عمّال !

● المنارات هادية السفن في البحار متى بدأت في التاريخ ، ومن كانوا أول بنائها .. وهل تطورت هذه المنارات أم بقيت كما هي .. ؟

حسين شكرى ــ القاهرة ــ ج ٠ ع ٠ م

ــ يعود تاريخ المنارات الى أول منارة في العالم،وهي منارة الاسكندرية الشهيرة التى اقيمت في عام ٢٤٠ ق.م ، وهي تعتبر واحدة من عجائب الدنيا السبع ولا وجود لها اليوم .

وقد انتشرت المنارات في العالم في القرون الوسطى . ومهمة المنارات الرئيسية هي القيام بارشاد السفن ليلا عن طريق ارسال اشارات ضوئية معينة ، (لكل منارة اشاراتها الضوئية المميزة) ، وعن طريق هذه الاشارات يعرف بحارة السفن موقعهم بالضبط ..

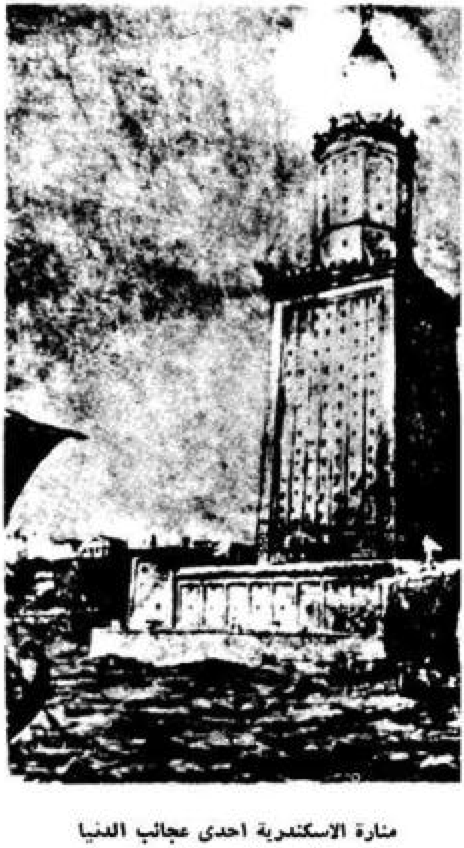
وهناك عاملان رئيسيان يتحكمان في تصميم بناء منارة من المنارات . أولهما : المساحة التى يجب أن يغطيها ضوء المنارة ، وثانيهما : المدى المطلوب وصول الضوء اليه . ويحدد العامل الأول موقع المنارة وقوس رؤية الضوء ، اما العامل الثانى فيحدده ارتفاع المنارة .

ومن المعروف أن الضوء الخارج من المنارة عبارة عن شعاعات كلها مستقيمة ، لا يصل منها الى ربان السفينة الا الشعاع الذى يصل بين مصباح المنارة وبين الربان . وبما ان سطح الارض كروى منحنٍ ، فهذا الشعاع الذى نتحدث عنه هو شعاع مماس لسطح الكرة ، وهو ذو مدى معروف ، فان وقفت السفينة ابعد من هذا المدى فاتتها اشعة المصباح ، وان اقتربت بحيث دخلت في هذا المدى رأتها .

والمسألة الان هى معرفة هذا المدى . وهو بداهة يتوقف على ارتفاع المنارة من سطح الارض . وبالحساب نجد ان المنارة التى يكون ارتفاعها ١٢٠ قدما يبلغ مداها نحو ١٧ ميلا .

وعادة ما تكون مواقع المنارات في مناطق غير ماهولة بالسكان او اماكن معزولة على شاطىء البحر مما كان يسبب متاعب كثيرة للعاملين في هذه المنارات ، ولكن التقدم العلمى والتكنى في القرن العشرين ادى الى امكان تشغيل المنارات عن طريق التحكم الآلى دون الحاجة الى وجود عاملين بها . ويوجد الآن الكثير من هذه المنارات التى تعمل دون عمال .

م. ط.



منارة الاسكندرية احدى عجائب الدنيا السبع القديمة اقيمت في عام ٢٤٠ ق.م. وهى لا وجود لها الان .

العربي

العدد ١٣٨
صفر ١٣٩٠
مايو
(أيار) ١٩٧٠

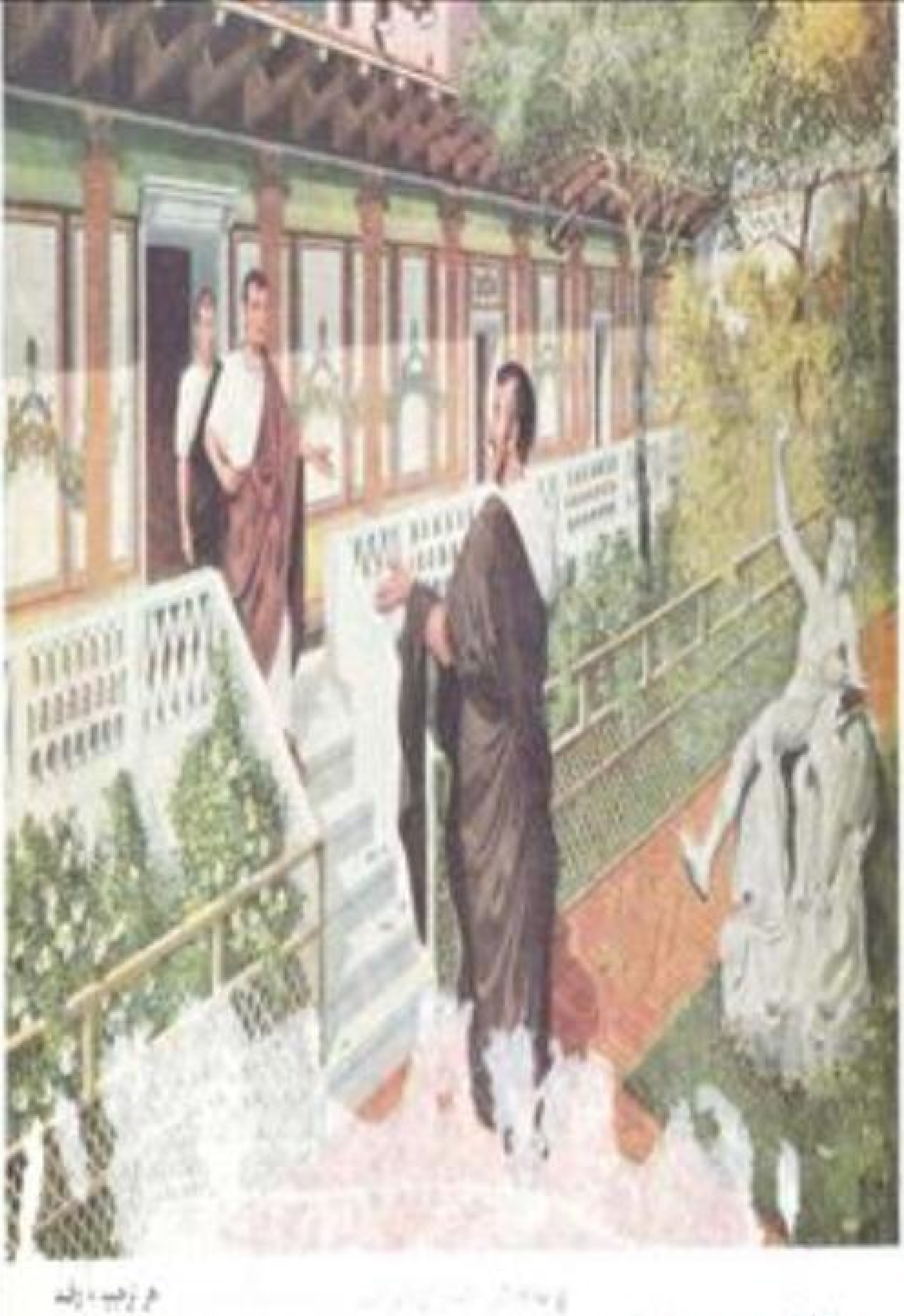


عربية من مطماطه البلد الذى يعيش تحت الأرض

جوائز ١٢٠٠

الثمن

الكويت	١١٠ فلوس	العراق	١٢٠ فلسا	السودان	١٠ قروش
الخليج العربي	٢ ريالان	لبنان	١٠٠ قرش	ليبيا	١٥ قرشا
السعودية	٢ ريال	الأردن	١٠٠ فلس	تونس	٢٠٠ مليم
البحرين	٢٠٠ [illegible]	سورية	١٠٠ قرش	الجزائر	٢٠٠ مليم



ضال ... ثم تائب

[illegible]

عزيزي القارئ

● موقف الاعداء

الموقف الحاضر موقف تحفز من جهة الاعداء . اعلنوا انهم سيضربون أعمق الاهداف ، ولا يبالون أصابوا اهدافا عسكرية أو اهدافا مدنية : والغرض ، احراج العرب حتى يجلسوا معهم على مائدة للمفاوضة واحدة .

ولقد عبر وزير خارجية بريطانيا عن هذا الأمل فقال : ما أكذبه . وفى قولة وزير الخارجية ما يغنى العرب عن التعليق .

● ثم موقف امريكا .

ضرب الصهاينة بالقنابل مدرسة اطفال فى مصر قتلوا فيها منهم العشرات . ووقع الخبر موقع الدهشة والاستنكار لدى كل الدول تقريبا . وجاءت الولايات المتحدة تستنكر .

قالت ان الخبر اصابها بصدمة . ولو وقفت عند ذلك لكان هذا خيراً . ولكنها زادت فقالت ما معناه ان مصر ، لو انها قبلت احترام وقف اطلاق النار عند القنال ما وقع ما وقع . اذا هي على الفور تعتذر عن اسرائيل . وتعتذر تطلب الشيء الذى تطالب به اسرائيل : احترام وقف اطلاق النار عند خطوطها . ذلك لان هذا يعطيها الزمن الكافى لتؤبد الاحتلال حتى يصبح عادة ، ولتحوّل المناطق العربية المحتلة الى مستعمرات يهودية وذلك فى سبيل تهويدها . وامريكا تعرف ذلك ، وتعلم ذلك ، وترضى بذلك . وفوق هذا هي سبق أن قالت على لسان وزير خارجيتها انها ستحافظ على التفوق الجوى لاسرائيل ، ذلك الذى هو سبب المحنة .

● ثم موقف الآخرين .

يقولون ان العرب ليس لديهم الا اداة دفاع . وعند اسرائيل اداة هجوم ، فكيف جاز هذا عند اصدقاء العرب . وكيف جاز هذا عند دول المسلمين المؤتمرين ؟! لابد لهذا من تفسير يرضى ؟ وهل هو يا ترى تفسير من الضرر افشاؤه ؟

المحرر

العربي

رئيس التحرير : الدكتور أحمد زكي

القسم العام :

دين :

لغة وآداب :

استطلاعات مصورة :

تربية :

طب .. وعلوم :

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الارشاد والانباء بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABY — No. 138 May 1970 P.O.B. 748 — Kuwait

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٢٧١٤١ ـ تلغرافيا « العربي »

الاعـــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراســـلات : تكون باسم رئيس التحرير



صورة الغلاف

● في جنوب تونس تقع مدينة مطماطة .. مدينة من المدن العربية الكثيرة المجهولة ، ويعيش اهلها في جحور حفروها في الجبل وصورة الغلاف للآنسة عيشة عمران مرتدية ملابسها الوطنية المحلية ، ولكنها في الحقيقة ممرضة مستوصف مطماطة .

(انظر استطلاع مطماطة ابتداء من صفحة ١٠٨)

تاريخ وتاريخ اشخاص :

اجتماع :

شعر .. وشعراء :

ركن الأسرة والمرأة :

كتب :

قصص وقضايا :

منوعات :

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربي ٢ ريال قطرى . البحرين ٢٠٠ فلس بحريني . العراق ١٢٠ فلسا . سوريا ١٠٠ قرش . لبنان ١٠٠ قرش الاردن ١٠٠ فلس . السعودية ٢ ريال . السودان ١٠ قروش . ج.ع.م ١٠ قروش . تونس والجزائر ٢٠٠ مليم . المغرب ٢ درهم . اليمن ٢ر٥ شلن . ليبيا ١٥ قرشا .

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت - ص.ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف " اشتراكات العربي " .

بريد القرّاء

ابولو
ابن زيوس اله الآلهة

■ قرات في العدد ١٣٤ مقالا للدكتور احمد زكي بعنوان « وحدة الله تتراءى في وحدة خلقه » فلفت انتباهي اسم ابولو ابن زيوس احد آلهة اليونان .. فهل هناك علاقة بين اسم هذا الاله وبين اسم عربة الفضاء الامريكية ابولو ١١ وشقيقتها ابولو ١٢ .

عبد الله صالح حمزه ـ الطائف

العربي : نعم . فالنسبة الى الالة الاغريقي ابولو هي اساس التسمية الامريكية . اما وجه الشبه فهو في أن الاله ابولو كان الاله الوحيد الذى يعلم الغيب في نظر اليونان . فالغيبيات التي لم يكشف عنها لزيوس ، كبير الالهة عند الاغريق ، كانت من اختصاص ابولو ، وهو ابن زيوس .

معجم
المصباح المنير

● قرات في العدد ١٣٥ من مجلتنا الرزينة ما كتبه الاستاذ عبد الستار فراج عن كتاب « المصباح المنير » حيث ذكر له طبعات متعددة . ولكنه لم يشر الى طبعته التى صدرت سنة ١٩٠٩ من المطبعة الاميرية في القاهرة وهي الطبعة الرسمية التى قررتها « نظارة المعارف العمومية » لتدريس الكتاب في المدارس الحكومية وقد اشرف على تحقيقها وضبطها الشيخ (فضيلتلو) صاحب الفضيلة حمزة فتح الله بك مفتش اول اللغة العربية في نظارة المعارف المصرية .

وعندى الطبعة الثانية لهذا الكتاب الثمين وهي في جزئين بمجلد واحد عدد صفحاته ١٠٠٠ .

احمد الحاج عبد ـ الكويت ـ

اعداد العربي السابقة

● العدد الاول والثاني والثالث وغيرها من اعداد العربي القديمة لا وجود لها في الاسواق، وان كان ثمة وجود، فلا سبيل الى شرائها وقد بلغ مايطلبه البعض في الواحد منها خمسين ريالا سعوديا .. وقد سبق لي أن قرأت فى العربي طلبا لبعض الاصدقاء باعادة طبع تلك الاعداد النافدة . وانا احد مؤيدى هذا الاقتراح .

جهانكيز نور محمد وياني ـ مكة المكرمة

العربي : تكرر هذا الطلب منذ أيام صدور العدد الاول من العربي ، وهو لا يزال يتكرر من عام الى عام . والحاجة الى ذلك مفهومة ، لأن الكمية التى طبعت من العدد الواحد من أعداد العربي الاولى لم تكد تبلغ ٤٠٠٠ نسخة وهي اليوم زادت كثيرا . ومعنى هذا انه يوجد مئات الالوف من قراء العربي ليس عندهم مجموعة العربي كاملة. ولكن ان تعاد طباعة الاعداد الاولى من العربي لمجهود لا يحتمل ، ونفقته معجزة .

حول مقال الخشب

● جاء في مقال الخشب صفحة ٥٠ من عدد مارس ١٩٧٠ .

« خشب الساق منه الخشب الغض Softwood او خشب النسغ ، الخ ... » والصحيح هو ابدال اللفظ الانجليزى Sapwood مكان Softwood ذلك أن اللفظ الثاني ، كما جاء في سائر المقال ، هو الخشب اللين ، وهو مقابل الخشب الصلب Hardwood .

أبو حيان التوحيدى
مرّة أخرى

نشرت مجلة « العربي » في عدد مارس (آذار) ١٩٧٠ اتهاما من الدكتورة العراقية خديجة الحديثي ، جاء فيه انني في المقال الذى كتبته لمجلتكم ، ونشرتموه في عدد سبتمبر (أيلول) ١٩٦٩ ، بعنوان (أبو حيان الاندلسي : نحوي عصره ومفسّره) سطوت على كتاب الدكتورة : (ابو حيان النحوي) ونقلتُ عنه معظم مقالي المذكور . وللقراء ولكم افند واوضح هذا الاتهام .

* كان موضوع الرسالة التى قدمتها للحصول على درجة الدكتوراه من قسم اللغة العربية بكلية الآداب ، جامعة القاهرة : « منهج ابى حيان الاندلسي في تفسيره البحر المحيط » . وقد نوقشت الرسالة في الأسبوع الاول من شهر ديسمبر سنة ١٩٦٨ باشراف أستاذنا الجليل الدكتور شوقى ضيف .

وكان الدكتور ضيف هو نفسه الذى أشرف على مناقشة الرسالة التى قدمتها الدكتورة خديجة لنيل الدكتوراه قبل ذلك . وموضوع رسالة الدكتورة هذه التى نشرت في كتاب فيما بعد ، هو « ابو حيان النحوى » . أى أنها درست أبا حيان الاندلسي نحويا وأنا درسته مفسرا .

* وكتبت هى ، كما كتبت أنا ، عن ترجمة ابى حيان . ورجعتُ الى المراجع التى ترجمت له ، كما فعلتُ أنا . ولم يقل أحد من الباحثين ان ترجمة حياة عالم من العلماء تختلف في مرجع عما هى عليه في مرجع آخر . وأنا أستطيع أن أرد معظم العبارات التى وردت في كتاب الدكتورة الى أصولها القديمة جملة جملة ، اذا هى شاءت ذلك .

الدكتور عبد المجيد المحتسب
الجامعة الاردنية ـ عمان

« العربي » : هذه مقتطفات من رسالة طويلة وردت الينا من الدكتور عبد المجيد المحتسب ، في الرد على ما نشرناه في عدد مارس للدكتورة خديجة الحديثى حول مقاله المنشور في العربى ، في عدد سبتمبر/٦٩ بعنوان « أبو حيان الاندلسي نحوى عصره ومفسره » .

وهي رسالة مطولة لو نشرناها كاملة تلبية لطلب الدكتور المحتسب والحاحه ، فاغلب ظننا ان يبدو الجزء الاخير منها لاكثر القراء ، ان لم يكن لكلهم ، اسفافا يجرح وجه الأدب .

فى أعماق المحيطات

● وقع في يدى قبل مدة كتاب « في أعماق المحيط » للسيدة اوجيني كلارك ، معربا ومقدما له من قبل الدكتور احمد زكي . ولقد استمتعت في قراءة هذا الكتاب كثيرا وبتُّ في شوق لمعرفة احوال مؤلفته السيدة اوجيني كلارك ..

عبد المجيد سالم ـ طرابلس ـ ليبيا .

العربي : من اين اشتريت كتاب « في اعماق المحيط » .. ؟ ذلك ان الدكتور احمد زكي ، وهو الذى ترجم الكتاب ، كما ذكرت ، قبل زمن طويل ، ليس لديه نسخة من هذا الكتاب .

وهو يتشوق الى قراءته فهو ليس بكتاب علم فقط ولكنه ايضا قصة رحلة عالية لفتاة امريكية دارت حول العالم وحدها ثم كتبت كتابها المذكور فحكت عن السمك وعن الناس .

بين بشرّى وعين زحلتا

● قرأت في العدد ١٣٣ من العربى وفى استطلاعكم عن « لبنان تحت الثلوج » ان غابات الأرز في لبنان تنحصر في مناطق ثلاث ، منطقتين في الجنوب ، فوق بيت زحلتا ، ومعاصر الشوف ، والمنطقة الثالثة في بشرّى في الشمال . والصحيح هو أن هذه الغابات موجودة في الباروك وعين زحلتا (لا بيت زحلتا) وفى معاصر الشوف . فضلا عن بشرى في الشمال ، وأنها تقع وسط سلسلة جبال لبنان الغربية لا في الجنوب .

زهير زهر الدين ـ عين زحلتا ـ لبنان

حديث الشهر

جامعات بين قديمها والحديث

جامعات اليوم لا تُجَهَّز لليوم ،
وإنما للغَدِ . ولكنْ للغَدِ بعدُ غدٍ ،
وإذنْ فالحاجة إلى التجديد قائمةٌ دائمة ،
ولكنْ من الجامعات جامعاتٌ قامت للوفاء بالأمسِ ، وللأمسِ وحده ،
فهي اليومْ نشازٌ في لحنِ هذا الزمان .

بقلم رئيس التحرير

علىّ زائر كريم ، جاء من سفر بعيد ، وكان فى طريق عودته الى بلده وقومه . وكان من اغراض سفره ان يستفتى اهل الراى من امم اخرى فيما تكون عليه جامعته التى كانت انشئت ولم تتخذ شكلها الاخير بعد . وكان حديث طويل بيننا ، هنأته فى آخره على قيام جامعته هذه ، وقلت فيما قلت ان من حسن حظه ان يكون اول مدير لجامعة جديدة لم تكد توجد بعد .

قال : أنت تهنئنى على الجِدّة ؟

قلت : نعم .

قال : وأنا اهنئك فى جامعتك هذه على القدم .

قلت : ان الجِدّة أملٌ حلوٌ كله ، أما القدم فخبرةٌ حلا بعضها ، وبعضٌ مرٌ .

قال : ان الأمل يحلو ويمر .

قلت : نعم ، ولكن فى يدك حلاوته ومرارته ، والجدة على كل حال حرية ، اما القدم فقيد ، وما بنيتَ من البناء من الصعب هدمه ، وما بنيتَ من الرجال من الصعب اعادة خلقه .

كان هذا من نحو ستة عشر عاماً .

الا رعى الله تلك الأيام الخوالى .

★ ★ ★

كانت هذه محاورة بين ما للجامعات الحديثة والجامعات القديمة ، من حظوظ كانت ، او حظوظ ترجى .

والحق أن الانسان لو استعرض جامعات الدنيا كلها ، لوجد فيها الجديد كل الجِدّة ، ووجد فيها القديم كل القدم . ووجد ان من الجديد ما وُلد قديما ، وان من القديم ما تجدّد حتى سبق . ووجد ان حظوظ الجامعات هى من حظوظ أوطانها ، فحيث الظلام خيّم ، خيّم الظلام فى جامعاتها ، وحيث الشمس

طلعت وأشعت وامتدت أشعتها ، وجدنا هذه الأشعة دخلت حجـرات هـذه الجامعات ، فأنارت حتى الخبىء المظلم من أركانها .

الجامعات فى الهند

ولقد يكون من المفيد أن نمر مرورا عاجلا ببعض الأمم ، من قديمة وحديثة ، نصف فى كلمات معدودة حالا من جامعاتها معتمدين فى ذلك على آخر ما يتهيأ لدينا من أخبارها .

وفى القديم الحديث قد لا نجد دولة نبدأ بها كالهند .

ففي الهند جامعـات وكليات عددها معا ١٦٠٠ ، يقصـدها من الطـلاب ١ر٢٥٠ر٠٠٠ طالب . عدد لا شك كبير . وعدد من الطلاب لا شك غير قليل . ومع هذا فعدد الجامعات بينها قلة فهو لا يعدو المئات ، ولكن زاد الى ١٦٠٠ لكثرة الكليات . والكليات فى الهند فيها الكبير وفيها الصـغير . والكثير منها بلغ من الصغر الحد الذى لا يمكن ان يتفق وبلوغ المستوى الأكاديمي المعروف ، فمتوسط عدد هيئة التدريس فى هذه الكليات يبلغ نحو ٤٠ ، بينا هـو فى الولايات المتحدة نحو ١٥٠ .

ونضرب مثـلا بجامعة كلكتا . فهذه الجامعة يرتبط بها من الكليات الناشئة حولها نحو ١٥٠ كلية .

الكلية الجامعية بمدينة أبدان ، بنيجيريا (وهي قريبة من العاصمة لاجوس) وتجرى الدراسة بها بالتعاون مع جامعة لندن . وبها ١٠٠٠ طالب ، وفيها تدرس الآداب والعلوم والزراعة والطب .



ان هـذه الكليات كليات مستقلـة . وهى ترتبط بالجامعة . والجامعة ترسم لها البرامج وتقـوم عنهـا بالامتحانات وتعطي الدرجات .

ان تاريخ الهند ، وهى تحت السيطرة البريطانية ، تاريخ من الوجهة التربوية ليس فيه الكثـير الذى يحمد ، لا فى التعليم الجامعي وحده ، ولكن فى سائر ادوار التعليم .

فالحكومة البريطانية بدات فى الهند ، كما بدات فى غـير الهند ، بالفكـرة الاستعمارية القائلة بأن التعليم ليس من شـأن الحكومات . وان الحكومات اذا احتاجت الى التعليـم ، فانما تحتاجه لسد حاجتها من الموظفين .

وقامت فى الهند ، فى الثلاثينيات من القرن الماضي ، مناقشة شهيرة فى سياسة التعليم . أتعليم هندى هو ، أم تعليم اوروبي ؟ وانتهوا بانه تعليم أوروبي . وكان القرار « ان الهدف الكبير للحكومة البريطانية فى الهند يجب ان يكون نشر الأدب الأوروبي Literature وكذا العلم الأوروبي بين سكان الهند » .

ومنذ عام ١٨٥٥ أصـبح التعليم فى الهند عبـارة عن شـبكة من المدارس والكليـات والامتحانات تهيمن عليهـا الدولة .

وهيمنـة الدولـة ، اى الادارة البريطانية ، هكذا على التعليم ، وجعل الغايـة منه تزويد الحكومة بالموظفين ، ادت الى توجيه الطلبة الى احراز اكبر النتائج فى الامتحانات للحصول على هذه الوظائف . وكانت امتحانات فى مواضيع من الدراسة ذات غاية محدودة . وبهذا انصرف الطلاب عن طلب العلم للعلم الى طلب الوظيفة .

وباتخاذ البرامـج البريطانيـة برامج للتعليم ، فى المدارس الثانوية والجامعات ، وباتخاذ اللغـة الانجليزيـة وحدها لغة للتدريس ، وبقطع الصـلة صراحة بين الناس ، وبين ثقافة البـلاد الهنديـة القديمة ولغات الناس ، انتهى كل هذا



مستشفى طبي للتعليم يتبع الكلية الجامعية في مدينة ابدان بنيجيريا ، وهو اكبر واحدث مستشفى فى افريقيا الغربية ومن احسنها في العالم تكلف ٤٫٥ مليون جنيه انجليزى ، وبه ٥١٠ من الأسرة ، ومنه يتخرج في العام ٥٠ طبيبا مؤهلا و ٨٠ ممرضة وحكيمة .

بان ولّد فى الناس كراهة للثقافة الجديدة بانها ثقافة غريبة ليس لها فى ارض الهند جذور .

وتمر السنون . ويأتي القرن العشرون . وفى عام ١٩١٩ تقوم لجنة ، برئاسة السير سدلر Sadler بفحص حالة التعليم ، وتخرج بتجريح التعليم الثانوى والجامعي تجريحا بالغا .

ومن حيث التعليم الجامعي اقترحت ان يكون بين التعليم الثانوى والتعليم الجامعي ، كليات متوسطة تنشأ ، لتنهض بالمستوى العلمي للطالب حتى يتأهل للقبول فى الجامعات فيخفف بذلك عنها حمل أعداد من الطلاب ليسوا للتعليم الجامعي بأهل .

وتتطور الجامعة ، ثم تتطور ، ولكن ببطء . ذلك لأن ثقل السنين وراءها يشدها . والذين يتحدثون عن خلق الجديد من القديم هكذا بين ليلة وضحاها ، فى أمر التعليم ، وامر الجامعات خاصة، ينعمون بالأمل الحلو ، ولكن قل ان يحيوا ، بعد ادراكهم لذلك، لينعموا بتحقيقه .

واضرب مثلا بأستاذ الجامعة. كم من الزمن تحتاج الأمة لانتاج جيل من الأساتذة جديد ، جديد العلم ، جديد الراس ، جديد القلب ، جديد الاذن التي تسمع ، وجديد العين التي تبصر . واساتذة الجيل الحاضر ، كم منهم يستطيع ان يتجدد ، وكم منهم يحتاج ، او يود ، لو ان له ميلادا جديدا .

وغير الأساتذة ، عديد من صنوف الرجال ، وعديد من حاجات المال . والشعب لكي يتفقه ، حتى والأمة ديمقراطية ، كم من الزمن يحتاج .

من اجل هذا تسأل عما تخرج جامعات الهند اليوم من الطلاب فتسمع انها تخرج عشرات الألوف كل عام من أصحاب الدرجات ، فى علوم القانون ، وفى العلوم الانسانية ، وفى العلوم الاجتماعية . ويطلب الطلاب هذه العلوم للذى لها من وجاهة ، ولو كان مع الوجاهة التعطل من بعد جامعة . وانا انما انقل عمن يعرفون .

ان هذه الشئون صائرة الى الزوال فى الوقت الحاضر ، لا شك فى هذا ، ولقد بدات مع الاستقلال تتحول الأمور وبدات تتجدد الجامعات فى الهند .

وفى الفلبين

وكالهند الكثير من جاراتها .

ولنضرب مثلا بالفلبين .

فلقد قرات انه كان بجامعاتها فى عام ١٩٦٠ نحو من ١٢٠٠٠٠ طالب يدرسون العلوم الاجتماعية و ١١٠٠٠ يدرسون العلوم القانونية ، و ٤٠٠٠ يدرسون الزراعة ، و ٢٠٠٠ فقط يدرسون العلوم الطبيعية .

ونقارن ذلك بالذى كان فى الهند فى مثل ذلك الوقت مما لدينا ارقامه فنجد



طائفة من الحكام والزعماء يزورون المعاهد والمؤسسات الصناعية بشمال نيجيريا .

ان ٥ فى المائة فقط من طلبة التعليم العالي بها كانوا يدرسون الهندسة .

اما فى بولندة فيبلغ دارسو الهندسة ٣٠ فى المائة .

واما فى روسيا فطلاب التعليم العالي يبلغون ٣٫٠٠٠٫٠٠٠ طالب ، يدرس العلوم الطبيعية ، والعلوم الهندسية والزراعية منهم اكثر من نصفهم .

وفى سائر المستعمرات

والذى وقع فى المستعمرات الافريقية، واكثرها مستعمرات بريطانية ، من السهل اجماله بان الادارة المستعمرة لم تكد تفكر قبل الحرب العالمية الثانية فى امر التعليم العالي بتلك الأقطار الا ما ندر . لم يكن هناك داع . الاستعمار قبل الحرب العالمية الثانية كان معنى كمعاني الكون ابديا ازليا دائما . لم يخطر فى بال مستعمر ، لا سيما تلك الادارات التي كانت قائمة فعلا فى تلك الأقطار بعيدة عن مساقط راسها ، كما تمتد فروع الشجر بعيدا عن جذوعها فتصبح تكاد تنسى اين تقع جذورها من الأرض ، لم يخطر فى بالها ان الاستعمار له نهاية .

وتمخضت الحرب العالمية الثانية عما لم يكن فى الحسبان .

تمخضت عن تصفية الاستعمار ، او انه لا بد مصفّى ولو طال الزمان .

عندئذ فقط اسرع المستعمر البريطاني يحاول فى سنوات قليلة ان يصنع ما فات ان يصنعه فى السنوات الماضية الكثيرة . اقطار على وشك الاستقلال ليس فيها من يكاد يقوم بأعباء الادارة ، دع عنك اعباء الاستقلال على كثرة وجوه حاجته ، وكثرة فنونه وتنوع مطالبه .

واقامت الادارات البريطانية على عجل « مؤسسات للتعليم العالي » فى المستعمرات ، بعضها كان جديدا كل الجدة ، كالجامعات والكليات التى انشئت فى غانا ، وفى نيجيريا ، وفى روديسيا ، وبعض الحقت الحاقا بمؤسسات قديمة اقل مستوى ، كالذى فى يوجندة وغيرها .

ولكنها ربطت بين هذه الجامعات الجديدة وجامعة لندن ضمانا لأن يظل مستوى التعليم رفيعا . وقامت جامعة لندن اذن بتحديد مستوى التعليم المطلوب . وكان من سُبل تحديده ان اشتركت مع الجامعات الأفريقية والكليات فى وضع الأسئلة للامتحانات . ويقول العارفون ان هذه الطريقة اخرجت شبابا له فى التحصيل مكان رفيع .

ولكن هذه الخطة فى التعليم كان لها ثلاث نتائج لا تحمد كلها كل الحمد .

فأولا لغة التعليم . فهذه كانت الانجليزية .

وثانيا موضوعات الدراسة . فهذه لم تمس الشئون الوطنية ، ولا ظواهر الأرض الاقليمية . ففي التاريخ كان

الذى يدرس تاريخ غير تاريخ الوطن . وفى الجغرافيا كانت الجغرافيا التى تدرس غير جغرافية الوطن .

وثالثا كان عدد الطلاب الذين اخرجتهم هذه الكليات الجديدة، لارتفاع مستواها ، من القلة بحيث لا يفي بحاجة البلاد .

وهذا نقد يرد عليه آخرون فيقولون :

اما اللغة فلم تكن لهذه الأوطان لغة ، ولكن لغات . واكثرها ليس له كينونة .

واما التاريخ واما الجغرافيا ، واما حتى نباتات الأرض وحيواناتها ، فلم يكن هناك فى المستعمرات من كشفها او درسها كشفا كافيا حتى تكون موضوعات محاضرات .

واما قلة عدد الخريجين فالموازنة هنا تكون بين عدد قليل رفيع، وبين عدد كثير غير رفيع ، ايهما انفع للبلاد وافضل .

وفى امم متخلفة ولكن غير مستعمرة

الناس اليوم تقسم الأمم الى متخلفة ومتقدمة .

ولقد جئت على امثال قليلة لأمم متخلفة . الهند . الفلبين . المستعمرات الافريقية .

اقيمت بشمال نيجيريا شعبة للبحوث البيطرية . وفي الصورة باحثة انجليزية تقوم بتدريب احد النيجيرين على الابحاث .





هذه الفتاة تعمل مساعدة مختبر من مختبرات العلوم في نيجيرها . وهي في هذه الصورة تختبر بالمجهر صنوفا من الصخور .

بقيت امم هي من التخلف حيث هي، ولكنها ليست مستعمرات . الا اذا عددنا تخلفها بسبب استعمار داخلي من اهلها . فهذه صاحب التخلف الذى فى مظاهرها البارزة تخلف التعليم فيها ، واشد ما فى التعليم المتخلف بروزا هو التعليم العالي ، تعليم الجامعات .

فهذه يمكن وصفها اجمالا بالذى وصفنا به المستعمرات . امم ، على ما كان لها من حرية ، لم يتفطن رجالها لحاجة الزمان . كانت الشمس عندهم تطلع وتغيب على مثال واحد . والسماء صافية . فحسبوها هكذا سوف تظل ما بقي الزمان . حتى طرحهم تفجر القنبلة الذرية الأولى ارضا ، وايقظتهم الصواريخ الصارخة التى تطلب السماء من نوم عميق طال .

بقيت الأمم المتقدمة .

وفى الامم المتقدمة

فهذه ليس فيها تخلف . واذن فجامعاتها ليس فيها تخلف .

ولكن ، عند هؤلاء القوم ، ان البقاء على حال واحدة ، عاما بعد عام ، تخلف

لا شك فيه . تخلف عن حاجة الزمان الذى لا يقف عند حاجة واحدة ابدا او حاجات .

والأمم المتخلفة قد يقدّر تخلفها بألف عام أو مئات من الاعوام .

والأمم المتقدمة ، واعني بها امم اوروبا ، من غرب وشرق ، والشمال من امريكا ، امم يقدرون فيها التخلف بالعشر فالعشر من السنين .

وصنعت الحرب العالمية الثانية بهم ما صنعت ، وكسبها منهم من كسب ، والعجيب ان كسبهم اياها كشف لهم عن مناطق عندهم فى التخلف كثيرة .

فى انجلترا

واتخذنا من انجلترا مثلا لعدة اسباب، اولها أنها من دول أوروبا الغربية فى الصميم، وثانيها لأن ثقافتها العلمية والفنية الحديثة ، ثقافة عريقة ، ولا ننسى أن الثورة الصناعية العالمية انما بدات هناك. وثالثها لأنها بين امم الغرب كانت اكثرها محافظة ، وكان من ابين اجواء المحافظة فيها اجواء جامعاتها ، فالتجديد الذى يطرأ على جامعاتها اليوم لا بد له مغزى عميق شديد .

ثم حال بريطانيا ، ما كانت عليه ، وما صارت اليه .

طلع عليها هذا القرن وعلَمها يرفرف على ربع مساحة الارض تقريبا ، وكانت قد نعمت بامبراطوريتها نحو قرنين من الزمان . ثم جاءت الحرب العالمية الاولى، ثم الثانية ، وكسبت الحربين ، ولكن مع هذا الكسب خسرت كل شيء . خسرت فى الحربين ، ولا سيما فى الحرب الثانية ، زهرة شبابها . وخسرت الامبراطورية فلم يكد يبقى منها اليوم بقية . وفقدت الأموال الكثيرة المدّخرة . وفقدت العزة التي كانت لها والمَنعة . ومع هذا بقي لها كل ما تبقيه الحروب، او كل ما يبقي رغم الحروب، من آساس الحضارة الرفيعة . الرؤوس هى الرءوس ، والرجال هم الرجال ، وكذا النساء ، والعلم هو العلم فى اعلى مراقيه ، وكذا التكنية .

وكل المؤسسات من تربوية الى صناعية ، الى اجتماعية ، الى مالية ، وكل دور الخبرة والمهارة ، كل هذا بقي لانجلترا يعمل كما عمل من قبل حرب ، بل اشد عملا . وكان من الطبيعي ان يكون اشد عملا ، لأن النفوذ الامبراطورى الذى كان يسهل قطف الثمار قد زال .

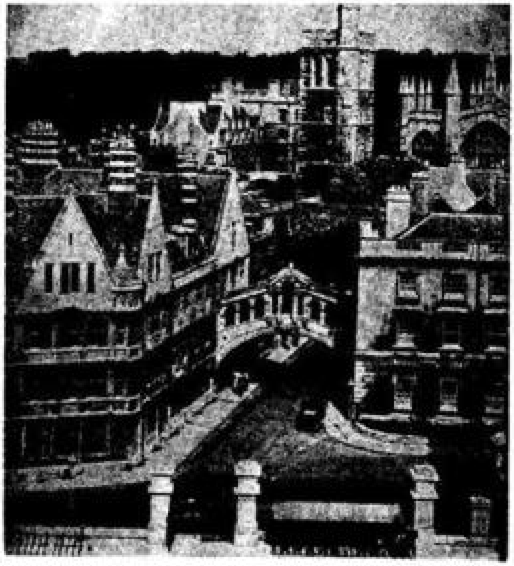
اصبحت انجلترا اذن ، بحكم ظروفها الجديدة ، لا تستطيع العيش فى هذا العالم الجديد ، بين المنافسة الجديدة الشديدة ، الا اعتمادا على انتاج عقولها، وانتاج ايديها،وعلى ثقافتها التى تمثلت، فيما تمثلت ، فى جامعاتها .

اذن وجب اعادة النظر فى شئون التعليم ، والتعليم العالى خاصة ، وفى اسرع وقت .

الجامعات الانجليزية
تاريخها تاريخ تعديل وتبديل عبر القرون

لا تذكر الجامعات الانجليزية الا وتذكر جامعة اكسفورد وجامعة كمبردج . نشأت الاولى فى القرن الثانى عشر الميلادى ، ونشأت الثانية عقبها فى اول القرن الثالث عشر . وكانت قبلة الانجليز قبل ذلك فى التعليم الجامعي باريس . وجرى شقاق بين الأمتين ، ورحل الطلاب الانجليز عن باريس، فكان لا بد من بديل فكانت اكسفورد ، وفى اعقاب اكسفورد جاءت جامعة كمبردج .

ومضت القرون وليس لانجلترا غير هاتين الجامعتين. تتوالى عليهما الاحداث وهما ثابتتان . من احداث سياسية ، واخرى دينية . واحتدمت الخصومة الدينية فيهما وبينهما فى عهد الاصلاح الدينى Reformation فى القرن السادس عشر . فجاء من اقترح صونا للسلام ، الغاء الجامعتين معا ، وانشاء الجديد مكانهما . ومع هذا ظلت الجامعتان ، وعلى الاخص جامعة كمبردج ، تتحولان بالتدرج نحو مقتضيات العصور . ودخل العلم الحديث كمبردج فى القرن السابع عشر بدخول اساتذة من امثال اسحق نيوتن اليها .



منظر عام لجامعة اكسفورد وشتى مبانيها .

فى القرن التاسع عشر

جاء القرن التاسع عشر وهاتان الجامعتان ، اكسفورد وكمبردج ، جامعتان ، لا يدخلهما الا الصفوة المتميزة من المجتمع البريطانى . ولكن لم يقترب هذا القرن من الانتهاء حتى زال عن الجامعتين هذا الاحتكار الطبقي . كذلك ادخل على نظام الجامعتين ، فى النصف الثانى من ذلك القرن ، تغيير كبير كاد أن يكون انقلابا . فموضوعات الدراسة زادت وتنوعت ، والامتحانات التحريرية توطدت بعد أن كان الامتحان شفويا ؛ وعلى الاكثر صوريا . وأعتقت الكليات مما كانت فيه من رق العصور الوسطى. وكان لا يدخل الجامعتين أحد الا بعد اختبار دينى يؤديه ، وقسم يلتزم به ، فأعفى الطلاب من كل هذا . والمنشقون أذن لهم بالحصول على الدرجات الجامعية اسوة بغير المنشقين، وكان لا يؤذن لهم . وانشئت كليات للبنات وكان هذا تقليدا جديدا ، فالمراة لم تكن عندهم فى حاجة الى التعليم العالى .

جامعة لندن

وفى هذا القرن انشئت جامعة لندن . وهى انشئت احتجاجا على تزمت الجامعتين العتيقتين الكبيرتين اكسفورد وكمبردج ، فى بداية هذا القرن . فهى انشئت فى عام ١٨٢٨ . وبعد عام واحد انشئت كلية الملك Kings College فى لندن فى معارضة الكلية السابقة ، وانشئت على غرارها ، ولكنها التزمت بتدريس تعاليم الدين المسيحى وفقا للكنيسة البريطانية القائمة . وفى عام ١٩٣٦ تحولت جامعة لندن لتكون جامعة امتحان ، تلتحق بها الكليات من شتى البلاد ، وتسمى هذه عندئذ ، بالكليات الجامعية ، لا تعطى هى الدرجات ،ولكن تعطيها جامعة لندن وفقا لامتحانات تجريها . حتى اذا اشتد ساعد هذه الكليات الجامعية University Colleges استقلت ، ورفعتها الحكومة الى مرتبة الجامعات Universities . وهذا النظام افاد البلاد فائدة عظمى .

وهذه الكليات الجامعية كان مقرها لندن ، أو اى مدينة اخرى من البلاد . وحتى فى الهند . وحتى فى المستعمرات حين كانت مستعمرات .

جامعات ((الطوب الأحمر))

وفى هذا القرن التاسع عشر فتحت ، من بعد جامعة لندن ، كليات جامعية كثيرة بلغت نحو الثماني .

وتميز من هذه الكليات الجامعية كليات خمس ، نالت جميعها اسم الجامعة ومرتبتها واستقلالها فى العشر السنوات الاولى من القرن العشرين، هذا القرن الحاضر .

وكان قيامها فى القرن التاسع عشر بناء على ما اقتضته حالة البلاد الملحة . فالقرن كان القرن الذى اشتدت فيه الصناعة ، وازدهرت اكبر ازدهار . واقيمت هذه الكليات (الجامعات فيما بعد) فى مدن تحيطها الصناعة من كل جانب .

وهذه الخمس هى: جامعة برمنجهام. جامعة ليفربول . جامعة ليدز . جامعة شيفلد . جامعة برستل . يضاف اليها

اسبقها جميعا ، جـامعة منشستر (أقيمت عام ١٨٥١) .

وسميت هـذه الجامعات بجامعات الطوب الأحمر Red - Brick Universities هكذا سماها احد الكتاب فجرى الاسم عليها. وهو يشير الى بنائها. ولكنه يشير اكثر الى التشابه فى نوعها ، فهى اختلفت عما سبق من الجامعات من حيث التعليم والغايات .

شابه بينها انها كانت اشبه بالعصر التكنى الحديث ، كل منها خدم منطقة صناعية،وكان للمنطقة صوت فى اقامتها، ونصيب فى اعانتها ، واذن فنصيب فى توجيهها وادارتها . وكل من هـذه الجامعات كان له فى الدراسات والأبحاث جانب علمى طبعى تكنى قوى . وكلٌ عَمَد اساسا الى تعبئة طلبته من الجيرة المجاورة وان لم يقتصر عليها . وامتنعت جميعا عن ان يكون بها اختبارات دينية، وبعضها رفض أن يكون به حتى التعليم الدينى ، وكان ذلك لا شك بسبب ما عانته البلاد من خصومات ، أثارتها عند ذاك الجامعتان العريقتان ، اكسفورد وكمبردج .

ونفقة التعليم نزلوا بها حتى لا تكون حجر عثرة فى سبيل الطالب الفقير .

« الجامعات الجديدة »

ودخل القرن العشرون وهذه الجامعات ذات الطوب الأحمر عماد البلاد فى هـذا القرن الجديد . ولا ننسى ان آخر جامعة بينها بلغت مرتبة الجامعة كانت جامعة برستل وكان بلوغها اياها عام ١٩٠٩ .

ولم تلبث انجلترا أن خاضت الحرب العالمية الاولى فى عام ١٩١٤ .

وخاضت انجلترا الحرب العالميـة الثانية عام ١٩٣٩ ، وخرجت منها كما يخرج الطير وقد تعرى من ريشه .

واستبان لانجلترا بعد الذى جرى لها فى هذه الحرب الثانية ، وبعد الـذى تفتق من حولها من بعد حرب،من أحداث ان كل هذا التجديد الذى فات فى أمر التعليم قد تعتّق . انه تجديد كان . ولا يمكن أن يسمى تجديدا لهذا الزمان ، نزمانها هذا الحاضر زمان لا يكفى للاحقته ركوب الخيل . عصر الخيل مات . وعصر السيارة . وعصر الطيارة . وجاء عصر الصاروخ ، وجاءت سرعة الصاروخ . والزمن الذى كان يقاس بالسنة واليوم والساعة والدقيقة والثانية ، أصبح يقاس بجزء من الف من الثانية ، وجزء من الف الف. وايقنت انها ليست وحدها فى الميدان . ففيه امم سابقة . وفى هذه الأمم امم لها صديقة ، وأمم مناهضة . والمناهض لا يهدئ من حدة مناهضته غير التفوق . وحتى الصديق لا تدوم صداقته فى هذه الدنيا الا للقوة . فهو للقوة وصاحب القوة اصدق .

واقرت الحكومة البريطانية فى أواخر الخمسينيات الماضية اقامة سـبع جامعات ، هى مع تواريخ انشائها :

جامعة سَسِكس Sussex (١٩٦١) ، وايست انجليا East Anglia (١٩٦٣) ، ويورك York (١٩٦٣) واسكس Essex (١٩٦٤) ، ولنكستر Lancaster (١٩٦٤) ، وكنت Kent (١٩٦٥) ، وورك Warwick (١٩٦٥) .

اى انهـا جميعا أقيمت فى العشر السنوات الماضية . وعرفت بأنها « الجامعات الجديدة » The New Universities .

وقد رسمت لجنـة المنح الجامعية الانجليزية الخطة الآتية لهذه الجامعات الجديدة :

(١) أن تقوم الجامعـات الجديدة باعطاء درجاتها الدراسية مباشرة من أول انشائها .

(٢) أن تقام الجامعة على مساحة من الارض كبيرة ، خارج المدن ، وأن تكون معدة لاقامة اكثر من فيها ، فيها (اى تكون داخلية Residential .

(٣) أن تكون الدراسة بالجامعة ٣ سنوات كما هى فى اكسفورد وكمبردج ،

وفى الجامعات ذات الطوب الأحمر (اى لا تكون أربع سنوات كما اقترح لبعض جامعات أخرى) .

(٤) ان تتألف الجامعة من مدارس ، تتضمن المدرسة الواحدةمنها موضوعات للدراسة ذات نسب فيما بينها ، ولهـا برامج اعرض من برامج الجامعات القديمة تلك التى كان يأتيها الطالب بعد انفراغ من الصف السادس من مدرسته الثانوية فيدخل على الفور ، ويتعمق فى دراسة واحدة متخصصة .

(٥) ان الحكومة مع مساهمتها فى نفقات الجامعة تنتظر من اهل المنطقة كرم المساهمة .

(٦) ان اللجنة، مع اقتراحها ان تكون الجامعة « داخلية » لدرجة كبيرة الا انها ترى ان يقوم غير الحكومة ببناء ما تحتاجه الجامعة من مساكن لهذه الأغراض .

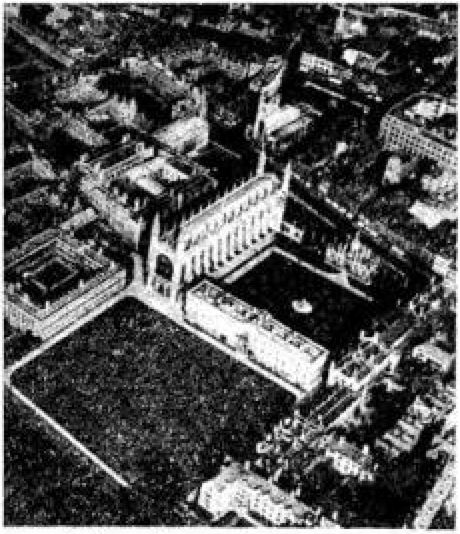
(٧) ان مـن اول اهداف الجامعـة احسان التعليم وتجديده والعناية بـه اشد العناية ، ولكن كذلك من اهدافهـا العناية بالأبحاث وخلق الكفايات الفنية فحياة الجامعة المكتملة لا تكون الا بمزج هذين . وشىء آخر على الجامعة ان تصنعه، ان تجعل من الحياة فيها مجتمعا ينمى فى الفرد ذاتيته ويحقق شخصيته .

(٨) على الجامعة ان تزيد فى الثروة الثقافية عامة، وتعمل على عون الصناعة ومساعدة التجارة وخدمة الحى الذى هى فيه .

وعدا هذا ترك لكل جامعة حريتها فى ان تختار من الجامعات السابقة لها من النظم ما تشاء ، وأن تستجد ما تشاء .

لجنة روبنس Robbins

والى جانب ما ارتأته لجنة المنـح الجامعية، انشات الحكومة لجنة أسمتها لجنة التعليم العالى Committee On Higher Education رأسها اللورد روبنس Robbins لتنظر فى التعليم الجديد وحاجاته الجـديدة ، وعملت اللجنة من عام ١٩٦١ الى عام ١٩٦٣ ، واخرجت تقريرا اشتهر باسم تقرير روبنس .



منظر عام لجامعة كمبردج وشتى مبانيها .

فهذا هو التقرير الذى وصف الماضى والحاضر ، وخطّ للمستقبل . وهـو تقرير جدير بكل متصل بالتعليم وكل مهتم بمستقبل بلاده ، انجليزيا كان ، او فرنسيا ، او عربيا ، ان يقرأه . فهو مثل من التفكير العميق ، الذى ، ان يكن موضوعه موضوع التعليم العالى فى انجلترا ، فهو بحث فى التعليم العالى عامة وفى صلته بمطالب هذه الحياة المعاصرة .

المحاضرات للمائة ومعها لقاء العشرة

من ذلك ان التقرير قضى بأن تظل نسبة عدد الطلاب الى اعضاء هيئـة التدريس فى الجامعة نسبة واطئة ، لا تزيد على ٨ : ١ . اى يكون لكل ٨ من الطلاب واحد من أعضاء الهيئة ، وذلك لكى تستطيـع الجامعة ، الى جانب المحاضرات للعدد الكبير ، أن يقوم أفراد هيئة التدريس ، كل واحد منهم فى مجموعة من عشرة من الطلاب، يدارسونهم ويناقشونهم ويعاونونهم فى دروسهم وغير دروسهم على الطريقة المعروفة بطريقة الـ Tutorial ، طريقة الرعاية الفردية تلـك التـى جعلت من طالب الجامعـة



طريقة التعليم المسماة Tutorial هي جزء من طرائق التعليم في كليات انجلترا القديمة . وهي رعاية الاستاذ للطالب الفرد او لفئة صغيرة من الطلاب خارج المحاضرات. وهذا استاذ يعين طالبا في شتى مشاكله ، الدراسية وغيرها .

الانجليزية احسن طالب جامعة عند التخرج .*

عصر تغيير وتبديل

ونستطيع ان نضرب الامثال الكثيرة من هذا التقرير ومن كتب ونشرات كثيرة كتبت حول هذا الموضوع ، ولكن ليس هذا بهدف كلمة كهذه قصيرة . انما اردت من هذه الكلمة ان اؤكد ان هذا العصر الذى نحن فيه ، عصر تغير وتبدل فى الحياة الحضارية الحاضرة ، التى تتمثل فى ما تكونه ، او تقوم به ، امم الأرض المتقدمة . ومن تغيرها وتبدلها ما يصيب الجامعات فى الصميم . وانه اذن وجب على الامة العربية ان تقوم بتقويم ما عندها اليوم من جامعات ، كم هي ، واين هى تقع من مراتب جامعات الأرض . وعلى اى شيء نبنى تقويم جامعاتنا ، على كلمة من صحفى ، او خبر شارد علمي ، أم على قرار للجنة محايدة فاحصة ، عارفة ، عادلة ، صادقة صديقة ، نستدعيها من اقصى الارض ، يكون اكثر صداقتها وصدقها فيما تكشفه لنا فى جامعاتنا من نقص ، مع ما تذكر من جودة . واذن نسير وفى ايدينا مصابيح تهدى، نرسم على ضوئها الطريق الذى نسلكه فى غد ليس كله بنور الشمس عامر .

ان الجامعة بناء حى خلاق ، يخرّج لنا من رجال الفد الأديب والطبيب والعالم والمؤرخ والجغرافى ورجل القانون وخبير الزراعة وخبراء الصناعة ورجال التكنية، وكل صاحب مهنة . وكل صاحب فكرة وكل ذى كفاية ومهارة . وهو يخرّج لنا فيما يخرج المعلم واستاذ الجامعة .

وهذه المنتوجات الانسانية لا تستهلك فى عام او عامين .

ان الطبيب الماهر باق معنا ننعم بمهارته ثلاثين عاما او اربعين .

وكذلك الطبيب العاجز باق معنا نعانى من عجزه ثلاثين عاما أو أربعين .

وكذا الحال فى امر العالم . وكذا المهندس ، وكذا خبير الزراعة ، وخبير الصناعة ، وكل ذى قدرة . باقون كلهم معنا العشرات من السنين . ان احسنت الجامعات اخراجهم فلنا منهم الخير الدائم السنوات . وان اساءت فلنا منهم الشر الدائم السنوات .

فالضبط والربط يجب ان يبدا حيث يبدأ الخلق فى الجامعات . الجامعات تختبر . ولكن قبل ان تختبر يجب ان تختبر . تختبرها الأمة لتتأكد من ان النتاج الذى سوف يأتى اخيرا سيكون نتاجا بحمد الله طيبا حميدا ، وحديثا ، مواكبا لزمانه . ••

أحمد زكى

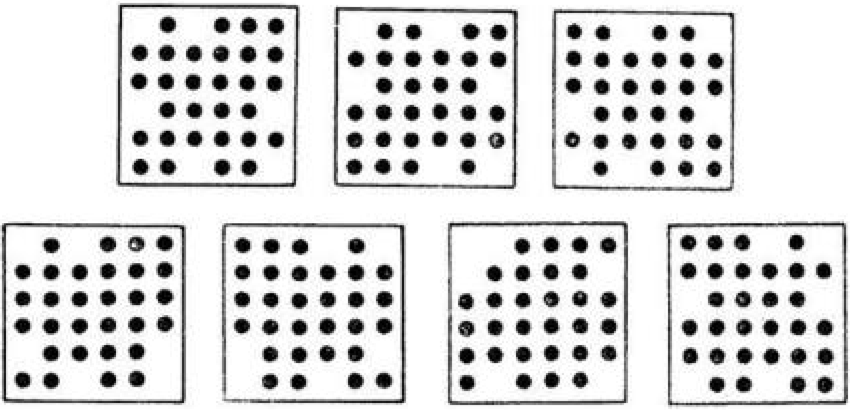
* وشيء لا نحمده فيما صنع الانجليز ، ذلك انهم زادوا اجور الجامعات على كل طالب غريب . كانت انجلترا ترحب بالاجانب ياتونها من كل صوب، لما كانت لها امبراطورية لا تغيب عنها الشمس . اما الآن ، وقد تقلصت، فقد تقلص معها الترحيب. وهبط او يهبط بعدد طالبي جامعاتها ، انهـا وضعت شرطا لدخولها ، ذلك النجاح في الامتحان الذى سمته General Certificate Of Education وعرف اختصارا ب G.C.E. . فهذا امتحان من الصعوبة على الأجنبى بمكان . وقد خيلت انها عقبة اخرى وُضعت في سبيل الأجنبى حتى لا يجتاز الحدود .

نتيجة مسابقة العدد ١٣٦

حلول للمسابقة كثيرة

■ سيل من الاجابات وصلنا يحمل الاجابة الصحيحة لمسابقة العدد ١٣٦ بشكل لم نعهده فى اية مسابقة . الكل توصل الى أحد الحلول الصحيحة الا ما ندر . بل ان البعض منهم توصل الى الحل الصحيح بطرق عدة .

والاشكال التالية تمثل اجابات صحيحة للمسابقة ، ثم أسماء الذين فازوا بالمسابقة :



الفائزون بالجوائز

الجائزة الاولى : **وقيمتها ثلاثون دينارا فاز بها : نبيل محمد عبد الواحد الجزيرى ـ الجيزة/ ج. ع. م.**

الجائزة الثانية : **وقيمتها عشرون دينارا فازت بها : سميرة عبد الواحد ـ صور/ لبنان .**

الجائزة الثالثة : **وقيمتها عشرة دنانير فاز بها: احمد عوض بن همام ـ المكلا / اليمن الجنوبى .**

٨ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا كل منها خمسة دنانير فاز بها كل من :

١ ـ رياض جعفر هاشم ـ عمان/الاردن .

٢ ـ أمينة عبد الغنى البهنساوى ـ ابرقخيطان/ الكويت .

٣ ـ شعيب تلاوى ـ طرطوس/سوريا .

٤ ـ ثامر سعود السلمان ـ الشطرة/العراق .

٥ ـ على أحمد المنصور الحازمى ـ مكة المكرمة/ السعودية .

٦ ـ محمد عثمان أحمد يوسف ـ الجزائر .

٧ ـ ابراهيم عبد الودود محمد ـ السودان .

٨ ـ أحمد سليمان سالم ـ أبو ظبى/الخليج العربى .

وسوف ترسل الجوائز الى أصحابها . ■■

٢ الأحكام الإسلامية بين الدوام والتغير

الأحكام المستقرة

بقلم : زكريا البري

رئيسم قسم الشريعة والدراسات الاسلامية ـ جامعة الكويت

اجمال ما سبق

في المقال السابق (١) بينا وحدة الديانات والشرائع السماوية في اصولها ومقاصدها ، ثم وضحنا حكمة الشارع الاسلامي في تدرجه عند تشريع احكامه ، واقتصاره على تغيير ما فسد من عادات ومعاملات ، واقراره لاعرافهم التى جرت عليها حياتهم ، واستقامت عليها أمورهم ، وشرعه بعض الاحكام لاسباب وقتية ، ثم تغييره لهذه الاحكام بعد زوال الاسباب التى دعت اليها .

وذكرنا أن صحابة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعلى رأسهم الخلفاء الراشدون ـ رضوان الله عليهم ـ بعد أن تخرجوا في مدرسة النبوة ، وبعد أن آل اليهم الامر ، قد اجتهدوا في بيان أحكام جديدة للحوادث الجديدة ، وغيروا أحكاما تطبيقية كانت معروفة فيما قبل ، مستهدفين تحقيق مصالح الناس ، وهي أساس التشريع الاسلامي ، وغايته الاولى ، من غير تجاوز للنصوص ، ومن غير افراط ولا تفريط . ثم سار على منوالهم من تابعوهم باحسان من التابعين والفقهاء المجتهدين (٢) ، وتساءلنا : ما الحدود الفاصلة بين الاحكام المستقرة والاحكام المتغيرة ؟ ومتى يكون تغيير الاحكام تجاوزا للنصوص وخروجا عليها ، ومتى يكون هذا التغيير في رحابها وتحت ظلالها وفي اتجاه مقاصدها واهدافها ؟ ، وقدمنا للاجابة عن هذا السؤال بيانا عن تقسيم النصوص الاسلامية الى نصوص تقطع وتجزم بثبوتها عن الشارع ، ونصوص لا تبلغ هذه المرتبة اليقينية وانما تقف عند الظن والرجحان ، وتقسيمها الى نصوص تدل على الاحكام المستفادة منها قطعا بحيث لا تحتمل معنى آخر ، ونصوص لا تصل الى هذه الدرجة ، وانما ترجح دلالتها على المعاني المأخوذة منها ، وتحتمل غيرها ، مما اختلفت فيه أنظار الفقهاء الاولين والآخرين .

كما بينا أن النصوص الشرعية كانت في بعض الاحيان مجملة ، وفي بعضها مفصلة ، بحسب طبيعة الاحكام التى تناولتها ، والعلاقات التى نظمتها .

والأحكام المتغيرة

ودواعي تغيرها

الاحكام المستقرة

■ ونجيب عن سؤالنا الذى سألناه ، بان الاحكام المستقرة الدائمة ماخوذة من نصوص قطعية في ثبوتها عن الشارع ، وقطعية في دلالتها على الاحكام المستفادة منها ، والتى تنظم علاقات ثابتة وغير متطورة .

ومن اظهر الامثلة لذلك : الاحكام الخاصة بنصيب بعض الورثة في التركة ، والاحكام الخاصة بالمحرمات من النساء في الزواج ، واباحة تعدد الزوجات وحل الطلاق في الحدود الشرعية ، ونحو ذلك ، مما دلت عليه نصوص تدخل في هذا الاطار .

فاذا قيل بتغيير انصبة هؤلاء الورثة ، او تسوية الانثى بالذكر فيها ، او اباحة الزواج بهؤلاء المحرمات من النساء ، او تحريم تعدد الزوجات ، او تحريم الطلاق ، كان هذا القول تجاوزا للنصوص وافتياتا عليها ، ومصادمة لمقاصدها ، وجهلا باسرارها وحكمها التشريعية .

الاحكام المتغيرة

اما الاحكام المتغيرة فانها تخرج عن هذا الحرم المقدس ، وتلك المنطقة الحرام ، وتضيق دائرة التغيير فيها أو تتسع ، وتتنوع اسباب التغيير فيها ، تبعا لما يكون قد جاء فيها من نصوص ، وتبعا لمدى قابلية العلاقات التى تحكمها للتطور والتغير .

ويدخل فيها انواع متعددة من الاحكام الاجتهادية ، وهي اكثر احكام الفقه الاسلامي ، فيدخل فيها :

أولا : الاحكام المستفادة من نصوص ظنية

وهي الاحكام التى اخذت من نصوص ظنية في ثبوتها عن الشارع او ظنية في دلالتها على معانيها ، وكذلك الاحكام المستفادة من القياس ، مما تعددت فيه آراء الفقهاء تعددا يتناول في بعض الحالات جميع الاحتمالات العقلية التى يمكن القول بها ، والتى عدل عنها اصحابها ، او لم يتابعهم فيها

---

(١) العربي : العدد ١٣٥ ـ ذو القعدة ١٣٨٩ ـ فبراير ١٩٧٠ .

(٢) انظر : الفقه الاسلامي في ماضيه وحاضره ومستقبله في « الموسم الثقافي لجامعة الكويت » ٦٧ ـ ١٩٦٨ .

تلاميذهم – في حالات كثيرة – بعد ان تبين لهم رجحان غيرها ، لوقوفهم على نصوص او وجهات نظر اخرى ، او بعد مناقشات جرت بينهم وبين غيرهم طلبا للحق ، وتحريا للصواب ، بقدر الامكان والوسع .

وكتب الفقه الاسلامي بحر زاخر بامثلة هذا النوع (٣) من الاحكام القابلة للترجيح وحسن الاختيار . وليس التغيير – حينئذ – تغييرا في الحكم الشرعي الاصلي ، وانما هو تغيير بالنسبة لتغير الرأى الاجتهادى ، بعد اعادة النظر وتبين ما هو اقرب الى الحق والصواب والمصلحة والعدل .

عمر وميراث الجد

ومن ذلك ان بعض الروايات (٤) تذكر ان عمر ابن الخطاب – رضى الله عنه – كان يرى فى أول الامر أن الجد اب الأب ، يأخذ حكم الأب ، باعتباره أبا مجازيا عند عدم وجود الأب الحقيقي، فيحجب الاخوة الاشقاء أو الاخوة من الأب عن الميراث في أخيهم ، وان حفيده – من ابنه – عاصم – توفى عنه وعن أخوين ، فاستشار علي بن ابي طالب وزيد بن ثابت – رضى الله عنهما – فلم يوافقاه ، وكان مما قاله زيدبن ثابت في توضيح رأيه : لو أن شجرة تشعب منها غصن ، ثم تشعب من ذلك الغصن خوطان (٥) ، ذلك الغصن يجمع الخوطين دون الأصل ويغذوهما . الا ترى يا امير المؤمنين ان احد الخوطين اقرب الى اخيه من الاصل .

يضرب زيد بن ثابت أصل الشجرة مثلا للجد ، ويضرب الغصن الذى تشعب مثلا للأب ، ويضرب الخوطين اللذين تفرعا منه مثلا للاخوة . فرجع عمر عن رأيه الاول . وكان مما قاله : لولا ان الرأى اجتمع على هذا ما رأيت ان يكون ابني ولا اكون أباه . ثم خطب الناس وامضى الرأى الاخير .

عمر واشراك الاخوة الاشقاء فى نصيب الاخوة من الام

ومن ذلك ان سيدنا عمر كان يرى عدم توريث الاخوة الاشقاء ، وتوريث الاخوة من الام دونهم ، في المسألة التى اشتهرت باسم المسألة المشتركة (٦) . وقضى بذلك تطبيقا لظواهر بعض النصوص .

ولما اراد ان يقضى بذلك في حادثة اخرى ، قال له الاخوة الاشقاء : يا امير المؤمنين ، هب ان ابانا كان حجرا ملقى في اليم أليست أمنا واحدة ؟ فاذا لم ينفعنا الأب فلا ينبغي ان يضرنا ، وما زادنا الأب الا قربا . أو قالوا له – كما تقول رواية اخرى – : يا امير المؤمنين ، لنا اب وليس لهم اب ، اى يجمعهم بالمتوفاة ، ولنا ام كما لهم أم – اى تجمعهم بالمتوفاة . فان كنتم حرمتمونا بابينا ، فورثونا بامنا ، كما ورثتم هؤلاء بامهم ، ألسنا قد تراكضنا في رحم واحدة ؟ فقال الفاروق : صدقتم ، ثم قضى باشراك الاخوة الاشقاء مع الاخوة لام في الثلث ، يقتسمونه بينهم بالتساوى، باعتبارهم جميعا اخوة من الام .

---

(٣) ومن الكتب التي يمكن الرجوع اليها في هذا كتاب المغنى لابن قدامه وكتاب بداية المجتهد لابن رشد

(٤) انظر الوسيط فى احكام المواريث ومراجعه ٢ ص ٢١٤ – ١١٧ .

(٥) الخوط : هو الغصن الناعم .

(٦) كأن تموت المرأة عن زوجها وامها واخوتها الاشقاء ذكورا واناثا ، واخوتها من الام ، فان الزوج يستحق النصف والأم تستحق السدس ، والاخوة من الام يستحقون الثلث ، ولا يبقى للاخوة الأشقاء شيء من التركة يستحقونه باعتبارهم عصبة المتوفاة ، وهذا ما قضى به عمر أولا ، ثم رأى في الحادثة الثانية اشراك الاخوة الأشقاء (أى من الأب والأم / في نصيب الأخوة من الام باعتبارهم أخوة من الأم .

ثانيا : الاحكام المأخوذة من نصوص تقصد الى تحقيق مصلحة دقيقة

ويدخل في الاحكام المتغيرة تلك الاحكام التي دلت عليها نصوص شرعية قصدت الى تحقيق مصلحة مؤقتة ، تغيرت الظروف التى دعت اليها . ومن ذلك :

اشتراط النسب القرشي في رئيس الدولة

فان اشتراط النسب يؤخذ من قوله ــ عليه الصلاة والسلام ــ « الائمة من قريش » وقد كان هذا بناء على ما لقريش من عز وسيادة ومنعة، وعلى حاجة الحاكم الاعلى في العصر الاول الى هذه المكانة والقوة ، حتى يستقر الحكم ، وينفذ الامر ، ويصلح حال الامة ، باجتماع الكلمة ، وعدم تفرقتها .

وفي هذا المعنى يذكر ابن خلدون : ان الاحكام الشرعية كلها لا بد لها من مقاصد وحِكَم تشتمل عليها ، وتشرَّع لاجلها ، ونحن اذا بحثنا عن حكمة اشتراط النسب القرشي ، ومقصد الشارع منه ، لم نجد الا اعتبار القوة التى تكون بها الحماية ، ويرتفع الخلاف والفرقة بوجودها لصاحب المنصب ، فتسكن اليه الملة واهلها ، وينتظم جعل الالفة بها . وذلك ان قريشا كانوا عصبة مضر واهل الغلب منهم ، وكان لهم العزة والكثرة والشرف ، وكان سائر العرب يعترف لهم بذلك ، ويستكينون لغلبهم . فلو جعل الامر في سواهم لتوقع افتراق الكلمة بمخالفتهم وعدم انقيادهم ، ولا يقدر غيرهم ان يردهم ، فتفترق الجماعة ، وتختلف الكلمة ، والشارع محذّر من ذلك ، حريص على اتفاقهم ورفع اسباب التنازع والشقاق بينهم . واذا ثبت ان اشتراط القرشية انما هو لدفع التنازع ، بما كان لهم من العصبية والغلب ، وعلمنا أن الشارع لا يخص الاحكام بجيل ولا عصر ولا امة ، علمنا ان المقصود من القرشية هو وجود القوة ، فاشترطنا في القائم بامر المسلمين ان يكون من قوم لهم قوة غالبة على من معهم في عصرهم ، ليتبعهم من سواهم ، وتجتمع الكلمة على حسن الحماية ، واذا نظرت سر الله في هذا الامر لم يَعْدُ هذا (٧) .

غنائم الحروب وتعمير الاراضي

ومن ذلك ايضا اخذ المحارب لما يجده مع قتيله ، وتملك الارض الميتة بمجرد احيائها وتعميرها ، المستفاد من قوله ــ عليه الصلاة والسلام ــ : « من قتل قتيلا له عليه بيّنة فله سَلَبه » وقوله : « من أحيا أرضا ميتة فهي لـه » .

فان منح السلب للقاتل من قبيل التحريض على القتال ، في ظروف دعت اليه ، وللحاكم ان يفعله والا يفعله ، بحسب ما يرى من مصلحة ، فهو ليس من قبيل الشرع العام الثابت الذى لاتجوز مخالفته . ونظيره احياء الارض الموات ، ولهذا لم يجعله ابو حنيفة سببا لملك الارض المحياة الا اذا اذن الحاكم بناء على المصلحة (٨) .

التسعير الجبرى

ومن ذلك منع التسعير الجبرى ، فانه ماخوذ من ان رجلا جاء الى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقال : يا رسول الله ، سَعّر لنا . فقال : بل ادعو الله ، ثم جاءه رجل آخر وقال مقالة الأول ، فقال الرسول : « بل الله يَرفع ويَخفض ، واني لارجو أن ألقى الله عز وجل وليس لاحد عندى ظلمة » .

ويبدو من وقوف الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ عند دعاء الله سبحانه وتفويض الأمر اليه في رفع الاسعار وخفضها ، وامتناعه عن التسعير ، ان الغلاء المشكو منه كان غلاء ناتجا عن ظروف اقتصادية طبيعية لا استغلال فيها ولا احتكار ، ولم يكن غلاء مصطنعا .

---

(٧) مقدمة ابن خلدون ص ١٥٤ ــ ١٥٥ .

(٨) بدائع الصنائع للكاساني جـ ٧ ص ١١٥ .

ولهذا امتنع الرسول عن التسعير في وقته ، ثم ذهب سعيد بن المسيب وربيعة بن عبد الرحمن ويحيى بن سعيد الأنصاري من أئمة فقهاء التابعين الى جوازه بعد تغير الظروف الأولى ، ووجود غلاء مصطنع وفي ذلك نظر" لمصالح الناس ، ومنع للاستغلال بينهم،وتحقيق مصلحةالبائع والمشتري، بإباحة الربح في حدود مصلحته مع عدم الاضرار بالمشتري (٩).

التقاط الإبل الضالة

ـ ومن ذلك منع امساك الابل الضالة ، المأخوذ من قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ حينما جاءه رجل يسأل عن ذلك : « مالك ولها ؟؟ معها سقاؤها وحذاؤها(١٠) ، ترد الماء وتأكل الشجر حتى يلقاها ربها . » وما دامت الإبل مصونة لا يخشى عليها من جوع ولا عطش ولا ضياع، ولا يخشى منها ضرر، فلا داعي لامساكها .

وقد استمر تطبيق هذا الحكم المنصوص عليه مدة الخليفتين أبي بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ ثم جاء الخليفة عثمان ـ رضي الله عنه ـ فأمر بالتقاطها بعد أن خيف عليها، وأمر بحصر أوصافها وبيعها ، حتى اذا جاء صاحبها أعطى ثمنها . ثم رأى الامام علي ـ رضي الله عنه ـ فيما بعد أن تبنى دار تحفظ فيها هذه الابل ، اذ رأى أن بيعها واعطاء صاحبها ثمنها قد لا يغني غناءها ، وان حفظها له أكثر تحقيقا للمصلحة (١١) .

ثالثا : الاحكام المبنية على المصلحة

كما يدخل في الاحكام المتغيرة أيضا ، تلك الأحكام التي لم يرد عن الشارع نص فيها بذاتها ولا فيما يماثلها ، أو كان نص الشارع فيها مجملا غير مفصل ، قد فرض امر تفصيله الى أهل الذكر وأصحاب الاختصاص في مختلفالعصور والأمصار، فان هذه الأحكام ترتبطبالمصلحة ، وأينما وجدت المصلحة فثمَّ شرعُ الله .

ومن ذلك الأحكام التي ذهب اليها الفقهاء قديما في تفصيلات أنظمة الدولة الدستورية والادارية والمالية ، وفي أحكام « التعزيرات » أي التأديبات ، وهي عقوبات الجرائم الكثيرة فيما عدا الحدود والقصاص ، وكذلك أحكام المرافعات ونظام التقاضي وتنفيذ الأحكام ونحو ذلك ، مما كان مستندُ الفقهاء فيه مجرد المصلحة في زمنهم.

فجميع هذه الأحكام قابلة للتغيير كلما تطورت الحياة ، وتغيرت الظروف التي دعت اليها ، وفي ضوء المصلحة .

والأحكام الجديدة التي تقول بها الأمة الاسلامية ـ ممثلة في أصحاب الاختصاص ـ تكون هي الفقه الاسلامي المعاصر . اما الأحكام السابقة فانها تمثل مرحلة من مراحله ، وجزءا من تاريخه .

رابعا : الاحكام المبنية على العرف

وهذه الأحكام هي التي انبنت على عرف صحيح آخر ، استقامت عليه أمور الناس ، وتحققت به مصالحهم ، من غير مصادمة لأهداف الشريعة ومقاصدها .

فقد جاء كثير من الأحكام الفقهية مبنيا على العرف السائد في العصور الأولى ، وكان هو المصدر الوحيد الذي أُخذت منه هذه الأحكام .

ولهذا فانه لما تغيرت هذه الأعراف تبعا للتطور الاجتماعي الطبيعي الصالح ، أفتى من جاء بعدهم من الفقهاء بما يخالف الأحكام الفقهية العرفية الأولى ، مسايرةً للتطور وللعرف الجديد الصحيح المحقق للمصلحة . وقالوا في هذا الاختلاف بينهم وبين من سبقوهم : انه اختلاف عصر وأوان وليس اختلاف حجة وبرهان .

ومن ذلك ما أفتى به بعض الفقهاء من حلِّ

---

(٩) شرح الموطأ للباجي جـ ٥ ص ١٨ .

(١٠) المراد بذلك صبرها على العطش وقدرتها على المشي .

(١١) شرح الموطأ للباجي جـ ٦ ص ١٤٢ .

اخذ الأجر على تعليم القرآن وعلى الأذان والامامة في الصلاة بعد ان تغيرت الظروف ، واصبحت هذه الاعمال في حاجة الى من يتفرغ لها ويلتزم بهـا ، ولا يوجد من يقوم بها الا باجر ، لحاجته لكسب المال ، سدا لحاجات الحياة .

بينما كان يرى المتقدمون منهم عدم جواز اخذ الأجر ، لوجود من يقوم بها من غير اجر ، طاعة وعبادة ، يتولى الله سبحانه الثواب عليها كغيرها من الطاعات .

ومن ذلك ان كشف الرأس والخروج من غـير غطاء عليه كان يعد ـ في نظر الفقهاء ـ مخالفا للمروءة ، وسببا في عدم قبول شهادة الشاهد عاري الرأس ، وكان ذلك بناء على العرف في بعض الأزمنة والامكنة . فلما تغير هذا العرف لم يعد في هذا الكشف مخالفة للمروءة والوقار .

يقول الفقيه المالكي شهاب الدين العراقي بعد ان ذكر اختلاف العلماء فيما يقع ببعض الفـاظ الطلاق : اياكَ ان تقول اننا لا نفهم منه الا الطلاق الثلاث ، لأن مالكا رحمه الله قد قاله ، أو لأنه مسطور في كتب الفقه لأن ذلك غلط ، بل لا بد ان يكون ذلك الفهم حاصلا لك من جهة الاستعمال والعادة » .

ثم يقول : « يجب علينا ان نعتقد ان مالكا او غيره من العلماء انما افتى في هذه الالفاظ بهـذه الأحكام لأن زمانهم كان فيه عوائد اقتضت نقل هذه الالفاظ للمعاني التي افتوا بها » .

ويقول : « الجمود على المنقولات ابدا ضـلال في الدين ، وجهل بمقاصد علماء المسلمين والسـلف الماضين (١٢).

خامسا : احكام الضرورة والحاجة

ثم يضاف الى الأحكام المتغيرة أيضا الأحـكام التي غيرها الشارع أو اذن في تغييرها بناء علـى ما يطرأ للناس من ضرورات تبيح المحظورات ، ومشقات غير معتادة تجلب التيسير . وذلك ان الشارع الحكيم قد جاء باحكامه الاصلية تنظيما للحالات العادية ، ثم غيرها او اذن في تغييرهـــا تغييرا وقتيا في الحالات الاستثنائية،معالجة لحالات الضرورة التي يترتب الهلاك والضياع على العمل فيها بتلك الأحكام الأصلية، ولحالات الحاجة التي يشعر الناس فيها بالحرج والضيق والعنت اذا عملوا فيها بهذه الاحكام الأصلية .

والله سبحانه وتعالى يقول : « وقد فصل لكم ما حرم عليكم الا ما اضطررتم اليه » . ويقول : « فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم » .

ويقول سبحانه :

« لا يكلف الله نفسا الا وسعها » .

« وما جعل عليكم في الدين من حرج » .

« يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » .

« يريد الله ان يخفف عنكم وخلق الانسـان ضعيفا » .

ومن ذلك جواز النطق بكلمة الكفر مع الاطمئنان القلبي في حالة الاكراه ، وتناول الطعام أو الشراب المحرم دفعا للهلاك .

وجواز الافطار في رمضان للمسافر ، وجواز الاغتسال في الحمامات باجر مع جهالة المدة وجهالة مقـدار الماء المستهلك استثناء من القواعـد ، تيسيرا على الناس ، ورفعا للحرج .

يقول الفقيه الحنفي ابن عابدين : « كثير من الأحكام تختلف باختلاف الزمان ، لتغير عرف أهله، أو لحدوث ضرورة ، أو لفساد أهل الزمان ، بحيث لو بقي الحكم على ما كان عليه أولا للزم منه المشقة والضرر بالناس ، ولخالف قواعـد الشريعة المبنية على التخفيف والتيسير ، ودفع الضرر والفساد ، ولهذا ترى فقهاء المذهب خالفوا ما نص عليه امامهم في مواضع كثيرة مبنية على ما كان في الزمن الماضي ، لعلمهم أنه لو كان في زمنهم لقال بما قالوا به اخذا من قواعد مذهبه »(١٣).

ويقول : « .. ان المفتي لا بد له من اجتهاد ومعرفة باحوال الناس ، ومن جهل زمانه فهـو جاهل ، وان المفتي ليس له الجمود على المنقول

---

(١٢) الفروق للعراقي ص ١٧٧ .

(١٣) مجموعة رسائل ابن خلدون جـ ٢ ص ١٢٥ .

من غير مراعاة الزمان واهله ، والا ضيع حقوقا كثيرة ، وكان ضرره أعظم من نفعه » .

كما يقول الفقيه الحنبلى ابن القيم في فصل عقده لبيان تغير الفتوى واختلافها بحسب تغير الازمنة ، والأمكنة،والاحوال ، والنيات ،والعادات: هذا فصل عظيم النفع جدا ، وقد وقع بسبب الجهل به غلط عظيم على الشريعة ، أوجب من الحرج والمشقة ، وتكليف ما لا سبيل اليه ، مما يعلم أن الشريعة الباهرة التى في أعلى رتب المصالح لا تأتي به .(١٤)

الاعراف الفاسدة

وليس معنى تغير الاحكام بتغير الزمان ، انها تتغير بناء على شهوات الناس ونزواتهم واغراضهم الفاسدة ، وما جرت عليه أعرافهم المفسدة ، التى لا تدعو اليها مصلحة ولا ضرورة ولا حاجة مما جاءت الشرائع لاصلاحها وتصحيحها ، كذلك العرى الفاضح الذى تجرى عليه ازياء المراة في بعض البلاد ، حين تخرج الى المجتمع أنثى فاتنة لنفسها ولغيرها ، لا انسانة عاملة نافعة لنفسها ولمجتمعها ، فان هذا التصرف عرف فاسد مصادم للنصوص الشرعية ، ولمقاصدها الاجتماعية . عرف يهدم المجتمع الفاضل الذى تريد الشريعة بناءه .

والشريعة تريد من المراة ان تحفظ أنوثتها وجسدها لزوجها تحقيقا للسعادة والعفة ، وأن تعطى المجتمع من عقلها وعلمها وعملها النافع ، ما يكمل رسالة الرجل والأسرة والمجتمع .

وحين تتغير الأحكام بناء على هذه الاعراف الفاسدة ، فانما تتغير باتخاذ أحكام جديدة ، تزيل أسبابها ، وتمنع الناس خطرها وشرورها ، بعد أن فشلت الجهود الفردية في تصحيحها ، ويحدث للناس من الاقضية بمثل ما يحدثون من الفجور .

تراثنا الفقهي العظيم

ومن الواضح أن تغير الأحكام بتغير الزمان لايعنى التنكر لتراثنا الفقهى العظيم ، الذى حوى من الأصول والنظريات والقواعد والأحكام ، مع حسن التأصيل والتحليل والتعليل،ما يجعله ثروة كبرى نستثمرها وننميها ونكملها باجتهادات جديدة لما جد في حياتنا من عادات ومعاملات وتطورات في الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية .

واجب الجامعات والمجامع والجمعيات العلمية

ولظروف الحياة المعاصرة وزحمتها وسعتها ، لم تعد الطاقة الفردية أو الجهود المتفرقة قادرة وحدها على القيام بهذا الواجب على الوجه الأكمل وانما هو في حاجة شديدة الى دراسات علمية ، وجهود ايجابية مؤمنة متعاونة ، صابرة ومصابرة، تقوم بها الجامعات والمجامع والجمعيات العلمية ، والمصلحة الاجتماعية . وترعاها الحكومات والشعوب الاسلامية ، وتدعمها ماديا وأدبيا وقانونيا،وتضمن لها الدوام والاستمرار والتأييد.

وبدون هذا سندور في حلقة مفرغة لا اول لها ولا آخر ، وستظل احكامنا اثوابا مرقعة ، تضم انسجتها قطعا وخيوطا قديمة ، واخرى جديدة ، وثالثة اجنبية غريبة ، دون ترابط ولا انسجام ، بل ان هذه الجهود ستضيع أمام طوفان التيارات الشرقية والغربية ، مع أن فقهنا الاسلامى شجرة مباركة لا شرقية ولا غربية ، يغمرها نوران نور على نور ، نور الشرع ونور العقل ، ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور .

وان هذه الجهود اذا لم تسر في اتجاهها الصحيح واذا لم يضمن لها التأييد الحكومى والشعبى ، فستكون عملا عقيما ، وجعجعة من غير طحن . وحينئذ تكون أمثال هذه الصيحات والنداءات صرخة في واد .

هذا ، وقد يسّرت الأمر ، بتسهيل المصطلحات العلمية ، والعبارات الفنية ، والاقتصار على امثلة محدودة يسهل فهمها وقبولها . وهناك كثيروكثير غيرها ، لا تتسع له الصفحات والأوقات، ومكانها الدراسات والجمعيات المتخصصة . ■■

زكريا البرى

---

(١٤) اعلام الموقعين جـ ٣ ص ٢٧ .

"الانتقام، لا"

■ بعد ماذا جئتني تطلب وُدّاً   بعد أن أشبعتني نأياً وصدّاً

بعد أن عذبتني

بعد أن أرهقتني

لا، ويأسِ الأمس لن أعطيك وُدّي   لك صدّي، لك صدّي، لك صدى

★★★

ليست القسوة قصدي   مثلما طاف ببالِكْ

لا، وليس الثأر، فادفعْ   كلّ هذا عن خيالِكْ

إنها الرحمة، والإشفاق   ما يدعو لذلِكْ

كل ما أبغيه أن تشرب   نفس الكأس...

تلْقَى ما لقِيتُ

كلّ ما أرجوه أن تطعم   نفس اليأس...

تصْلَى ما صَلِيتُ

رُبما يهواك يوماً   عاشقٌ غيرٌ سِواى

عندها تُدرِك مقدار   أساه وأساىْ

سوف تدرى أىّ حُزْنٍ   عاصفٍ يسعى إليْهْ

نفْس ما عانَيْت مِن حُزْ   نٍ، فهل تَقْسو عليْه

لم يَعُدْ عندى ما أُعْطِيه   غير التَّجرِبَهْ

بعد يأسٍ أنْتَ قد هيَّأْت   لى أن أشربَهْ

لم يَعُدْ في طاقة القلْب   احتمالٌ للغرام

كيف بالثأر إذن، لا ليس   قصدِى الانتقامْ ■■

عبد المنعم عواد يوسف

وحدة الله تتراءى
في وحدة خلقه

هياكل الحيوانات

دراستها تكشف عن الوحدة الجارية بينها

■ يقسم العلماء الحيوانات الى قسمين كبيرين ، حيوانات ذات فقار فى الظهر Vertebrates ، وحيوانات غير ذات فقار Invertebrates .

والحيوانات ذات الفقار على راسها الانسان . ومنها الثديئات التى ترضع كالخيل والأبقار والأغنام والغزلان والأسود والثعالب . ومنها الطيور كالعصافير والصقور . ومنها الزواحف كالسلحفاة والسحالى والثعابين . ومنها البرمائيات التى تعيش فى البر والماء كالضفدع . ومنها الأسماك . وسنعالج امر هذه الحيوانات اولا ، متخذين الهيكل العظمى للانسان مثلا ترد اليه هياكل سائرها .

والحيوانات غير ذات الفقار مثلها الاسفنجيات . ومنها المرجانيات التى تنشأ فى البحر . ومنها الديدان على شتى اشكالها . ومنها الرخويات كالقواقع . ومنها الحشرات كالنحل والذباب . ومنها العناكب . وكثير غير هذه .

وهياكل هذه ، عندما توجد ، غير ذات فقار .

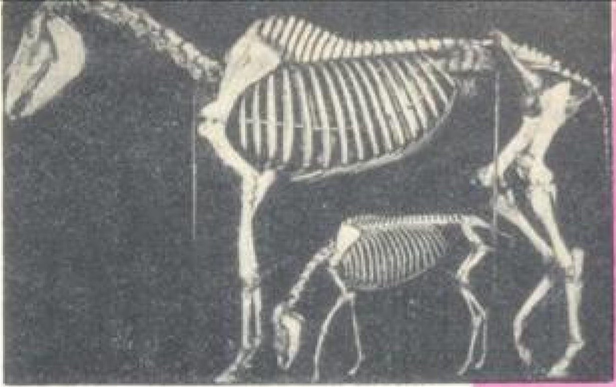
ونعالجها بعد علاج الفقاريات .

الهيكل العظمي للانسان

لايخطر لانسان انه يسير ويسير معه عظم . وانه يجلس ويجلس معه عظم . وينام ويرقد معه عظم . وانه اذا امتد فى رقدته امتد معه عظم ، او انطوى انطوى معه عظم .

انها حقيقة من تلك الحقائق الواقعة ، التى لا ريبة فيها ، ولكن يغفل عنها الانسان . وكم فى هذا الوجود من حقيقة . وكم فى الانسان من غفلة .

وانت تذكره بالفقار الذى فى ظهره



هيكلان ، كبير لحصان ، وصغير لفرس قزم Pony . وترى في الاول العمود الفقرى امتد كالجسر وتطامن ، وحمله من طرفيه الحزامان الصدرى والحوضي. والرقبة تراها في الفرس الصغير وقد نزلت الى الارض ترعى الحشيش .

بقلم الدكتور أحمد زكى

فيذكر ، ولكن سله كم فقارا فى الرقبة، وكم فقارا فيما دونها من صدر وبطن . وكم فى اطرافه ، فى يديه ورجليه ، من عظام ، واين تقوم العظمة فى الهيكل وحدها ، واين تقوم العظمتان متوازيتين متلازمتين معا ، وكم عظمة فى رسغ الكف ، وكم عظمة فى رسغ القدم ، وكم شبها بين الكف والقدم ، كل هذه اسئلة ، لو انها اسئلة امتحان فى مدرسة ما حاز اكثر الناس خمسين فى المائة من التقدير ابدا .

ان الناس احرص على علم ما فى القمر والزهرة والمريخ منهم على علم ما هو اقرب اليهم من حبل الوريد .

والسبب ؟ هذا سؤال طريف نسوقه الى علماء النفس والفلاسفة .

وحدة لا يحجبها اختلاف

ان للانسان هيكله العظمي ، وصنوف من الحيوانات شتى يكاد يعجزنا عدها لها هي الاخرى هياكلها . والهدف الأساسي من شتى احاديثنا هذه هي ان نبين ما فى هذه الهياكل جميعا من وحدة اساسية ، يصحبها دائما اختلاف فى التفاصيل . ولكنه اختلاف لا يحجب ما فى خطة تصاميمها الهندسية من وحدة ، دليل ان المصمم واحد . ولو انهما اثنان او اكثر لتعددت التصاميم .

وان تكن الوحدة دليل وحدة الخلق والصنع ، ودليل وحدة الصانع ، كان هذا الصانع ما كان ، فان الاختلاف دليل الحنكة والحكمة، ودليل التكنية البارعة، ومن شانهما ان الظروف اذا تغيرت وجب تغير التصميم بالقدر الذى يستجيب للظرف المتغير .

ومن اجل هذا كانت الوحدة التى نبغى اظهارها فى الخلائق دائما تصحبها مظاهر مختلفة على طول الخط . فهي

وحدة مغمورة ، ولكنها مع هذا لا تخفى ابـدا .

والهيكل الانساني بلغ التمام بين سائر الخلق ، ولا تقول بلغ الكمال . انه بلغ التمام والكمال من حيث الفرض المرجو منه لانسان يسير على سطح هذه الأرض. ومع هذا نحن اعرف به منا بأى هيكل آخر . واذن فنحن نتخذه نموذجا نـرد اليه سائر النماذج الحيوانية ليظهر ما بينها من اختلاف ومن وحدة .

عظام الهيكل الانساني

تعوّد رجال التشريح على تقسيم الهيكل الى قسمين ، اسموا الاول بالهيكل المحورى Axial Skeleton ويتألف من الجمجمة والعمود الفقرى ، واسموا الثاني بهيكل الاطراف Appendicular Skeleton ويتألف من الحزام الكتفي Shoulder Girdle واليدين المتصلتين به ، ومن الحزام الوَرِكي Hip Girdle والرجلين المتصلتين بـه .

الجمجمة

والجمجمة Skull تتألف فى الانسان من ٢٢ عظمة منها ما يلتحم فى الجسم البالغ . والجمجمة مسكن المخ ، ومكان اكثر اعضاء الحس . وهي مدخل الطعام كذلك ، والمدخل الى المخ : وهي تتألف من القحف Cranium وهو من الجمجمة العظم الذى يغطي المخ ، وتتألف من الوجه وبه العينان والاذنان والأنف والفكان .

والجمجمة فى الانسان اكبر نسبيا من الوجه . وهى مكورة كالقباب .

العمود الفقرى

ويتألف من سبع فقرات صغار فى العنق ، و ١٢ شدادا فى الصدر ، وبهذه تتصل الأضلاع ، ثم ٥ فقرات قطنية ثقيلة . ثم تأتي تحت هذه خمس فقرات حوضية ملتحمة فى عظمة واحدة هي عظم العَجز . واخيرا تاتي الاربع الفقرات الأخيرة ، وهي ملتحمة ايضا ، وتعرف بالعصعص Cocyx ، وهـي آخر العمود ، وتمثل ما تخلف من الذيل .

الاضلاع

وهي ١٢ زوجا ، يتصل الزوج منها بفقرات الصدر . وفى نحو ٦ فى المائة من الناس يكون عدد الأضلاع ١٣ زوجا .

والاضلاع تلتحم من امام بعظم الصدر Sternum ، وهى بذلك تكوّن شيئا شبيها بالقفص الذى يقوم على حماية القلب والرئتين بداخله .

حزامُ الصدر والذراعان

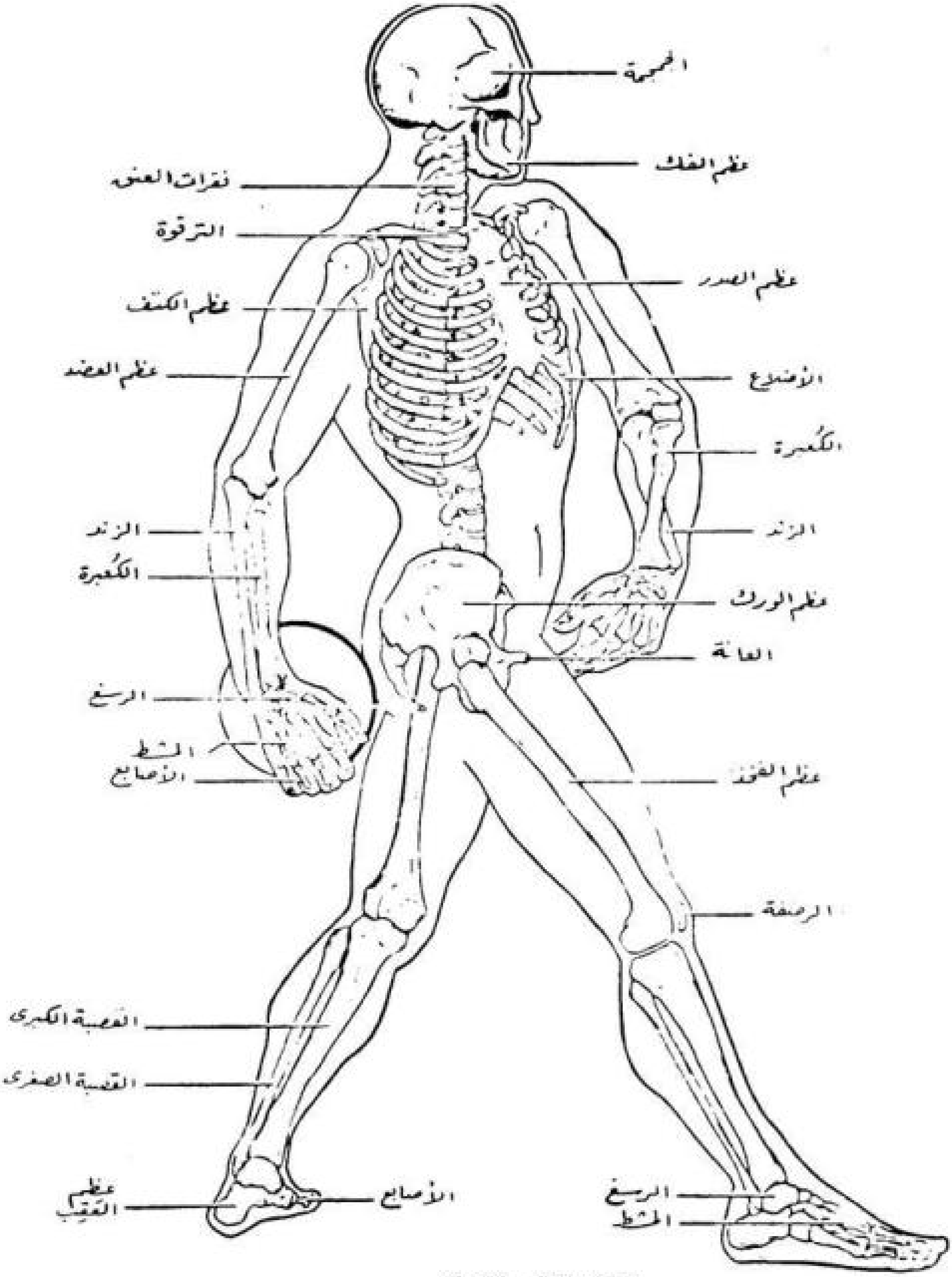
الحزام الصدرى Pectoral Girdle هو الذى يحمل الذراعين .

والحزام الصدرى يتألف من العظم الكتفي Scapula ، وهو عظم رقيق عريض، بل عظمان ، يمين ويسار ، خلف الظهر ، وهما يرتكزان فى العضل ولا يتصلان بالعمود الفقرى . وهما يتصلان عند الكتف بعظم الترقوة Clavic e (عظمان يمين ويسار) ، فى الصدر ، وهما عظمان يتصل طرفاهما الآخران بعظمة الصدر او القَصّ Sternum وتراهما يعبران الصدر كالجسر فى جسم كل انسان . وبذلك يتم النطاق من العظام الاربعة حول الصدر .

وهذا الحزام يحمل الذراعين .

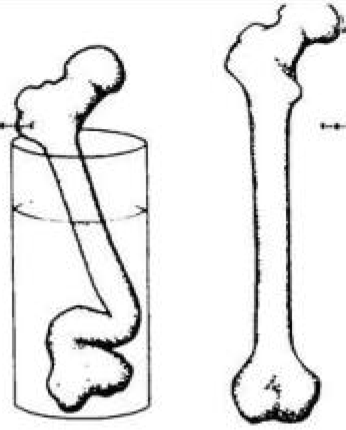
والنصف الأعلى من الذراع مكون من عظم العضد Humerus ، فراس هذا العظم له فى عظم الكتف فجوة مناسبة لاستدارته ، فهو يسكنها ، وفيها يتحرك تحرك المفصل الذى يتألف من « كرة وحُق » تدور فيه ، وهذا يأذن للذراع بحرية فى الحركة واسعة .

ويأتي بعد العضد الساعد ، والساعد عظمان ، الكُعْبرة Radius وهي العظم



الهيكل العظمي للانسان .

الأقرب الى الابهام ، وعظم الزَّند Ulna . والعظمان ، ولا سيما عظم الزند ، يتصلان من اعلى بعظم العضد بمفصل واحد رزّى كمفصل باب الحجرة او مفصل القمطر العادى يدور بالشيئين الذى يجمعهما فى مستوى واحد دائما . وترى هذا المفصل بارزا فى المرفق Elbow · اما طرفا هذين العظمين الأسفلين ،



عظم طويل من حيوان . وضعناه في ماء به حامض الادروكلوريك ، فاذاب ما به من املاح معدنية هي التي تعطيه الصلابة ، واغلبها املاح الكلسيوم ، ويتبقى من العظم مواد عضوية منها الجلاتين واشباه له ، وهي تعطي العظم تماسكه ولينه . والعظم ينطوي ويلتوي بسهولة بعد ان ذهبت عنه الاملاح الصلبة .

أعنى عظمى الساعد ، الكعبرة والزند ، فيتصلان بالكف عن طريق عظام الرُسغ Carpals ، وهى عظام قصيرة ثمانية، واعظمها تؤلف مع الكف مفصلا رزّيا يحرك الكف والساعد فى مستوى واحد.

وانت تمسك المفتاح تفتح بابا وتدور بيدك . ولكن الذى يدور بيدك ومعهـ الرسغ انما هو عظم الساعد ، الكعبرة.

ثم يلى الرسغ مشط اليد وهو يتالف من ٥ عظام مشطية Metacarpals وهى تتوسط بين الرسغ والأصابع . ويلى المشط الأصابع وهى خمس . ومنها الابهام ، وهو فى وضعه الذى به يواجه بطن الكف فيجعل من اليد أداة للامساك رائعة . واليد الانسانية من أعضاء الجسم التى كان لها فى تاريخ البشرية انجازات لا يمكن حصرها . فالراس يفكر ، واليد تعمل فى كل وجه من وجوه الحياة .

حزام الحوض والرِّجْلان

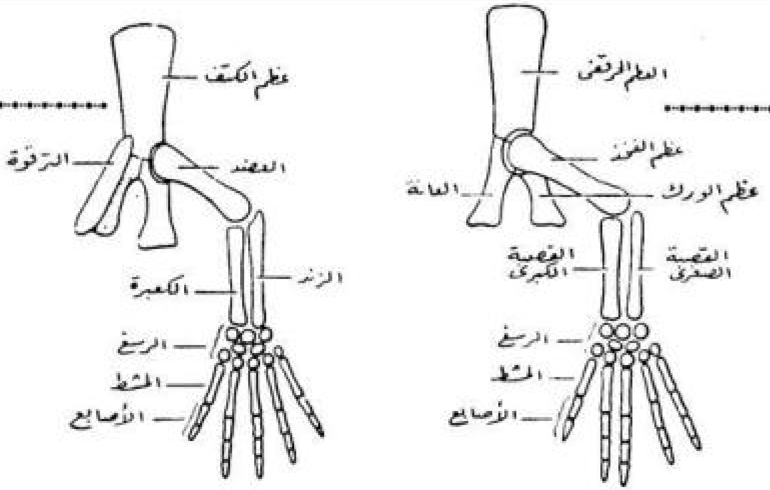
نلاحظ ان حزام الصدر ، لا يحمله العمود الفقرى ، وانما ركائزه العضل . ولكنه يحمل الذراعين ، ولا يحمل شيئا غيرهما .

فاذا أتينا نتحدث عن حزام الحوض Pelvic Girdle وجدناه متصلا بالعمود الفقرى ، من أعلى ، ومتصلة به الرّجلان . فهو من الهيكل العظمى ،



الزرافة

وقد امتازت بطول قدميها الاماميتين ، مع طول عنقها . فهذان معا يسهلان لها بلوغ الورق الذى بفروع الاشجار العالية ، تلك التي تستعصي على ما هو اقصر منها من الحيوانات. ويلاحظ ان هاتين القدمين لم تختلفا تركيبا عن سائر اقدام امثالها من الحيوانات برغم طولهما . وكذا العنق . انه طال ، ومع هذا احتفظ بعدد الفقرات السبع التي توجد في الحيوانات الثدية العادية . سبعة ! سبعة ! حتى في الانسان ! مخطط واحد .



رسم يوضح الشبه بين الذراعين والحزام الصدرى الذى حملهما ، في الانسان الواحد او الحيوان ، وبين الرجلين والحـزام الحوضي الـذى حملهما .

مع الرجلين،الجزء الحامل ثقل الأجسام وعلى الأخص ما تحتـويه البطـن من الأحشاء .

وحزام الحوض وعاء غير عميـق . ويتألف كل جانب منه من عظام ثلاثة ملتحمة ، العظم الحرقفى Ilium وعظم العانة Pubis وعظم الورك Ischium وحيث تجتمع توجد فجوة يحتلها راس عظم الرجل الاعلى ، عظم الفخذ Fumer وهذا الراس والفجوة التـى يحتلها يكونان مفصلا ، « كـرة فى حُق » ، هو مفصل الورك ، وهـو اعمق مفصل فى الجسم واشد المفاصل اربطة ، وذلك لخطورة ما يقوم به .

وينتهى الطرف الأسفل من عظـم الفخذ الى النصف الأسفل من الرجل وبه ، كما فى السـاعد ، عظمان متوازيان ، الا انهما اقوى من عظمى الساعد كثيرا . وهما عظم القصبة أو عظم الساق الكبرى Tebia ، وعظم الشظية أو عظـم القصبة الصغـرى Fibula ويتمفصـل عظم الفخذمعهذين العظمينعند الركبة. ويحمى هذا المفصل الخطير من الحوادث قـرص يعرف بالرضفـة Knee cap .

وهذان العظمان يتمفصلان من اسفل مع عظام رسغ القدم Tarsals or Ankle Bones ، وهى العظام التى منها عظم العَقِب Heel Bone . وهذه العظام تربطها روابط ربطا شديدا يجعلها قليلة الحركة .

وتأتى بعد ذلك عظام مشط القدم . وهى ايضا مربوطة بأربطة وثيقة تجعل باطن القدم متقوسا. والقدم يتفرطح اذا ارتخت روابط المشط والعقب ، وعندئذ تفقد القدم الكثير من مرونتها عند السير والنط .

ومن مشط القدم الى الاصابع ، وهى فى الانسان قليلة النشاط ، وقلة نشاطها ترجع الى ان الابهام لا يواجهبطن القدم كما فى اليد . وهذا الابهام فى الانسان اقل عملا منه فى سائر الحيوان .

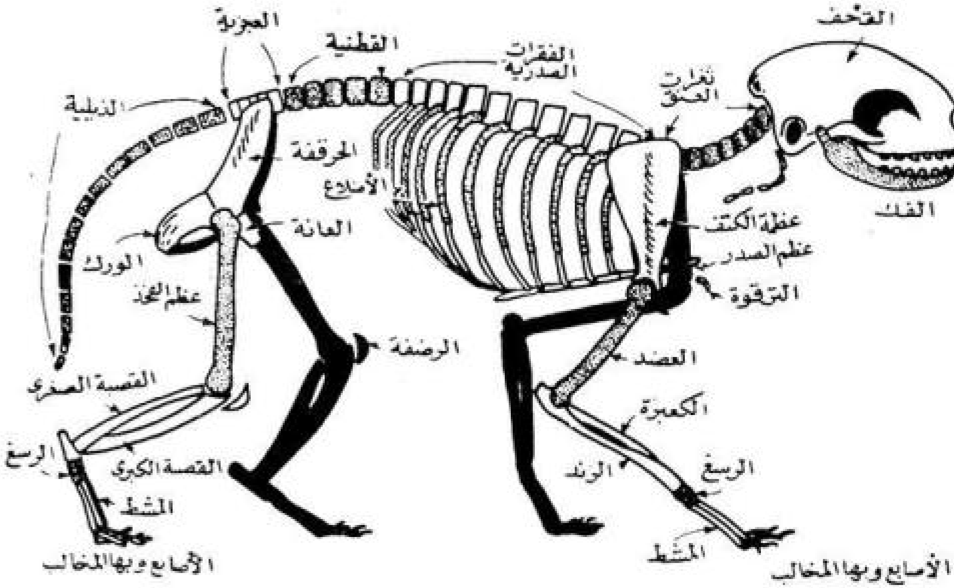
وظائف الهيكل العظمى

لعل له ثلاث وظائف ظاهرة .

فهو اولا يحدد شكل الجسم ، قصير هو ام طويل ، عريض هو أم مكتنز .

والهيكل تركيبة صلبة متماسكة فهى تحمل كل ما اتصل بها ، وما تراكم عليها من اعضاء الجسم .

والهيكل به ترتبط أطراف العضلات. وحركة الأجسام انما هى انقبـاض فى



صورة عامة لهيكل حيوان من ذوات الأربع

العضلات وبسط لها ، يصاحبه شد لعظام الجسم وارخاء . وهذه يعتمد عليها الجسم فى السير ، وتعتمد اليدان والرجلان فى كل حركة . وما الحياة الا حركة .

الهيكل العظمى للانسان نموذج لبناء الهياكل العظمية للحيوان

ونعنى بالحيوان تلك الأنواع التى تدخل فيما يسمى بالفقاريات Vertebrates اى التى لها ، كما للانسان فقار . وهذه تشمل الانسان ، والحيوانات كالجمال والأبقار والخراف والماعز ، وما اكثرها، وقد سبق أن عددنا منها طرفا .

أما سائر الحيوانات فهى التى لا فقار لها وتسمى باللافقارية Invertebrtes وكثير منها لها هياكل تقيمها ولكن ليست كالهياكل الفقارية . وسنعود اليها .

والذى نريد ان نقوله هنا ، تعزيزا للوحدة ، ولو فى الحيوانات الفقارية وحدها ، ان هياكل هذه الحيوانات متشابهة ، ترد جميعها الى الهيكل الانسانى .

الهيكل العظمى للانسان اساس المقارنة لهياكل سائر الحيوانات اظهارا لما بينها من وحدة تغمرها مظاهر اختلاف كثيرة

ومظاهر الاختلاف هذه تكون بالحذف ، أو بالتغيير ، او بالتعديل ، وينال هذا من الهيكل كل شىء فيه : فينال الجمجمة ، فهى قد تطول بعد ان كانت فى الانسان مكورة ، وقد يحذف من عظامها ، ومن عظام الوجه خاصة . والقحف الذى يسكنه المخ قد يصغر بصغر المخ ، وقد يغيب لغياب المخ ، ومع هذا تبقى الجمجمة (ما بقى منها ، او ما آلت اليه) هى الجمجمة التى نعهد ، ومكانها دائما عند رأس العمود الفقرى وفى أوله .

والعمود الفقرى قد تتغير أعداد

فقراته ، فتزيد أو تنقص ، وتتغير اشكالها ، والعمود نفسه قد يستقيم كما فى الأسماك ، وقد يتحنى كما فى الانسان والكثير من الحيوان . وقد يدخل فى تركيبه الغضروف ، وقد يدخل العظم . ويبقى العمود الفقرى هو هو ، عماد الجسم ، الذى ترتبط به الأضلاع التى تحنو على ما فى الصدر او ما فى البطن او حول كليهما لتعطيهما الأمن والسلامة .

والأضلاع نفسها قد تكون فى الصدر ، وقد تكون كذلك فى البطن ، وقد لا تكون هنا أو هنا ، لأن البناء الجثمانى الذى هى فيه لا حاجة به اليها .

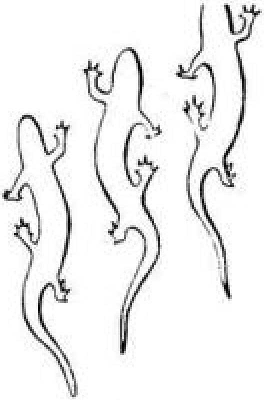
وكالأضلاع الأطراف .

فاليدان تصيران رجلين فى ذوات الأربع من الحيوان لتشارك فى حمل الجسم . ومع هذا تبقى عظامهما كالتى عرفناها فى عظام الانسان ، العَضُد والزَّند والكُعْبرة . وعظم الفخذ والقصبة الكبرى والصغرى . وقد يلتحم العظمان فيكونان عظما واحدا .

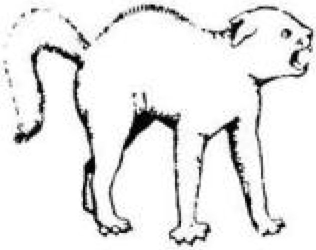
والأصابع قد تكون خمسا أو اربعا او ثلاثا ، أو حتى واحدة . ومع ذلك تتألف القدم من أى عدد من الأصابع احتوت .

واليدان قد تكونان جناحين فى طائر ، وقد تكونان زعنفتين فى سمكة . واذ تتغير تفاصيلهما ، فلا يكون بهما رسغ ولا ولا مشط كف ولا أصابع كالتى فى حيوانات الارض ، فماذا تصنع الأصابع للحركة فى الماء او الهواء . ومع هذا يكون مكان كل ذلك اشباه لها ، اجدر بالوفاء بحاجات الماء والهواء .

مجال للتغيير وللتبديل وللتعديل واسع كتبت فيه الكتب الكثيرة ، وأجريت الأبحاث العديدة ، وخرجت منها جميعا صور جمعت بين وجوه الشبه ووجوه الخلاف فى الصعيد الواحد . والوحدة واحدة فى الجميع ،



نوع من العظايا ، وهو يمشي . تراه يميل من جنب الى جنب ، ومعه يتشكل عموده الفقرى .



القط ، وقد غضب ، فتقوس ظهره ، وذيله ، ومعنى ذلك تقوس عموده الفقرى .

الانسان ، هكذا يتسع عموده الفقرى لأوضاع متباعدة كثيرة .



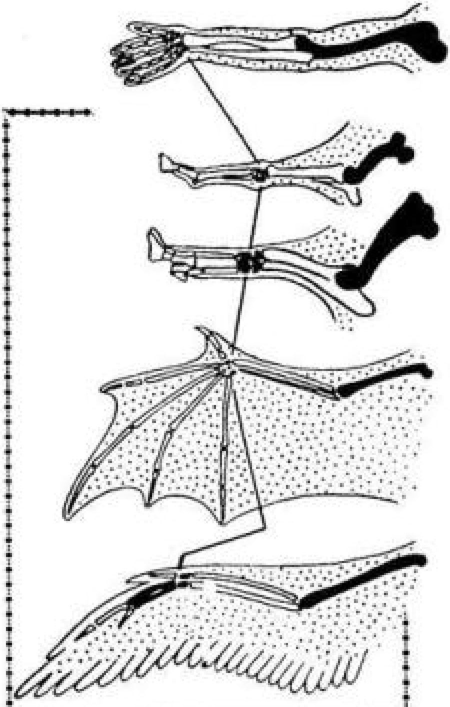
جارية ، كما يجرى الخيط فى العقد ، تتغير حباته ، وقد تتغير حتى مادة خيطه ، ولكنه العقد ، عقدٌ لا يخطئه البصر أبدا .

ونتخذ من الحيوانات أحدها نضرب به مثلا . وليكن الضفدعة .

الضـفدعة

فى الضفدعة صغر فى طول الجسم ، ومن اجل هذا لم تكن هناك حاجة الى العدد الكبير من الفقار كالذى فى الانسان وسائر الحيوانات الفقارية . وتعد الفقرات الامامية فى العمود الفقرى لأكثر الفقاريات الارضية ، فتجدها فى الرقبة والجذع معا تزيد على العشرين ، فتكون ٢٢ أو أكثر . وتعد مثل ذلك فى الضفدعة الانموذجية فلا تجد غير ٩ فقرات . الفقرة الأولى الأمامية منها تتمفصل مع الجمجمة ، والأخيرة الخلفية تتصل بالحزام الحوضى بزوائد تخرج منها .

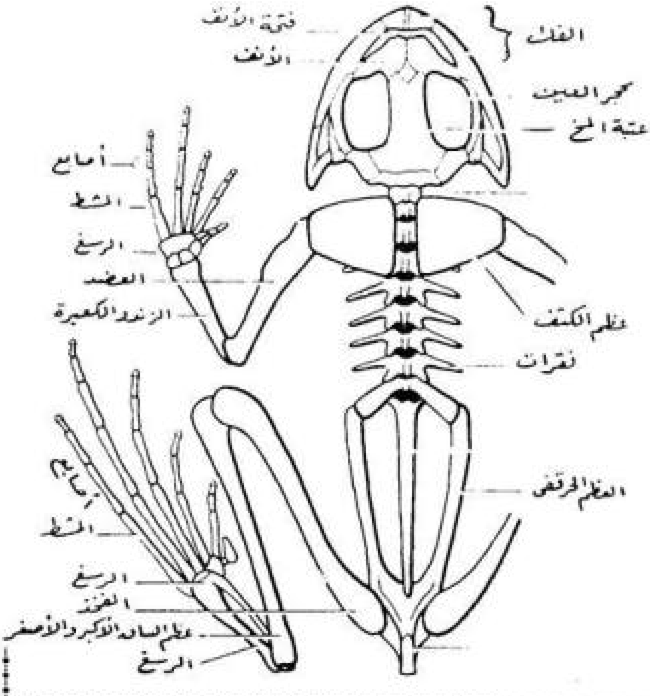
وليس للضفدعة أضلاع تتصل



مقارنة بين ايدى صنوف مختلفة من الحيوانات تريك الوحدة فى التصميم مع الاختلاف الذى اقتضته الظروف

اشكال من اقدام الطيور تواحدت اساسا ، واختلفت تفصيلا ، استجابة لحاجات صنوف من الحيوات والبيئات والأجواء مختلفة .





هيكل عظمي للضفدع

بالفقرات . فى حين أن للفقاريات كلها تقريبا أضلاعا تتصل بعمودها الفقرى . وجمجمة الضفدع ، كسائر جماجم البرمائيات ، مفرطحة ، وكثير منها لا يزال من غضروف فلم يتعظّم بعد .

ومن حيث حزامْ الصدر وحزام الحوض ، والأطراف التى تتصل بها ، نجد فى الضفدعة كل هذه ، ولكنها متعدّلة وفقا لما يقتضيه تركيب حيوان من أعمال حياته القفز فى أرض وماء .

والأطراف تتألف من العظام المألوفة . ففى الرجلين الأماميتين نجد عظم العَضُد، ويتألف كما فى الانسان من عظم واحد ، يليه عظمان ، عظم الزند والكعبرة . ولكن هذين العظمين فى الضفدعة ملتحمان فهما عظم واحد . ويلى ذلك الرسغ وبه ست عظمات صغيرة . ثم يأتى بعد ذلك مشط القدم وأصابعها . والأصابع أربع .

وفى القدمين الخلفيتين يوجد عظم الفخذ ، ثم عظم الساق الكبير والعظم الصغير وهما ملتحمان فى عظم واحد . ثم الرسغ . وهنا يحدث اختلاف . فيظهر من الرسغ وقبله عظمان متوازيان يظهران كأنما جىء بهما ليزيدا الرجل الخلفية طولا .

وهذا لا شك هو المقصود . فوجود هذا الطول الثالث الجديد (من بعد عظم الفخذ وعظم الساق) يزيد فى قدرة الضفدعة على القذف عندما تقذف بنفسها ، فهى هكذا تنتقل . ولعل هذا أوفق لها فى البيئة التى تعيش فيها . فعند الخطر تقذف بنفسها فى الماء فتنجو .

ومن بعد الرسغ تأتى عظام مشط القدم ثم الأصابع وهى فى الرجلين الخلفيتين للضفدع خمس ، كالانسان .

●●

أحمد زكى

صفحة في اللغة

المنجد في الأعلام

نقد له أيضا

بقلم : عبد الستار فراج

■ لم يكن مخطئا من قال : فاقد الشيء لا يعطيه ، ونحن لا نكلف أحدا ضد طبعه ، ولا نتطلب ممن ليس على ملتنا أن يحفل بتراث هذه الملة ويعنى باصابة الهدف الصادق فيها .
انه محق في أن يبحث عن كل اثر له أو معتقد، جلّ او قلّ ، عظم او صغر . فيملأ به الصفحات، ويعمل على نشره في كل مكان . وهو مشكور حينما يجاملنا بذكر بعض ما نحن أولى بذكره ونشره ، بشرط أن لا يصيب امجادنا عن جهل أو عن قلة عناية .

وانى لأنظر الى أكثر من تسعين مليونا من المسلمين الناطقين باللغة العربية ، فلا أجدهم طبعوا معاجم حديثة منسقة ، تستهوى الأبصار بمنظرها ، والنفوس بمخبرها ، ولا أنشئوا دوائر معارف تبرز ملامحنا الكريمة ، مصوغة بأقلامنا ، الى جانب ما تترجمه مما تحويه دوائر المعارف العالمية من أعلام وآثار وثقافات .

حقا لقد طُبعت بلغتنا معاجم حديثة بألوانها الزاهية وحسن مظهرها ، كما طُبعت موسوعات ميسرة وغير ميسرة ، كلها مترجمة عن موسوعات أجنبية ، وصفوها بأنها عربية ، ولكن هيهات هيهات .

أما الخيـــام فانهـا كخيامهم
وأرى نســـاء الحى غير نسائها

ذلك أن فيها كل ما هَمّ وغَمّ ، وشاه وساء .

وكنت كتبت نقدا « للمنجد » في العدد الممتاز من « العربى » ـ يناير ١٩٧٠ ، وقلت في المقال ان نقدى يتعلق بالمنجد الذى عمله الأب فردينان توتل ، وهو الخاص بالأعلام ، المؤلف في سنة ١٩٥٦ والمعاد طبعه سنة ١٩٦٦ وهو الملحق بالمنجد الذى الفه الأب لويس معلوف . وقلت ايضا ان معجم لويس انتفع به كثيرون ، وانه استجاب في طبعاته المختلفة الى النقد ، وما يزال يأخذ عليه بعض اللغويين مآخذ ليست هى اليوم من همنا .

وبعد نشر المقال ترددت الأصوات أن ما قلنا حق ، مع عتب من بعضها ينصَبّ على السكوت عن نقده هذه الأعوام الطوال حتى سرت سمومه في فراتنا العذب .

وانهم لمحقون فيما قالوا .

على أننا نذكر أن هنالك أصواتا ارتفعت ، وأقلاما كتبت ، وبعضهم نبّهنا الى انه فعل ونشَر ، ولكن في دائرة محدودة ، فجزاه الله خيرا على غيرته وعلمه .

ولئن لمت نفسي على تقصيرى في نقد المنجد من قبل ، فلى العذر في ان انشغالى بتحقيق التراث العربى ومراجعته كان ينأى بى عن الرجوع الى المنجد وما أشبهه من الملخصات والمترجمات ، لأنها حسب ما تعلمناه من أساتذتنا أعضاء مجمع اللغة العربية لا تُعدّ مراجع ، ولا ينبغى أن نعول على ما فيها ، بل لا بد أن نرجع الى الأصول المعتمدة الأصيلة . هذا الى أنه لم تكن وظيفتى الحكومية مراقبة المصنفات أو وضع التقارير عن المؤلفات التى تتداولها أيدى أوساط المثقفين ، فعلى



هؤلاء يقع اللوم على التقصير ، ومن الحق أن يصيبني منه رشاش .

هذا واجب أن أذكر أن نقدى كان للطبعة الأخيرة ، وما ذكرته كان امثلة وليس استقصاء .

ثم تنبهت الى ان دار المشرق التى أصدرت المنجد المنقود ، قد أصدرت طبعة جديدة خاصة بالأعلام ، وان هذه الطبعة صدرت في سنة ١٩٦٩. ثم تبينت أن المنجد في الأعلام « يوجد منفصلا عن المنجد في اللغة » كما يوجد في غلاف واحد متصلا به بنصه كاملا تحت اسم يجمعهما هو « المنجد في اللغة والأعلام » وذلك مما يطعن « منجد اللغة » طعنة سامة قاضية ذلك انى تصفحت هذا المنجد في عجل . وكانت خيبة الأمل فيه كبيرة .

بل لقد أثار في نفسي الشك والريبة ، والى القراء البيان :

١ ــ التاريخ الهجرى أهم ما يعتز به العرب ، وخاصة أن اغلبيتهم الساحقة مسلمون ، ولئن كان الأجانب لا يعنيهم ذلك في لغاتهم فان ما يكتب بلغتنا يحتم ان لا نغفل التاريخ الهجرى ، سواء أكان مستقلا أم مقترنا بالتاريخ الميلادى المحول اليه وقد أغفل المنجد تاريخنا الهجرى .

وكل المؤلفات القديمة التى هى مراجعنا ، تعتمد على التاريخ الهجرى في كتابة الأحداث والوفيات ، وحينما اعرف سنة الوفاة أو سنة الحادثة أستطيع أن أرجع الى عشرات الكتب العربية الوثيقة ، لأوفي الموضوع الذى أبحثه حقه من التثبت . بل لو كنت لا أهتم بالرجوع الى مصادرنا لوجدت في ذكر تاريخنا الهجرى المرتبط باحداثنا اعتزازا بقوميتنا وما تميزنا به .

وان شاء أحد أن يذكر التاريخ الميلادى بجوار التاريخ الهجرى يكون في ذلك محسنا . أما أن يغفل التاريخ الهجرى اغفالا تاما فذلك يعد اساءة بالغة ، لأنه بذلك يريد أن يباعد بين شبابنا ومستقبلنا وبين كل ما يذكر بعروبتنا وما كتب في ذلك من مؤلفات .

و « المنجد في الأعلام » المطبوع ١٩٦٩ ما هو الا صورة للمنجد الذى سبق ان كتبت عنه في العدد الممتاز من « العربى » . ولكنها صورة فيها احيانا بَتْر قبيح ، أو مسخ كريه ، أو صياغات ادت الى خلل واضطراب .

٢ ــ فلقد كان في المنجد السابق ذكر لسور القرآن ، ولا أقول كلها . مثل قولهم : « النساء : السورة ٤ من القرآن . مدنية آياتها ١٧٧ » « المائدة السورة ٥ من القرآن مدنية آياتها ١٢٠» .. فقام العاملون في المنجد الجديد بحذف كل هذا الذى يذكر فيه تعريف بسور القرآن . وقد يقال ان ذلك المنجد الجديد لا تذكر فيه الا أعلام الناس والملائكة وأسماء الكتب والبلدان .. ولكن كيف بقيت أسماء أسفار الكتاب المقدس ولم تحذف كما حذفت أسماء سور القرآن ؟ اننا نجد فيه مثلا « أعمال الرسل من أسفار العهد الجديد ..» « الخروج : السفر الثانى من أسفار التوراة ..» « سفر أيوب .. » « سفر التكوين .. »الخ ..

أهو هذا فقط الذى يهم ابناء العرب ولا تهمهم أسماء سور القرآن ؟

٣ - ومن المسخ والتشويه للمعلومات انهم قسموا التعريف بأبى الهول الى قسمين هكذا .

« الهول (أبو -) نصب صخرى جبار فى مصر بالقرب من أهرام الجيزة طوله ١٧ م وعلوه ٢٩م .

« الهول » (أبو -) : مسخ ورد ذكره في الأساطير له جسم أسد ورأس بشرى ..

اما المنجد السابق ففيه هنا اتصال وعدم تشويه بجعل الشيء شيئين . وبدون زيادة «مسخ ورد ذكره في الأساطير » .

ومن التشويه في الصياغة ما سيأتى له مثالان عند الكلام على « دحية » والكلام على « الف ليلة وليلة » .

و« المنجد في الأعلام » فيه تكرار يدل على عدم المعرفة بمن كتبوا عنه ، ويزيد الشناعة في هذا الأمر أن يتكرر الكلام ، وليس بين الشخصين الا نصف عمود ، مع اختلاف في بعض الصيغ وبعض المعلومات ، وهذه أمثلة :

٤ - « الشيباني أبو عبد الله محمد (٧٤٩ - نحو ٨٠٤) ولد في واسط العراق .. تعلم مذهب الرأى على أبى حنيفة .. »

٥ - « الشيباني (محمد بن حسن) ٧٤٩ - ٨٠٤ ولد في واسط العراق .. أخذ الفقه عن أبى حنيفة .. »

٦ - « اللباب في علم الاعراب : كتاب في اللغة الفه تاج الدين الاسفرائيني ، عليه شروح عديدة ، منها شرح لجمال الدين النقره كار،توفى ١٣٧٤م.»

٧ - « اللباب في النحو : كتاب لتاج الدين الاسفرائيني عليه شروح منها للنقرة كار توفى (١٣٧٤) » هذا وعلم الاعراب هو نفسه النحو .

٨ - « أبو العتاهية (أبو اسحاق اسماعيل بن القاسم ٧٤٨ - ٨٢٥) كنى بأبى العتاهية لميله الى المجون والتعته . »

٩ - « العتاهية (أبو -) (٤٧٨ - ٨٢٥) أبو اسحاق اسماعيل بن القاسم .. كنى بأبى العتاهية لميله الى المجون والمتعة .. » وفى هذا التكرار الثانى خطآن (٤٧٨) وصحتها (٧٤٨) و « المتعة » وصحتها « التعته » .

١٠ - « الزيات (أبو جعفر محمد عبد الله بن) (٧٨٩ - ٨٤٧) اديب وشاعر وزير المعتصم والواثق .. » .

١١ - « الزيات (محمد بن عبد الملك) ٧٨٩ - ٨٤٧) وزير المعتصم والواثق ... »

ويلاحظ ان في الزيات الأول تحريفا ، فهو نفسه أبو جعفر محمد بن عبد الملك ، كما يلاحظ ان المعلومات في الترجمتين توهم انهما متغايران .

وليس في هذا المنجد معرفة بالتنظيم الفنى الذى يوصل الى المطلوب . ولا قاعدة فيه يستطيع الباحث ان يعرف بها موضع الترجمة . وهذه بعض الأمثلة :

١٢ - « عبيد الله بن زياد .. » هكذا جاء في موضع الترجمة حرف العين . »جاء قبل ذلك في عنوان « زياد بن أبيه (عبيد الله بن -) » وبهذا كان التكرار مع اختلاف في الصياغة ، وسبق المثال فى أبى العتاهية ، فقد جاء في حرف الهمزة (أبو العتاهية) وجاء في حرف العين « العتاهية (أبو -) » .

١٣ - « محمود عبد الباقى » . قد تبحث عنه في الميم « محمود » وقد تبحث عنه في العين « عبد الباقى » ولكن الطريف انك لا تجده الا في حرف الباء « الباقى (محمود عبد -) » .

١٤ - واذا أردت مثلا أن تعرف شيئا عن قبيلة « سليم .. فلا بد أن تكون عارفا بنسبها لتصل اليها لأنها جاءت في حرف الميم « منصور (سليم بن -) » واذا اردت أن تبحث عن « عبد الله بن عبد المطلب » او العباس بن عبد المطلب فعليك بالرجوع الى العنوان«عبد المطلب»أما «عبدالمطلب» نفسه فعليك بالرجوع الى حرف الهاء « هاشم »« وليست هذه قاعدة . فان حمزة بن عبد المطلب في حرف الحاء ،وكذلك « أبو طالب بن عبد المطلب» في حرف الطاء .

والحق أن الاضطراب النفسي الذى يصيب القارىء والباحث نتيجة لاضطراب عقل المرتب لهذا المعجم العجيب يجعل الانسان يقذف به وهو يتمتم بما شاء من الفاظ .

١٥ - اما الاهمال للشخصيات العربية البارزة مع ذكر كثير من التوافه من قرى ونكرات ، فحدث عن ذلك ولا حرج . فلقد بحثت عن « العقاد » فلم أجده لا في لفظ « عباس » ولا في لفظ «محمود» ولا في لفظ « العقاد » ولا يقال انه مات قريبا ، فانه توفى قبل طبع المنجد بخمسة اعوام .

وذكر من ماتوا بعده من الذين لا يلحقون بغباره . ولا ينكر احد فضل « ابراهيم المازنى ،

وأحمد حسن الزيات ، ومحمد رضا الشبيبي ، وعبد العزيز الرشيد ، ومحمد البشير الابراهيمي، وغيرهم وغيرهم من مختلف البلاد العربية ، فكيف اهملوا ؟

ومن مشاهير قادة الاسلام « أبو عبيدة بن الجراح » ، ولم أجده لا في « أبو » ولا في «عبيدة» ولا في « الجراح » .. ولا في « عامر » .

هذا ولا أريد ان اذكر امثلةمن التوافه والتافهين الذين عُنِيَ بذكرهم المنجد ، فان لكل ساقطة لاقطة .

١٦ ــ والصحف والمجلات بينها تفرقة واضحة، فمثلا يكتب « الأهرام جريدة مصرية أسسها سليم وبشارة تقلا اللبنانيان .. » . « المقطم : جريدة مصرية ظهرت في القاهرة أسسها يعقوب صروف وفارس نمر اللبنانيان .. » ، « المقتطف » ، « الهلال » .. ولا نجد اسم صحيفة ولا مجلة أسسها مصرى ، فلا « البلاغ » ولا « المصرى » ولا « الدستور » ولا « الوقائع » ولا « الرسالة » ولا « الثقافة » ولا « المؤيد » ولا « اللواء » .. لها تعريف ، وبعضها جاء عرضا بدون عنوان مستقل . وبالطبع لا توجد مجلة «الفتح» ولا مجلة « نور الاسلام » ولا مجلة « الوعى الاسلامى » .

١٧ ــ وخرائط الدول التفصيلية اهملت فيها بعض الدول العربية بينما جاءت خرائط تفصيلية لدويلات غير عربية ، واقل من بلادنا عددا ، فقد كان يتحتم ان توضع خريطة تفصيلية لدولة الكويت كأخواتها الدول المشتركة في الجامعة العربية . وهذه لوكسمبرج اقل عددا منها واقل مساحة ، ومع ذلك لها خريطة تفصيلية .

١٨ ــ والامارات العربية على الخليج العربى ترك اغلبها دون تعريف ، ودون أن توضع على الخرائط وهى « دبى ــ أم القيوين ــ الفجيرة ــ راس الخيمة ــ عجمان » . أما « أبو ظبى » فقد رسمت لها خريطة ، ولكن كتب بجوارها «حقول النفط » وفي التعريف بها قيل ان تعدادها ستة الاف.وذلك رقم لا يبلغ ربع سكانها .و«الشارقة» كتبت في بعض الخرائط ولم يذكر عنها أى تعريف، وامارة قطر رسمت دون تفصيل، ولم توضع صورة أميرها ولا صورة والده أميرها السابق ، أطال الله عمره ، ولم يذكر اسماهما . وكذلك لم يذكر جميع أمراء الامارات المتصالحة ولا أسرهم في حين ذكرت أسماء أسر محلية خاصة .

ومن المضحك ان يذكر تعداد البحرين في المنجد القديم المطبوع سنة ١٩٦٦ فيقال انه ١١٥٠٠٠ وتعداد عاصمتها المنامة ٥٠٠٠٤ والمحرق ٢٢٠٠٠ ثم يجيء المنجد المطبوع ١٩٦٩ وهو الذى ننقده الآن فيذكر ان تعداد البحرين ١١٠٠٠٠ والمنامة ٤٠٠٠٠ والمحرق ٢٠٠٠٠ فيا ترى كيف نقصت تلك الالاف والمعروف أن الدول تنمو وتزيد ، ومن أين استقوا المعلومات ، وهذه أمامى معلومات مطبوعة في سنة ١٩٦٩ تذكر أن عدد سكان البحرين ١٨٣٠٠٠ والمنامة ٦٥٠٠٠ ، وقد وضعت صورة أمير البحرين في المنجد ، ولكن لم توضع للبحرين خريطة تفصيلية ، ولم تكتب على الخرائط الا عرضا ، واهملت كتابتها مرات في الخرائط العربية .

اما تعداد قطر فقالوا انه ٦٠٠٠٠ مع أن المعلومات المطبوعة أمامى نقلا عن « الاهرام » الصادرة في ١٩٦٨/٢/٢ تذكر أن تعداد قطر ١٦٠٠٠٠ وعدد سكان عاصمتها الدوحة ٦٤٠٠٠ . فكيف نقصت « قطر » مائة الف وصارت كلها اقل من تعداد عاصمتها ؟

١٩ ــ وفي صفحة الاصطلاحات في أول المنجد قالوا انهم أدرجوا من الأحياء :

(١) رؤساء الدول (٢) رؤساء الوزراء في الدول ذات النظام الوزارى (٣) بطاركة الكنائس الشرقية (٤) الحائزين على جائزة نوبل (٥) بعض الأعلام المنفردين بميزة خاصة .

واذا بحثنا في المنجد عن بعض رؤساء الوزارات في بلادنا العربية لا نجد لهم ذكرا

فمثلا سمو الأمير جابر الاحمد ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء بالكويت لم يذكر في المنجد مع انه رئيس الوزراء ، قبل طبع المنجد بعدة أعوام .

وكان ينبغى أن يذكر في المنجد شيوخ الأزهر والمجتهدون من علماء الشيعة . لا ان يذكر بطاركة الكنائس الشرقية فقط .

ذلك أن مدير دار المشرق التى اصدرت المنجد يقول في خطابه الموجه الينا : « نرد بكل اخلاص ان نكون في عملنا الجديد قد أسدينا للعالم العربى وللقارىء العربى خدمة مفيدة » .

فاقتصار « المنجد في الاعلام » بالنسبة لعلماء الدين الأحياء على بطاركة الكنائس الشرقية فيه تخصيص عجيب يتنافى مع خدمة غالبية القراء العرب البالغين أكثر من تسعين مليون مسلم .

واذا كان الكتاب تعريفا للمسلمين برجال الدين

الفوا المنجد وطوائفهم فمن الواجب تعريف طوائفهم برجالات الاسلام وكبارهم .

اما البند الخامس وهو بعض الأعلام المنفردين بميزة خاصة فهو صالح لمنع وادخال من شاءوا دون حسيب ولا رقيب ولا مقياس .

٢٠ ــ والأنبياء والرسل الذين ورد ذكرهم في القرآن لم يذكروا كلهم ، وبعضهم ذُكر تعريفه بوجهة نظر غير اسلامية . وكان ينبغي على الأقل ان يذكروا كلهم في مواضعهم . ويكفي القول انه « نبي ورد ذكره في القرآن » .

واذا اردت ايها القارىء الكريم ان أذكر لك من ساهموا في تاليف طبعة المنجد الأخيرة الخاصة بالأعلام فاليك اسماءهم كما كتبوها في أوله :

التحرير : الأستاذ باسيل عكوله بالاضافة الى الاشراف العام .

الدكتور فؤاد افرام البستاني ــ الدكتور هنري فليش ــ الأستاذ بطرس حرفوش ــ الأستاذ جورج كرم ــ الاستاذ بطرس البستاني .

الاخراج : ادوارد لحود .

وأحب ان انبه القارىء الى ان المعول عليه في التاليف كان هو المنجد الذي نقدته سابقا ومؤلفه الأب فردينان توتل ، ومراجعه سبق ان ذكرتها في النقد السابق وهي كلها مراجع غير اصيلة في العربية ولا شان لها بالاسلام . كما انبه الى ان كثيرا من الخطأ الذي نقدته ما زال قائما في المنجد في الأعلام ، وما أذكره هنا غير ما سبق ، مع الاشارة الى أن المنجد السابق حافل بالاخطاء .

بعد كل هذا أسوق للقراء ما اكمل به مائة او يزيد وبعضها اساءات دينية وبعضها اخطاءعلمية، مؤكدا أن الذين الفوا هذا المنجد لم يرجعوا الى مصدر عربي أصيل . ولم يضيفوا شيئا جديدا مما له شان بالعرب والمسلمين .

٢١ ــ « هاروت وماروت هما على ما جاء في القرآن ملاكان معذبان حتى اليوم الأخير » ولست ادرى في اى آية من القرآن جاء النص على انهما معذبان حتى اليوم الاخير . وكيف يجترىء اصحاب المنجد على أن ينسبوا الى القرآن ما ليس فيه .

٢٢ ــ « الهجرة الأولى ، هي هجرة النبي من مكة الى بلاد الحبشة .. » في حين ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يهاجر الى الحبشة . فكيف لا يعلم الكاتبون هذه الحقيقة التيتدرس للتلاميذ. ام يريدون تشويه معلومات المثقفين .

٢٣ ــ يأجوج وما جوج (سد) هو سد جبار زعم الأقدمون أنه من الحديد ، ونسبوا بناءه الى الاسكندر لحماية شعب استنجد به اسمه «يأجوج ومأجوج » وفي هذا خطأ وعدم فهم للنصوص الدينية والتاريخ .

ولو ان النص لم يرد في القرآن لتجاوزنا عن قولهم «زعم الأقدمون ..» والشعب الذى استنجد ليس هو يأجوج ومأجوج ، وانما هم قوم آخرون استنجدوا بذى القرنين ليحول بينهم وبين يأجوج ومأجوج المفسدين في الأرض . وذو القرنين رجل مؤمن بالله ، والله يخاطبه بقوله : « قلنا يا ذا القرنين .. » فليس هو الاسكندر المقدوني الذى سجد لآلهة الفراعنة .

٢٤ ــ « دحية هو ابن الصحابي حليفة الكلبي .. » والصحابي هو دحية نفسه لا ابوه . وابوه اسمه خليفة بالخاء المعجمة، وليس بالحاء المهملة. وكنت اظنها غلطة مطبعية ، ولكن القائمين بعمل المنجد نقلوا النص بخطئه وعدلوا فيه ، وذلك عن منجد فردينان توتل . فافسدوا واقروا خطاه المطبعي ، والى القارىء نص منجد توتل « دحية هو ابن حليفة الكلبي الصحابي » .

٢٥ ــ كان في منجد توتل عن ألف ليلة وليلة « تحكيها شهرزاد في حضرة امير المؤمنين » فاصلحوها في المنجد هكذا « تحكيها شهرزاد في حضرة الخليفة .. » فانطبق عليهم المثل العامي « جاء يكحلها أعماها » .

٢٦ ــ « قريظة (بنو ــ) قاوموا النبي في هجرته الى المدينة فحاصرهم في معاقلهم واعمل فيهم السيف الا اربعة من رجالهم اعتنقوا الاسلام » وهذا النص على ما فيه من تعبير مشوه ، هو خاطىء ، فان بني قريظة لم يقاوموا النبي صلى الله عليه وسلم في هجرته ، وانما نقضوا عهده معهم ، وغدروا به في اشد ساعات المحنة في غزوة الخندق ، ليقضوا على الدعوة الاسلامية ، وغزوة الخندق كانت بعد الهجرة بأعوام .

٢٧ ــ عبد الحكم (عبد الرحمن بن ــ) عالم ومؤرخ مصري ، أخذ عن السيوطي والمقريزي . توفي في الفسطاط (٨٧٠) « ان من يذكر هذا لا يحسن كيف يكتب . فالسيوطي توفي سنة ١٤٧٥ والمقريزي سنة ١٤٤١ فكيف اخذ عنهما وقد مات قبلهما باكثر من خمسمائة عام . كما لا يقال انها

غلطة مطبعية واصلها « أخذ عنه » ففى ذلك تأويل بعيد وتخصيص لا مبرر له .

٢٨ ـ « الأمين الخليفة » .. امه زبيدة بنت ابى جعفر المنصور « والصحيح أنها بنت جعفر ابن أبي جعفر المنصور » .

٢٩ ـ « الدؤلي (أبو الأسود) شاعر من قبيلة ديل كان ابوه من انصار على بن أبى طالب » وهذا خطأ فابو الأسود نفسه هو الذى كان من انصار على .

٣٠ ـ « زياد بن أبيه .. تبناه معاوية » ومعلوم للناس أن معاوية لم يتبنه وانما اعترف بالحاقه ونسبته الى أبيه أبى سفيان . ولهذا قد يقال فيه « زياد بن أبى سفيان » ولم يقل احد انه « زياد بن معاوية » .

٣١ ـ « سمية والدة عمار بن يسار الصحابى » وصحته عمار بن ياسر .

٣٢ ـ الصفا أكمة أو صخرة في مكة ، بينها وبين صخرة المرو يكمل الحجاج سعيهم .. كان الصفا والمرو..» والصواب «المروة..والمروة..» والصفا والمروة من شعائر الله . ولو كان الذى كتب النص عارفا بالاسلام او عالما بالشئون العربية لما اخطأ هذا الخطأ المكرر .

٣٣ ـ « الفضل بن الربيع .. وزير المأمون » والفضل بن الربيع لم يكن قط وزيرا للمأمون وهو من الد اعدائه . ولا أدرى من أين يستقون هذه المعلومات المشوهة .

٣٤ ـ « الفيروزبادى ولد فى كازرون »والصواب انه ولد في « كارزين » كما يقول عن نفسه في مادة (كرز) .

٣٥ ـ « الفيومى .. خطيب فى جامعة حماة .. » ولم تكن في عهده جامعة ، وانما هو خطيب جامع الدهشة بحماة .

٣٦ ـ لخم (بنو ـ) أصلها من اليمن اخت جُهَم وعاملة « وهذا تحريف في اللفظ والصواب انها « اخت جُذام وعاملة » ويبدو أن الذى ترجم لم يحسن النقل فحرف جُذام الى جُهَم، وضبطت لتأكيد الجهل بالانساب واللغة العربية.

٣٧ ـ عبد الوهاب (محمد) ابن شيخ المذهب الوهابى .. له كتاب « رسالة التوحيد » مع أن الامام محمد بن عبد الوهاب هو شيخ المذهب لا أبوه .

٣٨ ـ العجلى (الأغلب بن عمر) شاعر رَجّاز .. وصوابه « الأغلب بن عَمْرو » ولا يقال انها خطأ مطبعى فان المنجد الذى عمله تونل ونقل منه هذا المنجد ضبطها عُمَر بضم العين وفتح الميم ، وكل ما فعلوه هو حذف الضبط كما فعلوا في كثير من الأعلام ليستريحوا من الناقدين .

٣٩ ـ العرب (بلاد ـ) « تتألف من عدة دول وامارات وسلطنات . أهمها المملكة العربية السعودية ، الكويت ، اليمن ، حضرموت ، مهرا ، عمان ، شاطىء الهدنة ، قطر ، البحرين ، وجمهورية جنوبى اليمن الشعبية » وفي هذا النص خطأ وخلط .. فاولا حضرموت من جمهورية جنوبى اليمن الشعبية . وكذلك مهرة التى كتبت خطأ « مهرا » ولا أدرى معنى « شاطىء الهدنة » المذكور في الامارات والسلطنات . ولعل المراد هو « الامارات المتصالحة » .

٤٠ ـ « أصحاب الأخدود هم النصارى الذين اضطهدهم ملك اليمن ذو نواس اليهودى فحاصرهم في نجران ثم عذبهم بالنار والحديد جاء ذكرهم في القرآن .. ومما لا شك فيه أن كاتب النص لم يطلع على القرآن فى هذا أو يفهمه ونحن لا نرضى أن يكون المؤمنون بالله هم أصحاب الأخدود حتى لو رضي بذلك مؤلفو المعجم . لان أصحاب الأخدود قوم كفار عذبوا المؤمنين . والقرآن يقول في سورة البروج : « قُتِلَ أصحابُ الأخدود ، النار ذات الوقود ، اذ هم عليها قعود ، وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود ، وما نقموا منهم الا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد ».

٤٠ ـ « أود (ضبه بن ـ) من فحول شعراء الجاهلية ، يعدونه من الحكماء ، قيل له الأفوه لانه كان غليظ الشفتين ظاهر الأسنان .. » وهذا كلام لا صحة له . فالأفوه الأودى اسمه صلاءة بن عمرو ، وأما قبيلته أود فهى أود بن الصعب بن سعد العشيرة من مذحج ، والمهم فوق كل هذا ان المنجد تحت عنوان الأفوه الأودى قال (صلاءة بن عمرو) . وواضح أن هذا من التكرار الخاطىء دون فهم لما سبق في المنجد وما يأتى فيه .

٤٢ ـ « حَجر ملك كندة في القرن الرابع لقب بآكل المرار لتشوه في وجهه » وهذا خطأ ، فهو « حُجْر » بضم الحاء وسكون الجيم ، ولقب بآكل المُرار لانه اكل المُرار وهو نوع من الشجر المر ، أو أن ابنته لما سُبيت قالت لمن سباها

« كانك بابى قد جاء كانه جمل أكل المرار يريد انه ياتي من غضبه كاشرا عن أنيابه » .

٤٣ ــ « الحبشي (بلال بن رَباح) » وصحته « رَباح » بفتح الراء . ثم يا ترى من الذى يتجه ذهنه عندما يريد أن يبحث عن « بلال » أن ينظر في مادة « الحبشي » .

٤٤ ــ « الطالع السعيد .. كتاب لكمال الدين جعفر الأدفوني » والصواب « الادفوى » بدون نون قبل الياء نسبة الى ادفو بصعيد مصر تبع محافظة اسوان ، هذا ولم يذكر المؤلف نفسه لا في «كمال» ولا في « جعفر » ولا في « الأدفوى » .

٤٥ ــ جبلة (يوم ــ) وكان ذلك في شِعَب جبال جبلة » وصحة الضبط « شِعْب » بسكون العين . يقول عوف بن المنتفق :

فقتلتُه بالشِّعْب أوّلَ فارسٍ
في الشرق قبلَ ترجُلِ الشمسِ

٤٦ ــ « خديجة .. فولدت له .. وأم كلثوم وعبد الله القاسم» وصحتها «وعبد اللهوالقاسم».

٤٧ ــ « البسطامى (بايزيد) أبو زيد الطيفور» وتحت عنوان « طيفور (ابو زيد) . وصحتهما « ابو يزيد » ونفس كلمة « بايزيد » تنبه الى ذلك لو كان الكاتب يتنبه .

٤٨ ــ «بغية الوعاة ألفه جلال الدين السيوطى، جمع فيه كتب الاقدمين في سبع مجلدات ، ثم لخصها واختصرها » وبغية الوعاة ليس تلخيصا لكتب ، وانما هو تراجم للنحاة والأدباء . وقد يكون الصحيح أن يراد : جمع فيه التراجم التى في كتب الاقدمين ولخصها .

٤٩ ــ « البلاذرى .. ولد في بغداد ودرس فيها مع المعدني والزبيرى » ، ولا ندرى من هو «المعدني» ولا مؤلفو المنجد يدرون من هو . ولعله محرف عن « المدائني » .

٥٠ ــ « البهنا قرية في مصر مديرية المنيا ، كانت من أعظم مدن مصر في العهد المسيحيّ » . وصحتها « البهنسا » بسين بعد النون . ومن المؤلفات في ذلك « فتوح البهنسا » .

٥١ ــ « تغلب من أعظم قبائل العرب يمنية الأصل .. » ، وهذا جهل بالانساب ، فقبيلة تغلب عدنانية لا يمنية ، تنتمي الى ربيعة بن نزار ابن مَعد بن عدنان . ، اما القبائل اليمنية فتنتمي الى يعرب بن قحطان .

٥٢ ــ « أدِيّة (مرداس بن ــ) زعيم خوارج البصرة ...وصحتها أُدَيّة » بضم الهمزة ، وفتح الدال وتشديد الياء .

٥٣ ــ « عنقاء مَغرب » صحتها « عنقاء مُغرب » الميم مضمومة .

٥٤ ــ « سلّول(ابن) انظر عبيد الله بن أبي » وصحة الضبط « سَلُول » بدون تشديد اللام أما « عبيد الله » فصحتها عبد الله .

٥٥ ــ « سَلّيح أو صَلّيح (بنو ــ قبيلة عربية .. من اوليات القبائل التي امتلكت بلاد الشام) وصحتها « سَلِيح » بفتح السين وكسر اللام ولا يقال لها صَلّيح .

٥٦ ــ « قضاعة من قبائل العرب ، منهم بنو كلب ، وصليح وغسان » وصحتها « وسَلِيح » .

٥٧ ــ « ميسون زوجة معاوية .. كانت من قبيلة بحدل أو بهدل بن كليب المسيحية » اما قبيلتها فهى « بحدل » بالحاء فقط وهى من « كلب » وليست من « كليب » .

٥٨ ــ « مَسْلِمة بن عبد الملك بن مروان » صحته « مَسْلَمة » بفتح الميم وبفتح اللام . وكذلك ما جاء من هذه الأعلام .

٥٩ ــ « مَسيلمة هزم الجيش الاسلامي بقيادة عكرمة انتصر عليه المسلمون في معركة عقربة » وصحتها « عَقْرَباء » ، وكذلك يصحح ما جاء في مادة « عقربة » الى عقرباء .

٦٠ ــ ذر (ابو ــ الغفارى) هو جندى بن جنادة » صحته « جُنْدب بن جنادة » .

٦١ ــ « زبان انظر ابو عمر المازني » ولا يوجد ما أحال عليه ، لا في « المازني » ولا في « عمر » ولا في « ابو » وبالطبع هو يريد « زبان » بالباء وهو أبو عمرو بن العلاء المازني ، ولكن من أين للقارىء المحتاج لهذا المنجد أن يعرف ذلك ، والمهم أيضا أن أبا عمرو بن العلاء وضعوه في عنوان « العلاء ابو عمرو زبان » .. فالمحال عليه لا وجود له في موضع الاحالة .

٦٢ ــ النجاشي « قيس بن عمر » وصحته « قيس بن عَمْرو » ولا نقول انه خطأ مطبعي ، فان المصدر الذى نقلوا عنهوهو منجد توتل ضبطها « عَمَر » فنقلوا ما فيه وحذفوا الضبط .

٦٣ ــ هاشم « بنو ــ » بطن من قريش ينسبون الى هاشم بن عبد مناف ، من أجراء النبي .. » ولا شك ان صحتها « من أجداد النبي » .

٦٤ ـ « النوادر .. وأبو مشحل الأعرابي .. » ولا شك أن صحتها « وأبو مسحل » .

٦٥ ـ « السِّنْد (أبو عطاء أفلح) وصحته « السِّنْدى » بزيادة ياء مشددة ،ولا يعتذر بالخطأ المطبعي فان ما جاء قبله « السند » مقاطعة ،وجاء بعده « سند .. » ثم « السندباد » ثم « السند هند » ثم « سندويش » ، ثم بعد ذلك جاءت مادة « السندى محمد » .

٦٦ ـ « السقطى (سَرِّى بن المُغَلِّس) » وصحته « السَّرِيُّ بن المُغَلِّس » .

٦٧ ـ « بَجِيْلة من قبائل وسط الجزيرة .. » وصوابها « بَجِيلة » .

٦٨ ـ « البحترى أبو عبادة ... » وصحتها « أبو عُبَادة » بضم العين .

٦٩ ـ « تاج العروس .. آخذا من عدة كتب أخصها شرح ابن الطيبب .. » وصحته « ابن الطيب » . وليس قبل الياء باء .

٧٠ ـ تعيم (أبو ـ الأصبهاني) ، وصحته « نُعَيم » على صيغة التصغير .

٧١ ـ « هُذَيْل من كبار قبائل العرب ... » وصحتها « هُذَيْل » بدون تشديد الياء .

٧٢ ـ « هلال (بنو ـ قبيلة من معد عبدوا الوثن ذا الخلعة في تيالة » والصواب « عبدوا الوثن ذا الخَلَصَة في تَبالة » وتبالة بفتح التاء لا بكسرها . والخلصة بالصاد لا بالعين وضبطها كما أثبت . وسيأتي ذكرهم لها أيضا محرفة .

٧٣ ـ « وَفِيَّات الاعيان » وصحتها وَفَيَات الأعيان . جمع وَفَاة التي بمعنى الموت ، أما وَفِيَّات فهي جمع وَفِيَّة . مؤنث « وفي » وليس ذلك مرادا لابن خلكان .

٧٤ ـ « الوافي بالوَفِيَّات » وصحتها « بالوَفَيَات » .

٧٥ ـ «فوات الوَفِيَّات» وصحتها«الوَفَيَات» وتكرار هذا الضبط الخطأ يقطع بعدم معرفة الصواب ، وأنه ليس خطأ مطبعيا .

٧٦ ـ حبناء (المُغَيْرة بن ـ) » وصحتها « المُغِيرة » بكسر الغين .

٧٧ ـ الرِّقّاع (عدى بن ـ) وصحتها « الرِّقَاع » الراء مكسورة والقاف بدون تشديد.

٧٨ ـ « الرشيد مدينة في مصر » وصحتها « رشيد » بدون « ال » والاسم الافرنجي المكتوب بجوارها يقطع بذلك ، فمن أين جلوها الرشيد ؟

٧٩ ـ « عمواس..أبو عبيدة الجراح » وصحتها « أبو عبيدة بن الجراح » .

٨٠ ـ « عَبَادة (سعد بن ـ) صحابي .. » صحته « عُبَادة » بضم العين . وكان في منجد توتل « عبادة » فعدلوه الى هذا الضبط الخطأ .

٨١ ـ « عبَّاد (الحارث بن ـ) من زعماء ربيعة وفرسانها ، شهد حرس البسوس ... » وصحته « الحارث بن عُبَاد » .. العين مضمومة والباء غير مشددة .

والبارودى يقول :

لو كان يَرهب صولة من فاتكٍ
لَفعلت فِعْلَ الحارث بنِ عُبادِ

٨٢ ـ « عَمْرَة بنت علقمة الحارثية ... » وصحتها « عَمْرة » بفتح العين .

٨٣ ـ « الشرقية محافظة في مصر .. كان دورها خطيرا في تاريخ الفاتحين الذين دخلوا مصر ،ومنهم مروان الأول عند قدومه من أيلة الى الفسطاط، والصليبيون في حملتهم على دمياط ، وبونابرت في احتلاله مصر .. » أما دمياط فجاءت حملة الصليبيين عليها من البحر الأبيض لا من الشرقية .. وبونابرت لم يحتل مصر عن طريق الشرقية .. اما الذين جاءوا عن طريقها فهم الانجليز بعد حفر قناة السويس مع انهم جاءوا أيضا من طرق أخرى ولم يفلحوا ، وهذا لم يذكر في المنجد .

٨٤ ـ « وجدى محمد فريد (١٨٧٨ـ١٩٤٥) من أدباء مصر ، له دائرة معارف القرن العشرين» هكذا أماتوه قبل نهاية أجله بأكثر من ثمانية أعوام، ذلك أن محمد فريد وجدى مات سنة ١٩٥٤ ولا يقال انها غلطة مطبعية ، ذلك أنهم نقلوا من المنجد السابق ، وفيه الغلطة نفسها ، فهم ينقلون كما يتفق .

٨٥ ـ « المفضليات .. جمعها المفضل الضبي نحو (١٩٢١) طبع بيروت (١٩٢٠) »هذا والضبي توفي نحو (٧٨٦) فلعل روحه جمعتها في ١٩٢١ بعد ان طبعت في بيروت سنة ١٩٢٠ .

٨٦ ـ « شرح نهج البلاغة كتاب لابن أبي الحديد المعتزلي يبحث في مواقف المعتزلة وقضاياها الأساسية كالعدل والتوحيد طبع في طهران ١٨٥٣» ومن العجيب أنهم تحت كلمة نهج البلاغة قالوا : « كتاب شهير نسب الى علي بن أبي طالب ، جمعه الشريف الرضي » ، ولم يذكروا من شراحه ابن أبي الحديد . وتحت كلمة « الحديد »

(ابن أبي ــ) قالوا عنه « من أدباء الشيعة ، له شرح نهج البلاغة (طهران ١٨٥٣) فباى قول ياخذ القارىء للمنجد . ؟

٨٧ ــ « الشيص (محمد بن رزين أبو) عمي فى آخر حياته ، له مراث فى عينيه قبل ذهابهما »، وكلمة « ذهابهما » فيها خطأ مطبعي ، ولكن لا أحد يدرى كيف رثاهما قبل ذهابهما ، لعله كان يعلم الغيب !!

٨٨ ــ « البنا (حسن ــ) تعلم على أبيه الساعاتي وفى دار العلوم (دمنهور) » ولا نعلم أهم يقصدون أن دار العلوم فى دمنهور ، أو أن دار العلوم هي دمنهور . وكلا ذلك خطأ ، فدار العلوم بالقاهرة .

٨٩ ــ « سفيان (ابو ــ بن أمية) ... أبو معاوية ، مؤسس الدولة الأموية .. » وأبو سفيان والد معاوية هو «أبو سفيان بن حرب بن أمية».. اما أبو سفيان بن أمية فهو عم أبي سفيان بن حرب .

٩٠ ــ « خثعم قبيلة ، وكان معبودهم « ذو الخلاصة » وصحتها « ذو الخَلَصة » .

٩١ ــ « رُبعى (مُطرس بن ــ) شاعر جاهلي..» وصحتها «مُضَرِّس بن رِبْعي » .

٩٢ ــ « أعشى (عبد الرحمن ــ هَمَدان) شاعر .. » وصوابها « هَمْدان » بسكون الميم .

٩٣ ــ « العبر وديوان المبتدأ والخبر .. وهو المعروف بالمقدمة فى التاريخ » كذا ، مع أن المقدمة هي مقدمة للعبر وليس العبر هو المقدمة .

٩٤ ــ « كلثوم (أم ــ) تزوجت عنيبة » ، وصحتها « عُتيبة » بالتاء .

٩٥ ــ « العبد (طرفة بن ــ) .. لخولة أطلال ببرقة تهمد .. » وصحتها « تَهْمَد » .

٩٦ ــ « شيهْرزود .. » وصحتها «الشَهْرَزُور» بفتح الشين وفتح الراء كما نص على ضبطها ياقوت باللفظ .

٩٧ ــ «السروجي بطل مقامات الحريرى .. » وصحته « السَرُوجي » بالفتح نسبة الى « سَرُوج » .

٩٨ ــ « دريد (ابن ــ) له الجمهرة فى اللغة ، وهو أشهر المعاجم التي صنفت فى القرون الأولى بعد كتاب العين،ترتيبه على نسق هذا الكتاب .»

وهذا كلام من لا يعرف ترتيب العين وترتيب الجمهرة ، فان لكل منهما ترتيبا يختلف عن الآخر لا على نسقه .

٩٩ ــ « مُنى بلدة قريبة من مكة » ، وصحتها « مِنى » بكسر الميم .

١٠٠ ــ « الشَحر بلاد ساحلية ..» وصوابها « الشِحر » بالكسر لا بالضم .

١٠١ ــ « الحمراء .. فهوت لى الشُهب فى الأبراج » وهذا يكسر الشعر وصحته « فهوَتْ اليّ . »

١٠٢ ــ « هَرَم بن سنان ..» صحته «هَرِم» بكسر الراء .

١٠٣ ــ وبعد كل هذا أذكر أن الكتب التي يذكرون أسماءها ثم يذكرون تاريخ طبعها ، ان هي الا معلومات لا تمثل الحركة الضخمة التي ظهرت فى عالمنا العربي فى النشر والطباعة .. وما ذكر فى المنجد الا ما ندر وما هو الا ما كان طبع فى القرن الماضي وأوائل القرن العشرين ، ولكن لما كان موجودا فى المنجد السابق نقلا عن معجم سركيس وضعوه كما هو دون التنبيه الى طبعاته الحديثة ، حتى العلماء الذين ذكرهم سركيس وذكر مؤلفاتهم المطبوعة لهم مؤلفات أخرى طبعت وصار لها شأن فى مجال الثقافة كبير ، فتركوها كما تركها .

وأخيرا ، أحب أن أنبه « أصحاب دار المشرق » الى أن الاستاذ الجليل منير العمادى قد كتب ينبه الى أن له أكثر من ألف تصحيح وتقويم ونقد على المنجد ، فاذا شاءوا أن يجعلوا منجدهم صالحا للتداول بين غالبية مثقفي العرب فليرجعوا اليه لتقويم ما اعوج ، ولقد كان من الواجب أن يطلعوا رجالات الثقافة العربية والاسلامية فى لبنان ، ليراجعوا كل ما يتعلق بالقرآن والصحابة والشئون الاسلامية قبل أن يطبعوا منجدهم .

هذا ، وانى لأدعو كل مشرف على الثقافات العربية الاسلامية ان يحذر مما فى الأيدى الآن من مطبوعات المنجد الخاصة بالأعلام ، والآداب والعلوم .. والله يهدينا الى سواء السبيل .

■■

عبد الستار احمد فراج

العربي : يحسن تنبيه القارىء الى أن هذه الكلمة منصبة على جزء الاعلام سواء وهو منشور وحده أو وهو ملحق بالقاموس اللغوى . اما المنجد القاموس اللغوى فلا يزال منه نفع كثير .

مسابقة العربي

١١ سؤالا .. والمطلوب ٨ أجوبة صحيحة

■ مسابقة هذا العدد تتكون من ١١ سؤالا مختلفا والمطلوب منك الاجابة على ٨ اسئلة اجابة صحيحة لكي تفوز باحدى الجوائز .

١ ـ البلاد التالية تتعامل بالعملات المذكورة الى جانبها :

النمسا ... الشلن

اليابان ... الين

ايطاليا ... الليرة

الباكستان الغربية ... الروبل

فاذا قلنا ان بين هذه الحالات الأربع حالة واحدة خطأ فما هي تلك الحالة وما هو صوابها ؟

٢ ـ سويسرا .. متى اصبحت عضوا في هيئة الامم المتحدة .. ؟

٣ ـ يحتفل العالم المسيحي بعيد ميلاد السيد المسيح في الخامس والعشرين من شهر ديسمبر من كل عام فهل ولد السيد المسيح في هذا التاريخ حقا ام انه اصطلاح اصطلحوا عليه ؟

٤ ـ ما هي الاسبرانتو ؟

٥ ـ اشترت الولايات المتحدة الامريكية احدى ولاياتها من روسيا القيصرية مقابل نحو ٧ ملايين دولار . وقد اكتشف البترول حديثا في الولاية المذكورة ودر عليها ما يقارب ...١ مليون دولار في السنة الماضية . فما اسم الولاية المذكورة ومتى تم شراؤها ؟!

٦ ـ غانا ، غيانا ، غينيا .. ثلاثة أقطار مختلفة في جهات مختلفة، فأين يقع كل من هذه الاقطار؟

٧ ـ ماليزيا دولة آسيوية يبلغ عدد سكانها نحو ١٠ ملايين منهم النصف تقريبا مسلمون . ما هي عاصمتها .

٨ ـ يمر نهر الراين بمدن عديدة ، نذكر منها دوسلدورف وستراسبورغ وكولونيا .. فما هو ترتيب هذه المدن الثلاث حسبما يمر بها نهر الراين من منبعه الى مصبه ؟

٩ ـ احدى الدول التالية جمهورية والثلاث الاخرى ملكية ، فما هي الجمهورية من بينها. السويد ـ اليابان ـ النروج ـ الهند .

١٠ ـ لماذا يطلقون اسم اطلس على كتاب الخرائط الجغرافية :

أ ـ نسبة الى المحيط الأطلسي .

ب ـ نسبة الى قماش الحرير الأطلس الذي رسم عليه أهل الصين خرائطهم .

جـ ـ نسبة الى اطلس ، أحد آلهة اليونان .

١١ ـ تحتفل فرنسا في ١٤ يوليو من كل عام بحدث هام من أحداث تاريخها . وقد وقع هذا الحدث في عام ١٧٨٩ فما هو !

شروط المسابقة

١ ـ أن يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور في ذيل هذه الصفحة .

٢ ـ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .

٣ ـ ضع اجابتك في مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتي :

مجلة العربي ـ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ١٣٨ » .

٤ ـ آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم الثالث من شهر يونيو (حزيران) ١٩٧٠ .

٥ ـ كل خطاب يفقد شرطا من هذه الشروط عرضة لان يهمل ولا يدخل عملية الاقتراع على الجوائز .

الجوائز ١٠٠ دينار

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا . الجائزة الثانية ٢٠ دينارا . الجائزة الثالثة ١٠ دنانير .

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريق الاقتراع . ■■

كوبون مساب

في سبيل موسوعة علمية

الخزف والفخار

الطفل • الآجر • القلة والجرة • قدر الطبخ • صحون المائدة

■ الخزف والفخار هما في اللغة شيء واحد .

وهما كل شيء عمل من طين وشوى بالنار فصار فخارا أو خزفا .

والواحدة خزفة أو فخارة .

وصانع الخزف خزاف أو خزافي ، أو هو بائعه .

وصانع الفخار فخاري ، وكذلك بائعه .

والخلاصة أن الخزف أو الفخار لفظ عام يشمل كل ما سوى من طين ثم شوى بالنار ، فالطوب والآجر خزف . والقلة نشرب منها الماء من خزف . والأوعية الطينية الكثيرة التي نطبخ فيها وندخلها في الفرن من خزف ، وأطباق وصحون الموائد من خزف . وأواني الزهور من خزف . وأنابيب الماء من خزف ، وأحواض غسل الوجه من خزف ، والحوائط نغطيها بالقيشاني وهو من خزف . وغير هذا كثير من الاشياء .



اصناف من أوعية صينية شتى من سائر القرون الماضية ، من القـرن الثالث عشر والخامس عشر وغيرهما ، صنعتها الأسـر الامبراطـورية المختلفـة .

أواني الزهر ● مغاسل الوجه ● البلاط غطاء الأرض والحائط

واللفظ الانجليزى المقابل للخـزف والفخار هو Pottery وكذلك Ceramics والأول اصله من Pot ومعناها «القدر» ، ثم عمم . والثانى اغريقى معناه أوعية ارضية اى مصنوعة من مادة الأرض .

واللغة ليست لغوا ، وانما هي لتحديد المعانى . والألفاظ الافرنجيـة هي الأسماء الجارية في الصناعة المكتملة ، وقد بلغت ما شاء الاكتمال ، ولكن عند غيرنا . فلنطمئن بعض الشيء من كبريائنا اذا ذكرنا لغة غيرنا . واللغـات على كل حال السنة كلها هبة من الله لكل الخلق .

الطفل والصلصال

تذكر المعاجم الطين في تعريف الخزف أو الفخار على عادة العرب . والطين هو تربة الأرض المزروعة غالبا ، تصب عليها الماء ، وتمزجهما معا ، فتتألف منهما كتلة متماسكة ، تدوسها بقدمك فيتطبع فيها شكل القدم . وهذه هى اظهر صفة فيها . أى انها

تتشكل تحت الضغط . انها لدنة . وهذا هو أساس صناعة الفخار من الطين . انه يحبس الماء، ويكون عجينة تتشكل ، فتأخذ صورة الآجر ، أو صورة الطبق ، أو الأنبوب أو غير ذلك .

وتربة الأرض تتطين للذي بها من الطفل ، أو الصلصال ، وهما في اللغة شيء سواء .

واليوم لا نقول الطين هو المادة الخام لصناعة الخزف . ولكن نقول الطفل أو الأطفال ، فالطفل صنوف عدة ، تجمعها صفات تتصل بصناعة الخزف .

الأطفال

الأطفال أنواع كثيرة ، تختلف في تراكيبها الكيماوية ، وكذلك في صفاتها الفزيائية .

وهي تتألف من أخلاط من مواد معدنية مختلفة أساسها المركب المعدني المسمى بالكولينيت Kaolinite (وجزيئه يتألف من جزيء من أكسيد الألمنيوم ، وجزيء من أكسيد السلكون (الرمل) وجزيئين من الماء) وما هذا الا سيلكات الألمنيوم المائي .

والمعروف عند كل دارس لعلم الجيولوجيا أن تراب الأرض ، وكل معدني من معدنياته ، انما نشأ من الصخور النارية ، كالجرانيت ، بعد تعرضها لفعل الجو ، من حرارة وماء وغير ذلك ، فانحلت وتحولت الى معدنيات أبسط تركيبا .

واذاب الماء من المواد المنحلة ما يقبل الذوبان في الماء ، وبقي ما لا يذوب ، ومن هذا السلكات التي ذكرنا وأشباهها التي تتكون منها الأطفال أساسا. ومما لا يذوب من المواد المنحلة الرمل المعروف ، وهو أكسيد السلكون Silicon Oxide .

ونطلق على هذه البقية المتخلفة من تحلل الصخر اسم الطفل .

واختلفت هذه البقايا تركيبا،واذن فقد اختلفت صفات . واذن فقد تعددت أنواع الأطفال .

وتختار كل صناعة من صناعات الخزف الطفل ذا الصفات التي هي أوفق لها ، تحملها من شرق البلاد وغربها ، ومن شمالها وجنوبها ، وعبر البحار ، مئات مؤلفة من الأطنان . وذلك في الأمم ذات الصناعة المتقدمة .

اختلاف الأطفال في الصفات جعلها تفي بشتيت من الصناعات

ان التحاليل الكيماوية للأطفال المستخدمة في صناعة الخزف ، على شتى أنواعها ، أظهرت أنه، الى جانب المعدني المسمى بالكولينيت Kaolinite الذي سبق ذكره ، والى جانب الرمل ، توجد أكاسيد أخرى ، من أمثلتها أكسيد الحديد ، وأكسيد الكلسيوم،وأكسيد المغنيسيوم ، وأكسيد الصديوم والبوتسيوم تضمها مركبات شتى .

والكولين Kaolin ، ويعد أنقى الأطفال ، توجد فيه كل هذه المواد التي ذكرنا،ولكن بنسب ضئيلة . وهي تكثر في غير الكولين فتعد شوائب من حيث الكيمياء . ولكن من حيث الصناعة هي تفي بأغراض فنية تطلب لذاتها .

مثال ذلك أكسيد السلكون أو السلكا (الرمل) يوجد متحدا على صورة سلكات Silicate ولكن يوجد أيضا على صورة رمل منفصل . وله فوائده . فالخزف الناتج منه يصمد لدرجات الحرارة العالية ، وهذا مطلوب مثلا في الطوب الحراري الذي نبطن به الأفران . وكذلك هو يقلل من الانكماش الذي يحصل عند تجفيف الخزفة بعد تشكيلها أو عند حرقها بالنار. وهو يزيد في مسام الخزفة بعد الحرق .

وأكسيد الحديد ، وأكسيد الكلسيوم وأكسيد المغنسيوم ، وأكسيد الصوديوم والبوتسيوم ، وجودها في الطفل ينزل بدرجة سيحان الخزفة عند حرقها . وقد يكون هذا من هدف الصناعة . وقد يكون هدف السيحان تكون المادة الزجاجة التي تغطي الخزفة فتزججها وهذا يطلب في أدوات المائدة وفي الصيني وغيرها . وهذه اذا لم توجد ، أضيف الى الطفل المعدني المعروف بالفلسبار Felspar ليقوم في التزجيج مقامها.

ونعود الى أكسيد الحديد ، لنقول انه اذا وجد في الطفلة بنسبة لا تزيد على واحد في المائة خرجت الخزفة من الحريق بيضاء،واذا زادت نسبته الى نحو ٥ في المائة خرجت الخزفة برتقالية صفراء . وتخرج الخزفة حمراء اذا ارتفعت النسبة عن ذلك . ونلحظ هذا في ألوان آجر البناء خاصة .

صناعة الطوب (أو الآجر أو القرميد)

صناعة الطوب (بشتى أسمائه) صناعة من أقدم الصناعات ، ونحن لا نزال نجد في الآثار آجرا صنع من الطين . ففي حيث كانت بابل ، وفي مصر القديمة ، احتفظ بمثل هذا الآجر منذ

الاف عدة من السنين .

والطفل الذى يصنع منه الطوب (أو الآجـر ان شئت ، أو القرميد) لا يكون عـــادة من أنقى الاطفال، وغرين نهر النيل عندما كان يفيض بالطمى كان المصدر لهذه الصناعة في طول مصر وعرضها . والطوب يصنع غالبا من هذه الاطفال مباشرة بدون سابق تحضير ، ولكن من الاطيان والاطفال في بعض الجهات ما يحتاج الى سابق تجهيز .

وتبدأ الصناعة بخلط الطفل بالماء بحيث تكون له رهافة معلومة ، وحال متوسطة بين السيولة والصلابة . وهو يشكل بعد ذلك في قوالب بعد رش داخلها بالرمل حتى لا يلتصق بعضها ببعض عند المساس .

تشكيل الطوب

والتشكيل اما باليد حيث العمال كثرة والعمل رخيص والزمن غير حثيث ، والا فهو بالمكنات . والمكنة للطفـل ذى العجينة اللينة نوعـا مـا Soft-mud تصنع في الساعة ما بين ١٠٠٠ الى ٥٠٠٠ طوبة في الساعة ، وقد تزيد .

وقد طرأ أخيرا على هذه الصناعة استخدام شيء من القوة . وفيها تصنع العجينة بحيث تكون من الليونة فقط بحيث تندفع في المكنة تحت ضغط لتخرج منها على شكل شريط قائم الزوايا طويل ، حافظ لشكله ، فتتناوله مكنة أخرى ، تهبط عليه بأسلاك تقسمه الى عدة اقسام ، هى الطوب المطلوب .

وهذه المكنة تصنع من هذه العجينة المتيبسة آلافا من الآجر قد تبلغ ١٥٠٠٠ آجرة في الساعة .

تجفيف الطوب

التجفيف عمل لا بد ان تصحبه عناية كبيرة ، اذا ما ذكرنا ان الجفاف قد يصحبه التواء يصيب شكل الطفلة ، كانت ما كانت ، وفيها الماء . والجفاف يصحبه انكماش . وفي الطفلة السميكة يكون ماء السطح أسرع الى الخروج من ماء الباطن، ويؤثر هذا على الشكل . وهلم جرا .

وفي الطوب يكتفى حيث الجو ملائم بتعريضه للهواء ، ونشره على الارض في الفضاء . وقد يعلوه سقف يحميه من تغيرات الجو ومن المطر خاصة . وقد يُحمل على ارفف ، طبقا من فوق طبق ، في حظيرة واحدة اقتصادا في مساحة الارض .

وقد يجفف الطوب برصه في عربات تجرى في انفاق تحمى بالوقود ، أو بالغازات الحارة العادمة التى تأتى من المحارق . وتدخل الى النفق عربة حين تخرج من الطرف الآخر من النفق عربة أخرى.

كل شيء ينظم ، ويرتب ، ويحسب ، بحيث لا يصيب الطوبة الناتجة تغير في شكلها .

ومن أهل الصناعة من يخرج الهواء الــذى بالعجينة قبل تشكيلها ، وهذا يساعد في الابقاء على شكلها عند التجفيف وعـنـد الاحتراق . ويصنعون هذا بامرار العجينة، وهى طبقة رقيقة، في شبه صندوق أفرغوا منه الهواء ويفعلون هذا بطفلة الطوب ، وبطفلات غيره من المواد الخزفية .

وكل ما ذكرنا عن الطوب ، من حيث الجفاف ، ينطبق على سائر المواد الخزفية ، ولعل العناية في بعضها أكبر .

احراق الطوب والخزف عامة

ان احراق المادة المصنوعة من الطفل يعطيهـا القوة ، والصلابة ، والقدرة على البقاء ويعطيها المنظر الجميل كذلك .

ولاصابة هذه الأهداف لابد من رفع درجة الطفل الى ما فوق ٨٠٠ درجة مئوية ، ومن الأنتجة الخزفية ، مثل الطوب الذى يصمد لدرجات الحرارة العالية وبه تبطن الأفران من داخلها ، فهذه قد تحتاج الى درجة تبلغ ١٥٠٠ درجةمئوية.

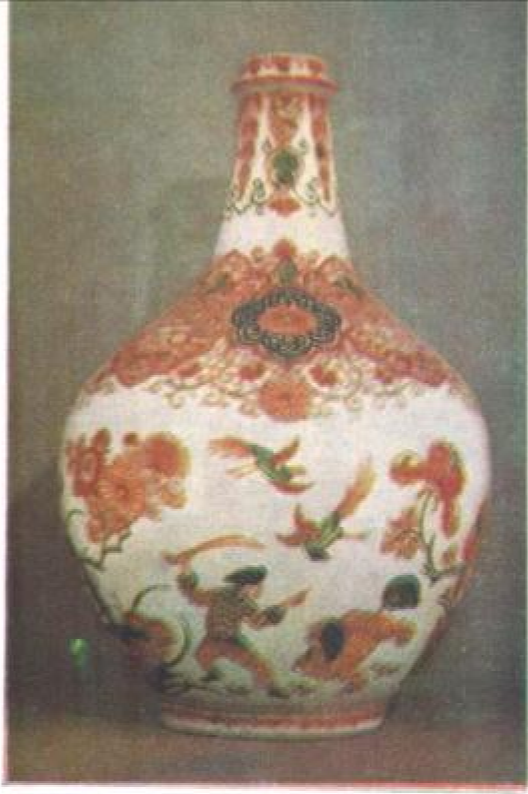
على كل حال لكل نتاج خزفي درجة او درجات في الصناعة معروفة .

والاحراق خطوات ثلاث ، متصل بعضها ببعض :

(أولا) الاحراق يبدأ ، بعد ان يخرج مـن الخزف ماء الجفاف ، باخراج الماء المتحـد في الطفل . ويخرج اكثر هذا الماء عند درجة ٥٠٠ مئوية . وعندئذ يبلغ الطفل اقصى درجة مـن مسامية .

(ثانيا) وبعد خـروج ماء الاتحاد او معه ، تحدث الأكسدة . فتتأكسد في الطفل كل المواد القابلة لذلك واولها المواد العضوية التي تكون به. والأكسدة تبدأ من درجة ٢٠٠° مئوية الى ٩٠٠° مئوية . فالكربون يحترق . والكبريت يحترق . ويتأكسد الحديد فيظهر على الخزفة لونه الأحمر الجميل المعروف . وهو لا يظهر في الصيني لأن طينته تحترق بيضاء لخلوها تقريبا من الحديد .

(ثالثا) ثم التزجيج . وهو تحول بعض الطفل الى زجاج . والطفلة العادية لا تتزجج الا فيما بين

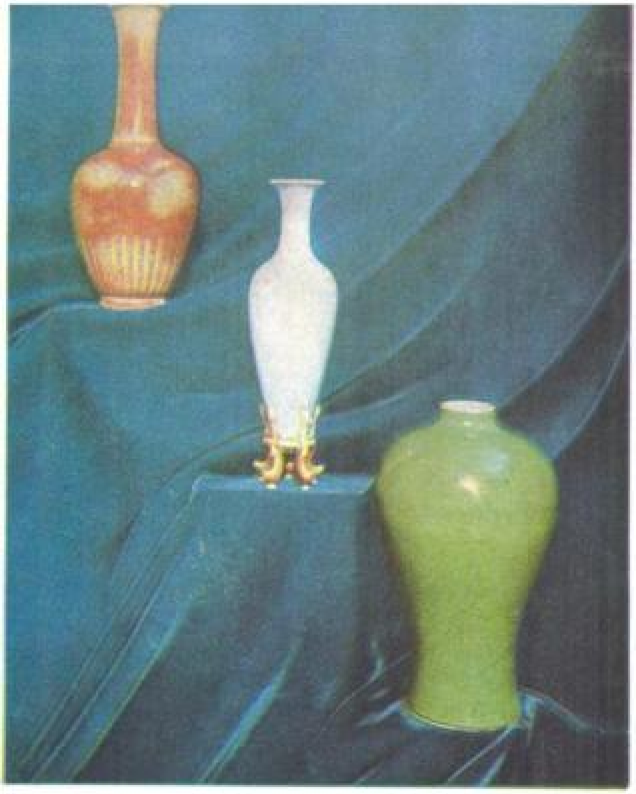


قارورة عقار صنعت في
اليابان ، ولكن طليت
بمدينة دلفت ، بهولندة
(نحو عام ١٧٣٠ م)

تحت : « كوان ين » اله
بوذي صنع في حكم
الامبراطور الصيني
« كانج هاى » (١٦٦٢
ـ ١٧٢٢م)

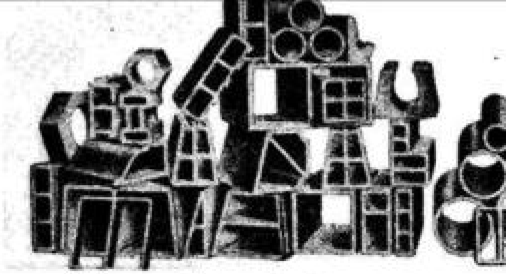


زهريات صينية ثلاث
من عهد الامبراطور كانج
هاي (١٦٦٢ ــ ١٧٢٢م)
الأولى
بلون الخوخة الناضجة
والثانية
لها ضياء القمر .
والثالثة
تشقق سطحها لا عن
خطأ ولكن عمدا عند
الصناعة .





ابريق من خزف تحمتل
بالفضة صبغ بالكوبلت
الأزرق من تحت تزجيج
من ملح ، صنع في المانيا
في اوائل القرن السابع
عشر .
اما الفضة فانجليزية
تاريخها ١٦٥٢ .



آجر ، مفرغ للبناء ، وأنابيب من أشكال شتى

الدرجة ٩٥٠ والدرجة ١٠٥٠ المئويتين . والتزجيج يحدث بأن تسيح بعض المواد المعدنية التي تتألف منها الطفلة فيصبح لها شكل الزجاج وميوعته ولمعانه ، وهي اذ تبرد تضم سائر مركبات الطفلة في رباط واحد . ويتوقف التزجيج على ما بالطفلة من مواد كالفلسبار Felspar ، ونحوه ، وقد تضاف من اجل ذلك الى الطفلة اذا لم يكن بها كفاية من مواد مزججة كما سبق ان ذكرنا .

ولا حاجة للطوب ان يتزجج الا لاغراض خاصة. وطوب البناء مطلوب فيه ان يكون مساميا ليلتصق بالملاط .

ولكن الصيني يتزجج بعضه ، او يتزجج كله حتى ليصبح نصف شفاف ، فكانما هو زجاج . ويساعد على ذلك رقته .

اما كيف يحرق الطوب بعد جفافه ، ففي الشرق يرص في العراء بناء مربعا عاليا،وهو بناء يصنعونه من الطوب بعد جفافه ، ويخلطونه بالوقود داخل اسراب فيه ، ثم يشعلونه .

ولكن في اوروبا يحرقون الطوب في تنانير ، او في انفاق افران ، والحديث في هذا يطول .

وهناك صنوف من تنانير عدة لاحراق مختلف الانتجة الخزفية . وتختلف تصاميمها تبعا للصنف المطلوب احراقه ، ودرجة الحرارة المطلوب رفع النتاج الخزفي اليها . ومن هذه التنانير المتصل العمل فلا يبرد بين الطريحة والطريحة .

ومن التنانير ما صُمّم ليفي بأغراض الكثير من الصنوف ، من الخزف الثقيل ، الى ارق الخزف واخفه اى الصيني .

والاحراق يجرى تدرجا ، من الساخن في التنور الى الأسخن ، ويستغرق الوقت الطويل الذى هو في حاجة اليه وفقا للخزفة المحروقة .

أوعية المائدة
أو الصينى عامة

تناولُ كل انواع الخزف بالحديث شيء يطول ، وما هو لمثل هذه الكلمة الموجزة بغاية .

ومع هذا فلا يحسن ان ننهي الحديث عن الخزف دون ان نذكر شيئا عن ذلك النوع الذى يواجه الكثير من الناس كلما جلسوا الى طعام ، في الصبح ، والظهر والمساء ، اعنى به اوعية المائدة ، واطقم الشاى والقهوة ونحو ذلك .

وهي صنفان :

صنف نصف مزجج ، وهو عند اكثر الناس .

وصنف كامل التزجيج . وتنظره في الضوء فيكاد يشف كالزجاج عما وراءه .

وقد غلب اسم الصيني اكثر على الصنف الثاني عند اهل الغرب ، وعند العرب . وسبب ذلك انه جاء اصلا من الصين . ولم تنجح اوروبا في تقليده الا في القرن الخامس عشر .

صناعة الصينى
خامة الصينى

اما خامته فمن الطفل المعروف بالكولين Kaolin يضاف اليه نوع او نوعان من الاطفال الاخرى.حتى يكتسب الخليط الناتج كل ما يحتاجه الصانع فيه من صفات كاللدونة ، والتماسك ، والمقدرة على التشكل وغير ذلك .

وبالطبع يجب ان تخرج الخزفة بعد الحرق بيضاء ، واذن وجب ان لايكون في الاطفال الا قدر من اكسيد الحديد ضئيل . وهذه صفة في الطفل الكولين ويسمى احيانا بالطفل الصيني ChinaClay واحيانا يستحب ان يكون لون الصيني كلون

دولاب الخزّاف وهو يديره بقدمه .





القدر يدور على القرص الأعلى لدولاب الخزف، وهو يدو بواسطة محرك كهربائي . وقد قامت الفتاة تشكل القدر وهو دائر بأصابعها .

العاج ، به شيء من اصفرار ، وهذا ينتج من اختيار الطفلة المناسبة .

ويضاف الى الاطفال المعدني Mineral المعروف بالفلسبار Felspar وهو للتزجيج كما ذكرنا سابقا . وكذلك الصتوان Flint وهو يحتفظ للخزفة ببعض مسامها ، وهذا يعين الخزفة على الاحتفاظ بحجمها فلا تنكمش عند التجفيف او عند الاحتراق .

وتخلط هذه الخامات بطرق هدت اليها الخبرة حتى تتجهز الطينة للتشكيل .

تشكيل الصيني

هذا يكون بوضع كتلة من الطينة على قرص دوار ، متصل اسفله بمحور ، متصل طرفه الأسفل بعجلة يديرها برجله الرجل الخزاف القائم على تشكيل كتلة الطين بيديه الاثنتين واصابعه .

وتعرف هذه الآلة الشهيرة القديمة المعروفة بدولاب الخزاف او عجلة الخزاف . وهي اليوم تدار بمحرك كهربائي ليفرغ الخزاف للتشكيل .

وهي بالطبع لا تنفع الا للأواني المتماثلة الشكل ، او بالأصح ذات التماثل المحورى ، ذلك الذى ينتسب الى محور واحد .

وطريقة ثانية شبيهة بهذه الأولى ، الا انها تتألف من قالب من الجص Plaster مستدير لتشكيل الخزفة التي قد تكون طبقا او «سلطانية». فهذا القالب يدار افقيا حول محوره بقوة ميكانيكية ، ثم يلقى فيه بالطفلة اللينة فتكسو جدران القالب وقاعه وهي تدور . ثم يدخل العامل الى القالب سلاحا يقشط به الطفلة الزائدة ويترك الخزفة سمكا واحدا . ويجفف هذا الخزف في قوالبه .

وقد تلقى الطفلة اللينة على السطح الخارجي للقالب بدلا من داخله .

وطريقة ثالثة هي بالضغط ، وهي للأواني غير المستديرة ، كاملة الاستدارة ، كأن تكون بيضاوية، او تكون ابريقا . فهذه تضغط عجينتها ضغطا في قوالب مناسبة ، وقد تضغط اجزاء ، ثم تلحم الأجزاء قبل تجفيفها .

وطريقة رابعة هي طريقة الصب ، وفيها تصب العجينة ، وهي معلقة في ماء كثير ، في قالب له شكل السطح الخارجي للخزفة المطلوبة ، وهي تترك هناك بعض الوقت حتى يمتص القالب وهو من جص مسامى Plaster بعض ماء العجينة، ثم يصب خارج القالب مازاد من العجينة بمائها .

تجفيف الصيني واحراقه

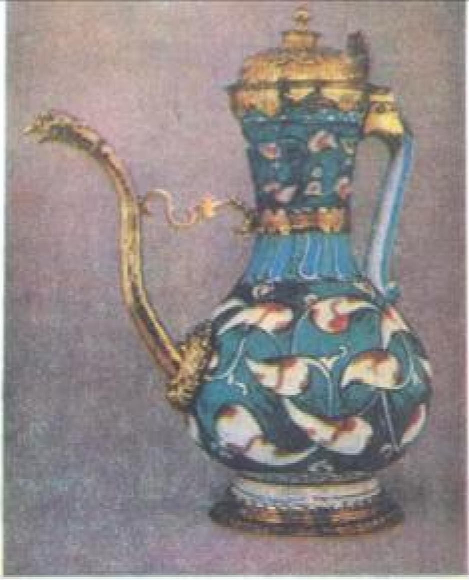
تحدثنا عن التجفيف ، عند الحديث في تجفيف الطوب ، وفي ذلك الكفاية . وتحدثنا كذلك عن احراق الطوب واحراق الخزف عامة .

وتختلف أجهزة التجفيف ، وكذا الاحراق بما يتفق ونوع الخزف المطلوب .





يقوم العامل بطرح فطيرة من الطفل سوّاها على قالب مسامى له شكل الطبق . هى أول خطوة لصنع طبق . والصورة الأخرى يضع العامل الطبق بقالبه على القرص الأعلى لدولاب الخزف وهو يدور ، ثم هو يسويه بآلة من فوقه لابأصابعه



ابريق تركي محمّل
في فضة مذهبة
(١٥٩٧ ــ ١٥٩٨)

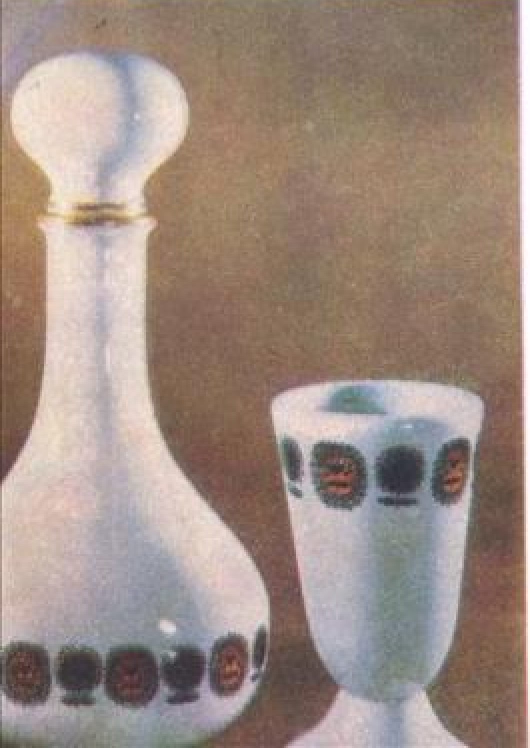


طبق تركي نشروا
فيه الزهر على
صفحة حمراء (نحو
١٥٨٠ م) .



خزف الماني ، راس ابولو
مصنوع من طفلة حمراء
(نحو عام ١٧١٢ م)

دورق ماء وكوب صيني فرنسي





مصباح فرنسي
من اواخر القرن التاسع عشر



سورة على قارورة من صنع اتروريا وهى بلاد قديمة بغرب ايطاليا من القرن السادس قبل الميلاد .



ابريق للشاى فرنسي ، به الزواق أزرق من تحت الزجاج ، وهو من صناعة سانت كلود في نحو ١٧٢٠ م .

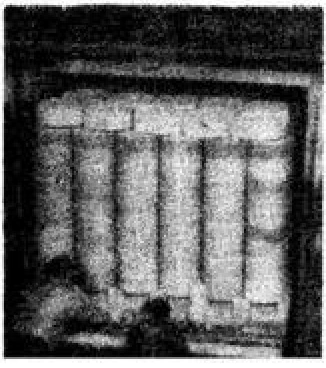
والتزجيج يكون غير كامل فى اوانى المائدة العادية ، ويحتفظ باطن مادة الصحن مثلا بما بها من مسام . والتزجيج يكون كاملا فى الأوانى الأرق والافضل .

التزجيج يكون قبل وبعد

والتزجيج قد يتم فى الحرقة الواحدة التى تحرقها الخزفة ، وذلك فى الأحوال التي تضاف فيها مادة التزجيج الى الطفلة وهي تهيأ .

ولكن كذلك قد تحرق الخزفة احراقة اولى من غير تزجيج وتخرج ولا زجاج بسطحها ولا لمة . وتعرف

توضع الاوانى الخزفية في أحقاق تحتويها ، ثم ترص وتمرر في أتون لتحترق على درجة حرارة ترتفع حتى تبلغ ١٢٠٠ درجة مئوية او تزيد .



عندئذ بالبسكويتة Biscuit ثم تعالج بالمادة المزججة ويعاد احراقها للتزجيج .

والتلوين والزخرفة قبل أو بعد ذلك

والتلوين والزخرفة يزيدان فى جمال الخزفة الصينية ، وهما قد يقعان تحت الطبقة الزجاجية من الخزفة أو فوقها .

ومعنى ان تكون الزينة تحت الطبقة الزجاجية انها تحرق معها . ومعنى ان تكون فوق الطبقة الزجاجية انها لا تحرق معها ، وانما تحرق وحدها بعد التزجيج وعلى انفراد .

وهي في الحالة الاولى تحرق وترفع الى درجات عالية . الى ما بين ١١٩٠ درجة مئوية ودرجة ١٢٥٠ . اما فى الحالة الثانية فيكفي رفعها الى درجة ٧٥٠ درجة مئوية . وهذه تأذن باستخدام الوان كثيرة مختلفة .

والصبغ المستخدم هو فى العادة اكسيد معدن ومعه مادة تسيح وتتزجج .

الخزف فى التاريخ

صناعة الخزف صناعة فى التاريخ قديمة . وقد دل الحفر الذى قام به رجال الآثار على ان هذه الصناعة كانت معروفة فى مصر القديمة ، وفى فارس القديمة ، وفى بابل . وعرف اهل هذه البلاد دولاب .



كوز خزفي تركي أناضولي ،
صبغه من تحت زجاجه ،
من القرن السادس عشر .



جرة سورية من الخزف الابيض ،
صبغها أزرق واسود من تحت زجاجها ،
من صنع القرن الرابع عشر .

الخزّاف واستخدموه فى انتاج الخزف . وقد كشفت قبور الفرعنة عن تقدم هذه الصناعة حتى فى عام ٣٠٠٠ قبل الميلاد . ففيها وجد الكاشفون القوارير والجرار ، ووجدوا أباريق لحمل الماء الى جانب اوعية خزفية اخرى .ووجدوا بها مصنوعات خزفية صنعوها للزينة ، والخزف المصرى القديم كان احمر اللون لا تزجيج فيه .

وبرع الاشوريون والبابليون فى صناعة الآجر ، وصناعة الرقاقة تكسى بها الحوائط ، تلك التي زادها اهل فارس جمالا وزادوها الوانا وزانوا بها قصورهم .

وكل هذه الآثار كان من فوائدها انها كشفت عن حياة هؤلاء الغابرين،وعن مقدار ما حازت من مدنية. واليونان والرومان ، ظهرت آثار مدنيتهم فيما صنعوه من خزف ، خزف ينتفع به فى العيش ، او يكون زينة وجمالا ، وبلغ اليونان الذروة من ذلك بين القرن السادس والرابع قبل الميلاد .

وفي الصين ارتفعت صناعة الخزف الى ان صارت فنا رفيعا .

ولم يقف جمال الخزف عند الصين ، بل اتصل، فلم تأت امة ، ولم يأت جيل ، الا كان له بالخزف، تعبير ، عن جمال فن رفيع .

حتى دخل الفن الصناعة فى عصور الصناعة الحديثة ، وعصور الديمقراطية ، فدخل الخزفُ كل البيوت ، يحمل الجمال ويحمل النفع معا . فمن آنية الطعام، الى آنية الشاى أو القهوة ، الى سائر اواني البيت ، ينتقل الخزف بجماله ، مع رخص أثمانه .

الخزفُ جمالٌ صنعه الانسان

ولا ننسى ان الخزف جمال ، من صنع الانسان ، وانه من طين . وما فى الطين جمال . ولكن من الطين ، مع العلم ، ومع التكنيئة ، صنع الانسان ويصنع الجمال .

انه من تربة الأرض صنع .

ولكن ، هل شيء على ظهر هذه الأرض ، الا من من تربة الأرض .

الزرع من تراب الارض،ولا نقول منه وحده . والزهر ، وهو صور الجمال الطبيعية الاولى،هو من تربة الارض ؟

ومساكن الانسان من تربة الارض ، اذا عزّ حجرها . وما الحجر الا بعض الارض .

وملبس الانسان من تربة الارض .

وغذاء الانسان من تربة الأرض .

وكل ما صنع الانسان ويصنع ، مرده كله الى تربة الأرض .

فكأنما قد رمى الله ، سبحانه ، بالناس على سطح هذه الأرض ، وقال لهم دونكم هذه التربة ، فمن صلبها ومائعها،استنبطوا اصول هذه الحياة ..

أ. ز. ●●





احدى طائرات الخطوط الجوية الكويتية على اثر هبوطها في مطار الكويت الدولي .. **وفي الصورة العليا** ركاب الطائرة ينزلون منها ليستقلوا السيارات المعدة لنقلهم الى قاعتي القادمين والعابرين اما

الصورة الاخرى (الى اليمين) فتمثل اربعا من مضيفات المؤسسة اللواتي يسهرن على راحة الركاب وخدمتهم .. انهن آخر من يغادر الطائرة بعد نزول جميع الركاب ..

الخطوط الجوية الكويتية

نافذة أطلت منها الكويت على الخارج وأتاحت للعالم أن يطل على الكويت

بقلم : منير نصيف





السيد فيصل الفليج رئيس مجلس ادارة مؤسسة الخطوط الجوية الكويتية ، يرأس اجتماعا لمديري الاقسام المختلفة، لبحث مشروعات المؤسسة للمستقبل، وقد ظهر الى يمينه السيد عدلي الدجاني المدير التجاري ، بينما جلس الى يساره كبير الطيارين الكابتن باسم شحيبر .

■ كيف نقيس عمر الامم وكيف نحسب سنوات حياتها على هذه الأرض .

ان حياة الأمة .. اى أمة لا تقاس بالسنين ،وانما تقاس بمدى ما حققتـــه من انجازات فى مختلف ميادين التقدم من أجل رفاهية الناس الذين يصنعون هذه الأمة ويعيشون فوق أرضها ويسهمون فى بنائها ونهضتها ورفعة شأنها ..

من أجل هذا كان حساب الأعوام التي تمر بحياة الشعوب لا تعني شيئا أكثر من كونها مجرد توقيت زمني لفترة انقضت وحقبة من التاريخ عيشها ، ثم أيام نعدها للمستقبل .

ولقد عاشت دولة الكويت تلك الحقبة الأخيرة من الزمن وسط مظاهر النهضة التي شملت أكثر مرافق الحياة فيها ... ولسنا بصدد تعديد الانجازات التي حققتها الكويت خلال السنوات القليلة الماضية ، ولكننا نتحدث هنا عن ناحية واحدة من نواحي التقدم ...

نافذة على العالم

ولقد اخترناها لأنها تمثل واجهـــة مشرقة ، استطاعت الكويت من خلالها أن تطل على العالم الخارجي ، وان تيسر فى الوقت ذاته اطلالة لمن هم خارج الكويت على الكويت وعلى صور الحياة فى هذا البلد الناهض .

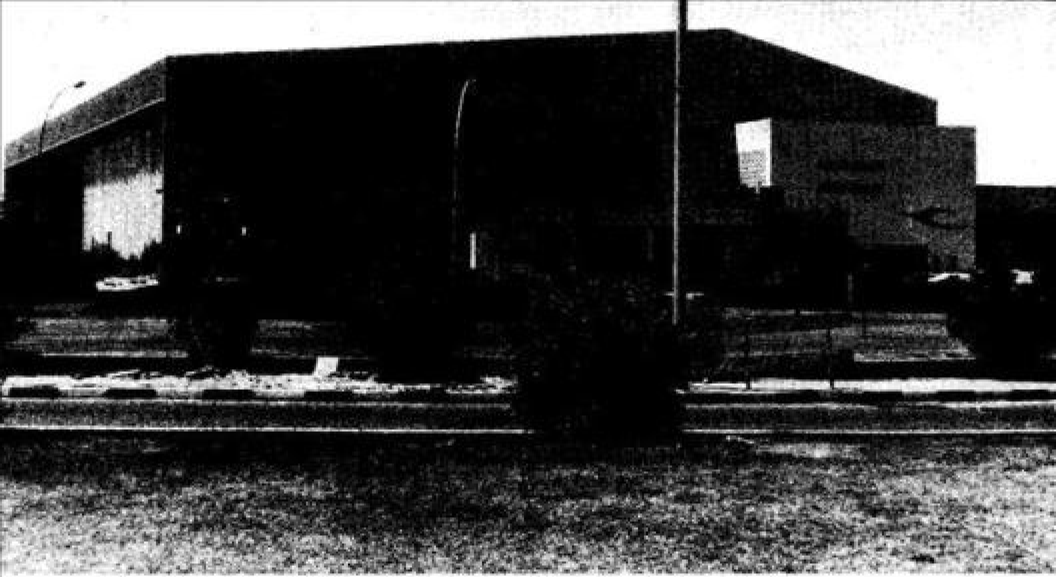
انها مؤسسة الخطوط الجوية الكويتية .. ترى ما هي قصة هذه المؤسسة ، وكيف نشأت ، ثم كيف اصبحت اليوم فى هذا العالم الكبير الذى ظل ينكمش وينكمش بفضل تطوير الطائرة التى اصبحت تنطلق بسرعة تفوق سرعة الصـــوت وتتجاوزه ؟

والحديث عن الخطوط الجوية الكويتية ، لا بد وأن يعود بنا الى الوراء قليلا ... الى ذلك اليوم من عام ١٩٥٣ عندما جلس فريق من رجال الأعمال الكويتيين ، يبحثون فى مشروع انشاء شركة وطنية للطيران ..

وتبلورت الفكرة ، وخرج أصحابها يحملونها الى المسئولين فى الحكومة : « لماذا لا يكون لنا شركة طيران خاصة بنا ، وطائرات تربط ما بين الكويت والدول الشقيقة المجاورة لها ؟ .. » .

حرصت المؤسسة على استخدام أحدث الآلات والمعدات الالكترونية الحديثة التي تختزن فيها المعلومات والاحصائيات لحين الحاجة اليها ، ويدرب عليها الفتيات والشبان لمدة عامين قبل تعيينهم ، وفي الصورة فتاتان تقومان بالعمل على احد هذه الاجهزة .





منظر خارجي للمبنى الرئيسي الذى يضم ادارة مؤسسة الخطوط الجوية الكويتية ، وتضم أيضا قاعدة صيانة الطائرات التى شيدت على أحدث طراز ، وتكلف بناؤه وتجهيزه بالمعدات ما يزيد على المليونين ونصف مليون دينار كويتي ..

ورحبت الدولة بالفكرة وشجعتها وأولتها العناية والرعاية التي يستحقها مثل هذا المشروع الجرىء ..

شركة مساهمة

وهكذا ولدت الخطوط الجوية الكويتية شركة مساهمة ... ثم لم تلبث الشركة الجديدة ان بدأت رحلاتها الجوية بطائرتين من طراز داكوتا ذات المحركين ، ولم يكد ينقضي عام واحد على تاسيس الشركة حتى كانت الطائرتان تحلقان فى سماء البصرة وبيروت ودمشق والبحرين وعبدان والقدس ، ناقلة المسافرين فى رحلات منتظمة الى الكويت ومنها الى هذه المدن الست ..

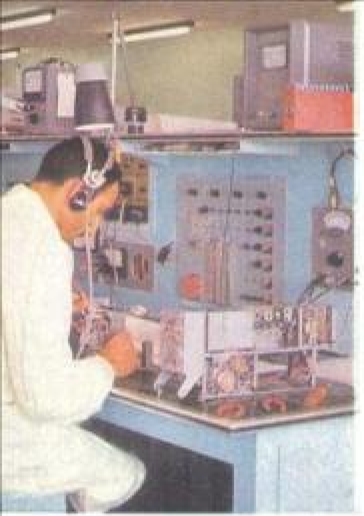
وفى عام ١٩٥٥ ، اى بعد مرور عامين اثنين على انشاء الشركة الجديدة ، رأت حكومة الكويت ، أن تدخل مساهمة بخمسين فى المائة من رأسمالها ... محاولة بذلك تطوير الشركة ومساندتها وتشجيعها على المضي فى تادية رسالتها ..

ومضت الشركة تخطو أولى خطواتها نحو تحقيق الهدف الذى قامت من أجله .. وسرعان ما وجد المسئولون عن ادارتها أن الطائرتين اللتين تملكهما وتتسع الواحدة منهما لثمانية وعشرين راكبا لم تعودا قادرتين على استيعاب الأعداد المتزايدة من الركاب المسافرين على خطوطها القصيرة ... وعلى الفور تقرر شراء طائرتين اخريين من طراز « هرمز » Hermes وتتسع الواحدة منهما لضعف عدد ركاب الطائرة الداكوتا .

طائرات جديدة وخطوط جديدة

ومع وصول الطائرتين الجديدتين ، قررت الشركة افتتاح خطوط جديدة جوية لها الى الجمهورية العربية المتحدة والبحرين والمملكة العربية السعودية ، الى ان جاء عام ١٩٥٧ ، عندما أضافت الشركة الى اسطول طائراتها الاربع طائرة جديدة ضخمة نسبيا وهي من طراز (دى سي ٤) DC 4 وتتسع لخمسة وسبعين راكبا .

ومضت الخطوط الجوية الكويتية فى انطلاقتها ، حتى عام ١٩٥٨ ، عندما قررت الشركة توقيع اتفاقية مع مؤسسة الخطوط الجوية البريطانية لمدة خمس سنوات تقوم الاخيرة بموجبها ، بالاشراف على أعمال الشركة الادارية والفنية وتزودها فى نفس الوقت بطائرات جديدة من طراز « الفايكونت » Viscount .





يشرف على اعمال صيانة طائرات المؤسسة فريق من كبار المهندسين المؤهلين والعمال الفنيين ، والصورة الأولى التي
يكون قد مضى عليها ٣٠٠ ساعة في طيران مستمر ، لاجراء الصيانة اللازمة لها . والصورة الوسطى لقسم اصلاح أجهزة
المائتي الف دينار . والصورة الثالثة (الى اليسار) ، يظهر فيها فريق من المهندسين الكويتيين وهم يقومون بفحص جهاز





المضيفات الجدد يتدربن على طريقة استعمال حزام النجاة الذي يلبسه ركاب الطائرة في حالة الطوارىء .. وتقوم المضيفة بشرح طريقة استعماله على الركاب في بداية كل رحلة كما هو معروف .

الى اليسار : مجموعة من المهندسين الفنيين يقومون باجراء الكشف الروتيني اللازم على محركات احدى طائرات بوئنج الامريكية التي تملكها المؤسسة وذلك داخل حظيرة الطائرة بقاعدة الصيانة .





اليمين ، تمثل قسم صيانة المحركات النفاثة ، وهو يستقبل المحركات التي تصاب بخلل لاصلاحها ، وكذلك المحركات التي
الراديو والملاحة الجوية .. وهو من اهم الاقسام الموجودة في قاعدة الصيانة .. وقد تكلف انشاء هذا القسم مايزيد على
انزال عجلات الطائرة وهي ايضا عملية من اهم عمليات الصيانة التي تجرى عقب كل رحلة تقوم بها الطائرة .



الى الهند وباكستان

وما كادت هذه الطائرات الجديدة تصل الى الشركة وتنضم الى اسطول طائراتها ، حتى رأى المسئولون فيها أن هذه المرحلة من مراحل تطورها ، تتطلب توسيع شبكة خطوطها الجوية .. ولاول مرة أصبح لشركة الخطوط الجوية الكويتية رحلات منتظمة الى جميع بلدان منطقة الخليج العربي ، والهند والباكستان .. تلك التي طالما سافرت اليها القوارب الشراعية من الكويت القديمة ، حاملة المسافرين والبضائع والسلع في رحلات بحرية طويلة تستغرق شهورا في عرض البحر ... لقد جاءوا اليها مرة أخرى ولكنهم جاءوها جوا ...

وشيئا فشيئا راحت شركة الخطوط الجوية الكويتية تنمو وتزدهر ... ولم يكن غريبا أن يحدث هذا وسط تلك النهضة السريعة التي شملت الكويت الحديثة ..

الدولة تتبنى الشركة

ووجد أعضاء مجلس ادارة الشركة في ذلك الوقت ان مقتضيات التطور السريع للشركة تتطلب اجراء تغيير شامل في ادارتها وأسلوب العمل فيها ، فلجأوا الى الدولة طالبين أن تتبنى حكومة الكويت هذه الشركة تمشيا مع السياسة التي استنتها بتشجيع المشروعات الحيوية الكبرى عن طريق تأييدها ومساندتها بالمال والرجال ... لما في ذلك من خير عائد الى الكويت من ناحية ، وحتى تستطيع الشركة أن تقف بحق في مصاف شركات الطيران العالمية الكبرى ..

وكان أن عقدت الجمعية العمومية لأصحاب الأسهم اجتماعا فوق العادة في عام ١٩٦٢ ، وقررت الجمعية بأغلبية ساحقة بيع أسهمها للدولة .

مجلس الادارة الجديد

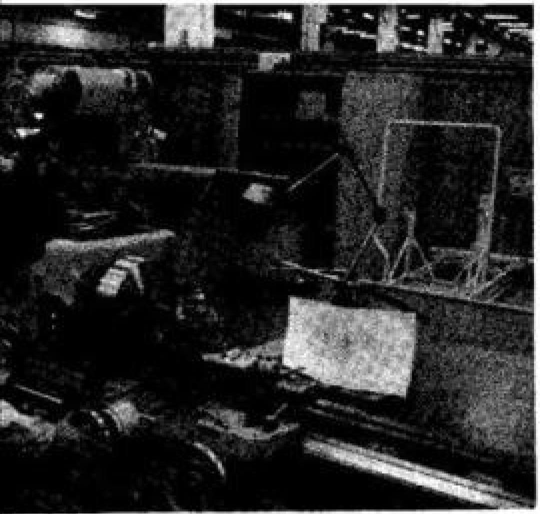
وهكذا انتقلت ملكية شركة الخطوط الجوية الكويتية الى دولة الكويت ، وأصبحت مؤسسة يشرف على ادارتها وزير المالية والنفط في الكويت ، ومجلس ادارة يتألف من ستة اعضاء من أبناء الكويت غير الرئيس وهو السيد فيصل



احدى المضيفات تقدم الفواكه والحلوى لركاب الطائرة بعد أن فرغوا من تناول العشاء خلال الرحلة . ان الخدمة الممتازة لها أثرها في نفوس المسافرين ، وهي من بين العوامل الرئيسية التي تلعب دورها في اختيار الشركة التي يسافرون على طائراتها.

سعود الفليج . والعضو المنتدب ، السيد جاسم يوسف المرزوق .

غير أن تحول الشركة الى مؤسسة حكومية لم يعفها من تطبيق القوانين الخاصة بالتجار على أساس أنها تقوم بعمل تجارى ، ولو أن الواقع غير هذا ... فمؤسسة الخطوط الجوية الكويتية، شأنها في ذلك ، شأن اية شركة او مؤسسة اخرى للطيران ، هي المرآة التى يرى كل قادم الى الكويت ، من خلالها صورة لمدى ما حققه هذا البلد من تقدم وتطور ، حتى قبل ان يصل اليها .



احد المهندسين الكويتيين يعمل على مكنة خراطة حديثة في قسم الصيانة .. ويقوم هذا القسم بخراطة الاجزاء الدقيقة الخاصة بطائرات الخطوط الكويتية واسطول سياراتها ايضا ..

الانطلاقة الكبرى

وقد كان هذا العام ... عام ١٩٦٢ هو بداية الانطلاقة الكبرى ، التي حوّلت هذه المؤسسة الى واحدة من اكبر شركات الطيران فى العالم العربي .

فقد نجح مجلس الادارة الجديد فى أن يقلب صفحة من تاريخ هذه المؤسسة التي احتفلت في العام الماضي بمرور خمسة عشر عاما على انشائها ، وان يفتح صفحة جديدة ...

فمنذ عام ١٩٦٢ والمؤسسة تسير فى تقدم مطرد طبقا لمخطط طويل الأمد لتطويرها وتجديدها وتدعيم العلاقات والاتصالات الجوية بينها وبين مختلف انحاء العالم العربي من ناحية وبين دول آسيا وأوربا من ناحية اخرى . فقد شهدت المؤسسة تغييرا شاملا فى كل مرفق من مرافقها الحيوية ... وادخلت التحسينات على جهاز المؤسسة كله .. ووصلت الطائرات النفاثة الحديثة لاول مرة في عام ١٩٦٢ ، لتسير على الخطوط الجوية الى لبنان ومصر وقطر وباكستان والهند ..



فحص جهاز الرادار من بين اعمال الصيانة الهامة التى يقوم بها مهندسو قاعدة الصيانة في قسم اجهزة الراديو والملاحة الجوية .. ويثبت هذا الجهاز في مقدمة الطائرة ليحذر الطيار من الغيوم والعواصف الرعدية كما يقدم له المعلومات الخاصة بطبيعة الارض التى يطير فوقها .. ويستطيع الطيار ان يرى هذا على شاشة تلفازية صغيرة

عضو في « اياتا »

وفى شهر فبراير من العام التالي ، عام ١٩٦٣ ، أصبحت المؤسسة عضوا فعالا فى المنظمة الدولية للنقل الجوى « اياتا » « IATA »

... وبعد ذلك بشهور قليلة انتهت مدة اشراف الخطوط الجوية البريطانية على الشئون الادارية والفنية للمؤسسة ...

وانتقل الاشراف على المؤسسة الى مجلس ادارتها الذى لم يأل جهدا فى سبيل تطويرها والنهوض بها ، فعكف المجلس على دراسة مستقبل المؤسسة على ضوء التطور الذى حدث فى صناعة





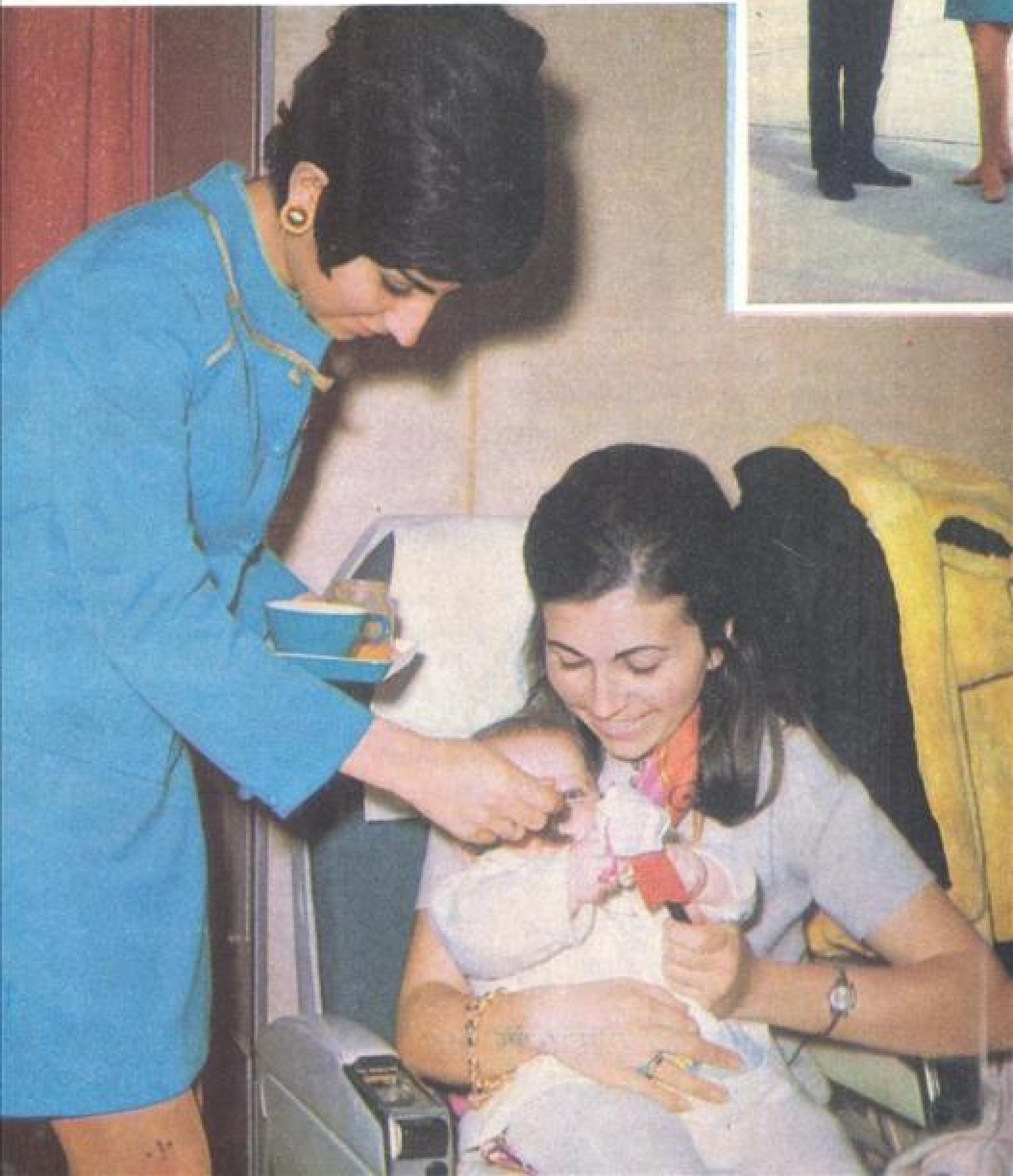
في حجرة لتدريس اللغات بمدرسة المضيفات جلست هذه المجموعة من الفتيات اللواتي وقع عليهن الاختيار لالتحاقهن بوظيفة « مضيفة جوية » بعد اتمام فترة التدريب ، يستمعن الى المدرب وهو يذيع باللغات العربية والانجليزية والفرنسية المعلومات الخاصة بالرحلة التي تقرأ قبل قيام الطائرة واثناء الطيران .

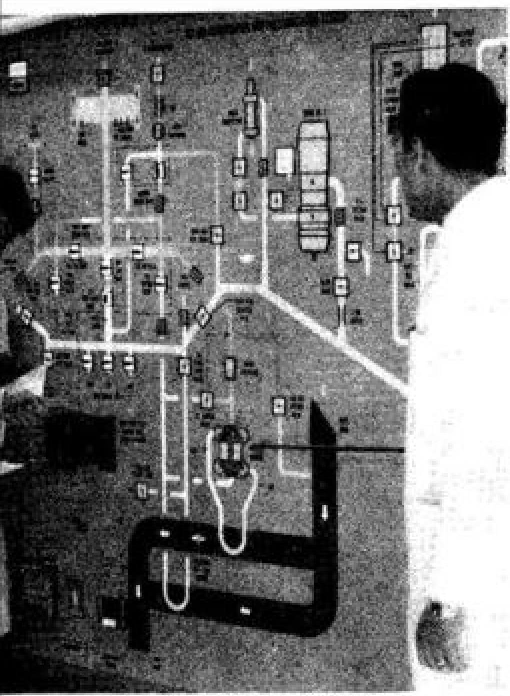
الالمام التام بالنواحي الفنية في جسم الطائرة من الداخل جزء مهم من برنامج تدريب المضيفات ، حتى تستطيع كل واحدة منهن ان تجيب على استفسارات الركاب خلال الرحلة .. وفي الصورة نجد المدرب المسئول وقد امسك بيده نموذجا لطائرة من طائرات المؤسسة ، وراح يشرح عليه استعمال مختلف الاجهزة .



الى اليمين : مساعدة المضيفة للركاب من الواجبات التى تقوم بها ، وفي الصورة احدى المضيفات تحمل طفلا مسافرا مع امه . **وفي الصورة التي الى اسفل** تشاهد اما مع طفلها ، وقد قامت المضيفة باطعام طفلها بعد ان أعدت له وجبة غذاء .







العربي : العدد ١٣٨ مايو ١٩٧٠

احدث طرق التدريب ، تستخدم في المدرسة الفنية للخطوط الجوية الكويتية حيث يتم تدريب مهندسي وطياري المؤسسة . وفي الصورة العليا لوحة تمثل توزيع الكهرباء في طائرات البوينج ، بحيث يستطيع المهندس أن يكتشف مصدر الخلل الكهربائي بمجرد حدوثه عن طريق وقوفه على كيفية وصول التيار الكهربائي من المحولات الى اجزاء الطائرة المختلفة ، **اما الصورة الاخرى** فتمثل توزيع ضغط الزيت Hydraulic System على اجزاء الطائرة المختلفة مثل الجهاز الخاص بانزال العجلات وال Flaps اي الاجزاء المتحركة في الاجنحة وذيل الطائرة ، وكذلك الفرامل .

الطائرات ... وخرج المجلس من هذه الدراسة بنتائج هامة ، وهي أنه لا بد من شراء احدث ما انتجته مصانع الطائرات في العالم ، لتسييرها على خطوط المؤسسة .

شراء الطائرات الحديثة

وبدات الطائرات الحديثة تصل تباعا ... الطائرات الترايدنت Trident التي تتسع الواحدة منها لأربعة وثمانين راكبا ، وتقارب سرعتها سرعة الصوت ، ثم طائرات كوميت ٤ س Comet 4 C ، وهي تتسع لحوالي مائة راكب ، واخيرا طائرات البوينج ٧٠٧ Boeing 707 التي توجت المؤسسة بها اسطول طيرانها منذ نحو عامين أو اكثر ... حتى لقد اصبح اسطول المؤسسة اليوم يضم ثماني طائرات ضخمة ، ثلاث منها من طراز بوينج ٧٠٧ ، وطائرتان ترايدنت ، وطائرتان كوميت ٤ س ، وطائرة كوميت .. هذا عدا الطائرات القديمة التي لم تعد المؤسسة في حاجة اليها ... وهي معروضة الآن للبيع .

وامتدت شبكة الخطوط الجوية التي تسير طائرات المؤسسة عليها ، فاصبحت اليوم تشمل ٢١ محطة في العالم العربي وآسيا وأوربا ... وهي بيروت والقاهرة ، ودمشق ، والدوحة ، والبحرين ، وعمان ، والظهران ، وأبو ظبي ، ودبي ، والشارقة ، وعدن ، ثم عبدان وطهران وكراتشي وبومباي ثم لندن وباريس وفرانكفورت وجنيف وروما واثينا .

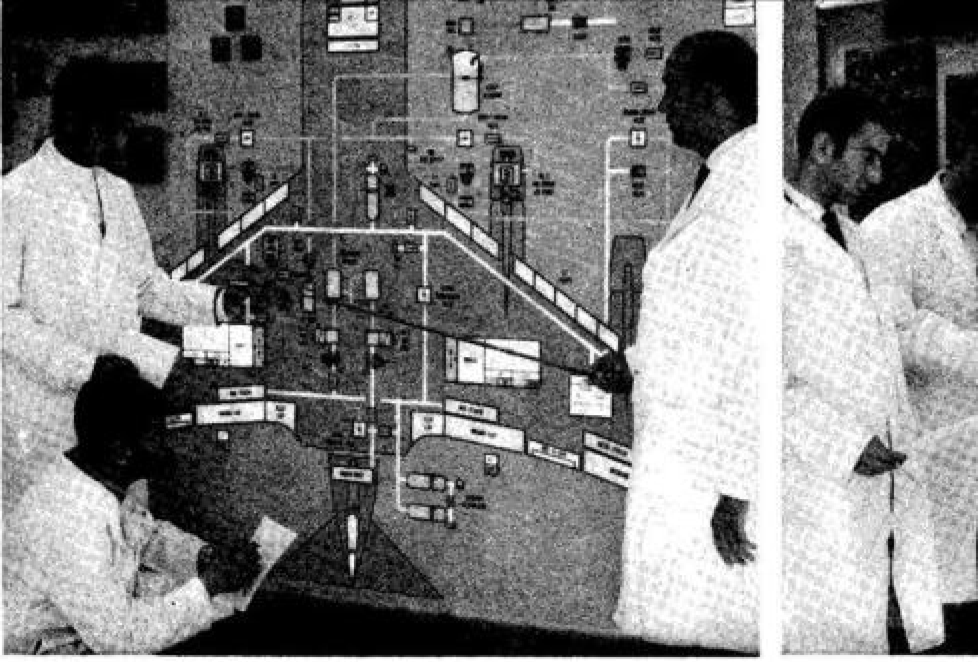
خمس رحلات يوميا

قصدنا مطار الكويت الدولي لنسجل ما حققته مؤسسة الخطوط الجوية الكويتية من تقدم خلال سنوات عمرها التي لا تكاد تزيد على عدد اصابع اليدين ، فوجدنا عملا ضخما يجرى على أرض المطار الذى تقلع منه أربع أو خمس طائرات كويتية يوميا الى مختلف انحاء العالم ...

وفي المبنى الرئيسي الذى يضم مكاتب المؤسسة كلها ، بمختلف فروعها واقسامها الادارية والفنية امضينا أسبوعا كاملا نتفقد أسلوب العمل الذى يسير وفقا لنظام دقيق مدروس .

قاعدة الصيانة

ان هذا المبنى يضم اليوم قاعدة ضخمة لصيانة الطائرات ، شيدت على احدث طراز وتكلف



بناؤها وتجهيزها بالمعدات والآلات مبلغا يزيد على المليونين ونصف مليون دينار كويتي ... ومهمة هذه القاعدة التي تحتوى على عشرين قسما مختلفا ، هي اصلاح وصيانة أسطول المؤسسة من مختلف أنواع الطائرات التي سبق ذكرها ، وكذلك طائرات شركات الطيران الأخرى التي تهبط في مطار الكويت الدولي وتقلع منه ..

ويتسع المبنى الرئيسي في القاعدة او «الهنجر» Hangar لخمس طائرات نفاثة يمكن أن تأوى اليه في وقت واحد ، ويمكن ان يجرى اصلاحها كلها في وقت واحد ايضا .

١٥ ورشة فنية

اما القسم الثاني من القاعدة فهو القسم المخصص للورش الفنية ، وهناك أكثر من ١٥ ورشة تختص كل منها باصلاح وصيانة جزء او أجزاء من جسم الطائرة ومحركاتها والآلات والاجهزة المثبتة فيها .. كما يوجد مخزن ضخم يحوى جميع قطع الغيار الخاصة بأنواع الطائرات المختلفة التي تستخدمها الشركة ، الى جانب المكاتب الادارية والورش الأخرى الفرعية التي يشرف عمالها على الاصلاحات الصغيرة ..

١٥٠٠ موظف

ان هناك أكثر من الف وخمسمائة موظف وعامل فني وغير فني يسهرون اليوم على راحة المسافرين على طائرات الخطوط الجوية الكويتية ، من بينهم مائة ونيف كويتيون من الموظفين والمهندسين المؤهلين ، والعمال والفنيين .

ان المؤسسة لم تعد شركة للنقل فحسب ، بل لقد أصبحت مدرسة يتخرج فيها العمال الفنيون المدربون ، والمضيفون والمضيفات ، وموظفو الحركة والعمليات .

انها تفخر بسجلها الذى خلا من الحوادث باستثناء تلك التي اضطرت فيها احدى طائراتها الى الهبوط الاضطرارى فى صحراء الكويت منذ بضع سنوات مضت ، ونجا جميع الركاب .. وكان هذا هو الحادث الوحيد من نوعه فى تاريخ المؤسسة منذ انشائها .

رئيس مجلس الادارة يتحدث

قلنا للسيد فيصل الفليج رئيس مجلس ادارة مؤسسة الخطوط الجوية الكويتية :

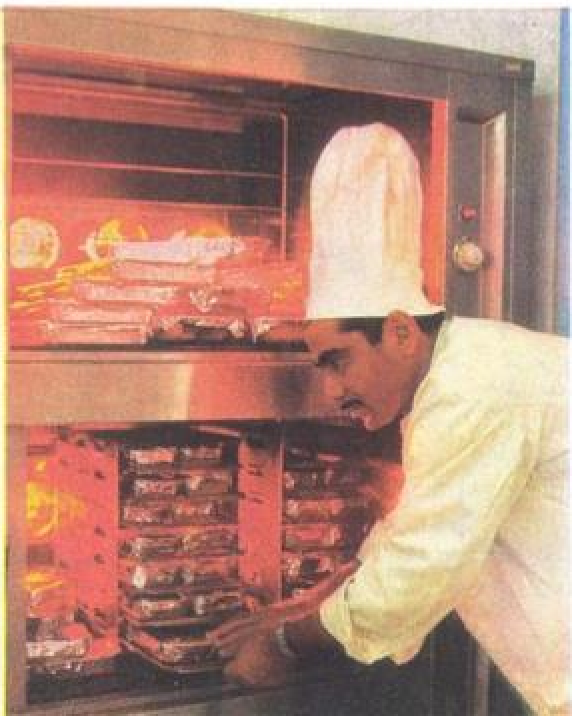
س : الى أى مدى اصبحت المؤسسة تستطيع الاعتماد على الشباب الكويتي المثقف فى ادارة دفة



طيار كويتي شاب يتدرب على الهبوط الآلي Irf Approach ، في مدرسة تدريب الطيارين المتخرجين بالخطوط الجوية الكويتية ، تراه جالسا في « شبه طائرة » امام اجهزة للهبوط الآلي كالتي في الطائرة وترى الى جانبه مدربه الذي يقوم بدور الموجه عند نزول الطائرة في المطار .







الصورة العليا : يبحث المسافر بالطائرة دائما عن الخدمة الافضل .. وطبق الطعام الذى يقدم اليه خلال الرحلة يترك اثره فى نفسه ، ومن اجل هذا اهتمت الخطوط الجوية الكويتية شأنها فى ذلك شأن سائر شركات الطيران ، بانشاء مطبخ خاص بها لاعداد مختلف انواع الاطعمة الشرقية والغربية ، ويشرف على المطبخ خبير فى اعداد الاطعمة .. وفى الصورة مجموعة من الطهاة حول مائدة عامرة بالفواكه والخضراوات .

والصورة اليسرى : تمثل أحد الطهاة وهو يقوم بحفظ الأطعمة المعدة لتقديمها للمسافرين فى أفران كهربائية يمكن تعديل درجة الحرارة بداخلها الى اى درجة مطلوبة .

مكتب حجز تذاكر السفر وشرائها فى الشارع التجارى الرئيسي على مقربة من الفنادق الكبرى بمدينة الكويت ، ويعمل فيه عدد كبير من الموظفين .

العربي : العدد ١٣٨ مايو ١٩٧٠



السيد جاسم يوسف المرزوق عضو مجلس الادارة المنتدب .. ان الطائرة هي حياته وهوايته، وسلامتها وسلامة ركابها هما كل ما يشغل تفكيره واهتمامه .. انه يفخر بعد هذا بتلك الصفحة البيضاء التي سجلتها المؤسسة منذ قيامها .

العمل ، وهل هناك اية مشروعات جديدة تهدف الى المزيد من الاعتماد على هؤلاء الشباب الذين سيحملون لواء النهضة في بلادهم ؟ .

قال السيد فيصل :

« بعد أن انتقلت ملكية المؤسسة الى الدولة في عام ١٩٦٢ ، رأينا انه من الضروري أن نعهد الى الشباب الكويتي بالوظائف الرئيسية تمشيا مع سياسة الدولة التي تهدف الى تكويت الوظائف .. وقد حققنا بعض التقدم في هذا الاتجاه بفضل اهتمام المؤسسة بايفاد ابناء الكويت في بعثات دراسية وتدريبية الى الخارج ، الى جانب المدرسة التي اقمناها هنا في مطار الكويت لتدريب الموظفين الكويتيين على مختلف الأعمال الادارية والفنية ، وكان من نتيجة ذلك أن أصبح لدى المؤسسة الآن ١٤ طيارا كويتيا ، ٢٠ مهندسا فنيا من ابناء الكويت ، يعملون جميعا في قاعدة الصيانة ، واكثر من سبعين موظفا في مختلف الاقسام الادارية والفنية في الكويت وفي مكاتب الشركة المنتشرة في مختلف أنحاء العالم .

أين المرأة الكويتية ؟

وعدنا نسأل رئيس مجلس الادارة : لم نجد أثرا للمرأة الكويتية الحديثة في المؤسسة .. ترى لماذا وقفت المرأة بمنأى عن المشاركة في هذا العمل الكبير ، وهي التي بدأت تغزو كل مرفق من المرافق العامة في الدولة ، فرأيناها طبيبة ومدرسة وموظفة ومذيعة في التلفاز والاذاعة ؟ .

قال السيد الفليج :

لقد تعددت محاولات المؤسسة لاقناع المرأة الكويتية بالعمل في مجال الطيران .. واعلنا في الصحف المحلية مرارا وتكرارا عن حاجتنا الى الفتاة الكويتية المثقفة .. وبالرغم من هذا لم تتقدم فتاة واحدة لشغل وظيفة من تلك الوظائف الشاغرة وخاصة وظائف المضيفات .. واعتقد أن السبب في ذلك يرجع الى طبيعة مجتمعنا المحافظ وربما كان ايضا عدم ادراك من جانب المرأة الكويتية لأهمية الدور الذي تقوم به الفتاة في مثل هذه الوظائف .. فهي خير دعاية لبلدها .. انني أدعو فتياتنا المثقفات مرة أخرى الى الاقبال على هذا العمل والمشاركة في تطوير المؤسسة .

قلنا : المعروف ان معظم شركات الطيران في مختلف أنحاء العالم لا تحقق ارباحا مما حدا بالحكومات الى مساندتها وامدادها بالأموال اللازمة حتى تستطيع الاستمرار في اداء رسالتها . ونحن نعلم أن مؤسسة الخطوط الجوية الكويتية مؤسسة حكومية تملك الدولة كل اسهمها ، ولكنها مع هذا مؤسسة خاصة ، لها ميزانيتها ولها اعتماداتها الخاصة بها ، فهل حققت المؤسسة ارباحا في اية سنة من السنوات التي اعقبت تحويلها الى مؤسسة حكومية .. وما هو أكبر ربح حققته ومتى ؟ .

المؤسسة تحقق ارباحا

قال رئيس مجلس الادارة : لقد بدأت المؤسسة في الواقع تحقق ارباحا في السنوات الأخيرة، حيث بلغ الربح في السنة المالية ١٩٦٨ ، مليونا و ١٦١ الفا و ٩٥٤ دينارا ، وبالرغم من ان حسابات السنة المالية ١٩٦٩ ، لم تغلق بعد ، الا اننا نتوقع أن ترتفع الأرباح عن هذا الرقم . وأود أن أضيف الى ذلك أن ميزانية السنة المالية للعام الحالي ١٩٧٠ ، قد وضعت على أساس تحقيق المزيد من الأرباح ، وقد تم تقديمها الى مجلس الأمة واعتمدت على هذا الأساس ..

قلنا : هل يمكن ان تقدموا لنا باختصار بعض المعلومات عن مشروعات المؤسسة للمستقبل ؟ ولا نعنى بهذا عدد الطائرات الجديدة التي ستضاف الى اسطول المؤسسة فحسب ، وانما الذى نعنيه ايضا هو الخطوات التى ستتخذ في سبيل ايجاد نوع من التعاون المشترك بين شركات الطيران العربية لمد خطوط جديدة من ناحية ، والتغلب على ازمة الازدحام الهائل التي تعاني منها طائرات معظم الشركات العربية في فصل الصيف ؟ .

شركة عربية عالمية

قال السيد فيصل :

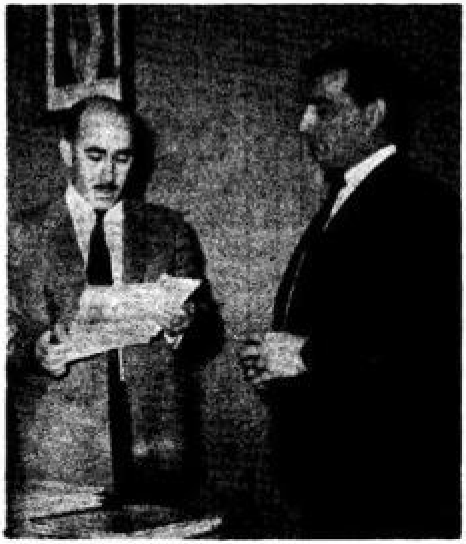
من خلال اتحاد النقل العربي ، توجد عدة مشروعات تهدف الى زيادة التعاون بين شركات الطيران العربية ، وفي مقدمة هذه المشروعات ، تحقيق التعاون من اجل مد شبكة خطوط عربية قوية تربط العالم العربي بعضه ببعض من جهة ، وتربط العالم العربي بالعالم الخارجي من جهة اخرى .. وهذا هو شغلنا الشاغل في هذه الأيام خلال اجتماعات الاتحاد العربي للنقل الجوى فقد اخذنا على عاتقنا امام مجلس الوحدة الاقتصادية للجامعة العربية ، مسئولية تحقيق مد هذه الشبكة ، وكذلك مد الخطوط الجوية البعيدة المدى ، وبذلك نكون قد حققنا بالفعل رغبة مجلس الوحدة الاقتصادية والاعلام العربي في انشاء الشركة العربية العالمية للطيران ، التي بدا التفكير في انشائها عام ١٩٥٨ .. وهذا يتطلب بطبيعة الحال مساعدة الحكومات العربية لشركاتها الوطنية .

واختتمنا حديثنا مع رئيس مجلس الادارة بسؤال عن السياحة ، قلنا : « لقد كثر الحديث في الآونة الاخيرة عن تشجيع السياحة بين الدول العربية ، فهل هناك اية مشروعات معينة من جانب المؤسسة لتحقيق هذا الهدف . ان هناك عدة عقبات تعترض طريق انتقال المصطاف العربي ، من بينها ارتفاع اجور السفر بالطائرة ، فهل هناك احتمال بتخفيض هذه الأجور بناء على اتفاقية تتم بين شركات الطيران العربية لتسهيل السفر للمصطافين من كل الطبقات ؟ .

تحقيق أجور السفر

قال السيد الفليج : « لا شك ان نشاط السياحة ونشاط الاصطياف ، نشاطان متكاملان ، وتنشيط السياحة من اهم الأهداف التي تخدم مجال الطيران ، فهي تنشيط لحركة الطائرات ، وموضوع تخفيض أجور السفر يهم جميع شركات الطيران، بقدر ما يهم المسافر نفسه، وبالرغم من ان هذه الاجور تخضع لما تقرره منظمة الاتحاد العام للنقل الجوى، الا ان اتحاد النقل العربي قد بحث في اجتماعاته توصيات وزراء الاعلام العرب بشأن تخفيض أجور السفر ، لتشجيع الاصطياف بين الدول العربية .. ونحن من جانبنا سوف نبذل كل ما في وسعنا لتنمية حركة السياحة والاصطياف في منطقتنا العربية ، والتغلب في نفس الوقت على ازمة الازدحام في فصل الصيف والاجازات السنوية .

ولو انني ارى ان هناك عوامل اخرى تؤثر تاثيرا مباشرا على تشجيع السياحة بين الدول العربية في مقدمتها التسهيلات التى يجدها السائح ابتداء من قسمي الجوازات والجمارك في المطار حتى الاقامة والخدمات التي تؤدى له أثناء اجازته .. وربما كان هذا هو السبب الذى يدفع الكثير



عدلي الدجاني المدير التجاري للمؤسسة (الى اليسار) والكابتن باسم شحيبر كبير الطيارين وحديث عن سير العمل والاجراءات التي تعد الآن لمواجهة الازدحام الهائل على طائرات المؤسسة في موسم الصيف ..

من ابنائنا العرب الى تفضيل الاصطياف في الخارج .

الطائرة حياته وهوايته

التقينا بالسيد جاسم يوسف المرزوق عضو مجلس الادارة المنتدب في مكتبه ، وما أندر تلك اللحظات التي يجلس فيها جاسم الى مكتبه ..

لقد امضى هشام الصوان رئيس العلاقات العامة في المؤسسة اسبوعا كاملا قبل أن يتمكن من ان يختلس من وقته لحظات قصيرة لنقابله .. فهو رجل لا يرتاح الى الجلوس ، ولا يعرف الهدوء .. ان تفقد سير العمل في اقسام الشركة الفنية والادارية هو شغله الشاغل ، فتراه في حظيرة صيانة الطائرات ، وفي ورش فحص وصيانة المحركات .. وفي كل مكان ، وامتع لحظات عمله هي تلك التي يقضيها مع الطيارين الذين يتولون قيادة أسطول طائرات المؤسسة فيجتمع بهم ، ويستمع الى ملاحظاتهم ويزودهم بنصائحه وارشاداته .. فجاسم طيار ، وهو واحد من افراد الدفعة الاولى من الشباب الكويتي الذين حصلوا على شهادة في الطيران من انجلترا ، وقاد الطائرة لسنوات طويلة مسجلا ما يزيد على الثلاثة آلاف ساعة في الطيران ، قبل ان يقع عليه الاختيار ليحمل مسئولية هذا المنصب الكبير .. ان الطائرة هي حياته وهوايته . وسلامتها وسلامة ركابها هما كل ما يشغل تفكيره واهتمامه .. انه يفخر بعد هذا بتلك الصفحة البيضاء التي سجلتها المؤسسة منذ قيامها ..

قال لنا جاسم : « نحن نركب الطائرة ونسافر عليها . فنطوي الوف الأميال بين أركان الدنيا البعيدة ، وكل ما يعنينا خلال رحلتنا ان نكون آمنين على أرواحنا ، وأن تتوافر لنا العناية والرعاية التي ينشدها الراكب ويبحث عنها ولكن قليلون هم هؤلاء الذين يدركون مدى الجهد الذي يبذل في سبيل تحقيق سلامة المسافرين وتامينهم على أرواحهم .. ان قائد الطائرة وأفراد طاقمها هم الواجهة التي تطالع المسافر خلال الرحلة .. ولا شك ان المهمة الملقاة على عاتقهم مهمة كبيرة ودقيقة .. ولكن يجب الا ننسى المئات من هؤلاء الجنود المجهولين الذين يعملون في صمت



الكابتن فلاح السمدان ، أحد الطيارين الكويتيين الاكفاء الذين يتولون قيادة الطائرات البوينج الحديثة .. فاجأته عدسة العربي في غرفة القيادة ، قبل لحظات من اقلاعه بطائرته الى لندن ..

وهدوء من وراء الستار .. وأعني بهم المهندسين والموظفين والعمال الفنيين الذين يسهرون على صيانة الطائرة والتأكد من صلاحيتها للطيران مائة في المائة قبل اقلاعها » .

الطائرات الحديثة

قلنا للسيد عدلي الدجاني المدير التجاري لمؤسسة الخطوط الجوية الكويتية : « حرصت المؤسسة على شراء أحدث ما تنتجه مصانع الطائرات وضمها الى اسطولها الجوي ، فهل تنوون شراء الطائرة البوينج الجديدة Boeing 747 التي تتسع لحوالي أربعمائة راكب ؟ .

وقال عدلي الدجاني : « سأروي لكم قصة ، ولكم بعد ذلك أن تستنتجوا منها ما تشاءون .. لقد بدأت الخطوط الجوية الكويتية رحلاتها بطائرتين من طراز داكوتا كما تعلمون ، وعندما قررنا شراء طائرات هرمز ، التي تتسع لضعف عدد ركاب الداكوتا ، قال بعض المتشائمين : « ومن أين لنا بالركاب الذين سيملأون مقاعدها ؟ » .

« وجاءت الطائرات الجديدة وسرعان ما ازدحمت بالمسافرين حتى لم نعد نجد مكانا واحدا خاليا في اية رحلة من رحلاتها ..

« ثم جئنا بالطائرات ال DC 4 ، ثم الفايكونت

ثم الترايدنت والكوميت ٤ س واخيرا البوينج ٧٠٧ وكان نفس الحديث يتكرر مع وصول كل طائرة احدثواكبر ..ولكن لم تنجحاضخم الطائرات التي استوردناها في حل ازمة الزحام الهائل على مدار السنة وخاصة في موسم الصيف .. على اى حال ، ان مطارنا الجديد في الكويت مستعد لاستقبال احدثواضخم طائرات الركابفي العالم».

قلنا للسيد هشام الصوان رئيس العلاقات العامة بالمؤسسة : « اين مدرسة المضيفات ؟ » فقادنا الى مبنى جانبي ، يحوى عددا من حجرات الدراسة النظرية والعملية ، وفي احداها كانت تجلس مجموعة من الفتيات العربيات وبعض الجنسيات الاخرى ، يستمعن الى محاضرة يلقيها عليهن استاذهن سامي دبيبو المسئول عن تدريب المضيفات الجدد . تحت اشراف ناصر غنى مدير خدمات المسافرين الذى يقع على عاتقه مهمة اختيار المضيفات واختبار مؤهلاتهن .



العثور على مقعد خال على طائرات المؤسسة هو مشكلة المشاكل في موسم الصيف والاجازات ، وفي الصورة عبد الغنى صبرى المدير الاقليمي للمؤسسة وهو يحاول بالاشتراك مع رئيس قسم الحجز ان يدبر مكانا لاحد المواطنين المسافرين على طائرات المؤسسة .

كيف تدرب المضيفة

قال لنا ناصر غنى : «ان هؤلاء الفتيات يتم اختيارهن طبقا لشروط خاصة في مقدمتها دماثة الخلق والالمام بالثقافة العامة واجادة اللغات .. ويتم تدريبهن هنا في هذه المدرسة على اعمال المضيفة سواء كانت على الارض ام في الجو .. ولاتعين المضيفة في هذه الوظيفة قبل ان تمر باختبار دقيق ، فهي تتدرب على كيفية العناية بالركاب ، وهي تختلف من راكب لاخر ، ومن وقت لوقت ، ثم دراسة حالتهم النفسية ، ومحاولة الترفيه عنهم وادخال الطمأنينة الى نفوسهم ، وخاصة بالنسبة للمرضى من المسافرين، كما تدرب ايضا على طريقة معاملة الام المسافرة مع اطفالها ، ووسائل الرعاية بالاطفال اذا كانوا يسافرون وحدهم بلا مرافق .

« ولابد لها بعد ذلك من ان تلم الماما كاملا بالنواحي الفنية في جسم الطائرة من الداخل ، حتى تستطيع الاجابة على استفسارات المسافرين وتقديم الايضاحات اللازمة لهم .

« واهم من هذا كله ان تدرب المضيفة على عمليات الانقاذ في الطوارىء ، وهي اهم ناحية من نواحي التدريب العملى التي يعتمد عليها نجاحها او رسوبها ، فسلامة الراكب اهم شيء تحرص المؤسسة على توفيره للمسافرين على طائراتها .. »

مليون ونصف مليون راكب

هذه هي قصة الخطوط الجوية الكويتية بعد ١٥ سنة من انشائها .. لقد بلغ عدد الركاب الذين نقلتهم على طائراتها حتى نهاية اكتوبر من العام الماضى ما يقرب من مليون ونصف مليون مسافر ..

بقي ان نتساءل : « هل حققت المؤسسة كل اهدافها ؟

يجيب السيد فيصل الفليج رئيس مجلس ادارتها على هذا السؤال بقوله : « لاشيء يقتل العمل سوى الغرور .. يجب الا نعتقد ابدا اننا بلغنا حد الكمال ، حتى بعد ان وصلنا مرحلة تحقيق الربح .. فما زال امامنا العديد من الاهداف التي لم نحققها بعد ، وان كنا .. ا بعض الخطوات في طريق تحقيقها .. »

منير نصيف



في أدوارِه التي مرّ عليها ..

مِنْ أوائل القرن الحاضِر إلى اليوم

بقلم : سليمان موسى

■ تعود بداية التفكير في العَلَم العربي الحديث الى الايام الاولى للمنتدى الادبي في استانبول ، اي الى الاعوام ١٩٠٩ ـ ١٩١١ . فقد بحث بعض الشبان العرب من مؤسسي المنتدى الادبي ، في مسالة العلم القومي للعرب ، وتوصلوا الى القول بان عَلَم المستقبل يجب ان يتالف من الوان اربعة هي : الابيض والاسود والاخضر والاحمر ، التي جمعها بيتٌ شهير من الشعر العربي يتغنى بامجاد العرب التالدة ، وهو بيت كان اولئك الشبان يكثرون من التمثل به بعد ترديده :

بيضٌ صنائعنا ، سودٌ وقائعنا
خضرٌ مرابعنا ، حمرٌ مواضينا

كان اولئك الشبان يشعرون بضرورة وجود عَلَم قومي لهم ، على الرغم من انهم لم يكونوا يومذاك يفكرون جديا في الانفصال عن الدولة العثمانية وقد مضوا في ذلك الموضوع الى حدّ انهم صنعوا راية بهذه الالوان الاربعة ورفعوها داخل بناية المنتدى الادبي ، بعد ان كتبوا تحتها بيت الشعر المذكور اعلاه . وقد عبّر الشاعر العراقي معروف الرصافي عن مشاعر تلك الشبان في قصيدة القاها ذات يوم في المنتدى قال فيها :

انّ الحقيقة قالت لي وقد صدقت
لا ينفعُ العِلْمُ الا فوقه عَلَمُ (١)

وظلّ هذا الموضوع يشغل اذهان الشبان من حَمَلة الفكرة العربية حتى تبلور في قرار مهم

اتخذه المركز الرئيسي للجمعية العربية الفتاة . ففي شهر آذار ١٩١٤ عقد أعضاء المركز الرئيسي للفتاة اجتماعا في مكتب جريدة (المفيد) في بيروت، واتخذوا قرارا بان يتالف علم الدولة العربية المستقلة من ثلاثة الوان ، الابيض ويرمز للدولة الاموية ، والاسود ويرمز للدولة العباسية ، والأخضر ويرمز للدولة الفاطمية . وفي ١٨ آذار كتب محمد المحمصاني ، عضو الفتاة ، رسالة خاصة الى زميله في الجمعية محب الدين الخطيب (المقيم في القاهرة يومذاك) جاء فيها ما يلي (الفقرتان الثانية والثالثة من الرسالة) .

« ٢ ـ قررت (آتاه) أيضا في جلستها الأخيرة أن يكون شعارها الالوان الثلاثة التي تمثل الدول العربية الثلاث : اخضر فابيض فاسود .

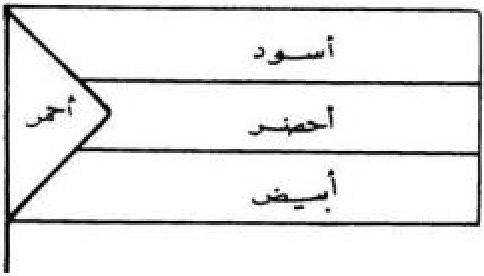
٣ ـ وقررت تكليفك بعمل ختم لها بحرفي ع ف (عين ، فاء) مع صورة نخلة ، تاركة لحسن ذوقك انتخاب شكل ذلك الختم » . (٢)

وقد عرض محب الدين الخطيب هذه الرسالة على زملائه في حزب اللامركزية العثماني فرد سكرتير ذلك الحزب برسالة بعث بها الى المحمصاني جاء فيها ان أعضاء اللامركزية استحسنوا فكرة الوان العلم العربى وقرروا الاخذ بها . اما أعضاء العربية الفتاة في بيروت فقد مضوا شوطاً بعيداً في تنفيذ قرارهم ، اذ اخذوا يستعملون شارات تحمل تلك الالوان الثلاثة : الأخضر والأبيض والأسود . (٣)

وقد استهل حزب اللامركزية بيانه الذى نشره بعنوان (الصرخة الثالثة) ، ووجهه الى ابناء الامة العربية ، بالعبارات التالية التى تتضمن اشارة واضحة الى الوان العلم العربى .

« سلاما أيتها الأمة . سلام بر امين ، يظللك في (سواد) الليل (بياض) الضمير و (خضرة) الأمل اليقين » . (٤)

وعندما أعلنت الثورة العربية في الحجاز



(١٠ حزيران ١٩١٦) لم تكن الظروف قد سمحت لقادتها بتصميم العلم العربي القومي ، لذلك رفع الثوار علم الاشراف التقليدى وهو يتالف من قطعة قماش ذات لون واحد هو الأخضر الداكن (العثابى) وابلغ الشريف حسين زعيم تلك الثورة مواصفات العلم الى المندوب السامى البريطانى في مصر يومذاك الجنرال ريجنالد ونجت ، وطلب اليه اعطاء التعليمات للسفن البريطانية والحليفة في البحر الأحمر أن لا تتعرض بسوء للقوارب العربية التى ترفع ذلك العلم ، وابلغه أيضا أن هذا العلم « مؤقت » وانه سيصار

---

(١) أنني مدين بهذه المعلومات للمرحوم توفيق باشا السويدى رئيس وزراء العراق الأسبق (أثناء مقابلة أجريتها معه في بيروت يوم ١٤ أيلول ١٩٦٦) . وكان السويدى من أعضاء المنتدى الأدبي . راجع أيضا مذكرات السويدي التي نشرت بعد وفاته (مذكراتي : دار الكاتب العربي ، بيروت ، ١٩٦٩ ، ص ٢٤) . وبيت الشعر من قصيدة لصفى الدين الحلي .

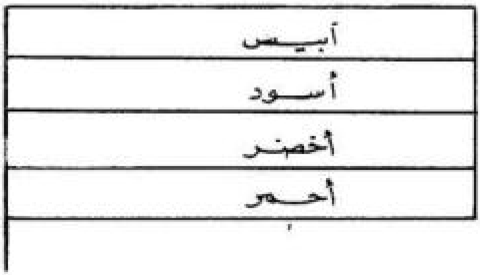
(٢) (آتاه) هو الرمز الذى كان أعضاء (الفتاة) يرمزون به الى جمعيتهم كي يبقى سرها مصونا أما الحرفان ع ف فهما الحرفان الأولان من اسم الجمعية (العربية الفتاة) ـ رسالة المحمصاني والجواب عليها بين أوراق محب الدين الخطيب : القاهرة .

(٣) رسالتا حقي العظم بتاريخ ١٦ ايار و ٣ تموز ١٩١٤ (كان حقي العظم سكرتير حزب اللامركزية) . المصدر : كتاب ايضاحات (الذى نشره احمد جمال باشا القائد العام للجيش الرابع في سورية) مطبعة الطنين (استانبول) ١٣٣٤ (١٩١٦) ص ٧٣ ـ ٧٤ .

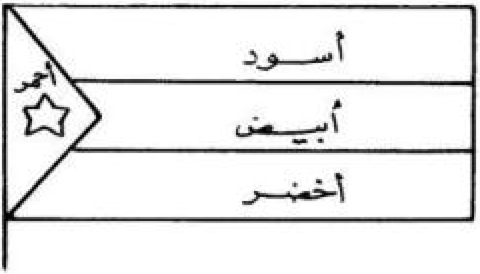
(٤) المصدر السابق ص ٩٨ .

فيما بعد الى وضع علم رسمي تبلغ مواصفاته الى جميع الدول المحاربة . (٥)

والتف حول الشريف حسين عدد من اعضاء الاحزاب العربية السرية ، فحدثوه عن الوان العلم العربي التى كانت آراؤهم قد استقرت عليها قبل نشوب الحرب العالمية الاولى وقبل نشوب الثورة العربية ، واقترحوا عليه ان يتخذ منها العلم القومي للدولة العربية الكبيرة التي كانوا يؤملون قيامها ، فوافق الشريف على الاخذ بالفكرة وعمل على تنفيذها . (٦) وقد نشرت جريدة (القبلة) بيانا رسميا جاء فيه انه قد تقرر رفع العلم العربى ذى الالوان الاربعة ابتداء من يوم ٩ شعبان ١٣٣٥ هـ ، وهو يوم الذكرى الاولى لقيام الثورة. وقال البيان ان العلم الجديد يتالف من مثلث أحمر اللون (عنابي) تلتصق به ثلاثة الوان افقية متوازية هي الأسود من فوق ثم الأخضر



ثم الأبيض . وأوضحت (القبلة) ان اللون الأسود هو رمز راية (العقاب) التى كان النبي (صلعم) يرفعها في حروبه ، وهو اللون ذاته الذي اتخذه العباسيون شعارا لهم ، وان اللونين الأخضر



والأبيض كانا ايضا من الشعارات التى رفعها العرب قديما ، وان اللون الأحمر العنابي هو لون الراية التى اعتاد الاشراف ان يرفعوها منذ عهد الشريف (ابو نمي) الذى عاصر السلطان سليم العثمانى . وقالت (القبلة) ان الوان العلم الجديد « جامعة لرموز الاستقلال العربي في كل ادواره التاريخية » . (٧)

وقد اشار الدكتور أحمد قدري في مذكراته الى ان (العربية الفتاة) هي التي أوحت للشريف حسين باتخاذ الوان العلم العربي الأربعة المعروفة (٨) . كما ان جعفر العسكري رئيس وزراء العراق الأسبق يذكر في مذكراته المخطوطة انه في عام ١٩١٧ اثناء اقامته أسيرا عند الانكليز في مصر ، عرض عليه الجنرال كلايتون نموذجاً للعلم العربي وقال له « هذه هي رايتكم العربية بالوانها الأربعة . لقد أعدّ الملك حسين تصميمها بنفسه » (٩) .

ومنذ ذلك الحين ، ظلت هذه الألوان الأربعة وحتي يومنا هذا ، تؤلف الوان أعلام عدد من الدول العربية بسبب الجذور القومية التاريخية التي تستند اليها . وقد برزت هذه الالوان في تصميمات مختلفة : فالعلم العربي الذي رفعه

---

(٥) رسالة الشريف الى المندوب السامي بتاريخ ٢٣ شعبان ١٣٣٤ (الموافق ٢٤ حزيران ١٩١٦) في الملف الموجود في مكتب السجلات العامة في لندن ، بين ملفات وزارة الخارجية البريطانية تحت رقم Public Record Office, F. O. 141/461 وبرقية المكتب العربي في القاهرة الى الجنرال كلايتون بتاريخ ٧ تموز ١٩١٦ رقم البرقية No. IG. 851 الملف F. O. 882/4 .

(٦) رسالة خاصة من السيد محب الدين الخطيب بتاريخ ٢١ آيار ١٩١٦ .

(٧) القبلة ، العدد ٨٢ بتاريخ ٧ شعبان ١٣٣٥ (٢٨ ايار ١٩١٧) صفحة ٣ . والقبلة هي الجريدة الرسمية التي أصدرتها الحكومة العربية التي تألفت في الحجاز بُعيد اعلان الثورة العربية . وكان يحرّرها السيد محب الدين الخطيب . (توفي في القاهرة يوم ٩ كانون الثاني ١٩٧٠) .

(٨) مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى ، دمشق ، ١٩٥٦ صفحة ١٨١ . واحمد قدرى من مؤسسي الجمعية العربية الفتاة .

(٩) كتاب الدكتور زين نور الدين المطبوع باللغة الانكليزية في بيروت : Zeine N. Zeine : The Struggle For Arab Independence; Beirut, 1960, P. 25

المنتدى الادبي ـ على حد قول مذكرات توفيق السويدي ـ كان بسيطا في تصميمه ، يتألف من مستطيلات اربعة متوازية هي الأبيض من فوق ثم الأسود ثمالأخضر ثم الاحمر . اما الدولة السورية الاولى التي بدأت رسميا في ٨ آذار ١٩٢٠ فقد اتخذت علم الثورة العربية ، ولكنها اضافت عليه نجمة سباعية بيضاء في وسط المثلث باعتبار انها الدولة العربية الاولى التي تنبثق عن الدولة الأم (الحجاز) (١٠) . واتخذت الدولة العراقية التي تألفت عام ١٩٢١ علم الثورة العربية ايضاً ، ولكنها اضافت اليه نجمتين سباعيتين في وسط المثلث على اعتبار انها الدولة الثانية التي تنبثق عن الدولة الأم . ورفعت امارة شرقي الاردن العلم السوري ذاته على اعتبار انها جزء من سورية الطبيعية . ولكن حدث تبديل في التصميم ، اذ وُضع اللون الابيض في الوسط ووضع اللون الأخضر من تحت (١١) . ويعود السبب الى ان ضباط الجيش احتجوا بأن اللون الابيض لا يبدو واضحاً من بعيد اذا بقي في الطرف حتى ليبدو جزءا من الافق ، وان وضع اللون الابيض في الوسطيساعد اكثر على تمييز الوان الراية (١٢) .

كل هذا ينفي الزعم الذي ظهر قديماً (١٩٢٣) في كتاب عن حياة السير مارك سايكس من انه هو الذي وضع الوان العلم العربي واقترحها على الشريف حسين (١٣) ، ذلك الزعم الذي اخذه بعض الشعوبيين العرب (أو الجهلاء) على انه حقيقة واقعة ، بينما تجد مما تقدم ان العلم العربي الحديث كان من تصميم الطلائعيين العرب من رواد النهضة القومية منذ اوائل هذا القرن ، وعلى راسهم اعضاء جمعية (العربية الفتاة) اشهر الجمعيات العربية القومية في عصرنا . اما سايكس ففي ظني انه تبرع بتقديم عدد من التصاميم للعلم العربي بالوانه الاربعة التي سبق ذكرها . وهناك رسالة منه بتاريخ ٢٢ شباط ١٩١٧ الى ريجنالد ونجت تتضمن اقتراحا بعلم عربي جديد يحل محل العلم الاحمر الذي رفعته الثورة خلال عامها الأول ، وقد ارفق برسالته اربعة تصاميم مختلفة لكي يقع الاختيار على واحد منها (١٤) . وربما كان سايكس اثناء جولاته في البلاد العربية ولقاءاتهالكثيرة مع اعضاء الجمعيات العربية ـ وخاصة في مصر ـ قد عرف بما استقر رأيهم عليه من هذه الناحية فقدم اقتراحه هذا . وقد يكون حدث الشريف حسين بهذا الشأن اثناء اجتماعه به في ميناء جدة (الحجاز) في اوائل آيار ١٩١٧ ـ ولكن لم استطع العثور في مكتب السجلات العامة في لندن على اية مراسلات تدل على هذا ـ وحتى لو تبين فيما بعد بوجود مراسلات مع الشريف بشأن اقتراح سايكس ، فمن الثابت قطعاً ان اعضاء الجمعيات العربية هم الذين فكروا بالوان العلم العربي واستقر رأيهم على استعمالها واتخاذها شعاراً لهم ، قبل نشوب الحرب وقبل اتصال سايكس بالقضية العربية بسنين عديدة . ■■

سليمان موسى — الأردن ـ عمان

---

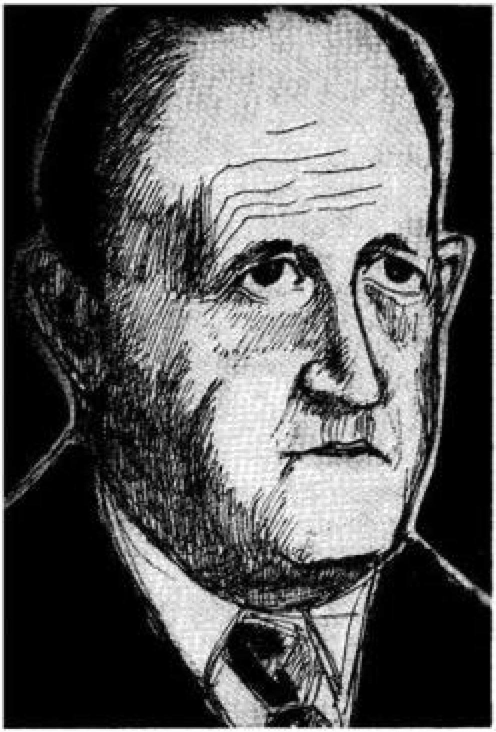
(١٠) ان المؤتمر السوري المنعقد في دمشق ـ الذي قرر قيام هذه الدولة ـ كان يمثل أقطار سورية الطبيعية (سورية الآن ولبنان وفلسطين وشرقي الأردن) ، وقد اعتبرها ممثلة لهذه الأقطار كلها .

(١١) راجع المادة الثالثة من القانون الأساسي لامارة شرقي الأردن الذي نشر في الجريدة الرسمية بتاريخ ١٦ نيسان ١٩٢٨ ، والتي تنص على مواصفات الراية كما يلي :
« طولها ضعف عرضها وتقسم افقياً الى ثلاث قطع متساوية متوازية،العليا منها سوداء والوسطى بيضاء والسفلى خضراء ، يوضع عليها مثلث أحمر قائم من ناحية السارية قاعدته مساوية لعرض الراية والارتفاع مساوٍ لنصف طولها ، وهو موضوع بحيث يكون وسطه عند نقطة تقاطع الخطوط بين زوايا المثلث وبحيث يكون المحور المار من أحد الرؤوس موازياً لقاعدة المثلث » .

(١٢) هذا ما حدثني به أمير اللواء المتقاعد محمد علي العجلوني الذي كان من مؤسسي الجيش العربي الاردني .

(١٣) راجع كتاب : Shane Leslie : Mark Sykes, His Life and Letters; (Cassell & Co. Ltd. London, 1923) P. 274 ومارك سايكس هو نِدّ جورج بيكو الفرنسي ، وقد اشترك كلاهما في وضع اتفاقية سايكس ـ بيكوالمعروفة .

(١٤) الملف رقم Public Record Office, London F. O. 882/16



بمناسبة مرور
عامين
على وفاته

بقلم : علي حيدر النجاري

مُصْطَفى

عَلَمٌ مِنْ أَعْلام

في منتصف أيار – مايو – عام ١٩٦٨ ، وعلى وجه التحديد في اليوم الرابع عشر من هذا الشهر ، كانت دمشق تشيع في نخبة من ابنائها المتعلمين جثمان علم من اعلام اللغة العربية ولربما كان آخر احدى فئاتها – كما سنذكر – هو العلامة الخالد الذكر الامير مصطفى الشهابي رئيس المجمع اللغوى بدمشق وعضو مجمع اللغة العربية في القاهرة .

لقد كان الشهابي من البقية الباقية في سلسلة ذهبية لاحدى سلاسل اللغة العربية التي استحكمت حلقاتها حديثا ، وكان مدار هذه السلسلة ينصب في معظمه حول التوصل الى ايجاد مصطلحات ومسمّيات علمية عربية تكون ترجمة او تعريبا لكلمات علمية اجنبية آخذة بالتزايد في شتى فروع العلم الحديث ، وبذا نستطيع القول ، والثقة تملأ نفوسنا ، اننا نساير في هذا الاتجاه ركب العالم المتقدم .

كنا ذكرنا في مجلة « المعرفة » (١) التي تصدرها وزارة الثقافة والارشاد القومي بدمشق : ان ادباء اللغة العربية وكتابها نشطوا ، منذ منتصف القرن التاسع عشر ، في ايجاد بعض الاسماء العِلمية ، وقد افردنا بالذكر أحمد فارس الشدياق (١٨٠٥–١٨٨٧) . بيد ان الاخ البحاثة الاستاذ محمد عبد الغني حسن افادنا في كتابه القيم عن هذا الاديب – الشدياق – انه يجب ان لاننسى جهود عبد الله باشا فكرى في هذا المضمار اللغوى فهو أول من خاض غماره .

وقد استعمل الشدياق لمسمّيات علمية ترجمة لبعض انواع الحيوان في كتابه « طبائع الحيوان » وحَسِبنا كما حسب من نحن بصدد الكتابة عنه – الشهابي – ان الكتاب من وضع الشدياق ، غير انه ، وفي هذه المرة ايضا وبهدى من الاخ عبدالغني محمد حسن ، نذكر ان طبائع الحيوان للشدياق مترجم عن الانكليزية .

ثم اشدنا بجهود الاساتذة السوريين وفيهم

(١) العدد الثامن والخمسون كانون الاول ١٩٦٦ .

الشهابي بعيد الحرب العالمية الاولى في ايجاد بعض الاسماء العلمية وخاصة في النواحي الطبية، حتى انهم اجتهدوا في بعضها فلم يتزمتوا للقديم ويضعوه في قدسية منزهة بل تجاوزوه الى ما رأوه يفي بالاداء العلمي ، فكلمة دوسنطاريا التي عمر بها علماء العهد العباسي عدلوا عنها الى زُحار وتعرّف هذه الكلمة في كتب اللغة العربية بما تعرف به تقريبا اللفظة اللاتينية المركبة Dysenterie .

منْ مِنَ الطلاب العرب وحتى الذين تجاوزوا قليلا سن الطفولة لم يذكر التمثيل اليخضوري في النبات ؟ واليخضور كلمة استحدثها العلامة الشهابي ترجمة للفظة كلوروفيل اللاتينية وهذه كلمة من عشرات الكلمات التي قام بوضعها المرحوم الشهابي والتي يتداولها النشء المتعلم الحديث في شتى اقطار العرب .

حياته (٢)

ولد الامير الاستاذ مصطفى الشهابي في بلدة

الشّهابيّ
الأُمّة العَرَبيّة

حاصبيا في تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ من عام ١٨٩٣ ، وكانت تابعة لولاية سوريا في العهد العثماني قبل ضمها الى لبنان في اول عهد الانتداب الفرنسي . وتلقى اول دروسه الابتدائية فيها ، ثم انتقل الى مدرسة المطران في بعلبك ، فمدرسة الموارنة في زحلة ، ثم المدرسة البطريركية الكاثوليكية بدمشق حيث استقر وشقيقه المغفور له الشهيد عارف الشهابي احد رواد القومية العربية في مطلع القرن العشرين وقد شرفه الله بالشهادة فوق مشانق السفاح التركي جمال ـ في ٦ ايار عام ١٩١٥ ـ وكان الشهيد اخا ومعلما ومثلا أعلى لشقيقه في طلب العلم وفي ساحة النضال القومي ـ وفي عام ١٩٠٧ ـ فر الاستاذ مصطفى وشقيقه عارف الى الاستانة حيث التحق الاول بمدرسة لتعليم اللغة الفرنسية والثاني بالمدرسة الملكية . وفي عام ١٩٠٩ عادا الى دمشق حيث اشتهر الاخ الاكبر عارف كعالم في اللغة العربية وآدابها في تاريخ العرب والاسلام ـ وكان يحرر مع الشهيد العريسي جريدة المفيد ـ والتحق الاستاذ الشهابي في دمشق بمدرسة الحكومة الثانوية وكان قد الم بالفرنسية واتقنها وهو في حوالي الثامنة عشرة من عمره .

وفي عام ١٩١١ أوفد الى فرنسا من قبل (جمعية البعثات العلمية) التي كانت تالفت في دمشق لانتقاء المتنورين وارسالهم في بعثات الى الخارج. ووقع عليه الاختيار للدراسة في المدرسة المهنية في مدينة (شالون سويسون) التي حصل منها على شهادة زراعية أهلته لدخول مدرسة جرنيون Grignon للزراعة العالية وتخرج منها عام ١٩١٤ مهندسا زراعيا .

وعندما نشبت الحرب العالمية الاولى ، وبين اعوام ١٩١٤ ـ ١٩١٨ دخل المدرسة الحربية في اسطنبول فمدرسة البرق والهاتف الحربية ،وبعد التخرج عمل في عدة وظائف فنية عسكرية ، وعندما انهارت الامبراطورية العثمانية ، بدا حياته الحكومية مديرا للزراعة في اول حكومة عربية سورية مستقلة وذلك في أواخر عام ١٩١٨ .

ولقد اشترك الاستاذ مصطفى الشهابي مع اخوانه رواد القضية في الجمعيات العربية العاملة يومئذ وفي راسها (جمعية العربية الفتاة) و (جمعية العهد) . وكان شقيقه المتقدم عليه سنا احد قواد معركة الاستقلال العربي كما اشرنا.

وامتلات حياته كموظف فني واختصاصي ،

(٢) آثرنا في حياة الفقيد ايراد النص الكامل لمذكرة لجنة التقرير السورية الذى وضعته حين منحه جائزة الدولة التقديرية ولم ينلها منذ احداثها عام ١٩٥٨ سوى فارس الخوري سنة ١٩٥٩ ومصطفى الشهابي ١٩٦٥ والتقرير والصورة نقلا عن مجلة المعرفة لعدد كانون الثاني ١٩٦٧ .

وكرجل مفكر مصلح ، صاحب ثقافة وخبرة ورأي، بسجل حافل من الخدمات الجلى لبلاده وفي حقول الادارة والسياسة والتوجيه ، فشغل مديريات الزراعة والاحراج واملاك الدولة ، مدة من الزمن ، واختير للوظائف الادارية العليا ، محافظا لحلب مرتين ، ومحافظا للاذقية مرتين ، وعين وزيرا اربع مرات لوزارات المعارف ، والزراعة ، والمالية ، والعدل . وكان عضوا في الوفد السوري الى باريس لبحث معاهدة الاستقلال السورية مع الحكومة الفرنسية عام ١٩٣٩ (٣) .

وانهى خدماته للدولة بوظائف السلك السياسي ، فشغل منصب وزير مفوض وسفير ، وكانت آخر وظائفه سفيرا للجمهورية السورية في مصر من ١٩٥١ — ١٩٥٤ .

أثناء ذلك ، ومنذ عام ١٩٢٦ ، انتخب عضوا في المجمع العلمي العربي بدمشق ، ثم رئيسا له عام ١٩٥٩ . وفي عام ١٩٤٨ انتخب عضوا مراسلا في المجمع العلمي العراقي . وعام ١٩٦٤ اختارته اللجنة التنفيذية لدائرة المعارف الاسلامية عضوا مشاركا . كما عين عضوا في المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب والعلوم الاجتماعية خلال سني الوحدة ١٩٥٨ — ١٩٦١ في القاهرة ، ثم في دمشق، وكان فكرا وعملا ونشاطا ودأبا في كثير من الوفود والهيئات الرسمية والاهلية والادبية ، والعلمية والقومية » .

مآثره العلمية واللغوية

الف وهو مدير للزراعة كتاب « الزراعة العلمية الحديثة » ويقع في نحو من ٥٠٠ صفحة . ولئن كان استقاه من مصادر فرنسية غير ان له آراء وتوجيهات علمية وخاصة فيما يتعلق بالبيئة السورية ، وقد تضمنتها كثير من فقرات الكتاب المطبوع في دمشق عام ١٩٢٥ . وبقي هذا المؤلف نحوا من ربع قرن منهلا ثرا لمدرسي مادة الزراعة في المدارس السورية .

واذكر له بمزيد من الاعجاب ما ارتآه في هذا الكتاب في الخلد السوري فثمة حيوانان متشابهان يحملان اسم الخلد ويخال الناظر اليهما انهما شيء واحد ، ولكن كليهما في نظر المختص مختلف احدهما ينتمي الى آكلات الحشرات Insectivara والاخر الى القوارض Radentia . وقد ذكر الشهابي انه لم يشاهد حين تشريح الخلد الاوروبي (٤) شيئا من المواد النباتية علاوة على انه كامل الاسنان ويحفر الارض بيديه فهو من آكلات الحشرات ، أما السوري (٥) فله قواطع كبيرة يحفر بها الارض ، وليس له انياب ، ويشبه الاوروبي بضمور عينيه ومعيشته تحت الارض الا انه يقرض جذور النباتات كالبصل ونحوه ويتغذى بها فهو من القواضم (٦) . وبعد بضع سنين اوضح هذا ايضا الاستاذ « الفرد داي » استاذ التاريخ الطبيعي في الجامعة الاميركية ببيروت في كتابه ممالك الطبيعة ، وقد ساعده على وضعه في اللغة العربية الاستاذ انيس المقدسي . ثم تأكد لي هذا حين كنت اطالع في السنوات الاخيرة « اطلس الثدييات » باجزائه الاربعة للدكتور بول رود Paul Rade مدير متحف التاريخ الطبيعي بفرنسا وكتابه من المصادر العلمية الاجنبية الهامة .

هذا مثال بسيط لناحية علمية حققها الامير الشهابي .

وفي كتابه « الدواجن » أورد تصانيف علمية دلت على سعة اطلاعه ودقته في التاريخ الطبيعي .

يضاف الى هذا ما كتبه في تصنيف الحيوان في مجلة المقتطف بين اعوام ١٩٣٦ و ١٩٣٩ وفيها

---

(٣) لعله خطأ مطبعي في تقرير اللجنة ، مفاوضات المعاهدة كانت عام ١٩٣٦ وجدير بالذكر ان تعيينه محافظا للاذقيه ولحلب كان بعد المعاهدة وبعد استيزاره مرات . وقد مر الفقيد بفترة استهوته فيها المناصب ، ولعلها كانت استجابة لحالات نفسية خاصة به . على انه في العقد الاخير من حياته زهد في المناصب وعاد اليه ميله في البحث والمطالعة .

(٤) اسمه العلمي Talpe وعربه المرحوم الدكتور امين المعلوف في كتابه معجم الحيوان بلفظة : الطوبين .

(٥) اسمه العلمي Spalax وانواعه تمتد بين سوريا واوروبا الشرقية .

(٦) صوابها القوارض والقضم اكل الشيء اليابس .

مساجلات علمية ولغوية دارت بينه وبين المغفور لهم الدكتور محمد شرف صاحب المعجم العلمي المشهور والاب ماري انستاس الكرملي والاستاذ اسماعيل مظهر .

وذلك المنحى العلمي هام ! غير ان الاهم بالنسبة للغة العربية مباحثه في ايجاد مصطلحات واسماء علمية تكون بديلا من الاجنبية انّ في الترجمة او في التعريب . وقد اتينا بمثال كلمة اليخضور ترجمة للكلوروفيل . ثم كان له في هذا المجال : « اعمال علمية لغوية قدمها بصيغ اقتراحات في مجمع اللغة العربية في القاهرة واقترنت بالموافقة عليها واقرارها ! منها قرارات تجيز اشتقاق فُعال وفعل للدلالة على الداء سواء أورد للاسم فعل ام لم يرد ، ومنها قرار في رسم الالفاظ المعربة ، ومنها رد الكلمات المقتبسة من العربية الى اصولها العربية عند تعريبها (٧) » وعلى هذا أصر في كتابه « معجم الالفاظ الزراعية » المطبوع في دمشق عام ١٩٤٣ على استعمال لفظة الغول بدلا من الكحول رجوعا بها الى الاصل العربي . وقد اخذت عليه هذا الرجوع في مقالي الانف الذكر وقلت : « انه يتعذر علينا ازالة كلمة عم استعمالها لدى المتعلمين في الاقطار العربية وليس من ضير اذا ردت بضاعتنا الينا محرفة بقالب مستساغ . وقد قيل خطأ مشهور خير من صحيح مهجور » .

وهذا الكتاب – معجم الالفاظ الزراعية – وكتابه معجم المصطلحات الحراجية بالانكليزية والفرنسية والعربية وقد اشتمل على الف مصطلح هما من المؤلفات النادرة في المسميات الزراعية ، يضاف الى هذا كتابه القيم : « المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث » وهو بحث كان قد القاه في الدورة الحادية والعشرين سنة ١٩٤٥ لمؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة وقد قام بوضعه ككتاب معهد الدراسات العربية في جامعة الدول العربية بالقاهرة .

وله في السياسة القومية مؤلفان ممتازان هما تاريخ الاستعمار في مجلدين ، ومحاضرات عن القومية العربية في مجلد واحد .

يضاف الى جميع ما ذكر اسلوب ادبي جزل يعد فيه من اعلام الكتابة في الشرق العربي وقد اودعه في مقالات توزعت على مجلات المقتطف والهلال وغيرهما .

وفيما يلي مقطع من مقال له في مقتطف اكتوبر عام ١٩٣٤ عنوانه : « بين الحيوان والنبات » وذلك كنموذج حي لادبه الرفيع :

« لي صديق عكف على الحيوانات ، فتوغل في مدارسة خلقها وطبائعها ومنافعها ومضارها ، حتى اذا هضم منها ما لا يستهان به من المعلومات ،صار صديقا لها ، يكثر من ذكرها ويشيد بفوائدها في كل المجالس . وكان يعلم انني اميل الى النباتات وانني لا اعدل بها شيئا من الاحياء السائرة ، فكان يتعمد ذمها امامي ليستفزني الى مناظرته ، لكنني كنت اتجنب منازلته واتحاشى مقارعته ، حتى كان يوم من الايام واذا بي اراه في المخبر ، وقد دخل علي دامرا لا مستأذنا ، فوجدني حانيا على بعض الازهار افحص عن مواقع اجزائها واتقصاها . وحانت منه التفاتة الى احدى زوايا المخبر فراى على الارض جماجم بعض الخيل والانعام وعظامها وقد علاها الغبار لفرط اهمالها ، فما كان منه الا ان انفجر بحديث طويل يدل على ما يكنه صدره من الحفيظة والموجدة . قال : ان امرك مع دوحة النبات عجب.اراك تعنى باشجارها وتشغف بازهارها وتستلذ اثمارها وتستخفك خيارها تتناسى شرارها . هلا ذكرت ان جميع الجراثيم القتالة التي يسمونها مكروبات تنتسب الى رتبة الاشنة الزرقاء فهي اذن من النبات لا من الحيوان ، وان معظم امراض الزرع والشجر مصدرها فطور دقاق مجهرية تستولى على مزروعاتك ومغروساتك فتفسدها وتبيدها وربما كان عملها هذا اى فتكها بابناء جلدتها اضر من فتك الحيوان بالحيوان « الخ .. الخ .. الخ ».

وللشهابي بعض الشعر القومي اطلعت عليه في صيف العام الماضي في مجلة « اللسان العربي » وهي المجلة التي تصدر سنويا بمجلد ضخم في المغرب بالرباط تحت اشراف احدى اللجان التابعة لجامعة الدول العربية .

وقد اسهبت « اللسان » في الامير مصطفى الشهابي واثره على اللغة العربية في العالم العربي قاطبة . لكن المجلة المذكورة حدست وفاته القريبة

---

(٧) من مذكرة لجنة التقرير السورية وهي اللجنة التي شكلت لمنح الشهابي جائزة الدولة التقديرية عام ١٩٦٥ .

فارادت ان تنصفه وتتعجل فى التعريف به فعقدت فصلا مطولا عن مواهبه ومآثره القومية مما يكتب عادة فى تعداد مناقب المشاهير الذين تفتقدهم مجتمعاتهم وفى الليلة الظلماء يفتقد البدر .

★ ★ ★

لقد كان لي شرف التنويه بجهوده فى ميدان المسميات العلمية فى اللغة العربية غير انني اخذت عليه ايضا اصراره على استعمال بعض الكلمات فى كتابه معجم الالفاظ الزراعية مثل تَبْنُون بدلا من تدبيء ، وقاضم بدلا من قارض ، ثم الغول بدلا من الكحول ، وذلك فى صفحتين من مقال مطول فى مجلة المعرفة كانون الاول عام ١٩٦٦ . ومن عجائب المصادفات ان يكتب هو بالذات فى نفس العدد وضمن الحقل الذى كتبت فيه ، حقل « اجوبة الاساتذة الباحثين والجامعيين فى موضوع اللغة العربية وتدريس العلوم الجامعية » . وقد انحى الفقيد باللائمة على الهيئات الرسمية الثقافية فى العالم العربي لعدم اتخاذها وسائل ناجعة لتوحيد المصطلحات العلمية ، واهاب بشكل خاص بالادارة الثقافية لجامعة الدول العربية ولجنة الخبراء التي اقترحها مؤتمر عام ١٩٦٤ ان يبادروا جميعا الى بذل اقصى الجهود ، وقبل فوات الوقت ، للعمل على تدارك الاختلاف العلمي اللغوى بين الاقطار العربية الذى استفحل خطره واورد مقترحات كان قد تقدم بها عام ١٩٥٤ وتتلخص بما يلي : ـ

١ ـ تؤلف فى مجمع اللغة العربية بالقاهرة لجنة تسمى لجنة معجم المصطلحات العلمية يكون لها شخصية اعتبارية واستقلال مالي وادارى .

٢ ـ يخصص مجلس جامعة الدول العربية المال الذى يقدر لتصنيف المعجم ويأذن للجنة المذكورة فى المجمع بان تتصرف فى انفاقه بمراقبة رئيس الجامعة ورئيس المجمع .

٣ ـ تتصل اللجنة بالاختصاصيين بالمصطلحات فى الاقطار العربية وتطلب منهم صنع معجمات او قوائم اعجمية عربية ، ضمن اختصاصاتهم ، لقاء مكافآت مجزية .

٤ ـ تصنع اللجنة من المعجمات والقوائم ، « معجم المصطلحات العلمية » وتعرضه على مجلس مجمع اللغة العربية فيقر الفاظه فى حضرة واضعيها من اختصاصيي الاقطار العربية وكل ذلك لقاء مكافآت مجزية .

٥ ـ يطبع مجمع القاهرة المعجم ويوزع نسخه بالمجان على دول الاقطار العربية وهي تبيع نسخه فى بلادها باثمان بخسة .

٦ ـ تبقى لجنة المعجم قائمة على عملها فى مجمع القاهرة لاضافة ما يجد من المصطلحات واعادة طبع المعجم وتوزيعه على البلاد العربية .

انها لكارثة للغة العربية ان يقضي الشهابي نحبه ولما تتم الجهود المبذولة للاتفاق على توحيد ووضع المصطلحات العلمية الاخذة بالتزايد كما ذكرنا . ولايسعني والكلمات تحتضر على شفتي الا ان أوجز القول واورد مع الشاعر رثاءه فى امثال الفقيد الكريم :

جمال ذى الارض كانوا فى الحياة وهم
بعد الممات جمال الكتب والسِّيَر

■■

سورية — **علي حيدر النجارى**

تنبأ بمقتله

● قيل لعبد الله بن عمر ان الحسين توجه الى العراق ، فلحقه على ثلاث ليال من المدينة ، وكان عند خروج الحسين غائبا فى مال .. . فقال للحسين : اين تريد ؟ قال : العراق ، ثم أخرج اليه كتبا وطوامير ، وقال : هذه كتبهم وبيعتهم . فناشده الله أن يرجع ، فأبى . فقال : اما اني سأحدثك حديثا : ان جبريل عليه السلام اتى النبى صلى الله عليه وسلم فخيره بين الدنيا والآخرة ، وانكم بضعة من النبى صلى الله عليه وسلم لا تليها أنت ولا احد من اهل بيتك ، وما صرفها الله عنكم الا لما هو خير لكم ، فارجع . فأبى . فاعتنقه وبكى ، وقال : استودعك الله من قتيل .

الالتزام في الشعر العربي المعاصر

«إن الالتزام موقف حياتي كلي، شامل لقضايا المجتمع، وهو قابل دائماً للانفتاح والتطور»

بقلم : محمد احمد العزب

■ على الصعيد العالمي برز من شعراء النضال والمقاومة جيل كبير . من بينهم تتسامق أسماء هؤلاء لوركا .. مایاکوفسكي .. بابلونيرودا .. ناظم حكمت .. اراجون .. بول ايلوار .. برخت .. وربما كان ما خلفوه من ابداع شعرى غنى هو اصدق الدلالات على ان للتاريخ الفكرى أن يحتفى بهم كل هذا الاحتفاء ، فان اقلامهم كانت بنادق تطلق الرصاص على العدو . وكانت كلماتهم خنادق يحتمي بها المواطن من وهج الدمار والانكسار !!!

وعلى الصعيد العربي ـ في العصر الحديث ـ محاولات جادة وهائلة تبذل في صفوف الشعراء المعاصرين لخلق الشاعر العالمي المنفتح الذى يغنى للعالم من خلال حنجرته العربية ، لا من خلال حناجر الآخرين .

ولا ادرى .. لماذا رغم كل الرجات التى هزت ارضنا العربية من المحيط الى الخليج لم يولد الشاعر العالمي الذى يحمل في صوته كل نبرات الجموع . والذى يدمج الخاص في العام فتصبح اغانيه الحاملة لكل ملامحنا البيئية والانسانية اغاني كل الشعوب ؟؟

ربما كان التخلف الحضارى الذى فرض حصاره القاسي على هذه المنطقة هو المسئول عن هذا الضمور وربما كان لليقظة الفكرية الرائدة في مجالات العلم والفن على السواء ، والتي كان حمل رايتها العالم العربي اجيالا واجيالا .. ربما كان لهذه اليقظة ما يكون للكائن البشرى من ميل الى الراحة بعد المعاناة ، وللغفوة بعد صحو السنين .

كل الذى نرجوه ان يتململ الجامد فيتحرك ، وان يستشعر الغافي الدبيب فيستيقظ ، حتى يمكن لهذه المنطقة ان تولد من جديد .. بوجهها الحقيقى .. بصوتها الحقيقى .. بروحها الحقيقى .

ولاننا واجهنا من ملامح شعر النضال في العالم العربي ظاهرة المقاومة فاشبعناها بحثا .. اونكاد ، فليكن لقاؤنا الآن مع ظاهرة اخرى من ظواهر

قضية الشعر العربي المعاصر وهي ظاهرة « الالتزام » .

وبدءا .. لا اريد ان اخوض كما يخوض الآخرون فى معركة من اين جاءت فكرة الالتزام .. من الواقعية الاجتماعية ؟ ام من الواقعية الاشتراكية ؟ أم من الوجودية ؟ أم من هؤلاء جميعا على السواء ؟؟ فقضيتي الآن أن اتعرف على « الالتزام » « ما هو » لا « من أين جاء » فاذا تعرضت للحديث عن الواشجة التى تربط الالتزام بالواقعية ، والالتزام بالوجودية .. فلكي اخلص من ذلك فقط الى التعرف على ملامح الالتزام الواقعي والالتزام الوجودى . حتى يمكن ان نقيم مقارنة بين مفهوم الالتزام في هذه المذاهب الفكرية المعاصرة ومفهومه في شعرنا النضالى على مستوى العالم العربي ، ثم لا يعنيني بعد أن يكون ميلاده على ارض الواقعية او على ارض الوجودية .

فبينما تحتضن الواقعية الاجتماعية فكرة الالتزام في الشعر كتعبير غائي اجتماعى محدود بمسائل العصر .. تحتضن الواقعية الاشتراكية الالتزام كسلاح من أسلحة الترويج الدعائى لمبادئها وحركة مدها السياسي .. في الوقت الذى تقف فيه الوجودية من المسألة موقفا مغايرا بعض الشيء .. فهي تؤكد ضرورة الالتزام في النثر .. اما الشعر فهو في منظورها كالموسيقى وكالرسم لا يمكن ان يكون ملتزما . لان الشاعر كما يقول سارتر « لايستخدم الكلمات بحال ولكنه يخدمها » .

وحتى لايتشعب بنا الحديث الى مالا نريد ، فلنقل منذ الآن ان الالتزام الحقيقى هو موقف حياتي كلى وشامل امام قضايا المجتمع والعصر ولكنه موقف اكثر انفتاحا وقابلية للتطور ، فليس يوجد على صعيد الفكر ما يمكن ان يرفض الانفتاح والتطور الا هذه البقايا المتآكلة من فكر الجامدين، والتى يتخطاها المنظور النقدى المعاصر فلا يلقى بالا اليها . ولا يقف عندها طويلا .

وبدهى أن الالتزام الحقيقى ينبع أساسا من معاناة حقيقية داخل الذات .. من معايشة صادقة وشاملة لكل المخاضات الفكرية والاجتماعية والسياسية على أرض الوطن .. ثم على الارض بمعناها الشمولى الواسع الرحيب .. ولا يمكن ان يكون الالتزام عملية قسرية ضاغطة تطرح نفسها على هذا الشكل :

« يجب أن يلتزم الشاعر او الفنان » لان « يجب » . هذه حتى وان أثمرت ابداعا رائعا من اى لون ، فستبقى علامة على ان هذا الابداع هيكلي ومجوف لا ينبض داخله ايمان بقضية ما . ولا يستند في وجوده على خلفية عقائدية او حتى عاطفية .. مما يوحى بانه وعاء مفرغ من كل شيء .. لا يمكن ان يعطيه التصميم الخارجي الملون قيمة موضوعية تملأ الحس او تملأ الوجدان .

وقريب من هذا ما حدث في روسيا للادب تحت ظلال ما يسمى « بالجدانوفية » البشعة .. فقد القت هذه المرحلة ظلالها الارهابية القائمة على كل الابداع وكل المبدعين في روسيا . حتىاستحال الادب الى منشور سياسي باهت الالوان .. ولكن تمردا كاسحا كان يتكون جنينا فى احشاء هذا الظلام .. وما لبث أن توالد ودمدم ووقف يشد اعراف الموجة الراعنة حتى مزقها ، وانتهى بذلك عصر الجليد في الادب الروسي ليبدا عهدا يخاطب فيه روح الانسان وفكره وأشواقه العليا ..

وهكذا ينبغى أن نفهم نحن الالتزام في الأدب .. والشعر .. والفن على السواء .. لان القسر والارهاب وفرض الاشياء في هذا المجال لن تكون في النهاية سوى معاول حاطمة تهدم ما يقوم على هذا الأساس الراعش المهزوم !!

الا ان الالتزام هنا قد يوقع أحيانا في مشاكل لا تنتهى من سوء الفهم وسوء التلقى جميعا .. فان جيلا من كتابنا وشعرائنا وفنانينا قد وقع فيما يشبه المأساة حين فهم أن الالتزام يعنى اجترارا مضمونيا ضاغط الحدود والأسوار .. فاذا التزم شاعر بقضية نضالية مثلا كقضية فلسطين ، خيل اليه ان من المروق عن جادة الالتزام أن يغنى للانسان المسحوق في الارض .. أو للحب البازغ في القلب .. أو حتى للطبيعة الواهبة .. وبالتالى يجد نفسه حبيس القفص الحديدى بمحاولة

التعبير عن قضية واحدة لا يخرج عنها الى سواها .. وما يزال كذلك حتى يجد ان انفاسه اللاهثة قد تهالكت حتى الحشرجة ، وان ما يقوله الآن مكرور للمرة العشرين ولو ان هذا الشاعر غنى لقضيته حينا .. وللمضامين الشعرية الاخرى ثانيا على مستوى شاهق وعميق.. لكان ذلك اهدى الف مرة من ان يحبس جناحه الشعرى على التحليق في هذا الافق الواحد . فقد رأينا هذا الجناح ييبس من طول ما مارس من تحليق بطيء !!!

لقد غنى شاعر المقاومة الفرنسي « اراجون » لباريس المحتلة .. ولعيني حبيبته « الزا » «ولالزا امام المرآة» وهو وان كان في شعره لالزا لا ينسى أحزانه وجراحه . الا انه يتنفس هواء غير هواء المعركة ، أو قل غير دخان المعركة المكثف الرهيب .. ولنقرأ له هذه المناجاة الحلوة الرائعة لعيون فاتنته « الزا » لنرى الى اى حد لشاعر المقاومة الملتزم أن يفتح قلبا أرحب من منادح الآفاق :

« عيناك من شدة عمقهما ..
رأيت فيهما وانا انحنى لأشرب ..
كل الشموس تنعكس ..
كل اليائسين يلقون بانفسهم حتى الموت
عيناك من شدة عمقهما ..
انى أضعت فيهما ذاكرتي » !!!

وربما كانت هذه الرؤية القائمة لمفهوم الالتزام في الشعر عند بعض شعرائنا العرب هى التى احالت الموقف الشعرى الملتزم الى « كاميرا » تعكس ما تراه دون اضافة ما.. وهذا افدح ما يمكن أن يلقى على عاتق الموقف الشعرى من أعباء .. فليس صوابا ولا قريبا من الصواب أن الشاعر الملتزم مجرد راصد لحركة الكون وحركة التاريخ .. فان هذا الموقف قد تخلى عنه الشاعر المعاصر راضيا للمؤرخ على ان يقف هو – اى الشاعر – في الطرف الثانى من الحلبة حاملا مشاعل الرؤية المستقبلية . سابقا كل الفروض والأقيسة عابرا تخوم اليوم الى مجاهيل الغد المحجب يقوده على الطريق احساس نبوئي صادق الايماء !!

اذن فمهمة الشاعر الملتزم في هذا العصر لم تعد مجرد ان يقول ما حدث، وانما هى بالدرجة الأولى أن يقول ما سيحدث بفكر كاشف ووعي عميق .. وليس يتاح للشاعر أن يكون على هذا المستوى النبوئي هكذا بالمجان وانما ضريبة هذا التصدى الريادى أن يكون الشاعر دائما على مستوى القضية الكلية .. اى على مستوى الوعى بمشاكل العصر ومشاكل الشعوب حتى تتاح له الرؤية الحقيقية بكل ابعادها واعماقها ، وحتى يمكن ان يكون لابحاره في محيط المستقبل حتمية العودة بصوت الحقيقة الاصيل !!

وهذا بالطبع يفرض على الشاعر المعاصر لونا من الوان المعاناة الفكرية اللامحدودة .. بمعنى انه ينبغى ان يكون على مستوى فكرى وثقافي عالى .. لا يتخلف فيه لحظة واحدة عن متابعة الكشوف التى تستحدث كل يوم في كل المجالات .. ولن يكون هذا الاحتشاد الثقافي عبثا ضائع الثمار . ولكنه بالضرورة سيتيح للشاعر امكانية ان يجعل من قضيته او محور التزامه قضية عالمية بارزة لا تعيش داخل اسوارها الاقليمية المحدودة .وانما تعيش في كل رقعة على سطح هذا الكوكب العظيم .

ان التناول الفكرى العميق للقضايا يجذر لها في تربة العصر فلا تقدر العواصف ولا الاعاصير على زعزعتها في هبة رعناء !!

وهكذا فعل شعراء المقاومة في فرنسا حين وقعت في قبضة النازى وهكذا ينبغى ان يفعل الشاعر العربى المعاصر حين يتصدى للدفاع عن قضية الشعب والارض .. حتى يتاح له ان يخرج بالشعر الباتر المرهف من حواره مع البعد الاقليمى الى حواره مع العالم باسره. فان وجهنا الحضارى قد أسدلت عليه للأسف آلاف من الأقنعة فقامت حوله الرؤيا فما يبين !!

انا نفتح قلوبنا وعقولنا لكل الاصوات الشعرية العربية المقاومة والملتزمة .. املا أن يكون ذلك كوة نطل منها على عالم أرحب .. واغنى .. وليس ذلك بالبعيد !!! ■■

محمد أحمد العزب

التربية

بقلم : الدكتور فاخر عاقل

الاستاذ في جامعة دمشق

■ ما اظن ان امة ابتليت في عصرنا الحديث بمثل ما ابتليت به الإمة العربية، فهي بالاضافة الى ما يجب عليها كأمة نامية من محاربة للتخلف بأشكاله المختلفة والاستعمار بلونه الجديد يتحتم عليها ان تحارب عدوا ضاريا هو الصهيونية .

ومهما قلنا في علاقة الصهيونية بالاستعمار وتحالفها معه وخدمتها له واستفادتها منه فانه يجب الا يخفى علينا أن الصهيونية فكرة عدوانية قائمة على الاغتصاب مؤمنة بالعنف متوسلة الى اهدافها بكل أشكال الانحراف اللااخلاقية . فاذا اضفنا الى ذلك ان الصهيونية تفيد من كل معطيات العلم ومنجزات الحضارة في هجومها الوحشي على امتنا العربية بالاضافة الى نفوذها الواسع وتغلغلها العميق تبينت لنا خطورة المعركة مع الصهيونية ومدى الحذر الواجب اتخاذه في محاربتها .

ومع احترامي للرأي القائل بوجوب عدم المبالغة في قيمة العدو واهميته لئلا نصاب باليأس من مواجهته والتغلب عليه فاني اعتقد ان من حق المعركة علينا أن نقدر عدونا حق قدره وأن نعرف نقاط ضعفه ونقاط قوته لنفيد من الأولى ونحتاط للثانية .

قد يقول قائل : ليست الصهيونية الا شكلا من اشكال الاستعمار ، وقد قاومنا الاستعمار وحاربناه وتغلبنا عليه فلا يعجزنا أن نحارب الصهيونية ونتغلب عليها .

صحيح انه لا يعجزنا أن نحارب الصهيونية ونتغلب عليها ، بل ان حفظ بقائنا يوجب علينا ان نحارب الصهيونية ونتغلب عليها ، ذلك بان الصهيونية تستهدف وجودنا بالذات فهي لا تقبل باقل من الاستيلاء على الجزء من بلادنا الواقع بين النيل والفرات وطرد جميع سكان هذا القسم ـ على الاقل ـ الى الصحراء ، وهي بعد تستهدف استعمار البلاد العربية كافة واستثمار خيراتها والعودة بها ـ ان أمكن ـ الى حياة الاستعباد والذل .

والحق ان المعركة بيننا وبين الصهيونية معركة حياة او موت لا توسط فيها ولا اعتدال ولا مهادنة . ومن نافلة القول ان نؤكد انه لا خيار لنا في المعركة فالصهيونية هي التي فرضت المعركة وهي التي تمضي فيها وهي التي قررت أن لا ترضى بشيء اقل من ابادتنا والاستيلاء على بلادنا وخيراتنا . ولذلك فكل ظن بان التعايش مع الصهيونية ممكن وأن مهادنة الصهيونية قد تقلل من ضراوتها وتدفعها الى الاكتفاء بما حصلت عليه وهم باطل وزيف اكيد وغش مقصود .

وصحيح أن الصهيونية شكل من أشكال الاستعمار ، ولكنها شكل بلغ من الوحشية أقصى

ودورها في المعركة الحاضرة

حدودها وتسلح بعصبية قومية عمياء وغطرسة عرقية ما بعدها غطرسة ، وكفر بكل قيمة اخلاقية او مدنية او انسانية ، وجند لتحقيق اهدافه راسمال العالم باسره وقوى الشر في كل رحاب الارض وتوسل الى تحقيق اهدافه بكل كريهة من غش وخداع ورشوة وكذب ونفاق .

ولذلك فان محاربة الصهيونية امر مختلف عن محاربة الاستعمار ولا سيما القديم منه .

واثر حرب الخامس من حزيران عام ١٩٦٧ سمعت مواطنين عرب شرفاء مخلصين يقولون : ليحتل الصهيونيون ما يحتلون من اراضينا فاننا سنحاربهم . وسنحاربهم اذا لزم الامر بالحجارة والعصي وسنخرجهم من بلادنا كما حاربنا الاستعمارين الافرنسي والانكليزي واخرجناهما من بلادنا .

نعم سنحاربهم ، ونعم سنخرجهم من بلادنا ، ولكن الحجارة والعصي لن تكفي مع الاسف ولا بد لنا في محاربتهم من اسلحة غير الحجارة والعصى ، بل وغير البندقية والمدفع والرشاش والطائرة والدبابة .

يقول الكثيرون من العرب المخلصين المثقفين : ها هي فيتنام الصغيرة تحارب امركا بعظمتها الهائلة وقوتها العارمة ، وها هي تلحق بها الهزائم والخسائر وتلطخ سمعتها بالوحل فهل يعجزنا نحن العرب،ونحن اكثر عددا واوسع رقعة ، ان نحارب الصهيونية وهي اضأل شانا واقل عددا وعدة ؟ .

واقول كلا لا يعجزنا ، بل انه يجب ان لا يعجزنا . ولكن الفرق واضح بين الاستعمار الامركي في فيتنام وبين اهداف الصهيونية في البلاد العربية . ان الصهيونية تريد الارض العربية ، وهي تهدف الى طرد العرب ، كل العرب ، من ارضهم ، وهي تعمل بكل الوسائل على ابادة العرب واستخلاص ارضهم وانتزاع خيراتهم وتحويلهم الى لاجئين يرجعون الى الصحراء خاسئين مدحورين .

واذا كان الامركان قد شعروا بورطتهم في فيتنام واخذوا يبحثون عن مخرج لهم منها ، فان الصهاينة جادون في تحقيق اهدافهم الشريرة التي لا ترضى باقل من القضاء على العنصر العربي .

وقد يقول قائل ان السكان الوطنيين في روديسيا وجنوب افريقيا يواجهون مثل معركتنا مع الصهيونية .

ومع اعترافي بوجوه الشبه بين معركتنا ومعركة الروديسيين الوطنيين والافريقيين الجنوبيين فاني اعتقد ان معركتنا تختلف كثيرا عن معركتهم . ذلك بأن الصهيونية تتخذ من فكرة اللاسامية منطلقا مخادعا تنطلق منه الى احتلال الارض العربية .

واللاسامية تعادل في نظر الكثير من المواطنين الغربيين الشرفاء التمييز العنصري الذي تقوم عليه فكرة استعمار روديسيا وجنوب افريقيا ولعل شيئا من تفصيل يوضح ما اريد قوله .

لقد عانى اليهود اضطهادا وعذابا على يدي النازية والفاشية في المانيا واوروبا الوسطى . واذا كان لا يعنيني في موقفي هذا ان اعالج اسباب هذا الاضطهاد فانه يهمني ان انبه الى ان الصهاينة قد افادوا من هذا الاضطهاد في استدرار عطف العالم عليهم وتصوير انفسهم بصورة المضطهدين المحتاجين الى وطن يستقرون فيه ويتخلصون من الظلم والاضطهاد . وهم بذلك قد افلحوا في تصوير انفسهم بصورة تشبه صورة الزنوج المضطهدين في روديسيا وجنوب افريقيا وطمس حقيقة تعصبهم القومي المتطرف وعملهم على طرد السكان الاصليين وانتزاع ارضهم واملاكهم

وتحويلهم الى لاجئين يهيمون على وجوههم في جهات المعمورة كافة .

وهذا هو السبب في عطف الكثيرين من المواطنين السذج الشرفاء في كافة انحاء العالم على اليهود وعدم تفريقهم بين اليهودي الذي يجب ان يعيش حيث يكون عيشة آمنة مطمئنة وبين الصهيوني المضطهد (بالكسر) الذي ينتزع الأرض من سكانها الاصليين ويطردهم ليتشردوا في كافة أصقاع العالم .

واذا كان صحيحا أن الحقيقة قد أخذت تتجلى لبعض الناس في بعض البلاد فان الاغلبية الساحقة من سكان العالم ما زالت تحت الوهم بأن (اليهود) قوم مسالمون مضطهدون مظلومون يريدون الاستقرار في أرض كانت لهم بدليل ما ورد في التوراة والانجيل .

واخشى ما نخشاه،نحن العرب ، أن لا يستفيق العالم من وهمه ويكشف حقيقة الصهيونية حتى يكون الصهاينة قد حققوا كامل أهدافهم وجعلوا وجودهم حقيقة واقعة مفروضة على العالم .

ومن هنا كان واجبنا في المسارعة الى محاربة الصهيونية وكشف كذبها وخداعها وفضح نواياها الاجرامية وغطرستها القومية ومطامعها الاستعمارية وارتباطها بالرأسمالية العالمية .

المعركة معارك

والناظر في معركتنا مع الصهيونية يكتشف للتو ان معركتنا هي جملة معارك في آن واحد : انها معركة حربية ، وهي معركة سياسية وهي معركة اخلاقية ، وهي معركة تربوية ، وهي معركة اقتصادية وهي أخيرا معركة علمية .

اما المعركة الحربية فقد خضناها منذ مطالع هذا القرن ، وهي سلسلة من المعارك بدأت بمعارك الشعب الفلسطيني ابان الاحتلال الانجليزي وما زالت مستمرة حتى يومنا هذا وهي ستستمر ما دام على وجه الأرض عربي مخلص شريف .

ويقتضينا الواجب ان نعترف باننا خسرنا معظم هذه المعارك . واذا كان المقام لا يتسع لبيان اسباب هذه الخسارة فلا اقل من أن نشير الى انه كان لا بد من هذه الخسارة بسبب من عدم التكافؤ وبسبب من عظم القوى التي تألبت علينا وبسبب من ان المعارك كانت تفرض علينا في ظروف لم تكن لصالحنا اطلاقا .

ولكننا خرجنا من هذه المعارك بدرسين : اولهما : ان هذه المعارك وان كانت قد نالت منا وخسرتنا ارضا وممتلكات عزيزة علينا فانها لم تنته ولن تنتهي الا بنصرنا أو فنائنا عن بكرة أبينا . وثانيهما : ان المعارك الحربية لن تحل المشكلة وانه وان كانت الحرب هي التي تقرر المصير فان الاستعداد للحرب لا يكفي فيه تكديس الاسلحة وتدريب الجنود بل لا بد له من محارب ذكي واع مثقف مؤمن . والى أن نهيىء مثل هذا المحارب فان النصر سيبقى بعيدا عنا .

واما المعركة السياسية فقد خضناها كذلك منذ مطالع هذا القرن : ثرنا على الاستعمار القديم : التركي والافرنسي والانكليزي ، ونلنا استقلالنا في معظم اقطارنا . وذهبنا الى عصبة الأمم وهيئة الأمم . واتصلنا بالعالم نشرح له قضيتنا وتحالفنا مع الشعوب المضطهدة مثلنا . وانفتحنا على بلاد شريفة تفهمت قضيتنا وساعدتنا على التخلص من احتكار السلاح وجبروت الاستعمار .

واما المعركة الاقتصادية فقد خضناها متأخرين ولكننا نعمل اليوم جاهدين على تحرير اقتصادنا وقد نجحنا في كثير من الاقطار . ونعمل اليوم على وضع هذا الاقتصاد في خدمة المعركة . واذا كان الطريق ما زال طويلا امامنا لتحقيق هذا الهدف فاننا عليه سائرون .

واما المعركتان التربوية والعلمية فهما اللتان احب ان اتحدث عنهما في مقالي هذا لا لأني من اهل الاختصاص في هذا المجال فحسب ، بل لانهما غمطتا الكثير من حقهما واهملتا اهمالا كان له اثره الخطير في المعارك الأخرى : الحربية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية .

دور التربية فى المعركة

يقول صاموئيل سيفيف حاكم قطاع غزة المحتل عام ١٩٥٦ والمراسل الحربي لجريدة (معاريف) الاسرائيلية في كتابه (الغطاء الأحمر) الذى نشره عام ١٩٦٧ عن حرب الأيام الستة ما نصه : « ... ولم يفهم ناصر كذلك انه لا يمكن في عصرنا ان يوجد جيش جيد عندما تكون نسبة كبيرة من جنوده امية (٧٠٪) » .

اما ان ناصر لم يفهم ذلك فغرية مردودة ، واما ان نسبة الأمية في شعبنا وبين جنودنا عالية قد تصل السبعين بالمائة فحقيقة واقعة مع الأسف ، واما انه لا يمكن ان يوجد جيش جيد عندما تكون نسبة كبيرة من جنوده امية فقول صحيح أيضا .

ان مكافحة الأمية والقضاء عليها قضاء تاما ونهائيا بين شعوبنا العربية أمر ضرورى للمعركة وحيوى لبقاء الأمة العربية وما لم تخطط الدول العربية للقضاء على الأمية في فترة محدودة (٥ سنوات أو عشر سنوات على الأكثر) ، وما لم تنفذ الدول العربية هذا الأمر دون ابطاء أو تماهل فان ربح الحرب مع اسرائيل مستحيل .

وبالمناسبة فقد سبقتنا امم كثيرة الى مثل هذه المكافحة ووفقت خلال فترات محدودة لا تجاوز العشر السنوات في القضاء على الأمية قضاء تاما . ونستطيع نحن الافادة من خبرات الامم الأخرى في ذلك اذا ما عقدنا العزم .

ومما يتصل بمكافحة الأمية ولا يقل عنها أهمية تعميم التعليم الالزامي ، وليس سرا أن نسبة كبيرة من الأطفال العرب ممن هم في سن التعليم الالزامي لا يذهبون الى المدرسة وفي هذا ما فيه من تخليد لأمية العرب .

واذا كانت الامم الحديثة ترفع سن التعليم الالزامي حتى يبلغ الخامسة عشرة والسادسة عشرة والسابعة عشرة فان واجب الحكومات العربية ان تعمل على ان لا يحرم من التعليم انسان. ومن نافلة القول ان العامل المتعلم والفلاح المتعلم اصبحا ضرورتين لتقدم البلاد واحتلالها مكانها بين الأمم المتقدمة .

والميدان الثاني الذى يجب أن تلعب فيه التربية دورها هو تعليم المرأة . صحيح ان نسبة التعليم بين النساء العربيات قد ارتفعت كثيرا خلال الخمسين السنة الأخيرة ولكنه صحيح أيضا ان نسبة كبيرة جدا من النساء العربيات ما زلن اميات او محرومات من التعليم وان عددا كبيرا جدا من الفتيات العربيات ممن هن في سن التعليم الالزامي لا ينلن مثل هذا التعليم .

هذا ومن الحقائق المقطوع بها ان نسبة التعليم بين الفتيات العربيات أقل منها بكثير بين الفتيان وقد آن الأوان لأن نتيح التعليم لكل فتى وفتاة دون تمييز .

وامر ثالث يجب أن توجه اليه التربية العربية عنايتها ، الا وهو مستوى التعليم . ان التعليم الذى انتشر في البلاد العربية انتشارا كبيرا - وان كان ما زال مقصرا عما تريده الأمة له - نما كماً على حساب الكيف . ومعنى هذا ان نوعية التعليم الذى يتلقاه الطفل العربي غير مرضية . والحق ان مستوى خريج المدرسة الثانوية العربية - اى مدرسة - يقل عن مستوى خريج مثل هذه المدرسة في انكلترا أو فرنسا أو اميركا او الاتحاد السوفييتي. وفي اعتقادى انه ما لم تحرص المدرسة العربية على نوع تعليم ممتاز فان تقدمنا سيبقى بطيئا وسيبقى مستوانا العلمي اقل من مثيله في بلاد الناس الأخرى .

هذا ولا يفوتني هنا أن اتحدث عن خريجي الجامعات العربية واقرر بشيء كثير من الأسف ان مستواهم يقل عن مستوى امثالهم من خريجي الجامعات العالمية . واذا كان المجال لا يتسع لتبيان اسباب هذا الأمر فانه يتسع للقول بان التعليم الجامعي امتياز للمتفوق عقليا وان كل تشدد في مستوى التعليم الجامعي يعود على البلاد بنفع عميم وخير كثير .

وامر رابع يجب أن تجهد التربية في سبيله وتعمل على توفيره هو التقدم العلمي . ان معركتنا مع اسرائيل يجب ان تستند الى العلم وما لم نصل الى نفس المستوى العلمي لاسرائيل او نسبقها فاننا لن نستطيع ان نربح معركتنا معها . ولست

ابالغ اطلاقا حين اقرر ان المستوى العلمي لاسرائيل مستوى رفيع جدا . ولا آتي بجديد حين اقول ان جامعات العالم ـ ولا سيما الغربي ـ ترفد اسرائيل بسيل دائم من العلماء . أضف الى ذلك ان المعاهد العلمية الموجودة داخل اسرائيل هي من مستوى عال جدا وهي تخرج اعدادا كبيرة من ذوى التخصص العالي الرفيع المستوى .

في اسرائيل جامعات هي الجامعة العبرية في القدس ، وجامعة تل ابيب ، وجامعة حيفا ، وجامعة بار ايلان (في رامات غان) . وفي اسرائيل معاهد تكنية عالية هي : معهد التكنية في حيفا ، ومعهد وايزمن في رحبوت ، والمعهد الزراعي الجامعي القومي ، والمعهد الاسرائيلي للابحاث البيولوجية ، والمعهد النباتي ومعهد النقب لابحاث المناطق الجافة . وفي اسرائيل مؤسسات علمية هي : مختبر الفيزياء الاسرائيلي، ومؤسسة المقاييس الاسرائيلية ، والمجلس الوطني للابحاث والتنمية ، ولجنة الطاقة الذرية الاسرائيلية ، ودوائر التطوير في وزارة الدفاع الاسرائيلية .

وعلى سبيل المثال يوجد في الجامعة العبرية ٨٥٠ استاذا وقد تخرج منها عام ١٩٦٢ خمسمائة متخرج بينهم ٢٠٠ تخرجوا بدرجة دكتوراه وماجستير وتخرج الباقون بدرجة بكالوريوس علوم . وفي عام ١٩٦٦ تخرج من الجامعة العبرية ١٣٦ دكتورا في المواد العلمية و ٣٠٦ ماجستير فيها كذلك .

اما معهد التكنية فقد بلغ عدد طلابه في العام الدراسي ٦٤/٦٥ اكثر من ٣٥٠٠ طالب وبلغ عدد المشاريع الخاصة بالابحاث الاساسية والتطبيقية في عام ١٩٦٤ حوالي ٧٠٠ مشروع ، من شأنها ان تقدم خدمات فنية هامة للصناعة والزراعة . ومنح معهد التكنية في عام ١٩٦٦ للمتخرجين ٦٠٦ درجات جامعية عالية بين دكتوراه وماجستير في العلوم ، ويوجد حاليا في هذا المعهد ٢٠٠ طالب يحضرون لدرجة الدكتوراه و ١١٠٠ طالب آخر يحضرون لدرجة الماجستير في العلوم .

واما معهد وايزمن للعلوم في رحبوت فيعمل فيه ٢٢٠ عالما بالاضافة الى ١٥٠ خبيرا يعملون حاليا في مختبرات المعهد وكلياته . وقل مثل هذا عن باقي المؤسسات والمعاهد والجامعات .

تلك هي حال العدو فهل نستطيع ان نصمد له الا بحال مماثل على الأقل ؟ وهل نستطيع ان نحاربه وننتصر عليه الا اذا فقناه كما وكيفا .

وامر اخر يجب ان تساهم به التربية العربية في المعركة وهو اشاعة الروح العلمية في المجتمع العربي وجعلها اساسا لتعاملنا فيما بيننا ومع العالم عامة والعدو خاصة .

ان الارتجال والأوهام والخرافات والعشائرية والتخبط تميز سلوكنافيما بيننا وازاء العدو ومع العالم . والعصر عصر علم والروح العلمية هي الطابع المميز لعالم اليوم فهل نستطيع ان نواجه عدونا ونواجه العالم من ورائه الا على اساس من العلم والروح العلمية .

التخطيط والحقائق والموضوعية والعلمية والتنظيم والعدالة والحرية اسس لا بد من ان نعتمدها اذا اردنا مواجهة عدونا ومواجهة عالمنا الحديث . وكل هذا من واجب المدرسة ان تعلمنا اياه وان تربينا عليه .

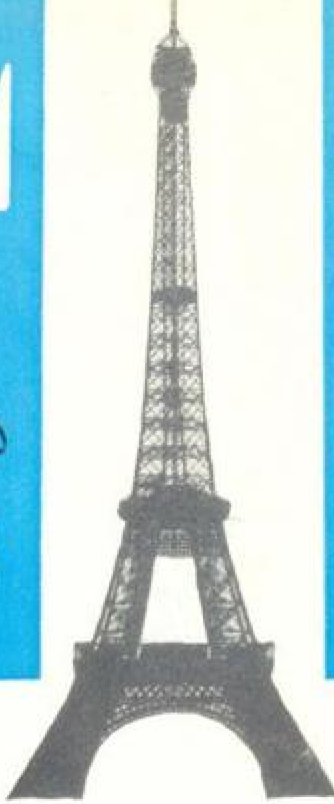
والخلاصة

ويبقى امر اخر يجب ان يقال بشيء كثير من الصراحة والاخلاص ويتلخص في انه ما لم تتحد كلمة العرب ويحزموا امرهم على خوض المعركة ضد الفرقة ، والجهل ، والتمزق ، والفقر ، والتخلف ، فانهم لن يستطيعوا كسب المعركة مع اسرائيل ، وانهم ما لم يربحوا المعارك الداخلية الصغيرة فانهم لن يربحوا المعركة الخارجية الكبرى . وللتربية في هذا كله دور يجب ان تلعبه وان يتاح لها لعبه . ■■

فاخر عاقل

باريس

تستيقظ في خاطري ذكريات عطرة



بقلم : الدكتور حلمى اللحام

■ بين المدن الكبرى التى عرفتها ، تحتلّ مدينةالنّور مكانا ممتازا من تفكيرى وشعورى . أيكون مبعث ذلك اني قضيت فيها الشطر الانضر منشبابى ، ام اني اخذت فيها بعض مبادىء المعرفة القلقة التى هي باب الثقافة ، أم ان في باريس ،الى جانب هذا وذاك ، سرا مستغلقا على الافهام والمشاعر ، يأسِر ويَسْحَر ، دون أن يعرف المسحور ما الذى استأثر بملكاته ، وامتلك حواسه! الذى اؤمن به ان هذه المدينة ذات روح قويةطاغية ، تطبع النفوس بطابعها الذى لا يزول . واذا كان لقاء باريس الأول مخيبا ، في كثير منالاحيان ، لما يتوقعه منها كل من تطا قدماه أرضها، فان صحبتها خليقة بان تربطه بها ، وتخلق في نفسه هوى خفيا ، غامض الكُنْه ، لا يزيده خفاؤه وغموضه الا عنفا وقوة . فهو حين يعزم على الرحيل ، يحس أن له في هذه الارض جذورا لا يطيق اقتلاعها الا بشق النّفس .

ذكريات اثارها عبق فتاتين من باريس

واعترف أن ذكرى باريس لا تكاد تبارح خاطرى، ولكن صورها اليوم تنهال علي متنوعة متتابعة ، وهي ، الى ذلك ، صور لا تعبر الخيال عبورا ، وانما تلح عليه الحاحا ، وتدفع القلم الى اثباتها على الورق . فما الذى اثار ما كان في الأعماق هاجعا . ! العله عبق هاتين الفتاتين الباريسيتين اللتين بثّتا امس عطر مدينة العطر من حولهما في شارع الحمراء ، بيروت ، وصوت « اديث بياف » المنبعث من احدى النوافذ ، أم قصيدة « بودلير » المنشورة امامي – دعوة الى السفر . – وهي زهرة ندية من أزهار الشر ، وأشياء أخرى لا أعرفها قد تضافرت في اعادة بناء ما انهار من

■ باريس تحترق في ليلها وتصحو في نهارها
■ باريس بلد الفن والجمال
■ باريس بها عمائر تغني، إذا استنطقها الزائر

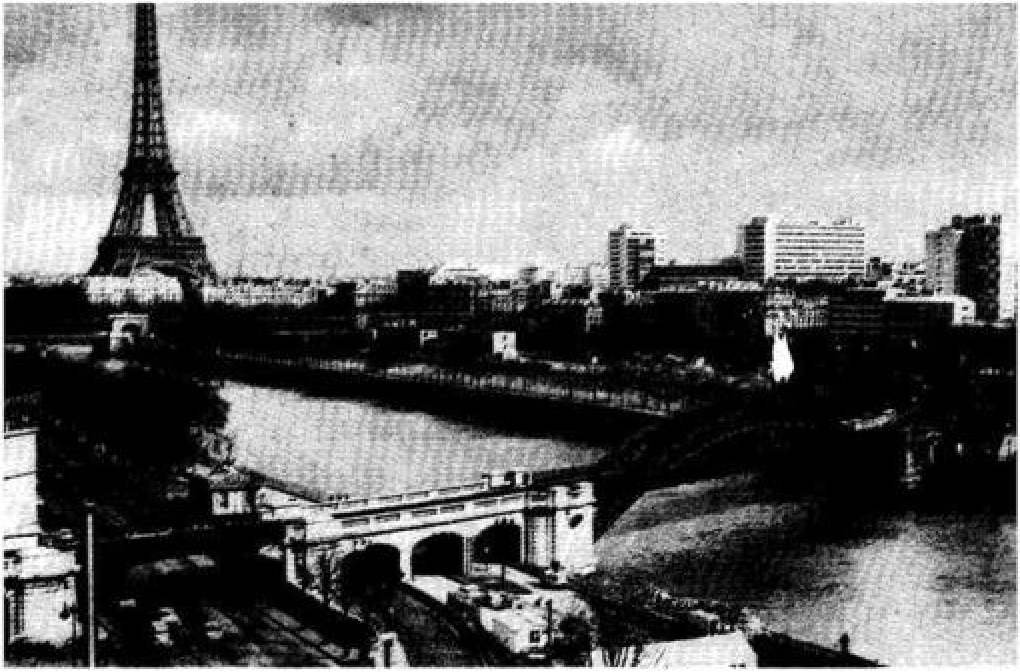
اعشاش الذكريات ، واقامت متكات لها جديدة واراجيح ، فعادت اليها الحركة ، ودبّت في مدارجها الروح ! ومثلت لعيني باريس جنّية من جنيات الغابات المسحورة في الأساطير ، تميس في غلائلها . فما باريس هذه التي تصلّت من غبار الليالي ! ..

سفرت عن وجهها المغلف برشاش السنين الصور الاولى التي آلفتها مدينة النور في خيالي . مدينة كبرى غارقة في المدنية ، يسير فيها ابن المدينة الصغرى ، دمشق ، المحافظة التي لم تمسها الحضارة الا في جوانب من قشرتها السطحية ، على غير هدى ، فيزوغ بصره وفكره ، وهذا المعرض (عام ١٩٣٧) المترامي الاطراف ، الحافل بكل طريف مستحدث ، يعج بالخلق من كل لون وجنس ، يعرض ما استكشفه عقل الانسان من خفايا الطبيعة ، وغوامض الوجود ، ويفتن في اساغة اللهو والمرح ، وتنويع وسائلهما وأدواتهما . وتبرز له ، كالكوكب المشع ، صورة هذه الفتاة الشقراء الطويلة ، ذات العينين الزرقاوين ، والابتسامة المعبرة ، والتي رافقها في مسارب المعرض ساعتين من الزمن الفني الخصب، وسايرها في حديث غزل، تسبي فيه الدنيا التي تموج من حوله وتصطخب ، حتى اذا جاء أخوها الصغير ، وكأنه صورتها نفسها ، يأخذ بيدها لتهبط أدراج « المترو » الظالمة ، ألقت نظرة وداع حزينة على رفيق الساعتين المسروقتين من ايام الجنة ، فترقرقت عيناه بالدمع ، فشدت على يده ، وقالت له هذه الجملة التي استيقظت الآن من زاوية من زوايا ذاكرته ، محاطة بفجر من النور : « انت قلب ، أكثر مما انت لحم وعظم » !

في الكوليج دو فرانس

ويدور شريط حياته الباريسية الطويل فيرى نفسه على عتبة البهو المكتظ في الـ « كوليج دو فرانس » يصغي الى محاضرة عن فن الشعر من « بول فاليرى » Valery ويفرح بمشاهدة شاعر العصر عن قرب ، وملء العينين من هيئته وقامته ، كما يتملى هؤلاء الذين يضطربون من حوله ، ولعل كثيرا منهم معجبون بالصيت الذائع وائتلاق الاسم اكثر مما هم حريصون على مصافحة هذا العقل الكبير ، والتزود من فيضه ، وكان هو حديث عهد باللغة الفرنسية والادب الفرنسي في مشارفهما العليا ، ولم يكن قد قرأ لهذا الاديب سوى القليل القليل ، فكان يطمع اكثر ما يطمع أن يقول اذا راح الى اصحابه أنّ لقد كحل عينيه بمرأى صاحب « المقبرة البحرية » Le Cimetiere Marin ، اغنى اذنيه بسماع صوته .

ويلوح كالطيف أستاذنا « مارسيه » يدخل القاعة ، وهو يتأبط حقيبة من حقائب تلاميذ الكتاتيب ، وقد ربطها بحبل من مسد ، فاذا فكه ، وهو مندفع في محاضرته ، ليبحث عن جملة يستشهد بها ، اندلقت كتبه على الارض ، وخففنا نساعده على جمعها ، وهو لا يفتأ يتحدث عن علمائنا وادبائنا القدماء في اعجاب ، وكان الجاحظ وابن خلدون يظفران بقسط واف من حبه ... ويبدو « ماسينيون » Massignon بجسمه النحيل يتحدث عن الحلاج وابن العربي وعيناه غائمتان ، محلقتان في السماء ، وروحه وصوته يتقمصان فكر من يشغله الحديث عنه ونفسه ، وكأنهما ليسا من هذا العالم في شيء ..



نهر السين وتظهر على ضفته المباني الحديثة التي حلت محل المباني القديمة التي اشتهرت بها باريس . ويظهر في الصورة برج ايفل أحد معالم باريس الشهيرة

فيها المرأة ، حتى ما يُدْرَى امراقص هي ام مراقصة ..

وباريس حي « مونيلمونتان » الذي غنّى اصالة تقاليده «شوفالييه» غناء حلوا معبّرا .. وباريس ملايين العمال والعاملات تقذف بهم افواه المترو ، مع الفجر ، في كل جهة ، ليعملوا ، وليشحذوا نشاطهم كلما فتر بجرعة من قنينة النبيذ الأحمر ، او بمضغة من الدخينة الملفوفة اللاصقة بشفاههم ، وبنكتة من هذه النكات الذكية الخفيفة التي اعتاد الباريسيون اطلاقها ليتخففوا بها من وطأة اعباء الحياة ..

وباريس اللوفر

.. وباريس .. « اللوفر » Louvre ، وهل في متحف الدنيا ما هو أروع من اللوفر ! قصر للملوك ، شادوه لارضاء نزواتهم ، صار الى الفن ، وغدا معرضا لاوابده في جميع عصوره ومدارسه. وان زيارة واحدة للمتحف لتتيح للزائر المولع أن يغسل أدران العيش التي علقت بنفسه، ويخرج وكأنه انسان جديد ، أعادت اليه مصافحته للجمال في ابلغ تعابيره ، تفاؤله واشراقة أمله .. وليهنأ المشرفون على تصنيف الآثار في اللوفر فقد هداهم احساسهم الفني الى ضرورة تغيير مكان اللوحات من وقت لآخر ، لتستنشق هواء جديدا نقيا ، وتهرب من عناكب الجمود ، وليخيّل للمشاهد صاحب الذوق الفني انه يرى اشكاله الاثيرة والوانه لأول مرة .. وتعجبني صرخة « رودان» ، كبير نحاتي العصر الحديث ، ليعارض التصنيف وفق المدارس الفنية .. « يتحدثون عن تبديد هذه المجموعة الفريدة (وكانت في ردهة « كاريه » آثارا ممتازة من جميع العصور) ،وعن تنسيقها وفق مدارسها . ما أعظم خطل ما يفكرون فيه ! لا مكان في العالم يعرض ما تعرضه هذه الردهة من التنوع في الأرواح ، فلكل فنان فكر ممتاز يختلف عن صاحبه كل الاختلاف بروحه .. الا ما أكثر الفنانين الذين لا يجددون روحا بل اسلوبا وتقنية ! .. »

باريس بلد التمرد والنضال من اجل الحياة

وفضاء باريس أعمدة تمتد في الجو رموزا لمدينة حافلة باحداث التاريخ ، ففي الباستيل عمود يذكر أن هذه المدينة هي التي أطلقت ، عمليا ، فكرة حقوق الانسان في العصر الحديث ، ينبيء بأن باريس ليست مدينة النور والحب والبدع وحسب ، وانما هي الى ذلك ، بلد العصيان والتمرد والنضال من أجل الحياة ، . وفي ساحة « فاندوم » عمود صبت فيه من مدافع الأعداء صور المعارك والانتصارات ، التي حققها جيش نابليون ، والتي تبددت كما يتبدد كل مجد عسكري .. ولا يناقض هذا الرمز الحربي شيء كما يناقضه مشهد قامات هؤلاء الحسناوات اللواتي يجتزن شارع السلام وسط دور العطور ،ومخازن الابتكارات لما تلبسه الانيقات في الدنيا كلها .. وفي الكونكورد ترتفع المسلة ، التي تركت أختها في الاقصر ، فخورة بانها تتوسط ساحة من أجمل ساحات العواصم ، مستوحشة ، مع ذلك ، غريبة الوجه والنقوش ..

وباريس عاصمة الفن والجمال

ويسمو فوق هذه الأعمدة الثلاثة البرج الذي ينتصب في حقل « مارس » ، والذي غدا رمز باريس المعبّر ، وينبوع شلالات نورها في ليالي الأعياد .. بعد أن لاقى صعوده في الفضاء ما لاقى من اعتراض . وانتقاد ومقاومة . ولميلاد البرج قصة طريفة : « الفنان » Alphand المهندس الفرنسي الذي يعود اليه جزء من جمال باريس ، من حدائق « الشانزيليزه » و « مونسو » و « البوت شومون » ، الى غابتي « فانسين » و « بولونيا » بلغت به الجرأة ، وهو مدير لأشغال معرض عام ١٨٨٩ ، أن يمنح المهندس « غوستاف ايفل » Eiffel الاذن ببناء برج من تصميمه شريطة أن يهدّم بعد عشرين سنة ، فأثار ذلك حفيظة الفنانين الذين ساءهم أن يمس جمال باريس « الذي ظل سليما حتى الآن » وصاحوا: نحتج بكل قوانا ، بجماع غضبنا ، باسم الذوق الفرنسي المتهن ، باسم الفن والتاريخ المهدّدين، ضد اقامة برج فظيع لا فائدة منه ، في قلب عاصمتنا ليشوّهها ويدنّسها ، ولسنا في هذا التعبير عن نقمتنا سوى صدى ضعيف للاستياء العام .. يكفي ان تتصور لحظة برجا مضحكا ، يشرف على قلب باريس ، كمدخنة ضخمة سوداء فوق مصنع،تخنق بحجمها « نوتردام » و« اللوفر» و « الانفاليد » و«قوس النصر » ..

وكان بين الموقعين « فرانسوا كوبيه » ، « لوكونت دوليل » ، « سوللي برودوم » ، « الكسندر دوماس » ، « موباسان » وغيرهم من النابهين .. واكتفى « ايفل » بان يقول : ان برجي سيكون جميلا . عجبا ! الاننا مهندسون ، يجب أن يتوهم الناس أن الجمال لا يشغلنا فيما نبني ، ولأننا نهتم بالمتين الدائم الا نعنى بالأنيق؟!

... ويعلو برج « سان جاك » و ... برج « نوتردام » الكنيسة التي تبترد ليل نهار في نهر السين ، والتي تنعكس على صفحته في الليالي القمراء صورة لا أروع ولا افتن ..

وفي فضاء باريس نصب وعمائر هائلة لعل في قمتها قوس النصر ، واذا كان « فاليري » Valery يقسم العمائر ، الى نوع صامت ، ونوع يتكلم ، ونوع ثالث ، قليل نادر ، .. يغني ، فانا لا أتردد في تصنيف هذا القوس في رأس الفئة التي تنبثق من حولها الغناء .

ولقصر « التروكاديرو » Trocadero في نفسي موقع خاص ، لقد كان اول منشأة ملأت شعوري في زيارتي الاولى ، وكنت لا أسأم قراءة أبيات « بول فاليري » المسطرة على احد جناحي البناء :

« كل انسان يبدع دون أن يعلم »
كما يتنفس !
« ولكن الفنان يحس انه يخلق »
صنيعه يتشغل كيانه كله
وعذابه الحبيب يقويه ! .. »

والمقطع المرسوم على الجناح الآخر من البناء :

« عليك وحدك أيها المار ، يتوقف
أن أغدو قبرا ، أو كنزا
أن أتكلم أو أن أصمت ،



السربون .. جامعة باريس الشهيرة

يا أيها الصديق ، حَذار أن تدخل من غير رغبة ...

عمائر ، لاتغنى ، الا اذا استنطقها المشاهد

والواقع أن هذه العمائر لن تتكلم ، ولن تغنى الا اذا استنطقها المشاهد ، والا اذا فتح عينيه واحساسه ، والقى نظرة فاحصة ، لا تجرى مع العادة التى تخلق الشرود ، والا اذا دخل وجذوة الرغبة تتقد في صدره .. ولئن فعل فان هذه البنت اللعوب ذات الدل ستفضى اليه بجزء يسير من أسرارها ، فيدرك اية خفة ظل ، واية رشاقة حركة ، واية تهاويل فن ، واى نفح اطياب ، واى زخم حياة .. هى باريس هذه ! ..

واشهد لقد احببت باريس طوال مقامى فيها ، واتخذت شعارا لى فيها أن اختزن لنفسي فيها زادا من السعادة ، أعود اليه كلما آنست حاجة ، وان بي الآن لحنينا الى تجديد الزاد بعد فراق نحو من اربعة عشر عاما ، ولكن بى ، مع ذلك ، اشفاقا مما يزعمه الزاعمون من ان المدينة أخذت .. « تتامرك » كأنما ينبغى أن تملأ ناطحات السحاب أجواء الدنيا كلها ، وأن تغدو المكاتب والمساكن علبا متراكبة ، يحس فيها الانسان نفسه رقما ضائعا بين أرقام لا حصر لها ، وكأنما ينبغى أن ينعدم في تنظيم المدن كل انسجام وكل تناظر. وما أزال أذكر ما انتابنى من أسى حين وقعت عيناى ، في الشارع الخامس ، في نيويورك ، على هذه الكنيسة الصغيرة الخاشعة ، تطغى عليها ناطحة من نواطح السحاب ، تصاقبها وتسحقها سحقا . افيريدون ، مسايرة لتيار العصر ، أن يجعلوا من مدينة السحر والجمال مدينة ينتحر فيها الذوق ، وتبدو فيها روائع الفن مقهورة بالعمائر الشاهقة الصاعدة الى ما لا نهاية في الفضاء ! ..

واسمعنى اقول لنفسي ، ولعلى اغزل بهذا امنية غالية : مهما يصنعوا فلن يستطيعوا أن يمحوا طابع اجمل مدينة في العالم ، لأنه طابع عميق الجذور في التاريخ ، وفي أصول الحضارة ، ومنابع الفن الأصيل ، وستبقى باريس رمزا للذوق المترف ، وصورة أمينة عن كل ما ألفته هى في مرايا نفوس من عرفوا كيف يحبونها ، ولن تشوه صورة المدينة الساحرة المسحورة ، حاضنة الحب ، وموئل المعرفة ، وغذاء الذوق ، ومعرج الارتقاء والتطور .. ■■

حلمي اللحام



التكافؤ عند الزواج

في قديم الزمان

في المجتمعات البدائية

■ ارتبط الاهتمام بالكفاءة في الزواج بسبب انقسام المجتمع الى طبقات وبمدى اهمية هذا الانقسام . ففى المجتمعات البدائية التى تعيش على الجمع والقنص لاتكاد نجد تفاوتا بين الناس في اوضاعهم الاجتماعية . فالجميع يحيون حياة الكفاف وفي مثل هذه الظروف ليس هناك مجال تكوين ثروات . وليست هناك مناصب يختص بها البعض دون البعض . وفي هذه المجتمعات لا مجال للرق اذ لا فائدة له . فالاعداء يُقتلون ، او يُتبنون كاعضاء عاديين في الاسرة . ولهذا فان مسالة الكفاءة في الزواج لا تكاد تثور في هذه المجتمعات .

وفى المجتمعات القبلية

اما في المجتمعات القبلية التى تعيش على الرعى او الزراعة فيظهر التفاوت بين الناس من حيث مكانتهم الاجتماعية . فبعض العشائر او الاسر اكثر ثروة من بعض . وبعض العشائر او الاسر يختص بوظائف سياسية او مناصب شعائرية لا يُعترف بها لسواه . وعلى هامش القبيلة تعيش اسر تمارس حرفا ينظر اليها الاخرون بعين

بقلم : الدكتور محمود سلام زناتي

أستاذ تاريخ الشرائع بجامعة الكويت

● بعض الشرائع اشترط التكافؤ عند الزواج، وبعضهم لم يشترط.

● وفي الإسلام اشترط الجمهور التكافؤ، وخالف القلة.

وحديثه

الرغبة الملحة في تجنب مصاهرة غير الاكفاء سببا في ظهور بعض العادات الغريبة الشاذة . فلدى الازاندى (في جمهورية السودان وجمهورية كونجو كينشاسا) مثلا تمارس طبقة الافونجارا ، وهي الطبقة الحاكمة ، زواج الاباء من البنات وزواج الاخوة من الاخوات تجنبا لمصاهرة العوام من ابناء القبيلة . ولدى الشيلوك في جمهورية السودان كان الزواج ، الى عهد غير بعيد ، محرما على بنات الملك . واذا حملت احداهن من غير زواج قتلت .

وفي الجاهلية

وقد كان العرب ، قبل الاسلام ، يعتدون بالانساب أيما اعتداد . ولهذا لم يكونوا يزوجون بناتهم الا من الاكفاء . وهناك حادثة طريفة تكشف عن مدى اهتمام العرب بالكفاءة في تزويج البنات . فقد رُوى ان عقيل بن علفة ، وهو احد شعراء البادية في عصر الدولة الأموية ، دخل على عثمان بن حيان وهو يومئذ وال على المدينة . فقال له عثمان : زوجني ابنتك ، فقال : ابكرة من ابلي تعنى . فقال له عثمان : امجنون انت ؟. قال : اي شيء قلت لي ؟ . قال : قلت لك زوجني ابنتك . فقال : افعل ان كنت عنيت بكرة من ابلي(1) .

وفي المجتمعات المدنية

وفي المجتمعات المدنية تزداد حدة الفوارق بين الطبقات . وتزداد تبعا لذلك أهمية الكفاءة في الزواج . ويتدخل القانون أحيانا ليحرم الزواج بين أفراد الطبقة العليا وأفراد الطبقة أو الطبقات الدنيا . ويقتصر التحريم أحيانا على زواج المرأة من طبقة عليا برجل من طبقة أدنى . ويمتد أحيانا اخرى الى زواج الرجل من طبقة عليا بامرأة من طبقة ادنى . والملاحظ ، أيا كان موقف القانون ، ان افراد كل طبقة يحرصون على عدم الزواج من الاحتقار ، ويمتد الاحتقار الى القائمين بها .

وفي المجتمعات الرعوية والزراعية يظهر الرق ويأخذ في الانتشار . وينعكس هذا التطور الاجتماعي على الزواج . فتسعى الاسر ذات المكانة الاجتماعية الاعلى الى تجنب الارتباط بالاسر ذات المكانة الادنى عن تجنب طريق الزواج . ويسعى افراد القبيلة الى تجنب الزواج من الاسر التي تعيش على هامشها مستظلة بظلها . كما يُحرَّم الزواج بين الاحرار والارقاء . وقد كانت

(1) الاغاني ، جـ ١٢ ، ص ٢٦٥ .

طبقة ادنى . والذين يضربون بهذا التحريم عرض الحائط يتعرضون لسخط ابناء طبقتهم ويجلبون على انفسهم العار والاحتقار .

وفي الهند

ففي الهند لم يكن هناك ما يحول ، في العصر الويدي Vedic age ، دون الزواج بين افراد الطبقات المختلفة . لكن فقهاء الهندوس ما انفكوا على مر العصور التالية ينفرون افراد الطبقات العليا ، لا سيما البراهمة ، من الزواج من اشخاص ينتمون الى الطبقات الادنى حتى انتهى الامر بتحريم هذا الزواج كلية . فمنو Manu لم يكن ينظر الى زواج اعضاء الطبقات الاعلى بافراد الطبقات الادنى بعين الارتياح . ولهذا لم يكن يسوى بين الزواج من داخل الطبقة والزواج المختلط بل كان يجعل الاول افضل من الثاني سواء من حيث طقوس الزواج ام من حيث وضع الزوجة والاولاد . وقد عارض منو بصفة خاصة زواج الرجل من البراهمة ، وهي اسمى الطبقات ، بامراة من الشودرا ، وهي ادناها ، معارضة شديدة . ففي هذا الزواج يقول منو « ان الرجال المولودين مرتين (البراهمة) الذين بتاثير الافتتان يتزوجون فتاة من الشودرا ليتردون سريعا باسرهم مع ذريتهم الى وضع الشودرا . فبوضعه امراة من الشودرا في مخدعه يسير البرهمي نحو الهلاك ، وبانجابه ابنا منها يسقط من البرهمية ذاتها » . ويقول ايضا « ليس من كفارة لمن ذاق نداوة فم امراة من الشودرا ولوثه تنفسها وانجب منها اولادا » (٢) .

وفي الصين القديمة

وفي الصين القديمة كان الزواج ممنوعا بين افراد الطبقة الاعلى شيه (Shih) والطبقة الادنى شو (Shu) لما كان بينهما من بون اجتماعي شاسع . وكان مرجع الاختلاف بينهما الى النسب . ولهذا لم تكن الحالة الاجتماعية تتاثر بالنجاح الشخصي او السياسي او الاقتصادي . وكان افراد اسر الشيه الذين يسيئون التصرف ينتقدون بشدة وكانوا يقابلون بالاحتقار من جماعتهم . وفي عهود معينة كان مثل هذا الزواج ممنوعا بحكم القانون . ولم يكن القانون يسمح للرجال الذين ينتمون الى اسر العواهر والممثلين والموسيقيين بالزواج من بنات الاحرار . وكان عقاب الرجل من هذه الطوائف الذي يتزوج ابنة رجل حر الجلد مائة جلدة . ونفس الجزاء كان يوقع على رب اسرة الفتاة الذي زوجها وهو عالم بوضع طالب الزواج ، وذلك فضلا عن الغاء الزواج واعادة الفتاة الى اسرتها . غير ان القانون كان يسمح للرجال الاحرار بالزواج من العواهر والمغنيات وذلك باستثناء الموظفين الذين كان يحرّم عليهم مثل هذا الزواج ويعاقبون عليه (٣) .

وفي روما القديمة

وفي روما ، في عصرها القديم ، كان القانون يحرم الزواج بين النبلاء والعامة وفيما بعد الغى هذا التحريم . كذلك كان القانون يحرم الزواج بين الاحرار الاصلاء والعتقاء ، وعندما الغى هذا التحريم فيما بعد ابقى عليه بالنسبة للطبقة الارستقراطية الممثلة في اعضاء مجلس الشيوخ وذريتهم حتى الدرجة الثالثة .

وفي الاسلام

ورغم ان الاسلام لا يعترف بالنظام الطبقي ، فقد انقسم الفقهاء المسلمون حول لزوم الكفاءة في الزواج . فذهب بعضهم الى انها ليست شرطا . فيصح الزواج ويكون لازما سواء كان الزوج كفئا للزوجة او لم يكن كفئا لها . واستند القائلون بهذا الراى الى الآية الكريمة « انما المؤمنون اخوة » ، والى الحديث الشريف « الناس

---

(٢) Das , Women in Manu and his seven Commentators, P. 132

ووصف البيروني عادة الهندوس في هذا الخصوص بقوله : « ويجوز لكل واحد من اهل الطبقات ان يتزوج من طبقته وفيما دونها . ولا يحل له أن يتزوج من طبقة فوق طبقته . ويكون الولد منسوبا الى طبقة الأم دون طبقة الأب . فان كانت امراة البرهمي مثلا برهمية كان الولد كذلك وان كانت شودرا كان شودرا . ولكن البراهمة في زماننا وان حل لهم ذلك لا يفعلونه ولا يتجاوزون في التزويج غير طبقتهم » انظر مقولات الهندوس للبيروني ص ٢٧٨ .

(٣) T'ung - Tsu, Law and Society in traditional China, P. 155 - 160 .

سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربي على عجمي الا بالتقوى » . والى ان الكفاءة لو كانت معتبرة في الشرع لكانت الجنايات اولى باعتبارها لانه يلزم فيها الاحتياط اكثر مما يلزم في غيرها . ولكنها لا تعتبر فيها ولذلك يقتل الشريف بالوضيع والعالم بالجاهل . فان لا تكون معتبرة في الزواج اولى .

وفي هذا يقول ابو جعفر محمد بن الحسن ، من ائمة الشيعة ، « المؤمنون بعضهم اكفاء لبعض في عقد النكاح كما انهم متكافئون في الدماء وان اختلفوا في النسب . واذا خطب رجل ابنة رجل مؤمن ، وكان عنده يسار بقدر ما يقوم بامرها والانفاق عليها ، وكان ممن يرضى دينه وامانته ، ولا يكون مرتكبا لشيء من الفجور ، وان كان حقيرا في نسبه قليل المال ، فلم يزوجه اياها ، كان عاصيا الله مخالفا لسنة نبيه صلى الله عليه وآله » . (٤) .

ويقول ابن حزم « اهل الاسلام كلهم اخوة لا يحرم على ابن زنجية لغية نكاح ابنة الخليفة الهاشمي » (٥) .

وذهب الجمهور الى ان الكفاءة شرط في الزواج واستند القائلون بهذا الرأي الى ان الزواج يراد لمصالح عديدة ولا تنتظم هذه المصالح الا اذا كان هناك تقارب بين الزوجين . والى ان الاولياء ينفرون من مصاهرة من لا يناسبهم في دينهم وجاههم ونسبهم ويعيّرون بذلك (٦) . وفي هذا يقول السرخي « اعلم ان الكفاءة في النكاح معتبرة .. لان النكاح يعقد للعمر ويشتمل على اغراض ومقاصد من الصحبة والالفة والعشرة وتاسيس القرابات وذلك لا يتم الا بين الاكفاء . وفي اصل الملك على المراة نوع ذلة ، وفي استفراش من لا يكافئها زيادة في الذل ، ولا ضرورة في هذه الزيادة » (٧) .

وقد اختلف القائلون بشرط الكفاءة بالنسبة للمسائل التى تعتبر فيها بين مضيّق وموسّع . ومن الجدير بالذكر ان شرط الكفاءة عند القائلين به لا يكون محل اعتبار الا من جانب الرجل بالنظر الى المراة . بمعنى ان الكفاءة شرط في الرجل وليست شرطا في المراة . كذلك ينبغي ان نلاحظ ان القائلين بهذا الرأي لا يبطلون الزواج غير المتكافىء كلية ، وانما يجعلون من الكفاءة حقا للزوجة واوليائها . فاذا اسقطوا حقهم فيها كان لهم ذلك .

في الاسلام اتجاهات

وقد وجد في المجتمع الاسلامي هذان الاتجاهان جنبا الى جنب . فهناك ناحية الاتجاه النابع من القيم الاسلامية الجديدة التى لا تقيم وزنا للاحساب والانساب . وهناك من ناحية اخرى الاتجاه المتأثر بالتقاليد والعادات السابقة . وليس ادل على وجود هذين الاتجاهين من الحادثتين التاليتين . فقد روى أن عليّ بن الحسين تزوج أم ولد لبعض الانصار ، فلامه عبد الملك بن مروان في ذلك . فكتب اليه : ان الله قد رفع بالاسلام الخسيسة واتم النقيصة ، واكرم به اللؤم فلا عار على مسلم ، هذا رسول الله قد تزوج امته وامراة عبده . فقال عبد الملك ان على بن الحسين يتشرف من حيث يتضع الناس (٨) . كذلك رُوى ان اعرابا من بني سليم اقحمتهم السنة الى الروحاء ، فخطب الى بعضهم رجل من الموالي من اهل الروحاء ، فزوجه . فركب محمد بن بشير الخارجي الى المدينة ، وواليها يومئذ ابراهيم بن هشام ، فاستعداه على المولى . فارسل اليه ابراهيم والى النفر المسلمين ، ففرق بين المولى وزوجته ، وضربه مائتي سوط ، وحلق رأسه ولحيته وحاجبيه . فقال محمد بن بشير في ذلك :

قضيت بسنة وحكمت عدلا
ولم ترث الحكومة من بعيد
حمى حدبا لحوم بنات قوم
وهم تحت التراب ابو الوليد
وفي المائتين للمولى نكال
وفي سلب الحواجب والخدود (٩).

زواج الاحرار والارقاء

وحرم كثير من الشرائع القديمة الزواج بين الاحرار والارقاء . فقد يتمثل في ابطال الزواج

---

(٤) النهاية في مجرد الفقه والفتاوى ، طهران ١٣٤٣ هـ ، ص ٤٧٠ .
(٥) المحلى ، جـ ١٠ ، ص ٣٠
(٦) انظر الاحكام الشرعية للاحوال الشخصية للاستاذ زكي الدين شعبان ص ٢٢٤ وما بعدها .
(٧) المبسوط جـ ٥ ، ص ٢٢ وما بعدها .
(٨) كتاب النساء لابن قتيبة ص ٨ .
(٩) الاغاني ، جـ ١٤ ، ص ١٣٥ .

عقاب يوقع بالمخالفين . وقد يتمثل في فقــدان الطرف الحر حريته .

عند الحثيين

فلدى الحثيين مثلا كان للرجل الحر ان يتزوج الامة ولم يكن هذا الزواج يستتبع تغييرا في وضعه الاجتماعي . لكن اذا تزوج العبد امراة حــرة ودفع من اجلها مهرا فقدت المراة حريتها وصارت امة . واذا خطب العبد الى رجل حر ابنته وزوجها اياه لم يكن فقد الحرية يقتصر على المراة وانما كان يمتد الى ابيها على سبيل العقاب .

وفي الصين القديمة

وفي الصين القديمة لم يكن يسمح للعبد بالزواج من ابنة رجل حر . واذا تم مثل هذا الزواج كان العبد يعاقب ، في عهدي تانج وسونج ، بالحبس سنة ونصف سنة فضلا عن ابطال الزواج . واذا كان قد ادعى الحرية زيدت مدة الحبس الى سنتين . وفي قانون منج وشنج كان عقابه الجلد ثمانين جلدة تزاد الى تسعين حال ادعائه الحرية . واذا كان رب اسرة الفتاة جاهلا بحالته لم يتعرض لاى جــزاء ، اما اذا كان عالما بها فكان يعاقب وكان عقابه اقل درجة من عقاب العبد .

وفي روما

وفي روما لم يكن من الجائز على الاطلاق الزواج بين الاحرار والارقاء . بل ان الاباطرة حرموا الزواج بين العتيق ومعتقته او ابنتها .

وعند الجرمان

كذلك لم تكن القوانين الجرمانية تســمح ، كقاعدة عامة ، بالزواج بين الاحرار والارقاء . وكان زواج الرجل الحر من امة يفقده حريته ، كما كان زواج المراة الحرة من عبد يفقدها حريتها . ولدى بعض الجرمان كان العرف يجرى ، في حالة رغبة فتاة الزواج من عبد رغم ارادة والديها ، بان يناولها الملك او الكونت (حاكم المقاطعة) ســيفا ومغزلا . فاذا تناولت السيف كان عليها ان تقتل العبد به . واذا اختارت المغزل فقدت حريتها وصارت امة . وعلى سبيل الاستثناء كان قــانون هؤلاء يسمح للاحرار الاصلاء بالزواج من اماء الملك او اماء الكنيسة دون ان يستتبع هذا الزواج فقدانهم حريتهم (١٠) .

قانون حمورابي اجاز زواج الاحرار بالارقاء

ومع ذلك فان من الشرائع القديمة ما كان يسمح بالزواج بين الأحرار والأرقاء . فقد اجاز قانون حمورابي للعبد سواء كان عبدا خاصا باحد المواطنين ام عبدا من عبيد القصر ان يتزوج من ابنة رجــل حر ولم يكن يترتب على هذا الزواج فقدان المراة حريتها . ونص القانون على بعض الآثار الخاصة بهذا الزواج . منها أن ليس لسيد العبد حق في خدمة اولاد هذه المراة ، ومنها ان المراة تسترد عند وفاة العبد ما قد يكون لها من بائنة واما الأموال التى تكون اكتسبتها مع العبد فتقســم الى قسمين متساويين يؤول أحدهما الى صاحب العبد ويؤول الآخر الى المراة وأولادها .

واجاز الفقهاء المسلمون الزواج بين الرجــل الحر وامة غيره ، وبين المراة الحرة وعبد غيرها . ونصوا على ما يتميز به هذا الزواج من أحكام خاصة . فقد جاء مثلا في كتاب « النهاية في مجرد الفقه » لأبي جعفر محمد بن الحسن ما يلي: يجوز للرجل الحر ان يعقد على امة غيره ان لم يستطع طولا . ومتى اراد العقد على امة غيره ، فلا يعقد عليها الا باذن سيدها وأن يعطيه المهر قليلا او كثيرا . فمتى عقد عليها باذن سيدها ثم رزق منها اولادا كانوا احرارا لاحقين به اللهم الا ان يشترط المولى استرقاق الولد . فمتى شرط ذلك كانوا ارقاء لا سبيل لأبيهم عليهم .. والحرة لا يجوز لها ان تتزوج بمملوك الا باذن مولاه . فان تزوجت باذن مولاه ، فرزق منها ولدا كان حرا ، الا ان يشترط مولى العبد استرقاق الولد » (١١)

في المجتمعات الحديثة

وفي المجتمعات الحديثة يزول او يكاد اختلاف الوضع الاجتماعي كمانع للزواج . فقد استتبع

---

(١٠) Chénon , Histoire générale du droit franc,ais dés origines à1815,Paris 1926 ,P.267.

(١١) النهاية في مجرد الفقه والفتاوى ص ٤٨٤ . وانظر ايضا المغنى ، جـ ٦ ، ص ٥٣٥ والمحلى جـ ١٠ ص ١٩٥ .

الغاء الرق اختفاء التفرقة بين الأحرار والأرقاء في مجال الزواج . كذلك يتجه المشرع الحديث الى القضاء على الفوارق القانونية بين الطبقات بحيث لا تعود هناك طبقة ممتازة وأخرى اقل امتيازا في نظر القانون . فالكل أمام القانون سواء . وقد جرت العادة ، في الدساتير الحديثة، بان يصدر الفصل الخاص بحقوق المواطنين وواجباتهم بالنص على مساواتهم أمام القانون وعدم التمييز بينهم بسبب العرق أو اللغة او الدين أو المكانة الاجتماعية . ولذلك كان من الطبيعي أن يزول اختلاف الوضع الاجتماعي كمانع قانوني للزواج . وليس هذا الاتجاه مقصورا على الدول الاوروبية ، رأسمالية كانت أم اشتراكية، وانما نجده حتى في تلك البلاد التي كان القانون فيها ، الى عهد غير بعيد ، يكرس التفرقة بين طبقات المجتمع .

ففي الهند مثلا صدر في سنة ١٨٧٢ قانون جعل من الممكن عقد زواج مدني بين شخصين من طائفتين مختلفتين . وفي ظل قانون الزواج الصادر في١٩٥٥ لا يشكل اختلاف الطائفة مانعا من موانع الزواج . كذلك نص الدستور الياباني الصادر في ١٩٦٣ على ان اى اختلاف بين المواطنين اساسه الأصل أو العقيدة أو الجنس أو الحالة الاجتماعية أو منشأ الأسرة لا يمكن ان يكون له أثر في العلاقات السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

حيث النزعة العنصرية زائدة

ومع ذلك ففي بعض المجتمعات الحديثة حيث تسود النزعة العنصرية يتخذ تحريم الزواج بين أفراد العناصر الاخرى مظهرا من أهم مظاهر هذه النزعة . ويهدف تحريم الزواج ، في هذه الأحوال ، الى الاحتفاظ بالنقاء المزعوم للعنصر المسيطر .

فقد سادت مثلا في المانيا ، في عهد الرايخ الثالث (حكم هتلر) ، فكرة سمو الجنس الالمانى على غيره من الأجناس . ورغبة في الاحتفاظ لهذا الجنس بنقاوته ففي القانون بتحريم الزواج اذا كان من المتوقع أن تعرض الذرية الناجمة عنه الدم الالمانى للخطر . ومن تطبيقات ذلك تحريم الزواج بين الالمان ، سواء كان هؤلاء من الدم الالمانى أم من دم قريب منه ، وبين الاشخاص الذين ينتمون الى الجنس اليهودى (١٢).وقد زالت هذه القواعد بالقضاء على النظام الهتلرى .

وفي الولايات المتحدة الامريكية لا يزال كثير من الولايات تحرم قوانينه الزواج المختلط بين البيض وغيرهم . ففي الولايات الجنوبية ، حيث يكثر الزنوج،تحرم القوانين الزواج بينهم وبين البيض. وتتفاوت قوانين الولايات في تحديدها المقصود بالزنجي. ويذهب بعضها الى حد اعتبار الشخص زنجيا اذا كان دمه يحتوى على جزء من ستة عشر جزءا من الدم الزنجي . وفي الولايات الغربية ، حيث يكثر ابناء الجنس الاصفر من الصينيين واليابانيين ، تحرم القوانين الزواج بينهم وبين البيض فضلا عن تحريمه بين البيض والزنوج(١٣).

وفي اتحاد جنوب افريقية ، حيث تسيطر اقلية بيضاء على أغلبية سوداء ، صدر في سنة ١٩٤٩ القانون الخاص بتحريم الزواج المختلط ويقضي بحظر الزواج بين البيض وغير البيض . واعتبر الزواج المختلط الذى يتم في الخارج بين رعايا الاتحاد باطلا . ونص على عقوبات شديدة للطرفين المعنيين وللموظف المختص بتوثيق الزواج اذا خالف أحدهم القانون وهو على بينة من الأمر . ونظرا لأن الباعث على اصدار هذا القانون هو الرغبة في الاحتفاظ بنقاوة الدم الابيض فانه لم يتضمن تحريما للزواج المختلط بين الملونين فيما بينهم (١٤) . ■■

محمود سلام زناتي

(١٢) Arminjon, Traitè de droit compaaé, uol 2, P. 352 .

(١٣) Baber, Marriage and the family, New York 1953, P. 53

(١٤) ولم يكتف المشرع الابيض ، في اتحاد جنوب افريقية ، بتحريم الزواج المختلط بل تدخل حتى في مجال العلاقات الجنسية خارج الزواج. فصدرفي سنة ١٩٢٧ قانون يحرم العلاقات الجنسية بين البيض والافريقيين . وصدر لهذا القانون تعديل سنة ١٩٥٠ مد التحريم الى كل الجماعات الملونة. وتصل العقوبة المقررة للاتصال الجنسي بين البيض وغيرهم الى السجن سبع سنين . وليس من اللازم لتوقيع العقوبة اتمام الفعل ، بل يكفي مجرد ابداء الرغبة ولو لم يعقبها تنفيذ . انظر :
Cadoux. L'Afrique du Sud, Paris 1966, P. 219 .



اعرف وطنك أيها العربي

مطماطة

مدينة عربية مساكنها حفائر تحت الأرض

استطلاع
سليم زبال

تصوير
أوسكار متري

■ المنظر مألوف لدينا .. ولكن يخيل اليك أنه فى كوكب آخر غير هذا الكوكب الذى نعيش على سطحه ! .

لقد شهدنا عندما اقتربنا من هذا البلد صورة تذكرنا بصورة رآها رواد الفضاء : حفر متناثرة هنا وهناك فوق سطح الارض، الا أن بداخلها منازل يعيش فيها الناس !! .





■ انها المدينة العربية التونسية مطماطة التي تعيش على هامش الحياة ، متقوقعة داخل جحور في مرتفع من الأرض ، مدينة كاملة بأهلها وبيوتها وحيواناتها ومتاجرها وفنادقها .. كلها تحت الأرض !! .

« .. أنظروا هناك انه حي المزازنة ، أحدث أحياء مطماطة » .. وننظر فلا نرى حيا ولا ميتا..

« .. والى يمينكم الطريق الرئيسي المؤدي الى الفندق .. » ونفتح أعيننا جيدا فلا نرى طريقا ولا فندقا .. وانما نرى فجوات وتلالا ، هنا وهناك ..

البحث عن حفرة !

وركبنا السيارة التي جاءت بنا عبر الطريق الطويل ، الممتد مسافة ٤٤٨ كيلو مترا من تونس العاصمة حتى مطماطة .

كانت الساعة قد قاربت الثامنة مساء .. والانوار تنبعث من بعض الفجوات في الأرض .. والسائق يبحث عن الفندق .. واقتربنا من لافتة في الطريق ، فرأنا ما كتب عليها ، فجمد الدم في عروقنا : « مسئولية المرور والسير هنا على عاتق صاحب السيارة .. منطقة خطرة !! » .



لوحة تنبه السائحين والسائحات الى خطورة الطريق وتحملهم مسئولية اي حادث يقع لهم .. المسئولون لا يخافون على الاجنبي من حوادث التصادم ، ولكن يخافون من الوقوع داخل منزل!

ان المسئولين هنا لا يخافون عليك من حوادث التصادم أو السرعة ، وانما يخافون أن تقع داخل حفرة .. أو منزل ، لهذا وضعوا هذه اللافتة !!

وواصل السائق سيره ببطء شديد ، وقد تسمرت عيناه على الأرض .. مرة ترتفع السيارة ومرة تنخفض فوق التلال .. كنا نبحث عن شيء عجيب .. كنا نبحث عن حفرة فيها فندق !! .

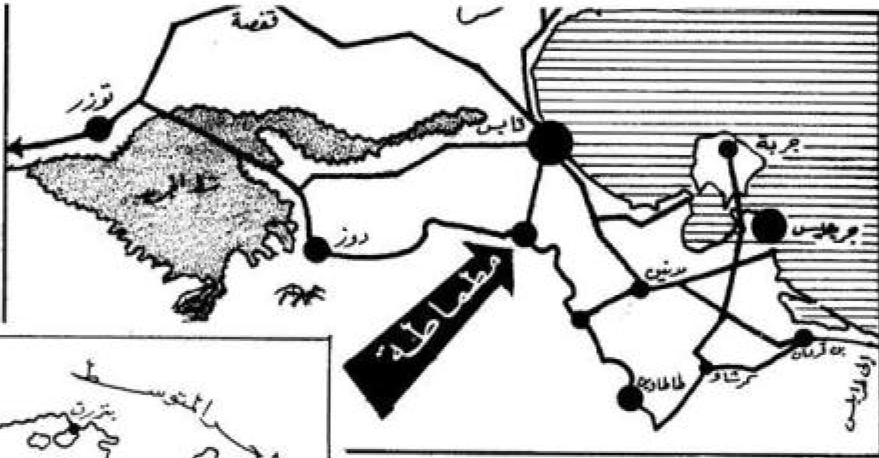
حياة صاخبة تحت الأرض !

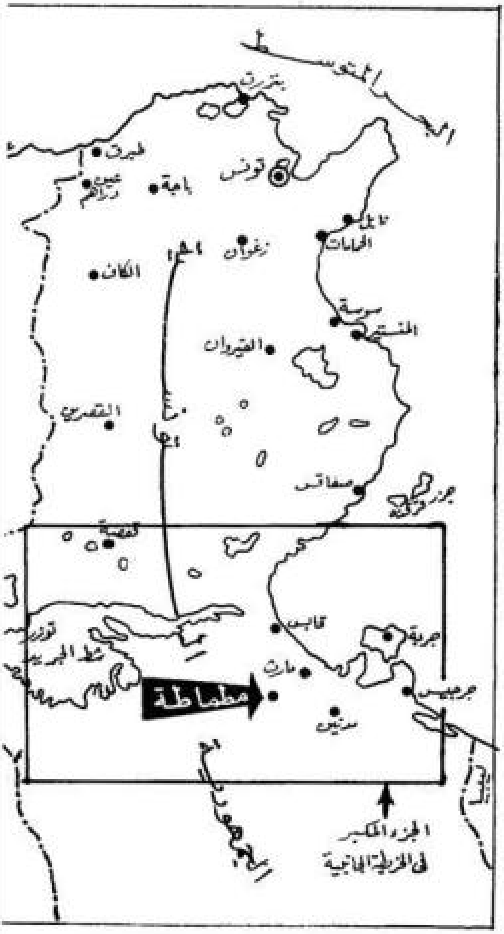
واخيرا عثرنا على لافتة «فندق سيدي ادريس» فتنفسنا الصعداء .. وترجلنا الى سرداب واسع مظلم نسير فيه دون انحناء ، وبعد عشر خطوات وجدنا انفسنا وجها لوجه امام منظر غريب .. تفتح تحت الأرض ..

كان امامنا اكثر من مائة شخص .. رجال ونساء .. كلهم يرقصون على دقات طبول كبيرة ومزمار ساحر .. لقد اراد ابن مطماطة أن يقدم للسائحين والسائحات رقصة الحطاب والمزارع .. رقصة وطنية من صميم الأرض التي يعيش عليها .. وظن هذا الشاب الخجول المنطوي على نفسه انه أسرهم برقصته الوطنية ، ولكنهم سرعان ما تركوا مقاعدهم واندفعوا الى وسط الساحة الكبيرة المفتوحة تحت النجوم والكواكب، يرقصون ما يحلو لكل منهم .. وتحول الرقص الشعبي الى حركات هستيرية صاخبة ، واختلط الحابل بالنابل ، وتنقلت الشاشية الحمراء من فوق رأس ابن مطماطة الأسمر ، لتستقر فوق الشعر الذهبي المتموج القادم من بلاد السويد والنرويج ..

اجحاف

.. ويظل الجميع يأكلون ويرقصون ويشربون حتى منتصف الليل وعندها يركبون السيارات الكبيرة وينطلقون الى مدينة قابس على مسافة ٤٣ كيلو مترا ..





خريطتان : اليسرى للجمهورية التونسية وعليها موقع مطماطة ، مع مربع يضم الجزء الجنوبي من تونس وهو المكبر في الخريطة العليا .. وتبعد مطماطة عن قابس مسافة ٤٣ كيلو متراً وتبعد قابس عن تونس العاصمة مسافة ٤٠٥ كيلو متر .

ويسود الفندق هدوء عجيب أشبه بهدوء القبور .. وتشعر في قرارة نفسك بمدى الاجحاف الذي يحيق بمطماطة ، فالسائح يأتيها للفرجة على كهوفها فقط ، دون أن ينزل فيها .. فلا تستفيد المدينة الا بمقدار ما تكلفه هذه الزيارة الخاطفة وهو مبلغ عشرة دنانير يأخذها اعضاء الفرقة الفلكلورية ، مقابل كل فوج من السياح يأتي اليهم !! .

قابس تقتل مطماطة

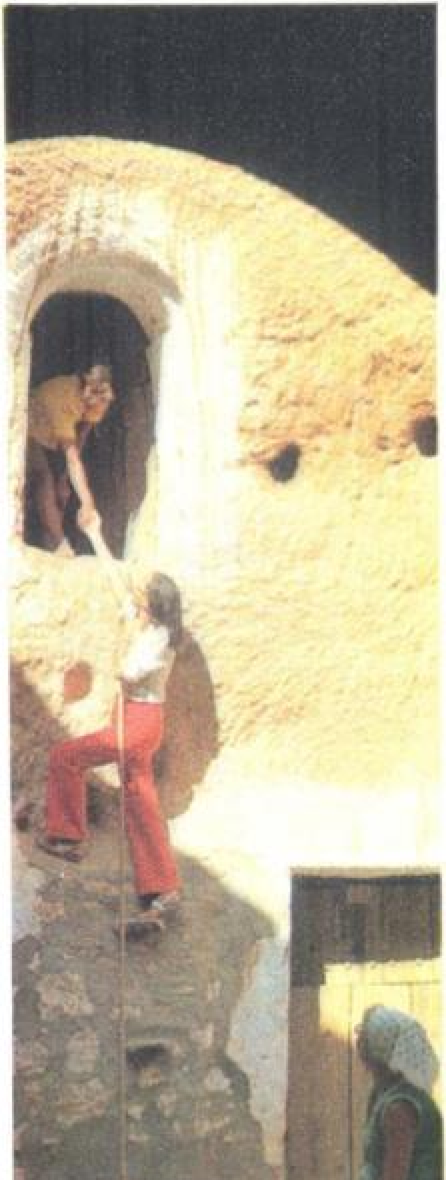
لقد هطلت السياحة فجاة على الجنوب التونسي ، جاءه الناس من مختلف دول اوربا .. يريدون رؤية واحاته ومدنه المجهولة ..

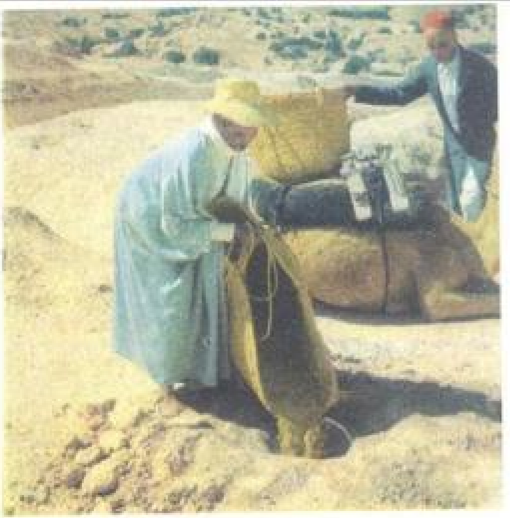
واستأثرت مدينة قابس بنصيب الأسد من هؤلاء السياح .. ولكنها في دعايتها عن نفسها لا تكتفي بذكر ساحلها وواحاتها ، وانما تضيف مطماطة على انها من معالمها . حتى أصبح الناس يتفرجون على مطماطة ويقيمون في قابس ، فماتت مطماطة وانتعشت قابس ! .

ونترك تكملة الحديث عن قابس الى استطلاع آخر مستقل ، لنعود الى تكملة استطلاعنا عن مطماطة ..

كان الوقت متاخرا ، والشمس قاربت الشروق عندما سرنا وراء مدير الفندق ليدلنا على « غرفنا » .. وفي الحوش الكبير أشار الى فجوتين على ارتفاع نحو ثلاثة امتار ، وقال « هنا ستنامان .. » ولم نجد شيئا نصعد عليه ، فقلنا : « وكيف الوصول اليهما ؟ » .

فأجاب مدير الفندق : « بسيطة .. أمسكا



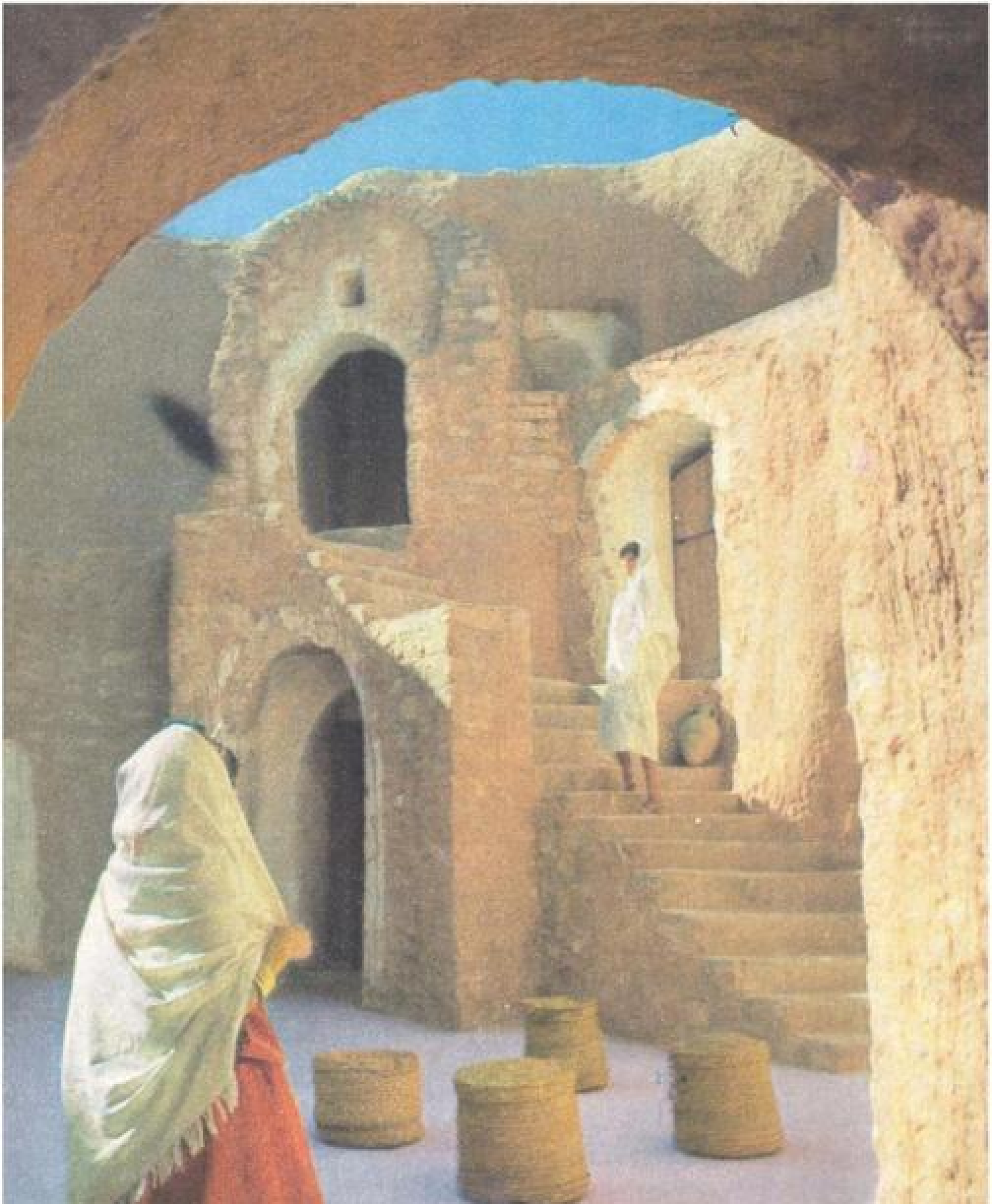


على ظهور الجمال تنقل الحبوب ، ثم تفرغ في حفرة صغيرة مؤدية الى غرفة الغلال الموجودة تحت الارض !

الى اليسار : هكذا يصعد السياح الى غرفهم في الفندق .. يمسكون بالحبل ويتسلقون الجدار ..

الى اسفل : غرفة داخل الغار .. الرجل متزوج من بنت خالته .. السجاد الذى يغطى الغرفة من صنع الزوجة ..





هذه الصورة تعطي للقارىء فكرة واضحة عن احد « منازل » مطماطة .. حفرة كبيرة واسعة يستغرق حفرها نحو عشرة شهور ؛ وبعد ذلك تحفر الغرف التي تتكون منها المنزل .. ويسمون هذا المنزل .. دارا او داموسا .. والذي نراه هنا هو الفندق السياحي الذي تركوه على نفس الطابع القديم ، مع اقامة سلالم لراحة السياح ..



تركت هذه السائحة سيارتها ، وامتطت ظهر الجمل لتنتقل في شوارع مطماطة .. انها آمن وسيلة لعدم السقوط في حفرة !



على أنغام المزمار ودقات الطبلة ، الفرقة الفلكلورية المطماطية

بهذا الحبل المتدلي واسندا قدميكما على الحائط ، واصعدا .. » .

وكان صعودنا الى الجحرين من المشقة بحيث خلنا انفسنا نتسلق جبلا .. مع الفارق الهائل طبعا ! .

كابوس الصقر والعصفور !

الغرفة محفورة داخل الجبل .. تضيئها شمعة صغيرة ، اذ لا توجد كهرباء في مطماطة ، ولا نوافذ ولا أبواب .. وأحسسنا برعشة ، ولكن متاعب الطريق جعلتنا نغط في نوم عميق ، لم يطل كثيرا للاسف ، اذ صحوت مذعورا على حركة غريبة ، وفتحت عيني لأرى طيرا يرفرف فوق راسى مباشرة ، وجعلتني المفاجاة اتخيله نسرا ، جاء ينتقم مني لاحتلالي جحره المفضل ، فقفزت من السرير ، لأنظر من الفجوة فلم اشهد سوى العصافير تغرد للشمس الساطعة !!

غار .. وداموس !

وارتديت ملابسي ، وامسكت بالحبل الذى كنت قد احتفظت به داخل الغرفة كاجراء احتياطي لكل شيء غير متوقع ، وبدات عملية النزول .. لم يكن احد قد استيقظ بعد .. الحمامات والمغاسل مشتركة ، اذ لا توجد « جحور بحمامات » على وزن « غرف بحمامات » ..

وخرجت من سرداب الفندق اتجول قليلا .. لم اجد بشرا فوق الارض انهم كلهم في جحورهم .. وهم لايسمونها جحورا وانما غيرانا .. ومفردها غار.. بينما يسميها البعض دواميس .. ومفردها داموس .. ومعناها في اللغة الحفرة لاظلامها ..

مصطاب .. مطماط !

ولكن من الذى حفر هذه الجحور ؟ ، وما قصة مطماطة ؟ وما معنى هذا الاسم ؟



راح السياح يرقصون مع أفراد الذين ارتدوا زيهم الوطنى ...



حسن الفرونى وزوجته وابنهما ، من أنصار مطماطة القديمة ، ولكنهما ادخلا تحسينات كبيرة على غارهما ليصلح للسكن .

ويتهرب أهل البلد من الاجابة بقولهم : « الاسماء لا تعلل » .. ولكن كتب التاريخ تروى ان مطماطة هي اسم شعب كان يشمل قبائل عديدة لا يخلو منها مكان بالمغرب الكبير كله.. وكان اسم ابيهم مصطاب ، ومطماط ليست الا لقبا له ـ ومطمط في كلامه ـ في اللغة ـ معناها توانى فيه .. وحيثما كانت تنزل هذه القبائل ، التى كان لها دور خطير في القرن الاول الهجرى ، كانت تعطى المنطقة التى تنزل فيها اسمها .. فهناك جبل مطماطة بين وهران وتاهرت في الجزائر ، وهي المساكن القديمة لقبائل مطماطة ، اما اليوم فان تمركز المطماطيين اصبح في جنوب تونس ، حيث أعطوا اسمهم للجبل والمدينة التى نحن بصددها ..

نجد أم جبل ؟

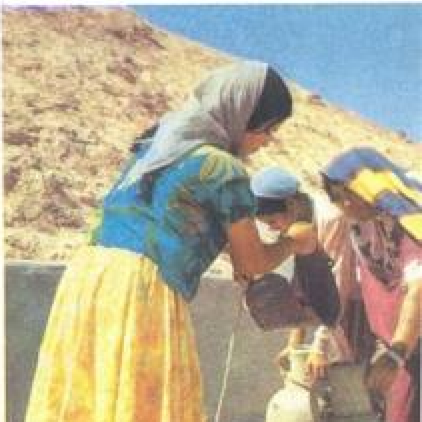
ومرتفعات مطماطة هي الطرف الشرقى لسلسلة جبال اطلس ، وهي في الحقيقة نجد" مرتفع وليست بجبل كما يسميها أهلها ، اذ لا يزيد ارتفاعها عن ٤٥٠ مترا .. تطل على سهل ضيق محصور بينها وبين البحر ..

وكان هذا السهل بمثابة عنق الزجاجة ، تمر منه الجيوش الغازية القادمة من المشرق للمغرب.. فمن هنا مرت جيوش عقبة بن نافع .. ومن هنا ارتفع صهيل جياد قوات رويفع الانصارى عندما جاءت وفتحت مطماطة عام ٤٢ هـ .. ومن هنا مرت عشرات الغزوات والجيوش الجرارة .. مما حدا بأهل مطماطة الى هجر السهل والصعود الى الجبل يحفرون فيه منازلهم بهذا الاسلوب الغريب لحماية انفسهم ضد الغزوات القديمة.. ولكن أسلوب حياتهم بدأ يتبدل بعد ان جاءتهم قبائل بنى هلال وفرضت عليهم اللغة العربية ، وعاشت بينهم قبائل « الطرابلسية » العربية واندمج البربر مع العرب وانصهروا في بوتقة العروبة ..

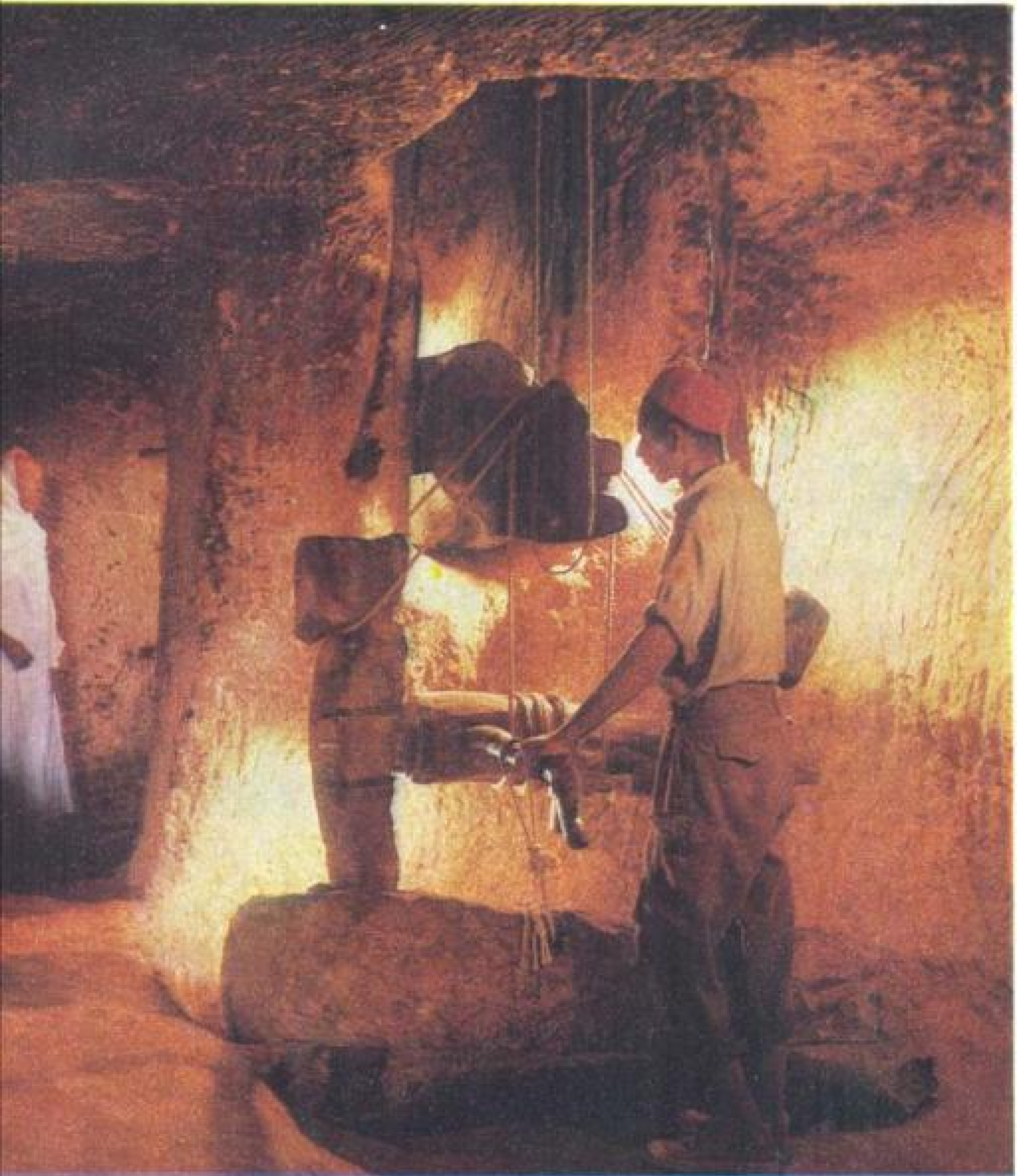


الى اليسار : تقوم المرأة في مطماطة بدور الرجال ، الذين انتقلوا للعمل في مختلف المدن التونسية .. اما وقت فراغها فتقضيه امام آلة نسيجها البدائية : اعمدة من اشجار الزيتون مغروسة في الارض ، وخيوط متتالية متصلة ، تصنع عليها اجمل الاكلمة والزرابي ذات الرسوم الهندسية التي تلقى الاعجاب .. ان اغلب نساء مطماطة يجدن النسيج ويستعملن صوف الجمال وشعر الماعز .

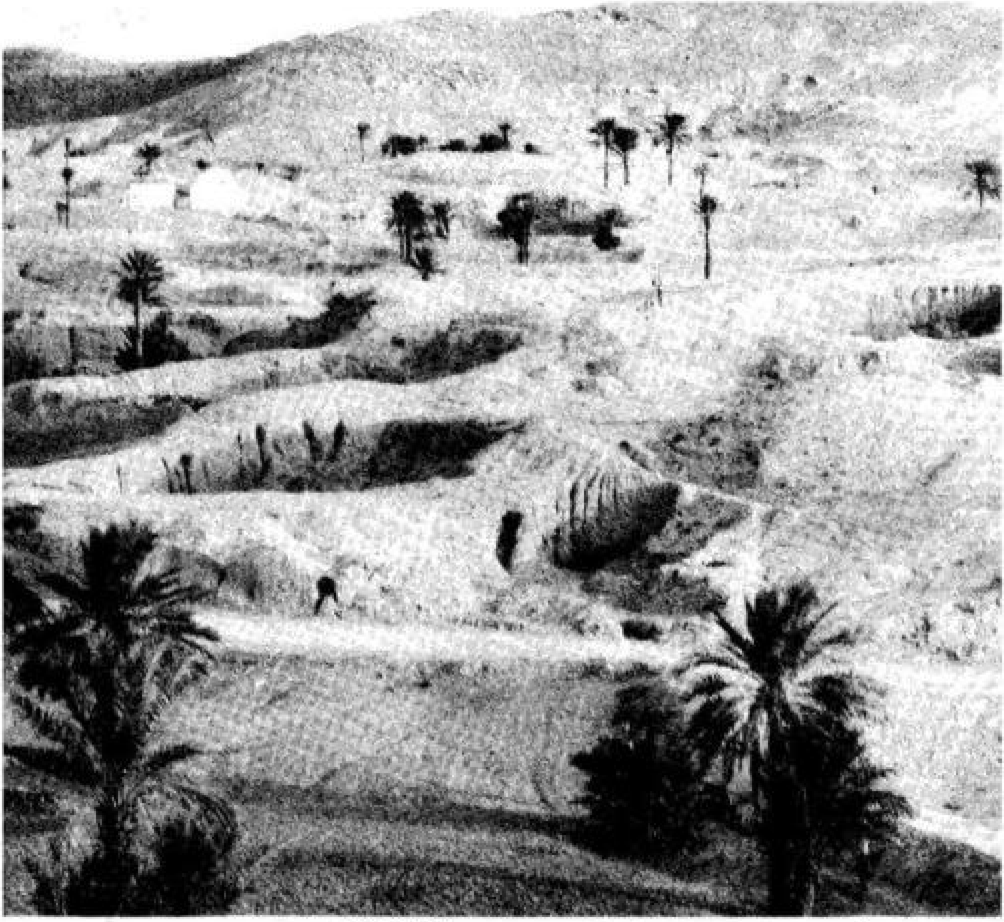




في مطماطة بئر ماء واحدة ، تعطي لترا واحدا من الماء في كل ثانية تكفي حاجة نزلاء فندق سيدي ادريس فقط .. اما الاهالي فيعتمدون على سقوط الامطار ، يحفرون خزانات تحت الارض تتجمع فيها مياه الامطار . يسمونها ماء الماجل ، او ماء الفسقية .. وتملأ النساء جرارهن ويحملنها فوق ظهورهن ــ كما ترى في الصورة



اقدم معصرة لزيت الزيتون شهدناها في غار تحت الارض في مطماطة .. كتل من جذوع شجر الزيتون مربطة باحجار ضخمة ، تعمل على طحن الزيتون واستخراج الزيت منه .. ويقول الاهالي ان عندهم ٢٠٥ الف شجرة زيتون في جبل مطماطة تتحدى الجبل والجفاف .. ولكنها لاتثمر الا عند سقوط الامطار ، التي هطلت في السنة الماضية على هيئة سيول كاسحة ، بعد جفاف استمر ثلاث سنوات متتالية ..



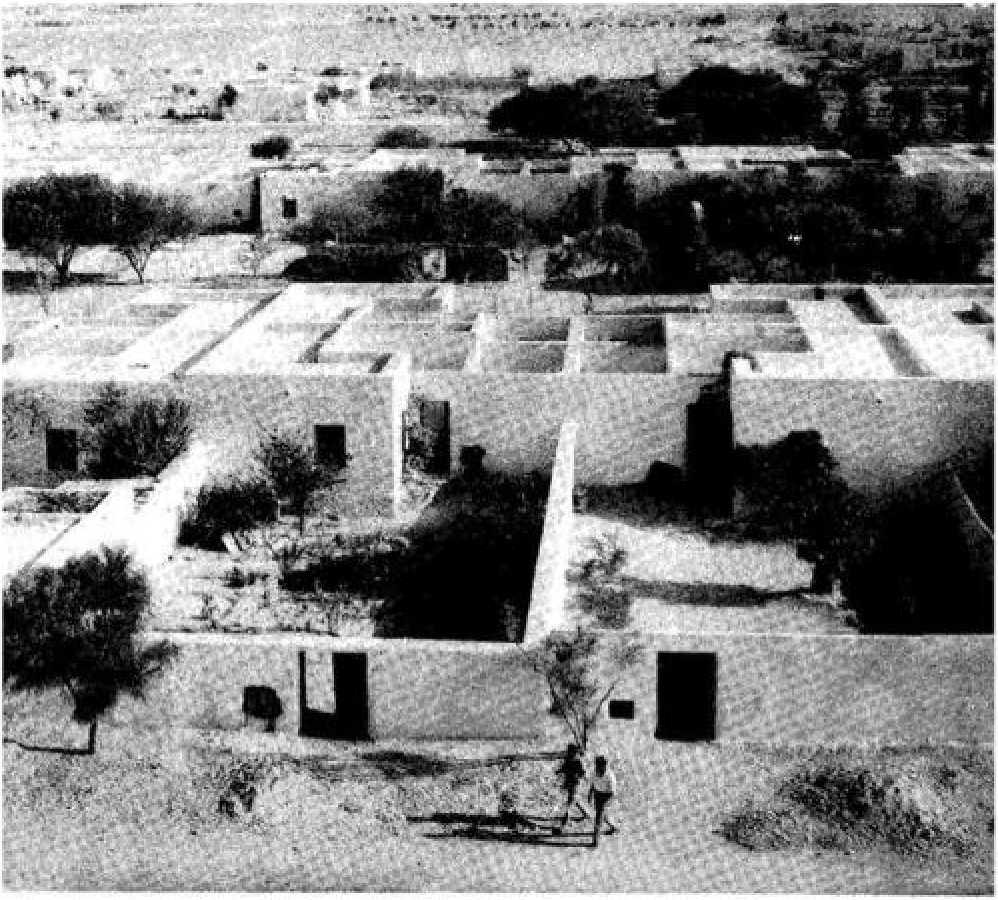
لا يمكن أن يتخيل المرء أن داخل هذه الجحور تعيش مدينة كاملة بأهلها وحيواناتها ومتاجرها وفنادقها ، كلها تحت الارض . انها مطماطة الغريبة، التى يرفض جزء كبير من أهلها ترك جحورهم والسكن فى المنازل الحديثة .

روميل ومونتجومرى ومطماطة !

.. ومن فوق جبل مطماطة شهد أهلها آخر معارك حرب شمال افريقيا ، عندما حاول الماريشال روميل فى ٦ مارس ١٩٤٢ ان يرد جيش مونتجومرى ، ولكن خيانة حلفائه جعلت روميل يفشل حيث كان يجب ان ينجح ! .. وبعد هذه الهزيمة شهد اهل مطماطة حركة الالتفاف التى قامت بها قوات مونتجومرى المحملة على ثلاثة آلاف سيارة ، تلك الحركة التى مرت بجوار مطماطة فى طريقها الى البحر ، لتقطع خط الرجعة على جيش رومل وتاسره باكمله داخل هذا الممر الضيق ، ولكن روميل هاجم هذه القوات واوقفها وانقذ جيشه من أسر محقق ..

ارغام الأرض على الانتاج

لقد تعاقبت القرون على اهل مطماطة وصراعهم مستمر مع الارض ، والطبيعة ، والتقدم .. يحملون الاتربة على أكتافهم ويصعدون بها الجبل ، يضعونها داخل مربعات تحيط بها جسور ، ويزرعونها تينا ونخيلا وزيتونا .. حتى اصلحوا أرضا ارغموها على الانتاج ، بفضل مثابرتهم وجهدهم ..



وهذه هي مطماطة الحديثة ، شيدتها الحكومة لتنقل اليها سكان البلدة القديمة ، وكل عام سوف تقيم ٣٠٠ منزل جديد ، الى جانب السوق المركزي والمستوصف والمدرسة والمقاهي ، ووفرة المياه والارض الزراعية.

ولكن هذا الجهد الكبير من الانسان كان يتبخر امام محاربة الطبيعة القاسية له . انهم يقولون ان معدل سقوط الأمطار يتراوح بين ١٥٠ و٢٥٠ مليمترا سنويا . ولكن هذا المعدل لم ينتظم ابدا .. فمرة جفاف يستمر سنين .. ومرة سيول تكتسح كل شيء فتتكسر الجسور الرملية ، وتنجرف التربة ، ويتطلب الامر صرف ٦٠ جنيها تونسيا لاصلاح كل مربع صغير من الارض ، فتتحول الزراعة الى خسارة ، ويعجز ثمن الثمار المقطوفة عن تغطية المصاريف المدفوعة .. فتبور الارض ويهجرها ابنها ..

احفر الغرفة في الجدار !

ولكن فقر الارض وبخلها يقابله غناء نفس وكرم حاتمي يتميز بهما ابن مطماطة على سكان الجنوب التونسي ..

وما زال الجو العائلي هو السائد في مجتمع مطماطة .. كبير العائلة له الكلمة العليا .. والاولاد يتزوجون وينجبون ويعيشون في نفس الغار الكبير .. وعندما يحتاجون الى غرفة جديدة يحفرون الجدار ... ويقوم بهذه العملية عمال مختصون يتقاضون ٢٠ جنيها تونسيا عن كل غرفة

الى اليمين : اتاحت المباني الحديثة في مطماطة الجديدة الفرصة امام الديوان القومي للصناعة التقليدية ، لاقامة مركز لتدريب فتيات مطماطة على صنع المنتوجات التقليدية .



الى اسفل : السيد علي المرزوقي معتمد مطماطة ، في احد اجتماعاته مع الاهالي .. انه يشركهم معه في تحمل مسئولية النهوض بالمدينة الجديدة ، واقناع بقية الاهالي بضرورة هجرة جحورهم القديمة ،والسكنى في المنازل الحديثة ..

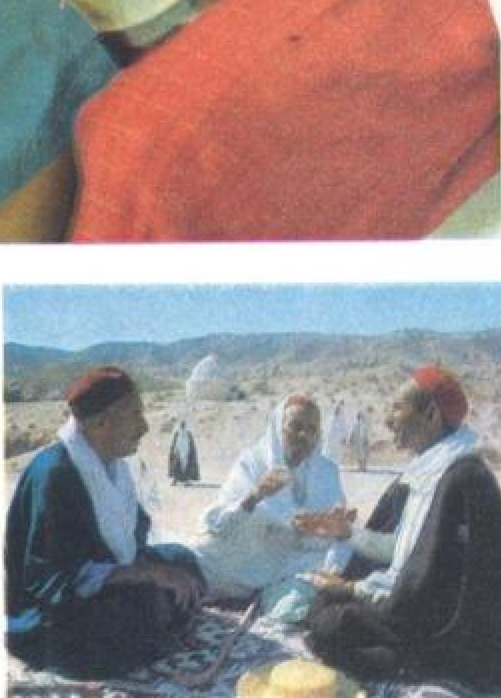




الى اليسار : في عام ١٩٦٧ ازيل مستشفى مطماطة لعدم وجود عدد كاف من السكان .. واصبح الطبيب يأتي للمدينة ثلاث مرات في الاسبوع فقط .. وفيما عدا ذلك تقوم ممرضة المستوصف بفحص الحالات الطارئة ..



الى اليمين : محكمة في الهواء الطلق .. يحتكم الشخصان الى شخص ثالث كبير ، يقوم بمهمة القاضي فيجلس تحت ظل احد قبور الاولياء ويستمع الى المتخاصمين قبل ان يصدر حكمه .. وهذه المحكمة تسمى « العرف » .



يحفرونها .. ويتكلف حفر المنزل ذى العشرة غرف ٦٠٠ جنيه ، ويستغرق حفره مدة عام كامل ..

الأولياء .. والجندي الأجنبي !

وايمان اهل مطماطة بكرامات الاولياء الصالحين ، يصل الى الذروة .. وقد عدوا لنا اسماء ٢٤٥ وليا لهم اضرحة ومقامات فوق أرض مطماطة .. وليس من الضروري ان يضم الضريح جسد الولى ، وانما يكفى ان يشهد احدهم برقا أو رعدا ، حتى يقيم في المكان ضريحا يتبرك به الناس .. وروى لنا احد ابناء مطماطة الطاعنين في السن قصة احد « الأولياء » بقوله :

« توفي جندي اجنبي فدفنوه في مطماطة .. ودارت السنون وسافرت وعدت الى بلدى لأجد قبر الجندي وقد تحول الى ضريح يقصده الناس للتبرك به !! »

المرأة تحكم مطماطة

ويشتهر ابن مطماطة بانه الخباز رقم واحد في تونس .. لاجادته هذه المهنة منذ قديم الزمان ، كما اشتهر ببيع الحمص والفول .. انه يهجر بلدته ليعمل في هذه المهن بمختلف المدن التونسية.

وترتبت على هذه الهجرة الداخلية ، مشاكل عديدة لمطماطة التى هجرها شبابها ، ولم يعد يسكنها الا النساء والاطفال والشيوخ.. واصبحت المرأة هي المسئولة الاولى .. تعتنى بالماشية والزيتون ، وتربية الاولاد ، وتنسج السجاد وبرانس الرجال .. بينما زوجها يرسل لها الاموال بانتظام .. وقدروا المبالغ التى يرسلها الشباب الى اهلهم بنحو ١٥ الف جنيه تونسى شهريا ..

ولكن هذا الاسلوب من الحياة بدأ يتبدل ، عندما شرعت المرأة تهجر بدورها مدينتها الغريبة ، وتتجه الى تونس العاصمة لتلحق بزوجها ..

حفلة تعارف هائلة !!

الا انه ما يكاد يحل موسم سيدى قناوى حتى يرجع الجميع للاشتراك في احتفالاته الغريبة التى تنفرد بها هذه المنطقة ...

وموسم سيدى قناوى تقليد غريب متوارث ، كان سببا في هبوط نسبة الطلاق في المنطقة ، وجعلها شبه معدومة ! انه حفلة تعارف هائلة تتم عند راس جبل ، دون اختلاط او كلام ، بين فتيان وفتيات قبيلة بنى عيسى الكبيرة التى لها عدة افخاذ .

تصريح خاص

وطلبنا رؤية هذا الحفل الغريب .. فقالوا :

« ممنوع تماما على اى شخص غريب ان يشهده .. لقد حاول سائح اجنبي التسلل ذات مرة بين الجموع ويلتقط صورة ، فكانت النتيجة وبالا على السائح وعدسته ! »

ولم نيأس ، وقلنا : « ولكننا عرب اتيناكم من اقصى الوطن العربي ، ونحن نصر على حضور هذا الحفل » وتوسط معتمد مطماطة وهو من المعجبين بمجلة « العربي » ، وكانت النتيجة موافقة لاول مرة على التقاط الصور في حفلة



بهذه العصا الرفيعة المقطوعة من احدى الاشجار يحفظ عم عياد النظام ، ويمنع الشباب من التحدث الى الفتيات في حفلات التعارف ...



مدينة الخيام،تظهر في الصحراء لمدة ثلاثة أيام في السنة أثناء الاحتفالات بمولد سيدى تناوى .. وخلال تلك المدة تدور حفلات التعارف بين أبناء وبنات قبيلة بني عيس.

التعارف .. ولكن دون الاقتراب الزائد من الشباب ...

العين في العين !

ويدور حفل التعارف الكبير حول ضريح سيدى القناوى ، الذى توفي في نفس الوقت مع سيده علي الميجاني ، فدفنا معا في ضريح منعزل وسط الصحراء القاحلة شيد عام ١١٢٢ هـ .

وتنقلب تلك الصحراء ، ايام المهرجان الذى يستغرق ثلاثة ايام ، الى مدينة خيام كبيرة .. وتبدأ الاحتفالات بعد ظهر اليوم الاول بصعود الفتيات في صف طويل الى رأس تل قريب ، يتبعهن الفتيان في صف آخر .. وعند رأس التل يجلس الشباب بمواجهة الفتيات،ويظل كل منهما ينظر للآخر مدة ساعتين دون اى حديث أو كلام ... وبعدها تنزل الفتيات يتبعهن الفتيان الى الخيام في سفح التل ، حيث يكون الاهالي في انتظارهم ، ويدور الحديث بين الاباء والابناء طوال الليل تحت الخيام .

خيزرانة العم عياد !

وفي صباح اليوم التالى تتكرر عملية الصعود ، ولكن في مكان آخر هو وادى زعتر ، يظل الطرفان ينظران الى بعضهما فترة ساعتين .. ثم تجمع الفتيات عشب الزعتر ، وينزلن الى خيام العائلة وخلفهن الفتيان .. وبعد الغداء يصعدون الى قمة تل القريقة ، ويمكثون ساعتين ينظرون الى بعضهم البعض ، دائما بدون كلام .. وفي صباح اليوم الثالث يصعدون الى قمة التل للمرة الاخيرة ويمكثون ساعتين دون أى حديث.. والويل للشاب المخالف ، من خيزرانة العم عياد .. انه الحارس والوالد والعم الذى يقوم بمهمة مراقبة المحبين منذ ٤٥ عاما .. وعندما سألناه عن الفرق بين شباب اليوم والامس اجابنا : « المخالفات في هذه الايام اقل من الماضي .. وشباب هذه الايام أسهل في اطاعة الاوامر من شباب الامس..والعصا الغليظة كنت استعملها في الماضي اما اليوم فاكتفي بهذا الغصن من الاشجار » .





التعارف : تقليد تنفرد به قبائل بني عيسى .. وهؤلاء مجموعة من الرجال في طريقهم الى رأس الجبل ، حيث يقفون في صفوف لمدة ساعتين امام الفتيات دون اختلاط او حديث .

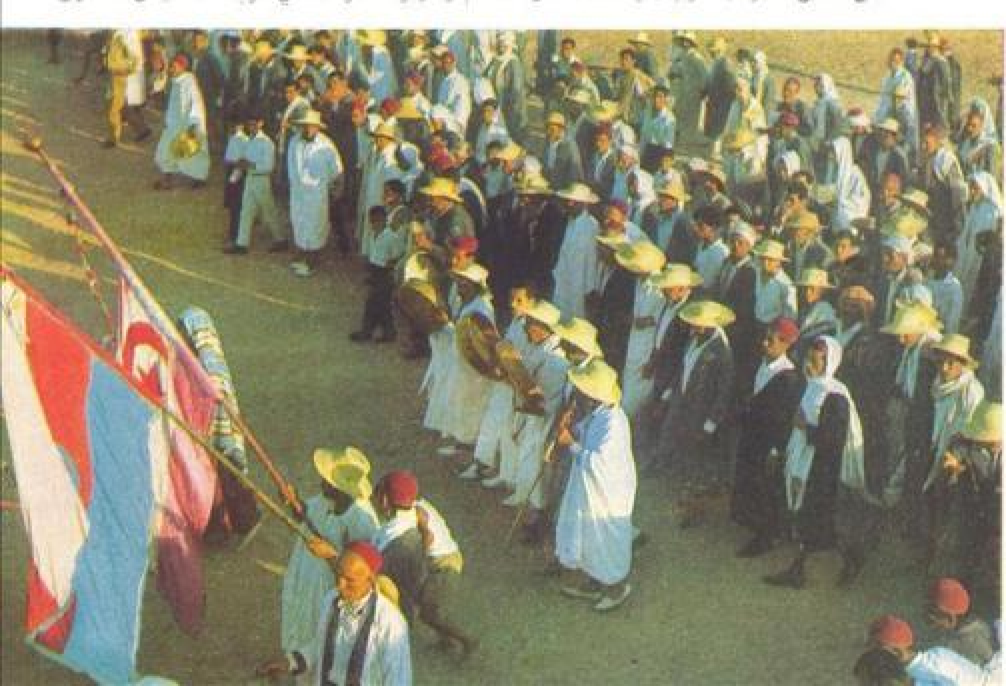
الى اليسار : اول صورة تنشر لنساء قبائل بني عيسى قبل صعودهن الجبل .. الفتيات يضعن الشال المخطط فوق رؤوسهن ، والمتزوجات يضعن الشال الابيض

الى اسفل : تنتهي احتفالات التعارف بمهرجان للفروسية رائع ، يقام عند ضريح سيدي قناوى ، ويشترك فيه رجال قبائل بني عيسى ببنادقهم ..





الى اسفل : موكب الرجال يتقدمه حاملوا الاعلام وقارعو الدفوف ، في طريقة لسيدي فتاوى .





يشتهر اهل مطماطة باجادتهم لمهنة الخبازة وهم يهجرون بلدتهم للعمل خبازين في مدن تونس .. وفي مطماطة تقوم الام وابنتها باشعال الحطب لتسخين الحفرة قبل وضع العجين داخلها لعمل الخبز .. انهم يسمون هذا الفرن « التبونة » .



داخل هذه الجرار الفخارية الضخمة والشعير والفلفل الأحمر لمدة تكفيه عاما في حوش « المنزل » وتغطى بالحصير

نهاية الاحتفالات .. وبداية الحياة الزوجية

وبعد ان تتم المقابلات الاربع تبدأ مهرجانات العاب الفروسية لرجال بني عيسى .. ومن القرى المجاورة يتجمع موكب حاشد تتقدمه الاعلام والرايات ، وعلى دق الدفوف والاناشيد يسير الجميع حتى يصلوا الى ضريح سيدى قناوى .. وعندها تنتهي الاحتفالات وتنطوى الخيام ، ويتجه كل شخص الى قريته ومدينته .

اما الخطبة والزواج فيتمان بعد ان يذهب والد الشاب الى اهل الفتاة التى وقع عليها اختيار ابنه ، فيطلبان يدها ...

وسن الزواج هي السابعة عشرة عند الفتيات والعشرون عند الفتيان ..

.. وكان اهل مطماطة القدامى يتزوجون ثلاثا او اربعا ، اما اليوم فزوجة واحدة هي المسموح بها ، بعد صدور قانون منع تعدد الزوجات في تونس .. والزواج المفضل في مطماطة هو الزواج من الاقارب ..

واحتفالات الزواج تبدأ من اعلان الخطوبة ، يهز (اى يرسل) العريس تلا من الفلفل الحار وكمية من اللحم تقرب من ١٠ كيلو مع بعض الهدايا للعروس ، وتدوم الاحتفالات ثلاثة ايام يشترك فيها الرجال والنساء بالغناء ، يرد فيها بعضهم على بعض .. ويوم العرس يدعو « العريس » اهل مطماطة الى حفل كبير يكون فيه طبق الكسكسى هو الطبق الرئيسي .. والى جانبه تل صغير من الفلفل الاحمر الحار



يخزن كل منزل حاجته من الحبوب او عامين .. وتترك هذه «المستودعات» لحمايتها من الشمس والمطر !!



تعاونية مطماطة الحديثة .. حققت ربحا قدره ٦ الاف جنيه في العام الاسبق .. انها المتجر الوحيد الذى يمكن أن تشترى منه شيئا في مطماطة .. ولكن الاسبرو ممنوع بيعه الا بعد الرجوع الى المستوصف الذي يتصل بقابس للحصول على اذن لصرف حبة أسبرو !!

.. انهم ياكلونه بكمية توازى كمية ما ياكلونه من خبز !!

ومن هذا الفلفل يصنعون نوعا من الحساء تشربه فتكاد عيناك تخرجان من محجريهما .. ويستغرب ابن مطماطة ويقول : « ولكننا انقصنا كمية الحار اكراما لكما » !!

البحث عن أرض منبسطة !

لقد اوقفت الحكومة التونسية مشاريعها في مطماطة بعد متاعب كثيرة .. فمثلا حاولت انشاء ملعب لكرة القدم ، ولكنها لم تجد مكانا منبسطا دون حُفَر لتقيم عليه هذا الملعب !! فهجرت الفكرة .. والمستشفى الذى فتحته اضطرت لاغلاقه بسبب قلة السكان ..

رضاء السائح أم الساكن

ان مطماطة ومنازلها واسلوب حياتها الفريدين يجعلانها مدينة سياحية من الطراز الاول .. ولكن هل نضحى بحياة ستة الاف نسمة ليتمتع حفنة من السياح بمشاهدة حياة لا يمكن ان تستمر في هذا العصر .. ايمكن ان تكون هناك حياة بهذه الصورة ؟ ايمكن أن تعيش مدينة باكملها تحت الارض ، كما كان يعيش سكان الكهوف منذ الاف السنين ؟

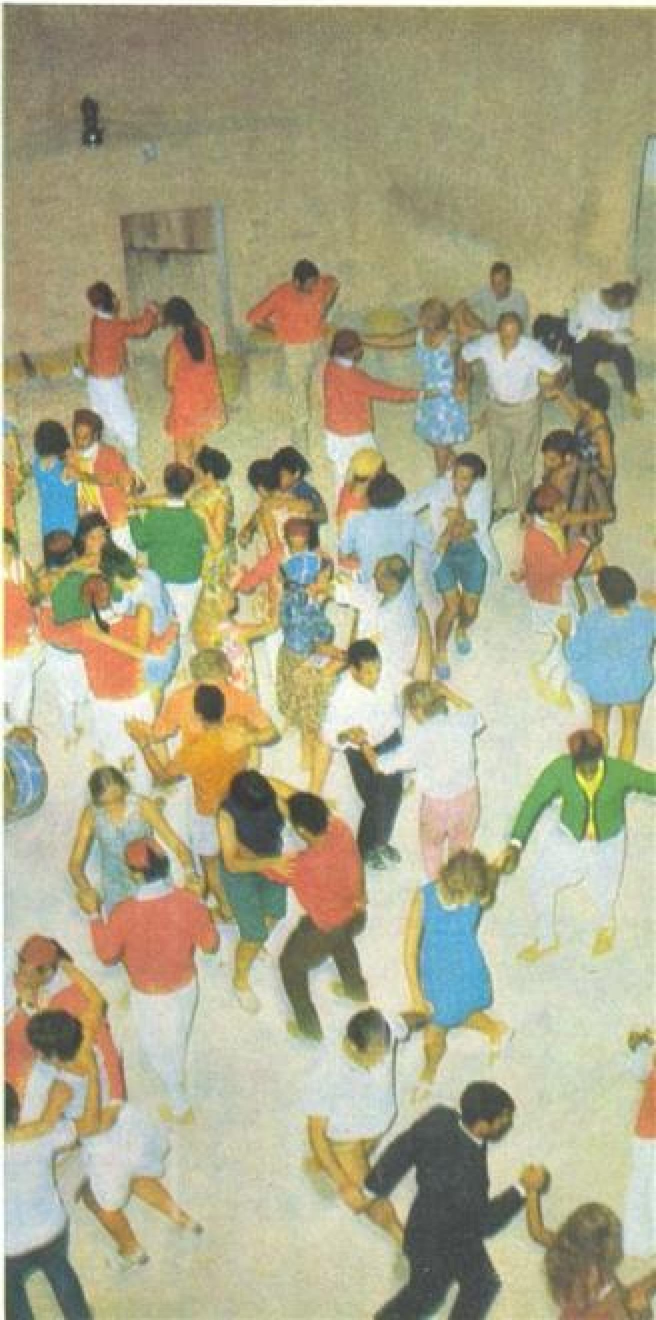
لا بد من الرحيل

واتجهنا الى السيد علي المرزوقي معتمد مطماطة نساله : « ماذا فعلتم لانتشال اهل مطماطة من هذه الحياة الغريبة » ؟

فقال : « تنبهت الحكومة الى آلام مطماطة ،



الى اليسار : ترتدي المرأة المطماطية السفاري الملون الجميل ، وتحلي صدرها وجيدها بمجموعة من العقود والتمائم المصنوعة من الذهب .. لتحميها من عين الحسود !!



الى اليمين : ١٠ آلاف سائح مروا بمطماطة في العام الماضي ، ولم يمكثوا بها لقلة فنادقها (بها فندقان يحويان ٢٣٠ سريرا) لقد قام سكان مطماطة بعمل انفاق وسراديب تحت الارض ربطت بين خمس مغارات مختلفة ، جعلوا منها خندقا كبيرا، ولكنهم فشلوا في ادارته ، فعهدوا به الى الشركة الصحراوية للسياحة مقابل ربح سنوي لايقل عن ٣ آلاف جنيه تونسي .. ان اقامة فندق حديث في مطماطة عملية رابحة اقتصاديا ، تشجعها وتساندها الحكومة التي تقدم تسهيلات كبيرة جدا للاموال الاجنبية المستثمرة في الجنوب التونسي.. اما اهل مطماطة فعلى اتم استعداد ليقدموا لك ٤ حفر مجانا لتقيم عليها فندق احلامك !!





الى اسفل : على الرغم من انتشار وسائل النقل الحديثة الا ان الجمل ما زالت له مكانته يعتز به رجال القبائل ويفخرون ، ويستعملونه في مختلف شئون الفلاحة ونقل الحبوب .



فبدات في دراسة مشكلتهم التى مضى على وجودها اكثر من الفى عام .. وخرجنا بنتيجة واحدة ، هي : يجب ترحيل اهل مطماطة عن جحورهم ، وبناء مدينة جديدة لهم .. اذ اتضح لنا ان اى اصلاح في مطماطة هو مجهود ضائع .. وبناء مطماطة جديدة اسهل بكثير من اصلاح مطماطة القديمة .. لهذا ما كادت الدراسات تنتهي حتى بدأنا عام ١٩٦٥ في بناء مطماطة جديدة .. مطماطة حديثة منازلها فوق الارض ، لقد شيدنا حتى الآن ٣٠٠ منزل .. واستصلحنا ٢٥٠٠ هكتار من الارض الطيبة ... كل هذا نقدمه لابن مطماطة القديمة نظير ايجار رمزى لايتجاوز جنيها ونصف الجنيه في الشهر ويصبح المنزل والارض ملكا له بعد ٢٧ عاما ..

« ولكن هذا المجهود الحكومي الكبير الذى نبذله يقابل بحركة مضادة من بعض الاهالي .. الذين يتمسكون بمدينتهم القديمة ويرفضون النزوح من جحورهم قائلين : « اننا كالشجرة الكبيرة اذا اقتلعت من مكانها ماتت » .. ولكنهم



روضة شهداء مطماطة .. انه النصب التذكارى الذى يضم رفات ثمانية شهداء سقطوا في معركة التحرير عام ١٩٥٦ وفي معركة الجلاء عام ١٩٥٨ .

يتناسون ان شجرة زيتونهم لاتثمر الا اذا هطلت الامطار .. والامطار مضى عليها ثلاث سنوات دون ان تهطل قطرة واحدة .. ونخلتهم لاتنتج في غالب الاحيان الا بلحا حامضا يصلح لتغذية المواشي لا لسواها .. »

شربة مـاء !

ويتابع معتمد مطماطة حديثه بقوله : «ان مشكلة مطماطة الاولى هي انعدام المياه .. لهذا قررنا بدلا من نقل الماء الى المدينة ، ان تنقل المدينة الى الماء .. ان الماء في مطماطة الجديدة متوفر وبكثرة يخرج بمعدل ١٢٠ لترا في الثانية اى ما يكفى للشرب ولرى ٢٥٠٠ هكتار من الارض الزراعية ، في حين أن بئر مطماطة القديمة الوحيدة تعطى لترا واحدا في الثانية ، لهذا يقولون « شربة ماء » في مطماطة القديمة ، في حين يقولون « شربة ماء » في مطماطة الجديدة .. لتوفر الماء .

وينهي معتمد مطماطة حديثه بقوله : « ان مطماطة القديمة لها رونقها وجاذبيتها ، ونحن لن نعمل على ازالتها ، وانما سوف نستغلها سياحيا فقط ، ولكن ليس لسكن العائلات والناس .. ان الذين يتمسكون بمطماطة القديمة اصبحوا يتسللون الى مطماطة الجديدة ويزورون اقاربهم .. ولن يطول الوقت الا ويكون سكان مطماطة القديمة جميعا في مطماطة الجديدة .. اننا شيدناها من اجلهم .. من اجل راحتهم .. ومن اجل أولادهم ..»

كانوا فاصبحوا ..

كان أهل مطماطة يعيشون تحت الأرض فاذا جاء اجلهم وتركوا الدنيا خرج الأحياء يحملون جثث موتاهم ليدفنوها فوق سطح الارض .. حتى أطفالهم ، لم تكن صرخاتهم تنطلق فوق الأرض .. وانما كانت لتنبعث من بطن الأرض .. هناك كانوا يولدون ويكبرون ويعيشون دون أن يروا نور الحياة ..

مدينة غريبة ، واغرب منها أهلها وحياة سكانها ..!! ■■

سليم زبال

أنباء الطب والعلم والاختراع

تعقيم الذكور

أيسر من تعقيم الأناث

● ولكي لا يسىء احد فهم ما نقول نبادر بأن المقصود هو التعقيم فى الحيوانات .

والاساءة الى الحيوان ، يأتيها الانسان ، لا ترضى عنها الأخلاق دائما . ولكن ماذا يصنع الانسان فى الضار من الحيوان . انه الدفاع عن النفس .

وهذا الخبر الذى نذكره اليوم يختص بالفئران . وكثرة الفئران ، وعلى الأخص الجرذان ، وباء فظيع على الأرض ، وفى السفن ، ويحمل الأمراض .

وقد اصطنعوا للفئران سموما ، هي اليوم معروفة . مثال ذلك المادتان السامتان Warfarin و Fumarin . وهى سموم فعلها لا بد يتراكم ، واذن فلا بد ان يتعاطاها الفأر ذكرا كان او انثى ، المرة بعد المرة .

اما خبر اليوم فعن مادة كيماوية يتعاطاها الفأر الذكر مرة واحدة . وهى لا تؤذيه . وهو بعدها يحتفظ بقوته . وهو يحتفظ بين الاناث بقدرته . وهو يحارب الذكور فى سبيل ذلك . لا فرق فيه ، قبل تناول هذه المادة الكيماوية ، وبعدها ، الا انه يصبح عقيما . يتصل بالأنثى ولكنها لا تلد . وهو صار عقيما وهو لا يدرى . والظاهر ان هذه المادة الكيماوية (وهى 3 -Chloro -1.2-Propanediol تحدث فى الجهاز التناسلى للفأر تغيرا فى نسيجه يكون من شأنه منع الحيوان المنوى ان يخرج .

فحياة الفئران بعد هذا العقار تجرى كما كانت تجرى ، ولكن يقل النسل ، لأن كثيرا من الاتصالات الجنسية عقيمة النتيجة .

وليس هذا الأسلوب بجديد ، فقد استخدم بنجاح فى تقليل عدد الذباب فى اماكن محدودة ، وذلك بأن اطلق فيها ذكور منه عقمها العلماء فى مختبراتهم تعقيما . وامتزجوا بالاناث ، ولكن لم ينتجوا شيئا .

وفى الانسان يجرى تعقيم الرجال جراحة ، ويحدث التعقيم كما يحدث فى الحيوان . ويلتقى الذكر بالأنثى ، ولكن لا حمل .

بريطانيا أقامت أول اقمارها الاصطناعية في منظومة مواصلاتها الدفاعية

في هذا الأمر سبقت الولايات المتحدة وسبقت الروس ، وجاءت بريطانيا فكانت ثالثة الثلاثة ، بين الأمم التي تعتزم ان يكون لها في السماء ، من الأقمار الاصطناعية،منظومة" خاصة بها.

وهذا الخبر يشير الى ما تم اطلاقه فعلا في ٢٢ نوفمبر عام ١٩٦٩ ، ذلك القمر الاصطناعي البريطاني الاول ، وهو احد قمرين تريد بريطانيا ان تطلقهما لتبدأ بهما منظومتها اللاسلكية للمواصلات السماوية، الدفاعية خاصة، التي اسمتها سكاى نت Skynet ، ولعل معناها شبكة السماء . وقد عاق اطلاق هذا القمر الأول اشتغال الولايات المتحدة بشئون من الاطلاقات السماوية اخرى ،

ولكن تهيات الأمور اخيرا ، واستقر القمر البريطاني على ارتفاع ٣٧٠٠٠ كيلومتر فوق المحيط الهندى : عند خط الطول ٤٠ شرقا ، وهو يدور مع الأرض وبسرعة دورانها فكأنما هو معلق فوقها في السماء ثابتا . وبعد اطلاقه تسلمه سلاح الطيران الملكي البريطاني .

وقد تعاقدت بريطانيا على القمر الثاني في المنظومة ، وسيكون اطلاقه في اوائل هذا العام الحاضر عام ١٩٧٠ ، وكلفة القمرين معا بلغت ٤ر٥ مليون من الجنيهات .

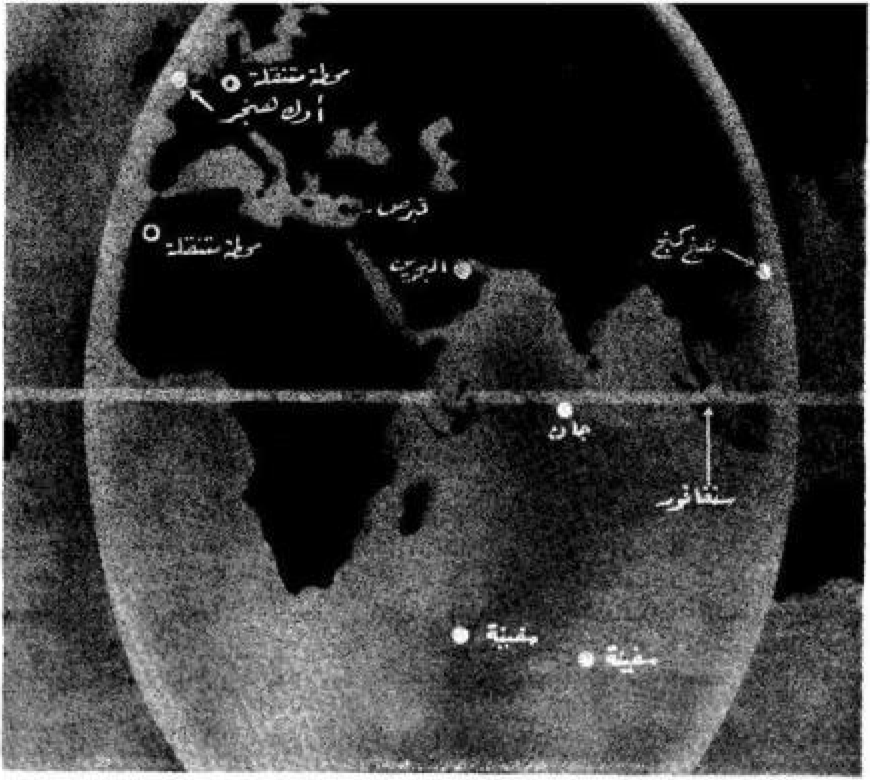
وبالطبع لا بد لهذه الأقمار من محطات ارضية تجرى المواصلات بينها وبين

صورة القمر الاصطناعى الاول فيمنظومة الأقمار الاصطناعية الدفاعية البريطانية



مركز المنظومة القمرية في اوك هنجر ببريطانيا ، وفي الصو محطة الالتقاط والبث وقطر جهازها هذا ١٢ مترا





صورة للكرة الأرضية ، وفيها هذا الشكل البيضي ، وهو يحدد المجال الفعال الذى تعمل فيه المواصلات عبر القمر الاصطناعي الموجود فوق المحيط الهندى فى الصورة . وفى الصورة كذلك بلدة اوك هنجر Oakhanger مركز هذه المنظومة من الأقمار فى انجلترا ، وكذلك فى الصورة المحطات الأرضية التسع ومنها اثنتان فوق سفينتين .

الاقمار ، فهذه المحطات جميعا تقيمها بريطانيا .

والقمر الاصطناعى للمواصلات له عمر محدود ، وهم قدّروه بثلاث سنوات ، بعدها لا بد من اطلاق بديل يحل محله . وكل هذا عمل القائمون على هذه المنظومة حسابه .

والقمر يأذن بمحادثات عددها ٢٢ ، بين اثنين ، فى وقت واحد . بين اى مكانين واقعين بين لندن والغرب من استراليا . والتسهيل القائم اليوم هو الذى يكون بين المحطات الأرضية الموجودة فعلا ، وهي اليوم ١١ محطة ، منها اثنتان على ظهر سفينتين ، فهاتان محطتان متحركتان فى الماء .

وتعد منظومة هذه الأقمار من احدث المنظومات القمرية وفاء بحاجات الحرب والدفاع . ومن صفتها التى تميزها ان طاقة القمر التى تصنع المواصلة اللاسلكية هي من اكبر الطاقات المستخدمة الى اليوم فى الأقمار قدرا . ومعنى هذا ان الآلات التى تلتقط رسائلها على الأرض ليست بحاجة الى ان تكون ضخمة الحجم ، وهذا يأذن بأن يكون حجم المحطات الأرضية صغيرا ، وفى بعض الحالات يكفي للالتقاط جهاز يحمله ضابط . وهذا الأمر قد لا يكون خطيرا والمواصلات القمرية مدنية . اما والمواصلات حربية ، فلها شأن آخر .

اشعة س في حصاد البطاطس

● تسمع عن اشعة س فتذكر انك ذهبت الى المستشفى مرة او مرارا لتكشف هذه الاشعة عما خفي في جسمك من مرض .

اما ان تسمع عن اشعة س ، وان لها علاقة بالبطاطس ، في الحقل ، فامر لا يخطر عادة على بال .

ولكن الرجل التكني يخطر على باله كل شيء ، في هذا العصر التكني .

ان البطاطس عند الحصد يخرج من الارض ولكن معه قطع جامدة من التربة او معه قطع من الحجر . والرجل الحاصد يبقي على البطاطس ويرمي بالتربة والحجر .

واذن فهم طلبوا حاصدة ميكانيكية تفعل ما يفعل الانسان ، تبقي على البطاطس وترمي بالتربة والحجر .

وتجد هذه الحاصدة الميكانيكية في الصورة المرفقة (الى اليسار) .

وهي تعمل بالاشعة السينية ففيها مصدر للاشعة السينية يطلق ١٦ شعاعا ، ترتمي على خلية كاشفة Detector Cell تدرك الفروق في الكثافات للاشياء التي تقع بينها وبين الاشعة . وبهذه الطريقة ينفصل البطاطس عن التربة والحجر لما بينهما من اختلاف في الكثافة ، ويتخذ كل طريقا مختلفا . اما البطاطس فطريقه الى السيارة الشاحنة المجاورة (الى اليمين) .

وهذه الحاصدة تحصد الفدان

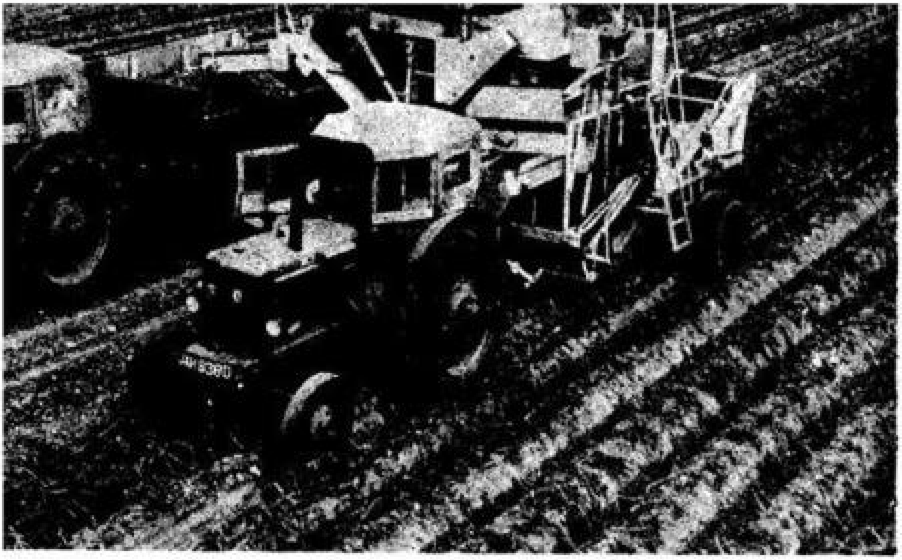
الاسلحة البيولوجية والاسلحة الكيماوية

● يقولون ان العلم محايد ، فهو لا يطلب الخير ولا يطلب الشر . والانسان قد يصنع السكين الحادة ، ويستخدمها للخير اذا شاء ، فيقطع بها الخبز مثلا ، وقد يستعملها للشر فيقتل بها انسانا . والتبعة في كل هذا تبعة الانسان لا تبعة العلم .

ولكن العلم نفسه يصنعه العلماء ، وهم ناس ، لهم راى ولهم فكر ، ولهم ضمير .

ولكن اهداف العلم الذى يصنعون كثيرا ما تظل مبهمة . فالشيء السام الذى يصنعونه هو للخير اذا كان سما يقطع دابر احياء مؤذية للانسان . وهو للشر ان كان سما يقصد به الانسان . فالانسان هو دائما معيار الخير والشر عند كل مراجعة . وفي هذا الابهام يتدارى العلماء ، وفى ظل هذا الابهام تبترد ضمائرهم وتسكن ريبتهم .

حتى اذا جاء العلم بالاسلحة البيولوجية الحديثة ، وبالاسلحة الكيماوية الحديثة ، اضرت بالناس ، او خيل انها تضر ، ضررا بالغا فات حد المعقول . وهو مع بلوغه شامل ، يشمل من اريد به الضرر ، ويشمل غيره من الأبرياء . هنا فقط استيقظت ضمائر العلماء الأحدثين فقاموا يضغطون على اهل السياسة ليحرموا مما صنع العلم كل ما اصبح يؤرق ضمائر العلماء بالندم لانهم صنعوه . وكان اقوى اهل العلم ضغطا فى هذا المجال جماعة علماء بجواش Pugwash ، تلك الجماعة الدولية التى اجتمعت اول مرة فى المدينة الصغيرة التى اسمها بجواش ، بنوفاسكوتيا بكندا ، ثم اتخذت لها نظاما للاجتماع دائما ، وهدفا انسانيا ثابتا ، ان يتوجهوا



الواحد في الساعة الواحدة .
وقد نجحت في حصد البطاطس حتى في أرض كان فيها مع كل بطاطستين تحصد ثلاثة من الأحجار .
وبالطبع هذا ينفع المساحات الواسعة من الأرض ، وتنفع حيث الرجال قلة .

بالعلم وجهة ، دولية ترفع عن الدنيا شروره .
وكان بسبب ضغط هؤلاء العلماء ، واضراب لهم ، ان تقدمت بريطانيا الى الأمم المتحدة بمعاهدة تجنب فيها استخدام البيولوجيا سلاحا من اسلحة الدمار ، وكان ما تلا ذلك من اقدام رئيس الولايات المتحدة على اعلان تحريم الاسلحة البيولوجية ، فيما يختص بالولايات المتحدة ، وانه لن يستخدمها حتى فى مقابلة المثل بالمثل . وهو تعهد فوق ذلك باتلاف ما صار فى مخازن الولايات الى اليوم من هذه الاسلحة .
وأمر الأسلحة البيولوجية لا ينتهى فى الولايات المتحدة بهذا التحريم ، فلا بد من تصديق مجلس الشيوخ فى الولايات على قرار الرئيس . والمعروف ان مجلس الشيوخ لم يصادق الى اليوم على اقرار شبيه بهذا ، عرف ببروتوكول جنيف لعام ١٩٢٥ .

اما عن الاسلحة البيولوجية فقد صرح رئيس الولايات بأنها لن تستخدم الا عند الأخذ بالثار . وتصريحه لم يمس البحوث الجارية فيها ، ولا صنعها ، ولا تخزينها .
على أن هذا ليس كل ما فى القصة .
فقد حدث قبيل تصريح رئيس الولايات بأسبوع أن اكتشفت هيئة دولية تعمل للسلام فى استكهلم ، ان الذى تنفقه الولايات المتحدة على هذه الأسلحة هو فوق ما تعلنه من ارقام . فهي مثلا ذكرت انها انفقت فى الأعوام الستينية من هذا القرن بمعدل ٢٥٠ مليون دولار سنويا ، فوجدت هذه الهيئة انها انفقت فى الواقع اكثر من هذا المبلغ بنحو ٢٠٠ مليون دولار . ثم اتضح آخر الأمر ان افصحت الولايات ، تحت ضغط من النواب ، عما اخفت في عام ١٩٦٩ ، فاذا بها تنفق ٥٥٠ مليون دولار فى العام . !

●●

طرائف غربية

الكاردينال .. وجمال المرأة !

● كان الكاردينال انجيلو رونكالى Angello Roncalli (١٨٨١ – ١٩٦٣) يعيش فى باريس بوصفه مندوبا باباويا قبل ان ينتخب لمنصب البابا فى عام ١٩٥٨ ويحمل اسم يوحنا الثالث والعشرين . وقد اشتهر الكاردينال بين معارفه وأصدقائه فى العاصمة الفرنسية بالجراة والشجاعة فى ابداء الراى حتى فى المسائل التى لا تتصل بالدين والكنيسة .

حدث يوما ان دعى الكاردينال الى مادبة عشاء اقامها احد الأصدقاء فى بيته .. وما كاد الجميع ينتهون من تناول طعامهم حتى اقترب صاحب



الدعوة من الكاردينال رونكالى ، وقال له : « أرجو ان تكون قد نعمت بصحبة هؤلاء القوم ؟ »

وقال الكاردينال : « نعم .. ولكن هناك شيئا واحدا أثار ضيقى وحيرتى .. فقد لاحظت أنه كلما وصلت سيدة جميلة تكشف بعض شىء عن مواطن الجمال فى جسمها ، تحولت الأنظار الى انا بدلا من أن تتحول الى السيدة » .

وقال صاحب الدعوة : « ربما أرادوا أن يعرفوا رأيك فى الجمال » .

وقال الكاردينال على الفور : « اذن فاسمعوه .. كل رجل يحب الجمال ويقدره ، حتى لو كان كاردينالا ! » .

قالوا ...

● افضل وسيلة لتنظيم علاقة الأب بابنه او الأم بابنتها ،هى تلك التى تقوم على اساس المضيف ، والضيف .. فابناؤنا ضيوف ، وان طالت زيارتهم .

« افلين دوف »



ديجول .. سكب الشاى على فستان عروسه ثم تزوجها !

● كتبت ايفون فندرو Yvonne Vendroux زوجة الجنرال شارل ديجول رئيس جمهورية فرنسا السابق ، او العمه ايفون ، كما يسميها الفرنسيون اليوم ، تروى قصة اول لقاء لها باللازم ديجول ، قالت : « كنت مدعوة لحفل شاى اقيم تكريما لعدد من ضباط الجيش الفرنسي عقب انتهاء الحرب العالمية الاولى فى عام ١٩١٩ ، وفجاة وجدت نفسي وجها لوجه امام ضابط شاب برتبة ملازم . وكان طويل القامة بدرجة لافتة للنظر : وقدمه لي احد الحاضرين قائلا : « الملازم شارل ديجول » .. ووقفنا برهة نتحدث ولكنه ما لبث ان دعاني الى الجلوس عندما لاحظ انني ابذل مجهودا فى كل مرة يتحدث فيها فارفع راسي لانصت الى حديثه ..

« وجلسنا ، ولكننا ماكدنا نفعل : حتى قفزت من مقعدى صارخة .. لقد سكب الملازم الشاب قدح الشاى فوق فستاني الجديد ولسعتني سخونته »

« ونظرت الى وجهه ، فوجدته مرتبكا حائرا لايدرى ماذا يقول وكيف يتصرف !

وانقضت خمسة اشهر على هذا الحادث ،وفجاة جاء الي والدى يقول : « هناك ضابط يسال عنك يا ايفون ؟ »

« وهبطت الدرج مسرعة .. ومددت اليه يدى مصافحة .. انه الملازم شارل ديجول بلحمه ودمه وقامته الطويلة .. قال يحييني : « منذ خمسة اشهر وقفت امامك مرتبكا بعد ان سكبت الشاى على فستانك .. واليوم اتقدم اليك طالبا يدك »

« وهكذا اصبحت زوجة لاطول واعظم ضابط فى الجيش الفرنسي !! »

الشيخوخة .. والشباب !

● كتب سومرست موم الكاتب الانجليزى الشهير يوما يقول : « جلست اقرا للكاتب اليوناني القديم بلوتارك Plutarch ، (٤٦ ـ ١٢٠ م) وهو يتحدث عن ماركوس كاتو Marcus Cato ، السياسى والعسكرى والاديب الروماني الذى عاش ومات بين عامى (٢٣٤ ـ ١٤٩ ق . م) وكيف ان كاتو بدأ يتعلم اليونانية بعد ان بلغ الثمانين .. ودهشت لهذا الذى قرات .. شيخ فى الثمانين يدرس ويتعلم ؟ ! وكنت وقتها شابا يافعا مازال يبحث عن المعرفة بين الكتب .. ومرت الأعوام .. نصف قرن او تزيد،عندما زارني صديق شاب يوما فى بيتي ووجدني اقرأ فى كتاب باللغة الصينية ! واذا به يصيح فى دهشة: « ومتى تعلمت الصينية ؟ »

وقلت : « منذ شهور قليلة مضت »

« وتذكرت صباى ، وتذكرت كاتو التلميذ العجوز ، وقلت لصديقي على الفور : « لاتدهش يا عزيزى ، فنحن فى شيخوختنا نفعل كل شيء تعزفون عنه انتم ايها الشباب ، لان وقتكم امتع واجمل من ان يضيع فى دراسة شيء جديد ، اما فى الشيخوخة فيشعر المرء ان الوقت امتع من ان يضيع فى غير المعرفة » .



الوحدة

قد نحس آلامها حتى في زحمة الناس

■ لماذا نشعر بالوحدة .. ثم ما هوهذا الشعور الذى ينتاب البعض منا ، بانه يعيش وحيدا ، رغم أنه ينتمي الى اسرة كبيرة العدد ، سواء كانت هـذه الاسرة فى البيت ام فى العمـل ، ام فى المجتمع من حوله !

الام مثلا ، التي تعيش فى بيتها وسط زوجها واطفالها ، ورغم هذا تشعر بانها تعيش فى وحدة !!

والاب الذى يخرج الى عمله كل يوم ويختلط بزملائه ويلتقى بالناس ويتحدث اليهم ، ويمر بناظره امام تلك الصـور المتغيرة من الحياة ، وبالرغم من هـذا يشعر بأنه يعيش فى وحدة !

يقول الدكتور البرت ادوارد ويجام Albert Edward Wiggan ، احد مشاهير علماء النفس ان الوحدة مرض ، ليس له اعراض ، والمصابون بهذا المرض وحدهم ، هـم الذين يعرفون انهم يعانون منه !

ولا نعنى بهذه الوحدة ، حياة العزلـة التى يختارها الكثيرون ، لان الوحدة تفرض علينا نتيجة لاسباب وعوامل كثيرة تترسب فى نفوسنا .. اما العزلة فنعيشها باختيارنا ، بل ان كثيرين منـا يجدون فى حياة العزلة ، السعادة التى قضـوا عمرهم يبحثون عنها ..

صور للعزلة

وقد نرى مثل هذه العزلة فى العالم الباحث الذى اغلق على نفسه باب مختبره ، وراح يواصل ليله بنهاره لكي يفرغ من اتمام بحثه العلمي الجديد .. او فى الاديب الذى اغرق كل تفكيره فى القراءة بحثا عن خاتمة لقصته الجديدة التى كتبها للمسرح .. بل قد نجدها احيانا فى تلـك الفتاة التى تسير وحدها فى الشارع تتأمل واجهات المحال التجارية ، او التي تعيش فى بيت الطالبات مع كتبها ومراجعها ، وقد اغلقت باب حجرتهـا فى وجه زميلاتها وراحت تعمل فى هدوء ، مصممة على الا تدع لاى شيء اخر فرصة تشغلها عن الدرس والتحصيل والنجاح .

بل قد نراها ايضا فى ذلك الرجل او المرأة العجوز اللذين اختارا الجلوس فى وحدة على مقعد فى احدى الحدائق العامة يستعيدان الذكريات ويتأملان الغادين والرائحين بعيدا عـن صخب الحياة وضوضائها .

وحدة القلب والفكر

ليست هذه صور لحياة الوحدة التي نعنيها ، وانما هي صـور لاناس ، اختاروا العزلـة .. فالوحـدة هي العزلة المفروضـة التي لاتكـون باختيارنا نلبسها حين نريد ونخلعها حين نريد .

ان كثيرين منا يعيشون وحدهم بقلوبهم وافكارهم



رغم انهم يعيشون مع الاخرين سواء فى مجتمعهم الصغير ، ونعنى به البيت والاسرة ، او فى المجتمع الكبير من حولهم ، بكل ما يزخر به من اوجه النشاط والعمل والحركة .. فنراهم يسهمون فيه ولكن باجسامهم فقط بينما عقولهم وافكارهم تحلق فى آفاق بعيدة ، وكأنها تنتمي الى عالم آخر غير العالم الذى نعيش فيه .

مليونيرة وحيدة

كتبت المليونيرة الامريكية باباره هاتون تقول :

« انني اعيش فى وحدة قاتلة رغم تلك الملايين العديدة التي امتلكها ، ورغم انني اسكن قصرا منيفا يزدحم بالخدم والحشم الذين يتسابقون الى خدمتي ، ويسارعون الى تلبية رغباتي .. ولطالما حاولت ان املأ الفراغ الذى يحتويني ، فتزوجت خمس مرات ، ولكنني كنت بعد كل مرة اتزوج فيها ، انفصل عن زوجي بالطلاق .. فلم اجد بين هؤلاء الازواج الخمسة رجلا واحدا استطاع ان يخلصنى من الشعور بالوحدة ، او ان يملأ الفراغ الذى اعيش فيه ! »

فالمال اذن لايكسبنا المناعة ضد الشعور بالوحدة ، بل على النقيض من ذلك تماما ، فقد يكون المال في احيان كثيرة نقمة لا نعمة ، وقد يكون من الاسباب المباشرة التي تجعلنا نعيش فى وحدة !

اسباب الشعور بالوحدة

ويقول الدكتور وبجام انخيبة الامل والاحساس بالظلم الواقع علينا ، سواء كان هذا الاحساس له مايبرره أم أنه مجرد اوهام وتخيلات .. من بين الاسباب التي تؤدى الى الشعور بالوحدة.. وهو يجد لذلك مثلا فى قصة الاميرة مارجريت شقيقة ملكة الانجليز ، فعندما ثارت الكنيسة الانجليزية ، وقامت قيامة القصر الملكي البريطاني بسبب اختيار الاميرة لرجل مطلق من عامة الشعب ، هو الكابتن بيتر تاونسند ، ليكون زوجا لها ، وشريكا لحياتها .. كتبت العاشقة الحزينة « عرفت الوحدة يوم اضطررت الى ان ادوس على قلبي .. اليوم فقط شعرت بانني اعيش فى عالم بلا قلب ! »

حتى الشهرة والمجد ، كثيرا ما يكونان من المظاهر الزائفة التي تخفى وراءها حقائق لايعرفها الا من عاشوا تحت الاضواء وعرفوا خباياها واسرارها .

الوحدة حتى فى الشهرة

قالت الصحفية الشهيرة السا ماكسويل قبل وفاتها اخيرا بسنوات قصيرة ، وكانت قد اشتهرت بلسانها الطويل وقلمها الذى يقطر سما .. وقد كانت نجمة من نجوم المجتمع الاوروبي زهاء نصف قرن او يزيد .. قالت : « أليس غريبا ان اكون دائما فى مقدمة المدعوين لكل حفل كبير يقام فى

المدينة ، ولا اكاد اصل الى الحفل حتى تتجه الي العيون ، وتنحني امامي الرؤوس تحية لي واكبارا .. ثم يلتف حولي المدعوون والكل يسعى الى ارضائي .. ومع هذا كله اشعر بالوحدة .. لعله الاحساس بان هؤلاء الناس ينافقون خوفا مني واتقاء لشرى ، هو الذى يثير فى نفسي الشعور بانني اقف دائما وحيدة وسط هذا المجتمع المنافق ! »

العبقرية والوحدة

ثم هناك الشعور بالنقص ، وهو فى مقدمة الاسباب التي تدفع المرء دفعا الى الاحساس بحياة الوحدة.. قال فنسنت فان جوخ الفنان الهولندى الكبير الذى عاش فقيرا ، ولم يكتشف العالم عبقريته الا بعد سنوات طويلة من موته منتحرا : « لقد عشت وحيدا ، فقد كنت اعلم انني قبيح، وعبثا حاولت ان اضفى على لوحاتي ورسوماتي شيئا من الجمال الذى حرمت منه !! »

والحزن على فقد انسان عزيز ، كثيرا مايقتل الرغبة فى الاستمرار في الحياة والاحساس بالفراغ والوحدة كتبت سيدة فرنسية ، فقدت زوجها وابناءها الاربعة فى الحرب العالمية الثانية، عندما خرجوا جميعا مع رجال المقاومة السرية ، لتحرير فرنسا من الاحتلال النازى : « الم يكن فى وسعهم ان يعلموني فنون الحرب ، لاقاتل معهم واموت معهم .. لا ادرى ماذا تبقى لي فى هذه الحياة ، سوى الحزن والالم والوحدة والفراغ ! »

العزلة غير الوحدة

يقول سير تشارلز شرنجتون Sir Charles Sharrington (١٨٥٧–١٩٥٢) فى تفسيره لمعنى الوحدة ، ثم مقارنته بين الشعور بالوحدة وبين الحياة فى عزلة .. وشرنجتون هذا من كبار علماء الانجليز الذين بحثوا فى سيكولوجية الانسان، اكثر مما بحثوا فى فلسفة العلوم والكشف عن اسرارها .. وهو يعتبر حجة فى نفسية الجهاز العصبي .. يقول العالم الكبير :

« الشعور بالوحدة لايصيب المرء فى عزلته .. وانما هو يأتيه نتيجة لعوامل عدة لاتمت لحياة العزلة التي اختارها بصلة .. فامتع لحظات حياتى هي تلك التى عشتها في عزلتي بين كتبى ، ابحث وانقب فيها عن طبيعة النفس البشرية .. فمن خلال قراءاتي هذه كنت احس دائما بانني اقرب ما اكون الى الناس ! »

شكسبير عانى من الوحدة

ويمضى شيرنجتون فى تفسيره فيقول : « لقد عانى شكسبير من الوحدة فى بعض مراحل حياته ، وكان يقول ان الضمائر الحية تجعلنا نعيش دائما فى خوف من الناس ، فهي تعلمنا الجبن .. واود ان اضيف الى هذا ان الضمير فى حد ذاته يعمل بنفس الطريقة التي يعمل بها العقل الالكتروني.. وكما ان الاجابات التى يقدمها هذا العقل الآلى .. لايمكن ان يعتمد عليها الا اذا كانت المعلومات التي اختزنها صحيحه ، كذلك الحال بالنسبة لضمير الانسان .. فاذا كانت اراؤه ومعتقداته سليمة ، استطاع ضميره ان يكون مرشدا له وموجها فى تقرير ماهو صواب وماهو خطأ .. »

الهرب من الناس

ومن عجب ان شيرنجتون نفسه كان يشعر في بداية حياته بالوحدة ، ايام كان طالبا لايزال يدرس العلوم بجامعة « ليفربول » .. كتب يشرح اسباب شعوره هذا فقال : « كنت ابالغ فى الانصات لما يمليه علي ضميرى .. ولذلك فقد كنت اخشى دائما ان اقدم على اى تصرف او اقوم باى عمل من شانه ان يسيء الى احد .. وعبثا حاولت ان اتخلص من هذا الشعور بالهرب من زملائي ومن اساتذتي ، الى ان اكتشفت اخيرا ان حساسيتي الزائدة لما يحتمل ان اقوله وافعله وللنتائج التي يحتمل ان تترتب على هذا القول او الفعل ، هي السبب الاساسي فى الهرب من الناس ، ومن شعورى بالوحدة التي اعانيها .. فلم يكن ضميرى انا هو السبب اذن ، ولكنه ضمائر الاخرين !

كيف تخلص من وحدته

« ولكنني استطعت ان انقلب على هذا الشعور نهائيا عندما عدت الى نفسى .. وبدات افكر واتصرف واعمل واقرا واكتب بالطريقة التي اراها مناسبة غير عابيء كثيرا بما يدور فى اذهان الاخرين، وما يتصورونه عني ..

وليس معنى هذا ان ضميرى قد مات ، ولكن

معناه انه كان قد بدأ لتوه يتخلص من تلك العوامل التى ترسبت فيه خلال سنى طفولتى » .

عقدة شرنجتون !

« ولقد عدت اليها .. وما اكثر تلك اللحظات التي يعود فيها الانسان الى طفولته ويستعيد ذكرياتها الحلوة والمرة معا .. لقد قال لي ابي يوما انني كنت طفلا كثير الكلام اعترض على كل شيء واى شيء ، مما كان يضطره الى زجرى وتوبيخي ومعاقبتي، وفى احيان كثيرة امام الناس.. وكبرت ، وانا اشعر انه ربما كان التعبير عن النفس عملا خاطئا لا يجوز للمرء أن يفعله !! »

فالوحدة اذن قد تجيء نتيجة لعقدة ترسبت فى نفوسنا منذ الصغر .. فاذا عرفنا طبيعة هذه العقدة ، واستطعنا ان نخلص انفسنا منها ، تخلصنا من شعورنا بالوحدة .

فالخروج من وحدتنا ليس مشكلة اذن ، بشرط الا تبدأ المحاولات من جانب الاخرين ، حتى لا تساورنا الشكوك فى نواياهم ، ويزداد تعلقنا بوحدتنا .

نافذة على الحياة

يقول علماء النفس : « لابد ان تجيء المبادرة من داخلنا .. والقراءة أول نافذة نطل من خلالها على الحياة .. الكتاب هو الصديق الوحيد الذى يمكن ان يقف بجانبنا ، ونحن نخطو اولى خطواتنا للخروج من الوحدة التي نعانيها .

فمن خلال قراءاتنا سوف تتغير نظرتنا الى الحياة والى الناس .. وسوف نشعر بتجاوب مع الافكار والنظريات التي نفرنا منها وابتعدنا عنها ، ويوم نشعر باننا نفكر كما يفكر غيرنا من الناس ، نكون قد خلصنا انفسنا من اهم اسباب هذا الشعور الذى يحتوينا ويسيطر علينا .

اما من اين نبدأ بعد ذلك ، فليست هذه هي المشكلة .. فنحن لاندرى كيف تجيء الخطوة القادمة ، ولا فى اى اتجاه ستسير ، المهم ان نترك انفسنا بعد ذلك على طبيعتها .. وقد يكون لقاؤنا الاول مع اى شخص نعرفه او لانعرفه ، فى الطريق العام او فى المكتب او المطعم او النادى او اى مكان آخر .. المهم ان يتحقق اللقاء الفكرى فنشعر بالراحة الذهنية التي افتقدناها وتصورنا يوما اننا لن ننعم بها أبدا .

يجب الا نيأس

والمهم ايضا ، الا ندع اليأس يتطرق الى نفوسنا ، اذا فشلت محاولتنا الاولى فى تحقيق التآلف والتجانس بين افكارنا وافكار الاخرين .. يروى شيرنجتون قصة طريفة حدثت له أثناء محاولاته التخلص من عقدته ووحدته يقول انه كان يلتقى برجل غريب امام محل بيع الصحف فى المدينة كل صباح ، وكان لقاؤهما يتم فى نفس اللحظة تقريبا ، قبل أن يتوجه شيرنجتون الى الكلية التي يدرس فيها .

وكان هذا الرجل الغريب ، لايكاد يقترب من بائع الصحف حتى يرفع له يده محييا ، ثم يطلب منه صحيفته ، ولا ينسى ان يشكره بعد ان ينقده ثمن الصحيفة ويتمنى له يوما طيبا .

الا ان بائع الصحف لم يعبأ مرة واحدة بان يرد تحية الرجل ، او حتى يهتم بان يتذكر اسم الصحيفة التي تعود ان يشتريها منه رغم انه اصبح زبونا له !

الانسان ملك لنفسه

وضاق شيرنجتون بهذا المنظر الذى يحدث امامه كل يوم .. لماذا لايكف هذا الرجل عن تحية البائع ولماذا لايشترى صحيفته من بائع آخر .. وهناك كثيرون غيره ! وقد كاد شيرنجتون أن يفعل هذا بسبب سوء اخلاق بائع الصحف هذا ، الذى لايرد التحية لاحد !

وقرر اخيرا ان يتوجه بسؤاله الى الرجل الغريب ، الذى ادهشه تصرفه !

فاجاب هذا فى هدوء : « ولماذا لا استمر فى تحيته ، لماذا لا أكون مهذبا معه ؟ »

وقال شيرنجتون : « لانه رجل غير مهذب ! »

وقال الرجل الغريب : « وما الذى يضيرني فى هذا .. لماذا ادع رجلا غير مهذب يتحكم فى تصرفاتي واسلوب معاملتى للاخرين ؟ »

وهكذا اصبح لهذا الرجل اخيرا صديقان .. بائع الصحف الذى اسرته فى النهاية اخلاق « زبونه » المهذب ، وشيرنجتون نفسه الذى اتخذ من قصة صديقه هذا عنوانا لبحث جديد : « هل انت ملك لنفسك ، ام ملك للناس ! » ولقد كان لبحثه هذا اكبر الأثر فى خروج شيرنجتون من وحدته !! » ■■

العيوب والتشوهات الخلقية في المولود

CONGENITAL DEFECTS AND MALFORMATIONS



شفة ارنبية يسرى مع شرم سقف الحلق

■ لعل من أشد الأحداث ايلاما أن يرى الوالد طفله مصابا بمرض لا يعرف عنه ولا عن أسبابه الكثير ، ولا يذكر أن حادثا ما أو طارئا كان ، له علاقة مباشرة بهذا المرض حتى يحاول تفاديه شأن بقية الأمراض والحوادث .

وتقع الأمراض أو النقائص أو العيوب الخلقية تحت هذا الباب من الأمراض العضوية التى يصاب بها الأطفال وتظهر عليهم أعراضها مبكرا .

وتنقسم هذه المجموعة الى :

١ ـ عيوب تصيب الأجهزة والأعضاء الداخلية مثل القلب والاوعية الدموية وأجزاء الجهاز الهضمى أو الجهاز التناسلى . وهذه تدخل في اختصاص الأطباء المختصين في امراض هذه الأجهزة.

٢ ـ عيوب تصيب الأجزاء المكشوفة من الجسم كالوجه واليدين وهذه تقع في اختصاص جراحة التجميل واصلاح التشوهات Plastic and Reconstructive Surgery وهى موضوع هذا المقال .

ومن أمثلة هذه التشوهات ما يحدث في الوجه والفكين والرقبة ومنها الشفة الارنبية (المشرومة).

وما يحدث في اليدين والقدمين ومنها زيادة عدد الأصابع (أو نقصها) Polydactyly .

وهناك تشوهات أخرى تصيب قناة مجرى البول وأعضاء التناسل الخارجية ، والشرج والمستقيم ، والثدى وجدار الصدر والبطن .

وبعض العيوب النادرة المختلفة مثل :

التوائم الملتصقة .

والاورام الجلدية أو تحت الجلد المولودة .

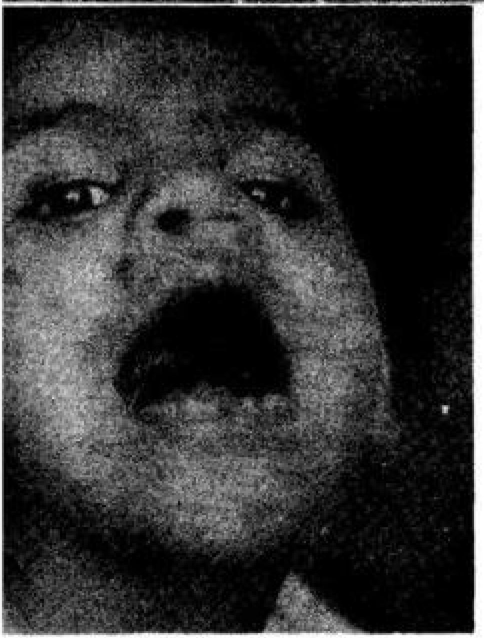
الأسباب

لم يتوصل العلماء والباحثون الى تحديد أسباب مباشرة لهذه الأمراض شأن الأمراض المعدية والحميات مثلا ولكن الدراسات الاكلينيكية والتجريبية المقارنة على بعض الحيوانات ، كذلك الاحصائية وعلم الوراثة أوضحت أن بعض العوامل لها علاقة بحدوث عيوب بعينها .

وتتلخص هذه فيما يلى :



بعد اصلاح الشفه



بعد اصلاح سقف الحلق

بقلم : الدكتور
حسين عبد الفتاح طلعت

رئيس وحدة جراحة التجميل ــ الكويت

١ ــ عوامل وراثية مباشرة :

نيتجة كروموسوم غير طبيعي ويتم نقلها من احد الوالدين او كليهما حسب معادلـــة ثابتة لكل الأطفال او بعضهم . وقد تظهر في جيل من العائلة ثم تختفي لتظهر في جيل بعده .

٢ ــ أمراض تصيب الأم الحامل :

وخاصة خلال الثلاثة الأشهر الاولى من الحمل وهذه هي الفترة التي يتم فيها استكمال معظم عمليات تشكيل الأجزاء والأجهزةوالاعضاء الداخلية والخارجية خلال مراحل تكوين الجنين الاولى .

واكثر هذه الأمراض خطورة هي الحصبـــة الالمانية German Measles ، او الجدرى الكاذب .. وكلها امراض فيروسية معروفة بتأثيرها على أجهزة نواة الخلية وخاصة في فترات الانشـــطار الخلوى النشيط .

٣ ــ أدوية وعقاقير :

وخاصة بعض المركبات المهدئة او المنومة وقد حدثت كارثة خلال اواخر الستينات من مهدىء ظهر وانتشر انتشارا واسعا بين الحوامل ادى الى تشوهات خطيرة ومعقدة خاصة في الطرف العلوى وتم منع صناعته وصناعة اى مثيل له واسمه الثاليدومايد Thalidomide . وكذلك التعرض للاشعة العميقة المستعملة للتشخيص أو للعلاج.

والتداوى بالهرمونات وخاصة هرمون الغـدة الكظرية (فوق الكلوية)
(Suprarenal Corticosteroids)

٤ ــ نقص التغذية الشديد وخاصة في بعض الفيتامينات :

وقد ثبت هذا بصفة مؤكدةفي تجارب الحيوانات ولكن المعتقد ان الغذاء العادى المتكامل للام يمنع تاثير هذا النقص .

٥ ــ عامل السن والأمراض العامـة في الوالدين :

ثبت احصائيا ان بعض هذه التشوهات يكثر حدوثها كلما تقدم السن باحد الوالدين وخاصة الأم (فوق سن الأربعين) وكذلك وجود امراض

مزمنة مثل مرض البول السكرى أو أمراض الكلى دون أن يتم علاجها علاجا ناجحا مستمرا لمنع تأثيرها الضار على حيوية الجنين وأنسجة المشيمة التى تمد الجنين بما يلزم من مسببات الحياة .

تأثير هذه العوامل .. لم يتضح بعد

لم تتضح بعد طريقة تأثير هذه العوامل المختلفة حتى تؤدى الى الاشكال المختلفة والتراكيب المتعددة لهذه العيوب الخلقية المولودة ولكن الثابت أن هذه المؤثرات تتدخل بطريقة ما في نمو وتطور الخلايا الجنينية خلال الاطوار الأولى من تشكيلها من مرحلة الخلايا غير المتميزة الى طور تكوين الأجهزة والاعضاء المختلفة بما فيها من أنسجة اصلها من احد الطبقات الأولية في الجنين . وقد تؤدى هذه المؤثرات الى زيادة في نمو بعض الخلايا ، أو الى عيب في اتجاه ، أو طريقة نمو بعض هذه الخلايا ، أو قد تؤدى الى توقف مرحلة من مراحل التطور قبل أن تصل الى نهاية اكتمالها خلال الثلاثة الأشهر الاولى من عمر الجنين داخل الرحم .

وبتوقف شكل النقص الذى يظهر على شدة المؤثر أو المؤثرات ، على وقت حدوثه او تكرار حدوثه .

نصائح للامهات

لذلك يجب على الأم الحامل خلال الثلاثة الاشهر الأولى من حملها أن تعنى بصحتها وتغذيتها بصفة عامة وتتناول الفيتامينات . وان تتجنب التعرض لعدوى الأمراض أو الاضطرابات النفسية او العصبية . وكذلك تتحاشى التصوير بالأشعة وخاصة لمنطقة البطن والحوض ، وكذلك تعاطى المهدئات أو الهرمونات الا تحت الاشراف المباشر والمنتظم للطبيب الأخصائى .

كذلك ينصح عدم التزاوج بين العائلات التى تصاب بنسبة مرتفعة من نوع معين من هذه التشوهات . أو التزاوج بين فردين مصابين بنوع واحد من هذه التشوهات .

الا انه ليس من المحتم أن يصاب الأطفال بنفس النوع من التشوه الذى يعانى منه أحد الوالدين.

وسنتناول الآن بشيء من التفصيل بعض العيوب والتشوهات الخلقية في المولود وطرق علاجها فلن يتسع المجال لاكثر من أمثلة تعطى فكرة عن الأسلوب العام في العلاج .

الشفة الأرنبية وسقف الحلق المشروم:

Hare (Cleft) Lip and cleft palate

يولد الطفل وبشفته العليا شرم يقسمها نصفين غير متساويين وتتراوح درجة التشوه بين نقص بسيط بحافة الشفة عند الغشاء المخاطى الى شرم كامل بكل طبقات الشفة (جلد وعضلات وغشاء مخاطى) يؤدى الى أعلى الى فتحة الانف الخارجية التى تصبح بلا قاع .

وقد يكون النقص على جهة واحدة (يمينا او يسارا) أو بالجهتين وفي هذه الحالة يكون التشوه اكثر وضوحا فتصبح قاعدة الأنف مدلاة فيما بين جزئى الشفة العليا .

واصل التسمية هو التشبيه بالارنب ، غير ان شفة الأرنب مشرومة عند خط المتصف وهذا نادرا ما يصيب الانسان .

يرجع سبب حدوث هذا التشوه الى عوامل تتدخل في عملية تطوير وتشكيل وجه الجنين خلال الفترة فيما بين الأسبوع السابع والثامن عشر مما يؤدى الى عدم استكمال التحام النتوءات الزاحفة من اعلى عند قاعدة المخ الابتدائى الامامى مع زميلاتها الزاحفة حول حفرتى العينين من الجانبين وتجويف الفم الابتدائى في الوسط . تتأثر تبعا لذلك عملية ظهور التحام جانبى الفك العلوى عند خط المنتصف ليفصل بين تجويفى الفم والأنف مما يؤدى الى درجات مختلفة من سقف الحلق المشروم (المشقوق) . تشارك العضلات التى تتكون منها الشفة العليا وكذلك العضلات التى تعمل على تحريك الجزء الرخو من سقف الحلق في هذا النقص .

وتؤدى الدرجات المختلفة لهذا النقص الى :

١ ــ صعوبة الرضاعة بسبب عدم احكام اغلاق تجويف الفم وعدم احكام دائرة العضلات حول فتحة الفم في الشفة العليا . يمكن التغلب على ذلك جزئيا باستعمال الرضاعة الصناعية واستعمال حلمة كبيرة نسبيا .

٢ ــ رجوع بعض الغذاء والافرازات من تجويف الفم الى الأنف مما قد يسبب ضيقا في تنفس الطفل وخاصة أثناء الرضاعة .

٣ ــ التهابات المسالك الهوائية العليا بسبب دخول الهواء مباشرة اليها دون تنقية وتدفئة

خلال تجويف الأنف الخارجية .

٤ ـ تشوه ثانوى في نمو عظام الفكين والأنف والوجه .

٥ ـ تشوه في نمو وتشكيل غضاريف الأنف التى تنمو منحرفة ناحية الشرم .

٦ ـ تأثيرات نفسية على الوالدين وكذلك على الطفل عندما يدرك ما به .

٧ ـ صعوبة اخراج بعض الأحرف والمقاطع مما يؤدى الى الكلام الأنفى (أخنف) بسبب عدم احكام فصل تجويفى الفم والأنف عند سقف الحلق .

العلاج :

يتم اصلاح هذا النقص حسب درجته على مرحلة واحدة أو على مراحل متتالية تبدأ باصلاح شرم الشفة (جراحيا) خلال السنة الأولى من العمر والعملية مضمونة النتيجة في الحالات البسيطة . اما في الحالات الجسيمة فان نقص النمو في اجزاء الأنف والوجه قد تحتاج لعلاج طبيعى كلامى وتقويم الأسنان خلال سنى النمو .

تشوهات اليد والقدم :

يولد الطفل وكل اصابع اليد ملتصقة بغشاء من الجلد ، وقد يكون تكوين الأصابع غير كامل أو عدد الأصابع غير طبيعى زيادة أو نقصانا ، وقد تصاب يد واحدة أو تكون متشابهة باليدين والقدمين . وتتوقف جسامة النقص على اكتمال تشكيل ونمو الاصابع ، وعلى الأنسجة ما بين الأصابع وتأثيرها على نمو العظام والمفاصل والقدرة على استعمال اليد بطريقة طبيعية .

وسبب هذا النقص توقف في تطور تشكيل اليدين أو القدمين في الجنين ، اذ تظهر اليد في مراحلها الأولى شريحة واحدة من الأنسجة يتم تقسيمها طوليا لتكوين الأصابع وعرضيا لتكوين اجزاء اليد والأصابع ، ثم يتم ظهور الغضاريف والعظام واجهزة الحركة ، وكذلك الاعصاب والأوعية الدموية ، وفي المرحلة التالية يتم ضمور الأنسجة فيما بين الاصابع الخمسة لفصل كل اصبع على حدة ، ويتوقف شكل التشوه على المرحلة التى يتوقف عندها التطور وعلى حجم النقص او الزيادة في اجزاء اليد وانسجتها المختلفة .

عند فحص الطفل يتم تحديد التشوه ومدى النقص الموجود في الأجزاء ومعرفة مدى صلاحية هذه الأجزاء في اداء وظيفة اليد ، ويعاد فحص الطفل خلال فترة النمو حتى السنة الثالثة أو الرابعة من عمره للاستفادة من فترة النمو وأثرها على تحسين وظيفة اليد .

عند الضرورة يتم تصوير اليد بالأشعة لتحديد التغيرات العظمية أو المفصلية حتى يوضع مخطط كامل للعلاج الجراحى .

العلاج الجراحى يتلخص في فصل الأصابع وتعويض النقص في الجلد بعملية نقل الجلد لتغطية الأسطح الجانبية للاصابع بعد فصلها . اذا اقتضى الأمر ازالة اجزاء زائدة أو أصابع زائدة فيجب أن توضع الصورة الوظيفية لليد متكاملة قبل تحديد مكان البتر ، ودراسة هذا مع الأم التى تلاحظ طفلها اثناء حياته اليومية .

ويؤدى العلاج الطبيعى والتدليك الطبى دوره في تحسين وظيفة أجزاء اليد والأصابع قبل التدخل الجراحى وبعده .

وقد يتم الشفاء الكامل بعد عملية واحدة أو يحتاج الى عمليات على مراحل متتالية .

العيوب الخلقية الأخرى

العيوب الخلقية الأخرى يتم علاجها على ضوء درجة النقص الموجودة ودرجة اكتمال نمو وتطور الأجزاء والأنسجة يتم العلاج خلال سنى العمر الأولى لمنع المضاعفات وحتى تتاح الفرصة للاجزاء ان تنمو في اتجاه وتناسب طبيعى . معظم هذه التشوهات تبلغ درجة النجاح في علاجها درجات كبيرة ومشجعة فيما عدا حالات التشوه المركبة المصحوبة لنقص واضح في تكوين الأجزاء .

ان التقدم المطرد في الوسائل الجراحية ووسائل الفحص ومواد الخيوط الجراحية وطرق زرع الأنسجة ونقلها ، تؤدى تدريجيا الى التخفيف من آثار هذه التشوهات وتسمح لهؤلاء ان يعيشوا عيشة اجتماعية عادية ويتغلبوا على ما ولدوا به من نقص بعد ان يستكملوا الشكل والوظيفة في اجزائهم المنقوصة .

يتم الوصول الى احسن النتائج باكتمال العلاج الجراحى وما يلزمه من علاجات اخرى وبتعاون واع من الوالدين والمدرسة لحسن الافادة من نتائج العلاج . ■■

حسين عبد الفتاح طلعت

فلسطين

في ضوء الحق والعدل

تأليف: هنري كتن

بقلم: الدكتور محمود السمره

عميد كلية الآداب ـ الجامعة الاردنية

■ هذا كتاب صدر في مطلع هذا العام، عام ١٩٧٠. وقد ظهر أولا باللغة الانجليزية عن دار النشر البريطانية المعروفة Longmans (١) ثم صدرت ترجمته العربية عن « مكتبة لبنان » بيروت. والمؤلف الاستاذ هنري كتن ينتمي الى اسرة عربية مقدسية، وهو من اكبر علماء القانون في العالم العربي. وقد درس الحقوق في جامعتي باريس ولندن، ومارس المحاماة في فلسطين قبل النكبة، وكان في الوقت نفسه يدرس الحقوق في « مدرسة الحقوق » بالقدس، وهي المدرسة التي تخرج منها جل محامي فلسطين. وبعد النكبة مارس المحاماة في سورية، وهو الآن محام له مكتبه الرئيسي في لندن، ومكتب آخر في بيروت.

وقد عاش الاستاذ هنري كتن أحداث القضية الفلسطينية من بدايتها، ودافع عن بلاده امام الأمم المتحدة، ممثلا لعرب فلسطين، بتكليف من « الهيئة العربية العليا »، في الدورة الخاصة لسنة ١٩٤٧، وفي الدورتين العاديتين لعامي ١٩٤٧ و ١٩٤٨. وانتدبته جامعة الدول العربية عضوا في وفدها لبحث قضية فلسطين مع الكونت برنادوت، وسيط الامم المتحدة، الذي اغتاله الصهاينة فيما بعد، بسبب موقفه الشريف من القضية. وله عدة مؤلفات في السياسة والقانون.

وهذا الكتاب الذي بين أيدينا لم يضعه مؤلفه، في الاصل، لقراء العربية، وانما للاجانب. ولكن العربي، في رأيي، في حاجة لقراءته، لانه يشرح قضيتنا شرحا وافيا، معتمدا المنطق والقانون الدولي. ولا يسع الواحد منا الا ان يغتبط اشد الاغتباط، عندما يضع يده على مثل هذا الكتاب، لان هذا النوع هو الذي كنا نبحث عنه فلا نجده: هدوء في التفكير، ومنطق سليم، وترابط وتلاحم بين الافكار والعبارات، وحرص على تأييد هذا كله بالوثائق. ان هذا الكتاب « نور يهدي » الراغبين في معرفة حقيقة القضية الفلسطينية، و « نار تحرق » باطل الدعاية الصهيونية ودجلها. وهذه هي صفة الكتاب الجيد في رأي فولتير، ان يكون « نورا يهدي، او نارا تحرق ».

والكتاب في اربعة ابواب، يندرج تحت كل باب عدد من الفصول. والابواب هي: اصل النزاع بين العرب واليهود، عشرون عاما من

(1) Henry Cattan, Palestine, The Arabs and Israel. The Search For Justice. Longmans, 1969.



التوتر (١٩٤٨ ـ ١٩٦٧) ، الحرب الاسرائيلية العربية (١٩٦٧) ، نشدان الحل .

وبختم الكتاب باحد عشر ملحقا كلها هامة . وفيه ايضا اربع خرائط دقيقة تبين : مشروع التقسيم والوحدة الاقتصادية ، توزيع السكان حسب المناطق والنسب المئوية للعرب واليهود (١٩٤٦) ، ملكية الاراضي حسب المناطق (١٩٤٥) ، الاراضي التى استولت عليها اسرائيل (١٩٦٧) .

ونحن هنا سنقف عند البابين الثالث والرابع .

أسباب حرب يونيه (حزيران) ١٩٦٧

بدأت الحرب بهجوم مفاجيء شنته اسرائيل في اليوم الخامس من شهر يونيه (حزيران) على مطارات الجمهورية العربية المتحدة ، والجمهورية العربية السورية . وتجاهلت اسرائيل اوامر وقف اطلاق النار التى اصدرها مجلس الأمن ، الى ان حققت اهدافها كاملة ، وهي : الاستيلاء على الضفة الغربية ، وقطاع غزة ، وسيناء ، والجولان .

وقد كتب الاجانب الكثير جدا عن هذه الحرب ، ولكن الكثرة الساحقة مما كتب لا ترسم الحقيقة والواقع ، بل تتبنى وجهة نظر اسرائيل دون تحفظ ، وباندفاع . والانسان المنصف مكلف بان يفرق بين الاسباب الحقيقية للحرب ، والذرائع التى استخدمتها اسرائيل لشن هذه الحرب .

لقد ادعت اسرائيل انها انما شنت الحرب دفاعا عن النفس ، ضد هجوم الجمهورية العربية المتحدة عليها ، جوا وبرا ، صباح يوم ٥ يونيه (حزيران) . ثم ثبت ان هذا الادعاء كاذب ، حتى ان اسرائيل نفسها توقفت عن ترديده . وقد سبق هذه الحرب قيام اسرائيل ببعض الاعمال الاستفزازية بقصد جر العرب الى الحرب ، ومحاولة وضع اللوم عليهم . وقد كانت المنطقة السورية الاسرائيلية المجردة من السلاح ، مسرح هذه الاعمال ونقطة بدايتها . وهنا يفيض المؤلف في شرح تعديات اسرائيل على سورية ، ويستشهد

باقوال كبار مسؤولي هيئة الامم المتحدة في المنطقة، وبالادانات المتكررة التى صدرت عن مجلس الامن ضد اسرائيل .

اما الأسباب الحقيقية التى دفعت اسرائيل الى شن الحرب ، فهي : ان الاشتباك في عمل عسكرى قد يخفف من ازمة الهجرة الى الأرض المحتلة ، فمنذ سنة ١٩٦٦ اخذ اليهود يعزفون عن الهجرة الى اسرائيل بسبب وضعها القلق . وقد غادرها عدد اكبر من الذى دخلها . وأن نصرا ساحقا في حرب تشنها ، كفيل - في رأيها - بان يشعر اليهود باستقرارها ، فيهاجروا اليها . وبالاضافة الى هذا فان اسرائيل كانت قبل الحرب تعاني من ازمة اقتصادية سببها أن اليهود الذى كانوا يمولونها اخذوا يملون ، وبدات التبرعات المقدمة للصندوق القومي اليهودى تتناقص ، وكانت التعويضات الالمانية على وشك ان تنتهي . ومن ابرز مظاهر هذه الازمة الاقتصادية ازدياد عدد العمال العاطلين ، الذين بلغ عددهم مائة الف في اوائل عام ١٩٦٧، وهذه الأزمة هي التي ادت الى حوادث الشغب التى حدثت في تل ابيب في ١٦ مارس (آذار) من العام نفسه . هنا رأى زعماء اسرائيل أن حربا جديدة ستحل مشاكلها الداخلية : فهي تصرف الناس عن التفكير في مشكلاتهم الداخلية ، وتجعل اليهود في العالم يسارعون الى مدها بالمال ، وتحمل حلفاءها على التبرع السخي لها ، وبخاصة اذا تظاهرت اسرائيل بانها انما تشن الحرب دفاعا عن النفس .

وفوق كل هذا فان اسرائيل كانت تريد أن تشن حربا لتوسيع رقعتها ، تحقيقا لحلم الصهيونية ، بدولة تمتد من النيل الى الفرات ، فيها موارد سياحية ثمينة تتمثل في الاماكن المقدسة في القدس القديمة ، وفيها آبار الزيت في صحراء سيناء .

وقد اتخذت اسرائيل من اغلاق الجمهورية العربية المتحدة لمضائق تيران ، حجة لاعلان الحرب . ولكن مضايق تيران أرض مصرية ، ومن حق مصر ان تتصرف فيها كما تريد . ويؤيد هذا ما قاله روجر فيشر ، الاستاذ بجامعة هارفرد ، في رسالة بعث بها يوم ١١ يونيه (حزيران) ١٩٦٧ لمحرر The Sunday New York Times يقول الاستاذ فيشر : « من الموضوعات التى يدور حولها الجدل : هل يمنح القانون الدولي اى حق للمرور البريء عبر مثل هذا الممر المائي ؟ انه على الرغم مما طلبته اسرائيل ، فان لجنة القانون الدولي المنعقدة في عام ١٩٥٦ ، لم تجد اى حكم ينطبق على مضائق تيران . وعلى الرغم من ان معاهدة البحار الاقليمية لعام ١٩٥٨ تنص على المرور البريء عبر مثل هذه المضائق ، فان (آرثر دين) ممثل الولايات المتحدة وصف هذا الامر بانه « قاعدة جديدة » ، كما ان الجمهورية العربية المتحدة لم توقع على المعاهدة .... وفي موقف كهذا ، هل يطلب من مصر بموجب القانون الدولي ان تسمح لاسرائيل بان تستورد النفط وغيره من المواد الاستراتيجية عبر اراضيها ، وهي مواد تستطيع اسرائيل استخدامها للاقدام على مزيد من الاغارات العسكرية ؟ » وساق الحجة نفسها مكسيم رودنسون Rodinson ، في كتابه « اسرائيل والعرب » ، فقال : « ان مصر تستطيع في اقل القليل ان تسوق حججا قوية في اية مناقشة تدور حول هذا الموضوع المتنازع عليه في القانون الدولي . والسؤال هو : هل تلزم دولة بان تمنح حق المرور ، عبر مياهها الساحلية الممتدة مسافة تقل عن ميلين من سواحلها ، لمواد استراتيجية متجهة الى دولة اخرى هي معها في حالة حرب قانونية ؟ اضف الى ذلك ان قصارى ما حدث انما هو العودة الى الموقف نفسه الذى كان قائما وساريا من سنة ١٩٤٩ الى سنة ١٩٥٦ ».

وهكذا نرى ان اسرائيل انما كانت تسعى سعيا حثيثا لخلق المبررات لكي تشن حربا عدوانية جديدة .

ماساة اخرى للاجئين

لقد تسببت اسرائيل ، في اقل من عشرين سنة ، في ماساة ثانية للاجئين ، وقد بلغ عدد الذين شردوا من الضفة الغربية وقطاع غزة نتيجة لهذه الحرب الاخرة ٤١٠،٢٤٨ شخصا ، حسب تقديرات الحكومة الاردنية . ويضاف الى هذا العدد نحو ١٠٠،٠٠٠ شخص شردوا من المناطق المحتلة في سورية، وبين ٦٠،٠٠٠-٧٠،٠٠٠ شردوا من شبه جزيرة سيناء ، ونحو ٣٠٠،٠٠٠ رحلوا من منطقة قناة السويس . وهنا يقف المؤلف عند الاساليب الوحشية التى اتبعتها

اسرائيل من اجل جعل السكان العرب يتركون بيوتهم واراضيهم . وهذه قصة من قصص كثيرة : صباح يوم الجمعة التاسع من يونيه (حزيران) ١٩٦٧ جاءت القوات الاسرائيلية الى مخيم اللاجئين في رفح في الساعات المبكرة ، وهدمت بالجرارات ١٤٤ منزلا للاجئين ، ونسفت بالمواد المتفجرة عددا آخر من الدور بينما كان سكانها مستغرقين في النوم داخلها . وانهارت البيوت على سكانها ، ودفنوا فيها احياء . وفي يوم ٢٩ من يونيه (حزيران) ١٩٦٧ ، احتجت وكالة الغوث على السلطات الاسرائيلية لان دفن اللاجئين الذين قتلوا ودفنوا داخل المخيم قد شكل خطرا يهدد صحة جميع اللاجئين فيه . وبسبب هذا الاحتجاج سمح لوكالة الغوث بان تستخرج الجثث وتدفنها، والشيء المدهش هو انه رغم ان وكالة الغوث قد ابلغت نبأ هذه المذبحة الى الامين العام للامم المتحدة ، الا ان التقارير المنشورة لوكالة الغوث لاتشير اليها اطلاقا ، فقد دفنت الحادثة مع الضحايا .

ان مثل هذه التصرفات البربرية ، جعلت الصحفي الانجليزي مايكل ادامز Adams ، يكتب تحقيقا نشره في جريدة « الجارديان » عدد ١٩٦٨/١/٢٦ ، يقول فيه : « لقد كانت لي تجارب مختلفة خلال اربع سنوات قضيتها اسير حرب في المانيا ، ولكن الالمان لم يعاملوني ابدا بمثل الفظاعة التي يعامل بها الاسرائيليون العرب في قطاع غزة ، واغلبهم من النساء والاطفال » .

ان تفسير هذا كله هو : ان اسرائيل تريد الارض خالية من السكان .

آثار الحرب

كان النزاع العربي الاسرائيلي ، قبل الخامس من يونيه ١٩٦٧ ، يدور حول « القضية الفلسطينية » ، وهي قضية تتعلق اساسا بشرعية دولة اسرائيل ، التي انشأتها اقلية اجنبية على ارض يملكها شعب فلسطين تاريخيا وقانونيا وواقعيا ، ثم شردت هذا الشعب . وبعد الخامس من يونيه ١٩٦٧ ، اضيفت مشكلات جديدة الى المشكلة الاولى التي بقيت دون حل ، اذ احتلت اسرائيل اراضي دول عربية هي الاردن ، والجمهورية العربية المتحدة ، والجمهورية السورية . وقد اعلنت اسرائيل بعد الحرب ان حدودها التي رسمتها الجمعية العامة سنة ١٩٤٧ ، اصبحت « غير ذات موضوع » ، وان اتفاقيات الهدنة لعام ١٩٤٩ قد « وئدت » .

ومن آثار هذه الحرب تفاقم مشكلة اللاجئين ، وهي مشكلة سبق ان اشرنا اليها .

ونشأ عن الحرب مشكلة أخرى خطيرة هي احتلال اسرائيل لمدينة القدس القديمة،واخضاعها الأماكن المقدسة للمسلمين والمسيحيين لسيطرتها ، ومحاولتها الحثيثة لتهويد المدينة المقدسة دون احتفال بالرأى العام العالمي ، وبقرارات مجلس الامن . وقد اعربت لجنة كنج ـ كرين في سنة ١٩١٩ عن مخاوفها من قيام دولة يهودية في فلسطين ، تكون مسؤولة عن الأماكن المقدسة ، فقالت في تقريرها : « .. ان من المشكوك فيه ان يستطيع اليهود ان يبرزوا امام المسيحيين او المسلمين بوصفهم الحراس الصالحين على المقدسات، أو المسؤولين عن الارض المقدسة . اما سبب ذلك فهو ان أقدس الأماكن عند المسيحيين ، وهى التى تتعلق بالسيد المسيح ويقدسها المسلمون ايضا ، لا يقتصر الأمر على كونها غير مقدسة لدى اليهود ، بل انهم يكرهونها .. ولما كانت الأماكن المقدسة للأديان الثلاثة مقدسة عند المسلمين فان من الطبيعي جدا ان يتولوا هم حراسة هذه البقاع المقدسة على نحو ابعث على الرضا مما يستطيعه اليهود .. »

وقد حدث ما خشيته لجنة كنج ـ كرين ، ففي ٢١ اغسطس (آب) ١٩٦٩ اضرمت النار بالمسجد الأقصى ، اولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، واصيب باضرار بالغة .

ومن نتائج هذه الحرب ظهور حركة المقاومة الفلسطينية ، وهي عامل عسكرى وسياسي جديد واذا كانت هذه المقاومة موجودة منذ قيام اسرائيل فان هذه الحرب قد فجرتها وصعدتها . وهذه الحركة تؤمن بان ما اخذ بالقوة لايسترد الا بالقوة. ورغم ان اسرائيل حاولت تشويه هذه الحركة ، ووصف رجالها بالارهابيين والمخربين ، الا ان العالم اصبح يدرك اليوم ان هذه الحركة لا تختلف بحال عن حركات المقاومة لجيوش الاحتلال الأجنبية

في ازمنة وامكنة اخرى . ولم يكن يخطر ببال اسرائيل ابدا أن مثل هذه الحركة يمكن أن تخرج من صفوف الفلسطينيين الذين شردتهم. والواضح أن اعتداءات اسرائيل لا تفت في عضد رجال المقاومة ، بل تغذى روح الحقد والمرارة في نفوسهم ، وتزيدهم ايمانا بقضيتهم ، وتصميما على المضي في كفاحهم .

ونجم عن الحرب تطور سياسي هو : انشغال الدول الكبرى بالصراع العربى الاسرائيلى ، انشغالا خطيرا لم يسبق له مثيل ، ولا سيما الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفييتى . وقد اوجز الدكتور جون ديفيز ، في كتابه الذى سبق أن عرضناه في هذا الباب ، الموقف بين الدولتين في العبارة التالية :

« وبسبب انقسام الدلتين الكبيرتين على هذا النحو ، لم يكن بوسع مجلس الامن أو الجمعية العامة ، اتخاذ اجراء فعال . » والواقع أن اليهود في امريكا يسيرون سياستها تجاه اسرائيل . ورغم ان عددهم هو ٥،٧٠٠،٠٠٠ يهودى ، الا أن بينهم صهيونيين متطرفين نشيطين ، لهم تأثيرهم الكبير في السياسة الخارجية للدولة التى يحملون جنسيتها ، ومن أجل مصلحة الدولة التى يدينون بدينها ، ولو كان هذا على حساب مصالح امريكا . ويقول اللفتنانت جنرال بيرنز Burns في تحليل هذا الموقف ، في كتابه Between Arab And Israeli : « ان الطائفة اليهودية في الولايات المتحدة ، بفضل قوتها الاقتصادية ، ولا سيما في ما يتصل بعدد كبير من وسائل الاعلام الواسعة الانتشار ، وبقيادة جماعات صهيونية حسنة التنظيم تنحصر مهمتها في الضغط السياسي قد اثرت بنفوذها في سياسة الولايات المتحدة ، بما هو ابعد مما يمكن حسابه من احصاء ما يسمى « باصوات اليهود » .. وهكذا يقرر يهود الولايات المتحدة درجة التأييد السياسي ، وكذلك المالى ، الذى تتلقاه اسرائيل من الولايات المتحدة الامريكية . »

ولكن اسرائيل في الواقع لا تكتفى بالتأييد السياسي المطلق ، والعون المالى المفتوح ، من الولايات المتحدة بل انها تريد ايضا تأييدا عسكريا مطلقا ، وقد حصلت عليه . ان طائرات الفانتوم التى تفوق سرعتها سرعة الصوت مثل من أمثلة التأييد العسكرى الامريكى لاسرائيل ، وهذه الطائرات هى التى ضربت مصنع الادوات المعدنية المدنى في الجمهورية العربية المتحدة ، فقتلت وجرحت ما يزيد عن مئتين من اخواننا .

جوهر النزاع

ان الدعاية الصهيونية المضللة ، استطاعت أن تطمس حقيقة النزاع بين العرب واسرائيل ، وتشوهها امام الرأى العام العالمى . يقول اللفتنانت جنرال بيرنز ، رئيس هيئة اركان منظمة مراقبة الهدنة التابعة للامم المتحدة في فلسطين ، انه لا يعرض على الامريكيين سوى الجانب الاسرائيلى من قضية فلسطين .

ويقول الميجر جنرال كارل فون هورن Carl von Horn رئيس هيئة أركان الحرب للمنظمة عينها بين عامى ١٩٥٨ و ١٩٦٣ ، في كتابه Soldiering For Peace : « .. لقد ادهشتنا براعة الكذب التى زيفت الصورة الصحيحة . فقد اجتمعت وسائل الاعلام الاسرائيلية الماهرة ، مع الصحافة باسرها ، لكى تصطنع صورة زائفة شائهة روجت لها بخبرة المحترفين الفائقة بكل وسيلة متاحة ، ووجهتها الى شعبها والى العاطفين عليها والمؤيدين لها في امريكا وفي بقية انحاء العالم. ولم يسبق لى في حياتى أن تصورت أن بالامكان تحريف الحقيقة بمثل هذه السخرية والبراعة .»

ويقول الدكتور ديفيز : « ان نسبة كبيرة من العالم ، بما في ذلك العالم الغربى ، تعرف القليل عن فلسطين الحديثة ، أو عن الصراع الذى كان يحدث فيها حول هجرة اليهود ، والجهود التى بذلت لانشاء دولة يهودية . وأما في ما يتعلق بالجمهور الامريكى ، فان غالبية الناس لم يتح لها أبدا أن تستمع الى وجهة النظر العربية . »

والخطوة الأولى في البحث عن حل هى ازالة الحجاب الذى نشرته الدعاية الصهيونية حول قضية فلسطين ، وفضح دجل اسرائيل والصهيونية ، وتعريتها . ويرى الصحفى مايكل أدامز « ان الصهيونيين قد انتصروا حتى الآن لانهم زيفوا الحقائق ، وضللوا العالم .. وقضية العرب

في غنى عن كل تشويه أو مبالغة . والأمر الذى تحتاج اليه هو أن تسمع ، ومتى سمعت ... فعندئذ تتكلم الحقائق بنفسها . »

وجوهر النزاع هو نشوء اسرائيل في فلسطين ، انشاها قوم غرباء باحلال ظلم بالسكان الاصليين ، واغتصابهم أرضا ليست لهم . يقول مكسيم رودنسون : « ان الصراع يبدو ، في اساسه ، صراع شعب أصيل ضد احتلال شعب أجنبي لجزء من وطنه . »

ان كل ما حدث من تطورات في النزاع العربى الاسرائيلى انما مرده الى هذه المشكلة الانسانية ، وكل مشكلة اخرى هي فرع من المشكلة الأساسية، مثل : المنازعات حول الحدود ، والاغارات ، ومشكلة مياه الاردن ، وأخيرا احتلال اسرائيل لأجزاء جديدة من الارض العربية .. ومهما قدمت اسرائيل من تنازلات بشأن هذه المشكلات ، فان النزاع سيستمر ما لم تحل المشكلة الاساسية ، وهى عودة الفلسطينيين الى وطنهم ، ليعيشوا فيه أحرارا .

واذا كانت اسرائيل قد كسبت الحرب ، فانها خسرت فرصة كسب السلم .

« ان اسرائيل مخلوق غير شرعى ، وغير طبيعى. فمن الناحية القانونية ترتب على خلق اسرائيل ، وعلى اغتصابها أرضا تعود لشعب آخر ، وعلى تشريدها السكان الاصليين لفلسطين ، أن هتكت أبسط أوليات مبادىء المساواة والقانونوالعدالة. اما من الناحية السياسية ، فقد كان اقحام اسرائيل وسط العالم العربى سببا في نشوء صراع مستحكم أدى ثلاث مرات حتى الآن الى جلب ويلات الحرب على الارض المقدسة . وفلسطين قلب العالم العربى ، ولهذا كان انشاء دولة صهيونية في وسطه مقامرة جنونية . ومنذ أن بدأت التجربة الصهيونية في فلسطين ، والشرق الأوسط في حالة اضطراب . واذا استمر هذا الموقف ، فيلوح أنه يهدد بمزيد من الحروب والكوارث . وقد عاشت اليهودية في سلام مع العالم العربى في قرون مضت ، ولم تتعرض أبدا لاضطهادات كالتى تعرضت لها في اماكن اخرى . ولكن العالم العربى قد رفض دولة اسرائيل الصهيونية العنصرية تماما كما يرفض الجسم البشرى أية مادة غريبة عنه » .

مفاهيم خاطئة عن الحل الملائم

ان أول مفهوم خاطىء هو الظن ان العرب سيقبلون بالامر الواقع الذى خلقته اسرائيل عام ١٩٤٨ ، وقد وقر في ذهن اسرائيل وحليفاتها ان مرور الزمن كفيل بان يجعل العرب ينسون.ولكن العشرين السنة الماضية لم تضعف من حنين الفلسطينيين الى وطنهم ، وتصميمهم على الكفاح من أجل استرداده . ونحن نجد أن الدول الغربية ، حليفة اسرائيل ، تستغرب عناد العرب، ورفضهم للحلول المعروضة . ترى أمن الخطأ ان يطالب العرب بوطنهم ، وباسترداد اراضيهم ، وديارهم ؟!

وتدعى اسرائيل « ان عقارب الساعة لا يمكن اعادتها الى الوراء » ، ولكن التاريخ اثبت أن عقارب الساعة يمكن اعادتها الى الوراء ، واذا كانت هناك رغبة في احقاق العدل في فلسطين ، واعادة السلام الى الشرق الأوسط ، فان من الواجب اعادة عقارب الساعة الى الوراء ، ان الظلم الذى حل بفلسطين لا يمكن دفنه تحت أمر واقع .

والمفهوم الخاطىء الثانى هو الظن أن بالامكان توطين اللاجئين خارج ديارهم ، وادماجهم في الحياة الاقتصادية للمنطقة العربية . وهذا ما تدعو اليه اسرائيل . ولكن كل المحاولات التى بذلت في هذه السبيل فشلت . ويقول هنرى ر. لابويس ، مدير وكالة الغوث في تقريره السنوى لعام ١٩٥٥ ـ ١٩٥٦ ، ما يلى : « ان مشكلة اللاجئين الفلسطينيين .. ليست مجرد مشكلة اقتصادية تقبل الحلول الاقتصادية .. وينبغى التأكيد مرة اخرى بأن رغبة اللاجئين في العودة الى وطنهم رغبة مستمرة لا تخمد .. هناك طبعا عدد من اللاجئيناستطاع أن يهيىء لنفسهاستقرارا

مرضيا في حياته الجديدة ، ولكن الغالبية تتمسك بمطلبها الجماعي ، وهو ان ظلما مروعا قد حاق بها ، وتؤكد ان الحل الوحيد المقبول هو العودة الى ديارها . »

والمفهوم الخاطيء الثالث هو ان مشكلة اللاجئين يمكن حلها بدفع تعويض لهم . ولكن اي تعويض هذا الذي يتحدثون عنه ؟! أهو تعويض عن أراضيهم وديارهم التي تركوها وراءهم ؟! أم هو تعويض عن عشرين سنة من النفي والتشرد ؟ أم تعويض عن حق السيادة في وطنهم الذي لا يباع ولا يمكن التفريط به ؟ ان دفع تعويض لن يحل قضية اللاجئين ، ولا قضية فلسطين ، فلن يبيع احد حق مولده ، ولن يفرط في وطنه لقاء مال . »

في ١٧ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٦١ نشرت جريدة « نيويورك تايمس » خبرا ورد فيه ان املاك اللاجئين الفلسطينيين تقدر بالتي عشر بليون دولار ، فقال موشي مينوحين في كتابه « سقوط اليهودية في عصرنا » معلقا على هذا الخبر ، ما يلي : « سواء صح هذا الرقم ، أم كان شديد التضخم ، فان عرب فلسطين قد سلبوا ديارهم ووطنهم ، وهو شيء لا يسع احدا ان يشتريه بكل ذهب العالم ، حين يتعلق الأمر بحب المرء لوطنه، وشغفه به .»

امكانيات التسوية وشروطها

هل يمكن عقد صلح بين العرب واسرائيل ؟

ويجيب المؤلف على هذا السؤال بان هناك ثلاث عقبات تعترض سبيل عقد صلح بين العرب واسرائيل ، وهي : اغتصاب اسرائيل لارض ليست لها سواء بحكم القانون أو بحكم الواقع ، واجلاؤها السكان الاصليين من وطنهم ، واتباعها سياسة عنصرية تقترن بمطامع توسعية عدوانية .

ويرفض العرب اجراء مفاوضات سلام مع اسرائيل ، لأنهم يعرفون ما يدور في ذهنها عندما تتكلم عن المفاوضات والسلام . انها تريد من العرب ان يعترفوا بها كدولة ، ويعترفوا بما اقدمت عليه من اعمال اغتصاب ، وسلب ، وفتح اقليمي . انها تريد صلحا قائما على شروطها الخاصة .

ان السلم في الشرق الاوسط لا يتوقف على العرب ، لان العرب غير مسؤولين عن خلق هذه الظروف التي تباعد بينهم وبين اليهود . لقد عاش اليهود مع العرب خلال عصور التاريخ ، ولقوا منهم كل اعزاز وتكريم كمواطنين ، الى ان جاءت الحركة الصهيونية فكانت سبب كل بلاء .

وفي راى المراقبين العدول ، وبينهم عدد كبير من اليهود ، انه لا يمكن ان يكون هناك سلم الا اذا تخلت اسرائيل عن افكار الصهيونية ، وعادت فلسطين الى سكانها ، ومن القائلين بهذا الراى الحاخام المر برجر ، والمستشرق الفرنسي اليهودي مكسيم رودنسون ، وانطوني ناتنج والدكتور جون ديفز .

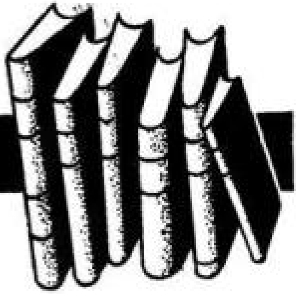
★ ★ ★

في التاسع من شهر يناير (كانون الثاني) من سنة ١٩٦٩ ، نشر الاستاذ ماشور، وهو استاذ اسرائيلي للفلسفة ، مقالا في جريدة « لوموند » ، ومما ورد في المقال ما يلي :

« ان التصاعد العسكري الذي يلاحظ في الوقت الحالي ، انما يرتد في اصله الى الظلم الذي انزل بالشعب العربي الفلسطيني . ولا سبيل الى اتخاذ اتجاه مضاد ما دام هذا الشعب محروما من حقوقه القومية . والطبيعة الذاتية للنظام الصهيوني هي التي تجعله يتعارض مع الاماني القومية للشعب العربي الفلسطيني . وبعبارة اخرى ، ان حكومة اسرائيل يتعذر عليها أن تعقد صلحا ، كتعذر عقده بين « الحمام » و« الصقور». وربما استطاعت اسرائيل فرض امر واقع بالقوة العسكرية ، او ربما امكن حملها على التراضي على حل وسط بضغط من الدول الكبرى . وأيا كان الأمر ، فلا ريب في ان هذا لن يسفر الا عن توازن وقتي عابر . والسلم في المنطقة مرهون باقتلاع الصهيونية من اسرائيل ، وانهاء النظام الصهيوني فيها . »

ولا اظن ان هناك سبيلا غير هذا .

محمود السمره



مِنَ الكتب التي وصلتنا

اليمن شماله وجنوبه

تأليف: محمود كامل المحامى . الناشر : دار بيروت للطباعة والنشر ـ بيروت/لبنان .

● دراسة تاريخية عن اليمن شاملة، تدرس المنطقة الجغرافية الواقعة فى جنوب غربي شبه الجزيرة العربية والتى تشمل حضرموت والمهرة المتاخمة لسلطنة عمان شرقا وعدن حتى باب المندب غربا بامتداد ساحل المحيط الهندى جنوبا وهو المعروف الآن بأسم جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية والجمهورية العربية اليمنية. يتناول المؤلف دراسة اليمن فى عصور ماقبل التاريخ باعتبارها الوطن المهد للساميين كما يدرس الدولة المعينية والدولة الحميرية ثم يدرس تاريخ اليمن فى العصور الاسلامية حيث يدرس دولة بنى يعفر ثم العهد الفاطمى والايوبى ثم دراسة عن الاحتلال العثمانى والاحتلال البريطانى ، ثم عهد الحكم الوطنى الحاضر .

احاديث قلب

تأليف : غازى الجندى ـ الناشر : دار الاعتدال للطباعة والنشر ـ دمشق / سوريا

● مجموعة من المقطوعات الشعرية المتنوعة .

نصف العيش

تأليف : شرف الدين بن شريف المعروف بابن الوحيد . تحقيق وتقديم : الدكتور عادل البكرى الناشر : مطبعة الجمهورية ـ الموصل ـ العراق

● تحقيق لارجوزة مخطوطة نادرة منقولة عن نسخة المؤلف ، والارجوزة هذه تبحث في الحكمة وآداب السلوك او الرسوم ويقصد بها مجموعة العادات المتبعة في معاملة الناس وتحديد العلاقة معهم وفي معاملة الملوك والامراء ومصاحبتهم بالاضافة الى نصائح في حفظ الصحة وعلم الاجتماع .

كتاب التنبيه على حدوث التصحيف

تأليف : حمزة بن الحسن الاصفهاني ـ حققه : محمد اسعد طلس . الناشر : مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ـ سوريا .

● تحقيق لكتاب من كتب تراثنا العربي يتناول مشكلة التصحيف ، وهو أن يقرا الشيء بخلاف ما اراده كاتبه ، وعلى غير ما اصطلح عليه في تسميته وقد اعتمد المحقق عن نسخ عدة لهذا الكتاب في تحقيقه والكتاب بالتالي مقسم الى ابواب سبعة يبحث في تصحيف العلماء في شعر القدماء ، ثم ذكر ما اثاره العلماء في السهو والزلل على الشعراء وذكر التصحيف نثرا المستعمل عمدا لاسهوا .

البترول العربي الخام في السوق العالمية

تأليف : الدكتور صاحب ذهب ـ الناشر : المطبعة العالمية / القاهرة .

● دراسة عن البترول العربي الخام تتناول تحليلا للعوامل التى تحدد مركز البترول العربي في السوق العالمية ، وكيفية تحديد اثمانه ثم دراسة تبين صناعة البترول ومدى السيطرة التى تباشرها الاحتكارات البترولية العالمية في صناعة البترول العربي في مختلف مراحله وتقلبات الاسواق وتاثيرها المباشر في حجم الطلب على البترول العربي . والبحث مقسم الى ثلاثة ابواب، فالباب الاول يستعرض تطور انتاج البترول الخام في العالم ومكانة البترول العربي من هذا التطور ومقارنة نفقات انتاج البترول العربى بنفقات انتاجه فى المناطق البترولية في العالم ، ودراسة احتياطي البترول العربي اما الباب الثانى فيناقش طبيعة الطلب على البترول وتطوره في العالم بصفة عامة والطلب على البترول العربي بصفة خاصة .

اما الباب الثالث فيدرس كيفية تحديد اثمان البترول الخام في السوق العالمية ومستويات هذه الأثمان والعوامل التى تحدد مستوياتها .

هوراس
شاعر روما الكبير .. وصديقه فرجيل

بقلم : يوسف زعبلاوى

■ قد يحسب المرء ، وهو ينظر الى صورة الصفحة الثانية ، ان هوراس كان من الاغنياء من اهل روما او النبلاء ، وقد امتلك هذا المنزل الريفى الرحب الذى احاطت به الزهور والاشجار والرياحين ، والذى قام على خدمته فيه ثمانية من الرقيق .

والحقيقة خلاف ذلك . فقد ولد هوراس ابنا لاحد الارقاء المحررين ، في بلده فنوزيا Venusia الصغيرة في جنوب ايطاليا عام ٦٥ ق.م . ولم يرث الشاعر الكثير عن ابيه ، وقد اقتصر عمل الاب على جمع النقود في المزادات ، وهو عمل ، كما لايخفى ، بسيط ، ودخله قليل .

على ان هذه الظروف المتواضعة لم تحُل بين الاب وبين تعليم ابنه . فقد اتاح له احسن فرص التثقيف التى سمحت بها تلك الايام . فهو لم يكتف بتعليمه في معاهد روما ، حيث تتلمذ على اورمبليوس الفيلسوف الرواقى المعروف ، وانما ارسله كذلك الى اثينا ليكمل تحصيله في جامعاتها، على نحو ما فعل ابن شيشرون وسائر ابناء الطبقة الراقية المثقفة في روما آنذاك .

ومن طريف ما يروى ان هوراس التحق بجيوش الرومان التي كانت تحارب في مقدونيا فيما كان يدرس في اثينا . فقد عمل تحت امرة بروتوس واشترك في معركة فيلبي (سنة ٤٢ ق.م) التى انتهت بنصر انطونيوس واغسطس على بروتس وكاسيوس وذلك في اعقاب مقتل يوليوس قيصر سنة ٤٤ ق.م . الا ان هوراس لم يشارك في احتفالات النصر وذلك لانه لم يستمر في القتال حتى النهاية . فقد هرب من المعركة ، حسبما يعترف هو ، وعاد الى روما ، حيث اعلن الولاء ، وظفر بالرضى .

وعمل هوراس بعد ذلك موظفا أو كاتبا اداريا في احدى دوائر الحكومة في روما . وما كان ليترك الوظيفة ويحترف الكتابة ، ويتخذ من الشعر مورد رزق ، لولا المصادرات الجماعية التي اجريت على نطاق واسع في تلك الايام والتى شملت فيما شملت مزرعة هوراس التى ورثها عن ابيه ، ومزارع صَنّيفيه الاثنين ، فرجيل وبروبرتيوس Properitus .

وتجدر الاشارة هنا الى ان هذه المصادرات انما استهدفت نزع ملكية الاراضي الزراعية بقصد توزيعها على الجنود العائدين من الحروب . فقد كثرت حروب الرومان في المراحل الاخيرة من العهد الجمهوري والمراحل الاولى من العهد الامبراطورى، وخاصة في ايام الامبراطور اكتافيان (اغسطس) التى عاش فيها هوراس . وكان لا بد من ايجاد العمل المناسب للجنود الذين كانوا يخوضون تلك الحروب والذين لو تركوا عاطلين عن العمل بين حرب واخرى لكانت جموعهم عبئا كبيرا على خزينة الدولة ، وخطرا اكبر على امنها .

ومما يذكر في هذا الصدد ان عدد افراد الطبقة الفقيرة من اهل روما في ذلك الحين قدروه بنحو ١/٥ سكانها وان الحكومة كانت تزودهم بالطعام وغير ذلك من الخدمات بالمجان .

على أن احتراف هوراس الكتابة ونظم الشعر لم يكن كافيا وحده لخلاصه مما انتهى اليه من ضيق حال . فهو لم يتمكن من استرداد مزرعته المصادرة ، كما نجح في ذلك غيره ، ومنهم صديقه فرجيل . ولم يكن هوراس كذلك من المقربين الى الامبراطور ، ولا كان ضمن حلقة الشعراء الاوغسطيين الذين اغدق عليهم اغسطس العطاء . لذلك عمد فرجيل الصديق الشهم الى تقديم هوراس الى ماكيناس Maecenas ، مستشار الامبراطور المقرب ، وراعي حلقته التى ذكرنا ،



الامبراطور اغسطس(اوكتافيان)، وهو يصغي باهتمام بالغ ، بدا معه سارح الفكر في الآفاق البعيدة ولا عجب فقد كان الشاعر فرجيل هو الذى وقف امامه يتلو على مسامعه مقاطع من ملحمته الرائعة الأنياد Aeneid وهي التى كلفه بوضعها الامبراطور نفسه ، والتي انفق فرجيل فى كتابتها السنوات الاحدى عشرة الأخيرة من حياته غير الطويلة (٧٠ — ١٩ ق٠م) ٠

وجدير بالذكر ان هذه الملحمة الشهيرة خلدت اسم فرجيل بقدر ما وطدت أمجاد روما ٠ وهي تشبه في أحداثها ومغامراتها ملحمة الالياذة لهوميروس ، ولكنها تختلف عنها في اتجاهها نحو التوحيد في الدين ، وفي ترديدها لعدد من المعتقدات التى تشبه كثيرا ما جاء به الدين المسيحي فيما بعد .

ولعل هذا هو السبب الذى ادّى الى رفع مكانة فرجيل فى العصور الوسطى الى مرتبة قريبة من مرتبة الرسل والأنبياء .

والتى ضمت فيمن ضمت بروبرتيوس وفاريوس فضلا عن فرجيل .

وهكذا بدا الحظ يبتسم لهوراس . اذ لم يلبث ان حظي بتقدير ماكيناس الذى كان اديبا ذواقا ، وقد كتب مأساة بعنوان بروميثيوس ، والذى كان من الاغنياء النبلاء أصلا ، وقبل ان تنشا العلاقة الخاصة بينه وبين الامبراطور تلك التى زادته غنى وجاها . وتكفي الاشارة الى ان المنزل الريفي الجميل الذى رأينا في الصورة والذى اوحى بان هوراس كان ثريا لم يكن سوى الهدية التى قدمها ماكيناس اليه .

على ان هذا المنزل ، رغم ما كان عليه من رحابة واناقة ، لم يكن بفخامة بعض المنازل الريفية الاخرى التي انتشرت حول روما فى تلك الايام ، كمنزل شيشرون على سبيل المثال . ومع ذلك فان منزل هوراس يعتبر اهم واعظم شأنا من تلك المنازل جميعا وبلا استثناء .

ذلك ان هوراس وجد في منزله هذا وفي مناظر تلال سابين التى احاطت به ، مصدر الهام ، بحيث اصبح لاينظم الشعر غالبا الا فيه . اضف الى ذلك انه كان يجد فيه الراحة والاستجمام وقد كانت حرمته منهما العاصمة التى بلغ عدد سكانها انذاك اكثر من مليون نسمة بتقدير بعض المؤرخين .

وكان من نتيجة هذا وذلك ان حظي هذا المنزل بمزيد من تعلق هوراس به وحبه له ، بحيث اصبح موضع تغزل هوراس في كثير من اشعاره .

وتقع اشعار هوراس في ثلاث مجموعات . اهمها ويعرف باسم المغانى Odes . ويذكر هنا ان الشاعر الانجليزى ميلتون كان أول من ترجم هذه المجموعة الى اللغة الانجليزية .

وتعرف المجموعة الثانية من اشعار هوراس باسم الرسائل Epistles . اما المجموعة الثالثة Satires فتذكرنا بان هذا اللون الساخر من الشعر كان رومانيا صرفا ولم يكن للاغريق اى انتاج فيه .

ولعل ابرز ما اشتهرت به أشعار هوراس هو سلاستها وطلاوتها التي جعلتها تتردد على الالسن وتسير كالامثال . من ذلك قوله : « من يخطو خطوة البداية يقطع نصف الطريق الى النهاية . » وقوله : « تمخض الجبل فولد فأرا » ... ■■



من غرائب القضايا

الأبيض والأسود

بقلم : حسن الجداوى
المحامي لدى محكمة النقض بالقاهرة

■ نحن في كينيا وفي عام ١٩٥٩ ، وقت ان كانت لا تزال ترزح تحت الحكم البريطانى ، وفي ابان ثورة الماوماو التى انتهت باستقلال كينيا بعد ان حوكم زعيمها جومو كنياتا ـ الذى اصبح الآن رئيس جمهورية كينيا المستقلة وفي عاصمتها مدينة نيروبي اجمل مدن افريقيا ـ بعد القاهرة ـ كينيا التى عرضتها بريطانيا (العظمى) على هيرزل داعى الصهيونية الاول لتكون موطنا للاسرائيليين فرفضها .

في كينيا عند ذاك قتل رجل" ابيض ، اسمه بيتر بول ، رجلا اسود اسمه كماوى موسونيج ، بعيارين نارين ـ عامدا متعمدا ـ لمجرد ان الرجل الاسود امسك بحجرين شوح بهما لابعاد كلبى الرجل الابيض اللذين تحرشا به .

ولو ان القاتل هنا كان رجلا اسود ، او لو ان القتيل كان ابيض ، او لو ان الحادث كان في غير كينيا ، لما كانت قضية تستحق ان تعرض ، ولما احتاجت القضية لكل الضجة التى اثيرت حولها ولا للف والدوران الذى أثار اهتمام الصحف العالمية .

بدات المحاكمة في جو عاصف امام رئيس المحكمة الانجليزى ـ الابيض ـ ومحلفين جميعهم من البيض . وسارت شوطا لا باس به . واذا باحد المحلفين وهو مسيحى من طائفة الاصحاب (الكويكرز) يقرر ان ضميره لا يسمح له بان يستمر في المحاكمة لانه لا يقر عقوبة الاعدام عامة . واعتذر عن انه لم يبد اعتراضه هذا عند بدء المحاكمة لانه لم يكن يعرف موضوع التهمة وظروفها .

وكان الظرف يتطلب من القاضي اما ان يسير في



المحاكمة مكتفيا بالاحـد عشر محلفا الآخرين أو يعيد المحاكمة بمحلفين جـدد . ولكن ممثـل الاتهام طلب ايقاف الاجراءات فلم يسع القاضي الا ان يامر باخلاء سبيل المتهم .

وخرج المتهم من قاعة الجلسة ولكن كاتب المحكمة ــ بغير امر من القاضي ــ اصدر امرا باحتجازه في حرم المحكمة ليمكن ممثل الاتهام من توجيه التهمة من جديد اليه وتحديد يوم المحاكمة بعد اسبوع .

وقبل ان يحلف المحلفون الجدد اليمين تقدم محامى المتهم بدفعين قال في اولهما ان المدعـى العام ــ بعد ان سحب الاتهام ــ لا يملك ان يعيد المحاكمة على نفس الأسس ، فان اخلاء القاضي سبيل المتهم ، هو بمثابة حكم بالبراءة ، واصبح حقا مكتسبا للمتهم لا يجوز محاكمته بعده لنفس التهمة . وقال في دفعه الثانى انه لم يكن من حق القاضي ــ قانونا ــ ان يصرف المحلفين فقد تعلق حق المتهم بهم .... ولكن رئيس المحكمة قضى برفض الدفعين والاستمرار في المحاكمة .

شرح ممثل الاتهام وقائع الدعوى ثم نادى على شاهـده الاول الطبيب الـذى اجرى الصفـة التشريحية فشرح ان الطلقة التى سببت الوفاة اخترقت الصدر من اليمين الى اليسار ومرت بالجزء الايسر من القلب ثم بالجزء الايسر الاعلى من الرئة ، وانها اطلقت من مسافه ٦ الى ١٠ ياردات . وعرض عليه القاضي الحجرين اللذين عثر عليهما بمكان الحادث وسئل ان كان من الممكن ان يحدثا اصابات خطرة فقـال ان ذلك ممكن اذا استعملا باليد . كما قرر انه لم يجد بجثة القتيل آثار عض من كلب .

ثم استدعى خبير السلاح فشهد ان العيار النارى الذى اخترق الجثة اطلق من البندقيـة التى عرضها البوليس عليه . وقال ان البندقية من الممكن ان ترتد في يد مطلقها بحيث تصيب مكانا اعلى من الهدف المراد اصابته بنحو بوصة واحدة، ولكنه لا يعلم ، ولم يسمع طوال خبرته بالسلاح ، عن بندقية يمكن ــ بسبب الارتداد ــ ان تصيب الصدر اذا صوبت الى القدم من مسافة ست او عشر ياردات . .

ثم استمعت المحكمة الى الشاهدين الوحيدين اللذين رأيا اطلاق النار . شهد اولهما وهو خادم اسود انه رأى القتيل يمر بدراجته امام منـزل المتهم فخرج عليه من المنزل كلبان كبيران فنـزل القتيل من على دراجته وتناول شيئا من الارض القاه على الكلبين فانسحبا ، ولكن المتهم خرج من منزله ، واتجه نحو القتيل . واخرج مسدسا من جيبه واطلق رصاصة لم تصب القتيل ، وثنى باخرى اصابته . فامسك القتيل بصدره وجرى حتى وقع .

وعند ذلك رأى القاضي ان يجرى معاينة في محل الحادث فاصطحب معـه كاتبه وممثـل الاتهـام والشاهد والمحلفين وشرح لهم الشاهد مكان وقوفه ثم قال انه رأى سيدة اوروبية وصلت بسيارتها وقت الحادث ولكنها كانت بعيدة وانها اذا قالت انها رات وسمعت فانها تكون مخطئة .

وتقدم الاتهام بالشاهدة الثانية فقالت انهـا ممرضة بمجلس بلدى العاصمة وانها كانت عائدة من عملها في الساعة الثالثة الا خمس دقائق ، وانها رات افريقيا على دراجته وقد هجم عليه كلبان كبيران ، فاخذ يدفع بدراجته نحو الكلبين لابعادهما . وانها اوقفت السيارة لانها لم تكن تدرى كيف تتصرف . وانها رات اوروبيا متجها نحو الدراجة فجرى اليه الكلبان ، وان الافريقى انحنى وتناول حجرين كبيرين بحجم البرتقالـة الكبيرة ، وسمعت الاوروبي ــ الذى تعرفت عليه بقاعة الجلسة بانه المتهم ــ يقول للافريقى باللغة السواحلية ــ « اذا اصبت كلبي فساضربك » . واخرج مسدسا من جيبه وصوبه الى الافريقى . ثم اتجه ومعه كلباه نحو الافريقى واخذ الكلبان يهجمان عليه وسمعته يقول لهما « هيا الى المنزل » او « ابتعدا » . وابتعد الكلبان فعلا ثم سمعت الافريقى يقول له « انا لم ارتكب خطأ . اضربنى . وسنـذهب للمحكمـة وسيعـرف البوليس

الحقيقة» . وضرب الافريقي على صدره بيديه . .

وقامت مشادة ، وامسك الاثنان بالدراجة ، فادرت سيارتي لانصرف ، فسمعت صوت عيار ناري ، ورأيت المسدس في يد المتهم ، ورأيت الافريقي قريبا من « انحناءة » الشارع ، وبول في اثره ثم سمعت صوت طلق آخر . ثم وجه بول الحديث الى وقال لى « هل تسمحين يا سيدتى بالذهاب الى منزلى وتديرى رقم « ٩٩٩ » وتستدعى البوليس » .

فقلت له « ان هذا الافريقى كان خائفا من كلابك . ولكل واحد حق المرور في الطريق » . فقال لى « الم ترى الحجارة التى كان يقذف بها كلابى » فقلت له « اعتقد اننى كنت افعل نفس الشيء » فقال لى « انك لا تعرفين ما حدث . لقد كان يلقى الاحجار في حديقتي . فان لم تذهبى لاستدعاء البوليس فسأذهب بنفسي » ثم انصرف .

ثم اقبلت بعد ذلك سيدة اوروبية اخرى واتجهت معها نحو الافريقى ورأينا الدماء تنزف بغزارة من الجزء الايسر الاعلى من ظهره ، فامسكت بمعصمه لأبلو نبضه فوجدته ضعيفا ثم لم أعد احس له نبضا .

ثم عاد المتهم ، وتجمع نفر كبير من الافريقيين ، واتجهوا نحو المتهم ، ولكنهم تراجعوا حين ادخل يده في جيب سرواله . ثم اقبلت سيارة البوليس وكان بعض الافريقيين قد اوقعوا المتهم في حفرة وبداوا يضربونه ولكن البوليس ابعدهم .

ولما وُوجهت بأقوال الشاهد السابق انكرت انها كانت على مسافة بعيدة ولما نوقشت فيما قاله الشاهد من أن العيارين اطلقا من مكان واحد بينما قالت هى انهما اطلقا من مكانين مختلفين قالت « لقد قلت ما قلت ولا اعدل عن اقوالى ولم احاول ان احدد معلوماتي » .

ووجه اليها محامي الدفاع السؤال الآتى « ماذا تقولين اذا قالت السيدة الاوروبية الثانية انها سألتك ان كنت رأيت حجارة في يد القتيل فكان ردك « لا » فقالت في حدة « اذا كنتم تريدون ان اقول « نعم » فانى اقول « نعم » فلم اعد ادرى ما اقول .

وقالت الشاهدة ان المتهم كان هادئا بعد الحادث وان دل شحوب لونه - في تقديرها - على انه كان مضطربا (كذا) ولكنه كان يتحدث بصوت هادىء (كذا كذا) . واعترفت بانها تحدثت الى كثيرين عن القضية ولكنها انكرت انها قالت لاحدهم انها تأسف لأنها ادلت بشهادة قاطعة لان الانسان لا يستطيع ان يقطع بامر في مثل هذه الحوادث ، كما انكرت انها حاولت ان تطلب من محامى الدفاع ان لا يستجوبها .

وتدخل القاضي مرارا في الاسئلة التى كان يوجهها محامى الدفاع . وعندها احتج المحامي وقرر ان لا يستمر على الاستجواب لان الاستجواب تحول الى مناقشة بين المحامي والقاضي والشاهد مما افقد الاستجواب كل قيمة . وقال القاضي ان المحامي وجه اسئلته بسرعة لم تسمح له - اى للقاضي - باثباتها . ورفع الجلسة حتى يستدعى مختزلا يستطيع متابعة المحامى وفعلا رفعت الجلسة وجيء بمختزل .

ثم سمعت المحكمة اقوال السيدة الاوروبية الثانية التى ورد ذكرها فقالت انها كانت بمنزلها مع سيدة اخرى عندما سمعت صوتا قالت عنه السيدة الاخرى انه عيار نارى ، ثم جاء خادمها وروى لها ما حدث ، فخرجت تستطلع الخبر فوقع نظرها على افريقى ملقى على الارض ظنته مخمورا . واتجهت الى حيث كان يوجد المتهم والشاهدة السابقة وسمعته يقول لها « بالله قولى شيئا . هل رأيت الافريقى خارجا من حديقة منزلي ؟ هل رأيته يقذف كلابي بالحجارة ؟ هل رأيت احجار بيده ؟ » وقالت هى « لا » .

وتحدثت الشاهدة الى المتهم فقال لها انه يعرف ان الافريقي قد فارق الحياة . ثم بدأ الافريقيون يتجمعون فنصحته بان يدخل منزله ولكنه ابى .

وجاء شاهد آخر مهندس اوروبي قال انه كان مارا بسيارته فوجد جمعا من الافريقيين يعتدون على المتهم ، فاتجه لانقاذه ، وقال له المتهم « ان افريقيا قذفه بالحجارة بعد ان كان قد القى حجارة على كلابه وانه - اى المتهم - « اعطاه جزاءه » ثم اشار له على حجرين طلب منه الاحتفاظ بهما كدليل على حصول الاعتداء وانه - اى الشاهد - وضع الحجرين في سيارة البوليس .

وشهد رجل البوليس الذى حضر عند استدعائه انه وجد بول يتشاجر مع عدد من الافريقيين فانقذه من بين ايديهم وادخله سيارة البوليس

وقال له بول « لقد اطلقت عليه النار وهو هناك . فهل تريد اخذ اقوالي ؟ » ولكنه ـ اى رجل البوليس ـ ذهب ليرى المصاب فوجده قد فارق الحياة ، ولما عاد سلمه بول مسدسا اخرجه من جيب سرواله .

وشهد الكونستابل الذى استمع الى اقوال بول في المستشفى ان بول قال له انه كان بمنزله . وقالت له زوجته ان شخصا افريقيا يقذف الكلاب بالاحجار . فتناول مسدسه وخرج . وان الافريقى قذفه بحجر لم يصبه فصرخ فيه ولكنه ركب دراجته وحاول الفرار ، فتعقبته الكلاب واجبرته على النزول من فوق الدراجة فاخذ يهدد الكلاب بالحجارة . فقال له بول « اذا ضربت كلابى بالحجر فساطلق عليك النار » وانه اراد ان يجره الى منزله ويستدعى البوليس . ولكنه امسك بالدراجة محاولا الهرب ، فقاومه وتكرر ذلك منه ثلاث مرات ولاحظ في المرة الاخيرة ان الافريقى يريد ان يضربه بالحجر لانه مد ذراعه للخلف فاطلق عيارا ناريا ليمنعه من قذف الحجر ولكنه وقع . وقال انه واثق من انه كان في حالة دفاع عن النفس .

ولم يستدع الدفاع شهودا ولا المتهم نفسه ـ اذ ان المتهمين في القضاء الانجليزى من حق الدفاع عنهم استدعاؤهم ، فيحلفون اليمين ، ويدلون بشهاداتهم . ويستجوبهم محاميهم وممثل الاتهام والقاضيوتتوقفبراءتهم او ادانتهم على نتيجة ذلك الاستجواب وتأثيره على المحلفين . ولكن محامى بول لم يستدعه للشهادة وبذلك اصبح من حقه ان يكون آخر من يتكلم .

قال ممثل الاتهام « اذا صدق المحلفون ان القتيل القى على بول حجرا وهو في حديقة منزله، فان من حق المتهم ان يلحق به ، وان يستعمل القدر اللازم من القوة ليسلمه للبوليس . اما اذا لم يكن هناك القاء احجار عليه فليس يحق للمتهم القبض على الرجل . واذا وجد المحلفون انالقتل نتج من محاولة مشروعة للقبض على المعتدى، ولكن حدث تجاوز عن القوة اللازمة ، فانه يكون قد ارتكب جنحة قتل بدون سبق اصرار او تعمد . واذا وجدوا واضعين فى تقديرهم نوع السلاح الذى استعمل وطريقة استعماله والقول المنسوب اليه من انه « اعطاه جزاءه » ، ان ذلك كان قتلا عمدا فتكون جريمته جناية قتلعمد عقوبتها الاعدام

وهو ما يقول به الاتهام . فقد احق المتهم برجل في الطريق العام بعد ان القى حجرا عليه ، ومعه كلبان هاجما الرجل هجوما عنيفا حتىتركدراجته، وبعد ذلك ومن مسافة ستة او سبعة اقدام اطلق عليه رصاصتين . فان صح هذا فان المحلفين ولا شك متنبهون الى ان نية المتهم اتجهت الى قتل الرجل على الاقل وايذائه .

وقال محامى الدفاع ان شهادتى* شاهدى الرؤية تتناقضان لدرجة لا تسمح بالثقة باقوال اى واحد منهما ، فلم يبق في القضية الا اقوال « بول » الذى يؤكد انه اطلق الرصاص دفاعا عن النفس . فاذا استبعد المحلفون اقواله اصبحت القضية خالية من اى دليل وتحتم اطلاق سراحه والخلاف كبير على اطلاق الاعيرة النارية . فبول يقول انه اطلق العيارين في نفس المكان وبفارق ثانية واحدة ، بينما تقول الشاهدة انهما لم يطلقا في نفس المكان وان الفارق بينهما عدة ثوان . يقول بول ان القتيل قذفه بحجر لم يصبه . ويطلب منكم الادعاء ان لا تصدقوا هذا القول . ولكن قول بول لا يحمل طابع الكذب اذ لو اراد ان يكذب لقال ان الحجر اصابه. وفي القضية اسباب كافية تبرر قول بول انه اعتقد انه كان في حالة دفاع عن النفس فقد ثبت ان الحجرين يمكن ان يحدثا جروحا عميقة . فهو اذن اعتقد بحق انه كان في حالة دفاع عن النفس .

ولخص القاضي القضية فقال ان المطلوب من المحلفين ان يقرروا ان كان القتل حدث دفاعا عن النفس ، واذن فالمتهم غير مذنب . او انه قتل في ظروف تثبت الاصرار على القتل ، وعندها يتحتم على الاتهام ان يثبت ان القتل قد حدث عن عمد . وشاهدا الرؤيا يتعارضان . هى تقول ان القتيل كان يحمل في يده حجرين وهو يقول انه لم يكن يحمل احجارا . وهى تقول ان عيارا اطلق في الطريق العام والآخر فى شارع جانبى بينما يقول الشاهد الآخر انهما اطلقا في وقت واحد ومكان واحد . فهل تعتقدون ان الشاهد لديه من الادراك ما يؤكد اقواله . واذا تبينتم ان الشاهدة قد اخطات في مكان اطلاق النار فقد تعتقدون انها اخطات في اقوالها الآخرى .

اما اقوال المتهم في البوليس (لانه لم يجلس على كرسي الشهادة) فان كان كل قصده القبض على القتيل وتسليمه للبوليسفلماذا اخذ مسدسه

معه ؟ اذا اعتقدوا بوجود خطر على حياته فليقرروا انه غير مذنب . واذا اعتقدوا ان من حق المتهم القبض على القتيل حق مشروع وانه تجاوز حقه فقد ارتكب قتلا غير متعمد . او اذا اعتقدوا ان القتيل استفزه فان الاستفزاز لا يبرر القتل وان جاز اعتباره ظرفا مخففا .

وتداول المحلفون ساعتين وربع ساعة ثم قرروا ان المتهم مذنب وحكم القاضي - بعد أن وضع الطاقية السوداء على راسه - « بان يعاد الى السجن الذى جاء منه الى المشنقة ليتدلى منها من رقبته حتى الموت » . وذلك اتقاء لما حدث ذات مرة من انقطاع حبل المشنقة واستحالة اعادة الشنق لان الحكم قد نفذ بنصه ولم يكن قد ذكر فيه حتى الموت .

ولما كان هذا المتهم اول اوروبى أبيض حكم عليه بالاعدام لمقتل افريقى اسود فقد تالبت جميع القوى الداخلية والخارجية لمحاولة الغاء الحكم .

أسرع الدفاع باستئناف الحكم وقدم خمسة عشر سببا وجهت كلها الى طريقة ادارة القاضي للجلسة ، فقد أخطأ القاضي بصرفه للمحلفين الذين بدأوا نظر القضية ، وخالف القانون بتدخله في استجواب الخصوم ، وانه لم يثبت اجابات الشاهدة على اسئلة محامى الدفاع ، وانه - بتدخله في الاستجواب - نزل الى ميدان معركة وهو الحكم فيها - وأبطل الفائدة التى تعود من الاستجواب ، وانه لم يعرض القضية عرضا امينا وهكذا .

وقبل نظر الاستئناف اخذت زوجة المتهم اولادها وعادت الى انجلترا وبدأت دعاية مدروسة من لحظة وصول طائرتها الى مطار لندن ، وقالت للصحفيين انها عادت لتعد منزلا لزوجها واولادهما لانها تعلم أن زوجها برىء وانه انما كان يدافع عن أسرته وبدأت حملة ضد « الماو ماو » تلك الحركة التى كانت تطالب بالاستقلال والتى انتهت باستقلال كينيا .

ولكن الاستئناف برغم أن الذى تولاه محام انجليزى كبير اضاف الى أسباب الاستئناف أسبابا جدية من عنده أهمها اجراء المعاينة في غيبة المتهم ، وعدم قانونية احتجاز المتهم في حرم المحكمة بعد قرار القاضي باخلاء سبيله مما يعتبر اهانة للمحكمة . وقال ان الواقعة لا تعدو ان تكون معركة كالتى تحدث بعد غلق البارات في انجلترا حين يختلف السكارى فيستعملون زجاجات البيرة ، واصبحوا الآن يستعملون السكاكين ، فان الخلاف الذى نجم بين رجلين اعتقد احدهما ان الآخر اخطأ ، بينما اعتقد الآخر انه برىء امين . وكان من سوء الحظ ان احدهما كان يحمل مسدسا - وهو عمل سخيف - بينما سلح الآخر نفسه بالحجارة ، فتشاجرا وانتهت المشاجرة بموت أحدهما واتهام الآخر بالقتل العمد .

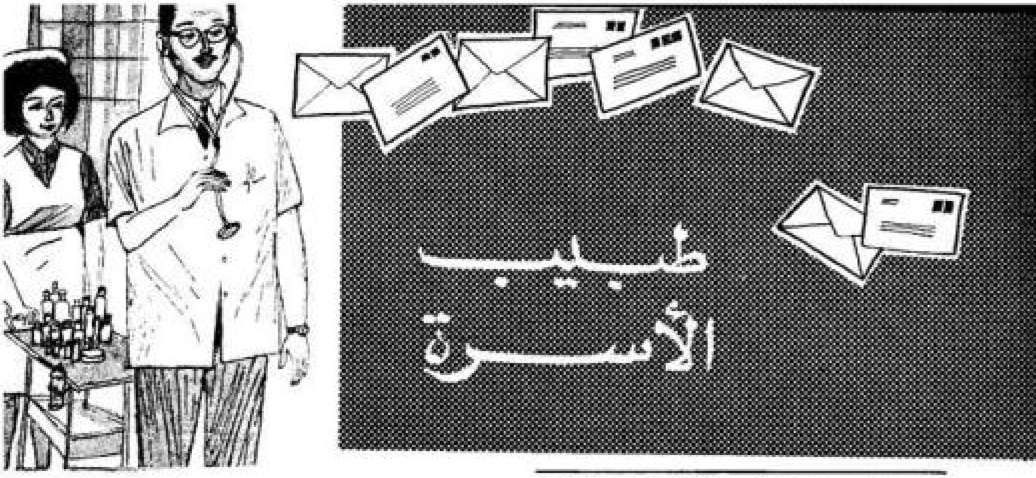
وحمل على الصحافة التى هولت في الحادث ونشرت مقالات لا شك انها اثرت على المحلفين مهما حاولوا تناسيها .

ولكن قضاة الاستئناف أيدوا الحكم . كما أيد المجلس الخاص المكون من ثلاثة لوردات ، بعد ان استغرقت ثلاثة ايام الحكم المستأنف . ولم يبق من امل الا في صدور عفو من حاكم كينيا بتعديل العقوبة . وبذلت جهود جبارة في سبيل ذلك فقد جمع احد رجال الاعمال في نيروبى خمسة وعشرين الف توقيع ، كما طارت الزوجة من لندن الى كينيا لتحلف باغلظ الايمان بان زوجها لم يكن متعصبا ضد السود . وقبل اليوم المحدد لتنفيذ العقوبة جرت محاولة جديدة لانقاذ المحكوم عليه ، فتقدم اقرار من طبيب نفسانى ذكر فيه ان بول هدده بالقتل ان لم يبعد كلابه التى كانت تنبح بطريقة مزعجة ، وآخر من تاجر في نيروبى قال ان بول سحب عليه مسدسه وهدده بالقتل ان لم يسمح له بخصم على بضاعة اشتراها .

وكل ذلك للقول بان بول مصاب بالشيزوفرانيا اى انفصام الشخصية . ولكن الحاكم رفض ان يعرض المحكوم عليه على قومسيون طبى . ووجهت أسئلة في البرلمان الى وزير المستعمرات وارسلت جماعة انصار الامبراطورية بالعديد من التلغرافات والالتماسات . كل ذلك في سبيل قاتل مشاغب سريع الغضب خرج من داره يحمل مسدسا ليقتل به رجلا مر من امام داره فتحرشت به كلابه فحاول أن يبعدها عن نفسه بتهديدها بحجر في يده .

ولولا خوف الامبراطورية من حركة « ماوماو » الاستقلالية التى كانت قائمة لاستبدل بحكم الاعدام حكم بالاشغال الشاقة يتلوه بعد فترة قصيرة او طويلة حكم بالعفو عن العقوبة . فهكذا عودتنا السياسة انها فوق العدل . ■■

حسن الجداوى



يجيب على هذه الاسئلة نخبة من الاطباء

الالتهاب الشبكى المشيمى

● **انا طالب ثانوى اشكو من ضعف بصرى وأميز الأشياء القريبة ، وأعجز عن تمييز الأشياء البعيدة. ذهبت الى الطبيب فقال لى اننى أعانى من التهاب شبكى مشيمى ، وانه لا يوجد علاج لهذه الحالة ، فارجو ان توضحوا لى ما هذا المرض وما اسبابه ، وهل اكتشف له علاج ؟**

ـ يبطن قاع العين من الداخل بالشبكية يليها المشيمة ثم الصلبة ، وهى الغلاف الخارجي الأبيض اللون . اذا حدث التهاب فى شبكية العين أو مشيمة العين ، فانه غالباً ما يمتد من أحد هذين النسيجين الى الآخر .

التهابات المشيمة تقسم الى أنواع حسب الجزء المصاب من المشيمة أكثر من غيره .

١ ـ التهاب المشيمة الموزع Disseminated Choroiditis وهذا النوع نجده منتشرا فى أجزاء متفرقة من المشيمة .

٢ ـ التهاب المشيمة الأمامى Anterior Choroiditis ويشمل الجزء الأمامى من المشيمة .

٣ ـ التهاب المشيمة المركزى Central Choroiditis ويبدأ فى الجزء الخلفى وينتشر الى الأمام .

٤ ـ التهاب المشيمة بجوار العصب البصرى . Yuxta Papillary Choroiditis

٥ ـ الالتهاب المشيمى المنتشر Diffuse Choroiditis ويشمل أجزاء كثيرة من المشيمة وينتشر حتى يشمل معظم المشيمة .

وسوف لا ندخل فى تفاصيل كل نوع واسبابه بالذات ، ولكن الأسباب عموما لكل هذه الأنواع هى :

١ ـ أسباب غير معروفة .
٢ ـ الزهرى سواء المكتسب او الوراثى .
٣ ـ السل
٤ ـ بعض الفيروسات
٥ ـ ميكروبات أخرى وطفيليات .
٦ ـ الاصابات .

وكذلك شبكية العين فتنشأ التهاباتها من أسباب متشابهة ، وينتج عن هذه الأمراض استحالة فى الشبكية والمشيمة مما يسبب نقطا عمياء فى ميدان النظر قد يراها المريض كنقط سوداء امامه عندما ينظر الى شئ ، وكذلك تسبب ضعف قوة الابصار . وتوجد حالات أخرى تحدث فيها الاستحالة بالشبكية

او المشيمة أو بهما معا بدون حدوث الالتهابات مثل :

١ ــ قصر النظر الشديد .

٢ ــ الاستحالة فى النقطة الصفراء بأنواعها وقد تحدث فى الشباب او كبار السن ، وقد يكون لها عوامل وراثية او فى كبار السن من تصلب الأوعية الدموية.

العلاج :

١ ــ طالما ان السيد صاحب السؤال يرى الأشياء القريبة ولا يرى البعيدة ، فقد يكون مصابا بقصر النظر ، ولذلك انصحه بتجربة النظارات الطبية أولا .

٢ ــ علاج السبب ان وجد .

٣ ــ علاج اى بؤرة فى الجسم بها ميكروبات مزمنة مثل الأسنان واللوز والجيوب الأنفية .

٤ ــ تناول الأدوية التي تساعد على صحة الشبكية والمشيمة ، مثل الفيتامينات، وخلاصة مشيمة الجنين.

٥ ــ تقوية الصحة العامة فى حالة ضعف البنية .

وعلى العموم يجب على السائل ان يعرض نفسه على الطبيب الأخصائى .

آثار الجدرى .. هل هناك

● **اصابني الجدرى في طفولتي وترك آثارا واضحة على وجهي ؟ هل من علاج ؟**

ــ يصيب الجدرى الاجزاء المكشوفة وخاصة الوجه ويسبب دمامل بالجلد مما يؤدى بعد الشفاء الى ندبات متفاوتة العمق والتشويه حسب مدى انتشار المرض وشدة حدته وجسامة المضاعفات.

وقد تصيب هذه المضاعفات قرنية العين مما يؤدى الى ندبات معتمة (سحابات) ونقص فى قوة الابصار .

وقد تؤدى مضاعفات شديدة الى فقدان اجزاء من الانف الخارجية او الاذن .

وتتوقف خطة العلاج على جسامة التشوه ومدى انتشاره فى الوجه وكذلك لون البشرة ومدى ليونتها او صلابتها وكذلك على سن المريض .

ويمكن تحديد طرق العلاج كما يلي :

١ ــ عمية سنفرة للجلد بازالة

اللعثمة واللجلجة .. أسبابها وعلاجها

● **لى ثلاثة أخوة ذكور .. أصيب احدهم منذ صغره باللعثمة واللجلجة ،اما الثانى فنطقه سليم ، وأصيب الثالث وهو الأصغر باللعثمة أخيرا ، وأرجو من طبيب الأسرة أن يعطينا تفسيرا لذلك ، وهل اللعثمة وراثية ؟ وما هو العلاج ؟**

ــ اللعثمة تبدأ عادة فى سن الثالثة او الرابعة أثناء اكتساب الطفل الكلام او عند دخوله المدرسة فى الخامسة .

ومن أسبابه القلق والتنافس بين الفص السائد للمخ على الفص غير السائد كأن يستعمل الطفل يده اليسرى ويحاول تلقائيا أو تحت ضغط ذويه أن يستعمل اليد اليمنى . ونادرا ما يكون التلعثم بسبب اصابة عضوية فى المخ . وهو عادة أكثر انتشارا بين الذكور عنه بين الاناث.

وهناك ارتفاع نسبى فى الاصابة بين افراد الاسرة الواحدة باللعثمة ولكن ذلك لا ينطبق باى حال من الاحوال على كل الحالات .

علاج لها



الطبقات السطحية مما يؤدى بعد الالتئام الى سطح جلدى اكثر استواء .

٢ ــ عملية ازالة جراحية للندبات المحددة وهذا يترك ندبة جراحية اقل وضوحا من ندبات الجدرى .

٣ ــ عملية شد جلد الوجه عند وجود ارتخاء بجلد الوجه وعضلاته وهذا يؤدى بالتالي الى تحسين الشكل العام للوجه ويمكن الوصول الى نفس النتيجة بعملية كي جلد الوجه بمادة كيمائية كاوية خاصة بذلك وبنسبة دقيقة حتى لاتترك اثرا اكبر وضوحا .

٤ ــ نقص بعض اجزاء الانف او الاذن تحتاج الى عملية جراحية تعويضية تنقل من الجلد والغضاريف الى الوجه .

وعلاج اللعثمة يتناول فى الدرجة الاولى ازالة العوامل المسببة للقلق ثم تدريبه بواسطة العلاج التسجيلى المرافق Sladowing واساس هذا العلاج هو ان المتلعثم يزداد توترا عند سماع ذاته ولذلك يعتمد هذا العلاج على تشتيت انتباه المريض بحيث لا يستمع لصوته ، وهنا يسجل كلام المريض اثناء قراءته لاحد الموضوعات ثم يكرر ما قراه اثناء استماعه لصوته على آلة التسجيل وهو يقرأ نفس الموضوع ولعدم تركيزه على سماعه لذاته ينخفض التوتر ويشعر بالتحسن .

وقد تساعده الادوية المضادة للقلق بالاضافة الى الوسيلة الآنفة الذكر فى تحسن اللعثمة .

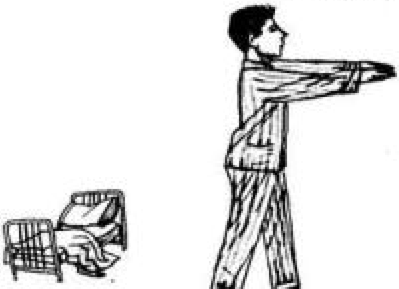
يمشي وهو نائم !!

● انا شاب في الخامسة والعشرين من عمرى ، وقعت تحت رحمة مرض السير اثناء النوم ، مما يعرض حياتي للخطر ، فما هى اسباب هذا المرض ؟!

ــ التجوال الليلى Somnambulism هو السير أثناء النوم ، وهو من الأمراض الشائعة بين الاطفال ، وذلك لأن النوم عملية تتناول الجهاز العصبى بكافة طبقاته العليا مثل قشرة المخ والسفلى فى ساق المخ ويحدث احيانا نوع من التناقض فى النظام السائد للنوم فنجد الأجزاء السفلى « مستيقظة » تمارس جزءا من وظائفها كالحركة بينما الأجزاء العليا لا تزال نائمة وينتج عن ذلك حالة التجوال الليلى . ويحدث العكس أحيانا وبصورة أكثر شيوعا فى الكابوس او الجاثوم حيث تكون الأجزاء العليا مستيقظة نسبيا والانسان متنبها والأجزاء السفلى لا تزال فى مرحلة النوم فيشعر الانسان بالعجز عن القيام أو النهوض او الحركة .

والسير أثناء النوم يكون عادة انعكاسا لمشاكل أو صراعات يعانى منها الطفل فى حياته اليومية تنعكس فى صورة التجوال الليلى .

ومن التوهمات الشائعة عن التجوال الليلى ، ان المصاب به قد يقتل او يرتكب الجرائم وهو نائم ومثل هذه الأفعال لا يرتكبها المصاب بالتجوال الليلى ابدا غير أنه عادة من المستحب أن تكون غرفته فى طابق أرضى حتى لا يتعرض للسقوط من الشرفات أو السلالم ويصاب باضرار جسيمة .



قصة من الأدب الأفريقي

أجاييي والطبيب

للكاتب النيجيرى : آموس توتولا

سطور عن المؤلف

ولد الاديب النيجيرى المعاصر .. آموس توتولا .. في عام ١٩٢٠ وحفر طريقه الى النجاح .. باظافره ! فقد كان أفقر من أن يجد نفقات تعليمه .. ولذلك اشتغل عاملا زراعيا .. وبائعا للحطب ..وجامعا للكاكاو وجوز الهند .. وعشرات الاعمال الاخرى .. الصغيرة ! ومن مرتبه دفع ثمن تعليمه في مدارس « جيش الخلاص » والمدرسة الانجيلية المركزية في بلدة « آبيكوتا » .

ولم تتحسن احواله الاقتصادية الا بعد ان عمل في تجارة النحاس فتمكن من نشر عدة مؤلفات اشهرها قصة طويلة تحمل عنوانا هو « الرجل الذى لايسكره سوى نبيذ البلح » !

والقصة التى كتبها آموس في يوم واحد تفضح للدنيا الاستعمار الاوروبى وما خلفته « حملة شعلة الحضارة والمدنية البيضاء .. للقارة السوداء !» من تخلف وفقر .. و« الطبيب الساحر » هو ساحر القبيلة الذى كان يتمتع في القبيلة الافريقية بمكانة كبيرة .. وهو في نفس الوقت رمز للاستعمار حتى غيرت عواصف الحرية الكثير من ابعاد المجتمع الافريقى !

عادل .

■ في احدى القرى عاش شاب يدعى آجاييي . وكان آجاييي يساعد اباه في زرع حقله الصغير ولكنه اضطر الى العمل في الحقل وحده عندما تقدم ابوه في السن واضحى عاجزا عن العمل . ولما بلغ آجاييي سن الزواج لم يستطع تحقيق امله في الزواج من فتاة مناسبة لانه كان شديد الفقر .

ولما لم يكن هناك من يستطيع مساعدة آجاييي بالمال ليتزوج فقد اضطر الى رهن نفسه عند مراب ، وتزوج من فتاة بما حصل عليه من مال نظير رهن نفسه . وبعد شهور قليلة من زواجه مرض ابوه . وكان المرض شديدا فمات الاب بعد اربعة ايام من بدء مرضه . ولما كان آجاييي افقر من ان يتكفل بنفقات جنازة ابيه اضطر الى الذهاب الى مراب آخر . ورهن آجاييي نفسه مرة اخرى وحصل على مال يكفى لنفقات الجنازة . وبذلك رهن آجاييي نفسه عند مرابيَيْن مختلفين ، فكان يعمل كاجير عند المرابى الاول من الصباح حتى منتصف النهار ، وعند الثانى من الساعة الثانية بعد الظهر حتى غروب الشمس . وهكذا كان يجهد نفسه طيلة اليوم حتى يوفى دينه للمرابين . ولما كان آجاييي لا يملك وقتا ليعمل فيه من اجل كسب قوته وقوت زوجه فقد ازداد فقره ووصل الى درجة مروعة هزت وجدان جيرانه .

وفى يوم ما نصحه جار له بان يذهب الى الطبيب الساحر ليستشيره في امره وليدله على سبب الفقر المدقع الذى يعانيه وطريق الخلاص منه .

الساحر



.. وكم كانت مفاجأته عندما وثب آجايبي من داخل الجوال والخنجر في يده ...

وبلا تردد قصد آجايبي بيت الطبيب الساحر وشرح له كل ما يعانيه . وقال له الطبيب الساحر .. اذا اردت التحرر من فقرك فعليك بشراء تسعة كباش وتسعة جوالات .. ثم عليك أن تضع كل خروف في جوال من الاجولة التسعة .. وعليك بعد ذلك أن تحملها جميعها عندما ينتصف الليل الى قبر ابيك .. وتضعها فوق القبر . وعندما تعود في الصباح التالي الى المقبرة ستدهش كثيرا لانك لن تجد سوى .. الجوالات الفارغة ! وذلك يعني أن اباك قد اخذ الكباش التسعة! وعليك بعد ذلك احضار الجوالات الخالية الى بيتك ووضعها في غرفتك . وبعد ايام قلائل ستجد ان الجوالات الفارغة امتلأت بالنقود .. وهي نقود سيضعها أبوك فيها بدلا من الكباش التي اخذها .. ان اباك هو سبب فقرك لانك لم تقدم له القرابين ولم تضح له بكباش منذ وفاته ولكن عليك باخطاري بالليلة التي ستحضر فيها الخراف الى المقبرة حتى ينتهي كل شيء على خير.

وبعد ان شرح الطبيب الساحر العملية بالتفصيل شكره آجايبي وانصرف .

وما ان دخل بيته حتى بادرته زوجته :

ـ ماذا قال لك الطبيب الساحر عن سبب فقرنا ؟

وعن طريقة خلاصنا منه ؟

وفي ارتباك شرح لها آجايبي ما قاله الطبيب الساحر وما طلب منه عمله . وعندما قال آجايبي انه لن يستطيع شراء الكباش التسعة قالت زوجته في ادب :

ـ هل سنموت ونحن على هذا الفقر ؟ لقد رهنت نفسك لدى مرابيين .. ولو رهنت نفسك عند مراب ثالث فانك لن تستطيع أن توفي دينك للمرابين الثلاثة .. ولذلك ساذهب انا الى مراب ثالث وارهن نفسي عنده .. وبذلك نستطيع الحصول على مال يكفي لشراء الكباش التسعة والجوالات التسعة الفارغة . انني اريد لضائقتنا ان تنفرج باسرع ما يمكن .

وهنا سأل آجايبي زوجه في حزن عميق :

ـ اذا رهنت نفسك عند مراب آخر فمن الذي سيعمل للحصول على قوتنا ؟
فاجابته :

ـ لاتشغل بالك بعيشتنا الان .. فسنعيش على اي شيء نستطيع الحصول عليه .

وذهبت الزوجة في اليوم التالي الى مراب اعطاها عشرة جنيهات . ثم ذهبت وزوجها الى السوق لشراء المطلوب . وللاسف لم تكف الجنيهات العشرة لشراء تسعة كباش بل كانت كافية فقط لشراء ستة كباش وستة جوالات فارغة . ووقع آجايبي بذلك في حيرة كبيرة فطلب من زوجته ان يعودا الى بيتهما ومعهما مالهما ، فقالت له زوجته :

ـ اواه يا زوجي .. دعنا نشتر اي عدد من الكباش واي عدد من الجوالات الفارغة يمكن شراؤها بالجنيهات العشرة .. ثم خذها الى مقبرة ابيك باعتبارها دفعة اولى .. واطلب من ابيك ان يقبلها ، وعِده بانك ستحضر له الثلاثة الكباش المتبقية حالما تحصل على مال يكفي لشرائها .. ذلك انني اعتقد اننا لو اخذنا المال معنا الى منزلنا سننفقه في امور اخرى .. وبذلك سنبقى في فقرنا ..

ووافق آجايبي على راي امراته .. فاشتريا ستة كباش وستة جوالات فارغة. وعندما انتصف الليل وضع آجايبي كبشا في كل جوال وحملها كل على حدة الى قبر ابيه الذي كان قريبا من القرية . وامام القبر اوضح آجايبي انه سيحضر بقية الكباش حالما يحصل على نقود تكفي لشرائها.

وفي الصباح الباكر هرع آجايبي وزوجه الى القبر . وكم كانت سعادتهما عندما لم يجدا الكباش في داخل جوالاتها ، واعتقدا أن الأب الميت قد اخذها قبل حلول الصباح . وعاد الزوجان الى منزلهما بالجوالات الفارغة وتوقعا ان ينتهي فقرهما في وقت قريب .

وانتظر الزوجان .. انتظرا طويلا .. طويلا جدا .. ولكن على غير طائل ! انتظرا حتى امتدت الايام شهورا ولكن .. بلا جدوى ! وانتظرا حتى اتصلت الشهور لتصبح عاما ولكن .. عبثا ! فقد بقي فقرهما كما كان بل انحدر حالهما من سيىء الى اسوا لدرجة انهما كانا ياكلان مرتين في الاسبوع .. بالكاد !

ولام آجايبي زوجه :

ـ لقد قلت لك في ذلك اليوم ان نرجع الى بيتنا ومعنا الجنيهات العشرة التي لم تكن كافية لشراء الكباش كلها ..

وعندما قال ذلك في حسرة شديدة ردت زوجه :

ـ لا تدعنا نستسلم . ان نصيحتي هي ان تعود ثانية الى الطبيب الساحر وتعرف منه سبب ازدياد فقرنا بدلا من تحسن حالنا .

وعاد آجايبي ثانية الى الطبيب الساحر واوضح له انه ضحى بستة كباش لوالده ورغم ذلك فان فقره لم ينته ، فرد عليه الطبيب الساحر بصوت عال :

ـ هاه .. ان ازمتك لن تنفرج الا بعد ان تقدم الكباش الثلاثة الاخرى لابيك !

ولما سمع منه آجايبي ذلك عاد الى بيته ليقول لزوجه :

ـ انك تعلمين تماما اننا لانملك قرشا واحدا.. فكيف نستطيع الحصول على مبلغ كبير نشتري به كباشا ثلاثة ؟!

وحلا لورطتنا ففي نيتي ان ازور ابي في داخل قبره عندما ينتصف الليل ، وساخبره انه كان يدرك قبل موته انني لم اكن املك مالا وانني اعيش الادق فقر.. فكيف يطلب مني بعد موته تسعة كباش.. وبالطبع سيدرك اني بذلت كل ما في وسعي ولم اتمكن الا من تقديم ستة كباش له من التسعة التي طلبها .. وساخبره ان الطبيب الساحر قد قال لي ان ابي يطلب الثلاثة كباش المتبقية .. فلو قال لي ابي ان الامر كذلك فساقطع راسه .. ثم اغادر القبر لو كان ذلك ممكنا .

وعندما انتصف الليل حمل آجايبي ثلاثة جوالات فارغة وخنجرا حادا طويلا وذهب الى قبر ابيه وملأ جوالين من الجوالات الثلاثة بالتراب بطريقة تظهر للرائي ان كل جوال يحتوى على كبش . ثم دخل آجايبي في الجوال الثالث واخذ في انتظار حضور والده المتوفي لاخذ الجوالات الثلاثة !

وعندما اشرفت الساعة على الثانية صباحا جاء الطبيب الساحر ! جاء ومعه بعض خدمه! وحملوا الجوالات الثلاثة الى منزل الطبيب الساحر ! وما ان وضع الخدم الجوالات على ارض حجـرة الطبيب الساحر حتى بدا الاخير في فضها ليحصل على الكباش الثلاثة وليذبحها حتى يعطي الجوالات الفارغة لخدمه لاعادتها الى القبر . وكم كانت مفاجاته عندما وجد ان الجوالين الاولين محشوان بتراب جاف بدلا من كبشين سمينين ! وما ان فض الجوال الثالث حتى وثب آجايبي مـن داخلـه والخنجر في يده !

وجذب آجايبي الطبيب الساحر بيسراه وسلط عليه بيمناه خنجره بطريقة مخيفة جعلت الساحر يرتجف كريشة في مهب ريح . ولما اراد الســاحر الصراخ طالبا النجدة وضع آجايبي حد خنجره على فمه وساله في صبر نافد :

ـ هل كنت تظـن اني ســاتحرر مـن الفقـر باستيلائك على الكباش الستة ؟
فتمتم الساحر :

ـ انك لن تستطيع التخلص من الفقر لان اباك لم ياخذ الكباش بل اخذتها انا ..

فصرخ فيه آجايبي :

ـ ولكنني اعتقد انك ابي الميت ! ولما كنت قد اخذت الكباش مني فعليك ان تحررني من فقري في منتصف هذه الليلة .

ـ ولكني لست اباك المتوفي على الاطلاق !

ـ انك بالتاكيد ابي الميت الذي يملك القدرة على عتقي من فقري .. وانني لسعيد بتحرري منه في منتصف الليلة هذه .

وصاح فيه آجايبي صيحة مخيفة واجبره على ان يدله على المكان الذي يخفي فيه امواله .. وعندما كان آجايبي على وشك قطع رقبة الطبيب الساحر اضطر الاخير الى الرضوخ واخباره بمكان ماله . فاخذه آجايبي كله وعاد الى بيته .

وسالته زوجه في لهفة فور دخوله وهو يحمل حقيبة ضخمة على كتفه اليسرى :

ـ آه .. هاقد عدت يا آجايبي .. بماذا اخبرك ابوك عندما زرته في قبره ؟ وماهو التاريخ الذي حدده لك لتتحرر من عوزنا ؟

فصاح آجايبي :

ـ سندفع كل ديوننا غدا صباحا . لقد تحول الطبيب الساحر هذه الليلة ليصبح ابي الميت . وبذلك اصبح لزاما عليه ان يحررنا من فقرنا .. والا يكون قد استولى على كباشنا اعتسافا .

فتساءلت زوجه في دهشة :

ـ كيف يستطيع الطبيب الساحر تحريرنا ؟

ـ لانني اخذت كل ماله بالقوة .. وهاهو ذا المال !

واخذا يعدان النقود فوجداها اكثر من ستمائة جنيه .

وفي اليوم التالي ردا ما كانا قد اقترضاه مـن المرابين .

ولما تحررا من ديونهما .. عاش اجايبي وزوجه في سعادة وهناء .. ولبات ونبات !

■■

ترجمة : عادل شريف

طرائف

الحسنة والسيئة

● قال عبد الله بن عباس : ان للحسنة نورا فى القلب ، وزينا فى الوجه، وقوة فى البدن، وسعة فى الرزق ، ومحبة فى قلوب الخلق . وان للسيئة ظلمة فى القلب ، وشينا فى الوجه ، ووهنا فى البدن ونقصا فى الرزق، وبغضة فى قلوب الخلق.

نباهة

● حكى الأصمعى قال : كنت أقرأ (والسارق والسارقة، فاقطعوا أيديهما، جزاءً بما كسبا نكالا من الله) وبجانبى اعرابى فقال : كلام من هذا ؟ فقلت : كلام الله . قال : أعد فأعدت . فقال :

تواضعا لمعلمهما

● كان الكسائي يؤدب الأمين والمأمون ابنى هارون الرشيد، فأراد يوما النهوض من عندهما. فابتدرا الى نعليه ليقدماهما له فتنازعا أيهما يفعل ، ثم اصطلحا على ان يقدم كل واحد منهما واحدة .

فلما رفع الخبر الى الرشيد وجه الى الكسائى ، فلما مثل بين يديه **قال :** من اعز الناس ؟ **قال :** لا أعلم اعز من امير المؤمنين . **قال :** بلى ، ان أعز الناس من اذا نهض تقاتل على تقديم نعليه ولياعهد المسلمين ، حتى يرضى كل منهما ان يقدم له واحدة . فأخذ الكسائى يعتذر حاسبا انه اخطأ.

فقال الرشيد : لو منعتهما من تلك لأوجعتك لوما وعتبا ، ولألزمتك ذنبا . فما وضع ما فعلا من شرفهما ، بل رفع من قدرهما وبيّن عن جوهرهما . ولقد تبينت مخيلة الفراسة بفعلهما ، فليس يكبر المرء ، وان كان كبيرا ، عن ثلاث : تواضعه لسلطانه ، ولوالديه ، ولمعلمه .

★ ★ ★

كـرم

● قال الأصمعى : مررت بأعرابى يصلى بالناس ، فصليت خلفه ، فقرأ : « والشمس وضحاها والقمر اذا تلاها ، كلمة بلغت معناها ، لن يدخل النار ولن يراها » . فقلت له : ان ما تقوله ليس من القرآن فى شىء فقال : اذن علمنى ؟ فعلمته الفاتحة وسورة الاخلاص .

ثم انني مررت به بعد أيام فاذا هو يقرأ الفاتحة وحدها . فقلت له : اين السورة الأخرى ؟ فقال : وهبتها لابن عم لى والكريم لا يرجع فى عطائه .

عربية

اعرابى

ليس هذا كلام الله . فانتبهت فقرأت (والله عزيز حكيم) فقال : اصبت هذا كلام الله . فقلت : اتقرأ القرآن ؟ قال : لا . فقلت : من اين علمت ؟ فقال : يا هذا ، عزّ فحكم فقطع ، ولو غفر ورحم لما قطع .

بين الايمان واليقين

● سئل على بن ابى طالب رضى الله عنه . كم بين الايمان واليقين ؟ قال : اربع اصابع . قيل وكيف ذلك؟قال : الايمان كل ما سمعته اذناك وصدقه قلبك ، واليقين ما رأته عيناك وايقن به قلبك ، وليس بين العين والاذن الا اربع اصابع .

علام الهم ؟

● مر ابراهيم بن ادهم على رجل ينطق وجهه الهم والحزن . فقال له ابراهيم : يا هذا أني سائلك عن ثلاثة ، فاجبنى : فقال له الرجل : نعم . فقال ابراهيم : ايجرى فى هذا الكون شيء لايريده الله ؟ قال : كلا . قال : افينقص رزقك شيء قدره الله ؟ قال : كلا . قال : افينقص من اجلك لحظة كتبها الله لك في الحياة ؟ قال : كلا . فقال ابراهيم : فعلام الهم .

★ ★ ★

مقاضاة

● كان ابو الاسود الدؤلى متزوجا ، وكانت له مع نسائه حوادث ظريفة، ومن اظرفها انه كان له ولد من احدى زوجاته، فاراد أن يضمه اليه، فاختصما الى زياد ابن ابيه فى البصرة ، فقالت المراة : أصلح الله الامير ، هذا ابنى وكان بطنى وعاءه، وحجرى فناءه ، وثديى سقاءه ، ارعاه اذا نام ، واحفظه اذا قام ، فلم يزل كذلك سبعة اعوام ، حتى استوفى فصاله ، وكملت خصاله ، واشتدت أوصاله ، وأملت نفعه ورجوت دفعه ، اراد أن يأخذه منى كرها ، فانصرنى أيها الأمير ، فقد رام قهرى ، واراد قسرى .

فقال زوجها ابو الاسود : أصلح الله الامير ، هذا ابنى حملته قبل أن تحمله ، ووضعته قبل أن تضعه ، وانا اقوم عليه فى ادبه وانظر فى اوده ، وامنحه علمى وألهمه حلمى ، حتى يكمل عقله ويستحكم فتله .

فقالت المرأة : صدق ايها الأمير ، حمله خفا ، وحملته ثقلا ، ووضعه شهوة ، ووضعته كرها .

فقال زياد : اردد على المرأة ولدها ، فهى أحق به منك ، ودعنى من سجعك .

أنت تسأل .. ونحن نجيب

وثيقة الطمع والجشع ..

تم بها تقسيم المشرق العربي بين الحلفاء أثناء الحرب العالمية الأولى .

● معاهدة سايكس ــ بيكو ، هذه المعاهدة التي تم بواسطتها تقسيم وطننا العربي الى مناطق نفوذ فرنسية وبريطانية ، هل لكم ان تذكروا لنا متى واين تم توقيعها ولماذا سميت بهذا الاسم ، وما هي أهم بنودها ؟

عبد الحميد عليوى ــ الرمادى ــ العراق

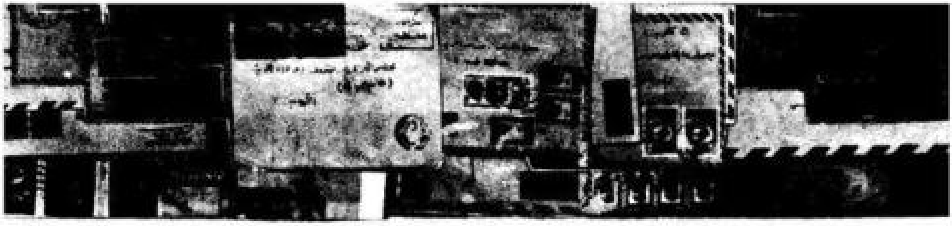
ــ في ربيع عام ١٩١٦ وبعد ان قام سير هنرى مكماهون H. Mcmahon بالاتفاق مع الشريف حسين على القيام بالثورة العربية ضد الاتراك نظير وعد بريطانيا للعرب بالاستقلال ، بعد هذا الاتفاق مباشرة بدات المحادثات بين حكومتي بريطانيا وفرنسا في لندن حول تقسيم الاراضي العربية التى كانت تخضع للامبراطورية العثمانية . واخفت بريطانيا في ذلك الوقت عن فرنسا تعهداتها التى التزمت بها للشريف حسين عن طريق السير هنرى مكماهون .

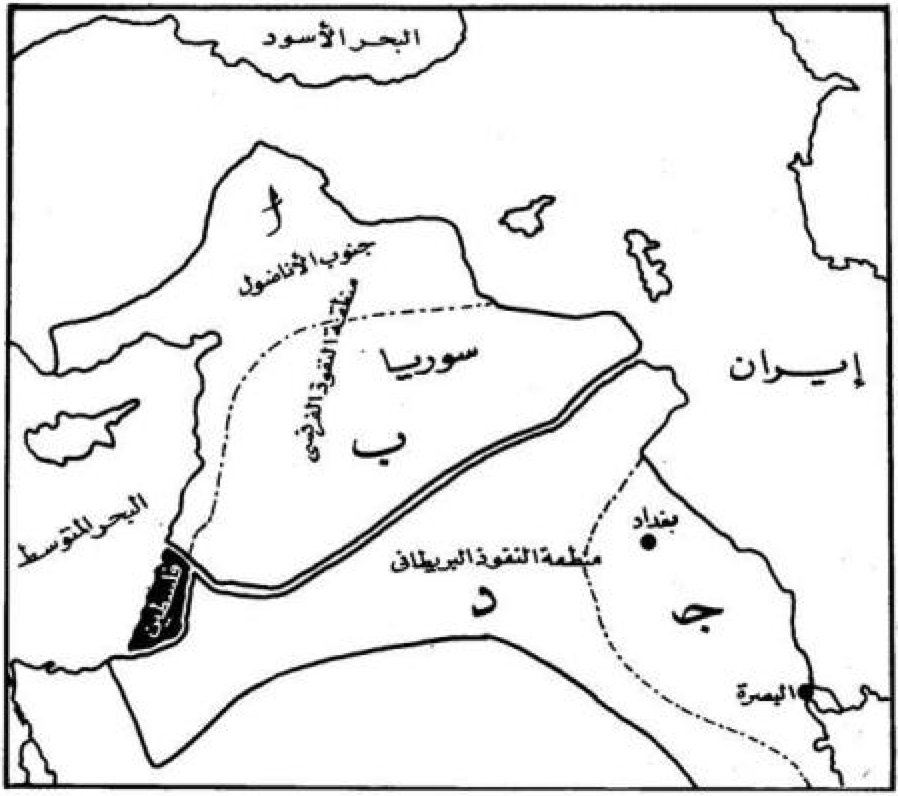
وبعد أن اتفقت الحكومتان البريطانية والفرنسية على المبادىء الاولية للتقسيم ، اختارت بريطانيا السير مارك سايكس H. Sykes ، وهو أحد خبرائها في شؤون الشرق الاوسط ليمثلها فى اتمام صيغة اتفاقية لتقسيم الاراضي العربية ، واختارت فرنسا جورج بيكو G. Pecaut وكان يشغل منصب قنصل عام فرنسا في بيروت قبل الحرب العالمية الاولى ليكون ممثلها في هذه المحادثات .

واتم المبعوثان الفرنسي والبريطاني مشروع المعاهدة التى سميت باسمهما . وصدرت لهما الاوامر من حكومتيهما بالسفر الى بيتروجراد في روسيا القيصرية لعرض مشروع المعاهدة على حكومة روسيا . وفي منتصف مارس ١٩١٦ صدر بيان رسمي سرى من حكومات بريطانيا وفرنسا وروسيا القيصرية تم بناء عليه تقسيم أراضي الامبراطورية العثمانية بين الدول الثلاث . (لن نتعرض هنا للقسم الخاص بروسيا لانه لم يشتمل على أراض عربية) .

وعندما حل شتاء عام ١٩١٧ ــ ١٩١٨ اقالت الحكومة البريطانية مكماهون ، وصدر وعد بلفور ، ولم تقتصر صدمة العرب على ذلك ولكن قامت الحكومة البلشفية الجديدة في روسيا بنشر نصوص معاهدة سايكس ــ بيكو والتي تتضمن احتفاظ فرنسا بالجزء الاكبر من سوريا وجزء كبير من الاناضول ومقاطعة الموصل في العراق . بينما تحتفظ بريطانيا لنفسها بشريط من الارض يمتد من اقصى الجنوب في سوريا الى العراق حيث يمتد على شكل مروحة ليشمل بغداد والبصرة وكل الاراضي التى تقع بين الخليج العربي والارض الخاضعة لفرنسا . وكذلك تضم ميناءي حيفا وعكا .

ولكن قطعة من الارض (السوداء في الخريطة) وهي اراضي فلسطين فقد احتفظ بها لتكون خاضعة لنظام دولي خاص .





ونص الاتفاق على تقسيم منطقة نفوذ فرنسا الى قسمين ا ، ب (على الخريطة المنشورة مع هذا الكلام) على ان تكون لحكومة فرنسا الحرية المطلقة في اقامة نظام حكومي تابع لها في المنطقة ا ، اما في المنطقة ب ، فنص الاتفاق على ان تقام فيها حكومات عربية تحت الاشراف الفرنسي .

وكذلك قسمت نفوذ بريطانيا الى قسمين ، ج ، د ويتم فيهما تطبيق نفس النظام المطبق على المنطقتين « ا » و «ب» ، التابعتين لفرنسا .

اما القسم الثالث وهو ما يمثل فلسطين فقد تم وضعه تحت نظام دولي خاص وذلك تمهيدا لخلق دولة الصهاينة فيه .

ولعل ابلغ وصف وصفت به معاهدة سايكس ـ بيكو هو ذلك الوصف الذي ذكره جورج انطونيوس في كتابه « يقظة العرب » Arab Awakening ، حيث قال : « ان اتفاقية سايكس ـ بيكو وثيقة مذهلة ، فهي ليست فقط نتاج الجشع والطمع في ابشع صوره ولكنها نتاج تحالف الجشع مع الشك الذي يؤدي في النهاية الى الغباء ، وهي ايضا تمثل صورة واضحة للمحادثات المزدوجة ذات الوجهين » .

(م . ط)



هل من قواعد لحرب الصحراء؟!

● بمناسبة حرب سيناء هل هناك قواعد خاصة لحرب الصحراء تختلف عن قواعد وأصول الحرب العادية ؟

عبد الحميد محمد / ج.ع.م

ـ تعرض المارشال الالماني الشهير روميل في مذكراته لأساليب وقواعد حرب الصحراء ، وتعتبر اراؤه من اهم ما كتب عن هذه الحرب ، وخاصة انه هو القائد الالماني الذى استحق لقب « ثعلب الصحراء » اثناء الحرب العالمية الثانية ، وقد كان بلغ بجيوشه الى العلمين داخل مصر مخترقا صحارى شمال افريقيا .

وتتلخص اراء روميل في النقط الآتية :

● المشاة لا قيمة لهم في مواجهة عدو مدرع ، الا اذا احتلت قواعد مجهزة ، وفي نفس الوقت فانه اذا حدث اختراق او تطويق لهذه المواقع فان انسحاب هذه القوات سيصبح مستحيلا ، ولا يكون امامها سوى التشبث بمواقعها ، لآخر طلقة ولآخر رجل .

● المدرعات هي نواة الجيش الميكانيكي ، والتشكيلات الاخرى ما هي الا مجرد اسلحة معاونة . ولذلك يجب خوض غمار المعركة لهزيمة العدو باستخدام الدبابات في توجيه الضربة الحاسمة . واستخدام الاسلحة الاخرى لتدمير دبابات العدو .

● خطوط المواصلات حاسمة للغاية ، ويجب العمل على حماية خطوطنا مع العمل على تدمير خطوط العدو او قطعها ان امكن ، مما يؤدى الى ضرورة انسحاب العدو فورا .

● سرعة الحركة من أهم العوامل الحاسمة في حرب الصحراء . وترابط تنظيم القوات يتطلب اهتماما كبيرا لتحقيق سرعة الحركة المطلوبة .

● وجوب ابلاغ تقارير الاستطلاع الى القائد فورا حتى يتخذ قراراته بسرعة ويقوم بتنفيذها فورا ، فسرعة رد الفعل تحسم مصير المعركة ، ولذا

روسيا .. وهجرة

● نقرأ كثيرا عن هجرة اليهود من دول أوربا الغربية والشرقية الى اسرائيل ، تلك الهجرة التى طالما ساعدت دولة العصابات الصهيونية على تنفيذ سياستها التوسعية العدوانية . ترى ما هو موقف الاتحاد السوفيتي من هجرة يهود روسيا الى اسرائيل . وهل تسمح حكومة موسكو بهذه الهجرة ام تمنعها ؟

محمود شعبان ـ المغرب

ـ في الاتحاد السوفيتي ما يربو على المليونين وربع مليون يهودى ، وفقا لآخر احصاء اصدرته الحكومة السوفيتية في عام ١٩٥٩ .

ومنذ قيام « دولة » اسرائيل ويهود روسيا ـ شانهم في ذلك شان اليهود في اى بلد آخر من العالم ـ يبذلون المحاولات في سبيل تنفيذ المخطط الصهيوني الذى يهدف الى مضاعفة عدد سكان الارض المحتلة .. وكانت محاولاتهم تنجح مرة ، وتفشل مرات .. وتقول صحيفة جارديان البريطانية : « ولكن الاتحاد السوفيتي ما لبث بعد ذلك ان اوصد الباب تماما في وجه اليهود الراغبين في الهجرة الى اسرائيل ، بعد ان توطدت علاقات روسيا بالعالم العربي . ولم يعد يسمح الا لعدد قليل جدا من اليهود الذين بلغوا سن الشيخوخة بالذهاب الى اسرائيل اذا شاءوا » ..

وهنا نجد ان السرعة هي كل شيء ويجب عدم اعطاء العدو اية فرصة لتنظيم قواته .

● يجب ان تكون المدفعية بعيدة المدى ويجب ان تكون قبل كل شيء خفيفة الحركة ، وان تكون قادرة على حمل كميات كبيرة من الذخيرة معها .

● تبرز الاهمية الحيوية للقوات الجوية في حرب الصحراء في الدور الرئيسي الذى تلعبه . ويرى روميل انه اذا توفر التكافؤ بين الطرفين المتحاربين ، من حيث القيادة ، ومستوى التدريب، والامكانيات الادارية ، فضلا عن القوات الجوية ، فان النصر يتوقف بعد ذلك على عدد وكفاءة معدات القتال ، اى على الدبابات ومرمى وعيار مدافعها ، ثم على مدفعية الميدان ، والمدفعية المضادة للطائرات .

وإذا تفوق احد الطرفين في اى من هذه المعدات، فان مستوى التدريب الجيد وكذا القيادة البارعة يمكنهما تعويض النقص، اما اذا كان السلاح الجوى لدى احد الطرفين ضعيفا ، او حدث عجز في التموينات لديه ، فلا يمكن تعويض ذلك وبالتالي لا يمكن الحصول على النصر اطلاقا .

م . ط



المارشال روميل

فعلى قادة القوات المدرعة والميكانيكية ان يكونوا قريبين لاقصى درجة من قواتهم .

● بعد توجيه ضربات قاصمة للعدو يجب ان يستغل نجاحها بتدمير واجتياح تشكيلاته المفككة .

اليهود الى اسرائيل

وقد لخصت المجلة الاسبوعية البريطانية وضع اليهود في الاتحاد السوفيتي اليوم ، بانه اشبه ما يكون بمجموعة من الناس يعيشون في حجرة لها ثلاثة ابواب ..

اما الباب الاول ، فهو يؤدى الى الانصهار في المجتمع الذى يعيش فيه هؤلاء الناس والذوبان فيه تماما .. وهذا طريق يعزف عن سلوكه الكثير من اليهود سواء في روسيا او في غيرها ، حرصا منهم على تقاليدهم وعاداتهم واسلوبهم في الحياة .

اما الباب الثانى ، فهو يؤدى الى تحرر يهود روسيا من اية قيود تفرض على تعاليمهم وثقافتهم، واطلاق ايديهم في ادارة مدارسهم ومسارحهم ونواديهم ، ومنحهم الحرية في اصدار الصحف والمجلات الناطقة بلسانهم والداعية لقضاياهم .. والحكومة السوفيتية لا ترحب بمثل هذه السياسة التى تلزمها بقبول قيام مستعمرة يهودية داخل اراضيها .

بقي الباب الثالث والاخير ، وهو باب الهجرة الى اسرائيل .. وقد اوصدته الحكومة السوفيتية لسببين .. اولهما علاقات روسيا الطيبة بالعالم العربي ، كما ذكرنا ، والثانى معارضة الاتحاد السوفيتي للهجرة من حيث المبدا ، سواء كان الراغبون في الهجرة يهودا ام غير يهود !!

(م . ن)

المحاصيل الزراعية فى العالم العربى

● كتبتم فى عدد من العربى سابق أن محصول التمر في العراق كمحصول القطن في مصر ، بمعنى انه محصول التصدير الأول فيها . ونرجو بهذه المناسبة ان تخبرونا عن المحاصيل الزراعية في شتى البلاد العربية .

خليل البرى ـ الاسكندرية

ـ المحاصيل الزراعية كثيرة ، كما لا يخفى ، ولا سبيل لاستيفائها هنا . وحسبنا ان نختار لك منها اهمها ، اى القمح والشعير والأرز والقطن فضلا عن التمر ، وان نجمل لك المعلومات التى تطلب فى الجدول التالي الذي يبين نصيب الدول العربية من تلك المحاصيل فى سنة ١٩٦٦/١٩٦٧ .

ي . ز

الأقطار	القمح	الشعير	القطن	الأرز	التمور	الحمضيات
الجزائر	١ر٣٥٠ر٠٠٠	١٢٨ر٠٠٠			١١٠ر٠٠٠	٣٩٨ر٠٠٠
مراكش	١ر٠٩٠ر٠٠٠	١١٠ر٠٠٠			٩٠ر٠٠٠	٦٧٦ر٠٠٠
تونس	٢٧٠ر٠٠٠					
السودان			١٥٢ر٠٠٠			
سوريا	١ر٠٦٠ر٠٠٠	٥٩٩ر٠٠٠	١٤٠ر٠٠٠			
ج. ع. م.	١ر٥٠٠ر٠٠٠	١١٠ر٠٠٠	٤٦٢ر٠٠٠	٢ر٣٠٠ر٠٠٠	٣٩٠ر٠٠٠	٤٠٩ر٠٠٠
العراق	٨٦٦ ٠٠٠	٨٦٠ر٠٠٠		٣٠٩ ٠٠٠	٣٨٠ر٠٠٠	٤٤ر٠٠٠
لبنان						١٨١ر٠٠٠
الاردن	٢٧٨ر٠٠٠	٩٧ر٠٠٠				٣٦ر٠٠٠
السعودية					٣٧٥ر٠٠٠	
اليمن	٢٦ر٠٠٠				٦٠ر٠٠٠	
ليبيا		٩٦ر٠٠٠				

البنتاجون

● كثيرا ما نسمع اسم البنتاجون يتردد في الصحف، وخاصة عندما يكون الحديث عن الحرب، وعن سياسة الولايات المتحدة الدفاعية ، فما هو البنتاجون وأين يقع . وما معنى هذه الكلمة ؟

ـ «البنتاجون» هو مقر وزارة الدفاع الامريكية، وهو مبنى ضخم شيد عام ١٩٤١ ـ ١٩٤٢ في بلدية ارلنجتون بولاية فيرجينيا بالقرب من العاصمة الامريكية واشنطون. ويضم المبنى القيادات الثلاث للقوات الامريكية المسلحة، سلاح الطيران والجيش والبحرية .

وقد سمي « البنتاجون » ومعناها المخمس ، لان شكل المبنى خماسي ، اذ ان له خمسة جوانب ويعتبر اضخم مبنى من نوعه في العالم ، اذ تبلغ مساحة الارض التى قامت عليها المباني التى شيدت بالحديد الصلب والاسمنت المسلح ، حوالى ٢٤ اكر ، اى ما يوازى ١٣٦ الف متر مربع ، على اساس ان الاكر يساوى اربعة آلاف متر مربع ، ولا يدخل في ذلك بالطبع الأبنية الخالية من البناء.

وهو يتسع لاكثر من ٣٠ الف موظف وتكلف بناؤه ٨٣ مليون دولار امريكي .

ويتألف البنتاجون من خمس طوابق غير البدروم، وهو يضم سوقا يجد فيه الموظفون كل ما يحتاجون اليه من مواد غذائية وملابس ، كما ينتهي عنده خط الاوتوبيس الرئيسي ، وبه موقف لسيارات الأجرة التاكسي ، ومكان فسيح خصص لوقوف السيارات الخاصة بالموظفين ويتسع لثمانية آلاف سيارة .

وفي عام ١٩٥٦ ، انشيء بأرض البنتاجون مطار صغير خاص بهبوط الطائرات العمودية الكوبترز.

(م . ن)

العربي

العدد ١٣٩
ربيع الاول ١٣٩٠
يونيو
(حزيران) ١٩٧٠

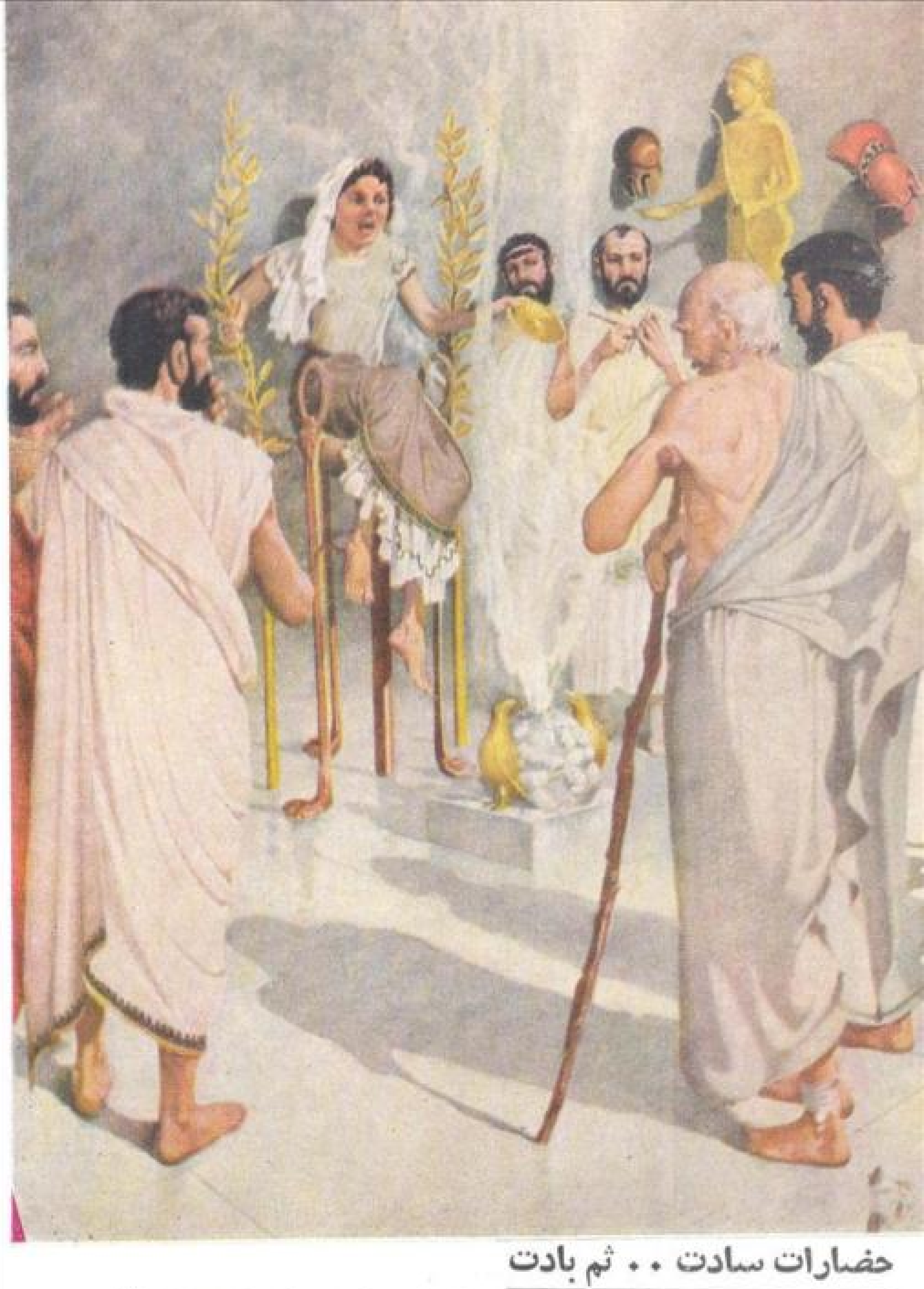


انا من تيزنيت شقيقة اغادير التي عادت لها الحياة ..

جوائز ١٢٠٠ دينار سنويا

الثمن

الكويت	١١٠ فلوس	العراق	١٢٠ فلسا	السودان	١٠ قروش		
الخليج العربي	٢ ريالان	لبنان	١٠٠ قرش	ليبيا	١٥ قرشا		
السعودية	٢ ريال	الأردن	١٠٠ فلس	تونس	٢٠٠ مليم		
البحرين	٢٠٠ فلوس	سورية	١٠٠ قرش	الجزائر	٢٠٠ مليم		



حضارات سادت .. ثم بادت

● عرّافة معبد النبوءات في بلدة دلفى اليونانية ، وقد جلست على منصتها ، وراحت تستلهم الاله ابولو ، وتردد نبوءاته واجوبته على اسئلة المستفتين الذين احاطوا بها . وظهر الى اليمين تمثال الاله ابولو ، اله علم الغيب عند اليونان . اما الذى تراه امامها فقد اسموه اومفالوس *Omphalos* وقالوا ان البخار او الغاز المخدّر الذى خرج منه انما تصاعد من بطن الارض .

(انظر صفحة ١٢٨)



سمو امير الكويت
شهد احتفال الكويت بتخريج اول دفعة للكلية العسكرية الكويتية في ٤ مايو ١٩٧٠

عزيزي القارىء :

● مضى على نكبة حزيران ثلاثة اعوام .

وكل عام جاء كان اثقل من العام الذى مضى .

وطلب العرب السلام ، مع الاحتفاظ بكل اسباب الكرامة والعزة التى سرقت منهم ، فى ساعات من ساعات القدر ، غابت عنهم فيها رحمة الله .

طلب العرب سلما ، وطلب العدو استسلاما .

وزاد العدو فى اراضينا تثبيتا لاقدامه وتوطينا ، حتى بان لكل عين ان لا سبيل الا الحرب ، تفرض على العرب فرضا ، وهي حرب سنة ، او حرب سنين ، ومع الحرب بفضاء تتوارثها الأجيال عبر القرون .

وهي حرب لا تغني فيها دولة عربية عن دولة . الكل فيها سواسية . والكل فيها حامل ومحمول . والكل فيها ضارب ومضروب . والتبعة فيها موزعة على الجميع .

● ولقد سر العرب ان دولة الكويت ، ونصيبها فى المجهود الحربي محمود مشكور ، احتفلت بالأمس القريب بتخريج اول دفعة من الضباط ، تخرجوا من اول كلية عسكرية انشئت فى دول الخليج ، وشرف الحفل الأمير توكيدا لمعنى العزم والاستمرار فى معركة الحياة التى فرضت على العرب فرضا .

ان الذى فعلته دولة الكويت اسوة حسنة ، ومثل يضرب يتمثل فيه المعنى الجديد الطريف : ان حروب اليوم لا يمنع منها أن السكان قلة ؛ فأساليب الحروب اليوم تقضي بأن يقوم العشرة ، بالتدريب ، وبالتكنية الحديثة ، مكان الألف . ويقوم الألف مقام عشرات الألوف ومئاتها .

● ان العرب فى حاجة الى رغيف يومهم . ولكنهم اليوم الى الرصاصة احوج . فالرغيف لا بد له من حماية . ومن فهم من الاحداث الجارية غير ذلك ، فهو احد رجلين ، اما مخدوع برغد من الرزق هو فيه ، والرغد مخدر ، واما رجل عزه الفهم . وكأني بالله قد حرم بعض الناس الفهم ليكون للنوازل موضع تنزل فيه على هذه الأرض .

المحرر

العربي

رئيس التحرير: الدكتور أحمد زكي

القسم العام :

اسلاميات :

لغة وآداب :

استطلاعات مصورة :

تاريخ .. وتاريخ اشخاص :

طب .. وعلوم :

العربي
مجلة عربية مصورة شهرية جامعة
تصدرها وزارة الارشاد والانباء بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABY — No. 139 June 1970 P.O.B. 748 — Kuwait

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ – تلفون ٤١٤٧١٢ – تلغرافيا « العربي »

الاعـلانات : يتفق عليها مع الادارة – قسم الاعلانات

المراسـلات : تكون باسم رئيس التحرير



صورة الغلاف :

● اغادير المدينة التي دمرها الزلزال عام ١٩٦٠ عادت الى الحياة وكلها شباب وحيوية .. وتعمل المرأة الى جانب الرجل .. لها حق الانتخاب .. والاشتراك في النقابات .. والعمل في الوظائف العامة .. لقد خرجت الى النور ، بعد ظلام دامس ، وسمعت بنهضة شقيقتها في المشرق فحذت حذوها .. وهذه احدى بنات تيزنيت البلدة المجاورة لاغادير ترتدي زيها الوطني الجميل .. (انظر الاستطلاع ابتداء من صفحة ٥٢)

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربي ٢ ريال قطري . البحرين ٢٠٠ فلس بحريني، العراق ١٢٠ فلسا . سوريا ١٠٠ قرش . لبنان ١٠٠ قرش الاردن ١٠٠ فلس . السعودية ٢ ريال . السودان ١٠ قروش . ج.ع.م ١٠ قروش . تونس والجزائر ٢٠٠ مليم . المغرب ٢ درهم . اليمن ٢٫٥ شلن . ليبيا ١٥ قرشا .

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت ـ ص.ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف " اشتراكات العربي " .

بريد القرّاء

قصة الطوفان في الأديان وقصته في الأساطير

● عطفا على حديثكم عن ملحمة جلجاميش(العدد ١٢٧ صفحة ١٥٤) أود أن أضيف بعض الملاحظات . فهذه الملحمة هى قصة الطوفان في الأساطير البابلية وهى كثيرة الشبه بقصة الطوفان كما أوردتها الأديان السماوية .
ويوضح الجدول المرفق برسالتى هذه أوجه الشبه والقرابة بين الرواية الدينية والرواية الاسطورية.

الآنسة : م.م. عبره ــ كركوك

العربى : عاش نوح قبل بابل بقرون وكذلك هوعاش قبل موسى ومحمد بقرون . فالتوارد الذى تذكرين ، ان صح ، فقد يكون تفسيره في انمورد القصص واحد ، وأن الأحداث القديمة التى وقعت لنوح، وهى الاصل ، هبطت نزولا الى سائر القرون على هيئة أقاصيص ميثولوجية ، بدلا من وقائع حقيقية كما ذكرتها المصادر الدينية .

« مع الله في السماء »

● قرأت كتابكم « مع الله في السماء » ، وقدرت لكم ما ضمنتموه من أفكار وآراء يتأثر بها كل من كان لديه شيء من النظرة الجادة الى الأمور .

ولقد وعدتم في مقدمة الكتاب المذكور بأنكم سوف تخرجون كتابا آخر بعنوان « مع الله في الارض » فهل صدر هذا الكتاب وأين أستطيع أن أجده ..؟

امين عبد الموجود الهوارى ــ القاهرة

العربى : الكتاب الموعود بدأ الدكتور أحمد زكى بكتابة شيء منه في « العربى » تحت عنوان : « وحدة الله تتراءى في وحدة خلقه » . وهو يعالج فيه خَلْقَ الله في الارض .

أكبر جزر العالم

● أحببت أن افاجيء ابنتى (منتى) بالفوز في مسابقة عدد اكتوبر الماضي ، فارسلت الاجوبة باسمها . ولكن أملى ما لبث أن خاب. اذ انتى أجبت على السؤال الخاص بأكبر جزيرة فى العالم بأن تلك الجزيرة هى استراليا ، فسقطت في الامتحان بسبب ذلك وبالنظر الى أنكم اعتبرتم جرينلند هى الجزيرة الكبرى في العالم . ولكنى أرجو اعادة النظر في ذلك .. لا من أجل الفوز في مسابقة مضت ولكن بقصد معرفة الحقيقة ..

الياس فرحات ــ بلوهورزونتى ــ البرازيل

العربى : قبلنا جواب كل من قال بأن أكبر جزر العالم هى استراليا .. وهى لم تغب عن أذهاننا عند وضع الأسئلة ، ولكنا استبعدناها باعتبارها قارة ، والا فقد وجب أن نعتبر أمريكا أكبر جزيرة في العالم .

خطأ .. وتصويب

● في العدد (١٣١) وفي باب طرائف عربية (صفحة ١١٩) قرأت تحت عنوان (ما عاب هذا مسلم) الآية القرآنية الكريمة (يأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما كسبتم ..) كذا .

ولما كانت هذه الآية غير موجودة في القرآن الكريم وكان صحيحها (يا أيها الذين آمنو كلوا من طيبات ما رزقناكم) سورة البقرة ـ الآية ١٧١ . او (يأيها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم) سورة البقرة ـ الآية ٢٦٧ لذا لزم التنويه .

حمدي العبجي

المهندس الزراعي ـ دمشق

التقويمان الهجرى والميلادى

● نوهتم في باب بريد القراء من العدد ١٣٧ في معرض ردكم على احد القراء ، بكتاب *The Muslim And Christian Calenders* . وأود أن أعقب على ذلك بالقول بأن الكتاب المذكور قد تم تعريبه من قبل الدكتور حسام محيى الدين الألوسي . وقد ظهرت هذه الترجمة الكاملة للكتاب في ١٣٦ صفحة وصدرت في مطلع السنة الحالية باشراف وزارة الثقافة والاعلام العراقية ، وبعنوان (التقويمان الهجرى والميلادى) .

سعدون الجامع ـ مدرسة النصر

الزبير ـ العراق

معجم الاعلام الملحق بالمنجد

● ذكر الاخ ابراهيم عليان العطارى في باب بريد القراء وبصدد تعقيبه على النقد الذى وجهه الأستاذ عبد الستار فراج الى معجم الاعلام الملحق بالمنجد .. ذكر ما يفيد بان المعجم المذكور بقى دون نقد طوال الأربع عشرة سنة التى انقضت على ظهوره سنة ١٩٥٦ .. الا انني اطلعت على نقد للمعجم مطوّل كتبه الاستاذ منير العمادي ونشرته له مجلة المعرفة السورية عام ١٩٦٣ .

ابراهيم عبد الرحمن البليهي ـ الرياض

العربي في مدارس المغرب

● أبعث هذه الكلمات مصحوبة بصورة تذكارية لتلامذة ثانوية التقدم النموذجية بالرباط ـ المغرب ـ وهم يطالعون مجلة « العربى » ، وقد اتخذ منها طلاب النموذجية مرجعا معتمدا ووجدوا فيها المتعة واللذة والهواية المفضلة .

الاستاذ الذهبي حسن



هذا الشهر



بقلم رئيس التحرير

■ وهو حزيران لعام ١٩٧٠

واذن فقد مضى على النكبة العربية الكبرى ثلاث سنوات كاملة .

كانت نكبة من اقصر ما عرف الجنس البشرى من نكبات حتى اسموها حرب الستة الأيام . وخرجت عنها الكتب باسم حرب الستة الأيام . وذهبت فى التاريخ لا شك بانها حرب الستة الايام . ولقد ذكرت هذا الاسم لأحد القواد الذين اشتركوا فى المعركة واطلع على بعض خباياها فصحح لى هذا الاسم . قال انها كانت حرب الست الساعات ، فبعد مرور هذه الست من الساعات عرفنا أن ريح الأقدار عصفت بالحرب عصفا باغتا مدمرا شديدا ، وفى اتجاه واحد لم يكن هناك بد من بلوغ مداه .

ذهلنا . ذهلنا نحن العرب . وذهل معنا الأصدقاء . وذهل معنا حتى الأعداء .



واخذنا نقلب الراى نريد ان نفهم فلم نستطع فهما . وطلبنا من أهل الراى ان يقولوا ، فما قالوا ، لان الفهم عزهم أيضا .

عزّ التعليل على راكب طائرة ، وعز على صاحب دبابة ، وعز على ماشٍ على قدم فى الميدان . وعز التعليل على قارىء صحيفة فى مدينة .

وتمضى الأيام ، ونقول سيكشف الزمن عن خباياه غدا ، أو بعد غد ، وهو الى اليوم ما كشف .

وما جاز لنا ان نتصور اننا كنا من الأوضاع بحيث استحققنا كل هذه الهزيمة . وما كنا لنضع انفسنا حيث كنا ونعلم انها الهزيمة . وما احسب اننا وضعنا انفسنا ، ولكن وضعونا . . والسؤال هو : من وضع ؟ والجواب هو : سيكشف الزمن عن خباياه وهو الى اليوم ما كشف .

فى ذمة التاريخ

على ان امر هذه الهزيمة صار حدثا من احداث التاريخ ، فالذى يُعنى بتفسيرها وتحليلها والكشف عن اسبابها انما هم المؤرخون . وحتى لو عُنى به الحاضرون فما هذا اليومَ بنافع والعدو لا يزال على الأبواب .

وقوم يركزون على التبعة فى هذه

الهزيمة ، على من تقع .. وهذه التبعة قد لا تبين ، ويبين فيها حكم السنين ، الا بعد أن تتبدل الأرض غير الأرض ، ويتغيّر الرجال ، ويأتي مكان الأقوام أقوام ، وجيل يمضي وجيل يجيء ، واذن تصبح التبعة تبعة تذكر في صحيفة أو صحائف في سجل الأيام .

وخير ممن يطلب التبعة ، على اى من الناس أو الجهات أو الدول تقع ، من يطلب الأحداث كيف وقعت . فالعبرة من الأحداث تبقى . أما الناس فتموت .

وهنا اعود الى راى طالما رايته ، ذلك انه ما من سوء يصيب أمة ، وما من شر وما من خير، الا والأمة كلها تحمل تبعته. وفي تحمل هذه التبعة ينضم الجيل الى الجيل ، والى الجيلين ، والى العشرة . فالجهل لا يحصله جيل واحد . ولا الفقر يحصله جيل واحد . الجهل يطرد والفقر يطرد . والتخلف ارث متزايد مع الأجيال . وكذا التقدم حصيلة مكسوبة ، لا يكسب الجيل الواحد منها الا بعضا ، وتكسبها كاملة الأجيال مجتمعة .



الجهل لا يحصله جيل واحد ، ولا الفقر جيل واحد . الجهل مطرد . والفقر مطرد

نحن اليوم خير ، حالا مما كنا بالأمس

اقول مضت على النكبة سنوات ثلاث، تبدل فيها الحال وتغير . وهو لم يتغير صاعدا علي وتيرة واحدة ، وما كان له . كان على الأمة العربية أن تصارع نفسها قبل أن تصارع الأعداء . خيّم اليأس فلم يعد في قلب احد أمل ، وكان هذا أمرا طبيعيا. كان لا بد للناس أن يستقوا من اليأس حتى يرتووا لكي يكفّوا من بعد ذلك عن ارتواء . وشربوا حتى ارتووا . وجاءت فترة من اليأس والأمل . فترة فرغت فيها الأنفس من يأس ، ومن أمل ، على درجة سواء . فترة سادت فيها في الناس روح جديدة ، روح اللامبالاة . لم يهتم الناس بأن يكون لليوم غد ، أو أن يكون لليل صباح . ومنهم من لم يهتم حتى بالحياة ، تقصر أم تطول . ومنهم من حاول أن ينسى الحرب وهى قائمة ، فأقبل يعبّ من الحياة بمقدار ما اتسعت كفاه ، وبقدر ما بقي من ماء في موارد سقياه .

ثم عاد الحال يتبدل من جديد . الجهود الجبارة التى بذلت في السنوات الثلاث الماضية بدأت تؤتى ثمارها .

قيل ان العربى لا ينفع لحرب ، فاذا به رويدا رويدا يثبت جدارته لحرب .

وقيل ان الحرب لا تنفع بغير مؤونة حرب ، فاذا العربى يعرف طريقه



قيل ان العربي لا ينفع لحرب ، فاذا به رويدا رويدا يثبت جدارته في حرب .

الى الحصول على جهاز حرب او بعض جهاز .

وقيل ان الحرب لا تنفع بغير تدريب، والعربي ليس بأهل للتدريب الحديث ، فاذا العربي يثبت انه جدير بالتدريب جدارة اى انسان على ظهر هذه الأرض.

نجاح العرب ، ولو بعض نجاح ، على سائر الجبهات ، بدايفعل فى انفس الناس الأفاعيل . الميزان الذى اتزن بوضع الأمل فى كفة والياس فى كفة ، بدا يثقل حيث وضع الأمل .

ان النجاح يحفز الى النجاح .

والأمل ما أسرع ما يستضيف زيادة من أمل .

والحرب حربان، حرب النفس وحرب العدو . واحسب العرب اليوم قد بداوا يستعيدون الثقة بانفسهم ، وهذا من الحرب نصف كسبها .

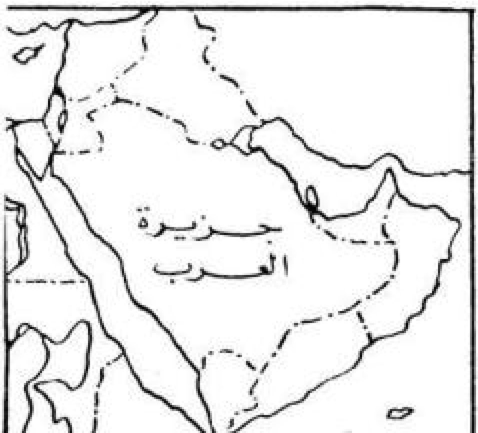
● حديث الشهر

الجمهور العربى لم يتحرك للحرب حركةً سواء

على ان العرب لم يتحركوا لهذه الحرب حركة سواء . ولا أقصد بذلك الزعماء واهل الحكم فيهم ، فقد دعم من استطاع منهم مجهود الحرب بشيء غير قليل من السخاء ، ولكني اقصد الجمهرة من الناس . القريب منهم من سعير الحرب اكتوى بها ، او اقترب دوره فى اكتواء . والبعيد منهم عن سعير الحرب خافها لا شك ، ولكن بمقدار ما يخاف رجل الدنيا سعير نار الآخرة ، من اجل هذا هو أرجأ الفروض حتى يكون من آخرته اكثر اقترابا .

وكأني بالعامل الجغرافى قد عمل فى العرب ، فقرّب وباعد ، وظن بذلك اهل الأقطار البعيدة انهم بمنجىً مما قد ينزل بالعرب فى عقر دورهم وفى الصميم من جزيرتهم . ومنهم من حاول ان يخفي لونا بلون ، وان يستبدل لسانا بلسان ، وعادةً غربية بعادة عربية ، فلعل سِمَة العروبة تخفي فيهم فيكون النجاء . والأمل فى نجاء العربي مما قد يصيب العرب خدعة . فالعرق لا يمكن ان يُستبدَل هكذا سهلا بعرق . والعربي عربي حيثما كان ، ولو استبدل عادة بعادة ، ولسانا بلسان .

والدنيا الخبيثة التي تحيط بالعرب ،



تتقرب من بعض وتتباعد عـن بعض . وتعطي البعض وتمنع عن البعـض . لا حبا ولا كرها . وانما هي تريـد ان تشق العرب . ثم تضربهم شقا من بعد شـق .

وسياسـة اعداء العرب من اهـل الفـرب قامت لتفتيت ما بـين الدول العربية من اواصر ، فى مناشط ظاهرة واخرى خافيـة . وهى قائمـة عـلى التخريب . قائمة على بذل الكراهة بين شعوب العرب . وتلك المحبة التى كانت قائمة بين شعب عربي وآخـر عربي ، اختفت . ومن زعماء العرب من وافقه ذلك فارتضاه . وأمة غربية خسرت مع العرب حربا ، ثم عادت فكسبت السلم كله . وكادت ان تكسب من السلم أكثر مما كانت تكسبها الحرب . ان القـوم يخططون ، وفى عقر دارنا ينسجـون ، والأحابيل يَحبلون ، ونحن فى غفلة عما يصنعون .

الاعلام العربي داخل الامة العربية

ان الاعـلام العربي فى داخل الامـة العربية ليس موجها كلـه للحرب . ان بعضه للحرب ، ولكن اكثره لاشياء تنزل فى الأنفس بدرجة الحرارة ، التى كان من شانها ومن حقها ان ترتفع للحرب . فنحن اذن نثبت للحرب بالقليل ، ولكنا ننفى بالكثير . وخالجني راى ، برئت منـه والحمد لله ، ذلك انه لولا ضربات العدو المفجعة لنا لما ثارت لنا ، تدعو للحرب ، جماهير .

الاعلام العربي خارج الامة العربية

واعلامنا فى الخارج اعرج كاعلامنا فى الداخل . وهو لم يصبه العرج عن حادثة اصابته ، ولكنه ولد يوم ولد كذلك .

ان الاعلام مهنة . وهي ككل مهنة لا بد ان تدرس فى الجامعات . هي دراسات يدخل الداخل اليها بعـد الدرجات . فصاحب مهنة الاعلام ، بل طالبها ، يجب قبل ان يدخلها ان يكون مزودا باطراف من المعرفة شتى . ان رجل الاعلام غير رجل الشرطة ، وغير رجل المخابرات . رجل الشرطة ورجل المخابرات يجب ان تتوفر فيهما كفايات كبيرة ، ولكن لتظل فى الظلام محجوبة . اما رجل الاعـلام فمصباح نصنعه ليشع بنوره ، هكـذا اعلانا حيثما حل .

ولا بد لصاحب الاعلام مـن لسـان ذرب ، ولا بد له من قلم سيال . ومعرفة باللغة التى يَعلم بها كأرقى ما تكون فى البلد الذى سوف يَعلم فيه .

فأين ، اعلامنا ، نحن العرب ، من كل هذا .

اكثر المصابيح التى ارسلناها للاعلام ، لتكون مصابيح تنير ، عزّها حتى الزيت .

واللغات اللغات . كم منا من احسن فى الماضى ، او احسن فى الحاضر ، لغـات اهل الأرض .

لم تكن لغات اهل الأرض عندنا يوما بغاية ، ولقد سمعت من قام يدعو باسم الوطنيـة الى حـذف تدريس اللغـات الأجنبية فى المدارس من حكومية وغـير

الاعلام العربي ولد اعرج



حكومية . وقامت حرب السويس عام ١٩٥٦ ، وكتبت الصحف تدعو الى وقف تدريس اللغة الانجليزية والفرنسية ، باسم الوطنية ، واستبدلوا حتى فى الجامعة باساتذة اللغات الأجنبية اساتذة ذوى ارومة عربية ، وكانت النتيجة ان طالب الجامعة يتخرج منها ، وتتخرج الطالبة ، وتحدثهم بالانجليزية او الفرنسية ، فلا تلبث ان تستنجد بالعربية فهي الأم التى لا تخذلك ابدا .

عاطفة وطنية !

ولكنها عاطفة جامحة .

وكم من العواطف الجوامح ما قتل !

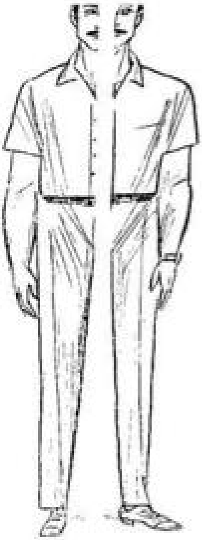
وما ضر الانجليزى ان لا يتعلم العربي الانجليزية ؟ وما ضر الفرنسي ؟ وما ضر الالماني او الياباني او الصيني ؟

وتجد اليهودى أعبأ ما يكون للغات الأرض .

تجديد فى جهاز الاعلام العربي

ونسمع ان الجامعة العربية بدات فى تجديد جهازها الاعلامي . ونسمع انها بدات اول ما بدات بتوفير المرتبات التى كانت تعطى لرجال اعلامها فى مناطق الاعلام ، وانها تقتصد من هذه المرتبات لتزيد عملية الاعلام نفسها نفقة . تفعل هذا بعد ان مضى على النكبة العربية ثلاثة اعوام ، كنا احوج ما تكون فيها الى صوت واحد يرتفع حيث الأصوات التي تشجبنا الف .

ثم بحثوا عن رجل اهل للاعلام يتولى هذه الحركة الجديدة ، فلم يجدوا رجلا جديدا . ثم خطر على بال اهل الراى ان فى مدينة نيويورك رجلا يقوم عن دولة الكويت بتمثيلها فى هيئة الامم المتحدة وانه كان له فى مجال الاعلام سابقة طيبة، فوقعوا عليه بحسبان انه الصقر العربي الواحد فى سماء الاعلام . وتريده الجامعة ان يكون لها كاملا ، وتريد الكويت ان



يا رجال العرب ! متى رضيتم بانصاف الرجال ، وانصاف الأبطال .

لا تعطي منه الا نصفا ، فترضى الجامعة بالنصف .

يا رجال العرب ، سماواتكم ما الرجال وانصاف الأبطال ، وتاريخكم كاد ان يكون مثل تاريخ الأمم مجتمعةً امتلاءً بالرجال والأبطال .

يا رجال العرب، متى رضيتم بانصاف اوسعها ، فكيف لم تجدوا فيها للاعلام الا صقرا واحدا، تقتسمونه. وقد كانت كل سماء من سماواتكم تزخر بالصقور وبالنسور ... من كل ذى منقار اعقف كاسر ، وكل ذى مخلب جارح ناشب .

وهل حقا لا يوجد فينا للاعلام رجال كفاة ، ام ان فينا من الكفاة مئات ، ولكن منع من ذلك ان الرجل فى معترك السياسة القائمة المتنازعة لا يوزن بكفايته ، ولكن يوزن كذلك معها ، او لعله من قبل وزنها ، بأمور لا تمت الى هذه الكفاية بشيء ... كأن يكون ذا انف اعوج ، أو قدم عرجاء . فهذه امور لا شك تذهب بالقدرة ، لا يجادل فيها انسان فاهم لعصره خابر .

نعدد الأخطاء ولا نلوم احدا

ونعدد الأخطاء ، ولا نلوم احدا . لأنه

ليس برجل واحد او رجال عدة هم الذين اصابونا بما اصبنا به من سوء حال . انهم الناس اصابوا ، وانهم الناس اصيبوا ، وتتوزع التبعات بينهم وتتبهم .

ونعدد الاخطاء وعندنا الأمل في ان كل خطأ جدير بالتصحيح . وجدير به الآن . ولا نعتذر بحرب . فمن التصحيح ما قد ينتظر حلول سلام . ولكن من الاخطاء ما تصحيحه انما يدخل دخولا لا بد منه فيما يسميه الناس اليوم مجهود حرب . وتصحيح الاعلام اجدر الأشياء بتصحيح والحرب قائمة. فدوى المدفع والصاروخ ان نفع في ميدان ، فدوي الأقلام ، وهمس الكلام في الآذان ، ومعالجة الافهام للافهام ، كثيرا ما تكون افعل من دوى المدافع والصواريخ في الميدان .

حرب متطاولة تاذن باصلاح عربي كثير

ان الحرب الحاضرة حرب متطاولة . لا شك في هذا .

ومعنى هذا انه يجب أن لا تؤجل اليوم اصلاحا بحجة اننا سوف نعالجه من بعد حرب قصيرة . ان مائة مليون من العرب في وسعهم ان يقوموا بحرب ، وان يقوموا باصلاح حال والحرب قائمة. ان قيام الحرب لا تحتاج الى مائة مليون عربي . فان نحن استمعنا واطعنا الى من يقول لا اصلاح الا بعد فراغ من حرب ، لأدى هذا الى ان يشتغل بالحرب منا مليون او مليونان او ثلاثة ، اما الملايين الباقية فتقف على الأسوار تتسلى بمشاهد الحرب ولا يكون لها فيها نصيب .

ان نصيب الرجال ، ونصيب النساء، وراء خطوط النار ، والحرب قائمة لا يكاد يقل عن نصيب رجال هم على خطوط النار قائمون . هذا لو عرف من هم وراء الخطوط كيف يفعلون . هؤلاء لا بد لهم من تعليم وتدريب . ولست اعنى بذلك حفر المخابىء في الأرض ، وبناء الحوائط امام ابواب العمارات فحسب . ولست اعنى حتى حمل البنادق وترقب الأعداء عند التسلل فحسب . ولكن اعني انتاج ما تنتج الحياة العادية ولكن اضعافا ، واستعجال الاصلاح من كل نوع ، وتقبله باقل نقاش ، وانفاذه في اسرع وقت . ومرافق الحياة جميعا ، فيها ما يحتاج ان يتقلب راسا على عقب ، ولا يضر هذا بحرب ، فهذا اوانها .

اني اعلم ان قوما يقولون بانه على العرب ان لا ينصرفوا والحرب قائمة الا الى مجهود واحد ، هو مجهود الحرب . ولكن اليس كل اصلاح هو مجهود حرب ؟ .. بعض يؤتي اكله قريبا ، وبعض يؤتي اكله بعيدا ، لا سيما والحرب متطاولة .

ان الحرب المتطاولة سوف تاذن لنا ، حتى وهي دائرة ، بعمل الكثير في داخل بلادنا ، كل عربي في بلده . وكذا والكل مجتمعون .

اسباب الخلاف بين العرب هي وحدها الأحق بان توقف من اجل حرب. والصدور لا بد ان تتسع بقدر ما تستطيع من اجل حرب .

اما الاصلاح فلا بد من ان يستمر ، وبسرعة مضاعفة ، من اجل حرب وبرغم حرب .

الحرب متطاولة وفي تطاولها قد تصير حربا فتنامية اخرى

ان حرب فتنام بدات على صورة ما عام ١٩٥٤ وهي الى عامنا هذا ، عام ١٩٧٠ ، لم يكد يظهر ان لها نهاية .

وما كان لها ان تطول ، بل ان تكون ، لولا دخول الولايات المتحدة فيها . والولايات المتحدة دخلت الحرب زعما

بأنها تنصر قوما على قوم . تنصر من سلب حقه على من سلب الحق . وقد عرفنا من تجارب الدنيا والناس ان سالبَ الحق ما اسرع ما تكون له الغلبة ، ومعه القوة ، ومسلوب الحق ما اسرع ما يبوء بالخذلان . وانتظر الناس ان يكون للفتناميين الجنوبيين ، ومعهم الحق المزعوم ، ومعهم من اكبر دولة على سطح الأرض اكثر من نصف مليون جندى ، ولديهم منها وبها افخر جهاز حرب عرفته الدنيا ، انتظر الناس ان يحظوا بالنصر سريعا . فاذا بالثائرين عليهم هم الغالبون ، وهم المستميتون . ويموت منهم الألف وراء الألف وراء الألف وهم على ازندة بنادقهم قابضون . فلو انه الباطل طلبوا ، او وبالباطل احتموا لكان فى قوة اعدائهم ، وكثرة قتلاهم هم ، لاشك تخذيل واندفاع الى اليأس سريع .

صمود هؤلاء الثائرين على الموت ، ومعهم فتنام الشمال ، اثبت للملأ العالمي انهم لا يريدون دنيا . وان حب الوطن اساسا هو الذى دفع بهم الى ان يفعلوا بالفرنسيين ما فعلوا قديما ، وهو الذى يدفع اليوم بهم الى ان يفعلوا بالأمريكيين ما يفعلون .

وَحلِ َ الأمريكان فى تلك البقاع التى لا يكاد يقلع مطر عنها ، وكلما ارادوا ان يتخلصوا زادتهم الأحداث وَحلا . وكان وحل فتنام ،ووحل لاوس فيهما الكفاية، فاذا هم اليوم يتورطون فى ارض جديدة ، وحرب جديدة ، هي حرب كمبوديا . يغيرون عليها بكامل اسلحتهم من ارض وسماء .

ان الولايات المتحدة لا شك اول بلاد الأرض طرا تقدما ، واكثرها علما ، واوسعها تكنية ، واعظمها صناعة . ومن اجل هذا هى اثرى امم الارض جميعا . وهى اكثرها سلاحا . يشهد بذلك حتى الروس . وبه شهد خروشوف .

وفى الولايات المتحدة لا شك ادب رفيع ، وفيها فلسفة وفيها حكمة .



صمودُ هؤلاء الثائرين الفتناميين على الموت ، واستماتتهم في الحرب ، اثبتا للملأ العالمي انهم لا يريدون دنيا

وفيها جامعات بلغت الذروة من مجالات الفكر .

ولكنا نجد فى الولايات المتحدة ، كما كان فى سائر الأمم ويكون ، ان الفكر جبان ، وان الفلسفة جبانة ، وان الحكمة جبانة ايضا . والقوة كل القوة فى المال ، والمال فى اهل الصناعة واهل التجارة . والقوة وقحة والمال وقح . ورجال الحرب رجال قوة وهم ابعد الناس عن الفلسفة والحكمة الا من رحم ربك . ورجال السياسة اول شيء يفخرون به انهم رجال واقعيون . والفلسفة والفكر والحكمة انما تنظر فى الواقع لتغيّره .

فأهل السياسة واهل المال فى الولايات

المتحدة ، واهل الجيش هم ابعد الاقوام عن تمثيل ثقافة الولايات المتحدة الحاضرة .

ولكنهم هم الفئة التي بيدها زمام الأمور. وهم قلة في الولايات المتحدة . ولاتسلني بعد هذا عن الديمقراطية ، واين هي توجد في الولايات وغير الولايات .

هذه القلة هي التي تفعل بالدنيا ما تفعل. وهي التي تصطنع الحرب ثم تدعي انها تعمل للسلم . وانها من اجل ذلك تقوم بخفارة الارض لما لها من قوة عارمة وجبروت .

وكما في الولايات المتحدة تجد الحال في انجلترا ، وفي سائر امم الغرب . المال والصناعة ورجال الحرب ، واضراب لهم ، هم اول ، وسائر السكان ، ذلك القسم الصامت الكثير الصمت ، وهو القسم الأكبر والأكثر ، يأتي بعدهم .

وفي الولايات المتحدة يثور رجل مثل (فل برايت Fulbright) رئيس لجنة الشئون الخارجية في مجلس شيوخها ، يثور على ما تصنع حكومته ، ويكتب كتابه الشهير « غطرسة القوة » Arrogance of Power فلا يأبه به احد .

وفي انجلترا يثور رجل مثل برترند رسل Bertrand Russell على حكومته ويقود المظاهرات القاعدة في الطريق ، فيقولون عنه انه رجل معتوه . ويموت فيدبّجون له الحمد عقودا من الثناء رائعة .

ورؤساء الامم ، حيث الرئاسة انتخابا ، كيف ينتخبونهم ؟



جنسن رئيس امريكا السابق

لم اجد فيلسوفا تقدم في امم الغرب لرئاسة جمهورية ، ولا رايت عالما فذا ، ولا كاتبا لامعا . فان وقع هذا فقد كان نشازا . لان هؤلاء الرجال لا يأتلفون وواقع الحياة في ميدان العراك الدولي . ذلك الميدان الذي احق به مصارع يكتّل عضلاته ليعرضها على الملأ ، او يزار ليخوف بصوته الناس .

وسبقتُ بهذا الحديث كله لأقول ان اسرائيل آخذة في تحويل حربها مع العرب الى حرب فتنامية ، تدخلها الولايات المتحدة محاربة .

وذلك بزعمها منذ يوم امس ان هناك في مصر طيارين من الروس يقودون طائرات في اجوائها بعيدين عن خط النار . واهتم رئيس الولايات على الفور بهذا الخبر واصدر امره بالدراسة العاجلة لهذا الامر الخطير .

شدّتْ اسرائيل الحبل ، ولعب عليه الرئيس نكسن . ولعب كما ارادت .

وزعم الزاعمون ان اسرائيل انما تبغي من ذلك ان تعطي الولايات المتحدة علة لتعيد دراستها حاجة اسرائيل الى زيادة من طائرات الفنتوم والسكاى هوك ونحوها ، ثم تعطيها .

السناتور وليم فل برايت رئيس لجنة الشئون الخارجية بمجلس الشيوخ الامريكي صاحب كتاب « غطرسة القوة »



برترند رسل ، الفيلسوف الانجليزي قالوا في حياته انه معتوه ومات فمجدوه اكبر تمجيد



كأنما الولايات المتحدة محتاجة ابـدا لتكأة تتكىء عليها ، وعذر تعتذر به ، عندما تغير رأيها وتعطي اسرائيل مزيدا من سلاح ، وهي التى وعدت بأنها سوف تعطيها عن كل طائرة تسقط مثلها جديدة ليظل تفوقها على العرب فى السماء قائما.

الراى الذى اراه ان اسرائيل تخطط لأبعد من هذا .

انها احست بأن هجمات العرب قـد زادت فى الأيام الأخـيرة كثرة ، وزادت جـراة ، وخشيت ان يكون ذلـك اول الغلبة ، فبدات خطتـها : ان تمهـد للولايات لدخول الحرب .

وهل اغرى للولايات بدخول الحرب ، ومـسـاعـدة اسـرائيل ، من ان توقـع اسرائيل فى رَوْع الولايات ، ان الروس يحاربون فى مصر ومع مصر .

نفت مصر بالطبع ما ادعته اسرائيل من ان الروس يطـيرون فى اجـواء مصـر الداخلية .

وفعل مثل ذلـك عـلى مـا احسب الروس .

وتطوعت انجلترا ، ولهـا الشـكر النادر ، انه لا علم لها بشيء كهذا جرى فى مصـر .

الى هنا قد ينتهي الأمر . اوقد ينتهي باعطاء اسرائيل مزيدا من الطائرات .

ولكني ساءلت نفسي : وماذا لو طار الروس أو غير الروس بطائرات مصرية فى الأجواء ما دامت مصرية ، على شريطة ان لا يتعدوها الىاجواء اجنبية. ان هذا من حق مصر ، تعطيه او تمنعه .

وذلك لأسباب :

(اولها) ان فى اسرائيـل جنـودا امريكيين وطيارين ، يحملون جنسيـة الولايات . وهم لا يحبسون انفسهم فى ارض العدو ولا فى اجوائه (ان صح ان للعدو ارضا واجواء) وهم يغيرون علينا فى ارضنا واجوائنا .

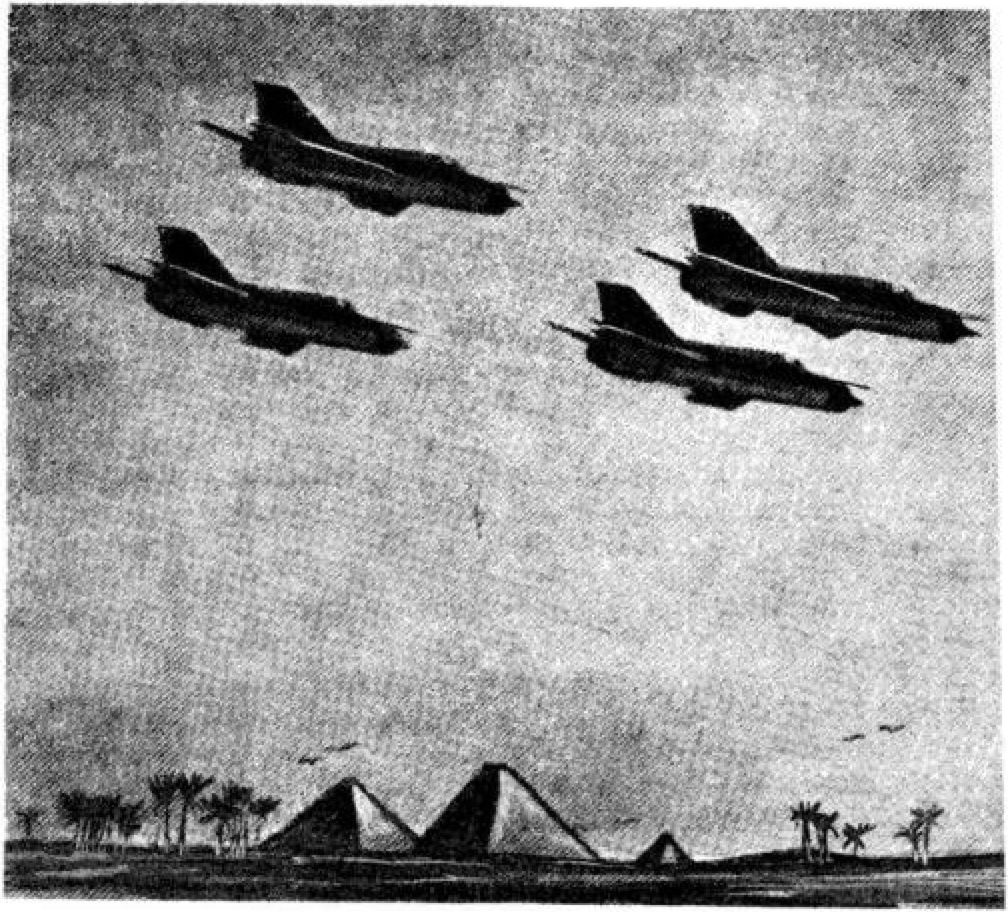
وقالوا انهم امريكيون نعم ، ولكنهـم يهود . ولو صح هذا ما زادني الأمـر شيئا او نقص .

واذن فقد جاز لمصر ان تفعل مثـل ذلك . هنود او اتراك يطيرون فى اجوائها وغير اجوائها ، او امريكان او انجـليز او روس .

(وثانيها) ان الذى يَعترض عليه هو قيام الروس بالطيران بطائرات مصر فوق ارض العدو . عندئذ يصح القول بأنهم مشتركون فى الحرب . اما ما دام الطيران فوق الأرض المصرية فلا اعتراض لأحد . ان من طيارى الولايات المتحدة من يطير فى اجواء انجلترا باذن انجلترا دون ان يعترض احد .

(وثالثها) ان من أرض مصر ومـن اجوائها ، ارض سيناء وجوها ، فحتى لو تعدى طيارو الروس او غير الروس بالطائرات المصرية قناة السويس ، فما زالوا فى ارض مصرية . لهم كل الحق ، باذن مصـر ، ان يكـونوا فيها (هـذا افتراض بأن الروس ركبـوا الطائرات المصرية فعلا ، وهذا ما انكرته مصـر وانكره الروس) .

(ورابعها) ان الروس او غير الروس لو ركبوا الطائرات المصرية وجابوا بهـا اجواء مصر بما فى ذلك جو سيناء ، فقد وجب عليهم ان يقفوا ، فلا يدخلوا حدود اسرائيل اى (فلسطين المحتلة) ودخول اسرائيل هو وحده الذى يعد مشاركـة



لو طار في سماء مصر ، وباذن مصر ، طيارون من غير مصر ، ما تعدت مصر بذلك حدود سيادتها

للروس وغير الروس فى حرب مصر مع العدو .

(خامسا) جاز بهذا المنطق ان تشترك اى دولة مع مصر فى طرد العدو من كل ارض مصرية ، ولا يقال لهذه الدولة انها اشتبكت مع الدولة العدو فى حرب . ان الاشتباك معها لا يكون الا بدخول حدودها .

على ان هذه افتراضات سابقة لأوانها ، فاغلب الظن ان الزمن مع العرب ، وان الزمن مع مصر فى تنشئة طياريها ، واحسبهم وحدهم ، مع الحرب التى اطلقوا عليها حرب الاستنزاف ومع ما يقوم به الفدائيون فى الارض المحتلة من عمل فدائي رائع ، قادرون على زحزحة العدو عن مواقعه ثم رميه بعيدا حيث كان قبل حزيران عام ١٩٦٧ .

قولوا معي : فتح من الله ونصر قريب .

■■

١٩٧٠/٤/٣٠ — احمد زكي

نتيجة مسابقة العدد ١٣٧

السدر والأشنان

صابون العرب

■ استقينا أسئلة مسابقة العدد ١٣٧ من بين سطور مقالاته ، وكان هدفنا من ذلك أن نترك القارىء يبحث عن الاجابة الصحيحة بين مختلف هذه المقالات ، وان يكون العدد هو المرجع الوحيد للوصول الى الاجابة .

واليك أيها القارىء نموذجا للاجابة الصحيحة وقائمة باسماء الفائزين بالمسابقة .

١ ـ الأشنان هو اسم النبات الذى كان العرب يستعملونه بدلا من الصابون . وكذلك السدر .

٢ ـ المواد الخام التى أثبت المسح الجيولوجي وجودها في الكويت هى الحجر الجيرى والطفل والرمل وهى التى سوف تفتح المجال أمام صناعات جديدة .

٣ ـ « ان الاسلام كدين كبير أتى بكل العناصر التى لا يكون الدين كاملا بدونها » .. هذه الجملة قالها محافظ مدينة مالقة الاسبانية الحالى .

٤ ـ الأدمة طبقة توجد تحت بشرة الانسان تزخر بالحياة ، فيها الاوعية الدموية والاوعية اللمفاوية والخلايا الدهنية .

٥ ـ عندما يعانى بعض الأفراد من غازات البطون يحاولون التجشؤ للتخلص من هذه الغازات ولكن في الحقيقة هذا التجشؤ لا يخلصهم من هذه الغازات . والجواب الكافي : لا .

٦ ـ طول السنة الضوئية ستة مليون مليون ميل .

٧ ـ اليونسكو . وهى منظمة عالمية فتحت أمام اللغة العربية عهدا جديدا بين لغات العالم الحية عندما جعلتها احدى لغاتها الرسمية .

٨ ـ جمال الدين الصرصرى ، هو اسم الشاعر العربى الأعمى الذى استطاع قتل أحد جنود التتر فامسكوه وحكموا عليه بالموت صلبا .

٩ ـ عدد الكتب التى يقوم العدو الاسرائيلى بترجمتها سنويا بلغت ١٦٠ كتابا .

١٠ ـ مجموع الأموال التى تستغلها أمريكا في اوروبا وامريكا الجنوبية بلغت ١٨ ألف مليون دولار .

الفائزون بالجوائز

- **الجائزة الأولى** وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها : **حسن سالم الكسادى** ـ الجزائر .
- **الجائزة الثانية** وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها : **محمد فريد عبد الرحمن حمدان** ـ جدة ـ السعودية .
- **الجائزة الثالثة** وقيمتها ١٠ دنانير فازت بها : **فاطمة محمد متولى** ـ طرابلس ـ ليبيا .

٨ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا كل منها خمسة دنانير فاز بها :

١ ـ **سليم مفلح الخطار الشطناوى** ـ اربد ـ الاردن .

٢ ـ **الهادى الأمين أحمد مكى** ـ **واد مدنى** ـ السودان .

٣ ـ **آمال على السباهى** ـ البصرة ـ العراق .

٤ ـ **عدنان حلبى** ـ طرطوس ـ سوريا .

٥ ـ **جواد عبد الكريم حسين** ـ القادسية ـ الكويت .

٦ ـ **سونيا محمد محمد وهبة** ـ القاهرةج٠ع٠م

٧ ـ **مريم سالم مبارك** ـ خورفكان ـ الشارقة .

٨ ـ **صبيح عبود الحاج محمد** ـ أنقرة ـ تركيا.

وحدة الله تتراءى في وحدة خلقه

الحيوانات لابد لها من هيكل

بقلم الدكتور أحمد زكي

■ ذكرنا في الكلمة السابقة من الحيوانات ذات الفقار ما ذكرنا .

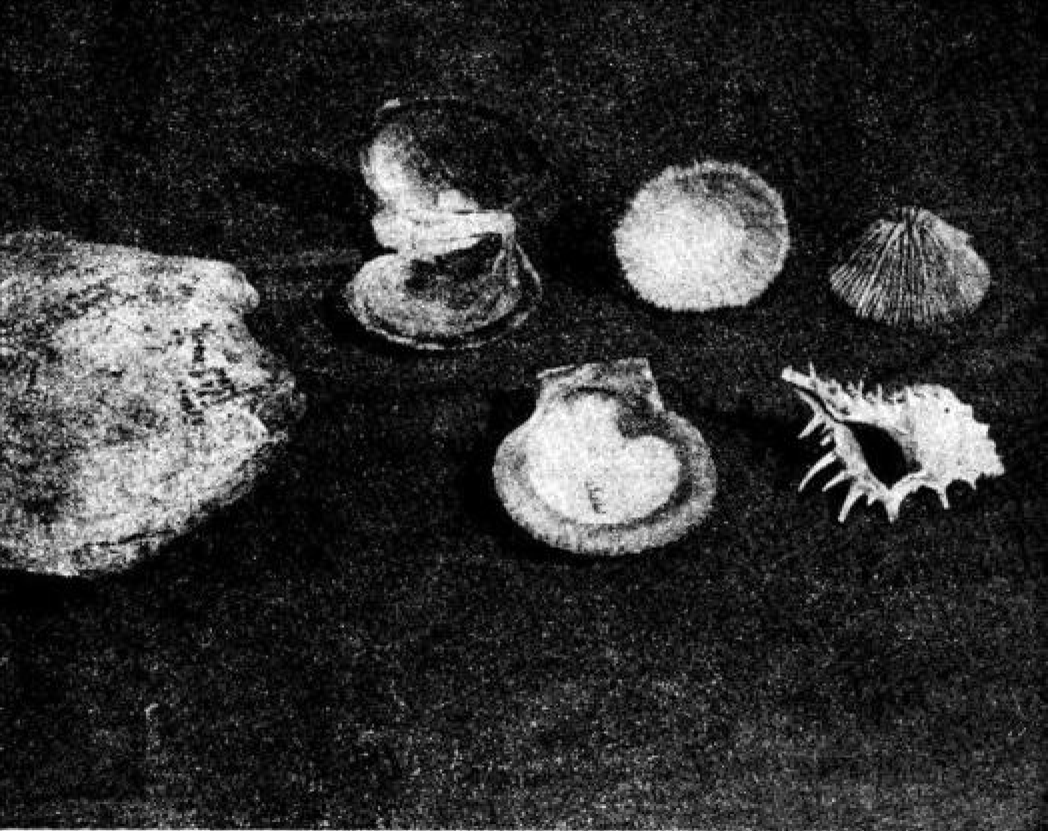
وذكرنا ما بها من عظام ، وانها في الانسان وغير الانسان تشكل هيكلا يقوم بحمل جسم الحيوان .

فالهيكل اذن للحمل .

والهيكل تتصل بعظامه العضلات تجعل من هذه العظام روافع تتحرك ، كالذراع ، ومع الذراع يد ، وهي أيضا من عظام ، تقوم عليها عضلات ، تحركها ، يصنع الانسان بها ما يشاء من الاعمال ويمسك بها ما يشاء من الاشياء .

ويزيد في اتجاهات هذه الحركات ما بين العظام من مفاصل شتى ، بعضها اوسع مجالا من بعض .

والهيكل ، في الحيوان الفقارى



صُلبٌ يَسنِدُ أجسامَها

والانسان ، فيه العضلات ظاهرة والعظام باطنة . فهو هيكل يسميه العلماء بالهيكل الداخلي *Internal Skeleton* . ومع هذا يجب أن لا ننسى أن الجمجمة عظم ظاهر باطنه المخ ، فهو ليس للحركة ، وانما لحماية المخ أن يصيبه أذى . والعمود الفقرى نفسه ، وهو من عظم ، يجرى في باطنه الحبل الشوكي ، وهو من عصب . فهو يحميه من الأذى .

فهيكل الانسان اذن هيكل باطني داخلي *Internal Skeleton* ، ولكن بعضه ظاهر خارجي *External* .

الهياكل في الحيوانات اللافقرية

واذا نحن خرجنا عن الحيوانات الفقارية الى غير الفقارية ، هبطنا فى سلم الحيوانات الى الحيوانات التي هي ادنى تركيبا ، واذن هي ادنى اهداف حياة ، وادنى وفاءً باهداف حياة . وهبطنا في نفس الوقت من الحيوان المعقد (والتعقد انما هو زيادة في فن حياة ، وفي تكنية حياة وفي تخصص اعمال ووظائف) الى الحيوان الأبسط .

وهنا تكثر الهياكل الخارجية كثرة

كبرى ، احجاما ، وأشكالا ، وغايات . ولنضرب الأمثال .

الحيوانات اللافقرية الرخوة

غير الفقريات من الحيوانات تتألف من شعب كثيرة .

ولنتخذ مثلنا الأول الشعبة المسماة بشعبة الرخويات *Mollusks* ، أى الحيوانات الرخوة ، والرخاوة هنا هي رخاوة أجسام . ومن أحق من رخوية الأجسام من هيكل خارجي يحميها .

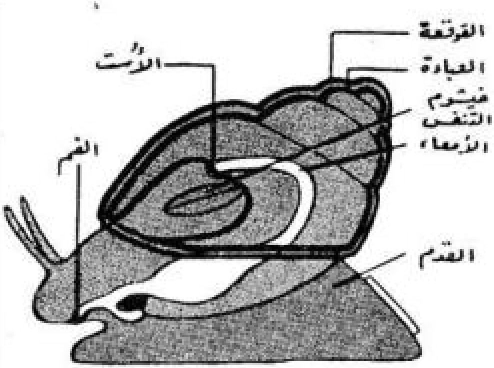
وهذه الشعبة تتألف من عدة طوائف من الحيوانات الفقرية اهمها طوائف ثلاث :

طائفة الحيوانات المسماة بطنيّة القدم *Gastropoda* ، ونمثل لها بالحيوان القوقعي الشهير المعروف بالحلزون او البزّاق *Snail* .

وطائفة الحيوانات المسماة ذات المصراعين *Pelecypods* ، ونمثل لها بالحيوانات الشهيرة المعروفة بالمحار *Oysters* .

ثم الطائفة الثالثة المسماة راسيّة القدم *Cephalopods* ، ونمثل لها بالحيوان الشهير المعروف بالأخطبوط *Octopus* ، أو الآخر المعروف بالحبّار *Squid* .

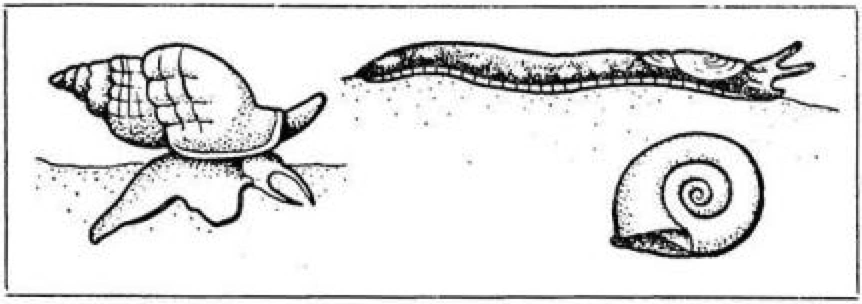
وقبل أن نصف الحلزون ، والمحار ، والأخطبوط والحبّار أو هما معا ، ونذكر اين يقع الهيكل الخارجي منها ، كلا على حدة ، تقول ان هذه الحيوانات الرخوة توجد فيها تقريبا كل الأجهزة العضوية كجهاز الهضم ، وجهاز الدورة الدموية ومعه القلب أو ما يقوم مقامه ؛ وجهاز التنفس ، وجهاز الافراز ومعه اشباه الكلى ، والجهاز العصبي ومعه العين النامية التي ترى أحيانا ، وكذلك الجهاز العضلي والجهاز التناسلي .



الحلزون او البزّاق
حيوان رخو من بطنيّة القدم

الحلزون أو البزاق *Snail*

انه الحيوان الزاحف ببطء شديد على الأرض ، بتلك العضلة التي تشبه اللسان وتعرف من اجل ذلك بالقدم . يخرج بها من صندوقه العظمي ، حاملا هذا الصندوق ، هيكله الخارجى هذا ، فوق ظهره . فاذا هو خاف أمرا فما اسرع

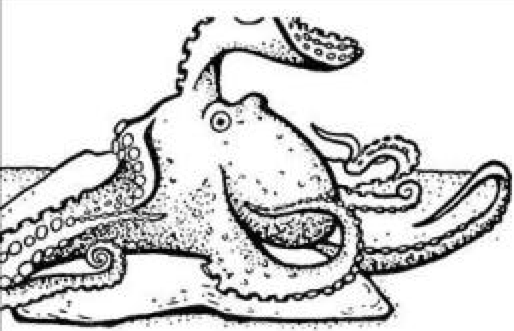


حيوانات رخوة من بطنية القدم

ما يدخل صندوقه ويختفي فيه اختفاء تاما . حتى اذا اطمأن عاد الى الخروج يطلب طعامه زحفا .

وقدمه هذه التي تمشي ، عليها رأس البزاق ، وهو يتقدمها ، وهذه القدم تحمل في طيها المعدة ومن اجل ذلك سُمّيَ الحيوان ببطني القدم .

واحشاء الحلزون تلتوى فى هيكله هذا ، وينطوى بعضها على بعض حتى ان استه تنتقل الى موضع فوق الفم . والسبب ظاهر . فالمخرجان ، من فم واست ، لا بد ان يكونا عند المخرج ، وهو صندوق له فتحة واحدة .



الاخطبوط

وهو من الحيوانات الرخوة التى جمعت بين الراس والقدم وله اقدام (اذرع) ثمانية يلفها حول فريسته ، كان تكون سرطان البحر (ابو جلنبو) . وترى في الصورة عين الاخطبوط كالدائرة

المحار *Oysters*

ومن اشهر الحيوانات الرخوة المحار *Oysters* . وتتألف المحارة من جسم رخو ، يضمه هيكل خارجي ، عبارة عن مصراعين من الصدف ، بينهما مفصل ، وينطبق احدهما على الآخر والجسم داخلهما فيامن الحيوان بذلك غائلة الاعتداء . ويفتح الحيوان المصراعين فيتصل بالماء . ومن الماء يعيش على الحيوانات المكروئية تلك التي يصفيها من مائها بجهاز فيه .

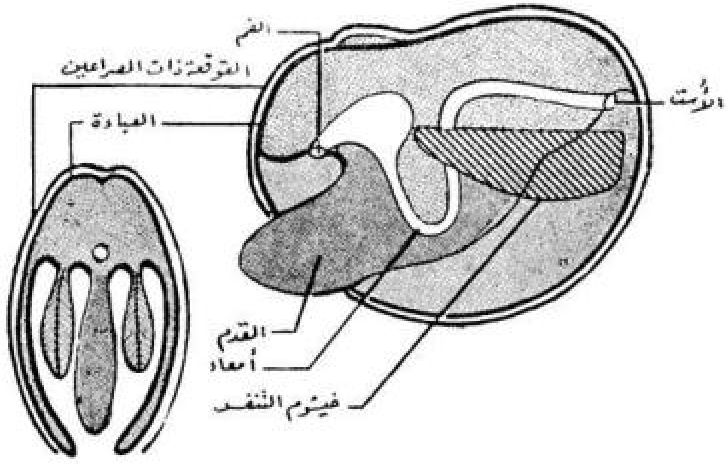
ومن اجل هذا سميت هذه الطائفة بذات المصراعين .

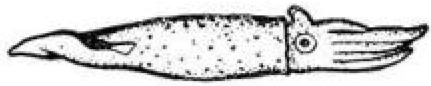
وهذه الحيوانات تعيش في البحر حياة ساكنة هادئة غالبا . وهي تؤكل ، ومنها المحار المعروف ببعض البلاد العربية ، ومصر خاصة ، بأم الخلول . ومنها المحار الذى يصاد لأنه قد يحمل الدرّ بين صدفتيه .

ومن هذه الحيوانات حيوان ضخم عظيم يعيش في البحار يعرف بالبطلينوس

المَحَار
(وقوقعته ذات المصراعين)

صورتان ، احداهما ازحنا فيها احد المصراعين لتنكشف احشاء المحار . والاخرى مقطع راسي للمحار وقد انضم مصراعاه





الحبـــار

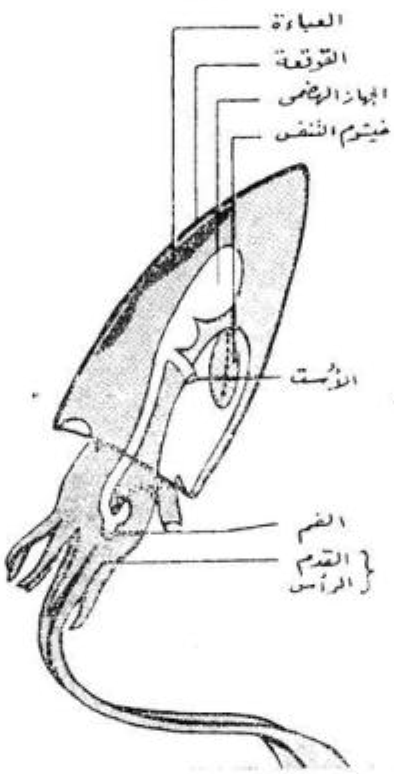
Clam قد ينطبق مصراعاه على الرجل غير العارف وهو في البحر ، وهو لا يدري .

الأخطبوط Octopus
والحبار Squid

ومن الحيوانات الرخوة الأخطبوط Octopus ، ومنها كذلك الحيوان المعروف بالحبار السبيدج Squid وسمي الحبار ، لأنه يفرز مادة كالحبر وراءه تستره من الأعداء عند الخطر . كلاهما يعيش في البحار .

وكلاهما من الحيوانات التي تعرف بالرأسية القدم Cephalopods لأن رأسها تستخدم رأسا وفي نفس الوقت تستخدم قدما حاملة للجسم .

الحَبَّار
(من رأسية القدم)



الهياكل الخارجية
افرازات العباءة
التي هي داخل الهيكل

والهياكل في هذه الحيوانات الرخوة تفرزها غدد تحملها طبقة أشبه شيء بالعباءة تضم جسم الحيوان من داخله . وموضعها تحت الهيكل الخارجي ، وهي هناك تفرز مادة الهيكل وتصنعه . والهيكل يتألف من طبقات ثلاث ، طبقة خارجة وهي قرنية ، وطبقة متوسطة من كربونات الكلسيوم المتبلور ، ذلك الذي بلورته سداسية الشكل ، وهو المعروف بالكلسيت Calcite . ثم طبقة داخلية ملساء ، مكونة أساسا من كربونات الكلسيوم أيضا .

وحدة
على اختلاف
ومع الوحدة حكمة

في هذه الشعبة ، شعبة الحيوانات اللافقرية الرخوة ، نرى كيف توحد شكل الوقاية . انه الهيكل الخارجي الواقي . ولكن هذا الغلاف الخارجي الجامد الواقي تعددت أشكاله تعددا كبيرا ، كانت كثرته تبين أوضح لو أننا ضربنا من هذه الحيوانات الأمثلة الكثيرة . ولكن يعوضنا عن ذلك أن نذكر الوَدَع ، ذلك الذي تستخدمه ضاربات البخت في التنبؤ بحظوظ الناس . فما هذا الودع على كثرته وتنوعه الا من هذه الهياكل ، مات الجسم الحي ، وبقي الغلاف الصلب .

فهي اذن وحدة تظلل اختلافا في الشكل كبيرا ، يتفق وحاجة الحيوان الحي في بيئته .

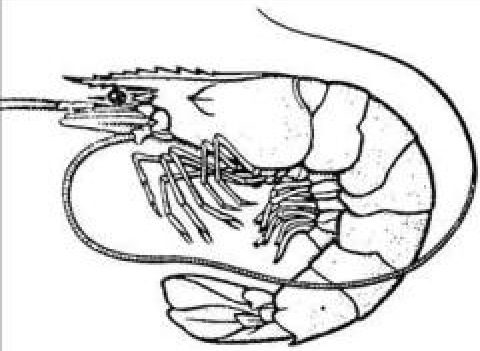
اما الحكمة فنجدها في حظوظ هذه الطوائف الثلاث التي ذكرناها من فطنة

وحركة واستعداد للحياة. ان الحيوانات اللافقرية بطنية الأقدام كالبزاقة قليلة الحركة ، وهي أقرب الى السكون والهدوء . وهي تسير ولكن في بطء شديد . ولها العيون التي ترى بها ولو بعض رؤية ، ولها الفهم القليل الذى يدعو اليه نمط هذه الحياة . واما ذوات المصراعين كالمحار فهي أسكن واهدأ : وموطنها قيعان الماء . وتلصق بالحجر كثيرا . وحيث تقبع هي تنتظر الغذاء . ولهذا هبط فيها جهاز الفهم عما هو في البزاقة واضرابها .

وفي الطائفتين تمثل الخنوع وبطء الحياة . وهما في معترك الحياة ، التي هي آكل ومأكول ، وقاتل ومقتول ، اشتدت حاجتهما الى الوقاية فكان لهما الغلاف الصدفي الأمتن .

حتى اذا جئنا الى الطائفة الثالثة . طائفة راسية القدم ، كالحبار والاخطبوط ، وجدنا حيوانات ذات حركة ، مفترسة، تجرى وراء ضحاياها، وتقتل ، وتلتهم . ولها وسائل للهجوم والدفاع ليست للطائفتين الأوليين . ولها جهاز الفهم والحس الأرقى . فكل هذا جعلها أقل حاجة للوقاية . لهذا قل فيها الهيكل الخارجي أو رق . ولقد كدت أقول ان هذه الحيوانات عندها ان الهجوم هو خير أنواع الدفاع .

الوحدة اذن ، في اعطاء الهيكل الخارجي ، لا تعطى جزافا . انها لا تعطى لمجرد التوحيد . انها تعطى لحكمة ، وتعطى بمقدار هذه الحكمة .



الرئبيان (الجنبرى)

ومن الحيوانات اللافقرية ذات الهياكل الخارجية شعبة ذوات الأرجل المفصلية *Arthropods*

ونضرب بهذه الشعبة اللافقرية ايضا مثلا .

ولا نمسها الا مسا خفيفا ، فأغلب الحيوانات التي فيها حيوانات مألوفة معروفة وكذا ما احتواها من هياكل .

وهذه الشعبة هي اكبر شعب الحيوان اطلاقا ، وعدد الأنواع التي بها تصل الى ملايين .

وهي كما يدل عليها اسمها حيوانات لا فقرية ارجلها ذات مفاصل .

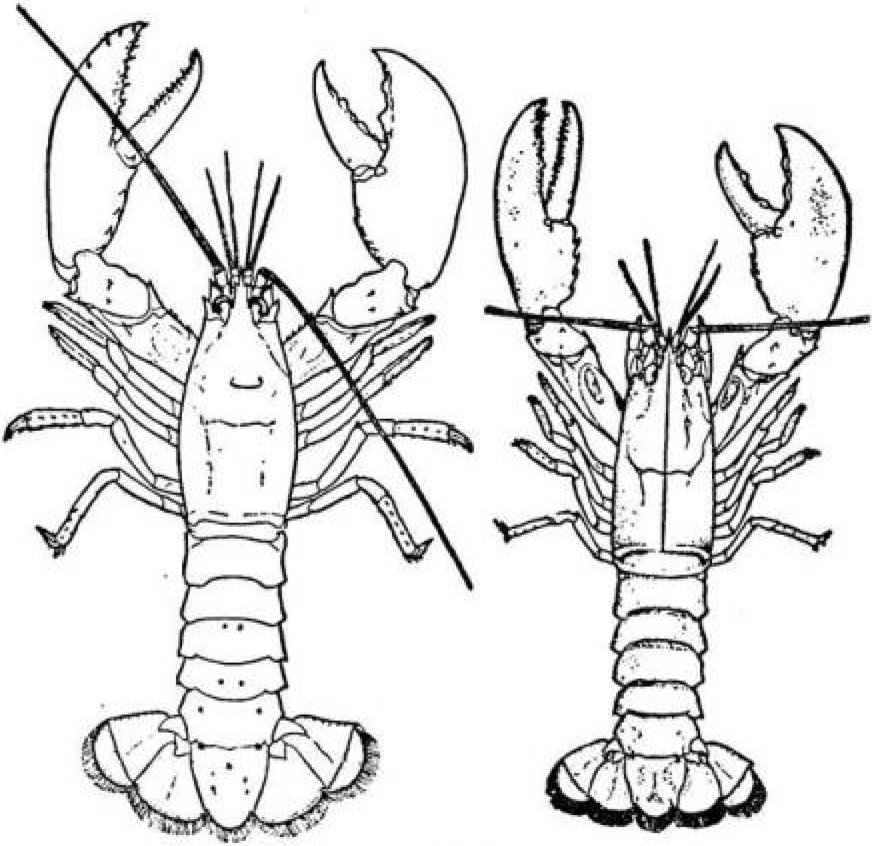
واشهر طوائف هذه الشعبة هي :

الحيوانات القشرية *Crustaceans*

مثل الرئبيان (أو برغوث البحر أو



سرطان البحر
(أبو جلنبو)



جراد البحر
وقد ضاقت عنه بشرته في الصورة اليمنى بسبب النمو فانشقت عنه وطرحها .
وهو في الصورة اليسرى كبر حجمه وبدأ يصنع لنفسه غطاء صلبا آخر .

الجنبرى) *Shrimps* وسرطان البحر (أو ابو جلنبو) *Crab* ، وجراد البحر *Lobster* . وعليها الهيكل وهو من قشر .

والعنكبوتيّات *Arachnids* أو *Spider* وتوابعها مثل العنكبوت والعقرب .

والحشرات *Insects* مثل الذباب والنمل والنحل والصرصور .

الحيوانات القشرية

وقد مثلنا لها بالرّبيان ، وسرطان البحر ، وجراد البحر . وهذه كلها حيوانات نألفها على المائدة ، ونستلذها وكثير منها يؤكل . انها عشرية الأرجل *Decapods* ، أي لها من الأرجل عشر ، وهي تعيش في البحار ، وبعضٌ في الأنهار . وهي آكلة لحوم ، فهي تعيش على احياء أصغر منها واضعف أو بقايا من جثث تموت .

ولكن الى جانب هذه الأنواع القليلة الكبيرة التي نعرف آلاف مثلها لا نعرف ولا نألف .

ومن القشريات تلك القشريات الصغيرة *Krill* التي تملأ بملايينها البحار ، تلك التي هي غذاء الحيتان

العظيمة . ومنها الصغير الذى لا يزيد طوله على بوصة واحدة .

والذى يعنينا في القشريات هو الهيكل الخارجي . فهذا تفرزه بشرة الحيوان الداخلة ، وهو يتألف من مادة قرنية تعرف بالكيتين *Chitin* تزيد صلابة بما يدخلها من افرازات جيرية .

الحيوانات العنكبوتية

هي طائفة من المفصليات متميزة بخواص تجمعها. ومن اول هذه الخواص ان لها أربعة أزواج من الأرجل فى حين ان الحشرات لها ثلاث . وقد تزيد اطراف العنكبوتيات على الأربعة الأزواج زوجا او زوجين ولكنهما لا يعملان عمل الأرجل .

والعنكبوت له عادة خصر ضيق ، بين راس وصدر مندمجين معا ، وبطن واضح .

وتخرج من ظاهر جسمه اشواك او نتوءات ، كثير منها حساس .

والعنكبوت له عادة ثماني عيون بسيطة او اقل ، ولكن أعين العناكب ضعيفة

العقرب





القراد

البصر . والشم والمذاق كذلك بها ضعيف ، ولكنها تعتاض عن بعض هذا بحس للمس وللحركة زائد ، به تتعرف على بيئتها .

وبسبب اندماج الرأس بالصدر في العناكب قصر المرىء الواصل الى المعدة. وهي معدة قوية المص .

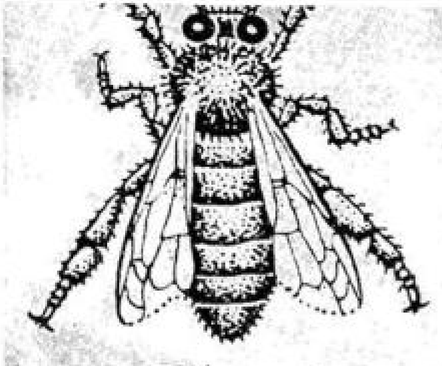
والعناكب تستغرق نحو ساعة في مص الذبابة الواحدة التي تصطادها . وللعناكب قناة هضم تنتهي باست كالعادة .

والقراد من العنكبوتيات ، وهو من الطفيليات التي تعيش على الحيوانات الثديية والطيور والزواحف . وتحمل المكروب فتسبب فناء الشياه ونحوها .

اما عن الهيكل الخارجي للعنكبوتيات، فانا نجد هذه الحيوانات مغطاة باهاب خارجي صلبه دخول مادة الكيتين *Chitin* اليه .

الحشرات

الحشرات هي اكثر حيوانات الأرض



نحلة

انتشارا ، واكثرها أنواعا ، لا تقاربها في ذلك اي طائفة من طوائف الحيوانات . وقد ذكرنا ان شعبة المفصليات هي اكبر شعب الحيوانات بمراحل ، وما ذلك على الأكثر الا لأنها تضمنت طائفة الحشرات .

ونصف الحشرات على عجل فنقول :

١) الراس وبها زوائد هي قرون حساسة .

٢) الصدر ويقع في ظهور واضح بين الراس والبطن ،وبه ثلاثة مقاطع حلقية. تحمل ثلاثة ازواج من الأرجل .

٣) البطن ويتالف من ١١ مقطعا حلقيا او أقل ، لا يحمل اطرافا ، والحلقات الخلفية مختصة بالانسال .

٤) للحشرات عيون بسيطة او مركبة، وجهاز عصبي مركب .

اما عن الأجنحة ، فالكثرة الغالبة لها اجنحة . ولها في العادة زوجان من الأجنحة يتساويان تقريبا . وللذباب جناحان فقط لان الزوج الثاني من الأجنحة صغر جدا في الحجم حتى لم يعد له عمل في الطيران وان كان له شأن في الاتزان . وفي الخنافس واضراب لها تحول الزوج المتقدم من الأجنحة فصار غطاء واقيا .

ومن الحشرات التى لا أجنحة لها : القمل ، والبراغيث ، والنمل العادى .

والحشرات يحملها هيكلها الخارجي ، يحمل ثقل اجسامها ويتحمل الضغوط التي تحدثها عضلاتها داخل الهيكل .

وهذه الحقيقة تحدد حجم الحشرات المستطاع . فاكثر الحشرات طوله على الأقل مليمتران . فاذا اعتبرنا ما تستطيع أن تصل اليه الحشرات من حجم كبير وجدنا أنه يعوق الحشرة عن انطلاقها وهي زائدة الكبر عوائق ميكانيكية واخرى فسيولوجية . لهذا قل من الحشرات ما يزيد طوله على ٤٠ مليمترا، واذا طلبنا الحد الأعلى الذى وصلت اليه الحشرات طولا لوجدناه ٢٧٥ مليمترا ، اى أقل من قدم واحدة .

ومن هنا نرى أن الهيكل الداخلي ، هيكل الحيوانات الفقرية ، هو لبسطة الحيوانات أوسع وارحب . يدل على ذلك حجم الفيل والحوت .

وكل الحشرات تلبس غلافين ، بشرة الجلد الحية ، ومن فوقها الاهاب الذى لا حياة فيه ذلك الذى تفرزه البشرة الحية . وهو الهيكل الخارجي *Exoskeleton* . وهذا الهيكل الخارجي يختلف عن مثيله في الحيوانات القشرية بأنه خال من المادة الجيرية وبوجود المادة الكيتينية القرنية فيه *Chitin* . وقد سبق أن ذكرناها في القشريات ، ونزيد هنا في وصفها أنها مادة لا تذوب في الماء ولا في الحوامض المخففة، ولا في العصارات الهضمية لكثير من الحيوانات . انها مادة مقاومة ترفض التحلل والفساد .

الهياكل الخارجية وسائر شعب الحيوانات اللافقرية

في الحديث عن الهياكل الخارجية لغير الفقاريات من الحيوانات ، اتخذنا من شعبة الرخويات وطوائفها ، ومن شعبة ذوات المفاصل وطوائفها ، مثلين عابرين لهذه الهياكل لم نتوقف عندهما

الا بمقدار ما تكتمل صورة هذه الهياكل ووضعها من هذه الحيوانات .

ولسنا بحاجة الى تناول كل الشعب على هذا المنوال نزولا في سلم الحيوانات .

ويكفي ان نقول انه في شعبة الاسفنجيات تتألف الهياكل الخارجية من قطع كالابر من كربونات الكلسيوم يصنعها الحيوان الاسفنجي ويودعها في الطبقة الفالوذجية الموجودة تحت البشرة، او هي قطع كالشوك من السلكا Silica تمسك بعضها الى بعض مادة قرنية هي مادة الاسفنج التى نعرفها فى الحمّامات، او أن الحيوان الاسفنجي لا يصنع ولا يودع الا المادة الاسفنجية هذه خالصة .

ويكفي كذلك أن نقول ان المرجانيات تصنع هياكلها هياكل جيرية هي التى تكاثر وتصنع لنا فى البحار تلك الصخور المرجانية المعروفة .

على انه يجب أن لا ننسى أن وظائف الحيوان لا يمكن ان تتادى على الوجه الأكمل الا اذا كان في جسم الحيوان قدر من الصلابة معقول ، وانه لا خير في جسم تموع احشاؤه فينهدم بعضها على بعض ، ويختلط بعضها ببعض ، ويلتوى بعضها على بعض . واذا ذكرنا ان الهيكل، حتى الخارجي ، من عمله ، أن تتخذ عضلات الحيوان منه دعامة فترتبط به حين تنقبض وحين ترتخي ، ذكرنا ضرورة أن يكون في هذا الهيكل الخارجي (او ان شئت فالغلاف الخارجي أو الاهاب) شيء من صلابة وقسوة تمنع ان يصيبه ارتخاء .

وفى الحيوانات غير الفقارية ، لا سيما الدنيا منها ، حيوانات ليس بها هيكل كالذى نصف . هيكل خارجي يعطيها الصلابة المطلوبة .

ففي هذه الحيوانات نجد أن هذه الصلابة يعطيها الى الحيوان ما في مائعات جسمه من ضغط سائلي هيدرليكي Hydraulic يحسه جلد الحيوان او اهابه ، فينشد .

ونرى هذه الظاهرة واقعة مثلا في بعض الديدان الرخصة اللينة ، حيث يساعد على بقاء الضغط قائما صفحات من عضلات سطحية دائمة التقبض . وهي غير العضلات المتصلة بجلد الحيوان بقصد الحركة .

والذى نقوله هنا ينطبق حتى على الحيوانات ذات الخلية الواحدة كالأميبة . ان الذى يحفظ لها شكلها فلا ينهدم بعضها على بعض انما هو ما في سوائلها من ضغط هدروليكي .

على انه توجد من هذه الحيوانات الأولية حيوانات بها من عوامل الدعم ما يسندها . بعض اهابه متجلد ، وبعض متقرن ومن بروتين . وبعض به من القطع الجيرية الصلبة او السيليسية ما يسنده .

طرق العَمْد واحدة فى الحيوانات جميعا .

فاما الهيكل الداخلي في الفقاريات . .

واما الهيكل الخارجي واشباهه في اللافقاريات .

واما الضغط الهدروليكى يشد بناء الحيوان لا سيما الدنيء . الى آخر ما ذكرنا .

هدف شامل واحد ، تعددت اليه الوسائل .

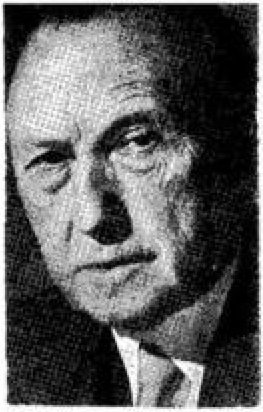
ونحن اذا اعتبرنا الكثرة الكبرى من الحيوانات قلنا ان الوسائل تعددت نعم . ولكن مرتين كبيرتين : هيكل الداخل وهيكل الخارج .

وجرى الهيكل الداخل في الوف الالوف من الحيوانات .

وجرى الهيكل الخارج في الوف الالوف من الحيوانات . ●●

احمد زكى

المانيا الغربية



ادیناور



ى برانت

■ المعروف أن الصهيونية العالمية استطاعت ان تجبر المانيا الغربية على توقيع اتفاقية لوكسمبورج في سنة ١٩٥٢ ، وبمقتضاها تتعهد الحكومة الالمانية بدفع ٣٫٥ مليار مارك الى اسرائيل تعويضا لها عن اضطهاد اليهود أيام حكم النازية .

وقد استمرت المانيا في دفع أقساط هذا المبلغ الكبير لاسرائيل على هيئة منتجات صناعية كانت اسرائيل ـ وهى تنمى اقتصادها ـ في أشد الحاجة اليها .

والذى حدث أن هذه الاتفاقية لم تعجب جميع الأوساط ، لا في اسرائيل وحدها وانما في المانيا الغربية أيضا . فهناك اوساط اسرائيلية تمقت الجنس الالمانى وتحمله مسئولية اقدام هتلر على تعذيب اليهود خلال فترة حكمه . وهناك أصوات أخرى في المانيا الغربية ترفض الاعتراف باى دين عليها لاسرائيل . ومن رأيها ان هتلر وحده الذى يتحمل نتائج تصرفاته . فاذا كان قد اباد بعض اليهود في المانيا ، فهو وحده المسئول عن ذلك . ولا يجب أن تتحمل الأجيال الجديدة من الشعب الالمانى هذه المسئولية .

مساعدات حكومية ، وأخرى أهلية

وكان يمكن أن تعلو أصوات الكراهية المتبادلة في اسرائيل والمانيا الغربية ، لولا سياسة الداهية الصهيونى دافيد بن جوريون ، الذى استطاع أن يمتص بعض تلك الكراهية ويتمكن من اقناع مستشار المانيا الغربية في ذلك الوقت «ايدیناور» بالعمل معه من أجل تحسين العلاقات بين الشعب الاسرائيلى والشعب الالمانى .

ونجح الرجلان في مهمتهما . فقد اصبحت المانيا الغربية من أولى الدول التى تعتمد عليها الصناعة الاسرائيلية في الوقت الحاضر . خلال سنة ١٩٦٧ ، ١٩٦٨ تضاعفت الصادرات الالمانية الى اسرائيل . فقد كانت قيمة الصادرات في سنة ١٩٦٦ حوالى ٦٢ مليون دولار ، فاصبحت في السنة التالية حوالى ١١٥ مليون دولار . ليس هذا فقط بل ان الحكومة الالمانية منحت اسرائيل أخيرا مساعدات اقتصادية بلغت قيمتها ١٤٠ مليون مارك .

وليست المساعدات الالمانية الحكومية هى وحدها التى تنهال على اسرائيل ، وانما تقدم لها ٤ آلاف مؤسسة وشركة المانية أهلية المزيد من تلك المساعدات والقروض . مثال ذلك بنك Für Gemeinwistochaft الذى يساهم حاليا بمبالغ طائلة في انشاء المصانع والمساكن والتعمير في اسرائيل . كما أن الخبراء الذين كانوا في صحبة آبا ايبان ـ وزير خارجية اسرائيل ـ أثناء زيارته الاخيرة لالمانيا الغربية استعرضوا مع العديد من المؤسسات العلمية الالمانية كيفية التعاون بين البلدين في مجالات العلم وآفاقه الواسعة وبالذات في مجال الالكترونات والكيمياء الصناعية .

مساعدات عسكرية ثم قوة سياسية

حقيقة ان المانيا الغربية أوقفت شحن المعدات العسكرية الى اسرائيل في أعقاب حرب يونية سنة ١٩٦٧ ، ولكن يجب الا ننسى أن المانيا الغربية كانت من أولى الدول التى ظلت تمد اسرائيل بالاسلحة وبالمعدات العسكرية طوال السنوات التى سبقت حرب يونية .

كما أن العلاقات السياسية والدبلوماسية بين تل ابيب وبون لا تقل قوة ومتانة عن العلاقة الاقتصادية بين البلدين . خصوصا بعد أن اصبحت

تمسك العصا من أوسطها

اسرائيل من الدول القليلة جدا في منطقة الشرق الأوسط التى لها علاقات دبلوماسية مع المانيا الغربية . فقد قطعت معظم الدول العربية علاقاتها الدبلوماسية مع المانيا بمجرد اعتراف الأخيرة «بدولة» اسرائيل واقامت معها علاقات دبلوماسية لأول مرة في سنة ١٩٦٥ . ومنذ هذا اليوم والدول العربية تحاول « الضغط » على حكومة بون عن طريق التهديد بالاعتراف بالمانيا الشرقية . ولكن حكومة بون لم تخضع لهذا « الضغط » . رغم أن بعض الدول العربية اعترفت فعلا بالمانيا الشرقية واقامت معها العلاقات الدبلوماسية الكاملة .

السياسة الالمانية الواضحة

والسياسة الالمانية الحالية تجاه اسرائيل ليست بخافية . فهى سياسة محاولة الامساك بالعصا من أوسطها . فحكومة المانيا الغربية ـ في عهد المستشار الحالى ويلى برانت ـ تريد المحافظة على علاقاتها السياسية والاقتصادية القوية مع اسرائيل ، وفي نفس الوقت تعمل على كسب صداقة اكبر عدد ممكن من الدول العربية حتى مع تلك التى اعترفت فعلا بالمانيا الشرقية .

وتعتقد حكومة بون انها نجحت ـ الى حد ما ـ في تحقيق هذه السياسة ذات الحدين . بدليل استمرار صداقتها مع اسرائيل . وتوطيد علاقاتها مع بعض الدول العربية وبالذات المملكة الاردنية الهاشمية وتونس والمغرب واليمن وغيرها . فقد حصلت كل دولة من تلك الدول على مساعدات اقتصاديةالمانيةتتراوح ما بين ٤٠و١٠٠ مليونمارك .

ليس هذا فقط بل ان المانيا الغربية لها علاقات تجارية حتى مع بعض الدول العربية التى لا تتبادل معها العلاقات الدبلوماسية . وقد تردد أكثر من مرة ، وفي أكثر من مناسبة ، أن هناك محاولات تبذل من الجانبين لاعادة تلك العلاقات مرة أخرى.

وقد سبق ان صرح ويلى برانت تصريحه المشهور الذى قال فيه ان سياسة المانيا الغربية تهدف الى البقاء على الحياد تجاه الصراع العربى الاسرائيلى في الشرق الأوسط . فالحكومة الالمانية حريصة على الحقوق والمصالح العربية المشروعة ، وفينفس الوقت لا توافق على قيام العرب باية مبادرات من شأنها تهديد أمن وسلامة اسرائيل من بعيد أو من قريب .

تأكيدات من ويلى برانت

ولعل هذا التصريح هو الذى شجع آبا ايبان على القيام بزيارته الاخيرة لالمانيا الغربية باعتبارها الدولة الصديقة ، والحريصة على استمرار بقاء « دولة » اسرائيل.وما زلنا نذكر ما قاله آبا ايبان عقب انتهاء زيارته لبون ، وكيف انه حصل على تأكيدات قوية من الحكومة الالمانية بأن أى تقارب تجارى أو حتى سياسي بينها وبين بعض أو حتى كل الدول العربية لا يمكن أن يؤثر على السياسة الالمانية في الشرق الاوسط وبالذات تجاه موقفها من وجهة النظر الاسرائيلية .

والسؤال الذى يفرض نفسه الآن هو :

هل ستنجح سياسة مسك العصا من أوسطها التى يطبقها ويلى برانت في الشرق الاوسط ؟

الهر شيل ـ وزير خارجية المانيا الغربية ـ يتوقع النجاح لهذه السياسة . فهو أحد الذين اشتركوا مع ويلى برانت في رسم خطوطها ، وأبرز الذين يشرفون الآن على تنفيذها في المنطقة بحكم منصبه رئيسا للدبلوماسية الالمانية . وقد سبق أن تحدث « شيل » عن هذه السياسة في حديث نشر أخيرا في صحيفة « لوموند دبلوماتيك » ـ الفرنسية الشهيرة ـ فوصفها بأنها سياسة تساعد على تهدئة الصراع في تلك المنطقة منالعالم.

ولكن المعلق السياسي الالمانى هـ . آبوش H. Abosc الذى نشر أخيرا سلسلة من المقالات عن أبعاد السياسة الخارجية الالمانية ، يعتقد انه من الصعب جدا على الحكومة الالمانية ان تستمر في تأييد وجهة النظر الاسرائيلية ووجهة النظر العربية في نفس الوقت . فما أبعد هوة الخلاف والتناقض بين هذه وتلك .

وما قاله آبوش قاله غيرهمن المعلقينالسياسيين.

ولكن ويلى برانت يؤمن بأن سياسة مسك العصا من أوسطها هى أسلم سياسة يمكن ان تطبقها الحكومة الالمانية في منطقة الشرق الأوسط.

فمشكلته الأولى انه يريد أن يصادق اسرائيل ، ويكسب صداقة العرب في نفس الوقت .

فهل يستطيع ؟

.. التنبؤ بالمستقبل لا يصلح وحده للاجابة عن هذا السؤال ! ■■

(أ. س)

KARL BROCKELMANN كارل بروكلمان

بقلم : الدكتور حسين مؤنس

سبعون سنة قضاها هذا العلامة الالماني البروسي يعمل كالساعة المضبوطة، على الاقل عشر ساعات في اليوم في خدمة الفكر العربي وتاريخه ، واضاف الى تاريخ الأدب العربي تاريخا عاما للعرب سجل فيه كفاحهم نحو الاستقلال .

■ موضوع المستشرقين واعمالهم مثار جدل طويل عند أهل العلم والثقافة والسياسة في بلادنا منذ امد طويل . والاتجاه العام عندنا يميل الى الزهد في هذه الأعمال واعتبارها كلها أطرافا من حملة كبرى على العرب وكيانهم ومؤامرة تدار عليهم من مطالع العصر الحديث . والباحث المنصف يقف حيران امام اتجاه كهذا ظاهر الخطأ ، فهو يجد انه من الخسارة ان يزهد الناس في هذه الأعمال كلها ويسيئوا الظن باصحابها اجمعين . ولكنه يرى في نفس الوقت ما اصاب العرب على أيدي الغرب خلال عصور الاستعمار ، ثم هذا التأييد الذي يسبغه الغربيون — أو غالبيتهم العظمى على الأقل — على اعمال العدوان على أوطان العرب وما يقدمونه من سلاح ومال وتشجيع للمعتدى لكي يستمر في عدوانه ويثبت أركان هذا العدوان ، ويحس الانسان آخر الامر ان جمهور الناس عندنا معذورون الى حد كبير اذا اساءوا الظن في اهل الغرب جملة وانصرفوا عن المستشرقين واعمالهم لأنهم غربيون ولا يمكن أن يخدموا — في راى هذا الجمهور — الا مصالح غربية .

نقول « جمهور الناس » ، لان الجماهير يسيطر عليها بطبعها الحذر والخوف من كل غريب والابتعاد عن مواطن الاخطار ، ولكن قادة الراى ، وأهل العلم غير معذورين ، لانهم يعلمون ان المستشرقين فيهم ناس كثيرون قدموا لحضارتنا وعلومنا اجل الخدمات ، ونشروا فضلنا وعرّفوا الناس بخير ما فينا ، وفيهم كثيرون كذلك وقفوا الى جانبنا في حوالك فترات الصراع الماضية ، ويقفون الى جانبنا اليوم في معركتنا الراهنة ، ومنهم اليوم من يلقون عنتا شديدا من سيطرة الصهيونيين على الكثير من مراكز العلم والابحاث والاعلام في الغرب كله ، وهؤلاء جديرون منا بكل تأييد في هذه الايام ، لاننا بحاجة الى كل صوت صديق خاصة اذا كان صاحب مركز في الجامعات ومراكز الابحاث ، وخصومنا لا يألون جهدا في تأييد اصدقائهم وأدعيائهم حتى لقد عرفت واحدا منهم اشتهر بتأييد الصهيونيين ، فاعطوه بطاقة يستطيع بها أن يسافر على اى خط من خطوط الجو لحضور المؤتمر الذى يريد ، فاذا وصل الى بلد ما قدم اليه الأعداء ما يطلبه من العون . وما كتب هذا الرجل سطرين الا نشروهما له في كتاب وقدروا له الاتعاب في سخاء ، فاصبح هذا السخيف بلاء شديدا علينا في كل مكان ، وما ذهبت الى مؤتمر الا وجدته عاملا نشيطا لايدخر جهدا في الاضرار والايذاء .

ونحن لا نطالب بشيء من هذا ، وانما نرجو التريث واعادة النظر ، لان اقل ما نستطيعه هو احسان الظن بمن هو أهل للظن الحسن ، والانتفاع بما في الكثير من اعمال المستشرقين من خير وفائدة ، والاعتراف بالفضل لذويه والتدليل على اننا نحن العرب نعرف كيف نقدر الرجال واعمال الرجال ، ونعرف كيف نشكر للعالم علمه وللصديق صدقه .

كيف يصلون الى اتقان لغتنا وعلومها

وكأني ببعض اخواننا يتعجبون من اقتحام أهل الغرب لميادين تحسب انها قصر" علينا لا يستطيع التمكن من أسرارها غيرنا كعلوم الدين وفقه اللغة ومذاهب النحويين ، وبدائع الشعر والشعراء . مما لا يستطيع التمكن منه الا عربي جنسا ولسانا

مُسْتَشْرِقٌ أَسْدَى لِلْفِكْرِ أَجَلَّ الخَدَمَاتِ

تجرى العروبة في دمه وينطق بلغتها منذ المولد لسانه . ولهؤلاء جميعا نقول ان اللغة العربية لغة كغيرها من لغات بنى ادم ، يتقنها من درسها وأخلص لهذا الدرس ، وفي الناس موهوبون في اللغات يحصلون في الوقت القصير ما لا يحصله غيرهم في الوقت الطويل ، فاذا عكف واحد من هؤلاء على لغة العرب وانصرف الى دراستها سنوات لم يلبث أن تمكن منها وملك ناصيتها . فاذا تمكن من العربية اصبح كأى عالم من علمائنا يقرأ الكتب الصفراء والمخطوطات العسيرة دون مشقة ويستطيع بهذا أن يحصل من العلم بأى فرع من علومنا ما يريد .

ثم ان الذين يتخصصون في الدراسات العربية من أبناء الغرب يكونون عادة من طلاب أقسام اللغات القديمة او السامية ، ومعظمهم متمكنون من اللغات اليونانية واللاتينية ملمون بشيء من اللغات السامية كالعبرانية والسريانية ، فاذا دخل أحدهم ميدان العربية بعد ذلك دخله ولديه حصيلة وافرة من اللغات وعدة نافعة من الدربة عليها والمعرفة باصولها . فلا يلبث أن يتقنها . اضف الى ذلك انهم يدرسون العربية - كما يدرسون غيرها - على طريقة ومنهج منظم يقوم على قواعد علمية دقيقة قلما تخطيء ، فاذا كنا نحن نصل الى اسرار لغتنا بالسليقة والطبع فهم يصلون اليها بالطريقة والمنهج والنظام ، واذا كنا نحن نعتمد على الذاكرة والذكاء فانهم يعتمدون الى جانب ذلك على البطاقات والفهارس والسجلات والتقييدات ، ولقد نظر المرحوم محب الدين ابن الخطيب في فهرس الفاظ القرآن الذى وضعه جستاف فلوجل *Gustav Flugel* وجعل يتعجب ويتاسف على ما اضاع من وقت في البحث عن الآيات القرآنية ، لانه كان يعتمد على الذاكرة في الاستشهاد بالآيات ، والذاكرة خوانة ، وهى لا تساعفك بكل آية في الموضوع في اللحظة التى تريد ، اما فهرس فلوجل فلا تشذ منه آية لانه فهرس بكل لفظ ورد في القرآن وكل موضع ورد فيه حتى لو كان حرف جر أو عطف ، وها هو فهرس فلوجل بين يديك في الصورة المحسنة التى عملها فؤاد عبد الباقى وسماها المعجم المفهرس لالفاظ القرآن ، فانظر فيه لترى كيف انه لا يدع لخيانة الذاكرة مجالا .

ورجال العلم من اهل الغرب يسيرون في دراستهم على نفس المنهج والطريقة السنوات تلو السنوات دون اهمال او تعجل او استهانة بشيء داخل في ميدان اختصاصهم ، ولا يكفون العمر كله يقرأون ويقيدون ، فلا غرابة أن تتحصل لهم على السنوات ثروات من المعارف ندهش نحن لامرها اذا رأيناها .

ولقد ترجمت من نحو عام مقالا للعلامة الالمانى اوتو شبيس عن طب الاسنان عند العرب ، واحتجت الى اصول نصوصه لكى اوردها باصولها في العربية فطلبتها منه فارسل الى البطاقات التى رجع اليها في كتابة المقال ، فاذا ببعضها قد عمله سنة ١٩١١ واستمر بعد ذلك كلما عثر على شيء في الموضوع قيده ، فلما اكتملت لديه المادة الصالحة كتب المقال من متفرقات جمعها خلال ٥٦ سنة ! والمقال بعد ذلك يقع في ٣٢ صفحة ولكن مادته لا تتجمع الا في العمر الطويل .

ولقد الف المستشرق الهولندى ابنهارت دوزى « ملحق القواميس العربية » جمع فيه الالفاظ التى لا توجد في قواميس اللغة التقليدية ، وهو عجيبة من عجائب التأليف ، لا ترجع اليه مرة الا تعجبت من سعة الاطلاع واتساع مداه ، ولكن دهشتك تخف شيئا اذا عرفت أن هذا الرجل قضى قرابة الأربعين سنة ما مر خلالها بلفظ عربى لا يعرفه الا كشف عنه في الصحاح والتاج واللسان والقاموس المحيط ، فاذا لم يجده قطع بانه دخيل على اللغة وقيده في بطاقة واستخرج معناه من السياق ، فاذا تكرر في مراجع أخرى قام بتسجيل ذلك حتى اكتملت لديه مادة ملحق القواميس هذا .

ولقد جاء ذكر هذا القاموس مرة فقال أحد السادة ذوى العلم الواسع : لقد استدركت عليه في اكثر من مائة موضع ، فقال بعض من حضر : يا اخانا ، هذا رجل اجتهد وتعب وجمع والف ، فاجتهد انت ايضا واتعب واجمع والف لكى يستدرك الناس عليك ، أما أن تجلس على السياج وتدلى ساقيك وتستدرك على الناس وتعد أخطاءهم فامر هين ، والذين يعملون ويخطئون أفضل بكثير من الذين لا يخطئون لانهم لا يعملون .

امثال هؤلاء
جديرون منا بكل شكر وتقدير

والخلاصة أن المستشرق اذا صدقت نيته واخلص للعلم سريرته وتجرد من نوازع العصبية القومية أو الدينية وابتعد بنفسه عن مطالب

السياسة واهلها كان جديرا بان يجيد ، وكان حقيقا منا بالتقدير حتى لو اختلفنا معه في الرأى في هذه المسالة او تلك ، ومن هذا الطراز كثيرون من الحاضرين والماضين من المستشرقين نعرفهم باعيانهم ونذكرهم باعمالهم ومواقفهم .

ومن منا ينسى فضل انو ليتمان *Enno Littmann* ذلك البحر الواسع في العربية ولهجاتها حتى لو تكلم امامه عراقى عرف ان كان من البصرة او السليمانية ، وفي اثناء السنوات التى عمل فيها في جامعة القاهرة كان يستمع للطالب المستجد دقائق ثم يقول ان كان من السنبلاوين او كوم حمادة أو ابو قرقاص . ثم ترجم الف ليلة وليلة اكمل ترجمة لها في أى لغة أوروبية وأكمل الترجمة بمجلد كامل هو أوفى دراسة لهذا الأثر الفنى القصصي الخالد .

وكيف لا نقدر يوسف فون هامر بورجستال *Joseph Von Hammer Purgstal* ذلك النمساوى الموهوب الذى أتقن العربية والفارسية والتركية والف فيها جميعا ، وفتن بالثقافة العربية حتى جعل جمع مخطوطاتها شغله الشاغل أيام كان قنصلا ومستشارا للخارجية النمساوية ثم مستشارا للدولة ، حتى لقد أقام الدنيا واقعدها عندما استولى الفرنسيون على ٣٠٠ مخطوط عربى من المكتبة الوطنية لفينا عندما غزوا النمسا أوائل القرن الماضي ، ولم يهدأ له بال حتى استرد منها مائتين ، ثم ألف تاريخا شاملا للأدب العربى طبع فيما يزيد على ٧٠٠٠ صفحة ، ترجم فيها لنحو ٩٩١٠ من أعلام الفكر العربى .

أو كارلو الفونسو نالينو *Garlo Alfonso Nallino* الذى قضى العمر في دراسة علم الفلك عند العرب وأظهر للناس كشوفهم في هذا المجال . لقد ختم هذا الإيطالى الجليل محاضراته في الجامعة المصرية القديمة بعبارة لا يقرأها عربى الا هزت فؤاده ، فقد أهاب بشباب العرب بأن يواصلوا البحث والدرس ليعيدوا مجد الأجداد ويثبتوا للناس « أن العلم كنز من كنوز الناطقين بالضاد » .

وغير هؤلاء كثيرون جدا يضيق عنهم الحصر اخلصوا لدراساتنا وشاركونا في البحث عن كنوز علومنا ، ومنهم من اجتهد في تكوين أبنائنا تكوينا علميا صحيحا .

هؤلاء جديرون من العرب بكل تقدير ، واذا كنا نعرف المغرضين والمتعصبين ونجتهد في دفع اذى مؤلفاتهم فاننا حقيقيون بأن نعرف فضل المجيدين والمحسنين ، لأن لغتنا وعلومنا ليست ملكا لنا بل هى تراث انسانى عام يدرسه الناس في أوروبا كما يدرسونه في عالم العرب ، ومن واجبنا ان تنشط دراساتنا في كل بقاع الارض ، وأن يكون لثقافتنا من يقوم بها في كل مكان .

كارل بروكلمان

وفي مقدمة أولئك الأفذاذ الذين قدموا للدراسات العربية في العالم أجل الخدمات كارل بروكلمان *Carl Brockelmann* ، صاحب الكتاب المشهور في تاريخ آداب اللغة العربية *Geschichte der Arabischen Literatur* الذى أكمل سلسلة معاجم أسماء الكتب والمؤلفين العرب وتراجم حياتهم واهم مؤلفاتهم . لقد اشترك في كتابة هذه السلسلة اعلام من امثال ابن خلكان وياقوت الحموى وابن النديم وحاجي خليفة ، ثم جاء هذا الالمانى الفريد فاربى على كل ما فعله غيره ، فان أولئك الذين ذكرناهم آنفا كتبوا عن أهم « المؤلفين والمؤلفات » ، فجاء بروكلمان وكتب عن « كل » المؤلفين والمؤلفات ، أى انه عمد الى الاستيفاء والشمول ، وهذا هو المطلب العسير ، لانك اذا قلت انك ستذكر « أهم » المؤلفين فتحت لنفسك بابا واسعا للاعتذار عن النسيان وتبرير السهو ، أما اذا قلت « كل » المؤلفين فقد الزمت نفسك بالاحصاء الشامل واقفلت على نفسك باب الاعتذار والتبرير ..

وسنتحدث عن تاريخ الأدب العربى هذا في فقرة قادمة ، ولكنى أذكر لك الآن بعض المعلومات عن هذا الرجل الجليل .

بروكلمان من ابناء بروسيا الشرقية معقل الجنس البروسي الذى شاد مجد المانيا في كل ميدان تقريبا . من هناك أيضا جاء بسمارك *Bismarck* وكنط *Kant* . ولد سنة ١٨٦٨ في روستوك *Rostock* ، بليدة صغيرة قرب كونجزبرج *Konigsberg* ، ودرس فيها ثم في برسلاو *Breslau* ، واتجه أولا الى التاريخ والدراسات اليونانية واللاتينية ، وعندما انتقل الى جامعة استراسبورج على ضفاف نهر الرين اتصل بالأستاذ تيودور نلدكه *Teodor Noldeke* وكان شيخ الدراسات السامية والعربية في المانيا

اذذاك ، فتتلمذ عليه ، واتجــه الى دراســات الساميات ، ولم يلبث ان اصبح اقرب تلاميذ نلدكه الى نفسه ، واشتدت صلته به وفتــح له أبواب مكتبته واوراقه ، فافاد منها بروكلمان فائدة كبرى . وفي سنة ١٨٩١ حصل على الدكتوراه في الدراسات السامية ، وكان موضوع رسـالته « العلاقة بين تاريخي الطبري وابن الأثير » وهي دراسة أصيلة مكنت لبروكلمان من التعمق في اصول الروايات التاريخية العربية ، وكان بطل ذلك الميدان اذذاك هو المستشرق العلامة يوليوس فلهاوزن *Julius Wellhausen* صاحب الدراسات الرائعة في السيرة النبوية والدولة العربية .

وكان الاستشراق في المانيا يجتاز في ذلك الوقت مرحلة خطرة في تاريخه ، لأن المانيا كانت تجتهد في اواخر القرن الماضي في أن تلاحق ركب المستعمرين وتعمل على ان يكون لها هي الاخرى نصيب في افريقية وآسيا . وكان بسمارك غــير متحمس للمستعمرات ولكن القيصر فلهلم الثاني كان يسعى جاهدا لتكون له امبراطورية وراء البحار يضاهي بها اقاربه ملوك انجلترا ، ومن هنا زادت عنايته باقسام الدراسات الشرقية في جامعــات بلاده واغدق عليها الاموال ، وظهر اتجاه استعماري في الاستشراق الالماني تزعمه كارل هاينريش بيكر *Garl Heirrich Becker* ، وكان اذذاك مستشرقا شابا طموحا شديد الحماس لالمانيا ، فانشاوا له معهدا للدراسات الشرقية في برلين ، ووضعوا تحت يده امكانات كبرى . وكانت المانيا قد حصلت على افريقية الشرقية الالمانية (تانزانيا الحالية تقريبا) وعاصمتها دار السلام ، فانشأ المعهد الالماني فيها فرعا واتجه بيكر ومن حوله الى خدمة المانيا هناك .

في ذلك الحين كان بروكلمان قد بدأ العمل في السلك الجامعي مدرسا في جامعة برسلاو ، ثم انتقل سنة ١٩٠٠ الى برلين استاذا مساعدا بمعهد الدراسات الشرقية ، ثم عاد الى برسلاو ، وفي سنة ١٩١٠ حصل على كرسي الاستاذية بجامعة كونجزبرج .

ولم تلبث الخصومة أن نشبت بينه وبين بيكر ، لان بروكلمان اصر على أن تسير الدراسات الشرقية في طريقها بعيدة عن تيارات السياسة ونــوازع الاستعمار . وكان قلبه قد تعلق فعلا بالدراسات العربية بعد أن زار الآستانة سنتي ١٨٩٥ ــ ١٨٩٦ باحثا عن مخطوطات كتاب الطبقات الكبير لمحمد ابن سعد كاتب الواقدي . وعندما زار الجزائر سنة ١٩٠٥ ليشترك في مؤتمر المستشرقين لم يعجبه ما رأى من اتجاه نفر كبير من المستشرقين الفرنسيين الى خدمة المصالح الاستعمارية وجنرالات الاستعمار ، فانصرف بعد المؤتمر الى القيام بجولة واسعة في الجزائر واقام في واحة بسكرة زمنا ، وبسـكرة كانت من المواطن المحببة الى ابن خلدون وقد اعتصم فيها حينا من الدهر كتب خلاله بعض أجزاء تاريخه الكبير . وعندما عاد بروكلمان الى برلين عول على ان ينصرف الى العلم وحده كل الانصراف تاركا مجال السياسة لبيكر ومن حوله ، واستمر يعمل في جامعة هالة ، وفي سنة ١٩٢٣ عاد الى برسلاو وهناك اقام يعمل في هدوء

تاريخ الآداب العربية

وكان بروكلمان يشغل معظم وقته حتى سنة ١٩٠٥ تقريبا بدراسة اللغة السريانية ، ففي سنة ١٨٩٥ اصدر قاموس اللغة السريانية ، وكان عملا علميا ضخما حسم نقط خلاف كثيرة حول هـذه اللغة ، وقد أعاد نشر ذلك القاموس سنة ١٩٢٢ . ومن ذلك الحين لم يكتب احد شيئا يفوق ما قام به بروكلمان في ميدان الدراسات السريانية .

وبدأ الرجل بعد اصدار القاموس السرياني يرسم خطوط مؤلفه الكبير في تاريخ الفكر العربي ، ولا يتصور ضخامة هذا العمل الا من جرت يده في كتاب بروكلمان المرة بعد المرة وتبين مقـدار الدقة والضبط الذي يتجلى في ذلك العمل الفريد في نوعه .

فان تاريخ الآداب العربية ، والاداب هنا يراد به اعمال الفكر بصفة عامة وليس مجرد تاريخ للادب العربي ، بل هو فهرس شامل لكل المؤلفين في شتى العلوم ، وكل الموجود من مؤلفاتهم ، مع معلومات دقيقة مختصرة عن المؤلفين والمؤلفات .

وكان بروكلمان يعرف مقدما ما يتطلبه مثـل هذا العمل من جهد ، ولهذا فقد اتجه الى أن يكون التاريخ الذي يكتبه وصفا خارجيا لا تحليليا داخليا ، فهو اذا تحدث عن كاتب او شاعر لـم يحاول تعرف اتجاهاته وآرائه ، بل يقص مراحل حياته في سطور وتواريخ ، واذا تكلم عن اعماله احصاها ووصفها دون نقدها ودون التعرض الى طبيعة ما يقوله الرجل في هذه القصيدة او في

ذلك الكتاب .

وضرب صفحا كذلك عن الكتب التى ورد ذكرها في الكتب الموجودة ، لانه اهتم فقط بالوجود ، لان اصحاب التراجم ينسبون لكل مؤلف كتبا كثيرة ضاع معظمها ، في أحيان كثيرة نجد أن هذه الكتب ليست الا فصولا من كتب موجودة لنفس المؤلف ، ولا نستطيع التحقق من ذلك الا اذا درسنا كل كاتب او مؤلف على حدة، وهذا مطلب مفيد ولكنه مستحيل التحقيق على يد رجل واحد . وبروكلمان كان رجلا واقعيا يريد ان يقدم لنا الخدمة التى يستطيع لا الخدمة التى تظل الى الأبد في عداد التمنيات الطيبات .

وما عمله بروكلمان بعد ذلك كان عملا ضخما جدا ، ولنذكر هنا ملاحظتين هامتين : الاولى ان الرجل شرع في عمله أواخر القرن الماضي عندما كانت الغالبية العظمى من كتب العرب لا تزال مخطوطة ، وكل الكتب الرئيسية التى تعتمد عليها اليوم في التاريخ لأدبنا كانت مخطوطات ، واذا استثنينا ما كان قد طبع في بولاق وفي مطبعةالجوائب في الآستانة لم نجد بعد ذلك طبعات محترمة ولا نصف محترمة لأى كاتب عربي ، حتى المصحف الشريف نفسه ، كانوا يخطئون في تصحيح تجارب الطباعة ، فلا تخلو أى طبعة من طبعاته من اخطاء مطبعية مؤسفة ، ولعل القارىء يدهش ان أول مصحف مطبوع خال من الخطأ تماما هو الذى طبعه المستشرق جوستاف فلوجل *Gustav Flugel* ! وكانت هذه الطبعة حافزا الى اصدار الطبعة المصرية الأم المعروفة بمصحف الملك فؤاد ، وهى أساس كل ما نرى بين أيدينا من مصاحف جميلة متقنة هى متعة القلب والبصر .

والملاحظة الثانية ان بروكلمان بدأ يؤرخ لأدبنا في وقت لم يوجد فيه أى تاريخ لذلك الأدب ، فان الانسان يدهش اذا علم أن أحدا من العرب حتى سنة ١٨٩٠ لم يحاول أن يكتب تاريخا للأدب العربي ، فأما القدامى فلم يعرفوا تاريخ الأدب ، وكتبهم اما تراجم ادباء او احصاء المؤلفات او تقسيم الشعراء والكتاب الى طبقات أو كتب مختارات وما الى ذلك ، اما تاريخ الأدب العربي مقسما الى عصور أو على أساس تيارات واتجاهات ومدارس ، فلم نعرفه الا في العصر الحديث .

اما أول تاريخ للادب العربي من هذا الطراز فالفه اثنان من غير العرب هما ادوارد فانديك *Edward Vandyke* وفيليبيدس قسطنطين *Philipides Constantine* ! وقد طبع في بولاق سنة ١٨٩٢ .

وتوالت المؤلفات الحديثة بعد ذلك ، وكان أول عربي كتب تاريخا لادبنا على المفهوم الجديد صالح حمدى حماد الذى أصدر « أدب الاسلام » في القاهرة سنة ١٩٠٧ .

خطة الكتاب وتقسيمه

ولهذا فعندما وضع بروكلمان خطة كتابه كان في حقيقة الامر يبتكر شيئا جديدا ، وتصوره لهذا التاريخ ومراحله جدير منا بالتأمل لانه أصبح بعد ذلك أساسا لكل ما كتب بعده من تواريخ للأدب العربي في الشرق والغرب .

وقد قسم بروكلمان تاريخ الأدب العربي الى قسمين ــ أو عصرين ــ كبيرين . ثم قسم كلا منهما اقساما على النحو التالي :

أ ــ أدب الأمة العربية من أوليته الى سقوط الدولة الأموية في سنة ١٣٢ هـ ــ ٧٥٠ م .

وقد قسم هذا العصر الكبير الى ثلاثة اقسام .

١ ــ الأدب العربي الجاهلي .

٢ ــ عصر الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين .

٣ ــ عصر الأمويين .

ب ــ عصور الأدب الاسلامي العربي .

وتقسم الى ما يلي :

١ ــ عصر ازدهار الأدب أيام العباسيين في العراق من ٧٥٠ الى ١٠٠٠ م .

٢ ــ عصر الازدهار الثاني من سنة ١٠٠٠ الى سقوط بغداد سنة ١٢٥٨ .

٣ ــ الأدب العربي خلال عصور سيادة المغول والترك الى الفتح العثماني لمصر سنة ١٥١٧ .

٤ ــ الأدب العربي في العصر التركي الى منتصف القرن التاسع عشر .

٥ ــ أدب النهضة والعصر الحديث .

وقد قسم بروكلمان الانتاج الفكرى في كل عصر من هذه الى فروع بادئا بعلوم القرآن والحديث ومنتهيا بالموسوعات وفنون التسلية .

وهو يبدأ بكلمة عامة عن العصر وخصائصه الرئيسية ، ثم يتناول الفروع فرعا فرعا فيقدم لكل منها بدراسة مختصرة ، ثم يورد المؤلفين أو الشعراء واحدا واحدا . وتحت كل واحد منهم

يورد ترجمة مختصرة لحياته ثم كل مؤلفاته المطبوع منها وغير المطبوع . فالمطبوع تذكر سنة الطبع والناشر والمكان ، وتحت حيز المطبوع تذكر المخطوطات واماكن كل منهما واحدا واحدا .

وفي أحيان كثيرة ـ عندما يتسع مجال الانتاج الفكري العربي ـ يخصص فقرة للمؤلفين من كل بلد ، فاذا ذكر الفقه ذكر المذاهب ، ثم ذكر أعلام أهل كل مذهب في الحجاز ثم العراق ثم الشام ثم المغرب ثم الاندلس وهكذا .

وفي مقدمة الجزء الأول من تاريخ الأدب العربي اورد بروكلمان ثبتا بفهارس الكتب وسجلاتها وكتالوجات المكتبات التي رجع اليها وهي ١٦٨ بعضها يتكون من أجزاء كثيرة مثل فهارس دار الكتب بالقاهرة وفهارس الأقسام الشرقية في مكتبات برلين وباريس ولندن وغيرها كثير .

وقد صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب في جزاين سنتي ١٨٩٧ و ١٩٠٢ فحمل عليه المستشرق الالماني جورج ياكوب *Georg Jacob* حملة كبرى واتهم الكتاب بالنقص في كل ناحية . وقد تاثر بروكلمان بهذا النقد الجارح تاثرا عميقا ، ولكنه سار في طريقه ، وراجع عمله واستكمله ، واصدر ملحقا ضخما في مجلدين صدرا عن دار بريل سنتي ١٩٣٧ و ١٩٤٢ وقد استوفى فيهما كل ما فاته في الطبعة الأولى .

اول تاريخ للادب العربي الحديث وفهرس للكتب والمؤلفين لا نظير له في الفهارس

وبعد ذلك بقليل ظهر المجلد الثالث من الملحق ، وفيه يؤرخ الرجل للأدب العربي الحديث ، وهنا نجده يغير منهجه بعض الشيء ، فان الرجال الذين كان يكتب عنهم كان أكثرهم معاصرين له يعرفهم ويكاتبهم وكانت كتبهم بين يديه ، ولهذا فقد دخل في النقد الداخلي وأخذ يتكلم عن الأعلام واتجاهاتهم وارائهم ويتعرض بشيء من التحليل لأعمالهم .

وهنا نجد انه يتاثر أحيانا بمن يوالونه بالعون والمؤلفات ، وفي وقت ما كان هم الكثير من المؤلفين عندنا موافاة بروكلمان بكل المعلومات عن اشخاصهم ومؤلفاتهم حتى يتسع مجال الكلام عنهم في سجل الخلود هذا .

ولكن أروع ما في هذا الجزء الثالث من الملحق هو الفهرس الذي لا يظفر الانسان بمثله أبدا : فهرس من جزأين ، الأول للمؤلفين والثاني للمؤلفات ، فانت حينما خطر ببالك مؤلف وجدته في فهرس بروكلمان ، ويندر أن تجد كتابا غاب عن ذكر هذا العلامة المتقن .

كان بروكلمان يعمل بنظام طوال عمره كانه ساعة مضبوطة، يبدأ العمل في السادسة صباحا ويستمر حتى الثانية عشرة والربع ، ثم يعود في الثانية بعد الظهر ويستمر الى السابعة والنصف مساء .

وفي الوقت الذي يكون فيه ناس كثيرون يفركون عيونهم بعد ساعتين من نوم القيلولة يكون بروكلمان قد عمل في أدبهم العربي عشر ساعات ونصف ساعة وبقيت له ساعة ونصف .

مثل هذا العمل لا يقوم به الا عن حب وايمان ، لأن الحب الصحيح ليس انتظارا كسولا لعطف الحبيب ، والايمان الصحيح ليس دعوات وتمنيات، كلاهما عمل وجهد وتضحية ومشقة .

والى جانب ذلك كان بروكلمان ضليعا في التركيات وله في اللغة التركية مؤلفان لا يستغنى عنهما احد من الدارسين في الاسلاميات .

لقد لقي بروكلمان نجاحا عظيما في عمله لأنه كان رجل جد وعمل واخلاص للعلم شديد ، ولقي تكريما عاما لان الناس عرفوا قدره ، وقد عرفناه نحن وأحببناه واتصلت الصداقة بينه وبين العقاد وطه حسين وغيرهما من أعلام الفكر عندنا ، ورحب بالفكرة عندما استاذنه طه حسين في أن تترجم الادارة الثقافية بالجامعة العربية كتابه ، وقد قام بجزء كبير من الترجمة العلامة المرحوم الدكتور عبد الحليم النجار .

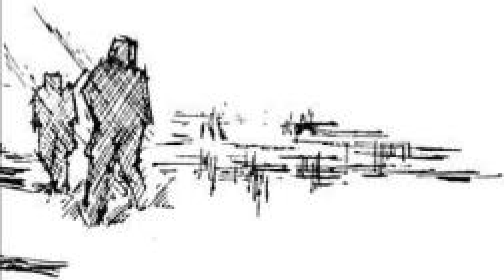
قبل أن يصدر بروكلمان كتابه كان الاتجاه في أوربا يعتبر اللغة العربية لغة سامية ميتة كالعبرانية والسريانية وبعد أن صدر هذا الكتاب انتقلت دراسة اللغة العربية في الجامعات الغربية الى أقسام اللغات الحية ..

وهذا في ذاته فضل عظيم ذكرناه جميعا عندما نعى الينا بركلمان الجليل في ٦ مايو ١٩٥٦ .

وفي ذلك الوقت كان كتابه المجيد الثاني « تاريخ الشعوب العربية » يترجم الى العربية ، وهذا الكتاب ينطق بتقدير بروكلمان للعرب ومشاركته اياهم في كفاحهم للحرية والكرامة والرخاء . ■■

حسين مؤنس

لقد أزفت يا بني الأكرمين



بقلم : احمد السقاف

طربنا إلى رؤيـة المغـرب … ورؤية شعب كريم أبي
يدل بأعراقه الموغلات … صعوداً إلى النسب اليعربي
وبفخر إن فاخرته الشعوب … بتاريخه الزاهر المذهب
وكان المجلّي في ثورة … أضاءت فلم يبق من غيهب
وسار على منهج صائب … يغذ إلى منهج أصوب «١»
وأملى فأتعب كف الزما … ن ، ومازال يملي ولم يتعب
وما زال مطلبه في السماك … هناك له الله من مطلب

* * *

أأحبابنا يا أسود المحيط … سلمتم على رغد أرحب
حملنا لكم قبلات الخليج … وأطيب إحساسه الطيب
فأنتم ونحن بنو أمة … يحاول تمزيقها الأجنبي
ونحن وأنتم على موعد … بأرض الرسالات مسرى النبي
لقد حان أن يعصف الثائرون … بإرهاب نازية مرعب «٢»
فيا أمة كفرت بالوعود … ردى الموت يا أمتي واشربي
فما النصر إلا لمستبسل … يحطم أسطورة الأغلب
ويا دهر يا سفر هذا الوجود … عزمنا على خوضها فاكتب
فهيهات نخضع للغاصبين … ونركع للجشع الأشعبي



وهيهات يخدعنا الماكرون ببرقٍ وإن حلفوا خُلَّبِ
ومن ذا يريدُ السلام الكذوبَ وقد جاءَ من حاقدٍ أكذبِ

★★★

ويا ثائراً في أعالي الجليلِ تَقَحَّمْ معاقلهم واضربِ
فلا يدفعُ الضيمَ غيرُ الأباةِ ولا يقبلُ الذُّلَّ غيرُ الغبي
وصوتُ المدافعِ عند اللقاءِ ألذُّ لدى السمعِ من مُطْرِبِ
فلسطينُ أرضُكَ أرضُ الجدودِ رواها دمُ الجدِّ قبل الأبِ
فقلْ لنفاياتِ شتّى الشعوبِ مُقامُكَ ليس هنا فاغْرُبي
حزيرانُ جدَّدَ فينا الحياةَ وألوى بتفكيرنا المجدبِ
ومن يتخلفْ يجدْ نفسه غريباً بمُنْعَزَلٍ أغربِ
حشودُ العروبةِ تواقةٌ إلى زحفها الهادرِ المُغْضَبِ
يُنافسُ فيها الشيوخُ الشبابَ ويزْحَمُ فيها الفتاةَ الصبي
وأنجبها أمةٌ صلبةٌ حزيرانُ بوركَ من مُنْجِبِ
وقد خابَ من ظنَّ أن الجهادَ مواعظُ من لَغْوِهِ المُتْعِبِ
لقد أزِفَتْ يابني الأكرمين وليس عن الحربِ من مهربِ ■■

الكويت : احمد السقاف

«١» يفد : يسرع «٢» الارهاب الصهيوني في فلسطين



حياة الانسان على هذه الأرض حياة مرتبطة بهذه الأرض . وهي ليست مرتبطة بكل الأرض ، وانما هي مرتبطة بقشرة من سطحها ، وبنطاق مما فوق هذا السطح من هواء . اما ما فوق ذلك ، واما ما تحت ذلك ، فلا يكاد يتصل بحياته اتصالا ، الا تلك الشعاعات التي تأتيه عبر الهواء ، من ذلك الجرم البعيد المضيء الذي يأتيه نهارا بالدفء والنور ، ويأتيه في الليل بالبرد والظلام .

في هذه الثلاثة : من قشرة أرض وبحر ، ونطاق هواء ، وشعاعة ضياء ، يتركز كل وجود الانسان ، ومنها يستنبط الانسان حاجات هذا الوجود : طعامه ، شرابه ، لباسه ، مسكنه ، وعاءً يأكل فيه ، سكيناً يقطع بها ، كتاباً يقرأ فيه ، عربةً تحمله الى عمل . ألفُ حاجة وحاجة : مصدرها تربة هذه الأرض ، وغازات هذا الجو ، وشعاعات من ذلك الجرم البعيد الذي نسميه الشمس .



في سبيل موسوعة علمية

أقربُ نجومِ السَّماءِ إلينا

الانسان والنجوم

وما كانت بالانسان حاجة الى التطلع الى ما وراء الشمس . بل ما كانت به حاجة الى الايغال في علم الشمس بمقدار ما أوغل . اما نجوم السماء ، تلك التي استطعنا أن نكشف منها عن أكثر من ٣٠٠٠ مليون نجم ، فابعد من ان تكون بالانسان حاجة ماسة اليها .

ومع هذا لم يقف الانسان بعلمه عند الشمس ، ولا وقف عند ما كشف من نجوم ، بل حاول ان يكشف عن نجوم فوق ما كشف ، وفعل ، واهتدى . وانفق في ذلك الجهود ، وواصلها عبر القرون وما زال يواصل .

كل هذا ليس لحاجة الانسان « الحيوان » الى المزيد من هذا العلم الذى لا نهاية له . وهو لا نهاية له لأنه عن عالم لا نهاية له ، كلما كشف الانسان منه بعيدا ، ظهر له منه ما هو ابعد . ولكن كان كل هذا ويكون لحاجة الانسان « الانسان » الى اشباع ما به

من جوع الى المعرفة ، نافعة له في حياة يومه أو غير نافعة .

انه التشوُّف الى معرفة المجهول ، ذلك الذى يظهر في الطفل قبل أن يمشي وقبل ان يتكلم ، اذ أنت تعطيه الصندوق المغلق فأول شيء يفعله هو ان يفتحه ، اما مُزّقا ان كان مما يُمزق ، أو قذفا على الأرض ان كان مما يكسر . انه النهم الذى أُودع فى الانسان « الانسان » الى علم ما لا يعلم . تلك الصفة الأولى للرجل الانسان ، وللمراة الانسانة التي تنتقل بهما من الوجود البهيمي الى الوجود الحضارى . الوجود البهيمي يبدأ واولى غاياته تامين الطعام. والوجود الحضاري يبدأ وأولى غاياته اشباع هوى العقول ونوازع الأفهام . البهيمية الطابق الأرضي ، وهو طابق محترم رصين ، يعلوه الطابق الانساني الحضارى وهو الطابق الأعلى ، اوسع افقا وابعد مدى.

مشى الحيوان على أربع ومشى الانسان على اثنتين

ولعله من اجل ذلك مشى الحيوان على اقدام أربع ، ومشى الانسان على قدمين : انحنى الحيوان حتى استوى وقارب الأرض ، واستقام الانسان فاستطال . وفي استطالته راى السماء قائما ، وراى السماء قاعدا ، ورآها حتى نائما . وراه السماء ليلا وهي الف الف مصباح ، ورآها نهارا وليس بها الا مصباح فرد واحد .

قطر الشمس

ويبلغ قطر الشمس نحوا من ٨٦٥٠٠٠ ميل . فهو قدر قطر الأرض ١٠٩ من المرات .

وليس هذا بالقطر الكبير : فمن النجوم ما قطره قدر قطر الشمس ٨٠٠ مرة .

وحجم الشمس مثل حجم الأرض ١٣٠٠٠٠٠ مرة .

اما كتلة الشمس فهي مثل كتلة الأرض ٣٣٣٠٠٠ مرة . ومعنى هذا ان كثافة الشمس اقل من كثافة الأرض ، وهذا منتظر ، لأن الشمس من غاز لم يتكثف تكثيفا كبيرا . فكثافة الشمس تبلغ نحو ربع كثافة الأرض .

الشمس تدور حول محور لها

والشمس تدور حول محور لها . ولكنها كرة من غاز لا يُمسك بعضها بعضا ، من أجل ذلك يدور جزؤها الذى هو عند خط استوائها دورة يتمها في ٢٥ يوما . وتقل سرعة الدوران بالتدريج ، كلما علونا ناحية قطب الشمس ، او هبطنا ناحية القطب الآخر ، فاذا بلغنا مناطق الشمس التي عند القطبين وجدناها تتم دورتها حول المحور في أكثر من ٣٠٠ يوما .

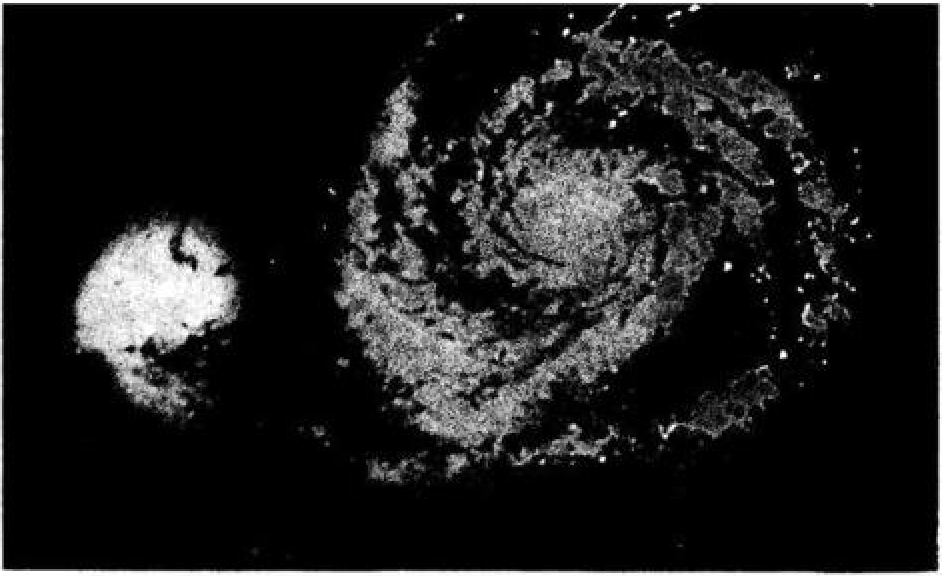
الشمس تسير

الشمس نجم . ونحن نعرف ان النجوم ليست لها مواضع ثابتة في السماء . ان النجوم اجرام منثورة في الفضاء نثرا ، وهي سائرة في اتجاهات شتى . ولكن هذه النجوم بعيدة عنا بعدا عظيما ، ومن اجل هذا لا نتبين نحن ، معشر سكان هذه الأرض ، الفروق في مواضع هذه النجوم بسبب مسيرها عبر السماء ، لانها فروق لا تكاد ندركها ونحن على هذا البعد العظيم منها .

والشمس تسير بسرعة نحو ١٢ ميلا في الثانية في اتجاه نحو الكوكبة Constellation التي اسمها كوكبة الجاثم Hercules . وهي بذلك تقطع في السنة مسافة تساوى اربعة امثال بعدها عن الأرض .

والشمس ، وهي بعض مَجرّتنا المسماة درب التبانة Milk -Way ، تدور مع هذه المجرة وهى تدور على نفسها ، وذلك بسرعة ١٧٠ ميلا فى الثانية .

ولنذكر دائما ان الأرض هي كوكب من كواكب تسعة تسير مع الشمس حيثما



احدى مجرات السماء . وهي المجرة المعروفة برمزها Messier 51 .

ســارت . ولنذكر اذن أنا معشر بني الناس ليس لنا في هذا الفضــاء مكان مستقر ثابت . أنا نغير مكاننا من هذا الوجود كل ثانية ، بل كل جزء من الف الف من الثانية .

الشمس نجم بين نجوم

وتسأل عن الشــمس ، ما هي بين أجرام السماء ؟ .
فتعلم انها نجم كسائر النجوم ؟ .
وتسأل ما كنهها ؟ .

الشمس كرة من غازات ملتهبة وقودها الذرّة

انها كرة من غازات ملتهبة أشــد التهاب ، بلغت درجــة الحرارة عند سطحها آلافا من الدرجات ، وتزيد هذه الحرارة كلما تعمقنا في باطن الشمس ، حتى اذا بلغنا القلب وجدناها وصــلت الى نحو ١٤ مليونا من الدرجات المئوية، ووجدنا ضغط الغازات هناك زاد حتى بلغ ٢٢٠ الفمليون منالضغوط الجوية.

وليس وقــود" في الدنيا يعطي هذه الحرارة غير الوقــود الذرى . وهذه الحرارة تنتج من تحول غاز الأدروجين الذى تحتويه الشمس الى غاز الهليوم ، بالتفاعل الذرى ، لا الذى تنشق فيــه الذرة كما يحدث في عنصر اليورنيوم ، ولكن التفاعل الذى فيه تندمج نــواة الذرة بنواة الذرة ، ذرة الادروجين بذرة الادروجين ، لينتجا غاز الهليوم ، ومعه مقادير كبيرة من الحرارة .

وهم يقدرون أن الشمس « تحرق » في الثانيــة نحو ٥٦٤ مليون طن من الأدروجين فتنتج الهليوم ، وهي بهذا تخرج من الطاقة مثل ما تخرج بضعــة الــوف الملايين من القنابل الأدروجينية عند تفجيرها .

وحسب العلماء فوجدوا أنه ، اذا تحول مقدار من أدروجين الشــمس يعادل واحدا في المائة من وزنها الى هليوم ، فهذا ســوف يكفي لامدادها بالطاقة التى تجعلها تظل تنير مقــدار الف مليون عام أخرى .

ومن نعمة الله أن الشمس « تحرق » من وقودها فقط بالقدر الذى يعوّض عليها ما تفقده بالاشعاع من طاقة، فليس

عند العلماء ما يدل على أن الشمس تزيد على السنين حرارة أو تزيد برودة.

الشمس اقرب النجوم الينا

والشمس أقرب النجوم الينا ، ولكنه نجم من أصغر النجوم ومن أقل النجوم ضياء . وانما هو يملؤنا ضخامة ، ويملؤنا ضياء ، لقربه منا .

والنجم الأقرب الينا من بعد الشمس يبعد عنا ، ٣٠٠٠٠٠ مرة مثل بعد الشمس عنا . ومتوسط بعد الشمس عنا يبلغ ٩٣٠٠٠٠٠٠ ميل .

قرص الشمس المنير Photosphere

هو القرص النيّر الذى تراه العين ، الى أعمق ما تستطيع أن ترى . ومنه يخرج اشعاع الشمس الهائل . وتبلغ درجة حرارة هذا السطح نحوا من ٦٠٠٠ درجة مئوية ، وهي تهبط قليلا ناحية أطراف القرص .

والقرص يتراءى بالتلسكوب كأنه مكون من سطح محبب Granular ، وهي حبوب بارقة تغطي نحو ثلث السطح . واتساع الحبة نحو ٧٠٠ ميل قطرا . وهي تنتج عن فوران غازات شديدة الحرارة تخرج من أعماق الشمس . والحبة الفائرة لا تلبث بعد دقائق قليلة أن تهدأ وتنزل الى درجة حرارة أجزاء السطح المحيطة بها .

وتظهر في هذا السطح مساحات أشد لمعانا ، تتفرع وتتشعب ، أطلق بعضهم عليها اسم الصباخد الشمسية Faculae .

جو الشمس أو الغلاف القرمزى للشمس

ويعرف باسم Chromosphere وهو طبقة تتألف من غازات متأينة ، تقوم للشمس مقام الجو للأرض . وتظهر على صورة اطار أحمر حول القمر البدر



صور ثلاث ماخوذة من شواظ الشمس وهو يندلع الهبة طويلة تخرج من الغلاف القرمزى وتبعد احيانا مئات الآلاف من الاميال، وتتخذ اشكالا شتى .

عندما يتم كسفه للشمس ، فلا يظهر من الشمس غير هذه الأطراف الحمراء .

وهذه الاطراف تمتد خارج قرص الشمس بضعة آلاف من الأميال

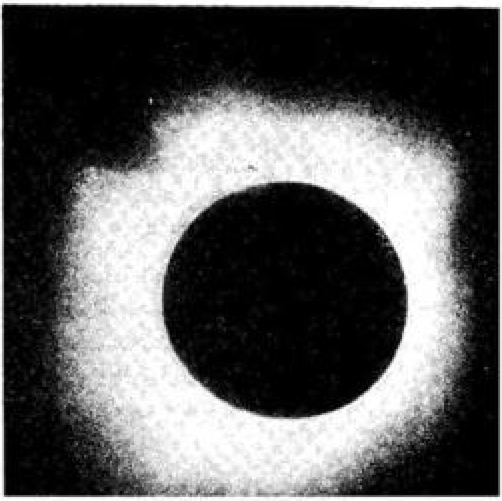
وقد ابتدع العلماء تلسكوبا خاصا لدراسة هذا الغلاف القرمزي للشمس Coronograph . دون حاجة الى انتظار حدوث كسوف للشمس . وهم بهذه الدراسة درسوا تلك الظاهرة الأخرى ، خروج الهبة طويلة مندلعة من هذا الغلاف القرمزي تمتد خارجه مئات الالوف من الأميال ، وتخرج على شكل رشاش أو ألسنة او أقواس ، وتعرف بالشواظ الشمسي Solar Prominences .

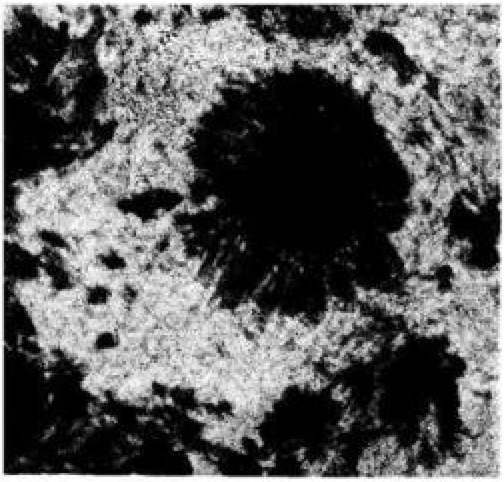
هالة الشمس

وهالة الشمس Corona عبارة عن امتداد لطبقة الغلاف القرمزي ، فهي اكثر منها خروجا عن الشمس . وتحتل مساحة من الفضاء واسعة . وتتألف من غازات غير كثيفة ، بل غاية في الدقة والرقة .

اما ضوؤها فيبلغ نحو نصف ضوء

صورة لهالة الشمس في الكسوف الذى وقع في ٨ يونية ١٩٣٧ . كانت فيه بقع الشمس في اوج نشاطها .





صورة لبقع في الشمس ، في قرصها النيّر ، وهي قاتمة بالنسبة لما حولها من غازات ملتهبة ، وسبب ذلك انها اقل التهابا ، فتتراءى كأنها قاتمة. والصورة هذه اخذت من بالون رفعه العلماء في جو الارض الى طبقة الهواء المعروفة باسم استراتوسفير Stratosphere لتكون اوضح ، بسبب نقص ما بينها وبين الشمس من هواء الارض .

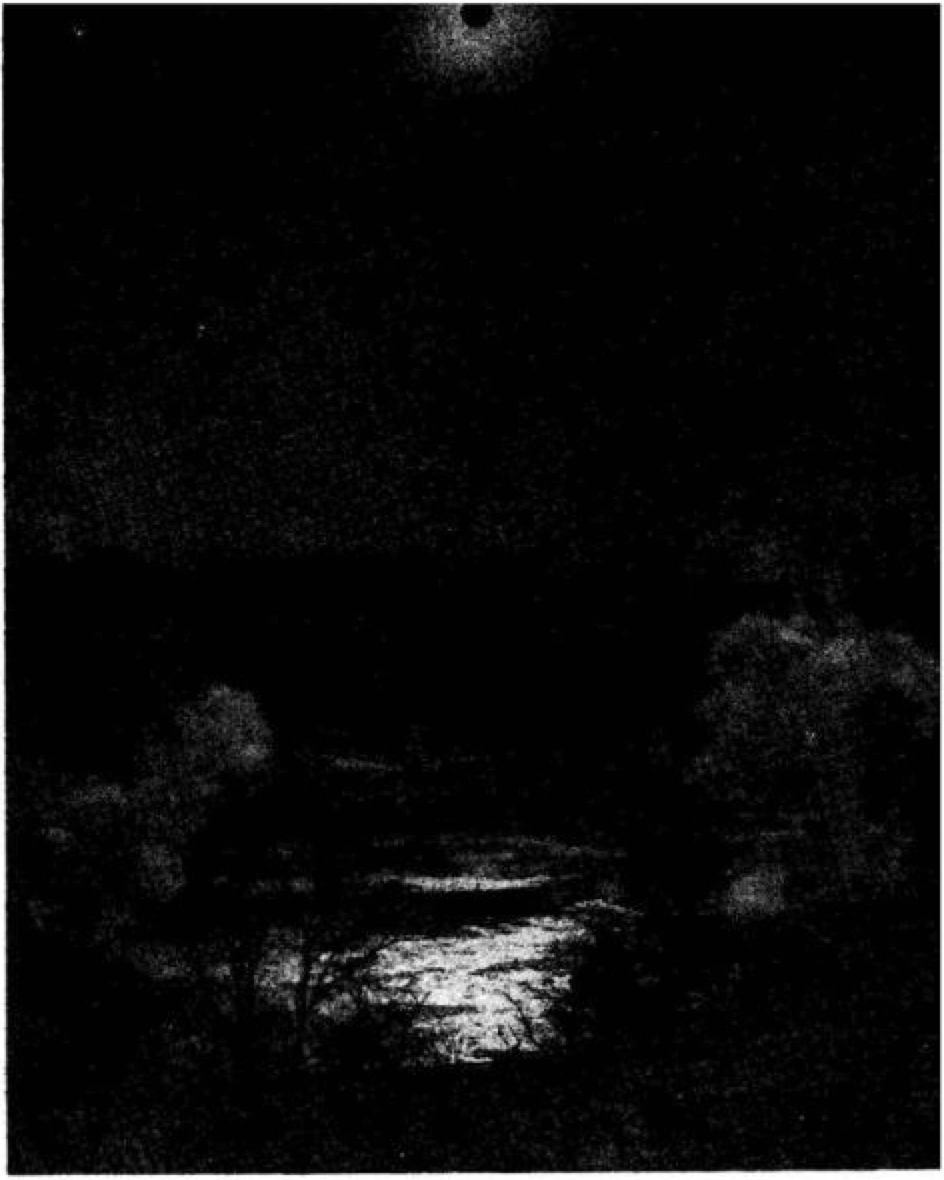
القمر ، بعض من صنعها ، وبعض هي تعكسه من نور الشمس .

وهالة الشمس لا يمكن رؤيتها الا في الكسوف الشمسي الكامل ، وذلك لأن ضوءها الضعيف يخفيه الغلاف القرمزي للشمس . الا ان نستخدم التلسكوب الخاص الذي يقوم بكسف الشمس كما يفعل القمر في كسفها ، ذلك المسمى بالكرونوغراف Coronograph الذي سبق ذكره .

بقع الشمس

انها بقع قاتمة تظهر على القرص النير للشمس . قطر أصغرها يبلغ مئات قليلة من الاميال ، وتدوم قليلا من الساعات او الأيام . ومن كبراها ما يبلغ قطرها بضعة من اقطار الارض ، وتدوم بضعة من الأسابيع ، او الأشهر .

ودرجة الحرارة في البقعة منخفضة عن درجة ما حولها من قرص الشمس بنحو ٢٠٠٠ درجة مئوية ، وهذا



الانخفاض هو سبب ظهور البقعة قاتمة ، وما هي بقاتمة . انها غاز ملتهب ، ولكنها اقل التهابا مما حولها فأقل التماعا .

وتكثر هذه البقع وتقل . وتعود الكثرة (او القلة) كل ١١ سنة . ويصحب كثرتها نشاط في الشمس كبير .

عناصر الشمس كعناصر الأرض لا يختلفان

لقد كشف العلماء عن بضعة وستين عنصرا في الشمس ، هي كلها من عناصر الأرض .

ويمكن القول بأن التركيب الكيماوى للشمس هو عين التركيب الكيماوى

صورة اخذها فرنكلن بوكس ، لمنظر كسوف الشمس الكامل ، حين وقع في ٢٤ يناير ١٩٢٥ . وترى الشمس وقد حجبها القمر حجبا كاملا ، فجعل من النهار ليلا . ولكن بقيت من الشمس هالتها ، وقد كفى ضياؤها لاخذ هذه الصورة .

الذى نعرفه للأرض ، مع فارق واحد كبير ، ذلك أن العناصر الخفيفة ، وعلى الأخص الادروجين والهليوم ، يكادان يؤلفان كتلة السماء كلها تقريبا ، او بالتحقيق أكثر من ٩٩٫٩ في المائة منها .

وكشف العلماء الى جانب السبعة والستين عنصرا عن وجود ١٨ مركبا ، منهاعلى سبيل التمثيل اكسيد التيتانيوم ، وادريد الكلسيوم ، وادريد المغنسيوم . ولكن هذه المركبات توجد في المناطق الأقل حرارة في الشمس ، أما المناطق الشديدة الحرارة فلا تأذن للعناصر بالاتحاد لتكوين المركبات . انها تمزقها تمزيقا . وحتى العناصر لا توجد هناك سليمة كما نعرفها على الأرض . انها تنزع عن ذراتها الكتروناتها ، وتبقى النواة عارية أو شبه عارية ، وهذا يسهل التلاصق بين النويات فيحدث بينها التفاعل المطلوب .

المهم انه لم يعرف بعد ان في الشمس ما يختلف عما في الأرض من مواد .

وقد اكد ذلك ما اكتشف اخيرا من انه ليس على القمر ما يختلف عما في الأرض . حجر وحجر . والعناصر واحدة .

كل هذا العلم من اين جاء الانسان ؟

الانسان لم يصعد الى الشمس .

والشمس لم تهبط الى الانسان فيمتحنها .

ولكن هبطت منها اشعتها .

وتلقفها الانسان ، فكانت كأسير الحرب الذى يستجوب ، فيدلي بكل ما وراء خطوط الاعداء من احداث .

الا ان هذا أسر لا حرب فيه ولا عداء .

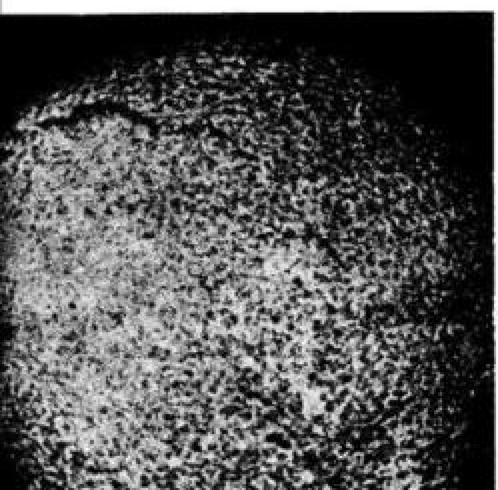
وتلقفنا الاشعة بجهازين عظيمين ، بدأ احدهما جاليليو فى العشر السنوات الاولى من القرن السابع عشر ، واستخدم الثاني اسحق نيوتن فى الستينيات من ذلك القرن . وظل الجهازان على السنين يزدادان قوة ، ويزدادان خبرة .

وزود الجهازان الانسان بكل ما علم مما نحن في صدده .

اما أول الجهازين فالتلسكوب او المنظار المقرب . واما الجهاز الآخر فهو جهاز الطيف المعروف بالاسبكترسكوب Spectroscope ، ذلك الذى ولد على الزمان أجهزة من نسله ذات قربى به ووشائج .

اجهزة ، زادت عين الانسان بصرا ، وزادته بالذى راى فهما ، لولاها لظل على القرون أعمى يتحسس في الظلام ولا يهتدى . ●●

ا . ز



صورة شمسية طيفية اخذت للشمس بطريقة خاصة كشفت عن كيف توزع عنصر الكلسيوم في جو الشمس .

«إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ»
حديث شريف

دين الفِطْرَةِ السَّلِيمَة

بقلم : الشيخ عبد المنعم النمر

■ الاسلام دين الفطرة . ومعنى هذا انه دين يتمشى مع فطرة الانسان السليمة ولا يكلفها شططا، ولا يأتي بما يصادمها او يقتل حيويتها او يعترض طريق سيرها .

والاسلام كذلك دين العقل .. ومعنى هذا انه دين واضح لا غموض فيه ، ولا أسرار يعز على العقل ادراكها ، بل انه يتلاقى مع ما يصل اليه العقل السليم من نتائج ..

وبهذا كان الاسلام دين الفطرة والعقل معا ، لا يكلف الجسم بما يعيا به ، ولا يحكم حكما يتصادم مع العقل السليم أو يغيب عنه ادراك سره ..

ومن هذه القضية أعنى أن الاسلام دين الفطرة تنطلق قضية أخرى لازمة لها وهي :

ان الدين يسر لا عسر فيه ..

وقد وردت آيات وأحاديث كثيرة تقرر هذه القضية التي تعتبر أصلا من الأصول الاسلامية أو سمة بارزة في تكاليف الاسلام وتشريعاته ..

يقول الله تعالى بعد أن أمر بالصيام وفصل أحواله في سورة البقرة : « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » . ويقول بعد أن أمر بالوضوء حين القيام للصلاة في سورة المائدة وشرع التيمم حين فقد الماء : « ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون » ويقول بعد أن فصل احكام الزواج من سورة النساء : « يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا » .

ويقول في آية أخرى من سورة الحج: «وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج » ويقول عليه الصلاة والسلام : « ان الدين يسر ولن يشاد الدين أحد الا غلبه فسددوا وقاربوا » وفي حديث آخر يقول : « ان هذا الدين متين فاوغل فيه برفق فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا أبقى » .

فما معنى هذا اليسر الذى جاء به الاسلام ؟

وكيف يكون اليسر فيه .. مع انه قائم على تكاليف وتعاليم أوجب علينا اتباعها والالتزام بها، ونهانا عن أشياء وحرم علينا أن نفعلها ؟ .. وفيما أوجب علينا مشقة ومحاربة للنفس ، وكذلك فيما حرمه علينا حرمان للنفس من لذائذها وشهواتها وتلك مشقة كذلك ؟!.

فكيف يقال مع ذلك ان الدين يسر ؟ ..

نعم يقال انه يسر لان كلمة « يسر » نفسها تدل على أن هناك تكليفا ، وأن هذا التكليف لا عسر فيه ، فانك لا تقول عن شيء لا وزن له : انه خفيف .. ولكنك تقول هذا الشيء خفيف اذا كان له ثقل ، وعندك استعداد لحمله .. ومن رحمة الله بنا انه لم يكلفنا بشيء فوق طاقتنا .. بل انه علمنا أن ندعوه ليستجيب لنا : « ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا » فيما لنا بحمله

«إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق فإن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى»

حديث شريف

لا الفطرة السقيمة

طاقة وقصرنا فيه « واغفر لنا وارحمنا » فيما فرطنا فيه .. وقال سبحانه مقررا قاعدة عامة في نظامه الربانى : « لا يكلف الله نفسا الا وسعها ».

الدين والواقع :

وواقع الحياة يقتضي أن يكون لكل مجتمع صغير أو كبير نظام يلتزم به .. والا لكان أمره فوضى ، وفسدت الحياة فيه واختل نظامها .

فالسير في الشوارع المزدحمة مثلا ، لا بد أن ينظم ، لأن مصلحة الجماعة تقتضي هذا التنظيم ، وقد يحس الانسان بعض الضيق من التزام هذا النظام ، لأن النفس مطبوعة على الانطلاق والانفلات من القيود .. ولكن هذا لا يمنع من فرض النظام، ضمانا لسلامة السائرين فيه : مشاة وركبانا ، ولانتظام السير ، وسهولة المرور .. وليس معنى هذا أن يأتى انسان معقد فيفرض نظاما يعسر على الناس تحمله ، ويؤدى الى تعطيل حركة السير ، وتعريض حياة الناس للخطر، أو مصالحهم للضرر، لانه يكون في هذا الوقت معسرا لا ميسرا ..

والجندية مثلا لا بد أن تنظم ، ويوضع لها قيود وتكاليف ، يسير كل منتسب للجندية على مقتضاها ، ويعرف واجباته ويلتزم بها ، حتى يستقيم حال الجيش ، ويتمكن من أداء واجبه ، وقد يحس الجندى شيئا من الشدة من هذه القيود ، وقد يتبرم بها ، ولكنه في النهاية يجد أنها شيء لا بد منه ، لانتظام أمور الجيش ، حتى يتعود النظام والطاعة فيه . ويؤدى واجبه المطلوب منه ، ويصل في نهاية أمره الى أن هذا التنظيم أو هذه القيود ، هى من لوازم حياة الجندية ، حتى يمكن للجيش أن يؤدى مهمته على النحو المفروض فيه .

والمجتمع الكبير أعنى الأمة لا بد لها من تنظيم وقوانين تحدد واجبات كل فرد فيها ، وقد يحس الفرد شيئا من الضيق بهذا التنظيم ، لانه يحد من انطلاقه ، أو من فوضويته ، ولكنه حين يتعود السير حسب تعليماته وقوانينه يجد الامر سهلا ، وان هذا التنظيم أمر ضرورى حتى تستقيم الحياة، وما له فيها من مطالب ورغبات . المهم الا يصل هذا التنظيم الى حد الاعنات والقهر ، والتكليف بغير المعقول أو بما لا يطاق .

ونصل في النهاية الى أن معنى اليسر في الدين، أن القيام بواجباته أمر محتمل ، ولو مع شيء من تعب .لان المفروض أن يكون مع أداء هذه الواجبات شيء من ذلك ، والا ما كانت واجبات ، ولا كانت محك امتحان للفرد ، يتميز فيه الصالح الممتثل من غيره .. ولا ترتب عليها جزاء ..

فاذا جاوز التكليف حد الاحتمال ، دخل في دائرة الاعنات والقهر ، وتصبح المطالبة بفعله ضربا من العسر . ولذلك يتخلى الدين عن هذه المطالبة الى ما يكون فعله يسرا ، ومن هنا جاءت التيسيرات التى يسميها الشرع رخصا ، كالافطار في رمضان حين السفر أو حصول مشقة شديدة ، وكالتيمم للتضرر من استعمال الماء ، وأكل المحرم أو شربه اذا تعين لانقاذ الحياة أو لدفع ضرر مؤكد لا يدفع الا به .. وتكونت القاعدة الشرعية المعروفة لدى المشتغلين بأصول الفقه والشريعة وهى «المشقة تجلب التيسير » هذه القاعدة المستقاة من نصوص القرآن والحديث .

والاسلام دين الهى شرعه الحكيم الخبير بطبيعة الانسان وقدراته ، وهو دين نظام ، أعنى انه شرع تنظيما لحياة الانسان في صلته بالله ، وصلته بالناس .. وهذا الاعتبار أعنى انه دين الهى تنظيمى يؤدى بنا الى هذه النتيجة ، أعنى أن

الاسلام دين لا يصطدم مع الطبيعة البشرية ولا يرهقها ، ولا يكلف الانسان ما لا طاقة به .. ولا يمكن ان يكون تشريع من تشريعاته الا آخذا موضعه، وبالغا هدفه ، لان واضعه هو الحكيم الخبير ، وهو الرءوف الرحيم . فلا يضع الشيء الا في موضعه المناسب لطبيعة الانسان وطاقته ، حسب ما يقتضيه علمه وحكمته ورحمته .

مثـــال :

وعلى سبيل المثال : يعلم الله حب الانسان للمال والنساء والبنين .. وهو يعلم أن هذا الحب غريزي ، وهو لذلك يؤدي في أحيان كثيرة الى المزالق والشرور ، ويعوق سير الحياة وانتظامها .. فجاء القرآن لا مانعا من هذا الحب ، ولا منكرا على الغرائز ميلها لهذه الأشياء .. ولكنه أقرها وأبقى عليها ، لأن القضاء عليها من تكليف الانسان بما لا يطيق ، ثم عمد الى تعديلها ، أو الى تعليتها والسمو بها ــ كما يقول علماء النفس في اصطلاحاتهم الحديثة ــ بمعنى انه استغل حب الانسان لهذه المتعة ، ثم جره الى ما يفوقها حسنا ومتعة ، ان كان فعلا من طلاب المتعة والحريصين على التمتع الأسمى نوعا والأبقى زمنا ..

فيقول في سورة الكهف : « المال والبنـون زينة الحياة الدنيا » نعم ذلك أمر تقتضيه الفطرة البشرية ، ولذا لم يذم القرآن هذه الزينة ، ولا حب التمتع بها .. ولكنه قـال بعد ذلك : « والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا » وبهذا يضع أمام الانسان مثلا أعلى ، وشيئا أسمى ينبغي ان يحرص عليه الانسان العاقل الذي يحب المال والبنين .. فيحسن تصرفه في ماله ومع أبنائه ، حتى تكون متعته بهما منتظمة ومعقولة ، ومقدمة لما يجنيه من وراء ذلك من راحة نفسية في الدنيا ، ثم متعة باقية عظيمة كما ونوعا في الآخرة معا ويبين هذا بصورة واضحة كذلك آيات أخرى من سورة آل عمران : « زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا » ونقف هنا لنقول هذا ما قاله الله : « ذلك متاع الحياة الدنيا » ولم يقل حرام عليكم التمتع بهذه الأشياء ، ولم يعب على الانسان حبه لها .. بل أقره على حبه وتمتعه بما يحب ، ولكنه حرضه على أن يتمتع تمتعا مقبولا ومعقولا ومتزنا ، وذلك برصد جائزة مغرية من نوع ما يحبه ، يستطيع الحصول عليها لو اقتصد في حبه هذه الأشياء ، وتصرف تصرفا حسنا في تمتعه بها ، فقال بعد هذا مباشرة في ختام الآية : « والله عنده حسن المآب . قل أؤنبئكم بخير من ذلكم » أي الذي تحبونه ، وتحرصون على التمتع به « للذين اتقوا » أي راعوا الاقتصاد في المتعة ، ولم ينحرفوا فيها ، وتحاشوا ايذاء أنفسهم أو الاضرار بغيرهم « عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهـار خالـدين فيهـا وأزواج مطـهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد . الـذين يقولون ربنا اننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار . الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار » .

فكان تمتعهم بهذه المتع الدنيويـة يصحبه ايمان عميق بالله ، ولجوء اليه في كل وقت طلبا للمغفرة ، مع صبر على الشدائد ، وعن المتع الحرام ، وصدق مع الله والناس ، وأداء لواجبهم نحوه سبحانه ، وواجبهم نحو المحتاجين .. أي ان المتعة بالمال والنساء والبنين لم تنسهم ربهم ولم تحملهم على الطغيان كما يحصل لكثير من الناس ، بل ظلوا مع تمتعهم بها على صلة طيبة بمولاهم ، وبمن حولهم .. وهؤلاء لهم في الآخرة متعة من جنس ما يحبون ولكنها أكبر وأرقى وأبقى ، جنات وارفات الظلال ، فيها الخضرة والماء والوجه الحسن : « حور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا يعملون » وفيها التجلي والرضا والرعاية الكبرى من الله ، والشعور بالتكريم منه ، وفيها ما يعطي كل ذلك متعة مضاعفة ، وهو الشعور بأن هذه المتعة باقية خالدة لا تنقطع أبدا ، وليست كمتعة الدنيا التي ينغصها دائما الخوف من زوالها بالفقر أو الموت ، أو باعتلال الصحة والحرمان من تذوقها ..

بهذا كله رغب الله الانسان المفطور على حب المتع في أن يتسامى بحبه ، ولا يكون حيوانا يسعى الى تدمير حياته واتلافها بالشره فيما بين يديه .

وهذا نوع من أنواع الاعتراف بالفطرة مـع التسامي بها ، أو ترقيتها وتعديلها ، كما يعـدل الانسان مجرى التيار الهادر الى ناحية يمكـن الانتفاع فيها بهذا الماء ، لانه ان حاول حبسه

جرفه امامه ، ودمر كل ما يصادفه في طريقه .. وهو مثال على معنى اليسر في الاسلام ، وانه دين الفطرة .

وصورة أخرى :

وصورة أخرى تبين لنا كيف يحرص الاسلام على ان يكون دين الفطرة ، فلا يضع أمام الانسان الحواجز الصعبة بل ولا يرضى عن الانسان الذى يصادم الفطرة فيه ، ويعزف عن التمتع ، وهى صورة من القرآن الكريم نفسه ، حددتها آيات كريمة من سورة المائدة تقول : « يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين . وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله الذى انتم به مؤمنون » .

وكان السبب في نزول هاتين الآيتين ان جماعة من الصحابة رغبوا في الاستزادة من فعل الخير زيادة في التقرب الى الله وطلب الرضاء .. فقال أحدهم انني ساصوم ولا افطر ، وقال الاخر : انني سأضرب عن النساء ، وقال ثالث ساقوم متعبدا فلا انام .. وهكذا رسموا لانفسهم طريقة قاسية للتقرب بها الى الله .. فعلم الرسول صلى الله عليه وسلم بأمرهم فدعاهم ، وحدثهم واستمع الى وجهة نظرهم ، ثم لم يقرهم عليها ، لانها تتنافى مع بساطة الاسلام ، ومع كونه دين الفطرة والطبيعة ، ولا يمكن لدين ابدى عام خالد ينظم حياة البشرية الى يوم القيامة ، ان يقر مثل هذا ، ليصبح سنة يتخذها الناس في حياتهم ، تقربا الى الله ، لانها ستعوقهم عن تعمير الدنيا ، وعن القوة والتقدم والتفوق فيها ، فقال لهم غاضبا : « انني أصوم وافطر ، واقوم وانام ، واقرب النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني ».

الى هذا الحد هددهم الرسول بالانسلاخ عنه ، وعن سنته وطريقته ، ان هم اصروا على التوغل في العبادة والتقرب لله الى هذا المدى .. ثم نزلت هذه الآيات تقر وجهة نظر الرسول ، وتسمى هؤلاء المتغالين في التعبد معتدين ، والله لا يحب المعتدين ، لانهم يحاربون الفطرة المعتدلة ، ويعوقون بعملهم العبادي ، تقدم الجماعة ونهوضها ، ويحولونها الى عجزة قاعدين ، يصيرون لقمة لغيرهم ، يستعبدهم ويستذلهم ..

وبهذه الصورة يتأكد المعنى الذى يتميز به الاسلام ، او الخاصة التى ينفرد بها .. وهى انه دين الفطرة او الدين اليسر ..

ويزيدها تأكيدا في النفوس آيات أخرى من سورة الأعراف :

« يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين . قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون . قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن..الآية » فيأمرنا الله في الآيات بالنظافة والتزين حتى ونحن ذاهبون الى التعبد في المساجد ، وبالتمتع بما خلق الله فى الحدود المعقولة ، وينكر في اسلوب قوى على من حرم هذا التمتع . ثم يسمى ما نحبه من زينة الحياة الدنيا بانها : « زينة الله التى أخرج لعباده » ويمن علينا بها ، ويظهر كرمه بمنحنا اياها من لدنه ، مع طيبات الحياة من الرزق . وهذا من أقوى الدلالات على ان الاسلام دين الفطرة . التى تحب التمتع والزينة . والتى يحب الله منا أن نتمتع بها : « واما بنعمة ربك فحدث » .

وذلك كله في حدود الفطرة السليمة المعتدلة .. وكما قال الرسول عليه الصلاة والسلام : « كل ما شئت والبس ما شئت ما اخطاتك خصلتان : سرف ومخيلة » . وبهذا يتلاقى الدين مع الفطرة السليمة . يسيران معا في مجرى واحد ، مع حرص الدين على أن ينقى المجرى من الحشائش والأعشاب والأحجار والرواسب ، التى تنحرف بهذه الفطرة الى غير مجراها الطبيعى .

وبهذا التلاقى نحس أن الدين يسر لا عسر فيه ، وانه دين الفطرة السليمة .

ولكن هناك بعض الناس الذين يطيب لهم ان يستغلوا هذه الحقيقة لاهمال بعض الواجبات ، أو ارتكاب بعض المحظورات قائلين : الدين يسر : وهناك بجوارهم نوع آخر يريد له هواه أن يجر الدين الى اباحة كثير من المحظورات متخذين من قوله تعالى « ما جعل عليكم في الدين من حرج » تكأة لهم في هواهم !!

ولنا مع هؤلاء وهؤلاء حديث آخر . ■■

عبد المنعم النمر

اغادير

اعرف وطنك أيها العربي



توضع الحناء
برسوم جميلة
على يد الطفلة
خلال الافراح

منظر رائع جميل لمدينة اغادير يظهر فيه جزء من الميناء ، والشاطىء الرملي الجميل الممتد مع الخليج



استطلاع

سليم زبال

تصوير

أوسكار متري



بعض السياح في أحد شوارع اغادير

الصغير ، والغابة الواضحة في الصورة اليسرى كانت منطقة سكنية دمرتها الزلازل عام ١٩٦٠





في الشارع الرئيسي باغادير كتبت الكلمة التي قالهاالمغفور له الملك محمد الخامس بعد الزلزال مباشر

■ « لئن حكمت الاقدار بخراب اكادير ، فان بناءها موكول الى ارادتنا وايماننا » .. وفعلا لم تمض تسع سنوات على خراب اغادير حتى ظهرت مكانها مدينة رائعه حديثة اشترك في تخطيطها وبنائها اكبر مهندسي العالم ، فجاءت تحفة بين المدن وزينة بين البلدان .. ونقطة اشعاع في هذا القسم الجنوبي من المغرب . يقود دفتها شباب في سن الثلاثين يعملون بعقلية جديدة جريئة ، تتفق وهذه المدينة الحديثة في هذا العصر الحديث .

مدن مجهولة

وأول ما يدهش له الزائر العربي عند زيارته للمغرب هو انعدام معلوماته عن اقليم حساس كبير مثل اغادير .. فنحن لا نعرف عنه أكثر من ان زلزالا مدمرا اصاب اغادير عام ١٩٦٠ ، أما غير ذلك فلا شيء .. حتى اسماء مدنه نسمع بها فنستغرب وجودها ، مثال ذلك : تيزينت .. تارودانت ، جوليمين .. انزكان .. ايفرام .. كلها اسماء لبلاد تضج بالحياة والناس ، ونحن نجهل حتى اسمها ..

وادي سوس

واهمية اغادير تتمثل في موقعها على شاطىء المحيط الأطلسي وعند مصب وادي سوس . وهو من فحول أودية المغرب التي تقسم سلسلة جبال اطلس الى قسمين : الأطلس الصغير في الجنوب ، والأطلس الكبير في الشمال .. انه واد يمتد ..٢٠ كيلو متر ، تندفع فيه المياه عند هطول الأمطار مكونة نهر سوس الذي تصب مياهه في مياه المحيط الأطلسي .. وعلى جانبي هذا الوادي تقوم أراضي سوس الخصبة ..

الغد والأمس

ومشكلة المنطقة الحالية تتمثل في التناقض الكبير الذي طرا عليها .. اذ كيف يمكن التوفيق بين مدينة عالية التخطيط هي مدينة اغادير وبين منطقة متخلفة تعيش بعقلية الأمس ؟ هذا هو الصراع الذي تقوده اغادير اليوم ..

ولكن قبل أن ندخل في تفاصيل هذا الصراع ، تعالوا نسمع قصة اغادير من أولها ..

عرفها رجل العصور الأولى

لقد أثبتت الحفريات الأثرية ـ التي توقفت بسبب نقص الاعتمادات المالية ـ أن العالم عرف اغادير مركزا قديما مزدهرا للتبادل التجاري منذ خمسة آلاف سنة قبل الميلاد ..

واذا كان بعض مؤرخي القرن التاسع عشر قد وصفوها بانها منطقة فقيرة مهجورة وبدون تجارة

فهي لم تكن هكذا ابدا في القرن السادس عشر .. كانت ميناء مزدهرا يقصده الهولنديون والانجليز والاسبان والدانمركيون والفرنسيون ، ياتونه ومعهم الأقمشة والمصنوعات ، ويرحلون ومعهم قصب السكر والتمر واللوز والجلود الخام والذهب الذى كانت تنقله قوافل الجمال من وراء الصحراء حتى اغادير .

وفي منتصف القرن الثامن عشر بدأت قلاقل القبائل ، وبدأ افول نجم اغادير عندما انشأوا ميناء الصويرة (انظر الخارطة) عام ١٧٧٤ وزاد من تدهورها هبوط اهمية قصب السكر بعد انتشار زراعته في البرازيل وجزر الانتيل ..

ارتفاع نجم أغادير

ولكن مركز اغادير الجغرافي حماها من الموت .. وبدأت مشاريع تنظيمها تتوالى منذ عام ١٩٢٢ ، ارتفع بعدها عدد السكان الى ١٠ الاف نسمة عام ١٩٤٠ وفي عام ١٩٤٥ اصبحت تضم ٢٥ مصنعا لتعليب وتمليح السردين والأسماك .. وقفز عدد السكان الى ٢٧ الف نسمة عام ١٩٤٧ أصبحوا ٣٥ الفا عام ١٩٥٣ .

واصبحت اغادير تضم ٦٠ مصنعا لتعليب الأسماك من مجموع ٩٥ مصنعا كانت تعمل في المغرب كله ..

وارتفع نجم اغادير ، فربطوها بخطوط سكك حديد مع مدينة مراكش ، لتنقل منها ثروة الأطلس الكبير المعدنية .. وربطوها مع مدينة « تندوف » لتجلب من مناجمها حديدها الخام ..

ازدهار تجارى

وهكذا بدأ الازدهار،فاقيمت الأحياء الصناعية، والمنازل الشعبية .. وأصبح ميناء اغادير البوابة الجنوبية للمغرب ، تصدرمنه المعادن والحمضيات والبواكر ، اى المزروعات التى تنمو في غير المواسم المعتادة لدفء الجو المعتدل المستمر في منطقة اغادير .. وبدأ استغلال المنجنيز شرق اغادير والنحاس في ايغرام .

كل هذه الثروة المعدنية والزراعية في المنطقة انعكست على اغادير ، فامتلأت المدينة بالمكاتب التجارية ومراكز تغليف الحمضيات والبواكر ، وتضاعف عدد البنوك والأسواق ..

وازداد الضغط على الميناء فقامت شركةهولندية بتوسعته وبدأ يستقبل السفن الكبيرة لأول مرة عام ١٩٥٣ وتضاعفت كمية عمله فصدر ١٥٠ الف طن في تلك السنة .

((نيس المغرب))

وتحولت اغادير الى مدينة صناعية ، وميناء

توضح هذه الخريطة موقع أغادير ، والبلاد التي جاء ذكرها في المقال .





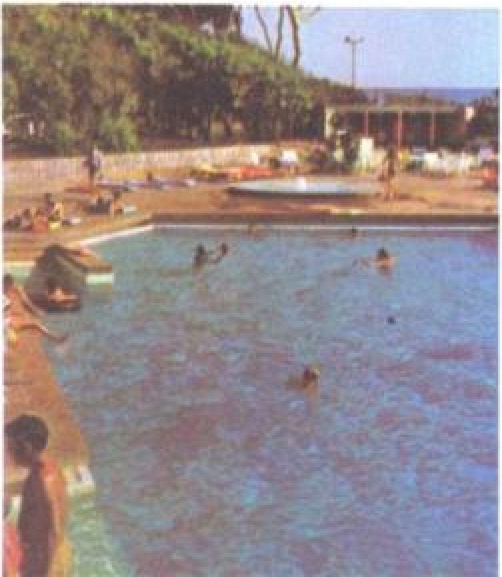


متجر كبير يملكه أحد أبناء الغادير .. وفي المقدمة مجموعة من زجاجات عصير البرتقال الطازج المصنوع محليا ..

الى أسفل : هنا كان يمتد واد قديم زرعوه بالزهور والاشجار ، واقاموا طريقين على جانبيه وجسرا فوقه تسهيلا لحركة المواصلات ، فبدا بهذه الصورة الرائعة .







الى أعلى : من الأعمال الهندسية الرائعة التي تمت في أغادير هذه العمارة ، التي تمتد بطول ١٨٠ مترا ، انها بمثابة جسر أقيم فوق الوادي الرئيسي الذي يقطع أغادير .. ويمكنك ملاحظة الفراغات التي تقسم العمارة الى ٦ أجزاء خوفا من الهزات ..

الى اليسار : حوض السباحة في أحد الأندية الخاصة بالسياح فقط ، وكل ناد مزود بجميع وسائل التسلية التي تكفل للسائح قضاء وقت مريح في أغادير .

للصيد يحتل المرتبة الثانية في المغرب بعد ميناء آسفي .. ومركزا تجاريا ينبض بالحياة ، وفي نفس الوقت مركزا ساحليا سياحيا .. كثرت الدعاية عنه ، فاصبحوا يقولون : اغادير .. نيس المغرب .. مدينة ذات ٣٠٠ يوم شمس .. لؤلؤة الجنوب .

تقدرون وتضحك الأقدار

وبينما كان التخطيط يجرى لتحويل اغادير الى مدينة يمكنها استيعاب ١٠٠ الف نسـمة فاجأتها الأقدار بضربة قاضية في الساعة الواحدة والنصف من فجر يوم ٢٩ فبراير (شباط) ١٩٦٠. فزلزلت الارض وتهاوت المنازل كانها مصنوعة من الورق .. كان الدمار عاما شاملا .. حتى القصبة (الحى القديم) اتجهوا اليه يبحثون عن ثلاثة



ضريح سيدى « بو قناديل » حامي صيادى الاسماك .. تهدم في الزلزال، فاعاد الحاج محمد الحسيني رئيس نقابة مراكب الصيد ، بناءه على حسابه ..

الاف شخص كانوا يسكنونه فلم يجدوا سـوى كومة هائلة من الانقاض ، حاولوا ازاحتها ، ولكن الوقت كان يمر ، والروائح العفنة بدات تتسرب من تحت الانقاض ، فتوقف البحث ، وجـاءوا بسيارات الرمل غطوا به المدينة القديمة بكل ما فيها من انقاض وجثث ، وتحولت القصبة الى مقبرة كبيرة ،ما تكاد تنبش قليلا في ترابها ، حتى يصادفك بقايا سرير او قطعة من الاثاث !!

يأس وأمـل

كان كل شيء يدعو للياس .٨٠٪ من المدينـة تهدم و١٥ الفا من ابنائها ماتوا تحت انقاضها .. و٢٠ الفا يعيشون تحت الخيام بدون مأوى .. والبقية هرعوا الى قرية انزكان على مسافة سبعة كيلو مترات من اغادير .. كانت انزكان قـرية مجهولة لا يزيد عدد سكانها عن تسعة آلاف نسمة، فتحولت الى مدينة يعيش فيها حاليا ٤٠ الف نسمة .

وكلف الملك محمد الخامس ابنه « الأمـير الحسن » ولي العهد في ذلك الوقت بمهمة اعادة بناء اغادير .. ولم تكن البداية سهلة ، كان لا بد من تحديد الهدف .. لم يكن هذا الهدف هو اعادة بناء فقط ، وانما كان انشاء مدينة جديدة حية متفتحة على المستقبل تعطى الناس أسبابا للحياة وآمالا جديدة ..

الشعب يتغلب على آلامه

.. لقد شعر المغرب كله ان اعادة بناء أغادير هي امتحان له، فجند كل طاقاته وامكانياته وتفكيره لهذه المهمة .. وكانت اغادير النقطة التى تغلب فيها الشعب على آلامه واحزانه وخلافاته ، اذ قدم للعالم الحجة على اصالته وتكاتفه ، وعقله المبدع وعمله الخلاق ..

المدينة تنتقل جنوبا

واستغرقت عملية ازاحة الأنقاض أقل من سنة، ،صبحت بعدها المدينة المتهدمة ، أرضا مستوية، حتى المنازل القديمة التى استطاعت الثبات أمام الهزة هدموها لتترك مكانها امام التخطيط الجديد .. وتقرر تغيير مكان المدينة وتحريكها صـــوب



هنا كان يرتفع الحي القديم في أغادير .. وجاء الزلزال فهدمه ، وقتل ٣ آلاف شخص من سكانه تحت الانقاض .. ولصعوبة ازاحة الانقاض واخراج جثث الضحايا وضعت الرمال فوق الحي كله فاصبح مقبرة كبيرة ، ما تكاد تحفر فيها حتى تشهد بقايا سرير او اثاث منزل ..

الجنوب ، بعد أن اثبت المسح الجيولوجي خطورة بعض المناطق ، واحتمال تكرار الزلازل فيها .

البناء خلال ٤٨ شهرا

وبدأ البناء ، على أحدث الاساليب الهندسية ، وروعي تقسيم المباني الى وحدات منفصلة لتستطيع الثبات أمام اية هزة ارضية جديدة ..

اما الوديان فقد تحولت الى طرق .. واقامت الحكومة مبانيها بصورة رائعة جميلة ، وشيدت منازل شعبية للمنكوبين يدفعون ثمنها على ١٥ سنة ، لقد نزعت ملكية جميع مباني اغادير قبل هدمها ، ثم عرضت الأراضي للبيع بأسعار محددة ،

الى اليمين : تحيط باغادير مجموعة من المدن السياحية القديمة الجميلة المتطورة .. ومن بينها مدينة « تيزنيت » التى تتميز بمجوهراتها وبأزيائها الوطنية الجميلة الرائعة – كما ترى في الصورة اليمنى – والمجوهرات التى تتحلى بها الفتاة – قديمة للغاية ، تورثها الامهات لبناتهن ..



الى اسفل : جلسة حول اباريق الاتاى (الشاى) الاخضر مع النعناع ، في مدينة « ازكان » لبعض كبار رجال التعليم والشعر في اغادير وضواحيها .. ومما يذكر أن في أغادير ثلاث مدارس ثانوية ، والتعليم فيها مختلط ، كما هو في سائر أنحاء المملكة ..





حافظ فن الغناء الشعبي في « تيزنيت » على أصالته القديمة ، وتقوم الحكومة بدور هام لتشجيع الفرق الموسيقية والابقاء على طابعها التقليدي .. وتقوم هذه الفرق باحياء الحفلات والغناء في المنازل اثناء الاحتفالات الخاصة ، كما ترى في الصورة العليا ..

الى اسفل: تضيف المرأة في «تيزنيت» ، النقوش الملونة الجميلة على ملاءتها السوداء ، فتكسبها رونقا وبهاء ..



الى اسفل : يتجلى كرم السوسي عند دعوته لك لشرب الشاى ، فيقدم لك مع أقداح الشاى مختلف أنواع الحلويات ، ومعها اللحوم المشوية !



واعطيت الاولوية للاجئين ، حتى تمت تلبية جميع طلباتهم ، وبعدها بدأ البيع لأهل المغرب والأجانب .. مع شرط يحتم على المشترى الشروع في البناء خلال ١٨ شهرا والا تسحب الأرض منه ويتحمل غرامة مالية .

٧٤ مليون دولار

وها نحن اليوم بعد تسع سنوات من الزلزال نزور اغادير الجديدة وقد أصبحت اكثر سكانا .. واكثر حركة .. واكثر جمالا من اغادير الأمس ..

لقد بلغ قيمة ما انفق لبناء أغادير الجديدة ٣٧ مليار فرنك فرنسي قديم ، اى نحو ٧٤ مليون دولار ..

مشاريع ١٩٨٠ تنفذ اليوم

وبدأت المشاكل تواجه اغادير الحديثة .. وفي مقدمتها ازدحام السكان .. نعم ازدحام السكان في هذه المدينة الوليدة .. لقد خطط المهندسون لمدينة سيرتفع عدد سكانها الى خمسين الف نسمة في عام ١٩٨٠ هكذا قدر خبراء التخطيط ، ولكن الواقع كان عكس ذلك اذ وصل عدد سكانها حاليا الى اكثر من ٥٠ الف نسمة ! .

واسقط في يد المسئولين ، ولم يروا امامهم حلا الا البدء فورا في تنفيذ مشاريع توسيع المدينة التى كان مقدرا لها ان تبدأ من عام ١٩٨٠ .

الخوف من الزلازل

ان الذين عادوا الى اغادير ليسوا هم من ابنائها ، وانما هم سكان جدد جاءوها من شمال المغرب ..

لقد انعكست الآية ، فبعد ان كان ابن اغادير يهجر منطقته الى مدن الشمال ، اصبح ابن الشمال يهجر مدنه متجها صوب الجنوب للعمل فامتلأت به المدينة !!

اما ابن أغادير الاصيل فقد اصبح يعيش ـ على مسافة سبعة كيلو مترات ـ في مدينة انزكان لا يريد مبارحتها وكانت قرية لا يزيد عدد سكانها عن تسعة آلاف ، فاصبحت بعد الزلزال مدينة تضم ٤٠ الف نسمة .. ان ابن اغادير يصر على الاقامة في انزكان ، خوفا من تكرار ماساة ١٩٦٠ في اغادير ..

ومن الغريب انه حدثت في العام الماضي ١٩٦٩ هزة ارضية اهتزت لها مدن الغرب من الرباط الى الدار البيضاء في حين لم تشعر بها اغادير .. وقال الناس ساعتها ان منطقة الزلزال تتحرك وتتبدل ، ولكن ابن اغادير صمم على التمسك بمسكنه الجديد في انزكان لا يريد مبارحته ..

.. والخوف من التطور السريع

وسألناهم عن السبب ، فقالوا : انزكان أرخص سعرا ، واقل انطلاقا من اغادير الجديدة .. اننا نخاف على ابنائنا من هذا التطور السريع .. اننا نرى الفتيات يعصين أوامر اهلهن ، وهذا شيء لا نرضاه .. ونراهن يرتدين الميني جوب والبيكيني ، وهذا لا نقبله .. ان مجتمعنا كان دائما مجتمعا محافظا يرفض الاختلاط حتى ان الأخ في بعض عائلاتنا ليس له الحق في رؤية زوجة اخيه .. فاين نحن من هذه الحياة التى تدور في اغادير .. لقد اصبحت انزكان هي مدينتنا .. اما اغادير فنذهب اليها للعمل فقط !!

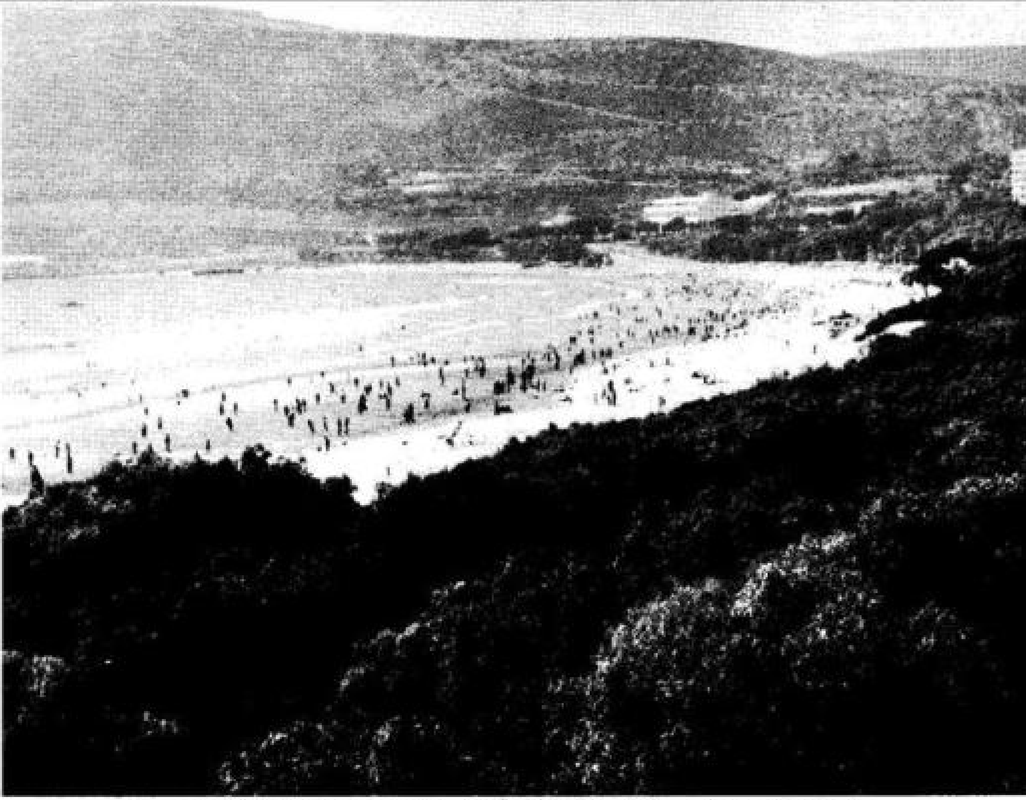
فلسفة البخل

وسألنا اهل اغادير الجديدة عن رأيهم في هذا الكلام فيقولون بخبث : « لا تصدقهم ليست هذه هي الأسباب ، وانما السبب الرئيسي هو بخلهم الزائد .. انهم من وادى سوس ، وهذا يكفى ..»

وعدنا نسأل اهل اغادير المهاجرين : « هل حقيقة ما يقولونه عن بخلكم ؟ وعن وادى سوس ؟ »

فيعجبون ويقولون : « البخيل هو الذى يقتر على نفسه ويحرمها من كل شيء ، في حين ان الاقتصادى يصرف على نفسه وعلى اسرته دون تبذير او بذخ .. فبدلا من الاكل في المطعم نأكل في المنزل ، وبدلا من الذهاب الى السينما نجلس لمشاهدة التلفاز في المنزل !

« اننا اهل عمل ومثابرة .. الواحد منا كان يبيع قرط امه او عقدها الذهبى ، ليشترى بثمنه تذكرة سفر بالقطار الى مدن شمال المغرب، ليعمل في مصنع او مقهى .. ينام في المتجر .. ويأكل الخبز مع الأتاى (الشاى) ويستغنى عن الجبن والزيتون ليجمع قدرا من المال ، يعود به الى بلده ليفتح متجرا فيه .. ان السوسى لا يتسول ابدا .. يهاجر حتى الى اوربا ويعمل بكد ونشاط حتى يصل الى ما يريد .. وهكذا أصبحنا



شواطىء للاستحمام ممتدة على طول خليج أغادير ، ان مشاريع اقامة الاندية البحرية الساحلية ستمتد من أغادير شمالا وجنوبا ، لتشمل ٤٠ كيلومترا من الساحل .

نملك اليوم معظم مطاعم ومتاجر وفنادق اغادير .

« ان أهل الشمال هم الذين يطلقون علينا لقب البخلاء ، ولكننا اصدق منهم كرما .. ان قصة « طنجة » لن تتكرر في اغادير .. فاهل طنجة طيبون للغاية ، لهذا استطاع اهل الدار البيضاء القضاء على مينائهم وتجارتهم الحرة ، ولكن اهل سوس ليسوا طيبين مثل اهل طنجة ، وانما هم اذكى من تجار الدار البيضاء ، ويجب ان تعلم ان الدار البيضاء هي عاصمتنا .. نعم عاصمة سوس ، لأن كل تجارها من ابناء سوس !! »

٤٥ الف سائح فى اغادير

وفي الوقت الذى يشكو فيه ابن سوس من تصرفات بعض السياح ، نجد ان ايراداته تعتمد في المقام الأول على هؤلاء السياح الذين بلغ عددهم ٤٥ الف سائح قدموا الى « اغادير » في العام الماضي .

ان روعة اغادير تتمثل في مناخها : شتاء دافيء وشمس ساطعة .. وصيف بارد منخفض الحرارة .. مع خليج ساحر ، تغسل رماله امواج المحيط الاطلسي .. وفنادقها رائعة مجموع أسرتها ٨٠٠ .. سرير ، ستقفز الى ٥٠٠٠ سرير عند انتهاء مشروع السنوات الخمس ، عام ١٩٧٢ .

اندية مغلقة

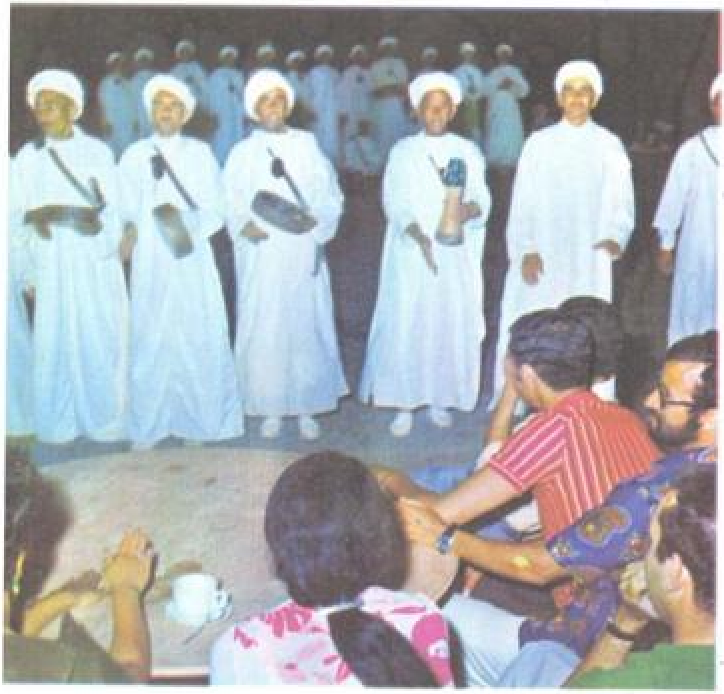
اما اندية اغادير فتتميز بقوانينها الصارمة .. انها دولة داخل دولة .. يقف الحارس على الباب ليمنعك من الدخول او حتى النظر الى ما يدور في الداخل .. انها اندية سياحية اوربية ضخمة كبيرة مؤسسة احسن تاب .. .. تجلب الزائر بالطائرة من اوربا ، وتنقله مباشرة من المطار الى النادى ، ويغلق الباب على السائح فيعيش لمدة اسبوع او ١٥ يوما داخل النادى ، ياكل ويشرب وينام ويشترى من داخل النادى الواسع الكبير ،



الى اليمين : يعشق السياح ركوب الجمال، لهذا جلبت الاندية السياحية الجمال الى شاطئها ، لجلس على ظهر الجمل السائحة لتلتقط صورة تذكارية وبجوارها الجمال .. ثم تقوم بجولة صغيرة تتأرجح خلالها على ظهر الجمل.



٤٥ الف سائح جاءوا الى اغادير في العام الماضي بالسيارات ، والطائرات ، والبواخر ، وقد اقامت السلطات المحلية مراكز خاصة يقيم فيها أصحاب السيارات الذين يقطرون خلفهم مقطورات يعيشون داخلها .. ومما يذكر ان السائح في اغادير يمكث اسبوعا في المتوسط ، في حين ان هذا الرقم ينخفض الى ٤٨ ساعة في بقية مدن المغرب..



الى اليسار : تبذل سلطات أغادير مجهودا كبيرا لتنشيط السياحة وازدهارها في المدينة ، ومن بين هذه الجهود ، الحفلة الاسبوعية التي تقيمها البلدية بجوار مسبحها ، وتشترك فيها الفرق الفلكلورية المغربية .





لأول مرة بدأ أهل المغرب ، في العام الماضي ، يقصدون أغادير لقضاء فصل الصيف فيها .. لقد ظل الاستمتاع بجو المدينة الساحر ، وشاطئها الرملي الخلاب وقفا على الاجنبي ، حتى تنبه ابن المغرب الى روعة بلاده فقصدها ليتمتع بشمسها ومناخها .. ومما يذكر أن أغادير هي مشتى ومصيف في نفس الوقت لاعتدال مناخها ..



نهر سوس .. يمتلىء بالمياه وقت هطول الامطار .



الزراعة المبكرة شهرا ونصف شهر

أندية مغلقة .. لماذا ؟

وسألناهم : « لماذا هذا الاجحاف ، ولماذا لاتسمحون باختلاط السكان مع سياحكم » ؟

فأتانا الرد مقتضبا : « ان العصرين متفاوتان مختلفان .. والعادات كذلك مختلفة ، وكثيرا ما تتناقض .. والسائح يطلب عادة البحبوحة من الحرية ، التى قد تسىء الى المغربي الفخور بتقاليده ، لهذا جعلناها اندية مغلقة للسائح الأوربي والسائحة خاصة .. ان الهدف الاول الذى يريده السائح الأوربي هو التمتع بشمس اغادير ومياهها ورمالها .. وهذا ما نقدمه له في انديتنا .. »

طول السلام يطيل العمر !

وبدأنا نجوس خلال المدينة لنلتقى بأهلها ، فوجدناهم رجالا كرماء يرحبون بالضيف أجمل ترحيب ، وكثيرا ما يطيلون بالترحيب بما ذكرنا بترحيب بعض أهل الريف من المشرق العربي :

ـ السلام عليكم

ـ عليكم السلام

ـ البلاد بخير ؟

ـ بخير وعلى خير

ـ اياك لا بأس عليك

ـ كل شيء لا بأس ، الناس بخير

ـ ايش اخباركم ؟

ـ الحمد لله بخير

ـ كيف دايرة الفلاحة

ـ الفلاحه مزيانه

ـ الناس كل شيء بخير

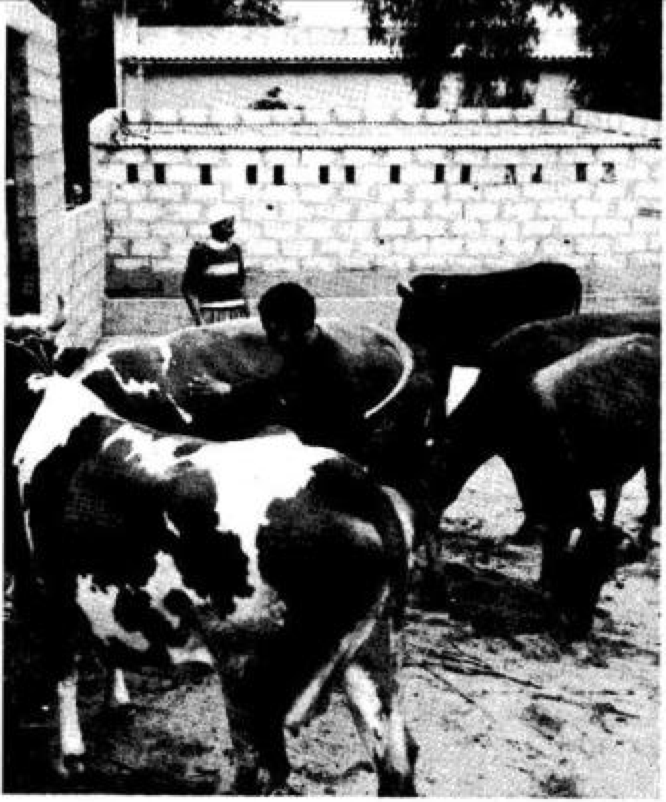
ـ كل شيء لا بأس ..

ـ الناس لا بأس عليهم

ـ كل شيء لا بأس ..



طى أرباحا مجزية للمزارعين .



سحيمي محمد مزارع عصامي استطاع بمجهوده تكوين مزرعة للابقار والخراف .

الأرجان وشجرة اللوز

ويشرب الأهالي مع طعامهم زيتا خاصا هو زيت الأرجان ، يستخرجونه من أشجار الأرجان التى تنمو بعشرات الالوف فوق ربوع جبال اطلس .. وهذه الأشجار الى جانب استخراج الزيت منها ـ تعمل على حفظ تربة الأرض ومدها بالمياه ..

وقد بدأت عملية التخلص من اشجار الأرجان وزرع شجرة اللوز مكانها في منطقة ايفرام ، حيث أصدر حاكمها قرارا يلزم فيه كل فلاح بزراعة ٢٠٠ شتلة لوز .. فاصبحت ايفرام تضم اليوم غابة لوز متكاملة ..

النهوض بوادى سوس

ان النهوض بوادى سوس زراعيا يحتل المرتبة الاولى من اهتمام المسئولين ، وهناك مشروع من ثلاث مراحل يجرى تنفيذه بالاشتراك مع منظمة الاغذية العالمية يهدف الى احصاء الاراضي الصالحة للري ، وتقدير كمية المياه الجوفية والسطحية في الوادى مع تهيئة برنامج زراعى للاراضي الجديدة .

ومن النتائج الاولية اتضح أن وادى سوس يشمل حاليا ٣٠ الف هكتار من الاراضى المروية ، وهذه ستزداد مساحتها الى ٨٠ ألف هكتار (الهكتار ١٠ آلاف متر مربع) .

أما المرحلتان الثانية والثالثة من المشروع ، فسيتم فيهما اعداد وتجهيز الاراضى التي وقع الاختيار عليها ، مع تطوير المزارع .

تطوير الفلاح

والمشكل في الفلاح المغربى يكمن في ان مطالبه في الحياة ليست كبيرة، لهذا يكتفى بالمحصول الصغير الذى يزرعه دون أن يعمل على تطوير زراعته لزيادة محصولها رغم نشاطه الزائد .. وقد بدأت

الى اليمين : من اغادير تنطلق الرحلات الى مختلف بلاد الجنوب المغربي .. وهؤلاء مجموعة من سياح اغادير يشهدون المصنوعات الوطنيةفي بلدة «تارودانت» على مسافة ٨٢ كيلو مترا من اغادير ..



الى اسفل : الشباك الكبيرة تحمل الصيد الوفير من الاسماك ، التي ينوء بحملها عشرات الرجال .. ومن الممكن مضاعفة كميات السردين التي تصاد سنويا ، لكن المصانع هي التي تحدد الكميات اللازمة بها ..

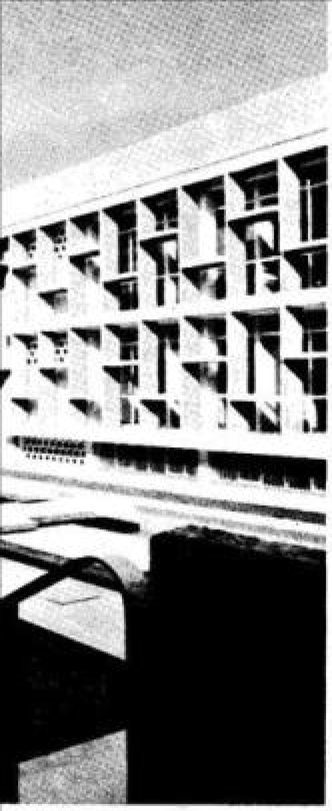




الى اليسار : المرأة تعمل على تعبئة السردين بعد ساعة من صيده ، حتى يظل طازجا .. ومما يذكر أن هناك ٤٠٠٠ شخص يعملون في مصانع الاسماك والسردين ..

الى اسفل : اصلاح شباك الصيد في ميناء أغادير .. ويبدو في الصورة الجبل الذى كان يقوم عليه الحى القديم في اغادير ، والذى اصبح اليوم مقبرة كبيرة بعد انهيارات الزلزال ، الذى دمر البلاد ـ







عندمـا تتجول في أغادير الحديثـة تشعر وكأنك تسير في معرض
ما عنده .. وهذه الصور الثلاث تشهد على ذلك .. الاولى لسوق

وزارة الزراعـة مشروعا جريئا يهـدف الى نقل هذا المزارع في رحلات الى خارج قريته ليشـهد تطور شقيقه الفلاح في المناطق الاخرى ، ومن هـذا الاحتكاك تنطبع في ذهنه صورة جديدة تدفعه الى تحسين انتاجه وتحسين مسكنهوالعناية بحيواناته.

((الحمضيات لاقت موطنها))

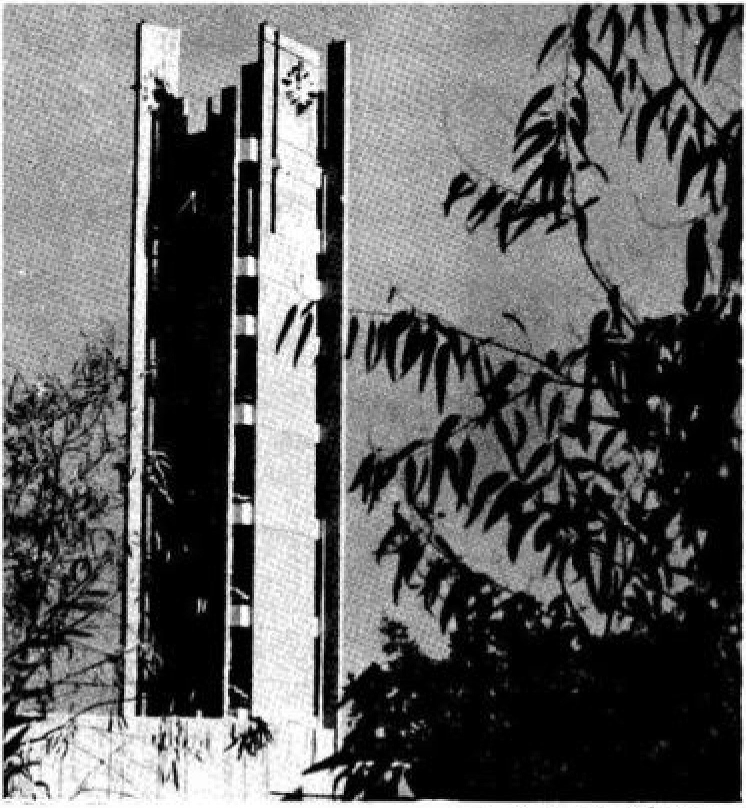
لقد أثبتت تجارب وزارة الزراعة المغربية أن العناية التامة بالزراعة تعطى نتائج باهرة في أرض السوس الطيبة،فالحمضيات اىالبرتقال والليمون وما اليهما يمكن أن يصل انتاجها من ٤٠ الى ٦٠ طنا في الهكتار الواحد .. وهذه الكمية الهائلة من المحصول لاتجد لها مثيلا في العالم ..

اما الطماطم فانتاج الهكتار الواحد يمكن أن يصل الى ٦٠ أو ٨٠ طنا في حالة توافر العناية التامة ، وهذه الكمية الضخمة امكن تحقيقها في المزارع التجريبية بوادي سوس .. واذا علمنا أن هذا الانتاج الزراعى الكبير ينضجمبكرا قبل مواعيد زراعات حوض البحر الابيض المتوسط ، بشهر ونصف لادركنا مدى الازدهار الزراعي الذى بدأ يعم المنطقة .. الطائرات والبواخر والسيارات ، تنقل هذا الانتاج المبكر الى بلدان أوربا التـى تتخاطفهباسعار اغلىمن أسعار نفس هذه المنتوجات التى تخرج الى الاسواق فى المواعيد الموسمية ..

اما الثروة السمكية فيكفي أن تعلم أنه مـا تكاد الشباك تلقى في مياه المحيط الاطلسى الغنيـة باسماكها ، حتى تمتلىء فوق طاقاتها !!

اضبط .. حرامى

وقبل الاستقلال كان الصيادون وجميع مراكب الصيد ملكا للاجنبى ، اما اليوم فقد أصبح ٨٠٪ منها مغربيا خالصا .. ولكن هذا لايمنع مراكب





هندسي عالي .. لقد سمح للمهندس بالانطلاق فاعطى أجمل واروع
الخضار .. والثانية لمبنى البلدية .. والثالثة لبرج المطافىء ..

الصيد الاسبانية والبرتغالية من خرق حرمة المياه الاقليمية المغربية ونهب ثروتها السمكية ، لهـذا ضاعفت البحرية الملكية عمليات التفتيش والمراقبة لحجز كل سفينة أجنبية تحاول السرقة والنهب..

ويعمل في مهنة الصيد باغادير نحو ٣٠٠٠ شخص يملكون ١٠٢٧ مركبا ، ولكنها ليست كلها مراكب حديثة ، لهذا يكتفون بالصيد في المياه القريبة من الساحل ، ومع ذلك حققوا أرقاما قياسية ، وخاصة في كمية السردين .

وهذه الكمية يمكن أن ترتفع وتتضاعف أرقامها ، ولكن الصيد يخضع لطلب وامكانيات ٢٤ مصنعا هي التى تعلب السردين وتثلج السمك وتستخرج الزيوت منه ..

دقيق السمك للانسان والحيوان

وفي عام ١٩٦٥ اضيف لهذه المصانع مصنع جديد لتحويل السمك الى نوعين من الدقيق : نوع منه يصلح للانسان ، ونوع آخر يصلح للحيوانات والزراعة .

ويعمل هذا المصنع ـ الوحيد من نوعه في افريقيا الشمالية ـ تحت رقابة الامم المتحدة ، تشترى انتاجه وتوزعه على سكان الدول غير النامية ..

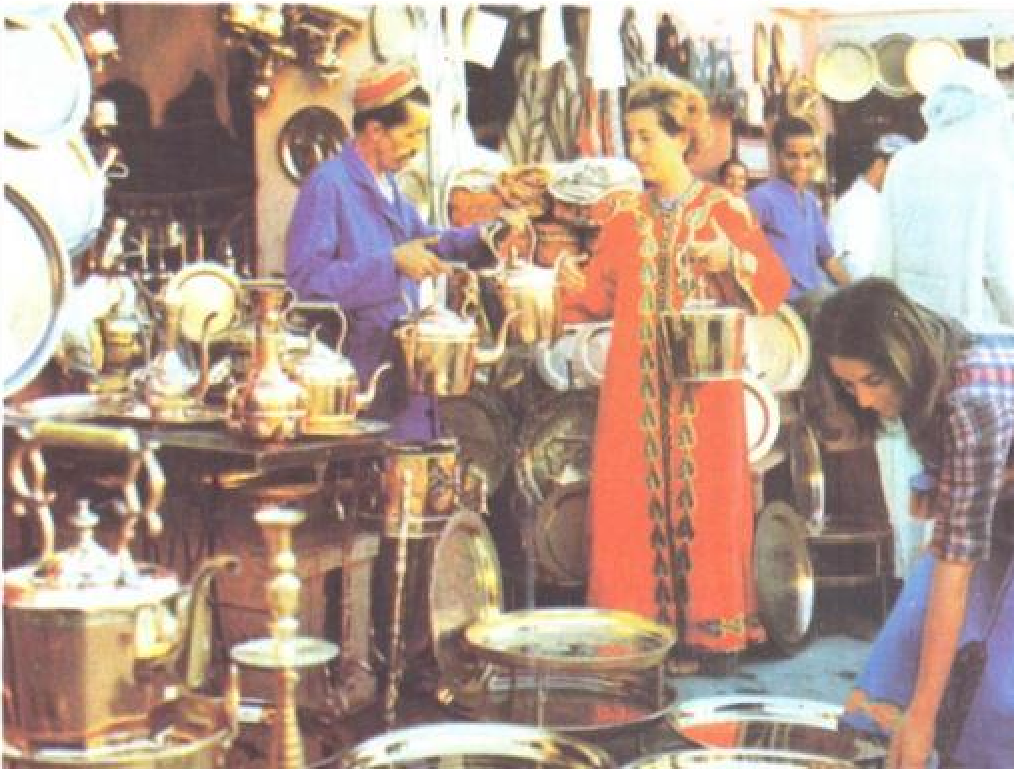
وفي هذا المصنع الحديث يتم يوميا تحويل ١٥٠ طنا من السردين الى ٣٠ طنا من دقيق السمك الغني بالبروتين .. وقد انتج هذا المصنع في العام الماضي ٣ آلاف طن من الدقيق للانسان والحيوان ..

ويقدم دقيق السمك للمرأة الحامل والتلاميذ والاطفال الرضع ..وهو يقوم طبعا مقام اللحم .. اما دقيق الحيوان فيقدم للابقار لتنمو بسرعة اكبر ، ووقت اقل .. هكذا قال لنا مدير المصنع ..



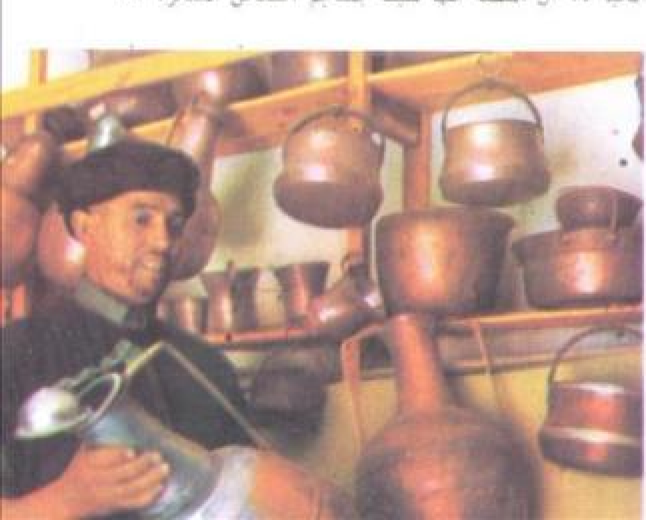
١٠٠ الف علبة سردين ممتاز ينتجها هذا المصنع بمفرده سنويا

الى اسفل : اعجاب زائد من السياح بالمصنوعات النحاسية في بلدة « تارودانت » ..





داخل منجم النحاس في « إيقرام » الذى ينتج سنويا ٥٥ الف طن من النحاس الخام ترسل الى اغادير في السيارات لشحنها الى المانيا .. ان المنطقة كلها مليئة بمناجم النحاس المتناثرة ..



الى اليسار : أحد رجال جبال أطلس يعاين المصنوعات النحاسية المحلية .. انه يعتقد أن الفقراء فقط هم الذين يستعملون الالومنيوم ، أما الاغنياء فيستعملون النحاس لارتفاع ثمنه !!



١٥٠ طنا من سمك السردين تحول يوميا الى نوعين من الدقيق.. نوع يأكله الانسان.. ونوع يأكله الحيوان.

حتى السردين نجهله !

ان اهمية سردين اغادير تكمن في انه يخرج من البحر الى المصنع مباشرة ، فيتم تعليبه بعد ساعة واحدة من صيده ، فيصبح طازجا دائما في علبه .

ان العالم كله يتسابق على شراء هذا السردين الشهي المغذى الطازج ، ومن اغادير تنطلق السفن محملة بعشرات الالوف من علبه تتجه بها الى كل مكان في العالم ما عدا البلاد العربية ، التي تجهل كل شيء عن هذا السردين الممتاز الشهي !!

مستقبلها فى مينائها !

ان اغادير بمركزها الرائع كبوابة لثروات الجنوب المغربي الطبيعية الهائلة .. اصبحت تقف منافسة قوية لميناء « لاس بالماس » في جزر الكنارى .. واصبح الجميع يقولون ان مستقبل اغادير يكمن في مينائها، وهذا الميناء يحتاج الى توسيع وتعميق..

ان المستقبل الزاهر للمنطقة سيجعل المزارعين في حاجة الى مخازن مبردة وواسعة لوضع انتاجهم .. والاسماك تحتاج الى أرصفة وثلاجات ، والثروات المعدنية في حاجة هي الاخرى الى أرصفة واسعة ، والسفن التى تنقل السياح والبضائع كلها في حاجة الى ميناء عميق .. كل هذا يجعل ازدهار اغادير مرتبطا ارتباطا وثيقا بتحسين مينائها ..

هذه هى قصة الحياة الجديدة التي قامت فوق انقاض مدينة ، شاء سوء حظها ان تصبح ضحية لزلزال مدمر منذ عشر سنوات ..

ولكن من يدرى .. ربما كان موت المدينة القديمة ثم بعثها من جديد . ما جعلها تزهو اليوم بهذا المستقبل الذى ينتظرها .. وما اكثر ما تجيء الانتصارات فوق انقاض المصائب والكوارث !!

■■

سليم زبال

لا تلوميني

لا تلوميني ، فما جدوى الندم ... كل شيء قد مضى حتى الألم
كل شيء ضاع ، وولى وانقضى ... وتوارى خلف جدران العدم
أنت كم حذرتني ، كم قلت لي ... غير أني لم أكن إلا أصم
فاسكني يانفس ، قري واهدئي ... لا تلوميني ، فما قد تم تم

الذي قد ضاع ضاع ... كالسراب
لم يكن إلا شعاع ... ثم غاب

لست أنسى ذلك اليوم البعيدا ... لست أنساه ولو مرت دهور
حينما ألفيته يأتي سعيدا ... ملء عطفيه ابتهاج وسرور
كان سحرا ، كان إحساسا جديدا ... فانتشى من خمره القلب الغرير
ذبت فيه ، بعد أن كنت وحيدا ... أزدهي الدرب وقد وشاه نور

قلت لي : لا تنخدع ... بالوميض الزائف
قلت لي : لم أستمع ... لم أكن بالخائف

ليتني صدقت ما قد قلته ... ليتني آمنت ، هل تنفع ليت
لو أنا أدركت ما أدركته ... من وشيك الغدر حقا لانثنيت
غير أني كنت أعمى لا أرى ... موضع السم بأنياب الزمان
فالذي حذرتني منه جرى ... والذي قد قلته بالأمس كان

لو يفيد اللوم ، لومي واسخري
ذاك نفخ في الهشيم ... أقصري
فالذي قد ضاع ضاع ... كالسراب
لم يكن إلا شعاع ... ثم غاب

عبد المنعم عواد يوسف

أنباء الطب والعلم والاختراع

العالم
في عام ١٩٨٥
وما يحتاجه من طعام

● انها خطة للعمل عرضتها مؤسسة الأغذية والزراعة المتفرعة عن هيئة الأمم المتحدة ، عرضتها على ١١٩ دولة ، لتفي بحاجة الطعام في الدنيا في عام ١٩٨٥ .

وقد اتخذت المؤسسة عام ١٩٦٢ اساسا لحساباتها من حيث الانتاج وعدد السكان ، وغير ذلك ، فهي السنة التي ردّت اليها سائر الحسابات .

والمؤسسة تقدر ان مقدار الطعام الذى سوف تكون الأمم المتخلفة في حاجة اليه فى عام ١٩٨٥ سيبلغ مرتين ونصف مرة من مثل ما احتاجته في عام ١٩٦٢ .

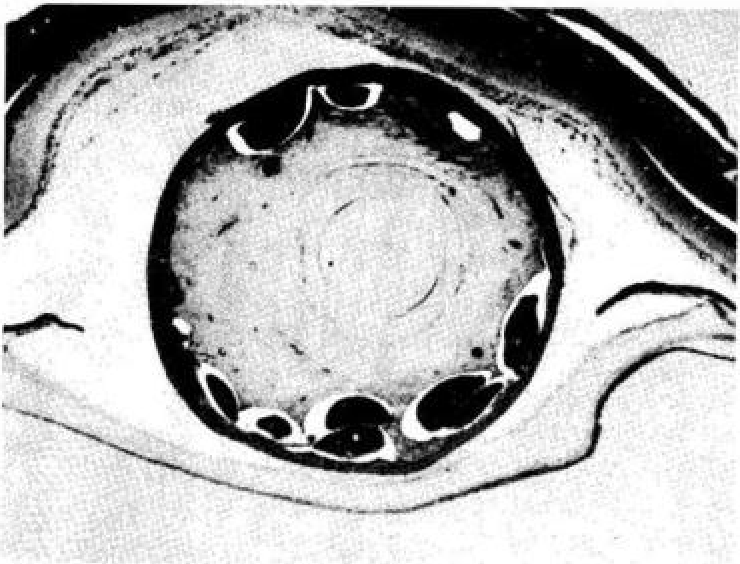
ونحو الثلثين من هذه الزيادة المقدرة المطلوبة ستكون بسبب زيادة عدد السكان في هذه الفترة من الزمان .

ان متوسط انتاج الغذاء في الأمم المتخلفة ، ما بين عام ١٩٥٥ وعام ١٩٦٦، معروف . وهذه الأمم ، لو انها ظلت تنتج فقط بمقدار هذا المعدّل ، ما بين عام ١٩٦٢ وعام ١٩٨٥ ، اذن لاحتاجت من الطعام لمعونة تأتيها من الخارج تقدر قيمتها بنحو ٢٦٠٠٠ مليون من الدولارات ، وهذا مقدار يستنزف مصادر الغذاء الخارجية استنزافا . ومن اجل هذا اختطت المؤسسة العالمية هذه الخطة لتقوم كل امة في ارضها بزيادة انتاجها فتحمل بنفسها عن الدنيا حملا لا ينهض به سواها .

وهذه الخطة تقضي بالتركيز على اصول الاطعمة ، اعنى الحبوب ، وهي تقضي بزيادة انتاجها (وقد كان فى هذه الامم المتخلفة التي شملتها دراسة المؤسسة ٢٣٠ مليون طن في عام ١٩٦٢) الى ٥٠٠ مليون طن في عام ١٩٨٥ .

والمؤسسة تعتمد في هذه الزيادة اساسا على اعانة هذه الدول في الحصول على الأصناف الممتازة من بذور هذه الحبوب ، تلك التي تعطي حصيلة مضاعفة عند الزرع، ولقد عرف المتابعون لأخبار النهضات العلمية ان من اكثرها اليوم روعة تلك النهضة الزراعية التي تعتمد على زيادة انتاج الأرض ، باختيار اكثر البذور انتاجا ، وذلك بطريقة التهجين ، فالزارع بذلك كانما يزيد مساحة ارضه اضعافا .

عدسة سمكة
وقد اصاب الدود
اطراف العين بما افسدها



حتى السمك يصاب بالعمى

● وهذا العمى ، هو بعض المصائب التى لم تكن تخطر على بال .

فالتى كشفته شكوى جاءت من صيادى الأسماك بالحبل والصنارة ، في نهر ترنت Trent الشهير بسمكة بانجلترا.

اشتكى الصيادون انهم لم يعودوا يصيدون من السمك الاعداد التى كانوا يصيدونها من قبل . ولكنهم ناقضوا ذلك بقولهم ان النهر كان مليئا بالسمك، وان السمك كان يصاد بالشباك بكثرة ، لا بالصنارة .

وجاءوا بالسمك وامتحنوه .

وانكشف السر فجاة .

حدث هذا بان استاذا فى امراض العيون كان يحاضر فى الاذاعة فى موضوع الابصار تحت الماء . وبعد ايام ارسل له رجل يربى السمك فى تلك الناحية بسمك عيناه مصابتان بالمرض المعروف بالسد او اعتام العدسة . كانت العينان فعلا قد فقدتا شفافيتهما ، فهما معتمتان . والسمك اعمى . اذن فهو لا يرى الطعم على الصنارة .

عندئذ ارسل الاستاذ من اشترى له من السوق نوعا من هذا السمك المسمى التروت Trout او السلمون المرقط ، فجاء بسمك مصابا بالسد ايضا .

وبالبحث اتضح ان السمك فى هذا النهر مصاب حقا بالسد او اعتام عدسة العين ، وذلك بدخول دودة الى مائه . وتكاثرت حتى عمت ، واستطلعوا طلع هذه الدودة وكشفوا عن دورة فى حياتها فعرفوه . وعرفوا ان هذه الدورة تنتهي بدخول هذه الدودة الى جسم السمك عن طريق الجلد . والعجب انها تطلب اول ما تطلب عينيه ، وهي تبلغهما عادة فى سرعة فائقة فى زمن قد لا يزيد على ربع ساعة . فاذا اصاب السمك العمى كاملا ، مات جوعا .

وبالبحث وجدوا ان سمكا غير التروت يصاب بالسد ، وفى مياه غير مياه هذا النهر . والبحث جار لاستقصاء هذا الأمر .

ويحسب الحاسبون ان انجلترا قد لا تكون فريدة فى هذا .

انها مشكلة من مشاكل العيش ، وما اكثرها ، ليس لها الا العلم حلا .

منزل من ٧ طوابق يبنى فى ثلاثة أيام

● كان هذا بمدينة همبرج بالمانيا .

وكان المنزل الذى بني من ٧ طوابق ، كلها لمكاتب في اوسط المدينة . وطال البناء حتى بلغ ٢٥ مترا . وتم بناؤه في اقل من ٣ ايام . وعد هذا الزمن زمنا قياسيا لبناء مثله .

واحتوى البناء على ٣٤٦ وحدة بلغ وزنها ٢٥٠٠ طن . وتم البناء فكانت مساحة ارضياته في الطوابق السبعة ١٤٠٠ متر مربع .

ولكن هذه الثلاثة الأيام سبقتها سنة من الزمان ، تجهز فيها بعيدا عن هذا البناء كل جزء فيه ، قبل ان تتجمع الأجزاء فتجعل من الأجزاء كلها بناء واحدا في هذه الثلاثة من الأيام .

ان البناء نفسه ، هذا العمل الخاطف، بدأ ما بين يومي الخميس والجمعة باقامة رافعة ميكانيكية كبيرة . وما اشرقت شمس الجمعة حتى بدأ العمل . وقام به فئات من العمال تتألف الواحدة منها من ثلاثين رجلا . وتعمل الطريحة وتنتهي ساعاتها، فتصلها بالعمل طريحة اخرى ، مؤلفة من ثلاثين عاملا . وحرّمت البيرة على الرجال العاملين .

وبدأ الرجال بتجميع الوحدات التي سبق صنعها ، واخذت تنقلها من حيث صنعت ، الى حيث يكون تجميعها ، سيارات شاحنة خاصة ، تروح وتجيء لهذا العمل خاصة . ويحملون الوحدات بالترتيب الذى يحتاجه التجميع وفقا لبرنامج مرسوم بغاية الدقة ، وعلى ازمنة موقوتة حتى لا يضيع اى وقت هدرا .

وهذه الوحدات ، وبعضها قد يصل وزنه الى ٨ اطنان ، تألفت من اقسام من جدران ذات كتل عظيمة ، أو من

حفظ الفواكه من النضج السريع

● ان الطريقة القائمة اليوم لحفظ الفواكه هي طريقة التبريد في ثلاجات من شتى الأصناف والاحجام .

ولكنها طريقة لا شك ذات تكلفة .

واذن بحث العلماء في طريقة ارخص ، تحفظ بها الفواكه ، وتغالب بها النضج السريع ، وذلك في درجات الحرارة العادية ، بدون تبريد وبدون ثلاجات .

وقام فئة من العلماء ، في معهد بحوث الاغذية بمدينة نورتش بانجلترا ، قاموا يبحثون في كيف تنضج الفواكه ، فان هم عرفوا ذلك ، امكنهم أن يضعوا في سبيل النضج العراقيل التى تعطل من النضج، واذن تحفظ الفاكهة لترسل الى الأسواق في وقت هى اكثر ما تكون اليه حاجة ، واذن تأتى الفاكهة بربح معقول .

وقد نظر هؤلاء في الأمر فعلموا ، ما سبق أن عرفه العلماء ، ان العامل الأساسي الذى يقوم بنضج الفواكه كالموز ونحوه، انما هو المركب العضوى المعروف بالاثيلين Ethylene . وهو هو نفس المركب البسيط التركيب الذى يدرسه دارس الكيمياء العضوية في أول دراستها في مدرسة أو جامعة . وهذا المركب

ارضيات ثقيلة ، او من اسقف غير خفيفة ، ومن اجزاء من السلالم ، ومن مصاعد كهربائيةفي داخل مجاريها كاملة. والدكاكين في اسفل البناء جاءت وعليها اسماء شاغليها .

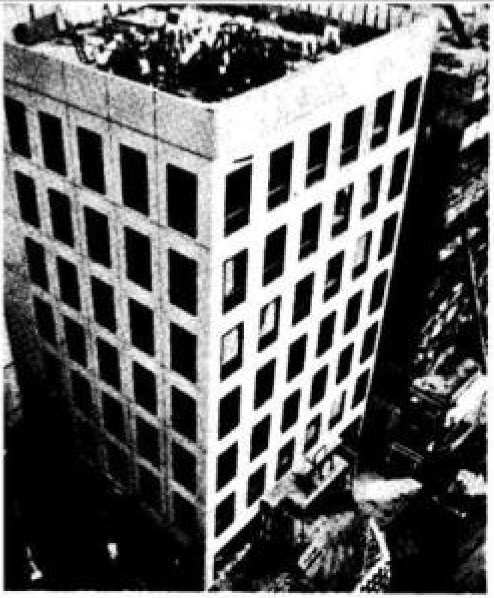
وفي الشقق اقيمت الحماماتودورات المياه وبها كل لوازمها ، حتى حوض غسيل الوجه ، حتى المرآة ، كل شيء كان هناك .

وعمل العمال نهارا وعملوا ليلا على الأضواء .

وحضرت طائفة من العمال لتزويق الحوائط داخل الحجرات بمجرد ان وضع عليها سقفها . فما كاد العمال ان يتموا العمارة بناء حتى كاد هؤلاء الرجال ان يتموا الحجرات زينة .

وخرج آخر عامل بعد ٦٥ ساعة و ٤١ دقيقة و ٢٣ ثانية من اعلان بدء العمل ، وذلك بنحو ٤ ساعات قبل الموعد المضروب .

وذهبوا بالرافعة ، ومشت اقدام الرجال في البيت ، وسالت البيرة مرة اخرى في حلوق العمال .



وتكلفت العملية كلها ١ر٧ مليون مارك .

وقدروا انها ، لو بنيت بالطريقة التقليدية الجارية ، لاحتاجت الى نحو ٥ او ٦ اشهر .

ويقول المقاولون الذين قاموا بهذا العمل انهم اقتنعوا انه بهذه الطريقة يمكن ملء الفراغات الموجودة في قلب المدن الكبيرة ، بأقل ما يمكن من ازعاج للجمهور ، وبنفقة اقل ، وفي ازمن اقل .

تصنعه الفاكهة نفسها بنفسها لنفسها ، ليؤدي، تغييرا في كيماوياتها ، ومن اجل ذلك سموه هرمونا .

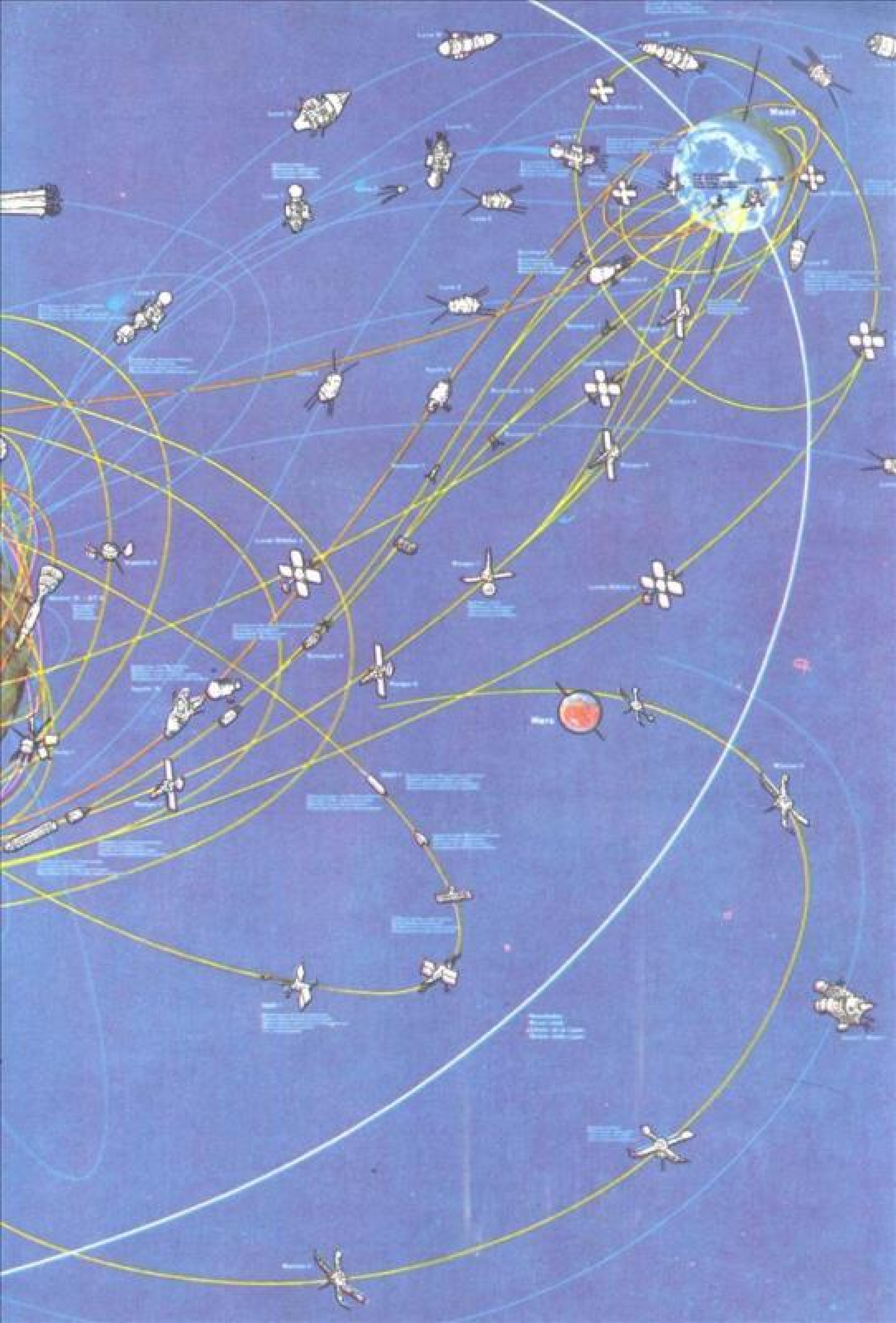
واذن وجب ان يدرس هؤلاء العلماء كيف يصنع النبات لصنع هذا الهرمون حتى يقوموا بتعطيل صنعه لزيادة مدة خزن الفاكهة .

ودخلوا في استكشاف كيمياء النضج دخولا عميقا ، ادى في النهاية الى كشف انزيمين اثنين ردوا اليهما انتاج الاثيلين في الفاكهة، وخلصوا من كل ذلك ان نضج هذه الفواكه يستند اساسا على الاكسجين. ثم هم أوضحوا بالتجربة ، ان نضج الفاكهة ، بحسبانها وحدة كاملة ،يتوقف على ما في الجو الذى هي فيه محفوظة من اكسجين . واذن فقد امكن ، بضبط مقدار هذا الاكسجين ضبط سرعة النضج في الفاكهة .

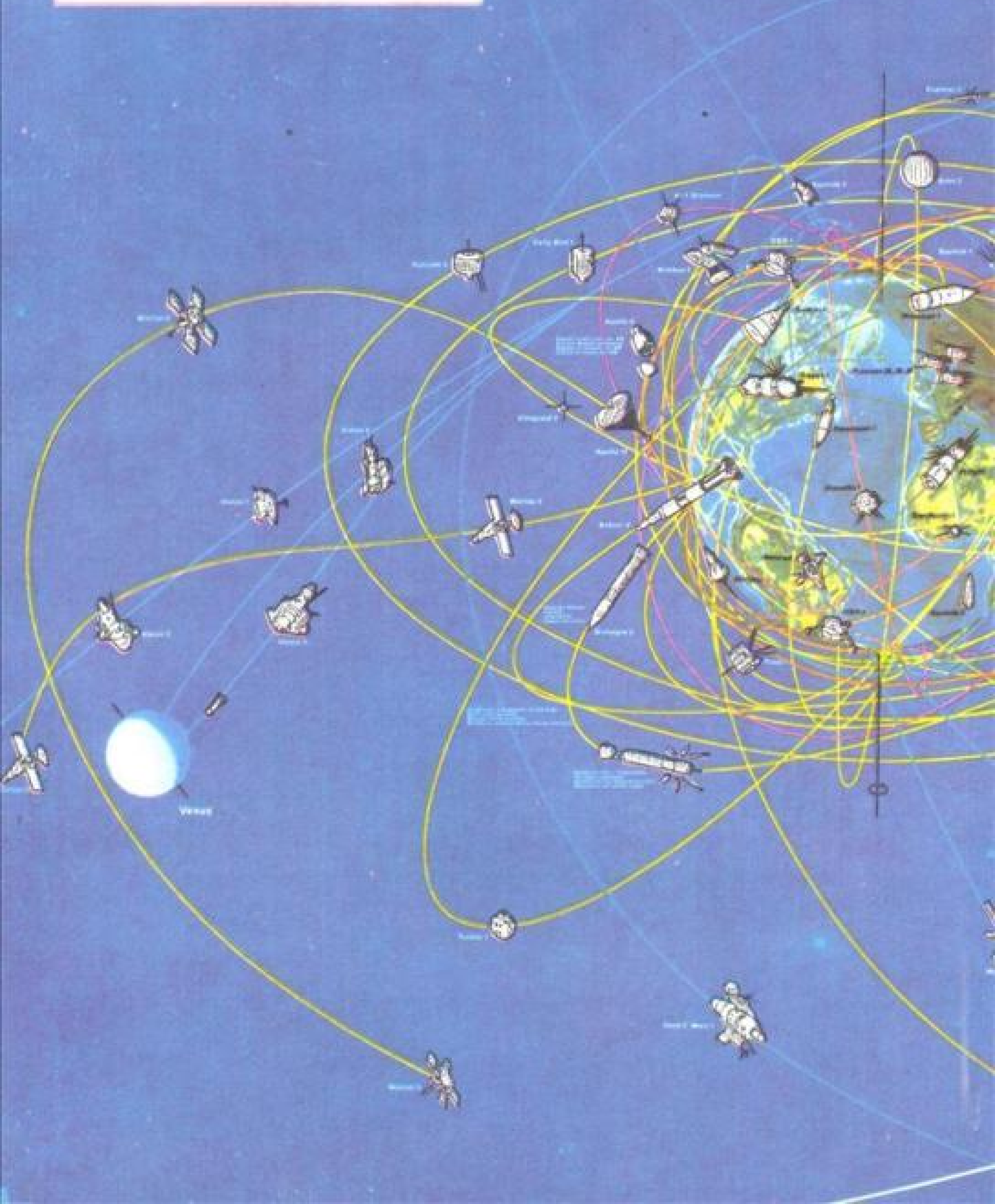
وطبقوا هذا بنجاح في الموز وفي الطماطم ، فقد ظل كلاهما على هيئته الخضراء ، رغم اكتمال نموه ، مدة ثلاثة اشهر ، وذلك في جو ينقص فيه الاكسجين بمقدار ٥ في المائة او اكثر من نسبته العادية في الهواء .

فاذا اريد النضج ، اذن للهواء العادى بالدخول .

وهذه الطريقة تحفظ الأطعمة من النضج حتى في المناطق الاستوائية على الرغم من ارتفاع الحرارة .



خريطة توضح غزو الانسان للفضاء وفيها نرى الاجسام التى اطلقت الى الفضاء من عهد الاسبتنك الروسى الاول فى عام ١٩٥٧ الى اطلاق ابولو ١١ الامريكى وعودته الى الارض فى عام ١٩٦٩ بعد ان هبط رجاله على سطح القمر . ومن ذلك نرى الى اى حد امتلأ الفضاء بالاقمار الاصطناعية .





عربة القمر المقترحة

أول سيارة على سطح القمر

● انهما شركتان عالميتان ستقومان معا بتصميم وصناعة اول عربة ذات عجل تسير فوق سطح القمر ، وهاتان هما شركة جنرال موتورز Ceneral Motors وشركة بوينج Bceing . وقد عهدت وكالة الفضاء الأمريكية Nasa الى شركة بوينج بتصميم أربع من تلك العربات وبنائها وتجهيزها بكل ما تحتاجه للقيام بواجباتها ، على ان تقوم شركة جنرال موتورز ، او بالاحرى قسم الالكترونيات الذى بها ، بعمل اجهزة الحركة فيها ، وهى تتضمن السواقة ، والعجلات ، والحوامل فيها .

والمفروض ان رواد القمر سوف يأخذون معهم عربة او اكثر من هذه العربات في رحلاتهم الى القمر التي تقع بين العامين ١٩٧١ و ١٩٧٢ .

والعربة المطلوبة ستكون عربة لها ٤ عجلات ، وتحمل رجلين من رجال الفضاء وتنتقل بهما فوق سطح القمر . والعربة يمكن طيها .

والعربة الأولى مفروض فيها انها تستطيع ان تقوم برحلات اربع فوق سطح القمر طول كل منها يبلغ ٣٢ كيلومترا ، على أن لا تبعد الرحلة عن ٤ر٨ كيلومتر من موضع هبوط المركبة القمرية ، وهذا لضمان امكان رجوع رجال الفضاء الى المركبة .

وسيحرك العربة محركات كهربائية اربعة ، لكل عجلة محرك وحدها ، وذلك حتى اذا تعطل محرك كهربائى ، لم تتعطل العربة كلها عن السير .

اما سرعة العربة فستكون نحو ١٦ كيلومترا فى الساعة ، اما القوة المحركة فمن بطاريات كهربائية . وسوف يكون على سطح العجلات شبكة معدنية تمسك بتربة القمر امساكا فلا تنزلق فى ترابها انزلاقا .

اما وزن العربة فسيكون نحو ٦٠٠ كيلوجرام وهى بشحنتها الكاملة وبها الرجلان . هذا وزنها على الارض ، اما وزنها وهى فوق القمر فيكون بالطبع سدس هذا ، اى ١٠٠ كيلو جرام .

●●

نُفَكِّر؟ أَولا نُفَكِّر؟

بقلم : الدكتور زكريا ابراهيم

استاذ الفلسفة بكلية الآداب ـ جامعة القاهرة

■ يقولون « ان الانسان حيوان ناطق » ، والنطق لا يعني مجرد القول او التلفظ او التعبير، بل هو يعني التأمل أو التعقل أو التفكر . ولكننا ما نكاد نتحدث عن « التفكير » ، حتى نجد انفسنا بازاء انماط مختلفة من التفكير : فهناك تفكير العالم ، وتفكير الفيلسوف ، وتفكير الفنان ، وتفكير الرجل السياسي ، وتفكير الرجل العادى .. والسؤال الذى يتبادر الى الذهن ـ لاول وهلة ـ هو: « ما الذى يجمع بين كل تلك الأنماط المختلفة من التفكير ؟ » .

وردنا على هذا التساؤل ان التفكير صورة مترقية من صور السلوك القائم على المهارة ، وان كنا هنا بصدد سلوك نوع خاص : لانه سلوك لا يعبر عن نفسه الا من خلال مجموعة من الرموز او العلامات (١).

ولما كان « التفكير » مظهرا من مظاهر «المهارة» فليس بدعا ان نراه يخلو من عناصر التهور والاندفاع والاستجابة العشوائية ، لكى يتسم بسمات التدبر والتقدير وحساب النتائج . ومعنى

● قال جماعة من الفلاسفة التفكير شقاء .

● وقالوا إن التفكير يذهب بمتعة الوجود .

● وآخرون تساءلوا : سعادة بلاوعي ، أو وعي بلا سعادة .

● وآخرون قالوا : إن المرء يفكر لأنه يشقى ، لا أنه يفكر فليشقى .

● ثم إن الفكر نفسه يبقى عند أرسطو موضوعا للتفكير .

---

(١) F. Bartlett: « Thinking; an Experimenetal and Social Study », N. Y., Basic Books: 1958, PP. 198 - 199.

هذا أن المهارة العقلية ـ كغيرها من المهـارات السلوكية الأخرى ـ مهارة هادفة لها توقيتها ، ومراحل توقفها ، ومظاهر حتميتها أو ضرورتها ، ودلائل غائيتها أو اتجاهها القصدي . وكل هذه الصفات انما تدلنا على أن « التفكير » وظيفة مترقية من وظائف « السلوك » . صحيح انه لا يزيد عن كونه مظهرا من مظاهر « التكيف » مع البيئة ، ولكننا هنا بازاء « تكيف » راق « هو على قدر كبير من «المرونة» . وهذا هو السبب في أننا بمجرد ما « نفكر » ، فاننا ندير ظهورنا لطريقة « الاستجابة المباشرة » السريعة ، ونعمل عقولنا في « البحث » عن الطريقة المثلى لمواجهة « الموقف » الذى نحن بصدده . وليس الاستدلال ،والقياس، والاستنباط ،والاستقراء، وشتى عمليات الانتقال من المقدمات الى النتائج ، سوى مظاهر متنوعة لذلك « النشاط الفكرى » الذى يقوم به الكائن الناطق حين ينتقل من « المعلوم » الى « المجهول » ولما كانت كل « مهارة » تستلزم التعلم ، والمران، والتدريب ، فضلا عن أنها قد تكلف صاحبها الكثير من العناء ، والجهد والمشقة ، فليس من الغرابة في شيء أن تقترن عملية « التفكير » ـ في نظـر الكثيرين ـ بمعاني العسر ، والشدة ، والتوتر . وحينما قال تولستوى:« ان التفكير يشقى البشر اكثر مما يشقيهم اى شيء آخر» ، فانه لم يكن يرى في «التفكير» سوى جانبه الاليم الذى يجعل منه ضريبة فادحة يتحملها البشر الأشقياء دون غيرهم من الكائنات ! .

« أنا أفكر ، اذن أنا غير موجود » !

بيد أنه لا بد لنا ـ باديء ذي بدء ـ من أن نتوقف قليلا عند عملية « التفكير » ، لنقف على طبيعة تلك الظاهرة البشرية التى لا تكاد تنقطع في مجرى شعورنا . ونحن نعرف كيف كان ديكارت (١٥٩٦ ـ ١٦٥٠) Descartes يقول :« أنا أفكر ، اذن فأنا موجود » ، بمعنى أنه لا يستطيع أن يكف عن التفكير ، دون أن يكف في الوقت نفسه عن الوجود ! « والواقع ـ فيما يقول ديكارت ـ أنني أفكر اذ ذاك فكرا مبهما غامضا مؤلفا من أحاسيس صماء (٢) » . ولا يقتصر ديكارت على القول بأن المرء حين يدرك ذاته كمفكر بالفعل ، فانه يدرك حقا وجوده ، بل هو يذهب أيضا الى أن الفكر يعبر عن طبيعة الانسان بأسرها ، نظرا لانه يرى أن الفكر هو « ماهيتها وصفتها الذاتية ، وأن كل ما يلائم الفكر يلائمنى ، وكل ما ينافيه ينافينى ..»(٣). وواضح من كل هذه العبارات أن ديكارت يستخلص « الوجود » نفسه من « الفكر » ! .

ثم جاء كيركجارد Kierkegaard ، (١٨١٣ـ١٨٥٥) أبو الوجودية الحديثة،فثار على المثالية الديكارتية وأعلن أن بين « الفكر » و« الوجود » من النزاع الباطني ما يجعل من المستحيل علينا اثبات الوجود عن طريق الفكر . ومن هنا فقد راح كيركجارد يقول : « أنا أفكر اذن أنا غير موجود » ! وكان يعني بذلك أن الفلسفة الحقيقية هي تلك التى تنطلق من الخبرة المعاشة، لا من المعرفة الجامدة. والظاهر أن الفلاسفة ـ لفرط ما تحدثوا عن « المعرفة » قد نسوا أو تناسوا ما هو «الوجود»! والحق انه « كلما زاد فكرى ، قل وجودى ، وكلما قل فكرى ، زاد وجودى » ! ومن هنا فان على الفيلسوف الوجودى ـ فيما يقول كيركجارد ـ أن يعود الى الفردية ، والذاتية ، والوجـود المشخص ، لكي يحدثنا عن الحقيقة المعاشة ، بدلا من أن يصف لنا ضربا من المعرفة الموضوعيـة المجردة !

واذا كان كيركجارد قد حمل على « الفكر » ـ بمعناه الديكارتي ـ فذلك لأنه رأى تقديم « الوجود » على «المعرفة» ، والانطلاق من «موقفنا الوجودى» بوصفه « تجربة ذاتية » حية . وليس « الوجود » ـ في رأى فيلسـوف الوجودية المسيحية ـ مجرد « موضوع » للمعرفة ، بل هو « خبرة مُعاشَة » عامرة بالحياة ، مليئة بالهوى، حافلة بالفاعلية . وليس المهم في نظر كيركجارد أن نعمل على زيادة حظ الناس من المعرفة ، بل المهم أن نعلم الفرد كيف يكون « انسانا » . و«الانسان» ـ في رأى فيلسوفنا ـ بعيد كل البعد عن أن يكون مجرد « فكر » محض ، أو مجرد معرفة خالصة ، اذ هو « ذات فردية » لها وجودها الحى القائم على التوتر والتمزق والتناقض .

---

(٢) د. عثمان أمين : « ديكارت » الطبعة السادسة ، ١٩٦٩ .

(٣) ديكارت : « مبادىء الفلسفة » ، الباب الأول ، المادة ٨ .


أرسطو


سانتايانا


كيركجارد


ديكارت

.. وليس يعنينا – في هذا المقام – ان نفصل في تلك الخصومة الفلسفية التى قامت بين ديكارت وكيركجارد وانما حسبنا أن نقول ان الفلسفة الوجودية المحدثة لم تر في « الانسان » مجرد « شيء مفكر » Res Cogitans، – على حد تعبير ديكارت – بل هى قد وجدت فيه « ذاتا » تحيا أولا ، وتفكر ثانيا ، دون ان تكون «حياتها» مستوعبَة بتمامها في صميم « تفكيرها » ..

.. هل يكون الشقاء حليف التفكير ؟!

.. وربما كان في وسعنا الآن ان نتساءل : « هل من علاقة بين « التفكير والشقاء ؟ » أو بعبارة اخرى : « هل يكون أهل الفكر هم أتعس بنى الانسان ؟ » .. هذا ما يرد عليه بعض الباحثين بالايجاب : لانهم يرون أن الانسان الذى ينظر الى الحياة بمنظار الفيلسوف ، انما هو موجود شقى يتعقل حياته ، بدلا من أن ينعم بها ! وآية ذلك انه يفكر في كل ما يعرض له من أحداث ، ويحاول أن يحسب لكل شيء حسابه ، ويراقب نفسه في كل أعماله وتصرفاته ، ويستعرض بعناية كل ما يمر به من أمور ، ضرورية كانت أم عرضية أم ممكنة أم محتملة ، ومثل هذا التفكير المستمر في معنى الحياة ، وقيمة هذا الوجود ، وغاية مصيرنا الانسانى ، وسر شقائنا على وجه البسيطة، انما هو انصراف عن حياة العمل والسلوك والتصرف ، من اجل الاستغراق في تهاويل التفكير والتأمل والتفلسف !

والحق أن الانسان – فيما يقول اصحاب هذا الرأى – لم يخلق لكى يفهم الحياة ، بل لكي يعيشها . (٤) ومعنى هذا انه ليس امعن في الخطا من أن يستغرق الانسان في سيل من التأملات الفكرية المضنية ، دون أن ينعم بلحظات الحياة السعيدة الخاطفة . وربما كان أتعس الادميين ذلك الشخص المتوتر الذى يقضى حياته كلها في مراقبة دوافعه ، ودراسة مشاعره ، واستكناه لاشعوره ، وسبرغور حياته الباطنية ! ... ان مثل هذا الانسان لا يعيش لانه يريد ان يراقب نفسه وهو يعيش ، فهو لا ينعم بحياة طبيعية تلقائية ، بل هو يفكر في الحياة بدلا من ان يعيشها ، ومن ثمّ فان حياته لا بد من ان تجيء حافلة بأسباب التكلف والتصنع والازدواج والتناقض وشتى مظاهر التمزق النفسى ...

وعلى حين ان هناك اناسا بسطاء ينعمون بحياتهم ، دون ان يعمدوا الى تعقيدها ، نجد ان الانسان المفكر – في رأى اصحاب هذا الاتجاه – مخلوق شقى قد عقد اسلوب حياته ، بما ادخله على الحياة من مظاهر الاصطناع والافتعال والحساب المستمر ! ومن هنا فقد ينجح الرجل البسيط في تكوين علاقات طيبة مع غيره من الناس: لانه يتعامل معهم بصفاء طبيعي ، ويتذوق حياة التعاطف والصداقة على نحو تلقائي ، بينما يبقى الانسان المفكر عاجزا عن تحقيق اى تواصل حقيقى بينه وبين اقرانه من البشر : لانه لا يكف مطلقا عن تحليل أفكار هذا ، وتعليل عبارات ذاك ، دون ان يتمكن يوما من اقامة علاقاته بالناس على اساس طبيعي من البساطة والمبادلة والمحبة والاخاء ! ولعل هذا هو السبب في ان حياة الكثير من البسطاء حياة اجتماعية سوية ، تقوم على روابط طبيعية من المودة والصفاء ، بينما تبدو حياة غيرهم من أهل التأمل والتفكير حياة انعزالية شقية : لانها حياة معقدة خلت من البساطة ، والتلقائية ، والعلاقات المباشرة ... ومن هنا فقد

(٤) هذا – مثلا – هو الرأى الذى ذهب اليه الفيلسوف الاسباني سانتايانا Santayana ، في العديد من كتبه الفلسفية والاخلاقية .

اقترنت حياة التأمل والتفكير ـ في نظر الكثيرين ـ بمعاني التوتر والتمزق والشقاء ، بينما وقع في ظنهم ان حياة البسطاء من الناس ـ بما فيها من تلقائية طبيعية ، وبساطة فطرية ـ هي حياة الغبطة والسعادة والصفاء .

سعادة بلا وعي ، أم وعي بلا سعادة ؟!

وهنا يقرر أحد فلاسفة الاخلاق المعاصرين ـ الا وهو الاستاذ جانكلفتش :

ـ أنه لا مخرج لنا من احد امرين : فاما سعادة تلقائية نقية خالصة ـ وعندئذ لا بد لمثل هذه السعادة من أن تكون لاشعورية ـ واما شعور او وعي بالسعادة ـ وعندئذ لا بد لمثل هذا الشعور او الوعي من أن يكون ممتزجا بشيء من الالم او المرارة . ثم يستطرد هذا المفكر الفرنسي المعاصر فيقول : « ولكن ، منذا الذي يريد لنفسه أن يكون سعيدا من حيث لايدري ؟ ! ألسنا نريد جميعا ان تجيء سعادتنا مصحوبة بتلك الحالة النفسية الواعية التي تستمتع فيها الحساسية بنشاطها الذاتي ؟ ... ان السعادة التي ترتضي لنفسها الا تشعر بذاتها ، لن تكون سعادة على الاطلاق ، بل ستكون بمثابة فقدان لكل اسباب (أو مبررات) السعادة ، في حين ان هذه الاسباب او المبررات هي في العادة كل شيء في صميم احساسنا بالسعادة !

اننا لنعرف كيف كان « الوعي » او « الشعور » سببا في خروج الانسان الاول من الفردوس السعيد الذي كان ينعم به ـ على نحو ما جاء في الكتب المقدسة ـ . ومعنى هذا ان الانسان الاول قد وجد نفسه مضطرا الى اختيار واحد من امرين : فاما سعادة بلا وعي ، او وعي ، بلا سعادة . وهو قد حقق اختياره بالفعل : لانه آثر الوعي والحركة ، على الرغم مما يقترن بهما من ألم وتعاسة ! وليس من شك في ان آندميون النائم : Endymion Endormi ، لا يمكن أن يكون سعيدا : فان احدا (كما قال ارسطو) لا يمكن ان يكون سعيدا من حيث لايدري ! (*) .

صحيح أننا كثيرا ما نهتف مع فلاسفة السعادة فنقول : « طوبى لمن استطاع أن يدرك سعادته ويعرف أنه سعيد » ! ، ولكننا لا نلبث ان نستطرد فنقول « ويل لمثل هذا المخلوق السعيد : لانه بمجرد ما يقيس حظه السعيد ويقدره ، فانه سرعان ما يقع فريسة للقلق » ! والواقع اننا بمجرد ما نفكر في سعادتنا ، فاننا لا بد من أن نسلبها ـ ولو الى حين ـ جانبا من بساطتها المقدسة ، ونقائها الاصلي ! ولعل هذا هو السبب في أننا حين نعمد الى « التفكير » في السعادة التي نتمتع بها ، فاننا سرعان ما نجد انفسنا فيما وراء تلك السعادة ، وكأننا قد انتقلنا الى حالة نفسية جديدة قد خلت من « تلقائية » سعادتنا الاصلية . ولا شك أن « المعرفة العقلية » حين تتسلل الى « السعادة » ، فانها لا تلبث ان تخلع عليها طابعا شعوريا يرفع عنها صبغتها الطبيعية الاولية . وقد يحاول المرء استرجاع « سعادته » التلقائية ، فتراه يعمد الى اقصاء وعيه او استبعاد تفكيره ، ولكنه سرعان ما يتحقق من أن حياة « البساطة اللاواعية » قد اصبحت بالنسبة اليه ضربا من المحال ! وآية ذلك ان الفكر قد نفذ الى اعمق اعماق الحياة البشرية ، فلم يعد في وسع ذلك « الحيوان الناطق » الذي يسمونه « الانسان » ان يقذف بالوعي الى زوايا النسيان !

هل يشقى الانسان لأنه يفكر ، أم هو يفكر لأنه يشقى ؟!

... لقد كان افلاطون يقول ان اكثر الناس يسيرون نياما ، في حين ان الفيلسوف وحده هو الرجل المتيقظ ، ان لم نقل بانه أكثر المخلوقات وعيا وتيقظا . وليس « التأمل الفلسفي » في اصله سوى ضرب من « الدهشة الاليمة » التي تطرق عقل الانسان وقلبه ، حينما يتحقق من أن « العالم » ليس حقيقة منسجمة متوافقة ، وان « القيم » ليست قوى متحابة متآلفة ، وان « الفكر » و « الوجود » لا يمثلان حقيقة واحدة متطابقة . ومن هنا فقد يصح لنا أن نقول ان ما يدفع بالموجود البشري الى التفكير والتفلسف ، هو ادراكه لما في الوجود من شقاء ، والم ، وفشل ، واخفاق ، وشر اخلاقي ...

(*) زكريا ابراهيم : « المشكلة الخلقية » الكتاب السادس في مجموعة « مشكلات فلسفية » ، مكتبة مصر ، القاهرة ، ١٩٦٩ ، ص ١٣٢ ـ ١٣٤ .

والحق ان ما يخلع على « الدهشة الفلسفية » كل قيمتها ، وحدتها ، وسَورتها ، انما هو الشر الاخلاقي ، والآلام الكثيرة التى تحفل بها الحياة ، والفناء الذى ينتظرنا في خاتمة المطاف . وليس ثمة انسان لم تقلق باله يوما مشكلة الشر : فان الوجود الذى ينشد السعادة بطبعه ، ما كان ليأخذ « الالم » على انه واقعة محضة او ضرورة لا محيص عنها ! وحسبنا أن نرجع الى تاريخ البشرية في كل زمان ومكان ، حتى نتحقق من أن هذه المشكلة الفلسفية الكبرى قد أثارت لدى الانسان قلقا عنيفا لم تنجح شتى النزعات الايقانية او التفاؤلية في تهدئة حدته ، او التخفيف من غلوائه . والواقع اننا لانتساءل فقط : « لماذا كان العالم حافلا بكل تلك الشرور ؟ » (٦)

ان الانسان ــ اذن ــ لا يشقى لانه يفكر ، بل هو يفكر لانه يشقى ! ولا يتفلسف الوجود البشرى لانه يشقى ويتالم فحسب ، بل هو يتفلسف ايضا لانه يمل ويسام . وقد يبدو لنا أن الحيوان ايضا يضيق ذرعا بما نفرضه عليه من قيود ، ولكن الحقيقة ان الحيوان لا يعرف السام ، حتى حينما تكون حياته رتيبة آلية لا أثر فيها للتنوع او الجدة . وربما كان السبب في ذلك أن فكر الحيوان قلما ينشغل بما ينقصه ، أعنى بما ليس كائنا بالفعل ، او ما كان يمكن أن يكون ، أو ما ينبغي أن يكون ! واما عند الانسان ، فان كل واقعة نفسية تمثل في مجرى الشعور على ضوء الواقعة الاخرى المقابلة لها : لان المرض يذكرنا بالصحة ، والالم يثير في اذهاننا فكرة اللذة ، والموت يولد لدينا الرغبة في الخلود ، وهلم جرا . ولهذا فقد ذهب بعض الباحثين الى ان « الافكار السلبية » ــ كالشر والعدم ، والفوضى ، والفناء .. وما اليها ــ هي الاصل في نشأة التفكير الفلسفي .

أليس شقاء الضمير البشرى هو السر في تفتق ذهن الانسان عن النظريات الاخلاقية ، والتأملات المثالية ، والمدن الفاضلة ؟ أليست تعاسة الوجود البشرى هي الاصل في شتى مبدعات الروح الانسانية من فنون وعلوم وفلسفات ومؤسسات اجتماعية ؟ واذن أفلا يحق لنا أن نقول أن الانسان يفكر لانه يقلق ، ويفشل ، ويمرض ، ويتألم ، ويشقى ، ويدرك أن وجوده قد حيك من نسيج الفناء ، ويعرف انه لا محالة ذائق الموت ؟ أو بعبارة أخرى لا يمكننا أن نقول ان الانسان هو الحيوان الوحيد الذى يفكر ويبحث ويتفلسف ويفحص ذاته وينقد حياته ، لانه الحيوان الوحيد الذى يعانى الشر ، والهم ، والقلق ، والجزع ، والسأم ، والانشغال ، والخوف من الموت ؟ !

ولكن ، ألا يجد المرء لذة في « التفكير » نفسه ؟!

... لقد توهم الكثيرون انه لا بد من أن يكون « التفكير » بالضرورة حليف « الشقاء » ، ولكن الا تدلنا تجارب العلماء والفلاسفة والفنانين وغيرهم من اهل الفكر ، على انه قد تكون ثمة « لذة » في « التفكير » نفسه ؟ ... أن بعض دعاة التشاؤم يأبون الا أن يبالغوا في تصوير « شقاء » الانسان ، فتراهم ينظرون الى « الفكر » نفسه على انه « علة » تتضافر مع « العلل الخارجية » ، للعمل على توفير اسباب الشقاء للانسان ! وحجة اصحاب هذا الرأى أن « الفكر » يزيد من احساس الانسان بعجزه وضعفه وقصوره، خصوصا حينما يتحقق المرء من أن كل تأملاته العقلية لا تزيده الا شعورا بالقلق والحيرة والضلال ! والواقع أن العقل البشرى حين يحاول استكناه اسرار الوجود ، وحين يعمد الى البحث عن معنى الحياة ، فانه كثيرا ما يجد نفسه بازاء ألغاز أبدية هيهات لأى فكر متناه أن يفض أسرارها . ومن هنا فانه كثيرا ما يئوب من جولاته الفكرية خائبا مدحورا ، وكأنما هو قد اصطدم بذلك « المجهول » الازلى الذى لا بد له بالضرورة من أن يظل متشحا بغلائل « اللامعقول»!

ولكن ، اذا كان من شأن « الفكر » أن يحار فى سبيل الوصول الى « الحقيقة » ، فهل تكون هذه « الحيرة » نفسها ألما لا بد من استئصاله ، او « شرا » لا بد من التحامى عنه ؟ ألسنا نلاحظ ان بعض اهل الفكر قد يجدون في تلك « الحيرة » نفسها لذة روحية يتعلقون بها ويحرصون عليها ؟ بل الا تدلنا التجربة على أن عملية « البحث »

---

(٦) Schopenhauer; « Londe Comme Volante et Comme Representation, Trad. Franc. t. II., PP. 305 - 306

نفسها ـ بكل ما تنطوي عليه من تخبط وتعثر ومحاولات واخطاء ـ كثيرا ما تكون مبعث لذة كبرى لدى جماعات العلماء والمفكرين ؟ وهل كانت حياة العلماء والباحثين وغيرهم من أهل الفكر لتكون اسعد واهنأ ، لو أن كل شيء انكشف لهم من غير جهد او عناء ، او لو أن الحقيقة نفسها انصاعت لهم منذ البداية دون تعزز او تمنع ؟!

لقد كان المفكر الالماني الكبير لسنج Lessing (١٧٢٩ ـ ١٧٨١) يقول : « ان متعة الانسان لا تنحصر في امتلاكه للحقيقة ، وانما هي تنحصر في الجهد الذي يبذله من اجل العمل على بلوغها ... ولا تنمو ملكات الانسان بامتلاك الحقيقة ، بل بالبحث عنها ، كما ان كماله المتزايد لا يتمثل الا في هذا المظهر وحده . والحق ان امتلاك الانسان للشيء يميل به الى الركود والتكاسل والغرور . ولو أن الله وضع الحقائق كلها في يميني ، ووضع في يساري شوقنا المستمر اليها ـ وان اخطأناها دائما ـ ثم خيرني ، لسارعت الى اختيار ما في يساره ، قائلا له : « رحماك يا الله ، فان الحق الخالص لك أنت وحدك » ... !

هذا ما يقوله مفكر عرف عذوبة التفكير ، وذاق متعة البحث ، فليس بدعا ان نجد من بين أهل الفكر من يرى في « النشاط العقلي » متعة لاتدانيها متعة اخرى في هذه الحياة الدنيا ! وبينما يقول غيرهم من المشككين في قيمة العقل : « ان الفكر نفسه وسيلة قصد بها زيادة حظ الانسان من الشقاء والحيرة والالم » ، نرى أنصار العقل يعلنون ـ في وضوح وصراحة ـ ان السير على درب الحقيقة لذة عقلية كبرى تستعذبها المخلوقات الناطقة التي تعرف انها لا بد من أن تظل «سالكة» دائما ، دون أن تتمكن يوما من ان تصبح «واصلة» بحق !!

.. « الفكر هو سر عظمة الانسان ! »

على أن « التفكير » ـ بالنسبة الى الانسان ـ ليس مجرد ترف كمالي يولد لدى صاحبه ضربا من المتعة او اللذة ، بل هو حاجة ضرورية لا تكتمل بدونها « انسانية » ذلك « الحيوان الناطق » الذي « يفكر ليعيش » ! ولعل هـذا ما عناه الفيلسوف الفرنسي الكبير بسكال Pascal (١٦٢٣ ـ ١٦٦٢) حين يقول : « انني أستطيع ان أتصور انسانا بلا يدين ، أو بلا رجلين ، أو بلا دماغ .. ولكنني لا استطيع ان أتصور انسانا بلا فكر ، لأنه سيكون عندئذ مجرد صخرة أو جماد (٧) » والحق أن « الفكر » هو الذي نقل الكائن البشري من مستوى « الحيوانية » الى مستوى « الانسانية » ، حتى لقد صح ما قاله بسكال ـ مرة اخرى ـ من « ان كل عظمتنا تنحصر في الفكر ، وفي الفكر وحده » (٨) . وقد كانت البشرية ـ بادىء ذي بدء ـ تحيا في عهد الأسطورة ، فكان « العالم » في نظرها يمثل « كلا » عضويا موحدا ، ولم يكن في الجماعة موضع لأي شذوذ فردي ، أو اية اصالة شخصية ، بل كانت الكلمة النهائية للتقليد ، وكان الرأي الحاسم للجماعة. ثم انتقلت البشرية الى عهد «التفكير» (بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة) ، فاستحال « العالم » الى حشد هائل من المشكلات ، ولم تعد هناك أجهزة فكرية هائلة تسيطر على عقول الأفراد ، بل أصبح من حق كل فرد أن يعيد تكوين العالم لحسابه الخاص ، وأن يقيم لنفسه انظمة خاصة من القيم أو المعايير . وعلى حين أن الوعي الأسطوري لم يكن يدهش لشيء ، أو يعجب لأي امر ، لأنه كان يرى أن لا جديد تحت الشمس ، وأن ليس في الحاضر شيء لم يكن قائما منذ البداية ، نلاحظ أن نشأة الوعي التأملي (أو التفكير) قد اقترنت بعملية يقظة فكرية نهض معها الانسان من سبات السكون الاسطوري ، فلم يعد يرى كل شيء عاديا او مألوفا ، بل اصبح يضع كل شيء موضع البحث، ويدع للقلق سبيلا يتساءل من خلاله الى اكثر الأمور وضوحا واظهر المسائل بساطة !

صحيح أن الانسانية ستظل دائما الى ذلك العصر الذهبي الذي لم يكن فيه القلق قد تسلل بعد الى العقول البشرية ، ولكن من المؤكد انه ما دام التفكير قد عرف سبيله الى رأس المخلـوق البشري ، فلم يعد في وسعنا ـ اليوم ـ أن نتخلى عن مهمة نقد الحياة ، وفهم العالم ، وتعقل الوجود ، وتحديد مركزنا في صميم الكون . ولعل هذا هو السبب في أن التفكير لا بد بالضرورة من أن يستحيل الى فلسفة تتخذ ـ منذ البداية ـ

(٧) و (٨) B. Pascal; « Pensees», Ed. Brunschwieg, No. 339 & 347

طابع التساؤل الحاد الذى لا يمكن أن يخلو من دهشة ، وقلق ، وحيرة ، وتعجب ، واستغراب .. والحق ان « التفكير » ليس في اصله نفيا أو اثباتا ، بل هو تساؤل أو استفهام ــ ونحن نعرف كيف أن الطفل بمجرد ما يشرع في التفكير ، فانه لا يكاد يكف عن اثارة السؤال تلو السؤال . وبالمثل، يمكننا أن نقول ان التفكير البشرى ـحتى لدى البالغين ــ قد اقترن دائما بأداة بالاستفهام الكبرى : « لماذا » ؟ واذن فنحن « نفكر » ، لا لاننا نجد لذة في ممارسة نشاطنا العقلى (بوصفه احدى وظائفنا الحيوية) ، بل لأننا نجد أنفسنا دائما بازاء « شفرات » غامضة تتحدانا وتطلب الينا أن نفك رموزها . (٩)

هل يكون موضوع « التفكير » هو « التفكير » نفسه !؟

لقد كان ارسطو يقول قديما انه « اذا لزم التفلسف ، فلنتفلسف ، واذا لم يلزم ،فلنتفلسف ايضا ، لنثبت عدم لزوم التفلسف » ! ونحن حين تساءلنا في مطلع هذا المقال : « أنفكر أم لا نفكر؟» فاننا كنا على ثقة من انه لا بد لنا في كلتا الحالتين من التفكير ! والحق أن من أهم خصائص الروح الفلسفية تلك النزعة التأملية Reflexive التى ينعكس فيها الفكر على ذاته ، لكى يسبر غور امكانياته ، ويتعرف على ما لديه من قدرات . فالفيلسوف هو ذلك المفكر الذى يتركز جانب كبير من تفكيره حول « الفكر » نفسه . صحيح ان الناس جميعا يفكرون ، ولكن الفيلسوف هو وحده الذى يشغل نفسه بمعرفة طبيعة الفكر ومقدرته وحدوده ومظاهر نقصه .. وحين قال جوته Goethe لصديقه الشاعر شيلر Schiller « اننى لا افكر في الفكر على الاطلاق » ، فانه كان يعنى بذلك انه لا يحرص على الارتداد الى ذاته ، من أجل فحص قدراته العقلية ، بل يتجه بكل انتباهه نحو العالم الخارجى ..

واما الفيلسوف فانه يريد أن يمتحن تلك الأداة التى يستخدمها في المعرفة (الا وهى الفكر) ، حتى يتأكد قبل الشروع في استخدامها من أنها صالحة للوظيفة التى جعلت لها . وحتى حين يخطر على بال الفيلسوف أن ينتقص من قدر العقل البشرى ، فانه عندئذ انما يستعين بالفكر نفسه في سبيل اثبات عجز الفكر عن المعرفة وقصوره عن ادراك الحقيقة ، وكأن في وسع العقل أن يعرف حدوده ، أو أن يقف على ما لا سبيل له الى ادراكه !

وليس من شك في أن من طبيعة « الفكر » أن يتجه في العادة نحو شيء آخر غير ذاته ،خصوصا وأن ارتداد الفكر الى ذاته أو انعكاسه على نفسه يكاد يبدو ظاهرة شاذة أو غير طبيعية ، ولكن هذه الظاهرة نفسها تمثل سمة هامة من سمات التفكير الفلسفى . وقد يقال ان دراسة المرء لأدواته في المعرفةلاتكفى بحال لاظهاره على طبيعة موضوعات المعرفة ذاتها ، ولكن من المؤكد أن تصحيح طريقنا في النظر الى الأشياء قد يكونهو الكفيلبمساعدتنا على ادراك تلك الأشياء ادراكا صحيحا سليما . صحيح اننى حين اعمد الى دراسة شكل النظارة التى أضعها على عينى ، ونوع العدستين المركبتين فيها ، وطريقة انكسار الأشعة في كل منهما،فاننى لن استطيع أن أتوصل ــ عن هذا الطريق ــ الى فهم وظيفة الابصار ، أو رؤية الأشياء الواقعية على ما هى عليه ، ولكن من الواضح أن اهتمامى بمراجعة العدسة التى أنظر من خلالها الى العالم ستكون هى الكفيلة بتصحيح وضع الأشياء أمام ناظرى ، .. وليس معنى هذا ــ بطبيعة الحال ــ أن أقصر كل اهتمامى على دراسة عدستى نظارتى، أو ازالة ما علق بهما من غبار ، مغفلا تماما حقيقة تلك الأشياء التى أراها من خلالهما ، بل لا بد لى من الاهتمام بمنظارى بالقدر الذى يعيننى على الرؤية الصحيحة .

وبعد ، فاننا نحسب أن القارىء لا بد من أن يكون قد لاحظ معنا انه لا مندوحة لنا من التفكير، ولكنه لا بد من أن يكون قد اخذ علينا اننا لم نستطع ان نفكر ، دون أن « نفكر » في «التفكير» نفسه ، وكأن كل أهمية تلك « المهارة العقلية »* التى يسمونها بالفكر لا تكاد تعدو عملية «التأمل» التى يرتد فيها الفكر الى ذاته ، لكى يتملى ذاته بنوع من الاعجاب النرجسى ! ■■

زكريا ابراهيم

---

(٩) زكريا ابراهيم : « مشكلة الفلسفة » (رقم ٤) ، دار القلم،١٩٦٣ ، ص ١٠٦ ــ ١٠٨ .

البواسير

بقلم : الدكتور علي راضي
زميل كلية الجراحين الملكية بلندن

■ نالت البواسير اهمية كبيرة في الكلام عليها والبحث فيها . وذلك لكثرة انتشارها ، حتى لتجد مرضى البواسير الذين يترددون بالعيادات الجراحية عامة كانت ام خاصة يشكلون عددا غير قليل من مجموع المترددين ، وفي مصر والكويت تتراوح نسبة حالات مرضى البواسير بين ٢ الى ٤٪ من مجموع الحالات الاخرى .

والبواسير مرض يصيب الذكور اكثر مما يصيب الاناث ـ ويصيب المتزوجات اكثر من البنات ولتكرار الحمل والولادة علاقة في تكوين البواسير ، ويندر أن تظهر البواسير في سني الطفولة ، والاطفال الذين يساقون للعيادات الجراحية للنزف مع التبرز في أكثر الاحوال يكون ذلك مرجعه لوجود ورم حميد بالشرج (Rectal Polyp) ويقف النزيف بعد استئصال الورم الذى يشبه ثمرة التوت ، وتظهر البواسير عند البالغين وتزداد ظهورا عند المسنين . على أن بدء البواسير في سن الشيخوخة قد يكون أول ما يكشف النقاب عن ورم خبيث يكمن بالمستقيم أو أسفل الامعاء الغليظة ، وفي كل حالة تظهر البواسير فيها بعد ربيع الحياة يلزم فحص الجزء السفلي من القناة الهضمية بمنظار خاص (Sigmoidoscope) للتأكد من خلوه من الاورام الخبيثة .

ما هي البواسير ؟

والبواسير هي دوالي تصيب مجموعة الاوردة الشرجية (Rectal Venous Plexus) الموجودة بجدار المستقيم تحت الغشاء المخاطي ، وهذه الاوردة تنتفخ بالدم اثناء الحزق الذى يلازم التبرز ، ثم ترجع لطبيعتها بعد ذلك ـ اما اذا استمر الاحتقان تمددت جدران الاوردة،واستطالت وتعرجت لتحوى الدم الوريدى الذى لم يتم شفطه في اتجاه القلب وكونت أوراما صغيرة ترفع فوقها الغشاء المخاطي المبطن للشرج ، وتلك الاورام الصغيرة البارزة بقناة الشرج هى ما ترمز اليه بالبواسير .

ولو تصورنا أن استدارة الشرج تشبه ارضية الساعة ، فان البواسير الأصيلة (Mother Piles) تقع امام الارقام ٣ ، ٧ ، ١١ ، وتظهر واحدة فواحدة أو مجتمعة عندما تبدأ الاعراض في الظهور ، على أن هناك بواسير فرعية

رسم يوضح الاورام الصغيرة البارزة بقناة الشرج وهذه الاورام هي ما نسميه بالبواسير



يتراوح عددها بين واحد وخمسة وهي صغيرة قليلة الاهمية (Daughter Piles) .

أسباب البواسير

وربّ متسائل يسال كيف تحدث البواسير ؟ وهل يمكن تجنبها ؟ ودرج العامة على ترديد ان اكل الحريف والتوابل يسبب البواسير ، والحقيقة ان هذه المشهيات ليست سببا مباشرا ولكنها تساعد على حدوث الالتهاب وظهور الأعراض والالام . ولنتعرف على اسباب البواسير نقسمها الى قسمين مختلفين رئيسيين هما :

أ ـ البواسير الاولية : Primary Piles وهذه قد تصل احيانا الى حجم كبير ، وسببها غير ظاهر او معلوم (Idiopathic) وهذا هو القسم الذى تنفع فيه الجراحة ، وربما كان للوراثة دور في تكوينه ، والامساك يسبب احتقان الاوردة الشرجية وهو سبب مباشر في حدوث البواسير . وعلاجه في الحالات المبكرة يمنع تكوين البواسير .

ب ـ البواسير الثانوية : Secondary Piles وهي تظهر نتيجة لوجود مرض آخر مُسبب ، ومن هنا فان علاجها يكون بتقصي السبب ثم علاج المرض الاساسي . ولا مجال للجراحة في علاجها ، وتقع الامراض المسببة للبواسير تحت طائلة ثلاث مجموعات :

١ ـ المجموعة الأولى : امراض المستقيم مثل الضيق (Stricture Rectum) ، والاورام الخبيثة (Carcinoma) .

٢ ـ المجموعة الثانية : امراض كامنة بالحوض مثل الكيس المبيفي والحمل المتقدم ، وأورام الرحم (Fibroids) وتضخم البرستاتا في الرجال المسنين .

٣ ـ المجموعة الثالثة : الحالات التي يصاحبها ارتفاع ضغط الدم البابي (PortalHypertension) مثل تليف الكبد ، وحالات الامفيزيما والربو الشعبي ، وحالات فشل القلب الاحتقاني (Congestive Heart Failure) .

مضاعفات البواسير

هناك مضاعفات كثيرة للبواسير منها :

١) النزف الشرجي : ويحدث نتيجة احتكاك البواسير بالبراز في عملية الاخراج ، وتكرار عملية النزف يسبب شحوب الوجه وأعراض فقر الدم المزمن (Chronic Anaemia) .

٢) آلام الشرج : ان مجرد تكون البواسير لا يحدث الما وانما يظهر الالم بوقوع المضاعفات مثل الالتهاب (Inflamation) ، أو الاختناق (Strangulation) .

٣) البواسير الساقطة : هي التي تكبر ثم تتدلى خارج فتحة الشرج عند التبرز لتعود الى الداخل في الحالات المبكرة بينما تستمر خارج الشرج ان قبضت عليها العضلة العاصرة ومنعت الارتجاع ، وقد تعصر البواسير وتختنق بقوة القبض وتسبب آلاما غير محتملة ، وسقوط البواسير لدى المسنين يساعد على السقوط الجزئي للشرج حيث يتدلى الغشاء المخاطي خارج فتحة التبرز بصورة مؤقتة او مستديمة يلزم معها العلاج .

٤) الحكة الشرجية : (Pruritis Ani) تكون نتيجة الافرازات التي تأتي مع الالتهاب والسقوط وقد يحك المريض جلده حكا يتقرح فيه الجلد حول الشرج أو تظهر الاكزيما والحساسية ، وكثير من المرضى الذين يصابون بالحكة الشرجية يسارعون في عصبية وانفعال باستشارة الطبيب لأن ذلك يسبب لهم كثيرا من الحرج ويحرمهم لذة النوم حين تزداد الحكة عند الخلود الى الفراش .

٥) الخراريج والنواسير والشرخ الشرجي : كل هذه اصابات تحدث بالقناة الشرجية مع البواسير وقد تتكون كلها مجتمعة او متفرقة ، ويختلف ذلك من حالة الى أخرى .

أعراضهـــا

ومن الاعراض التى تتميز بها البواسير النزف الشرجي الذى يحدث مع التبرز ، ولا يصاحبه الألم ، ويسترعى انتباه المريض عند الاغتسال ، وتقطر البواسير دما في كل مرة يذهب صاحبها الى المرحاض ، ويختلف الدم كمية ولونا ويؤدى فقدانه الى شحوب الوجه وسرعة التنفس وسائر أعراض الأنيميا المزمنة ، على أن ظهور الألم يعنى امراضا اخرى غير البواسير مثل الالتهاب الصديدى Perianal Suppurations ، أو الشرخ الشرجي A. Anal Fissure ، اذ كما اسلفنا لا يظهر الالم مع البواسير الا ان حلت بها المضاعفات وفي النادر ما تظهر البواسير مع سقوط الشرج

الجزئي أو الكامل ويصاحب ذلك افرازات تلوث الملابس وتدعو الى الحكة والعصبية .

ومريض البواسير التي أزمنت تجده شاحب اللون من فقد الدم بعملية النزف المتكرر ، وأما الذى حلت به المضاعفات فهو من شدة ما يتألم يمشي مشية خاصة ، وهو ان جلس فعل ذلك باحتراس وظل على حافة المقعد وتراه جالسا يتجنب السعال والحزق حتى لا يزيد آلمه .

والطبيب المعالج يفحص الشرج بالعين المجردة ومن خلال منظار شرجى خاص Proctoscope كذلك تفحص القناة الشرجية جسا بالسبابة اليمنى ، وقد يصعب اجراء كل تلك الفحوص عند وجود الالتهاب .

والآن وقد ثبت لدى المعالج أن مريضه مصاب بالبواسير ، فكيف يرسم له طريق العلاج ؟ وهل بالجراحة وحدها تعالج البواسير أم تعالج بغير العمليات أحيانا ؟

العلاج

ان علاج البواسير لا يقتصر على الجراحة . والعمليات الجراحية لا تجدى الا في ظروف معينة يرد الكلام عنها ، وهناك طرق متعددة للعلاج ، فمنها ما يعالج بالأدوية والمراهم ومنها ما يعالج بحقن البواسير ومنها ما لا ينفع معه الا الاستئصال الجراحى . ولكل طريقته وظروفها ومبرراتها ، وعلى الجراح المعالج مهمة اختيار سبيل العلاج الذى يوصل مرضاه الى الشفاء .

والعلاج بالأدوية يتلخص في اعطاء المريض مليِّنات تجنبا للامساك وهو سبب مباشر لتكوين البواسير كما بينا ـ مع استعمال بعض المراهم الموضعية التى تحتوى على مادة قابضة ومخدرة Styptic & Anaesthetic ليقف النزيف ويزول الألم وهناك عقار جديد على شكل كبسولات يعطى بالفم يرجع انه يلعب دورا في علاج البواسير والدوالى عامة واسمه Glyvenol ، ولكن فاعلية العقار ما زالت تنتظر كثيرا من التجارب والتقييم .

والعلاج بالحقن يكون بحقن البواسير بمواد مهيجة Irritant لتجلط الدم داخلها ، فيسدها ويحولها الى كتلة متجلطة تتليف وتضمر وتختفى داخل المستقيم ، وهذه الحقن تعطى بواسطة الطبيب ، وكثيرا ما يستدعى الامر تكرار الحقن على فترات قبل الوصول الى نتيجة مرضية ، وهى طريق من العلاج لا يخلو من المضاعفات ان لم يتم في اتقان وعناية .

ثم يتبقى بعد ذلك العلاج بالجراحة ، وهو أيسر الطرق وأسرعها خطوات نحو الشفاء ان تم في ظروفه المناسبة ، والبواسير المبتدئة ان عولجت بالجراحة فهى عرضة للارتجاع وأنسب الحلول لعلاجها استعمال الأدوية والمراهم، فاذا ما استمرت في التضخم ، واكتمل عددها حل موعد الجراحة. والبواسير الملتهبة والمتجلطة والمختفية كل تلك تعالج باستعمال الحمامات الدافئة بمطهر الديتول أو برمنجنات البوتاسيوم واستعمال مكمدات تحت خلات الرصاص حتى يهبط الالتهاب وتهدأ الاعراض، وتوضح بعد ذلك بكل جلاء انه لا مجال لاجراء الجراحة عند وجود هذا الدور الحاد حيث ان العملية حينئذ تعرض صاحبها لكثير من المضاعفات فوق ما يحدث من نزيف من موضع العملية قد يهدد الحياة ، ولا ننصح بالجراحة الا بعد فترة قد تمتد عدة أسابيع بعدها يكون قد تلاشت آثار الالتهاب والمضاعفات .

على انه اذا كانت البواسير ساقطة أو نازفة يجدر بنا أن نعجل بالعملية لأن الأولى عرضة للمضاعفات والثانية تؤدى الى فقر الدم المزمن والاجهاد الجسمانى العام .

ورغم قولنا ان استئصال البواسير جراحيا هو أيسر السبل وأضمنها للشفاء الا انه من جهة أخرى قد يعرض المريض الى بعض المضاعفات بعد العملية مثل الالم واحتباس البول والنزف وتضييق الشرج Rectal Stricture والارتجاع Recurrence ـ لكن من حسن الحظ أن كل تلك المضاعفات يمكن تجنبها بتخير الحالات التى تعد للجراحة ، والعناية أثناء أجراء العملية ، واستعمال المسكنات والمواظبة على توسيع الشرج Dilatation في دور النقاهة ، وليس صحيحا ما تسمع أن العملية يعقبها الم شديد ، وانما تلك اشاعة فزع تلقى رواجا بين المرضى الذين يعدون للجراحة ، وليطمئن المريض فان كثيرا ممن أجريت لهم العمليات في وقتها المناسب هجرهم الألم تماما ، وتحسنت شهيتهم للاكل ، وقويت بذلك أبدانهم . ■■

علي راضي

مستشفى الصباح ـ الكويت

مالك بن الرَّيب

تصعلك وكسب قوته بسيفه "وعون الله" ثم تاب وأناب وحارب في سبيل الله

بقلم : الدكتور حسين عطوان

الجامعة الاردنية ـ عمان

■ يعرف الناس ـ متخصصين وغير متخصصين ـ عن مالك بن الريب التميمي أنه كان لصا يصيب الطريق ، ويعرفون عنه أنه توفي في طريقه من خراسان الى البصرة مع سعيد بن عثمان بن عفان ، ويحفظون له كذلك قصيدته اليائية التي رثى بها نفسه ، وهو يجود بروحه . أما بعد ذلك فيكادون يجهلون سائر أخباره واشعاره . ولم تخف أخباره على المحدثين فحسب ، بل خفيت أيضا على القدماء ، حتى خلطوا بينها وبين أخبار غيره من الشعراء ، وداخلوا بينهما مداخلة عجيبة ، ونسبوا اليه منها ما لا يصح أن ينسب اليه ، وانطقوه بشعر لم ينطقه .

ومالك بن الريب واحد من أولئك الشعراء القلائل النابهين الواعين الذين ربطوا حياتهم بحياة جمهور الناس ، وعبّروا عن مشاكلهم وآمالهم ، وطالبوا الولاة والعمال بالعدل في سياسة الرعية ، والالتزام بالحق في تسيير أمورها ، والحكم بينها دون تمييز بين فرد وآخر منها الا على أساس فضله في نفسه وعمله .

ويصحّ أن نوزّع حياته على دورين مختلفين متميزين : دور النشأة والتصعلك ، ودور التوبة والصلاح والجهاد في سبيل الله . أما في الطور الأول من عمره فقد ولد في بادية بني تميم بالبصرة ، اما قبل سنة عشرين للهجرة ، أو بعدها بقليل ، وشبّ بينهم ، ثم تزوج من امرأة لا نعلم عنها شيئا سوى أنها أنجبت منه بنتا سمّاها شهْلة .

ومن المحقق انه نشأ نشأة فقيرة بائسة ، لم يجد معها ما يُقيمُ به نفسه واهله ، ومن المحقق ايضا ان العُدْمَ والعَوَزَ وسوءَ الحال هي التى حملته الى التصعلك ، واكتساب قوته ورزقه بالاغارة والسلب، متكلا على ربه الذى يحرسه ويرعاه ، ومعتمدا على سيفه الذى يُعينه في الشدائد ، وفرسه الذى يُسعفه في تجرّده للغارات على القوافل على نحو ما يتضح في قوله :

سَيُغْنِينِى المليكُ ونَصْلُ سيفى
وكرَّاتُ الكُمَيْتِ على التجَارِ

ولذلك تزعّم عصابة من فقراء قومه ، واخذ يغير بهم على أحياء العرب ، ويتربص بالقوافل ، ويقطع السبل ، حتى روّعوا الناس ، وأخافوهم ، وحتى ذاع ذكرهم ، وكبر خطرهم ، فاذا احد الرُّجاز يقول فيهم : ــ

الله أنجاكَ من القصيمِ
وبطْنِ فَلْجٍ وبنى تميمِ
ومن أبي حَرْدَبَةَ الأثيمِ
ومالك وسيفه المسمومِ
ومن شَظَاظَ الأحمرِ الزنيمِ
ومن عُوَيْثٍ فاتحِ العُكُومِ

ومضى مالك على هذا النحو ، يغزو ويغير ، ويسرق ويغتصب حتى وقع بقبضة عامل مكة ، فحبسه بمكة في سرقة سرقها ، وعذّبه عذابا شديدا ، وفي ذلك يقول : ــ

أتلحق بالريب الرفاقُ ومالكٌ
بمكةَ في سجن يُعنّيه راقِبُهْ

وبقي في الحبس حتى استشفع له شمّاس بن عقبة المازنى عند عامل مكة ، فصفح عنه واطلق سراحه .

ولكنه لم يتب عن التصعلك والتلصص ، بل استمر فيهما ، وازداد فتكا على فتك ، وتمرّدا على تمرّد : حتى سام هو ورفاقه الناس شرًّا ، فطلبهم مروان بن الحكم ، وهو عامل على المدينة . وكتب الى واليه على نجد ان يتعقّبهم ، وان يتشدّد في طلبهم ، حتى يقبض عليهم . فبعث اليهم الحارثَ بنُ حاطب الجُمَحِيّ ساعيا من سعاته، فاخذ مالكا واخذ ابا حرْدبةَ وبقية رفاقه، وارسل بهم الى المدينة مُقيّدينَ مُقادين . غير انّ مالكا تغفل حارسه وقتله ، ثم لحق بأبى حردبة وخلّصه ، وركبوا ابل السُعاة الذين قتلوهم ، وفروا بها الى البحرين ، ومنها توجّهوا الى بلاد فارس ، خوفا من الجريمة التى ارتكبها مالك ، وقتل فيها أكثر من شرطى .

واخذ مالك بعد ذلك ينتقد الخلفاء الأمويين وولاتهم وسعاتهم نقدا دقيقا ، مبيّنا ما كانوا يقترفون من الأخطاء والمظالم وهم يطبقون النظام المالى ، ويجمعون الصدقات . وكيف أنهم كانوا يجتهدون في جمع الأموال من القبائل ، حتى اذا ما استوفوها منها ، استأثروا بها لأنفسهم ، ولم ينفقوا منها شيئا على الفقراء والمحتاجين ممن جعل لهم القرآن فيها حقا معلوما ، ومن ادقّ نقده لهم ، وتنديده بهم قوله :

أحقًا على السلطانِ أمّا الذى لـه
فيُعْطَى وأمّا ما عليه فيَمْنَعُ
وما أنا كالعيرِ المُقيمِ لأهلِهِ
على القيدِ في بحبُوحةِ الضَيْمِ يَرتَعُ

كذلك انتقد سياستهم الجائرة في معاملتهم للقبائل ، فقد كانوا يتقرّبون الى القبائل العدنانية ، ويذكّرونها بما يربط بينهم وبينها من أواصر القربى حين يخرج عليهم الثائرون ، فاذا ما قضوا عليهم بمساعدتها عادوا الى سيرتهم الأولى معها من التنكّر لها والعنْف بها ، وفي ذلك يقول :

لو كنتمُ تنكرونَ الغَدْرَ قلتُ لكمْ
يا آل مروانَ جارى منكمُ الحَكَمُ

وأتقيكم يمينَ الله ضاحيـــــــةً
عند الشهودِ وقد تُوفي به الذّممُ
لا كنتُ أحدثْتُ سُوءاً في إمارتكمْ
ولا الذي كان مني قَبْلُ يُنْتَقَمُ
نحن الذين إذا خِفتُمْ مُجلّـــلةً
قلتم لنا إنّنا منكم لتعتصمــــوا
حتى إذا انفرجتْ عنكم دُجُنّتُها
صِرتُمْ كَجَرْمٍ فلا إلٌ ولارحم

ولم يزل مالك متصعلكا متلصصا ، متشردا متابدا في مجاهل الارض وقفار الصحراء الى ان مرّ به سعيدُ بن عثمان بن عفان بيطن فلج، وهو متوجه الى خراسان بعد ان عينه معاوية ابن ابي سفيان واليا عليها سنة ست وخمسين للهجرة ، فاستدعاهُ وساله عن سبب تصعلكه وعبثه في الارض فسادا ، فاجابه بان الاملاق والاقلال هما اللذان اكرهاهُ على ذلك اكراها ، فاستتابهُ ، وفرض له عطاء مقداره خمسمائة والحقه بجيشه . وهنا ينتهي الطور الاول من عمره ، ويبدا الطور الثاني : طور التوبة والصلاح والجهاد في سبيل الله .

والراجح انه لم يذهب مع سعيد بن عثمان بن عفان الى خراسان يوم استتابه ، بل رجع الى أهله وودعهم ، ثم انطلق الى خراسان . ومما يدلّ على ذلك هذه القصيدة التي رواها له ابو الفرج الاصفهاني ، والتي يصور فيها تعلق ابنته به ، وخوفها عليه ، كما يصف فيها أيضا ايمانه العميق بالله ، وانه في رعايته اينما ذهب، يكتب له ما يشاء من الموت او الحياة، وانه مصمم لذلك على الانتظام في جيش ابن عفان ، والقتال في سبيل الله ، اذ يقول :

ولقد قلتُ لابنتي وهي تُبكـــي
بِدَخيلِ الهموم قلباً كَئيبـــا
وهي تُذْرِي من الدموعِ على الخدّ
ينِ من لَوْعةِ الفراقِ غُروبـــا
عبراتٍ يَكدْنَ يَجْرَحْنَ ما جزْ
نَ به أوْ يَدَعْنَ فيه نُدوبـــا
حَذَرَ الحَتْفِ أنْ يُصيبَ أباها
ويُلاقي في غير أهلٍ شَعُوبـــا
اسكتي قد حَزَزْتِ بالدَّمْعِ قلـبي
فعسى اللهُ أنْ يُدافعَ عنـــي
طالَما حَزَّ دَمْعُكنَّ القُلوبـــا
رَيْبَ ما تَحْذَرينَ حتّى أؤوبـــا
ليس شيئاً يشاؤه ذو المعالـــي
بعزيزٍ عليه فادْعِي المُجيبـــا
ودَعي أن تُقَطِّعي الآن قلـبي
أوْ تُريني في رحلتي تَعْذيبـــا
أنا في قَبْضةِ الإله إذا كنـــ
ـــتُ بعيداً أو كنت منك قريبـــا
كم رأينا امرأً أتى من بعيـــدٍ
ومُقيماً على الفراش أُصيبـــا
فَدَعِيني من انتحابك إنّـــي
لا أبالي إذا اعتَزَمْتُ النَّحيبـــا
حَسْبِيَ اللهُ ثم قرّبت للسيْـــ
ـــرِ علاةً أنجِبْ بها مَرْكوبـــا

ويلتحق بسعيد بن عثمان ، ويصل معه الى خراسان ، وتدور بين جيش المسلمين وجيش

الأتراك معارك حامية ، ويبلي فيها مالك بلاءً حسنا ، ويهزمُ الأتراك . غير ان المسلمين لم يقضوا عليهم قضاءً مبرماً ولا فتحوا بلادهم ، لأنهم كانوا أقوياء أشداء ، فخشيَ سعيد ان يتغلبوا على جنده، فمال الى مهادنتهم ومفاوضتهم ولم يعجب صنيعهُ مالكا ، بل اثاره واغضبه، وجعله يحضه على النضال والقتال حضاً ، مستنهضا له بتذكيره اياه بالمعارك التي خاضوها ضد الأتراك ، وانتصروا فيها عليهم ، وباعثا فيه الأمل ببسالة رجاله وبطولتهم ، ولائماً له بعض اللوم بمثل قوله له :

يا قلَّ خيرُ أمير كنتُ أتبعُــــهُ
أليس يرهبُني أم ليس يرجوني
أم ليس يرجو إذا ما الخيلُ شمّصها
وقعُ الأسنَّة عطفي حين يدعوني
لا تحسبنَا نسينا من تقادُمِـــهِ
يوماً بطاسَى ويومَ النهرِ ذا الطّينِ

ويبدو أن سعيدا لم يستمع الى نصيحة هذا الصعلوك صحيح العزم ، قوي الارادة ، ولا عمل بها ، بل تخاذل وتكاسل ، واستمر يهادن الأتراك ويفاوضهم ، فهجاه لذلك هجاء لاذعا ، ووبخه أعنف التوبيخ ، ورماه بالخوف والجبن ، ونفاه عن والده عثمان صاحب الهمة العالية ، والتقدير السليم ، وجعله عارا عليه ، وسُبّة له ، اذ يقول فيه :

مازلتَ يومَ الصُّغْدِ تُرْعِدُ واقفاً
من الجبن حتى خفتُ أنْ تتنصرا
وما كان في عثمانَ شيءٌ علمتُــهُ
سوى نسْلِهِ في رهطِهِ حين أدبرا

ولم يزل به يحضه ويستنهضه ، ويلومه حتى عدل عن الموادعة والمساومة ، وزحف بجموعه على الأتراك ، ومزقهم شر ممزق ، فخضعوا لــه صاغرين ، وأطاعوه مغلوبين .

وتطول الغربة بمالك في خرسان ، ويملأ عليه الحنين ارجاء نفسه الى وطنه واهله ، فقد اغترب عاما وبعض عام ، فيهتف واصفا شوقه اليهم :

تُذكّرني قبابُ التُّركِ أهلــي
ومَبْداهُمْ إذا نزلوا سَنَامــــا
وصوتُ حمامةٍ بجبال كِــسٍّ
دعتْ مع مطلعِ الشمسِ الحَماما
فبتُّ لِصَوْتِها أرِقًا وباتـــتْ
بِمَنْطِقِها تُراجعني الكلامـــا

وتنزل مقدمة الشتاء بخراسان ، ويشتد البرد فيها ، ويتراكم الثلج بها ، فلا يطيق مالك ابن الصحــراء الدافئة زمهريرها ، بل ترتعش اطرافه منه : فلا يجد مفراً من استعطاف سعيد والاستقالة بعلعله يعود الى بلاد العرب، وينجيه من شدة البرد ، وقسوة الثلج ، فقد نهضوا بواجبهم وفتحوا بلاد الترك ، أما الشتاء فهو شرُّ خصومهم ، وأقوى أعدائهم ، لا يستطيعون مغالبته ولا قهره ، وفي ذلك يقول :

هبّتْ شمالٌ خريفٌ أسقطتْ ورقاً
واصفرَّ بالقاعِ بعدَ الخُضْرةِ الشّيحُ
فارحلْ هُديتَ ولا تجعل غنيمتنا
ثلجاً تُصفّقُهُ بالترمِذِ الرّيحُ
إنَّ الشتاءَ عدوٌ ما نُقاتلــــه
فاقفلْ هُديتَ وثوبُ الرّقِّ مطروح

وفي سنة ثمان وخمسين للهجرة عزل معاوية بن ابي سفيان سعيد بن عثمان بن عفان عن خراسان، وولّى عليها عاملا آخر ، فعاد منها ، وعاد معه مالك بن الريب . وقد اختلف القدماء في سبب وفاته ، فمنهم من قال انه طُعِنَ وهو يغزو بخراسان طعنةً أودتْ بحياته ومنهم من ذهب الى انه قال قصيدته البائية المشهورة قبل وفاته

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة ... بجنب الغضى أزجي القلاص النواجيا
فليت الغضى لم يقطع الركب عرضه ... وليت الغضى ماشى الركاب لياليا
لقد كان في أهل الغضى ، لو دنا الغضى ، ... مزار ، ولكن الغضى ليس دانيا
دعاني الهوى من أهل ودي وصحبتي ... بذي الطبسين فالتفت ورائيا
ألم ترني بعت الضلالة بالهدى ... وأصبحت في جيش ابن عفان غازيا
فلله دري يوم أترك طائعا ... بني بأعلى الرقمتين وماليا
ودر كبيري اللذين كلاهما ... علي شفيق ناصح قد نهانيا
ودر الظباء السانحات عشية ... يخبرن أني هالك من ورائيا
ولما تراءت عند مرو منيتي ... وخل بها جسمي وحانت وفاتيا
تفقدت من يبكي علي فلم أجد ... سوى السيف والرمح الرديني باكيا
وأشقر خنذيذ يجر عنانه ... إلى الماء لم يترك له الدهر ساقيا
ولكن بأطراف السمينة نسوة ... عزيز عليهن العشية ما بيا
صريع على أيدي الرجال بقفرة ... يسوون قبري حيث حم قضائيا
أقول لأصحابي ارفعوني لأنني ... يقر لعيني أن سهيل بدا ليا
فيا صاحبي رحلي دنا الموت فانزلا ... برابية ، إني مقيم لياليا

تلك التي تبلغ ثمانية وخمسين بيتا ، والتي يرى ابو عبيدة معمر بن المثنى ان الذى قاله منها ثلاثة عشر بيتا ، وأما سائرها فمنحول عليه . وسواء استشهد في الفتح أو مات بالمرض فالذى لا شك فيه أن الأجل لم يمتد به الى ما بعد سنة ثمان وخمسين للهجرة .

وظن المرزباني صاحب معجم الشعراء أنه عاصر الحجاج بن يوسف الثقفي ، وانه هجاه ، وهرب منه وتشرد واصاب الطريق ، وذهب ايضا الى انه غزا مع سعيد بن العاص خراسان . وكل ذلك خطأ منه ، لأن مالكا لم يهج الحجاج ، وانما الذى هجاه شاعر آخر هو البرج بن مسهر التميمي ، لأنه ألزمه بالخروج مع المهلب بن ابي صفرة لمقاتلة الخوارج ، فرفض امره وفر منه الى الشام ، ثم هجاه ، وقد نص على ذلك ياقوت الحموي في معجم البلدان . وسبب هذا الخطأ الذى وقع فيه المرزباني انه راى ابن قتيبة والمبرد ينسبان الى مالك ابياتا في هجاء الحجاج ، لم يتوثقا من صحة نسبتها اليه ، ولو تحريا الدقة لعرفا انها ليست له لأن مالكا توفي والحجاج لا يزال فتى لم يتجاوز السادسة عشرة من عمره ، ولم يصبح شيئا مذكورا .

ولعل فيما قدمنا ما يكشف عن شخصية مالك ابن الريب ، ويوضح بعض جوانب حياته . ولعل فيه أيضا ما يدل على أنه انما تصعلك وتلصص بسبب فقره واهمال الأمويين له ولأمثاله من الفقراء المحتاجين ، الذين كانوا بحاجة الى البر والمواساة . فلما وجد من يعطف عليه ، ويتولاه بخيره ترك التصعلك ، وانضم الى جيش الفتوح ، وجاهد جهاد المؤمنين الصالحين في سبيل نشر الدين الجديد في الارض ، واعلاء كلمة الله ، وبلغ من حماسته ورسوخ عقيدته أن هجا قائده وهو ابن الخليفة عثمان بن عفان ، حين رآه يقعد عن القتال ، ويعمد الى المسالمة والمساومة . ■■

حسين عطوان



حُرِّيَةُ الفَرْد

دراسةٌ إحصائيةٌ في الشبابِ الجامعيّ

■ هذا فصل آخر من تجربتي التى نوهت بهاق العدد ١٢٩ (آب ١٩٦٩) من « العربى » الاغر وقلت ق تقديمها يومئذ ان ما دفعنى الى القيام بها (ما وجدته ق طلبتنا الجامعيين ق العراق ـ وربما امكن تمديد هذه الملاحظة الى اقرانهم فىالبلاد العربية الاخرى ـ من تعلق صوفي متشدد بالافكار والشعارات التى يظنون انهم يعتقدونها ولم يكن من المؤكد دائما انهم يحملون لها أو عنها معانى محددة واضحة) .

لقد تناولت في الحديث السابق نتائج التجربة فيما يتعلق بموقف الطلبة الجامعيين من قضية النظام الاجتماعى « وتقويمهم له . ويتناول حديث اليوم نتائج التجربة فيما يتعلق بـ « حرية الفرد او حرية ارادته » .

★ ★ ★

تتكشف اجوبة المشاركين عن مواقف ثلاثة عامة.

الموقف الأول : ينظر الى « حرية الارادة » على انها رفض كلي لجميع القيود التى تتعارض مع تطلعات الفرد ورغباته واجتهاداته الخاصة .

الموقف الثاني : يقوم على القول بـ « الاختيار » بديلا لحرية الارادة او تفسيرا لها .

الموقف الثالث : ينظر الى حرية الارادة على انها القدرة على ممارسة الضبط الذاتي والانسجام مع الاحوال القائمة خارج الانسان والتفاهم معها .

ويصور الجدول التالي درجة الانحياز الى كل من المواقف الثلاثة عبر محاولات التجربة الثلاث .

المواقف الاساسية من حرية الارادة

الموقف	عدد القائلين به ونسبتهم المئوية في					
	المحاولة الاولى		المحاولة الثانيه		المحاولة الثالثة	
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة
الموقف الأول ـ حرية الارادة هي الرفض الكلي لاية قيود على تطلعات الفرد ورغباته واجتهاداته	١٨	٣٠٪	٥	٨ر٣٪	١	١ر٧٪
الموقف الثاني ـ حرية الارادة هي الاختيار الحر .	٢٤	٤٠٪	٣١	٥١ر٧٪	٢٠	٣٣ر٣٪
الموقف الثالث ـ حرية الارادة هي القدرة على ممارسة الضبط الذاتي .	١٧	٢٨٪	١٢	٢٠٪	٣٩	٦٦٪



تكشفُ تقديرهُ إيّاهـا

بقلم
الدكتور جـواد رضـا
استاذ التربية المقارنة في جامعة الكويت

تحليل المواقف الاساسية من حرية الارادة

الموقف الاول

حرية الارادة هي الرفض الكلي لجميع القيود التى تتعارض مع تطلعات الفرد ورغباته واجتهاداته الخاصـة .

هذا هو أشد المواقف تطرفا في تثمين الحرية الفردية وممارسـة الارادة وادراك الذات مـن خلالها . غير أنه موقف غير مسؤول ولعل تجرده من المسؤولية هو الذى سلبه قوته التى بدأ بها فقد تطامنت نسبة القائلين به عبر المحاولات الثلاث من ٣٠٪ الى ٨ر٣٪ الى ٧ر١٪ على التوالي . وهو في جملته تصوير للرفض الكلي لحق المجتمع ـ او القوى العلوية ـ في التدخل في حرية الفرد . وقد ظل هذا الرفض مسموعا بقوة وتاكيد عبر المحاولات الثلاث . وكانت حرية الارادة في المحاولة الاولى تعنى ، وببساطة « ترك النفس تعمل ما تهواه وترغب فيـه دون قيـد اجتماعي او اقتصادى » (١) او « قوة ذاتية توجه الفرد وتحفزه للقيام بعمل ما دون ان يكون هناك مؤثر خارجى ». ثم هي بعد ذلك رفض صريح للعادات والتقاليد او النظام الذى يرسمه جهاز الدولة ليحدد سلوك الفرد (حرية الارادة هي قابلية الفرد على القيام بسلوك معين بغض النظر عن العادات والتقاليـد او النظام الذى يرسمه جهاز الدولة ليحـدد سلوكه) . ولا يكتفى هنا بالنظر الى حرية الارادة على انها مجرد فكرة او رغبة بل ومن حيث هى ممارسة فعلية ، ذلك انه من خلال الممارسـة الفعلية فقط يحدد الانسان ذاته وينال حريتـه (حرية الارادة هى حرية التعبير عـن الـذات وتنفيذ رغبات النفس تنفيذا فعليا) . والانسان الحر « فعلا » هو وحده الذى « لا يمكن ان تفرض عليه اية قيود » .

وترتبط حرية الارادة بالمصلحة الفردية ارتباطا جوهريا (حرية الارادة هى القابلية على التصرف بحرية تامة وحسبما تمليه مصلحة الفرد وآراؤه).

على ان هذا الرفض للقيد على حرية التصرف الفردى قد لا يقف عند حدود المجتمع البعيدة وانما هو قد يشمل الحدود القريبة التى يرسمها الآباء للابناء على ضوء ما مر بهم من الخبـر والتجارب . وهنا تكون حرية الارادة « تلـك التصرفات التى يتمتع بها الانسان حسب مشيئته غير متأثر بتعاليم والديه وتربيتهم » .

في المحاولة الثانية ظل التاكيد على رفض القيود الخارجية على حرية التصرف الانسانى قائما مع ضيق كبير في نسبة القائلين به (٣ر٨٪). والظاهرة الرئيسية في هذه المحاولة الثانية والثالثة تتمثل في تاكيد الذات Self Assertion ، من خلال الرفض لحق المجتمع او القوى العليا في تقييد سلوك الفرد. وقد عبر هذا التاكيد عن نفسه باكثر من صورة واحدة ، تارة يكون بعيدا ومن خـلال الضمائر الذاتية (حرية الارادة هى التصرف بما تمليه علينا ارادتنا من دون قيد او شرط) ، وتارة يكون صريحا ومباشرا (حرية الارادة هـى كل ما يعبر عن مشاعر الفرد وخواطره وافكاره في معزل عن اى تأثير خارجى) او هى تمكين الفرد من « أن يعبر عن نفسه ومن آرائه مهما كانت » .

هل في هذا التاكيد للذات شكوى صامتة من جور الاوضاع الاجتماعية على فردية الانسان؟ جائز جدا .

---

(١) يلاحظ هنا ان الرفض يتخطى الحدود الاخلاقية والقانونية الى رفض الوضع الاقتصادى اذا ماتعارض مع ارادة الفرد الحرة .

الموقف الثاني

يقوم على القول ب « الاختيار » بديلا لـ«حرية الارادة » وتفسيرا لها .

يتبلور هذا الموقف حول الربط بين حرية الارادة وحرية الاختيار وبهذا تكون الارادة ذاتها نوعا من انواع الاختيار . وقد برز هذا الربط واضحا منذ البداية وان اختلفت سبل التعبير عنه ودرجاتها من الدقة والتصميم . ومنذ المحاولة الأولى كان هناك ما يشبه الاجماع على تقرير مبدأ عام وهو أن حرية الارادة تعنى حرية الاختيار ثم اختلف في التفاصيل . بالنسبة للبعض كانت حرية الارادة تعنى « الحرية في أن نختار ما نريد ونعبر عما نريد » . والاختيار هنا يشمل المواقف السلبية والايجابية على حد سواء (حرية الارادة هي قدرة الانسان على القيام بعمل من الاعمال أو عدم القيام به) . وهذه الحرية في الاختيار ترتبط بحرية الفرد في تقرير مصيره (أنا حر .. ما دمت أخطط لحياتي ومستقبلي) .

لقد ظل تأكيد حرية الاختيار بديلا لحرية الارادة وتفسيرا لها متواترا في المحاولتين الثانية والثالثة ، كذلك ظل القول يتكرر بأن حرية الارادة هي « القدرة على قول نعم أو لا من دون مؤثرات خارجية » وان تكن الصبغة الفلسفية للاجوبة تتضح خلال هاتين المحاولتين في اسلوب التعبير . من هونا صارت حرية الارادة تعنى « قدرة الفرد على اختيار الاشياء التى يريدها دون أن يكون واقعا تحت تأثير قوى خارجية .. مادية .. أو سامية .. » .

وما دام القول بأن الحرية لا تتحول الى وجود حقيقي تلقائيا صائبا ، فان حرية الارادة لا تعنى حرية الاختيار وحسب بل تعنى كذلك امكانية الاختيار . وكيما يكون الاختيار ممكنا وجيدا فلا بد اذن أن يكون اختيارا بين بديلات Alternatives متكافئة في القيمة والأهمية . وبهذا المعنى ينقلب الاختيار الى نوع من أنواع تقرير المصير . والتخطيط للمستقبل (حرية الارادة هي اختيار الشخص لما سيكون وسيعمله) غير أن هذه الحرية في الاختيار ليست غير مشروطة ولا مقيدة . والمشاركون في التجربة يسلمون بثلاثة انواع من الشروط حدودا لحرية الاختيار وهي :

أولا — المصلحة الاجتماعية التى تحددها الاعتبارات الوطنية والقومية والانسانية (حرية الارادة هي التصميم أو العزم على عمل شيء معين أو بناء للحاضر والمستقبل على أن لا يتناق ذلك مع مصالح المجتمع) أو هي « حق الفرد في التصرف بأشيائه وحياته الخاصة كما يريد على أن لا يتعارض مع مصلحة المجتمع » . مفهوم المخالفة هنا هو أن مصلحة المجتمع هي التي تقرر اختيارات الفرد عرفا او عادة او تشريعا . واذا كان ذلك فان المصلحة القومية او الوطنية او الانسانية العليا يمكن أن تكون مصدرا من مصادر حرية الارادة ذاتها (حرية الارادة هي القدرة على الاختيار من بين بديلات ، ومن ثم التصميم وأخيرا التنفيذ على أن لا تتأثر أو تخضع لآراء الآخرين ، وأن ترتفع الى مستوى المنطق الذى يرتئيه الفرد بالنسبة لمصلحته الذاتية أو مصلحة أمته القومية أو لمصلحة الانسانية) .

ثانيا — الأخلاق مجسدة في مجموع ما يصطلح المجتمع على احترامه أو تقديسه او الالتزام به من العلاقات الاجتماعية والنفسية العامة كعدم الضرر بالآخرين مثلا (حرية الارادة هي أن يكون الشخص حرا غير مقيد بقيود معينة تحد من ارادته ولكن يجب ان تكون هذه الارادة في حدود معينة لا تتعداها الى حيث نضر بالآخرين) . بمعنى آخر .. تكون حرية الارادة مرتبطة بحرية الآخرين ومشتقة منها ومشروطة بها في وقت معا (حرية الارادة هي أن يعبر الانسان عما في نفسه أو أن يتصرف وفق هواه شرط أن لا يمس أهواء الآخرين وآراءهم) . وفي هذا الاطار يكون المجتمع الوسط الوحيد الذى يمكن أن تمارس حرية الارادة فيه (حرية الارادة هي افساح المجال للفرد للتصرف في حدود العرف الاجتماعي) .

ثالثا — العقل وهو ينضاف الى محددات حرية الارادة تارة على أنه نوع الاتفاق العام Common Sense وبهذا يتلبس لبوسا اجتماعيا نسيجا من المباحات والتحريمات الاجتماعية (حرية الارادة هي التصرف وفق حدود المعقول) ، وتارة على انه نقيض التقليد (حرية الارادة هي اختيار الأمر بعد تفكير وتمحيص) أو هي «قدرة الانسان على التفكير الحر والعمل بما يراه صالحا» ، وطورا ثالثا باعتباره — اى العقل — نمطا أو نظاما ثابتا في التفكير قادرا على تكييف السلوك الفردي (حرية الارادة هي سلوك الفرد وفقا لفلسفة الخاصة ونظرته الى الطبيعة والوجود) .

الموقف الثالث

حرية الارادة هي ممارسة الضبط الذاتي .

ابعاد هذا الموقف ثلاثة .. نفسي وفلسفي واخلاقي .. غير أن البعد الثالث هو اكثرها وضوحا . في الناحية النفسية أكد المشاركون احساسهم بأن حرية الارادة « هي تصرف شخصي يقاد بقوة داخلية » ، **اي أنها** « القوة التي تخلق العمل » . **اما في الجانب الفلسفي فقد وقع التأكيد على القول بأن** « حرية الارادة هي امتلاك الانسان لزمام نفسه » **وهي لهذا** « أداة الفرد للارتفاع فوق ظروفه المكانية والزمانية » **لأنها** تمثل « القدرة على اتباع ما يجب أن يكون وليس ما هو كائن فعلا » . **بهذا المعنى تكون الارادة** « هدفا فعالا» و « الانسان الحر هو صانع نفسه». **بعبارة أخرى** « تتضمن حرية الارادة قدرة الانسان على أن يكون كينونته وأن يعيش وجوده كاملا » . **ولا يعني هذا الفوضى وانما يجب أن تكون هناك معايير اخلاقية .. اذ ان** « الحرية والاخلاق شيئان لا يمكن الفصل بينهما » .

ولا يخلو هذا الاتجاه الفلسفي في فهم الحرية من تشاؤم حول حقيقة وجود الحرية أصلا « فان يكون الانسان حرا في تفكيره او في عمله امر صعب التحقق لان الانسان ــ حتى لو كان حر الارادة في الظاهر ــ فانه في الحقيقة مقيد اما باللاشعور او بالمجتمع او باعتقاده بالله » وهكذا تكون الحرية منفية أساسا .

اما الاتجاه الأخلاقي في تفسير حرية الارادة فقد انشعب بدوره الى شعبتين، شعبة عقلانية وشعبة دينية . ولم ير العقلانيون في حرية الارادة غير « قدرة الانسان على التحكم في نزواته وشهواته » **ومن ثم** « قهر النزعات الآثمة في نفسه » **على حين يحدد الدينيون موقفهم من حرية الارادة بتجريد الانسان منها ابتداء** (حرية الارادة هي القوة التي يتمتع بها الله جل وعلا وحسب ، والتي ينسبها بعض الناس لانفسهم من ناحية مجازية) . (حرية الارادة ليست الا تلك القدرة المطلقة على فعل اي شيء أو تنفيذه والتي يتمتع بها الله تعالى وحده) .

نتائج

يمكن بلورة الملامح الأساسية لموقف المشاركين في حرية الارادة بالنقاط التالية :

١ ــ رفض الحدود على السلوك الانساني أيا كانت تلك الحدود اجتماعية أم قانونية أم علوية (حرية الارادة هي قابلية الفرد على القيام بسلوك معين بغض النظر عن العادات والتقاليد أو النظام الذي يرسمه جهاز الدولة ليحدد سلوكه) . **ليس هذا على صعيد التفكير والاحساس فحسب بل هو كذلك على صعيد الممارسة الفعلية** (حرية الارادة هي حرية التعبير عن الذات وتنفيذ رغبات النفس تنفيذا فعليا) . **ويمتد هذا الرفض حتى الى ما يتوقعه الآباء من الأبناء** (حرية الارادة هي تلك التصرفات التي يتمتع بها الانسان حسب رغبته ومشيئته غير متأثر بتعاليم أبوية وتربيتهما) .

٢ ــ لم يرد ذكر الدين كمصدر من مصادر الارادة الا مرتين فقط وقد ارتبط ذلك بحصر الارادة وحرية ممارستها في الله تعالى وحده (حرية الارادة ليست الا تلك القدرة على فعل اي شيء أو تنفيذه والتي يتمتع بها الله تعالى وحده) .

٣ ــ ظهر تأكيد متكرر على الحاجة للتعبير عن الذات ورفض الكبت (حرية الارادة هي السماح للفرد أن يعبر عن ذاته وعن آرائه مهما كانت) .

٤ ــ كشفت أجوبة المشاركين عن ربط مشروع بين طموح الفرد وادراكه لحرية الارادة (حرية الارادة هي القدرة على تقرير المصير) (الانسان الحر هو صانع نفسه) .

٥ ــ اظهرت التجربة درجة جيدة من الوعي لضرورة سيطرة المرء على عواطفه ورغباته كما اظهرت تسليما نسبيا بالصفة الاخلاقية للقيود التي يفرضها المجتمع من خلال الدين والعرف والعادات (حرية الارادة هي الصفة التي يستطيع الانسان معها أن يتصرف كما يشاء في حدود حرية الآخرين ولا يمكن أن يتعدى القيود الاجتماعية)

٦ ــ كشف سير التجربة عبر المحاولات الثلاث عن تحول كبير نحو الموقف الثالث خصوصا في المحاولة الثالثة حيث بلغت نسبة القائلين به ٦٦٪

٧ ــ لم تسفر أجوبة المشاركين عن تحديد موضوعي لمفهوم الارادة ولا لمعنى الحرية وانما كانت في الغالب تترجم عن انفعالاتهم الفردية بكل من هذين اللفظين . ■■

محمد جواد رضا ٭
جامعة الكويت ـ

خداع النفس للنفس

ظاهرة في الناس فاشيـــة

■ لست أريد ان ادخل بالقارىء في متاهات فلسفة علم النفس فاسال ما اذا كان هناك وجود للنفس وانما اقصد بالعنوان « خداع الانسان لذاته » . ولست ارمى لمعالجة الموضوع كنوع من ضعف الخلق او سوء السلوك وانما اود ان اعالجه كظاهرة نفسية طبيعية يومية عادية ، شانها شأن الظواهر الطبيعية اليومية الاخرى . شانها شان ارتفاع درجة حرارة الجسم اذا دخله مكروب غريب ، وشان احتراق الخشب اذا اتصل به اللهب وصدأ الحديد اذا تعرض للرطوبة والاوكسجين .

واضرب الامثال

وسابدأ الحديث ببعض الامثلة .. فقد يصفنى الناس احيانا اننى قاس ولكننى انفى ذلك واقول بل انني رجل حازم .

وقد اقول عن رجل انه رخو ولكنه يرى في نفسه صفات الحنو والطيبة ورقة العاطفة والانسانية وانفتاح القلب .

وقد يقول الناس اننى بخيل ولكنى اؤكد لهم ان هذا حرص وبعد نظر فانا لا اصرف المال الا حيث يجب ان يصرف ثم انى اعمل حســاب المستقبل اذ لا يجوز للانسان ان يبسط يده كل البسط فيقعد ملوما محسورا .

بين البخل والاسراف

وقد ينعتنى شخص بانى مسرف ولكنى اقنع نفسى بان لا بد ان اعيش في المستوى الذى يليق بي ، أو بانى رجل كريم اميل لمساعدة غيرى وفعل الخير ، أو بانى لن اعيش الى الابد فلا بد ان امتع النفس واقنعها بقوله « ولك الساعة التى انت فيها » ، واستشهد بان الانسان لايجوز له ان يَغُلَّ يده الى عنقه .

كذلك قد يصفنى صديق بانى اهوج متهـور ولكنى اقنع نفسى بان هذه شجاعة وجراة . ونجد انسانا يصف قوما غيره بانهم جبناء ويوهم نفسه بان هذا صحيح ، ولكنه يصف نفسه في نفس الوقت بانه حَذِر وانه لا داعى لان يلقى الانسان بنفسه الى التهلكة . ويصف الانسان غيره احيانا بانهم ماجنون ، اما هو فيرى في نفسه انه لا يحب الاكتئاب والعبوس في وجه الغير لحياة قصيرة

خداع النفس موازنة طبيعية ، هدفها حماية النفس ، عند ظهور العجز والنقص ، من الانهيار .

بقلم : الدكتور
عبد العزيز القوصي

ويجب أن يتخللها المرح والسرور ومقابلة الناس بالبشر .

وهكذا نجد ان الانسان قد اخترع في لغتـه عبارات تسمح له بالهروب من الواقع وتمويـه الحقائق وخداع النفس ومحاولة خداع الغير ، فالذى يسميه حرية في بعض الاحيان قد يسميه فوضى في احيان اخرى ، والذى يسميه البعض استبدادا نسميه نحن نظاما . ويوصـف بعض الحكام احيانا بانهم مصلحون منظمون ، ويوصفون احيانا بانهم طغاة مستبدون . والشيء الـذى يسمى احيانا طاعة يسمى احيانا اخرى خنوعـا واستسلاما ، والذى يسميه بعض الناس نفاقـا يسميه البعض الآخر دبلوماسية .. والـذى ينعت احيانا بالعطف وطيب الخلق يسميه بعض الناس ضعفا .

وليست المسالة بالطبع مسالة لغة فحسب وانما هي مسالة سلوك . فالرجل المفرط الذكاء نجده في العادة طيبا واضحا صريحا واما الرجل المتوسط الذكاء الذى قد يجد نفسه اقل ذكاء ممن حوله فاننا نجـده عـلى شيء مـن المكر والصمت . نجده يميل الى التكتم وقد يدعم نفسه بالحديث القائل « استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان » . وعندما اقول يدعم نفسـه فاقصد انه يستندها ويقنعها ، فاقناع النفـس للنفس من ضرورات الحياة لكي تكون هادئة متزنة خالية من الهزات والاضطرابات .

الغيرة بين الزميلين

كذلك نجد الشخص يغار من زميله غيرة شديدة ويدبر له المكايد خصوصا اذا نال الزميل ربحا كبيرا او شهرة او ترقية او اصبح مرموقا ممـن حوله ، ولكن هل يعترف الغيران او الحسود بانه غيران ؟ كلا ، ولكن الآخرين يلحظون فيه اعراض الغيرة . والشخص الغيران لايكتفى بالا يعترف لا امام الناس ولا امام نفسه بانه غيران ، وانما يبالغ في التظاهر بعدم الاهتمام ، بل يبالغ في التظاهر بما لديه مما يفوق ما حصله زميله . كل هذا يحدث غالبا دون ان يشعر .

الغيرة بين الحماتين

كذلك نجد سيدة وزوجها ، وللسيدة امها ، وللزوج والدته ، اى ان هنالك حماتين احداهمـا حماة الزوج وثانيتهما حماة الزوجة . ثم نجـد غيرة ام الزوج اذا اظهر الزوج نحو حماته ميلا ، فتشكو من ان ابنها يتقرب لحماته ، وتقول انها في غنى عن علاقتها بابنها ، وانها تعبت في تنشئته وفي تزويجه ، ورغم ذلك فلا يهمها الا ان ترى ابنها سعيدا على البعد . والغيرة واضحة في هذا المثال ، وواضح فيه أيضا ما يحدث عادة من ان الانسان يؤكد لنفسه انه لا يهتم ، وواقع الامر انه يهتم في الغالب دون ان يشعر .

والسر في ان الشخص الغيران لا يعرف ولا يعترف انه غيران بسيط للغاية ، ولكى نفهمه لا بد ان نفهم معنى الغيرة او الحسد .

الغيرة اساسها شك يصيب المرء فى ثقته بنفسه

تظهر الغيرة في الشخص الغيور حين يرى زميلا

له (مثلا) قد حصل على شيء كان يتمنى ان يحصل عليه هو . من امثلة ذلك الحصول على مركز أو مال او شهرة او زوجة او ميراث . وانفعال الغيرة له ثلاثة اوجه :ـ

أولها : الشعور بالنقص او الخيبة او العجز .

ثانيها : شعور المرء بالغيظ من نفسه أو من الدنيا أو من الحظ العاثر .

ثالثها : شعور بالشوق الشديد لتملك ما يحصل عليه غيره .

وحين نقول ان الغيرة شعور متميز مركب من هذه المشاعر الثلاثة نجد أن أهم هذه المشاعر جميعها الشعور بالعجز او النقص او ضعف الثقة بالنفس .

فالشخص المليء ثقة في نفسه هو الشخص الذي قلما يشعر بالغيرة او الحسد . ففي غيرة الازواج نجد أن الزوجة التى تثق في زوجها وتثق في نفسها وتطمئن الى مقدرتها وما تميزت به فانها قلما تشعر بالغيرة .. فالغيرة والشعور بالقوة لا يجتمعان . وعلى هذا كان من اسس الغيرة شك بدأ يصيب شعور المرء بقوته وثقته بنفسه او شعوره بنقصه وضعفه وخذلانه .

وحين وازن اخوة يوسف بين موضعهم وموضع يوسف من ابيهم تآمروا على التخلص منه حتى يخلو لهم ابيهم ويكونوا من بعده قوما صالحين اى جديرين بمحبة ابيهم .

ونظرا لان الغيرة مبنية على شعور بالنقص ، ولان الشعور بالنقص امر لا يريد أن يعترف به الانسان ، يتجه الفرد الى ان يكبت دون ان يقصد ما عنده من شعور ، والى ان لايعترف به لنفسه او لغيره . ولذلك فان اغلب من يشاهدون الرجل الغيور يعرفون أنه يعاني من الغيرة ، اما هو فلا يعترف بغيرته ولا يعرف في الغالب انها موجودة .

اقسى انواع الغيرة

واقسى انواع الغيرة ما نشأ عن شعور بالنقص مصحوب باستحالة التغلب عليه ، كالنقص الناجم عن نقص خلقى في الجمال او عاهة مستديمة او مرض مزمن ، او نقص في القدرة الجسمية او الحسية او العقلية على اختلاف وجوهها . في مثل هذه الحالات تتكون خصال دائمة تغطى النقص وتعيد التوازن بطريقة او باخرى . وعلى العموم نجد الشعور بالنقص مصحوبا بالغيرة ، ونجد الغيرة مصحوبة بالشعور بالنقص . ونجدهما يشكلان معا حلقة متصلة الاجزاء يؤثر كل جزء منها في الآخر ويتأثر بها .

ولسنا نقصد هنا ان نستطرد في موضوع الغيرة بالذات فهذا موضوع طويل معقد ولكنا بسطناه بعض الشيء لوضوح مظاهر الخداع فيه .

في كل حالة نقص لا بد من احداث توازن

والمهم هنا وفي كل حالة نقص ان الانسان في مثل هذه الحالات يخدع نفسه ويتجه الى ان يخدع غيره دون ان يقصد ذلك . فاذا كانت هناك فتاة ينقصها الجمال ، او كانت قبيحة الوجه ، فان الناس يقارنونها عادة باخواتها اومثيلاتها ويرون انها غير جميلة ، وهي تشعر ضمنا او صراحة بان الناس يسلكون كما لو كانوا يقولون انها غير جميلة . ولكن قد يراها أهلها أنها خفيفة الدم . ثم ان الفتاة قد تهتم بالدراسة، او التدين او الخدمة العامة . وقد تتمثل في نفسها شيئا من لباقة اللسان او لذاعة النكتة أو غير ذلك مما يجعلها قادرة على الهجوم أو قادرة على الاقل على الدفاع عن نفسها .

وبهذا هي تعيد الاتزان لنفسها .

فهي في نظر نفسها ذكية قادرة وان كانت غير جميلة . ثم ان الجمال على رأيها قد تضمحل جاذبيته مع الزمن . ولكن العلم والقدرة والفن والزعامة والعبقرية هذه كلها امور أكثر دواما .

وتعليل هذا كله أن الفتاة القبيحة لا يمكن أن تعيش متقبلة لفكرة كونها قبيحة ، فلا بد من احداث توازن حقيقى ، او خداعى ، او النوعين معا ، حتى تتمكن من أن تعيش مع نفسها أو مع الناس .

وقزم قبيح الوجه رأى الجمال في العقارب والذباب

واعرف شخصا قصير القامة الى درجة القزامة، قبيح الوجه الى درجة الدمامة . وهذا الشخص فنان من الطراز الأول ، غير انه اختار لعمله الفنى كل ما ينفر منه الناس ، فهو يرى الجمال في العقارب والثعابين والحشرات . وهو يراه في الذبابة والاخطبوط والسلحفاة والجربوع والفار والبوم وهو يرى الجمال حتى في حركاتها والوانها واشكالها وأصواتها . اى انه يرى الجمال فيما

لا يرى الناس فيه اى جمال . ويغلب على الظن ان هذا الرجل يريد ان يقنع نفسه بان في ما يسميه الناس قبيحا ، جمالا ليس بعده جمال ، وبذلك يعكس ما في نفسه مما يضاد مظهره على امثاله في الخارج ، ويحدث اتزانا دقيقا يجعله سعيدا مع نفسه وسعيدا مع عالمه الذى احاط نفسه به .

ورجل رأى انه اله الآلهة

واذكر انى كنت ازور مستشفى الأمراض النفسية بالعباسية فى القاهرة فالتقيت برجل مختل العقل يونانى الأصل نزيل في المستشفى . وهذا الرجل يدعى انه الاله الأعظم ويعتقد حقيقة انه كذلك . فسألته عن علاقته بالله الذى نؤمن نحن به ، فقال انه تابع له لانه هو الاله الأعظم اى اله الآلهة ، وقال انه يقيم الحروب ويقر السلام ويخطط للتاريخ . ثم قدمت له علبة السجائر لياخذ منها سيجارة فاخذ العلبة باكملها ثم بدأ يشكو من أحوال المستشفى ومن المعاملة والغذاء . فقلت له ولم لا تهرب ؟ الست انت الاله الأعظم وانك على كل شيء قدير . فقال انى لا أود ان أزعج ملايين الناس من خلقى .

واضح ان هذه حالة شاذة من خداع النفس وصلت الى منتهاها .

وطالب رسب ، ونجح زملاؤه ، فدافع عن نفسه بذم الناس أجمعين

وقد ذكرت هذه الحالة الصارخة لتقرب للذهن حالة من يظهر لنفسه انه المصلح الاجتماعى الأول، وأن كل عمل طيب في ميدانه يرجع اليه ، ومن يظهر انه الأديب الاول أو العالم الأول . واذكر بهذه المناسبة حالة طالب كان في احدى كليات الجامعة وكان كثير الرسوب شعر بالمرض قبيل أحد الامتحانات فقرر الا يدخل الامتحان . يلاحظ هنا ان التوعك قد يكون حيلة نفسية لا شعورية ذات اعراض بدنية غايتها حماية الشخص من دخول الامتحان مع التماس العذر الكافي له . دخل زملاؤه الامتحان ونجحوا فتألم الطالب وكظم تألمه وكبت مشاعره وصار يردد أحيانا « وما قيمة التعليم ؟ » واحيانا اخرى يقول « ان زملائى أصبحوا أحسن منى » . ثم صار شديد التبرم والحنق ، شديد الاحتقار للناس أجمعين . وقرر أن معاشرة الناس لا قيمة لها لسوء خلقهم وانحطاط عقلياتهم . ثم تطور به الأمر فتدين وترفع عن مخالطة الناس وابتعد عنهم . فتمكن باحتقاره الناس واحتقاره التعليم أن يحتفظ باحترامه لنفسه ، أى ان يخدع نفسه بان جوهره طيب وأن الخطأ ليس كامنا فيه . انما هو فى التعليم وفي الناس . وحيث ان الأمر كله مبنى على شعور مكبوت بالنقص ، يصاحبه قلق ، فقد كون هذا الطالب لنفسه اتجاها دينيا يشتق منه الشعور بالطمانينة واصبح بحسب رأيه في نفسه متصلا بالله .

وقد يقال ولكن لم سلك هذا الطالب هذا الطريق بالذات ؟ ويحتاج الرد على هذا السؤال الى دراسة طويلة دقيقة للطالب وتكوينه وطفولته ووضعه في أسرته وتربيته الاولى ، فقد ظل (على سبيل المثال) طول حياته الابن الوحيد لأم قلقة ، لأنها فقدت بقية ابنائها وهم صغار واحدا بعد واحد . وانتقل قلق الأم على الولد الى قلق الولد على نفسه ، وليس هذا مجال شرح تطور الحالة ، ويلاحظ انه ، بينما غلف الولد حياته بأغلفة من الانعزال والتدين ، فان الوالدين قد نسبا ما حدث لابنهما الى سوء الحظ والحسد وعين السوء ، وبذلك نسبا كل ما حدث الى امور خارجة عنهما وعن ابنهما ، وهذا خداع آخر . وقد اهتما بعلاجه بواسطة التمائم والأدعية وزيارة المشايخ وأولياء الله .. وما الى ذلك ، وهذا بعد ان فشل الطب المعروف في علاجه .

خداع النفس يحميها من الانهيار بابتداع شيء من توازن

فالوظيفة الأساسية لخداع النفس هو حمايتها من الانهيار والاحتفاظ لها بنوع من التوازن ، فالتوازن النفسي يقتضي ان أكون راضيا عن نفسي متقبلا اياها . فاذا وقع لى أو وقع منى ما يحتمل معه الا أكون راضيا عن نفسي فان التوازن يحتمل ان يختل ، ولذا لزم أن يكون هناك أسلوب لاعادة التوازن . ومن أكثر هذه الأساليب شيوعا خداع النفس للنفس .

وسنبين في مقال آخر أن اعادة التوازن سنة طبيعية فالحاجة الى التوازن حاجة نفسية طبيعية لا غنى للانسان عنها . ■■

عبد العزيز القوصي

ركن الاسرة والمرأة

الغيرة



مَرَضٌ يُعَذِّبُ النَّفْسَ وَيَقْتُلُ الحُبَّ وَيُعَجِّلُ بِالمَوْتِ

بقلم : منير نصيف

■ الغيرة مرض .. الغيرة عذاب والم .. الغيرة نتاج للشعور بالنقص ، وترجمة لعقد نفسية تصيب المرء رجلا كان أم امراة ..

قالت كوليت Colette ، كاتبة فرنسا الشهيرة (١٨٧٣ ـ ١٩٥٤) : « الغيرة شر لا نستطيع ان نتحمله كما لا نستطيع أبدا أن نعود أنفسنا عليه!

ويتحدث العلماء عن الآثار التى تترتب على الشعور بالغيرة فيقولون ، ان هذا «المرض» يولد الغضب الذى يملأ صدر المصاب تجاه غريمه الذى ينافسه حبه ، وتجاه محبوبه نفسه !

والغيرة بعد هذا أوفر الأمراض النفسية محصولا .. فهى تؤدى الى الشعور بالحزن والالم ثم اليأس الذى غالبا ما يودى بحياة المريض من جراء احساسه بأن منافسه قد انتزع منه السعادة التى كان يمنى نفسه بها ، حتى لو كان هــذا الاحساس غير صحيح ، وكثيرا ما يكون كذلك .

غيرة الرجل والمرأة

فالرجل الذى يبالغ في الغيرة على امرأته ، يقضي كل وقته ويجهد كل فكره في البحث عن الادلة التى تؤكد شكوكه وظنونه .. وكثيرا ما تكون هذه الشكوك من نسج خياله وحده .. فهى لا تستند في أحوال شتى على اساس يمكن ان يقيم عليه قضيته .. فهو رجل ، كما ذكرنا ، يعانى من مركب نقص ، بسبب عقدة نفسية او مجموعة من العقد ترسبت في نفسه ..

والمرأة التى تبالغ في الغيرة على زوجها ، تتعلق بدورها بكل خيط يدعم شكوكها ، وهى تملك قدرة عجيبة على مقاومة اية ادلة تدحض هذه الشكوك .. على أن المرأة قد تكون مصابة بشيء آخر غير مركب النقص الذى يعانى منه الرجل ، فهى غالبا ما تكون مصابة بالخوف .. الخوف من الحياة ومن المستقبل ، وخاصة اذا كان لها بالزواج تجربة سابقة ، اى انها تزوجت ثم انفصلت عن زوجها بالطلاق ، ثم تزوجت للمرة الثانية ..

مثل هذه المرأة تنظر الى كل امرأة أخرى ، كما لو كانت «سارقة». تريد أن تصادقها لتدخل بيتها وتخطف رجلها منها !

كوليت تروى تجربتها

روت كوليت في مذكراتها قصة المرأة التىخطفت منها زوجها الاول ، واثر تلك التجربة في حياتها مع زوجها الثانى ، قالت : « ليس صحيحا اننى



كيتس



كوليت

● كاتبة فرنسا « كوليت » تروى تجربتها مع زوجيها الاولين
● « وكيتس » شاعر الانجليز يحكي قصة حبه التى أنهت حياته!

كنت مشغولة عنه بالكتابة .. فقد كنت له زوجة قبل ان اكون لنفسي وللناس كاتبة .. ولقد استمر زواجنا ١٣ عاما ، الى ان ظهرت تلك المرأة في حياتنا .. ولم تكن اجمل منى ، ولكنها استطاعت مع ذلك ان تدير رأسه .. انني لا الوم أحدا الا نفسي ، فلو انني فطنت في الوقت المناسب الى ما كان يحدث من ورائي ، لاستطعت أن احتفظ برجلي ..

« وطلقني هنرى ، وبقيت ست سنوات اعيش وحدى مع كتبى الى ان التقيت بزوجي الثانى وكان اسمه هنرى ايضا .. هنرى دى جوفينيل Henry De Jouvenel ، السياسي الفرنسي وصاحب ورئيس تحرير صحيفة Le Matin واقسمت الا ادعه يفلت من يدى كما افلت هنرى الاول .. فاعددت له بيتا جميلا واحطت البيت بحديقة غناء ، ووفرت له سبل العيش والرفاهية، واخيرا انجبت له طفلة جميلة .. ثم اوصدت بعد ذلك باب البيت بالمفتاح ..

سجن وعبودية

« كنت لا ادعه يخرج ، الا وانا في صحبته .. كنت لا اسمح لأحد بان يتصل به او يحدثه الا قبل ان يتصل بى اولا .. كنت اتجسس عليه وافتح خطاباته الخاصة ثم اعيد اغلاقها دون أن يشعر ، حتى الصحفيون الذين يعملون معه في صحيفته ، كنت لا أسمح لهم بالاتصال به الا في ساعة معينة في المساء ، وعندما احسست ان سكرتيرته تطيل الحديث معه اكثر من اللازم ، فصلتها واصبحت أنا سكرتيرة له ومديرة لأعماله.

قال لى يوما : « لقد أحكمت يا كوليت اغلاق باب البيت،ولكنك لن تستطيعين ابدا أن تمنعينى من ان انعم بحريتى .. ان هذا السجن الجميل يليق بالعبيد .. وانا لست عبدا لك ! »

وتركنى هنرى وحيدة مع ابنتى ومع الذكريات.

قالت كوليت بعد هذا : « لم اسعد حقيقة الا في زواجي الثالث من الكاتب موريس جودكيت Maurice Gaudeket ، فقد تعلمت من تجربتى مع زوجيّ الاولين ، كيف تستطيع المرأة أن تعيش مع رجلها دون أن تترك لامرأة أخرى فرصة لسرقته منها ، ودون أن تجعل منه عبدا لها ..

مع الشاعر كيتس

ونترك كوليت وذكرياتها عن الغيرة ، وتجاربها مع ازواجها الثلاثة وننتقل الى قصة أخرى .. قصة شاعر الانجليز الكبير « جون كيتس John Keats (١٧٩٥ – ١٨٢١) مع الفتاة التى اسعدته واشقته حتى آخر يوم في حياته القصيرة التى لم تدم لأكثر من ستة وعشرين عاما ..

كتب كيتس يصف فتاته قال :

« كانت رائعة ، وقد أحببتها .. ولم يكن في وسعي الا ان أحبها .. فقد كانت أجمل من الحياة ..

كانت مشيتها نغما، ولكنها اذا مشت أحسست بانها تدعو كل رجل في العالم الى مرافقتها ! وكان صوتها غناء .. ولكن اذا تكلمت شعرت بانها تحدث كل الرجال من حولها !

وكانت ابتسامتها نارا تأكل صدرى .. فهي عندما تبتسم ، أتصور كل شيء يبتسم لها ..

على بيتها ، ولم يغلقها ابدا حتى في ليالي الشتاء الباردة .. كانا يقفان ويتناجيان الساعات الطويلة .. فاذا أحس بوقع أقدام قادمة في الطريق أشار اليها باصبعه لكي تتوارى ، حتى لا يراها القادم بعينيه الفضوليتين .. وكانت هي تتركه لتذهب الى فراشها وتنام ، اما هو فكان يتركها ليذهب الى مكتبه ويجلس اليه ، ويكتب اروع ما سجله قلمه من شعر وقصص قدمه للمسرح في تلك الحقبة من حياته القصيرة .

خوف وألم

لقد أحبها كيتس ، كما لم يحب رجل امرأة .. ولكنه كان يخاف من نفسه عليها .. ويخاف من الموت الذى يتربص به .. وكان في الوقت ذاته يغار عليها .. كانت فتاة صغيرة جميلة اسمها فاني براون Fanny Brawne وكانت في عامها الثامن عشر ، عندما التقى بها كيتس في طريق عودته الى لندن قادما من اسكتلندة بعد أن قال له أطباؤه انه مريض بالسل !!

وعندما قدموها له تصور أصدقاؤه أنه ربما استطاعت هذه الفتاة أن تفعل به ما عجز الطب عن أن يفعله معه !!

ولكن عندما لقيه صديقه شيللى Shelly أحد مشاهير شعراء بريطانيافيالعصر الرومانتيكى، بعد لقائه بفتاته بأيام قليلة ، أحس بأن قلب صديقه الصغير يذوب حسرة وألما .. وسأله : « ماذا بك ؟ » فقال كيتس وهو يبكى : « وددت لو انها كانت لى وحدى .. تمنيت لو انني وضعتها في بيت من المرمر .. لا يدخله شيء حتى الهواء .. انني أغار عليها من النسيم .

قالت فاني يوما تسأل صديقها الشاعر المريض: « ماذا تريدنى أن أفعل لكى أزيل هذه الشكوك من رأسك ؟ »

الضوء الخافت

وظن كيتس ان وجودها بجواره سوف يخلصه من الشعور بالغيرة التى تنهش صدره المريض .. ولكن هيهات .. فقد كادت غيرته عليها تفقده عقله .. لم يعد النوم يجد الى عينيه سبيلا .. وكان يجلس ليكتب ولكنه ما يكاد يجلس حتى يقفز من مقعده ويتجه صوب النافذة المفتوحة محاولا ان ينفذ بعينيه الى ما وراءها ، ليعرف سر هذا الضوء الخافت الذى ينبعث من غرفة نومها .. وسألها يوما : « هل تسهرين ليلا في القراءة ؟ »

قالت : « لا .. فانا انام في ساعة مبكرة ، واصحو قبل طلوع الشمس ، ولكن لماذا تسأل ؟ »

قال : « انى ارى ضوءا ينبعث من غرفتك ! »

وقالت وهي تبتسم : « انني اشعله دائما ، لانني اخاف النوم في الظلام ! »

وشيئا فشيئا بدأ الشاعر المريض يحس بان وجودها بجواره لم يسعده ، كما كان يتصور ، وانما ضاعف من شكوكه وعذابه .. وعاده طبيبه يوما من ايام الشتاء ليطمئن على صحته ، فافزعه ما رأى من امره .. لقد ازدادت حالته خطورة .. ونصحوه بالسفر بعيدا عن لندن وعن شتائها البارد ..

تعالى الى جوارى

فقال : « أريد أن أملأ عيني منك .. أريد أن أجلس واتأملك وحدى .. لا أريد أحدا يشاركنى متعة النظر اليك .. أريدك هنا بجوارى » !

وانتقلت فاني براون مع أمها ليسكنا بيتا صغيرا ملاصقا لبيت كيتس تماما ..

ولم تكد تنقضى بضعة اسابيع حتى اعلن كيتس وفاني خطبتهما .. وفتح نافذة حجرته التى تطل

انتظريني .. فسوف أعود

وحزم كيتس حقائبه وذهب يودع خطيبته .. لقد قرر ان يسافر الى نابولى في ايطاليا ليقضى اشهر الشتاء تحت شمسها الدافئة .. وقال لها وهو يمد اليها يده مصافحا : « انتظرينى، ولسوف اعود ! »

وركب كيتس البحر .. ورست السفينة في ميناء نابولى بايطاليا بعد اربعة وثلاثين يوما وليلة،

قضاها شاردا يفكر في محبوبته تلك التى تركها وراءه .. ترى ماذا تفعل الآن .. هل تنتظرنى حقيقة .. ولماذا تنتظرنى وانا لم اعدها بشىء حتى الآن .. هل تكفى هـذه الحلقـة الذهبية الصغيرة التى وضعتها في اصبعها لكى تجعل منها رفيقا لى فى وجودى وغيبتى .. انها تحبنى ما في ذلك شك .. ولكن فتاة في مثل سنها وشبابها .. لماذا تربط مصيرها بمصير رجل مريض مثلى .. ان لندن مليئة بالشباب .. وكلهم يتمنون ودها ..

صاحب الجواد

ويمضى كيتس في خيالاته : « هذا الشـاب الطويل الوسيم الذى اختار بيتها هي بالذات لكى يطرق بابه ويطلب ماء لجواده .. لقد رأيته وهو ينحنى على يدها يقبلها بعد أن حملت اليه دلو الماء ليسقى به حصانه المتعب !! لا .. لا .. اننى اتعذب ! »

وحطت السفينة اخيرا في ميناء نابولى .. ونزل كيتس ليضرب في شوارعها وطرقاتها على غير هدى، واحس براحة كبيرة وهو يدق الارض بقدميه بعد ان ظل هائما على صفحة الماء هذه المدة الطويلة .. ولقيه صديقه شيللى الذى كان قد سبقه الـى نابولى قبل ذهابه اليها باسابيع قليلة .. وهاله ما رأى من حال صاحبه .. وجه شاحب .. وعينان ذابلتان .. وجسد ضامر هزيل .. قال له : « أهى مرة اخرى ؟ »

قال : « نعم .. هى .. ولا أحد غيرها .. ان صورتها تؤرقنى .. وصوتها يرن في اذنى .. وعينيها العسليتين لا تفارقان مخيلتى لحظـــة واحدة ! »

شوق ولوعة

وترك كيتس صديقه حائرا ، وذهب ليبحث لنفسه عن فندق يبيت فيه .. وما كاد يغلق باب حجرته عليه حتى جلس يكتب خطابا لاحد اصدقائه في لندن .. قال : « يا الهى .. ان كل شىء في حقيبة ملابسى يذكرنى بها وينفذ من خلال جسدى كما لو كان حربة مسمومة .. اننى اريد أن اكتب اليها .. ولكننى لا اعرف ماذا اقول لها .. اننى احترق شوقا لكلمة منها .. اريد رسالة بخط يدها .. ترى هـل رأيتها اخيـرا .. ان تفكيرى فيها يمزق قلبي .. صديقى العزيز ، قل لى بالله عليك ماذا افعل ؟ »

حب وعذاب

وقضى كيتس اسابيع طويلة في نابولى محاولا ان ينسى .. كتب عدة قصائد جديدة يحكى فيها قصة حبه وعذابه .. وركب الخيل وانطلق بها الى الحقول والمزارع يبحث بين جمال الطبيعة عن شىء يمكن ان ينسيه حبه .. ولكنه ما لبث ان احس بفشله تماما .. لا شىء .. لاشىء في الدنيا يمكن ان يملأ الفراغ الذى تركته فانى .. لاشىء يمكن ان يريح قلبه الذى يتحرق شوقا اليها وغـيرة عليهـا ..

وعاد الى غرفته يوما وجلس يكتب مرة اخرى الى صديق آخر في لندن يقول : « اذا شفيت من هذا الداء اللعين .. فسوف افعل كل ما فى وسعى لتصحيح الاخطاء التى ارتكبتها خلال مرضى .. اما اذا مت ، فارجو أن تصفحوا عنى وتغفروا لى .. ترى هل تصفح فانى عنى ايضا » !

اننى أنتهى فى هدوء

ومات كيتس .. لم يحتمل صدره الداء اللعين .. ولم يحتمل قلبه عذاب حبه وغيرته .. وكان صديقه شيللى يقف الى جواره ، وهو يلفـظ انفاسه الاخيرة .. قال كيتس : « اننى انتهى في هدوء .. شكرا لله ، فقد جاء الموت اخيرا ليضع حدا لآلامى ! »

ومات جون كيتس عـن ٢٦ عاما يوم ٢٣ فبراير من عام ١٨٢١ .. وواروا جثمانه التراب في المقبرة الانجليزية في روما .. وبعد ١٨ شهرا لحق بـه شيللى ، ذلك الصديق الوفي الذى كتب يصف مأساة صديقه وزميله في ملحمة رائعة قال :

« عذبه المرض ..
« ولكن عذاب قلبه كان اعظم
« ليته لم يعرفها ..
« ليته لم يحبها ..
« ولكن هل استطاع انسان أن يقاوم القدر !
« وداعا ياصديقى ..
« وداعا لقلبك الصغير المريض » . ■■

منير نصيف

ندوات لها تاريخ

بقلم : أنور الجندى


الشيخ محمد رفعت

■ مازال مجالس الأدباء وأندية العلماء ظاهرة حية فى كل عصر ومصر ، لايخلو منها جيل ، وقد عرفت الأجيال الماضية مجالس لها طابعها ومظهرها ، ويعرف عصرنا مجالس أخرى لها طوابع أخرى ومظاهر تختلف ، وقد تحدثت الآثار المختلفة عن مجالس جمال الدين ، ومحمد عبده ، وحلقات الرواق العباسي بالازهر ، وندوات آل عبد الرازق والبكرى ، وجماعات أخرى كانت تعقد فى المقاهى والدواوين وكلها حافلة باعلام الادب والفكر ، وكانت هناك مجالس الاميرة نازلى فاضل والكاتبة مى .

والسؤال الآن هو ماذا كان يدور فى هذه الندوات من أبحاث وموضوعات . وهل يمكن أن يتجمع هذا الحصاد حتى يشكل دراسة كاملة أو اطروحة جامعية . ومن الحق أن يقال ان المراجعة الواسعة للصحف والمجلات خلال اكثر من خمسين عاما لاتكاد تكشف عن خطوط عامة لمثل هذه الموضوعات المثارة ، وان أمكن القول بأن ما تعرضت له الصحف من أبحاث قد جرى على ألسنة الندماء فى هذه الحلقات ، وتبلور منه ماعرض له الكتّاب .

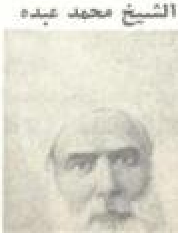
مجالس جمال الدين الافغانى

ويردد الكتاب دوما ان مجالس جمال الدين كانت تعقد فى قهوة متاتيا بميدان العتبة حيث كان يتحلق حوله الشباب المثقف غير انهم لا يذكرون مما كان يدور فيها الا رءوس مواضيع كالحرية والعدالة والكرامة ، ولكنى عثرت على صورة تدل على أن جمال الدين كان يعقد بعض الندوات فى بيته بعمارة العنانى بشارع أم الغلام (الواقع خلف المشهد الحسينى بالقاهرة) ويروى هذه هذه القصة أحد تلاميذ جمال الدين وهو ابراهيم الهلباوى . يقول : انه ذهب الى هناك ومعه بعض الناس فلما اقتربوا من غرفته قال لهم : اخلعوا نعالكم ، فامتثلوا لأمره ، ويذكر الهلباوى ان بعضهم حاول احراجه فسأله :أصحيح يا فضيلة الأستاذ انه كان فى صدر الاسلام طائفة تزعم ان عمل البر وتعمير اماكن العبادة تغنى عن الايمان بالله واقامة الشعائر الدينية . يقول الهلباوى : وقبل ان ينطق السيد بالجواب ظننت انه سيعجز عن الرد وقلت فى نفسى : اذا وجدت مثل هذه


جمال الدين الافغانى


مصطفى صادق الرافعى

الشيخ محمد عبده



عبد العزيز البشرى





محمد رشيد رضا



مصطفى لطفى المنفلوطى



أحمد زكى



أحمد تيمور

الطائفة فقل أن توجد لها أخبار مدونة . ولكن السيد قال فورا : أتحفظ القرآن ايها الشيخ (وكان الهلباوى مجاورا فى الازهر) قلت نعم . قال : امر هذه الطائفة منصوص عليه فى آية فى القرآن الكريم . ونطق ببعض جمل من هذه الآية فذكرت نصها : وهو « أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله ، لا يستوون عند الله والله لا يهدى القوم الظالمين » .

مجالس محمد عبده

اما الشيخ محمد عبده فقد عرف بمجلسين : ندوته فى الرواق العباسى بالأزهر ، وهذه كان هو المتكلم فيها وحده والحاضرون يسمعون ويكتبون وكان للندوة حارس لا يدخل اليها الا من يأمر الشيخ بادخالهم ، وهؤلاء كانوا يختارون فى دقة من الشباب المثقف الناهض .

وحلقته فى منزله بعين شمس ، وكان الحديث فيها مفتوحا ، ويرتادها كثير من اعيان الجيل . وقد حضرها « كرد على ومصطفى صادق الرافعى وعبد الرحمن البرقوقى ورشيد رضا » وصديقه المستر « بلنت » المؤرخ البريطانى مؤلف كتاب « التاريخ السرى لاحتلال انجلترا مصر » . ولم تكن تخلو داره من السامرين الذين يتكلمون معه فى العلم والأدب .

مجالس أخرى وندوات

وكان صالون الاميرة « نازلى فاضل » من أبرز الاندية فى أوائل هذا القرن ولكنه كان مقصورا على عدد قليل من النوابغ ، ولما غاب جمال الدين الافغاني حاولت قهوة « متاتيا » ان تستعيد مكانتها ، فكانت مجلسا لبعض رجال القلم ، من امثال عبد القادر المغربى وعبد الحميد الزهراوى، وهما من مهاجرى الشام ، وكذلك حسن وصفى رضا وامام العبد والشيخ محمد محمد الشهير بالشربتلى والصحفي الفريد الذى كان يحرر من مكانه فى هذه القهوة كل يوم أربعا أو خمسا من الجرائد الاسبوعية .

وهناك أيضا « قهوة جراسيمو » حيث كان يجلس ابراهيم المويلحى وحافظ ابراهيم ومحمود واصف واحمد فؤاد صاحب الصاعقة .

وفي قهوة استانبول كان يجلس عبد الرحمن الكواكبى مؤلف كتاب طبائع الاستبداد ، ثم بدأ هؤلاء واغلبهم من الشاميين المقيمين فى مصر او المتمصرين يهجرون قهوتى متاتيا وجراسيمو ،وهما من قهوة العمارة المواجهة للبوستةالعموميةبالعتبة الى الاسبلندربار ، وهى اشهر ندوات الشاميين، المقيمين فى مصر ، وتتناول أحاديثهم مسائل دول اوربا الكبرى والمواضيع العلمية والفلسفية والاجتماعية وقضايا تركيا والعالم العربى .

وفى الحي الحسيني

وكان الحى الحسينى مقراً لعدد من هذه المقاهى ، حتى اطلق عليه « الحى اللاتينى »تشبها بما يطلق فى بارس على الحى اللاتينى المجاور للسربون والكوليج دى فرانس والبانثيون .

وكانت (قهوة الفنديه) مقرا للمتصوفين والمجاذيب وبعض الدجالين ، وهى قريبة منالباب الأخضر ، وهذه هى القهوة التي كان يجلس فيها الشيخ محمد النجار الزجال المعروف ، صاحب مجلة الأرغول ، والشيخ على الليثى ، والشيخ القوصى الذى مثل امام احد الباشوات الاتراك ، وهناك نظم دور « على روحى أنا الجانى » .

ومعظم المقاهى فى الحي الحسيني تجمع خليطا من الصناع من أهل الحي ، وبعض العلماء

الشرعيين وبعض الراغبين في علوم اليازرجه والكيميا وصانعي الطوابع والمنجمين وبعض التجار ، وهناك يقدم الشاي الاخضر والشيشة من خلال القاعات الواطئة الضيقة والدكك المفروشة بالسجاجيد وهناك بائع النشوق (السعوط) الذي كان يجلس على دكانه الشيخ السمالوطي أحد المجددين من المالكية وصديق المرحوم الشيخ البشرى الكبير (والد عبد العزيز البشرى) .

★ ★ ★

وكانت ندوة آل عبد الرازق خلف سراي عابدين مهوى افئدة رجال السياسة والأدب وكان العشاء فيها اجباريا على الزائرين وفي بار اللواء كانت ندوة أخرى خاصة بالصحفيين والاعيان يحضرها الدكتور محجوب ثابت والشيخ التفتازاني وداود بركات رئيس تحرير الاهرام .

وكان للشيخ مصطفى لطفي المنفلوطي ندوة يحضرها بعض خريجي الازهر وأعضاء نادي الموسيقى وعلى راسهم الموسيقار حسن انور ومحمد عبد الوهاب والشيخ سيد درويش ، وفي محل « صولت » كانت تعقد حلقة أمير الشعراء « شوقي » ويحضرها فكري اباظه وهيكل ومحمود عزمي ومحجوب ثابت .

وهناك ندوة أطلق عليها اسم « أنصار التنكيت للمحافظة على الفرفشة والدعاية ضد التبويز » كانت تعقد في مقاهي عماد الدين ويحضرها :سليمان نجيب وحسين شفيق المصري وطاهر لاشين واحمد رامي والدكتور ابراهيم ناجي .

وكان للاستاذ وحيد الايوبي ندوة أطلقت عليها الصحف « بعكوكة وحيد » وليس للبعكوكة مقر ثابت ، فهي تعقد في الكونتننتال او جروبي أو الكافيه دي لا بيه ومن روادها عبد المجيد نافع ، وحسن الشريف ، وحسن السندوبي ، واحمد رمزي والدكتور احمد عيسى وحلمي طماره وتوفيق السلحدار .

★ ★ ★

ندوة البكري في الخرنفش

وكانت ندوة آل البكري في قصر الخرنفش ذات شهرة ضخمة وقد حفظ لها التاريخ احاديث واحداثا ، فقد كان السيد توفيق البكري شخصية ذات ضوء وغموض فهو أديب وسياسي وشاعر وهو شيخ مشايخ الطرق الصوفية وشيخ الاشراف وشيخ السادة البكرية وهو زميل الخديو في مدرسة الانجال ، ثم خصمه ، وصديق كرومر وهو صاحب صهاريج اللؤلؤ ، وفي ندوة البكري بالخرنفش دارت مناقشات وجاءت وفود . ومن خلالها كتب حفني ناصف رسالته المشهورة التي كانت الى عهد قريب تدرس للطلبة كنموذج للرسائل البليغة . وفيها يعتب حفني ناصف على البكري ، انه زاره في داره فلما أقبل قاموا له فسلم عليهم فلما اقترب منه أغضى عن يده الممدودة ، وتجاهل وجوده في داره ، وانشغل عنه بغيره ، وقد أورد حفني ناصف هذا العتب في عبارة بليغة .

★ ★ ★

وندوة شيخ العروبة
وندوة تيمور باشا

وكانت ندوة احمد زكي باشا شيخ العروبة لها طابعها .

دار العروبة تقوم على شاطىء النيل « بجيزة الفسطاط » كما كان يطلق عليها . والسماط يُمدُّ كل ليلة ، ويشترك فيه كل من يحضر ، الأرز واللحوم وأحاديث المخطوطات المختلفة القادمة من استانبول وبرلين ولندن .

وهناك ندوة « أحمد تيمور باشا » في داره بالزمالك ، حيث يجتمع طائفة من الادباء والعلماء وكلا الرجلين مشغول بالمخطوطات ، مشغول بابحاث اللغة والتاريخ ، وبينهما فوارق في الطبع والسلوك والعمل . زكي باشا يحب الدويّ ، ويرسل آراءه كالقنابل بين آن وآخر على الصفحة الاولى من الاهرام فيثير المعارك ، ولكنه قليل الصبر على الاعتكاف في مكتبه ، أما احمد تيمور فانه يقرأ في صمت ويعلق على هوامش المؤلفات ويشارك أصدقاءه في ثمار عمله .

وطلعت حرب

وهناك ندوة (طلعت حرب) ولها تاريخ في أضخم حدث في تاريخ الحركة الوطنية المصرية ، تلك هي

قصة الخلاف بين محمد عبده ومصطفى كامل ، وقد حاول طلعت باشا التدخل ولكنه فشل .

★ ★ ★

ندوة القاياتي وندوة البابلي

ولانستطيع أن ننسى ندوتين طريفتين : هما ندوة القاياتي بالسكرية وندوة البابلي بالمعادى او بالسيدة زينب .

اما ندوة القاياتي فقد عرفت بانها مقر الحركات الوطنية منذ عهد عرابي بدأها السيد حسن القاياتي وكان من انصار عرابي ، وأكملها الشيخ مصطفى القاياتي وكان أزهريا من رجال ثورة ١٩١٩ . وكانت دار القاياتي بالسكرية مبنية على الطراز العربي القديم ، وكانت منظرتها منتدى الثورة العرابية وحيث كان يجلس احمد عرابي وفريق من الضباط . وفي ثورة ١٩١٩ كانت تزخر بجماعات الطلبة الأزهريين .

وفيما بعد الثورة المصرية لبثت ملتقى الطبقات من رجال العلم والأدب والسياسة .

ويصفها الشيخ حسن القاياتي فيقول :

« عطفة القاياتي : تلك عطفتنا العتيدة ، قائمة حيث يحتضنها باب زويله عند ملتقاه بالسكرية ، تلك عطفة (الالايلى) في بهرتنا دارنا القديمة الصغيرة (القاياتى) مسلك ضنك ملتو كمجرى النفس وجحر الافعى » .

اما دار البابلي فكانت قائمة عند تقاطع شارعي خيرت والجامع الاسماعيلي . وهدمت عام ١٩٣٨ بعد أن عاشت اكثر من ثمانين عاما ، وما زال اسمها يذكر مقرونا بالنكات المستملحة والفكاهات العذبة ، وقد ظل اسم صاحبها علما على الملح الشهية . وقد نشرت الصحف والمجلات كثيرا من ملح البابلي ونعى الصحفى العجوز هذه الدار عندما هدمت ورثاها الشعراء .

والمقرىء الشهير الشيخ محمد رفعت

وكانت للشيخ « محمد رفعت » ندوة في شارع يحيى بن زيد بالسيدة ، يجتمع فيها هواة فنه الرفيع . ويمثل الشيخ رفعت أروع صورة للاداء ، مع أروع خلق للعزوف عن اتخاذ قراءة القرآن وسيلة للكسب .

نادى الحلمية

ونادى الحلمية هو مقر آخر من تلك المجالس الحافلة بالأدباء ، وكان ابرز شهوده الشاعر محمد الهراوى ، وقد جلس فيه شوقى وحفنى ناصف وابراهيم هلال وحافظ ابراهيم وعبدالمطلب ونسيم وأحمد الزين وبيرم وعماد وحسن القاياتى .

مقهى الفيشاوى

اما مقهى « الفيشاوى » فله شهرته المدوية حول موائد الشاى الأخضر . حيث كان الأدباء ينطلقون في مجال النادرة والفكاهة . وأعظم مواسم الفيشاوى (ليالى رمضان) وقد حضر حلقاتها أحمد لطفى السيد والدكتور محمد حسين هيكل وحفنى محمود وفكرى أباظة ولطفى جمعة .

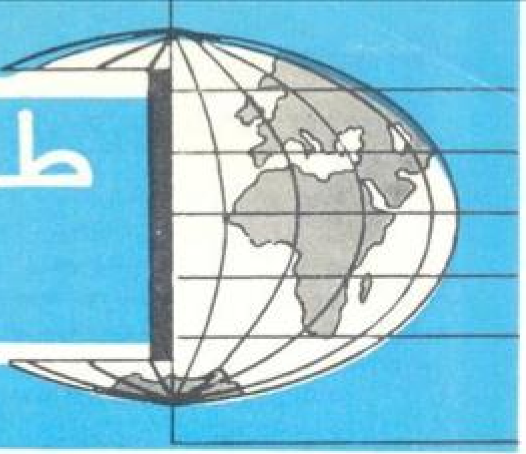
اما كازينو باب الخلق ، فقد أعطاه وجود دار الكتب في مواجهته مكانة خاصة ، حيث كان حافظ ابراهيم أكبر رواده وأدومهم .

وحيث صفع محمد المويلحى

وما يزال اسم قهوة دراكتوس يتردد ذكرها كلما ذكر الحادث الذى وقع لمحمد المويلحى صاحب كتاب « حديث عيسى بن هشام » عندما صفعه أحد أبناء الندوات المشهورين ، فانتهز الشيخ على يوسف الموقف الخلافه مع ابراهيم المويلحى فانشا بابا في جريدة (المؤيد) تحت عنوان (علم الكلام) ظل ينشر فيه من الرسائل والقصائد الشيء الكثير في السخرية بالمويلحيين والتنديد بهم .

وهكذا يرسم التاريخ لندوات الأدب قصة طويلة لها ذيول وأحداث ، ومن وراء هذه الندوات مواقف مختلفة ونتاج منوع وتراث ضخم نحتاج الى الكشف عنه واستقصائه في سبيل رسم صورة اجتماعية للعصر ، تعين الباحثين والمؤرخين على استكمال جوانب الدراسات الأدبية والابحاث التاريخية . ■■

القاهرة : أنور الجندى



طرائف غريبة

ابناء .. وآباء

● كان اصغر ابناء الرئيس الامريكي الاسبق تيودور روزفلت (١٨٥٨ ـ ١٩١٩) يقود سيارته في احد الايام بسرعة جنونية ، وفجاة افلتت عجلة القيادة من يده واصطدم بشجرة كبيرة ، وكاد يتسبب في مصرع طفلين صغيرين كانا يسيران وحدهما على الطريق !

وقبض رجل البوليس على الشاب الطائش وقدم للمحاكمة . ولكن قبل ان ينطق القاضي بالحكم ، وهو يقضي بحبسه شهرا وتغريمه مبلغ الف دولار . طلب الابن ان يتصل بابيه في البيت الابيض الامريكي ، لاعفائه من عقوبة الحبس والاكتفاء بتغريمه .

ووافق القاضي وتم الاتصال بين الابن ووالده رئيس الجمهورية في ذلك الوقت . وراح الاب ينصت حتى انتهى الابن من حديثه ، ثم قال له ، اعطنى القاضي لاحدثه ، وتكلم الاب ، قال : « اسمع ياسيدى .. لقد حكمت على ابنى بالسجن شهرا وبغرامة الف دولار .. وحيث انه لا يملك من هذه الالف سنتا واحدا .. ونظرا لانني غير مستعد على الاطلاق لدفع هذا المبلغ بالنيابة عنه ، لذا اقترح ان يدفعه هو شهورا اخرى يقضيها في السجن ! » .

وانتهى الحديث .. وابتسم القاضي ابتسامة عريضة ، وقال للابن الذى كان يقف وقد بدت على وجهه علامات الارتياح الشديد : « اسمع يابنى .. لقد اعفاك والدك من دفع الغرامة .. ولذلك فسوف تقضي في السجن ثلاثة اشهر بدلا من شهر واحد !! » .

فلسفة شارلى شابلن

● الممثل الكوميدى العالمي والفيلسوف الشهير شارلى شابلن Charlie Chaplin . سالوه يوما : « من هو الشخص الذى تشعر انك مدين له بنجاحك ! » فقال شارلى : « انه ليس شخصا واحدا ، وانما هم عشرة اشخاص .. انني مدين لابي وامي اللذين كانا سببا في وجودى اولا ، ثم مدين لأطفالي الثمانية الذين حرصت دائما على ان اوفر لهم حياة اكثر سعادة ورفاهية من تلك التى عرفتها انا في طفولتي .. وقد كان حرصي هذا هو الحافز الذى دفعني الى العمل ثم النجاح ! » .

● شارلي شابلن نشا نشاة فقيرة ثم اثرى .



الحرية .. اقدس شيء في الوجود !

● البابا بيوس الثاني عشر (١٨٧٦ - ١٩٥٨) وقف يوما يستقبل جماعة من المصلين في الفاتيكان ويمنحهم بركته : وكما يحدث دائما ، راح كل واحد منهم يخرج من جيبه شيئا .. اى شيء لكي يباركه البابا ويظل يحمل بركته .. فقدموا له المناديل واربطة العنق ، وصور القديسين .. ثم جاء دور احدى السيدات ، وكانت تقف حائرة بعد ان فشلت تماما في العثور على شيء في حقيبة يدها تقدمه للبابا ليباركه ، واخيرا عثرت على قطعة نقود فضية ، فقدمتها له وهي تقول : « ارجو ان تسامحنى ، ولكننى لم اجد غيرها ، وقد لاتتاح لي فرصة زيارة روما مرة اخرى ! » .

وابتسم البابا ، ومد يده ليأخذ قطعة النقود الفرنسية ثم راح يقلبها بين اصابعه ، وفجأة قرأ كلمة « الحرية » منقوشة عليها .. وهنا صاح قائلا : « لاتحزني يا ابنتي ، فسوف ابارك اقدس شيء في الوجود .. سأبارك « الحرية » التي منحها الله لكل انسان على هذه الارض » .



عظمة القائد

● عظمة القائد في قدرته على الاستعانة برجاله دون ان يستسلم لهم ، ولكنها ايضا في ثقته بهؤلاء الرجال الذين يتمتعون بقدر كاف من الشجاعة يمكنهم من ان يقولوا له ((أنت مخطىء)) !

كاترين العظمى
(١٧٢٩ - ١٧٩٦)

هكذا .. طبيعة البشر !

● المليونير الامريكى ستاتلر Statler صاحب الفنادق التى تحمل اسمه ، صحا يوما في ساعة مبكرة من الصباح وقد استبدت به رغبة شديدة في تناول « تفاحة » ! وهو الذى يملك عشرات البساتين المليئة باشجار التفاح ..

وترك المليونير جناحه الخاص بالفندق وهبط الدرج ، وهو ما زال بملابس النوم حتى وصل الى المطبخ وكان بابه ما يزال موصدا ، وأحد موظفى الفندق يقف في حراسة مخازن الطعام .

واقترب ستاتلر من الحارس وقدم له نفسه ، ثم طلب اليه أن يسمح له بالدخول ليبحث بنفسه عن تفاحة !

ولكن الحارس رفض أن يصدق أن صاحب الملايين يأتى الى المطبخ في ملابس النوم ليأكل تفاحة ! ومن ثم طلب اليه أن ينصرف بسرعة ، والا أيقظ حرس الفندق !

وعاد ستاتلر الى غرفته يجر ذيول الخيبة وهو يغلى غضبا ..

وفي الطريق التقى بأحد كبار موظفيه ، فروى له ما حدث !

وفي دقائق قليلة ، كانت هناك عربة صغيرة يدفعها اثنان من الخدم في طريقها الى جناح المليونير ، وقد ازدحمت باطباق من الفضة ملأى بجميع أنواع الفاكهة ..

ولكن ما كادت عينا ستاتلر تقع عليها حتى قال لمن حوله في أسى واضح : « كل ما طلبته هو تفاحة .. تفاحة واحدة ناضجة ، اقشرها بهذه المطواة القديمة التى أحملها في جيبي .. فاذا بكم تصنعون مظاهرة .. عودوا بفاكهتكم ، فقد فقدت شهيتى ، ولم أعد أريد تفاحا ! »

استطلاع
الكويت

أندية الكويت الرياضية

كيف بدأت
وإلى أي شيء صارت
والمستقبل المرجو لها؟

بقلم : محمد طنطاوى





السباحة وكرة القدم لعبتان مشهورتان في الكويت ، في **الصورة العليا** اطفال ورجال يمارسون السباحه في حمام نادي الغزال. وفي **الصور الاخرى لقطتان لمباراتين** من مباريات كرة القدم .. **الى اليمين** افراد فريق نادي القادسية يحيون الجمهور قبل بدء المباراة **والى اسفل** مباراة بين احد الفرق الاجنبية وفريق القادسية.



■ الاهتمام بالرياضة واللياقة البدنية قديم قدم التاريخ نفسه .. فالمجتمعات البدائية فى عصور ما قبل التاريخ كانت تقوم بتدريب الاطفال الصغار على مهارات بدنية، مثل الجرى والقفز، والتى بدونهما كان يستطيع أن ينتصر فى صراعه المرير مع الطبيعة القاسية والحيوانات المفترسة التي كان يعيش معها فى تلك الازمان السحيقة .

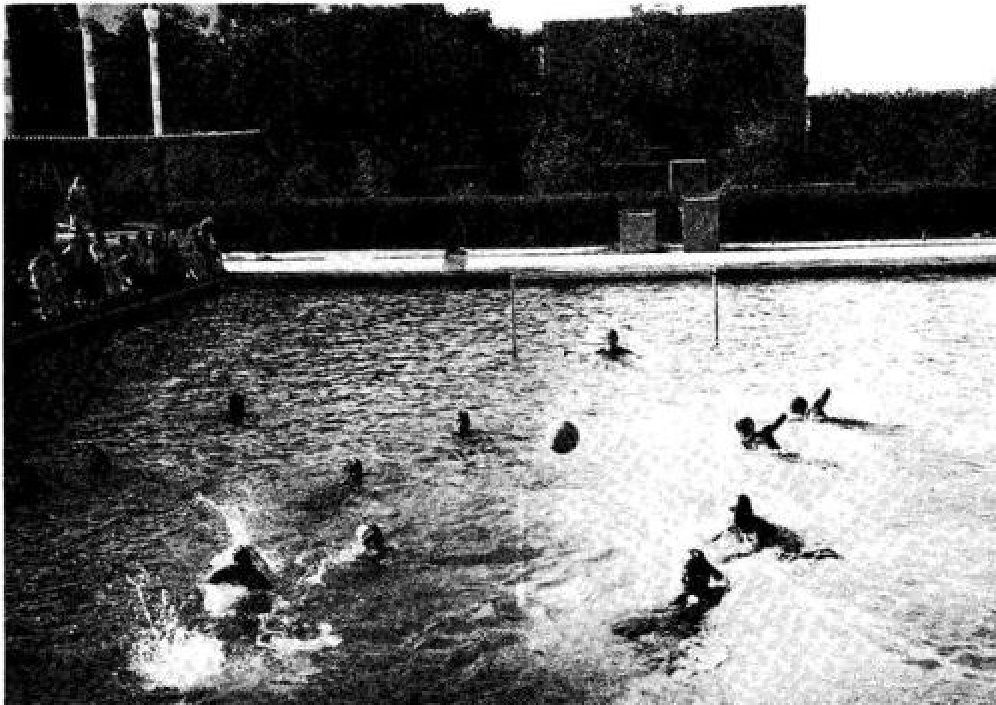
وتطورت الحياة البشرية وجاءت الحضارات القديمة في الصين وآشور ومصر القديمة وبدأت أولى المباريات الرياضية المنظمة في التاريخ . ولكن يعود الفضل الاكبر على الرياضة والالعاب الرياضية لليونانيين القدامى .

ففي القرن السادس قبل الميلاد كان التدريب على الالعاب الرياضية أشبه بالتجنيد الاجبارى فى أثينا وفي اسبرطة . ولم يكن التدريب الرياضي اجباريا على الاطفال اليونانيين في ذلك العصر لانه يكسبهم الصحة والقوة فقط ، ولكن لانهم آمنوا ان الرياضة تتيح لهؤلاء النشء فرصة أكبر لبناء قواهم العقلية أيضا .

أول ناد فى الكويت

والرياضة في الكويت قديمة نسبيا .. فقد كان للحياة القاسية في الكويت في أوائل القرن الحاضر فضل كبير على أهلها لكي يدركوا أهمية اللياقة البدنية . فالحياة كانت تعتمد على الصيد والتجارة والملاحة ، وكلها أعمال تتطلب صحة وقوة وأجساما سليمة . وشعر الكويتيون بأهمية الرياضة فكانوا يمارسون أنواعا كثيرة منها مثل السباحة وسباق الخيل والغوص في الاعماق لاطول مدد ممكنة . وكانت هناك بعض الالعاب الخاصة بهم « كالمقصي » و «الهول» و «الرمحي» وغيرها .

كرة الماء رياضة يقبل عليها الشباب الذي يجيد السباحة .



ولم تكن كرة القدم وكرة السلة والكرة الطائرة معروفة في الكويت حتى عام ١٩٢٣ حيث أقيمت في البلاد أول مباراة لكرة القدم .

ولم تكن هذه المباراة بين ناديين ، فلم تكن هناك في الكويت نواد رياضية بعد. وانما أقيمت المباراة بين عدد من الشباب الكويتي في أرض فضاء خارج «دروازة» نايف . وكانت هذه بداية انطلاقةالحركة الرياضية المنظمة في الكويت ، وكانت اشارة بدء السباق الرياضي الذى شمل الشباب الكويتي منذ ذلك الوقت على اختلاف طبقاته .

ولكن بالرغم من انتشار مباريات الكرة بين فرق من الشباب الكويتي لم تكن هناك أندية رياضية . واستمر الحال كذلك حتى عام ١٩٥٢ حيث تأسس « النادى الاهلي » وبعده جاءت نوادى « العروبة » و « الجزيرة » و « الخليج » و « التعاون » و « النهضة » و « القبلي » . وساهمت الحكومة فى اعانة هذه النوادى فامدتها بمعونات مالية تتراوح ما بين ٢٠ الفا و ٣٠ الف روبية سنويا حسب نشاط كل ناد .

نوادى الكويت الحديثة

تطورت الحياة في الكويت بسرعة مذهلة في الستينيات من هذا القرن ، وشمل هذا التطور كل مرافق الكويت ومن بينها الأندية الرياضية . وظهر الى الوجود عدد كبير من الاندية الرياضية الحديثة وظهرت أيضا الاتحادات الرياضية التي يشرف كل منها على لعبة معينة . ولم تبخل الحكومة على الأندية الرياضية بمعونتها المالية والادبية . فأنشأت ادارة في وزارة الشئون الاجتماعية والعمل هي ادارة رعاية الشباب والنشاط الاهلي تتولى الاشراف على متطلبات هذه الأندية والاتحادات وتقييم اعمالها في ميدان الرياضة .

وازداد عدد الأندية الرياضية في الكويت ، حتى أصبح اليوم أكثر من ١٥ ناديا رياضيا و ٣ نواد ثقافية واجتماعية وهى تنتشر في كل مدن وقرى الكويت .



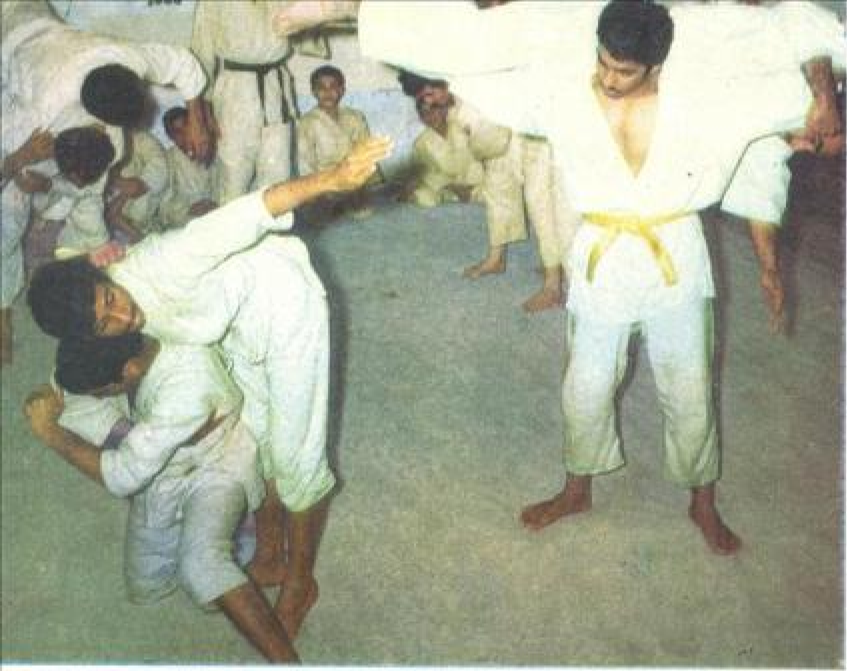
الجيل الجديد يتدرب على القفز الى الماء تحت اشراف مدربين متخصصين .

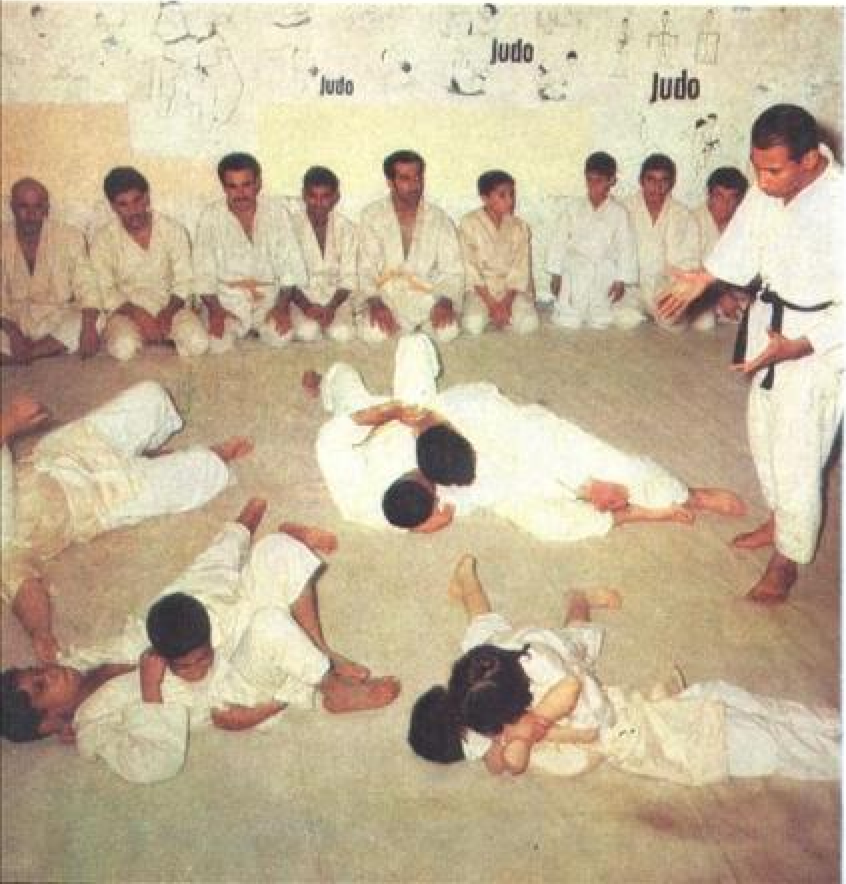
فهناك النادى العربي وهو في مدينة الكويت
ونادى القادسية وهو في محافظة حولى
ونادى الكويت الرياضي وهو في مدينة الكويت
ونادى الشباب الرياضي في محافظة الاحمدى
ونادى الفحيحيل الرياضي في الفحيحيل
ونادى السالمية الرياضي في السالمية
ونادى كاظمة الرياضي في مدينة الكويت
ونادى خيطان في ابرق خيطان
ونادى اليرموك في جزيرة فيلكا
ونادى النصر الرياضي في جليب الشيوخ
ونادى التضامن الرياضي في الفروانية
والنادى البحرى الكويتي في السالمية
ونادى الشهداء الرياضي في منطقة الجهراء





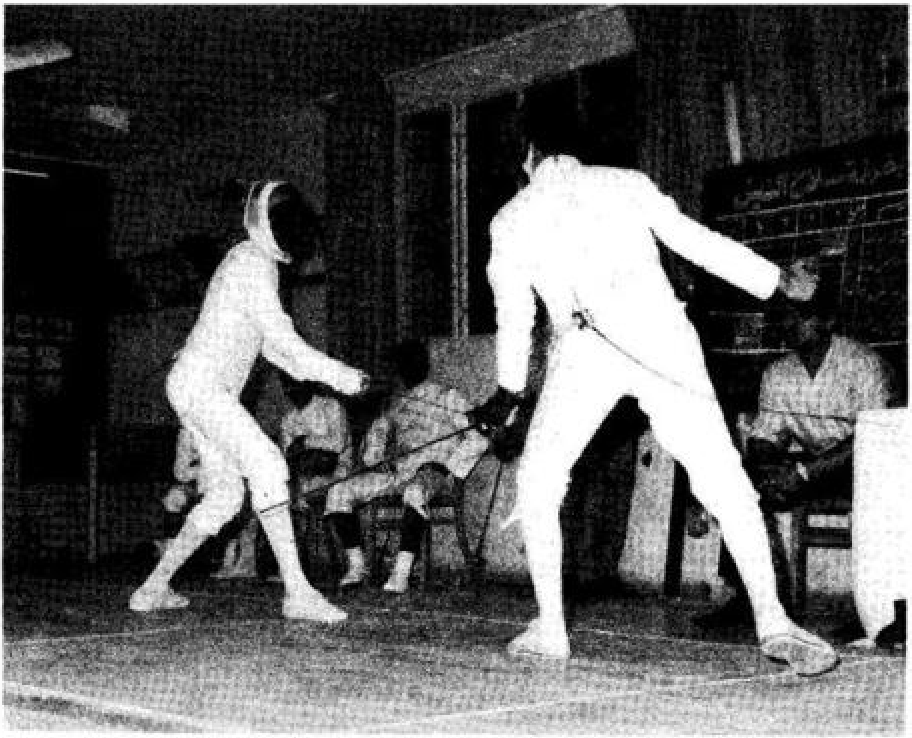
الالعاب الرياضية الجديدة غزت هي الاخرى .. ولقيت اقبالا شديدا من الجمهــور .. التزلج على الماء (**الصورة العليا**) اصبح لها يمارسونها على مياه الخليج الهادئة . ورياضة (**الصورة اليمنى**) اصبحت هي الاخرى تلقى من الشباب مما جعل الاندية تهتم بها .. أما في الكويت فهي الجودو (**الصورتان الى اليسار**) عدد كبير ، منهم اطفال وشباب ورجال .







نوادي الكويت
.. لرياضة
ـواة كثيرون
كمال الأجسام
اقبالا متزايدا
احدث لعبة
ويمارسها الآن



الشيش احدث لعبة في أندية الكويت الآن ، وقد اقيمت أول بطولة لها ونظمتها جامعة الكويت .

وهناك ايضا اندية اخرى في مدينة الاحمدي منها :

نادى الرماية والاهداف الطائرة ، ونادي الحبارى ونادى الجوكارت ، ونادي الجولف ونادي عمال شركة نفط الكويت . ونادى الغزال في منطقة أبو حليفة .

وتقوم حكومة الكويت بصرف اعانات للاندية الرياضية بمبلغ مقدارها ١٥ الف دينار سنويا لكل ناد ، وذلك لتمكنها من اداء رسالتها في رعاية الشباب الكويتي وتدريبه والمحافظة على لياقته البدنية .

أهداف الأندية الرياضية

وضعت أندية الكويت الرياضية نصب أعينها العمل على رفع المستوى الرياضي والاجتماعي والثقافي بين اعضائها . فقامت بانشاء فرق رياضية في كثير من الالعاب اهمها كرة القدم ، وكرة السلة، والكرة الطائرة ، والسباحة ، وكرة اليد ، والتنس وتنس الطاولة والاسكواش ، والعاب القوى والدراجات ، والجمباز . كما قامت بعض الاندية ايضا بادخال العاب اخرى مثل « الجودو » و « كمال الاجسام » و « الشيش » من ضمن نشاطاتها الرياضية المتعددة .

نجاح وانتصارات

وكما انشات النوادي هذه الفرق الرياضية فانها قامت هي والاتحادات الرياضية بتنظيم مباريات دورية بين فرق الاندية في مختلف هذه الالعاب . وقد بدأت نتائج هذا المجهود الرياضي تبشر بالخير . فقد أظهرت نتائج مباريات بعض الفرق في المجال الرياضي على المستوى المحلي والعربي العام ان الفرق الرياضية في الكويت

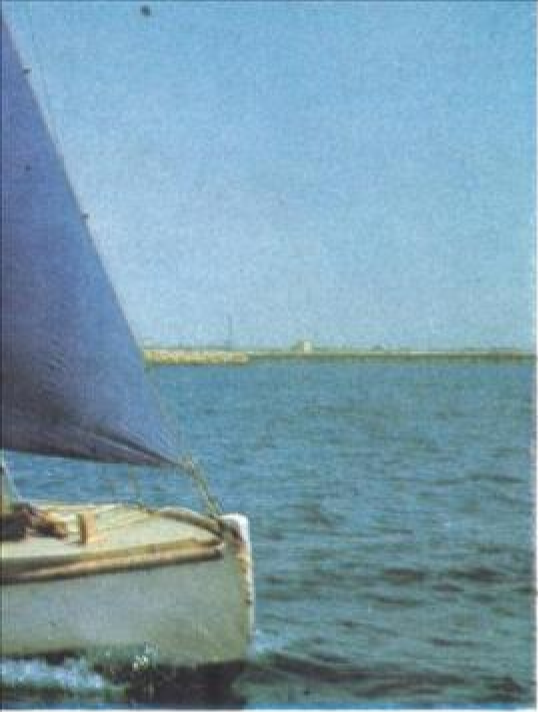
لاتقل في مستواها عن مستوى كثير من فرق البلاد العربية او الاجنبية الاخرى التى سبقتها في هذا المضمار . وقامت الاندية بتنظيم مباريات بين فرقها وبين فرق من آندية عربية او أجنبية وذلك لاتاحة الفرصة للاعبين لاكتساب مهارات جديدة . وقد شهدت الكويت أخيرا عدة مباريات على المستوى العربي من ضمنها الدورة العربية للكرة الطائرة وقد احتلت الكويت فيها المركز الثالث . ومنها ايضا مباريات فريق النادى الاسماعيلي لكرة القدم وهو بطل أندية افريقيا وقد تعادل في أولى مبارياته مع نادى القادسية ، ثم انهزم امام فريق النادى العربي ٢/صفر . وفازت ايضا الكويت ببطولة دورة الخليج لكرة القدم .

قصر التمثيل الرياضي على الكويتيين

بالرغم من النجاح الذى حققته آندية الكويت الرياضية في المجال الرياضي الا ان الكثير لايزال امامها لتحقيق نجاح اكبر وافضل . فقد انشغلت بعض الاندية بالمنافسة على البطولات الرياضية عن غرضها الاساسي وهو خلق جيل جديد من اللاعبين الكويتيين يتميز باللياقة البدنية الكاملة والمهارات الرياضية الاساسية التى تجعل منه لاعبا كفؤا يستطيع تمثيل بلاده على المستوى الدولي وتمثيل ناديه على المستوى المحلي . فقامت بعض الاندية باستيراد لاعبين من غير الشباب الكويتى ليلعبوا باسمها في المسابقات الدورية الرياضية . وذلك طلبا للنصر من اقصر طريق . ونتيجة لهذا فقد قلت الفرص امام الشباب الكويتى فى المجال الرياضي . ولكنْ صدر أخيرا قرار من وزير الشئون الاجتماعية والعمل ينص على أنه « استكمالا لمقومات النهضة الرياضية في الكويت ، واستمرارا في رعاية الشباب الكويتي وتمكينه من القيام بدوره الايجابي في تمثيل بلاده

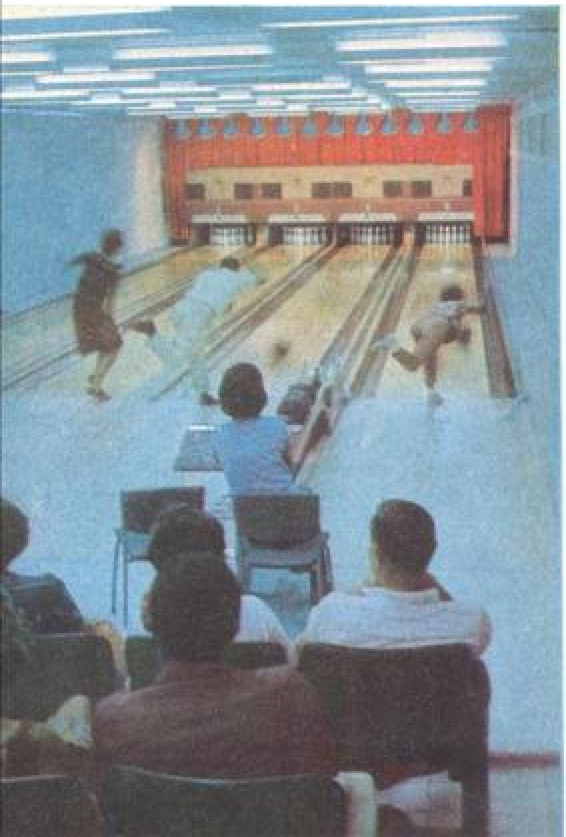
نادى الرماية في الاحمدى يقيم مسابقات أسبوعية يقبل عليها الجمهور .











تتميز الكويت بشواطئها الجميلة التى تحيط بها من كل ناحية ولهذا انتشرت الاندية على شاطىء الخليج ومن بينها الاندية التى تهتم بالرياضة البحرية مثل نادى اليخت والنادى البحرى .. **(الصورتان الى أعلى)** ونادى الغزال حيث النخيل وانواع الرياضة المختلفة **(الصورة الى اليمين)** وتوجد ايضا قاعات لرياضة البولنج التى يمارسها الصغار والكبار ويقبلون عليها اقبالا كبيرا **(الصورة الى اليسار)** .

على الوجه الاكمل ، وعملا على افساح المجال للشباب الكويتي كاملا للوصول الى أعلى مراتب البطولة الرياضية ، فقد تقرر ان يكون التمثيل الرياضي للكويت مقصورا على الكويتيين ، ويكون تشكيل الفرق والمنتخبات الرياضية ومبارياتها الرسمية الداخلية منها والخارجية سواء للاندية أو الاتحادات الرياضية مقصورا على الكويتيين . على ان يبدأ العمل بهذا القرار ابتداء من الموسم الرياضي ١٩٧١/١٩٧٢ » .

انطلاقة رياضية جديدة

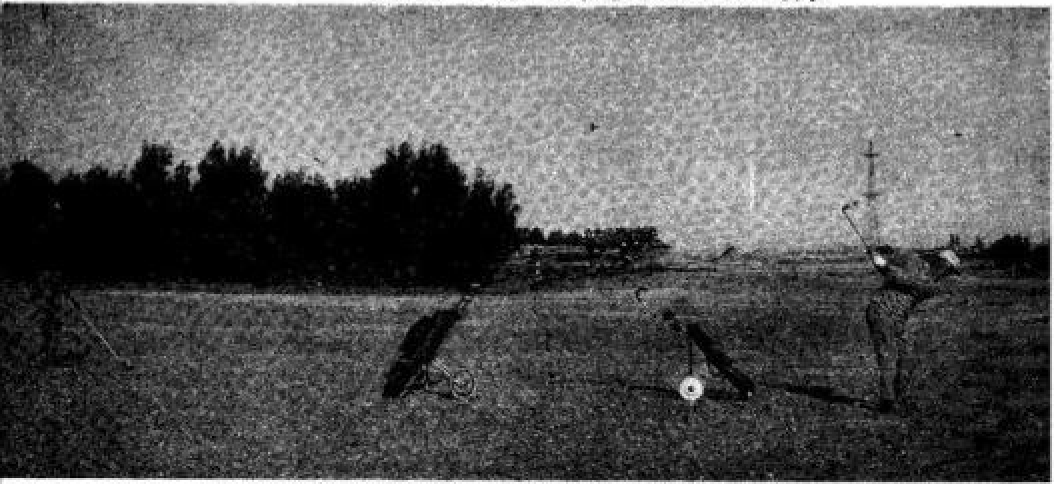
ويعلق عبد الرحمن المزروعي مدير ادارة رعاية الشباب والنشـاط الاهـلي في وزارة الشئـون الاجتماعية على هذا القرار قائلا : « لقد تسابقت الاندية الرياضية على استيراد اللاعبين من مختلف البلاد العربية لفرقها الرياضية . وقامت الاندية بانفاق الكثير من اموالها على هؤلاء اللاعبين مما اثر على مختلف أوجه النشاط الاخرى المفروض ان تقوم بها الاندية واثر ايضا أكبر الاثر على اتاحة الفرصة للرياضيين الكويتيين ، وانا أعتبر ان هذا القرار سيكون حجر الزاوية في انطلاقة رياضية جديدة للكويت » .

مباني الاندية الجديدة في طريقها الى النور

واغلب انـدية الكـويت الرياضيـة تقـع على مساحات واسعة من الارض تتراوح مساحتها بين ٦٥ الف متر مربع و ٧٥ الف متر مربع . ولكن مبانيها حتى الآن لاتفي بالاغراض الكاملة التـي انشئت من اجلها . فليس هناك في أغلب الاندية سوى الملاعب والمدرجات الخشبية ، ومبنى للادارة وصالة مغلقة للألعاب أو صالتين على الاكثر . ولا توجد هناك « كافيتريا » على نظام حديث أو حمامات سباحة تتسع لعدد كبير من الشباب وغير ذلك من المرافق الهامة للاندية الحديثة . لذلك قـام المسئولون في وزارة الشئـون الاجتماعيـة والعمل بعقد عدة اجتماعات مع المسئولين في وزارة الاشغال للانتهاء من تصاميم النـادي الرياضي النموذجي وذلك حتى يمكن بدء العمل هذا العام في انشاء نادي الكويت ، ثم بعد ذلك يبدأ العمل في بناء المباني الجديدة للنـادي العربي ونـادي القادسية . وذلك حتى تتمكن هذه الاندية من أداء المهمة الملقاة على عاتقها تجاه الشباب الكويتي .

وقد روعي في التصميمات الجديدة ان تكـون مطابقة لاحدث المواصفات العالمية للاندية .

يقيم نادي الجولف في الاحمدي مباريات دورية بين اعضائه ويقبل سكان الاحمدي على رياضة الجولف اقبالا كبيرا .

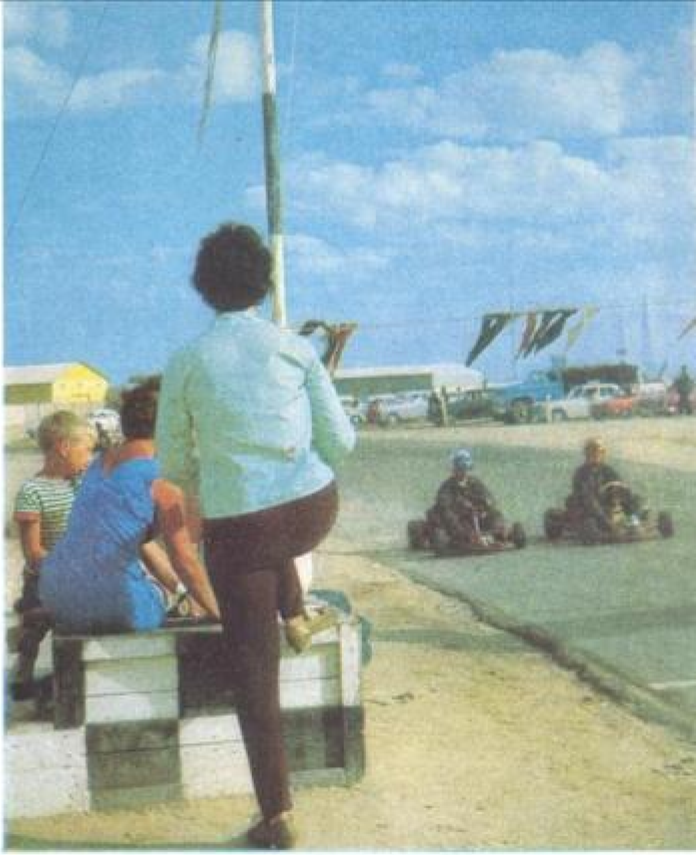




مباراة في الكرة الطائرة .. وقد فازت الكويت أخيرا بالمركز الثالث في الدورة العربية التي اقيمت للكرة الطائرة .

دراسات جديدة حول نشاط الاندية

وتقوم ادارة رعاية الشباب حاليا بمتابعة نشاط الاندية والاتحادات الرياضية والعمل على تمكينها من اداء رسالتها على أكمل وجه. ومن اجل هذا تم وضع أسس جديدة لتقرير الاعانة الحكومية السنوية للاندية ابتداء من العام القادم وذلك بأن تتناسب قيمة الاعانة التى تقدم سنويا مع مدى وحجم الخدمات التى يقوم النادى بتقديمها للشباب والمجتمع . وذلك بهدف ايجاد حوافز جديدة للاندية لتطوير نشاطاتها وتنمية خدماتها للشباب في مختلف المجالات الرياضية والاجتماعية.



سباق السيارات الصغيرة (الجوكارت) **الصورتان الى اليمين واليسار** لعبة يمارسها سكان مدينة الاحمدى اما كرة اليد فقد اصبحت لها مباريات دورية وفي الصورة **السفلى الى اليمين** مباراة بين نادي السالمية ونادى الفحيحيل في كرة اليد .. ولعبة البلياردو هي الأخرى تجد جمهورا كبيرا لها من بين اعضاء الأندية المختلفة **(الصورة السفلى الى اليسار)** .







الانديـــة ومشكلة الفراغ

وعندما سألنا عبد الرحمن الزروعي مدير ادارة رعاية الشباب عن دور الاندية بالنسبة لمشكلة الفراغ رد قائلا : « اولا احب ان اتساءل هل هناك حقيقة مشكلة فراغ . اننا نتكلم عن هذه المشكلة في جرائدنا وفي ندواتنا ولكن هل قمنا بعمل بحث علمي ميداني عن هذه المشكلة ووجودها . في الحقيقة لم نقم بهذا العمل حتى الآن والى ان نقوم به فلن استطيع ان اجيب على هذا السؤال . ولكن هناك بحث ميداني استطلاعي قمنا به عن احتياجات شباب الكويت . واخذنا عينة البحث من بين اعضاء مراكز الشباب التابعة لوزارة الشئون الاجتماعية والعمل وقد روعي ان تمثل هذه العينة نوعية اعضاء هذه المراكز قدر الامكان . وقد اثبتت نتائج هذا البحث ان شبابنا يرى ضرورة وعي الاباء بقيمة الترويح واثره على صحة الشباب الجسمية والنفسية . وينتقد الشباب احتكار البعض للانشطة الترويحية .. كما عبر الشباب في هذا البحث ايضا عن حاجتهم الى تكوين عادة الاستماع والاشتراك في الندوات ، والى رغبتهم في عدم مصاحبة رفاق السوء . وهو اتجاه مرغوب فيه . وقد افادنا هذا البحث الميداني كثيرا في معرفة احتياجات شبابنا وسيكون مرشدا لنا في عملنا في سبيل تحقيق هذه الاحتياجات وخلق جيل جديد من الشباب الصالح جسمانيا وعقليا ونفسيا » .

وبعد هذه صورة سريعة عن اندية الكويت الرياضية .. كيف كانت وكيف اصبحت .. وكيف ستتحول في المستقبل القريب الى واحات خضراء، يلجأ اليها الشباب هربا من صحراء الفراغ للترويح عن نفسه واكتساب الصحة واللياقة .

محمد طنطاوى

اهتمت الكويت باقامة دورات رياضية عربية .. وقد حققت الفرق الرياضية نتائج حسنة في هذه الدورات.



مسابقة العربي ١٠ أسئلة .. وجوائز ١٠٠ دينار

مسابقة هذا العدد تتكون من ١٠ أسئلة والمطلوب منك الاجابة اجابة صحيحة على ٨ أسئلة منها لكي تفوز باحدى جوائز المسابقة . وهذه هي الأسئلة :

١ ـ القهوة لفظ عربي قديم اطلقه العرب على احد الاشربة التالية :

أ ـ شراب الليمون . ب ـ شراب القرفة

جـ ـ شراب الزنجبيل . د ـ شراب النبيذ

٢ ـ ابن طفيل فقيه اندلسي وفيلسوف شهير . من كتبه الذائعة الصيت :

أ ـ مروج الذهب . ب ـ حيّ بن يقظان .

جـ ـ العقد الفريد .

فما هو الكتاب .. ؟

٣ ـ عطيل تمثيلية عالمية شهيرة ، كتبها :

أ ـ غوته . ب ـ ابو نواس .

جـ ـ شكسبير .

٤ ـ احدى الجمل التالية خطأ فاذكر رقمها :

أ ـ الكلوزيوم *Collesium* هو الامفتياتر الروماني الشهير الذى ما زال قائما في قلب روما .

ب ـ هوميروس هو الشاعر اليوناني القديم الذى كتب الملحمتين الشهيرتين الالياذة . والاوديسة .

جـ ـ تاج محل هو المبنى الجميل الذى اقامه في كراتشي احد الملوك تخليدا لذكرى زوجته .

٥ ـ قناة تصل بين بحرين يبلغ عمقها نحو ٣٨ قدما وعرضها بالمتوسط نحو ١٩٧ قدما ويزيد طولها على ١٠٠ ميل فما اسم هذه القناة وفي اى قرن تم انشاؤها .. ؟

٦ ـ من الخضراوات التى يأكلها الناس بكثرة في الوقت الحاضر نوع طالما امتنعوا عن أكله في الماضي . لانهم اعتقدوا انه سام ، واقتصروا على استعماله لاغراض الزينة . وبقيت الامور على تلك الحال حتى اوائل القرن التاسع عشر حينما اكتشف احدهم ان نوع الخضرة المشار اليه ليس ساما . والآن تكثر زراعة هذا النوع في ايطاليا التى اشتهرت بتصديره عصيرا معلبًا ، فما هو :

أ ـ الكوسة . ب ـ الباذنجان .

جـ ـ الطماطم .

٧ ـ يوجد في افريقيا لغة تسمى افريكانز *Afrik-aars* **وهذه اللغة لهجة من اللغة الهولندية دخلتها لهجات افريقية . وهى منتشرة في احد الاقطار الافريقية التالية .**

أ ـ الحبشة . ب ـ موريتانيا . ج ـ اتحاد جنوب افريقيا . د ـ نيجيريا .

٨ ـ الفيلبين جمهورية تقع في الشرق الاقصى وتتكون من ٤ ـ ٥ جزر رئيسية وما يزيد على ٧٠٠٠ جزيرة صغيرة . ويبلغ عدد سكان الفيلبين نحو ٣٠ مليون نسمة .. نسبة المسلمين منهم تبلغ

أ ـ ٥٠ ٪ ب ـ ٦٠ ٪ جـ ـ ٢ ٪ د ـ ١٥ ٪

٩ ـ من الشاعر القائل :

رأيتُ المنايا خبْطَ عشواء من تُصِبْ
تُمِتْهُ ومن تخطىء يعمَّر فيَهْرَمِ
واعلم ما في اليوم والأمْسِ قبْلَه
ولكنني عن علم ما في غدٍ عَمِ

١٠ ـ اشترى رجل دراجة نارية مستعملة ودفع ثمنها ٥٠ دينارا . وبعد ان استعملها قليلا عاد فباعها مقابل ٧٠ دينارا . ولكنه لم يلبث ان اشتراها ثانية ب ٥٠ دينارا ثم باعها ب ٧٠ دينارا :

فما هو مجموع ما ربحه هذا الرجل او خسره ؟

شروط المسابقة

١ ـ ان يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور في ذيل هذه الصفحة .

٢ ـ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .

٣ ـ ضع اجابتك في مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتى :

مجلة العربى ـ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ١٣٩ » .

٤ ـ آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم الثالث من شهر يوليو (تموز) ١٩٧٠ .

٥ ـ كل خطاب يفقد شرطا من هذه الشروط عرضة لان يهمل ولا يدخل عملية الاقتراع على الجوائز .

الجوائز ١٠٠ دينار

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا . الجائزة الثانية ٢٠ دينارا . الجائزة الثالثة ١٠ دنانير .

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريق الاقتراع .■■

كوبون مسا

صفحة
في اللغة

من معاجم
اللغة العربية

معجم
أقرب الموارد
للشرتوني

بقلم : عبد الستار فراج

■ على الطريقة التى سار عليها الزمخشرى صاحب « أساس البلاغة » ، والفيومى صاحب « المصباح المنير » ـ وهى الطريقة التى ينظر فيها الى الحرف الأول الأصلي ، والتى شرحتها في المقالات السابقة ـ سار البستانى صاحب «محيط المحيط » يعتمد كل الاعتماد على القاموس الذى طبع في ايامه ، الى جانب ما اطلع عليه ، وماجمعه من العامة .

ولقد كان طبع القاموس فاتحة عهد جديد في نشر المعاجم القديمة ، مثل الصحاح واللسان واساس البلاغة .

وكانت الطريقة التى سار عليها البستانى باعثة على الاعجاب والاقتباس . مع ما في كتابه محيط المحيط من عيوب لغوية .

ثم تسلم زمام التنسيق والتأليف المعجمي سعيد الشرتونى . فألف كتابا سماه « أقرب الموارد في فُصَح العربية والشوارد » وكلمة « فُصَح » هكذا ضبطت بضم الفاء وفتح الصاد ، ولاأدرى أهى جمع عثر عليه لكلمة « فصيح » أو « فصيحة » أم قاسها قياسا نادرا على ما لا ندريه . فإن المعروف أن « فُعْلة » جمعها « فُعَل » مثل حُلّة وحُلَل وصُورة وصُوَر ودُرّة ودُرَر ، وحُجْرة وحُجَر ، أما « فَعيل » فقد يجمع على « فُعُل » بضم العين مثل رَغيف ورُغُف وسَرير وسُرُر ، وقد يجمع على غير ذلك مما ليس مدار البحث الآن .

وعلى أية حال فإن التنظيم الداخلى لكتاب « أقرب الموارد » ، وفي كل مادة على حدة ، عمل يدل على مجهود شاق ومحمود ، بقطع النظر عما أخطأ في ضبطه أو غلبه فيه التطبيع . (الغلطات المطبعية) .

الأوزان للأفعال الثلاثية

ان وزن الكلمة الثلاثية عند علماء اللغة هو « فعل » فكل كلمة ثلاثية يسمى الأول الأصلى



فيها « فاء الكلمة » والثانى يسمى « عين الكلمة » والثالث يسمى « لام الكلمة ».

والأفعال الثلاثية لها في الماضي ثلاثة اوزان ، ومضارع الأفعال الثلاثية لا يخرج عن ثلاثة ايضا هى فتح عين الكلمة ، او ضمها ، او كسرها ، والمشهور ان الفِعْل الثلاثى المفتوح العين ياتى منه مضارع مفتوح العين او مضمومها او مكسورها ، وان الماضي المكسور العين ياتى منه مضارع مفتوح العين او مكسورها ، وان الماضي المضموم العين ياتى مضارعه مضموم العين .

ومما يتعب الباحث في الأفعال الثلاثية معرفة ضبط عينها في ماضيها ومضارعها.

وقد وضع بعض اللغويين السابقين إشارات إلى ضبط عين الكلمة الثلاثية ، أو ضبطوها بالحركات في معاجمهم ، من ذلك صاحب « القاموس » ، حيث أشار إلى قواعد وضعها في مقدمته ، بَيَّن فيها ما يُعْرَف به ضبطُ « عين الفعل » ، وإن كان ذلك متعبا وعسيرا على الباحث.

وصاحب « المصباح » نصّ مع كل فعل تقريبا على وزنه ، أما الصاغانى صاحب « التكملة » فالكلمات عنده مضبوطة بالحركات بعناية ، وهذا ما يجب اتباعه في كتب اللغة منعاً للحدْس والتخمين.

وقد ذكرتُ أن البستانى صاحب « محيط المحيط » وضع أفعالاً مشهورة جعلها ضوابط ، وقلت إن هذا غالباً لا ينطبق على المصادر .

ضوابط الشرتوني

وسعيد الشرتونى صاحب « أقرب الموارد » وضع أيضا أفعالاً جعلها ضوابط لكل الأفعال الثلاثية ، ثم جعل لكل فعل من هذه الضوابط رمزاً يذكره في كل مادة لها فعل ثلاثى ، وهذه هى الأفعال الضوابط ورموزها عند الشرتونى في « أقرب الموارد » .

١ – ن = نصَر .أى أن الفعل المذكور وزنه فَعَل يفْعُل .

٢ – ض – ضرب ،أى أن الفعل المذكور في المادة وزنه فَعَل يفعِل.

٣ – ع – قطَع ، ومعنى ذلك أن الفعل في المادة وزنه فَعَل يفْعَل

٤ – ل = علِم . وهذا معناه أن الفعل وزنه فَعِل يَفْعَل .

٥ – ر ـ كَرُمَ . وهذا يدلنا على أن الفعل وزنه فَعُل يَفْعُل .

٦ – س ـ حسب . وهي تدل على أن الفعل وزنه فَعِل يَفْعِل .

وعلى هذا نذكر نموذجا مما جاء في كتابه :

– بَحَثَ – في الأرض ع بَحْثاً ...

– بَذَرَ – الحَبَّ ن بَذْراً ...

– خضَبَ – ض خَضْباً ...

– بَذِخَ – الجبَلُ ل بَذَخاً .

– بَرَد وبَرُد الشيءُ – ن ، ر بَرْداً وبُرُودةً .

ونلاحظ أن المصادر لا تنطبق في كل حال على مصادر الرمز الذى هو ضابط ، كما نلاحظ أيضا أن بعض الأفعال تأتى على أكثر من وزن .

مراجعه

والمراجع التى نقل منها الشرتوني وذكرها في مقدمته هى :

لسان العرب . والأساس . والصحاح . والمصباح . والراغب الأصفهانى صاحب المفردات . والمُغْرب للمطرزى . والتاج والقاموس . والمُجْمَل . ومختار الصحاح.

أجزاء أقرب الموارد

وأقرب الموارد في جزأين، ثم ألْحق بهما جزءاً ثالثاً سمّاه « الذّيل » وقال عنه إنه « يتضمن ثلاثة أمور :

١ – ذكر ما كُنْتُ قد تركْتُه عمداً في أوائل الكتاب ، أو فاتنى سهوا في سائر الأبواب .

٢ – ذِكْر ما استدركته على اللسان والتاج مما أخذته من كتب الثّقات أو من نفس الكتابين وارداً في غير مكانه فمن ذلك :

(تَظلّف) إذا حصل في ظَلَف من الأرض. ذكره الراغب في ترجمة عزز .

(تَعبْقَس) إذا تعلّق بعَبْد القيْس ، ذَكَرَه السيوطى في باب النحت من المزهر .

(المُتساكِب) جاء في بيت شعر مذكور في الصفحة ١٠٢ من الجزء العشرين من الأغانى :

ما بالُ هَمِّك ليس عنك بعازب
يمرِى سوابقَ دَمْعِك المُتساكِبِ

ولم يذكر التاج « تساكب » في ترجمة (سكب) .

(تَواظَب) ذكره الزَّبيدى في ترجمة (عور) .

٣ – ذِكْر ما وقع في كتابى من الخطإ . وذلك بعد الفراغ من مراجعته ومعارضته ثانية بالأُمّهات الصحيحة ».

هذا والجزءان الأول والثانى مجموع

صفحاتهما ١٥٠٤ والذيل في ٥٤٨ صفحة، وفي كل صفحة من الأجزاء الثلاثة ثلاثة أعمدة، في كل عمود حوالى واحد وأربعين سطرا.

طبع الجزء الأول سنة ١٨٨٩ وكذلك الثانى، أما «الذيل» فإنه أنجزه في سنة ١٨٩٣ وكان الفراغ من طبعه في سنة ١٨٩٤.

حول ذيل اقرب الموارد

والكتب التى ذكرها مراجع للجزأين زاد عليها في الذيل، مثل: لزوم مالا يلزم، وشرح المفضّليات، والألفاظ الكتابية، ورسائل البديع، والكامل للمبرد. وغيرها مما تراه عقب كل نص. ولكنه في الحق عوّل أعظم التعويل في الذيل على اللسان والتاج.

ومن الطريف أنه — كما يقولون — كان يَخضِم خَضْماً. بمعنى أنه لا يستقصى ولا يُدقّق. فنحن نراه يذكر عقب بعض النصوص كلمة «اللسان» ويفهم من هذا أنه انفرد به، وعقب بعضها كلمة «التاج» ويفهم من ذلك أنه ليس في اللسان، وعقب بعضها كلمتى «اللسان والتاج» مع أن ما ذكره منفردا منهما نجده في الآخر بنصه. لكنه على كل حال كان باحثاً. وكان جيد التنظيم.

لو عنى بطبعه مرة اخرى

وفي اعتقادى أن كتابه أقرب الموارد مع ذيله يعتبر الخطوة الحقيقية الواسعة في عمل معجم لغوى ميسر حديث، ولو طُبع مرة أخرى مع العناية بصحة ضبطه، وزُيّن بالصور، وأُدخِل ما في الذيل في موادّ الجزأين السابقين، ثم أُضيف إليه ما قد يكون فاته من الموادّ، لكان كتابه في عداد الكتب اللغوية التى يسهل الرجوع فيها إلى المعنى المراد.

نقد غيره ونقدوه

ولقد نقد في مقدمته كتاب «محيط المحيط» وقال عنه انه فيه «كلمات عامية دسّها فيه بلا تنبيه على عاميتها». وقال هو عن نفسه «وقد تحريت المحافظة على عبارات الأقدمين. والوقوف عند كلام الفحول المقربين» في حين انه لم يتحر عباراتهم، ولم يقف عند كلامهم. فمثلا في «محيط المحيط» جاء ما يلى: «المسيح لقب الرب يسوع» وقد نقل الشرتونى في أقرب الموارد هذا النص، مع انه ليس من عبارات الأقدمين، ولا من كلام الفحول المقربين. هذا اذا كنا نسى بذلك المراجع اللغوية الأصيلة التى نقلوا منها، والتى لا شأن لها بالمعتقدات. أما أن يكون ذلك في عقيدته هو فشىء آخر كان في الامكان أن ينبه اليه، بل ان ذلك كان محتما.

وفي المقتطف عدد نوفمبر سنة ١٩١٢ صفحة

٤٢٦ كتب رشيد عطية من بيروت ترجمة للشرتوني بعد وفاته . ورشيد عطية كان صديقا للشرتوني. وكان مما قاله عنه « تحدّى في الجزأين الاولـين مـن معجمه اقـرب الموارد قاموسَ « محيط المحيط » فلم يزد على ما جاء فيه ، ولا أصلح ما بدر من الهفوات في شرح بعض الألفاظ ، بـل اتبعها على عِلاّتها ، لم يغير فيها حرفا ، فكان في ذلك مقلدا أكثر منه مؤلفا مدققا ، ولكن حسناته في الجزء الثالث الذى سماه ذيلا لاقرب الموارد ترجح على سيئاته في الجزأين الاولـين ، فانـه استقصى فيه شوارد اللغة ، ولم يدع آبدة الا قيدها ، ولا شاردة الا ردها اليه ، فبلغ في ذلك غاية ليس وراءها مذهـب لطالب ، ولا مضـرب لرائد » .

ويذكر الدكتور عـدنان الخطيب أن الشيخ احمد رضا (توفي سنة ١٩٥٣) تتبع أخطاء أقرب الموارد ونشر الأخطاء التي عثر عليها في ثلاثمائة صفحة في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق في المجد ٢١ سنة ١٩٤٦ صفحة ١١٨ والمجلد ٢٢ سنة ١٩٤٧ صفحة ٣٤٥ .

تعريف بالشرتوني

والشرتوني هو كما كتب نسبَه في كتابه « سعيد ابن عبد الله بن ميخائيل بن الياس بن يوسف بن الخورى شاهين الرامى المارونى الشرتوني اللبناني » .

ولد سنة ١٢٦٥هـ (١٨٤٩م) وتوفي سنة ١٣٣٠ (١٩١٢) ومن هذا يتبين لنا انه تعمق في اللغة والف فيها ولما تتجاوز سنه الاربعين ذلـك أن « أقـرب الموارد » صـدر جزؤه الثاني فيّ سـنة ١٨٨٩ .

وكان مولده في «شرتون» التابعة لقضاء الشوف من لبنان . ومن الطريف انه لم يبدأ التعليم الا بعد السنة الثانية عشرة من عمره ، ويقصُّ رشيد عطية في المقتطف العـدد ٤١ نوفمبر سـنة ١٩١٢ قصة هربه من بلده وتعلمه فيقول « ترعرع أمياً ، ولما بلغ الثالثة عشرة من عمره . شاهد يوما فتاة في شجرة تين ، فتناول حجرا ورشقها به ، فذعرت وزلت قدمها ، فسقطت الى الارض وماتت على الأثر ، فخاف وتولاه الرعب ، وحسب للعقاب الف حساب . وللحال هرب من قريته لايلوى على شيء .. وهام على وجهه ، حتى وصل الى قـرية عبية ، فاشفق عليه المرسلون الأمريكيون وادخلوه في مدرستهم هناك ، وكان ذلك سنة ١٨٦٢! ، مكث فيها عامين ، ثم انتقل الى مدرسة سوق الغرب التي انشـاها الياس الصليبي باموال الانكليز ، فاتم دروسه ، أى مبادىء الحساب والجغرافيـا وشيئا يسـيرا مـن مبادىء اللغتـين العربيـه والانكليزية .. اكتسب بالمطالعة اضعاف ما تلقاه من المدرسة .. اشتغل مدرِّسا في مدرسة عين تزار للروم الكاثوليك ، فقضي فيها خمس سنوات .. انتقل الى دمشق فدرس بها الى سنة ٧٥ ، ثم انتقل الى كلية الآباء اليسوعيين ، فمكث ١٥ عاما يدرس فيها ، وفي مدرسة الناصرة للراهبات ، ثم في المدرسة البطريركية ومدرسة الحكمة .. تولى تصحيح مطبوعات اليسوعيين نحو ٢٢ سنة ... واخيرا اشترى بيتا في الشياح من ضواحي بيروت، وظل فيه حتى ادركته الوفاة في ١٨ (آب) اغسطس سنة ١٩١٢ .

اجتهاد وذكاء

والحق أن الشرتوني كان ذكيا جدا ، وكـان دءوبا ، وكان كما قال عنه رشيد عطية :

« كثير المحفوظ ، قـوى الذاكـرة ، بعيـد النسيان .. وقد ساجلته مرارا في اللغة وسواها فكان يُورد لى اقوال ابن سيده وسيبويه كانـه يقرؤها امامـه فيدهشنى بصـفاء ذهنه وشـدة عارضته » . ويبدو أنه لم يكن يحسن غير العربية ولذلك يقول رشـيد عطية « أكبَّ على العربيـة وخصها ببحثه ، ولم يشا أن يشرك معها لغة اخرى » .

واعتقد ان تصحيحه لمطبوعات اليسوعيين نحو ٢٢ سنة كان له ايضا اثر كبير في توسيع دائـرة معلوماته .

هذا ولـه مؤلفات أخـر ، واحيـاء لمخطـوط « النوادر » لابي زيد الانصارى . ومع عنايته

بضبط هذا الكتاب الاخير غلبته كلمات فلم يحسن قراءتها ، او لم يحسن ضبطها ، هذا الى جانب المبدأ الذى سار عليه الآباء اليسوعيون في حذف ما يرون انه يتصل بالعورات والأمور الجنسية . ولئن صح ذلك في كتاب يؤلف ، فما كان ينبغي ان تحذف نصوص من كتاب مخطوط دون ادنى اشارة الى ذلك ، وبخاصة في كتاب « النوادر » لابى زيد ، الذى يعد من اقدم النصوص اللغوية، والنوادر ، لا ترجع اليه تلاميذ صغار ، ولا شبان مراهقون ، حتى لو اطلعوا على النوادر بكامل نصوصه لما افسد لهم اخلاقا . ولا عرفهم شيئا مقبوحا يجهلونه. وهذا الأستاذ « كوركيس عواد » حقق كتاب « الديارات » للشابشتى بكل ما فيه من رفث ومجون ، وبكل ما يمس الاديرة ، ولم يحذف منه شيئا . ثم اعاد نشره مرة اخرى مصوبا ما وقع في الطبعة الأولى من اخطاء كثيرة في الطباعة والتحقيق ، شاكرا كل من نبهوه او نقدوه نقدا مرا ، ومن بينهم عبد الستار احمد فراج كاتب هذا المقال .

امثلة من الخطا

قدمت أن الدكتور عدنان الخطيب قال إن أحمد رضا تتبع أخطاء « أقرب الموارد » . وإني لأذكر بعض الأمثلة مما في كتاب أقرب الموارد وذيله ، ممايطالعنا دون كبير عناء في البحث عنه .

فمن أقرب الموارد :

« بَذِخَ الجبلُ ل بَذَخاً : طال » في حين أن هذا اللفظ ومصدره كما في كتب اللغة الصحيحة :

« بَذَخَ الجبلُ يَبْذَخ وبَذِخَ يبذَخُ بُذُوخاً » فالمصدر عنده خطأ ، والفعل بفتح وسطه أشهر .

ومن الذيل :

سَفَنَتِ الريحُ الترابَ عن وجه الأرض ن ل سَفَنًا : جعلته دُقاقاً (الصحاح) .

وهذا الضبط فيه أخطاء ، وليس النص موجودا في الصحاح وحده ، وإنما هو أيضا في غيره ، ولم يُعوِّد قارئيه الاقتصار على الأسبق من المؤلفات كما سيأتي . وصِحّة ضبط الفعل ومصدره .

« سَفَنَتِ الريحُ التراب تَسْفِنه سَفْناً »

« حَذَفه ض حَذْفاً : ضَربه عن جانب أو رماه عنه (التاج) » في حين أن النص في اللسان أيضا ، وهو أسبق .

« الحَدَثَان محرَّكَة : الفأْسُ .... (التاج واللسان في مادة حصن) . ومعنى كلامه هذا أنه لم يرد في مادة (حدث) ، لا في اللسان ولا في التاج . في حين أن النص بتمامه وبشاهده وبأقوال علمائه موجود في مادة (حدث) .

واخيرا فمع كل ما في الكتاب من خطا او تطبيع، اذا أعيد طبعه ، مع ضبط حسن ، واستدراك وادماج لذيله في جزأيه السابقين ،واخراج يتناسب مع العصر الحديث ، يكون كتابا لغويا جديرا بان يقتنى للمراجعة والاستفادة . ■■

عبد الستار احمد فراج

حضارات سادت ثم بادت

عِلمُ الغَيْب

بقلم : يوسف زعبلاوى

■ يروى أن الاسكندر الكبير زار معبد النبوءات في دلفي قبل القيام بحملته وفتوحاته . ويقال ان كاهنة معبد دلفي العرافة رفضت الجلوس على منصة التنبؤ بحجة ان ذلك اليوم لم يكن من الايام التي يجود بها الاله ابولو ، صاحب النبوءات ، بنبوءاته . الا أن الاسكندر لم يقتنع بهذا بل أصر على اعتلاء العرافة المنصة وحصولها على النبوءة التي طلبها ليستشف منها مصير حملته التي كان يفكر في القيام بها . ولما تشبثت العرافة بموقفها لم يكن من الاسكندر الا أن أمسك برقبتها في عنف ثم حملها واجلسها على منصتها . وغضبت العجوز عند ذلك وتمتمت قائلة : « اذهب عنى أيها الشاب .. حقا انك عنيد ، والتغلب عليك مستحيل .. » وسر الاسكندر لهذه العبارة التي قالتها العرافة بصورة طبيعية وبقصد التعبير عن شعورها ، ولم تصدر عنها نتيجة الهام أو غيره . وقد بلغ من سروره بها أنه لم ينتظر نبوءة ابولو بعدها ، بل غادر المكان لدى سماعها .

وقد يشعر القارىء بعد هذه الطرفة بشيء من حب الاستطلاع بصدد معبد دلفي هذا وبصدد نبوءاته .

وتجدر الاشارة ، في البدء الى أن معابد النبوءة ، أو ان شئت ، مراكز العرافة والكهانة ، انتشرت بكثرة في بلدان العالم القديم . فقد كثرت فيما بين النهرين وبين الفينيقيين والكنعانيين . وكثرت كذلك في حوض النيل . الا أن تلك المعابد كانت أكثر انتشارا بين الاغريق . فقد اعتقد أهل أثينا واسبارطة وسائر مدن اليونان بامكان استجلاء الغيب واستشفاف المستقبل ، وآمنوا باحتمال وقوع الخوارق والمعجزات . لذلك فقد كثرت معابد النبوءات عندهم بحيث لم تخل منها بلدة من بلدانهم الكبيرة ولا حتى الصغيرة .

ويذكر المرء من تلك المعابد اليونانية معبد هرقل في بلدة بورا ومعبد زيوس كبير آلهة الاغريق في بلدة دودونا . غير أن معبد دلفي الذى ذكرنا كان أهم وأخطر معابد النبوءة اليونانية على الاطلاق .

ويستطيع المرء أن يتحسس ذلك في الادب اليونانى القديم وخاصة الروائع التى كتبها بعض مشاهيره أمثال اسكيلوس ويوربيدس وسوفوكليس . فقد أولى هؤلاء وغيرهم معبد النبوءات في دلفي مزيدا من احترامهم وتقديرهم .

على أن خطورة معبد دلفي هذا تتجلى أكثر ما تتجلى في الزيارات المرموقة التى حظى بها والتى لم تقتصر على زيارة الاسكندر الكبير ، وقد سبقت الاشارة اليها . اذ زاره الكثيرون من حكام مدن اليونان وعدد من الملوك الأجانب . ويذكر من هؤلاء الملوك الاترسكيون وهم حكام روما القدماء ويذكر منهم أيضا ملك ليديا *Lydia* في آسيا الصغرى ، وكان اسمه كروزوس ، واشتهر بوفرة أمواله وكنوزه .

فقد زار هذا الملك معبد دلفي سنة ٥٤٦ ق.م واستفتى العرافة في الحرب التى كانت قائمة بينه وبين قورش ملك فارس . ومن طريف ما يذكر أن النبوءة التى حصل عليها كانت بالحرف الواحد « ثمة مملكة عظيمة .. اذهب وحطمها .. » وفرح كروزوس بهذه النبوءة ، وعاد مسرعا الى آسيا الصغرى ليواصل حربه ويحقق النصر على عدوه . وانتهت الحرب .. ولكن المملكة التى تحطمت كانت مملكته هو لا مملكة فارس .

بيد أن المواضيع التى استفتى فيها معبد دلفي لم تكن كلها من نوع الرجم بالغيب ، ولم تقتصر على النبوءات التى قد تثبت الأحداث كذبها . ولعل أكثر تلك النبوءات كان من نوع الفتاوى أو الأجوبة

عِنْدَ اليُونان

على أسئلة دينية معينة . هذا فضلا عن النصائح والارشادات المتصلة بمشاكل خلقية واجتماعية وقد شكلت نسبة كبيرة من تلك المواضيع . ومن طريف ما يذكر هنا أن دساتيرمدن‌اليونان وقوانينها كانت في الغالب تعرض على عرافة معهد دلفى قبل العمل بها ، وذلك لكي يقرها او يباركها الاله ابولو . ويصدق ذلك بخاصة على اسبارطة .

ومثل ذلك يقال في استحداث المستعمرات اليونانية في الخارج وقد كان هذا الاستحداث من المواضيع التى كثر استفتاء معبد دلفى فيها . ويذكر هنا أن مدينة بيزنطية القديمة لم تنشأ في المكان الذى انشئت فيه ، اى بالقرب من اسطمبول الحالية ، الا بناء على توصية معبد دلفى .

والغريب ان نبوءات معبد دلفى لم يفتضح امرها او كذبها في وقتها . ذلك لان ديباجة تلك النبوءات صيغت بقدر كبير من الغموض ، بحيث اولها الناس واعادوا تأويلها حسب الحاجة وبقصد اثبات صدقها . فقد كانت تلك النبوءات ومعابدها ذات صلة وثيقة بمعتقدات الاغريق الدينية ، بحيث تراءت لهم صادقة ، حتى وان ثبت كذبها .

اضف الى ذلك ان رجال الدين الوثنيين كانوا وراء تلك النبوءات.حقا انها صدرت‌عن‌العرافة في حالة من الغيبوبة كانت تأتيها وهى جالسة على منصتها.الا ان رجال‌الدين‌القائمين‌على‌شؤون‌المعبد، والمقيمين فيه ، كانوا هم الذين يلقنون العرافة مسبقا او يحضرونها نفسيا قبل اعتلائها المنصة . وكانوا ايضا هم الذين يحررون نبوءاتها ويكتبونها شعرا بعد صدورها عنها وقبل‌تسليمها الى‌طالبيها.

ومن طريف ما يذكر هنا أنهم كانوا في الماضي البعيد يختارون العرافة من بين الصبايا العذارى من اهل دلفى . الا انهم ما لبثوا أن درجوا على اختيارها من‌بين‌العجائز اللواتى تجاوزن‌الخمسين. ويقال انهم اخذوا بذلك في اعقاب مخاطر تعرضت له احدى صبايا العرافات .

اما عن أبولو ، اله علم الغيب ، واله معبد دلفى،فتكفى الاشارة الى أنه كان يحتل مكانةرفيعة بين آلهة اليونان جميعا . فهو الوحيد فيهم الذى احتفظ باسمه الاغريقى على الدوام وفي عهد الرومان .

لقد كان أبولو اله النور ، واقترنت صورته بقرص الشمس في معظم الأحيان ، وكان ايضا اله الشباب والمراعى والماشية والمروج . والى جانب هذا وذلك كان أبولو اله الطب والموسيقى ، وقد اظهره اليونان وبيده القيثارة ، في شتى نقوشهم وتماثيلهم ، الا ان ابولو كان فوق هذا كله اله علم الغيب والنبوءات .

أما صلته ببلدة دلفى ومعبدها فليست قديمة كما يحدثنا بذلك هوميروس.اذ خضعت تلك البلدة في السابق لحكم تنين او ثعبان ضخم . ولقد تمثلت في ذلك الثعبان قوى الشر وتمثلت فيه ايضا القدرة على علم الغيب .

الا ان ابولو لم يلبث أن هاجم التنين في عقر داره فقتله ، واتخذ من بلدة دلفى ومعبدها بعد ذلك مقرا له . ومنذ ذلك الحين وابولو هو الاله المختص بعلم الغيب . ■■



الاله أبولو يعزف واحدى النساء ترقص .

ما تبقى من معبد ابولو للنبوءات في دلفى



في المَشيب

بقلم : علي القاسمي

المدرس بجامعة الرياض

● الشيب هو بياض الشعر او الشعر الابيض نفسه ، والمشيب هو مرحلة من العمر يدخل فيها الرجل حد الشيب . فالمشيب بهذا المعنى يقترب من كلمة الكبر او الشيخوخة .

أسباب الشيب

أيدت البحوث الحياتية الكيمياوية الحديثة الاعتقاد السائد القائل بأن المشيب ناتج عن الشيخوخة والكبر او عن الهم وتردي الحالة النفسية . واضافت هذه البحوث سببا ثالثا هو عامل الوراثة ، فقد يعلو الشيب رأس شاب نتيجة للمؤثرات البيولوجية الوراثية . واذا القينا نظرة سريعة على التراث الشعري العربي لم نجد اثرا او ذكرا « للوراثة » عاملا مسببا للشيب ، ولكننا نجده يزخر بالشواهد التي تربط بين الشيب والشيخوخة وبين الشيب والهم .

الشيب عنوان الكبر

والامثلة الشعرية التي يعزو فيها العربي الشيب الى التقدم في السن والشيخوخة كثيرة قديما وحديثا ، يروى عن الشاعر الجاهلي القديم اعصر بن سعد بن قيس بن عيلان قوله :

قالت عُميرةُ مالرأسك بعدما
نَفِدَ الشبابُ أتى بلون مُنكَر
أعميرُ إن أباك شيَّب رأسه
مرُّ الليالي واختلافُ الأعصر

والشيب نذير الموت او انه ــ كما عبر قيس بن عاصم عن هذا المعنى قديما ــ « الشيب خطام المنية » .

ومن هنا قرن كثير من الشعراء الشيب بالموت . يقول ابو العتاهية :

ومُدافع للشيب يَخْضبه
والشيب نحو الموت يدفعه

الشيب والشباب

الشباب مرحلة عزيزة من حياة الانسان ، حبيبة الى قلبه ، قريبة من نفسه ، حافلة بالوان البهجة والمرح ، زاخرة باشكال السعادة والهناءة ، مليئة بصنوف النشاط والمغامرات ، محتدمة بمختلف العواطف والانفعالات . واذ ينقضي هذا

الشِّعر العَربي

الطور يخلف في القلب لوعة ، وفي النفس اسى ، وفي الروح حسرة . والقتير (وهو اول الشيب) ايذان برحيل الشباب وانقضاء افراحه ، ونذير بقدوم المشيب وابتداء اتراحه . وليس هناك ارق عاطفة واصدق تعبيرا من الشاعر الذي يذكر ايام شبابه ويبكيها ، ويتحدث عن ليالي صباه ويرثيها ، بعد ان شاهد ثلوج الشيب وهي تزحف مسرعة على راسه معلنة حلول شتاء حياته وذهاب الربيع بلا عودة . فابو العتاهية يذرف الدموع على شبابه الراحل :

بكيتُ على الشباب بدمع عيني
فلم يُغنِ البكاءُ ولا النحيبُ
فياليت الشباب يعود يوماً
فأخبره بما صنع المشيب

وابو تمام يتحدث عن الحزن الذي انتابه بعد ان شاهد المشيب في مفرقيه وايقن ان ازاهير الشباب قد ذوت ، وان ورود الصبا قد ذبلت :

اصبحتْ روضة الشباب هشيما
وغدتْ ريحهُ البليلُ سموما
شعلة في المفارق استودعتني
في صميم الفؤاد ثُكلا صميما

ودعبل بن علي الخزاعي يسائل ملهوفا عن الشباب الضائع ثم يبكيه رغم رجولته ولا يرى في ذلك من عجب :

أين الشباب ؟ وأية سلكا
لا ، اين يُطلبُ ؟ ضلّ ، بل هلكا
لا تعجبي يا سَلْمُ من رجل
ضحك المشيب برأسه فبكى
قد كان يضحك في شبيبته ،
فأتى المشيبُ ، فقلما ضحكا

اما المتنبي فقد بز اقرانه في هذا المضمار فلم يبك مثلهم بعد انصرام الشباب ، بل ارسل الدمع مدرارا على شبابه قبل فراقه ، حذرا وخوفا من حلول المشيب :

ولقد بكيت على الشباب ولِمَّتي
مسودةٌ ولماء وجهي رونقُ
حذرا عليه قبل يوم فراقه
حتى لكدت بماء جفني اشرق

الهم والشيب

وقد يعجل الشيب على الانسان اذا انتابته الهموم ، ولازمته الاحزان ، وحلت به النكبات وضاقت به الدنيا والمت به المصائب ، فيشيب في

شبابه ، ويشيخ قبل الاوان . وعرف العرب ذلك منذ القديم ، وحفلت بهذا المعنى دواوين شعرهم وكتب نثرهم ، واحتوته امثالهم فقالوا « هول يشيب له الرضيع » . وورد هذا المعنى فى القرآن الكريم ، قال تعالى « فكيف تتقون ان كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا . »

ويبدو أن العربى لم يجد سببا آخر يعزو اليه ظهور الشيب فى وقت مبكر غير الهموم . ومصادر الهموم كثيرة : كالحرمان من الحب ، والسجن الظالم ، والنفس الطموح التواقة الى المجد ، وفقر الحال ، وغيرها .

واقام ابو تمام الدنيا واقعدها صراخا واستياء عندما وخط الشيب شعر رأسه ، وهو لما يتم السادسة والعشرين من العمر ، ويتخذ من هذا الحدث موضوعا لشعره في الفخر وفي الشكوى من الدنيا وفى الغزل .

فعندما يفخر بعزيمته العارمة ، وهمته العالية ، ونفسه الكبيرة يقول :

ست وعشرون تدعونى فأتبعها
إلى المشيب ولم تظلم ولم تحب
يومى من الدهر مثل الدهرِ مشتهر
عزما وحزما وساعى منه كالحِقَب
فأصْغِرِى أَنّ شيبا لاح بى حَدَثا
وأكبرى أننى في المهد لم أشب

وعندما يشكو من تكالب الهموم على نفسه وتلاحمها فى فؤاده يقول :

شاب رأسى وما رأيت مشيب الرأ
س إلا من فضل شيب الفؤاد

وعندما يتغزل يقول :

لعب الشيب بالمفارق بل جـ
ـدّ فأبكى تُماضِرا و لَعوبا
خضبتْ خدّها إلى لؤلؤ العقـ
ـد دما أنْ رأتْ شَواتِي خضيبا

والعباس بن الاحنف شيبه الغرام والحب والهيام:

أيا من تعلّقْتُهُ ناشئا
وشبتُ وما آن لى أن أشيبا

ويرى البهاء زهير ان الشيب عجل عليه بسبب لوعة الهوى وحرقة الجوى :

وهيفاء بيضاء الترائب أبصرت
بشيبى فأبدت روعة وتعجبا
جنت لِيَ هذا الشيب ثم تجنّبت
فوا حَرَبَا ممن جَنَى وتجنبا

ولحق الشيب ابن زيدون قبل الثلاثين من عمره بعد ان اشتعلت نار الاسى فى صدره فطار الشرر الى رأسه وهو قريب العهد بالشباب ، بفىء الاهاب . ولعل شيب ابن زيدون ناتج عن هموم السجن الذى حكم به عليه عندما اوقعت الدسائس بينه وبين رئيس الدولة الجهورية بقرطبة ، ابى الحزم بن جهور ، فسجنه بعد ان كان من المقربين اليه :

لم تَطْوِ بردَ شبابى كَبرةٌ ، وأرى
برق المشيب اعتلى في عارض الشَّعَرِ
قبل الثلاثين ، إذ عهد الصبا كَثَبٌ
وللشبيبة غُصن غير مُهتَصَر
ها انها لوعة في الصدر قادحة
نار الأسى ومشيبى طائر الشرر

وليس شيب ابن المقرب ناتج عن تقدمه فى السن بل قسوة الايام عليه ، وخيبته فى امور عديدة :

وما شبت من عدّ السنين وإنما
أشاب قذَالى مَيْلها وقِلابُها
وتأويل احداث إذا ما حسبتها
أتتنى بأشيا قلّ عنى حِسابها

فالياس باعث على الهم جالب للشيب كما يقول ابوتمام :

عدل المشيب على الشباب ولم يكن
من كَبرة لكنه من يأس

وقد يكون العصر الذى يعيش فيه الشاعر « عصر ازمات » يبعث على الحزن وتعجل خطوبه الشيب ، وفي هذا يقول دعبل الخزاعي :

لقد عجبت سلمى وذاك عجيبُ
رأت بى شيبا عجلته خطوبُ
وما شيبتنى كبرةٌ غير أننى
بدهر به رأس الفطيم يشيب

مواقف الشعراء من الشيب

تتباين مواقف الشعراء من الشيب ، فبين منصف مادح له ، وبين قادح حاقد عليه ، وبين واقف على الحياد وكانه مصور فوتوغرافى ينقل ما يراه دونما تعليق ومن غير ان يضع شيئا من ذاته فيما يصور . وليس المادحون من عصر واحد ، ولا القادحون ينتمون لفترة واحدة ، وانما نجد هؤلاء واولئك في مختلف فترات الادب العربى من اقدم العصور الجاهلية حتى يومنا هذا ، بل قد نجد الشاعر الواحد يمدح الشيب في قصيدة ثم يعود فيذمه في قصيدة اخرى تبعا لمزاجه وطبقا لحاله .

انصار المشيب

يدافع انصار الشيب عنه في جبهات عديدة ، ويحاولون ان يمتدحوه في اكثر من مظهر ، ويؤيدوه في اكثر من جهة .

انطلق بعضهم من الراى السائد بان الشيوخ اكبر عقلا واعمق روية واطول اناة واكثر خبرة من الشبان ،ومن هنا يُفضَّل الشيب الذى هو عنوان الكبر والشيخوخة على الشعر الاسود الذى هو علامة الشباب والصبا . ويعبر الفرزدق عن هذا المعنى بقوله :

إن المشيب رداء الحلم والأدب
كما الشباب رداء اللهو واللعب

وليس اروع من دفاع ابى تمام عن الشيب امام حبيبته التى هالها ان ترى القتير يعلو راسه رغم حداثة سنه :

ولا يؤرقْكِ إيماضُ القتير بــه
فإن ذاك ابتسام الرأى والادب

ويذهب دعبل الخزاعى الى ابعد من ذلك اذ يقرن الشيب دائما بالعلم والحكمة حتى انه جعل الشيب احدى الصفات الممدوحة :

علمٌ وتحكيمٌ وشيبُ مفارق
طلَّسَ ريْعان الشباب الرائق

ولقد سار قول المتنبى « والشيب اوقر والشبيبة انزق » مثلا :

ومن كبار الشعراء الذين دافعوا عن الشيب في حرارة واخلاص ابو العلاء المعرى الذى يرى في الشيب نورا مشرقا ولونا بهيجا .

خبريني ماذا كرهت من الشيـ
ـب فلا علم لى بذنب المشيب
أضياءُ النهار ام وَضَحُ اللؤلؤ
أم كونه كثغر الحبيب

ويرى جرير أن العمر لا يقاس بالسنوات بل بحيوية الرجل وقوة فؤاده وميله الى المسرات ، وقد يظل الانسان شابا رغم وخط الشيب في راسه

تقول العاذلات علاك شيب
اهذا الشيب يمنعنى مَرَاحى ؟

خصوم المشيب

ويبدو ان خصوم المشيب اكثر من انصاره عددا، واقوى من مؤيديه حجة . ويعلن هؤلاء الخصوم ـ كما راينا ـ ان الانسان يكره الشيب لانه نذير بانصرام ايام الشباب ، ورحيل اجمل ايام العمر . ويذهب بعض هؤلاء الخصوم من هذه المقدمة المنطقية الى نتيجة ابعد الا وهى ان الشيب مرض من نوع خاص . يقول ابو بكر بن دُريد :

هو السقم إلا أنه غير مؤلم
ولم أر مثل الشيب سقما بلا ألم

ويؤيد الشريف الرضى هذا الراى ايضا :

آه من دائين عدم ومشيب
ربَّ سقم لا يداوى بطبيب

ويبالغ المتنبي في ذلك فيرى ان الشيب هو الموت نفسه :

من شاب قد مات وهو حيّ
يمشي على الارض مشيَ هالك

ويهاجمون الشيب من ناحية الشكل ايضا ، ويرون فيه بشاعة تنبو عنها العيون . ومن هؤلاء منصور النمري .

ما واجه الشيب من عين وان ومقت
الا لها نبوة عنه ومرتدع

ويرى ابو تمام ان الشيب عيب ، ويحق للحسان ان يعيرنه به ويستنكرن هيئته :

ولئن عبن ما رأين لقد أنـ
كرنَ مستنكرًا وعِبْن مَعيبا
أو تصَدعْنَ عنْ قِليً لكفى بالشـ
يب بيني وبينهن حسيبا

شعراء لايابهون بالشيب

يكاد ابن المعتز يتميز عن الشعراء العرب بنظرته الى الشيب فهو لا يتباكى على الشباب المنصرم ولا يحزن لحلول الشيب :

جاء المشيب فما تعست به
ومضى الشباب فما بُكاى عليه

ان ابن المعتز واقعي في نظراته الى احداث الحياة متقبل لسنتها ، والى الظواهر الانسانية متفهم لعللها ، ولهذا فهو يرى الشيب امرا طبيعيا ونتيجة منطقية لتقدم الانسان في العمر لا داعي للتذمر منه والقدح به .

ولكنه مع ذلك ، وارضاء لحبيبته قام حينا بازالة الشعرات البيض التي علت رأسه اول الامر باستخدام ملقط تارة ، او اخفائها باستعمال المشط تارة اخرى غير انه ادرك الا فائدة ترجى من تلك الحيل اذ تكاثر الشيب ولم ينفع معه ملقط او مشط ، فآثر ان يترك الطبيعة تأخذ مجراها غير آبه بها او متكر لها ، حيث قال :

ماذا تريدين من جهلي وقد غبَرت
سنُو شبابي وهذا الشيب قد وَخَطا
ارفَعُ الشعرة البيضاء ملتقطا
فيَصبح الشيب للسوداء ملتقطا
وسوف - لا شك يعييني فأتركه
فطالما اعمل المقراض والمُشُطا

الدوافع الحقيقية لدى خصوم الشيب

ومهما قال الشعراء عن الشيب من غمز ولمز خفيفين ، وتعريض وهجوم صريحين ، تبقى حقيقتان يلمسهما الشاعر عندما يشيخ :

الاولى - انصراف الغواني عنه

والثانية - هبوط في الانفعالات العاطفية يؤدي الى انحطاط في القوة الشعْرية .

ولا ينكر احد ما للدافع الجنسي من اثر في جهود الفرد ، ولا ينكر احد كذلك اهتمام الشعراء بنتاجهم الشعري ، ومكانتهم الادبية ، فاذا ما اعرضت الغواني عن الشاعر بسبب تقدمه في السن صب ذلك الشاعر غضبه على المشيب ، ونعته بابشع النعوت والصق به اسوأ التهم .

النساء والمشيب

فان تسالوني بالنساء فانني
بصير بادواء النساء طبيب
إذا شاب رأس المرء او قل ماله
فليس له في وُدّهن نصيب
يُردن ثراء المال حيث علمنه
وشرخ الشباب عندهن عجيب

بهذه الابيات الثلاثة لخص لنا الشاعر الجاهلي علقمة بن عبدة ما تريده المراة في الرجل : الشباب والمال . واثبتت الايام ان علقمة كان بصيرا وخبيرا حقا بنفسية المراة ، فقد ظل الشعراء من بعده يرددون المعنى نفسه ، وظلت النساء من بعده تعبر

عن سخطها على شيب الرجل وفقره بصور مختلفة .

وأمامة صاحبة الحطيئة واحدة منهن :

ألا هبت أمامةُ بعد هدء
تعاتبني وتَجْبهني بظلم
تعاتب ان رأتني ساف مالي
وطاوعت الصباء ورث جسمي
وقنعني القتير خمار شيب
وودعني الشباب ورق عظمي

ويحدثنا دعبل الخزاعي عن جارة له عدت الشيب ذنبا لا يغتفر رغم انها نفسها شمطاء متقدمة فى العمر :

تأسفت جارتي لما رأت زَوَرى
وعدَّت الشيب ذنبا غير مغتفَر
ترجو الصبا بعد ما شابت ذوائبها
وقد جرت طَلَقا في حلبة الكبر

والشريف المرتضى يضع المسالة بشكل واضح :

لا تسلني عن المشيب فمذ جلـ
ـل رأسي كرْها جفاني الغرامُ
ليس للهو والصبابة واللـ
ـذات في أَربُع المشيب مُقام

وجميل صدقى الزهاوى يقر سليمى على عدم رضائها عن مشيبه فهو نفسه غير راضٍ عنه .

كرهت سليمى ان ترى
فى لِمَّتي اثر البياض
انى كذلك يا سليمى
عن بياضى غير راض

المشيب والشاعرية

يشكو بعض الشعراء من ان الشاعرية تميل الى الضعف ، وان تدفق العاطفة يشارف على النضوب، بسبب الشيخوخة والكبر .

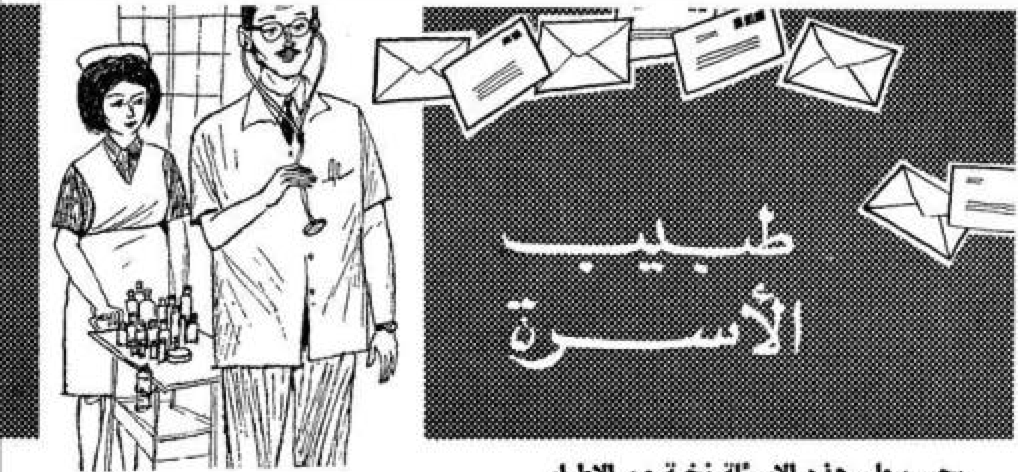
فوحى الشعر عادة يهبط فى ربيع العمر حيث تبدو الحياة زاهرة بالالوان الزاهية الفمينة بتصويرها والتعبير عنها . ففى الشباب قوة ، وفى الشباب حرارة ، وفى الشباب غرام ، وفى الشباب مغامرة ، والشعر يُعنى بتصوير هذه المعانى ويضفى عليها خيالا وموسيقى . وبانقضاء الشباب يخسر الشاعر مصدرا ثرا وينبوعا دفاقا لشاعريته فيكره المشيب ويأسف على الشباب ، والصافى النجفى احد الذين ذكروا ذلك صراحة :

لقد كان شعرى في الصبا متنمِّرا
فاصبح شعرى اليوم شيخا موقَّرا
ارى ذاك رغم الطيش، عندى معززا
وهذا على رغم الوقار ، محقَّرا
فاين الهوى والظرف في الشعر والصبا
واين الهنا والقفز في السير والسرى
ومن اين في شعر المشيب وبرده
لظىً كان في شعر الصبا متسعرا
اذا رُمت في شعر المشيب تغزلا
تضاحك منى الشيب وانحلت العرى

الشريف المرتضى شاعر المشيب

وفى ختام هذه اللمحة الخاطفة عن الشيب فى الشعر العربى يجدر التنويه بانه لا يكاد يخلو ديوان شعر عربى من ذكر الشيب والمشيب على ان ابا تمام والبحترى والشريف الرضي والشريف المرتضى وابن الرومي من الذين اكثروا فى معانى الشيب وفنونه. ولقد فاق الشريف المرتضى غيره من الشعراء فى هذا المضمار اذ نظم فى المشيب ٦٣٤ بيتا ، وكان من اهتمامه بهذا الموضوع ان جمع ما قاله المكثرون في الشيب في كتاب اسماه (الشهاب فى الشيب والشباب) ضمنه تحليلاً نقدياً رائعا وقد طبع فى مطبعة الجوائب فى القسطنطينية عام ١٣٠٢ هـ . ■■

علي القاسمي ـ الرياض



يجيب على هذه الاسئلة نخبة من الاطباء

زلال البول

Albuminuria

● **تقدمت لاحدى الوظائف الحكومية وقد رسبت في الكشف الطبي بحجة ان في بولى زلالا فما هي هذه الحالة ؟ وهل هى خطرة الى هذا الحد ؟ وما علاجها ؟**

ـ ظهور الزلال فى البول يعتبر دلالة على كثير من الأمراض والاضطرابات التى تصيب الجهاز البولى أو غيره من الأجهزة المرتبطة به ارتباطا وثيقا كالجهاز القلبى الدورى وبعض هذه الأسباب هى :

١ ـ مرض تحوصل الكلية الخلقى والتهابات الكلية أو تلفها ٢ ـ هبوط جانب القلب الأيمن (وذلك بسبب احتقان الكلية) ٣ ـ النزف الدموى الحاد ٤ ـ الأنيميا النزفية الحادة ٥ ـ الاكلامسيا والبرياكلامسيا : فى الحمل التسممى ٦ ـ ارتفاع ضغط الدم ٧ ـ التهاب حوض الكلية أثناء الحمل ٨ ـ العمل الذى يقتضى الوقوف مدة طويلة كرجال البوليس والحراس .

وفى معظم الأحوال السابقة يدل الزلال على عدم قيام أنسجة الكلية الداخلية بوظيفتها فى منع بروتين الجسم الهام والحيوى ، اللازم لحفظ توازن سوائل الجسم المختلفة ، من التسرب خلال القنوات الكلوية الى البول وهذا ينتج من التهاب بهذه الأنسجة أو تلف بها أو احتقان دموى Congestion يعطلها عن القيام بهذه الوظيفة ، وكلما ازدادت نسبة الزلال فى البول دل ذلك على عظم الضرر الذى لحق بأنسجة الكلية (من ٢ ـ ٤٠ جم فى اليوم) ومن مضاعفات الزلال فى البول هو ظهور الورم العام فى الجسم Aedema بسبب ضعف الضغط الأدزموزى فى الدم مما يؤدى الى تسرب الماء الى الأنسجة وظهور الورم المذكور وخاصة فى الأرجل والاصابع والوجه .

وعلاج هذه الحالة هو علاج السبب ويستدعى ذلك اجراء فحوصات كثيرة لاختبار وظيفة الكلية وفحص الجهاز القلبى الدورى وتحليل الدم وقياس ضغط الدم وعند تحديد السبب يعالج سواء أكان التهابا أو تلفا بالكلية أو هبوطا بالقلب أو انيميا نزفية حادة أو ارتفاعا فى ضغط الدم .

لذلك نرى أن الزلال فى البول ليس شيئا بسيطا وعدم نجاحك فى الكشف الطبى لا يجب أن يثير اى يأس فى نفسك بل من واجبك أن تعالج هذا الزلال بالسرعة اللازمة حتى يزول عنك .

عمى الالوان

● انا شاب اعانى من عمى الالوان فلا استطيع أن اميز بين اللون الاخضر او الاصفر فما هو سبب هذا المرض وما هو علاجه ؟

ـ عمى الألوان اما خلقى او مكتسب.

والخلقى سببه غالبا عيب خلقى فى الخلايا القمعية بشبكية العين . امـــا المكتسب فله أسباب كثيرة منها :

١ ـ فسيولوجى : يحدث الضــعف فى تمييز الألوان مع التقدم فى العمر .

٢ ـ نفسانى : كما فى حالات الهستيريا .

٣ نقص الفيتامينات : مثل فيتامين ج Vitamin C الذى فى حالة نقصه يؤثر فى رؤية اللون الأخضر .

٤ ـ أسباب موضعية بالعين : مثل بعد عمليات الساد وفى التهابات المشيمة والشبكية بالعين .

٥ ـ أمراض العصب البصرى .

٦ ـ أسباب فى المخ .

٧ ـ أسباب عامـة : بعد بعـض الحميات .

٨ ـ تعاطى ادوية او عقاقير معينة اذكر منها على سبيل المثــال نيكوتين السجائر الذى قد يســبب العمى فى اللونين الاحمر والأخضر .

وتقسم درجات رؤية الالوان حسب نظرية يونج هلمهولتز Young - Helmhaltz وهى النظرية الاكثر شيوعا وقبولا . وتقول النظرية ان الألوان الأولية ثلاثــة وهى :

الأحمر والأخضر والأزرق .

وينقسم النــاس فى تمييزهم للالوان الى أربعة أقسام :

١ ـ الأشخاص الطبيعيون Normal Trichromacy وهم الذين يميزون الالوان جيدا .

٢ ـ الضــعيفون فى تمييز الألــوان Anomalous Trichromacy وهـم يميزون الالوان كلها ولكـن فى بعضهـا يحتاجون الى وضوح اكبر حتى يمكنهم التمييز ، وهذا اللون قد يكون الأحمر او الأخضر او الأزرق .

٣ ـ لا يرون الا لونين Dichromatic Vision وهؤلاء بدلا من رؤية الثلاثة الالوان لا يرون الا اثنين فقط .

٤ ـ لا يرون الا لوناواحدا Monochro- matiom جميع الألوان ترى رمادية .

والسيد صاحب السؤال يقع فى الفئة الثالثة التى ترى لونين ولا ترى لونا وهو الأخضر . ولما كان الأخضر والأصفـر قريبين فى طول موجتهما الضوئية لانهما يقعان متعاقبين فى ألوان الطيف . فلذلك كان من الصعب عليه التمييز بين الأخضر والأصفر .

العـلاج :

١ ـ النوع الخلقى ليس له علاج .

٢ ـ يمكن تجربة الفيتامينات وخاصة فيتامين ج .

٣ ـ الانواع المكتسبة يعالج السبب .



الثآليل ما سببها وما علاجها؟!

● أنا شاب في العشرين من عمري وقد ظهرت على يدي وحول أظافري ثآليل منذ أكثر من سنتين وقد توجهت الى المستشفى وعالجتها بالكهرباء ولكن ما لبثت ان ظهرت ثانية فما هو العلاج ؟

ـ ان الثآليل هى اصابة الجلد بالفيروس Virus ، وتظهر هذه الثآليل على المناطق المعرضة للعدوى مثل الوجه والرقبة والأيدى والأرجل .

وعند اصابة الأيدى وخاصة حول الأظافر يكون علاجها صعبا حيث ان المرض يمتد غالبا الى ما تحت الظفر بحيث لا تصله الوسائل العادية للعلاج مثل مس الثآليل بالأحماض المركزة مثل حامض الخليك وحامض الترايكلور استيك Trichlor Acetic Acid ، وغيرها ـ أو كيها كهربائيا بالحرارة الفائرة ـ Diathery وفى هذه الحالات يجب كيها كيا جيدا بحيث يصل الى أصل الثؤلول. وفى كثير من الحالات يحتاج الأمر الى عمل اشعة سينية سطحية X-Ray Therapy على هذا النوع من الثآليل التى لا تتجاوب بالطرق الأخرى للعلاج .

ومن المعروف ان بعض حالات الثآليل تزول من تلقاء نفسها بعد وجودها مددا طويلة وسبب ذلك غير معروف تماما ، ولكن البعض يقول ان ذلك يرجع الى تأثرها بالحالات النفسية للمريض ، فاذا اقتنع المريض بامكان شفائه منها اختفت الثآليل من تلقاء نفسها .

سيدة أنجبت بعد أن كانت ولدا تم تحويله الى أنثى !!

● سمعنا عن سيدة أنجبت بعد ان كانت (ذكرا) وتم تحويلها الى انثى بعد عملية جراحية؟ هل هذا ممكن؟

ـ يتم تحديد جنس الجنين من لحظة اندغام بويضة الأنثى فى الحيوان المنوى للذكر . ويتم تشكيل الأعضاء التناسلية الداخلية والخارجية للجنين تحت تأثير الكروموزومات وكذلك عوامل اخرى ، اما استكمال نمو هذه الأعضاء فيتم تدريجيا خلال تطور الجنين ، حتى موعد الولادة .

وقد يتم التأثير على هذه الأعضاء فى اية مرحلة من مراحل التطور نتيجة لأى من مؤثرات داخلية او خارجية على الأم مثل بعض الأمراض المعدية أو الاضطرابات النفسية او بعض امراض نقص التغذية فى الأم وهذا يؤدى الى عدم وضوح تحديد جنس المولود .

واكثر هذه الحالات شيوعا هى حالات ولد ذكر ناقص التكوين مما يؤدى الى اعتباره بنتا ويستمر هذا الخطأ حتى سن البلوغ حين تبدأ علامات البلوغ ويتم تصليح النقص حسب استكمال نمو الغدد التناسلية والأعضاء الداخلية ويمكن تحديد الجنس بصفة مؤكدة بفحص عينات من الغشاء المخاطى للفم .

وفى بعض الحالات تؤخذ البنت على انها ولد ذكر حتى سن البلوغ حين يتم تدارك هذا الخطأ .

ويتوقف احتمال الحمل على مدى اكتمال تكوين ونمو الرحم والمبيض .

وهذه الحالات تعتبر من العجائب الطبية النادرة جدا .

أبو الرهور

رمز بدوي : طريف وتليد !

الطوطم والطوطمية عند بني الإنسان

بقلم : فؤاد جميل

■ يتحدث المعنيون بـ (علم الانسان : انثروبولوجي Anthropology) عن (الطوطمية : Totemism [1]) كثيرا وما هذه « الطوطمية » ، على أيسر تعريف ، : الا الوشيجة الروحية التى تقوم في المجتمعات البدائية ، ولا تزال لها اثارة في المجتمعات المتمدينة ، بين الانسان وبين حيوان ، او نبات ، او شيء مادي مصنوع ، هو الطوطم Totem ، تهفو اليه قلوب ابناء المجتمع البدائي ، فتنجم ، في ارواحهم وعقولهم ، عنه معتقدات عجيبة غريبة ، ويتخذونه رمزا لوحدتهم وآمالهم ، وهاديا لمساعيهم . انه يغدو جزءا لا يتجزأ من القبيلة ، الوحدة الرئيسة في المجتمع البدائي ، لذلك تضفي عليه التعاطف معها وتلبية حاجاتها . ومن عندنا كانت دراسة « الطوطمية » على حظ من خطر كبير ، لتعلقها بالتنظيمات العشائرية ، والسلوك الاجتماعي البدائي .

قلت : ان الطوطمية البدائية ذات اثر في المجتمع الحديث ، يدلك على ذلك اطلاق اسامي بعض الحيوانات على الفرق الرياضية ، والاحزاب السياسية ، والتنظيمات الكشفية . وفي بعض الوحدات العسكرية البريطانية تجد حيوانا يتخذ رمزا لها ، كالمعزى مثلا ، يمضي في طليعتها ، ويدرب على الانحناء ، لدى عزف (النشيد الرسمي) او اداء التحية ، احتراما ، وهو ، بالنسبة لطوطم القبيلة البدائية ، بعضه من بعض ، ولله في خلقه شؤون !

ان هذا التعاطف بين الحيوان وبين القبيلة في المجتمع البدائي يتمثل في أن اسماء كثير من القبائل البشرية ، والعربية لا تشذ عنها ، هي اسماء حيوانات من امثال : (أسد) و (عنزة) و (كلب) و (ونمر) وما الى ذلك .

ومن طبيعة الاشياء ان يتخذ احد هذه الحيوانات رمزا او اسما لقبيلة بدائية بسبب مما يتصف به من مزايا روحية او جسمانية : كالوفاء ، والقوة ، والاقدام ، او مزايا اقتصادية باعتداد نفعه الذي يجود به على القبيلة نفسها .

ويلاحظ ان (الطوطم) سرعان مايغدو ، بتعاقب الاجيال في القبيلة الواحدة ، « صديقها » و « حاميها » و « مثبت اقدام ابنائها » عند الاحتراب .

---

(1) الكلمة امريكية النجار ، وكانت قبل أن تتخذ سبيلها الى المعجم الانكليزي شائعة في لغة احدى قبائل الهنود الحمر ، ومعناها الحرفي (ذو القربى) .

ابو الدهور ، طوطم قبيلة عربية

هذه « مقدمة » لا معدى عنها اردت ان اخلص منها الى رمز بدوى طريف وتليد ، عريق تحتفظ به (الرولة) ، فرع قبيلة عنزة ، اكبر قبيلة بدوية في الجزيرة العربية ، واعني به : (ابو الدهور) . انه لا يخرج ، في اصله وجوهره ، عن ان يكون طوطما ، وعلى ما سيأتيك حديثه تفصيلا :

و (ابو الدهور) هذا (مركب) بني من عُمُد قوية واماليد من شجر الرمان ، وشكله مستطيل ، وقد شد بعمده ريش النعام ، ولعل النعام الذى وجد في الجزيرة العربية قد اصبح اليوم الى زوال أو كاد . لقد ورثت الروَلة (ابا الدهور) صاغرا عن كابر ، وجيلا عن جيل ، فغدا رمز اتحادها ومعين قوتها ومبعث حماسها ومنجم اقدامها ، يوم الغزو وايام الوغى ! انها تحتفظ به فى بيت الشعر الذى يقيمه رئيسها دوما ، وفي خباء حريمه منه خصيصة ، امعانا في اسباغ الحرمة عليه والاعتزاز به ، اذ له حرمة ما بعدها من حرمة ، استحكمت ، عبر الاجيال في العقول ، فعقلت النفوس منها .

ان الاعتقاد ب (أبو الدهور) ظاهرة اسطورية، والأساطير تشيع في المجتمعات البدائية وتذيع ، على ما هو معروف ، لكنه ينطوى على كلف به مستقر في قلوب ابناء القبيلة .

(وبالقلب لا بالعين ينظر ذو الحب) . ان الرولى يرى في هـذا (المركب الصحراوى الاسطورى) باعث التراص القبلى ، والولاء العشائرى .

واعتادت الرولة، يوم النصر المبين على أعدائها، ان تنحر جملا ، تضحية له وشكرانا ، كما انها تنحر ، في كل سنة ، جملا آخر ، للغاية نفسها ، وان لم يكن عندها شيء من غزو او احتراب . وان انتقلت الرولة من « منزل » الى « منزل » آخر ، في نجعتها ، وراء المرعى او المستقى ، حمّل (أبو الدهور) على جمل قوى ابيض اللون غالبا. وعندها تشهده يسير متبخترا متهاديا فخورا ، وكأنه يشعر بانه يحمل (رمز القبيلة) ومحط آمالها ومهوى قلوبها . ان (ابا الدهور) يكون في (المقدمة) من موكب القبيلة، بين بعرانها وقطعانها ، وبين كماتها وصناديدها ، وقلوبهم ناظرة اليه (نظر الحبيب الى الحبيب المقبل !) . انهم يسيرون حافين من حوله ، أو يمتطون الفره من الخيل ، فلو هوجمت القبيلة من قبل عدوّ لها ، وقفوا صفا واحدا كالبنيان المرصوص يدافعون عنه بقلب واحد وكأنهم يد واحدة ، ناسين أو متناسين كل شيء في الدنيا غيره ، وما قد يكون بينهم من خلف أو اختلاف وحسد وأحقاد ، و(عند الشدائد تذهب الأحقاد !) .

وفى ساعة العسرة ،بالنسبة لـ (قبيلة الرولة)، اعتادت هذه أن تجعل في (أبو الدهور) بنت شيخها الأثيرة ، التى تحتل مقام الصدارة من شرائف نسوة القبيلة . انها المسماة عند البدو بـ (عطفة) أو (العمارية) ، والمشهد كله ، عند ذاك ، يصدق فيه قول الشاعر :(كما تكون حسنا باقة الزهر !) ، ذلك أن (العطفة) قد اتخذت في مثل هذا الأوان كل زينتها البدوية ، ولا تنس أن :

« حسن الحضارة مجلوب بتطرية
وفي البداوة حسن غير مجلوب ! »

وقد تسمع تلكم (الكاعب) ولسانها يتدفق ، ووطيس الحرب قد حَمِي ، والقتال قد استعر وتلظى ، تنادى هذا الكمي باسمه ، وذلك الفتى الصنديد بلقبه ، وذاك الرجل المقدام بكنيته ولا تنس أن الكنية ، في عرف البادية ، يُراد بها الاعلاء من شان المكنى . لذلك فلا غرو أن يرتفع حماس آحاد القبيلة فيعلو رصيدُها المعنوى وتدرك نصرا اثر نصر .

لهذا يتواتر ، عند الرولة ، ويتردد على لسان اهل البادية ، انه لم يستطع عدوّ لها ، في يوم ما ، الاستحواذ على (أبو الدهور) ، وعبر الدهور ، ابدا ، وكذا استفاضت شهرته وفاضت، ولعل ذلك حتى يوم الناس هذا !

ومن الاساطير التى حامت حول « أبو الدهور »

ومن المعتقدات الأسطورية التى تدور حوله بين ابناء القبيلة المذكورة : ان الله تعالى يعمد الى تنبيهها والفات نظرها الى الجهة التى يأتي منها عدوها ، عن سبيل (أبو الدهور)، اذ ما أن يكون العدو محدقا بها ، أو منقضا عليها ، الا ياخذ ريشُ النعام في (المركب) ـ على ما يخيل الى ابنائها ـ بالرفيف . ليس ذلك ارهاصا لهم، فحسب وانما ، هم يعتقدون بأن عدوهم ما أن يشهد رفيف ريش النعام في (أبو الدهور) حتى



هـذا الطـوطم اتخذه «الانكا» وهـم هنـود المكسيك القدامى رمزا لهم تماما كما اتخذ الرولة «أبو الدهور»

يتخاذل ، تخاذل قطيع عاث فيه ذئب مسعور ، ويولى الأدبار .

* * *

قلنا : ان صورة (أبو الدهور) تقلبت في الادهار وسارت على الأجيال ، وحامت حوله اساطير وقصص ، لكنه بقى محور تاريخ القبيلة وعنوان أيامها الغر المحجلة الحقة فاستقر ذلك كله في أعماق نفس آحاد القبيلة المؤارة بالذكريات، وماذا عند القبيلة البدوية من تاريخ غير أيام غزوها واحترابها والأسماء اللامعة من أبنائها ، خلالها ؟!

ان التفكير البدوى ، ابتداء ، عفوى فطرى ، ولا يكلف البدوى نفسه مشقة البحث عن الحقيقة الباطنية ، فالظاهر عنده أولا ، وما دامت قصص (أبو الدهور) تمثل انتصار القبيلة المستدام لذلك ديفت هذه بكثير من اقاصيص السمار واضافات الرواة . وما دامت ترضي عاطفته الجياشة فهي ، بالنسبة اليه ، في عداد المسلمات القائمات مقام الحقائق التي يدلى بها الاثبات . وكم شهد مضرب القبيلة ، ومضيفها ، وابناء القبيلة متحلقين فيه حول موقد (القهوة) ، وهي تدار عليهم ، اقاصيص يرويها من علت بهم السن الى اجيالها الثابتة عن ايام نصر مؤزر مرّت على القبيلة ، ومرد الفوز فيها في ظنهم الى (أبو الدهور) دوما ، وعندها تجد القوم ، وقد جاشت منهم الصدور وانطلق خيالهم المنسرح الى آفاق ذلك الماضي الحبيب السار . ولا تنسَ وقع ذلك في آذان أطفال القبيلة ، بخاصة ، وهم في أول تفتحهم للحياة ، اذ ان تكرر حديث (أبو الدهور) المتناهي الى مسمعهم يعرق المعتقد به فتمتد جذوره الى أعماق « اللاشعور » منهم ويبقى عالقا في القلوب الى ما بعد ان يشبوا عن الأطواق ، وحتى تبدأ رواعي الشيب في الرؤوس ، وعند ذاك يقومون بدور نقل (حديثه) الى أجيال قابلة ، وهكذا دواليك .

* * *

في الشعوب البدائية تختلط الاساطير بالدين

وثمة ملحظ آخر .. ففي الشعوب البدائية ، والقبائل التي تداب على الفطرة ، تختلط الاساطير بالدين غالبا . وهذا يصدق على حديث (أبو الدهور) أيضا . فمن المعلوم ان العرب العدنانية ــ وجل أهل البادية العربية منها ــ تنتسب الى جدها الأعلى (اسماعيل عليه السلام) ، لذلك تجد «الرولة» بخاصة ، و (عنزة) وسائر أهل البوادي ، بعامة تطلق على (أبو الدهور) اسم (سفينة اسماعيل) . انها ، بطبيعة الحال ــ سفينة صحراء وليست سفينة ماء ، كما يطلق عليه ، في الاحيان ، اسم (المقربة) أي التي يتقرب بها الى الله عز وجل، وهو أمر ليس من الدين الاسلامي في شيء ، فالله تعالى ، بالنسبة لعبده ، أقرب اليه من حبل الوريد .

والجمل الذي يحمل عليه (أبو الدهور) بنظر القوم ، ذو مقام خاص أيضا . وهذا يتسق مع ما ذهب اليه كل من (هادون : Haddon) و (سوملو : Somlo وبيكلر : Pikler) (٢) في ان الأصل في اتخاذ الحيوان « طوطما » ، واضفاء اجلال عليه ، هو : قيمته الاقتصادية ، والابل في البادية ــ على ما نعلم ــ هي قوام الحياة الاقتصادية فيها ، ما الى الشك في ذلك من سبيل .

هذه صورة من صور (البادية ــ الأم)وحديثها الى نفوس العرب ، في مشرق الدنيا ومغربها ، الى مشوق لذيذ الوقع في الأسماع ، انهم يحنون اليها حنين الانسان الكريم لامه ، وعلى حد سواء!

■■

فؤاد جميل

(٢) Encyclopaedia of social science totemism

مسرحية "بانتظار جودو"

تأليف : صمويل بيكيت (١)

بقلم : الدكتور محمود السمره

عميد كلية الآداب بالجامعة الاردنية

■ مؤلف هذه المسرحية ، صمويل بيكيت ، هو من اشهر كتاب المسرح اليوم ، ان لم يكن اشهرهم ، وهو رأس كتاب مسرح اللامعقول ، الذى سبق ان تحدثنا عنه فى هذا الباب (مجلة العربى العدد ١٢٤ ، مارس ١٩٦٩) . ومسرحيته هذه التى نقدمها هى اشهر مسرحية مثلت على المسرح منذ نهاية الحرب العالمية الى اليوم ، هذا اذا قسنا الشهرة بعدد الليالى التى مثلت فيها ، وبالتعليقات التى كتبت عنها . ومن اجل هذه المسرحية منح بيكيت جائزة نوبل للآداب لعام ١٩٦٩ .

وأحب هنا ان اذكر بأن كتاب مسرح اللامعقول يرون أن المجتمع الانسانى فى الغرب هو فى وضع لا معقول ، لأنه مجتمع لا غاية له ، وفى مثل هذا المجتمع يكون المرء ضائعا . ويكون كل ما يصدر عنه لا معنى له ، ولا فائـــدة ترجى منـــه . « والشخصيات فى مسرح اللامعقول لا تصور لنا واقعنا الخارجى ، بل حقيقتنا النفسية : فهى تعكس مخـاوفنا وكوابيس احـلامنا ، ولا تقـدم حلولا لمشاكل الانسانية . ولهذا فاننا نجدها تسير فى حلقة مفرغة ، فتنتهى حيث بدأت . واذا كان من الطبيعى ان يسأل المشاهدون فى المسرحيات التقليدية : وماذا سيحدث بعد هذا الذى نرى على المسرح ؟ كانت الاجابة عليه مستحيلة ، لأن اى شيء يمكن ان يحدث ، ما دام هذا المسرح لا يسير على قاعدة . ولعل التساؤل المعقول فى مسرح اللامعقول ، هو : ما معنى هذا الذى يحدث ؟ ».

ان مثل هذا التحديد فى البداية سيعيننا على فهم هذه المسرحية .

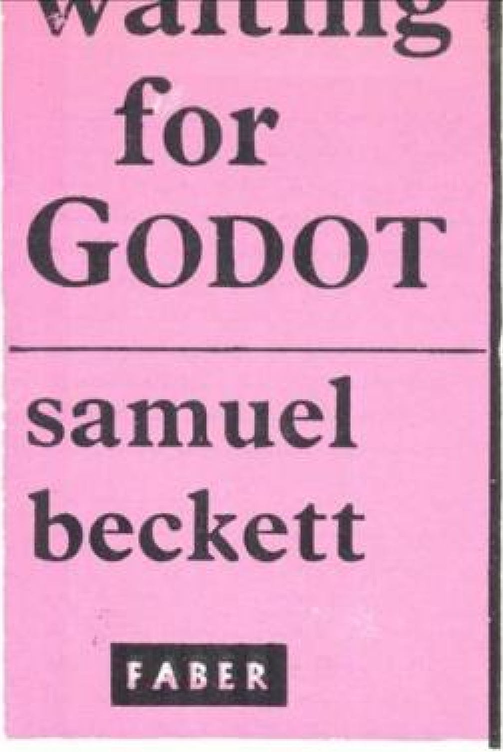


● بيكيت ●

★ ★ ★

ومؤلف المسرحية ، صمويل بيكيت ، ولد سنة

(1) Samwel Becket , Waiting for Godot .



المسرحية التى نال عنها كاتبها جائزة نوبل للآداب عام ١٩٦٩

١٩٠٦ في مدينة دبلن ، من أب هو مساح كميات ، انه ايرلندى مثل برنارد شو ، واوسكار وايلد ، وييتس *Yeats* . ودرس الأدب الفرنسي والايطالي في جامعة دبلن ، ومنها تخرج سنة ١٩٢٧ . وكان من الطلبة المبرزين . وذهب الى باريس ليعلم الأدب الانجليزي في مدارسها، فاحبها حبا انساه وطنه الام. وفيها تعرف على الكاتب الشهير جيمس جويس *Joyce* ، واصبح من حوارييه الذين لا يفارقون مجلسه. وبدا اسمه يلمع في اوساط أدباء باريس، بعد أن فاز بالجائزة الأولى في مباراة شعرية ، موضوعها « الزمن » . وقد نشرت هذه القصيدة في كتيب مستقل ، وكانت أول أثر أدبي صدر لبيكيت . وقد وقع المؤلف على مائة نسخة منها ، وهذه النسخ تباع اليوم بأثمان باهظة ، ويسعى هواة جمع الآثار الفنية لاقتنائها . وهكذا أصبح بيكيت معروفا وهو لم يتعد سن الرابعة والعشرين.
وعاد بيكيت الى جامعته في دبلن ، ومنها نال شهادة الماجستير في الأدب الفرنسي على رسالته عن الكاتب الفرنسي المعروف مارسيل بروست *Proust* . وبسبب اعجاب استاذه به اختير مدرسا في دائرة اللغة الفرنسية . وكانت هذه بداية يتمناها كل عاشق للمعرفة والبحث العلمى ، ولكن بيكيت لم يلبث أن مل حياة التدريس ، بما فيها من رتابة ، وهو المؤمن أن الرتابة سرطان يفتك بوقت الانسان ، والنشاط الاجتماعى وهم ، وأن الفنان مكتوب عليه أن يعيش وحيدا .

وترك دبلن ، وعاش متنقلا بين لندن وباريس ، وغيرهما من المدن الاوروبية ، منصرفا الى نظم الشعر ، وكتابة القصص القصيرة . واخيرا قرر الاستقرار نهائيا في باريس ، واخذ يكتب آثاره الادبية باللغة الفرنسية . وهنا في باريس وقعت في حبه ابنة جيمس جويس ، ولكنه صدها ، وافهمها انه انما يأتى لزيارة والدها ، ولكنه لا يحمل لها اى حب . وكان هذا سببا في انهيار الفتاة ، التى كانت تشكو من حالة عصبية . وقد وصفت هذه الفتاة بيكيت في هذه الفترة بانه كان شابا خارق الذكاء ، جذابا ، ولكنْ فيه عزوف عن صحبة الناس وكان ينام في وقت متاخر من الليل ، في سريره الى عصر اليوم التالى . وهو لا ينطلق في الحديث ، الا بعد أن يتناول عددا من فناجين القهوة ، وعدة كؤوس من الشراب .

ومن اغرب ما ذكرته هذه الصديقة عنه ، انه قال لها : انه ما زال يذكر تلك اللحظات الرهيبة التى قضاها في بطن امه ، قبل مولده ، وكيف انه كان يحس انه على وشك ان يختنق !!

وعندما احتل النازيون فرنسا ، انضم بيكيت الى حركة المقاومة ، وعندما علم أن بعض أفراد الحركة قد وقع في أيدى النازيين ، هرب الى منطقة غير محتلة ، واشتغل عاملا في مزرعة ، وبقى فيها الى نهاية الحرب ، وكان يقضي وقت فراغه منصرفا الى كتابة المسرحيات . وبعد الحرب عاد الى باريس ، وكانت فترة ما بعد الحرب هي اخصب فترة في حياة بيكيت ، انتاجا وابداعا ، ففيهاكتب ثلاث مسرحيات منها « بانتظار جودو » وخمس قصص طويلة ، ومجموعة من الاقاصيص والكتابات النثرية المتنوعة . وهذا الانتاج هو الذىجعلبيكيتواحدا منأشهر الأدباء المعاصرين . وعلى الرغم من الشهرة العريضة التى نالها ، الا انه بقى الانسان الخجول ، المتواضع ، البعيد عن التكلف . والغريب في امر بيكيت انه ، وهو الذى يكتب عن قلق انسان العصر وصراعه النفسي فيبز كل معاصريه ، انسان هادىء الطبع ، رائق المزاج.

وقد تزوج بيكيت ، وهو يعيش متنقلا بين بيته الريفي وشقته في باريس . وهو يتجنب مجالس الادباء ، ويحس بالراحة بين الرسامين . ويقضي وقته منكبا على الكتابة ليجيب في مسرحياتــه وقصصه عن السؤال الذى شغل به منذ امسك بالقلم،وهو : من أنا ؟ وما معنى أن أقول : «أنا» ؟

* * *

ومسرحية « بانتظار جودو » هي من نوع المأساة ـ الملهاة ، اى التى تجمع بين التراجيديا والكوميديا . وقد نشرت سنة ١٩٥٢ ، ومثلت على المسرح يوم الخامس من يناير (كانون الثاني) ١٩٥٣ بباريس ، وقد قدمها الممثلون على المسرح نفسه اربعمائة مرة متتالية ، قبل ان ينتقلوا لتقديمها على مسارح أخرى في العاصمة الفرنسية. وقد ترجمت الى اكثر من عشرين لغة ، ومثلت في بلاد منها : السويد ، وفنلنده ، وسويسره ، وايطاليا ، والنرويج ، والدانمرك ، وهولندة ، واسبانيا ، وبلجيكا ، وتركيا ، ويوغوسلافيا ، والبرازيل ، والمكسيك ، والارجنتين ، وتشيكوسلوفاكيا ، وبولندة ، واليابان ، والمانيا الغربية ، وبريطانيا ، والولايات المتحدة الامريكيه ، ومسقط راسه دبلن . وقد شاهدها في السنوات الخمس الاولى من تمثيلها أكثر من مليون مشاهد. ومثلت ايضا على مسرح سجن (سان كونتن) بسان فرنسيسكو ، وهو السجن الذى يضم بين جدرانه القتلة والسفاحين ، وشاهدها الف واربعمائة من السجناء . وهذه النسخة الانجليزية من المسرحية قام بترجمتها عن الفرنسية بيكيت نفسه . وفي كل مكان مثلت فيه ، لقيت اقبالا منقطع النظير ، فكانت بلا شك انجح مسرحية قدمت على اى مسرح منذ نهاية الحرب العالمية الثانية الى اليوم .

والعجيب بعد هذا أن تجد مسرحية من هـذا النوع مثل هذا النجاح ، لانها مسرحية غامضة ، معقدة ، ترفض كل قواعد المسرحية التقليدية . وهي قد حظيت ايضا باعجاب الادباء والنقاد ، على اختلاف اتجاهاتهم ومذاهبهم . وقد وصفها جان انويه *Anouilh* الكاتب الشهير ، فقال : انها تعرض لنا حالة من الجنون ، والسأم ، والمعاناة ، والقسوة ، « ان لا شيء يحدث فيها ، ولكنها رغم ذلك مرعبة » .

وقد اختلف الادباء والنقاد في تفسير ما يريد ان يقوله الكاتب ، ولم يتفقوا على شيء . وقد سال الن شنيدر *Alan Schneider* ، مخرج المسرحية في امريكا ، الكاتب عن بطل المسرحية ، جودو ، الذى لايظهر فيها ، والى من يرمز به ، فكان جوابه : « لو كنت اعرف من هو لقلت ذلك في المسرحية » .

ولكن هذا كله لا يمنع من ان نحاول تحليل هذه المسرحية ، وتفسيرها .

* * *

ان المسرحية تمثل الخواء الذى يعيش فيه انسان العصر ، وتدفع قارئها او مشاهدها دفعا نحو تمثل جنون العصر ، ورتابته المميتة ، وتجعلنا نحس انه اذا كان الانسان لايستطيع ان يحيا بالخبز وحده ، فانه هنا لايستطيع أن يستمر في العيش بالتفكير ، او بالقلق بامل في الخلاص لا وجود له . وعلى هذا فان هذه المسرحية ، في رايي ، تمثل ذروة التشاؤم في الادب المعاصر .

وفي هذه المسرحية خمس شخصيات ، هي : عياران متشردان هما « استراجون » *Estragon*

و «فلاديمير» Vladimir ، وسيد اسمه «بوزو» « Pazzo » وعبده المسترق « لكي » Lucky وصبي يظهر في ختام الفصل الاول ، ويظهر ثانية في ختام الفصل الثاني ، اى في آخر المسرحية . وهناك (جودو) Godot الذى سميت المسرحية باسمه ، ولكنه لا يظهر على المسرح .

وفي هذه المسرحية نجد اساليب عدة مختلطة اختلاطا عجيبا : من وجودية ، ورمزية ، وفلسفية. ويبدأ الفصل الاول بالافاقين ، استراجون وفلاديمير ، يتحدثان على طريق عام خال من الناس ، حديثا لا يؤدى الى شيء ، ولا يحدث فيه شيء ، حتى عقلاهما وجسداهما لاتتحرك . انهما ينتظران قدوم الغريب (جودو) ، ليلة بعد ليلة ، املين أن يجدا الخلاص على يديه ، ولكنه لايحضر . وهذا نموذج من الحوار الذى يجرى بينهما :

ـ دعنا نذهب .

ـ لانستطيع .

ـ لماذا ؟

ـ لاننا ننتظر جودو .

ـ آه ! (يفكر) أواثق انت أن هذا هو المكان ؟

ـ ماذا تعني ؟

ـ ان هذا هو المكان الذى علينا أن ننتظره عنده .

ـ لقد قال : « بجانب الشجرة » (ينظر الى الشجرة) هل ترى غيرها هنا ؟

ـ ما نوعها ؟

ـ لا ادرى ، لعلها صفصاف .

ـ أين ذهبت أوراقها ؟

ـ لا بد أنها قد ماتت .

ويستمر الحوار على هذه الشاكلة ، صفحة بعد صفحة ، الى ان ينضم اليهما « بوزو » و « لكي » .

★ ★ ★

ويصف « بيكيت » طريقة دخولهما الى المسرح على هذا النحو :

يدخل « بوزو » و « لكي » ، الاول يقود الثاني بحبل مربوط حول عنقه ، ولكننا لا نرى في بداية الامر سوى « لكي » يجر حبلا مربوطا حول عنقه ، فاذا وصل الى وسط المسرح ، بدا « بوزو » من جانب المسرح ممسكا طرف الحبل بيده . ونلاحظ ان « لكي » يحمل شنطة كبيرة ثقيلة ، وكرسيا مطويا ، وسلة مملوءة بالطعام ، ومعطفا مطويا على يده . اما « بوزو » ففي يده الاخرى سوط .

ويقول « بوزو » (من مكانه) : اسرع . (ويفرقع بسوطه ، ثم يخرج من مكانه ، ويمشيان على المسرح . وعندما يرى « بوزو » « فلاديمير » « واستراجون » يقف ، فيشد الحبل على عنق « لكي » ، ويسحبه « بوزو » بعنف) : أسرع . ويسمع صوت سقوط فاذا به « لكي » قد وقع بكل حمله على الارض ، فينظر « فلاديمير » « واستراجون » اليه ، وتتنازعهما الرغبة في الاسراع لمساعدته ولكن « بوزو » يحذرهما بأنه خطر . ويحاول « فلاديمير » أن يتقدم نحو « لكي » ، ولكن « استراجون » يمسك به من ذراعه .

ونستمر في قراءة المسرحية ، وتستبين لنا ملامح « لكي » ، فاذا به ذو شعر طويل ، ووجه أصفر نحيل ، وساقين تشبه الواحدة منهما العصا في نحولها ، وهو يقف بكل حمله دون ان يحاول ان يضع شيئا منه على الارض . وكل ما يفعله هو ان يقف في مكانه مسمرا ، ويتحرك حركات لا شعورية ، ولكنها منتظمة ، كلما سمع فرقعة سوط « بوزو » المشغول باكل لحم دجاجة . ان « لكي » عبد يستجيب لاوامر « بوزو » دون أى اعتراض ، فيرقص كما يأمره ، وهو يتكلم ويفكر بأمر منه ايضا . ويأمره « بوزو » أن يفكر بصوت مرتفع فتنطلق الكلمات من فمه كالسيل . وهنا يملأ بيكيت ثلاث صفحات ونصف صفحة بكلمات ليس بينها فاصلة واحدة ، ولا نقطة . واحيانا نجد الكلمات تختلط ، فاذا بعدة كلمات تكتب وكأنها كلمة واحدة . ولكن كل هذا الكلام لانستطيع أن نتبين معناه ، حتى اننا نضيق بهذا السيل من الكلمات المختلطة ، وتضيق به ايضا شخصيات المسرحية التى تسرع بعصبية نحو «لكي»،وتكم فمه، وتضع حدا « لتفكيره » ، في رأى بيكيت ، هذا التفكير الذى يبدو لنا هذيانا لا معنى له .

ويخرج « بوزو » و « لكي » . وفي ختام الفصل

الاول يدخل صبي ، هو رسول جاء من عند « جودو » ليبلغ « استراجون » « وفلاديمير » ان « جودو » لن يحضر هذا المساء ، ولكنه سيحضر غدا بكل تاكيد . وهذا الصبي لايقل غرابة عن الشخصيات الاربع ، فهو وان ظهر على المسرح مرتين في يومين متتاليين ، الا انه في المرة الثانية ينكر انه قد سبق له ان رآهما ، او حدثهما ، او جاء لهما برسالة من « جودو » .

★ ★ ★

ويبدا الفصل الثاني ، كما بدا الاول ، وتتكرر معظم التفصيلات ، الا ان « بوزو » الذى كان قويا وسيدا في الفصل الاول ، نجده في الفصل الثاني وقد فقد بصره،واصبح عاجزا ، ولكن «لكى» مازال ياتمر بامره . وتنتهي المسرحية كما بدات ، فكانها تسير في حلقة مفرغة : فالافاقان « استراجون » و « فلاديمير » ينتظران عبثا مجيء « جودو » والحوار بينهما يستمر على النمط ذاته ، الى ان يصبح الموقف مثيرا لاشمئزازنا ، واشمئزازهما ايضا ، فيقررا ان لا شيء بقي لهما سوى ان يحاولا شنق نفسيهما ، ولكنهما لايستطيعان ان يفعلا حتى هذا .

وتقترب المسرحية من نهايتها بالحوار التالي بينهما :

ـ أليس معك حبل ؟

ـ لا .

ـ اذن فلن نستطيع .

ـ هيا بنا نذهب .

ـ انتظر ، ان معى حزامى .

ـ انه قصير ، لا ينفع .

ثم يبذلان محاولة اخيرة ، فيستلان خيطا من بنطلون « استراجون » ، ويحاولان شنق نفسيهما به ، ولكنه ينقطع ، ويبدآن الحوار من جديد :

ـ لا أستطيع الاستمرار فى العيش هكذا .

ـ هذا ما تظنه .

ـ من الخير لو نفترق .

ـ سنشنق نفسينا غدا (يصمت) الا اذا جاء « جودو » .

ـ واذا جاء ؟

ـ عندها نكون قد نجونا .

ـ اذن هل نذهب ؟

ـ هيا بنا .

(ولكنهما لا يتحركان)

ويسدل الستار ..

★ ★ ★

ونلاحظ على شخصيات المسرحية ان شخصية « استراجون » تكمل شخصية « فلاديمير » ، وان كان الثاني عمليا اكثر من الاول : « فاستراجون » حالم ولكن « فلاديمير » لا يطيق ان يسمع شيئا عن الاحلام ، « واستراجون » رائحة فمه كريهة اما « فلاديمير » فرائحة قدميه مزعجة ، «واستراجون» يحب رواية القصص الفلكية ، وهذه تزعج « فلاديمير » . « واستراجون » من اول المسرحية الى آخرها يشك في امكان خلاصهما من شقائهما حتى لو جاء « جودو » بينما الامل يملأ قلب « فلاديمير » . « واستراجون » هو اضعف الاثنين ، وهو في كل ليلة توسعه ضربا قوى لا نعرف عنها شيئا ، ولكنا نرى نتائج ما فعلت في « استراجون » .. ورغم هذا التناقض بينهما ، فانه لا غنى لاحدهما عن الاخر ، لانهما يكملان بعضهما .

والأمر نفسه ينطبق على « بوزو » و « لكى »، فهما ايضا شخصيتان تكمل احداهما الاخرى ، ولكن الصلة بينهما بدائية أكثر من الصلة بين « استراجون » «وفلاديمير» : « فبوزو » هو السيد الذى يتلذذ بالام الاخرين ، « ولكى » هو العبد الخاضع الخنوع . ونحن نقابل «بوزو» في الفصل الاول غنيا ، قويا ، واثقا من نفسه . ولعله هنا ، في رايى ، يرمز الى الانسان المعتز بقوته ، المغرور بما يملك . انهما معا يرمزان الى العلاقة بين الجسد والعقل ، الجانب المادى في الانسان والجانب الروحى فيه ، حيث تسيطر شهوات الجسد على العقل والفكر ، كما يسيطر « بوزو » على « لكى » ، حتى اذا تقدمت بالمرء السن كان العقل معينه ومرشده في ظلمات الحياة.

وشخصية « جودو » شخصية محيرة ، وقد

حاول الذين كتبوا عن هذه المسرحية أن يجدوا أصلا لهذا الاسم ، ولو من ناحية اشتقاقية ، فرأى بعضهم أنه تحريف أحدثه بيكيت على كلمة God . وذكر الناقد الانجليزى اربك بنتلى Eric Bentley ، أن احدى شخصيات مسرحية من مسرحيات « بلزاك » اسمها « جودو » Godeau ، وهى شخصية لا تظهر في المسرحية، ولكن البطل في المسرحية يذكر لدائنيه أنه سيسدد ديونه عندما يأتى « جودو » ، ولكن « جودو » هذا لا يأتى . ولا شك أن هذه الشخصية كانت في ذهن « بيكيت » عندما كتب مسرحيته . وأيا كانت هذه التفسيرات ، فان « جودو » فى رأيى رمز لأمل الانسان القديم ، في أنه سيأتى من يخلص البشرية من آلامها وآثامها . ان هذا الأمل الذى عمر خيال الانسان واحد ، وان اختلفت الأسماء التى اطلقت على هذا المنقذ المنتظر . وموضوع المسرحية هو هذا : انتظار هذا المنقذ ، ولكنه انتظار لا طائل تحته ، لأن المنقذ لن يجيء ، فكأن المسرحية تقول لنا : اننا هالكون ، ولن نستطيع انقاذ أنفسنا ، ولن يستطيع أحد انقاذنا، فنحن لا شيء ونسير نحو لا شيء ، لننتهى الى لا شيء . وهذا هو المعنى الذى فهمه سجناء سان كونتن من المسرحية عندما شاهدوها ، اذ قال أحدهم ردا على سؤال لصحفى : « لقد أعجبت بالمسرحية ، لأننا هنا ندرك معنى الانتظار الذى مارسناه طويلا .. ونحن على يقين من أن «جودو» نفسه لو جاء ، فانه سيكون مخيبا للآمال . » وسجناء سان كونتن جميعهم من أولئك الذين حكم عليهم بالاعدام . وقد ذكرنا أن «استراجون» و«فلاديمير» وجدا خلاصهما في أن يشنق الواحد نفسه ، ولكنهما يعجزان حتى عن فعل هذا .

★ ★ ★

ان هذه المسرحية تجعلنا نحس بسوداويةعميقة، وبيأس قاتل ، حتى لنعجب كيف أن أحد النقاد قال فيها : « انها المسرحية التى أضحكت النظارة في القارات الأربع ؟! »

★ ★ ★

ونجد تأكيدا على هذا المعنى في مسرحية أخرى لبيكيت ، تالية في الظهور لمسرحية « بانتظار جودو » وهى مسرحية *Endgame* . انها مسرحية ليس فيها سوى أربع شخصيات ، كلها غير سوية : (هام) لا يستطيع أن ينهض عن كرسيه ، و (كلوف) لا يقدر أن يجلس ، و (ناج) و (نيل) لا يستطيعان النهوض من صندوقى القمامة اللذين هما مسجونان فيهما(١). وهذه المسرحية قد فاقت المسرحيات كلها ، في تصوير الشقاء الانسانى .

وهذا طرف من الحوار في هذه المسرحية :

هام : لقد نسيتنا الطبيعة .

كلوف : لم يعد للطبيعة وجود .

هام : ولكننا نتنفس ، ونهرم ، ويتساقط شعرنا ، وأسناننا ، ومثلنا !!

كلوف : اذن فهى لم تنسنا !!

وتصيح نيل من صندوق القمامة الذى هى مسجونة فيه : لم كل هذا التمثيل يوميا ؟

في هذه المسرحية يفقد الزمن معناه ، ويبلغ الشقاء منتهاه : فهام يتناول مسكنا في المساء ، ومنبها في الصباح. أما الشخصيات الأخرى فتعيش على البكاء :

ـ ماذا يفعل (ناج) الآن ؟

ـ انه يبكى .

ـ اذن فهو يحيا !!

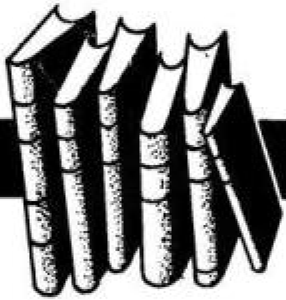
★ ★ ★

هذه هى شخصيات بيكيت، شخصيات معزولة عن الحياة ، وهى فى عزلتها صورة عنه نفسه ، الذى قطع صلته بوطنه ولغته . وحديثها أشبه بصدى يتردد في هوة سحيقة لا نهاية لها . انها تعرض علينا بصورة ساخرة ، لبست لبوس الجد ، لامعقولية الناس الذين يعيشون في وجود لايدركون كنهه ، كما تكشف لنا عن لامعقولية الوضع الانسانى ، بعد أن جرد الانسان من كل القيم التى كانت تزوده بالحقائق والمسلمات . ■■

محمود السمره

(*I*) *Hamm; Clov; Nagg; Nell* .

مِنَ الكتب التي وصلتنا



المدخل
الى أصول الفقه المالكى

تأليف : محمد عبد الغنى الباجقنى . الناشر : دار لبنان للطباعة والنشر .

● كتاب فى علم الاصول وهو ذلك العلم الذى يدرس أحوال الادلة الشرعية واستنباط الاحكام الفقهية أو هو القوانين المستنبطة من الكتاب والسنة ولغة العرب التى توزن بها الادلة التفصيلية عند استنباط الأحكام الفرعية من مداركها الشرعية . وهذا الكتاب دراسة مقتضبة لاصول الفقه المالكى، قريب المأخذ خال من الاستطراد المربك وقد اعتمد المؤلف على كتب كثيرة في تأليفه لهذا الكتاب فقد اعتمد على كتاب « مفتاح الوصول الى بناء الفروع على الاصول » ثم كتاب « تنقيح الفصول » وكتاب « المستصفى » وكتب اخرى والكتاب يتناول مباحث عدة لعلم الاصول وهو الاستدلال على الحكم الشرعي . واتضاح دلالة الدليل الاصلى النقلى . واستمرار حكم الدليل الاصلى النقلى . والاستصحاب القياسي المتضمن للدليل والاجتهاد .

ديوان فتيان الشاغورى

تأليف : أبو محمد فتيان بن على الأسدى / تحقيق : أحمد الجندى / الناشر : مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ـ سوريا

● ديوان شعر لأحد شعراء القرن السابع الهجرى أيام انحطاط الشعر العربى وجنوحه الى المحسنات البديعية والزخرف اللفظى من جناس وطباق وتورية وتشبيه وغيرها من ألوان الصنعة اللفظية ، وتمتاز قصائد الشاغورى بأن الشاعر يحب الجمال ويحب اللهو والغناء، وقد ملأ ديوانه بأوصاف هذه المظاهر كلها ، كما أن هناك عددا كبيرا من القصائد في الهجاء والغزل .

الناس والطب في الشرق الأوسط

جمع وتأليف : يان سيمون . ترجمة : الدكتور سعيد عبده . الناشر : المكتب الاقليمي للصحة العالمية في شرق البحر الأبيض المتوسط .

● كتاب يحاول تشخيص مشاكل الصحة والتقدم الصحي في دول شرقي البحر المتوسط وما تفعله عشرون دولة لرفع المستوى الصحي لشعوبها ، وما تقدمه الهيئة الصحية العالمية لهذه الدول من مساعدات كما يصف الكتاب التطور الكبير لجهود الأطباء العاملين في حقول الصحة في هذه المجتمعات التى تنمو بسرعة فائقة والمشاريع الصحية التى تقوم بها الهيئة الصحية العالمية بمعونة دول المنطقة ، ثم ما تلاقي دول هذه المنطقة من ندرة في الأطباء والأيدى العاملة الفنية والأمراض العديدة المنتشرة في هذه المنطقة مثل السل والملاريا والتراخوما ويعرض الكتاب لبعض الحلول العلمية التى تلجأ اليها هذه الدول لمواجهة هذه المشاكل وحلها .

حياة البادية

تأليف : احمد محارب الظفيرى . الناشر : مطبعة الصباح ـ بصرة / العراق

● دراسة عن حياة البدو فى الصحراء تتناول قبائلهم ومجتمعاتهم وعاداتهم وتقاليدهم وطرز حياتهم وأسلوب معيشتهم ثم بعض القصص والحوادث التى جرت لهم . ثم دراسة عن أدبهم واشعارهم وامثالهم . ثم دراسة عن الحيوانات التى يعيشون عليها ووصف لمنازلهم وسكناهم .

عمر بن الخطاب

نظم : عمر موري ـ الناشر : مطبعة دار الكتب ـ بيروت ـ لبنان

● تمثيلية شعرية .

نظرات اسلامية في الاشتراكية الثورية

تأليف : الدكتور معروف الدواليبي / الناشر : دار الكاتب العربي / بيروت

● مجموعة من المقالات والبحوث توضح النظرات الاسلامية حول الاشتراكية العلمية الثورية، وقد قام المؤلف بشرح مفردات الاشتراكية العلمية الثورية وتطورها وابعادها عند ماركس ، ثم ان الكتاب يتحدث عن أخطار الفراغ الفكري العلمي في عالمنا العربي امام مشكلات الحياة وحلولها ، وموقف الاسلام امام الراسمالية والماركسية ثم الاسلام والصراع الطبقي .

ديوان الصاحب شرف الدين الانصاري

عني بتحقيقه : الدكتور عمر موسى (باشا) / الناشر : مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق/ سوريا

● ديوان شعر لأحد شعراء القرن السادس عشر يوضح اتجاهات ادب الدول المتتابعة في ذلك الوقت كما أن الديوان قد رتب ترتيبا أبجديا لتسهيل الرجوع اليه بالاضافة الى ترجمة موجزة لصاحب الديوان توضح مراحل حياته وثقافته الادبية واتجاهات شعره .

الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرة الغربية

تأليف : السيد ابو الحسن علي الحسني الندوي . الناشر : الدار الكويتية للطباعة والنشر والتوزيع / الكويت .

● كتاب يدرس الصراع بين الافكار والقيم الاسلامية والافكار والقيم الغربية ، وهي مشكلة من أضخم المشاكل التى تواجهها المجتمعات الاسلامية ، فنفوذ الحضارة الغربية وانتشار الافكار الغربية المادية والسياسية توجب على المجتمعات الاسلامية ان تتخذ موقفا معينا من هذه الحضارة وأن تسير على نهج لتوفيق المجتمعات الاسلامية بالحياة العصرية ومطالب العصر الحديث ، ثم قام المؤلف باستعراض هذه المسألة وما قام به العاملون الموجهون من جهود في شتى الميادين المختلفة ورسم الطريق السوى لنهضة المجتمعات الاسلامية .

الثورة المسلحة في فنزويلا

تأليف : دوغلاس برافو : الناشر : دار الطليعة للطباعة والنشر . بيروت .

● هذا الكتاب ترجمة لوثيقة بالاسبانية صادرة من جبهة التحرير الوطني في فنزويلا هي النص الكامل لحديث أدلى به دوغلاس برافو لبعض الصحفيين الامريكيين ، كما الحق بالكتاب رسالة دوغلاس برافو الى قيادة الحزب الشيوعي الفنزويلي التي يعرض فيها آراء جبهة التحرير الوطني ثم بيان امراكارا الذى اذاعه دوغلاس برافو من الفالكون باسم جبهة التحرير الوطني للقوى المسلحة للتحرير الوطني .

انديرا غاندى

تأليف : ظفر الاسلام خان . الناشر : مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة .

● دراسة لاحدى زعيمات الهند ورئيسة وزرائها وما قامت به من أعمال جليلة تتجلى في مشاركتها الفعالة في حركة مناهضة الاستعمار وحفاظها على الروح العالمية للسياسة التيانتهجها قادة الهند الحديثة ، وحرصها على استمرار هذه السياسة ، ثم قيامها بدور اساسي وفعال في سياسة عدم الانحياز التى تعتنقها دول العالم الثالث .

الهفوات النادرة

تأليف : غرس النعمة أبى الحسن محمد بن هلال الصابيء / حققه وقدم له : الدكتور صالح الأشتر / الناشر : مطبوعات مجمع اللغة العربية دمشق ـ سوريا

● كتاب في أدب الأسمار والحكايات والطرائف والملح والمؤانسة ، وعرض لجوانب الحياة في القرنالرابعالهجرى والخامس منه. يصور الكتاب حياة أناس من جميع الطبقات من ساكني القصور الى الساعين وراء لقمة العيش من ساكني الاكواخ. كما أن الكتاب يعطينا صورة متكاملة عن الدولة البويهية فيذكر ملوكها ووزراءهاوعلماءها وكتابها، كما يبين كيف يزل الحذر الذكى والعاقل الفطن فتكون هفوته مذكورة تتناقلها المجالس ويتندر بها الناس . ■■

• قصة

مدينة الذكرى

بقلم : عبد الله محمد احمد

■ كان يتولاها في فترات نوع من الذهول فتمضي في الشوارع تضرب على غير هدى ، تلتحف بشال من القطيفة قد حال لونه ، وفيما عدا هذا الشال كانت مهندمة الثياب على جانب من الاناقة ..

وكانت عندما تنتابها هذه الحالة تجاذب نفسها أطراف الحديث طويلا ..

ويثير أمرها الغريب اطفال المدينة ، ومن ثم يتحلقون بها او يتعقبونها طائفة واحدة تهتف على ايقاع متفق يستعملون التصفيق بالأيدى ، او الضرب على الصفائح القديمة كضابط له : المخبولة .. المخبولة ..

وما يزالون بها في مثابرة صبيانية عجيبة حتى تهدأ وتعود الى دارها ، او يغيثها صاحب مروءة من اهل المدينة يكف عنها أذى الأطفال ، فيدعونها الى حيث شاء لهم عبث الطفولة ..

ولا يلقى صاحب المروءة على فعله جزاء ولا شكورا ! .. فكما كان يسخطها سخرية الصغار الأشقياء، كذلك لم يكن يرضيها ذلك الرثاء المشفق من الكبار العقلاء ، فتنقلب مدمدمة لنفسها :

ــ .. اطفال ملاعين يسخرون بى .. وشباب مائعون يأنفون منى كما يأنفون من الجرب .. وشيوخ مخرفون ينظرون الىنظرة الرثاء ،ويضربون بى الأمثال كأنى أيوب المبتلى .. ماذا يريبهم من أمرى .. ؟ لماذا يرثون لحالى .. ؟ أليسوا يعرفون كيف كان صباى .. ؟ ألم أكن وردة غضة .. ؟ ماذا دهاك يا سنية .. ؟ لهفى عليك أيتها المسكينة .. هل أنت في عمر هؤلاء المخرفين .. ؟ ألست في ربيع العمر .. ؟ .. بلى .. اننى لم أبلغ الثلاثين ولكن .. ولكن بكر الى المشيب خلال عشر سنين من الأحزان ..

وما تزال المخبولة تدب الارض بخطوها الوئيد ، وحزنها الغامض .. في طريقها الذى ألفت أن تسلكه وحيدة طيلة عشر سنين هى تسبح الآن في ذكرياتها ، وكلما مر بها كهل من أهل حيها أو التفت به على الطريق أشاحت بوجهها مدمدمة :

ــ .. ويح هؤلاء العجائز .. أما زالوا يرثون لحالى .. ؟ ماذا لو تركونى لشأنى .. ؟ اننى فتاة تعيش على الذكريات .. ذكرى حسنى الحبيب ..

وعند ذلك يتهافت الدمع من عينى المخبولة وهى تشهق :

ــ .. حسنى .. أيها الحبيب .. عشر سنين مضت على غيابك .. فلا أدرى أين أفضى بك المطاف .. عشر سنين يا حسنى وأنا في بلاء من غيابك .. عشر سنين جعلتنى أسطورة هذه المدينة، وأمثولتها المضحكة .. أما كفانى عذابا .. ؟ أما كفانى هذا العمر الطويل أحياه في انتظار بغير أمل .. ؟ .. ثم يشاء القدر نكالا ، أو سخرية أن يتخذ من وجهى تقويما يسجل فيه أحزان هذه السنين العشر ، فيطفىء اشراقة شبابه ، ويسيطر على صفحته وقائع أسطورتى وأحداثها .. ولكنك أنت الملومة يا سنية .. فتلك ثمرة أنانيتك .. أتذكرين .. ؟ نعم أذكر .. ألست أعيش على الذكرى



... وقالت لي شاعرية :
ـ في هذا المكان .. تفتح قلبان للحب ..
فتطلع حسني اليها مرهف الحس والمشاعر ..
ـ ما ابدع قولك هذا ..
بينما عادت تقول وقد استحوذت عليها شاعرية المكان والذكريات :
ـ كنت تلقبني بالأميرة ..

.. ؟ وماذا يبقيني في هذه المدينة ..؟ أليست هي الذكرى .. بلى .. فليس لي حاضر أحياه ،وليس لي مستقبل ارقبه .. وكان الذكرى قد استوفت حياتي كلها .. نعم اذكر .. فليست المشاهدبعيدة عن خيالي .. فان صوت الحبيب لا يزال يرن في اذني حتى الآن .. بعد عشر سنين ..

وضمت المخبولة اطراف شالها القديم ، وبدأت تعيش في ماضي ذكرياتها .. وما اقرب الماضي الحبيب الى الذاكرة .. وما أسرع استجابة صوره وأحداثه الى ذهن سنية .. فما اكثر ما استعادت تلك الاحداث والصور الى ذهنها .. وما زالت صورة الحبيب تتمثل لها ، وصوته الحنون يرن في اذنها كان الزمان قد تقهقر عشر سنين ..

ـ سنية .. أيتها الحبيبة .. ماذا دهاك اليو
.. انك منذ التقينا شاردة الذهن على كالواله

.. ولا ادرى ماذا يمكن أن يعكر صفاء وجهك الجميل ..؟!

وكانا يومها يسيران في طريق تظلله الاشجار من جانبيه ، ويفضي الى منعطف تتشابك لديه الاغصان فاضحى كالنفق الكبير ، حيث ينحدر الطريق الى ضفة النهر الذى يفصل المدينة عن ضاحيتها الغناء ..

وافاقت من شرودها على سؤال الشاب الوسيم الذى يسير الى جانبها ..

ـ .. أنا يا حسنى .. ؟ .. لا شيء ..

فبدا على حسنى الاستياء من اجابتها ..

ـ ولكن قلبى يشعر أن هناك شيئا تخفينه عنى .. وقلب العاشق لا يكذبه ..

فضحكت وقالت مازحة ـ اذن فلست عاشقا ..

ـ لا تصرفي الحديث عما يشغل بالك ..

ـ قلت لك لا شيء .. لا شيء بالمرة .. ولكن حسنى لم يطمئن الى صدق لهجتها ..

ـ كيف اسيغ هذا الجواب وانا اقرا في عينيك ما يكذبه ..؟!

ـ ليس في عينى ما يقرا غير اسم الحبيب ..

ـ ولكنى أرى فيهما ..

ـ صورتك يا حسنى ..

ـ بل علامات ثورة نفسية تعانينها كما يعانى العليل آلامه ..

ـ حقا ! . وكيف تراها تلك العلامات .. ؟

ـ انها علامات قلق وحيرة ..

ولم تدر ماذا تجيب ، ولكنها عادت تراوغه ..

ـ الحق انتى في حيرة ، ولكن منك .. وأول ما يحيرنى هو الى أين تمضي بى الآن ..؟

ـ ستعرفين عما قليل ..

واقتربا من منعطف الطريق فطالعهما النهر الساجي حيث كانت اضواء الشمس حيرى بين ذرا موجاته على اية تبرق ، ولايها تدع ! ..

وتهلل وجهها وهى تسمع فتاها يسالها ..

ـ الا تذكرين هذا المكان ..؟

فهتفت في دهشة وفرح .

ـ وكيف لا اذكره .. ؟ انه الشاطىء الذى شهد اول لقاء لنا ..

واشارت الى دوحة ممتدة الظلال ترتشف ذوائب أغصانها التى تلى النهر من مائه العذب !

ـ هيا نجلس في ظل هذه الدوحة كسابق عهدنا ..

وكانت موجات النهر الهادئة تتهافت في وداعة ورفق على ضفته وهما يفترشان الارض المعشوشبة التى تفصل الدوحة عن الشاطىء ، وقالت في شاعرية :

ـ في هذا المكان .. تفتح قلبان للحب ..

فتطلع حسنى اليها مرهف الحس والمشاعر ..

ـ ما أبدع قولك هذا ..

بينما عادت تقول وقد استحوذت عليها شاعرية المكان والذكريات :

ـ كنت تلقبنى بالأميرة ..

وازداد تحلق بصر الشاب بوجهها في افتتان ، ونسمات الهواء تداعب خصلات شعرها المتموج فتشتته على جبينها الناصع ، ثم تنحدر ذوائبه حتى تلثم خدها الوردى ، وتلتف حول ذقن دقيق وجيد بديع .

.. وهمس حسنى في وجد ..

ـ لم تخلق أميرة هى أجمل من اميرتى .. ولكانى بالقدرة التى ابدعت صورتك قد صاغتك على ادق مقاييس الجمال .. فانت قطعة فنية دقيقة الصنع ..

فخفق قلبها في مرح طروب .

ـ زدنى أيها العاشق ..

ـ وددت ذلك ، ولكن هذا القلق الذى يغدو ويروح في عينيك يورثنى الجنون ..

لماذا لا تنسى هذا القلق حتى انساه انا ..؟

ـ ان العاشق يحب أن يعرف ما يشغل بال حبيبه ..

فسهمت ببصرها الى ماء النهر ، وتمثلت لها حيرتها وهى تراقب ضوء الشمس الحائر بين ذرا موجاته الواهنة .. وتنهدت قبل أن تقول :

ـ لقد بت ليلتى افكر يا حسنى ..

ـ فيم .. ؟

ـ في حبنا .. ترى أيمكن أن يثبت للحياة ..؟

وارتاع حسنى من قولها فحدق فيها مشدوها ..

ـ أنت اذن في شك من حبى !.

ـ لا يا حسنى .. لست فى شك من حبك ،

ولا في شك من حبي .. ولكن ايمكن لزواجنا ان يتم ..

ـ يا له من سؤال ! .. انسيت اننا خطيبان يا سنية ، وان شئت عجلنا القران فانا طوع أمر اميرتي ..

وترددت قليلا قبل ان تقول :

ـ اعرف ذلك يا حسني .. ولكن ..

ـ ولكن ماذا .. ؟

ـ هل الحب هو كل شيء يقوم على اساسه الزواج السعيد .. ؟ نعم يا حسني .. ما قوام الحياة الزوجية ..؟ اهو الحب ؟ ام المال .. ؟ .. أم هو التفاهم والمشاركة .. ؟ اهو الحب مع المال ..؟ ام الحب وحده ..؟ .. ام هو شركة قائمة على اساس اقتسام الربح والخسارة .. هذه هي الاسئلة الحائرة التى باتت تؤرقني ليلة امس ..

وداخل قلب حسني احساس التلميذ الذي فوجيء بسؤال في مادة لها عنها فلم يستذكرها .. وقال يجيبها ، تان ..

ـ الحب عندي هو أسمى مقومات الحياة الزوجية السعيدة .. ولكن ما ظنك انت .. ؟

ولم تترو في اجابتها .. ولم تتكلف التفكير فيها ، فقد باتت امسها لا يشغلها شيء سواها ..

ـ بل لا بد لهذه الحياة عندي من الحب والمال ..

وسالها حسني بعد فترة من الصمت امضاها في تفكير مهموم ..

ـ ولكن لنفرض انه تحتم عليك التنازل عن احدهما .. فليس كل ما يرجى بمستطاع .. ؟

ـ لا أرى الزوجية السعيدة تستغني عن واحد من ذلك يا حسني ..

واطرق الشاب الى الارض طويلا ، ثم غمغم كمن يحادث نفسه في شيء من الاسى ..

ـ وددت لو أن المال اقل أهمية عندك ..

فسارعت تقول :

ـ ليس هو كالحب عندي .. ولكنه عصب الحياة ..

وشاب لهجة حسني شيء من المرارة والاسى وهو يقول :

ـ استطيع أن أكفل لك حياة هادئة مستقرة ، فلست عاطلا كما تعلمين ، ولكنك فيما يبدو أبعد من ذلك طموحا ..

ولحظت عند ذلك ما شاب لهجة حبيبها فاندفعت تقول في لهفة :

ـ لا يا حسني لا تكن قاسيا في ظنك بي .. انما هي خواطر المت بنفسي ، وما فكرت أبدا أن أضع حبنا في الميزان ..

فقال الشاب وقد وضح الاسى والمرارة في لهجته :

ـ خواطر تسهدين بها الليل يا سنية لهي خواطر جديرة بان تذهب النوم عني انا الاخر ..

هنالك ادركت الى اى مدى اساءت بحديثها الى قلب من تحب ، فقالت وهي تغالب البكاء .

ـ حسني .. اقسم لك انها افكار لم توهن حبي لك ابدا ..

فهتف منفعلا :

ـ كذلك حب المال لا يهن ..

ـ حسني !! .

ـ وتزعمين ان حبنا ليس في الميزان !

ـ انك تقسو علي ..

ولكن انفعاله كان قد بلغ غايته فهب من مجلسه قائما .

ـ لا يجتمع في القلب غير حب واحد .

وتعلقت به .

ـ حسني ! .. الى اين انت ذاهب .. ؟ !

ولكنه استرد يده منها .

ـ دعيني .. ان الواقع مر ، والعاشق لا يريد ان يعرف الواقع ، فاذا عرفه فما هو بعاشق .. وها نحن تصدمنا صخرة الواقع القاسية .

وتركها في خطا متثاقلة حزينة .. تركها لتسهد ليلها الطويل تبكي تصرفها معه ..

وعندما كان الفجر يتنفس أولى نسمات اليوم الجديد طرق الباب .

وتململت في فراشها منهوكة القوى من السهاد .. وسمعت صوت امها يستحثها ..

ـ انظري من بالباب يا سنية ..

فقامت متثاقلة وهي تقول في نبرة يشوبها القلق :

ـ من عساه يكون الطارق في هذا الصباح الباكر .. ؟!

وقالت الام والطرق يشتد على الباب

ـ وهل اصبحت تفرقين بين صباح ومساء ..؟! انك ما ذقت النوم ليالي عدة ..

وتناولت الشال الذى اهداه حسنى اليهـا فاسبلته على كتفيها دون ان تجيب ، ثم سارت الى الباب الخارجي ففتحته ، ولم تكد تفعل حتـى شهقت في دهشة ..

ـ حسنى .. حمداً لله انك جئت .. ولكن لم في هذه الساعة ؟!

قالت ذلك وافسحت له فدخل .

ـ جئت اودعك قبل أن ارحل ..

وجزعت لدى قوله .

ـ ترحل ..؟! .. الى اين ..؟!

ـ الم اقل لكيا سنية ان الخواطر التيتسهدين بها هى خواطر جديرة ان تسهدنى انا الآخر ..

وتزايد جزعها ، وتجلى ذلك واضحا في نبرتها المضطربة .

ـ هل تعنى انك تهجرنى يا حسنى ..؟!

ـ لا .. بل ساعود .. غير انى لن أعود الا لأطرح عند قدميك نصف ثروة العالم .. هذا وعد منى .. ولكن لا بد ان أنال منك موثقا ..

ـ موثق ؟! ..

ـ على أن تنتظرينى حتى أعود ..

فقالت في جزع شديد .

ـ لا يا حسنى .. انك لن تذهب ..

ولكنه عاد يقول في لهجة قاطعة :

ـ بل ساذهب .. ساجمع الثروة التى تكمـل مقومات السعادة لنا ..

وداخل قلبها سرور عجيب !. ولكن ذلك لم يدم طويلا فما لبث انعاودها الجزع من الفراق فهتفت:

ـ لا يا حسنى .. لن تذهب ..

ـ لا بد لى من الذهاب فقد سهدت البارحـة بسبب المال ..

فانتحبت وهى تقول :

ـ وسهدت الليلة بسببك .. وقد احتمل فقد المال ، ولكنى لن أحتمل فقدك ..

واقبلت امها تسال فى دهشة ..

ـ ماذا دهاكما .. ؟ علام الصراخ ..؟!

فقالت وعيناها تشرقان بالدموع .

انظرى يا اماه ، ان حسنى يزمع الرحيل والمغامرة في طلب المال ..

فقالت الام خالية الذهن ..

ـ وهلالسعيفي طلب المعاشعيب يا بنيتى..؟!

فاندفعت تقول في لهجة مذعورة :

بل هو السعى في طلب المحال يا امي انـه سيرحل بعيدا .. الا تفهمين ..؟

ـ ولكنى ساعود يا سنية .. الا تصبرين عاما او عامين اعود بعدهما ومعىكل ما اتمنىوتتمنين..؟

لا يا حسنى .. انى ان رضيت بهذا فكانما أبيعك للمجهول .. وما يدريني ماذا تكون نتيجة هذه الصفقة المجنونة ..

غير أن حسنى فيما بدا لها كان قد حزم أمره.

ـ قلت لك لابد من ذهابى .. أم تحسـبين اننى أسعد بعد اليوم دون تحقيق آمالك .. ؟ ولكن ان كان لى بقلبك حب ، ولك صبر علـى الانتظار ، فعدينى أن تصبرى حتى اعود ..

والفت سنية حبيبها يثق بقدرتها على الصبر والانتظار ، فرددت ذاهلة :

ـ لك في قلبى حب ..؟ حسنى !! .. ان حبك يملأ جوانحى .. وان كان لا محالة من ذهابك ، فسأنتظر حتى نهاية الدهر ..

ـ اذن فانى راحل وخاطرى مطمئن..أستودعكما الله .. وداعا يا سنية ..

وافترقا بعد عناق .. واجهشت هى بالبكاء بينما كانت امها تردد :

ـ وداعا يا بنى .. رعاك اللهفيرحلتك الغامضة.

وتعلقت عيناها بشبحه وهو يفارق المكان يغشاه غبش الفجر .. وغاب خلف سحب دمعها ،فمسحت عينيها لترى البقية من أثره .. وكان هذا آخـر عهدها به .. منذ عشرة اعوام .. عشرة أعوام ..

وعند هذا الحد كانت الفتاة المخبولة قد بلغت المنحنى من المشى الذى تتشابك عنده الاغصان .. وطالعها النهر الساجي حيث كانت اضواء الشمس حيرى بين ذرا موجاته .. على ايها تبرق .. ولايها تدع .. لم تعد تلك الفاتنة القديمة .. وحسنى .. أين هو .. ؟ .. ليته كان هنا .. وحده .. فليس بها حاجة الى شيء عداه ..

وعادت تحادث نفسها او طائفا غير منظور كانت معه على موعد ..

ــ .. عشرة اعوام يا حسنى وانا في انتظار بغير امل .. وفاء بوعدى ، ووفاء لذكراك .. اتلمس المواضع التى شهدت حبنا ، واعيش على الذكرى .. عشرة اعوام ذبلت فيها كالوردةالقصيرة العمر .. ونفر منى الشباب والشيب كأننى لعنة تتقى .. ولكم وددت ان ارحل باحثة عنك يا حسنى لولا ان كل شيء احتمله الا ان ترانى على هذه الحال التى آلت بى الاحزان اليها ..

وفاضت بنفسها الحسرات .. وناءت بأثقال الألم .. فاجهشت بالبكاء ..

وفجاة .. طرق سمعها صوت امها ينادى من بعيد .

ــ سنية .. سنية ..

وانكرت ذلك باديء الامر .. ولكن الصوت اخذ يتضح شيئا فشيئا وصاحبته تقترب .. ترى ما الذى حملها على المجيء ؟! .

وهتفت الأم لاهثة عندما رأتها :

ــ ويلاه .. انت جالسة هنا .. ؟!

ــ ماذا حدث يا امي .. دعينى اعش على ذكراه ..

وصرخت الأم :

ــ لهفى عليك وعليه .. لقد عاد ..

وتطلعت سنية الى امها في ذهول ، ورددت غير واعية ..

ــ عاد ؟! من الذى عاد .. ؟!

ــ حسنى .. ألا تفهمين ..؟ افيقى يا فتاتى .. لقد عاد حسنى ..

وهبت سنية واقفة ، وتطلعت الى امها في نظرة تنم عن الشك ..

ــ ماذا تقولين يا أماه ..؟! بالله لا تسخرى منى ..

فقالت الأم مستنكرة :

ــ وكيف أسخر منك يا بنيتى ..؟ انه حسنى .. لقد عاد ..

ونشطت سنية وقد اجتاحتها موجة نشوانة من الفرح .. رباه . اعاد حسنى حقا .. ؟ ..

ثم لم تلبث أن اعتراها اعياء مفاجيء ، فوهنت قدماها ، وتداعت لولا أن ضمتها أمها اليهـا .

ــ تماسكى يا سنية ..

ــ اننى بخير يا أماه .. فقط تذكرت أننى لا اريده ان يرانى ..

ــ لا تريدينه ماذا ..؟!

فخلصت سنية نفسها من احضان أمها ،وامسكت رأسها بكلتا راحتيها وهى تصرخ :

ــ لا يجب أن يرانى فلم اعد قطعة فنية دقيقة الصنع كما كان يدعونى ..

ــ ويلاه !! . ماذا تقولين ..؟!

ــ .. بالله ساعدينى كى لا يرانى ، فهو لم يعد الى شوهاء مثلى ليطرح عند قدميها نصف ثروة العالم .. بل عاد الى فاتنته القديمة التى ماتت واندثرت معالمها .. لست اريده بالله أن يرانى يا أماه ..

ــ هدئى من روعك يا سنية ، فما زلت فاتنته القديمة ..

وعبثا كانت تحاول تهدئتها ، فقد اخذت تدور على غير هدى ورأسها بين يديها ، ثم هرعت الى امها ضارعة .

ــ ساعدينى يا أماه كى لا يرانى ..

وتهدج صوت الأم وهى تقول :

ــ انه لن يراك كما انت .. بل سيراك كما كنت .. قطعة فنية دقيقة الصنع ..

ــ لا .. لا يجب أن يرانى ..

وفاض ما بقلب الأم فصرخت في انفعال .

ــ قلت لن يراك .. فقد عاد .. أعمى ..

ــ عاد أعمى ..؟!

واتسعت عيناها .. وجمدت نظراتها .. ثم بكت ، فضمتها الأم مليا الى صدرها ..

.. اذن فهو لن يراها ! .. لن يرى فيها غير اميرته القديمة ، وقطعته الفنية النادرة ! .

وتطلعت سنية الى الطريق ! ..

.. حسنى .. أين انت .. ؟ ..

.. حسنى أيها الحبيب .. ■■

القاهرة ــ عبد الله محمد أحمد

طرائف

وصية

● لما حضرت الحطيئة الوفاة قيل له : اوص قال لم أوصي ، مالي للذكور دون الاناث، فقالوا : ان الله لم يامر بهذا . فقال : لكني آمر به . ثم قال : ويل للشعر من راوية الشعر . فقيل له اوص يا ابا مليكة للمساكين بشيء ؛ قال :

● قال أحد الحكماء : ان من أعدائك من ينبغي ان تعمل على هلاكه ، فان لم تقدر فاعمل على مصالحته ، فان لم يتهيأ فابعد عنه .

صراحة بليغة

● خرج الشعبي مع ابن الأشعث على الحجاج، فظفر الحجاج بابن الأشعث فاستشار الشعبي أصحابه ، فأشاروا عليه بالاعتذار .

قال الشعبي : فلما دخلت على الحجاج خالفت مشورتهم ، ورأيت غير الذي قالوا : فسلمت عليه بالامرة ، ثم قلت : ابد الله الأمير ، ان الناس قد امروني ان اعتذر بغير ما يعلم الله أنه الحق ، ولك الله ان لا اقول في مقامي هذا الا الحق : قد جهدنا وحرضنا فماكنا بالأقوياء الفجرة ، ولا الأتقياء البررة ، ولقد نصرك الله علينا ، واظفرك بنا ، فان سطوت فبذنوبنا وان عفوت فبحلمك ، والحجة لك علينا . فقال الحجاج : انت والله أحب الينا قولا ممن يدخل علينا وسيفه يقطر من دمائنا ، ويقول والله ما فعلت ولا شهدت . أنت آمن يا شعبي . فقلت : ايها الامير اكتحلت والله بعدك السهر ، واستحلست الخوف ، ولم أجد من الامير خلفا . قال : صدقت . وانصرفت .

خصم سوء

● بينما كان عبد الله بن جعفر راكبا اذ تعرض له اعرابي ، وامسك بعنان فرسه ، وقال : ايها الامير سألتك بالله ان تضرب عنقي ، فقال له الأمير : أمعتوه انت ؟ فقال الاعرابي : لا ورب البيت ، ولكن لي خصم سوء ليس به طاقة . فقال الأمير : ومن خصمك هذا ؟ فقال له الاعرابي : الفقر .

فالتفت الامير الى مرؤوس له، وقال: ادفع اليه الف دينار ، ثم قال له : خذها ونحن مسئولون ، واذا عاد اليك فأتنا فانا منصفوك منه . فقال الأعرابي : اطال المولى بقاءك ان معي من جودك ما ادحض به حجة خصمي بقية عمري .

عربية

غريبة

اوصيهم بالمسالة ما عاشوا فانها تجارة لن تبور . قيل : اعتق عبدك يسارا . قال : اشهدوا انه عبد ما بقى . قيل : فلان" اليتيم" ما توصى فيه ؟ فقال : اوصى ان تاكلوا ماله . قيل اوص يا ابا ملكية قال : احملونى على حمار فانه لم يمت عليه كريم . !!

● قال عبد الملك بن مروان لاخيه عبد العزيز حين وجهه الى مصر : « تفقد كاتبك وحاجبك وجليسك ، فان الغائب يخبره عنك كاتبك ، والمتوسم يعرفك بحاجبك ، والداخل عليك يعرفك بجليسك » .

كريم وهو فى الحرب

● كان معن بن زائدة يتصيد فى أحد الأيام فعطش ، ولم يكن فى تلك الحال ماء مع غلمانه . فبينما هو كذلك ، اذ مرت به جاريتان من حي هناك ، فى جيد كل واحدة قربة من الماء ، فشرب منهما . وقال لغلمانه : هل معكم شيء من نفقتنا ؟ فقالوا : ليس معنا شيء . فدفع لكل منهما عشرة أسهم من سهامه ، وكانت نصالها من ذهب . فقالت احداهما للاخرى : ويحك ما هذه الشمائل الا لمعن بن زائدة ، فلتقل كل منا فى ذلك شيئا . فقالت احداهما :

يركب فى السهام نصال تبر ... ويرميها العدا كرما وجودا
فللمرضى علاج" من جراح ... واكفان لمن سكن اللحودا

وقالت الأخرى :

ومحارب من فرط جود بنانه ... عمت مكارمه الأقارب والعدا
صيغت نصال سهامه من عسجد ... كى لا يعوقه اقتال عن الندى

هو لك لا عليك

● كان سليمان بن عبد الملك مهيبا لايجرؤ امرؤ ان يكلمه ، وكان وزراؤه قد استأثروا بشئون الدولة بمما اغضب العامة ، فدخل عليه اعرابى فصيح اللسان ، جرىء الفؤاد ، فقال له : ياامير المؤمنين انى مكلمك بكلام فاحتمله ان كرهته. فان وراءه ما تحب ان قبلته. قال : هات يا اعرابى . فقال : ساطلق لسانى بما سكتت عنه الالسن ، اداء لحق الله وحق امانتك . انت قد احاطت بك وزراء اشتروا دنياك بدينهم ، ورضاك بسخط ربهم ، خافوك فى الله ، ولم يخافوا الله فيك ، فلا تصلح دنياك بفساد آخرتك ، فقال له سليمان : اما انت فقد نصحت، الا انك جردت لسانك فهو سيفك . فقال:اجل يا امير المؤمنين، هو لك لا عليك .

قصة ساخرة

حفلة راقصة..

للكاتب الكبير : اوسكار وايلد

■ كانت عمتي «جين» قد بلغت سن الشيخوخة تماما ، ومع ذلك فهي شديدة الكبرياء ، تقطن وحدها في بيت قديم فاخر منعزل في مقاطعة «تيبراري» وما كان أحد من جيرانها يزورها ابدا ، وان فعلوا فلم تكن تغتبط برؤيتهم ، ولا تسر بمقابلتهم ، ولقد كانت تخشى ان يروا ارض حديقتها وقد علتها الأعشاب الجافة المتراكمة في غير تناسق .. او تقع أبصارهم على الغرف المغلقة التى علا التراب اثاثها ورياشها ثم ان عمتى نفسها قد ذوى جمالها وانفض عنها أصحابها وصاحباتها .. وقل ما لها من نفوذ في ريفها هذا .. يا اله ! .. انها مجرد عجوز تعيش هنا في احضان تلك الوحدة التى تمتص منها مرارة الدهر .. وتدور بها عجلة الزمن .. وهى لا يهمها الا ان تجلس بمفردها ولا تحس بما يدور حولها في سائر العالم ! ولكن الشتاء قد اتى .. واذا بها تحس بموجة الاهتمام والحركة والانتعاش تجتاح جيرانها ! لقد نزل قوم طارئون في هذه المقاطعة وفي هذا البيت الجديد الذى شيد على الأكمة حيث يتأهبون لاقامة حفلة راقصة لم يسبق أن اقيم مثلها من قبل . فهذه هى عائلة ربان الواسعة الثراء .. وهذه هى العمة جين تتساءل :

« من تكون عائلة ربان هذه ؟ اننى لا اعرفها ولم اسمع عنها من قبل .. ثم من اين اتى هؤلاء » . وازدادت العمة غضبا وثورة ، بل واحست بانها قد ضعفت حين علمت بأن عائلة « ربان » لا تنتمى الى أصل عريق وكذلك لم تنشأ في بقعة معروفة لدى المجتمعات !! وتساءلت العمة جين أيضا :« ترى ماذا يظن هؤلاء الصعاليك المساكين ؟ ومن هذا الذى يهتم بتلبية الدعوة الى حفلتهم ؟ » وهنا قيل لها بلهجة التوكيد ، ان كل مدعو سوف يحضر .. وكل مدعو قد وافق على التشرف بالحضور وسوف تكون حفلة مدهشة رائعة !!ولما تحققت العمة جين من كل هذا فزعت وثارت .. يالله !! بئس ما انتهى اليه امر هذه البقعة ! ان اللوم يقع الآن عليها فالذنب ذنبها هى .. الم يكن أولى بها هى .. أن تكون في الطليعة؟ لقد اكتفت العمة جين بأن تظل في دارها منكمشة في جلستها بدلا من أن ترفع راية النضال بيدها .. ويومئذ اعتزمت عمتى امرا خطيرا ، انها سوف تقيم حفلة راقصة ساحرة .. وسوف تعيد سيرتها الاولى في المجتمع وسوف تظهر للناس أنها السيدة الكبيرة التى تعرف كيف تدعوهم الى دارها وتقيم لهم الحفلات الناجحة الممتعة والمآدب العظيمة ، واذا كانت المقاطعة قدنسيت نفسها وشأنها فسوف تقوم هى ، اى العمة جين بانقاذها من براثن هؤلاء الصعاليك الذين طرأوا عليها فجاة . وفي الحال هبت من سكينتها الطويلة لتعمل ، فزينت دارها العتيقة بذلك الطلاء الجميل وجددت الاثاث ونظمت كل شيء في موضعه من الرياش واهتمت بتشذيب الاعشاب وتنسيق الشجيرات .. وأمرت باعداد العشاء أحسن اعداد وكذلك باحضار فرقة موسيقية من (لندن) . وتعاقدت أيضا مع عدد كبير من الخدم ليقوموا بخدمة ضيوفها .. أجل ،



لتكن الحفلة أروع حفلة أقيمت حتى الآن لتكن النفقات كما تكون فهذا لا يهمها بقدر ما يهمها نجاح الحفلة وانعاش الزوار والضيوف حتى ولو انفقت كل ما تملك من مال .. واخيرا جاءت الليلة العظيمة واضيئت الارض في هذه البقعة على مسافة ميلين بمصابيح متعددة الألوان متناثرة هنا وهناك وازدهر البهو والدرج بالازاهير والرياحين ولوحظ ان ارض حجرة الرقص كانت ناعمة تلتمع كأنها مرآة صافية .. وهب افراد الفرقة الموسيقية لينحنوا في ادب جم حين نزلت العمة جين من غرفتها في خيلاء مرتدية ثوبا فاخرا مرصعا بالماس الذى كان يتلالا ويتالق في الضوء ، وبعد ذلك مضت ثم ما لبثت ان وقفت عند باب المرقص تنتظر .. وظلت تنتظر .. ومر الوقت وبدأ الخدم ينظرون الى بعضهم ويتساءلون ، وجعل افراد الفرقة الموسيقية يداعبون اوتارهم مرة ومرتين وثلاثا وذلك ليظهروا حماستهموشوقهم الى العزف ، ولكن واحدا من الضيوف ، مع ذلك لم يحضر بعد .. وعلى الرغم من هذا ظلت العمة العجوز المتهالكة في ثوبها الرائع الجميل واقفة تنتظر عند الباب .. يا اله ! ان الوقت يمر .. انها الحادية عشرة .. ثم الثانية عشرة ، ثم الواحدة والنصف صباحا .. رحمتك يا رب .. واخيرا التفتت العجوز المتهالكة الى افراد الفرقة الموسيقية وانحنت في ضعف وانكسار وقالت : (أرجوكم .. تفضلوا .. وتعشوا .. فلن يحضر احد الليلة) .

ثم جعلت ترتقى الدرج .. وصعدت الى غرفتها حيث فاضت روحها بعد ثلاثة أيام دون أن تنبس بكلمة أخرى .

ولم يعلم الناس الا بعد وفاتها بفترة طويلة ان العمة جين نسيت حين ذاك ان ترسل الى ضيوفها رقاع الدعوة .. !! ■■

ترجمة : فتحية عبد الهادى

أنتَ تسأل .. ونحنُ نجيب

الخوف .. حين ينتاب الرجل وهو ..

● طالعتنا الصحف اخيرا بتصريح غريب للرئيس الامريكي السابق ليندون جونسون يقول فيه انني احسست وانا اترك مقعد الرئاسة في البيت الابيض انني تخلصت من الخوف الذى ظل ينتابني طوال مدة الحكم .. هل حدث انه افصح عن سبب هذا الخوف . وهل من المعقول ان رجلا في مثل رئاسة هذه الامة ، ومثل هذه السلطة المطلقة ينتابه الخوف . اسأل هذا من اجل التاريخ والعبرة .

اسماعيل صبرى ـ عمان

ـ لا شك ان الرئيس الامريكي السابق جونسون قد عبر تعبيرا صادقا عما كان يعتمل في صدره من انفعالات وهو يخرج من باب البيت الابيض الى غير عودة .. فقد احس الرجل انه يقف وحده بعد ان اعلن غالبية افراد الشعب الامريكي رايهم بمعارضة الحرب الخاسرة التى تخوضها القوات الامريكية في فيتنام ..

واذا رجعنا قليلا الى الظروف والملابسات التي احاطت بانسحاب جونسون من انتخابات الرئاسة في امريكا لادركنا اسباب شعور الرئيس الامريكي بالخوف .. قبل موعد اجراء الانتخابات في عام ١٩٦٨ بستة اشهر تقريبا ، التقى جونسون بوزير خارجية بريطانيا جورج براون وقال له بالحرف الواحد : « انني انوى ان ارشح نفسي ، واعتقد انني سافوز بالرئاسة لفترة اخرى الا اذا ظهر منافس يؤمن بسياسة الصقور !! » وكان جونسون يعني بهذا مرشحا يدعو الى استخدام قوة امريكا الضاربة في تدمير فيتنام الشمالية والقضاء عليها قضاء تاما !! .

ولكن الذى حدث في خلال الشهور الستة قبل الانتخابات مباشرة قلب تقدير جونسون راسا على عقب ، فقد خرج غالبية الشباب الامريكي الذين دعوهم الى الخدمة العسكرية في فيتنام ، يعلنون رايهم بصراحة في هذه الحرب ، ويقولون انها عمل خاطىء ! .

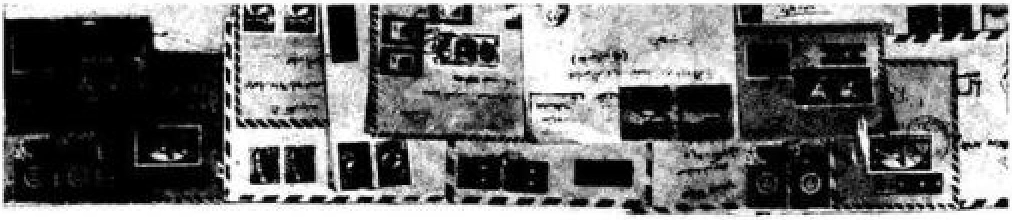
ولكن جونسون وجد انه لا يستطيع ان يوقف هذه الحرب ، التي تورط فيها الامريكيون وغرقوا في وبلاتها حتى اذانهم .. كما ادرك الرئيس الامريكي السابق حقيقة اخرى ، وهي انه لن يستطيع ابدا ان يوحد موقف بلاده من هذه الحرب ، ولن يستطيع ان يستمر في قيادتها ، كما اصبح واثقا من انه لن يكسب هذه الحرب ، ولن يتمكن من الخروج منها .. وان افضل واقصر طريق بقي امامه ، هو ان يخرج هو من الحكم ومن الحرب الخاسرة ..

الألعاب النارية ..

● في غمرة اعيادنا الوطنية رايت الالعاب النارية في سماء بغداد وهي تنقسم الى الوان واشكال رائعة فهل لكم ان تبينوا لى كيف نشات هذه الالعاب البديعة وكيف تصنع وتعطى الالوان والاشكال المختلفة ..

سلمان صادق البغدادى ـ بغداد

ـ تتكون الالعاب النارية من كيس مصنوع من الورق في اغلب الاحيان على شكل اسطواني او انبوبي ، ويملا هذا الكيس بمسحوق من خليط من المواد الكيماوية التى يمكنها الاحتراق دون مساعدة الاكسجين الموجود في الجو ، وذلك لان الكيس الورقي الذى يحتوى على الخليط الكيميائي يجب ان يملا عن اخره مما لايترك اى هواء داخل الانبوب الورقي . ولكن بالرغم من عدم وجود الاكسجين فان هذه المواد تحترق لأن من مكونات هذا الخليط توجد مادة نيترات البوتاسيوم



في كرسي الحكم؟



يمارس سلطاته دون أن يشعر بالخوف الذي شعر به جونسون في آخر أيام حكمه .

(م . ن)

أما فيما يتعلق بالجزء الثاني من السؤال فنقول ان هناك رجالا كانوا اقل قوة وخبرة من الرئيس الامريكي السابق ولكنهم مع هذا لم يشعروا بالخوف الذى كان يشعر به جونسون رغم مواجهتهم لازمات اشد خطورة واعظم .

فهل كان الجنرال ديجول او مستر كليمنت اتلى أو سير ونستون تشرشل او جون كنيدى الذى ورث جونسون الحكم عنه بعد اغتياله ، يشعرون مثلا بالخوف ؟ .

والجواب لا ، بطبيعة الحال ، والسبب أن شعوبهم كانت تقف الى جانبهم وتساندهم . فبدون هذه المساندة وهذا التأييد ، لا يمكن لحاكم أن

كيفَ تتلوّن في السّماء .. ؟!

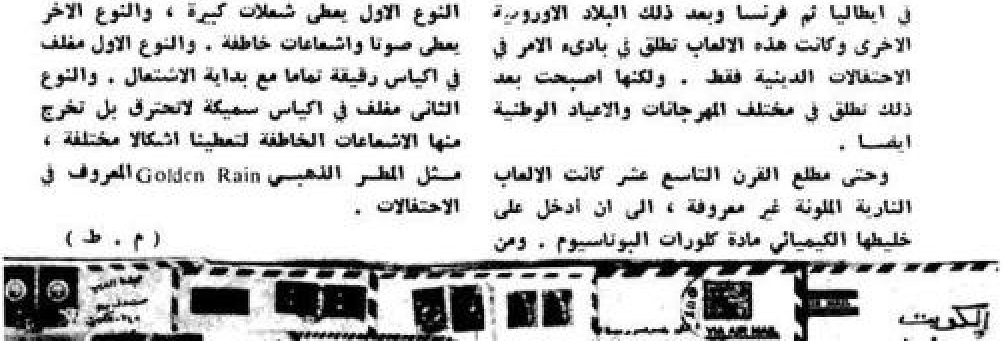
التى تحتوى على كميات من الاكسجين تخرج منها عند تفاعلها . وقد استعملت نيترات البوتاسيوم هذه منذ قرون عديدة في الشرق وخاصة في الصين في الالعاب النارية . واول خليط استعمل في هذه الالعاب كان من نيترات البوتاسيوم والكبريت والفحم وهذه هي نفس المواد المستعملة في البارود ايضا ولكن بنسب مختلفة .

وقد عرفت اوروبا الالعاب النارية في القرن الثالث عشر نقلا عن الصين وانتشرت هذه الالعاب في ايطاليا ثم فرنسا وبعد ذلك البلاد الاوروبية الاخرى وكانت هذه الالعاب تطلق في باديء الامر في الاحتفالات الدينية فقط . ولكنها اصبحت بعد ذلك تطلق في مختلف المهرجانات والاعياد الوطنية ايضا .

وحتى مطلع القرن التاسع عشر كانت الالعاب النارية الملونة غير معروفة ، الى ان ادخل على خليطها الكيميائي مادة كلورات البوتاسيوم . ومن المعروف ان أى خليط كيميائي يحتوى على كلورات البوتاسيوم يحترق بدرجة حرارة عالية تكفي لتحويل المعادن الى غاز وبذلك تتحول الشعلة الى الوان . فاملاح الباريوم تعطى لونا أخضر ، والسترونتيوم يعطى لونا احمر ، والصوديوم يعطى لونا اصفر ، ويعطى النحاس لونا ازرق وذلك في وجود غاز الكلورين الناتج عن احتراق كلورات البوتاسيوم .

وتنقسم الالعاب النارية الى نوعين رئيسيين : النوع الاول يعطى شعلات كبيرة ، والنوع الاخر يعطى صوتا واشعاعات خاطفة . والنوع الاول مغلف في اكياس رقيقة تماما مع بداية الاشتعال . والنوع الثانى مغلف في اكياس سميكة لاتحترق بل تخرج منها الاشعاعات الخاطفة لتعطينا اشكالا مختلفة ، مثل المطر الذهبي Golden Rain المعروف في الاحتفالات .

(م . ط)



الجبهة الوطنية القبرصية ما هي ؟

● قرأنا في الصحف اخيرا أن المسئولين عن محاولة اغتيال مكاريوس كبير اساقفة قبرص ورئيس جمهوريتها رجال ينتمون الى منظمة تسمي نفسها باسم « الجبهة الوطنية » ، ترى ما هي هذه الجبهة وما أهدافها ولماذا ارادت التخلص من هذا الزعيم الشعبي المناضل ؟ .

لطفي نصر ـ دمشق

ـ الجبهة الوطنية في قبرص ، هي منظمة سياسية محظور قيامها بحكم القانون القبرصي ، ولذلك فهي تمارس نشاطها سرا .. وهي تضم عناصر متطرفة من القبارصة اليونانيين الذين ما زالوا يطالبون بوحدة قبرص مع اليونان، ويسعون الى تحقيق هذه الوحدة عن طريق الالتجاء الى وسائل العنف والارهاب .

ولما كانت هذه الوحدة أمرا يتعارض تماما مع المبادىء التي قام عليها استقلال هذه الجزيرة التي تضم حوالي ٦٠٠ الف نسمة من بينهم ٥٤٠ الف من اليونانيين ، و ١٦٠ الف من الاتراك الذين يصنعون معا سكان هذه الجمهورية ، فقد رفضتها حكومة مكاريوس ، كما رفضتها الحكومة اليونانية نفسها، حرصا منهما على صيانة استقلال هذا البلد وصيانة حياده بين اليونان وتركيا بوصفهما الدولتين اللتين ينتمي اليهما شعب الجمهورية القبرصية .

ولم تكن محاولة اغتيال رئيس الجمهورية مكاريوس هي الاولى من نوعها التي تقوم بها هذه « الجبهة السرية » فقد حدث في شهر اغسطس من العام الماضي ان وقعت محاولة مماثلة لاغتيال وكيل وزارة الاعلام القبرصي .

وعلى اثر ذلك اذاع مكاريوس بيانا من راديو نيقوسيا العاصمة ، قال فيه ان استمرار مثل هذا النشاط الاجرامي سيؤدى في النهاية الى نشوب حرب أهلية لا بين اليونانيين والاتراك من اهل الجزيرة كما حدث في الماضي ، ولكن بين اليونانيين بعضهم وبعض .

ولم يكتف مكاريوس بهذا ، بل استطاع ان يحصل على استنكار واضح من الحكومة اليونانية

جرجي زيدان ومصنفاته

● يتكرر اسم جرجي زيدان في كثير من المصنفات العربية وخاصة كتب الأدب العربي والتاريخ الاسلامي ، فمن هو جرجي زيدان ؟ ومامدى مساهمته في النهضة الفكرية العربية الحديثة؟

حسين منصور جمال
الكويت



ـ ولد جرجي زيدان في مدينة بيروت سنة ١٨٦١ ، ومنذ حداثته كان شديد الرغبة في المطالعة والتحصيل . وانكب على تعلم اللغة الانجليزية في مدرسة ليلية ليل نهار غير هائب من تأثير التعب على صحته . وفي سنة ١٨٨١ انخرط في القسم الطبي في المدرسة الطبية ، وتقدم للامتحان فكان من المبرزين رغم انشغاله بأعمال خاصة تساعده في توفير قوته اليومي ... وحدث ان اختل نظام هذه المدرسة فهجرها ، وقدم امتحانا بالعلوم الصيدلية فنال شهادة باللغة اللاتينية والطبيعيات

جمهورية قبرص في سطور

* مساحتها ٣٥٧٢ ميلا مربعا .

* تقع على بعد ٦٠ ميلا الى الغرب من سوريا في البحر المتوسط و ٤٠ ميلا الى الجنوب من تركيا .

* جمهورية مستقلة تدخل ضمن مجموعة دول الكومنولث البريطاني .

* ظلت الجزيرة مسرحا لمعارك دامية بين افراد الجاليتين لسنوات طويلة قبل ان تحصل على استقلالها بمقتضى اتفاقية زيوريخ في عام ١٩٥٩ ، بعد نبذ فكرة الانضمام الى اليونان .

* تنص الاتفاقية على حماية حقوق الاقلية التركية ، وبناء عليه فقد وضع الدستور الجديد وهو يقضي بأن يكون رئيس الجمهورية من القبارصة اليونانيين ، ونائبه من القبارصة الاتراك .



نفسها لنشاط هذه الجبهة الارهابية اثناء زيارته لاثينا في شهر يناير الماضي .

اما هذه الجبهة ، فقد قامت في بداية العام الماضي ، وهدفها الحقيقي هو احداث انقسام بين ابناء الطائفتين القبرصيتين اي اليونانيين والاتراك ، كما حدث في عام ١٩٦٧ عندما اصطدمت العناصر المتطرفة للطائفتين ، وتطور النزاع المسلح بينهما الى حد تهديد تركيا بالتدخل العسكرى ، كما هددت اليونان أيضا بالتدخل لحماية جاليتها الكبيرة ، ولم ينقذ الموقف سوى تدخل مجلس الأمن الذى ناشد جميع الاطراف المعنية ضبط الاعصاب في سبيل مصلحة شعب قبرص .

(م . ن)

والحيوان والكيمياء ، ثم تخصص بعد ذلك لدراسة الطب في مصر ، غير انه لامور كثيرة غير عزمه ، فاشتغل بالادب وتولى تحرير جريدة « الزمان » لمدة سنة . ثم رافق الحملة النيلية الى السودان سنة ١٨٨٤ فصار مترجما بقسم المخابرات ، وفي هذه الأثناء وضع كتابه « الفلسفة اللغوية » وقدم نسخا منها للمجامع العلمية الشرقية في أوروبا . فعين في المجمع الاسيوى الملوكي في ايطاليا عضوا عاملا .

وفي عام ١٨٨٦ زار المملكة المتحدة وحرص على التردد على المتحف البريطاني ودور الكتب هناك ثم عاد الى مصر وتولى ادارة المقتطف وعمل في تحريرها ثم تفرغ للتاليف والتدريس في المدرسة العبيدية الكبرى .

وفي أواخر عام ١٨٩٢ أصدر مجلة « الهلال » المعروفة وهي مجلة علمية تاريخية أدبية لا تزال تصدر حتى وقتنا الحاضر . وفي سنة ١٨٩٧ انتخب عضوا في الجمعية الاسيوية الملكية ببريطانيا ، ثم انتدبه المجمع الاسيوى الفرنسي عضوا فيه .

وله عدة مصنفات في مجالات شتى من المعرفة ، اما مؤلفاته التاريخية فاهمها كتاب تاريخ التمدن الاسلامي ويقع في خمسة اجزاء وكتاب تراجم مشاهير الشرق في جزئين وتاريخ مصر الحديث .

اما مؤلفاته اللغوية فمنها تاريخ آداب اللغة العربية ويقع في أربعة أجزاء وتاريخ اللغة العربية والفلسفة اللغوية وانساب العرب ، اما سلسلة رواياته التاريخية الاسلامية فمن أهمها « فتاة غسان » و « عذراء قريش » و « غادة كربلاء » « وابي مسلم الخرساني » .

ص . ي

الصين، وعضوية الأمم المتحدة

● قرأنا في الصحف أخيرا أن المراقبين السياسيين يتوقعون تغييرا جوهريا في موقف الكثير من الدول التى طالما عارضت في الماضي قبول الصين الشعبية عضوا في الأمم المتحدة ، ما مدى صحة هذه الأنباء ، وهل تتوقعون انضمام الصين للأمم المتحدة هذا العام الحاضر ؟

عصام هاشم ـ دمشق

ـ يكاد يكون هناك اجماع على أن عام ١٩٧٠ سوف يشهد نهاية لمهزلة رفض عضوية الصين للأمم المتحدة . ولقد كانت هناك بعض الاسباب والحجج التى طالما تذرعت بها الكثرة من الدول التى ظلت ترفض انضمام الصين للمنظمة الدولية منذ قيام جمهورية الصين الشعبية برئاسة ماوتسي تونج في ٢١ سبتمبر عام ١٩٤٩ ، في مقدمتها ان الحكومة الشرعية لهذه البلاد ، تلك التى كانت قائمة قبل نشوب ثورة الصين برئاسة شيانج كاى شيك ، ترفض الاعتراف بحكومة الثورة الجديدة التى استولت على مقاليد الحكم بقوة السلاح ..

وبقى هذا الوضع الغريب قائما سنوات طويلة .. حكومة الأغلبية فى الصين التى تضم خمس سكان العالم ، غير معترف بها ، وحكومة الاقلية المنفية القائمة في جزيرة فرموزا او جزيرة تايوان، وهى جزيرة صغيرة تقع تجاه شواطىء الصين ، وتعتبر اقليما من أقاليمها السبعة والعشرين ، تجلس في الأمم المتحدة بوصفها الممثلة الشرعية لشعب الصين الوطنية ، تحت حماية الولايات المتحدة الامريكية ومساندتها ، ويعتبرها الغرب احدى الدول الخمس الكبرى التى تتمتع بحق الفيتو او الاعتراض في مجلس الامن .

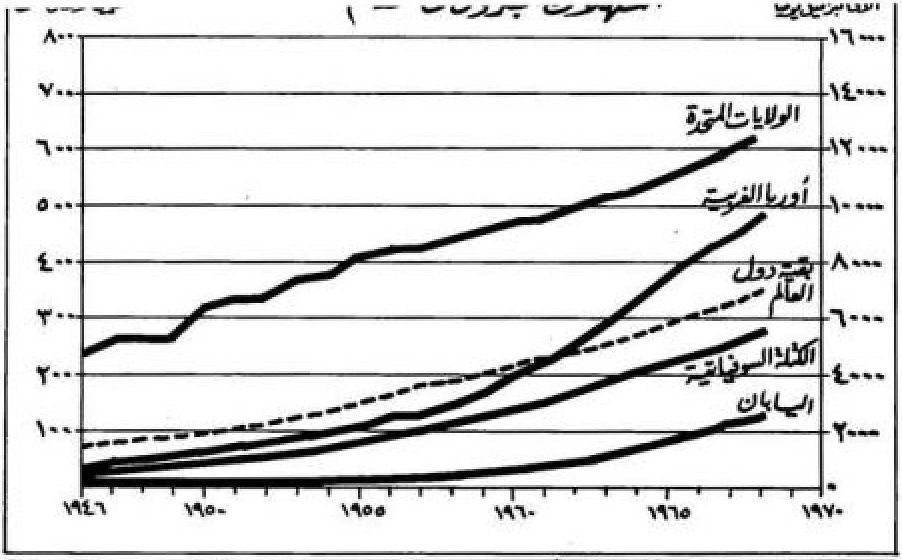
ولكن ما لبث هذا الوضع ان تغير تدريجيا ، بفضل اعتراف عدد كبير من دول العالم ، وفي مقدمتها دولتان من الدول الغربية الكبرى هما بريطانيا وفرنسا ،، بالصين الشعبية .. وبفضل الجهود التى بذلتها حكومة الصين لتأكيد سيادتها واثبات وجودها في المجتمع الدولي .. فقد أنتجت الصين القنبلة الذرية في عام ١٩٦٤ ثم القنبلة الهيدروجينية ، وهكذا اصبحت الدولة الذرية الخامسة بعد امريكا وروسيا وبريطانيا وفرنسا واستطاعت في خلال سنوات قصيرة ان تتحول من دولة زراعية الى دولة من اكبر الدول الصناعية في العالم ، وغزت منتجاتها الأسواق حيث عرضت بأسعار زهيدة ، وبدأت تنافس أرقى الدول الصناعية تقدما .. حتى أن جون فوستر دالاس وزير خارجية امريكا الراحل ، وقف يوما في أحد مؤتمراته الصحفية واخرج قلما صينيا فاخرا من جيبه يباع ببضعة سنتات ، وقال للصحفيين : « هذا هو الخطر الحقيقى الذى يتهدد اقتصاد الغرب ! »

كل هذه العوامل مجتمعة دفعت المزيد من الدول الى الاتجاه نحو ضرورة الاعتراف بالصين، واحياء اقتراح كليمنت اتلى زعيم حزب العمال البريطانى الراحل ورئيس وزراء بريطانيا الأسبق الذى دعا فيه الى وضع جزيرة فرموزا تحت وصاية الأمم المتحدة لمدة خمسة عشر عاما ، على أن يجرى استفتاء فيها لمعرفة رأى شعبها الذى يبلغ تعداده حوالى ١٢ مليون نسمة في الانضمام الى الصين الأم التى يبلغ تعدادها الآن اكثر من ٧٠٠ مليون نسمة .

ان كل ما تحتاج اليه الصين لدخول الأمم المتحدة هو ثلثا عدد اصوات الدول الاعضاء ف المنظمة الدولية وأغلب الظن انها حاصلة عليها في الدورة القادمة للجمعية العامة في شهر سبتمبر المقبل اذا ما رفعت الولايات المتحدة عن بعض الدول الأعضاء نفوذها .

(م. ن)





استهلاك البترول في تزايد

● ما هو مقدار ما يستهلكه العالم من البترول .. ؟ وهل هذا المقدار في ازدياد ؟

فريد حسين خليل ـ طرطوس

ـ قد لا يبدو سؤالك بالخطورة التى هو عليها . فاستهلاك البترول في أى بلد قد أصبح بمثابة المقياس للمستوى الذى حققه ذلك البلد في مجال التقدم الصناعى .

بلغ استهلاك العالم للبترول ١٩١٠ مليون طن في سنة ١٩٦٨ وهو لم يزد على ١٧٦٤ مليون طن في السنة التى سبقتها ، أى ١٩٦٧ .

وهذا يعنى أن الاستهلاك المذكور قد سجل زيادة قدرها ٨ر٥٪ في فترة السنة المذكورة .

أما تفصيل هذا الاستهلاك ، ان شئت التفصيل ، فتجده في الرسم البيانى المرافق لهذا الكلام .

وهذا الرسم يقسم دول العالم ، كما ترى ، الى مجموعات أو كتل خمس من حيث استهلاك البترول . وتحتل الولايات المتحدة الأمريكية ، وهى احدى هذه المجموعات ، مكان الصدارة بينها ، كما قد يتوقع المرء . وتأتى في المرتبة الثانية مجموعة دول غرب أوربا . أما الكتلة السوفياتية فتأتى في المرتبة الرابعة .

والغريب أن اليابان قد وجدت لها مكانا في هذا الرسم ، وان كان المكان الخامس . ووجه الغرابة في ذلك هو أن اليابان بلد صغير نسبيا ، وبتضاءل بمساحته وبعدد سكانه اذا ما قورن باى من المجموعات الأربع الأخرى . ولعل المرتبة الخامسة التى تمثلها اليابان في هذا الرسم تصبح الأولى أو الثانية اذا أخذنا عدد السكان بعين الاعتبار .

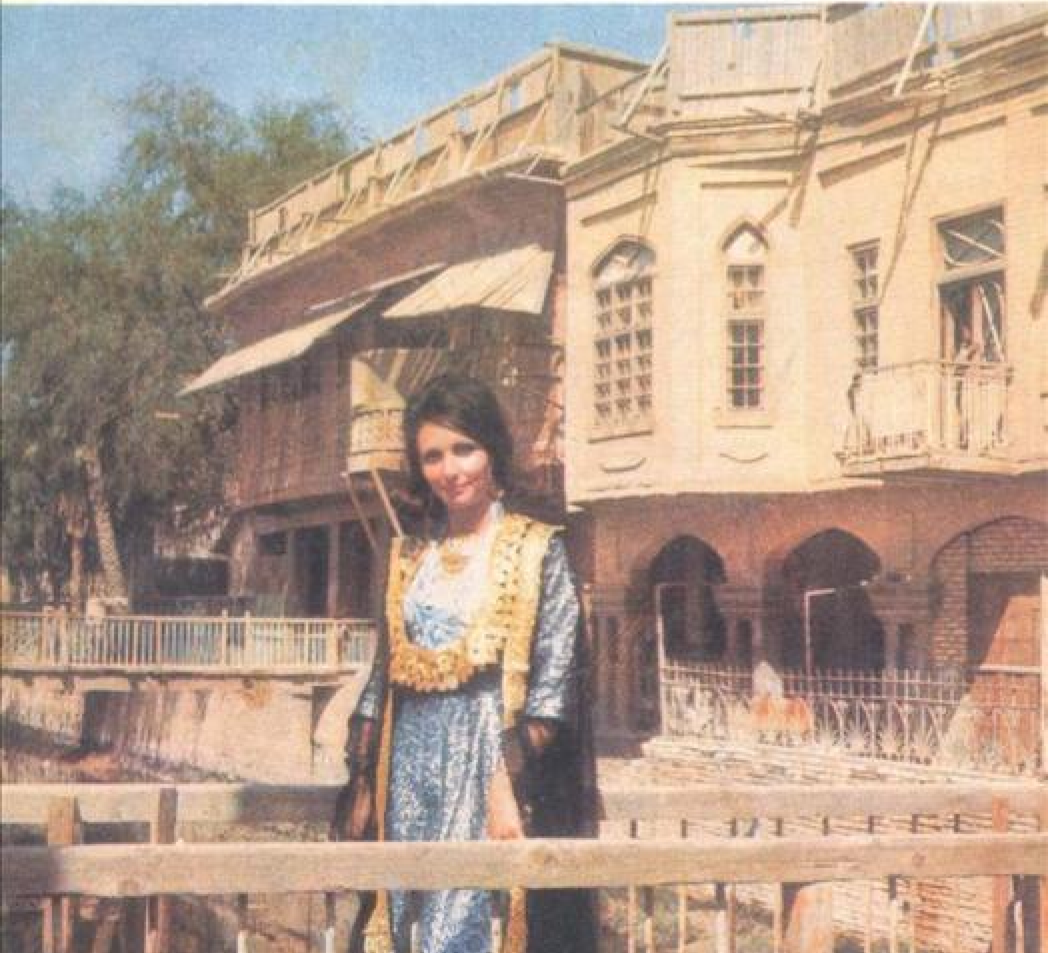
ولا يخفى أن تفوق هذه الدولة الشرقية اقتصاديا وتقدمها صناعيا هو الذى يجعلها أضخم كثيرا مما هى جغرافيا ، وذلك فيما يختص باستهلاك البترول على أقل تقدير .

أما المجموعة التى سميت في الرسم « بقية دول العالم » فتعنى سائر الدول التى لا تدخل ضمن أى من المجموعات الأربع الأخرى . انها الدول المتخلفة التى لا يقل مجموع سكانها عن ٨٠٪ من مجموع سكان العالم. والأخر من ذلك هو أن هذه الدول التى تستأثر بنصيب ضخم من مخزون البترول في العالم ، لم يجاوز مقدار ما استهلكت منه في عام ١٩٦٨ على ٣٥٠ مليون طن ، أى بما لا يزيد على ٢٠٪ من مجموع الاستهلاك العالمى .

ى . ذ

العربي

ربيع الثاني ١٣٩٠
يوليو
(تموز) ١٩٧٠

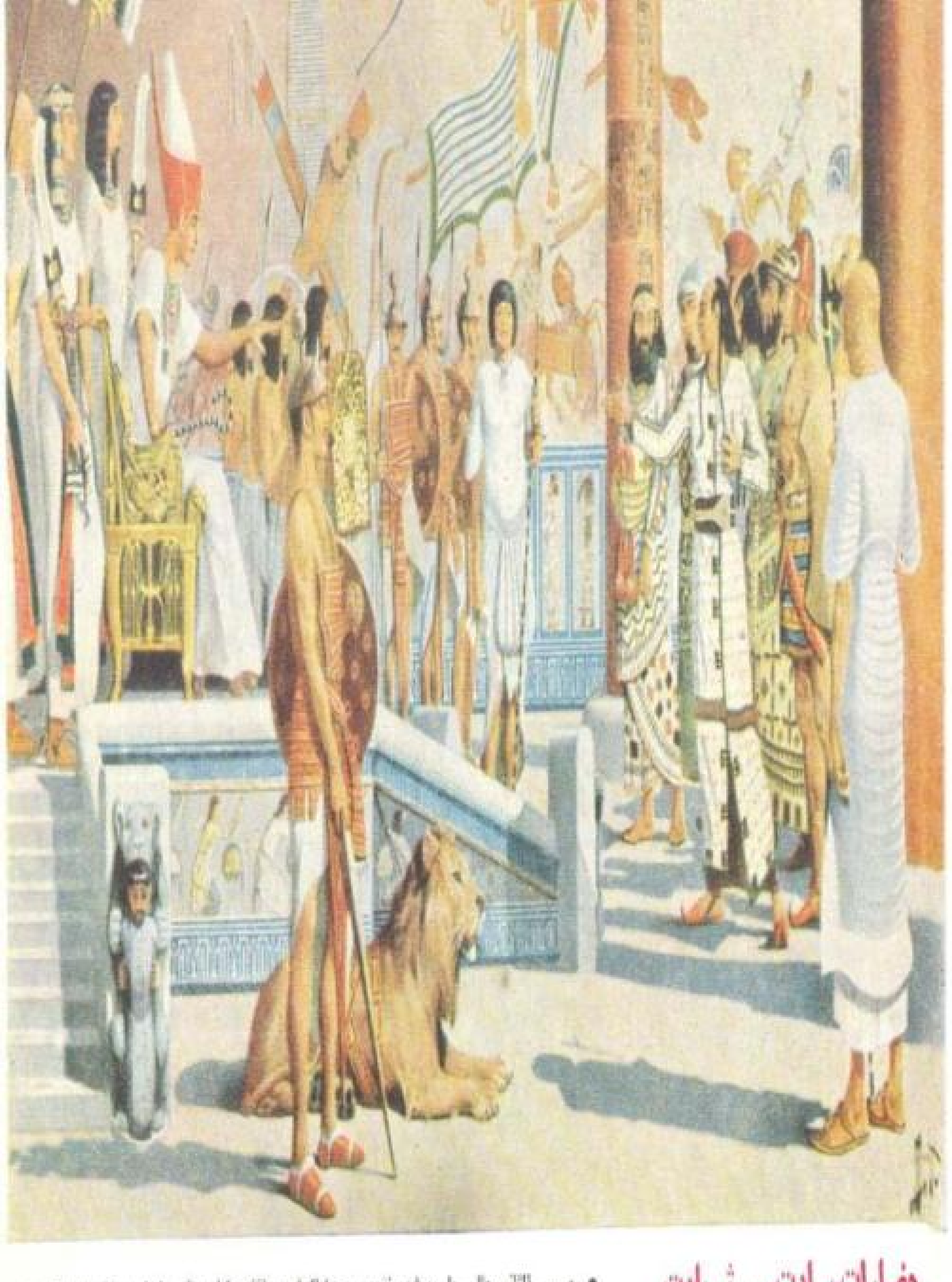


ثوب وجسر من الماضي ووجه من حاضر البصرة

جوائز ١٢٠٠ [دي]نار سنويا

الثمن

الكويت	١١٠ فلوس	العراق	١٢٠ فلسا	السودان	١٠ قروش
الخليج العربي	٢ ريالان	لبنان	١٠٠ قرش	ليبيا	١٥ قرشا
السعودية	٢ ريال	الأردن	١٠٠ فلس	تونس	٢٠٠ مليم
البحرين	٢٠٠ فلس	سورية	١٠٠ قرش	الجزائر	٢٠٠ مليم



حضارات سادت .. ثم بادت

● رمسيس الثاني جالس على عرشه ونفر من وجهاء الحثيين واقفون امامه وقد جاءوا (سنة ١٢٧٢ ق.م) من حيث حكموا ، فيما بين آسيا الصغرى وسوريا ، ليعقدوا صلحا مع رمسيس هذا ، ثاني ملوك الاسرة التاسعة عشرة . ويقف الى يمين فرعون ابنه الاكبر ، ويقف وزيره الى يساره ، وحجابه خلفه . اما الحرس الملكي فمنهم السردينيون ، وهم الذين يلبسون خوذا ذات قرون ، ومنهم المصريون وقد بدوا حاسري الرؤوس . وقد يحسب القارىء الاسد الرابض تمثالا ، وهو في الواقع اسد حيّ روضوه لتسلية الملك [انظر ص ١٢٢]

عزيزي القارئ

● استمعْ الى هذا :

« ان الولايات المتحدة اكثر امم الارض حظا ..

« فهي سعيدة باقليمها الثري .

« سعيدة بسلم دام قرنا من الزمان ، استطاعت فيه ان تعمّر هذا الاقليم خير تعمير .

« سعيدة بسكان متبايني الاصول ، متعددي المواهب، مختلفي الكفايات .

« سعيدة بنظم للعيش أرساها فيها الآباء الأولون ، قام بتعديلها وفقا لزمانهم آباء لاحقون ..

« ولكني ارى الولايات المتحدة اليوم ، وقد حققت من امرها ما حققت ، ونالت من امانيّها ما نالت ، وكسبت القوة والجبروت ، قد بلغت من تاريخها تلك المرحلة التي عندها تفقد الأمم العظيمة صفاء بصرها ، ومع صفاء البصر هدًى الطريق .

« اني لأرى الولايات اليوم وقد اصابها من مرض الغطرسة ، غطرسة القوة ، تلك الأعراض التي سبق ان اصابت من قبلها امما عزيزة منيعة قوية ، فما لبثت ان اصابها الضعف ، فاذا هي ، بعد حين يقصر او يطول ، خبر يُروى . »

وليم فلبريت

رئيس لجنة الشئون الخارجية
بمجلس الشيوخ بالولايات
المتحدة الامريكية

المحرر

العربي

رئيس التحرير: الدكتور أحمد زكي

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الارشاد والانباء بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من اراء

ALARABY — No. 140 July 1970 P.O.B. 748 — Kuwait

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٢٧١٤١ ـ تلغرافيا « العربي »

الاعـــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراســـــلات : تكون باسم رئيس التحرير



صورة الغلاف

● فتاة بصراوية بالثوب المعروف بالهاشمي لمحت عدسة مصور «العربي» ، فوقفت تتأملها فوق هذا الجسر الممتد فوق نهر العشار في البصرة القديمة ، تلك المدينة التي كانت يوما موطن العلماء والأدباء واهل الفكر ، فقد عاش فيها الجاحظ وغير الجاحظ . وهي اليوم تنعم بماء شط العرب الخالد ، وبما تفتجر في أرضها من وفود الزيت الثمين .

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربي ٢ ريال قطرى . البحرين ٢٠٠ فلس بحريني . العراق ١٢٠ فلسا . سوريا ١٠٠ قرش . لبنان ١٠٠ قرش الاردن ١٠٠ فلس . السعودية ٢ ريال . السودان ١٠ قروش . ج.ع.م ١٠ قروش . تونس والجزائر ٢٠٠ مليم . المغرب ٢ درهم . اليمن ٣ر٥ شلن . ليبيا ١٥ قرشا .

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت ـ ص.ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربي .

بريد القـرّاء

حول المنجد فى الاعلام

● جاءنا من دار المشرق وهى الدار الناشرة« للمنجد في الاعلام » خطاب تعليقا على ما نشره الاستاذ عبد الستار فراج ، عن « المنجد » .

ونحن هنا ننشر اهم ما ورد في خطابهم :

« .. اما الاستاذ عبد الستار فراج ، فلا نلومه على الانتقادات العلمية الايجابية التى نحـن مستعدون للنظر فيها والاخذ بها في الطبعة القادمة(أو بالاحرى بما صح منها ، لان « المصادر العربية الاصيلة » لا توافق الاستاذ عبد الستار فراج على جميع آرائه ولا يتفق دائما بعضها مع بعض أو مع المصادر الغربية المعتمد عليها حتى في العالم العربي) بل نلومه على تلك اللهجة اللاذعة السلبية التى لا تخدم العلم بشيء ، والتى لن نلجا اليها ابدا احتراما لمقامنا العلمي . واننا على يقين بان الاستاذ عبد الستار فراج لو عرفنا عن كثب للمس حسن نيتنا .

فنحن لا ندعى العصمة والكمال لمعجمنا بالرغم من الجهود التى بذلناها في اعداده ، فاننا اشد الناس شعورا بان « المنجد في الاعلام » لا يزال ولن يزال قابلا للتحسين ، وليست هذه الطبعة الثانية الا خطوة ثانية في ميدان واسع عريض حساس لم يسبقنا اليه احد في العالم العربى . وقد قلنا مرارا ونقول اليوم للقارىء اننا نرحب شاكرين بكل انتقاد بناء يأتينا عن انسان يقدر جهودنا ولا يسيء الظن في اخلاصنا للثقافة العربية التى كنا من الاولين الذين عملوا على نهضتها منذ اواخر القرن التاسع عشر » .

و « العربى » يقول لدار المشرق انه يقـدر الجهود المبذولة في هذا المعجم . وكذلك لم يجل في خاطر أحد الشك في اخلاص العاملين فيه للثقافة العربية ، وهذا لا يحتاج الى تأكيد . وكل الذى نريده هو تصحيح الاخطاء الواردة التى أشـار اليها الاستاذ عبد الستار فراج اذا صح عنـدهم خطؤها ، ونحن على استعداد لنشر أي تصحيح يأتينـا بنقـد نقـد الاستاذ عبـد الستـار ، ونكـرر فنقـول ان العـربى الدارس للغـة لا يزال يحمد ويقدر « المنجد في اللغة والآداب والعلوم » ، فهذا في اعتقادنا ، بعدما طرأ عليـه كثير من الاصلاح ، من خير المعاجم الحديثة في العالم العربى .

● ●

« الولاء » .. والمعركة

● قرات مقالكم الاخير في عدد فبراير (حديث الشهر : الولاء ..) وعجبت لهذا التحول في مجرى افتتاحياتكم . فقد اعتدنا ان نجد فيها موضوعا سياسيا . ومهما يكن من امر فقد وجدنا في مقالكم المذكور الذى لم يكن بعيدا عن السياسة في نظرى، وجدنا فيه الكلمة الحرة التى مست حاجة العرب جميعا اليها . فكلامكم لا يضيع فى الهواء بل ينطلق ليستقر في صدور الشباب وقد ياتي اليوم الذى يتحول فيه الى طاقات في مستقبل قريب .

فالمعركة التى نخوضها تتطلب التعبئة التامـة والحشد الكامل ، فهل نحن كلنا في ارض المعركة وهل يعمل كل منا قدر طاقته وهل يشعر كل منا بالرضى عما يعمل ..!

والا فاى نصر نرجوه ونحن راقدون تحت الفراش او نسمع الاغانى الحماسية والاناشيد الوطنية فنظن اننا وطنيون ..

طالبة بكلية الطب ـ جامعة القاهرة

● ●

باب عن « الاقتصاد »

● كثيرا ما تردنا مقترحات القراء باحداث ابواب جديدة في العربي او توطيد ابواب قديمة . ومن الرسائل التى دعت الى مثل هذا التوطيد رسالة الأخ اديب حافظ سيداروس (اسيوط) ورسالة الأخ يوسف حميد البكرى (الكويت) وهما تدعوان الى تعزيز باب المواضيع الاقتصادية. أما رسالة الأخ عبد السلام على المزوغى (كلية الحقوق ـ ليبيا) فتؤكد ضرورة اتساع مجلة « العربى » للابحاث القانونية على نحو منتظم متواصل .

ولعل قراء العربى يطالبونه بالشيء الكثير .. فالعربى محدود النطاق ، وهو لا يتجاوز ٢٠٠ من الصفحات ولو انجزنا بعض ما يطلب منه لزدنا الصفحات مئات .. ولضاق وقت القراء عن استيعابه .

ومع هذا فالدعوة الى توطيد باب الاقتصاد دعوة وجيهة لا ريب وسنستجيب لها ان شاء الله.

رسام العربى

● هل لكم أن تنشروا لوحة للفنان أحمد الوردجى ، على أن تكون من أجمل لوحاته في نظره ، وهل لهذا الفنان معرض يقيمه في الكويت أو في دولة أخرى عربية أو أجنبية ؟ نرجو ألا تبخلوا علينا ببعض المعلومات عن هذا الفنان عن حياته ونشأته ومدرسته في الفن وعن لوحاته ومعارضه .

بديع على الراشدى
الكرخ ـ العراق

★ ★ ★

سطح القمر ليس به هواء

● اطلعت على العدد الممتاز رقم ١٢٤ وقرأته صفحة صفحة حتى نهايته وخاصة المقال المثير « أول انسان دقت قدماه سطح القمر » وقد كان مثيرا حقا .. ومدهشا بصوره الرائعة التى تدعم الحقائق التى اوضحتها كلمات المقال .. وشعرت بمزيد من الارتياح لسعة اطلاع المجلة على مواضيع كهذه .. الا ان شيئا واحدا استرعى انتباهي ودفعني الى الكتابة اليكم مستفسرا ، وهو أن العلم الأمريكى الذى ثبتوه على سطح القمر يبدو وكأن فيه من الانحناءات التى تسببها عادة نسمات الهواء .

العربى : السبب ليس الهواء ، وهو غير موجود على سطح القمر ، وانما جاذبية القمر ، وهى ، كما لا يخفى ، موجودة .

الاستثمارات الامريكية ثانية

● قرأت في مجلة (فورتشن) Fortune ، الامريكية احصائية تتنافى والأرقام التى أوردتموها تحت عنوان التغلغل الأمريكى الاقتصادى ، في باب « انت تسأل ونحن نجيب » في العدد ١٣٧ . واليكم ما ذكرته المجلة الامريكية

الاستثمارات في نصف العالم الغربى	٢١ر٦٥٨ر٠٠٠ر٠٠٠
الاستثمارات في اوروبا الغربية	٨ر٨٨٣ر٠٠٠ر٠٠٠
الاستثمارات في افريقيا والشرق الاوسط	٢ر٤٥٢ر٠٠٠ر٠٠٠

سعد عباس بلال ـ بغداد

العربى : ان ما تشير اليه من اختلاف بين الارقام التى سقناها والأرقام التى أوردتها مجلة فورتشن قد لا يكون اختلافا حقيقيا ، علما بأنه ينحصر بالرقم الاول الذى ذكرته في رسالتك ، اذ يشمل رقم مجلة فورتشن كندا فضلا عن أمريكا اللاتينية والأموال الأمريكية المستثمرة فيها كبيرة ، كما لا يخفى . أما الرقم الذى أوردناه فلا يشمل كندا بل انه مقصور على أقطار أمريكا اللاتينية ، وعلى رؤوس الأموال الامريكية الموظفة فيها .

● إذا اشتبه عليك وجه من الحياة وانبهم ، فانظر إلى ما يتصل به فيك من غرائز . فالغرائز أودعها الله في الكيان لتهدى ، عندما توشك العقول أن تضل السبيل.



الطعام والجنس :

الغرائز تتحـدث ،

والمنطق يتحـدث ،

وقد تهدى الغرائز

عندما ينبهم المنطق

وتتعطل الأفهـام .

بقلم رئيس التحرير

■ زرته فى المساء ، من بعد عشاء .

كان فى بذلة بيته البيضاء ، يجلس مطمئنا على مقعد واسع مريح ، وقد مد رجليه بقدر ما ارتاحت له الرجلان ، واخذ فى حديقة بيته ينظر الى السماء ، وهى سوداء ، تلمع فيها النجوم . وما كان يريد أن يتصيد منها نجما ، انما أراد أن يملأ بها عينه ، والنسيم رخاء .

لم أرد ان أهوش عليه هذه القعدة



أَصْلانِ مِنْ أُصولِ الحَيَاةِ لا يَعْبَثُ بِهِمَا عَابِث .

المطمئنة ، فجلست الى جواره من حيث لا يحسبني. وتنبه،وابتسم وابتسمت. قلت أراك هانئا ؟ قال : تعشيت . قلت: رضيته عشاء ؟ قال : رضيته عشاء من بعد اشتهاء . كان لذيذا ، واخذت منه كفايتي . قلت : وكيف تجدك بعد طعام ؟ قال : أجد العافية والرضا. قلت :تحس بتعب من عمل النهار ؟ قال : تعب هو تعب العافية ،يأتيني بعده النوم كما يأتى الطعام من بعد شهية .

وخرجت من عنده وقد علق فى خاطرى كل هذا الذى قلته وقاله ، ثم استرخاؤه فى مواجهة السماء .

هذا رجل لا شك هانىء .

وانظر فى سبب هناءته هذه فأجد أنه عمل النهار الذى اتعب وأجاع . ثم الطعام الشهى الذى أشبع ، ثم اجهزة الجسم التى استقبلت هـذا الطعام ، وجرت تعمل فيه وصاحبه غافل عنه ،

ثم الرغبة فى النوم التى تأتى من بعد شبع وارتواء .

هناءة صاحبى هذا فى سويعات المساء الأولى تتصل أساسا بالطعام والنوم ، وبما يتصل بهما من غرائز هى بعض خصائص هذا الجسم ، بدءاً ونهاية .

انها الغرائز تجرى مجراها

انها غرائز الجسم تجرى مجراها الطبيعى لا يعوقها فى هذا السبيل عائق .

وصاحبى هذا يصحو صباحا ، وتطرد هناءته اذا ما ظلت غرائزه تسير فى مجراها . ومن هذه الغرائز ان تعمل الأمعاء ، فاذا هى امسكت تبدلت الهناءة ضيقا ، وان تكرر فعلها هذا أصبح الضيق سخطا وتعاسة .

فالهناءة اذن هى استيفاء الغرائز عملها الذى وجدت له .

وتتعدد الغرائز ، ولكل غريزة خطرها فى الحياة .

ومن الغرائز ما يتألف من غرائز اخرى ، او ما يتألف من سلسلة من الغرائز الصغرى تتألف منها الغريزة الكبرى .

فالطعام يبدأ بالمضغ واللعاب والبلع ، وتلك غرائز تجرى على وعى من الانسان . ثم يدخل الطعام الى المرىء فالمعدة فالمعا فى تحولات غرائزية لا سلطان للانسان عليها ، ولكن لا بد من جريانها على الأسلوب السوى والا كان منها الشقاء لصاحبها الانسان .

الغريزتان الكبريان

والغريزتان الكبريان : الطعام والجنس .

لا هناءة لانسان الا بالطعام .

ولا هناءة للانسان البالغ ، ذكرا كان أو أنثى ، الا بالجنس .

انها شرعة الحياة ، وهى شرعة الله .

غريزة الطعام

اما غريزة الطعام فغريزة كل حى .

كل حيوان لا بد يأكل . الفيل يأكل . والفار يأكل . والحشرات تأكل . وهى تأكل ولا احسبها تدرى لم تأكل . انه الدافع الخفى فيها يدفعها الى طلب الطعام حتى تكتفى . وهى تطلبه نهارا ان جاز ان يطلب نهارا . أو ليلا . وهى فى سبيله تركب المخاطر . ومشغلة هذه الحيوانات الأولى هى السعى الى الطعام . والطبيعة مهدت لا شك لهذا الطعام .

الانسان وحده هو الذى يطلب الطعام ويعلم لم يطلبه . انه وحده يعلم أنه وقود الحياة ، فهو يأكل ليعيش . ومع هذا ، كأن الطبيعة لم تطمئن الى هذا



زرته فى المساء من بعد عشاء ...

العلم ليقوم الانسان بطلب طعامه لتمتد به الحياة. وما الطبيعة الا من صنع الله. فالطبع ولّد فى الانسان حاسة الجوع لتنبّهه الى أن الحاجة الى الطعام قد حضرت . فهى الحافز ، درى الانسان الحكمة من الطعام وانه سبيل البقاء ، أو لم يدر . وحاسة أخرى ولّدها الطبع فيه ، هى شهوة الطعام ولذته . الجوع يدعوه الى الطعام ، والشهوة تجعله يظل فيه اذا هو بدأه حتى يشبع . والشبع حسّ غريزى معناه كفَى .

والجـــوع وشهوة الطعـام حسّان موجودان فى الحيوان وجودهما فى الانسان .

فالحس بالجوع اغراء .

وشهوة الطعام اغراء .

وسيلتان الى غاية .

وهناءة العيش تكون باستيفائهما . بحسبانهما غريزتين وضعتا فى الانســـان لغاية ، فلا بد أن تقوما بعملهما .

الجــوع وسيلة

ويخالف سنة الحياة هذه ان يدق جرس الجوع فى الانسان، والطعام حاضر، فلا يستجيب له .

ولهذا لا افهم من معنى التقشـــف والتزهد ، والطعام حاضر والخير كثير ، الا انه مخالفة للطبع الذى رسمه الله للانسان . ولا تنس أنى اقول « والطعام حاضر والخير كثير » .

ان الله أودع اللحم، لا سيما المطبوخ، طعمه ونكهته ، ليأكل الناس . انه لم يودعه هناك عبثا . وان الله انبت القمح والذرة وما اليهما ليأكل الناس. والفاكهة اخرجها ثمرة حلوة ليأكل الناس . واقول ليأكل الناس، ولا اقول لينعم بها الناس، لأن الاكل هو الغاية ، أو السبيل الذى يؤدى الى الغاية التى هى الحياة . اما التنعم بها فليس شرطا واجبا فى احداث الحياة .

واكاد اقول ان الذين يتقربون الى الله بالجوع المصنوع ، والخير كثير عميم ، يسلكون غير الطريق الذى رسمه الله للحياة .

واعجب للمتزهدين الذين يضيفون ألم الجوع المصنوع ، الى قائمة الحساب عند الله . فكلما زاد الألم زاد الأجر . فهذا نوع من الحساب احتاج لفهمه الى كثير من التأهيل . يعطينا الله من القدرة ما نستطيع ان نملأ به الدنيا ؛ بالعمل ، خيرا كثيرا . ولا نفعل. وهذا لكى نجوع، ثم لنحسب الم الجوع ثوابا عند الله .

وكالجوع الشهية

ان الشهية وسيلة .

ولكن اكثر الناس يجعلها غاية .

انى آكل هذا اللحم المحمّر ، او ذاك المشوىّ ، وانعم بما تحلّب من دسمه . ومن الناس من يفخر ، فى سُخف ، بأنه يأكل الخروف الواحد فى الوجبة الواحدة .

ومن الأزواج من تأتيهم الزوجات بلون من الطعام ، هو الحاضر الذى امكن فى ذلك اليوم بعينه . فينظرون اليه شزرا، لأنه لم يَجر ريقهم جريانا كافيا . هؤلاء غير جياع . وهم طلبوا الطعام على غير جوع وبذلك خالفوا الطبيعة . ولو انهم حضروا الى المائدة جياعا حقا ، لأكلوا الخبز بغير ادام واستطعموه .

وهم خالفوا الطبيعة بأن جعلوا لذة الطعام غاية ، وما هى الا وسيلة . واللذة تصحب الجوع ، حرّموا انفسهم منها ، بجلوسهم الى المائدة وهم شباع .

ولقد رأيت الكلب الجائع يأكل حتى يشبع ، ولا يزيد . ويغريه صاحبه بالمزيد فيأبى . وهو مع ذلك بلغ به الوعى أن يحرص على أن تبقى له فضلته ، وهى من عظم ، فيأخذها بفمه ، ويحفر لها فى الحديقة مكانا يخفيها فيه حتى يجوع . ومن عجب انه لا ينسى مكانها .

والأبقار تأكل حتى تكتفى ، وتذهب عن بقية طعامها غير حافلة بالوجبة التى



تلي . لا زهدا فيها ، ولا اعتمادا على الله ، فما أحسبها تعي من هذه الأمور شيئا . ولكن لأنها قد لا تفهم من زمانها غير حاضرها . ولعلها لا تدرك معنى الموت .

وهذا من نعمة الله عليها .

والوان الطعام

والوان الطعام عدّدها الانسان تعديدا، وعقّدها تعقيدا .

وكل هذا ليعطى الطعام مذاقا جديدا.

وكل لون جديد يحتاج الى تفكير ، ويحتاج الى تدبير ، ويحتاج الى فن وصناعة . ونحن بذلك نجعل من امر الطبخ فنا يبذل فيه رجال فكرهم ، ويبذلون جهدهم ويبذلون وقتهم ، ويبذلون المال بَدَدًا . والغاية ؟ ان يكون على مائدة الفرد ، او مائدة الجماعة العامة أعنى موائد المطاعم ، طائفة من الألوان جديدة ، تغرى الناس بالاقبال .

فكر ضائع ، ومجهود ضائع ، ومال ضائع ، كل هدفه اجاعة من لا جوع به باثارة عوامل اللذة فى فمه وأنفه . ولو ان الرجال جاءوا الموائد جياعا ، كما يفعل الفلاحون بعد كد الحقول ، لما احتاجوا الى اكثر مما يحتاجه الفلاح ، لونين او حتى خمسة الوان تجهزهما ربة البيت على بساطة ، وتداورهما على الأيام فى الاسبوع .

ومع ضياع الفكر والجهد والمال ، واعمار الطباخين من الرجال والطابخات من النساء ، سوء المغبّة على الآكلين الطاعمين . فالجرس الخفى الذى يدق عند الجوع يصبح لا يدق، والمعدة والمعَا اللذان لا يزالان يعملان فى طعام مضى لم يفرغا بعد منه ، يصيبهما الارهاق والاعياء . وشر من هذا انهما يفقدان الحس بالزمن وانتظام العمل ،وتتعطل فيهما غرائز لا يكسب المرء من تعطلها غير المرض ، والمرض يذهب بهناءة العيش ، تلك التى كثيرا ما نتحدث فيها ونبحث عن اسبابها ، وقل ان نهتدى .

ان من سوء المدنية انها تنتهك الغرائز انتهاكا . تحيي الشهية اصطناعا حين يجب ان تترك نائمة،حتى يو قظها الجوع.

والمدنية جميلة ، الا حين تعمل فى غير هَدْى من الغرائز التى انما جعلت لهدْى



والتخمة جعلت المترفين، غير الجائعين، يصنعون من الطبخ فناً، تبذل فيه أعمار الرجال والنساء على السواء : هباء

الانسان فى سبل هذه الحياة ، وهى سبل كثيرا ما تنبهم على سالكها ، ويتهم بأن يضل فيها ، فاذا بالغرائز ، وهى من صنع الله ، تقوم تأخذ بيده هادية .

وغريزة الجنس

وكغريزة الفم غريزة الجنس .

غريزة الفم تعمل لحفظ حياة الانسان الفرد . ان الانسان الفرد لا بد ان يظل يأكل لكي يظل يحيا . وهو كالقاطرة البخارية تقف فيها الحركة اذا منع عنها الفحم والماء .

وغريزة الجنس لحفظ النسل . وهى تعمل فى الانسان وفى الحيوان . وتمتد طرائقها حتى الى النبات ، ففيه الذكر والأنثى .

وغريزة الجنس تتمثل فى الثعلب ، والكلب ، والقط ، والطير ، والسمك ، والحشر ، وسائر الحيوانات . وتتشابه فى الرغبة تأتى الحيوان من حيث لايدرى، ومن بعد رغبة قضاء وشهوة .

والحيوانات يأتيها جوع الجنس ، كما يأتيها جوع الطعام ، فتبحث وتلتقى . وهى من بعد التقاء ترضى وتهنأ .

والهناءة كما قدمنا انما هى غرائز تشبَع .

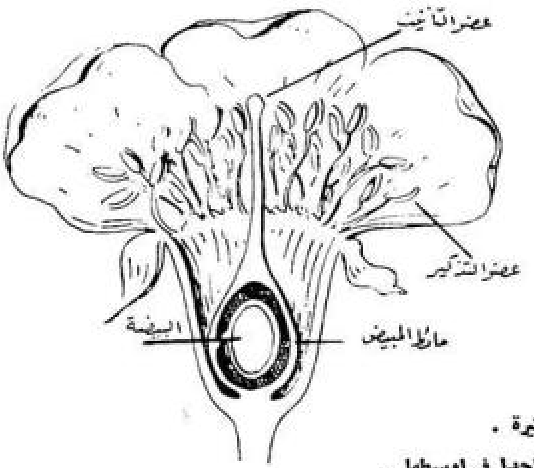
والكلب وسائر الحيوانات تشبع الجنس ولا تدرى لم تفعل . ان معنى اطراد النسل لا يخطر لها على بال .

ويخطر على بال الانسان .

ولكن الانسان هو فى الجنس كما كان فى الطعام . مسألة حفظ الجسم بالأكل، او حفظ النسل بالجنس ، مسألة يقرأها على الورق وقد يكتبها ، وقد يخطب الخطب الرائعة فيها ، ولكنه عند الأكل ، او عند الجنس،لا تخطر له هذه الحقيقة على بال .

من منا ، ذكورا أو اناثا،يأتى الجنس، وهو يدعو الله أن يكون الخلف صالحا . بل ان معنى الله يغيب ، ويكون معنى الشيطان اكثر حضورا . هكذا صنع الناس ، اكثرهم ، بالجنس، فاستخفوا به فرضا من فروض الحياة واجبا .

ان الجنس عمل قدسي،تتولى الغرائز فيه عمل الخَلْق . فان تكن له هالة ، فقد وجب أن تكون هالته كهالة الشمس نيرة ساطعة ظاهرة . ولكن من الناس من



زهرة برقوق

ترى فيها اعضاء التذكير كثيرة .

ويرى عضــو التانيث واحدا في اوسطها .

وعضو التذكير يتالف من خيط رفيع يحمل راس العضو وهو يحتوى اللقاح . وعضو التانيث، وتتلقى فتحته العليا اللقاح ، وهو يهبط في ساق العضو الى البيضة في المبيض فتتلقح .

احاطه بهالةسوداء بلهاءَ قذرة. ويذكر الجنس فتتكاثر حوله النكاتُ الرخيصة السمجة .

ومن الناس من يترفــــع عن سرقة الطعام ، ولكنهم لا يترفعون عن سرقة الجنس . يسرقونه لا للنسل فى الحلال، ولكن للشهوةفى الحرام،والحرام المتصل، ويسدون الباب فى سبيل الخلق والانسال سدًا .

لكل ذكر ، ولكل انثى ، فى قدسية الخلق نصيب

ومن حكمة الطبيعة ، والطبيعة مــن خلق الله ، انها انتجت فى الناس الذكور والاناث بمقدار سواء ، تشير بذلك الى انه لكل ذكر ، ولكل انثى ، فى قدسية الخلق نصيب سواء ، وفرصة متاحــة واحدة .

ولكن المجتمعات الانسانية تقوم على العبث بهذا النصيب السواء ، واضاعة هذه الفرصة المتاحة الواحدة ،

ان من حق كل مخلوق ذكر فى اى ارض ان يشترك فى خلق باذن الله ، ومن حق كل أنثى . فبهذا تتحدث الغرائز فى أعماق النفوس والأجسام، وليس أصدق من حديث غريزة . فالمجتمع الذى لا يمهد ، تحت شرعة الله ، للوفاء بهذه الحقوق ، مجتمعٌ ضل سبيل الحيــاة الهانئة .

خططوا لكل شىء الا للجنس

والمدنية الحاضرة تهدف الى تنظيــم كل شىء ، والتخطيط لكل شىء . فهى تخطط للطعام ، وهى تخطط للاسكان ، وهى تخطط للصــناعة ، وهى تخطط للزراعة، ولشئون فى الحياة كثيرة اخرى. الا أمر الجنس فقد تركته فوضى . وقد

تخطط له ، ولكن بالسلب . «لا تفعل». و« لا تفعل » . و « لا تفعلى » . انها لا تخطط بالايجاب ، فتصف كيف يسير الفتى والفتاة ليجد كلٌ ضالتهوصاحبته المثلى التى تصاحبه فى طريق الحياة ، طال أو قصر ، صعب أو سهل . وتعمّت الطرق على الفتيان فجاءوا البيوت من غير ابوابها . وغضبنا عليهم ، وغضب الله ولكن على المجتمع خاصة ، ذلك الذى ترك أبناءه حيارى ، فضلوا . وترك بناته،ومنهن من استجبن للضلال .

ان المجتمعات الانسانية ظلت تنقض وتبرم فى امر الجنس ما تشاء . ولكن اكثر ما فعلت كان نقضا بغير ابرام .

وجاء المجتمع المدنى الحديث ،فسلك بالشباب ، فى سبيل التحضير للحياة ، مسلكا طويلا . ويبلغ الفتى العشرين من عمره وهو لم يتم دراسته بعد . وتبلغ الفتاة . وقد يبلغ الفتى الخامسة والعشرين من عمره وهو لم يتم تدريبا وتجهيزا لكسب الحياة. وهو يبلغ الحسْ بحاجة الجسم الى الجنس، فالى الخلق، فى الخامسة عشرة او نحوها .

بين الاحساس بحاجة الجسم ، الى المشاركة فى الخلق ، وبين تجهيز الفتى للحياة ، عشر سنين واكثر. وفى كل هذه الأثناء يقال له تعففْ وتصبر . وأنت تقول للألف من الناس تعففوا وتصبروا وقد تفلح . ولكنك تقولها لألوف الالوف من الشباب فتخفق فى الحصول على ما ترضى . لا سيما فى زمان رفعوا العقل فيه حتى أجلسوه ، ومعه صولجانه ، على عرش السيادة والقيادة. ولا تسألنى حسنا فعلوا بالعقل او غير الحسن . فالذى أعلمه أن للعقل حظوظا على مدار السنين والقرون ، كحظوظ الانسان ، تأتيه بالرفع أحيانا ، وأحيانا بالخفض .

وكان من بعد ترك أمر الجنس على عواهنه ، تصنع به رياح الزمان الهوجاء ما تشاء ، ان ظهرت الاباحية فى بعض الأمم التى تدعى التقدم . وتقرأ فيها ما يقول ادباؤها وعلماؤها ، فى هذا الأمر فتذمُ وتعجب . صارت الاباحية بين الشباب فى السويد ، وفى أمم الشمال عامة من أوروبا ، أدبا مقبولا .

عجزوا عن حل العقدة ، ففعلوا ما فعل الاسكندر : استعصت العقدة بين يديه عن حل ، فقام ، فرفع سيفه ، وهوى به على العقدة فحلها. آنه ما حل، ولكن قطع . وما أريد منه قطعٌ .

عجز أهل الشمال من الارض ، وعجز غير أهل الشمال، عن حل عقدة الجنس، فقطعوها قطعا . القطع ايسر . ولكن القطع تقطع شيئا كان متصلا ، وهو شر ما تحَل به عقَد الأشياء .

لا داعى للزواج أن ينتظر تأهل الزوج لكسب

لو أن هؤلاء الناس نظروا ، ومن بعد نظر خططوا ، لوجدوا اكثر من حل حاضر .

ولقد نظرت فى أمر الجنس فوجدت أن حاله كانت أهدأ فى بنى الناس فى الأجيال الغابرة . ووجدته كان أهدأ والزراعة صناعة الناس . والزارع مَدْرسته الحقل ومُدَرِّسه أبوه . فكان الولد لا يصل الى البلوغ حتى يتزوج ويقضى حق الجنس،ومع حاجة الجنس واجب الخَلق .

ولكن دخلت الصناعة ، ودخلت التكنية فى حياة أهل هذا القرن ، والقرن الذى مضى خاصة، فطالت فترة التأهل للزواج .

وهى ما طالت . وانما أطالها ربط الزواج بمقدرة الزوج على الكسب .

ان اباحة اليوم ، حيث هى، من شمال الارض ، لا تربط هذه الاباحة بالكسب .

فماذا لو غيرنا من مفاهيمنا التقليدية، وحللنا العقدة بالسيف ، بقطع ما بين

الزواج وقدرة الزوج على الكسب من رباط . واذن يرتبط الفتى وترتبط الفتاة على الحلال فى عام من العمر باكر .

وستسال من يعول؟ واقول : ما داموا فى مدرسة او جامعة فالعائل ، لكل منهما ، هو العائل القائم ، وهما كلاهما فى مدرسة او جامعة . ما دام الأب رضى بالنفقة على ابنه حتى يبلغ العشرين أو الخامسة والعشرين ، فما ضره أن ينفق سواء كان ولده اعزب أو له علاقة بالزواج لا يضمها سقف دار خاص بها . وما يقال عن الفتى يقال عن الفتاة . ان فى الزواج المبكر منجاة .

وستسال ومن يعول الأولاد ؟ والجواب حاضر . حبس النسل اليوم فى مكنة الزوجين الى حين . حتى المسيحيون الذين لا يجيزون العقاقير حابسا ، عندهم طريقة التوقيت والتزمين .

وستسال فيما يقول بعض علماء النفس من ان الأنفس على الصفر لاتدرى ما يلائمها من الأزواج ، فيؤدى الزواج الباكر الى الاخفاق . فأقول ان علمى وخبرتى تدل على أن الأنفس اذا لم تدر ما يلائمها من الأزواج ، فهى هكذا تفعل على صفر وعلى كبر ، على السواء . على



استعصت العقدة على الاسكندر حلا ، فقطعها بسيفه .



... والمزارع مدرسته الحقل ، ومدرسه ابوه ، فكان لا يصل الولد الى البلوغ حتى يتزوج

ان السن الكبيرة افعل فى خدع صاحبها.

وآخرون يقولون ان الجسم لا يكون فى الزواج الباكر قد نما النمو الكافى لانتاج البنين والبنات اذا هم شاؤوه، وتسهلت سبله. ولهؤلاء تقول ، انا لا تقول بالزواج عند الخامسة عشرة او السادسة عشرة حتما ، ولكن وراء ذلك بقدر ما يستطيع الفتى ان يصمد على العزوبة . وهؤلاء اذكر بأن العالم منذ وجد لم يعرف الا الزواج الباكر ، وانتجة القرون الماضية من اجسام ، من لحم وعظام ، ومن عقول وفت لا شك بحاجات الزمان . وكان فى الناس العمالقة ، وكان القوم الشداد . وكان الذكاء ، وكانت الفطنة النادرة .

والخلاصـــة

الخلاصة انه فى غريزة الجنس ، كما فى غريزة الطعام والفم ، لا هناءة الا بالوفاء بهما .

ان هناءة العيش انما تكون بالاستجابة الى الفرائز . فواضعها انما وضعها فينا لفائدة العيش ، وهو وضعها فينا للهدى وانارة السبيل .

وعلى الانسان العاقل أن يفهم الفاية منها ، وان يبذل لها بمقدار ما يصل بها الى غايتها. فاذا زاد ، فعليه وِزْر ذلك.

انى اذا اعطيتك سكينا ، فلكي تقطع بها رغيفا هو بين يديك . اما ان تقف الى المرآة ، وترفع بالسكين الى عنقك ، وتذبح بها نفسك ، فهذا ما كان للسكين بغاية . ●●

احمـد زكى

نتيجة مسابقة العدد ١٣٨

لو عني القارئ بالمراجع ..

■ المعلومات العامة كانت طابع مسابقة العدد ١٣٨ من « العربي » والملاحظ ان عدد المشتركين بهذه المسابقة قد انخفض بنسبة المشتركين فيها ، وقد يرجع هذا الى صعوبة الاسئلة بعض الشيء ، كما أن القراء لم يحالفهم التوفيق الى الاجابة الصحيحة ، ولو ان القارىء العربي لجأ الى المراجع العلمية واستعان بدوائر المعارف ، لكان فى ذلك الخير الكثير . ونحن كثيرا ما نهدف بالأسئلة الى حفز القارىء الى الحصول على المراجع ، وهى ستكون له مراجع للمعرفة طول عمره .

واليك أيها القارىء نموذجا للاجابة الصحيحة ثم قائمة بأسماء الفائزين بالمسابقة .

١ ـ الروبل هو عملة الاتحاد السوفييتى اما عملة الباكستان فالروبية الباكستانية .

٢ ـ لم تكن سويسرا عضوا في هيئة الامم المتحدة في يوم ما « بسبب حيادها » .

٣ ـ لا .. فالمسيحيون في الغرب اصطلحوا على الاحتفال بمولد السيد المسيح في هذا التاريخ بينما الكنيسة الشرقية ، تحتفل بمولد السيد المسيح بعد هذا التاريخ باسبوعين ، لانها تتبع التقويم القبطي .

٤ ـ الاسبرانتو لغة احدثت لتحقيق المزيد من التفاهم الدولي بين الشعوب وقد وضع هذه اللغة المدعو زامنهوف وهو بولوني .

٥ ـ الولاية التى اشترتها الولايات المتحدة من روسيا القيصرية مقابل ٧ ملايين دولار هى الاسكا .

٦ ـ غانا وغينيا تقعان في افريقيا ، اما غيانا فتقع في امريكا الجنوبية .

٧ ـ كوالا لامبور عاصمة ماليزيا .

٨ ـ اسماء هذه المدن حسبما يمر بها نهر الراين من منبعه الى مصبه هى ستراسبورغ ـ كولونيا ثم دوسلدورف .

٩ ـ الهند هى الجمهورية من بين تلك الدول .

١٠ ـ يطلق اسم اطلس على كتاب الخرائط الجغرافية نسبة الى الاله اطلس احد آلهة اليونان .

١١ ـ الحدث هو الهجوم على سجن الباستيل وتحطيمه في ١٤ يوليو سنة ١٧٨٩ .

الفائزون بالجوائز

* **الجائزة الاولى** وقيمتها ثلاثون دينارا فاز بها **عبد الرزاق كامل** ـ الموصل ـ العراق .
* **الجائزة الثانية** وقيمتها عشرون دينارا فازت بها: **ابتسام طالب محمد** ـ الشعب ـ الكويت .
* **الجائزة الثالثة** وقيمتها عشرة دنانير فاز بها : **عبد الرحيم شطناوى** ـ عمان ـ الاردن .

٨ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا كل منها خمسة دنانير فاز بها كل من :

١ ـ **محمد نبيل القوتلى** ـ دمشق ـ سوريا .
٢ ـ **وليد أسعد كعوش** ـ صيدا ـ لبنان
٣ ـ **ضياء الدين حسين حسنى** ـ القاهرة ـ ج٠ع٠م٠
٤ ـ **ليلى العواد الحمود** ـ بدر ـ السعودية .
٥ ـ **عثمان محمد الخير** ـ الشريك ـ السودان .
٦ ـ **محمد راف الله الشاعرى** ـ بنغازى ـ ليبيا
٧ ـ **غالية موسى ابو ظهر** ـ المنامة ـ البحرين .
٨ ـ **صديق التيجانى** ـ جنيف ـ سويسرا .

■■

المَعانِي المجرَّدة قد تَبقى واحِدة على القرُون ،
وَلكنْ تتغيَّر مضامينُها كالكؤوس وأشربتها .
الكؤوسُ باقِية ولكن أشرِبتها متغيِّرة .

مِنْ فِكْرٍ قَديمٍ إلى فِكْرٍ جَديد

بقلم : الدكتور زكى نجيب محمود

■ مواضع الزلل الفكرى عند الانسان لاتكاد تقع تحت الحصر ، يهمنا منها الآن موضع واحد ، هو ان يتفق الناس على معان مجردة ، فيحسبوا أن قد اتفقوا بذلك على التفصيلات الجزئية التى تقع تحت ذلك التجريد ، فالناس جميعا متفقون ـ مثلا ـ على ضرورة « الطعام » ، حتى اذا ما اخذوا يعدون لانفسهم صنوفه اختلفوا ميلا ونفورا الى أبعد درجات الاختلاف ، حتى ليتقزز منهم نفر مما يجعله نفر آخر موضع الاحتفال والتكريم ....

وقل شيئا كهذا في كل شيء : تقول للناس « فن » فلا تجد منهم احدا ينفر من الفن ، وكيف ينفر والفن في ثيابه واواني طعامه وعلى جدران داره ؟ لكن ادخل معهم في تفصيلات ما يعد فنا وما لا يعد ، تجد منهم عجبا ، فالفن التجريدى ـ مثلا ـ أو السريالي او غيرهما من ضروب الفن الحديث ، لا يلقى عند كثرة من الناس الا هزّ الأكتاف الهازئة والا الضحكات المتعجبة الساخرة.

وخذ ما شئت من معانى الدين والسياسة والاجتماع ، تجد من الناس اتفاقا لا استثناء فيه ولا تردد ، لكن ابدأ في ذكر التفصيلات والشروح التى تحملها تلك المعاني ، فعندئذ تجدهم قد تفرقوا فرقا يباعد بينها ما يباعد بين القطبين ، فاذا كان المجال مجال الدين كفّر بعضهم بعضا ، او كان مجال السياسة قاتل بعضهم بعضا ، او كان مجال اوضاع اجتماعية اتهم بعضهم بعضا بالرجعية من فريق وبانحلال من فريق آخر .

وذلك لأن الفكرة المجردة من شأنها أن تمحو الفواصل والفوارق التي تميز المفردات العينية الجزئية المندرجة تحت الفكرة ، فالقط والكلب والسبع والنمر والحمار والحصان والجمل .. كلها « حيوان » ، والبرتقال والتفاح والتمر والرمان والموز والبطيخ .. كلها « فاكهة » ، فقد تجد رجلين يتفقان ـ مثلا ـ على قيمة معينة يتصف بها الحيوان كله ، او تتصف بها الفاكهة

كلها ، حتى اذا ما نزلا الى تفصيلات الحياة العملية وجدت احد الرجلين يقتني في داره كلبا ووجدت الآخر ينفر من نجاسة الكلب ، او وجدت احد الرجلين يأكل البطيخ على اشتهاء ، ووجدت الآخر يجتنبه لما يصيبه به من نفاخ ، والحديث في هذا الباب اوضح من أن نمضي فيه .

وانه ليندر جدا أن يكون الانتقال الفكرى من عصر الى عصر ، انتقالا في المعاني العامة المجردة ، كما تدل عليها الفاظ عامة يتداولها الناس فيما بينهم من أحاديث ومعاملات ، وانما يكون الانتقال الفكرى في تغير المضمونات التي يقصد اليها المتحدثون والمتعاملون بتلك الالفاظ العامة والمعاني المجردة ، وبعبارة اوضح ، نقول انه لو كانت الالفاظ العامة والمعاني المجردة كؤوسا ومضموناتها هي الشراب داخل تلك الكؤوس ، او لو كانت أطباقا ومضموناتها هي الطعام في تلك الاطباق ، فان الكؤوس او الاطباق ليست هي التى تتغير من عصر فكرى الى العصر الذى يليه ، وانما الذى يتغير هو الشراب في الكؤوس او الطعام في الاطباق ، والا فقل لي متى كان العصر الذى يتنكر « للفضيلة » بمعناها العام ، او « للعدالة » او « للحرية » او « لكرامة الانسان » او غير ذلك من المعاني الداخلة في هذا المضمار ؟ فهذه الفاظ تبقى ولا تزول ، تجيء حضارة وتذهب حضارة ، وتجي ثقافة وتذهب ثقافة ، وتجيء عقيدة وتذهب عقيدة ، لكن تبقى الفاظ « الفضيلة » و «العدالة» و « الحرية » و « الكرامة » الخ مرفوعة الاعلام ، فما الذى يتغير اذن بحيث نقول : ذهبت ثقافة وجاءت ثقافة ؟ الذى يتغير هو المضمون الذى نعنيه ، فقد تعنى العدالة في عصر فكرى معين أن يقتص المظلوم من ظالمه متى استطاع ذلك بشخصه، ثم يتغير العصر فتصبح العدالة ان يقف بين الطرفين قاض محايد ، وهكذا في سائر المعاني .

ولهذا لن تجد في حياتنا الفكرية المعاصرة معنى مجردا واحدا ، نشير اليه بلفظة عامة ، الا أن تجد ذلك المعنى المجرد نفسه وتلك اللفظة العامة نفسها ـ او ما يرادفها ـ واردين في تراثنا الفكرى القديم ، فهل يكون معنى ذلك أن فكر المعاصرين هو نفسه فكر الاقدمين ؟ ـ سوف يكون الجواب ان « نعم » عند من يكتفون من الشراب بالكؤوس الفارغة ، ومن الطعام باطباقه الخاوية ، وهذا على افضل الفروض ، لان الكاس الفارغة والطبق الخاوى افضل منهما وقد امتلأ بما لم تعد النفس تشتهيه ، سيكون الجواب ان « نعم » عند من لا يفطنون الى تيار الزمن كيف يجرف من العصور المتوالية لبابها الفكرى ، وان ابقى لها القشور والاوعية التى كانت تحمل لها ذلك اللباب ، وهو اذ يجرف ما يجرفه ، فانما يفعل ليجيء ابناء العصر الجديد فيضعوا في الآنية القديمة لبابا جديدا .

اقول ذلك وانا على علم بمدى التحفز الذى يتحفز به كثيرون ، دفاعا عن تراثنا الفكرى ، ظنا منهم أن هذا الدفاع لاتتم لهم قواعده واركانه الا اذا نبشوا في صحائف الاقدمين فاخرجوا لفظا من هنا ولفظا من هناك ، وجملة من هذا الكتاب واخرى من ذلك ، ليثبتوا ان قيم هذا العصر الجديد ـ واعنى القيم المحمودة الشريفة ـ قد وردت كلها في تراثنا ، وليس بنا حاجة الى لغو المحدثين . فان قال المحدثون « حرية » و « مساواة » و « علم » و « عدل » ، اجبناهم في انفعال : صح نومكم يا هؤلاء ، لقد سبقناكم بكذا قرنا من الزمان الى « الحرية » و « المساواة » و « العلم » و « العدل » وغيرها من القيم الرفيعة ، ويفوتنا دائما أن نتروى حتى نستوثق من أن كؤوس هذه الالفاظ مازالت تحمل شرابها القديم ، ولم تستبدل به شرابا جديدا ، به وحده تسرى في اجسادنا روح العصر وبغيره نتخلف لنعيش مع الاقدمين لفظا ومعنى ، وشكلا ومضمونا .

★ ★ ★

ولاضرب مثلين في شيء من التفصيل ، لاوضح ما اريد :

ان من علامات هذا العصر المميزة ، انه عصر « العلم » المقترن « بالعمل » حتى لتجد فلاسفة عصرنا منصرفين بكثير من عنايتهم وجهدهم نحو تحليل العلاقة بين العلم والعمل تحليلا ينتهى ببعضهم الى القول بان العلم والعمل موصول احدهما بالآخر ، فاذا وجدت « علما » مزعوما لايجيء بمثابة الخطة الدقيقة لعمل يؤدى ، فقل انه ليس من « العلم » في شيء الا باسم زائف ، وان هذا الفريق من الفلاسفة المعاصرين لينكرون اشد انكار ان يكون هناك ما يجوز تسميته « بالعلم النظرى » الذى لاصلة له بدنيا التطبيق ، بل انهم ليتطلبون من العلماء اذا حددوا مصطلحاتهم

العلمية ، أن يحددوها بما يسمونه « تعريفا اجرائيا » ، اى ان يحددوها بالجوانب العلمية التى تنطوى عليها تلك المصطلحات ، فاذا وردت في لغتهم الفاظ رئيسية لا تشير الى « اجراءات » فعلية معينة رفضوا مشروعيتها من الناحية العلمية ، واننا لنقول عن عصرنا انه عصر « التكنيات » (التكنولوجيا) ، وما الاجهزة التكنية هذه الا « الافكار » العلمية وقد برزت الى دنيا العمل .

فاذا قال قائل عن عصرنا انه عصر « العلم » و « العمل » كان لقوله معنى محدد بمضمونات العصر ومفهوماته ، « فالعلم » ـ من ناحية ـ هو العلم الطبيعي ، و « العمل » ـ من ناحية اخرى ـ هو تطبيق العلم بالاجهزة التكنية على اختلاف مجالات العلوم وتطبيقاتها ، ان كلمة « علم » بهذا المعنى المحدد لم تدخل اللغة الانجليزية نفسها الا في الثلث الاول من القرن الماضي (واعنى كلمة Science) ، مما يدل على ان ما قد سبق ذلك من علم لم تكن به كل المقومات التى تميز علم العصر الراهن ، وانى لاذكر فى هذا الصدد ـ وعلى شفتى ابتسامة اشفاق وأسف ـ ان احد كتابنا المرموقين قد وقع على هذه الحقيقة الغريبة في بعض ما قرا ـ وكان ذلك منذ اعوام قلائل ـ فاسرع الى صحيفته يكتب مفاخرا هذا العصر المتعجرف المغرور بتراثنا ، فمنذ كذا قرنا من الزمان ـ هكذا قال الكاتب ـ وتراثنا مليء « بالعلم » اسما ومسمى ، وها هي ذى انجلترا لم تعرف « العلم » الا منذ اقل من مائة وخمسين عاما ، ولو تريث كاتبنا لحظة ليراجع معنى الكلمة في الحالتين ، لوجد الفرق بين المعنى الذى كان والمعنى الذى استحدث هو ـ كما قلت ـ كالفرق بين القطبين ، فاللفظ واحد ـ في العربية ـ والمضمون مختلف .

واعود الى تراثنا العربي ، وبين يدى لفظتا « علم » و « عمل » الدالتان على جانبين يميزان العصر الحاضر وثقافته ، فاجدني مع أبي حامد الغزالي في كتابه « ميزان العمل » واقرأ ، فاذا هو يبدأ فيضع الاساس الذى يريد أن يقيم عليه البناء ، وهو ان السعادة لاتنال الا بالعلم والعمل ... ولو تعجلت النتائج كما يتعجل المتعجلون ، لقلت من فوري : الله اكبر ! ماذا ابقى القرن الحادى عشر للقرن العشرين من علامات ومميزات ؟

لكنى تريثت حتى أرى باى المعاني استخدمت كلمة « العلم » وكلمة « العمل » ؟ ثم لا البث ان اجدنى في مجال من القول لا يتصل أدنى صلة بما يراد اليوم حين يقال « علم » و « عمل » ، وحسبي أن الخص النتيجة التى انتهى اليها الغزالى من بحثه ، وهي « ان العلم المقصود هو العلم بالله وصفاته وملائكته وكتبه ورسله وملكوت السموات والارض وعجائب النفوس الانسانية والحيوانية ، من حيث انها مرتبة بقدر الله ، لا من حيث ذواتها ـ فالمقصود الاقصى العلم بالله » واما العمل فمقصود به ـ اساسا ـ مجاهدة الهوى ، حتى تزول الحوائل التى ربما اعاقت الانسان عن العلم بالله .

تلك هي النتيجة ، وذلك هو مجال القول ، وانها لنتيجة وصل اليها الغزالى بعد سلسلة من الحجاج على درجة عالية من الاستدلال المحكم المتين ، ولكنها كذلك داخل مجالها من القول ، انها نتيجة تلزم لزوما قاطعا عن المقدمة التى وضعها الغزالى ، اذ ذكر في حديثه أن السعادة التى يبحث لها عن علم وعمل يحققانها هي « السعادة الأخروية » ، وهي سعادة قد تقتضى من الساعي اليها ترك اللذات الدنيا واحتمال عنائها ، « فان المدة في احتمال التعب منحصرة .. واللذات الدنيوية منصرمة منقضية ، والعاقل يتيسر عليه ترك القليل نقدا ، في طلب اضعافه نسيئة » .

وما دامت هذه هى السعادة المقصودة ، فما على المفكر أولا الا أن يثبت الحياة « الأخروية » اثباتا عقليا يُفحم به منكريها ، حتى اذا ما أيقن القارىء بصحة الفكرة ، انطلق منها الى ما يترتب عليها من علم وعمل يؤديان اليها ، فكانت له النتيجة التى أسلفنا ذكرها .

لست أظننى بحاجة الى التوكيد بان المقصود بهذه التفرقة بين طريقتين في استخدام لفظتي « علم » و « عمل » ليس هو أن نجعل احدى الطريقتين أعلى من زميلتها ، بل هي تفرقة لمجرد التفرقة ، كما افرق في دنيا المواصلات ـ مثلا ـ بين السيارة والطيارة ، وكل ما يعنينى من هذه التفرقة هو أن ورود الالفاظ فى سياقها القديم ، ثم ورودها هي نفسها في سياقها الجديد ، قد لا يدل على أن الفكر الجديد هو نفسه الفكر

القديم . الا اذا حللنا المراد بتلك الالفاظ فاذا هذا المراد واحد في الحالتين .

فقد أتصور مفكرا معاصرا يقابل الغزالي في زمنه ، ويتصدى لبحث مثل بحثه ، ليدل معاصريه على « ميزان العمل » المؤدي الى « السعادة » . اقول انني قد اتصور مفكرا معاصرا يبدأ بداية اخرى غير البداية التي بدأ بها الغزالي ورتب عليها نتائجه . فاولا هو يتفق مع الغزالي في ان « السعادة لاتنال الا بالعلم والعمل » . لكنه يمضي ليقول ان السعادة التي يقصد اليها . هي سعادة الانسان هاهنا على هذه الارض وفي هذه الحياة الدنيا ، وان هذه السعادة « الدنيوية » التي هي مقصد ، ـ لا السعادة « الاخروية » التي كانت هي كل شيء عند الغزالي ـ انما تنال بالعلم والعمل . ولكن اى علم واى عمل ؟ ربما وجد هذا المفكر المعاصر أن العلم المقصود هو العلوم الطبيعية بمعناها الحديث من فزياء وكيمياء وما اليهما ، وأن العمل المقصود هو من قبيل ما يجرى في المعامل من تجارب من شأنها أن تخلق لنا من الوسائل والادوات والأطعمة والأشربة والثياب والمساكن والمواصلات ما لم يكن للعصور السابقة عهد" بمثلها .

واحسب اني لو سألت الآن : كيف ننتقل من فكر قديم الى فكر جديد ؟ كان الطريق الى الجواب واضحا ، وهو أن استخدم الالفاظ ـ التي هي في الحقيقة دالة على رؤوس الموضوعات ـ استخداما يساير العصر في مفهوماته ومضموناته، حتى ولو كانت هي نفسها الالفاظ التي استخدمها الاولون ، لكنهم استخدموها بمفهومات ومضمونات مختلفة .

وانتقل الى مثل آخر ، هو فكرة « الحرية » .

ولعلي هذه المرة في غنى عن كثير من الشرح الذى اضطررت الى ذكره في الفقرة السابقة ، لان التناول طريقته واحدة ، فلا يكفي أن أجد على صفحات التراث كلمة « الحرية » مذكورة ، لاصرخ في وجه القائلين بأن « الحرية » مطلب يشغل عصرنا ، ساخرا بهم ، وزاعما انهم يستيقظون الآن لما دعونا اليه نحن منذ كذا قرنا من الزمان ! فقد تكون اللفظة واحدة ومضمونها مختلفا على السنة المعاصرين ، عنه على السنة الاولين .

والحق انه لو كان المقصود بالكلمة شيئا واحدا في الحالتين ، لعجبنا بدورنا أشد العجب من هؤلاء المعاصرين الحمقى ، الذين يجعلون من فكرة « الحرية » هذه مدارا لجزء كبير جدا من نشاطهم الفكرى ، سواء كان ذلك في مجال الفكر الفلسفي ، او في مجال الفكر السياسي والاجتماعي ، وحسبك أن تعرف أن المطابع تخرج عشرات الكتب عاما بعد عام ، ليس فيها الا غوص في فكرة الحرية هذه، بمعناها عندما يوصف بها الفرد الواحد من الناس ، ومعناها عندما يوصف بها المواطن ـ لا الفرد من حيث هو فرد ـ بل المواطن من حيث هو عضو في مجتمع واحد تحكمه دولة واحدة ، ومعناها عندما ترد في ميدان المعاملات الاقتصادية ، وهلم جرا ، ولو قرأ قارىء كتابا واحدا لفيلسوف واحد من المعاصرين ـ وليكن مثلا من الفلاسفة الوجوديين ، الذين عنوا أكثر من سواهم بفكرة الحرية ـ لأدرك عن يقين ان المشكلة ذات أبعاد واطراف واعماق لايحلها أن يقال : متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتم احرارا ، بل قد تجد بعد تحليل قليل ان الناس تلدهم امهاتهم مكبلين لا احرارا ، مكبلين بجهاز نفسي خاص ، فيه الغرائز والميول الموروثة والاستعدادات الفطرية ، مما لا قبل للفرد أن يكون حرا بازائها ، أما أن يقع بصرى على كلمة « حرية » في عبارة هنا او هناك ، ثم اسمع المتحدثين عن هذا العصر يقولون ان أزمة الحرية هي من أعقد الازمات التى يعانيها المعاصرون ، وان الحرب الدائرة ارحاؤها ـ باردة وساخنة ـ انما هي حرب على التحديد الذى تحدد به فكرة « الحرية » ماذا يكون ؟ اقول : اما ان يقع بصرى على كلمة « حرية » في عبارة وردت في تراثنا ، ثم اسمع هذا الحديث كله وارى هذا الصراع كله في عصرنا حول « الحرية » وتحديدها وابعادها،فاقول : صح نومكم يا هؤلاء ! لقد حللنا العقدة منذ كذا قرنا من الزمان ، فضرب من الخمول الفكرى ، لو كان ليطول معنا بقاؤه ، فلا اظن أن الامل قريب في نهوضنا نهوضا بالفعل لا بالكلام ، وبالفكر الحى لا بالتثاؤب ونحن نيام .

واعود الى التراث ، فاجد « الحرية » قد شغلت بالفعل فريقا من الفلاسفة والمفكرين ، ولكن باى معنى ؟

كان المعتزلة اهم من اثاروا البحث في حرية الانسان ، بحيث حرصوا على ان يجعلوا الانسان قادرا خالقا لافعاله ، خيرها وشرها على السواء ، ليكون مسئولا عما يفعل مسئولية" تبرر ثوابه او

عقابه يوم الحساب ، قائلين ان العدل الالهي يقتضي ذلك ، ومرجع الانسان في اختياره لافعاله هو عقله .

فانت ترى من ذلك أن المعنى الذى قصدوا اليه « بالحرية » هو حرية الانسان في اختياره لافعاله، وهي حرية تحدد علاقة الانسان بربه ، ولا شأن لها بالروابط التي تصل بين الانسان والانسان في هذه الدنيا ، فهي لا تمس علاقة الناس بالحكومة ، هل هم احرار في اقامتها وفي عزلها ، ولا تمس صور التبادل التجارى والاقتصادى ، بل ليست هي بذات شأن في علاقة الوالد بولده ولا الزوج بزوجه، الا من جهة ان الافعال التى يختارها الانسان بارادته الحرة في كل هذه الميادين ، تضعه موضع الحساب يوم الحساب .

وقد انشعبت المعتزلة فرقا كثيرة ، وكان موضوع الارادة الحرة في اختيار الفعل بين الموضوعات التى ادلت كل فرقة منها برأيها فيها : فالواصلية ـ وهم اتباع واصل بن عطاء ـ قالوا « بالقدر » ومعناه قدرة الانسان على خلق افعاله ليصبح مسئولا عنها ، اذ لا يجوز في رأيهم أن يحتم الله على عباده شيئا ثم يجازيهم عليه .

واما « النظامية » ـ وهم اتباع ابراهيم بن سيار النظام ـ فقد زادوا على القول بقدرة الانسان على اختياره لافعاله ، خيرها وشرها ، قولهم ان الله تعالى لا يوصف بالقدرة على الشرور والمعاصي ، فليست هي مقدورة له ، مخالفين بذلك الآخرين الذين قضوا بانه قادر عليها لكنه لايفعلها. وكان من اضافات النظام كذلك ، ان حرية الانسان في فعله محدودة بقدرته واما ما جاوز قدرته فهو من فعل الله ، مثال ذلك ان تلقى بحجر فتكون حركته نتيجة قدرتك ، لكن اذا بلغت قوة الدفع غايتها ، سقط الحجر بحكم طبيعته ، أى بفعل الله لانه هو الذى انشأ في الحجر طبيعته .

وقصدت جماعة الجهمية لمعارضة المعتزلة في قولهم بحرية الانسان في خلقه لافعاله ، اذ الانسان عند الجهمية ـ نسبة الى جهم بن صفوان ـ لايقدر على شيء ، ولا يوصف بالاستطاعة ، وانما هو مجبر في افعاله لاقدرة له ولا ارادة ولا اختيار وانما يخلق الله تعالى الافعال فيه على غرار ما يخلق في سائر الجمادات ، فاذا نسبنا الى الانسان افعاله ، كان ذلك على سبيل المجاز ، كما تنسب الى الجمادات أفعالها ، حين يقال ـ مثلا ـ أثمرت الشجرة ، وجرى الماء ، وتحرك الحجر ، وطلعت الشمس وغربت ، واما الثواب والعقاب فهما جبر من الله .

وبين هذين الطرفين ـ المعتزلة والجهمية ـ جماعة وسط ، هي جماعة الاشعرية ـ اصحاب أبى الحسن الاشعرى ـ فقد فصلت بين الارادة الانسانية والفعل الذى يتبعها ، فعندما يريد الانسان فعلا معينا ارادة مخلصة يخلق الله له الفعل ، وبهذا يكون الفعل مخلوقا لله ، ولكنه مخلوق له عند ارادة الانسان ، لا بارادة الانسان .

ذلك هو مجال القول عندهم في موضوع الحرية وما يحيط بها من قدرة وفعل ونتائج تترتب على الفعل ، وهكذا ، ولست أعرف مفكرا عربيا واحدا تصدى للبحث في الحرية الانسانية بمعانيها التى هي موضوعات البحث اليوم ، ولقد كان مألوفا ان يحدث التقابل بين « الحر » و « العبد » ، فاذا وجدنا كلاما عن الانسان الحر ، كان ذلك بالقياس الى الرقيق ، فهو حر بمعنى انه غير مملوك لاحد ، واما حرية هذا الحر ما مداها في اوضاع الحياة الفكرية والعملية ، فلا أظن أنها ظفرت بالنظر ، ولذلك لا أذكر أن الحرية قرنت الى « الفكر » ، ولا كانت حرية الفكر مشكلة تثار ، الذى اثير دائما ، هو موضوع حرية « الفعل » على النحو الذى بيناه ، وقد يكون ذلك لان مصدر التشريع ـ من حيث معيار السلوك ـ نزل وحيا او ورد سنة عن رسول الله ، فكانت مهمة الفكر عندئذ هي تحليل النص ، لا خلق الفكرة وابتكارها فيما يختص بالنظم السياسية والاجتماعية والاقتصادية القائمة في عصرنا هذا الحديث ، فلم تكن حرية الفكر ذات موضوع .

افيجوز بعد هذا كله ، ان يسمع سامع عن العصر الراهن انه منشغل بفكرة الحرية الانسانية وتحليلها وتحديدها ، فيقفز من فوره غاضبا ليقول : هذه فكرة فرغنا نحن منها ، ووضعنا لها اصولها وفروعها منذ كذا قرنا من الزمان . انى لاقولها صريحة واضحة : اما ان نعيش عصرنا بفكره ومشكلاته ، واما أن نرفضه ونوصد دونه الابواب لنعيش تراثنا .. نحن في ذلك احرار ، لكننا لا نملك الحرية في ان نوحّد بين الفكرين .

■■

زكي نجيب محمود

العرب والزراعة

بقلم : الدكتور أحمد عبد المنعم البهي
استاذ بقسم الشريعة في كلية الحقوق والشريعة ـ جامعة الكويت

■ من أبرز مظاهر التخلف الاقتصادي في كثيرمن المناطق العربية اهمال الزراعة من قرون وآماد بعيدة ،على أن هذه المناطق يمتاز بعضهابارض ذهبية ونعني بذلك خصب الارض ، الى جوار تدفق الماء خلالها انهارا ، مما لا يكلف في استغلالها بالزراعة عناء يذكر ، ولا مجهودا شاقا.

ومن عجب ان العرب الاسلاميين الذين نهضوابالعلوم والمعارف ، وصدَّروا كثيرا من الحضارات لغيرهم وحملوا نور الاسلام وتعاليمه الى مختلفالآفاق ، هم الذين اعرضوا عن الزراعة واهملوها وانزلوا الجدب والقحط بهذه المساحات المترامية من الارض ، وغدَوْا عالة على غيرهم في المواد الغذائية الرئيسية مثل القمحوالاذرة والخضراوات الضرورية ، بينما في ارضهم مصادر ثروة زراعية تعتبر بحق نعمة من نعم الله لم يَجُدْ بها علىغيرهم .

ولا يسع المنصف الا التعجب من هذا التساؤل عن سر هذا الاهمال . أيرجع الى طبيعة العرب انفسهم أم يرجع الى سبب آخر لا دخل لهم فيه، ولا اختيار لهم معه .

ويهولنك الأمر اذا علمت انه يقال في تعليل هذه الظاهرة أن تعاليم الاسلام كانت وراء صرف العرب عن الزراعة كما انها السبب المباشر في اهمال استغلال الارض بالزراعة .

ومعذرة اذا كان هذا القول قد أثار منك الغضب ـ فقد أثارني من قبلك ـ ولكن لا يلبث غضبك أن يتلاشى اذا وضحت أمامك الحقائق ، وتبين منها مدى الاجتراء على الاسلام في هذا الميدان .ومصدر هذا كله فهم بعض النصوص على غير وجهتهـــا السليمة .

واليك ما حصرناه مما ورد في تبغيض الزراعة وتنفير الناس منها .

١ ـ روى البخاري رضي الله عنه في بـاب المزارعة حديثا عنون له « باب ما يحذر من عواقب الاشتغال بآلة الزرع ، أو مجاوزة الحد الذي أمر به » قال « حدثنا عبد الله بن يوسف ، حدثنا عبد الله بن سالم الحمصي ، حدثنا محمد بن زياد الألهاني عن أبي امامة الباهلي قال : ورأى سكة(١) وشيئا من آلة الحرث . فقال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : لا يَدْخُل هذا بيتَ قومٍ الا دخله الذُّلُّ (٢) » .

وقال العسقلاني صاحب فتح الباري في تعرضه للحديث « وفي رواية أبي نعيم لهذا الحديث تغيير في ألفاظه الاخيرة منه هو : لا يدخل هذا بيت قوم الا أدخلوا على انفسهم ذلا لا يخرج عنهم الى يوم القيامة(٣) » .

٢ ـ حديث آخر اخرجه الطبراني وابن القطان

---

(١) السكة بكسر السين هي الحديدة التي تحرث بها الارض .

(٢) راجع فتح الباري شارح البخاري جـ ٥ ص ٤٠١ ـ ط الحلبي بالقاهرة .

(٣) فتح الباري جـ ٥ ص ٤٠١ ط ـ الحلبي .بالقاهرة .

ظلموا الإسلام فقالوا إنه منع العرب من احتراف الزراعة

نصوص الإسلام صريحة وواضحة في الحث عليها واستغلال الأراضي بالزرع

وصححه مرويا عن عبد الله بن عمر قال : « اذا ضن الناس بالدينار والدرهم وتبايعوا بالعينة(٤) واتبعوا أذناب البقر ، وتركوا الجهاد في سبيل الله ، أنزل الله بهم بلاء فلا يرفعه حتى يراجعوا دينهم».

٣ ـ وهذا الحديث كذلك رواه أحمد بن حنبل وأبو داود بلفظ آخر هو : « اذا تبايعتم بالعينة ، وأخذتم أذناب البقر ، ورضيتم بالزرع ، وتركتم الجهاد ، سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه حتى ترجعوا الى دينكم »(٥).

٤ ـ روى أسد بن موسى عن محمد بن راشد ، عن مكحول : « أن المسلمين زرعوا بالشام ، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب فأمر باحراقه وقد ابيض ، فاحرق ، وان معاوية تولى حرقه » (٦) .

٥ ـ ومن طريق أسد بن موسى عن شرحبيل بن عبد الرحمن المرادى أن عمر بن الخطاب قال لقيس بن عبد الغوث المرادى : « لا آذن لك بالزرع الا أن تقر بالذل ، وأمحو اسمك من العطاء ».

٦ ـ وروى أيضا أن عمر كتب لأهل الشام : « من زرع واتبع أذناب البقر حلت عليه الجزية »(٧).

٧ ـ نسب الى الامام مالك انه كره الزراعة في أرض العرب ، واحتج له المتأخرون بحديث البخارى السابق .

٨ ـ وأخيرا جاء ابن خلدون ، فعقد فصلا في مقدمته جعل عنوانه منفرا ومنفرا من الزراعة، وقال : « الفصل الثامن في أن الفلاحة من معاش المتضعين وأهل العافية من البدو وذلك لأنه أصيل في الطبيعة وبسيط في منحاه » . ويقول بعد ذلك:

« ولذلك لا تجده ينتحله أحد من أهل الحضر في الغالب ولا من المترفين،ويختص منتحله بالمذلة. قال صلى الله عليه وسلم ، وقد رأى السكة ببعض دور الانصار « ما دخلت هذه دار قوم الا دخله الذل » . ثم يقول : « وحمله البخارى على باب الاستكثار منه » .

ويمضي بعد ذلك ابن خلدون فيقول : «والسبب فيه والله أعلم ما يتبعها من المغرم المفضي الى التحكم واليد العالية ، فيكون الغارم ذليلا بائسا تتناوله أيدى القهر والاستطالة » .

★ ★ ★

كل هذه الروايات ظاهرها التضافر على صرف نظر العرب عن الزراعة والاشتغال بها ، والذين تناقلوها وأشاعوها لم يمحصوا أو يدققوا أو يقارنوا بين ما جاء فيها وما ثبتمن نصوص صحيحة جاءت في الكتاب والسنة من اباحة الزراعة والتوجيه اليها والافادة منها ، مما يقطع بأن الأمر ليس كما فهموا ، وليس كما أشاعوا وأذاعوا .

وليس معنى رواية البخارى لحديث يبدو من ظاهرة التبغيض في الزراعة ترك العمل بغيره من الاحاديث الأخرى التي كان هو أيضا من رواتها ، والتي تدعو صراحة الى الزراعة والحث عليها . وندع التعليق الآن ونرجئه الى ما بعد سوق نصوص الكتاب الكريم ، والأحاديث النبوية الأخرى التي تبين مدى عناية الاسلام بالزراعة ورفع شأنها والتوجيه اليها ومن ذلك .

١ ـ قال جل شانه : « وهو الذى أنشأ جنات معروشات وغير معروشات ، والنخل والزرع

(٤) العينة ـ هى البيع بالأصل ثم بيع السلعة قبل سداد ثمنها الى الذى اشتراها منه بالنقد .

(٥) راجع الشوكانى في نيل الأوطار جـ ٥ ص٤١٩

(٦) المحلى لابن حزم جـ ٥ ص ٢٤٥

(٧) هذان الأثران رواهما ابن حزم في المحلى جـ٥ ص ٢٤٤

مختلفا أكله ، والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه ، كلوا من ثمره اذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده » (٨) .

والشاهد في هذه الآية الكريمة ، أن الزرع والثمار والفواكه التي ننعم بها هي من فضل الله علينا ، وأنه المنشيء الحقيقي لها ، فكيف تكون الزراعة ذلة ، والمولى جل علاه يمن علينا بانه صاحب الفضل في انباتها .

٢ ـ قال تعالى في بيان فضل انزال الماء على العباد : « ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب » (٩) .

ولا يتصور أن يعدد المولى الاشياء التي ينتفع بها الانسان من انزال المطر وبينها الزراعة ، ثم يبغضهم رسوله الكريم فيها .

٣ ـ وقال عز من قائل : « أولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز (١٠) فنخرج به زرعا تأكل منه انعامهم وأنفسهم ، أفلا يبصرون » (١١) .

والاية الكريمة تدل على نعم الله ايضا بانزال الماء الذى هو أساس انبات الزرع الذى نحتاج اليه في طعامنا ، ولأكل ماشيتنا .

٤ ـ وقال سبحانه وتعالى أيضا : « أفرأيتم ما تحرثون،أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون» (١٢).

ولا شك أن الآيتين تدلان على اباحة الزرع والتوجيه اليه ، لان الله تعالى امتن علينا به .

هذه بعض آيات الكتاب الكريم التي تبين فضل الزراعة والحث عليها ، وبيان منزلتها في نفع الناس ، أما السنة النبوية فقد جاء منها في أمر العناية بالزراعة والحث عليها وتنظيمها الشيء الكثير مما روته كتب الأحاديث ومنها ما رواه البخاري ، وكان هذا كله ثروة حملت الفقهاء على أن يعقدوا فصولا طوالا في بيان كيفية المزارعة والمغارسة والأحكام المستفادة من السنة في شأنهما.

وان كنا لا نستطيع أن نستوعب هذه الأحاديث كلها ، الا انه يكفينا أن نسوق بعضها في هذا المقام دليلا على اهتمام الاسلام بأمر الزراعة وتفصيل شؤونها ، ومن ذلك .

١ ـ ما رواه المحدثون ومنهم البخاري رضي الله عنه قال: « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو انسان أو بهيمة الا كان له به صدقة » .

فهذا الحديث يدعو صراحة الى الزراعة ويبين الغاية منها بالنفع للانسان والحيوان ، فكيف يدعو اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم على هذه الصورة المشوقة ، ثم يبغض فيها ؟

٢ ـ عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« من كانت له أرض فليزرعها ، أو ليمنحها ، فان أبى فليمسك أرضه » (١٣) .

وليس أصرح من هذا الحديث الشريف في الحث على الزراعة والعناية بها .

٣ ـ ما روى عنه صلى الله عليه وسلم وجاء في البخاري أيضا : « من أعمر أرضا ليست لأحد فهو أحق » . وفي رواية أخرى : « فهو أحق بها».

ولا شك أن الزراعة من اعمار الارض ، وهذه اباحة لاستصلاح الارض بالزراعة ، وكذلك قوله عليه الصلاة والسلام « من أحيا أرضا ميتة فهي له » .

٤ ـ ما تواترت بهالأخبار ورواهالبخاري أيضا، من أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بالزراعة في مساحات شاسعة بالمدينة ، وأن أصحابه اقبلوا على الزراعة وجنوا من ورائها الخير الكثير . روى البخاري عن قيس بن مسلم عن أبي جعفر قال : « ما بالمدينة أهل بيت هجرة الا يزرعون على الثلث والربع » (١٤) هذا يعني أن الزراعة أخذت مكانا مرموقا في دار الهجرة ، ولو كانت الزراعة مبغضة في الاسلام لما أقرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها أو أمرهم بها .

٥ ـ وكتب عمر بن عبد العزيز الى عامله عدي ابن ارطاة : « انظر ما قبلكم من الارض ،فأعطوها بالمزارعة على النصف والا فعلى الثلث حتى تبلغ العشر ، فان لم يزرعها أحد فامنحها ، والا فانفق عليها من مال المسلمين ، ولا تبيرن قبلك أرضا».

---

(٨) آية ١٤١ سورة الانعام . (٩) آية ١١ سورة النحل .

(١٠) الجرز ـ هي الارض اليابسة التي لا نبات فيها .

(١١) آية ٢٧ سورة السجدة . (١٢) الآيتان ٦٣ ، ٦٤ سورة الواقعة .

(١٣) هذا الحديث أخرجه البخاري أيضا ، وللفقهاء تفصيل في عجزه الخاص بكراء الارض

(١٤) راجع البخاري في باب المزارعة بالشطر ونحوه وايضا فتح الباري جـ ٥ ص ٤٠٧

وهذا الاثر واضح في مدى الاهتمام بالزراعة حتى ولو ادى الأمر الى ان تزرعها الدولة بنفسها واستثمارها حتى لا تبور باهمالها .

هذه النصوص القرآنية ، والأحاديث النبوية والآثار توضح مدى اهتمام الاسلام بأمر الزراعة والعناية بشأنها ، وكان من الممكن ان نكتفي بها في الرد على ما نسب الى الاسلام من تبغيضه في الزراعة ، الا اننا انصافا للحق لا بد لنا من التعقيب على ما اوردناه في بداية هذا المقال مما يفهم منه أن الاسلام ينفر من الزراعة ، أو بعبارة اخرى ينفر العرب منها .

فأما ما نسب الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من انه أمر باحراق الزرع بالشام وتهديده المرادى بفرض الجزية عليه لانه زرع فيكفينا في الرد عليه ، ما ذكره ابن حزم في المحلى اذ يقول : « هذه الروايات مرسلة – أي غير متصلة السند الى عمر – وراويها اسد بن موسى ضعيف – أى لا يعتد بحديثه » .

واحد هذين في معيار العلماء كاف جدا لعدم قبول الرواية ، وابن حزم لم يكتف بهذا بل قال تعقيبا على ذلك : « ويعيذ الله أمير المؤمنين من أن يحرق ارض المسلمين ، ويفسد اموالهم ، ومن أن يضرب الجزية على المسلمين » (١٥) .

ونضيف الى ما قاله ابن حزم أيضا أن عمر رضي الله عنه كان يزرع أرضه بالمدينة وقال البخارى : « وعامَلَ عُمَرُ الناس على ان جاء عُمَرُ بالبذر من عنده فله الشطر وان جاءوا بالبذر فلهم كذا » (١٦) .

وأما ما نسب الى الامام مالك من أنه كره الزراعة في ارض العرب ذاتها فان هذا التفريق لا دليل عليه ، وقد ثبت من الأحاديث الصحيحة الزراعة في ارض العرب ، واستدلال المتاخرين له بحديث البخارى الذى يشعر بالتنفير من الزراعة سيأتى الكلام فيه .

أما الحديثان اللذان رواهما الطبراني وأحمد ابن حنبل في التبغيض في الزراعة فاليك ما يقوله الامام الشوكاني عنهما ، فيقول عن الحديث الاول ما نصه « أخرجه الطبراني وابن القطان وصححه ، وقال الحافظ في بلوغ المراد رجاله ثقات ، وقال في التلخيص ، وعندى أن اسناد الحديث الذى صححه ابن القطان معلول لانه لا يلزم من كون رجاله ثقات أن يكون صحيحا ، لأن الاعمش مدلس ، ولم يذكر سماعه عن عطاء ، وعطاء يحتمل أن يكون هو عطاء الخراساني فيكون فيه تدليس التسوية باسقاط نافع بين عطاء وابن عمر . انتهى كلام التلخيص .

ويمضي الشوكاني فيقول : وانما قال هكذا لأن الحديث رواه أحمد والطبراني عن طريق أبى بكر بن عياش عن الأعمش عن عطاء عن ابن عمر ، ورواه أحمد وأبو داود عن طريق عطاء الخراساني عن نافع بن عمر . قال المنذرى مختصر السند ما لفظه : في اسناده اسحق بن أسيد أبو عبدالرحمن الخراساني نزيل مصر لا يحتج بحديثه ، وفيه أيضا عطاء الخراساني وفيه مقال . انتهى .

ويمضي فيقول قال الذهبى في الميزان هذا الحديث من مناكيره – اى من مناكير عطاء الخراساني (١٧) .

هذا ما نقله الشوكاني عن كبار الاعلام من المتخصصين في نقد الحديث ، ومعذرة اذا كنت قد سقت هذه العبارات الفنية الصرفة في هذا المجال ، اذ كان من الضرورى بيانها حتى نقطع الطريق على كل من يحاول أن يشكك في الحق أو يجترىء عليه .

وخلاصة ما نقله الشوكاني يفيد أن هذين الحديثين غير مقبولين ولا يعمل بهما لردهما بسبب الضعف في رواتهما .

بقي بعد ذلك حديث البخارى نفسه وفيه يقول ابن حجر العسقلاني شارح البخارى :

« عبد الله بن سالم راوى الحديث حِمْصِيٌّ يكنّى أبا يوسف ، وليس له ولا لشيخه في هذا الصحيح غير هذا الحديث » .

ويقول أيضا : « ورجال الاسناد في الحديث كلهم شاميون وكلهم حمصيون الا شيخ البخارى » (١٨) .

ويقول العسقلاني عن أبى أمامة الباهلي : وانه سمع عن رسول الله صلى الله عليه الحديث الذى رواه البخارى بالتنفير من الزراعة : « وليس لأبى امامة سوى هذا الحديث ، وحديث آخر في الأطعمة ، وله حديث آخر في الجهاد من قوله

---

(١٥) راجع المحلى لابن حزم جـ ٥ ص ٢٤٥

(١٦) راجع المزارعة بالشطر في البخارى وفتح البارى جـ ٥ ص ٤٠٩

(١٧) نيل الأوطار للشوكاني جـ ٥ ص ٢١٩ .

(١٨) راجع فتح البارى جـ ٥ ص ٤٠٢

يدخل في حكم المرفوع » (١٩) .

ولهذه الاعتبارات ومعارضة هذا الحديث لما رواه البخاري نفسه في باب المزارعة من الحث عليها وغير ذلك من التفصيلات التي جاءت بشأنها نراه يحاول الجمع بينه وبينها فيجعل له عنوانا خاصا هو التحذير من عواقب الاشتغال بآلة الزرع أو مجاوزة الحد الذي أمر به .

ومعنى هذا الكلام صراحة أن البخاري يرى أن الحديث خاص بمجاوزة الحد المعقول في الزراعة.

ولم يبين لنا الامام الحد الذي أمر به والحد الذي لم يؤمر .

اما ابن حزم فكان اكثر وضوحا في تأويل حديث البخاري اذ قال : « لم تزل الأنصار كلهم وكل من قسم له النبي صلى الله عليه وسلم ارضا من فتوح بني قريظة ، ومن اقطعه ارضا من المهاجرين ، يزرعون ويغرسون بحضرته صلى الله عليه وسلم، وكذلك من أسلم من اهل البحرين وعمان واليمن والطائف ، فما حض عليه السلام قط على تركه». الى أن يقول ابن حزم : « وكلامه عليه السلام لا يتناقض ومن ثم حمل الزرع المذموم على ما تشوغل به عن الجهاد في سبيل الله » .

ومع وجاهة كلام ابن حزم وامكان قبوله كتأويل معقول لحديث البخاري نرى أن ما جرى عليه العمل في زمن النبوة لا يتم معه قبول هذا التأويل ذلك أن وقت النبوة في دار الهجرة كان اغلبه لمقاومة أعداء الدعوة ، وكان الجهاد في ذلك الوقت ، الشغل الشاغل للمسلمين ، اذ كان اعداء الامة الاسلامية في الجزيرة العربية وخارجها يتربصون بها الدوائر مع قلة المسلمين بالنسبة لاعدائهم ، ومع هذا فان رسول الله صلى الله عليه وسلم حض المسلمين على الزراعة واقطعهم الارض ، ولم يامرهم بترك الزراعة خشية الانشغال بها عن الجهاد، وكذلك كان الحال أيضا في عهد الخلفاء الراشدين ومن أجل ذلك نقول ان حديث البخاري وان قبل سنده لا يقبل من ناحية متنه ولفظه ، لان علماء الحديث اتفقوا على أن نقد الحديث يكون باحد أمرين اما بضعف سنده ، واما عدم قبول متنه ، وضربوا لذلك امثلة كثيرة منها حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي ذكر فيه ان الله خلق الكون في سبعة أيام ، فقد صح سنده ، وردوه من ناحية متنه لمخالفة صريح القرآن في ان الله خلق السماوات والارض في ستة أيام .

وحديث البخاري الذي معنا في الزراعة لا يوافق صريح الكتاب الكريم في الدعوة الى الزراعة ، ولا يوافق ما رواه البخاري نفسه من دعوة الرسول الى الزراعة ، ومن اهتمام الصحابة بها في أيامه عليه الصلاة والسلام . وكذلك الاحاديث الاخرى المتعلقة بالتفصيلات الخاصة بنظام زراعة الارض من ناحية المشاركة في الزراعة على النصف او الثلث مما فصله الفقهاء في مكانه في باب المزارعة والمغارسة مما هو مبسوط في كتبهم .

وحتى لو فرض قبول متن الحديث وعدم رده وتاويله بما ذهب اليه ابن حزم من التبغيض في الزراعة اذا صرف عن الجهاد فان زمن العمل به قد انقضى ، فلكل امة الآن جيش مرابط يذود عن حياضها ويرد اعداءها ، وهذا الجيش لا يقبل افراده الا بشروط خاصة، منها السن والصلاحية، ويبقى افراد الامة بعد ذلك يزاولون ما يزاولون من اعمال مشروعة ، حتى ينهضوا باقتصاديات البلاد ، ويوفروا لجيشهم المال والعتاد والمؤن ، والزراعة مصدر هام لتوفير اقوات البلاد ،واقوات الجيوش ، ومدها بالمال والعتاد . فاذا دعا داعي التعبئة العامة فلا مناص من ترك كل من يصلح لعمل له ، زراعة كان او صناعة او علما او طبا . وبهذا لم يبق هناك مجال للتبغيض في الزراعة باسم انها تعوق عن الجهاد والا لانصرف التبغيض الى كل عمل نافع ، لانه يعوق عن الجهاد قياسا على التبغيض في الزراعة .

اما ما ذهب اليه ابن خلدون فقد بناه على فرض التسليم بقبول حديث البخاري ، وقد رأيت ما وُجه اليه ومن ثم فلا محل لقوله .

اذا وضح هذا كله فلا سبب هناك يحول بين العرب والزراعة واستغلال المساحات الكبرى المعطلة في ارضهم ، بل اكثر من ذلك نقول ان الاسلام بتعاليمه السمحة يدعوهم الى الزراعة والافادة منها وانماء اقتصادياتهم بالمساهمة فيها ، فما كان الاسلام دين خمول وكسل وتخلف ، ولكنه دين يدعو الى السبق والى ان يكون اتباعه عاملين نافعين لانفسهم وبلادهم .

أحمد عبد المنعم البهي

(١٩) المصدر السابق جـ ٥ ص ٤٠٢ .

عنبسة

قاهر وفاتح فرنسا!

بقلم : الدكتور صفاء خلوصي

■ ليس في تاريخ الاندلس العربية بطل عربي بلغ ما بلغه عنبسة بن سحَيْم الكلبي (١) من التغلغل في قلب اوربا ، فقد وصل الى «سانس» Sens التي تقع على بعد ثلاثين كيلو مترا من باريس Paris ، وهو ما لم يبلغه فيما بعد حتى عبد الرحمن الغافقي الذي وصل الى مسافة مائة كيلو متر من العاصمة الفرنسية ، وقد سبق الغافقي في فتوحاته الباهرة ، وكان ذلك كله في سنتي ١١٢ ـ ١١٣ هـ .

صعد متجها صوب نهر الرون Rhone حتى وصل الى « قرقشونة » Carcassona فحاصرها واخضعها وارغم اهلها على دفع الجزية وتسليم ما في الحصن من أسرى المسلمين وبعث بعدد من الرهائن الى « برشلونة » Barcelona ، ثم أخذ « نيمه » Nimes وذهب صعدا مع النهر الى ان بلغ « ليون » Lyon و « شالون » Chalons .

وقيل ان الذي اوقف تقدم المسلمين بالقرب من باريس هو « ايبون » اسقف « سانس » Sens فرجع عنبسة قافلا ، بعد ان اخترق قلب بلاد الغال وعبر نهر اللوار وغزا بذلك حوض الرون باسره ، وعاد مثقلا بالغنائم ، مكللا بغار النصر ،

وانا اشك كثيرا في قول من يقول ان اسقف « سانس » Sens كان السبب في رجوعه ، بل ان ابتعاد خط تموينه عن قرطبة بنحو الف ميل ووجود الاضطرابات الدائمة هناك هما اللذان حملاه على العودة ، فالصراع بين العرب والبربر كان لا يكاد يتوقف ، وكان لابد من رجوع عنبسة الى مقر ولايته في قرطبة حفاظا على استقرار المسلمين هناك .

ولقد دخل عنبسة«بورغونيا» Bourgogne وفتح «اوتون» Autun و«أوزه» Uzés و «فيين» Vienne وتغلغل جيشه في « فالانس » Valence ومن مدينة « شالون » Chalons انقسمت الحملة الرئيسية الى حملتين سارت احداهما باتجاه « ديجون » Dijon و « بيزيه » Beziers و « لانجر » Langre والثانية باتجاه « اوتون » Autun للمرة الثانية .

ويبدو ان مما ساعد على نجاح الحملة التي قال عنها بعض المؤرخين انها كانت اعظم مظاهرة عسكرية خاطفة في تاريخ العرب تحالف دوق « اودو » Eude مع العرب ، بل يذهب الى حد أن أحد قادة البربر المعروف بـ « مونوسه » كان

(١) ترجم له ابن عميرة في « بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الاندلس » بقوله « كان أمير الاندلس في سنة ١٠٦ هـ من قبل بشر بن صفوان اميرافريقية في ايام هشام بن عبد الملك ومات سنة ١٠٧ وقيل سنة تسع » .

صهرا للدوق ، واكبر الظن ان سكوت الدوق عن تقدم العرب كان لاشتراك زوج ابنته في الحملة ولرغبته في خضد شوكة قارله (شارل) الذى اصبح خطرا على ممتلكاته .

كان « مونوسه » *Munuza* في هذه الحملة يدا واحدة مع العرب ، وربما كان ذلك بايعاز من حميه الدوق اودو .

مهما يكن الامر فان « مونوسه » البربرى هذا شق عصا الطاعة على العرب فيما بعد ، ايام ولاية عبد الرحمن الغافقي ، وقتل في بعض مخانق « البرنه » ، وارسلت زوجته الحسناء لامبيجى *Lampègie* (ابنة الدوق اودو) هدية للخليفة الاموى هشام بن عبد الملك (٧٢٤ — ٧٤٣ م) في دمشق ، ومن هنا جاءت الرواية القائلة ان احد خلفاء المسلمين تزوج باميرة فرنسية ! .. وباعتقاد المرحوم شكيب ارسلان ان « مونوسه » تصحيف افرنجي لاسم والى الاندلس عثمان بن ابى نسعة اللخمى الذى قدم واليا — على ما جاء في نفح الطيب — من قبل عبيدة بن عبد الرحمن السلمي صاحب افريقية ، وقصة مونوسه مماثلة لما جرى لابن نسعة بعد عزله .

★ ★ ★

عاد عنبسة فالتقى اثناء عودته جموعا كثيفة من جنود قارله فجرح وكانت نهايته — على ما يروي المستشرق رينو — ان استشهد سنة ١٠٥ هـ/٧٢٥م مع كثير ممن استشهد (وقيل انه استشهد سنة ١٠٧ او ١٠٩ هـ) ، واستطاع عذرة بن عبد الله الفهرى (الذى تسميه الروايات الافرنجية *Hodera*) ان يلم شعث العرب ويعود بهم الى الاندلس ، وبذلك طويت صفحة من اروع صفحات المغامرة العربية الجريئة في قلب اوربا الغربية .

ولو كانت الامور مستقرة في اسبانيا لترك عنبسة حاميات عربية في المدن والمناطق التي افتتحها مثل « ليون » *Lyon* و « فالانس » *Velence* ... على أنّ تراجع عنبسة لم يجرد العرب من بعض المدن الفرنسية التى دخلت بحوزتهم ، ولا سيما « ناربون » *Na bonne* (او اربونه كما كانوا يسمونها) فقد بقيت تشع انوار البطولات العربية الى الريفيرا وسويسرا وايطاليا لمدة بلغت القرنين او كادت ، وقد استولى العرب بالفعل على سويسرا برمتها سنة ٩٥٢ للميلاد (١) وكانت قاعدة انطلاقهم فراكسينيت *Fraxin* التى احتلوها سنة ٨٩٣م ولم يخرجوا منها الا سنة ٩٧٥ م .

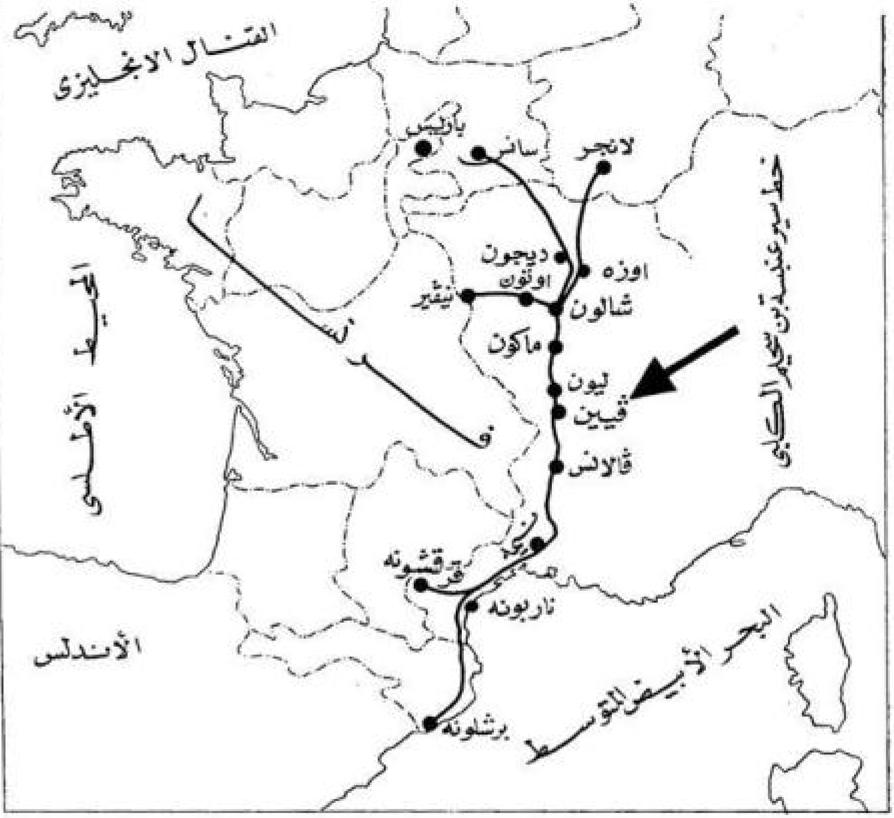
ولنا أن نتساءل لماذا لم يستقر عنبسة في « ليون » *Lyon* او « ديجون » *Dijon* او اية مدينة كبيرة اخرى من بلاد الغال بعد أن سار براياته عبر غالة الجنوبية والوسطى صعدا نحو الشمال ؟ والجواب على ذلك ان الحكم في الاندلس — كما قلنا — لم يكن مستقرا تمام الاستقرار ، وقد اراد بحملته الكبرى هذه ادخال الرعب في قلب الدوقيات المجاورة لاسبانيا لئلا تفكر بتهديدها ، فكان هذا جزءا من فكرة اشاعة الاستقرار في الاندلس من جهة ، والعودة بالغنائم الثمينة لتقوية معنويات الجيش وتحسين اوضاعه من جهة اخرى .

ولقد غدت مقاطعة سبتمانية *Sept ania* في حوزة المسلمين بعد الاستيلاء على عاصمتها « اربونة » *Nabronne* ، وسبتمانية ، الاقليم الساحلي المتصل بالاندلس من جهة وبالريفيرا الإيطالية من جهة اخرى ، كانت تتالف من سبعة اقسام فسميت بهذا الاسم ، وهي من ممتلكات القوط الشرقيين الذين كانوا ذوى سلطان في ايطاليا ، فهي اذن خارج نطاق دولة الافرنج .

ولكن عندما استولى المسلمون على « طولوشه » *Toulouse* ، عاصمة اكيتانيا *Aquitaine* ، هاج الافرنج وماجوا ، لان العرب اخذوا يغزون

---

(١) رينو : « غزوات المسلمين في فرنسا وشمالي ايطاليا وسويسرا » (النسخة الانكليزية) ص ٢٤٦ والحقيقة أن رينو لا يستعمل لفظة « مسلمين » بل *Sarrazins* وقد عثرنا على اصل هذه الكلمة في « التنبيه والاشراف » للمسعودى (القاهرة ، ١٩٣٨) ص ١٤٣ اذ جاء فيها : « وانكر (نقفور) على الروم تسميتهم العرب (سارا قينوس) . تفسير ذلك عبيد ساره طعنا منهم على هاجر وابنها اسماعيل وانها كانت أمة لسارة » .



ممتلكات الافرنج لا القوط الشرقيين ، فحزم الدوق « اودو » (*Odon* أو *Eude*) (١) امره وهزمهم في موقعة « طولوشه » *Toulouse* التى قتل فيها القائد البطل السمح بن مالك الخولاني وذلك سنة ١٠٢ هـ ، فثار له خليفته عنبسة الذى لم يكن ليقل عنه جراة وبسالة ، ففتح « قرقشونة » *Carcassonne* ، الا انه لم يتوغل في دوقية « اكيتانيا » *Aquitaine* ذلك لان دوق « أودو » كان الآن حليفاً للعرب ضد العدو المشترك قارله او « شارل مارتل » ، فلم يضربهم من الخلف عندما تقدموا نحو نهر السين *Seine* وكان بوسعه ان يفعل ذلك ، والحق ان الغاليين جميعا كانوا يكرهون الفرنجة ويكنون العداء لقارله ... وكانوا مستعدين ان يحالفوا حتى الشيطان ضده ! ...

واخبار عنبسة في « البيان المغرب » لابن عذارى (جـ٢/ص٢٦) و « الكامل » لابن الاثير (جـ٥/ص ٢٧٣) و « نفح الطيب » للمقرى (جـ٢/ص٩) وتاريخ ايزيدور الباجي وكتب سائر مؤرخي الفرنجة لهذه الفترة ، اما من المحدثين فقد عني به وباخباره المستشرق الفرنسي رينو *Reinaud* في كتابه « غزوات المسلمين في فرنسا وشمالي ايطاليا وسويسرا » والامير شكيب ارسلان في « تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وايطاليا وجزائر البحر المتوسط » والدكتور حسين مؤنس في كتابه « فجر الاندلس » .

فرحم الله عنبسة فقد كان امثولة رائعة للبطولات العربية ... تلك التى نراها تتكرر اليوم في ارض الفداء « فلسطين » ، ففلسطين بداية السلسلة من البطولات العربية الجديدة .

ومن يدرى ؟ فلو كنا ممن يؤمنون بتناسخ الارواح لقلنا ان ارواح ابطال العرب القدامى الفاتحين قد تقمصت اجساد الفدائيين في عصرنا هذا .. فراحت تصنع المعجزات وتاتي بالاعاجيب !

■■

صفاء خلوصي

---

(١) يرد اسمه في المدونات الافرنجية بهذين الرسمين المختلفين .

★ في سبيل موسوعة علمية

نجوم السماء

■ انت الآن واقف على سطح الأرض فى العراء . والوقت ظهر . وانت تنظر الى السماء فتجد قبة زرقاء غبراء ملؤها الضياء . واغمض عينيك اثنتى عشرة ساعة ثم افتحهما ، فماذا ترى حيث وقفت .. عند تلك النقطة من سطح الأرض فى ... ذلك العراء ؟ انها قبة سوداء نثروها بقطع صغيرة من الماس اللامع عدد الحصى . ثم اغمض عينيك مرة أخرى اثنتي عشرة ساعة ، تعد اليك القبة ذات الضياء . وعد الى اغماضهما ، وفتحهما تعد اليك القبة المرقطة السوداء .. وهكذا دواليك .

بعد ما بين سماء النهار ، وسماء الليل ، فى تلاحقهما يجعل منهما شيئين مختلفين ، ويحرم عقل الانسان من الغبطة الفكرية المباشرة ، التى يستمتع بها من هذه الظاهرة ، ظاهرة الوجود الكبرى ، تلك الظاهرة التى يَحجُب فيها عن بصره العالمُ الاكبر كله نهارا ، فيصبح اعمى لا يراه ، فى حين انه انما حجبه عن عينه رسولُ النور فى السماء منذ اشراقه . ثم يغيب رسول النور ليلا ، ويأتي الظلام ، فيكون الانسان فى الظلام اهدى ، ويكون للعالم الاكبر ابصر .

فى نور الشمس هو يرى وديان هذه الارض وجبالها ، ويرى مسارب الحياة وطرق العيش فيها . وهو فى ضوئها يزرع ، ومن ضوئها يدفأ .

وفى ظلام الليل ، عندما تغيب الشمس ، هو يرى الأكثر . واذا نحن استخدمنا التقريب الحسابى لما قلنا الأكثر ، واذن لقلنا الكل . فهذه الكرة الأرضية التى نعيش عليها نقطة من بحر



بقلم الدكتور أحمد زكى

لِلنُّجومِ كَما لِلنَّاسِ أَعْمَار ،
فَهِىَ تَحْيَا ، وَهِىَ تَمُوت

محيط . واذا نحن اقتبسنا من البحر المحيط قطرة لم يزل كلا .

حياة النهار ، والشمس طالعة ، حياة لكسب الرزق ، وكسب الرزق اضعه بين اعلى درجات التعبد . الرزق يكسبه الانسان حلالا لنفسه ، واهله . ومع الرزق الشكر .

وحياة الليل ، حياة الظلام ، للدارس الباحث فى الظلام الذى يملأ الكون فوق رأسه ، هي حياة من علم ، والعلم نور . وهي عندي اعلى درجات التعبد . التعبد الفاهم . التعبد الدارس . التعبد الذى فيه الغبطة . وهو اشد صنوف التعبد جهدا .

انت وقفت على الارض ، وما وقفت

انا بدات حديثى بأن اوقفتك على سطح الارض ، فى العراء ، تنظر الى اعلى ، الى السماء . ولو ان فى هذا العالم الواسع شعوبا غيرنا ، ولو ان فيه اناسيّ وارضين امثالنا ، واستطاعت ان تراك ، على الرغم من ضآلة الكرة التى انت واقف عليها ، ثم ضآلتك انت المتناهية منسوبة الى ضآلة الكرة ، اذاً لما استطاعت كلُّ هذه الشعوب ان تقول انك وقفت، وانك رفعت بصرك فنظرت. بعض يراك فوق هذه الكرة الارضية ، وبعض يراك تحتها ، وبعض يراك بين بين . ان الذى يتراءى لهم ان رجليك ارتبطتا هنا بسطح الارض حيثما وُجدتا عليها ، وان اهل الارض قاموا على الكرة كالمسامير ، وهي من حديد ، رُشقت عمودية على سطوح كرة تمغنطت . ولقد يبدأ ناظر بقدمي رجل واقف على نقطة بسطح هذه الكرة ، ويمضي فى رسم خط مستقيم يمر بمركز الكرة ويخرج

من ناحية سطحها الآخر ، فيخرج به ، لا عند راس انسان ، ولكن عند قدمي انسان . انسان يقول انه واقف ، وما وقف . وينظر اليه الناظر من ذلك الموقع البعيد عن الارض فيقول انه تدلّى .

انه العالم الواسع الذي تتعطل فيه حتى اللغات . فلا فوق فيه ولا تحت . ولا يمين فيه ولا يسار . انما هي لغتنا ، لغة بني الناس ، من اهل هذه الارض ، اذا حاولنا ان نفرضها على الكون الأكبر ، تعثرت .

سالت صبيا : ما المع نجم في السماء تراه عيناه ؟

غربت الشمس ، واخذت تظلم السماء . فلما تم اظلامها سالت صبيا من اهلي ، اي نجوم السماء اكثر التماعا؟ فما هي الا نظرة في السماء خاطفة ، حتى اشار باصبعه الى الغرب ، وقال : هذه الزُهَرَة هي المع شيء في السماء .

صدق الغلام فيما زعم ، فقد كانت الزهرة حقا المع « شيء » في السماء .

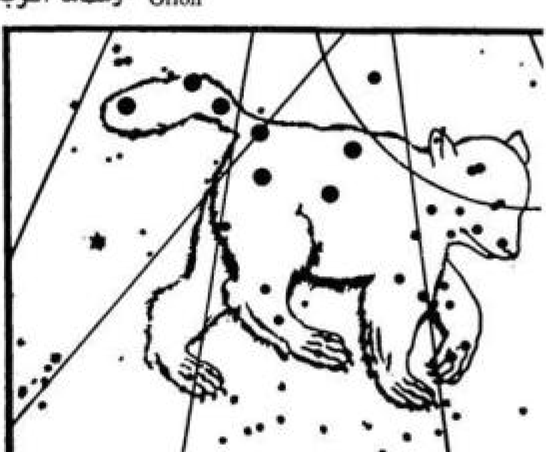
ولكني سالته عن المع نجم . وما الزهرة بنجم . ان الزهرة كوكب ، ككوكب هذه الأرض ، ضياؤه ليس منه . انه من الشمس انعكس عليه .

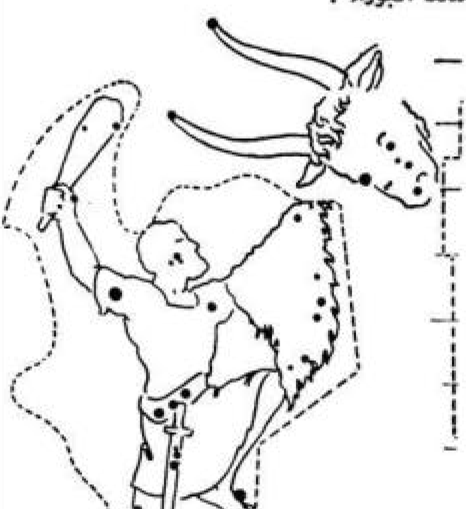
واوضحت ذلك للصبي فعاد ينظر في السماء . ووقع على نجم في نحو اوسطها . قال : هذا اكثرها التماعا . قلت : نعم .

انه النجم المعروف بالشِّعْرَى اليمانية ، وهو بالافرنجية Sirius ، قريب من الجوزاء او كوكبة الجبار . ذلك الجبار الذي لبس حول وسطه منطقة من نجوم ثلاثة ، وحمل دونها خنجرا كان رمزا متواضعا للجبروت .

وانه حقا المع نجوم السماء لا يكاد يرتاب في هذا ناظر الى السماء .

نظر القدماء الى نجوم السماء ، وارادوا ان يتعرفوا عليها ، فخالوا لكل كوكبة (مجموعة نجوم) منها شكلا يذكرونها به . فمن اشكالها ما ربطوه بشكل الدب ، وآخر بشكل الكلب ، وآخر بالثعبان . ومنها ما ربط القدماء من اليونان اسمه باسم آلهة لهم وابطال . وفي الصورتين المرفقتين، اولاهما : بها الكوكبة المعروفة باسم الدب الاكبر ، فهكذا هم خالوا نجومها . وفي الصورة الثانية الكوكبة التي اسمها الجبّار Orion وسماها العرب كذلك الجوزاء .



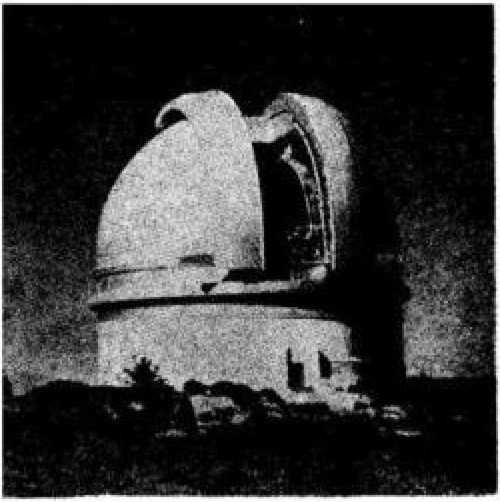


وسألت الصبي :
ما اقرب نجوم السماء الينا ؟

وعدت اسأل الصبي : فما اقرب نجوم السماء الينا ؟ قال : هذا . يعني الشعرى اليمانية وهنا اخطأ . فليس المع الأشياء دائما اقربها . ان الشمعة تقترب فتكون اضوا من مصباح كهربائي قوته مائة شمعة موضوع منا على بعد مائة متر أو مائتين . اللمعة تتوقف على قوة مصدر الضياء ، وعلى بعده عنا .

وهنا سألني الصبي : فما اقرب نجوم السماء الينا ؟ قلت : انه نجم اسمه عند علماء الفلك الافرنج Alpha Centaurus وعربناه، فقلنا الفا قنطورس. قال واين هو من السماء ؟ واراد ان يراه . قلت لو رايته لما وجدنه ، برغم اقترابه ، فى التماع الشعرى اليمانية ، فهو اقل ضياء فى بصر العين ، واقل كثيرا . قال : ولم لا أراه ؟ قلت : لأنه فى الناحية الاخرى من قبة السماء ، يراه سكان الجنوب من كرتنا هذه الارضية .

وعاد الصبي يسأل : وكم يبعد عنا هذا النجم ، اقرب نجوم السماء الينا ؟ قلت : يبعد نحو ٢٦ مليون مليون ميل . ففغر الصبي فاه . قلت : هل فهمت : قال نعم . قلت : بل فهمتها ارقاما ولم تحسّها مسافة . لا أنت ولا انا ، لأننا فى حياتنا لا نحس من المسافات الا الميل والعشرة الأميال والمائة . اما المليون فقياس يخرج عن نطاق خبرتنا على هذه الارض. قال : فكيف احسه ؟ قلت : ان الشمس تبعد عنا نحو ٩٣ مليون ميل . فهب اني كتبت نقطة بقلمي هذا ، على الورقة هذه ، وقلت لك هذه تمثل الشمس ، فهل تدرى اين يقع النجم قنطورس ، اقرب نجوم السماء من هذه النقطة ؟ قال : اين يقع ؟ قلت : انا عندئذ نمثله بنقطتين مثل هذه ، على بعد ٤ اميال من هذه . واقول نقطتين ، لأن هذا النجم يتألف من زوج من النجوم . فهذا المثل يريك كم تتباعد النجوم بعضها عن بعض . ثم كم بين النجوم من مسافات خالية .

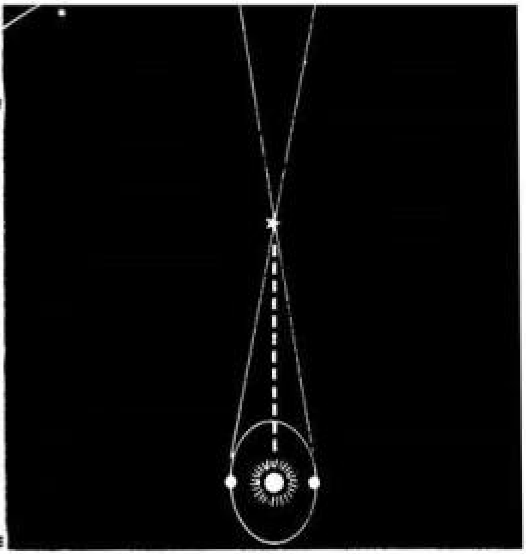


قبة مرصد بالومار Palomar Observatory قبة علوها يبلغ ٤٠ مترا ، وبها التلسكوب الذى قطر مرآته مائتا بوصة . وهي اكبر المرايا . اما بالومار فهو جبل بولاية كلفورنيا بالولايات المتحدة ، وقد اقاموا المرصد من الجبل على ارتفاع مقداره ٥٦٠٠ قدم عن سطح الارض، اى اكثر من ١٥٠٠ متر

وحدة القياس
التي نقيس بها ابعاد السماء

ان وحدة قياس الأبعاد على هذه الأرض ، المتر ، وأجزاؤه الصغرى ، واضعافه الكبرى كالكيلومتر . او هي القدم واجزاؤه الصغرى ، واضعافه الكبرى كالياردة والميل . وقد عرفنا ان اقرب النجوم الينا يبعد عنا نحو ٢٦ مليون مليون ميل . وهذا اصغر الأبعاد . اذن فوجب ان نرتفع بوحدة القياس لتفى بهذه المسافات الشاسعة فى هذا الكون الذى لا يكاد يحدّه شيء .

ووقع العلماء على الضوء . على ما يقطعه الضوء فى زمن ما . انه يقطع فى الثانية ١٨٦٠٠٠ ميل . وهذه وحدة



رسم يريك كيف يقيس الفلكيون بعد نجم قريب من الأرض. بالصورة من أسفل الشمس، وحولها دائرة هي مدار الارض حولها . وعلى المدار صورتان لوضعين من الارض بينهما ستة اشهر . فى الموضع الاول يرصد العلماء زاوية النجم . وفي الموضع الثانى يرصدون زاوية النجم . واذن حصل العلماء على ابعاد المثلث الذى راسه النجم ، وقاعدته بُعد الموضعين الارضيين . اما الوضعان فقد سبق العلم ببعدهما . واما زاويتا القاعدة في المثلث فقد حصلوا عليها بالرصد الذى وصفنا . وبمعرفة ابعاد هذا المثلث ، عرفوا بعد النجم .

قياس لا تكفي . ولا يكفي ما يقطعه الضوء فى دقيقة او ساعة او يوم . وحسبوا فوجدوا ان الضوء يقطع فى العام نحوا من ٨٨ر٥ مليون مليون ميل (نحو ٦ مليون مليون ميل) قالوا هذا يكفي . وسموا هذه الوحدة « ما يقطعه الضوء فى سنة » . ووجدوا ان هذا اسم طويل ، فقالوا : ان الوحدة « سنة ضوئية » . اختصار مفيد . نعم ، ولكنه اوجد التباسا عند غير العارف . فهو اسم يوحي بأنه قياس زمني ، وما هو الا قياس مسافة .

واتخذوا الضوء اساسا لهذه الوحدة لان سرعته هائلة ، ولانها ثابتة .

ونستخدم هذا المقياس الجديد فى التعبير عن بعد النجم قنطورس ، عنا ، فبدلا من ان نقول انه يبعد عنا نحو ٢٦ مليون مليون ميل ، نقول انه يبعد عنا ٤ر٤ من السنين الضوئية .

لا نرى السماء كما هي اليوم ولكن كما كانت بالأمس البعيد

ينتج عن ذلك ان النجم قنطورس ، وهو اقرب النجوم الينا ، لا نراه اليوم كما هو اليوم ، ولكن كما كان قبل ٤ر٤ من السنوات .

وذلك لأن الضوء الواصل الينا هذه الساعة انما بدأ رحلته من هذا النجم منذ ٤ر٤ من السنين .

وكذا النجم الذى بعده عنا ٢٠ سنة ضوئية نراه اليوم كما كان قبل ٢٠ سنة .

والنجم الذى بعده عنا ١٠٠٠ سنة ضوئية نراه اليوم كما كان منذ ١٠٠٠ سنة ضوئية .

وما ادرانا ، فلعل من هذه النجوم التى نراها اليوم ما لا وجود له اليوم فى السماء !

نجوم السماء الأقرب الينا

الشمس هي بالطبع اقرب النجوم الينا .

وغير الشمس نجد ان بضعة وعشرين نجما من نجوم السماء يقل بعدها عنا نحو ١٢ سنة ضوئية . ومنها بالطبع النجم الأقرب ، قنطورس . وبين هذه النجوم ثلاثة من المع نجوم السماء ، ولكن اكثر هذه النجوم اقل التماعا من ان تراه العين بغير التلسكوب على الرغم من قربه .

انها علاقة بين شدة التماع النجم ، وقربه منها او بعده . ان الالتماع يزيد فيه القرب لا شك ، وينقص منه البعد ،

ولكن مصدر الالتماع الاصيل هو ما يكون فى النجم من انتاج ضياء .

وجعلوا للنجوم مراتب حسب التماعها الظاهر لأهل الأرض

ان النجوم تختلف فى عين الناظر اليها ضياء ، فبعضها اللامع ، وبعضها الأقل التماعا ، وبعضها الذى خَفَت فلا يكاد يُرى .

وقد درج القدماء من اهل الفلك على ان يجعلوا للنجوم مراتب : من حيث ما تعطى للعين من ضوء ظاهر لاهل الارض فهى ليست مراتب تتصل باحجامها ولا اوزانها ولا حتى بمقدار النور الذى يخرج من النجم حيث هو من السماء ، ولهذا اسميناها مراتب ظاهرة Apparent Magnitudes .

قالوا نجوم المرتبة الاولى ، فالثانية ، فالثالثة ، وهلم جرا ... وكل مرتبة من هذه ألمع مرتين ونصف مرة ، مثل المرتبة التى تليها . فاذا نحن جئنا على المرتبة السادسة وجدناها اقل التماعا مائة مرة من نجوم المرتبة الاولى .

والنجوم ذوات المرتبة السادسة هي اقصى ما تستطيع العين المجردة رؤيته . واذن يلزم استخدام منظار التلسكوب من بعد ذلك . وبالتلسكوب نستطيع ان نرى عادة الى المرتبة الثالثة والعشرين . رأوا نجومها بالتلسكوب الذى مرآته ٢٠٠ بوصة .

وجعلوا للنجوم مراتب وفقا لما تنتجه من مقدار ضياء وهي حيث هي من السماء

اعطى علماء الفكر للنجوم مراتبها الظاهرة تلك ، بناء على مقدار ما يصل اعيننا فعلا من التماع لها ونحن على سطح الأرض . واختلف قدر التماعها فاختلفت فى اصطلاحنا مراتبها الظاهرة .

ولكن هذه المراتب لا تصدق على حقيقة مراتبها وواقع التماعها حيث هى من السماء . فهي مختلفة فى البعد عنا والقرب منا ، فمراتبها الظاهرة مراتب كاذبة . اما مراتبها الصادقة ، لرائيها الحقة ، او المطلقة كما يسميها الفلكيون، Absolute Magnitude فلا سبيل اليها الا اذا وضعناها جميعا على بعد واحد منا ، ثم قارناها بما يصل الى اعيننا من ضوئها ، ويكون فى ذلك البلاغ .

وقد اتفق علماء الفلك ان تكون هذه المقارنة بوضع كل هذه النجوم على بعد منا يساوى ٣٢٫٥ من السنوات الضوئية (اختاروا هذا الرقم لسبب يتصل بالزاوية التى يصنعها النجم مع موضعين من الارض عند دورانها حول الشمس لا داعي لتناولها هنا) . وهم اذ علموا المسافة التى يبعدها النجم عنا ، ودرجة التماعه الظاهر ، امكنهم حساب ما تكون عليه درجة التماعه عند هذا البعد الذى وحّد بين النجوم . واذن امكننا اعطاء النجوم مراتب صادقة تدل على حقيقة حالها .

وشمسنا ، ولها بين النجوم اكبر التماع ظاهر Apparent Luminosity ، اذا نحن وضعناها على بعد ٣٢٫٥ سنة ضوئية ، اذن لظهرت لأعيننا نجما ضئيلا ضعيفا تكاد لا نراه بأعيننا العارية .

والنجم المسمى الرجل Rigel ، وهو احد نجوم كوكبة الجبار (الجوزاء) ، يبعد عنا نحو ٥٠٠ سنة ضوئية . وهو لو اقترب منا ، كمثل اقتراب الشمس ، لكان التماعه ... ٥٠ مرة كالتماع الشمس .

طاقة النجوم من اين مصدرها

مصدرها من الطاقة النووية التي فيها تتحول ذرات الأدروجين ، او ان شئت نوياته ، الى عنصر الهليوم . وقد شرحنا هذا فى الكلمة التى قدمناها فى الشمس

بالذي فيه الكفاية ، وذلك في العدد السابق من العربي .

ونذكر فنقول انا قلنا هناك ان العلماء يقدرون ان الشمس « تحرق » في الثانية نحو ٥٦٤ مليون طن من الادرجين فتنتج الهليوم وهي بهذا تخرج من الطاقة مثل ما تخرج بضعة الوف الملايين من القنابل الادروجينية عند تفجيرها .

ونعود فنقول ، وما الشمس الا نجم بين نجوم .

وما هي بينها الا النجم الصغير المتواضع .

النجوم واطياف ضوئها

ان طالب علم الفزياء ، في مدرسته الثانوية او في الجامعة ، يمرر شعاعا من الضوء الابيض في منشور زجاجي ثلاثي الاضلاع فيخرج هذا الشعاع من الضلع الآخر ، وقد انحلّ الى الوان عدّة ، من الاحمر ، الى البرتقالي الى الاصفر ، الى الاخضر ، الى الازرق ، الى النيلي الى البنفسجي ، فهذا هو الطيف الضوئي المألوف .

والطيف الضوئي الذي نحصل عليه من النجم يعطينا من اخبار هذا النجم الشيء الكثير . ان الضوء هو الشيء الوحيد الذي يصلنا بالنجم ، ويصل النجم بنا. وجهاز الطيف يحلل هذا الضوء فيكشف لنا من حال النجم الشيء الكثير .

من ذلك انه يخبرنا عن درجة حرارة النجم ، كم هي . .

ويخبرنا عن تركيب النجم الكيماوي ، ما هو . .

ويخبرنا هل للنجم جوٌ يحيط به ، كالشمس ، ام لا . .

ويخبرنا عن مغناطيسية النجم ، أله منها حظ ام ليس له . .

ويخبرنا عن ضوء النجم . . كم هو . وعن لونه ، ما هو . ويمهد لنا بكل ذلك السبيل الى ضم اسَر النجوم معا ، على وفاق احيانا ، واحيانا على اختلاف .

والبعد والقرب منا .

وهذا العالم الى اى مدى يمتد . واين منه يقف بنا العجز .

اننا اذا نحن حطّمنا تلك الاجهزة التي نسميها « بالاسبكترسكوبات » ، او المطيافات ، المنتشرة في كل مراصد العالم ، وما تطورت اليه من اجهزة ، اذن لوقفنا بعلم السماء ، علم الفلك ، الى الأبد » .

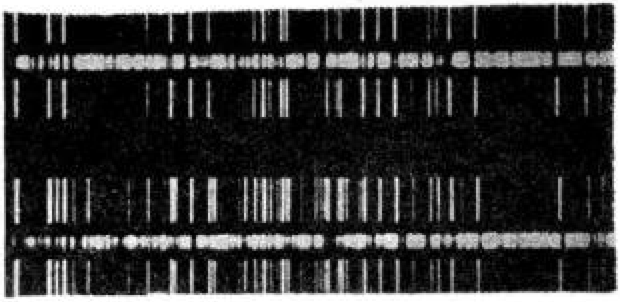
النجوم في حركة دائبة

ليس منا من لا يعرف النجوم ذات الذنب Comets . ومنها مذنب هالي Halley الشهير . وسموه باسمه لان هذا الرجل الفلكي كاشفه . وهو المذنب الذي قال عنه ابو تمام قديما :

وخوّفوا الناس من دهياء مظلمة
اذا بدا الكوكب الغربي ذو الذنب

فهذا الرجل العالم كان اول رجل افسد على الناس ما خالوا من ان النجوم ثابتة في السماء ، كأنما هي قناديل معلقة لا تبرح مكانها .

فقد كشف هالي في عام ١٧١٨ عن موضع النجم المعروف بالشِّعْرى اليمانية Sirius وهو ألمع نجوم السماء ، واثبت انه تزحزح عن موضعه الذي اثبته له العالم الفلكي القديم بطليموس الشهير ، المواطنْ الاسكندرى ، الذى عاش في الاسكندرية في القرن الثاني بعد الميلاد . كشف هالي ان نجم الشعرى اليمانية تزحزح في فترة من الزمن تبلغ



لمعرفة حركة النجم ، هل يقترب منا ، أم يبتعد عنا ، ناخذ بالفوتوغرافيــــة في المراصد صورة" من طيفه الضوئي.ثم نقارنها بالطيف السوي" . ونرى مقــدار زحزحة خطوط طيف النجم عن مواضعها ، فان كانت الزحزحة ناحية الطــرف البنفسجي فالنجم يقترب . وان كانت في ناحية الطرف الأحمر فالنجم يبتعد . وفي المقارنة العليا تزحزح النجم الى اليسار (الى الطرف البنفسجي) وفي المقارنة السفلى تزحزح النجم الآخر الى اليمين (الى الطرف الاحمر) . ومن مقدار الزحزحة يحسب مقدار اقتراب النجم او ابتعاده .

نحو ١٥ قرنا مقدارا يتراءى في السماء بمقدار ما يتراءى لناظره قرص القمر وقد اكتمل فكان بدرا .

وتسأل : وكم يكون طول المسافة التي تزحزحها ؟ وبالطبع هي مسافة كبيرة هائلة اذا ما اعتبرنا بعد الشعرى اليمانية عنــا .

وببعد النجم عنا ، فيقل ادراكنــا لحركته ، فانما هي حركة نسبية تتراءى على رقعة السماء التي يتحرك فيهــا النجم ، ومن ورائه نجوم ابعد منــه ، وابعد كثيرا حتى ما نحس لها حركة ولا زحزحة فهي عندنا في حكم الثابتــة ، تكشف بها حركة النجوم التي هي اقرب الينا منسوبة الى تلك البعيدة التي لم نجد بدا من اعتبارها ثابتة .

وتسمى هذه الحركة التــي تكشف عنها ، بمقارنته النجم الى ما وراءه مــن نجوم بعيدة ثابتة في اصطلاحنا ، تسمى بحركة النجم الخاصة Proper Motion of the Star .

ولكن هناك حركة اخرى تكشف عــن حال النجم ، من حيث اقترابه منا ، او ابتعاده عنا . اي سرعة النجم في خط البصر منا واليه . وهذه نكشفها من الطيف الذي نحصل عليه من ضوء هذا النجم ، بناء على ظاهرة كشفها العلماء وهي :

ان الخطوط التي بطيف النجم اذا قورنت بالطيف الضوئي العادي ، فوجدت انها تتزحزح ناحية الطرف البنفسجي ، دل ذلك على ان النجم يقترب منا . فاذا وجدت انها تتزحزح ناحية الطرف الاحمر ، دل ذلك على ان النجم يبتعد عنــا .

ولا نستطيع ان نزيــد بالدخول في تفصيل ذلك .

الغاية ان هذه الظاهرة افادتنا كثيرا في معرفة اقتراب النجوم وابتعادها عنا .

وبهذه الظاهرة عرفنا ان الشمس ، (وهي تتحرك يتقدمها قطبها الشمالــي تجاه ناحية خاصة في السماء) ، تقترب منها وتتزاحم عليها نجوم السماء التــي هي مقبلة عليها . امــا النجــوم التــي وراءها فتبتعد عنها .

وشيئا آخر عرفناه من تلك الظاهرة : ان النجوم تدور حول محورها . وذلك لأن النجم وهو يدور ، جانبه الايمــن يبتعد عنا مثلا ، واذن فجانبه الأيسر يقترب منا . نستنتج ذلك من طيفيهما . واذن فالنجم يدور على محوره . وندرك في اي اتجاه يدور ، مع اتجاه عقرب الساعة ، أو على عكس اتجاهه .

ولا ننسى عند الحديث عن الحركة ، حركة مجرتنا ، تلك التي شمسنا هي

نجم من بعض نجومها ، وقد ذكرنا من هذه الحركة ما ذكرنا فى الكلمة التى سبقت عن الشمس . ان هذه المجرة ، بنجومها التى تبلغ من حيث جرمها نحو ١٠٠٠٠٠ مليون شمس ، تدور حول محور لها . وهي تتم دورتها فى نحو ٢٠٠ مليون من السنين .

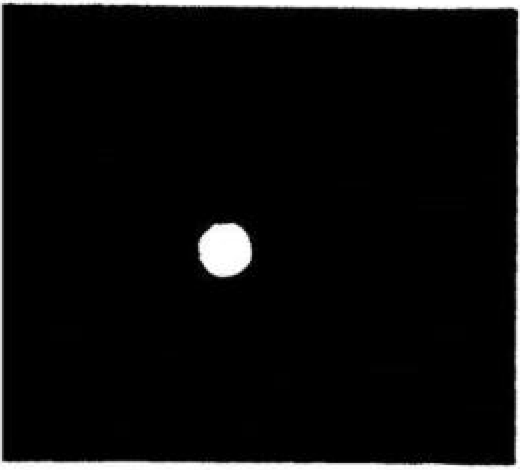
وستتحدث عن المجرات فى كلمة اخرى خاصة بذلك. فهي بدورها قدّروها بنحو الالف مليون مجرة .

تصنيف النجوم وفقا لأطيافها الضوئية

يقوم علماء الفلك بحل الضوء الذى يصل من نجم ما الى طيفه ، الطيف ذى الألوان من الأحمر الى البنفسجى الذى ذكرنا ، ومنه يستنتجون كل ما يعرفون عن النجم كما قلنا . ومن ذلك أنهم شاهدوا ان من النجوم ما تظهر في طيفه الخطوط التى تدل على وجود غاز الهليوم فيه بكثرة ، وفيه خطوط الأدروجين أقل كثرة . وهذا دليل على ان سطح النجم (الذى هذا الطيف طيفه) شديد الحرارة. وهذا يتفق مع لون الضوء فهو أميل للزرقة. ومن أمثلة ذلك «رِجل الجبّار» (رجل الجوزاء اليسرى) .

يلى بعد ذلك فى التصنيف الطيف الذى تكون فيه خطوط الادروجين اظهر. ومعنى هذا ان سطح النجم له درجة من الحرارة اقل شدة من نجوم الصنف الأول . وهذا يتفق مع لون الضوء الأقل زرقة . ومن امثلة ذلك « الشعرى اليمانية » .

وهكذا نتدرج فى تصنيف للأطياف ، وهى تدل على درجات حرارة لسطوح النجوم أقل ، فعلى لون تراه العين يميل عن الزرقة الى الصفرة . ثم تأخذ تظهر خطوط العنصر والمركبات فى الأطياف ، وبهذا ننزل الى النجوم ذوات السطوح ذوات درجات الحرارة الدنيا. ويصحبها



يحدث ان بعض النجوم غير ذات الخطر ، غير ذات وكان خافتا لا يكاد يرى ، يفرض نفسه على الناظر الى اشهرا او سنوات . ومن اجل ان هذه النجوم تظهر ، ومعناه الجديد.ومن العرب من سمّاه النجم المستعر.

لونها الأحمر الذى تراه العين . ومن أمثلة ذلك « مَنكب الجوزاء » .

وجعلوا هذه الأصناف ستة . وعادوا فقسموا كل صنف منها الى صنوف صفرى .

المهم فى هذا هو اطراد هذه العلاقة .

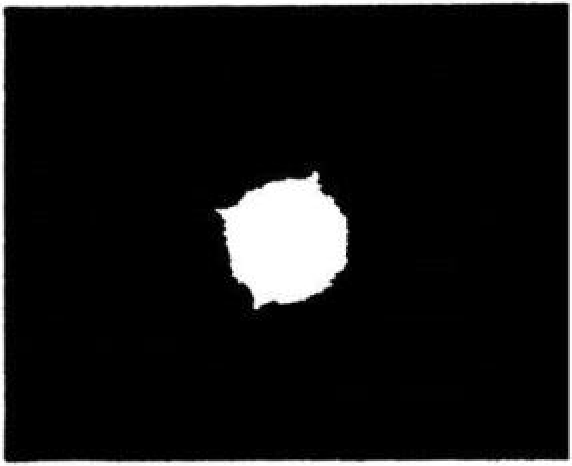
ان هذا التدرج فى الطيف ، نزولا من اللون الأزرق الى اللون الأحمر ، أو ان شئت فمن درجة حرارة سطح النجم الكبيرة الى الصغيرة ، جارٍ تدرُّجا النزولَ من المراتب العليا لالتماع النجوم المطلق الى المراتب الدنيا .

وهذا الاطراد شمل النجوم القريبة منا . القريبة من الشمس فى مجرتنا نحن .

النجم العملاق والنجم القزم

ذكرنا اطراد صنف الطيف ، للنجوم





السطوع في السماء ، ان تتحول فجاة ، فتسطع سطوعاهائلا بافتا ، يظل يتزايد بضعة أيام . وحجم النجم ، ثم هو يهدأ . ورويدا رويدا يعود النجم عادةالى صغره ، والى خفوته ، ويستغرق هذا من الزمن السماء . من بعد ان لم تكن ظاهرة ، تراءى للناس كان نجما جديدا وُجد حيث لم يكن نجم . ولهذا أسموه Nova وتجد في الصورة النجم المسمى Nova Aquilae كيف تدرج من الخفوت الى السطوع ، انفجارا .

القريبة منا، مع التماعها. وصنف الطيف يعبر عن درجة حرارة سطح النجم ، وهذه تعبر عن لون النجم ؛ مائل هو للزرقة ، أو للحمرة .

ومعنى هذا ان نجوم الصنف الواحد من حيث الطيف لسطوحها درجات حرارة واحدة او متقاربة . اى ان الميل المربع من هذا السطح يعطى مقدار حرارة واحدة أو متقاربة .

ولكن يوجد غير هذه الأصناف انواع من النجوم ، احجامها كبيرة جدا ، وهى تدخل من حيث صنف الطيف فى الأصناف السابقة التى ذكرنا ، ولكن درجة التماعها تتجاوزها تجاوزا كبيرا ، وهذا دليل على أن لها سطحا عظيما يتجاوز سطوحها كثيرا ، واذن فحجم كبير يتجاوز احجامها .

فهذه هى النجوم العمالقة ، ومن امثلتها العملاق الأحمر فى بيت الجوزاء وقطره مثل قطر الشمس بنىع مئات من المرات .

وكما توجد العمالقة توجد الأقزام . والأقزام البيضاء White Dwarfs هى اصفر النجوم . ومع بياض التماعها ، ومع ان سطحها أكثر زرقة من الشمس واعلى درجة حرارة ، فهى لا تكاد ترى وهى لا تزيد حجما عن بعض كواكب الشمس . ومن أمثلتها النجم الصغير الذى يرافق نجم الشِّعرَى اليمانية .

النجوم لها حياة طويلة ثم تفرغ منها أسباب الطاقة فتضمحل ثم تموت

ان النجوم مصادر للطاقة عظيمة مصادر للحريق النووى كبيرة . وكل حريق لا بد يفرغ . وعندئذ تفرغ الحياة .

وذلك عندما يتحول كل « الفحم » الى « رماد » وتأخذ المواقد السماوية فى ابتراد .

على هذا النحو يدور تصور علماء الفلك لما كان ويكون .

ولنضرب مثلا غاية فى الايجاز مما يقول به بعضهم .

ان السماء مليئة بالتراب الكونى الذى يتمثل لأعيننا فى سحب ، تختلف كثافة ورقة، فتحجب عنا ما وراءها من اجرام سماء .

والنجم يولد بأن يبدأ يتكثف هذا التراب الكونى Cosmic Dust . وهو كلما تقاربت أجزاؤه احتر . وهو يزيد انضماما فاحترارا حتى تتفوز مادته ، اى تصبح غازا . ويزيد احترارا فوق ذلك فيتألق ويخرج منه ضياء . انه عدئذ نجم عملاق احمر كبير .

وبزيادة انضمام محتواه ، ولعله كذلك بتحولات متتالية تنشأ عنها طاقات ، يقترب النجم العملاق الأحمر من ان يكون نجما كاكثر نجوم السماء ، يدخل فى صنوفها الستة التى سبق ان ذكرناها ، وبدخوله فيها تذهب عنه عملقته، وتذهب عنه حمرته ، ويبدأ حياة النجم المستقر . وهى الحياة التى عمادها انتاج الطاقة الذرية ، من غاز الادروجين اذ يحوله الى غاز الهليوم .

وبعد حياة طويلة يبلغ زاد النجم من الوقود ، من الادروجين ، منتهاه . ويبلغ النجم اقصى درجة من حرارته . ويأخذ ينضمر ، ويدخل في دور النجوم البيض الأقزام . تلك التي قد يبلغ من انضمارها أن تصبح فى حجم بعض كواكب الشمس، كزحل مثلا .

ومن صفة هذه الأقزام انبيضاء صغر في التماعها ، يتماشى مع صغر اقطارها وأحجامها . ولكن كثافة مادتها تكون قد بلغت قدرا هائلا ، فقد انضمت حتى اصبح ما يملأ صندوق عيدان كبريت يزن بضعة أطنان .

ان النجوم الأقزام البيضاء هى الغاية التى عندها تنتهى النجوم . نجوم لم يبق فيها من التحول الذرى النووى شىء ، وهى لا شك آخذة فى ابتراد .

ان النجوم الأقزام هى الصور التى تنتهى اليها كل النجوم ، وهى مزالقها جميعا الى القبور ، الى الموت . ●●

احمد زكى



من النجوم ما ينفجر، وفي انفجاره ، يقذف بمقادير هائلة من مادته ، ويقذف بها بقوة فتمضي مبتعدة عن موضع النجم بسرعة قد تبلغ الوف الأميال في الثانية . ومن امثلة ذلك ما نراه اليوم في السماء ونسميه بسديم السرطان Crab Nebula ، وهو من السدائم المعروفة بلفظ Super Nova أى النجوم الشديدة الاستعار . وهذا السديم لاحظه الصينيون في عام ١٠٥٤ م .

مسابقة العربي

أجب على ٨ أسئلة .. واكسب ١٠٠ دينار

■ تتلخص مسابقة هذا العدد في ١٠ أسئلة من مختلف نواحي المعرفة . والمطلوب منك أن تجيب اجابة صحيحة على ٨ أسئلة على الأقل لكي تفوز باحدى جوائز المسابقة .

١ ـ ملك حكم بابل فيما قبل الميلاد . اقترن اسمه بقانون شهير اعتبر من أوائل القوانين الموضوعة في العالم .
ما اسمه ؟!

٢ ـ لويس بريل ***Louis Braille*** مخترع طريقة بريل التي يتمكن العميان عن طريقها من الكتابة والقراءة .. أصيب هو الآخر بالعمى في سن : الخامسة والثلاثين ـ الثالثة ـ السبعين .

٣ ـ من هو الفيلسوف الشهير الذى كان تلميذا لسقراط ؟

٤ ـ تربط قناة « كيل » بين بحرين من هذه البحار الخمسة فأى البحرين هما :
بحر الشمال ـ البحر الاسود ـ البحر الابيض ـ البحر الاحمر ـ بحر البلطيق .

٥ ـ مدينة نيويورك كان لها اسم آخر في التاريخ هو :
نيو انجلند *New England* ، نيو امستردام *New Amesterdam* نيو أورليانز *New Orleans*
فما هو الاسم .

٦ ـ أى الاحجار الكريمة يتكون من الكربون الذى هو عنصر الفحم فقط :
الزمرد ـ الماس ـ الياقوت .

٧ ـ جزيرة من هذه الجزر تعتبر أكبر جزيرة في العالم :
مدغشقر ـ جرينلاند ـ كورسيكا .

٨ ـ كم يبلغ طول قطر الشمس : ٨٥ ألف ميل ـ ٥٢٥ الف ميل ـ ٨٦٠ الف ميل .

٩ ـ البحر الميت منخفض عن سطح البحر ، ومقدار انخفاضه هو : ٢٦٠ قدم ، ٥٧٠ قدم ، ١٢٨٦ قدم .

١٠ ـ ما هو العنصر الشائع في الكون والذى يكون ٦٠٪ من جميع المواد ـ الاكسجين ـ الايدروجين ـ الكربون .

شروط المسابقة

١ ـ ان يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور في ذيل هذه الصفحة .
٢ ـ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .
٣ ـ ضع اجابتك في مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتى :
مجلة العربي ـ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ١٤٠ »
٤ ـ آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم الثالث من شهر اغسطس (آب) ١٩٧٠

الجوائز

يمنح الفائزون جوائز ١٠٠ دينار كويتى على الوجه الآتى :
الجائزة الاولى ٣٠ دينارا .
الجائزة الثانية ٢٠ دينارا .
الجائزة الثالثة ١٠ دنانير .
٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريق الاقتراع .

■■

كوبون مسا

الكاهنة

بقلم : سنية قراعة

■ الصحراء المترامية الاطراف تئن رمالها الذهبية تحت سنابك خيل الله ، وتكاد جنباتها الفسيحة أن تضيق بفرسان الجهاد البواسل ، الذين امتلأت بهم ، وقد خرجوا ساعين الى الجهاد ، منطلقين من الجزيرة العربية لاتمام وحدة الوطن الكبير وتحرير شعوبه قريبها والبعيد من تحكم الروم ، وطغيان الغرباء ...

الله أكبر تدوى هنا وهناك ، ولدويها ارنان حلو فيه اشعار بالقوة وروح التسامح والعدل .. وشهادة ان لا اله الا الله وحده بلا شريك في ملكه وملكوته ، وأن محمدا عبده ورسوله تنطلق بها الحناجر المؤمنة فى ايمان عميق ، فتهتز لاصدائها جوانب عالم يتوق الى الخلاص وقد نفد صبر أهليه من طول العسف ، وهول المظالم ، وتحكم الدخيل ...

وتدافعت الشعوب نحو الاشقاء القادمين بالخلاص ، ترحب بهم ، وتظاهرهم ، وتؤيد زحفهم المبارك ...

وما اسرع ما اخذت الحصون البيزنطية في الشام تهوى تحت المعاول العربية ، ثم استمر الاعصار فى تقدمه نحو الوادى الأخضر استجابة لنداء الاحرار من اهليه ..

وعظم امر اللقاء العربي وتعاظم تأثيره وقد سارت قوى الأهل كلهم تحت راية عمرو بن العاص لتقضى على مقاومة الروم ...

واخذ المهزومون يولون الأدبار مسرعين الى الاسكندرية حاضرة البلاد ، ومستقر واليها الرومي وقائد جيوشها ولكن .. لا حصون الاسكندرية ولا امدادات الامبراطور هرقل البحرية المتواصلة استطاعت أن تحمى الهاربين ، او توقف الزحف العربي الظافر ، فكان أن تم تطهير الوادى من لوثة الدخيل .

ومضى عهد العادل عمر بن الخطاب ...

وتولى زمن ذى النورين ... وجاء الامام الحبيب علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ...

ثم ... تولى معاوية بن ابي سفيان أمر المسلمين ، وأرسى قواعد وجود الدولة الأموية ..

وكان الخليفة عثمان بن عفان قد أوصاه أن ينشيء للمسلمين أسطولا يقف أمام الاسطول الرومي ، ويحمى هيبة الدولة الفتية ويرد عنها غارات الطامعين ..

لقد تقدم العرب من قبل فى الشمال الافريقي ، ورسخت فيه اقدام فئة كثيرة منهم ، وان لهم هناك لعصبية وقوة برغم سيادة الروم وتحكمهم .

وبث داهية العرب معاوية بن أبي سفيان عيونه وارصاده لتأتيه بالأنباء ...

كانت الحالة فى الشمال الافريقي كله غير مستقرة أساسا ... صراع بين اصحاب الأرض وأولئك الدخلاء الروم ... صراع لم تهدأ نيرانه أبدا ، ولم يخب له أوار ...

ان كل شيء معد تماما للوثبة ... الظروف كلها مهيأة تماما ... والريح موائية ... والتفوق البحرى راجح الكفة ، ولن تفلح بعد هذا خطط الروم فى عرقلة الاعصار العربي ...

وفى عام ٥٠ من هجرة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الموافق ٦٧٠ الميلادية ... وبعد ان خطط أمير المؤمنين معاوية للغزو ، ورتب كل شيء لتحرير الشمال الافريقي سلم راية القيادة للفاتح العربي العظيم « عقبة بن نافع » وأمره بالمسير فى رعاية الله وحفظه وحسن توفيقه ...


وتجمع الشيوخ
ورءوس العشائر
واحاطوا بالكاهنة
التى كانت اصابتها
قاتلة ...

واقترب عقبة من حدود تونس ، واشتبك مع الروم والبربر في مواقع يشيب لهولها الولدان ، وأيده الله بنصره ، بعد أن استبسل جنوده فرسان الله ... وراح عقبة يقيم دعائم البقاء والاستقرار ... وأسس « القيروان » عاصمته واقام فيها المسجد الكبير ... مسجد القيروان الجامع اقدم المساجد الاسلامية خارج الجزيرة بعد جامع عمرو بن العاص ...

وبدأ عقبة يدعو بدعوة الاسلام والسلام ... وبشر بالاخاء والمساواة والعدل ...

وتسامع البربر بالدعوة ... وطابت لسماعها نفوسهم ... ووجدوا في الدين ملاذا وحصنا وحمى ... فاسرعت جموعهم تبايع وتعلن الاسلام .

وان كسيلة سيد قبائل البربر ليصغي الى صوت المؤذن ... وينصت الى دعوة الكمال ، فتطيب نفسه ... وتجد الدعوة في قلبه صدى ، فيسارع باعلان دخوله في دين الله .

وانه بعد هذا ليعود الى بيته ... الى جنته الوارفة الظلال ... الى الوكر الحاني الذى طالما طرح خارجه كل مشاكله وهمومه ، ووعثاء جهاده ضد الروم الغاصبين الذين ظل يحاربهم طويلا ويقض عليهم المضاجع ، ويحرمهم الراحة ، حتى شاء الله أن تدحر جموعهم امام عقبة بن نافع .

عاد « كسيلة » الى بيته ... وان زوجته لتقبل عليه في لهفة وتسأله ماذا حدث : وهل هادن « عقبة » ورجاله ... واذا به يقول انه اجاب دعوة الاسلام .

وتراجعت امرأة « كسيلة » مرتاعة وكأنما احست بيد قاسية تنتزع قلبها من بين أضالعها ... وصاحت في زوجها تسأله فزعة مأخوذة ... هل كفر بالنار ... بالمعبود ... ببعل العظيم الذى هي كاهنته الكبرى ، وسادنة معبده المقدسة !! .

واقبل المحارب الشجاع على امرأته يهدىء من روعها ويطمئنها بانه ما كفر ولا خرج على دين .. فقد كان يعبد الوهم ، ويدين بالضلال ، وانه اليوم فقط قد اهتدى الى النور وطريق الحق ، وعرف ان له ربا عظيما خالقا يناجيه فيستمع الى نجواه ، ويناديه ، فيستجيب له ، ويستجير به ، فيجيره من عذاب الدنيا ومن أهوال الآخرة ...

وبدأت امرأة « كسيلة » تستشعر لونا من ألوان الهدوء النفسي يزحف الى قلبها مع كلمات زوجها الشجاع البطل ... ووقر في نفسها ان هذه العقيدة التي يتحدث عنها كسيلة بهذا الاخلاص ، لا بد أن تكون عقيدة صدق وحق ، والا ما عرفت طريقها الى قلب الزعيم العتيد وسيد قبائل البربر الشجعان ... وراحت تستزيده ، وتسأله وتستوضحه ، وهو يحدثها في حرارة وصدق وايمان ، وقد زاده الله فتوحا ، وألهمه ما كان يجب عليه أن يقول ...

وهكذا دخلت امرأة كسيلة في دين الله ، واقبلت على دراسته وتعرف أصول عباداته ...

كانت امرأة « كسيلة » شيئا خطيرا في عالمها ... وكانت صاحبة نفوذ بين قبائل البربر التي عرفتها باسم « الكاهنة » حتى لقد نسي الجميع اسمها الحقيقي وما عادوا ينادونها الا باسم « الكاهنة » او يشيرون اليها بالايماء وهم يدعونها « هي » ... فقد كان لها على القلوب سلطان ، وفي أعماق النفوس وقار مطلق لا حدود له وتقدير يسمو فوق كل الاعتبارات ، وتقديس محبب وعظيم ...

كانت « الكاهنة » صفية المعبود أولا ، وصاحبة الحظوة الأولى عنده ، وشفيع الناس اليه ، ومقدمة قرابينه وذبائحه ، والفائزة الأولى بعطايا العابدين المرفوعة الى سدته العالية ... فلا عجب ان كان خروجها على أهلها وعشائرها نقطة تحول كبرى ، في تفكير البربر اجمعين ...

لقد كان يكفي أن تقول ليطيعوا ، وأن تشير ليسارعوا في التنفيذ ، من أجل هذا كان اسلامها حدثا شغل الاهلين بامر الدين الجديد وطفرة وثابة فتحت الباب على مصراعيه لانتشار الاسلام .

لقد شغلت الكاهنة نفسها بالتفكير في الملكوت الاعلى ... وراحت تفكر في خلق السموات والارض ، وتتدبر الآيات البينات .

وراع « كسيلة » اخلاص زوجته ، وأحب فيها تعلقها بعقيدة الاسلام ، بل لقد وجد في ذلك التعلق الروحي حافزا يدفع به هو الآخر الى الاخلاص للدين الحنيف .

واخلص « كسيلة » لصاحبه « عقبة بن نافع » ، وزاد قربا منه ، وتعاطف الاثنان فيما بينهما تعاطفا ، كان مضرب الأمثال ...

وكان عقبة لبقا ، حاذقا ، صادق الفراسة ، صائب النظرة ، رأى في اخلاص « كسيلة » الشديد ، ما جعله يزيده منه قربا ، حتى لقد أعلى مكانته ورفع مرتبته الى درجة جعلت نعرة

الجاهليـــة الأولى تداخل قلب كســـيلة من جديد ...

لقد عرف من قبل ان الاسلام دين المســـاواة المطلقة ، وانه لا طبقية فيه ، ولا طبقات ، وان اكرم الناس عند الله اتقاهم .

ولكن تلكم المكانة الجديدة التي بدأ ينالها عند القائد عقبة بن نافع جعلته يحس التعالي مرة ثانية فقلق قلبه في معاملة اهليه .

وحاول عقبة بن نافع ان يرد كسيلة الى حظيرة الحق بالتي هي أحسن واقوم ، فراعه ان وجد منه اصرارا على خطته تلك حتى لكانه احس في نفسه ان عقبة بات يغار منه ويخشى على مركزه .

وبدأت قبائل البربر تتهامس عن قرب حدوث مفاجأة مثيرة .

واسرع عقبة يحاول القضاء على الفكرة الخبيثة، وبادر الى اطفاء جذوة الشر ... وجمعه ذات يوم مجلس وكسيلة ووجوه عشائر البربر ... وحان وقت الصلاة جامعة ... واراد عقبة ان يتوضأ ، فدعا « بطست وابريق » ثم طلب من كســـيلة المتعجرف ان يصب الماء على يديه ، فاطاع متصاغرا وانحنى امام عقبة يقوم بواجب خدمته .

واتم عقبة بن نافع وضوءه ثم نظر حـواليه في سرعة ودهاء الخبير القادر على قراءة النفوس وقد اذهله ان يلمح آيات الدهشة على وجوه القوم ، اذ كيف يتدنى امير الغد الى مرتبة خدم عقبة ...

وراقت لعقبة فكرة جديدة ، وجد فيها تجربة أو محاولة للحط من تعالي كسيلة وزهوه ولم يكد الرجل يضع ابريقه وينحني ليحمل الطست بعيدا حتى مد عقبة قدمه ، وركله بها في صدره .

وساد الوجوم الحاضرين كلهم ... وصرخ فيه عقبة ان يسرع ليحمل بعيدا ماء وضوئه ...

وارسلها كسيلة زفرة تكاد تحرق نيرانها المكان وكل من فيه ... ثم انحنى من جديد مرة أخرى لينفذ امر عقبة الذى ظن انه بفعلته هذه قد روض روح الكبرياء والتعالي في قلب سيد عشـــائر « البربر » واعاده الى تواضعه القديم .

انحنى كسيلة من جديد ، وهو يغالب عواطفه ... وتظاهر بالطاعة والخضوع ... ليخفي ما كانت تعتمل به نفسه من نوازع الشر الفياضـــة المدمرة .

ان عقبة الطيب ليعتقد ان كل شيء قد تم ، وانه وصل الى ما يريد من اشعار كسيلة بالمهانة ، ولم يبق الا ان يأتيه سيد عشائر البربر المتمرد يطلب تصفية الحساب ، ويتعرف سر غضبـــة قائده ، ليصلح خطأه ويعود الى طريق الصواب !! .

اما كسيلة ... كسيلة الثائر المتعجرف الذى ما احنى يوما رأسه .. فكانت تشغـلـه افكـار دامية حمراء ...

ووقف سـيد البربر بقامته المديدة المتعالية ، وامتدت اصابعه المرتعشة تتخلل شعيرات لحيته الحمراء ، وتعبث بها مرات ومرات !! .

وفهمت عشائر البربر كلها ما كان يعنيه كسيلة من شـــارته الغامضـــة تلك ... واخذ رءوس القبائل يتسللون في حذر ... وكسيلة مكانه يقف كشيطان الانتقام ، يعبث بشعيرات ذقنه ...

ودوت الطبول الهمجية في أعالي الجبال ... وتعالت صيحات الغضب ... وبدأ الشر يخرج من مكمنه الذى توارى فيه زمانا ... واختفى فيه بضع سنين زادت عاما على العشر سنوات ...

ابدا ما تصور عقبة وهو في مكانه ان تحدث كل هذه الغرائب في لحظات ...

ان الصرخات لتدوى في أذنيه ... والطبول تدق ... وصيحات الحرب تتعالى ...

وقبل أن يقوم عقبة بن نافع من مكانه ، دوت في اذنيه اصداء ضحكة قاسية أرسلها كسيلة ثم ...

ثم اختفى الرجل الغامض ، وكأنـــه طيف في منام ، اختفى وجلجلة صوته الراعد تدوى في اذني عقبة وهو يواعده على اللقاء لتصفية الحساب ...

وثارت عشائر البربر على عقبة بن نافع وجيش عقبة ... ووجدها الروم فرصـــة لاســـترداد مكانتهم الأولى فاسرع أسطولهم الذى كان يرسو في جزيرة صقلية ليمد البربر بالمؤن والسلاح وكل ما كانوا في حاجة اليه للتخلص من عقبة وجيشه...

وراع الكاهنة ان يحدث هذا كله ، وخلال ذلك الأمد البسيط ... وحز في نفسها ان يتنكر البربر لاسمهم بهذه السرعة ... وينسوا دينهم السمح الـذى دخلوه ، وهبت غاضبة تقـف في وجـه الاعصار المدمر ... في وجه كسيلة زوجها الحبيب الذى كان يقود الثورة على عقبة بروح شيطان !! .

وتراجع كسيلة في دهشة من لم يدر بخلده ابدا ان تقف كاهنته الحبيبة في وجهه ، وان تجرؤ على معارضته .

ووجد الزوج انها ستكون حماقة ولا شك ان يعمد الى اغضاب الكاهنة ايضا وهي صاحبة الجاه والنفوذ الروحي ، فاقبل عليها في ليونة الافعى يحاول ترضيها ويقسم لها انه ما خرج على دينه ولكنه ثار على عقبة الذى اهانه وحقره وتوسل اليها ان تقف الى جانبه ...

وسكتت « الكاهنة » على مضض ... بل ماذا كان بوسعها أن تفعل ... اتقف في وجه زوجها ام الى جانبه ... ان كلا الامرين مر وخطير .

وفكرت الكاهنة وفكرت ... ان مجرد كلمة منها سوف تمزق وحدة قبائل البربر كلها ، ومن يدرى فقد يكون في تمزيق وحدتهم هذه أن ينقلب بعضهم على بعض .

اذا ما العمل ... ماذا كان بوسع الكاهنة ان تفعل !! .

لقد اقسم لها كسيلة الحبيب ان امد هذه الانتفاضة لن يطول ، وان لهيبها لن يمتد ولن ينتشر ، وانها مجرد غضبة وقتية سوف تزول اثارها عن قريب !! .

وسلمت « الكاهنة » في النهاية ، وبرغمها للواقع وراحت ترقب الاحداث في حذر وتحاول أن تعرف مسيرها ، ولكن « كسيلة » كان يخفي عنها كل شيء ويحول دونها والاتصال بالخارج ، دون أن يشعرها بانها موضع مراقبته ، وأن الواجب يحتم عليها أن تبقى حيث هي بعيدة عن التيار القوى...

واستطاع كسيلة في النهاية ، وبخدعة دنيئة ان يشفي غليله ... ويصل الى غريمه عقبة ... وصدقه وعده ، يوم واعده على اللقاء لتصفية الحساب ... وتلاقيا ... ودوت ضحكة كسيلة الرهيبة وقد غدر بعقبة الشجاع الباسل ... وقتله !! .

ولم يكد يذاع بين الناس أن عقبة قد قتل غدرا ، حتى حمي وطيس المعركة ، واشتدت ضراوتها ثم ... ولما اخذ النهار في الادبار ، وبدات تميل شمسه الى الغروب ... مال معها ميزان القوى العربية ... وتراجع زهير نائب عقبة بالبقية الباقية من الجيش ، وانسحب بخطة بارعة ليحميهم من الفناء ، وقد تكاثرت عليهم قوى الشر والخيانة والعدوان ...

أحد عشر عاما مجيدة قضاها عقبة في الشمال الافريقي ... أحد عشر عاما سجلت له خلالها المفاخر والأمجاد ... أسس « القيروان » واقام مسجدها الجامع العظيم ... ورفع راية الاسلام .. ثم ... امتدت اليه يد الحقد والغدر ، فنالت منه مقتلا وقضت عليه في نهاية عام ٦١ الهجرى الموافق ٦٨١ ميلادية ولكن ..

ولكن ... هل استطاعت هذه اليد القادرة ان تصل الى صميم الروح العربي المتغلغل في الشمال الافريقي !! .

لقد كانت اضعف واهون من أن تصل الى هدف، او ان تحقق غاية .

اثنا عشر عاما مرت منذ حادث الاجتراء على الغدر بالقائد الشجاع عقبة بن نافع ... اثنا عشر عاما حكم فيها « كسيلة » وتحكم ، وبطش ، وتفرد ، وطغى وتجبر ...

دار الفلك دورة بعد دورة ... وانقضى عام في اثر عام ثم .. اقبلت السنة الثالثة والسبعون من هجرة المصطفى عليه الصلاة والسلام ، الموافقة لعام ٦٩٢ ميلادية ... وتلبدت السماء بالسحب وبدا كسيلة يصحو من غفوته التي طال امدها فقد ظهر له أن « دمشق » لم تسلم بما حدث ولم تسكت على ما كان من امر اجترائه ، وان امير المؤمنين عبد الملك بن مروان انما سكت ليستعد ... وتباعد ظاهريا ، لتكون عودته عاصفة ...

وراحت موجة المد العربي الظافرة تتقدم من جديد وقد عرفت عن خبرة اسرار الميدان وحناياه ... وجاء المدد تلو المدد الذى ارسله عبد الملك ليقوده « زهير » نائب عقبة الشهيد .

ووصل زهير نائب عقبة ، ومعه جيش لجب مدرب ... وخرج كسيلة ليلقى نائب عدوه القديم ... خرج ومن خلفه جيش يعرف المسالك والدروب وله في شعاب الجبال مخابيء وقلاع ... ودارت المعارك رهيبة باطشة كانت الكفة فيها لزهير ...

واسرعت الكاهنة تحاول استرجاع مافات وارادت ان تقنع زوجها بان يكفر عن خروجه ويحاول ان يعود الى حلفائه القدماء فهو اخ لهم في الارض ، والدين ، ولم تنس ان تدخل في روعه ان هزيمته هذه المرة محققة فقد جاء زهير للقصاص واعادة كل شيء الى أصله ، والحكمة توجب ان يسترجع كسيلة عقله ، ويعود الى رشاده ، وبدلا من ان تجبره الهزيمة على التسليم والاستسلام ، دون قيد او شروط ، فليسارع اليوم ويتفاوض في

الصلح ، وينمه وهو فى أوج كرامته وعنفوان قواه ...

وجعل كسيلة يراجع نفسه وطابت له الفكرة التى عرضتها الكاهنة الامينة ولكن ... سرعان ما غلبه شيطان الحقد من جديد ...

وجرى الفكر اللاهث بكسيلة الطامع الى حلفائه من الروم ... هذا وقت الشدة والحاجة الماسة الى عونهم وتعضيدهم ولا شك ...

ووجد كسيلة عند الروم غايته ... واتاه المدد مرات ومرات ...

ودارت المعركة ... والروم هم الظافرون فى الحالين ... ان هزم كسيلة ... فسيكون جيش زهير قد ضعف وارهقه طول القتال فيهاجمونه ... وان انتصر فالنصر لحسابهم لا لحساب قبائل البربر الثائرة ، فهم أصحاب الفضل فى احراز الانتصار !! .

وضحك الحظ مرة أخرى للمتمرد « كسيلة » ولم ينتصر فقط بل ... قتل زهيرا ايضا ؟

وثارت « دمشق » مرة اخرى وزادت غضبة امير المؤمنين ، فلم يحدث ان هزم فوارس العرب الشجعان فى ميدان واحد مرتين ... واسرع يغير فى قيادة الجيش الافريقى ويبدل وأرسل الامدادات الضخمة ، وايضا قائدا جديدا هو « حسان بن النعمان » ...

وبدا حسان يدرس الميدان جيدا ، ويتعرف مسارى الريح فى الموقعة .... من اين تهب الخيانة ... ومن اين تأتي الامدادات ... وكيف يتحول النصر الى هزيمة فى الوقت الذى يحس العرب فيه انهم قد حققوا الانتصار !!!

ورأى حسان ان الاكتفاء بالموقعة الفاصلة على « الارض » عاقبته وخيمة ، ونتيجته غير مضمونة ... وثبت له ان الهجوم البرى يجب ان يصحبه هجوم بحرى ، مادامت الامدادات التي يبعث الروم بها تصل عن طريق البحر ...

وتحرك الاسطول العربي المظفر ... وحاصر الشواطىء فى الشمال الافريقى ، ومنع الامدادات عن جيش كسيلة ... وشل حركته وتحركات الروم ...

ودارت الموقعة بحرا وبرا ... وانتصر حسان ... وقضى بضربة واحدة مزدوجة على الروم وعلى جيش كسيلة الذى حمل الى داره ...

ابدا لم تصدق الكاهنة ما كانت تراه ... كسيلة المحارب المنتصر يعود اليها اليوم محمولا ، مثخنا بالجراح يلفظ انفاسه الاخيرة ، وكأنما قاوم الموت وصرعه حتى يرى كاهنته وتراه وتسمع منه للمرة الاخيرة وصيته ...

وصرخت الكاهنة ، وولولت فما تصورت يوما ان نهاية كسيلة ستكون على تلك الصورة الاليمة الفاجعة !!

اذا ... فلتنزل الصاعقة ... وليكن الزلزال المدمر الذى لايبقى ولايذر ... ولتغرب الشمس الى الابد وليعم العالم ظلام لانور بعده أبدا ...

ان اصداء كلمات كسيلة الاخيرة لتدوى فى خيالها ... انها تطالبها بالثار ... بالانتقام ...

ووجدت الكاهنة نفسها تترك جثة كسيلة مكانها ثم تخرج الى بهو الدار وقد امتلأ بشيوخ البربر وزعماء القبائل العديدة ....

انها المرة الاولى التي تطالعهم الكاهنة فيها بوجهها سافرا دون حجاب ...

لقد اعتادت ان تلقاهم فى المعبد مقنعة يحوطها الغموض ... اما اليوم ... وامام قسوة الحزن ، فقد خرجت سافرة مكشوفة الرأس عارية الوجه ...

ابدا ماتصور فرد واحد من عشائر البربر التي لا يحصرها عدد أن « الكاهنة » التى طالما جللتها الاسرار ، ونسجت حولها الاساطير المثيرة ــ على هذه الصورة الفاتنة التى لاتكاد تصدقها عين !!

لقد بدت الكاهنة ساعة ظهرت فجاة امام رجال زوجها ، ورؤوس العشائر المخلصة لذكراه وكأنها احدى جنيات الماء ، انشقت عنها جبال الموج الشامخة ، وألقت بها الى الشاطىء ...

ونكس شيوخ البربر رؤوسهم اجلالا للكاهنة وقد رأوا فى جمالها المشبوب القوى آيات من آيات السلطان الرهيب ... واغمض الرجال عيونهم فى خشوع ورهبة وقد احسوا انهم أمام ساحرة قادرة ذات تأثير طاغ ... وتعالت صيحات الشباب وارتفعت ايديهم تهز السيوف ، وعلت منهم الاصوات مطالبة بالثار والانتقام ...

حتى حصن الايمان القوى الذى طالما استعاذت الكاهنة به واحتمت وراءه من وسواس الشيطان ونزعات النفس الطامعة ... انهار هو الآخر وفى سرعة مذهلة ، امام صيحات الغضب المزمجرة .

وبدات الكاهنة أمام طوفان الشعور الجارف

بالحقد ـ تنسى نفسها ووجودها كله ... نسيت المبادىء السامية والاخلاقيات العظيمة ...

نسيت كل شيء ولم تعد تذكر غير شيء واحد هو الانتقام والثار والتدمير ...

انها وصية « كسيلة » الاخيرة ... وانها اليوم لتحس وقر الضمير . ورهيب عذابه وتعذيبه لها ...

وعلا صوت الكاهنة ينادي بالثار ، وقد اقسمت انها ستحققه ولوخاضت وحدها بحور الدم ...

وحدها !! تلكم كلمة الهبت نفوس شيوخ عشائر البربر قبل شبابهم .. واذا باصواتهم تخالط صوتها الراعد الصخاب ، وقد اقسموا لها جميعا على الطاعة والخضوع والولاء ..

ودقت الطبول مرات ومرات على سفوح الجبال، وفي مسالكها ومغاورها القامضة تدعو الى التجميع .. وصلت الاصداء الى مسامع من لم يسمع بمصرع كسيلة .. واندفعت الجموع الغاضبة تخب في الحديد والزرد ، مندفعة الى الميدان ! !

كان حسان بن النعمان قد عاد والجيوش المظفرة الى معاقل عقبة الاولى .. عادوا الى « القيروان » من جديد .

وكانت المفاجاة الكبرى التى الهبت بالحماسة قلوب عشائر البربر ، ان « الكاهنة » لم تطالب بالثار فحسب ، بل خرجت للحرب ، وتصدرت الجموع الهادرة الغاضبة ..

ودوت صيحة الحرب الرهيبة .. وانطلقت كلابها الجائعة فى كل مكان .. ودارت العجلة الرهيبة يدفعها شيطان مريد ثائر اسمه الكاهنة اندفع اندفاع السيل الى الميدان وخلفه رجال لا عدد لهم ..

وتراجع حسان في دهشة من لم يتوقع شيئا مما حدث .. واستمرت الكاهنة تتقدم وتتقدم .. وحسان وجيشه امامها يتراجعون .. وتركوا وراءهم « القيروان » مرة اخرى .. ووصلوا الى حدود « برقة » والكاهنة تلاحقهم وقد اصرت ان تظفر براس حسان كي تشفى غلها ، وتبرد نار حقدها المتاججة ..

ولكن حسان ثبت في « برقة » وبعث الى امير المؤمنين عبد الملك بن مروان يطلب امدادات ونجدات سريعة .

وقبل أن تتمكن الخيانة من التدخل ، وقبل ان يتمكن الروم من مساندة الكاهنة مساندة حاسمة وصلت امدادات « دمشق » .. واصبحت لدى حسان قوة غلابة .

وخرج حسان بن النعمان على رأس الفوارس المغاوير .. وخرجت الكاهنة وخلفها جموع بعد جموع .

وتقدم العرب .. وتقهقرت الكاهنة برغمها .. واخذت تتراجع وهي تكاد تجن .. وظل حسان يتقدم والبنود الظافرة تخفق .. وكلما تضاعف التقدم العربي ، وتكاثر خفق البنود .. ضاقت الدنيا على فسيح رحابها في عيني الكاهنة .

واحست العاصية المتمردة في النهاية انالحلقات اخذت تضيق عليها وتاخذ بخناق رجالها التعساء الذين فقدوا كل قدرة على الثبات وكل وسيلة في استرداد ما فقدوه ..

ودوت الصيحةالظافرة من جديد .. الله اكبر .

وارتعشت الكاهنة .. واخذتها غاشية ، واحست وكان الاصداء الظافرة هزة قوية كانت توقظها من حلم رهيب ..

وبدات تفيق .. وراحت تنظر حواليها في ذعر ورهبة .

الله اكبر .. الله اكبر .. الله اكبر .. هل في هذا من شك ! !

حاشا ان تظن الكاهنة هذا .. فانها تؤمن في اعماقها ان الله اكبر .. واجل واعظم .. فهو القادر الذى لا يدانيه في قدرته قادر .. وهو القوى المتين الذى تعنو امامه الجباه ، ويخضع الجبابرة ، ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ..

ودون وعى او تفكير .. وبمجامعالمشاعر الصادقة كلها وجدت الكاهنة نفسها تصيح في انفعال صادق تردد التكبيرات الثلاث ..

وتلفتت جموع البربر الثائرة وطفى على وجدانها نور الحق فاستنارت البصيرة بعد ان رانت عليها الظلمات .. واذا بالاف بعد آلاف تهتف في حرارة

وايمان .. الله اكبر .. الله اكبر .. الله اكبر .

ودب الذعر فى قلوب البقية الباقية من البربر الذين اصروا على كفرهم .. ومادت الارض تحت اقدامهم .. واحسوا زلزالا يكاد يقضى عليهم ..

وتصايح جند الله يكبرون .. ووجدت الصيحات الظافرة المزهوة صداها .. وثار الغبار .. واظلم الجو .. وتعالت الصرخات .. وتدافع الرجال نحو الرجال .. ثم تلاحمت الصفوف ، والجميع لا يحسون .. أكان الشوق للطعان هو ما دفع بهم الى الحلبة أم الشوق الى لقاء الاخوة الذين هداهم الله ..

كانت لحظة رهيبة .. بل لحظات قاسية لم تسلم من عبث العابثين ، وتحمس المتحمسين .. وتقدمت الكاهنة وسيفها فى يدها تلوح به ، وهي منطلقة كالسهم نحو حسان بن النعمان .. وخيل الى بعض المسلمين انهم كادوا يكونون ضحية خديعة حربية أرادت الكاهنة عن طريقها بث التخاذل فى الصفوف ، فاندفعت لتنتقم من حسان .. واسرع اليها بعض فرسان الله يعترضون طريقها ثم ..

ثم صرخت الكاهنة .. وحملت الاصداء صرختها الى الاذان ، وكأنها سحر له افاعيله ، واثره القوى النفاذ ، الذى لم يلبث ان طغى وتجبر وخضعت له الجموع ، فاذا بالمتلاحمين يفترقون .. واذا بالغبار المتعالي ينقشع .. واذا بكل شيء يبين ! !

لقد القى محاربو البربر سلاحهم ، وفر أصحاب القلوب المتمردة فيهم ، وتجمع الشيوخ ورءوس العشائر وأحاطوا بالكاهنة التي كانت اصابتها قاتلة .

وترجل حسان عن فرسه .. وتقدم وفرسانه من حيث كانت سيدة البربر .. كان المشهد عنيفا لا يحتمل ، وقد بدأت تبين الحقيقة وتتضح حقيقة الزحف والصيحات ..

لقد صاحت مكبرة وانصارها خلفها ، وزحفت فى حرارة لتتلاقى والاخوة فى الله ولكنها ارادة القدر ارادت غير ما ارادت الكاهنة فكتبت لها هذه النهاية لتنتهى معها حياة ، وتطوى صفحة ، تبدأ بعدها صحائف جديدة بيضاء ..

وانحنى حسان الى جوار الجسد الذى كانت لم تزل فيه بقية من حياة .. ومدت الكاهنة يدها فامسكت يد حسان ثم تكلمت فى حرارة وهي تبكى ..

اقسمت المرأة انها ما ارتدت ابدا عن دينها ولا هي تحولت عن قبلتها ، ولكنها تعرضت لتجربة قاسية غلبها فيها الهوى واستحكم الشيطان الرجيم ثم .. تابت وانابت واستغفرت الله لذنوبها وهي تعلم ان الله تواب غفور رحيم ..

انها ما اشركت ولا كفرت بل ارادت الانتقام وقد كانت امام وعد قطعته على نفسها لروح كسيلة الزوج الحبيب ، ففعلت ما فعلت وهي نادمة آسفة وانها لتسعى الى التكفير وتحاول أن تنال الرضوان والصفح من الله ..

وعلا صوت الكاهنة يدعو جموع البربر الى الاصغاء ، فتلك وصيتها الاخيرة لهم .. واصغوا فى خشوع الطائعين للصوت الذى ما عصوا صاحبته يوما من الايام ..

انها تنطق من جديد بشهادة انه لا اله الا الله وان محمدا رسول الله .. وتدعوهم لا الى ترديدها من بعدها ، بل الى الايمان العميق بها .

دعتهم الى وحدة الكلمة والطاعة والثبات على الايمان .. فاقسموا عن صدق ، واذا بها تطلب اليهم ان يعودوا الى مكانهم القديم فى صفوف المجاهدين .

وخيم الصمت بعد ذلك .. ونكس الجميع رءوسهم ، فقد فاض الروح الى بارئه وعلا الى الملكوت ..

ودخلت عشائر البربر جميعها في دين الله .. وبدأت تفتح للمجاهدين صفحة جديدة من صحائف الجهاد في سبيل الله ..

وطوى الموت صفحة حياة الكاهنة .. المرأة الغامضة التي لم يعرف احد اسمها ابدا .. والتى ذكرها التاريخ فى سطور قلائل .. وعجزت الدهور على كرها أن تغفل ذكراها لانها جاهدت .. وآمنت .. واحبت واخلصت .. وكانت امينة فى كل عمل اقدمت عليه حتى فى عداوتها ثم فى عودتها الى حظيرة الحق ، وجادة الصواب فاستحقت عن جدارة أن تكون من أوائل المسلمات الخالدات ..

■■

القاهرة : **سنية قراعة**



البصرة الحديثة .. صورة لاحد الاحياء التجارية في المدينة ، وقد ظهر فيها نهر العشار الذي يتفرع من شط العرب ، ويمتد لمسافة كيلومترين داخل البصرة القديمة ..

اعرف وطنك أيها العربي



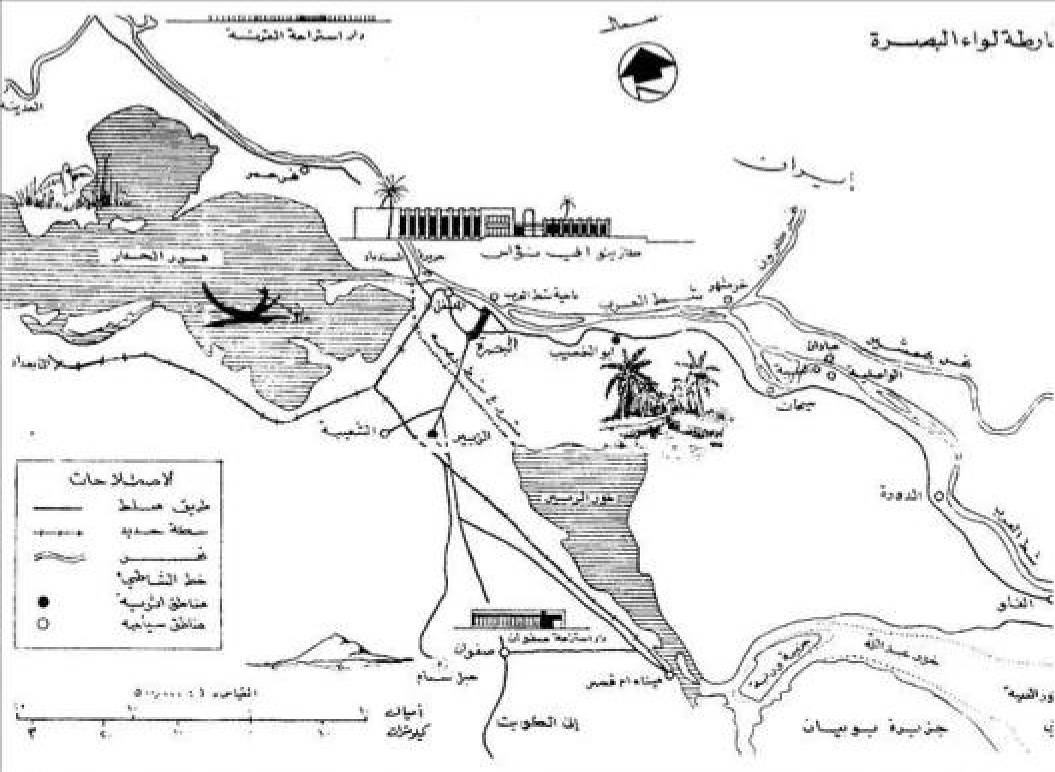
على الضفاف الخضراء .. وعند التقاء مياه نهري دجلة والفرات في منطقة القرنة ، جلست هؤلاء الطالبات ، ينعمن بالطبيعة من حولهن في يوم العطلة الاسبوعية ..



اشجار النخيل .. وقد قدروا عددها بأكثر من ١٤ مليون نخلة .. وهي منتشرة في البصرة وضواحيها وتغطي مساحات شاسعة من أرضها .. انها احدى الثروات التي اشتهرت بها هذه المدينة .

البَصْرَة

مَدينةُ التَّمْرِ وَالنَّفْط
بلدُ البَدْوِ وَالحَضَر
أَرْضُ الصَّحْراءِ وَالماء



■ فوق أرضها عاش الادباء والعلماء والمفكرون منذ زمن بعيد ..
وفى نواديها سمع الفكر العربي الاراء الجديدة فى الفلسفة والاصلاح والاجتماع .. وفى رياضها غرد أول شاعر مجدد فى الادب العربي ، بشار بن برد ، وبين رحابها قامت مدرسة الجاحظ التي جمعت بين الجد والطرافة .. والايجاز والتبحر ..
وفى مربدها جرت أول مهاجاة بين جرير والفرزدق ، واستمرت المناظرة سجالا بين انصارهما وخصومهما . وبها مدرسة الخليل حيث تعلم سيبويه والأصمعي .
هذه هي مدينة البصرة .. مدينة الخضرة والماء .. مدينة التمور والبترول والاسماك . ثانى أكبر واهم مدن العراق .. المدينة التي امتلأت كتب التاريخ والادب بالحديث عن ماضيها وآثارها العربية والاسلامية الخالدة ..

ماضي البصرة .. وحاضرها

لقد سافرت اليها بعثة العربى فى ثانى استطلاع لها ، تستطلع حاضرها ، وما هى عليه اليوم .. كيف اصبحت المدينة التى انشاها العرب في سنة ١٤ هجرية (٦٣٥ ميلادية) ؟ كيف اصبحت البصرة التي كانت اول روض بذرت فيه بذرة الاسلام بعد أن توطدت دعائمه فى قلب الجزيرة العربية ؟

جئنا اليها قادمين من الكويت .. ورغم قصر المسافة بينهما ، فهي لا تزيد الا قليلا عن المائة وستين كيلو متر ، فقد اخترنا الطائرة وسيلة لتقلنا ، ووصلنا بعد نصف الساعة تقريبا .. وكان لقاؤنا الاول بحاكم لوائها او محافظها السيد محمد محجوب الذى استقبلنا مرحبا بمجلة « العربي » ، والقائمين عليها .. وفتح لنا ابواب البصرة قديمها وحديثها ، لنسجل بالكلمة والصورة ، حياة المدينة واهلها في هذا القسم الاخير من القرن الذى اوشك على الانتهاء ..

وخرجنا نجول بين ارجاء البصرة المترامية الاطراف .. وحاولنا .. حاولنا أن ننسى ماضي المدينة العريقة ونعيش في حاضرها .. ولكن هيهات ، فقد ذهبت محاولاتنا كلها ادراج الرياح..

فقد كان كل شيء في حاضر البصرة يذكرنا بماضيها .. ويشدنا اليه ، واليس الحاضر امتدادا للماضي القريب منه والبعيد ..

النخيل .. النخيل !

بلد عربي جميل ، تحتضنه المياه وغابات النخيل التي تمتد امام الاعين على مرمى البصر .. في كل مكان .. في كل ناحية .. في كل شارع .. في كل طريق كنا نرى أشجار النخيل تعلو بهاماتها وتعانق كل شيء من حولها .. حتى ليخيل للرائي ان النخيل هو الاصل ، وكل ما عداه ليس سوى زائر دخيل ، كان لابد لوجوده من ان يحرم بعض هذه الاشجار من الحياة ، فقطعها واقتلعها وتركها تجف وتموت تحت اشعة الشمس المحرقة ، لكى يفسح لاقامته مكانا تحت الظلال الوارفة ..

ان البصرة تقع كلها على الشاطىء الغربي لنهر شط العرب ، ذلك النهر الخالد الذى أفسح مجراه للقاء مياه دجلة ومياه الفرات معا ، عند قضاء القرنـه ، حيث يقترن النهران وتلتقى مياههما ثم يسيران معا بعد ذلك في مجرى واحد ، هو مجرى نهر شط العرب ..

شط العرب

ويبلغ طول النهر من نقطة الالتقاء الى أن يصب في مياه الخليج العربي ، مائتى كيلومتر ، وهو يضيق احيانا ، ويتسع احيانا اخرى ، ويبلغ عرضه في المتوسط حوالى ٥٥٠ مترا ..

اما ارضها ، تلك التي تجرى فيها مياه شط العرب ، فهي سهول رسوبية تخترقها وديان عريضة قليلة العمق ، يجرى الماء فيها ببطء ، ويرتفع منسوب المياه فى موسم الفيضان فيغرق الارض الواقعة على ضفتيه ويغطى مساحات كبيرة من سطحها .. اما المناطق البعيدة عن مجرى النهر فتعتبر جزءا متمما لصحراء نجد الواقعة في السعودية جنوب غربي العراق ..

وفي لواء « محافظة » البصرة اليوم يعيش ما يقرب من ٧٥٠ الف نسمة ، فوق ارض تبلغ مساحتها ٢٠ الفا و ٧٠٠ كيلو متر مربع تقريبا ، بما في ذلك الاقضية الستة التى تتالف عنها المحافظة . يحدها شمالا لواء العمارة « محافظة ميسان » ويحدها شرقا ايران ، ثم يحدها غربا لواء الناصرية « محافظة ذى قار » ، ويحدها



في كل مكان من البصرة ، كنا نرى أشجار النخيل تعلو بهاماتها وتعانق كل شيء من حولها ، حتى خيل لنا أن النخيل هو الأصل ، فقد كان لا بد للمباني التى قامت وسطه أن تحرم بعض هذه الأشجار من الحياة ، فهم يقطعون النخيل ليفسحوا مكانا لمساكنهم ومبانيهم .

جنوبا الدولة العربية الشقيقة الكويت والخليج العربى .

اسماء البصرة

لماذا أسموها بالبصرة ؟

جاء في كتاب تاريخ ابن الأثير ان هذه المدينة التى سميت بالبصرة قد شيدت فوق ارض غليظة ذات أحجار رخوة بيضاء .. وقد درج العرب على اطلاق اسم البصرة على مثل هذه الارض ، على أن هناك أسماء أخرى عديدة أطلقت على البصرة ، من بينها خزانة العرب وقبة الاسلام ، والثغر الباسم والفيحاء ، والعجوز النجراء .. وأخيرا الرعناء وقد سميت بهذا الاسم الأخير بسبب رطوبة هوائها وتقلبه لقربها من البحر على مشارف الصحراء .. وكان الفرزدق اول من لقبها بالرعناء اذ قال منشدا في مربدها :

لولا أبو مالك المرجو نائلـه
ما كانت البصرة الرعناء لي وطنا

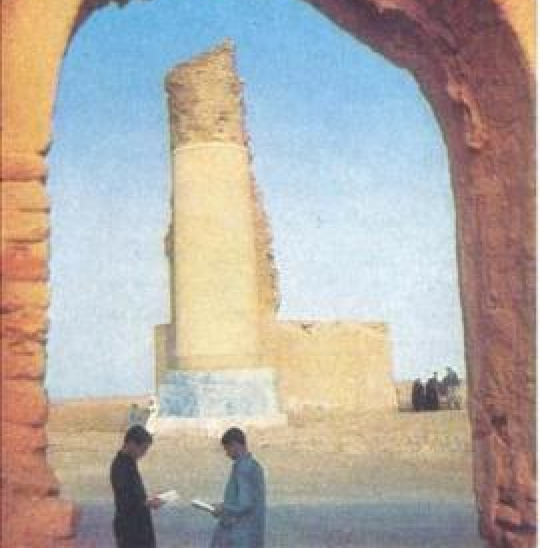
وقارن الحجاج بين البصرة والكوفة ، فقال : « الكوفة بكر حسناء ، والبصرة عجوز نجراء أوتيت من كل حلى وزينة ! »

وقضينا في البصرة أسبوعا ، كنا نرى في كل يوم من أيامه شيئا جديدا من معالم هذا البلد العربى العريق .. المعالم القديمة والحديثة ..

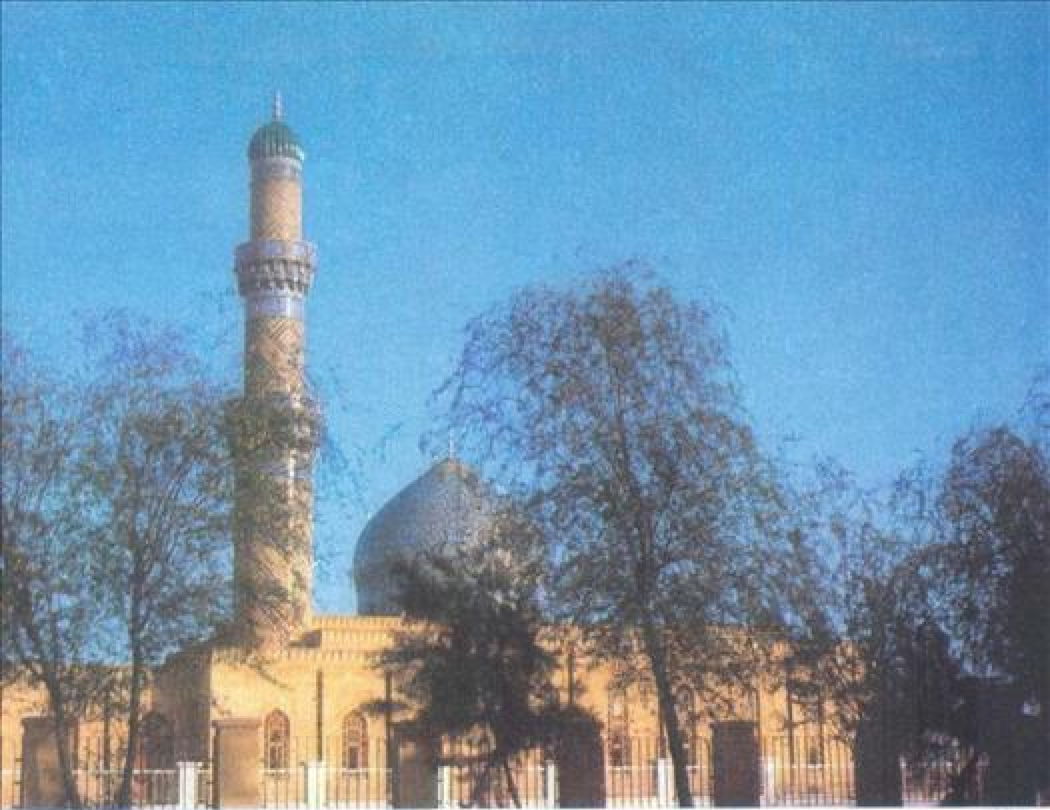
تشتهر البصرة بمساجدها القديمة والحديثة ، واحدث مساجدها المقل **(الى اليسار) الذى** تبرع احد أبناء الكويت ببنائه ، وهو المرحوم عبد الله عبد اللطيف العثمان ، وقد استغرق بناؤه وتأثيثه حوالى خمس سنوات ، وسلم هذا العام لمدير الاوقاف ، وهو يتسع لاكثر من عشرة آلاف مصل ،ويعتبر من اكبر المساجد الموجودة في العراق .

اما **الصورة التى الى اليمين** ، فتمثل مئذنة جامع الزبير بن العوام ، اقدم جامع في قضاء الزبير احد اقضية البصرة الستة ..





(الى اليسار) على بعد ١٢ كيلومترا من مدينة البصرة ، وعند بداية الطريق المؤدى الى قضاء الزبير ، يقع اقدم اثر اسلامى عربى في هذه المنطقة ، وهو مئذنة المسجد الجامع الذى صلى فيه سيدنا على بن ابى طالب رضي الله عنه ، ويأتى المسلمون اليه للتبرك أيام الجمع وفي الاعياد والمناسبات .



(الى اسفل) فوق نهر العشار الذي يخترق شارع الساحل ، ذلك الشارع الطويل الذي يصل ما بين حي العشار ومدينة البصرة ، اقاموا الجسور الحديثة والقديمة ، وقد بلغ عددها اكثر من عشرين جسرا .. وعلى جانبي النهر ، قامت المؤسسات والبنوك والمحال التجارية .



تلك التى قرأنا عنها في الكتب ، ثم تلك التى لم نكن نعرف منها أكثر مما تنقله روايات الزائرين العائدين الذين اتيحت لهم فرصة الوقوف على بعض صور الحياة في البصرة الحديثة .

المساجد والمراقد

ماذا رأينا ؟

رأينا مدينة غنية بآثارها التاريخية العربية والاسلامية .. بين أرجائها تنتشر المساجد والجوامع والمراقد المقدسة .. وفي مقدمتها المسجد الجامع الذى صلى فيه الامام على بن أبى طالب رضي الله عنه في فجر الاسلام ، ولم يبق منه غير مئذنته التى تطل اليوم عبر هذه القرون البعيدة لتروى فصلا من فصول الاسلام وتاريخ المسلمين وحضارتهم ..

ان هذا الأثر التاريخي يقع على بعد ١٢ كيلومترا من البصرة عند الطريق المؤدى الى قضاء الزبير ويأتى المسلمون اليه للتبرك والزيارة في أيام الجمع والأعياد والمناسبات ..

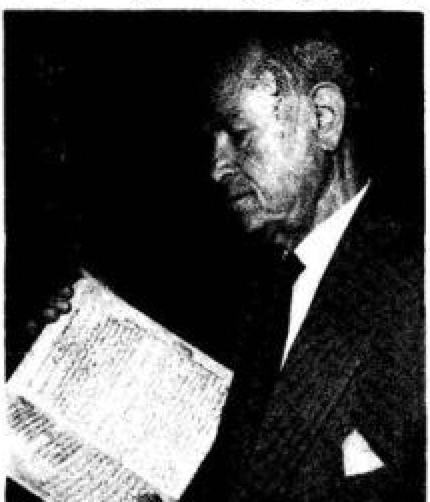
ومن هذا المسجد خرجت أسماء العلماء والفلاسفة وعظماء الأدب والتاريخ الى دنيا الفكر من حوله ..

مدينة المتناقضات

ونترك المسجد الجامع وآثار أجدادنا المصلحين، لنستأنف جولتنا .. ولكن مهلا ، فلا بد لنا من وقفة هنا لنتأمل حاضر هذه المدينة المليئة بالمتناقضات ، فالبصرة اليوم هى مدينة البدو والحضر .. مدينة الصحراء والماء .. مدينة البحر والبر .. البترول يتفجر من تحت رمالها الساخنة .. والزرع ينمو في تربتها السوداء الخصبة .. فهى بلد الذهب الاسود .. ثم هى بلد الماء والبساتين والحدائق الغناء .. ليس في الدنيا بلد فيه من كثرة الانهار وتعدد القنوات والجسور مثل ما فيها ..

واذا سرت في شوارعها ، القديم منها والحديث طالعتك الجسور التى اقيمت فوق أنهارها وقنواتها ، مع كل خطوة تخطوها ، ومن هذه الجسور ما شيده الأهالى في البصرة القديمة التى يرجع تاريخها الى العهد العثمانى ، وهى كثيرة الشبه بجسور مدينة البندقية في ايطاليا .. يمتد الجسر من شاطىء القناة المجاور للطريق الرئيسي، الى الشاطىء الآخر في مواجهة باب البيت تماما .. وهو جسر ضيق صغير لا يكاد يتسع لمرور شخص واحد ، وقد قدوه من الخشب .. وتتكرر الجسور امام أبواب المساكن التى شيدت على الطراز العثمانى ، واصطفت بجوار بعضها البعض، وهى مساكن جميلة رغم قدمها ، وكثيرا ما يتفق أصحاب منزلين او أكثر على بناء جسر مشترك توفيرا للجهد والمال ..

قالوا لنا : « ان من يزر البصرة ولا يقابل الشيخ عبد القادر ، فكأنه لم يزرها ! » وذهبنا لمقابلة الشيخ عبدالقادر باش أعيان، المؤرخ ونائب رئيس مجلس الاعيان «الشيوخ» العراقي سابقا، فوجدناه عاكفا على كتابة مؤلف عن تاريخ البصرة ، وقد أنهى منه حتى الآن ١٢ مجلدا كتبها بخط يده ! انه اليوم قد جاوز عامه الثمانين وهو يعيش مع زوجته وابنه الوحيد عبد الواحد ، ويقضي في مكتبته ثماني ساعات يوميا بين الكتب القديمة والمخطوطات التى ورثها عن آبائه وأجداده ، وكلهم عاشوا وماتوا في البصرة ، ويرجع تاريخ أقدمها الى عام ١١٤٥ م (٥٤٠هـ) . يكره كل من يأتيه مستعيرا لكتاب من كتبه التى يقضي معها كل وقته . وقد علق لافتة قال لهم فيها:



« الا يا مستعير الكتب عنى
فان أعارتى للكتب عار
فمحبوبى من الدنيا كتابى
وهل أبصرت محبوبا يعار




القديم والحديث ، اشتهرت البصرة منذ القدم بأسواقها حتى أن الجاحظ وهو من أبنائها قد ألف كتابا عن بضائع البصرة ، وفي عصر العباسيين ازدهرت تجارتها فأسموها « سوق العالم » .. وفي الصورة اليمنى سوق قديم مسقوف ما زال يحتفظ بطابعه ، وهو عبارة عن شارع طويل ، اصطفت الحوانيت الصغيرة على جانبيه ويقصده الاهالي لشراء حاجياتهم بأسعار تنافس المحال التجارية الحديثة .. وفي الصورة اليسرى محل تجاري حديث لبيع الملابس الجاهزة. وتقع أسواق البصرة كلها في حي العشار.

حي العشار

هذا في المدينة القديمة .. وهو صورة مصغرة لما حدث في المدينة الحديثة ، مع فارق واحد ، وهو أن الجسور أكبر وأقوى وقد شيدتها البلدية بالاسمنت المسلح ، فوق نهر العشار أكبر الأنهار الفرعية والقنوات طولا واتساعا .. وهو يشق شارع الساحل الحديث من الشرق الى الغرب ، ويربط هذا الشارع البصرة القديمة بالبصرة الحديثة أو حي العشار .. وحي العشار هذا هو مركز ثقل البصرة ، وقلبها النابض ، وسوقها التجاري ، القديم والحديث ، وهو يضم معظم دوائر الحكومة ويضم البنوك والمؤسسات ، ويمتد هذا الحي على طول الضفة الغربية لشط العرب ، ويلاصق الشاطىء مباشرة ، ثم يمتد في العمق لمسافة كيلومترين ، تبدأ بعدهما مدينة البصرة القديمة، ويليها مباشرة البصرة الموغلة في القدم ، أو ما تبقى منها ، وهي اليوم خرائب وأطلال تقع بالقرب من قضاء الزبير الذي يبعد عن البصرة القديمة بحوالى ١٢ كيلو متر الى جنوبها الغربي ..

ذهبنا اليه بالسيارة ، ولا ندري لماذا اخترناه دون سائر الأقضية الستة التي تتألف منها محافظة البصرة .. ربما كان السبب أنه يضم أحد مراقد الصحابة ، الزبير بن العوام ، الذي سمي القضاء باسمه .. وربما كان السبب أيضا ما سمعناه من أهل البصرة عن الزبير وعن صورة الحياة في هذا القضاء العربي القديم الذي يعتبر أكبر أقضية المحافظة ، اذ يبلغ عدد سكانه ٥٠ ألف نسمة .. ووصلنا اليه ، فرأينا صورة من صور الحياة عند العرب الأوائل ، كثيرة الشبه بتلك التي تمثلناها وتبارى الكتاب في تصويرها لنا على صفحات كتب الأدب والتاريخ العربي ..

الحياة العربية الاصيلة

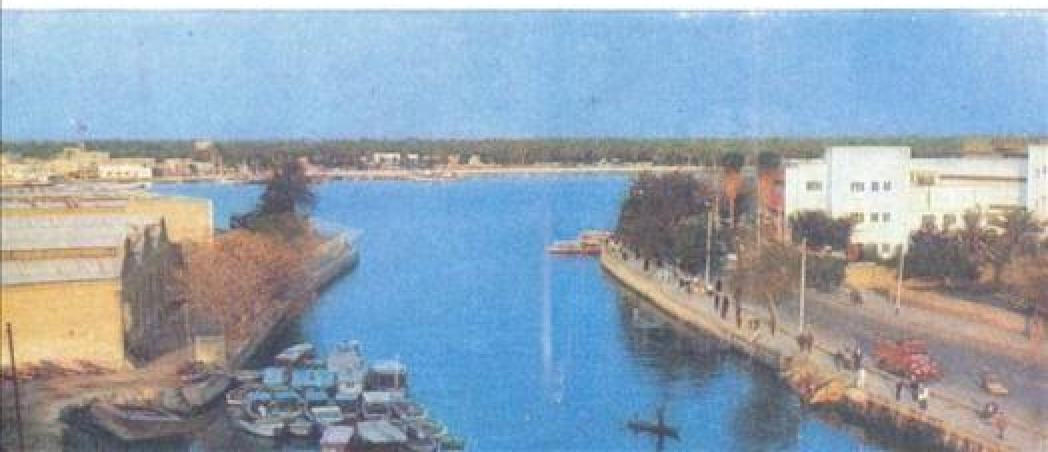
رأينا مآذن المساجد والجوامع التي يزيد عددها على ٢٦ مسجدا وجامعا تملأ سماء الزبير .. رأينا الرجال بملابسهم العربية التقليدية يروحون ويجيئون ، ويمشون الهوينا في سوقها القديم الذي جلس تجاره يعرضون سلعهم على الأرض .. وبين الحين والحين يلتقي صديقان .. وترتفع الأيدي بالتحية والعناق والقبلات .. رأينا الإبل والخيول تقف في مجموعات هنا وهناك .. وفي قلب الشوارع الضيقة ، وأمام المنازل القديمة جلس الرجال في مجموعات يتحدثون ويتسامرون..

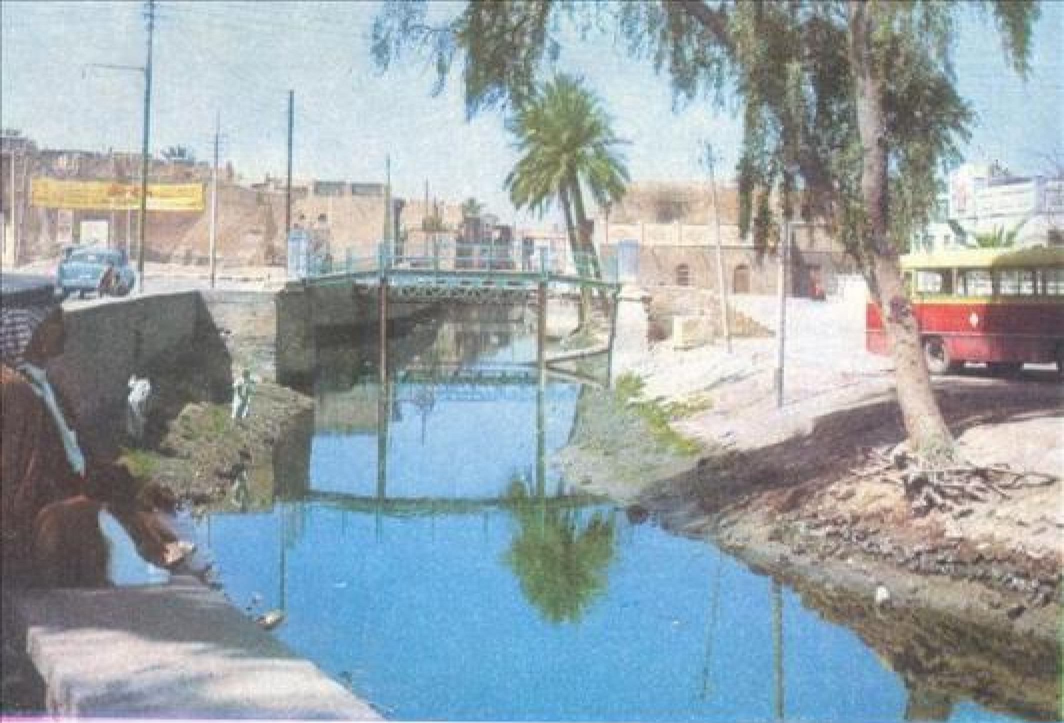


(**فوق**) منظر لجانب من حديقة الاندلس ، اكبر الحدائق العامة في البصرة ، وقد انشئت في عام ١٩٥٨ ، وتبلغ مساحتها ربع مليون متر مربع ..



(**الى اليسار**) مساكن البصرة كلها من طابق واحد او طابقين على الاكثر ، والصورة لمجموعة من الفلات الحديثة التي بناها الافراد بالاشتراك مع الجمعيات التعاونية لانشاء المساكن .

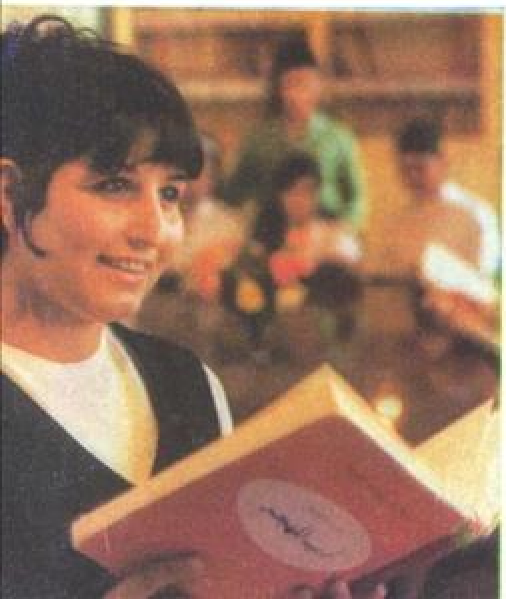




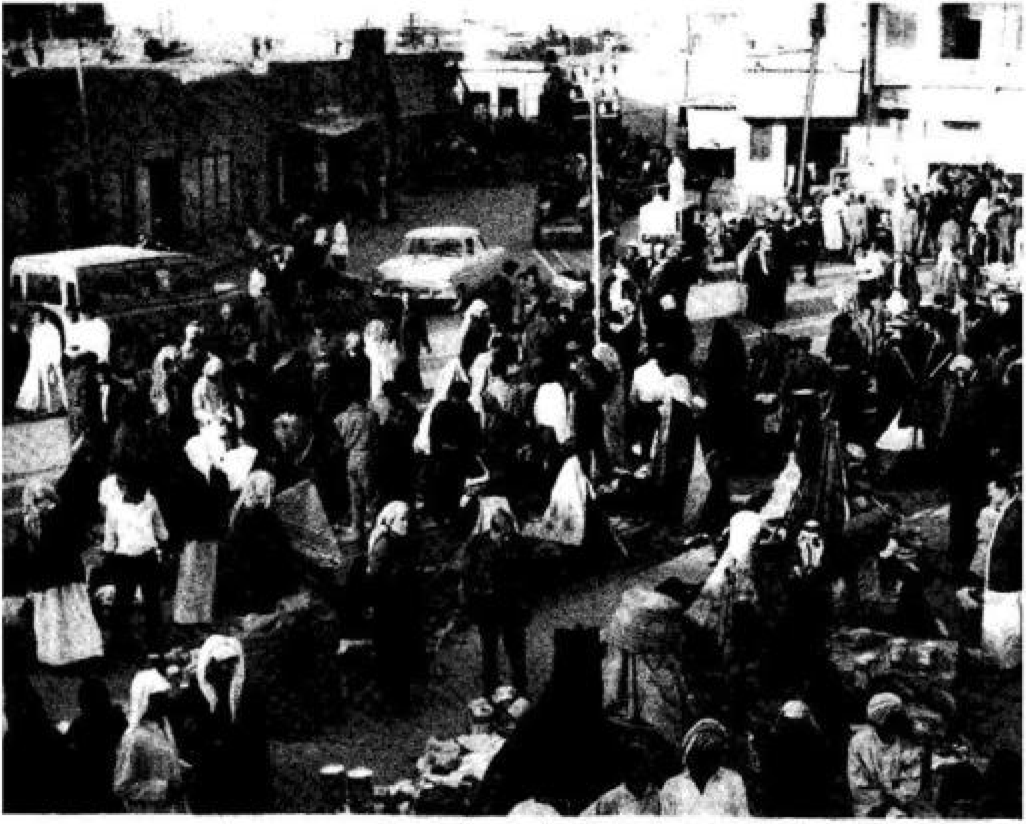


(**فوق**) مدخل مدينة البصرة القديمة التي شيدت في العهد العثماني ، ويخترقها نهر العشار بعد مسيرته الطويلة ، التي يقطع فيها ما يزيد على الثلاثة كيلومترات ، وهو يضيق وتنحسر مياهه الى أن يتلاشى تماما ..

(**الى اليمين**) هنا يتفرع نهر العشار من نهر شط العرب ، وعلى جانبي النهرين يمتد حي العشار الذي يبدأ من الشاطىء مباشرة ..



(**الى اليسار**) في مدرسة البتول الثانوية للبنات ، اختارت هذه الطالبة كتابا في «أدب المهجر» ووقفت تقرأ فيه داخل مكتبة المدرسة.



في قضاء الزبير ، أكبر اقضية البصرة الستة ، وأعمها ، رأينا صورة من صور الحياة عند أجدادنا العرب الاوائل .. صورة قريبة الشبه من تلك التى تمثلناها ، وتبارى الكتاب في تصويرها لنا على صفحات كتب الأدب والتاريخ ..

قلت لمرافقنا : « البيوت هى الشيء الوحيد الذى يعد نشازا في صورة هذه الحياة العربية الأصيلة ، ولو اننا ازلناها واقمنا الخيام بدلا منها ، لرأينا صورة طبق الاصل لحياة أجدادنا منذ ألفى عام أو يزيد ! »

وتركنا الزبير لنعود الى المدينة مرة اخرى ..

مكان البصرة الجغرافي والاقتصادى

ترى ما الذى أكسب هذه المدينة المركز الممتاز الذى تتمتع به اليوم بين مدن العراق ؟

سؤال لا بد لنا ان نطرحه قبل أن ننتقل الى الحديث عن حاضر البصرة وانجازاتها ومشروعاتها للمستقبل ..

أما الاجابة عليه فتتلخص في عدة نقاط أهمها ، موقع البصرة الجغرافي ، فهى كما قدمنا ، تقع في مفترق الطرق الى الجنوب الغربى ، ومنه الى أوربا .. ثم هي منفذ العراق البحرى الى الهند وبقية دول جنوب شرق آسيا .. وهى تجاور الدولة الشقيقة الكويت وباقى امارات الخليج ، وتتاخم حدودها بعد هذا حدود ايران ، كما يتيح لهــا موقعها اطلالة على الخليج .

هذا من الناحية الجغرافية ، بقيت الناحيــة الاقتصادية .. والبصرة تلعب اليوم دورا هاما في اقتصاد العراق كله .. فهى ميناء العراق الوحيد، ومنفذها على البحر .. ومنها تصدر العــراق منتجاتها الى جميع أنحاء العالم ، واليها أيضا تصل السلع التى تحتاج اليها البلاد وتستوردها من مختلف دول الشرق والغرب ..

١٤ مليون نخلة

ثم انتاجها الهائل من التمور ، وهو يقــدر بحوالى ١٣٠ الف طن سنويا أى أكثر من نصف

انتاج العراق كله من التمور على مدار السنة .. وقد قدروا عــــدد اشجار النخيل فى البصرة ، فوجدوها تزيد على ١٤ مليون نخلة من مجموع عدد النخيل الموجود في العراق كلها ، والذى يقدر بحوالى ٣٠ مليون نخلة .

وكان من نتيجة ذلك ان قامت مصانع التمور في مختلف انحاء المدينة ، وبعض هذه المصانع يملكها الاهالى ، والبعض الاخر تابع للدولة ، وقد زودت كلها بالآلات والمعدات الحديثة التى تدار بالكهرباء . واهم مكبسين للتمور في البصرة يقعان في منطقة الرباط وفي قرية الحمزة ، التى تبعد عن المدينة بحوالى ١٦ كيلو مترا .. وهما يجاوران الشاطىء مباشرة حتى تسهل مهمة تصدير الانتاج .. وتتولى الصنادل او المواعين مهمة نقل التمور من المصنع الى السفن الراسية في منتصف نهر شط العرب ، فتحملها هذه الى مختلــف انحاء العالم ..

ويقدر انتاج المكبس الواحد يوميا بحــوالى ٢٤٠ طنا من التمور المعباة في الصناديق والعلب ، اما موعد الكبس ، فيبدأ عادة في منتصف شهر سبتمبر من كل عام ويستمر حتى نهاية شهر يناير ..

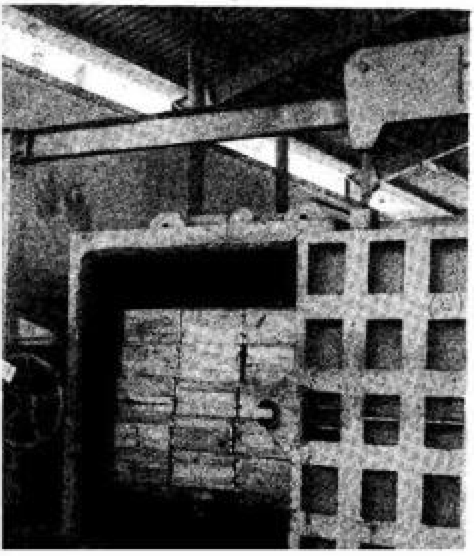
الزراعة فى البصرة

وقد انتشرت البساتين والحقول وسط اشجار النخيل التى تغطى مساحات شاسعة من أرض البصرة، كما قدمنا ، ويزرع الفلاحون العنبوالتين والمشمشوالتفاح الاخضر كما يزرعون الخضراوات كالطماطم والفاصوليا والفجل والبصل والثــوم والريحان والخس الذى ينمو بكثرة في اراضــى البصرة ..

ولكن الزراعة فى البصرة رغم الجهود التــى تبذلها المحافظة للنهوض بمستوى الفلاح وتحسين حالته ، تعانى اليوم ما تعانيه الزراعة في كل البلدان النامية التى بدات توجه اهتمامها الى التصنيع .. وفي قرية نهر حسن الواقعـة على الضفة الشرقية لشط العرب ، شاهدنا صورة لما احدثه التصنيع في حياة الفلاح .. التقينا بفرحان سعيد ، وهو مزارع قديم جاوز السبعين .. لقد نشا فرحان في الحقل ورزقه الله بثلاثة ابناء ،

التمور ، أهم محصول زراعى في البصرة ، وقد اهتمت المحافظة بانشاء معامل كبس التمور ، وهى تصدر منه كميات ضخمة لمختلف بلاد العالم .. وتمر التمور بعدة مراحل قبل كبسها وتغليفها واعدادهـــا للتصدير والاستهلاك المحلى ، فهى تجمع من الحقل ثم تنقل الى غرفة التبخير ، وتغسل وتجفف ثم تنقى وتمر بعد ذلك فوق سير متحرك (كما في الصورة التى الى اليمين) ، حيث تجمع وتوزن وتكبس تحت ضغط معين وتغلف بالورق المغطى بالشمع ، وترسل في النهاية الى المبخرة مرة أخرى (انظر الصورة التى الى اليسار) ، ويستخدم غاز ميثل بروميد Methyl Bromide في عمليـة التبخير .





(الى اليمين) الرافعة العائمة «المقدادة» وتبلغ قيامها بتفريغ احدى السفن التجارية المعقل ، احد الارصفة الاربعة التي يتكون منها و**(الصورة السفلى)** للروافع المثبتة على طوله حوالى كيلومترين ونصف ، اثناء عملها في الراسية ، وتتراوح قدرة هذه الروافع اما **الصورة التي الى اليسار** ، فتمثل سايلو الذي اقيم امامه رصيف خاص لتفريغ الحبوب الحبوب التي تصدرها العراق ، وهو قريب







حمولتها ١٢٠ طنا أثناء
الراسية في رصيف
ميناء البصرة .
الرصيف الذي يبلغ
تفريغ وشحن السفن
بين ثلاثة أطنان و١٥ طنا .
البصرة أو مخزن الحبوب
المستوردة وشحن
من رصيف المعقل .



منظر عام للحوض العائم الذي يجري فيه اصلاح السفن وصيانتها ،
وقد ظهر وراءه مخزن الحبوب الضخم الذي تكلف بناؤه ٧ ملايين
دينار عراقي ، ويتسع لخزن ٦٥ ألف طن من الحبوب .





على ضفاف شط العرب انتشرت المقاهي والكازينات التى يقصدها أهل البصرة في المساء عندما تغيب الشمس ، ليتمتعوا بمنظر مياه النهر وهي تلامس الشاطىء برفق ، وليأكلوا السمك المشوي مع الارز ، وهو طبق مشهور في البصرة ، فمياه شط العرب غنية بأسماكها المتعددة ، وقد اهتمت المحافظة بالثروة السمكية فتعاقدت مع الاتحاد السوفيتي على انشاء أسطول بحري لصيد السمك وتعليبه وتصديره .

ظلوا يعملون معه في حقله الذى تبلغ مساحته ثلاثة دونمات « الدونم ٢٥٠٠ م٢ » فيحرثون الارض وينثرون البذور وينتظرون الخير، الى أن كبروا..

وخرج الأب يبحث عن أبنائه وسط الارض التى تركهم فيها بالأمس ، فلم يجد لهم أثرا .. لقد ترك ابناؤه الحقل ، وذهبوا الى المدينة ليعملوا في مصانعها ..

يقول سعيد : « وبقيت وحيدا في أرضي افلحها وازرعها واسقيها .. أما أولادى فقد ذهب أحدهم ليعمل في المكبس وذهب الثانى ليعمل في الميناء واختار الثالث العمل في حديقة جامعة البصرة .. التى لا تبعد كثيرا عن قريتنا » .

نعم ، فقد قامت في البصرة جامعة لتعيد الى هذه المدينة التاريخية سالف مجدها ، ولكننا سوف نرجىء الحديث عنها الى عدد آخر باذن الله .

نفط البصرة

ثم ماذا في البصرة أيضا ؟

ومن بين الأسباب التى أدت الى قيام البصرة بدور هام في حياة العراق الاقتصادية ، وجود النفط في أراضيها .. ففى هذه المحافظة يقع أهم حقلين من حقول النفط الرئيسية في المنطقة الجنوبية ، ويوجد أحدهما في قضاء الزبير ،بينما يقع الآخر في الرميلة التى تبعد بحوالي ٢٠ كيلو مترا عن حقل الزبير .. وتقدر كمية البترول التى تستخرج من هذين الحقلين بثلث ما يستخرج من جميع حقول البترول الموجودة في العراق .

وتقوم شركة نفط البصرة اليوم بامداد محطة



محافظ البصرة السيد محمد محجوب ، حدثنا عن العمل الشعبي الذي يساهم فيه الشعب بكل فئاته ، وقال : « لقد حقق هذا العمل نجاحا يفوق كل ما كان مقدرا له ، فقد قمنا مثلا برصف وتمهيد طريق طوله أربعة كيلومترات في أقل من ثلاثة أشهر وبتكاليف تتضاءل امام التكاليف التي قدرها المقاولون لرصف هـــذا الطريق . »

توليد الكهرباء التي انشئت في المحافظة لتوليد القوى الكهربائية وتوزيعها على المناطق الجنوبية ، بالغاز الطبيعي الذي يستخدم في ادارة الآلات المولدة ولو أن نسبة كبيرة من هـذا الغاز تضيع محترقة .. وكان من نتيجة ذلك ، ان اجريت دراسات وافية للاستفادة من الغاز الطبيعي في الصناعة ، وعلى ضوء الدراسات تقرر اقامـــة مصنعين كبيرين أوشك العمل فيهما على الانتهاء .. اما المصنع الاول فهو لانتاج الأسمدة ، وستبلغ قدرته الانتاجية بعد تشغيله هذا العام حـــوالى ٢٧٠ الف طن من السماد الكيماوي سنويا ..

واما المصنع الثاني ، فهو لانتاج الورق ، والورق المقوى من القصب والبردي الذي يغطي الاهوار . وسيبلغ انتاجه ٣٠ الف طن سنويا .

السياحة

على ان هناك عاملا آخر كان له أثره في انتعاش اقتصاد البصرة ، وهو الاهتمام بالسياحـــة . فالبصرة بحكم موقعها كما ذكرنا ، وبفضل ما كان لها من دور في تاريخ العرب والمسلمين وما تحويه اليوم من آثارهم أصبحت محط اهتمام السائحين من العرب والأجانب الذين يحرصون دائما على أن تكون البصرة في مقدمة برامج زياراتهم للعراق .. وقد اهتمت الدولة واهتم الأهالي بالسائحين فانشاوا لهم الفنادق والحدائق العامة والنوادي الليلية ودور اللهو والتسلية ، وفي البصرة اليوم فندق من الدرجة الأولى ، هو فندق شط العرب الذي يقع في مطارها مباشرة وقد زود باجهزةتكييف الهواء المركزية،واقيم في حديقته الواسعةالباسقة، حمام للسباحة .. ولا تكلف الاقامة فيه أكثر من دينارين عراقيين في اليوم بما في ذلك وجبة الافطار.

كما عنيت المحافظة أيضا بانشاء فنادق عائمة في سفن راسية وسط مياه شط العرب ، وكذلك عدد من الشاليهات التي تشرف على الشاطىء مباشرة ، وقد خصصت لسكنى العائلات ..

حديث لمحافظ البصرة

قال لنا محافظ البصرة « لقد صممت منذ اليوم الأول الذي تحملت فيه مسئولية ادارة هـــذه المحافظة ، أن انهض بحركة السياحة فيها ، وأن أجعل من البصرة مدينة سياحية من الدرجة الأولى .. وبناء عليه ، فقد قمنا بانشاء عدة مرافق هامة من بينها بناء عدد من الكازينات السياحية الحديثة على شط العرب ، وقد وضعت تصاميم هـــذه الكازينات بالفعل ، وتم رصد المبالغ اللازمـــة لانشائها .

كما « اتفقنا مع مصلحة السياحة والاصطياف على اقامة فندق سياحي عالي على شط العرب سوف يتكلف بناؤه حوالى نصف مليون دينـــار عراقي . وقد بدأ العمل بالفعل لاخـــراج هذا المشروع الى حيز الوجود في أقرب فرصة ممكنة !»

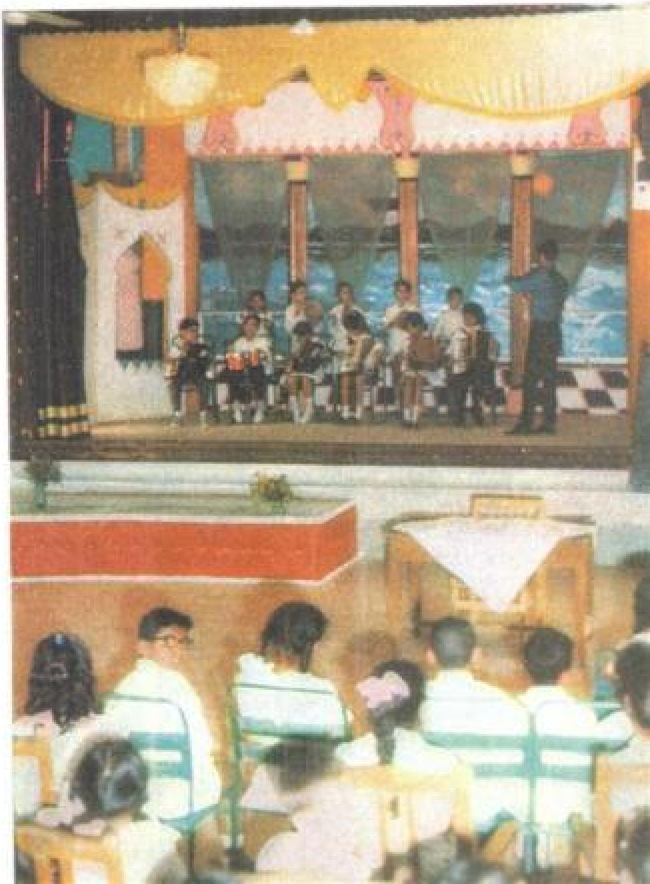
ومضى المحافظ في حديثه يقول : « وقد تـــم الاتفاق أيضا مع مصلحة الموانيء لانشاء مدينـــة

منظر لمدخل فندق شط العرب الذي يشرف على ساحة المطار مباشرة .. وقد أقيم فوقه بـــرج المراقبة ،الذي يشرف على قيام وهبوط الطائرات، وهو أكبر الفنادق السياحية في البصرة .





فوق: تولي محافظة البصرة اهتماما كبيرا بشوارع المدينة وميادينها ، وقد بدأت في الآونة الأخيرة بعملية ترميم للطرق والميادين العامة التي تلف رصفها ، وفي الصورة ميدان حديث كساه الزرع بثوب أخضر جميل .



الى اليمين : أطفال مدرسة الفيحاء التطبيقية النموذجية يستمعون الى الأنغام التى تعزفها لهم فرقـــة الموسيقى بالمدرسة . والتعليم فيها مختلط ، ويدرس التلاميذ الرسم والتجارة والنحت ، بينما تدرس التلميذات الحياكة والتطريـــز واشغال الابرة ، الى جانب برامج الدراسة العادية



الى اليسار : بيت رعاية الطفولة بالبصرة ، ساهم الشيخ صباح السالم الصباح أمير الكويت في بنائه ، فقد تبرع بمبلغ الفي دينار كويتي لانشائه، وجمع أهالي البصرة باقي تكاليف البناء ، وتدفع الام مبلغ ستة دنانير شهريا مقابل رعاية طفلها اثناء فترة عملها من الصباح حتى المساء .



الى اليسار : عنيت محافظة البصرة برعاية الايتام والفقراء من أبناء العراق وفلسطين وعمان ، فانشأت « مبرة البهجة » لايوائهم وتعليمهم وتربيتهم، وتبلغ ميزانية المبرة ٥٠ الف دينار عراقي سنويا ، وهي تعتمد في امدادها بالمال على المحافظة ثم على التبرعات التي تصلها من أهل الخير



الى اليسار : بعض أعضاء جمعية الهلال الاحمر في البصرة ، وهم تضم كرائم السيدات اللواتي كرسن جهودهن الآن لخدمة القضية العربية وقد ظهرت في الصورة رئيسة الجمعية السيدة هائدان الخضيري، وهي تجمع انتاج الاعضاء من ملابس ومفارش ستباع في معرض يخصص ريعه للمقاتلين البواسل في جبهة القتال .



اقامت ادارة ميناء البصرة مدينة سكنية كاملة متكاملة لموظفيها وعمالها .. وفي الصورة العليا
جانب من مساكن العمال ويدفع العامل ايجارا لسكنه فيها لا يتجاوز ٥ر٤٪ من مرتبه ، اما

العاب ترفيهية على غرار مدينة الالعاب الموجودة في بغداد ، وتم التعاقد بالفعل مع الجهات المختصة للبدء في تنفيذ هذا المشروع على وجه السرعة . وفي نفس الوقت تقرر انشاء عدد من العوامات في شط العرب ، يمكن أن تستخدم كمطاعم وكازينات لاستقبال السائحين ، كما قرر نادى الفروسية فرع البصرة ، اقامة سباق للخيل تشجيعا منه للحركة الرياضية والسياحية في المدينة من ناحية، والمحافظة على أصالة الخيول العربية من الناحية الاخرى » .

وختم المحافظ حديثه بقوله : « اننا نرحب باخواننا العرب ، ونرحب بكل اجنبي يأتي الى بلادنا زائرا سائحا .. » .

ميناء البصرة

ونترك الحديث عن السياحة ، ونعود الى ميناء البصرة أو موانيء البصرة الثلاثة .. ميناء معقل وهو اضخمها وأكبرها ثم ميناء العشار ، وميناء ام قصر .

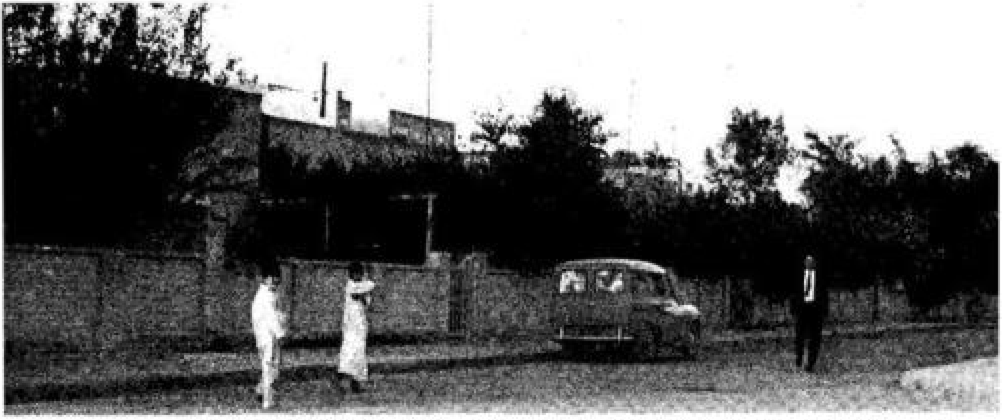
ان تاريخ انشاء هذا الميناء يرجع الى ما بعد اندلاع الحرب العالمية الاولى ، الى أن كان عام ١٩١٩ عندما انتقلت ادارة الميناء من أيدى البريطانيين الى حكومة العراق ، وانشئت ادارة خاصة به عرفت « بمديرية الموانيء » ووضعت المديرية تحت اشراف وزارة التجارة العراقية ثم وزارة المالية، وأخيرا وزارة المواصلات والاشغال التى تشرف على ادارته الآن ..

ثلاثة موانيء

وقد اجريت عدة اصلاحات وتحسينات على الميناء حتى أصبح على ما هو عليه الآن .. وهو



تضم « مبرة البهجة » التي انشئت لرعاية الاطفال الفقراء واليتامى ما يزيد على المائتين والخمسين طالبا وطالبة ، وتقوم المبرة بتربية هؤلاء الابناء تربية وطنية ، وتعلمهم المهن والحرف كالنجارة والتدبير المنزلي والرسم والنحت الى جانب الدروس النظرية المقررة في المدارس الابتدائية والمتوسطة، ويظل الفتى في المبرة حتى يكمل تعليمه ويلتحق بعمل ، أما الفتاة فلا تترك المبرة قبل زواجها .. وفي الصورة فرقة موسيقى المبرة من الطالبات ، أثناء الدروس .



الصورة العليا التى بجانبها فتمثل بعض المساكن المخصصة للموظفين، ويتوقف ايجار سكن الموظف على درجته وعلى المنطقة التي يقع فيها سكنه، ويتراوح الايجار بين دينار ونصف واربعة دنانير شهريا.

يتالف من ثلاثة موانىء كما ذكرنا أولها ميناء المعقل ، الذى يبلغ طوله كيلو مترين ونصف كيلو متر ، وقد قسم الى ١٤ رصيفا ، كما خصص جزء منه ويبلغ طوله ٥٠٠ متر ، لرسو الصنادل او المواعين . وعلى كل رصيف من هذه الارصفة خمس رافعات تتراوح قدرة رفعها بين ثلاثة اطنان و١٥ طنا .. أما ما يزيد عن هذه الحمولة فيفرغ بواسطة رافعات عائمة ، واضخم رافعة موجودة من هذا النوع هى القداد وقدرتها ١٢٠ طنا . وفي هذا الميناء يمكن استقبال السفن التى لا يزيد طول غاطسها على ٢٩ قدما . اما الميناء الثانى ، وهو ميناء العشار ، فيتالف من رصيف واحد خشبى يبلغ طوله حوالى ٣٥٠ قدما وعليه رافعتان قدرة رفع كل منهما ثلاثة أطنان ، وقد خصص هذا الميناء لرسو سفن الركاب وابحارها .

بقى الميناء الثالث ، وهو ميناء أم قصر .. وهو يتالف من ثلاثة ارصفة خرسانية حديثة ، طول الواحد منها ٦٠٠ قدم ، وقد خصصت لرسو المواعين .. وعلى ارصفة ميناء أم قصر ثبتت رافعتان قدرة كل منهما ١٥ طنا وست روافع قدرة كل منها ثلاثة اطنان ، وسوف يضاف اليها قريبا اربع رافعات قدرة ثمانية اطنان لكل منها .

ويسمح هذا الميناء باستقبال السفن لحد غاطس ٣٢ قدما ، كما يمكن تعميقه لاستقبال سفن ذات غاطس ٣٨ قدما .

٢١ الف موظف وعامل

ويعمل في ميناء البصرة ما يزيد على ١٨ الف عامل فنى وغير فنى ، وأكثر من ثلاثة آلاف موظف وقد شيدت لهم ادارة الميناء مدينة سكنية خاصة بهم ، تضم ٦ آلاف مسكن للعمال المتزوجين ، ومساكن أخرى خاصة بالعمال غير المتزوجين ، ويدفع العامل ايجارا لمسكنه لا يتجاوز ٤ر٥٪ من مرتبه ، بما في ذلك استهلاك الكهرباء والماء .

كما خصصت مساكن اخرى للموظفين يبلغ عددها ١٨٠٠ مسكن يدفع الموظف ايجارا لسكنه فيها طبقا لدرجته ، وللمنطقة التى يقع فيها سكنه ، وهو يتراوح بين دينار ونصف واربعة دنانير شهريا ..

مدينة متكاملة

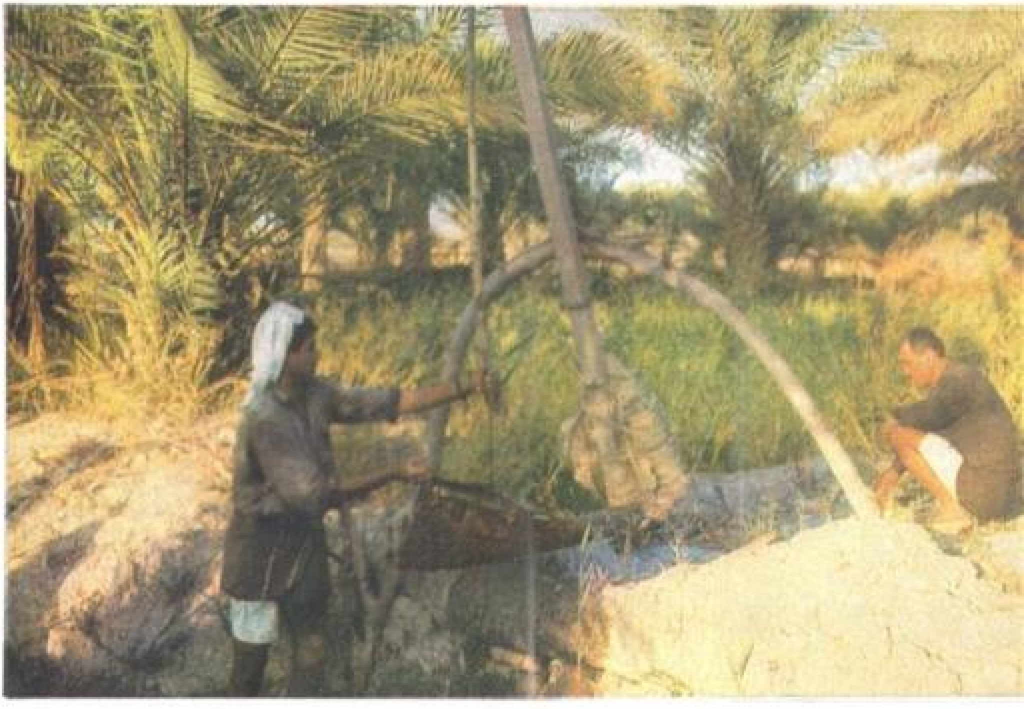
وقد زودت ادارة الميناء هذه المدينة السكنية بكل المرافق الحيوية ، فانشئت بها المدارس الإبتدائية والثانوية ، كما شيدت مستشفى عاما لعلاج العمال والموظفين وافراد أسرهم بالمجان ، وفي المدينة أيضا داران للسينما ونواد رياضية واجتماعية ، ودار للكتب تضم ما يزيد على الخمسة الاف كتاب ، وكانت هذه المكتبة في بداية انشائها مخصصة لموظفى وعمال الميناء ، ولكن رئى بعد ذلك تحويلها الى مكتبة عامة مفتوحة لجميع فئات الشعب .

وفي قلب مدينة الميناء ، قام اخيرا مسجد فخم يتسع لأكثر من عشرة الاف مصل ، وهو يعتبر أجمل واكبر المساجد القائمة في العراق كلها .. وقد تكلف بناؤه ما يزيد على المائة الف دينار ، ويرجع الفضل الاول في بناء هذا المسجد لأحد ابناء الكويت ، وهو المرحوم عبد الله

الى اليسار : قاعة فندق شط العرب ، اكبر ، واقدم الفنادق السياحية في البصرة ، وهو يقع في مطار البصرة . وقد زود باجهزة تكييف الهواء المركزية ، واقيم وسط حديقته حمام للسباحة ، ويجرى العمل الآن في بناء مجموعة من الشاليهات على شاطيء النهر مباشرة .

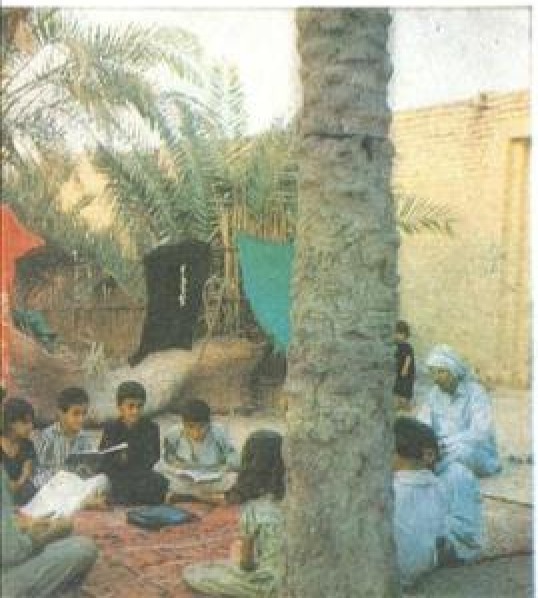


اعتنت محافظة البصرة بالسياحة، فأنشأت الفنادق والنوادي الليلية ودور اللهو والتسلية وفي الصورة فندق عائم، أقيم في باخرة راسية في مياه شط العرب.





انتشرت البساتين والحقول وسط أشجار النخيل التي تغطي مساحات كبيرة من أرض البصرة ، ويزرع الفلاحون الخضراوات بمختلف أنواعها ، كما تنمو أنواع معينة من الفواكه كالعنب والتين والمشمش ، وبالرغم من ادخال وسائل الري الحديثة ، الا أن بعض الفلاحين ما زالوا يعتمدون على الوسائل القديمة في ري أرضهم كالشادوف (كما في الصورة التي الى اليمين) . وفي الصورة اليسرى جلس أطفال القرية يستذكرون دروسهم مع معلمهم في المساء بعد عودتهم من المدرسة .



قام بهذا الاستطلاع

منير نصيف

وصوره

عبد الناصر شقره

عبد اللطيف العثمان الذى تبرع في عام ١٩٦٤ بمبلغ كبير لانشاء المسجد ، ثم جمعت بقية تكاليف البناء من ابناء البصرة ، وقد انتهى العمل في تشييده ، وسيتم تأثيث المسجد خلال الشهور القليلة المقبلة ثم يسلم لمديرية الاوقاف . ويتميز هذا المسجد الذى سمي باسم المعقل نسبة الى المنطقة التى يقع فيها ، بوجود مصلى خاص بالنساء ، وهو تقليد اتبعه المرحوم عبد الله عبد اللطيف العثمان في كل المساجد التى ساهم في بنائها ..

سايلو البصرة

وعلى شاطىء شط العرب ، وبالقرب من ارصفة ميناء المعقل ، يقع مبنى حديث ضخم يشرف على النهر مباشرة ، وامامه رصيف لرسو السفن .. انه سايلو *Silo* البصرة ، الذى يعتبر من اكبر مخازن الحبوب فى منطقة الشرق الاوسط .

وقد بدأ بناء المخزن الهائل الذى يتسع لخزن اكثر من ٦٥ الف طن من الحبوب في عام ١٩٥٧ ، وانتهت عملية البناء في عام ١٩٦١ ، وتكلف انشاؤه ما يزيد على السبعة ملايين دينار عراقي ..

ويضم السايلو ٧٢ مخزنا اسطوانى الشكل و ٣٦ مخزنا هلاليا يتسع كل منها لاكثر من ٨٠٠ طن ، وترتفع هذه المخازن عن سطح البحر بحوالي ٦٧ مترا .

وتدار كل اجهزة السايلو بالكهرباء .. وهي تعمل بصورة اوتوماتيكية ، واهم اجهزة السايلو انابيب السحب والدفع التى تسحب الحبوب من السفن الراسية في الميناء الى المخازن ، او تدفعها اليها .. وكذلك اجهزة الغربلة والتبخير وموازين الحبوب .

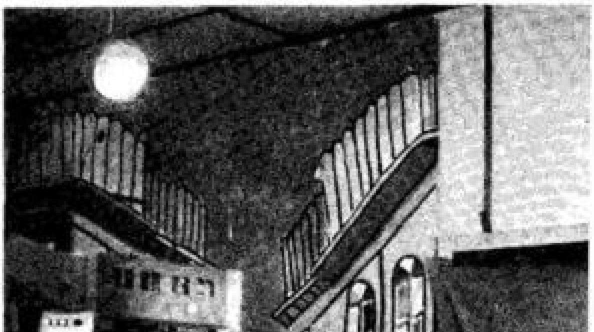
والحبوب التى تصدرها العراق هي الشعير الابيض والاسود والارز والحنطة وتزرع في سهول العراق اما الحبوب المستوردة ، فهي الاذرة الصفراء والحنطة احيانا ، اذا لم يكن المحصول وفيرا ، وتستوردها العراق من استراليا .

احدث الانجازات

ونترك الحبوب ومخازنها ، وننتقل الى احدث الانجازات التي حققتها الادارة المحلية في البصرة .. الى محطة التلفاز .

لقد افتتحت هذه المحطة التي تبث برامجها يوميا الى اهالى البصرة وبعض مناطق الخليج العربي ، من اول ايام عيد الفطر المبارك عام ١٩٦٨ ، وزودت المحطة التى تبعد عن مدينة البصرة بحوالى ١٣ كيلو مترا باحدث اجهزة التسجيل ال *Vedeo Tape* التي تسجل الصوت والصورة في وقت واحد ، كما جهزت بآلات العرض السينمائي ٣٥ مليمتر و١٦ مليمتر ، وكلها من انتاج شركة *Rca* الامريكية .

ويعمل في المحطة ٣٨ موظفا ، وهم جميعا من ذوى الخبرة الذين ارسلوا في بعثات الى الولايات المتحدة وفرنسا والاتحاد السوفيتي ، وبينهم خمس



احدى المذيعات فى تلفاز البصرة ، تقدم نشرة الاخبار . وانشاء محطة للتلفاز ، هو احدث الانجازات التى حققتها الادارة المحلية في هذه المدينة العربية

فتيات الحقن بالمحطة منذ افتتاحها ، وهن يعملن الآن مذيعات ومقدمات برامج على ان النية تتجه الى تعيين المزيد من الفتيات خلال الاشهر القليلة المقبلة .

دور المراة

فقد خرجت المراة البصرية الى معظم مجالات العمل ، وبدات تاخذ مكانها في بناء المجتمع الجديد فعملت مدرسة وطبيبة وممرضة ، حتى في الاعمال البسيطة وجدناها تعمل جنبا الى جنب مع الرجل ، فحملت قطع الطوب والحجارة وصعدت بها فوق السقالة ، لتعمر مدينتها الجديدة .. وهذا عمل شاق كنا نربا بالرجل أن ياذن بمثله للنساء الضعيفات الرقيقات ..

قالت لنا رئيسة جمعية الهلال الاحمر ، التي تركز نشاطها اليوم في جمع المساعدات للفدائيين الذين يرابطون في خط النار ضد العدو المغتصب، وفي غوث اللاجئين ورعاية ابناء الابطال الشهداء ، قالت الرئيسة السيدة هاندان الخضيري : « قد تدهشون لو علمتم أن الرجل في البصرة اليوم يبحث عن المراة العاملة عندما يريد أن يكمل دينه بالزواج ! »

فلم يعد الرجل يحبس امراته بين جدران بيته، وانما هو يساعدها ويشجعها على العمل ، لتساعده في رزقه وعيشه .

الزواج في البصرة

قلنا : « هل في البصرة ازمة زواج ؟ » قالت السيدة هاندان : « بالعكس ، فالشبان يقبلون على الزواج ، ويرجع الفضل في ذلك الى المراة الجديدة التي بدات تفكر باسلوب جديد يختلف عن طريقة تفكير أمها .. انها لم تعد تتمسك بتحديد المهر ، فالزواج بين اى رجل وامراة اليوم يعتمد اول ما يعتمد على التعاون بينهما .. تعاون العروسين في تاثيث بيت الزوجية الجديد ، ثم تعاونهما بعد ذلك في العمل والبحث عن الرزق ، من اجل توفير حياة افضل .. وربما كان هذا هو الحافز الذى يدفع الكثيرين من الشباب الى الزواج ؟ »

اهل البصرة

لقد اوشكت جولتنا على الانتهاء ، ولكننا قبل



المراة الحديثة في البصرة خرجت وتعلمت لتعمل جنبا الى جنب مع الرجل وهى قد أصبحت تفكر بأسلوب جديد يختلف عن تفكير أمها وجدتها من قبلها .. انها تؤمن بأن الزواج تعاون ومشاركة .

ان نختتمها ، يجب الا ننسى ان نشير بكلمة سريعة الى أهل البصرة .. ان ابناء هذه المدينة يشتهرون برحابة صدرهم وحسن خلقهم وكرم ضيافتهم وطيب نفسهم ، وأول ما يلمسه الزائر الغريب عندما يحط رحاله بينهم ، هو شعوره بانه ليس غريبا .. فاذا ما دخلت مقهى وما اكثر مقاهى البصرة التى يلتقى فيها ابناؤها ، او جمعك باهل البصرة مجلس في ناد من نواديها الاجتماعية المتعددة ، وجدت الكثيرين ينهضون ويبشون بوجهك مستقبلين مرحبين، وكانهم يعرفونك منذ زمن طويل ..

واذا دخلت متجرا لتسال عن سلعة تريد ان تشتريها ، وجدت من صاحبه ومن حسن معاملته لك ما يدفعك دفعا الى الشراء حتى لو غلا الثمن وارتفع !

وبعد .. ان الحديث عن مدينة البصرة وانجازاتها ومشروعاتها وحياة اهلها ، يطول ويتشعب ، ومهما افضنا فلن نستطيع ان نعرض على هذه الصفحات القليلة صورة كاملة للحياة في هذه المدينة اليوم . ■■

منير نصيف

أبو بكر بن عمّار

شاعر وسياسي ومغامر

بقلم : محمد عبد الله عنان

■ قضيت يومين في مدينة شِلْب البرتغالية الصغيرة . ولم يكن ذلك لان شِلْب من مدن السياحة او النزهة ، او لانها في ذاتها تستحق الزيارة والاقامة ، ولكن لانها فقط تمثّل في تاريخ الأدب الاندلسي مثولا قويا ، اذ كانت موطن الشاعر الكبير ابى بكر بن عمار ، وثانيا لانها كانت منزلا لامير الشعر المعتمد بن عباد ، حكمها في شبابه من قبل ابيه المعتضد ، وما زالت بها بقية من اطلال قصر الشراجيب الذى تغنى به المعتمد .

وشلب Silves مدينة صغيرة مشرقة تقع في اقصى جنوبى البرتغال على مقربة من المحيط الاطلنطي فوق ربوة متدرجة ، تشرف على نهر أراد الصغير الذى يصب في المحيط ، قرب ثغر بورتما والصغير ودروبها قصيرة ملتوية ، واحياؤها غير منسقة ، ولكن جميلة مؤثرة ، ولها طابع خاص يغلب عليه القدم ، ومظاهر العصور الوسطى ، ومنازلها كثيرة الالوان ذات طابقين او ثلاثة . وتحيط التلال العالية بالمدينة ، الا من ناحية مدخلها فوق النهر ، حيث تقوم القنطرة العربية القديمة ، وهي قنطرة حجرية ذات اربعة عقود ، تصل المدينة بالطريق الكبرى ، وهنا على جانبي المدينة تمتد البسائط الخضراء ، والحقول اليانعة .

وفي قرية من ارباض شلب تسمى « شنتبوس » ولد شاعر الاندلس الكبير ، ابو بكر محمد بن عمار ابن الحسين بن عمار المَهْرى ، وذلك في سنة ٤٢٢هـ (١٠٣١م) ، في اسرة متواضعة لم يكن لها في الظهور شان . ووفد على مدينة شلب ، فنشأ بها ، وتلقى دراسته الاولى ، ثم رحل الى قرطبة ، فاكمل بها دراسته على جماعة من شيوخ العصر ، وبرع في الادب ، ونظم الشعر فتى ، واتخذه وسيلة للتكسب ، فكان يمدح كل من وصله مهما كانت مكانته او مركزه . ثم قصد اشبيلية ، ومدح اميرها المعتضد بن عباد ، وكان بلاط اشبيلية يسطع يومئذ في ظل بنى عباد ، حماة الشعر والأدب ، ويحتشد فيه جماعة من اكابر شعراء العصر وكتابه امثال ابى الوليد بن زيدون وابى محمد بن عبد البر ، وابى عبد الله البزلياني وغيرهم .. فنظمه المعتضد في سلك شعرائه وامنائه . ولما ندب المعتضد ولده محمدا المعتمد ، لحكم شلب على أثر افتتاحها ، من يد بنى مزين ، في سنة ٤٥٥ هـ ، اتصل به ابن عمار ، والفى المعتمد في صفاته وادبه ، ورقيق نظمه ما حببه اليه ، فعهد اليه بوزارته ، وتوثقت بينهما علائق المودة والصفاء ، حتى غدا أثير المعتمد ، ينظمه في مجالس انسه ، ولا يصبر على فراقه ، وكانت براعة ابن عمار في النظم من احب صفاته للامير الشاعر .

ولما توفي المعتضد في سنة ٤٦١ هـ . وخلفه ولده المعتمد في الملك ، عين ابن عمار واليا لبلدة شلب . وقد تركت حياة المعتمد في شلب ، وما تقلب فيه في ربوعها الجميلة من مجالي اللهو والانس ، في نفسه ذكريات عميقة ، تصورها لنا تلك الابيات التى نظمها المعتمد ، مخاطبا صديقه

كان في المقدمة من شعراء عصر جمع بين المعتمد، وابن زيدون، وولادة بنت المستكفي، وابن عبدون

ورفيق صباه ، ابن عمار ، حين وجهه الى شلب ليتولى رياستها :

الا حي اوطاني بشلب ابا بكر
وسلهن هل عهد الوصال كما ادري
وسلم على قصر الشراجيب من فتى
له ابدا شوق الى ذلك القصر
منازل آساد وبيض نواعم
فناهيك من غيل وناهيك من خدر

ولم تطل اقامة ابن عمار بشلب ، ذلك ان المعتمد لم يصبر على فراقه ، فاستدعاه الى اشبيلية وولاه وزارته ، وظهر ابن عمار يومئذ بمقدرته ودهائه ، فكان المعتمد يعهد اليه بمهام الامور ، ويندبه الى سفاراته ، وتنفيذ مشاريعه الخطيرة ، فيؤديها ابن عمار على احسن وجه . وتجلت مقدرة ابن عمار بنوع خاص في تنظيم علائق المعتمد مع ملك قشتالة ، الفونسو السادس، اقوى ملوك شبه الجزيرة يومئذ ، وتوثيق اواصر المودة بينهما . واستمر ابن عمار على حظوته ومكانته لدى المعتمد اعواما طويلة ، الى ان فسد الجو بينهما ، بتدخل اعتماد الرميكية ، زوجة المعتمد ،فكانذلك ايذانا بنكبته، علىما نذكرهبعد.

وكان من اهم المشاريع التى اضطلع بها ابن عمار يومئذ لحساب المعتمد ، استيلاؤه على مدينة مرسية ، وهو مشروع تجلت فيه مقدرته السياسة ودهاؤه الواسع ، وكانت مملكة اشبيلية ، تمتد يومئذ من ناحية الشرق حتى لورقة وشقورة على مقربة من مرسية ، وهى الحاضرة الجنوبية لشرقى الاندلس .

وكانت مرسية يومئذ تحت حكم بنى طاهر ، واميرها ابو عبد الرحمن بن طاهر ، احد كتاب العصر وبلغائه ، يجد في حكمها صعابا جمة ، ويعارضه من اهلها حزب قوى ، وقد كتب عدد منهم الى المعتمد يستدعونه لافتتاحها ، ويؤكدون له ضعف الدفاع عنها ، وعهد المعتمد الى ابن عمار بوضع الخطة اللازمة لافتتاح مرسية ، فسار ابن عمار الى شرقي الاندلس ، وعقد مع الكونت رامون برنجار امير برشلونه اتفاقا يتعهد فيه بان يعاونه بفرسانه على فتح مرسية مقابل عشرة آلاف مثقال من الذهب تؤدى اليه ثمنا لعونه . وقدم المعتمد ولده الرشيد رهينة لديه ، وبعث بقواته الى ابن عمار ، وبعث اليه الكونت بفرسانه . وحاصرت القوات المتحالفة مدينة مرسية ، ولكن ابن عباد تأخر في اداء المال ، وقبض الكونت على ابن عمار ، وكان ابن عباد على راس قواته على مقربة من شقورة فبادر باداء المال ، وافرج الكونت عن ابن عمار ، وعن الرشيد . ولم تنجح هذه الحملة الاولى في افتتاح مرسية . فجهز المعتمد حملة ثانية ، وقدم عليها ابن عمار ، واستعان ابن عمار في طريقه بقائد حصن بلج ، وهو يومئذ عبد الرحمن بن رشيق ، فسار معه ، وندبه للقيادة ، وحاصر ابن رشيق مرسية، ولبث على ارهاقها ، وتحريض اهلها ضد حاكمها ابن طاهر ، حتى تم له الامر ، وفتحت المدينة ابوابها بطريق الخيانة ، ودخلها جند ابن عباد ، وقبض على ابن طاهر ، واعتقل حتى اذن ابن عباد بتسريحه ، فلحق ببلنسية ، وكان افتتاح مرسية على هذا النحو في سنة ٤٧١هـ (١٠٧٨م) .

وهنا يكشف ابن عمار عن دخيلة نفسه ، وينقلب الشاعر الى مقامر مضطرم الاطماع .

كان ابن عمار يبغى ان يستولى على مرسية لنفسه ، وان يستقل بحكم هذه المدينة النائية ، بعيدا عن سلطان مليكه . وقد عمد بالفعل الى حكمها حكم امير مستقل ، وتجاهل اوامر ابن عباد ورغباته ، واخذ يدس الدسائس بين امراء هذه الناحية . ولكن هذه المغامرة لم يطل امدها . ذلك ان ابن رشيق ، وهو فاتح المدينة الحقيقى ، كان يتربص بابن عمار ، ويتحين فرصته . وفي ذات يومغادر ابنعمار مرسية لتفقد بعض الحصون القريبة ، فوثب ابن رشيق واستولى على المدينة، واغلق ابوابها في وجه ابن عمار ، فكانت تلك

الغربة خير جزاء له على خيانته .

ولم ير ابن عمار امامه سوى الفرار ، فسار الى قشتالة وقضى وقتا قصيرا في بلاط الفونسو السادس ، ولكنه لم يلق منه عونا . فقصد الى سرقسطة ، ملتجئا الى اميرها المقتدر بن هود ، فاكرم وفادته واستخدمه في شئونه ، ولكنه ما لبث ان توفي بعد قليل ، فبقي ابن عمار في خدمة ولده المؤتمن حينا . وهنا غلبت ابن عمار سجيته في الاغراء والدس ، فحرض المؤتمن على غزو حصن شقورة ، وهو يومئذ من اعمال دانيه . وقصد ابن عمار الى ذلك الحصن في جماعة قليلة من اصحابه ، وكان حاكمه رجلا وافر الدهاء يدعى ابن مبارك ، فدعا ابن عمار وصحبه الى الدخول ، وهش لاستقباله ، فخدع ابن عمار بموقفه ، وما كاد يستقر في الحصن ، حتى هوجم وقبض عليه ، ووضعت في يده الاغلال ، وزج الى ظلام السجن ، وكان ذلك في شهر ربيع الاول سنة ٤٧٧هـ (١٠٨٤م) .

ووقف ابن عباد على ذلك الخبر ، فبعث الى ابن مبارك يطلب اليه تسليم ابن عمار ، وبعث اليه مالا وخيلا ، فاستجاب لدعوته ، وسلم ابن عمار لرسله ، وعلى راسهم ولده يزيد الراضي ، فأخذ اولا الى قرطبة ، حيث كان المعتمد يومئذ . وادخل اليها مكبولا في هيئة رزية ، وقد احتشد الالوف من اهلها لرؤيته ، وقد كانت تهتز لموكبه حين كان يدخلها ايام عزه . ثم اخذ بعد أيام قلائل الى اشبيلية ، فاعتقله المعتمد في مكان خامل في قصره ، ولبث فيه ينتظر مصيره .

والواقع ان مصير ابن عمار كان يهتز في يد القدر ، وكانت ثمة ظروف قاهرة تدفع به الى نهايته المحزنة . وقد سبق ان اشرنا الى موقف اعتماد الرميكية زوجة المعتمد من ابن عمار ، وقد كانت بينهما وحشة تزداد على مر الايام . وكانت الرميكية ، وهي ملكة اشبيلية الاثيرة ، تحتل مكانة بارزة في حياة المعتمد وفي بلاط اشبيلية . وكانت تشاطر زوجها هوى الشعر ونظمه ، وكانت تعيش في هذا الافق الادبي الرفيع ، الذي يسيطر على بلاط اشبيلية ، ويجتمع في ظله اعظم شعراء العصر ، وتشترك في كثير من الاحيان في مجالس الشعر والأدب .

وكان ابن عمار ، وهو يومئذ يشغل منصب الوزارة ، من اساطين هذه المجالس الادبية ، وكان يومئذ في ابان مجده ونفوذه ، يستأثر لدى المعتمد بثقته ، ويملك عليه كل حبه وعطفه ، وكانت الرميكية تنظر الى مكانته وتمكن نفوذه بعين السخط ، وكان ابن عمار من جانبه يحقد عليها ، ويخشى بأسها وسعايتها .

واستمرت معركة الدسائس والمنافسة حينا بين اعتماد والوزير ، لتسفر عن نتيجتها الطبيعية ، وهي هزيمة الوزير وتغير مليكه عليه . ثم جاءت حوادث غزو مرسية ، وتصرف ابن عمار الغادر في شأنها ، لتحسم الموقف ، ولتدفع ابن عمار الى مصيره المحتوم .

ولما وقع ابن عمار اخيرا بين يدي المعتمد ، وزجه المعتمد الى سجن القصر ، كان المعتمد يستحضره من آن لآخر ، ويبالغ في عتبه وتأنيبه ، وابن عمار يمعن في استعطافه واسترحامه . ويقال ان المعتمد تأثر في النهاية بمحنته ووعده بصفحه. ولكن خصوم ابن عمار في البلاط ، الساعين في هلاكه ، وفي مقدمتهم الوزير ابو بكر بن زيدون ، وهو ولد الشاعر ضاعفوا سعايتهم ، وأبرزوا للمعتمد ابياتا من الشعر بخط ابن عمار ، نظمها ايام كان في مرسية ، وفيها يتعرض بالهجو اللاذع لبني عباد ، ولاعتماد الرميكية زوجة المعتمد .

وقد اورد لنا ابن الأبار في ترجمته لابن عمار تلك القصيدة التي قيل انها كانت سببا في نكبة ابن عمار ومصرعه ، وهذا مطلعها :

الا حي بالغرب حيا حلالا
أناخوا جمالا وحازوا جَمالا
وعرج بيوْمين أم القرى
ونم فعسى أن تراها خيالا
لتسأل عن ساكنيها الرماد
ولم تر للنار فيها اشتعالا

ويوْمين هي قرية من قرى اشبيلية ، ومنها كانت اولية بني عباد . ومنها في هجو الرميكية :

تخيرتها من بنات الهَجين
رُمَيْكيَّةً ما تساوى عِقالا
فجاءت بكل قصير العذار
لئيم النجارَيْن عمّا وخالا
قصار القدود ولكنهم
أقاموا عليها قرونا طوالا

ثم يشير ابن عمار الى أيام شبابه مع المعتمد اشارات بذيئة ويخاطبه بقوله :

سأكشف عرضك شيئا فشيئا
واهتك سترك حالا فحالا

وعلى أي حال فقد اجتمعت العوامل السياسية

والشخصية لتؤكد محنة ابن عمار . وقد وجه ابن عمار في سجنه الى المعتمد قصائد في الاستعطاف تذيب الجماد ، وعلى قول ابن الخطيب « تعالج بمراهمها جراح القلوب ، وتهفى على هضاب الذنوب ، لولا ما فرغ عنه من القدر المكتوب ، والاجل المحسوب » . ومن اشهرها تلك القصيدة المؤثرة التى تهز أوتار القلوب ، والتى مطلعها :

سجاياك ان عافيت اندى واسمح
وعذرك ان عاقبت أجلى وأوضح
وان كان بين الخطتين مزية
فانت الى الادنى من الله تجنح
حنانيك في اخذى برايك لا تطع
عداى ولو أثنوا عليك وأفصحوا

ومنهـا :

اقلنى بما بينى وبينك من رضى
لـه نحو روح الله باب مفتح
وعفّ على آثار جرم سلكتها
بهبّة رحمَى منك تمحو وتصفح
ولا تلتفت قول الوشاة وزورهم
فكل اناء بالذى فيه يرشح

على أن تضرع ابن عمار لم يؤثر في مليكه الصارم ، ولم تجد الرحمة سبيلا الى قلبه . ويقال انه مما قضى على عطف المعتمد ، وحفزه الى التعجيل بالقضاء على وزيره ، هو أن ابن عمار حينما وعده المعتمد بصفحه ، حدث بذلك ولده الرشيد ، وذاعت القصة بعد ذلك ، ونقلها ابو بكر بن زيدون عدو ابن عمار الألد الى المعتمد ، فاضطرم سخطا على ابن عمار ، ونهض من فوره ، وفي يده طبرزين (١) كان قد اهداه اليه الفونسو ملك قشتالة ، وذهب الى حيث كان ابن عمار يرسف في أغلاله ، ففزع ابن عمار لرؤيته ، وارتمى على قدميه يقبلهما ، ويبللهما بدموعه ، ولكن المعتمد اخذ بضربه بتلك الآله حتى اجهز عليه ، ولم يتركه الا جثة هامدة ، ثم أمر به فغسل وكفن ، ودفن في ركن من « القصر المبارك » وكان مصرع ابن عمار على هـذا النحـو المؤسي في اواخـر ٤٧٧ هـ. (١٠٨٥ م) .

وهكذا قتل المعتمد بن عباد بيده ، وزيره الشاعر الكبير ورفيق صباه ، ويده اليمنى في كثير من المشاريع الخطيرة ، في بادرة من الحقد المضطرم ، والقسوة التى لا تخبو ، وكانت هذه الضربة الدموية من افدح اخطائه ، ويقال ان المعتمد ندم فيما بعد على تسرعه ، ونغصت عليه هذه الفعلة صفاء حياته .

وكان ابن عمار من اعظم رجالات الاندلس في عهد الطوائف ، فكان وزيرا نابها ، وقائدا مجربا يقود الحملات العسكرية الناجحة ، وسياسيا بارعا ، ومفاوضا لا نظير له ، يعقد الصلات البعيدة المنال ، ويذلل المشكلات الصعبة . بيد انه كان في نفس الوقت سياسيا مغامرا ، قليل الولاء والوفاء ، مكيافليا ، يسعى الى تحقيق غايته باى الوسائل ، ودون اعتبار لخلق او مبدأ .

وكانت مواهبه الادبية والشعرية ألمع ما في خلاله ، وقد كان ابن عمار بلا ريب من أعظم شعراء الاندلس في عصره ، وكان هذا العصر الذى سطعت فيه قصور الطوائف ، عصر اجتمع فيه بالاندلس من اكابر الشعراء جمهرة لم تجتمع في اى عصر آخر ، ويكفى ان نذكر من هؤلاء ، بنو عباد ، وفي مقدمتهم المعتمد ، وابن زيدون ، وولادة بنت المستكفى ، وأبو بكر بن اللبانة ، والمعتصم ابن صماح ، وبنو القبطرنة ، وابن عبدون ، وكان ابن عمار في طليعة هذه الجمهرة الشاعرة ، وقد ملأ الاندلس بروائع شعره ، كما ملأها بذكر اعماله ومغامراته . وقد جمع شعر ابن عمار ، ورتبه في ديوان خاص ، ابو الطاهر محمد بن يوسف التميمى . وأورد لنا ابن بسام في « الذخيرة » طائفة كبيرة من اخبار ابن عمار ، كما وضع تاليفا خاصا في تاريخه . وخصه كل من الفتح بن خاقان في « القلائد » ، وابن الابار في « الحلة » بترجمة حافلة . وهذه العناية بسيرة ابن عمار وتراثه الشعرى من معاصريه ، ومن بعدهم ، تنبىء عن اهمية هذه الشخصية البارزة في تاريخ الطوائف ، وعن رفيع مكانتها السياسية والادبية . ■■

محمد عبد الله عنان

---

(١) هو آلة تشبه البلطة .

العربي : هذا مثل من عصر آذن فيه نجم العرب فى الاندلس بالافول . فهل فى حاضر العرب من يتعظ بهذا الماضى المتردى المخزى ، ام انه القدر قد سبق قضاؤه وانه لا يغنى من قدر حذر .

طالب المدرسة والجامعة

في حاجة إلى التوجيه الفردي

بقلم : الدكتور سبع أبو لبده

دكتور في التوجيه والقياس التربوي

■ وقديما سادت حضارات وبادت بسبب تفوق حضارات اخرى عليها . سر التفوق هذا هو التقدم وسر التقدم هو العلم والتعلم ، فالبلد الأقوى ليس هو البلد الذي يملك أعدادا بشرية ضخمة ولا ثروة طبيعية غزيرة بل هو الذي يملك ثروة أو طاقة بشرية مدربة تدريبا حسنا . وليس المهم عددها فالمسألة هي مسألة كيف لا كم أو مسألة نوع لا عدد .

ان البلد الاقوى هو الذي يستغل ثروته البشرية استغلالا كاملا وذلك باعداد افراده اعدادا ممتازا يحرر بواسطته مخزون كل فرد من قدرات وطاقات كامنة ، ويمكنهم من تحقيق ذواتهم لمصلحتهم ومصلحة المجتمع ، ولكي يتم ذلك تعمد الامم الى التوجيه في التعليم ليتمكن كل فرد من ان يجد المكان المناسب له بحيث يسعد وينتج .

ما هو التوجيه

يراد بالتوجيه *Guidance* تمكين الشيء او الكائن الحي من الوصول الى هدفه : كتوجيه القذيفة او الصاروخ ، وكتوجيه الطالب نحو الدراسة او المهنة التي يريدها ، الا ان هناك فرقا بين توجيه الانسان وتوجيه الجماد . القذيفة لا خيار لها فيما تفعل والغاية من التوجيه خارجة عنها وليس لمصلحتها ، بينما يكون توجيه الانسان لغاية في نفسه هو .

نحن نبصره بامكاناته ونزوده بما يلزم من معلومات ونعرفه بالفرص المتاحة ثم نتركه للحرية في اتخاذ القرار الذي يناسبه . وهذا ما نسميه بالتوجيه في التربية *Guidance in Education* او التوجيه المدرسي *School Guidance* .

التوجيه عند ابن سينا

وامر التوجيه في الناس قديم من ذلك ان ابن سينا يشرح لنا التوجيه بقوله « ليس كل صناعة يرومها الصبي ممكنة له مؤاتية ، ولكن ما شاكل طبعه وناسبه ، وانه لو كانت الآداب والصناعات تجيب وتنقاد بالطلب والمرام دون المشاكلة والملاءمة ما كان احد غفلا من الادب وعاريا من صناعة، واذن لاجمع الناس كلهم على اختيار اشرف الآداب وارفع الصناعات... ولذلك فينبغي لمدبر الصبي اذا رام اختيار صناعة ان يزن اولا طبع الصبي ويسبر قريحته ويختبر ذكاءه فيختار له الصناعات بحسب ذلك » . وعليه يمكننا ان نعتبر تعريفه للتوجيه هو « وزن طبع الصبي وسبر قريحته واختبار ذكائه ثم اختيار الدراسات او الصناعات له بحسب ذلك » .



في دِراسَتِه، ولاختيارِ مِهْنَتِه

❋ يرسب الكثير من الطلاب ، لا لغباء فيهم ، ولكن لسوء توجيه في دراسة ، وسوء اختيار مهنة .

❋ في الامم المتقدمة مرشد واحد لكل ٢٥٠ طالب .

وتعريف ابن سينا أكمل التعاريف واقربها الى الأذهان الا انه جعل الاختيار بيد المربي لا بيد الصبي وهذا يناقض ركنا هاما من اركان التوجيه في هذا العصر، الا وهو ترك حرية الاختيار للتلميذ، كذلك لم يبين لنا ابن سينا كيفية القيام بهذه الاجراءات ، « وزن طبع الصبي وسبر قريحته .. » ولعل له في ذلك عذرا فان معظم الاكتشافات الهامة في التربية وعلم النفس هي وليدة هذا القرن فاختبارات الذكاء قد ولدت في بدايته تقريبا واختبارات القدرات والشخصية والميول جاءت متأخرة فيما بعد ، وكذلك طرق الاستفادة من كل ذلك في حل مشاكل الطالب ، وتعريفه بنقاط ضعفه وقوته ، ومساعدته على اختيار الدراسة التي تناسبه والمهنة التي تلائمه والتكيف الحسن مع اقرانه ومجتمعه .

حاجات الطالب التي يقوم عليها التوجيه

يقوم التوجيه على فهم حاجات الطالب وتلبيتها والحاجات التي نحن بصددها هي :

١ ـ حاجة الطالب الى فهم نفسه ومعرفة امكاناته الطبيعية وحدودها معرفة علمية صحيحة .

٢ ـ حاجته الى التكيف المدرسي والاجتماعي والنفسي تكيفا سليما وبعبارة أخرى حاجته الى ازالة ما يعترض طريقه من مصاعب وعقبات .

٣ ـ حاجته الى تحقيق امكاناته الشخصية من مخزونه من الطاقات تحقيقا كاملا اى ان يخرجها من حيز الامكان الى حيز العمل .

٤ ـ حاجته الى معرفة ما يناسبه دراسيا ومهنيا ليتخذ القرار المناسب في الوقت المناسب .

اصبح التوجيه ضرورة لملاحقة التطور السريع لهذا الزمان

ان المعرفة تفجرت في هذا العصر وتسارع نموها تسارعا هائلا .

يقول لويد مايكل *Lloyd Michael* : « ان نصف ما يدرسه طالب الهندسة (في الولايات المتحدة) سيصبح عديم القيمة بعد عشر سنوات وان النصف الآخر الذى سيحتاج الى معرفته لا يزال مجهولا » .

ويفترض جون كودلاد *John Goodlad* ، انه لو ارسلنا عالم احياء الى الفضاء الخارجي ومكث هناك اربع سنوات ثم عاد فانه سيعاني صعوبة بالغة في محاولته اللحاق بزملائه ، اما لو غاب ثماني سنوات فانه سيعجز عن التفاهم معهم تقريبا .

ان هذا النمو الهائل للمعرفة اوجد علوما

جديدة لم نسمع بها من قبل،وهذا بدوره ادى الى حيرة الطالب بين وجوه التخصص هذه فلم يعد يعرف أيها أنسب له ، وأصبح بحاجة الى انسان مدرب يبين له ما يلائمه وما يستطيع النجاح فيه من دراسات تهيئه لمستقبل ناجح .

ومن خصائص هذا العصر الحاضر أن هناك طلبا شديدا على الأدمغة المدربة تدريبا عاليا في شتى المجالات وذلك لتحسين الاختراعات وتطبيق النظريات في ميدان الصناعة والعمل ، مما يضطر الشركات والمؤسسات الى محاولة جذب واغراء طلبة المدارس الثانوية للتخصص فيما تحتاجه هي ، مقدمة مصلحتها على مصالحهم . وهذا بدوره جعل الطالب بحاجة الى مُوَجِه ينير له بصيرته ويُعرفه بما هو أنسب له .

ومن خصائص هذا العصر التنوع الوظيفي الهائل فتقدم العلم والصناعة وازدهار الحركة السياحية وتعقد الحضارة الانسانية عموما خلق منها وظائف عديدة لدرجة أن بلدا متقدما كالولايات المتحدة يتيح لأبنائه ما ينوف عن ٣٠,٠٠٠ نوع من الوظائف لا بد للتلميذ من معرفة ما يناسبه منها . وهو بمفرده يعجز عن ذلك فكان لا بد من وجود مُوَجِه يعرفه بالمهن التي تناسب ميوله وقدراته وبشروط هذه المهن ومتطلباتها وبوجود شواغر فيها وما تدره عليه من دخل في المستقبل وما تمنحه من امتيازات ورعاية وتقاعد . وان يكن هذا القول ينطبق أكثر على بلاد الغرب فهو يوشك أن يجوز في بلاد الشرق لا سيما تلك التي بدأت تأخذ بأسباب المدنية الصناعية .

رسوب الطلاب يعزى بعضه الى نقص في التوجيه

وتدل الدراسات التي أجريت في الولايات المتحدة على الطلبة الذين يرسبون في الجامعات ، على أنه بامكان هؤلاء الراسبين أن ينجحوا فيما لو اختاروا الدراسات الجامعية المناسبة لهم ولكنهم لم ينالوا التوجيه المناسب .

عندما يدرس الانسان الدراسة التي تعجبه والتي تمكنه من الاستفادة من طاقاته الى أقصى حد ممكن ويحصل على المهنة الملائمة فانه يكون أكثر انتاجا وقناعة ورضى مما لو سارت الأمور على خلاف ما يهوى ، وسيكون أكثر انسجاما مع نفسه ومجتمعه وبالتالي أسلم تكيفا ولما كان هذا هو ما يؤدي اليه التوجيه ، فقد أصبح التوجيه المدرسي ضرورة حتمية وواجبا على كل دولة يهمها أمر مواطنيها .

أهداف التوجيه الفردي

يرمي التوجيه المدرسي الى الهدف العام التالي وهو تنمية قوى الطفل المختلفة الى ابعد حد ممكن وتسهيل نموه وتطوره ، وهذا الهدف يمكن تجزئته الى الأهداف الخاصة التالية :

١ ـ ان يستفيد الطفل كل الفائدة من المدرسة وتجهيزاتها .

٢ ـ ايجاد البرنامج المناسب (علوم ، آداب ، صناعة ، تجارة ، الخ) لكل طالب على حدة.

٣ ـ مساعدة التلميذ على ان يفهم نفسه ويتقبلها .

٤ ـ الكشف عن الصعاب والعقبات التي يواجهها الطالب ثم ازالتها .

٥ ـ تعليم الطالب كيف يتعلم وذلك عن طريق تعريفه بالمهارات الاساسية اللازمة للقراءة ثم زيادة سرعته .

٦ ـ تعريف الطالب بالفرص المتاحة له من حيث الموارد المالية والمعاهد والوظائف .

٧ ـ تزويده بالمعلومات اللازمة ليتخذ القرار المناسب .

٨ ـ التخطيط التربوي المناسب لمستقبل التلميذ.

عناصر التوجيه المدرسي

١ ـ القياس التربوي :

يهدف هذا الى التعرف على جميع صفات وقدرات التلميذ ويهتم بدراسة التلاميذ دراسة منهجية منظمة في شتى المجالات وذلك بواسطة الروائز والاختبارات الخاصة بالذكاء والقدرات والقابليات ومقاييس المواقف او الاتجاهات والعلاقات الاجتماعية والشخصية والميول ، هذا بالاضافة الى ملاحظات وروايات المعلمين وتقارير الطالب عن نفسه .

٢ ـ الاعلام :

يحتاج التلميذ الى معلومات صحيحة وحديثة عن الحياة المدرسية والمهنية والحياة الاجتماعية . وهذه تحضر له بشكل نشرات وكتيبات اعلام مهني او وظيفي واعلام تربوي واعلام اجتماعي وهذه النشرات توجد في المكتبة او مكتب التوجيه يستعيرها الطالب حسب حاجته كما يمكن ان يقابل الموجه ويبحث معه ما عجزت النشرة عن ايضاحه له .

٣ ـ الارشاد النفسي *Counseling* :
يعتبر الارشاد النفسي لب عملية التوجيه وهو يقوم على مقابلة التلميذ للموجه ودراسة شئونه معه فى جو ودى لا اثر فيه للسلطة . ويتلخص دور التلميذ فى عرضه للمشكلة وبيان وجهة نظره فيها فيقوم الموجه ، بعد الدراسة المسبقة لملفه ، بالقاء الضوء على المشكلة من مختلف الزوايا بحيث تبدو واضحة كل الوضوح للتلميذ ليهتدى هذا بمفرده الى الحل المناسب .

٤ ـ الوضع في المكان المناسب *Placement*
يدور قسم من عمليات التوجيه حول وضع التلميذ في الصف المناسب أو التحاقه بالمدرسة المناسبة ، أو الوظيفة الملائمة بعد التخرج أو العمل الجزئى الذى يصلح له التلميذ أثناء دراسته ان كانت له حاجة الى ذلك .

٥ ـ المتابعة :
هى معرفة ماذا حدث للطلاب بعد التخرج ، يجمع الموجه معلومات من الخريجين عن مشاكلهم في العمل ومدى مناسبة ما تلقوه من تدريب وتعليم للوظيفة التى اعدوا لها ويشغلونها وماهى الخبرات التى يرون أن على المدرسة أن تزودهم بها كى ينجحوا في أداء عملهم اداء متقنا .

صنوف التوجيه

درج المربون في العالم العربى على تصنيف التوجيه بحسب مجاله الى ما يلى : ـ

١ ـ توجيه تربوى *Educatianal Guidance*
وهو توجيه الفرد الى الدراسة التى تناسبه .

٢ ـ توجيه مهنى *Vocational Guidance*
وهو اعداد الفرد الى المهنة التى تلائمه .

ومربونا بتصنيفهم هذا يغفلون نوعا هاما من انواع التوجيه وهو التوجيه الاجتماعى *Social Guidance* ويقصد به مساعدة الفرد على فهم عملية تفاعله الاجتماعى وتصرفه تصرفا حسنا مع اقرانه وفي مجتمعه .

هذا ويمكننا تصنيف التوجيه بحسب الهدف منه الى الأنواع التالية :

١ ـ التوجيه التصحيحى او العلاجي *Carrective or ' Remedial* .
عندما تواجه التلميذ مشكلة معينة يهرع الى الموجه ليساعده في حلها ، أو عندما ترى المدرسة أن لدى التلميذ سلوكا غير مرغوب فيه ، ترى أن يتخلص منه فتحيله الى الموجه .

٢ ـ التوجيه الوقائى *Preventive* .
عندما لا يملك الفرد القدرة اللازمة لأداء عمل ما فانه سيفشل حتما في أدائه .

وأحيانا يتصدى بعض الطلاب لدراسات لا يقدرون عليها . من ذلك طالب ضعيف فى المواد العلمية ولكنه يريد ان ينتسب للقسم العلمي . هذا الطالب سيفشل ويرسب فيما لو ترك على هواه ، ولكن الموجه بعد دراسته لملف التلميذ ومعرفته قدراته يبين له الطريق الذى من مصلحته ان يسلكه ويترك له اتخاذ القرار المناسب .

٣ ـ التوجيه التطورى أو التسهيلي *Developmental or Facilitative* فى الأنواع السابقة يعمل الموجه مع التلميذ اما لتصحيح وضع معين يهدد بحدوث مشكلة ما ، او لحل مشكلة يعاني منها التلميذ .

اما فى هذا النوع من التوجيه فان الموجه يحاول توفير الجو المناسب الذى يسهل النمو النفسي والاجتماعي والمدرسي لدى الطفل منذ دخوله المدرسة حتى تخرجه منها ويتميز عمل الموجه هنا بتخطيط بعيد المدى والنظر دائما الى المستقبل وتوقع ماذا سيحدث وكيف يمكن ان يسخر كل ذلك لمصلحة الطفل .

مدى الحاجة الى الموجهين

فى بلد متقدم كالولايات المتحدة يوجد موجه واحد لكل ٢٥٠ ـ ٣٠٠ طالب او لكل عشرة مدرسين يساعده اخصائي نفسي وباحث اجتماعي وخبراء في المناهج والقراءة وعدد من السكرتيرات والكتبة .

اما باقي بلادنا فنحن لم نتمكن بعد من توفير المدرسين المؤهلين فكيف بالموجهين التربويين ، هذا ويقتضي الانصاف ان نذكر أن بعض البلاد قد بدأت في توفير ما يسمى بالمشرف الاجتماعى ليقوم بحل مشاكل الطلبة ، الا انه عاجز عن ان يفعل شيئا ذا قيمة وذلك بسبب ضعف اعداده الفنى اولا فهو لا يدرى ما هي اختبارات القدرات والقابليات وغير ذلك مما يلزمه كاساس للتوجيه ، ثم هناك أسباب أخرى وهي تخصيص مشرف واحد فقط للمدرسة مهما بلغ عدد طلابها وعدم مساعدته فى الأعمال الروتينية او الكتابية . كل ذلك يعطله عن القيام بعمله ويشغله بتوافه الأمور .

نماذج من حالات التوجيه

ابواه يريدانه أن يصبح طبيبا أو مهندسا اما هو فيريد أن يصبح بائع خضار ..

أحمد على وشك التخرج من المدرسة الثانوية وهو ابن لمهندسين يريدانه أن يصبح مهندسا أو طبيبا اما هو فيميل الى التخصص في الزراعة ثم ادارة محل لبيع خضار مزرعته . وبعد اعطائه سلسلة من الاختبارات لدراسة ذكائه وميوله وقدراته وشخصيته ، ثم مراجعة ملفه أو سجله المدرسي لمعرفة تحصيله وتاريخه السابق ، وجد الموجه أن أحمد يملك القدرة العقلية اللازمة للنجاح في أي موضوع الا أن ميوله كانت اشبه بميول المزارعين وأساتذة العلوم فكان أن اقترح عليه ان يدرس برنامجا علميا عاما في السنتين الأوليين في الجامعة يكون بمثابة تجربة واختبار لميوله وعسى أن تتضح هذه شيئا فشيئا وتتحدد فتمكنه من اتخاذ القرار المناسب . وبالفعل نما لدى أحمد ميل شديد نحو الفيزياء وعلم الأحياء في السنوات الأولى من حياته الجامعية فقرر أن يتخصص في علم الأحياء وقد مكنه ميله هذا من رفض ما اختاره له والداه ثم اقناعهما بسلامة موقفه وقراره .

لا تستطيع أن تتابع الدراسة فماذا تفعل ؟!.

آمنة فتاة في الصف العاشر عليها أن تختار في العام القادم أحد البرامج (علمي ، أدبي ، تجاري ، صناعي الخ) لتتخصص فيه .

اهلها يريدونها أن تترك المدرسة وتتدرب على الآلة الكاتبة كي تكسب عيشها اما هي فترغب في التخصص في الآداب .

ذهبت آمنة الى الموجهة وعرضت عليها مشكلتها فراجعت هذه ملفها ثم اعطتها اختبارا للقدرات فوجدت انها تملك قدرة حسابية ممتازة وقدرة على المحاكمة غير اللفظية الا أن قدرتها اللغوية ضعيفة وبخاصة في مجالي القواعد والاملاء فبينت لها الموجهة ولوالدتها انه بامكانها أن تنهي دراستها بنجاح فيما لو تخصصت في المحاسبة وستستطيع بعد ذلك ان تحصل على وظيفة تدر عليها راتبا محترما . لقد تركت الموجهة المجال لآمنة لان تفكر بالموضوع وتتخذ قرارها بنفسها قبل نهاية العام وفي اثناء ذلك صممت لها بالاشتراك مع مدرسات اللغة برنامجا لمعالجة ضعفها اللغوي ووجدت لها عملا لبعض الساعات بعد انتهاء دوامها كي تسد حاجتها .

الحاجة الى التوجيه في العالم العربي

ان ثروتنا البشرية مهملة وستبقى عاجزين عن استغلال ثروتنا الطبيعية كما ستظل هذه نهبا ومشاعا للغير حتى يعمل العالم العربي على تفتيح عقول ابنائه وتوجيههم نحو الدراسات اللائقة لمجتمعهم .

والآن نحن في وضع لا نحسد عليه . مناهجنا بالية لا تلائم حاجات العالم العربي وجامعاتنا تنفث الاف الخريجين الذين هم ا ه ا ليسوا على درجة مقبولة من الكفاءة أو لسنا في حاجة الى تخصصاتهم .

نحن بحاجة الى قادة وعلماء وأطباء ومهندسين وكيماويين ولكننا ننتج رواة ونحاة وقضاة ومتادين وغير ذلك مما لسنا بحاجة اليه أو مما يفيض عن حاجتنا ، ولدينا آلاف الجامعيين عاطلون عن العمل او يعملون في وظائف لا تليق بتخصصاتهم ، يقابلهم العديد من الراسبين لا لأنهم لا يملكون القدرة العقلية اللازمة للنجاح بل لأنهم أجبروا على دراسات يكرهونها . لقد أوصدت جامعاتنا في وجوههم الأبواب ولم تترك الا بابا واحدا مفتوحا فاضطروا لولوجه مكرهين لا مختارين ، فكان أن رسبوا ، وبعضهم تصدى لدراسة معينة لا لأنه يقدر عليها ويميل اليها بل لأنها الجواز الوحيد لكسب لقمة العيش ، فرسب من رسب ونجح من نجح .

وهناك آلاف العقول النيرة القادرة على بلوغ أعلى مراحل التعليم ، اضطرت الى الانحدار الى الدرك الأسفل من المجتمع بسبب عجزها المالي ، وآلاف العقول الاخرى دربناها او تدربت بفضل اجتهادها وسعيها في مشارق الارض ومغاربها ولكنها عندما تخرجت وعادت الينا لم نتح لها العيش الكريم أو لم نستفد من اختصاصها فدفعناها الى الهجرة لتجد لها متنفسا في محيط آخر .

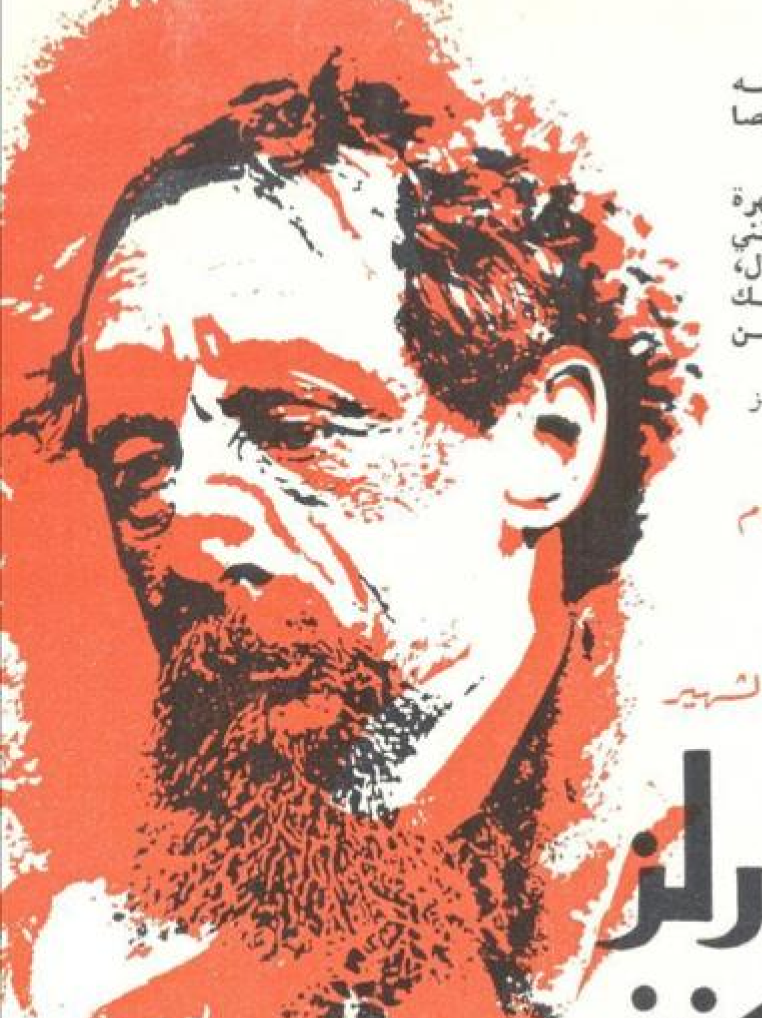
والخلاصة نحن في حاجة ماسة الى التوجيه المدرسي كي نستثمر طاقاتنا البشرية وثرواتنا الطبيعية لما فيه خير الأفراد والمجتمع . ■■

سبع أبو لبده

* « لولا رعاية الله ورحمته لاصبحت لصا أو متشردا » .

* « حتى بعد الشهرة كنت أنسى في احلامي انني رجل ولي زوجة واطفال، واعود بخيالي الى تلك الايام البائسة من حياتي » ..

ديكنز



بمناسبة مرور ١٠٠ عام

على وفاة

القصاص البريطاني الشهير

شارلز ديكنز

بقلم : محمد طنطاوى

■ مائة عام مرت على وفاة شارلز ديكنز Charles Dickens ، أعظم قصاص بريطاني ، وثاني رجل بين كتاب بريطانيا بعد شكسبير : .. مؤلف « اوليفر تويست » Oliver Twist ، ودافيد كوبرفيلد David Copperfield ، وغيرهما من القصص الشهيرة .

وهو الاديب الذى ترك ثروة ادبية وروائيه خالدة على مرور الزمن .

كان شارلز ديكنز عبقريا بكل ما تعنيه الكلمة .. فهو يتميز عن أقرانه بذكاء لماح .. وهو دؤوب على العمل وهو فوق ذلك كان يملك طاقة خلاقة جبارة .. وقد ساعدت الظروف والاحداث التى

مرت في حياته على شحذ عبقريته الطبيعية وعلى توجيه تفكيره وحياته كلها الى احتراف القصة حيث ظهر نبوغه وعبقريته . وشارلز ديكنز ولد في «بورت سي» Port Sea . بالقرب من Portsmouth في ٧ فبراير عام ١٨١٢ ، وكان والده جون ديكنز John Dickens ، يعمل كاتب حسابات في مكتب مرتبات البحرية البريطانية ، وكان جده وجدته لأبيه خادمين .. ولكن اباه كان يحب العظمة والوجاهة بطبيعته كما كان ايضا مسرفا لايستطيع ان يدبر احواله المادية تدبيرا حكيما . ومما زاد الطين بلة ان زوجته هي الأخرى كانت لديها نفس الصفات . وقد ادى اسراف ديكنز الأب الى كل العذاب الذى قاساه ديكنز الابن في صغره .. وكما يقول المثل : رب ضارة نافعة .. فان المأساة التى عاشها شارلز في صغره هي التى خلقت منه العبقرى الذى خلده التاريخ .. وهكذا كان اسراف والديه وسوء تدبيرهما ، سببا في شقائه طفلا صغيرا ، وسببا في مجده كاتبا كبيرا ..

طفولة بائسة .. تشبه طفولة دافيد كوبرفيلد

بينما كان شارلز في الثالثة من عمره انتقل والداه من بورت سي الى « شاتام » Chatham بعد أن رقي والده واصبح موظفا في الميناء الحكومي هناك . ولعدة سنوات سارت الامور على ما يرام . وكان في منزلهما خادمتان كانت احداهما وتدعى « مارى » تقص على شارلز الصغير كل ليلة قصصا مرعبة تجعله يعاني اثناء نومه من الكابوس حينما يتذكر عقله الباطن هذه القصص المخيفة . ويذكر ديكنز في سيرته الذاتية لمحات كثيرة عن هذه الفترة من حياته وكيف كان والده يجعله يقف فوق مائدة المطبخ ليغني الاغاني الضاحكةللضيوف. وكيف انه ذات يوم مر هو ووالده امام منزل ضخم خارج روشستر Rochester ، ووقفا امام المنزل يتاملانه .. وحينئذ قال له والده انه اذا عمل بجد واجتهاد فربما يصبح هذا المنزل ملكا له في يوم من الايام .. والغريب في الامر ان ديكنز قد اشترى هذا المنزل بالذات في اواخر عمره .

وفي سن السابعة حتى العاشرة كان شارلز يقرأ القصص بنهم كبير ،فقد كان يختفي في غرفة صغيرة في الدور العلوى بمنزلهم ويقرأ قصص دون كيشوت ، وروبنسون كروزو ، وتوم جونز ، والف ليلة .. وغيرها . وكانت هذه القصص وبعدها جولاته في شوارع لندن المدرسة الحقيقية التى تخرج منها ليصبح كاتبا عبقريا . لم تستمر الحياة الرغدة نسبيا طويلا .. فعندما بلغ شارلز العاشرة من عمره نقل والده الى لندن . ولكن قبل ان ينفذ النقل تم بيع اثاث منزلهم لسداد الديون المتراكمه عليهم بسبب اسراف الاب والام . وترك الوالدان ابنهما شارلز في مدرسته حتى جاء موعد عيد الميلاد .. وبعدها أحضراه الى لندن وهناك لم يفكرا في ارساله مرة اخرى الى المدرسة .

ولم يكلفا انفسهما حتى العناية بامره وانما تركوه وشانه فلم يجد ابن السنوات العشر شيئا يفعله سوى التجوال في شوارع لندن على غير هدى .

عامل في مصنع

بدات الامور تسوء شيئا فشيئا ، وبدات الديون تتراكم على آل ديكنز وبدات اثاثات الاسرة وما اليها تباع الواحدة بعد الاخرى ، واخيرا جاء دور كتب شارلز وقصصه مما جعله يحس بتعاسة ما بعدها تعاسة . ولكن القدر كان يخفي له شيئا آخر أشد مرارة وقسوةفبعد يومين من ميلاده الثاني عشر ارسله أبواه ليعمل في مصنع للادهنة السوداء .. وكان لهذه الخطوة تاثير نفسي على شارلز لم ينمح بمرور السنين ، ولا بالنجاح الذى حققه بعد ذلك . ويصف هو هذا التاثير قائلا :

« لقد تاثرت طبيعتي كلها من الحزن والتحقير اللذين لحقاني نتيجة للاحداث التى مرت بي ، حتى انني الآن وانا شهير وسعيد انسى أحيانا في احلامي .. انني رجل ولي زوجة واطفال ، واعود بخيالي الى تلك الايام البائسة من حياتي » .

السيد الصغير !!

كان العمل في مصنع الادهنة السوداء يبدا في الثامنة صباحا لينتهي في الثامنة مساء ويمنح العامل ساعة للغداء ونصف ساعة لشرب الشاى .

وقد اطلق عمال المصنع على شارلز لقب « السيد الصغير » TheYoungGentleman ،وتدل هذه التسمية على شعور العمال بقرابة وجوده

بينهم .. ولكن ديكنز كان فخورا بنفسه وهو يقول عن ذلك : « لم اقل ابدا لاى رجل او فتى كيف جئت وكيف عملت في المصنع . وكذلك لم ابد اى اشارة تحمل الاسف لوجودى في العمل ، اما عن معاناتي النفسية فهذه سر لم يعرفه احد » .

والد ديكنز فى السجن

لم يمض اسبوعان على عمل شارلز فى مصنع الأدهنة حتى اصيب هو وعائلته بكارثة اخرى . اذ قبض رجال الشرطة على والده لعدم قدرته على سداد ديونه وارسل الى السجن المخصص للمدينين العاجزين عن السداد .. ويتذكر شارلز كيف قام بزيارة والده فى السجن . وكيف استقبله والده بالبكاء واخذ يحذره ضد الاسراف ونتائجه ويقول له : « يابني يجب أن تذكر انه اذا كان دخل الفرد في العام ٢٠ جنيها وانفق ١٩ جنيها و ١٩ شلنا فانه يكون سعيدا ، اما اذا انفق شلنا اكثر من العشرين جنيها فانه قد يصبح تعسا ».ويبدو أن شارلز قد استفاد من كلمات والده حتى انه نقلها حرفيا بعد ذلك بعشرين عاما في قصته « دافيد كوبرفيلد » .

امضى ديكنز الاب ٣ أشهر في السجن تمكن خلالها بسبب شخصيته الجذابة أن يتولى رئاسة لجنة خدمات المساجين .. ولكن ابنه شارلز كان يعاني معاناة شديدة ، فقد اقام مع سيدة عجوز تدعى مسز رويلانس Roylance وكان يتقاضى مبلغ ٦ شلنات اسبوعيا من مصنع الادهنة ، يدفع منها أجر سكنه وتكاليف اكله .. وكان بطبيعة الحال يعانى من الجوع ومن معاملة مسز رويلانس السيئة .

ويصف شارلز حالته في هذه الفترة قائلا : « لقد حاولت ، عبثا ، ان أجعل ما اكسبه من النقود يكفيني ، كنت اقسم المبلغ الى ٦ اقسام متساوية ثم اضعه في ٦ ظروف كل واحد اكتب عليه اسم يوم من الايام الاسبوع .. وكنت أعلم انني اتجول في الشوارع وانا جائع ، وانه لولا رحمة الله لاصبحت لصا او متشردا صغيرا » .

وبدات الحياة تبتسم

بدات الحياة تبتسم لشارلز الصغير بوفاة جدته لابيه .. اذ ادت وفاتها الى أن يرث ابنها جون مبلغ ٤٥٠ جنيها استطاع أن يسدد منها بعض ديونه وأن يخرج من السجن نتيجة لذلك .

وانتقلت عائلة ديكنز الى « كامدين » Camden وتوقع شارلز أن ياخذه والداه وان يترك عمله في مصنع الأدهنة ..

ولكن مرت الايام ولم يتحقق امله . ولولا حادث وقع مصادفة ومس الوتر الحساس في نفسية والده ، وهو الغرور والاعتزاز بالنفس ، لبقي شارلز في المصنع يعمل ١٢ ساعة يوميا في تغليف علب الدهان وربطها .. ولكن الحياة ارادت ان تبتسم للطفل العبقرى بعد ان زودته بتجارب تكفى لظهور عبقريته ، فبدات تظهر له وجهها الباسم بعد أن رأى ما فيه الكفاية من وجهها العبوس المظلم .

لقد نقل صاحب المصنع مكان مصنعه الى شارع جديد ، ويشاء الحظ ان يجىء مكان عمل شارلز فى الموقع الجديد للمصنع امام نافذة على الشارع مباشرة . وكان هو وزملاؤه يعملون بطريقة سريعة تلفت الانظار حتى ان بعض الناس كانوا يتجمعون امام هذه النافذة بالذات ليراقبوا هؤلاء الاولاد وهم يعملون .

وفي يوم من الايام مر جون ديكنز امام المصنع ورأى الناس متجمعين امام النافذة يتفرجون على ابنه شارلز .. وثارت فيه طبيعته المليئة بالغرور ، واعتقد ان ظهور ابنه أمام الجمهور وكانه في عرض اشبه بالسيرك يعتبر اهانة شخصية له ، وكتب خطابا حادا لصاحب المصنع .. وقرر صاحب المصنع على اثر ذلك فصل شارلز .

فرح شارلز بهذا الخلاص الذى لم يكن متوقعا ، ولكن فرحته لم تدم فقد جزعت الأم من فصل ابنها وذهبت الى صاحب المصنع تبكى وترجو اعادة الابن الى العمل . وامام توسلاتها قبل صاحب المصنع ان يعود شارلز الى عمله . وعادت الام فرحة تحمل الانباء لابنها وزوجها . وجزع الابن داخل نفسه ، ولكن الاب رفض أن يعود ابنه الى العمل بعد ان ثارت فيه مرة اخرى عوامل الغرور والكرامة .. واصر على أن يذهب الابن الى المدرسة .

وقد تاثر شارلز من موقف امه هذا حتى انه قال في مجال تقييم طفولته « انني لم أنس ابدا ،

ولا أستطيع أن أنسى أبدا ، ولن أنسى أبدا ، أن أمي كانت متحمسة لارسالي مرة أخرى الى المصنع » .

شارلز في المدرسة

تغيرت حياة الصبي شارلز تغيرا كبيرا بذهابه مرة اخرى الى المدرسة . وبدا كان تجربة مصنع الادهنة القاسية لم يعد لها وجود داخل نفس التلميذ الصغير في اكاديمية ويلنجتون Wellington House Academy ، فقد كان شارلز يبدو لزملائه صبيا مرحا طروبا حسن الهندام ، لا يمت باية صلة لذلك الصبي الذى كان يعمل في مصنع الادهنة ويجوب الشوارع بعد ذلك وهو جائع اشبه بالمتشردين منه بالصبية الذين لهم عائلات ترعاهم .

من فراش في مكتب محام الى كاتب اختزال

وفي سن الخامسة عشرة ترك شارلز المدرسة .. ليبدأ العمل صبيا في مكتب احد المحامين .. ولكن الصبى الطموح لم يعجبه هذا العمل فبدأ يتطلع الى عمل آخر .. ويبدو ان القدر كان في عونه ، ففي ذلك الوقت كان ابوه قد تعلم الاختزال واستطاع أن يحصل على وظيفة مندوب برلمانى لصحيفة تسمى « بريتش برس » British Press وكان يتقاضى حوالى ١٥ جنيها اسبوعيا عن عمله هذا . واتخذ شارلز من نجاح ابيه في عمله الجديد مثالا له فاقبل على تعلم الاختزال . وبعد ١٨ شهرا استطاع أن يجيد هذا الفن وان يترك عمله في مكتب المحامى ليصبح كاتب اختزال محترف . وكان لايزال أصغر من ان يصبح مندوبا برلمانيا لصحيفة من الصحف كابيه ، فذهب ليعمل في احدى المحاكم ، وخلال عمله هذا اكتسب معرفة بخبايا القانون وقواعده ، وقد ساعدته هذه المعرفة كثيرا في اتقان النواحى القانونية في قصصه .

رغبته في العمل كممثل !

أثناء هذا الوقت كان شارلز مغرما بالتمثيل .. فكان يكثر من الذهاب الى المسارح وقاعات الموسيقى . وتملكته الرغبة في ان يصبح ممثلا محترفا ، وفعلا تقدم للامتحان في احدى المسارح ولكن الحظ والقدر تدخلا مرة اخرى في عونه دون ان يدرى ، ويصاب بنوبة برد شديدة في اليوم المحدد لاجراء امتحان التمثيل .. ويفشل شارلز في تحقيق رغبته بأن يصبح ممثلا .

كتابه الاول .. وبداية الشهرة

لم يمر عام على تفكيره في احتراف التمثيل الا والفتى الصغير يحقق نجاحا آخر ليصبح أصغر مندوب صحفى في برلمان انجلترا .

ويسجل الفتى المناقشات التى دارت في مجلس العموم حول وثيقة الاصلاح التى صدرت في عام ١٨٣٢ ويقفز دخله الاسبوعى من عمله الصحفى الى ٢٥ جنيها .

ومرت سنة أخرى ليبدأ في تسجيل صور بعض اللندنيين ذوى اللهجة الكوكنية Cockney الذين لم تبارح ذكراهم مخيلته من أيام صباه وتجوله في شوارع لندن على غير هدى .

وظهر كتابه الاول بعنوان « صور وصفية » Sketches وتحت امضاء مستعار « بوز » Boz في عام ١٨٣٦ ، واستقبل الكتاب بحماس ، وبدأ اسمه يلمع في الاوساط الادبية مما دعا احد الناشرين الى أن يعرض عليه كتابة كلام مجموعة من الرسوم الكوميدية المسلسلة التى تمثل شخصيات رياضية من « الكوكنى » وكان ديكنز على وشك الزواج فلم يستطع رفض هذا العمل بالرغم من انه كان يبدو تافها بالنسبة له .. ولكن هذا العمل الذى كان يبدو تافها هو الذى فتح باب الشهرة على مصراعيه امام ديكنز فهو الذى جعل الكاتب المبتدىء يفكر في شخصية المستر بيكويك Mr. Pickwick تلك الشخصية الروائية التى حازت اعجاب كل القراء في مختلف انحاء بريطانيا وجعلت من الفتى الذى لم يزد عمره عن الرابعة والعشرين من أشهر شخصيات بريطانيا في ذلك الوقت .

حب فاشل .. وزواج من غير حب

وقع شارلز في الحب وهو في الثامنة عشرة من عمره .. ولكن الفتاة التى احبها هجرته بعد أن

كانت قد وعدته بالزواج نتيجة لمعارضة اهلها زواجها من هذا الفتى الفقير الذى يمارس الاختزال .. وبعد مرور ٦ سنوات وكان الكاتب الشاب قد بدأ يصعد سلم الشهرة بخطوات ثابتة واثقة تزوج ديكنز من كاترين هوجارت Catherine Hogarth وهى الابنة الكبرى لجورج هوجارت رئيس تحرير جريدة الايفننج كرونيكل Evening Chronicle ولم يكن الزواج عن حب .. ولكنه اثمر عشرة اطفال فى خلال ١٥ سنة ، وكانت اخت زوجته الصغيرة « مارى » تعيش مع اختها ، ولكنها ماتت فجأة . وقد اثار حزن ديكنز الشديد عليها الاقاويل بأنه كان واقعا فى غرامها .. وبعد عام ١٨٤٢ جاءت الشقيقة الصغرى لزوجته وتدعى جورجينا Georgina لتعيش معهم وتساعد شقيقتها فى تربية الاولاد .. ولكن الزوجة كاترين تركت منزل الزوجية بعد ان احست ان زواجها اصبح فاشلا .. بينما استمرت شقيقتها جورجينا تعيش مع ديكنز .. حتى مات .. !

غزارة فى الانتاج

ومع كل كتاب جديد لديكنز ، كانت شهرته تزداد حتى انه اصبح قبل وفاته اشهر رجل فى بريطانيا فى ذلك الوقت .

ولم يكن قراؤه ينظرون اليه على انه اعظم كاتب قصة فى بلادهم ولكنهم كانوا ينظرون اليه على انه هو ضمير الامة الذى يتكلم باسم الملايين .. وكان ديكنز غزير الانتاج فقد كانت قصصه تخرج الواحدة بعد الاخرى وفى نفس الوقت يقوم بتحرير بعض المجلات واخراج المسرحيات ، ويقوم ايضا برحلات ثقافية فى اوربا وامريكا حيث يلقى المحاضرات . ولم يكن نشاطه يقتصر على الفكر والكتابة فقط بل امتد ايضا الى النشاط الجسمانى والرياضى فحتى أواسط عمره كان يمشى ٣٠ ميلا من لندن الى منزله « جادز هيل » Gad's Hill فى ليلة واحدة .

ديكنز يقرأ اعماله الادبية للجمهور

فى السادسة والاربعين من عمره وهو فى اوج مجده ، بدأ ديكنز مرحلة جديدة من مراحل نشاطه .. فقد قام بقراءة اعماله او فقرات منها امام جمهور كبير فى بريطانيا وامريكا . وكان عندما يقرأ هذه الاعمال يقوم بالاندماج فى تمثيل كل شخصية من الشخصيات التى قام بخلقها .. وكان تأثير هذه القراءات على الجمهور اشبه بالتنويم المغناطيسى بينما كان تأثيرها على ديكنز نفسه اثارة نفسية مستمرة نتيجة لاندماجه الغريب بكل مشاعره فى ادوار شخصيات رواياته المختلفة . ونتيجة ايضا للتجاوب المذهل الذى كان يحدث بينه وهو على منصة القاعة وبين الجمهور الغفير الذى يشاهده .

بداية النهاية

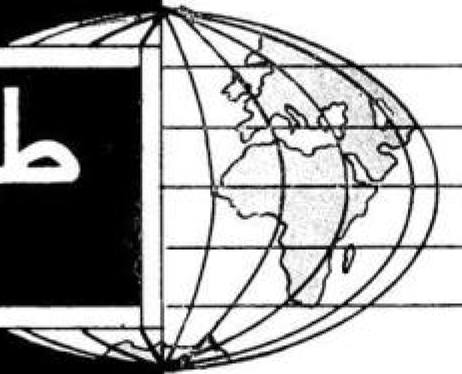
اثرت قراءات ديكنز لاعماله للجمهور على صحته تأثيرا سيئا فاعتكف فى منزله « جادزهيل » واخذ يكتب قصة « ادوين درود » Edwin Drood ولكن اعتكافه هذا تخللته بعض الخطب التى كان يلقيها فى حفلات تقام فى لندن ، عدا نشاطه فى المجتمع المحلى الذى يعيش فيه .

وفى يوم ٨ يونيو عام ١٨٧٠ استمر شارلز فى الكتابة طوال اليوم فى الكوخ الصغير الملحق بمنزله ، وعاد الى المنزل فى المساء حيث قام بكتابة بعض الخطابات .. واثناء تناوله طعام العشاء ، تبينت اخت زوجته انه مريض .. وفجأة قال شارلز انه سيذهب الى لندن فورا .. وعندما حاول القيام من على مقعده سقط مغشيا عليه . ولم يعد الكاتب العبقرى الى رشده مرة ثانية .. ولكنه انتقل الى الحياة الاخرى فى مساء اليوم التالى .. وهكذا اختتم القدر حياة هذا الكاتب العبقرى وهو لم يتعد الثامنة والخمسين من عمره . واسدل الستار على شارلز ديكنز الانسان .. ولكن الستار لم يسدل على شارلز ديكنز الكاتب الفنان .. الذى مزج السخرية بالدراما والتراجيدى بطريقة لم يجاريه فيها احد من الكتاب حتى الآن .

وبقيت اعماله الادبية خالدة طوال المائة عام التى مرت على وفاته .. وهى لا تزال خالدة لانها كما يقول عنها النقاد تقرأ مرة ومرات وكلما قرأتها وجدت فيها معانى جديدة لم تلحظها فى قراءتك الاولى لها . ■■

محمد طنطاوى

طرائف غريبة



مساعدة في غير موضعها !

● عاشت مسز اليانور روزفلت Eleanor Roosevelt ، (١٨٨٤ – ١٩٦٢) ما يقرب من العشرين عاما بعد وفاة زوجها الشهير رئيس أمريكا الأسبق في عام ١٩٤٥ وكرست كل جهدها في مساعدة الفقراء والايتام والمعوزين حتى انتخبت رئيسة للجنة حقوق الانسان التابعة للامم المتحدة في عام ١٩٤٧ .

حدث مرة أن كانت مسز روزفلت واقفة على رصيف مبنى الامم المتحدة في نيويورك تتوسم السيارات الرائحة والغادية ، فاذا برجل يوقف سيارته أمامها مباشرة ، ويخلع قبعته ويأخذ بذراعها ويعبر معها الشارع ماشيا دون أن ينبس بكلمة واحدة !!

واذ هم بتركها ، نادته ، فاقبل ، فقالت له :

« شكرا ولكنى ارجو أن تعود بى الى حيث كنت » .

وقال الرجل : « بكل سرور ياسيدتى » !

ومرة اخرى عاد يمسك بيدها ويعبران الشارع وسط زحام السيارات ..

وفي نفس المكان الذى كانت تقف فيه قبل هذا الحادث القصير ، وقفت مسز روزفلت فجأة ثم مدت يدها وصافحت الرجل الغريب مودعة ، وقالت : « اشكرك ، ولكننى لم اكن أريد أن اعبر الشارع ابدا » ! وهنا اشارت بيدها الى احدى سيارات الاجرة بالاقتراب ، ثم قفزت فيها ، وانطلقت بها السيارة .. والرجل واقف في مكانه فاغرا فاه وقد استبدت به الحيرة والدهشة !

اليانور روزفلت



المتحدث .. والمستمع !

● الكاتب والمؤرخ الانجليزى الشهير سير لزلى ستيفن Sir Leslie Stephen (١٨٣٢ – ١٩٠٤) سألوه يوما : من هو المحدث اللبق ؟ فقال : « انه المحدث الذى يلقى مستمعا لبقا » .

فعادوا يسألونه : « ومن هو المستمع اللبق اذن ؟ » .

فقال : الشخص الذى يظهر ميلا وودا نحو محدثه ، فالاستماع بعطف وود يشجع المتحدث على الاستفاضة في شرح وجهة نظره بحرارة دافئة ويساعد المستمع نفسه على اقناع محدثه برأيه حتى لو كان يناقضه على طول الخط . يجب الا ننسى ابدا ان المتحدث لايستطيع ان يشرح ما يريد ان يقوله لغير اذن متعاطفة ، حتى لو كان عبقريا أو موهوبا » .

الشباب فى السبعين



سومرست موم

● روز ماكولاى Rose Macaulay ، الكاتبة والناقدة الادبية الانجليزية المعروفة (١٨٨١ ـ ١٩٥٨) قالت تصف نفسها فى عيد ميلادها السبعين : « اننى سيدة متوسطة الذكاء ، ولكننى لست عجوزا كما تقول هذه الشموع التى تتوسط كعكة عيد ميلادى .. ولن اسمح لواحد منكم بان يناديني « بالعمة روز » فانا ما زلت شابة ، وقد عرفت عن طريق القراءة والعمل كيف اسعد نفسى واسعد الناس من حولى .. ان عينى مازالتا قادرتين على القراءة .. وساقى تحملاننى كل يوم الى السوق .. وهكذا ترون اننى اكثر منكم شبابا!»

وعندما نقلوا حديثها هذا الى الكاتب الانجليزى الشهير سومرست موم Somerset Maughm ، الذى مات فى عام ١٩٥٨ ايضا ، وكانت روز له صديقة قال : « انها امراة غريبة الاطوار ،ولكننى احترمها واقدرها .. وبالرغم من مظهرها الضعيف وجسدها الضامر النحيل ، فهي أول من يتسلق التلال من بيننا ، وآخر من يخرج من الماء عندما نذهب الى البحر لنسبح .. انها المستكشفة الباحثة للافكار الجديدة والاماكن الغريبة والناس الذين لاتعرفهم .. ولم اعرفها هادئة ساكنة ابدا » !

حتى عندما ماتت ، وكانت قد سبقته الى الموت بشهور قليلة لم يصدق موم انها ماتت حقيقة ، قال لمن جاءوا يحملون اليه نبأ رحيلها : « لعلها ذهبت فقط فى غفوة طويلة ! » .

فلسفة !

● قال وليام جيمس William James ، عالم النفس المعروف فى امريكا (١٨٤٢ ـ ١٩١٠) يصف شعوره خلال تلك الفترة التى سبقت اصدار كتابه الاول « اسس علم النفس Principles of Psychology » فى عام ١٨٩٠ ، وكان قد تأخر فى اصداره ثلاث سنوات ، قال : « لا شيء يتعب المرء ويهد كيانه ، وكانه يحمل جبلا على كتفيه دوما كالعمل الذى يبقى معلقا دون انجاز ، وهو يعلم انه لا بد له ان ينجزه ! » .

فلما اصدر كتابه اخيرا ذهب لينام ، وهو يمنى النفس بغفوة طويلة بعد أن استراح بالا ، ولكنه ما لبث أن صحا من نومه ، واحصى ساعات غفوته فوجدها ثلاثا فقط . فكتب يقول : « اليس غريبا » ان يهرب النوم من عيني وانا فى قمة الراحة والسعادة .

ولكن هكذا طبيعة النفس البشرية . تعذبها فتضطرب وتقلق وتسعدها ولكنها تبقى قلقة ، فكثيرا ما يرفض المرء ان يصدق السعادة التى يعيش فيها .. وان صَدّقَ فهو خائف من ان يفقدها » !

الشعب الفرنسي أكثر شعوب العالم ادمانا للخمر

● اعلنت وزارة الصحة فى فرنسا الحرب على تعاطى الخمور . وذلك بعد الاحصائية التى نشرتها منظمة الصحة العالمية O. M. S. والتى جاء فيها أن الشعب الفرنسى هو أكثر شعوب العالم ادمانا للخمر . فالمواطن الفرنسى يشرب فى المتوسط ٢٦٫٨ لترا من الخمور فى السنة . الايطالى يحتل المرتبة الثانية ويشرب ٢٤ لترا ، ويأتى بعده السويسرى (١٢٫٥ لتر) والالمانى (١١٫٥ لتر) ، والامريكى (٨٫٢ لتر) ، والانجليزى (٧٫١ لتر) ، والسويدى (٦ لتر) .

المعهد الفرنسى لاستطلاع الرأى العام اكد أن العامل فى فرنسا يتعاطى كمية من الخمور يوميا تصل الى ١٫٩٤ لتر ، والمرأة الفرنسية تشرب فى المتوسط نصف لتر فى اليوم الواحد .

وهذه الظاهرة الخطرة التى تعانى منها فرنسا هذه الايام ، فسرها الدكتور أ. مى E. May بأنها تهدد حياة ٢٫٥ مليون مواطن فرنسى بالخطر . ليس هذا فقط بل ادمان الخمر هو المسئول الاول عن موت ٢١٩٧٣ شخص لاصابتهم بأمراض الكبد وباقى الأعضاء التى فتك بها الكحول . وهذا الرقم اقل قليلا من عدد الذين ماتوا فى نفس السنة بسبب السرطان ، وأكثر كثيرا من عدد الذين ماتوا بسبب مرض السل .

واذا كانت الخمور مسئولة عن موت هذا العدد الكبير سنويا ، فانها مسئولة أيضا عن ارسال ٤٠ الفا من المدمنين سنويا الى مستشفيات الأمراض العقلية .

وأكدت وزارة الداخلية الفرنسية ان ادمان تعاطى الخمور قد سبب ٥٠٪ من الجرائم ، ٣٠٪ من حوادث السيارات ، ٢٠٪ من حوادث العمل .

واشتركت وزارة المالية الفرنسية فى الحملة ضد تعاطى الخمور فذكرت ان هذا الادمان يكلف الشعب الفرنسى ٢٫٥٥ مليار فرنك سنويا . فالأسرة الفرنسية تخصص جزءا هاما من دخلها الشهرى لشراء الخمور . التى تأتى فى المرتبة التالية مباشرة للجزء الخاص لشراء اللحوم . وعلق احد الخبراء الاقتصاديين على هذه الظاهرة فقال ان فرنسا تستطيع - بدون الخمور - ان ترفع معيشة شعبها بنسبة ٥٠٪ فى قرن واحد .

حتى وزارة الشئون الاجتماعية لم تترك الفرصة ، فانتهزتها واعلنت ان الادمان هو من الأسباب الرئيسية لانحلال روابط الأسرة الفرنسية ، ولانحراف الأطفال نتيجة لسوء التربية بسبب انصراف الآباء الى خمورهم .

هل هناك علاج . . ؟

والشفاء من هذا الادمان الذى أصبح مرضا Alcoholism ليس من الأمور المستحيلة . فما أكثر المصحات الحكومية والخاصة التى تقدم هذا الشفاء لمن يطلبه .

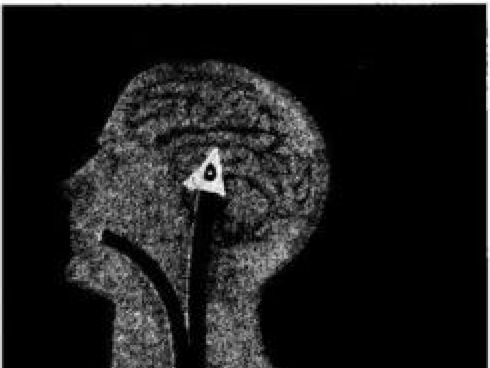
والعلاج يتم بوسائل مختلفة . فهناك العلاج التقليدى والبسيط ، وهو عبارة

عن كمية من الحقن او الحبوب التى تجبر المريض على افراغ كل ما فى جوفه، فى كل مرة تدخل فيها نقطة من الكحول الى معدته . وعملية « الافراغ » هذه ليست بالعملية السهلة . فهى مؤلمة للشخص وتستمر لفترة طويلة تجعله يصاب « بالقرف » من الخمر ومن نفسه . وهذه الطريقة من العلاج شبيهة بالطرق التى كان الاطباء يعالجون بها مدمنى الخمر فى القرن الثامن عشر . فقد كانوا يصفون « رجيما » للمدمن يسير عليه فى طعامه وشرابه لايقرب بعده من زجاجة الخمر ابدا . فقد كان الطعام كله مخلوطا بكميات كبيرة من انواع مختلفة من الخمور، مما يصيبه بالغثيان وتنقلب معدته ولا تعود تتحمل قطرات من الخمر .

والادوية الحديثة لعلاج الادمان تهدف هى الأخرى الى نفس النتيجة . واشهر تلك الأدوية هى ديسولفيرام Disulfirame ، وآنتابوس Antabuse ، وايسبيرال Esperal . فالحبة الواحدة من هذه الأدوية التى يبتلعها المدمن ، تقلب له معدته وتصيبه باضطرابات معوية مؤلمة اذا شرب الخمر بعدها . ويقال ان المدمن يحتاج الى فترة علاج يواظب فيها على تناول احد هذه العقاقير لفترة تتراوح بين ٦ و١٢ يوما . وثبت أن المدمن ـ بعد انتهاء فترة العلاج ـ لا تقع عينه على زجاجة خمر الا واصيب بالغثيان وبالدوار وباضطرابات معوية .

وبجانب هذه الطريقة ، توجد طريقة اخرى ابتكرها الطبيب السويسرى هارى فلدمان Harry Feldmann ويعالج بها مرضاه فى مستشفى كانتونال بمدينة جنيف . وتتلخص طريقة الدكتور فيلدمان فى عزل المدمن داخل غرفة صغيرة ولا يسمح له بالطعام او الشراب . ويبقى هكذا لفترة معينة ، ثم يبدأ فى اعطائه كأسا او كأسين من الخمر التى يفضلها . وفى اللحظة التى يبدأ فيها مفعول الخمر يظهر ويعطى المريض شعورا كاذبا بالانتعاش ، يبدأ الطبيب فى حقنه مقدار ٦ مليجرامات من الابومورفين Apomorphine الذى يسبب له عادة بعد فترة لا تتجاوز ٧ دقائق ، نوبة قاسية من الغثيان والاضطرابات المعوية؛ يزيد من قسوتها خلو معدته من الطعام.

ثم يترك المريض لمدة ساعتين ، ثم يعطى كمية اخرى من الخمر تعقبها حقنة جديدة من الأبومورفين . فاذا تحمل المريض وتناول كأسا ثالثة من الخمر ، أعاد الطبيب حقنه للمرة الثالثة وبنفس



تمر الخمر من الفم الى المعدة عبر المرىء ومن المعدة يتم توزيعها الى الكبد والمعى الدقيق ومنها الى الكبد مرة اخرى حيث يمتصها الدم ويصعد بها الى القلب والمخ .

الكمية . اما اذا رفض المريض شرب كمية قليلة منه ، فان الطبيب يقلل من كمية الابومورفين ويجعلها ٥ مليجرامات بدلا من ستة . وسواء امتنع المريض عن شرب الخمر أو استمر يشربها ، فلا بد من مواصلة حقنه بالابومورفين مرة كل ساعتين ليلا ونهارا . فاذا ابدى المدمن قرفه من النبيذ مثلا ، قدم له الويسكي، فاذا عافت نفسه الويسكي، جرب البيرة، ثم الكونياك وهكذا حتى يرفض المريض تناول أي نوع من أنواع الخمور .

وفترة العلاج بهذه الطريقة تحتاج الى ٩ ايام .

سيارة صاعدة ، هابطة ، منحرفة

● انها سيارة تنطلق بسرعة ١٠٠ كيلومتر فى الساعة . وهي لا تجرى فوق الطريق المستوى فحسب ، وانما تصعد المرتفعات كذلك . انها آخر مبتكرات شركة « لوك هيد » الأمريكية ، واطلقت عليها اسم « تويستر Twister » لأنها تتلوى ، وطولها ٤٫٥ أمتار وتزن ٨ أطنان ، وتنقسم الى قسمين مرتبط احدهما بالآخر ، ولكن كل منهما مستقل فى حركته .

تتوقع الشركة المنتجة نجاحا كبيرا لهذه العربة وبالذات فى الاغراض العسكرية ، وصرح مسئول فى الشركة ان نجاح هذه العربة سوف يجعلهم يفكرون فى انتاج عربات نقل ثقيلة ودبابات ضخمة تكون لها نفس الميزات .. ويمكنها ان تنطلق بسرعة كبيرة فوق اسفلت الشوارع وعلى رؤوس التلال ، وتتسلق الأسوار المنخفضة !



الثاليدوميد يساعد في علاج الجذام

● الثاليدوميد Thalidomide هو العقار الذى استخدمه الاطباء ليخفف من متاعب الحمل ، ثم تبين انه المسئول الاول عن تشويه الاطفال عند الولادة . ولهذا منعت السلطات تداوله .

ان هذا العقار اصبح اليوم يمر بسلسلة من التجارب في معامل الولايات المتحدة ، بعد ان اعلن البروفسور سيجر Segher ان الثاليدوميد يساعد كثيرا في علاج مرض الجذام بمشتقات البنزين السلفونية .

تعاسة المرأة

● اكثر لحظات السعادة بالنسبة للمرأة ، تلك التى تمارس فيها الأمومة لأول مرة فى حياتها . ولكن تلك اللحظات كثيرا ما تسبب الحزن والتعاسة لآلاف من الأمهات . فبعد الولادة ، ولايام او ربما لأسابيع عديدة ، تنتاب تلك الأمهات الصغيرات نوبات مستمرة من البكاء : بلا اسباب واضحة . وينفرن من ازواجهن كانهم غرباء عنهن .

ومن بين الأمهات من ترفض حمل مولودها ، فهى تخاف عليه وتحس فى نفسها عجزا عن رعايته وتغذيته .

ولحسن الحظ ان هذه الحالات غالبا ما تنتهى بعد فترة قصيرة ، وتستعيد الام حالتها النفسانية الهادئة وتقبل على مسئولياتها الجديدة بسعادة كاملة .

ولقد احتار الأطباء فى تفسير أسباب هذه الظاهرة . بعضهم يرجعونها الى التحول الكبير الهورمونى الذى يطرأ على غددها خلال فترة الحمل . والبعض الآخر يعتقد ان تلك الحالة هى نتيجة طبيعية للآلام الجسمانية التى شعرت



« معذرة . الرقم غلط »

جملة لن تتكــرر !

● اخترع فى فرنسا جهاز سيقضى على الشكوى الدائمة من المكالمات الزائدة التى تطالبك بها مصلحة التلفونات رغم ايمانك بانك لم تستخدم هذه المكالمات كلها . الجهاز الجديد ــ الذى يطلق عليه اسم « G 25 » ــ سيركب تحت جهاز تلفونك وعندما تدير « القرص » طالبا مكالمة ما ، يظهر الرقم الذى طلبته امامك فوق شاشة صغيرة مضيئة . فاذا كان الرقم غير الرقم الذى طلبته فما عليك الا ان تضع « السماعة » مكانها ، وتدير القرص بالرقم من جديد . وبذلك تضمن استحالة سماع الجملة التقليدية « الرقم غلط ! » ليس هذا فقط بل ان الجهاز يسجل لك ــ فوق شريط طويل من الورق رقم كل مكالمة طلبتها وتاريخ طلبها ، والمدة التى استغرقتها بالثانية ، وبذلك تضمن ان « فاتورة » التلفون التى ستصلك لا بد ان تكون مطابقة للأرقام المدونة « الكترونيا » عندك .

فى ايام أمومتها الاولى

بها الأم خلال مدة المخاض والوضع ، مما أثر على نفسيتها .

هذا التأثير النفسانى يفسره لنا الدكتور هوارد زيتلين (H. Zeitlin) بانه يحدث للأم التى تشعر بالوحدة التى ارتبطت بها مع جنينها طوال اشهر الحمل ، ثم صدمت بانفصاله المفاجىء عن جسمها ، مما اعطاها الاحساس المؤلم بالفقد وبالفراغ .

وللتخفيف من حدة هذه الصدمة التى تحس بها بعض الأمهات ، اجرى الدكتور مايكل نيوتن (M.Newton) اخصائى الولادة ــ دراسة دقيقة على حوالى ٥٠٠ من الأمهات الصغيرات منذ لحظة دخولهن المستشفى للوضع وحتى خروجهن منه بصحبة اطفالهن . فاكد ان الأم تكون فى حاجة ماسة للرعاية والعناية وحسن المعاملة والصبر من كل من حولها طوال فترة اقامتها بالمستشفى ؛ فان هذه المعاملة من شانها ان تريح الأم الصغيرة وتجعلها تعكس هذا العطف والحنان على طفلها .

الموت الكاذب

● منذ بضعة اسابيع تم نقل احدى الفتيات الهنديات الى المشرحة فى لندن بعد ان توقف قلبها ، وتأكدوا من موتها بالسكتة القلبية . وقبل وضعها داخل « الثلاجة » فوجىء الموظف بحركة مفاجئة تصدر عن جسم الفتاة ! وبسرعة تم نقلها الى غرفة العمليات حيث اجريت لها الاسعافات اللازمة وعادت الى الحياة من جديد . وتبين ان الفتاة كانت قد اصيبت بتسمم نتيجة تعاطي كمية من الحبوب المنومة ادى بها الى الاغماء العميق او الموت الكاذب . فقد انقطع تنفسها ، وتوقف نبضها وصمت قلبها ، حتى ظن من رآها انها قد ماتت فعلا . وكان يمكن ان تموت فعلا لو ان حالتها

استمرت طويلا قادت بها الى اصابة خلايا المخ .

وما حدث لهذه الفتاة حدث لكثيرين غيرها اصيبوا بالاغماء العميق نتيجة للتسمم او للاختناق ثم بدأ تشريح اجسامهم لمعرفة سبب الوفاة ، واتضح عندئذ ان التشريح نفسه ادى الى الوفاة ، وان المصاب لم يكن فقد الحياة قبل ان يجرى مشرط الطبيب الشرعي داخل جسمه ، ولتفادى تكرار هذه الحالات من الموت الكاذب ينادى بعض الأطباء فى بريطانيا بنظرية ان توقف القلب ليس دليلا على الموت .

وقامت ضجة حول عمليات زرع الأعضاء . فالجراح يكتفي بتوقف قلب المصاب فى حادث ثم يبدأ فى نزع اعضاء منه وزرعها ، فى جسم مريض آخر . وكثيرا ما تبدأ عملية النزع فى حين ان المصاب لم يكن قد مات .

اول مصنع تكرير بترول

● قبل سنة ١٩٧٥ ستنتهي الترسانة اليابانية من صنع اول مصنع تكرير للبترول يطفو فوق الماء ! سيقام المعمل فوق سفينة ضخمة تبلغ حمولتها ٢٠٠ الف طن . اما مزايا هذا المشروع فهي اختصار الوقت . فالبترول سيجرى تكريره داخل الناقلة واثناء رحلتها من ميناء « الضخ » وحتى وصولها لمناطق الاستهلاك . كما ان وجود مصنع التكرير وسط البحار من شأنه تجنب الحوادث والكوارث التى قد تهدد بنسف المصنع . بالاضافة لهذه المزايا تؤكد الشركة اليابانية صاحبة المشروع ان تكرير البترول بهذه الطريقة سوف يحقق وفرا كبيرا في التكاليف .

السفن

ناقلة البترول الضخمة

الجديد فى امتحانها

● تعبر المحيطات اليوم سفن ضخمة تنقل البترول من منابعه الى حيث يراد تصديره . وجرى امر تصميم هذه الناقلات الى اليوم بالاعتماد على امتحان قوة السفينة على خط طولها ، اما قوة السفينة على خطوط عرضها فلم يكونوا يهتمون به اهتمامهم بذلك الاعتبار الاول :

ولكنهم وجدوا انهم ، وقد بلغوا بحجم السفينة الى ما بين ١٠٠٠٠٠ طن و ٢٠٠٠٠٠ طن ، ان دليل الصحة فى تصميم السفينة لم يعد يعتمد على خط طول السفينة وحده ، وان قوة السفينة على خطوط عرضها صارت ذات بال .



وهم كذلك صنعوا نموذجا حجمه ثمن حجم السفينة التى يريدون صنعها، وعلى هذا النموذج يجرون الامتحان . فهم يملئونه بشتى الأحجام من المياه ويقيسون تأثير الضغط على سائر النواحي والاتجاهات .

والنموذج الذى بالصورة طوله الكلي ١٠٫٥ متر ، وعرضه ٦٫٥ متر ، وارتفاعه ٣٫٢ متر .

وهم يمهدون لدراسة سفن تحمل ٤٠٠٠٠٠ طن واخرى تحمل ١٠٠٠٠٠٠ طن من الزيت .



أمراض شائعة

الشَّلل النِّصفِي بالوَجْه

بقلم : الدكتور علي جميل الزيات

■ العصب الوجهي هو العصب الدماغي السابع . وهو عصب مزدوج اى يوجد واحد لكل جانب ـ ايمن وايسر ـ شأنه فى ذلك شان معظم اعضاء الجسم واعصابه . الا انه بالرغم من قصره ـ حيث لا يتعدى النصف الذى ينتمي اليه من مقدم الراس والرقبة ـ فانه ذو مسار متعرج وشاق مما يجعله عرضة للاصابات المختلفة أكثر من غيره من الاعصاب . كما يزيد من اهميته أنه المتحكم فى عضلات الوجه . لذلك فانه يكون فى حالات مرضه أو اصابته مصدر قلق للمريض دائما وللطبيب احيانا . اذ ان الوجه هو الذى يعبر عن الحياة بما يعكس من الانفعال بها وبمواقفها المختلفة . فاذا لم يستطع ذلك فانه يبدو جامداً لا حياة فيه مما يكون له أثر سيىء على الحالة النفسية للمريض . ذلك بجانب المتاعب الاخرى التى يعانيها مثل صعوبة اخفاء ما قد يطرا على الوجه من تشويه وصعوبة التحكم فى مخارج بعض الاحرف أثناء الكلام .

مسار العصب السابع

يخرج هذا العصب من مراكز مختلفة ومتعددة في ساق المخ Brain Stem ، ويتخذ مسارا متعرجا داخله الى ان يخرج منه في موضع مقابل لفتحة الاذن الداخلية في قاع الجمجمة فيدخلها لياخذ طريقه في قناة الاذن الداخلية متجها الى الاذن الوسطى حتى ينحرف في زاوية قائمة متجها الى الخلف من قناة عظمية دقيقة خاصة به مع ذلك الشريان الصغير الذى يصاحبه ويغذيه بالدم اللازم له . وما ان يصل الى نهاية هذا الجدار من الخلف حتى يتغير اتجاهه مرة اخرى ليتخذ مسارا راسيا تقريبا داخل عظام النتوء الحلمي خلف الاذن ليخرج من فتحة خاصة به يغطيها الطرف الاسفل لهذا النتوء . وبهذا ينهى مساره داخل الجمجمة ليتجه ناحية الغدة النكفية التى تحتل الجزء الذى بين اعلى الفك السفلى والرقبة وتمتد لتغطى جزءا من الوجه اسفل الاذن وامامها. فيتفرع بين فصوصها الى فروع تتفرق كما تتفرق اصابع اليد في الكف المفردة لتغطى منطقة الوجه والجبهة وجانبا من الرقبة وتمد العضلات بالاشارات الحركية وهى وظيفة هذا العصب الاساسية . اذ تنتقل هذه الاشارات عن طريقه الى نهاية الالياف العصبية الحركية التى تكون الجزء الاكبر منه في صورة نبضات كهربية تتحكم في العضلات التى تصل اليها فتحركها بين الانقباض او الانبساط . سواء في ذلك الحركات الارادية التى تاتيها عن غير عمد مثل التعبير عن الانفعالات التى تظهر على الوجه من حزن وفرح ودهشة واستياء وغيرها .

ليس هذا فقط فانه في جزء من مساره ينضم اليه ما يسمى بالعصب الوسيط Intermediate nerve وهذا العصب يتكون من الياف عصبية مختلفة وابة اعصاب اخرى لا تنتمى للعصب السابع في نشاتها . وبعض هذه الالياف يحمل حاسة الذوق من ثلثى اللسان الاماميين الى المخ والبعض يغذى الغدد اللعابية تحت اللسان وتحت الفك بالنبضات او الاشارات المنبهة لافراز اللعاب . والبعض الاخر يغذى الغدد الدمعية والغدد المخاطية بغشاء الانف بالنبضات المنبهة لافرازها كذلك .

تغير ملامح الوجه

واذا تاثر هذا العصب السابع في اى من اجزائه ابتداء من مراكزه بالمخ او في مساره بالجمجمة او خارجها الى نهاياته عن العضلات او الغدد التى يغذيها بما يعيقه عن اداء وظائفه يكون العرض الاكثر وضوحا وازعاجا للمريض هو الشلل النصفى بالوجه . هذا الى جانب الاعراض الاخرى مثل اختلال الافراز الدمعى والافراز المخاطى بالانف والالم او الطنين بالاذن وخلاف ذلك مما يستعين به الطبيب لتحديد موضع الاصابة ونوعها بجانب بعض الفحوصات التى تختلف باختلاف كل حالة حتى يستطيع ان يختار نوع العلاج او الجراحة المناسبة

ويترتب على الشلل بعضلات بالوجه تغير واضح بملامح الوجه نتيجة لارتخاء العضلات بالجانب المصاب وعدم القدرة على تحريكها . ويظهر ذلك بصورة اوضح عند الكلام .

كما لا يستطيع المريض اغماض عينيه مما يجعلهما معرضتين للتيارات الهوائية التى تتسبب في جفافهما والاتربة التى تغربهما بعد أن حرمتا من حركة الجفون الدائمة التى تحميهما من الاجسام الغريبة وتمسح عليهما وترطبهما طول الوقت .

وكذلك فان ارتخاء عضلات الفم يضايق المريض كثيرا عند الاكل حيث يتجمع الغذاء بين الصدغ والاسنان بالجانب المصاب لعدم القدرة على دفعه للداخل اثناء المضغ . كما انه اثناء الشرب قد تسيل السوائل من جانب الفم .

شلل بل

ولما كانت الاسباب التى تؤثر في هذا العصب كثيرة ومتعددة فسوف نكتفى بذكر اكثرها شيوعا. وياتى في اول القائمة شلل بل ell's Palsy كما انه يطلق عليه اسماء اخرى منها نزلة بردية بالعصب الوجهى . كذلك يعرف باسم شلل روماتزمى بالوجه .

اما عن اسبابه فلم تكن معروفة على وجه التاكيد للاطباء فيما قبل الحرب العالمية الثانية بما في ذلك اول من وصف هذا المرض وكتب عنه حتى سمى باسمه وهو السير تشارلز بل Gharle's Bell اما الآن فانه من المتفق عليه انه ينتج عن انقباض بالشريان الذى يغذى العصب. يتبعه تورم بالعصب والغشاء الذى يحتويهما . ولكونهما يسيران داخل قناة عظمية غير قابلة للتمدد مع هذا التورم فان العصب يعانى ما يشبه الاختناق نتيجة للضغط

الذى يقع عليه . ويؤدى ذلك الى الشلل بدرجاته المختلفة من الشدة .

وعادة ما يكون السبب المباشر لذلك هو التعرض المفاجيء أو لفترات طويلة لتيارات الهواء البارد . ولهذا فانه كثيرا ما يكون مصحوبا بالنزلات البردية كما انه قد يحدث احيانا بعد الصدمات العصبية الشديدة .

وكثيرا ما تكون هذه الحالة مصحوبة بالم حاد بالوجه والأذن في اليومين او الثلاثة الاوائل للمرض .

اما عن العلاج فانه يعتمد على الراحة والتدفئة مع استعمال بعض العقاقير او حقن الكورتيزون عند موضع خروج العصب من الجمجمة خلف النتوء الحلمى للاذن . وبالاضافة الى ذلك فانه يجب الاستعانة بالعلاج الطبيعى والتدليك لعضلات الوجه لضمان الحفاظ على عضلات الوجه بحالة جيدة حتى يتم الشفاء الذى قد يتاخر لمدة أسابيع . أما اذا لم تتحسن الحالة بصورةمرضية بعد ستة أسابيع من العلاج وهذا نادر الحدوث فانه لا بد من اللجوء للجراحة بغرض فتح القناة العظمية التى يسير فيها العصب وتخليصه من الضغط الذى يعانيه بداخلها .

التهاب الأذن الوسطى

ياتى بعد ذلك في قائمة الأسباب التهاب الأذن الوسطى ونوعاه ، الحاد والمزمن فقد يتاثر العصب نتيجة للالتهاب الحاد بالأذن الوسطى . وفي هذه الحالة يكون هناك ضعف او ثقب بالقناة العظمية التى يحتمى العصب بداخلها . لذلك تكون الحالة دائما مصحوبة بأعراض التهاب الأذن كما يكون الشفاء منها سريعا اذا احسن علاج الأذن .

كما انه قد يتاثر نتيجة للالتهاب المزمن بالاذن الذى يهمل المريض علاجه لمدة طويلة تكفى لتاكل جزء من القناة العظمية. وهنا يكون العلاج الوحيد هو الجراحة لاستئصال العظام الملتهبة بالأذن وتنظيفها مما قد يكون بها من زوائد لحمية مع تغطية العصب وحمايته بالطريقة التى تناسب كل حالة .

اصابات خارجية

هذا عن اهم الاسباب المرضية الا انه علاوة على ذلك فانه لا ينجو أحيانا من بعض الاصابات الخارجية . اذ قد يحدث أحيانا في بعض اصابات الراس وخاصة المصحوبة منها بكسر في قاع الجمجمة أن يمر الكسر بقناة العصب فيتاثر بذلك العطب الذى يصيبه والذى تتراوح شدته تبعا لشدة الاصابة بين الرض أو الكدم البسيط الذى يشفى سريعا والقطع الكامل للعصب . كما انه غالبا ما يكون مصحوبا باعراض أخرى للاصابة . ويختلف العلاج هنا باختلاف الحالة .

كذلك فان الحوادث التى ينتج عنها جروح قطعية غائرة بجانب الوجه قد تتسبب فى قطع بعض فروع العصب وينتج عن ذلك الشلل بالجزء الذى يتصل بالفرع أو الأفرع المصابة . وهنا تكون للسرعة والدقة في الجراحة اثرها في سرعة الالتئام والشفاء .

اصابات جراحية

واخيرا تاتى الاصابات الجراحية . اذ أن اصابة العصب الوجهى بالشلل هى من المضاعفاتالمعروفة النادرة الحدوث والتى يعمل لها جراح الأذن الف حساب اثناء بعض جراحات الأذن . وقد أصبح احتمال حدوث ذلك اقل كثيرا مما كان في السابق بعد استخدام الميكروسكوب الجراحى في عمليات الأذن . فقد يحدث اثناء الجراحة حين يكون هناك بعض الاختلاف في مسار العصب المعروف في الأذن أن يصاب العصب أو يقطع تماما بطريق الخطأ وبدون توقع .

كما انه قد يكون هناك تاكل في القناة العظمية ويكون العصب مطمورا داخل الزوائد اللحمية بالاذن ويكون بذلك عرضة للاصابة اثناء ازالتها وتنظيف الأذن منها . ويكون العلاج في مثل هذه الحالة بجراحة اخرى لتقريب طرف العصب المقطوع واعطائه فرصة للالتئام .

وفي حالة فشل الطرق السابقة فاننا نلجا الى عمليات ترقيع العصب او عمليات التجميل مع نقل اعصاب أخرى لتقوم ببعض عمل هذا العصب في محاولة للاقلال ما امكن من آثار الشلل الدائم به . ■■

على جميل الزيات
اخصائى أنف وأذن وحنجرة
مستشفى الصباح – الكويت

«صواريخ سام ٣»

لماذا يخشاها العدو الإسرائيلى ؟

■ اطلق اسم «سام ٣» على الصاروخ السوفيتى الحديث ، الذى يطلق من الارض الى الجو ، ويمتاز بمقدرته الكبيرة على اعتراض الطائرات المعادية التى تحلق على ارتفاعات منخفضة جدا .

وقد بدا التفكير فى انتاج هذا الصاروخ منذ بضع سنوات . عندما شكلت لجنة من خبراء الصواريخ السوفييت فى سنة ١٩٦٥ وكلت اليها مهمة تطوير صواريخ « سام ٢ » لتلافى نقاط الضعف التى استطاعت الولايات المتحدة عن طريقها ان تفقد هذا السلاح معظم قدراته الدفاعية كأحدث دفاع جوى سوفيتى فى هذا الوقت .

ووضعت اللجنة تقريرا عن صواريخ « سام ٢ » جاء فيه : —

اثبتت صواريخ « سام ٢ » مقدرة كبيرة فى اسقاط الطائرات الأمريكية المغيرة على ارتفاعات عالية فوق قوات الثوار فى فتنام الشمالية . ثم تحركت العقلية الأمريكية لمواجهة هذا الخطر الذى يهدد طائراتها . وبلغ هذا التحرك قمته عندما اكتشفت اسرار «سام ٢» وعرفت القيادة الأمريكية ان هذا السلاح يفقد قدرته تماما أمام الطائرات التى تحلق على ارتفاعات منخفضة .

وتأكدت هذه الحقيقة فى اعقاب سلسلة من التجارب ، قامت بها مجموعات من قاذفات القنابل الأمريكية أغارت فوق مواقع صواريخ « سام ٢ » فى فتنام الشمالية . كانت الطائرات تحلق على ارتفاع بضعة أمتار قليلة ، وعادت جميعها سالمة بعد أن فشل « سام ٢ » فى اعتراضها والاصطدام بها .

وصدرت الأوامر للطيارين الامريكيين بالطيران على هذا المستوى المنخفض بعد نجاح تلك التجارب . فواجهت القيادة الثورية فى فتنام مشكلة خطيرة بسبب تلك الغارات الجوية المتواصلة فوق خطوطها . واضطرت قوات الثوار للاعتماد فى دفاعها الجوى على وسائل دفاعية قديمة وتقليدية وبدائية احيانا . من بينها المدفع الرشاش الذى يخضع تصويبه لدقة الجندى الذى يحمله ، فى توجيه فوهته .

ووقتها — وبالضبط فى يناير ١٩٦٥ — وصلت بعثة عسكرية سوفيتية الى هانوى لبحث حقيقة التقارير التى اخذت تصلها



- احدث سلاح دفاعى ضد الغارات التى تقوم بها الطائرات على ارتفاعات منخفضة .
- بها اجهزة الكترونية تنبه الى مكان الطائرة المغيرة وتحدد تحركاتها على مسافات بعيدة .
- مزودة باجهزة تشويش تشل اجهزة التنبيه فى الطائرات المغيرة .
- صاروخ « سام » يستطيع أن يبحث عن الهدف ويدمره على ارتفاع ٣٠ مترا فقط فوق سطح الأرض .

من القيادة الفتنامية الثورية ، حول عجز « سام ٢ » عن اصابة اهدافها على الارتفاعات المنخفضة . ثم عادت البعثة الى موسكو لتؤكد ضرورة تطوير الصواريخ الدفاعية بحيث يمكنها مطاردة اهدافها على الارتفاعات القليلة .

.. وظهر سام « ٣ »

وفى سرية كاملة بدأ الاتحاد السوفيتى صنع الصاروخ الجديد . ووقتها تسابقت اجهزة المخابرات الغربية للحصول على اية معلومات قد تكشف بها الجديد فى هذه الصواريخ الدفاعية .

■ ويمكن القول بأن صاروخ « سام ٣ » هو احدث ما توصلت اليه العقلية السوفيتية كسلاح دفاعى ضد الغارات التى تقوم بها الطائرات على ارتفاعات منخفضة . وهو يتميز بسرعة تحركه من مكان الى آخر . وبقدرته المذهلة على اصطياد الطائرات ومطاردتها . وبه اجهزة الكترونية تنبه الى مكان الطائرة المغيرة وتحدد تحركاتها وهى على بعد مسافات بعيدة جدا ، وهذا يتيح لاجهزة التوجيه ، دقة التصويب والمطاردة واصابة الهدف فى النهاية .

■ وسام « ٣ » يستطيع ان يبحث ويدمر الطائرة المغيرة وهى على ارتفاع حتى لو انخفض الى ٣٠ مترا فقط فوق سطح الارض . ويعمل هذا الصاروخ

من قاعدة اما ثابتة واما متحـــركة . ويتحرك على قاعدة كقاعـــدة السيارة (شاسيه) ونحوها وهو مزود بأجهـزة تشويش حديثة تفقد الطائرة المغـيرة التنبيه اللازم لوجود بطاريات صواريخ دفاعية . فالمعروف أن الطائرات المغيرة - ومن بينها الميراج الفرنسية - مزودة بأجهزة الكترونية تنبه الطيار الى مواقع المدفعية المضادة والى اماكن مدفعيـــة الصواريخ . كما تنبهه الى ان شاشات الرادار المعادية قد التقطت مكان طائرته وحددت هدف صواريخها المضادةنحوه . وجهاز التشويش الجديدالملحق بصواريخ « سام ٣ » يفقد هذه الطائرات معظم هذه المزايا . وتختلف المصادر في وصف هذه الصواريخ، ولكن ما اوردناه صحيح في اجماله .

ممنوع خروج سام « ٣ »

ولأهمية هذا السلاح الجديد ، فقد ذكرت المصادر الغربية ان الاتحـــاد السوفييتي رفض السماح بخروجـــه خارج حدود روســـيا . وتأكيدا لهذا الكلام قيل ان تشيكوسلوفاكيا - وكانت وقتها في بداية محنتها - قد ابـدت قلقها من عدم تزويد دفاعها الجوي بهذه الصواريخ الجديدة . وقيل ان الاتحاد السوفيتي اعتـــذر لتشيكوسلوفاكيا ، ووعد بارجاء تنفيذ هذا الطلب فيما بعد. فالواضح أن تشيكوسلوفاكيا ليست في حاجة ماسة وعاجلة لامداد دفاعهـــا الجوي بسلاح سام « ٣ » .

وتردد أن المـــانيا الديمقراطيـــة - الشرقية - وكانت وقتها في قمـــة صراعها النفساني مع المانيا الاتحـــادية - الغربية - سحبت طلبها للحصـــول من الاتحاد السوفيتي على صـــواريخ « سام ٣ » ، بعد أن رفض نفس هـــذا الطلب الـــذي ســـبق وتقـــدمت به تشيكوسلوفاكيا .

ونشر ان قيـــادة الثـــوار في فتنام الشمالية ، ارســـلت وفـــدا عســـكريا وسياسيا - في سنة ١٩٦٨/١٩٦٩ - الى العاصمة السوفيتية يحمل طلبـــا بامدادها بصواريخ سام « ٣ » كوسيلة وحيدة لوقف الغارات الامريكية الكثيفة جدا فوق مواقعها ومدنهـــا وقراها . وذكرت الصحف الغربية ان الاتحـــاد السوفيتي رفض تنفيذ هذا الطلب واجل التفكير في الأمر .

اما الأسباب التي قدمت تبريرا لموقف الاتحاد السوفيتي من هذه الدول الحليفة له فتتركز على رغبة السوفييت في منع خروج هذا السلاح الحديث من حدود الاتحاد السوفيتي . حقيقي ان ارسال قواعد من صواريخ سام ٣ الى ثوار فتنام الشمالية ، من شأنه أحباط الغـــارات الأمريكية المنخفضة الارتفاعات ، ولكن هذا النجاح سيكون محدودا لفترة - قد تطول وقد تقصر - ولكنها ستكون كافية امام العقلية العسكرية الأمريكية لمراقبة استخدامات صواريخ سام « ٣ » عن كثب ، حتى تتمكن تلك العقليـــة من اكتشاف ولو نقطة ضعف وحيدة يمكن النفاذ من خلالها لابطال تلك الفاعليـــة الدفاعية المظيمة . واذن يضطر الاتحاد السوفيتي الى بذل الجهود والأمـــوال لبحث امكانية تطوير سام « ٣ » الى سام « ٤ » .. مثلا .

وفعلا ظل الصاروخ داخل الاتحـــاد السوفيتي . وفي العرض العســـكري الاخير في مدينة موسكو ، اهتم جميـــع خبراء الغرب بتصيد والتقاط ايـــة معلومات عن سام « ٣ » . ثم نشرت هذه المعلومات الصحف الامريكية والبريطانية والفرنسية . وعلقت المصادر السوفيتية على هذه المعلومات بانها مجرد «اجتهادات»

و « افتراضات » ، و« تخيلات » تقوم بها اجهزة الاعلام « الامبريالية » ، و « الاستعمارية » .

فمن بين تلك « الاجهادات »الغربية :

■ ان سام « ٣ » لا يحتاج الا لعدد بسيط جدا من السيطرة البشرية . الا ان الأيدى البشرية يجب أن تكون على درجة عالية من التدريب ومن العلم بكل صغيرةوكبيرة من اسرار السلاح الجديد. ولعل هذا هو اهم الأسباب التى تعللت بها الأصوات التى تنادى بالابقاء على هذا السلاح داخل حدود الاتحاد السوفيتي . فهى تخاف أن ترسله الى الدول الحليفةلها ـ مثل فتنام الشمالية ـ ثم تترك مهام تشغيله لجماعة لم تتدرب التدريب المطلوب مما يفقده قدرته المطلوبة ، وبالتالى يسهل ضربه وتدمير مواقعه .

■ ولكن هذا الاعتراض سرعان ما وجد الرد عليه من اصوات سوفيتية اخرى . فهناك من ينادى بمنح الدول الصديقة للاتحاد السوفيتي ، والتى تخوض الحرب فعلا ـ مثل فتنام والدول العربية ـ ما تحتاجه من هذه الصواريخ الحديثة لمواجهة الغارات المنخفضة فوق مواقعها ومدنها . وليس هناك ما يمنع من أن ترسل تلك الدول مجموعات متتالية من جنودها الى الاتحاد السوفيتي للتدرب على تشغيل هذا السلاح الجديد . فاذا لم تتحقق الغاية من هذا الاقتراح فيمكن ارسال الخبراء السوفييت الى تلك الدول الصديقة لتولى تدريب جنودها على استخدام الصواريخ من داخل بلادهم . لا سيما وأن التدريب لن يحتاج الى فترةطويلة، كما أنه ليس بالشىء المستحيل . فكما ان الجنود السوفييت الذين تدربوا على اطلاق صواريخ « سام ٢ » ، لم يجدوا صعوبة كبيرة فى تشغيل بطاريات صواريخ « سام ٣ » ، فسيكون هذا هو الحال بالنسبةلجنود فتنام الشمالية ـ وغيرهم ـ الذين اتقنوا التدريب طوال السنوات الماضية فى كيفية تشغيل واستخدام صواريخ سام « ٢ » .

ضجة مفتعلة

وقد سمعنا جميعا عن الضجة الكبيرة التى قامت حول وصول شحنات من صواريخ « سام ٣ » الى الجمهورية العربية المتحدة . وانتهزتها اسرائيل فرصة لمواصلة الضغط على الولايات المتحدة للحصول على المزيد من الأسلحة وبالذات طائرات « فانتوم » و « سكاى هوك » . بحجة أن الاتحاد السوفيتي يريد أن يقلب ميزان القوى فى المنطقة لصالح الجيوش العربية .

والواقع أن الاتحاد السوفيتى لم يخف مطلقا أنه ـ بسبب تزايد العمليات الاسرائيلية العدوانية داخل الاراضى العربية ـ سيعطى العرب ما يحقق لهم الحماية بالأسلحة الدفاعية اللازمة . ولا شك أن هذه « الحماية » تعنى توفير الحماية الجوية المطلوبة والقادرة على مواجهة الغارات التى تقوم بها الطائرات الاسرائيلية داخل الاراضى العربية . أما الأسلحة التى تريدها اسرائيل من الولايات المتحدة فهى أسلحة هجومية . فالفانتوم من الطائرات الهجومية ذات المدى البعيد، التى يمكنها التوغل الى أعماق بعيدة .

واذا كانت اسرائيل تجد خطورة على أمنها من جراء وصول شحنات من الصواريخ الدفاعية الى الدول العربية . فماذا سيكون أمرها اذا ما تلقى العرب اسلحة هجومية حديثة ـ مثل طائرات الميج ٢٣ ـ التى يمكنها التوغل داخل اسرائيل وضرب أهداف اسرائيلية غير تلك المناطق التى احتلتها بعد حرب يونية ١٩٦٧ .. ؟! ■■

الكاتب القصصي الإيطالى الكبير جاليكو

ماذا صنع بنفسه؟

طلقها ، يطلب الحرية ، فلم يجد الحرية إلا معها ؟

■ ظن انه يعيش فى سجن كبير فقد كان نادما على زواجه .. وبقى يحن الى الحرية التى كان ينعم بها قبل هذا الزواج .. وعندما استعاد « حريته » تلك ، تمنى لوانه عاد الى سجنه من جديد ..

هذه هي قصة الكاتب القصصى الايطالى المعاصر بول جاليكو Paul Gallico ، ولنترك جاليكو يروى قصته بنفسه .. انها قصة مهداة الى كل الازواج ..

ابحث عن حريتي !

« جلست في قلق افض الرسالة التى حملها لى البريد ، فاذا بها من صديق قديم لم اره منذ زمن طويل .. وكتب الصديق يقول : « لقد قرأت خبر طلاقك اخيرا من زوجتك بعد زواج دام ١٤ عاما .. انني اشعر بالأسف لهذا الذى حدث لكما ولكن لا اخفيك القول بانني احسدك. فقد اصبحت رجلا حرا الآن تستطيع ان تفعل ما تشاء وتذهب الى حيث تشاء ، بلا حسيب ولا رقيب .. ليتني استطيع ان افعل مثلما فعلت ! »

خرافة !

« والقيت بالرسالة جانبا .. نعم لقد استعدت حريتي أخيرا .. ولقد انقضت اكثر من ثلاثة اعوام وانا انعم بهذه الحرية التى طالما كنت اشعر بانني افتقدتها .. فماذا فعلت بى ؟

« انها خرافة .. انني اقول لكل زوج ، انت لا تدرك كم انت محظوظ لكونك زوجا ورب اسرة .. ان مساوىء الحياة بدون هذا الرباط الذى يجمع بين الرجل وامرأته اكثر بكثير من مزايا التمتع بهذه الحرية التي يظن الازواج أنهم قد افتقدوها بعد الزواج ..

« وقد تعلمت اشياء كثيرة خلال تلك الفترة التي عشتها وحدى بعد ان انفصلت عن زوجتي بالطلاق .. تعلمت لاول مرة أن للسكون ضجيجا يصم الآذان ، ويتردد صداه بين جدران البيت الكبير الخالى .

« شعرت بفراغ كبير يملأ حياتي عندما اصحو من نومي متأخرا في الصباح ، بعد ان غاب ذلك الصوت الرقيق الذى كان يدعوني الى ترك فراشي وارتداء ملابسي استعدادا للذهاب الى مكتبى ..

صوت زوجتي !

« احسست بالوحدة تحتويني، وانا ادير المفتاح في قفل الباب الخارجي في ساعة متأخرة من الليل، دون أن أسمع من الداخل ذلك الصوت الساهر دائما وهو يسأل : « لقد تأخرت يا بول . الم

تقل انك قادم لتتناول معى طعام العشاء ؟! »

« وتعودت اذنى اصواتا غريبة لم تكن تصل اليها ابدا .. لم يكن نباح الكلاب او عواء القطط او حتى تغريد الطيور في الصباح يثير في أو يحرك لى ساكنا .. اما الآن ، فقد بدات هذه الاصوات تقض مضجعى وتؤرقنى .. ان صوت الانسان وحده هو القادر على أن يطغى على كل هـذه الأصوات ويحيلها الى نغمات خافتة صـادرة من بعيد تثير الرغبة في النوم ..

لم أعد أكترث لشيء

« لم أعد أشعر بشيء يملأ حياتى ، حتى عملى لم أعد أهتم به كما كنت أفعل في الماضي .. لم أعد قادرا على أن أفتح كتابا لأقرأ ، فكل كتـاب جديد يبدو لى أجوف مملا ، فلا أكاد أتصفحه حتى ألقى به بعيدا .. كل قصة جديدة أكتبها أعجز عن أجد لها خاتمة .. لم تعد الأحداث تهزنى أو تثير في نفسي أى انفعال ، لأننى لم أعد أكترث لشيء ..

« اننى آكل لأملأ معدتى .. لم أعد أهتم بالطعام الذى يقدم لى ولم يعد الجلوس على المائدة متعة ، كما كان في الماضي .. لقد كنا نلتقى في موعد الغداء أو العشاء لنتبادل أطراف الحديث ، فاروى لها ما صادفته في يومى من متاعب .. وكانت تهون علىّ ، وتذكرنى بمواعيد أصدقائى وببرامج نزهتنا معا في يوم العطلة ..



الهرب من الحياة

« أما الآن فلم أعد أدرى كيف أقضي عطلتى ، وأين أذهب ، وماذا أفعل بتلك الساعات الطويلة التى أمضيها وحدى ، اننى كثيرا ما أشعر برغبة في الخروج ومقابلة الناس .. ولكننى لا أكاد اهتم بهم حتى أحس بأننى اريد ان أهرب منهم .. ولكن الى أين ؟

« اننى ما زلت أذكر تلك الأيام العصيبة التى مرت بى عندما أصبت ببرد شديد وارتفعت درجة حرارتى .. ولم أجد مفرا من أن أتصل بأحد المستشفيات القريبة لكى يرسل لى ممرضة تعتنى بى .. ولكننى ما كدت أراها حتى رجوتها أن تعود من حيث أتت !

الزوجة والممرضة

« لقد تصورتها شيطانا بملابس بيضاء جاء لينتزع منى روحى .. قد اكون أخطأت ، ولكن هكذا رأيتها عندما وقفت أمامى تجس نبضي وتقيس حرارتى .. فقد وجدت نفسي وبدون شعور منى ، أقارن بينها وبين زوجتى ، وما كانت تفعله معى عندما يصيبنى المرض وألازم فراشي .. وتمنيت لو أنها عادت الى ولو لبضعة أيام فقط ، ريثما تفارقنى الحمى وتخف عنى وطأة هذا البرد الشديد !!

« ان أحدا لم يعد يهتم بى .. لم أعد محل الاهتمام الأول لشخص آخر تربطنى به أية صلة . لا أحد يكترث بمشاعرى ، سواء كنت سعيدا أم تعسا .. لا أحد يقلق من أجلى سواء كنت مريضا أم معافى .. حيا أم ميتا .. حتى عندما زارنى أصدقائى في البيت ليطمئنوا على صحتى ،شعرت أن كل واحد منهم يريد أن يسرع بالهرب من الغرفة التى فسد هواؤها ، خوفا من أن تنتقل اليهم عدوى البرد .. لم أجد واحدا بينهم يهتم بفتح النافذة وتغيير الهواء .. لم أجد واحدا يستطيع ان يملأ الفراغ الذى تركته زوجتى وصديقتى .. !

حرية لا أريدها

« حياتى كلها أصبحت ملكا لى وحدى ..
« أليست هذه هى الحرية التى كنت أنشدها ؟!

« برنامج يومى أضعه وحدى .. رحلاتى وسفراتى أختارها وأنظمها بينى وبين نفسي .. لا صوت يعترض ، ولا رأى آخر يقال .. كل ما أردته ، وكل ما تقت اليه في « سجنى » قد فعلته .. وكم تمنيت اليوم لو أننى سمعتها وهى تنتقد فكرة القصة الجديدة التى أريد أن أكتبها ، وكم وددت لو أن صوتها ارتفع محذرة محتجة على تصرف أقدمت عليه ، أو عمل اعتزمت القيام به !

« لقد ضقت ذرعا بحياتى هذه التى لم يعد أحد يتدخل فيها، ولم يعد أحد يشاركنى أفراحها وآلامها .. لم أكن أتصور أننى سأمل هذه الحرية التى سعيت اليها سعيا ، وتقت اليها فلما وجدت نفسي أتمتع بها ، تصورت الدنيا أمامى وقد استحالت الى أرض مسطحة منبسطة بلا مرتفعات ولا منخفضات .. بلا جبال ولا وديان ..

الحب .. والعادة

« زارنى صديق يوما وروى لى تجربته مع « الحرية » التى افتقدها بعد الزواج .. لقد أراد أن يستعيدها ، فطلق زوجته ، كما فعلت أنا ، ولكنه كان محظوظا ، لأنه عندما أراد أن يبيع حريته ويستعيد زوجته مرة أخرى ، وخرج يبحث عنها ، وجدها هناك حيث تركها منذ عامين كاملين، فقد كانت تجلس في بيت والديها تنتظره !!

« قال لى صديقى : ان الحب قد يفتر ، ولكن العادة لا تموت . وقد تعودت الحياة معها وبجانبها ، فلما ذهبت لم أعد أشعر بطعم لهذه الحياة .. لقد أحسست أننى أقترب من نهاية الدنيا ..

« فالزواج عادة .. وعادات الزواج بكل ما فيها من خلافات ومنازعات ، تبعث على الراحة في النفس ..

« وقد يقال ان الرجل قد يجد في حب جديد وزواج جديد ما كان يصبو اليه من سعادة افتقدها في زواجه الأول .. وهذه أيضا خرافة فالزواج الجديد يولد عادات جديدة ، قد تختلف ، وقد لا تختلف عن عاداته القديمة .. وسرعان ما يكتشف أن عادات زواجه الأول كانت أفضل لأنها الأصل، ولأنها أول تجربة له مع الزواج !

وقصة اخرى

« كان لى صديق آخر ، صمم على أن يستعيد حريته ، فارسل زوجته « اليس » الى بيت امها وطلب اليها أن تبقى هناك مع طفليهما « جيرى وسام » ريثما ينتهى من اجراءات الطلاق . ثم استقل سيارته وانطلق بها الى الريف ليقضي يوما بعيداً عن جو البيت الذى الفه ومله !

« وفي الطريق ، شاهد الزوج بعض الأطفال الصغار يلعبون ويمرحون .. فاضطر أن يهدىء من سرعة سيارته حتى لا يصدم احدهم .. وما كاد يقترب منهم حتى راحوا يتصايحون ويجرون امام السيارة .. والتقت عيناه بواحد منهم فصرخ : « جيرى .. ماذا تفعل هنا ! » .

ونزل الأب من السيارة، واتجه الى حيث كان الطفل يقف على بعد خطوات منه ، وراح يتفرس في وجهه . ثم أطلق ضحكة عالية ، وقال : « اليس .. انظرى يا اليس انه يشبه ابننا جيرى شبها شديدا !! »

ولكن اليس لم تكن هناك لترى الشبه بين هذا الطفل الغريب وابنها جيرى !

عاد اليها !

« وعاد الأب الى سيارته، لا ليذهب الى الريف، بل ليعود من حيث أتى .. الى زوجته اليس ليرجوها أن تصفح عنه وتعود معه الى البيت !!

« لقد أيقن الرجل أنه لن يستطيع أن يبتعد عن زوجته اليس .. فقد تعود أن تكون دائما الى جواره تضحك لضحكاته وتتألم لآلمه ، وتشاركه الحياة بكل ما تحمله لهما ..

« انني لن أنسى ذلك اليوم الذى دق فيه جرس الباب وذهبت لأفتحه ، فوجدت امامي جارى الذى يسكن في الشقة المواجهة لشقتي مباشرة .. لقد جاء يدعونى لحضور حفل عيد زواجه ..

« واعتذرت .. قلت له انني مشغول بتاليف قصة جديدة .. ولكنه لم يقبل اعتذارى ، وصمم على دعوته ..

« وذهبت .. وبدأ المدعوون يصلون .. كل زوج يتأبط ذراع زوجته .. واخذ صديقي يقدمني لهم .. الى أن حان موعد العشاء .. وتناولنا الطعام ، ثم رحت ابحث لنفسي عن مكان هادىء في ركن بعيد ، وجلست أرقب الناس من حولى وهم يضحكون ويتسامرون ويتبادلون النكات .. وكان هناك رجل بدين يضحك لكل شيء ولا شيء ..ولكنه كان في كل مرة يهم باطلاق ضحكة تسارع زوجته الحسناء بالضحك هي الأخرى..فيشاركها المدعوون مجاملة لها .. »

« وقلت لنفسي أية حرية تلك التى يبحث عنها مثل هذا الرجل .. ؟ لو انه كان وحده وظـل يضحك طول الليل ، لما تحرك احد ليضحك معه ، أو يضحك عليه !

اشجـــان

« واحسست انني غريب بين هؤلاء القوم فقررت أن انصرف ، وبينما أنا أهم بالانصراف ، حدثت المفاجاة ، فقد وصلت احدى صديقات زوجتي مع زوجها ، ولم تكن تعلم شيئا عن افتراقنا .. وما كادت ترانى حتى اقبلت على وراحت تشد على يدى فى حرارة ، وتسألنى : « أين هى ؟ » وتركت يدها وانطلقت ابحث عن باب الخروج » .

رسالة الى زوجتى

« وفي ساعة مبكرة من صباح اليوم التالى ، كنت استقل سيارة في طريقى الى بيت والديها .. لقد قررت أن اعيدها الى .. وذهبت اليها ، وبحثت عنها ، ولكننى لم اعثر لها على أثر .. واخيرا قالت لى امها : لقد تزوجت مارى يا بول .. لقد انتظرتك طويلا .. انتظرتك ثلاث سنوات، ولما لم تعد قررت أن تبدأ حياة جديدة مع رجل جديد ..

« ومتى حدث هذا ؟

منذ اسبوعين فقط !

« اذن أعطها هذه الرسالة ..

« وجلست اكتب لها ، قلت : « الم يكن بوسعك أن تنتظرى قليلا .. كم تمنيت لو انك عدت الى .. وعدت أنا الى سجنك من جديد ! اتمنى لك حياة جديدة سعيدة !! » ■■

« بول »



صَيْدُ الرّبْيَان

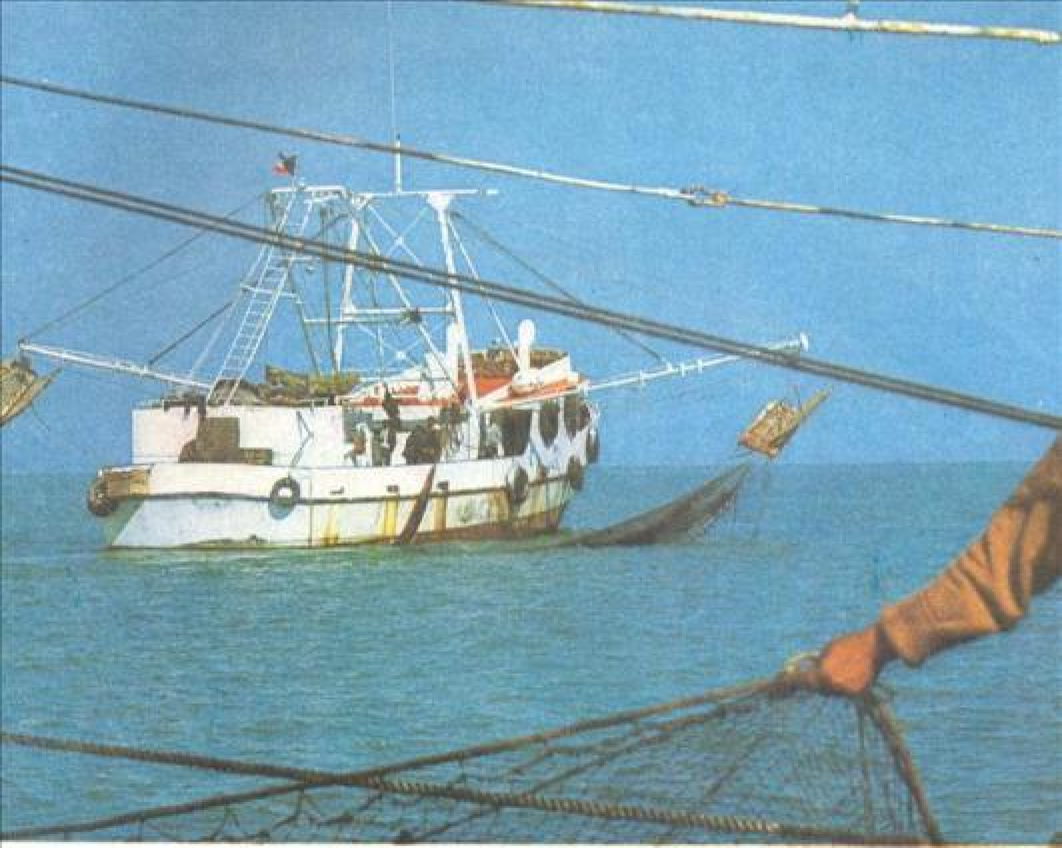
(الإربيان - الجنبري - القريدس)

مصدر من مصادر الثروة القومية في الكويت

أسطول من مراكب الصيد الكويتية يجوب مياه العالم

الى أسفل : مجموعة من الصيادين يقومون بفرز محصول صيدهم الوفير .. ومما يذكر أن بعض الأسماك التي تعيش بالقرب من قاع البحر تخرج في الشباك مع الربيان .. ويقوم الصيادون بالقاء هذه الأسماك الى البحر مرة أخرى . اذ انهم خرجوا لصيد الربيان فقط ..





هذه هي واحدة من اسطول صيد الربيان الضخم الذى تملكه الكويت ، والذى يجوب بحار العالم بحثا عن الصيد الثمين ..



تصوير

أوسكار مترى

الى اليمين : حركة نشيطة في ميناء الشويخ بالكويت ، قبل اقلاع سفن الصيد الى عرض البحر .

■ تعتبر الثروة السمكية في الكويت من أهم مصادر الدخل القومي للبلاد بعد البترول والصناعات البتروكيماوية .

ومياه الخليج العربي الهادئة تخفى تحتهـا ثروات هائلة من الربيان (الجمبرى) الذى تقبل على شرائه مختلف دول العالم وخاصة الولايات المتحدة الامريكية ودول اوربا الغربية .

ويعيش « الربيان » على الاعشاب الدقيقة الغنية بالمواد الغذائية تحت الماء وبالقرب من القاع بعيدا عن التيارات البحرية القوية . وعمليـة صيد « الربيان » على نطاق واسع عملية صعبـة وتتطلب معرفـة ودراسة وآلات حديثـة صنعت خصيصـا لعمليات صيد هذا الحيوان البحرى الصغير الذى توجد الاصناف الممتازة منه في قاع البحر وسط الرمال والاعشاب الدقيقة . ويعتمد وجود « الربيان » على عوامل كثيرة منها الطقس والتيارات البحرية ودرجة الملوحة في مياه البحر ونوع تربة قاع البحر . وقد توفرت كل الظروف والعوامل المناسبة لتكاثر « الربيان » في الخليج العربي وفي خليج المكسيك .

شركات صيد الربيان

ومن أجل استغلال هذه الثروة الطبيعية استغلالا مثمرا تم انشاء عدة شركات لصيد « الربيـان » في الكويت ، تمتلك كل واحدة منها أعدادا كبيرة من مراكب الصيد الحديثة المزودة بآخر ما أخرجته الصناعة في هذا الميدان . واقيمت ايضا مصانع التبريد والتجميد والتعليب التابعة لهذه الشركات.

ومن أكبر الشركات الكويتية لصيد الربيـان شركة الخليج لصيد الاسماك ، وقد تم تأسيسها في عام ١٩٦١ وهي أولى شركات الصيد الكبيرة في الكويت ، وقـد بلغ مجموع مـا قامت الشركـة باصطياده من الربيان في مياه الخليج العربي خلال الفترة من يوليو ١٩٦٤ حتى ابريل ١٩٦٨ حوالـي ٣٧ مليون رطل .

وتمتلك الشركة الآن ١٦٠ مركب صيد كلها مزودة بمعدات التصنيع الحديثة الخاصـة بالربيان ، وبالثلاجات . والى جوار هذه المراكب توجد ٤ بواخر أم تحتوى كل باخرة منها على مصنع لتعليب الربيان وثلاجات ومخازن عائمة . ويمكن لكل باخرة



محصول ضخم من الربيان خرجت به الشباك من قـاع البحر مختلطا ببعض الاسماك .. ويقوم الصيادون بعد ذلك بفـرز الربيـان ووضعه في الثلاجات الضخمة لحفظه من التلف .



تمتلك الكويت اسطولا حديثا من مراكب صيد الربيان وقد زودت مراكب هذا الاسطول بأجهزة اتصال لاسلكية حديثة بحيث يمكن من على ظهر أي مركب الاتصال بأي مركب آخر لتنسيق عمليات الصيد والبحث عن الربيان .

ام ان تقوم بتجميد ٦٠ طنا يوميا من الربيان . ولدى الشركة ٣ ثلاجات كبيرة سعتها الاجمالية ٤ الاف طن .

وفي عام ١٩٦٣ تم انشاء الشركة الكويتية الوطنية لصيد الاسماك التي تعاقدت مع النرويج على بناء أسطول حديث للصيد وقد بدأت الشركة نشاطها الفعلي في صيد الربيان في صيف عام ١٩٦٥ . وقد بلغ انتاجها من الربيان في عام ١٩٦٨ (١٥٠٢ طن) .. وتقوم الشركة الآن بانشاء مصانع كبيرة لطحن الاسماك وثلاجات ومخازن في منطقة الشعيبة وسيتم الانتهاء من هذا المشروع قبل نهاية عام ١٩٧٠ .

وفي عام ١٩٦٥ دخلت الى الميدان الشركة العالمية لصيد الاسماك وانشأت مصنعا للثلج ولتعليب « الربيان » الذي تقوم مراكبها باصطياده ، علما بان كل هذه الشركات كويتية .

ويوجد الى جوار هذه الشركات الثلاث بعض الشركات الصغيرة التي تمتلك الواحدة منها مركبا او مركبين للصيد وتقوم غالبا ببيع انتاجها للسوق المحلي ، اما اغلب انتاج هذه الشركات فيتم تصديره الى الخارج بعد تجميده وتعليبه طبقا للمواصفات العالمية .

مواسم صيد الربيان

لصيد الربيان في مياه الخليج العربي موسمان الاول في الفترة بين شهري فبراير وأبريل والثاني يقع في الفترة بين شهري اغسطس ونوفمبر .

ويتقلص الصيد خلال شهري يونيو ويوليو .. وقد اتفقت الشركات الكويتية على ايقاف عمليات الصيد خلال هذين الشهرين بالذات وذلك لتأمين تكاثر الربيان وتحسين أحجامه . وقد نجحت هذه التجربة الى حد كبير .

رحلة صيد

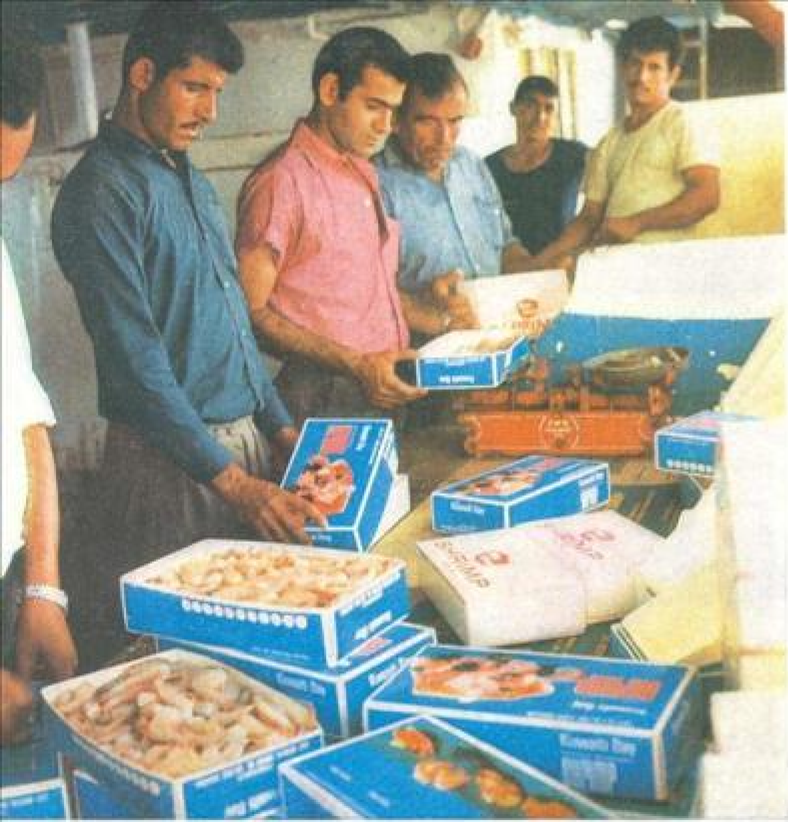
قامت بعثة « العربي » بمصاحبة احدى مراكب صيد الربيان في رحلة صيد لها .. وكانت تجربة مثيرة ننقل لك هنا تفاصيلها ..

مع أشعة الشمس الاولى تحرك بنا مركب الصيد « هامور » الى عرض البحر .. وما ان خرج من الميناء حتى كان سطحه يموج بالحركة .. كل واحد على سطح المركب يعرف تماما المهمة الملقاة على عاتقه .. فهناك من يفحص الشباك .. وهناك من يفحص الآلات الخاصة بفرز الربيان .. ومهندس التبريد يشرف على تجربة الثلاجات المجمدة Freezers ، الضخمة الذي سيحفظ فيها الصيد الثمين من التلف . وقبطان المركب يتصل باللاسلكي بالمركب الأم حتى توجهه الى مكان الصيد.. فالباخرة الأم مجهزة بجهاز لرؤية الاعماق بما فيها من صخور وأسماك.. وبها ايضا اجهزة لمعرفة عمق البحر . وعادة يكثر الربيان على عمق يتراوح بين ٣٠ر٨٠ قدما وهو يوجد ملاصقا للقاع .. وبينما كنا نتجاذب اطراف الحديث مع بحارة المركب وصياديه وناخذ منهم هذه المعلومات بدأت حركة غريبة على سطح المركب .. وبدأ البحارة يهرولون ، لقد صدرت الاوامر بالقاء الشبكة التجريبية الى الماء وهلل الصيادون .. لقد عثروا على مكان غني جدا « بالربيان » فقد

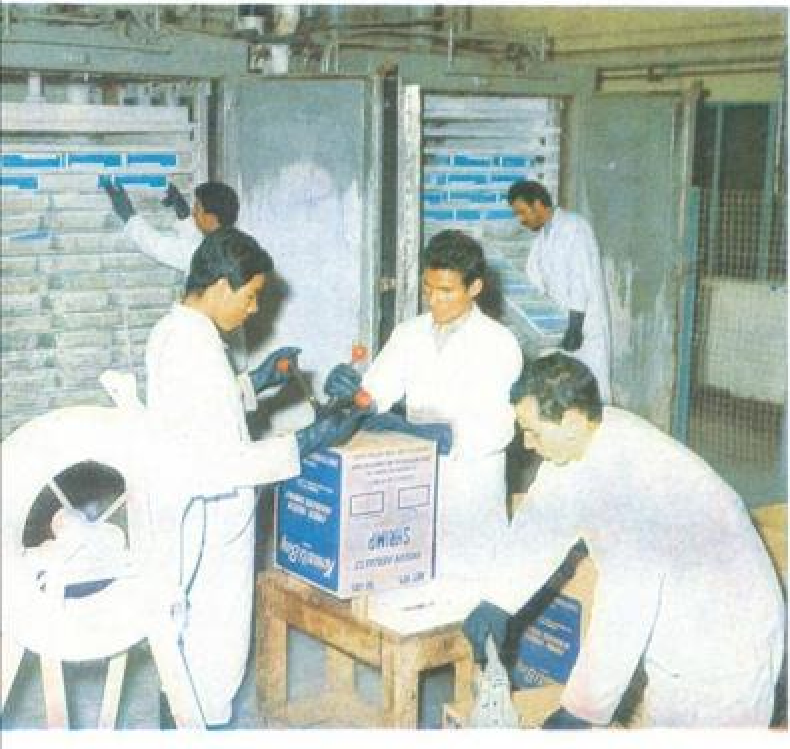


فوق : يتميز ربيان الخليج العربي بأحجامه الكبيرة .. ويتم تصديره الى أسواق العالم بعد قطع رؤوسه ، الا أنه اتضح اخيرا ان رأس الربيان يحوي مواد ذات فائدة كبيرة .. لهذا يدور التفكير حاليا من أجل انشاء مصنع خاص لتحويل هذه الرؤوس الى مسحوق يشبه الدقيق يتم تصديره الى البلدان البعيدة .

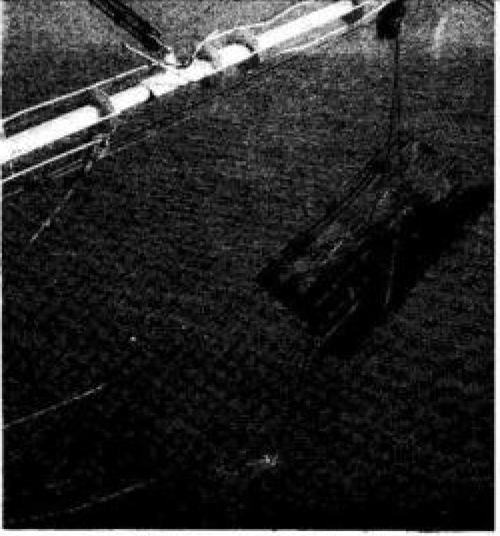
يتعرض الربيان للتلف اذا لم يتم ساعات من صيده .. لهذا جعلوا في خاصة لتعليبه بمجرد صيده ، الصورة الرئيسي بالكويت يتم وضع الربيان لتصديره في بواخر خاصة الى مختلف التي الى يسار هذا الكلام .







تعبئته وتثليجه بعد أربع
كل مركب صيد غرفة
الدنيا **الى اليسار** وفي المركز
داخل علب كبيرة استعدادا
انحاء العالم كما في الصورة



هناك شباك خاصة لصيد الربيان وفي الصورةواحدةمن هذه الشباك فيطريقها الى قاع البحر بحثا عن الربيان .

خرجت الشبكة التجريبية وبها ٢٥ من الربيان وهذا يعني أن المنطقة غنية ، ومن المعروف عندهم أن الشبكة اذا خرجت وبها ١٠ أو ١٢ من الربيان فهذا يدل على أن المكان صالح للصيد ، أما اذا وصل عدد الربيان بالشبكة الى ٢٥ فاكثر فهذا يعني أنالمكان غني جدا.. وبدأت الشباك الضخمة تعمل .. وكأنها تمسح قاع البحر .. وبدأ سيل الربيان يتدفق على سطحالسفينة .. وهدرتالآلات الميكانيكية تقوم بفرز الربيان .. ثم تم بعد ذلك وضعه داخل الثلاجات المجمدة خوفا عليه من التلف ... وتلت عملية القاء الشباك ورفعها بالصيد تتكرر حتى امتلات مخازن المركب بصيدها ..

وفي طريقالعودة كان لنا حديث طويل معالعاملين على مراكب الصيد .. وهم خليط غريب من جنسيات مختلفة وخبرات مختلفة عاشوا أعمارهم في البحار يبحثون عن رزقهم ..

أسطول صيد كويتي في بحار العالم

ومن خلال حديثنا تبين أن للشركة اسطولا ضخما يعمل في بحار العالم المختلفة فهناك ٦ مراكب تعمل في بورت مورسبي Port Moresby ، عاصمة غينيا الجديدة . و ٨ مراكب تعمل في مدغشقر . و ٦ مراكب في الحديدة .و١٣ مركبا في لاجوس بنيجريا و ٥ مراكب في ليبيريا . وقد قامت مراكب الشركة ايضا بالعمل في سنغافورة وماليزيا واندونيسيا ولكن نتائج الصيد لم تكن مشجعة فاوقفت نشاطها هناك .

وستبدا اساطيل الشركة في العمل بين غينيا الجديدة واستراليا في منطقة خليج كاربنتريا .

١٠ آلاف طن ربيان سنويا

عندما سألنا عن كميات الربيان التي يتم صيدها سنويا في الكويت لم نجد اجابة شافية اكيدة او احصائيات رسمية دقيقة ، وذلك لعدة اسباب اولها وجود عدد كبير من الصيادين الافراد . والشركات الصغيرة تقوم بالصيد وبيع انتاجها في اسواق الكويت دون عمل اية احصائيات . وثانيها ان المواسم تختلف من حيث الكميات .. ففي عام ١٩٦٧ كان موسم صيد الربيان سيئا للغاية .. بينما تحسن في عامي ١٩٦٨ و ١٩٦٩ ولكن موسم عام ١٩٧٠ لا يبشر حتى الآن بانه موسم جيد .

وبالرغم من عدم وجود رقم دقيق عن كميات الربيان الناتجة من مصايد مياه الكويت فان الرقم التقريبي لهذه الكميات هو حوالي ١٠ آلاف طن سنويا .. تستهلك منها الكويت مالا يزيد على ٥٠ أو ستين طنا سنويا وهي نسبة لا تربو على ٦ر٠٪ من نسبة الانتاج الكلي .

مشاريع المستقبل

وانتقلنا من مراكب الصيد الى مصانع التعليب والتجميد المقامة في منطقة الشويخ الصناعية .. وتقوم هذه المصانع بفرز الربيان وتقشيره وطبخه .. وقد استطاع مهندسو شركة الخليج صنع ماكينات فرز الربيان محليا ، مما جعل الشركة تستغني عن استيراد هذه الماكينات من الخارج . كما يتم ايضا صنع شباك الصيد محليا حسب المواصفات التي يتطلبها العمل . وكذلك تصنع الشركة جرافات الصيد حسب ما يتناسب مع مراكبها باحجامها المختلفة . ومن ضمن المشاريع التي تقوم الشركة بدراستها حاليا حوض جاف لبناء مراكب الصيد محليا .

الاسواق العالمية

يلقى «الربيان» الذي تصدره الشركات الكويتية رواجا كبيرا في الاسواق الخارجية وخاصة في

اسواق امريكا وفرنسا واليابان . وتعتبر السوق الامريكية اهم الاسواق العالمية لانتاج الشركات الكويتية وهم يفضلون انواع الربيان الكبيرة الحجم والتي تجمد بعد نزع راسها عنها . وقد تلقت الشركات الكويتية اخيرا عرضا من احدى بلاد الشرق الاقصى تطلب فيه شراء رؤوس الربيان المطحونة لاستعمالها كغذاء غني بالبروتين .

ويلقى الربيان الصغير الحجم رواجا في اسواق اوروبا واسواق الولايات الغربية في امريكا .

وتزداد المنافسة الان بين انتاج الكويت وانتاج خليج المكسيك على اسواق الولايات المتحدة الامريكية .

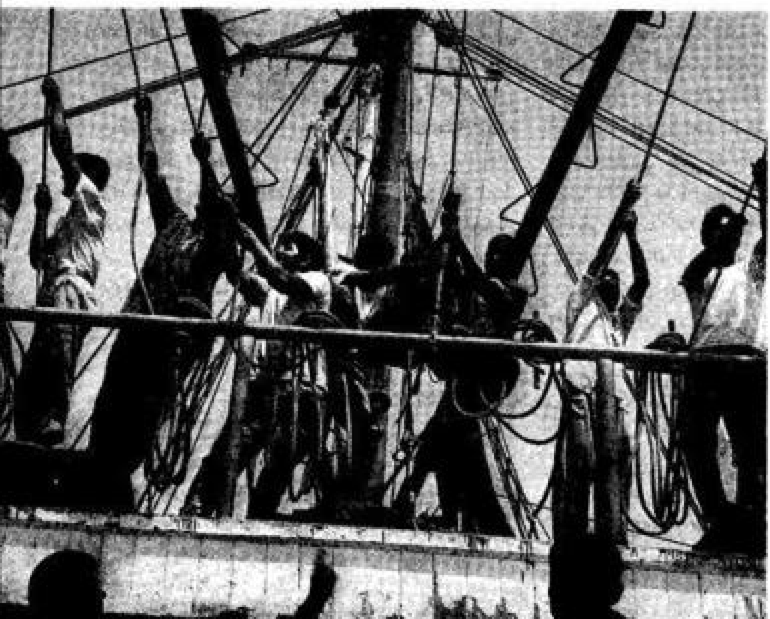
كيف تحافظ الكويت على ثروتها من الربيان ؟

بقي سؤال وهو : هل يؤثر استهلاك الصيد المتزايد لربيان الخليج على الحصيلة الطبيعية لهذا الخليج من الربيان .. ؟ !

وقد سالنا بعض المختصين في امور الثروة السمكية فقالوا .. « لقد اهتمت الكويت بالمحافظة على ثروتها السمكية وقامت عن طريق معهد الكويت للابحاث العلمية ومراقبة الثروة السمكية بالقيام بعملية مسح سمكي محيطي جغرافي (اوقيانوغرافي) للخليج العربي في شهر ديسمبر ١٩٦٨ ، لتوضيح الحالة الراهنة لمصادر الثروة السمكية في الخليج العربي والمياه المتاخمة له . ومن أجل هذا تم وضع خطة طويلة لبرنامج الابحاث للسنوات من ١٩٦٨ الى ١٩٧٢ . والى جانب هذا فقد وافقت الكويت على تنظيم عمليات الصيد في مياهها بحيث لا تقضي على الثروة الطبيعية للربيان نتيجة زيادة الصيد عن التكاثر الطبيعي . كما اجرت بحوثا كثيرة عن عمليات تكاثر الربيان وذلك بمساعدة الشركات المختصة بعمليات الصيد . وكمحاولة اخرى لزيادة انتاج الكويت من الربيان تم انشاء مزرعة للربيان يشرف عليها خبراء عالميون لتحسين النوع والتحكم في الحجم وقد نجحت التجارب الاولية للمشروع وهو في طريقه للتوسع . اما شركات الصيد فقد تنبهت هي الاخرى لخطورة زيادة عمليات الصيد عن التكاثر الطبيعي فاتفقت فيما بينها على ايقاف عمليات الصيد لمدة شهرين كل عام هما يونيو ويوليو وذلك لاتاحة الفرصة لتكاثر الربيان ونموه .

من هذا يتضح ان المسئولين لم تفتهم اهمية المحافظة على الثروة السمكية للبلاد والعمل على تنميتها ايضا .

هذه هي صورة سريعة لصناعة جديدة في الكويت .. هي في الحقيقة امتداد وتطوير لاقدم صناعة عرفتها البلاد . ■■



كل واحد على ظهر مركب الصيد له عمل محدد يقوم به ويعرفه تماما وفي الصورة فريق من الصيادين يقوم بسحب الشباك بعد أن امتلأت بالصيد الثمين .

١٠ وصـايا..

بقلم : الدكتور علي أحمد علي

■ لا شك ان نجاح الفرد في حياته العملية يعتبر من الامور الهامة ، فنجاح الفرد فى حياته العملية يعنى نجاحه في عمله أو في وظيفته أو في مهنته . وهذا النجاح يؤثر ولا شك على حياة الفرد كلها، ذلك لأنه قد ثبت بالدراسة والبحث أن التكيف الكلى للفرد ورضاه عن نفسه يتوقف الى حد كبير على نجاحه المهنى .

والنجاح في الحياة العملية لا يعنى فقط النجاح في العمل أو المهنة ، ولكن يعنى ايضا أن يكون الفرد مركز قوة في مجتمعه ، يحبه الناس ويطلبون صحبته ويقبلون عليها . والنجاح في الحياة العملية ان يكون الفرد ذا تأثير حسن وفعّال في الأفراد الذين يتعامل معهم . والواقع ان الوصول الى هذا النجاح المطلوب في الحياة العملية أمر ليس سهل المنال ، ولكن ببذل الجهد ومحاولة الفرد تحسين ذاته فانه يمكنه تحقيق هـــذا النجاح . ونقدم في هذا المقال وصايا عشر ثبتت فعاليتها ونتيجتها المضمونة في مساعدة الفرد على النجاح والتقدم في الحياة العملية . ولكن المهم أن تؤخذ هذه الوصايا ماخذ الجد ، بحيث يظهر اثرها في شكل تعديل وتغيير الى الأفضل في سلوك الفرد العقلي والاجتماعي والانفعالي ، وفي تدعيم علاقاته بالآخرين في كل مجالات عمله ونشاطه . وهــذه الوصايا العشر هي : ــ

١ ــ حاول أن تفهم نفسك :

وقد يرى البعض هذا المطلب صعب المنال . ولكن الفرد يمكنه أن يزيد من فهمه لنفسه وذلك عن طريق التعرف على مواطن القــوة ومواطــن الضعف في نفسه ، فيعمل على تدعيم مواطــن القوة وتزكيتها ، ويعمل على تجنب مواطن الضعف ويحاول مواجهتها . والفرد اذا زاد مــن فهمــه لنفسه سيكون أقــرب للموضوعية عند اختياره لعمل أو وظيفة . وفهم النفس يعنى أن يحاول الفرد فهم نفسه من خلال المشكلات التى تواجهه في حياته العملية ، فاذا واجهته عدد من المشكلات والمصاعب لا يحاول القاء سببها على الغير ولا يتهم غيره بخلق هذه المشكلات ، ولكنه ينظر الى نفسه لعله يجد في سلوكه ما أسهم في خلق هذه المشكلات. وفهم النفس يعنى ايضا الا يكلف الفرد نفســه فوق طاقتها « لا يكلف اللــه نفسا الا وسعها » فيضع لنفسه أهدافا واقعية Realistic Goals يمكنه بامكاناته وقدراته الحالية الوصول اليها ، ويبتعد بقدر الامكان عن الأهداف الخيالية غير الواقعية والتى سيفشل حتما فى تحقيقها .

٢ ــ درب نفسك على التفكير المنطقي :

فالتفكير المنطقى يعتبر اهم سلاح يواجه بــه الفرد مواقف الحياة المتغيرة والمتنوعة . فمهمــا جمع الفرد من معلومات وخبرة ومهما قرأ مــن كتب فلن يفيده هذا في مواجهة مشكلات الحياة

للنّجاح في الحَيَاة العَمَلِيَّة

العملية مثلما يفيده تزوده بأسلوب للتفكير المنطقي يساعده على تحليل المشكلات التي تواجهه تحليلا علميا ، ويضع الحلول المناسبة لهذه المشكلات . وليحذر الفرد التفكير المشوه Distorted Thinking الذي قد يؤدي الى تجسيم المشكلات التي يواجهها الفرد بدلا من حلها . ومن الأمور التي يجب أن يراعيها الفرد في الحياة العملية أن ينظر الى المشكلات التي تقابله نظرة موضوعية Objective ومحايدة حتى لا يجد نفسه متحيزا نحو حل معين قد لا يكون أصلح الحلول لهذه المشكلة ، وأن يجمع أكبر قدر من المعلومات والبيانات عن هذه المشكلة قبل أن يتجه الى حلها .

٣ ـ واجه الحياة العملية بالاستبشار والتفاؤل :

فالتفاؤل يعتبر حافزا للفرد على التقدم ، كما أن التفاؤل ييسر على الفرد الجهد الذي يبذله . والتفاؤل يجب أن يكون معقولا لأن الاسراف في التفاؤل يعتبر سلوكا مرضيا يحتاج الى علاج . وعلى الشخص الذي يريد نجاحا في حياته العملية أن ينظر الى هذه الحياة نظرة ملؤها التفاؤل والاستبشار ، وأن يقبل على عمله متوقعا الخير والا يغلق قلبه وعينيه عن النواحي الجميلة الكثيرة في هذه الحياة .

٤ ـ شارك الناس مشاعرهم وأحاسيسهم :

وسواء أكان هؤلاء الناس زملاء عمل أو رؤساء أو مرؤوسين ، فان مشاركة هؤلاء الأفراد مشاعرهم وأحاسيسهم تعتبر أمرا ضروريا ولازما . وهذه المشاركة تتمثل في استماعك الى مشكلات غيرك بقدر من المشاركة ، واسهامك معهم بقدر جهدك في حلها . والمشاركة تعني أن تفرح لفرحهم وأن تحزن لحزنهم وأن تقلق لقلقهم ، « فما استحق أن يولد من عاش لنفسه فقط » . وتعني المشاركة أيضا أن تجامل الناس في مختلف المناسبات التي تقتضي منك مجاملة ومشاركة ، وتأكد أنك دائما تعيش مع الناس وبالناس .

٥ ـ لا تكن مغرورا أو متعاليا :

فبعض الشباب يدخلون الحياة العملية وهم يعتقدون خطأ بأنهم قد حصلوا كل شيء ، وأنهم فوق كل نقد أو توجيه . وهم بذلك يصمون آذانهم عن كل نصح أو ارشاد أو توجيه . والشخص المغرور عادة ما يكون مكروها من الغير ، وعادة ما يكون هذا الشخص المغرور قليل الأصدقاء ، أما الشخص المتواضع الذي لا يتعالى على الغير والذي يتقبل النقد والمشورة والتوجيه ، فعادة ما يكون محبوبا من الأفراد الذين يتعامل معهم ، ولنحاول دائما ونحن ندخل سوق العمل والحياة العملية أن نستمع الى نصيحة لقمان عليه السلام لابنه وهو يعظه : « ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الارض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور ، واقصد في مشيك واغضض من صوتك ، ان أنكر الأصوات لصوت الحمير » . فلنأخذ الحكمة من قول لقمان عليه السلام والا نتعالى على الناس والا نرفع أصواتنا في نقاش أو عتاب ، فان الصوت المرتفع دليل على العجرفة

والتكبر . وكثيرا ما يكون هذا الصوت المرتفع مجرد كلام اجوف بلا مضمون أو حقيقة .

ومن النصائح الهامة فى هذا المجال الا يكثر الفرد الحديث عن نفسه اذا وجد نفسه في صحبة غيره من الافراد . فالناس يكرهون الشخص الذى يكثر الحديث عن نفسه ويغالى في اطراء ذاته وقد ذكر العالم باسكال هذه الكلمة المأثورة : « اذا اردت أن يطريك الناس ، فتوقف عن اطراء نفسك امامهم . وعلى الفرد اذا كان يريد توثيق صلته بغيره من الافراد ، واذا اراد أن يحظى بتقديرهم ومحبتهم ، الا يكثر من استخدام كلمة انا في حديثه والتى تدل على الفردية والانانية ، وليحاول أن يمنح غيره الفرصة للكلام عن أنفسهم واظهار أهميتهم » .

٦ ـ لا تجزع لفشل واتخذ من الفشل طريقا للحياة :

فالحياة العملية طريق محفوف بالشوك ، ونذر أن يوجد شخص نجح نجاحا كبيرا في الحياة العملية دون أن يكون قد ذاق مرارة وقسوة الفشل . ولكن الشخص الذى يريد نجاحا لنفسه في الحياة العملية يجب الا يجزع لفشله ، ولا يجلس ويبكى على اللبن المسكوب ، فهذا الجزع وهذا البكاء لن يفيد الا في استنزاف جهد صاحبه ودفع اليأس الى قلبه واذا درسنا حياة الكثير من رجال المال والاعمال الكبار ، نجد الكثيرين منهم ذاقوا مرارة الفشل والفقر والحرمان ، ولكنهم خرجوا من كل هذا منتصرين يشقون طريقهم الى المجد والى القمة . ومع نصيحتنا للفرد بالا يجزع من الفشل ، فاننا نطلب منه أن يدرس أسباب فشله عله يجد في ذلك عظة أو عبرة تباعد بينه وبين الفشل مستقبلا او الوقوع في نفس الإخطاء . وليضع الفرد نصب عينيه ان الفشل هو ضريبة النجاح والتقدم .

٧ ـ اجعل يوم دخولك فى الحياة العملية بداية تعلم طويل وشاق :

فالتعلم داخل المدرسة وداخل الفصول الدراسية شيء ، والتعلم من الحياة شيء آخر . ومن المهم أن تؤمن بأن التعلم عملية متصلة « من المهد الى اللحد » والتعلم قد يكون من خلال القراءة الحرة والاطلاع المستمر . واكتساب الخبرة والتعلم قد يكون من خلال الاحتكاك بالخبرة في الحياة العملية . وعلى الفرد أن يدعم شخصيته برصيد كبير من الخبرات يمكنه من التعامل بحكمة وبصيرة مع مختلف المواقف والافراد . ويجب على الفرد أن يتأكد من أنه لا توجد سن معينة للتعلم ، فحتى في سن الشيخوخة ، يستطيع الفرد أن يمضى فى تعلم واكتساب خبرات ومهارات جديدة ومن المهم أن يضع الفرد علمه في خدمة مجتمعه وفي خدمة الناس ، لانه لا خير في علم لا ينفع الناس .

٨ ـ كن عف اللسان ، قليل الكلام :

فالكلمة الطيبة صدقة . والكلمة الطيبة لها فعل السحر على الناس . فكلمة مثل : « من فضلك » أو « لو سمحت » اذا بدات بها طلبا معينا من الغير يكون لها عادة اثر طيب على نفس الأفراد الذين تتعامل معهم . ولا تحاول الاساءة الى الغير باللفظ النابى أو الكلمات الجارحة . ولا تكثر في الكلام واجعل كلامك في أضيق الحدود واعلم انه اذا كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب . وتعلم كيف تستمع وتنصت الى ما يقال ، وأن تحسن الانصات . فعن طريق الانصات الجيد يمكنك أن تكتسب الكثير من المعلومات والخبرات .

ويتصل بهذه النقطة الا يكثر الفرد نقد غيره حتى ولو كان هذا النقد في محله ، وحتى ولو كان هذا النقد بناء ، لان الناس يكرهون من يواجههم بعيوبهم ونقائصهم . وهذا لا يعنى أن يتوقف الفرد نهائيا عن نقد غيره ، ولكن يحسن أن يكون هذا النقد بأسلوب غير مباشر ، وأن يتضمن هذا النقد ليس فقط الجوانب السيئة في الموقف، بل يجب أن يتضمن أيضا الجوانب الايجابية . والواقع أن الفرد اذا نظر الى نفسه وادرك عيوبه

ونقائصه فان ذلك سيجعله اكثر تسامحا مع اخطاء الغير التى ارتكبت بحسن نية وبغير قصد . والنصيحة الغالية التى توجه للفرد انه اذا وجد خطأ معينا يرتكبه الغير أن يدعهم يصححون اخطاءهم بانفسهم ، فان هذا ادعى الى تقليل مقاومتهم وعنادهم واصرارهم على الخطأ .

٩ ـ لا تتوقع جزاء عاجلا على كل عمل تقوم به :

فبعض الناس لا يقومون بعمل صالح نافع ما لم يكن الثواب حاضرا او العائد المادى الذى يعود عليهم مؤكدا وواضحا لهم كل الوضوح . ولكن هذا الاتجاه المادى يقلل من شان الفرد في أعين الناس . فاذا اردت أن تحظى بتقدير زملائك ورؤسائك فاستمر في اداء عملك على أكمل وجه غير منتظر جزاء او شكورا وتأكد ان العائد المادى والادبي سيرتد اليك في يوم من الايام . وقم بالعمل الصالح وساعد الناس ويسر امورهم ، وضع نصب عينيك قول الله سبحانه وتعالى : « أما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض » فأدّ عملك على الوجه الأكمل وافعل الخير وقدم للناس المساعدة والعمل الصالح، لا تتعجل المثوبة والجزاء الذى سيأتى اليك في يوم من الايام . واعلم علم اليقين انه من جد وجد ومن زرع حصد . وتمثل قول الشاعر :

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه
لا يذهب العرف بين الله والناس

١٠ ـ آمن بأن الناس مختلفون :

عند تعاملك مع الناس أيا كان مجال هذا التعامل ، لا بد من الايمان بالفروق الفردية القائمة بين الناس . فمن بين الاعداد الكبيرة من الناس الذين تتعامل معهم ، لن تجد اثنين متشابهين في كل شيء . فالناس مختلفون في اشكالهم والوانهم ، وفي اطوالهم واوزانهم . والناس مختلفون في شخصياتهم ، والناس مختلفون ايضا في قدرتهم على التعبير عن انفعالاتهم ، والناس مختلفون فوق ذلك في نواح كثيرة مثل : قدرتهم على التركيز والمثابرة ، وقدرتهم على تحمل المسئولية والتعاون . والواقع أن الايمان بالفروق الفردية يفرض على الفرد أن يراعى ذلك عن يقين عند تعامله مع غيره من الافراد ، فمثلا لا يتوقع هذا الفرد عند تعامله معهم أن يجد منهم جميعا نفس المعاملة أو يحصل على نفس مستوى العمل او يطلب منهم جميعا أن يستجيبوا استجابة واحدة أو يتصرفوا تصرفا واحدا في مواجهه موقف معين ، ولا شك ان الفرد اذا توقع هذا ، يكون قد وقع في الخطأ واغفل حقيقة الفروق الفردية القائمة بين الناس . ولا شك أن معرفة الفرد للفروق الفردية بين الناس وايمانه بحقيقة هذه الفروق بمكانه من حسن التعامل مع هؤلاء الافراد الذين يتعامل معهم على علاتهم : بمزاياهم وعيوبهم ، بكمالهم ونقائصهم لانه لن يستطيع أن يصنع الناس على هواه .

الخلق الطيب يتوج الوصايا العشر جميعا :

واذا كانت الوصايا العشر السابقة تشكل خطة عمل تحدد اطار سلوك الفرد وحدود علاقاته ومعاملاته مع الغير ، اذا أراد الفرد لنفسه نجاحا في الحياة العملية ، فان هذه الوصايا العشر يتوجها ويغلفها الخلق الطيب الذى يجب أن يتحلى به الفرد من صدق وامانة ورحمة وتقوى ومراعاة لحدود الله . وليكن شعار الفرد دائما في معاملته للناس في الحياة العملية ان يعاملهم بمثل ما يجب أن يعاملوه به . ■■

علي احمد علي
استاذ مساعد العلوم النفسية والتربوية
بالمعاهد العالية التجارية ـ القاهرة

الأغاني

بقلم : عبد الستار فراج

■ بعد أن استقر العرب في الدول التي نشروا فيها الاسلام ، امتزجوا بأهل البلاد ، وتبادلوا الثقافات والآداب ، وظفروا من الأمم العريقة في الحضارة بنصيب كبير من زهرة الدنيا وزينتها ، وبهجة الحياة ومتعتها ، في المأكل والملبس ، والمسكن والفراش ، والزخارف والنقوش ، والطرب والسماع ، غير مقصرين في ثقافة ، ولا عاجزين عن وصف ما نالوا وما ادركوا ، في اساليب جميلة ، وعبارات رشيقة . وابرز ما كان هذا كله في العصر العباسي الذى جنى ثمار الامتزاج والاختلاط بذوى الحضارات العريقة في كل اتجاه .

وللنغم الحلو قوة ساحرة تأخذ بالألباب ، سواء أكان ذلك في بداوة أم في حضارة . وسواء أكان المغني من الاناث أم من الذكور . ويزيده روعة اذا اقترن بالجمال والشباب . في مجالس تطيب اجواؤها وتتلألأ أضواؤها ، وتهفو فيها النسمات عليلة ، مضمخة بأريج الأزهار وعبيرها . ونفح العطور وذكائها .

ولكل جيل ألحانه ، ولكل صنع انغامه وطرائق ايقاعه على آلات اللهو والطرب ، من ضرب على الأوتار ، أو نقر بالدفوف ، أو نفخ في المزامير . بين خفوت وارتفاع وامتداد وانقطاع . وهمس وجهر . وحدة ولين وآهات وأنين .

وقد وضعت لمجرى الأصابع على ثقوب الآلات وأوتارها قواعد يعرفها اهل الفن ، سموها لحنا .. وسموها صوتا ، وسموها « نغما » وسجلناها على الورق في عهدنا الحاضر وسميناها باسمها الافرنجي « نوتة موسيقية » .

والغناء يكون في الشعر ، لأن الشعر له أوزان منغمة ، وقد تكون للشاعر حياة فيها احداث . وقد تجرى بسبب الشعر قصة ، وربما وقع للمغنى والمغنية ما يُحكى ويُروى ، وربما حيكت حولهما أساطير ومأثورات ، الى غير ذلك من اقوال واحاديث .

اختيار الأصوات

وللفراغ والرخاء الأثر الأول في البحث عن كل هذا ، والعناية به وتتبعه ، فليس عجيبا اذن من هارون الرشيد ، وهو الذى يمثل عهده قمة الخيال والاحلام عند الشرق والغرب ، أن يطلب من اعظم المغنين في عهده أن يختاروا له مائة صوت من بين الغناء كله .

ثم يجيء الخليفة العباسي الواثق بالله ، وكانت له في الغناء صنعة ، فيأمر اعظم المغنين في عهده اسحاق بن ابراهيم الموصلي أن يختار له ما يرى انه أفضل مما كان اختير في عهد جده هارون .

أبو الفرج يؤلف فيها

ثم تمر الأعوام عشرات ، ويجيء أبو الفرج

كانَ الصَّاحِبُ ابنُ عبَّادٍ إذا سافرَ استَصحَبَ معَهُ أحمالاً مِنَ الكُتُبِ على عدَّةٍ مِنَ الإبلِ فلمّا ظفرَ بالأغاني استَغنَى باستِصحابِهِ عَنْ غيرِهِ مِنَ الكُتُب.



الاصفهاني (١) فيؤلف كتابا يبلغ الغاية في الروعة ، والنهاية في الابداع .

وقل من لم يسمع بكتاب « الاغاني » لابي الفرج الاصفهاني . بل ندر من لم يقرأ شيئا من كتاب الاغاني ، لانه حينئذ لا يكون له في الادب الرفيع نصيب .. وان شهرة كتاب الاغاني من يوم أن ألف وحتى يومنا ترددت في كل بلد عربي ، وفي كثير من غير البلاد العربية ، وسيظل اسمه مترددا ما دام على الارض ناطق باللغة العربية ، لا يخلو من قارىء له ، او ناقل عنه ، او سامع بعض ما جاء فيـه .

ذلك أن صاحبه ابا الفرج اودعه من الاشعار والاخبار ، واللطائف والطرائف ، ما لم يقع في كتاب مثله . فصار غاية يسمو اليها كل مثقف ، ويتطلع اليها كل اديب ومتادب .

وما حمل احد نفسـه على قراءة بعض هـذا الكتاب الا شغف به حبا ، واكب عليه قراءة ، واوغل فيه استقصاء ، ثم خرج من كل هذا بثروة واسعة في الثقافة واللغة والاسلوب الفني البليغ . اما القصص التى تتناثر في اثنائه ، فتمتاز بحسن العرض ، وجمال السبك ، ودقة الملاحظة .

وكل اعلام الادب ممن مضى ومن بقي وممن سياتون يذكرون او سيذكرون فضله عليهم في اساليبهم الممتازة وعباراتهم الرائقة .

كلام صاحب الأغاني عما فعل

ولندع صاحب الكتاب يعرض علينا بعض ما قاله عنه ، مقدما له ، حاكيا عن نفسه وفعله .

« هذا كتاب الفه علي بن الحسين بن محمد القرشي ، الكاتب المعروف بالاصبهاني وجمع فيه ماحضره وامكنه جمعه ، من الاغاني العربية قديمها وحديثها ، ونسب كل ما ذكره منها الى قائـل شعره . وصانع لحنه ، وطريقته من ايقاعه ... ولم يستوعب كل ما غنّي به في هذا الكتاب ، ولا أتى بجميعه ، اذ كان قد افرد لذلك كتابا مجردا من الاخبار ، ومحتويا على جميع الغناء المتقدم والمتاخر ، واعتمد في هذا الباب ـ على ما وجد لشاعره أو مغنيه ، او السبب الذى من اجلـه قيل الشعر ، او صنع اللحن ـ خبَرا يستفاد ويحسن بذكره ذكر الصوت معه ، على اقصر ما امكنه ، وابعده من الحشو والتكثير بما تقل الفائدة فيه .

وأتى في كل فصل من ذلك بنتف تشاكله ،

---

(١) الاصفهاني ويقال أيضا الاصبهاني ، ذلك ان بلده تنطق بالفاء وبالباء .

ولمُتع تليق به ، وفِقَرٍ اذا تاملها قارئها لم يزل متنقلا بها من فائدة الى مثلها ، ومتصرفا فيها بين جدّ وهزل ، وآثار وأخبار ، وسِيَرٍ واشعار ، متصلة بايام العرب المشهورة واخبارها المأثورة ، وقصص الملوك في الجاهلية ، والخلفاء في الاسلام ، تجمل بالمتادبين معرفتها ، وتحتاج الأحداث الى دراستها ، ولا يرتفع مَنْ فوقهم من الكهول عن الاقتباس منها ، اذ كانت مُنتخبة من غُرر الأخبار ، ومنتقاة من عيونها ، وماخوذة من مظانّها ، ومنقولة عن أهل الخبرة بها ، فصدّر كتابه هذا وبدأ فيه بذكر المائة الصوت المختارة لأمير المؤمنين الرشيد رحمه الله تعالى » ...

وبعد ان يذكر انواع ما جاء به وما اضافه من الالحان يقول ...

« واتبع ذلك باغاني الخلفاء وأولادهم ، ثم سائر الغناء الذى عرّفَ له قصة تستفاد ، وحديثا يستحسن ، اذ ليس لكل الاغاني خبر ، ولا فى كل ما له خبر فائدة ، ولا لكل ما فيه بعض الفائدة رونق يروق الناظر ويلهى السامع » ...

كانت غايته الغناء واصحابه

ولم يكن الهدف من تاليف الكتاب هو الشعراء ، وانما الغاية من تاليفه ذكر الغناء والمغنين . والغناء يجرى فيما قاله الشعراء ، لهذا جاء ذكرهم تبعا ، لكن ما كتبه عنهم من انساب واخبار وطرائف ، ومن نقد للشعر أو استحسان صيّرهم بحيث يبدو للقارىء انهم هم المقصودون بالتاليف ، مما جعل كتابه مرجعا أدبيا وتاريخيا حافلا ، لا سيما ان طرائق الغناء المذكورة استبْهَمَ بعضُ شرحها على طول الزمن ، وجدّتْ بدّلتها انواع وأشكال وفنون . وظلت الأساليب الأدبية ، والاوصاف الباهرة ، والمعاني العميقة ، والألفاظ الرشيقة ، تتحدى الزمن عذوبة وحلاوة ، تقيم الالسنة وتيسر الصياغة البارعة لمن شاء .

وقد نبهنا الى انه لم يصنفه ابوابا على طرائق الغناء ، أو على طبقات المغنين في أزمانهم ومراتبهم ، او على ماغنى به من شعر شاعر ، وانه لم يستوف في الموضع كلّ ما قيل .

ثم بَيّنَ المانعَ من ذلك والباعث على ما فعل واضاف الى ذلك قوله :

« وكذلك تجرى أخبار الشعراء ، فلو اتينا بما غنى به في شعر شاعر منهم ، ولم نجاوزه حتى نفرغ منه ، لجرى هذا المجرى : وكانت للنفس عنه نَبوة ، وللقلب منه مَلَة ، وفي طباع البشر محبة الانتقال من شيء الى شيء والاستراحة من معهود الى مُستجدّ ، وكل مُنتقَل اليه أشهى الى النفس من المنتقَل عنه ، والمنتظر أغلب على القلب من الموجود ، واذا كان هذا هكذا ، فما رتبناه أحلى وأحسن ، ليكون القارىء له بانتقاله من خبر الى غيره ، ومن قصة الى سواها ، ومن اخبار قديمة الى مُحدَثة ، ومَليكٍ الى سُوقة ، وجِدّ الى هزل ، أنشط لقراءته ، وأشهى لتصفح فنونه ، لا سيما والذى ضمّنّاه اياه أحسن جنسه . وصفْو ما أُلّف في بابه ، ولُباب ما جُمع في معناه » ...

طريقة الاسناد أساس فى طريقة الرسائل الجامعية

والحق ان الكتاب حافل بالأخبار والآثار التى لا تملها النفس . كل هذا يسوقه بطريقة السند الى من كان أصلا في النص المرويّ . أو الكتاب الذى نقل منه ، فهو أمين فيما يسرد علينا .

والرسالات والأطروحات الحديثة التى تقدم في الجامعات لنيل الدرجات العلمية يحرص مؤلفوها على ان يذكروا في الهامش مراجعهم التى اعتمدوا عليها . واخذوا منها ذاكرين بعد ذلك طبعتها وتاريخها ومؤلف الكتاب .

وما كان عمل الأقدمين الذين يسندون كل خبر او حديث الى قائله او الكتاب المنقول عنه ، الا أساسا ودعائم ، بُنيت عليها تنظم الرسائل والاطروحات الجامعية ، لا فرق بين هذا وذاك ، فكل من السابق واللاحق أمين فى نقله ، حريص على أن ينسب الفضل الى ذويه ، ويتبين مدى الجهد المبذول في البحث والاستقصاء وكثرة المراجع .

ويجد أكثر المتادبين في عصرنا أن المشكلة التى يضيقون بها في مثل كتاب الأغاني هي كثرة الأسانيد « حدثنا فلان عن فلان ... ... » وتعدد الرواية للخبر الواحد لاختلاف في الفاظ أو لاختلاف أحد الرواة . وتلك كانت احدى الميزات التى يعتزّ بها المؤلفون القدامى ، ليوثقوا عملهم وليبرئوا أنفسهم مما قد يكون في الخبر من غرابة . والذين يُعنَون بالتمحيص والتدقيق يهمهم أن يعرفوا رواة الأخبار ، بعد أن يعرفوا شيئا عن حياتهم ، ومدى صدقهم وصلتهم بالأحداث ، ومن

هذا يستطيعون الحكم على النص ومدى الاستعداد لتقبله والرضا عنه .

والحق أن المشتغلين بالدراسات الأصيلة ، والباحثين وراء الخبر الصحيح ، ينتفعون كل الانتفاع بذكر الرواة ، لان ذلك يرشدهم الى المنبع الذى تسلسل عنه الخبر ، وبعض الرواة له كتب طبعت في عهدنا ، أو ما تزال مخطوطة وتحتاج الى تصحيح وتحقيق لسوء خطها ، أو لنسيان حدث من ناسخها . فمثلا لابن الكلبي كتاب في الانساب ولابن سعد كتاب في التراجم يسمى الطبقات ، ولابن سلام كتاب في طبقات الشعراء . وللبلاذرى كتاب اسمه أنساب الأشراف وكتاب اسمه فتوح البلدان وللزبير بن بكار كتاب في نسب قريش .. وهكذا ، وكل هؤلاء وغيرهم ممن لهم آثار ، روى عنهم أبو الفرج الأصفهاني ، أو نقل من كتبهم أو روى عمن روى عنهم .

ونستطيع بالرجوع الى مؤلفاتهم أن نجد نصوصه التى ذكرها منطبقة على ما فى كتبهم الخاصة بهم ، وبهذا نتأكد من أن ما أثبته لم يكن أخبارا مفتعلة ، ولا نصوصا زائفة .

ولقد قال لي مرة أستاذنا الدكتور طه حسين أن أحب الأشياء الى نفسه في مثل هذه الكتب تلك الأسانيد واختلاف رواياتها .

تراجمه وأشعاره

والتراجم التى في « الأغاني » تقرب من سبعمائة لشعراء وشاعرات ، ولمغنين ومغنيات ، ولحروب وغزوات .

اما من نسب اليهم شعر فيه ، سواء أترجم لهم أم لم يترجم فانهم لا يقلون عن الف ومائتين .

والشعر الذى جاء فيه يتجاوز ثلاثين الف بيت من الشعر ، منه ما جاء مفردا ، أو مع بيت أو بيتين ، ومنه ما جاء مقطوعات ، ومنه ما جاء قصائد . ولا أقول هذا جزافا . ذلك أني فهرست جميع الشعر الذى ورد في الاغاني كله . ذاكرا بحوره وأوزانه ، كما فهرست جميع أسماء الشعراء الذين وردوا فيه ، والصفحات والاجزاء التى جاء لهم فيها شعر كما فهرست للألحان المختارة التى بني عليها أبو الفرج الأصفهاني كتابه . وللموضوعات التى جعل لها عناوين وترجم لها . وطبع هذا الفهرس في مجلدين ، تجاوزت صفحاتهما ثمانمائة صفحة ، نشرتهما دار الثقافة بيروت . وكان في العزم اكمال الفهرسة لجميع ما جاء في أجزاء الكتاب ، حتى يجدها المراجع دون عناء ، من أحاديث ، وأمثال ، وطرائف ولغة ونوادر ... ولكن الناشر قصّر فيما يحتاج اليه العمل ، واكتفى بأن ينشر على الناس المجلدين المذكورين ، على زعم أنهما يحويان كل الفهارس .

مطبوعاته

طبع كتاب الاغاني في مطبعة بولاق بالقاهرة في سنة ١٢٨٥ هجرية ١٨٦٨ م في عشرين جزءا . وكان الاعتماد في طبعه على نسخة خطية غير وافية ولا سليمة . زادها سوءا أن الكلمات كانت من غير ضبط ، والكلام بدون علامات الترقيم .

وجاء المستشرق رودلف برونو Brunkes الامريكي الجنسية ، والألماني الأصل (المولود ١٨٥٨ والمتوفى ١٩١٧) فراجع التراجم الموجودة في العشرين جزءا ، وذلك على مخطوطات للأغاني وجدها في ألمانيا في مدينة ميونخ . ووجد بعض التراجم والأخبار لم تذكر في طبعة بولاق . فجمع ما وجده ، ورتبه ترتيبا هجائيا ، وطبعه في جزء واحد ، سمّاه الجزء الواحد والعشرين ، ومازال بعض الناس يحسبون أن هذا الجزء هو مجلد مستقل من أغاني أبي الفرج الأصفهاني ، وأنه كان مفقودا فوجد ، وأنه كان آخر أجزائه ، في حين انه أشتات متفرقة في عدة مواضع من مخطوطات .

وجاء المستشرق الايطالي جويدى Ignazio Guidi (١٨٤٤ — ١٩٣٥) فعمل فهرسا لطبعة بولاق والجزء الواحد والعشرين ، وطبع هذا الجزء باسم « جداول الاغاني » وهو في الحق كان نافعا أشد النفع ، على الرغم مما جاء فيه من خطأ وتوهم ونقص ، تبعا لنقص الأصل الذى اعتمد عليه .

وفي سنة ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥) طبع كتاب الأغاني في مطبعة التقدم ، نقلا عن طبعة بولاق والجزء الواحد والعشرين . وألحق بهذه الطبعة فهارس مترجمة عن فهرس المستشرق الايطالي جويدى واشتهرت باسم « طبعة الساسى » لأنه ناشرها .

وفي سنة ١٩٢٥ دفعت الأريحية أحد الكرام الأجلاء المقدرين للعلم والأدب ، وهو المرحوم السيد على راتب ، بالقاهرة فوجه خطابا الى وزير المعارف اذ ذاك يعلن تبرعه لاعادة طبع الأغاني ليخرج الكتاب فى عناية واتقان . ولقي معروفه

أحسن القبول . وبدأت دار الكتب في اصدار هذا الكتاب ، محققا بعناية ، ومراجعا على عدة مخطوطات ، مع ضبط وشرح وفي أحسن اخراج ، وبفهارس وافية في آخر كل جزء على حدة ، حدث في بعضها نقص ، لنقص في كفاية القائمين بها ، أو عدم التدقيق في القراءة .

وكان في دار الكتب قسم يسمى القسم الأدبي ، كان يضم خيرة المشتغلين بالآداب ، لكن هذا القسم مازال يصاب بالضآلة والنقص ، فأخذ كتاب الأغاني يضعف في اخراجه ، ويتباعد زمن صدوره، حتى طال عليه الأمد ، وكان الى سنة ١٩٥٠ لم يصدر منه الا احد عشر جزءا تقريبا تعادل حوالي عشرة أجزاء من طبعة بولاق ، في مدة بلغت خمسا وعشرين سنة . على الرغم من وجود مطبعة لدار الكتب كاملة المعدات ، وعلى الرغم مما تحويه الدار من المراجع والمخطوطات التى لا تحصى والتى لا تتيسر للمشتغلين بالتحقيق بتمامها .

وايضا على الرغم من ان كتاب الأغاني الذى كانت تطبعه يجد اقبالا منقطع النظير ، وطلبات من مختلف الجهات .

لكن ما أصاب القسم الأدبي بدار الكتب من تقصير وقصور ، وما تنازعه من افكار متضاربة ، قضى عليه ، وانتقل النشر من دار الكتب الى اختصاص غيرها ، وان كانت الطباعة ما تزال تجرى بمطابعها . وحتى الآن صدر من الأغاني طبعة دار الكتب سبعة عشر جزءا ، وبقي مالا يقل عن ثمانية اذا ساروا على تقسيمهم السابق .

وطبعات أخرى

وبطء اخراج الأغاني الشديد ، وتباعد الزمن بين كل جزء والتالى له ، بمعدل جزء كل ثلاثة اعوام ، جعل الناشرين تجاريا يغتنمونها فرصة ، فيطبعونه معتمدين في الأجزاء الأولى على ما طبعته دار الكتب ، ثم يتعثرون في باقيه . وهناك عدة أشخاص في مخطوطات الأغاني خلت منها الطبعات السابقة ، ولم يذكرها المستشرق رودلف برونو ، مثل أبى حشيشة الطنبورى ، والحسن بن وهب، ومسلم بن الوليد ، وعنان جارية الناطفى . الى كثير من الزيادات في التراجم ناقصة . وممن عمل على نشره دار الفكر ، ودار مكتبة الحياة ببيروت، ثم دار الثقافة ببيروت أيضا ، وقد طلبت منى هذه الدار حوالى سنة ١٩٥٨ تحقيق الأجزاء الباقية من الأغانى ، والتى كانت بعد الرابع عشر من طبعة دار الكتب ، فسبقت الى تحقيق الخامس عشر والسادس عشر .. حتى وصلت الى نهاية الكتاب، فبلغ ثلاثة وعشرين جزءا ، معتمدا في ذلك على مخطوطات مختلفة ، واضفت الزيادات الموجودة بها من تراجم وأخبار في الاقسام الباقية، ثم اضفت الى ذلك كله الفهرس في جزأين وسبق الكلام عليهما، فصار الكتاب خمسة وعشرين جزءا، على أن اهتمام الناشر بأن يكمل الكتاب جعله ينقل طباعته الى بيروت ، ولم يرسل التجارب النهائية التي لأعتمد طبعها ، فجاء الجزء الواحد والعشرون من هذه الطبعة مختلا كل الاختلال في تحريفه ، وسقوط بعض كلماته ، وجمله ، مع تغيير في ضبطه مما يقع من جامعي الحروف ، دون الاعتماد على الأصول المحققة التى سلمتها الى الناشر . على انى لا اظلمه ، فقد كان حريصا على أن يكون انتاجه سليما ، وكما بلغنى . اسند مهمة التصحيح في بيروت الى احد الذين ظن فيهم الثقة ، والمطبعة ليست ملكا للناشر ، فكان هذا الذى أسند اليه التصحيح يوقع على التجربة دون قراءتها، مستحلا أن يأخذ أجرا من الناشر دون عمل . بل مع اساءة بالغة الى الأدب والأدباء ، ولقد أرسلت الى صاحب دار الثقافة متبرئا من هذا الجزء طالبا اليه أن يعيد طبعه صحيحا ، ولكنه كما قال لى في بعض المناسبات انه رجل تاجر .

سقت هذا تبيانا للقراء، حتى يعرفوا المطبوعات وما فيها ، ولكى يكون الكلام عن الأغانى وافيا .

بعض مختصراته وترتيبها

ومن عهد قديم بدأ الاختصار لكتاب الأغانى ، والتخير لرواية واحدة ، من الروايات المتعددة للخبر الواحد ، مع حذف رجال السند .

واهم مختصر له هو ابن منظور صاحب لسان العرب ، فقد حذف الأسانيد ، ورتبه ترتيبا هجائيا ، ولكن ليس بالدقة التى ترتب بها الأعلام في الحرف الواحد ، والمهم عنده انه أورد أولا كل ما بدأ بحرف الهمزة ، مراعيا أن ما سبق أولا في الكتاب يجيء أولا، فمثلا الأحوص يتقدم في الترتيب في مختصره على ابان اللاحقى ، ذلك أن الأحوص أسبق في أجزاء الأغانى التى عملها أبو الفرج الأصفهانى . والمهم عند ابن منظور أن كلا منهما يبدأ بحرف الهمزة . وهكذا يفعل فيما أوله باء ، وفيما أوله تاء الى آخر التراجم .

وسمي هذا الكتاب « مختار الأغاني الكبير » طبع في القاهرة محققا . والأصـــل في مكافآت المحققين قدمه السيد حسن الشربتلي الى استاذنا الدكتور طه حسين باذن مصرفي قدره عشرة آلاف جنيه مبيحا له حرية التصرف فيه ، فقدمـه استاذنا الدكتور طه حسين الى الجامعة العربية لتتولى دفع المكافآت لمن يسند اليهم تحقيق الكتب التي تستحق النشر باشراف منه وتوجيه .

وطبع ايضا طبعة اخرى محققا على نفقة سمو الامير علي آل ثاني حاكم قطر السابق .

ومن المعاصرين لابن منظور أديب اسمه محمد ابن سالم المعروف بابن واصل الحموي المتوفي سنة سبع وتسعين وستمائة ، وقد اختصر ايضا كتاب الأغاني ، ولكنه جعله على النظام الذي سار عليه أبو الفرج الاصفهاني ، بدون ترتيب على حروف الهجاء ، غير انه حذف بعض التراجم وكثيرا من النصوص .

وطبع هذا المختصر بالقاهرة ، واسمه « تجريد الأغاني » بتحقيق أستاذنا الدكتور طه حسين والأستاذ ابراهيم الأبياري .

والمهم في « مختار الأغاني » لابن منظور و« تجريد الأغاني » لابن واصل الحموي انهما باسلوب ابي الفرج نفسه دون تغيير ، ما عدا الاختصـــــار الذي أجرياه فيه .

ومن الذين رتبوا الأغاني بعد طبعه في مطبعـة بولاق المرحوم الأستاذ محمد الخضري ، وكانت طريقته سقيمة ومتعبة في الاختصار والترتيب ، اذ رتب الشعراء على القبائل العربية التي تنتمي اليها نسبا أو ولاء . فاذا كنت تعرف قبيلة الشاعر ربما عثرت عليه بسهولة ، والا فعليك أن تقلب جميع الأجزاء التي طبعت وهي على ما أذكر تسعة، هذا الى انه لم يضبط شعره ولا أعلامه ، وحذف منه ما رأى انه لا يليق ، وهذا تصرف غـريب . ثم انه لم يذكر المغنين والمغنيات على امل أن يفرد لهم أجزاء مستقلة، وسمى كتابه « مهذب الأغاني » والحق يقال ان بعض الأدباء سخروا من الكتاب فسموه « مهزيء الأغاني » .

شيء عن أبي الفرج

وأبو الفرج الأصفهاني، واسمه علي بن الحسين ابن محمد ولد بأصفهان سنة ٢٨٤ هـ وتوفي ببغداد سنة ٣٥٦ هـ .

ويتصل نسبه بمروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية بالمشرق .

وقد جمع كتابه الأغاني في ما يقرب من خمسين عاما ، وأهداه الى سيف الدولة بن حمدان ، فأجازه بألف دينار . ولما بلغ ذلك الصاحب ابن عباد قال : لقد قصر سيف الدولة ، وانه ليستحق أضعافها .

وروى أن الحكم المستنصر أحد خلفاء بني أمية بالأندلس بعث الى أبي الفرج الف دينار فبعث اليه نسخة من الأغاني قبل أن يخرجه بالعراق .

ويروى عن الصاحب ابن عباد أنه كان اذا سافر استصحب معه أحمالا من الكتب على عدة من الابل، فلما ظفر بنسخة من الأغاني استغنى باستصحابها عن غيرها من الكتب .

ولأبي الفرج كتب أخرى ألفها ، بعضها عثر عليه ، وطبع ، مثل « مقاتل الطالبيين » وأكثرها لم يعرف مقره الى الآن .

نموذج مما روى

ونذكر للقارىء قصة مما ساقه في كتابه باسلوب غاية في القوة والسلاسة .(١)

« أخبرني محمد بن يزيد عن أبي الأزهر قال : حدثنا حماد بن اسحق عن أبيه ، عن سياط قال: حدثني يونس الكاتب قال :

كان مَعْبد قد علم جارية من جواري الحجاز الغناء ، ثم ملكها رجل من أهل الأهواز ، فأعجب بها ، وذهبت به كل مذهب ، وغلبت عليه . ثم ماتت ، وأخذت جواريه أكثر غنائهن عنها ، فكان لمحبته اياها وأسفه عليها ، لا يزال يسأل عن أخبار معبد وأين مستقره ، ويظهر التعصب له ، والميل اليه ، والتقديم لغنائه على سائر أغاني أهـــل عصره ، الى أن عُرِفَ ذلك عنه ، وبلغ معبداً خبرهُ . فخرج من مكة حتى أتى البصرة ، فلمـا وردها صادف الرجل وقد خرج عنها في ذلك اليوم الى الأهواز فاكترى سفينة . وجاء معبد يلتمس سفينة ينحدر فيها الى الأهواز ، فلم يجد غير سفينة الرجل ، وليس يعرف أحد منهما صاحبه، فأمر الرجل الملاّحَ ان يجلسه معه في مؤخـــرة السفينة . ففعل ، وانحدروا . فلما صاروا في فم نهر الأبلة تغدَّوا وشربوا ، وأمر جواريه فغنين،

(١) لم أذكر الشعر الذي غني فيه تجنبا للاطالة

ومعبد ساكت ، وهو في ثياب السفر ، الى ان غنت احدى الجواري في شعر للنابغة (واللحن الغنائي فيه لمعبد) . فلم تجد اداءه ، فصاح بها معبد : يا جارية ، ان غناءك هــذا ليس بمستقيم ، فقال له مولاها وقد غضب : وانتَ ما يدريك بالغناء ما هو ؟ الا تمسك وتلزم شانك؟ فامسك . ثم غنت اصواتا من غناء غيره وهو ساكت لا يتكلم حتى غنت في شعر لعبد الرحمن بن ابي بكر ، (واللحن فيه من صنعة معبد) ، فاخلت ببعضه فقال لها معبد : يا جارية . لقد اخللت بهذا الصوت اخلالا شديدا . فغضب الرجل وقال له : ويلك . ما انت والغناء ؟ الاَ تكفُ عن هذا القول ؟

فامسك معبد عن الكلام . وغنت الجواري مدة، ثم غنت الجارية في شعر لكثيِّر عزة (واللحن لمعبد) فلم تحسن الاداء . فقال لها معبد : ياهذه اما تقوين على اداء صوت واحد ؟ فغضب الرجل وقال له : ما اراك تدع الفضول بوجه ولا حيلة ، واقسم بالله لئن عاودت لاخرجنك من السفينة . فامسك معبد . حتى اذا سكتت الجواري سكتة اندفع يغني الصوت الأول حتى فرغ منه .فصاحت الجواري : احسنت والله يا رجل ، فاعِدْه . فقال : لا والله ، ولا كرامة . ثم اندفع يغني الثاني . فقلن لسيدهن:ويحك ، هذا والله احسن الناس غناء ، فاسأله ان يعيده علينا ولو مرة واحدة ، لعلنا ناخذه عنه . فانه ان فاتنا لم نجد مثله ابدا . فقال : قد سمعتن سوء رده عليكن ، وانا خائف مثله منه ، وقد اسلفناه الاساءة ، فاصبرن حتى نداريه . ثم غنى الصوت الثالث ، فزلزل عليهن الارض . فوثب الرجل فخرج اليه وقبل رأسه وقال : يا سيدي اخطانا عليك ولم نعرف موضعك (اي قدرك) فقال له : فهبْك لم تعرف موضعي ، قد كان ينبغي لك ان تتثبت ولا تسرع الى بسوء العِشرة وجفاء القول . فقال له: لقد اخطات وانا اعتذر اليك مما جرى ، وأسالك ان تنزل الى وتختلط بي ، فقال : اما الآن فلا . فلم يزل برفق به حتى نزل اليه . فقال له الرجل: ممن اخذت هذا الغناء ؟ قال : من بعض اهل الحجاز ، فمن اين اخذه جواريك ؟ فقال : اخذنه من جارية كانت لي ، ابتاعها رجل من اهل البصرة من مكة ، وقد كانت اخذت عن ابي عبَّادٍ مَعْبَد، وعُنِيَ بتخريجها ، فكانت تحلُّ مني محل الروح من الجسد ، ثم استأثر الله عز وجل بها . وبقي هؤلاء الجواري ، وهن من تعليمها ، فانا الى الآن اتعصب لمعبد ، وافضله على المغنين جميعا ،وافضل صنعته على كل صنعة . فقال له معبد : أوَ انك لانت هو ، افتعرفني ؟ قال : لا ، قال : فَصَكَّ معبدٌ بيده صَلْعَتَه ــ اي ضرب بيده على رأسه الأصلع ــ ثم قال : فانا والله معبد ، واليــك قدمتُ من الحجاز ، ووافيت البصرة ســاعةَ نزلتُ السفينة لاقصدك بالاهواز . والله لا قصَّرتُ في جواريك هــؤلاء ، ولاجعلن لك في كل واحدة منهن خلفا من الماضية .

فاكب الرجل والجواري على يديه ورجليــه يقبلونها ويقولون : كتمتنا نفسك طــول هــذا حتى جفوناك في المخاطبة ، واسانا عِشْرتك ، وانت سيدنا ومن نتمنى على الله ان نلقاه » .

ثم اكرمه واتحفه واهدى اليه وانحدر معه الى الاهواز ، فاقام عنده حتى رضي حذق جواريه وما اخذنه عنه ، ثم ودعه وانصرف الى الحجاز .

رموز ، ومحاولات حلها

اما المصطلحات التي وضعها أبو الفرج ليبين طريقة المغني في تناول هذا الشعر،من أمثال قوله: « خفيف رمل بالبنصر » او قوله « ثقيل اول مطلق في مجرى البنصر » او قوله « خفيف ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى » .

فان محاولات جرت لرسمها علىالطريقةالحديثة، وممن فعل ذلك « الدكتور الحفني . وله في ذلك بعض المؤلفات. كما حاول شرحها بعض الأوروبيين، ونجد في مجلة المجمع العلمي العراقي بحثا مطولا عنها . وهذا كله يعني اهل الفن الموســيقى والمغنين . اما الذي يعنينا قراء وكاتبين فهو ما يشتمل عليه من أخبار ومعلومات واساليب ومعان .

الحق ان كتاب الاغاني فيه ثروة أدبية كبرى ، لم تجتمع في غيره من الكتب . وهي كما قال عنها صاحبه . يجمل بالمتادبين معرفتها . ويحتــاج الأحداث الى دراستها ، ولا يرتفع مَن فوقهم من الكهول عن الاقتباس منها » .

انه كتاب فيه مجال للدراسات عظيم ، ومعين للبحث لا ينضب . وروضة تنعم في مغانيهــا النفوس . ■■

عبد الستار احمد فراج



من أمجاد الملك

رمسيس الثاني

■ اشتهر رمسيس الثانى أكثر ما اشتهر بكثرة المبانى التى بناها وتلك التى وسعها وكبرها او أكمل بناءها . وتشمل تلك المبانى فيما تشمل معبد الموتى، والقصر اللذين اقامهما في طيبة الغربية، ومعبد آمون في الاقصر ، والقاعة المرفوعة على العماد ، والصروح الاخرى في الكرنك ، والمعابد الخاصة به وبابيه في ابيدوس ، هذا فضلا عن معبد والده في القرنة ومعبد بتاح في ممفيس ومجموعة المبانى الكبيرة في تنيس . أضف الى ذلك القصر الذى اقامه في قنطير، والمعبدين الصخريين الهائلين اللذين شيدهما في « أبو سنبل » والنوبة ، واللذين تم انقاذهما مؤخرا من مياه السد العالى فاكتسبا بذلك مزيدا من شهرة .

على أن هذه المبانى والصروح التى بناها رمسيس الثاني، على كثرتها وضخامتها ، لم تكن لتروى تعطش ملكنا للشهرة والظهور . ولعل نزعته هذه كانت اقرب الى الانحراف والشذوذ ، حتى انه مضى في العمل على انتحال امجاد اسلافه ، وراح ينقش اسمه على كل ما وصلت اليه يده من مبانى آبائه واجداده . وقد غاب عن ذهن الملك العظيم أن من شان تلك السياسة ان تنال من مكانته بدلا من أن تزيد في مجده .

فضلا عن ذلك فقد حارب رمسيس الثانى واحرز النصر على اهل النوبة والليبيين والسوريين ، وكذلك على سكان الجزر ، جزر البحر المتوسط . وقد يذكر له ايضا كبحه جماح الحثيين ، ولو الى حين ، كما يستدل على ذلك من صورة الصفحة الثانية . حقا انه لم يحرز نصرا حاسما عليهم في معركة قادش ، ولكنه تمكن بنتيجتها من وضع حد مؤقت لقوتهم الصاعدة من جهة ، واقام الدليل على قدرته الشخصية وكفايته فى شتى ما يتصل بالحرب من شئون عسكرية وادارية ، من جهة أخرى .

أما عن شخصية رمسيس الثانى فيمكن القول بانه كان يتمتع بصفات الملوك قلبا وقالبا . فقد كان فارع الطول وسيما ويفيض مزاجه نبلا وعراقة الا انه كان فوق ذلك متهورا الى أبعد الحدود . ولعل ابرز صفاته هو النشاط الذى لم يضاهه فيه أحد غيره ، والذى لولاه ، ولولا الشعبية التى حظى بها بلا نزاع ، لما أمكنه انجاز الأعمال التى انجز .

وتجدر الاشارة بعد هذا الى أن رمسيس الثانى تزوج كثيرا وانجب كثيرا . وقد حفظت لنا الآثار أسماء سبع من زوجاته و٣١ من بناته و٧٩ من ابنائه . وتعتبر فترة حكمه من اطول الفترات التى سجلها التاريخ ، وقد امتدت ٦٧ سنة اعتبارا من سنة ١٢٩٨ ق.م هذا ومات رمسيس الثانى سنة ١٢٣٢ ق.م عن عمر يناهز ٨٦ سنة . ■■

المماليك

وإحيـاء الثقـافـة العـربيـة والاسـلاميـة فى مصـر

بقلم الدكتور
عبد العال سالم مكرم

■ فى عهد المماليك سقطت بغداد تحت أقدام التتار ، بعد أن كانت عروس الشرق ومهد الحضارة ، لبست ازهى حللها ، وأجمل ثيابها على يد خلفاء بنى العباس الذين جعلوا منها أكبر مركز فى ميدان الثقافة والعلم مما جعلها كعبة القصاد ، وقبلة العلماء وبفضلها تكونت مراكز علمية فى عواصم العالم العربي .

وفى أواخر المحرم سنة ٦٥٦هـ اتجهت جيوش التتار الى بغداد ، فأخمدوا شعلتها وبددوا ثقافتها ، ورموا كتبها ونفائسها فى نهر دجلة لتبتلعها الامواج .

وفى أيام تعد على رؤوس الاصابع اصبحت بغداد خرابا بلقعا ، وقاعا صفصفا ، وقد وصف ابن كثير مآسى التتار التي حلت ببغداد وصفا ترتاع له النفوس ، وتنقطع من أجله نياط القلوب (١)

ولما اتجه هذا الجيش التتارى الى مصر بعد سقوط بغداد منى بالهزيمة فى « عين جالوت » على يد الملك المظفر قطز ، سلطان مصر ، الذى قاد الجيش بنفسه ، دفاعا عن حرمات الديار والاوطان وحفاظا على كرامة الاسلام والقرآن .

وبعد هذه الهزيمة اصبحت مصر قبلة الانظار ، وتقدم أبناؤها لحمل راية الاسلام ، والدفاع عن أمجاده .

وقد عرف المماليك أن للثقافة والعلم رسالة كبيرة فى بناء الامة ، وانه لم تظهر دولة فى التاريخ لها مكانة مرموقة ، ومجد مؤثل الا بالعلم والثقافة، ومن ثم أخذوا على عاتقهم القيام بهذه الرسالة ، وبخاصة بعد ضياع التراث العلمى فى حوادث بغداد ، ورأوا أنهم مسئولون أمام الله وأمام التاريخ عن حياة هذا التراث ، وبعثه من جديد .

ولقد كانت الحركة العلمية فى عهدهم مزدهرة حية موزعة بين المساجد ، والمدارس ، والربط وخزائن الكتب .

---

(١) البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٠١ ، ص ٢٠٣ .

١ ـ أما المساجد ، فانها فى الاسلام دار عبادة ، وفى الوقت نفسه دار علم وثقافة ، والاسلام دين لايفرق بين العبادة والعلم ، فهما متلازمان لايستغنى احدهما عن الاخر . وقد تعددت المدارس فى مصر ، وقامت برسالتها العلمية خير قيام . وقد أخبرنا العلامة شمس الدين بن الصائغ الحنفى أنه أدرك بجامع عمرو بن العاص بمصر فى سنة ٧٤٩هـ بضعا وأربعين حلقة لاقراء العلم لاتكاد تبرح منه (١) وفى سنة ٧٦٧ هـ جدد الامير (يلبغا العمرى الخاصكى) دروسا بجامع ابن طولون وعين فيه سبعة مدرسين للحنفية ، وقرر لكل فقيه من الطلبة فى الشهر أربعين درهما واردب قمح ، فانتقل جماعة من الشافعية ، الى مذهب الحنفية (٢) .

والجامع الازهر كان يفتح ابوابه لكل الوافدين اليه سواء اكانوا من ريف مصر أم من البلاد الاخرى كالمغاربة ، والعجم والزيالعة ، فلا يزال الجامع عامرا بتلاوة القرآن ودراسته ، وتلقينه ، والاشتغال بانواع العلوم كالفقه والحديث ، والتفسير ، والنحو ومجالس الوعظ . وكان لجوامع الصعيد فى عهد المماليك نصيب كبير من هذه الحركة العلمية والفكرية،احتضنتها مساجده، وغذتها بلبانها جوامعه ، فجوامع اسنا ، وأسيوط، وقفط ، واسوان ، وادفو ، وقوص ، لمعت فى هذا العصر ، واشرقت فيها نهضة علمية جعلت علماء الصعيد منار علم ومعرفة ، وموئل فكر وثقافة .

وقد سجل لنا « الادفوى » صاحب كتاب « الطالع السعيد » هذه الحركة فى كتابه وعدد لنا العلماء الذين برزوا فى صعيد مصر ، وكانت لهم قدم راسخة فى مضمار العلم والمعرفة .

٢ ـ وأما المدارس فقد حدثت بعد القرن الرابع الهجرى ، ولم تعرف فى زمن الصحابة والتابعين . ويذكر المقريزى أن أول من حفظ عنه أنه بنى مدرسة فى الاسلام أهل « نيسابور » حيث بنيت بها المدرسة البيهقية ، والمدرسة السعيدية (١)

وأول مدرسة بنيت فى مصر المدرسة الناصرية التى بناها صلاح الدين ، ثم اقتدى به أولاده وامراؤه ، فبنوا كثيرا من المدارس فى القاهرة وغيرها من مدن مصر ، هذا وأشهر المدارس التى كانت تقوم برسالة العلم والمعرفة فى عهد المماليك هى : الناصرية ـ القمحية ـ الصالحية ـ الظاهرية ـ المنصورية .

وأهم المراجع التى تحدثت عن هذه المدارس فى تفصيل وايضاح : الخطط للمقريزى ، وحسن المحاضرة للسيوطى ، والطالع السعيد للادفوى .

٣ ـ ومن المراكز العلمية التى أدت نصيبها من الرسالة العلمية فى هذا العصر « الخوانق » والخوانق جمع « خانقاه » وهى كلمة فارسية معناها « بيت » .

ويقول المقريزى : ان الخوانق حدثت فى الاسلام فى حدود الاربعمائة من سنى الهجرة وجعلت لتخلى الصوفية فيها لعبادة الله تعالى .

وقد ذكر أن أول من اتخذ بيتا للعبادة هو « زيد بن صوحان بن صبره » وذلك أنه عمد الى رجال من أهل البصرة قد تفرغوا للعبادة ، وليست لهم تجارات ، ولا غلات ، فبنى لهم دورا وأسكنهم فيها ، وجعل لهم مايقوم بمصالحهم من مطعم ومشرب وملبس وغيره ، واسكنهم فيها ، فجاء يوما ليزورهم فسأل عنهم ، فاذا عبد الله بن عامر عامل البصرة قد دعاهم ، فاتاه زيد ، فقال له : يا ابن عامر ، ماتريد من هؤلاء القوم ، قال : أريد أن أقربهم فيشفعوا فاشفعهم ، ويسألوا فاعطيهم ، ويشيروا علي فاقبل منهم ، فقال زيد : لا ، وكرامة أتاتى الى قوم قد انقطعوا الى الله تعالى فتدنسهم بدنياك ، وتشركهم فى امرك حتى اذا ذهبت اديانهم

---

(١) الخطط للمقريزى جـ ٢ ص ٢٥٦ .

(١) انظر : الخطط للمقريزى جـ ٢ ص ٢٦٢

(٢) الخطط للمقريزى جـ ٢ ص ٢٩٦ .

اعرضت عنهم فطاحوا لا الى الدنيا، ولا الى الاخرة، ثم التفت اليهم زيد قائلا : ارجعوا الى مواطنكم ، فقاموا ، فامسك ابن عامر فما نطق بلفظة (٢)

على اية حال قد تطورت هذه الخوانق في عصر المماليك ، فلم تكن خاصة بالتصوف والعبادة بل كانت تقوم الى جانب المدارس لتؤدى نصيبها من الرسالة العلمية وتحمل جزءا من عبء الحركة الفكرية .

واشهر هذه الخوانق هي : خانقاه شيخو ، خانقاه سعيد السعداء ـ خانقاه البيرسعيه .

٤ ـ ومن المراكز العلمية « الربط » وهي جمع رباط . والرباط « دار يسكنها أهل طريق الله تعالى ، روى ابو داود بن صالح قال : قال لى ابو سلمة بن عبد الرحمن : يا ابن اخي ،هل تدرى فى أى شيء نزلت هذه الاية : « أصبروا وصابروا، ورابطوا » (١) قلت : لا ، فقال : يا ابن أخي، لم يكن زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزو تربط فيه الخيل، ولكن انتظار الصلاة بعد الصلاة، فالربط جهاد النفس ، والمقيم فى الرباط مرابط مجاهد نفسه .

واشهر هذه الربط التي بنيت فى عهد المماليك، وشاركت فى الحركة العلمية والفكرية : رباط البغدادية ، ورباط الاثار (٢) .

٥ ـ ولما كانت دور العلم لاتستغنى عن الكتاب، فقد انشئت خزائن الكتب التي تمد هذه الدور بما تحتاجه من الكتب المختلفة فى شتى الوان المعرفة .

وقد كان لسقوط بغداد ، ورمى الكتب التى كانت تحمل ثقافة العرب والاسلام فى نهر دجلة ـ اثر كبير فى نشاة هذه الخزائن وتكوينها في عصر المماليك ، وليس ثمة شك فى أن هذه الخزائن التي جمعت مابعثر من الكتب ، وما تفرق ، عملت على حفظ التراث العربي من الايدى العابثة التي لاتقدر للثقافة قدرها ، ولاتعطى للعلم منزلته ، ولم يبخل المماليك على المدارس فى عهدهم بالحاق مكتبات خاصة فيها تساعد على الدرس وتيسر العلم للراغبين فيه .

واذا عرفنا أن الكتب تعرضت لهزات عنيفة من مراكز الثقافة العربية والاسلامية فى العالم العربي بسبب الفتن والحروب ، فقد أحرق جنكيز خان من المكتبات فى بخارى ونيسابور وغيرهما من مدائن العلم فى فارس مالايدرك احصاؤه، وكما فعل هولاكو حيث القى بالكتب العربية فى نهر دجلة ببغداد ، وكما فعل الاسبان فى الاندلس ، فانهم كانوا كلما فتحوا بلدا اخرجوا العرب منه ، واحرقوا كتبهم .

أقول : اذا عرفنا ذلك تبين لنا أن الثقافة الاسلامية فى مختلف العلوم والفنون قد ضاعت فى هذه الاقطار ، وان العلماء بحثوا عن الكتب التي يزاولون فيها نشاطهم العلمي فلم يجدوا الا القليل، مما يسد حاجة النفس ، أو العقل ، او القلب .

لهذا لم يكن ثمة بد من الحصول على مابقى من الكتب باى طريق ، وباى ثمن ، وتبارى ملوك هذه الدولة وامراؤها ، وكتابها ، وأعيانها فى جمع هذه الكتب ، ووضعها فى خزائن خاصة لتلحق بالمدارس ، او تنشأ فى القصور لتكون ذخيرة يعتز بها العلماء ، ويعتمد عليها الباحثون .

حقا ، ان الفاطميين اهتموا بهذا الامر ، وكان غرامهم بجمع الكتب الثمينة اكثر ممن جاء بعدهم سواء أكانوا من الأيوبيين او من المماليك .

ويذكر لنا المقريزى ان اعظم خزائنهم هي خزانة القصر الفاطمي ، وقد تفرعت الى اربعين خزانة ومن جملتها خزانة واحدة كان فيها ثمانية عشر الف كتاب من العلوم القديمة .

---

(٢) انظر : الخطط للمقريزى جـ ٢ ص ٤١٤

(١) آل عمران ـ آية : ٢٠٠

(٢) انظر : حسن المحاضرة للسيوطي جـ ٢ ص ١٤٧

ولكثرة الكتب فى خزائن هذا القصر اختلف المؤرخون فى عددها فمن قائل : انها كانت تزيد على مائتى الف مجلد ، وآخر يدعى انها كانت تشتمل على الف وستمائة كتاب ، وقد ذكر ابن واصل انها كانت تزيد على مائة وعشرين الف مجلد (١).

ولما جاء الايوبيون على اثرهم بددوا كثيرا من هذه الثروة الضخمة من الكتب التي تعددت فى خزائن القصر وفى دار الحكمة وغيرها من المساجد والمدارس ، بددوها ، لانها كانت تحمل طابع المذهب الشيعي ، ولكن هذا ، فان هذه الكتب لم تضع كما ضاعت كتب بغداد ، لانها وجدت من يقدرها ويعرف قيمتها من العلماء والادباء ، فنقلوها الى قصورهم والى مدارسهم كما فعل القاضى الفاضل الذى انشا مدرسته ، وجعل فيها من كتب القصر مائة الف مجلد (٢) .

ولم يقصر الايوبيون فى هذا المضمار ، فجروا على سنن من قبلهم ، وانشاوا مكتبات ضخمة الحقوها بمدارسهم كما فعل الملك الكامل حينما انشا فى مدرسته ، دارا للكتب ، لها أمين يشرف عليها (١) .

وفى عصر المماليك ، استطاع الامراء ، والوزراء أن يحتفظوا بهذا التراث الضخم الذى ورثوه من الفاطميين والايوبيين ، فانشاوا المكتبات العامة والخاصة ، ففي كل مدرسة من المدارس التي ورثوها ، او انشئت فى عهدهم ، مكتبة ، فالملك بيبرس انشا فى المدرسة الظاهرية خزانة كتب تشتمل على أمهات للكتب فى سائر العلوم (٢) ، وكذلك فعل الناصر قلاوون ، فقد الحق بالقبة مكتبة ضخمة فيها عدة احمال من الكتب فى سائر العلوم ، ورتب لها امينا ومساعدين .

ويبدو ان نظام استعارة الكتب كان معمولا به فى هذا العصر ، فمن طلب الكتاب وجده واذا شاء استعاره فقراه ، والذى جعلنى احكم هذا الحكم، واصدر هذا الراى هو انى وجدت فى ترجمة ابى حيان الاندلسى ، صاحب تفسير البحر المحيط ، والذى عاش فى مصر هذه الفترة ـ انه كان يعيب على مشترى الكتب ويقول له : الله يرزقك عقلا تعيش به ؟ انا أى كتاب اردته استعرته من خزائن الاوقاف ، واذا اردت من أحد ان يعيرني دراهم ما أجد ذلك (٢) .

ومعنى هذا ان الكتاب كان فى عصر المماليك ميسرا ، والحصول عليه سهلا مما يدل على ان الثقافة العربية والاسلامية فى مصر ، وصلت الى درجة كبيرة من التقدم والرقي ، وقد شهد بذلك العالم المؤرخ ابن خلدون فقد قال فى مقدمته فى الفصل الثالث الذى عقده بعنوان « العلوم انما تكثر حيث يكثر العمران وتنظم الحضارة » « ونحن لهذا العهد نرى ان العلم والتعليم انما هو بالقاهرة من بلاد مصر لما ان عمرانها مستبحر وحضارتها مستحكمة ، منذ آلاف من السنين ... وذلك ان امراء الترك فى دولتهم يخشون من معاطب الملك ونكباته ، فاستكثروا من بناء المدارس والزوايا والربط ووقفوا عليها الاوقاف المغلة ... مع ما فيهم غالبا من الجنوح الى الخير ، والتماس الاجور فى المقاصد والافعال ، فكثرت الاوقاف لذلك ، وعظمت الغلات والفوائد وكثر طالب العلم ومعلمه بكثرة جرايتهم منها ، وارتحل اليها الناس فى طلب العلم من العراق والمغرب ، ونفقت بها اسواق العلم ، وزخرت بحارها ، والله يخلق ما يشاء » . ■■

عبد العال سالم مكرم

---

(١) الخطط للمقريزى جـ ٢ ص ٤٠٨ (٢) الخطط للمقريزى جـ ٢ ص ٢٥٥

(١) ذيل الروضتين فى اخبار الدولتين لشهاب الدين المقدسى ص ٦٥ .

(٢) السلوك للمقريزى جـ ١ ص ٥٠٤ . (٢) نفح الطيب للمقريزى جـ ٢ ص ٢٩٧ .

كتاب الشهر



بدر شاكر السياب

دراسة في حياته وشعره

تأليف: الدكتور احسان عباس

بقلم: الدكتور محمود السمره

■ كان بدر شاكر السياب رحمه الله ، شاعرا مجيدا من شعرائنا المعاصرين . وهو من روّاد الشعر الحديث .

وهذا الكتاب عنه بقلم الدكتور احسان عباس ، استاذ الادب العربي في الجامعة الامريكية ببيروت ، جمع الى التحرى الدقيق عن حياة الشاعر ، جمال التحليل ، وحسن التعليل ، والتمثل الواضح لرسالة الشعر .

وهو كتاب قد وضع لمن قراوا شعر السياب ووعوه ، اما القراء الذين لم تتح لهم هذه الفرصة فانهم مدعوون ، اثناء قراءتهم للكتاب ، للعودة الى دواوين الشاعر ليستطيعوا ادراك ما يقوله الكاتب .

وحبذا لو جمع الكتاب بين الحسنيين ، ولكنه في هذه الحالة كان سيصبح كتابا ضخما ضخامة زائدة عن المقبول ، لأنه في صورته الحالية يقع في ٤٢٠ صفحة من القطع الكبير .

والكتاب في خمسة فصول يتناول فيها الكاتب حياة الشاعر وشعره ، ملتزما التدرج الزمني ، ونحن هنا سنختار من هذه الفصول ما يتعلق بحياة الشاعر اولا ، ثم نقف عند بعض قصائده المشهورة والتى عرف بها .

طفولة الشاعر

في عام ١٩٢٦ ، وفي قرية بقيع الواقعة على امتداد شط العرب الى الجنوب الشرقي من البصره ، ولد بدر شاكر السياب . « غلام ضاو نحيل كأنه قصبة ، ركب رأسه المستدير كجبة الحنظل ، على عنق دقيقة تميل الى الطول . وعلى جانبي الرأس اذنان كبيرتان ، وتحت الجبهة المستعرضة التى تنزل في تحدب متدرج أنف كبير يصرفك عن تامله او تأمل العينين الصغيرتين العاديتين على جانبيه فم واسع ، تبرز الشفة العليا منه ومن فوقها الشفة بروزا يجعل انطباق

الشفتين فوق صفي الاسنان كانه عمل اقتسارى . وتنظر مرة اخرى الى هذا الوجه الحنطي فتدرك ان هناك اضطرابا في التناسب بين الفك السفلى الذى يقف عند الذقن كانه بقية علامة استفهام مبتورة ، وبين الوجنتين الناتئتين وكانهما بدايتان لعلامتي استفهام اخريين قد انزلقتا من موضعيهما الطبيعيين » .

وافتقار الشاعر الى الوسامة كان السبب في انه فشل في ميدان الحب ، فعاش حياته كلها ظامئا اليه ، دون ان تبتل شفتاه به .

وقد نظم بدر الشعر وهو مازال بعد تلميذا في المدرسة الابتدائية ، وكانت اول قصيدة نظمها في معركة القادسية . وقد اثار الشاعر الطفل اعجاب معلمه . حتى انه حمله على ذراعه حين اخذ يلقيها ، ونستطيع ان نقول ان موهبة الشاعر بدات تتفتح مع بداية الحرب العالمية الثانية ، وهو طالب في ثانوية البصرة ، وكان الناس قد ملوا مواعظ الرصافي باسم الشعر الاجتماعي ، ومنظومات الزهاوى باسم الافكار العلمية . وكان بدر منذ هذه السن المبكرة يتحدث عن الحب والحبيبات اللواتي يترامين عليه ويتشبثن به ، وهن في الواقع حبيبات لا وجود لهن الا في خياله .

النقلة الى بغداد

في مطلع العام الدراسي (١٩٤٣ - ١٩٤٤) انتقل الشباب الى بغداد ، طالبا في دار المعلمين العالية ، يدرس الادب الانجليزى ، وكانت هذه النقلة تحولا كبيرا في حياته : فهو هنا في بغداد يتحرك في جو ادبي فيه كثير من الشعراء ، وهو في معهده يزامل فتيات لم يكن لهن وجود الا في خياله . ولهذا سرعان ما غرق في الحب الى اذنيه ، وكانت بسمة عابرة من فتاة تجعل قلبه شديد الخفقان . وكم كانت فرحته عندما طلبت منه زميلة ان يعيرها ديوان شعره . انها لفتة تجعله يهوم في الاحلام ، ويتصور اشياء كثيرة :

ديوان شعر ملؤه غزل
بين العذارى بات ينتقل

انفاسي الحرّى تهيم على
صفحاته ، والحب والامل

وستلتقي انفاسهن بها
وترف في جنباته القبل

★ ★ ★

واذا راين النوح والشكوى
كلٌ تقول : من التى تهوى ؟

وسترتمي نظراتهن على الصفحا
ت بين سطوره نشوى

ولربما قرأنه فاتنى
فمضت تقول: من التى تهوى

ويتمنى لو انه كان مكان ديوانه :

ياليتني اصبحت ديواني
لأفرّ من صدر الى ثاني

قد بتُ من حسد اقول له
ياليت من تهواك تهواني

الك الكؤوس ولي ثمالتها
ولك الخلود وانني فاني ؟!

ويتساءل في لهفة :

انلت من عطفهن يا ورقُ
ما لم ينله المسهَّدُ الأرِقُ ؟

فكنت منديل كل باكية
منهن ينتاب روحها القلقُ

سددن انظارهن نحوك يا
ديوان شعري، ولست تحترق!!

اما تراني اكاد ان نظرت
لي ذات حسن تذيبني الحُرَقُ!

وكان العراق في هذه الحقبة من حياته يموج بالآراء السياسية ، من اقصى اليمين الى اقصى اليسار . وكان لا بد لهذه التيارات من ان تجرف الشاعر معها ، فاذا بنا نراه ينتمي الى اليسار . ووقع في الكلية اضراب اواخر عام ١٩٤٥ ، واشترك فيه ، مما ادى الى فصله . ولكنه لم يلبث ان اعيد الى الكلية في مطلع عام ١٩٤٦ وقد رافق ثورته على الاوضاع ، ثورة اخرى على الادب ، فاذا به يتجه الى الشكل الحديث في الشعر .

وفي مطلع العام الدراسي الاخير له في دار المعلمين (١٩٤٨) صدر ديوانه الاول « أزهار ذابلة » ،

فنال من التقريظ ما ارتاح له الشاعر ، كما صدر له عام ١٩٥٠ ديوان « أساطير » وكل قصائده من نتاج السنة الاخيرة في دار المعلمين ، الا قصائد قليلة نظمها في الأشهر الثلاثة الأولى بعد تخرجه .

في الحياة العامة

وعين الشاعر بعد تخرجه معلما للغة الانجليزية في مدرسة الرمادي الثانوية ، ولكنه لم يبق في وظيفته هذه اكثر من ثلاثة اشهر ونصف الشهر ، حيث فصل منها بسبب نشاطه الحزبي ، واعتقل، وسجن ، ثم افرج عنه . ووجد له عملا في شركة نفط البصرة . وقامت مظاهرات ، وكان على يقين من انه سيلقى القبض عليه ،ولهذا ترك العراق متخفيا الى عربستان ، ومنها سافر في سفينة متجهة الى الكويت ، وكانت السفينة قديمة نخرة ، بحيث كان الركاب مهددين بالغرق في اية لحظة ، وفي الكويت عاش حياة بؤس قاتل بين رفاقه من العراقيين ، وكلهم من العمال ، ولذلك كان يدل عليهم بثقافته ، حتى انهم ضاقوا به . وهنا في الكويت نظم ما يمكن أن يعد من خيرة قصائده ، وهي قصائد : الاسلحة والاطفال ، المومس العمياء ، غريب على الخليج ، انشودة المطر . والقصيدتان الاخيرتان تصوران احساس الشاعر بالغربة القاسية ، والعذاب الاليم .

انفصام الرابطة الحزبية

وعاد السياب الى العراق ليوظف في مديرية الاموال المستوردة بوساطة من صديق . وبعودته ، ونتيجة للتجارب التى مر بها ، نجده يترك اليسار ، ويتجه اتجاها قوميا ، ويصبح من كتاب مجلة « الآداب » البيروتية ، وهي المجلة المعروفة باتجاهها القومي . وفي عام ١٩٥٥ تزوج ، ولكنه يبدو أن هذا الزواج لم يكن موفقا .

ومن نتاج هذه المرحلة القومية في حياة السياب، كانت قصيدته « في المغرب العربي » ، وهي قصيدة تصور انسانا ميتا في الحقيقة ، ولكنه حين استيقظ رأى قبره ، وهذا رمز لانسان الشرق العربي الذى تحطمت حضارته . وكذلك قصيدة «قافلة الضياع» التى تتحدث عن حال اللاجئين الفلسطينيين .

وقصيدة « رسالة من مقبرة » ، يمجد فيها ثورة الجزائر .

ولكن رغم انفصام الرابطة الحزبية ، وهجومه الشديد على رفاق الامس ، فانه لم يسلم من مطاردة السلطة له .

الشاعر المريض

ودعت « منظمة حرية الثقافة » الى مؤتمر يعقد في روما (من ١٦ ـ ٢٠ اكتوبر (تشرين الاول) سنة ١٩٦١) لمناقشة موضوع « الالتزام واللا التزام في الأدب العربي الحديث » ، وكان السياب من جملة المدعوين ، الى جانب الشاعر الانجليزى ستيفن سبندر Spender ، والكاتب القصصي الايطالي اينانسيو سيلونه . ويبدو أن صحته كانت قد ساءت جدا ، وهو الضعيف الجسم منذ ولادته ، فوصفه احد المدعوين الى ذلك المؤتمر بانه كان « جلدا على عظام ... يمشى متارجحا بخطوات يجرها على الارض جرا ثقيلا فيكاد يسقط على الارض مع كل خطوة » .

وعاد من روما الى بيروت يمشي على عكازتين ، وكل ما فيه يدل على انه قد بدأ صراعه الحقيقي مع الموت . ولم يفده اطباء بيروت ، حتى انه كتب يقول : « اما أنا فقد ذهبت ضحية للاطباء اللبنانيين الذين كسروا ظهرى ، فاصبحت عاجزا عن المشي دون عصا ، وحتى مع العصا فان مشيي بطيء مضطرب . اهذا هو شبابي ؟ » .

وكانت مشكلة بدر الكبرى هي المشكلة المالية ، ولذلك نراه يرتمي تحت قدمي كل من يستطيع أن يمد اليه يد العون ، بما في ذلك « منظمة حرية الثقافة » . وقد وصفه الاستاذ اميل يوسف عواد فقال : « ذات يوم من سنة ١٩٦٢ دعاني صديقي الدكتور جميل جبر ممثل المنظمة العالمية لحرية الثقافة الى حفلة كوكتيل تقام في مكاتب هذه المنظمة في بيروت . وفي هذه الحفلة تعرفت على بدر شاكر السياب الشاعر العراقي وكانت هي المرة الاولى التي شاهدته فيها ، ولن انسى تلك اللحظة التى اطل بها بدر علي ، فقد تمثلت امامي مآسي الانسانية كلها : الفقر والمرض ، والظلم والحرمان ، والاستعباد والاضطهاد ، ذلك لانني رايت بدرا ينوء تحت حمل ثقيل منها ، ووجدته

كتلة هزيلة من الجلد الاسمر الباهت والعظام النخرة » ...

وبمعونة من المنظمة العالمية لحرية الثقافة ، سافر بدر الى انجلتره ، حيث يدرس ويعرض نفسه على اطباء مختصين . وعاد من لندن الى العراق بعد ان اعيا مرضه تخلص الاطباء – وفي مطلع الربيع من عام ١٩٦٤ تقرر نقله الى الكويت لسببين : جودة العناية في مستشفياتها ، وقلة التكاليف المادية . وفي الساعة الثانية والدقيقة الخمسين من بعد ظهر يوم ١٩٦٤/١٢/٢٤ ، في المستشفى الاميري بالكويت ، وضع الموت حدا لآلام الشاعر المبرحة ، وعذابه النفسي المؤرق . وكان ذلك يوم خميس . وفي يوم الجمعة التالي نقل جثمانه الى البصرة « ووقفت سيارة كبيرة حمراء اللون فيها شخصان كويتيان ، وقفت في محلة السيف بالبصرة ، وسأل الكويتيان : هل يوجد مسجد قريب ؟ فاجاب شخصان آخران : ان جامع السيف مفتوح لصلاة العصر . وكانت السماء ممطرة ، وادخلت الجنازة ، وصلى عليها اربعة اشخاص كانوا بقية من بقي في المسجد » .

ويقول المؤلف : « كان احد الاربعة الذين يرافقون الجنازة قد اتصل هاتفيا بدار الفقيد ليخبر زوجته ان الجنازة قد وصلت . ولكن ما الذي كان يجري في تلك الساعة ؟ كانت الزوجة ومن يعاونها من اقربائها قد اخذوا يقومون بنقل الاثاث لاخلاء البيت الذي يسكنونه ، فقد اصرت مصلحة الموانيء على ضرورة اخلائه غير مصغية الى التماس الشفعاء وتوسلات الضعفاء . مصلحة الموانيء آلة الكترونية لا مجال لغير الارقام . والارقام تقول : انه منذ كذا وكذا انقطعت صلة المسمى بدر شاكر السياب بتلك المصلحة ،ومعنى ذلك ان البيت لم يعد بيته » .

ووري الشاعر في مقبرة الحسن البصري بقضاء الزبير .

وقد خلف وراءه ولدا وبنتا ، ودواوين شعر منها : ازهار ذابلة ، اساطير ، انشودة المطر ، المعبد الغريق ، منزل الاقنان ، شناشيل ابنة الحلبي ..

ان هذا الايجاز البالغ لحياة الشاعر . لايعطي صورة دقيقة عن الكتاب ، واحتفائه حتى بالاحداث العابرة في حياة السياب . وسنقف بعد هذا عند قصيدتين هما : غريب على الخليج ، وانشودة المطر ووقفة الكاتب عند القصائد محللا ناقدا هي التي تجعل لهذا الكتاب قيمة فريدة بين أمثاله من الكتب .

غريب على الخليج

هذه قصيدة نظمها الشاعر في الكويت بعد ان حطت به على سيفها سفينة قديمة بالية ، وبعد ان راى الموت راى العين في امواه الخليج . وهي تصور تصويرا حادا الاحساس بالغربة ، والتوق العارم للعودة الى العراق ، ولكن عدم وجود النقود بين يديه يحول بينه وبين الرجوع . والعراق والنقود هنا ، كما يقول المؤلف ، شيئان متطابقان، او هما ايضا وجها قطعة العملة الواحدة ، لايستقل احدهما بالوجود دون الآخر . وتعتمد القصيدة على خلق الجو ، وبعث الاحاسيس وذلك بتكرار كلمة « عراق » وصنوها كلمة « نقود » . في هذه القصيدة تتفجر في النفس كلمة « عراق » ، والموج يعول « عراق ، عراق » والاسطوانة في المقهى تردد « عراق » ولقاء الحبيبة لا يكون لقاء الا اذا كان في العراق . لقد قست عليه الايام فاغترب ، وتشرد ، وذاق البؤس الوانا ، ولكنه لايستطيع العودة الى العراق لانه لايملك النقود :

● ● ● ● ● ● ● ● ●

الريح تصرخ بي : عراق ،
والموج يعول بي : عراق ، عراق ، ليس سوى عراق !!
البحر أوسع ما يكون ، وانت أبعد ما تكون
والبحر دونك ياعراق .
بالامس حين مررت بالمقهى ، سمعتك ياعراق ،
وكنت دورة اسطوانة .

لو جئت فى البلد الغريب الي ما كمل اللقاء !!
الملتقى بك والعراق على يدى ... هو اللقاء !!
شوق يخض دمي اليه ، كأن كل دمي اشتهاء ،
جوع اليه .. كجوع كل دم الغريق الى الهواء ،
شوق الجنين اذا اشرأب من الظلام الى الولادة
اني لأعجب كيف يمكن ان يخـون الخائنون !!
ايخـون انسـان بـلاده ؟
الشمس أجمل فى بلادى مـن سواها ، والظـلام
ـ حتى الظلام ـ هناك أجمل ، فهو يحتضن العـراق .

★ ★ ★

مازلت أضرب ، متترب القدمين ، اشعث ، فى الدروب
تحت الشـموس الاجنبيـة ،
متخافق الأطمار ، ابسط بالسؤال يداً نديه
صفراء من ذل وحمى : ذل شحاذ غريب
بـين العيـون الاجنبيـه ،
بين احتقار ، وانتهار ، وازورار .. أو « خطيّة » (١)
والموت اهـون مـن « خطيّـه »
من ذلـك الاشـفاق تعصـره العيون الاجنبيـه

★ ★ ★

واحسرتاه ... فلن اعود الى العراق !! وهل يعود ؟
من كان تعوزه النقود ؟ وكيف تدخر النقود ؟!

انشودة المطر

وهذه القصيدة نظمها ايضا وهو في الكويت ،وفيها يصور العراق من خلال المنظر الماطر . والعراق والمطر في هذه القصيدة شيئان متطابقان ،كالعراق والنقود في القصيدة السابقة . ويعتمد الشاعر هنا في اثارة الاحاسيس وخلق الجو على تكرار لفظة « مطر » . والجو هنا مفعم بالحزن ، لان المطر الذى هو السبب في الخِصب ، وانتاج الغلال ، لم يولد في نفسه الا جوعا ، هو الشوق الى العراق . والشاعر والعراق سيان ، لان المطر لم يولد في العراق الا الجوع ، لان الغلال التى تنتج عن المطر لا يأكلها الا الغربان والجراد من البشر . « والمطر يهطل دَفقة اثر دَفقة .. والرّحى تدور فى استخراج الغلال .. ولكنها تمزجها بقطرات الدم ، دم العبيد العاملين لاشباع الغربان والجراد .. الا ان دفقات المطر والدماء لا بد ان تتداح كراتها وقطراتها عن عالم جديد ، فيه البسمة والنور » :

ومنذ أن كنّـا صغاراً ، كـانت السـماء
تغـيم فـي الشـتاء

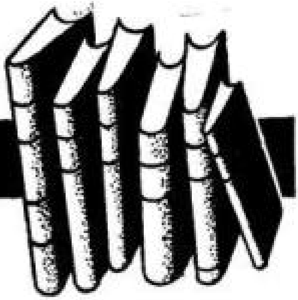
---

(١) خطيه : كلمة اشفاق في اللهجة الكويتية والعراقية الدارجة

ويهطل المطر ،
وكلّ عام ـ حين يعشب الثرى ـ نجوعْ
ما مرّ عام والعراق ليس فيه جوعْ .
مطر ...
مطر ...
مطر ...
في كل قطرة من المطر
حمراءَ او صفراءَ من اجنّة الزَهَرْ
وكل دمعة من الجياع والعراء
وكل قطرة تراق من دم العبيدْ
فهي ابتسامٌ في انتظار مبسم جديدْ
او حَلْمةٌ تورّدت على فم الوليدْ
في عالم الغد الفتيّ ، واهب الحياة !
مطر ...
مطر ...
مطر ...
سيعشب العراق بالمطر .
اصيح بالخليج : يا خليج !!
ياواهبَ اللؤلؤ ، والمحار والردى !
فيرجع الصدى
كأنه النشيج :
« يا خليج
ياواهب المحار والردى . »
وينثر الخليج من هباته الكثار
على الرمال : رغوه الأجاجَ ، والمحار
وما تبقى من عظام بائس غريق
من المهاجرين ظل يشرب الردى
من لجة الخليج والقرار ،
وفي العراق الف أفعى تشرب الرحيق
من زهرة يربها الفراتُ بالندى .
واسمع الصدى
يرنُّ في الخليج :
مطر ...
مطر ...
مطر ...
ويهطلُ المطر ...

■■

محمود السمره



مِنَ الكتب التي وصلتنا

الالعاب الشعبية الكويتية
الجزء الاول

تأليف : سيف مرزوق الشملان ــ
الناشر : مطبعة مقهوي ــ الكويت .

● كتاب يتحدث عن الالعاب الشعبية في الكويت يتضمن وصفها وذكر ما له صلة منها بالعاب العرب قديما ، وذكر ادواتها وما يتعلق بها من قواعد واصول ، ثم ذكر الاغاني والاهازيج الشعبية التي يرددها الاطفال حين يمارسون هذه الالعاب ، تلك الالعاب التي كانت التسلية الوحيدة التي كان آباؤنا وامهاتنا يمارسونها في اوقات فراغهم .

والهدف من هذه الدراسة هو اعطاء الجيل الجديد من أبناء الكويت صورة جلية واضحة عن الالعاب الشعبية ، خشية الاندثار بمرور الزمن وحفظا لتراثنا الشعبي من الضياع .

وقد اعتمد المؤلف في مادة كتابه على مصادر شفوية حيث اخذ المعلومات في وصف هذه الالعاب من اشخاص مطلعين لعبوا هذه الالعاب ، وكذلك الاغاني والاهازيج الشعبية المتعلقة بالالعاب . ثم مصادر كتابية وهي المراجع العربية القديمة مثل كتب اللغة والادب والمراجع اللغوية والكتب التي درست الالعاب الشعبية دراسة جيدة .

كتاب اللامات

تأليف ابو القاسم عبدالرحمن بن اسحاق الزجاجي
تحقيق : الدكتور مازن المبارك
الناشر : مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق

● كتاب يدرس النحو باسلوب ادبي عذب ومنهجه قائم على تجنب الجدل النظري والتعليل الفلسفي ، كما انه يعنى بتقريب النحو الى افهام الناس عامة ، وافهام المبتدئين خاصة كما انه يمثل حلقة من حلقات التاريخ النحوي ، كما يتناول الكتاب دراسة عن الزجاجي وآثاره ودراساته في ميادين النحو واللغة والادب .

وثائق النكسة
تحت أضواء التجربة المرة

اعداد : دار الكاتب العربي / تقديم : قدري قلعجي / الناشر : دار الكاتب العربي ــ بيروت

● دراسة عن نكسة حزيران كحادث تاريخي خطير مر على الأمة العربية وجاء نتيجة لعوامل سبقته زمنا ، ومهدت له ، ثم انه بالتالي حادث جلل في دوره المؤثر والفعال بتغيير الاحداث والمواقف وسياسات بنيان المصير العربي . كما ان الكتاب يضع النكسة ضمن اطارها الطبيعي وهو اطار الاحداث والتيارات السياسية التي ادت الى تخريب قدرة الصمود العربي .

في الادب العربي الحديث
بحوث ومقالات

تأليف : يوسف عز الدين ــ الناشر : مطبعة دار البصري ــ بغداد ــ العراق .

● يتضمن هذا الكتاب ابحاثا ومقالات عديدة عن الادب العربي الحديث ، يحاول فيه المؤلف ان يبرز دور الادب العربي في معالجة قضايانا الراهنة وهو العمل على تحقيق أماني الشعب ومسايرته لركب التطور الحضاري وتصوير الحياة الواقعية لتشعر الشعب بالحركة واليقظة ، وتعكس صدق ما في الحياة من احداث ، فيندفع الانسان نحو اهدافه ليحققها ، ويساير ركب الانسانية في الخير . ثم بالاضافة الى هذه المقالات تناول المؤلف بالدراسة نتاج بعض فحول الشعراء والكتاب امثال الرصافي والشابي والزهاوي وفدوى طوقان وغيرهم ممن كان لهم النصيب الاكبر في اثراء ادبنا العربي الحديث .

اجراس اليوم

تأليف : اديب صعب . الناشر : مطبعة النجوى بيروت ــ لبنان

● مجموعة قصائد متنوعة .

■■

خاطرة فدائي ..

■ من خيمتي السوداء من حزن يُسطر غربتي
من قلبي المطعون تغلي فيه أحقادي .. تُجلجل ثورتي
من عين طفل بائس تروي حوادث قصتي
من فوق أشلائي وأحزاني .. أجددُ في المسيرة خطوتي
أنا سائرٌ في دربي المنشود أطلب عودتي
أنا سائرٌ .. والمدفعُ الرشاش والموت المشرّف غايتي
أنا سائر للغدر أطبقُ رأسه في قبضتي
لأدوسه كالفأر .. كالصرصار أسحقه بنعل إرادتي
أنا سائرُ .. والمجدُ والايمان والبذل السخي هوايتي
أنا سائرٌ والثورةُ الكبرى تغذي في المسير بسالتي
هي غايتي ، هي في الحياة بدايتي .. ونهايتي ..
سأسير للقدس الحبيب وللجليل .. لقبلتي
فإذا سقطتُ على الطريق .. وفي سبيل كرامتي
لاتجزعي أماه .. وليسلك طريقي إخوتي ■■

ان العربي بنشرها هذه المقطوعة الشعرية لشاب ناشيء انما تنقل الى القراء ، لا الشعر فى اعلى صياغته، ولكن القلوب فى اشد حرقتها .

سعيد محمد العبد





من غرائب القضايا

لُغزُ قتيلَة المترُو

بقلم : حسن الجداوي
المحامى لدى محكمة النقض بالقاهرة

■ انقضى على هذه الجريمة ثلث قرن وسرها الغامض لا يزال مغلقا ، ولا امل في حل مُعمّياته او عقاب مرتكبها ، لأن العقوبة قد سقطت بمضي المدة . وان لم تكن قد سقطت فان مرتكبها لا بد قد اصبح شيخا متهدما يستحق الرثاء لا العقاب، فقد نال ما يستحقه من عقاب ، ان لم يكن من عذاب الضمير فمن الخوف والقلق الذى لازمه ثلاثين عاما او أكثر .

في الساعة السادسة من مساء يوم الأحد ١٦ مايو ١٩٣٧ بدأت الغيوم تغطى سماء باريس وهرع الناس الى محطات المترو قبل أن تنهمر الأمطار . وفي محطة شارنتون كان قطار المترو ينتظر لحظة القيام في الساعة السادسة و٢٥ دقيقة وقد ازدحمت عربات الدرجة الثانية بينما لا يوجد في عربة الدرجة الاولى الا سيدة واحدة في رداء من الصوف الاخضر وقبعة بيضاء .

وبعد دقيقة واحدة بل دقيقة وثانيتين على وجه الدقة وقف القطار في محطة بورت دوريه حيث كان يقف على الرصيف نحو مائة راكب تكأكأوا ـ كالتعبير الذى ينسب الى استاذنا اللغوى المرحوم حمزة فتح الله ـ في عربة الدرجة الثانية ، ودخل ستة منهم عربة الدرجة الأولى في مجموعتين ، الاولى مكونة من ثلاث آنسات ، والثانية من طبيب عسكرى بدرجة رائد في لباسه الرسمي وسيدة وشاب .

وما كاد القطار يتحرك حتى انكفأت السيدة ذات القبعة البيضاء على وجهها ، فصرخت الآنسات واسرع الطبيب فانحنى على السيدة ورفعها ثم قال للموجودين انها في حكم الميتة . واشار الى خنجر مغروز في زورها لم يكن احد قد تنبه اليه ثم انصرف هو ورفيقاه . اما الفتيات فقد اخطرن ناظر المحطة الذى اسرع يطلب بوليس النجدة واغلق أبواب العربة ثم حولها الى خط جانبى .

وحاول رجل البوليس أن يسأل الضحية عمن أصابها فتحركت شفتاها ولكنها لم تستطع الكلام ولفظت نفسها الاخير في عربة الاسعاف التى نقلتها الى المستشفى .

وامتلأت صحف الصباح بأنباء الجريمة الغامضة. لم تكن هناك أية صعوبة في معرفة اسم القتيلة ،



.. وأسرع الطبيب فانحنى على السيدة ورفعها ثم قال للموجودين انها في حكم الميتة . وأشار الى خنجر مغروز في زورها ..

يولاند لوتيسيا تورو . ثلاثون عاما . وعنوانها ٣ شارع بيير بيل كما تبين من بطاقتها الشخصية التى كانت بحقيبة يدها ، والتى عثر فيها على أدوات زينة ثمينة ومبلغ من المال ، وبضعة فواتير ، وخطاب مستعجل يحدد لها موعدا في الساعة العاشرة من مساء ذلك اليوم في أحد مقاهى ميدان الجمهورية موقع من شخص اسمه « جان » .

وأجرى البوليس تحريات سريعة ظهر منها ان القتيلة امضت بعد ظهر ذلك اليوم في مرقص غادرته في الساعة السادسة وركبت «أوتوبيس» في الساعة السادسة والربع ، ونزلت أمام محطة المترو في الساعة ٦٫٢٢ وركبت المترو في الساعة ٦٫٢٥ .. وضح ذلك كله من تذكرة المرقص والأوتوبيس والمترو التى عثر عليها معها . ومعنى ذلك انها كانت على قيد الحياة في الساعة السادسة والدقيقة ٢٤ وانها أصيبت بالطعنة القاتلة في

الساعة السادسة و ٢٦ دقيقة أى ان الجريمة ارتكبت في مدى دقيقتين أو ربما دقيقة ونصف ..

★ ★ ★

وهذا ما لا يكاد يصدقه العقل . لقد ارتكب الجاني جريمته على مرأى ومسمع من المائة والعشرين راكبا بالدرجة الثانية أو المائة والعشرين راكبا (المنتظرين) على رصيف المحطة . أتراه انتظرها على رصيف المترو ودخل معها - أو وراءها الى العربة - ليطعنها ويفر ؟ أم تراه طعنها فيما بين محطة القيام والوصول - والمدة كلها دقيقة واحدة وثانيتان - . ان كان ذلك فكيف استطاع أن يهرب بينما الشهود يؤكدون أن القتيلة كانت وحدها بالعربة ؟

★ ★ ★

امام هذه الصعوبات التى تكاد تبلغ حد الاستحالة اتجه التفكير الى احتمال فكرة الانتحار .. ولكن التقرير الطبى استبعد الفكرة نهائيا .

ماذا اذن ؟

ان القتيلة ايطالية الأصل أصبحت فرنسية بزواجها واقامت بشارع بيير بيل في حى هادىء لا يمر أحد بشوارعه . وكان لدى قاتلها الف فرصة وفرصة ليطعنها بخنجره ان كانت الجريمة جريمة انتقام . ولقد قتل والدها أثناء الحرب العالمية الاولى ، وانتقلت امها بأولادها الاربعة وقد تزوجت أختها بسائق تاكسي ، أما أخواها فقد تزوج أحدهما وبقى الثانى بغير زواج . وأقام كل واحد منهم في اقامة مستقلة عن الآخرين وكذلك الأم التى كانت تخدم في المنازل وتخيط الملابس بمسكنها .

اما لوتيسيا نفسها فقد كانت حياتها - في ظاهرها - في منتهى البساطة، حياة موظفة متواضعة منزوية ، ولكنها لم تكن تركب الا الدرجة الأولى ، وترتدى ملابس أنيقة ، وتتردد على المراقص . واستطاعت أن تتزوج - في السر - ابن مخدومها - صاحب مصنع خزف - وكان الابن ، وان كان في منتصف العقد الرابع من عمره ، على درجة كبيرة من السذاجة . ولم يعلم والداه بأمر الزواج وان كانا قد فرحا حين علما ان ابنهما - المتزمت الذى يعيش منزويا منطويا على نفسه ، قد اتخذ لنفسه عشيقة . وقد تم الزواج في عام ١٩٣٠ واستمر الابن يتردد على مصنع أبيه حتى كان ذات يوم في عام ١٩٣٥ حين وصل الى الاب خطاب مستعجل يناشد الاب ان يمر على بيت ابنه المريض . وحين طرق الاب الباب دهش اذ وجد أن التى فتحته له هى العاملة التى فصلها منذ اربع سنوات بسبب الضائقة المالية وأزمة الصناعة .

واعترف الابن لأبيه بالأمر ، ولم يطل به الاجل ، فمات بعد اربعة اشهر ، وانقطعت كل صلة بين لوتيسيا وأسرة تورو ، اللهم الا ذلك الاسم الذى اصبح من حقها أن تحمله .

وتركت لوتيسيا منزل الزوجية بعد وفاة زوجها، واقامت بشارع بيير بيل . وشهدت بوابة المنزل انها كانت تخرج في الصباح للعمل في مصنع بوية للاحذية وتعود الى المنزل متاخرة احيانا ، ولكن دائما بمفردها . واكدت بوابة المنزل انها لم ترها ابدا مع رجل الا اخوتها واخ زوجها . ولكن التحريات دلت على أن الارملة الجميلة لم يكن يقتصر نشاطها على بويات الاحذية . بل اشتركت في جمعية اصلاح اجتماعى كان لها في تلك الايام رواج كبير . رشحها لعضوية تلك الجمعية رجلان من رجال الامن ، أحدهما مفتش في الضبطية القضائية ، والاخر مخبر خاص حسن السمعة ظهر انه يقدر لوتيسيا كل التقدير ويضعها في موضع الاحترام ، وشهد بانها مثال للموظفة ذات ذكاء لماع وانه كان يعهد اليها بالمهام الدقيقة . أما عن اخلاقها ففوق كل الشبهات ولا « أتصور - وانا اعرفها اتم معرفة - مبررا لجريمة قتلها أو باعثا لها » .

★ ★ ★

وهذا المخبر هو الذى عين لوتيسيا فى مصنع ماكسي بعد اضرابات سنة ١٩٣٦، وهو الذى قدمها الى مدير المصنع - الذى طلب منه موظفة موثوقا بها ويعتمد عليها . وثبت طوال العشرة اشهر التى عملتها انها عند حسن ظنه بها ونالت رضاه مدير المصنع .

وربما كان نشاط لوتيسيا في عملها مع المخبر الخاص أو مع مصنع ماكسي دافعا للقضاء عليها بواسطة أحد الذين لا يترددون في طعنة خنجر تريحهم من « جاسوسة » . اذ مما لا شك فيه أن مدير مصنع ماكسي لم يطلب موظفة موثوقا بها ومخلصة لمجرد خلط بوية الأحذية أو وضعها في علبها . ذلك أن السنوات ١٩٣٦ ـ ١٩٣٧ كانت في فرنسا سنوات قلق وحركات فوضوية بين العمال، ويهم أصحاب الأعمال أن يكون لهم بين العمال آذان تسمع لهم ، وعيون يرون بها ما يرتبه العمال .. ومثل هؤلاء « الخونة » في نظر العمال يتعرضون لأشد الأخطار .

ربما كان هذا هو الباعث على الجريمة ؟

★ ★ ★

ومن جهة أخرى اكتشف المحققون أنها كانت أيضا تعمل في المراقص المختلفة تتسلم من المترددين ملابسهم التى يخلعونها عند الباب ويستردونها عند الخروج ، ومثل هذا العمل يبيح لها مراقبة الداخلين والخارجين ، وكثيرا ما يعين البوليس بعض المراقبين ليكونوا عيونه على من يريدون مراقبتهم من المجرمين او الفوضويين أو الجواسيس وهى ـ في هذا العمل ـ معرضة لخطر شديد .

وفي اشتداد الخلافات بين انصار الفاشستية وخصومها في فرنسا عهدت سفارة ايطاليا لمخبر خاص مراقبة خصومها ، وبين من كان يستعملهم ذلك المخبر وجد اسم آنسة يعتقد البوليس انها هى التى اصبحت فيما بعد مدام تورو . وان باعث جريمة قتلها قد يكون هنا ؟

ولكن جميع هذه الظنون لم توصل الى نتيجة .

★ ★ ★

وبحث البوليس عن « جان » صاحب البرقية الذى طلب مقابلتها وحدد لها موعدا في يوم مقتلها. فتبين أن حقيقة اسمه مارتان . بحار متطوع في مدرسة الميكانيكيين بطولون . ينتمى الى أسرة باريسية محترمة ، تعرّف على لوتيسيا في احدى اجازاته بباريس، ونشأت بينهما صداقة افلاطونيه كلها احترام من جهة وعطف كعطف الأم من جانبها، وانه طلب اجازة من مدرسته ، ولكنه لم يحصل عليها وثبت وجوده في طولون في وقت ارتكاب الجريمة .

ووجد في حقيبة يد القتيلة بطاقة باسم رينيه شرام عامل لحام تعرف بالقتيلة في احد المراقص وتردد معها على عدد من المراقص ، وتمت بينهما خطوبة أشبه بخطوبات المصايف ـ التى يطلع عليها الشتاء فتسيح كأحلام الليل عند بزوغ الفجر ـ وذلك كله قبل أن يجند . وبعد أن جند استمرت المراسلات بينهما وطلب هو الآخر اجازة وشاء المصادفة ـ أو حسن حظه ـ أن لا يمنح تلك الاجازة وثبت أنه كان في مقر عمله على بعد ساعات من مكان وقوع الجريمة .

★ ★ ★

لم يبق بين يدى البوليس الا سلاح الجريمة . وهو ايضا سلاح مفلول . فقد ظهر أن هذا النوع من السكاكين موجود في جميع محلات بيع السلاح يباع منه بالمئات يوميا . ووجد على مقبض ذلك السلاح ثلاثة خطوط متوازية . وسأل البوليس في أكثر من مائتى محل بيع أسلحة لعل هذه الخطوط ترشد أو تقود الى خط سير جديد ولكن جهوده لم تثمر .

وبعد أسبوعين من اكتشاف الجريمة وجد البوليس نفسه في نفس المكان الذى بدأ منه . وطوى الملف .

★ ★ ★

وتذكرت احدى الصحف الباريسية أنه في جريمة مماثلة غامضة كهذه الجريمة ـ مقتل فتاة تدعى مارى روجرز وعلى أساس ما نشر بالصحف ـ قام المؤلف الروائى المشهور « ادجار بو » بتقديم حل للجريمة تبين فيما بعد مطابقته للحقيقة . واكتشف الفاعل على أساس النظرية التى كونها المؤلف . فقامت باستفتاء مماثل لدى أساتذة الروايات البوليسية المشهورين .

سألت موريس دى كوبرا فكان رأيه انه لامصلحة لأحد فى قتل مدام تورو . فهى اذا جريمة ساديزم. أى جنون القسوة .

وقال جان بومارت انها جريمة مجنون مجذوب فان أي انسان عاقل لا يمكن أن يختار ذلك المكان لارتكاب جريمته . لقد خضع القاتل لنزوة طارئة فقد كان المتوقع أن تصرخ الضحية فيقبض عليه كالفار في المصيدة .

وقال ايف دارتوا : جريمة غيرة . جريمة ايطالي غيور من مواطنيها ، طعنها عند محطة القيام ثم نزل في المحطة التالية واختلط بركاب الدرجة الثانية دون ان يلفت نظر أحد .

اما بيير فيري فقال انها جريمة اعدت بتدبير محكم . جريمة فتاة تغار من جمال القتيلة وأحكمت خططها لتصورها على انها جريمة لا يمكن أن يرتكبها الا رجل . ونسب شارل دى رختر انه لا بد ان كان شخص القاتل موجودا بعربة الدرجة الاولى ولكن الشهود لم يروه وهذا يحدث كثيرا بحسن نية . خاصة وان الابواب بين الدرجة الاولى والثانية ليست دائما مغلقة . ولماذا لا يكون لدى القاتل مفتاح رئيسي يفتح جميع الأبواب ؟؟

اما عند مارسيل سوفاج فهى جريمة سياسية . جريمة ايطالي أو مالطي أو اسباني . جريمة دولية لاخفاء شاهد خطر . وعند ليون دوديه انها جريمة « مافيا » (العصابات الايطالية) .

واذا كان أساتذة الاجرام قد اختلفوا الى هذا الحد فان للمحققين كل العذر في طيهم للملف . بعد أن استمعوا الى اقوال خمسمائة شاهد وبحثوا علاقة مائة وثمانين اسما استخرجوها من مذكرات القتيلة وسجلوا ثلاثة الاف خطاب غفل من التوقيع درسوها وفحصوها بغير جدوى .

ووقف بحث المحققين عند نقط هامة ثبتت . أهمها انه وضح أن القاتل تتبع القتيلة من المرقص الى محطة شارنتون ومشى وراءها ودخل خلفها الى عربة المترو او انه أحد معارفها المتلصقين بها لانها في هذه المرة فقط لم تتبع الطريق الذى اعتادت ان تتبعه فهى لم يسبق لها أن ركبت المترو في عودتها الى منزلها بل كانت تركب الاوتوبيس الذى ينزلها بجوار مسكنها .

والأمر الثاني الذى وضح من شهادة سائق الاوتوبيس أنها ركبت بمفردها ونزلت بمفردها .

★ ★ ★

وبدأت الظنون تحيط بالطبيب العسكري الذى بعد أن تحقق من أن القتيلة في النزع الأخير اسرع بالفرار . ولكنها ظنون لم تلبث أن تبددت . فقد ظهر انه لم يكن طبيبا بل مساعد طبيب أسنان بالجيش وكانت معه خطيبته وشقيقها ، وكانوا يقصدون الى تلبية دعوة عائلية . ولما وجد انه لا يستطيع تقديم أية معونة وقد تلوثت ملابسه بدم القتيلة اسرع ليستبدل بها غيرها .

ومما حير المحققين في هذه الجريمة أن القتيلة – لاول مرة في ذلك اليوم – قد خلعت ملابس الحزن السوداء وصبغت شعرها ، مما يشير الى انها ارادت ان تتنكر هروبا من مطاردة شخص أو عصابة .

وربما أيد ذلك ما زعمته قارئة الكف المعروفة – مدام لاليمان – من انها طلبت اليها عن طريق السحر تخليصها من شاب يدعى انه طالب طب من أمريكا الجنوبية ثقيل الدم يطاردها .

★ ★ ★

وزعمت مجلة رينولدز الاسبوعية اللندنية ان القتيلة كانت على علاقة بمكتب المخابرات الثاني الفرنسي وباسكوتلانديارد وأنها ذهبت ضحية مؤامرة دولية للقضاء على شاهد خطر .

واخيرا فان أحد نزلاء مستشفى امراض عقلية فر من المستشفى ، ولما قبض عليه ادعى انه هو الذى قتل لوتيسيا تورو ، ولكن ابحاث البوليس أثبتت كذبه . وكان ذلك عام ١٩٤٨ اى بعد عشر سنوات من القتل .

وبعد عشرين سنة أخرى لا يزال ملف الجريمة ينتظر حلا لغموضه .. حلا لم يعد هناك اى أمل في الوصول اليه . ■■

حسن الجداوى



نزيف المخ .. والذاكرة

● **اصيب احد اقربائي بانفجار في شرايين الدماغ فقد على اثره الذاكرة لمدة ١٢ يوما .. فما هي اسباب حدوث ذلك ؟**

ـ نعرف أن خلايا المخ تكون مراكز عدة فيه ، منها مراكز الحركة ـ والحس ـ والسمع ـ والبصر ـ والشم ـ والكلام ، لاستيعاب ما يسمع من كلام ، وصياغة الكلام ـ ثم النطق به ، هذه المراكز المختلفة لا بد لها من شرايين تحمل اليها الدم لتغذيتها ـ فاذا حدث ان احد هذه الشرايين سد بجلطة ، فان الجزء الذى يغذيه يعانى من شلل قد يكون مؤقتا الى أن يصل الى هذا الجزء المتأثر من شريان آخر مجاور ـ وفى معظم الحالات يصحب هذا الانسداد تورم بجزء كبير من المخ ـ هذا التورم يسبب أيضا شللا فى عمل الجزء ـ سواء فى ذلك الحركة او الذاكرة او الكلام ـ وبعد فترة يذهب هذا التورم ويرجع الجزء المصاب الى عمله الطبيعى بعد رجوع الدورة الدموية فى الجزء المصاب الى حالته الطبيعية .

فى بعض الحالات يحدث نزيف من الاوعية الدموية تحت الاغشية . فى المخ ـ وهذا النزيف يسبب صداعا وفقدانا للذاكرة ـ بل وانه فى بعض الحالات يفقد المصاب ذاكرته بعض الوقت ـ ثم يعود ويذكر ما حوله ، وهذا يتكرر كثيرا فى اليوم الواحد ـ واذا ازيلت الجلطة الضاغطة على المخ فان المصاب يستعيد ذاكرته كما كانت فى اول الامر .

وأسباب انسداد شريان المخ عديدة منها تصلب الشرايين وارتفاع فى ضغط الدم مع استعداد الجزء الداخلى للشريان لتترسب عليه الجلطة وتسبب الانسداد ـ وكذلك ارتفاع المواد الدهنية فى الدم يكون لها فى بعض الاحيان اثر على حدوث الجلطة ـ وكذلك الحال فى مرض البول السكرى ، المصحوب بتصلب الشرايين ، وفى بعض الحالات ينسد الشريان من جلطة قادمة من القلب .

والنزيف فى المخ يكون قاتلا ، اذا كان شديدا ، وينتج من ارتفاع فى ضغط الدم ، حين لا يمكن لجدار الشريان ان يتحمل هذا الضغط فينفجر .

اما النزيف تحت اغشية المخ ففى معظم الحالات ينتج من ضربة شديدة ، او اصطدام الراس بمادة صلبة . وفى بعض الحالات خصوصا عندما يكون المريض مسنا تكون الضربة بسيطة وتسبب هذا النزيف .

بقع جلدية بيضاء وسمراء..

● ظهرت على صدرى وظهرى بقع جلدية بعضها ابيض والاخر اسمر وذلك منذ العام الماضي وهى في زيادة مستمرة وخاصة في فصل الصيف ، اشك انها بهاق ، ارجو ارشادى ماذا افعل ؟ .

ــ ان ظهور بقع بعضها ابيض والبعض الآخر أسمر لا يمكن ان يكون بهاقا ــ حيث أن البهاق هو فقدان الجلد للونه بحيث يصبح لون المكان المصاب ابيض مثل لون الحليب ــ ولكن فى اغلب الظن ان ما تشكو منه هو اصابة الطبقة السطحية من الجلد بميكروب فطرى يسمى بميكروب الماليسيه Malassez ؛ وهو يحدث بقعا جلدية سمراء عليها قشور رفيعة جدا لا ترى بسهولة وبزوال هذه القشور يظهر الجلد تحتها افتح لونا من الجلد الطبيعى وهذا المرض يسمى الفطر المختلف الألوان Tinea Versicolor .

ويصيب هذا المرض عددا كبيرا من الأفراد فى المناطق الحارة والرطبة وهذه تساعد على تكاثر الميكروب المسبب لهذا المرض لذلك كما ذكرت فى رسالتك المرض يزداد انتشارا بالجلد أثناء فصل الصيف ولا يلبث ان يقل ويختفى فى فصل الشتاء .

وعلاج هذه الحالة هو دهن المكان بصبغة اليود العادية مع ملاحظة انبعض الاشخاص يصيبهم التهاب جلدى من استعمال اليود ــ لذلك يجب وضعها على جزء صغير من الجلد فى بادىء الأمر وعند عدم حدوث مضاعفات يدهن الجزء كله يوميا بعد أخذ حمام بالماء والصابون.

كما أن محلول هويتفيلد Whitefield الكحولى مفيد جدا فى هذه الحالات ويستعمل كما ذكرنا فى صبغة اليود .

وأحب أن اقول ان العلاج يجب أن يستمر حتى بعد شفاء البقع ببعض الوقت حيث يكون هناك بعض الأماكن المصابة غير المرئية لا تلبث ان تظهر وتنتشر بوقف العلاج .

ومن المستحسن غسل الملابس جيدا وتعقيمها لعدم حدوث عدوى جديدة من لبسها وبها الميكروب المسبب لهذا المرض.



رجفة فى اليد والساق !

● انا شاب في الثالثة والعشرين من عمرى وفي يدى وساقى رجفة . ولا ادرى سببا لها فليس في عائلتنا من يعاني مثلها . فهل لهذا المرض من علاج ؟!

ــ الرجفة فى اليدين والساقين فى السن المبكرة اى ما بين العشرين والثلاثين ــ لها أسباب عدة ــ اهمها ــ التوتر العصبى الذى ينتج من اضطرابات نفسية ــ او الارهاق العصبى . وهذا بالتالى ينتج من اسباب عدة ــ معظمها يكون من أحداث حدثت للمريض فى صغره ، مما يجعله يحس بالنقص ــ وبالتالى بالخجل خصوصا عندما يقابل شخصا غريبا عليه ــ او اكبر منه سنا ومرتبة ــ فيضطرب ويرتجف .

ــ وسبب آخر هام هو ازدياد افراز الغدة الدرقية وما يصحبه من اعراض اخرى من عرق غزير ــ ونقص فى الوزن وجحوظ فى العينين ــ وزيادة فى النبض .

ــ فى حالات اخرى كذلك فى مرض السكر ، خصوصا عندما ينخفض سكر الدم الى مستوى اقل من مستواه الطبيعي فيصحب ذلك هبوط عام ، مع عرق بارد غزير ، وهبوط فى منطقة المعدة .

سبب آخر هو تعاطى المشروبات الكحولية ، والادمان فيها ، فان هذه تسبب اضطرابات الأعضاء وتسبب رجفة فى اليدين مع الاحساس بتخدير ، وقلة الحس وآلام فى اليدين والرجلين خصوصا فى المساء .

ومن الاسباب التى تحدث رجفة فى اليدين ، تعاطى بعض الادوية ، خصوصا التى تستعمل فى تخفيف الوزن ولفقدان الشهية او الحبوب المنبهة مثل **حبوب الرتالين ــ والامفتامين وغيرها .**



وفى اعتقادى أن اهم سبب فى هذه السن هو الاضطرابات النفسية ــ وانصح فى مثل هذه الحالة ، أن يبحث المريض عن سبب هذا الاضطراب ويتغلب عليه ، أو اذا كانت هناك مشكلة عرضها على طبيبه لعله يساعده على حلها ــ اما أن تعالج الحالة باقراص مهدئة ، دون الوصول الى جذور المشكلة ، فهذا علاج سطحى ــ لا يفيد كثيرا بل هو علاج مؤقت ــ والحبوب تساعد على تحسن الحالة وتهدىء أعصاب المريض ، ولكنها لا تشفى ما دام لم يعالج السبب ، وفى الحالات الأخرى المسببة للرجفة ، لا بد من علاج السبب الذى ادى الى ذلك ، بما فى ذلك الامتناع عن شراب المواد الكحولية ، وعدم تعاطى الادوية التى تسبب **ذلك .**



قصة قصيرة

السَّعادَة

عن ليو تولستوى

■ كان الياس يعيش فى بلدة اوفا UFA . وقضي ابوه نحبه بعد أن متع ناظريه بزوجة ولده دون ان يترك شيئا من الارض يستغلها ليعيش من ايرادها هو وامرأته . وترك فقط سبعة من الافراس ، وبقرتين ، وعشرين رأسا من الغنم .

فشمر الياس عن ساعد الجد ، وكان ماهرا في رعاية الحيوان ، بارعا في تربيته ، ذا مثابرة وجلد . فراح يتولى ماشيته بالعناية ، ويهييء لها المرعى والمأوى ... وكان هو وزوجته يعملان طول النهار وجنحا من الليل .

وكانا ينهضان مبكرين مع الفجر ، ويكونان آخر من يأوى الى فراشه في المساء . فاقاما على تلك الحال حتى بارك الله فيجهدهما ، فزادت ماشيتهما وتضاعفت ، ومع السنين تكاثرت ونمت ثروتهما تبعا لذلك ...

ولما بلغ الياس من العمر خمسا وثلاثين سنة ، أصبحت ثروته الحيوانية : ٢٠٠ من الخيل و ١٥٠ من البقر مع الف ومائتى رأس من الغنم .

واستخدم رجالا يحملونمعه عبء الرعيوالعناية بالماشية ومعاونته في عمله ، كما عين عددا من الفلاحات يحلبن له البقرات والنعاج ، ويستخلصن من البانها الزبد والسمن والجبن . واستخراج الكميش وهو شراب روسي يتخذ من لبن الافراس بعد تخميره حينا .

وأيسر الياس وارغد عيشه وراح يعيش في دعة ... وعظم مقامه بين جيرانه ، وذاع شانه بين من يقطنون فى الوادى واخذ كل واحد يغبطه ويتحدث عنه . وملأ الحسد قلوب الناس ، وكان لا حديث لهم الا عن سعادته بهذه الدنيا وهنائه بهـا .

وتقاطرت على الياس جموع الزوار من كل حدب وصوب .. وكان يتلقى كل واحد منهم بالترحيب والتكريم ، وينحر لهم ، ويقيم لهم الموائد الحافلة باللذيذ الفاخر من الشراب والطعام بما في ذلك الكميش والشاى .

وكان لالياس ولدان وابنة زوجهم جميعا .. وفي أيام فقره وعسره كان أولاده عونا له في رعاية قطعانه . ولكن لما زخرت خزائنه بالمال أبطرتهم النعمة ، فسرت اليهم عوامل الفساد والتلف . فاقبل واحد منهم على الخمر يعب كؤوسها حتى يضل منه الوعى ويحمل مخمورا الى داره . ولم يلبث أن قتل في عراك بين ابناء الحي من ذوى



.. وراح السيد ينادى الياس قائلا : يا أبت ! هيا اشرب معنا قدحا من الكميش ، وادع زوجتك الى هنا كذلك ..

النفوس الشريرة .

اما الابن الآخر فقد تزوج من امراة رقيعة خرقاء ، جعلت تسعى بالباطل بين الرجل وابنه حتى أوغرت نفسيهما واوقعت بينهما فافترقا بعد أن تخلى الياس لابنه عن جواد وقطيع من الغنم .

ولم ينقض وقت طويل بعد ذلك ، حتى تفشى مرض بين الماشية ، فاورد كثيرا منها موارد الهلاك ... وساء كذلك الحصاد في هذا العام ، ولم يخرج الا اليسير من المحصول فنفقت بسبب ذلك اكثر الماشية . فلما اغارت قبائل القرغيز على أرض الياس ، نهبت البقية الباقية منها التى نجت من الموت جوعا . وبات المسكين بين ليلة وضحاها لا يملك شروى نقير . وقد عبثت يد الزمان بكل ما يملك .

وادبرت عنه الدنيا وهي ساخرة وقد ضعف منه الجسم ووهن منه العظم ... فباع اثاث داره ثم لم يلبث أن باع الدار نفسها . وبات هو وزوجته التى كانت تدعى (شام شماجى) على الطوى ، ليس لهما موئل يأويان اليه ، بعد أن رحل ابنهما عن البلدة ، وبعد أن ماتت ابنتهما من زمن بعيد ، فلم يجد الزوجان الى جانبهما في خريف العمر من يخفف عنهما أو يسعى اليهما بالقوت ...

وكان لالياس وزوجته جار اسمه (محمد شاه) من متوسطى الحال ، ومع ذلك يعيش في رخاء ويسر . فعطف عليهما ورحم شيخوختهما اذ كان رحيم القلب محبا للناس . فتالم لما أصاب جاره الياس من النكبات وماحل به بعد عز ورفاهية .

وتذكر ما كان عليه من كرم وجود . فقام من فوره وقابله وقال له :

ــ تعال عندي وأقم معي يا الياس أنت وزوجتك العجوز . وما عليك الا أن تفلح مزرعة البطيخ في الصيف ، وفي الشتاء تطعم الماشية وترعاها ، اذا كان هذا في مقدورك . أما زوجتك الفاضلة (شام شماجي) فسوف تحلب الافراس وتستخرج لنا من البانها (كميشا) طيب المذاق بديع الصنع . . .وسأهيء لكما من الملبس والطعام ما فيه الكفاية، فان أعوزتك حاجة بعد ذلك فخبرني بأمرها ، واني أعدك باجابتك الى طلباتك كلما أمكن ذلك .

وشكر الياس صنيع جاره ، وأقبل هو وزوجته على العمل في خدمة جارهما (محمد شاه) . وشقت عليهما الخدمة في أول الامر وهو أول عهدهما بالعمل بعد راحة ورفاهية طال زمنهما بيد أنهما تعودا على الحال بعد قليل ، واستقر بهما المقام وأخذا يعملان بأمانة ويبذلان ما في وسعهمـا .

وكان يحز الالم والرثاء في نفس (محمد شاه) ، وهو يرى الزوجين على هذه الحال بعد غناهمـا العريض وعلو منزلتهمـا ، وهمـا ينحدران الى مثل هذه الحالة . لقد آلمه كل هذا ، ولكنه افاد منهما اذ أطلق لهما حرية الامر فلم يسعهما سوى أن يتفانيا في خدمته في اخلاص وجد .

وفي أحد الايام نزل في ضيافة محمد شاه نفر من ذوي قرباه مع صديق له من رجال البحر فأكرم وفادتهم ، ونحر لهم الياس شاة وسلخها ثم أنضجها على النار ، وبعث بها الى الاضياف فأكلوا منها ما طاب لأنفسهم .

وفيما هم جلوس على البسط الثمينة يتناقلون الحديث ويرشفون كئوس الكميش، مر بهم الياس ــ بعد فراغه من عمله ــ وهنا سأل محمد شاه أحد ضيوفه قائلا :

ــ هل سبق لك أن رأيت هذا الرجل الذي مر بنا منذ لحظات ؟ فأجاب الضيف :

ــ أجل ، رأيته فما الذي يدعو الى سؤالك ؟

فقال محمد شاه :

ــ لقد كان أغنى انسان في هذه الناحية من الارض . انه يدعى الياس . أما سمعت بذلك الاسم قبل الآن ؟

ــ لقد طرقت سمعي أخبار كثيرة عنه وان كنت لم أره من قبل ، ولكن شهرته ذاعت في كل البقاع.

ــ هذا حق ، بيد أنه أصبح الآن صفر اليدين وفي عسر شديد . فهو يقيم معي هنا ويعمل في أرضي ويرعى غنمي . أما زوجته فتحلب ماشيتي وافراسي . .

فعلت الدهشة وجه ذلك الضيف ومط شفتيه، وهز رأسه وهو يقول :

ــ حقا ، ان الأيام دول : يوم لك ويوم عليك، ومن سره زمن ساءته أزمان فبين عشية وضحاها يهوى الى الحضيض . وهنا سأل ضيفه قائلا :

ــ ولكن خبرني ، هل تقض المصيبة مضجع هذا المسكين ، وتجعله يندب حظه على ما ضاع من يديه ، وعلى الحالة التي أصبح عليها ؟

ــ من يدريك ؟ انه يعيش في هدوء وسكينة . هو يقوم بعمله على الوجه الأكمل راضيا قانعا .

فعاد الضيف يقول : ــ بودي أن أتحدث اليه بعض الوقت مع زوجته ، هل هذا في الامكان ؟

ــ ولم لا ؟ . . وراح السيد ينادي اليـاس قائلا :

ــ يا أبت ! هيا اشرب معنا قدحا من الكميش، وادع زوجتك الى هنا كذلك . .

ودخل الياس وزوجته الى الغرفة . . وبعـد أن ألقى تحيته على الأضياف ، جلس على مقربة من الباب ، وراح يتمتم بصلوات سرية في صوت منخفض . . أما زوجته فتجاوزت المكان الى وراء حجاب في ركن منه حيث جلست سيدتها . .

وقدم محمد شاه قدحا من الكميش الى الياس، فتناوله ولسانه يلهج بعبارات الشكر والحمد . وبعد أن تمنى للحاضرين صحة وعافية ، راح يرشف القدح وعلى مهل ، ثم وضعه جانبا . . فقال له الضيف الذي كان يروم رؤيته :

ــ حسن يا أبتاه أحسب أن حديثنا سـوف يثير في نفسك لواعج الحزن والأسف ويبعث في نفسك ذكرى الماضي وما كنت تتملكه من دور وضياع ومواشٍ، ذهبت جميعها مع الريح . . لعلك متألم وضيق النفس بما أنت عليه الآن .

ووضحت على فم الياس ابتسامة عريضة حلوة . . وقال في صوت رزين :

ــ لو دار حديثي عن كُنْهِ السعادة ، ومـا هي عثرة الحظ وسوء الطالع ، لأثار ذلك دوافع الشك في نفسك . فيَحسن بك أن تسأل زوجتي. فكل ما في قلوب النساء يجرى طلقا على ألسنتهن . . فاستدار الضيف نحو الستار وهو يقول :

ــ هلا تخبرينا يا جدتي العجوز : كيف أن سعادتكم السابقة تقرن بما يكتنفكم الآن من بؤس

وشقاء ؟ .

فارتفع صوت شام شماجي من خلف الستار وهي تقول : ـ

ـ هذا ما يدور بخلدي . لقد عشت انا وزوجي العجوز خمسين عاما نسعى في سبيل السعادة ، ونتقب عنها ، فلم نعثر لها على اثر .. ولكننا الآن في هاتين السنتين الاخيرتين ـ بعد أن ودعنا الغنى ورفعة الشأن ، وأصبحنا نعمل كأجيرين ـ بلغنا السعادة وعرفناها على حقيقتها ، وصرنا ننعم في كل صباح ومساء .. فلسنا نبغى الآن أسعد من أيامنا هذه .

فرانت الدهشة والعجب على وجوه الأضياف وكذلك على وجه صاحب الدار الذى قام فحسر الستار عن مكان السيدة العجوز وهي جالسة . وقد عقدت يديها على صدرها وراحت تبتسم لزوجها ، فابتسم هو الآخر لها .

وبعد أن مَضت برهة من الصمت تعلقت فيها الانفاس ، عادت تستأنف كلامها في صوتها الرفيق وتقول : ـ

ـ انى لا احدثكم بغير الحقيقة ، في غير مبالغة ، هي الحقيقة بعينيها .. قضينا ربع قرن من الزمن ونحن نسعى الى السعادة التي لا نريد عنها بديلا

فقال لها ذلك الضيف متسائلا :

ـ بالله خبرينا عن هذه السعادة التي تشملك انت وزوجك في اعساركما ، بعد أن أدبرت الدنيا عنكما .

فقالت السيدة : ـ أصبت يا سيدى . فعندما كنا اغنياء كان لدينا من المشاغل ما يصرفنا عن التناس الزوج بزوجته ، وتآلف روحينا ، وعبادة الله عز وجل .. فقد كان الناس يفدون علينا فنسهر على خدمتهم وتوفير ما يثلج صدورهم ، خشية أن تتناولنا السنتهم بالسوء ويتحدثون عنا بما نكره .. فاذا ما رحلوا كان علينا أن نراقب عمالنا ومن يقومون على خدمتنا حتى لا تنزع بهم دوافع الشر الى خيانتنا فيما نعهد به اليهم .

وكنا كذلك نحاول أن ننقص من أجور العمال ونفيد منهم أكثر مما نستحق . فارتكبنا الخطيئة الاولى .. واذا جن الليل ، نبيت ونحن ايقاظ خشية ان تفترس الذئاب والوحوش بعض الاغنام، أو يعمد اللصوص الى سرقتهافي غفلة من حراسها. ونهب من رقادنا من حين الى آخر لنطمئن عليها .. الى غير ذلك مما ينشب من مشاكل بيني وبين زوجي يتبعها الشجار والنزاع .. فهو مثلا ـ يريد شيئا ، وأنا أعارضه في مشيئته ، فنخطىء ثانية ..وهكذا ترون أننا كنا لا نكاد نتجاوز صعوبة حتى نقابل اخرى ، ونستدبر خطيئة حتى نواجه ثانية .. فعشنا لا نجد الى السعادة سبيلا ..

فعقب الضيف على قولها بالسؤال :

ـ حسن .. والآن ؟ فاجابت بقولها : : ـ والآن ، حين أفيق أنا وزوجي العزيز في الصباح ، بعد نوم هادىء لا تكتنفه المخاوف ولا الكابوس المزعج .. نتبادل عبارات الحب وكلمات الود ..

وبدأنا نحيا في هدوء وسلام بعيدين عما يثير المنازعات . ليس علينا من واجب سوى خدمة ذلك السيد الكريم الذى أنزلنا الى بيته وأحسن الينا .. فنحن نتفانى في العمل لصالحه ، حتى لا يَحس في وجودنا مضرة به ، أو ثقلا عليه .. ونتناول غذاء هنيئا مع أكواب الكميش . وقد توفرت لنا الاخشاب التى نطعمها للنار ونستمتع بدفئها اذا ما اشتدت وطأة البرد .

ويُحضر لنا سيدنا الثياب ذات الفراء التى تعوزنا .

ووجدنا في الوقت ما يتسع للاحاديث المتبادلة بيني وبين زوجي في ود وفي غزَل . فنفكر في انفسنا ونتعبد متقربين الى الله نسأله الصفح والمغفرة عما ارتكبنا من الخطايا . نعم لقد سعينا خمسين عاما في سبيل السعَادَة فلم نجدها الا الآن .. ولما وصلت السيدة في كلامها الى هذا الحد ، انفجر الأضياف في الضحك .. ولكن الياس ما لبث أن قال لهم في صوت ذى جرس :

ـ ليس هناك مجال للضحك ، بل لِلعْبِرَة والعظة انها حقيقة الحياة .. لم ندركها الا حينما توج رأسنا الشيب .

لقد كنا في غاية السخف والحمق حينما بكينا طويلا على ما ضاع منا من ثروة وعلو شأن .. ولكن الله ـ تعالت قدرته ـ هدانا الى الحقيقة : فما اجملها وما اجلها ! انا لا اذكر لكم هذه الحقيقة ابتغاء السلوى والعزاء لنا ، بل نلقيها ونذكرها على اسماعكم لهدايتكم وخيركم !

فقال الفلاح وقد اغرورقت عيناه بالدموع :

ـ انك لعلى حق يا الياس . انه حديث الحكمة والموعظة . فقد جَاء ذِكرُه في الكتب المقدسة التي أنزلها الله ليهتدى بها عباده ..

فامسك الضيوف عن الضحك ، واستغرقوا في تفكير عميق . ■■

ترجمة : نصيف بقطر

طرائف

● سال ملك وزيره قال : ما خير ما يرزقه العبد ؟ قال : عقل يعيش به . قال : فان عدمه ؟ قال : آدب يتحلي به . قال : فان عدمه ؟ قال : مال يستره . قال : فان عدمه ؟ قال : فصاعقة تحرقه وتريح منه العباد والبلاد .

الصابر والشاكر

● نظرت امراة من أهل البادية فى المرآة ، وكانت حسنة الصورة . وكان زوجها بشع الوجه قبيحه. فقالت له والمرآة فى يدها : اني لأرجو ان ندخل

خطوبة في ثلاث كلمات

● قال الحجاج لايوب بن القرية : اخطب لي هند بنت اسماء . ولا تزد على ثلاث كلمات . فاتاهم فقال : اتيتكم من عند من تعلمون ، والأمير معطيكم ما تسالون ، افتنكحون ام تردون ؟

قالوا : بل انكحنا وانعمنا . فرجع ابن القرية الى الحجاج فقال : اقر الله عينك ، وجمع شملك ، وانبت ربعك على الثبات والنبات ، والغنى حتى الممات ، جعلها الله ودودا ولودا ، وجمع بينكما على البركة والخير .

فطنـــة

● جلس المامون وفى مجلسه الأمراء والعلماء ، فجاءت امراة تتظلم اليه ، فذكرت له ان اخاها توفى وترك ستمائة دينار فلم يقسم لها الا دينارا واحدا . فقال لها المامون على البديهة قد وصلك حقك ، لان اخاك توفى وترك بنتين واما وزوجة ، واثنا عشر اخا ، واختا واحدة وهي انت . قالت : نعم يا امير المؤمنين فقال : للبنتين الثلثان اربعمائة ، وللأم السدس مائة وللزوجة الثمن خمسة وسبعون دينارا بقي خمسة وعشرون دينارا ، لكل اخ ديناران وبقي دينار واحد لك . فعجب الحاضرون من فطنته وسرعة جوابه .

عربية

في الجنة

الجنة ، انا وانت . فقال . وكيف ذلك ؟ فقالت : اما انا فلأني ابتليتُ بك فصبرت ، واما انت فلأن الله تعالى قد انعم عليك بي فشكرت ، والصابر والشاكر في الجنة .

● جاء رجل الى وهب بن منبه فقال : ان الناس قد وقعوا فيما وقعوا فيه ، وقد حدثت نفسي الا اخالطهم فقال له وهب : لا تفعل فانه لا بد للناس منك ولا بد لك منهم ، لهم اليك حوائج ، ولك اليهم حوائج ، ولكن كن فيهم اصم سميعا ، واعمى بصيرا ، وسكوتا نطوقا .

لئن شكرتم

● سرق احد الاعراب ، فاحضر امام الحجاج فضربه سبعمائة سوط ، فكلما قرعه بسوط قال : اللهم شكرا ، فاتاه ابن عم له فقال : والله ما دعا الحجاج الى التمادي في ضربك الا لكثرة شكرك ، لأن الله يقول : لئن شكرتم لأزيدنكم ، فقال : هل هذا في كتاب الله : فقال : اللهم نعم .

فانشأ الاعرابي يقول :

يا ربُ لا شكرَ فلا تزدني ... اسرفتُ في شكرك فاعفُ عني

باعد ثواب الشاكرين عني

وصية

● لما حضرت الحطيئة الوفاة قيل له : اوص يا ابا مليكة . قال : بم اوصي ، مالي للذكور دون الاناث . فقالوا : ان الله لم يأمر بهذا . فقال : لكني آمر به . ثم قال : ويل للشعر من راوية الشعر . فقيل اوص يا ابا مليكة للمساكين بشيء ؟ قال اوصيهم بالمسألة ما عاشوا ، فانها تجارة لن تبور . قيل أعتقْ عبدك يسارا . قال : اشهد انه عبد ما بقي . قيل : فلان اليتيم ما توصي فيه ؟ قال : اوصي بان تأكلوا ماله . قيل اوص يا ابا مليكة . قال : احملوني على حمار ، فانه لم يمت عليه كريم .

أنت تسأل .. ونحن نجيب

القهوة
نشأت في الجزيرة العربية وانتشرت في أمريكا اللاتينية

● نعرف أن أهل البادية يشربون القهوة بكثرة ، فمنذ متى عرف هؤلاء مشروب القهوة وعن أي الأمم اقتبسوه ؟ !

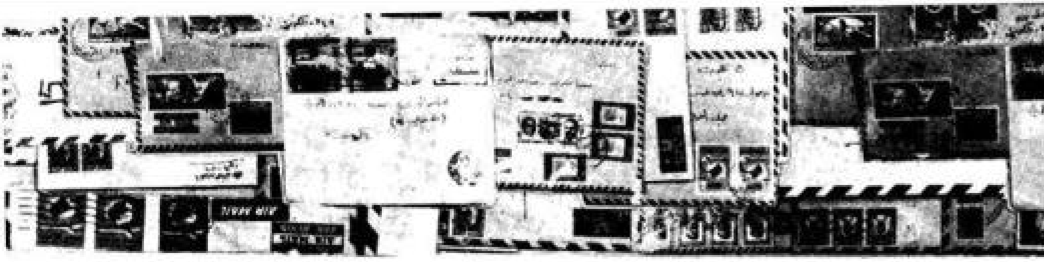
حمد مرزوق الحارثي ـ جدة



ـ لا يعرف بالضبط متى عرف اهل البادية القهوة ، وان كان من المسلم به انهم لم يقتبسوا هذا المشروب عن غيرهم .

ولعل لما نعرفه عن منشا شجرة البن صلة بذلك . فموطنها الأصلي هو الشواطىء الجنوبية من الجزيرة العربية وكذلك بلاد الصومال والحبشة . وتجدر الاشارة هنا الى ان الاسم العلمي الذي تعرف به هذه الشجرة هو القهوة العربية اي Coffea Arabica . اضف الى ذلك ان لفظ « قهوة » لفظ عربي صميم ومعناه في الأصل الخمرة .

وثمة شيء آخر ينبغي ذكره في هذا الصدد . فالعرب هم الذين نقلوا مشروب القهوة الى فرنسا في القرن السابع عشر . ولا يخفى ان انتشار هذا المشروب في فرنسا ادى الى انتشاره آجلا او عاجلا في سائر اقطار اوربا . هذا وقد اسهم العرب في نقل زراعة البن الى بلاد اخرى غير بلادهم . ولم تلبث هذه الزراعة ان انتشرت في اندونيسيا وسيلان وغيرهما كان ذلك في القرن السابع عشر ايضا . الا انها تاخرت في الوصول الى بلاد امريكا اللاتينية حتى القرن الثامن عشر . ومع ذلك فقد



احرزت زراعة البن في تلك البلاد ما لم تحرزه في اى جهة اخرى في العالم .

ويصدق ذلك بخاصة على البرازيل وقد بلغ محصولها السنوى من البن في المدة الأخيرة نحو ١٦٠٠٠٠٠ طن ، اى ٤٠٪ من مجموع الانتاج العالمي البالغ نحو ٤ ملايين طن . وتأتي كولومبيا بعد البرازيل وقد بلغ انتاجها من البن نحو نصف مليون طن . اما المكسيك والسلفادور وجواتيمالا فلا يزيد محصول البن في الواحدة منها على ١٠٠٠٠٠ طن في السنة .

على ان في وسع هذه الدول الصغيرة أن تفاخر البرازيل وغيرها من حيث انواع البن الفاخرة التى تنمو فيها ، ولا سيما في الاكوادور وهايتى . وتحظى هذه الأصناف الجيدة في بورصات البن العالمية بأسعار تفوق كثيرا الأسعار التى تحصل عليها اصناف البن البرازيلى المعروفة ، الريو والسانتوس وغيرهما .

ويجدر التنويه هنا بنوع آخر من البن غير الأنواع التى ذكرنا جميعا . وينمو هذا النوع المعروف باسم Robusta في افريقيا ولا سيما في ساحل العاج وأنجولا وقد بلغ محصولهما السنوى منه مؤخرا ٢٦٠٠٠٠ طن و ١٧٠٠٠٠ طن على التوالى . وجدير بالذكر ان هذا النوع الافريقى هو دون الأنواع التى سبقت الاشارة اليها جودة وثمنا . فهو يفتقر الى النكهة التى تجدها في تلك الأنواع عامة وفي البن العدنى والحبشي بصفة خاصة .

على ان نكهة البن لا تعتمد فقط على نوعه . فهى تعتمد ايضا على تحميصه ، وتقل او حتى تنعدم اذا لم يكن هذا التحميص متقنا . وهى تعتمد كذلك على المدة التى تمضي على طحنه ، فتنقص ان لم تتلاش اذا طالت تلك المدة .

(ى. ز.)

"العودُ أحْمدُ" .. مَثلٌ لهُ قِصةٌ !!

● نسمع الناس يقولون « العود أحمد » فهل هذا مثل قديم أو مثل جديد ! وهل له مناسبة تذكر ؟

احمد اسماعيل الشرقاوى ــ مصر الجديدة

ــ هذا مثل قديم ، تصحبه اقصوصة طريفة . تحمل معنى كريما ، ودلالة على تقدير للمرأة العربية والأخذ برأيها الحميد .. قالوا :

ان خِداش بن حابس التميمى رأى فتاة من بنى ذهل يقال لها الرَّباب ، فاحبها وهام بها ، ولم يكن ذا مال كثير . فلما تقدم لخطبتها تمنع أبوها وامها ، ذلك أن ابنتهما جميلة ، وثقتهما في كثرة الراغبين الطالبين لها كبيرة .

واضرب خِداش مدة عن طلبه لها ، لكن جمالها ما يزال يعاوده ، ورغبته فيها تلح عليه ان يعيد الكرّة .

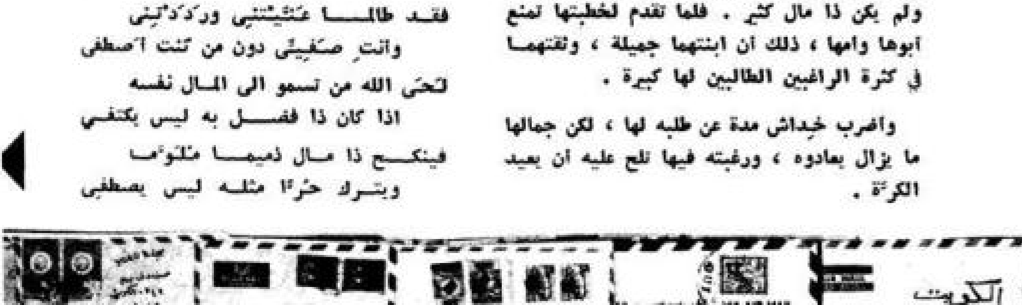
وفي ذات يوم اقبل راكبا مع جماعة من أترابه حتى وصل الى حيّها ، فلما اقترب من دارها تغنى بهذه الأبيات .

ألا ليت شِعرى يا رَباب متى أرى
لنا منك نُجحا او شِفاءً فأشتفي

فقد طالما عَنّيتِني ورَدَدْتِني
وأنتِ صَفيِّي دون من كنت أصطفى

لحَى الله من تسمو الى المال نفسه
اذا كان ذا فضل به ليس يكتفي

فينكح ذا مال دميما مُلوّما
ويترك حرّا مثله ليس يصطفي



فسمعت الرباب شعره ، وفهمت معانيه ، وعرفت قائله . ويبدو انها مالت اليه ورغبت في زواجه . فأرسلت اليه من يخبره انها قد عرفت طلبه ، فليتقدم الى ابيها ليخطبها مرة اخرى . ثم ذهبت الى امها وقالت لها : يا أماه ، هل أنكح الا من أهوى ، وألتحف الا من ارضى ؟ قالت : بلى ، فلم ذلك ؟ قالت : اذن فزوجوني خداشا . قالت أمها : وما يدعوك الى ذلك وهو قليل المال : فقالت الرباب : يا أماه اذا جمع المال السيىء الفعال فقبحا للمال . فاخبرت الام اباها بذلك فقال : الم نكن صرفناه عنا ، فما دعاه الى العودة الينا ؟ واقنعته الام ، واستعد لاجابة الطلب . واصبح خداش فتوجه الى ابيها وسلم عليه وقال : « العود أحمد ، والمرء يرشد ، والورد يحمد .. ثم خطب الرباب ، فأجيب وصارت كلماته مثلا يروى » .

هذا و « أحمد » هنا ليس اسما لانسان ، وانما هو اسم تفضيل ، كما تقول : أكرم ، واحسن ، وأعظم .

ومعنى المثل « عودتك الى ما تطلبه محمودة أكثر . ذلك انك لا تعود الى شيء غالبا الا بعد أن تشعر بان الرجوع اليه احسن من المرة الاولى . كما قالوا أيضا في تفسير المثل « ان من ابتدأ المعروف جلب الحمد لنفسه ، فاذا عاد الى صنع المعروف كان ذلك مكسبا له حمدا كثيرا » .

(ع. ف)

عندما يكون التقشف سبيل الغلبة

● جاءتنا الاخبار بفوز حزب العمال في انتخابات المجالس المحلية في بريطانيا ، تلك التي وقعت قريبا وقد كنا علمنا أن حزب العمال نال قسطا كبيرا من غضب الشعب البريطاني ، حتى طالب بتنحيته عن الحكم في السنة الماضية ، فما الذي حدث يا ترى حتى انقلبت الموازين هكذا سريعا ؟

محمود عطيه ـ عمان

ـ لا شك ان تحسنا ملحوظا قد طرأ على نتائج انتخابات المجالس البلدية او المحلية التي جرت في بريطانيا اخيرا، فهذه الانتخابات كانت وما تزال الاختبار العملي الأساسي لاتجاهات الراي العام في بريطانيا .وقد اسفرت نتائجها عن زيادة في عدد مؤيدي حزب العمال على مؤيدي حزب المحافظين (الحزب الرئيسي المنافس) ، بنسبة ٧ر٦ في المائة في دوائر لندن و٨ر٢٪ من دوائر ضواحي لندن .

أما السبب المباشر في رجحان كفة العمال على المحافظين ، فيرجع في الدرجة الاولى الى التحسن النسبي الذي طرأ على الاقتصاد البريطاني في الفترة الاخيرة ، فقد كان هناك عجز في ميزان المدفوعات يبلغ ٨٠٠ مليون جنيه استرليني ، في سنة ١٩٦٤ (السنة التي سقط فيها حكم المحافظين ، وفاز فيها العمال بالحكم) أما اليوم فقد أصبح العمال يفاخرون بأن لدى بريطانيا فائضا سنويا يبلغ أكثر من ٢٠٠ مليون جنيه استرليني، كما جاء في الميزانية الجديدة التي قدمها وزير مالية بريطانيا الى البرلمان.

وقد جاء هذا التحسن الاقتصادي نتيجة لسلسلة من اجراءات التقشف التي اقدمت عليها حكومة العمال برئاسة هارولد ويلسون ، وفي مقدمتها تجميد الأجور ، والحد من



والداى ينتقدان طريقة تربيتى لابنائى !

● طريقة تربيتى لابنائى لا تعجب والداى . انهما يتهمانني بتدليل الاطفال أكثر من اللازم ، وينتقدان تصرفاتي معهم .. وما من مرة جاءالزيارتي الا وحرصا على اسماعي رأيهما الصريح في الاسلوب الذى أتبعه في تربية ابنائى « أهكـذاتربينهم ! » لقد عرفت الحرمان في طفولتى وصباى وانا اريد ان اعطى أبنائى كل شيء حرمت منه ،ترى هل اخطأت ؟ وماذا أصنع لاقنع والدى بأن اليوم ليس الامس !

ت. محمود ـ عمان

ـ نشك يا سيدتي في انكستفلحين في حمل والديك على ادراك الفارق بين طريقة تربيتك لاطفالك ، والطريقة التى اتبعها والداك معك منذعشرين عاما او اكثر او اقل ، فنظرة الجيل القديم للجيل الجديد ، هي هي لا تتغير والعكس أيضا صحيح ، اى انك تنظرين اليهما دائما كما لو كانا شيئا ينتمى الى الماضي ، ولا يمت الى الحاضر بصلة .

وما يحدث بينك وبين والديك الآن سوف يتكرر عندما يكبر اطفالك أنت ويتزوجون وتصبحين جدة. فانت لن تملكى الا ان تنتقدى تصرفاتهم ازاء اطفالهم ، بنفس الطريقة التى ينتقدك بها والداك اليوم .

الشيء الوحيد الذى يجب ان تدركيه في هذا العالم المتغير المتطور ، هو أن جيل اليوم ليس بجيل الأمس ، وأن حب والديك لك ولاولادك ،هو السبب في هذا الشعور بالقلق الذى يشعران به تجاه تنشئتهم ومستقبلهم ، فتحملى هذا القلق منهما وعامليهما بالحسنى وذكريهما بقول الامام على رضي الله عنه : « هؤلاء خلقوا لزمان غير زمانكم » .

(م. ن)

الواردات ، وخفض قيمة الجنيه الاسترليني لمضاعفة الصادرات .

وفي العام الماضي فقط كان يبدو ان امل حزب العمال في استعادة شعبيته السابقة قد تبدد تماما بسبب النتائج التى ترتبت على هذه الاجراءات ، ومن بينها ارتفاع تكاليف المعيشة وخفض مشروعات الاسكان الامر الذى ضاعف من ازمة المساكن ، حتى اصبحت مهمة العثور على مسكن خال اشبه ما تكون بالبحث عن ابرة في كومة من القش . الى جانب استحكام أزمة البطالة في البلاد ..

وقد ادت كل هذه العوامل مجتمعة الى خلق شعور بفشل حكومة العمال ، وبالتالى الى هزيمتها في الانتخابات الفرعية في العام الماضي، هزيمة ذريعة ، حتى بات الشعب يتوقع سقوطها وعودة المحافظين الى الحكم في أية لحظة .

ولكن الصورة ما لبثت ان تغيرت بعد أن تخلصت حكومة ويلسون من العجز الذىأصاب ميزانها التجارى ، وحققت هذا الفائض الذى ينتظر أن يرتفع مع استمرار السياسة الاقتصادية الحالية للبلاد ، وخاصة بعد أن تحللت الحكومة البريطانية من جانب كبير من نفقات أعبائها العسكرية في الخارج نتيجة لانسحاب القوات البريطانية من مناطق ما يسمونه « شرق السويس » .

وان دل هذا التحسن في شعبية حكومة العمال على شيء ، فهو يدل على مدى ما يتمتع به الشعب البريطانى من وعى رغم التقشف الشديد ،وهذه هى الصفة الاولى التى ساعدت هذا الشعب على الصمود دائما عند النوازل. فان نحن ذكرناه اليوم ، فانما نذكره ليكون عبرة للعرب في محنتهم الحاضرة رغم أن هذه الدولة ، دولة بريطانيا ، تقف مساندة للدولة الكبرى التى تقوم بعداتنا،تلك الدولة القائمة على ذلك البر الغربى الآخر من المحيط الاطلسي .

(م. ن)

ماهو الفلكلور..!!

● تولي بعض الدول دراسة الفولكلور الشعبي عناية فائقة ، فما معنى فولكلور ؟ ومتى بدأ الاهتمام به وهل أضاف جديدا في تراثنا الفكري .

محمد ابو الحسن ـ جنيف

ـ ان دراسة الفولكلور بدات بحسبانها دراسة تعبر عن حياة اناس بسطاء يعيشون في بيئة غير معقدة . وبمرور الزمن برزت حوافز قومية وعلمية لدراسة الفولكلور على اعتبار أنه التاريخ الحقيقي للشعوب ، يصور حياتها العاطفية تصويرا واقعيا لا مجال للشك فيه .

وقد صاغ مصطلح فولكلور العالم الانجليزي سير جون وليام تومز سنة ١٨٤٦ للدلالة على تقاليد الامم من حيث قدرتها الابداعية التي تظهر آثارها في فنونها وطقوسها وعاداتها .. وهو يكشف عن ذات الانسان من خلال صور واشكال ووسائل خلقه الفني . وهذه القدرات الابداعية تتناقل مشافهة ، فهي مجهول مؤلفها ، وهي تعتبر من صنع الناس جميعا ، كل يضيف اليها من ابداعه شيئا . ثم يتبناها المجتمع ويتناقلها على الصورة التي وصلت اليها .

وتشمل دراسة الفولكلور الأغنية الشعبية والرقص الشعبي والحكاية الشعبية وقصص الخوارق والعقائد الشعبية والخزعبلات ، وبذلك يفهم الفولكلور على انه موروثات ثقافية .

وعلى الرغم من أن كلمة فولكلور قد مضى على ابداعها أكثر من قرن فليس هناك اتفاق تام على ما تعنيه هذه الكلمة ، الا أن الفكرة الشائعة في الوقت الحاضر أن الفولكلور هو شيء مرادف للتراث ، وهو شيء انتقل من شخص لآخر عن طريق الذاكرة أو بالممارسة .

وتنحصر اهداف دراسة الفولكلور في حفظ التراث واحيائه من أجل الابقاء على السمات القومية للمجتمعات الانسانية .فمنذ القرن الثامن عشر كان جمع الأغاني عملا يقصد به المشاركة في حركة التحرير الوطني واظهار الطابع المحلي والقومي للأغنية والموسيقى الشعبية ومثل ذلك ما قام به الموسيقار البولندى شوبان في مؤلفاته التي استقاها من الرقصات الشعبية للبولونيز والمازوركا ، كما لقيت موضوعات الأدب الشعبي اهتماما كبيرا من جانب الأدباء ، فاصبحت موضوعات الأدب الشعبي منهلا عذبا استلهموا عناصرها في أعمالهم الفكرية الحديثة ، فقد أخذ شكسبير مقاطع وعناصر من هذه الآداب الشعبية صاغها في أعماله الخالدة .

وبمرور الزمن بدات مختلف حكومات العالم تحس بأثر احياء الفنون الشعبية ودورها في ابراز السمات القومية للأمة فانشأت المراكز المتخصصة لدراسة الموسيقى والأغاني الشعبية والفنون المرتبطة بالجماهير كما أصبح الفولكلور مادة اكاديمية في مختلف المعاهد واكاديميات الموسيقى في العالم .

(ص. ى)





الأسواق المركزية .. متى وأين نشأت ؟

● نلاحظ هذه الأيام انتشار متاجر « السوبر ماركت » فمتى وأين نشأت هذه المتاجر ؟

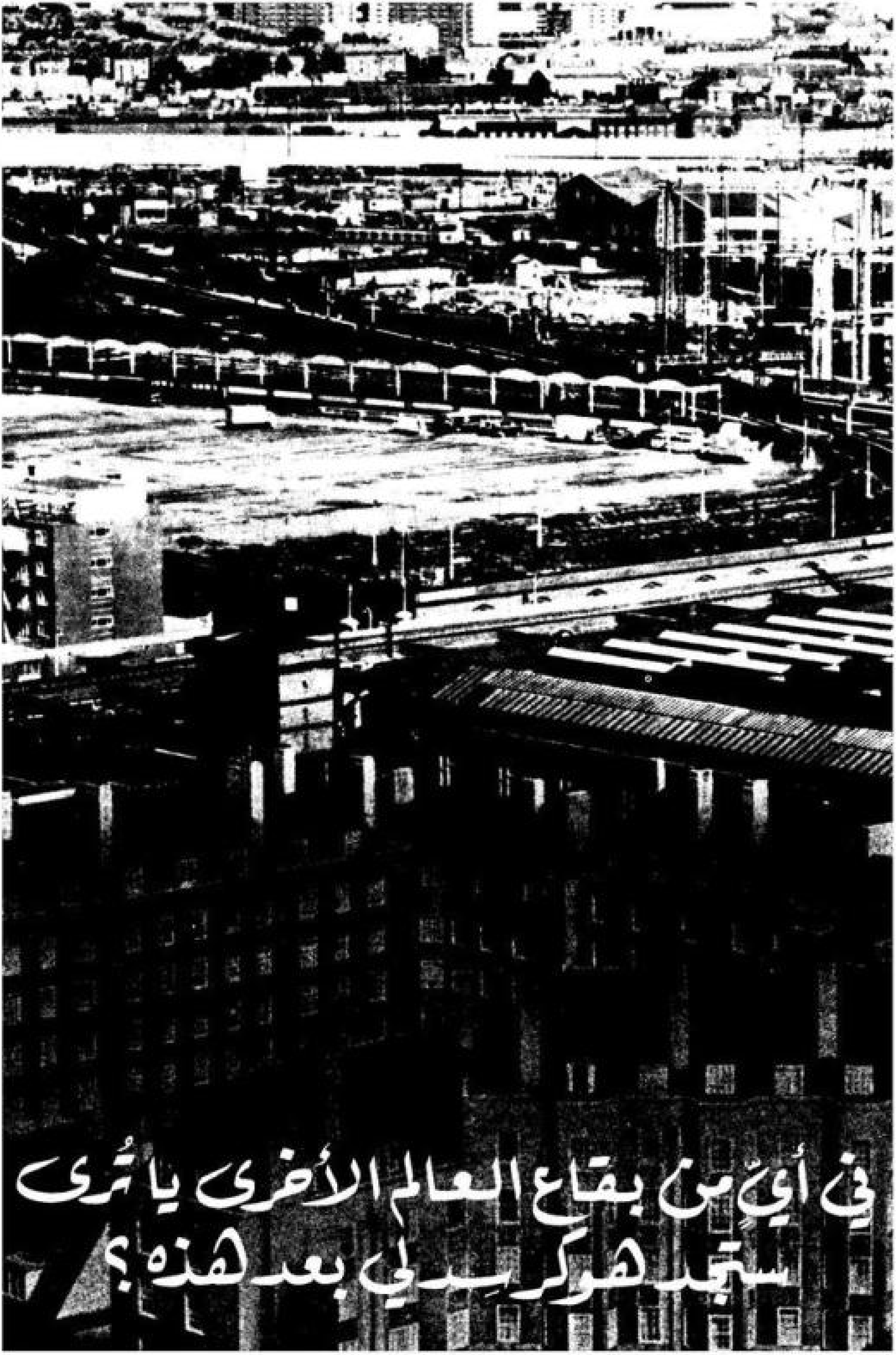
ع. عبد الله ــ الكويت

ــ بدأت الأسواق المركزية Super Markets أول ما بدأت في الولايات المتحدة الامريكية أثناء الازمة الاقتصادية في عام ١٩٣٠. وذلك لتخفيض أسعار المأكولات والمواد الاستهلاكية الاخرى عن طريق تخفيض مصروفات المحلات بالاستغناء عن الباعة وجعل المشترين يخدمون أنفسهم بأنفسهم . وبالرغم من أن المبدأ الرئيسي من انشاء هذه الأسواق كان أساسا هو تخفيض أسعار البيع للجمهور الا أن المستهلكين أعجبوا بهذا النظام الجديد الذي يتيح لهم عملية انتقاء وفحص ما يريدون شراءه بأنفسهم . علاوة على أنه يوجد دائما بهذه المتاجر الكبرى مجموعات مختلفة من البضائع لم تكن تتوفر في متجر واحد قبل ذلك . وأدى نجاح هذه المتاجر الى انتشار فكرة الخدمة الذاتية انتشارا كبيرا في الولايات المتحدة الأمريكية وخاصة فيما يتعلق بمجال بيع المأكولات ، والأدوات المنزلية .

وبدأت الأسواق المركزية في الانتشار في أوربا عام ١٩٥٤ ، وفي عام ١٩٦٠. أحصوا عدد هذه المتاجر في المانيا الغربية وهولندا فوجدوا أنها تمثل ٢٥٪ من متاجر بيع المأكولات في البلدين . وقد أدى انتشار هذه المتاجر الى تغيير طريقة عرض البضائع التي كانت متبعة في الماضي . كما جعل أيضا لعملية تغليف هذه البضائع أهمية كبرى ، فان البضائع المغلفة جيدا وبمهارة وفن هي التي تجذب أعين الجمهور ويقبل على شرائها. فلم يعد هناك بائع يستطيع أن يؤثر على المشتري بالمدح في بضاعة معينة. فالمشتري هو الذي يبحث بنفسه عن البضائع التي يريد أن يشتريها وهو الذي ينتقي بنفسه . وهذا بدوره أيضا زاد من أهمية الحملات الاعلانية الكبرى عن البضائع الاستهلاكية ، والتي نرى ونقرأ منها الكثير في التلفاز والصحف والمجلات .

وقد انتشرت الأسواق المركزية في أغلب البلدان العربية منذ عام ١٩٦٠ .

(م. ط)


في أيٍّ من بقاع العالم الأخرى يا تُرى
ستجد هوكر سيدلي بعد هذه؟

قريباً من صميم لندن، أقلعت إحدى طائرات هوكر سدلي النفاثة من طراز "هارير" إقلاعاً عامودياً للتحليق فوق الشوارع المزدحمة المكتظة بحركة المرور.

فهل هذا يا ترى هو الحل لمشكلة المواصلات بين المدن في السبعينيات؟

إن طائرة هوكر سدلي "هارير" هي أول طائر عامودية الإنطلاق والهبوط قيد التشغيل في العا بفضل هذه المزية، أصبح الحل المثالي لمشكلة المواصلات بين المدن أقرب ما يمكن أن يكون الى الحقيقة الواقعة.

وقد سبق لطائرة "د. هـ. ك. توين أوتر" القادرة عا الإقلاع والهبوط في مدارج قصيرة، والتي تنتجها في كند شركة دي هافيلاند التابعة لهوكر سدلي، سبو لهذه الطائرة أن أحرزت نجاحاً باهراً في النقل الجوي في أنحاء أمريكا الشمالية.

في أي من بقاع العالم الأخرى تجد منتجاتنا؟ إنك تجد في ميلانو، حيث يقوم "الإنسان الآلي" بإدارة وتوجيه خطوط الإنتاج في مصانع السيارات. وتجدها في هونغ كو حيث تسير محركاتنا البحرية قوارب البوليس البحارية. وتج في ملاسيا، حيث يجري توريد المحركات والمولدات الكهربائ

هوكر سدلي مجموعة عالمية من الشركات. تصنع منتجا في خمس قارات. وتبيعها في كافة أنحاء العالم. مما يجعل الا أكثر رفاهية، وأهنأ عيشاً.

معدات ميكانيكية وكهربائية وجوية مع مرافق للبيع والخدمة في كافة أنحاء ال

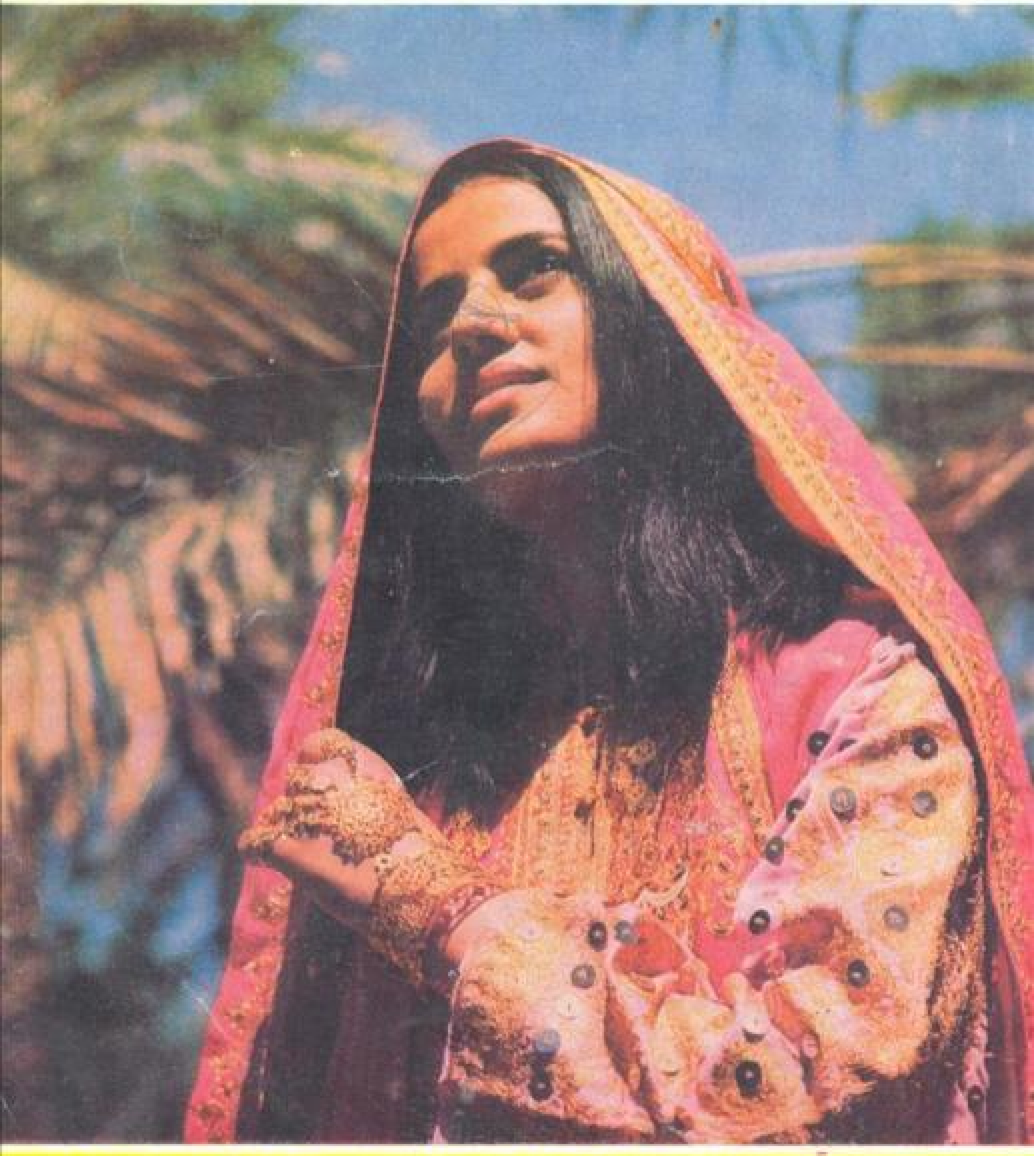
HAWKER SIDDELEY GROUP
18 St. James's Square, London S.W.1, England





العربي

العدد ١٤١
جمادى الاولى ١٣٩٠
اغسطس
(آب) ١٩٧٠

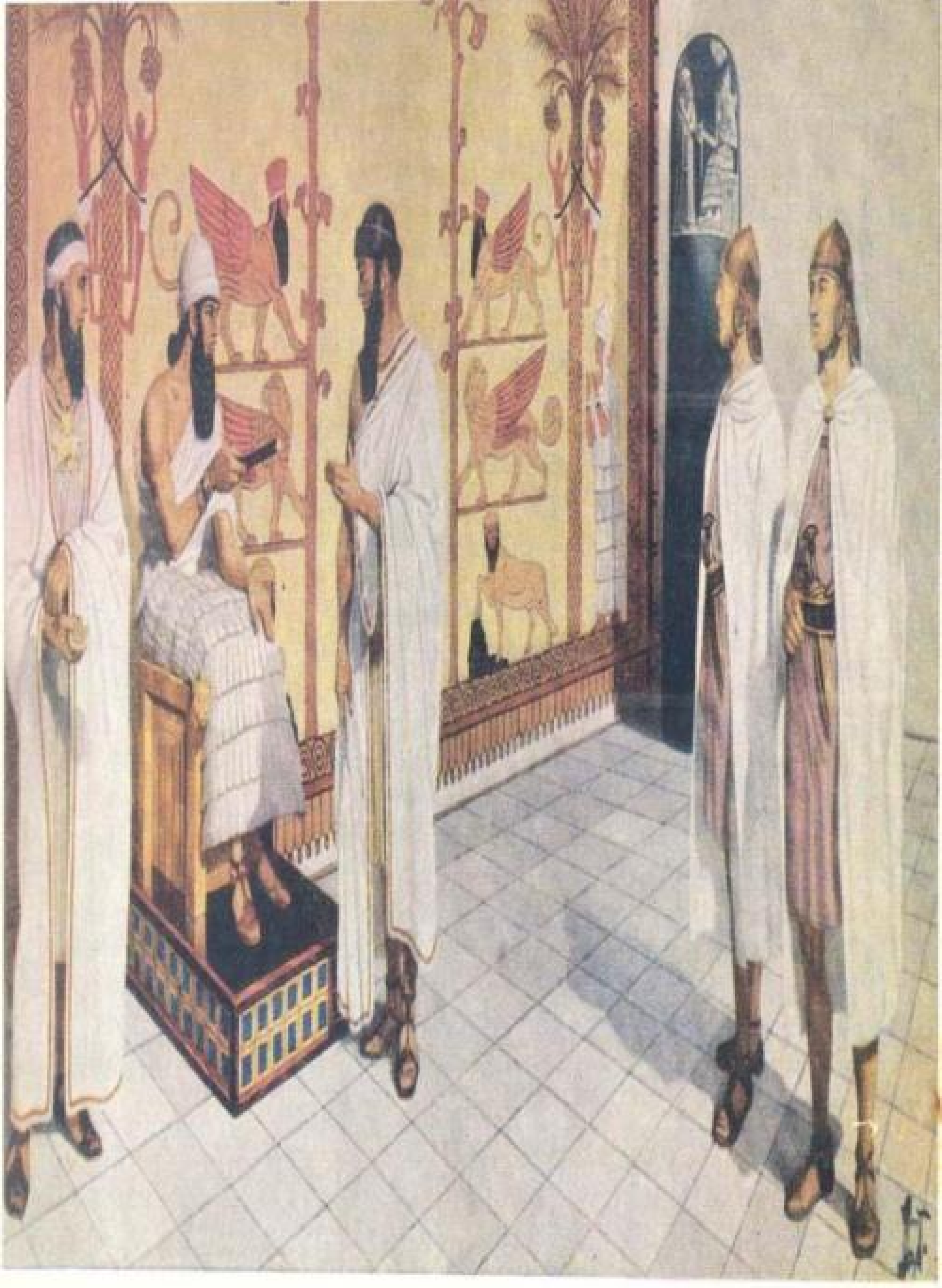


فى المعهد العالى للمعلمات . . معلمة الغد ، بالملابس الوطنية فى البحرين

الثمن

الكويت	١١٠ فلوس	العراق	١٢٠ فلسا	السودان	١٠ قرو
الخليج العربي	٢ ريالات	لبنان	١٠٠ قرش	ليبيا	١٥ قرش
السعودية	٢ ريال	الاردن	١٠٠ فلس	تونس	٢٠٠ مليـ
البحرين	٢٠٠ فلس	سورية	١٠٠ قرش	الجزائر	٢٠٠ مليـ

جوائز
١٢٠٠
ينار سنويا



حضارات سادت .. ثم بادت

● حورابي يصدر أوامره التي يتناولها منه وزيره ، ويقف الى جانب الملك العظيم فلكيه الذي أنباه بأن تلك السنة التي كانوا فيها كانت سنة كبيسة ، ومن ثم كانت أوامر حورابي بأن يتكرر الشهر الذي كانوا فيه ، وكان أيلول ، فيحل محله شهر تشرين . فالاسمان اذن ، أيلول وتشرين ، هما من أسماء الشهور عند البابليين . [أنظر صفحة ١٥٢]

عزيزي القارئ

● خدعوا الدنيا فقالوا « أمن اسرائيل »

« وامن اسرائيل » عندهم لا يتم الا بالاخذ من الجيران . وبالتوسع..

امن اسرائيل عندهم = توسع اسرائيل

★★★

ونسوا أن هناك امنا يسمى « أمن سوريا » . وامنا يسمى « امن الاردن » و « أمن لبنان » و « أمن مصر »وسائر البلاد العربية.

والمعركة الاخيرة فى المرتفعات السورية بين سوريا واسرائيل ، دلت على ان سوريا احوج الى هذه المرتفعات لأمنها لا لأمن اسرائيل .. وهي فوق ذلك بضعة منها ..

« المحرر »

العربي

رئيس التحرير : الدكتور أحمد زكى

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الارشاد والانباء بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABY — No. 141 August 1970 P.O.B. 748 — Kuwait

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٢٧١٤١ ـ تلغرافيا « العربي »

الاعـــــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراســـــلات : تكون باسم رئيس التحرير



صورة الغلاف

● ارتفعت نسبة التلميذات في مدارس البحرين من ٢٧٪ عام ١٩٦٥ الى ٤٢٪ في عام ١٩٦٩ من المجموع الاجمالي لعدد التلاميذ .. وتبلغ نسبة المدرسات البحرانيات ٧٢٪ من مجموع المدرسات العاملات في البحرين.. وهذه احدى طالبات المعهد العالي للمعلمات ، ترتدى الملابس الوطنية البحرانية الجميلة ..

تاريخ .. وتاريخ اشخاص :

ركن الاسرة والمرأة :

علم نفس :

شعر وشعراء :

كتب :

قصص :

منوعات :

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربي ٢ ريال قطرى ، البحرين ٢٠٠ فلس بحريني، العراق ١٢٠ فلسا ، سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش الاردن ١٠٠ فلس ، السعودية ٢ ريال ، السودان ١٠ قروش ، ج٠ع٠م ١٠ قروش ، تونس والجزائر ٢٠٠ مليم ، المغرب ٢ درهم ، اليمن ٢٫٥ شلن ، ليبيا ١٥ قرشا .

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت ــ ص٠ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربي .

بريد القرّاء

الجامعة العربية والاعلام

● **الى من انتهى امر رئاسة الوفد الدائم للجامعة العربية في نيويورك ؟**

محمد مصطفى ــ عمان

العربي : كان أمر تعيين رئيس الوفد الدائم للجامعة العربية في نيويورك أمرا شاقا ، وقد ذكرنا في افتتاحية عدد يونيو رقم ١٣٩ ، أن هذا كان يرجع للقحط الذى زعموه في الرجال . وعلى كل حال ، انتهى الامر بان ظلت وزارة الخارجية الكويتية متجاوبة كل التجاوب مع رغبة الجامعة العربية في اسناد رئاسة الوفد الدائم الى الدكتور فايز صايغ . وقد اذنت له رسميا بقبول هذا التعيين ، وتولى الاشراف على أجهزة الجامعة العربية فى الولايات المتحدة الامريكية بهذه الصفة، كما انها مضت مشكورة الى أبعد من ذلك ، فقررت الاستمرار في دفع كل المخصصات والمرتبات المقررة له بموجب التعاقد القائم بينه وبينها .

لماذا يتأخر وصول العربى الى تونس والمغرب ؟!

● **وردتنا عدة رسائل يشكو فيها كاتبوها القراء من تاخر وصول العربى الى بلدهم . واكثر هذه الرسائل من المغرب العربى ، نخص بالذكر منهارسالة الأخ زكى الشلبى (تونس) التى يقول فيها : لا تصل مجلة العربى الى بلدنا الا بعد مضي شهرأو شهرين من تاريخ صدورها .. فهل هذا التأخير صادر عنكم او عن ذوى العلاقة بطرفنا .. ومن تلك الرسائل أيضا رسالة الأخ محمد الصوفي من تطوان المغرب ، ويقول فيها مجلة العربى وهى شهرية طبعا ، تكاد تكون في المغرب هنا (فصلية) لا شهرية ..**

ولا يسعنا الا الرجاء بان تتيسر الأمور بزوال الغمة الاسرائيلية الحاضرة . فهى سبب علل كثيرة وسبب المواصلات المضطربة .

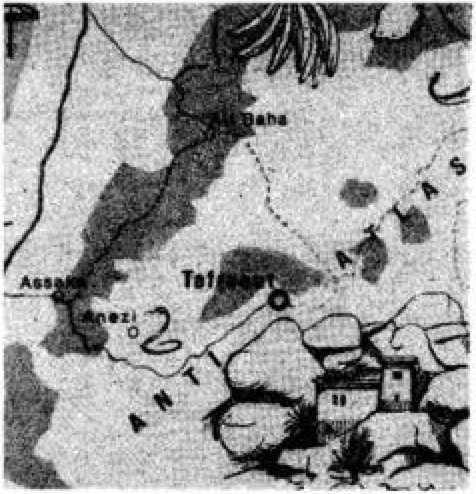
اقتراح !

● أرجو لو أنكم اختصرتم قليلا من الصور في استطلاعاتكم الملونة ووجهتم المزيد من عنايتكم لاستيفاءدراسة القطر المستطلع. فبالرغم من تقديرى الكامل لضرورة الصور واهميتها وادراكى لما تكسبه المجلة بسببها من رونق وجمال ، الا أننى أرجو لو أنكم اعرتم اقتراحى اهتمامكم .

محمد نعمة فقيه
المروانية ــ لبنان

جائزة تبحث عن صاحبها

● **فاز محمد محمد محمد ، من أبناء السودان بالجائزة الرابعة في مسابقة العربى العدد ١٣٠ ، وارسلنا اليه قيمة هذه الجائزة البالغة خمسة دنانير كويتية على عنوانه الذى ذكره في رسالته وهو ص.ب ٢٥٠١ الخرطوم،ولكن الجائزة أعيدت الينا ، لخطأ في العنوان الذى ذكره صاحبه . والجائزة تنتظره في العربى ، فنرجو ان يكتب لنا عنوانه الصحيح .**



تفــراوت

● جاءتنا بعض الخطابات من قراء تناولوا فيها بالنقد ما كتبه المستطلع الاستاذ سليم زبال عن مدينة تفراوت . والعربي تنقل فيما يلي فقرات مما جاء في هذه الرسائل :

١ ــ تفراوت ليست بمدينة وانما هي اقليم من اقاليم مدينة اغادير ، تسكنه قبيلة تعرف بهذا الاسم ، نرجو الاشارة الى ذلك .

الحياويه سعيد /الدار البيضاء

٢ ــ قال المستطلع ان تافراوت سجن النساء الكبير ، انه استطلاع اقل ما يقال عنه أنه يسيء الى هذه المنطقة من الارض العربية من جنـوب المغرب ، كما يسيء الى القبائل البربرية التي تعيش فيه كما أن تافراوت ليست بمدينة .

الادريسي المناوي المصطفى/الدار البيضاء

٣ ــ أثار انتباهي ما جاء من تحريف للحقيقة وتشويه للواقع وخروج عن الجدية العلمية التي هي طابع كل استطلاعات العربي ، فلا وجـود لمدينة تفراوت اصلا ، ولكن خيال المستطلع نسج من مجموعة صور لاماكن مختلفة مدينة اطلق عليها اسم تفراوت .

انامل الهاشمي/تافراوت ــ المغرب

٤ ــ اعجبني الاسـتطلاع الأخير عن مدينـة تافراوت التي اطلقتم عليها اسم سجن النسـاء الكبير ، ولكنني احب ان أوضح أن مدينة تيزنيت ليست آخر المدن في جنــوب المغرب ، كما ذكر كاتب الاستطلاع ، فهناك مدن اخرى مثل افني التي عادت الى المغرب في العام الماضي ، ثم مدينتي كليمين وطاطا وغيرها ..

فناوي الحسين ــ المغرب

العربي : وجدنا فيما يتصل بهذا الموضوع أن ننشر هذه القطعة المقتبسة من خريطة سياحية مغربية رسمية وفيها تجد تفراوت رمزها دائرة كسائر المدن في الخريطة .

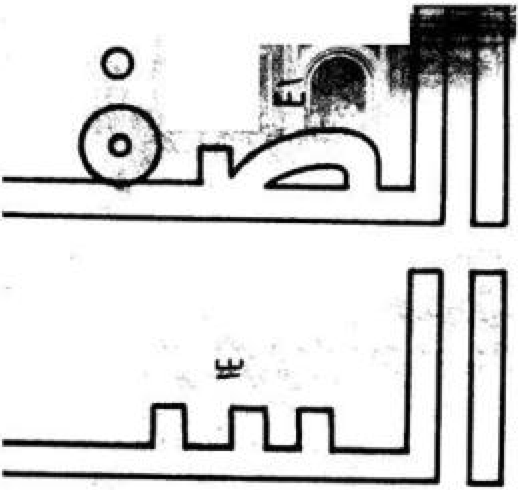
المنجد في الاعلام

● جاء في العربي عدد ١٤٠ يوليو ١٩٧٠ « انالعربي الدارس لا يزال يحمد ويقدر المنجد في اللغة والآداب والعلوم،فهذا في اعتقادنا ، بعد ما طرأ عليه كثير من اصلاح ، من خير المعاجم الحديثة في العالم العربي » فكيف يستقيم هذا وما ذكرتهالعربي بالعدد الذى مضى وما عابه عليه الاستاذ عبد الستار فراج .

حسن مختار ــ امبابة

العربي : من المؤسف أنه وقع خطأ في الاسـم الذى ظهر في الكلمة (المنجد في اللغة العربيـة والاداب والعلوم) .ونحن في كلمتنا المذكورة انما قصدنا الى المعجم في اللغة ، أما المعجم في الاعلام فلا يزال رأينا عند رأى الاستاذ عبد الستار فراج الى أن بأيدينا من أصحابه نقد ينقد ما قالـه الاستـاذ عبد الستار فراج ونعنى بذلك حقائق لغويـةاو تاريخية او دينية ذكرها جاءت في المنجد مخالفة للحقيقة ، أما الرد الذى يأتي من أصحاب المنجدقولا عاما مبهما فما نراه الا محاولة لنشر الضباب حول ما جاء في العربي . ولا يفوتنا أن نذكر أن الخطأ الذى وقعنا فيه من حيث تسمية المنجـد في الاعلام بأنه « معجم في اللغة والآداب والعلوم » فراجع لسوء التسمية الذى اتخذها ناشرو المنجد للاعلام ، فمنجد الاعلام ما كان يصح أن يقال انه في اللغة والآداب والعلوم ، ولعل هذا نقد آخر لنا في هذا الاسم من تضليل وقعنا نحن فيه .

حَدِيثُ الشهر



تقدم مجلس الشيوخ فى الولايات المتحدة ، بمذكرة الى رئيس الدولة ، امضاها ثلاثة ارباع اعضاء المجلس ، وطلبوا عقب ذلك مقابلة عاجلة بوزير الخارجية . وظن الناس ان الامر يختص باعلان حرب نووية ،او تغيير عاجل فى خطط الدولة الاستراتيجية ، ثم اذا به لا يتعلق الا بمطالبة رئيس الولايات بسرعة الاستجابة الى اعطاء اسرائيل ما تريده من عتاد حرب ، وخاصة من طائرات ،تستطيع ان تضرب بها اعماق مصر ، بحسبان ان امن اسرائيل لا يتحقق الا بضرب العرب فى الصميم.

■ أنت يا قارئي رجل غريب عن هذه المدينة . او ان شئت فغريب عن هــذه العاصمة .

وتدور فيها فتجد فيها الحركة دائبة من الصباح الباكر الى ما شارف الغروب .

وتبقى الحركة من بعد غروب ، ولكن تتغير صور القائمين بها ، وصفاتهــم ، ومهنهم ، واعمالهم . وحتى العربات ، وكانت عربات النقل كثيرة غاية الكثرة فى الصباح ، عليها من انتجة الزراعــة والصناعة الشيء الكثير ،تقل فى الامساء، وتستبدل بها عربات الركوب ، وفيها الراحة ، وفيها الطلاء ، وفيها اللمعة الجذابة .

وليس معنى هذا ان يهدأ الليل ، ليل العاصمة ، او المدينة الكبيرة ، من حركة . ان لليل سياراته ، ولليل

قاتُ سياسيَّة

كيْفَ تُصْنَعُ فى البلادِ الدِّيمُقراطِيَّة

سن‌ؤاقه . والمواصلات بين بلد وبلد تقع عادة فى الليل البهيم ، او الليل الماطر ، او الذى جفّت ارضه واحترّت .

والى جانب هذه الحركة الدائبة ، حركة الحياة فى المنازل ، حركة الأسر ، حركة الاباء والامهات والاولاد ، تكثر فى الاصباح وفى الامساء ، وهي بينهما تنتقل الى المدارس والجامعات والمتاجر والمصانع ومكاتب رجال الاعمال . وقد تنتقل الى مراكز الشرطة ومحاكم القضاء ودور الصحف ،والى حيث لا بد للمجتمع من مرفق يقوم عليه رجال مكلفون به كفاة .

المجتمعات انظمة كثيرة ومرافق

هذه المجتمعات تتضمن انظمة تحكمها كثيرة . منها نظام الامن . ومنها نظام الدفاع عن استقلال الدولة . ومنها التعليم والتدريب والتهذيب ،والاطمئنان على تهيئة الجيل الصالح الذى سوف يخلف الجيل الحاضر . ومنها نظم اقتصادية ،ونظم زراعية ، ونظم تجارية، الى ما شئت من منظومات كثيرة هي روابط الحضارة فى هذا المعترك الهائل ، معترك العاصمة ، او معترك الدولة . وكل نظام مما ذكرنا لابد من صلاحه ، واذا اختل فاصلاحه ، والا ساءت الامور .

مناط النظم جميعا هو نظام الحكم القائم فى البلاد

ولكن مناط هذه النظم جميعا ، ووراء هذه النظم جميعا ، والمبشر بسوء حالها او حسن حالها فى الزمن القريب او الزمن



الشعوب في حركة دائبة ، والعيش ملهاة عما يجري في البلاد من رسم سياسي وتخطيط .

البعيد ، انما هو النظام او النظم السياسية القائمة في الدولة .

نظام الحكم هو مَربَط الفرس

بل نظام الحكم هو مرابط الافراس التى منها تستمد الدولة حسن ادارة ، وتستمد القوة ، او هي تستمد الضعف والخَبال .

المدرس متأثر بالنظام السياسي . المهندس متأثر بالنظام السياسي . الطبيب ، والصيدلي والمحامي والقاضي، ورجل الشرطة ورجل الجيش ، كلٌ متأثر بالنظام السياسى . بائع الفول والفلافل ، فى قارعة الطريق ، وبائع اشهى الاطباق والالوان فى كبريات المطاعم، كلهم متأثرون بالنظام السياسى .

ذلك ان النظام السياسي نظام النظم جميعا .

كم تعلم الشعوب مما يجرى من شئون الحكم فيها

ان القول المحبَّب عند دعاة الديمقراطية ان الحكم هو حكم الشعب، بالشعب ، للشعب . والحكم له خلاصة، وله وثيقة ، هي اولٌ : تلك نظام الحكم .

والسؤال الذى يحضرنى الان ، وهو الذى حفزني الى كتابة هذه الكلمة ، هو : كم يعلم الشعب من امور الحكم الذى هو قائم فيه ؟

ان المدارس تعلّم الشباب شيئا عن سياسة بلادهم ، او بالادق نظام الحكم فيها .

وهي تعلمه هذا فيما يسمونه بالتربية الوطنية او نحو ذلك . والنظام الذى تعلمه تضمَّن مَنْ يكون رئيس الدولة ، وكيف ينتخب ، او كيف يتوارث ، والوزراء وكيف يختارون ، ومن يختارهم ، وكيف يعيَّنون . ومجلس الامة ان يكن هناك مجلس ، وكيف ينتخب ان كان هناك انتخاب . وكم فيه من احزاب ، ان كانت هناك احزاب . وما مبادىء الاحزاب وكيف تختلف . ويتعلم الطالب ان هناك فى الدولة ثلاثة مصادر للسلطة ، الحكومة وهي ادارية، والبرلمان وهو تشريعى ، والقضاء وهو لتطبيق التشريع . الى آخر ما هناك مما تحويه كتب التربية الوطنية فى دولة شرقية او دولة غربية .

هي اطارات ، كاطارات الصور ،

تكشف عن كيف تتوزع عمال الحكم في البلاد . ولكنها اطارات لا صور فيها . وأن تكن بها صور فصورة واحدة لكل اطار . صورة واحدة جامدة لا تتغير ، تصلح لتوضع في كتاب التربية الوطنية لتوضح تلك الهيئات ، التي هي مناط الحكم ، كيف يراها الناظر لو زارها يوما ، ونظرها دقيقة واحدة او ثانية ، هي الفترة التي تؤخذ بها الصور الفوتغرافية .

هي اذن صور لا تدل على حياة هذه الهيئات ، من دقيقة الى دقيقة ، ومن ساعة الى ساعة ، ومن يوم الى يوم ، ولا من عام الى عام .

انها حياة لا يصفها وصفا كاملا صادقا متصلا الا شريط تلفازي يظل يعمل ما عمل رئيس دولة ، او رئيس وزراء ، او مجلس امة . ويبقى بعد كل ذلك ماذا يصنع اهل السياسة وهم عن مكاتبهم الرسمية غائبون ؟ ولعل اخطر اعمالهم هي هذه التي يقومون بها وهم عن مكاتبهم بعيدون .

ان الشعب لا يعلم من امور الحكم فيه ، علما صادقا مباشرا ، الا تلك الاطارات ذات الصورة الفوتغرافية الواحدة التي تضمنها كتاب .

اما حقيقة الحكم ، في اي دولة ، وما يجري فيه ، فاسرار هي ابعد ما تكون عن علم الشعوب .

قالوا ان الزوج آخر من يعلم .

وقفى على اثرهم ما قال صديق لي من رجال الحكم العارفين ، قال : وأن الشعب لآخر من يعلم .

والصحافة ؟

قال صديقي هذا الذى اذكر ، وما هو بعربى : قال ان الصحافة وجدت ، اكثر ما وجدت ، لتستر . وأن الذى تخفى اكثر مما تظهر .

وعجيب ان يقول هذا رجل ، هو من امة ،تعد في الطليعة من الامم الديمقراطية. تلك الامم التى تقول ان الديمقراطية هي حكم الشعب ، للشعب ، بالشعب .

تجربة سياسيٍ ناشيء

سالت صاحبي هذا عن تجربته حين هو سياسي ناشيء .



بائع الفول في قارعة الطريق ، وبائع اشهى الاطباق والالوان في كبريات المطاعم ، كلهم يتاثرون بالنظام السياسي القائم في الدولة

قال :

للسياسةطريقان ، الطريق الرسمي الوظيفي ، حين انت تلتحق بعمل فى الدولة دبلوماسي . ثم تأخذ تتدرج فيه حتى تبلغ شوطا بعيدا ، ثم تدخل فى زمرة هؤلاء الذين يصنعون الفكر السياسي الذى به تأخذ البلاد .

اما الطريق الاخر فالطريق الشعبي ، الذى يؤدى بك الى دخول حزب ، فى البلد الذى يؤمن بالاحزاب ، او حتى فى البلد الذى لا يؤمن الا بحزب واحد . وهذا الطريق سبيله الناس . اهل الجيرة التى انت فيها غالبا . وهو يوصل الى البرلمان .

واخترت انا هذا الطريق ، الطريق الشعبى ، طريق الناس .

قلت : ولم فضلت الطريق الشعبي ؟

قال : كنت شابا مفتوح الصدر ،آلف الناس ويألفون ، وآنس بهم ويأنسون ، واتحدث وينصتون . ويتحدثون وانصت. وكان لى لسان ذَرِب" يسابق عقلي فيسبقه . وافكر ولا اميل الى التعمق ، وكنت ارى الفكر الذى يأتي عفوا خيرا من الفكر الذى يغوص الانسان له فى المعانى غوصا . وكنت اتذوق الفكاهة ، وتذوقها القوم الألى سعيت اليهم وعرفت .

الرجل الدبلوماسي أبكم اصم

قلت : اوليست هذه من صفات الرجل السياسي الدبلوماسي ايضا .

قال : لا ، ان يكن للرجل الدبلوماسي صفات مما ذكرت فقد وجب ان تكون زواقا خارجا . والا فالدبلوماسي رجل فى الدخيلة من نفسه منطو على نفسه ، ولا يهم كان هذا الانطواء طبعااو صناعة. والرجل الدبلوماسي ، لا اقول قليل الكلام ، ولكنه يقلل من قوله . ولكم لقيت من الدبلوماسيين من شتى الامم فحسبت انهم صمٌ بكم . ثم اتضح انه جاز عليهم ان يكونوا بكما ، ولكنهم كانوا اوسع اهل الارض آذانا . وشيء آخر اصارحك به . ان السياسي الدبلوماسى رجل درس ،ورجل حجج.



الدبلوماسي رجل في الدخيلة من نفسه منطو على نفسه ، وسواء كان هذا الانطواء طبعا او صناعة .



البرلمان البريطاني ابو البرلمانات قديما

ان الجمهور لا يدرك ان النائب وهو يدخل الى البرلمان ، انما يحمل معه كل صفات الانسان من قوة وعجز ، من عداوة وود ، ومن صدق وكذب .

والدراسة ، واستنباط الحجج لا تكون فى زباط الناس . وانا ما كنت دارسا ، وما كنت اصبر على حجج استخلصها من دراسة التاريخ . حججي من الحاضر الواقع . والفلسفة لا ادّعيها .

قلت : واذن انت ، ببساطة الحجة ، وباللسان الطلق ، وبالصراحة فى القول فزت فى الانتخاب ودخلت البرلمان .

صراحة ام لا صراحة عند مخاطبة الجماهير ؟

قال : اما ببساطة الحجة فنعم . واما باللسان الطلق فنعم ايضا ، وشكرا . أما بالصراحة غير المحدودة فلا . كانت لى اول كلمة فى الحيّ الذى خصّصه حزبي لي . وكان لمنافسى وهو من حزب آخر . وكانت كلمة منافسى ، او ان شئت فخطبته اجلب لتصفيق الجماهير . عند ذلك دعاني شيخ مجرب من شيوخ الحزب واعطاني اول درس فى لقاء الجماهير : « انك قد تقول فى الجمهور المحدود الكلمة القصيرة ، فى صراحة ، ولا تجد لها رد فعل غير محمود . اما وقد طالت الكلمة ، واتسعت بالسامعين الرحبة ، وكانت المناسبة مناسبة انتخاب فصراع ، فقد تبدل الحال » .

هكذا بدأ الشيخ الصديق يحدثني ، وقال :

« ان الجمهور مطبوع على اشياء فى الفكر ، واشياء فى العادات ، لا يمكن تغييرها ، فى خطبة او عشر خطب ، فى فترة انتخاب . والجمهور ، جمهورنا نحن فى بلدنا هذا ، والجمهور فى امثالنا من سائر امم الغرب ، يجهل من اساليب الحكم ووسائل التنفيذ ما يجهل . والجمهور يحسب انه اذا اختار من النواب الشبان مثلك ، ممن هم يصدقون ، ويخلصون النية ، وفى صدورهم قلوب طاهرة كقلوب الملائكة فالغايات لا شك محققة ، والمطالب مستجابة ، والامال لا تحتاج الى غير الوقت القصير الكافى لتبلغ غايتها من النفاذ . ان الجمهور لا يدرك ان النائب ،

وهو يدخل الى البرلمان ، انما يحمل معه كل صفات الانسان ، من قوة وعجز ، ومن مسالمة وحرب ، ومن عداوة وود ، ومن صدق ومن كذب ، ومن انانية وايثار . كل المتناقضات يحملها بين جنبيه . وبها يلتقى بحوادث الحكم ومفاجآته ، فتغير منه ، فاذا المبادىء التى دخل بها البرلمان ،وهو شاب ساذج وهي بيضاء طاهرة ، هذه المبادىء يتلطخ بياضها على درجات مختلفات . وقلما يخرج نائب ، آخر الامر ، من برلمانه ، بنفس ذلك القميص الابيض ، الناصع البياض الذى دخل به اول مرة » .

واستطرد الشيخ الصديق ينصحني

قال : « ففي خطبتك الثانية ، فى جمهور هذا الحى ، ادرس الجمهور على عجل قبل ان تخطب . واسأل فرع الحزب فى هذه الناحية عما يحب جمهور هذا الحي وما يكره ، واتبع نصيحة الحزب فى ذلك أن كنت تريد نجاحا » .

النجاح اولا ، ثم الاصلاح

وبادرت صاحبي بسؤالي : وهل رجعت الى دائرة الحزب فى الناحية ، وهل نجحت ؟

قال : نعم فعلت ، ونعم نجحت . كنت شابا ولزم أن انجح . وسوّلت لي نفسي ان النجاح أول ، ثم الاصلاح بعد . وتعلمت من صديقي الشيخ السياسي المحنك ان التعمية فى القول يجب ان تكون صفة الرجل السياسي .

قلت : وما التعمية ؟

التعمية فى القول

قال : ان يسألك سائل عن وجه واحد من أمر ، فتجيبه بما قد يفهم منه الموافقة على هذا الوجه ، وكذلك على نقيضه . نوع من الابهام يرضاه السائل الصديق ، ويرى فيه المعارض ثغرة يدخل منها الى امله هو كذلك . انه الخداع السياسي المؤدب . وساسة الدنيا لم يبرعوا فى شيء براعتهم فى هذا الخداع السياسي المؤدب .

قلت : وكيف تتفق الديمقراطية وكل هذا ، وبلدكم بلد الديمقراطية وبلد الحرية العتيق .

الديمقراطية المثالية تحتاج الى الشعب المثالي

قال : ان الديمقراطية المثالية تحتاج الى الشعب المثالي . والشعب المثالي لم يوجد بعد .

شيئان لا بد من توافرهما فى الشعب المثالي ، ان يعرف معنى الحق ، ثم ان تكون لديه المعرفة بما يجرى داخل جدران الحكم .

اما معنى الحق فما اشد ما يختلف الناس فيه. معايير الاخلاق كلها اصبحت موضع شك وتساؤل . وآداب المجتمع دخلت اليها الريبة . والحلال والحرام ، لا سيما ما يتصل منه بالسابقين الى المدنية من اهل الارض، لايربطهما رابط. وعاد الانسان الى قديمه ، يحتكم الى القوة لما عزّ الاحتكام بالعقول والافهام .

عضو البرلمان تبدأ متاعبه عند الجلوس فى مقعده

قلت : حدثني عن نفسك ، انت البرلماني المعروف ، او ان خشيت الاحراج ، فحدثني عن النائب بعد نجاحه فى الانتخابات ، هل يهدأ روعه ، ويقبل على ما كان امّل من خدمة لأمته ؟

قال صاحبي : ان المتاعب الحقة كثيرا ما تبدأ باتخاذ النائب مجلسه فى البرلمان .

قلت : اى برلمان ؟

ديون عضو البرلمان لا بد دافعها

قال : اى برلمان على الساحل الغربي او الشرقى ، من شمال المحيط الاطلسى، على درجات شتى .

ان نائب البرلمان ما دخل البرلمان وجاز الانتخاب الا بمعونات شتى . معونة حزب ان كان حزب ومعونة رجال نصبوا انفسهم لمعونة النواب ، تحدوهم حوافز شتى . بعض يفعل ذلك هواية ، وهو غالبا رجل موسر ، وعنده فراغ يجب ان يملأ ، وله سمعة طيبة بين الناس وزعامة يريد ان يحتفظ بها . وبعض يفعل ذلك استمتاعا بوطيس المعارك واستدفاءً بحرارة الخصومات ، وامثال هؤلاء لو وجدوا فى الشارع شجارا قائما لسوّلت لهم انفسهم دخول غماره ، وتسألهم عن اى شيء كان الشجار فلا يعلمون له سببا . وبعض يفعل ذلك لمآرب فى النفس ، وهو يعلم ان لكل حسنة من الثواب عشرا امثالها . وعَنَتُ النائب الاكبر يأتي من هذا الصنف الاخير من الرجال . انه دَيْنٌ يحمله النائب فوق اكتافه وهو اثقل من حجر . وصاحب الحجر دائم التذكير له بالذى حمل .

قلت : وماذا بعد هذا ؟

قال : والجمهور الذى شارك فى انتخاب . انه جمهور طيب ليس له مآرب الا الخير . ويجرى الحكم . ويجد المواطن الناخب فى الحكم ما يسيئه . ويريد ان يبلغ شكواه . وهنا يحس المواطن الفرد فى البلد الديمقراطى الحر بالعجز التام عن الاتصال باهل السلطان، الا عن طريق النائب الذى انتخبه . وبهذا تتراكم على النائب فى البلد الحر الواجبات . ومنهم من تأتيه فى اليوم العشرات من الخطابات . واعلم انه قد اثير فى بعض البلاد الغربية امر هذه الواجبات ، وما يضطر اليه النائب تجاهها الى من يكتب والى سكرتارية ونفقات ، وقد اجازت بعض الحكومات هذه النفقات .

قلت : فى امنا الشرقية يشغل الناخبون الناخب بالكثير من الامور الشخصية فيضيق بها ، حتى لتشغله عن واجبات له اصيلة .

قال : يحدث مثل هذا فى امنا ، امم الغرب ، ولكن بقلة ، وذلك لزيادة الوعى الثقافى هناك . فالشكاوى الشخصية لها الادارات المشكو اليها . وهى ادارات ترد على ما تسأل فيه . فاذا عجزت الادارات توجه المواطن غصبا الى نائبه يستعينه ويستفتيه .

قلت : هذه تجربتي . فقد كتبت وانا بالكويت ، شكوى بسيطة فى اجراء ليس بكبير الخطر تمّ فى انجلترا ، فجاءنى الرد يصحح الوضع ويعتذر . وحدث مثل هذا فى بلد هو اقرب مساسا بي . وكتبت فى امر له بعض الخطر . ولم يصلني جواب . وذهبت الى القوم فقالوا انهم ما ردوا ، وما وجب ان يجيبوا ، لانه ليس عندهم تساهيل للاجابات .

الوعي السياسي شيء عظيم

قال : ان الوعي السياسي شيء عظيم . ولا يمكن ان تقوم ديمقراطية ، او يقوم حكم سليم ، والناس لا وعي لهم، ولاثقافة فيهم . ان شكوا الظلم ، وشكوا الاجحاف ، فالظلم اسبابه فيهم ، والاجحاف يبدأ حيث يبدأ الجهل ومع الجهل قلة الدراية والفطنة . على ان الشكاوى التى تصل الى النواب، ليست بالشكاوى التى تأتي من فرد ، ولكن الشكاوى التى تأتي من الناس . ان فى الامم الديمقراطية ، توجد الى جانب الهيئات الرسمية، كالبرلمانية والحكومية، هيئات اختيارية ـ جمعيات ، روابط ، اتحادات او ماشئت من ذلك . فالشكاوى الخطيرة التى تصل الى النائب هي التى

تأتي من هـذه الهيئات . انهـا تأتـي مدروسة ، محققة . وهي تهدى الحكم .

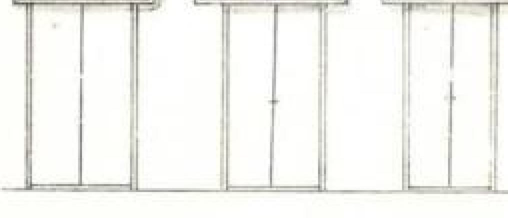
قلت : تعني اتحادات العمال ، وجمعيات المهندسين ، وجمعيات المعلمين وجمعيات العلماء ، وجمعيات الاطباء وجمعيات الصيادلة .

المجتمع الحاضر لا يعرف الافراد وانما يعرف المجاميع

قال : نعم ، وجمعيات الجزارين والبقالين وسائقي التكسيات ، وسائقي السيارات ، والفنانين والممثلين ، والزبالين وما الى ذلك . ان المجتمع السياسي الحاضر لا يعرف الافراد ولو كانوا عشرات الملايين ، انه يعرفهم مجاميع . والنواب والحكام انما تهتدى بهم مجاميع . هيئات ، جمعيات . اتحادات .

لاخطر لاحد فرد فى الحكم الحاضر الا لكاتب تميز ، وهو يتميز فى مجموعته . والا لقائد تميز ، وهو يتميز فى مجموعته . والا لقاض تميز ، وهو يتميز فى مجموعته . والا لصانع ، بلغ الذروة وتميز ، وهو تميز فى مجموعته .

قلت : مجموعات لاتتلاقى مصالحها ، فهي اذن تتصادم ، وتتخاصم ويكون هناك اشتباك .



اتحادات ، واتحادات ، وجمعيات للعلماء ، والمعلمين ، والاطباء .. ان المجتمع الحاضر لا يعرف الافراد .. انه يعرفهم مجاميع .

قال : نعم تتناقض احيانا ، ولكن الحياة من طبيعتها التناقض . انا مزين حلاّق من صالحي ان يطول شعرك اسرع مما يفعل ، لانتفع منك باجر قصه ثلاث مرات فى الشهر لا مرة ، ومن صالحك انت ان لا يطول لك شعر . واعرف من الزوجات من يقمن الآن بمعالجة شعر ازواجهن ليجنبوهن الغلو فى سعر قص الشعر ، لاسيما فى الولايات المتحدة ، حيث زاد اجره على الدولارين ، فبلغ الثلاثة دولارات او نحوها ، اجرا سويا .

قلت : وكيف تسوّى هذه المصالح المتضاربة ، وهي الف ، وكلها مصالح فرق من الشعب ، عزيزة عليه فى اجماله .

الحياة اخذ وعطاء

قال : بالوعي السياسي ، وبالوعي الاقتصادى ، وبتكوين العادة الطيبة ، عادة الاخذ والاعطاء ، وبالقدرة على تقمص آراء الغير ممن لا يتفق واياهم فى رأى ، وكبح جماح الجامحين . ورؤوس بعض الناس من طبيعتها ان تحتر سريعا حتى لتكاد تتقد ، فهذه لها الثلاجات حتى تبرد ، ويعود اليها اتزانها .

مراكز القوة فى الدولة

قلت : سمعنا عن مراكز القوة فى الدولة ، فاين تقع هذه المراكز من كل هذا .

قال : تقع غالبا موضع الاورام من الجسم السليم .

قلت : الاورام الخبيثة .

قال : وغير الخبيثة . اضرب لك مثلا عن مركز للقوة كيف يتصرف ، ومن اين تأتيه القوة . صناعة كبيرة كصناعة الحديد فى بلد عظيم ، من صالح البلد ان تزدهر ، لا شك فى هذا . ومن صالح هذه الصناعة ان لايُسن فى الدولة تشريع يضر بها . والـذى يشرع هو



من دَيْدن الصناعات في الولايات الامريكية ان تتخذ من النواب لها اصدقاء ، تعينهم هي عند الانتخابات ، ويصبحون هم رسلها ووكلاءها بعد ذلك .

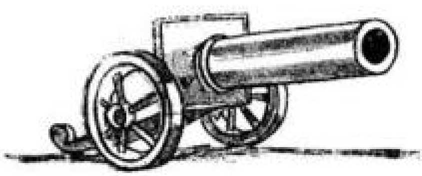
البرلمان ، مجلسا واحدا كان او مجلس نواب ومجلس شيوخ كما هو الحال في الولايات المتحدة . ومن واجب هذه الصناعة ، في هذا المعترك الكبير ، ان تتخذ الوسائل لضمان خيرها ، ثم هي تجد من هذه الوسائل ان تتخذ من النواب لها اصدقاء ، تعينهم هي عند الانتخاب حتى لتشترك في نفقاته ، وتظل على اتصال بهم حتى من بعد انتخاب ، حتى ليصبحوا هم رسلها ووكلاءها ، ووكالات انبائها ، وحتى لتصبح هذه الصلات ، حين تثار للصناعة مشاكل ، أوثق بهذه الصناعة منها بالجماهير . وحتى هذا قد يساغ اذا استطاع النائب ان يجمع بين مصلحة الصناعة ومصلحة الشعب معا . وهيهات . وتصبح الصناعة وأربابها عون النائب في الرخاء ، وعونه عند الازمات ، وتصبح ضمانا له عندما تنتهي مدة النيابة ويعود دور الانتخابات . علاقات لها ما للآبار من عمق وظلام .

ولسنا ننسى الى اليوم ما قام بين رئيس الولايات المتحدة القتيل ، كندى ، وبعض دور صناعة الحديد والفولاذ من التحدي . كان هذا في شهر مارس عام ١٩٦٢ ، صاغ كندى قانونا يرفع الاجر الادنى لعمال الفولاذ مرتبة ، لم ترضها تلك الدور . ورات نفسها من القوة بحيث تتحدى رئيس الولايات ، فرفعت أسعار الحديد فالفولاذ ردا على رفع الاجور الدنيا . فقام كندى فحوّل عن هذه الدور كل مطالب الدولة من فولاذ . وفي اربعة ايام رضخت القوة تحت قوة اعتى منها ، فردت الاسعار الى ما كانت عليه . وهل نال صناعة الفولاذ ضرر من ذلك ، بالطبع لا . وانما هو الحرص على الدولار الذى لا بد ان يتزايد ثم يتزايد عاما بعد عام .

صناعات الحروب

قلت : اذكر اني قرأت بحثا لاحد اعضاء مجلس الشيوخ الامريكي ، صنعه في الثلاثينيات من سنوات هذا القرن ، عن أثر صناعات العتاد الحربي في اثارة الشكوك والريب في ما بين امم الارض من علاقات ، والذى بقي في ذاكرتي من ذلك انه سمّى رجال هؤلاء الصناعات بتجار الموت .

قال صاحبي : « نعم ، انه عضو مجلس الشيوخ جرالد ناى Gerald Nye ، وبحثه هذا معروف مشهور . وفي الحق انه ، لا انا ولا أنت ، نلوم امة تقوم بصناعات



صناعة الحرب ..
بها عمال كثيرون
وبها مكاسب هائلة .
وهي قد تأمر والحكومات تطيع ..

هدفها الدفاع عن نفسها . واذ كانت صناعة وجب ان يكون بها ما لسائر الصناعات من الحق بأن يرعاها اهلها ، عند الحكومات ، وعند اعضاء البرلمانات ، بالطرق السوية ، فصناعات الحرب فيها رجال ، ولهم ارزاق ، ويجوز عليهم التعطل كما يجوز العمل . ومن اجل هذا كله تجد رجال التشريع والقاضين في ميزانيات الامم اسرع استجابة الى مطالب صناعات الدفاع منهم الى سائر الصناعات .

وفى الولايات المتحدة : يكفى ان تذكر روسيا حتى تسرع ايدى اعضاء المجلس الى اقلامها تتهيأ لامضاء ما يطلب الطالبون للدفاع من مطالب . ولكن غير ذلك التجارة فى السلاح . بيع السلاح لغير صانعيه من الامم ابتغاء الكسب . والولايات المتحدة ، بقدر ما اذكر ، وردت للعالم اكثر من ٦٠ فى المائة من السلاح من بعد الحرب العالمية الثانية . وكانت تبيعه الدولة ، ثم رأت الدولة ان تدع امر هذه التجارة للشركات حفظا للمظاهر . ومضت السنون ، فرأى الانجليز ، ورأى الفرنسيون ، وغيرهم من الامم ان الولايات المتحدة كسبت من هذه التجارة كسبا كبيرا ، فدخلت سوقها مزاحمة . ولا بأس فى كل هذا . سلعة تباع لها من اهل الارض من يشترى .

ولكن هذه السلعة بيعت لاقوام ، ومنعت عن اقوام . وتدرس هذا التوزيع فقد تحمده ، وقد تذمه تبعا لعقيدتك السياسية التى تعتنق . فالذين يعارضون بيع الولايات السلاح انما يعارضون الشكل الذى تُوزّع به السلاح . وانتم ايها العرب تؤمنون بان هذا التوزيع وراءه اغراض تسمونها استعمارية ، ومعكم فى هذا خلق كبير . ولكن من اهل الارض من يرضى ما تصنع الولايات لاهداف عقائدية اخرى . فالخلاف ليس على السلاح يوزع او لا يوزع ، ولكن الخلاف عليه ، من حيث يؤذن به حينا ، وحينا يمنع .

قلت : اذن فصانعو السلاح لهم نصيب من احاسيس انسانية ، وبهم حرص على واجبات وطنية !

قال صاحبي : لم اقل ذلك . انهم كتجار ، لهم حرصهم على الدولار . اما العواطف ، فرأى كثير من التجار عنها ، لا سيما من اهل الغرب ، انها يجب ان تنحّى عن طريق الاعمال ، ولو كانت الصناعة قطع رقاب .

مراكز القوة صنوف شتى

قلت : سألتك عن مراكز القوة فى ميدان السياسة ، تلك الفئات التى تجعل من همها الاتصال باهل الحكم واهل النيابة لتجرى الامور فيها على ما تهوى ، فذكرت لى من ذلك الصناعات واهلها .

قال : بل كل قسم من الاقسام التى ذكرت ان الشعب تقسم اليها ، من اتحادات ، وجمعيات ، ورابطات ، وهيئات عديدة شتى ، كل يحاول عند رجال حكم ورجال برلمان ان يكسب خيرا ، او يمنع شرا . والهيئة الاكثر مالا اكثر صيدا ، وهى فى اختيار السبل الى ما تريد اقل تحرّجا ، واعنف اقتحاما . وكذا الهيئة الاكثر رجالا . والاكثر عند الانتخابات اصواتا . وكثرة المال اقوى من كثرة الرجال ، حين انتخاب ، فالمال

يستطيع ان يشترى من صفحات الصحف للاعلام ما يشترى ، ويشترى من اذاعة ومن تلفاز ، وسبل اخرى .

مراكز القوى في السياسات الخارجية لامم الغرب

قلت : والسياسة الخارجية لامم الغرب ، هل لها مراكز قوى ؟

ابتسم صاحبي وهو يقول : تعنى فيما يتصل بالعرب .

قلت : بالعرب وغير العرب .

قال : اما عن الشعوب ، فشعوب امم الغرب مشغولة بامور نفسها ، ولايتسع وقتها لغير ما تقرا في الصحف خاصة ، وما تسمع في الاذاعات ، وما تشاهد في التلفازات ، هذه المصادر الاعلامية الثلاثة هي اصول المعرفة للمواطن الذى يؤلف اكثر من ٩٠ في المائة من شعوب دول الغرب وهذه المصادر كلها تتحدث عن شئون تلك البلاد غالبا . وفي مشاكل بلاده ما يكفى الرجل اصغاء . واكثر هذه الشعوب لا يعرف كل اهل الارض ، ولا كل جغرافية الارض . وفي طلابها من اجاب سؤالا بان دمشق عاصمة مصر . وانت تسألهم عن افغانستان فيحارون ، هل هذا اسم بلد ام اسم انسان .

اما فيما يختص بالسياسة الخارجية فيما يتصل بالعرب ، فمركز القوة فيها ، في كل امة ، هو ما نصبه الصهاينة فيها من هيئات . واحسبك الى هذا قصدت بسؤالك .

قلت : قصدت لهذا ولغير هذا .

قال : احدثك اختصارا عن امر اليهود في الولايات المتحدة حيث تتمركز قوة الصهاينة الكبرى .. ان الشائع في الناس ان الحكم في الولايات المتحدة



كثرة المال اقوى من كثرة الرجال ، عند انتخاب ، فالمال يستطيع ان يشترى من صفحات الصحف للاعلام ما يشترى ، ويشترى من اذاعة وتلفاز ، وسبل اخرى .

يناصر اليهود من اجل اصواتهم عند الانتخابات .

قلت : ان ثلاثة ارباع اعضاء مجلس الشيوخ ، والنصف من اعضاء مجلس النواب ، في الولايات ، تقدموا رسميا الى الحكومة باعطاء اسرائيل المزيد من الطائرات . وسئل عضو الشيوخ ، الشيخ « درنك واتر » Drinkwater ، وهو مرشح الحزب الجمهوري في الولايات في انتخاب لرئاسة الدولة فيها سابق ، سئل عن هذا التناقض في موقف الكنجرس ، فهو في فتنام يطلب من الحكومة الامريكية سحب قواتها ، وهو في الشرق الاوسط يطلب من الحكومة المزيد من الحرب . فكان جواب الشيخ في اختصار شديد ، احتوى معنى جللا .

قال : ذلك لان الولايات المتحدة ليس بها فتنامي واحد له صوت واحد عند الانتخابات .

قال صاحبي : هذا حق . ولكن اثر اليهود في الانتخابات بولغ فيه . فرئيس الولايات الحاضر فاز رغم ان اليهود حوّلوا اصواتهم نحو غيره . والرئيس ايزنهور نجح في الانتخابات عقب مخاصمة اليهود مباشرة لما امر جيش الصهاينة بالانسحاب من سيناء عام ١٩٥٦ ، ان بالولايات المتحدة نحو ٦ ملايين من اليهود وبالولايات ما يزيد على .. ٢مليون من الانفس ، فاليهود لهم اثر في الانتخاب من تمركزهم في نيويورك فعلا ، ولكن ليس لهم اثر كبير في الولايات عامة .

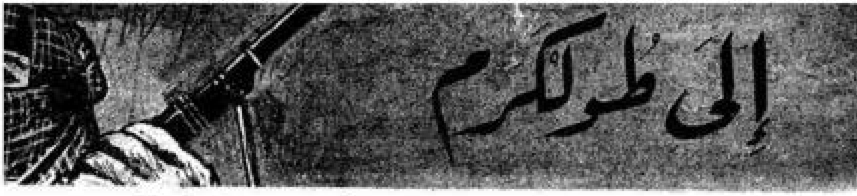
ان اخطر من الانتخابات عند اليهود المال . لقد سمعت ان اسرائيل خصصت ٣٥ مليون دولار تنفق في العام في الولايات في «العلاقات العامة» . وصح هذا الرقم او لم يصح ، فاسرائيل تنفق في الولايات الشيء الكثير . فأي علاقات عامة هذه ! انه الاعلام . انها تشتري الصفحات من الصحف، وتشتري الاوقات من الاذاعات وصناديق الاحزاب مفتوحة لتتلقى التبرعات من كل الجهات ، وهي تبرعات لا ريبة فيها ظاهرا ، ولكن حراس هذه الصناديق عندهم لهم وفيهم فطانة . ومن اشد العلاقات العامة علاقة الصهاينة بالشيوخ والنواب .

قلت : والشيوخ والنواب ليسوا من أولياء الله الصالحين تماما ، وليسوا من الانبياء وليسوا من القديسين . انهم من آدم ، وآدم من تراب . وآدم عصى الله ربه . واخال ان عند الصهاينة سجلا بكل نائب ، وكل شيخ ، سجلاً محفوظا، وهم سبقوا يوم الآخرة فقاموا يحصون على النواب والشيوخ ما يأتون من حسنات ، وما يقترفون في حق عباد الله المختارين من سيئات. والسيئة لها عشر اضعافها ، جزاءً وِفاقا عاجلا في الانتخابات . فمن احسن فله السمعة الطيبة في كل أبواب الدعايات ، وسيطرة اليهود عليها معروفة مشهورة . ومن عصى فله التدابير الاخفى. وسيطر اليهود على المال ، وسيطروا على الصناعة والتجارة قبل سيطرتهم على الرجال . والاخطبوط له أرجل ثمان ، وللجامعة اليهودية من الارجل عدد ما على سطح الارض من امم ذات بال . وانتشروا في اهل الغرب فكانوا منهم . وانتشروا في اهل الشرق من اوربا فكانوا منهم . واقبلوا على المدنية الحاضرة اقبالا كاملا ، وادبرنا .

قال : اذن ؟

قلت : واذن فقد استيقظنا لكل هذا. واذن فقد اقبلنا على التعليم اقبالا . واذن فقد بدأنا نأخذ من المدنية الحاضرة خيرها . فان وجدنا أننا لا نستطيع ان نأخذ خيرها ونترك شرها ، ولا يكون لنا من تركها الا الذلة ، فوالله ما نحن بتاركيها حتى نبلعها كلها بلعاً ، بالذي فيها من حلو وعلقم ، فمنها العزة والكرامة ، والعزة اول صفة المؤمن ، والكرامة اسمى ما منحه الله للناس. ●●

احمد زكي



■ أطلّي على الكون، لا تغربي — تباركتِ من بلدٍ طيّبِ
تبارك فيكِ ضمير الحياة — وأفرخ في روحكِ المخصبِ
ترامت حواليكِ دنيا رؤى — ترفّ على أفقكِ الأرحبِ
وأهدت لكِ الطيرُ ألحانها — أغاريدَ من وحيكِ المعجبِ
لكم قبّلتكِ شفاه الربيع — وأيقظتِ الزهرَ في السبسبِ

★★★

صمدتِ على زعزعِ النائبات — صمودَ كريمٍ، شجاعٍ، أبي..
ورويتِ من دمكِ العبقريّ — سهولكِ . يا للثرى المخضّبِ
قوافلُ من مهجٍ حرّةٍ .. — سفحتِ دماها ولم تُجدبِ
قرابينَ للعُربِ، يا للفداء — ويا لخلودِ الدمِ اليعربي !

★★★

أتغفينَ في لهبِ الذكريات — وهذي دماؤكِ لم تنضبِ ؟ . . .
وهذي دموعكِ لمّا تزلْ — تنزّ على جفنكِ الأهدبِ ؟

★★★

أفيقي على الدهرِ . . يا «طولكرم» — أطلّي على الكونِ لا ترهبي
فإن سلبوكِ ثراكِ الخصيب — وأخنوا على سهلكِ المعشبِ
وحطّوا الرحالَ على أرضنا — وجاءوا بكلِّ دخيلٍ غبي.
فإنّا سنلفظهم كالنواة — وليسَ لهم بعدُ، من مهربِ
فإن أقبلوا في إهابِ الأسود — لسوفَ يفرّونَ كالأرنبِ !

★★★

لكِ المجدُ – لا تطرقي ذلّةً — تسامَيْ على الأفقِ، لا تغربي
ولا يرهبنّكِ هذا الزمانُ — ونحنُ حواليكِ لم نرهبِ . .
فإن أسدلَ الليلُ أستارهُ — أطلّي على الكونِ في موكبِ
ففي وجنتيكِ شروقُ الحياة — وفي خافقيكِ ضميرُ نبي ! ■■

راضي صدوق

(*) طولكرم من المدن الفلسطينية المحتلة في العدوان الصهيوني في الخامس من حزيران (يونيو) ١٩٦٧ وقد سبقَ ان نشرت عنها (العربي) تحقيقا صحفيا مصوّراً في عدد سابق .

النهضة الدينية الإصلاحية

جرت

بقلم : الشيخ عبد المنعم النمر

حين نستعرض الحركات الاصلاحية والتحررية التى قامت فى عدة بلدان من البلاد التى استعمرها الغرب : الاسلامية منها وغير الاسلامية يظهر امامنا بوضوح لاريب فيه ان الدين كان عاملا اساسيا فى قيام هذه الحركات ، وفى بعث هذه الامم للتحرر من الاستعمار .

فمن واقع التجربة التى مرت بهذه البلاد حديثا ينهض الدليل على ان الدين عامل نهضة وتقدم وتحرر ، لا معوقا عن النهضة والتقدم والتحرر .

كانت البلاد الاسلامية كما كانت الهند ترزح تحت وطأة الاستعمار في اواخر القرن التاسع عشر ، وكان كثير من اهل هذه البلاد لا يرون املا في التخلص مما هم فيه من عناء الاستعمار فربطوا حياتهم به ، واصبحوا عبيدا مخلصين له ، وحربا على اوطانهم واخوانهم .. وكان المستعمرون كلما كسبوا ارضا جديدة طمعوا في غيرها ، وبالغوا في تشديد قبضتهم على البلاد التى استعمروها . ووجهوا راس الحربة الى الدين او بعبارة اخرى الى القوة الروحية باعتبارها اقوى عوامل التماسك في الامة .

وقد فعل المستعمرون ذلك في كل بلد استعمروه لعلمهم ان الاسلام الصحيح وكل عالم او عارف بهذا الاسلام الصحيح ينفر من وجودهم ، ويقف عائقا قويا لامتداد سلطانهم .

الاستعمار يحتضن اعوانه

نعرف ذلك من قصة الاستعمار في مصر . وفي شمال افريقيا وفي السودان . ونعرفه كذلك في البلاد العربية التى حكمها ..

ونعرفه في الهند بعد ان تغلب على حاكمها المسلم ، وضمها لمستعمرات التاج سنة ١٨٥٧ م وكيف كان يخشى المسلمين هناك بعد ذلك ، ويعمل بمدارسه وصحفه وكتبه وكل حيله وقوته لابعاد المسلمين عن دينهم .. وكيف احتضن كل مسالم او داع لمسالمتهم من المسلمين ، ونفخ فيه ، ومكن له ..

احمد خان

احتضن سير سيد احمد خان لانه دعا الى مسالمتهم ، وانشأ كلية للمسلمين تعلم مناهجهم « عليكرة » ، وكان احمد خان يريد ان يعلم المسلمين العلوم التى تجعلهم موظفين في الدولة كغيرهم من الهندوس ، ويحارب العلماء الذين كانوا ينفرون من اسلوب الاستعمار في التعليم ومن مسالمة الانجليز ، كما كان العلماء يحاربونه بشدة ، واشتط فى حربه للعلماء حتى انزلق الى انكار بعض ما جاء في القرآن الكريم ، واخذ ينشر المذهب

● حين لم نلتفت الى ماضينا وقوتنا السماوية ، ماكنا نرهب احدا . اما اليوم ، فبهذه اللفتة القصيرة الى تراثنا المجيد اصبحنا نخيف بعد ان كنا نخاف .

ابن باديس

مع الاستقلال شوطا واحدا

الطبيعي « كمودة » فكرية من واردات الغرب وهو مذهب « داروين » الذى فهم على انه ينكر ما وراء المادة ، ولا يعترف بالله . والذى من اجله هاجمه جمال الدين حين نفى الى الهند ، وعده من اذناب الانجليز ودعاة الالحاد ، والف رسالة في الرد عليه وعلى مذهبه ، عرفت باسم « الرد على الدهريين » .

وكان احمد خان يلقى كل تكريم من الانجليز في الهند وفي لندن .. وفي الوقت الذى شجعوا فيه احمد خان حاربوا التعليم الدينى في الهند بالمدارس الاسلامية العربية واستولوا على اوقافها واضطهدوا كل مدرسة وكل مدرس يدرس للطلاب حكم الجهاد في الاسلام » بصفة خاصة .

ميرزا غلام

واحتضن الاستعمار من اجل ذلك « ميرزا غلام احمد القاديانى » صاحب دعوة القاديانية ومكن له ولاتباعه في وظائف الحكومة واغدق عليه وعليهم .. لانه سالمهم بل اعلن فتوى بحرمة الجهاد ضدهم .. ووالى عليهم ، وعلى اسلوبهم في الحكم ..

ولماذا فعل المستعمرون ذلك ؟

لم يفعل المستعمرون من الانجليز والفرنسيين وغيرهم ما فعلوه ضد الاسلام ، ولم يرسموا الخطط وينفذوها لهدم روحه وتعاليه في النفوس الا لعلمهم بان الدين عند المسلمين هو العاصم اهم والحائل بينهم وبين قبول الاستعمار .. والدافع لاتباعه الى النهوض والرقي فى شتى المجالات ..

ومن خلال هذه الحرب الطاحنة التى شنها الاستعمار والسائرون في ركبه ، والآكلون على موائده ، ومن خلال الظلمات القائمة التى نسجها المستعمرون على البلاد الاسلامية ، وجللوا بالسواد فيها كل فكرة سليمة عن الدين ..

ومن خلال ما سلطوه على العلماء من اساليب الازدراء بهم والسخرية منهم ، للمباعدة بينهم وبين الجمهور ..

من خلال الاستعمار ، انطلقت حركة الاصلاح ، باسم الدين

من خلال ذلك كله ، او برغم هذا كله ، انطلقت اصوات المصلحين ، توقظ الشعب النائم المستسلم وتحركه ليدافع عن حقه ، ويتحرر من مستعبديه..

ولم تكن لهم عدة ولا سلاح في دعوتهم الا كلمة الدين ، ودعوة الاسلام .. اعتمدوا على الدين اعتمادا كليا في بعث الهمم ، واثارة النفوس يستوى في ذلك دعاة الاصلاح في مصر او في غيرها من البلدان الاسلامية ..

بل يستوى دعاة الاصلاح من المسلمين وغير المسلمين كما سنرى في الهند . .

انطلقوا جميعا من قاعدة واحدة هي الدين ،

واحياؤه في النفوس ، حتى يقف حائلا بينها وبين تقبل الاستعمار ، وحاملا لهم على التخلص منه ، ومن آثاره الفكرية والمادية التى غزا بها البلاد المغلوبة على امرها . .

فى مصر

ففي الوقت الذى خيم فيه الاستعمار على كل شيء وتمكنت قبضته من كل شيء ، انطلق صوت جمال الدين الافغانى كالرعد ، ليوقظ النائمين المستسلمين للظلم والاستبداد ، سواء اكان صادرا من المستعمر الغريب ، أم من المستبد المواطن . .

لم يكن يدعو الناس الا الى فهم الاسلام الصحيح، والتجمع على كلمته وتعاليمه ، ولا سيما في حكم الامم . حارب الجمود في الدين ، كما حارب البدع والخرافات العالقة به ، ليفهمه المسلمون فهما سليما نقيا خاليا من الشوائب ، وليستمدوا منه القوة المحركة لهم فى سيرهم نحو التقدم .. وحارب به الاستعمار واساليبه الملتوية الماكرة او المكشوفة لهضم حقوق الشعوب وامتصاص دمائها .

وحارب به الحكام المسلمين المستبدين بأممهم ، البعيدين عن تعاليم الاسلام في حكمهم وتصرفاتهم لم يكن له سلاح الا كلمة الله وحديث رسوله عليه الصلاة والسلام .. مع من يلتقى به في « مقهى » او في مجلس خاص . فلم يكن له حزب او جماعة ، ولا كان يقود المظاهرات ، ولكنه كان فقط يتحدث مع من يجتمع به من افراد قليلين اعجبوا به وبفهمه للدين ، ومع ذلك خافه المستعمرون وعملاؤهم ، ورأوا فيه خطرا عليهم ، فحاربوه وطاردوه ولم يتركوه يستقر في مكان .. طاردوه من كل بلد وضع قدمه فيه ، كما طاردوا تلامذته وضيقوا عليهم ، لانهم كانوا يخشونه ويخشونهم على سلطانهم ، مع امتلاكهم لكل ادوات القهر في البلاد .

كان لا يملك الا الثياب التى يلبسها ، ومع ذلك هز ـ بعنف ـ السلطة في كل بلد حلَّ فيه . وادخل الرعب في قلبها ، حتى لم تكن تحتمل وجوده ، فكان ينفى من بلد الى بلد . وكان مع ذلك كالاسد يجد فريسته في كل مكان يحل فيه ..

ولم يكن له عدة ولا سلاح في كل مكان حل فيه الا كلمة الدين ، الا القرآن الكريم والحديث الشريف .

ومنهما استمد القوة الكهربية التى تضيء وتحرق ، تضيء للمسلمين طريقهم ، وتحرق المستعمرين والمستبدين من الحكام المسلمين ..

ومن هنا كانت قوته وكان خطره ، لانه كان يخاطب ما استقر في اعماق الناس من عقيدة ومن تعلق بالاسلام ، حتى انتهى اخيرا فى حجرة مظلمة في استامبول .

مات واصبح جثة هامدة ، ولكن دعوته صارت حصنا وقلعة ، او كانت هواء نقيا سرى في كل مكان فاحيا النفوس .او كانت مولدا كهربيا امتد اثره في كل مكان سمع به وبدعوته واثار واحرق .

وحمل الراية من بعده تلامذته محمد عبده وغيره .. وساروا على نهجه في الاصلاح عن طريق الدين .. حتى كان ما نقرؤه في تاريخنا القريب ، وما نراه باعيننا من نهضة ويقظة في كل مكان من البلاد الاسلامية هو الثمرة بلا شك لهذه الدعوة الاصلاحية الاسلامية ..

ولا نريد ان نقف طويلا عند حركة جمال الدين واثرها في مصر ، لان ذلك اصبح معروفا مسلما به عند كل انسان يفهم شيئا عن تاريخ نهضته الحديثة .. فلننتقل الى بلد آخر لنرى التجربة فيه ..

وفى الجزائر

ونختار الجزائر التى ضرب اهلها اروع الامثال في الكفاح والاستشهاد ضد الاستعمار حتى اصبحت تعرف ببلد المليون شهيد ..

من الذى حركها وبعثها من مرقدها .. بعد ما تمكن الاستعمار منها ، واطمأن الى انها قطعة من فرنسا ، وبعد ان قضى في اول الامر على الزعيم المؤمن « عبد القادر الجزائرى » وخلا له الجو ليفعل ما يريد ؟

لقد فعل الاستعمار بها كل ما يحقق له هدفه : هدم المساجد ، واقام بدلها في كل مكان قلاع الكنائس .. حارب الاسلام ، ومدارسه ، وكل متحدث باسمه .

حارب اللغة العربية ، لغة القرآن الكريم ، واحال كل صوت فيها الى صوت فرنسى حتى صدر قرار باعتبارها لغة اجنبية ! ! ! ، ومنذ سنة ١٨٣٠ هـ وهو يتصرف بالجزائر كما يريد ، وكما يحلو له هواه ، ويقربه من هدفه حتى كاد يسلخ الجزائر نهائيا من رقعة البلاد العربية الاسلامية .

وهكذا خيل له حتى تجرأ الكاردينال «الافيجرى» سنة ١٩٣٠ واعلن « ان عهد الهلال في الجزائر قد غبر ، وان عهد الصليب قد بدأ وسيستمر الى الابد » !!! اكثر من قرن يرسم الخطط وينفذها من اجل هذا الهدف .. حتى اطمان او كاد الى ان كل شيء فيها على ما يرام ..

حتى كان الامر فيها يبدو كما صوره الزعيم المسلم الشيخ عبد الحميد بن باديس وهو يرد على حاكم قسنطينه الفرنسي حين استدعاه ليسأله عن موقفه والحرب الثانية على الابواب فقال له :

« ان الجزائر ثلاث طبقات : طبقة الاكثرية وقد قتلتم احساسها بالحياة ، فلا تفرق بين فرنسا وبين باديس ، وطبقة الاقلية الواعية وقد ملأتم افواهها بعظم الوظيفة تلوكه بين اشداقها وهي تحسب انه غذاء ، وطبقة المعزولين (يقصد اعضاء جمعية العلماء في الجزائر وكانوا مضطهدين) يعيشون للمستقبل ولا خطر منهم على دولتكم اليوم » هكذا صور ابن باديس الموقف للحاكم الفرنسي كما كان يبدو امام الجميع وفرنسا متمكنة ومطمئنة على حكمها في الجزائر .

ولكن بعد نحو خمسة عشر عاما يتغير الموقف ، وتبدأ الثورة ضد المستعمر ويفور بركان الغضب عليه من كل مكان في البلاد ، ويهب الشعب هبة لم يعرفها شعب آخر ، حتى الشجر والمدر ثار وغضب .

ما الذى حدث ؟

الم يصر الشعب الجزائرى من شعب فرنسا حتى كان له ممثلون في البرلمان الفرنسي كدليل على انه قطعة من فرنسا ؟ الم تطحنه السنون الطويلة ، وتحوله الى عجينه فرنسية ؟ .

هكذا ظن الفرنسيون ، بعد ما عملوا له طويلا بكل أسلوب يملكونه ، وما اكثر ما كانوا يملكون ! ما السبب الذى في هذه الثورة الجبارة ضدهم ؟ ما الذى جعل الجزائرين ينتفضون كالاسود الغاضبة ، ويقفون وقفتهم الجبارة لاثبات وجودهم التاريخى ، وتمزيق الثوب الذى البستهم اياه فرنسا ؟ .

ما الذى حملهم على تحدى هذه الدولة العاتية بجيوشها الجرارة وهم لاصلاح لهم الا الذى تتلقفه الايدى من هنا وهناك !

ما الذى حملهم على ان يبذلوا كل هذه التضحيات عن طيب خاطر ، ويصرون عدة سنين على هذا البذل حتى ظفروا بهدفهم ؟

هل يمكن ان يكون هذا الذى قام به الجزائريون قد حدث فجاة وبدون مقدمات مهدت له ؟ لا .. ولا بد أن تكون هناك تعبئة قوية للنفوس .

من اين جاءت هذه التعبئة ؟

لا أريد ان اتحدث انا او اطيل الكلام . بل اترك الجواب هنا للكاتب والمفكر الجزائرى المسلم « مالك بن نبى » فهو خير من يدلنا على ما نريد هنا ان نسوقه للقارىء .

ففى كتابه « شروط النهضة » بعد ان تحدث عن النوم الذى كان يغط فيه الشعب الجزائرى في ليل طويل في اوائل هذا القرن ، قال :

« ولكن شعاع الفجر قد بدأ ينساب بين نجوم الليل ، من قمة الجبل ، فلم يلبث ان محت آياته الظلمة من سماء الجزائر ، فحوالى عام ١٩٢٢ بدأت في الارض هينمة وحركة ، وكان ذلك اعلانا لنهار جديد ، وبعثا لحياة جديدة فكانما هذه الاصوات استمدت من صوت جمال الدين قوتها الباعثة ، بل كانها صدى لصوته البعيد ، ولقد بدات معجزة البعث تتدفق من كلمات « ابن باديس (١) » فكانت تلك ساعة اليقظة ، وبدأ

---

(١) هو الشيخ عبد الحميد بن باديس ولد في قسنطينه ١٣٠٨هـ ١٨٨٩م وكان على اتصال بالسيد رشيد رضا وافكاره ، درس في جامعة الزيتونة وتأثر بابن تيمية كما قيل انه التقى بالشيخ عبده في الجزائر ، وانشأ عدة صحف ومجلات وكان يعتبر الزعيم الروحى لمسلمي الجزائر ، ركز جهده طول حياته على احياء الاسلام في النفوس والحفاظ على اللغة العربية بانشاء المدارس الاهلية وقد انشأ جمعية العلماء سنة ١٩٣١م لترعى هذه الشئون والتف حوله الكثيرون من الشعب حتى بلغ عدد المدارس تحت رعايته ١٧٠ مدرسة للبنين والبنات خرجت اجيالا على مبادئه .. وتوفي الشيخ في ٨ ربيع الاول سنة ١٣٥٩هـ ١٦ ابريل سنة ١٩٤٠م وحمل الراية من بعده الشيخ البشير الابراهيمي وزملاؤه وتلامذته .. وعرفت الثورة الجزائرية قدره وأثره فكرمته بعد وفاته وعنيت بالاحتفال بذكراه .

الشعب الجزائري يتحرك ، وبالها من يقظة مباركة.

ويقول ص ٢٤ ، ٢٥ بعد هذا وهو يستعرض الافكار التي راجت بين الشباب حينذاك بين شاب يرنو الى المذهب الكمالي في تركيا ، وآخر الى المذهب الوهابي ، وثالث ينحدر الى المذهب المادي :

« ونرى من بين هؤلاء واولئك عمائم الاصلاح تدلنا على منهج آخر يقوم على عقيدة صحيحة ورجوع الى آثار السلف الصالح، وتغيير ما بالنفس من آثار الانحطاط » .

ثم يقول « ولقد كانت حركة الاصلاح التي قام بها العلماء الجزائريون اقرب هذه الحركات الى النفوس ، وادخلها في القلوب ، اذ كان اساس منهاجهم الاكمل قوله تعالى « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم » فاصبحت هذه الآية شعار كل من ينخرط في سلك الاصلاح في مدرسة « ابن باديس » وكانت اساسا لكل تفكير ، فظهرت آثارها في كل خطوة وفي كل مقال، حتى اشرب الشعب في قلبه نزعة التغيير ، فاصبحت احاديثه تتخذها شرعة ومنهاجا ، فهذا يقول : لا بد من تبليغ الاسلام الى المسلمين ، وذاك يقول : فلنترك البدع الشنيعة البالية التى لطخت الدين ولنترك هذه الاوثان . وذلك يلح : يجب ان نعمل ، يجب ان نتعلم يجب ان نجدد صلتنا بالسلف الصالح ونحيي شعائر المجتمع الاسلامي الاول » .

« وانه لتفكير سديد ، ذلك الذي يرى ان تكوين الحضارة كظاهرة اجتماعية انما يكون في نفس الظروف والشروط التي ولدت فيها الحضارة الاولى . كان هذا صادرا عن عقيدة قوية ، ولسان يستمد من سحر القرآن تأثيره ليذكر الناس بحضارة الاسلام في عصوره الزاهرة ، والشعب المتدين الطروب كان مصغيا » .

« ويقول بعد ذلك ص ٢٩ : وهكذا اتيح « للاصلاح » ان يمسك بين يديه مقاليد النهضة الجزائرية وامكنه ان يبعثها خلقا آخر بالروح الاسلامية التي تخلصت من كابوس الاوثان » .

واحب ان اضيف الى هذا كلمة لابن باديس نفسه حين اخذت الحكومة تطارد جمعية العلماء بعد تأليفها سنة ١٩٣١ ومباشرتها لمهماتها في نظام مدروس قائم على حفظ التراث الاسلامي :

« اننا بالامس حين لم نلتفت هذه اللفتة الى ماضينا وقوتنا السماوية ماكنا نُرْهِبُ احدا . ولا نستطيع ان نشعر بوجودنا احدا ، اما اليوم فبهذه اللفتة القصيرة الى تراثنا المجيد استطعنا ان نعلن عن وجودنا . ونخيف بعد ان كنا نخاف » .

وحين هدده وزير فرنسي بان لدى فرنسا مدافع طويلة رد عليه « بان لدينا مدافع اطول هي مدافع الله » .

وبالاعتماد على بعث التراث الاسلامي دينا ولغة تحركت الجزائر نحو حريتها ، وبذلت ما بذلت من تضحيات غالية ثمنا لهذه الحرية ، وحفاظا على امجادها القديمة .

وهكذا كان أثر الدين في تحرير الجزائر ونهضتها ، وسيمتد اثره في حراسة هذه النهضة ما دامت موصولة به .

وفي تونس والمغرب

وكما حدث في الجزائر حدث في تونس والمغرب وليبيا . كان موقفها كلها ضد الاستعمار من أثر الدين ورجاله من جامع القرويين في المغرب ، ومن جامع الزيتونة في تونس ، والزوايا السنوسية في ليبيا .

والاسلام الذي اعتمده هؤلاء المصلحون سلاحا لدعوتهم هو الاسلام المصفى من شوائب البدع والخرافات والافهام السقيمة ، وهو بهذا المفهوم قادر على بعث اتباعه للتحرر ، ولبناء نهضة وحضارة بشتى الوانها ..

ولا اريد الآن ان اتناول هذا بالتفصيل ، ولكن يكفينا ان نعرف في الحدود المرسومة لهذا المقال .. ان هؤلاء المصلحين قد فهموا الاسلام فهما سليما ، ولو كان في الاسلام عجز او قصور عن الهدف الذي دعوا الناس اليه ما تسلحوا به في دعوتهم . وما كان يؤدي الى النتيجة التي ظهرت آثارها ولا تزال تظهر بعد مماتهم ..

ونحن كلما ازددنا فهما للاسلام وحرصا على الاقتباس من روحه وتعاليمه في خطواتنا ازددنا ثباتا وسرعة في الوصول الى هدفنا ..

والله المستعان »»» ■■

عبد المنعم النمر

الغَرِيزَةُ وَ الانْسَان

((الفريزة سلوك عفوى" فطرى" ، ثابت ، مشترك بين أفراد النوع الواحد ، ويبدو متكيفا مع هدف لا يشعر به الفرد))

بقلم : الدكتور فاخر عاقل



■ يتحدث الناس عامة والكتاب خاصة عن وجود الغرائز لدى الانسان فيقولون ان لديه غريزة جنسية ، واخرى للتملك ، وثالثة للامومة وهكذا . ولكن علم النفس الحديث ينظر الى الامر نظرة مختلفة ويعتقد أن الغرائز خاصة بالحيوانات الدنيا أكثر منها عند الحيوانات العليا . وقد احببت ان أوضح هذا الامر فى مقالى هذا .

ولقد كان ماكدوجال Mc Dougall عالم النفس الانكليزى أشهر من قال بوجود الغرائز عند الانسان فقال بوجود اربع عشرة غريزة عند الانسان يقابل كل منها انفعال . وهذه الغرائز هى :

١ ـ غريزة الوالدية — وانفعالها الحنو
٢ ـ غريزة المقاتلة — وانفعالها الغضب
٣ ـ غريزة الاستطلاع — وانفعالها التعجب
٤ ـ غريزة الهرب — وانفعالها الخوف

٥ ـ غريزة البحث عن الطعام وانفعالها الجوع
٦ ـ غريزة النفور وانفعالها الاشمئزاز
٧ ـ غريزة الاستغاثة وانفعالها الشعور بالعجز
٨ ـ غريزة الجنس وانفعالها الشهوة الجنسية
٩ ـ غريزة الاستكانة وانفعالها الشعور بالنقص
١٠ ـ غريزة السيطرة وانفعالها الزهو
١١ ـ غريزة التملك وانفعالها حب التملك
١٢ ـ غريزة الفك والتركيب وانفعالها حب العمل
١٣ ـ غريزة الاجتماع وانفعالها الشعور بالوحدة
١٤ ـ غريزة الضحك وانفعالها التسلية

وقد اضاف ماكدوجال الى هذه الغرائز أربع غرائز أخرى في أواخر أيامه وهي (البحث عن الراحة) و (النوم) و (التنقل) و (مجموعة غرائز بسيطة ترتبط بالحاجات الجسدية العادية)(١).

والمقصود بالانفعال المقابل للغريزة هو الهيجان الذي يحدث للانسان اذا لم يستطع ارضاء غريزته، وهكذا فان الانسان اذا قاتل أرضى غريزته والا شعر بالغضب واذا هرب تخلص من الخطر والا شعر بالخوف .. الخ .لكن ماكدوجال اضطر الى تعديل موقفه فيما بعد واضطر للقول : « انني اقبل ان الافعال الغريزية بمعناها الأعم والاعمق خاصة بالحيوانات الدنيا وأن توسيع معنى اللفظ الى سلوك الحيوانات العليا والانسان نتج عنه خلط مضر واختلافات كان من جرائها أن جعلت حقيقة الصلة بين الاشكال الدنيا والعليا من العمل اكثر غموضا بدلا من ايضاح هذه الحقيقة»(٢)

يتضح مما سبق أن ماكدوجال نفسه ، وهو أشهر المدافعين عن وجود الغرائز عند الانسان قد اضطر الى تعديل موقفه وقصر الغريزة على الحيوان ، ولا سيما الحيوانات الدنيا . ومن هنا كان لا بد من ايضاح للامر وبسط حقيقة الغريزة .

حاجات ودوافع

المادة التي يتكون منها البشر تتناقص وتفنى ولذلك كان لا بد لتعويضها من أن يأكل الانسان ويشرب ، وينتج عن عملية الفناء هذه وتعويضها بالاكل والشرب فضلات لابد من اخراجها ولذا كان للانسان حاجة للاكل وأخرى للشرب وثالثة لاخراج الفضلات .

ثم انه من اللازم لحفظ بقاء الانسان أن يبتعد عن كل ما يمكن أن يصيب عضويته organism بأذى ولذلك فالانسان محتاج الى الابتعاد عما يضر به . ثم ان الانسان ميال لتخليد نوعه ولذلك فهو يقوم بنشاط جنسي وبه حاجة جنسية . والعضوية البشرية تتعب ولذلك فالانسان بحاجة للراحة بين وقت وآخر وقد تأخذ هذه الراحة شكل النوم أو اشكالا أخرى .

وهكذا نجد أن للعضويات حاجات أساسها فسيولوجي صرف ، وهذه الحاجات اما أن تدفعنا الى اعمال ايجابية كالاكل والشرب او الى اعمال سلبية كاجتناب كل ما يضر بالعضوية .

ونحن اذا لم نرض حاجاتنا العضوية الفسيولوجية اختل التوازن الفسيولوجي لعضويتنا وحينئذ يتحتم علينا ان نقوم بأنواع من النشاط لا تقف الا بارضاء حاجاتنا أو بتعب العضوية لدرجة لا تستطيع معها الاستمرار في النشاط .

وعلى هذا فحين نقول ان الطعام والشراب يرضيان حاجات طبيعية نعني بذلك أنهما يعيدان التوازن الفسيولوجي الذي اخلت به حاجاتنا . والعضويات ـ البشرية وغير البشرية ـ قادرة بواسطة نشاطها الذاتي على الاحتفاظ بتوازنها الفسيولوجي .

ان الفاعلية التي تخلقها حاجة لم ترض كالحاجة الى الطعام تساعد هي نفسها على الحصول على الطعام الذي يقضي بدوره على الجوع ، كما ان ضغط الفضلات يدفع الى نوع من الفاعلية تزيل هذه الفضلات . وهذا الذي قلناه لا يعني طبعا ان هذه الحاجات تؤدي دوما وبالضرورة الى افعال ترضيها مباشرة ، ذلك بانه فيما يخص الجوع مثلا لا بد للمخلوق ، ولا سيما اذا كان انسانا ،

---

(١) McDougall - Energies of Men
(٢) نفس المصدر السابق ص ٧٨ .

من أن يتعلم كيفية الحصول على الطعام ليرضي دافع الجوع .

وهكذا نصل الى ما يسمى بالدوافع اذ نلاحظ ان الظروف التى ترافق الحرمان من المواد اللازمة للعضوية كالطعام والشراب وفاعليات اخـــراج الفضلات وغيرها تدفع العضوية الى النشـــاط والفعل لذلك سميت بالدوافع . وهذه الدوافع تجد اصلها في حاجات فسيولوجية ولذلك سميت بالدوافع الفسيولوجية . وهكذا يقصد بالدوافع الفسيولوجية عادة الشروط الفسيولوجية التى تدفع الحيوان للفاعلية،وهذه الشروط تكون نتيجة لحاجة لم ترض.واذن فان الدوافع الفسيولوجية تجد اصلها في تكويننا الفسيولوجي وهي مردودة الى حاجات فسيولوجية .

الحوافز الاجتماعية المشتركة

الدوافع الفسيولوجية التى سبق ذكرها مشتركة بين الانسان والحيوان ، فالانسان يندفع بالجوع وكذلك الحيوان ، والانسان يندفع برغبتـــه الجنسية وكذلك الحيوان . وهذه الدوافع عامة بين الناس لانها جزء من ميراثهم الحيواني . ولكن ثمة نوعا من الدوافع نفضل أن نسميه (حوافز اجتماعية مشتركة) يجد أصله في الميراث الاجتماعي للانسان . ان الناس في مجتمعنا وفي المجتمعات المشابهة يميلون الى التملك كما يميلون الى الاجتماع بسواهم واشباههم ، وهم يميلون الى التفوق وغير ذلك من الميول التى تتجلى لدى الناس في مجتمع معين يدين بحضارة معينة .

والذى يبدو لنا أن هذه الحوافز الاجتماعية المشتركة تجد اصلها في الميراث الاجتماعي للانسان اكثر مما تجده في ميراثه الفسيولوجي الحيواني ذلك بانه لم ينهض حتى الآن دليل على أن لهذه الميول او الحوافز أصلا في البلازما الوراثية بل على العكس هناك كثير من الدلائل التى توحـي بانها ماخوذة عن المجتمع ومكتسبة خـــلال حياة الفرد .

ونحن حين نمعن النظر في مثل هذه الحوافـز نلاحظ أنها متصلة اشد الاتصال بالدوافـــع الفسيولوجية ولكن اتصالها بها اتصال عام وليس خاصا ولا وثيقا . انها عادات عامة مشتركة اكثر من كونها دوافع فطرية ثابتة وموروثة .

وهكذا يكون الميل الى الاجتماع بالاشباه ميلا مكتسبا ناشئا عن تربية الفرد منذ لحظة ولادته في مجتمع يضم الأشباه وعن الحاجات التـــى يقضيها هذا المجتمع للوليد الجديد وعن المسرات التى يؤمنها له . وقل الشيء نفسه عن الميـل الى التملك والميل الى التفوق ذلك بأن التملك قوة ووسيلة الى قضاء الحاجات وقل الأمــر نفسه عن التفوق وما يصاحبه من امتيازات في المجتمع البشرى .

الحوافز الشخصية

وما قلناه عن الحوافز الاجتماعية المشتركة اكثر صحة بالنسبة للحوافز الشخصية ، فمن المعلوم أن كلا منا يرث الدوافع الفسيولوجية ، ولكنه معلوم أيضا أن الاختلاف موجود فيما يتعلق بقوة هذه الدوافع الموروثة وطريق التعبير عنها، فعند هذا من الناس تكون هذه الدوافع قوية أو يكون دافع بعينه قويا في ميدانه ، وعند انسان آخـر تكون هذه الدوافع اضعف او يكون دافع معين ضعيفا . وليس هذا فحسب بل ان كلا منا يرضي الدافع نفسه بطريقة تختلف كثيرا أو قليلا عـن الطريقة التى يتبعها الآخرون في ارضاء هذا الدافع. والذى قلناه صحيح أيضا فيما يتعلق بالحوافز الاجتماعية المشتركة ، فكل فرد سوي من افراد الجماعة يحصل عادة على الحوافز الاجتماعية التى تميز جماعته ، ولكن هناك اختلافات في قوة هـــذه الحوافز الاجتماعية وفي طرق التعبير عنها وارضائها.

الناس مثلا مختلفون في حبهم للتملك اختلافهم في تعبيرهم عن هذا الحافز ، فزيد من الناس يرغب في امتلاك الدراهم وتكدسها ، في حين أن عمرا يحب أن يمتلك الكتب او اللوحات الفنية أو الطوابع وهو ينفق في سبيلها دراهمه .

فنحن اذن نستطيع أن ننظر الى تنوع السلوك بوصفه تنوعا فرديا أو شخصيا في قوة هذه الدوافع وتلك الحواجز وفي كيفية التعبير عنها .

الغرائز

بعد هذه المقدمة عن الدوافع الفسيولوجيـــة

والحواجزالاجتماعيةالمشتركة والحوافز الشخصية الخاصة ، نعود الى الحديث عن الغريزة لنقول ان كثيرا من العضويات الحيوانية Animal Organisms ترضي حاجاتها الفسيولوجية بطرائق خاصة ومميزة للنوع ، ولا يتحتم حينئذ على أفراد النوع أن يتعلموا هذه الطرق. فالفار الذكر مثلا يرضي غريزته الجنسية بالطريقة نفسها التى يرضي بها هذه الغريزة اى فار آخر . ولكن هذه الطريقة تختلف بعض الاختلاف عن طريقة القطط أو الكلاب أو القردة . وليس هذا فحسب بل ان طريقة الارضاء هذه وكيفيتها لا تتغير سواء الاحظ الفار الفئران الاكبر منه سنا ام عاش لوحده وقام بالعمل الجنسي بصورة تلقائية .ومثل هذه الاستجابات الفطرية المعقدة هى ما يسمى بالغرائز . وأغلب علماء النفس اليوم يستعملون كلمة غريزة بمعنى نمط من الاستجابات أو الافعال المنعكسة معقد وغير متعلم .

وفى قاموس لاروس لعلم النفس تعريف للغريزة يقول :

« الغريزة سلوك عفوى ، فطرى وثابت ، مشترك بين كل أفراد النوع الواحد ويبدو متكيفا مع هدف لا يشعر به الفرد . ـ ان الطير حين يصل الى نضج عفوى معين يبنى عشه بطريقة خاصة بنوعه . ويبدو سلوكه هذا مرسوما في بنائه العصبي .. وعند الانسان يكون السلوك الثابت الشكل سلفا أمرا استثنائيا . وكل أنواع سلوك الانسان تكون متعلمة . وحتى ما يسمى بغريزة الأمومة فانها تتاثر بالأحوال الاجتماعية .» (١)

والحق ان علماء النفس في الماضي اختلفوا في الغرائز اختلافا كبيرا ، اختلفوا في تعريفها ، واختلفوا في عددها ، واختلفوا في وجودها عند الانسان وعدم وجودها ، واختلفوا في امور كثيرة فيما يخص الغرائز ولم يتفقوا الا على شيء واحد وهو فطرية الغريزة وعدم اكتسابها .

والحق بعد ذلك ان غالبية علماء النفس اليوم تنفى الغريزة عند الانسان وتنسبها الى الحيوانات وحدها ـ والدنيا منها بصورة خاصة ـ .

لقد تكلمنا عن مثيرات السلوك على انها دوافع فسيولوجية بالدرجة الاولى ، وحوافز اجتماعية وشخصية بالدرجة الثانية ، ولم نقل عنها انها غرائز بالرغم من أن الدوافع الفسيولوجية ، مثلها في ذلك كمثل الغرائز ، فطرية وغير متعلمة . ان الدوافع لا تعين نمط الاستجابة والسلوك ، ذلك بأن الدافع نفسه يرتبط بانماط مختلفة من السلوك في الانواع الحيوانية المختلفة ، فالطير المدفوع بالجوع يلتقط الحبة بمنقاره فى حين ان الحيوان اللبونى الصغير المدفوع بالجوع يمص ، أما الحيوان اللبونى الكبير الدفوع بالجوع فيقضم أو يزدرد أو يمضغ .

ولقد أشرنا سابقا الى أن العضوية الفتية يجب أن تتعلم الاتجاه الذى يجب أن تتجه اليه الفاعلية المرتبطة ببعض الحاجات والدوافع الفسيولوجية ، فالوليد اللبون المدفوع بالجوع لا يعرف أن الطعام يخلصه من جوعه ، انه يتعلم ذلك بالخبرة وعن طريق مص اشياء عديدة من جملتها حلمة الثدى .

ثم ان الكثير من الاستجابات المرتبطة بارضاء الحاجات تكون بسيطة نسبيا وغير متعلمة وذلك كالمص (وهو فعل منعكس) . اما الغريزة فهى نمط من السلوك أو مجموعة من الافعال المنعكسة معقدة نسبيا وفطرية دوما .

ومن الجدير بالملاحظة اننا حتى اليوم عاجزون عن رسم الخط الفاصل بين الفعل المنعكس والغريزة فصلا دقيقا تاما ، وايا ما كان فان الفرق بصورة عامة بين الغريزة والفعل المنعكس هو أن الغريزة أكثر تعقيدا أو انها تستدعى تكيفا وأعمالا تشمل مجموع العضوية بدلا من شمولها عضوا محدودا من العضوية كما هو الحال بالنسبة للفعل المنعكس.

ثم ان الاستجابات الغريزية أكثر تنوعا اى أكثر قدرة على مواءمة الظروف من الأفعال المنعكسة . هذا ولا ضرورة لافتراض ان كل غريزة يجب أن تكون مدفوعة بدافع فسيولوجي . ان طيران الطيور ونسج الشبكات الذى تقوم به العناكب ، وسباحة الأسماك او اى فعل غريزى آخر (وهى كلها أنواع من السلوك الفطرى المعقد) يمكن أن تخدم دوافع كثيرة وان تقضي حاجات عديدة .

---

(١) Dictiommqire de Poychologie - Larousse Paris - 1967 .

فالطيران قد يكون مدفوعا بدافع الحركة أو دافع الجوع أو الدافع الجنسي أو بمزيج من هذه الدوافع كلها أو بامر آخر يختلف عن هذه الدوافع كلها . اذن فطيران الطير لا يخدم حاجة بعينها ، انه يخدم كل واحدة من هذه الحاجات وقد لا يخدم آية واحدة من هذه الحاجات . وهكذا يتضح لنا أنه بالرغم من وجود علاقة وثيقة بين الحاجات الفسيولوجية والدوافع والغرائز فالعلاقة هذه ليست بسيطة بمعنى ان كل غريزة تخدم حاجة معينة أو دافعا مخصوصا . ثم اننا نلاحظ أخيرا أن الغرائز تظهر أحيانا في ظروف لا نلحظ فيها وجود دافع فسيولوجي معروف .

مثـــال

نلحظ مما تقدم ان الأفعال المنعكسة آليات تحفظ الأعضاء المختلفة ، في حين أن الغرائز ـ عند الحيوانات بصورة خاصة ـ صناعات فطرية كاملة ، وهي عند البشر امكانيات تتحكم فيها التربية والتوجيه . ولنضرب على ذلك مثلا لسلوك الأمي : ان أنثى الجرذ الأبيض حين تلد تظهر نمطا خاصا واضحا من السلوك معقدا : ان هذه الأنثى تلعق وليدها ، وتعض الحبل المشيمي وتقطعه ، وتبني وكرا مستعينة في ذلك بما تجده من الانقاض ، ثم تحمل وليدها أو مواليدها الى هذا الوكر ثم تجلس عليها .

ونحن نلاحظ أن تتابع ردود الافعال في سلوك أنثى الجرذ الأبيض ، وأن طريقة سلوكها ، واحدة متشابهة من أنثى الى أخرى . انها واحدة عند الجرذان التي سبق لها الولادة والجرذان التي تلد للمرة الاولى ، وهي واحدة سواء قيّض للحيوان أن يلاحظ سلوك الحيوانات الأخرى أم لم يقيض له ذلك . وهكذا يتضح ان هذه الأنثى لا تملك دافعا أميا فقط وانما تملك غريزة أمية أيضا . الأمر الذي لا نلاحظه عند الحيوانات الأعلى وبخاصة عند الانسان وانثاه .

الانسان مخلوق يعيش على العادات

يتضح مما سبق أن الانسان يملك الدوافع الفسيولوجية ذات الاصل الحيواني ، كما يملك الحوافز المشتركة ذات الاصل الاجتماعي ، وان لديه حوافز شخصية فردية وانه يملك أفعالا منعكسة ـ شأنه في ذلك شأن الحيوان ـ ولكنه لا يملك الغرائز .

ان الحيوانات الدنيا تملك انماطا من السلوك فطرية وثابتة وذلك بسبب من جملتها العصبية البسيطة ، أما الحيوانات العليا فان تعقد جملتها العصبية ووجود القشرة الدماغية عندها ـ ولا سيما الانسان ـ تساعدها على التكيف مع المحيط وتعلم طرائق معينة في قضاء حاجاتها وارضاء دوافعها وحوافزها .

الانسان يملك حدا أدنى من السلوك الفطري الغريزي الثابت ويملك بالمقابل قدرة هائلة على التعليم يستطيع بواسطتها وبمساعدة الكبار ان يكيف محيطه ويتكيف معه . ومعنى هذا أن جزءا يسيرا من أنماط السلوك التي تمكن الانسان من قضاء حاجاته موروث وأن القسم الكبير من سلوكه مكتسب ومتعلم عن طريق التربية المحيطية .

وهنا محل التذكير بالعادات واهميتها في السلوك البشري ، ونقصد بالعادات الأفعال التي يتعلمها الانسان أثناء حياته وبصورة خاصة أثناء اعتماده على غيره والتي تجعل الحياة أسهل والانسان اقدر على تكييف محيطه والتكيف معه .

والحق أن العادة هي كبرى قوانين السلوك البشري . ولو نظرت في أفعالك ذات يوم ومن الصباح الى المساء لوجدت أن معظمها عادات اكتسبتها أثناء حياتك .

واذا كانت العادة طبيعة ثانية كما يقول بعض علماء النفس فانه صحيح ان العادات مكتسبة وان في الامكان ـ بالرغم من الصعوبة الشديدة ـ تغييرها وتبديلها .

ومن نافلة القول أن نشير الى أن اعتماد الانسان في سلوكه على الاكتساب والتعلم سر تفوقه على بقية المخلوقات وتمكنه من السيطرة على هذا الكون وما فيه من قوى تؤثر عليه وتحدد نمط حياته .

■■

فاخر عاقل

طرائف

خطبة

● خطب لقيط بن زرارة الى قيس ابن خالد الشيباني ، فقال له قيس : ومن انت ؟ قال : لقيط بن زرارة . قال : وما جعلك ان تخطب الي علانية ؟ ، فقال : لاني عرفت اني ان عالنتك لم افضحك ، وان ساررتك لم اخدعك . فقال : كفء كريم لا تبيت والله عندي عزبا ولا غريبا ، فزوجه ابنته وساق عنه .

حيلة

● فكر احد الأدباء في طريقة للتخلص من زيارات الثقلاء فكان يحتفظ بعمامته وعصاه بالقرب من باب مسكنه ، فاذا دق الباب اسرع ووضع عمامته على راسه ، وامسك بعصاه ، ثم يفتح الباب

اشعرهم امير المؤمنين

● اجتمع جماعة من الشعراء عندعبد الملك بن مروان فتذاكروا بيت نصيب وهو قوله :

آهيم بدعد ما حييت فان امت ... أوكّل بدعد من يهيم بها بعدي

فما في القوم الا من عابه وازرى على نصيب فيه . فقال عبد الملك : فما كنتم تقولون انتم : فقال الأقيشر وكان احدالحاضرين :

اهيم بدعد ما حييت فان امت ... فيا ليت شعري من يهيم بها بعدي

فقال له عبد الملك : انت اسوأ رايامن نصيب . فقالوا : فما كنت تقول انت يا امير المؤمنين ؟ قال كنت اقول :

اهيم بدعد ما حييت فان امت ... فلا صلحت دعد لذي خلة بعدي

فقالوا : انت والله اشعر الثلاثة ياامير المؤمنين .

عمود الجمال

● قالت امراة خالد بن صفوان له يوما : ما اجملك ؟ قال : كيف تقولين ذاك ، ومالي عمود الجمال ، ولا علي رداؤه ولا برنسه ؟ قالت : ما عمود الجمال وما رداؤه وما برنسه ؟ قال : اما عمود الجمال ، فطول القوام وفي قصر . واما رداؤه فالبياض ، ولست بأبيض . واما برنسه فسواد الشعر ، وانا اصلع . ولكن لو قلت : ما احلاك وما املحك كان اولى .

عربية

طريفة

فاذا ظهر ان الزائر غير مرغوب فيه قال: كم انا سيىء الحظ لأنني خارج لمقابلة متفق على موعدها من قبل ، اما اذا كان الزائر محبوبا لديه فيقول : كم انا سعيد الحظ لقد عدت من الخارج الآن .

تظلم

● تظلم اهل الكوفة الى المامون من وال كان عليهم . فقال المامون : كذبوا فلا اعلم اعدل منه فى عمالي ولا اقوم. فقالوا : اذا كان له هذا الوصف يا امير المؤمنين ، فاجعل لكل بلد فيه نصيبا ليستووا فى العدل ، واذا فعل امير المؤمنين ذلك لم يكن نصيبنا منه اكثر من ثلاثة شهور ، فضحك المامون وعزله .

في المشورة

● استشار هارون الرشيد وزراءه فقال يحيى بن خالد البرمكي ، لا ينبغي للخليفة ان يستشير منا احدا الا خاليابه ، فانه أموت للسر واقدم للرأى ، واجدر بالسلامة ، واعفى لبعضنا من غائلة بعض ، فان افشاء السر الى رجل واحد اوثق من افشائه الى اثنين ،وافشاءه الى ثلاثة كافشائه الى العامة . لأن الواحد رهن بما أفشي اليه، والثاني يطلق عنه ذلك الرهن والثالث علاوة فيه.

فاذا كان سر الرجل عند واحد كان أحرى الا يظهره رهبة منه ورغبة اليه . واذا كان عند اثنين دخلت على الخليفة الشبهة ، واتسعت على الرجلين المعاريض ، فان عاقبهما عاقب اثنين بذنب واحد ، وان اتهمهما اتهم بريئا بجناية مجرم . وان عفا عنهما كان العفو عن احدهما ولا ذنب له وعن الآخر ولا حجة معه .

سريع الحفظ

● جلس المتنبي يوما بسوق الوراقين فمر به دلال بيده دفتر فيه اكثر من عشرين ورقة ، فاستعرضه المتنبي حتى طال تأمله فيه. فقال له الدلال متضجرا: ان كنت تريد شراءه فعجل بالثمن ، وان كنت تريد ان تحفظ ما فيه فهذا لا يكون الا فى اكثر من شهر . فقال المتنبى : ان كنت قد حفظته آخذه بغير ثمن ؟ فقال الدلال نعم . فشرع المتنبى يسرده عليه حتى اتمه ثم وضعه فى كمه وانصرف به.

تعريب العلم

بقلم : الدكتور عبد الحليم منتصر

■ نعنى بالعلم فى هذه الدراسة ، هذا اللون من المعرفة ، الذى يحتاج الى تجربة ومشاهدة واختبار ، وهو ما اصطلح على تسميته عادة بالعلوم الطبيعية ، سواء كانت اساسية ، من كيمياء ، وطبيعة ، ورياضة ، ونبات ، وحيوان ، وجيولوجيا ، وفلك ، وتطبيقات هذه العلوم ، فى الهندسة والطب ، والزراعة ، والصيدلة ، والبيطرة ، وما الى ذلك ، وهى العلوم التي تدرس عادة فى ما اصطلح على تسميتها بالكليات العملية في الجامعات العربية . ومن المعلوم أن اغلب هذه العلوم ، انما تدرس فى تلك الجامعات ، باللغات الاجنبية ، وان قلة قليلة من مبادئها هي التي تدرس باللغة العربية ، وان ثمة محاولات تبذل هنا وهناك في بعض الكليات لتعريب العلم. ولكنها محاولات وئيدة ،لاتسير وفق خطة مدروسة، بل انها لتذبذب بين الاقدام والاحجام ،، بين التقدم ثم الارتداد .

ومنذ نحو خمسين عاما انشئت كلية الطب بجامعة دمشق ، وكانت وما تزال العربية لغة التدريس فيها ، وما تزال حتى الآن رائدة بين الجامعات العربية فى هذا المجال .

وعندما انشئت الجامعة المصرية سنة ١٩٢٥ ، كانت تضم من الكليات العملية ، كليتى الطب والعلوم وكانت لغة التدريس فيهما الانجليزية ، وفى سنة ١٩٣٨ ، سأل وزير المعارف آنئذ (المرحوم الدكتور محمد حسين هيكل) ماذا فعلت الجامعة حيال النص الصريح فى قانونها من ان لغة التدريس هي العربية ؟ وكانت الكليات العملية ، ماتزال تستغل الرخصة التي اباحها لها القانون استثناء باستئذان مجلس الجامعة فى تدريس بعض المقررات او المواد باللغة الاجنبية ، وظل الاستثناء هو القاعدة حتى ذلك الوقت . عندئذ نشط بعض الاساتذة فى اقسام كلية العلوم بجامعة القاهرة ، لترجمة المصطلحات العلمية الى اللغة العربية ، وتحمس بعض الاساتذة والمدرسين لتدريس بعض المقررات باللغة العربية ، وانجزت الاقسام المختصة ، كلٌ في مادته ترجمة وتعريب بضع مئات من المصطلحات .

ومنذ ذلك الوقت بذلت جهود منوعة لتعريب المصطلحات ، على اعتبار أن ترجمتها الى العربية، انما هى احدى المشكلات الصعبة التي تواجه تعريب العلم ، وكانت مجلة رسالة العلم التى تصدرها جمعية خريجى كليات العلوم منذ يناير سنة ١٩٣٤ قد اخذت تنشر ما يتم ترجمته من المصطلحات فى اعدادها ، كما انها كانت بمثابة مدرسة تمرس فيها الاساتذة بالكتابة بالعربية فى الموضوعات العلمية الحديثة . وكانت قد نشرت فى عددها الاول استفتاء حول تدريس العلوم

فى البلاد العربية

باللغة العربية ، وكان من راى بعض الاساتذة أن نبدأ التدريس فورا باللغة العربية وأن هذه هى الطريقة الوحيدة السريعة لتعريب العلم ، وكان اكثر المتشائمين يضرب لذلك موعدا اقصاه عشرون عاما ، ومع ذلك فقد تتابعت السنون وقاربت الاربعين ، ومازالت قضية تعريب العلم محل اخذ ورد .

وكان مجمع اللغة العربية ، قد انشىء كذلك فى الثلاثينات ، وكان للمصطلحات العلمية نصيب موفور من جهود اعضائه ولجانه ، وقد استعان المجمع بخبراء من اساتذة الجامعات ، يضعون التعريف الدقيق للمصطلح العلمى ، وكانت مهمة المجمع منحصرة فى وضع الصيغة العربية الصحيحة لترجمة المصطلح أو تعريبه ، وقد قطع المجمع فى هذا المجال شوطا كبيرا ، وبلغت مجموعات المصطلحات التى قام على تعريبها وترجمتها احدى عشرة مجموعة تضم بضع عشرات من الألوف من المصطلحات وكان مرور المصطلح فى لجان الخبراء ، ثم فى مجلس المجمع ، ثم فى المؤتمر ، كفيلا بصقله ووضع احكم الترجمات واصلحها واصحها .

وكان عقد المؤتمر العلمى العربى الاول فى الاسكندرية فى سنة ١٩٥٣ فرصة مواتية ، لعرض مشكلة المصطلحات العلمية ، على المؤتمرين من العلماء العرب ، وقد عرضت المشكلة مرة اخرى بصورة اوضح فى المؤتمر العلمى العربى الثانى الذى عقد فى القاهرة فى سنة ١٩٥٥ ، حيث اعدت قوائم لبضعة آلاف من المصطلحات العلمية باللغات الاجنبية ، وأمامها الترجمات العربية المستعملة فى بعض الدول العربية مثل سوريا ولبنان والعراق والاردن ومصر ، كما عرض امام بعضها الترجمة التي اقرها مجمع اللغة العربية بالقاهرة. وتبين من هذه المقابلة مدى الاختلاف الكبير فى ترجمة المصطلح الواحد ، وكان المجمع قد شرف المؤتمر بممثلين له شاركا فى المناقشة وهما المرحوم الدكتور منصور فهمي والمرحوم الامير مصطفى الشهابى ، كما كانت هيئة اليونسكو قد ارسلت بخبير الماني هو المستر « جميلت » وقد افاد المؤتمر من خبرات وتوجيهات هؤلاء جميعا. وعندما عقد المؤتمر العلمى العربى الثالث فى بيروت سنة سبع وخمسين ، اتفق على توحيد الترجمة العربية لبضعة آلاف من المصطلحات ، كما عرضت على المؤتمر العلمي العربى الرابع الذى عقد فى القاهرة سنة احدى وستين . عرضت مجموعة من المصطلحات فى العلوم الكيميائية والطبيعية والجيولوجية والنبات والحيوان والحشرات والرياضيات ، تبلغ نحو خمسة عشر الف مصطلح وعندما عقد المؤتمر العلمى العربى الخامس فى بغداد كان مجموع المصطلحات التي عرضت عشرين الفا وكانت توصية هذا المؤتمر العمل على اصدار معجم علمي عربي موحد .

وقد تبنت هذه التوصية وزارة البحث العلمي فى القاهرة ، التي كونت سبع لجان متخصصة للعلوم الطبية ، والهندسية والنباتية والحيوانية والزراعية والكيميائية والرياضية والجيولوجية . كما كونت لجنتين للصياغة والمراجعة ، واعضاء هذه اللجان جميعا من الاساتذة المتخصصين ومن اعضاء مجمع اللغة العربية ، وقد انتهت هذه اللجان من اعداد جذاذات لنحو مائة الف مصطلح. وانتهت فعلا من المراجعة النهائية لنحو ثلاثة وثلاثين الف مصطلح . ومن اسف أن توقف العمل فى هذا المعجم ونحن نرجو ان يستانف العمل قريبا لانجازه . وقد حظيت مشكلة المصطلحات العلمية

في المؤتمر العلمي العربي السادس الذي عقد بدمشق سنة تسع وستين ، حظيت بعناية فائقة، وكان تنظيم ندوات المصطلحات مما حقق اكبر الفائدة . واتاح الفرصة للقاء المختصين لمناقشة مجموعات المصطلحات من رياضية وطبيعية وكيميائية وجيولوجية ونباتية وحيوانية وحشرية وطبية وغيرها . وقد تبين للمؤتمرين انه ما يزال هناك خلاف على ترجمة بعض المصطلحات وانه لابد من توزيعها على المختصين ، ليدلي كل برأيه ، ثم جمع المصطلحات المختلف على ترجمتها ، لعرضها في لقاءات اخرى قصد الاتفاق على ترجمتها او تعريبها ، لأن من الاهمية بمكان توحيد الترجمة العربية للمصطلحات العلمية . كما تبينت ضرورة اتاحة فرص اللقاء بين المختصين في العلوم والمجمعيين في اجتماعات دورية سنوية مما يمكن ان يؤدي الى نتيجة حاسمة في اقل مدة ، ويمكن ان تنتهي بمعجم علمي عربي موحد تلتزم به الهيئات العلمية والتعليمية في البلاد العربية كافة . كما طالب المؤتمر الدول العربية ، بأن تنشىء لجانا للتعريب ، تتعاون مع المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الرباط ، على أن يرسل الاتحاد العلمي العربي ما انجزه في حقل المصطلحات الى الهيئات العلميةفي البلاد العربية.

وهناك جهود لهيئات وافراد في هذا المجال ، لابد من الاشادة بها ، أن اضافت لبنات بناءة في تعريب العلم ، فقد اشرف المجلس الاعلى للعلوم في مصر على ترجمة بعض الكتب العلمية كما قامت مؤسسة فرانكلين للطبع والنشر بالقاهرة بترجمة ونشر عدد كبير من الكتب العلمية ، وقد قام على الترجمة هنا وهناك عدد من الاساتذة المختصين ، بذلوا في ذلك جهودا مقدورة مشكورة ، وخاصة وقد ذيلوا هذه الكتب بقوائم للمصطلحات العلمية التي وردت في هذه الكتب .

كذلك اصدرت القوات المسلحة بالجمهورية العربية المتحدة معجم المصطلحات الفنية يضم نحو خمسة وثلاثين الف مصطلح تضم الكثير من المصطلحات في الرياضيات والطبيعة والكهرباء والالكترونات والطيران والملاحة والهندسة وغيرها من مصطلحات علمية وفنية . كذلك اشرفت جامعة الدول العربية على اصدار المعجم العسكري الموحد ، يضم نحو ثمانين الف مصطلح ، وبه الى جانب مصطلحات العلوم العسكرية ، مصطلحات في الطب والطبيعة والهندسة والرياضيات وغيرها. وينبغي أن نذكر بالتقدير معجمات رائدة مثل معجم شرف ، ومعجم الامير الشهابي ومعجم بدفيان ، ومعجم المعلوف ، الى جانب معاجم اخرى ، بذلت في اعدادها جهود جبارة لابد من الاشادة بها .

وعندما انعقد المؤتمر الثالث لوزراء التربية العرب الذي عقد في الكويت في المدة من ١٧ — ٢٢ فبراير ١٩٦٨ ، اصدر قراره ، الذي يوصي بان تعمل الدول العربية على تعريب الكتب العلمية القيمة من اللغات الحية ، وان تقوم الادارة الثقافية في جامعة الدول العربية بتنسيق جهود الدول العربية في هذا المجال .

كانت هذه التوصية استجابة لحاجتنا الملحة الى تأصيل نهضتنا العلمية ونشر العلم ومتابعة ركب الحضارة ، حتى لا نبدو متخلفين عنه في عصر الفضاء والذرة والالكترون ، عصر الوصول الى القمر وغزو الكواكب . واذا عرفنا أن الافا من الكتب العلمية القيمة تصدر كل عام ، وأن ملايين من البحوث العلمية المبتكرة تنشر على الناس كل سنة ، في كل رجا من ارجاء العالم وأنه تصدر في نحو اربعين لغة من اللغات الحية ، هذه الالوف المؤلفة من الكتب والدوريات والمجلات ، قدرنا الجهد الذي يتعين بذله لتعريف الاجيال الصاعدة من شباب العرب بما تحويه هذه الكتب والمجلات العلمية من معرفة ليس الى حصرها من سبيل ، ولا معدى عن نقلها الى العربية لتكون في متناول المتعلمين والمثقفين من ابناء الامة العربية . واذا عرفنا أن المعارف العلمية بصفة خاصة متغيرة ، وانه لابد من ملاحقة هذا التغير الذي يعتريها من حين لآخر ، ولا بد من مواكبة التقدم العلمي ، وملاحقة هذه الاضافات حتى لا يحدث ما نخشاه من انفصام وعدم القدرة على الملاحقة والمتابعة ، ولما كانت الكتب العلمية غالية الثمن ، لايطيقها كثير من الاساتذة ، ومن باب اولى لا يطيقها اغلب الطلاب،كما أن ما تحتاجه عملية شراء الكتب والاشتراك في المطبوعات والدوريات من عملة صعبة ليست ميسرة لدى اغلب الهيئات العلمية ، كان على الدول العربية لتنفيذ توصية وزراء التربية العرب من العمل على اثراء المكتبة العربية في ميدان العلم في العلوم المختلفة أن تحشد من لهم قدرة على الترجمة

العلمية ، بان يجيدوا اللغة المنقول منها ولتكن الانجليزية او الفرنسية او الروسية أو الالمانية ، كما يجيدون اللغة المنقول اليها وهى العربية ، الى جانب تخصصهم فى المادة المنقولة فى فروع المعرفة العلمية ، من كيمياء او طبيعة او جيولوجيا او رياضيات او نبات او حيوان او زراعة او هندسة او طب او صيدلة او بيطرة . وعلى الجامعة العربية ان تتيح لهؤلاء العلماء التفرغ الكامل للمهمة الملقاة على عاتقهم وعلى ان يلحق بهذا الديوان مايلزمه من محررين وطابعين واداريين ، وان تعد لهم المعاجم والمراجع ودوائر المعارف .. وعلى هذه الهيئة أن : ـ

١ ـ تستقصى ما تمت ترجمته فى البلاد العربية من الكتب العلمية التى تعد مراجع ومصادر لا غنى عنها للباحث فى ميدان تخصصه .

٢ ـ تقترح ما ترى ترجمته من الكتب العلمية التي لم تعرب حتى الآن وذلك على مختلف المستويات الآتية : ـ

أ ـ مستوى علمى جامعى .

ب ـ مستوى ثقافة عامة .

جـ ـ مستوى الباحثين من العلماء .

٣ ـ تنسيق الجهود التي تبذل فى البلاد العربية فى ميدان الترجمة حتى لايتكرر العمل الواحد فى اكثر من بلد .

وقد يكون من الخير ان تاخذ الجامعة العربية المبادرة لتاليف لجنة تمثل فيها البلاد العربية بعلماء متخصصين ممتازين ، تكون مهمتها : ـ

١ ـ الاشراف على وضع خطة للترجمة ، واختيار الكتب والمترجمين من البلاد العربية .

٢ ـ اصدار المعجم العلمى العربى الموحد .

٣ ـ وضع الميزانية المناسبة للانفاق على هذا المشروع الضخم ، وما اظنها تقل عن مليون جنيه سنويا (نصفها من العملة الصعبة لشراء الكتب والمراجع والدوريات فى اللغات المختلفة من البلاد المختلفة) .

٤ ـ تعمل على ترجمة مائة كتاب على الاقل كل عام، توزع على فروع العلوم الاساسية والتطبيقية المختلفة من كيمياء وطبيعة ورياضيات ونبات وحيوان وحشرات وجيولوجيا وفلك وارصاد واحصاء بالاضافةالىالعلوم الطبية والفسيولوجيه والهندسية والزراعية والصيدلية والبيطرية... الخ .

٥ ـ متابعة كل ماينشر من الكتب والمطبوعات والدوريات فى اللغات المختلفة من انجليزية وفرنسية والمانية وروسية ، واختيار ما ترى نقله الى العربية .

وما اظننا بحاجة الى النص على ضرورة اختيار الاكفاء لهذا العمل الجليل والتوسع فى مكافاتهم حتى يتيسر انجاز هذا العمل الضخم من تعريب للعلم ، فتكون العربية لغة التعليم والبحث العلمى فى جميع الجامعات والمعاهد العليا العربية ، وذلك بطبيعة الحال ـ مع عدم اهمال شان تعلم اللغات الاجنبية حتى يستطيع الطلاب والدارسون متابعة المسائل العلمية بلغاتها الاصلية .

ولعلنا بذلك نعيد عصر المامون الذى جمع جمهرة من العلماء ، وانفق على الترجمة بسخاء ، حتى تم فى عهده نقل التراث الاغريقى الى اللغة العربية ، واعتبر بذلك واضع اساس النهضة العلمية في العصر الاسلامي الزاهر وحافظ التراث الاغريقى من الضياع ، تلك النهضة التي قدمت لأوروبا زاد نهضتها العلمية ، فقد ظلت مؤلفات العلماء العرب من امثال الكندى وابن الهيثم والخوارزمى ، والخازن ، وابن سينا ، والبتانى ، والبيرونى ، والرازى وابن النفيس وغيرهم ظلت المراجع المتمدة فى جامعات اوروبا حتى اواخر القرن السابع عشر واوائل الثامن عشر فقد نقلت هذه الكتب العربية الى اللغات الاجنبية وطبعت عشرات المرات ، لتكون بين ايدى الدارسين فى معاهد اوروبا طيلة قرون .

اننا بذلك نكون قد اخذنا الخطوة الاساسية لتنفيذ قرار المؤتمر الثالث لوزراء التربية العرب « بان تعمل الدول العربية على تعريب الكتب العلمية القيمة من اللغات الحية وان تقوم الجامعة العربية بتنسيق جهود الدول العربية في هذا المجال .

والله ولي التوفيق . ■■

عبد الحليم منتصر

مجرتنا

(درب اللبانة)

بها ١٠٠٠٠٠ مليون نجم

وبالسماء ، من أمثال مجرتنا

بقلم الدكتور أحمد زكى

■ سكان السماء ، من النجوم ، اعداد لا يكاد يشملها حصر .

والنجوم فى السماء ، يتقارب بعضها من بعض ، وينشأ عن ذلك مجموعة من النجوم ، فاخرى ، فاخرى ، وهكذا دواليك .

ولفظ يتقارب لفظ يكاد يكون نابيا فى لغة النجوم ، ذلك اننا نعلم أن اقرب نجم الينا ، الى الشمس ، يبعد نحوا من ٤ر٤ سنوات ضوئية ، او بالأميال هو يبعد ٤ر٤ × ٦ مليون مليون = ٤ر٢٦ مليون مليون ميل .

فالتقارب ، فى الحديث عن النجوم ، يحمل معنى غير المعنى الذى كسبناه ، والفناه فى خبرتنا نحن بني الناس ،على سطح هذه الارض ، من ابعاد . انه تقارب على البعد . تقارب يظل بعيدا ، او هو بعد يتناقص حتى ليدخله شىء من معنى القرب .

والنجوم فى اجتماعها ، كاجتماع بنى الناس على ظهر الارض ، مجموعات صغيرة ، تشملها مجموعات اكبر ، من القبيلة ، الى الشعب ، الى الأمة .

النجوم الثنائية

والنجوم عندما تتجمع تبدأ بالنجم



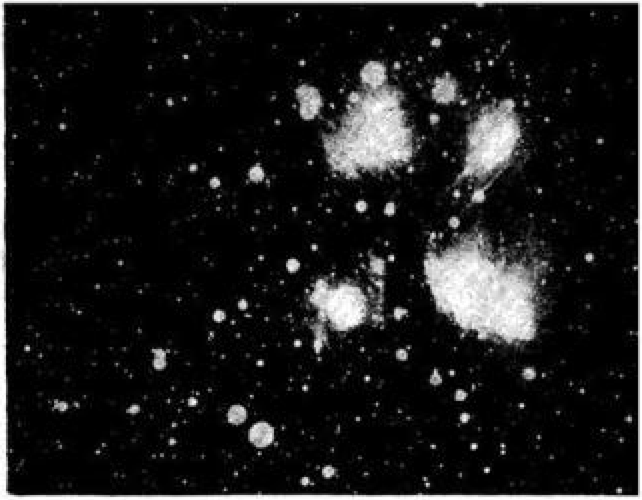
١٠٠٠ مليون مجرة

الثنائي Binary Star، وهو نجم واحد ظاهر للعين، تكشف عنه العدسات فاذا به نجمان، يدور احدهما حول الآخر، أو الأصح ان كليهما يدور حول مركز ثقلهما. وما أكثرَ النجوم الثنائية في السماء. حتى النجم القطبي تنظره فتحسبه نجما واحدا. ثم تنظره بتلسكوب صغير فتدرك ان له صاحبا أخفتَ منه ضياء.

المجموعات النجمية

ثم المجموعات النجمية. ومن المجموعات النجمية Star Clurters كوكبة القيثارة او النجم الواقع Lyrac. تنظر اليها العين ذات البصر الحاد، فترى انها تتألف من نجمين اثنين. وتنظر اليها بتلسكوب صغير فترى ان كل نجم من هذه يتألف من نجمين. فهي اذن اربعة نجوم.

ومن المجموعات الشهيرة المجموعة المعروفة بالثريا Pleiades Or Seven Sisters تنظر اليها عين الانسان فتحسب انها تتألف من نجوم متضامة، من ستة الى اثنى عشر نجما. وتنظر اليها العين بالمنظار المقرّب ثنائيّ العين Bin cular فتجد فيها نجوما اكثر. وعند الفلكيين



الى اليمين : **مجموعة النجوم المعروفة بالثريا** Pleiades **وترى بين نجومها السحاب وقد عكس النور من هذه النجوم المجتمعة الينا .**

ان الثريا بها اكثر من ٢٠٠ نجم .

وتعرف هذه المجموعات بالمفتوحة Open Clusturs .

المجموعات المتكورة

ومن المجموعات النجمية ، المجموعات المعروفة بالمتكورة ، او ان شئت فالكروية Globular Glusters وهي تتألف من عديد من والنجوم ، كأنما شد بعضها الى بعض شدا ، ناحية مركز الكرة .

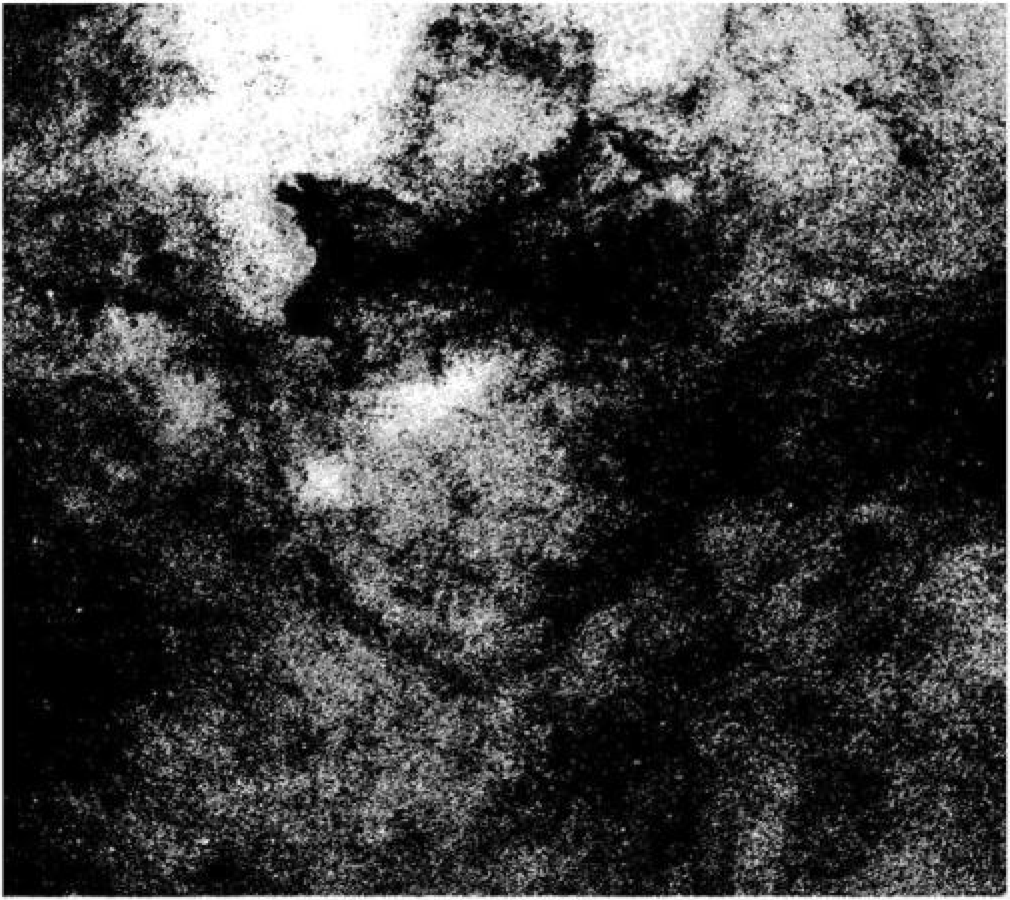
وبالطبع لا بد من سبب للتقارب النسبي الواقع بين نجوم هذه المجموعات النجمية مردّه لا شك الى قانون الجاذبية العام الذى نطق به العالم المعروف اسحق نيوتن Newton منذ نحو ثلاثة قرون .

المجرات
اكبر المجموعات النجمية

واكبر المجموعات النجمية ، المجرات. انها دنيوات متباعدة .



المجموعة المتكورة Globular Cluster **التى اسمها اومجا قنتورس، وهذه المجموعات تكون عادة مكتنزة وتحتوى عشرات الالوف من النجوم . وفي درب اللبانة يوجد نحو مئة من امثال هذه ، وهذه المجموعة بالذات تبعد عنا بنحو ٢٢ الف سنة ضوئية .**



جزء من مجرتنا ، درب اللبانة ، ان بها نحو ١٠٠,٠٠٠ مليون نجم .

وكل دنيا منها تتألف من اعداد من النجوم هائلة .

ونقصر القول ، وندخل الى وصف مجرة منها . ومَنْ أولى بالذكر منها ، من مجرتنا نحن ، حيث نسكن ، وتسكن ارضنا ، ويسكن نجمنا ، الشمس ؟ وسوف ترى انه ، كمجرتنا ، تكون سائر المجرات .

مجرتنا

وأسموها درب اللبانة Milky Way . خال الاغريق أن احدى آلهتهم كانت ترضع وهي نائمة ، فانساح اللبن من ثديها على رقعة السماء ، وهي بالليل سوداء فكانت المجرَّة . خيال واي خيال !! .

اما العرب فأسموها درب التبّانة . والتبّان بائع التبن . خالوا كأن التبانة حملوا تبنهم فوق السماء فتساقط منهم حتى ملأ الطريق وبذلك كانت المجرَّة .

ومجرتنا هي ما يملأ اعيننا من نجوم السماء ليلا ، وقد توشحت بها السماء كما يتوشح القاضي بوشاحه ، وقد جلس على منصة القضاء .

وتسأل : واين سائر المجرات ؟ .

والجواب : أنها من البعد في السماء ، ومن الصغر في الصورة الملقاة على شبكة

عين الناظر حتى ليغفل عن وجودها .

ونعود فنقول : ان الذى تملأ به عينك ليلا من نجوم السماء ، انما هو نجوم مجرتنا . أما سائر المجرات ، وهي الأكثر ، وهي من حيث الوجود العالمي هي الأغلب والأغلب كثيرا ، حتى نكاد نقول انها الكلّ ، هذه المجرات لا تلفت نظر الناظر . والناظر لا يرى منها بالعين المجردة غير ثلاث (١) .

ومجرتنا ، درب اللبانة ، تتألف من مجموعات شتى من النجوم كتلتها تبلغ نحو ١٠٠,٠٠٠ مليون شمس .

اما شكل مجرتنا فشكل الرغيف ، استدارة وتقببا . ومن الناس من شبهها ببيضتين مقليتين ، وضع ظهر احداهما على ظهر الأخرى . في أوسطها نواة سميكة ، وهي تدور بنجومها حول محور عمودى على اوسط النواة ، فتتخذ شكلا حلزونيا له جناحان (انظر صورة المجرات الحلزونية Spiral Galaxies بصفحة ٤٨ و ٤٩) .

وطول مجرتنا من طرف الى طرف يبلغ نحو ١٠٠,٠٠٠ سنة ضوئية ، أو هو بالأميال نحو ٦ مليون مليون × ١٠٠,٠٠٠ ميل ، وسمكها يبلغ ٢٠٠٠٠ سنة ضوئية ، أي خمس ذلك الطول .

وشمسنا تقع من هذه المجرّة على بعد نحو ٢٥٠٠٠ سنة ضوئية من مركزها . واذن فالمجرة تحيط بشمسنا وبأرضنا احاطة تامة ، فاذا انت نظرت من سطح الأرض الى السماء ، في ليلة ظلماء ، فانت لا ترى من المجرة ، من نجوم السماء ، الا بعضا . والبعض الآخر في الناحية الأخرى من الأرض . وانت في شمال الأرض لا ترى من السماء نجوما يراها الناس من سكان جنوب الأرض .

خرائط وخرائط

تعود الجغرافيون على أن يرسموا للأرض خرائط تبين مواضع الناس والبحار والجبال والأنهار والصحارى .

وصنعوا كرة تمثل الأرض ، ورسموا عليها دائرة اسموها دائرة الاستواء ، وجعلوا على الكرة قطبين ، في شمال وفي جنوب ، ووصلوهما بمحور هو محور الأرض ، وهي عليه تدور .

وكشف علم الفلك الى اين يشير هذا المحور لو أننا أطلقناه الى السماء ، شمالا . وعرفنا انه يلتقي بالسماء قرب النجم القطبي المعروف (ومن اجل هذا سمي قطبيا) وهو نجم في كوكبة « الدب الأصفر » . وكما اطلقنا محور الأرض شمالا اطلقناه جنوبا فالتقى بنقطة في السماء جنوبية . واذ قد اتخذنا من هاتين النقطتين ، في شمال السماء وفي جنوبها ، قطبين للسماء ، تشبُّها بقطبي الأرض ، جئنا الى دائرة استواء الأرض ، فمددنا سطحها من اطرافه حتى التقى بالسماء من جنباتها فقطعها في دائرة سميناها بالدائرة الاستوائية السماوية Celestial Equator .

واذ صار لدينا كرة في السماء ، لها قطبان ، ولها دائرة استواء ، فقد سميناها الكرة السماوية Celestial Sphere كما سمينا كرة الأرض بالكرة الأرضية . وجمع الكرتين محور واحد يلتقي راسه عند النجم القطبي تقريبا كما ذكرنا .

وجئنا للمجرة ، مجرتنا ، درب اللبانة ، فرأيناها في شكل قرص مقبب الأوسط ، مفرطح الأطراف ، فاتخذنا من مستوى القرص مستوى ، مددناه من اطرافه ، فالتقى باطراف السماء في دائرة تخيلناها واسميناها الدائرة الاستوائية المجرّية نسبة الى المجرّة .

وهي دائرة مستواها يقطع مستوى الدائرة الاستوائية السماوية سابقة الذكر على زاوية بينهما مقدارها ٦٢ درجة .

---

(١) هي المجرة المعروفة بكوكبة اندروميدا ، والمجرتان المعروفتان بسحابتي ماجلان Magellan وهو السائح المستكشف البرتغالي الشهير وكان اول من رآهما في السماء .

وحيث صار للمجرة دائرة استواء ، فقد صار لها قطبان ، وقد وصلوا القطبين بخطوط طول ، واذن جعلوا مع خطوط الطول خطوط عرض . وفي هذه الكرة المفرطحة وضعوا كل نجم من نجوم المجرة ، وكل مجموعة من نجوم وكل كوكبة .

وقد رسم الفلكيون لمجرتنا خريطة شاملة ، ضمنوها ، دائرة استوائها ، وخطوط طولها وعرضها ، وجمعوها بضم صور فوتوغرافية أخذوها من المجرة ، فجاءت كأنما نظرها ناظر من السماء خارج عنها (الخريطة مرفقة بصفحة ٤٤ و ٤٥) .

مجرتنا
تدور حول نفسها

انها تدور حول نواتها، حول اوسطها، حول محورها .

وليست كل اجزائها وكل اجرامها تدور حول هذا المحور بسرعة واحدة . ان السرعة تقل كلما بعد النجم أو المجموعة النجمية عن محور الدوران . وفي جيرة الشمس ، وقد ذكرنا اين تقع من المجرة ، تبلغ السرعة ٢٥٠ كيلومترا في الثانية . والشمس ، في دورانها هذا مع المجرة ، تستغرق لتدور دورة واحدة نحو ٢٢٥ مليون عام .

سُدُمٌ
في المجرة

ان السديم شيء في السماء اشبه بالسحاب ، وهو فيه معنى من السحاب من حيث أنه يخفي ما وراءه .

السدم منتشرة في المجرة . بعضها المنير ، وبعضها المعتم . وهي تتألف من غبار سماوي وغاز .

أما المنير فقد يأتيه النور من نجم قريب فيعكسه عكسا . وقد يخرج هو النور من ذات نفسه . كأن تكون ذرات عناصره متأينة ، اي فقدت الكتروناتها ، ثم يأتيها ، من نجوم قريبة ، اشعاعات من فوق البنفسجية ترد الى نوايا الذرات العارية الكتروناتها ، فيخرج منها بذلك اشعاع شبيه بالذي يخرج في المصابيح المعروفة بالمتفلورة .

ومهما كانت السدم ، فهي تحجب عن العين ما وراءها .

والنظرية التي تقول بأن النجوم منشأها الأول هو ما بين نجوم السماء من مواد ، ترى أن النجوم تتولد في حِجْر هذه السدم ومن مادتها .

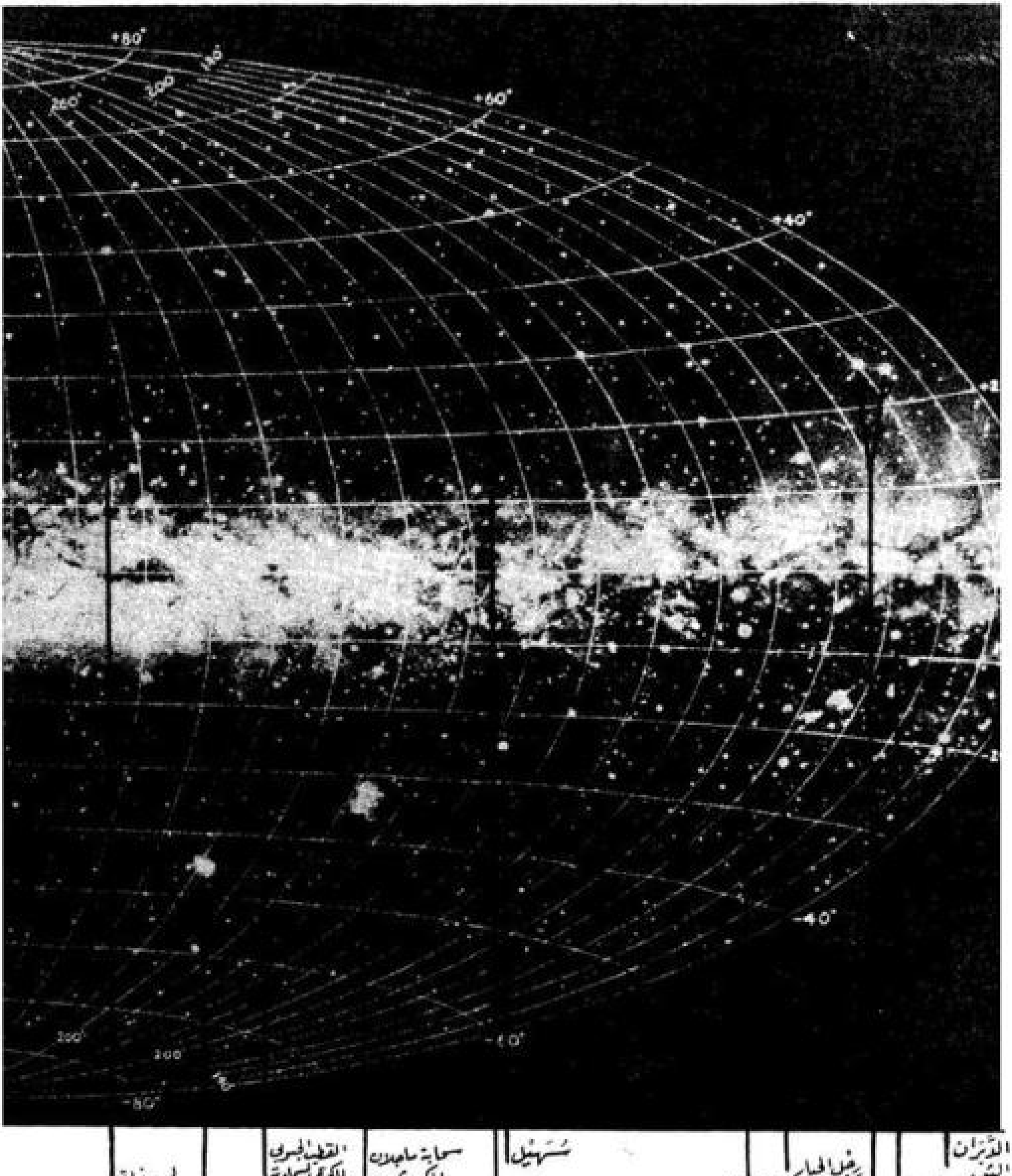
والسدم تؤلف ما بين ٥ في المائة الى ١٠ في المائة من كتلة ما في السماء من اجرام .

مجرات السماء
الف مليون مجرة

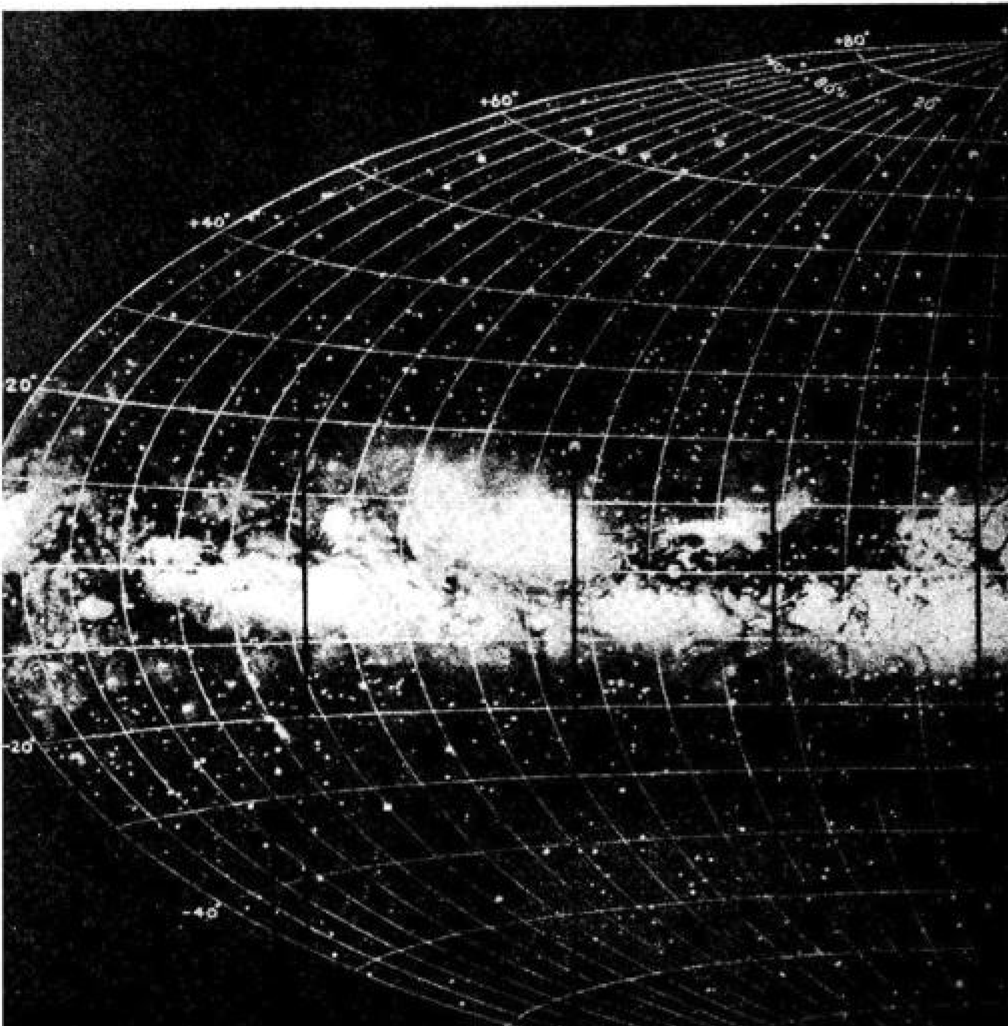
كان الشائع قبل هذا القرن أن المجرات اللولبية التي نراها في السماء واشباهها لها ما هي سوى اجرام داخلة في مجرتنا ، فهي بعضها ، حتى اذا كان عام ١٩٢٣ استطاع عالم في مرصد جبل ولسن بولاية كلفورنيا ، هو الفلكي هبل Hubble ، أن يجد في بعض هذه المجرات بعض تلك النجوم المتغيرة الالتماع المسماة المتغيرات القيفاوسية Cepheid Variables (٢) .

---

(٢) هذه المتغيرات نجوم في السماء تتغير درجة التماعها بانتظام في دورة من الزمن ثابتة ، فهي تشتد ضياء ، ثم تخفت ، ثم تعود الى اشتداد ، وهذه دورة زمنية واحدة . وقد كشفت عالمة فلكية هي الآنسة ليفيت Leavitt بمرصد جامعة هرفرد أن هناك علاقة ثابتة بين دورة الزمن هذه ودرجة التماع النجم المطلقة . والتماع النجم الظاهر يمكن رصده . ومن الالتماعين يحسب بعد النجم عنا في السماء . اما قيفاوس فهو الاسم الذي أعطوه للنجم الذي مثل هذه النجوم أول مرة . وهو عند الاغريق Cepheus . وهو في اساطيرهم ملك حبشي ، هو أب اندروميدا . ومات الملك فجعلوا نعشه في السماء ، نجما نابضا . وتسمى هذه النجوم أيضا بالنجوم النابضة .



صورة فوتغرافية لمنظر عام شامل لمجرتنا ، درب اللبانة ، تألفت من عديد من الصور الفوتغرافية ضم بعضها الى بعض . ويرى الناظر فيها الفجوات السوداء التي ظنها الفلكي الانجليزي « هرشل » منافذ في السماء ، وما هي الا غازات



واتربة حجبت ما وراءها ، وفي الصورة ما يشبه خط الاستواء وخطوط الطول والعرض ، كالتي صنعناها للارض ، لتحديد مواقع النجوم .. وفي الصورة الاجرام السماوية الخارجة عن مجرتنا . انها المجرات .



وبحساب الدورة الزمنية لالتماع هذه النجوم استطاع تعيين درجة التماعها المطلق ، واذن فتعيين بعدها فى السماء عنا . وهذه الطريقة هي سبيلنا الى تعيين مسافات أجرام سماوية بعيدة غاية البعد عنا ، وعن مجرتنا ، درب اللبانة .

وبهذا اثبت هذا العالم أن السديم اللولبي الذى بكوكبة اندروميدا The Andromeda Spiral ليس من مجرتنا نحن فى شيء ، وانما هو مجرة مستقلة كل الاستقلال عنا ، وانها تقع بعيدة عنا بمقدار ٢٠٠٠٠٠٠ سنة ضوئية .

وانها مجرة أكبر من مجرتنا . وان بها نصيبها فى النجوم ، على اختلاف أنواعها ، وبها مثل مجاميع النجوم التي بمجرتنا .

وكشف العلماء من هذه المجرات فى السماء العدد العديد .

والتلسكوب الاكبر ، تلسكوب جبل بالومار Mount Palomar بكلفورنيا ، وهو ذو مرآة قطرها ٢٠٠ بوصة (نحو من ٥ أمتار) يستطيع الكشف عن ١٠٠٠ مليون مجرة ، بكل منها فى المتوسط نحو ١٠٠٠٠٠ مليون نجم .

الا ما أكثر نجوم السماء !! .

الى اليمين : **مجرة اندروميدا ، او سحابة اندروميدا ، وهي اقرب مجموعة من هذه النجوم الى مجرتنا ، وهي تقاربها حجما وكتلة . ولو اننا رسمناها بالالوان لظهر فيها اللون الاصفر فى اوسطها دليل وجود نجوم عتيقة سطحها قليل الحرارة . ولظهر فيها كذلك اللون الازرق ، ظهر فى اطرافها ، دليل وجود نجوم شديدة الحرارة حديثة التكون من غازات السماء وغبارها .**

والعين العارية لا تكشف فى السماء من هذه المجرات غير ثلاثة ، منها مجرة الاندروميدا كما سبق أن ذكرنا ، فالعين العارية تكاد تراها فى الليلة الصافية . ولا بد اذن من استخدام التلسكوبات لرؤية سائر المجرات .

وتؤخذ صورها بالتلسكوب فوتغرافيا ، فلا تظهر المجرة على الرغم من عظمها الا نقطة من ضياء على سطح الصورة الأسود .

اشكال المجرات

وقد صنفوا المجرات حسب أشكالها الى صنفين كبيرين ، (أ) منظومة لها شكل واضح Regular . و (ب) منظومة لا شكل لها Irregular . ووجدوا أن الصنف الأول يتضمن نحو ٩٧ فى المائة من المجرات المعروفة .

ثم عادوا وقسموا هذا الصنف الأول الى قسمين : بيضي (اهليلجي) Elliptical . ولولبي Spiral . وللمجرة اللولبية ذراعان يمتدان حولها وفقا لدورانها .

وعادوا فقسموا المجرات البيضية الى اقسام ، مكورة اولا ، ثم تأخذ تتفرطح ، وكذلك قسموا المجرات اللولبية ، وهي تبدأ بيضية مفرطحة، ثم تأخذ ترق ويكون لها ذراعان .

وقد رأى الفلكي المعروف هويل Hoyle أن لعل كل هذا التصنيف يرجع الى الصفات الفزيائية التي لهذه المجرات .

وهذا التفرطح ، والتبيض فى الشكل ، والتلولب ، قريب الارتباط بما لهذه المجرات من حركة حول محورها . فكلما زادت الحركة زادت المجرة تفرطحا ، وزادت تبيضا ، ثم تلولبا .



المجرة التي رقمها الجدولي Messier 51 ، ومستواها واجهٌ وجهَ الناظر فظهر شكلها دائريا . وخرج ذراعا الحلزون من نواتها الكبيرة مباشرة والتف بها . ومن المجرات مالا يواجه بمستواه البصر ، فيظهر في الرسم الفوتغرافي وكأنه بيضاوى الشكل لا مستديره .

المجرات
وما بينها من أبعاد

علمنا ، عند ذكر النجوم فى المجرة الواحدة ،كم تتباعد النجوم ، بعضها عن بعض . ونؤكد هذا مرة أخرى فنقول : لو أن نجما قطره ياردة واحدة ، فان متوسط البعد بينه وبين سائر النجوم من حوله يبلغ نحو ١٠٠٠٠ من الأميال .

فالنجوم في أوضاع لا شـــك متباعدة داخل مجراتها .

وغير ذلك المجرات فيما بينها ، فالبعد بين مجرة واختها قد لا يزيد على مسافة هي ١٠٠ ضعف من قطر المجرة نفسها ، فاذا نحن رسمنا على الورق خطا طوله ياردة واحدة ، يمثل مجـرة واحدة ، لرسمنا اختا لها ، ياردة مثلها أو نحـو ذلك ، على بعد ١٠٠ ياردة منها .

المجرات
تتآلف في مجموعات

وهناك من الظروف ما يجعل المجرات تتراءى اقرب فيما بينها من ذلك ، ذلك ان من شـــان المجرات انها تميل الى التجمع في مجمـــوعات . وبعض هذه المجموعات يتألف من نحو عشر مجرات ، في حين ان هناك مجموعات اخرى تتألف من بضعة آلاف من المجرات .

وقد كشف الفلكيون عن بضعة آلاف من هذه المجموعات المجرّية Galactic Clusters ، من أكبـــرها مجموعة كوما Coma Cluster ، بالقـــرب من القطب الشــــمالي لمجرتنا . وهذه المجموعة تتألف من نحو ١٠٠٠٠ مجرة ،

مجرة مفتوحة ، في Eridanus NGC 1300 ، طالت نواتها كالقضيب ، ومن طرفي القضيب خـــرج الذراعان الحلزونيان للمجرة . وهي تعطيك فكرة الدوران حول نفسها ، وهذا حق . ولكنهـــا تستغرق مئات الملايين من السنين لتلف لفة واحدة حول نفسها ، فليس هناك امل في ان يرى اهل الارض تغيرا يذكر في شكلها على مر السنين .





المجرة اللولبية في Coma Berenices NGC 4565 وهي ترى ، ومستواها في مستوى البصر ، فظهرت كانها خط واحد .

متوسط بعدها عنا ٢٢٠ مليون ســـنة ضوئية .

والتلسكوب الكبير ، تلسكوب مرصد جبـــل بالومار ، ومرآته قطرها ٢٠٠ بوصة ، يستطيع ان يرصد لنا من هذه المنظومات المجرّية أخفتها ضياء ، بحيث تقع من درجات الالتماع في الدرجـــة الرابعة والعشرين . وبعدها عنا يبلغ بالسنين الضوئية آلاف الملايين . أي أننا نراها اليوم ، لا كما هي اليوم ، ولكن كما كانت والكرة الأرضية لا تزال في نشأتها الأولى : ليس عليها حياة ؛ ولا في تربتها نبات .

المجرات
متوزعة في السماء توزعا واحدا

والفلكي ينظر في الفضـــاء ، في اي

اتجاه ، فيجده من حيث توزع المجرات فيه ، فضاء واحدا ، لا يختلف بعضه عن بعض . ومعنى هذا ، ان الفضاء صفاته الفزيائية واحدة ، اينما رمى الرامى بنظره .

أما بعد

فان علم السماء يعطي الانسان المعرفة ، والمعرفة لا شك غذاء نفسي . والنفس تجوع الى المعرفة كما يجوع الجسم الى الطعام . وآية ذلك التطلع الى كشف كل مجهول .

ولكن معرفة السماء تعطي شيئا فوق المعرفة . انها تعطي الفطنة ، ومع الفطنة تعطي ما هو اعلى منها ، تلك الحكمة .

والحكمة الكبرى المستفادة من علم السماء تلك الوحدة الضاربة اطنابها فى كل هذا الوجود . والناس تذكر الانسان عندما تتحدث عن الوجود . والانسان ، لا بد من اسقاطه بحسبانه جرما ، ونحن نتحدث عن الوجـود . فاين هو من الوجود . أين هـو من الكواكب ، ومن النجوم ، ومن تلك الصور التي لا تزال تأتينا عبر الملايين من السنين فيما ترسمه المراصد وتصوره تلسكوباتها .

ان خطر الانسان الأكبر ، على الرغم من صغر جرمه ، هو فى أنه يستطيع أن يعقل ، وان يفطن ، وأن يتصور ، وأن يدرك الوحدة الجارية فيه ، تلك التي تصله بوحدة الكون بخيط ، قد يكون رفيعا ، ولكنه شديد من حديد .

لا اريد ان استطرد فى هذه المعاني ، فقد وفيت جانبا منها فى كتابي « مع الله فى السماء » . واتخذت من وحدة البناء دليلا على وحدة الباني .

ولكني انتهز هذه الفرصة ، فرصة الحديث عن النجوم فى الشهر الماضي ، وعن المجرات فى هذا الشهر الحاضر ، لالفت النظر الى الوحدة التي بين هذه الاجرام السماوية جميعا ، بردت حتى فاقت الثلج برودة ، أو احترت حتى فاقت جهنم حرارة .

هذه الوحدة هي ان كل هذه الاجرام تدور . الدوران صفتها . الدوران حول نفسها . والدوران حول جرم اكبر من جرمها . القمر يدور حول نفسه مرة فى الشهر ، وهو يدور حول الأرض مرة فى الشهر . والكواكب تدور حول الشمس . والشمس ، وذريتها التسع ، تدور مع المجرة ، مجرتنا ، اذ هي تدور حول محور لها وتتم الدورة فى نحو ٢٠٠ مليون من السنين . وكل نجم فى هذه المجرة ، وهي نجوم عددها مئات الألوف من الملايين ، يدور مع المجرة كما تدور الشمس .

والشمس تدور حول نفسها فى نحو ٢٥ يوما او تزيد . وكذا تفعل النجوم . وقد كشف العلماء عن مجرات تدور حول نفسها كما تدور مجرتنا .

كون لا يعرف الا الحركة . ميت ولكن الحركة حياة . ميت ولكن فى اطوائه الحياة ، صورا ، بعضها الذى ظهر وبعضها الذى لا يزال خافيا .

الدائرة سمة هذا الوجود .

اشراق وغروب ، ثم اشراق .

بذور تنبت ، ونبات يزهر . وزهرة تثمر . ويموت النبات ولكن تبقى منه بذور تجرى دورة الحياة .

طفولة ، ثم صبوة ورجولة ، ثم كهولة وشيخوخة . وتمضي الشيخوخة ولكن بعد ان تخلف وراءها حياة تدور .

وما الدائرة الا وجـه من الوحدة واحد .

●●

أحمد زكي

نتيجة مسابقة العدد ١٣٩

حيّ بن يقظان وشكسبير

■ انحصرت مسابقة العدد ١٣٩ فى المعلومات العامة التى ينالها الانسان من مناهل شتى وموارد مختلفة وقد تميزت مسابقتنا باسئلتها المتنوعة المختلفة ، فمن سؤال فى الادب العربي الى آخر فى التاريخ ، ثم سؤال عن المسرح والمسرحيات الى آخر فى الجغرافيا .

واليك أيها القارىء نموذجا للاجابة الصحيحة ثم قائمة باسماء الفائزين بالمسابقة :

١ ــ القهوة لفظ عربي قديم اطلقه العرب على شراب النبيذ .

٢ ــ ابن طفيل فقيه اندلسي وفيلسوف شهير ، من كتبه الذائعة الصيت كتاب « حي بن يقظان » .

٣ ــ عطيل ، مسرحية عالمية شهيرة كتبها شكسبير .

٤ ــ الجملة الخطأ هي « حـ » . تاج محل هو المبنى الجميل الذى اقامه فى بلدة اجرا بالهند احد الملوك تخليدا لذكرى زوجته .

٥ ــ هذه القناة هي قناة السويس وقد تم انشاؤها فى اواخر القرن التاسع عشر .

٦ ــ هذا النوع من الخضراوات هو الطماطم .

٧ ــ لغة الافريكانز منتشرة فى اتحاد جنوب افريقيا .

٨ ــ المسلمون يكونون نحو ١٥٪ من سكان الفلبين .

٩ ــ زهير بن ابي سلمى .

١٠ ــ مجموع الربح الذى حصل عليه هو ٤٠ دينارا .

اسماء الفائزين

❋ **الجائزة الاولى** وقيمتها ــ/٣٠ دينارا فاز بها :
ــ معتصم يوسف عثمان ــ الخرطوم ــ السودان .

❋ **الجائزة الثانية** وقيمتها ــ/٢٠ دينارا فاز بها :
ــ محمد راشد الجودر ــ البحرين / الخليج العربي .

❋ **الجائزة الثالثة** وقيمتها ــ/١٠ دنانير فاز بها :
ــ سمعان الياس ــ بيروت / لبنان .

٨ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا كل منها خمسة دنانير فاز بها :

١ ــ عبد المولى احمد مرشد ــ التواهي ــ عدن .

٢ ــ تركية محمد ابراهيم ــ الكويت .

٣ ــ سامي حكيم ــ الزرقاء / الاردن .

٤ ــ ايمن سلوم ــ دمشق / سوريا .

٥ ــ عصام عبد العزيز برهام ــ الاسكندرية / ج٠ع٠م .

٦ ــ محمد سالم عطا ــ مكة المكرمة / السعودية .

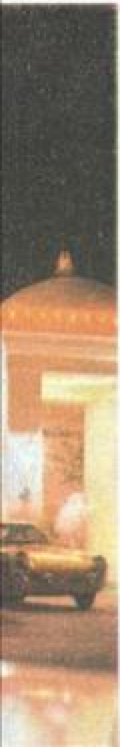
٧ ــ عاتكة آيت جمودى ــ المرادية / الجزائر .

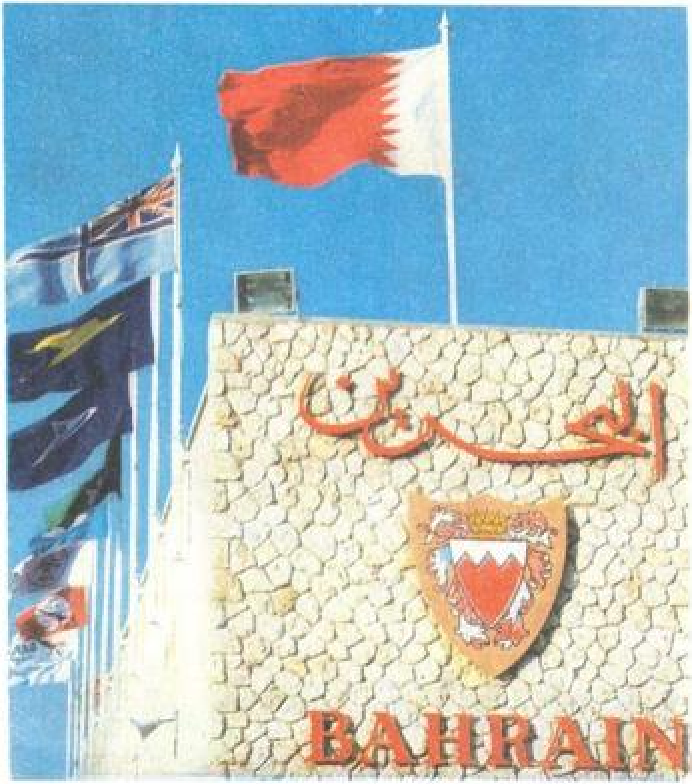
٨ ــ احمد سليمان سالم المصرى ــ ابو ظبي / الخليج العربي .

اعرف وطنك أيها العربي

البحرين





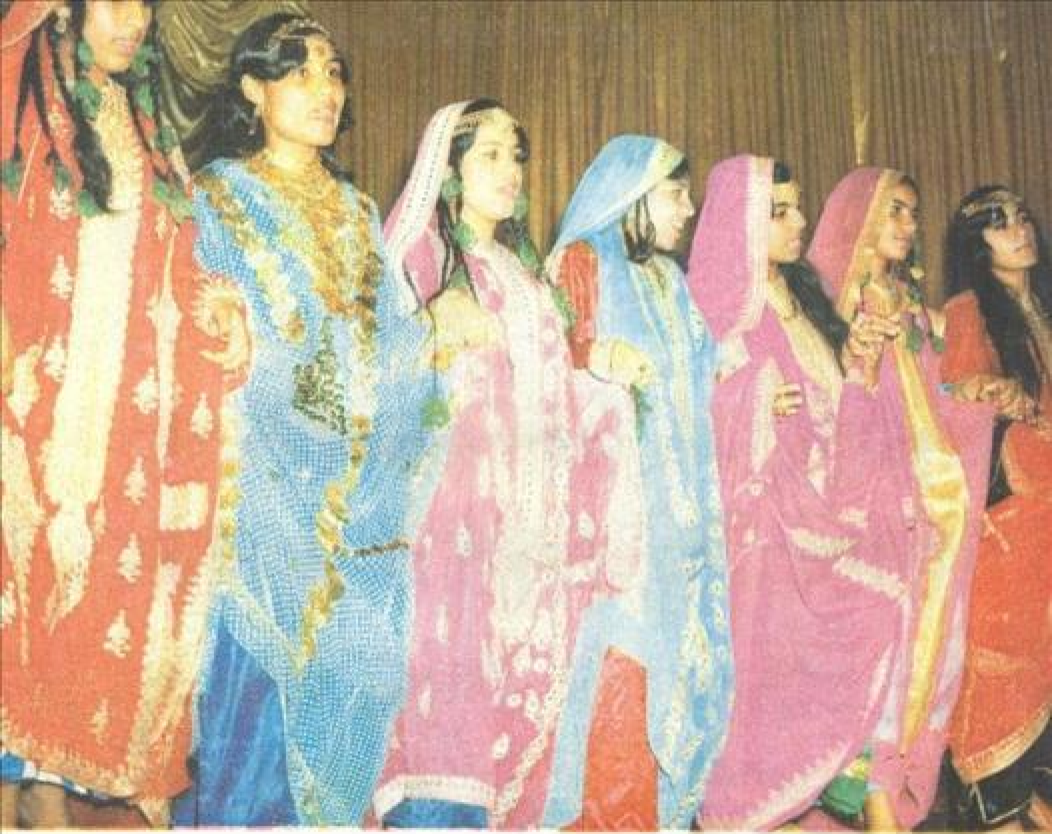


علم البحرين يرفرف فوق برج المطار ، وحوله اعلام شركات الطيران

في ظلال الاستقلال والحرية

استطلاع
سليم زبال

تصوير
أوسكار متري



« تقاليدنا الأصيلة ، وفننا الشعبي الجميل ، وخاصة رقصة المراداة الشعبية .. وجمال جزيرتنا الطبيعي الرائع ، انها بعض العوامل التي سنعتمد عليها لتحول البحرين الى دولة سياحية .. » عبارة تسمعها من المسئولين في البحرين الحديثة



■ سؤال .. تسمعه أينما ذهبت في البحرين .

سؤال يحاول المسئولون والشعب الاجابة عليه بعد أن انزاح عنهم الكابوس الذى كان ينغص حياتهم ، انه الكابوس الذى خلقته ايران بمطالبها بالبحرين ، والذى حسمته الأمم المتحدة باعلانها الرسمى لحقيقة هي من المسلمات البدهيات ، حقيقة عروبة البحرين ..

واستراح الناس .. ولو لفترة .. فما زال الجو السياسي يخبيء الكثير من المفاجآت للخليج ، فنحن على عتبة عام ١٩٧١ وهو العام الذى حددته بريطانيا لجلاء جيوشها عن البحرين والخليج العربى .

ان حسم المطلب الايرانى ، والجلاء البريطاني المرتقب ، جعلا البحرين حرة طليقة بعد أن ظلت سنوات عديدة تعيش على أعصابها تتقاذفها الزوابع السياسية العاتية .

ومع بداية هذا الهدوء النسبي ، تردد السؤال العتيد : « البحرين .. الى اين ؟ »

وتتزاحم الاجابات ، تحمل التفاؤل في طياتها ، فطريق الغد مفروش بالورود والرياحين .. البعض يتخيل البحرين وقد أصبحت سوقا مركزيا لمنطقة الخليج .. والبعض يتخيلها دولة سياحية .. والبعض الآخر يريدها صناعية .. بينما يقف موظفو دائرة الزراعة وحيدين دون مؤيدين ، يريدونها بلدا زراعيا .

دلمون .. و « الحليوة » !

وترتكز البحرين فى نهضتها الحديثة على ماض مجيد ، وحضارة عريقة بدات تتكشف تفاصيلها .. لقد أطلق العالم عليها اسم : دلمون منذ خمسة آلاف سنة .. ودلمون تعنى الجنة . لخضرتها الزائدة ، وينابيعها المتدفقة ..

اما اليوم فيطلق عليها ابناء الخليج العربى لقب « الحليوة » .. انها الامارة المدللة من أبناء الخليج .. الجميع يحبونها ويشعرون براحة وسعادة عندما يحلون فيها .. ان حلاوتها ثابتة ملموسة في نخيلها وبساتينها وبحرها وعيونها .. وطيبة اهلها ورقتهم ، اننا نستطلعها للمرة الثالثة ، وفي كل مرة يزداد تعلقنا بها .. وسألناهم عن سرهم .. فاجابوا : « سرنا في مائنا .. من يشرب منه ينقلب انسانا وديعا ، تنعدم شراسته .. »

وقلنا : « ولكنهم يقولون ان مياهكم ستنضب .. »

ويأتينا الجواب : « لا تصدقوا كلامهم .. لقد قالوا ان نفطنا سينضب منذ عشر سنين ، بينما يؤكد الواقع أنه يزداد تدفقا في كل عام .. »



الى اليمين : مبان وعمارات ترتفع في المنامة .. ان بناء المنازل هو الوسيلة الرئيسية التى يستغل بها اصحاب رؤوس الاموال ، اموالهم ، لما تجلبه الايجارات المرتفعة من ايراد كبير ..

ولا تعتمد البحرين في تخطيط نهضتها على المظاهر الخلابة الباهرة ، وانما تضع أمامها مصلحة البحرين على المدى البعيد ، مع دراسة مستفيضة لكل مشروع .

لقد فتحت البحرين أبوابها للعالم ، فسمحت بالدخول اليها والمكوث فيها ثلاثة أيام بدون تأشيرة .. وهذا من الأحداث الهامة في منطقة الخليج المغلقة ..

ولمواجهة هذا الانفتاح أقيمت ٤ فنادق ضخمة في الأعوام الثلاثة الماضية .. فنادق من جميع الدرجات ترضي جميع الأذواق ، حتى الأسعار الخيالية في فنادق الدرجة الممتازة تصل الى ١٢ دينارا تدفعها لتنام ليلة واحدة فقط بدون طعام ! (نحو ٢١ دولارا) .

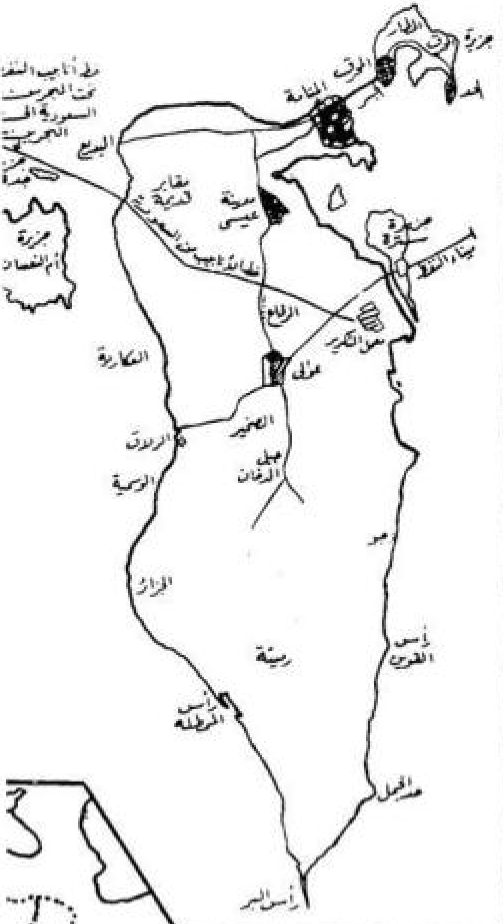
٣٣ جزيرة

ولكن قبل الدخول في التفاصيل تعالوا نتعرف قليلا على البحرين ..

ان البحرين امارة عربية تشمل ٣٣ جزيرة ، مجموع مساحتها ٢٤٥ ميلا مربعا .. ولكن هناك جزيرتان رئيسيتان تكونان البحرين الفعلية .. انهما جزيرتا المنامة والمحرق .. الاولى طولها ٣٠ ميلا وعرضها ٨ أميال في المتوسط ، بينما لا يزيد عرض جزيرة المحرق على اربعة أميال .. وعلى جزيرة المنامة ـ وان كان البعض يسميها جزيرة البحرين ـ تقع مدينة المنامة العاصمة ، ومدينة عيسى الحديثة ، ومدينة عوالي للعاملين في النفط ، ومعمل التكرير .. وفي العاصمة المنامة يعيش اكثر من نصف سكان البحرين .. انها مدينة ظلت تنمو وتتسع بأسلوب يتناسب مع طبيعة حياة السكان ، حتى أصبح من المستحيل تخطيطها تخطيطا هندسيا جديدا .. فهناك الأسواق المكتظة الضيقة ، والمنازل المتلاصقة ، والمقابر الست المتناثرة .

والامتداد الطبيعي للمنامة هو صوب الجنوب حيث الأرض متوافرة ، ولكن هذه الارض يملكها الأهالي ،والحكومة لا تملك المال الكافي لنزع الملكية، لهذا اتجه المخططون صوب البحر الضحل ، وفعلا ردموا الشاطىء وربحوا من البحر أرضا واسعة اقاموا عليها مبنى سكرتارية الحكومة والجمارك .

وتقرر الاستمرار في تجفيف البحر ، وتم تخطيط مشروع ستقوم بموجبه ضاحية جديدة



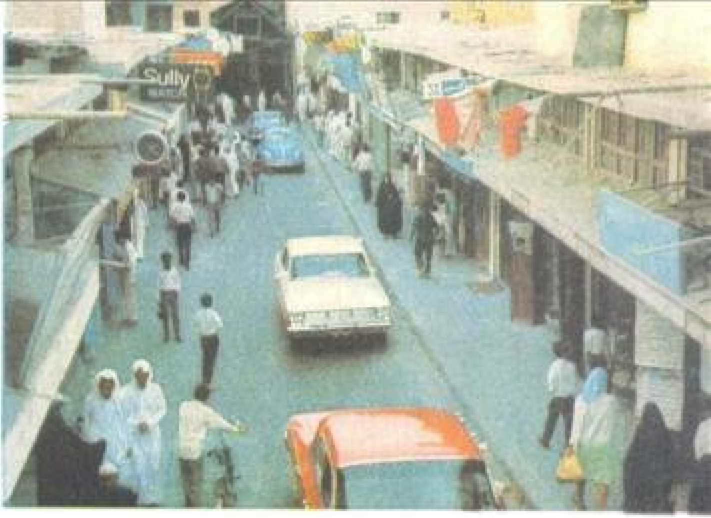


خريطة توضح جزر البحرين ومدنها .. ويقدر عدد سكانها اليوم بنحو ٢٠٠ الف نسمة . اكتشف فيها النفط عام ١٩٣٢ فلفت هذا الكشف الانظار الى نفط البلاد المجاورة ..

على أرض مكتسبة مساحتها ٤ ملايين من الأقدام المربعة .. وما كاد الناس يسمعون بهذا التخطيط الجديد حتى اشتروا أرض البحر .. ان أهل البحرين تجار أذكياء يتحينون الفرص المناسبة .

المنامة والمحرق .. مدينة وقرية ! !

وترتبط المنامة مع جزيرة المحرق بجسر طوله



١٢٥ ألف نسمة يعيشون مكدسين داخل المنازل المتلاصقة في مدينتي المنامة والمحرق **ـ الصورة السفلى ـ** ان هذا الازدحام الهائل قد خلق مشاكل معقدة امام المخططين .. اما الأسواق القديمة في المنامة **ـ الصورة اليمنى ـ** فكانت تنمو مع المدينة بصورة تتلاءم مع طبيعة الحياة.







اتجه المخططون الى البحر الضحل ، يجففونه ويشيدون عليه الفنادق ، والمباني الحديثة ، كما ترى في **الصورة العليا** لمبنى سكرتارية الحكومة . . **والى اليسار** الاراضي التي يجري تجفيفها داخل البحر ، انهم يحيطونها بسور يلقون بداخله الاتربة والاحجار لمدة سنوات حتى تمتلىء الارض وتستوي ، وتجف المياه المحصورة بين الجدران

ميل ونصف ميل ينتظم عليه السير .. وما تكاد تعبر هذا الجسر الصغير من المنامة الى المحرق حتى تشعر وكأنك انتقلت من دولة الى أخرى .. فالمحرق تختلف تماما عن المنامة .. انها قرية بجانب مدينة .. مساكن مكتظة متلاصقة يعيش فيها ٣٥ الف نسمة . فأهل البحرين يحبذون النوم في المحرق لطيب مناخها ومائها ، على أن ينطلقوا في الصباح الى المنامة للتجارة .

وفي المحرق يقع مطار البحرين ، وأهل المحرق شديدو الحساسية ، والطف قصصهم تسمعها عن خلافهم الأبدي مع بلديتهم ، انهم يتهمونها بأنها السبب في تأخر مدينتهم .. ويحاولون اثبات ذلك بمختلف الحجج والاساطير .. ونسأل البلدية فتجيب : « اننا نقوم بتنظيف شوارع المحرق في الصباح ، ولكنها تتحول بعد ساعات الى اقذر مما كانت عليه سابقا .. ان أهل المحرق هم اكثر الناس شكوى ، واقلهم تعاونا مع بلديتهم .. »

مشاكل الزيادة السكانية

لقد اصبحت المحرق والمنامة تمثلان نموذجا مصغرا للاختناق الذاتي ، والسبب هو الزيادة المستمرة في كثافة سكانهما ، والامتداد العمراني الكبير غير المنظم للمدينتين .

لهذا اقيم في البحرين منذ عامين مجلس للتخطيط والتنسيق انبثق عنه مكتب وحدة التخطيط الطبيعي مهمته ايجاد احسن الطرق لاستعمال الارض ..

وقد انتهت هذه الوحدة من عمل تخطيط هيكلي لمدينة المنامة سيقضي على المشاكل التي تحدث يوميا .. ويكفل نظاما جديدا للمدينة يستمر لفترة ٢٠ سنة قادمة ..

ان المشكل الرئيسي امام المخطط هو ان يجعل المواطن يؤمن بفائدة التخطيط وجدواه ،وان يسمى للمساهمة في تنفيذه .. فمثلا يجب ان يحترم المواطن التقسيم الذي يحدد نوعية كل منطقة .. فهذه منطقة صناعية وهذه تجارية وتلك سكنية وزراعية .. اما ان تتجمع وتتشابك كل هذه التقسيمات في منطقة واحدة ، فهذا معناه فوضى وازعاج لا حدود لهما ،كما هو حادث حاليا في المنامة والمحرق ..

من يدري ؟

ومن أهم المشاريع العمرانية الفخمة مشروع ربط جزيرة البحرين بجسر مع أرض الجزيرة بالمملكة العربية السعودية .. لقد تمت دراسة هذا المشروع الهائل دراسة مسفيضة، وحدد المكان الذي سيبنى منه الجسر ، الذي يبلغ طوله ١٥ كيلو مترا ! .. وتفاءل الناس خيرا ، فسوف يصبح بامكانهم الاتصال

جلسة نقاش حامية في نادي الخريجين الذي يضم ١٨٠ عضوا ، لقد جمعوا ١٤ الف دينار في العام الماضي لمساعدة اخوانهم الثمانمائة طالب الذين يتعلمون حاليا في جامعات العالم .



اعداد المعلم المناسب الكفء هو المشكل وفي المعهد العالي للمعلمين ، يجري الابتدائية والاعدادية ، ومدة الدراسة



باليابسة مباشرة دون الحاجة الى زوارق .. ولكن الفرحة لم تتم ، اذ اسدل ستار كثيف على هذا المشروع الحيوى الكبير الذى سيقلب اسلوب الحياة في البحرين .. ومع حل المشكل السياسي، فقد يصبح هذا الجسر حقيقة واقعة ، فمن يدري ؟ !

وقد نجحت البحرين نجاحا ملحوظا في ربط نفسها مع العالم بشبكة خطوط هاتفية من الدرجة الاولى عن طريق محطة للاقمار الصناعية تكلفت مليونى دينار ، فاصبح بالامكان التحدث في اى وقت طوال فترة ٢٤ ساعة مع مختلف امارات الخليج العربي ومع الكويت ولندن .. انك تطلب الرقم الذى تريده وتتحدث بعد خمس دقائق .

ان سهولة الاتصال عبر محطة الاقمار الصناعية زاد عدد المكالمات مع امارات الخليج بنسبة ٦٠٠ في المائة .. وزاد عدد المكالمات مع لندن بنسبة ١٠٠ في المائة خلال ستة اشهر فقط ..

ومما يذكر ان محطة الاقمار الصناعية في البحرين هي للمخابرات اللاسلكية فقط ، لانه ليس في البلاد محطة تلفازية يمكنها تحويل البرامج التلفازية اليها .. والبحرين ليست في حاجة حاليا الى محطة تلفاز خاصة بها .. فجميع محطات التلفاز في الخليج العربي تتسلل برامجها الى منازل البحرين .

اما السينما فما زالت البحرين تفتقر الى دار حديثة للسينما ، ولكن الاندية الليلية بدأت تنتشر في الفنادق ، وبدات الفرق الموسيقية والاستعراضية الاجنبية تتوالى .. اما الخمر فمسموح ببيعها للاجانب في البحرين بموجب تصاريح خاصة تمنح للفنادق وشركات النفط والمؤسسات الاجنبية ، وليس للبحرانى حق شراء الخمر .

ولكن اباحة الخمر في الفنادق قضى على السوق السوداء ، ولم نشهد بحرانيا واحدا يشرب الخمر في اى فندق ..

نشاط سياحي

ويقول الاستاذ محمد الانصارى رئيس دائرة الاعلام والسياحة : « اننا نسعى لجعل البحرين مركزا سياحيا لهذا قررنا انشاء مجلس وطني للسياحة وشركة للفنادق ووكالة للسفريات .. ومن مشاريعنا تحويل بعض جزرنا الثلاثة والثلاثين الى جزر سياحية عالمية .. وعمل حلبة لسباق الخيل .

« ان البحرين اصبحت بلدا مفتوحا ، ونحن نقدم كافة التسهيلات لراس مال الاجنبي الذى يريد العمل في البلاد .. فاولا لا توجد ضرائب دخل ، ولا اية قيود على تحويل العملة .. كما

الاول الذى يواجه التعليم في البحرين، اعداد المعلم الجديد للمرحلتين في المعهد سنتان .



٢٨ شابا وثلاث فتيات ، يؤلفون « اسرة الادباء والكتاب » في البحرين ، وهي رابطة تهدف الى رعاية ادب الشباب والاهتمام بنشره وتجديده، ولكن معالجة مشاكل مجتمعهم ، تأخذ الجزء الاكبر من مناقشاتهم .. كما







الى اعلى : يبدأ تعليم الفتاة في البحرين منذ عام ١٩٢٨ واليوم اصبح عددهن اكثر من ٢٠ الف طالبة .. وفي معهد المعلمات يجري اعداد المدرسات اللازمات للتعليم الثانوي ، بتحضيرهن للدراسة الجامعية .



تطورت المرأة البحرانية تطورا سريعا مذهلا ، فاصبحت تعمل ممرضة وطبيبة ، وموظفة في البنوك والمكاتب والمدارس .. وعندها جمعيتان ، احداهما لرعاية الطفل والامومة ، وتهدف الى تشجيع المرأة على العمل ، ومساعدتها في رعاية اطفالها خلال عملها .. وفي مركز الجمعية يلعب الاطفال ويتعلمون ، ويأكلون الجبن والزبد وعصير البرتقال حتى تحضر امهاتهم .. كل هذا نظير ٤ دنانير شهريا عن كل طفل ..

الى اليمين : بدا مجتمع جديد يتكون في مدينة عيسى .. انه مجتمع يعيش في مدينة حديثة التخطيط على مسافة ٤ اميال ونصف من المنامة العاصمة المزدحمة .. وقد وصل عدد سكان مدينة عيسى الى ٩٠٠٠ نسمة يعيشون في ١١٥٠ بيتا .. ويقوم مشروع المدينة على أساس تمليك البيوت للمواطنين من مختلف الفئات ، بايجار شهري لمدة عشرين عاما .. ويتراوح ثمن البيت بين ١٨٠٠ و ٣٩٠٠ دينار بحراني .





تفخر مدينة عيسى بمبنى الاستاد الرياضي الكبير المقام على ارضها ، والذى يتسع لجلوس ١١ الف شخص .. وقد اقيمت فيه عدة مباريات دولية ، كانت آخرها دورة الخليج الاولى لكرة القدم ..

فتحت جمعية نهضة فتاة البحرين التعليم .. انهن ٥٥ امراة وفتاة الاسبوع ، لم يتقدمن للامتحان طبقا

اننا نقدم الارض مجانا للمنشآت المراد اقامتها .. فضلا عن توافر اليد العاملة في البلاد » ..

مشاكل البطالة وغلاء المعيشة

والحديث عن اليد العاملة في البحرين حديث طويل ..

وقد اجتمعنا الى مجموعة من الشباب واستمعنا اليهم يتحدثون ويتحدثون .. والشباب عنده دائما احاديث كثيرة يرويها لك .. وخاصة الشباب البحرانى ، الذى يمثل ٥٠ في المائة من عدد السكان ـ هكذا يقولون ـ انه شباب واع متعلم ، لهذا تجده ملما باطراف مشاكله التى يلخصها بقوله :

« مشكلتنا الاولى هي البطالة .. والثانية غلاء المعيشة .. اما المشكلة الاولى فسببها التاجر .. انه يفضل أن يجلب موظفا من الهند او الباكستان ويعطيه ٥٠ دينارا بحرانيا على ان يوظف شابا بحرانيا .. حقيقة ان التاجر يكون بحرانيا ، ولكن مديره الاجنبي هو الذى يتحكم ويجلب الموظفين من بنى جلدته .. حتى انك تجد اسرة باكملها جاءت من الهند وتعمل في شركة واحدة ..

« والفنادق التى ظهرت حديثا ليس فيها بحراني واحد .. انهم يقولون اننا نفتقر الى الخبرة .. وهذا حقيقى ، ولكن الا يمكن تدريبنا ؟ .

« أما عن الغلاء فانه في تصاعد مستمر ، بينما المرتبات ضئيلة ثابتة لا تتحرك .. حتى السمك الذى كنا ناكله ارتفع ثمنه ، واصبح الصياد ، لا يصطاد الا كمية صغيرة ليبيعها بسعر مرتفع» ..

من هو التاجر فى البحرين

واتجهنا لمقابلة السيد علي الوزان رئيس غرفة التجارة والصناعة البحرانى ، وعرضنا عليه اتهام الشباب للتجار ، فقال : « التجار في البحرين على نوعين : اجانب وبحرانيين .. وقد تكون صفة الربح فقط منطبقة على الاجنبي فهو هنا ليحقق ربحا باسهل طريقة ممكنة ، دون الاهتمام بمستقبل البحرين الاقتصادى .. وهؤلاء التجار وجدوا قبل صدور قانون السجل التجارى ، الذى يضع شروطا خاصة لتاليف الشركات بمساهمة اهل البلاد .. وكان التجار الاجانب يمثلون ٥٠ في المائة من عدد تجار البحرين،انخفضت نسبتهم اليوم الى نحو ١٠ او ١٥ في المائة ، وعددهم في تضاؤل مستمر ..





ابوابها لتعليم المرأة التى فاتها قطار يتنظمن في الفصول ثلاث مرات في للمنهج المقرر من وزارةالمعارف .

اربعة فنادق من الدرجة الاولى فتحت ابوابها في البحرين ، ويضم كل فندق صالة كبيرة للرقص ، يؤمها الاجانب الذين يعيشون في البحرين ، ويقدر عددهم بنحو ٤٠ الف شخص .

« اما التاجر البحراني فلا شك انه مدرك لاهمية اقتصاد البحرين وضرورة رفع مستواه .. ولكن في نفس الوقت يعتبر تاجر البحرين من اكثر تجار المنطقة وعيا ، لذلك ترى أن الخطوات التي يسير عليها ، خطوات صحيحة وواقعية ، تتمشى دائما مع متطلبات المنطقة واحتياجاتها من السلع .

« والتاجر ليس عنده وقت ليقوم بتدريب او تعليم الشباب الذين سيوظفهم .. » ..

رأى التجار

وهنا اشترك بعض التجار في الحديث والهجوم على الشباب بقولهم : « اننا نعانى متاعب كثيرة عندما نجلب اليد العاملة من الهند او الباكستان ، ولكننا مضطرون الى ذلك .. ان شبابنا شباب طيب ، ولكن الطيبة بدون تعليم لا تفيد كثيرا .. انه شباب مدلل بكل معنى الكلمة ، يفضل العمل في الحكومة لمدة نصف يوم على العمل في الشركات الخاصة طوال اليوم .. وهو يعتقد انه مثقف ، لكن خريج الثانوية لايستطيع كتابة خطاب بالانجليزية .. انه يهوى لعب كرة القدم ، ومشاهدة مبارياتها في التلفاز ، فضلا عن انه يضع مواصفات العمل الذى يريد العمل فيه » ..

٨٠٠ بحراني فى جامعات العالم

وفي نادى الخريجين اجتمعنا بعدد من اعضائه البالغ مجموعهم ١٨٠ عضوا .. انه ناد له نشاط ايجابي فعال يجمع التبرعات والاشتراكات ، ويعطى القروض لمساعدة الطلبة الذين يتعلمون في الخارج على أن يقوم الطالب بتسديد قيمة القرض بعد تخرجه على اقساط شهرية تصل الى ٥٪ من راتبه بعد التخرج ..

ويقول السيد جاسم فخرو رئيس النادى : « ان روابط كثيرة تربط بيننا وبين الكويت ، وقد استطعنا الحاق ١٤٤ من أبنائنا في جامعة الكويت يتعلمون وياكلون وينامون على نفقة الجامعة .. وعندنا ٦ منح دراسية عليا لمعهد التمريض .. واستطعنا الحصول على منحتين من حكومة الهند .. ان عندنا حاليا ٨٠٠ طالب وطالبة يتعلمون فى جامعات العالم .. يتخرج منهم سنويا ٥٠ طالبا .. وفي مجلس الدولة الحالى ستة من اشقائنا الخريجين » ..

سبب المشكلة

واشترك بقية الخريجين في حديث عن مشاكل



حاكم البحرين وتوابعها ، الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة أثناء حفل افتتاح دورة الخليج العربي الأولى لكرة القدم .. وفي كل صباح يجلس الحاكم في مجلسه المفتوح بقصر الرفاع يقابل المواطنين والزوار ..

الى اسفل : في صباح يوم ٣٠ مارس (آذار) ١٩٧٠ وصل البحرين السنيور فيتوريو وينسبيد ممثلاً شخصياً للمستر اوثانت سكرتير عام الامم المتحدة .. وكانت مهمته واضحة محددة وهي ان يتعرف على رغبات اهل البحرين .. وبعد اجتماعات عديدة بمختلف الهيئات ، ومقابلة مئات الاشخاص ، قدم تقريره .. واجتمع مجلس الامن ، واصدر وثيقته التاريخية بالاعتراف بعروبة البحرين .. وفي الصورة السنيور فيتوريو يلقي بيانه ساعة وصوله البحرين ..



الى اسفل : في بداية عام ١٩٧٠ صدرت مراسيم تأليف اول مجلس للدولة في البحرين مع تنظيم الدوائر الحكومية وجعلها ١٢ دائرة ، بدلا من ٢٨ دائرة متفككة ، .. ويتولى اعضاء مجلس الدولة ـ ومن بينهم ٦ من خريجي الجامعات ـ مهمة تنفيذ وتنظيم مختلف شئون البحرين الاقتصادية والثقافية والصحية والاجتماعية .. وفي الصورة الاعضاء ، اثناء اجتماعهم برئاسة الشيخ خليفة بن سلمان رئيس المجلس .





الى اليسار : بعد مرور عام واحد على تكوينها ، وصلت قوة دفاع البحرين الى مستوى رائع من الكفاءة بفضل تدريبها المتواصل .. وبتميز جنود القوة بثقافتهم ، اذ ان ادنى مستوى للقبول هو الاعدادية .. ان هذه القوة الدفاعية من الاحداث الجديدة في البحرين ..

الشباب وتعطلهم فتشعب الحديث وامتد ، وكانت هذه الاراء : « ينتظر ان يتخرج هذا العام نحو ١٤٥٠ طالبا من مدارسنا الثانوية السبع الموجودة في البلاد .. انهم مزودون بنفس اسلوب التعليم التقليدى .. لقد تبدلت البلاد ولكن التعليم لم يتبدل .. لقد ظللنا نخرج الطلاب دون ان نعرف لماذا ؟ كانت عندنا شركة النفط في البداية وكانت تاخذ حتى طالب الابتدائي ليعمل عندها ، اما اليوم فلم تعد بحاجة الى موظفين جدد بنفس هذا المؤهل ..

« ان مشكلتنا ليست مشكلة البحرين فقط ، وانما هي نسخة من مشكلة كل بلد عربي .. انها مشكلة انعدام التخطيط .. وما زال مجتمعنا ينظر نظرة خاصة لكل شخص يرتدى بذلة عامل .. اننا في حاجة الى اعادة النظر في نظم تعليمنا العربية ، ففي بريطانيا مثلا اصبح ٣٠ بالمائة فقط من الطلبة مسموحا لهم بالتعليم في القسم الادبي ، بينما الباقي عليه ان يتوجه ناحية التعليم المهنى او العلمي .

« أما عندنا في البحرين فنظرة على الارقام تريك ان ٥٤٨٢ طالبا وطالبة يتعلمون التعليم الاكاديمي التقليدى ، في حين لا يزيد عدد الذى يتعلمون في المدارس الصناعية عن ٥٥٩ طالبا .. »

بطالة غريبة !

واتجهنا الى الاستاذ جلال العريض رئيس دائرة العمل والشئون الاجتماعية ، نسأله عن مشكلة البطالة ومتاعب الشباب ، فقال : « تعاني جميع الدول النامية من مشكلة البطالة .. ولكنا هنا نعاني من مشكلة خاصة .. الاعمال متوافرة ، ونحن نريد موظفين فنيين او انصاف فنيين ، ولكننا لا نجد الا موظفين ادباء .. انها مشكلة اجتماعية يعانى منها العرب عامة .. والعامل عندنا يرفض العمل الفنى بمرتب ٨٠ دينارا في الشهر ، ويقبل العمل الكتابي بخمسين دينارا شهريا ..

« والبطالة في البحرين مرتبطة اساسا مع مشاريع التعليم والتنمية ونظرة المجتمع الخاصة ، فمثلا لا يوجد بحراني يعمل حلاقا او خياطا او صائغا .. حتى السائق يرفض العمل على سيارات البلدية ويطلب العمل على سيارات الخارجية ، ولا يوجد بحرانى يعمل كناسا ببلده ، في حين ان أهل نيويورك ينظفون مدينتهم بانفسهم » ..

ويستطرد الاستاذ العريض في حديثه بقوله : « من هذا يتضح ان مشكلتنا اجتماعية اذ كيف نغير ونبدل نظرة مجتمعنا الى الاعمال .. لهذا تجدنا اليوم بدأنا في انشاء معاهد للتدريب . »

وينهي رئيس دائرة العمل حديثه بقوله : « ان المناقشات التى سمعتها هي ظاهرة صحية في مجتمعنا ، لانه من خلال المناقشات تتبلور بعض الافكار .. ولا تنس ان مجتمع البحرين ينتقد بمرارة ولا يخاف من نقد الحكومة نفسها » ..

التربية تشعر بالمشكلة !

وسألنا الاستاذ احمد العمران رئيس دائرة المعارف عن رأيه فيما يقال عن التعليم فوجدناه

الى اسفل : في مجال تحسين برامج التعليم وتطويرها ، اعطيت الدراسة الفنية كل ما تستحقه من اهتمام ، وفي معهد المعلمين العالى ، يجرى تدريب معلمي المستقبل على كيفية صناعة الفخار بالطرق الحديثة .





مدينة عيسى .. اقيمت على مسافة اربعة اميال ونصف ميل جنوب المنامة .. بدات الحياة تدب فيها في نهاية عام ١٩٦٨ عدد منازلها ١٩٥٠ منزلا .. وقد قامت الحكومة ببناء المدينة على نفقتها على ان تسترجع قيمة انشاء المنزل فقط من المستاجر . وتتميز المنطقة بجوها الجاف ، بعكس المنامة الرطبة .

اكثر تحمسا من الجميع ويقول : لقد بدانا فعلا بادخال التعليم الصناعى المهنى الى جميع الفصول ابتداء من اولى ثانوى . حتى نخرج بالطالب من اطار التعليم التقليدى الذى درجنا عليه جميعا .. اننا نتجاوب مع مشاكل البحرين ، ونعلم جيدا مقدار حاجتنا الى المهارات الفنية » ..

ونخرج من هذه المناقشات بحصيلة وافرة من الاراء التى يمكن تطبيقها على اغلب اجزاء وطننا العربى :

« انها بطالة من نوع خاص .. كل شخص يريد الجلوس على مكتب ولا توجد مكاتب كافية لهذه الاعداد الهائلة من المتخرجين » ..

هكذا لخص لنا ولى عهد البحرين الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة ،مشكلةالبطالة فيالبلاد .

الحرس الوطنى

ويتولى ولي عهد البحرين رئاسة قوة دفاع البلاد .. وهذه القوة هي قوة فتية .. صغيرة بعددها ، كبيرة بكفاءتها ، لقد اشفق الناس على القائمين بمهمة التدريب عندما اتجهوا الى الاردن لطلب مدربين لقوة الدفاع الجديدة ، وقالوا لهم : ان مجتمعنا لم يكن ابدا مجتمعا عسكريا .. انها تجربة فاشلة فلا تتعبوا انفسكم بها ..

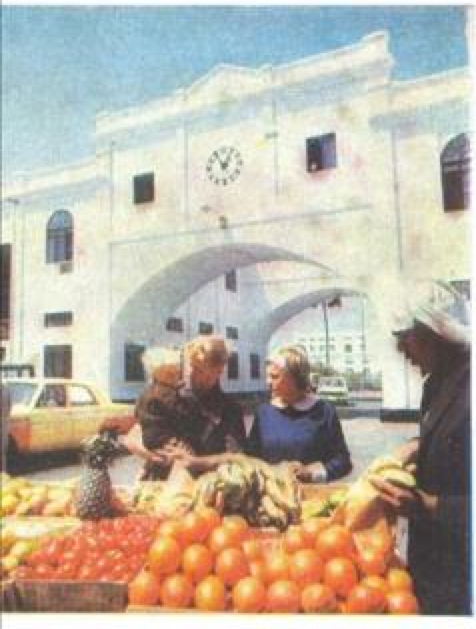
ولكن العمل استمر ليل نهار حتى تم تشكيل الوحدات من شباب كلهم عرب بحرانيون ، اكثرهم حاصل على شهادة التوجيهية .. وسافرت مجموعة من الشباب الجامعي الى الخارج وعادوا ليصبحوا ضباطا على الوحدات التى تم تشكيلها .. ان قوة



عاشت البحرين اسبوعا رياضيا حافلا ، عندما اقامت على ارض ملعبها الكبير اول دورة على كأس الخليج العربي لكرة القدم .. لقد اشتركت في الدورة اربعة من بلدان الخليج هي : السعودية والكويت والبحرين وقطر ـ لانها البلاد الوحيدة المنضمة للاتحاد الدولي لكرة القدم ـ ، وجاء الوف المشجعين من ابناء هذه البلاد الى البحرين لتشجيع لاعبيهم ، ووسط جو حماسي زائد فاز فريق الكويت بالكأس الذهبي .. وانتهت الدورة بنجاح رائع ، وبدأ الاتحاد الرياضي البحريني يدرس نتائجها . **والصورة العليا** لرئيس الفريق الكويتي يتسلم الكأس ، **والصورة السفلى** للفرق الاربع المشتركة في الدورة .







ينعكس ازدهار المجتمع وتطوره في البلاد العربية ، بصورة عكسية على الارض الزراعية .. فسرعان ما ينزح المزارع عن ارضه بحثا عن الوظيفة المربحة في المدينة .. والبحرين تعاني من نفس هذا المشكل ، وهي تحاول التغلب عليه بانشاء مزارع تعاونية في القرى ، يتعاون فيها الفلاح مع قسم الزراعة بتخصيص دونم من ارضه ، فيعمل القسم على تزويده بالسماد الكيماوي والبذور ومكافحة الحشرات .. وقد بدأت هذه المزارع تعطي نتائج طيبة ، فارتفع عددها من ١٢ الى ٣٠ ثم توقفت عند ٤٠ لقلة الامكانيات .. وكانت النتيجة تحسنا ملموسا في نوعية الخضراوات ، فتنوع الانتاج ـ كما ترى في **الصورة العليا** ـ أما الفاكهة فلم تحظ بنفس الاهتمام الذي حظيت به الخضراوات ، لهذا تجد أن جميع اصناف الفاكهة ترد من الخارج وتباع باسعار مرتفعه ـ **الصورة اليسرى** ـ بعكس الخضراوات التي بدأ تصدير بعض اصنافها مثل الطماطم .

لقد كانت الزراعة تحتل دائرة مستقلة في الماضي ، اما اليوم فاصبحت قسما من اقسام البلدية ! !

دفاع البحرين تهدف الى ان تصبح قوة يمكنها الثبات الاولى امام اى هجوم ، كما أنها بتشكيلاتها ومراكز تدريبها يمكن ان تسهم في بناء اى قوة اتحادية في المستقبل .

ان اجمل ما في هذه القوة الوليدة هو عروبتها .. عروبة قادتها .. عروبة مدربيها .. عروبة ضباطها .. عروبة جنودها ..

نهضة صناعية

ويقول لك اهل البحرين : ان ثروتنا الحقيقية هي في شبابنا .. في خريجينا .. في ابنائنا الذين يتعلمون في مختلف جامعات العالم .. هذه هي ثروتنا التي نعتمد عليها لبناء مستقبلنا اما ثروتنا البترولية ، فقد بدأ التنقيب عندنا منذ عام ١٩٢٥ اى قبل كل البلاد المجاورة لنا ..

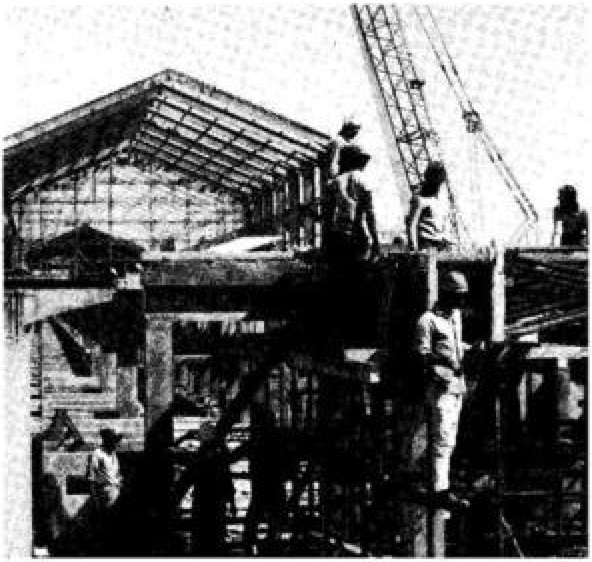
والنفط في بلادنا هو الذى يمد خزينة البحرين بالقدر الاكبر من ايرادها ، ففي ميزانية عام ١٩٦٩/٧٠ بلغ الايراد من النفط ٨٫٨٧٠٫٠٠٠ دينار بحريني ، من مجموع الميزانية المقدرة بنحو ١٤٫٧٥٠٫٠٠٠ دينار .

وهذا الايراد من النفط يعتبر ضئيلا اذا ما قورن بايراد أبو ظبي مثلا ، الذى ينتظر ان يصل الى ١٠٠ مليون دينار بحريني في العام القادم .. ونحن اليوم ، بعد تطور آلات البحث والتنقيب ، نقوم بعمل مسح جديد لبلادنا .. وقد عثرنا على الغاز بكميات هائلة تحت النفط وهذا سيجعلنا نقيم العديد من الصناعات ، وقد بدأنا فعلا باقامة مصنع الالومنيوم الخام كان المفروض ان ينتج ٥٧ الف طن من الالومنيوم الخام سنويا ، الا ان شركات جديدة انضمت للمشروع وطلبت زيادة الانتاج الى ٩٠ الف طن .. اننا سنستعمل الغاز لاستخراج الكهرباء ، وقد انشأنا فعلا محطة كهربائية قوتها ١٨٠ ميجا وات ، اى اقوى من محطة كهرباء المنامة ، وهذه القوة لا بد منها لتسليط تيار كهربائي قوى على مادة البوكسايد Bauxid ــ التى سنستوردها من استراليا ــ لتستخرج منها الالومنيوم الخام ..

الصناعة بعد انقشاع الغمامة !

والصناعة في البحرين ما زالت متجمدة عند

٩٠ الف طن من انقى أنواع الالمنيوم الخام سينتجها هذا المصنع ابتداء من شهر مارس ١٩٧١ ومما يذكر ان انتاج المصنع لفترة خمس سنوات قادمة ، قد بيع مقدما في أسواق العالم ..



كانت هنا غابة من النخيل ثم بدأت ارتفاع درجة ملوحة الماء .. وقال منع الماء عن النخيل بعد



درجة الصفر ، اذ لم يقم اصحاب رؤوس الاموال باى مشروع صناعى حتى اليوم ، غير مصنع صغير للبلاستيك .. وحجتهم في ذلك كانت : عدم الاستقرار السياسي للبحرين .. اما اليوم وبعد ان انقشعت غمامة المخاوف ، واعترفت الأمم المتحدة باستقلال البحرين ، فقد بدات المشاريع الكبرى تطل براسها ، وقد وجد التجار ان خير وسيلة لدخول المجال الصناعي هي انشاء الشركات المساهمة بالاشتراك مع الحكومة ..

هل الزراعة ضرورية ؟

اما الزراعة فتمر بادق مراحلها في البحرين .. لقد اشتهرت البحرين بكونها واحة خضراء يغطيها النخيل والاشجار وسط مياه الخليجاللازوردية !! وهذه الخضرة كانتدائما محط حسد جيرانها ذوى السواحل الجدباء .. اما اليوم فقد بدأت الاصوات ترتفع عالية فى البحرين ، يتزعمها يوسف الشيراوى رئيس دائرة التنمية والخدمات الهندسية ، الذى قال لنا : « هل الزراعة ضرورية للبحرين ؟ هل تستفيد منها البلاد اقتصاديا بحيث نعطيها ٩٠ مليون جالون من الماء يوميا .

« في الماضي كان الماء الجوفي متوفرا بكثرة في البحرين ، اما اليوم فقد تحول الكثير من مياه آبارنا الحلوة الى مياه مالحة .. ان المياه الحلوة تأتينا في تجاويف صخرية تمتد من تحت ارض الجزيرة العربية ، وتحت مياه الخليج ، حتى تصل الى البحرين .. وظلت الأمور تسير على هذا النمط منذ الاف السنين ، الى ان بدات المملكة العربية السعودية تستغل مياهها الجوفية وتحفر الابار الارتوازية ، فتصاعد الماء بكميات خيالية .. ونحن بدورنا في البحرين ، اصبحنا نستهلك يوميا ما يزيد عن ١٢٠ مليون جالون من هذه المياه .. وكانت النتيجة أن خف الضغط الموجود في التركيب الصخرى ، فتسربت مياه البحر المالحة الى المياه العذبة .. »

مشكلة ربع مليون نخلة

ويتابع الاستاذ الشيراوى حديثه بقوله : « واذا استمر الاستهلاك بهذه الكميات فقد تخسر

تختفى .. قال البعض أن السبب هو آخرون ، لا .. فان صاحب الارض ان حرمت الحكومة قطعه



حتى تزدهر التجارة الحديثة لا بد من اتصالات لاسلكية سريعة ، وهذا ما حدث في البحرين عندما انشأت محطة للاقمار الصناعية تكلفت مليونى دينار ، جعلت بالامكان الاتصال فوراً بمعظم البلاد .

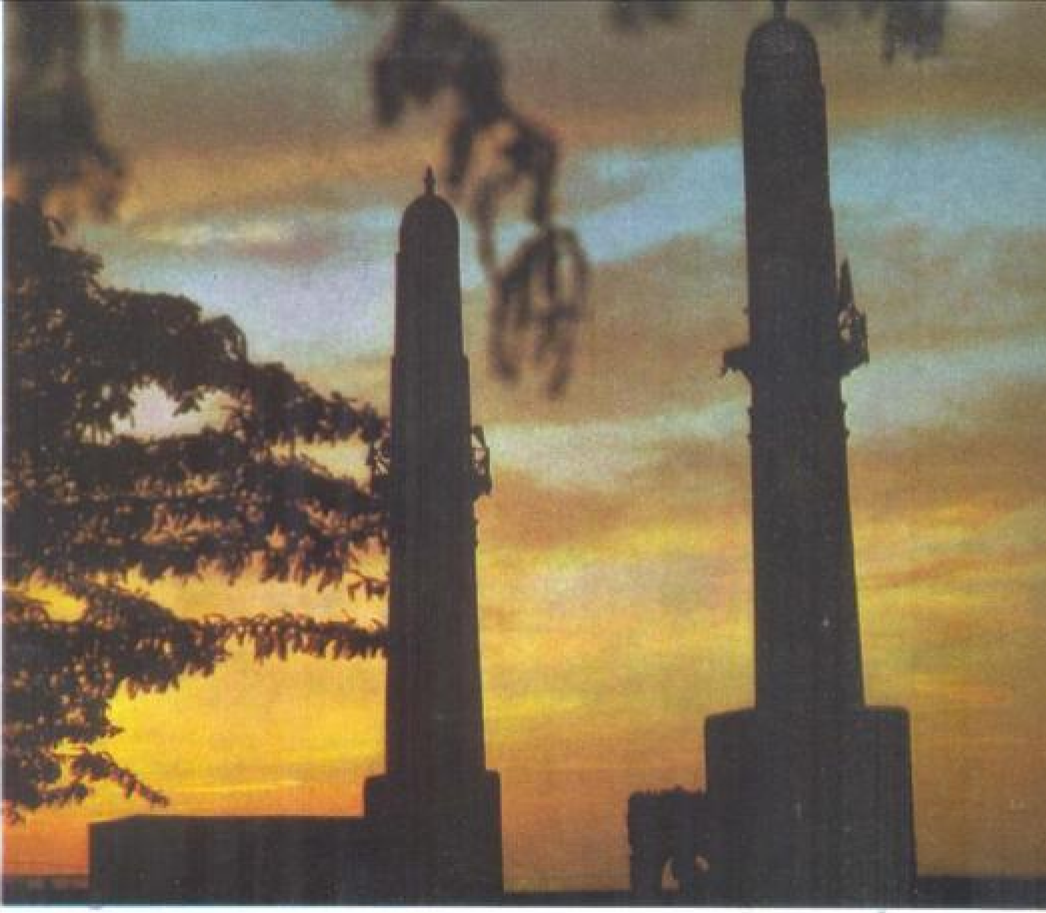


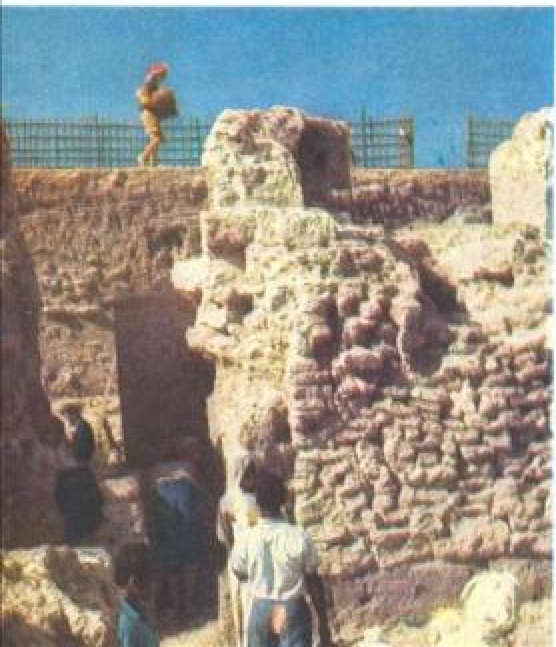


تنبهت البحرين الى ضرورة البحث عن الحلول لمشاكل التطور السريع الذي تمر به البلاد ، فأنشأت عام ١٩٦٨ مكتبا للتخطيط يعتمد في عمله على الاحصائيات التي لا يتوفر الا القليل منها .. ومن بينها احصائيات لتعداد السكان ، الذين كانوا ٩٠ الف نسمة عام ١٩٤١ زادوا الى ١١٠ الف عام ١٩٥٠ حتى وصلوا الى ١٨٢ الف عام ١٩٦٥ منهم ٣٨ الفا من غير ابناء البحرين .. والمشكل الرئيسي في التخطيط هو نزوح اهل الريف الى المدن ، اذ يعيش حاليا اكثر من ١٢٥ الف نسمة في المنامة والمحرق فقط .. لهذا يقول المخططون انه مالم تتخذ الوقاية الكافية من الآن فان مستقبل البحرين العمراني سيكون نموذجا مصغرا لاختناق المدن الدائم .. وترى في الصورة الشيخ عبد الله بن خالد آل خليفة مع مستشار التخطيط ، ومساعده المهندس ابراهيم المؤيد ، يراجعون بعض الخرائط والرسومات ..



الى اليسار : ما من شك أن موقع البحرين وسط الخليج العربي ، جعل منها مركزا تجاريا فريدا مرموقا منذ فجر التاريخ .. ويعمل ابناؤها حاليا على تنمية هذا المركز ، بتسهيل وسائل المواصلات مع المناطق المحيطة بهم ومع دول اوربا واستراليا .. وكان ميناء سلمان ، الذي يستقبل السفن من مختلف الاحجام .. احد هذه الوسائل لتحسين المواصلات .. ان طموح المسئولين عن البحرين جعلهم يقولون لنا : « اذا حققت البحرين منزلة الميناء الحر فانها ستصبح مركزا تجاريا وسياحيا ، ليس بالنسبة للخليج العربي فقط ، بل وللعالم كله » ! ؟





مسجد الخميس ، اقدم اثر اسلامي ، اقيم في البحرين في القرن الرابع الهجرى ، ان مئذنتيه ما زالتا قائمتين ، اما بقية المسجد فقد اندثرت .

الى اليسار : تعتبر البحرين اغنى مناطق الخليج العربى بآثار الحضارات القديمة ، وتقوم بعثة دانمركية منذ عام ١٩٥٣ بعمليات التنقيب عن هذه الآثار .. وفي البحرين التقينا برئيسها الدكتور جيو فرى بيبي ، الذى قال لنا : « ظل تاريخ الخليج العربى مجهولا تماما لفترة طويلة ، حتى بدأنا حفرياتنا ، ومن خلال اكتشافاتنا استطعنا ان نلقي بعض الاضواء على هذا التاريخ .. وفي البحرين اكتشفنا آثار العاصمة القديمة لشعب دلمون التي يرجع تاريخها الى ٢٨٠٠ سنة ق.م ، لقد احترقت هذه المدينة ، فاقاموا فوقها مدينة اخرى عام ٢٣٠٠ ق.م واحاطوها بسور ــ هو الذى ترى بوابته في الصورة اليسرى ــ ويهمني أن ابين لكم ان مساحة هذه المدينة ٢٠٠٠٠٠ قدم مربع ، والذى حفرناه لا يتعدى ٢٠٠ قدم فقط !



انتشرت على سواحل البحرين الاندية البحرية ، حيث يسبح الناس ويتسابقون باليخوت الشراعية بالقرب من منطقة الزلاق .. وتقوم البلدية حاليا ببناء كبائن للسابحين على الشاطىء الجنوبي الغربي في منطقة الجزائر .. وهناك مشروع لتحويل جزيرة أم النعسان الى جزيرة سياحية عالمية .

البحرين مياهها العذبة بعد ٤٠ عاما فقط ، لهذا ترانا ننادي بضرورة دراسة الفوائد التي تجنيها البلاد من وراء استهلاك كل قطرة ماء .. ومن الاسئلة التي تلح علينا سؤال حول ربع مليون نخلة مزروعة عندنا .. هل تعطينا دخلا اقتصاديا يوازي ما ننفقه عليها من مجهود وماء ؟ .. لقد كنا في الماضي نأخذ كل شيء منها ، نصنع الحصر والزنابيل والحبال من ليفها ، والعشيش من سعفها ، والمقاعد والموائد من جذورها ، والنار من حطبها ، نأكل ثمرتها وتعطي نواتها للحيوان ..

« لقد كنا في الماضي نستعمل كل قطعة تسقط من النخلة ، اما اليوم فتسقط النخلة بأكملها ولا يلتفت اليها احد .. لقد انقضى زمانها .. ومع هذا ما زلنا ننفق عليها المال والمجهود .. في حين انه يمكننا تحويل هذا الجهد الى انتاج محصول يعود علينا بفائدة اقتصادية .. فمثلا نحن نستهلك ٣٦ مليون بيضة في السنة ، فلماذا لا نحول مجهودنا الى انتاج مواد تصلح غذاء للدجاج ؟

« انني انادي بترك الزراعة ، لان استيراد الخضراوات والفواكه يكلفنا اقل من ثمن زرعها .. اما الفلاح فقد اتجه تلقائيا الى الصناعة والوظيفة ، ومن العبث أن نعيده الى الارض من جديد ، لانها تدر عليه دخلا اقل من دخله في الوظيفة . »

الازدهار على الأبواب

وبعد كل هذا نخرج بصورة سريعة لبعض ما يدور في البحرين .. انها تستعد لفتح ابوابها على مصراعيها من اجل تنمية مواردها وازدهارها .. بينما يقوم شبابها الواعي المثقف باعداد نفسه ليلعب دوره في نهضة الخليج العربي . .

ان البحرين اليوم اشبه بقمقم انطلقت منه حورية جميلة عذبة ، وسط فيض من مشاعر الحب ، والصداقة والترحيب من الجميع .

ان ابناء الخليج على حق عندما اطلقوا على البحرين اسم « الحليوه » فهي حلوة .. حلوة .

سليم زبال

مسابقة العربي

مسابقة بلا أسئلة !

■ مسابقة هذا العدد تختلف عن مسابقات الأعداد الماضية .. فهي مسابقة بلا أسئلة .. !! انك ستقرأ ١٢ جملة ، كل واحدة منها بها معلومات معينة ، والمطلوب منك أن تذكر ما اذا كانت هذه المعلومات صحيحة أم خاطئة ، بأن تقول خطأ أو صواب ، وذلك عن كل الجمل الاثنتى عشرة . وهذه هي الجمل :

١ ـ اللون الأصفر أحد ألوان الطيف الأصيلة .

٢ ـ كارل ماركس كان يهوديا روسيا .

٣ ـ البطريق طائر لا يطير ولكنه يسير على قدميه .

٤ ـ الموجات الصوتية تسير في الماء بسرعة أكثر من سرعتها في الهواء .

٥ ـ علم الجمهورية العربية المتحدة ، وعلم الجمهورية العراقية ، وعلم الجمهوريه العربية السورية ، كلها أعلام واحدة .

٦ ـ سرعة باخرة ٣٠ عقدة ، تعادل سرعة سيارة تسير في الأرض بسرعة ٣٠ ميلا في الساعة .

٧ ـ جزيرة سيلان مشهورة بزراعة البن .

٨ ـ الشمس هي أقرب نجوم السماء من الارض .

٩ ـ الصحراء الكبرى في شمال افريقيا ، أطلق عليها هذا الاسم لأنها أكبر صحراء في العالم .

١٠ ـ أبو الحسن بن الهيثم العالم العربي الذي كان له أثر كبير في علم البصريات ولد في مدينة البصرة .

١١ ـ المحيطات والبحار تكون نحو ٧١٪ من مجموع مساحة سطح الكرة الارضية .

١٢ ـ هناك الآن طريق برية سريعة تربط بين جميع البلاد العربية ، في المشرق والمغرب .

شروط المسابقة

١ ـ أن يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور في ذيل هذه الصفحة .

٢ ـ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .

٣ ـ ضع اجابتك في مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتي :
مجلة العربي ـ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ١٤١ » .

٤ ـ آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم الثالث من شهر سبتمبر (أيلول) ١٩٧٠ .

٥ ـ كل خطاب يفقد شرطا من هذه الشروط عرضة لأن يهمل ولا يدخل عملية الاقتراع على الجوائز .

الجوائز ١٠٠ دينار

يمنح الفائزون جوائز ١٠٠ دينار كويتي على الوجه الآتي :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا . الجائزة الثانية ٢٠ دينارا . الجائزة الثالثة ١٠ دنانير .

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريقة الاقتراع . ■■

كوبون مسابقة العدد ١٤١

صفحة في ... اللغة

معجم البلدان
لياقوت الحموي

بقلم : عبد الستار فراج

■ معجم البلدان من الكتب التى يتردد اسمها على ألسنة المحاضرين ، وتجرى بخطها على الاوراق اقلام المؤلفين .

وقد يحسب بعض من لم يطلعوا عليه انه كتاب فيه بعض الجفاف ، وانه فهرس لاسماء بلدان ، وتحديد لمواقعها ، لكن الواقع خلاف ما تذهب اليه الظنون . ذلك أن معجم البلدان دائرة معارف حافلة بالطريف المفيد . ففيه الى جانب تقويم البلدان : تاريخ وتراجم . ولغة وشرح لمصطلحات، وادب ممتع من شعر ونثر. وذكر لأحوال المجتمعات في عاداتها وتقاليدها ، مما ينفع الباحثين ويساعد الدارسين .

وللناس فى ذكر ديارهم شغف . ولأماكن لهوهم تشوق . ولمدارج طفولتهم ومغانى صباهم حنين . وقد يمرون بمراتع ومرابع ، ومدن وقرى ، وانهار وجداول ، فيعجبهم بعض ما رأوا ، أو يترك فيهم اثرا لا ينسى . وقد يجتمعون في تلك البقاع أو يفترقون ، فتفيض مشاعرهم بالمنظوم والمنثور . ويتلقفه عشاق الادب ثم يروونه في مجالس سمرهم، أو لمن يسألهم طلبا للبيان . فاذا ذكرت ملابسات القطعة الادبية ، وعرفت اماكنها ضاعف ذلك من الاحساس بتأثيرها في القارئين والمستمعين .

وشعراء العرب من قديم لهم ولع بذكر الأماكن ، لا تخلو من ذلك قصائدهم ومقطوعاتهم . كما ان الفتوحات الاسلامية حفلت باسماء الاقاليم والمناطق والبقاع . وللعلماء رحلات وجولات في طلب المزيد من العلم ، والكثير من المعرفة واكتساب الخبرة ، وقد قالوا وصدقوا « ما راء كمن سمع » . هذا الى ان للدول حدودا تشمل قرى ومدنا ، وجبالا ووديانا ، وصحارى ومزارع . فاذا وجدت في ذلك كتبا مؤلفة بعناية ، ومرتبة بدقة ، جامعة ما قيل في المكان وما حدث فيه ، لا تشعر بملل ولا ضجر، بل تقبل على القراءة في حرص ورغبة ، طالبا المزيد، وتخرج من كل هذا بزيادة في الثقافة وتوسيع في المدارك .

ويزيد اعجابك بالمؤلف حين ينسب الاقوال

● إنه ليس بكتاب بلدان فحسب .
إنه كتاب تاريخ أمم وتراجم رجال ،
وعادات أقوام وتقاليد شعوب .
واحتوى من الأدب دُرَرًا ، نثرًا وشعرًا .
ومن القَصَص طرائف ، بعضها المضحك
وبعضها المبكي ، وبعضها تقتبس
منه العِبْرَة الهادئة .

الى اصحابها ، والمعلومات الى كتبها المنقولة عنها ، وتشعر بالارتياح اذا كان قد طاف بهذه الاماكن التى يتحدث عنها ، وأن يقص عليك بعض عجائبها التى وقعت عليها عيناه ، أو سمعتها أذناه .

كل هذا الذى يحبب ويُعجب تجده فى معجم البلدان لياقوت الحموى . خذ مثلا قوله عن خوارزم :

« وكنت قد جئتها فى سنة ٦١٦ فما رايت ولاية قط أعمر منها .. والشتاء عندهم شديد جدا بحيث انى رايت جيحون نهرهم وعرضه ميل وهو جامد ، والقوافل والعَجَل(١) الموقرة ذاهبة وآتية عليه .. وأما الآن فقد بلغنى أن التتر ، صنف من الترك ، وردوها سنة ٦١٨ وخربوها وقتلوا أهلها وتركوها تلولا . »

فانت ترى وصفا عن رؤية ، وتاريخا محددا ، يجعلك تقتنع به عن غيره ممن لم يعاصر الاحداث .

وخذ مثلا هذه المعلومات التى يسوقها اليك فى شتى الفنون من ادب وعلم :ــ

الأوطاس ، يجوز أن يكون منقولا عن جمع وَطِيس ، وهو التَّنُّور ، نحو يمين وأيمان ، وقيل : الوطيس : نُقْرة فى حَجَر يُوقد تحتها النار فيطبَخ فيها اللحم . ويقال : وَطَسْتُ الشيءَ وطسا اذا كددته وأثرت فيه .

وأوطاس : وادٍ فى ديار هوازن، فيه كانت وقعة حُنَين للنبى صلى الله عليه وسلم بين هوازن ، ويومئذ قال النبى صلى الله عليه وسلم « حَمِيَ الوطيس » وذلك حين استعرت الحرب ، وهو صلى الله عليه وسلم أول من قاله .

وقال ابن شبيب : « الغور » من « ذات عرق » الى « أوطاس » ، و« أوطاس » على نفس الطريق ، و « نجْد » من حد « أوطاس » الى «القريتين» .

ولما نزل المشركون بأوطاس قال دُرَيد بن الصِّمَّة وكان مع أهل هوازن شيخا كبيرا : بأى وادٍ انتم ؟ قالوا : بأوطاس . قال : نِعْمَ مَجالُ الخيل ، لا حَزْنٌ ضَرِسٌ ولا سَهْلٌ دَهِسٌ .

وقال أبو الحسين أحمد بن فارس اللغوى فى أماليه : أنشدنى ابى رحمه الله :

يادارُ أَقْوَتْ بأوطاس وَغَيَّرَها
من بعدِ مأهولها الأمطارُ والمُورُ
كم ذا لأهلك من دهر ومن حِجَجٍ
وأين حَلّ الدُّمَى والكُنّس الحُورُ
رُدّى الجواب على حَرّانَ مكتئب
سُهَاده مُطلقٌ والنوم مأسور
فلم تُبَيّن لنا الأطلال من خبر
وقد تُجلّى العَمَايات الأخابيرُ

اسم ياقوت أكثر من ثلاثة

ويبدو ان اسم ياقوت بن عبد الله مقترنا بكنية هى « أبو الدر » كان محببا الى السادة فى القرنين السادس والسابع ، يسمون به مماليكهم الذين جلبوا اليهم صغارا ، والصراع اذذاك قائم بين البلاد الاسلامية وما جاورها ، وكان يصحب سلبٌ وأسر واسترقاق . والاطفال الصغار الذين يأتى بهم النخّاسون ــ وهم باعة الرقيق ــ كانوا

(١) العجل جمع عجلة وهى التى يجرها الثور تشبه ما يسمى الآن عربات « الكارو » .

يغفلون اسماءهم واسماء آبائهم ، أو غالبا كانوا يجهلونها ، فيطلق على الطفل اسم" يمحو كل ما له صلة بذويه . واذا كنا نجد في وقت واحد ثلاثة ممن اشتهروا ،كل منهم يسمى ياقوت بن عبدالله، ثم يتصل بزمنهم مشهور آخر بهذا الاسم نفسه ، نرجح أن عشرات الانفس ، ان لم تكن مئات ، قد ألصيق بهم هذا الاسم ، دلالة على جهل حقيقة نسبهم .

فاولا أبو الدر ياقوت بن عبد الله الموصلي الكاتب ، الملقب أمين الدين المعروف بالملكي ، نسبة الى السلطان ملكشاه ابي الفتح بن سلجوق . نزل الموصل وكان حسن الخط ، وانتشر خطه في الآفاق ، توفي سنة ٦١٨ هـ (١٢٢١ م) وقد أسنّ ولا يعرف تاريخ مولده .

وثانيا أبو الدر ياقوت بن عبد الله الرومي ، الملقب مهذب الدين . شاعر كان ببغداد ، أكثر نظمه في الغزل والتصابي وذكر المحبة . ولما اشتهر سمّى نفسه عبد الرحمن . وجد ميتا في منزله ببغداد في جمادى الأولى سنة ٦٢٢ هـ (١٢٢٥ م) وقد ناهز الستين من عمره .

ونقفز الى الرابع وهو أبو الدر ياقوت بن عبد الله المستعصمي الرومي جمال الدين ، كان له شعر ، واشتهر بحسن الخط ، وهو من اهل بغداد ، ومن موالي المستعصم بالله العباسي ، توفي ٦٩٨ هـ (١٢٩٩م) .

ياقوت الذي نعنيه

اما الثالث الذي يهمنا فهو أبو الدر ياقوت ابن عبد الله الرومي الحَموي ، البغدادي الدار، الملقب شهاب الدين ، ويكنى أيضا أبا عبد الله ، المولود حوالي سنة ٥٧٤ هـ (١١٧٨م) والمتوفى سنة ٦٢٦ هـ (١٢٢٩م) .

. واسر من بلاده صغيرا ، ومما لا شك فيهّ ان اسمه الأصلي لم يكن هو ما أُطلق عليه وما عُرف به . واشتراه ببغداد رجل تاجر اسمه عسكر بن ابراهيم الحموي ، ولعل كلمة الحموي أضيفت الى ياقوت بسبب نسبة مالكه ، وان كان ابن خلكان يذكره في كتاب وفيات الأعيان فيصفه بانه « الحموي المولد » ، ثم هو يناقض ذلك فيقول انه « أسر من بلاده صغيرا » .

وكان مالكه لا يحسن الخط ، فجعل ياقوتا في الكتّاب ، لينتفع به في أمور تجارته ، وللتاجر مسكن ببغداد ومتزوج فيها وله أولاد .

وكبر ياقوت ، وقرأ شيئا من النحو واللغة . وشغله مولاه بالاسفار في متاجره . ثم اعتقه وابعده عنه ، وكان ذلك في سنة ٥٩٦ هـ (١١٩٩ م) اي حينما كانت سنه اثنين وعشرين عاماً ، ولا ندري السر في ابعاده عنه ، فان الذي ارّخ له لا يذكره، وسبحان من يعلم الغيب . فاشتغل ياقوت بالنسخ للمخطوطات بالأجرة ، واستفاد من ذلك علما كثيرا ، الى جانب استفادته المادية من اجرته على النسخ . ومما لا شك فيه أيضا انه كان ذا ذكاء وفهم وحب للاطلاع عظيم ، يدل على ذلك ما سنذكره عنه في معرض كلامه عن مدينة « مرو الشاهجان » نقلا عن كتاب معجم البلدان

ثم عاد مولاه الى الاتصال به ، وسفّره في تجارته ، فلما عاد كان مولاه قد مات ، فأعطى أولاد مولاه وزوجته ما ارضاهم به ، وبقيت بيده بقية ـ لعلها نصيبه في العمل ـ جعلها رأس ماله وسافر بها ، وجعل بعض تجارته كتبا .

وتوجه الى دمشق سنة ٦١٣ ثم الى حلب ، ثم الى الموصل ، ثم الى اربل ، ثم الى خراسان يتجر في بلادها ، واستوطن مدينة « مَرْو الشاهجان » مدة ، يقول عنها « واقمت بها ثلاثة اعوام .. ولولا ما عرا(٢) من ورود التتر الى تلك البلاد وخرابها لما فارقتها الى الممات ، لما في اهلها من الرِّفْد ، ولين الجانب ، وحسن العشرة ، وكثرة كتب الأصول المتقنة بها ، فاني فارقتها وفيها عشر خزائن للوقف لم أر في الدنيا مثلها كثرة وجودة » .

وذكر أن احداها كان بها اثنا عشر الف مجلد او ما يقاربها ، كما يذكر عن احداها قوله « وكانت سهلة التناول ، لا يفارق منزلي منها مائتا مجلد وأكثر بغير رهن ، وتكون قيمتها مائتي دينار ، فكنت ارتع فيها ، واقتبس من فوائدها ، وانساني

---

(٢) عرا أي طرأ

حبها كل بلد ، والهاني عن الاهل والولد ، واكثر فوائد هذا الكتاب ـ معجم البلدان ـ وغيره مما جمعته فهو من تلك الخزائن ، وكثيرا ما اترنم عند كوني بمرو بقول بعض الاعراب :

أقُمْرِيَّةَ الوادي التي خانَ إلفَها
من الدهر أحداثٌ أتتْ وخطوبُ
تعالَيْ أطارِحْكِ البكاءَ فإننا
كِلانا بمَرْوِ الشاهجانِ غريبُ

ثم اضفت اليها قول ابى الحسين مسعود بن الحسن الدمشقي الحافظ ، وكان قدم مرو ، فمات بها في سنة ٥٤٣ .

أخلايَّ إن أصبحتمُ في دياركم
فإني بمَرْوِ الشاهجانِ غريبُ
أموت اشتياقاً ثم أحيا تذكُّراً
وبين التراقي والضلوعِ لهيبُ
فما عجبٌ موتُ الغريبِ صبابةً
ولكنْ بقاهُ في الحياةِ عجيب

هذا وكان ترك ياقوت لمرو الشاهجان في سنة ٦١٦ هـ (١٢٢٩ م) .

ولم يذكر لنا من كتبوا عنه انه كان له اولاد او تزوج ، وقد يكون له ذلك ، اخذا من قوله : وانساني حبها كل بلد ، والهاني عن الاهل والولد.

ومن البلاد التي دخلها « نسا » وخوارزم ، على انه بظهور التتر وما كانوا ينشرونه من الخراب والدمار والفتك والنهب ، ترك كل ما يملك ، وهرب ناجيا بنفسه . يقول ابن خلكان في وفيات الاعيان « فانهزم بنفسه ، كبعثه يوم الحشر من رمسه . وقاسى في طريقه من المضايقة والتعب ما كان يكل عن شرحه اذا ذكره . ووصل الى الموصل وقد تقطعت به الاسباب ، واعوزه دنيء المآكل وخشن الثياب ، ثم انتقل الى سنجار ، وارتحل منها الى حلب » . وذلك بعد أن كتب الى العلامة جمال الدين القفطي ـ صاحب كتاب « انباه الرواة » ووزير صاحب حلب ـ رسالة من الموصل عند وصوله اليها سنة ٦١٧ . وقد ظل في حلب الى ان توفي بظاهرها سنة ٦٢٦ هـ ١٢٢٩م.

هذا وقالوا انه لما اشتهر سمى نفسه يعقوب . كما انه كان حين يتحدث بامر يقول «قال عبيدالله» تواضعا منه ، ودفعا للكبرياء ان تستولى عليه .

مؤلفات اخرى

وليس لياقوت هذا الكتاب وحده ، ولو كان لم يؤلف غيره لكفاه اثرا خالدا مجيدا .

فقد الف ايضا كتابه المشهور « ارشاد الاريب الى معرفة الاديب » او ارشادالالباء الى معرفة الادباء » وهو المشهور لدى الناس باسم « معجم الادباء لياقوت » . جمع فيه تراجم للغويين والنحويين والادباء والمؤلفين ..

طبع مرة في خمسة اجزاء بالقاهرة ما بين ١٩٠٩ و١٩١٦ بعناية المستشرق الانجليزيالاستاذ د.س. مرجليوث وجعل له فهارس وافية ، ثم طبع مرة اخرى في المطبعة نفسها سنة ١٩٢٥ ثم طبع في مطبعة دار المامون بالقاهرة سنة ١٣٥٧ هـ ١٩٣٨ م في عشرين جزءا .

وله ايضا كتاب « المشترك وضعا ، المختلف صقعا » وهذا الكتاب وسابقه مطبوعان . وله كتب ذكرها المترجمون له ولكنها لا يعرف مصيرها او ما تزال مخطوطة محبوسة في بعض المكتبات .

ومن يقرا مثل ما قرا ، ويكتب كل هذه الكتب، لا بد ان يكون له في الادب والشعر نصيب . وقد اورد له ابن خلكان بعض الشعر ، منه ما قاله يندب ايام الشباب .

تنكَّرَ لي مذْ شِبْتُ دهري فأصبحت
معارفُه عندي من النَّكراتِ
إذا ذكرتْها النفسُ حنَّتْ صبابةً
وجادتْ شؤونُ العينِ بالعَبَراتِ
إلى أن أتى دهرٌ يُحسِّنُ ما مضى
ويُوسِعُني من ذكرِه حسراتِ

فكيف ولمّا يبقَ من كأس مَشربي
سِوىَ جُرَعٍ في قَعرِه كَدِراتِ
وكلُّ إنـاءٍ صَفْوُه في ابتدائه
ويَرْسُبُ في عُقْبَاه كُلُّ قَذاةِ

باعث ياقوت على تاليفه معجم البلدان

اما كتاب معجم البلدان فقد بعثه على تاليفه انه سئل في سنة ٦١٥ هـ وهو بمرو الشاهجان عن ضبط اسم مكان ، جاء في الحديث النبوى ، فذكر ما رآه من ضبطه ، فتصدّى له رجل من المحدّثين وضبطه بغير ما قال ياقوت .

واراد ياقوت أن يصل الى تأييد قوله بما قاله السابقون ورووه . قال : « فاستعصى كشفه في كتب غرائب الاحاديث ، ودواوين اللغات ، مع سعة الكتب التى كانت بمرو يومئذ، وكثرة وجودها وسهولة تناولها » .

ولم يظفر بتأييد قوله الا بعد مدة. يقول ياقوت:

« فألقى حينئذ في روعى افتقار العالم الىكتاب في هذا الشان مضبوط ، ليكون في مثل هـذه الظلمة هاديا ، والى ضـوء الصواب داعيا ، ونبّهت على هـذه الفضيلة النبيلة ، وشرحَ صدرى لنيل هذه المنقبة التى غفل عنها الاولون ، ولم يهتد لها الغابرون .

يقول من تقـرعُ أسماعَه (٣)
كَمْ تركَ الأوّلُ للآخِـر

وما أحسن ما قالهأبو عثمان ــ يعنى الجاحظ ــ ليس على العلم أضر من قولهم : لم يترك الأول للآخر شيئا ، فانه يُفتر الهمّة ، ويضعف المُنّة أى القوة .

ويعود ياقوت بعد هذا فيذكر لنا من الفوا فيقول :

« على انه قد صنف الاقدمون في اسماء الاماكن كتبا ، وبهم اقتدينا وبهم اهتدينا » .

وكلمة « جغرافيا » مستعملة من قديم ، فهو يقول « ولذلك صنف كثير من القدماء كتبا سموها جغرافيا ، ومعناها صورة الارض .. »

طريقة ياقوت في تاليف كتابه

وهو يذكر طريقته في عمله قائلا :

« وجمعت ما شتتوه ، واضفت اليه ما اهملوه ، ورتبته على حروف المعجم ، ووضعته وضع أهل اللغة المحكم ، وابنت على كل حرف من الاسم هل هو ساكن او مفتوح او مضموم او مكسور . وازلت عنه عوارض الشُبه ، وجعلته تبرا بعد أن كان من الشَبَه (٤) .. ثم اذكر اشتقاقه ان كان عربيا،ومعناه ان احطتُ به علما ان كاناعجميا، وفي اى اقليم هو ومن بناه ... وبماذا اختص من الخصائص ، وما ذُكر فيه من العجائب ، وبعض من دُفن فيه من الاعيان والصالحين ، والصحابة والتابعين ، وتبْذا مما قيل فيه من الاشعار .. وفي أى زمان فتحه المسلمون ، وكيفية ذلك . ومن كان أميره ، وهل فتح صلحا او عنوة ، لتعرف حكمه في الفيء والجزية، ومن ملكه في أيامنا هذه .

على انه ليس هذا الاشتراط بمطاوع لنا في جميع ما نورده » ...

وقدم الكتاب بخمسة ابواب ، ثم بدأ بذكر البلدان ، مرتبة على طريقة المعاجم التى تنظر للحرف الاول ، يبدأ بما كان اوله الفا ، الى ان ينتهي ، ثم ما اوله باء ثم ما اوله تاء ، وهكذا الى آخر حروف الهجاء وهو مع ذلك يرتب ترتيبا فنيا دقيقا ،فما كان ، ثانية ممدودا مقدم على ما ثانيه باء ، وما كان ثانيه باء مقدم على ما ثانيه تاء ، وهكذا ايضا في الحرف الثالث . مع مراعاة أن الواو في نظامه مقدم في الترتيب على الهاء . ويجرى هذا ايضا في بعض كتب اللغة .

وترتيبه يراعى في الكلمات على صورتها الموضوعة

---

(٣) هذا البيت لأبي تمام وجاء في طبعة بيروت مكتوبا كالنثر وبدون نسبته لأبي تمام

(٤) التبر الذهب . والشبه : النحاس

لها ، من غير نظر الى أصول الكلمة وزوائدها ، لأن جميع ما يَرد انما هو أعلام لمسميات مفردة وأكثرها أعجمية ومرتجلة لا مساغ للاشتقاق فيها .

واذا كانت سنة ٦١٥ هـ هي مبدأ تفكيره في عمله فان انجازه مسودات انتهى في أول سنة ٦٢٥ ثم أخذ في تبييضه قال .. « وكان الشروع في هذا التبييض في ليلة احدى وعشرين من محرم سنة خمس وعشرين وستمائة » .

وكان اعتماده في تأليف كتابه ، كما ذكر في مقدمته ، على أكثر من خمسة وعشرين مؤلفا ، منهم من قدماء اليونان افلاطون وفيثاغورس وبطليموس ومنهم وما أكثرهم اسلاميون .

ثم نقل أيضا من دواوين العرب والمحدثين ، وتواريخ اهل الأدب والمحدثين ، ومن افواه الرواة وتفاريق الكتب ، وما شاهده في أسفاره وحصله في تطوافه .

متى طبع كتاب معجم البلدان

طبع معجم البلدان سنة ١٨٦٦ م في ١٢٨٣ هـ سته أجزاء منها واحد فهارس ، والآخر تعليقات ، وذلك في « ليبزج » بتحقيق المستشرق الالماني فستنفلد Westen Feld (١٨٠٨ ـ ١٨٩٩) وهذه الطبعة تعد احسن طبعات معجم البلدان ، لأنها اعتمدت على عدة نسخ خطية ، ولها فهرس عظيم .

وكتبنا القديمة ، وبخاصة اذا كانت كبيرة الحجم ، لا يستطاع الانتفاع بها انتفاعا حقيقيا ما لم يكن لها فهرس مفصل . ذلك ان فيها كثيرا من المعلومات والاسماء تأتي عرضا واستطرادا . والباحث قد يكون في أمسّ الحاجة الى هذه المعلومات والاسماء ، ولكن كيف يعثر عليها ، وكيف يرجع اليها عند الضرورة، ما لم يكن لها هذا الفهرس المفصل . لهذا كان كل كتاب من تراثنا يطبع بدون فهرس واف يصبح جناية عليه وعلى القارئين ، اذ لا يعقل ان نقرأ كتابا له عدة أجزاء بحثا عن نص تاله بين مئات الصفحات .

وطبع معجم البلدان أيضا بالقاهرة بمطبعة السعادة سنة ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥ م) في ثمانية مجلدات مضافا اليها مجلدان اسمهما « منجم العمران في المستدرك على معجم البلدان » جمع وترتيب السيد محمد أمين الخانجي الكتبي .

وليس لهذه الطبعة فهارس .

وآخر طبعه له في خمسة مجلدات صدرت في بيروت سنة ١٣٧٥ ـ ١٣٧٧ هـ ١٩٥٥ ـ ١٩٥٧ م عن دار بيروت ودار صادر . ومع حسن تنظيمها خلت من الفهارس ، ولو أن الناشرين فعلوا ذلك لانتفعوا ونفعوا .

بعض من طرائف معجم البلدان

بساق : بالضم وآخره قاف ، ويقال بصاق بالصاد : جبل بعرفات ، وقيل وادٍ بين «المدينة» و «الجار» .وكان لأمية بن حرثان بن الأسكر ابن اسمه كلاب ، اكتتبَ نفسَه في الجند الغازي مع ابي موسى الاشعري في خلافة عمر ، فاشتاقه ابوه ، وكان قد أضرّ (*) فاخذ بيده قائده ودخل على عمر وهو في المسجد فانشده :

أعاذلَ قد عذلتِ بغير قدْرِ
ولا تدرين ، عاذلَ ، ما ألاقي(٦)
فإما كنتِ عاذلتي فردّي
كلاباً إذ توجّهَ للعراقِ
فتى الفتيان في عُسْر ويُسْر
شديد الرُكْن في يوم التلاقي
فلاوأبيك ما باليْتُ وجدي
ولا شفقي عليك ولا اشتياقي
وإيقادي عليك إذا شتَوْنا
وضمّكَ تحت نحري واعتناقي
فلو فلَقَ الفؤادَ شديدُ وَجْدٍ
لَهمَّ سوَادُ قلبي بانفلاقِ

(٥) أضر صار ضريرا والضرير الاعمى ، والضرير أيضا : المريض المهزول .

(٦) أعاذل . يعني ياعاذلة ، وحذف الحرف الاخير في النداء يسمى الترخيم .

سأستعدي على الفاروق ربّا
له عَمَدَ الحَجيج إلى « بُساقِ »
وأدعو الله مُحتسبا عليه
ببطن « الأخشبَيْن » إلى « دُقاق »
إنِ الفاروق لم يَردد كِلاباً
على شيخين هامُهما زَوَاقي (٧)

فبكى عمر ، وكتب الى ابى موسى الاشعرى في رَدِّ كلاب الى المدينة ، فلما قدم دخل عليه ، فقال له عمر : ما بلغ من برّك بابيك ؟ فقال : كنت اوثره واكفيه أمْرَه ، وكنت اعتمد اذا اردت ان احلب له لبنا الى اغزر ناقة في ابله ، فاسمنها واريحها ، واتركها حتى تستقر ، ثم اغسل اخلافها حتى تبرد ، ثم احتلب له فاسقيه .

فبعث عمر الى ابيه فجاءه ، فدخل عليه وهو يتهادى وقد انحنى ، فقال له ، كيف انت يا ابا كلاب ؟ فقال : كما ترى يا امير المؤمنين ، فقال : هل لك من حاجة ؟ قال : نعم ، كنت اشتهى ان أرى كلابا فاشمّه شمة ، واضمه ضمة قبل ان اموت .

فبكى عمر وقال : ستبلغ في هذا ما تحب ان شاء الله تعالى .

ثم امر كلابا أن يحتلب لأبيه ناقة كما كان يفعل ويبعث بلبنها اليه ، ففعل ، وناوله عمر الاناء وقال : اشرب هذا يا ابا كلاب . فاخذه ، فلما أدناه من فمه قال : والله يا امير المؤمنين انى لاشم رائحة يدَيْ كلاب . فبكى عمر وقال : هذا كلاب عندك حاضر . وقد جئناك به . فوثب الى ابنه وضمه اليه وقبله . فجعل عمر والحاضرون يبكون. وقالوا لكلاب : الزم أبويك ، فلم يزل مقيما عندهما الى ان ماتا .

وهذا الخبر وان كان لا تعلق له بالبلدان فاني كتبته استحسانا له » .

ومثل آخر مما جاء به ياقوت عن مدينة بلط : بلط : وقال ابو العباس احمد بن عيسى التموزى وكان قد تزوج امراة من اهل بَلَط :

عَجِبْتُ مِن زَلَّتي ومِن غَلَطِي
لمّا رأيت الزواجَ في بَلَطِ
ومن حَماةٍ تَزيد شرّتُها
على كَريمٍ حِلْفِ الكِرام وَطِي
سُمِّيتِ زَهْراءَ بِاظّلامٍ ويا
تَارِكَةَ الجارِ غيرَ مغتبطِ
في وَجهها أَلْفُ عُقْدَةٍ غَضباً
عَلَيَّ حتى كأنني نَبَطِي

ومثل له آخر عن الخالصة :

الخالصة : قال ابو عبيد السكونى : بِرْكة خالصة بين الأجفر والخزيمة بطريق مكة من الكوفة ، على ميلين من الاغر . وبينها وبين الاجفر احد عشر ميلا . واظن خالصة التى تنسبت هذه البركة اليها هي الجارية السوداء التى كان بعض الخلفاء يكرمها ويلبسها الحلْي الفاخر ، فقال بعض الشعراء :

لقد ضاع شِعْري على بابكمْ
كما ضاع دُرٌ على خالِصَهْ

فبلغ الخليفة ذلك ، فامر باحضاره ، وانكر عليه بما بلغه منه .. فقال : يا امير المؤمنين ، كذبوا انما قلت .

لقد ضاءَ شِعْري على بابكم
كما ضاء درٌ على خالِصَهْ

فاستحسن الخليفة تخلصه منه ، وامر له بجائزة حسنة ، بعد ان اراد ان يفتك به . وبلغني ان هذه الحكاية حُوضِرَ بها في مجلس القاضى ابى على عبد الرحيم النيسابورى .. فقال : هذا بيت قُلِعت عيناه فابصر .

وهذا من لطيف الاختراع » . ■■

عبد الستار أحمد فراج

---

(٧) هامهما زواقى كناية عن موتهما ، أو قرب موتهما ومن اعتقاد العرب ان أرواحهم تصير هامة فتطير ، وزقا يزقو معناه صاح بصيح .



الضَّرِيرَة

■ ضَريرةٌ ! مَن لها والدَّهرُ عاداها إلاكَ ياواسعَ الألطافِ يرعاها
شريدة ! في مَطاوي الليلِ هائمةٌ شرابها الدمعُ ، والبأساءُ مأواها
تُحاذِرُ النَّاسَ والأنسامَ خائفةً كأنها مُجرِمٌ عن دَرْبِه تاهـا !
ضَجَّ الفراغ بها .. واليأسُ حطَّمها وخانها النُّطق ، في تنهداتِ شكواها
تقول في تمتماتِ الذُّلِ ما عجزتْ عنه اللُّغاتُ بمبناهـا ومعناهـا :
مَن يمسحُ الدمعةَ الخرساءَ قائمـةً عندَ المساكينِ .. أو مَن يسمع الآها ؟
حتى الدموعُ الحزانى .. لا رحيمَ لها وباسمِ ربِّك في العينين مجراها !
يارب ! حكمُكَ عدلٌ ، لامَردَّ له فارحمْ جهالتنا الكبرى ، وحُمَّاها
أيُّ العقابِ لغير الطيِّبين وقـد أغرقتَهم ،من غِنى الدُّنيا ، بنُعماها
ماذنبُها ؟ في رياض الطُّهر زنبقة جفَّتْ لبُعْدِ النَّدى والشوكُ أدماها
حرمتَها النُّورَ لماحاً .. أليسَ لها في الحُب حقٌّ .. فتهواها ونهواها ؟
كلُّ القلوبِ سواءٌ منك طينتُها لِمْ لا تكون بدُنيا الحظِّ أشباها ؟
لايُطفِئُ النارَ في الأكبادِ محرقةً إلاّ الذي بلهيب الحُبِّ أذكاهـا !

★★★

عيني فدَى النجمة الغرّاءِ حجّبها من السحائب منديلٌ فغطَّاهـا
أبهى الأشعة : نورٌ في البصيرة لا في العين .. خاطرةُ الإيمان أسناها !
ضَريرةٌ ! لو درتْ مافي الكِفاف غِنىً عن ذا الوجودِ ، لقالتْ : أشكُرُ الله ! ■■

بيروت ـ **انطون عيد**

أنباء الطب والعلم والاختراع

الأطفال
عندما يلعبون بالادوية السامة

● ۳۰ الف حادث تسمم و ۱۰۰۰ وفاة ، سنويا فى فرنسا بسبب الأدوية والمستحضرات المنزلية ، نحو ۹۰ فى المائة منها من الاطفال .

ان الطفل - اى طفل - يتميز بحب الاستطلاع . فباستكشاف كل شيء يراه ويمسكه بيديه . والطفل لا يقرأ التحذير الملصق فوق علب الأدوية وعلى زجاجات المستحضرات السامة ، فهو يمسك بها ، ويفتحها ، ثم يتذوق ما يجده بداخلها . من مواد سامة وقاتلة .

ولكن يبدو ان احدى الشركات الفرنسية ، قد توصلت لطريقة تخدع الصغار وترضى نزعة فضولهم فى نفس الوقت . فقد انتجت الشركة انبوبة طويلة من الالمونيوم منقسمة الى قسمين . القسم الأعلى صنع لخداع الطفل ، وذلك لسهولة رفع الغطاء عنه ، ليجد كمية من الحبوب التى لا ضرر منها ، فيتذوقها ثم يلقى بها جانبا لمرارتها . ولهذه الحبوب لون فاقع يلوث به الطفل ملابسه ، وينبه الأم الى ما فعل الطفل فتسرع اليه وتبعد عنه أنبوبة الحبوب . أما القسم الآخر من الأنبوبة فيحتوى على الحبوب الطبية التى قد تهدد حياة الطفل اذا تناولها . ولا يمكن رفع الغطاء عن هذا القسم الا بشفرة خاصة ، كتجميع عدد الارقام أو الحروف المعينة . اى نفس الطريقة التى تستخدم فى فتح الخزائن الحديدية الحديثة .

ان الشركة التى ابتكرت هذه الوسيلة ، تتوقع نجاحا واقبالا شديدا . فهناك اكثر من ۹۰ الفا من اصناف الادوية والمستحضرات التى تستخدم للاغراض المنزلية وكلها ضارة بصحة الاطفال اذا تناولوها ، وهذه الطريقة الجديدة ستضمن انقاذ الأطفال من هذا الخطر الذى يهددهم فى كل بيت .



الانبوبة الخادعة .. قسمها الاول لخداع الطفل ، وقسمها الثانى يحتاج « لشفرة » خاصة لرفع الغطاء عنه !!



فيل وتوأمان

● أحيانا تأتي الطبيعة لتغير الكثير من النظريات والظواهر العلمية التى يجمع عليها العلماء .

خبراء علم دراسة الحيوان ـ مثلا ـ اتفقوا على أن الفيل الانثى لا يمكن ان تلد أكثر من فيل واحد فى المرة الواحدة . ولكن احد العلماء واسمه « يونج » استطاع ان يفند هذه النظرية ، وان يقدم دليلا على ان الفيلة تلد التوائم . فقد حدث انه التقى فى الموطن الافريقى بفيلة حامل وتتبعها وراقبها حتى ولدت، وهو أثناء ذلك قام بتصوير أدوار الوضع كلها بعدسته السينمائية ، وقد عرض هذا العالم نسخ هذا الفلم على العلماء وفيه راى العلماء كيف أن الفيلة اخذت تتجهز للوضع بجمع الرمال لتصنع منها فراشا للمولود . وبعد ذلك ولدت الفيلة التوامين فكان هذا برهانا لا يدفع .

أبحاث العلوم البحتة كم تنتفع بها الصناعات

● ونعني بالبحتة خاصة تلك التي يقوم بها اصحابها من العلماء ، وليس أمامهم لها نفع في الصناعة ظاهر ثابت . انما يقودهم اليها حب المعرفة والشغف بالكشف عن المجهول .

ان الكشف عن المجهول قد يكون له قيم غير مادية ، ولكن الموضوع الذى نعالجه هو ما تعطيه الأبحاث العلمية ، غير الهادفة ، الى الصناعة من منافع ، وكم من منافع هي ، وكم تساوى هذه المنافع بالدنانير . وكم هي اذا نسبناها للنفقات التي انفقناها في تلك الأبحاث العلمية التي منها استفاد العمل الصناعي .

حاول قوم من العلماء القيام بهذا البحث بقصد ان يقنعوا الحكومات ، وهي القائمة اساسا بالنفقة على الأبحاث العلمية البحتة ، بزيادة من نفقة على هذه العلوم البحتة .

واتضح بعد قيامهم ، وبحثهم ، وتقديرهم ، ان هذا العمل من اشق الأعمال ، وان الموضوع من أعقد المواضيع ، ليس فقط في تقدير المبالغ التي صرفت على هذا الشيء وهذا الآخر ، من بحوث بحتة ، ولكن كذلك عما تلاه من نفقات ، هل كان هذا لاكمال بحث بحت او لتحويله الى تطبيقي . ثم تنويع النفقات التي انفقت من قبل ومن بعد . كل ذلك عقد المسالة تعقيدا ، جعل من غير المكن الوصول الى نتيجة نافعة .

وعاد منهم من يقول : اذا لم يخرج من هذا التقويم شيء ، فعلى الرجال المناصرين للبحوث العلمية البحتة ان يبنو اكبر حجتهم عند الحكومات، لا على الفائدة المادية التي تجنيها الصناعة من العلم البحت ، ولكن على الثروة البشرية التي تخرج من مختبرات العلم البحت ، من علماء ألوفا ألوفا ، يلتحقون بالصناعة فيكونون بها أخبر ، وبطرائقها ، وهي في الصميم علمية ، اعرف وعليها أقدر .

المبيدات الكيماوية والبرود الجنسي

● فوجىء عدد من المزارعين الانجليز ، باصابتهم بمرض واحد فى وقت واحد . وهم يشكلون فريقا من ٥ رجال يعملون معا فى رش المزارع بالمبيدات الكيماوية . وعلى الفور بدأ الأطباء يرجحون احتمال اصابة هؤلاء الرجال بالعجز الجنسي نتيجة لكثرة ملامستهم لتلك المبيدات الكيماوية السامة .

واكد هذا الاحتمال ان صاحب المزرعة التى يعمل فيها هؤلاء الرجال ، يقوم هو الآخر برش ارضه الزراعية بتلك المبيدات ، ولكنه فى نفس الوقت لا يشكو من الضعف الجنسى ، لا لشيء الا لأنه ينفذ تعليمات رجال وزارة الزراعة والاحتياطات الواجب اتخاذها عند استخدام تلك المبيدات . فهناك ملابس خاصة يرتديها الشخص الذى يقوم برش المبيدات وذلك لعزلها عن مسام جسمه . أما عماله فقد تبين انهم لم يحافظوا على أجسامهم ولم ينفذوا تعليمات وزارة الزراعة ، ولذلك فالاحتمال الأقوى لاصابتهم بهذا العجز الجنسي ، ينصب على ملامستهم لتلك المبيدات السامة !

وقد قام الأطباء بعزل هؤلاء الرجال عن المبيدات الكيماوية لفترة وكانت النتيجة ان ثلاثة منهم استعادوا قوتهم الجنسية الطبيعيه الا ان احدهم احتاج لمدة سنة كاملة قبل ان يشفى من علته .

بعد الشكوى من المطهرات مثل د.د.ت جاءت الشكوى من المضادات الحيوية تعطى للمواشي

● جرت عادة المزارعين الانجليز على حقن الدواجن والماشية بجرعات يومية من المضادات الحيوية (Antibiotigues) لانها تساعد على سرعة النمو . كما لاحظ المزارعون ان تلك العقاقير تسمّن الماشية رغم انها لاتفتح شهيتها للطعام . وبالتالى قلت المبالغ التى كان يصرفها المزارع على تغذية تلك الحيوانات قبل استخدام المضادات الحيوية .



ثم حدث ان لاحظ رجال الصحة فى انجلترا ظاهرة ازدياد عدد الاطفال الذين ماتوا فى ظروف غامضة . وبعد تشريح جثثهم تبين وجود كميات من المضادات الحيوية فى اجسامهم بدرجة ادت الى تسممهم . وتأكد رجال الصحة من ان هذه السموم دخلت اجسام الاطفال بسبب اكلهم لحوم الدواجن والماشية وشرب البانها .

لذلك حرمت الحكومة الانجليزية استخدام المضادات الحيوية لنمو المواشى والدواجن . وبذلك فقد المزارعون مكاسبهم ، ولكن عوض هذا على اطفال انجلترا ، وهم رجال الغد ، صحتهم .

قمر اصطناعي
لخدمة حلف الاطلسي

● تهتم دول حلف شمال الاطلنطي (Otan) باطلاق اقمارها الاصطناعية لخدمة اتصالاتها اللاسلكية فيما بينها ، سواء في زمن السلم أو في زمن الحرب ايضا . وقد اطلقت المنظمة أول تلك الاقمار في يوم ١٨ مارس ١٩٧٠ من قاعدة كيب كيندي في الولايات المتحدة الامريكية ، وقد حمل القمر الاصطناعي صاروخ من طراز (دلتا) ذي الثلاث مراحل .

وقد اتخذ هذا القمر الاصطناعي مكانا له على ارتفاع ٢٢ الف ميل اعلى المنطقة الشرقية من المحيط الاطلنطي ، يدور مع الارض كمثل دورانها فكانما هو مصباح معلق في السماء ثابت .

وقصروا مهمة القمر لتامين الاتصالات بين مقر قيادة المنظمة في مدينة بروكسل — عاصمة بلجيكا — وبين جميع عواصم الدول الاعضاء في حلف شمال الاطلنطي .

ولا يقتصر الهدف من وجود تلك الاقمار الاصطناعية ، على تامين الاتصالات العسكرية فحسب ، وانما لتمكين المشاورات السياسية بين رؤساء الدول الاعضاء وبالذات عندما يتطلب الامر رأيا سريعا وآمنا للتصرف في مشكلة مفاجئة قد تهدد امن دول المنظمة .

وقد اعدت لهذه الاقمار الاصطناعية ميزانية تبلغ ٥٠ مليون دولار اشتركت جميع الدول الاعضاء في دفعها واختيرت الولايات المتحدة مكانا لصناعتها .

اسماك « التونا » ..
في خطـر

● في آخر مؤتمر لمنظمة الصحة العالمية اعلن « فريدريك بل » F. Bell — من مكتب الصيد التجاري الأمريكي — ان سمك « التونا » مهدد بالانقراض ما لم تشترك جميع الدول في المحافظة على وجوده في البحار والمحيطات ! ولم يكتف « بل » بهذا وانما حدد مدة ٢٠ سنة لاستهلاك ضعف رصيد هذا النوع من الاسماك اذا ما استمر معدل الاستهلاك الحالي جاريا .. فالاقبال اليوم عظيم على صيد « التونا » ، واكلها .

وقد قدم « بل » احصائية تقول ان العالم استهلك مليونا و ٣٢٠ الف طن من



اسماك التونا في سنة ١٩٦٦ ، وان هذا الرقم سيصبح ٥ مليون طن خلال سنة ١٩٩٠ في حين ان رصيد سمك التونا في البحار لا يمكن ان يتعدى ٢ر٦ مليون طـن ! ●●

أبو بكر .. الطرطوشي (١)

وكتابه سراج الملوك

بقلم
عبد الله عنان

■ كان عصر الطوائف بالاندلس ، عصرا غريبا ، يمتاز من الناحيتين السياسية والاجتماعية بعدة خصائص تجعله عصرا قائما بذاته . فمن الناحية السياسية نرى الاندلس فى عصر الطوائف تنتثر الى دويلات عديدة ، متنابذة متنافسة ، يسودها الخلاف والتفرق ، وتشتبك فى حروب اهلية صغيرة لا نهاية لها . ونرى اسبانيا النصرانية ، تستطيل عليها ، وتتربص بها ، وتحاول أن تؤلب بعضها على بعض ، وان تنتزع منها ما استطاعت من القواعد والاراضى . ومن الناحية الاجتماعية ، نرى فى دول الطوائف مجتمعات منحلة ، يغلب عليها الضعف والخور ، والانهماك فى الترف ، وحياة المجون والدعة والاستهتار .

على أن أغرب ظاهرة تبدو خلال هذا الانحلال الشامل ، الذى كان يسود مجتمع الطوائف هو ان هذا المجتمع ، كان من الناحية الاخرى ، يبدو فى اثواب لامعة زاهية ، ويسطع بنهضة ادبية شاملة . وانها لظاهرة من أبرز ظواهر عصر الطوائف ان

---

(١) انظر العربى العدد ٢٦ يناير ١٩٦١ صفحة ٦٥ .

يكون معظم الملوك والرؤساء من اكابر الادباء والشعراء والعلماء ، وان تكون قصورهم منتديات زاهرة ، ومجامع حقة للعلوم والآداب والفنون ، وان يحفل هذا العصر بجمهرة كبيرة من العلماء والكتاب والشعراء الممتازين ، ومنهم بعض قادة الفكر الاندلسي والفكر الاسلامي بصفة عامة .

وفي عصر الانحلال هذا ظهر ابو بكر الطرطوشي

في هذا المجتمع المترف ، الذي يعشق متع الحياة المادية ، ومن بين هذه الجمهرة الحاشدة من ائمة العلوم والآداب ، ظهر مفكر أندلسي من نوع خاص ، يتخذ من أوضاع هذه الدول الصغيرة – دول الطوائف – ومن أحداثها وسياسة ملوكها مادة لتأملاته ، ويتأثر بها في تفكيره ويصوغ لنا منها مبادىء ونظريات خاصة .

هذا المفكر هو العلامة ابو بكر الطرطوشي ، وقد اودع نظرياته السياسية والاجتماعية كتابه الشهير المسمى « سراج الملوك » .

● قرأ ابن خلدون كتاب سراج الملوك ، قبل أن يكتب مقدمته الشهيرة ، وقال أنه بَوَّبَها على مثل أبوابه . ولكنه سبق فيها سبقًا كبيرًا .

نشأة الطرطوشي وتتلمذه لابي الوليد الباجي وتأثر بابن حزم القرطبي

وهو ابو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن ايوب القرشي الفهري الطرطوشي ، ويعرف بابن ابي رندقة . وله بثغر طرطوشة في ٢٦ جمادى الاولى سنة ٤٥١ هـ (يوليه ١٠٥٩م) وقد كانت طرطوشه يومئذ ثغر مملكة سرقسطة الاندلسية الاول ، وكانت مملكة سرقسطة تتمتع في ظل امرائها من بني هود ، بفترة من الازدهار والرخاء ، وكانت فوق ذلك مركزا من مراكز العلوم الاندلسية ، وكان بلاط بني هود منتدى للعلماء والادباء ، وكان امير سرقسطة في هذا الوقت الذي ظهر فيه الطرطوشي ، وتلقى دراسته الاولى ، هو المقتدر بن هود (٤٣٨ – ٤٧٤ هـ) . وكان من اكابر علماء عصره يشغف بدراسة الفلسفة والفلك والرياضة ، وله في ذلك كتب ضاعت ولم تصلنا . وكان من اكابر العلماء المنتمين الى بلاطه العلامة الكبير ابو الوليد الباجي امام عصره في الفقه وفي مسائل الخلاف ، فقصد الطرطوشي الى هذا المنهل الغزير ، وتلقى عن الباجي كثيرا من علمه ولا سيما مسائل الخلاف ، ولازمه اعواما خلال اقامته بسرقسطة وتأثر الطرطوشي في تفكيره وفلسفته الكلامية بتفكير هذا المفكر العظيم ، كما تأثر كذلك بتفكير صنوه وقرينه في غزارة الفقه ومسائل الخلاف والفرق ، العلامة ابن حزم القرطبي . وشهد في شبابه احداث دول الطوائف ، وشهد بالاخص احداث مملكة سرقسطة – وطنه – عن كثب ، وهي التي املت عليه فيما بعد بعض نظرياته السياسية والاجتماعية .

الطرطوشي في المشرق العربي

ورحل الطرطوشي الى المشرق في سنة ٤٧٦ هـ ، وهو فتى في نحو السادسة والعشرين من عمره ، وحج ، ثم قصد الى بغداد ، ودرس فيها على ابي بكر محمد بن احمد الشاشي وابي احمد الجرجاني وابي سعد بن المتولي ، وهم يومئذ ائمة الفقه الشافعي ، وتلقى في البصرة على أبي على التستري ، ثم رحل الى الشام واستوطنها مدة ، ودرس بها ، واشتهر يومئذ بغزير علمه وبعدصيته ، كما اشتهر بورعه وزهده ، وكان جم التواضع يعيش في شظف وتقشف ، بعيدا عن متاع الدنيا ومباهجها

ثم غادر الشام ونزل حينا ببيت المقدس ، يقرىء بها ، ثم غادرها الى مصر ، ونزل بالاسكندرية يسبقه صيته ، فهرع اليه الطلاب في كل صوب .

الطرطوشي في الاسكندرية مهبط رجالات الاندلس

وكان نزوله بالاسكندرية حول سنة ٤٨٨ هـ في بداية عهد الوزير الافضل شاهنشاه ابن بدر الجمالي ، وهو في نحو الثامنة والثلاثين من عمره ، وكانت الاسكندرية دائما مهبط علماء المغرب والاندلس المفضل ، فكان بها في نفس الوقت الذي نزل بها الطرطوشي ، مواطنه العلامة امية بن ابي الصلت الاندلسي المتوفى سنة ٥٢٩ ، ونزلها من بعده بنحو نصف قرن مواطنه العلامة المقرىء الشهير ابو القاسم الرعيني الشاطبي الضرير امام القراءات المتوفى سنة ٥٩٠ هـ ، وهو الذي اورث مصر علم القراءات ، ونزلها في منتصف القرن السابع الهجري العلامة الاندلسي المتصوف ابو العباس المرسي المتوفى سنة ٦٨٥ هـ . وغيرهم ممن لا يتسع المقام لذكرهم من علماء المغرب والاندلس .

خصومة بين الطرطوشي وقاضي الاسكندريه ابن حديد

وفي الاسكندرية ، استقر الطرطوشي ، واقبل عليه الطلاب ينهلون من علمه في الحديث والفقه ومسائل الخلاف ، ولم يمض سوى قليل حتى تزوج الطرطوشي من سيدة مصرية وانجب منها ، وذلك حسبما يحدثنا في كتاب سراج الملوك ، وبدا عندئذ يتذوق حياة الهدوء والدعة . ثم ذهب الى القاهرة واستقبله وزيرها الحاكم بامره الافضل شاهنشاه . وهو يحدثنا في كتابه المذكور عن هذه الزيارة ويقص علينا كيف قام بوعظ هذا الوزير القوى ، ونصحه بتقوى الله وطاعته ، وباقامة العدل ، وقمع الظلم ، والرفق بالرعية ، ولم يلبث عقب عوده الى الاسكندرية ان نشبت بينه وبين قاضيها مكين الدولة ابن حديد ، خصومة شديدة بسبب ماكان يثيره الطرطوشي من نقد حاد حول تصرفات هذا القاضي في شئون الاموال والمكوس والمغارم الظالمة وغيرها من التصرفات الادارية والقضائية . هذا فضلا عما كان يصدره الطرطوشي من فتاوى تثير الراى العام في بعض الشئون ، مثل قوله بتحريم الجبن الذي ياتي به الروم الى المدينة . وهذا فضلا عن حملاته المتكررة على كثير من العادات السائدة في المجتمع السكندري ، وهو ماكان ينعته الطرطوشي بالبدع المحرمة .

ولما ضاق القاضي ابن حديد واعوانه ذرعا بمسلك الطرطوشي ، بعثوا في حقه الى الخليفة بالقاهرة ، شكاوى وتقارير مرة ، صوروه فيها شخصا خطرا على النظام ، مثيرا للشغب في المدينة ، وبادر الافضل شاهنشاه فارسل الى والي الثغر ان يرسل الطرطوشي الى القاهرة ، فارسل اليها مع خادمه ، وادخل الى الافضل ، فلم يسىء مقابلته ، ولكنه امره بالاقامة في مسجد الرصد بالفسطاط حتى يبت في شانه وقرر له راتبا شهريا ضئيلا .

الطرطوشي في معتقله بالقاهرة

وقد كان ذلك فيما يبدو في بداية سنة ٥١٥ هـ ، فلبث الطرطوشي في هذا المعتقل بضعة اشهر حتى سئمت نفسه وغلب عليه الياس ، واضرب عن تناول الطعام الذي يشترى بنفقة السلطان ، وامر خادمه ان يجمع له شيئا من « المباح في الارض » فجمع له شيئا من النباتات ، تقوت به مدى ثلاثة ايام ، فلما كان عند صلاة المغرب في اليوم الثالث قال لخادمه « رميته الساعة » يقصد بذلك الافضل وتضيف الرواية الى ذلك ان الافضل قتل بالفعل في الغد ، وكان ذلك هو اليوم السابق لعيد الفطر في سنة ٥١٥ هـ « اواخر سنة ١١٢١ م » .

يعود الى الاسكندرية ويكتب كتابه سراج الملوك

وكان ذلك نذير الخلاص ، فعاد الطرطوشي الى الاسكندرية واستانف حياته السابقة حياة الدرس والاقراء . وبدا في نفس الوقت في كتابة مؤلفه « سراج الملوك » ، مهتديا في كتابته ، بمختلف الاحداث والتطورات ، التي شهدها بالاندلس في شبابه ، وشهدها في العراق والشام ومصر ، في كهولته ونضجه . وهو يخص بكتابه « الاجل المامون تاج الخلافة ، عز الاسلام ، فخر الانام ، نظام الدين ، خالصة المؤمنين ، ابا عبد الله محمد الاموى » ، يقصد بذلك الوزير المامون البطائحي ، الذي خلف الافضل شاهنشاه في الوزارة ، وقد

قصد الطرطوشي بالفعل الى القاهرة ، وقدم كتابه بنفسه الىالوزير ، واستقبله الوزير بمنتهى المودة والاكرام ، واغدق عليه عطفه ورعايته . وتحدث الطرطوشي بهذه المناسبة الى الوزير في بعض المسائل والشئون التى يراها مخالفه للشرع في نظره ، وقد حاول الوزير ان يرضى الفقيه ما استطاع بتحقيق وجهات نظره في بعض هذه الشئون .وعاد الطرطوشي بعد ذلكالىالاسكندرية ليستأنف حياته العلمية الهادئة .

محتويات كتابه

يتناول الطرطوشي في كتابه من الموضوعات ما يعتقد انه متفق مع العنوان الذى اختاره له ، وهو محاولة نصح الملوك وارشادهم وتوجيههم .

وهو يلخص لنا محتويات كتابه في مقدمته ، بانه جمع فيه ماانطوى عليه سير الامم السابقة وبالاخص ملوك الطوائف وحكماء الدول ، وانه وجد ذلك في ست من الامم وهم العرب والفرس والروم والهند والسند ، والسند هند ، وانه عمد في ذلك الى استعراض ما القاه في كتبهم منالحكم البالغة، والسير المستحسنة هذا الى ما رواه وجمعه في سير الانبياء وآثار الاولياء وبراعة العلماء وحكمة الحكماء ، ونوادر الخلفاء ، وما انطوى عليه القرآن العزيز .

ولنفصل بعض الشيء ، فنقول ان الطرطوشي يفتتح كتابه بالكلام عن الخصال التى يقوم عليها الملك ، وتلك التى تؤدى الى هدمه وعن الخصال المحمودة في السلطان ، والتى تمكن له ملكه،وتسبغ الكمال عليه ، ثم تلك التى توجب ذمه ، وعما يجب على الرعية اذا جنح السلطان الى الجور ، وعن صحبة السلطان وسيرته مع الجند ، وفي اقتضاء الجباية وانفاق الاموال .

اما تلك الخصال المحمودة في السلطان ، فهى العدل والتواضع والحزم والحذر والحلم ولين القول ، ويقترن بذلك الحديث عن خير السلطان وشره . ويحدثنا الطرطوشي خلال ذلك عن العقل والدهاء والمكر والصفات البشرية من الحلم والجود والشح والبخل والصبر وكتمان السر ، والشكر . ثم يحدثنا عن الظلم وسوء عواقبه وعن السعاية وقبحها ، وعن القصاص وحكمه ، ويقرن ذلك كله باخبار ملوك العجم وبعض الحكم المنثورة ، وكلام متنوع عن الملوك والانبياء والناس ، وعن الزهد والحكم والوصايا والعظات .

ثم يحدثنا الطرطوشي عن الوزراء وصفاتهم وادابهم ،وعن المشاورة والنصيحة وكونهما يعتبران من أسس الملك ، وعن قواعد السلطة ، يقرن ذلك كله بايراد الحكم والاخبار ، من اقوال الاسكندر ، وادشير ، وانوشروان وبزرجمهر . ويستانف الحديث بعد ذلك عن خصال السلطان وسيرته مع الجند ، وتصرفاته نحو الاموال والجباية والاقطاع، وعن سياسته نحو العمال ، ثم يحدثنا عن سياسة الخلافة نحو الذميين ، وعن احكام اهل الذمة وعن الجزية واحكامها ، وعن القضاة والعمال ، وعن الحروب وتدبيرها ، ويختتم بالتحدث عن اخبار ملوك العجم وحكاياتهم وحكم حكمائهم .

كتاب عالج موضوعه سابقون

تلك هى محتويات كتاب « سراج الملوك » . وانه ليبدو لاول وهلة ان الطرطوشي يعالج في كتابه ما اصطلح المفكرون المسلمون على تسميته بسياسة الملك او « السياسة الملكية » . ويقول لنا الطرطوشي في مقدمته « ان كتابه لم يسبق الى مثله اقلام العلماء » ولكن الواقع ان هذا الموضوع قد عالجه قبل الطرطوشي اكثر من مفكر مسلم . ويكفى ان نذكر هنا ان ابن قتيبة الدينورى المتوفى سنة ٢٣٦ هـ قد عالجه كتابه « عيون الاخبار » وعالجه « اخوان الصفا » في اواسط القرن الرابع في بحوثهم المتعلقة بالسياسة ، ثم عالجه ابو الحسن الماوردى المتوفى سنة ٤٥٠ هـ في كتابه « الاحكام السلطانية » وفي رسالته عن « الوزارة وسياسة الملك « . ولكن الطرطوشي يمتاز على اسلافه بالتوسع والافاضة وبانه طرق بعض ابواب لم تطرق من قبل .

والحقيقة ان كتاب « سراج الملوك » هو اكبر مؤلف من نوعه منحيث ضخامة مادته ، وتنوع موضوعاته ، ولكن الصفة الدينية تغلب على اسلوبه ، ولا نقول الصفة الفقهية ، وهى التى تغلب على بحوث الماوردى في كتاب « الاحكام السلطانية » . ثم هو يتخذ على الاغلب صورة الوعظ ، ويتضمن كثيرا من الاحاديث والحكم والاقوال المأثورة ، وهو يورد موضوعاته مستقلة متباعدة ، ينقصها الربط والتنظيم .

ابن خلدون يتحدث عن كتاب الطرطوشي وعن شبه بينه وبين مقدمته هو

ومع ذلك فان الطرطوشي يذهب في بحوثه الى آفاق جديدة لم تخطر لأسلافه الذى عالجوا قبله موضوع السياسة الملكية . فهو يحاول في بعض نظراته ان يستقرىء ـ احداث عصره وخواصه، وان يستخرج منها بعض المبادىء الاجتماعية ، على نحو ما فعل ابن خلدون فيما بعد ، حيث جعل من المجتمع كله ومن تاريخه مادة لتأملاته . ويصارحنا ابن خلدون نفسه في مقدمته بان الطرطوشي كاد ان يطرق نفس موضوعه وانه « قد حوم في كتاب سراج الملوك وبوبه على ابواب تقرب من ابواب كتابه ومسائله » ثم يضيف الى ذلك قوله « لكنه لم يصادف فيه الرمية ولا اصاب الشاكلة ، ولا استوفى المسائل ، ولا اوضح الأدلة ، انما يبوب الباب للمسألة ، ثم يستكثر من الأحاديث والآثار .. وكأنه حوم على الغرض ، ولم يصادفه ولا تحقق قصده » . والواقع ان ابن خلدون يعالج في مقدمته بعض الموضوعات التي يعالجها الطرطوشي في كتابه مثل الدواوين ، ومذاهب الحروب ، وعواقب الظلم ، واستظهار صاحب الدولة بالموالي والمصطنعين وشئون الجباية والمكوس وغيرها ، ولكنه ينحو في العرض والتدليل منحى آخر ولا نلمس في كتاب الطرطوشي اثر ذلك المذهب الاجتماعي المبتكر الذى يسيطر على بحث ابن خلدون من مبدئه الى منتهاه .

جند الدولة من يكونون خلاف بين الطرطوشي وابن خلدون

ولقد تأثر الطرطوشي في عرض نظرياته الاجتماعية بالاخص بما شاهده في وطنه ـ الاندلس ـ من احداث وتطورات غير عادية ، فهو قد عاصر ايام الطوائف بالاندلس ، وقضى شطرا من شبابه في مملكة سرقطة ، احدى دول الطوائف في ظل بني هود ، وشهد عن كثب اساليب ملوك الطوائف ، في تدعيم سلطانهم ، وحشد جيوشهم ، وانفاق اموالهم ، وكان من ابرز نظريات الطرطوشي في ذلك ، ان عصبية الدولة او قوتها الحامية ، انما تقوم على الجند ، قبل المال ، وان الأموال يجب ان تنفق على الاستكثار من الجند ، وان خير ما يدعم هذه « العصبية » « هم الجند اهل العطاء المفروض مع الاهلة » اى الجند المرتزقة الذين يتناولون اجورهم كل شهر . ويعارض ابن خلدون هذه النظرية ، ويقول انها لاتنطبق على الدولة في اولها ، وانما تنطبق على الدولة في نهاية عهدها ، بعد التمهيد واستقرار الملك ، واستحكام الصبغة، وان الطرطوشي قد ادرك الدولة الهودية (مملكة سرقسطة) عند هرمها ، ورجوعها الى الاستظهار بالموالي والصنائع ، ثم الى المستخدمين من ورائهم بالاجر على المدافعة ، وادرك دول الطوائف ، وذلك عند اختلال الدولة الاموية وانقراض عصبيتها من العرب ، واستبداد كل امير بقطره وعاش في ظل بني هود بسرقسطة ، ولم يكن بقي لهم من امر العصبية شيء ، لاستيلاء الترف على العرب منذ تلثمائة من السنين وهلاكهم ، ولم ير الا سلطانا استبد بالملك عن عشائره ، وقد استحكمت له صبغة الاستبداد منذ عهد الدولة وبقية العصبية، فهو يستعين على امره بالاجراء من المرتزقة .

والظاهر ان الطرطوشي قد تأثر تأثرا شديدا بما شهده من اعتماد بني هود في حماية ملكهم على معاونة الجند النصارى ، ولاسيما ايام السيد الكمبيادور ، وسعيهم الى شراء هذه المعونة بالمال اينما استطاعوا ، منذ ابتداء دولتهم حتى نهايتها. وقد كان ذلك في نفس الوقت شأن كثير من ملوك الطوائف الآخرين .

كره الطرطوشي جمع الملوك المال للترف وكان حقه ان يجمع للجند لتحمي البلاد

ويرى الطرطوشي أن من اسباب ضعف المسلمين بالاندلس ، هو اهتمام ملوكهم بجمع المال وعدم انفاقه على اعداد الجند ، ويقول لنا أن الدفاع في الرجال لا في المال ، وانما يدفع بالاموال بواسطة الرجال ، ويعبر عن ذلك بقولة انه لاشك أن بيت رجال خير من بيت مال . وقد تأثر الطرطوشي في صوغ نظريته بما شهده لدى ملوك الطوائف من شدة اهتمامهم بجمع الاموال من رعاياهم ، وانفاقها قبل كل شيء على حياتهم المترفة ، وعلى انشاء القصور الفخمة واقتناء الغلمان والجوارى ، واهمال قضية الدفاع القومى ، والاستعانة عند الضرورة بحشد المرتزقة النصارى ، وقد كانت تحشد في معظم الاحيان ، لتحقيق المشاريع العدوانية ، ومباشرة الحروب الاهلية التى كان ينزلق اليها ملوك الطوائف باستمرار ، والتى كانت كذلك من اسباب ضعفهم ، وعدم التفاتهم الى قضية الدفاع

القومية الاصيلة ، وهى الوقوف فى وجه العدو الخالد ، اسبانيا النصرانية ، ومحاولة التعاون على كبح عدوانها ، واطماعها فى انتزاع اراضيهم ، والقضاء عليهم ، وعلى سائر تراثهم القومى .

المال للجند ، ام للعلماء ؟

ويحبذ الطرطوشى كذلك ، انفاق السلطان للمال فى سبيل العلم والعلماء ، ويعتبر ذلك ايضا من دعائم الملك ، والدولة ، ويستشهد على ذلك بقصة الوزير الشهير نظام الملك مع ملكه ابى الفتح ابن الب ارسلان ملك الترك ، فقد احتج هذا الملك على وزيره بضخامة ما ينفقه من الاموال على دور العلم والعلماء واهل الصلاح والفقراء ، فى سائر انحاء المملكة ، او بعبارة اخرى على من لا ينفع ولا يغنى من الناس ، وانه كان من الافضل لو ان هذه الاموال انفقت على اقامة جيش يوجه لافتتاح قسطنطينية ، فاجابه نظام الملك بانه ينفق هذه الاموال على ما يسميه بجيش الليل « ، وان هذا الجيش متى نامت جيوش الملك ، يقوم جنده صفوفا بين يدى ربهم يرسلون دموعهم ، ويطلقون بالدعاء السنتهم للملك ولجيوشه ، وان الجيوش السلطانيةانما تعيش فىخفارة هذا الجيش الروحى، وتبيت بدعائه وترزق ببركاته ، وقد بكى الملك لشرح وزيره بكاء شديدا ، وغمره بعبارات الشكر والرضى ، وطلب اليه ان يكثر من هذا الجيش المعون .

وتقف معظم نظرات الطرطوشى النقدية والاجتماعية ، عند احداث وطنه ـ الاندلس ـ او بعبارة أخرى عند احداث ممالك الطوائف ، التى عاصرها فى اواخر عهدها ، والتى كانت مملكة سرقسطة وطنه الاصلى ،نموذجا بارزا من نماذجها. ولانكاد نجد بعد ذلك في عرض الطرطوشى ، غير السير والحكم والمواعظ ، وهى التى تغلب حسبما اسلفنا على محتويات كتابه .

الطرطوشي يفتي يوسف بن تاشفين بغزو ملوك الطوائف

وقد بلغ الطرطوشى فى اواخر حياته ، كفقيه من اقطاب الفقه المالكى ، مرتبة الامامة ، ومن ثم فانا نرى عاهل المرابطين امير المسلمين يوسف بن تاشفين يطلب رأيه وفتواه ، الى جانب الامام ابى حامد الغزالى ، فى اخطر شئونه السياسية والعسكرية ، ومن ذلك مشروعه فى خلع ملوك الطوائف وافتتاح ممالكهم ، باعتبارهم خارجين على احكام الشريعة والدين ـ وهو ماافتى به فقهاء المغرب والاندلس ، وقد أيد الطرطوشى هذه الفتوى ، ونفذ امير المسلمين مشروعه بافتتاح ممالك الطوائف والاستيلاء على الاندلس ، وضمها على امبراطوريته الكبرى .

وكان الطرطوشى فوق تضلعه فى الشريعةومسائل الخلاف ، اديبا بارعا وشاعرا محسنا ، ومن شعره قوله فى الغزل الروحى وهو من اجمل شعره :

اقلب طرفى فى السماء ترددا
لعلى أرى النجم الذى انت تنظر
واستعرض الرّكبان من كل وجهة
لعلى بمن قد شم عرفك اظفر
واستقبل الارواح عند هبوبها
لعل نسيم الريح عنك يخبّر
وامشى ومالى في الطريق مآرب
عسى نغمة باسم الحبيب تذكر
والمح من القاه من غير حاجة
عسى لمحة من نور وجهك تسفر

وقوله فى الرشوة :

اذا كنت فى حاجة مرسلا
وانت بانجازها مغرم
فارسل بأكمه خلابة
به صمم اغطش ابكم
ودع عنك كل رسول سوى
رسول يقال له الدرهم

مؤلفات له أخرى

وللطرطوشى غير سراج الملوك ، عدة مؤلفات ورسائل اخرى ،فى التفسير والفقه والوعظ ، تربى على العشرين وقد انتهى الينا الكثير منها .

وفاة الطرطوشي بالاسكندرية

وتوفى الطرطوشى بثغر الاسكندرية فىالسادس والعشرين من جمادى الاولى سنة ٥٢٠ هـ (يونيه سنة ١١٢٧ م) فى التاسعة والستين من عمره « ودفن بمقبرة وعلة قريبا من البرج الجديد ، قبلى الباب الاخضر » ، وقد عرف قبره فيما بعد ، واقيم عليه مسجد يسمى بمسجد الطرطوشى ، وهو مايزال قائما حتى اليوم . ■■

محمد عبد الله عنان



فنان أصيل !

● بكى جورج بومبيدو رئيس جمهورية فرنساالحالى عندما جاءوا اليه يوما في عام ١٩٤٧ ، يقولون له : « لقد مات صديقك بييربونارد Pierre Bonnard » .

وقال بومبيدو : « لقد كان فنانا اصيلا ! »ثم جلس بومبيدو بعد ذلك يروى قصة ذلك اليوم الذى قادوا فيه هذا الرسام الكبير الى مركزالشرطة فى باريس عندما وجدوه يحوم حول احدى لوحاته المعروضة في متحف جرينوبل Grenoble.

قال بومبيدو : « لقد شاهد حارس المتحف رجلاضئيلا رث الثياب يرتدى معطفا ملطخا بالالوان ويقف على مقربة من احدى اللوحات النادرة .وقد حمل فرشاته والوانه في يده . وراح يعبث بها في احد اركان هذه اللوحة النادرة » !

« وامسك الحارس بتلابيب الرجل الذى حاول جاهدا ان يؤكد له انه ليس هناك ما يدعو الى الازعاج وان كل ما في الامر انه اكتشف ان لوحتهفي حاجة الى اعادة طلاء بعض اجزائها » !

« ولكن الحارس رفض ان يصدق أن هـذا « الصعلوك » هو بونارد ، ونادى الشرطى فحمله الى اقرب مركز للشرطة » !

ولم ينقذ بونارد من المبيت ليلة على الاقل في الحجز ، سوى زوجته ، فقد طلب الى الشرطة ان تدعوها وجاءت الزوجة ، وما كادت ترى زوجها حتى ارتمت بين ذراعيه !!

ولم يغضب برنارد ولم يحتج ، وكان كل ما فعله ان قال للضابط وهو يودعه : « الآن فقط تأكدت من آن لوحاتى في آيد آمينة » !!



كيدهن

● وقف ونستون تشرشل السياسي البريطاني الراحل يتحـدث في مجلس العموم البريطاني ويحمل حملة شعواء على النائبة العمالية ليدى استور Lady Astor اول سيدة تنتخب عضـوا في البرلمان الانجليزى (١٨٧٩ - ١٩٦٤) .

وتوقع تشرشل من النائبة ان تقف وتدافع عن نفسها ، ولكنها لم تفعل .. وراح يبحث عنها بين مقاعد النواب ، واذا به يفاجأ بالسيدة جالسة في هدوء ،وقد تدلت راسها فوقصدرها..ووجد تشرشل في هذا المنظر فرصة ذهبية للنيل مـن النائبة التى كانت له دائما خصما عنيدا ، فما



الحرية .. والماء !

● جان جاك روسو Jean Jacques Rousseau الفيلسوف والكاتب السياسي الفرنسي (١٧١٢ - ١٧٧٨) ترك بلاده ، هربا من الاضطهاد والظلم والعبودية ، تلك التى كانت سائدة في فرنسا قبل نشوب ثورتها الكبرى ، وسافر الى انجلترا ، حيث اتخذ منها منفى له ..

وفي انجلترا وضع روسو كتابه « اعترافات » Confessions ، وقد سجل فيه مشاعره وهو يتنسم لاول مرة نسمات الحرية. قال روسو بعد ان انهى كتابه : « ان الحرية هي الحياة ، ولكنها ليست كالماء ، فهي ذات طعم ولون ورائحة .. وقد وجدتها في كل شيء من حولى .. في الماء الذى اشربه وفي الطعام الذى املا به جوفي ، وفي الهواء الذى يدخل صدرى ! وجدتها في الطيور التى تغرد سعيدة في الربيع ، وفي الاشجار والزهور التى تملأ الجو بعبيقها .. وفي الوجوه المشرقة الباسمة التى التقى بها على الطريق ، حتى تلك التى يعلوها التراب الاسود في مناجم الفحم .. ولكن اليس غريبا ان ينعم الانجليز في بلادهم بالحرية فيقدسوها ، بينما ينكرونها على غيرهم من شعوب الارض » .

لقد صدقت ياروسو وكلمتك هذه صدقت في القرن الثامن عشر كما صدقت في القرن التاسع عشر كما صدقت في القرن العشرين !

تمثال ايمرسون !

● كان احد كبار النحاتين يصنع تمثالا نصفيا للفيلسوف الامريكي ايمرسون Emersc (١٨٠٣ - ١٨٨٢) وفي احدى الجلسات معه فوجىء النحات بالفيلسوف الكبير ، يترك مقعده ويتجه في هدوء الى التمثال الذى كان العمل فيه قد اوشك على الانتهاء ..

ووقف ايمرسون امام تمثاله وجها لوجه ، وطالت وقفته وهو يتامله ويدور حوله والنحات يقف على مقربة منه ، وقد تعلقت عيناه بوجه ايمرسون ، في انتظار اية اشارة توحي بالاثر الذى تركه التمثال في نفسه .. واخيرا لاح شبح ابتسامة باهتة على وجه الفيلسوف .

وهنا تنفس النحات الصعداء ، فقد ايقن ان التمثال قد اعجب صاحبه !

وتكلم ايمرسون ، فقال : « انه تمثال جميل لا شك في ذلك ، ولكن اخشى ما اخشاه ان يزداد الشبه بيني وبينه في الجلسات المقبلة فيتحول هذا الجمال الى قبح . لماذا لا تترك العمل فيه حيث هو الآن » ؟

وكان له ما اراد ، فقد حمل ايمرسون التمثال الى بيته ، ووضعه وراء مكتبه ، وكتب تحته العبارة التالية : « تمثال نصفى جميل .. تمنيت لو انه كان تمثالى » !

عظيم !

كان منه الا ان رفع اصبعه مشيرا اليها ، وقال وهو يبتسم ابتسامة عريضة :

« انظروا ايها السادة النواب .. انني اسمع صوت شخيرها من هنا !! » .

ولم يكمل تشرشل حديثه ، فقد قفزت ليدى استور من مقعدها لتقول له : « ليتني كنت نائمة حقا .. ولكن يبدو انك نسيت ان نعيق الغربان لا يمكن ان يتحول ابدا الى موسيقى هادئة تساعد على النوم !! » .

قال تشرشل يصف هذه الواقعة في مذكراته : « هذه هي المرة الوحيدة التى احسست فيها بهزيمتي امام تلك المراة ! » .

الزواج المؤقت

بقلم : الدكتور محمود سلام زناتى
الاستاذ المساعد لتاريخ القانون ـ جامعة اسيوط

■ نقصد بالزواج المؤقت الزواج الذى تحدد له منذ انعقاده مدة معلومة ينتهى بانتهائها .

فى المجتمعات القبلية

والزواج بهذا المعنى لا وجود له، الى حد علمنا، في المجتمعات القبلية . فقد أتيحت لنا فرصة الاطلاع على تقاليد عدد غير قليل من القبائل في افريقية وآسيا وغيرها ولم نصادف قبيلة واحدة يجرى فيها العرف بعقد زيجات مؤقتة . حقا ان الرابطة الزوجية تبدو،في بعض المجتمعات القبلية، ضعيفة واهية بحيث يتتابع الزواج والطلاق بكثرة. لكن الزواج ، على كل حال ، لا يضرب له اجل ينقضي بحلوله بل يفترض فيه الدوام . وحقا ان بعض المجتمعات القبلية يعرف مواسم معينة او مناسبات خاصة يباح فيها للازواج والزوجات الاتصال جنسيا بغير ازواجهم . لكن مثل هذه العلاقات لايشكل زيجات مؤقتة بل ينطوى بالأحرى على تحلل مؤقت من قيود الزواج .

فى المجتمعات المدنية القديمة

وعلى العكس من ذلك هناك من الشواهد ما يشير الى ممارسة هذا الزواج فى أكثر من مجتمع من المجتمعات المدنية القديمة . والزواج المؤقت ، كما تكشف عنه دراسة قواعده في هذه المجتمعات ، يبدو لنا في صورة زوجية ادنى مرتبة من الزواج العادى . فالزواج المؤقت والزواج العادى يشكلان نوعين متميزين من الزواج . والقاعدة ان شروط انعقاد الزواج المؤقت لا تبلغ في شدتها شروط الزواج العادى . والقاعدة ايضا ان آثار الزواج المؤقت ادنى فى اهميتها من آثار الزواج العادى .

وقد نتساءل عن أسباب وجود هذا الزواج في المجتمعات المدنية القديمة. وفي اعتقادنا ان لظهوره بها اكثر من سبب .

فى المجتمعاتالتى تطلب الكفاءة فى الزواج

ففى هذه المجتمعات تعطى للكفاءة في الزواج اهمية بالغة . ففى بعضها يحرم القانون الزواج بين افراد الطبقة العليا وافراد الطبقة او الطبقات الدنيا . والزواج الذى ينصب عليه التحريم هو الزواج المألوف الذى يفترض فيه الدوام ، والذى تتحقق بالنسبة له حكمة تحريم الزواج المختلط . فاذا لم يقصد بالزواج ان يكون رابطة دائمة وانما مجرد علاقة مؤقتة لم ينطبق التحريم . وحتى في الاحوال التى لا يحرم فيها القانون الزواج المختلط، فان أفراد الطبقة العليا لا يتقبلون في الاعم الأغلب على الزواج بافراد من طبقة ادنى . واذا فعل احدهم ذلك أسخط طبقته والحق العار بنفسه وقرابته . فاذا لم تكن الرابطة بين الرجل والمراة زواجا بالمعنى الصحيح بل مجرد علاقة موقوتة لم يكن من شانها أن تثير سخطا او تلحق عارا .

وزواج المتعة فى الإسلام

فاحد الأسباب الباعثة على وجود الزواج المؤقت هو اذن التفاوت الاجتماعى كمانع للزواج سواء كان هذا المانع قانونيا أم مجرد مانع عرفي . فالزواج المؤقت يتيح للرجل أن يعاشر معاشرة الأزواج امراة لا يسمه الزواج منها زواجا دائما لان القانون يمنعه او لان تقاليد طبقته تستنكفه .

وعند السفر والاغتراب

على أن التفاوت الاجتماعى ليس بالسبب الوحيد . فهناك أيضا السفر والاغتراب الذى يصبح في المجتمعات المدنية اكثر شيوعا منه في المجتمعات القبلية . فالتجارة التى تزدهر في المدن تدفع من يمارسها من الرجال الى الانتقال لجهات بعيدة عن أوطانهم والاقامة فيها فترات قد تطول . والحروب التى تحدث في هذه المجتمعات تستتبع انتقال الجند الى مناطق بعيدة عن مدنهم وقراهم وقد تمتد غيبتهم سنين . كذلك طلب العلم قد يدفع بالرجل الى الاقامة في مدينة غريبة وقتا يطول أو يقصر . وفي مثل هذه الأحوال يشعر الرجل بالحاجة الى امراة تؤدى له ما تؤديه النساء من خدمات طيلة بعده عن اهله ووطنه . ومن ثم تكون الظروف مهياة لظهور نوع من الزواج لا يفرض ما يفرضه الزواج العادى من اعباء ولا تكون له ما لهذا الأخير من آثار .

الزواج فى مصر فى العهد البطلمى

ومن المجتمعات القديمة التى عرفت هذا النوع من الزواج مصر ابان العصر البطلمى وربما في العصور السابقة أيضا . فوثائق الزواج التى ترجع الى العصر البطلمى تشير الى وجود نوعين من الزواج، احدهما تصفه النصوص الاغريقية بالزواج المكتوب او المقترن بوثيقة (جاموس انجرافوس *Gamos Engraphos* . وثانيهما الزواج غير المكتوب او غير المقترن بوثيقة (جاموس اجرافوس *Gamos Agrapho.* . ويتفق الباحثون في ان الزواج المقترن بوثيقة هو الزواج الكامل الصحيح أو هو الزواج العادى . لكنهم في تحديد طبيعة الزواج الثانى يختلفون . فيرى فيه بعضهم زواجا لا كالزواج العادى وانما زواجا ادنى مرتبة (١). بينما لا يرى البعض الاخر فيه سوى رابطة من قبيل التسرى (٢) .

ورغم قلة المعلومات التى لدينا عن الزواج غير المقترن بوثيقة ، فان باستطاعتنا أن نتعرف على جوهره . فهذا الزواج، على خلاف الزواج العادى،

(١) يصف فريزيه *Frese* مثلا الزواج غير المقترن بوثيقة بانه زواج تجربة (*Probeehe*) بينما يصف الزواج المقترن بوثيقة بانه الزواج الكامل .

انظر *Frese Aus dem Gräeko — ägyptischen Rechtsehen P. 38* .

(٢) من هؤلاء زايدل فمن رأيه انه حيث تتحدث النصوص الاغريقية عن جاموس اجرافوس فليس المقصود بذلك زواجا وانما مجرد تسرى . اما جاموس اجرافوس فهو على العكس الزواج الصحيح المعترف به سواء من قبل القانون ام المجتمع انظر *Seidl, Ptolemaische Reshtsgeschte, P. 76.* .

لا يقترن بوثيقة تنظم العلاقات المالية بين الزوجين. واذا كان الغالب في هذا الزواج عدم تحديد أجل له وامكان انحلاله في أي وقت ، ففي بعض الحالات يتفق الطرفان على تحديد مدة معينة له ينتهي بانتهائها . ففي احدى البرديات *P. Oxy, II,267* نجد هذه المدة وقد حددت بخمسة شهور . واذا كان المألوف عقد هذا الزواج لمدة قصيرة فاننا نصادف حالات استمر فيها الزواج مدة سبع سنين بل اكثر . وهناك حالة لزواج من هذا القبيل يلتزم فيها كل من الزوجين بان يدفع للآخر تعويضا اذا طلقه قبل انقضاء المدة المتفق عليها .

يبين مما سبق ان الزواج الذي تصفه النصوص الاغريقية بانه زواج غير مقترن بوثيقة هو في جوهره زواج مؤقت . يدل على ذلك ما تشير اليه بعض الوثائق من تحديد مدة معينة له . ويدل على ذلك ايضا عدم تحرير وثيقة به . ففي الزواج العادي الذي يفترض فيه الدوام كان من اللازم تحرير وثيقة تتضمن بيانا لما ستكون عليه العلاقات المالية بين الزوجين من تقديم الزوجة بائنة لزوجها او انشاء مجموعة مشتركة من الاموال بينهما او الاعتراف لاولاد الزوجة بحقوق معينة على اموال زوجها . ومثل هذا التنظيم يكون له ما يبرره اذا كان المقصود للزواج ان يكون دائما . ولكن اذا قصد له ، منذ البداية ، ان يكون مؤقتا لم يكن ثمة مبرر لهذا التنظيم او داع اليه .

على ان الوثائق الخاصة بهذا الزواج لم تفصح لنا عن جوانبه الاخرى ، وبخاصة مصير الاولاد المولودين منه . ومع ذلك فان من الممكن القول بان الأولاد الناتجين من هذا الزواج كانوا يبقون مع امهاتهم . وتلك نتيجة نستخلصها من طبيعة الزواج المؤقتة ومن كونه يعقد عادة بين نساء ورجال لا ينتمون الى نفس المدينة أو البلد .

وقد اختفى هذا النوع من الزواج في مصر ابان العصر اللاحق تحت تاثير القانون الروماني من جهة، وتحت تاثير الديانة المسيحية من جهة أخرى. فالقانون الروماني لم يكن يعترف بمثل هذا الزواج . وعندما منحت الجنسية الرومانية لرعايا الدولة من غير الروم صار القانون الروماني واجب التطبيق عليهم ، وكان من الطبيعي ان يؤدي تطبيق هذا القانون الى اختفاء الزواج المؤقت . كذلك لا بد ان انتشار المسيحية ، وهي ترى في الزواج رابطة دائمة لا انفصام لها ، قد اسهم في القضاء على هذا الزواج .

الزواج في العراق قديما

وهناك ايضا من الدلائل ما يشير الى ان هذا الزواج كان معروفا في العراق القديم . فقانون حمورابي يفرق بين نوعين من الزوجات : الزوجة التي اقترن زواجها بوثيقة (عقد زواج *iksatum* وهي الزوجة التي يطلق عليها اسم اشات اويليم *Assat Awilim* . والزوجة التي لم يقترن زواجها بعقد مكتوب وهذه تعتبر امراة متزوجة لكنها ليست زوجة (٣). فالزوجة بالمعنى الصحيح هي اذن الزوجة التي بين يديها عقد زواج يقر لها بوضع الزوجة وينظم علاقاتها المالية بزوجها . اما المراة التي ليس بيدها عقد زواج من هذا القبيل فهي امراة متزوجة لكنها ليست زوجة بالمعنى الصحيح . ومن المحتمل ان هذا الوصف الاخير كان ينصرف ، بين ما ينصرف اليه ، الى المراة التي تكون طرفا في زواج مؤقت .

الزواج في فارس قديما

كذلك الحال في بلاد فارس فهناك ما يفيد أن اهلها كانوا ، زمن الساسانيين ، يمارسون الزواج المؤقت . فقد وصف كريستنسن في مؤلفه « ايران في عهد الساسانيين » صورة من صور هذا الزواج بقوله : « وفي وسع الزوج ان ينزل عن زوجته او احدى زوجاته ، ولو زوجة ممتازة ، الى رجل آخر قد وقع في الفاقة بغير تقصير منه ، وذلك ليستغني بعملها . ولم يكن قبول الزوجة ضروريا. وفي هذه الحالة لا يستطيع الزوج الثاني ان يتصرف في اموال الزوجة ، والاطفال الذين يولدون من هذا الزواج المؤقت ينسبون لاسرة الزوج الاول ويعتبرون ابناءه . وهذا الاتفاق كان يتم بعقد قانوني يتعهد بمقتضاه الزوج المؤقت ان يقوم برعاية زوجه طوال هذا الزواج الثانوي . وهذا العقد من قبيل الاحسان على اخ في الدين معوز (والقاب الزوج والزوجة في البهلوية هي

---

(٣) انظر *Driver and Miles, The BabylonianLaws, Vol. Z, P.245* .

شوز و زن) اما الزوج المؤقت والمرأة التى تعطى له كأنها مؤجرة فان التعبير الفقهي قد اطلق عليهما اصطلاحين آخرين هما مرك وزياك » (٤) .

واذا كان من الجائز للرجل ان يتزوج زواجا مؤقتا من امرأة هى زوج لآخر ، فلا بد انه كان من الجائز ايضا ان يتزوج الرجل زواجا مؤقتا من امرأة ليست متزوجة اصلا .

شرائع الشرق قبل الاسلام

يتضح مما سبق ان الشرائع التى كانت ، قبل الاسلام ، سائدة في منطقة الشرق الاوسط لم تكن تقف من الزواج المؤقت موقفا متماثلا . ففى الاقاليم الخاضعة لدولة الروم لم يكن هذا الزواج ممارسا او مسموحا به . بينما كان في فارس والاقاليم التابعة لها معروفا وجائزا .

زواج المتعة

ومن الثابت ان الزواج المؤقت او زواج المتعة كان معروفا عند العرب زمن النبي (صلعم) فقد روى مسلم عن ابن مسعود انه قال « كنا نغزو مع رسول الله (صلعم) ليس لنا نساء فقلنا الا نستخصى فنهانا عن ذلك ثم رخص لنا ان ننكح المرأة بالثوب الى اجل » . وعن جابر بن عبد الله « كنا نستمتع بالقبضة من التمر والدقيق الايام على عهد رسول الله (صلعم) » : وعن سبر الجهنى « اذن لنا رسول الله (صلعم) بالمتعة . فانطلقت انا ورجل الى امرأة من بنى عامر كأنها بكرة خيطاء . فعرضنا عليها انفسنا . فقالت ما تعطى فقلت ردائى . وقال صاحبى ردائى . وكان رداء صاحبى اجود من ردائى وكنت أشب منه . فاذا نظرت الى رداء صاحبى اعجبها واذا نظرت الىّ اعجبتها . ثم قالت انت .. ورداؤك يكفينى . فمكثت معها ثلاثا » . وروى الترمذى عن ابن عباس انه قال : انما كانت المتعة في اول الاسلام ، كان الرجل يقدم البلدة ليس له بها معرفة ، فيتزوج المرأة بقدر ما يرى انه مقيم فتحفظ له متاعه وتصلح له شأنه حتى نزلت الآية « الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم » .

ومن الواضح ان الزواج المؤقت كان زواجا تجرى به عادة العرب قبل الاسلام . وممارستهم اياه في عهد النبي كان جريا منهم على هذه العادة . واغلب الظن ان ممارسة هذا الزواج كانت مقصورة على الجهات المدنية من شبه الجزيرة العربية وبخاصة مكة ويثرب . واغلب الظن ايضا ان وجوده بها جاء نتيجة تأثرها بالحضارة والتقاليد الفارسية .

اختلاف حول شرعية زواج المتعة

واختلف الفقهاء المسلمون حول شرعية الزواج المؤقت او زواج المتعة . فذهب اهل السنة وفريق من الشيعة الى تحريمه (٥) ، بينما ذهب الفريق الاخر من الشيعة الى اباحته . ويدلي المحرمون والمحللون بحجج واسانيد يبرر بها كل منهم رأيه ويؤيد مذهبه وليس في نيتنا ان نعرض هنا لموازنة بين حجج أولئك وهؤلاء لنعلن بعدها احد الرأيين راجحا والآخر مرجوحا . كل ما نريد ان نوجه النظر اليه هو الاعتبار التاريخى الذى جعل من المذهب الشيعى ، المنتشر في ايران والعراق بالذات ، مؤيدا لشرعية الزواج المؤقت .

أحكام الزواج المؤقت تكشف عن طبيعته

وللزواج المؤقت عند المبيحين له احكامه الخاصة . وقد يختلف هؤلاء فيما بينهم حول هذا الحكم او ذاك من احكامه ، لكنهم يتفقون في خصائصه الجوهرية . ومقارنة احكام الزواج المؤقت باحكام الزواج العادى او الدائم تكشف عن فروق اساسية بينهما . وتعكس احكام الزواج المؤقت طبيعته بوصفه رابطة زوجية ادنى مرتبة من الزواج العادى .

ونستعرض فيما يلى بعضا من احكام الزواج المؤقت كما اوردها احد كبار فقهاء الشيعة وهو

---

(٤) *Chrietensen, L'Iran Sous Les Sassanides* ترجمة يحيى الخشاب ، القاهرة ١٩٥٧ ، ص٢١٦ .

(٥) ففيه يقوم الامام المرتضى من علماء الشيعة الزيدية « ويحرم نكاح المتعة وهو المؤقت لنهيه (صلعم) وعلي عليه السلام عنه » . انظر شرح قانون الاحوال الشخصية للدكتور مصطفى السباعى ، جـ ١ ، ص ٨٧ .

ابو جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي (٣٨٥ - ٤٦٠ هـ) في كتابه « النهاية في مجرد الفقه والفتاوى » (٦)

يبدأ ابو جعفر بتقرير مشروعية الزواج المؤقت فيقول « نكاح المتعة مباح في شريعة الاسلام » . ثم يُعرِّف نكاح المتعة ويبين شروطه بقوله « هو عقد الرجل على امراة مدة معلومة بمهر معلوم . ولا بد من هذين الشرطين ، وبهما يتميز من نكاح الدوام . فان عقد عليها متعة ولم يذكر الاجل كان التزويج دائما ..... وان ذكر الاجل ولم يذكر المهر لم يصح العقد ... واما الاشهاد والاعلان فليسا من شرائط المتعة على حال ، اللهم الا ان يخاف الرجل التهمة بالزنا ، فيستحب له حينئذ ان يُشهد على العقد شاهدين ... ولا باس ان يتزوج الرجل متعة بكرا ليس لها اب من غير ولي ويدخل بها ... واذا اراد العقد فليذكر من المهر والاجل ما تراضيا عليه . واقل ما يجزىء من المهر تمثال من سكر ، او كف من طعام او ما اشبه ذلك ... فاما الاجل فما تراضيا عليه من شهر او سنة او يوم . وقد روى انه يجوز ان يذكر المرة والمرتين . والاحوط ما قدمناه من انه يذكر يوما معلوما او شهرا معينا . فان ذكر المرة والمرتين ، جاز له ذلك ، اذا اسنده الى يوم معلوم . فان ذكر المرة مبهمة ، ولم يقرنها بالوقت، كان العقد دائما لا يزول الا بالطلاق او ما يجرى مجراه . ويجوز ان يشرط عليها ان ياتيها ليلا او نهارا او في اسبوع دفعة او يوما بعينه ، اي ذلك شاء فعل » . ثم يذكر بعض الاثار التي تترتب عليه فيقول « وليس في نكاح المتعة توارث ، شرط نفي الميراث او لم يشرط ، اللهم الا ان يشرط ان بينها التوارث . فان شرط ذلك ثبتت بينهما الموارثة . وانما لايحتاج نفي التوارث الى شرط . ويجوز للرجل العزل وان لم يكن شرط . ومتى جاءت بولد كان لاحقا به ، سواء عزل او لم يعزل » .

ويحدد ابو جعفر حكم الزواج المؤقت بالنسبة لعدد الزوجات فيقول « ولا باس ان يتزوج متعة ما شاء من النساء ، لانهن بمنزلة الاماء . والاحوط له والافضل ان لا يزيد على اربع منهن » .

كذلك يبين العدة الواجبة على المراة عند انتهاء الاجل المحدد للزواج بقوله « وعدة المتمتعة اذا انقضى اجلها ، او وهب لها زوجها ايامها ، حيضتان او خمسة واربعون يوما ، اذا كانت لا تحيض وفي سنها من تحيض » . (٧)

الزواج المؤقت الى زوال

ذلك اذن هو الزواج المؤقت ، وتلك هى الظروف التى مهدت السبيل لوجوده او تبنيه في بعض المجتمعات المدنية القديمة . اما عن مصير هذا الزواج في الوقت الحاضر ففى اعتقادنا أنه صائر الى زوال . فقد اختفت في المجتمعات الحديثة الاعتبارات التى كانت سببا في وجوده . فلم يعد اختلاف الطبقة يشكل مانعا قانونيا للزواج . كما ان انتشار الافكار الديموقراطية من شانها ان تخفف من معارضة الاسر ذات الثروة او النفوذ للزواج غير المتكافىء . ولم يعد من الممكن الحديث عن الغربة والاغتراب على نحو ما كان الحال فيما مضى . فقد جعلت وسائل المواصلات الحديثة الانتقال من جهة الى اخرى من العالم يتم باسرع وقت وايسر مشقة .

ومن ناحية اخرى اصبح الزواج المؤقت يتصادم مع مفهوم الزواج الحديث . فالزواج في المجتمعات الحديثة لا يقصد به مجرد الحصول على خدمات امراة سواء في ذلك خدماتها المنزلية ام الجنسية ، وانما ايضا وقبل كل شيء توفير المناخ الملائم لتربية الاولاد . واذا كان هناك ما يميز المجتمعات الحديثة في موقفها من الاولاد فهو شعورها المتزايد بالمسئولية نحوهم ، وسعيها الى ضمان كل الظروف المناسبة لنموهم في جو صحى سواء من الناحية الجسمية ام من الناحية النفسية . والتاريخ يعلمنا ان الابقاء على نظام اجتماعى فقد مبررات وجوده يفتح الباب واسعا امام اساءة استعماله ، والانحراف به عن الغايات التى وجد في البدء لتحقيقها . ■■

محمود سلام زناتى

---

(٦) نشر بطهران سنة ١٣٤٣ هـ .

(٧) انظر المرجع المشار اليه الصفحات من ٤٩٧ الى ٥٠٢ .

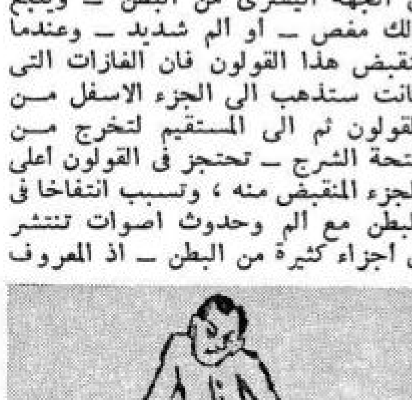




القولون الحساس

● اشعر في الجانب الايسر من بطني ببرودة شديدة ثم بعد ذلك انتفاخ في بطني تعقبه غازات والم شديد لا يطاق .. ارجو ان تفيدوني برايكم في هذه الحالة .

ـ على ما اعتقد ان السائل من وصفه لحالته ، يعاني من المرض الذى نسميه القولون الحساس (Irritable Colon) فانه فى مثل هذه الحالة يحدث انقباض شديد فى معظم الحالات فى القولون النازل فى الجهة اليسرى من البطن ـ ويتبع ذلك مغص ـ أو الم شديد ـ وعندما ينقبض هذا القولون فان الغازات التى كانت ستذهب الى الجزء الاسفل من القولون ثم الى المستقيم لتخرج من فتحة الشرج ـ تحتجز فى القولون اعلى الجزء المنقبض منه ، وتسبب انتفاخا فى البطن مع الم وحدوث اصوات تنتشر فى اجزاء كثيرة من البطن ـ اذ المعروف



ان القولون يلتف فى البطن من الجهة اليمنى ، ثم يصعد تحت الكبد ثم يتجه الى الناحية اليسرى من البطن ، مستعرضا البطن ثم يصعد تحت الطحال ، لينزل فى الجزء الايسر من البطن الى المستقيم ثم الى فتحة الشرج.

وسبب هذا الانقباض الذى من نتيجة هذه الاعراض ، أن القولون يكون فى حالة تشنج ، اى احساس شديد خصوصا بعد الاضطرابات النفسية ـ أو الاجهاد العصبي أو لتعاطى اكل نوع خاص من الاطعمة بسبب حساسية خاصة ، فينقبض القولون ـ وفى معظم الحالات يكون ذلك اثر اصابة بزحار (دوسنطاريا) قديمة ، شفى منها المريض ولكن ما زال القولون حساسا لاى اضطراب بسيط ، ويا حبذا لو رجع السائل الى مقالتى « القولون الحساس » فى مجلة العربي الغراء ليستزيد من ذلك، ويتعرف على العلاج الذى يتلخص في الابتعاد عما يهيج القولون من اطعمة ـ ثم اخذ الادوية المهدئة للاعصاب ، مثل الليبريم (Librium) أو الفاليوم (Valium) أو مهدىء مع ادوية تتغلب على الانقباض مثل (Librax) اللبراكس ـ أو البروبانثين (Probanthin) .

اسطوانات البول

● **لي اخ صغير دائما يشكو بجانبه الايسر واحيانا نلاحظ وجود ورم تحت عينيه ، وقد حللنا له البول حسب أمر أحد الاطباء ، وقيل لنا ان في بوله اسطوانات ، وانه يشكو من التهاب الكلية المزمن، فما هي هذه الاسطوانات، وما دلالتها ، وما علاجها ؟**



ــ اسطوانات البول على عدة أنواع فهى اما دموية أو حبيبية أو هيالينية أو دهنية . والكلية كما تعلم مكونة من عدة وحدات وظيفية تدعى نفرون Nephron ويوجد مليون وحدة فى الكلية الواحدة ، وهي تصب فى القنوات الجامعة ، ومنها الى حوض الكلية . فالحالب فالمثانة . والنفرون الواحد مكون من كبسولة « بومان » وقنوات دقيقة Rubulea وكوحدة فهو متخصص فى استخلاص كثير من المواد وترشيحها من الدم المار خلال كبسولة بومان ، وعند حدوث التهاب أو ضرر بأنسجة الكلية المحتوية على هذه الوحدات تترسب بعض المواد مثل الدم والهيالين فى هذه القنوات الدقيقة وتفرز فى البول على هيئة اسطوانات متخذة شكل القنوات التى ترسبت منها ، اذن فوجودها دليل على وجود التهاب أو ضرر بأنسجة الكلية الداخلية ويعتبر ناقوس خطر يدق لدرء هذا الخطر الداهم .

والأمراض التى توجد فيها اسطوانات

فى العشرين من عمره ويتبول فى الفراش وهو نائم

● **انا شاب في العشرين من عمري .. اعاني من التبول في الفراش اثناء نومي مما يجعلني اشعر بحالة نفسية سيئة. فهل هناك علاج لحالتي هذه؟!**

ــ التبول دون احساس فى الفراش ليلا ، مشكلة يعاني منها الصغار والكبار على السواء ــ وتقل حدتها بنمو الجسم وتقدم السن ، عندما تنمو الأعصاب ، وتكتمل الحواس عند بعض الاشخاص الذين يعانون من ذلك ، وعندما تتعود المثانة على التمدد ، واستيعاب البول لفترة طويلة ، والمشكلة تزداد تعقيدا عندما تستمر هذه العلة لفترة طويلة اى بعد البلوغ سواء فى الاولاد أو البنات .

ولقد لوحظ أن معاملة الابوين او الاخوة ــ أو الاقرباء المصابين بهذه العلة ، من شدة ، وتخويف ــ وتحقير ، بل وفى بعض الحالات تعذيب بشتى الوسائل ــ يزيد من الحالة سوءا بل ويجعلها تستمر لمدة اطول ، ولو لاحظت الأم العلة فى اولها ــ وعاملت وليدها برفق وهوادة، وتخفيف الوطاة ، دون اعلام اخوته ، او المساس من نفسيته لتحسنت الحالة



بسرعة ـ فما عليها الا نصح وليدها بعدم شرب الماء والسوائل بكثرة بعد العشاء ـ وتمنعه من شرب القهوة او الشاى او المياه الفازية ـ ثم تجعله يتبول قبل ذهابه الى الفراش ـ ثم توقظه مرة او مرتين فى الليل ليتبول ويفرغ المثانة ـ بذلك تعود المثانة على الامتلاء والتفريغ ـ واذا حدث وبال فى الفراش ، فلا داعى للاهانة والتعذيب ـ بل الرافة والتشجيع ، والقول بان هذه ستنكشف عما قريب ويصبح طبيعيا . ثم يجب التأكد من خلو البول من الالتهابات وخلو البراز من الطفيليات بعرض المصاب على الطبيب ، وعلاج مثل هذه الاسباب ، فاذالم يستجب المريض بعد ذلك للعلاج أعطى ادوية منبهة له ، والتي تساعد في الوقت نفسه على ارتخاء عضلات المثانة مثل افيدرين (Ephedrin) ½ قمحة حبة ثلاث مرات يوميا ، او امفيتيامين حبة ثلاث مرات يوميا ، او مزيج البلادونا القلوى ـ واخيرا لوحظ ان اقراص النياميد Niamid لها تأثير على هذا المرض.

على انه لا بد من التبول قبل النوم وعدم شرب المدرات للبول ، كالشاى كما قلت ـ ثم لا بد من عمل اشعة على المجارى البولية للتأكد من عدم وجود حصى بالمجارى البولية ، والتأكد من خلو البول من الميكروبات والسكر ـ ثم التأكد من ان العمود الفقرى سليم لانه فى بعض الحالات ولو ان ذلك نادر ، يكون هناك عيب خلقى مما يسبب عدم التحكم فى البول .

وفى بعض الحالات المستعصية ، تعمل اجهزة خاصة لتنبيه المريض بأن يقوم ليتبول عندما يبدأ فى التبول على نفسه ، بل وهناك عمليات جراحية تجرى فى بعض الحالات كذلك .

لذا لا أرى مكانا لليأس ممن يعانون من تلك المحنة ـ وكم شاهدنا فتيات وفتيانا لازمتهم هذه الحالة لمدة طويلة ، ولكن تغلبوا عليها فى النهاية ، بالصبر والأمل الكبير وباتباع النصائح التى أسلفتها .

البول هى التهاب الكلية الحاد Acute Diffuse Glomerulonephritis والتهاب الكلية المزمن Chronic Nephritis الكلى وخاصة ما كان فى الحمل كذلك فى حالات التهاب حوض Pyelonephritis of Pregn وحصو المثانة او الكلى اذا سبب التهابا فى الكلية ـ ضغط الدم العالي Essential Hypertension ـ تلف انسجة الكلية بتأثير بعض السموم كالزرنيخ والزئبق ، وفى حالات الاصابات الخطيرة والحروق او نقل دم لفصيلة مخالفة ، وتعاطي جرعات كبيرة من السلفوناميد كذلك كأحد مضاعفات الحميات كالدفتيريا والتيفود . وهناك مجموعة من امراض الكلية تتميز كلها بزلال كثير فى البول وورم عام : Odema وتسمى Nephratic Syndrome والاسطوانات عموما ذات دلالة خطيرة وعلاجها : علاج السبب سواء أكان التهابا بالكلية او تلفا بأنسجتها للاسباب السابقة ، وينظر الى مستقبل المريض دائما بحذر .

البُحتُرِي

بقلم : الدكتور حسين عطوان

الجامعة الاردنية ـ عمان

■ لم يكن وصف الطيف من الموضوعات الاساسية فى الشعر العربي من الجاهلية حتى اواخر العصر العباسي الاول ، وانما كان موضوعا ثانويا يأتي لماما في أوائل القصائد أو فى تضاعيفها ، ثم اخذ الشعراء بمعانيه ، مرددين أن أطياف صواحبهم تزورهم فى النوم وتؤرقهم ، عاجبين من اهتدائها اليهم على بعد ما يفصل بينهم وبين محبوباتهم من المسافات البعيدة ، والطرق الوعرة والمسالك الخفية .

وينهض البحترى فى العصر العباسي الثاني بهذا الوصف نهضة واسعة ورائعة ، اذ أكثر من افتتاح قصائده به ، كما بث خطوطا منه في غير قليل من قصائده . على أن البحترى لم يستكثر من وصف الطيف فحسب بل افتن افتنانا عظيما فى توليد معانيه ، واستنباط اللطيف والطريف منها ، بحيث لفت أنظار القدماء ، وجعلهم يسلمون له بانه السابق فى هذا الميدان ، دون منازع .

يقول أبو علي القالي : « هو احد المحسنين فى القول فى طروق الخيال حتى قيل طيف البحترى».

ويقول الحصرى القيرواني : « كان البحترى أكثر الناس ابداعا فى الخيال ، حتى صار لاشتهاره مثلا يقال له طيف البحترى » .

ويقول الآمدى : «اما البحترى فانه أولع بذكر الخيال فقال فيه واكثر واجاد وابدع ، وتصرف فى معان لم يأت أحد بمثلها ، واستفتح قصائد كثيرة بذكر الخيال لشدة شغفه به ، فاحسن فى ابتداءاته كلها ، وزاد على الاحسان » .

ويقول ابن رشيق القيروانى : « البحترى أرق الناس نسيبا ، واملحهم طريقة ، لا سيما اذا ذكر الطيف ، فانه الباب الذى شهر به » .

ويقول الشريف المرتضى : « كان البحترى متيما بالقول فى الطيف ، فاكثر فيه ، واغزر منه ، مع تجويد واحسان وافتنان . وتصرف فيه تصرف المالكين ، وتمكن القادرين » . ويقول مرة أخرى : « لابى عبادة فى وصف الخيال الفضل على كل متقدم ومتاخر ، فانه تغلغل فى اوصافه ، واهتدى من معانيه الى مالا يوجد لغيره . وكان مشغولا بتكرار القول فيه ، لهجا بابدائه واعادته .

واذا نظرنا فى قصائده وجدنا فيها خير دليل

شاعر الأطياف ، تزوره الأحبة في المنام

على ذلك ، اذ يلقانا تصويره للطيف فى مقدماتها ، وفى أثنائها ، وهو حينا يحافظ فيه على المعاني الجاهلية ، والصور القديمة الموروثة من ذكر الليل والسرى والسهول ، والحزون والوديان ، عاجبا من اهتداء طيف صاحبته اليه ، ومتمنيا لو زارته على الحقيقة ، وهدأت بزيارتها له نفسه الثائرة ، واطفات اشواقه المضطرمة ، على ما نرى فى قوله بمطلع قصيدته الهمزية في مديح عيسى بن ابراهيم.

طيف الحبيب ألمّ من عُدَوائـــــه
وبعيدِ موقع أرضـــه وسمائـــــه
جزَعَ اللوَى عَجِلا ووجّهَ مُسرعا
مِن حزْنِ أبرقهِ إلى جرعائـــــه
يُهدى السلام وفي اهتداء خيالـــه
من بُعده عجبٌ وفي إهدائـــــه
لو زار في غير الكرَى لشفاكَ من
خبَلِ الغرام ومن جوَى بُرحائـــه

فهو يستقصى استقصاء دقيقا الاماكن التي مر بها الطيف حتى انتهى اليه . فقد سرى اليه من مكان بعيد ، مجتازا فى سرعة مناطق مختلفة : كثبانا من الرمل، الى تلال ومرتفعات تغطيها حجارة صغيرة منثورة فوقها ، حتى وصل الى غايته فى ارض مبسوطة مستوية . ويعجب منه كيف قطع تلك الاميال الطويلة لكي يلم به ويحييه ، ويود لو الم به فى غير النوم لكي يخفف ما به من الوجد الشديد ، والشوق المتقد . ومن هذا النوع قوله فى صدر مدحته للفتح بن خاقان :

أَجِدَّكَ ما ينفكُّ يسرى لزينبـــا
خيالٌ إذا آب الظلام تأوَّبـــــا
سرى من أعالى الشام يَجْلبه الكرَى
هُبوبَ نسيم الروض تَجلبه الصَّبا
وما زارنى إلاّ ولِهْتُ صبابـــــةً
إليه وإلا قلتَ أهلا ومرحبـــــا
وليلتَنا بالجزع بات مساعفـــــا
يريني أناةَ الخطو ناعمةَ الصبـــا
ولو كان حقا ما أتته لأطفـــأتْ
غليلا ولافتلّتْ أسيرا معذبـــــا

فقد اصبح ليله شركة بين الاغفاء وبين طيف محبوبته ، اذ لايكاد الليل يرخى استاره ، ولا يكاد هو ياخذ فى النوم حتى يطير اليه طيفها طيرانا ، وكأنما الليل قطب يجذبه اليه ، ويدنيه منه ، كما يفترن النسيم العليل بريح الصبا . فيرحب به ، ويسلم عليه ، وتهدأ نفسه قليلا . غير انه سرعان ما ينتبه الى انه يعيش فى غرور وزور ، وان خيالها هو الذى الم به دونها .

فالخيال دائما يطيف به ، غير انه لايسد مسد الزيارة الحقيقية ، وهو فى الغالب يصف سُراه وما قطع من القفار ، ومجاهل الارض حتى اهتدى اليه ، كما يحدد الوقت الذى يزوره فيه ، وهو آخر الليل .

وتلك هي بعض المعاني التقليدية ، والصور البدوية التي عني بها ، واذاعها فى كثير من مقدمات قصائده التي وصف فيها الطيف . غير ان له

معاني عديدة مبتدعة ، وصورا مخترعة ، ولعل من ادل الشواهد على ذلك هذه الابيات التي قدم بها لقصيدته التائية فى الافتخار بنفسه ، وعتاب قوم من اهل بلده ، والتي تنساب على هذا النمط :

أحبْ إلىّ بطيف سُعدَى الآتي
وطروقِه في أعجب الأوقاتِ
أنىَّ اهتديتِ لمُحرمين تصوَّبوا
لسُفوح مكة من رُبَى عرفات
ذكَّرتِنا عهدَ الشآم وعيشَنا
بين القنان السود والهَضَبات
إذ أنت شكْل مخالف وموافق
والدهر فيك ممانعٌ ومُؤاتِ
لولا مكاثرة الهموم ونحتها
من جانبيَّ لكُنت مِنْ حاجاتي

وهذا معنى جديد تتمثل جدته فى متابعة خيال صاحبته له وملاحقته اياه حتى فى ايام حجه ، ووقت احرامه ، اذ سرى اليه من بلده بالشام وما زال يجوب الفلوات حتى وقع عليه وهو فى ثياب الاحرام ، يؤدى مناسك الحج التي فرغ من اداء بعضها فى عرفات ، وانحدر لكي يكمل سائرها. ولا يتمادى معه فى الوصال والعبث ، بل يبعث فى نفسه الحنين الى موطنه ، والى ايامه التي قضاها بين سهوله وقلل جباله ، ويشغل عنه بالبعد والقربة والهموم المطبقة .

وقد افاض الآمدى فى الثناء على هذه الابيات ، حتى فضلها على ابيات قيس بن الخطيم المشهورة المذكورة التي اولها :

إنّي سَرَبْتِ وكنتِ غير سَروب
وتُقَرِّب الأحلامُ غيرَ قريب

ومثل ذلك المعنى فى الجدة والطرافة قوله :

قد كان طيفك مرة يُغرى بي
يعتاد ركبي طارقا وركابي
فالآن ما يزداد غيرَ مَغبَّةٍ
ومن الصدود زيارة الإغبابِ

فقد كان خيالها فى اول الامر يسرى اليه ، ولاينقطع عنه، غير انه لم يلبث ان ابتعد عنه، ولكنه لم يهجره هجرا متصلا ، وانما اخذ يزوره فى الحين الطويل بعد الحين . ارايت اليه كيف يتلاعب بالالفاظ ؟ ارايت اليه كيف يفتن فى استخراج المعاني ؟ اما قوله : «ومن الصدود زيارة الاغباب» فمن الطف الكلام ، واشده وصولا الى كل قلب ، كما يقول الشريف المرتضى .

واغرب من هذا المعنى واطرف قوله :

أما الخيال فانه لم يطرق
إلا بعقب تشوُّق وتشوُّق
قد زار من بُعد فبرَّد من حشا
ضَرِمٍ وسكّن من فؤاد مُقْلَقِ
ولربما كان الكرى سببا لنا
بعد الفراق إلى اللقاء فنلتقى

فقد فصل بينه وبين صاحبته ، وانعدمت الوسائل الى الوصل بينهما ، ولم يعد له حيلة الا ان يهيىء نفسه لعلها تنام قليلا ، فيزوره طيفها ، ويظل يغالب نفسه حتى اخذتها سنة من النوم ، واذا خيالها يطيف به ، ويبل صداه . على ان البيت الثالث ، هو الذى جود فيه غاية التجويد ، اذ جعل النوم سببا للوصل بينه وبين محبوبته بخيالها الذى يزوره ويحقق له اللقاء بها . ومن اجل ذلك قال الشريف المرتضى : ان لهذا البيت ما شاء الله من قبول وحلاوة وطلاوة».

ومن معانيه المبتكرة قوله :

أجِدَّكَ إنّ لمّات الخيال
لمُذّكرتي بأيام الوصال
تؤرقني إذا الرقباء ناموا
أناةُ الخطو فاتنةُ الدلال

فكثيرا ما صرح الشعراء بان اطياف محبوباتهم

تلم بهم ، وتذكرهم بالايام الخالية ، ولكن فى اعماق الصحراء ، وبعد نوم الرفاق . اما هو فيزوره طيف صاحبته ، لابعد ان يهجع أصدقاؤه ، بل بعد ان يغط فى النوم غطيطا رقباؤه .

ولم تقتصر محاولاته على ابتداع المعاني ، بل حاول اختراع الصور النادرة الغريبة ، ومن ذلك قوله :

أهلا بذلكم الخيال المقبل
فعلَ الذى نهواه أو لم يفعل
برقٌ سرى من بَطْنِ وَجْرةَ فاهتدتْ
بسناه أعناقُ الركاب الضُلَّل

فقد جعل طيف محبوبته قبسا من نور يتوهج ، ويبدد ظلمات الليل ، ولايضيء دروب الصحراء لنفسه فحسب ، بل ايضا للقوافل الضاربة فى جوف الصحراء ، والسائرة على غير هدى ، فاذا هي تهتدى بنوره الساطع ، ولاتضل طريقها . واذا ابو بكر الباقلاني على تعصبه ضد الشعراء لايملك الا ان يقول مستحسنا لصنيعه هذا ومثنيا عليه : « هذا البيت عظيم الموقع فى البهجة ،وبديع المأخذ ، حسن الرُواء ، انيق المنظر والمسمع ، يملأ القلب والفهم ، ويُفرح الخاطر ، وتسرى بشاشته فى العروق ، وكان البحترى يسمى نحو هذه الابيات عروق الذهب » .

ولعل من اروع مقدمات قصائده التي تظهر فيها مقدرته على وصف الطيف ، وتفريعه فى معانيه وابتداعه فى تصويره قوله :

بتُّ أبدى وجداً وأكتم وجدا
لخيال من البخيلة يُهدَى
أقسم الظن فيه أنَّى تخطَّى الـ
رمل من عالجٍ وأنَّى تهدَّى
خطأٌ ما أزارناه طروقا
أم توخيِّه للزيارة عمدا
جاء يسري فأشرقت أرض نجد
لسراه وواصل الغيثُ نجدا
لاتخيب البلاد تخطر فيها
رسل الشوق من خيالات سُعدَى
وعدتْنا فما وفت بوصال
ووفت حين أوعدت أن تَصُدَّا
قرَّب الطيفُ مُنْتواها فأصبحـ
ـتُ حديثا بناقض العهد عهدا
سكنٌ لى إذا دنا ازداد ليـَّـا
ناً وبُعدا فازددت بالقرب بُعدا

اذ تتضح فيه براعته فى تشقيق المعاني ، وعرضه لها بأعذب الالفاظ واسهلها ، على قلتها ، وعلى تناوب الشعراء عليها ، وعلى فتنته بها ، وكثرة ترجيعه لها ، دون ان تغمغمض معانيه ، او يلتوى اسلوبه ، فضلا عن المعاني الطريفة التي كان يستخرجها ، والصور اللطيفة التي كان يرسمها ، كذلك الضوء الذى نشره طيف صاحبته على ارض نجد لمروره بها ، وذلك المطر الذى انهل عليها لاجتيازه اياها ، وذلك الخيال الذى جعله رسول الشوق يحمل معه الخير والبركة للاماكن التي يسير فيها .

وله بعد ذلك اوصاف كثيرة للطيف تفوق فى كثرتها وفى جدة معانيها ودقة صورها ما لغيره من الشعراء السابقين والمعاصرين له ، بحيث نستطيع ان نسميه شاعر الطيف فى العربية ، فقد حقق لوصفه مجموعة من التقاليد الفنية ، واصّلها ، من مثل تحديد الساعة التي يلم الطيف فيها ، والمسافة التي يقطعها بين انجاد واغوار ، الى مفارز وقفار ، ومن مثل ترقبه له ، وانتظاره اياه، ومن مثل وصفه له بانه يبذل في النوم ما يضن به فى اليقظة ، ومدحه بانه يعلل المشتاق ، وذمه بانه سريع الزوال ، وشيك الانتقال ، وانه يهيج الشوق الساكن ، ويضرم الوجد الخامد ، الى غير ذلك من المعاني التي رددها والتي وجد الشريف المرتضى فيها مادة غزيرة اقام عليها جزءا كبيرا من كتابه : « طيف الخيال » . ■■

حسين عطوان

استطلاع الكويت

مَعْهَد المُعَلّمِين

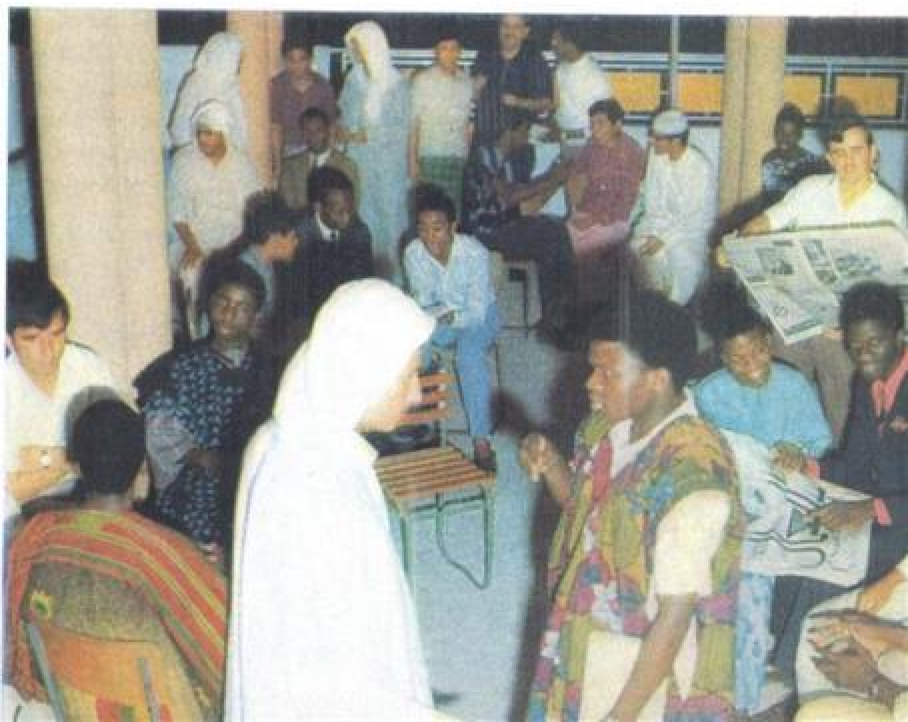
مدرسة لإعداد المعلمين من ابناء الكويت لأبناء الكويت

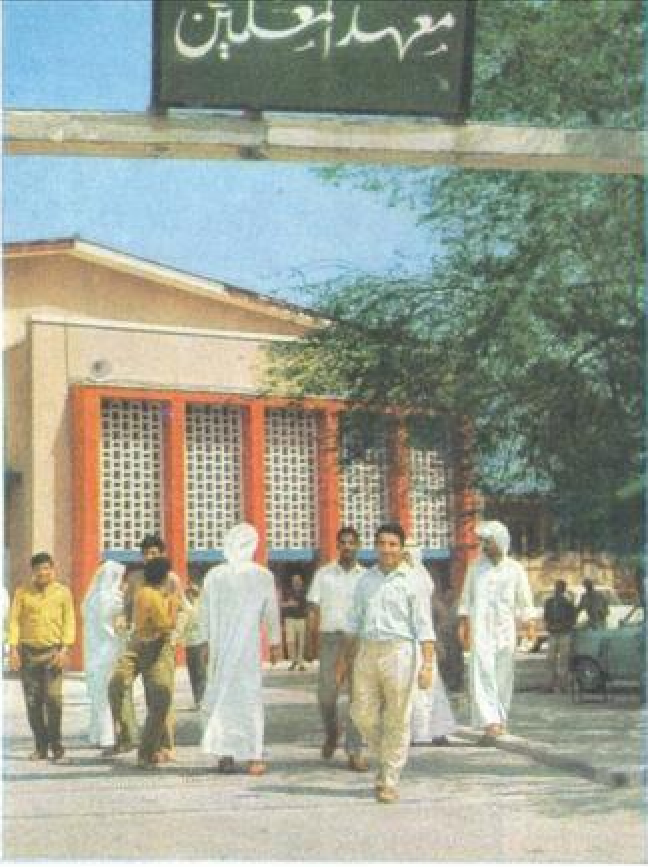
استطلاع
منير نصيف

تصوير
عبد الناصر شقره

في نادي الطلبة الملحق بسكن القسم الداخلي راح فريق من الطلبة الكويتيين يتسامرون مع ضيوفهم من طلبة البعثات الاسلامية .. ان هناك ٤٤ طالبا من دول آسيا وافريقيا ويوغوسلافيا يتلقون العلم جنبا الى جنب مع اخوانهم الكويتيين بالمعهد .







مجموعة من الطلبة امام مبنى المعهد بعد انتهاء اليوم الدراسي .. لقد تخرج من المعهد حتى الآن ما يزيد على الالف مدرس منذ افتتاحه في عام ١٩٦٢ .

تحت :
تحية العلم في الصباح ، حيث يصطف كل طلبة المعهد واساتذته ، ويهتف الجميع بحياة الكويت واميرها ، ثم ينصرفون الى فصولهم .



■ كان لقاؤنا بهم والعام الدراسي يوشك على الانتهاء ، فقد بدأ الطلبة يؤدون امتحاناتهم السنوية .. وقلنا لمدير المعهد الاستاذ يوسف عبد المعطي : « لعلنا قد تأخرنا ؟ »

فقال وهو يبتسم : « بالعكس ، فنهاية العام الدراسي عندنا مثل بدايته تماما .. تعودنا أن ننقطع عن الدراسة لنستعد للامتحان ، وفترة الاستعداد والانتظار هذه هي أسوأ ما في الامر ، فالطالب يقضيها في قلق وترقب وانتظار ، حتى اذا ما جاء الامتحان أخيرا ، وفرغ من ادائه له ، حاول أن يتخلص من كل ما يذكره به .. فيمسك بكتبه وكراريسه ويلقى بها عرض الحائط حتى لا يعود اليها ابدا .

الكتاب والامتحانات

ومضى مدير المعهد يقول : « ورأينا ان نخلص ابناءنا من هذه العادة السيئة .. وكانت مهمتنا الاولى هي ان ننزع من راس الطالب الفكرة القائلة بان اجتياز الامتحان بنجاح هو الهدف ، وهو نهاية المطاف ..

وذلك بان لا نجعل الامتحان هو ختام اعمال السنة ، فبعد الامتحان يعود الطالب ونعود معه الى الدراسة فيحس بعد ذلك ان امتحانه ما كان الا فترة عابرة كانت من الضرورة بمكان ، ولكنها ليست من تحصيل المعرفة بالشيء الفعال » .

فطالب معهد المعلمين ، طالب غير عادي ، انه لا يدرس لنفسه فقط ، ولكنه يدرس ويتعلم لينقل ما تعلمه الى الاخرين .. انه طالب اليوم ومعلم الغد ..

نادي الثقافة

ونجحت التجربة ، ولم يعد الطالب يتخلص من كتبه وكراريسه ، فهو يجمعها ويحتفظ بها في مكتبته الخاصة ، بل انه يدفع من جيبه الخاص ثمن الكتاب الجديد الذى ظهر في السوق ، بعد ان يسر له المعهد مهمة شرائه من الناشر مباشرة ، بلا وسطاء عن طريق نادي الكتاب الذى انشاه المعهد .. وما على الطالب الا ان يضع في صندوق خاص ، اسم الكتاب الذى يريد أن يحصل عليه ، فيصله بعد اسابيع وبسعر اقل من سعره في المكتبات ، وقد بلغت قيمة الكتب التي اشتراها الطلبة في العام المنصرم ما يزيد على الاربعمائة دينار كويتي ، دفعوها من مصروفهم الخاص !

● معهد المعلمين ، ومعهد المعلمات توأمان ، وهما اول معهدين من نوعهما يقامان في الكويت في وقت واحد . وكان المفروض ان يشمل هذا الاستطلاع معهد المعلمات أيضاً فهو النصف المكمل المتمم ، ولكننا رأينا ان نرجيء الحديث عنه لعدد مقبل باذن الله ، حتى نوفيه حقه.

قلنا لمدير المعهد : « غدا تبدأ اذن استطلاعنا لمعهد المعلمين »

قال : « غدا امتحانات ، وغدا ايضا يوم دراسي .. وهو يبدأ في الساعة السابعة صباحا !»

وجئنا في الموعد المحدد ، فاذا بكل طلبة المعهد يقفون في طوابير منتظمة لتحية العلم والهتاف بحياة وطنهم على انغام فرقة الموسيقى التي بدات عزفها بالسلام الاميرى ..

ثم انصرف الطلبة الى فصولهم في هذا المبنى الكبير الذى يضم اليوم اكثر من الفى طالب .. يوم دراسي عادي رغم انف موسم الامتحانات !

المعلم الكويتي

ان قصة انشاء هذا المعهد تبدأ منذ ثماني سنوات مضت ، عندما اتجهت انظار المسئولين عن التربية والتعليم في الكويت الى الاهتمام باعداد معلمين من ابناء الكويت لابناء الكويت ، لتشارك البلاد



طلبة المعهد في قاعة الاطلاع بالمكتبة وهي تحوى ما يزيد على الاثنى عشر الف كتاب ، في مختلف الموضوعات العلمية والتربوية ، باللغات الثلاث ـ العربية والانجليزية والفرنسية ، ويستعين بها الطلبة في دراساتهم وأبحاثهم .

بنصيبها في تحمل مسئولية تنشئة ابناء الجيل الجديد ، وارساء القيم والاتجاهات التي يؤمن بها هذا المجتمع في قلوب ابنائه .

وكان من الطبيعي أن يتجه التفكير باديء ذي بدء ، الى اعداد معلم المرحلة الاولى ، اى المرحلة الابتدائية ، ذلك لان اعداد معلم المرحلة المتوسطة والمرحلة الثانوية ، يتم عادة على المستوى الجامعي ، ونظرا لان جامعة الكويت ، لم تكن قد انشئت بعد ، فقد رئى البدء باعداد معلم المرحلة الابتدائية .

وبناء عليه ، فقد بدأت دراسات شارك فيها اعلام التربية من البلاد العربية الشقيقة ، كما شكلت لجان لدراسة الخطة والمناهج الدراسية والنظام الاساسي للمعهد ..

مقر المعهد الجديد

ثم بدأ البحث على الفور عن المكان الذى سيضم بين جدرانه المعهد الجديد للمعلمين ، ووقع الاختيار اخيرا على مدرسة صلاح الدين لتكون له مقرا مؤقتا ، كسبا للوقت .. وافتتح المعهد في يوم ١٥ سبتمبر من عام ١٩٦١ ، وبدأ عامه الدراسي الاول ١٩٦١ ـ ١٩٦٢ ، بمائة وتسعة وخمسين طالبا كويتيا ..

قال لنا مدير المعهد الذى عاصر التجربة منذ بدايتها : « ان هناك شروطا خاصة لابد من توافرها في كل طالب يريد الالتحاق بالمعهد ، فلابد أولا ان يكون حاصلا على مجموع لا يقل عن ٥٥٪ في الشهادة المتوسطة وهي الشهادة التى تقع في منتصف الطريق بين الدراسة الابتدائية وشهادة ختام الدراسة الثانوية ، وان يكون كويتي الجنسية ، على انه يمكن قبول ابناء الخليج والبلاد الاسلامية ، ولكن بقرار خاص طبقا لنظام البعثات المعمول به في الوزارة .

« ولكن المهم بعد هذا أن يجتاز الطالب الاختبار الشخصى والتحريرى الذى تشرف عليه لجنة خاصة من مدرسى المعهد . فهذا الاختبار هو الذى يحدد



بعض طلبة شعبة التربية الفنية بالمعهد ، وفي الصورة الاولى (الى اليمين) الطلبة الى تماثيل من وحي بيئتهم العربية وتراثهم .. اما الصورة التى الى اليسار فتبي

لفيف من اعضاء هيئة التدريس بالمعهد في غرفة المعلمين ، اثناء الاستراحة بين الحصص .. وعلى عاتقهم تقع مسئولية بناء الجيل الجديد من المعلمين في الكويت .





يتلقون درسا في النحت ، وقد وقف استاذهم يراقبهم وهم يحولون الكتل الصماء

لمجموعة من طلبة الشعبة اثناء تأدية امتحان في الرسم والتصوير .

مجموعات من الطلبة في فناء المعهد الداخلي ،
يراجعون دروسهم ، استعدادا لدخول الامتحان ..





علم وظائف الاعضاء من بين المواد التى يدرسها طلبة المعهد ، وفي الصورة الدكتور محمد سعيد النجار ، وهو يشرح لطلبته الذين تجمعوا حوله ، وظائف بعض الاعضاء على نموذج لجسم انسان .



مجموعة من طلبة البعثات الاسلامية امام الاجهزة والمختبرات ، اثناء حصة علوم في المعمل .

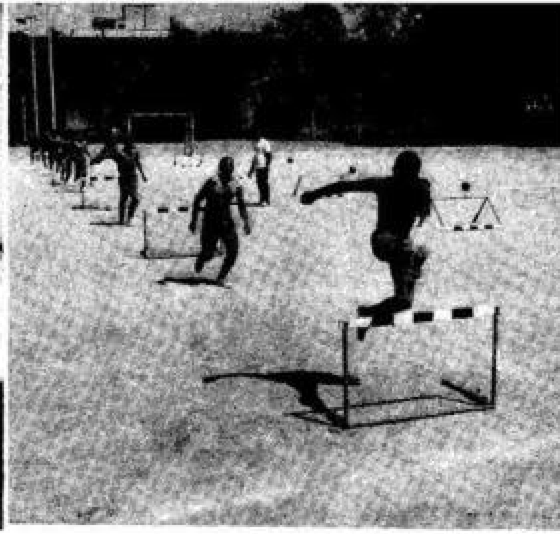
صلاحية الطالب لتحمل اعباء المهمة الكبرى الواقعة على عاتقه بتربية وتعليم الجيل الجديد من ابناء بلده ووطنه .. فقوة شخصية الطالب وتفكيره السليم ، ثم اتزانه النفسى والعاطفى .. كل هذه الصفات مجتمعة هي التي يمكن ان تخلق منه رسولا للعلم والمعرفة ..

شعب اربع

اما مدة الدراسة بالمعهد ، فهي اربع سنوات ، وفى الصف الاول ، يدرس كل طلبة المعهد منهجا عاما موازيا لمنهج السنة الاولى فى المدارس الثانوية .. والهدف من ذلك هو الكشف عن استعدادات وقدرات الطالب تمهيدا لاختيار احدى الشعب الاربع فى السنوات الثلاث التالية من دراسته ، وهي سنوات التخصص .. واما الشعب الاربع فهي الشعبة العامة لتخريج مدرس فصل للمرحلة الابتدائية ، وشعبة التربية الفنية لاعداد معلم تربية فنية ، وشعبة التربية الرياضية او البدنية لاعداد معلم تربية رياضية ثم شعبة التربية الموسيقية لاعداد معلم موسيقي .

يقوم أحد الاطباء المعالجين بزيارة المعهد مرتين فى الاسبوع لفحص الحالات التى تعرض عليه ، وقد اقيمت عيادة خاصة بالمعهد ، لتوفير الرعاية الصحية للطلبة ، ويعمل فيها اثنان من المضمدين يقومان باجراء الاسعافات الاولية،ومعاونة الطبيب المعالج في تأدية مهمته.





الجرى وقفز الحواجز من التمرينات الرياضية الهامة التي يتدرب عليها طلبة شعبة التربية الرياضية، لتحقيق اللياقة البدنية.



بعض الطلبة الكويتيين يراجعون دروسهم في السكن الخاص بهم، يشاركهم احد طلبة الدولة العربية الشقيقة ، موريتانيا (الى اليمين) ويبلغ عدد الطلبة الكويتيين بالقسم الداخلي حوالي سبعين طالبا ..

مناهج الدراسة

واما مناهج الدراسة بالمعهد فهي مماثلة لما يدرسه طلبة المرحلة الثانوية ، ولكنها في الوقت نفسه تشتمل على مواد مهنية تعدهم للتدريس ، فهم يدرسون علم النفس التربوى الذى يعنى بالتركيز على دراسة نفسية طفل المرحلة الابتدائية بصفة خاصة ، ثم هناك طرق التدريس الحديثة للمواد المختلفة . كما يدرب طلبة المعهد على انتاج واستخدام الوسائل التعليمية الحديثة مثل المسجلات والاتالعرض السينمائي والنماذجالمختلفة لجسم الانسان والحيوان والطيور .

وقد بلغ عدد المتخرجين في المعهد حتى نهاية العام الدراسي ١٩٦٨ - ١٩٦٩ حوالى٨٢٥ خريجا يقومون اليوم بالتدريس فى المدارس الابتدائية بالكويت ، وبلغ عدد الخريجين هذا العام ١٩٦٨ - ١٩٦٩ ، حوالي ٢٠٠ معلم .

فترة التدريب

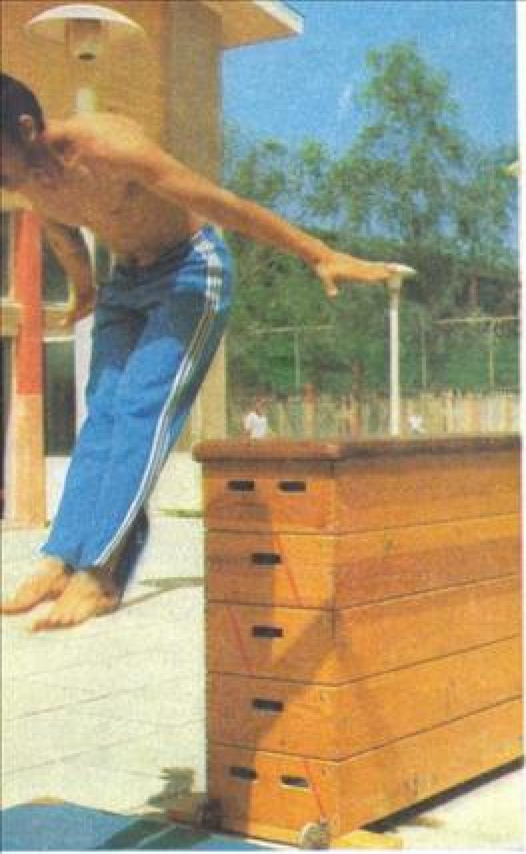
ويبدأ تدريب طلبة المعهد على التدريس ، ابتداء من الصف الثاني ، اى بعد التخصص مباشرة ، فيقوم الطلاب بعد تقسيمهم الى مجموعات يشرف على كل منها معلم له خبرته الطويلة فى التدريس لتلاميذ المرحلة الابتدائية ، بزيارة المدارس يوما كل اسبوع ، ويدخل الطلبة مع مدرسهم الفصل ويجلسون فيه كمراقبين ثم يسجلون ملاحظاتهم طوال الحصة . فاذا عادوا الى المعهد اقيمت لهم ندوة ، لمناقشة ما سجله كل واحد منهم من ملاحظاتوانطباعاتتحتاشراف وتوجيه مدرسهم .

اما طلبة الصف الثالث بالمعهد ، فهم يبدأون فى التدرب على ممارسة التدريس بالفعل ، فيقف احدهم ويشرح الدرس للتلاميذ الصغار ، بينما يجلس فريق من زملائه الذين يحضرون الحصة كمراقبين ، يسجلون ملاحظتهم أثناء الدرس . فاذا اجتازوا هذه المرحلة ووصلوا الى الصف الرابع ، بدأ المعهد فى توزيع الحصص عليهم في مختلف المدارس الابتدائية ، فيذهب طالب السنة النهائية بالمعهد الى المدرسة ويلقى الدرس على تلاميذه الصغار تحت اشراف مدرسه الذى تنحصر مهمته فى توجيه النصح والارشاد له خلال الدرس .

على أن هناك فترة لا تقل عن اربعة اسابيع يقوم خلالها طلبة الصفين الثالث والرابع بمهمة التدريس فى المدارس الابتدائية بصورة متصلة ،







يشرف على شعبة التربية الرياضية او البدنية مدرسون متخصصون ، ويتم اختيار طلبة هذه الشعبة من بين الطلبة الذين اجتازوا الصف الاول بنجاح ، وذلك طبقا لشروط معينة يجب توافرها في كل من يرغب في الالتحاق بهذه الشعبة وفي مقدمتها ان يكون الطالب سليم البنية والنظر ، كذلك لا بد له ان يجتاز اختبارا خاصا في اللياقة البدنية والمهارات الرياضية . **والصورة العليا الى اليمين** تبين الطلبة اثناء درس في السباحة بحمام السباحة المقام داخل المعهد؛ **والصورة السفلى الى اليمين** ايضا لفريق من طلبة شعبة التربية الرياضية وهم يستمعون الى محاضرة يلقيها عليهم الدكتور محمود كامل اليوزكي كبير أطباء مستشفى العظام ، في مادة التشريح ، واصابات الملاعب. بينما تبين **الصورتان العليا (الى اليسار)** ثم **الصورة السفلى** ، الطلبة اثناء تدريبهم على الالعاب السويدية داخل قاعة الألعاب بالمعهد .



يقوم خلالها ناظر المدرسة التي يوفد اليها الطالب، بمهمة التوجيه والاشراف على طلبة المعهد الذين أسندت اليهم مهمة التدريس بمدرسته ..

ولا يمنع قيام الطلبة بالتدرب على التدريس في المدارس ، من الاستمرار في دراساتهم بالمعهد . وهكذا يعد المعهد طلبته ، اعدادا عمليا للمهمة الملقاة على عاتقهم ..

مكافاة للطالب

وتصرف الوزارة لكل طالب طوال فترة الدراسة من السنة الاولى حتى تخرجه مبلغ اربعين دينارا كويتيا مكافاة شهرية له ..

قلنا لمدير المعهد : « ما هو الغرض من صرف هذه المكافاة ؟ »

قال : « الهدف الاساسي ، هو تشجيع الطلبة على الاقبال على مهنة التعليم .. ان التعليم بوجه عام يواجه مشكلة في العالم كله ، فمهنة التدريس من المهن الشاقة ، التي ما زالت حتى اليوم دون مكانها الجدير بها في السلم الاجتماعي ، رغم دورها الحيوي في بناء حضارة الانسان واستمرارها .. ومن اجل ذلك يتردد الطالب كثيرا في اختيار هذه المهنة وهو يبحث عن مستقبله ويستعد لحياته العملية .

توصيات اليونسكو

« ولعل هذا هو السبب الذى دفع منظمة اليونسكو التابعة للامم المتحدة الى التوصية باتخاذ كل التدابير والوسائل التي من شانها ان تشجع الصفوة من الشباب على الاقبال على مهنة التدريس ..

« وقد كان هذا السبب نفسه هو الذى حدا بحكومة الكويت الى منح المعلم ، امتيازات لا يتمتع بها غيره من اصحاب المؤهلات المماثلة .. فهي قد منحته وهو طالب المكافاة الشهرية طوال مدة انتظامه في الدراسة ، ثم منحته وهو معلم بعد تخرجه ، درجة مالية اعلى من تلك التي تمنحها لقرنائه ، من غير المعلمين ، فيعين خريج المعهد على الدرجة الخامسة بمرتب شامل قدره ١١٦ دينارا للاعزب ، و ١٣٥ دينارا للمتزوج » .

قلنا نسال مدير المعهد : « كم عدد الطلبة غير الكويتيين ؟ »

طلبة البعثات

قال : « « منذ بدات الدراسة في المعهد ، رات الوزارة أن تخصص عشرين مقعدا لابناء الخليج ، وعشرين مقعدا آخر لابناء الجزائر .. وقد تخرج هؤلاء بالفعل ، وتسلموا اعمالهم في بلادهم ، حيث



طلبة فرقة الموسيقى التابعين لشعبة التربية الفنية ، أثناء عزفهم لاحدى المقطوعات العربية بقاعة الموسيقى بالمعهد .. وقد ارتدوا « الدشداشة » الزى الوطني للكويت تجاوزا ، نظرا لقرب انتهاء العام الدراسي ، فالمفروض ان يحضر الطلبة الى المعهد بالبدلة العادية ، وفقا للوائح .



أعضاء مجلس ادارة المعهد يتوسطهم مدير المعهد وقد جلس الى يمينه والى يساره وكيلا المعهد السيد حمود حمد صالح الرومي ، والسيد احمد محمد احمد ، ثم بقية الاعضاء من اساتذة المعهد الاوائل . وقد دأب المعهد على اقامة لقاء شهري بين الاساتذة يقدم فيه احدهم عرضا لاحدث كتاب صدر في تخصصه ، ثم يناقشه الاساتذة جميعا ، ويستهدف هذا اللقاء رفع المستوى العلمي وتجديد الفكر وتنشيطه واطلق على هذه الندوة « من رحيق الفكر » .

يعملون الان في حقل التدريس.. وقد تلاهم عشرون طالبا من ابناء موريتانيا تخرجوا ايضا ، ومنهم الان وكلاء لبعض المدارس الابتدائية في موريتانيا ، ومعلمون بالمدارس الثانوية فيها ، فنحن نتابع باهتمام انباء خريجينا الذين عاشوا بيننا هنا في الكويت ، وتلقوا العلم في مدارسها ومعاهدها » .

تجربة جديدة

غير ان وزارة التربية والتعليم الكويتية ، رأت في هذا العام أن تبدأ تجربة جديدة.. فقد افتتحت فصولا دراسية بالمعهد لاعداد طلبة البعثات ، للالتحاق بمراحل التعليم المختلفة في الكويت . وقد روعي في هذه الفصول التقريب بين ما يوجد من فروق في مناهج الكويت ، وغيرها من مناهج البلاد الاسلامية المختلفة التي يأتي منها هؤلاء الطلبة ، والاهتمام بصفة خاصة بتدريس اللغة العربية لمن كانت العربية غير لسانهم الاصلي ..

وقد نجحت التجربة ، وجاء الى الكويت ؟؟



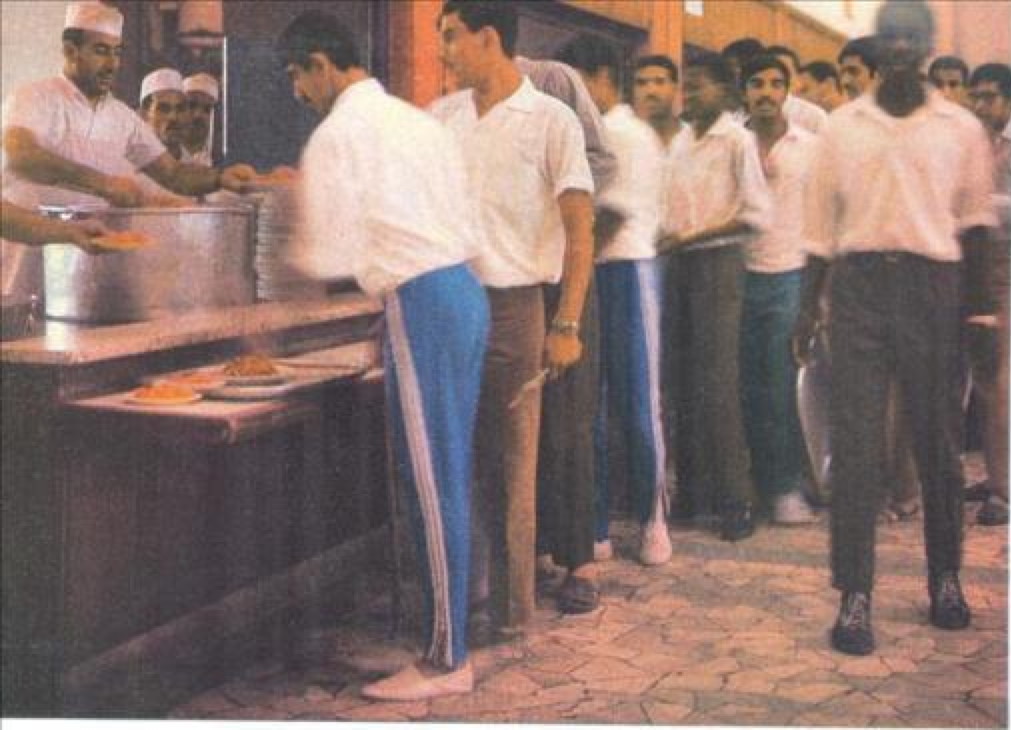
طلبة شعبة التربية الرياضية في خطوة سريعة بخطونها على انغام الموسيقى قبل بدء تمريناتهم الرياضية في الصباح .. وهم يرتدون جميعا زيا واحدا اثناء التمرينات ، ويتألف من بنطلون صوف أزرق وفانلة قطنية بيضاء ، وتضم الشعبة الرياضية حوالي مائة طالب .

الى اليمين : سليمان رجب وذو الخيرات فيض الله طالبان مسلمان من يوغوسلافيا، يدرسان العربية والدين في الفصول الخاصة بالمعهد توطئة للالتحاق بجامعة الكويت لدراسة الحقوق والشريعة في العام الدراسي المقبل .



الى اليسار : يقدم المعهد وجبتي الافطار والغداء لكل طلبته ؛ اما طلبة القسم الداخلي من الكويتيين وضيوفهم المغتربين، فيقدم لهم المعهد وجبة العشاء ايضا . وفي الصورة مجموعة من الطلبة ينتظرون دورهم في صف طويل ليحصلوا على حصتهم من الغداء في قاعة الطعام بالمعهد .







الى اليمين : احد طلبة السنة النهائية بالمعهد ، وهو يلقي درسا في الحساب على تلاميذ احدى المدارس الابتدائية ، خلال فترة التدريب ، وكثيرا ما يلجأ المدرسون الى الوسائل التعليمية عندما يعجز التلاميذ الصغار عن معرفة الاجابة الصحيحة ..

الى اليسار : طالب من الفيلبين بملابسه الوطنية بسكن الطلبة المغتربين ، وقد وقف بجوار دولاب ملابسه يقرأ رسالة وصلته من ذويه .. وفي المعهد ثلاثة من أبناء الفيلبين ، وهم يتحدثون العربية الفصحى ، ويرتلون القرآن الكريم .

تطوير اعداد المعلم الكويتي

تتجه وزارة التربية الكويتية الآن الى رفع مستوى المعلم في مراحل التعليم المختلفة ، استجابة منها للتوصيات العالمية والعربية ، وبخاصة تلك التي نادى بها مؤتمر وزراء التربية الاخير الذي عقد في المغرب في شهر يناير من العام الحالي ١٩٧٠ ، وفي مقدمة هذه التوصيات ان تكون شهادة الثانوية العامة هي المؤهل الادنى الذي يتحتم حصول الطالب عليه للالتحاق بمعاهد المعلمين ، بحيث يتم اعداد معلم المرحلتين المتوسطة والثانوية على المستوى الجامعي .

طالبا من اندونيسيا والفلبين ويوغوسلافيا وموريتانيا والسنغال والنيجر وسيراليون ونيجيريا وبروندى وكينيا وداهومى .

سكن الطلبة

واقام الطلبة الغرباء في السكن الخاص الذى اعده لهم المعهد باحدى الفلات الانيقة القريبة من المعهد ، ووزع الطلبة على الغرف بحيث روعى ان يقيم في كل غرفة الطلبة الذين ينتمون الى بلد واحد ، حتى يستطيعوا أن يمارسوا تقاليدهم وعاداتهم في غير كلفة ودون أن يشعروا باى احراج.

قصدنا اليهم نزورهم في مساكنهم ، وفي غرفهم وجدناهم يرتدون ملابسهم الوطنية ويستذكرون دروسهم ، ويصلون ، ويرتلون القرآن ..

أنهم يتناولون الافطار والغداء في قاعة الطعام بالمعهد ، ثم ينصرفون الى مسكنهم ، ليستريحوا ويستذكروا دروسهم ، حتى اذا جاء المساء ، جاءت معه سيارات الاوتوبيس الخاصة لتنقلهم الى المعهد مرة اخرى ، لتناول طعام العشاء . وهم يتقاضون بعد هذا مبلغا شهريا لمصروف جيبهم الخاص ..

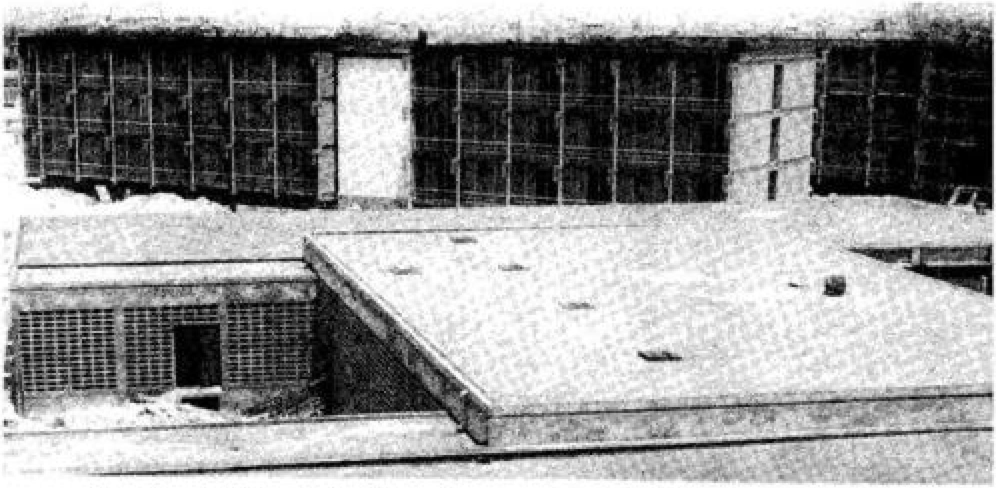
طلبة القسم الداخلي

وبجوار سكن الطلبة المغتربين ، خصصت الوزارة مسكنين آخرين للطلبة من أبناء الكويت ، الذين يسكنون مناطق بعيدة عن المعهد ، مثل جزيرة فيلكه او الاحمدى ، او قرية الجهراء الخ .. كما يضم السكن كذلك بعض الطلاب الذين تتطلب ظروفهم الاجتماعية وجودهم بالسكن الداخلي ، لتهيئة الظروف الملائمة لدراستهم وحياتهم .

وتقوم ادارة الخدمة الاجتماعية بوزارة التربية



الى اليمين : حديث عن الامتحانات بين طالب كويتي وزميل له من افريقيا جاء يطلب العلم في معاهد الكويت ، وما اكثر اللقاءات التى تتم بين الزملاء في السكن الخاص بطلبة القسم الداخلي بعد انتهاء اليوم الدراسي .



منظر خارجي للمبنى الجديد لمعهد المعلمين ، ويعد من أحدث المباني التعليمية في الشرق الاوسط ، وقد تكلف بناؤه وتأثيثه ما يزيد على المليون دينار . وروعي في تصميمه تلبية احتياجات معلم التربية الفنية والموسيقية والرياضية . وقد زود بقاعات للموسيقى ذات جدران عازلة للصوت ، وحمامات للسباحة ، وقاعات فسيحة للألعاب السويدية ومساكن صحية تتسع لأكثر من ثلاثمائة طالب بالقسم الداخلي كما زود بمكتبة ، وقاعات للاجتماعات ، وعدد كبير من المختبرات العلمية ، ومركز حديث للوسائل التعليمية . وسوف ينتقل المعهد الى هذا المبنى الحديث فى العام الدراسي المقبل .

والتعليم عن طريق الاخصائيين الاجتماعيين العاملين بها ببحث حالة كل طالب من طلبة المعهد على حدة .. وعلى ضوء هذه الدراسة يتخذ القرار الخاص باستمرار بقائه مع اسرته او نقله الى سكن الطلبة .

هذه هي قصة معهد المعلمين ، اول معهد من نوعه ، قام فى الكويت لاعداد المعلم من ابناء هذا البلد ..

نظام الشورى

يقول مدير المعهد : « لقد كان هدفنا الاول منذ انشائه هو تحديد الاطار العام الذى تتم داخله عملية اعداد المعلم الجديد .. المعلم الذى يقدر المسئولية ويتحملها ، ويشارك بعد هذا بالرأى فى كل ما يتصل بحياته ومستقبله .. ومن اجل ذلك اخذنا بنظام الشورى ، وهو نظام ليس غريبا علينا ، فهو نابع من حياتنا العربية الاصيلة .. فالطالب في المعهد يشارك برايه فى كل تنظيماته ، وفى الاجتماع العام الذى يعقده المعهد شهريا للمدرسين والطلبة ، تتاح الفرصة لممثلي الطلبة لابداء مقترحاتهم وآرائهم فى كل ما يتصل بحياتهم داخل جدران المعهد ، وكذلك في تطوير هذا المجتمع المدرسى الذى ينتمون اليه .

النظام المثالي

« وقد نجحت هذه التجربة الديمقراطية نجاحا فاق كل تصور .. ذلك لان النظام الذى ينبع من رغبة الافراد وارادتهم ، هو النظام المثالى الذى يمثل الاقتناع بان هذه الانظمة ما وضعت الا لصلحة المجموع وبناء على رغبة الاغلبية من افراده .. ثم هذا الحوار الذى يجرى بعد ذلك فى تلك الاجتماعات الشهرية .. انه في حد ذاته مدرسة حقيقية تمدهم بالفعل للحياة العملية .. حياة المعلم .. امل الامة فى حياة افضل ومستقبل اكثر اشراقا .. » ■■

منير نصيف



قَطْر النَّدَى

بقلم : سنية قراعة

■ كانت ليلة ما أحبَّ سُمّارها أن يُعقبها نهارٌ أبدا ... فالنهار نور وبعث ، وحياة وعمل وجهاد ، وهم أبناء الليل .. أبناء الترف .. عباد البذخ وعشاق الاسراف في كل شيء حتى في السهر ، والسمر ، والمجون .

كانوا جميعا من فئة المرائين .. الذين اتخذوا من التردى حرفة ، ومن الزلفى وبذل ماء الوجه عملا يتعيشون منه ، فترامو على أقدام خمارويه الشاب الذى ورث حكم مصر بعد أبيه أحمد ابن طولون ، الكريم الشجاع .

يا أسفا للنار المتأججة ، لا تلد غير الرماد الذى تذروه الرياح العاصفة في كل واد .

واذا قال أهل الانصاف ان أحمد بن طولون انتزع زمام الأمور في مصر من يد الخليفة العباسي ومماليكه ، واستقل بخيراتها ، فانه من الانصاف أيضا أن نقرر ، أن وريثه خمارويه قد أقام دعائم وجوده على اللهو والشراب ، والندامى وسمار الليالى .

من أجل هذا ، أحب أبو الجيش خمارويه الليل ، ولما كان السمار على دين ملوكهم .. فقد أحبوا بدورهم الليل وتمنوه سرمدا لا يعقبه نهار.

لقد قضوا ليلتهم العابثة الصاخبة تلك ، كما



بريشة : أحمد الوردجي

قضوا من قبلها ليالي وليالي ، في مدينة القطائع التي شيدها الأب الباني ، أحمد بن طولون ، لتكون عاصمته ، ومستقر أجناده وأخلص رجاله، ثم ورثها الابن الشاب خمارويه ، وورث معها الملك والثراء والجاه ، وقصر أبيه العظيم هناك، وقد اعتاد أن يقضي في أبهائه الفسيحة لياليه بعد أن جمّله وزينه وجعله تحفة للناظرين !!

ولئن كان الأب قد اقام الاساس ، فان الابن عاشق المظاهر ، عمد الى التجميل والتزيين ، وجعل للقصر حديقة غناء لم تشهد العيون مثلها ، جمع فيها أبدع الزهور ، واطيبها عطرا وشذا ، وطيور الزينة ، وكل غريب فاتن ذى جناحين .

ومن الغريب بعد هذا أن تعــرف ان المكان الفسيح الذى حوله خمارويه الى حديقة ، كان ميدانا عاما فسيحا انشاه ابن طولون ليستعرض فيـه جيشـه العظيم ، ويقـوم الجيش فيـه بتمريناته وتدريباته العسكرية ليحذق فنـون الحرب ، ويكون عارفا بضروب الطعن ، خبيرا باسرار القتال ..

ومرت ساعات الصفاء الطروب الضـاحكة ، كما تمر الاطياف بين اهداب حالم وسنان .

وتقدمت فراشة الفجر عبر الافق الشرقي ترف باجنحتها الرمادية المتوردة بذهب الشمس الساطع لتوقظ الكون الهاجع وتقول للسمار العابثين ولت ليلة وأقبل نهار .

ولكن أهل الليل أبوا أن يحسوا بمقدم النهار، وأكبوا على الشراب ، وتعالت منهم الضحكات .. وأسرع سيدهم العابث الى نوافذ القاعة وشرفاتها يسدل عليها الستار كي يحول دون النور والانتشار .

ومد خمارويه يده يجذب الستائر ، واذا بصوت قائده « سعد بن الاعسر » يهتف في سعادة طاغية : ما أروع الحديقة ، وما أجمل طلعة الفجر ..

وأطل خمارويه برغمه على حديقته الفسيحة .. أطل ليرى الجنة الارضية التى شيدها ، ولم يفكر في الاستمتاع بجمالها ذات يوم .

ووجد خمارويه نفسه يسير كالمشدوه عبر البهو الفخم ، يتبعه قائده سعد وحده .. اما الباقون فظلوا حيث هم امام الموائد التى كانت لم تزل حافلة بالطيبات .

ووصل الحاكم الشاب الى حديقته .. وراح ينقل بصره في دهشة المأخوذ .

لم تأخـذ خمـارويه روعـة الازاهـر .. بل اخذته قطرات الندى تناثرت على أوراق الورد المتعددة الالوان كحبات اللؤلؤ الشفاف !!

ووقف خمارويه امام الورود يرمقها بنظـرات الحب والشغف .. وأدهشت وقفته تلك قائده سعدا ووجد نفسه يسير نحو سيده ويميل عليه في ولاء يساله في همس هل يقتطف له بعض تلك الورود ان كانت أعجبته ..

واستدار خمارويه في انفعال عصبي نحو سعد وصاح فيه بلا وعي الا يلمس الورود ، وأن يدعها حيث هي ، فما أحب سيده الورد ولا اهتم بروعته وحسنه وفاتن ألوانه ، ولكنه أحب أن يرى « قطر الندى » على أوراق الشجر !!

« قطر الندى » يتوسد أوراق الورد الريانة في الصباح المبكر .. هذه اللآلىء الناصعة الطاهرة .. يجب أن تظل حيث هى على أوراق الورد ، حالمة غافية ، مسلمة نفسها الى لذيذ الرقاد .

« قطر الندى » .. قطر الندى .. اسم حبيب راح خمارويه يردده في شغف العاشق شفه الوجد واضناه الهوى .

انها ابنته الفاتنة .. ابنته التى كانت تسير نحو الخامسة من عمرها .. نور حياته التى لم يجد لها بين المسميات اسما أروع ولا أجمل من قطر الندى .

والتفت خمارويه .. الأب الحانى الشاب .. ووجد نفسه يسر الى قائده بأن قطر الندى يجب ان يكون فراشها من أوراق الورد ذات الألـوان العديدة !!

وعجب سعد بن الاعسر لاسراف سيده في التخيل، واستسلامه الى الغريب من الاحلام ووجد نفسه يجسر فيساله كيف يصنع للصغيرة الغالية «قطر الندى » فراشا من ورق الورد !!

وانساق خمارويه وراء تخيله السعيد ، ومال على قائده يهمس في اذنه متسائلا ان يجيبه في صراحة .. هل يبخـل على قطر الندى بنت خمارويه ، بفراش على هيئة وردة متعددة الاوراق والألوان ان قدر له ذات يوم أن يتزوج بها !!

ووجد القائد الشجاع نفسه يتقدم من سيده في فرحة غامرة ، ليقول له في حرارة ان قطر الندى بنت الملوك ، لا تستحق فراشا على هيئة وردة فقط بل مخدعا كاملا مضفورا بالأزاهير والورود ، تتشابك أجزاؤه بخيوط من أشعة الشمس والقمر ليبين جمال الورد اعظم وأكثر فتنة .

وارتاح خمارويه الى قول سعد بن الاعسر .. وطرب له .. بل لقد احس في تلك اللحظة بالذات انه يحب قائده الشجاع بصورة لم يحبه مثلها ابدا من قبل حتى لقد طغت موجة حبه لقائده فاذا هو يعده بانه سوف يزوجه « قطر الندى » يوم تبلغ سن الزواج .

ومرت الاعوام .. وما اسرع ما كانت تمر وكأنها برق لماح ، ما دامت هناك فسحة من الامل !!

مرت الاعوام .. ومصر تسير في نفس الطريق الذى عبده لها احمد بن طولون .. هدوء وصفاء يخيم على البيت الحاكم .. وما دام خمارويه يرسل الخراج الى الخليفة العباسي ، فلتبق الحياة كما هى .. ان كل ما يريده امير المؤمنين الضعيف المتخاذل هو المال ثم .. الرشاوى والاعطيات والهدايا لبطانته من المماليك اصحاب النفوذ الحقيقى ..

كان في خراج مصر ما يكفى .. كما أن الخزائن كانت عامرة لان احمد بن طولون عرف كيف يملؤها بالخيرات التى فاضت لديه ، بعد ان اصلح ونظم ، وشيد وبنى ،وشق الترع واقام الجسور ، واقام المدن ، وكون الجيش ...

ومرت أعوام اخرى .. ونسى خمارويه حديث الخيال العذب الذى انساق اليه ذات صباح مبكر بعد سهرة صاخبة ، ولكن قائده الباسل الشجاع سعد بن الاعسر لم ينس اليوم ، ولا الحديث ..

ولكم ود سعد بن الاعسر لو يستطيع ان يدفع امامه عجلة الزمن ، ليسرع بامانيه الى حيث يريد ، فتبلغ عروس الاحلام سن الزواج ويصبح هو .. صهر خمارويه وقائد الاجناد ..

يالروعة الحلم الذى طالما انسى سعد بن الاعسر واقع الحال .. انساه ان قطر الندى قد اتمت العاشرة او تعدتها بقليل ، وانه هو .. زوج الاحلام المنتظر قد تخطى الاربعين .. وله في الزواج تجارب عديدة ومع الجوارى والاماء احداث ومغامرات ..

ويابى موكب الاحلام وهو في عنفوان مسيره ذات يوم الا ان يجرف امامه سعد بن الاعسر وقد جمعه بسيده خمارويه مجلس وشراب ، فمال عليه يسر اليه بخبيئة نفسه ويبوح له باحلامه ويذكره بوعده القديم ..

وضحك خمارويه وضحك حتى كاد يفقد توازنه .. وظنها سعد بن الاعسر ضحكات الفرح،فطابت نفسه .. ولم يدر بخاطره انها ضحكات الشماتة من رجل يسير نحو شيخوخته يتصور انه من السهل الهين ان يحدث لقاء بين الربيع فى اقباله الحلو والخريف فى ادباره السريع !!

وعاد سعد بن الاعسر يهمس فى رجاء وهو يتمنى ان يسمع سيده يجدد وعده له ليزداد تعلقا بخيوط الامل المجدولة من نسيج العنكبوت ..

وابتسم خمارويه .. وهز رأسه .. ثم ضحك مرة ثانية ، ضحكة القت بذور الامل فى قلب سعد المتيم بحب العذراء الطفلة ..

وامتلأ قلب سعد بالرجاء والامل من جديد .. في الوقت الذى طابت فيه نفس سيده لاخلاص ابن الاعسر له ، فاخلاصه هذا معناه انه لم يزل رجله الامين القادر ان يصد عنه وعن عرشه رياح الغدر والمؤامرات التى كانت تهب دائما من ناحية بلاط سيده امير المؤمنين !!

لقد كان الجيش هو دعامة بقاء ابيه احمد بن طولون في مصر .. وكان هذا الجيش عدته في صراعه وانتصاره على كل المؤامرات التي دبرت له .. وان خمارويه اليوم لفى نفس مكان ابيه، مع فارق واحد .. لقد كان الاب هو القائد حامل السيف وصاحب الخطط ، اما الابن ... فقد كان الغارق فى الترف والملذات ورغم هذا .. فملك يمينه قائد جيشه .. وهذا معناه انالسلطة .. والوفاء ..كل الوفاء .. ملك يمينه وبين يديه وعليه ان يطمئن مادام ابن الاعسر معه ورهن اشارته هذه الايام على الاقل ، وليكن بعد ذلك ما يكون .. فقد يستطيع ان يدبر شئونه .. ويجد بدل سعد .. طامعين يحلمون بالجاه من نوع جديد !!

ومرت اعوام اخرى ..

واقبل الاب على ابنته فى شغف يرعاها رعاية الاب فى تزويد احب الناس اليه بزاد الحياة .. وعتاد مسيرها فيها .. كان خمارويه قد رزق في هذه الاثناء بابنه ابى العساكر جيش .. ولكن الابن كان لم يزل صغيرا .. ثم انه كان سيرث الحكم والجاه والسلطان ، وعرش مصر ولكن هذه الصغيرة الغالية .. ماذا سترث .. وبأى عدة قوية تستطيع ان تواجه الحياة ..

اعد خمارويه الاب الحانى لابنته شبه دار دراسة تليق بها .. واحضر لها المربين من كل صنف وفى كل فن وكل ضرب من ضروب الحياة..

وصار الحديث عن ذكاء قطر الندى حديث الجميع .. ثم هي بعد هذا تنمو في سرعة ، ويتزايد حسنها وتكتمل انوثتها ..

ثم ..

الم يكن من حق سعد بن الاعسر بعد هذا ان يجن شغفا بقطر الندى .. ويذوب وجدا وضنى .. ويتناسى فارق السن .. ويحيا يتخيلها ويعيش ..

ولقد حدث ذات مرة ان رآها عن طريق المصادفة العابرة البحتة ، وهو في طريقه ليلقى سيده خمارويه !!

انها لحظة لن ينساها ابدا رجل الحروب والمواقع .. لقد نفد جليل تصوره ، وراجع عقله وهو الرجل المجرب الذى خاض المعارك تحت لواء احمد بن طولون .. لقد تحدى الموت في اكثر من ميدان .. واحاطت به المخاطر في اكثر من موقعة فدحرها .. ولكنه تراجع .. واحس بانه لاحول له ولا قوة ولا مقدرة على النضال ..

واستطاع في النهاية ان يجمع شتات نفسه التى ذهبت شعاعا .. واستمر في طريقه وهو غارق في لجة لم يستطع ان يعرف .. اكانت السعادة .. ام الحيرة .. ام الشرود والشقاء !!

لم يدر كيف وصل الى حيث كان ينتظره خمارويه ... ولكن كل الذى يدريه انه لم يعد يرى ابا الجيش خمارويه امامه حتى احس انه غريق وصل الى شاطىء نجاته ..

ووجد سيده وحده في القاعة الفسيحة .. وشعر ان الظروف تخدمه وان عليه ان ينتهز الفرصة ولايجعلها تفلت من بين يديه ..

وكان سيده صامتا .. واجما .. مطرق الرأس .. وهذه فرصة اخرى من واجبه ان يسارع باستغلالها لصالحه ..

وفتح سعد بن الاعسر فمه بكل صعوبة .. وجمع شوارد تفكيره ، وقبل ان ينطق بحرف واحد رفع ابو الجيش خمارويه اليه رأسه في ضيق وصرخ يشكو من الخونة المتآمرين الذين يحيطون به ويتظاهرون بخدمته والاخلاص له ، ثم يتجمعون عليه في الخفاء للاضرار به ..

وضرب سعد الارض بقدمه في ضيق ، وراح يلعن سوء الحظ وخاصة في لحظة ظن انه وصل فيها الى ابعد مما كان يتصور ويريد !!

وقام خمارويه في عصبية وراح يذرع القاعة في قلق وحيرة ، وهو لا ينفك يتحدث عن الخونة والخيانات .. والمؤامرات والمتآمرين الجبناء ..

ووجد ابن الاعسر نفسه يذوب حنانا من اجل سيده .. وبدا يستشعر نفس الضيق الذى احسه خمارويه وبرم به ..

واسرع القائد يتبع سيده حيثما سار .. ويسير في اثره .. وتوقف خمارويه اخيرا في عصبية والتفت الى قائده يسأله هل يعرف من هم اولئك الخونة الذين ضاق بهم .

ودون وعى تكلم سعد بن الاعسر فقال انه لو عرفهم لقضى عليهم بسيفه ايا كانوا .. وكائنة ما كانت صفاتهم ومراكزهم ..

وارسلها ابو الجيش خمارويه زفرة طويلة ثم تكلم في النهاية عن عبيد احسانه واسرى فضله من ارذال القوم الطامعين ، الذين حقدوا عليه مكانته وسابغ فضله ، فهربوا الى الشام ثم اسرعوا بالدسيسة ينقلونها ، فائتلفوا ما بينه وبين نائبه على دمشق ، واغروه بخيانة سيده خمارويه والخروج على طاعته وارجاع حكم بلاد الشام الى امير المؤمنين المعتضد بالله .. !!

وتكلم القائد الشجاع والاسى يغمر جوانحه .. تلك خيانة لايقرها عدل وان الواجب ان يسارع سيده لرد العدوان وتأديب الخارجين عليه ليشعر امير المؤمنين الجديد ، الذى خلف عمه المعتمد على الله ، وابن الموفق بالله قائد جيش المعتمد ووزيره ، ان احمد بن طولون لم يزل مكانه في مصر وان ابنه خمارويه صورة منه .

ووجد خمارويه في نفسه الشجاعة بعد ذلك ليجسر ويكتب الى سيده امير المؤمنين المعتضد بالله يذكر انه لن يسمح ابدا باغتصاب بلاد الشام .

ولقد ذعر المعتضد العباسي .. وراعه كتاب خمارويه .. ورأى ان الحكمة توجب التراجع في حدود كرامة السيد الواجب ان يحمى مكانته فلا يجسر عليها تابع قوى من اتباعه .. ولكن بطانة المعتضد لم ترض ابدا ان تسلم برأيه واصرت على المضى في سبيل تنفيذ خطة استرجاع بلاد الشام من يد خمارويه ..

وخرج خمارويه بجيشه الى بلاد الشام .. واسرع أعوان المعتضد يردون التحدى بمثله .. وخرج ابو العباس بن الموفق بجيش عظيم ليؤدب خمارويه !!

واحس سعد بن الاعسر ، يوم خرج الى الميدان

ان الحظ بدأ يخدمه وان أمل زواجه بقطر الندى قد اصبح حقيقة ماثلة ..

وراح خمارويه ينظم جموعه ، دون وعى ولاخبرة حتى سئم الاعداد والتوجيه ، وامضه الانتظار .. وهاهوذا يبوح لنفر من المقربين بضيقه مما حدث وما جره اليه العناد ..

واقبل على بطانتهم يسألهم لماذا يتصارع الناس ... ولماذا لا يكونون أخوة صافية قلوبهم .. لماذا لايترابطون فيما بينهم .. بالاخاء ..والمودة .. والمصاهرة مثلا !!

وصرفت خمارويه احلامه .. ووجد نفسه يسأل عما كان يحدث لو ان ولى عهد المعتضد العباسى تزوج ابنته الجميلة « قطر الندى » !!

وراقت الفكرة لخمارويه .. وايدها رجاله وشجعوه على السعى الحثيث لتنفيذها ، فهذا هو الضمان المؤكد لعودة الصفاء بين البيت الطولونى وبين دار الخلافة ..

وهكذا لم تمر الليلة الا وكانت فكرة زواج قطر الندى بولى عهد المعتضد امير المؤمنين هى الشغل الشاغل لابى الجيش خمارويه ..

ووصلت الهمسات مع اشعة الصباح الى سعد ابن الاعسر .. وطرقت في عنف وقسوة مروعة سمعه ، وكادت تنتزع قلبه من بين أضالعه ، حتى لقد راح يسائل نفسه .. اهكذا يتنكر الرجال لوعودهم .. ويخون اهل الامانات اماناتهم !!

وكبر عليه أن يعامله سيده على هذه الصورة ، وأن يهدم قصور أحلامه .

وكفر سعد بن الاعسر بشريعة الوفاء وتنكر للاخلاص ، وتملكته فكرة واحدة رهيبة هي رغبته في الايقاع بسيده والانتقام منه باية وسيلة .

وأفاق الحالمون والحاقدون فى النهاية على الانباء المروعة .. لقد دخل « أبو العباس بن الموفق » دمشق بجيشه وسار جنوبا ليقضي على مقاومة خمارويه الذى خرج اليه عند «الطواحين» قرب الرملة ، ثم دارت المعركة .

وضحك القدر ساخرا من أبى الجيش خمارويه وقد نزل الميدان .. وهو لم ير من قبل ميدانا ولا تصور أهوال معركة ..

وتعالى الصخب .. وتهاوت السيوف .. وتطايرت الرؤوس ..

يا للرهبة القاسية !! هذه بشاعة ما تصورها خمارويه ولا هو أحبها ، وهو الذى طالما أحب الحياة ومباهجها وأقبل عليها بمجامع عقله وتفكيره .. أما الموت .. فذلك أمر لم يخطر له ببال .. وصرخ لا ليحرّض على قتال أو يدعوهم الى هجوم .. بل صاح هلعا ورعبا ثم لوى عنان جواده هو وأكثر جيشه وفر هاربا .

ونظر سعد بن الاعسر حواليه ، فراعه ما قد حدث..وعز عليه أن تهون الامجاد على هذه الصورة، ودون حقد أو ضغينة أو رغبة في التشفى أو الانتقام ، وجد نفسه ومن حوله يثبتون في الميدان أمام زحف رجال ابى العباس بن الموفق .

دارت المعركة .. وثبت ابن الاعسر في مكانه ثم قاتل فى صلابة وقوة ورغبة فى أن ينال النصر ، واستطاع بعناده ومقدرته الحربية أن يحوّل اتجاه المعركة الى جانبه ، وأن يجعل رياحها تميل ناحيته ، ولم يلبث ان تحول بمن ثبت معه من الفوارس من الدفاع الى الهجوم ، واذا بالهزيمة الشنعاء التى تصورها خمارويه تتحول الى نصر عظيم .

وفر ابو العباس بن الموفق ومن معه مهزومين .

ولقد لعن امير المؤمنين أبو العباس المعتضد بن الموفق العباسي من اشاروا عليه بالمغامرة ، وثبت لديه أن احمد بن طولون لم يزل حيا ، وانه وان لم يَمت في وريثه خمارويه ، فقد ظهرت مقدرته وجرأته في أحد رجاله الاقدمين « سعد بن الاعسر » الذى حقق النصر .

وخلا سعد الى نفسه ثم ضحك فى ضيق وتبرم .. ثم تلفت حواليه مرات ومرات .. ظنه لم يكذبه ابدا ساعة تصور ان أمانيه قد دنت قطوفها وان احلامه قد أصبحت قريبة المنال .. وانه الآن وحين يطلب يد عروس احلامه قطر الندى ، فانما يطلبها عن مقدرة وكفاءة ، ولن يجسر خمارويه على رده أبد والا .. فليحكم السيف بعد ذلك بين الرجلين ..

ووصلت الانباء الى القطائع .. وصحا الهارب من غفوته .. وجعل ينقل بصره فيما حوله .. اى عار جلّل به سليل احمد بن طولون نفسه ولكن .. هوّن الامر عليه أن قائده سعدا قد ثبت مكانه وحقق لمصر نصرها على المتربصين بها على أية حال ..

ولكن احلام خمارويه الحالم ابت أن تشغله

طويلا فارغمته الحقيقة على أن يستيقظ ، وقد جاءته الانباء بأن سعد بن الاعسر لم يعد رجله الذى يرجوه ، بل غريمه الذى يساومه ..

لقد بعث اليه يفاوضه فى زواج قطر الندى !!

انه اليوم قادر .. ويستطيع ان يحول الاحلام الى حقائق .

وجن جنون خمارويه .. واسقط فى يده !! ماذا يصنع .. هل يسلم !! وكيف يسلم !! هل يرضى الهزيمة .. انه هو الذى رضيها وتخيرها ..

لقد هرب قبلا برغمه ، ودون سابق تدبير ولم يكن ساعتها فى وعيه .. فكيف يعيد اليوم وبكامل ارادته ما أجبر عليه بالامس !!

وتصاغر خمارويه .. واستشعر المهانة ، وكاد ينفطر كمدا ، اذ لم يجد احدا حوله يشجعه على الثبات او يحاول ان يعينه على المضى فى سبيل الجهـاد !!

واقتحمت قطر الندى خلوة أبيها .. دخلت بنت الخمسة عشر ربيعا الى خمارويه .. فجن جنونه ساعة رآها وكاد يبكي أسى وحسرة .

واقبلت قطر الندى على أبيها فى حنان هز الرجل وحرك شجونه حتى لقد كره نفسـه وابغضها .. ولكن الصغيرة الحانية ذات القلب الكبير أبت أن تسلمه الى وساوسه وراحت ، تحدثه وتهون أمامه الصعاب كلها .... ان فى توالي الليل والنهار ما يوقر فى الذهن انه لابقاء لحال ولا دوام لضيق ، فبعد الليل نهار وبعد الظلمة نور ..

وتكلم خمارويه .. ونسى نفسه حتى لقد اصبح الاب بين يدى صغيرته طفلا يبوح بكل ما فى أعماق قلبه .. همس وهو يكاد يبكى بمطالب ابن الاعسر.

ونظرت الصغيرة حواليها ثم جعلت تقترب من أبيها حتى لكانها كانت تتسلط على نفسه وافكاره بومضات من بريق عينيها البريئتين ..

وتملكت قطر الندى زمام أبيها واذا بها خلال لحظة استسلام منه تقتحم مشاغله كلها وتمسك بها لتجد لها الحل المرجو ..

لو ان الامر وقد وقف بمطامع سعد بن الاعسر عند طلبه الزواج بقطر الندى فحسب ، لطالبت اباها أن يسلم له بما يطلب .

ولكن طامعا مثله سيطالب كـل يوم بجديد .

واقبل الاب على صغيرته يسألهـا الرأى .. وتشجعت العذراء الخفرة واقبلت على أبيهـا تؤكد له ان المرء لن يموت الا الميتة التى كتبها له الله وحدد ساعتها وميقاتها .. وانه لن يموت مرتين الا امام عامل واحد هو عامل الجبن والمهانة والتسليم .. لانه بذلك يموت كل لحظة أكثر من ميتة .. ولخير للانسان المؤمن بقضاء الله وقدره ان يموت شهيدا وهو شجاع وسيفه فى يده من ان يموت جبانا ذليلا مهانا ..

وراحت تنفث فيه روحا وقوة وثباتا وهو مع كلماتها يزداد قوة وضراوة ..

وطالبته فى النهاية أن يخرج من عزلته ، وأن يعود الى من ينتظرون رده ليعودوا به الى ابن الاعسر .. ليقول لهم ان الرد سيصل الى سعد فى موعده وسيحمله اليه بنفسه سيده العظيم خمارويه .

ووصل رد خمارويه فى موعده المضروب فعلا .. رد ما توقعه سعد أبدا ، اذ اتاه سيده ، الجبان الهارب ، على راس جيش عظيم أوقع به الهزيمة ، وبدد أحلام تسلطه وسلطانه وقضى عليه .

ثم سار الاب الذى انتشى بخمر النصر وأثبت مقدرته فى ادارة المعارك الحربية ، يتقدم ويتقدم ، فذعر امير المؤمنين ، وخرج اليه بنفسه وصالحه وبارك نهضته ، وأبدى اعجابه بوثبته ، واعلنـه حاكما عاما على مصر والشام وشتى العواصـم الواقعة على الحدود الرومانية لمدى ثلاثين عاما قادمة ..

وعاد خمارويه الى مصر ، بطلا ظافرا منتصرا ، ورجع الى قصره الفخم فى القطائع ، لا ليعاود لهوه ومجونه وشرابه ، بل ليضع خطط الغـد للسير قدما فى سبيل النهضة والرقي ، ونسى خمارويه لياليه السـاحرة ، ومجونه ومحظياته ، ولكنه لم ينس بذخه وكرمه ، فوجه اهتمامه الى القصر .. وجعله آية من ايات الاعجاز الصناعي والدقة والبراعة .

ومرت أعوام قليلة .. وتضوعت الوردة المشبوبة بأروع وأروع ، وصارت قطر الندى مضرب كل مثل فى الجمال والرقة وبعد النظر ورجاحـة العقل .. وراح أبوها يفكر من جديد فى أمرها ..

وسائل خمارويه نفسه .. من في عالمه هذا جدير بزواج قطر الندى بنت خمارويه .. ومن يكون ذلك السعيد الذى تدخل قطر الندى بيته وتسعد حياته وتعطرها بالحكمة والسداد والاصالة وبعد النظر .

ولم يشغل خمارويه بذلك نفسه ، فقد تمنى ذات يوم أن يربط بينه وبين أمير المؤمنين برباط المصاهرة ، وان الفرصة لتواتيه اليوم ، وهو في أوج قوته ، وعظيم جاهه وسلطانه .

وتبادل التابع وسيده الهدايا .. وتوثقت بينهما أواصر الود والاخاء ..

ومع الرسل وصل من بغداد ذات يوم الحسين بن عبد الله المعروف باسم « ابن الجصاص » ، ليبشر الى خمارويه بأن رغبته في مصاهرة أمير المؤمنين قد لقيت القبول والترحيب الكبيرين ، وقد رأى الخليفة مبالغة منه في اعزاز تابعه الامين خمارويه ، الا يزوج قطر الندى من ولى عهده المكتفى بالله العباسي ، بل سوف يتزوجها هو ..

وضجت بغداد بالفرح .. وهتفت مصر بالدعاء .. وراح ابو الجيش خمارويه ، يعد لها جهازا لعرس لم تسمع به اذن قبل ولم تره ابدا عين ..

وتقف بنا مبالغات الرواة ، وخيالاتهم امام ما يشبه الخرافات حتى لكأن الانسان يعيش مع أبطال الف ليلة في لياليهم الساحرة ، وترفهم وبذخهم ..

لقد جعل خمارويه من الاحلام حقيقة ماثلة .. وأعد ابنته للزفاف اعدادا لم يسمع التاريخ بمثله.

وسارت عجلة الايام في سرعة .. واقترب اليوم الموعود .. وأسرع الاب السعيد يعد ابنته لرحلتها الفخمة الى بيتها الجديد .

ان الزمن على كرّه عبر القرون ، عجز عن طمس الرواسب النفيسة التى خلفتها افراح خمارويه بزفاف قطر الندى ، ويكفي أن نقول ان مصر قد عاشت افراحا ، ظلت تحيا بتصورها حتى ايامنا هذه ، حتى ان الناس الى وقتنا هذا يتوارثون اغنية * شادية حلوة عن « الحنة » وعن « قطر الندى » رائعة اللحن .. حانية الترتيل ..

لنساير بعد هذا موكب زفاف العروس السعيدة وهي في طريقها الى بغداد حيث كان اليوم المشهود الاعظم هناك.. أخليت الطرقات من المارة ، وحرّم على الشعب أن يقترب من نهر دجلة ، وسُدت ابواب الدرب والمسالك المؤدية الى الميادين والاماكن التى يمكن ان يتجمع فيها الناس ، وصدرت الاوامر بتحريم تجمع الاهلين بأعلى دورهم المطلة على شاطيء دجلة .. وخيمت السكينة والصمت على دار السلام حتى مر اليوم ، واقبل الليل في موكب غموضه فاذا بالطرقات المقفرة من الناس يشملها ضوء الشموع والمشاعل .. واذا بالمجامر ينطلق منها الشذا والعطر .. واذا بضجة وهمهمة .. انه موكب زفاف قطر الندى يسير في جلاله وغموضه وبذخه وثرائه الى قصر المعتضد بالله .

كان ذلك في ليلة من ليالي ربيع الاول عام ٢٨٢ هجرية .. ليلة مشهودة .. تبدأ عندها ليالى الصفاء الحقة والترابط المؤكد بين بني العباس واتباعهم من بيت ابن طولون .. وقد دخلت قطر الندى قصر أمير المؤمنين وصارت زوجته ..

والى هنا .. وعقب دخول قطر الندى قصور الخلافة .. يصمت التاريخ .. ولا يتكلم عنها .. ولا يذكرها الرواة ولا المحدثون ، وكأني بدخول قطر الندى ، التقية ، اللامعة الذكاء ـ قصر المعتضد ، كان نهاية الانباء عنها ، فلا يعرف أحد كيف عاشت ولا كيف انتهت ، ولكن التاريخ الذى اغفل ذكرى زوج أمير المؤمنين عاد ليقف بباب خمارويه والد قطر الندى ..

لقد تم زفاف ابنته عام ٨٩٦ ميلادية الموافقة للعام الهجرى ٢٨٢ ـ وفي نفس السنة .. خرج الاب لاحدى جولاته ببلاد الشام كعادته دائما ولكنه في تلك المرة خرج ولم يعد ، اذ ضاقت به جواريه وبرمن بتصرفاته وشذوذه ومجونه ، فأوعزن به بعض أعوانه ففتكوا به .. وبموته أسدل ستار على عهد من عهود الخيال ، وعصر رائع من ازهى واجمل عصور الاحلام . ■■

سنية قراعة

---

* تشير الكاتبة الى مثل هذه الأغنية التى لا يزال يسمعها الانسان في القاهرة لا سيما في الاحياء الوطنية ، وهي :

الحنا ، الحنا ، يا قطر الندى ... شباك حبيبي يامينى جلاب الهوى

الحيَاة مُراوَحة بَيْنَ عمَلٍ ولَعِبٍ . .

الشبَاب لا يقاس بالسنين

بقلم : الدكتور زكريا ابراهيم

■ حينما توفى الفيلسوف الانجليزى الكبير برتراند رَسِل Bertrand Russell (١٨٧٢ ـ ١٩٧٠) ، كتبت احدى الصحف البريطانية تقول : « مات بالأمس شاب انجليزى شارف الثامنة والتسعين من عمره » ! ولم يكن من الغرابة فى شىء أن يبقى المفكر الانجليزى الكبير ـ حتى آخر لحظة من لحظات حياته ـ شابا متوثبا يتمتع بكامل قواه الجسمية والعقلية : فقد عرف رسل كيف يستبقى فى نفسه حيوية الطفولة ، وكيف ينعم فى شيخوخته بكل ملذات الشباب !

ولم يكن برتراند رسل مجرد فيلسوف ساخر مزج الجدل بالهزل، وانما كان أيضا حكيما رواقيا عرف كيف يمزج العمل باللعب ، وكيف يصارع الموت بالحياة . وهكذا كانت حياته الطـويله استمرارا لطفولة سعيدة ، نعم خلالها بالفراغ والحرية ، واستطاع عن طريقها الظفر بالوفرة والخصوبة .. وحين كتب فيلسوفنا مقالا « فى اطراء الكسل » In Praise of Idleness تعجب الكثيرون كيف يُعلى مثل هذا المارد الفكرى الجبار من شأن رذائل كالبطالة والخمول والتكاسل! ولم يكن رسل ـ فى الحقيقة ـ ينتقص من قدر « العمل » فى حد ذاته ، وانما كان ينتقد تلك الحياة الشاقة المضنية التى لا توفر لصاحبهـا أى قسط من الفراغ ، أو التنعم ، أو الاستمتاع. ولعل هذا هو السبب فى حملة رسل الشديدة على « المدنية الصناعية » التى لم تخلـق من الانسان الحديث سوى « رقيق » مستعبد تماما للعمل الآلى الرتيب ، دون أن تتيح له الفرصـة للاستمتاع باستهلاك ما أنتجه ، بل دون أن تمهد له السبيل للانطلاق فى أجواء حرة ملؤها اللهو واللعب والانشراح ! والظاهر أن « الانسـان الحديث » قد فقد ما كان يتمتع به أسلافه من مقدرة على اللعب والانطلاق ، ان لم نقل بأنه قد أصبح عاجزا ـ أو شبه عاجز ـ عن الاستمتاع بحياة اللهو والتحرر ، وذلك نتيجـة لظاهرة «الكف» أو «المنع» Inhibition ، التى ولدتها فى نفسه « عبادة الفعالية » : Cult of Efficiency

ولو اننا عدنا ـ فيما يقول رسل ـ الى تاريخ الحضارة البشرية ، لاستطعنا أن نتحقق من أنه لولا « أهل الفراغ » ـ وعلى رأسهم جماعات المفكرين والفلاسفة والأدباء والفنانين ـ لما نشأت شتى مظاهر الحضارة من علم وفلسفة وفن ، ولما قدر للانسانية يوما أن تخرج من مرحلة البربرية ! ومعنى هذا أن الحضارة البشرية قد اقترنت فى ظهورها بعملية « التفرغ » التى أتاحت للانسان فرصة التحرر من أسر الحياة العملية ، والتفكير فى شىء آخر أكثر من مجرد العمل والانتاج .



بَيْنَ جِدٍّ وَهَزْل

برتراند رسل
الفيلسوف الشهير
احتفظ بشباب فكره
الى سن الثامنة والتسعين

وما زالت حياة اللهو واللعب والانطلاق ـ فيما يقول رسل ـ هى حياة الغبطة والسعادة والنشوة بالحياة ، في حين أن حياة العمل والنصب والارهاق هى حياة التوتر ، والكآبة ، والأعصاب المكدودة ! (١)

هل يكون «اللعب» أسبق من «العمل» ؟

وهنا قد يعترض معترض فيقول : « ألستم انتم ـ أيها الفلاسفة ـ الذين عرفتم الانسان فقلتم انه حيوان صانع ؟ الم يقم من بينكم من أعلى من شأن « العمل » لدرجة أنه قال : ان الانسان هو عين ما يعمل ؟ وإذن فكيف تقدمون « اللعب » على « العمل » ، أو كيف تزعمون أن حياة اللهو أخلق بالانسان من حياة الجد ؟ » وردنا على هذا الاعتراض أن « اللعب » قد قام بدور اساسي في حياة الوجود البشرى ، لدرجة اننا حين نتعقب اى نشاط جدى أو اية مهارة عملية كان لها دور في ترقية الانسان ، فاننا لا بد من ان نجد انفسنا قد انتقلنا الى « ملكوت اللعب » Realm of play . وآية ذلك أن ضروب التسلية وشتى مظاهر « النشاط غير النفعى » قد سبقت لدى الانسان البدائى كل الأساليب النفعية ، وكافة الوسائط العملية ، وقد كانت أول حيوانات استأنسها الرجل البدائى هى صغار الكلاب والقطط التى كان الأطفال يجدون لذة كبرى في مداعبتها واللعب معها ! ومن المحتمل أن تكون عمليات الغرس والرى ـ في الأصل ـ مجرد محاولات لاهية كان الرجل البدائى يقوم بها على سبيل اللعب . وهناك باحثون لا يرون ادنى حرج في القول بأن العجلة ، والشراع، والآجر .. الخ لم تكن ـ في بادىء الأمر ـ سوى مجرد أدوات كان البدائيون يلهون بها . والحق ان ادوات الزينة قد كانت أسبق في الظهور من أقمشة الملابس ، كما أن « القوس » كان آلة موسيقية قبل أن يصبح سلاحا !

وقد لا نجانب الصواب اذا قلنا ان « اللعب » كان دائما أبدا أكثر أعمال الانسان نفعا وأعظمها فائدة . ولا بد لنا من أن نتذكر أن الانسان قد رسم ، وحفر ، ونقش ، وقام بتشكيل المادة ، قبل أن ينجح في صنع أية آنية ، أو نسج أى قماش ، أو تصنيع أى معدن ، أو استئناس أى حيوان . ومن هنا فقد يصح لنا أن نقول ان الانسان بوصفه فنانا أقدم بكثير من الانسان بوصفه عاملا . ومعنى هذا أن اللعب أسبق من العمل ، والفن أقدم من الانتاج النفعى . وكثيرا ما كانت الضرورات الملحة بمثابة الحوافز القوية التى حدت بالانسان الى الانتفاع بأشياء كان يقتصر في البداية على اللهو بها . ولا شك أن الانسان

(1) B. Russell; « In Praise of Idleness », London. Unwin Books, 1962, PP. 9-21.

حين يظل يكدح من أجل الضروريات ، فانه لا بد من أن يجد نفسه مضطرا الى البقاء في عـالم الحيوان ! وأما حين يعمد الى انفاق طاقاته ، أو حين يعمد الى المخاطرة بحياته ، من أجـل شيء ليس بجوهري لبقائه ، فانه عندئذ يصبح انسانا بحق ، ويكون قد وصل بالفعل الى المستوى الابداعي الحقيقي . ولهذا يرى بعض الباحثين أن الكائن البشري لم يتحول الى « انسان » ـ بمعنى الكلمة ـ الا في تلك البيئات التي كانت الطبيعة فيها سخية، فوجد الانسان من الفراغ ما استطاع معه أن يلعب ، ولقي من نفسه ميلا أو استعدادا مكنه من الانشغال بأشياء كمالية (أو غير ضرورية).

دور « اللعب » في حياة الطفل

ولو أننا عدنا الى نشاط الأطفال لوجدنا ان « اللعب » هو أكثر الاشياء جدية في حياة الطفل. وقد حاول الكثير من علماء النفس ورجالات التربية تفسير ظاهرة اللعب ، فقال قوم منهم ان اللعب ينطوي أولا وقبل كل شيء على منفعة عملية كبرى بالنسبة الى الطفل . وآية ذلك أن اللعب ـ من وجهة نظر وظيفية بحتة ـ يمثل عملية « تمرين » أو « تهيئة » لبعض الانشطة الموجودة لدى الطفل بالقوة . وهذا هو السبب في ان العاب الطفـل الأولى هي في معظمها ألعاب حركية . فالطفـل ـ في مرحلة الطفولة المبكرة ـ يختبر جسمه ، ويجرب حركاته ، مثله في ذلك كمثل الحيوان الذي « يتعلم » ـ عن طريق اللعب ـ كيف يقوم بعمليات الصيد أو المطاردة ، وأفعال المبارزة أو المحاربة . وحين تصبح ممارسة الوظائف الحركية عملية سهلة لا تستأثر بانتباه الطفل ، بل تسبب له ضربا من اللذة التلقائية، فهناك لا يصبح اللعب عملية تعلم، بل يفقد دلالته العملية . ونحن نعرف ان الطفل كثيرا ما يشيع الحياة في الموضوعات الجـامدة التي يراها من حوله، فليس بدعا أن نجده يجسد الأشياء في صميم ذاته ، لكي تفقد كل ما تتسم به من خطر أو تهديد بالنسبة له ، وعندئذ لا نلبث أن نراه يمارس فيها قدرته ، قاصدا من وراء ذلك الى العمل على التوسيع من شخصيته ، حتى تمتد في دوائر تتسع شيئا فشيئا لكي تشـمل في النهاية كل الاشياء المألوفة لديه .

وثمة رأي يقول ان الطفل يحاول ـ عن طريق اللعب ـ تحقيق بعض أساليب السلوك البالغ ، بطريقة أسهل وأيسر ، علـى مستوى لا واقعي بحت . ولهذا يقرر بعض الباحثين أن اللعب يمثل عملية « تبسيط » لمواقف معقدة ينخرط فيهـا البالغون ، وتبدو للطفل بمثابة أحداث متشابكة لا سبيل الى تفسيرها . ومعنى ذلك ان اللعب يستلزم من الطفل توترا نفسيا اقل وادخل في باب قدرته . والحق انه قد يكون من الصعب علـى الطفلة (مثلا) أن تعنى باخيها الصغير او أن توجه اليه الرعاية اللازمة ، نظرا لان مثل هذا العمل يتطلب قدرا غير قليل من الانتباه والمبادأة ، فضلا عن انه لا يخلو من مسئولية ـ ولكننا نلاحظ مع ذلك ان في استطاعة الطفلة الصغيرة ان تأخذ دميتها وتتنزه معها ، دون أن تشعر باي قلق او انشغال حين تقوم بمثل هذا الجهد !

بيد أن مثل هذا التبسيط لضروب السلوك الواقعي لا يتلاءم ـ فيما يبدو ـ مع طبيعة اللعب. وآية ذلك أن هنالك العابا تقوم على بعض القواعد الصارمة ، فضلا عن أن الطفل نفسه يجد نوعا من اللذة في الشعور بالمشكلة او الصعوبة . واغلب الظن أن يكون اصحاب هذا التفسير قد قصروا كل اهتمامهم على النظر الى العاب المحاكاة او التقليد. صحيح ان التجربة تدلنا على ان الكثير من العاب الطفل ، سواء أكان ذلك في مرحلة الطفولة المبكرة، أم في بداية المرحلة الثانية من مراحل الطفولة ، هي العاب محاكاة او تقليد ، ولكن اللعب الحقيقي هو لعب ابتكار او تجديد . والواقع ان الطفل حين يلعب فانه كثيرا ما يبتكر او يستحدث مواقف جديدة ، وكأن لعبه هو بمثابة تحرر من سلطـة البالغين التي يخضع لها عادة في حياته الواقعية . وقد تنطوي العاب الطفل (في مثل هذه الاحوال) على بعض عناصر تقليد او محاكاة ، ولكنها عناصر لا تكاد تتجاوز الملابسات الخارجية ، بينما يظل المبدأ الاصلي الذي ينتظم كل عملية اللعب مستقلا تماما عن الحياة الواقعية . ولا نرانا في حاجة الى القول بان العالم الذي تجري فيه عملية اللعب هو عالم خيالي او وهمي : فانه لمن الواضح ان الاطفال يلعبون لانهم لا يستطيعون ان يحيوا في عالم الواقع او الحقيقة ! ولكن اللعب ـ مع ذلك قد يعبر عن رغبات حقيقية او واقعية لدى الطفل، وان كان من شان هذه الرغبات أن تتحقق في دنيا اللعب دون أدنى قسر او ضغط ، حتى ان مجرد

وجود شخص بالغ في مجتمع اطفال يلعبون لابد من ان يسبب لهم شيئا من الضيق او الحرج !

سحر « اللعب » في حياة الطفولة !

ان الاطفال جميعا ليحيون في جنات سحرية وسراديب خفية تتألف منها « ملكوت احلامهم » ! وهو ذلك الملكوت السحري الذي تتكلم فيه الحيوانات الصديقة ، وتجرى فيه بعض الطقوس والممارسات العجيبة ! وليس هذا الملكوت الخيالي مجرد محاكاة لعالم البالغين ، بل هو عالم خاص عامر بالسحر ملىء بالاسرار ، وآية ذلك ان الدمية (مثلا) ليست في نظر الطفلة مجرد لعبة مصنوعة من الخشب او الخزف او اية مادة اخرى ، بل هي مخلوق عجيب قد جاء السحر فتجسده وجعل منه موجودا فريدا في نوعه ! والحق ان من شأن اللعب ان يخلق للطفل عالما « واقعيا » يلعب فيه « الخيال » دورا هاما ، لانه هو الذي يقوم بمهمة « التعويض » و « التحرير » .

وهذا هو السبب في ان « الضعف » سرعان ما ينقلب في هذا العالم السحري الى « قوة مطلقة » كما ان « الحرية » نفسها لابد من ان تستحيل الى سلطة لا تقف عند حد ! ولعل هذا ما حدا ببعض الباحثين الى تشبيه « اللعب » عند الطفل، ب « السحر » عند الرجل البدائي . ونحن نعرف كيف وصفت لنا الكاتبة الفرنسية كوليت Colette سحر اللعب عند الطفل ، في أقاصيص مشهورة تحت عنوان : « Bel - Gazou » . وما أصدق كوليت حين تقول : « ان المنزل الذي قضينا فيه طفولتنا ، لا يبدو لنا كما كان حين نعود اليه بعد غيبة طويلة ، لان من المؤكد ان سحره الخاص لابد من ان يكون قد فارقه » !

واذن فان الوظيفة التخيلية التي يضطلع بها « اللعب » لا تحمل طابع « التعلم » او طابع «المحاكاة» ، الذي طالما تحدث عنه بعض الباحثين. والحق ان « الخيال » هنا قلما يتجه نحو « الموضوع » ، بل هو يتضمن في معظم الأحيان عملية « انطواء للذات » على نفسها ، وكأن « الذات » تجد لذة كبرى في الشعور بنشاطها الخاص ، أو كأنما هي تبدع لنفسها عالما وهميا يحدث فيه كل شيء على هواها ! ولهذا فقد ذهب الكثير من الباحثين الى ان في اللعب ضربا من « الفرار » او « الهروب » ، ما دام من شأن الطفل أن يتحرر ـ عن طريق اللعب ـ من كل « قيد » بأسره ، بل من كل « حد » يقف حجر عثرة في سبيل انطلاق نشاطه . ولكن في اللعب أيضا تأكيدا لقوة الذات : لان الطفل الذي يلعب يحس أنه يمارس تلقائيته الخاصة في حرية تامة وكأنما هو يريد أن ينعم بقدراته الذاتية قبل ان تجيء قيود المعرفة التي سوف يفرضها عليه البالغون ، فتصب كل نشاطه في قوالب صارمة محددة ! (٢) .

هل من علاقة بين « اللعب » و « الابداع الفني » ؟

وهنا يقرر بعض الباحثين ، أن العلاقة وثيقة بين « اللعب » من جهة و « النشاط الفني » من جهة أخرى : لان كلا منهما يمثل «نشاطا بلا غاية». ولكن اذا كان من الحق أن اللعب يعبر عن الحاجة الى الانفاق أو البذل ، فكيف يمكن أن نعده نشاطا يخلو تماما من كل غائية ؟ ألم نلاحظ فيما سبق أن الطفل يقوم ـ عن طريق اللعب ـ بالتدرب على بعض ضروب النشاط التي لم تتح له الفرصة بعد لممارستها بطريقة واضحة صريحة ؟ فكيف يمكن اذن ان نقول عن « اللعب » انه نشاط تلقائي لا يهدف الى آية غاية ؟

هذا ما يرد عليه شيلر Schiller ، بقوله ان الطبيعة نفسها (وهي لا توصف في العادة بأي نشاط غائي) كثيرا ما تعبث ، بدليل ان الشجرة الواحدة تبعثر من البذور ما لا حصر له ، فتتناثر تلك البذور هنا وهناك دون أن تنمو أو يتولد عنها شيء ! والحيوان أيضا ـ بمجرد ما يكون قد نجح في اشباع حاجته الى الطعام ـ سرعان ما يقوم بنشاط زائد لا يهدف من ورائه الى آية غاية . وأما لدى الانسان فان « اللعب » يتجلى على صورة

(2) Cf. Jeanne Bernis: «L' Imagination », Paris, P.U.F., 1954, Ch III, Le mythe et le jeu PP, 48 - 50.

فاعلية نزيهة Activité desinteressée ، يمارسها الانسان دون ما هدف او غاية . ولهذا يقرر شيلر « أن الانسان لا يلعب الا حين يكون انسانا بحق ، وهو لا يكون انسانا بحق الا حين يلعب » . ويساير شيلر أستاذه « كانت » Kant ، فيقول ان اللعب هو الأصل في الفن . وهذه هي النظرية التي دافع عنها من بعد الفيلسوف الانجليزي هربرت اسبنسر S;encer ، حين ذهب الى ان كلا من اللعب والفن لا يزيد عن كونه فيضا لطاقة زائدة .

والحق أننا لو نظرنا الى « اللعب » ـ من وجهة نظر سيكولوجية خالصة ـ لكان علينا أنتستكشف ما له من دلالات نفسية مختلفة : فعلى حين أن لعب الحيوان هو صورة من صور التدرب أو ممارسة بعض الوظائف ، نجد أن لعب الانسان اقرب الى الابداع او النشاط الفنى منه الى اى شيء آخر . وقد سبق لنا أن لاحظنا كيف ان لعب الطفل ليس مجرد لهو أو تسلية فحسب ، بل هو أيضا تعلم ودراسة . وهذا ما حدا ببعض علماء النفس الى القول بان اللعب يمثل ـ لدى الطفل ـ نموذجا ممتازا لما يمكن تسميته باسم « التجربة المفتوحة » :

وحسبنا أن ننظر الى مكانة اللعب لدى الرجل البالغ ، لكي نتحقق من أن التلاعب بالصور ، والأخيلة ، والألفاظ ، هو الذى خلق منالانسان « فنانا » يعرف كيف يعمر دنياه بآلاف من الأطياف التى ابتدعها خياله أو نسجها وهمه !

اننا حين نوجه انتباهنا الى العاب الأطفال فقد نسمعهم أحيانا يقولون :

« انت ستكون كذا ، وأنا سأكون كذا » ! وامثال هذه العبارات انما تدلنا على انهم يمارسون خيالهم من أجل خلق « حياة وهمية » تشبع ميولهم ، وترضي أخيلتهم ، وتحقق لهم كلرغباتهم! وليس من شك في أن « الفن » يقوم بمثل هذه المهمة في حياة البالغين : لان النشاط الفنى لايخلو من « ايهام ارادى » . ولكن من الواضح أن الرجل البالغ لا بد من أن يجد نفسه مضطرا الى تنظيم أخيلته ، واقامة بعض الحدود أمام أوهامه ، نظرا لانه أدرى من الطفل بضرورات مبدأ «التصديق»، ودرجات « الاحتمال » ، ومقتضيات « الروح النقدية » . ومعنى هذا أن الرجل البالغ أكثر احساسا من الطفل بما تفرضه عليهالحياةالواقعيه من التزامات ، ومن ثم فانه كثيرا ما يضع حدا امام خياله الجامح ، كما أنه يميل بطبيعته الى التخفيف من غلواء نزواته الحادة . ولكن هذا لا يمنعنا من القول بأن بعض الفنانين كانوا يجدون لذة كبرى في اطلاق العنان لاخيلتهم الجامحة ، فضلا عن أن بعضهم الآخر كانوا يعمدون الى اصطناع ضرب من «السذاجة» في انتاجهم الفنى، وكانهم كانوا يقصدون قصدا الى محاكاة براءة الطفولة ، فلم يكونوا يترددون في تقديم اعمال فنية شبيهة برسوم الأطفال من حيث بساطتها وسهولتها ! (٣) .

ومهما يكن من شيء ، فان من المؤكد أن الفن صورة بارعة من صور اللعب ، وان كنا هنا بازاء « تنظيم جمالى » يعمد فيه الانسان البالغ الى التلاعب بالصور (أو بالمشاعر) دون ما هدف أو غاية . ولكن الملاحظ ـ مع ذلك ـ أن ثمة فارقا واضحا بين الفن واللعب ، من حيث أن النشاط الفنى لا بد من أن يبقى متسما بطابع جدى . وهذا هو السبب في اننا نلاحظ لدى الفنان ـ خصوصا في لحظات الابداع الفنى ـقسطا غير قليل من الألم ، وكان « الابداع » ، عملية « ولادة روحية » لا تتم الا بجهد وعسر ومشقة ! ولعل هذا ما عبر عنه أحد علماء الجمال بقوله : « ان الفن ـ بالنسبة الى الفنان ـ ضرب من اللعب ، ولكنه لعب أليم . » (٤)

هل يكون الانسان هو الموجود الوحيد الذى يظل شابا ؟!

.. ان ما يتصف به الموجود البشرى من نقص وعدم اكتمال ، لهو السر فيما يملكه من اصالة وابداع . وآية ذلك أن الانسان هو الحيوان الوحيد الذى لا يقنع بما هو ، ولا يرضي عما

(3) R. Bayer: « Traite d' Esthetique », Colin,1956, P. 191.

(4) F. Challaye: « L'Art et la Beaute », Paris, Nathan, P. 56.

ملكت يداه . والظاهر ان المثل الأعلى للانسان ــ في فترة ما من فترات حياته ــ كان بمثابة مزيج من شتى ضروب الكمال التى كان يراها متمثلة في عالم الحيوان . ولا غرو، فقد كان الانسان البدائي يرى في الأسود، والفيلة ، والخيول ، والغزلان ، وذوات القرون ، وغيرها من صنوف الحيوان ، نماذج فريدة تمثل القوة ، والمهارة والرشاقة .. الخ . ومن هنا فقد جاءت فنونه ، ورقصاته ، واغانيه ، وطقوسه ، ومبدعاته ، وليدة سعيه المستمر نحو تعويض ذاته عما كان ينقصه بوصفه « حيوانا » . ومعنى هذا ان « روحانية »الانسان لم تصدر في الاصل عن رغبته الحادة في الانتصار على « حيوانيته » ، بل هي قد انبعثت عن نزوعه الاصلي نحو العمل على بلوغ مستوى « الحيوان الاعلى » ! ولعل هذا هو السبب في ان الانسان البدائي كان يتخيل مثله الاعلى على صورة « ساحر » يتحكم في عالم الحيوان بأسره ، ساحر له وجه انسان وجسم حيوان ، ان لم نقل بان جسمه هو مزيج من حيوانات عديدة قد اتحدت لتؤلف ذلك « الجسد » الحيواني العجيب !

ولعل اعجب ما ترتب على « نقص » الانسان و « عدم » « اكتماله » انه قد اصبح بمثابة الموجود الوحيد الذى لايستطيعان « ينمو » بحق، او أن « يكبر » بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة ! فالانسان هو « الكائن الوحيد الذى يظل شابا في هذا العالم » ، حتى لقد زعم البعض ان «الملعب» (او « حجرة اللعب ») هي البيئة المثالية لظهور ما لدى الانسان من قدرات ومواهب . وهذا ما عبر عنه الكاتب الامريكي المعاصر اريك هوفر Eric Hoffer ، بقوله : « ان الطفل الكامن في الرجل هو منبع اصالته ، ومصدر قوته الابداعية » . واذا كان قدماء اليونان قد قالوا : « ان من تحبه الالهة يموت شابا » . فربما كان في استطاعتنا نحن ان نقول : « بل يبقى شابا حتى يوم الممات » !

ان سن الخامسة لهى العمر الذهبى في حياة الانسان : فاننا جميعا عباقرة في هذه السن !

وليست المشكلة ــ بالنسبة الى الشاب ــ انه لم يصبح بعد رجلا ، بل المشكلة انه لم يعد طفلا ! واذا اريد للنضوج أن يعنى شيئا ، فلا بد له من ان يصبح بمثابة عملية استعادة للمقدرة على الاستغراق التام ، بحيث يصير في وسع الشاب الناضج ان يتحكم في سائر المهارات الموجودةلديه، على نحو ما يفعل الطفل في الخامسة من عمره . ولكن الطفولة تستلزم « الفراغ » ، في حين ان العالم يسلبنا ــ حين نكبر ــ معظم اوقات فراغنا، لكي يقدم لنا ــ عوضا عنها ــ مجرد احساس بالنفع Sense of usefulness ولكن لو قدر لعصر التنظيم الالكترونى الآلى أن يسلبنا هذا الاحساس بالنفع ، لما اصبح في مقدور العالم أن يسلبنا اوقات فراغنا.ولا شك أننا لو طردنا من «السوق» فسوف نعود حتما الى « الملعب » ، لكى نستعيد حياة « التعلم » و « النمو » . ومن هنا فان قدوم عصر التنظيم الآلى الالكترونى لن يكون الا فاتحة لعهد الاستهلاك الكبير !

.. ان الانسان لم يكن « انسانا » ــ بمعنى الكلمة ــ لاول مرة في تاريخه ، اللهم الا في « جنة عدن » حيث كان ينعم بحياة الفراغ والانطلاق . والظاهر أن الفرصة قد تسنح لنا من جديد لتحقيق مصيرنا النهائى ، واستكمال انسانيتنا الحقة، بالعودة من جديد الى حياة اللعب واللهو! ونحن نعرف كيف طرد الله آدم من جنته ، وكيف أخرجه الى عالم الجهد والعرق والشقاء ! ويخيل الينا ان آدم ــ بعد أن وجد نفسه ملقى على الارض خارج اسوار الجنة ، قد نهض واقفا ، وراح ينفض الغبار عن نفسه ، وهو يحدق فيأبواب الجنة المغلقة ، ويتفرس في وجوه الملائكة الذين يحرسونها ، ثم لم يلبث أن غمغم .. قائلا : « ومع ذلك فانني لا محالة عائد » ! (٥)

واذا قدر لجيلنا ــ او لأى جيل آخر مقبل ــ أن يعرف كيف يلعب ، وكيف يبقى شابا ، فلا بد لمثل هذا الجيل من أن يحقق نبوءة آدم ! ■■

زكريا ابراهيم

---

(5) Cf. Eric Hoffer: «Man, Play and Creativity», In «The Temper of our Time» , N.Y. 1968, Ch. XI .

وَقْفَةَ عَلَى بَابِ الغَيْب

قصة بقلم : فاضل السباعى



■ لم أكد أدخل ، في تلك الليلة ، باب منزلي، حتى كانت بنتاي الصُغريان تتطايران نحوي كفراشتين مسحورتين ، وتتصايحان في بهجة غامرة :

ـ ماما . ماما . تريدك . .

وسرعان ما عاودني ، مع هذه البشرى ، قلقٌ بتُّ أعانيه منذ أخذنا أهْبتنا لاستقبال وليدنا الجديد . . .

رفعت الصغرى بين ذراعيَّ ، وانعطفت أقبّل خدَّها ، وأهمس في أذنها بما جريت على ترديده لها في الفترة الأخيرة :

ـ لن أحضنك ، بعد اليوم ، يا « ايمان » . فانت لن تعودي ، منذ الليلة ، صغرى أخواتك ، ستحمل على صدورنا اختك الجديدة « منتهى » !

كان قد مضى على زواجي ثمانية عشر عاما ، انجبت خلالها بناتا ثلاثا ، دون أن أُوَفّق الى اسعاد الأسرة بأخ صبي واحد !

وبلغني صوت « بسمة » العاتب :

ـ لا تقل « منتهى » ، يا بابا ! سيبعث الله الينا بأخ يُسعدنا نسميه « تمام » !

وتدفقتْ في صدري موجاتٌ من ذلك القلق الحادّ .

ـ لا يهمُّ ، يا بنيتي ، ان جاءتنا منتَهى ، أو اقبل تمام ، المهمُّ سلامة ماما .

كنا قد كففنا ، منذ سنوات عشر ، عن انجاب الذرية ، مخافة ان يتجدّد اخفاقنا في تقديم الوليد المرغوب لاخوات قد اضنتهنَّ الاشواقُ لاستجلاء طلعته البهيّة .

تسرّبت ايمان من بين ذراعيَّ ، لاحقة باختها .

حين كانت ابنتي الكبرى ، تطلُّ عليَّ لتخبرني في اعتزاز :

ـ توجّعتْ امي منذ ساعة ، فاسرعت اهتف الى القابلة .

تمتمت ، وانا غارق في تأملاتي :

ـ حسنا فعلت ، يا ابنتي :

ـ وهي ، الآن ، في طريقها الينا .

اطربت همّتها :



ـ أنت ، الليلة ، سيدة البيت ، يا «أمل» .

واجتزت الباب الى حيث الأم في سريرها ، وقد احاطت بها : بسمة وايمان ، عن يمين ويسار .

ـ كيف حالك ، يا « أم أمل » ؟

رنت اليّ ، تردّ تحيتي بابتسامة شاحبة .

ـ شدّي عزائمك ، يا أم البنات الحلوات . وامنحينا ، الليلة ، بنتنا الظريفة الرابعة .

سنكون بها سعداء جدا .

فاغفضت بناظريها ، .

وانحنت عليها بسمة ، تدعو برجاء حار :

ـ ان شاء الله يأتينا تمام ، يا ربي . نحن بحاجة الى أخ . يكفي أننا ثلاث بنات .

وأفعم هذا الدعاء الواله قلبي حزنا وخوفا : ما يكون حالهنّ اذا بلغ عددهنّ ، آخر هذا اليوم، أربعا ؟!

ولحقت بنا « أمل » ، لتطرح ما بين يديها على السرير : ملابس الوليد المنتظر . فاندفعت الصغيرتان تنقبان فيها ، وقد علت منهما أصوات الفرح . هي ذي ايمان تأخذ أحدها ، لتنشره على صدرها ، هاتفة بشوق يذكو في عينيها :

ــ بعد ساعة ... يلبس أخونا قميصه هذا !

وتضيف بسمة ، مادة ذراعها بمريلة طويل :

ــ وتزنرة القابلة بالزنار !

أسرعت « أمل » الى زجرهما :

ــ اتركا « الديارة » . لا تعبثا بها !

فكرت : واية سعادة جدير بها ان تغمر قلوب أفراد الأسرة ، اذا ما أسعف القدر ، أخيرا ، فوافانا بتمام ؟!

وحدقت بزوجتي ، فوجدتها تتوجع في صمت ، وبدا لي القلق الذي اعانيه ، ماثلا في عينيها ! ولكنه ، عندها مشوب بما خيل الي انه توسل ورجاء .

★ ★ ★

انطلقت الى حديقة المنزل . كان القمر البدر يهيل ضوءه على أزهار الحديقة وأشجارها ، وعلى البركة الرخامية . وكان يرين سكون في هدأة الليل . أي تعلق ، تشهد عيناي في بناتي ، باخ لهن يضفي على الاسرة جوا من السعادة !

اقتعدت حافة البركة : انا سعيد ببناتي الثلاث سعادة لا حد لها . هن صديقاتي . وانا لهن الاخ الاكبر . تزوجت في سن مبكرة ، وانجبتهن على مدى ثماني سنوات ، شببن عن الطوق ، وكبرت معهن ، ولكني ما كبرت على صداقتهن . لم يخامرني قلق من توارد هن واحدة بعد الاخرى (بعد أمل بسنوات خمس ولدت لنا بسمة ، ووافتنا ايمان بعد عامين اثنين) .. ولكن كان « للمجتمع » رأي آخر : كان بعض أصدقائي يغدقون علي عطفا ورثاء ، هما عندي أشد مضاضة وأقسى من عذاب النار . تأخر مخاض اليوم اسبوعين عما قدر له من موعد . بعضهم يسائلني :

ــ وأين مولودكم الجديد ؟ نراه قد تأخر !

فاجيب ، مصطنعا نوعا من الدعابة :

ــ والله ، لقد وصلتنا منه « برقية » يبلغنا فيها أنه قد أجل قدومه حتى الشهر القادم !!

ويتضاحك الصحاب ، قبل أن يتبرى أحدهم « مطيبا خاطرى » :

ــ في علمي أن الجنين اذا اطال المقام في بطن امه .. فهو الصبي لا محالة !

ويتولى عني الجواب من يحمل وجهة نظري :

ــ ان الصبي والبنت ، في هذا الزمان ، صنوان : يدرسان معا ، يعملان ، يبرعان ، ينبغان ... والمجتمع الجديد يتيح الفرصة لهما بمقدار واحد !

وههنا ألمح البسمات الصغيرة ، الخبيثة ، تترى من زوايا الشفاه :

ــ الحقيقة : ليس من عنده الصبيان ، كالذى عنده البنات !

واجدني مندفعا الى حسم الحوار بدعابة من عندي :

ــ انا ، يا اخوان ، من نوع من الرجال لا ينجب سوى البنات (أو « افلسف » الامر على نحو آخر) ان انجاب الرجل ذرية من البنات أصعب من انجابه الذكور ... لانك ، في انجابك البنات ، تخرج ، انت الرجل ، من صلبك ، ما ليس من جنسك !

ثم اراهم يقهقهون « للنكتة » ... حتى ليستلقوا على اقفيتهم !!!

★ ★ ★

صحوت من افكاري على جرس الباب يرن . انها القابلة . هي ذي تحمل حقيبتها في يدها . شابة عزباء في نحو الثلاثين ، وديعة ومرحة ومتدينة .

غابت في البيت .

ولم ألبث طويلا حتى لحقت بها ، أسألها :

ــ متى الولادة ، في ما تقدرين ، يا آنسة « نهلة » ؟

كان عقربا الساعة يشيران الى العاشرة والنصف .

ــ بعد منتصف الليل ، ان أراد الله .

وبناتي الثلاث متحلقات حولها ، يوسعنها نظرا يرشح أملا ورجاء .

اعلنت ايمان الصغيرة فرحة . وهى التى تتميز بعنادها :

ــ لسوف أسهر الى ما بعد منتصف الليل ؟

وابتدتها بسمة ، المعروفة بغرامها بالنوم :

ــ وساسهر معك ... لاكون في استقبال اخي تمام لحظة ولادته !

وعدت الى الحديقة ، امشي الهوينا . وملت الى حوض القرنفل ، اقطف زهرة كانت تغتسل بضوء القمر . ادنيتها من انفي ، وعببت من اريجها ما ملأ صدري . كم بذلت جهدا في رعاية الحديقة وازهارها واشجارها ! وكم تعبتْ بنيّاتي في سقاية احواضها وغسل بلاطها ! بعد منتصف الليل ، سينضاف الى اسرتي عضو جديد . ياخذ دوره في خدمة الحديقة : ان جاءت « منتهى » انضمت الى اخواتها ... فان اقبل « تمام » عهدتُ اليه برعاية الشتول التي اغرسها ، فيتولى توثيقها بخيطان ، حمايةً لها من ان تستلقي فروعها على التراب ، فياتي الماء والطين على ازهارها . قبل ايام وجدتني اشكو لام امل ، وانا اقيم الشتول على عيدان القصب : « لم يعد جسمي يطيق الانحناء ، يا ام البنات الحلوات ! » ... اجابتني وهي عاكفة على خياطة ثوب صغير لمولودنا المنتظر : « قريبا ياتيك ابنك ، فياخذ عنك القيام بهذا العبء ! » ، واومض في عينيها بريق افسح لخاطري عالما من الامل والتامل !

تلقطت اذني همسا يدور وراء الباب :

ــ نحن ثلاث بنات ... يا ترى : هل سنصبح ، الليلة ، اربعا ؟ ام نظلُّ ثلاثا ويكون تمام رابعنا ؟

كانت هذه ايمان الحريصة على السهر . وبسمة تحاورها في ابتهال :

ــ يا ربّي ، يا ربي ، ياتينا صبي نسميه«تمام»!

ناديتهما :

ــ ايمان ! بسمة !

ــ نعم ، يا بابا .

ــ الن تتوجها الى غرفتكما ، فترقدا ؟

ــ سنسهر ... حتى نرى اخانا « تمام » !

اشفقت على الصغيرتين ؟

بل يَحسُن ان تذهبا الى النوم ، يا حبيبتي . فربما تاخرت الولادة حتى الفجر .

قالتا بلسان واحد :

ــ نسهر ... حتى الفجر !!

★ ★ ★

تصاعدت اصوات الطلْق ، وتسرّبت اليّ عبر نافذة الغرفة المطلة على الحديقة . حين اقبلت ابنتي الكبرى تدعوني الى العشاء .

قلت لها :

ــ لا احس جوعا ، يا امل . اهتمي بامك ، يا بنيّتي .

انها ، اليوم ، في ربيعها السابع عشر . صبيّة واعية ، تنهض بالعناية بامها ، في هذه الليلة الحاسمة ! وتبسّمتُ بمرارة ، وانا استحضر في خاطري صورتها يوم ولادة اختها ايمان . وقد تسمّرت في باب الغرفة في المستشفى ، ترفض ان تنظر الى الوليدة الجديدة ، وتدق ــ في احتجاجها ــ الارض بقدمها الصغيرة ، وهي تعلن من خلال نحيبها : « لا ، لن ادخل ! لم اعد اريد اخوات ! لِمَ لم تاتِ امي لنا باخ ؟! » .. فهل تصنع الصغيرتان ، الليلة ، اذا فوجئتنا باخت رابعة ، صنيع اختهما بالامس البعيد ؟!

وانبعثت من الغرفة صرخة اشدّ ! فقمت ، في قلقي ، اجوس الحديقة ، وانا عاقد ذراعيّ على صدري .

مشيت خطوتين . ولكني لم البث حتى نكصت ، واطللت من وراء النافذة :

ــ هل من مساعدة اُسديها ، يا بنتي ، يا امل؟

هرعت ابنتي ، متنشّطة ، الى النافذة تفتح مصراعها :

ــ شكرا ، يا ابي .

فسالتُ القابلة :

ــ اين وصلنا ، يا آنسة نهلة ؟

اجابتني ، وهي مشمّرة عن ساعديها :

ــ اقل من ساعة ، وينتهي كل شيء بالسلامة . فاضفى ردّها على قلبي راحة .

واعليت من صوتي :

كل ما ارتجاه ، يا حبيبة ، ان تضعي حملك بالسلامة .

وعدت الى تاملاتي في ضوء القمر ، ما ضرَّ لو ان الله منحنا صبيّا يكون اخا لامل وبسمة وايمان ؟ ان حنيني ، يارب ، الى الصبيّ ليملأ خافقي ، في وقفتي هذه الواجفة على باب الغيب. بودّي ان يكون لي اخيرا ، ابن ... طفل ، ينمو يكبر ، اصحبه في زياراتي الى الاصدقاء . في نفسي ان اراه يدخل اليّ ، في زيارة احدهم لبيتي ،

مقدما اليه والي فنجان القهوة . اشتاق أن أراه يسير برفقتي وأنا متوجه الى السوق لأتبضع حاجاتنا المنزلية ، يمسك معي «الشبكة» الطافحة بمحتوياتها ، فأوهمه بأنه « يعاونني » في حملها ، بينا هي بها ما يزيد على احتمال ساعده الصغير البض ! لسوف اشترى له شبكة من نيلون صغيرة ، أضع له فيها برتقالة ويوسفيتين وثلاث جزرات ، فيمشي الى جواري مزهوا ، وقد ملكه احساس بأنه يبذل جهدا في معاونة أبيه ، ولكنه ما يلبث حتى يعلن : « بابا ، تعبت ! » ... فأتوقف ، لأخفف عنه ما ناء به ساعده الصغير ! يا عيني عليك ، يا تمام ! لماذا تأخرت ، يا ولدى ، يا حبيبي ؟

انطلقت ، عبر النافذة ، صرخة بلغت مسمعي ، وأنا في اقصى الحديقة أيكون هو من يدق ، الآن ، أبواب دنيانا هذا الدق العنيف ؟

اقتربت ، مرهف السمع .

طلقة اخرى أشد وأمضى !

والقابلة ، في انهماكها ، تنادي ، تتضرع :

ـ يا الله ! يا الله ! يا معين !

وانطفأت الطلقة دفعة واحدة. حبست أنفاسي ، ولكن بكاء الطفل لم يعل ! صمت منطبق يمسك بخناقي !

كنا قد دأبنا ، من قبل ، على أن تكون الولادة في المستشفى . ولكن أم البنات الحلوات أصرت هذه المرة ، على أن تستقبل وليدها الجديد في البيت ، مثلما رغبت في الا يشاركها ، لحظتها الحرجة ، أي من القريبات أو الصويحبات . لقد حرصت على أن تغير المكان ، وتحتجب عن الوجوه التي ألفتها في الولادات التى سبقت ... فلعل الحظ يتغير ، لعله !

★ ★ ★

تلاحقت الطلقات ، واشتدت عزما .

والقابلة تهتف :

ـ هيا اضغطي ... اضغطي اكثر ... يا الله ! يا الله !

وأنا وراء النافذة امسك انفاسي .

أي عذاب يجري في بيتي ! والقمر مال الى المغيب ، والفجر يوشك أن يسفر .

طلقة جديدة أشد مضاء .

ـ يا الله ! يا معين ! ..

وتنطفىء .

ولا بكاء !

وينفطر قلبي ، وأنا أتنصت . ما هذا العذاب المقيم ! أفعم صدري ، بغتة ، خوف ما ، خوف من مجهول ! أنا الذى كنت ، طوال الساعات التى مضت ، احلم بالصبي يزرع القرنفل ، ويحمل الشبكة الصغيرة ، ويقدم القهوة الى ضيوفي !! ماذا لو وقع ، الآن ، تحت سمعي وبصرى ، ما ليس في الحسبان ؟ ركبني غم مريع. هتفت بلهفاتي كلها : أريد الوضع ان يتم ! في نفسي أن أسمع بكاءها : بكاء منتهى ، ايذانا بالخلاص من هذا العذاب . ستنتظمين ، يا بنيتي، عقدا من شقيقات لك ثلاث أحبهن . لسوف تنالين من حبي قدرا اعظم .

صوت القابلة يرتفع مجهدا :

ـ هذه آخر طلقة . اضغطي بكل قوتك . يا مهون! يا معين !

مزقت الصرخة سكون الليل ، حتى خلتها بلغت القمر الذى غاب .

وساد صمت : ثوان خمس ... عشر ... دهر طويل !

وانفجر بكاء الوليد ....

نأيت بنفسي عن النافذة . لم تعد بي طاقة على الوقوف . تهاويت على حافة البركة .

كان قد ارتفع ، في تلك اللحظة ، اسم الله تردده المآذن القريبة .

ـ الله أكبر . الله أكبر .

احسست بمآقى وقد أترعت دمعا .

انهمرت دموعى ، سعيدا بالولادة أن تمت .

ـ حمدا لك ، يا رب ، يا من يتردد اسمك في هداة الفجر .

خطوات عجلى تقترب .

خجلت من دموعى تشهدها ابنتى . التفتني ، في موضعى ، معتمدا وجهى بين راحتى . وقفت متهيبة لحظة . ربتت كتفى . همست :

ـ امى ولدت ، يا ابى .

وانتظرت ان اسألها ، لهيفا ، عما وضعت أمها. ولكنى لبثت صامتا ، أكفكف ، خفية ، ادمعى ببنانى .

انحنت تعانقني . وبصوت راعش أعلنت ، وما كان في وسعها أن تظل معتصمة بالصمت :

ـ وَلَدَتْ امي أخانا « تمام » يا أبي !

وداريت ارتعاشا في صوتي :

ـ سيان ، يا ابنتي .. أن يكون الوليد ذكرا أو أنثى .. المهم عندي سلامة امك .

لثمتْ أمل خدي ، فاحسست في وجهها بللا .

★ ★ ★

وجدتني ، مع غبشات الصبح الوليد ، رجلا آخر : أبا لأربعة ، فيهم صبي ، أنا في طريقي الى « التعرُّف » اليه .

اطرحت ، بعيدا ، قلقي العظيم ، حزني ، خوفي ، اغتمامي .. ونهضت صوب النافذة .

ومن وراء زجاجها أبصرته ، موسَّدا فـوق حَشِيَّة ـ يا عيني عليه ! ـ وقد لُفِعَ بدثار .

هتفت بيني وبين نفسي : هو ذا تمام المجيد ، أخيرا ، الذى انتظرته الأسرة ، طَوال ثمانية عشر عاما ! انه يمتص سبابة يسراه ، ويدفع بقبضته اليمنى الصغيرة في الهواء . ما احلاه : نهم ، وقوى مجالد !

والقابلة، التي غابت عن ناظري ، تتابع مهمتها.

تراجعتُ خطوتين .

قلبي يفيض حبورا . لقد تفجر عندي فرح كان قبل مكتما ! أحس سعادتي الأسرية قد اكتملت من بعد نقصان طال أمده! آه،ما أسعدنا به!ما أسعد الصغيرتين ! لقد أرهقهما السهر ، حتى لم تعودا تقويان على مغالبة النعاس ، فنهدتا الى النوم .

اقتربت من حوض القرنفل، وجاوزته الى حوض المنثور ، متابعا سيرى الى حيث شجرة الكبـاد .. ولكن نفسي لم تطاوعني على الابتعاد . أود أن أشهد وليدى الرائع عن كثب .

ارتددت الى الغرفة .

نقرت الباب باصبعي . فردت القابلة بصـوت قوى واثق :

ـ تفضل !

رأيت الصبي محمولا على كفها فوق الطشت . وأمل تصب عليه الماء الفاتر من ابريق . وهو ممعن في صمته ، يتقبل راضيا ما شاءت دنيانا أن تفرض عليه من طقوس أولية !

انحنيت على الوالدة المجهدة ، ألثم جبينهـا المتعرق :

ـ حمدا لله على سلامتك : يا .. « أم تمّام » !

رفعت الى عينين مكدودتين . ولكن نشوة الظفر والانتصار كانت تشرق في وجهها . واحسستني الآن ، أكثر قربا اليها من أية لحظة سبقت !

ـ تهيئي ، يا حبيبة ، لتضمى لتمّام أخا .

فاغتمضتْ ، من جهد ، طَرْفَها .

واحتجّت القابلة الشابة ، بصـــوت يفيض حيوية :

ـ انها لم تنس آلام الولادة بعد !

وقد اخذت تلفُّ جسد الوليد بمنشفة .

ـ الشكر لك على عنايتك ، يا آنسة نهلة . لطالما رددت « أم تمام » . ان يديك لا تتلقيان غير الصبيان . الآن عرفت لم أصرت على الولادة في البيت على يديك !

اشرق صوتها ، وهي تمعن في الجسد الوردى تنشيفا :

ـ هذا من فضل ربى .

وددت ان أهيب بها ، وهي تفرك جسد الصغير: رويدك ، لا تقسي على الصبي !

ـ تهيئي ، اذن ، لكي تستقبلي ، في مثل هذا اليوم من العام القادم ، وليدنا الآخر !

وأمل توسلت بصوت واجف :

ـ بابا ! أرجوك . يكفينا تمام العزيز .

فطنتُ :

آن للصبيتين أن تنهضا .

أعلنت أمل ، وهي تدفع بالقميص الى القابلة:

ـ انهما تغطان في النوم . من يقدر على ايقاظهما في هذه الساعة ؟

ـ أهذا ظنك ؟ حسن .

وسعيت اليهما .

وعلى سرير ايمان انعطفت أهمس :

ـ ايمان اصحى ، يا بابا !

وهي غارقة غارقة في أحلامها .

ـ أمك وَلَدَتْ ، يا ايمان . الن تستيقظى ، يا حبيبتى ؟

فتحت الحمامة الصغيرة عينيها . وفي صوت مثقل بالنعاس قالت :

ـ تمزح ! أنت تمزح ، يا بابا !

ـ لا مزاح في هذا ، يا بنيتي .

فهتفت بلهفة ، وقد فارقها نعاسها :

ـ ولدت امي ؟ ماذا ولدت ؟!

ـ تمام ! جاءنا تمام ، اخيرا !

اندفعت الصغيرة ، التي اضناها انتظار اخيها، تعانقني . ثم قفزت ، مثل رشا ، من سريرها . وفيما هي تبحث بقدميها عن خفها .. رايت

ـ يا لعجيبي ! ـ بسمة ، التؤوم ، تدلتي هي الاخرى ساقا ، ثم ساقا ، بحثا عن ..

هرعتا الى حيث الوليد ، الذي اكتسي ، الآن، نصفه الأعلى . قلت :

ـ هذا اخوكما تمام . عمره ، الآن .. خمس وعشرون دقيقة . تعرفا اليه جيدا .

حومت الصغيرتان حوله تعاينان ، بنظراتهما اللهيفة ، موضعا من جسمه لم يزل عاريا . واذ ابصرتاه تدافعتا نحو امهما ، تعانقانها ، وتصرخان كمن مسه جنون :

ـ تمام ! تمام ! جاءنا تمام !

شكرت بسمة ربها :

ـ الحمد لله أننا لم نصبح أربعا !

وايمان وعدت :

ـ لسوف أخبر صديقاتي ، في الصباح ، أن جاءنا أخ !

★ ★ ★

صباحا ، وانا في طريقي الى عملي ، اخذت احلم بأن تمام قد شب عن الطوق .. فهو يرافقني الى السوق ، ويطالبني ، مرة بعد مرة ، بأن اجعل في شبكته مقادير اكبر من المشتريات !

وتصورته ، وهو يشد محفظته الجلدية الصغيرة، العامرة بالكتب الى ظهره ، ماضيا الى مدرسته مع باكر الصباح !

وفي عين الخيال رايته يعاونني في توثيق شتول القرنفل والمنثور ، ويتسلق ، بحذر ذكي ، شجرة الكباد ليقطف منها ثمرات تستصنع مربى للأسرة.

وانه ليساعد في غمرة نشاطه ، أخواته الثلاث في سقيا أحواض الحديقة ، وفي رش زرعها وأشجارها .. ولكن شيطان العبث يغريه، أحيانا، فيسلط خرطوم الماء على أخواته ، وعلى المارة في الشارع .. فيبل ، ويؤذي،ويبعث على الاحتجاج! واجدني انصحه في المساء : « لا ، يا تمام ! هذا صنيع لا يليق بصبي مهذب مثلك ! » . فيغضي استحياء !

واكدت عزمي : لن اعامله معاملة الابن الوحيد، خشية ان يفسده الدلال . لسوف أحرص على أن أصحبه الى السينما ، والى الملعب والمسبح . سأكون له صديقا ، كما كنت لأخواته . ولكن اى بون ، اربعون ، انها اربعون من الأعوام ! لا بد من ان نسرع في انجاب اخ له ، صديق ، في عامنا الآتي !

★ ★ ★

سألني زملاء العمل عما اذا كانت شريكة العمر قد ..

فاجبت أن نعم .

فبادروا يستفسرون في فضول :

ـ حنطة ؟ ام شعير ؟

ـ جاءنا تمام !

بعضهم اعلن في فرحة :

ـ الم نقل لك : ان البطن التي تعطي بناتا ، لا تبخل بالصبى !

★ ★ ★

هتفت ، في الضحى ، الى بيتي :

ـ كيف حالك ، يا « أم تمام » ؟

جاءني منها صوت واهن :

ـ الحمد لله .

ـ وكيف حال تمام ؟

ـ انه يبكي .. ما يفتأ يبكي !

سألت في قلق :

ـ وله ؟

ـ انه جائع ، ولا يقنع بماء الزهر المحلى .

ـ ولم لا ترضعينه ؟

ـ لم يدر الحليب ، بعد .

وترامى الى سمعي ، عبر خط الهاتف ، بكاؤه: كان بكاء صارخا ، احتجاجا قويا ، من انسان يحس جوعا ، ويطلب بحقه في الغذاء ، وفي الحياة.

وحدثت نفسي ، وانا اعيد سماعة الهاتف الى موضعها : هو ذا عضو في أسرتنا جديد ، ينزل الى معترك الحياة !

وقطع على وحدتي أن اخذ الزملاء والأصدقاء يتوافدون الى ، مهنئين ، مطالبين بالحلوى .

■■

دمشق : **فاضل السباعي**





رِسَالة أُمّ إلى ابْنَتِهَا العَرُوس

■ بالأمس كنت تخطرين فى ثوب زفافك الابيض الجميل .. كم كنت رائعـــة يا ابنتى ..

لقد كانت امنيتى ان اراك عروسا لرجل يحبك ويحميك ويرعاك ، فهى امنية كل ام يا صغيرتى ، وتحققت امنيتى ، وشعرت بالسعادة تغمرنى ولكننى احسست فى الوقت نفسه بأن يدا قد امتدت الى صدرى تنتزع منه قلبى ..

كان فراقك قاسيا على نفسي ، ولكننى لم اشا ان افسد عليك اسعد لحظات حياتك فكتمت آلمى وحبست دموعى ، ورحت اشق طريقى وســط زحام المهنئين لاصل اليك ، واضمك الى هــذا الصدر الحنون الذى طالما اسندت اليه رأسـك الصغير فى طفولتك وفى شبابك ، كلما ارهقتـك الحياة بمشاكلها الصغيرة والكبيرة .

لا ادرى بماذا أصف لك مشاعرى يا صغيرتى ، لقد قضيت الليالى الاولى لفراقك ساهرة أتأمل صورتك .. كان كل شيء من حولى يذكرنى بك..

أنت معى دائما يا حبيبتى

فراشك الذى كنت تنامين عليه .. ملابســك التى هجرتها وهجرتك عندما كبر جسمك ونما .. مكتبتك الصغيرة التى طالما قضيت فيها الساعات الطويلة تقرأين وتطلبين العلم والمعرفة .. صورتك فى « البوم » الأسرة ، وهى تسجل مراحل حياتك فى طفولتك وصباك وشبابك .. اننى أراك فى كل شيء حولى ، واسمع صوتك يملأ اذنى فى كل لحظة فى صحوى وفى نومى ..

انت معى دائما يا حبيبتى ، وانا معك بقلبــى وروحى ، وان بعدت المسافة بيننا .. فانت منى ، وانا منك ، وعزائى فى فراقك ان اعلم دائما انك سعيدة ..

اكتبى واحكى لــى عــن حياتك وعــن زوجك وعن بيتك الجديد .. ولا تضنى على بالكتابة أبدا .. اما انا فسوف اكتب واكتب ، ولن أمل الكتابة اليك ، ولكن فيما أكتب يا ترى ؟

رســــالة أم

بالأمس كنت اقرأ كتابا يحمل رسالة من أم الى ابنتها بعد زواجها .. وقرأت الرسالة الطويلة، فاذا بها تحكى فيها حياتها وتجربتها فى زواجها .. ورأيت أن أكتب بدورى اليك .. الى ابنتى

وصديقتي الصغيرة ، احكى لها جانبا من حياتي الخاصة وتجربتي مع ذلك الرجل الكريم الذى اختارني زوجة له وشريكة لحياته ، وأما لأطفاله منذ أكثر من ربع قرن من الزمان .

لقد عشت يا ابنتي في زمان غير زمانك ... ونشأت في بيئة تختلف عن البيئة التي نشأت فيها أنت بين والديك واخوتك وزملائك وأساتذتك في الجامعة .. فأنا لم أنل من الحرية التي نعمت بها أنت الا بمقدار ماكانت تسمح به تقاليد مجتمعنا في ذلك الوقت .. فقد كان أبي رجلا محافظا ، وكذلك كانت أمي ، شأنهما في ذلك شأن كل الآباء في ذلك الجيل الذى أنتمي اليه ، ولعل هذا هو السبب في أنني لم أكمل تعليمي الجامعي ، فلم يكن التحاق الفتاة بالجامعة شيئا مستحبا ولا مألوفا في ذلك الوقت ..

أمي .. وأمك ..

ولكنني كنت فتاة ذكية، جميلة مثلك الآن تماما، ولو أنني لم أكن أعرف عن حقائق الحياة شيئا الا بقدر ما كانت تحكيه لي أمي ، تلك السيدة الطيبة القلب التي لم تكن تعرف القراءة ولا الكتابة، ولكنها مع ذلك أحسنت تربيتنا ، وسهرت على راحتنا ، فنشأنا نشأة دينية محافظة ، وتعلمنا منها كيف نفرق بين الخير والشر والخطأ والصواب.

شيء واحد كان يثيرني ويبعث الضيق الى نفسي، هو بقائي في البيت بلا عمل في انتظار ذلك القادم الغريب الذى سيطرق الباب طالبا يدي ..وكانت أمي تقول لي دائما .. : « لقد أصبحت فتاة جميلة يا ابنتي ، وبلغت مبلغ النساء ، ولن ينقضي وقت طويل حتى أراك تزفين الى رجلك !»

مشكلتي مع الزواج

وكان مجرد تفكيري في الزواج بهذه الطريقة ، ومن رجل لا أعرفه ينفرني من الحياة الجديدة التي تعدني أمي لها .. ولعل هذا هو السبب في أنني لم أستجب اطلاقا للدروس اليومية التي كانت أمي تلقنني اياها في الطهي والحياكة والعناية بشئون البيت .

وكانت أمي تغضب مني وتثور علي في كثير من الأحيان وتقول لي : « انني أشفق عليك من التجربة .. ان أخشى ما أخشاه ان يكتشف رجلك بعد الزواج ، انك لا تصلحين لان تكوني زوجة وربة بيت .. »

وقد حاولت يا ابنتي .. حاولت أن أتعلم من أجلها هي .. من أجل أمي ، التي كان تفكيرها في حياتي وفي مستقبلي مع زوجي هو كل شغلها الشاغل .. فكنت أرقبها وهي تطهو الطعام لوالدي ، وأعاونها في أعمال البيت ،وأجلس لأتعلم كيف تحيك الملابس وترفو الجوارب ،وتصنع أطباق الحلوى اللذيذة التي يحبها أبي ..

ولكنني كنت أشعر وأنا بجوار أمي في البيت بما يشعر به الطفل الصغير ، الذى يقف أمام ساحر ماهر يمسك بيده عصا سحرية ، لا يكاد يلمس بها شيئا ، حتى يحيله الى صورة جميلة براقة تخطف البصر وتثير الاعجاب .

كانت أمي بالنسبة لي ، أستاذة لتلميذة خائبة، تبلد ذهنها وتوقف تفكيرها ، واحتوتها الحيرة .

الى أن جاء اليوم الذى ظلت أمي تنتظره طويلا، وتقدم والدك لخطبتي ، وانقضت فترة الخطبة ، وأنا ما زلت في محاولاتي اليائسة . كان هدفي أن أتعلم كيف أسعد هذا الرجل ، لكي أرضي أمي على الأقل .

وتزوجت وبدأت التجربة

وتزوجنا ، وانتقلت للحياة مع هذا الرجل الغريب الذى لم أره الا في يوم خطبتي ، وبدأنا حياتنا الجديدة في بيت الزوجية .

ومرت الأيام الأولى على زواجنا ، كما تمر بكل عروسين ، وانتهى شهر العسل ، وبدأ زوجي يستعد للعودة الى عمله ، وتلفت حولي ، فاذا بي أجد نفسي أعيش في دوامة ، وأنا أقف وحيدة وسط هذه المملكة الجديدة .. ماذا أفعل ؟

لقد كان لا بد لي أن أبدأ ، فهناك عمل كبير ينتظرني ، ولكن من أين أبدأ وكيف .. ولم تطل وقفتي ولم تستمر حيرتي كثيرا ، فقد طالعتني فجأة صورة أمي وتذكرت صولاتها وجولاتها في البيت وفي المطبخ ، حيث كانت تقضي الساعات الطويلة في تنظيف بيتها وترتيبه ، وفي صنع أطباق الطعام الشهية التي يحبها أبي ..

وشمرت عن ساعدي وأسرعت الى المطبخ .. كان لا بد لي أن أبدأ من المطبخ .. فقد علمتني أمي أن أقصر طريق الى قلب الرجل هو معدته .

واستوعبني عملي بين أواني الطعام وحرارة الموقد ، ولا أدري بالضبط ماذا فعلت في هذا اليوم ، ولا كيف بدأت ، كل ما أذكره أنني أحسست فجأة بأنني قد تحولت الى عملاق ، وأن

العصا السحرية قد انتقلت من يد امى الى يدى انا ، وتحققت المعجزة .. وتمنيت لو ان امى كانت تقف بجوارى في تلك اللحظة لترى ماذا صنع الزواج بابنتها !

اول وســام !

وحان موعد عودة والدك من عمله ، فأسرعت اعد مائدة الطعام التى ملأتها بالاطباق الشهية .. ودعوته اليها ، فجلس وجلست ، ولكننى لم اذق من الطعام شيئا .. لقد كان همى موجها الى معرفة الأثر الذى سيتركه مذاق الطعام علــى وجهه .. كان ياكل بشهية ، حتى اذا فــرغ من تناول غذائه ، قال لى والسعادة تملأ وجهه العريض : « لم اكن اعرف انك طاهية ماهــرة ايضا !» .

وكانت هذه العبارة الصغيرة أول وسام افوز به في تجربتى الجديدة مع الزواج !

ومرت الايام ، وجاءت امى تزورنى يوما ، وما كادت تدخل بيتنا ، حتى وقفت مشدوهة فاغرة فاها فى ذهول .. لم تصدق ان هذا البيت الجميل المرتب ، هو بيت ابنتها التى كانت تخشى عليها من الفشل ..

تعلمت اشياء كثيرة

قلت احدث أمى ، وهى تضمنى الى صــدرها وتمطرنى بقبلاتها الحنونة : « لقد تعلمت اشياء كثيرة ، كنت تتمنين ان اعرفها قبل الزواج ، تعلمت كيف اعد له افطاره قبل ذهابه الى مكتبه في الصباح .. عرفت كيف اتفنن في صنع الأطباق التى يحبها ، واقدمها له ساخنة عند عودته الى البيت ، اننى احب زوجى يا امى ، وهو يحبنى ، وانا افعل ما في وسعى لتوفير اسباب الراحة له .

« اننى احرص على ماله ، فلا ابدده ولا انفقه الا فيما كان لازما وضروريا .. هل خطر لك مثلا ان تمشي ابنتك مسافة كيلومترين الى الســوق المركزى ، لتشترى حاجياتها من هناك بعد ان اكتشفت ان الاسعار في هذا السوق اقل منها في السوق القريب من البيت ..

« لقد اقتصدت مبلغا من مصروف البيت ، ولكن زوجى لن يعلم به الآن ، سوف افاجئه به في نهاية العام ، عندما نذهب معا لكى ندفع القسط الأول من ثمن السيارة الصغيرة الجديدة التى يريد ان يشتريها ..

هكذا بدات حياتى مع والدك يا ابنتى .. وكانت حياة طويلة مليئة بالعمل والكفاح ، شاننا في ذلك شان كل زوجين شابين .. لقد وقفت بجانبه اساعده واشجعه ، وهو يرتقى الســلم الطويل الى القمة .. كنت له زوجة وصديقة واما صالحة لأطفاله .. كان الاخلاص طابع حياتنا، ولكن ليس معنى هذا اننا لم نختلف .. لقد اختلفنا كثيرا وتشاجرنا كثيرا ، ولكننا لم نترك لهذا الخلاف فرصة تعكير صفو حياتنا ، وعلاقتنا ببعضنا البعض .. كنا نحرص دائما على الا نبيت ليلتنا قبل ان نصلح مما كان بيننا .. لم نكن نسمح لاحد بان يتدخل في حياتنا الخاصة .

لم أفرض عليه نفسى

كنت افهم زوجى ، واعرف مزاجه ، واقدر احاسيسه ومشاعره .. كنت احترم صمته ، واضحك لضحكاته ، وابكى لآلامه ومتاعبه .. ثم احاول بعد هذا ان اخفف عنه ..

لم احاول مرة ان افرض نفسى عليه ، فاذا شاء ان يخلو بنفسه ، او ان يقضي وقته مع كتاب جديد يريد ان يفرغ من قراءته ، وفرت له الهدوء الذى ينشده ، واذا شاء ان يشركنى فى علاج مشكلة صادفته في عمله ، وضعت نفسي تحت تصرفه ، وجلست اصغى اليه ، واحاول معه ان نبحث لها عن حل ..

لم اشعره يوما باننى رقيبة عليه ، وعلــى تصرفاته ، بل كنت اجعله فقط يحس بوجودى بجانبه .. وكان يخجل من نفسه احيانا عندما كان يفترض موافقتى على كل عمل يقدم عليه ، ولكننى لم اعارضه ابدا .. لم يحدث مرة ان قلت له : « انت مخطىء ! » فيما فعلت او تصورت ، كنت اتركه حتى ينتهى من شرح وجهة نظره ، لم ابدأ حديثى معه بان اؤيده فيما ذهب اليه ، حتى لو كنت اعرف ان رايه خطا ، ثم اساله بعد ذلك رايه في وجهة نظر اخرى تختلف عما رآه هو وآمن به .. وكثيرا ما كان ياخذ بهذا الراى ..

هكذا عشت حياتى مع والدك يا ابنتى .. واذا كان هذا هو مسلك زوجة لم تنل من التعليم الا نصيبا متواضعا ، فكيف يكون مسلك زوجة اتمت تعليمها الجامعى .. تذكرى دائما ان الصعوبة ليست في الفوز برجل، وانما الصعوبة كل الصعوبة في الاحتفاظ بالرجل بعد الفوز به .. ■■

النِّقْرِسْ أَوْ..



الرازى وصف النقرس وصفا دقيقا وعالجه ب (سورنجان) وهو في هذه الصورة يعالج عينا صبي

بقلم
الدكتور محمد ابو شوك

■ مرض معروف من قديم الزمان ـ فلقد ذكره ابقراط في كتاباته ، ووصفه الرازى في كتابه الحاوى وصفا دقيقا اكثر من الف سنة ، ويكاد يضاهي ما نعرفه عن هذا المرض في وقتنا الحاضر فقال « والنقرس انما يبتدىء من مفصل واحد ، فاذا عَتُق وطال مكثه انتشر في المفاصل كلها ، وقد يعرض للمنقرسين الورم . او وجع القدم ، فيبدأ الوجع مرة من ابهام الرجل ، ومنهم من يبدأ به من العَقب او من اسفل القدم ، والورم الكائن في القدم ربما تغير لونه عن لون البدن وربما كان بلونه ، وربما كان الوجع مع حرقة ، أو كان بلا حرارة البتة ـ وربما بلغت شدة الوجع الى الساقين والركبة » .

وكان يعالج النقرس في ايامه بنبات يسمى « سورنجان » ومن عجب انه قد استخلص من هذه النباتات مادة الكولشيسين Colchicin التى تستعمل الآن في علاج الحالات الحادة كما سنذكر فيما بعد .

واسم المرض بالانجليزية (Gout) وهى مشتقة من الكلمة اللاتينية Gutta بمعنى « نقطة » والنقطة هى عبارة عن النقط الضارة من حامض البوليك Uric Acid الذى يترسب في المفاصل .

وكان شيلى Scheele سنة ١٧٧٦ أول من اكتشف وجود هذا الحامض في بول مرضى النقرس ،

و وليستون Wallaston اكتشف هذا الحامض في حصاة استخرجها من مريض بالنقرس .

و جارود Garrod في سنة ١٨٤٨ اكتشف وجود هذا الحامض بكميات عالية في الدم ، وكان املى فيشر Emille Fischer اول من اكتشف التركيب الكيمائي لهذا الحامض ، وفولن Folin اكتشف الطريقة الدقيقة لقياسه .

ولعل تسمية النقرس « بداء الملوك » ، ترجع الى ان المرض يصيب الذين تقل عندهم الحركة ـ او ان المرض يقعدهم فلا يتحركون ، أو انتشر بين الملوك في العهود الغابرة لتوارثه وقلة حركتهم .

ماذا نعرف عن هذا المرض

النقرس مرض وراثى نتيجة لخطا وراثى في تمثيل البروتينات مما ينتج عنه زيادة في حامض البوليك في الدم ، وترسبه في المفاصل ـ ثم خروجه في البول بكميات كبيرة ، مما يجعله يترسب بكميات كبيرة في مجرى البول ويترتب على ذلك وجود حصى في الكلى أو في الحالب .

ولماذا ترتفع نسبة حامض البوليك في الدم في مرض النقرس ؟ ان هذا يرجع لعاملين أساسيين .

داء الملوك

اولهما : هو ان الحامض يتكون بكميات كبيرة لتحلل البروتينات .

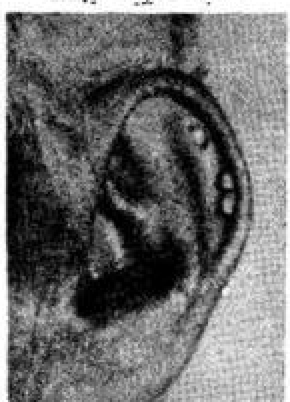
ثانيهما : هو الخلل الذى يطرأ على الكلى عندما تفرز هذا الحامض .

وينتج عن اى واحد منهما او الاثنين معا ، زيادة في هذا الحامض في الدم — ثم ان املاح هذا الحامض Ureates ترسب في المفاصل وفي الكلى — بل تحت الجلد — خصوصا فى الاذن — وربما تتحجر هذه المادة وتبرز من تحت الجلد — وينسلخ الجلد من فوقها وتخرج مادة طباشيرية هى املاح حامض البوليك .

هل النقرس من الامراض النادرة ؟

كان يعتقد قديما أن هذا المرض نادر الوجود — بل وكان يظن انه يكثر في الدول الاوربية عن سائر اجناس العالم — وكان يقال ان المرض يزداد زيادة ملحوظة فيمن أصله تركى — ولكن اتضح ان المرض لا يقتصر على هذه الاجناس ، بل يتعداها الى اجناس اخرى ، ومن تجاربى في الكويت وجدت ان المرض منتشر في عائلات عدة ، ويزداد يوما عن يوم ، وذلك لكثرة التزاوج بين العائلات المصابة بهذا المرض — بل ولقد رأينا من فحص الدم لسكان الكويت ان نسبة الحامض تختلف عن نسبتها في الدول الاوربية .

الأذن وترى الترسبات الطباشيرية فيها



في الكويت :

في الرجال ٨ر٢٪ — ٦٥ر٦٪ ملجم ٪
في النساء ٧٨ر١٪ — ٧٨ر٤٪ ملجم ٪

في الدول الاوروبية :

رجال ٢ — ٦٪ ملجم ٪
في النساء ٢ — ٥ ملجم٪

والمرض يصيب الذكور أكثر مما يصيب النساء (٩٥٪ يصيب الذكور ما بين سن الثلاثين والخمسين) ، ويصيب النساء بعد توقف الطمث.

ولقد جاء فى كتاب الحاوى (للرازى) قوله « النقرس لا يحدث بالنساء ما استقام حيضهن ، ولا بالخصيان الا في الندرة ، وأما في الصبيان فلا — فان رأيت صبيا به نقرس فذلك عجيب وهو ميراث » .

أعراض المرض

في بعض الحالات رغم ارتفاع حامض البوليك في الدم لا تظهر اى أعراض على المريض — اللهم الا آلام عضلية تعتريه من آن الى آخر — أو آلام في مفاصله يحسبها روماتيزم تظهر حينا لتختفي احيانا ، ينساها المريض ويظن أنها من تأثير الجو ، والذى يظاهر هذا الظن أن المريض يكون بين هذه النوبات في صحة جيدة ، ولا يشكو من اى عرض . ثم تجيء النوبة الشديدة ، التى تظهر المرض فيتعرف عليه الطبيب ان كان لم يكتشفه في مريضه ، ويعرف المريض انه انما يعانى من مرض النقرس .

وهناك من الاسباب ما يظهر المرض مثل تعاطى المريض كميات كبيرة من المشروبات الروحية ، او

بعد اجرائه عملية جراحية ، أو تناول كميات كبيرة من طعام يساعد على ارتفاع نسبة حامض البوليك، أو يكون المريض عنده حساسية لهذا الطعام ـ وقد تحدث النوبة بعد ارهاق شديد ، أو التهابات حادة في الحلق أو في الصدر أو أى جزء من أجزاء الجسم .

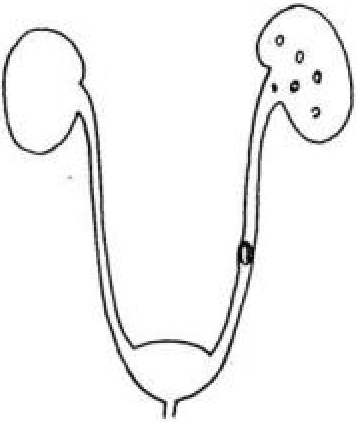
ثم شيء آخر يحير الطبيب الذى لا يضع في باله هذا المرض ، والذى يظن ان المرض نادر الحدوث ـ ويحير المريض كذلك ، هو أن الآلام التى تحدث في الصدر يظن المريض انها لمرض خطير في صدره ـ أو الآلام التى في ظهره التى تشبه آلام الكلى ـ وربما تحدث آلاما في العضلات في البطن فتشبه الى حد كبير آلام أعضاء داخل البطن ـ ويحتار المريض لفترة طويلة ، يذهب من طبيب الى طبيب ، الى ان تحدث النوبة كما قلت .

والنوبة الحادة

تحدث عادة في مفصل الاصبع الكبير في القدم (ابهام القدم) وفي اغلب الاحيان تحدث في الليل وتوقظ المريض من نومه ، على الم شديد في هذا المفصل مع احمرار في لونه ، وتورم وسخونة به ، ويزداد الالم بالحركة حتى ولو كانت بسيطة وربما سبق ذلك اضطراب في الجهاز الهضمي من الشعور بألم بالبطن ، وغثيان بل وقيء في بعض الاحيان ـ



النقرس في مفصل ابهام الرجل



تكلسات وحصى
في الكلى والحالب

ويصحب التهاب المفصل الشعور بالاعياء مع ارتفاع في درجة الحرارة ، وصداع في بعض الاحيان مع ادرار في البول ـ ويستمر الالم في مفصل الاصبع الاكبر بالرجل ، وفي بعض الاحيان يصيب مفاصل أخرى غير هذا المفصل ـ واذا لم تعالج النوبة فان الالم يستمر لمدة طويلة ، قد تمتد الى اسبوع أو اسبوعين ـ واذا عولجت فان الالم يزول مع العلاج .

وبعد العلاج وذهاب النوبة ، قد لا تحدث مرة اخرى الا بعد فترة طويلة ، اما اذا اشتد المرض فان هذه الفترة تقصر وتقصر الى ان تتلاحق النوبات ، وينتشر المرض في مفاصل الجسم المختلفة ، في الركبتين والكوعين ، ومفاصل الرسغين واصابع اليدين ـ ومفاصل العمود الفقرى وغير ذلك ، ويصير الالم في هذه المفاصل شبه مستمر ، وهنا يطلق على المرض بانه صار مزمنا،وعندما يزمن المرض يحدث تشوه بالمفاصل، وربما تظهر المواد المتحجرة الطباشيرية ، حول هذه المفاصل المصابة او في الأذنين .

المضاعفات التى من الممكن حدوثها

رب سائل يقول : وهل هناك ضرر من ارتفاع نسبة حامض البوليك ؟ والجواب على ذلك انه في بعض الحالات (وتقدر بحوالي ١٠٪) من مرضى النقرس يصابون بهبوط في عمل الكلى

نتيجة لترسبات املاح حامض البوليك بها ، وما يتبع ذلك من حدوث زلال بالبول مع ارتفاع نسبة البولينا في الدم في الحالات الشديدة ، ثم هبوط في عمل الكلى وارتفاع في ضغط الدم ، ربما أدى الى هبوط في القلب في الحالات الشديدة .

وكذلك لوحظ في مرضى النقرس كثرة حدوث حصى في مجرى البول مما يتسبب عنه مغص كلوى شديد عند تحرك هذه الحصوات في مجرى البول ، وكذلك لوحظ ان نسبة تصلب الشرايين وارتفاع ضغط الدم تكون أعلى في مرضى النقرس ـ ولهذا السبب نرى انهم يتعرضون أكثر من غيرهم الى حدوث الجلطة في الشرايين سواء في ذلك شرايين المخ او القلب .

لذا كان العلاج والوقاية من هذه المضاعفات واجبين حتى لا يؤول بنا اهمالنا الى تلك المضاعفات التى يصعب علاجها عند حدوثها .

العلاج

علاج النوبة الحادة : يوضع المفصل في الوضع المريح ، وربما قل الالم اذا وضعنا عليه قطعة قماش مغموسة في ماء بارد أو ماء ساخن ، حسب ما يحس المريض بالراحة . وفي الحالات الشديدة يعطى مخدر مثل البثدين Pethidine ليقلل من حدة الالم ـ ثم يعطى مادة الكولشيسين Colcheeine بكميات حسب رأى الطبيب الى ان يزول الالم ، واذا لم يتحسن فيعطى مادة البوتازولدين Butazolidine وفي الحالات النادرة شديدة الالم التى لا تستجيب لكلا الدوائين تعطى مركبات الكورتيزون .

علاج ما بين النوبات والمرض المزمن

ان كل همنا بين النوبات والمرض المزمن ان نقلل من حامض البوليك في الدم ، وبالتالى نجعل حدوث النوبات الحادة غير ممكن واذا حدث تكون متباعدة وليست شديدة ـ وكذلك نمنع حدوث المضاعفات التى ذكرتها .

ولعلي في هذا المقام اذكر ما قاله الرازى في



السمنة يجب أن تزول عندما يصاب المريض بالنقرس

كتابه الحاوى من خبرته فيقول « الاشياء التى تحتاج ان يدعها صاحب النقرس : الحمص ـ الترمس ـ الزيتون الاسود ـ العنب والتين الاسودان ـ الخيار ـ القثاء ـ النعنع ـ الفجل ـ الباذنجان ـ الخس ـ البصل ـ الفطر ـ الجرجير ـ الكرات ـ الكرنب ـ السمك ـ الخل ـ اللبن ـ الروبيان (الجنبرى) ـ لحم البقر والماعز ـ الاكارع ـ البيض الصلب الشي ـ لحوم الصيد ـ طير الماء » .

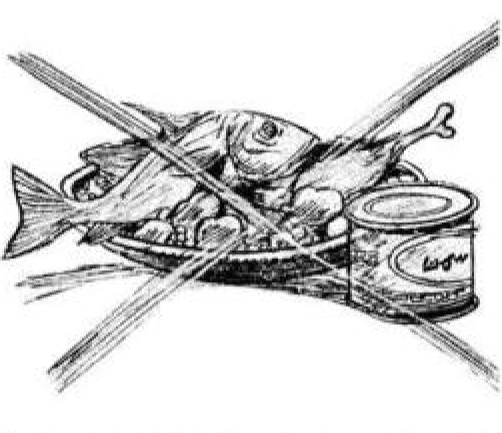
واجده قد اثقل كثيرا على أصحاب النقرس ولكن لعل خبرته الواسعة قد قادته الى ذلك ـ ولعل المصابين بالنقرس يلاحظون أن الامهم تشتد لو افرطوا في مثل هذه المأكولات ـ اما في هذه الايام فنجد أن المواد البروتينية هى التى لا يجب الاكثار منها حتى لا ترتفع نسبة حامض البوليك ـ بل ولعل البعض منا نحن الاطباء يرى أن المواد البروتينية ليست السبب في ارتفاع نسبة الحامض ، والسبب انما هو من تكسر خلايا الجسم نفسه ، ويرون انه لا داعى بالتقيد باى طعام ،

ولكن أرى أنه من باب الحيطة أن تكون وسطا ولا تسرف في المواد التالية : الكبد ـ الكلاوى ـ المخ (النخاع) ـ القلب ـ السمك ـ اللحوم بكثرة ـ والافلال من المواد الدهنية اذا كان المصاب يميل الى البدانة .

ثم هناك الادوية المختلفة للحفاظ على مستوى حامض البوليك في الدم ـ وذلك باعطاء مادة البيناميد Benemid التى تساعد على خروجه في البول ، ونزول مستواه في الدم ، ويجب أن يتناول المريض كميات كبيرة من السوائل ليساعد على اخراج هذه الاملاح حتى لا تترسب في مجرى البول . والكولشيسين Colchecine يستعمل ايضا في الحالات المزمنة وكذلك الانتيوران Anturan وما شابههما .

واخيرا ظهرت مادة الزيلوريك Zyluric أو اللوبيرنيول Allupurinol وهي تتدخل في تكون حامض البوليك ، فتمنع تكوينه ، وبذلك لا ترتفع نسبته في الدم ، وتعطى لمن يعانون من حصى في مجرى البول ـ أو الذين حدث لهم ترسبات في الكلى .

على أنه من الاهمية بمكان أن يكون المريض تحت ملاحظة طبيبه ـ لكي يعرف مرضه ـ وما يجد عليه من تطورات ، وملاحظة اى مضاعفات تظهر



لا تسرف في هـذه الاطباق

لكي يتغلب عليها في حينها ، فكل داء في بدايته سهل العلاج اما اذا اهمل زاد واستفحل .

وعلى كل مريض بالنقرس أن يخبر طبيبه اذا كانت ستجرى له عملية جراحية حتى يعطيه مادة الكولشيسين لثلاثة أيام قبل العملية ، واخرى بعد العملية ، حتى لا يتعرض لنوبة حادة .

وفي حالات تكاثر النتوءات في الاذن وتقرحها فمن الممكن ازالتها جراحيا .

وفى حالات التهاب المفاصل المزمن ، مع تقييد الحركةوضعف العضلات حول هذه المفاصل فان العلاج الطبيعى لازم ـ ويكون ذلك بالتمرينات وتقوية العضلات ثم بتعرض المفاصل لماء ساخن وتدليكها ـ ويجب على المريض أن يتحمل الألم بعض الشيء ، في أثناء هذه الحركات والتمرينات الى أن تتحرك هذه المفاصل وبالتالى لا تتصلب .

ولعل اهم شيء في التهاب المفاصل المزمن ، الذى ينتج من النقرس ، أن يلاحظ المريض وزنه ، فاذا كان اصلا من ذوى البدانة ، يجب أن يزول هذا الوزن الزائد بواسطة « الرجيم » الخاص والذى سبق وأن ذكر بالتفصيل تحت عنوان السمنة .

وما الذهاب الى المصحات في الخارج الا نوع من التقيد بالرجيم الخاص بالغذاء والتمرينات الرياضية ، ووضع المريض تحت اشراف دقيق خاص ، مما يجعل العلاج يسير سيرا منظما ، يؤتى ثماره ، ويحس المريض بالفائدة ـ فان كان ذا ميسرة فالذهاب الى هذه المصحات من حين الى آخر يخفف كثيرا من حدة مرضه وان لم يتمكن فاتباعه تعليمات وارشادات الطب الطبيعى يؤمن له العلاج الناجع .

وما تشوه المفاصل الذى يشكو منه بعض مرضى النقرس ، وبالتالى يصيرون عالة على أهليهم والمجتمع الا نتيجة للاهمال في العلاج ، ويحضرنى قول الرازى ، « اذا كان الطبيب عالما ، والمريض مطيعا ، فما أقل لبث العلة » .

■■

محمد محمد أبو شوك

حمورابي ملك بابل ومشرعها العظيم

بقلم : يوسف زعبلاوى

■ لعل اكثر ما اشتهر به حمورابى هو قوانينه ، ولعل أول ما يذكر بصدد هذه القوانين هو الباعث على اصدارها ، وقد عبر ملك بابل العظيم عن ذلك الباعث اذ قال :

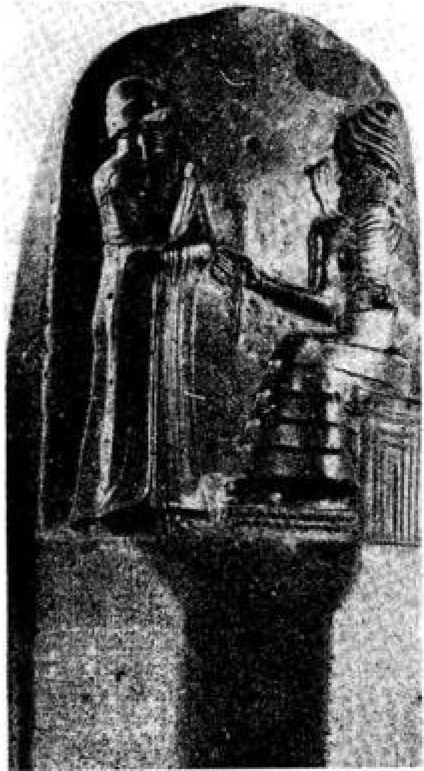
نشر العدل هو رائدى
وتحطيم الأشرار والمجرمين هو هدفي
وحماية الضعيف من ظلم القوى هي غايتي .

تلك هي المعانى والقيم السامية التى حدت بحمورابى الى اصدار قوانينه التى لا يقل عددها عن ٢٨٢ قانونا وذلك قبل نحو ٣٧٥٠ عاما .

وقد تبدو قوانين حمورابى كثيرة العدد ، ولا سيما اذا قيست بالشرائع البابلية والسومرية التى سبقتها ، ولكنها في الواقع قليلة وتبدو كذلك بخاصة اذا قورنت بما استهدفته وشملته من نطاق واسع .

فهى تتناول طائفة كبيرة من الجنايات والجنح فتحددها وتنص على العقوبات التى تستوجبها . ثم انها تتصدى لأمور التجارة والزواج والأسرة والميراث والملكية وتضع لها جميعا من القواعد والشروط ما يكفل ضبطها وتنظيمها .

وتجدر الاشارة الى العناية الخاصة بأعمال ذوى الاختصاص كالاطباء والمهندسين وقد كادت



حمورابي امام احد آلهة البابليين ، لعله الاله أنليل . وهذه الصورة هامة نظرا لانها تمثل الجزء الاعلى من النصب الضخم الطويل الذى كتبت عليه شرائع حمورابي كلها . وانت ترى الاجزاء الاولى من هذه الشريعة مكتوبة تحت المشهد مباشرة . وقد اكتشف هذا النصب علماء الاثار الفرنسيون في مطلع هذا القرن فساعدوا باكتشافه على استكمال الصورة التى كانت موجودة عن قوانين حمورابي .

قوانين حمورابي أن تنفرد بها . فهي تحدد المسؤوليات الملقاة على عاتق هؤلاء وامثالهم ، وتقرر الرسوم التي ينبغي لهم أن يتقاضوها ، ومثل ذلك يقال في الأجور والايجارات بصورة عامة وبامور الزراعة،وما يتصل بها من مشاكل وقضايا، وقد أولتها شريعة حمورابي مزيدا من اهتمامها .

أحكام الأسرة والمرأة

وتحتل الأحكام الخاصة بالأسرة مكانة بارزة بين قوانين حمورابي . فهي تعبر عن نظرة التقدير الى المرأة وحقوقها ، والحرص الشديد على حمايتها وحماية الأولاد القصّر . ولعنا لا نجدلتلك النظرة وهذا الحرص مثيلا في شرائع التاريخ القديم كله .

ونذكر في هذا الصدد أن قوانين حمورابي تبيح الطلاق من حيث المبدأ وتجيز للرجل ان يطلق زوجته اذا هي تصرفت تصرفا مشينا (مادة ١٤١). اما اذا كان سبب الطلاق غير ذلك ، كعدم انجاب الاطفال مثلا ، فعلى الرجل في تلك الحالات أن يعطي المرأة من المال بقدر المبلغ الذى استوجبه زواجه منها أصلا ، وعليه ايضا أن يعيد اليها (الدوتة) أو المهر الذى دفعته او جاءت به من بيت أبيها (مادة ١٣٨) .

وتظهر قوانين حمورابي فيما يتصل بتعدد الزوجات مثلما أظهرت بالنسبة الى الطلاق . فهي تجيز للرجل أن يتزوج امراة ثانية ، بسبب موت زوجته الأولى . أما اذا أقدم الرجل على الزواج مرة ثانية ، بدون سبب الموت الذى ذكرنا ، فيتوجب عليه في تلك الحال أن يبقي زوجته الاولى في بيته ، ويعيلها ،« ما دامت على قيد الحياة ..» (مادة ١٤٨) .

اما في الميراث فتقول تلك القوانين فيما تقول :

يرث الأولاد عن أبيهم الراحل أمواله وأملاكه ، اما أمهم الأرمل ، فلها حق الانتفاع بتلك الاملاك واستعمالها كما تشاء (مادة ١٧١) . ويستثنى من ذلك طبعا الاملاك التى كان قد منحها اياها زوجها قبل وفاته . فللارمل حق التصرف باملاكها الخاصة هذه ، بيعا أو ايجارا حسبما تشاء (المادة ١٥٠) .

بقي علينا أن نشير الى ما اشتهرت به شريعة حمورابي من قسوة في العقوبات . وأول ما يحضرنا في هذا الصدد المادة ٢١٨ التى تعالج مسؤوليات الاطباء الجراحين ، وهذا نصها : « اذا أجرى الجراح عملية جراحية رئيسية لأحد افراد طبقة الوجهاء (بالبابلية : أويلوم) ، وتسبب في موت ذلك الرجل .. عوقب ذلك الجراح بقطع يده . »

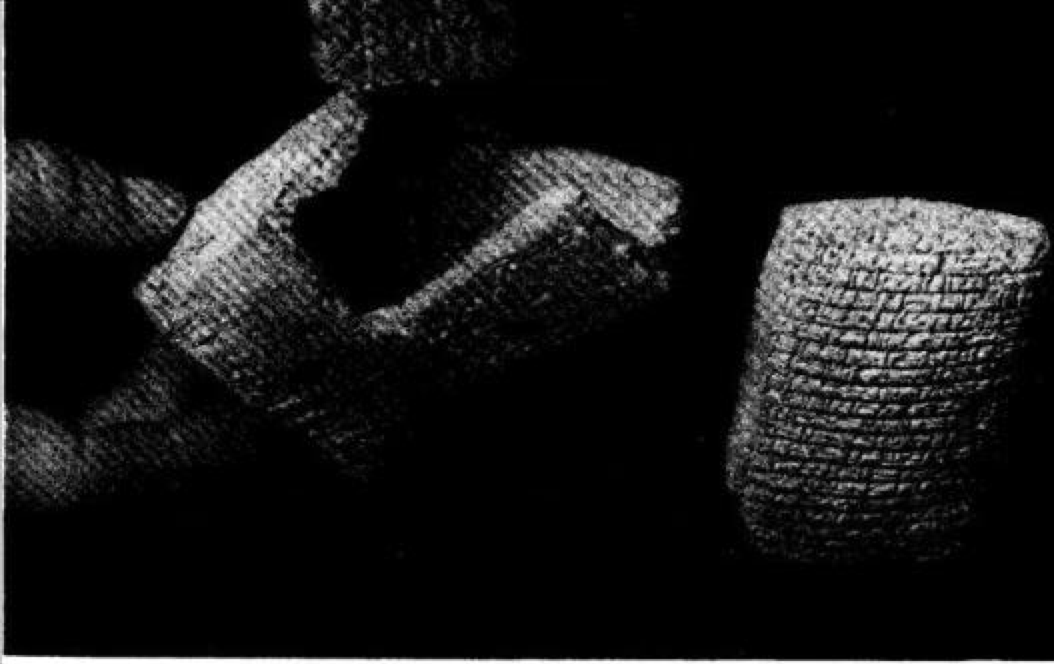
وتحضرنا المادة (٢٢٩) التى تنص : « اذا بنى أحد المهندسين المعماريين بيتا لأحد الوجهاء وانهار ذلك البيت لضعف فى بنائه ، وانهدم على رأس صاحبه ، فتسبب في موته ، كان عقاب ذلك المهندس هو الموت .. » ، « أما اذا كان ضحية ذلك الانهيار عبد من عبيد صاحب البيت ، فلا يطالب المهندس المسؤول باكثر من اعطاء صاحب البيت عبدا آخر بدلا من العبد الذى مات » .

ويبدو أن حمورابي ادرك ما انطوت عليه قوانينه من قسوة وشدة فأتاح الفرصة للصفح والعفو حينا ولتخفيف العقوبة أحيانا . ونضرب على ذلك مثلا بالمادة (١٥٩) التى تحدد عقوبة الزنى ، فتنص على أن يربط الزاني بالزانية ويشد وثاقهما الى بعضهما البعض ثم يلقى بهما في مياه النهر .. وتمضي المادة فتؤكد أن في امكانهما تحاشي هذا المصير .. وذلك فيما اذا صفح الزوج عن زوجته الزانية وعفا الملك عن عشيقها وشريكها في الجريمة .. »

حمورابي القائد والملك

نقف هنا ونتحول بحديثنا عن الشرائع الى المشرّع الذى سنها ،لعلنا نلم ببعض معالم حياة حمورابي وبشيء من افعاله وأمجاده .

وأول ما يتبادر الى الذهن هو أن المملكةالواسعة التى دانت لحمورابي ابان حكمه الطويل (١٧٩٢ ــ ١٧٥٠ ق.م) والتى شملت بلاد ما بين النهرين جميعها ، وامتدت حتى وصلت الى ديار بكر ، لم تكن المملكة التى ورثها عن أبيه . اذ لم تزد مساحة هذه على ٢٠ ميلا بالعرض و٨٠ ميلا بالطول ، وقد اقتصرت على الرقعة الصغيرة التى تجدها في الوقت الحاضر بين الفالوجة والديوانية. اما بقية امبراطورية بابل الشاسعة فقد ضمها حمورابي الى عرشه ، نتيجة الفتوحات التى قام بها في المرحلة الأولى من حكمه . وكان من نتيجة



اعتنى البابليون بوثائقهم كثيرا ، وحافظوا عليها بشتى الوسائل . والصورة تبين لك احدى تلك الوسائل . فالحجر الذى ترى الى يمينك حجر من طين وقد نقشت عليه الوثيقة بالكتابة المسمارية . اما العلبة المكسورة التى الى اليسار فليست سوى المحفظة التى حفظوا فيها تلك الوثيقة . فهي بمثابة الملف او المصنف بالنسبة اليهم .

هذه الفتوحات أيضا أن انهارت الممالك القوية التى كانت تحيط بمملكته الصغيرة وكانت خمس ممالك هي : مملكة لارسا في الجنوب وآشور ومارى واكلافوم في الشمال ومملكة اشنونا في الشرق .

دهاء حمورابى

ومن طريف ما يذكر هنا إن حمورابى لم يبدأ القيام بفتوحاته تلك لدى اعتلائه العرش مباشرة بل بعد ذلك بخمس سنوات . فقد كان من الدهاء بحيث أمضى تلك السنوات الاولى فى التعرف الى احوال تلك الممالك واعداد العدة للحرب التى نوى منذ اللحظة الأولى خوضها .

اضف الى ذلك حرصه على الاحاطة بشؤون مملكته ورعيته والعمل على توطيد اركان عرشه .

بيد أن تلك الفتوحات لم تلبث ان انتهى امرها في غضون بضع سنوات ، فحل السلم محل الحرب ، وعم الاستقرار ، وانتشر الرخاء ، وازدهرت الحضارة طيلة الأعوام الثلاثين الاخيرة من حكم حمورابى الذى امتد ٤٢ سنة .

بقى أن نذكر ان حمورابى أعظم ملوك بابل لم يكن بابليا ، بل كان ابن أحد شيوخ الاموريين كما دلت على ذلك رسائله التى تم الكشف عنها في السنوات الأخيرة .

ولعل خير ما نختم به هذه الكلمة هو ما قاله حمورابى عن حكمه واعماله في أواخر أيامه :

لقد حطمت اعدائي في الشمال والجنوب ،

ووضعت حدا بعد ذلك للحروب ،

ونجحت في نشر الرخاء في البلاد ،

واوجدت البيوت الصالحة لسكن العباد ،

وضربت على يد كل من حاول بث الفساد .

(ى . ز)



القصة

ودورها فى المجتمع

- القصة السياسية سلاح من أسلحة الحرب الباردة .
- القصة التاريخية تثير وطنية الناس وترضى كبرياءهم .
- القصة الساخرة سلاح من أسلحة الاصلاح الاجتماعى .

بقلم : محمد طنطاوى

■ تدل الاحصائيات على ان اقبال الجمهور على قراءة كتب القصص والروايات يزيد عن اقباله على قراءة بقية أنواع الكتب الاخرى سواء كانت سياسية او اجتماعية او تاريخية او اقتصادية .

ويعود هذا الاقبال الى ان القصة ليست الا رواية عن الانسان ينقل فيها القصاص صورة حية للمجتمع الذى يعيش فيه باسلوب روائي جذاب مليء بالاحاسيس والانفعالات . وهناك انواع كثيرة من القصص من الناحية الموضوعية . منها :

القصة السياسية ، القصة العلمية ، القصة التاريخية ، القصة الاجتماعية ، القصة الساخرة ، القصة الدينية ، القصة التربوية .. وباختصار نجد دائما قصصا تتناول كل فرع من فروع حياتنا المتشابكة المتداخلة تلك الحياة التى نعيشها الآن في عالم دائم التغير .

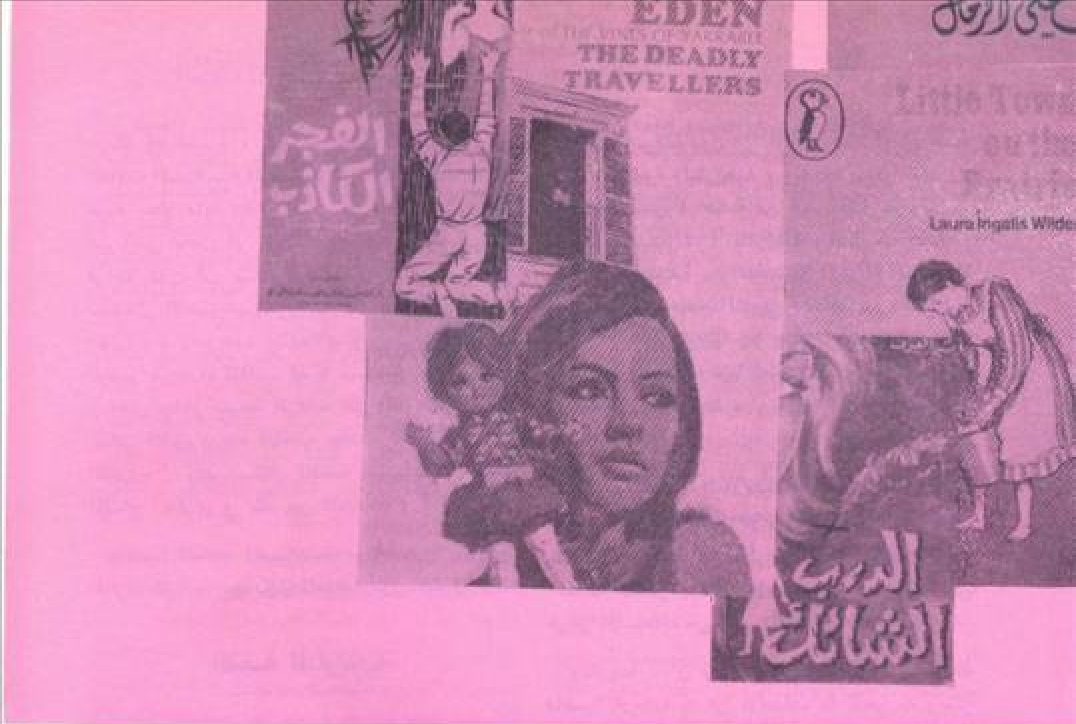
القصة السياسية

ولكي نوضح أهمية القصة سنتكلم بشيء من التفصيل عن بعض أنواع القصص التى ذكرناها ولنبدأ بالقصة السياسية .

والقصة السياسية ليست بالشيء الجديد أو المستحدث في عصرنا هذا ولكن بلزاك مثلا كتب قصصا يبين فيها مثله العليا في السياسة ، ولم يقتصر الامر عليه بل شمل الكثير من المثاليين الذين عبروا عن مثلهم السياسية في أسلوب روائي خيالي . الشيء الوحيد الجديد في عصرنا هذا هو أبعاد القصة السياسية وأهميتها بالنسبة للصراعات السياسية التى يعاني منها العالم الحديث .

وهناك نوعان رئيسيان من القصة السياسية .

١ ــ قصص تدور حول شخصيات سياسية وبالتالى حول السياسة نفسها .



٢ ـ قصص تحاول أن تحض القراء على اتباع مذاهب سياسية معينة وغالبا ما يكون هذا النوع دعائيا .

ويمكن الحكم على نوعية القصة السياسية عن طريق معيارين أساسيين مختلفين هما :

١ ـ قيمتها بالنسبة للتفكير السياسي .

٢ ـ قيمتها كعمل روائي ادبي .

ولكن بالرغم من وجود هذين المعيارين الأساسيين بالنسبة لتقييم ونقد القصة السياسية فان هذا النوع بالذات من القصص ، قد يجد من بين النقاد من يكيل المديح او الاتهام لقصة ما ، لا لشيء سوى أن القصة تتفق مع ميوله السياسية أو تتعارض معها ، بغض النظر عن قيمتها من الناحية الادبية او الروائية أو حتى الناحية السياسية .

وكتابة القصة السياسية ذات القيمة الروائية والسياسية معا امر ليس سهلا كما يتصور البعض، فالقصاص عادة عندما يبدأ في كتابة قصة من القصص يحاول أن يتخيل اولا شخصيات القصة ، ثم يبدأ في سبك موضوع القصة حولهم . وعندما يعيش الروائي مع ابطال قصته وينسج حولهم الظروف المختلفة التى تتكون منها روايته فانه من المتوقع ان تخرج القصة الى النور وهى على مستوى روائي جيد . ولكن عندما يضع القصاص الخطوط العريضة لقصته السياسة على أساس مهاجمته مبدأ معينا أو تأييد مذهب سياسي آخر ، فانه بعد أن يضع هذه الخطوط العريضة يبدأ في عملية خلق الاشخاص الذين سيقومون ببطولة قصته ، ويحملون الرسالة التى يريد أن يبلغها للقراء ، اى انه في هذه الحالة يخل بمبدأ اساسي من اسس التاليف القصصي ، أو بعبارة أخرى فان السياسة هنا تتغلب على الفن القصصي . ولا يعني هذا ان اغلب القصص السياسية تكون قيمتها الادبية او الروائية اقل من قيمة الانواع الاخرى من القصص ، فهناك من القصاصين من يكون في الأصل صحفيا سياسيا بارعا يستطيع أن يكتب القصة السياسية بعاطفة جياشة تخفى اى نقص ادبي فيها .

والقصة السياسية الجيدة البعيدة عن الدعاية تلعب دورا خطيرا في اى مجتمع فهي وسيلة فعالة للتأثير على الجمهور من القراء ، وهي كقصة ،

طويلة ام قصيرة ، أقرب الى القلوب من المقالات السياسية الجافة . ففي القصة السياسية حياة يخلو منها المقال السياسي ، وهذه الحياة هي التي تجعل أثر القصة يتسلل داخل نفوس قرائها دون أن يشعروا به شعورا قويا . ومع تسلسل الاحداث الروائية تتسلسل انفعالات القارىء ، ومع هذه الانفعالات وعن طريقها ، يبدأ للتعبير عن آراء للكاتب قد لا يستطيع التعبير عنها في مقال مباشر نتيجة للرقابة على الصحف أو على التأثير الذي يريده الكاتب يحدث بالتدريج في نفس القارىء . وقد تستغل القصة السياسية ايضا الانتاج الفكري في بلد من البلاد .

وتلعب القصة السياسية دورا بارزا الآن في الحرب الباردة بين دول الغرب ودول الشرق .

القصة التاريخية

يمكن تعريف القصة التاريخية بانها تلك القصة التي يمتزج فيها الخيال بوقائع تاريخية ثابتة . ويمكن القول ايضا بانها تلك القصة التي تقع احداثها في فترة لم يعاصرها القصاص مما يستدعي منه أن يقوم بدراسة هذه الفترة دراسة مستفيضة . وهذا يعني أن القصاص في هذه الحالة لا يكتب قصته بناء على تجربة شخصية ، ولكن يحاول أن يخلق شخصيات عاشت وماتت ، واحبت وكرهت ، في عالم يختلف تمام الاختلاف عن عالمه الذي يعيش فيه . ومن هنا تنشأ صعوبة القصة التاريخية فابطال هذه القصص يجب أن يكونوا منتمين الى عصورهم التاريخية ويؤمنون باشياء لم نعد نحن نؤمن بها ، وباحاسيس تختلف كثيرا عن أحاسيسنا .

والقصة التاريخية او الرواية التاريخية تختلف عن التاريخ نفسه .. فالتاريخ أو تاريخ الاشخاص يهتم بالمعلومات اساسا بينما تزودنا القصة التاريخية بالاحساسات أكثر من المعلومات ، وتجعل القارىء يتخيل انه يشارك أبطال التاريخ حياتهم بالرغم من أن الزمن والموت يشكلان حاجزا لا يقهر بينه وبينهم . وللقصة التاريخية أهمية كبيرة فهي تجعل قارئها يعيش التاريخ مع أشخاصه ومع عاداتهم وتقاليدهم ودياناتهم ، وعن طريق تسلسل الرواية التاريخية يأتي ذكر الاحداث التاريخية عرضا دون أن تكون متعمدة أو أن تتخذ شكل المحاضرة التاريخية ، وبذلك يشعر القارىء فعلا انه يعيش في حقبة من حقب التاريخ وينفعل مع أبطال هذه الفترة التاريخية ويحس انه يتجاوب مع انفعالاتهم هذه . والقصة او الرواية التاريخية قد تجعل من مادة التاريخ الجافة مادة شيقة يقبل عليها الكثيرون .. وهناك قصص تاريخية دخلت تاريخ الادب منها قصة « الحرب والسلام » لتولستوى ، « واحدب نوتردام » لفكتور هيجو ، وغيرها وغيرها .

وكاتب القصة التاريخية الحديث يجعل دائما نصب عينيه أن يحقق غرضين هامين أولهما : أن يبحث عن الاحداث التاريخية التي تتقارن مع احداث معاصرة وتلقي الضوء على حاضرنا عن طريق الاستفادة من عبَر التاريخ .

وثانيهما : ان لكل شعب من الشعوب العريقة ماضيا تاريخيا به من الأحداث ما يفخر به ويعتز ويثير في نفسه كبرياء الوطنية ... ولهذا يحاول الروائي ان يبرز هذه الاحداث التاريخية التي يفخر بها شعبه ويلقي عليها الضوء فيثير بقصته وطنية الناس ويرضي كبرياءهم ، ويريحهم من بعض العناء الذي يعيشون فيه تحت ضغط ظروف عالمنا الحالي المتغيرة . ولهذا النوع من القصص اهمية نفسية كبيرة .

القصة الساخرة

القصة الساخرة سلاح حاد يستخدمه الروائي الساخر لتحقيق اصلاح اجتماعي عن طريق نقد المجتمع الذي يعيش فيه بالسخرية اللاذعة . ولعل من ابرز من كتبوا القصة الساخرة في الماضي سرفانتس Cervantes مخترع شخصية دون كيشوت ، وفولتير Voltaire ، ورابليه Rabelais

ولكن القصة الساخرة في عصرنا الحالي لم تعد تتميز بميزات الادب الرفيع كما كانت ايام فولتير ، بل اصبحت اكثر واقعية مما جعلها مبتذلة في كثير من الاحيان . ولكنها لا تزال كما كانت سلاحا من اسلحة الاصلاح الاجتماعي .. فليس هناك اقسى من الاسلوب الساخر في النقد .

القصــة والجنس والعنف والجريمة

انتشر في عصرنا هذا الكثير من القصص التي تعالج الجنس ، لاكمشكلة من المشاكل التي تواجه المجتمع ، ولكن كوسيلة من وسائل الاثارة الرخيصة . وامتلات هذه القصص الجنسية بالفاظ واوصاف لا تعتبر من الأدب في شيء . ولم يقتصر الامر على استغلال الاثارة الجنسية كوسيلة من وسائل ترويج القصة ، بل تعداه الى القصص التى تمجد العنف وتثير الجريمة . وتكوّن من الجنس والعنف والجريمة حلف ثلاثي كريه انضم اليه بعض دور النشر الرخيصة وبعض القصاصين الذين لم تطاوعهم اقلامهم او اخيلتهم على تقديم عمل روائي رفيع ، وبداوا يغرقون المكتبات بانتاجهم الرخيص . وقد انتشرت هذه القصص الرخيصة انتشارا كبيرا سبب ويسبب انزعاجا بين علماء الاجتماع وعلم النفس . فقد انعكس تاثير هذه القصص على حياة المراهقين من قرائها وساعد على انتشار المخدرات والانحلال والجرائم بشكل خطير في كثير من المجتمعات التى تبيح نشر مثل هذه القصص الرخيصة . واصبحت هناك مشكلة اجتماعية خطيرة تكاد تكون اشبه بالحلقة المفرغة . فقصص الاثارة والجريمة تؤثر في سلوك المراهقين ، والمراهقون يطلبون المزيد من هذه القصص ، ودور النشر تقوم بطبع المزيد والمزيد جريا وراء الربح بغض النظر عن التاثير السيىء لهذه القصص على المجتمع . وكلما ازداد انحلال المجتمع ازدادت القصص اثارة وانحلالا . وهكذا تستمر الحلقة المفرغة .

القصة والطبيعة البشرية

نخلص مما اعطينا من أمثلة عن القصة السياسية ، والقصة التاريخية ، والقصة الساخرة ، والقصة الجنسية أن هناك قصصا هادفة تخدم المجتمع ، وهناك قصص قد تهدم المجتمع . هناك قصص تنادى بمبادىء سامية وتحاول نشرها ، وهناك قصص تثير الغرائز الدنيا وتحاول استغلالها . وبالطبع هناك ايضا تلك القصص التى لا تعدو سوى أنها وسيلة من وسائل التسلية وتضييع الوقت .

ولكن بقيت كلمة أخيرة عن اهمية القصة او الرواية بغض النظر عن لونها أو نوعها . فالقصة دائما تدور حول ناس عاشوا في مجتمع من المجتمعات وهي تنقل لنا عبر احداثها صورة لمعيشة هؤلاء الناس وصورة أخرى لعواطفهم وعاداتهم وتقاليدهم . والقصة في هذه الحالة وسيلة من وسائل التثقيف فهي تكشف لنا الطبيعة البشرية على نطاق واسع . ان كل شخص منا يعيش عيشة شبه محدودة داخل دائرة معينة من الاصدقاء والناس والاعمال .. وليس لدينا وسيلة من الوسائل لكى نتصور كيف يعيش الناس من حولنا خصوصا اذا اختلفت طبقاتهم وثقافتهم وبيئتهم عن طبقتنا وثقافتنا وبيئتنا . وهنا تاتي أهمية القصة . فهي في رأى الكثيرين احدى الوسائل الفعالة للكشف عن الطبيعة البشرية ، وهي ايضا وسيلة فعالة لتعريف الناس بطرق معيشة من يختلف عنهم من الناس طبقة أو جنسية او ثقافة . ومعرفة الطبيعة البشرية مسالة هامة بالنسبة لكل من يريد ان يخرج من أفق مجتمعه الضيق الى افق المجتمع الانساني كله . والطبيعة البشريه والشخصية الانسانية لا يمكن ازاحة الستار عن اسرارها واختلافها الا عن طريق معرفة البيئة ، وعوامل الوراثة ، وعلم النفس ، والعادات الجنسية ، والانماط السلوكية ، وكل هذه المعلومات غالبا ما ترد في القصة الروائية الطويلة التى يحاول فيها كاتبها تحليل المجتمع الذى يكتب عنه . وكما قلنا في بداية هذا المقال القصة ليست الا صورة حية للمجتمع الذىيعيش فيه القصاص .

★ ★ ★

وبعد هذا هو عرض سريع موجز عن الدور الذى تلعبه القصة في حياتنا . وهو دور هام في مجتمعنا المضطرب .. وفي عالمنا الذى يجلس على فوهة بركان من الفساد الاجتماعي والانحلال الخلقي الناتجين عن الاضطراب السياسي الدولي . بركان قد ينفجر اذا تجاهلناه ولم ننتبه لخطورته . ولعل القصة هي واحد من اجراس التنبيه التى تدق الآن عاليا لتنبه النائمين وتوقظ الحالمين على حقيقة واقعنا .. ■■

محمد طنطاوى

كتاب الشهر

الهستدروت

بقلم : الدكتور محمود السمره

■ « الهستدروت » Histadrut هو الاتحاد للعمال فى اسرائيل ، وهو واحد من قطاعات ثلاثة يقوم عليها الانتاج فيها ، وهي : القطاع العام ، والقطاع الخاص ، والقطاع الجماعى الذى يسيطر عليه الهستدروت .

ومع ان عمر الهستدروت يبلغ نصف قرن ، الا انه لم ينل من عناية الدارسين ما يتناسب مع قوته وتأثيره فى اسرائيل . وهذه الدراسة موضوعية الى حد كبير ، وتتناول الهستدروت من شتى جوانبه .

نشأة الهستدروت

اسس الهستدروت في شهر ديسمبر (كانون الأول) ١٩٢٠ نتيجة لقرار من مؤتمر عام عقد فى حيفا وكانت الغاية من قيامه تنظيم العمال اليهود في فلسطين من اجل ان يحققوا في فلسطين ما ورد في وعد بلفور (٢ نوفمبر ـ تشرين الثانى ١٩١٧). وقد تم قيام هذا الاتحاد برعاية من المندوب السامى البريطانى ، سير هربرت صموئيل ، اليهودى الصهيونى ، الذى كان قد عين في هذا المنصب قبل شهور قليلة من قيام الهستدروت . وكانت أهداف الصهيونية تصُبّ عيون مؤسسي هذا الاتحاد ، وهم أنفسهم الذين أصبحوا ، فيما بعد . من مؤسسي دولة اسرائيل ، من امثال بن غوريون الذى كان اول أمين عام للهستدروت ، ثم اصبح أول رئيس وزراء لاسرائيل .

ولم يكن عدد أعضاء الهستدروت ، عند قيامه يزيد عن ٥٠٠٠ ، ثم اصبح عددهم في عام ١٩٦٦ نحو مليون ونصف . وهذا العدد يشمل الأعضاء وعائلاتهم ، اى نحو ثلاثة ارباع سكان اسرائيل .

وهناك ثلاثة اتحادات أخرى للعمال ، تختلف عن الهستدروت في انها ملحقة بالاحزاب السياسية التى انبثقت عنها ، وهي : حركة العمال المتدينين Hapoel Hamizrahi ، وتضم ٧٠,٠٠٠ عضو ، وبوعيل اغودات اسرائيل Poalei Agudat Israel اى تكتل عمال اسرائيل « وعدد اعضائه ٢٧,٠٠٠ وهاتان الحركتان مشتركتان في التأمين الصحى التابع للهستدروت وتدفعان الاشتراك المقرر ، ولهذا فهما غير مستقلتين استقلالا تاما عنه . وهناك ايضا « حركة العمال الوطنيين » وهى تابعة لحزب حيروت ، وقد قامت هذه الحركة سنة ١٩٣٤ ، وعدد أعضائها ٧٠,٠٠٠ ، وهذه الحركة العمالية الوحيدة التى لا صلة لها بالهستدروت .

والعمود الفقرى للهستدروت هو أعضاؤه الذين

---

(١) G. Friedmann, The Histadrut, London, 1967

لجورج فريدمان

يتمون للاحزاب التالية : الماباى Mapai « حزب عمال اسرائيل » ، واحدوت ها عفودا Ahdut Ha'Avoda « حزب العمال الموحد » والمابام Mapam « حزب العمال المتحدين » ، وحزب الصهيونيين العامين ، والحزب التقدمى ، والحزب الشيوعى ، وحركة العمال المتدينين .

التنظيم الادارى للهستدروت

والسلطة العليا في الهستدروت ، من ناحية نظرية ، هى بيد المؤتمر القومى الذى ينتخبه جميع الاعضاء بصورة مباشرة ، مرة كل أربع سنوات ، وقد كان عدد أعضاء هذا المؤتمر ٨٠١ في انتخابات فبراير (شباط) ١٩٦٠ ، وكان نصيب حزب الماباى من هذا العدد ٤٤٤ ، أى انه فاز باكثرية ٤ر٥٥٪ .

ثم ينتخب المؤتمر القومى ، من بين اعضائه ٣٢٢ عضوا ليكونوا المجلس العام . وهذا المجلس العام ينتخب ، من بين أعضائه ، اللجنة التنفيذية من ١٠٥ أعضاء . واخيرا تنتخب اللجنة التنفيذية من بين اعضائها المكتب التنفيذى ، وعدد اعضائه ١٧ عضوا . ويترك للمكتب التنفيذى ان يختار من بينه الامين العام .

والأمين العام للهستدروت هو من أبرز الشخصيات واقواها في اسرائيل . والأعضاء المنتخبون فى كل مرحلة يمثلون الأحزاب ، حسب نسبة قوتها الانتخابية . وللهستدروت مجالس محلية ينتخب اعضاؤها بالطريقة نفسها .

نشاطات الهستدروت

ونشاطات الهستدروت أربعة ، هى : النشاطات النقابية ، والاقتصادية،والاجتماعية ،والثقافية. وهذا ما سنفصله .

١ ــ النشاطات النقابية : يشرف الهستدروت على نقابات عمالية تمثل ٩٠٪ من الايدى العاملة في القطاعات الثلاثة للاقتصاد الاسرائيلى : العام، الخاص ، والجماعى . وتشمل هذه النقابات العاملين في الصناعة ، والزراعة ، والادارة ، والتجارة ، والنقل ، وكذلك العاملين في الحرف الفنية والتكنية . وجميع الاتحادات العمالية المنبثقة عن الهستدروت تخضع لسلطته المركزية. وجدير بالذكر هنا انه لا يحق للعامل أن يصبح عضوا في أى اتحاد الا اذا انضم أولا الى الهستدروت، كما أن كثيرا من هذه الاتحادات انما قام بتخطيط من الهستدروت نفسه ، وكذلك فان قرارات اتحادات العمال لا تكون نافذة الا بعد موافقة الهيئات المختصة في ادارة الهستدروت .

ويدفع العضو رسم عضوية يتراوح بين ٣٪ و٥ر٤٪ من دخله .

ويحق للعمال غير المنتمين للهستدروت أن يستفيدوا من الخدمات الصحية والاجتماعية التى يقدمها ، ويدفعون مقابل ذلك رسما يتراوح بين ٢٪ و ٥ر٢٪ من دخلهم .

وللهستدروت محكمته الخاصة التى تنظر في الخلافات والمخالفات التى تكون بين الاعضاء ، او بين الاعضاء ومؤسسات الهستدروت .

٢ ــ النشاطات الاقتصادية :

يطلق على القسم المشرف على النشاطات الاقتصادية للهستدروت اسم « الجمعية التعاونية العامة للعمل في اسرائيل » Hevrat Ovdim وهذه النشاطات على اقسام :

مشروعات تعاونية يملك اعضاء التعاونيات رأس مالها ، كما هو الحال في الكيبوتسات والموشافات وتلحق بها شركات تملكها الكيبوتسات أو الموشافات، اما كليا او جزئيا ، واهمها شركتان : شركة تنوفا

Tnuva ، التي تقوم بتسويق منتوج اسرائيل الزراعي ، وشركة همشبير Hamashbir، التي تزود التعاونيات بما تحتاج اليه من آلات ، وتقيم مطاحن للحبوب ، ومصانع للالبان والتعليب .. ويقدر المبلغ الذي تتعامل به هاتان الشركتان بنحو ٢٢٥ مليون دولار في السنة .

وهناك شركات يشترك فيها الهستدروت الى جانب الحكومة او الوكالة اليهودية ، ومن هذه الشركات : شركة المياه ، وشركة طيران العال ، وشركة آركيا Arkia للمواصلات الجوية الداخلية ، وشركة زيم Zim ، وهي اكبر شركة للملاحة في اسرائيل ، وتقدر حمولة اسطولها البحري بنصف مليون طن . وهذه الشركة هي التي قامت بتأسيس شركة ملاحة الحكومة الغانية، وما زالت هي المسؤولة عن ادارتها . وعن طريقها اقامت اسرائيل علاقات تجارية مع اليابان ، وتايلاند، ولاوس ، وهونغ كونغ ، والفلبين .

ممتلكات الهستدروت

وهناك مشروعات وشركات يملكها الهستدروت كليا ، وهي التي تقوم على ادارتها . وينص قانون الهستدروت على انه لا يجوز توزيع ارباح على الاعضاء ، وذلك من أجل تطوير المشروعات ونموها. واشهر الشركات التي يملكها الهستدروت هي شركة سوليل بونيه Solel Boneh ، وهي متخصصة في البناء ، وكل الاعمال العامة . وقد بنت بين عامي ١٩٤٩ و١٩٦٧ أكثر من ١٠٠,٠٠٠ مسكن كان يحجز أكثرها للمهاجرين الجدد . كما شيدت ١٩,٠٠٠ مسكن للعمال الكبار في السن . وهذه الشركة هي المسؤولة عن صيانة الموانىء ، والخدمات فيها ، وانشاء موانىء جديدة . ولها تعهدات خارج اسرائيل في آسيا ، وافريقيا ، وأوروبا . ان مشروعاتها تمتد من قبرص الى نيبال ، ومن نيجيريا الى بورما . وقد قامت بتشييد ابنية عسكرية للجيش الامريكي في جنوبي تركيا . وساهمت في « شركة البناء الوطنية المحدودة » في غانا . وهي تملك مصانع للاسمنت ، والسيراميك ، والزجاج ، والمطاط ، والمنسوجات ، والسفن .. ويزيد عدد العمال الذين تستخدمهم الشركة عن ٢٨,٠٠٠ عامل ، ويقدر المبلغ الذي تتعامل به سنويا بـ ٢٠٠ مليون دولار . وامكانيات هذه الشركة تفوق امكانيات وزارة الاشغال في اسرائيل.

وبسبب تضخم شركة سوليل بونيه ، وبعد نقاش حاد طويل ، قسمت سنة ١٩٥٨ الى ثلاث شركات مستقلة . والمعارضون لتقسيم الشركة ينتقدون بشدة بنحاس لافون Pinhas Lavon امين عام الهستدروت آنذاك ، لانه كان وراء هذه التجزئة . وقد صدر في سنة ١٩٦٣ كتاب يعتبر هذا التقسيم مأساة اقتصادية (٢) .

ولشركة سوليل بونيه فروع في رانجون وادبس ابابا ، وطهران ، ونيجيريا .

وفي المجال الاقتصادي يملك الهستدروت « بنك العمال » وهو ثاني مصرف في اسرائيل .

٢ ـ الضمان الاجتماعي :

ان الضمان الاجتماعي الذي يوفره الهستدروت لاعضائه ، هو الذي يغري العمال بالانضمام اليه . فالهستدروت يوفر للاعضاء عناية صحية جيدة ، وموردا طبيا في حالة العجز . وكل اعضاء الهستدروت ينتفعون بهذا الضمان . والتامين الصحي الذي يوفره الهستدروت للعمال اسمه «كوبات حوليم» Kupat Holim اي « صندوق المرض للعمال » . ويمنح الهستدروت ، في بعض الاحيان خدمات صحية مجانية لغير الاعضاء : كالمهاجرين الجدد ، والايتام ، وعائلات رجال الشرطة .

وهذا التامين الصحي يملك أكثر من الف عيادة طبية ، وستة عشر مستشفى ، وثمانية عشر بيتا للنقاهة ، ومائتي مستشفى للولادة . ويعمل في هذا التامين الصحي نحو نصف مجموع الاطباء في اسرائيل ، وتزيد ميزانيته عن ضعف ميزانية وزارة الصحة ، وهي تساوي ٤٦,٥٪ من الميزانية العامة للهستدروت .

كان الهستدروت ، في عهد الانتداب البريطاني، شبكة واسعة من المدارس ، تقوم على تعليم نحو ٤٥٪ من اطفال وفتيان اليهود في فلسطين ، ولكن نشاطه في هذا الميدان اخذ في التقلص بعد قيام دولة اسرائيل . وهو مازال الى اليوم يقوم بنشاط لا بأس به في هذا الميدان : فله عدة مدارس ثانوية صناعية ، وفرقة مسرحية ، وفرق للرقص الشعبي ، ومراكز للفنون الشعبية ، وفرق غنائية، وفرق رياضية .

(٢) Hillel Dan, Along The Unpaved Road, Tel-Aviv, 1963

وبالاضافة الى هذا فان الهستدروت يهتم بتثقيف الشعب ، ويعنى بالمهاجرين الجدد ، ولذلك فهو لهذه الغاية يصدر صحيفة « دافار » Davar ، وهي اوسع الصحف الصباحية انتشارا . وتصدر هذه الصحيفة ، صحيفة اخرى باسم « اومر Omer » مكتوبة بلغة عبرية مبسطة ، وهي موجهة للمهاجرين الجدد ، كما انها تقوم بترجمة امهات الكتب من اللغات المختلفة الى اللغة العبرية ، وتقوم بهذا دار نشر لها اسمها « ام اوفد » Om Oved .

وللهستدروت ، عدا النشاطات السابقة ، نشاطات اخرى بالغة الاهمية ، تهدف الى توثيق صلة اسرائيل بالعالم الخارجي : من ذلك اننا نرى ان فروع الهستدروت على صلة وثيقة بالحركات العمالية في العالم . كما أن الهستدروت يقدم المساعدات للدول الافريقية الحديثة الاستقلال ، ويقيم المشروعات التي توثق صلة اسرائيل بهذه الدول . ولتحقيق هذه الغاية انشأ الهستدروت في عام ١٩٦٠ « المعهد الافرو آسيوي للدراسات العمالية والتعاون » ، حيث يتلقى الشباب الافريقي والآسيوي فيه تدريبا في الشؤون النقابية والتعاونية ، بالاضافة الى دراسات عن اسرائيل . ويتلقى هذا المعهد مساعدات من جهات عدة ، خارج اسرائيل ، ومثال ذلك : قدم اتحاد العمل الامريكي له مبلغ ١٨٠,٠٠٠ دولار سنة ١٩٦٠ ـ ١٩٦١ ، وقدم له في العام التالي مبلغ ١٢٠,٠٠٠ دولار ، واشترك في تمويله المجلس البريطاني لنقابات العمال ، والمنظمات العمالية الاسكندينافية ، والمنظمات العمالية الهولندية . وقد بلغ عدد طلاب هذا المعهد سنة ١٩٦٦ نحو الف طالب ، بينهم ٤٠٪ من الدول الآسيوية .

واقام الهستدروت ايضا للغاية نفسها معهدا لابناء امريكا اللاتينية سمي « مركز الدراسات العمالية والتعاونية لبلدان امريكا اللاتينية » . وقد أمه سنة تأسيسه (١٩٦٢) ٤٠٠ من شباب امريكا اللاتينية والبحر الكاريبي .

تجربة الادارة المشتركة

من المشاكل التي تجابه الهستدروت انه صاحب عمل ، وفي الوقت نفسه مسؤول ومدافع عن حقوق عماله . وهذا الموقف المتناقض قد عرض الهستدروت لكثير من النقد في الاوساط العمالية في الخارج . وقد حاول ان يقلل هذا التناقض بان لجأ الى تجربة الادارة المشتركة . وقد بدأت هذه التجربة في عام ١٩٥٨ ، وفي ثلاثين مشروعا ، حيث اشرك العمال في ادارتها ، من اجل تنمية روح التعاون بين الاداريين والعمال . ويبدو أن هذه التجربة قد لقيت هوى من نفوس العمال ، بينما لم يرض عنها مديرو المؤسسات واعتبروها بدعة تسلبهم حقوقهم ، وتعيق سير العمل بشكل مرض . وقد كان المديرون على حق ، اذ انه بعد سنتين ثبت فشل التجربة ، ولهذا الغيت ، والسبب في فشلها ان العمال لم يكونوا معدين لمثل هذا النوع من العمل الذي يحتاج الى تدريب خاص .

مشكلة الاختصاصيين في الهستدروت

ومشكلة اخرى يجابهها الهستدروت هي مشكلة الاختصاصيين من خريجي الجامعات ، كالمهندسين ، والفنيين ، والاطباء ، والمعلمين .. الخ . ان هذه الطبقة تشعر انها العمود الفقري لاسرائيل ، ولذلك فهي لم ترض عن سياسة الهستدروت التي تهدف الى جعل اجور جميع الفئات متقاربة ، والفروق بينها بسيطة . وقد عين رئيس الوزراء لجنة من اربعة عشر شخصا ، يرأسها محافظ بنك اسرائيل ، لدراسة نظام الاجور . وفي مطلع عام ١٩٦٣ نشرت اللجنة تقريرها ، وهي فيه تدعو الى تقارب الاجور « لان من السخف ، مثلا ، ان يعطي انسان زيادات في مرتبه ، لا لشيء الا لانه يستطيع ان يعرض امام عيوننا شهادته الجامعية . ان الاساس في تصنيف الاجور يجب أن يكون اتقان العمل ، وقيمة هذا العمل للدولة ، لا الشهادة ».

وقد أثار هذا التقرير ثائرة الجامعيين في القطاعات الاقتصادية الثلاثة ، لان التقرير في رأيهم يساوي بين جميع العمال على اختلاف مستوياتهم ، ويقضي على الحوافز التي تميز انسانا على آخر ، ويضع حدا لطموح الفرد من اجل اكتساب المعرفة . وانطلاقا من هذا فان المساواة بين العمال سياسة ضارة تقضي على كل تطلع للتقدم . وهذا النزاع يذكرني بما حدث في روسيا في بداية برنامج الخمس السنوات (١٩٣٠ ـ ١٩٣٥) حيث الغى الاتحاد السوفييتي نظام

تقارب الاجور ، ووضع كادرا جديدا يعطي للعلماء والفنانين واساتذة الجامعات امتيازات ، تجعل الفرق بين مرتباتهم ومرتبات الاخرين كبيرا جدا .

واشتد الصراع بين الجامعيين من جهة ، وادارة الهستدروت والحكومة من جهة ثانية ، وهما الجهتان اللتان تؤيدان التقرير . وانتهى النزاع اخيرا بانتصار الجامعيين في ميدانين : في اوساط الهستدروت ، وفي اوساط الحكومة ، حيث وافق اهرون بكر Aharon Eecker ، الامين العام للهستدروت ، وبنحاس سبير Fiphas Sa ir ، وزير المالية ، على ان يكون للجامعيين كادر خاص بهم .

الهستدروت في الميزان

حتى في اسرائيل ، فاننا نجد نظرة الناس الى الهستدروت متباينة .

ومن النقد الذي يوجهاليه ، انه بسبب قوته ، جعل الحكومة عاجزة عن تاميم كثير من المرافق الهامة ، ذلك لان التاميم يتعارض مع مصلحة الاقتصاد الجماعي ، الذي يقوم عليه الهستدروت. وهذه الفئة ترى انه حتى حركة الكيبوتس ، قد استحالت الى تنظيم رجعي همه المحافظة على مشروعاته الصغيرة . ويرى آخرون ومنهم كثير من العمال ، ان الهستدروت لا يمثل مصالحهم في الواقع ، بل همه الاول ان تنجح المشروعات التي يقيمها ونجاحها هذا انما يكون على حساب مصلحة العمال . ويرون ايضا ان العمال الذين توكل اليهم مناصب ادارية كبيرة في مشروعات الهستدروت ، تتغير نفسياتهم ويصبحون لا يختلفون في شيء عن اي من مديري مؤسسات القطاع الخاص . ويؤيد هذا الراي ، في نظري ، ان النزاع كثيرا ما ينشب بين العمال والمسؤولين في الهستدروت ، ويؤدي الامر الى ان يقوم العمال بالاضراب .

ويشكو رجال القطاع الخاص من ان الهستدروت يفرض عليهم الا يُخرجوا من العمل اي عامل مضت عليه ثلاثة اشهر في العمل ، ولذلك فانهم ملزمون ، في كثير من الاحيان ، بالاحتفاظ بعمال غير اكفاء . بينما نجد ان فترة التجربة في القطاع العام ، وفي القطاع الجماعي ، هي سنة .

والهستدروت ــ في راي رجال القطاع الخاص ــ هو المسؤول عن بث روح التذمر بين العمال ، وجعلهم يشعرون دوما بانهم لا ينالون ما يستحقون. ويصدق هذا اكثر ما يصدق على اليهود المهاجرين من البلاد العربية : فهم غير فنيين ، ويحتقرون العمل اليدوي ، ولكنهم يقومون في اسرائيل باعمال يدوية فنية لا يحسنونها ، ولا يقدمون من العمل ما يبرر دفع تلك المرتبات المرتفعة لهم ، ومع ذلك فانهم لا يكفون عن الشكوى والتذمر . وينظر رجال القطاع الخاص الى الهستدروت على انه قوة قادرة على التاثير في الحكومة ، بينما هي لا تهتم بمصالحهم . ويقول احد رجال الاعمال : « ان اتحادنا اتحاد ضعيف فيه عدد قليل من الاغنياء ، والهستدروت اتحاد غني جدا فيه اعداد كبيرة جدا من الفقراء . »

ويرد زعماء الهستدروت على هذه الاتهامات، فيقولون ان تنظيم الهستدروت هو الذي سيؤدي في النهاية الى قيام الدولة الاشتراكية التي تكفل الرخاء للجميع ، ولكن الذي يحول دون تحقيق هذا الحلم ، في راي بعضهم ، ان حزب الماباي المحافظ ، هو الذي يُسير الهستدروت ، لانه يملك اكثرية الاصوات فيه .

ويروي المؤلف ان النكتة التالية جارية على السنة رجال الهستدروت : كان عضو في الهستدروت يشكو من الارق ، فذهب الى الطبيب الذي وصف له حبوبا منومة ، فلما تناولها استغرق في النوم ، واخذ يحلم بفتيات جميلات . وكان له صديق يعمل في القطاع الخاص مصابا بالمرض نفسه ، فوصف له ما حدث معه . فذهب هذا الصديق الى الطبيب عينه ، فاعطاه الحبوب المنومة اياها . ولكنه بدلا من ان يحلم بفتيات جميلات ، قضى الليل وهو يحلم بوحوش مفترسة تطارده وتهم باكله . فعاد الى الطبيب وشكا اليه حاله . فقال له الطبيب : لا تعجب ، فانت لست عضوا في الهستدروت ! !

رد على ادعاء

لقد اوهم الهستدروت العالم الخارجي انه يبني اشتراكية المستقبل في اسرائيل . وعلى هذا الوهم قامت علاقاته مع الاتحادات العمالية في العالم . فما حقيقة هذا الادعاء ؟ هذا ما اود ان اناقشه .

ان الملاحظ ان القطاع العام آخذ في النمو ،

وهذا امر يقلق اليوم زعماء الهستدروت . كما ان كثيرا من الخدمات التى كان يقوم بها الهستدروت قد اصبحت من مسؤوليات الدولة ، من مثل ايجاد العمل للعمال ، وتوفير الضمان الاجتماعي . وهناك حديث حول تحويل التامين الصحي الخاص بالهستدروت الى تامين صحي عام تشرف عليه الدولة . وبالاضافة الى هذا فقد وقف العمال في الهستدروت عدة مرات مواقف حادة ضد المسؤولين فيه ، وقاموا باضرابات متعددة : فبلغ عدد الاضرابات سنة ١٩٦٥ ، حسب التقارير الرسمية ، ٢٧٧ اضرابا ، وهذا يعادل ثلاثة اضعاف الاضرابات في العام السابق . وبلغ عدد العمال المضربين ٩٣٫٤٢٥ عاملا ، وبلغ عدد الايام التي ضاعت بسبب التوقف عن العمل ٢٠٣٫٦٧٠ يوما . ومما يجدر ذكره ان نقابات العمال وافقت على ٨٦ اضرابا من مجموع الاضرابات المذكورة .

وهكذا نرى ان صورة الهستدروت ليست مشرفة الى الحد الذى يحاول رؤساؤه ان يصوروه ، بل ان دوره آخذ في التضاؤل ، وعلى هذا فهو عاجز عن ان يحقق اشتراكية المستقبل التي يدعيها . ■■

محمود السمره



فلسطين
والخطر المصيري
بين النيل والفرات وما وراءه

تأليف : المحامي عنتري ابو خاطر . الناشر : دار الطليعة ـ بيروت / لبنان .

● يتناول هذا الكتاب المأساة الفلسطينية التي يعاني منها شعب فلسطين منذ عشرين سنة ونيفا كما يتناول المؤلف في كتابه واقع الشخصية اليهودية ثم نشوء الحركة الصهيونية وتطورها وغاياتها التوسعية ، وخطرها على الدول العربية ، ويدلل الكاتب على أن ذلك العطف الذى يلاقيه اليهود يرجع الى جهل الشعوب الغربية بواقع القضية الفلسطينية بتأثير من الدعايات الاسرائيلية العارمة .

اعترف اليك
وقصص اخرى

تأليف : احمد فؤاد تيمور . الناشر : دار المعارف بمصر ـ القاهرة

● مجموعة قصص قصيرة .

الأمير مصطفى الشهابي

تأليف عدنان الخطيب

الناشر : مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق

● دراسة مقتضبة عن الامير مصطفى الشهابي رئيس مجمع اللغة العربية تناول حياته ومنزلته العلمية وثبت بمؤلفاته ودراساته وبحوثه .

الحدود الشرقية للجزيرة العربية

تأليف : ج.ب. كيلي . ترجمة : محمد امين عبد الله ـ الناشر : مكتبة الامل / السالمية / الكويت .

● دراسة مستفيضة للتاريخ السياسي والقبلي للمنطقة الشرقية من شبه الجزيرة العربية ، والمؤلف يعرض لاخطر مشكلة سياسية واجهتها هذه المنطقة في السنوات الاخيرة ، الا هي مشكلة واحة البريمي . والصراع الذى نشب بين اهل عمان والقوات البريطانية .

والمؤلف يعبر عن وجهة نظره الخاصة وعن نظر حكومته في مشكلة النزاع بين الدول المعنية في هذه المنطقة ولذلك فان التفسيرات والآراء التى ضمنها لا يمكن ان تؤخذ كحكم قاطع . وان مشكلة البريمي تعتبر قمة الصراع في سبيل الاستيلاء على منابع النفط الهائلة التى تعوم فوقها الجزيرة العربية .

آداب العشرة وذكر الصحبة والأخوة

تأليف أبو البركات بدر الدين محمد ألغزى

تحقيق الدكتور عمر موسى باشا

الناشر : مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق

● رسالة من آداب عصور الدول المتتابعة تكشف عن جوانب حضارتنا السالفة وتمثل مظهرا هاما من مظاهر الآداب الاجتماعية في عصور الدول المتتابعة ، والمؤلف في هذا الكتاب يتوخى اصلاح المجتمع فبدأ بالفرد لينتهي الى الأسرة ثم يضع لنا شرائط المجتمع والمستقبل الأمثل .

اللواء المدرع

٤٠ / القوات المسلحة الاردنية

تأليف اللواء معن أبو نوار ـ عمان ـ الاردن

● كتاب يكشف عن بعض جوانب حرب حزيران سنة ١٩٦٧ .

اركان الاسلام الخمسة

تأليف : الفريق عبد الرحمن محمد امين . والمقدم : صلاح محمد عطيه . الناشر : دار التحرير للطبع والنشر ـ القاهرة .

● كتاب يدرس اركان الاسلام الخمسة : وهي شهادة ان لا اله الا الله ، وان محمدا رسول الله ، واقام الصلاة وايتاء الزكاة ، وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع اليه سبيلا . والمؤلف يقوم بدراسة كل ركن من هذه الاركان على حدة فقد درس الشهادتين ووضح صفات الله ووجوده وأفعاله وأوامره ثم تحدث عن النبي محمد وطبيعة رسالته وخصائص الرسول العامة. ثم اقامة الصلاة واحكامها ثم درس الزكاة ، ووجوبها وشروطها وأنواعها ومصارف الزكاة ، وصوم رمضان والأيام التى يحرم فيها الصوم وحكمة الصوم واسراره . ثم الحج وشروط وجوبه ومواقيته واحكام الحج .

قول على قول
الجزء الاول

تأليف : حسن سعيد الكرمي . الناشر دار لبنان للطباعة والنشر / بيروت ـ لبنان

● مجموعة اسئلة ادبية تتناول ابياتا شعرية مشهورة، وأمثالا عربية معروفة قام المؤلف بشرحها شرحا أدبيا لغويا مبينا قائلها واسباب انشادها .

النكسة والخطا

تأليف : الدكتور اديب منصور / الناشر . دار الكاتب العربي / بيروت

● كتاب يدرس الاخطاء الفكرية والعقائدية التى ادت الى نكسة حزيران ، ثم ان هذه الأخطاء مستمرة بعد النكسة وكأنها اقوى من الهزيمة ، انها اسراب هائمة من الافكار الخاطئة تحجب الرؤى وتعمى الأبصار ، هذا الخطأ الفكرى الذى كان يجب ان يسقط مع السلاح الذى سقط في أيام حزيران . ثم يقوم المؤلف بتوضيح اخطاء الفكر التى سادت الاجواء العربية في العقدين الأخيرين وفتنت بها الشعوب العربية فتونا ، وكيف يجب أن نضع أيدينا على هذه الأفكار والآراء والنظريات وان نزنها بموازين الحق والخير ، ثم ما كان لها من اثر في حياة الامة العربية وفيما أصابها في الأيام الاولى من حزيران . هذه النصوص والوثائق لا تكشف عن العوامل الحقيقية للنكسة العسكرية التى منيت بها الأمة العربية فحسب بل تفتح أمام المواطن العربى طريق النهضة وسبيل رسم سياسة وطنية صحيحة سليمة .

الاسلام والخلافة

تأليف : الدكتور على حسنى الخربوطلي . الناشر: دار بيروت للطباعة والنشر . بيروت/لبنان

● دراسة عن الخلافة ونظامها في الاسلام منذ قيامها بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم والكتاب دراسة للدول الكبرى الزاهرة التى شهدها العالم الاسلامى منذ ظهور الاسلام الى أوائل القرن العشرين الميلادى ، وقد جعل المؤلف « الخلافة » محورا لهذه الدراسة فقد كانت الخلافة النواة التى تكونت حولها هذه الدول المختلفة على مر العصور . كما ان الخلافة مسالة حيوية هامة وتقليد ثابت ونظام ضرورى في العالم الاسلامى طوال العصور الاسلامية السالفة ، كما يتضمن الكتاب دراسة عن قيام الدولة العربية الاسلامية وأثر الاسلام في وحدة العرب القومية والسياسية والاجتماعية كما يتناول فلسفة الخلافة من جميع جوانبها ،كما يدرس مراحل الخلافة جميعها : خلافة الراشدين والخلافة الأموية بالشام والخلافة العباسية والخلافة الفاطمية والخلافة الأموية بالأندلس والخلافة العثمانية حتى سقوط خلافتهم في مطلع القرن العشرين .

الخليج العربي

تأليف : السير ارنولدت ويلسون . ترجمة : الدكتور عبد القادر يوسف . الناشر : مكتبة الامل السالمية الكويت .

● دراسة عن الخليج العربي تتناول الخليج منذ العصور التاريخية الاولى والاحداث التى مرت منذ فجر التاريخ والمنافسة القوية على هذا البحر من مختلف القوى العالميـــة ومحاولة السيطرة على سواحله ومداخله وطرقه بوصفه بوابة الشرق المؤدية الى البحار الهندية ، ثم الصراع المرير بين البرتغاليين والهولنديين والانجليز في السيطرة على هذه المنطقة . ثم نمو النفوذ البريطاني في القرن الثامن عشر ثم دراسة عن القرصنة والقراصنة وتجارة الرقيق وكيف قضى عليها . اما الأبواب الاخيرة من الكتاب فتدرس نمو الامارات العربية في هذه المنطقة وموقف امارات الخليج وحكامه من السياسات الدولية .

دعـوة هدامة الروحية الحديثة تحضير الأرواح وصلته بالصهيونية العالمية

تأليف : الدكتور محمد محمد حسين . الناشر : دار الارشاد للطباعة والنشر والتوزيع / بيروت . لبنان .

● دراسة عن الدعوة الى استحضار الأرواح أو ما يسمى بالروحية الحديثة وما لهذه الدعوة من خطر وهو الاستخفاف بالاديان كلها والى تكوين مفاهيم دينية جديدة ، ويعلل المؤلف أن الـذى يقف وراء هذه الدعوة هي الصهيونية العالميـة بكل اجهزتها وفي مقدمتها الماسونية التى تعمل على محو العصبيات الدينية والقوميـة تحت ستار الانسانية التى تجمعهم جميعا .

شعر ابراهيم بن هرمة القرشي

تحقيق محمد نفاع ـ حسين عطوان

الناشر : مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق سوريا

● تحقيق ودراسة لشاعر عاش في أواخر الدولة الأموية وأوائل الدولة العباسية ، وعرض لموضوعات شعره من مديح وفخر ورثاء وهجـاء وغزل ، موضحا خصائصه ومقوماته الفنية وقيمة شعره اللغوية .

الالوسي مفسرا

تأليف : محسن عبد الحميد . الناشر : مطبعة المعارف ـ بغداد ـ العراق .

● دراسة عن الالوسي مفسرا تتناول عصره وتحديد سماته السياسية وملامحه العقلية لفهم اخلاقه وشخصيته واتجاه ثقافته وتطور عقليته كما يدرس المؤلف في الفصل الثانى تفسير الالوسي المشهور « روح المعانى » ومصادر تفسيره ومنهجه في تفسير الآيات ثم مـوقف الالوسي من موضوعات التفسير فقد درس المؤلف موقف الالوسى مـن حروف الهجاء في أوائل السور وموقفه من فواصل الآيات المتشابهة والنسخ والاعجاز والقراءات ثم موقفه من الاسرائيليات وموقفـه من المسـائل الاعتقادية والفقهية وما اليها. اما في الفصل الرابع فيبين المؤلف آراء العلماء المعاصرين للالوسى والذين جاءوا من بعده في تفسيره ومنزلته بين كتب التفسير وتأثيره فيمن جاء بعده من المفسرين.

الرسالة المحمدية وشواهدها

تاليف محمد عبد الوهاب فايد

الناشر : مكتبة القاهرة ـ القاهرة

● دراسات تتناول شخصية النبى محمـــد صلى الله عليه وسلم من خلال كتب السنة التى حفظت لنا آثاره وسجلت أخباره ، توضح شواهد رسالته السماوية وتبرز سمات عظمته .

التشريع الجنائى الاسلامى مقارنا بالقانون الوضعى

تأليف : عبد القادر عودة / الناشر : دار الكاتب العربى / بيروت

● كتاب يقع في جزأين كبيرين يتضمن دراسات عن التشريع الجنائى الاسلامى مقارنا بالقوانين الوضعية ، وهذه الدراسات تبرز محاسن الشريعة الاسلامية وتفوقها على القوانين الوضعية، وسبقها الى تقرير كل المبادىء الانسانية والنظريات العلمية والاجتماعية ، كما يؤكد الكتاب بجزأيه أن الشريعة الاسلامية هى الشريعة الصالحة لكل زمان ومكان. وقد قام المؤلف ببحث المبادىء والنظريات العامة في الشريعة والقوانين وبيان وجوه الخلاف والوفاق بينها .

البقية على صفحة ١٧١

قصة للكاتب البولوني ادولف ديغنسكي *

ترجمة : سليم طه التكريتي

التابوت

■ في بعيد عن مدينة « سيروك » ينساب نهرا « بوغ » و « نارو » وهما اشبه بحزامين جميلين تطغي عليهما زرقة عميقة عمق زرقة السماء ذاتها .

وحين يبدأ فصل الربيع يفيض النهران فيغمران من الارض ما تستطيع العين ان تراه منها حيث تروح المياه تتسابق مسرعة في جريها ، هادرة في صخب .

وتغطي الارض بين بوغ ونارو مروج فاتنـة ، وغابات من اشجار الصنوبر الضخمة ، وقـد تناثرت اكواخ الفلاحين هنا وهناك .

كان الفيضان الذى حدث في هذا الربيع ما يزال طاغيا ولم يكن قد انحسر بعد . ولذلك كنت تسمع خرير المياه عاليا في تلك الانحاء .

هبطت ، بعد ظهر احد الايام ، الى نهـر « بوغ » كيما اشهد تياره الخاطف ، وارقب طيور « النورس » وهي تحلق فوق الرؤوس ناعبـة ، وقوارب صيد الاسماك الخفيفة وقد انتشرت فوق صفحة الماء .

وسرعان ما لفت انتباهي وجود رجل كان يجلس على ضفة النهر العالية .

كان الرجل حاسر الراس ، يرتدى قميصا ذا اردان وقد اتكأ بذقنه على راحتيه وكأنه يتأمل الفيضان ، ثم يعود ليحدق في السماء وهو اشبه بتمثال لا يتحرك .

ومن دون عناء دار في خلدى ان الرجل كان يفكر في الانتحار ، وانه انما يستعرض الآن حياته الماضية قبل ان يلقي بنفسه وسط النهر العميق .

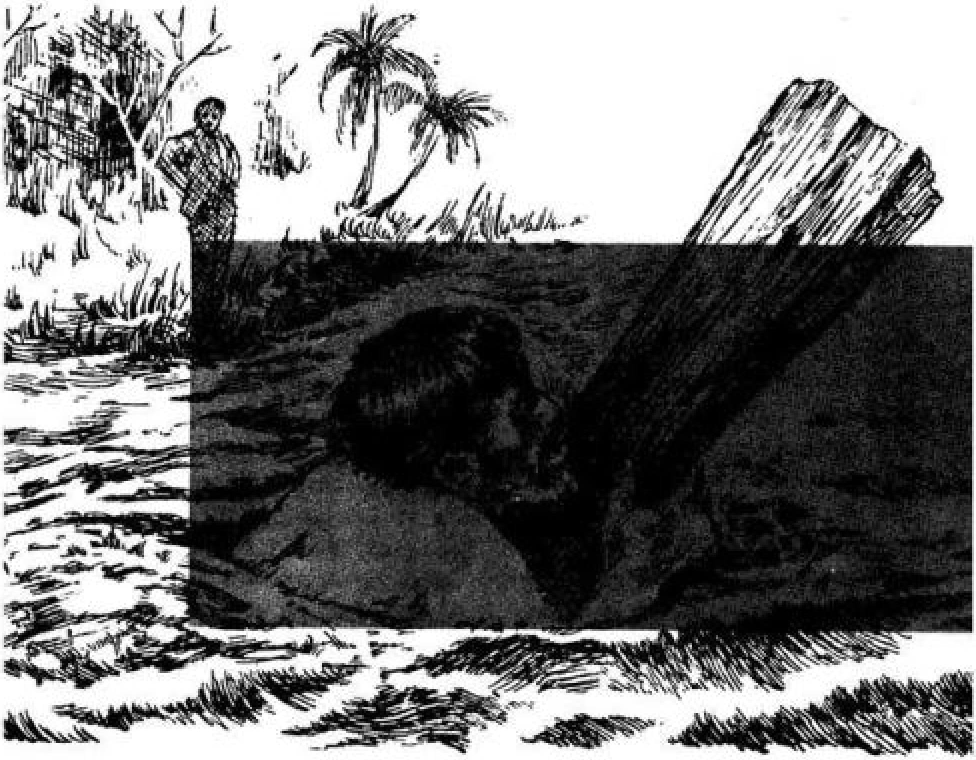
وتقدمت نحو الرجل خطوتين ثم رحت اراقبه وانا اتجه الى ناحيته .

وعلى حين غرة نهض الرجل من مكانه ، ونزع عنه قميصه ، وقفز الى النهر .

ومن دون ارادة اطلقت من فمي صرخة ما كان لاحد ان يسمعها في ذلك المكان المنعزل ، سيما وان صوت خرير الماء كان يعلو حتى الصيحات العالية .

---

* أدولف ديغنسكي (١٨٣٨ ــ ١٩٠٢) من اشهر ممثلي المدرسة الطبيعية في الأدب البولوني، كاتب ومؤلف روايات وأقاصيص عالج فيهـا المآسي والمشاكل الاجتماعية على غرار ما فعله أميل زولا في فرنسـا . شارك في تحرير صحيفة « التحول » . من أشهر رواياته « على رصيف وارشو » « والشراب القوى » و « عيد الحياة » . تعد روايته « الارنب البرى » التي صدرت سنة ١٩٠٠ من خيرة المؤلفات في الأدب الكلاسـيكي البولوني . « المترجم »



ولقد اخذت اراه الآن بجلاء وهو يسبح وراء لوحة خشب كانت تطفو على وجه الماء،ولم يطل به الوقت،حتى امسك بها وعاد سابحا وهو يجرها الى ضفةالنهر

واذ تطلعت الى الماء سرعان ما تحقق لدى ان الرجل الذى خشيت عليه من الغرق كان سباحا ماهرا ، وانه كان يتغلب بشجاعة على ذلك التيار شديد الجريان .

ولقد اخذت اراه الآن بجلاء وهو يسبح وراء لوحة خشب كانت تطفو على وجه الماء ، ولم يطل به الوقت حتى امسك بها وعاد سابحا وهو يجرها الى ضفة النهر .

ورحت افكر في نفسي متسائلا عن جنون مثل هذا الفلاح الذى يخاطر بحياته في سبيل قطعة خشب تافهة .

وخرج الرجل من النهر وهو يحمل لوحـه الخشب الى المكان الذى كنت اقف عنده . وبدأته السؤال قائلا : « اتسكن هنا ايها المزارع ؟ » ورد على يقول : « لست مزارعا . فانا فلاح في مزرعة تعود الى احد معامل التقطير في (زناهورى) ».

وعدت اساله : « لقد اصبت خشبة لطيفة هناك لكن المؤسف انها قصيرة ! » .

ورد على مجيبا « ربنا رحيم . انه لا يتخلى عن احد » .

وكررت سؤالى له بقولي : « ما الذى ستفعله بهذه اللوحة ؟ اتصنع منها مائدة ، ام مقعدا ام رفا ؟ » .

واطلق حسرة عميقة ثم قال : « واية فائدة استطيع ان اصيبها من وراء كل ذلك ؟ لا يا سيدى . انني ساصنع منها غطاء لتابوت ! » .

احدث هذا التحول في حديثنا هزة في نفسي فصمت من دون ان انبس ببنت شفة . ثم ما لبثت ان قلت اخيرا : « لقد بدوت في نظرى رجلا قويا . ولقد كنت ارقبك وانت تسبح في ذلك التيار الهائل الذى يستطيع ان يدفع باى رجل ضعيف بعيدا حتى مدينة « سيروك » ولهذا ينبغى لك ان لا تفكر في التابوت .

ورد على يقول : « آه . انني ضعيف ياسيدى

ضعيف جدا . فانا في السابعة والستين من عمرى وقد انهكني العمل المضني ، ونخر عظامي ».

يا الهي الصالح ! لو كنت قويا لظلت « ماريا» على قيد الحياة !

ورحت أسأله من جديد : « وهل فقدت احدا ما ؟ » فاجاب : « لقد ماتت طفلتي ، انها ابنتي».

وانتفض فكان ضربة من ريح ثلجية قد اصابته ثم جلس على ضفة النهر ثانية ، واستقر راسه بين كفيه ، وراح يحدق في الماء .

وما فتىء أن أخذ يتحدث بزفرة قائلا : « لقد ماتت . انها الوحيدة لدى ، عزيزتي ، كنزى ، نجمتي الصغيرة ! لقد انطفأت مثلما ينطفىء القنديل،وسقطت كما تسقط الورقة من الشجرة، وذبلت مثلما تذبل الزهرة الجميلة انها وحيدتي المسكينة ! »

لم أجرؤ على ان افتح فمي بكلمة . وظل هو صامتا ثم عاد يقص قصته المبكية « كانت على وشك أن تحتفل بعيد ميلادها التاسع عشر الذى يحل في عيد القديسة مارى لكنها لم تعش .كانت فتاة رشيقة أشبه بشجرة البان ، جميلة كالزهرة النضرة . كانت شفيقة . لقد حسدني الناس وها هى قد فارقت الحياة ..

أما انا فرجل مسن ولست أصلح لشيء سوى القبر . أواه لقد فقدت الحياة في هذه الدنيا ..

وسالت الدموع على وجنات الرجل المسن ، وارتعشت شفتاه ، وكان على وشك أن ينفجر بالبكاء .

وتكون لدى انطباع بان الطبيعة ذاتها كانت تشاركه حزنه المقدس ، وان اية كلمة مواساة أزجيها له ستكون عبثا لا قيمة له .

ورفع لوحته على كتفه وانتبذ مكانا آخر ،وكأنه اراد بذلك أن يكون وحيدا في غمار كآبته العظمى.

وتعقبته في صمت ظنا منى أن في مقدورى أن أعينه .

وللمرة الثانية اتخذ مكانه على ضفة النهر وحين هم أن يلقى بلوحته من على كاهله سعيت الى مساعدته في ذلك .

ونظر الى وقال « ليباركك الله أيها السيد .. لقد اعتادت أن تنهض بالعمل من أجلي . فانا شيخ مسن .. وهذا هو السبب الذى جعلها تؤذى نفسها ومن ثم تموت . لقد سمحت لها بان تقتل نفسها بالعمل .. لقد كانت تحمل اكياس البطاطس الى معمل التقطير . فانا لم أعد أستطيع حمل الاكياس كما كنت افعل ذلك قبلا .. كانوا على وشك أن يطردوني من العمل بعد خدمة استمرت عشرين سنة..كانوا سيطردونني لو علموا أن ماريا هى التى تنهض بعملي .. لقد اضنت عزيزتي نفسها بالعمل المرهق حتى ماتت ..دعني يا سيدى على الاقل احمل هذه اللوحة الى البيت في سبيلها ، من أجل تابوتها ..

لقد ماتت فجر يوم أمس وحين بدأ الديك يصيح ! » .

وحاولت أن ابعد الرجل المسن عن النهر الذى قد يغريه فيقذف بنفسه في لججه فقلت له : « لكنهم لا يمكن أن يرفضوا السماح لك ، على وجه التأكيد ، بنقل بعض الالواح من المزرعة لصنع التابوت . »

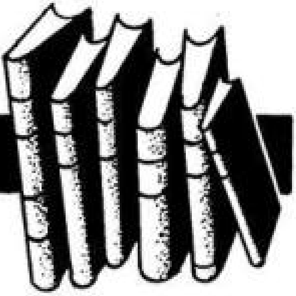
فهز الرجل رأسه وقال : « ذهبت الى المزرعة في هذا الصباح ، وطلبت منهم بعض الالواح لاصنع منها تابوتا لطفلتي ولكنهم رفضوا ذلك .. وقال لى المدير انك رجل مسن لا تصلح للعمل ولاتستطيع ان تعمل فتسدد للمزرعة ثمن الالواح التى تريدها .. لقد كان مصيبا في قوله ذاك . وهكذا ما ان حل وقت الظهيرة ولم يعد هناك من احد على مقربة من مخزن الغلال ، حتى تسللت الى داخله على امل أن اعثر على صندوق عتيق فيه .. فهل تدرى ماذا حدث ؟ .. لقد قبض على الحارس فانتزع منى قبعتي وصدريتي .. واذ ذاك جئت الى هنا لاستجدى لوحة من مزرعة اخرى لكنني وجدت صاحبها مسافرا .

ولم يلبث الله ان استخدم النهر وأرسل الى هذه اللوحة وانني انتظر الآن فلربما بعث الى بلوحة اخرى » .

وما كاد ينتهى من كلمته هذه حتى قفز بسرعة الى النهر . وصحت وراءه مناديا « انني ساجلب لك بعض الالواح فهيا ارجع ! » لكن الرجل المسن راح يعدو كالطفل . لقد شاهد على سطح الماء عدة الواح من الخشب ، الواح بعث الله بها اليه في وقت الحاجة ..

لم يكن السباح المسن في هذه المرة محظوظا لقد دفع به تيار النهر الى دوامة شديدة وجد عندها النهاية الابدية لحياته وأحزانه . ■■

سليم طه التكريتي



من الكتب التي وصلتنا

(بقية المنشور على صفحة ١٦٧)

من تاريخ النحو

تأليف : سعد الافغاني . الناشر : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت/لبنان

● دراسة عن نشأة علم النحو فى العربية منذ بداياتها ثم المدارس او المذاهب النحوية التى اشتهرت لدارسي هذا العلم مثل مذهب البصريين ومذهب الكوفيين ومذهب البغداديين ومحاولة تصحيح هذه المفاهيم فى علم النحو . ثم ترجمة لستة مؤلفين فى هذا الفن وطريقتهم في عرض المسائل النحوية معتمدا على كتبهم ونتاجهم الفكرى منهم صاحب الكتاب سيبويه وابن جنى فى التصريف الملوكى وابن مالك فى الألفية وشرحها وابن هشام الانصارى وكتاباه مغنىاللبيب وشذور الذهب .

العملة الاسلامية في العهد الاتابكى

تاليف محمد باقر الحسين

الناشر : مطبعة دار الجاحظ ـ بغداد

● دراسة تتناول العملة الأتابكية ، وتجلو بعض الحقائق عن تاريخ اقليم العراق في حقبة من حقب التاريخ ، وقد قسم البحث الى أربعة فصول ومقدمة وخاتمة . ويتناول الفصل الأول تاريخ العملة عند العرب فيالجاهلية وصدر الاسلام ثم العملة فى العصر العباسي وعصر الدويلات التى قامت بعد ذلك متحدثا عن الدنانير والدراهم والفلوس . اما الفصل الثانى فدرس دنانير الاتابكة الذهب فى الموصل وعند عماد الدين زنكى ودنانير اتابكية اربيل . أما الفصل الثالث فدرس الدراهم الاتابكية . وكذلك درس دراهم اتابكية الموصل ، واتابكية الشام ، ثم دراسة عن اتابكية سنجار النحاسية . وفي الفصل الرابع حديث عن الفلوس النحاسية الاتابكية في عهد اتابكية الموصل والشام وسنجار والجزيرة واربيل ثم دراسة عن الخطوط في ذلك العهد .

الاسـلام والحضارة الغربية

تأليف الدكتور محمد محمد حسين . الناشر : دار الارشاد ـ بيروت / لبنان .

● محاضرتان القيتا فى الكويت في موسم ثقافي تتناول ما طرأ على الفكر الاسلام الحديث من تطور نتيجة اختلاطه بالفكر الغربي وبالحضارة الغربية على يد رفاعه الطهطاوى وخير الدين التونسي وجمال الدين الأفغاني ، صور فيه هذا التطور من جانبيه : من جانبه الاسلامي الذى سعى الى اقتباس الصالح من الفكر الغربي لنستفيد به في نهضتنا ، ثم من جانبه الغربى الذى يشجع على ايجاد فكر اسلامي متطور يبرز الأنماط الغربية لمحو الطابع المميز للشخصية الاسلامية .

الجديد في البدانة

تاليف : الدكتور جمال فوردون

الناشر : مطبعة الاهرام التجارية ـ القاهرة

● كتاب يتناول بالدراسة ببساطة وشمول اسباب البدانة ومضارها وطرق علاجها والوقاية منها مستوحاة من خلاصة تجارب كاتبه ، ومن صميم محيطنا العربى الكبير وعالمنا الجامع .

معلم في الجزائر

تأليف صاحب ناصر سعيد

الناشر ـ مطبعة النعمان ـ النجف الاشرف

● مذكرات معلم اوفد الى الجزائر يشرح فيها الحياة في الجزائر من مناحيها المختلفة ، ويتناول في الفصل الأول دراسة عن الجزائر من الناحية الاجتماعية . وخص الفصل الثانى عن التربية والتعليم . اما الفصل الثالث فيدرس الجزائر من الناحية الجغرافية . ■■



أنت تسأل .. ونحن نجيب

مخزون البترول وفير

● قرات في عدد سابق من العربي ماذكرتم عن استهلاك البترول في العالم ولاحظت ان الزيادة التي طرات على هذا الاستهلاك بلغت ٨,٥٪ في غضون سنة ٦٧ – ٦٨ . الا ترون ان من المحتمل ان يقل مخزون البترول كثيرا او ينضب معينه عاجلا او آجلا بسبب هذه الزيادة المتزايدة ؟!

جميل فوزى – العراق

– لامبرر للتشاؤم ، فمخزون البترول العالمي يفي بحاجات العالم المتزايدة لمدة قرن من الزمن على اقل تقدير . هذا اذا لم تكتشف مخزونات بترولية جديدة، وقد اكتشفت مثل هذه المخزونات مؤخرا في الاسكا وسيبريا وبحر الشمال . ويقدر الخبراء كميات هذه المكتشفات بما يفوق مخزون الشرق الاوسط بكامله . ولو صدق هذا التقدير لما بقي اى مبرر للتشاؤم ، ولامكن لمخزون البترول الكلي في العالم ان يفي بالحاجة اليه المتزايدة لا في قرن واحد من الزمن كما يقدرون بل في قرنين او اكثر .

ويطيب لنا ان نوافيك فيما يلي برسم بياني واضح يبين لك في نظرة واحدة مخزون البترول المقدر في الوقت الحاضر ويبين لك ايضا انتاج البترول طول المائة عام الاخيرة . ولعل نظرة واحده اليه تكفيك لتدرك أن كمية المخزون الثابت من البترول تفيض على مجموع ما انتج منه طوال المائة سنة الاخيرة .

كذلك يمكنك الرسم من المقارنة بين مناطق البترول المختلفة لا من حيث كمية ما تنتج من البترول فحسب ولكن من حيث مقدار ما تختزنه ارضها منه ايضا .

(ى . ز)

"المهاتما غاندى" و

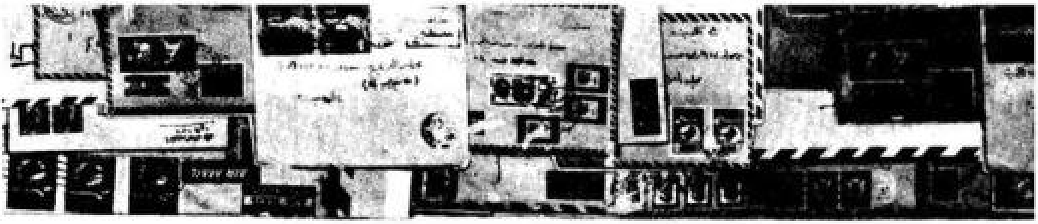


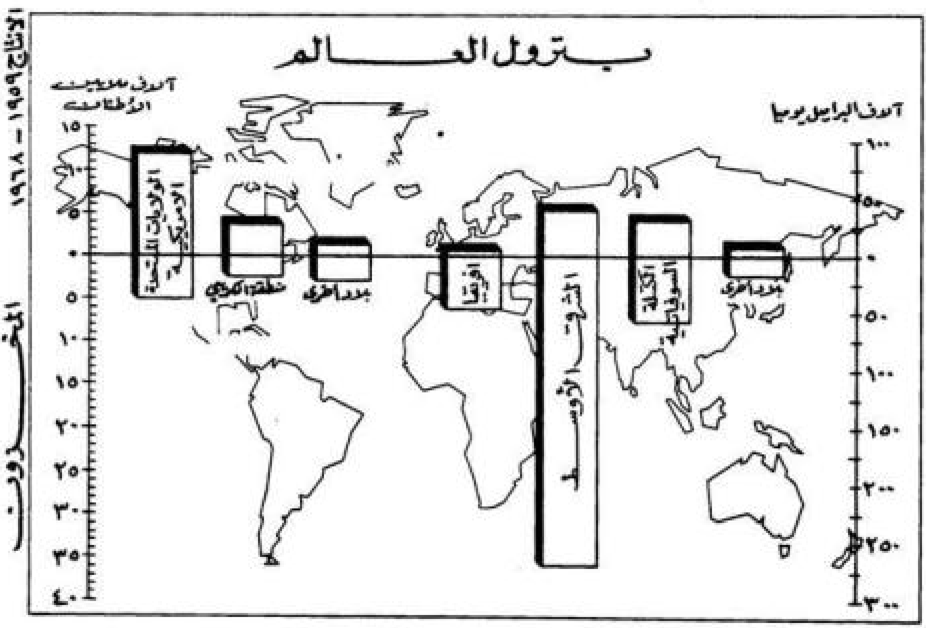
● اقرأ كثيرا اسم الزعيم الهندى غاندى مسبوقا بلقب المهاتما .. وكذلك اسم نهرو مسبوقا بالبانديت فهل هما لقبان رسميان وما معناهما ؟!

احمد .م. – عمان الاردن

– المهاتما كلمة هندوسية معناها « الروح السامية » وقد إطلق هذا اللقب على غاندى، شاعر الهند وفيلسوفها العظيم طاغور وذلك عندما عاد









"البانديت نهرو"!

غاندى الى بلاده من جنوب افريقيا وكان له فيها جهاد كبير ضد التفرقة العنصريـة التى كانت الجالية الهندية هناك تتعرض لها .

اما « البانديت » Pandit ، فهى أيضا كلمة هندوسية معناها « الرجل الحكيم » وهى تذكر في اول الاسم ، كلقب من اجل التكريم .

(م. ط)



الشَّـــايُ الأَسْــوَد

● أين يزرع الشاي الاسود وأين يزرع الشاي الاخضر ؟

علي فرج ـ القاهرة

ـ لعل الخطأ الذى ينطوى عليه سؤالك خطأ شائع . فاشجار الشاى او شجيراته لا تختلف بحيث تعطينا بعض انواعها الشاى الاسود وتعطينا انواعها الاخرى الشاى الاخضر . والاختلاف بين سواد الشاى وخضرته لا يعزى الى زراعة الشاى ومزارعه وانما يعزى الى تصنيعه من بعد زراعة .

فالشاى اذن يصنّع ، وتصنيعه هـذا ليس صناعة بالمعنى الدقيق ، الا انه على جانب من الخطورة . اذ لولاه لما استمتعنا بطعم الشاى ولا برائحته ولما انتعشنا بأثر مادة Thein التى فيه ..

ويتم تصنيع الشاى على مراحل مختلفة . اولاها هي مرحلة التجفيف ، التي تأتي بعد قطف أوراق الشاى مباشرة . وتجدر الاشارة هنا الى أن أوراق الشاى هي التى تهمنا لا ازهاره ولا ثماره ، وهى التى نحلها بالماء الساخن بعد لتحصل تصنيعها لنحصل على مشروب الشاى .

ويجرى تجفيف هذه الاوراق داخل حجرات مسقوفة وحسنة التهوية وذلك بنشرها على ارفف، الا انه لا يسمح لها بأن تجف تماما بل تنقل من تلك الحجرات حالما تجف قليلا وتذبل .

وتأتي بعد التجفيف مرحلة التجزئة،وهي المرحلة الثانية من مراحل تصنيع الشاى ، فتوضع أوراق الشاى في اجهزة خاصة تجزّىء تلك الاوراق ، بحيث تصبح أشبه بالعيدان الصغيرة منها بأوراق النبات .

ويمضون في تحضير الشاى بعد ذلك على احدى طريقتين . فاما طريقة التخمير التى تعطينا الشاى الاسود واما طريقة التبخير التى تعطينا الشاى بلونه الاخضر الطبيعي .

وجدير بالذكر ان طريقة التخمير تستغرق نحو ٣٦ ساعة وتساعد كثيرا على ابراز نكهة الشاى ورائحته الخاصة ، وهي الطريقة الشائعة في الهند وسيلان واندونيسيا وماليزيا وغيرها من البلاد التى تنتج الشاى . اما طريقة التبخير فلا تستغرق مثل ذلك الوقت وهي شائعة في الصين واليابان وحيثما يفضل الناس شرب الشاى الاخضر والاستمتاع بنكهته الخاصة .

والصين هي أكثر بلاد العالم انتاجا للشاى ، تليها الهند فماليزيا واندونيسيا وسيلان . ومن طريف ما يذكر ان اللفظة العربية شاى لفظة صينية الاصل تعود الى لهجة صينية كانت سائدة في منطقة كانتون حيث كان للعرب صلات ، واما اللفظة الانجليزية Tea فصينية ايضا ولكنها من اللغة الصينية الكلاسيكية . (ى.ز)



تَسْمَعُ بِالمُعَيْدِي

● لنا صديق كان يتحدث عن اديب سمع عنه واشتاق الى رؤيته ، قال ثم رأيته فوجدته بخلاف الصورة التى رسمتها له في ذهني فانطبق عليه المثل « تسمع بالمعيدى » فما معنى ذلك ؟

سالم منصور ـ الخرطوم

ـ هناك كثيرون وهب الله لهم ملكات وصفات ، في علم او فن ، او قوة وجراة ، في حين أن مظهرهم لاينبىء عن حقيقتهم . ويتحدث الناس عنهم بالمديح ، ويملأ ذكرهم الاسماع ، وترسم لهم الاذهان صورا من الفخامة او الوسامة ، حتى اذا راوهم على صورتهم الطبيعية تعجبوا من الاختلاف بين ما تخيلوه أو صوروه ، وبين ما راوه او شاهدوه .

والمُعَيْدِيُّ رجل منسوب مَعَدّ ، بعد تصغير كلمة معد ، وتخفيف الدال المشددة .

والذى قيل فيه ذلك اما رجل من قضاعة مَعَدّ ، واسمه الصَّقْعَب بن عمرو . كان الملك النعمان يسمع بذكره فيستعظمه ، فلما رآه اقتحمته عينه فقال : تسمع بالمعيدى خير من أن تراه .

واما ان المعيدى رجل من تميم التى ينتهي نسبها الى مَعَدّ بن عدنان ، وهذا التميمي يسمى ضمرة بن ضمرة ، كان يغير على مسالح النعمان بن المنذر ـ أى أماكن عسكره المعدين بالسلاح ـ حتى اذا عيل صبر النعمان كتب اليه: ان ادخل في طاعتي ولك مائة من الابل ، فقبلها وأتاه . فلما نظر اليه النعمان ازدراه ، لأنه كان دميما فقال « تسمع بالمعيدى لا أن تراه » فقال ضمرة : مهلا أيها الملك ، ان الرجال لا يكالون بالصِّيعان ـ جمع صاع وهو ما يكال به ـ وانما المرء باصغريه قلبه ولسانه . ان قاتل قاتل بجنان وان نطق نطق ببيان .

وبعض الرواة يذكرون أن المنذر بن ماء السماء كان له صديق يسمى ضمرة بن جابر وكان لضمرة ابناء ، منهم غلام اسمه شُقَّة ، يسمع به المنذر ويعجبه ما يبلغه عنه . ومات ضمرة ، وارسل المنذر الى ابنائه ، فلما دخلوا عليه ورأى شُقَّة ووجده بالصورة التى لم يكن يتوقعها ـ قال تسمع بالمعيدى خير من أن تراه . فاجابه بمثل ماذكر سابقا عن ضمرة بن ضمرة .

ومن الطريف ان الجاحظ كان قبيحا ، وكان من يسمع بسعة ادبه ثم يراه يقول عنه هذا المثل . وكذلك الحَرِيرى صاحب المقامات المشهورة ، واسمه القاسم بن عليّ ، كان دميم الخلقة ، وقد جاءه انسان يزوره ويأخذ عنه شيئا من الادب ، فلما رآه الرجل استزرى خلقته . ففهم الحريرى ذلك ، فلما طلب من الحريرى ان يملي عليه شيئا من الادب قال له الحريرى : اكتب :

ما أنت أول سارٍ غرّه قمر
ورائد اعجبته خُضْرَة الدِّمَنِ

فاخترْ لنفسك غيرى انني رجل
مثل المُعَيْدِيّ فاسمع بي ولاترني

ويبدو ان الرجل اعجبته بديهة الحريرى وسرعة ملاحظته فقال :

كانت مُسَاءَلة الرُّكبانِ تخبرنا
عن قاسم بن عليٍّ أطيب الخبَرِ

حتى التقينا فلا والله ما سمعت
أذني باحسن مما قد راى بصرى

والاحنف بن قيس من اعظم سادات بني تميم كان ايضا دميما ، قال له . رجل « تسمع بالمعيدى لا أن تراه » فقال ماذَمَمْتَ مني يا ابن اخي ؟ قال الدَّمَامة وقِصر القامة . قال : لقد عِبْتَ عليَّ مالم أؤامر فيه . او مالم اشاور فيه .

(ع . ف)

كم عدد المسلمين وعدد المسيحيين اليوم

في العالم ؟

● هل تتكرمون باخباري كم عدد المسلمين وعدد المسيحيين اليوم في العالم ؟

محمود علي / السليمانية

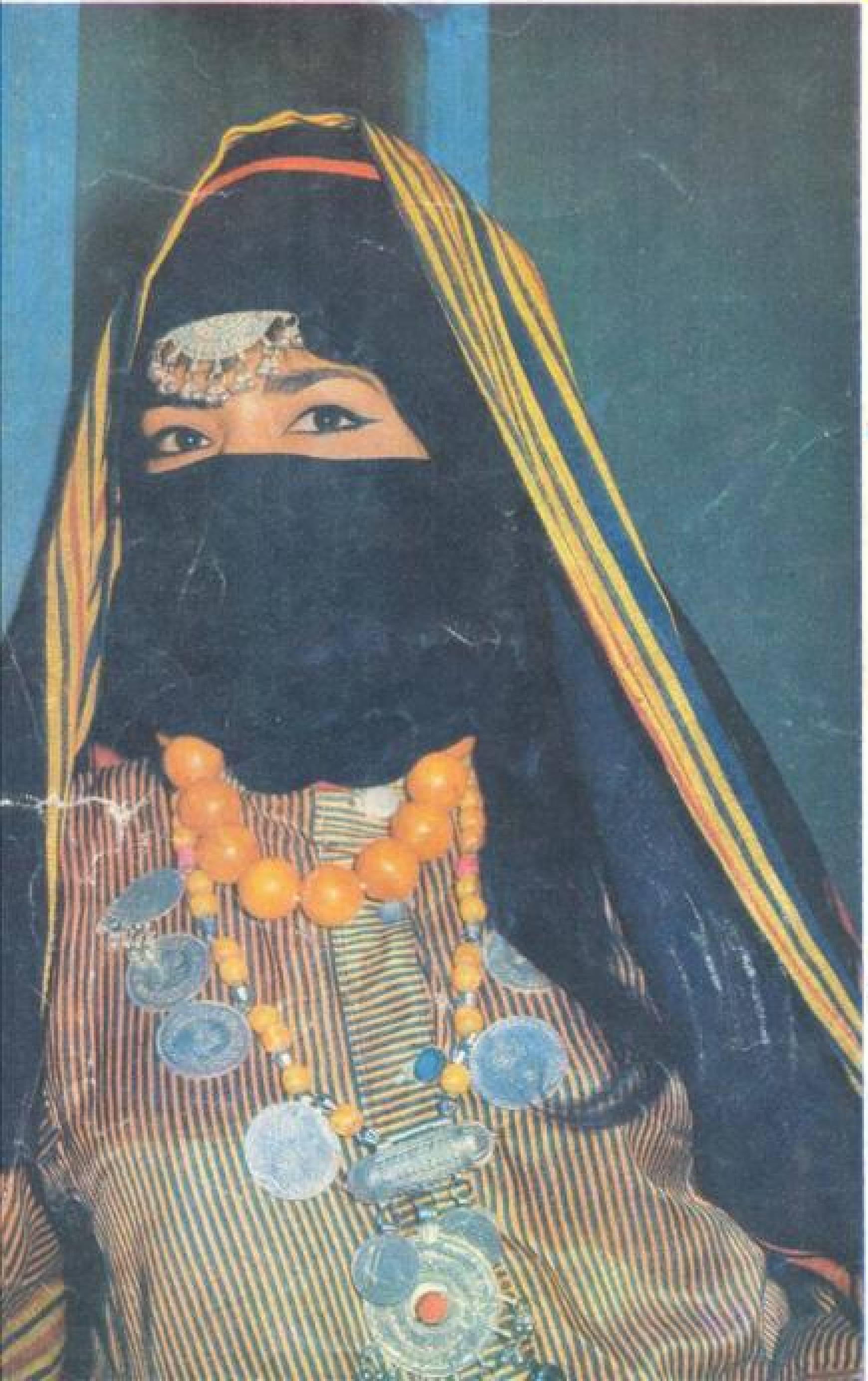
ـ من الصعب اعطاء الرقم الصحيح لعدد المسلمين والمسيحيين في العالم اليوم . اذ ان الاحصائيات تتفاوت في الارقام من احصائية الى اخرى . ولكن هذا لا يمنع ان ننقل لك هنا آخر احصائية نشرتها مجلة Constellation الفرنسية في عدد ابريل ١٩٧٠ وقد نسبتها الى مصادر موثوق في تقديراتها .

المسيحيون الكاثوليك يبلغ عددهم ٦٢٠ مليون نسمة . والمسيحيون البروتستانت : ٢٢٩ مليون نسمة . والمسيحيون الارثوذكس : ١٤٤ مليون نسمة . اما عدد المسلمين في العالم فيقدر بحوالى ٤٧٨ مليون نسمة . هذا وقد ذكرت الاحصائيه نفسها ان عدد اليهود في العالم حوالى ١٣ مليون نسمة فقط . وهناك ديانات اخرى كثيرة منتشرة بين ملايين البشر .. منها الديانة البوذية ويدين بها حوالى ١٦٨ مليون نسمة.وهناك ايضا الديانة الهندوكية التى يؤمن بها حوالى ٤١٦ مليون نسمة من الهندوس .

أ. س

العربي

رجب ١٣٩٠
سبتمبر
(ايلول) ١٩٧٠



اطلب

العربي الصغير

مع هذا العدد

جوائز

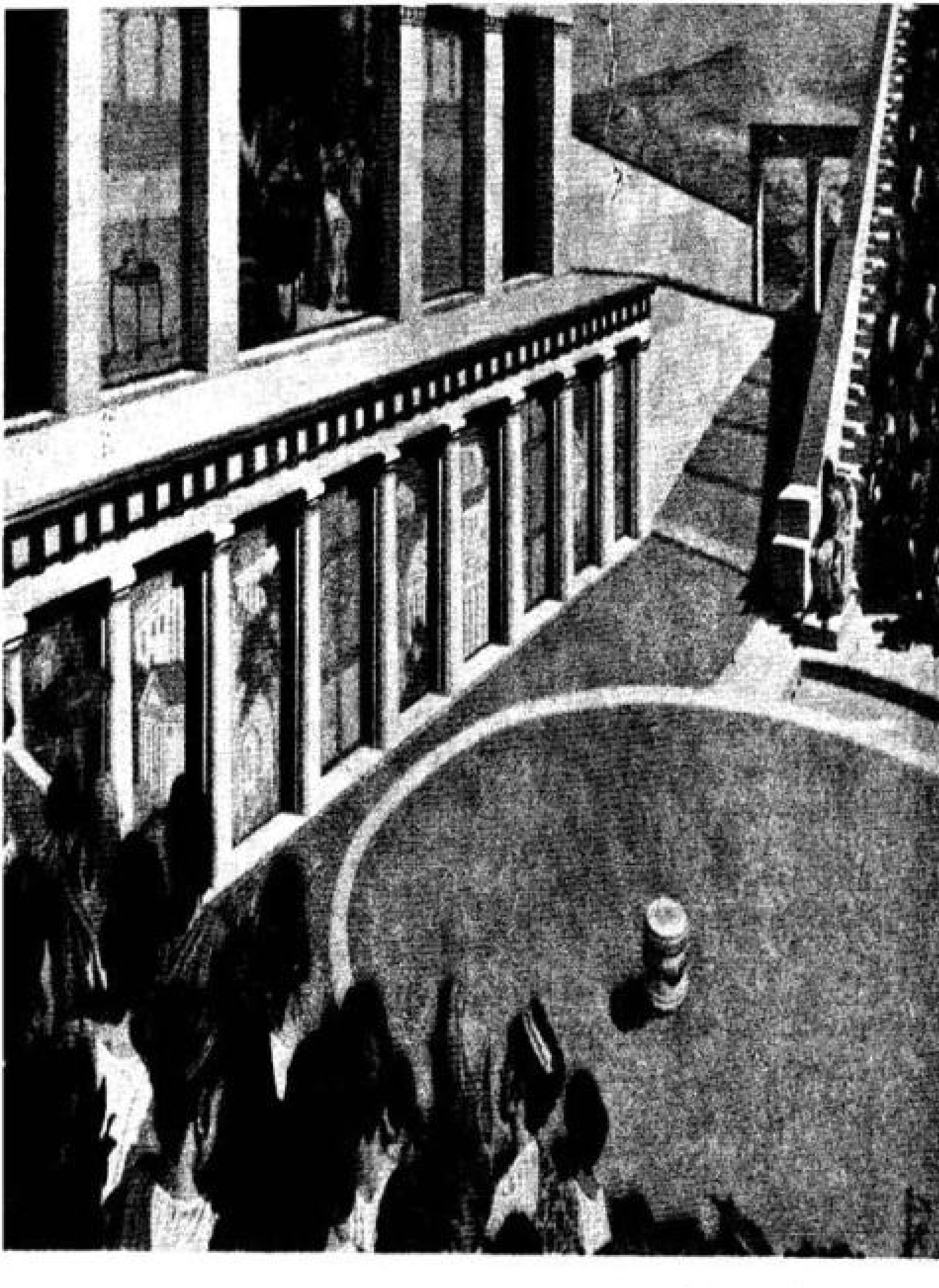
١٣٠٠

دينار سنويا

عينان وكهرمان ..
من ريف صنعاء

الثمن

لكويت	١١٠	فلوس
لخليج العربي	٢	ريالق
لسعودية	٢	ريال
لبحرين	٢٠٠	فلس
ليمن	٢٫٥	شلن
لعراق	١٢٠	فلسا
بنان	١٠٠	قرش
لأردن	١٠٠	فلس
سورية	١٠٠	قرش
ج.ع.م.	١٠	قروش
لسودان	١٠	قروش
يبيا	١٥	قرشا



حضارات سادت .. ثم بادت

● لوحة فنية تعطينا صورة حية عن المسرح اليوناني القديم . هنا كانت تمثل مسرحيات الاغريق الرائعة التي لم يصلنا منها سوى خمس وأربعين . وهنا كانت النواة التي انبثقت منها الاوبرا والاوبريت في أوربا في العصور الحديثة . (انظر صفحة ١٤٧)

عـزيزى القارئ

خدعوا الدنيا فقالوا :

انه من اجل الاستقرار والسلم :

* تترك الضفة الغربية منزوعة السلاح
* وتترك المرتفعات السورية منزوعة السلاح
* وتترك سيناء منزوعة السلاح

ومعنى هذا :

اعطاء الصهاينة :

* الضفة الغربية
* والمرتفعات السورية
* وسيناء المصرية

لا اليوم ، ولكن غـدا

فالصهاينة يدخلونها على السلم تسللا ، يحوزون الارض . ويبنون العقار . ويستولون فيها على مـا يشاؤون . ولا يكون هناك جندى عربي واحد يحمي الديار .

يأخذون فى السلم ما عجزوا عن أخذه بالحرب .

ايها العرب : حاذروا من قولهم :

((ارض منزوعة السلاح)) .

المحـرر

١٩٧٠/٧/٢٢

العربي

رئيس التحرير : الدكتور أحمد زكي

القسم العام :

ديـن :

فلسفـة :

ادب ولغـة :

استطلاعات مصورة :

طب وعلـوم :

شـعر .. وشـعراء :

العربي مجلة عربية مصورة شهرية جامعة
تصدرها وزارة الارشاد والانباء بحكومة الكويت
والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABY — No. 142 September 1970 P.O.B. 748 — KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٢٧١٤١ ـ تلغرافيا « العربي »
الاعــــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات
المراســــلات : تكون باسم رئيس التحرير



صورة الغلاف

● صنعاء عاصمة اليمن .. لقد بدأت الحياة الجديدة تدب فيها بعد ان عاد السلام الى ربوعها .. ان غالبية أهل صنعاء من أبناء القبائل الذين انتقلوا اليها من الجبال والقرى المحيطة بها .. وهذه احدى فتيات صنعاء ترتدى الزى الريفي الجميل ، وتتحلى بعقد من الكهرمان الضخم ، والقطع الفضية المزخرفة والحرز المودع في علبة فضية لحمايتها من عين الحسود !

(انظر استطلاع صنعاء ابتداء من صفحة ١٠٨)

عـروبة :

تاريخ وتاريخ اشخاص :

ركن الاسرة والمرأة :

عـلم نفـس :

كتـب :

قصص وقضـايا :

منوعـات :

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربى ٢ ريال قطرى . البحرين ٢٠٠ فلس بحريني. العراق ١٢٠ فلسا . سوريا ١٠٠ قرش . لبنان ١٠٠ قرش الاردن ١٠٠ فلس . السعودية ٢ ريال . السودان ١٠ قروش . ج.ع.م ١٠ قروش . تونس والجزائر ٢٠٠ مليم . المغرب ٢ درهم . اليمن ٣٫٥ شلن . ليبيا ١٥ قرشا .

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت ـ ص.ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربي .



بريد القراء

(الكويت في معركة الشرف)

● في عدد يونيو ١٩٧٠ وعند قراءتي الصفحة الثالثة وهي بعنوان (عزيزي القارىء) وجدت صورة للامير صباح السالم الصباح وهو يسلم هدية لاحد الضباط المتخرجين في الدورة الاولى من الكلية العسكرية الكويتية ، التي خرجت ضباطا لاول مرة في دول وامارات الخليج العربي ، لقد تخرج هؤلاء الشباب في يوم ١٩٧٠/٥/٤ في (مصنع الابطال) وكان ذلك يوما مفرحا للعرب ومحزنا للاعداء. اننا نحيي حكومة الكويت على المجهود الذي شاركوا به اخوانهم العرب ! ثم ان للكويت مواقف وطنية طيبة لا تنسى وخاصة في الخامس من حزيران عام ١٩٦٧ عندما توجه الجيش الكويتي الى خط النار واشترك في الحرب اشتراكا فعليا لم استشهد منهم من استشهد في معركة الشرف والكرامة .

عبد الرضا فرهود الشبلاوي

العراق ــ النجف الاشرف

● ● ● ● ●

هدية العدد الممتاز استفتاء للقراء

● اقترب موعد صدور العدد الممتاز السنوي في أول يناير ، وقد درج العربي على اهداء القراء هدية ممتازة ، وكانت هدية السنة الماضية ممتازة حقا ، وخطر لي ان اقترح على العربي ، هدية ممتازة ونافعة ايضا لكل طالب مثلي . تلك هي خريطة الوطن العربي التي سبق ان قدمتم مثلها منذ سنوات . ولاقتراحي هذا اسباب كثيرة ، في مقدمتها ندرة الخرائط العربية الموجودة في الاسواق وارتفاع ثمنها اذا وجدت في حالة من الطبع مقبولة .

بغداد — محمد أحمد ــ طالب ثانوي

العربي : والعربي يريد دائما أن يقدم الشيء الممتاز المفيد ، وهنا يجب ان نستطلع رأى القراء في اقتراحكم هذا ، فان جاءت كثرة منهم بالموافقة نظرنا في الامر على هدى هذا الاستفتاء ، وان اقترح القراء غير ذلك نظرنا في الامر ايضا .

اكتبوا لنا عن رئيس التحرير

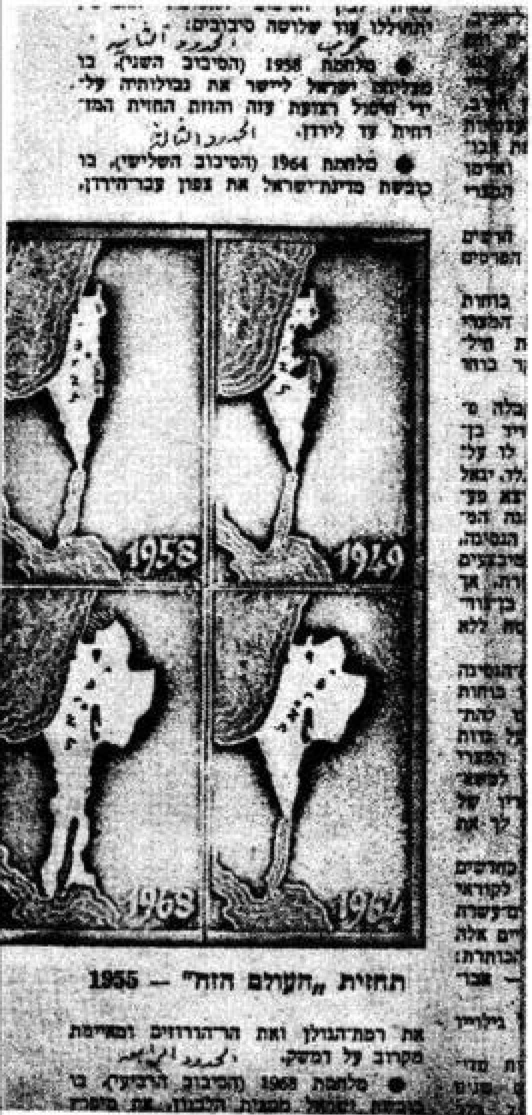
● انني اواظب على قراءة مجلتنا العزيزة العربي منذ سنوات وسنوات ، وانا اقرأ لرئيس التحرير مقالاته العلمية والثقافية والتربوية ، وقد اعجبت بهذا الكاتب الذي حمل مشعل الفكر ، وأود ان تقدموا لنا نبذة قصيرة عنه وعن حياته ، فهو رجل يستحق التقدير من كل عربي .

محمد عبد الله العنزي ــ الرياض

(الدكتور أحمد زكي)

● أليس من حق القراء ان يعرفوا شيئا عن الكتاب الذين يقرأون لهم ؟ اننا نقرأ للدكتور احمد زكي في العربي منذ صدور العدد الاول من هذه المجلة العظيمة ، ومن قبل التقينا به في كتبه واذكر منها « مع الله في السماء » . ونحن نريد منكم ان تنشروا لنا نبذة عن حياة هذا الكاتب والمفكر الكبير .

عطية محمود ــ عمان



(مسألة جودة لا وطن)

● قرات في احدى المجلاتالتي تصدر فيالكويت ان العربي لا يكتب فيها سوى « الدكاترة » الذين يشترط ان يكونوا من الشقيقة « مصر » ، أما بقية الكتاب الاخرين فلا مكان لاقلامهمعلى صفحات العربي ! ! فما صحة هذا الادعاء ؟

قارىء من الرياض ـ المملكة العربية السعودية

العربي : المسألة مسألة جودة ، وليست مسألة وطن ، والكل عرب ، وللقراء حق على العربي ، الا نقدم لهم الا الاجود ، ولو جاء من الصين .. اما ما تكتبه تلك المجلات فمن الترهات .

(حزيران كلمة ليست عربية)

● لفت نظرى في العدد ١٣٩ ، في حديث الشهر « هذا شهر حزيران » وحزيران بضم الحاء خطأ ، وصوابها حزيران بفتح الحاء وكسر الزاى . اردت فقط ان اشير الى هذا الخطأ الشائع .

عبد الكريم حسن ابو هولي ـ القاهرة

العربي : حزيران ، سواء كتبت بضم الحاء أو بفتحها ، فهي ليست كلمة عربية كما جاء في مختار الصحاح ، وانما هي كلمة رومية . وان صح ان حَزيران ، بفتح الحاء ، خطأ شائع كما تقول فهي والله اقرب الى الأذن العربية من حُزيران.

أسرائيل وأطماعها التوسعية

● قرات في العدد ١٢٣ من العربى حديث الشهر ، وكم ساءني ان اعلم ان بعض السياسيين في بلادنا ما زالوا يعتقدون ان اسرائيل لا يهمها التوسع . فاسرائيل تؤكد كل يوم نيتها في عدم الانسحاب من الاراضي العربية المحتلة . وقدشهدت برنامجا تلفازيا هنا في شهر ديسمبر الماضي حول انسحاب اسرائيل من المناطق العربية .وكانالمذيع يوجه الاسئلة وسفير اسرائيل في أمريكا يجيب ولما سأل المذيع : لماذا لا تنسحب اسرائيلمن الاراضى العربية ؟ اجاب السفير : لأننا نرغب في اكتشاف حقول جديدة للبترول في سيناء .وحينما يتم ذلك فستغير الحكومة الامريكية موقفها فتلح علينا بعدم الانسحاب .. »

وهذه الخريطة التى ارسلها اليكم قد قصصتهامن مجلة (هولام هزه) اى هذا العالم،التى تصدر في اسرائيل وفحوى ما تقوله المجلة بان الاسرائيلينفرحوا بل دهشوا للسرعة والسهولة التى تم لهم التوسع بها .

عربية مغتربة في كاليفورنيا
الولايات المتحدة الامريكية

حيثما نظرت ..



بقلم رئيس التحرير

■ واول غموضه انك تاتي هذه الدنيا، ولا تدرى كيف اتيت . بل لا تدرك حين تحضر ، انك فيها حضرت . وتظل في غير وعي من وجودك، في اولى سنواتك. ثم ياخذ الوعي يتنشا ، فاذا انت تجد الناس حولك تاكل وتشرب وتنام . وتنظر الى نفسك فتعلم انك ناس مثل الناس ، فانت تاكل وتشرب وتنام وتكبر، ويقال لك انك وُلدت من ظلام . كنت في بطن امك فخرجت الى النور . وانت اول الامر لا تفهم . ثم انت تفهم ولا تصدق ، لانهم يحكون لك عن حادث انت لم تكن حاضره . انت كنت بطل هذا الحادث ، على هذا المسرح ، ولكن لو كان غيرك هو البطل فيه ما غيّر هذا من امرك شيئا .

ثم انت تكبر ، وترى الناس ياتون من بعدك ، وتراهم يفعون حقا كما يقولون ابطال حوادث على مثل هذا المسرح ، ويخرجون من ظلام الارحام كما سبق ان خبّروك ، وعندها تؤمن انك من حيث جاءوا جئت ، وبالطريقة التي حضروا بها الى هذه الدنيا حضرت وولدت . تؤمن بذلك ، لا مشاهدة ، فما كنت شاهدا واعيا بصيرا ، وما جاز ذلك . ولكن تؤمن به سماعا . وقديما قالوا ان الحق هو الذي تراه وان غير الحق هو الذي تسمع . وانت لم تر مدخلك الى هذه الدنيا ،

فَفِى الكَوْنِ غُمُوضٌ وَإِبْهَام

عَـقْلٌ عَـاجِز ،
إِنْ ضَلَّ هَدَتْهُ الغَرائِز .
وَحَيَاةٌ لابُدَّ مِنْ اكْتِمَالِهَا .
وَتَكْتَمِل حَيَاةُ الفَقِير ،
كَمَا تَكْتَمِلُ حَيَاةُ ذِى الغِنَى الوَفِير .

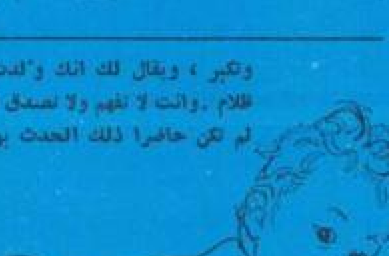
وانما آمنت به سماعا . وهكذا يبدأ ، حتى وجودك الاول ، يحيط به الابهام .

* * *

وينادونك بلفظ لاتدرك معناه ، ولكن بالعادة تألف انك له تستجيب . ثم ترى الناس يدعو بعضهم بعضا بالفاظ ، وتراهم لها يستجيبون . وتدعو انت مثل ما يدعون . ثم تعلم ان هذه ليست الا رموزا رمزوا بها لهذه الذوات الحية ، وجعلوا مخارجها الحلوق فهي نداء . ثم تعلم انها الاسماء .

واسمك هذا الذى تدعى به ، لم يكن لك فيه خيار . انك اعطيت هذا الاسم ، كما اعطيت هذا الأنف ، واعطيت هذا الوجه . ثم تأخذ تتعلم ان فى الاسماء القبيح وفى الاسماء الحسن ، كما فى الوجوه القبيح وفى الوجوه الحسن ، ثم تتعلم من الناس ثم تصيب اسمك وتصيب وجهك من حسن ومن قبح .

وتكبر ، ويقال لك انك وُلدت من ظلام ، وانت لا تفهم ولا تصدق ، لانك لم تكن حاضرا ذلك الحدث بوعيك



وان كان قبحا لم يكن لك فيه حيلة . انك أعطيته يوم أعطيت الجسم والروح، يوم ان لم يكن لك ارادة تقبل او ترفض .

وتكبر وتأخذ تدرك انك أعطيت من اقسام هذه الحياة ، مثل ما اعطيت من وجود ، وما اعطيت من قبح وحسن ، وما اعطيت من اسم . اقسام لم يكن لك في قبولها او رفضها خيار .

هذا ابوك فقير ، وهذه امك . او هذا ابوك ثرى ، وهذه امك . وهؤلاء اخوتك عشرة أو لا أخ لك . وهذا بيتك كوخ هو او قصر . وانت على صفر سنك تقبل كل ذلك ، كما تقبل هواء تتنفسه او ماء تشربه او لقمة سائغة تأكلها . واللقمة انت قابلها ، كان عليها الملح وحده ، او كان قد غطاها الزُبد الكثير .

والبيت الذى وضعت فيه قد يكون بيت علم ، او بيت جهالة . وانت تسقاها جهالة كانت او علما ، وبقدر ما تسقى من علم او جهالة تسعد ، على العادة ، في الحياة او تشقى . وان انت ادركت انه الشقاء يوما ، وادركت اسبابه ، ما استطعت ان تعود في الزمان القهقرى ، وحظك من الزمان قصير موقوت .

★ ★ ★

وتستخبر العلماء ، وتستخبر الفلاسفة والحكماء ، عن علة العلل ، فيقولون لك انها الحظوظ . وهم بهذا لا يزيدون الفهم الا ابهاما . فلو أنهم قالوا لا ندرى لكانوا أكثر ايضاحا .

والناس تكبر النجاح ، وتحتفل بالنجاح ، وتكرّم أهل النجاح ، ولا تسأل من كانوا ، وكم كانوا ، وفي اى بيت نشأوا ، وايّ الآباء امتلكوا ، وايّ اسباب الحياة .

والناس تحتقر الفشل ، وان احتفلت به فلتفضحه . وهي تسيء الى أهله ، ولا تسأل من كانوا ، وكم كانوا ، وكم مهّدت لهم الحياة من طُرقات ، وكم من طرقات وعرة بها تعثروا فسقطوا .

ابهام
سببه العقل العاجز

ويفكر الانسان ، فينبهم له من الكون، ومن الحياة ، ما ينبهم ، فيشقى .

ويشقى لانه وضع ثقته ، كل الثقة ، في عقله ، ونسب اليه من قوة النفاذ في اعماق الامور ما شاء ، فاذا هو يعجز ، واذا هو يغور ولكن لاينفذ . وكان خليقا بالانسان ان يدرك ان العقل له حدود ، تقرب عن الناس وتبعد ، ولكنها لاتنطلق في فضاء الامور انطلاقا .

اننا تكبر العقل عندما نجوب به في شتى شئون يومنا .

ونحن تكبر العقل عندما تحمله معنا في حل مشكلاتنا .

ونحن تكبر العقل حينما يحملنا الآخرون على اشياء هي نقيض ما تدرك افهامنا على قصرها وقلة نفاذها .

ولكن يجب ان ندرك اننا انما أعطينا عقلا بمقدار ما أتيح ويتاح لنا من عيش هنا ، وبمقدار ما اتسع لنا ويتسع في هذا العالم من مراح أذن به لنا .

ويجب ان ندرك اننا في هذا الكون ، حللنا بقعة منه ، هي اشبه بفتاتة الخبز، لاخطر لها ، وليس لها في شئون الكون الكبرى ذكر . فلو احترقت ، واحترق البلايين من الخلائق الذين هم فوقها ، ما درى حتى اقرب اجرام السماء الينا ان شيئا ما حدث فوقها لنا .

انها الكبرياء . ومع الكبرياء الغباء .

★ ★ ★

قبل القرن الخامس عشر والقرون

التى قبله ، زعم اهل الارض أن الارض ام الدنيا ، وان الارض اوسط الدنيا ، واجرام السماء كلها حول الارض تدور .

واذ كانت الارض ام الدنيا ، وجب ان يكون الانسان اباها .

ثم جاء العلماء يصححون ، جاءوا يخبروننا ان الشمس لا تدور ، وانما الارض هى التى تدور . الشمس الأم ، والأرض والكواكب التسع ومنها الارض، كلها تدور حول الشمس . وان الشمس لها من امثالهافى سماءدنيانا هذهمائة الف مليون مثل . واسموها المجرة . وان فى السماء من مثل هذه المجرة الف مليون من امثالها مائة مليونمليونمليون شمس فى السماء اذن ، هي بعض ما عرفنا ، رمت بالارض واهل الارض فى دَرَكٍ من ضياع الذكر وتفاهة القدر عميق . وزاد الانسان بالذى تكشف له حقارة ، وزاد فهمه للكون غموضا .

وتحدث الناس عن الله ، خالق هذا الكون ، وكل اراد أن يختص به الها ، وتخاصموا ، وتحاربوا واقتتلوا ، وسفكوا الدماء . وهذا كله فى سبيل الله او هكذا زعموا .

★★★

واريد ان استجلي الامر على حقيقته، وارى الدنيا ، هذه الارض الدنيا على القدر الصحيح من مقياسها ، فاتخيل انى فى كوكب آخر ، عند شمس أخرى ، فى مجرة اخرى ، فى مرصد من مراصد عالم آخر ، احاول ان ارصد الارض ، فلا اجد ارضا . واحاول ان ارصد شمسها فلا آوفق رصدا .

ثم ارتد بعجزى الى حديث الفلكيين فى وصف افلاكهم ، فاعلم أن الأرض لا يمكن أن ترى لصغرها ، ولظلمتها لانها



وهذا بيتك كوخ هو او قصر .
وانت تقبل على صغر سنك كل ذلك
كما تتقبل هواء تتنفسه او ماء تشربه

ليست نيرة . وانه بالسماء على الأرجح ملايين الأرضين مثلها صغرا ، ومثلها ظلمة ، ولعلها مثلها حقارة، وانها جميعا أجسام سابحة فى السماء تحمل البلايين من القلوب ، تحمل البلايين من هموم العيش ، وتحملها وحدها، ولا يكاد أحد فى هذا العالم الواسع يحس بوجود هذه القلوب . دع أن يحس بوجود همومها.

ان المقاييس اقدار ، والاقدار مقاييس .

والقياس يفضحنا ، ويفضح كل من رفع راسه اغترارا وقلة فهم منا .

الاتضاعَ ! الاتضاعَ !

وتحدثنا عن عقولنا ، ولم نذكركم هى بين عقول الخلق .

واذا قلنا الخلق وجب ان نفهم انهم الخلق ، فيمن عرفنا وما عرفنا . الخلق بظاهر هذه الارض .

ان العقل فهم .

واحسب ان القرد يفهم ، وأن الفيل يفهم ، وكذا الثعلب والذئب والحصان . والكلب يفهم ، ويفهم القط . كل يفهم بمقدار . فكل يعقل بمقدار .

ولولا هذا الفهم ، ولولا هذا العقل ، لمات هذا الخلق على سطح هذه الارض جوعا . الأسد يرصد فرائسه فيعلم أين تطلع من حول الغاب ، ومتى تطلع، ومتى يقتال ومتى ينحجم ، وهذا فهم وعقل . والقط فى البيت يدرك انه لا بد ان يتلطف ويتودد ليحصل على غذائه ، او ان لم يكن له بيت يلمه ، فهو يدرى ويذكر فى اى الاركان يخرج الناس بزبالاتهم ، واى الزبالات اغنى بالفضلات ، فترى القط يأتيها فى الوقت المناسب فكأنه كان منها على ميعاد .

وغير الاسد فى عليائه ، وغير القط فى مهابطه ، الوف الخلق تفهم وتعقل ، على درجات ، تصغر حتى تكاد ان تكون صفرا ، وتكبر حتى تكاد ان تكون الفا .

والانسان اين يقع بعقله منها ؟ .

انه يقع فى الدرجة العليا . فى القمة .

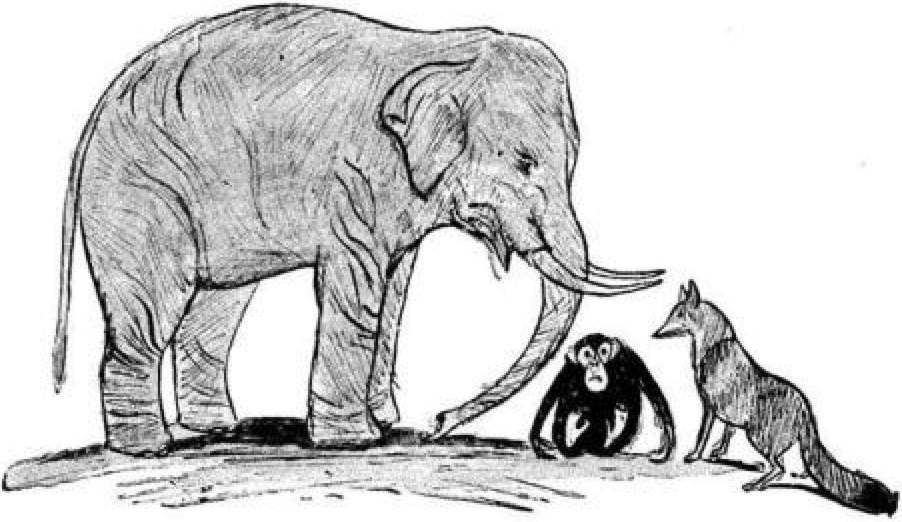
والسؤال الحاسم يأتي الآن : درجة الانسان هذه العليا ، بين العقول ، هل هي أعلى الدرجات ؟ بالطبع لا .

حتى الناس تتفاوت فى فهمها فتتفاوت فى قدر عقولها . وقد عهدنا ، فى علم الحساب ، وفى الموسيقى وجود صبية فاقوا الدرجة العادية من التعقل ، فاسميناهم عباقرة .

ان الاطّراد لا يقف بالانسان عند عقل الانسان . فقد جاز ان يكون فوق عقل الانسان عقول . ولا بد ان الله عندما خلق الانسان ، قدّر ان يقف بعقله حيث وقف .

يقول النفسانيون ان الابصار والاسماع وسائر الاحاسيس انما هي ابواب العقول ،

ان الفيل يفهم ، وكذا الثعلب والذئب والحصان ، والكلب يفهم ، ويفهم القط . كلٌ يفهم بمقدار .





أذن الكلب أسمعُ من اذن الانسان ، وانفه احسُّ شماً

عن طريقها يدخل العلم وتدخل المعرفة . وصدقوا . والعلماء يقولون ان هذه الاحاسيس انما اعطيت للانسان بمقدار، وان فوق عين الانسان عينا أبصر ،وفوق اذن الانسان أذنا أسمع ، وفوق أنف الانسان انفا أشم . بل ان من الحشرات ما الشم عندها فوق شم الانسان . وفى الدنيا ، التى اودع فيها الانسان ابداعا ، ظواهرُ طبيعية وغير طبيعية كثيرة تجرى ، لايحسها الانسان ، لان احاسيسه وقفت به عند حدٍّ من الرهافة لاتعداه . واضرب مثلا بالامواج التي تغمر الانسان وما حوله . أمواج صنوفٌ اشتات لايحس منها شيئا . الامواج الاذاعية ، والامواج التلفازية ، والامواج السينية والامواج الجامية ، وحتى من الامواج الصوتية مالاتسمعها اذنه .

هكذا شاء الله ، ولحكمة شاء الله .

وتسأل عن الحكمة فتعجز . لان العقل الذى أعطيته يعجز .

واعجب بعد ذلك لبعض الفلاسفة الذين تعودوا ان يسرعوا فى الحكم على ما عنه يعجزون فهما ، فاذا بهم يجدون فى الجحود والانكار مَخلَصا سهلا . وما هو بالمخلص السهل ، انما هو قلة الفهم، فَهم « انَّ فهمَ الانسان خلق منقوصا محدودا » .

النفس المطمئنة والنفس القلقة الثائرة

والناس لها انفس .

وانفس الناس نفسان ، نفس مطمئنة ونفس قلقة ثائرة .

النفس المطمئنة تطمئن وترتاح الى ما وجدت : ان العقل له حدود ، وأذن فهي عندما تبحث فى الارض عن شيء ، ثم بغتة تجد امامها حائطا سادًّا يمنع المرور ، فهي لاتروح تتشبّث بان تمر غصبا ، وتأخذ تنطح الحجر ، ولا يضيره ذلك ، وانما يضيرها .

كناطح صخرةٍ يوما ليوهنها
فلم يضرها واوهى قرنه الوَعِلُ

وليس معنى هذا ان تتخاذل النفس امام ما يتراءى لها انه السدُّ ، من أول وهلة . فلها الوهلة الاولى ، والثانية والثالثة ، حتى يتبين انه الصخر حقًّا وصدقا .

اما النفس القلقة الثائرة : فهي التى



والامواج ، من اذاعية وتلفازية وسينية وغير ذلك ، تغمر الانسان ولا يحس لها وجودا

لا تقر بعجز . وهي التى تقف عند السدود تمارى فيها . وتثور وغاية ثورتها انفاس تطلقهـا فى الهواء حارةً ساخنة .

انْ تعجز العقول ، فقد تهدى الغرائز

نقول ان الكون غامض .

ونقول ان العقول عاجزة .

فماذا اذن نصنع بالحياة ؟

نصنع الكثير . ونصنع الكافى، ونصنع لا شك الخير ، ونصنع الجميل .

ان الكون غامض فى ابعاده العميقة .

وان العقول عاجـزة فى محاولاتهـا البعيدة .

ولكن الذى خلق الخلائق ركّب فيها ما سوف يهديها . ركّبها فى أرجاء اجسامها ، وركّبها فى أطواء نفوسها ، وركّبها ، فى الانسان خاصة : اعانة لهذا العقل الذى سميناه عاجزا وبه ، مع العجز فى الاشياء ذات المدى البعيد ، القوة كل القوة فى استجلاء الاشياء ذات المدى القريب .

واول ما ركب الخالق فى خلائقه ،واكثر ما ركب ، واخطر ما ركب ، انما هي الغرائز . واعنى بالغرائز ما يفهم منها الرجل العادى ، لا ما تحاول أن تفهمنا اياه تلك التعاريف التى يصنعها بعض العلماء فلا تزيدها الا ابهاما .

ان الحيوانات تعيش عيشها بالغريزة على الاكثر ، وتحصل رزقها بالغريزة على الاكثر ، وتحصّل امنها بالغريزة على الاكثر . وقد يعين الغريزة فى اول الامر التعليم والتدريب . فالطائر الصغير تكفله امه ، وقد يكفله ابوه ، حتى يقوى جناحاه . ثم ينفصم ما بين الجيلين من علائق .

والانسان يعيش بغرائزه،ومع الغرائز التعليم الكثير والتدريب المتطاول . وتعقدت حياة الناس حتى صار علم هذه الحيـاة ارثا تتوارثه الاجيال جيلا عن جيل . ويرعى الأب ولده ، وترعى الأم ولدها ، طوال السنين . حتى يبلغ المبلغ الذى ترضاه الحضـارة" القائمة فينطلق نحوها انطلاقا .

ومع هذا تظل الغرائز هي الغرائز ، والطباع الاولى هي الطباع الاولى ، التى تحرك الحياة .

يظل الجوع هو المحرك الاول . الجوع الى الطعام . ويظل الجوع الى الجنس هو المحرك الثاني . وتصبح الامومة تحرك المراة . وتصبح الابوة تحرك الرجل . وفى المعترك الاجتماعى تتحرك فى الرجل وفى المراة غرائز شتى . غريزة الكفاح . غريزة الدفاع . واحيانا غريزة الأثرة وما يصحبها من اغتصاب متاع . وكراهة الضيق ، كلّ ضيق ، ضيق منزل ، ضيق فناء ، ضيق قرية ، ضيق ذات اليد ، والثورة على كل ضيق ، وطلب كل صنف من صنوف التمدد والاتساع ، كل هذا يتحرك فى الرجل والمراة على السواء .

وكلٌ يتحدث عن المستقبل ولا يريد أن يفوته الزمان .

كلٌ يعلم أن غايات الحياة البعيدة ، تنبهم ، فى العقـول ، ولكن يحتويها الايمان .

واذن هو يفرغ للحياةالقريبة ويريدها ان تكون حياة ذات بال . يريدهـا ان تكتمل . هو يحس انه يريدها ان تكتمل،



وتصبح الامومة تحرك المراة ،
وتصبح الابوة تحرك الرجال .

ولا يجد لهذا الحس سببا . انها الغريزة الهادية . انه لو حكّم عقله فقد يُفتي بان الحياة خاتمتها الفناء ، واذن ما الفائدة من حياة خاتمتها الفناء ، واذن فالفناء العاجل بها اولى . وقد يُصيخ العقل الى هذا القول وقد يستمع ، وقد يقتنع ، ولكن تأبى الغريزة ان تنصاع لهذا المنطق . الغريزة تتعلق بالحياة رغم كل منطق ، ولا تبالي ان يكون كل عمل في الحياة الى البوار . ان الغريزة فوق العقل . واذ قد ذكرنا ان العقل عاجز ، فهو لا يستطيع ان يصل الى القصوى من الغايات ، فالغريزة هذه انما أُودعت فينا لتنكر على العقل ايحاءه هذا . والغريزة ليست من صنعنا . انما هي من صنع الحياة . واذن لابد لنا من الاستجابة اليها . وحتى هذا قول مردود ، لاننا لا نستجيب الى الغرائز ، لان المستجيب الى شيء له حق الخيار ، فاما قبول واما رفض ، ونحن لا نملك للغرائز رفضا .

لابد للحياة من اكتمال

الحياة اذن لابد ان تكتمل .

لا بد ان تكتمل في الصبي ، وفي الشاب ، وفي الرجل ، وفي الكهل ، وفي الشيخ ، وتكتمل ايضا بالموت .

هذه صيغة اكتمالها .

وفي كل طور من هذه الاعمار لابد ان توفَى الغرائز حاجاتها ، على ما تعارف عليه المجتمع الصالح من اكتمال الحياة . آمال ، احلام ، رغائب . يد تريد ان تحرك مجدافا في سفينة ، واخرى تريد ان تحرك مقود سيارة ، وثالثة تريد ان تحرك عصا طائرة . انها رواية العيش تتمثل على مسرح الحياة ، والممثلون الف والف . بعض يقف عند الباب ، وبعض في المطبخ ، وبعض ينعم بالطعام على مائدته بما لذ وطاب . وآخرون جنود يقفون في الطريق يؤمنون السير فيه . وآخرون من ضباط الشرطة يدرسون في مكاتبهم ويخططون ، والوزير من فوق هؤلاء وهؤلاء . اعمال درجات ، تتالف منها وحدات ، لا تتم الا بتقسيمها الى اجزاء اولاً ثم تضمّ هذه الاجزاء .

وتكتمل حياة الصغير كما تكتمل حياة الكبير ، في المجتمع الصالح .

وتكتمل حياة الفقير ، كما تكتمل حياة ذي الغنى الوفير ، في المجتمع الصالح .

رجلٌ يجلّد الكتب عرفته . انها صناعته اخذها عن ابيه عن جده . وحذقها . ونشأ فيها . واتت له بالرزق الكافي . وتزوج صغيرا . ونشأ عياله فيما هو فيه من بيت . ونشأوا فيما هو فيه من صناعة ، او فيما شابهها او تفرع عنها . احدهم صار طباعا . وآخر صار بائع كتب . وثالث قرأ مما تجمع عند ابيه واخيه من اسفار ، وفهم وتفقه ، فاخرجه ذلك الى نوع من الحياة

ابعد ما يكون عن حياة ابيه وعن اخيه . وتزوج الجيل الجديد وانجب ، وجرى كلٌ في سبيل العيش مجارى شتى .

وكبر الرجل رأس الاسرة الاول وتقاعد . واتخذ له مجلسا عند باب دكان ابنه بائع الكتب ، وكان يجلس اليه كل مساء نخبة من الادباء ، هواة الكتب ، يتحادثون احاديث الادب ويتسامرون .

ويأتي الصيف فيرش الطريق بالماء ليبرد على الجالسين .

سئل هؤلاء السمار عن الحياة كيف وجدوها . ولما جاء دور صاحبنا قال : الحمد لله . قضيت من العيش غاية . من حصاد الارض اكلت ، ومن مائها شربت . والصنعة تعلمت . والرزق كسبت ، وما جعت يوما . والبنين انجبت ، وانجبَ البنونَ البنين والبنات . وقد كنت واحدا فقد صرت عشرة ، زادت بهم الدنيا عمارا . وساعدت أمهاتهم في انشائهم وساعدت . فانا لو تركت الدنيا غدا ، لتركتها وقد قضيت منه وطرا . واذا لتركتها حامدا ، وارجو ان اكون قد تركتها محمودا .

فهذا ما اسميه باكتمال الحياة .

كون فيه غموض وابهام .

كون فيه عجز عن الوصول الى الاعماق .

وغرائز تعين العقل ، في مجال الحياة في حدوده المعقولة .

وحياة مكتملة يرضاها الانسان وترضاه .

وتغرب الشمس آخر الأمر ، ولا بد لكل شمس من غروب . وينطوى الكتابُ طيّاً . ويكتب في آخر صفحة فيه ، على عادة مؤلفي العرب من القدماء : تم هذا الكتاب في الساعة الثالثة ، من ليلة العاشر من محرم ، عام اربعة وثلاثين وثلاثمائة خلت من بعد هجرة الرسول الكريم . ●●

١٩٧٠/٧/٢٢ **احمد زكي**







الملابس

آثارها.. النَّفْسِيَّة.. والاجْتِمَاعِيَّة في الحيَاةِ الحَاضِرَة

بقلم : الدكتور علي احمد علي

■ يعتبر الملبس Clothing من الحاجات الاساسية للفرد ، ويقف الملبس في نفس المستوى بجانب الحاجة للطعام والحاجة للشراب ، لذلك فاننا نجد علماء النفس الذين تكلموا عن الحاجات العضوية الاساسية للفرد ، ذكروا الحاجة للملبس والحاجة للماكل والمشرب والماوى او المسكن كحاجات اساسية للفرد يسعى لاشباعها ، ويتسبب عن عدم اشباع هذه الحاجات على المستوى المناسب شعور الفرد بعدم الامن والقلق والاضطراب في سلوك الفرد .

وقد ذكر الملبس في اعلان الله سبحانه وتعالى لادم عن حقوقه الاساسية في الجنة :

ـ « إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى، وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى »

فالكساء وعدم العرى هو حق اساسي قد منحه الله سبحانه وتعالى لادم في الآخرة .

وقد ذكرت صور واشكال مختلفة من الملبس في القرآن الكريم ولكن الكثير مما ذكر كان وصفا للباس المؤمنين في الجنة . ومن الملاحظ أن هذا الملبس جاء كعنصر اساسى فى وصف المؤمنين وهم يتمتعون بنعيم وثواب ربهم في اليوم الآخر ، ويتضح ذلك من الآيات البينات الآتية :

ـ « وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً » .

ـ « يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَاباً خُضْراً » .

ـ « يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ » .

وقد ذكر الملبس في مواضع اخرى كثيرة من القرآن الكريم منها : ـ

ـ « لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا » .

ـ « يَا بَنِي آدَمَ قَدْ نَزَّلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشاً » .

ـ « يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا » .

لماذا يلبس الناس ؟

قد يبدو هذا السؤال سطحيا أو ايحائيا لاعتقاد البعض ان الاجابة عليه جاهزة أو سهلة ميسرة ، نظرا لان الجواب الفورى سيكون : يلبس الناس لحماية اجسامهم من التغييرات الجوية ، وكذلك لستر عورتهم ، والتقليل من الاثارة الجنسية . والحقيقة أن هذه الدوافع لارتداء الملابس صحيحة ، ولكن هناك الكثير من الدوافع الاخرى التى تدفع الانسان الى ارتداء الملابس . وقد أثير الكثير من المناقشات حول هذه الدوافع ، ومنها مناقشة حامية حول الراى في أن ارتداء الملابس كان بدافع اخماد الغريزة الجنسية والتقليل من آثارها ، اذ أن عددا من علماء النفس لا يوافق على هذا الراى ، فهم يرون أن تغطية أجزاء من الجسم بقطعة من الملابس لا تعمل على التقليل من الاثارة الجنسية ، ولكن على العكس من ذلك فقد يؤدى ذلك الى زيادة الاثارة الجنسية ، ويضرب هؤلاء العلماء لذلك مثلا بثدى المراة ، فهو لا يحمل اية اثارة جنسية في بعض القبائل الافريقية البدائية التى لا يغطى نساؤها صدورهن ، ويضيف هؤلاء العلماء القول أن هذه الصدور العارية بعد تغطيتها قد تصبح اكثر اثارة للنواحى الجنسية ولحب الاستطلاع .

وهناك دوافع كثيرة لارتداء الملابس . ففى احد الابحاث سئل عدد من علماء النفس عن النواحى التى تشبعها الملابس في الناس ، فكان رد هؤلاء كالآتى :

٤١ ٪ يرون أن الملابس تشبع حاجة الناس للحماية من الظروف الجوية (برد وحر ومطر وغيرها) .

٦ ١/٢ ٪ يرون أن الملابس تشبع حاجة الناس للحماية من الأمراض والحشرات .

١٢ ١/٢ ٪ يرون أن الملابس تشبع حاجة الفرد للحصول على تقبل الغير للشخص .

٧ ٪ يرون أن الملابس تشبع حاجة الفرد الى تقبله نفسه .

١٠ ٪ يرون أن الملابس تعمل على جذب اهتمام الجنس الآخر .

٨ ٪ يرون أن الملابس تساعد على تدعيم علاقات الفرد بالغير .

٦ ٪ يرون أن الملابس تحقق المتعة للعين .

٣ ١/٢ ٪ يرون أن الملابس تشبع حاجة الفرد للتفوق والسيطرة .

٢ ٪ يرون أن الملابس تساعد الفرد على كسب محبة الناس وعطفهم .

٣ ١/٢ ٪ اجابات أخرى متنوعة .

والحقيقة أن الملابس تحقق للفرد الكثير من الفوائد ، لذلك ظل الانسان منذ بدء وجوده على ظهر هذه الارض وهو يحاول ستر عورته باستخدام اوراق الشجر اولا ، ثم تطورت الملابس بعد ذلك فكانت تهدف بجانب ستر العورة حماية الجسم من التقلبات الجوية ومن أذى الحشرات . ثم بدات تظهر قيمة الملابس في التزين ، وفي تدعيم قيمة الفرد ومركزه في الجماعة التي يعيش فيها .

وقد مرت قرون تطورت فيها الملابس تطورا كبيرا حتى وصلت الى ما وصلت اليه الآن من مستوى رفيع وتنوع هائل . ونظرة سريعة الى تطور الملابس على مر العصور والأزمان نستطيع ان ندرك منها حجم هذا التطور ومداه . فمن ملابس مصنوعة من ورق التوت وغيرها من أوراق الشجر الى ملابس صنعت من جلود الحيوانات وفرائها ، ثم تطور الأمر الى ملابس مصنوعة يدويا من الياف بعض النباتات كالكتان كما هو الحال في ملابس قدماء المصريين ، حتى تصل الملابس الى ما وصلت اليه الآن من تنوع هائل في صورها واشكالها ، ومن تنوع كبير في المواد التي تصنع منها هذه الملابس . وقد ساعد على وصول الملابس الى ما هي عليه الآن عشرات من العوامل الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتاريخية والجوية . وتميز كل شعب من الشعوب بملابس شعبية تختلف في طبيعتها وشكلها وتختلف في الوانها والنسيج الذي صنعت به .

وقد أسهم التقدم التكنى لدرجة كبيرة في تطور ما نلبسه في يومنا الحاضر . فتطورت صناعة النسيج وخطت خطوات واسعة في الخمسين سنة الاخيرة من ناحية الغزل والنسيج والطباعة والتجهيز ، وخرجت الى السوق الآن منسوجات على مستوى عال من ناحية النسيج والطباعة والذوق والفن . وانتشرت المنسوجات المصنوعة من الالياف الصناعية كالداكرون والرايون والتريلين وغيرها . ودخلت هذه المنسوجات المصنوعة من الالياف الصناعية في منافسة قوية مع غيرها من المنسوجات المصنوعة من القطن والصوف والحرير والكتان وغيرها . وقد استخدم في تزيين الملابس الحديثة فراء الحيوانات وجلودها والاصداف واللآليء والجواهر وغيرها .

وقد ظهر من الملابس ما هو يفصل للفرد الواحد ، يُعدُّ خصيصا له لكي يلائم ذوقا معينا لفرد معين ، وما هو جاهز يشتريه الفرد دون أن يكون قد صنع خصيصا له ، وانما يمثل هذا الفرد واحدا من عشرات الآلاف الذين يشترون ويلبسون هذه الملابس ، وهذه الملابس الجاهزة قد صنعت آليا في معظم مراحل صناعتها. ونظرا لارتفاع مستوى أجور العمال في بعض البلاد ، وخاصة البلاد الاوربية ، لذلك فقد سادت الملابس الجاهزة واختفت تقريبا الملابس التفصيل ، لأنها أصبحت غالية الثمن لا يقدر عليها الا افراد الطبقة القادرة .

ولم يشمل التطور النسيج الذي يستعمل في صناعة الملابس فقط ، وانما شمل التطور أيضا شكلها والوانها ،واصبح هذا كله يخضع «للموضة» السائدة Fashion . وهذه الموضة سريعة التغيير بالنسبة للنساء اللائي يجرين دائما وراءها ويهتممن بها . أما الرجال فاهتمامهم بالموضة أقل، لذلك كانت ملابسهم اقل من النساء تأثرا بالموضة وخطوطها ،فملابسهم اقل عرضة للتغيير والتبديل.

العلاقة بين ما يلبسه الفرد وشخصيته :

هناك علاقة موجودة فعلا بين شخصية الفرد وبين ما يلبسه ، ولو أن هذه العلاقة مركبة غير بسيطة . فمثلا الشخص المحافظ التقليدي في سلوكه وتفكيره قد ينعكس ما به من ذلك على سلوكه الملبسي ، فنجده يتمسك بالقديم من الملبس ولا يحاول أن يغير فيه الا القليل حتى ولو جاء ذلك متعارضا مع الموضة السائدة .

وهناك من النساء من تهتم بأناقتها وملبسها حتى وهي تخطو نحو سن الستين من عمرها ،وتختار الملابس ذات الالوان الزاهية ، والموديلات الحديثة

المتطورة وقد يكون ذلك بسبب ارتباط الملبس بشخصية هذه المرأة ، فهي لا تعرف عمرا معينا ينتهي فيه شباب المرأة ، ويكون سلوك المرأة هذا، رغبة لا شعورية منها في عدم الاعتراف بالكبر والشيخوخة .

وقد يكون الفرد مستهترا فينعكس ذلك أيضا على ملبسه فلا يلبس ما يتناسب مع عمله أو عمره او مركزه . وقد يكون الفرد مسرفا فينعكس اسرافه على ملبسه أيضا في شكل ملابس غالية الثمن لا تتناسب مع دخله وميزانيته .

ماذا يُشبع الملبسُ بالنسبة للافراد

لا شك أن الملبس يشبع الفرد نفسيا في نواح كثيرة . فالملابس تشبع حاجة الفرد للانتماء للجماعة وتساعده على أن يبدو كواحد من أفراد الجماعة ، كما تساعد الملابس الفرد على أن يظهر خضوعه لمعايير الجماعة وقيمها .

وتعمل الملابس على تدعيم ثقة الفرد بنفسه، وذلك عن طريق اظهار جسمه في صورة أجمل وأحسن ، واخفاء بعض عيوبه التى تؤثر تأثيرا سيئا في شخصية الفرد وتصوره ، لنفسه ، فالفرد النحيف للغاية ، قد يلجأ الى الملابس لكى تساعده على أن يظهر أكبر حجما وأقل نحافة . والشخص البدين لدرجة كبيرة قد يختار ملابس معينة تجعله يبدو أقل بدانة وأقل وزنا . والشخص الذى يعانى من تشوهات في عظام الكتفين قد تعمل الملابس على اخفاء هذه التشوهات او التقليل من ظهورها .

والشخص قصير القامة قد يلجأ لنوع معين من الاحذية ذات الكعوب المرتفعة ، لكى يبدو للناس وكأنه اطول من حقيقته . ولا شك أن الملابس على هذه الصورة تعمل على تدعيم صورة الفرد في نظر نفسه ، كما تعمل على تدعيم ثقة الفرد بذاته وبنفسه ، وذلك عن طريق تحسين صورته المادية، ليس فقط في نظر نفسه ، ولكن أيضا في نظر الناس والافراد المحيطين به .

وقد يستغل الملبس للتعويض عن نقص . فالفرد عندما يشعر بنقص يهدد ثقته بنفسه ، فانه يلجأ الى تعويض هذا النقص . ومن أمثلة هذا التعويض ما قد يحدث بالنسبة لبعض صغار الموظفين ذوى المؤهلات المتوسطة أو الدخول البسيطة عندما يغالون في ملبسهم ويرتدون من الملابس افخرها واكثرها اناقة وينفقون على ملبسهم اكثر دخلهم في محاولة منهم لتعويض بعض نواحي النقص الذى يحسونه ويشعرون به .

وقد يستخدم الملبس كحيلة نفسية في محاولة من الفرد لتقمص شخصية أفراد طبقة اجتماعية معينة ، ومن أمثلة ذلك ما يحدث في الولايات المتحدة حيث نلاحظ اهتمام نسبة كبيرة من الزنوج بملبسهم في محاولة منهم لتعويض شعورهم بالنقص وتدعيم ثقتهم بانفسهم ، وفي محاولة منهم للتشبه بافراد الطبقة الاجتماعية المتوسطة التى غالبيتها من البيض .

وتعمل الملابس على تدعيم الشخصية الاجتماعية للفرد . فالملابس المناسبة قد تجلب للفرد احترام الآخرين وتقديرهم ، وتعمل هذه الملابس على تدعيم الصلة والعلاقة بينه وبينهم .

والملابس تشبع حاجة الفرد للانتماء وذلك لأن الملابس تساعد الفرد على أن يظهر بمظهر أعضاء الجماعة الخاضعين لمعاييرها . كما أن الملابس المناسبة تشبع في الوقت نفسه حاجة الفرد لابراز شخصيته المستقلة وحاجة الفرد للشعور بفرديته وذاتيته . فالفرد يلبس الملابس المقبولة اجتماعيا، وفي الوقت نفسه قد يلبس بالطريقة التى تميزه عن غيره وتجعله يبدو مختلفا عنهم .

الأثر الذى تتركه الملابس فى الآخرين

لا يقتصر الأثر النفسى للملابس على الفرد الذى يلبسها ولكن يعتبر اثرها كبيرا في الآخرين . فعندما يلتقى شخصان ، فان كلا منهما يترك لأول وهلة اثرا معينا في الآخر . ويطلق على هذا الأثر : الأثر الاول . وهذا الأثر الاول يتكون نتيجة لعدد من العوامل ، على رأسها الملابس . فقد يتقابل هذان الشخصان لفترة قصيرة للغاية بما لا يسمح لكل منهما بالتعرف على الآخر أو الحكم عليه ، لذلك فان كل ما تتركه هذه المقابلة قد جاء عن طريق ملبس كل منهما وما تركه هذا الملبس من اثر على الآخر . فقد يرى أحد هذين الشخصين

ان الآخر أنيق في ملبسه او غير أنيق ، وقد يحكم عليه بأنه غنى أو فقير أو متوسط الحال .

وفي الحياة العملية تلعب الملابس دورا هاما بالنسبة للأثر الذى يتركه الفرد في من يقابلهم في حياته . وفي المقابلات الشخصية التى تعقد لاختيار الافراد لمختلف الوظائف او توجيههم لمختلف المعاهد العالية والكليات قد يلعب ملبس طالب الوظيفة ، أو ملبس الطالب المتقدم للالتحاق بكلية أو بمعهد معين ، دورا هاما فى الأثر الذى يتركه الفرد في أعضاء اللجان الذين يجرون المقابلة الشخصية ، خاصة اذا كان الوقت المخصص لاختبار كل فرد محدودا بعدد قليل من الدقائق لا يسمح بالتعرف على جميع جوانب شخصية الفرد واسلوب تفكيره واتجاهاته . وهذا يجعل لملبس الفرد التأثير الاكبر في أعضاء اللجان الذين يجرون المقابلة الشخصية .

وكثيرا ما يصدر الناس أحكامهم على الافراد الذين يقابلونهم في حياتهم اليومية على أساس ما يرتدونه من ملابس . فمثلا قد توصف فتاة بالاستهتار اعتمادا على ما تلبسه . وفي هذه الحالة يصدر الحكم على سلوك الفتاة ليس على أساس من واقع هذا السلوك وحقيقته ، ولكن على أساس ما تلبسه . وقد يحكم على سيدة عجوز بأنها متصابية ليس على أساس دراسة وافية لسلوكها وتصرفاتها واتجاهاتها ، ولكن أساسا على أن هذه السيدة ترتدى ملابس لا تتناسب مع السن التى بلغتها . وقد يوصف شخص ما على انه وقور اعتمادا على ملبسه الوقور دون دراسة لسلوكه وتصرفاته وطريقة تفكيره واسلوبه في الحياة . وقد يرى الناس فى امراة معينة الحزن والأسى لأنها تلبس السواد ، وقد تترك الملابس الخلقة لأحد الموظفين أثرا سيئا في زملائه لا يمحوه سلوك هذا الموظف ومخبره الذى قد يختلف عن مظهره .

وكثيرا ما نصف بعض شباب اليوم «بالخنفسة» بمجرد رؤيتنا لملابس معينة يرتدونها ، مع أن المفروض ان الخنفسة ليست عبارة عن ملبس فقط، ولكنها تمثل اتجاهات وأفكارا وفلسفات معينة يعتنقها هؤلاء « الخنافس » . وأحيانا كثيرة ، قد يكون مرتدى هذه الملابس مقلدا ليس فيه من « الخنفسة » سوى المظهر .

علاقة ألوان ملابس الفرد بشخصيته

يتساءل الكثير من الناس عن علاقة الالوان التى يختارها الفرد لملبسه بشخصيته . فمثلا لوحظ أن بعض الافراد يفضلون الالوان الصارخة ، وبعض الافراد يفضلون الالوان الهادئة كالرمادى أو الرصاصى ، وبعض الناس يفضلون الالوان القاتمة والداكنة . وقد أثبتت الأبحاث أنه لا توجد علاقة واضحة بين اختيار لون الملابس وشخصية الفرد ، وخاصة بالنسبة للنساء اللائى عادة ما يقبلن على الالوان التى تتمشى مع خطوط الموضة السائدة والتى تتناسب مع لون بشرتهن . فالمراة البيضاء قد تفضل الالوان الداكنة أو القامقة حتى يكون هناك تناقض محبب بين لون الملبس ولون بشرتها . والمراة السمراء عادة ما تفضل الوانا معينة . ومع ذلك فاننا نجد أن الكثير من النساء يرتدين ملابس من ألوان مختلفة. واذا قمنا بدراسة محتويات دولاب ملابس سيدات متوسطات العمر ، فاننا سنجد هذه الملابس من الوان مختلفة . . .

وقد يكون للون الملبس دلالة نفسية ، خاصة اذا كان هناك لون سائد على ملابس مجموعة كبيرة من الافراد تقطن منطقة معينة . فمثلا لون ملابس القرويات في بعض قرى البلاد العربية قد يرمز لمسحة الحزن التى تسود حياتهن ، حيث تلبس هؤلاء القرويات ملابس يسودها اللون الاسود .

ومع أنه لم تثبت علاقة واضحة بين شخصية المراة ولون ملابسها،الا أنه ثبت بالدراسة (١) وجود بعض العلاقة بين اللون الذى يسود ملابس الرجال وشخصيتهم . فالرجل الذى يفضل الالوان الهادئة

(١) هذه الدراسة أجريت على سكان بعض البلاد الاوروبية الغربية الذين يرتدون الزى الاوروبي لذلك قد لا تنطبق نتائج الدراسة على الافراد الذين يلبسون أزياء أخرى .

او الالوان القاتمة عادة ما يكون محافظا بطبيعته ، كما انه عادة ما يكون متزنا في انفعالاته . والرجل الذى يفضل الالوان الصارخة فعادة ما يكون متقلب الطباع والمزاج ولكنه قد يكون اكثر تفاؤلا من غيره . ولكن هذه العلاقة بين الالوان التى يفضلها الفرد لملبسه وبين شخصيته ليست واضحة وقائمة ومحددة في الكثير من الاحوال .

العوامل التي تؤثر فى نوع الملابس التى يرتديها الفرد

هناك عوامل كثيرة تؤثر في نوع الملابس التى يرتديها الافراد في مكان معين او في زمن معين . ومن هذه العوامل ما ياتي :

١ ــ العوامل الجوية

فالعوامل الجوية تؤثر على نوع الملابس التى يرتديها الافراد ، فالافراد الذين يسكنون في المناطق القطبية لا بد لهم من ان يلبسوا ملابس ثقيلة جدا على مدار السنة ، وعلى الأخص في فصل الشتاء ، وهذا عكس ما يحدث بالنسبة للافراد الذين يعيشون في المناطق الاستوائية والذين يكفيهم ما خف وقل من الملابس .

٢ ــ العوامل الاقتصادية

تؤثر العوامل الاقتصادية على ما يلبسه الناس. ففى البلاد الفقيرة نسبيا . ينعكس المستوى الاقتصادى المنخفض للسكان على ما يرتدونه من ملابس . فنجد أن ملبس العامة من السكان يتسم بالرخص والبساطة وحاجة العمل ، كما نجد أن هذا الملبس يكون اقل تاثرا بالموضة ، لان الناس لا يستطيعون تغيير ملبسهم من وقت لآخر جريا وراء خطوط الموضة نظرا لضيق ذات اليد .

٣ ــ القانون والعادات والتقاليد

وتتاثر الملابس بالعرف والتقاليد ، فاذا كان العرف السائد ارتداء الرجال لنوع معين من الملابس كالجلباب مثلا شاع وعم استخدام هذا الزى بين الرجال . ولكن هذا الزى يصبح غريبا غير مقبول في مجتمع ارتضى لرجاله الزى الأوربي كزى قومى .

واذا كانت التقاليد في بلد من البلاد تحرم على المراة ان تكشف للرجال عن اجزاء معينة من جسمها تاثرت بذلك ملابس النساء ، وكان على كل واحدة منهن ان تغطى جسمها بنوع معين من الملابس يخفيه عن اعين الناظرين .

وقد يفرض العرف السائد في بعض اماكن العمل ، او لوائح بعض المؤسسات والمنشآت الصناعية والتجارية والبنوك وغيرها ان يرتدى العاملون ملابس معينة أو زيا موحدا أثناء العمل : كان تشترط ارتداءهم ملابس كاملة ، او ارتداء غطاء للراس او زى موحد بالنسبة لفئة معينة من العاملين .

وقد تفرض بعض المهن على العاملين بها ارتداء ملابس معينة او زى مقرر ، كما هو الحال بالنسبة للممرضات او المضيفات الجويات او العاملين في بعض المحال التجارية وغيرها .

وقد تفرض ملابس موحدة على العمال في مهنة معينة او في قسم لمصنع من المصانع . وقد يمنع هذا المصنع العمال من ارتداء الجلباب مثلا لعدم مناسبته للعمل الذى يقومون به واحتمال تعرض العمال الذين يرتدون هذا الزى للكثير من المخاطر أثناء العمل .

وفي وقتنا الحاضر تقسم المهن السائدة في المجتمعات الاوروبية الحديثة الى نوعين اعتمادا على الملبس اساسا . فاصبحت هذه المهن تنقسم الى مهن الياقات البيضاء White Collar Jobs وهى تمثل المهن الفنية والادارية والكتابية التى يمارس الافراد مسئولياتها وهم جالسون خلف مكاتب او وهم واقفون أو وهم يتحركون في اماكن نظيفة . والعمل الذى يمارس في هذه المهن عادة ما يكون نظيفا لا يسبب اتساخا او تلوثا للابس افراد هذه المهن . وهناك مهن الياقات الزرقاء Blue Collar Jobs وهى تمثل المهن ذات الطابع الصناعي عادة وهذه المهن تتطلب من افرادها ارتداء زى معين عادة ما يكون أزرق اللون حتى يتحمل الاتساخ نتيجة الشحوم والأتربة والمواد الكيميائية وغيرها ، وهذه المهن لا يصلح معها ارتداء الزى العادى والملابس العادية .

٤ ـ الاتجاهات

كما تتأثر الملابس بنظرة الفرد نحو ملبسه ، فبعض الافراد يضعون تأكيدا خاصا ويعطون اهتماما كبيرا نحو الملبس فيوجهون اليه جزءا كبيرا من جهدهم ومالهم ووقتهم ، في حين نجد ان البعض الاخر من الافراد لا يعطون قيمة كبيرة للملابس وينظرون اليها على انها وسيلة لحماية الجسم من الظروف الجوية المختلفة وكذلك لستر العورة ، لذلك فان اهتمامهم بالملابس عادة ما يكون قليلا ويكون كل اهتمامهم منحصرا في الملابس التى تؤدى وظيفتها على الوجه الاكمل من الناحية المادية دون النظر للجوانب المعنوية او النفسية المرتبطة بالملابس .

٥ ـ العمر

يعتبر العمر من العوامل الهامة التى تؤثر في ما يلبسه الفرد ، وما يجب توافره في هذا الملبس فالطفل الصغير لايهتم بملبسه الا في اطار كون هذا الملبس عمليا لا يعطل حركته ونشاطه ، ولا يهمه الا أن يكون ملبسه مقبولا لدى زملائه ، لا يجلب سخريتهم واستهزاءهم ، في حين نجد ان المراهق يهتم بمظهره الخارجي لدرجة كبيرة ، ويرتبط باهتمام المراهق بمظهره الخارجي اهتمامه بالملبس بالدرجة الاولى ، وذلك حتى يحظى باهتمام الجنس الآخر ويجلب انتباهه ،وحتى يدعم مركزه وسط اصحابه واصدقائه .

وفي سن الشباب يحتفظ الفرد العادى باهتمام عادي بالملبس ، وقد تختلف درجة هذا الاهتمام من فرد لآخر ، ذلك لان الملبس المناسب يرتبط بمركز الفرد الادبي ويساعده على التقدم ويساعده على تقبل الناس اياه . ولا شك ان الملبس الانيق المقبول يساعد الفرد على تدعيم صورته في اعين الناس ، وذلك مع فرض توافر الذكاء ومقومات الشخصية والنجاح الاخرى .

وفي سن الشيخوخة يقل اهتمام اغلبية الافراد بالملبس ، وقد يتمسك بعض الشيوخ بالقديم من الملابس لانها ترتبط بذكريات سارة عزيزة في حياتهم . وقد نجد نسبة ضئيلة من الشيوخ تهتم اهتماما كبيرا بمظهرها وملبسها ، فلديها من الوقت والمال ما تستطيع توجيهه الى هذه النواحى . هذا بالاضافة الى أن بعض الشيوخ يمكنهم عن طريق الملبس المناسب تغطية بعض الآثار السيئة للشيخوخة التى تبدو واضحة على وجوههم وأشكالهم واجسامهم . ■■

علي أحمد علي

كيف وجدت الدنيا ؟

● قدم رجل على معاوية وكان من المعمَّرين فسأله عن الدنيا كيف وجدها ؟ فقال : سُنَيّات بلاء وسُنَيّات رخاء، يوم فيوم ، وليلة فليلة يولد مولود ويهلك هالك ، فلولا المولود لباد الخلق ، ولولا الهالك لضاقت الدنيا بمن فيها . فقال له معاوية : سل ما شئت ؟ قال : عمر مضى فترده ، واجل حضر فتدفعه قال : لا أملك ذلك . فقال : لا حاجة لي اليك .

من هو الفنان

■ اننا كثيرا ما نتساءل : **« ما هو الفن ؟ »** ، ولكننا قلما نتساءل : **« من هو الفنان ؟ »** وربما كان السر فى ذلك اننا مقتنعون ضمنا باننا اذا عرفنا ما هو الفن ، فقد عرفنا ايضا من هو الفنان . هذا الى اننا قد دابنا على تصوير « الفنان » بصورة « المخلوق الشاذ » الذى لا يخضع لاى « قانون » ، ولا يندرج تحت اى « نوع » فليس بدعا ان نميل الى الظن بانه ليس ثمة سمات محددة يمكن ان تعيننا على تعرف « الفنان » . وعلى حين ان « الفن » نشاط بشرى يستند اصلا الى « الخبرة الجمالية » ،نجد ان « الفنان » ــ على نحو ما يراه الكثيرون ــ « كائن غريب » قد لايسهل الحكم عليه . ولما كان كل « فنان » ــ بحكم طبيعته ــ « انسانا فريدا » قد يحق لنا ان نعده « نسيج وحده » ، فليس من الغرابة فى شىء أن يبدو لنا كل تساؤل يدور حول « ال فنان » (بالف لام التعريف) تساؤلا غير مشروع ! ولعل هذا هو السبب فى أننا نترك لكتاب السير مهمة الكتابة عن « الفنانين » ، دون أن نطالب علماء الجمال او فلاسفة الفن بتحديد السمات المشتركة التى تجمع بين هؤلاء « الفنانين » . ومعنى هذا اننا مؤمنون بأن هناك « فنانين » ، ولكننا لانكاد نصدق ان يكون ثمة « نوع » مشترك يندرج تحته كل هؤلاء « الافراد » ، الا وهو « نوع » الفنانين !

هل يكون « الفنان » مجرد « انسان عاطفى » ؟

وهنا قد يقال : اننا لنتعرف جميعا من هو « الفنان » ، اننا على ثقة من ان هذا اللفظ يصدق بالضرورة على كل انسان يعبر عن عواطفه ، وانفعالاته ، وآلامه ، وآماله ، ومخاوفه ، ومسراته ، ومظاهر غضبه ، وشتى حالاته النفسية ، سواء اكان ذلك بالقلم ، ام بالريشة ، ام بالازميل ، أم باية واسطة اخرى . فما يميز الفنان عن غيره من سواد الناس انه مخلوق يتمتع بحساسية مرهفة ، فهو اقدر من غيره على التعبير عن شتى « الانفعالات البشرية » . ولعل هذا ما حدا بالكثيرين الى الخلط بين « الفنان » و « الرجل العاطفى » ، وكأن « الفن » بأسره هو مجرد « عاطفة » او « وجدان » ! وسواء اخذنا بوجهة نظر دعاة « الرومانتيكية » ، ام اخذنا بوجهة نظر انصار « السريالية » ، فلا بد لنا فى كلتا الحالتين من أن نعد « القلب » هو مصدر « الفن » ، وكأن « الفنان » هو مجرد « يد » تخط ما يمليه عليها « القلب » !

بيد أن التجربة قد دلتنا على انه حينما تكون

ن

بقلم : الدكتور زكريا ابراهيم

نفس الفنان مفعمة بالكثير من الانفعالات فقد يجد الفنان نفسه عاجزا عن تصوير تلك الانفعالات ، نظرا لانه يكون عندئذ مستغرقا في صميم تلك الخبرات الماشة ، فلا تكون لديه القدرة على التعبير عنها بلغة « الصور الجمالية » . ولهذا

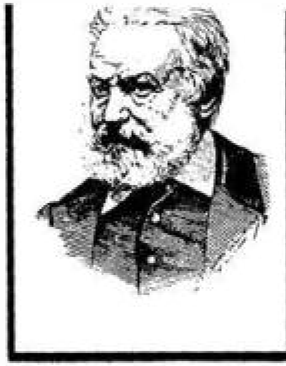


بلزاك
الفن يصدر عن الدماغ لا عن القلب .

فقد ذهب الكاتب الفرنسي بلزاك Balzac الى ان « الفن يصدر عن الدماغ ، لا عن القلب » ، وحين يملك « الموضوع » على الفنان كل نفسه ، فانه عندئذ لا يكون منه بمثابة « السيد » ، بل بمثابة « العبد » ... » . والرأى عندنا ان « العمل الفنى » يصدر ـ بنسب متفاوتة ـ عن كل من الدماغ والقلب ، ولكن على شرط ان نتذكر انه لا ينبغى لقلب الفنان ان يلعب براسه ، او ان يجعله يفقد صوابه ، بل لابد للفنان من ان يبقى « مالكا » لانفعاله ، بدلا من ان يصبح « مملوكا » له . وليس من شك في ان الفنان لا يتغنى بانفعاله ، اللهم الا حين يكون قد نجح ـ بوجه ما من الوجوه ـ في الانفصال عنه . ولعل هذا ما عناه احد الباحثين حين كتب يقول : «ان الشاعر ليشهد الالم العنيف الذى يخترق احشاءه ، ولكنه يطويه في اعماق قلبه وكانما هو السماء الهادئة التى تطوى في باطنها شتى الاعاصير الهادرة . ومعنى هذا ان الشعر صورة من صور « التحرر » ، لانه في اصله « حرية » . فليس الشعر « انفعالا » ، بل هو مرآة لهذا « الانفعال » او ذاك ، او هو بالاحرى فوق الانفعال وخارجه ، لانه ضرب من الهدوء او السكينة . وحين يتغنى الشاعر باى الم من الالام ، فانه لا بد من ان يكون قد شفي من هذا الالم ، او لابد له ـ على الاقل ـ من ان يكون قد بلغ مرحلة النقاهة . ولا ريب ، فان الاغنية صورة من صور الاتزان ، او هي انتصار



تولستوى



فيكتور هيجو

هل في استطاعة اى فتاة مشبوبة العاطفة أن تقدم لنا روايات فنية كتلك التى سجلها يراع تولستوى أو هيجو .

على القلق والاضطراب ، فهي مظهر من مظاهـر استرجاع القوة . »

والحق انه ليس من الضرورى أن يكون الفنان اكثر حساسية من الرجل العادى ، او اقـوى عاطفة من الرجل الهاوى ، بل قد يكون الفنان ـ في بعض الاحيان ـ اقل انفعالا من اية فتاة مراهقة مشتعلة الوجدان . ولعل هذا ما عبر عنه مالرو Malraux حين قال : « اذا كان الفنان ذو العاطفة الكبيرة هو بالضرورة فنانا حساسا Sensible ، فان أشد الناس حساسية ليسوا بالضرورة فنانين » ! فليس يكفى أن يكون المرء رومانتيكى النزعة لكى يكون روائيا ، كما انـه لا يكفـى أن يعشق المرء التأمل حتى يكون شاعرا . والا ، فهل كان كبار الفنانين مجرد مجموعة من « النساء العاطفيات ؟ » او هل كان في استطاعة اية فتاة مراهقة مشبوهة العاطفة أن تقدم لنا روايات فنية كتلك التى سجلها يراع تولستوى او ديكنز او فكتور هيجو ؟

لقد ذهب ديدرو Diderot الى حد القول بأن « الحساسية » لم تكن في يوم من الايـام خاصية مميزة للعبقرية العظيمة ، بدليل أن الاكثر من كبار الشعراء والممثلين لم يكونوا سـوى مخلوقات عادية لا تتمتع باية حساسية فائقـة للطبيعة ! ونحن نرى ان حظ الفنانين من الحساسية قد اختلف شدة وضعفا ، ولكن بيت القصـد أن يعرف الفنان كيف ينظم عواطفه ، وكيف يكون في نفسه تلك « الحساسية الفنية » التى تملـك القدرة على « تجسيد » الانفعالات . وتبعا لذلك فان ما يميز الفنان عن الهاوى او الرجل العادى ، لا يمكن ان يكون مجرد فارق في شـدة العاطفة ، بل هو فارق نوعى يتجلى في القدرة على الصياغة، او البراعة في « الصنعة » Technique .

هل يكون « الفنان » هو « الرجل الملهَم » ؟

وهنا قد يعترض معترض فيقول : « انه ليس المهم في الفن هو الصنعة ، بل الالهام » ! ، ولقد كان الاقدمون يطلقون على « الفنان » بصفة عامة ، و « الشاعر » بصفة خاصة ، اسم « الرائي » ، او « النبى » ، او « الرجل الالهى » ، لانهـم كانوا يرون انه لا يصدر في فنه الا عن الوحـى او الالهام او الكشف الصوفى . وليس من شـك في ان كلمة « الالهام » ، على الرغم من كل ما يكتنفها من غموض ، تشير في الاصل الى ما في « الابداع الفنى » من عناصر الصدمة والمفاجاة والنشوة والسورة العابرة .. الخ . وقد كان افلاطون اول من أسهب في الحديث عن « الالهام » بوصفه نوعا من « الانجذاب الالهي » الذى يملى على الشاعر اروع قصائده ، وكان الفن ضرب من « السحر المقدس » الذى يجعل من صاحبه مجرد « نبي » ينطق باسم الآلهة ، ثم جاء شـعراء « الرومانتيكية » في العصر الحديث ، فراحـوا يصورون لنا « الفنان » بصورة « الرجل الملهم » الذى يسجل ما تمليه عليه بعض القوى الغيبية ، وكان « الشاعر » (مثلا) مجرد « نبي » يحمل الينا رسالة الهية ! وذهب جوته الى حد ابعـد من ذلك فصور لنا « الفنان » بصـورة الرجل « الماخوذ » الذى تسيطر عليه « قوة شيطانية » ، وكان ثمة « سورة عليا » تجيء فتستولى على نفس الفنان ، وتملى عليه ما تريد ، فلا يكون في وسعه سوى أن ينصاع لها ، حتى حين يتوهم انه يعمل بوحى من ارادته !

وليس اكثر مما كتبـه الشـعراء والادبـاء والفلاسفة في « الالهام » : فان الفنانين يميلون في العادة الى تصوير ابداعهم الفنى بصـورة « العمل الاصيل » الذى يصدر عن « اللاشعور » اكثر مما يصدر عن « الشعور » ، ويتسم بطابع « الهي » اكثر مما يتسم بطابع « بشرى » ، ويعبر

عن ضرب من « الضرورة » أو « الحتمية » أكثر مما يعبر عن ضرب من « الحرية » أو « الاختيار ».

وللشاعر الفرنسي المعاصر بول كلودل Paul Claudal تعبير شعرى رائع عن « الالهام » يتحدث فيه عن « الروح » ، التى تهمس فى أذنه بآياتها السحرية ، وكان « الالهام » عنده « ظاهرة دينية » هي ادخل فى باب « الكشف الصوفي » منها في باب « التجربة الجمالية » . واما الفيلسوف الكبير نيتشه Nietzsche فانه يخلع عن « الالهام » كل طابع دينى ، لكي يقدمه لنا بصورة « البرق المفاجيء الذى ينير الطريق امام الفنان ، فيسمح له بأن يرى ، دون أن يكون قد عنى نفسه بالبحث » !

ومهما كان من اختلاف الأدباء والفلاسفة في تحديد معنى « الالهام » فانهم يجمعون على النظر الى هذه « الظاهرة الفنية الكبرى » بوصفها حالة نفسية مفاجئة تأخذ بمجامع قلب الفنان ، وكأنما هي النسر الذى ينقض على فريسته على حين فجأة ! وآية ذلك ان « الالهام » ــ فى نظرهم ــ يوقف المجرى العادى للوعى أو الشعور ، ويغير من الاتجاه العادى للتأمل او التفكير ، ويكشف عن انعدام التناسب بين ما كان الفنان يفكر فيه وما انكشف له بغتة ، ويحيل الفنان نفسه الى مخلوق « سلبى » يقتصر على التقبل والمعاناة ، وكأنما هو مجرد « اداة » في يد « قوة مجهولة » تجيء فتسخره لخدمة اغراضها ، وتتخذ منه مجرد « واسطة » لتحقيق مرادها .وحين يهبط «الوحى» على الفنان ، فانه سرعان ما يستشعر ضربا من « الانجذاب الصوفي » الذى يؤلف بين سائر قواه النفسية ، ويجمع بينها في « وحدة » روحية متمركزة ، لكي لا يلبث ان يجد نفسه خارجا تماما عن ذاته ، وعندئذ يستشعر « غبطة روحية » تسمو به فوق مستوى البشر ،وكأن فيض القوة الابداعية قد جاء فغمره ، ومن ثم نراه يتوهم انه قد اصبح في حضرة « القوة الالهية » نفسها ! !

لاننكر ان للفنان لحظات ، اشراق ، ولكن ...

ونحن لا ننكر انه قد يكون فى حياة الفنانين لحظات من الاشراق او العيان او الحدس Intuition ، هي التى حدت بالكثيرين الى الحديث عن « وحي » أو « الهام » أو « كشف صوفي » . ولكن ربما كان من الخطأ أن نحيل « الفنان » الى « مخلوق غريب » ، يصدر في كل اعماله عن ملكة سحرية عجيبة لا نكاد نجد لها نظيرا عند غيره من عامة الناس ، وكأن ثمة قوة ابداعية فائقة للطبيعة تجيء فتخلع على الاعمال الفنيةطابع السر والسحر والاعجاز ! والحق ان الفنان ــ مثله في ذلك كمثل العالم ، او المكتشف ، او رجل الصناعة ، او رجل الاعمال ــ شخص متخصص يضطلع باداء عمل معين يستلزم الكثير من الاستعداد والجهد والصبر والذوق .. الخ . وقد يؤدى الفنان عمله هذا مدفوعا بسورة عارمة من الحماسة ، او قد يؤديه بمثابرة ونشاط وانكباب متواصل او قد يؤديه بصبر وجلد كما يؤدى العمل اليومى الذى يتكسب منه المرء ، او قد يؤديه اخيرا في سأم وملل كما يؤدى العمل المألوف الذى لا يخلو من عنت وارهاق . ولهذا يقول عالم الجمال الفرنسي المعاصر سوريو Souriau : « ان الفن ليس بالضرورة معجزة يقوم بها قوم غير عاديين هم أولئك الفنانون الذين نعرفهم بمزاجهم النفسى ، لا بطبيعة عملهم ؟ » وانما يجب ان نقول ــ على العكس من ذلك ــ ان المهم في « الفن » هو « العمل الفنى » . بما له من قيمة ، لا طبيعة « الفنان » نفسه بما يملك من مزاج خاص !

الالهام أكذوبة ، والفن عمل وعرق

ومهما كان من أمر تلك الملكة السحرية التى ننسبها في العادة الى « الفنانين » ، بل مهما كان

نيتشه

يخلع عن الالهام كل طابع دينى لكي يقدمه لنا بصورة البرق المفاجيء الذى ينير الطريق أمام الفنان .



أمر ذلك « الالهام » الذى قد نجعله وقفا على كبار الشعراء ، فسيظل « الفنان » رجلا عاملا ، او صانعا ، او صاحب حرفة . وآية ذلك ان « النجاح الفنى » ـ في نظر الكثيرين ـ ليس الا مسالة ضمير ، وعمل ، وارادة . و « الفنان » الحقيقى هو ذلك الانسان العامل الذى يعتمد على « الجهد » اكثر مما يعتمد على « المعجزة » ، ويعرف أن المهم هو « العرَق » لا « الالهام » : ولعل هذا ما عناه المثال الفرنسى الكبير رودان Rodni حين وجه حديثه الى شباب الفنانين قائلا : « لا تعتمدوا على الالهام ، فان الالهام اكذوبة او وهم لا حقيقة له ! وأما الصفات التى لابد للفنان من أن يتصف بها ، فهي الحكمة ، والانتباه ، والاخلاص ، والارادة . واذن فحسبكم أن تضطلعوا باداء عملكم بروح العامل النزيه الشريف » . ونحن نجد لدى الكثير من الادباء والنقاد اشارات هامةالى دور « الجهد » في مضمار «الابداع الفنى » ، لدرجة ان البعض منهم ـ وعلى راسهم اندريه جيد Gide قد نظروا الى « العمل الفنى » على انه « مشكلة » قد تم « حلها » وذلك بفضل عملية « التحليل » التى قام بها « الفنان » حين عمد الى تجزئة « المشكلة الكبرى» الى « مشكلات صغيرة » راح يلتمس لها الحلول الجزئية واحدة بعد الاخرى .. وحتى لو سلمنا بوجود « الهام » ، فاننا لابد من أن نجد انفسنا مضطرين الى الاعتراف بان هذا « الالهام » في حاجة الى الكثير من عمليات الضبط ، والتنظيم ، والنقد والمراجعة ، حتى يستحيل الى « عمل فني » متسق ، متوازن ، منسجم ، متكامل . وحين قال مالرو : « ان الفن ليس احلاما ، بل تنظيما لاحلام » ، فانه كان يعنى بذلك أن « قانون العمل » هو القاعدة التى تحكم حياة الفنان ، وان الجانب الاكبر من أعمال « الفنانين » يمثل محاولات شاقة لم تكن تخلو من عسر ، وتعثر ، وتردد ، وتحسر ، ومغامرة ، ومخاطرة ، وقلق ، ولهفة ، وصبر ، وجلد .. الخ .

هل يكون « الفنان » مجرد « صانع » ؟

اذا كنا قد رأينا أن « الفنان » ليس مجرد « انسان عاطفي » ، او مجرد « رجل ملهم » ، فهل يكون معنى هذا أن نحكم على « الفنان » بانه مجرد « صانع » ؟ الواقع ان ثمة سمات مشتركة تجمع بين كل من « الفنان » و « الصانع » ، وتلك هي الاهتمام بالمادة ،والبراعة في تشكيلها وصياغتها، والمهارة اليدوية اللازمة لعملية « الاداء » والمعرفة الحرفية القائمة على « الصنعة » ... الخ . ولكن المشكلة الكبرى التى تواجهنا في هذا الصدد هي تحديد الخيط الرفيع الذى يفصل « الفنان » عن « الصانع » ، مع الاهتمام بالتمييز بين « العمليات » التى يكون « الفنان » فيها مجرد « صانع » ، وتلك التى يكون فيها « فنانا » بحق .

وهنا قد يكون في وسعنا أن نقول ـ بادىء ذى بدء ـ ان الفنان ليس رجل « ادراك » و « تأمل » و « تخيل اجوف » ، بل هو رجل « عمل » و « تحقيق » و « تنفيذ » . وربما كان القانون الاسمى الذى يحكم الابداع البشرى كله هو أن الانسان لا يبدع الا بالعمل وفي العمل . ومعنى هذا أن اهتمام الفنان يتجه اولا وقبل كل شيء نحو « الموضوع » ، لا نحو انفعالاته الخاصة او أهوائه الذاتية . فالفنان هو بالضرورة ذلك « الصانع » الذى يصطدم بمقاومة المادة ، ويسعى جاهدا في سبيل العمل على « تشكيلها » . وهذا هو السبب في انه لابد لكل فن من الفنون من أن يتطلب ضربا من « التخصص » ، و « الدربة » ، و « الممارسة » ... الخ . وقد كان فنانو العصور الوسطى اهل حرفة يعرفون اصول صنعتهم ، ويجيدون استخدام ادواتها ، ويتدربون على ممارسة قواعدها . وما دام « الفن » ـ بطبيعته ـ « حرفة » من الحرف ، فليس في وسع « الفنان » ـ حتى في أيامنا هذه ـ ان يتجاهل دور « التحصيل » في مضمار النشاط الفني . ومهما كان من أمر « الموهبة » التى قد يتمتع بها « الفنان » ، فان هذه الموهبة لا يمكن ان تغنيه تماما عن عملية « تعلم » أصول «المهنة». ولهذا فقد ذهب بعض علماء الجمال الى أن « الموهبة » نفسها لا تحصل الا بفعل « الدراسة» ولا تكتسب الا بمرور الزمن ! وأما اذا احتج البعض بان للاطفال « فنونا » لا تستند الى « المهنة » ، ولا تقوم على « الصنعة » كان رد اصحاب هذا الراى أن « الطفل » لا يمكن أن يعد

« فنانا » بمعنى الكلمة ، لانه لا يملك موهبته ، بل ان موهبته هي التى تملكه (على حد تعبير مالرو) . وقد لا تخلو رسوم الاطفال من سـحر وجاذبية ، ولكنها لا تنطوى على وعى حقيقي أو سيطرة ارادية .

اليد البارعة تفرض على الموضوع انفعالها

ونحن نعرف كيف أن الكثير مـن « الفنـون الجميلة » ترتكز اولا وبالذات علـى ضـرب من « المهارة اليدوية » ، ولا شك ان « اليد » البارعة هي التى تستطيع ان تفرض على « الموضـوع » انفعالها الخاص ، وأن تسجل في « المادة » أعمق عواطفها الذاتية . وحين ينجح اى « عمل فنى » في انتزاع اعجابنا ، فلا بد لمثل هذا العمل من أن يكون قد صدر عن جهد شـاق تكلل في النهايـة بالنصر ، وكان معيار « القيمة الجمالية » هـو مدى نجاح « الفنان الصانع » في الانتصار علـى « المادة المتمردة » . وليس من شان « المادة » نفسها أن تتسبب في ارتفاع صفة « الجمال » عن أى « موضوع صناعى » ، بل لابد من أن يكون السبب في ذلك هو انعدام « العمل » الانساني . وآية ذلك اننا لا نقول عن المنتجات الصناعية انها « اعمال فنية » ، نظرا لانها تخلو من كل اثر من آثار اليد البشرية ، او القلب البشرى ، او الارادة البشرية .. الخ .

والواقع أن « الفن » الحقيقى لا يبدأ الا حيث تنتهى « الحرفة » . وحين يقول أحد المصورين عن لوحة ما من اللوحات « انها لا تنطوى الا على صنعة » ، فانه قد يعنى بذلك أنها « ليست من الفن فى شيء . » وبهذا المعنى يمكننا أن نقـول ان « الفنان » اكثر من مجرد « صانع » ، كما أن « الفن » افضل من « الحرفة » . وآية ذلـك انه اذا كان « الصانع » يحاكى « نموذجا » ما من النماذج ، فان « الفنان » يبتكر « صـورة » مـن الصور . ولكن ليس من شأن « الصورة الفنية » أن تنبثق من دماغ « الفنان » منذ الوهلة الأولى، بل هي لا تظهر الى عالم النور الا من خـلال عمليات الاحتكاك بالمادة ، أثناء قيام الفنون بمهمة « الاداء » او « التنفيذ » وعلى حين أن « الفكرة » ـ في الصناعة ـ تسبق العمل ، وتنظم التنفيذ ، نجد انها ـ في الفن لا تخطر على بال « الفنـان » الا بقدر ما يمضى في اداء عمله . ولو قدر للصانع اثناء قيامه بعملية التنفيذ ـ ان يستوحي صورة جديدة يفرضها على مادته ، بدلا من الاقتصار على صبها في القالب الجاهز المعد لديه من ذى قبل ، لكان عمله هذا اقرب الى « الفن » منه الـى « الصناعة » . وكثيرا ما يمضى الفنان في نشاطـه الابداعي،دون ان يكون على علم سابق بما سوف يفضي اليه عمله ، لكى لا يلبث ان يقف من هذا « العمل » ـ بعد تحققه ـ موقف المتفرج الماخوذ الذى تروعه النتيجة المتحققة ! وليست القصيدة الجميلة ـ بادىء الامر ـ « مشروع » قصيدة ، لكى لا تلبث أن تستحيل من بعد الـى « واقعـة » حقيقية ، بل هي « عمل فنى » يتبدى لصاحبه كذلك كلما اوغل في تحقيقه ! وبالمثل ، يمكننا ان نقول ان التمثال الجميل سرعان ما يبدو كذلكامام ناحته ، كلما مضى في صناعته ، كما ان اللوحـة الجميلة لا بد من ان تتولد رويدا رويدا أمام ناظرى الفنان كلما استمر في عملية تنفيذها .. ولعل هذا ما حدا بالمفكر الفرنسى الان Alain الى القول بان العبقرية الحقيقية لا تتجلى الا في انتاجه « صنعة » محفوظة ، فان من شان «الفنان» العمل المرسوم ، او المنظوم ، او المنغوم ! » .

الفنان صانع يبتكر صنعته الخاصة

واذا كان من‌شان «الصانع» أن يستخدم‌في‌انتاجه « صنعة » محفوظـة ، فان مـن شـان الفنـان ـ على العكس ـ من ذلك ـ أن يبتكر « صنعته » الخاصة . صحيح أن « الفنان » يبدأ حياتـه المهنية بتعلم بعض الاساليب ، والحيل ، والمهارات، و « الوصفات » ، ولكنه سرعان ما يجد نفسـه مضطرا الى البحث عن « صنعة » شـخصية ، اصيلة ، مبتكرة ، حتى لتكاد « صنعته » تصبـح بمثابة جزء لا يتجزأ من صميم « شخصيته » ومـا دام « الفن » لغة او اسلوبا من اساليب التعبير ، فليس بدعا أن نجد الفنان يعلق أهمية كبـرى على « محاولاته التكنيكية » ، وكانما هي صميم « فنه » . وهذا هو السبب في أن الابـداع الفنى

قلما يتخذ طابع « الممارسة » العادية التي يقتصر فيها « الفنان » على استخدام بعض « المهارات » المكتسبة ، على نحو ما يحدث - مثلا - في مضمار « الصناعة » او « الحرفة » . وفضلا عن ذلك ، فان كل « عمل فنى » جديد يحققه الفنان ، لابد من ان يضع كل « وسائله » المعروفة موضع التساؤل ، وكان « الفنان » يلتمس لنفسه « تكنيكا » جديدا ، او كانما هو يحاول العثور على « منهج » فنى اصيل لم يسبق لاحد الاهتداء اليه . واذا كان « الصانع » هو في حاجة ماسة الى « الفنان » (لانه لولا « الفن » لهبطت « الصناعة » الى مستوى « العمل الآلى » او « الانتاج الوضيع ») ، فان « الفنان » - على العكس من ذلك - لا يحتاج الى « الصانع » (لانه هو نفسه - الى حد كبير - « صانع ») . ومن هنا فقد يكون في وسعنا ان نقول انه مهما يكن من أهمية « الحرفة » او « الصنعة » في مضمار النشاط الفنى ، فسيظل « الفنان » اكثر من مجرد « صانع » ، لانه لابد من ان ياخذ مكانه بين زمرة « الباحثين عن القيم » ، ان لم نقل « مكتشفى القيم » ..

اخيرا : هل يكون « الفنان » هو « الباحث عن القيم » ؟

لقد كان فرويد يقول ان معظم الفنانين هم جماعة من « النرجسيين » ، بينما ذهب غيره من علماء النفس الى أن شخصية الفنان لابد بالضرورة من ان تكون شخصية عصابية . ونحن نقول ان الفنان قد يكون صاحب شخصية انطوائية . ولكنه قلما يقع فريسة للعصاب ، نظرا لانه يتسامى بغرائزه عن طريق الصور الجمالية التى يبدعها ، ويتجاوز عالم الواقع من خلال الاعمال الفنية التى يحققها . وقد يكون ثمة « شذوذ » في ان يقضى الفنان حياته في البحث عن عوالم وهمية يستعيض بها عن العالم الواقعى ، او في ان ينصرف المرء عن انتاج اشياء نفعية من اجل العمل على رسم لوحات او صنع تماثيل او خلق شخصيات روائية ، ولكن من المؤكد ان الفنان يضحى بحياته الخاصة وسعادته الشخصية في سبيل اشباع تلك « السورة الابداعية » التى تدفع به دائما ابدا نحو الجدة والاصالة والبكارة والنضارة ! والحق ان الفنان هو ذلك الانسان الذى لا يكف عن ارتياد الاصول ، والبحث عن المصادر ان في ظلمات الشعور ام فى طوايا اللاشعور ، وكانما هو يحاول باستمرار الارتقاء الى المصادر الاصلية ، والارتواء من الينابيع النقية ! واذا كان ثمة اناس يهربون بطبيعتهم من هذا العالم السطحى المبتذل الذى نحيا جميعا في كنفه ، ويعملون دائما ابدا على استرجاع النضارة الاولى او البكارة الاصلية لهذا الوجود البشرى الذى قد قذف بنا جميعا الى احضانه ، فما هؤلاء الناس سوى جماعة « الفنانين » . واذا كان الفنانون يملكون في العادة ضربا من العيان الجمالى للعالم ، فما ذلك الا انهم يرون « الكون » من خلال ذلك الاحتكاك المباشر الذى اصبح يعوز الانسان العادى . وحسبنا ان نمعن النظر الى « الفنان » ، لكى نتحقق من انه في حالة ترقب دائم وتاهب مستمر ، وكانما هو يطارد الاحاسيس ويتصيد الانطباعات ، باحثا باستمرار عن القيم الجمالية الجديدة ، والمعانى الوجدانية الاصيلة .

.. ان الفنانين - في الحقيقة - لهم الباحثون عن القيم : فهم مكتشفون لا يهدأ لهم بال الا حين تطأ اقدامهم ارض ميناء جديد ! وليس علينا - نحن متذوقي الفن - سوى أن نلاحق اولئك الرواد الممتازين في جولاتهم الكشفية التى لا تكاد تعرف نهاية ! واذا كان لهذا « الترف الكمالى » الذى يسمونه بالفن قيمة حيوية كبرى ، فما ذلك الا لانه يمدنا دائما بمتع جديدة لم تكن في الحسبان، بل لانه يقدم لنا بين الحين والآخر اسبابا جديدة للحياة وحب الحياة . والحق ان كل نجاح تحرزه القيم على يد « الفنان » انما هو انتصار لنا اجمعين : فالفنان الذى ياتينا بالنغمة الجديدة ، او الشكل الجديد ، او الطعم الجديد ، او الرائحة الجديدة ، انما يخدم الانسانية جمعاء . وكل ما من شانه ان يرهف حواسنا ، او ان يرقق مشاعرنا ، او ان يعمق مداركنا ، انما يزيد من خصب وجودنا البشرى . وما كان لهذا كله ان يتم من تلقاء نفسه، بل لقد كان على « الفنان » في كل زمان ومكان ان يكون مصارعا جريئا لا يصرفه عناد المادة عن العمل

على اجتلاء اسرارها . وهكذا كان الفن دائما ابدا صراعا عنيفا ضد المادة ، لا مجرد تامل عقيم او عيان لاه . وما يزال الفن الى يومنا هذا انتاجا جهيدا يستثير طاقاتنا ، ويستحث قوانا على التسامى ، ويضع تحت انظارنا نموذجا حيا للعمل المتقن ، والاداء الحاذق على الوجه الاكمل . واذا كانت الصناعة اليدوية في صميمها انتصارا ، فان العظيم ايضا لهو في صميمه نصر كبير تحققه الروح في صراعها المستمر ضد المادة .. وهل كان الفنان الا ذلك الرجل الذى يعشق مهنته ، ويجد لذة كبرى فيما تصنع يداه ، ويرى أن أثمن مكافأة يمكن ان يظفر بها هى اغتباطه بتحقيق عمل جيد ؟ .

الفنان حامل رسالة

على ان « الفنان » ـ في الحقيقة ـ ليس مجرد انسان يحيا لذاته ، ويعمل من اجل اشباع حاسته الفنية ، بل هو ايضا انسان يحمل « رسالة » ، ويشعر انه ينطق باسم « قوة عليا » تعلو على شخصه . ولعل هذا هو السبب في ان الفنانين كثيرا ما كانوا يشعرون بان لهم « حياة اخرى » تعدو نطاق وجودهم الزمانى الذاتي ، وكأنما هم موجودات موضوعية لا شخصية (على حد تعبير يونج) ، أو كأن الواحد منهم هو « الفنى » نفسه ، لا مجرد « شخصه » من حيث هو موجود بشرى ! ومن هنا فقد ذهب بعض علماء الجمال الى ان « حقيقة » الفنان لايمكن ان تكون هي تلك « الحقيقة التاريخية » التي يملكها فرد واقعى نستطيع ان ندرس سيرته او ان نحلل تطوره الروحى ، بل هي تلك « الحقيقة الجمالية » الماثلة في صميم عمله الفنى ، او هي ذلك « الانسان » الحاضر في صميم « عمله الفنى » . ولو اننا قلنا عن « الفنان » انه الرجل الذى يختار ان يكون في « عمله » ، بدلا من أن يكون في « العالم » او في « التاريخ » ، فقد لا نجانب الصواب اذا جعلنا من « الفنان » قوة فعالة تستخدمها « القيم » للتحقق في دنيا الناس !

واذا كنا نلمح لدى الكثير من الفنانين احساسا واضحا بان الحياة الحقيقية ـ بالنسبة لهم ـ لا تكمن الا في دنيا « العمل الفني » ، فما ذلك الا لان هؤلاء الفنانين قد شعروا بانهم ينطقون باسم « حقيقة عليا » تريد لصوتها ان يبلغ الجماهير ! ومعنى هذا ان « الفنان » كثيرا ما يكون مجرد « وسيط » يلتقى « العمل الفنى » من خلاله بالجمهور . ومن هنا فقد يصح لنا أن نقول ان « الفنان » ايضا هو ذلك المخلوق الذى لا يحيا لنفسه ، بل للآخرين !

والحق ان الفنان بعيد كل البعد عن ان يكون مجرد مخلوق نرجسي يقتصر على تامل ذاته ، او تملى جماله ! انه موجود مبدع يضع بين ايدينا انتاجه الفنى ، واثقا من أن « العمل » الذى يقدمه لنا لا بد من أن يكون بمثابة رسالة تعبيرية تبعث بها « الانا » الى « الانت » . وليس من شان الفنان ان يسلبني عالمي الخاص ، او ان يقهرني على النفاذ الى عالمه الخاص ، بل هو يفتح امامى عالمه ، حتى افتح قلبى له ! ونحن لانعرف « الفنان » الا من خلال ذلك « العالم الشخصي » الذى ننفذ اليه حين ندرك ما في « عمله الفنى » من تعبير وجداني . وبهذا المعنى قد يصح لنا ان نقول ان الفنان يعطينا درسا عمليا في « التواصل Communication » لانه هو الذى يخرجنا من قواقعنا الذاتية ، لكى ينقلنا الى تلك العوالم الفنية الجديدة التى قد تؤلف بين قلوبنا ، وتوحد بين افكارنا ... الخ . وحين يؤوب الفنان من احدى رحلاته الكشفية ، فانه لا بد من ان يشعر بالحاجة الى الالتقاء بالاذان الصاغية ، والعيون المتفتحة ، والقلوب الواعية ، لانه واثق من انه لاقيمة لكشف لا تسمع به اذن ، ولا تقف عليه عين ، ولا يطرب له قلب ، صحيح ان الكثير من الفنانين لايولدون الا بعد موتهم ، ولكن الفنان في العادة لايحيا الا في ضمير الجمهور ، وهو لا يملك سوى ان يكون « قيمة » تهتز لها افئدة الناس !

... ومعذرة في النهاية ـ ياقارئى ـ اذا كنت قد حدثتك عن « الفن » اكثر مما حدثتك عن « الفنان » ! الم اقل لك منذ البداية ان « العمل الفنى » نفسه هو « الفن » و « الفنان » ؟! ■■

زكريا ابراهيم

الأصول العربية للكوميديا الالهية

لدنتي الليجيري

ـ حلقة رائعة من حلقات السيرة النبوية الكريمة

ـ وردت عنها فى القرآن الكريم اشارات صادقات

ـ وروى أهل الحديث عنها احاديث شتى ما بين حسن وضعيف

ـ ومن هذا كله صاغ خيال الشعب العربى المؤمن قصصا حافلا

ـ واضاف الى ذلك ادباء موهوبون كابى العلاء وابى عامر بن شهيد صورا ادبية طريفة ممتعة

ـ وعلى اساس ذلك آنشا الصوفية واهل القلوب صورا مبدعة لعالم ما بعد الموت كلها تعبير عن الشوق الى الله .

ـ ومن ذلك كله تكوّن أدب المعراج الكبير الحافل بكل طريف

ـ وانتقلت صوَر من « المِعراج » الى الغرب واخذها دانتي وصاغ عنها كوميديته الالهية

ـ وكشف السر مستشرق اسباني صادق موهوب هو آسين بلاثيوس فى بحث يعتبر من روائع ابحاث الادب المقارن فى كل العصور ..





بقلم الدكتور
حسين مؤنس

الظروف التي وقع فيها الاسراء والمعراج

كان الاسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة الى بيت المقدس ثم عروجه منها الى السماء ليلة السبت ١٧ رمضان سنة ٢ قبل الهجرة على ما يجمع عليه أهل السيرة والتاريخ ، وهذا التاريخ يقابل ٢٣ أغسطس سنة ٦٢٠ ميلادية .

وفي ذلك الحين كان الرسول الكريم يجتاز أعسر فترة من فترات كفاحه في سبيل الدعوة : كان الجانب الأكبر من أصحابه قد هاجروا الى الحبشة يعانون فيها من نفى اختاروه بأنفسهم نجاة بدينهم ، فبقي صلى الله عليه وسلم في نفر قليل جدا من أصحابه .

وكان الحصار الذى ضربته قريش على بني هاشم وبنى عبد المطلب قد رُفع وانتهت المقاطعة في أوائل السنة الثالثة قبل الهجرة (٦١٩ م) ، ولكن الحصار كان قد أتى على أموال أهل البيتين وضاعت تجارات الكثيرين منهم ، فلما مات أبو طالب قرب نهاية تلك السنة الثالثة للهجرة كانت القوة في مكة قد انتقلت الى أيدى أهل المال والجاه من بنى عبد الدار ومخزوم وتيم بن مرّة وسهم وجمح ، فضيقوا الخناق على الاسلام والمسلمين ،

وعندما صارت رياسة بني عبد المطلب الى عبد العزى المعروف بأبي لهب تبين رسول الله أن مستقبل الدعوة لم يعد في مكة أصلا ، وان شجرة الاسلام يجب أن تبحث عن تربة صالحة جديدة تضرب جذورها فيها وهواء جديد فسيح تتنفس فيه ..

وبعد موت أبي طالب بقليل جدا ـ يقال ثلاثة ايام ـ ماتت السيدة خديجة زوج الرسول وصاحبته الوفية ورفيقة ايام الرخاء والهدوء قبل البعثة وايام الكفاح والآلام بعد البعثة ، ذهبت الى ربها وسحابات الحزن تظل حياة زوجها العظيم . وقد خلفت له بناتها رُقية وأم كلثوم ـ وقد طلقهما زوجاهما ولدا أبي لهب ـ وفاطمة وكانت لا تزال اذ ذاك صبية صغيرة .

ولا ندري ان كان الاسراء قد حدث قبل خروج الرسول الى الطائف او بعده ، فان معظم كتب السيرة تقول ان الخروج الى الطائف كان في شوال سنة ١٠ من البعثة اي بعد الاسراء بشهر ، ولكنها مع ذلك تضع الاسراء بعد الطائف في ترتيب الحوادث ، بل ان بعضها يجعله قبل الهجرة بسنة واحدة ..

على اي حال كان الاسراء والمعراج خلال اقسى ظروف مرت بمحمد صلى الله عليه وسلم وجماعة المسلمين في مكة كما رأينا .

وكان الرسول ليلة الاسراء في بيت أم هانيء بنت أبي طالب ، وهي ابنة عمه وكان كثيرا ما يلجأ الى دارها يلتمس شيئا من الراحة والهدوء اثناء الصراع العنيف الذي كان يخوضه مع أعداء الاسلام من ناحية ومع متاعب الايام من ناحية اخرى .

وكانت أم هانيء أول من سمع حديث الاسراء والمعراج من الرسول ، وقد نصحته بالا يحدث به الناس فان ذلك ـ في رأيها ـ يفتح الباب لقريش للنقد والهجوم والتكذيب ، ولكن الرسول كان لابد ان يبلغ كل شيء ، والبلوغ من واجبات الرسالة الاولى . فتحدث به وتناقله الناس ما بين مصدق ومكذب ، وأحرج نفر من المسلمين فتخلوا عن الاسلام ليخلصوا من سخر قريش ونقدها اللاذع ، وآمنت بالحديث البقية الباقية الصالحة وعلى رأسها أبو بكر الذي أعلن يومها انه يصدق محمدا في كل ما قال وكل ما يقول ، فسمي الصدّيق واكتمل اسمه فاصبح أبا بكر الصديق .

الاسراء والمعراج في القرآن الكريم

وقد ذكر الله سبحانه الاسراء في الآية الاولى من سورة الاسراء وهي السابعة عشرة من سور القرآن : (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا ، انه هو السميع البصير).

اما المعراج فيرى المفسرون انه هو المقصود بالآيات ١ ـ ١٨ من سورة النجم وهي الثالثة والخمسون من سور القرآن ، فيها اشارات ودلالات كانت فيما بعد ميادين واسعة للخيال الشاعري الاسلامي فيما ابتكر من الصور على اساس المشاهد التي رآها رسول الله (صلعم) في صعوده الى السماوات ومروره بالجنة والنار والاعراف وساورد فيما يلي نص هذه الآيات وما تضمنته من اشارات :

« والنجمِ إذا هَوَى ، ماضَلَّ صاحِبُكُمْ وما غَوَى ، وما يَنْطِقُ عنِ الهَوَى ، إنْ هُوَ الا وَحْيٌ يُوحَى ، علَّمه شَدِيدُ القُوَى ، ذُو مِرَّةٍ فاسْتَوَى ، وهُوَ بالأُفُقِ الأَعْلَى ، ثُمَّ دَنَا فتَدَلَّى ، فكانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ، فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ ما أَوْحَى ، ما كَذَبَ الفُؤادُ ما رَأَى ، أَفَتُمارُونَهُ على مايَرَى؟ ، وَلَقَدْ رآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ، عِنْدَ سِدْرَةِ المُنْتَهى ، عِنْدَها جَنَّةُ المأْوَى ، إِذْ يَغْشَى السِدْرَةَ ما يَغْشَى ، مازاغَ البَصرُ وما طَغَى ، لَقَدْ رأَى مِنْ آياتِ رَبِهِ الكُبْرَى »

وقد كانت كل كلمة من هذه الآيات الرائعة مفتاحا لميادين واسعة من المناقشات بين أهل العلم والتفسير ، وميادين اوسع من الخيال المبدع

عند اهل التصوف وارباب القلوب واهل الخيال والفن في جماهير المسلمين ..

ما هو الافق الاعلى واين يكون ؟

وكيف كان قاب قوسين او ادنى ؟ وادنى من أين ؟

ثم « ما المراد ، بما كذب الفؤاد ما رأى » ؟ هل الرؤية تكون بالقلب ؟ واذا كانت فهي اذن كانت كلها رؤية قلب اي احساسا لا رؤية عين ومشاهدة.

وما المراد بالمنزلة الاخرى ؟ مرة اخرى ؟ ربما وربما لا ..

وسدرة المنتهى ما هي ؟ أهي شجرة هائلة وارفة الظلال «ورقها كآذان الفيلة وثمرها كالقلال» كما جاء في احد الاحاديث ، ام هي آخر مكان ينتهي اليه الصاعد الى السماء من الانبياء والمرسلين والهابط من السماء من الملائكةالمقربين ، فهي حد ما بين السماوات والارض « يخرج من اصلها انهار من ماء غير آسن ، وانهار من لبن لم يتغير طعمه ، وانهار من خمر لذة للشاربين » ؟ ام هي « شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين عاما ، وان ورقة منها لتظل الخلق كله » ؟ ام هي نجم معروف في السماء اسمه في علم الفلك القديم Sedera Uctima وهي تقابل بالضبط لفظ سدرة المنتهى ؟

وما هي جنة المأوى ؟ هل هي الجنة التى وعد بها المتقون ام هي جزء منها واقع قرب سدرة المنتهى على الحدود بين عالم الارض وعالم السماء؟

ثم ، ما الذى غشى السدرة ؟ هل غشاها — اى مر بها فراش هائل منالذهب ؟ كما تقول الحكايات.

والبصر الذى ما زاغ وما طغى . ما امره هو الآخر ؟ كانت اذن رؤية ثانية ؟ الاولى كانت بالقلب والثانية كانت بالنظر ؟

وآيات ربه الكبرى ما هي ؟

اهي نفس (الايات) الواردة في اول سورة الاسراء ؟

اسئلة بعد اسئلة تتوارد على الذهن ، والقلب. والانسان يقرأ هذه الايات الروائع التى يحس نورانيتها الكاملة الصوفي المشرق بروحه نحو ملكوت الله سبحانه ، والشاعر الملهَم الذى تتوالى في ذهنه وهو يقرأ الايات صورا بعد صور من الجمال والخلق والابداع تصاحبها انغام سابحة في السموات التى تليها سماوات ..

كيف نشأت حكايات الاسراء والمعراج في عالم القصص

وقد فصلت الاحاديث النبوية بعض ما اجملته آيات القرآن .

ولدينا من هذه الاحاديث جمع حاشد مفرق في الصحاح والمسانيد وكتب الشمائل النبوية من امثال عيون الاثر لابن سيد الناس ، ودلائل النبوة للبيهقي ودلائل النبوة لابى نعيم وكنوز الحقائق للمنادى والشفا في التعريف بحقوق المصطفى للقاضي عياض ، ثم كتب السيرة المعروفة واصول التاريخ الاسلامى كالطبرى وتفاسير المفسرين من الطبرى الى الالوسي .

وتتفاوت هذه الاحاديث من حيث الصحة وعدمها ، ويتفاوت اهل سندها من حيث الجرح والتعديل ، ومن أهل العلم من يتحفظ منها كلها مكتفيا بما ورد في القرآن الكريم مؤمنا بان الله سبحانه اسرى بعبده ورسوله ونبيه محمد الى المسجد الاقصى ، ثم عرج به الى السماء حيث رأى من آيات ربه الكبرى ، ولا شأن لهم بعد ذلك بما رأى ، فعلم ذلك عند الله سبحانه وتعالى ونبيه الكريم .

ولكن خيال الشعب المؤمن لم يشأ ان يتقيد بحدود اهل العلم .

وابى اهل التصوف والوجد والشطحات ان يقفوا عند ما وقف عنده الفقهاء ..

هؤلاء واولئك ذهبوا الى مدى بعيد في التصور والخيال .

ونشأت عن ذلك — حول الاحاديث النبوية الاولى — احاديث اوسع واكثر تفصيلا ، واقاصيص ذات تصور شعرى جمالى هو الغاية في الخلق والابتكار ..

وخلال القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى، عندما اتسعت آفاق الحضارة الاسلامية وشمل رواق الاسلام امما كبرى ذات حضارات زاهرة ، اصبحت اقاصيص المعراج لونا ادبيا قائما بذاته حشدت فيه شعوب المسلمين ايمانها الساذج مصوغا في قوالب من حضاراتها الذاهبة ..

نشأت حكايات معراج في الهند ، واخرى في ايران والعراق ، وثالثة في الشام والعراق ، ورابعة في المغرب واخرى في الاندلس .

وقد تفاوتت هذه الحكايات فيما وصلت اليه من درجات الجمال وصور الفن ، لان الامر خرج

عن نطاق العلم والاحاديث النبوية واصبح موضوع أدب شعبي ينطلق فيه الخيال بغير حدود ويعبر فيه الايمان عن نفسه بدون قيد .

فمن كتب المعراج قِطَع فنية اصيلة نجد فيها تناسق العمل الفني الصحيح وصدق تصويره واصالة العاطفة التي يعبر عنها ..

ومن هذه الكتب ما هو بعيد عن الفن الصحيح، فهي مجموعة تصاوير وتهاويل وشطحات بعضها يقبله الذوق وبعضها الاخر لا يقبله ..

وكما هي العادة سقطت في قاع التيار النماذج الجافية البعيدة عن الفن والصدق والاحساس ، وبقيت في عالم الاسلام مجموعة من كتب المعراج ذات اصالة وصدق وحسن تصوير .

ووصل بعض هذه الكتب الجيدة الى اوربا خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين ، وترجمت الى اللاتينية وبعض لغاتها الناشئة اذ ذاك ، وعرفت باسم كتب المعراج Almirach حتى لقد دخل هذا اللفظ الى اللغة الفرنسية في صورة Le mlirage ويراد به الخيال البعيد عن التصديق او السراب .

وقد اختلطت في هذه الاقاصيص صور المعراج بصور اخرى عن عالم ما بعد الموت أبدعها بعض مفكري المسلمين .

ورحلات خيالية الى عالم ما بعد الموت

وفي نفس الوقت ابدع الخيال الاسلامي العربي نموذجا من صور العالم الاخر يتجلى في رحلات خيالية أو رؤى يزود الشاعر أو الاديب التائه عالم ما بعد الموت ويتحدث الى بعض من فيه من أهل الشعر والنثر والظاهرين من الناس .

ولدينا من هذا الطراز رسالتان هما من امتع ما كتب العرب ، الاولى رسالة الغفران لابي العلاء المعري والثانية رسالة التوابع والزوابع لابي عامر بن شهيد الاندلسي .

ففي رسالة الغفران نجد الشاعر يتصور نفسه في زيارة الى عالم غير ارضي ، لا هو الجنة ولا هو النار ، وانما هو وجود آبد أو انتظار طويل ، وفي هذا العالم يلقى نفرا من الناس ويجري الحديث بينهم وبينه ، وهو في الغالب حديث ساخر فيه عبث بمن يتحدث عنه ودعابة معه وربما رثاء لحاله ، فميدان الرحلة في رسالة ابن القارح والرد عليها ، مدائن ليست كمدائن الجنة ، ولا عليها النور الشعشعاني ، وهي ذات اوصال وخماميل . فيقول لبعض الملائكة : ما هذه يا عبد الله ؟ فيقول : هذه جنة العفاريت الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وذُكروا في الاحقاف في سورة الجن ، وهم عدد كبير . ثم تقول رسالة الغفران بعد ذلك : فيقول ما اسمك ايها الشيخ ، فيقول انا الخيتعور احد بني الشيعان ، ولسنا من ولد ابليس ، ولكنا من الجن الذين كانوا يسكنون الجنة قبل مولد آدم صلى الله عليه . »

وفي رسالة ابن القارح نجد هذا الرجل يقوم برحلة في عالم البقاء راكبا جملا كريما من جمال الجنة خلق من ياقوت ودر . فنذكر بعض تفاصيل البراق وهو الدابة الطائرة التي حملت محمدا صلوات الله عليه من شعب ابي طالب في مكة الى الصخرة في المسجد الاقصى ، ثم نجد ابا العلاء يصل الى الجحيم فيرى ابليس مضطربا في سلاسله ويمر في اثناء ذلك بعدد من الشعراء ، فيجد في النار بعض من كان يتوقع لهم الجنة ، ويجد في الجنة جماعة كان ينبغي ان يكونوا في النار ، ويسالهم عن السبب فيجد انه قد غفر لهم بسبب ابيات في الشعر قالوها ، ونفهم من كلام ابي العلاء انه غير مقتنع بان هذا الشعر يبلغ ان يستاهل صاحبه الغفران .

اما رسالة « التوابع والزوابع » فقريبة من رسالة الغفران وان لم تصل الى شأوها ، فصاحبها ابو عامر احمد بن ابي مروان بن شهيد القرطبي الاندلسي (توفي ٤٢٦/١٠٢٤) فنان شاعر ذو ملكة اصيلة ، ولكنه ليس من اصحاب الفلسفات او النظر الجاد الى الحياة ، انما هو فنان « بوهيمي » اذا جاز لنا أن نستخدم هذا الوصف هاهنا ، وهو موهوب يبهر العقل بما يأتي به من لمحات خاطفة ، ورسالة التوابع والزوابع رحلة الى عالم الارواح ، أرواح الشعراء والكتاب ، فان لكل اديب موهوب تابعا يلهمه بديع الافكار وزابعا يلقي في خاطره السيىء منها والقليل القيمة .

في هذه الرسالة نرى ابا عامر بن شهيد يتجول

في وادي الجن ويلقى شعراء كثيرين يستنشدهم فينشدونه فيمضي ساخرا منهم لا يكاد يوقر منهم واحدا ، لان ابن شهيد كان ذا ملكة ادبية خالصة لا ترضى الا عن اجود الجيد . وما يهمنا هنا ان الاشخاص الذين يلقاهم اشخاص حقيقيون نعرفهم بأعيانهم في تاريخ الفكر الاندلسي ، وما اورد ذكرهم الا ليقول آراء فيهم وليعرض كذلك انظاره في الادب والمجتمع والحياة .

عالم ما بعد الموت عند محيى الدين بن عربي

نوع رابع من صور ما بعد الموت يأتينا به المتصوفة ، وقد قلنا في مطلع هذا الحديث ان حديث الاسراء والمعراج كان بعيد الصدى في قلوب صوفية المسلمين وان صوره ظلت تخلب البابهم على مر العصور ، بل ان من فلاسفة المسلمين الذين حلق بهم تفكيرهم الفلسفي في مدارج الايمان العالية من يتحدثون عن تسامي نفس المؤمن الى السماوات حتى يطلع على بعض ما فيها ، فابن سينا يستعير صورا من « المعراج » في « رسالة الطير » فيتخذ من الطيور رموزا للارواح ويقول ان ارواح اهل الخطايا يطلقها الموت من ابدان اصحابها تحلق في السماء صاعدة الى بارئها ، وهي تعبر في هذا التحليق ثمانية أجبل هي رموز لمعاص ثمان بعددها ، فاذا اجتازتها وصلت الى رحمة الله فاضفى عليها استار الغفران .

ولم يبدع في تصوير « المعراج » احد من صوفية المسلمين كما فعل محيى الدين بن عربي المرسى أمير صوفية الاسلام بل أمير متصوفة الدنيا على مر التاريخ .

توفي ابن عربي سنة ٦٣٧/١٢٤٠ أى قبل مولد دانتي بخمس وعشرين سنة ، وقد طاف ابن عربي بلاد الله ودخل ارض النصارى كما عاش في ارض الاسلام ، واجتذب قلوب اهل الورع من المسيحيين واستوقف أنقياءهم حتى لقد اتخذه رايموندو لوليو اماما ونموذجا واجتهد في محاكاته . وبالاضافة الى ما اورده ابن عربي في « الفتوحات المكية » من صور الجنة والنار نجده يخصص رسالة للاسراء يسميها « كتاب الاسرا الى مقام الاسرى » وهذه ، الاسرى الثانية (بفتح الهمزة) هي افعل التفضيل من سَرِيَ ، والاسرى هو الله سبحانه .

في هذه الرسالة يتصور الصوفي المرسى عروجا الى السماء بالروح ، وهو يصف لنا كيف صعدت الروح خلال الافلاك متنقلة من فلك الارض الى فلك القمر الى فلك المشترى الى فلك الزهرة ، وهكذا ، وهي لا تجتاز هذه الافلاك على البراق وانما على الرفوف ، وهو الذى تصفه حكايات المعراج بانه « غصن غار يتشعع منه النور » وهو الذى « دنا فتدلى » ليرفع محمدا صلوات الله عليه من « سدرة المنتهى » الى سماوات القدرة ..

وعندما يصل ابن عربي « بروحه » الى سماء النور لا يتجاوز مكانه في حين ان محمدا (صلعم) اقترب من نور الله سبحانه وكلمه وصلى مع الملائكة الابرار ..

المهم لدينا أن ابن عربي وضع في وصف رحلته كل ما اتصل بعلمه من اسرار المعراج وتفاصيله سواء أكانت من اصول دينية او ادبية أو شعبية خالصة ، فقد كان ابن عربي واسع العلم لم يترك شيئا الا قرأه ، وقد استوعب اقوال التفاسير واصحاب الحديث وكتابات الادباء والشعراء واورد من ذلك كله اطرافا في اوصافه لرحلته ، فهو يحدثنا عمن لقى من الانبياء في كل ذلك من الافلاك ، وهو لم يتحدث معهم بنفسه لان ايمانه لم يسمح له بذلك بل مع عقولهم الخالدة في مدارات الافلاك التى اختص الله كلا منهم بواحد منها .

وهو يمر في اثناء ذلك بالجنة والنار وبالاعراف ، وهذا الاخير هو الذى يهمنا هنا ، لان حكايات المعراج تتحدث عن الجنة والنار أما الاعراف ، وهو عالم ما بين الجنة والنار فلا ذكر له الا في بعض كتب التفسير وفي تصورات أهل الادب كما رأينا في رسالة الغفران ورسالة التوابع والزوابع .

واذن فقبل ان يولد دانتي بربع قرن كانت هناك الى جانب قصص المعراج الكثيرة قصة صوفية جمعت الكثير مما تضمنته القصص الشعبية من التصورات ، واضافت الى تصورات الناس صورا رفيعة من الصعود الى السماء بعضها ادبى متق تبدو فيه يد الفن بوضوح . وبعضها روحى خالص يبدو فيها اشراق النفس الانسانية باضواء الجلال الربانى . وهذه الصور كلها لم تكن مقصورة على

بلاد الاسلام بل انتقلت الى بلاد اوروبا وعرفهـا كثير من الناس اما عن طريق ترجمات مباشرة او نقول متناثرة .

دانتى والكوميديا الالهية

وقد ولد دانتى الليجييرى Dante Alighieri في مدينة فلورنسا سنة ١٢٦٥ ، وتفتح في شبابه الباكر عن شاعر موهوب ينبض شعره رقة وعذوبة وسموا ، وكان فلورنسيا اصيلا فلم يستطع ان يقيد ابداعه الشاعرى في قوالب لاتينية كما جرت عادة الناس في عصره ، بل انشا يقول الشعر بالايطالية . فكان هذا طفورا بعيد المدى باللغة الايطالية وآدابها ..

وقد آثار دانتى اعجاب الناس بكل ما قال ، ولكنه بهرهم بمنظومة رائعة صاغها على غير مثال هي « الكوميديا الالهية » وهى في الحقيقة ملحمة كبرى تصف رحلة الشاعر في عالم ما بعد الموت ، وقد قسمها الى ثلاثة كتب: المتطهر (البورجاتوريو) والنار (الانفرنو) و الفردوس (البراديسو) ، ووضع في كل قسم من هذه من الصور الرائعة المبدعة ما حير العقول . فان الخيال البشرى لم يصل قط الى مثل هذا التصور الخلاق ابدا ؛ وفي سنوات قلائل بعد نشر هذا الديوان الشاعرى العظيم اصبح دانتى واحدا من شعراء الانسانية الخالدين ، وفاق شعراء اليونان واللاتين وتربع اميرا للشعر الانسانى حتى ظهر وليام شيكسبير بعده بثلاثة قرون تقريبا .

آسين بلاثيوس ، واصول الكوميديا الالهية

في اوائل هـذا القـرن العشرين كـان راهب مستشرق اسبانى هو مجيـل آسين بلاثيـوس Miguel Asin Palacios يدرس الفلسفة الاسلامية في هدوء الرهبان وصبر اهل العلم ، وقد استوقف ابن عربي المرسى اهتمامه فمضى يدرسه في صبر ، فاذا هو يقرأ في صفحات الفتوحات المكية فاستوقفت انتباهه صور وملمحات تذكر انه قراها قبل ذلك عند دانتى ، وكان مجيل آسين رجلا موسوعيا قرا فاوعى ، وعندما وصل الى الجزء الثالث من الفتوحات وجد في الفصل ٣٦٧ (ص ٧٧؛ - ٤٦٥) صورة للمعراج الاسلامي لم يشك وهو يقراها في ان هذه لا بد ان تكون اصلا من اصول دانتى في الكوميديا الالهية .

وهنا تجرد الرجل للعمل بمنهج اهل العلم الدقيق ، فاخذ يجمع كـل ما ورد في الاصول العربية عن « المعراج » بادئا بتفاسير القرآن الكريم ثم بالاحاديث النبوية ، واستوقفت نظره الاحاديث لانها هي الاصل الذى قام عليه بناء حكاية المعراج في الادب العربي .

وقد وجد الرجل ان هذه الاحاديث كثيرة جدا ، ولم تكن المسالة بالنسبة له مسالة اصالة الاحاديث او عدم اصالتها ، فان بحثه يخرج تماما عن نطاق الدين وينصب على موضوع ادبى صرف . والذى يهم هنا هو التصور الفنى بصرف النظر عن مصدر الحديث وسنده .

وقد تبين آسين عن سبيل الدرس والمقارنة ان هذه الاحاديث تنقسم الى مجموعات تصور في تطورها تطور قصة المعراج في الادب العربي شعبيا كان ام غير شعبى .

استبان آسين ثلاثة اطوار للتطور العام لقصة المعراج ، وفي كل طور منها صور مختلفة تميزها عما سبقها ، ففي الطور الاول نجد ان قصة المعراج تقتصر على الاسراء فحسب ، فهي تحكى الحكاية كلها وكانها وضعت على الارض بعد وصول محمد صلى الله عليه وسلم الى بيت المقدس : هنـاك لقى الانبياء وصلى بهم ، وهناك راى الجنة والنار واقترب من النور الالهي .

وفي الطور الثانى - وله ثلاث صور - نجد قصة المعراج تدخل في الصلب ، وتصبح حكاية المعراج مقسمة الى جزاين كبيرين الاول هو الاسراء وما دفع فيه ، ثم العروج الى السماء وما صـادف الرسول الكريم اثناءه .

وفي الطور الثالث تصبح قصة المعراج عروجا كلها ، الى قصة الرحلة خلال السماوات والمرور بالجنة والنار وارض الاعراف . هنا تصل القصة الى ذروتهـا جمـالا وصياغة . حقـا ان بعـض الصياغات المتداولة في ايدى الناس لا ترقى الى مستوى الفن ، ولكن هناك صياغات جميلة حقا ، وجديرة بان تكون موضع دراسة والهام .

ثم اخذ آسين تفاصيل صور الجنة والنار وارض

الاعراف الواردة في القصص الاسلامي كله ، صورة صورة ، ومضى يلتمسها في اقسام ملحمة الشاعر الالهي (كما يلقب) فوجد ان المطابقة لاتقتصر على الصور العامة فحسب بل تتعدى ذلك الى التفاصيل الصغيرة ، بل هناك كلمات وتعبيرات عربية دخلت ملحمة دانتي بمقابلاتها الايطاليـة الدقيقة .

صور متشابهة فى هذه وتلك

وساكتفى هنا بايراد بعض وجوه التشابه ـ او النقل ـ لان المجال لا يسمح الا بالايجاز الشديد : في « المعراج » و « الكوميديا » نجد بيت المقدس هو المحور الذى يدور حوله العالم العلوى كله ، وفي كليهما تقع جهنم تحت موقع بيت المقدس ، وفي ادنى دركاتها نجد « مقام » ابليس في « المعراج » و « سجن لوسيفر » في الكوميديا ، وفوق موقع بيت المقدس يضعدانتي سماء الالوهية وتضع الحكاية العربية « مقام رب العرش » ومنازل الجنة في المعراج هي منازلها عند دانتي .

والاطار العام للقصتين واحـد ، فان محمدا صلى الله عليه وسلم يعرج الى السماء في صحبة جبريل ودانتي يطوف بعالم ما بعد الموت في صحبة الشاعر فرجيل اولا ثم في صحبة بياتريس عندما يصل الى الفردوس . وصـورة بياتريس كمـا يرسمها دانتي مقتبسة من صور الملائكة كما تصفهم قصة المعراج .

وفي بعض الاحيان يصل الامر الى التطـابق الحـرفي فـان الليمبو ، وهـو جزء من المطهـر (البورجاتوريو) يقابل الاعراف ، فهذه الاخيرة تفسر في معاجم اللغة بانها اطراف الثوب او النسيج وكذلك لفظ Lim hus اللاتينى له نفس المعنى ، ثم ان دانتي يضع في الليمبو ناسا لا يستحقون عذاب النار ولا نعيم الجنة ، وفي تفاسير احاديث المعراج نقرا : « اصحاب الاعراف قوم استوت حسناتهم وسياتهم . تجاوزت بهم حسناتهم عـن النـار وقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة ، فضرب بينهـم بسور له باب : باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب » ، ومن هنا فاننا نجد دانتي يضع صلاح الدين في الليمبو .

وتضع الحكاية الاسلامية كسرى انوشروان في الاعراف « لفضله وعدله رغم كفره وعدم ايمانه ».

وتتشابه صور العذاب في النار في القصتين ، ففي الكوميديا نجد رياحا سوداء تعصف باهل الزنا وهي « الريح » التى تعصف بهم في جهنم في قصة المعراج ، وهي الريح التى ارسلها الله على قوم عاد . ويقول دانتى ان عذاب المتنبئين هو سيرهم ورءوسهم مائلة الى الخلف ، وفى المعراج : « ان نجعل وجوههم من قبل اقفيتهم فيمشون القهقرى ونجعل لاحدهم عينين في قفاه . اما اصحاب البدع في الدين ورءوس الفرق الضالة فنجدهم في جحيم دانتي يطعنون دون ان يموتوا » وفي المعراج نقرأ : تذبحهم الملائكة بسكاكين ، وكلما ذبحوا منهم واحدا يعود كما كان ثم يذبح ، ودانتى يجعلهم يسيرون وامعاؤهم تتدلى من بطونهم والمعراج يقول انهم يسيرون « وهم يسحبون امعاءهم » . وعند دانتى نجد الشيطان لوسيفر يعـذب بالثلج وفى « الفتوحات » نقرا : « فعذاب ابليس في جنهم بما فيها من الزمهرير ، فانه يقابل النار في نشاة ابليس » . ثم اننا نجد دانتي يتطهر مرتين في انهار الجنة ثم يلقى بياتريس ، وهذا التطهر بالماء او « الوضوء » لا تعرفه اوروبا المسيحية ، وانما هو اسلامي صرف ، وفي « المعراج » نقرا ان الناس بعد ان ينتهي عذابهم في النار « يتوضاون فى عين ماء بارد مثل صفاء القوارير ، اصفى من البلور وابرد من الثلج واشد بياضا من اللبن ، فيغتسلون فيها اغتسالا تاما .. »

ثم عثروا على الترجمة الإيطالية التى اعتمد عليها دانتي

ونشر آسين نتائج بحثه الطويل الشاق في كتاب معروف خالد في تاريخ الادب المقارن هـو « الصور الاسلامية للعالم الآخر في الكوميـديا الالهية » La Esc tologia Musulmana en la Divina Comedia وقد طبع هذا الكتاب ثلاث مرات : ١٩١٩ ، ١٩٤٣ ثم ١٩٦١ وهـذه الطبعة الاخيرة احفلها كلها لانها ضمت تفاصيل المعركة العلمية التى خاضها آسين مع الدانتيين حتى اقيمت نظريته وقدر اصولها بمالا يحتمل الشك .

ذلك ان دانتي عند الايطاليين هو نصف الادب الايطالي كله ، وعندما نشر آسين كتابه كان دانتى

قدس الاقداس ، فما راع الناس الا وصوت يقول ان صاحبكم لم يبتكر رائعته هذه ابتكارا ، وانما هو اخذها عن المسلمين وعندى اثبات ذلك .

وهوجم الكتاب هجوما عنيفا ، وانكر الدانتيون الامر انكارا شديدا وقالوا : كيف ؟ ومالدينا دليل واحد على ان دانتى عرف الادب العربي ولا اتصل به في اصل او ترجمة .

وما هو الا قليل حتى جاء الرد : بلى ياقوم ، لقد عرفه ووصلت اليه قصة المعراج نفسها ، وكان القائل هذه المرة علامة ايطالى ضليع هو انريكو تشيروللى Ennico Cerulli ، فقد عثر هذا العالم على ترجمتين احداهما فرنسية قديمة والثانية لاتينية لقصة المعراج ونشرهما معا في كتاب واحد اسمه Libro della Scola اى كتاب الصعود او العروج ، وفي هاتين الترجمتين نجد الصور الاسلامية التى اخذها دانتى في الكوميديا الالهية وقد نشر هذا الكتاب في مدينة الفاتيكان سنة ١٩٤٩ .

وقام باحث اسباني آخر هو ساندينو Sandino بنشر قطعة من الترجمة الفرنسية التى تمت على أساس الترجمة الاسبانية التى عملها رجل يسمى ابراهيم الفقيه للملك الفونسو العاشر ملك قشتاله ، وقد قرر ذلك الفونسو العالم فى كتاب من كتبه ، فذكر انه امر بعمل ترجمة قشتالية لكتاب المعراج ، واسم هذا الكتاب يرد في كتاب الفونسو العالم في صور شتى مثل Amochrach و Amachreth و el Almira h .

واثبت انريكى تشيرولى في مقال نشره في مجلة الاندلس (مجلد ٢١ العدد ٢) ان مجلس بلدة فلورنسا ارسل سنة ١٢٦٠ برونتو لاتينى Brunetto Letini الى اسبانيا رسوله إلى الفونسو العاشر ، وان هذا الرجل عاد الى أيطاليا بعدد كبير من الكتب مما ترجم من العربية الى اللاتينية والاسبانية ومن بينها « كتاب الصعود » وكان برونيتو لاتينى من اصدقاء دانتى وشيوخه ولا شك انه حدثه بامر هذا الكتاب .

بل اثبت هذا العلامة ان موثق عقود ايطالى هو بوونا فنتورا دا سينيا Buonaventura de Siena ترجم كتاب المعراج من اللاتينية الى الايطالية ، وان هذه الترجمة عرفت في ايطاليا وذاعت بين أهل الادب أيام دانتي . ومن دلائل ذلك ان معاصرا لدانتى هو الشاعر فازيو دلى اوبرتى Fagio degli Uberti ، ذكر كتاب الصعود في شعر له يتكلم فيه عن محمد صلى الله عليه وسلم . وكان يظن ان هذا الكتاب من مؤلفات الرسول الكريم وانه لهذا كتاب مقدس عند المسلمين فقال : Ancor nel Libro Sus Che Scola noma .

ومعناها ، وكذلك في كتابه المسمى « كتاب الصعود » ، اى كتاب محمد .

★ ★ ★

هذه قصة عمل ادبى شعبى اشتركت في صياغته صنوف من أهل العروبة والاسلام مختلفين عصرا وثقافة واحساسا وطبعا ، قام على اساس اشارتين قرآنيتين كريمتين ، وحديث نبوى شريف تعددت صوره ، حتى اصبح في يد الشعب الاسلامي عملا لينا خالصا يتطور ويزيد ويتغير بحسب طبع الفنان ، حتى وصل الى صور شتى هي كتاب المعراج فى اشكاله التى تحدثنا عنها ..

وقد وجد هذا الكتاب طريقه الى الادب العالمي ، فتناوله شاعر ايطاليا الاكبر فجعل منه واحدا من معالم الادب العالمي على مر العصور هو الكوميديا الالهية ، اصلها عندنا وفرعها عندهم ..

هل هذا يعيب دانتى ؟ قطعا لايعيبه . كان يحسن ان يقرر انه آخذ ذلك كله عن الاصول الاسلامية ، ولكنه لم يفعل ، وما عليه في ذلك شيء ، فانه فنان شاعر ياخذ مادة يعتقد انها خامة ويصوغها بفنه وعبقريته وقد فعل . والآن وقد انكشف الغطاء فان الكوميديا الالهية تظل بعد ذلك نموذجا رائعا لمساهمة الحضارة العربية في اعظم ما تفخر به الانسانية من اعمال .

ويستطيع القارىء العربى ان يستزيد من ذلك الموضوع بعد ان قام الدكتور حسن عثمان بترجمة ملحمة دانتى الى العربية ترجمة تعد من روائع ما قام به اهل العلم في امة العرب .

وقبل النهاية نقول شكرا الف مرة للعالم الجليل ميجيل آسين بلاثيوس . ■■

حسين مؤنس

مسابقة العربي
اختبار لمعلوماتك العامة

■ مسابقة هذا العدد تتركز في اختبار معلوماتك العامة ، والجغرافية منها بصفة خاصة .. ثم انها معلومات سبق لك ان قرأتها في « العربي » وفي غير « العربي » من كتب ومراجع ..ولو أنك فتحت الاطلس ، وكتب الجغرافيا والتاريخ التي لديك لوجدت الاجابة عليها .. وهي مسابقة لتنشيط ذاكرتك .

حاول أن تجيب على الاسئلة كلها ، ولو أننا سنكتفي بالاجابة الصحيحة على ثمانية منها فقط .

١ ـ يضم مجلس الامن الدولي خمسة اعضاء دائمين .. أما بقية اعضائه ـ وعددهم عشرة ـ فان الجمعية العامة للامم المتحدة تنتخبهم ، ليصبحوا اعضاء في مجلس الامن لفترة :

سنة واحدة ـ سنتين ـ ٤ سنوات .

٢ ـ جمهورية عربية تطل من الشرق على بحر ، وبقية حدودها تطل على ٨ دول مختلفة ، اذكر اسم هذه الجمهورية ، واسماء الدول التي لها حدود معها ؟

٣ ـ أما هذا السؤال فيشمل ثلاث جمهوريات عربية اخرى ، اثنتان تطلان على بحر كبير ،والثالثة تطل على خليج .. ولكل منها حدود مع ٦ دول مختلفة ، بعضها عربي وبعضها غير عربي .. اذكر اسماء هذه الجمهوريات الثلاث ، والدول المحيطة بكل منها ؟

٤ ـ في عام ١٩٦٩ توقف هدير شلالات نياجرا لاول مرة في التاريخ بعد أن تم تحويل مياهها في اتجاه آخر لاصلاح الصخور التي بدأت في الانهيار والتآكل .. وهذه الشلالات الرائعة تقع في ارض دولتين .. ما اسم كل منهما ؟

٥ ـ موريتانيا .. البلد العربي الاصيل الذي تبلغ مساحته مليون كيلو متر مربع كان يعرف في الماضي بأحد هذه الاسماء :

تومبوكتو ـ شنقيط ـ النيجر .

٦ ـ تتكون جمهورية اندونيسيا من ٣٠٠٠ جزيرة تضم ١١٢ مليون نسمة ، ومن هذه الجزر خمس رئيسية ، اهمها جزيرة جاوه ، وهي من اكثر مناطق العالم ازدحاما بالسكان ، ما اسم عاصمة اندونيسيا :

كوالالمبور ـ باماكو ـ جاكارتا ـ بيونج يانج .

٧ ـ نهر الفرات من الانهر الكبيرة التي تمر في ارضنا العربية .. انه يخترق ثلاث دول ... اذكر اسماء هذه الدول الثلاث ؟

٨ ـ الكونغو برازافيل ، والكونغو ليبولدفيل .. كانا قبل استقلالهما تابعين لدولتين اوروبيتين هما :

هولندا ـ بلجيكا ـ فرنسا ـ انجلترا .

٩ ـ جزيرة عربية صغيرة تقع عند مدخل مضيق بحر عربق .. ما اسمها :

كمران ـ فراسان ـ بريم .

١٠ ـ على أي الانهار تقع هذه المدن العربية :

البصرة ـ جوبا ـ دير الزور ـ بغداد .

شروط المسابقة

١ ـ أن يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور في ذيل هذه الصفحة .

٢ ـ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .

٣ ـ ضع اجابتك في مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتي :

مجلة العربي ـ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ١٤٢ » .

٤ ـ آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم الثالث من شهر اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٠ .

٥ ـ كل خطاب يفقد شرطا من هذه الشروط عرضة لان يهمل ولا يدخل عملية الاقتراع على الجوائز .

الجوائز ١٠٠ دينار

يمنح الفائزون جوائز ١٠٠ دينار كويتي على الوجه الآتي :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا . **الجائزة الثانية** ٢٠ دينارا . **الجائزة الثالثة** ١٠ دنانير .

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير

.. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريق الاقتراع .

■■

كوبون مسابقة

المرأة فى المجتمع الاسلامى

دَوْرُ المَرْأَة

بقلم : الشيخ زكريا البرى

استاذ الفقه الاسلامي واصوله



الأسرة هي الوحدة الاساسية في بناء
والزوجة الصالحة ترعى بيتها وتحقق السكن

رسالة

الانسان في الحياة :

١ ـ استخلف الله ـ سبحانه ـ الانسان في عمارة الأرض ، واستخراج خيراتها وثمراتها ، واقامة العدل وتحقيق السعادة والرفاهية في جوانبها ، مع الايمان بالله وحسن عبادته ، وفي ظل طاعته والاهتداء بشريعته .

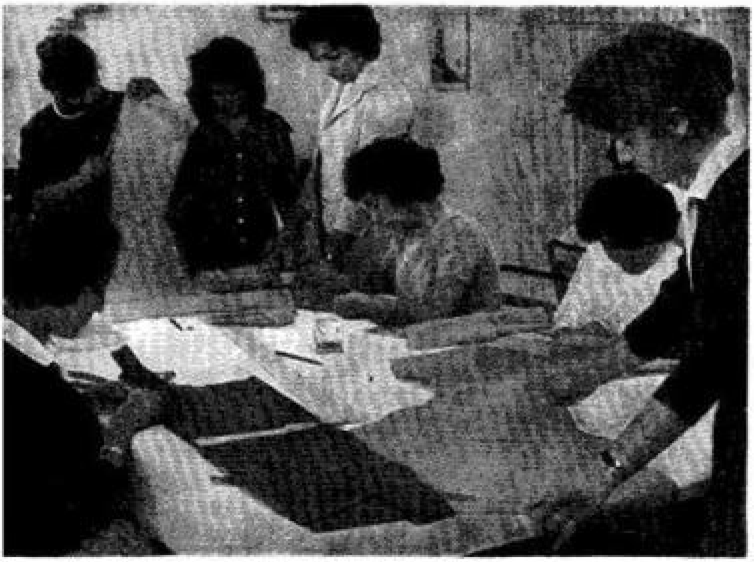
وزوده ـ جلت حكمته ـ بالطاقات المادية والروحية والعقلية التى تؤهله لهذه الخلافة

الكريمة ، والرسالة السامية ، دون من عداه من ملائكة وغيرهم . وفي هذا المعنى يقول الله ـ عز وجل ـ

«وإذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى الْأَرْضِ خَلِيفَةً ، قَالُوا: أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ، وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ؟ قَالَ إِنِّى أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ، وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا . ثُمَّ

فى الأُسْرَة..





المجتمع الكبير كلـه .. النفسي لزوجها ولأولادها .

يدعو الاسلام المرأة الى ميادين الطاعة والعمل النافع والخدمة الاجتماعية ، بقدر طاقتها وبحسب خصائصها واستعداداتها .

عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ ، فَقَالَ : أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَـٰؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . قَالُوا سُبْحَانَكَ ، لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ، إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ، قَالَ : يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ، فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ، قَالَ : أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ؟ »

المراة اخت الرجل

٢ ـ وقد خلق الله ـ سبحانه ـ الناس من اصل مشترك ، ونفس واحدة ، وجعل منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ، وزود كلا من الرجل والمراة بصفات مشتركة بينهما ، وخصائص مميزة لكل منهما ، في التكوين الجسمي والنفسى ، وبذلك يتم بينهما التجانس والتكامل معا ،ويتحقق التعاون والتكافل ، والمودة والرحمة ، في قافلة الحياة الطويلة ومسيرتها ورسالتها .

يقول الله ـ سبحانه ـ :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ، وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً ، وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً »

ويقول عز وجل :

« وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ، وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ » .

فالرجل أب المراة وابنها ، واخوها وزوجها ، والمراة ام الرجل وبنته ، واخته ،وزوجته ، يستمد كل منهما وجوده من الاخر ، ولا تكتمل سعادته الا به ، فلا يستغنى أحدهما عن اخيه ، ولا تتم عمارة الدنيا بأحدهما وحده .

المراة داخل الاسرة

٣ ـ وقد فصلت آيات القرآن الكريم وبيانها في السنة النبوية الطاهرة الاحكام الخاصة بعلاقة المراة بالرجل في محيط الاسرة ، وهي الوحدة الاساسية في بناء المجتمع الكبير كله ، وبينت حقوقها وواجباتها والتزاماتها ، زوجة صالحة ترعى بيتها ، وتحقق السكن النفسي لزوجها ولاولادها ، وأما مربية كانت الجنة تحت أقدامها. والرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول :

« كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته .. والرجل راع على اهل بيته وهو مسئول عن رعيته، والمراة راعية على أهل بيت زوجها وولده ، وهي مسئولة عن رعيتها .. »

« نساء قريش خير نساء ركبن الابل ، أحناه على طفل ، وارعاه على زوج في ذات يده » .

وتشكو هند بنت عتبة وتقول :

« يا رسول الله ، ان ابا سفيان ـ وهو زوجها ـ رجل شحيح ، وليس يعطيني ما يكفيني وولدي ، الا ما أخذت منه وهو لا يعلم » ، فيطلق يدها في مال زوجها الذي تحتاج اليه هي واولادها في حدود المعروف المألوف ، من غير افراط ولا تفريط ، ودون استغلال او خيانة ، فيقول : « خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف » .

الرجل راس الاسرة

٤ ـ وكان لابد لهذه الجماعة الصغيرة من رئيس قوي امين يسوسها بالحق والعدل والخير والمحبة ، فكان هذا الرئيس هو الرجل ، لما تميز به من قدرات وخصائص ، وما الزم به مع هذا من مسئوليات مادية وادبية .

« الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ ، بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ »، « وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ، وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ، وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ » .

وليست هذه الرياسة استبدادا ولا تحكما ولا تعاليا ، ولا أثرة ولا انانية ، وانما هي رياسة الحكمة والمصلحة التي تظهر بالتفاهم الحر ، والتراضي بين الزوجين ، والشورى الامينة في امور الزوجية ، وشئون الاسرة ، ورعاية الاولاد ، وهذا ما تنطق به الايات القرآنية .

« وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ »، « فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ

فَلاَ تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً » .
« أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ ، وَلاَ تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ » ، «وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ، وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، لاَ تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا ،لاَ تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا، وَلاَ مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ ، فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَاوَتَشَاوُرٍ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا »، « وَائْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ » .

المراة اولى بالحضانة

٥ ــ فاذا ما تغيرت القلوب ، وتنافرت الارواح ، وتباعد الزوجان ، كانت المراة اولى بحضانة الاولاد ورعايتهم في سن الطفولة ، والمرحلة الاولى من العمر ، فهي اقدر من الرجل على تعهد الصغير والعناية به في تلك المرحلة ، واعرف واصبر ، وارأف وافرغ . وقد ورد ان امراة جاءت الى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقالت في دعواها :

« يا رسول الله ، ان ابني هذا كان بطني له وعاء ، وحجري له حِواء ، وثديي له سِقاء ، وان اباه طلقني ، وزعم انه ينتزعه مني ، فقال لها الرسول الكريم : « انت احق به .. » .

كما روى ان عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ اراد ان يضم ابنه عاصما اليه ، وهو في سن الطفولة ، ورات امه او جدته ــ بحسب اختلاف الروايات ــ ابقاءه عندها ، ورفعا الامر الى الصديق ابي بكر ــ رضي الله عنه ــ فقضى بضمه الى امه او جدته ، وقال في حيثيات حكمه :

« الام أعطف والطف وارحم ، واحنى وأخير وأراف .. » ، « ريحها ومسها ومسحها وريقها خير له من الشهد عندك يا عمر » .

الاستقلال الشخصي والمالي للمراة

٦ ــ وبجانب هذا جاءت احكام الشريعة الاسلامية مؤسسة على ان المراة لها كيانها الخاص، واستقلالها الذاتي ، وذمتها المالية المنفصلة عن ذمة ابيها وعن ذمة زوجها ، لا شان للاب ولا للزوج ولا لغيرهما بمالها ، بل انها حرة تتصرف فيه بجميع التصرفات الرشيدة كالرجل تماما ، تبيع وتشترى ، وتؤجر وتستاجر ، وتهب وتوصى ، وتقف وتتصدق ، وتعير وتستعير ، وترهن وتكفل ، وتتاجر وتزرع وتصنع ، الى غير ذلك مما كان او يكون من عقود وتصرفات واعمال مالية وتجارية ، سدا للحاجات الشخصية والعائلية والاجتماعية .

ثم ان المراة ترث زوجها واقاربها كما يرثونها ، ويئول اليها نصيب من تركتهم .

« لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ، مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيباً مَفْرُوضاً »، «يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ » ، « وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ ، إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ ، فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ ».

وانما كان نصيب المراة على النصف من نصيب الرجل بحسب الاصل وفي اغلب الحالات ، مراعاة لقلة التزاماتها العائلية والاجتماعية ، وكثرة

التزامات الرجل العائلية والاجتماعية ، وتعادلا بين المغانم والمغارم ، وتنسيقا بين الحقوق والواجبات .

ومع هذا فانها قد تتساوى مع الرجل في بعض الحالات ، اما او اختا من الام .

« وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ »،« وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ ».

ومع ان استقلال المراة بامر الزواج وتوليها له كان محل خلاف واسع بين الفقهاء ، على تفصيل لا يتسع له المقام ، فلم يعطها اكثرهم هذا الحق مستدلين بآيات قرآنية واحاديث نبوية ، ولان الزواج يعقد لغايات سامية ، ويندمج به الزوج في اسرة زوجية ـ فمن المصلحة العناية والاحتياط في اختياره وانتقائه من اول الامر ، لان سوء الاختيار فيه يصعب تداركه والخروج من مازقه . والمراة ـ وحدها ـ قد لا تحسن ذلك ،لعدم خبرتها باحوال الرجال واخلاقهم واسرارهم ، وهم صناديق مغلقة ، وبخاصة اذا ما احتكمت الى عواطفها وحدها في هذا الشان . وانما يحسن ذلك وليها الذى يعنيه امرها كما يعنيها تماما ، ويختار لها ولنفسه في روية ، عن خبرة بالرجال واحوالهم ، وهو اعرف بهم ، لانهم اقرب اليه منها ، دون ان يتاثر بهوى او عاطفة ، وهي بجانبه تمده او تشاركه برايها .

مع هذا فان فريقا آخر اعطاها هذا الحق كاملا ، مستدلين بآيات قرآنية واحاديث نبوية ايضا ، وقائلين : ان المراة كاملة العقل والاهلية ، وهي صاحبة الحق والمصلحة اولا في امر زوجها ، فكيف يتصرف غيرها في حقها مهما يكن ، وان البالغة العاقلة الرشيدة لا يتصرف ابوها في اقل شيء من مالها الا برضاها ، ولا يجوز له ان يجبرها على اخراج اليسير منه ، فكيف يجوز ان يزوجها ويخرج منها جسمها ونفسها وكيانها بغير رضاها ، الى من يريده هو ، وقد تكون من اكره الناس له ، وقد يكون ابغض شيء اليها .

ومهما يكن الامر في ترجيح احد الرأيين على الاخر ، او التوفيق بينهما كما ذهب بعض الفقهاء بجعل الامر شركة بين المراة ووليها ، ثم اختيار احد الآراء للعمل والتطبيق ، نظرا لقوة الدليل ، وتحقق مصلحة الاسرة الصغيرة والمجتمع الكبير في الاخذ به ، حسبما تقتضى الظروف الاجتماعية مهما يكن الامر ، فان الفقهاء يلتقون في ان زواج المراة يعنيها ويعني اولياءها ، وان اختيار الزوج يجب ان يكون عن بصر وروية منها ومن وليها ، بناء لاسرة مستقرة ، متوادة ومتراحمة ، تحقيقا للسعادة الزوجية ، والسكن النفسى ، وابتعادا عن الاضرار بالمراة واوليائها . وهم بنيان واحد يشد بعضه بعضا ، تؤذى المراة ما يؤذى اولياءها ، كما يؤذيهم ما يؤذيها .

وحين اعطاها بعضهم ولاية عقد الزواج باعتبارها صاحبة الحق الاول ، فقد رغبوا اليها الا تتولى عقد الزواج بنفسها ، احتكاما الى العرف ، ومحافظة على الحياء وهو زينتها وتاجها ، والحياء من الايمان ، كما اعطوا لوليها حق الاعتراض اذا اساءت الاختيار . وحين اعطى اكثرهم هذا الحق لوليها ـ حسما للامر من اوله ـ فقد اوجبوا عليه ان يكون هدفه مصلحتها وسعادتها وهناءتها ، ومن المقررات الفقهية ان تصرف الاولياء منوط ومرتبط بالمصلحة ، كما اعطاها بعضهم حق طلب الطلاق اذا تضررت من هذا الزواج .

« وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ »

المراة خارج الاسرة

٧ ـ فاذا خرجنا من نطاق الاسرة الصغيرة الى ساحة المجتمع ، لم نجد تفصيلا في الاحكام كما كان الحال في داخل الاسرة ، وانما نجد القواعد العامة والاسس الرئيسية .

فيدعو الاسلام المراة الى ميادين الطاعة والعمل النافع والخدمة الاجتماعية ، بقدر طاقتها ،

بحسب خصائصها واستعداداتها ، وكل ميسر لما خلق له . يقول الله تعالى :

« والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ، يأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ويقيمون الصلاة ، ويؤتون الزكاة ، ويطيعون الله ورسوله ، أولئك سيرحمهم الله ، إن الله عزيز حكيم » ، « فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى ، بعضكم من بعض ، فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي ، وقاتلوا وقتلوا ، لأكفرن عنهم سيئاتهم ، ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ، ثواباً من عند الله ، والله عنده حسن الثواب » .

ويروى ان ام سلمة سالت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقالت : ما بال القرآن يذكر الرجال ولا يذكر النساء ؟ فنزل قوله تعالى :

« إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات ، والقانتين والقانتات ، والصادقين والصادقات ، والصابرين والصابرات ، والخاشعين والخاشعات ، والمتصدقين والمتصدقات ، والصائمين والصائمات ، والحافظين فروجهم والحافظات ، والذاكرين الله كثيراً والذاكرات ، أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً »

بعطف النساء على الرجال في جميع الاوصاف الكريمة التى ذكرتها الاية ، والتى ترجع اليها الفضائل الانسانية والاجتماعية ، وبالتسوية بينهم في المغفرة والاجر العظيم .

ومن هنا على المراة ان تتعلم علوم الدين وعلوم الدنيا ، وتزود نفسها بسلاح المعرفة في العلوم والفنون والاداب اللائقة بها ، والقادرة عليها ، والنافعة لها ولاسرتها ولمجتمعها ، اسهاما في رفع مستوى الحياة ماديا وادبيا ، وقياما بالفروض الاسلامية الجماعية التى لا يتوجه فيها الطلب الى كل فرد بعينه ، وانما يتوجه الى الجماعة كلها ـ رجالا ونساء ـ حتى يوجد لكل عمل من اعمال الحياة الدنيا ـ وما اكثرها ـ من يقوم به على خير وجه واتمه .

المراة والوظائف الخاصة

٨ ـ ومن هنا كان لها وعليها ان تقوم بجميع الاعمال الخاصة من وصاية على قاصر ، او نظارة على وقف ، او وكالة عن شخص ، ونحو ذلك من الاعمال والولايات والوظائف التى تقتضيها ظروف الحياة الاجتماعية داخل الاسرة وخارجها .

الولايات والوظائف العامة

٩ ـ اما الولايات والوظائف العامة التى تتضمن سلطات ملزمة في شئون الجماعة ، وهي السلطات التشريعية والقضائية والتنفيذية فالكلام فيها يطول ، وموعدنا به المقال التالي . ■■

زكريا البرى

الجواهر الثمينة

داعبت أحلام الإنسان من قديم الأزمان

بقلم الدكتور أحمد زكى

■ ويسمونها بالمعدنيات الثمينة Precious Minerals أيضا . وكل شىء يُستعدَن من الارض فهو معدنى .

والمكان الذى يستعدن منه معدن Mine ، والجمع معادن ، والعرب تقول فلان معدن الخير والكرم .

والجمهور جرى على تسمية العناصر كالحديد والقصدير والنحاس والذهب والفضة معادن . والكيماويون ومجامع اللغات تنص على أنها الفلِزّات ومفردها فلِز . وانت تستفتى معاجم اللغة فتجدها تقول « ان الفلِز ، او الفلِز ، هو ضرب من النحاس أبيض ، او هو خبث الحديد ، او هو يطلق على جواهر الأرض كلها » . واللفظ اغلب الظن انه غير عربى ، فهو مجموعة من حروف لا يستقيم جرْسها مع اللسان العربى .

ومن الناس من يقول الأحجار الثمينة ، وهو معنى اضيق ، والجوهر اعم . والجوهر يدخل فيه الذهب ، واللؤلؤ والمرجان ، وليس من السهل ادخال هذه فى الحجر .

المعنى المتبادر
من الجواهر الثمينة عند الجمهور

اذا انت سألت عربيا ما الجواهر الثمينة ذكر لك على التو الذهب، والفضة، والماس، والياقوت، والزمرد، والمرجان، والعقيق، والزبرجد، والكهرمان، والفيروز وقد يزيد اذا كان له علم بالجواهر سابق.

من الناس
من ربط الجواهر بالخرافات

وبقي هذا الربط، في اوروبا، حتى القرن الثامن عشر. فكثير من اهل هذا القرن وصفوا مساحيق الجواهر يتعاطاها الناس منعا للمرض ان يجيء، او علاجا له اذا هو حل. وعندهم ان الصفير الياقوت الأزرق Sapphire كان يخفف من الجنون، والكهرمان الاسود Jet وكان يذهب بالم الاضراس، وكان التوباز Topaz يريح من الربو.

والى اليوم نجد من الناس من يعلق في عنقه عقدا من الكهرمان ليعيد الى الغدد الدرقية حجمها اذا هي مرضت فتضخمت.

الجواهر
طبيعية
او مخلقة
او اصطناعية

ان الجوهر شيء من صنع الطبيعة، يستخرجه الانسان من الارض. فهذا هو الجوهر الطبيعي Natural Gem.

ولقد حاول الانسان بعد أن عرف ما الجواهر الثمينة، وما تركيبها الكيماوى، ان يخلق في المختبرات مثلها، مثلها تركيبا كيماويا، ومثلها تبلورا طبيعيا، ومثلها خواص فزيائية. كالماس يصنع من عنصر الكربون (الفحم).

حاول الانسان في هذا ونجح. والجوهر الناتج من ذلك يسمى المخلق Synthetic



هكذا اتفقوا على تسميته Gem للتفرقة بينه وبين الطبيعي .

اما الجوهر الذى صنعه ويصنعه الانسان من موادلا صلة لها بمادة الجوهر الطبيعي ، فيسمى بالجوهر الاصطناعي Artificial Gem . وهو يختلف عن الجوهر الطبيعي فى التركيب الكيماوى . ولكنه يشبهه مظهرا . كالماس حين تصنع اشباه له من الزجاج .

التركيب الكيماوي للجواهر الطبيعية

يختلف التركيب الكيماوى للجواهر الطبيعية اختلافا كبيرا .

فالجوهر الطبيعي اما عنصر ، ومثال ذلك الماس. فما الماس الا فحم كما ذكرنا. الا كربون . وهو من حيث أنه كربون لا يساوى شيئا . وانما أعطاه قيمته انه تبلور ، وان بلورته أعطته شفافيته ،وان البلورة والشفافية اعطته من الخواص الضوئية من حيث انكسار الضوء وغيره ما يعطيه ذلك الضياء الذى يسميه بعض الناس نورا ، وبعض نارا .

والماس شفاف كالماء، فان خالطه شيء من اصفرار فقد افسده . ولعل الماس هو الجوهر الواحد الذى من ميزته انه لا يتلون . واللون فى سائر الجواهر يعطيها من القيمة ما يعطى .

والماس عنصر، وسائر الجواهر مركبات.

وكالماس سائر الجواهر ، رخيصة كل الرخص اذا اعتبرنا تركيبها الكيماوى ، وقبل ان تتجوهر. منها ما تركيبه اكسيد السلكون (وهو الرمل)، ومنها ما تركيبه اكسيد الالمنيوم وتعجب أن يكون الياقوت الأحمر هذا تركيبه وكذا الأزرق ، ومنها ما يتركب من سلكات (املاح عنصر السلكون) ومنها يتالف اكثر الصخور ومنها ما يتركب من معدني من معادن عنصر الباريليوم Beryllium ، وتعجب ان يكون الزمرد من سلكات الباريليوم .

شأن هذه الجواهر شأن الماس ، أصولها عادية ، منشأها من جمهرة الصخور ، ولكن زانتها البلورة ، وزانها اللون ، فارتفعت عن سائر الصخور قيمة ، وصار لها بين الناس القدح المعلى .

وكذا الناس ، الخامة الطيبة فى الجماهير . ولكن لا بد من بلورتها ، ولابد من صقلها بالتعليم وبالتدريب ،وبالعلم والأدب ، وبالثقافة عامة ، وبالحكمة ، فاذا بها خاصة غير الخاصة. وتعجب أن يكون هذا الصلصال المجبول المسوى الصقيل الرفيع، الذى نسميه بالصينى، من ذلك الطين الرخيص الوضيع .

الجواهر الطبيعية عضوية وغير عضوية

اما العضوية فهي التى تنشأ بفعل الحياة على سطح الارض او فى البحر .

مثال ذلك اللؤلؤ وهو ينشأ من المادة الصدفية Mother Of Pearl ، التى تفرزها المحارة البحرية بطانة لصدفتها. فاذا تسرب الى داخل المحارة جسم غريب ، قامت المحارة بفرز هذه المادة الصدفية حول هذا الجسم الغريب . فكانما هي تحوطه اتقاء شره فتنتج عن ذلك لؤلؤة .

ومثال ذلك المرجان Coral وهو عبارة عن صخر تبنيه فى البحر احياء مائية يقوم لها مقام الهيكل العظمى .

ومثال ذلك ، الكهرمان Amber فما هو الا نوع من الراتنج (الشبيه بالصمغ) تحلب من اشجار صنوبرية عتيقة فى الزمان ، ثم غطته الارض طبقا فوق طبق . ومرت عليه القرون المتطاولة فتجمد بفعل الضغط وبالزمن الطويل الى ما نسميه اليوم بالكهرمان . وهو أصفر اللون . ومن شاهد ذلك اننا نرى اليوم فى بعض عيناته حشرات كانت سقطت فيه ، وهو سائل ، وظلت محبوسة كل هذه الأحقاب من الزمان .

اما الجواهر غير العضوية فتشمل اكثر الجواهر . منها الياقوت ،والزمرد، والفيروز ، والعقيق . وكلها تقريبا توجد

على شكل بلورات ، ذلك الشكل الذى قد يكون الاساس الذى يعطى الجوهر ما له من قيمة .

الـوان الجواهـــر من اسباب جمالها

ان الجواهر تنشأ فى الطبيعة عـادة وهى أجسام متبلورة .

والأجسام المتبلورة تخرج عادة نقية ، ومعنى هذا أنها تكون عادة شـفافة . ومثال ذلك من شائع المواد ملح الطعـام الجبلى ، او السكر النباتى . ومـن المعدنيات الكورتز Quartz وهو شائع فى المختبرات ، وهو اكسيد السلكون (مادة الرمل النقى) ، وهو شفاف ، وهو جوهر ولكن غير ثمين .

الاصل فى الجوهر اذن التبلور ، ثم النقاء ، فالشفافية .

وهكذا هى اكثر الجواهر .

ومما يستثنى من ذلك ، الاوبال Opal والفيروز Turquoise (سماه الأوروبيون التركواز ، اى التركى ، لأنه جاءهم اولا عن طريق تركيا) .

واللون الداخل فى الجوهر ، بالرغم من أن فيه يتمثل اكثر جماله ، انما هو شىء طارىء عليه .

ويظل الجوهر شفافا ما توزع فيه اللون ، ما توزعت فيه المادة الملونة ، توزعا سواء .

وفى العقيق Agate ، وهو نصف شفاف ، ومنه المنقط والمرقش ، فسبب ذلك أن اللون اختلف توزعه .

واللون الداخل الى الجوهر ذو مقدار قليل عادة ، فهو يكاد يعد شائبة ، ولكنها شائبة مبتغاة كل ابتغاء .

وتدخلوا فى الوان الجواهر لتحسينها

انها صناعة فى الهند قديمة . تستخدم فيها النار والحرارة . وكثير من لون الجمشت Amethysist والزبرجد Aquamarine ، وبعض اليواقيت Rubies انما هى الوان حسنوها بالحرارة .

واستخدموا اشعة س ، والأشـعة الكاثودية ، وحتى اشعة الراديوم ، فى تحسين الوان الجواهر . ومن ذلك الماس الأخضر ، وهو اغلى ثمنا . وانجزوا هذا باشعة الراديوم .

والعقيق Agate ، والعقيق اليمانى Onyx ، والعقيق الابيض يمكن تلوينها بالصبغ الكيماوى المطلوب . فالأجـزاء ذات المسام من الجوهر تمتص اللون . وتبقى غير ذات المسام على حالها ، واذن يزيد ذلك فى اظهار الخطوط المتحنيـة التى يتألف منها تركيب العقيق .

ويولد اللون الأحمر باكسيد الحديد Ferric Oxide ، والأخضر بمركبات الكروم او النيكل ، والازرق بسيانيد الحديدوز الحديديدكى .

واغلب العقيق المعروض فى الأسواق ، بحسبانه جوهرا ، انما اعيد تلوينه بهذه الطريقة ليزداد لفتا للابصار .

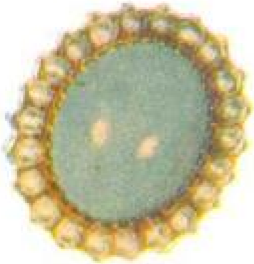
التمـاع الجوهر

من جمال الجوهر التماعه Brightness والالتماع هنا هو ردّ النورّ الـذى يقع عليه .

والنور يدخل الأجسـام الشفافة ، سائلة او صلبة ، فينكسر فيها . وهـو ينكسر كثيرا ، او قليلا ، وفقا لطبيعـة المادة الذى هو داخل فيها .

فالبلور الصخرى (الكورتز أو المرو ، وهو اكسيد السلكون) Quartz ، وهو شفاف يدخله شعاع الضوء فينكسر فيه . ويكون معامل انكسـاره ١ر٥٥ . ويدخل شعاع الضوء الصفير أو الياقوت الأزرق فيكون انكساره فيه أشد . ويكون معامل انكساره ١ر٧٦ . ومعامل انكسار الضوء فى الماس اكبر ، فهو ٢ر٤٢ .

وكلما زاد انكسار الضوء فى جـوهر ، زاد مقدار الضوء الذى يخرج منه الى



فيروز
من مصر



فيروز
من الصين



قطعتا زَبَرجد
من البرازيل .



عقيق



تـوباز
من البرازيل



اوبـال



قطعة من الزمرد
منقوشة من كولمبيا .



قطعة زمـرد
في كتلة من الحجر الجيري

عين الناظر . ويساعد على هذا قطع سطوح الجوهر بحيث تتلقف الضوء داخل الجوهر على الزوايا المناسبة ، وتكون نتيجة هذه الملاقفة القذف بأكثره الى خارجه ، واذن فزيادة التماع الجوهر .

ولأن الماس له في الجواهر معامل هذا الانكسار الكبير ، فهو أكثر الجواهر التماعا .

الجواهر الثمينة والنصف الثمينة

تعتبر الجواهر الآتية من الجواهر الثمينة غالبا ، وهي الماس ، والياقوت والصفير أو الياقوت الازرق Ruby ، والزمرد Sapphire ، Emerald ، وغير هذه من الجواهر يعد نصف ثمين .

وهذا يرجع الى القيمة التى تعطيها الأسواق لهذه الجواهر .

والجوهر الواحد يختلف قيمة وفقا للحالة التى هو عليها من الصفات التى تزيد في قيمته أو تنقص منه . وقد تنحط هذه الصفات حتى لتنزل بقيمة الجوهر الثمين عن قيمة الجيد من الأحجار النصف الثمينة .

ويدخل في تقدير قيم الجواهر عادات الأمم . فالماس له القيمة العالمية الكبرى التى لا تنكر .

وقيمة الجواهر بناؤها على أشياء ثلاثة : (١) الجمال (٢) الثبات على تغيرات الأجواء والأزمان (٣) الندرة .

اما الندرة فقد يخال أنها تتغير بمقدار ما ينتج العالم من جوهر بذاته في عام أو أعوام ، ولكن التجربة دلت ، على العموم ، على أن الجديد المنتوج من الجواهر لم يؤثر في قيمها . فهى لا تزال تباع وتشترى على شتى القرون .

وعندما غزا هتلر هولندا وبلجيكا وما حولها ، وخرج عن هذه البلاد من اهلها من خرج ، خرجوا وقد حملوا معهم ما غلا من ممتلكاتهم وخف ، تلك هي الجواهر الثمينة .

الياقوت الاحمر والياقوت الازرق

Sapphire & Ruby

مادته من المعدن المعروف بالكورندم Corundum ، وهو اكسيد الالمنيوم . وهو أصلب معدنيّ بعد الماس .

والياقوت الأحمر Ruby سبب حمرته وجود قليل من الكرميوم Chromium والياقوت الأزرق Sapphire ، سبب زرقته وجود قليل من التيتانيوم Titanium

والكورندم قد يتلون بالصفرة أو بالخضرة او بالبنفسجى ، ويعطى تجار الجواهر له عندئذ أسماء ، ولكن لا يكون من الجواهر القيمة .

ومصدر الياقوت برما ، في الهند الصينية . وتكاد تكون كل مصدره .

ومن الياقوت الأحمر كبير الحجم ما يفوق ثمنه ثمن الماس الذى حجمه نحجمه . وكذلك الياقوت الأزرق .

الزُمرد والزبرجد

Aquamarine & Emerald

هما من مادة البريل Beryl ، وهو صخر مؤلف أساسا من سلكات الالمنيوم والبريليوم ، وكلاهما عنصر " فلز" .

وهو أصلب من الكورتز ، (السلكا المتبلورة) ، وهو يجرح الزجاج .

ولون البريل في العادة أخضر باهت ، ولكن قد يكون اخضر شديد الخضرة ، او ازرق ، او اصفر ، او بنيا ، او ورديا او لا لون له . وكل هذه الالوان بسبب شوائب تكون في الصخر . وهى شوائب تعطى الجمال . كالشامة في وجه الحسناء .

ويختلف اسم الجوهر باختلاف اللون .

فالزمرد وهو البريل الاخضر العمق الخضرة . وسبب لونه شائبة فلز الكروم على صورة أكسيد أو ماء .

والزبرجد Aquamarine ، هو البريل الأزرق المخضر الباهت .

وكثير من لون البريل المستخدم جوهرا تنشأ فيه اصطناعيا باستخدام الحرارة .

اللازورد
Lapis Lazule

انه المعدنى Mineral المعروف باسم لازوريت Lazurite ، وهو أزرق اللون .

وتركيبه الكيماوى من سلكات الالمنيوم والصديوم مع كبريتيد الصديوم . ومعادنه فى افغانستان تستعدن منذ ٦٠٠٠ عام ، فهى من أقدم المعادن المعروفة اليوم .

الجَمَشْت
Amethyet

هو كورتز (اكسيد السلكون المتبلور) شفاف ، لونه بين البنفسجى الى الارجوانى . ظن الاغريق انه يمنع من السكر . وقد استخدمه الاغريق والرومان جوهرا يتزينون به .

العقيق
Agate

جوهر مادته من السلكا Si.i.a (أى اكسيد السلكون وهو مادة الرمل) ، ويوجد فى الجوهر طبقة فوق طبقة فوق أخرى ، متحنية . وهى طبقات مختلفة الالوان . ولأن مادته أساسا من السلكا ، فللعقيق صفات هذه المادة .

ولون العقيق الطبيعى فى العادة اغلبه رمادى أو رصاصي غير ذى بهجة . وهو معتم . وهو لذلك كثيرا ما يصنع اصطناعيا حتى يتأهل ليدخل فى عداد مراد الزينة والجمال .

الفيروز
Turquoise

هو من حيث التركيب الكيماوى فسفات الالمنيوم والنحاس المائي ، ويتراوح لونه بين زرقة السماء واللون الرمادى الحضر .

الكهرمان الأسود
Jet

ليس بصخر ، وانما هو فحم من النوع المعروف باللجنيت Lignite ، وهو يتقبل الصقل تقبلا شديدا ، ومنه يصنع الكثير من الحلى .

وقد سبق أن ذكرنا الكهرمان ، عند ذكر الجواهر الطبيعية العضوية ، وهو الكهرمان الأصفر المعتاد .

المرجان
Coral

المرجان أحمر اللون ، وهو من صنع أحياء في البحار كما سبق أن ذكرنا . وهي أحياء غاية في الصغر . وهي تبني منه بيوتا لها في الماء . وهي تبنيها من مادة الحجر الجيري ، ومصدرها ماء البحر . وهي تفرزه في صنع هذا البناء .

واحسن المرجان هو مرجان البحر المتوسط . وخيره في سواحل تونس والجزائر ، وكذلك سواحل اوروبا . ومنه الذى يتدرج لونه من الأبيض الى الاحمر . واللون الأحمر يتوزع فيها توزعا سويا .

الجواهر
قطعها وتسويتها فن كبير

ان الجوهر عندما يستخرج من الارض لا يكون فيه الجمال المعروف الا ماندر . فهو لابد من تجهيزه وتسويته . وهو يجهز بالقطع ، وهو قد يقطع بحيث يترك عليه سطح منحن ويعرف هذا بالكابوشون Cabochon ، وهو الجوهر الذى له سطح مدور . أو هو يقطع بحيث تكون له أسطح مستوية ، محسوبة علاقتها فيما بينها من حيث عبور الضوء بها وانعكاسه عنها . أو هو يقطع حفرا .

ويقوم بهذا اهل فن معروفون ، ولهم مراكز في أوربا معروفة . وهو فن يتوارثه ابن عن اب ، ومن اجل هذا



صفير اخضر

صفير ازرق
من سيلان

صفير اصفر
من سيلان



جمشت
من جبال اورال بروسيا



ملكيت
من روسيا



كهرمان ، والنقشة صينية



ياقوت

بقيت الأسرة الى اليوم هي الوحدة التي تقوم عليها هذه الصناعة . ويهود العالم لهم من هذه الصناعة نصيب كبير .

الكشف عن الجواهر في المختبرات

الجوهر الذي يراد اختباره ، اما هو خام لم يقطع بعد ، ولم يصقل ويجهز للزينة ، وهذه الخامات تختبر بشتى الاختبارات الفزيائية والكيماوية والمعدنية ، فمن ذلك شكلها البلوري . ومن ذلك درجة صلابتها ولكل جوهر درجة في الصلابة معروفة . ثم العناصر او المركبات التي تتألف منها .

اما والجوهر قد قطع وصقل وتجهز للبيع ، او هو بيع ويعاد بيعه ، فقد ضاق مجال الاختبار الجائز ، لأن الحرية في العمل بالمختبر قد تسيء الى الحجر الثمين .

غير ان الفحص المكرسكوبي العام قد يفيد .

ولكن الاختبارين اللذين يعتمد عليهما في هذه الحالة هما :

(١) تعيين كثافة الجوهر

(٢) تعيين معامل انكسار الجوهر للضوء .

اما الكثافة فلها طرق كثيرة ، من اسرها تعليق الجوهر بخيط في طرف عاتق ميزان من موازين الكيمياء الدقيقة، ووزنه وهو معلق في الهواء ، ثم وزنه وهو مغمور في الماء ، ومن الوزنين نحصل على الكثافة او ان شئت الوزن النوعي للجوهر ، وهو دليل عليه . ومثال ذلك التفرقة بين الجوهر من ماس، وبين تقليد له من زجاج . فالفرق بين الكثافتين ظاهر .

وطريقة اخرى تستخدم فيها سوائل ذات كثافات معلومة ، فاذا وضع فيها الجوهر ، وكانت كثافته اقل من كثافة السائل طفا . وان كانت اكثر ، هبط الى قاع الوعاء . وان تساوت الكثافتان تردد الجوهر فلم يطف على السطح ولم يسقط الى القاع .

اما معامل الانكسار فله جهازه Refractometer ، وهو جهاز معروف يعطينا معامل الانكسار مباشرة . ومعامل الانكسار هو اول صفات الجوهر . وايسر خواصه تعيينا في المختبرات .

الجواهر المخلقة

Synthetic Gems

بعد معرفة التركيب الكيماوي للجواهر الطبيعية ، ومعرفة المواد الكيماوية التي تعطيها لونها ، هدف الانسان ، كعادته ، الى محاولة تقليد الطبيعة ، طلبا للكسب ، وطلبا كذلك للفخار .

وحدثت محاولات عدة في القرن الماضي لتخليق الجواهر ، اي صناعتها كما تصنعها الطبيعة ، ومن نفس المواد .

وخاب من هذه المحاولات ما خاب ، ونجح بعضها ولكن بعض نجاح حتى اذا جاء عام ١٩٠٢ نجحت طريقة تخليق الياقوت الأحمر Ruby والياقوت الأزرق ، الصفير Sapphire من اكسيد الالمنيوم بصهره الى درجة نحو الألفين بالقياس المئوي ، وهي درجة سيحان الياقوت .

ووصلوا الى هذه الدرجة باستخدام شعلة الادروجين والاكسجين . اي اشعال غاز الأدروجين ومن حوله الاكسجين ، والناتج من هذه الاحتراق بالطبع بخار الماء .

اما اللون فجاءوا به للياقوت الأحمر من اكسيد الكروم .

واما اللون للياقوت الأزرق فجاءوا به باضافة مركبات الحديد والتيتانيوم Titanium .

وهذه الطريقة هي التي تستخدم الى اليوم في تخليق الياقوت وغيره من الأحجار الكريمة .

والأحجار الثمينة كانت تخلق الى عام ١٩٤٠ في سويسرا وفرنسا والمانيا .

وقد كانت الولايات المتحدة ، الى الحرب العالمية الثانية ، معتمدة كل الاعتماد على أوروبا ، فيما تحتاجه من الجواهر لاستخدامه في صناعتها . ثم تبدل الحال .

تخليق الماس

وكما جرت محاولات لتخليق الجواهر ، جرت محاولات لتخليق الماس ، سيد الجواهر جميعها .

وقد كان شاع في أوائل هذا القرن الحاضر ، أن محاولات في سبيل هذا التخليق تمت قبل ذلك بنجاح .

ذكروا أن هاني Hanny ، في انجلترا (عام ١٨٨٠) ، ومواسان Moissan ، في فرنسا (عام ١٨٩٣) ، وكروكس Crookes في انجلترا (عام ١٩٠٦) نجحوا في صنع الماس من الكربون باستخدام الحرارة والضغط على اختلاف في الوسيلة .

وأعاد العلماء الاحدثون تجارب هؤلاء العلماء السابقين ، فما خرج لهم من الماس شيء . خرج لبعضهم مركبات بلورية غاية في الصغر ، لا من الماس ، ولكن من كربيدات الفلزات التي كانت في المزيج . وقد اشبهت الماس في بعض صفات ، ولكنها لم تكن ماسا .

والاحدثون من العلماء الذين قاموا بهذا كانت لهم من الوسائل ما كانوا به أقدر على النجاح من القدماء .

بقي ان نقول أن شركة جنرال الكترك General Electric Company ، بمدينة اسكنكتدى Schenectady ، أعلنت في فبراير من عام ١٩٥٥ انها نجحت في أول تخليق للماس ، وذلك بمعالجة الجرافيت Graphite ، وهو صورة من صور الكربون ، بالحرارة العالية والضغط الكبير ، في مختبراتها . والآن تقوم شركات أخرى بتخليق الماس . وهو عندما خلق لأول مرة كان أكثر استخدامه لصلابته مادة حاكة كاشطة في الصناعة .

وبيع القيراط منه Carat ، وهو خمس الجرام ، بثلاثة دولارات .

الجواهر الاصطناعية والمقلدة

انها تصنع من الزجاج . وهو زجاج يدخل في تركيبه الرصاص . ومن مثل اخلاطه السلكا ، مضافا اليها كربونات البوتسيوم ، والبوراكس Borax ، واكسيد الزرنيخ ، واكسيد الرصاص . ويضاف الى الخليط المركب الكيماوى الذى يعطيه اللون المطلوب .

والزجاج الناتج اقل صلابة من الزجاج العادى ، ولكن معامل انكسار الضوء فيه كبير ، وهذا يزيد بالطبع في لمعته .

والزجاج بعد ذلك يصاغ في قوالب تعطيه شكل الجوهر المطلوب . وفي العينات الطيبة يقطع وتصقل له سطوح .

والتفرقة بين الجوهر المصطنع هكذا ، والجوهر الحر الأصيل ، من السهولة بمكان ، يفرّق بينهما باديء ذى بدء بالخدش بمبرد ، في موضع لا يضار به الجوهر ، والزجاج سهل الخدش .

والجوهر المصطنع اذا كان استخدم في الزينة مدة ، تظهر فيه خدوش من أجل ذلك ، يراها الناظر فيه بعدسة الجيب .

وبعد الحرب العالمية الثانية دخلت الى صناعة الجواهر مواد جديدة هي اللدائن اي البلاستيك ، لا سيما الجواهر التي تزان بها الملابس . وقد أحدث دخول اللدائن الى هذه الصناعة انقلابا فيها كبيرا ، من أجل سهولة صناعة الجوهر منها ، ومن أجل رخص ثمنه .

ومن السهل معرفة الجوهر المصنوع من اللدين . انه خفيف . وسلاح المطواة يجرحه .

●●

احمد زكي

استطلاع الكويت

نهضة الكويت

كما رآها العالم
في معرض أوساكا الدولي
مارس - سبتمبر ١٩٧٠

● النهضة النسائية تتمثل في طالبات جامعة الكويت اللواتي التحقن بها ليدرسن العلوم .. لقد تخرجت أول دفعة في جامعة الكويت في شهر يونيو الماضي .



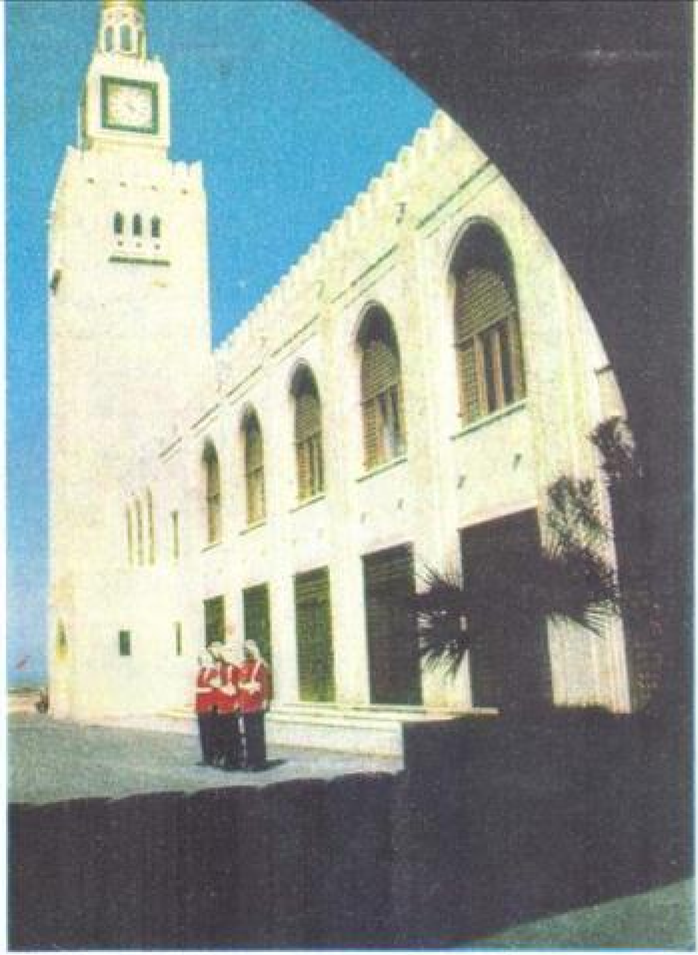
■ عرضت الكويت أكثر من ٥٠٠ صورة ملونة تبين نهضتها فى مختلف الميادين من تربوية ، الى اجتماعية ، الى طبية ، الى صناعية ، الى عمرانية فى جناحها بمعرض أوساكا الدولي فى اليابان .. وقد شاهد هذه الصور أكثر من مليون زائر جاءوا للمعرض من جميع انحاء المعمورة وذلك بالاضافة الى ٢٠ مليون زائر ياباني .. وقد اخترنا لك عددا من الصور التى رآها العالم عن نهضة الكويت ..

بقلم
محمد طنطاوي

تصوير
أوسكار متري

● منظر لمدينة الكويت فى الليل وترى الاضواء تنبعث من شوارعها ومبانيها التى تتسع وتنمو بسرعة كبيرة ..



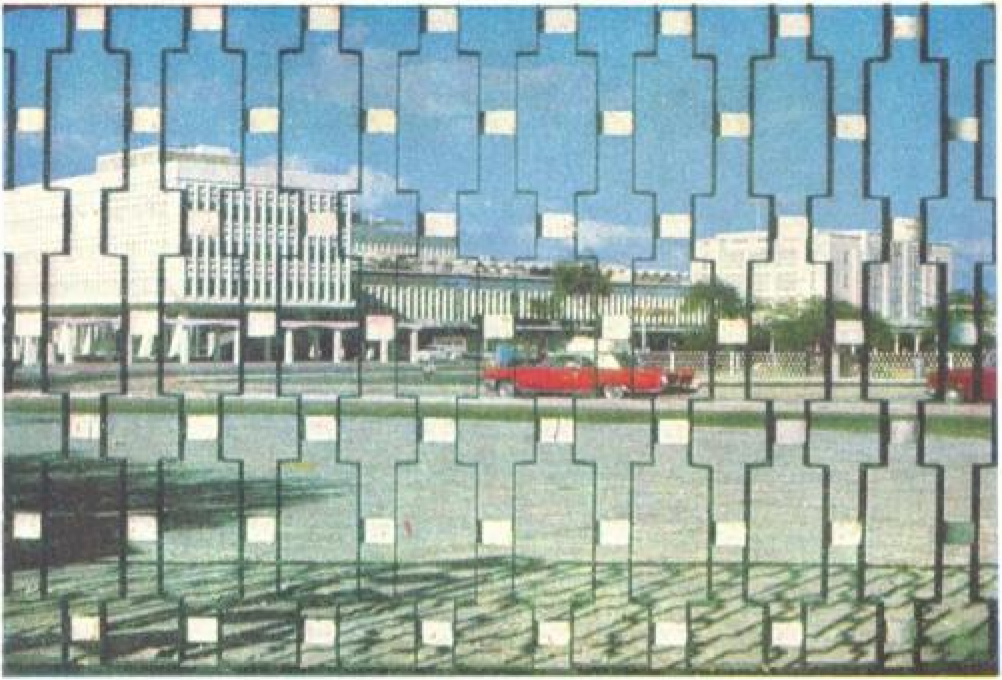


قصر السيف

● على شاطيء الخليج العربي يقع قصر السيف وهو الذي يضم مكتب حضرة صاحب السمو أمير البلاد .. ومبنى رياسة **مجلس الوزراء ..**

الاسواق التجارية

● اسواق الكويت التجارية روعي في تصميمها أن تتلاءم مع طبيعة جو البلاد القاسي .. وقد تم انشاء اسواق جديدة الى جوار الاسواق القديمة التي لا تزال باقية . **(الصورة اليسرى)**



النهضة العمرانية

● المباني التي بنيت على احدث طراز أصبحت هي الطابع المميز لمدينة الكويت في نهضتها العمرانية .





النهضة التعليمية

● النهضة التعليمية فى الكويت هي واحدة من ابرز معالم النهضة الكويتية الحديثة . فالدولة لم تأل جهدا فى سبيل تعليم كل فرد من ابنائها .. حتى الاطفال المعوقين او المشلولين انشات لهم المعاهد الخاصة .. وقد تم اخيرا افتتاح اكبر مركز للمعاهد الخاصة فى منطقة الخليج العربي والشرق الاوسط وتكلف انشاؤه حوالي ٥ ملايين دينار **(الصورة العليا)** كما ان الدولة ايضا اهتمت بالمراحل الاولى للتعليم فانشات رياض الاطفال التي بلغ مجموعها ٤٣ مدرسة تضم حوالي ١٢ الف طفل . **(الصورة اسفل الصفحة اليسرى)** . وقد بلغ عدد الطلبة فى مختلف مراحل التعليم من رياض اطفال





الى ابتدائي الى متوسط الى ثانوى الى مهنى الى معلمين الى خاص اكثر من ١٢٠ الف طالب وطالبة . ويتم تخريج عدد كبير من المدرسين الكويتيين سنويا لملاحقة التقدم التعليمي الكبير وقد زودت كليات المعلمين بكل وسائل التعليم الحديثة ، وفى **(الصورة العليا)** طالبات مدرسة المعلمات فى معمل اللغات .. وكما اهتمت الدولة بتعليم الصغار اهتمت ايضا بتعليم الكبار ممن فاتهم قطار التعليم فى صغرهم ، فانشات مراكز لمحو الامية .. وقد بلغ مجموع الدارسين فى مراكز تعليم الكبار حوالى ١٧ الفا فى المراكز المخصصة للرجال ، و ٥ آلاف فى مراكز النساء **(الصورة السفلى على الصفحة اليمنى)** .

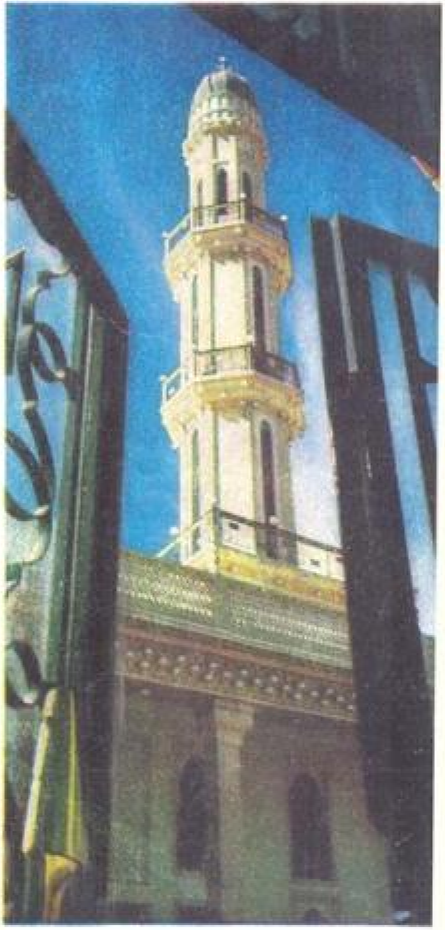


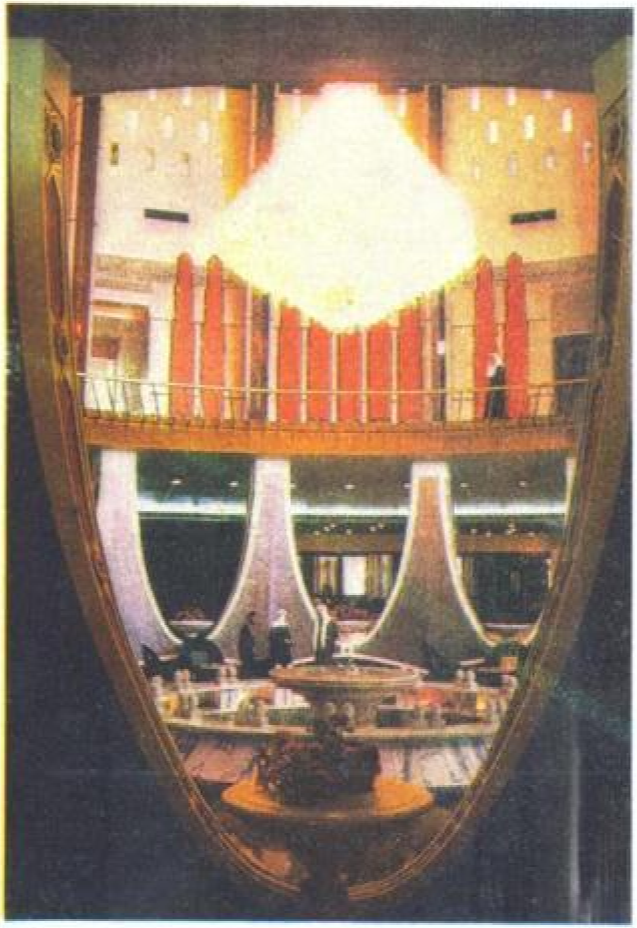
مساجد الكويت

● يوجد في الكويت ٢٣٣ مسجدا .. يعتبر الكثير منها آية من آيات الفن المعماري وتشرف وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية على المساجد وذلك حتى تؤدي رسالتها على اكمل وجه .

قصر الضيافة

● قصر السلام او قصر الضيافة فيه تستضيف الكويت رؤساء الحكومات الذين يزورونها زيارة رسمية . وقد استضافت الكويت الكثيرين من رؤساء الدول منذ استقلالها حتى الان .







حدائق خضراء

قديما كانت توجد هنا مقبرة .. حلت محلها الان حديقة خضراء تحيط بها المباني الحديثة والشوارع الواسعة .

شارع فهد السالم

● يعتبر شارع فهد السالم من اهم شوارع الكويت التجارية فعلى جانبيه تنتشر احدث المحلات التجارية والعمارات السكنية الحديثة .





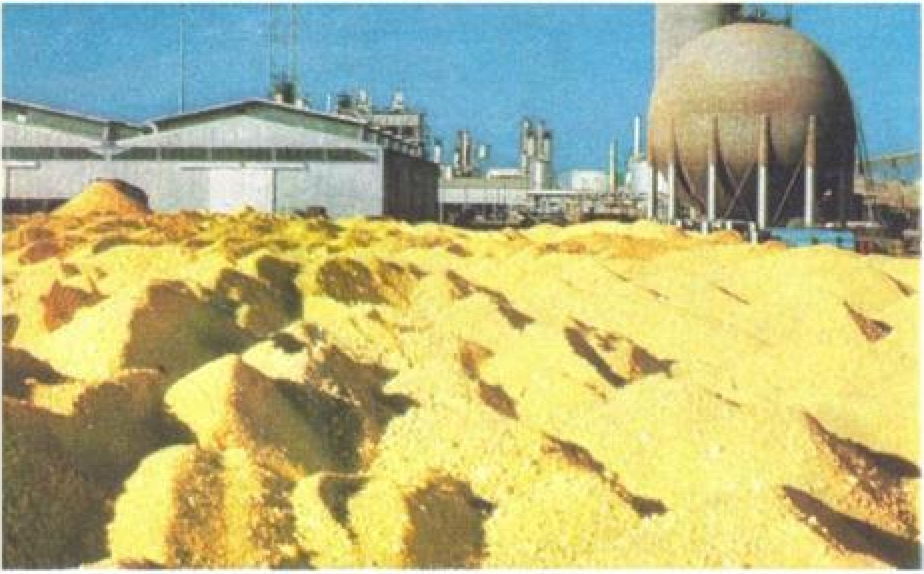


الناقلات العملاقة والجزيرة الاصطناعية

● عندما بدأ عصر ناقلات النفط العملاقة .. سارعت شركة ناقلات النفط الكويتية الى التعاقد على بناء ناقلات من هذا النوع واصبح لديها اسطول من هذه الناقلات واشهرها « وربة » و « الصبية » وهناك ايضا ناقلتان تبلغ حمولة كل واحدة منهما ٢٠٧ الف طن فى البناء وهما « عربية » و « القنطاس » وعندما تسلمهما الشركة ستصبح حمولة اسطولها من الناقلات ٧٩٠ الف طن .

وقد انشأت شركة نفط الكويت جزيرة اصطناعية فى الخليج بالقرب من مدينة « الاحمدى » تكلفت ١٠ ملايين دينار وبها كل المعدات الحديثة التي تستطيع ضخ ١٥ الف طن نفط فى الساعة الى الناقلة وتتم هذه العملية بالنسبة لناقلتين فى وقت واحد . وتعتبر هذه الجزيرة الاصطناعية واحدة من اكبر واحدث الجزر الاصطناعية لنقل النفط فى العالم كله . والصورتان تمثلان الجزيرة الاصطناعية وعملية شحن النفط .





مصنع
حامض الكبريتيك

● الكبريت الخام .. يتحول فى هذا المصنع الكبير الى حامض كبريتيك مركز وينتج هذا المصنع ٤٠٠ طن متري يوميا من حامض الكبريتيك الذى تصل نسبة تركيزه الى ٩٨٪ .





صناعة
صيد الاسماك

● تعتبر صناعة صيدالاسماك من اقدم الصناعات فى الكويت وقد تطورت هذهالصناعة تطورا كبيرا فاصبحفى الكويت عدة شركات لصيدالاسماك تملك سفنا حديثة للصيد . ويعتبر صيد الروبيان« الجنبرى » من اهم موارد هذه الشركات التى تقوم بتجميده وتعليبه وتصديرهالى الاسواق الامريكية .. وقدانتشرت اساطيل الصيد التي ترفع العلم الكويتي فى مياهالخليج وتعبر به الى مياه المحيطات ايضا .



الكويت فى الليل

● تتحول مدينة الكويت فى الليل الى كتلة من الانوار على شاطىء الخليج العربي ، وتضفى الاضواء على المدينة جمالا ساحرا وسط هدوء الليل الذى تتميز به الكويت .



السياحة

● بدا بعض السياح يجيئون الى الكويت لرؤية معالمها . ومن الاماكن التى يقبل عليها السياح متحف الكويت حيث يستضيفهم المسئولون فى خيمة عربية ويقدم لهم الشاى وسط جو عربي صميم .



الفنادق الحديثة

● على شاطيء الخليج وكذلك فى اجمل مناطق مدينة الكويت تم بناء فندقين حديثين ، زيادة عما سبق من فنادق جميلة ، هما شيراتون وهيلتون الكويت .. ويجد فيهما الزائر احدث التطورات فى الصناعة الفندقية .. وهناك ايضا يقضي امسيات رائعة على انغام الموسيقى .



الزراعة فى الكويت

● الزراعة بدون تربة نجحت وبدا انتاجها يباع فى اسواق الكويت المحلية ، وتجرى دراسات عديدة الآن للتوسع فى الزراعة بعد اكتشاف مصادر جوفية للمياه فى الروضتين وام المناقيش .



دور المراة فى المجتمع الجديد

● قامت فى الكويت الحديثة الاسواق التجارية التى اهتمت بعرض احدث ما انتجته المصانع العربية والأجنبية ، وانتشرت المحال التجارية الكبرى التي تعرض مختلف السلع فى جميع انحاء البلاد .. وقد شهدت الكويت الحديثة ايضا نهضة نسائية كبرى تمثلت فى تعليم المراة وحصولها على أرقى درجات العلم بالجامعات والمعاهد العليا ، وخروجها الى مختلف ميادين العمل المهنى .. ان المراة الكويتية تقوم اليوم بدورها كاملا فى المجتمع الكويتي الحديث .

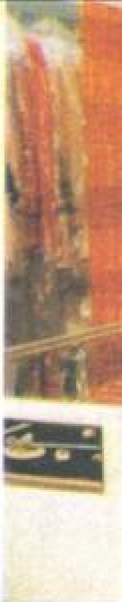


اللؤلؤ

● قديما كان اللؤلؤ من أهم ، أن لم يكن أهم ، موارد الكويت واليوم تضاءلت أهميته كمورد من موارد الرزق للشعب الكويتي ، ولكن لا يزال كما هو يحتل مكانا بارزا فى محلات بيع المجوهرات .. ولا يزال القادمون الى الكويت يقبلون على طلب اللؤلؤ الطبيعي الذى تجود به مياه الخليج على العالم .







الحياة النيابية

● الحياة النيابية هي الصورة الديمقراطية الحديثة النابعة من تعاليم الاسلام ، فقد قال الله تعالى فى كتابه العزيز « والذين استجابوا لربهم واقاموا الصلاة وامرهم شورى بينهم . ومما رزقناهم ينفقون » وفى الكويت العربية ، قامت الحياة النيابية المستمدة من صميم حياة العرب بعد الاسلام . والصورة تمثل مجلس الامة ، فى الكويت الحديثة الناهضة ، أثناء انعقاده ، وهو يضم ٥٠ عضوا ، ينتخبهم الشعب عن طريق الاقتراع السرى مرة كل ٤ سنوات .





تقاليد ومعالم لم يمسها التغيير والتبديل

● بالرغم من التطور الكبير السريع الذى تم فى الكويت فان التقاليد العربية الاصيلة وبعض المعالم القديمة لا تزال باقية كما هي لم تمتد لها يد التغيير او التطوير . . وهاتان صورتان تبينان لنا اشياء لم تتغير. الصورة العليا لفتيات كويتيات يرتدين الزى القومي فى حفل من الحفلات . والصورة التي الى اسفل لديوانية تتجلى فيها العادات العربية الاصيلة .





نِسيان

يودعها فتذكره بالماضي

■ أأنت تثورُ علـيّ وتنسى هوانا الفتـيّ ؟
حنانيكَ ماذا تركتَ لقلبي العميدِ الأسـيّ ؟
أتنسى لقانا الفريدَ ؟ أتنسى حنانَ يـديّ ؟
أتنسى وجوداً تـلألأ كالحلم في مقلـتيّ ؟
أتنسى ليالِيَ كانتْ وكنت الحبيبَ الوفيّ
تمن عليّ وتهمسُ بالشوق في أذنـيّ ؟
أتنسى ... ؟ وتحسب أنكَ صرتَ القويَّ الخلـيّ
أتنسى ، حبيبي ، هـواك وتنكرُ حبي علـيّ ؟
وحقكَ هذا الهـوى يعزُّ على كلِّ شـيّ
حبيبي ، غداً قد تروحُ ... ويبقى هواكَ ...لديّ ■■

نزار الكيالي

ركن الأسرة والمرأة

قصة من قصص الحياة نادرة

حب طغى فأشقى

وحب تسلل في رفق فشفى

بقلم : منير نصيف

■ كانت تستلقي في هدوء فوق اريكةوثيرة من الفراء الناعم في غرفة صغيرة بالطابق الأول من بيت قديم بشارع ومبول ستريت Wimpole Street ، بلندن ..

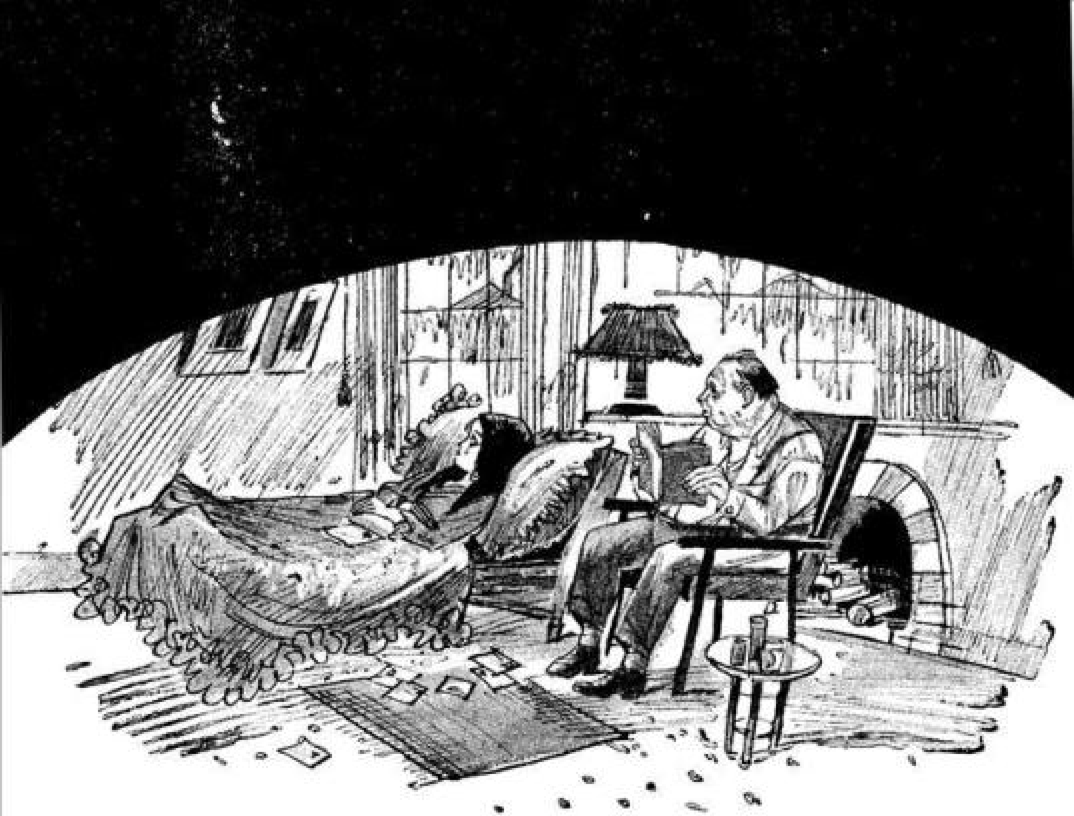
وكان الجو باردا في ذلك الصباح الندي من شتاء عام ١٨٤٥ .

وعلى مقعد صغير بالقرب من النار التي كانت تستعر في المدفاة ، جلس رجل جاوز الستين من عمره ، وقد أمسك بكتاب كبير امتلأ بقصائد الشعر ، وراح يتظاهر بالقراءة فيه . فقد كانت عيناه لا تكفان عن اختلاس النظرات الى هذه الانسانة الرقيقة التي استرخت على بعد خطوات منه ، وهي سارحة ببصرها ، وكأنها تحلق بفكرها ووجدانها في عالم بعيد لا يمت الى كوكبنا الذي نعيش على سطحه بصلة ..

الشاعرة المريضة

انها شاعرة الانجليز الأولى في ذلك الوقت ، الآنسة اليزابيث باريت Elizabeth Barrett ، وكانت فتاة صغيرة الحجم ، نحيلة الجسم ، يتوسط وجهها المستدير ، عينان سوداوان واسعتان ، وتنسدل خصلات شعرها الأسود الطويل على كتفيها النحيلتين اللتين غطتهما بشال قرمزي من الصوف ، سعيا وراء الدفء .

كانت عانسا جاوزت عامها التاسع والثلاثين ، فقد كانت فتاة كسيحة تعيش في عزلة اختارتها هي لنفسها هربا من الناس الذين عرفوها من خلال قراءاتهم لقصائدها .. لقد سد الطريق أمامها الى هذا العالم الكبير من حولها بجدار عال من المرض ، ولم يكن سبيل الى اجتيازه ما دامت العلة قد أصابتها هي بالذات من بين عشرات الفتيات اللواتي نشأت بينهن في طفولتها وصباها وشبابها الذي ولى أو كاد ..



لقد اصيبت بجرح في ظهرها وهي صبية لم تتجاوز ربيعها الخامس عشر ، وظلت تعاني من جرحها طوال هذه الأعوام ، الى أن حدثت المأساة التي نقلتها من دنيا الأحياء الى عالم المقعدين ، عندما مات اكبر اشقائها الثمانية في حادث غرق قاربه بخليج باباكومب Babbacombe Bay ، عندما كانت في الثالثة والثلاثين ، فاصيبت بصدمة نفسية ، اعجزتها عن الوقوف على قدميها ..

أب حنون

واما ذلك الرجل البدين ، الذى جلس بجوارها يتاملها من فوق كتابه الكبير بعينين تفيضان بالحب والحنان ، فلم يكن سوى والدها ادوارد باريت Edward Barrett ، الذى ظل يلازمها كظلها في كل مراحل حياتها ، فلا يفارقها الا عندما يغلبها النوم ، فيسدل لها ستائر غرفتها ، ويطفىء النور ويتركها لتنام .. لقد كان لها أبا واما وصديقا وحارسا . فقد ماتت امها وهي صبية بعد أن انجبت لرجلها تسعة أطفال ، كانت هي الأنثى الوحيدة بينهم ..

وكان الأب يحضر لابنته الورق والقلم عندما تريد أن تكتب ، فاذا فرغت من الكتابة ، راح يقرأ ما سجلته ابنته بقلمها ، ووضعت فيه عصارة فكرها وموهبتها .. فقد كان رجلا متعلما عالى الثقافة ، كما كان رجلا ثريا ورث عن جدته ثروة طائلة ، رصد جزءا كبيرا منها لتعليم ابنته ..

وكان السيد باريت ناقدا قاسيا ، وكثيرا ما كان يعيد اليها قصائدها ، بعد قراءتها لتحاول من جديد ، لأنها لم تعجبه ! حتى انها كانت تشعر في كثير من الأحيان انها انما تكتب له وحده ! .

واذا جلست لتتناول طعامها ، الذى كان الأب يحمله اليها بيده الى غرفتها ، كانت تحس بأنها انما تاكل من أجله .. فقد كان يقف الى جوارها في انتظار اية اشارة تصدر عنها، ثم لا يلبث أن ينطلق مسرعا ليعود اليها بما طلبت ..

جوهرة لا تقدر بمال

كان الأب يحب ابنته ويحنو عليها ويتعلق بها ، ولا يحتمل البقاء بعيدا عنها لحظة واحدة .. فقد كانت ابنته هي كل ما تبقى له فى هذه الدنيا بعد ان كبر ابناؤه وتزوجوا وتركوا البيت ليعيشوا حياتهم الجديدة ..

وكانت اليزابيث فى نظره طفلة صغيرة مريضة فى حاجة الى رعايته وعنايته .. ولكنها كانت شيئا آخر ايضا .. كانت جوهرة ثمينة لا تقدر بمال .. الم ير الناس فى الطريق وهم يشيرون اليه باصابعهم ، ثم الم يسمعهم يهمسون باعجاب : « هذا هو والدها .. والد الشاعرة اليزابيث باريت ! » .

الرجل الوحيد فى حياتها

كان فخورا بها ، سعيدا بابوته لها ، وكذلك كانت هي ، لقد اعتادت على حب والدها لها ، فهو الرجل الوحيد فى حياتها ، فاصبحت تعتمد عليه فى كل شئونها ، حتى فى عناوين القصائد التي تكتبها ، وفي أصناف الطعام التي تقدم لها ، وقد ازداد اعتمادها عليه فى هذه السنوات الست الأخيرة ، بعد ان اقعدها المرض ، واصبحت عاجزة تماما عن ان تفعل شيئا بدون معاونته لها .. لم تكن هناك يد اخرى تمتد اليها غير يد ابيها ذلك الشيخ الطيب الذى كرس حياته لها .. كتبت يوما تصف شعورها فى سجنها الصغير :

عشقت الصمت الذى احتوى حياتي فى عزلتي ..

أليس غريبا أن ينسى المرء صوت الحياة وصخبها ..

صوت واحد كل ما يصل الى أذني فى خلوتي ..

انها أنفاس والدى التي كانت تتردد كلما علا صدره وهبط ..

وكان من الممكن أن تعيش اليزابيث باريت وتموت فى غرفتها الصغيرة فى شارع ومبول ستريت بلندن ، لولا تلك الطرقات المتتالية الرتيبة على باب البيت ، وهي مسترخية فوق اريكتها فى ذلك الصباح البارد ..

قالت تسأل والدها : « اذهب يا أبي لترى من الطارق ؟ ! » .

خطابات المعجبين

وقام الأب من مقعده بعد أن القى بالكتاب جانبا ، ثم ما لبث أن عاد اليها ، وفي يده مجموعة من الخطابات التي حملها البريد الى ابنته ..

لقد تعودت اليزابيث ان تتلقى مئات الخطابات من المعجبين الذين قرأوا شعرها والمعجبات اللواتي كن يفخرن بانتمائها اليهن ، وخاصة فى تلك السنوات الأخيرة التي سجلت فيها مشاعرها فى وحدتها وآلامها فى مرضها .. ولكنها لم تكن تعبأ كثيرا او قليلا بهذه الرسائل ، حتى انها لم تكن تهتم بقراءتها فى كثير من الأحيان ، فتلقي بها الى نيران المدفأة ..

ولكنها لا تدرى لماذا طلبت الى والدها فى هذا الصباح ان يقرأ لها بعض هذه الرسائل التي جاءتها .. ربما كان السبب شعورها بالحاجة الى شيء من الغذاء تشبع به روحها الجائعة ، وربما كان القدر وحده هو السبب .. القدر الذى مد اليها يده فى هذا اليوم بالذات لينتشلها من وحدتها وآلامها ..

الرسالة الأخيرة

وعاد الأب يغوص فى مقعده من جديد ، وقد ازداد منها اقترابا لكي تسمع ما سيقراه عليها .. اما هي فقد بقيت مستلقية ، وقد مالت برأسها قليلا الى الوراء ، وراحت تتطلع بعينيها الى تلك النافذة الصغيرة المغلقة التي كستها الثلوج بطبقة بيضاء من الخارج ، حجبت عنها كل ما يدور وراءها ..

واخذ الأب يقرأ ويقرأ ، وهي صامتة لا تتكلم ، حتى خيل اليه أنه انما كان يقرأ لنفسه .. وأدركه التعب ، فتوقف ، فاذا بها تقول : « استمر يا أبي .. انني أستمع الى كل كلمة قرأتها ! » .

وجاء دور الرسالة الأخيرة .. وفضها الأب ، وبدأ يقرأ : « عزيزتي مس باريت .. لقد أحببت شعرك .. انني لا أعرفك ، ولم أرك .. ولكنني

اشعر انني قد احببتك .. نعم احببتك من كل قلبي ! » .

ولم يكمل الأب قراءة الرسالة ، وهم بأن يلقي بها الى النار حيث سبقتها بقية الرسائل ، ولكنها صاحت به : لا .. لا .. أرجوك ، دعني أكمل أنا قراءتها ! » .

ثورة في صدره

لم مدت يدها في هدوء .. ولكن الأب تشبث بالخطاب وراح يقلبه بين يديه ، ويبحث عن اسم صاحبه في عصبية ظاهرة .. محاولا أن يخفي حقيقة المشاعر التي كانت تعتمل في صدره في تلك اللحظة .. لقد تعود أن يقرأ كلمات اعجاب كثيرة بأعمال ابنته .. بشعرها وقصائدها ومؤلفاتها .. ولكنه لم يسمع رجلا يقول لابنته انه يحبها .. ثم ما معنى هذا الحب .. والى أى شيء سينتهي ؟ .

واحس برغبة شديدة تدفعه الى الخروج الى الشارع ، والبحث عن صاحب الخطاب الذى يريد أن يسلبه « جوهرته » التي احكم اغلاق خزانته عليها ! .

وسرح الأب بأفكاره ، حتى انه لم يشعر بيد ابنته تمتد لتختطف منه الرسالة ..

ومضت الابنة تقرأ ، بينما جلس الأب على مقعده ، وكأنما هو يجلس فوق بركان راح يقذف بما في جوفه من حمم ..

أحبك يا اليزابيث

وفجأة تطلع الى وجهها ليرى ما اعتراه من انفعالات .. لقد كانت اليزابيث تبتسم لاول مرة منذ سنوات وسنوات .. لقد كانت تمسك بالرسالة في يدها ، وتقرأ ثم تعيد ما قرأت ، وهي تتأمل هذا الخطاب ، وتقلبه بين أناملها الرقيقة ، وقد ازدادت عيناها اتساعا،وعلت وجهها ابتسامة مشرقة لم يعهدها الأب من قبل ! » .

وراحت اليزابيث تقرأ : « هل تعلمين انني كنت يوما على وشك أن ألقاك .. نعم ألقاك وجها لوجه .. لقد اصطحبني احد اصدقاء والدك الى دارك .. ولكننا ما كدنا نصل اليه حتى طلب مني أن انتظر ريثما يدخل هو ، ثم يعود اليّ لندخل معا .. وقد عاد ، ولكن ليقول لي ان اباك ابلغه انك لست في حالة تسمح بمقابلة أحد ! .

« وعدت الى داري أجر أذيال الخيبة .. كم تمنيت ان ألقاك واجلس اليك واستمتع بحديثك في تلك الليلة .. انني أحبك يا مس باريت .. أحبك .. الا تفهمين ؟ وان يستطيع أى حب آخر أن يملأ قلبي،ما حييت » .

المخلص لك دائما

« روبرت براونتج »

أنشودة عذبة

وكانت هذه الرسالة هي المفتاح الصغير الرقيق الذى راح يدور في هدوء ونعومة ، في قفل هذا السجن الذى حوى بين جدرانه تلك الشاعرة الموهوبة المريضة التي ظنت في وقت من الأوقات ، انها سوف تقضي بقية أيام حياتها في سجنها لا تبرحه ! .

ولم يدر الأب ، أن ابنته المريضة قد تحولت في هذه اللحظة من مجرد عانس كسيحة جاوزت عامها التاسع والثلاثين ، الى لحن جميل ، لقصة من اروع قصص الغرام في القرن التاسع عشر .. فلم يكن صاحب هذه الرسالة الذى وقع في غرام اليزابيث باريت ، سوى الشاعر الانجليزي الشهير روبرت براونتج Robert Browning (١٨١٢ – ١٨٨٩) ..

لقد احب روبرت تلك الفتاة الرقيقة المريضة.. احب شعرها .. احب روحها ، واحبها هي ، رغم علمه بمرضها ، ورغم علمه بأنها كانت تكبره بستة أعوام ..

حب بلا لقاء

وانقضت شهور طويلة ، ظل العاشقان خلالها يتبادلان الرسائل ، دون ان يلتقيا .. فقد كانت اليزابيث تشفق على نفسها من هذا اللقاء .. كانت تخشى ان تتحطم الصورة التي رسمها لها روبرت في مخيلته .. وكانت أيضا تشفق على والدها من الصدمة .. كانت تعلم انه سيعارض

فكرة زواجها ، الم يكن هو الذى وقف حائلا فى الماضي دون كل محاولة لاخراج اليزابيث عن عزلتها .. حتى قبل ان يفاجئها المرض بعد وفاة شقيقها .. لقد كان يصرف كل رجل يطرق بابه طالبا يد ابنته .. كان يتصور ان سعادة ابنته فى بقائها الى جواره .. فى خدمته لها وفى سهره على راحتها ..

وعاد الاطباء يوما ابنته ، فأذهلهم التقدم الذى طرأ على صحّتها وعلى حالتها النفسية ، قالوا يحدثون الأب الذى كان يقف حائرا فى انتظار نتيجة الفحص : « لقد تحسنت حال ابنتك ، واصبحت قادرة على أن تقف على قدميها .. انها تستطيع أن تمشي الآن ، ونحن ننصحها بالسفر الى ايطاليا ، لقضاء بضعة أشهر تحت شمسها .. فسوف يساعدها الدفء على الشفاء » .

وثار الأب : « مستحيل .. لن اسمح لابنتي بمغادرة هذا البيت .. انها فتاة مريضة وفى حاجة الى رعاية .. لن اتركها ترحل ، وستبقى الى جوارى كما بقيت طوال هذه السنين ! » .

وقالت اليزابيث محاولة ان تهدىء من ثورة أبيها : « اطمئن يا أبي ، فلن اتركك أبدا ! » .

نظرة وداع

وفى تلك الليلة بكت الابنة الشاعرة العاشقة ، فقد انتوت أمرا ..

نادت خادمتها ثم دست فى يدها رسالة وطلبت اليها أن تحملها الى صديقها روبرت .. لقد طلبت اليه أن يلقاها سرا فى مكان ما فى الليلة التالية .. وفى موعد اللقاء المحدد ، حزمت الفتاة ملابسها فى حقيبة صغيرة ، وما كاد الليل يهبط حتى تسللت فى هدوء ، ولم تنس أن تمر على غرفة أبيها لتلقي عليه نظرة أخيرة تودعه بها ، فقد كانت تعلّم أنها ذاهبة الى غير عودة ! .

أول رجل فى حياتها

والتقى العاشقان أخيرا .. وكان أول لقاء لهما .. قال وهو يمد اليها يده « انك أجمل مما كنت أتصور بكثير ! » .

اما هي فقد احست برجفة تسرى فى بدنها ، وهي تصافحه ، فقد كانت تلمس يد أول رجل عرفته فى حياتها بعد أبيها .

وفى تلك الليلة تزوج الحبيبان سرا ، ثم سافرا الى ايطاليا ، وفى مدينة فلورنسا اقاما ، حيث اتخذا من بيت صغير عشا لهما ، راحا يعملان فيه معا وينتجان للعالم اروع ما سجلاه من واقع حياتهما ، وحياة الناس الذين عرفاهم .. وفى هذا البيت أيضا جاءت ثمرة هذا الزواج واسمياه روبرت الصغير ..

ولم تنس اليزابيث اباها ، وبيتها الصغير فى ومبول ستريت ، وغرفتها التي سجنت فيها نفسها ، فكانت تزورها ، ولكن كما يزور السائح آثارا دخلت التاريخ ..

كتبت لأبيها تقول :

حب .. وحب ..

لن أنسى حبك لي وعطفك علي يا أبي ..

هل تعلم أنني افتقدتك ..

ولكن هل تعلم أيضا أنني كنت افتقد الحب ..

حبا غير حب الوالد يا أبي ..

لو أنك علمت لما تركتني أعيش فى وحدتي ..

لقد اعطيتني كل ما كنت أحلم به وأشتهي ..

ولكنك نسيت انني كنت مخلوقة بائسة ..

لم يكن مرضي وحده هو سبب شقائي ..

ولكنه شعورى بانني أعيش وحدى ..

لقد اعطيتني كل شيء ..

ولكنك لم تستطع أن تعطيني شيئا واحدا ..

لقد كنت ابحث عن هذا الشيء طوال حياتي ووجدته أخيرا ..

اصفح عني يا أبي ..

■■

منير نصيف

نتيجة مسابقة العدد ١٤٠

الفائزون أجابوا على ٧ أسئلة فقط !

■ المعلومات العامة كانت طابع مسابقة العدد ١٤٠ من « العربي » ويبدو من اجابات القراء ان المسابقة كانت صعبة بعض الشيء ، لذلك لوحظ ان عدد المشتركين فيها كان اقل منه في مسابقات سابقة ، لذلك اجرينا القرعة بين من اجاب على سبعة اسئلة اجابة صحيحة واليك نموذجا للاجابات الصحيحة واسماء الفائزين في المسابقة :

١ ـ حمورابي هو الملك الذى اقترن اسمه بقانون اعتبر من اوائل القوانين الموضوعة فى العالم .

٢ ـ لويس بريل مخترع طريقة بريل فى القراءة اصيب بالعمى وهو فى الثالثة من عمره .

٣ ـ افلاطون هو الفيلسوف الشهير الذى كان تلميذا لسقراط .

٤ ـ قناة كيل تربط بين بحر الشمال وبحر البلطيق .

٥ ـ « نيونذرلاند » اى هولندا الجديدة هو الاسم الذى كان يطلق على مدينة نيويورك قديما ، وليس نيو امستردام ، كما جاء فى الاسماء التى وضعت ليختار منها القارىء الاسم الصحيح . وامستردام اكبر مدن نذرلاند « هولندا » .

٦ ـ الماس من الاحجار الكريمة ويتكون من الكربون الذى هو عنصر الفحم فقط .

٧ ـ جزيرة جرينلاند اكبر جزيرة فى العالم .

٨ ـ يتراوح طول قطر الشمس بين ٨٦٠ الى ٨٦٥ الف ميل .

٩ ـ البحر الميت منخفض عن سطح البحر بحوالي ١٢٨٦ قدما .

١٠ ـ الايدروجين هو العنصر الشائع فى الكون .

الفائزون بالجوائز

❋ **الجائزة الاولى** وقيمتها ثلاثون دينارا فاز بها :
عبد العظيم محمود السعدني ـ الزقازيق ـ ج.ع.م

❋ **الجائزة الثانية** وقيمتها عشرون دينارا فازت بها :
سامية سليمان عوده ـ عمان/الاردن .

❋ **الجائزة الثالثة** وقيمتها عشرة دنانير فاز بها :
رياض فياض الحواط ـ الطبقة ـ سوريا .

٨ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا كل منها خمسة دنانير : فاز بها كل من : ـ

١ ـ رؤوف محمد علي الانصاري ـ كربلاء ـ العراق
٢ ـ محمد هيثم هاجر ـ طرابلس / لبنان .
٣ ـ عيسى عبد الله عيسى الفرحان ـ العديلية / الكويت .
٤ ـ عبد المحسن بن عبد الله العبد المحسن ـ الرياض / السعودية .
٥ ـ محمد ابراهيم المالطي ـ طرابلس / ليبيا .
٦ ـ محمد الخير مكي احمد ـ الخرطوم / السودان .
٧ ـ صالح عبد الله باوجيه ـ جمهورية اليمن الجنوبية .
٨ ـ محمد شاهين الدوسري ـ الدوحة / قطر .

■■

الاضطراب النفسي

حالة مرضية لها آثار جسدية

■ يقول ابو بكر محمد بن زكريا الرازي : « مزاج الجسم تابع لأخلاق النفس». ويقول على بن العباس المجوسي فى كتابه المعروف « كامل الصناعة الطبية » : « الاعراض النفسانية تغير مزاج البدن وتعين على انهاكه وضعف الحرارة الغريزية فيه . . ومن كان مزاجه حاراً فان هذهالاعراض تولد الحميات الرديئة بمنزلة حمى الدق وقرحة السل وما يجرى هذا المجرى . . » .

ان تاريخ الطب منذ أقدم الازمنة ، وفي مختلف الحضارات الانسانية ، يتحدث عن المرض باعتباره حصيلة عوامل نفسية وجسدية متشابكة ، ومع ذلك فقد مرت على البشرية في بضعة اجيال معاصرة فترة أغرق فيها الاطباء في تتبع الجسد وحده بالفحص والمعالجة في التطبيب ، متوهمين بان الطب اعراض جسديةصرفة ذاتآثار مألوفة يمكنايجادها واضحة بالفحوص المختبرية والشعاعية ونحوها دون ان يكون للنفس او العقل او الروح دور يذكر ! . .

وفي اواخر القرن التاسع عشر ، بدأ الطب يعود الى النظرة القديمة المتكاملة فى اعتبار الانسان وحدة متماسكة تتألف من جسد ونفس ، وهكذا نشأ فرع حديث في الطب المعاصر ، يعرف بالطب الجسدى النفسي (الطب السايكوسوماتي Psychosomatic Medicine) صارت له مجالات واسعة في الناحيتين العلمية والعملية ، وتطبيقات بارعة في فن التداوى الطبي الحديث .

الاضطراب الجسدى النفسي

وهو الذى ينبعث عن عوامل انفعالية نفسية ، وعوامل عضوية جسدية معاً . والحق فان معظم الأمراض الناشئة في مختلف اعضاء الجسم ، تدخل في باب هذا الاضطراب ، ولذلك فان فهم العوامل النفسية واظهار العلامات والأعراض العضوية ، وتقدير مدى اهمية الأثر الذى تحدثه النفس في الجسم ، ويحدثه الجسم في النفس ، ذو اهمية فائقة في التشخيص الطبي الصحيح ، وفي المعالجة الفعالة ايضا .

ومع أن التتبع والبحوث والتجارب ايدت أحقية هذا الاساس الذى يقوم عليه الطب



بقلم الدكتور معمر خالد الشابندر

الجسدى النفسى ، فان كثيرا من الاطباء ما زالوا يعالجون المرضى جسديا فقط دون التفات الى العوامل النفسية . وعندما الف المشتغلون بهذا الفرع الطبي جمعية لهم في لندن عام ١٩٥٥ وجدوا ان لفظ السايكوسوماتية (نفس Psyche ، جسد Soma ما زال غامضا وغير محدد المعنى عند كثير من الاطباء ، وان بعض مشاهير الاطباء ما زالوا يجدون مضمونه غير ذى بال ، وان التدريس الطبي فى الجامعات ما زال مهتماً بالنواحي الجسدية وحدها ، وان عدداً من كليات الطب لا تجد ضرورة لتدريس علم النفس فيها ، بل ولا تهتم اهتماماً جدياً بتدريس علم النفس المرضى والأمراض العقلية ! ..

لا شك في ان التداوى الجسدى الحديث قد توصل الى معجزات فنية رائعة في عدد من الحالات المرضية المهمة . ولكن مما لا شك فيه ايضاً بأن حالات مرضية عديدة ومتزايدة ايضاً تفحص بنظم تشخيصية مستفيضة وبارعة ، وبآلات حديثة وافية ونافعة تستخدم في التحليلات المرضية وفي التصوير الشعاعي ، ثم يقال عنها بانها سليمة من اى مرض ، رغم كون المصاب يشكو من اعراض يحس بها ويتاذى بسببها ويغدو مسلوب الراحة من جرائها . ان المريض يشكو من « حالة مرضية » والا ما استشار طبيباً ، والمريض لا يهمه بطبيعة الحال ان يكون سبب المرض جسدياً عضوياً او لا يكون ، او ان تظهر النتائج المختبرية والشعاعية بدلائل ايجابية او سلبية ، .. ان كل ما يريده هو ان يتخلص من اعراضه المزعجة التى تسلبه الراحة والطمانينة .. ولنا ان نتصور مبلغ حيرة المريض وعدم اقتناعه ومقدار قلقه اذا قيل له بانه سليم الجسم كما يتايد ذلك بالفحوص المختبرية والشعاعية ، وانه لا يشكو من مرض ، وانما هو فريسة وهم وتخيلات لا اساس لها من الصحة والواقع ! بينما هو يحس بما يشكو منه ، وهو غير كاذب ولا واهم ولا متصنع ! .. وليس غريباً والحالة هذه ، ان يقع الكثير من المرضى في براثن الدجالين الذين يستخدمون عن غير وعي او فهم منهم ، طرقاً ايحائية نفسية قد تعود بشيء من الفائدة للمريض . او ان تتزايد صفحات الاسئلة الطبية في المجلات والجرائد ، والاسئلة الموجهة للاذاعات ، وان يكون ٨٠٪ من احصاء قمت به لباب الاسئلة في احدى المجلات الطبية الشعبية صادراً عن حالات جسدية نفسية واضحة .

النظرة الى المرض

ان عدداً كبيراً من الاطباء يجدون انفسهم غير قادرين على اشفاء مرضاهم من اعراضهم المتعددة التى كثيراً ما تختلف اختلافاً واضحاً وجذرياً عما درسوه في كتبهم العلمية المعتمدة خلال دراستهم المنهجية في كليات الطب . كما ان قدراً كبيراً من الثروة القومية ، ومن الجهد والوقت ، تصرف في فحوص مختبرية وصور شعاعية قد يكون بعضها القليل وافياً بالغرض لو ان النظرة الى المرض ، من نقطة البدء ، كانت جسدية نفسية معاً ، لا جسدية صرفه ، من قبل الطبيب المعالج . وقديماً قال افلاطون : « هناك اطباء للنفس ، وهناك اطباء للجسد .. ومع ذلك فان كليهما واحد غير منقسم .. » .

اساس هذه النظرة البارعة في الفنون الطبية اذن ، هو ان يؤخذ المرض ككيان متكامل ، عقلاً وجسداً ، في كل حالة مرضية تعرض على الطبيب. ان التدريس الطبي يركز على وجوب التفتيش عن العلامات العضوية الجسدية بكل طرق

التشخيص المتيسّرة كي لا يؤدي الاهمال في ذلك الى ازمان العلة وتقدمها الى حد تصبح معه عصيّة على العلاج .. ونحن لا نقلل من اهمية هذهالنظرة ابداً .. ولكننا نقول بان من الواجب ان نلتفت الى حالة النفس ايضاً في كل حالة مرضية كي يصل العلاج حد الابراء ، والا بقيت نسبة كبيرة من الحالات المرضية دون حل سليم قادر على منع تطورات مضطربة ومؤذية في النفس والجسد على حد سواء ..

الانفعالات النفسية

ان الحالة النفسية تؤثر تأثيراً عضوياً في مختلف انحاء الجسم . والانفعالات النفسية انما هي تهيؤ لمواجهة المصاعب والشدائد والعقبات التي يتعرض لها الفرد في حياته اليومية ، وتعبئة لامكانات الجسم في اتخاذ احدى طريقتين : اولهما المواجهة الفعلية (العراك Fight) ، وثانيهما الهروب (Flight) . ويكون هذا كله بنوع من التوازن الوظيفي بين الجهاز العصبي الذاتي اللاارادي Autonomic Nervous System وبين الغدد الصم Ductless Glands التي تفرز ما يعرف باسم الأنوار (الهورمونات Hormones) الى الدم مباشرة . وعلى هذا التوازن يتوقف تنبيه القلب والاوعية الدموية والتنفس وكف الفعالية عن الجهاز الهضمي واعادة توزيع الدم في الجسم بسحبه من الاعضاء الداخلية في البطن وضخه الى العضلات والمخ ، والعمل على زيادة احراق المواد النشوية توفيراً للطاقة الضرورية للاستخدام الفوري .

وواضح من هذا ، ان تغيرات وظيفية عضوية تحل في الجسد كله في حالات الانفعال ، وتكون هذه التغيرات مؤقتة ولفترة قصيرة في الاحوال الطبيعية ، ولن تؤدي الى تغيرات نسجية صريحة في الاعضاء . اما اذا كان الفرد بحالة غير طبيعية ، ولفترة طويلة الأمد ، ومتصلة الحلقات كما يكون في اضطرابات النفس الانفعالية الناجمة عن القلق او الخوف او الغضب او الغيظ او الرغبات العارمة او العدوان او الصراع النفسي ، فان التغيرات الوظيفية الناشئة عن حالة التهيؤ التي قد انقلبت الى حالة توتر دائم او شبه دائم ، لابد ان تؤدي بالتالي الى تغيرات جسدية نسجية صريحة في عضو ما من اعضاء الجسد التي ليس من بينها ما هو منيع او حصين او مستثنى في هذا الباب ، كما سنرى من الشرح المختصر التالي لما يحل بالاعضاء الجسدية من اعراض وعلامات وحالات مرضية مهمة .

الجهاز الهضمي

الجهاز الهضمي مرآة تنعكس عليها انفعالات الانسان وحالته النفسية بقدر أوضح وأكمل من اي عضو آخر من اعضاء الجسم . وما من احد من الناس الا وهو مدرك لهذه الحقيقة من تجاربه الشخصية . انت قد تغثى نفسك (تصاب بالغثيان وهو دون القيء) او تتقزز نفسك وهو نوع من الغثيان ، ان انفعلت لمنظر كريه او منفر او مؤذٍ لمروءتك . والتلميذ الخائف من الامتحان قد يصاب بانطلاق البطن ، والمهموم قد لا يشتهي الطعام وقد يحس بثقل وتوعك في المعدة والامعاء ، والكئيب قد يفرط في الطعام من دون ان يستمرئه فيزداد وزنه . ورئيس العمل الغضوب ممعود لانه قلق او غير راضٍ عن احواله العامة او الخاصة . والمرؤوس الذي تقلقه مقابلة رئيسه صباح غد يتأذى طيلة ليله من حموضة في المعدة وقراقر مزعجة في الامعاء وانطلاق في البطن .

كثيرة هي الاعراض الهضمية الناجمة عن اضطراب نفسي . منها مثلاً : فقدان الشهية ، والمذاق المر في الفم ، والبخر (الرائحة الكريهة في الفم) والتهاب اللسان وجفافه مع تكاثراللعاب، وتضخم الحنجرة وجفافها والتجشؤ الناجم عن ابتلاع الهواء وحرقة الفؤاد والغثيان ورجوع المواد الطعامية الى البلعوم ، والقيء والقراقر الداخلية واوجاع البطن المتكررة والمتنقلة وبخاصة عند الاطفال ، والاسهال والامساك (القبض) ..

ومع ان هذه الأعراض قد تكون موجودة دون تغيرات نسجية يمكن تبيانها بالفحوص المختبرية والشعاعية ، الا ان استدامة التأثير النفسي الانفعالي بسبب القلق قد تؤدي في خاتمة المطاف الى امراض عضوية ذات تغيرات نسجية واضحة وصريحة مثل قرحة المعدة ، وقرحةالمفج (المعى الاثنى عشري) ، والتهاب القولون وتقرحاته والاسهال الشحمي المزمن ونحوها .

الجلـد

الجلد هو العضو الثاني في الأهمية بالنسبة للاصابة بمختلف الاضطرابات الجلدية الناجمة عن الاضطراب الانفعالي المزمن . ومن الناحية الوظيفية الاعتيادية فان تأثير الانفعالات في الجلد واضحة لكل احد ، ومن المألوف أن « يحمر وجه الانسـان » غضباً ، وان يشحب لونـه خوفاً ، ونحن نقول فلان « يحكه جلده » بمعنىانه يتحرق للقيام بعمل ما بصرف النظر عن العواقب والأذى المحتمل بسبب ذلك ، والجلد يتعرق بغزارة ، او يجف تماماً في حالات انفعالية معيّنة . وكثير من حالات النملـة (اكزيما Eczema) نفسية المنشأ وكذلك التورمـات العصابيـة الوعائيـة (Angio - Neurotic Oedema) والتهاباتالجلد، والزّهَم الجلدى وهو زيادة غير سويّة في افراز غدد الدهن في الجلد (Seborrhoea) ، وداء الصـدف الجلـدى (Psoriasis) والصلع الوضعي . ولا شك فى ان الاضطراب النفسـي وبخاصة في دور المراهقة هو بعضالسبب في حالات العد (المعروف بحب الشـباب Acne . اما الثاليل Wartsوهي نتوءاتجلدية صغيرة مشهورة فذات علاقة بالفكر وبحالة النفس رغم كـون سببها الاصلي المقبول اليوم هي نوع من الحُمات (Viruses ـ الفيروسات) ، ولكن هذا السبب وحده لا يمكن ان يفسر تلك العلاقة المترابطة بين الثاليل والاضطراب النفسي .

اما علاقة هذا الاضطراب النفسي باحـداث حالات الحساسية Allergy في الجلد وفي غيره من الاعضاء الداخلية ، فمعروفة وواضحة ،وبالاضافة الى النظريات المتعلقة بهذا الأمر مثـل التأثير الزلالى في بعض الاطعمة والأشربة وفي لقـاحات النبات ، فان التأثير النفسي غير منكور المكـان في احـداث الشرى Urticaria وبعض حـالات النملة Eczema وحمى الهشيم Hay Fever والتورم الجلدى الوعائي وبعض انواع الحساسية ضـد الادويـة ، والبهـر (استما Asthma)

القلب وجهاز الدوران

كثير من الأعراض المتعلقـة بالقلب وبجهـاز الدوران ، ليست ناجمة عن مرض عضوى صريح في هذا الجهاز الهام . والتأثير المتبادل بين القلب والاوعية من جهة ، وبين الانفعالات النفسية سليمة او مضطربة ، اشهر من ان يذكر . بل ولقد كان الانسان وما يزال يعتقد بان القلب هو مصـدر الانفعالات بجميع الوانها من حب وبغض وشهوة وعدوان وخوف وجذل وغضب .. الخ.

الاعـراض التالية تكون عادة مصحوبة بتوتـر انفعالي ، دون علامات عضوية في القلب والأوعية : اسراع القلب Tachy Cardia ، اضطراب النظام القلبي Arrhythmia الضربات القلبية الاضافية Extra Cytoles ، والخفقان Palpitataion والدُوار Vertigoوالدوْخـة ، وضـيق النفس بدون مبرر ، اضطراب الوظيفة القلبية او ما يعرف بتناذر الجهد Effort Syndrcme ، وارتفـاع الضغط الدموى الاصلي او انخفاضه والذبحـة الزائفة Pseudo - Angina والذبحة الصدريـة Angina Pectoris والتخثر التاجـي القلبـي Coronary Thrombosis . وهناك دراسـات حديثة تكشـف عـن علاقـة التصلب الوعائـي Arterio Sclerosis بازدياد الكوليسترول في الـدم مما له علاقـة بالجهاز الشرياني ، بالاضـطراب النفسي من نوع او من آخر .

جهاز التنفس

ان اثر الاضطراب النفسي المؤقت والدائم في جهاز التنفس معروف . فضيق النفس وتعرقل التنفس وتضيق القصبات والقصيبات والدوخة والـدُوار Dizziness والبهـر (Asthma استما) ، وطنين الاذن Tinnitus وفقد الصوت Aphaonia وشلول الحبال الصوتية ، والتهـاب الانف الاحتقانى بما في ذلك الاصـابة المتكررة بالزكام ، والتهاب اللوزتين المتكرر ، والتهـاب الجيوب المزمن .. كلهـا ذات علاقـة واضحـة بالاضطراب النفسى . ثم ان السل الرئوى ، مع كونه يتسبب عن جرثومة كوخ بالدرجة الاولى ، الا ان الاجهاد العصبي والانفعالات المضطربة اضطراباً متواتراً ، ذات اثر غير مباشر في احداث هذا المرض الوبيل ، والبحوث الحديثة تؤيد ما قاله على بن العباس المجوسى قبل اكثر من الف عام عن اثـر الانفعال في « حمى الدق وقرحة السل . . » .

والناس عندنا في العراق يقولون ارجوك ان لا تدقني اى لا تجعلني اصاب بالدق بسبب الانفعال من جراء قولك او عملك ، ويتصرفون بكلمة الدق في هذا الباب فيجيئون بتصريفات لغوية بارعة .

الجهاز العصبي

اعراض مقلقة ومؤذية وتدعو الى الخوف مثل الغشى Syncope والاغماء والصداع الشديد والشقيقة Migraine والدوار والدوخة والأرق والاوجاع العصبية (نورالجيا) والشلول الهستيرية .. معظمها انفعالي المنشا وغير مصحوب بتغيرات عضوية نسجية في الجملة العصبية . وامراض عصبية مهمة ذات علامات عضوية وتغيرات وظيفية مثل الصرع والشلل الاهتزازى والتصلب المنتشر ، اذا كانت تتطلب معالجة دوائية فان المعالجة النفسية فيها مهمة جدا لان الاضطراب النفسي يدخل في احداثها وتطورها .

الغدد الصم

وهذه الغدد المهمة تفرز مادة تعرف بالتور (الهرمون Hormone) الى الدم مباشرة دون ان يكون لها قنوات خاصة كغيرها من الغدد . وكل غدة لها تور واحد او اكثر . ومن اشهر الامراض الناجمة عن علاقة مترابطة بين فعاليات هذه الغدد وبين الاضطراب النفسي الانفعالي ما يعرف باسم التسمم الدرقي Thyro Toxicosis ، ثم ذلك المرض المعروف بالسكرى (ديابيت Diabetes) والمرضان ينشآن طبعا عن آفة نسجية عضوية ، ولكن حدوث الآفة مرتبط اشد الارتباط بالانفعال النفسي المضطرب بصورة مستمرة .

اما اثر الانفعالات النفسية ، طويلة الأمد ، في الغدد التناسلية عند الرجال والنساء ، فمعروفة . من ذلك مثلا اضطراب الطمث (العادة الشهرية عند النساء) واضطراب المبيض ، والخلل الوظيفي في الفعالية الجنسية عند الجنسين .

ولعل من اهم البحوث الفريدة التي ما زال العلماء يشتغلون في تجاربها منذ امد ، هو ما يتعلق بالكشف الكامل عن العلاقة المترابطة بين الغدد الصم ، والجهاز الهضمي الذاتي اللاارادى ، والانفعالات النفسية السوية والمضطربة ، ومنطقة مخية هامة تعرف بالمهاد (السرير Thalamus) وما تحته . والدلائل تظهر بما لا يقبل الشك ، كون السبب في كثير من الامراض العضوية والوظيفية انفعاليا نفسيا ، بصورة مباشرة او غير مباشرة .

الروماتزم

يستخدم لفظ « الروماتزم » من قبل الناس ، وكثير من الاطباء ، ليدل على كل انواع الاوجاع والآلام التى تحل بالعضلات والمفاصل . ولقد ادى الجهل بعلاقة هذه الاوجاع والآلام بالانفعالات النفسية المضطربة الى نشوء نظريات خاطئة مثل نظرية البؤر التعفنية او الديفانية Septic Foci التى ترد ما يعرف باسم الروماتزم الى تقيحات في الأسنان او اللوزتين او الزائدة الدودية ، وطالما راينا اسنانا تقلع ولوزا وزوائد دودية تستأصل ، ولكن الحالة تبقى كما هي . والناس في هذا الباب اصدق حدسا من بعض الاطباء ، فهم يراجعون « اطباء الاعصاب » ، لا أطباء الأمراض الباطنية ، عندما يحسون باوجاع وآلام عضلية أو مفصلية . وقد علمتنا التجربة بان حل المشكلة النفسية واشاعة روح التفاؤل وازالة الكآبة اقوى اثرا في معالجة كثير من هذه الاوجاع العضلية والمفصلية من مجرد الاهتمام بالوسائط الطبيعية في معالجات كهربائية وطبيعية بالتدليك ونحوه ونحن لا نقلل بطبيعة الحال من هذه الوسائط ولا من المعالجات الدوائية ولكننا نجزم بان الالتفات الى الناحية النفسية اقوى اثرا من التقيد بالاعراض الجسدية .

العوارض والكسور

هل يمكن للحالة النفسية ان تكون سببا في حصول العوارض والاصابة بآفات عظمية ومفصلية ناجمة عن الشدة ؟ ان هذه الحوادث والعوارض تتزايد يوما بعد يوم في الطرق والبيوت والمعامل . وقد دلت التتبعات العلمية المستفيضة ، بما

لا يقبل الشك ، بان الاضطرابات النفسية من أهم الأسس المؤدية للعوارض والكسور . واظهرت الدراسات النفسية ـ الاجتماعية التي اجريت على سواق الوسائط الميكانيكية من سيارات وغيرها ، بان هناك رابطة واضحة بين حالة السائق النفسية وبين التعرض للعوارض الخطرة . وقد طبقت عدد من الدول اسلوبا نفسيا خاصا في منح اجازات السوق يعتمد ، من جملة ما يعتمد عليه ، على فحص العوامل النفسية .

الجهاز البولي والتناسلي

كثيرة هي الاضطرابات التي يشكو منها العدد الكبير من المرضى في حياتهم اليومية ، وتنجم عن تشابك العلاقة بين حالة النفس والجسد ، فيما يتعلق بالجهاز البولي-التناسلي . ولعل من أهم الوان القصور الملحوظة في هذه الفترة التي نعيش فيها ، وبخاصة في المجتمع العربي المعاصر ، هو التقصير في تعريف الاطفال وصغار البالغين بحقيقة الفعالية الوظيفية لهذا الجهاز المهم ، بالقدر اللائم وفي الوقت المناسب . ان مشاعر الخزي والعار والذنب والقلق والخوف والتقزز المتعلقة بهذا الجهاز هي من الاسس المهمة في احداث اضطرابات مؤذية ومنهكة يتعرض لها الشباب بخاصة في اجسامهم وفي شخصياتهم وقدراتهم الفكرية ، مما ينعكس على مجتمعهم ويصيبه بافدح الضرر في مثل هذه الفترة التي يتقرر فيها مصير الأمة التي ينتسبون اليها .

من هذه الاضطرابات التبول اللاارادي وزيادة مرات التبول والقلق الناجم عن العادة السرية ، والاضطرابات الجنسية عند الرجال والنساء ، واضطرابات الطمث (العادة الشهرية) عند النساء ، والاجهاض المتكرر ، والقيء في الحمل ، والكآبة العاقبة للوضع ، ونحو ذلك .

ومع اهمية هذه الحالات الجسدية النفسية ، فاننا مازلنا وعلى جميع المستويات تقريبا ، نلمح ولا نصرح ، ونستحي فلا ناخذ دور العالم الذي يجب ان يكون كالفقيه ، فيقول لا حياء في العلم ، كما انه لا حياء في الدين .

العين والبصر

اما آثار الاضطراب النفسي في العين فتظهر واضحة صريحة لمن يحسن تفسير اللغة التي تنطق بها العيون ... كما انها في الطب ، نافذة على المخ ، نطل منها على الدماغ فنرى علامات ما قد يحل به من آفات عضوية ...

ان كثيرا من امراض العيون ذات علاقة مباشرة او غير مباشرة بالاضطراب الانفعالي النفسي ، منها مثلا شحاذ العين Stye (المعروف في العراق باسم ـ دقدقة ـ بقلب القاف كافا معجمة) وبخاصة المتكرر منه الذي يعود مرة بعد اخرى بعد كل مداخلة جراحية تجرى له ، ولن يتخلص المريض منه الا باخذ حالته النفسية المضطربة بنظر الاعتبار والمعالجة . منها ايضا التهاب الاجفان الحاد والمزمن والدمعة والاغروراق ،وظهور النقط المتراقصة امام العين ، والوجع خلف المقلة وتعب العين والتهاب القزحية Iritis وارتفاع ضغط العين (كلوكوما) ، والعمى الهستيري .

والخلاصة

فقد كان مرادي من هذا السرد الذي أرجو ان لا يكون مملا او مخلا ، ان أبيّن للقارىء الكريم اهمية النفس واثرها في الجسم ، وفي العديد من حالات الجسد المرضيّة . وانا اعلم بان هذا البحث بشكله هذا الذي يقتضيه المجال والمقام ، اقل من ان يكون وافيا او شافيا ، ولكنه على كل حال لا بد ان يكون دالا ومشيرا الى اهمية هذا الموضوع في المجال الطبي والعلاجي ، وفي المجال الاعلامي العام تنويرا للناس .

ان الانسان في حقيقته جسد ونفس . ولا بد لنا في تدبيره الطبي في حالة المرض ان ناخذه على هذا الاساس ككل متكامل جسدا ونفسا . واذا كنا بذلك نرجع الى التدبير الطبي الذي كان سائدا في الحضارات القديمة ، فاننا يجب ان نعترف له بالاصالة والجدارة والحيوية ، بصرف النظر عن قديم وحديث . ■■

معمر خالد الشابندر

بغداد



العُنْصُر الوِجْدانِيّ فى شِعْرِ الحُرُوب قَبْلَ الإِسْلام

■ ليس ثمة من شك في أن الوجدان هو العنصر الاساسي الذى يفصل بين العلم والفن . فاذا كان العلم وصفا موضوعيا للواقع فان الفن تعبير عن التجربة الواقعية او المتخيلة مصبوغة بالوان من العواطف والانفعال . واذا كان للعنصر الوجدانى في الشعر – وهو فن انسانى أصيل – هذا الاثر القاهر الذى لا خلاف فيه فان من البدهي ان يكون له في شعر الحرب خاصة اثر اظهر وابلغ . ذلك لان انفعال الشاعر الفارس في المعارك تلقائيٌ عنيف يستمدُّ طاقاته من الاحاسيس العميقة التى تهيجها الحماسة وتفلوها نشوة التعبير عن الذات المتعطشة الى خوض الوغى ، ومصاولة الفرسان ، والمتشوِّقة الى اشتباك الصفوف ، وصليل السيوف ، وحمحمة الجياد ، ومثار الغبار ، وبريق السلاح ، وغمغمة الكماة ، وتدفق الدماء ، وتساقط الاشلاء . انه يحس في ميدان المعركة أن ذاته بجوارحها وعواطفها وصبواتها واشواقها تحقق وجودها فتعيش لحظات من النشوة والسعادة لا تعادلها السنوات والقرون . افعجيب بعد هذا أن يستسلم الشاعر الفارس لانفعاله ابعد استسلام فيحلق في أجواء الخيال وينسى – أو يكاد – حقيقة التجربة التى يعبر عنها في شعره .



بقلم

الدكتور فخر الدين قباوة

مدرس الادب العربي القديم بجامعة حلب

فعنترة بن شداد مثلا يهول امر يوم الفروق في قصيدته التي مطلعها :

ألا قاتلَ اللهُ الطلولَ البواليا
وقاتلَ ذكراكَ السنينَ الخواليا

حتى يخيل للسامع ان الدنيا بأسرها قد اشتركت فيه . فاذا سئل : كم كنتم يوم الفروق؟ قال: كنا مائة، لم نكثر فنفشل، ولم نقل فنذل .

بل ان زيد الخيل يفخر بيوم محجر وما كان فيه من بطولته وعظمة قومه قائلا :

بني عامرٍ ، هل تعرفون إذا غدا
أبو مكنفٍ ، قد شدَّ عقدَ الدوائرِ (١)
بجيشٍ ، تضلُّ البُلْقُ في حَجَراته (٢)
ترى الأُكْمَ منه سُجَّداً للحوافرِ
وجمعٍ ، كمثل الليل ، مرتجسٍ (٣) الوغى (٤)
كثيرٍ تواليه ، سريعِ البوادر
أَبتْ عادة للوَرْدِ (٥) أن يكره الوغى
وحاجةُ رمحي في نُمير بن عامرِ

وعندما تسمع ليلى بنت عروة بن زيد الخيل هذه الابيات تسأل اباها عروة : اشهدتَ ذلك اليوم مع ابيك ؟ فيقول : نعم . فتسأله كم كانت خيلكم ؟ فيقول : ثلاثة افراس !

وقيس بن الخطيم يفخر ببلائه يوم الحديقة فيقول :

أُجالدهم يوم الحديقة حاسراً
كأنَّ يدي بالسيف مِخراقُ لاعبِ

مع ان حربهم هذه لم يستخدم فيها سلاح وانما كانت بالحجارة والعصي . ولهذا فان محمد بن فضالة عندما سمع هذا البيت ضحك وقال : في هذا اليوم لم يتحاربوا الا بالرطائب والسعف .

ومن هذه النماذج تتبدى لنا حقيقة طغيان العنصر الوجداني في شعر الحرب واستبداده به . فالشعراء يشغلهم تأجج الانفعال وتوهج الوجدان عن التزام الواقع ، ثم يحلق بهم الخيال فاذا الفن والوجدان طاغيان على سائر العناصر الاخرى ، حتى يصبح الصدق الفني بديلا من الصدق الواقعي .

---

(١) الدوائر : دوائر الدرع يشدها الفارس اذاحمي . (٢) الحجرات : النواحي .
(٣) المرتجس : الذي يسمع صوته ولا يبين كلامه. (٤) الوغى : الاصوات . (٥) الورد : فرس .

وعلى ذلك يكون شعر الحرب ميدانا تتصارع فيه عواطف الجاهلي ، فيمثل لنا الجوانب النفسية والانفعالات الانسانية من شخصية العربي قبل الاسلام . ولعل ابرز هذه الجوانب ما يلي :

القسوة والشراسة

ان ممارسة الحروب واهوالها وفظائعها من قتل وتشويه وسبي وتشريد واهانة وفقر وضجيج وعويل وصراخ ومكر وبطش ... تكسب المرء قدرة على كتمان الاحساس الانساني المرهف وتنمي فيه ميول العدوان والتوحش والشراسة ، فاذا هو طاقة هائلة من القوة المندفعة لا تعرف معنى للرحمة والشفقة . فالجانب الشيطاني من الانسان يتفجر ليخفي تحت أمواجه الاحساس بالام الناس وبوخز الضمير وتقريع الروح . ولهذا نرى اكثر الشعراء الفرسان متمتعين بنصيب وافر من قسوة النفس وفظاظة القلب وصفاقة الاحساس بما يعانيه العدو وما توجبه المثل الانسانية .

ان الحرب لا يمكن ان يفلح فيها الفيلسوف الجانح الفكر المرهف الحس ولا الوديع الذي يؤله ايذاء الناس وانزال البلاء والشر بهم . ولذلك نرى عمرو بن كلثوم المشهور يسعده ان يرى رؤوس الاعداء تشقها السيوف وتحصدها فتتساقط اكداسا هائلة ، ويفخر انه وقومه لم يلامس قلوبهم احساس بالشفقة والبر :

نَشقُّ بها رؤوس القوم شقّاً ... ونختلبُ الرقاب ، فيختلينا (٦)

تخال جماجم الأبطال فيها ... وسوقاً (٧) بالأماعز (٨) يرتمينا

وإنّ الضغن بعد الضغن يبدو ... عليك ، ويخرج الداء الدفينا

نجذُ رؤوسهم في غير برٍّ ... فما يدرون ماذا يتّقونا

وربما استبدت بالشاعر دوافع الانتقام والتنكيل حتى باهي بتفليق هامات الاقرباء والاصدقاء لانهم بادروا بالعقوق ، ويفخر انّ قومه سلبوا الجياد وتركوا الرماح في صدور فرسانها وانّ الخيل كانت تطأ جثث القتلى في الميدان . قال الحصين بن الحمام :

نُفلّقُ هاماً من رجالٍ أعزّةٍ ... علينا ، وهم كانوا أعقَّ وأظلما

وجوهُ عدوٍّ ، والصدورُ حديثةٌ ... بودٍّ ، فأودى كلُّ ودٍّ فأنعما

نطاردهم نستنقذُ الجُرْدَ (٩) كالقنا ... ويستنقذون السمهريَّ (١٠) المقوّما

يطأن من القتلى ومن قِصَدِ القنا (١١) ... خباراً (١٢) ، فما يجرين إلا تجشّما

وليست هذه القسوة خاصة بالفرسان ، وانما كانت شائعة حتى عمّت صفوف الصعاليك ايضا ، فهذا الشنفرى يفاخر بانه قتل في غارته الرجال فايتم النساء وايتم الاولاد .

فأيّمتُ نسواناً ، وأيتمتُ إلدةً (١٣) ... وعدتُ كما أبدأت ، والليلُ أليلُ

فكأنه يهتز زهواً وتيها انه فجع النسوة والاطفال الضعاف . واذا كان هذا قد فخر بتألم النساء لفقد ازواجهن دون ان يمسهن بسوء فقد باهى عوف بن عطية انّ قومه فتكوا بالرجال ثم مالوا على النساء لسبيهن فاذا هنّ قد هالهنّ الفزع فعدون حاسرات تائهات .

---

(٦) يختلين : يقطعن كما يقطع الحشيش .

(٧) الوسوق : الاحمال .

(٨) الاماعز : جمع أمعز ومعزاء وهي الارض التي تكثر حجارتها .

(٩) الجرد : الخيل القصار الشعر .

(١٠) السمهري : الرمح نسب الى سمهر .

(١١) قصد القنا : قطعها المكسرة .

(١٢) الخبار : الارض اللينة فيها جحور .

(١٣) الالدة : الولدة .

ولنعم فتيانُ الصباح لقيتُـــــــم
وإذا النساءُ حواسرٌ كالعُنْقُرِ (١٤)

من بينِ واضعة ِ الخمارِ وأختِهــا
تسعى ، ومِنطقُها مكانَ المئزرِ

انها شماتة الشاعر بهذه النسوة اللواتى ادركتهن الفجيعة مقرونة بالسبى والعار . فكان الانسان فقد ها هنا كل احساس بالرافة والشفقة واصبح آلة تسيّره الاهواء والشهوات ، حتى ابدى مثل هذه القسوة العميقة الجذور ، ولعلّ ابعد من عوف في مضمار الوحشية والشراسة ما نراه لدى المفضل النكرى . فهو يغرق في الفظاظة حتى ليذكر بكل فخر واعتزاز ان نساء قومهواعدائه قد صَحِلت حلوقهن لكثرة ما بكين ، فكانه يطرب لهذه الاصوات وينتشي لآلام المراة وفجيعتها :

فأَبكينا نساءهمُ ، وأَبكَـــوا
نساءً ، ما يسوغ لهنّ ريـــــقُ

يجاوبن النُّباحَ بكل فجـــــرٍ
فقد صَحِلتْ (١٥) من النوح الحلوقُ

وهذه لعمرى آخر درجة من درجات الفظاظة . وما اظنّ ان بعد التشفّي بآلام الضعيف العاجز دركا ينحدر اليه وجدان .

الحقـد المرير

اما دوافع تلك القسوة لدى المحاربين فهى كثيرة متداخلة . ولعل اظهرها ذلك الحقد الذى لا يستطيع الشاعر كتمانه ، بل يرى من واجبه ان يجليه ويعظمه ليكون حافزاً له ولاصحابه على البطش والتنكيل . ففرسان الجانبين من المحاربين يندفعون الى المعركةوسياط الحقد تلهبآحاسيسهم وتثير غيظهم وتفجر في نفوسهم ينابيع النقمة والثار ، حتى تفقد الصدور كل احساس انسانى وتصبح مراجل من الغيظ وبراكين من البغضاء . وها هم اولاء بنو حنيَى يلقون بنى لُجيم،والقلوب مستسلمة للحقد مصمّمة على الانتقام او الموت :

تلاقينا بسبسبٍ (١٦) ذى طُريفٍ (١٧)
وبعضُهمُ على بعضٍ حنيـــــقُ

مشينا شطرهم ، ومشوا إلينــــا
وقلنا : اليوم ماتُقضى الحقـــوقُ

رمينا في وجوههم بِرِشْـــقٍ (١٨)
تغصُّ به الحناجرُ والحلـــوقُ

وهكذا نلمس في صدورهم هذا التحرّق من الغيظ يدفعهم الى الميدان لينال كل منهم حقه من ثار وانتقام .

ولهذا ترى عنترة بن شدّاد يتحرق الما وحسرة ان تحول الايام بينه وبين عدوّيه هرم وحصن ابنى ضمضم ، ولا يجد شفاء لما في صدره الا ان تدور الدائرة عليهما ليلحقهما بابيهما القتيل :

ولقد خشيتُ بأن أموت ولم تـــدر
للحرب دائرةٌ على ابنَيْ ضمضمِ

الشاتِمَيْ عرضى ولم أَشتمْهمـــا
والناذِرَيْنِ ، إذا لقيتُهما ، دمى

واذا كان هو قد ابدى حقده عليهما فانه قد ابدى ايضا ما اظهراه نحوه من بغض ورغبة في الثار .

نشوة السيادة

ومن الدوافع التى تثير في النفس الشراسة والتوحش ان يتمثل المحارب ما يجنيه له الاقدام والظفر . فهو سيذل العدو ويصبح سيدا يقود الاشراف مصفّدين والغنائم والسبايا . انها نشوة قسوة وجبروت .

---

(١٤) العنقر : اصل البردىّ مادام ابيض . (١٥) صحلت : بحّت . (١٦) السبسب : الارض المستوية
(١٧) ذو طريف : موضع . (١٨) الرشق : الرمى بالسهام دفعة واحدة .

فعمرو بن كلثوم يملأ نفسه تيهاً أن يرى ذلة العدو من ملوك ونساء :

وكنا الأيمنين إذا التقينا
وكان الأيسرين بنو أبينا
فصالوا صولة فيمن يليهم
وصلنا صولة فيمن يلينا
فآبوا بالنهاب وبالسبايا
وأبنا بالملوك مصفدينا

ومن هذا الينبوع ينهل عنترة حين يهز نفسه ان يتقدم الصفوف . الا ان نشوته ليست لغنيمة يصيبها او اسير يقوده وانما هي ان يستغيث به الابطال ويحتموا به طلباً للنجاة من الموت . ففي ذلك اقرار منهم بسيادته وزعامته ، وشفاء لنفسه من آلام الصراع بين ضعة امه وعلو همته :

إذ يتقون بيَ الأسنةَ ، لم أخِم
عنها ، ولكني تضايق مُقدَمي
يدعون عنترَ ، والرماح كأنها
أشطانُ بئرٍ في لبانِ الأدهمِ
ولقد شفى نفسي وأبرأ سُقمَها
قيلُ الفوارسِ : ويك عنترَ أقدمِ

الصبر والتجلد

وكان من آثار القسوة والشراسة ان غطى على احساس الانسان بالألم غشاوة قاتمة حجبت عنه ما يتمتع به الرجل السوي . ذلك ان الوحشية المغرقة تتطلب مجابهة بالتجلد كي تستقبل المصائب برحابة الصدر وتدفع الآلام بعنف الصبر.

ولهذا نرى عامر بن الطفيل عندما طعنه مسهر فشق عينه وفلق وجنته لم يشغله الألم والتشويه عن واجبات الرجولة من ثبات واقدام ، ونعى على نفسه ان يتوجع لأنه صبور :

لعمري ، وما عمري عليَّ بهيّنٍ
لقد شان حرَّ الوجه طعنةُ مُسهرِ
فبئس الفتى أن كنتُ أعور عاقراً (١٩)
جباناً ، فما عذري لدى كلّ مَحضرِ
وقد علموا أني أكرُّ عليهمُ
عشيةَ فيفِ الريح (٢٠) كرَّ المُدَوَّرِ ٢١

وبشامة بن حزن النهشلي يفخر بان يكون رجال قومه طعمة للحرب ، يقدمون على الموت ولا يبكون فقيداً :

إني لمن معشرٍ أفنى أوائلَهم
قيلُ الكماةِ : ألا أين المحامونا
إذا الكماة تنحّوا أن يصيبهم
حدُّ الظُّباتِ (٢٢) وصلناها بأيدينا
ولا تراهم وإن جلّت مصيبتهم
مع البكاة على من مات يبكونا

وهذا التجلد ليس من شيمة الرجال وحدهم ، فقد شاركهم فيه النساء ايضا لانهن ألِفنَ مشاهد القتلى والجرحى فاصبحن كالفرسان صبراً وتجلداً ، ولم يعدن يعرفن النوح او العويل . وهذا ما مثله لنا عمرو بن كلثوم في قوله :

مَعاذَ الإله أن تنوح نساؤنا
على هالكٍ ، أو أن تضجَّ من القتلِ

(١٩) العاقر : الذى يسلم قوائمه عند القتال من الخوف . (٢٠) فيف الريح : يوم لهم .
(٢١) المدوّر : الذى يدور حول مكان لهم فيه صنم . (٢٢) الظبات : أطراف السيوف .

ولعل أروع آيات الصبر ما أبداه عمرو بن معديكرب، فقد دفن بيديه كثيراً من أصحابه وأخوانه بعد أن كفنهم بنفسه ولكنه لم يجزع ولم يحزن قط لأنه علم أن الحزن لا يجدي ولأنه جلد صبور يستطيع أن يملأ الفراغ الذي خلفه القتلى ويثأر لهم من العدو :

كم من أخٍ لي صالحٍ
بوّأته بيديَّ لحدا

ما إن جزعتُ ولا هلعـ
ـتُ ولا يردُّ بكاي زندا

ألبسته أثوابه
وخُلقتُ يوم خُلقت جلدا

أغنى غناء الذاهبيـ
ـنَ أعدُّ للأعداء عدّا

الشعور الانساني

على أن ذلك الاغراق في القسوة والتوحش بما يلابسه من حقد مرير واعتزاز بالسيادة وصبر وتجلد لم يستطع أن يغطي جميع جوانب نفوس الجاهليين، فترك منافذ ظاهرة تسربت منها لمحات من الأحاسيس الانسانية المحمودة . فكان مقابل ذلك الاغراق ارهاف حاد في الاحساس حتى لتظن أن ذلك الفظ الغليظ القلب هو غير هذا الانسان الذي يتفجر ألماً لما يصيب الانسان أو الحيوان .

فعمرو بن معديكرب الذي لمسنا تجلده وصبره ازاء مقتل الرجال ودفنهم يهز كيانه أن يرى نسوة قومه افقدهن الفزعُ الصوابَ وهتك احتشامهن ووقارهن حتى بدت محاسنهن المصونات ، فتثور في نفسه كوامن الانسانية وتتملكه أصداء العزة والنخوة والاباء ، فاذا هو يخترق الصفوف ويلقي بنفسه في أحضان الموت حتى يلقى رئيس الأعداء وينهي المعركة بالنصر :

لمّا رأيتُ نساءنا
يفحصنَ [23] بالمعزاء [24] شدّا

وبدتْ لميسُ كأنها
بدرُ السماءِ إذا تبدّى

وبدت محاسنُها التي
تخفى ، وكان الأمر جِدّا

نازلتُ كبشهمُ ، ولم
أرَ من نزال الكبش بُدّا

أما عنترة الذي عاش للحروب فانه لا يستطيع أن يكتم ما في نفسه من العنصر الانساني الأصيل، فهو يتلوى ألماً لفرسه عندما تضرجه الرماح بالدماء وتدفعه الى الشكاة بالحمحمة والعبرات :

يدعون عنترَ والرماح كأنها
أشطانُ بئرٍ في لبان الأدهمِ

مازلتُ أرميهم بثُغرةِ نحرهِ
ولبانه حتى تسربل بالدمِ

وازورَّ من وقع القنا بلبانه
وشكا إليَّ بعبرة وتحمحمِ

لو كان يدري ما المحاورة اشتكى
ولكان لو علم الكلام مكلّمي

ارايت الى هذه المشاركة الوجدانية العنيفة ، انها أصالة الانسان تخترق حجب العواطف الفظة المكتسبة لتجلى حقيقة النفس الكريمة .

وقد يقوم في وجدان الشاعر صراع عنيف بين الاستسلام لحب القتل وبين الاستجابة لواجب القرابة والمحبة فتكون الغلبة للاول بعد أن تلمع

---

(٢٣) يفحصن : يؤثرن في الارض لشدة العدو .(٢٤) المعزاء : الارض التي تكثر حجارتها .

بوادر الشفقة والبر ، وهذا ما عبّر عنه المهلهل ابن ربيعة في قوله :

بِكُرهٍ قلوبنا يا آلَ بكـــرٍ
نُغاديكم بمرهفةِ النصـــالِ
لها لونٌ ،من الهامات ، جَونٌ (٢٥)
وإن كانت تُغادى بالصقـال
ونبكي حين نذكركم عليكــم
ونقتلكم كأنا لا نبالـــــي

وقد تكون الغلبة لأواصر الرحم والقربى فتنتصر الانسانية على الوحشية والشراسة ، كالذي يمثله لنا الحارث بن وعلة الذهلي حين قتل ابناءُ عمه اخاه فلزم جانب الحكمة والحلم :

قومي همُ قتلوا أميمَ أخـــي
فإذا رميتُ يصيبني ســـهمي
فلئن عفوتُ لأعفونْ جَـــلَلا (٢٦)
ولئن سطوتُ لأوهنَنْ عظمـــي
وزعمتُمُ أنْ لاحلومَ لنـــا
إنّ العصا قُرعت لذي الحلـم

النفور من الحرب

بل ربما اشتدت حِدّة الجانب الانساني لدى الجاهلي فاسمعنا في غمرة الاتيِّ العنيف من الصراع الدائم الذى حبّب الى الناس سفك الدماء وهيأ لاثارة الحروب والاصطلاء بنارها ـ صرخاتٍ غير مكتومة تشهّر بالقتال وتنفّر من ازهاق الارواح وهتك الاعراض راغبة في احلال السلام والوئام وازالة اسباب الشقاق والخلاف .فجندل بن عمرو السعدي يؤله أن يؤذى أبناءُ عمه مولاه فيُهيب بهم الا يثيروا الفتنة النائمة لانها ستكون وبالا عليهم في الحاضر والمستقبل :

أفيقوا ، بني حَزْنٍ وأهواؤنا معاً
وأرماحنا موصولةٌ لم تُقَضَّبِ
ولا تبعثوها بعد شدّ عقالهـــا
ذميمةَ ذكرِ الغيب في المتعقّـبِ
فانْ تبعثوها تبعثوها ذميمــةً
قبيحةَ ذكرِ الغبِ للمتغبـــبِ

وكذلك حال الاعشى فانه يناشد ابناء عمه أن يكفوا اذاهم ويعمدوا الى رعاية العهد لأن العدوان يفجع الأقرباء بعضهم ببعض ، فكان الانسان يطعن صدره برمحه .

بني عمنّا ، لاتبعثوا الحرب بيننـا
كردّ رجيعِ الرّفْضِ [٢٧] ،وارموا إلى السِلم
وكونوا كما كنّا نكون ، وحافظوا
علينا كما كنا نحافظ عن رِهْمِ (٢٨)
فلا تكسروا أرماحكم في صدوركم
فتغشمكم، إنّ الرماح من الغَشْمِ

اما زهير بن ابى سلمى فقد عاصر حرب داحس والغبراء ، وشهد ويلاتها وجرائرها بين عبس وذبيان خلال عشرات السنين ، فثبت لديه انها محنة يجب القضاء عليها والتخلص منها . وعندما راى سعى هرم بن سنان والحارث بن عوف في الصلح بين القبيلتين وقطع دابر الفتنة اسعده ذلك ، فراح ينظم القصيدة تلو الاخرى مادحا السيدين المصلحين ومحذرا الجانبين من النكث بالعهد ومن ويلات الحروب . ومن ذلك قوله في معلقته :

(٢٥) الجون : الاسود . يريد لون الدماء والصدأ.(٢٦) الجلل : الامر العظيم .
(٢٧) الرفض : الابل الراعية .
(٢٨) رهم : اسم حيٍّ من أحياء العرب .

يميناً لنعم السيدان وجدتما
على كل حال من سحيل ومبرم

تداركتما عبساً وذبيان بعدما
تفانوا ودقّوا بينهم عطر منشم

فمن مبلغ الأحلاف عني رسالة
وذبيان: هل أقسمتم كل مقسم

فلا تكتمن الله مافي نفوسكم
ليخفى، ومهما يكتم الله يعلم

يؤخر، فيوضع في كتاب، فيدخر
ليوم الحساب، أويعجل، فينقم

وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم
وما هو عنها بالحديث المرجم

وانت ترى في هذه النماذج ان الجاهليين ، على حبهم للحروب ورغبتهم في الصراع ، يبدون نفورا واضحا من الحرب ويتمنّون احيانا انها لم تكن . وقد ساهم في ابداء هذا النفور شعراء منالفرسان كعنترة ومن غيرهم كزهير مما يؤكد ان هذا الشعور لا يخصّ جماعة دون أخرى .

واذا كان في هذه النماذج ما ينفر من الحرب بين الأقرباء والقبائل الشقيقة فان ثمة من ترفّع في شعوره هذا عن المستوى القبلي ونظر الى الموضوع نظرة انسانية شاملة فراى ان الحرب بلاء يجب على الناس تفاديه . فعنترة يذكر ان الحرب اولها شكوى واوسطها نجوى وآخرها بلوى وعمرو بن معديكرب يرى ان الحرب ذات مظهر فتّان وباطن ممقوت ، فهي تسحر الجهلاء الاغرار بتوهج ظاهرها حتى يسعوا اليها ويعالجوها ثم تتكشف عن حقيقتها فاذا هي عجوز شمطاء كريهة يتقزز منها الناس جميعا وينفرون من ويلاتها :

الحربُ أول ماتكون فُتَيّة
تسعى بزينتها لكلّ جهول

حتى إذا حميت وشبّ ضرامها
عادت عجوزاً غير ذات خليل

شمطاء جزّتْ رأسها ، وتنكّرت
مكروهةً للشمّ والتقبيل

الاعجاب بالعدوّ

ومن مظاهر الاحساس الانساني الأصيل ان ينسي الانسان طغيان ذاته وقومه على ثنه ويخلص للحقيقة فيما يذكر ، فيعدد مآثر خصمه وفعاله ولا يغمطه حقه في ميدان الشرف .

ان الكريم البطل يهتز للكرم والبطولة أينما كانا، ويرى فيهما أصداء لما في نفسه واشواقه وصبواته، فلا يجد مناصا من التغني بهما وتمجيد من تتمثلان فيه . ثم هو يسعده أن يكون خصمه كريما بطلا لان اللئيم الجبان لا يخاصمه الا من كان مثله في لؤمه وجبنه . ومن ها هنا كان اعجاب الفرسان العظام بنبل خصومهم وكرمهم وبطولتهم ، وكان الانصاف الرائع الذي يترفع الانسان به عنالاغراق في ذاتيته ورعونة الخصام ، وكان من الأشعار ما اطلق عليه العلماء اسم المنصفات .

فالفارس الذي يبارز عنترة تام السلاح تخشى جبروته الابطال ولا يعرف للهرب أو الذلة سبيلا . ولذلك يكرمه الشاعر حين يقتله ويرى انه اهل لان يقتل بالسلاح خلافا للئام والعبيد الذين يموتون حتف أنوفهم أو تحت العصي والحجارة :

ومدجّج كَرِهَ الكماةُ نِزالَهُ
لاممعنٍ هرباً و لا مستسلمِ

جادت له كفّي بعاجلِ طعنــةٍ
بمثقّف ، صدْقِ الكُعوبِ ،مقوَّمِ

فشككتُ بالرمح الأصم ثيابَـه
ليس الكريم على القنا بمحـرَّمِ

فان قيل : ان عنترة انما امتدح خصمه ليبالغ في الفخر ببطولة نفسه وتمجيدها لان البطل لا يقهره الا الأبطال العظام ! قلنا ان ثمة مـن يعرض انصافه للعدو في نبرة من النزاهة تنفي كل مارب ذاتي . فهذا عمرو بن كلثوم يرى في جيش قومه وجيش عدوه ندين متكافئين ، فالسيوف بين الفرسان كالمخاريق يلعب بها الصبيان ،والثياب من الجانبين ضرّجتها دماء الجراح :

كأنّ ثيابنا منـا ومنهـم
مخاريقٌ بأيدى لاعبينـا

كأنّ سيوفنا فينا وفيهـم
خُضبنَ بأرجوانٍ أو طُلينا

والمفضّل النكري يصور لنا ميدان المعركة تكدس فيه جرحى الأشراف يلفظون انفاسهم الأخيرة، ورتعت فيه الضباع والغربان متخمة طربة :

فكم من سيدٍ منا ومنهـم
بذى الطرفاءِ منطقُه شهيقُ

فأشبعنا السباع ، وأشبعوهـا
فراحت كلُّها تَئِقٌ (٢٩) يفوقُ (٣٠)

تركنا العُرْجَ عاكفةً عليهـم
وللغربان من شبعٍ نغيـقُ

تركنا الأبيض الوضّاح منهـم
كأنّ سواد لِمّتِهِ العُـذوقُ

تَعاوَره رماح بنى لكيـز
فخرّ كأنّه سيف ذَلُـوقٌ (٣٢)

وقد قتلوا به منا غلامـاً
كريماً لم تؤشّبْه العـروقُ

على اننا اذا تتبعنا هذه القصائد رأينا الشعراء ينهون المعارك بهزيمة الأعداء مع ما اتصفوا به من ثبات واقدام وبطولة . اما عبد الشارق بن عبد العزى فانه بعد أن ينصف عدوه ينهي المعركة بانصراف الجيشين متكافئين :

فمن يرَنا يقلْ سيلٌ أتـى
نكرُ عليهمُ ، وهمُ علينـا

شددنا شدّةً ، فقتلتُ منهـم
ثلاثةَ فتيةٍ ، وأسرتُ قينـا

وشدُّوا شدّةً أخرى فجـرُّوا
بأرجلِ مثلِهم ، ورَمَوا جُوينا

وكان أخي جُوينٌ ذا حفـاظٍ
وكان القتلُ للفتيان زَينـا

فآبوا بالرماح مكسّـراتٍ
وأبنا بالسيوف قد انحنينـا

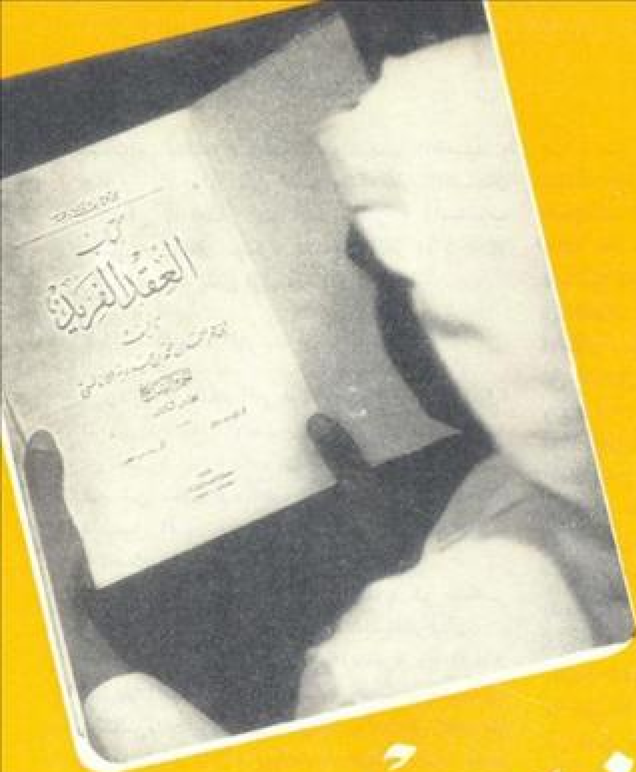
وباتوا بالصعيد لهم أحـاحٌ
ولو خفّت لنا الكلمَـى سرينا

■■

فخر الدين قباوه

---

(٢٩) التئق : الممتلىء . (٣٠) يفوق من الفواق .
(٣١) العرج : الضباع . (٣٢) الذلوق : السلس الخروج من الغمد .



كتاب كتب
وهو في المغرب
فجمع فيه
اشتاتا من
ذخائر
أهل المشرق !

العِقدُ الفَريد

لابن عبد ربه

بقلم : عبد الستار فراج

■ يحن كل نازح الى أوطانه ، ويطرب لذكر مغانيه . ويقرأ كل ما يكتب عنها او يقال فيها . ذلك كان شأن العرب بالأندلس حينما فتحوها واستقروا فيها . وليس هذا امرا انفردوا به دون سائر الخلق فى الشوق الى اوطانهم وبلدانهم . ولم يكن الحنين مقصورا على المقيمين بالأندلس غربا ، بل ان الشوق كان يغالب من اتجهوا الى الشرق ، فى بلاد فارس والهند . .

لكن سكان الأندلس استقلوا بخلافة ، ثم نافسوا اخوانهم في الشرق . ونشر الفاتحون للاندلس لغتهم ، وشغلوا بتمكين قواعدهم وترسيخ اقدامهم ، على ان الحاجة الى الادب العربي والطرائف العربية ، والضرورة الى علوم الشريعة الاسلامية التي خفقت رايتها فوق رؤوسهم ، كانت تتجه بهم الى حيث المنبع الفياض والمورد العذب ، في شبه الجزيرة العربية وما حولها ، فارتحلوا ينهلون ويتزودون ، أو اجتذبوا اليهم من طبقت شهرتهم الآفاق ، او استنسخوا ما عرفوه من مؤلفات ، وظلوا على هذا اكثر من قرن ، راضين بما اجتلبوه ، فهو نتاج الآباء والأجداد ، الى أن

نشأت لهم ملكات ، وظهرت مواهبهم الكامنة ، وتأثروا بالاجواء التي كانت تبعث على الافتنان والابداع . فصار لهم أدب متميز ، وأسلوب مختار ، وأفكار مبتكرة تصاغ باللغة الأم ، الا وهي العربية التي نزل بها القرآن .

العقد الفريد أدب الشرق

وكتاب « العقد الفريد »اختيار من أدبالشرق، اذ لم يكن لأهل الأندلس اذ ذاك ما يمتازون به من نظم أو نثر ، ذلك أن شعرهم ونثرهم ، الى عهد ابن عبد ربه صاحب العقد الفريد كان محاكاة لما يصل اليهم من قصائد الشعراء في الجاهلية والاسلام وبني أمية والعباسيين .

وابن عبد ربه مؤلف هذا الكتاب لم يسافر الى الشرق ، بل حفظ وقرأ كتب الشرقيين ، ثم أخذ ينقل الى أهل بلاده ما يتخيره من آثار أهليهم العرب . والانسان قد يكون مبتكرا فينشيء جديدا ، او يكون ذا موهبة في التنسيق او النقل ، فيقدم لموطنه ما يعجبه ، وما يحس أن أهل بلاده يرتاحون اليه ، ويتطلعون الى الاستفادة منه ، لخلو ديارهم من أمثاله . وان كثيرين منا الآن لينقلون الى لغتنا ما يترجمونه من آداب الأمم الأخرى ، لشعورهم بان هذا ينفع طالبي الثقافة ، وانه يفتح امامهم آفاقا جهلوها أو قصّروا في الانطلاق بينها . والأندلسيون ، كما قلت ، لم يكن لهم الى عهد صاحب « العقد » أدب خاص ، لانشغالهم بتمكين الدولة وبالاستقرار . وان الصاحب ابن عباد ، وهو من محبي الثقافة العربية ، والبارزين فيها اطلاعا وتأليفا ، حينما وصل اليه العقد الفريد وقراه قال : « هذه بضاعتنا رُدّت الينا ، ظننت أن هذا الكتاب يشتمل على شيء من أخبار بلادهم، وانما هو يشتمل على أخبار بلادنا . لا حاجة لنا فيه . »

لكنه منظّم وجامع لأشتات

والحق ان القاريء لمؤلفات القرن الثالث مثل « عيون الأخبار » و « البيان والتبيين » و «الكامل للمبرد » والسامع لما يروى عن العلماء في وقت هذه المؤلفات ، وما حوته كتب ألفت ولم تصل الينا ، حين يقرأ « العقد الفريد » يجد ان اكثر ما فيه لا يخرج عما سبقه . اما من لم يستوعب هذا ، ممن لم يبلغ مبلغ الصاحب ابن عباد ، فانه سيجد فيه تنظيما بديعا ، وتبويبا حسنا ، ومعلومات كثيرة ، جمعت من اشتات متفرقة .مع حذفه الأسانيد التي كان يُعنى بها معاصروه ومن أخذ عن كتبهم وحفظ مؤلفاتهم .وانه ليبدي حجته في الحذف فيقول : « وحذفت الأسانيد من أكثر الأخبار ، طلباً للاستخفاف والايجاز . وهرباً من التثقيل والتطويل ، لأنها أخبار ممتعة ، وحكم ونوادر ، لا ينفعها الاسناد باتصاله ، ولا يضرها ما حذف منها ، وقد كان بعضهم يحذف أسانيد الحديث ، من سنة متّبعة ، وشريعة مفروضة ، فكيف لا نحذفه من نادرة شاردة ، ومثل سائر ، وخبر مستطرف » .

على ان لمؤلف العقد الفريد مقدمة موجزة بليغة لكل فصل ، او لكل جوهرة من عقده ، ثم حين يعرض شعرا للقائلين في المعنى الذي ساقه يعقّب فيقول : « ومن قولنا في هذا المعنى » او يقول « وقد قلت في ذلك » ويأتي ببيت او ابيات من نظمه وشعره تناسب المقام . وهو اذ يسوق بعض اشعاره يريد ان يبرهن على ان لأهل الاندلس حظا من الادب ، ونصيبا من القول ، على رغم بعدهم عن الأوطان العربية ذات القول والبيان ، فهو يقول « وقد نظرت في بعض الكتب الموضوعة ، فوجدتها غير متصرفة في فنون الأخبار ، ولا جامعة لجمل الآثار ، فجعلت هذا الكتاب كافيا شافيا ، جامعا لأكثر المعاني التي تجري على أفواه العامة والخاصة ، وتدور على ألسنة الملوك والسوقة ، وحلّيت كل كتاب منها بشواهد من الشعر تجانس الأخبار في معانيها ، وتوافقها في مذاهبها . وقرنت بها غرائب من شعري ، ليعلم الناظر في كتابنا هذا ان لمغربنا على قاصيته ، وبلدنا على انقطاعه ، حظا من المنظوم والمنثور » .

قلد صاحب عيون الأخبار وزاد عليه

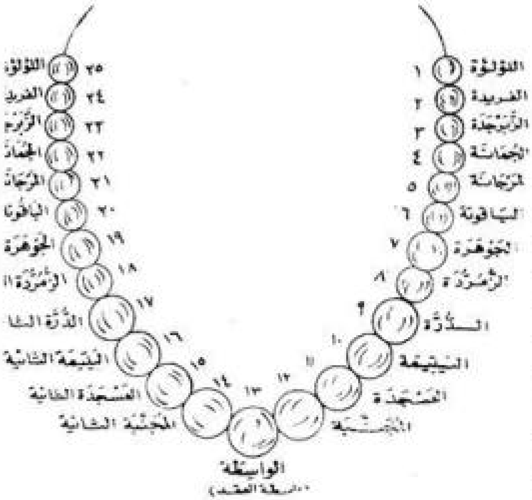
ويبدو ان ابن عبد ربه كان معجبا بابن قتيبة صاحب عيون الأخبار ، فقد تناول الأبواب التي تناولها ، ونقل كثيرا من اخباره والأشعار التي اوردها ، ثم زاد على ذلك اضعافا من أخبار واشعار وأبواب . وقد بدأ صاحب العقد باللؤلؤة في السلطان ، وقبله بدأ ابن قتيبة بكتابالسلطان. ولم يترك موضوعا مما طرقه وسماه كتابا الا خالف هو فيه باسم احدى الدرر التي يتكون منها عقده .

عناوينه احجار كريمة

وواضح من مقدمة ابن عبد ربه انه اعجب بقلائد الحسان،وعقودهن ، وعرف أسماء الجواهر واليواقيت ، فتصور اجمل عقد يكون من خمسة وعشرين حجرا كريما ، واسطته ينتظم فوقها من ناحية، اثنا عشر حجرا ، ومن ناحية، اثنا عشر حجرا ، كل واحد من الاثنى عشر يقابل مثيله من الجهة الأخرى ، فالاول من الناحية البعيدة عن الواسطة وهو الذى عند معقد العقد اسمه كتاب اللؤلؤة في السلطان ، يوازيه اللؤلؤة الثانية في الفكاهات والملح.والحجر الثانى في عقده هو كتاب الفريدة في الحروب . يوازيه الفريدة الثانية في الطعام والشراب . والثالث كتاب الزَّبَرجدة في الأجواد ، يوازيه الزَّبَرْجدة الثانية في طبائع الانسان وسائر الحيوان . والرابع كتاب الجُمانة في الوفود ، يوازيه كتاب الجُمانة الثانية في المتنبئين والمَمْرورين والبخلاء والطفيليين ، وهكذا ، فانت اذا نظمت العقد امامك وجدت الأول يوازى الخامس والعشرين والثانى يوازى الرابع والعشرين ، والثالث يوازى الثالث والعشرين ، مثل ما تراه امامك في هذا الرسم .

قليل الاشارة الى المؤلفات

وصاحب العقد قليل الاشارة الى المؤلفات التي نقل عنها . لكن بعض مؤلفات ابن قتيبة والجاحظ ترد في كتاب العقد مصرحا بها ، فمثلا يقول « وذكر عمرو بن بحر الجاحظ في كتاب الموالى والعرب » . ويقول « قال ابن قتيبة في كتاب تفضيل العرب » . وذكر ابن قتيبة في كتاب الأشربة . اما اغلب العقد فهو نقل مع تجريد من السند ، ودون ذكر المصادر المنقول عنها . ويكتفى غالبا في نقل الخبر بذكر من رواه او حدث منه ، مثل قوله « قال اعرابى : اذا كان الراى عند من لا يُقْبَل منه ، والسلام عند من لا يَستعمله ، والمال عند من لا يُنْفِقه ، ضاعت الأمور » . وقول : « سأل رجل عمر بن قيس عن الحصاة من حصى المسجد ، يجدها الانسان في ثوبه او خفه أو جبهته . فقال له : ارم بها . قال الرجل : زعموا أنها تَصيح حتى تُرَدَّ الى المسجد.قال : دَعْها تصيح حتى يَنشقَّ حَلْقها.قال الرجل : أوَلَها حَلْق" ؟ قال : فمن أين تصيح ؟ » .



ملخص لحياة ابن عبد ربه

في قرطبة بلاد الأندلس ٢٤٦ هـ (٨٦٠ م) ولد أحمد بن محمد بن عبدِ رَبّه بن حبيب ، الذى تلقب شهاب الدين ، وتكنّى أبا عمر ، واشتهر بكنية ابن عبد ربه . وفي قرطبة نشأ وتعلم علوم الشريعة والعربية والتاريخ . يقول عنه استاذنا المرحوم الدكتور احمد أمين : انه لازم الأمير عبد الله الذى تولى عرش قرطبة سنة ٢٧٥(٨٨٨ م) ونادمه ومدحه ، فلما مات الأمير عبد الله سنة ٣٠٠ هـ (٩١٢ م) تولى بعده عبد الرحمن الناصر أول من لقب بأمير المؤمنين ، فاتصل به ولازمه ومدحه . وتوفى ابن عبد ربه سنة ٣٢٧ (٩٣٨) وقد بلغ احدى وثمانين سنة..

وان الذى يطلع على الكتب التى ألفت في المشرق في القرن الثالث ـ وكلها تجنح الى الأدب الرفيع ـ وتكون له موهبة كامنة وذكاء ودأب واجتهاد ، تتكوَّن لديه ملكة قادرة على الانشاء ، فلا عجب اذن ان نجد ابن عبد ربه شاعرا ، وأن نجده ايضا يعتز بشعره الذى هو في الحقيقة معارضة لأغلب الموضوعات الأدبية التى يذكرها في كتابه .

من طبعات العقد

وقد كثرت طبعات العقد الفريد ، وكان من اوائل ما نشر من كتب الأدب ، فقد طبع في القاهرة سنة ١٢٩٢ هـ (١٨٧٥) في مطبعة بولاق . وفي المطبعة العثمانية سنة ١٣٠٢ (١٨٨٤) . وفي المطبعة الشرقية سنة ١٣٠٥ (١٨٨٧) . وكذلك طبعته في سنة ١٣١٦(١٨٩٨) . وفي المطبعة

الازهرية ١٣٢١ (١٩٠٣) . وفي المطبعة الجمالية ١٣٣١ (١٩١٢) . ونشره مصطفى محمد ١٣٥٣ (١٩٣٤) . وحققه المرحوم محمد سعيد العريان وطبع في ثمانية مجلدات . ونشرته محققا مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر في سبعة مجلدات، المجلد الاخير منها فهارس تفصيلية . وكان ذلك في سنة ١٣٥٩ هـ (١٩٤٠) ، ثم طبع عن لجنة التأليف والترجمة والنشر مرة ثانية سنة ١٣٦٧ (١٩٤٨) وهذه الطبعة المنشورة مرتين حققهـا استاذنا المرحوم الدكتور احمد امين مع المرحوم الأستاذ احمد الزين والأستاذ ابراهيم الأبياري ، ولهذه الطبعة مقدمة كتبها الدكتور احمد امين ، فيها تعريف بالكتاب، ومؤلفه ، وليس هذا الكتاب وحده هو الذى شارك في تحقيقه استاذنا احمد امين بل شارك في تحقيق كتب اخرى ، مع غير من شاركهما في تحقيق العقد الفريد .

احمد امين شارك فعلا

ويبدو أن بعض من يقعدون عن العمل المثمر ، أو من يحسدون العاملين ، يتصورون أن أصحاب الشهرة الكبيرة ـ كاستاذنا المرحوم الدكتور أحمد امين ـ كانوا يقحمون اسماءهم على اعمال غيرهم ، وانهم يستغلون شهرتهم . وطارت شائعات حول المرحوم الدكتور احمد امين، ورددها بعض من يجهلون خلقه واباءه ، ذلك انه كان اعلى قدرا ، واجل شأنا ، من أن يفعل ذلك . ولا اعتقد ان الذين عملوا معه وشاركوه في وضع اسمائهم على الكتب المحققة هم اصحاب هذه الشائعة الساقطة ، فهم اكرم من ان يسيئوا الى رجل يعرفون ويعرف الناس انه بلغ من العلم والفهم والقدر ما يتطلع اليه كثيرون ولن يبلغوه . ويكفى أن اذكر ما كان بيني وبينه وما قاله لى رحمه الله .

فقد كنت حققت كتاب « طبقات الشعراء لابن المعتز » ، وقبل ان ينشر اشتركت في تحقيق كتاب الورقة لابن الجراح مع استاذنا المرحوم الدكتور عبد الوهاب عزام ، وطبعته دار المعارف في سلسلة ذخائر العرب سنة ١٩٥٢ ثم اعيد طبعه . واحيل المرحوم الدكتور احمد امين على المعاش بعد عمادته لكلية الآداب بجامعة القاهرة ، واسند اليه منصب المستشار الثقافي للجامعة العربية . فاحبَّ أن ينشيء دارا خاصة تنشر بعض كتب التراث . وطلب مني ان اقدم اليه كتاب طبقات الشعراء لابن المعتز الذى حققته ، واحب ان يطمئن الى سلامة العمل الذى قمت به . فجعل لى يومين في الأسبوع لاقرأ عليه ما عملت . فكنت اذهب اليه يوم الاثنين في الجامعة العربية قبل توجهه لحضور جلسات المجمع اللغوى الذى كان عضوا فيه . واذهب اليه صباح يوم الجمعة في داره حيث اجده في حديقة الدار . وظللت على ذلك بضعة اشهر حتى تجاوزنا ثلثي الكتاب ، فوافق على نشره ، فقلت له : انكم راجعتم معي اكثر الكتاب كلمة كلمة ، واشرتم عليَّ ببعض أوجه الصواب فيما اخطأت فيه . فارجو أن يكتب على الكتاب « حققه احمد امين وعبد الستار فراج » او يكتب « حققه عبد الستار فراج وراجعه احمد امين » فقال : يا بني ، اني اظلمك اذا فعلت ذلك . فقلت : انكم اضعتم معى في قراءته زمنا طويلا في عدة اشهر ، وكان لكم فضل كبير في توجيهى وارشادى .فاصرَّ على انه لا يرضى بظلمي وقال : « ان الكتب التى اشتركت في تحقيقها من قبل قمت بنصيبي في العمل فيها . اما انت فقد استمعت اليك ولم اسهم في عملك ، ويكفيني انى سانشره » .

وهكذا ابى ان يكتب اسمه ، مع أن له الحق في المشاركة . ثم قبل أن ينشر الكتاب انتقل الى رحمة الله . وتفضل استاذنا الدكتور طه حسين فاشار على دار المعارف ان تطبعه ، بعد أن علم بما كان من شأنه . وصدر عن دار المعارف في سلسلة ذخائر العرب وأعيد طبعه مرتين .

ولا اشك في صراحة المرحوم الدكتور احمد امين وصدق ما قال : فقد ذهبت مرة الى منزله ايام قراءتى لكتاب طبقات الشعراء لابن المعتز ، ولم اجده في هذا اليوم كعادته بحديقة داره ، فطلبت من العامل عنده ان يبلغه بحضورى ، ومنزله مكون من طابقين ، فدخل العامل ثم عاد ليخبرنى بانه قيل له انه نائم . فخرجت من فورى ، ثم لم اذهب اليه في يوم الاثنين بالجامعة العربية ، فلما وصل الى مجمع اللغة العربية في الساعة الحادية عشرة ، وهى موعد انعقاد جلسات المجمع الأسبوعية ، طلبني ، وأنا اذذاك محرر بالمجمع ، فلما ذهبت اليه قال في حدة : لماذا لم تحضر في يوم الجمعة ؟ ولماذا لم تحضر اليوم وقد انتظرتك . فاجبته : لقد ذهبت يوم الجمعة الى منزلكم ، وقال لي العامل انك نائم ، فظننت ان عملى لم يعجبك ، وانـك اردت أن تصرفنى بلباقة ، فلم اذهب اليوم الى الجامعة العربية .

فهدا وقال : انى رجل صريح ـ وكان حقا كذلك ويشهد له بالصراحة كل من عرفوه ـ ولو انى رايت عملك ناقصا لاخبرتك ولم أُضِعْ من وقتي اياماً كثيرة في بضعة اشهر ، والخادم لم يصعد اليَّ ليخبرني ، ويبدو انه احب أن يريح نفسه فافتى من عنده ، أو لعل من في المنزل لم يطرقوا باب حجرتي ظنا منهم اني لم استيقظ فاذا جئت وقال لك انه نائم فقل له ايقظه .

لقد ذكرت كل هذا وفاء لحق علَم من أعلامنا في الأدب والعلم ومكارم الأخلاق .

نماذج من العقد الفريد

تحت عنوان « الترغيب في حسن الثناء » واصطناع المعروف . .

قال النبي صلى الله عليه وسلم : اذا أردتم أن تعلموا ما للعبد عند ربه فانظروا ما يتبعه من حسن الثناء »

وقال بعض أهل التفسير في قوله تعالى (واجعل لي لسان صدق في الآخرين) (الشعراء ٨٤) ، انه اراد حسن الثناء من بعده .

وقال أكثم بن صيفي : انما انتم اخبار فطيبوا اخباركم .

اخذ هذا المعنى حبيبٌ الطائي (ابو تمام) فقال :

وما ابن آدمَ الاّ ذكرُ صالحةٍ
أو ذكرُ سيئةٍ يسري بها الكَلِمُ
أمَا سمعتَ بدهرٍ بادَ أمّتُه
جاءتْ بأخبارها من بعدها أمَم

وقال أبو بكر محمد بن دريد :

وانما المَرْءُ حديث بعده
فكن حديثاً حسنا لمن وَعَى

وقالوا :

الأيام مزارع، فما زَرَعتَ فيها حَصَدْتَه .

ومن قولنا في هذا المعنى وغيره من مكارم الأخلاق :

يامن تجلد للزمان
امَا زماتك منك أجلَدْ
سلّطْ تهاك على هواك
وغدٌ يَوْمُك ليس من غدْ
ان الحياةَ مزارع
فازرعْ بها ما شئت تَحْصُدْ
والناس لا يبقى سوى
آثارهم والعين تفتقد

أوَمَا سمعتَ بمَن مَضى
هذا يُذَمُّ وذاك يُحْمَدْ

ومثل في الجود قبل السؤال

نظر المنذر بن ابي سَبْرَةَ الى ابي الاسود الدؤلي وعليه قميص مرقوع فقال له : ما أصبرك على هذا القميص ! فقال له : رُبَّ مَملولٍ لا يُستطاع فِراقه . فبعث اليه بتخت من ثياب، فقال ابو الأسود :

كَسَاني ولم استَكْسه فحمدته
اخٌ لك يعطيك الجزيلَ وناصرُ
وان أحقَّ الناس ان كنت شاكرًا
بشُكرِك من اعطاك والعِرْضُ وافرُ

وسال معاويةُ صَعْصَعَةَ بن صُوحانَ : ما الجود ؟ فقال : التبرُّع بالمال ، والعطيَة قبل السؤال .

ومن قولنا في هذا المعنى :

كريم على العِلاّت جَزْلٌ عَطاؤه
يُنيل وانْ لم يُعْتَمَدْ لِنَوالِ
وما الجود مَنْ يُعطي اذا ما سألتَه
ولكنْ مَن يُعْطي بغير سؤال

ومن طرائف الأعراب

الأصمعي قال : اصابت الأعرابَ مجاعةٌ ، فمررت برجل منهم قاعد مع زوجته بقارعة الطريق وهو يقول :

يا ربُّ اني قاعدٌ كما ترَى
وزوجتي قاعدة كما ترَى
والبَطْنُ مني جائع كما ترَى
فما ترى يا ربنا فيما ترَى

ونظر اعرابي الى امراة حسناء جميلة ، تسمى ذلفاء ، ومعها صبي يبكي ، وكلما بكى قبلته ، فانشا يقول :

يا ليتني كنتُ صبيًا مرْضَعَا
تحمِلني الذلفاءُ حَوْلاً أكتَعا (١)
اذا بكيتُ قبّلتني أربعا
فلا أزال الدّهرَ أبكي أجمعا

■■

عبد الستار احمد فراج

---

(١) حول أكتع : حول تام .

صفحة في اللغة

من معاجم اللغة العربية

المعجم العسكري الموحد

- يظهر إلى النور بعد أكثر من ٢٠ عامًا من المحاولات
- أخرجته الجامعة العربية بالتعاون مع مجمع اللغة العربية



بقلم : محمد طنطاوى

■ يعتبر المعجم العسكرى الموحد ، الذى صدر القسم الأول منه ، وهو (انجليزى ـ عربى) في شهر يناير من العام الحالى ، أول معجم عسكرى عربى في تاريخ المعجمات العسكرية العربية يصدر للجيوش العربية كافة وللامة العربية كلها . وتأتى أهمية هذا المعجم في انه يعتبر احد الأسس الهامة لتوثيق التعاون العسكرى العربى، فقد كان تناقض المصطلحات العسكرية المستعملة في الجيوش العربية يؤدى دائما الى صعوبة تعاون هذه الجيوش في المجالات الثقافية والتدريبية والفنية. وقد بلغ التناقض في المصطلحات العسكرية العربية درجة تعذر معها التفاهم بين جيشين عربيين الا بلغة أجنبية !! بل ان الكتاب العسكرى المطبوع في قطر عربى ، لا يمكن استعماله الا في جيش هذا القطر العربى وحده . وكذلك الكليات والمعاهد العسكرية تستعمل مصطلحات عسكرية تختلف في كل بلد عربي عنها في البلد العربي الآخر . وقد أدى هذا الأمر الى ان القائد العسكرى العربى الذى يصدر أوامر عسكرية في ساحات القتال أو في ميادين التدريب والمناورات يصعب على العسكريين العرب من غير جيشه فهم أوامره وبالتالى يصعب عليهم تنفيذها !!

ويعود تاريخ الجهود التى بذلت لتوحيد المصطلحات العسكرية العربية الى عام ١٩٤٨ .

ولكن كل هذه الجهود باءت بالفشل الى ان جاء عام ١٩٦٨ وتكونت لجنة توحيد المصطلحات العسكرية للجيوش العربية التى شكلتها جامعة الدول العربية بناء على اقتراح من اللواء محمود شيت خطاب وافقت عليه الأمانة العامة للجامعة .

وتكونت لجنة التوحيد هذه من ممثل لكل جيش عربى من جيوش دول الجامعة العربية ، وممثل عن القيادة العربية الموحدة ، وممثل عن مجمع اللغة العربية في القاهرة .

وكان من واجب ممثلى الجيوش العربية أن يعرض كل واحد منهم المصطلحات العسكرية المستعملة في جيشه على اللجنة ومناقشتها ومقارنتها ثم العمل على توحيدها ، اما ممثل مجمع اللغة العربية فكان من واجبه اقرار المصطلحات العسكرية القديمة التى تستقيم مع اللغة العربية الفصحى، ونبذ المصطلحات التى لا تستقيم مع العربية الفصحى . وكذلك وضع المصطلحات العسكرية الجديدة بلغة عربية سليمة بعيدة عما يشوبها من الفاظ اعجمية (تركية وانجليزية وفرنسية وايطالية) لأن اللغة العربية ليست عاجزة عن

وضع المصطلحات العسكرية العربية مستقاة من القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف وكتب اللغة والأدب والفقه والتاريخ .

خطة من ٣ مراحل

انتخبت لجنة التوحيد اللواء الركن محمود شيت خطاب رئيسا لها . وبدأ العمل بناء على خطة من ثلاث مراحل هى : مرحلة الاعداد، ومرحلة المراجعة ، ومرحلة طبع المعجمات واصدارها . وبدأت مرحلة الاعداد بالعمل على توحيد المصطلحات العسكرية الحيوية الشائعة فى الجيوش العربية اولا ، وهى التى يبرز فيها التناقض في المعنى ، ولكل جيش عربى مصطلحاته الخاصة به والتى ليس من السهل عليه تبديلها . وفي خلال الشهرين الأولين من عمل اللجنة لم تستطع أن توحد أكثر من خمسمائة مصطلح عسكرى بعد جهد جهيد ومشقة كبيرة . وكمثال على ذلك فان كلمة «Tactics» الانجليزية ، كان المصطلح العربى المقابل لها في بعض الجيوش العربية هو كلمة « تكتيك » ، وكان المصطلح العربى المقابل لها في بعض الجيوش العربية الاخرى هو كلمة « تعبئة »، وما يقال عن هذه الكلمة ، يقال عن كلمة «Strategy» الانجليزية ، فقد كان بعض الجيوش العربية يستعمل كلمة « استراتيجية » بينما كان بعضها الآخر يستعمل كلمة « السوق » .

وقد أمضت اللجنة اسبوعا كاملا في جدال عنيف حول هاتين الكلمتين الشائعتين حتى استقر الرأى على استعمال المعنيين العربيين « تعبئة » و « سوق » لهاتين الكلمتين المعربتين .

وقد أكملت اللجنة في خلال شهرين توحيد المصطلحات العسكرية العربية المتناقضة من جهة ، والحيوية والشائعة من جهة أخرى ، وهى : مصطلحات الايعازات العسكرية ، والمصطلحات التعبوية ، والمصطلحات السوقية ، ومصطلحات التدريب،واسماء الأسلحة والذخيرة ، ومصطلحات الرتب والمناصب العسكرية ، ومصطلحات أسماء الوحدات العسكرية .

وبعد ذلك قامت اللجنة بنقل المصطلحات الحديثة ، مثل : مصطلحات الحرب الذرية ، والحرب الجرثومية ، والأجهزة الالكترونية والأسلحة الحديثة المتطورة ، الى العربية .

وبعد ٦ شهور كانت لجنة التوحيد قد انجزت واجبها في اعداد القسم الأول من المعجم العسكرى الموحد الذى يضم ٨٠ الف مصطلح عسكرى . وبدأت المرحلة الثانية وهى مرحلة المراجعة ... وعرض المعجم على مجمع اللغة العربية في القاهرة الذى وافق على مراجعته وشكل لجنة مجمعية من ثلاثة اعضاء هم : الدكتور أحمد عمار ، والدكتور عبد الحليم منتصر ، والأستاذ عبد الحميد حسن.

وقد قامت هذه اللجنة بمراجعة المعجم من الناحيتين اللغوية والعلمية .

واخيرا صدر في يناير الماضي المعجم العسكرى الموحد (انجليزى - عربى) . وفي نهاية شهر مارس الماضي صدر المعجم العسكرى الموحد (فرنسي عربى) ، ولا تزال اللجنة تعمل على اصدار المعجم العسكرى الموحد (عربى - فرنسي)، و (روسي - عربى) ، و (عربى - روسي) .

مميزات المعجم

يتميز المعجم العسكرى الموحد بالتزامه باللغة العربية الفصحى ، واختيار الألفاظ العربية السهلة وتجنب الألفاظ الصعبة التى قد تصلح للتعابير الأدبية، ولكنها لا تصلح للتعابير العسكرية التى يجب أن تتسم بالسهولة واليسر والوضوح.

وقد التزمت لجنة توحيد المصطلحات العسكرية بمبادىء واضحة معينة منها الاقتصار على « الترجمة » والابتعاد عن « التعريب » الا لضرورة قصوى كمصطلحات علم الكيمياء وبعض مصطلحات المساحة التى أصبحت شائعة الاستعمال فى اللغة العربية واقرتها المجامع اللغوية والعلمية .

ومن هذه المبادىء أيضا استعمال : « ذو » و « ذات » للدلالة على المصاحبة واشتقاق اسماء الآلات على وزن « مفعلة » غالبا .

وقد اعتمد المعجم العسكرى الموحد على المعجمات العسكرية العربية المطبوعة والمخطوطة وأهمها المعجم العسكرى العراقى ، والمعجم العسكرى السورى ، ومعجم المصطلحات الفنية المصرى ، والمعجم العسكرى اللبنانى .

كما اعتمد على المصطلحات العسكرية المترجمة في الكليات العسكرية العربية وأكاديمية ناصر العسكرية العليا ، وكليات الاركان العربية .

كما اعتمد أيضا على معاجم اللغة العربية ، ومنها : لسان العرب والقاموس المحيط والمعجم الوسيط ، والمخصص لابن سيده . ■■

طرائف غريبة

وسواس !

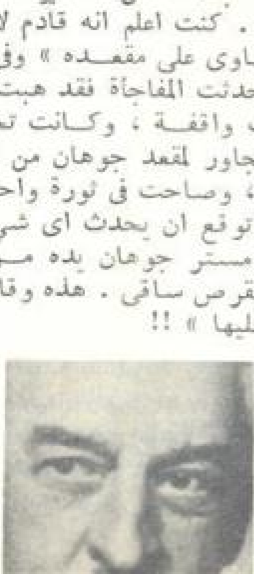
● الموسيقار النمسوى جوهان شتراوس الابن Johann Strauss (١٨٢٥ ـ ١٨٩٩) مؤلف موسيقى الفالس الشهير ، الذى وضع الدانوب الازرق واكثر من اربعمائة مقطوعة اخرى ، كان مصابا بارتفاع فى ضغط الدم ، وكان موسوسا اذ كان يتوقع ان يصاب بالشلل فى اى لحظة !

حدث مرة ان دعى الى مادبة عشاء اقامها احد الاصدقاء ، وفى اثناء المادبة ، احس جوهان بالم فى احدى ساقيه ، فمال على صديق كان يجلس بجواره وهمس فى اذنه : « لقد شلت ساقى اخيرا » !

وقال الصديق وكان يعرف وسواس صاحبه : « اقرصها ، فاذا لم تشعر بالقرصة فانت مشلول » !

ومد جوهان يده تحت المائدة فى هدوء ، وقرص ساقه ! ولم يشعر بشيء .. واذا به يصيح :

« لقد جاء الشلل اخيرا .. كنت اتوقعه .. كنت اعلم انه قادم لا محالة .. ثم تهاوى على مقعده » وفى هذه اللحظة حدثت المفاجاة فقد هبت احدى السيدات واقفة ، وكانت تجلس فى المقعد المجاور لمقعد جوهان من الناحية الاخرى ، وصاحت فى ثورة واحتجاج : « كنت اتوقع ان يحدث اى شيء ، الا ان يمد مستر جوهان يده من تحت المائدة ويقرص ساقى . هذه وقاحة ولن اسكت عليها » !!



امرأة .. وامرأة

● تحتاج الأم الى عشرين عاما لكي تجعل من ابنها رجلا يستطيع ان يعتمد على نفسه ، بينما لن يحتاج الامر لأكثر من عشرين دقيقة بالنسبة لامرأة اخرى ، لكي تجعل من هذا الرجل انسانا احمق لا يستطيع السيطرة على تصرفاته .

هيلين رولاند

١٨٧٥ ـ ١٩٥٠



أمنية لم تتحقق !

● اجتمع فريق من المفكرين والأدباء الانجليز بالفيلسوف البريطاني برتراند راسل قبل وفاته باسابيع قليلة وتناول الحديث العبقرية ، هل هي حقيقة ضرب من الجنون ؟ وطالت المناقشة واحتدمت دون ان يشترك راسل في اى مرحلة من مراحلها ، فقد بقي ساكنا هادئا يقرأ في كتاب جديد عن اصل البشرية وتاريخ الانسان ..

واخيرا اقتربت المناقشات من نهايتها عندما اجمع الحاضرون على راى واحد ، وهو ان العبقرى لا يمكن ان يكون الا مجنونا او مصابا بخلل ما في مكان ما في راسه ! !

وبدا المجتمعون يستعدون للانصراف، الا انهم ما لبثوا ان عادوا الى اماكنهم مرة اخرى ، عندما سمعوا صوت راسل يناديهم : « مهلا ايها السادة ، هل لي أن أسألكم ما الذى يضير العبقرى اذا كان مجنونا او مصابا بخلل فى راسه ، طالما ان هذا الراس قد انتج انتاجا فذا . ؟ هل فكرتم فى المحارة التى تغوصون وراءها فى قاع البحار والمحيطات ؟ ثم هل تعلمون انها لا بد أن تصاب بخلل لكى تنتج اللؤلؤة ، أثمن جوهرة فى الوجود .. انا شخصيا كنت اتمنى ان اصاب بالجنون ، لكى اهتدى الى وسيلة يمكن ان تنقذ البشرية من الهلاك الذى يتهددها » !!

من هو الكاتب

● ليست الدرجة العلمية هي التي تصنع الكاتب .. ان اهم شيء يحتاج اليه هو ان يكون لدى هذا الكاتب قصة يستطيع ان يكتبها ،ويستطيع ان يجذب اللايين الى قراءتها .

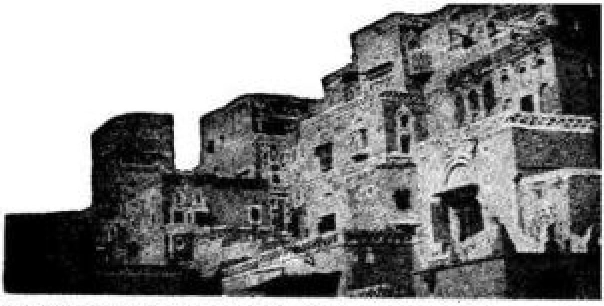
« اوسكار وايلد »

لماذا لم تتزوج ؟

● عاشت الملكة اليزابيث الاولى ،(١٥٣٣ — ١٦٠٣) ، وماتت دون أن تتزوج . وعبثا حاول مستشاروها ووزراؤها ان يغيروا رايها فى الزواج ، فقد كانت تقول لهم دائما : « انني افضل العيش فى فقر بلا زواج ، على ان أكون ملكة متزوجة او زوجة لملك ! »

وعندما علمت بامر تلك الصيحة التى اطلقها رئيس مجلس النواب البريطاني ، وشاركه فيها كل نواب الشعب ،بوجوب البحث عن زوج لصاحبة الجلالة ، لم تجد مخلصا من تلك الثورة الا ان تستقل عربتها الملكية وتذهب الى البرلمان وتجلس بين نوابه وتحادثهم فى امر هذه الصيحة الجامحة ، واختتمت حديثها بان صاحت فى النواب : «اريد ان اعرف ، ماذا فعلتم انتم يا معشر الرجال لنسائكم .. ثم اريد ان اعرف من منكم عاش لامرأته وحدها .. يكفيني فخرا ان تضعوا على قبرى عندما اموت :« هنا ترقد اليزابيث التى حكمت بريطانيا عذراء ، وماتت عذراء ! »

ولم يرتفع صوت واحد يعترض على كلمة مما قالته الملكة !!



صَنْ

بقلم : محمد

■ صنعاء يامهد الجمال ◦ والفن في أزهى مثال
حيث الغزالة من عل ◦ تهدى السماء إلى الغزال
فتداعب الطرف المكحل بالضياء وبالظلال
وتغادر الشفتين من قُبَل الأشعة في اشتعال
وتطوف بالصدر المنمنم في الوشاح وفي «الشلال» (١)
وترفّ في المشى الأنيق على الأساور والحجال
حيث الجمال يبارك القلب المتيّم بالجمال
قلب الولوع المستهام بما يَميس من الدلال
حتّى وإن جار المشيب فكاد يقنع بالخيال
ياويحه لمّا أتاك وقد مضى زمن الصيال
أيام يطمع بالوصال فلايُردّ عن الوصّال
والليل في فوديه يغرى الراقصات من الليالى
فتدور بالكأس الروىّ يشع بالألق المذال
لتدغدغ الغيد الأوانس في المجالس والمجالى

★★★

صنعاءُ يامهد المباهج في السهول وفي الجبال
ياروعة السفح الوريف بمده تَبتج الأعالى
« نُقُمُ » تتوّجه الغمائم بالمهابة والجلال
لما أطلّ بحاجبيه على المشارف والتلال
والجدول الثرّار صفّق بالبرُود من الزلال
والروضة الغناء ترقص بالخميل وبالدوالى
والزهر يفهق بالعبير على الأماليد الطوال
والطير يهتف في البكور وفي الأصائل بالأمالى
و «المنْبرَجُ» الريان يخفق بالندىّ من الغوالى

---

(١) الشلال حلية يمنية قديمة تتزين بها المرأة وبجمع على اشلة .





ـعَاء

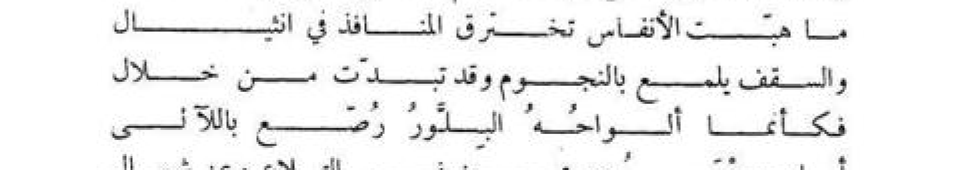
عبده غانم

والمِزهر الرنّان من أيام «زُلزُل» أو «دلال»
واللحن «للعنسي» في كلماته آى المقال
و«الآنسي» وقد أجاب فجاء بالسحر الحلال
وأعاد ما قد كان «للمزّاح» من سبق المجال
و«الكوكباني» الكبير بفنّه الفذ النوال
فنّ «الحُمَيْنِي» الرفيع وإن بدا سهل المنال
فنّ «المُبيّت» و«الموشّح» حين يخطر في اختيال
فتميس لليمن الكريمة فيه آيات الكمال

★★★

صنعاءُ يامهد العروبة منذ نادت من «أزال»
أيام «غُمْدان» المنيف على الشوامخ والعلالى
والأُسد تزأر فى الرخام على صياصيه الصقال
ما هبّت الأنفاس تخترق المنافذ في انثيال
والسقف يلمع بالنجوم وقد تبدّت من خلال
فكأنما ألواحهُ البلّورُ رُصّع باللآلى
أيام حِمْيَرُ عن يمين فى التلاع وعن شمال
تحمى قوافلها الغنية بالأسنّة والنصال
أيام كان ليعرب دوْر القيادة فى النضال
ولها المنيع من المنازل والمجيد من النزال
مجد تألّق بَنْده الخفاق في العَصْر الخوالى
لابدّ يوما أن يرفرف في الجنوب وفي الشمال
فى وحدة يمنية شمّاء شامخة المعالى
للشعب فيها الكلِمة العلياء فى رسم المآل ■■

محمد عبده غانم



اعرف وطنك أيها العربي



رئيس المجلس الجمهوري
القاضي عبد الرحمن الارياني

..ثم عاد السلام الى عاصمة اليمن العريق :

صَنْعَاء

« لابد من صنعا ولو طال السفر .. » ومن قمم الجبال، وبعد أن حل السلام، يتوافد ابناء اليمن على عاصمتهم .



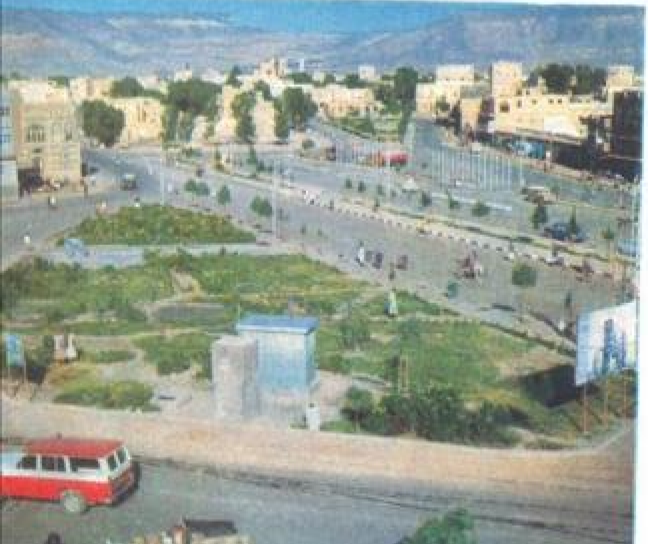




رئيس المجلس الوطني ، وزعيم قبائل حاشد ، الشيخ عبد الله الاحمر

دولة محسن العيني ، رئيس مجلس الوزراء يترأس الاجتماع الاسبوعي للوزارة اليمنية

استطلاع : سليم زبال



شوارع طويلة ، وميادين فسيحة ، انها صنعاء الحديثة .. والى اسفل تطورت المرأة الصنعانية واصبحت تعمل في مصنع النسيج بصنعاء ، انها ما زالت تخفي وجهها ، ولكن وراء منديل احمر



في شوارعها يتجولون حاملين بنادقهم



■ نداء من أخ عربي الى الامة العربية ، ننقله كما جاء على لسانه ، عندما ذهبنا اليه نستطلع اليمن الجديد ..

قال دولة محسن العيني رئيس وزراء جمهورية اليمن العربية :

« سأحدثكم حديثا واضحا بلا مجاملات .. اسمعوها صريحة قوية خارجة من القلب ..

« ان التخلف الرهيب الذى يعيش فيه هذا البلد العربى ، لا يمكن لليمنيين وحدهم ان يجدوا له الحلول ..

« اننا نشعر ان الدول العربية ، والمنظمات العربية ، عليها واجب يفرضه الاخاء .. والقومية .. والمصير الموحد لنا جميعا ..

« ان الشعب اليمني الاصيل الذى انطلقت منه الهجرات العربية الاولى .. هذا الشعب الذى يعتز بكرامته واصالته .. اصبحت صلته بالعالم صلة المحتاج المتسول .. رغم وجود الثروة تحت رماله وفي بطون جباله ! ولكن الامكانيات البشرية والمادية هي التي تنقصه لاستخراج تلك الثروات .

« ان ٩٥٪ من اطفالنا وشبابنا محرومون كليا من التعليم ، لعدم وجود مدارس او مدرسين .

« وليس عندنا سوى ٥٣ طبيبا ، يعالجون خمسة ملايين نسمة ، اى طبيب واحد لكل ٩٤ الف نسمة !

« والناس يموتون يوميا على ساحلنا المطل على البحر الاحمر في تهامة ، يموتون من الجوع ، ونحن لا نملك الا ان نوزع عليهم ٥ آلاف كيس خبز يوميا ، في محاولة يائسة لانقاذهم .

« اننا نعيش منذ ٤ سنوات في جفاف رهيب دون امطار .. ولولا بعض المساعدات التى تأتينا من ايطاليا والمانيا والصين وروسيا والسوق الاوربية المشتركة لمات هذا الشعب العربي . »

دولة محسن العيني
رئيس وزراء اليمن .



معركة البناء

ويتوقف رئيس الوزراء ، الشاب الذى تعلم في مدارس المقاصد بصيدا وتخرج في جامعة القاهرة ، ليتابع حديثه قائلا : « لقد توقف القتال تماما في اليمن .. وعاد السلام يرفرف على ارضنا الحزينة .. لقد ادركنا أن حل مشكلتنا الى جانب فوائده على اليمن ، هو مصلحة عربية عامة ، حتى نعبيء كل قواتنا ومجهوداتنا ضد عدونا المشترك ..

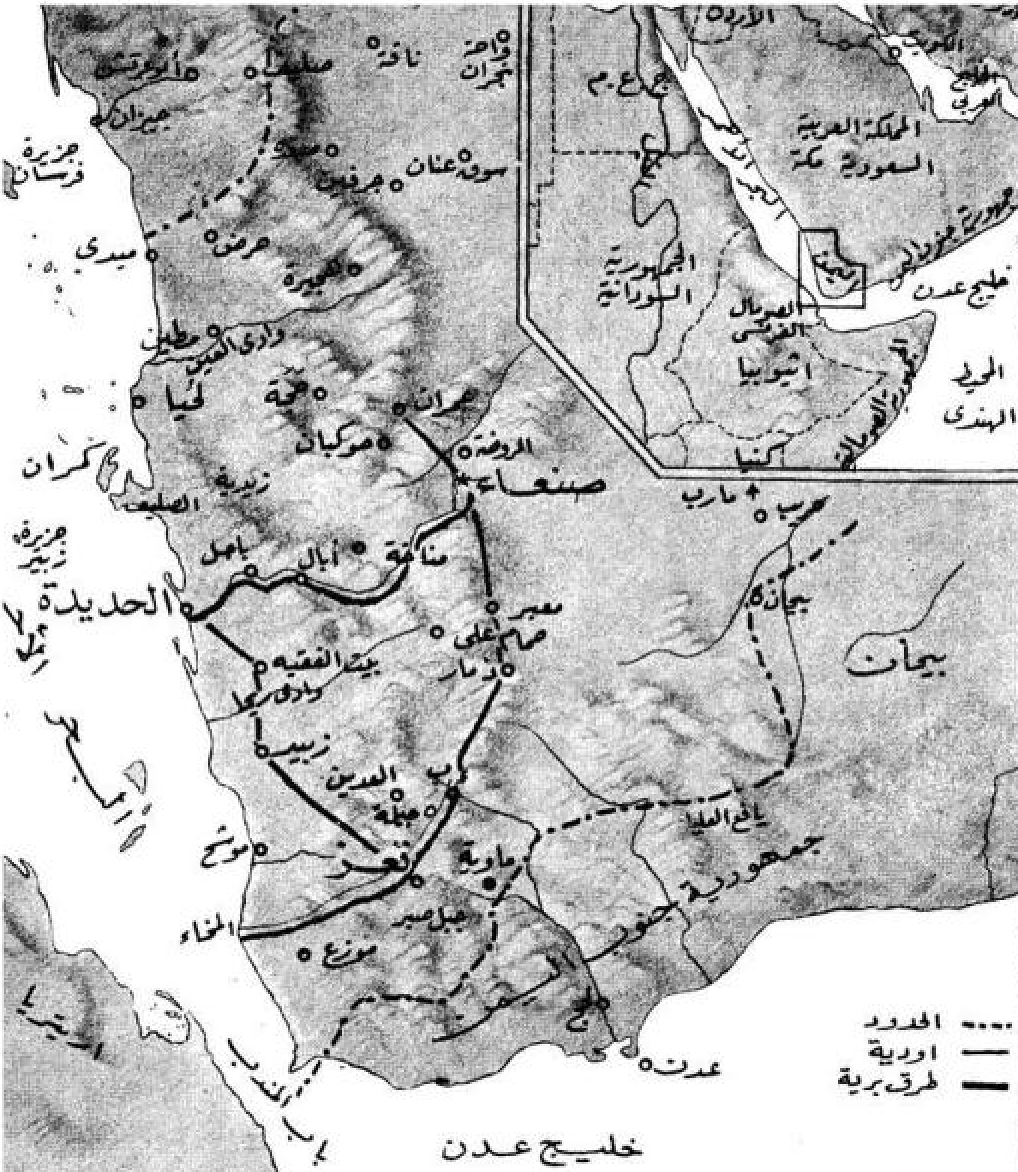
« ان معركة البناء في اليمن ، اصعب آلاف المرات من معركة الهدم والدمار .. ولكن ثقتنا كبيرة في ان السلام سيجلب الرخاء للبلاد .. »

طرف الخيط

وتركنا رئيس الوزراء وهبطنا درجات السلم العالية ونحن سكوت .. احاسيس كثيرة كانت تعتمل في نفوسنا لقد وضع رئيس الوزراء طرف الخيط في يدنا ، فكان علينا ان نتابع البحث والتحرى ، عن متاعب وآمال أهل صنعاء فى مسيرتهم الجديدة نحو بناء دولة حديثة ..

طرق تربط صنعاء بالخارج

وبدأنا جولة في شوارع صنعاء .. يا الله كم تبدل منظر المدينة .. لقد استطلعناها عام ١٩٦٣ ، عندما لم يكن فيها طريق واحد معبد ، أما الآن فاصبحت الطرق الفسيحة تشقها بالطول والعرض .. وكانت صنعاء ترتبط بالعالم عن طريق الحديدة فقط ، اما اليوم فاصبحت ترتبط مع تعز ، وقريبا مع صعدة بطرق دولية .. لقد تبرع الامريكان بشق طريق صنعاء تعز ذلك الطريق الجبلى الوعر الذى يبلغ طوله ٢٦٥ كيلو مترا ، وما كادوا ينتهون من شقه حتى انقطعت العلاقات بين اليمن وامريكا ، وتوقف العمل ، وتقدمت المانيا متبرعة لكسوة الطريق بالاسفلت .. اما طريق صنعاء



خريطة الجمهورية العربية اليمنية ، وقد ظهرت عليها المدن الرئيسية الثلاث : صنعاء ، تعز ، الحديدة .. والجزء الغربي من اليمن المطل على البحر الاحمر يطلق عليه اسم : تهامة .. وفي الوسط ترتفع منطقة سلاسل جبال السراة العالية .. ثم تأتي منطقة الهضاب ، ومنطقة السهول الشرقية ..

صعدة في شمال البلاد فتقوم الصين بشقه بموجب قرض .. كما انها هي التي شقت طريق صنعاء الحديدة بموجب قرض آخر قيمته ٥٤ مليون فرنك سويسري ..

هنا كانت .. فاصبحت !

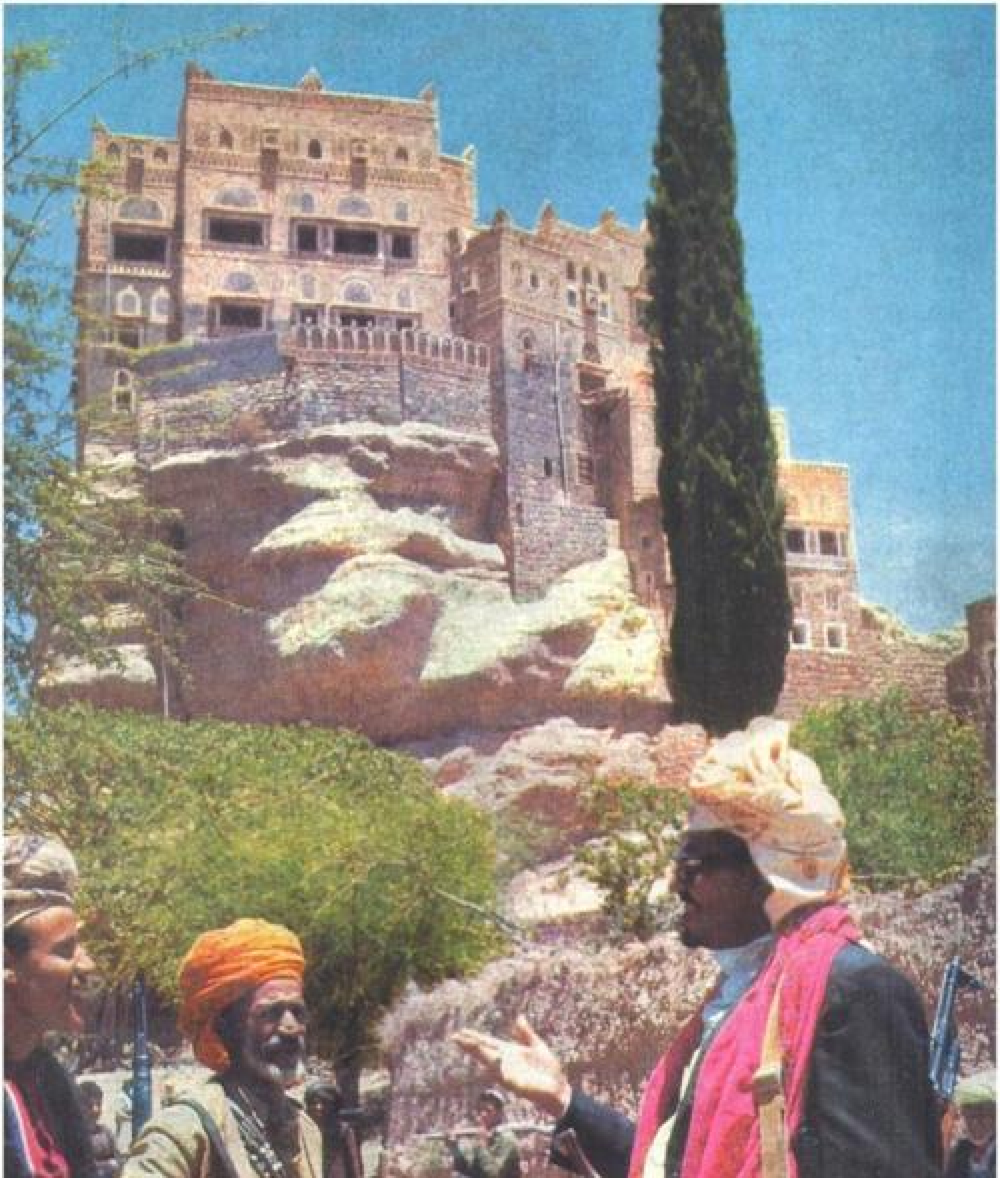
وسرنا في شوارع صنعاء ، ومعنا وكيل وزارة الاشغال علي ابو الرجال .. كان يشير ذات اليمين وذات الشمال ويقول : « هنا كان باب خزيمة

الى اسفل : طابع البناء الصنعاني ،يتميز بالاسلوب العربي الاصيل ، الذى لم يتأثر باساليب الهندسة او البناء العصرى في العالم .. وتبنى الطوابق الاولى من المنزل باحجار البازلت السوداء والبيضاء . اما الطوابق العليا فتشيد بالآجر لانها اخف وزنا .. ان هذا الاسلوب الجميل القديم يحتاج الى وقت طويل في بنائه ، لهذا اتجه بعض الناس الى بناء منازلهم طبقا للاساليب الهندسية الحديثة ، مما اثار اهل صنعاء .. وقررت الحكومة حلا وسطا ، بان سمحت بالبناء الحديث ، على شرط الاحتفاظ بطابع البناء القديم بعد تطويره .





اسماء ا ، امن المساجد والجوامع العامرة ، ذكرها الحاج محمد الحجرى في كتابه « مساجد صنعاء » ، كما اورد اسماء ٢٥ مسجدا منسيا ، لم يبق منها غير اطلال .. ومن المساجد العامرة في صنعاء **مسجد** البكرية الذى شيد عام ١٠٠٥ هـ . ويحوى المسجد زخارف جميلة رائعة ، كما ترى في الصورة .



على مسافة ربع ساعة بالسيارة من صنعاء،تقع « دار الحجر » وتعتبر من أجمل المباني الاثرية وأروعها هندسة في اليمن ، اذ يرتفع القصر ستة ادوار فوق صخرة قائمة وسط وادي ضهر .. ويرجع تاريخ البناء الى العصر الحميري ، الذى امتد من عام ١١٥ ق.م الى عام ٥٢٥ بعد الميلاد . ولكن هذا القصر كان يتعرض دائما للهدم والتدمير ، ليعود فيبنى فوق اطلاله قصر جديد .. وتقيم في القصر حاليا بعض الدوائر الحكومية ، ولكن من المنتظر اخلاؤه قريبا ، وتحويله الى فندق من الدرجة الاولى.

احد ابواب صنعاء السبعة القديمة.. لقد هدمناه وجعلنا مكانه حديقة .. وهنا كانت مقبرة ، قسمناها الى طريق واراض للبناء . وهنا كان يرتفع السور الذى نشرتم صورته عام ١٩٦٢ لقد حولناه الى شارع على جانبيه المنازل .. وهذا ميدان التحرير تحول الى صورة اخرى بعد تخطيطه ورصفه واقامة المبانى الحديثة الجميلة حوله .. وهذه منطقة باب شعوب ، كانت مهجورة خاوية فأصبحت حيا يضج بالحياة .. »

اسواق لكل مهنة

حتى الاحياء القديمة امتدت اليها الطرق .. اما الاسواق فما زالت على ما هى عليه ، كل مهنة لها سوقها القديم الخاص بها .. سوق



اربع سنوات لم تهطل خلالها الامطار .. فجفت الابار وتوقف الماء من صنابير المياه ، في المنازل وحتى المساجد حيث يتوضأ المصلون (كما ترى في الصورة) .. وعندما كنا في صنعاء كانت الحكومة تدرس امكانية الوضوء في البيوت ، فيأتي المصلون للمسجد متطهرين ..

المخلّص (الفضة الخالصة) وسوق الحلقة (الاساور) وسوق الملح ، وسوق العنب ، وسوق الحَب .. وسوق القات .. وسوق البَز (الحرير والقطن) .. وغيرها عشرات الاسواق المتلاصقة المتشابكة تقبع تحت ظلال المبانى الصنعانية الجميلة الساحرة التى ترتفع ستة طوابق .. الطابقان الاولان مبنيان بحجر البازلت، وبقية الطوابق بالآجر .. بينما الجص الابيض يزخرف الجدران والنوافذ من الخارج .

١٧٠ الف نسمة فى صنعاء

وتنتهى الجولة مع وكيل الاشغال بقوله : « اننا لم نقم بالتعمير الا في اضيق الحدود ، نظرا للظروف التى مرت بنا .. ومع ذلك نستطيع القول اننا صنعنا شيئا للعاصمة صنعاء ، فقد ارتفع عدد سكانها من ٦٠ الف نسمة الى نحو ١٧٠ الف » .

ترسانة متحركة !

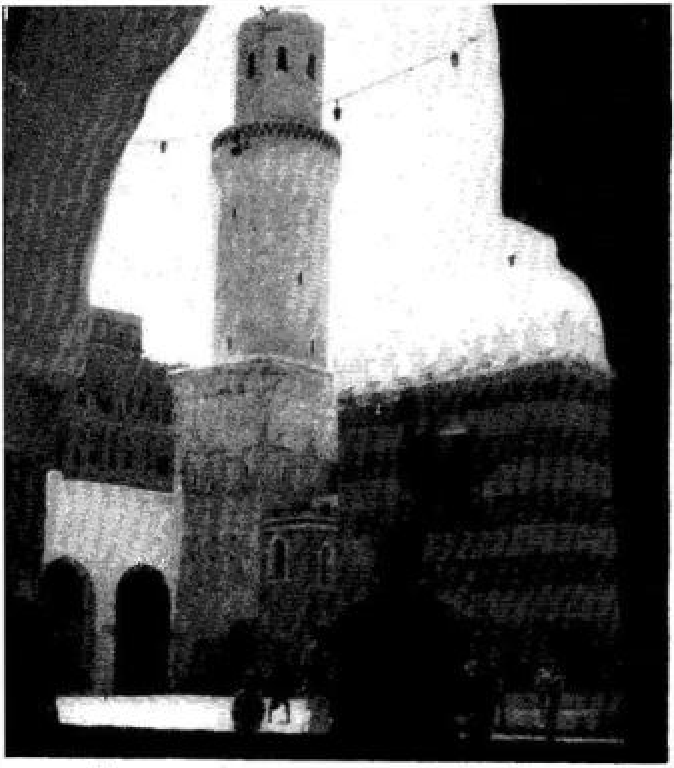
واكثر ما يلفت النظر في صنعاء هو كثرة الرجال المسلحين في طرقاتها ، انهم رجال القبائل جاءوا من الجبال بعد ان استقر السلام ، قاصدين صنعاء .. يسيرون حاملين بنادقهم السريعة الطلقات ، ومدافع البازوكا والقنابل في احزمتهم .. يسيرون وكأنهم ترسانة اسلحة،مرحين مبتهجين في شوارع صنعاء ، ان صنعاء تمثل في نظرهم كل شيء جميل رائع .. ولكنهم يصابون بخيبة امل كبيرة عندما لا يجدون مكانا للنوم فيها.. فالفنادق قليلة ومعدودة .. حقيقة انه افتتحت ثلاثة فنادق جديدة متجاورة في صنعاء .. ولكنها كاملة العدد دائما اذ ينزل فيها السفراء والزوار الاجانب والمحليون .

السمسرة والخان ..

ويسقط في يد الرجل « القبيلى » فيتجه الى الفنادق الاخرى الصغيرة ، والى « السمسرة » .. اى محلات صغيرة هى اشبه بالخان في بلادنا ينزل فيها القرويون مع دوابهم باجر زهيد ..

الشقة والمنزل

واكثر ما يندهش له « القبيلي » هو تلك



جامع صنعاء الكبير .. « اول مسجد عُمّر باليمن في صدر الاسلام ، عمره وبر بن يحنس الانصارى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في سنة ٦ هـ . وقال الرازى احمد بن عبد الله : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أمر وبر بن يحنس الانصارى ،حين ارسله الى صنعاء واليا عليها ،فقال له : ادعهم الى الايمان ، فان اطاعوا لك فاشرع لهم الصلاة .. فان اطاعوا لك بها ، فمر ببناء المسجد في بستان باذان ما بين الصخرة الململمة الى غمدان .. وقيل ان الصخرة المشار اليها هي الموجودة الآن في الصرح الغربي في اصول اساس الجدار الغربي من الجامع .. » هذا ما ذكره الحاج الحجرى مؤلف كتاب مساجد صنعاء .. ومما يذكر انه تمت توسعة المسجد على مر القرون ، في فترات متعددة ، ويقال ان اعمدة واحجار قصر غمدان العظيم قد استعملت في بنائه .. وللجامع اثنا عشر بابا ، على أحدها كتابة قديمة بالخط المسند الحميرى .

المنازل الحديثة المطلية بالاصباغ التى انتشرت في صنعاء ، والتى بدات في منافسة طراز البناء الحجرى القديم التقليدى ..

ان كل يمنى ما زال يحلم ببناء منزل من ستة طوابق ، يقيم به هو وعائلته المكونة من اربعة اشخاص او ستة .. اما فكرة الاقامة في شقة ، فهذا شيء جديد عليه لم يألفه بعد..لهذا تقتصر الاقامة بهذه الشقق في الوقت الحاضر على العائلات الاجنبية ، والعائلات اليمنية العائدة من المهاجر ..

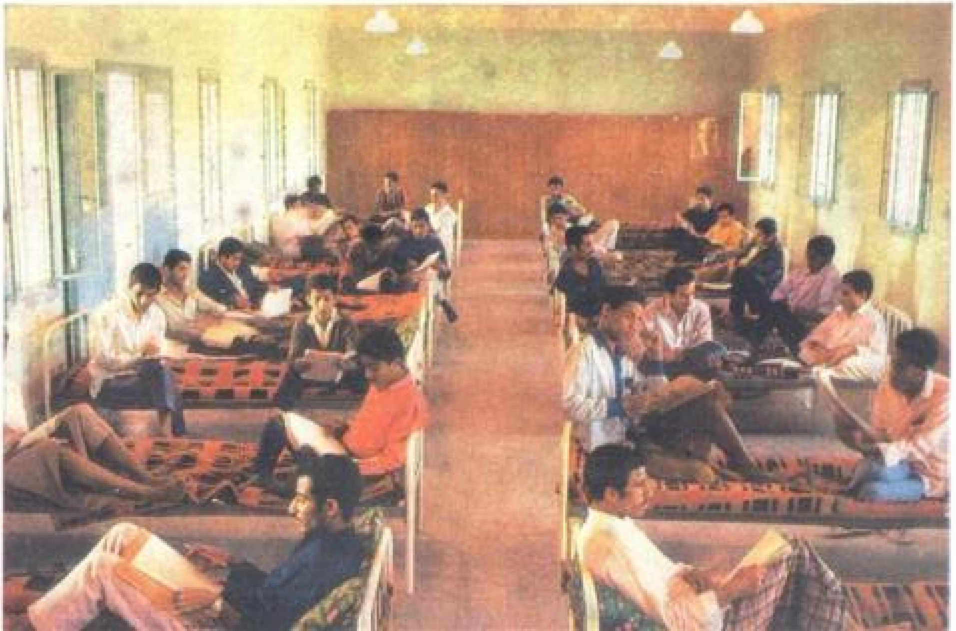
الماء .. الماء !

ونتيجة لازدياد عدد السكان اصبح الماء مشكلة المشاكل في صنعاء .. واغلب المنازل في المدينة ، يحوى كل منها بئرا خاصة به ، يتزود منها السكان بالماء من عمق ٣٠ مترا..وقدروا عدد الآبار المحفورة في المدينة بنحو ١٠ آلاف بئر .. وهذا العدد الهائل ادى الى زيادة في الاستهلاك ، فانخفض مستوى المياه الجوفية ...

.. وزاد الطينة جفافا ، انعدام الامطار في السنوات الاربع الاخيرة ، فنضبت المياه في كثير من الآبار ، وانقطعت عن بعض الفنادق والمنازل والمطاعم والمبانى الحكومية ، التى اصبحت تشترى الماء من الخارج وتجلبه بالسيارات ذات الصهاريج.

والى جانب نقص المياه كشفت دراسات مكتب الامم المتحدة ، على ان مياه سبع آبار من كل





تعطش للعلم ..
الالوف من ابناء الجيل الجديد في اليمن يبحثون عن العلم ، ولكن هيهات .. فليس في اليمن مدارس تكفي هذه الاعداد من طالبي العلم .. ان ٩٥٪ من اطفال اليمن في الشارع .. صيحة اخرى يطلقها ابناء اليمن الى اخوانهم في العروبة ، ولكن ما من سميع ولا مجيب ..

٢٠٠ استاذ عربي ، قدمتهم مصر وسوريا والعراق للعمل في اليمن .. اما المعلم المحلي فهو المشكل رقم واحد في نظام التعليم باليمن .. وفي الصورة الى اليمين بعض الطلبة يستذكرون دروسهم في جو هادىء بعنابر النوم بمبنى كلية المعلمين الحديث ، الذي شيدته حكومة الكويت ، وقدمته هدية لابناء اليمن .





صورة مؤلمة .. ما كان يجب ان تنشر !! .. ولكن الى الى متى نظل نفكر بمنطق النعامة .. التى تخفى رأسها
بعيش اليوم مأساة ، ولا احد يلتفت اليه بالقدر الكافي .. ان هذا الشاب المريض نقله والده على ظهره وسار به على
الى المستشفى الجمهورى بصنعاء ، بعد ان انهكه المرض،وهو لا يدرى ماذا حل به .. كل ما رآه والده فيه انه
على علاجه وقد اذهلهما ما رأيا من امره .. وقال الطبيبان ، واحدهما من ابناء اليمن ، والثاني من الصين :
الامراض اخفها الملاريا والبلهارسيا وفقر الدم .. ولو انه ترك بضعة ايام اخرى ، لفارق الحياة ! » امثال هذه

تسع ، هي مياه ملوثة ، بسبب تسرب نفايات المجارى اليها ..

وقامت الحكومة بمحاولة من ناحيتها ، فحفرت في ضواحى صنعاء آبارا عميقة تسحب منها المياه مجانا للاهالى ..

وقام مكتب الامم المتحدة بعمل دراسة موسعة عن الموضوع ، ارسلها الى مقر المنظمة في نيويورك لاعتمادها .. وما زالت الدراسة فى نيويورك .. وتقدر تكاليف مشروع مياه صنعاء بنحو ٧٠٠ الف دولار .

اين البعثات العربية ؟

واتجهنا الى المستشفيات لنرى حالةاهل البلد الصحية ، بعد أن رأينا المياه الملوثة التى يشربونها .. ووصلنا الى المستشفى الجمهورى .. ورأينا صورة مؤلمة لمأساة الانسان اليمنى .. ان انعدام الوعى الصحى يجعله لا يذهب الى الطبيب الا في آخر لحظة بعد ان يستفحل الداء في جسمه .. وفي المستشفى الجمهورى تعمل بعثات طبية روسية وصينية وايطالية الى جانب ٦ اطباء يمنيين .. اما البعثات العربية فلا وجود لها !!

وقابلنا الدكتور كوسون من اطباء البعثة الصينية . لقد جاء من بكين ليعمل في صنعاء ، سألناه عن الحالة الصحية للسكان فأجاب بألم،



ق الرمال متخيلة ان احدا لايراها .. ان الانسان اليمنى تدميه مدة اسبوعين ، جاء يحمله من قمة الجبل البعيد قد تحول بسبب مجهول الى هيكل عظمي .. وعكف الطبيبان قالا : « **مسكين هذا الشاب ، انه مصاب بمجموعة من** الصورة كثيرة .. الم نقل لكم انها مأساة !

موجزا المأساة كلها بقوله : « المرضى كثيرون .. والامراض متنوعة .. والاطباء قليلون .. »

امراض بالجملة

ان هذا المستشفى الجمهورى الذى يتسع لنحو ٢٠٠ سرير يزدحم اليوم باكثر من ٦٠٠ سرير .. مرضى جاءوا من كل مكان .. يسيرون على الاقدام بالاسابيع ، يأتون من قمم الجبال قاصدين العلاج ، حاملين معهم الملاريا والبلهارسياء والسل ، الى جانب الانيميا وسوء التغذية ..

ويقف الاطباء حول المرضى يتألمون لآلامهم ، ولكن لا يستطيعون الا التخفيف عنهم بالامكانات القليلة الموجودة تحت ايديهم ، فالتحليلات المخبرية ضعيفة ان لم تكن معدومة في مستشفى الجمهورية .. وازدحام المرضى وكثرتهم يربكان الطبيب المعالج ..

١٨ عملية جراحية يومية

وعندما تكون هناك حالة تستوجب اجراء عملية جراحية يتم تحويل المريض الى مستشفى الثورة .. انه المستشفى الذى قدمته روسيا هدية الى اليمن ، وفيه تجرى يوميا ١٨ عملية جراحية من جميع الانواع ، على ايدى الاطباء الروس واليمنيين .. وهو مزود بجميع المعدات واجهزة الاشعة .. وتعمل فيه تسع ممرضات يمنيات تخرجن من مدرسة التمريض في صنعاء .

ممرضة وسيدة بيت

لقد اقبلت المرأة الصنعانية على مدرسة التمريض اقبالا هائلا ، ولكن المدرسة لا تستطيع ان تستوعب اكثر من ٨٥ فتاة .. لقد شيدت الكويت المبنى ، وتولت هيئة الصحة العالمية ، ادارته .

وتقول السيدة عاتكة الشامى رئيسة المدرسة : « اننا نعمل على تخريج سيدة وليس ممرضة .. نعلمهن الدروس العامة والحساب والخط والعلوم، الى جانب مختلف طرق التمريض والرعاية الصحية .. والذى يحدث انه ما تكاد الفتاة تتخرج من المدرسة حتى يتقدم اليها احد الشباب من الخريجين ويتزوجها .. وهذا لا يضايقنا ، لاننا نعلم ان وجودها في المجتمع سيعمل على زيادة الوعى فى هذا المجتمع .. لان خريجة مدرستنا تعتنى بنظافة منزلها وطعامها واطفالها ، فتصبح قدوة حسنة لبقية نساء المجتمع .. »

المرأة تنافس الرجل فى المصنع

وليس عمل المرأة الصنعانية مقصورا على التمريض فقط ، وانما رأيناها تعمل في مصنع الغزل والنسيج ، ذلك المصنع الضخم الذى قامت الصين ببنائه وجلب جميع معداته بموجب قرض قيمته ٢٠ مليون فرنك سويسرى ، يشمل قيمة المصنع وقيمة الطريق المؤدى من صنعاء الى صعدة فى الشمال .





٥٢٩ طالبة يتلقين تعليمهن الابتدائي والاعدادي في مدرسة بلقيس بصنعاء .. وفي لواء صنعاء لا يزيد عدد الطالبات اللواتي تستوعبهن مدارس البنات هناك على أكثر من الف طالبة ، بينما يزيد عدد سكان اللواء على مليون ونصف مليون نسمة ! .. **والى اسفل** احدى عضوات جمعية المرأة تدرب زميلتها على طريقة عمل الطاقية .



فوق :

تفتخر صنعاء بمصنع النسيج الذي اقيم بموجب قرض طويل الاجل قدمته حكومة الصين الشعبية لليمن ، **انه المصنع** الوحيد المنتج في البلاد ، ويبلغ انتاجه اليومي ٣٩ الف باردة من القماش ، **ويعمل** فيه ١٥٠٠ شخص من بينهم ٢٦٢ عاملة ، ترى بعضهن امام الماكنات في الصورة .





الى اليسار : ١٥ فتاة تخرجن هذا العام في مدرسة بلقيس الاعدادية ، انهن النواة الاولى التي ستتكون منها المدرسة الثانوية للبنات في صنعاء . وفي الصورة ، خمس من هؤلاء الفتيات ، يعرضن على الاستاذ احمد عبد الواسع الواسعي نتائج اجاباتهن في الامتحان .



اول مذيعة في اذاعة صنعاء اليوسفي ، تعمل منذ ثلاث المراة لمختلف المجالات ..



في شهر يوليو (تموز) ١٩٦٩ صدر مرسوم جمهوري بانشاء الجمعية النسائية اليمنية .. فكان هذا ايذانا بانتقالها الى مرحلة جديدة ، بعد اجيال طويلة من الحرمان والجمود .. وهؤلاء هن اعضاء مجلس ادارة الجمعية خلال اجتماعهن

ويعمل في هذا المصنع ٩٩١ عاملا .. و ٢٦٢ عاملة ، يعملن وهن يضعن المقمق (الحجاب الملون) على وجوههن .. وعندما دخلت الفتاة الى المصنع يوم افتتاحه عام ١٩٦٦ لم يحدث اى رد فعل معاكس لها ، بل على العكس بدأ التنافس بينها وبين فرقة الرجال التى تعمل في المساء .. ان معدل انتاج المراة ثابت ، بعكس انتاج الرجل فهو يتارجح بين الصعود والهبوط .. ونتيجة لهذه المنافسة بين الفريقين ، ارتفع انتاج المصنع من ٢٦ الف ياردة في اليوم الى ٢٩ الف ياردة ..

صناعات بسيطة ..

ويعتبر مصنع نسيج صنعاء الوحيد من نوعه في اليمن ، وانتاجه لا يكفى الاسواق المحلية .. لهذا بدا التفكير في تشغيل مصنع باجل المتوقف عن العمل منذ انشائه عام ١٩٥٦ ، رغم ان تكاليفه بلغت اكثر من مليون دولار ، وتجرى حاليا دراسة اسباب التوقف لحلها حتى يستطيع المصنع العمل لانتاج عشرة الاف متر من الاقمشة يوميا لمواجهة حاجة الاسواق المتزايدة .

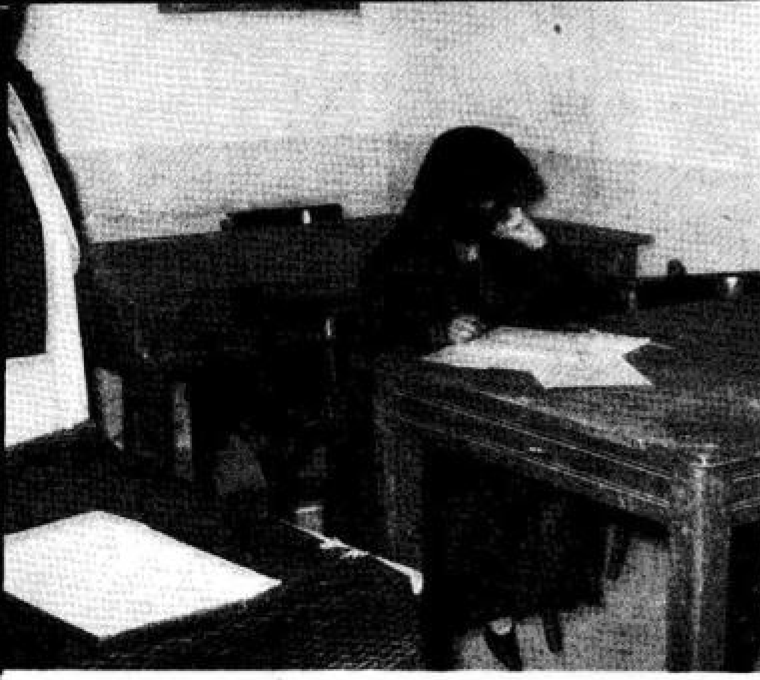
اما الصناعات الاخرى الموجودة في صنعاء فلا تتعدى مصانع صغيرة لانتاج بلاط الاسمنت ، ومقاطع وكسارات للاحجار ومصنعين للاخشاب ، وورشا لاصلاح السيارات . صناعات خفيفة بسيطة رغم ان اسم صنعاء مشتق من صفتها ..

من الستارة الى الشرشف !

واذا كانت المراة تعمل محجبة في المصنع ، الا انها تعمل سافرة في الاذاعة ، لتعود وتسير محجبة في الشوارع تحت غطاء كثيف يسمى الستارة .. قطعة من القماش المزخرف بالالوان ، يغطى المراة من قمة راسها الى اخمص قدميها .. وقد تطورت الستارة الى الشرشف الاسود الذى يغطى المراة باكملها (انظر الصورة صفحة ١٢٥) .



فاتن محمد عبد الله
سنوات ، وهكذا بدأ غزو
ممرضة ومعلمة وعاملة



لا توجد حتى الآن طالبات في المرحلة الثانوية .. ولكن فتاة واحدة هي عائشة احمد شرف الدين ، تخرجت من مدرسة بلقيس الاعدادية ، ودرست في منزلها منهاج الاولى الثانوية ، وتقدمت للامتحان فجلست بمفردها تحت رقابة الاستاذ

فشل .. ونجاح

لقد حاولت المراة الصنعانية اقامة جمعية نسائية يمنية ،ولكن المحاربة القاسية التى قوبلت بها من الرجال جعلتها تفشل في مهمتها .. الا انها عاودت الكرة مرة ثانية في نهاية عام ١٩٦٩ ونجحت في فتح جمعية جديدة للمراة اليمنية ، تراسها حورية المؤيد ..

وزرنا مقر الجمعية وتحدثنا الى رئيستها التى قالت : « اسسنا هذه الجمعية لحماية المراة اليمنية وتوعيتها ، مع محاولة لمحو الامية من اللواتى لم يتعلمن في المدارس .. وقد افتتحنا دارا للحضانة لرعاية اطفال السيدات العاملات في المصنع .. »

في دائرة الظلام !

وتنتقل رئيسة الجمعية فتتحدث عن مشكلة المراة اليمنية فتقول بصراحة تامة : « ان اكبر مشكلة أمامنا هى رجالنا ، ان مجتمع اليمن هو مجتمع الرجل .. بيده كل السلطة والجبروت للتسلط على المراة .. انه لا يشجعنا ابدا على الخروج من دائرة الظلام التى نعيش فيها منذ مئات السنين .. فما تكاد الفتاة تنهى تعليمها الابتدائى حتى يقول لها ابوها او اخوها : اجلسي في المطبخ ، تعلمى السبار وشغل الديمة (اى صناعة الطعام وعمل المطبخ) وتظل الفتاة في المنزل حتى تصل الى سن ١٣ او ١٥ سنة على الاكثر يعمل بعدها والدها على زواجها بسرعة دون ان يسألها رأيها .. المهم ان يتقاضى اقصى سعر .. انه يبيعها بثمن البقرة : ثلاثة آلاف ريال .. وتنتهى حياة الفتاة بالزواج ، وانجاب الاطفال بالجملة .. »

سيضحك الجيران !

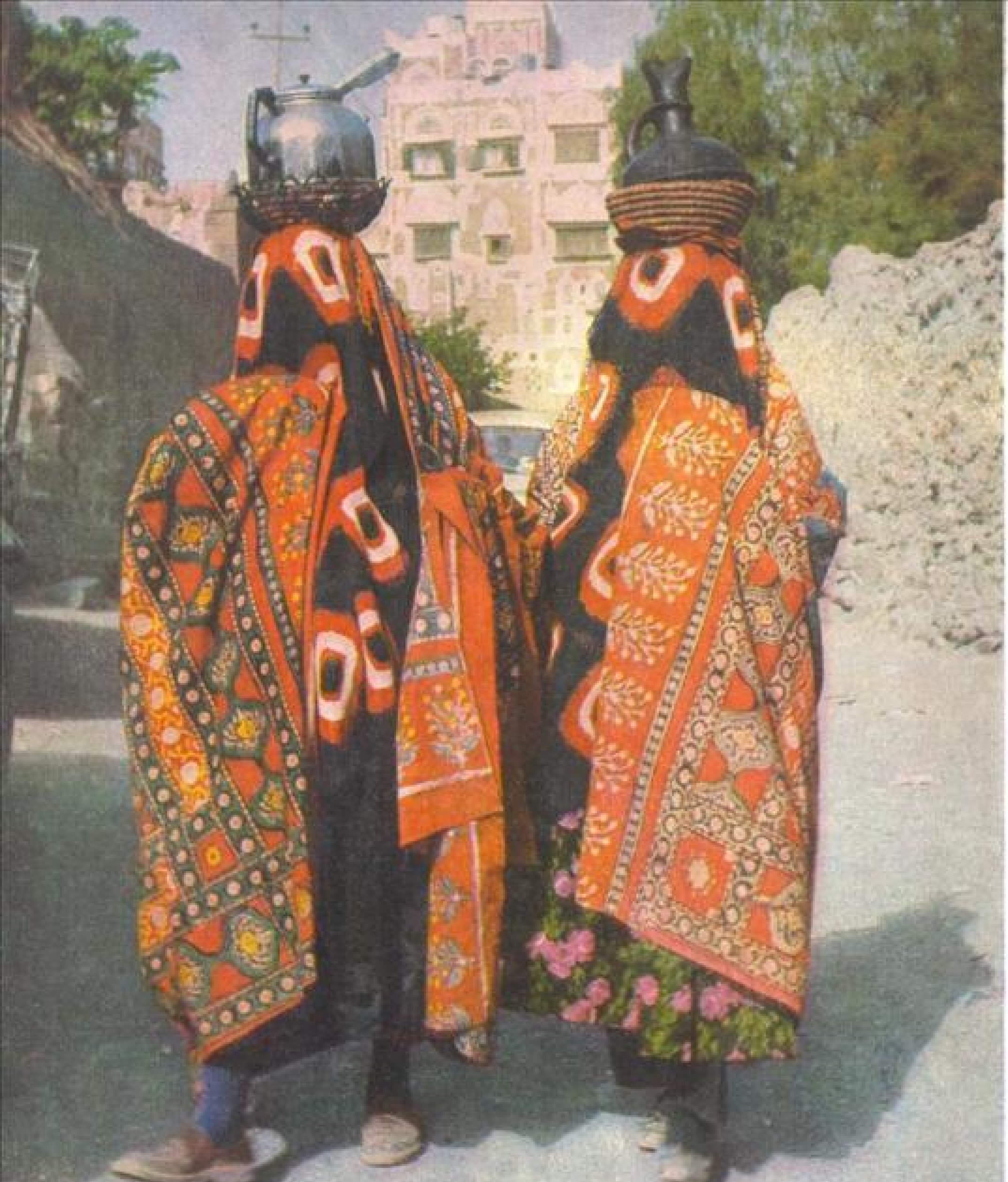
وينتقل الحديث الى الحجاب والشرشف الذى يغطى المراة فتقول رئيسة الجمعية : «أما الشرشف





٥٨ ممرضة يمنية يعملن حاليا في مستشفيات اليمن .. وتتولى السيدة عاتكة الشامي مهمة تدريب الفتيات في مدرسة التمريض ، التي شيدتها الكويت وتديرها الامم المتحدة .. وترى هنا بعض التلميذات – من مجموع ٨٥ تلميذة – يستمعن للسيدة عاتكة وهي تلقي عليهن درسا عمليا في التمريض .

الى اليسار : تطور زي المرأة من الشرشف الملون ، الى الستارة السوداء ، واستبدل السروال الطويل ، الملاصق للارض ، بجوارب زرقاء .. اما الوجه فكان يغطى بمجموعة من الخمر (المناديل) فوق بعضها البعض ، اما اليوم فاصبح يكتفي بمنديل واحد ! ..



سيدتان في طريقهما الى جلسة يمنية نسائية يحملان على راسيهما البن ، اى القهوة المصنوعة من قشر البن .. واحداهما الى اليمين ، حملت البن داخل « الجمنة » الفخارية القديمة ، والثانية وضعته داخل ابريق من الالمنيوم .. انهما يتجهان للتفرط .. والتفرط هو الذهاب للجلوس في منزل السيدة التى انجبت مولودا ، حيث تتجمع الصديقات وهن يرتدين افخر الملابس ، واكبر كمية من المصوغات الذهبية ، ويغطين ملابسهن بالستائر المزركشة ويتركن اطفالهن في المنزل ، ويرجع الزوج فيجد زوجته « متفرطة » اى عند صديقتها .. وتستمر الجلسة ٣ ساعات يوميا ، ابتداء من اليوم السابع بعد الولادة ، حتى اليوم الاربعين .

لقد حاولت بعض العضوات والقادمات من المهاجر خلعه ، والسافرات في الشارع ، فقاطعهن اهلهن ورفضوا حتى السلام عليهن في الشارع .. بالرغم من ان هؤلاء الاهالي من الطبقة المثقفة ، أي من الاطباء والاساتذة .. »

وهنا قال مرافقنا الشاب اليمني : « هذا الكلام لا ينطبق علي ، لقد قلت لزوجتي : اخرجي كاشفة ، وانزعي الشرشف ، فرفضت وقالت لي : « سيضحك علي الجيران ، اذا سرت سافرة ! »

وهنا قالت حورية المؤيد : « انا أؤيد كلامك وأزيد ، ان من الاشياء التي تعانيها انعدام الوعي عندنا .. حتى اصبحنا نعتقد ان التقاليد القائمة هي الاصل .. وهكذا باتت الفتاة اليمنية تتمنى الزواج من اي شخص يقدمه لها والدها ، حتى تتخلص من جحيم الانغلاق والحبس في منزل اهلها .. لان المرأة المتزوجة يمكنها ان تتفرط ، اي تذهب لزيارة صديقاتها بعد الظهر ..

« اننا نأمل ان تساعدنا الجمعيات النسائية العربية للنهوض من اغفاءتنا الطويلة .. ان العمل امامنا كثير جدا .. فرعاية اليتامى من الاطفال ـ وعددهم يقدر بالالاف ـ هو من صميم واجباتنا .. ولكن قبل هذا يجب علينا رعاية المرأة اليمنية وتوعيتها حتى تستطيع تأدية مهمتها .. »

لؤلؤة داخل صدفة !

والمجتمع اليمني ينقسم الى مجتمعين منفصلين: مجتمع للرجال وآخر للنساء .. ولكنه في كلتا الحالتين مجتمع انشراح ومرح ، وخاصة في جلسات تخزين القات اليومية (سنرجع للحديث عن القات في استطلاع قادم مستقل) .

ويقول الاستاذ محمد احمد نعمان مستشار رئيس الجمهورية : « ان صنعاء مثل اللؤلؤة المغطاة بالصدف .. والمدينة القديمة مغطاة بالستر والاحجبة ، ولا يمكن ان تعرف طيب عطرها الا اذا فركتها لتفوح رائحتها .. ومن يدخل صنعاء تصهره في بوتقتها وتجعله صنعانيا .. انها مدينة الاصالة والعراقة ، ففيها فن صنعاني ، وغناء صنعاني ، ومعمار صنعاني .. انها بلد التقاليد والعادات الاصيلة .. ولا يمكنكم ان تصلوا الى اعماق هذا الجو ، الا اذا عشتم معنا في صنعاء .. انها قلب اليمن النابض بالحركة المتجددة .. »



قال لنا القاضي اسماعيل بن علي الاكوع ، رئيس مصلحة تاريخ بعضها الى القرن الاول والثاني والثالث الهجرى . معظم الاقطار الاسلامية ، واحتفظت بها اليمن ، لان طائفة كتاب « المغنى » للقاضي عبد الجبار بن احمد شيخ ظهر منه حتى الآن ١٩ مجلدا ، ولم يبق منه تحت الطبع الكتب الحديثة ، التي تبرع ببنائها المغفور له الشيخ

غيرة

وتدور منافسة خفية بين صنعاء .. وتعز ..

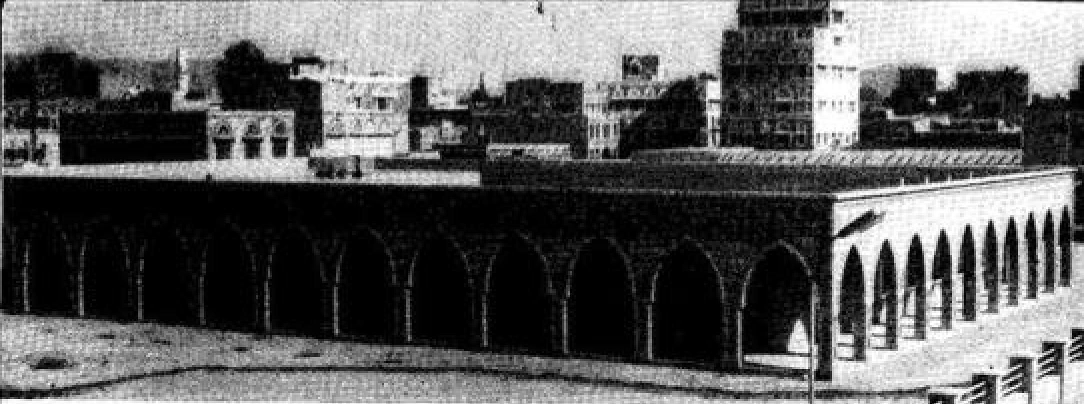
لقد ظلت صنعاء عاصمة لليمن حتى اغتيل فيها الامام يحيى حميد الدين ، وعندها ثارت ثائرة ابنه الامام احمد فدخلت القبائل الى صنعاء عام ٤٨ ونهبتها .. وقرر الامام احمد جعل تعز عاصمة البلاد .. ثم جاءت الجمهورية واعادت الى صنعاء مركزها وجعلتها عاصمة البلاد.

ان صنعاء مدينة قبلية ذات تقاليد اصيلة متمسكة بها ، بينما نجد القبلية قد تفككت في تعز ، لان اهلها يسافرون ويهاجرون كثيرا الى الخارج .. والوعي التعليمي متوفر في تعز اكثر من صنعاء ، نتيجة الاحتكاك بالعالم الخارجي ، يضاف الى ذلك ظروف السلام ، لقد تمتعت بها تعز اكثر من صنعاء ، التي عانت الامرين من الحصار والحروب .

لقد جاء تاجر تعز الى صنعاء للكسب الحلال ، وهو في تجارته اكثر نجاحا من الصنعاني ، لانه يعلم كيف تكون معاملة الزبائن ، بعكس ابن صنعاء الذى يجهل اسلوب المجاملة والمرونة ..

المهاجرون يفطنون العجز

والميزان التجارى اليمني مختل تماما ، فبينما كانت اليمن في أوائل الخمسينيات تصدر جميع



الاثار والمكتبات في اليمن : « في صنعاء مجموعة من المخطوطات ، يقرب عددها من ٨ آلاف مخطوط ، يعود وهي محفوظة في مكتبة الاوقاف بالجامع الكبير .. وتوجد ايضا مجموعة كبيرة من كتب المعتزلة ، التى خلت منها الزيدية كانت ، ولا تزال ، تلتقي مع المعتزلة في اصول الدين ، فاهتم علماء الزيدية بجمعها وحفظها ، ومنها المعتزلة .. وهو الكتاب الذى امر الدكتور طه حسين -عندما كان وزيرا للتربية - بتحقيقه واعادة طبعه ، وقد سوى الجزء الاول .. والى جانب المخطوطات يوجد نحو ١٠ آلاف كتاب مطبوع ، نعمل حاليا على نقلها الى دار عبد الله السالم الصباح امير الكويت السابق . » **-الصورة العليا -** .

انواع المنتجات الزراعية ، نجدها اليوم تستورد بنحو ٣٠ مليون دولار حبوبا وماكولات .. وهذا التدهور نتج عن حرب السنوات السبع الطويلة..

والانتاج الزراعى الوحيد الذى تصدره اليمن حاليا هو البن ، بواقع ١٢ مليون دولار سنويا .. والى جانب البن تصدر الجلود الخام ، بمبلغ مليوني دولار سنويا ..

ويقول وزير التجارة : « ان صادراتنا المنظورة - كما ترى - لا توازى وارداتنا .. ولكن تغطية العجز تتم بالتحويلات الشهرية التى يرسلها اليمنيون من بلاد المهاجر في فرنسا والحبشة وامريكا والدول العربية ، وتقدر قيمة هذه التحويلات بنحو مليون جنيه استرليني شهريا.. »

الحياة فوق الجبال

والعجيب في شعب اليمن ان ٨٨٪ من سكانه - البالغ مجموعهم ٥ ملايين نسمة تقريبا - يعيشون في منازل وقرى متفرقة ، فوق قمم الجبال التى يتراوح ارتفاعها بين ١٢٠٠ و ٣٠٠٠ متر ..

ويعمل فى الزراعة بين ٨٠ و ٩٠ في المائة من هؤلاء السكان ، الذين اقاموا خلال قرون طويلة نظاما رائعا للزراعة ، والرى وحفظ الماء .. حتى ان جميع خبراء منظمة الاغذية والزراعة العالمية (الفاو) الذين جاءوا الى اليمن ، اظهروا اعجابا زائدا بالمزارع اليمنى ، ووجدوه متفتحا للغاية ويميل الى معرفة كل جديد في الزراعة .

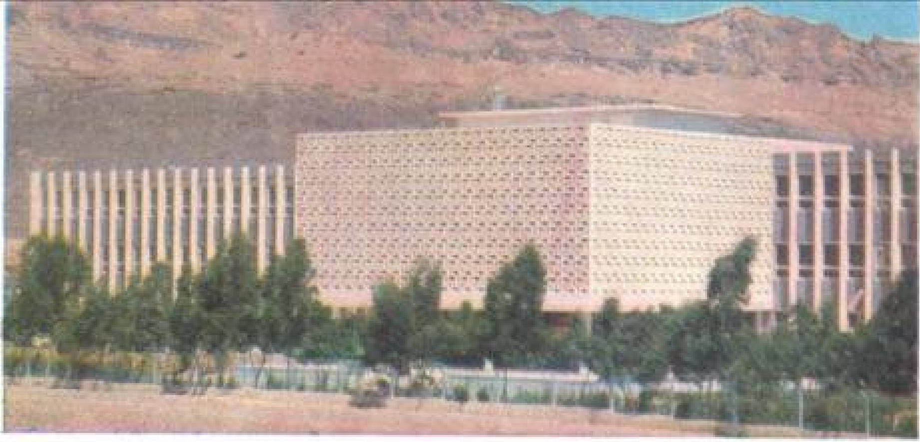
ولكن رغم هذه الشهادات الطيبة فان المزارع يمكن ان يتضاعف انتاجه اذا تبدل تفكيره ، فهو يرى ان الزراعة هي اسلوب حياة ، يزرع مرة في السنة عندما تهطل الامطار ، حسب اجتهاده الفردى ، والمطلوب اقناعه انها عمل تجارى مربح يمكنه ان يتطور ويصبح دائما . اذا اقيمت السدود وحفرت الابار الارتوازية ، واستعملت آلات الحراثة الحديثة .

قبائل اليمن تختلف عن القبائل الاخرى

وذهبنا لمقابلة الشيخ عبد الله الاحمر زعيم قبيلة حاشد ، من اكبر قبائل اليمن واشهرها .. وهو في نفس الوقت رئيس المجلس الوطني الذى يقوم حاليا بوضع مسودة جديدة لدستور اليمن.. وسالنا الرجل الذى يخضع له الوف كثيرة من رجال القبائل ، عن رايه في النظام القبلى في اليمن ، فاجاب بسرعة قائلا : « القبائل اليمنية تواقة لتطوير بلادها ومعيشتها وتعليم ابنائها .. وهذا الشعور نابع تلقائيا من الرجال انفسهم .. لكنى احب ان اوضح لكم امرا هاما ، وهو ان قبائل اليمن تختلف كلية عن قبائل الشعوب الاخرى ، لان « القبلى » هنا يملك - في الغالب -

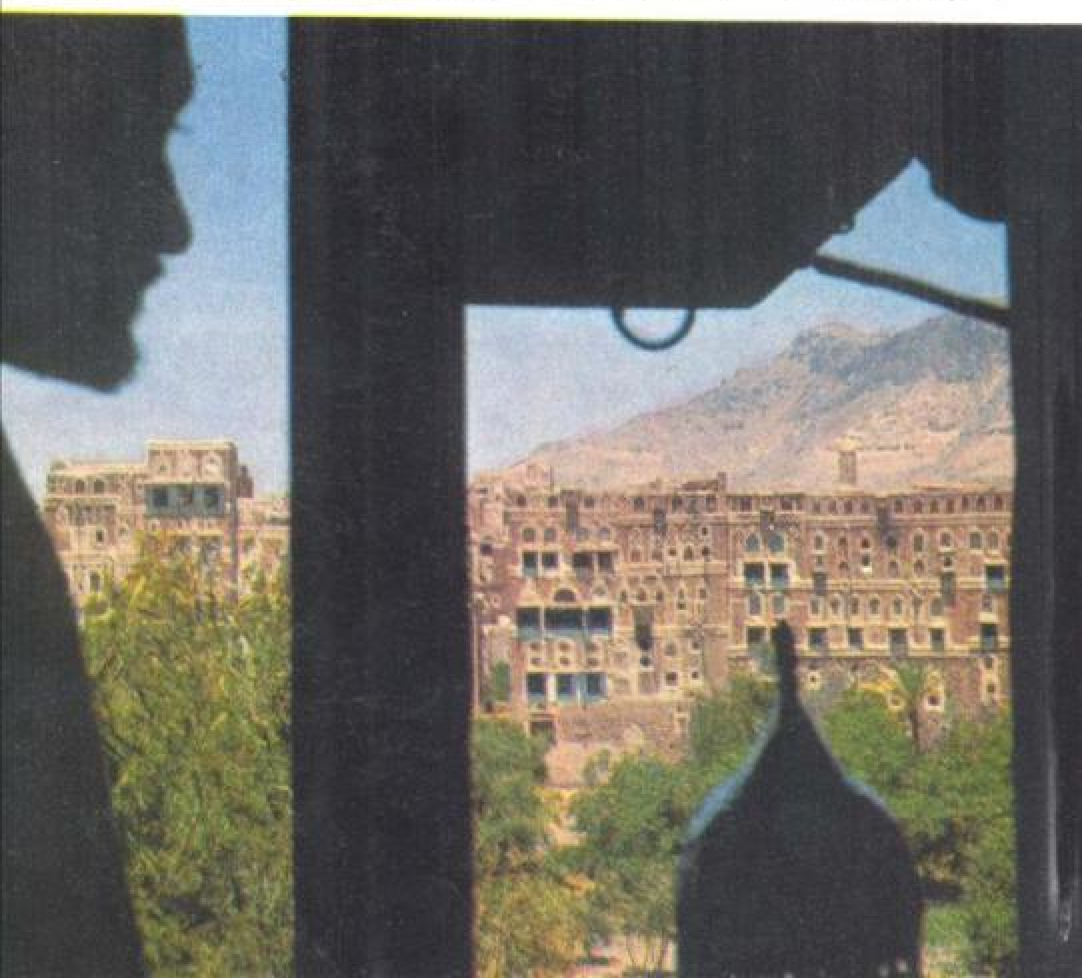


انقذوا شعب اليمن من الموت عطشا : ماء .. ثم ماء .. ثم ماء .. صيحة مدوية تسمعها اينما ذهبت في كل مكان باليمن .. لقد توقف هطول الامطار منذ اربع سنوات ، وجفت الابار ، واستبد العطش بالناس ، وخرجت النساء يحملن الصفائح والاواني ليملأنها بمياه الابار العميقة التي حفرتها الحكومة ، في محاولة لانقاذ شعب اليمن من الموت عطشا .. ان العشرات يسقطون يوميا في منطقة تهامة ، بعد ان عجزوا عن العثور على قطرة ماء يبللون بها شفاههم التي جفت ظمأ ..



احدث مستشفيات صنعاء ، قدمته روسيا مع تجهيزاته هدية لشعب اليمن .. « ان الامراض تفتك بي ، وانت تسألني هل وراء هذه المساعدة اتجاه الى اليسار .. انني اقبل اى مساعدة بغض النظر عن مصدرها ، اقولها وانا اتألم بعد ان نسى اخواننا العرب مأساتنا .. » كلمات تسمعها على لسان المسئولين .

الى اسفل : في اعلى كل منزل بصنعاء ، غرفة خاصة تسمى « المنظر » او « المفرج » مفروشة بالسجاد والوسائد المزركشة الملونة ، وبها نافذة ، تسمح للجالسين برؤية المنظر الجميل الذى امامهم .



ارضا ومنزلا مكونا من ثلاثة طوابق ، على سطحها مفرج من الزجاج يطل منه على المنظر الطبيعي الجميل امامه .. انه يعيش في منزل حجرى عال ، وليس في كوخ غارق في الوحل ..

« ويخضع رجل القبيلة الى نظام حازم اشبه بدستور . يمنع الرذيلة والسرقة ويحافظ على الاستقرار والسكينة ..

« ان قبائلنا ليست قبائل متوحشة ، لهذا نرى ضرورة المحافظة عليها وعلى عاداتها ، لان هذا النظام مفخرة للبلاد .. ونحن لا نوافق على تذويب القبائل وتقاليدها .. انما نؤمن بتطويرها لما فيه مصلحتها ومصلحة افرادها ، مع ادخال وسائل التعليم والطب الحديث اليها ..

ويستطرد رئيس قبيلة حاشد قائلا : « أما عملية تحويل رجل القبيلة من محارب الى مزارع، فمن السهل جدا هذا التحويل ، خاصة اذا اقيمت المشاريع المالية والزراعية ، وحفرت الآبار وشقت الطرقات المؤدية الى أراضيه .. كل هذا اذا توفر سيساعد على الاستقرار والهدوء والعمل.

« وحتى اثبت لكم صدق كلامي اذكر لكم انه رغم الحرب في السنين السبع الماضية ، قامت القبائل بحفر آبار كثيرة ، ففي ناحية خمر اقاموا ١٠٠ مضخة ، وفي منطقة عمران حفروا ٣٠٠ مضخة واشتروا ٥٠ حراثة ، وسيارات نقل كثيرة جدا .. »

رشاشات ومدافع للزينة !

وعندما قلنا للشيخ الاحمر : « ان الرجل القبلي ينتشي عندما يقتل ، ويطلق رصاص الرشاشات ويلقى القنابل ... **قاطعنا بعصبية قائلا :** « هذا زيف .. ولا صحة لما يقال انه رجل حرب ، انه اقدم انسان شاد السدود ،ومن السهولة جدا عندما يتوفر السلام ان تسحبمنه البندق والبازوكا واللغم ، كل هذا سيختفي ويتلاشى شيئا فشيئا حتى ينتهي تماما عند استتباب السلام .. انه يحمل هذه الاشياء للزينة ، لانه تعود على حملها ، وهو لا يقصد بها شرا .. »

الى اسفل : ان وجود الاسلحة الحديثة في ايدى ابناء اليمن ، اضطر المسئولين في كلية الشرطة ، الى تدريب ضباط المستقبل على استخدام اسلحة احدث واقوى لمواجهة اى احتمال ، كما ترى في هذه الصورة .



الى اسفل : ناد داخل مقهى ! فما زالت اندية الشباب في صنعاء تفتقر الى المباني الخاصة بها ، لهذا رأيناهم يستأجرون المتاجر والمحلات ليمارسوا فيها بعض الالعاب الخفيفة . وبعد ان عاد السلام الى اليمن تألف مجلس أعلى لرعاية هؤلاء الشباب.





اليمن مهد الحضارات..وآثار تلك الحضارات ما زال معظمها مطمورا تحت الارض ، حتى الذى اكتشف منها رأيناه « مطمورا » فوق الارض .. في الغرفة رقم ٢٧ بمبنى وزارة الداخلية بصنعاء ! .. وتجرى الان مباحثات لاجلاء موظفي وزارة الداخلية عن « دار الشكر » الجميلة ، وتحويلها الى متحف يليق بآثار سبأ وحمير ..

النضال التقليدى في وطننا الكبير

وقد دخل عنصر جديد الى اليمن .. انه اليمنى المهاجر الذى عاش مغتربا في بلاد العالم سنوات وسنوات ، عاد الى بلاده بعد غياب طويل ، يريد تطبيق ما رآه وتعلمه في الخارج ويقف الى جانبه الشباب الذين اكملوا دراستهم الثانوية والجامعية يطالبون بالتبديل والاصلاح في بلادهم ، ولكنهم لا يجدون تجاوبا كافيا لارائهم ، حسب قولهم .. فتراهم يخوضون النضال التقليدى الذى تخوضه شعوبنا العربية في جميع ارجاء الوطن الكبير .. نضال بين القديم والحديث ..

الزمن كفيل بازالة العادات الضارة

ونسأل رئيس الجمهورية الشيخ الوقور القاضي عبد الرحمن الارياني عن رايه في هذا الصراع ، فيقول بصوت رزين هادىء : « انا اعتقد انه ليس من السهل تبديل عادات وتقاليد مستمدة من التاريخ والدين ، ومفاهيم خاصة ، ليس من السهل تبديل هذا كله بجرة قلم . ونحن نعمل من جانبنا على محاربة العديد من العادات الاجتماعية الضارة ، المتوارثة .. وانا اعتقد ان كل هذا لن يزول الا بالزمن ، وباختلاط الشعب وانفتاحه على العالم .. حقيقة ان شعبنا معزول وفقير ، الا انه ذكي وفيه رواسب حضارات قديمة تجعله سريع التكيف مع كل جديد .. »

احلام .. وامكانيات

واكثر ما يضايق الشباب هو عدم وجود اندية يجتمعون فيها ، انهم يتجمعون في محلات تجارية ومقاه مستاجرة حولوها الى اندية مؤقتة ، حتى تقوى لجنة رعاية الشباب وتنتظم ..

والواقع ان المشكل الخطير في اليمن هو التفتح الشعبي الكبير في المجالين السياسي والاجتماعي ، اللذين دفعا بالناس الى العيش في احلام القرن العشرين .. يحلمون بالماء العذب النظيف والكهرباء والبوتاجاز والتليفون ، والفيلات والمطاعم النظيفة ، والمتاجر المليئة بالكماليات .. لقد سمعوا عن كل هذا وقرأوا عنه في الصحف ..

لكن هذه الاحلام تقابلها امكانيات معدومة ومرتبات ضئيلة . مع فراغ هائل ، واحساس عميق بالحرمان .. الحرمان من كل شيء جميل في الحياة ..

حقوق دون واجبات

ويقول رئيس الوزراء في هذا الصدد : « العيب اننا اعطينا المواطن شعورا وايحاء ووعودا بان مشاكله انتهت . فاصبح كل انسان يطالب بكل شيء فهو يسأل عن حقوقه ، دون ان يتحمل اى واجبات ..

« والاقتصاد المزدهر الذى شهدناه خلال سنين الحرب كان اقتصادا مصطنعا ، ونحن اليوم امام تجربة جديدة .. تجربة الاعتماد على النفس ، وعدم الاعتماد على الغير .. »

٦ ملايين دولار من الامم المتحدة

واستنادا الى روح النهضة الجديدة تقدمت اليمن بطلب الى الامم المتحدة تطلب فيه اعادة النظر في رجال هذه المنظمة العاملين في اليمن



يعاني الجهاز الوظيفي الحكومي اليمني متاعب شتى ، لهذا اقيم المؤتمر الاداري الاول لدراسة هذه المشاكل ، وتحدث الينا السيد احمد جابر عفيف وزير التربية ورئيس المؤتمر فقال : « انشىء الجهاز الحكومي حديثا ، بهدف التنظيم ، ولكن ظروف الحروب وقلة الخبرة ، جعلت الجهاز نعثر في طريقه ، لهذا اقمنا هذا المؤتمر الذي يضم وكلاء جميع الوزارات ، والمسئولين الاداريين . وفي الصورة وزير التربية يترأس الاجتماع الختامي للمؤتمر لبحث وسائل التخلص من هذه المشاكل .

الذين استغلوا مراكزهم .. كما تطلب اعادة النظر في المشاريع التي تنفذها المنظمة في البلاد.. واستجابت الامم المتحدة ، واعلن يوثانت ان اليمن تعتبر « حالة خاصة » ، اعتمدوا لها في ميزانية الهيئة الدولية مبلغ ٦ ملايين دولار مساعدات سنوية ، واستبدلوا بالرجال السابقين رجالا جددا .

من اين نبدأ ؟

وجلسنا الى المستر توني هاجن رئيس مكتب الامم المتحدة في اليمن ، وتحدثنا اليه ، فقال :

« لقد واجهتنا مشكلة كبرى في اليمن ، وهي من اين نبدأ ، رجال التربية يقولون : لا يوجد تقدم بدون تعليم .. ورجال الصحة يقولون : لا تقدم بدون صحة .. والمواصلات تقول : لا تقدم بدون طرق ومطارات .. والزراعة تقول : لا تقدم بدون غذاء والا مات الناس ..

وفعلا وجدنا ان الزراعة هي التي يجب ان نوليها اهتمامنا الاكبر .. لهذا قمنا بعمل برنامج نأمل بموجبه ان يتوقف استيراد المنتجات الزراعية في خلال ٧ سنوات .. يعود بعدها اليمن الى التصدير للخارج كسابق عهده ..

« واليمن مثلها مثل بقية الدول النامية تحلم بوجود المعادن في جبالها والنفط تحت رمالها .. اما عن المعادن فالتقارير التي تحت يدنا لا تعطينا املا كبيرا في وجودها ، وهذا بعكس ما يقولونه لك من وجود المعادن في كل بقعة من اليمن ..

« اما عن النفط فنعتقد انه موجود بصفة قاطعة في تهامة وتحت مياه البحر الاحمر .. اما المنطقة الشرقية فلم يجر التنقيب فيها بعد .. »

وجبة ساخنة ..

وينهي ممثل الامم المتحدةالخاص حديثه بقوله :

« ونحن اليوم نقدم لـ ٢٣ الف طالب طعاما هو



الفريق حسن العمرى .

شطائر باردة ، وسيرتفع الرقم الى ٦٠ الف شطيرة في مطلع العام الدراسي القادم ..

« ونحن نعمل الان على انشاء مطبخ مركزى سيتكلف ٦٠٠ الف دولار لتقديم الوجبات الغذائية الساخنة للطلبة .. وسوف نساعد الصيادين لتحسين وزيادة صيدهم ، حتى يمكننا تقديم السمك للطلبة ، وهو من الاغذية الهامة التي لا يتناولونها في منازلهم .. »

تفتح على السياحة ..

ان وجود اليمن في اقصى الجنوب ، جعلها تعيش منعزلة عن مناطق التجمع العربية المعتادة ، ولكن السياح القادمين من الحبشة وجيبوتي ، بدأوا يتوافدون على اليمن لرؤية هذا العالم المجهول ..

وجلسنا الى الفريق حسن العمرى عضو المجلس الجمهورى ووزير الدفاع اليمنى ، انه ملم بكل كبيرة وصغيرة عن اليمن ، وعندما يحدثك يتشعب الحديث معه الى جميع المجالات ، فتعال نستمع اليه سويا وهو يقول :

« اننا نبدأ من الصفر .. لا يوجد عندنا شيء قائم .. والاراضي الزراعية عندنا تكفي لاطعام ٣٠ مليون نسمة لو احسنا خدمة الارض .

« اننا نفتح ابوابنا على مصراعيها امام اشقائنا العرب ، ونطلب منهم ان يعتبروا اليمن بلدهم .. اننا سنعمد الى تبنى الاتجاه الحر في بلادنا .

« ان المشكل الاول امام اليمن هو الناحية الاقتصادية .. وحل هذا المشكل سوف يحل بقية المشاكل تلقائيا ..

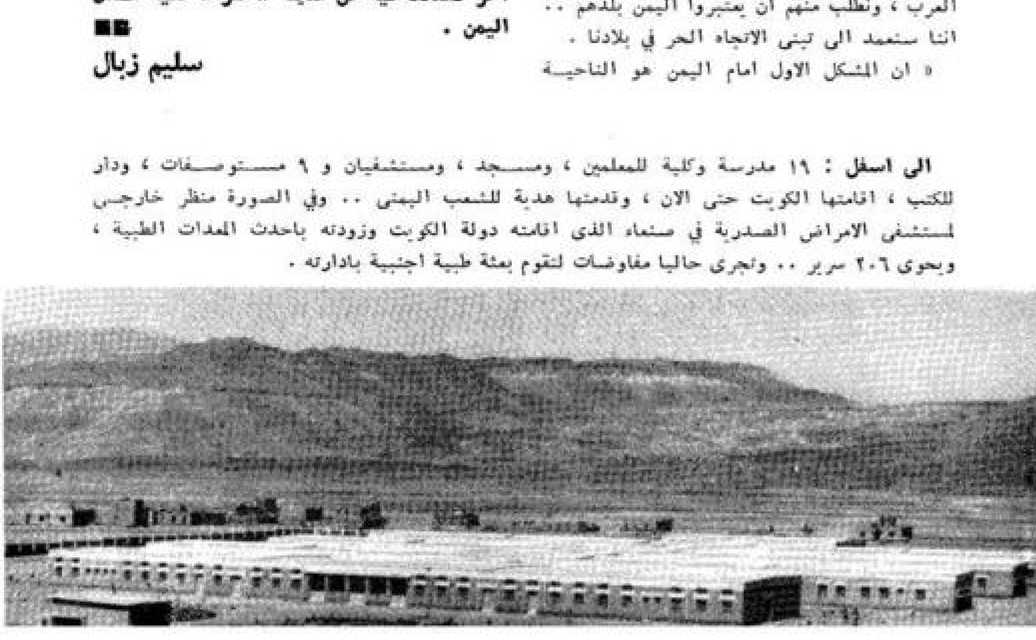
لقد ساعدتنا الكويت مساعدات فعالة كان لها اثرها الكبير في الشعب فقد شيدت المدارس والمساجد والمستشفيات والمستوصفات .. وهذا اعظم واجل عمل يقوم به بلد تجاه بلد شقيق .

حديث مثير طويل

ان الحديث عن اليمن .. ومشاكل اليمن .. وامال اليمن .. وثروات اليمن .. وعادات اليمن .. حديث مثير غريب طويل .. وما هذا الذى نكتبه الا استطلاع محدود الصفحات .. فالى لقاء آخر نحدثك فيه عن مدينة « تعز » ثانية مدن اليمن . ■■

سليم زبال

الى اسفل : ١٩ مدرسة وكلية للمعلمين ، ومسجد ، ومستشفيان و ٩ مستوصفات ، ودار للكتب ، اقامتها الكويت حتى الان ، وقدمتها هدية للشعب اليمنى .. وفي الصورة منظر خارجي لمستشفى الامراض الصدرية في صنعاء الذى اقامته دولة الكويت وزودته باحدث المعدات الطبية ، ويحوى ٢٠٦ سرير .. وتجرى حاليا مفاوضات لتقوم بعثة طبية اجنبية بادارته .



أنباء الطب والعلم والاختراع

المضادات الحيوية تفقد فاعليتها

• اذاعت اكاديمية الطب الوطنية فى فرنسا ، تقريرا خطيرا تناولت فيه الاسراف فى استخدام المضادات الحيوية (Antibiotics) باشراف الأطباء او حتى بدون اشرافهم — املا فى القضاء على مختلف الأمراض التى تصيب الجسم .

ولم يسلب التقرير اهمية هذه العقاقير ، بل انه وصفها بانها من الأدوية الحديثة التى انقذت حياة الملايين من البشر ، واستطاعت أن تقهر عشرات من الأمراض الخطرة . ولكنه نبه الى ضرورة استخدام تلك المضادات فى الحالات التى يتحتم استخدامها فيها .

أما انتشارها وتناولها للقضاء على زكام خفيف ، او للخلاص من سعال بسيط ، فهذا هو الخطر بعينه ، لان كثرة استخدام هذه المضادات الحيوية تعطى الجراثيم والمكروبات مناعة ضدها .

والدليل : عندما اكتشف فليمنج (Fleming) البنسلين لاول مرة ، كانت تكفى كمية منه — اقل من ٢٠٠ الف وحدة — لتحقيق معجزة فى القضاء على تلك الكائنات الدقيقة التى تفتك بالجسم ! اليوم اصبح من المستحيل التوصل لهذه النتيجة بدون استخدام كمية كبيرة من المضادات الحيوية تقدر بحوالى مليون الى ٢ مليون وحدة . وفى حالات شبه مستعصية يتطلب العلاج من ٥٠ الى ١٠٠ مليون وحدة ! فمكروب الجونوكوك (Gonococus) الذى يسبب مرض السيلان ابدى استسلاما واضحا وسريعا فور اكتشاف السلفاميد Sulphamide . وبعد مرور بضع سنوات قليلة على هذا الاكتشاف ، تمكن المكروب

سن الأب ...
هل تؤثر على ذكاء الابن ؟

• هل هناك علاقة بين ذكاء الطفل وسن ابويه وقت انجابه ؟

للاجابة عن هذا السؤال ، قام عالمان سوفيتيان — الكساخين وتكاتشينكو — بدراسة تاريخ حياة اكثر من ٥٠٠ من مشاهير العالم فى العلوم والآداب والفنون والسياسة . وكانت النتيجة ان ٨٠٪ من هؤلاء المشاهير ولدوا بعد ان تعدى الآب سن الثلاثين ، بحد اقصى سن الثامنة والثلاثين بالنسبة للاب ، وسن السابعة والعشرين بالنسبة للام . أما اذا تعدت السن هذا الحد الاقصى فان عدد الاطفال « العباقرة » يتناقص كثيرا .

الاوساط العلمية استقبلت هذه الدراسة بكثير من التحفظ . وطالبت بضرورة تشعبها وتقديم الادلة العلمية ، حتى يمكن الاخذ بنتائجها .



ما أسهل الحصول على المضادات الحيوية من الصيدليات وتناولها بدون اشراف الطبيب. وفي ذلك خطورة على الجسم .

من استعادة قوته واكتسب مناعة كاملة ضد مركبات السلفاميد . ولذلك فقدت هذه المركبات اهميتها وتطلب الأمر اكتشاف مضادات حيوية جديدة . وتفقد تلك المضادات الجديدة فاعليتها هي الاخرى بعد فترة ، وتعكف المعامل على استكشاف مضادات اخرى غيرها اكثر فاعلية واطول صمودا . وقد احتار العلماء في اسباب تلك المناعة التي تكتسبها المكروبات ضد المضادات الحيوية ، الواحدة بعد الاخرى . الا ان هناك من يعتقد ان تلك المناعة ترجع الى ان عالم المكروبات ينقسم الى قسمين . القسم الأول يفقد حياته عندما تحاصره المضادات الحيوية . والقسم الآخر يتمكن من النجاة فيهاجم المضادات الحيوية بعد ان استطاع أن يفير من صفاته وينتج ـ خلال ساعات قليلة ـ اجيالا جديدة من المكروبات لا تتأثر بالمضادات الحيوية . هذا التحول السريع يرجعه العلماء الى نظرية التغير الوراثي المعروف باسم (Mutation) وهو التغير الافتراضي المفاجيء في الوراثة ويحدث مواليد جديدة مختلفة عن الأبوين المنتجين اختلافا اساسيا وذلك بسبب تحولات طارئة على الصبغيات (الكروموسومات) او على المورثات (الجينات) .

والخطورة في هذا النوع من المكروبات، ان المناعة التي يكتسبها لا تقتصر على جيله فقط ، وانما تصبح مناعة وراثية تكتسبها الأجيال القادمة منه. مثال ذلك مكروب ستافيلوكوك Staphylococus الذي يهاجم الجسم ويسبب أمراضا خطرة ، وبالذات أمراض العظام ، اكتسب الآن مناعة قوية ضد معظم المضادات الحيوية التي يتداولها الأطباء حاليا .

ويأسف تقرير اكاديمية الطب في فرنسا على الحالة التي وصلت اليها الآن تلك المضادات الحيوية .. فهي تفقد يوما بعد يوم مقدرتها على قهر الجراثيم وانقاذ الأرواح . لا لشيء الا نتيجة لسوء استعمالها . واهمال الأطباء ، ورغبتهم في تقديم العلاج السريع لمرضاهم ـ حتى تروج عياداتهم! ـ فيصفون لهم المضادات الحيوية لعلاج أبسط الامراض التي يقهرها اي شراب طبي كالسعال ونحوه .

التقدم العلمي يجعل التجسس من الجو .. اسهل منه على الأرض

● صرفت الولايات المتحدة ملايين الدولارات من اجل الحصول على اسراب من طائرات التجسس التى تطلقها بلا طيارين لتجوب الأجواء فوق الاتحاد السوفييتي والصين والشيوعية وتلتقط آلاف الصور التى تمسح أراضى الدولتين شبرا شبرا .

كما صرفت الملايين الاخرى على انتاج سفن التجسس العلمية مثل سفينة ليبرتي ـ التى دمرها الطيران الاسرائيلي خلال حرب يونية ١٩٦٧ ، والسفينة بيوبلو « Pueblo » التى كانت تتجسس داخل المياه الاقليمية لكوريا الشمالية .

ثم حدث ان قررت وزارة الحربية الأمريكية الغاء ١٠٪ من عمليات التجسس الجوية والبحرية خلال السنة القادمة . والسبب الظاهر تخفيض الميزانية . اما السبب الأهم فيرجع الى ان اساليب العلم تتطور يوما بعد يوم . وقمة التقدم فى هذا اليوم ، تصبح شيئا عاديا فى اليوم التالي . فالأقمار الاصطناعية ، التى تطلقها الولايات المتحدة تقوم بعمليات تجسس دقيقة جدا فوق الاتحاد السوفييتي والصين الشيوعية وكذلك فوق سائر دول العالم . وقد كشفت تلك الأقمار الاصطناعية عن امور خطيرة لأجهزة المخابرات كشفا سهلا اعطاها منزلة تفوق كثيرا منزلة طائرات السماء وسفن الماء التى يسهل اكتشافها فضربها واسقاطها بعد ذلك .

وما تفعله الأقمار الاصطناعية الأمريكية ، تقوم به ايضا الأقمار الاصطناعية السوفييتية . بل ان عدد الأقمار الاصطناعية السوفييتية يفوق عدد الأقمار الأمريكية .

طريقة لحفظ الدم فى بنوكه

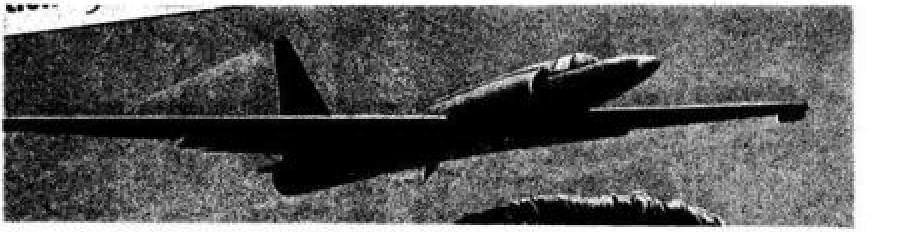
● معظم بنوك الدم فى العالم تحتفظ برصيدها من الدم فى درجة حرارة ٤ مئوية . والمشكلة التى تواجهها هذه البنوك ، ان السائل الدموى ـ البلزمة ـ وكرات الدم الحمراء لا تصلح للنقل الى جسم المصاب بعد تخزينها لأكثر من ثلاثة أسابيع فقط .

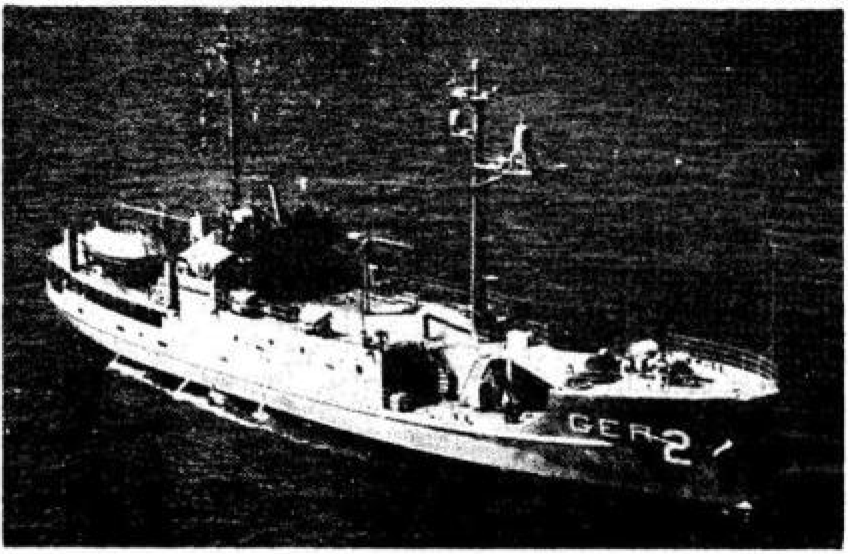
ولكن يبدو ان هذه المشكلة قد وجد لها الحل داخل معامل ابحاث تابعة لهيئة الصليب الاحمر الدولى . فقد أجريت التجارب على تجميد كرات الدم الحمراء بحيث يمكن حفظ الدم سليما لمدة طويلة قد تصل الى عشر سنوات .

ويمكن تلخيص طريقة التجميد هذه على النحو التالى ـ :

يسحب الدم من جسم المتبرع ، ثم تفصل البلزمة عن كرات الدم ، وتخزن هذه الكرات فى درجة حرارة منخفضة جدا ، مع اضافة الجليسرين اليها . فقد ثبت ان الجليسرين يحافظ على سلامة الخلايا فى درجة الحرارة المنخفضة التى قد تصل الى درجة ٨٥ تحت الصفر المئوى .

الا ان اضافة الجليسرين ، تحتاج الى عناية ، والا تعرضت كرات الدم الحمراء للتلف ، والجليسرين لايضاف بسرعة





لفترة طويلة تمتد الى سنوات

كبيرة . ويجب ان لا تزيد سرعة اضافة الجليسرين على ٢١ مليمترا فى الدقيقة . وبعد ذلك يوضع الخليط فى كيس من البلاستيك ، ليحفظ بعد ذلك داخل « فريزر » الثلاجة ويجمد فى درجة حرارة ٨٥ تحت الصفر فيما بين ٩٠ و ١٢٠ دقيقة .

وعندما تدعو الحاجة الى اعادة الدم لحالته الطبيعية ، يغطس كيس الدم المتجمد فى ماء حرارته نحو ٣٧ درجة مئوية ، فيعود الدم لسيولته بعد حوالى ١٠ دقائق ، وذلك تبعا لحجم الوعاء المعدنى الذى يحمى كيس البلاستيك عند غمره فى الماء .

وقبل نقل الدم الى جسم المصاب يجب غسله بمحلول كلوريد الصوديوم ، ثم يوضع الخليط فى آلة خاصة لفصل كرات الدم الحمراء عن الجليسرين .

ومن التجارب التى اجريت ، تبين ان هذه العمليات كلها تستغرق اكثر من نصف ساعة .

ولا شك ان هذه الطريقة سوف توفر كميات كبيرة من الدم فى البنوك ولفترة طويلة ، وبالذات فصائل الدم النادرة ، لتكون تحت أيدى الاطباء عندما يحتاجون اليها .

غازات أعصاب في الحروب جديدة وجب تحريمها

● قام الالمان أثناء قيام الحرب العالمية الثانية بتحضير مجموعة جديدة من الغازات أطلقوا عليها اسم غازات الأعصاب Nerve Gases . الا أن هزيمة المانيا فى الحرب منعت العلماء من مواصلة تجاربهم .

ثم اهتمت الدول الكبرى ـ وبالذات امريكا وروسيا ـ بغازات الأعصاب التى توصل العلماء الالمان الى تحضيرها . وعكفوا فى الولايات المتحدة على تطوير تلك التجارب ، وانتجوها فى اشكال وأحجام مختلفة . منها غاز Sarin وغاز Somar . انهم توصلوا لانتاج انواع اخرى من غازات الأعصاب اطلقوا عليها اسم الغازات « النظيفة » . فهى تؤدى نفس الغرض الذى تقوم به الغازات الأخرى ، غير انها لا تقتل الانسان . ويقصد بالغازات النظيفة تلك التى تفقد الانسان قدرته وتجعله عاجزا عن القيام بأية واجبات عسكرية . وتستمر هذه الحالة لبضع ساعات يعود بعدها الجندى الى حالته الطبيعية بعد ذلك .

ورغم هذا الزعم فقد اكد العلماء اكذوبة « نظافة » هذه الغازات . وقالوا انها حقا قد لا تقتل الانسان فورا مثل الغازات الأخرى ، ولكنها قطعا تؤثر فى أعصابه وتؤدى به الى حالة من حالات الاضطراب العقلى والنفسانى . وضربوا مثالا على ذلك الغاز « النظيف » المعروف باسم BZ فأكدوا انه يصيب الانسان بحالة من « الهلوسة » قد تكون لها مضاعفات خطرة . ان تركيب هذا الغاز لا يزال يعتبر من الأسرار العسكرية الا ان العلماء يرجحون انه يحتوى على مخدر ديتران Ditran وهو شبيه بمادة الأتروبين Atropine السامة .

حقل للتجارب فى فيتنام

وحرب فيتنام أتاحت لعلماء الولايات المتحدة الفرصة لتجربة غازات الأعصاب القذرة منها والنظيفة . فقد نشر المعهد الدولى لأبحاث السلام فى استكهولم فى كتابه السنوى ٦٨/٦٩ ، تقريرا عن تطور غازات الأعصاب فأكد استخدامها فى حرب فيتنام .

والاتحاد السوفيتى يمتلك هو الآخر قذائف من تلك الغازات الخطرة تعرف باسم PM ويقال ان كمية الغاز داخل القذيفة السوفيتية الواحدة ، تنتشر لتغطى مساحة كبيرة من الارض .

ويعتقد بعض العلماء ان هذه الأسلحة السامة تزداد أهميتها يوما بعد يوم .

فقد تكون بديلة عن الأسلحة النووية . ذلك انه كلما عظمت القوة النووية ـ التى تمتلكها الدول الكبرى ـ ابتعد قيام الحرب النووية الشاملة . فاندلاع الحرب النووية معناه فناء الدولة المهاجمة والدولة المدافعة معا . أما هذه الأسلحة الفازية ، من سامة وغير سامة ، فستكون لها اهمية كبيرة فى الحروب التقليدية وبالذات فى الحروب الخاطفة التى تهدف الى تحطيم القوة العسكرية للعدو فى أسرع وقت حتى اذا لم تكن هناك رغبة فى احتلال تلك الدولة أو افناء سكانها . فحتى اطلاق قذائف الغازات « النظيفة » من شأنها شل القوة البشرية والمحركة للقوة العسكرية لفترة كافية للقيام بعمليات غزو خاطفة ، ودك مصادر النيران ، ونسف وحدات الأسلحة الدفاعية ، وتضطر الدولة المهزومة الى الاستسلام لشروط الدولة المنتصرة .

●●



طبيب الأسرة

يجيب على هذه الاسئلة نخبة من الاطباء

سرطان الدم

● لي صديق عزيز كان يشكو دائمامن اجهاد عام ، ونقص مطرد في الوزن وفقد شهيته للطعام وكان لونه اصفروبطنه يتضخم قليلا ، وقد عرضوه على كثير من الاطباء ، واخيرا قالوا انـه يشكو من سرطان الدم ، فهل هذا المرض خطر ، وهل سيشفى صديقى منه ؟

ـ المقصود بسرطان الدم هو تكاثـر الكريات البيضاء فى الدم بشكل مخيف ، قد يصل الى عشرة اضعاف وربما مائة ضعف عددها الأصلى ، حتى ليكاد الدم يفقد لونه الأحمر ويتحول الى سـائل حليبى لزج يجرى فى العروق .

وهو على نوعين : النوع الحاد وعادة يصيب الأطفال تحت سن الخامسة ، واعراضه كما ذكرت: ضعف عام وشعور بالتعب وعدم قابلية للطعـام ونقص فى الوزن مع انيميا فى اغلب الأحيان . وقد يكون مصحوبا بحمى بسيطة او ارتفاع كبير فى درجة الحرارة ، كذلك يكـون الطحال متضخما ويشكو المريض من الم بكل عظامه والتهابات بالجلد مع تضخم عام بالعقد الليمفاوية بالجسم ، كما يكون لدى المريض استعـداد خاص للنزيف الدموى وخاصة تحت الجلد .

وعلاج هذه الحالة يكون كالآتى :

١ ـ تعريض الطحال والعظام الطويلة للاشعة العميقة Deep X - Ray.

٢ ـ استعمال بعض العقاقير الخاصة مثل : بوسلفان ـ مضـادات حامض الفوليك ـ الفوسـفور المشـع ـ ميركابتيورين ـ زرنيخات البوتاسيوم ، خلاصة الغدة فوق الكلوية كالكورتيزون ومشتقاته .

٣ ـ نقل الدم اذا هبط هيموجلوبين الدم عن ٨ ـ ٩ جم ٪

٤ ـ المضادات الحيوية فى حالة حدوث التهاب .

٥ ـ استئصال الطحـال فى بعض الأحيان .

وهناك الآن تجارب تجرى على عقار حديث يقال انه ذو تأثير فعال فى علاج سرطان الدم وتبشر التجارب حتى الآن بنجاح هذا العقار .



التهاب المفاصل وعلاقته بالتهاب الاسنان

● اعانى من التهاب مزمن وتقيح باسنانى وقد اشاروا عليّ بخلع هذه الاسنان لأنى اعانى من التهاب مزمن بالمفاصل ـ فهل هناك علاقة بين الاسنان والمفاصل ؟

ـ ان العلاقة بين الاسنان وباقى اعضاء الجسم علاقة قوية ، فاذا كانت الاسنان سليمة ومضغت الطعام جيدا ، وقيت الجهاز الهضمى شر التلبكات التى تحدث به ـ أما اذا التهبت وتقيحت فمعنى ذلك انها تحوى بينها ميكروبات ـ هذه الميكروبات او افرازها تذهب مع الطعام ، او تدخل فى الدم ، وبواسطة الدم تنقل الى أجهزة الجسم المختلفة ، وتسبب التهابا فى الاعضاء التى عندها استعداد لذلك ، وذلك علاوة على الضعف العام وسوء الهضم ، وفقدان الشهية ورائحة الفم الكريهة . ومن أهم الاعضاء التى تتأثر المفاصل ، وقد لوحظ ان أصحاب الاسنان غير السليمة يعانون من التهاب مزمن بالمفاصل ، واذا أزيلت هذه الاسنان فان حالة المريض تتحسن ـ ثم ان الذين يعانون من نوبات التهاب حادة بالمفاصل أو الحمى الروماتيزمية يتحسنون بازالة الاسنان ، اذا كانت هذه غير سليمة ، ولا يمكن علاجها . ثم ان الذين يعانون من روماتيزم القلب اذا كانت اسنانهم فى حالة سيئة وجب ازالتها لأن الميكروب يذهب منها الى صمامات القلب ، ويسبب ما يعرف « بالتهاب القلب » وهو من المضاعفات الخطرة فى روماتيزم القلب ، ربما أودى بحياة المريض اذا لم يعالج فى أسرع وقت علاجا قويا .

ويجب قبل خلع الاسنان ان يأخذ المريض البنسلين أو ما شابهه لتقتل الميكروبات قبل بدء عملية الخلع ، وكذلك لمدة ثلاثة او أربعة ايام اخرى بعد الخلع .

ضعف الدم

● اشعر بضعف عام ودوخة مع صداع، واتعب بسرعة لدى اقل مجهود، وقد نصحنى احد الاطباء بتحليل الدم، وقال لي انني اشكو من « أنيميا » فما هى هذه الانيميا ؟ وما علاجها ؟

ـ كما تعلم : الدم مكون من كريات دموية حمراء واخرى بيضاء ونقص الكريات الحمراء يسبب الأنيميا أى ضعف الدم ، ولذلك سببان رئيسيان :

١ ـ فقد الكريات الحمراء من الدورة الدموية بكثرة .

(أ) عن طريق النزيف سواء اكان حادا ام مزمنا .

(ب) سرعة استهلاك الكريات الحمراء وتلفها بتأثير بعض السموم الكيمائية والبكتيرية والعقاقير ، او انفجارها بتأثير عامل روسوس .

روماتيزم

● لى صديق يعانى من روماتيزم ـ وقد اشاروا عليه بعمل عملية ـ فما

ـ عندما يصاب القلب بالروماتيزم فان صماماته تتأثر بذلك ، والصمام حينما يتأثر بالمرض فاما ان يضيق ولا يسمح للدم بالمرور منه كما هو المعتاد ـ او يتهتك فيتسع الصمام ولا يحجز الدم من العودة الى خلف الصمام بعد دفعه الى الامام ـ وفى نهاية الحالتين سواء ضيق الصمام او تهتكه ، فان القلب يهبط ولا يمكنه القيام بعمله كما يجب ، وهو ضخ الدم الى الامام الى اجهزة الجسم المختلفة ـ ولتلافى ذلك فقد رئى وجوب التدخل الجراحى خصوصا بعد ما تقدم علم التخدير



٢ ــ انيميا تنتج من هبوط عدد الكريات الحمراء التى تصنع فى الجسم ، وهذه سببها :

(ا) نقص فى تمثيل بروتين الجسم .

نقص فيتامين ب١٢ + نقص حامض الفوليك (أحد الفيتامينات الهامة) وهما عنصران هامان فى احداث هذه الانيميا .

(ب) نقص حديد الجسم . كما فى حالات الغذاء غير الكافى او الحمل او انيميا الاطفال بسبب الاسهال ، أو الطفيليات المعوية .

(جـ) اضطراب وخلل فى نخاع العظام كحالات التهاب العظام المزمن أو الأورام المختلفة به او تأثير بعض السموم عليه كالعقاقير (سلفا والكورامفينيكول) او الكيميائيات كالبنزين او المواد المشعة كالراديوم والأشعة السينية .

العلاج : العلاج العام : الراحة والطعام الكافى المغذى وعلاج السبب ، نقل الدم اذا لزم الأمر ولكن بحرص وحذر ــ مركبات الحديد ــ فيتامين ب ١٢ ــ وحامض الفوليك .

القلب ..

القلب ، وهو عنده مرض في الصمامات
مدى نجاح هذه العملية ؟

وبامكان فتح الصدر والقلب وعمل العملية على القلب بعد فتحه باستعمال الاجهزة المختلفة .

والعملية فى حالة ضيق الصمام سهلة (خصوصا فى الصمام الميترالى)، ونسبة الوفاة فيها ضئيلة ، ونتيجتها حسنة اذ أن القلب يعاود حجمه الطبيعى ويستأنف عمله كالمعتاد بعد فترة وجيزة ــ اما العملية على ضيق صمام الابهر أو الاورطة فهى صعبة بعض الشىء ونتائجها ليست كما هو الحال فى الصمام الميترالى .

اما فى حالة تهتك الصمام ، وتوسعه فالعملية صعبة ولا تعطى نتائج مرضية كما هى الحال فى حالة ضيق الصمام ، وقد اجريت عدة عمليات لتضييقه ،ولكن دون جدوى اذ يرجع الى ما كان عليه بعد فترة قصيرة ــ لذا رئى أنه من الاصلح استبداله بصمام صناعى من معدن خاص ، وفى السنوات الاخيرة استبدل الصمام الصناعى بصمام طبيعى ، يؤخذ حديثا من جثة متوفى يحفظ ثم يزال الصمام المريض ويوضع هذا مكانه ، وما تزال العملية تأخذ دورها فى التحسن وتؤتى نتائج احسن بمرور الزمن لتلافى الاخطاء التى كانت تحدث فيها .

الوزير المُهلّبي

بقلم : حسن الأمين

■ بعض الوزراء الادباء في عصرنا القديم كانوا كالواحة الخضراء في صحراء الحكم الجديب ، فالحكم الذى لم يكن يصله بالشعب الا ما يستطيع ان يستغل به هذا الشعب ، والحكم الفردى الاستبدادى الذى هان فيه الناس بدمائهم وكراماتهم وأموالهم ، هذا الحكم المظلم كان يومض حينا بخيط من النور تقرّ به العين وتطيب النفس .

الفقير المعدم

فالوزير المهلبى الحسن بن محمد الذى كان اديبا شاعرا رقيق الحاشية ، والذى مضى في يوم من الايام قبل الوزارة في رحلة فاشتهى اللحم فلم يقدر على نيله فقرا وفاقة فقال يائسا :

الا موت يباع فاشتريه
فهذا العيش ما لا خير فيه
الا موت لذيذ الطعم يأتي
يخلصني من العيش الكريه
اذا ابصرت قبرا من بعيد
وددت لو انني مما يليه
الا رحم المهيمن نفس حُرٍّ
تصدَّقَ بالوفاة على أخيه

فهز الشعر اريحية مسافر في الركب فاشترى له لحما بدرهم وطبخه واطعمه .

هذا الشاعر المعدم حين ولى الوزارة في بغداد ، كان كالنبتة الغضة في الرمضاء الوقيدة .

حوار

فاذا جلس في شهر رمضان والزمن صائف والحر لافح في بلد كالاهواز تنضج حرارته الجلود ، فيلوذ الوزير ونداماه بما يلطف هواءهم ويبرد اجسادهم من وسائل ذلك العصر (١) حتى اذا سمع صوت

---

(١) يقول راوى الخبر : (... ونحن في خيش بارد) .

مِنَ الضَّعَةِ والفَقْرِ
إلى العِزِّ والوَزَارَة
ثُمَّ النَّكْبَة .

رجل ينادى على الناطف ، يقول الوزير لجليسه القاضي أبى بكر بن عبد الرحمن بن خزيمة : اما تسمع أيها القاضي صوت هذا البائس في مثل هذا الوقت والشمس فوق رأسه وحرها تحت قدميه ونحن نقاسي في مكاننا هذا البارد ما نقاسيه من الحر ؟

ثم يأمر باحضار المنادى فيرى أمامه شيخا ضعيفا عليه قميص رثّ ، وهو بغير سراويل ، وفي رجله تاسومة مخلقة ، وعلى رأسه مئزر ، ومعه نبيخة فيها ناطف لا تساوى خمسة دراهم .. فيكتئب الوزير للمشهد الذى كان في الحقيقة صورة الشعب ، ولكن الوزير مع اكتئابه وحنانه يحسب أن الناس يملكون من أوقاتهم مثل ما يملك ، فيختارون الساعة التى فيها يعملون والساعة التى فيها يقيلون . يحسب ذلك وينسى لطول ما عرف النعيمَ أن البؤساء لا خيار لهم فيقول للشيخ :

الم يكن لك أيها الشيخ في طرفي النهر مندوحة عن مثل هذا الوقت ؟ فيتنفس الشيخ ويجيب باروع جواب ، واشجاه : ما أهون على الراقد سَهَرَ الساهد ! . ثم ينشد :

ما كنتُ بائعَ ناطفٍ فيما مضى
لكن قضت لي ذاك أسبابُ القضا
واذا المُعيل تعذرتْ طلباته
رام المعاش ولو على جَمْر الغضا

يهتز للشعر

وهنا يذهل الوزير عن الموقف كله ولا يذكر الا انه اديب وشاعر ، وأن بين يديه من ينطق بالشعر بعد ان اجاب باحسن النثر ، فلا يسال الناطفى عما الجاه الى حرفته ، وساقه الى طيته ، بل يساله : اراك متادبا فمن أين لك ذلك ؟ فيجيبه الرجل : انى ايها الوزير من اهل بيت لم يكن فيهم من صناعته ما ترى ..

فيهب الوزير للرجل مائة دينار وخمسة اثواب ويجعل له ذلك رسما في كل عام .

الصاحب القديم

اما صاحبه الذى أعانه على القَرَم فوهب له درهم اللحم ، فقد ناله الدهر هو الآخر بسياط الحاجة ، ولما علم بما صار اليه حالُ الرفيق القديم ، مضى الى بابه وجعل وسيلته اليه الشعر فكتب اليه رقعة فيها :

الا قل للوزير فدته نفسي
مقالُ مذكِّر ما قد نسيه
اتذكر اذ تقول لضنك عيش
« الا موتٌ يباع فاشتريه » ؟

لقد تذكر الوزير فدعا بصاحب العسرة ، بعد ان وقع في رقعته : (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء) . ونفذ منطوق الاية فوهبه عوضَ الدهم سبعمائة درهم ، ثم ضاعف له فخلع عليه ، ثم زاده فقلده عملا يرتفق به .

انى لعلى يقين بان المية الشعر التى توسل بها السائل هى التى هزت المسؤول ، فلو لم يكن الوزير اديبا لأعيت السائلَ الوسائلُ التى يثير بها في المسؤول ما همد من ذكرياته ، لقد كان

أمره حتما سيكون امر ذاك الآخر الذى نسيه الرفيق القديم حين أناله الدهر ما كان يروم ، فلم يجد بدأ من أن يقول :

قل للوزيـــر ادام الله دولتـــه
أذكرتنا أدمنا والخبز خشكار
اذ ليس في الباب بـواب لدولتكم
ولا حمارٌ ولا فى الشـطّ طيـار

تطور حياته

ولد أبو محمد الحسن بن محمد الذى اشتهر باسم الوزير المهلبى سنة ٢٩١ هـ في البصرة ، وعاش حتى سنة ٣٥٢ . وبدأ حياته فقيرا حتى استطاع بكفايته ان يكون وزير بغداد ، ومدبر الحكم فيها لمعز الدولــة البويهى ، ولم يُطغه الحكم ولم يَصرفه في كثير من الحالات عن تحسس حياة الشعب وايثار ذوى المواهب وازالة المظالم ، فقد كان مشدودا الى ماضيه فاستحق أن يصفه ابن الأثير : « فاحسن السيرة ، وأزال كثيرا من المظالم خصوصا بالبصرة فان البَرَيديين كانوا قد اظهروا فيها كثيرا من المظالم فازالها » .

الوزير المفتش

لم يقف عند هذا الحد بل تجـاوزه الى (التفتيش)ليعرف حقيقة ما يجرى خارج العاصمة فتجول في البلاد على ما يصف ابن الأثير : «فتنقل في البلاد لكشف ما فيها من المظالم وتخليص الاموال فحسن أثره وهذا شيء فريد يقوم به حاكم في تلك العصور اذ يجعل من نفسه (مفتشا) جوالا يفاجيء الاداريين في مراكزهم ، ويعرض نفسه على الناس ليتقدم اليه ذوو الشكاوى » .

رثاء ابن الحجاج اياه ، ومغزاه

على أن خير ما وصفه به ابن الأثير قوله : « وقرب أهل العلم والأدب وأحسن اليهم » .وهذا التقريب والاحسان جعل شاعرا كالحســين بن أحمد بن الحجاج يرثيه بعد وفاته رثاء لا يدفعه اليه الا الوفاء ، بل انه رثاه وهو يخشى الانتقام ويتوقع العقاب لأن الأمر كان قد فسد بينه وبين ولاة الأمور فمات وهم غير راضين عنه . فلما مات قال ابن الحجاج :

يا معشر الشعراء دعـوة مُوجَع
لا يرتجى فرجَ السـلوّ لديـه
عـزوا القوافي بالوزير فانهـا
تبكي دما بعد الدمـوع عليـه
مـات الذى امسى الثنـاء وراءه
وجميل عفو اللـه بين يديـه
هَدم الزمانُ بموته الحصنَ الذى
كنـا نفرُ من الـزمان اليـه
وتضـاءلت همم المكارم والعلى
وانبتّ حبل المجد من طرفيـه

والواقع ان في هذا الرثاء دلالة خاصة ، فهو ليس رثاء تقليديا كالـذى عرفناه مـن منظوم الشعراء . وذلك أولا : لان الراثى لم يكن يرجو شيئا بل كان يعرّض نفسه لنقمة السلطان فضلا عن انه لم يكن للمرثي اهل يتقرب اليهم الراثي بالرثاء ، بل ان ابنه الصبي كان قد أخذ فور وفاة والده وصودر هو ووالدته ، كما اخذ اهله واصحابه وحبسـوا . ثم هذا التفجع المخلص والتوجه بالخطاب الى من يعتبرون المفجوعين الحقيقين به وهم الشعراء ، ثم الاقرار بانه كان ملجأهم الذى اليه يفرون من الزمان . واذا كان غيره من المتسلطين لم يقصروا في اغداق المال على الشعراء المادحين ، فالفرق بينه وبينهم كما يعرضه لنا ابن الحجاج ، أن الشعراء كانوا يبيعون لغير المهلبي كرامتهم حين يقبضون المال ، اما هو فقد كان يصون لهم تلك الكرامة .

واذا كان هذا حال الشعراء ، فحديث ابن الاثير يدل على ان حال العلماء كانت الحال نفسها . فلم يكن العلماء بحاجـة لشيء كحاجتهم لذى سلطان يقربهم تقربا لا يبقي منه الا صيانة العلم وحملته . ولذلك رأينا الخليل بن احمد يرفض دعوة المتسلطين مع فقره وفاقته لانه يدرك ان لها اهدافا لا تطيقها نفسه الكريمة . ورأينا المهلبي يوصف بتقريب اهل العلم والادب .

اسرافه

على ان هذا العاطف على الفقراء الحاني على البؤساء المقرب للعلماء والادباء ، كان لا ينسى انه هو الآخر متسلط كالمتسلطين فيسرف اسرافا فاحشا كهذا الذي تحدث عنه في معجم الادباء قائلا : حدث القاضي ابو علي التنوخي قال : شاهدت ابا محمد المهلبي قد ابتيع له في ثلاثة أيام وَرْد بالف دينار ، فرش به مجالس ، وطرحه في بركة عظيمة كانت في داره ، ولها فوارات عجيبة يطرح الورد في مائها وينفضه ، وبعد شربه عليه وبلوغه ما اراد منه أنهبه .

ولا شك ان هذا السرف واشباهه هو الذي اضطر الشيخ البائس الى الخروج في حمارة القيظ مناديا على الناطف وان الامر كما قال علي ابن ابي طالب رضي الله عنه : ما رأيت اسرافا الا كان وراءه حقٌ مضيع .

شعره

كان المهلبي اديبا موهوبا وله شعر جيد لايتجاوز المقطوعات الى القصائد ، وجله شعر ترف تتمثل فيه حياة المجتمع الثري الخلي ، وتبدو فيه احيانا روح عدم المبالاة بالشؤون العامة اذا تحققت الامنيات الخاصة ، مما كان طبيعة الحكم منذ اليوم الذي استحال فيه حكم الاسلام الى حكم فردى استبدادى مطلق تسخر فيه كل امكانيات المجتمع لمصالح الطبقة الحاكمة وحدها . ولعل في شعر هذا الحاكم افضل صورة لحال الحكام منذ العام (٤١) الهجرى الى عهد صاحب الشعر وما بعد عهده .

اذا تكامل لي ما قد ظفرت به
من طيب مسمِعة أو ظَرف ندمان
وقهوة لو تراها خلتَ رقتها
ديني ، وحافزَ من ان شئت غناني
فما ابالي بما لاقى الخليفة من
بغي الخصيِّ وعصيان ابن حمدان

ومن الطريف ان سَرية من الجند جهزها معز الدولة لقتال بعض بني حمدان ، وناط قيادتها بفتى مملوك تركي جميل . فلم يثر اهتمامَ الوزير الشاعر من كل ذلك الا جمالُ القائد فقال فيه :

طفلٌ يرق الماء في
وجناته ويَرِقُّ عوده
ويكاد من شبه المذا
رى فيه ان تبدو نهوده
ناطوا بمَعقِد خصره
سيفا ومِنطقةً تؤوده
جعلوه قائد عسكر
ضاع الرعيل ومن يقوده

وصح ما تنبأ به فكانت الهزيمة نصيب القائد الجميل .

وقد مرت ابياته التي تمنى فيها الموت لما يكابده من الفقر والخمول ، وهذه ابيات اخرى نظمها في عهده الاول محروما ضعيفا ، وهي تصف حجرة له كان يسكنها . ويتحدث هو نفسه عما كان عليه وكانت عليه تلك الحجرة فيقول : « ١ » .... فاصبحت يوما وقد جاء المطر وازدادت الحجرة اظلاما وصدرى بها ضيقا فقلت :

انا في حجرة تجل عن الوصف
ويعمى البصير فيها نهارا
هي في الصبح كالظلام وفي الليـ
ـل يولي الانام عنها فرارا
انا منها كأنني جوف بئر
اتقي عقربا واحذر فارا
واذا ما الريح هبت رُخاء
خلت حيطانها تميد انتشارا
رَبِّ عَجِّلْ خرابها وارحني
من حِذاري فقد مَلِلتُ الحِذارا

وهذا الذي يقول هذا الشعر اليائس الكئيب

« ١ » معجم الادباء

في يوم مطير ، يقول من بعد في يوم مطير آخر جاء لا بالمطر وحده ، بل بالثلج بعد المطر :

الـورد بين مضمّخ ومضرَّج
والزهر بين مكلّل ومتوَّج

والثلج يهبط كالنثار فقم بنا
نلتذُّ بابنة كرمة لم تمزج

طلع البهار ولاح نور شقائق
وبدت سطور الورد تلو بنفسج

فكأن يومك في غلالة فضة
والنبت من ذهب على فيروزج

وهكذا بعد الحديث عن العقارب والفئران يعود الحديث عن البنفسج والفضة والفيروزج ، وبعد الاكتئاب بالغيوم وما تدجي من الحجرات يعود الامر الى الانبساط بتلك الغيوم وما توحي من الخيال الطلق المرح .

ويوم كأن الشمس والغيم دونها
حجاب به صينت فما يتهتكُ

عروس بدت في زرقة من ثيابها
يجللها فيها رداء ممسّك

وعلى العزّ ، تمنى الموت

على ان هذا الذى كان قد وصل الى مطامحه من الحياة ، وظفر بكل المنى فقال :

لقد ظفرتُ والحمد لله منيتي
بما كنت اهوى في الجهارة والنجوى

وشارفتُ جرى الشمس فيما ملكته
من الارض واستقررت في الرتبة العليا

عاد وهو في قمة ظفره وذروة أمانيه يقول :

اشكو الى الله احداثا من الزمن
يبريننى مثل بري القدح بالسفن

لم يبق بالعيش لي الاّ مرارته
اذا تذوقته والحلو منه فني

يا نفس صبرا والاّ فاهلكي جزعا
ان الزمان على ما تكرهين بني

لا تحسبي نعماً سرتك صحبتها
الاّ مفاتيح ابواب الى الحزن

وهكذا يؤكد لنا ان الظفر الحقيقي ليس هو الظفر بالمنى المادية التي ليست الا بهارج زائفة لا غناء فيها عند النفوس الطامحة الى الرسالات .

ومن العجيب ان هذا الذى تمنى الموت فقرا وخمولا ، يتمناه اليوم غنى واشتهارا ، فقد كتب الى بعض الرؤساء بيتين (١) يرى بعضهم انهما له ، ويرى آخرون انهما لابي نواس ، وانه ليس له منهما الا التضمين . وايّا كان الامر فهما يمثلان حاله في ساعة من ساعات عهده الجديد وما اعتقد هو واعتقد الناس معه انه فيه السعيد كل السعيد :

ولو اني استزدتك فوق ما بي
من البلوى لاعوزك المزيد

ولو عرضت على الموتى حياة
بعيش مثل عيشي لم يريدوا

صلته بمعاصريه

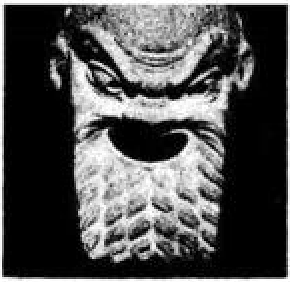
الى جانب تقريبه للعلماء والادباء كما روى ابن الاثير ، وقد كان عصره غاصا بهم ، فان ذلك العصر كان حافلا ايضا بفريق من الكبراء ، كان العلم حليتهم التي بها يفاخرون ، والادب زينتهم التى بها يتباهون من امثال ابن العميد والصاحب ابن عباد الوزيرين الاديبين الكاتبين وامثال ابي اسحاق الصابي . وقد كان له بهؤلاء وبغيرهم صلات ادبية ومواصلات شعرية ونثرية .

وكان ابو الفرج الاصبهاني صديقا حميما له يكثر من مجالسته ومحادثته ويحتمل منه ما لا يحتمل من غيره . ■■

بيروت ـ حسن الأمين

(١) : ابن خلكان .

حضارات سادت
ثم بادت

المسرح اليوناني القديم

بدأ نشاطه مع شروق الشمس

بقلم : يوسف زعبلاوي




نماذج من الاقنعة التى كان يلبسها الممثلون الاغريق اثناء قيامهم بأدوارهم في المسرح .

■ لعل اول ما يسترعي انتباه الناظر الى رسم المسرح الاغريقى (انظر صفحة ٢) هو الفوارق الكبيرة بينه وبين مسارحنا الحديثة . وقد يشعر المرء بأنه قليل الشبه بهذه ، او انه اكبر شبها بملاعب كرة القدم او ميادين سباق الخيل ، وقد بني فى الهواء الطلق ،واقيمت حوله المدرجات او كما سموها Theatron ، بمقاعدها الحجرية التى حفروها فى سفوح الجبال ، وقد تراوح عدد هذه المقاعد فى الغالب بين ٥٠٠٠ ـ ٧٠٠٠ مقعد ، الا انه بلغ فى بعض الحالات ٢٠٠٠٠ مقعد .

وثمة فارق آخر يلحظه الناظر الى الصورة . فهو لا يرى خشبة المسرح المألوفة ، ويرى بدلا منها بناية مكونة من طابقين وساحة دائرية الشكل تتوسط المسرح وتقع بين البناية التى ذكرنا وبين المدرج .

وقد يظن المرء ان تمثيل المسرحيات الاغريقية كان يجرى في هذه الساحة الوسطى . والحقيقة هي ان تلك الساحة التىكانوا يسمونها (اوركسترا) لم تكن معدة للتمثيل والممثلين ، ولكن لفرقة الاناشيد (الكورس) . فقد كان يقف فيها افراد هذه الفرقة وينشدون فيما كان يقوم آخرون احيانا ببعض الحركات او الرقصات التى كانت

حضارات سادت ثم بادت

في نظر اليونان اقرب الى الصلوات والعبادات . ولعله من اجل ذلك بالذات سميت تلك الساحة (اوركسترا) وهذه لفظة اغريقية مشتقة من لفظ الرقص عندهم .

تمثيل المسرحيات

اما تمثيل المسرحيات فكان يجرى في البناية التى ذكرنا ، وفي الطابق العلوى منها . والاشخاص الذين تراهم في الصورة جالسين في الشرفةالمفتوحة من ذلك الطابق هم الممثلون ، وقد اقتضت ادوارهم ان يكونوا على الوضع الذى تراهم فيه .

والطريف ان المناظر او الديكورات التى تعتبر اساسية جدا في المسارح الحديثة لم تكن كذلك في المسارح الاغريقية القديمة . فهي التى ترى طائفة منها في شرفات الطابق الأرضى .

نخلص من هذا الحديث عن الفوارق التى تنم عنها صورة الصفحة ٢ ، بين المسرح الاغريقي ومسارح اليوم ، الى الحديث عن فوارق اخرى لا تنم عنها .

من ذلك ان المسرح الاغريقي لم يقم باعماله في كل ليلة من ليالي السنة ، ولكن خلال مهرجانين كبيرين ، اقامهما الاغريق في كل سنة ، واستغرق الواحد منهما عدة ايام ، قاربت الشهر احيانا . وقد اقاموا المهرجان الاهم منهما خلال فصل الربيع (اى ما بين آذار ونيسان) وخصتوه بالتراجيديات . أما المهرجان الثاني الذى غلبت عليه المسرحيات الكوميدية فقد اقاموه في فصل الشتاء (فيما بين كانون الثاني وشباط) .

ولعل اطرف ما يذكر في هذا الصدد هو ان المسرح الاغريقي كان يباشر اعماله مع شروق الشمس ويستمر احيانا حتى الغروب وذلك في كل يوم من ايام المهرجانين المذكورين .

رواد المسرح

اضف الى ذلك ان رواد المسرح اليوناني القديم ، الذين حضروا برامجه المطولة تلك ، لم يكونوا من النخبة المثقفة او من ذوى الاختصاص ، بل كانوا سكان المدينة بأسرها .

فقد أم ذلك المسرح الكبار والصغار ، وسُمح بحضوره للنساء ، وقد حُرمن الاشتراك في سائر المهرجانات العامة . وبلغ من تشجيع السلطات على ارتياد المسرح ، في اثينا وغيرها من مدن اليونان ، ان امرت بتعطيل المصالح والأعمال اثناء مهرجاناته . وجدير بالذكر ان تلك السلطات عوضت بسخاء بسبب ذلك التعطيل على البسطاء ورقاق الحال ، وقد ردت اليهم ايضا قيمة التذكرة التى دخلوا بها الى المسرح . والاغرب من ذلك كله ان السجناء كان يطلق سراحهم من اجل حضور المسرح حتى اذا انتهت احتفالاته عادوا الى حياة السجن ثانية .

على ان اهم هذه الفوارق غير المنظورة هو ما اتصل منها ببرامج المسرح . وقد كانت المسرحيات التراجيدية قوام تلك البرامج في مهرجان الربيع كما ذكرنا وكانت المسرحيات الكوميدية قوامها في مهرجان الشتاء . وكثيرا ما اشتمل المهرجان الواحد على اربع او خمس مسرحيات كانت تمثل تباعا ودون توقف . هذا باستثناء الاستراحات القصيرة التى تخللت تلك المسرحيات لتفسح المجال لفرقة الاناشيد (الكورس) بالتعليق الملحن على محتوياتها . يضاف الى ذلك طبعا الاناشيد التى كان ينشدها افراد هذه الفرقة الكورس ، كجزء مستقل من برنامج المسرح ، والرقصات التى كان يؤديها زملاؤهم الآخرون .

وتجدر الاشارة الى ان المسرحيات الاغريقية القديمة كانت شعرية كلها . اما السبب في كثرة ما عرض منها في آن واحد ، فلعله وثيق الصلة بالباعث على تقديمها اصلا .

ولم يكن ذلك الباعث سوى التبارى والتنافس

بين كتاب تلك المسرحيات ، اى ان أرستوفانس وامثاله من كتاب الكوميديا اليونانية ، وكذلك سوفوكليس وامثاله من كتاب التراجيدا ، انما كتبوا ما كتبوا ، وقدموا الى المسرح ما قدموا من مسرحياتهم بدافع المنافسة فيما بينهم .

الاله ديونزوس

وكثيرا ما كانت ترفض المسرحيات التى تقدم بها بعض كتاب اليونان بسبب انها لم تبلغ المستوى المطلوب . فقد كانت تعرض على مسؤول المسرح المسمى (ارخون) الذى كان يتمتع بحق رفض تلك المسرحيات او اجازتها . حتى اذا اجازها كما اجاز غيرها ، مثلت هذه المسرحيات المجازة جميعها ليحكم الناس ايها يفوق الآخر جودة وابداعا ، وايها يستحق رضى الآلهة عامة وديونزوس بصفة خاصة.

والاله ديونزوس هذا هو اصغر آلهة الاغريق جميعا ، وقد كان في نظرهم اله النشوة والخمر ، واله المسرح الذى استهدفت المسارح الاغريقية كلها عبادته وتمجيده .

وتجدر الاشارة هنا الى أن الاساطير اليونانية ، وهي كما لا يخفى ، معتقداتهم الدينية ، كانت محور التراجيديات اليونانية كلها وبلا استثناء . اذ كانت الغاية من تلك التراجيديات ايضاح العلاقة بين الناس والآلهة ، والخروج من ذلك بتحديد لمشكلة ما من مشاكل الانسان او موعظة ما ، تعود بفائدة على حياته .

ولعل اطرف ما يذكر عن ديونزوس هذا هو نسبه الشرقي ، فهو ابن سيملي ابنة قدموس . وقدموس هذا هو ابن الملك الفنيقى اجينور ، ملك صور آنذاك . اما ابو ديونزوس فلم يكن سوى زيوس كبير آلهة اليونان الذى احب سيملي فخطفها ،كما احب عمتها قبلها ، وخطفها هي الاخرى .

وقصة حب زيوس للعمة قصة طريفة . الا ان المجال لا يتسع لسردها ، ونكتفى بالاشارة الى ان اسم تلك العمة هو يوروبا وان القارة الأوروبية انما سميت اوربا نسبة اليها .



المسرح اليونان القديم في أبيداوروس Epidaurus والصورة تمثل آثار المسرح المذكور الذى يعود تاريخه الى ما قبل ٢٤٠٠ سنة والذى بلغ عدد المقاعد فيه ٢٠٠٠٠ مقعد . لا ريب فى أن مسرح ابيداوروس هذا هو من اهم المسارح اليونانية القديمة التى بقيت آثارها حتى الآن .

اما قدموس شقيق يوروبا هذه فقد هجر بلده صور وراح يجوب بلاد اليونان بحثا عن اخته بلا طائل . وتشيد الاسطورة بفضل قدموس على الاغريق وتذكر انه جاءهم من بلده بحروف الهجاء ، وانه علمهم القراءة والكتابة .

وتجدر الاشارة الى ما تنطوى عليه هذه الاسطورة من حقيقة تاريخية . فانتقال الحروف الهجائية من لبنان الى بلاد اليونان قد بات في حكم المؤكد الا انه تم بواسطة التجار لا بواسطة الأبطال والآلهة امثال قدموس شقيق يوروبا وجد ديونزوس . ■■

يوسف زعبلاوى

كتاب الشهر

الدُّوَلُ الكُبْرى وَوَعْد

كاتب صهيوني يكشف أسراراً جديدة

بقلم : الدكتور محمود السمره

● هذا كتاب جديد في موضوع قديم . ورغم ان وعد بلفور قد كتبت فيه دراسات كثيرة ، الا ان هذا الكتاب يأتي بكثير من المعلومات الجديدة ، مستقاة من وثائق وزارة الخارجية بلندن ، ووثائق وزارة الخارجية الالمانية في مدينة بون ، وهي وثائق كشف عنها حديثا ، ولكن الوثائق وحدها لا تكفي لكتابة دراسة جيدة ، ما لم يكن الكاتب مؤهلا لذلك ، وبعيدا عن الهوى . وهذا ما وقع فيه جون كمشي ، مؤلف الكتاب ، وهو صهيوني عريق ، ومؤلف لكتب عدة . وغرضنا من تقديم الكتاب هو اطلاع القارىء على معلومات جديدة في هذا الموضوع ، والرد على بعض التفسيرات والتحليلات التي ترد على لسان الكاتب . والكتاب في مقدمة وستة فصول .

بدأ نشاط الصهيونية في المانيا

كان مركز النشاط الصهيوني ، قبل الحرب العالمية الاولى ، في المانيا حتى ان برلين كانت مقر المنظمة الصهيونية ، ولم ينتقل الزمام الى ايدي صهاينة بريطانيا الا بانتصار الانجليز في الحرب العالمية الاولى . وكان الصهاينة من بعد النظر بحيث انقسموا الى شطرين : شطر يؤيد المانيا ، وشطر ثان يؤيد بريطانيا . وبهذا تكون الحركة الصهيونية هي الرابحة ، سواء انتهت الحرب بانتصار بريطانيا وحلفائها ، ام بانتصار المانيا .

وبسبب مساندة الصهاينة الالمان لسياسة المانيا ، استطاعوا ان يفتحوا مكتبا للمنظمة الصهيونية في استامبول ، من اجل حماية مصالح ٨٠,٠٠٠ يهودي كانوا يعيشون في فلسطين ، وجلتهم من يهود روسيا . وقد وعدت المانيا حلفاءها من الصهاينة بانها ستعمل على اقامة دولة يهودية في غرب روسيا ، يتجمع فيها الستة ملايين ونصف مليون يهودي الموجودون في روسيا ، كما وعدتهم بمساعدتهم في انشاء دولة لهم في فلسطين ، اذا استطاعت ان تقنع الحكومة العثمانية بذلك .

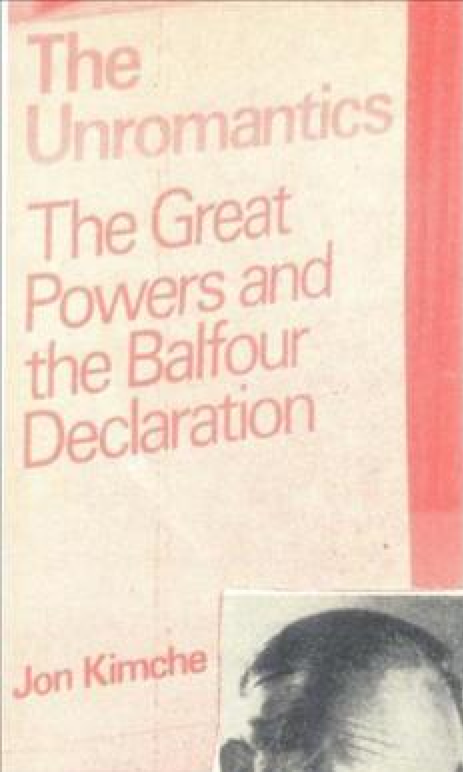
وقد نال الصهاينة الالمان تأييد بولونيا لهذا المشروع الالماني ، وذلك من اجل ان يتخلص البولونيون من اليهود فيها ، الذين كانوا يسيطرون على الاقتصاد البولوني .

حرب الدعاية بين الدول الكبرى

وكانت حكومة القياصرة في روسيا على علم بالمخطط الالماني ، وهي في الوقت نفسه تشك في ولاء يهود روسيا . وفي سنة ١٩١٥ قرر مجلس الوزراء الروسي تهجير اليهود الموجودين في غرب روسيا الى اماكن اخرى ، حتى لا يكونوا اعوانا للالمان . وقد استغلت المانيا هذا العمل من اجل كسب تأييد اليهود ، وردت بريطانيا على هذه

بلفور (١)

تأليف : جون كمشي



في موضوع قديم . .



الحملة على حليفتها بان هاجمت ما قامت به تركيا ضد الارمن ، وتركيا هى حليفة المانيا ، وقام المؤرخ البريطاني ارنولد توينبى Toynbee بوضع تقرير في ٦٨٤ صفحة ، يشرح فيه أوضاع الأرمن في الامبراطورية العثمانية ، وذلك بتكليف من الحكومة البريطانية ، ومن اجل ان يبدو الموضوع بعيدا عن الدعاية .

مغالاة الكاتب في تصوير النفوذ الصهيوني

والقارىء لكتاب كمشي قد يقع تحت تاثير أن كلاً من الحلفاء ، والمانيا ، كان يسعى لكسب تاييد اليهود له في الحرب ، اى كسب تاييد سبعة ملايين يهودي في شرق اوروبا ، ومليونين في وسطها ، و ٦٠٠,٠٠٠ في المانيا ، ونصف مليون في الامبراطورية العثمانية ، وثلاثة ملايين في الولايات المتحدة . والواقع ان هذه مبالغة لا سند لها من التاريخ والواقع . وحقيقة الامر أن كلاً من الجانبين كان همه أن يكسب الحرب ، مُجَنّداً لذلك كلّ ما يمكن أن يقع تحت يديه من وسائل . أمّا يهود روسيا فقد فقدوا نفوذهم بعد قيام الثورة البلشفية ، واما يهود الولايات المتحدة فلم يكن لهم ذاك التاثير الكبير على الحكومة الامريكية ، لانهم لم يكونوا آنذاك قد ثبّتوا انفسهم بعد ، بسبب هجرتهم الحديثة العهد من اوروبا الى العالم الجديد .

سبب اهتمام بريطانيا بالمشرق العربي

وكانت المنطقة العربية الواقعة في شرق البحر المتوسط على رأس اهتمامات بريطانيا ، من أجل تامين طريق مواصلاتها الى الهند ، وهذا هو السبب الذى دعاها الى شراء قبرص من السلطان العثماني ، والى احتلال مصر . وقد كانت مصالح

• Jon Kimche, The Great Powers And The Balfour Declaration, 1968 (١)

بريطانيا مؤمنة في المنطقة بحسن علاقاتها بالسلطان العثماني ، ولكن هذه المصالح أصبحت مهددة في أواخر القرن التاسع عشر ، عندما أصبحت ألمانيا هي المقربة من السلطان ، مما أثار شكوك بريطانيا . وقد قوّى هذه الشكوك المشروع الألماني بمد خط حديدي من بغداد الى الكويت ، مما يجعل الطريق مفتوحا الى الهند والشرق الاقصى أمام ألمانيا الطامحة الى مستعمرات . هنا وجدت بريطانيا أن عليها أن تتحرك قبل فوات الأوان .

ومن أجل أن تكسب الحرب حالفت فرنسا عدوتها اللدود ومنافستها عبر عصور التاريخ ، وتفاهمت مع قيصر روسيا ، وسعت الى صداقة العرب الذين هم سكان المنطقة التي تهمها ، والخلفاء الطبيعيون للأتراك في حكم البلاد . وكانت بريطانيا مستعدة أن تتنازل لفرنسا عن جزء من بلاد الشام يكون منطقة نفوذ لها ، على أن تبقى فلسطين تحت سيطرتها .

هذه هي الدوافع التي تكمن وراء معاهدة سايكس بيكو ، ومراسلات حسين مكماهون التي تعد العرب بالوحدة والاستقلال ، رغم ما بين المعاهدة والمراسلات من اتفاقيات متناقضة .

«حلقة منشستر» ومخططها الرهيب

وفي أثناء الحرب نشط الصهاينة الانجليز نشاطا كبيرا ، وأسسّوا ما عرف باسم «حلقة منشستر» Manchester Circle ، وعلى رأسها وايزمن ، ومن أعضائها البارزين : سكوت ، وستيد ، وسيف Sieff ، وسيمون ماركس ، وكان رأي هذه الجماعة أن على اليهود أن يقفوا الى جانب بريطانيا ، لأنها هي الدولة التيتستطيع أن تحقق لهم حلمهم في اقامة دولة لهم في فلسطين . وكان لهذه الجماعة صحيفة تنطق باسمهم هي «فلسطين» يشرف على تحريرها اسرائيل سيف .

وعندما عرف الصهاينة الانجليز بمراسلات حسين ـ مكماهون ، وبنود معاهدة سايكس ـ بيكو ، كتبوا المقالات العديدة في هذه الصحيفة المذكورة هاجموا فيها السياسة البريطانية ، وهاجموا سايكس شخصيا . وأنا أورد المقطع التالي لأهميته : « ان مما لا شك فيه أن سير هنري مكماهون قد توصل الى اتفاق مع العرب ، وهو ـ كما نعرف ـ انسان لايقيم وزنا لمطالب اليهود في فلسطين ... أما اتفاقية سايكس ـ بيكو فهي مرفوضة لأنها تجعل حوران وسكة حديد الحجاز ضمن الدولة العربية » !!! ثم : « اننا ، نحن اليهود ، لعلى يقين من أن فلسطين اذا انتزع منها حوران كله ، وسكة حديد الحجاز ، فانها ستكون فلسطين المؤدية لهلاكنا ، لأنها تكون في هذه الحالة صغيرة لا تكفل لنا السلامة والطمأنينة ضد المناطق العربية الشاسعة ... أما خط سكة حديد الحجاز فيجب ألاّ نتخلى عنه ، لأهميته البالغة لنا » !!! فلنتأمل هذا القول الذي أعلنوا فيه عن مطامعهم في بلادنا ، حتى لايظن عربي أنه بمنجاة من هذا الخطر . ومنطقة حوران هنا تضم مرتفعات الجولان أيضا ، حسب هذه النصوص .

وأضيف هنا فأقول ان المذكرة التي قدمتها المنظمة الصهيونية الى لويد جورج ، رئيس وزراء بريطانيا ، وذلك بعد الحرب العالمية الاولى ، انما كانت تطالب بقيام اسرائيل الصغرى التي تمتد حدودها لتشمل من الاراضي أكثر بكثير ممّا احتلته اسرائيل حتى الآن . وبين يدي أطلس جديد لاسرائيل (١) أصدرته الجامعات الاسرائيلية عام ١٩٦٨ ، ونجد فيه في الرقم ١٠٧ خريطة لاسرائيل الصغرى بالحدود التي ذكرت .

سياسة بريطانيا تهدف الى أمرين

وكانت سياسة بريطانيا أثناء الحرب تهدف الى تحقيق أمرين : الاول أن تحتل بريطانيا كل المناطق التي تطمع فيها قبل اعلان الحرب ، والثاني أن تحتل مناطق متصلة تصل بين مصر والهند ، ومالا تستطيع أن تحتله فيجب أن تكون لها سيطرة عليه على الاقل ، وقد وضعت فلسطين والعراق على رأس قائمة البلاد التي يجب أن تحتلها . وقد كانت هذه هي خطة بريطانيا في حربها في الشرق العربي ، وهذه السياسة هي التي دفعتها الى أن تحاول التحالف مع العرب . وقد كان مخططا هذه السياسة هما أمري Amery وملنر Milner ، وهذان الرجلان أنفسهما كانا وراء وضع الصيغة النهائية لوعد بلفور .

---

(١) The New Israel Atlas

الصيغة الرابعة كانت وعد بلفور

ونسبا لتأييد يهود العالم ، وبضغط من « حلقة مانشستر » وعلى رأسها وايزمن، أصدرت الحكومة البريطانية وعد بلفور في الثاني من شهر نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩١٧ . وقد مر هذا الوعد بمراحل « ففي الحادي والثلاثين من شهر اكتوبر (تشرين الاول) من سنة ١٩١٧ ، وضعت الصيغة النهائية لوعد بلفور ، وقد وضعت قبلها ثلاث صيغ أجريت عليها تعديلات حتى انتهت الى هذه الصيغة . أما الصيغ الاربع فهي : الصيغة الصهيونية في يونية ـ حزيران ١٩١٧ ، وصيغة بلفور في اغسطس ـ آب ١٩١٧ ، وصيغة ملنر في اغسطس ـ آب ، وصيغة ملنر ـ امري في ٤ اكتوبر ـ تشرين الاول ١٩١٧ . وقد صدر هذا الوعد على صورة رسالة موجهة من بلفور وزير الخارجية الى روتشيلد ، الزعيم الصهيوني العريق . وقد كان لهذا الوعد ذى السبع والستين كلمة التى صيغت بعبارات بالغة الغموض ، اثر تاريخي ومصيرى في حياتنا .

لجنة صهيونية برئاسة وايزمن تذهب الى فلسطين

وما ان احتل الجيش البريطاني فلسطين حتى وافقت الحكومة البريطانية على تأليف لجنة صهيونية برئاسة وايزمن ، للذهاب الى فلسطين والتخطيط من اجل قيام وطن قومي لليهود فيها ، بالتعاون مع السلطات البريطانية في فلسطين . ووصلت هذه اللجنة وبدأت اتصالاتها بنشاط . وقد كانت سياسة الصهاينة ، حتى منذ هذا الوقت ، تهدف الى التخلص من المعارضين لسياستهم ، ولو أدى ذلك الى القتل : ففي ١٨ نوفمبر ـ تشرين الثاني ، توفي سير ستانلي مود Maude ، قائد الحملة الانجليزية في العراق ، واتهمت الجمعية الاسرائيلية ببغداد بتسميمه .

ويحاول المؤلف ان يرسم لوايزمن صورة برّاقة ويمجّد ما قام به في فلسطين كرئيس للجنة المذكورة . ولكن الوقائع الثابتة تقول لنا عكس هذا : فوايزمن في فلسطين كان يقول للعرب كلاما غير الذى يقوله للانجليز ، ويختلف ايضاً عن كلامه الذى يخاطب به اليهود . لقد كان يقول للعرب : ان اليهود لا يريدون سوى أن يعيشوا في سلام مع اخوانهم ولا يفكرون في اقامة دولة لهم في فلسطين . وهو يقول للانجليز : ان اليهود يريدون وطنا قوميا لهم في فلسطين ، ضمن الامبراطورية البريطانية . اما لليهود فيقول : اننا لا نرضى الا بأن تكون فلسطين يهودية ، كما هي بريطانيا بريطانية .

واذا كان لهذا الموقف مبرراته عند الساسة والسياسيين ، فما المبرر للكذب في مواقف لا حاجة فيها للكذب ، من مثل روايته لمقابلته للأمير فيصل .

وايزمن يكذب

لقد سعى وايزمن ، وهو في فلسطين ، الى مقابلة زعماء العرب لاقناعهم بحسن نيات اليهود !! ولهذه الغاية قابل الامير فيصل بن الحسين في وادى وهيده بالاردن في الرابع من يونية ـ حزيران ١٩١٨ . وكان من المقرر أن يرافقه أورمسبي غور Ormsby-Gore في رحلته ، ولكن هذا مرض ، فذهب الكولونيل جويس Joyce مع وايزمن بدلا منه .

ويروى الكاتب قصة هذا اللقاء كما رواها وايزمن ، وعندنا رواية اخرى لهذا اللقاء هي التى تركها الكولونيل جويس ، وبين الروايتين فرق كبير :

يقول وايزمن ان اجتماعه بالامير فيصل دام اكثر من ساعتين ، وكان لورنس حاضراً الاجتماع ، بينما يقول الكولونيل جويس ان الاجتماع دام خمساً واربعين دقيقة فقط ، وأن لورنس لم يحضر الاجتماع . وعندما حاول وايزمن بحث الشؤون السياسية مع الامير فيصل ، رفض الامير ذلك . ويذكر جويس ان الامير فيصل كرر اكثر من مرة قائلا : « ان الامور السياسية بيد والدى ، ولا املك التحدث فيها . » والقرائن تدل على ان رواية جويس هي الرواية الحقيقية . ونحن نجد هذه الحقيقة ايضاً في كتاب : جفريز « فلسطين : الحقيقة » (١) وهو من أحسن الكتب التى تناولت

---

(١) Jeffries, Palestine : The Reality

القضية الفلسطينية ، والصراع الدولي والصهيوني حول فلسطين .

هذه هي الافكار الرئيسية في كتاب جون كمشي، حاولنا ان نعرضها ، ونرد عليه .

المشروعات المقدمة من أجل اقامة وطن قومي لليهود

ولعل من المفيد ان اشير، ونحن بصدد الحديث عن الدول الكبرى ووعد بلفور ، الى المشروعات السابقة لهذا الوعد التي قدمت من أجل قيام وطن لليهود في مناطق مختلفة من العالم . وهذه القائمة التالية مستخلصة من الخريطة رقم ١٠٤ في الاطلس الذي اشرت اليه آنفا :

١٧٩٠	أوكرانيا
١٨٢٢	سهوب روسيا
١٨٢٥	أعالي المسيسبي وتنيسي
١٨٢٥	آسيا الصغرى
١٨٤٥	القوقاز
١٨٨١	نيوجيرزي
١٨٩٠	مَدْيَن
١٨٩١	الأرجنتين
١٨٩٦	شبه جزيرة العرب
١٨٩٧ ـ ١٩٠٠	قبرص
١٩٠٠ ـ ١٩٠٧	السودان
١٩٠٣	اوغنده
١٩٠٣	صحراء سيناء
١٩٠٧	براجوي
١٩٠٧ ـ ١٩١٠	كندا
١٩٠٧ ـ ١٩١٠	صحراء نيفادا
١٩٠٧ ـ ١٩١٠	البرازيل
١٩٠٧ ـ ١٩١٠	ليبيا
١٩٠٧ ـ ١٩١٠	غرب افريقيا
١٩٠٧ ـ ١٩١٠	روديسيا
١٩٠٧ ـ ١٩١٠	العراق
١٩٠٧ ـ ١٩٣٤	استراليا
١٩٣١	كولمبيا (أمريكا الجنوبية)
١٩٣١	أنغولا
١٩٣٥	الاكوادور
١٩٣٨	الصومال الايطالي
١٩٣٨	غيانا البريطانية
١٩٣٨	تنجانيقا
١٩٣٨	كينيا
١٩٣٩	جمهورية الدومينيك

ولكن اتفاق المصالح البريطانية مع أحلام المنظمة الصهيونية ، يضاف اليهما انتصار بريطانيا في الحرب العالمية الاولى .. هذه كلها أدت الى ما انتهت الأمور اليه . ■■

محمود السمره



خصائص اللهجة الكويتية
دراسة لغوية ميدانية

تأليف : الدكتور عبد العزيز مطر

الناشر : مطابع الرسالة الكويت

● محاضرة القيت في جامعة الكويت ، تدرس اللهجة الكويتية دراسة علمية منهجية وصفية تاريخية مقارنة تحدد معالم هذه اللهجة وتستنبط القوانين التي لها ظواهرها الصوتية والصرفيه والنحوية والدلالية وتبين حدودها وحدود ظواهرها ثم تكشف عن الصلة بين اللهجة والبيئة الاجتماعية والجغرافية ، كما توضح مجموعة الصفات اللغوية المتمثلة في لغة الخطاب الشائعة بين افراد البيئة الكويتية .

والغاية من هذه الدراسة هي الربط بين اللغة العربية الفصحى ، واللهجات التي تنتمي اليها وتقديم نتائج تفسر ظواهر اللهجات العربية القديمة وتقوم على اساسها محاولات التقريب بين الفصحى واللهجات العامية .

قاموس الاقتصاد

تاليف : جروان السابق ـ ماجستير في القانون

● هو قاموس انجليزي عربي طبع ببيروت احتوى على نحو ٥٠٠ صفحة و ٥٠٠٠٠ كلمة انجليزية ومقابلها العربى ، فى شئون الاقتصاد والتجارة والصناعة ، وفي الشئون المالية والقانونية . يظل مع السلعة من مصدر انتاجها حتى استهلاكها . ويشتمل على الاعمال المصرفية . وهو يميز بين الاستعمالات الامريكية والاخرى الانجليزية . وهو قاموس ينفع الاستاذ والطالب على السواء .

دراسات كويتية

تاليف : فاضل خلف

الناشر / مطبعة مقهوى / الكويت

مجموعة مقالات متنوعة تتناول دراسة لأدباء الكويت وشعرائها من الذين اسهموا في نهضة الفكر في الكويت ، ثم تراجم موجزة لعدد من الأدباء والشعراء ، ونتاجهم الفكرى ، ثم مقالات اخرى عن تاريخ الكويت القديم ، والمجتمع العربي بالكويت .

مجلة معهد البحوث والدراسات العربية

شارع الطلمبات جاردن سيتي / القاهرة

الناشر : مطبعة دار النشر للجامعات المصرية

● مجلة دورية تصدر عن معهد البحوث والدراسات العربية التابع لجامعة الدول العربية، وهذه المجلة تهتم بصورة واضحة على بحوث في القومية العربية والمنظمات الاقليمية والدولية. وفى قضية فلسطين وسائر القضايا العربية ، واتجاهات النقد والأدب الحديث وصلته بالحياة ووسائل نمو العربية الفصحى واستجابتها لمطالب الحياة العربية الراهنة في العلم والفن والتكنولوجيا والحضارة ، ثم بحوث في تاريخ الفكر السياسي والتكامل الجغرافي والاقتصادى وتطور الحياة الاجتماعية والنظم التشريعية في العالم العربي .

الفردوس المنشود

تاليف : محمود صبحة

الناشر : منشورات دار مكتبة الحياة/بيروت/لبنان

● مجموعة قصائد متنوعة

موسوعة ((نافع)) السياسية

● صدر الجزء الاول من هذه الموسوعة وسيليه الجزء الثانى . وقد اتبع المؤلف فى هذه الموسوعة نظاما جديدا . فهو قسم علم السياسة وما اليه ابوابا عدة ، مثل الحكومة ، والحكم الجمهورى، والحكم الملكى ، والراسمالية ، والديمقراطية ، والاشتراكية الخ . وفي كل باب جاء بمصطلحات الباب الانجليزية ومقابلها العربى . وقد احتوى الجزء الاول ٢٠ بابا . فكأنما احتوى ٢٠ معجما . وقد ضم الجزء الاول وحده ٧٥٠ صفحة . والناشر نهضة مصر ، والثمن ٢٥٠ قرشا .

اعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم

تاليف : الدكتور عبد الرحمن حميدة .

الناشر : دار الفكر ـ دمشق/سوريا .

●دراسة عن الجغرافيا عند العرب وتطورها وتاريخ لهؤلاء الرواد الاوائل ونتاجهم فى هذا المضمار من المعرفة الانسانية .

والكتاب نصوص مختارة لمؤلفين يمثلون النماذج المختلفة من علماء العرب ، وقد قام المؤلف بشرح بعض ما يستعصى من العبارات الجغرافية غير المعروفة لدى القراء وتطور الأنماط الجغرافية عند العرب ثم قام المؤلف بترجمة حياة كل من هؤلاء الجغرافيين وأهم اعمالهم واتبع ذلك بنصوص مختارة من آثارهم تبرز أهم نواحي اتجاهاتهم الجغرافية .

نداء الجراح

تاليف : حنا أبو حنا

الناشر : مكتبة عمان ـ عمان ـ الاردن .

● مجموعة شعرية تتسم بطابعها النضالي الوطنى لاحد شعراء الارض المحتلة ، وشعراء المقاومة يمثل شعرهم ملامح الشعب المناضل الذى يحاول المحتل أن يفرغه من كل مضمونه القومى والتاريخي والاجتماعى كما ان شعراء المقاومة يجعلون للجيل الناشىء فى شعرهم نصيبا كبيرا حيث يروى الشاعر حكاية قريته الآمنة ونحس كيف يؤرقه مصير احفاده واولاده ويحرص على اطلاعهم على أصدق الانباء فيما يتصل بحكاية أرضهم .

السوقية عند العرب

تأليف : رضا استنبولي .
الناشر : مطابع التوجيه المعنوي في وزارة الدفاع ـ دمشق ـ سوريا .

● المامة بالخطط التي سار عليها المسلمون في صدر الاسلام في تعبئة جيوش الفتح والتحرير للمعارك الحربية ، ثم محاولة لدراسة الاسس التي يمكن ان تقوم عليها النظرية العربية الاستراتيجية ومحاولة قيمة حول التفكير في مذهب عسكري عربي موحد .

جامعة الكويت والمجتمع ١٩٦٨/٦٧

● دراسات متنوعة قامت بها جامعة الكويت في ميادين النشاط الاجتماعي المختلفة في الاذاعة والتلفزيون والصحافة ، وما يقدمه اساتذةالجامعة من احاديث وندوات ومحاضرات ، وما يشاركون فيه من مقالات ودراسات علمية ثم الدراساتالتي قدمتها الجامعة بالتعاون مع الوزارات والهيئات والشركات ، وهذا السجل يعبر بوضوح عن تلك الصلة الوثيقة التي تربط الجامعة بالمجتمع .

اسرائيل بين البداية والنهاية

تأليف : الدكتور محمود دياب .
الناشر : مكتبة الانجلو المصرية ـ القاهرة .

● دراسة مركزة لمجموعة من الابحاث المختلفة التي تختص بها اسرائيل ، اعتمد المؤلف فيها على كثير من الابحاث والدراسات التي اجرتها منظمة التحرير الفلسطينية ، كما يتناول المؤلف بالدراسة بروتوكولات حكماء صهيون والدعاية الاسرائيلية ثم التسلل الاسرائيلي في آسيا ثم قضية حائط المبكى .

ديوان نفثات الحياة

تأليف : عباس الحاج اهجيج الحلي
الناشر : مطبعة القرى الحديثة. النجف.العراق.

● ديوان في الادب الشعبي العراقي يحوي مجموعة من القصائد في مختلف الاغراض الشعرية من قصائد اجتماعية ووجدانية ووطنية وانماط اخرى من الشعر الشعبي كالابوذية والمربع والتجلية والرجدي والدارمي .

ابو طالب وبنوه

تأليف : السيد محمد علي آل السيد علي خان
الناشر : مطبعة الآداب في النجف الاشرف/العراق

● دراسة مستفيضة لشيخ الاباطح ابي طالب ومواقفه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حينما كان مستضعفا بين قومه وعشيرته في مكة .. وعرض الجوانب المشرقة من حياة ابي طالب ، ومناقشة الاحاديث التي اختلقتها الايدىالمدسوسة للحط منه والتشكك الذي اوردوه في اسلامه .

والكتاب بالتالي مقسم الى ثلاثة اقسام يختص القسم الاول بحياة ابي طالب والقسم الثاني في احوال عقيل وجعفر واحفاد ابي طالب من اولاده الثلاثة ، اما القسم الثالث فيدرس علي ابن ابي طالب دراسة مستفيضة .

مجتمعك هذا

تأليف : عبد الصمد تركي .
الناشر : مطبعة مقهوي ـ الكويت .

● مجموعة مقالات تربوية تتسم بطابع الصراحة والمؤلف ينادي في مقدمته بهذا القول « قل الحق ولو على نفسك » والكتاب التالي مقسم الى اربعة مقالات كبيرة .

اولاهما بعنوان « هذا القطيع » وثانيها « الرياء جادته » وثالثها « النفاق طبيعته » ورابعها « الظلم سنته » .

الضرائب في السودان

تأليف : الدكتور علي احمد سليمان
الناشر : قسم التأليف والنشر جامعة الخرطوم ـ السودان .

● الضرائب من المسائل المالية التي تهم كل مواطن وتؤثر تأثيرا مباشرا عليه ولذا فالمواطن يريد ان يقيمها ويحاول ان يفهمها والكتاب يعالج هذا الموضوع الحيوي بالدراسة العلمية الجادة ثم انه يوضح المبادىء والاسس العامة للضرائب ودراسة النظام المتبع في السودان على ضوء هذه الاسس والمبادىء .

كما يحاول الاجابة على الاسئلة الهامة التي تدور في ذهن المواطنين حول عدالة الضرائب في السودانوآثارها الاقتصادية وجذورها التاريخية.

من أعلام العارفين
الجـزء الاول

تاليف : صادق محمود الجميلي
الناشر : دار النذير للطباعة والنشر والتوزيع ـ بغداد ـ العراق .

● دراسات وبحوث وتراجم لبعض الرجالات ممن عرفوا بالعلم المقترن بالزهد والتعبد امثال احمد الرفاعي والجنيد البغدادي ومعروف الكرخي وغيرهم تهدف التعرف بآثارهم ودرس شخصياتهم تلك الشخصيات من علماء وفقهاء ورجال فكر وزهاد الذين اسهموا في توجيه الامة وتحذيرها من هوى النفس ومغريات الحياة وما قدموا من آثار لا تزال حتى اليوم موضع الباحثين ودرس الدارسين لما في حياتهم من صور رائعة للتوجيه الاسلامي واصداء عالية لنداء الفطرة الانسانية الزكية والروح العالية والصراحة المنسابة في مواقفهم ازاء طغيان الحاكمين .

عين التمـر

تاليف : طالب علي الشرقي
الناشر : مطبعة الآداب في النجف الأشرف/النجف/العراق

● دراسة تاريخية اجتماعية جغرافية لعين التمر وشفاثا ترمي الى التعريف ببقعة عراقية لها في التاريخ ماض بعيد يرقى الى ايام الفتح الاسلامي بل الى ما قبل هذا التاريخ ، ثم ان مدينة عين التمر لبثت طوال العصر الاسلامي قائمة ، وان لم تؤد ذلك الدور الرئيسي في مجرى التاريخ .

من وحي الفكـر

تاليف : محمد مزالي .
الناشر : منشورات الفكر ـ تونس .

● جمع هذا الكتاب بين دفتيه الافتتاحيات التي كان ينشرها المؤلف في مجلة الفكر التونسية طيلة اربعة عشر عاما ، وهذه الافتتاحيات ذات مواقف صريحة من القضايا القومية والانسانية ثقافية كانت أو سياسية او اجتماعية الى جانب جملة من القضايا الادبية تدرس الالتزام والحرية وحقيقة الشعر وانواعه ورسالة القصة ومضامينها ودور المسرح واتجاهاته المختلفة ، واهمية النقد واثره في النهضة الادبية .

المادية الاسلامية وأبعادها

تاليف : عبد المنعم محمد خلاف .
الناشر : دار المعارف بمصر ـ القاهرة .

● يدرس هذا الكتاب دعوة القرآن الى حل مشكلات الفكر والاعتقاد وبناء التفكير الديني على أسس علمية لمواجهة المادية الالحادية واثبات عجزها وقصورها عن رؤية الدلالات الحتمية في الكون المادي على الخالق وصفاته . ثم يدرس قيادة القرآن الكريم للعقل البشري الى رؤية أعماق الكون والنفس رؤية واضحة بدون تهويم وشطح واوهام وخرافات ، كما يتناول مشكلات العيش باعلان دعوة باسم القرآن لتصحيح مفاهيم الناس في أسباب الغنى والفقر ولازالة اثر الطغيان والجشع في الوضع الطبيعي الالهي في التوزيع العادل للاموال .

سيكولوجية المراهقة للمربين

تاليف : جلن مايرز بليرد و. د. ستيوارت جونز
تعريب : الدكتور ضياء الدين أبو الحب والدكتور عبد العزيز سلامة
الناشر : مطبعة دار السلام بغداد / العراق

● المراهقة فترة حرجة في حياة كثير من الافراد، تعصف بهم فيها تيارات فكرية متضاربة. ويتعرضون فيها لنوازع وخواطر متباينة ، يحارون بينها لا يدرون ايها يتبعون ويسايرون وايها ينفضون عنها ويتجاهلون ، وهم يخبرون فيها عددا من الاحاسيس الجديدة ، والمشكلات المتصلة بالنمو الجسمي اذ يجدون انفسهم موضعا لتغيرات جسمية ما كانوا مهيئين لها من قبل فالمراهق غير تام النضج بحيث تتيح له الأسرة ان يفعل ما يبدو له، ولا هو بالصغير الذي يعفى من الأعباء والتكاليف الثقال ، انه في منزلة بين المنزلتين تشقى بها نفسه ويشقى بها كثير ممن حوله من اسرة ومدرسة ومجتمع .

لا تقرئيه حبيبتي

تاليف : نور الدين المالح .
الناشر : مطبعة الجمهورية ـ دمشق .

● مجموعة قصائد متنوعة .

(البقية على صفحة ١٦٤)

قضية : المرأة والبنطال

بقلم : حسن الجداوى

■ « كل ما يعجبك والبس ما يعجب الناس » .

ظلت هذه القاعدة مسيطرة على سكان الارض لقرون طويلة وبقيت غالبية الناس تقيد نفسها بها قرونا طويلة الى ما بعد الثلث الاول من القرن العشرين ـ قرننا هذا قرن العجائب ـ وظهور فوضى الملابس والمظهر .

ولو ان الخلاف الذى دب بين السيدة فيوليت موريس والاتحاد النسائى الرياضي بفرنسا كان قد حدث في هذه الايام لما حدث بادي ذى بدء ولما كانت قضية تعرض على المحاكم ويترافع فيها ثلاثة من كبار المحامين .

ولكن القضية عرضت على محكمة السين في مارس سنة ١٩٣٠ ـ اى منذ اربعين عاما ـ واحدثت ضجة ليس بعدها ضجة في الاوساط القضائية وتناولها الصحف والمسارح والزجالون وعرفت بقضية « البنطلون » او البنطال كما عرب المعربون اسمه هذه الايام .

وخلاصة النزاع ان سيدة تدعى فيوليت موريس كانت بطلة فرنسا في رمى الجلة والحربة لعدة سنوات وبطلة العالم في هاتين اللعبتين وكانت تشترك في سباق السيارات وتتجر في السيارات وفى ادوات الرياضة ، وكانت في اثناء عملها ـ وفي غير عملها ـ تصر على ارتداء البنطال .

★ ★ ★

وقبل ان نعرض وقائع القضية والمرافعات التى جرت فيها والحكم الذى صدر نستسمح القراء في سرد تاريخ مختصر للملابس وكيف تطورت حتى اصبح العرف يعتبر ان الروب او الفستان لباس النساء والبنطال لباس الرجال وهو ما لا يسلم به ابناء الجيل الحاضر كما بينا .

لم يعد علماء الانثروبولوجيا (او علم الانسان) يعتقدون ان ارتداء الملابس جاء من احساس بالحياء . ذلك ان مظاهر الحياء تختلف اختلافا كليا باختلاف الزمان والمكان . فكشف الوجه عند بعض الشعوب عورة ولا كذلك تعرية الساقين . وكشف الصدر عند بعض الشعوب مباح بينما تغطيته مثار للشهوة . وكانت المراة الاوروبية التى تلبس الديكولتيه الذى يظهر كل صدرها وكتفيها تحمر خجلا اذا كشفت عن قدمها ..

والعرى الكامل ـ عند بعض الشعوب ـ اكثر حشمة من الملابس .

وليس صحيحا ان الملابس اخترعتها حاجة الانسان لحماية نفسه من تقلبات الجو . فقد نشات المدنيات كلها في البلاد الحارة حيث لا يحتاج الانسان الى الملابس لاتقاء الجو . وربما قيل ان الملابس اخترعت لاتقاء لدغ الحشرات .

ولعل الاقرب الى القول ان الملابس بدأت برغبة الانسان في الظهور . فالصياد الذى اصطاد حيوانا متوحشا يعلق حافره او قرنه او نابه حول جسمه متفاخرا . فاذا عارضه معترض قاومه ، واصبح وجود هذه الاشياء حول جسمه دليل قوته ومكانته



كانت بطلة فرنسا في
رمي الجلة والحربة
لعدة سنوات ، وكانت
في عملها وفي غير عملها
تصر على ارتداء البنطال
.. من هنا بدأت
القضية ...

... وربما كان من بقايا هذه النظرة ما نشاهده من عدد الاشرطة على اكتاف وصدور اصحاب الرتب ..

واذا انطبق هذا الرأى على ملابس الرجال فما تفسير ملابس النساء . ؟

يقولون ان الغرض من ملابس النساء هو الرغبة في الاغراء . واصحاب هذا الرأى يقولون ان جسم المرأة كله يثير الشهوة .. ما ظهر منه وما اخفى. وهذا هو السبب في تغيير المودة . تخفى بعض اجزاء الجسم في سنة وتظهره في السنين الاخرى وهكذا دواليك ...

وحين بدأ الانسان الاول يحيط نفسه بقطعة مستطيلة من جلد الحيوان كان بعضهم يلفها حول جسمه ومن هنا نشأ الثوب او الجلباب . وبعضهم يضعها بين ساقيه وتطورت حتى اصبحت بنطالا . وطبيعي ان البنطال اكثر دفأ من الثوب ولذلك كان الناس في البلاد الشمالية يلبسونه رجالا ونساء بينما يلبسون الجلباب في البلاد الحارة . ولكن هذه القاعدة ليست مطردة . فالنبلاء اليونانيون كانوا يرتدون الجلباب ويعتبرون ان البنطال لباس المتاخرين والعبيد وكذلك كان يفعل الرومان ..

ومع تقدم المدنية انتشر استعمال الرجال للبنطال لانه يساعد الرجل في عمله ولا يعوقه في ركوب الخيل او الدراجة بينما استمرت النساء ترتدى الارواب لانهن لم يكن يشتغلن .

★★★

نعود اذا الى موضوع قضية مدام فيوليت موريس . البطلة الرياضية والتى تطوعت اثناء الحرب العالمية الاولى لتقود عربة اسعاف وتنقل الجرحى في خط القتال ، ثم اصبحت تركب الدراجة وتنقل المراسلات بين خطوط النار . وكانت ـ بطبيعة الحال ـ ترتدى البنطال . فلما وضعت الحرب اوزارها كانت قد اعتادت على ارتدائه وما يعطيه لها من احساس بحرية الحركة . وتقدمت لعضوية الاتحاد النسائي للالعاب الرياضية الذى تأسس عام ١٩١٧ بالقميص والبنطال وقبلت عضوا واستمرت عضوا عشر سنوات دون اعتراض من اى احد .

ولا غرابة في ذلك فان للمرأة مع البنطال تاريخ طويل .

فنساء بلغاريا كن يرتدين البنطال حتى ان البابا كليمان الخامس في القرن الخامس الميلادى وضع بروتوكولا خاصا لدخولهن مدينة الفاتيكان بهذا الزى .

وارتدت المرأة في القرن الثامن عشر البنطال والتحقت بجامعة السربون وحصلت على دكتوراه في القانون وقبلت محامية امام برلمان باريس ، وعينها لويس الخامس عشر مندوبا له في مؤتمر لندن وهى التى عرفت في التاريخ باسم الفارس ديون Le chevalier a 'Ion .

وكانت الكاتبة الكبيرة التى عرفت باسم جورج ساند ، وغرامها بالشاعر الفريد دى موسيه De musset معروف ، ترتدى ملابس الرجال .. كذلك كانت الرحالة الشهيرة ديولافوا Dieulofoy وحين دعيت الى قصر رئيس الجمهورية وجهها رئيس التشريفات الى المكان المخصص للرجال ، ومع ذلك استقبلها رئيس الجمهورية اكثر من مرة بتلك الملابس بالرغم من ان مسارح باريس وزجاليها وشعراءها اتخذوا منها موضعا لنكاتهم .

وفي الحرب السبعينية ارتدت مدام همبير Humbert ملابس الرجال وحاربت في صفوفهم ودافعت عن مدينة متز Metz دفاعا مجيدا ثم استمرت ترتدى البنطال وتسير في شوارع طولون بتلك الملابس .

وجان دارك ؟ الم تكن تلبس البنطال . الم يحاكمها الانجليز بذلك الزى وحكموا عليها وحرقوها بذلك الزى ، ومع ذلك لم تتردد الكنيسة في ان تعتبرها قديسة بعد ذلك ؟

★★★

لقد بقيت مدام فيوليت عضوا بالاتحاد عشر سنوات الى ان دب خلاف بينها وبين رئيسة الاتحاد .... لانها ترتدى البنطال فاذا بالاتحاد ينذرها اما ان تغير من لباسها او يفصلها من عضويته . فكانت القضية .

وسننشر ملخصا لمرافعة الادعاء والدفاع ومذكرة النيابة العمومية والحكم الذى اصدرته المحكمة.

طالب الاستاذ هنرى لوت محامى المدعية بمبلغ مائة الف فرنك تعويضا وقال : « للمدعية مكانتها الممتازة في عالم الرياضة . نالت الجائزة الاولى في المباريات التى اشتركت فيها داخل فرنسا وخارجها . كما انها ملكة قيادة السيارات ـ سيارات السباق ـ على أخطر الطرق . وهى بطلة فى رفع الأثقال ورمى الجُلة . ولكنها ـ في نظر الاتحاد النسائى للرياضة ـ قد ارتكبت جرما لا يغتفر لأنها ترتدى البنطال ـ كما لو ان نساء العالم جميعا لا يرتدين البنطال (١) .

وهكذا أصدر الاتحاد قرارا بحرمانها من الاشتراك في المباريات الرياضية ، الحافز الوحيد لاتقان الرياضة والذى لا غنى عنه لمن يريد الاحتفاظ ببطولتها .. فالقرار اذا حكم بالموت الرياضي .. كما كان يحكم بالموت المدنى في قديم الزمان .

ان مجلس ادارة الاتحاد مجموعة من السيدات ميزاتهن الأولى أنهن لم يكن لهن أى اتصال بالرياضة ، وانما يتصلن بذوى النفوذ . لذلك فانهن يصدرن قرارات دكتاتورية تنزل على الاعضاء كالقدر المحتوم لا رادّ له .

وهن يستندن في القرار الذى أصدرنه ضد المدعية على المادة السابعة من اللائحة التى اعددها لانفسهن ـ وعلى مقاسهن ـ ليكون لهن الحق في ايقاف اللاعبة أو منعها من الاشتراك في اية مباراة او فصلها اذا تأخرت في دفع الاشتراك او خالفت اللوائح لأى سبب جدى آخر ..

والاسباب التى استند عليها الاتحاد في فصل المدعية :

١ ـ الملابس التى يصررن على الظهور بها في مقر الاتحاد برغم الاعتراضات المتكررة من أعضاء المجلس .

٢ ـ الاتصالات التى يقمن بها لدى السلطات ورجال الصحافة والاتحادات .

٣ ـ الاحاديث والتصرفات التى تسيء الى الهيئات التى ينتسبن اليها .

وعندى ان هذا القرار ينقسم الى قسمين .. مجرد ثرثرة وادعاءات مرسلة تذكرنا بالمثل القائل « من شاء ان يغرق كلبه يتهمه بالصرع » ... والواقع ان مدام فيوليت طردت من الاتحاد كما يطرد الكلب ..

اما الأسباب الاخرى للقرار وهي البنطال والاتصالات والأحاديث فكيف يمكن تناولها بطريقة جدية تتفق مع الهيبة المطلوبة امامكم ؟

ان فيوليت موريس وقد ارتدت البنطال في جبهة القتال لم تأت بجديد حين استمرت على ارتدائه بعد انتهاء الحرب ..

ونحن الرجال ـ بعد ان جربنا البنطال وسهولة السير به ـ لم نعد نستطيع العودة الى الملابس الفضفاضة او الضيقة التى كنا نرتديها . فلماذا تريد عضوات الاتحاد من النساء العودة الى ملابس النساء وهن المطالبات بالمساواة مع الرجال حتى امام المقصلة ؟!

ان سيدات الاتحاد حين تقدمت مدام فيوليت بطلب العضوية ـ وهى ترتدى ملابس الرجال ـ لم يجدن أى اعتراض واستمرت فى عضويته عشر سنين .. ان هذا يذكرنى بتلك الجَدة التى تقدمت بعد زواج دام خمسة وثلاثين عاما تطلب الطلاق فلما سألها القاضي عن سبب طلبها قالت : « ان له خمسة وثلاثين عاما وهو يخوننى فكان لا بد في النهاية ان أثور لكرامتى » . ان سكوت الاتحاد الطويل على بنطال مدام فيوليت يسقط حقه في الاعتراض كما رفض طلب الطلاق من تلك الجَدة .

وابدأ بمناقشة السبب الثانى في قرار الاتحاد وهو ما سموه الاتصال بالسلطات والصحافة . انى استطيع أن أتمسك بحق موكلتي في الدفاع عن نفسها ولكننى أجدنى لا أزال انتظر دليلا أو بداية دليل على صحة هذا الادعاء . كل ما اعرفه ان موكلتى عرضت امرها على اتحاد رفع الأثقال ـ وهى عضو فيه ـ وان الاتحاد المذكور انضم اليها في موقفها وكتب الى الخصوم يساندها ولكن الخصوم لم يكلفوا أنفسهم مجرد الرد . اما الصحافة فهل تتصورون أنها كانت في حاجة لمن يتصل بها لتتعرض لمثل هذه القضية بعد أن عرفت ظروفها . ان المحكمة لتعلم حق العلم أن أحدا لا يستطيع منع الصحافة من استغلال هذه

---

(١) أى انهن لا يتحكمن في أزواجهن .

القضية التى جذبت اهتمام الباريسيين الرياضيين منهم وغير الرياضيين .

اما موضوع ارتداء البنطال وهو موضوع الساعة فقد استغرق تفكير عضوات مجلس ادارة الاتحاد النسائى عشر سنوات كاملة . لقد احتجن الى عشر سنين ليتبين ان هذا اللباس خارج على الاحتشام .

لقد شرحت الأسباب التاريخية لتمسك فيوليت موريس بالبنطال . لقد تحتم عليها ارتداؤه في أيام الحرب التى يبدو اننا بدانا ننساها . ولكن هناك أسباب عملية سنشرحها وشيكا . ولكنني أريد أن اقول ان فيوليت لا تدعو غيرها لارتداء البنطال ولا تحاول نشر هذا الارتداء . ولكنها تعتقد انها لا تضر احدا حين تلبس ما يروق لها طالما ان ليس في ملابسها ما يخالف الآداب العامة .

ان الناس يختلفون منذ بدء الخليقة في أيهما اكثر احتشاما . اللباس أو العرى ؟ ولقد تعرضت لهذا الموضوع التوراة . فاذا كان الغرض من اللباس الجمال فهل معنى ذلك ان لباسامعينا يمتاز على الانواع الاخرى ؟ اننا حين نراجع تاريخ الأزياء التى حاولنا على مر التاريخ أن نخفى بها عيوب أجسامنا نجد أنها تغيرت وتبدلت وفقا لاهواء الساعة وتطورات « الموضة » .. لقد ظل الرجال لفترة طويلة يحتكرون لبس الروب .. أما البنطال الذى انتهى الى الشكل الذى نراه اليوم فقد ظل طويلا موضع التنافس بيننا وبين النساء. وأنتم تعرفون ان البابا كليمان الخامس سمح بدخول البنطال لمدينة الفاتيكان .

هل لبس الرجال لملابس النساء اكثر احتشاما من لبس النساء لملابس الرجال ؟

ان المحظور ـ في اعتقادى ـ هو أن يحاول الشخص ـ رجلا كان او أنثى ـ أن يدعى ما ليس له بحق . لذلك فانى اقر الحكم الذى أصدرته محكمة لندن برفض طلب سيدة أن تقبل عضوا باحد نوادى الرجال لانها ترتدى البنطال . اما فيوليت فانها لم تطلب أن تنضم لاتحاد رياضي خاص بالرجال .

اليس البنطال اكثر احتشاما من الفساتين القصيرة ؟ ان فيوليت تلبس البنطال بحكم عملها وتجارتها تضع فى جيوبه مفاتيح مكتبها ومخازنها . ويقيها من عيون المستطلعين حين تضطر للدخول تحت السيارات وحين تهب الريح .

لقد تطوعت سيدة بيت بلجيكية فكتبت الى تؤكد أنها تلبس البنطال أثناء عملها المنزلي وحين تعنى بحديقتها وأنا اضعه تحت أنظار المحكمة . ثم مالى أحتكم الى رأى هذه السيدة أو الى التاريخ . اذهبوا الى شامونكس Chamonex او غيرها منأماكن التزحلق علىالجليد فكل النساء هناك يرتدين البنطال فلا ينقص من جمالهن ورقتهن ولا يتصور أن يفعلن ذلك بالفساتين القصيرة أو الطويلة .

لا أجد مبررا على الاعتراض على لبس البنطال الا التمسك بالتقاليد البالية ولا أعتبر ذلك مبررا .

وترافعت الاستاذة الآنسة سيمون ويلر عن الاتحاد :

« ان هذه القضية اكبر من أن تعامل بالخفة والسخرية التى قد تستنتج من المرافعة الممتازة التى جرت على لسان زميلى محامى المدعية . لانها تعرض الرياضة النسائية في فرنسا لاشد الاخطار . فهى حديثة العهد وسبب تأخرنا في الأخذ باسبابها عن جيراننا ان التقاليد الفرنسية تعارض كل ما من شانه أن يؤدى الى استرجال النساء .. لذلك وحتى لا تتاخر عن ركب الحضارة بدات الاندية الرياضية النسائية تنتشر في فرنسا لتمكين الفتيات من ممارسة مختلف الالعاب الرياضية . وحتى لا يترك الأمر فوضى أنشيء الاتحاد العام لينظم هذه النوادى . ولما كان من حق اى عضو في الاتحاد أن يستقيل دون ان يكون مسئولا أو مطالبا بتعويض،فان بعض الشراح يرون ان من حق الاتحاد ـ في مقابل ذلك ـ أن يفصل اى عضو من اعضائه دون أن يكون لذلك العضو الحق في المطالبة بتعويض ..

وهذه النظرية مبالغ فيها ولا اقرها . فلا بد ان يكون للقضاء رقابة على مثل ذلك القرار .. ولكنها رقابة ليست مطلقة .. ان لكل جمعية حق التاديب على اعضائها .. بشرط أن يمكن العضو من الدفاع عن نفسه .. فكل ما تتعرض له المحاكم هو أن تتحقق من ان لائحة الجمعية طبقت

تطبيقا قانونيا . وهو ما حدث في قضية مدام فيوليت . فقد دعيت للمثول أمام لجنة التأديب فجاءت كما يقول محضر الجلسة بملابسها المعتادة البنطال والكاسكيت والسيجارة بين شفتيها ، ثم دافعت عن نفسها شفاهة وكتابة ، فالشكل اذا قد استوفي . ولا مطعن عليه .

اما من حيث الموضوع فانها لجرأة ليس بعدها جرأة ان تطلب منكم مدام فيوليت أن تحكموا أن قرار الاتحاد بفصلها كان كيديا وتعسفيا .ومحاضر جلسات مجلس الادارة أمامكم تثبت أن مدام فيوليت قد خالفت لوائح الاتحاد أكثر من مرة ، وانها على مر السنين ضربت أسوأ مثل في عدم النظام واطراح التقاليد والأصول الرياضية .

ففي عام ١٩٢٢ اعتدى فريقها على الحكم وكانت هي كابتن الفريق ، فلم تفعل شيئا لوقف الاعتداء وابلغت الوقائع محرفة للصحف .

وفي عام ١٩٢٦ أنذرها رئيس نادي كلودو الذي يدافع عنها الآن بفصلها اذا لم تمتنع عن ارتداء البنطال وتستغل بطولتها في الاعلان عن تجارتها .

اما الأستاذة نيتر المحامية الثانية عن الاتحاد فبنت دفاعها على أن واجب الاتحاد حماية الفتيات الطائشات من الاقتداء بالمدعية والاعتقاد ان سبيل الوصول في فرنسا هو عمل كل ما يلفت الأنظار . وأن ملابس النساء قد تطورت حتى أصبحت لاتعيق الحركة ولا تقف في طريق الأعمال او الرياضة .

ثم استندت الى لائحة بوليس صدرت في ٧ نوفمبر سنة ١٨٠٠ تحتم على كل امراة تريد أن ترتدي ملابس الرجال أن تحصل على تصريح من حكمدارية البوليس وهذه اللائحة ـ فيما أعلم ـ لم تعدل أو تلغى والقانون هو القانون .

ان القانون هو القانون حتى بالنسبة لمدام فيوليت.وهي حين تخرج من هذه القاعة بملابسها التي ترونها لن يتعرض البوليس لها ، ولكنها اذا سارت في مظاهرة وقبض عليها البوليس بتلك الملابس فانهسيطالبها ـ ولا شك ـ بابراز التصريح الصادر لها من مديرية الامن ، فان لم تقدمه حوكمت ووجهت اليها التهمه .

ان الاتحاد يابى أن يجعل منأعضائه الرياضيات فتيات طائشات . انه لا يريد أن يجعل منهن أشباه رجال يلبسن البنطال ورباط العنق وينشرن في العالم أسوأ المثل .. اننا نريد أن ننشىء فتيات عاقلات سليمات العقل والجسم يمارسن الرياضة ويدركن أن أجمل رياضة للمرأة هو دور الأمومة الذي خلقن من أجله وهو الدور الذي لم تعد مدام فيوليت صالحة لادائه بعد أن استأصلت ثدييها .

ولم ينكر محامي مدام فيوليت انها استأصلت ثدييها لانهما كانا يضايقانها في قيادة سيارات السباق ، ولكنه أنكر على الاتحاد بحثه في دفاتره القديمة للبحث عن أسباب ليسند بها قراره التعسفي وشبهه بتلك السيدة العجوز التي رفعت دعوى طلاق بعد خمسة وثلاثين سنة من خيانات متصلة من زوجها بدعوى أن كرامتها ثارت آخر الامر . أما محاولة بعث الحياة في لائحة صدرت بعد انتهاء عهد الارهاب في فرنسا حين أرادت بعض النساء اللاتي عرفن باسم (سان كوليت) اي بدون سروال أن يبقين على هذا اللباس فقد ولدت تلك اللائحة ميتة بدليل أن السروال عاد للظهور .

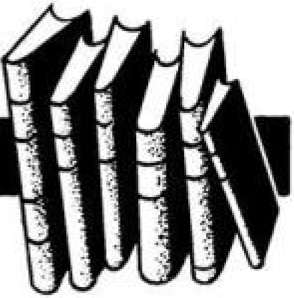
ثم ترافع ممثل النيابة العمومية طويلا مؤيدا حق الاتحادفيحماية نفسه من عضو يحاول بتصرفاته أن يفسد على الاتحاد الغرض الذي يسعى اليه منكرا على المدعية حقها في أن تلبس ما يروق لها الا بين جدران منزلها متمسكا بلائحة سنة ١٨٠٠ وصدر الحكم مؤيدا حق الاتحاد .

ولكن هذا الحكم ما لبث أن فقد كل قيمة له . فقد انتصر الرأي العام الفرنسي للبنطال بعد الحرب العالمية الثانيةانتصارا كاملا . فاصبحت النساء يرتدينه لا في ملاعب الرياضة فحسب ، بل في الطرقات والجامعات ومدارس البنات وفي الحفلات وفي الأوبرا ..

ولسنا نبحث في صحة لبس النساء البنطال أو خطئه ، فهذا ليس موضوعنا الساعة . وانما الذي نريد أن نذكره ، ان الاخلاق والعادات لا تقوم بالقوانين واحكام المحاكم . لا بد لتغيير الأشياء من موافقة الرأي العام للأمة ورضاء الشعوب .

■■

حسن الجداوي



من الكتب التى وصلتنا

الاتجاهات السياسية والفكرية والاجتماعية فى الادب العربى المعاصر

تأليف : سالم عبد النبي قنيبر
الناشر : دار مكتبة الاندلس/بنغازى/ليبيا

● اطروحة نال بها المؤلف درجة الماجستير في الأدب العربي يدرس فيها اتجاهات الادب العربي المعاصر من خلال حياة عبد العزيز جاويش ، وقد قسم المؤلف كتابه الى اربعة فصول عنوان الفصل الاول بـ« ما قبل اللواء » والفصل الثاني « مع صحف الحزب الوطني » ثم الفصل الثالث « بعيدا عن مصر » اما الفصل الاخر من الرسالة فهو بعنوان « بعد العودة » .

قطب السرور فى أوصاف الخمور

تصنيف أبي اسحاق ابراهيم المعروف بالرقيق النديم
تحقيق أحمد الجندى
الناشر ـ مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق

● كتاب يبحث في أدب الخمر ومجالسها والتداوى بها والانتفاع بأخلاطها ، والنصوص الواردة في تحريمها وما قيل فى الخلافات الفقهية حولها ، يضاف الى ذلك مختارات من القصص الأدبى الرائع والشعر الفنى الأخاذ .

ومؤلف هذا الكتاب مغمور الاسم والتاريخ ، وقد ذكرته بعض المعاجم والموسوعات ، فأشارت اليه اشارات عابرة ، ويقال انه عاش أيام الدولة الصنهاجية ورحل الى بلاد كثيرة ، وقد قام المحقق بشرح الكلمات الغامضة والابيات المضطربة كما قام بترجمة لكثير من الشخصيات التى وردت أسماؤها بالكتاب .

تقرير المصير / دراسة مقارنة

تأليف : حسين علي الحبيشي / الناشر ، الكاتب العربى / بيروت

● دراسة تعالج مبدأ تقرير المصير من جوانبه العديدة منها الناحية التاريخية والفكرية والعلميه والاقتصادية والقانونية والانسانية . والكتاب ينقسم الى أربعة ابواب كبيرة يتناول الباب الاول تقرير المصير عند الفلاسفة والمفكرين ، وتقرير المصير في التاريخ والثورات والأحداث العالمية ، أما الباب الثانى فيدرس تقرير المصير في القانون وتقرير المصير في العرف الدولى وفى المعاهدات الدولية والمنظمات الدولية اما الباب الثالث فيدرس تقرير المصير في المجتمعات الدولية .

معجم المؤلفين العراقيين فى القرن التاسع عشر والعشرين المجلد الاول

تأليف : كوركيس عواد
الناشر : مطبعة الارشاد ـ بغداد ـ العراق

● يتضمن هذا المعجم أسماء جمهرة كبيرة من المؤلفين العراقيين المحدثين الذين ولدوا فى أثناء القرنين التاسع عشر والعشرين .

ولم يذكر المعجم الا المؤلفين الذين وجد لهم آثارا مطبوعة بأية لغة من اللغات وهى تلك الآثار التى نشرت في كتب كبيرة ومتوسطة أو كتيبات ورسائل سواء تم طبعها فى أثناء حياتهم أو من بعد مماتهم ، ولا فرق بين أن تكون تلك المؤلفات مطبوعة فى العراق أو فى خارج العراق .

وقد رتب الكتاب أسماء المؤلفين فيه على حسب السياقة الهجائية لاسم المؤلف الكامل .

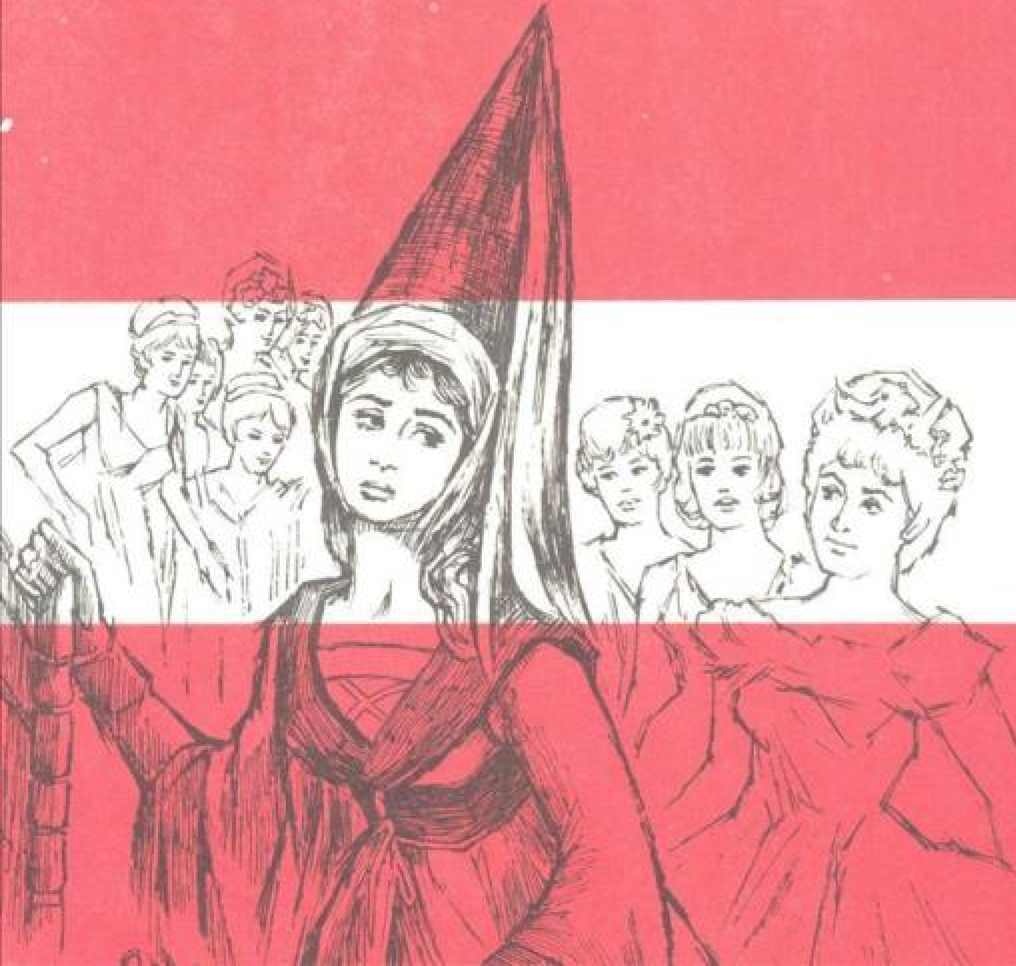
■■

الأميرة سِبْتَمْبَر

قِصّة: لِسومَرسِت موم

■ حينما رزق ملك سيام أول ابنتين له سمى احداهما الليل وسمى الاخرى النهار ، ولكنه اذ انجب بعدئذ طفلتين اخريين اضطر لان يستبدل اسمي الاوليين واطلق عليهن جميعا اسماء الفصول الاربعة ... الربيع ، والخريف ، والشتاء والصيف . غير انه على مر الزمان ولدت له ثلاث اخريات ، فلم يجد بدا من ان يغير اسماءهن حسب ايام الاسبوع السبعة .

ولكن ... لما منّ الله عليه بالابنة الثامنة اسقط في يده ولم يدر ماذا يفعل ، الى ان خطرت



له فجأة أسماء شهور السنة . ولقد اعترضت الملكة بأن عدد الشهور هو اثنا عشر شهرا وأنها ستحتار حتى تتذكر مثل هذه الأسماء المتعددة . ولكن الملك كان رجلا منظم التفكير اذا اعتزم أمرا نفذه ، وهكذا استبدل أسماء كل بناته واطلق عليهن .. يناير وفبراير ومارس .. حتى أغسطس وهو اسم أصغرهن ، على أن يطلق على التالية اسم سبتمبر .

فقالت الملكة : لم يبق الا أكتوبر ونوفمبر وديسمبر وبعدئذ نضطر الى التغيير من جديد .

فأجابها الملك : كلا .. لن نفعل ذلك لأني أعتقد أن اثنتي عشرة بنتا تكفي أي أب ، وبعد ولادة ديسمبر العزيزة سأضطر للأسف الى قطع رأسك .

كان يبكي في مرارة وهو يقول ذلك لأنه كان يحب الملكة حبا عميقا .

ولقد تأثرت الملكة طبعا لأنها كانت تعلم مدى شقاء الملك ومصيبتها لو اضطر حقا لأن يقطع رأسها .

ولكن حدث ما طمأن خاطريهما معا ، لأن سبتمبر كانت آخر بناتهما ، فبعدها انجبت الملكة ذكورا أطلقت عليهم أسماء الحروف الهجائية ، ولم يحدث ما يكدر صفو الملك لأنهم لم يصلوا سوى الى الحرف ج .

كان لتغيير الأسماء وتبديلها أثر في نفسيات بنات الملك وخاصة الكبيرات منهن اللائي تغيرت أسماؤهن عدة مرات . أما سبتمبر فقد كان من طبيعتها الصفاء والعذوبة لأنها لم يطلق عليها منذ نعومة أظفارها سوى ذلك الاسم فحسب .

وكان للملك عادة مستحبة ، فبدلا من أن يتقبل الهدايا يوم عيد ميلاده ، كان هو الذي يقدمها في هذه المناسبة ، وكان ذلك من دواعي سروره ، ولطالما أبدى أسفه لوقوع عيد ميلاده مرة واحدة في السنة ، لأنه كان يود أن يتخلص من هدايا كثيرة لديه هو في غنى عنها .

وفي احدى السنوات أهدى كل بنت من بناته بمناسبة عيد ميلاده ببغاء جميلا أخضر اللون داخل قفص لطيف من الذهب . كان هناك تسعة أقفاص كتب على كل منها اسم الشهر الذي تسمى به كل أميرة من الأميرات .

أعجبت الفتيات بببغاواتهن وكن يقضين معها مساء كل يوم يلقنّها الكلام حتى أمكن لكل ببغاء بعد وقت قصير أن يهتف بحياة الملك وينشد نشيده .

ولكن .. حدث صباح ذات يوم أن ذهبت الأميرة سبتمبر لتحيتي ببغاءها فوجدته ملقى في قاع القفص الذهبي وقد فارق الحياة ، فأطلقت العنان لدموعها ولم تجد كلمات وصيفات الشرف



في مواساتها . ولما تسقط في أيديهن أخبرن الملكة بما حدث .

فقالت الملكة : هذه حماقة من الأميرة ، وانه لمن الأوفق أن تذهب الفتاة الى مخدعها دون تناول العشاء .

وكانت الوصيفات مدعوات الى احدى الحفلات فأسرعن بوضع الأميرة سبتمبر في فراشها وتركنها وحيدة .

وبينما هي مستلقية على الفراش ودموعها ما تزال تسيح على خديها ، والجوع يعضها بنابه ، اذا بها ترى طائرا صغيرا يثب الى حجرتها ، فاعتدلت جالسة ، وحينئذ بدأ الطائر الصغير ينشد أغنية حلوة تتحدث عن البحيرة وحديقة الملك وأشجار الصفصاف التي تتأمل صورتها في مياه البحيرة

الساكنة واسماك المرجان التي تنزلق بين صور الأغصان المعكوسة على صفحة الماء .

وما أن انتهى الطائر من اغنيته حتى كانت الأميرة قد كفت عن البكاء ونسيت انها لم تكن قد تناولت طعام عشائها بعد .

وقالت : لقد كانت هذه الأغنية جميلة .

فأحنى الطائر الصغير هامته وقال – هل ترضين استبدالي ببغائك ؟ فأنا وان كنت أقل منه جمالا الا أن صوتي أكثر اطرابا من صوته .

فصفقت الأميرة سبتمبر بيدُيها فرحا ، وحينئذ وثب الطائر الى طرف فراشها وجعل ينشد لها حتى اغفت ونامت .

استيقظت سبتمبر فى اليوم التالى ، وكان الطائـــر مـــا زال ملازمـا مكانــه ، ومـا أن فتحت عينيهـــا حتـى تمنـى لهـــا صباحـــا طيبا . ولمـا أحضرت الوصيفات طعام فطورهـا أطعمته الارز فى يديها ، ثم بدأ يغني لها غناء ساحرا ادهش الوصيفات اللاتى لم يسبق لهن أن استمعن الى مثل صوته الرخيم . وعاود الأميرة سرورها وبشرها فقالت :

– والآن .. أود أن اقدمك الى اخواتي .

ومدت ابهامها الأيمن فطار وحط عليه ، ثم سارت تتبعها وصيفاتها لتعرفه باخواتها الأميرات ، وأنشد الطائر لكل أميرة منهن لحنا مختلفا من الحانه البديعة ، بينما كانت الببغاوات لا تحفظ سوى نشيد الملك والهتاف له . وأخيرا قدمته الى الملك والملكة فغمرتهما الدهشـــة وعمهما السرور الدافق .

وقال الملك : ان غناء هذا الطائر الجميل الطف كثيرا من اناشيد الببغاوات .

وكان من الطبيعي أن يستبد الغيظ بالأميرات بعد أن بدت لهن كآبة ببغاواتهن بجانب طائر أختهن الصغيرة التي كانت تنتقل فى حجرات القصر وهي تغنى كالقنبرة وطائرها الصغير يحوم حولها ويطارحها الغناء وكأنه البلبل الصداح ، بل لعله كن بلبلا حقيقيا .

وسارت الأمور عدة أيام على هذا المنوال ، الى أن اجتمعت الاميرات الثماني يوما ما .

ذهبن الى سبتمبر وجلسن فى دائرة حولها وقلن :

– لكم نأسف يا عزيزتنا سبتمبر لموت ببغائك الجميل ، ولعله يؤلمك الا يكون لك طائر مدلل مثلنا ، ولهذا جمعنا نقودنا وسنشترى لك ببغاء افعل ببغاء أخضر اللون يشوبه الاصفرار .

فقالت سبتمبر – أشكركن ، ولكني املك طائرا مدللا ينشد لي أرق الأناشيد ، ولا أدرى ماذا أفعل ببغاء أخضر اللون يشوبه الاصفرار .

ولكنهن قلن – حســنا يا عزيزتنا ، ولكن من العبث أن تتحدثي عن طائرك بينما هو بعيد عنك يطير كما يهوى داخلا أو خارجا . أتسمحين لنا أن نسألك عن المكان الموجود فيه طائرك الآن ؟ .

فقالت سبتمبر : لقد ذهب لزيارة خاصة .

فسألتها : وما الذى يضمن عودته ؟ .

فقالت سبتمبر : انه يعود دائما .

فقلن : حسنا يا عزيزتنا ، اذا اردت منا نصيحة خالصة فلا تستهدفى الى مثل هذه المخاطر ، فاذا ما حالفك الحظ وعاد كما تقولين ، ادفعى به الى القفص ، فهذه الوسيلة الوحيدة التي تمكنك من الاحتفاظ به .

فقالت سبتمبر : ولكنى أحب رؤيته وهو يحوم طائرا فى الغرفة فقلن وهن ينذرنها بالشر المستطير : الامن قبل كل شيء .

ثم قمن وغادرن الغـرفة وهن يهززن رءوسهن أسفا وتركن سبتمبر فى قلق شديد .

وبدا لها أن الوقت قد طال منذ أن بعد عنها طائرها ، ولم تدر ما الذى كان يفعله حينئذ ، وانتابتها الهواجس .. لربما وقـع له حـادث ، فالطريق مملوء بالصقور الجارحة، وشباك الرجال القاسية ، او لعله قد نسيها واضفى صداقته على شخص آخر .. يا لشقاوتها اذن .. لكم ودت أن يعود سريعا فى أمان لتحبسه فى ذلك القفص الذهبى الذى خلا بعد موت ببغائها .

وفجأة سمعت سبتمبر همسا خلف اذنها واذا بها ترى الطائر الصغير جالسا على كتفها .. جاء فى خفة ورشاقة حتى أنها لم تشعر به .

وقالت : كنت أتساءل عما حدث لك .

فقال الطائر : أعرف أنك كنت ستتساءلين ، والحقيقة أني كدت الا أعود هذا المساء اذ كنت مدعوا فى حفل مع زملائي الذين الحوا عليّ فى البقاء معهم لولا أني أدركت انشغالك علي .

كان سيىء الحظ اذ افضى اليها بهذه العبارة فى مثل تلك الظروف ، فقد أحست سبتمبر برعشة

الخوف تسرى الى قلبها ، وعزمت على الا تستهدف ثانية لمثل ذلك الخطر ، فامسكت بالطائر كعادتها ، الشك في أي شيء ، ولكن سرعان ما عرته الدهشة وكان يسعده أن يشعر بدفء يدهافلم يساوره حين راها تذهب به الى القفص وتدفعه الى الداخل ثم تغلق الباب عليه ، فوقف جامدا لا يدرى ماذا يقول ، الى أن مرت لحظات امكنه بعدها أن يسألها .

– أفي الأمر دعابة ؟ .

قالت : كلا .. ولكن بعض قطط والدتي تحوم حول المكان واعتقد انك اكثر امنا هنا .

فقال في حزن : لا ادرى لماذا تحتفظ الملكة بكل هذه القطط .

فقالت الأميرة : انها قطط ملكية خاصة ذات عيون زرق وعقد في ذيولها .

فقال الطائر حسنا .. ولكن حبستني في هذا القفص دون سابق انذار ، ان هذا المكان لا يلائمني .

فقالت : لن يغمض لي جفن طيلة الليل اذا لم اطمئن على سلامتك .

فقال : حسنا .. اوافقك هذه المرة فقط ما دمت ستطلقين سراحي في الصباح .

وتناول عشاء شهيا ، ثم بدا يغني . ولكنه توقف في منتصف أغنيته .

وقال : لا ادرى ما الذى حل بي ، فلم اعد اشعر بالرغبة في الغناء هذا المساء .

فقالت سبتمبر : حسنا .. فلتنم اذن .

-فوضع رأسه تحت جناحه ثم استغرق في النوم ، كما أطبق النوم جفون سبتمبر بدورها .

ولكن ما أن شقشق الفجر حتى استيقظت على صوت الطائر الصغير وهو يصيح بأعلى صوته : –

– استيقظي .. استيقظي .. وافتحي هذا القفص ودعيني اخرج ، اني أود أن احوم في الفضاء والندى ما يزال يلامس الأرض .

فقالت سبتمبر : انك أحسن حالا حيث انت ، فلك قفص جميل من الذهب عكف على صنعه أمهر صانع في مملكة والدي وقطع رأسه حتى لا يعاود صنع مثيله ..

فقال الطائر الصغير – دعيني أخرج .. دعيني أخرج ..

فقالت : ستتناول ثلاث وجبات كل يوم وسيقوم على خدمتك وصيفات الشرف ، ولن تتبرم بشيء منذ الصباح حتى المساء ، ويمكنك أن تغنى طربا للسعادة التي يحسها فؤادك .

فقال الطائر الصغير : دعيني أخرج .. دعيني أخرج .

وحاول أن يفلت من بين القضبان ولكنه لم يفلح ، فجعل يضرب الباب دون جدوى . وحينئذ جاءت الاميرات الثماني وتطلعن اليه في قفصه . ثم اثنين على سبتمبر لاستجابتها لنصيحتهن ، وقلن انه سريعا ما سيعتاد البقاء في القفص وسينسى تماما انه كان حرا طليقا يوما ما .

لم يتفوه الطائر الصغير بشيء في وجودهن ولكنهن ما أن غادرن المكان حتى عاد يصيح : – دعيني أخرج .. دعيني أخرج .

فقالت سبتمبر : لا تكن غبيا .. اني ما وضعتك الا لفرط حبي لك ، وانا أدرىمنك بما فيه صالحك .. هيا انشد لي أغنية وانا اكافئك بقطعة من السكر .

ولكن الطائر الصغير وقف في ركن قفصه يتطلع الى السماء الزرقاء ولم يرسل نغمة واحدة .. وبقي طيلة النهار وهو على حاله تلك .

فقالت سبتمبر : ما جدوى تجهمك وعبوسك ؟ لماذا لا تغني وتنسى متاعبك ؟ .

فقال الطائر : كيف أغني ؟! انا اود أن أحلق وأرى الأشجار والبحيرة والارز الأخضر الذى يملا ارجاء المزارع .

فقالت سبتمبر : اذا كان هذا هو ما تريده فاني سأخرج بك لنتنزه معا . ورفعت القفص وخرجت، وسارت نحو البحيرة حيثتنمو اشجار الصفصاف، ووقفت على حافة مزارع الارز الممتدة على مدى النظر . وقالت سنخرج معا يوميا . اني أحبك وأرجو سعادتك .

فقال الطائر الصغير : ان مزارع الارز والبحيرة وأشجار الصفصاف تبدو مختلفة حين يراها المرء من وراء القضبان .

واعادته الى القصر ثانية وقدمت له عشاءه ، ولكنه صد عنه ، فتألمت الأميرة لذلك ، وشاورت شقيقاتها في الأمر .



فقلن يجب أن تكوني حازمة .

فاجابتهن ولكنه اذا امتنع عن الأكل فسيموت.

فقلن : سيكون هذا عقوقا منه .. يجب أن يعلم انك انما تعملين لصالحه ، فاذا كان عنيدا وادركه الموت فسيكون ذلك خير جــزاء له ، وهكذا تتخلصين منه .

ولم تر سبتمبر كيف يصح هذا التصرف . ولكنهن كن ثماني يكبرنها سنا وهي واحدة . فلم تنبس ببنت شفة .

وحدثت نفسها : لعله اذا ما أتى الغد يكون قد اعتاد البقاء في القفص .

ولما استيقظت في اليوم التالي صاحت في صوت مرح :

« طاب صباحك » .

ولكنها لم تتلق جوابا ، فقفزت من فراشـها وأسرعت نحو القفص ، ثم ندت عنها صرخة مفاجئة اذ كان الطائر الصــغير قابعا في القاع ، مغلق العينين ، تبدو عليه سمات الموت . ففتحت الباب ورفعته بيدها ، وطفرت الدموع من عينيها حين أحست خفقات قلبه الصغير بين يديها .

فقالت : استيقظ .. اســتيقظ يا طائرى الصغير .

وتساقطت دموعها عليه ، ففتح عينيه وشعر بأن قضبان القفص لم تعد تحيط به ، فقال :

لا يمكنني الغناء الا اذا كنت حــرا طليقا ، واعتقدى ان الموت سـيلحقني او لم اثابر على الغنـاء .

وكانت الأميرة تبكي ، فقالت :

ـ اذن فقد وهبتك حريتك .. لقد حبستك في قفص ذهبي لأني أحبك وكنت اريدك لتغني فقط ، ولكني لم أكن أدرى أن في ذلك هلاكك . هيا اذهب ، حوم طائرا بين الأشجار المحيطــة بالبحيرة وفوق مزارع الارز الخضراء .. اني أحبك حبا يدفعني لأن اوفر لك السعادة على طريقتك انت .

وفتحت النافذة ، ووضعته على حافتها ، فنفض عن نفسه الكسل . وقالت له : ادخل واخرج كما تهوى وكما تشاء يا طائرى الصغير فلن اعيدك الى القفص أبدا .

فقال الطائر ـ سأعود لأني أحبك يا أميرتي الصغيرة ، وسأنشد لك أحلى الأناشيد التي اعرفها ، سأذهب بعيدا ولكني سأعود دائما .. ولن انساك أبدا .. ثم نشر جناحيه وارتفع نحو القبة الزرقاء . وحينئذ كانت دموع الأميرة تهطل غزيرة ، فمن اشق الأمــور على النفس أن تقدم سعادة من تحب على سعادتك ، واستوحشت المكان بعد أن غادرها طائرها الصغير .

ولما عرفت شقيقاتها بالأمر سخرن منها وقلن ان الطائر الصغير لن يعود أبدا .. ولكنه عاد اخيرا وجلس عــلى كتف سبتمبر ، وتناول الارز مــن يديها ، وانشد لها أعذب الالحان التي حفظها حين كان يحلق فوق المناظر الفاتنة في رحلاته المتعددة .

وتركت سبتمبر نافذتها مفتوحة طيلة الليل والنهار ليدخل الطائر الصغير الى حجرتها وقتما يشاء ، فاستفادت من ذلك كل الفائدة ، وازدهر جمالها حتى اذا ما أصبحت في سن الزواج زفت الى ملك كمبوديا وحملت اليه على ظهر فيــل أبيض .

بينما كانت شقيقاتها بثمن ونوافذهن مغلقة فغدون قبيحات كئيبات ، ولما حان الوقت الملائم تزوجن من مــستشارى الملك وقد اهدت كل منهن الى زوجها رطلا من الشاى وقطة سيامية . ■■

ترجمة : حسن فتحي خليل

طرائف

● قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه : مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب ، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل الثمرة طعمها طيب ولا ريح لها . ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها وطعمها مر، ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن مثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها .

يعلم

● جاء اعرابي من الحمقى الى صيرفي بدرهم ، فقال له الصيرفي هذا ستوق . فقال الاعرابي : وما هو الستوق بابي انت ؟ قال : درهم مزيف داخله نحاس وخارجه فضة . فقال

طلب العلم

● روى ان ابراهيم المهدى دخل على المأمون وعنده جماعة من العلماء يتناقشون فى مسائل العلم والكلام . فقال المأمون : يا مهدى ، هل لك معرفة بما يقول هؤلاء ؟ فقال المهدى : يا امير المؤمنين شغلونا فى الصغر ، واشتغلنا فى الكبر . فقال المأمون : لم لا تتعلم اليوم ؟ فقال : أويحسن بمثلي طلب العلم ؟ فقال المأمون : نعم . والله لأن تموت طالبا للعلم ، خير من أن تعيش قانعا بالجهل . فقال المهدى : والى متى يحسن بي طلب العلم . قال : ما دامت بك الحياة .

ابدأ بنفسك

● جاء رجل الى ابن عباس وقال يا ابن عباس اني اريد ان آمر بالمعروف وانهى عن المنكر . قال : وبلغت ذلك ؟ قال : ارجو ذلك . قال ان لم تخش ان تفتضح بثلاث آيات من كتاب الله فافعل . قال : وما هن ؟ قال: قوله تعالى: « اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم » ، احكمت هذه الآية ؟ قال : لا . اما الآية الثانية : فقوله :« لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا مالا تفعلون » ، احكمت هذه الآية ؟ قال: لا . قال فالآية الثالثة قول العبد الصالح شعيب عليه السلام : « وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه » ، احكمت هذه الآية ؟ قال : لا . قال: فابدأ بنفسك .

عربية

الغيب

الأعرابي : ليس كذلك . ثم قال : اكسره ، فان كان كذلك فانا منه بريء ؟ فاخذه الصيرفي وكسره فلما راى النحاس قال : بابي انت متى اموت ؟ فانا اشهد انك تعلم الغيب !

● جاء احد الأعراب الى المسجد والامام يخطب فقال لبعض القوم : ما يقول هذا ؟ فقالوا : يدعو الناس الى الطعام قال : فما يقول صاحب المنبر ؟ قالوا : يقول ما يَرضى الأعراب ان ياكلوا حتى يحملوا معهم .

فتخطى الأعرابي رقاب الناس حتى دنا من الامام ، وقال يا هذا ان الذين يفعلون ما تقول سفهاؤنا .

يثقب اللؤلؤ

● كان بشار بن برد احد الشعراء المشهورين في الدولة العباسية ، وكان اعمى ، وروى انه دخل على المهدي العباسي ذات يوم وعنده يزيد بن منصور الحميرى ، فانشده قصيدة يمدح بها الخليفة ، فلما اتمها قال له يزيد : ما صناعتك ايها الشيخ ؟ فقال له بشار : اثقب اللؤلؤ . فقال له المهدى : اتهزا بخالي ؟ قال : يا امير المؤمنين ما يكون جوابي له ؟ هو يراني شيخا اعمى ينشد الشعر . فضحك المهدى واجازه .

ابن الدهر

● قال اياس بن معاوية : خرجت فى سفر ومعي رجل من الأعراب ، فلما كنا ببعض المناهل لقيه ابن عم له فتعانقا وتعاتبا ، والى جانبهما شيخ من الحي ؛ فقال لهما الشيخ : انعما عيشا ، ان المعاتبة تبعث التجنى ، والتجنى يبعث المخاصمة ، والمخاصمة تبعث العداوة ، ولا خير فى شيء ثمرته العداوة .

فقلت للشيخ من انت ؟ قال : انا ابن تجربة الدهر ، ومن بلى تلونه . فقلت له : ما افادك الدهر ؟ قال : العلم به . قلت : فماذا رايت احمد ؟ **قال** : ان يبقى المرء احدوثة حسنة بعده .



أنت تسأل .. ونحن نجيب

٦ انتصارات عربية داخلية تحققت في العامين الماضيين

● في كل مرة اقرأ فيها الصحف ، او استمع الى الاذاعات اشعر بالاسى لحالتنا نحن العرب .. معارك ومشاكل جانبية تلهينا عن معركتنا المصيرية .. حتى اصبحت ارى كل شيء بمنظار اسود .. حاضري ومستقبلي ، وحتى ماضي المجيد .. فهل اجد عندكم قبسا من النور يبدد لي هذه الظلمات ؟

خالد سلامه / جونية ــ لبنان

ــ الواقع ايها القارىء الكريم ان خطابك فيه الشيء الكثير من الصحة .. ولكن ليس كل الصحة .. ونظرتك الى الامور بمنظار اسود لا تفيد كثيرا ، فقد حجبت عنك هذه النظارات الكثير من المكاسب التي حققها العرب خلال السنتين الماضيتين ..

وقد تتساءل بلهفة : بربكم اين هذه المكاسب ؟

ونجيبك .. ان مساحة وطننا العربي الكبير تقدر بنحو ١٠ مليون كيلو متر مربع .. وعلى هذه الرقعة الفسيحة انتهت بعض مشاكلنا الداخلية المعقدة ، التي كانت تستنزف الكثير من الجهد العربي ..

ففي اليمن مثلا توقفت المعارك الضارية بعد حرب استمرت ٨ سنوات .. وفي شمال العراق توقف القتال مع الاكراد بعد معارك ظلت محتدمة ١٠ سنوات .. وفي البحرين اعلن استقلال البلاد وتوقفت المطالبة الايرانية بها ..

طائرات التجسس الألكترونية



● قرأت في الصحف أخيرا عن طائرات الاستطلاع الالكترونية التي تطير بلا طيارين والتي منحتها امريكا لاسرائيل فما هي هذه الطائرات وكيف تطير بلا طيار ؟!

س. م. ــ اللاذقية

ــ هنالك عدة انواع من طائرات التجسس الأمريكية التي تطير بواسطة أجهزة تحكم الكترونية تعمل من قواعد أرضية ومن هذه الأنواع المختلفة





العلم الاسباني ينزل لآخر مرة من فوق سارية قصر الحاكم الاسباني
افنى ، ليرتفع مكانه العلم المغربي .. وذلك في يوم ٣٠ يونيو ١٩٦٩

واذا انتقلنا للمغرب العربي ، وجدنا ثلاثة انتصارات رائعة تحققت هناك ، اولها : حل المشكل المعقد بين المغرب وموريتانيا ، وبدء التعاون بين البلدين الشقيقين في مختلف المجالات ، بعد قطيعة استمرت حوالي عشرة اعوام ..

والانتصار الثاني هو عودة مقاطعة افنى الى وطنها الام : المغرب ، بعد حكم عسكرى اسباني لها دام ٣٥ عاما ..

والانتصار الثالث : فض مشكل الحدود الجزائرية المغربية ، ذلك المشكل الذى قامت عليه معارك حربية طاحنة بين البلدين الشقيقين ..

وبعد ايها القارىء العزيز ، الست معنا في انا حققنا بعض الانتصارات في علاقاتنا الداخلية ؟ .. حقيقة انها امور لا تظهر كبيرة في العلاقات الدولية ، ولكنها مكاسب محلية ضخمة انهت معارك فرعية مؤلمة .. انها خطوات في سبيل تعبئة كل الجهد العربي لصالح معركتنا الرئيسية المصرية مع العدو الصهيوني ..

س . ز

يوجد نوع يسمى (١ ـ ٦ ب) يعتقد أنه هو النوع الذى زودت به أمريكا اسرائيل ، وتقول « موسوعة جين للطائرات » ، وهى تعتبر مرجعا موثوقا به بالنسبة لصناعة الطائرات ، عن هذا النوع من الطائرات .

« يتميز هذا النوع بمقدرته الهجومية المحدودة ، الى جانب أن هذه الطائرات مجهزة أساسا للعمل على تعطيل النشاط الالكترونى للعدو والتشويش على أجهزة الاتصال والرادار التابعة له ، كما يمكن للاجهزة الالكترونية الموجودة في الطائرة الحصول على معلومات الكترونية تكتيكية . كما تحمل هذه الطائرات أكثر من ٣٠ نوعا مختلفا من الهوائيات لاكتشاف وتحديد وتصنيف وتسجيل اجهزة العدو الالكترونية والرادارات والتشويش عليها .

وتوجد اجهزة الملاحة في هذه الطائرات في أماكن خفية . وهى قادرة على تحمل كميات اضافية من خزانات الوقود للزيادة من مداها » .

وقد بدأ صنع هذه الطائرات في عام ١٩٦٣ لحساب البحرية الأمريكية ، وقد بدأ سر هذه الطائرات ينتشر بعد أن قامت الصين الشعبية باسقاط أول طائرة من هذا النوع في أواخر الستينيات من هذا القرن .

(م . ط)

التصوف: من هو الصوفي الحق .. ؟

● ما الاصل اللغوى للفظة التصوف ؟!

حسن محجوب المؤمني ـ الاردن

ـ اذا كانت كلمة « سوفيا » اليونانية يراد بها الحكمة ، فان التصوف في الاسلام قد يكون فيه بعض هذا المعنى المراد .

فالحكمة في اللغة العربية هي الكلام الموافق للحق والعدل والعلم والحلم وصواب الأمر وسداده .

والتصوف الحق هو معرفة الدين ، وسعة العلم بشئونه ، والعمل بأوامره واجتناب نواهيه . وعبادة الله تعالى لاستحقاقه العبادة ، ولمحبته والاتصال به ، من غير طمع في الجنة ولا خوف من النار . وهذا منتهى الحكمة التي يقول الله عنها « يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا » .

وفي صلة كلمة الصوفية باللغة اقوال :

١ ـ انها مشتقة من الصفاء ، ذلك أنهم صفّوا قلوبهم من الشوائب ، وتفرغوا عن الدنيا ، وصَفَت معاملتهم مع الله . وهذا القول يخالفه التصريف اللغوى .

فلو كانت كذلك لقيل فيهم : الصَّفَوِيّة .

٢ ـ انها نسبة الى اهل الصُّفّة الذين جاء ذكرهم في الحديث .

« كانوا اضياف الاسلام من فقراء المهاجرين ، ومن لم يكن له منهم منزل يسكنه ، فكانوا يبيتون في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم في الصُّفّة ، وهي موضع مُظلل من المسجد .

وبدلا من أن يقال فيهم الصُّفّيّة قيل : الصُّوفية ، بقلب احدى الفاءين واوا للتخفيف ، كما قال ذلك الزمخشرى في أساس البلاغة .

٣ ـ انها نسبة الى الصوف ، والصوف كان لباس العُبّاد وأهل الصوامع . ولكنه ليس كالصوف الذى نعرفه اليوم جودةً غزلٍ ورقة نسيج . فصوفهم كان خشنا لا رفاهية فيه .

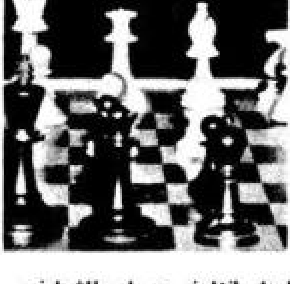
٤ ـ انها نسبة الى آل صُوفَة . وآل صوفة من قبائل العرب كان يجيزون الحاج من عرفات اى يُفيضون بهم .

ويقال آل صُوفان وآل صَفْوان ، وكانوا يَخدمون الكعبة . ويتنسكون ، ولعل الصُّوفية نسبوا اليهم تشبيها بهم في النسك والتعبّد كما يقول الزمخشرى ايضا .

وعلى اى حال فان الصوفي الحقّ لا يكون عالة على غيره ، ولا ينتظر الصدقات تقدم اليه . فالانقطاع عن الدنيا لا يكون عن عدم وفقدان ، وانما يكون عن وجود واستغناء .

(ع . ف)

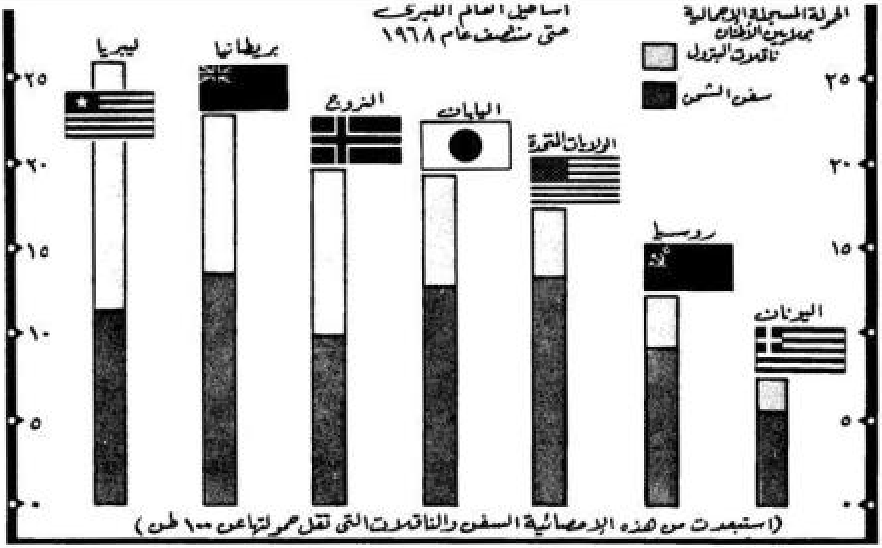
لسنا خير من يلعب الشطرنج !



● ما من شك ان العرب هم خير من يلعب الشطرنج ، ويخيل لي انه لو اقيمت مباراة عالمية في هذه اللعبة لكنا في المقدمة .. فما رأيكم ؟

احمد الرملاوى ـ حمص

ـ لا نعرف كيف تسنى لك ان تحكم هذا الحكم القاطع على اننا خير من يلعب الشطرنج .. اما عن المباريات العالمية التى تقترحها ، فهناك فعلا مباراة عالمية بدأت تقام منذ عام ١٨٩٤ وكان لاعبو المانيا وكوبا وفرنسا وهولندا يفوزون بالصدارة في كل مرة ، حتى كان عام ١٩٥٧ ومن سنتها ولاعبو الاتحاد السوفيتي يفوزون بالمركز الاول بصفة مستمرة . (س . ز)



أسطول ليبريا .. أسطول أسطورى ؟

● أرجو أن تحيطونا علمـا من الأسطول التجارى الليبيرى ؟

سامى محمود ـ طرابلس

لا نذيع سرا اذا قلنا ان ليبريا ، الدولة الافريقية المعروفة ، لا تملك اسطولا تجاريا كبيرا ولا صغيرا . هذا بالرغم من كثرة البواخر التى تحمل علم ليبريا . فقد بلغت حمولة هذه البواخر الليبرية ، ظاهرا ، اكثر من ٢٥ مليون طن ، أى حوالي ضعفى حمولة البواخر السوفياتية ، ونحو ثلاثة اضعاف حمولة بواخر اليونان ، وهي الدولة التى طالما اشتهرت في ركوب البحار .

وتفسير هذا الوضع الغريب هو في أن البواخر التى تحمل العلم الليبيرى ليست ملك ليبريا وانما هى مسجلة لديها ، فبعض اصحاب البواخر يؤثرون تسجيل بواخرهم لدى ليبريا على تسجيلها لدى الدولة التى ينتمون اليها . وسبب ذلك هو أن الرسوم والضرائب التى تستوفيها ليبريا على البواخر المسجلة لديها اقل كثيرا عن تلك التى تتقاضاها اكثر الدول الاخرى . يستثنى من ذلك بناما وقد حرصت على اللحاق بليبريا في المدة الاخيرة .

(ى . ز)

ناطحات السحاب غير الأمريكية

● كثر الحديث عن ناطحات السحاب في نيويورك بحيث ظن أكثر الناس أن هذه المباني الضخمة العملاقة وقف على الولايات المتحدة الامريكية .. ترى الا يوجد خارج هذه البلاد ، في أوربا أو آسيا أو غيرهما آية ناطحاب سحاب ..

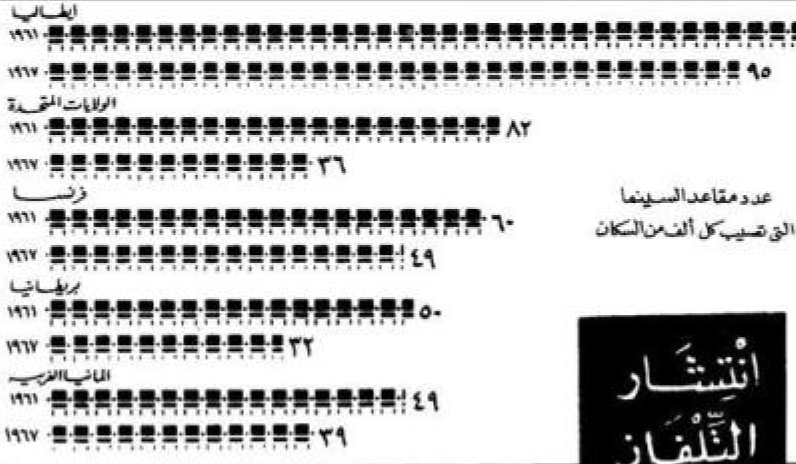
شكرى فرج ـ القاهرة

ـ ناطحات السحاب ليست وقفا على الولايات المتحدة الامريكية . واليك فيما يلي تفصيلا ببعض هذه الناطحات غير الامريكية ، وبارتفاعها وعدد الأدوار فيها :

١ ـ مبنى جاسبر ليبترو	ساو باولو (البرازيل)	٧٨٧ قدما	٨٠ دورا
٢ ـ مبنى جامعة ميخائيل لومونوزوف	موسـكو	٧٨٧ قدما	٣٩ دورا
٣ ـ مبنى العلم والحضارة	وارسو (بولونيا)	٧٥٦ قدما	٣٣ دورا
٤ ـ برج بورصة فكتوريا	منتريال (كندا)	٦٢٤ قدما	٤٧ دورا

وتجدر الاشارة هنا الى بناية الامبير ستيت Empire Stete في نيويورك ، أعلى واضخم مباني العالم جميعا ، وقد بلغ ارتفاعها (١٤٧٢) قدما وعدد ادوارها ١٠٢ دورا .

(ى . ز)



انتشار التلفاز حد من الاقبال على السينما

● ترى اي الشعوب اكثر اهتماما بالسينما واكثر اقبالا على مشاهدتها؟!

سلامة احمد ــ المغرب

ــ تحتل ايطاليا مكان الصدارة بين دول العالم من حيث كثرة دور السينما فيها او بعبارة ادق ، من حيث كثرة المقاعد في تلك الدور بالنسبة الى عدد السكان .

فقد بلغ ما يصيب الالف نسمة من سكان ايطاليا ٩٥ مقعدا من مقاعد دور السينما . وتتجلى لك ضخامة هذا العدد اذا علمت ان نظيره يبلغ في الولايات المتحدة ٣٦ مقعدا وفي المانيا ٣٦ معقدا .

ونعطيك فيما يلي رسما (١) لطيفا يوضح لك ما ذكرنا ويبين ايضا ما كان عليه عدد مقاعد السينما في الدول الخمس في سنة ١٩٦١ . اي ان هذا الرسم يمكنك من تكوين فكرة واضحة عما تعرضت له دور السينما من تقلص خلال فترة السبع سنوات (١٩٦١ ــ ١٩٦٧) .

وغني عن البيان ان ظهور التلفاز او انتشاره في الفترة المذكورة كان العامل الاساسي في التقلص الذي اشرنا عليه .

(ى . ز)

سرعة الأبناء أكثر من سرعة الآباء !

● عصر السرعة الذي نعيشه يوحي لنا بالكثير .. ترى هل كان اباؤنا اسرع منا ركضا ، ام نحن اسرع ؟

منير ابراهيم ــ لبنان

ــ سؤالك محير بعض الشيء .. ولكن استنادا الى ارقام المباريات الاولمبية العالمية ، نجد انه منذ ١٠٦ أعوام ــ اى في عام ١٨٦٤ ــ قطع بطل العالم مسافة الميل الواحد في ٤ دقائق و ٥٦ ثانية ، في حين ان بطل العالم عام ١٩٦٨ قطع نفس المسافة في ٣ دقائق و ٥١ ثانية !

وفي السباحة نجد الفارق كبيرا ، ففي عام ١٩٠٤ سبح بطل العالم مسافة ١٠٠ ياردة في دقيقة و ١٧ ثانية ، في حين ان بطل العالم عام ١٩٦٨ سبح نفس المسافة في ٥٨٫٧ ثانية فقط .

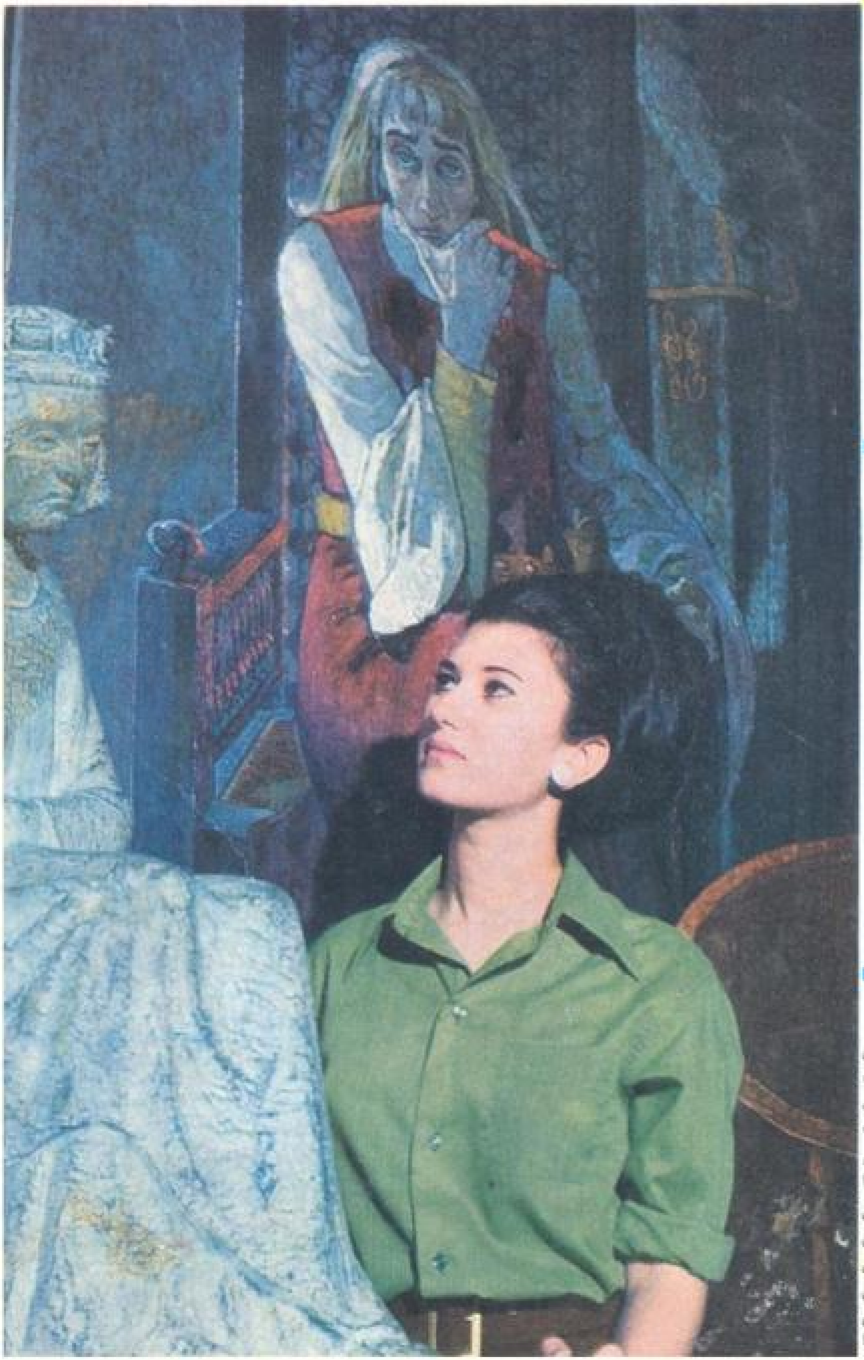
اما الجرى لمسافة ٣٠٠٠ متر ، فقد قطعها بطل عام ١٩٢٠ في ١٠ دقائق وثانيتين ، في حين قطعها بطل العالم لعام ١٩٦٨ في ٨ دقائق و ٥١ ثانية فقط ..

وقد فهمنا من سؤالك ان السرعة التي تريدها هي سرعة الاجسام والاعضاء ، اما ان كنت قصدت السرعة في الحضارة وفي العلم وفي شتى امور الحياة ، فالجواب واحد . الانسان اليوم اسرع من آبائه ، واسرع كثيرا .

(س . ز)

العربي

العدد ١٤١
شعبان ١٣٩٠
اكتوبر
تشرين الاول) ١٩٧٠



اطلب

العربي الصغير

مع هذا العدد

جوائز

١٣٠٠

دينار سنويا

وجه من المنصورة
ووقفة امام التاريخ

الثمن

الكويت	١١٠	فلوس
الخليج العربي	٢	ريال ق
السعودية	٢	ريال
البحرين	٢٠٠	فلس ب
اليمن	٣٫٥	شلن
العراق	١٢٠	فلسا
لبنان	١٠٠	قرش
الاردن	١٠٠	فلس
سورية	١٠٠	قرش
ج.ع.م.	١٠	قروش
السودان	١٠	قروش
ليبيا	١٥	قرشا



حضارات سادت .. ثم بادت

● أحد مصانع الطوب في مصر القديمة (١٥٠٠ – ١٢٠٠ ق.م) أما العمال فكانوا في الغالب من أسرى الحروب .. والذين تراهم في الصورة منهم ساميون ، ولعلهم من العبرانيين الذين كثيرا ما كلفهم ملوك الأسرة التاسعة عشرة بالعمل في صنع الطوب . وهم يقومون بأعمالهم بالقرب من معبد آمون في الكرنك .

(أنظر صفحة ١٢٢)

عندما تتشابه الطرق .. ويختلف سالكوها ..

عزيزي القارئ

● هل عرفت يوما كيف تتشابه الطرق على سالكها عندما تتقاطع ، فلا يدرى ايها يسلك . ثم هو يجمع كل ما يقوم فى نفسه من حجة ، وكل ما يخال من وصف محجة،واذا به آخر الامر يسلك احداها وهو يقول : على بركة الله اسلك هذا الطريق وحده ، فلا هذا ولا ذاك .

وقد يجمعك عند تقاطع هذه الطرق صاحب ، وصاحب ، وصاحب ، ويحاول كل ان يقرأ الاسماء ، فيجد ان الاسماء قد رفعت عن هذه الطرق ، فهى كلها نكرات امام كل سالك . وينتهى الامر بان يختار كل صاحب مسلكه .

وبعض يرجو ان يكون فيما اختار الهدى .

وبعض يؤكد ان طريقه هو وحده الذى فيه الهدى وفى غيره الضلال .

ويتفرق الاصحاب سبلاً شتى ، رجما بالغيب . فما فى السياسة الا الرجم ، وما فى الاجواء السياسية الا الضباب الكثيف ، تحاول العين ان تخترقه الى الرؤية الواضحة ، فاحيانا تخطىء ، واحيانا تصيب .

ولا عتاب فى شيء من هذا ولا ملامة .

ولكن العتاب فى ان يسلك كل طريقه الذى اختار وينسى ان يقول : « على بركة الله اسلك هذا الطريق » .

المحرر

الجزائر – اول سبتمبر ١٩٧٠

العربي

رئيس التحرير : الدكتور أحمد زكي

القسم العام :

دين :

فلسفة :

ادب ولغة :

استطلاعات مصورة :

طب وعلوم :

عروبة :

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الارشاد والانباء بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABY — No. 143 October 1970 P. O. B. 748 — KUWAIT

الاعـلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراسـلات : تكون باسم رئيس التحرير



صورة الغلاف

● طالبة في جامعة المنصورة ، ذهبت لترى صفحة من تاريخ بلادها في المتحف الذى اقيم بدار ابن لقمان .. انها تقف امام تمثال صغير صنعوه للملك لويس التاسع ، ملك فرنسا الذى هزمه شعب المنصورة على راس جيشه واخذوه اسيرا منذ اكثر من سبعة قرون من الزمان .. قصة اخرى من قصص انتصارات العرب خالدة .

.. (انظر استطلاع المنصورة من صفحة ٩٢) .

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربى ٢ ريال قطرى . البحرين ٢٠٠ فلس بحريني، العراق ١٢٠ فلسا . سوريا ١٠٠ قرش . لبنان ١٠٠ قرش الاردن ١٠٠ فلس . السعودية ٢ ريال . السودان ١٠ قروش . ج.ع.م ١٠ قروش . تونس والجزائر ٢٠٠ مليم . المغرب ٢ درهم . اليمن ٥ر٣ شلن . ليبيا ١٥ قرشا .

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت ـ ص.ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربي .



بريد القراء

(اطبعوا العربي ((بالملايين))!)

● سجلت مجلة العـربي رقما قياسيا فيماتطبعه من اعداد ، فقد بلغ رقم ما وزع من عددها السنوى الممتاز في شهر يناير من عام ١٩٧٠ ، ربع مليون نسخة ، ولو أن هذا الرقم لا يشكل سـوى نسبة ضئيلة من عدد قراء هذه المجلة ، اذ يبلـغ قراء العدد الواحد من العربي ، ما يزيد عـلى الخمسة اشخاص في المتوسط ، كما اننا نجد انما تطبعه العربي وتوزعه من اعدادها رغم كثرته ، ما يزال ضئيلا اذا قيس بعدد المثقفين الراغبين في قراءة هذه المجلة في الوطن العربي الكبير .. فكل عربي يريد ان يقرأ اليـوم ما يكتب في « العربي » عن قضاياه المصيرية . خاصة وان الاقلام التي تكتب في هذه المجلة اقلام امينـة لهاوزنها وقيمتها ..

فهل من سبيل لزيادة كمية ما يطبع من العربي .. نحن هنا فى بغداد نكاد نصاب بالجنون عندما نرى الايدى تتخاطف العربي ، فلا تلبث ان تنفدمن آيدى الباعة والمكتبات . اننا نريد أن نرى « ملايين » الاعداد من العربي في الاسواق ، ليتسنى لكل عربي مخلص أن يقراها مهما كلف الامر .

نورى بطرس
كلية الآداب ـ بغداد

★★★

(العربي يصل فى موعده)

● نشكركم على تحقيق رغبة قراء العربي في الجمهورية العربية المتحدة ، في وصـــول اعداد العربي في أول الشهر .. فلاول مرة منذ سنوات عديدة ، نجد العربي في اكشاك بيع الصحف في اليوم الاول من الشهر ، نرجو أن تكون العقبات التي كانت تحول بين العربي ووصوله في الوقت المناسب ، قد تم ازالتها .

توفيق با زرعة
الجيزة ـ ج٠ع٠م

فلسطين فى ضوء الحق

● في العدد ١٣٨ من العربي الصادر في مايو (أيار) ١٩٧٠ ـ صفر ١٣٩٠ ، بحث للدكتور محمود السمره عن كتاب (فلسطين في ضوء الحق والعدل) للاستاذ هنرى كتن الذى صدر باللغة الانجليزية ثم ترجم الى العربية . وقد خلا هذا البحث من الاشارة الى ان الذى ترجم هذا الكتاب هو الاستاذ وديع فلسطين ، وان الترجمة كانت بلغـة عربيـة فصيحـة مشرقة ، كما كانت امينة صادقة . كما خلا البحث من الاشارة الى ان الذى قدم للكتاب هو الاستاذ اكرم زعيتر ، صاحب المؤلفات والمحاضرات والمقالات عـن القضـيـة الفلسطينية منذ اربعين عاما .

هنرى كتن ـ بيروت

اكتبوا لنا عن الدكتور أحمد زكي



الدكتور احمد زكي

● تحية طيبة ملؤها الاعجاب والتقدير لما تبذلونه من مجهودات وطاقات جبارة ، ساعين بها الى النهوض بمستوى الفكر العربي ، وانارة الطريق الطويل امامنا .. لقد قرأنا لكم كل ما وقع في ايدينا من موضوعات ومقالات ثمينة هادفة ، ومن خلال ما قرأنا ، استطعنا ان نتعرف على شخصيتكم ، ولكننا نرجو منكم ان تزيدونا علما على علم حتى نزداد تعرفا بكم واقترابا منكم ،فكثيرا والله ما سئلنا ، وكثيرا ما نسأل ، ترى من هوالدكتور احمد زكي ؟

اكتبوا لنا عن رئيس تحرير « العربي » ، وعن حياته وعن مؤلفاته . ارجو ان تلبوا هذه الرغبة ، فهي صادرة عن احساس صادق نابع من القلب .

مصطفى رمضان محمد
طرابلس ــ ليبيا

★ ★ ★

● .. انني من المعجبين جدا بمجلة « العربي »واقضي الشهر بصبر فارغ انتظرها ، واتطلع الى بداية الشهر بشغف كبير كي اقتنيها ، فهي بالنسبة لي خير صديق وخير مثقف . ويهمني ويهم بقية القراء ان تقدموا لنا شيئا ولو قليلا عن حياة الدكتور احمد زكي لانه ينبغي ان نعرف شيئا عن هذا الرجل الذى هو على رأس من يزودوننا بالعلم والمعرفة والثقافة . ولكم منا كل شكر .

عادل حسين التميمي
بغداد ــ العراق

العربي : لم يَخْلُ بريد « العربي » منذ سنوات من رجاء ان تنشر « العربي » شيئا عن رئيس تحريره . وكنا نمد ولا نفي . وقد رأينا الآن ان نفي . ففي هذه الصفحة صورة لرئيس التحرير ، ويجد القارىء بالصفحة (١٣٣) نبذة قصيرة عن تاريخ حياته . ورئيس التحرير الآن في رحلة بشمال افريقيا .

(حكيم .. وحكيم !)

● قرأت في العدد ١٢٦ من العربي الصغير ،قصة عن حكيم الصين كونفوشس،وقد ظهر لي من سياق قراءتي لهذه القصة خطأ ، لا ادرى هل هوخطأ مطبعي أو انه خطأ جاء عن عدم فهم ، وهو ان تاريخ مولده في سنة ٥٥١ (ق.م) وتاريخ وفاته سنة ٤٧٩ (ق.م) فكيف كان ذلك ؟

انور مرقص يعقوب
كركوك ــ العراق

العربي : اذا انت ارخت قبل مولد السيد المسيح صغر عدد السنين كلما اقتربت من مولده، فاذا تخطيته زاد عدد السنين كلما بعدت .

تَقَطَّبَتِ الأَرْضُ ، فَدَارَتْ عَلَى قُطْبَيْنِ ،

وَتَقَطَّبَ أَهْلُ الأَرْضِ ، فَدَارُوا عَلَى قُطْبَيْنِ ،

بقلم رئيس التحرير

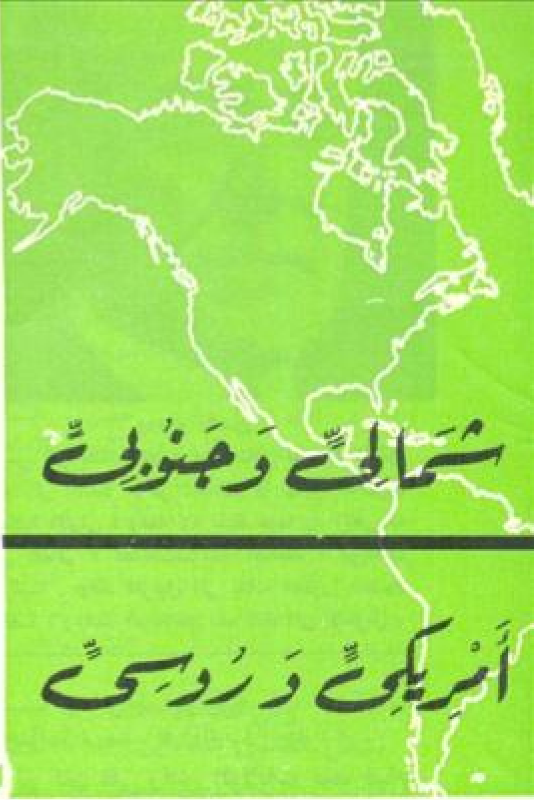
فى اوائل هذا القرن

■ والآن دعني يا قارئي أحملك الىأوائل هذا القرن الحاضر ، عندما كان مضى منه نحو عشر من السنين انك عندذاك طالب عربي ، لعلك فى بغداد فى العراق ، او فى القاهرة فى مصر ، او فىتونس او الجزائر ، واكثر مشغلتك الدرس ، ولكن احداث العالم ، واخبارالامم ، تفرض نفسها عليك فرضا .

قوتان اثنتان فى الارض عظيمتان

وانت تعلم اولا أن نصيب امتك عند ذاك ، وان نصيب الامم العربية عامة ، من الحرية ، ثم من الحياة ، نصيبقليل ضئيل . وتعلم ان الحكم فى اكثر بلاد العرب تتقاسمه امتان ، امة بريطانية وامة فرنسية .

قوتان فى اوروبا عظيمتان . وكانتا عظيمتين لابما سيطرتا عليه من اممعربية فحسب ، ولكن كذلك بما ضمتاه اليهما من امم اخرى . كانتا امبراطوريتين ، بريطانية لم تكن الشمس تغيب عن املاكها ، واخرى فرنسية رمت بشباكها قريبا ، وبعيدا حتى احتوت ذلكالجانب الكبير من آسيا الجنوبية الشرقية الذى اسموه بالهند الصينية .



شمالي وجنوبي

أمريكي وروسي

العملاقان

كيف تعملقا
وبأي وسيلة
وإلى أي غاية
وإلى أي مدى ؟

وقوة ثالثة تناهض ليكون لها مكان

وامة ثالثة ، هي الامة الايطالية ، لها مجد قديم عتيق معروف ، فكيف تبقى دون مستعمرة تكون لها ، فاغتالت على السنين اقرب الغنائم اليها ، ليبيا . وحاولت الدولة العثمانية ان تدفع الغائلة عن ليبيا بحسبانها الدولة الأم ، فخابت .

وقوة رابعة تتحدى

وامة رابعة ، هي الامة الالمانية ، ارادت ان تخرج بأساطيلها وبعلمها وبصناعتها وتجارتها الى البحار السبعة ، ليكون لها على الاقل مثل من سبقوا ، فأنكر عليها ذلك السابقون .

كانت هذه امم اربع فى ذلك العقد من الزمان ، لم تكد تسمع يا قارئي ، عند ذاك بحديث سياسي ، ولا بخبر مفاجيء عالمي ، الا يتصل بهذه الاربع من القوى . وكانت كلها فى اوروبا .

لم تكن تسمع يا قارئي بالروس الا احيانا قليلة . ولم تكن تسمع بالامريكان الا احيانا قليلة كذلك ، لانك لم تكن من رجال السياسة ولا من الضالعين فيها . احداث العالم الكبرى كانت تتصل عندك بهؤلاء الاربع دون غيرهم .

وتقوم الحرب العالمية الاولى

وتقوم الحرب العالمية الاولى ، فى عام ١٩١٤ ، تعلنها المانيا على الحلفاء اعلانا ، لتفتح لنفسها بالقوة الطريق الى بحار الدنيا السبعة الذى سدوه دونها .

وتدخل امريكا بعد بدء الحرب بقوتها الى جانب الحلفاء ، فيثقل جانبهم ، وتنتهي الحرب بالصلح باعتبار أن الغلبة كانت للحلفاء . وتخضع المانيا لشروط الغالبين ، احتفاظا بسلامة اراضيها فلم يكن دخلها الحلفاء بحرب بعد .

الدولة العجوز

وكانت الدولة العثمانية العجوز انحازت الى المانيا ، فكان من نتيجة ذلك ان تقسم الحلفاء مالم يكن كان قد خرج من حوزة الامبراطورية المنهارة ، وكان ابطال الغنيمة انجلترا وفرنسا . وكانت الغنيمة بلاد العرب .

الدول الاوروبية ، التى مثلت القوة فى العالم ، تلك الامم التى كانت متخمة بما ابتلعته من أمم ، ازدادت تخمة . والامة الاوروبية القوية الرابعة ، تلك المانيا ، الطامعة ، المانيا الحاقدة ، ازدادت حقدا. واخذت تدبر للمستقبل، للحرب العالمية الثانية .

موقف امريكا من تلك الاحداث

وشيء آخر لابد نحن ذاكروه :موقف الامريكان ، موقف الولايات المتحدة من تلك الحرب ، ومن بعد الحرب .

كانت الولايات ملتزمة فى سياستها الدولية بمبدأ منرو Monroe ، ذلكالذى يقضى بالبعد عن مشاكل الدنيا ، ومشاكل اوروبا خاصة ، والتفرغ الى



جيمس منرو

كانت الولايات المتحدة ملتزمة في سياستها الدولية بمبدأ منرو ، ذلك الذى يقضي بالبعد عن مشاكل الدنيا .



وودرو ولسن

رئيس الولايات المتحدة ، استاذ الجامعة ،الذى جاء الى مائدة مؤتمر السلام في نهاية الحرب العالمية الاولى ، ومعه ١٤ نقطة فيها رد الحريات الى العالم ، فضحك منه الحلفاء ، بريطانيا وفرنسا . وعاد الرجل الى بلاده مقهورا مخذولا مريضا . وعادت امريكا من بعد ذلك الى الانعزال .

مشاكل امريكا وحدها ، شمالها وجنوبها . مشاكل الدنيا الجديدة .

ثم كان على رأس الولايات عند قيام الحرب العالمية ، تلك الاولى ، الرئيس ولسن Wilson ، فاغراه الحلفاء بالدخول . ودخل الحرب ومعه احلام عن سلام هو مخططه للدنيا ، صاغه فى نقاطه التى اشتهرت بالنقاط الاربع عشرة . وانتهت الحرب بنصر الحلفاء ، ولولا دخول امريكا ما انتصروا . وقام الرئيس ولسن ،استاذ الجامعة السابق، قام فى مجالس الصلح يعرض مشروع سلامه . وكان فيه أن تستفتى الامم المستعمرة فيمن يحكمها .

وضحك زعماء الحلفاء من سذاجة الرئيس الاستاذ ، هذا الذى جاء يذهب عنهم بغنائمهم ، من حرب زعموا عندما بدات انها لتحرير الانسان ، ثم صيروها عند ختامها لاذلال الانسان والتكثير من عبيده وارقائه .

وعاد الرئيس ولسن الى الولايات مكسور الجناح . ووافته منيته همًا ونكدا . وعادت الولايات المتحدة بعد

ذلك تؤكد مبدأ منرو ، مبدأ التعزل والتفرغ للعالم الجديد وحده .

وموقف روسيا من تلك الاحداث

ومن الخطير الذي يذكر كذلك عن هذه الحرب ، الحرب العالمية الاولى ، أن روسيا خرجت من ميادينها قبل انتهائها بسبب قيام الثورة الشيوعية فيها ، تحت امرة لينين .

ولو انك يا قارئي حضرت هذه الاحداث ، ثم سئلت عن القوى العاملة فى العالم ، لأجبت بانها كانت ما تزال متركزة فى اوروبا : انجلترا ، فرنسا ، ايطاليا ، المانيا (ولو مغلوبة) ، ثم على هامش الاحداث : روسيا من شرق ، والولايات المتحدة من غرب . ثم امة بعيدة فى شرق الارض ، تلك اليابان .

ومن هذه الاحداث ننتقل خمسين عاما الى احداث اليوم

نعم ، انتقل بك يا قارئي الى هذا العصر الحاضر أسالك عن الامم ذات القوة فيه .

انهما قوتان اثنتان ، عارمتان عظيمتان .

الولايات المتحدة الرأسمالية .

وروسيا الاشتراكية .

انهما القطبان اللذان تدور عليهما اليوم احداث العالم الكبرى .

وتسأل عن حال الامم التى كانت لها القوة ، قبل نصف قرن من الزمان ، فيأتيك الجواب بان انجلترا انسلخت عنها امبراطوريتها كما ينسلخ عن الطير ريشه : ماق آسيا ، ماق افريقيا ، ماق البحار ، كله ذهب . تلك الامبراطورية التى لم تكن تغيب عنها الشمس ، اصبحت لا ترى لها الشمس فى دورانها اثرا .

وكذلك يأتيك الجواب بان فرنسا تعرت من ريشها لمّا انسلخ عنها شمال افريقيا وانسلخت الهند الصينية بشتى اجناسها .

وايطاليا لم تعد لها ليبيا ، ولم تعد الحبشة ولا ارتريا .

والمانيا انقسمت شقين ، فصارت دولتين والتشقق ضعف لا قوة .

والحجر ، حجر اندحارها فى الحرب العالمية الثانية ، لا يزال قائما نافذا عليها .

عملاقان اثنان لا ثالث لهما

واذا قلنا عمالقة وجب أن يكون الى جانبها اقزام .

وان صح ان امريكا امة عملاقة، وصح ان روسيا أمة عملاقة ، وجب ان تكون سائر امم الارض اقزاما على اختلاف اوزان واحجام .

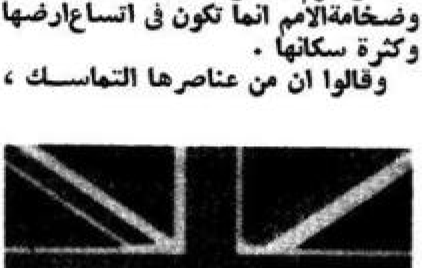
العملقة لها موازين

ونتحدث عن الناس فنقول هذا عملاق وهذا قزم . ونبحث فى تفاصيل هذه المعاني فنجد ان العملقة دليلها اشياء ثلاثة : ضخامة جسم ، وقوة عضل ، وروح فتاكة .

ونظر الباحثون فى عملقة الامم يبحثون عن عناصرها .

قال قوم ان من عناصرها الضخامة ، وضخامةالامم انما تكون فى اتساعارضها وكثرة سكانها .

وقالوا ان من عناصرها التماسك ،



ظل هذا العلم يخفق على بقاع من الارض لم تغب عنها الشمس في دورانها . ثم جرى الزمان بطي الامبراطورية البريطانية طيا .

فلا يكون ظاهر الامة أمة واحدة ،وباطنها امم على اختلافات شتى .

وقالوا ان عناصرها التعلم ، ومع التعلم العلم ، والعلم الطبيعي الحديث خاصة ، ومع العلم التكنية .

وزعموا أن للعملقة عناصر اخفى .

وزعموا انه لا تكون عملقة الا وهذه العناصر مجتمعة .

فالهند واسعة الارض كثيرة السكان وليست من العمالقة .

وسويسرا بها العلم كثير ،ولكن ارضها صغيرة وسكانها اقل .

والصين ذات رقعة واسعة ، واهلها عدد الرمل ، وبها التماسك ، وهي تحاول بالعلم والتكنية ان تسلك بهما سلك العمالقة ولما تبلغ بعد .

وطلب الباحثون شيئا واحدا تجتمع فيه هذه الاوصاف ، لتكون الامة عملاقة، ووقعوا على اقرب شيء ، ذلك الرقم الذي يدل على قيمة ما تنتج الامة ، من شتيت الاعمال والمحاصيل ، فى العام الواحد . ذلك الرقم الذي يدل على ما اصطلحوا على تسميته بالانتاج القومي العام Gross Nationol Product .

ففي هذا الرقم تظهر ضخامة الامة ، وفيه يظهر التماسك والسلام الذى يأذن بالتفرغ الى الاعمال ، وفيه يظهر التعلم ويظهر العلم وتظهر التكنية ومقدار تقدمها فى صناعة للحياة على السلم ، او فى صناعة للفتك والابادة فى حرب .

وليس هذا الرقم بأصح مقياس تقاس به العملقة ، ولكنه اقرب شيء الى الهدف حتى يأتي خير منه .

الامم في مراتب العملقة والقزامة

وراح باحثو الغرب يرتبون الامم حسب انتاجها القومي العام ، منسوبا الى الانتاج الاكبر الذى هو انتاج الولايات المتحدة . وقد اعتبروه فى القياس مائة .

وقارنوا بين انتاجات هذه الامم على السنين . ومنها نقتبس ما يلي :

الانتاج القومي النسبي

	عام ١٩٣٨	عام ١٩٥٠	عام ١٩٦٣
الولايات المتحدة	١٠٠	١٠٠	١٠٠
روسيا	٤٧	٣٤	٤٩
المانيا	٣٤	١٣	١٩
بريطانيا	٣٠	١٩	١٦
فرنسا	٢٤	١٥	١٨
الصين	٢٤	١٨	٢٠

ونلاحظ من اول نظرة نلقيها على ارقام هذا الجدول ، ان قيمة انتاج روسيا ، لاسيما فى عام ١٩٦٣ ، تبلغ نحو نصف انتاج الولايات المتحدة ، وهما العملاقان .

وتفسير ذلك يكون بأحد امرين ، ان خطأ وقع فى تقدير انتاج الروس وذلك بسبب ان هذا التقدير انما قدره جماعة من أهل الغرب لا من أهل الشرق ، والذى نعلمه ان روسيا لا تنشر عن انتاجها ارقاما ، واذن يكون هذا التقدير دخل اليه الكثير من الريبة والكثير من الظن .

وتفسير آخر ، انهذا الرقم صحيح، وان مقدار منتوجات الامريكان دخلها الكثير من حاجات الحياة الناعمة ، من مثل مساحيق الوجوه واحمر الشفاه والفاخر الناعم من الثياب ، ونحن نعلم ان روسيا قليلة الانتاج من هذه الاشياء، وانها تركزت على انتاج الحاجات الحثيثة الصلبة مما يحتاجه الاحياء ، وعظمت صناعتها الكبرى كعظم صناعة الامريكان، وانتجت لسلم وانتجت لحرب ما جعل العملاقين يتنافسان ويتخاصمان .

ونلاحظ من نظرة ثانية نلقيها على ارقام الجدول المذكور ، ان انتاج هذه الامم فى عام ١٩٥٠ ، اى من بعد الحرب العالمية الثانية ، هبط عما كان فى عام ١٩٣٨ ، اى قبل الحرب العالمية الثانية، وهبط كثيرا . وروسيا كذلك هبط انتاجها بسبب ما عانته فى هذه الحرب من غزو هتلر اياها ، وبلوغ جنده ما بلغوا من اعماقها ، وما نال مدنها ودور

صناعاتها عند ذلك من تدمير وتخريب .

وخرجت الولايات المتحدة على خير حال ، مدنا وصناعات ، لبعدها عن ميادين الحروب . انها تنتقل دائما الى ميادين الحروب بجندها ، ويظل أهلها وتظل ارضها وراء المحيط الاطلسي فى معزل عن الخراب والدمار .

وفى ظل هذا القول يعجب الانسان لروسيا ، انها ضمدت جروحها هكذا سريعا ، واعادت بناء خرائبها وما تدمر من وسائل انتاجها ، حتى عادت مرة اخرى تحتل المرتبة الثانية بين امم الارض قوة وانتاجا .

انشق العالم
الى شرق وغرب من قبل حرب
وظل العالم منشقا
الى شرق وغرب من بعد حرب

جمعت الحرب العالمية الثانية بين الحلفاء الغربيين تتزعمهم امريكا ، وبين خصومهم الروس ، وكل هذا لمحاربة هتلر .

وسئل تشرشل رئيس وزراء بريطانيا عند ذلك عن محالفته الروس ، دعاة الشيوعية ، فكان جوابه انه فى محاربة هتلر يتحالف مع الشيطان .

وسمعت روسيا لاشك ما قال تشرشل . وكتمت من ذلك فى نفسها ما كتمت . ولعلها قالت فى نفسها مثل ما قال ، اى انها لا ترى ، من بعد ان نقض هتلر عهدها ، الا ان تحالف الشيطان هي ايضا . والشيطان هنا هو تشرشل وحلفاؤه .

ولما قاربت الحرب العالمية الثانية على الانتهاء ، وبفوز الحلفاء ، تتزعمهم امريكا ، كان من بين الحلفاء من نصح بان ينتهز جند الحلفاء الفرصة ويهجموا على جيوش روسيا ويهزموها ، من بعد ان هزموا هتلر ، وذلك حتى لا يستفحل من بعد نصر أمرها . ورفض الحلفاء ذلك لاسباب شتى .



هتلر
جمعت الحرب العالمية الثانية بين الحلفاء الغربيين تتزعمهم امريكا وبين خصومهم الروس .. وكل هذا لمحاربة هتلر

وسمع بذلك الروس . وبيتوا فى نفسهم ما بيتوا .

كانت نفرة من قبل حرب . ثم صحبة المضطر فى حرب . ثم عادت النفرة تصحبها الريبة اشد ما كانت .

اما الحلفاء فى اوروبا فخرجوا من الحرب اقزاما ضعفاء ، وخرجت امريكا من بينهم عملاقة متطاولة .

وقضت عليها السياسة بان تنهض بأوروبا ، وتنفق فى سبيل اعادة تأهيلها الكثير ، وحتى بألمانيا كذلك ، وسائر من ضالعها فى حرب . والغاية ان تتخذ منهم اصدقاء ، وتتخذ حلفاء . وفعلا كان ان انعقد بعد ذلك بينها وبينهم الحلف الذى اسموه بحلف الاطلسي .

وفعلت روسيا مثل ذلك ، فضمت اليها ما استطاعت ضمه من امم مجاورة لها ليكونوا لها ايضا حلفاء . وقد تحقق هذا فى الحلف الشرقي الذى اسموه حلف وارسو .

العمالقة
اتخذوا الى العملقة
من العلم والتكنية سلّماً

اما العلم فى الولايات المتحدة فأمره ليس بالامر الجديد .. ان أهل امريكا

من اهل اوروبا ، وكان طبيعيا ان يواصل المهاجرون الى الولايات ما تعودوه من سلوك فى علم وفى تكنية . والقارىء تاريخ الصناعة فى الولايات كثيرا ما جاء على مخترع اوروبي عجز عن تدبير امر اختراعه فى اوروبا ، فذهب به الى الولايات ونجح به نجاحا كبيرا .

ودور الولايات المتحدة فى الانتاج الصناعي الكبير دور معروف مشهور .

واول من يذكر من رجال هذا الدور فورد Ford ، وسيارات فورد ، تلك التى بدا انتاجها على الاسلوب الصناعي الجديد فى اوائل هذا القرن ، اسلوب خط التجميع الشهير .

وادِسن Edison ، واضراب ادسن من المخترعين الامريكيين كثيرون .

اما روسيا فالعلم الذى كان معروفا فيها فى العهد القيصرى كان علما مفرقا رفع منارته افراد لا جماعات ، والصناعة لم يكن لها خطر مذكور عند ذاك .

وتغير الامر من بعد ثورة عام ١٩١٧ .

كانت ثورة اشتراكية . ولو انها ظلت ثورة اشتراكية بحتة لما جنى منها الروس شيئا يؤهلهم الى هذا الموضع الذى احتلوه اليوم بين الامم . فقد شاء القدر ان يكون مع الدعوة الاشتراكية دعوة علمية تكنية ، لم تحظ من الدعاية الخارجية بمثل ما حظيت الدعوة الاشتراكية فكاد على الغرباء ان يخفى امرها .

ان الدعوة الاشتراكية دعوة يرضاها من الناس من يرضى ، على درجات ، ويرفضها من الناس من يرفض ، كذلك على درجات . ومن اجل هذا الاختلاف كانت دعوة ارفع صوتا ، وابعد اسماعا ، من الدعوة العلمية التكنية التى لم يختلف احد عليها ، فما لفتت عين قارىء ولا اذن سامع .

ولقد استمعت الى كثير من خطب ستالين Stalin ، وهو تزعم الروس دهرا طويلا ، فلفتنى منه انى سمعته فى هذه الخطب ، مرارا وتكرارا ، يدعو اهله الى العلم والى الاخذ بالاساليب الحديثة التكنية ما وسعهم ذلك .

والروس فى الخطر الذى كانوا فيه ، وجدوا انه لا مخلص لهم الى السلامة الا عن طريق العلم وطريق التكنية .

وقد اشكل الامر على كثير من الناس فحسبوا ان ما بلغه الروس من مكانة انما كان من الاشتراكية ، والاشتراكية وهي درجات تبتعد حتى تكون لينينية روسية ، او اشد من ذلك لينينية صينية ، وتقترب حتى تكون اشتراكية بريطانية ، هذه الاشتراكية بصنوفها انما هي اسلوب اقتصادى اجتماعي لاصلة له بالعلم ولا بالتكنية . فان هو طلب معونة العلم والتكنية ، اعانتاه ورفعتاه ، والا فله الفشل الذى يحيق بكل اسلوب اقتصادى لا يعتمد على صناعة ولا يعتمد على انتاج .

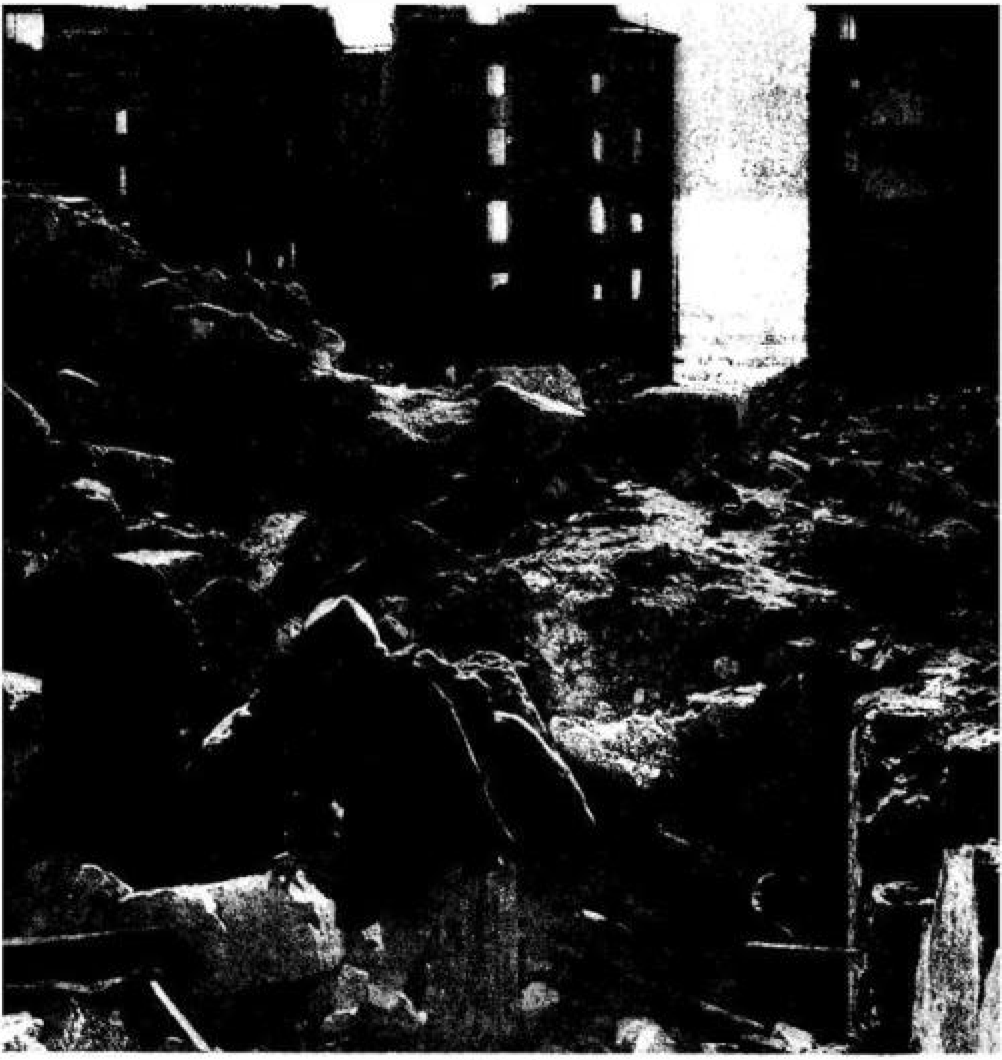
من حظ الامة الروسية ان دعوتها الاشتراكية ، كانت ما كانت ، صحبتها الدعوة العلمية فارتفعت بها الى حيث تسكن العمالقة .

الحرب العالمية الثانية قلبت موازين الامم وكان ما بعدها اشد قلبا

فى الحرب العالمية الثانية كان الخراب شاملا ، وكان الدمار كاملا . وظهرت آخر وسيلة للدمار ، واشنع وسيلة ، فى ذبول تلك الحرب ، عندما فجرت الولايات المتحدة قنبلتها الذرية الاولى فى اليابان عام ١٩٤٥ .

ستالين ، دكتاتور الروس ، جمع بين الدعاية الشيوعية ، والدعاية الى العلم ، فلم تكن تخلو خطبة خطيرة من خطبه الا والعلم بها مذكور .





دمار وخراب

في الحرب العالمية الثانية ، كان الخراب شاملا ، وكان الدمار ش' .

كان معنى ظهور هذه القنبلة الخضوع الكامل عند اى تهديد . وبظهور هذه القنبلة بدأ عصر عالمي انساني جديد ، اسميناه عصر الذرة . وبظهور هذه القنبلة حنت الامم جميعا رؤوسها للدولة العالمية الذرية الاولى ، واذنت لها ان تتعملق وتصعد الى عرش السيادة دون منازع . وصعدت الولايات المتحدة الى العرش وتربعت فوقه وحتى قبل ان يؤذن لها . ظهر ذلك في الرأى تقوله في السياسة وتضيق بان يكون لها فيه معارض . سنوات عرف فيها الانسان كيف يكون الانسان عندما ينفرد بالسلطان .



كشفت القنبلة الذرية ما عند الولايات المتحدة من علم وتكنية ، ورفعتها الى مراتب المبالغة . فاذا روسيا تلحق بها بصنع القنبلة الذريـة ، وتزيد فتسبق الى صنع القنبلة الادروجينية ولو باشهر .

وعارضت روسيا ظاهرا فى امر هذه الذرة ، بانها عمل غير انساني ، وراحت فى الباطن تستخدم كل ما لديها من علم ، وكل ما تحصل عليه من رجال ، كما فعل الامريكان تماما ، ثم اذا بها تطلع على العالم فى عام ١٩٤٩ بتفجير قنبلتها الذرية الاولى .

وبهذه القنبلة صعدت بلا تـردد ، ودون ان تصبر ليأذن لها احد من دول الغرب ، وكلهم خصوم ، صعدت الـى عرش السيادة ، والى جانب الولايات تربعت .

وجمع العملاقان جهودهما العلميـة التكنية كلها ليفجرا قنبلة اقوى واعتى ، وما اسرع ما فجـر الاثنـان قنبلتهما الايدروجينية . والحقيقة التى لم تحظ بنصيب كبير من الاعلان ان الـروس وصلوا الى غايتهم من ذلك قبل الامريكان باشهر .

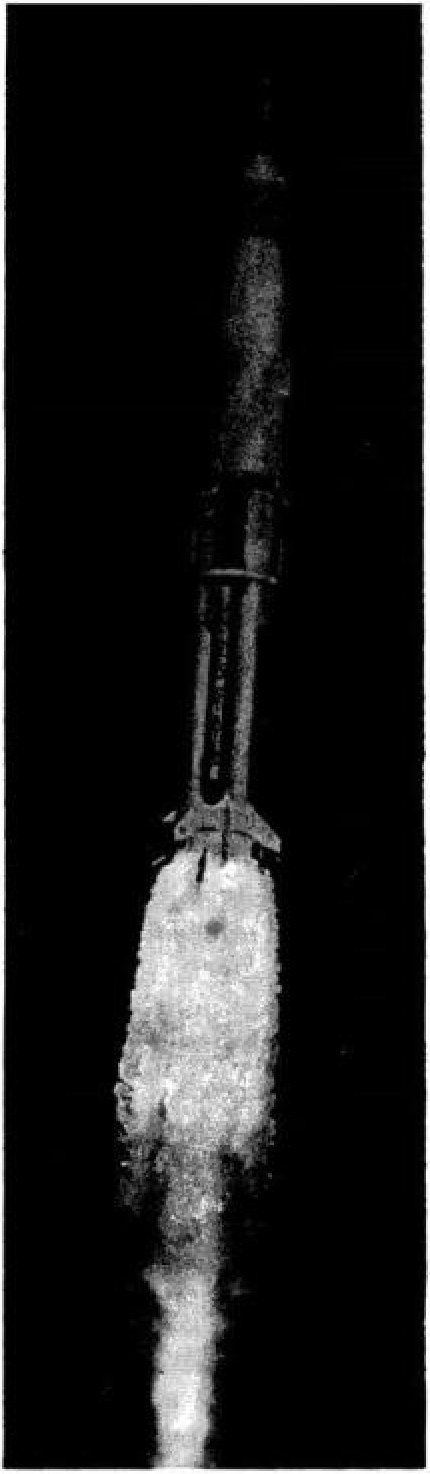
وتنافس العملاقان فى زيادة قوة هذه القنبلة . كانت قوة قنبلة هيروشيمـا نحو ٢٠ الف طن تتفجر من الناسـف العضوى المعروف بالأحـرف الثلاثـة ت.ن.ت ، وقطر دائـرة تصيبها مـن الارض لا تزيد على القليل من الاميال . فاذا بالقنبلة الادروجينية العاتية تبلغ فى عام الف وتسعمائة وبضع وستين قوة مائة مليون طن ، تعمل فى دائـرة من الارض نصف قطرها نحو ٣٠ ميلا .

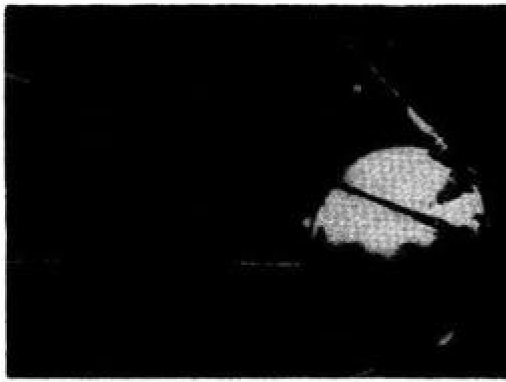
وبينما العالم فى ذهول من قنابل هذا العصر الذرى وقسوتها ،يفاجيء الروس العالم باطلاق اول جرم الى السماء يدور حول الارض . وكان جرما ثقيلا اسموه اسبتنك الاول Sputnik I ، دفعـوه الى الفضاء وبقوة عارمة حار فى تصورها علماء الارض ، وحار علماء الامريكان .

وبذلك بدأ الروس عصر الفضاء من بعد عصر الذرة ، وذلك فى عام ١٩٥٧ .

وكادت الولايات المتحدة تجن مـن ذلك جنونا . وتصارع الاثنان فى عصر الفضاء حتى انتجا من ذلك ما عـرف العالم ، وانتهى الامر بالصعود الـى القمر ، وما انتهى .

وكان من اثر ذلك ان تخلت الولايات المتحدة عن مبدأ منرو Monroe ، القاضى بتعزلها عن اوروبا ، والتفرغ لامريكا ، شمالها وجنوبها . لقد تبين لها آخـر الامر ، بالذى حدث فى عالم الـذرة ، والذى حدث فى عالم الفضاء ، والـذى سبق حتى عصر الفضاء ، من بلـوغ الطائرات سرعة فاقت سرعة الصـوت مرتين وثلاثا ، تبين لها من ذلك ان العالم





▲ في الفضاء ارسلت روسيا اول قمر صناعي دار حول الارض ، فحققت ما خال بعض العلماء انه امر غير ممكن . واثارت بذلك اهل الارض . وازعجت بذلك الولايات المتحدة فجمعت كل قوتها لتنافس في الفضاء . وصار الامر سجالا بينهما وبين الروس . وزاد الاثنان بذلك تعملقا .

● ● ●

ودخل عصر الصواريخ ، بدأته روسيا ، ولحقت بها الولايات المتحدة.ومن سرعة الصواريخ وسرعة الطائرات ، وقد زادت هذه الاخيرة عن سرعة الصوت اضعافا ، ادركت الولايات المتحدة ان الانعزال الذى كانت تؤمن به صار خرافة في هذا العصر الحديث ، فدخلت في سياسات الامم تريد ان تسيطر على الارض . ◄

تقاصرت ابعاده ، واختلطت مشارقه بمغاربه ، فلم يكن فيه بعد الذى كان ناجٍ مهما بعد الموطن وحالت دونه بحار ومحيطات .

هذه العملقة كم تدوم ؟

عملقة ، نعم ، ولكنا لا نظن ، واحداث العالم بلغت من السرعة ما بلغت ، انها عملقة تدوم عمرا طويلا .

سوف يخرج الى جانب العملاقين عمالقة .

وأصبع الزمان تشير الى ناحيتين اثنتين ، الصين ، واوروبا .

اما الصين فقد سبق ان وفت بالشرط الاول من التاهل للعملقة ، ذلك عدد السكان . ثم دخلها العلم ، ودخلتها التكنية ، بادئة لاشك فى هذا ، ولكن لكل شيء لابد من بدء . وقد انتجت القنبلة الذرية ، ويقال اليوم انها تكاد تنتج الصواريخ التى تحملها . وقدروا لانجاز ذلك من الزمن اشهرا .

وقالوا ان مداها سيكون ٦٠٠٠ ميل ، فهي اذن تستطيع ان تنال غرب الولايات المتحدة . ويدل على مكان هذه الاخبار من الصدق تَوَجُّس امريكا الظاهر منها ، وحديثها عن المنظومة الفضائية التى تدافع بها عن نفسها ضد قنابل ذرية تأتي من غرب .

اما اوروبا ، ففيها امم اوروبا القديمة : فرنسا والمانيا وايطاليا . وقد انضم اليها بلجيكا وهولنده ولكسمبرج وكونوا بينهم السوق الاوروبية المشتركة . والحواجز التجارية ازالوها من بينهم ، وكذا عوائق التنقل الشخصية حتى كادت ان تصبح هذه الدول من الوجهة الاقتصادية دولة واحدة . فان هي اندمجت ، وقد تندمج تحت ضغط الحاجة الدفاعية العاجلة ، كان لها من عدد السكان ، ولها من العلم والتكنية ، ما يؤهلها لتكون كتلة عملاقة ثالثة او رابعة . وهي عندئذ قد تستقل عن شرق وعن غرب . ولفرنسا الان ، وهي قوة فى هذه المجموعة كبيرة ، قنبلة ذرية ، واخرى ادروجينية . والبقية لاشك واردة .



اما الصين ، فقد سبق ان وفت بالشرط الاول من التاهل للعملقة ، ذلك عدد السكان ، ثم دخلها العلم ودخلتها التكنية ..

العالم اليوم فى تطور

العالم اليوم فى تطور . والعالم دائما كان ويكون فى تطور . وانما تختلف سرعة هذا التطور .

فلو اننا كنا جئنا برجل عاش فى القرن السادس او السابع الميلادى ، ووضعناه بين اهل القرن السادس عشر او السابع عشر الميلادى ، لما احس انه انتقل الى بيئة تختلف عن بيئته الاولى كثيرا .

ولو اننا كنا جئنا برجل عاش فى القرن السادس عشر او السابع عشر ، ووضعناه بين أهل القرن التاسع عشر لاحس احساسا لا شبهة فيه ان الزمان تغير وان الناس اختلفوا .

اما لو اننا جئنا برجل عاش فى اوائل قرننا هذا الحاضر ، ووضعناه بين جيل من هذا القرن عاش فى الخمسينيات او الستينيات منه ، اذن لاحس من التطور الانساني بالدرجة التي يقف منها عند التصديق والتكذيب لما يرى . ولم لا يفعل ، وقوم عاشوا بيننا اليوم ، سمعوا بان الانسان حط باقدامه على سطح القمر ، فقاموا ينكرون ويكذبون .

ان الذى يحدث على سطح هذه الارض هو بعض صنائع الاقدار ، والمشيئة القائمة وراء ذلك هي مشيئة الله . وان قوما يقفون امام هذا التطور ، يسبون ويلعنون ، وبه لا يؤمنون ، قوم هم اعداء انفسهم ، واعداء اممهم ، وخصوم الله .

●●

احمد زكي

صفحة في اللغة

العربية وضرورة تطويرها

رَجُلٌ		RAGOLON
رَجَلَ		RAGAL
رِجْلٌ		REGLON

بقلم : احمد خالد علام

قرات فى مجلة العربى جميع اعداد السنوات الاخيرة . وكل ما نشر بها بخصوص اللغة العربية وقوتها فى التعبير ، وحسن جمالها فى التصوير ، وغزارة مادتها وما شابه ذلك من المزايا التى اختصت بها دون سائر اللغات الاخرى . وكل ما كتب حقائق ثابتة لاشك فيها .

وقرات بعض ما كتبه كتابنا عن التخطيط الذى وضعه الغرب لنا منذ بداية القرن الماضى لتقسيم وتشتيت شمل العالم العربى ، وعن الاسلحة والوسائل التى استخدمها فى سبيل ذلك ـ ومن بينها تدمير الجسد الذى عاش اربعة عشر قرنا يربط العرب في امة واحدة ـ وذلك بتحطيم اللغة العربية التى تجمع امما مختلفة الاجناس والالوان والالسن تقرأ بهذه اللغة كتابا واحدا .

* * *

ولتحقيق هذا الهدف ارسل الغرب مبشرين لمصر وسوريا وغيرهما من بلدان المنطقة ـ قاموا بدعوى استعمال اللغة العامية وكتابتها بالحروف اللاتينية بحجة ان اللغة العربية صعبة ومعقدة . فمثلا في اوائل هذا القرن قال المبشرون في مصر ان البُعد بين اللاتينية المقدسة ، والايطالية المنحطة ، اقل من البعد بين العربية المقدسة ، ولغتها العامية المنحطة ـ ودعوا الى استعمال العاميةواستخدام الحروف اللاتينية لكتابتها ، لان حروف اللغة العربية تُعجزنا عن ادراك النطق الصحيح والمعنى المطلوب من الكلمة ـ كما دعوا ايضا الى ترجمة القرآن الى هذه العامية كما حدث للانجيل وترجمته الى اللغات الاوربية الحديثة ـ ولقد تصدى لهؤلاء المبشرين كُتّاب عرب وانتصروا عليهم بسهولة ، لان الدعوى آتية من المستعمر وسهل كشف القصد منها . الا ان الغرب قد انتصر في

احد المعارك ـ في تركيا ـ وألغيت الحروف العربية واستعملت الحروف اللاتينية عوضا عنها في كتابة اللغة التركية .

★ ★ ★

ولما وجد الغرب ان خطته هذه لم تنجح مع العرب ، قال ان الاقتراح يجب ان يأتي من قبل قوم عرْب اللسان والمولد ـ لان الشجرة يجب ان يقطعها احد ابنائها . فقام بعض الدعاة العرْب اللسان والمولد بهذه الدعوى مرة ثانية . وتصدى لهم كتاب عرب آخرون اتهموا بعض هؤلاء الدعاة بالتعصب والحقد وبالغفلة والتناقض . وما قرأت لهؤلاء الكتاب الذين دافعوا عن العربية أي تفنيد او تحليل لحجج هؤلاء الدعاة من صعوبة اللغة وجمودها وعدم تطورها .

★ ★ ★

ولقد حضرت الى امريكا وكلي ايمان بقوةالعربية وغزارة مادتها وبمثل ما كتب في مجلة العربي من المزايا التي اختصت بها . اما الوجه الآخر من صعوبة اللغة وجمودها فكنت اسمع عنه ولا أحس به ولا يمثل لي اي مشكلة . ولا عجب في هذا . فلقد نشأت في بيئة لغة التخاطب فيها العربية ، وكتابها القرآن نقرأه ونستمع اليه صباحا ومساء. فاين هذه الصعوبة وما هو التعقيد والجمود اللذان يتحدث عنهما هؤلاء الدعاة .

وكثيرا ما دخلت في مناقشات مع الامريكان وغيرهم عن اللغة العربية . وفي كل مرة اسمع نفس الاوصاف التي توصف بها العربية من صعوبة وتعقيد . وعلمت ان الكثير رغب أن يتعلمها ولكنه عجز في بداية الطريق عن مواصلة السير فيه ـ وانه لا وجه للمقارنة بينها وبين اللغات الحديثة مثل الانجليزية والفرنسية والالمانية ـ حيث انه يمكن للغريب أن يتعلم أيا من هذه اللغات بسهولة وفي مدة ثمانية اسابيع قراءة وكتابة وفهما وانشاء .

★ ★ ★

ثم شاءت ارادة الله أن اقابل مسلمين من دول لا تنطق العربية وطلبوا مني أن اعلمهم العربية فوافقت . وابتدأت أدرس لهم هذه اللغة ـ واثناء تدريسي لها ، وكلما مرت الاشهر والفصول ،بدأت تظهر الصورة الحقيقية من الوجه الآخر للغتنا العربية ـ وجه الصعوبة والتعقيد ـ الوجه الذي الذي كنت اسمع عنه ولا احس به . بدأت احس بصعوبة العربية وبصعوبة تعليمها بالطريقة التي الفناها . بدأت اشعر بالعذاب الذي يتعذبه طالب تعلم العربية : عذاب في تعليم قواعد النطق وقواعد اللغة وقواعد القراءة والكتابة ـ عذاب في ربط حروف الكلمة مع بعضها في جسم واحد، ـ او عدة اجسام ـ عذاب في حذف الشكلات الملحقة بحروف الكلمة وقراءتها دون تشكيل وغيرها من الصعوبات .

★ ★ ★

وهنا سوف اتعرض لاحدى هذه المشاكل وهي مشكلة كتابة الشكلة فوق او تحت حروف الكلمة ـ التشكيل ـ :

تعلمنا اول ما تعلمنا في مدارسنا حروف الهجاء ثم النغم وهو ما نسميه بالشكلة : فتحة . ضمه. كسرة . سكون . نكتب الحرف ثم نضع فوقه او تحته شكلة خاصة فتعطى نغما خاصا للحرف الملحقة به . فمثلا حرف الباء وفوقه فتحة يعطى نغما يختلف عن حرف الباء وفوقه ضمة او تحته كسرة : بَ ـ بُ ـ بِ وتكتب بالانجليزية be - bo - ba . ثم تأتي مرحلة نربط فيها حروف الكلمة في جسم او شكل واحد مثل كلمة «كَتَبَ» او في جسمين او شكلين « وَلَدُ » او في ثلاثة اشكال أو اجسام مثل «المصباح » أو اربعة اجسام مثل كلمة « أرباب » . وهكذا يعطى هذا الجسم او هذه الاجسام مع الشكلات الملحقة به بحروفه نطقا خاصا لمعنى خاص . ثم تأتي المرحلة الأخيرة وهي بعد أن نتعود على هذه الاشكال أو الاجسام ونتعلم قواعد اللغة نستغني عن هذه الشكلات التي تلحق بالحروف ـ ونقرأ هذه الحروف دون اى تشكيل ـ ويساعدنا في النطق وادراك المعنى الذاكرة وقواعد اللغة وما تعودنا عليه من السماع. واصبحت هذه العادات جزءا من حياتنا لا تتخلى

عنها ولا نرى فيها أى تعقيد ولا نشعر فيها بأى صعوبة .

★ ★ ★

وتصدر كتبنا وصحفنا مكتوبة بحروف مربوطة دون تشكيل ـ الا اذا رأى كاتب الكتاب او الصحيفة ـ وهذا حكمه الشخصى ! ! ـ أن بعض الكلمات التى يستعملها غريبة على القارىء فاحيانا يشكل حروف الكلمة الغريبة بأجمعها واحيانا يشكل بعض حروف الكلمة . وهكذا نجد الصحيفة بها كلمات غير مشكلة ،وكلمات ملحق بجميع حروفها شكلاتها ، وكلمات ملحق ببعض حروفها بعض الشكلات . ولا تجد هذا الا في اللغة العربية .

ابتدات بتعليم هؤلاء غير الناطقين بالعربية حروف الهجاء والشكلات التى تعطى النغم الخاص بالحرف فنطقوا معظمها بسهولة ـ ثم ربطنا الحروف في جسم واحد او عدة اجسام معتشكيل حروف الكلمة . ومع بعض قواعد اللغة . فتمكنوا من كتابة وقراءة وفهم الجمل البسيطة ـ والى هنا يمكنني ان اقول ان المشاكل التي صادفتها يحتمل تذليلها بسهولة في المستقبل القريب عندما يتوفر وجود بعض الكتب العلمية الحديثة لتعليم العربية لغير الناطقين بها .

ثم تاتي بعد ذلك المشكلة الكبرى وهي اختفاء الشكلات من فوق وتحت حروف الكلمة ـ كما تظهر الكتابة في كتبنا وصحفنا بدون تشكيل ـ وهنا يعجز من تعلم العربية عن نطق اى كلمة النطق المطلوب وادراك المعنى المقصود . وتصبح الحروف امامه رموزا يمكن ان تنطق بعدة اوجه يعطى كل نطق معنى مختلفا عن الآخر .

★ ★ ★

واذا ما قارنا العربية باللغات التى تكتب بطريقة الرموز مثل الهيروغليفية المصرية او الصينية لوجدنا أن هاتين اللغتين تمتازان عن العربية بميزة سهولة النطق الصحيح وادراك المعنى المطلوب من الرمز المرسوم ، فمثلا رسم رَجُل يجلس بشكل خاص في الهيروغليفية المصرية او رسم مربع يخرج من خطان بشكل خاص في اللغة الصينية هما رمزان لمعنى واحد لاغير وهو كلمة «رَجُل » واذا اردنا ان نعبر عن ذلك باللغة العربية وكتبنا كلمة « رجل » دون تشكيل فانه يصعب على القارىء ان ينطق النطق المطلوب وان يدرك المعنى المقصود من حروف هذه الكلمة . ولا يدرى هل هى فعل ام اسم وهذا هو وجه الصعوبة .

★ ★ ★

الا انه يجبان لا يغرب عنالبال أن من مميزات العربية انه باستعمال الثلاثة حروف هذه ، وباستعمال شكلات مختلفة ممكن ان نخلق عدة كلمات لعدة معانى مختلفة مثل « رَجُل" » و « رجُـل" » و « رَجَلَ » و « رَجِل » و « الرَّجَل » .

★ ★ ★

وعندما شعر كمال اتاتورك في تركيا بصعوبة كتابة اللغة التركية بالحروف العربية التى كانت مستعملة وقتذاك ـ آمن بدعوة الغرب واستبدلها بالحروف اللاتينية .

اولا لان اللاتينية لا تستعمل الشكلات فوق او تحت الكلمة ـ كما هى في العربية ـ بل تستعمل الحروف a e i o u داخل الكلمة نفسها لتعطى النغم المطلوب من الحرف الذى يسبقها وهذا اسهل من كتابة الشكلة في العربية .

وثانيا ـ ان اهمال تشكيل الكلمة المكتوبة بالاحرف العربية يصعب نطقها النطق المطلوب وفهم معناها . فعلى سبيل المثال كتابة كلمة « كَتَبَ » بالحروف اللاتينية Kataba تكون اسهل نطقا واسهل ادراكا للمعنى من كتابتها بالاحرف العربية دون تشكيل « كتب » . والاتراك يحمدون اتاتورك على هذه الخدمة الجليلة التى اداها لأهله ـ وهى تسهيل كتابة وقراءة لغة التخاطب دون مشقة .

اذن فالمشكلة الاولى في اللغة العربية هى مشكلة الشكلة التى تعطى النغم الخاص بالحرفالملحق به : كتابة الشكلة فوق او تحت الحرف مشكلة واهمال الشكلة وعدم كتابتها مشكلة اعظم واخطر .

واحد الحلول الممكنة لهذه المشكلة هو وضع الشكلة التى تعطى الحرف النغم المطلوب داخل الكلمة نفسها (وليس فوق او تحت الحرف) فيصبح الحرف والرمز الدال على نغمة جزءا من الكلمة . وتوجد طرق عديدة لوضع الشكلة داخل الكلمة :

فمنها على سبيل المثال استعمال حروف العلة الثلاثة بدلا من الشكلات ، او تطوير شكل حروف الهجاء نفسها حتى يكون لكل شكل نطقا خاصا ونغما خاصا ـ او استعارة بعض الحروف من لغة اخرى تحل محل الشكلات . ولقد استعارت اليابان حروفا خمسة من اللاتينية a e i o u واستعملتها فى كتابة اليابانية . وانى اميل لهذه الاستعارةلأن لغتنا غنيةويمكن لو بذلنا بعض الجهد تحسينها وتطويرها دون حاجة الى استعارة حروف من لغة اخرى .

★★★

فمثلا فى حالة استعمال حروف العلة الثلاث (ا و ى) بدلا من الشكلات الفتحة والضمة والكسرة ـ فلو عوضنا عن الفتحة بالالف والضمة بالواو والكسرة بالياء وكتبنا كلمة « كَتَبَ » ، « كُتِبَ » باستخدام حروف العلة فيصبح الشكل الجديد لهتين الكلمتين « ك ا ت ا ب ا » ، « ك و ت ى ب ا » ولكان الحال اشبه بالطريقة التى استعملها كمال اتاتورك عندما استعمل الاحرف اللاتينية لكتابة كلمة كتب « Kataba » الا ان الفرق بيننا وبينه اننا نكون قد طورنا لغتنا الى احسن اما هو فلقد استعار حروف لغة اخرى . اما حروف الكلمة الساكنة فلا يلحق بها شيء واما احرف العلة الموجودة فى الكلمة اصلا فتبقى على ما هى عليه . هذا مثال استعنت به فى الشرح والتوضيح ولا اتمسك به فربما وجد علماء الامة تحسينا اجمل وتطويرا افضل .

★★★

وارى ان تبحث مشكلة التشكيل هذه مع مشكلة اخرى وهى طريقة ربط حروف الكلمة العربية فى جسم واحد او عدة اجسام كما تظهر فى صحفنا وكتبنا واعادة النظر فى مزايا وعيوب هذا الربط ودراسة كتابة الكلمة مفردة كما تكتب فى الصحف والكتب التى تستعمل الحروف اللاتينية ـ لأن المشكلتين وجهان لمشكلة واحدة وهى مشكلة كتابة العربيـة .

★★★

واخيرا ان هذه اللغة ليست ملكنا وحدنا نحن العرب فالله اودعها عندنا ومسئوليتنا ان نحافظ عليها ونعمل على تحسينها وتطويرها وان نقدمها لكل من يطلبها بطريقة سهلة فى كتابتها وقراءتها دون مشقة . وهى اللغة الوحيدة فى العالم التى يتمنى اكثر من ٤٠٠ مليون مسلم ان يتعلموها دون اى ضغط او تأثير عليهم الا بدافـع ايمانهـم بالله . ولكم بذل الاستعمار الجهد لصبغ الدول التى استعمرها بصبغة لغة المستعمر ولا يزال يستخدم شتى الوسائل لنشر لغته ـ ونحن العرب امامنا مئات الملايين من مسلمين يمدون ايديهـم الينا ويلحون علينا ان نعلمهم لغتنا العربية ـ فلا نقدم لهم الا لغة صعبة جامدة يعجزون فى بداية الطريق عن استمرار السير فيه .

★★★

وفى النهاية ان اخشى ما اخشاه ان ننام على مشكلتنا هذه ـ مشكلة صعوبة اللغة وضـرورة تطويرها ـ ويتزايد دعاة العامية ـ ثم تكون لهم الغلبة وتصبح العامية لغة تكتب . ثم يكـون استعمال الحروف اللاتينية لكتابة اللغة العامية ضرورة لا بد منها . وهنا يحمد ابناء الامة من رفعوا لواء دعوى العامية لانهم سهلوا عليهم قراءة وكتابة لغة التخاطب ـ تماما كما فعل الاتراك وهنا نكون قد حطمنا ماضينا وشللنا حاضرنا وهددنا مستقبلنا .

والله اسأل ان يهدنا سواء السبيل .

■■

احمد خالد علام
شيكاغو ـ الولايات المتحدة



نبتة الصبار .. وزهرة البنفسيه

بقلم : سنية قراعه

■ ابتسم في حنان وهو يلتفت مسرعا الى عروسه الغاضبة . ادهشه أن يعلو صوتها الهامس مزمجرا كمرجل يغلى على النار ..

تقدم من عروسه وعيناه تومضان ببريق عتاب حنون رقيق . سبقته نظراته الولهى المعبرة عن حبه ، لتبعث الهدوء الى قلب عروسه الغيرى ..

ضربت الأرض بقدمها في غضب وهي تتهمه بأنه يهتم بآنية الزرع ، وهي من فخار ، أكثر منها ..

ودهش وهو يسائل نفسه كيف تغار عظيمة القلب من نبتة خضراء في آنية فخارية رعايته اياها واجبة ..

وتمتمت غاضبة دليل ضعفها وغيرتها ..

غيرة ً كهَبُوب لافح كانت تلهب بشواظر منها مشاعر العروس . كانت ترى في اقباله على رعاية نبتة الصبّار في الآنية الفخارية سببا للغيرة ..

وابتسم ضاحكا وهى تقول له :

انك تحنو على هذه الآنية الفخارية الصغيرة ، أكثر مما تحنو على .. تقبل على هذه الصبارة ذات الأشواك اكثر مما تقبل على أنا عروسك .. تقبل على ريتها باكثر مما تسقى نفسي بفيض حنانك .. تغذّى ارضها المبتلة باكثر مما تغذينى أنا برعايتك .. تهتم بنبتة الصبار الصغيرة أكثر مما تهتم بعروسك .. اغار عليك من حر أشواقى.

اغار عليكَ من وهج انفاسي ، وأخشى أن تلفحك بهبوبها وانت في غمرة وجدك ..

اغار عليكَ .. اجل اغار أكثر مما تتصور وفوق ما تتصور ، ان انصرافك عنى لتهتم بنبات شوكى لا فائدة فيه يثيرنى ..

ان عواطفك لى ، فلا أحب أن تسرقنى بعضها

لتهبه للغير ولو كان نباتا لا يبادلك الشعور ..

لك حبي كل الحب وحبك يجب ان يكون لى ..

ما الذى تحبه في الصبّارة ذات الشوك .

★★★

انا أحبها، وعنى انا وَرثَ ابنى حبّ الصبّار.

قالتها الام الطيبة في نبرة ضاحكة حنــون والتفتت العروس في دهشة لتقول لها : أى حب هذا الذى علّق مشاعركما بنبتة لا ترجى من حبها فائدة ..

بل فيها فوائد عديدة .. قالتها الأم مبتسمة سعيدة ، انها تبدو جافة ، ولكنها سخية تدخر عصارتها ، وتخفيها لتعيش عليها دون حاجة الى غذاء جديد . هى صابرة وانها لتعلم الصبر ..

تعلمنا كيف ندخر مشاعرنا ونبالغ في احاطتها بسياج من الرعاية ..

انها لا تذبل ، ولا تعرف الذبول لأنها تجدد نفسها بنفسها ، وهذا وفاء ..

انها درس صامت حبذا لو نسجنا على منواله .. يحفها الشوك من جانبيها فلا تجسر يد على ان تقترب منها .. في نهايتها شوكة مدببة حـــادة تمثل رأسها العالى الذى يستطيل ويتعالى مع الأيام ..

انها شوكة قد تؤذى ، ولكنها تتفتح أحيانا عن زهرة حمراء متوهجة ، او صفراء فاقعة ..

زهرة تنبت من حنايا الشوك ، وفي هذا ما يشير الى ان الأمل لا تنطفىء له شعلة وأن جذوته متاججة دائما ..

الصبّار فيه الصبر ، وفيه الانطواء ، وفيه الأمل الذى يتجدد ويحيا ولا يموت ..

من أجل هذا أحبّها .. ومن أجل هذا يحبها ابنى ..

انها نبات الذكرى الخالدة ، وكلنا يعيش على الذكريات ..

وارتفع صوت العروس تقول لأم زوجها :

ان كان ولا بد من الذكرى ، فلماذا لا تحبان زهرة البنسيه مثلا . هذه الزهرة البنفسجيــة الرقيقة أولى بالحب ..

وضحك الزوج وهو يقول : هذه زهرة تموت حين تتفتح ، وتذبل حين تورق ..

وقالت العروس : ولكننا نحافظ عليها فتبقى على صورتها وألوانها وجمالها ..

وقالت الأم : ولكن الصبار يحيا وحده دون حاجة الى ما يحفظه .. وهذا هو الخلود والوفاء.

★★★

كان الصيف يتمطى في تكاسل من أراد أن يستيقظ بعد طول رقاد ..

صباح هادىء عليل النسمات ذات يوم من أيام مايو ..

الهدوء يخيم على الكون .. والأمل يداعب النفوس ، والشفاه تفترّ مبتسمة ترحب بالأمل.

وفجأة غامت السماء الصافية ..

ارعدت وابرقت وتبدت فيها جوارح منقضة شرسة راحت ترمى الوادعين من الناس بحممها وشظاياها ..

أعداء الله قتلة الأنبياء تعاودهم طبيعة الغدر في يوم كانت الآمال فيه تداعب القلوب ..

وترك الزوج الشاب صبارته الحبيبة في آنيتها الفخارية .. تركها مسرعا يهرول وهو يردد في حماسة حارة : اليوم يوم الثار .. اليوم يوم الانتقام ..

غدروا كعهدهم ولكننا سنرد لهم الكيل عشرةَ أضعاف ..

اسرع الزوج الشاب يرتدى ثياب الحـــرب ويسرع لينضم الى فرقته الذاهبة الى الميدان..

أسرع وهو يوصي أمه بآنية الفخار وبوبـــا الصبّار .. وأسرعت عروسه الشابة تهديه مصحفا صغيرا وضعت بين أوراقه زهرة بنسيه زرقاء .

فغمغم الزوج الشاب ووصل صوته الى مسمعى الزوجة والأم ، : سأذهب تاركا لكل منكما ما يذكّر بى ..

سأعيش في أشـــواك الصبّار التى ستدمى العدو ..

سأطوف حول زهور البنسيه .. تذكّرينى يا عروسي الفاتنة .. لن أغيب عنكما .. فأنا في الزهور البرية .. وفي الزهور الرقيقة التى تعيش بين صحائف كتاب عظيم ..

لا تملأ انتظارى فسوف أعــود .. ان نيران

الصحراء لا تؤثر حرارتها مهما اشتدت في نبات الصبّار .. وعوادى الدهر أضعف من أن تصل الى زهرة رقيقة يحفظها أصحابها بين صحائف كتاب كريم .. انا هنا .. وانا هناك ثم ..

ثم انا هناك في الميدان وسط الهجير ، وفي ضجيج الموقعة ، وقصف المدفع ، وبريق السلاح.

ساعيش .. ساعيش يا أمى الحانية ..ويا عروسي القلقة ..

ساعيش حتى لو لحق بى الموت ..

ساعود اليكما كلما حومت النسائم حول نبتة الصبار ..

ساعود ما تحركت يدك الرقيقة يا عروسي تبحث عن زهرة البنسيه حيث وضعتها بين صحائف كتاب ثمين ..

ساعود مهما طال الزمن ..

ساعود اليكما ولو رؤيا في منام ..

★ ★ ★

ضاقت العروس بالآنية الفخارية التى قامت فيها شجرة الصبار ..

كرهت الأم كل كتاب مغلق لانه كان يضم بين دفتيه زهرة البنسيه .. خُيّل الى القلقتين الملهفتين أن صوت الغائب يُدَوّى في مسمعيهما معاتبا ..

لماذا تضيقان بذكراى ..

لماذا تحوّلان عيونكما عنى ..

انكما تعرفان انى أعيش في الصبارة ، وبين دفتى الكتاب ..

لماذا لا تسمع روحي صوت كل منكما تناجى من احبه وما اهواه .. انا معكما .. فلماذا تنسيان حقيقة الخلود .

هل يفنى الوجود يا أمى الغالية .. ؟

هل تتبخر الحياة يا عروسي الفاتنة .. ؟

وحتى اذا عدت العوادى على الذكريات ..

هل تستطيع يد الزمن أن تعدو على خلــود الروح وشفافيتها ؟ ..

انا كائن معكما .. وساظل موجودا ما نعمتما بحياة ..

لماذا تتمردان على سُنَن الكون وطبيعة الوجود.

هل ضلت أصداء كلماتى الأخيرة فلم تعد تصل الى مسامعكما .. الارواح تتنــاجى وتتخاطب بلغاتها ..

روحى وروح كل منكما في لقــاء ما تقطعت اواصله ..

افيقا الى الواقع يا عروستى الحبيبة ويا امى العزيزة ..

حذار أن تجعلا الأرواح تتبادل العتاب واللوم..

لا تعكرا صفو اللقاء القدسي .. نور الله يغمرنا ونحن نعيش مخلّدين في وَمَضاته ..

لقد قلت لكما اذكرانى ..

لا تنسيا وصيتى .. وتذكرا انى ساعود ..

★ ★ ★

ضربت العــروس الارض بقدميهــا في ضيــق وتبرم .

كاد صوتها المكتوم أن ينطلق من بين شفتيها المطبقتين .

كادت زمجرته تحطم الصدر الذى طواه .

اظلمت الدنيا في عينــى العــروس ، وامتلأت بالدموع .. انها تشهق وتزفر وتتأوه ..

شهقاتها شكوى . وزفراتها ضراعة .. وأنينها رجاء ..

كأنما كانت تعاتب الروح الغاضب ..

انك لم تعد حتى ولا رؤيا فى منام ..

اراك واعيش بك ولن آملَ يا حبيبى الانتظار..

يا لجَلال الأمل الذى أراه الآن في زهرة حمراء صغيرة بدات تنبت مكان الشوكة الجارحة .

هــل تذكر اشواك شجرة الصبار يا حبيب الروح ؟

هل تتصور أن احدى هذه الاشواك تفتحت عن زهرة حمراء .. ؟

أسمعُ صوت أمك يهتف في غمرة من السعادة :

يا عروس ابنى المنتظرة القلقة ..

انظرى هناك ترى أن ولدى قد عاد ..

عاد مع الزهرة التى تفتحت مكان الشوكة ..

عاد مع نسائم الصبح العطرة الطاهرة ..

عاد مع الخلود ..

عاد ليتردد على شفاه اهليه من المواطنين ..

كلهم يعيش لينتقم له ..

كلهم يود أن ينطلق ليلحق به ..

انه سباق نحو الخلود يا عروس ولدى ..

كفكفي دموعك ..

خففي من زفراتك ..

اياك وحر الشهقات .. انها نيران قد تحوّل موكب الأرواح عن طريقه ..

اضحكي لنرحب بالموكب القادم ولنسرع ..

لنسرع فنستقبل الروح المتلهف المشوق الى لقائي ولقائك يا عروس ولدى الحبيب ..

★★★

صباح بهيج .. ريّان الندى، عَطِر النسيم،

الطيور تشقشق صداحة مرحة .. وهي تحوم في الفضاء .

يا عجبا .. انها لتقترب آحادا وجماعات من شجرة الصبار في آنيتها الفخارية الصغيرة ..

هذه الطيور الصادحة .. لمن تراها كانت تغنى،

للصباح الوادع العطر الأنفـــاس الذى كان يستيقظ .. ؟

للزهرة الحمراء الصغيرة التى تفتحت مكان شوكة الصبار ..

للأمل وقد راحت أضواؤه المجهولة تتسلل الى حنايا القلوب .

الطير يشقشق ويضرب بجناحيه .. قلب الأم وقلب العروس يخفقان بشدة .

شجرة الصبار أخذت تتململ في آنيتهـــا الفخارية ..

صحائف الكتاب المغلق راحت تهتز مضطـربة هى الأخرى ..

هل تحركت زهرة البنسيه ودبت فيها الروح .. ماذا حدث اليوم ؟

أهو الأمل حقا تقترب مواكبه !؟

خيم الصمت وعاد ينشر من جديد أجنحتـه الغامضة ..

هدوء ليس فيه نذير العاصفة كما يقولون ..

انه هدوء الأنفاس اللاهثة السعيدة ..

الأنفاس التى خشعت لتنفرج الشفاه عن آهة فرح مكتومة ..

القلب يدق .. والباب يدق .. ؟!

العروس والأم تسرعان نحو الباب ..

فكرة واحدة شغلت كلا من الاثنتين .. هل عاد حقا .. مع اضواء الصباح الرمادية ..

هل حملته أجنحة فراشات الربّى الى جنـة احلامه السعيدة ؟!

أسرعى أيتها الخطوات الملتهفة المضطربة ..

اهدأ أيها القلب الوجل الشديد الخفوق ..

امتدى أيتها اليد المرتجفة وافتحى الباب لنرى من يكون الطارق ..

فلعله الغائب الذى تتمنى أن يعود ..

وصرخت الأم في فرح تردد : لقد عاد .. لقد عاد يا عروس ..

وراحت العروس تحملق في دهشة وذهول ..

بالباب رسول لم يكن هو الغائب الذى كانت تنتظران عودته ..

وارتفع ثانية صوت الأم يردد :

ولكنه عاد مع البشرى السعيدة التى يحملها الينا هذا الرسول .. سيعود اليوم كثيرون هو لا بد سيكون منهم ..

★★★

صفوف بعد صفوف ضاحكة كانت تقبل ..

بكاء الفرح تخالطه الشهقات والزغاريد وأصداء القبلات ..

دموع تنهمر .. عيون تحدّق .. قلوب تخفق .. شفاه تردد : لقد عادوا ..

عادوا .. وكانوا كثرة لا يحصرها عدد ..

عادوا .. كقطرات الغيث تحيى كل موات فتدب فيه الروح ..

عادوا .. ولكن غائب الأم وغائب العروس لم يكن بينهم ..

وبكت العروس الشابة وهى تتمتم متحسرة : انه لم يعد يا أماه !!

قالت الأم مزمجرة معاتبة : ولكنه عاد يا ابنتى .. ألا ترينه .. قد عاد مع جموع العائدين .

عاد روحا متلهفا يحوم الآن فوق راسي وراسك..

لا .. لا يا عروس ولدى . اياك والبكاء ..

الروح تنفر حين نستقبلها بالبكاء والعويل ..

ابتسمى فعلتى وميض ابتسامتك سوف يتقدم منك ..

على وميض ابتسامتك سوف تتلاقى شفاهكما في قبلة حارة ..

انصتى يا ابنتى العروس ..

انصتى الى خفوق صدرك ووجيب قلبه ..

يكاد القلب ان يحطم الضلوع غير المنظورة ليسعى اليك فيضمك اليه ..

اغمضي عينيك يا ابنتى العروس .. القى براسك الصغير على كتفى ..

وبوحى له بكل ما كنت تدخرين من لهفة واشواق ..

انك بين ذراعيه ..

ذراعاه تحوطانك وتضمانك ..

لا تنتهكى قداسة لحظة اللقاء بحر الشهيق ..

لقد عاد ..

عاد وانى اراه بقلب الأم ..

اراه باللهفة والحنين ..

اراه في هذا الأمل الذى عاد مع جموع العائدين ..

هللى وابتسمى واسعدى بلقاء الروح ..

انه لقاء الخالدين ، ويا لروعته من لقاء ..

★ ★ ★

ضجت العروس الشابة وتمردت وتنمرت ملامحها ..

علا صوتها الباكى وقد خنقته عبرة الأسى والأحزان ..

ويلك يا أم..ويل لاحلامك ... ويل لأمانيك..

انك تعيشين على وهم كبير لست ارضاه ..

ان غالبى لم يعد ، واظنه لن يعود ..

وعلا صوت الأم هامسة تحذر العروس الغاضبة:

ويلك يا عروس .. اخفضي صوتك حتى لا تدنسي حرمة اللقاء ..

لقد عاد وانى اراه فاسعدى مثلى بهذا اللقاء..

وحتى اذا كان لم يعد الى دنيا الواقع كما تتمنين ..

افلا يسعدك انه عاد في كل هؤلاء العائدين ..

★ ★ ★

وتململت العروس وقالت : لست بالوهم اعيش ..

ان روحى تحن الى الواقع ..

الواقع يؤكد لى انه لن يعود ..

اى خيال تمنين روحى بان تنتظره يا أم ..

هل اشترى الحقيقة بالوهم ..

هل ارضى بالخيال واكفر بالواقع ..

الى متى انتظر وانتظر ..

حائرة انا .. قلقة مضطربة كعود هشيم تتقاذفه الامواج في محيط عميق ..

الى متى تستطيع الروح ان تتغذى بالأمل ..

الى متى يحيا شبابى بالوهم .. ؟

الى متى يرتوى عودى بالحنين الى الذكريات ؟

انى اخشى ان يذبل هذا العود النضر يا أم..

اخشى ان يلحقنى الجفاف فاسقط واتهاوى ..

كيف اعيش وبماذا اعيش .. ؟

وطوفت الروح حول الراس الثائر المضطرب ..

وراحت تضرب بجناحيها ضربات كزئير الرعود..

الصوت الهامس يخترق حجب الزمن ..

انه يمس شغاف قلب العروس القلقة .. وانها لتصغى اليه في ذهول ..

تسالين بماذا تعيشين ..

عيشى بما يدخره قلبك من آمال واحلام في اللقاء ..

تغذى على الرجاء والأمل والايمان ..

انظرى الى شجرة الصبار .. تلك الصامدة الصابرة التي لاتمل الانتظار ..

هل برمت بالصحراء يوما .. ؟!

هل قتلها الظما والجفاف .. ؟!

ان عودها يخضر يوما بعد يوم ، ففى قلبها مايكفيها لكى تعيش ..

لتكن شجرة الصبار مثلك وصنو روحك ..

عودى بذاكرتك الى كتاب كريم مقدس .. دسست فيه زهرة بنسيه ..

انها مازالت تعيش رغم جفافها ..

مازالت البنسيه تحتفظ بلونها الأزرق الوادع دليل الاخلاص والصفاء ..

ماذا تريدين ان اقول لك بعد هذا .. ؟

لقد وعدتك انت وامى ان أعود ..

لقد عدت .. عدت اليكما مع جموع العائدين..

عدت .. ولكن بقائى بينكما لن يطول ..

سوف اتركهما مرات ومرات الى ميدان النضال ..

سأتركهما مع الجموع الذاهبة ..

مع الحشود التي تتجمع ..

مع فوهات المدافع التي تنتظر ..

ساعة الانتقام لتنطلق معي الى صدور الاعداء..

سوف اتركهما مرات ومرات لأكون هناك ..

لقد نذرت روحي للجهاد .. للنضال .. للوطن الحبيب .

ان دمائى قد روت شجرة الحرية وكتبت اسمى بحروف من انوار الخلود ..

كيف تظنين بعد هذا ياعروسى انى لن اعود .. انا معك .. ومع هذه الملايين ..

انا فى قلبك وقلوب هذه الملايين ..

انظرى حواليك الى جانبك ومن خلفك ..

انظرى فى كل مكان ترين انى فيه ..

استمدى من شجاعة امى وعميق ايمانها شجاعة تعلو بك على الأحداث ..

اقتربى منها واستمعى اليها ..

واسرعت العروس تقترب من الأم التي وقفت صامدة كشجرة السرو الطويلة ..

كانت فى شموخها تسخر بكل الأعاصير ..

وراحت العروس تقترب وتقترب ..

هدوء عميق كان يغمر روحها ..

بصرها يتعلق بشفتى الأم المؤمنة التي راحت تردد فى خشوع .. اهدئى يا ابنتى العروس .. اهدئى فغائبنا قد عاد ، وانه لعنا الى أبد الآبدين ..

وحتى اذا كنت لاترينه بعينيك .. فلتسرع روحك لتتلاقى معه فى الافق الرحيب .. انه هناك ..

انه هناك حي يرزق الى الأبد ..

رددى معى ، رددى :

« ولا تحسبنّ الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا بل احياءٌ عند ربهم يُرزقون .. »

ووجدت العروس نفسها تردد فى غمرة السعادة والفرح : الآن عرفت كيف أعيش ، وبماذا أعيش..

سأنتظر ، وسوف انتظر ، ولن املّ الانتظار..

لن اشعر يوما بأني ترملتُ في صدر شبابي ..

ان غائبي قد عاد ..

انه يعيش معى ..

انه يعيش فى وجدانى وفى ايمانى العميق ..

وصدق الله :

« ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون .. »

★★★

هدأتْ شجرة الصبار فى آنيتها الفخارية .. بقيت خضراء لايتغير لونها ..

وزهرة البنسيه بقيت حيث ارادوا لها ..

وسنانةً ناعمة تحلم بين صحائف كتاب كريم مقدس ..

بالأمل يعيش الناس ..

وعلى الأمل يسيرون ..

بالايمان تنتعش القلوب ..

بالايمان تتجدد الحياة ..

بالايمان يتراجع الفناء ليحل مكانه الخلود ..

كيف لا والله اصدق القائلين يقول سبحانه وتعالى :

« ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون .. » ■■

القاهرة ــ سنية قراعة

إلى شاعرة ضارعة!

مهداة الى صاحبة القصيدة التي تتضرع بها الى حبيب غادر لا يستحق منها كل هذا الوفاء .

■ فديتكِ ! إنّ قلبي ذاب وجداً ... ولم أبلغْ بحبّي منكِ قصدا
أحبكِ ! لا أحب سواك مهْما ... قسا منكِ الفؤاد أو استبدا
عشقتكِ يافعاً وصبوتُ كهلاً ... ولم أمحضْ سواكِ الدهرَ ودّاً
كتمتُ هوايَ حتى ضاق صدري ... وقلبكِ في هوى غيري تردّى
ولمّا بُحتُ ، قدولّيتِ عني ... فراراً وامتلأتِ عليّ حقدا
كأني قد أثمتُ بهمس حبي ... أو ان الحبَّ أمرٌ كان إدّاً
ضننتِ عليّ (بالأنفاس(١)) بخلاً ... وأبذل مهجتي — لو شئتِ — رِفْدا
لئن أسرفتِ في ذمّي وقدحي ... رددتُ عليك شكراناً وحمدا
وإنْ لاقيتِ من (مولاك) ظلماً ... « فقد جاوزتِ بي للظلم حدّاً »
وإمّا تشتكينَ اليوم سُهْداً ... فكم سبّبتِ لي سَهراً وسُهْدا
سأحفظ عهد حبكِ طول عمري ... وإنْ كبلتِنِي في الحبِّ قيْدا
وأُسلمكِ الفؤادَ بلا حفاظ ... وإنْ أثخنتِ فيه قِلىً وصدّاً
وكم قد عظّمَ الأسياد قدري ... فصيّرني هواكِ اليوم عبدا
مُري ما شئتِ تَلْقَيْني مطيعاً ... فأمرٌ منكِ حاشا أنْ يُردّاً
وحاشا أنْ أحبَّ سواكِ يوماً ... فإنّي لم أجدْ لكِ قطُّ نِدّاً ■■

بغداد — بسيم ذويب

---

(١) اسم كتاب .



الريف العربي

به مشاكل عدة

البون شاسع بين القرية العربية ،

بقلم : الدكتور فاخر عاقل

■ أتيح لي خلال سنوات عديدة أن أعمل في مؤسسات الريف والتربية الأساسية في كل من لبنان وسورية ومصر والاردن والعربية السعودية وقد مكنني هذا من الاطلاع على مشكلات الريف العربي (في المشرق العربي على الأقل) ، وملاحظة تشابه هذه المشكلات واهميتها وتعقدها .وساحاول في هذا المقال أن أتعرض لهذه المشكلات تعرضا سريعا لا اطمع فيه أن اقدم الحلول لها بقدر ما آمل أن أجملها واشير الى اهمها واقترح بعض الطرائق والوسائل لتلافيها . واذا استطاع هذا المقال ان يثير المشكلة في ذهن القارىء وأن يسترعي انتباهه الى الاهمية الخطرة لهذه المشكلات . ففي هذا الكفاية .

أهمية الريف العربي

لست أحسبني أبالغ حين اقول ان الريف يكون معظم البلاد العربية ويحتل أكثر مساحتها . اما من حيث السكان فقد دلت الاحصاءات التي أجريت في سورية مثلا على أن ثلثي سكانها في عام ١٩٦٠ كانوا ريفيين أو في حكم الريفيين . واظن أن هذا الرقم متواضع بالنسبة لكثير من الاقطار العربية التي ما تزال مدنها في وضع اشبه بوضع الريف .

واذا كان صحيحا أن البلاد العربية ما تزال ــ في معظمها ــ بلادا زراعية تعتمد على الزراعة في اقتصادها فانه صحيح أيضا أن المجتمع الريفي العربي الذي ينهض بالزراعة ما زال مجتمعا متخلفا باعمق ما في هذه الكلمة من معنى .

ولقد قيل ان الريف العربي مصاب بالثالوث المخيف ، ثالوث الفقر والجهل والمرض وهو قول صحيح مع الأسف الشديد . فالريف العربي فقير الى أبعد حدود الفقر ، امي أو شبه امي ، مريض بالمعنى العميق لكلمة المرض .

أقول هذا وأنا على علم بالامكانات الهائلة الكامنة في الريف ، كما أقوله وأنا على علم بالجهود المشكورة التي تبذل في بعض أقطارنا العربية لاصلاح هذا الريف .

وتبقى الحقيقة الصارخة التي تؤكد أن ريفنا العربي فقير وجاهل ومريض وانه ما لم تبذل الجهود اللازمة لانتشال هذا الريف من الوهدة التي هو فيها فلا صلاح لأمر الأمة العربية .



والمدينة العربية، ولا نهضة إلا بتقاربهما

المشكلة الاقتصادية

اما فقر الريف العربى فامر معروف لا يحتاج الى شرح فدخل الفرد دنىء جدا ومستوى المعيشة اقل مما يليق بالكرامة البشرية والطاقات مهدورة والامكانات التى لا حدود لها غير مستغلة .

ولعل اهم الأسباب لهذا الفقر المدقع هو ان الاقتصاد الريفى ما زال بدائيا . فالزراعة بدائية بطرائقها ووسائلها ومردودها ، والصناعة مفتقدة ، والمحاصيل رديئة ، والاراضي مشاعة ، والاقطاع ما زال سائدا في بعض الاقطار العربية وان كان قد قضي عليه أو كاد في بعض الاقطار الاخرى .

وما لم يدخل العلم الى زراعتنا ، وما لم يؤمن فلاحنا بالاساليب العلمية في استغلال ارضـه ، واستعمال الالة في زراعته ، واللجوء الى التعاون في تصريف محاصيله ، فانه سيبقى فقيرا معدما ينتج اسوا المحصولات واقلها ويحصل على ادنى دخل منها .

وحتى في الاقطار التى سنت قوانين الاصلاح الزراعى وحددت الملكية الزراعية فان الكثير مما يجب عمله باق من مثل ادخال الالة الى الزراعة واعتماد الاساليب العلمية في الزراعة وتعميم التعاونيات وانشاء المحطات التجريبية وغير ذلك من الأسباب التى تحسن المحصول وتزيده وتساعد على تصريفه مع ضمان حقوق الفلاح في دخل معقول.

المشكلة التعليمية

فلاحنا امى . هذه حقيقة رهيبة يجب أن ننظر فيها وان نتلافاها . صحيح ان التعليم قد وصل الى بعض اريافنا وان المدارس قد بدات تنتشر في الارياف ، ولكن معظم أبناء الريف لا يستكملون تعليمهم الالزامى على الأقل ، وهو في معظم اقطارنا لا يتجاوز السنوات الست .

واذا كان من نافلة القول ان الزراعة الحديثة في عالم اليوم علم وفن قائمان على التكنية الواعية فان الحقيقة الناصعة هى أن فاقد الشيء لايعطيه. فالفلاح الجاهل الأمى عاجز عن فهم اصـول الزراعة الحديثة ، عاجز عن الاخذ باسبابها ، عاجز عن الافادة من منجزاتها ، وبالتالى عاجز عن منافسة فلاحى العالم الذين يفيدون من منجزات العلم والتكنية في زيادة محصولاتهم وتحسينها واخذ أحسن المردود من عملهم وجهدهم وعرق جبينهم .

ولعل أخطر ما في الأمر ان ابن الفلاح لا يكاد يتعلم حتى يبادر الى هجر الزراعة والقرية ويمم وجهه شطر المدينة حيث الحياة المقبولة والعمل المحترم والوظيفة المريحة ، والسلام على القرية وقذارتها وضنك العيش فيها .

وما لم يدخل العلم القرية على مقياس واسـع وتمحى الأمية بجميع اشكالها ومعانيها ، ويرتفع مستوى العيش فيها ، ويدخلها الكتاب والمجلة

والجريدة والمكتبة والتلفاز ، فان ابن القرية المتعلم سيثابر على هجرها والابتعاد عنها .

ومن هنا كانت ضرورة عناية الحكومات العربية بادخال التعليم والتثقيف الى القرية العربيةورفع مستواها العلمى والثقافي ، وجعل الزراعة قائمة على أسس راسخة من العلم والتطبيق العلمى وتيسير سبل العيش اللائق الكريم لجميع أبنائها.

هذا ولا يخفى أن المشكلة التعليمية مرتبطة بالمشكلة الاقتصادية تؤثر فيها وتتأثر بها ، فالفقر الذى ينيخ بكلكله على القرية يجعل نشر التعليم امرا صعبا . وبالمقابل فان الجهل يقود الى الفقر وتبقى ندور في حلقة مفرغة رهيبة .

واذا أضفنا الى ذلك أن الكثيرين من شباب القرية غير المتعلمين والقادرين على العمل يهجرونها الى المدينة بحثا عن لقمة العيش وهناك يصبحون عمالا غير مهرة ، يتناولون أدنى الأجور ، ويقومون بأقسى الأعمال ، ويعيشون أسوأ عيشة ، أدركنا مأساة الريفى العربى الذىلا يجد في قريته ما يبقيه فيها ولا يجد في المدينة ما يسمح له بالعيش الكريم .

المشكلة الصحية

فقر الفلاح وجهله يخلقان منه شخصا مريضا . انه يأكل أسوأ الأطعمة : ينتج الحليب والبيض فلا يذوقهما بل يبيعهما الى أبناء المدن ليحصل على دريهمات يقيم بها أوده . يربى الماشية فلا يتذوق لحمها الا لماما ويبيعها الى أبناء المدينة لينعموا بلحمها وشحمها . يزرع الخضار والفواكه فلا يناله منها الا الردىء الذىلا يجد لهسوقا.غذاء فلاحنا سيىء وغير متزن ، جسمه منهوك ، صحته متردية انه يجهل أبسط قواعدالصحة ولا يستطيع أن يصل الى الطبيب والصيدلية ، الا في أخطر الحالات وبعد تضحيات فاحشة .

وبدهى أن الصحة الطيبة رأس مال وان الصحة المعتلة خسارة وهدر ، أضف الى ذلك الألم والشقاء والبؤس التى يعانيها الفلاح ويشكو منها مر الشكوى .

وما لم يتيسر لفلاحنا الالمام الحقيقى بحفظ الصحة وأصوله ، وما لم يتيسر له مراجعة الطبيب عند اللزوم والحصول على الدواء بالمجان أو بسعر تحتمله جيبه ، فانه سيبقى مريضا منهوكا عاجزا عن العمل والانتاج ومنافسة غيره من فلاحى العالم .

ان حل المشكلة الصحية في ريفنا يحتاج الى حملات تقوم بها السلطات المختصة لتغيير عادات الريفى وطرائق حياته ورفع مستوى هذه الحياة وتوفير الطبيب والدواء .

ولا ننسى في هذا المجال أن نشير الى نسبة الوفيات الكبرى بين الأطفال الريفيين ،والى الامراض المستوطنة في أريافنا العربية ، والى العادات والتقاليد الصحية المنتشرة في قرانا ودساكرنا ، والى المنزل غير الصحى الذى يقطنه فلاحنا ، والى الماء الملوث الذى يشربه ، والى الغذاء غير المتوازن الذى يأكله ، والى عشرات الأمور التى تجعل من فلاحنا انسانا مريضا برغم سخاء الطبيعة ونقاوة الهواء وتوفر الشمس الساطعة والطقس الحسن .

المشكلة الاجتماعية

والمشكلات الاجتماعية في ريفنا نابعة من جهل الفلاح وفقره ومرضه . ففلاحنا فردى عشائرى ، يعيش على التقاليد البالية ويؤمن بالخرافات المؤذية ، مفاهيمه بعيدة عن العصر ، وطريقة حياته عقيمة ، وتعامله مع اقرانه غير سوى .

خذ مثلا مسألة الثأر في بعض أريافنا واذكر ضحاياها ومآسيها. وخذ مثلا آخر مسألة العائلات والحمولات والعشائر وما يحدث بسببها من مشكلات . وخذ مثلا ثالثا مسألة الأعراس والمآتم وتقاليدها وعاداتها ومصروفاتها ، وخذ مثلا رابعا مسألة الخرافات والأوهام التى يعيش فيها فلاحنا وما ينتج عنها من مآس ونكبات ، وخذ .. وخذ ..

انها مشكلات خطيرة يعانى منها ريفنا ويدفع لها الفلاح أغلى الأثمان ، وما لم تعالج هذه المشكلات ويتبين الفلاح الحق من الباطل والصحيح من الخاطىء فانه سيثابر على دفع أغلى الأثمان وسيعانى مجتمعنا العربى الحديث التحفز للحياة الحرة الكريمة أسوأ النتائج .

لقد سبق أن اشرنا الى مشكلة الهجرة من الريف : هجرة المتعلمين وهجرة العمال وهىمشكلة تنهك الريف وتحرمه من كفاياته وامكاناته ، ولكن الا يجدر بنا أن نذكر مشكلة أوقات الفراغ في الريف ، وما أكثر الفراغ فيه ، والوقت والجهد. والكفاءات المهدورة ؟ الا يجدر بنا أن نذكر الآفات المنتشرة في بعض أريافنا من حشيش وميسر

وسواهما ؟ ومثل هذا كثير من المشكلات المعروفة عن اريافنا .

مشـكلة المـرأة

وللمرأة في الريف مشكلة ، ولقد رأينا أن نخصها بالذكر لان المرأة تشكل نصف المجتمع - اي مجتمع - ولان المرأة في الريف تعامل معاملة تهبط احيانا الى درك سحيق .

المرأة الريفية جاهلة . وقد يقول قائل ان الرجل الريفي جاهل أيضا ، ولكن جهل المرأة في الريف أشد وأعمق ، انها لا ترسل الى المدرسة الا نادرا واذا ما أرسلت فلسنين معدودة تعاد بعدها الى البيت والحقل .

والمرأة الريفية مظلومة ، وهي تعامل معاملة اقرب الى معاملة البهائم منها الى معاملة البشر . بل ان البهيمة احيانا اكثر قيمة منها ، وكم من فلاح ينظر الى جاموسته او فرسه نظرة تزيد أهميتها عن نظرته الى امرأته أو ابنته .

انها تقوم بأقسى الاعمال اذ ان عليها أن تقوم بأعمال البيت وتشارك في أعمال الحقل بالاضافة الى تربية الاولاد .

تعدد الزوجات امر شائع ، والطلاق أمر سهل ، وضرب المرأة امر مألوف ، وحرمانها من الارث أمر مقبول وغير ذلك كثير .

ثم ان سوء الظن بالمرأة واتهامها في عرضها وامانتها الزوجية شائع في ريفنا . كم من عذراء ذبحت ظلما وعدوانا ، وكم من زوجة شريفة طلقت لشبهة تقوم على سوء الظن ، وكم من شريكة حياة ، أعيدت الى بيت أهلها لخلافات عشائرية أو عائلية لا دخل لها فيها .

فاذا أضفت الى ذلك كله كون المرأة شيئا مهملا في الاسرة لا راي لها ولا قول ولا قيمة ، يتسلط عليها الولد بعد الزوج ، ويضطهدها الحفيد بعد الاخ ، عرفت حالة المرأة السيئة .

وما لم تحتل المرأة الريفية المكانة اللائقة بها في المجتمع الريفي ، وما لم تعد اليها كرامتها وقيمتها البشرية ، وما لم تعامل المعاملة اللازمة بوصفها أما واختا وزوجا فان المجتمع الريفي سيبقى متخلفا رجعيا متأخرا .

مشكلات أخـرى

ما ذكرنا كان المشكلات الرئيسية لريفنا العربي

وتبقى مشكلات أخرى من مثل طرق المواصلات بين القرية والمدينة وعدم وجود الطرق المعبدة الجيدة التي تمكن الفلاح من الوصول الى المدينة ، وايصال محاصيله اليها . والحق ان مشكلة طرق المواصلات مشكلة هامة جدا ذلك بان الطريق الجيد يساعد على الوصل بين القرية والمدينة وايصال الحضارة من الاخيرة الى الاولى ، ولعلنا لا نبالغ حين نقول ان هذه الطرق مفتقدة وان وجدت فهي تعج بالغبار صيفا وتغص بالأوحال شتاء .

ولعل أهم هذه المشكلات البون الشاسع بين المدينة والقرية العربيتين ، ففي حين ان بعض المدن العربية كالقاهرة ودمشق وبغداد والجزائر وطرابلس قد وصلت الى منزلة من التقدم والحضارة تعتبر مرضية فان القرية العربية في جميع الاقطار العربية ما زالت متخلفة متأخرة : مساكنها غير لائقة ولا صحية ، شوارعها غير معبدة ، ماؤها ملوث ، انارتها غير عصرية ، وسائل العيش فيها متخلفة ، الحاجيات فيها غير متوفرة ، الخ ..

وهذا الفارق الكبير بين المدينة والقرية العربيتين يجعل التواصل بينهما صعبا ويحمل أبناء القرية المتعلمين على الهجرة منها ، ويبعد ابناء المدينة عن القرية فتعيش هذه الاخيرة في عزلة تغط في نومها وتبقى على تخلفها وتأخرها .

وما لم تعمل الحكومات العربية على رفع مستوى القرية بحيث يقترب من مستوى المدينة ، ويحمل ابناء القرية على البقاء فيها وابناء المدينة على الاتصال بها بل والعيش فيها ، فان مسافة الخلف ستزداد وسيأتي يوم نجد فيه عالمين متمايزين يوجدان في كل من القرية والمدينة .

وبعـد

فهذه نظرة عجلى على مشكلات الريف مررنا خلالها مرورا سريعا بمشكلات الريف واستعرضناها استعراضا سريعا قصدنا منه تنبيه المسؤولين وفتح عيونهم على مشكلات الريف التي تعتبر عاجلة وملحة في نهضتنا الحاضرة التي لن تستكمل الا بقرية عربية غنية متعلمة صحيحة جميلة . ■■

دمشق : فاخر عاقل

طرائف

الناس ثلاثة

● قال الحسن بن علي : الناس ثلاثة ، فرجل رجل ، ورجل نصف رجل ، ورجل لا رجل . فاما الرجل الرجل فذو الراى والمشورة ، واما نصف الرجل فالذى له الراى ولا يشاور ، واما الرجل الذى ليس برجل فالذى لا رأى له ولا يشاور .

المال والعـ

● قيل ان العلم والمال والشرف اجتمعوا مرة ، وحين ارادوا ان يفترقوا قال المال : انني ذاهب يا أخواني فاذا أردتم أن تجدوني فابحثوا عني فى ذلك القصر العظيم .

بين عثمان وابن مسعود

● قيل ان عثمان بن عفان دخل على عبد الله بن مسعود يعوده فى مرضه الذى مات فيه ، فقال له : ما تشتكي ؟ قال : ذنوبي . قال : فما تشتهي ؟ قال : رحمة ربي . قال : افلا ندعو لك بطبيب ؟ قال : الطبيب امرضني . قال : افلا نأمر لك بعطاء ؟ قال : منعتنيه وانا محتاج اليه ؛ وتعطينيه وانا مستغن عنه . قال : يكون لبناتك من بعدك . قال : لا حاجة لهن به ، وقد تركتهن لخالقهن فهو عليم باحوالهن .

رايتني والأمر لك

● دخل يزيد بن ابي مسلم صاحب شرطة الحجاج على سليمان بن عبد الملك بعد موت الحجاج ، فقال له سليمان : قبح الله رجلا اجرك رسنه ، واولاك امانته . فقال : يا امير المؤمنين رايتني والأمر لك ، وهو عني مدبر ، فلو رايتني وهو عليّ مقبل لاستكبرت مني ما استصغرت ، واستعظمت مني ما استحقرت . فقال سليمان : أترى الحجاج استقر فى جهنم ، فقال : يا امير المؤمنين لا تقل ذلك ، فان الحجاج وطأ لكم المنابر ، واذل لكم الجبابر ، وهو يجيء يوم القيامة عن يمين ابيك وشمال اخيك ، فحيثما كانا كان . فسكت سليمان بن عبد الملك .

عربيــة

ـــلم والشرف

وقال العلم : اما انا فابحثوا عني فى تلك الجامعة الكبرى .

وظل الشرف ساكتا فساله زميلاه لماذا لا تجيب ؟ فقال : اما انا فانني اذا ذهبت فلن اعود قط .

● قال احد الحكماء : ان لكل فضل زكاة ، وان زكاة المال الصدقة على الفقير المحتاج ، وان زكاة القوة الدافعة عن الضعيف المظلوم . وان زكاة البلاغة القيام بحجة من قد عجز عن حجته ، وان زكاة الجاه ان يجساد به من لا جاه له ، وان زكاة العلم التعليم لمن قصّر .

ذنوب فوق ذنوب

● لما حضرت سعد بن زيد الوفاة جمع ولده وقال : يا بنيّ اوصيكم بالناس شرا ، كلموهم نزرا ، وانظروا اليهم شزرا ، ولا تقبلوا لهم عذرا ، قصّروا الأعنة ، واشحذوا الاسنة ،تأكلوا القريب ، ويرهبكم البعيد . ثم قال : اني لأعلم ان قوما سيأتونكم قد اقرحوا جباههم ، وعرّضوا لحاهم ، يدّعون ان لهم على ابيكم دينا فلا تقضوهم ، فان اباكم قد حمل من الذنوب ما ان غفر الله له لم تضره والا فهى مع ما تقدم من ذنبه .

حسنة لم تقبَل

● حكى الاصمعي قال كنت اساير رجلا من وجوه اهل الشام اذ مر بحمال يحمل سلة رمان فتناول منه واحدة وجعلها فى كمه ، فعجبت من ذلك ، ثم رجعت الى نفسي وكذّبت بصري ، حتى مر بسائل فاخرج الرمانة من كمه وناولها اياه . فقلت له : رايتك قد فعلت عجبا . فقال الشامي : وما هو ؟ قلت : رايتك اخذت رمانة من حمال واعطيتها سائلا . فقال الشامي : وكيف تقول هذا القول ، اما علمت انى اخذتها وكانت سيئة واحدة ، واعطيتها فكانت عشر حسنات ؟ فقال الاصمعي : اما علمت انك اخذتها سيئة ، واعطيتها فلم تقبل منك لانها من حرام .

مسابقة العربي

١٠ أسئلة عن افريقيا .. و ١٠٠ دينار جوائز

■ موضوع مسابقة هذا العدد عن دول افريقيا .. تلك القارة التى حصلت معظم دولها على استقلالها .. انها تتقدم اليوم نحو مستقبل تلوح فيه متاعب كثيرة .. فابناؤها يتزايدون بنسبة هائلة تبلغ ٢ر٨٪ سنويا ، وهذا يعني ان تعداد سكان افريقيا الحالى ـ وهو ٣٠٠ مليون نسمة ـ سيقفز الى ٧٥٠ مليون في نهاية هذا القرن .. فما الذى تعرفه عن هذه القارة ؟

عشرة اسئلة نطرحها عليك ، ومع كل منها ثلاثة ردود ، او اكثر ، احدها هو الصحيح ، والمطلوب ان تجيب على سبعة اسئلة على الاقل ، اجابات صحيحة :

(١)

جمهورية الكمرون : تطل على خليج غينيا ، وهي على هيئة مثلث هائل ، مساحته ٤٧٤٩٠٠ كيلو متر مربع ، يعيش عليه ٥٣٥٠٠٠٠ نسمة .. اما عاصمتها فهي :

دوالا ـ ياوندى ـ كانو .

(٢)

ابيدجان عاصمة جمهورية افريقية مساحتها ٣٢٢٤٦٣ كيلو مترا مربعا وعددسكانها ٤٥٦٠٠٠٠ نسمةوتطل على خليج غينيا .. ما اسم هذه الجمهورية التى عاصمتها ابيدجان :

فولتا العليا ـ غينيا ـ ساحل العاج .

(٣)

اما جمهورية داهومي ، وعاصمتها بورتو نوفو ، فهي على هيئة مستطيل طوله ٤١٥ ميلا وعرضه ٧٧ ميلا ، وعدد سكانها ٢٥٣٠٠٠٠ نسمة ، وتطل داهومي على خليج غينيا ، وفى نفس الوقت لها حدود مع اربع دول .. فما اسم هذه الدول الاربع :

النيجر ـ كينيا ـ نيجيريا ـ السودان ـ توجو ـ فولتا العليا ـ غانا ـ غينيا .

(٤)

حصلت الجمهورية الصومالية على استقلالها فى اول يوليو عام ١٩٦٠ واصبحت جمهورية موحدة مساحتها ٦٣٧٦٥٧ كيلو مترا وعدد سكانها ٢٧٦٠٠٠٠ نسمة وعاصمتها مقديشيو .. والسؤال هو : الى كم قسم كانت الجمهورية الصومالية مقسمة ، ومن الذى كان يحكم كل قسم :

البرتغال ـ فرنسا ـ ايطاليا ـ انجلترا .

(٥)

السودان اكبر دول افريقيا مساحة ، وتقدر هذه المساحة بنحو ٢٥٠٥٨١٣ كيلو مترا مربعا ، اى اكثر من ربع مساحة اوربا ، ويعيش على هذهالمساحة الهائلة ١٤٧٣٠٠٠٠ نسمة يتزايدون بنسبة هائلة هي ٢ر٨٪ سنويا .. وعند الخرطوم يلتقى النيلان الازرق والابيض ليكونا نهر النيل الكبير .. والمطلوب منك معرفة اسم النهرين اللذين يتكون منهما النيل الابيض :

نيل البرت ونيل فكتوريا ـ بحر الجبل وبحر الغزال ـ نهر السنغال ونهر الكنغو .

(٦)

نيامي عاصمة جمهورية النيجر التي تبلغ مساحتها ... ٢٦٧ ١ كيلو متر مربع ، يعيش عليها ... ٥٨٥ ٣ نسمة .. وهذه الجمهورية لا تطل على البحر ، وانما لها حدود برية مع جمهورية تشاد في الشرق ، ومع نيجريا وداهومي في الجنوب ، ومع فولتا العليا ومالي في الغرب .. اما في الشمال فلها حدود مع دولتين عربيتين هما :

تونس ـ الجزائر ـ مصر ـ ليبيا ـ السودان .

(٧)

جزيرة كبيرة يعيش عليها ... ٦٠٠ ٦ نسمة ، يفصلها قنال موزمبيق عن الساحل الجنوبي الشرقي لافريقيا (٤٠٠ كيلو متر تقريبا) ان هذه الجزيرة هي اشبه بقارة صغيرة مساحتها ٠٤١ ٥٨٧ كيلو مترا مربعا ، وعاصمتها اسمها تناناريف .. اعلنت استقلالها في ٢٦ يونيو ١٩٦٠ واصبحت تسمى :

جمهورية روانـدا ـ جمهورية زامبيا ـ جمهورية مالاجاسي .

(٨)

بوتسوانا .. اسم غريب .. هل هو :

مدينة ـ بحيرة ـ جمهورية .

(٩)

جمهورية فولتا العليا عدد سكانها ... ١٣٥ ٥ نسمة وتقع داخل الجزء الغربي من افريقيا ، وليس لها منفذ على ساحل البحر ، واقرب نقطة فيها تبعد عن المحيط مسافة ٥٠٠ كيلو متر .. ولكن فيها ثلاثة انهر كلها غير صالحة للملاحة ، تشترك في اسم واحد يميزه لونه ، فمرة احمر ، ومرة ابيض ، وثالثةاسود .. فما اسم هذا النهر المتعدد الاسماء :

نهر النيجر ـ نهر السنغال ـ نهر فولتا .

(١٠)

والسؤال الاخير عن نيجريا ، ذلك البلد الذي شهد ماساة الحرب الاهلية ، ان مساحته ٧٦٨ ٩٢٣ كيلو مترا مربعا .. وسكانه يتحدثون بعدد هائل من اللغات واللهجات قدروها بنحو ٣٠٠ لغة ولكنة .. والمطلوب منك معرفة كم عدد سكانه :

١٣ مليون ـ ٥ مليون ـ ٦١ مليون .

شروط المسابقة

١ ـ ان يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور في ذيل هذه الصفحة .

٢ ـ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .

٣ ـ ضع اجابتك في مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتي :

مجلة العربي ـ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ١٤٣ » .

٤ ـ آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم الثالث من شهر نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٠ .

٥ ـ كل خطاب يفقد شرطا من هذه الشروط عرضة لان يهمل ولا يدخل عملية الاقتراع على الجوائز .

يمنح الفائزون جوائز ١٠٠ دينار كويتي على الوجه الآتي :

الجوائز ١٠٠ دينار

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا . **الجائزة الثانية** ٢٠ دينارا . **الجائزة الثالثة** ١٠ دنانير .

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .

.. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريق الاقتراع .



جيلُ القلقِ

بقلم : سلمى الحفار الكزبرى

تعارف علماء الاجتماع والمربون فى عصرنا على تسمية الجيل الجديد الذى نشأ بعد الحرب العالمية الثانية : (جيل القلق .) وسماه بعضهم : (جيل العبث .) ووصفوه بالتحرر من القيم الاخلاقية المألوفة ونعتوه بالانحلال والتفسخ انطلاقا من سلوكه الفردى والاجتماعي الغريب ، ان لم نقل الشاذ .

سلوك عابث يكفر بالتقاليد

لقد تجلى هذا السلوك العابث في بلاد الغرب التي خاضت غمار الحرب الاخيرة وعانت من اهوالها ومآسيها الكثير ، حين ظهرت في العواصم الكبيرة ، في لندن وباريس ونيويورك وغيرها ، طبقة من الشباب الكافر بكل تقليدى ومألوف ، والمؤمن باليوم الحاضر والحرية الذاتية ايمانا لا يتزعزع. وقد سعى بعض هؤلاء الشباب الى تحقيق الذات باسم الوجودية ، فانتحلوا اسمها ، واهملوا معناها ومرماها ، وانكبوا على اباحة المحرمات واشاعة الشغب في مجتمعاتهم ، متذرعين بالحرية ، ولكنهم عجزوا في نهاية الامر عن فرض سلوكهم المستهجن على تلك المجتمعات لخروجهم عن قواعد اللياقة والنظافة والمنطق ذاته .

طبقة اخرى من ابناء الجيل جديدة

ثم ظهرت في مدن الغرب الكبيرة ، وفي السنوات الاخيرة ، طبقة من أبناء الجيل الجديد وبناته عرفت باسم (الهيبى) Hippies ، فذاع صيتها واتسع انتشارها . وهي منظمة تبشر بالحرية والمحبة وتفرض على اعضائها الاخلاص التام لهذين المبداين . فالحرية في يقينهم حق مكتسب منحته الطبيعة للانسان ونصت عليه الدساتير ، غير انهم حريصون على الاستمتاع بها حتى اقصى

درجاتها مما جعلهم يرتدون الازياء التي يبتكرونها ، ويرسلون شعورهم وذقونهم على هواهم طالما انهم احرار في الظهور بين الناس بالمظهر الذي يختارونه ويرونه ملائما لعقليتهم ، وطراز معيشتهم . وقد تقبلهم المجتمع الغربي في انكلترا وفرنسا والولايات المتحدة وغيرها ، وغضت الحكومات طرفها عن سلوكهم الى أن تجاوزوا حدود هذه الحرية ودخلوا في ميدان الفوضى فكان لابد لها عندئذ من معاقبة الشطط ، والاخلال بالامن ، والاجرام . واما المحبة فانها في عرف افراد طبقة (الهيبي) مبدا اساسي لابد من التقيد به في حياتهم يقتضي النظر الى الحسنات والتغاضي عن العيوب دونما تفرقة بين نبيل ووضيع ، غني وفقير ، وجميل وقبيح ، ولهذا نرى أن فكرة المحبة لديهم تشمل فكرة العدالة الاجتماعية والاخوة الانسانية .

سبب اتساع هذه الطبقة

ولكي نفهم سبب اتساع حلقات هذه الطبقة من الشباب الذين يعيشون في بلاد الغرب المتقدمة، ويعارضون الاعراف الماضية المتوارثة معارضة جريئة ، لابد لنا من دراسة واقعهم والعوامل التي دفعتهم الى التعبير عن التمرد والمعارضة ، عندئذ نجد أن نظريتهم ليست مجرد ثورة سطحية على كل مالوف لانها ترتكز على معان جديدة للوجود ، نابعة من صميم الواقع الغربي ذاته اثر الحرب العالمية الثانية . لقد تولدت تلك النظرية لدى الجيل الغربي الجديد من سلسلة المآسي والنكبات التي عانوها في طفولتهم ، وذاقوا مرارتها في بيوتهم وبلادهم اذ اصابت آباءهم ومجتمعهم مباشرة وسودت الدنيا في عيونهم ، وقضت على آمالهم ورخائهم ، فجعلتهم يشبون على جحود الماضي وانظمته ، والتشاؤم من المستقبل ، ويرغبون أشد الرغبة في انقاذ الذات والاستمتاع بملذات الحياة ضمن الاطار الذي رسموه لها ، ولهذا تراهم يكرهون الحرب ويبشرون بالمحبة والحرية والسلم . ومع ذلك يرى المتتبع ان مبادىء هؤلاء الشباب ما زالت موضع اخذ ورد في مجتمعاتهم بين تحبيذ واستنكار، لا سيما بعد ان تفشت في أوساط متعددة وتجلت في التعبير الفني الحديث اذ انها تخطت ميدان الحياة الفردية الى ميدان الرسم والموسيقى والغناء ، واصبح اثرها كبيرا في الاجيال الصاعدة . ولا بد من الاقرار بان بين هؤلاء الشباب الجدد من افراد (الهيبي) الهازل الى جانب الجاد ، والميال الى المبالغة والاستهتار الى جانب المقتصد في تصرفاته والمعتدل في مظهره . فان مجرد التجول في حي من احيائهم في مدينة لندن (الكينغزرود) يكشف لك هذه الحقيقة حيث ترى الفتيان والفتيات الذين تتراوح أعمارهم بين الخامسة عشرة والخامسة والعشرين ، بعضهم ما زال يجتاز الدراسة وبعضهم قد تجاوزها ودخل ميدان العمل، لكل واحد منهم ذوقه الفردي وطباعه الشخصية ، ولكنهم ينهجون نهجا اجتماعيا خاصا بهم في أوقات التسلية والفراغ .

انعكس التمرد الغربي ، في مجتمعنا الشرقي ، فولد جيلا من الشباب عابثا بالتقاليد

اثر التمرد الغربي في مجتمعنا الشرقي

ان تجلى هذا التمرد الصارخ على التقاليد الموروثة في الموسيقى والغناء والرسم ، بالاضافة الى تجليه في اسلوب مواجهة الحياة ، ذو اثر عميق في اجيال من الشباب تعيش في بلاد نائية عن الغرب ، كانت في مأمن من الهزات والمآسي التي نجمت عن الحرب العالمية الثانية وعن ويلاتها. ولابد لنا من الوقوف عند هذا الجانب الخطير من انتشار عدوى التمرد والقلق في عالمنا لانه يمسنا نحن العرب في الصميم ، ويشكل معضلة اجتماعية وقومية في بلادنا ، لاسيما واننا نعيش ظرفا عصيبا يتطلب من الشباب والكهول والشيوخ وعيا صحيحا ، وجهودا جدية منظمة للتغلب على اخطاره . فان انتقال كل ما يظهر من طفرات



في الغرب الى مجتمعنا بسرعة البرق، ونزوع بعض شبابنا لاقتباسه ولتقليد مناهج في السلوك لا تليق بنا وباعرافنا ، ولا مبرر لها اصلا في حياتنا ، مما يشغل البال حقا ، ويدعو الى التفكير والتبصر . وهنا يحق لنا أن نتساءل : هل يعود تأثر شبابنا بموجات التمرد والقلق الى سطحية تفكيره ؟ او الى فراغه ؟ أو الى عصرنا ذاته ؟ فاذا حاولنا الاجابة على هذه الاسئلة باخلاص نرى أن الذين يحذون حذو الغربيين في هذا الصدد مأخوذون بالمظاهر الجديدة ، مقبلون على تقليدها اعتقادا منهم بأنها الدليل على الرقي والتقدم ، كما نجدهم بارعين في التقليد ، فرحين به ، وهذا دليل ساطع على ضعف الشخصية وبالتالي على سطحية التفكير . لقد اصبح في وسع ابناء جيلنا الجديد وبناته أن يتحرروا من القيود البالية القديمة . ان يحرروا أنفسهم من الجهل والتخلف كما اصبح في وسعهم أنيتطوروا وينعموا بمعطيات العصر الحاضر والنهضة الفكرية والعلمية والاجتماعية الحديثة في بلادنا النامية ، اما ان يجنحوا الى التحرر من القيم الاخلاقية ، وان ينحدروا الى هوة الانحلال النفسي ، وان ينجرفوا بتيار التقليد الاعمى لكل ما يحدث في الغرب بلا مبررات تنبع من واقعنا ، فهذا مالا يقره عرف منطقي ولا مجتمع سليم ، ومالا نرتضيه لشبابنا البتة الذين هم عماد الامة وامل مستقبلها . اذن لابد من مساعدة شبابنا على تقوية شخصيتهم لكي يتغلبوا على سطحية التفكير .

ولكي تنمو شخصية الشباب لابد من ثلاثة : الشعور بالمسؤولية ، والثقة بالنفس ، والطموح .

غير أن الواقع يفرض علينا أن نعترف بان معظم شبابنا بعيدون عن ادراك المسؤولية ، وعاجزون عن تحملها بسبب خطأ فادح في اسلوب تربيتهم في البيوت وفي المدارس ، اى في مجتمعنا برمته ، اذ اننا كثيرا ما ننشئهم على التواكل ، ونشجع فيهم الاعتماد على الغير منذ حداثتهم ، وهذا ما يقودنا الى تعليل ضعف الثقة بالنفس . وبدهي ان الثقة بالنفس هي الاساس المتين في تنمية الشخصية وتبلورها ،وفي دفعها الى العمل الجدى، والمبادهة الفردية ، ومن ثم التفوق .

جنوح شبابنا عن العمل وتعجله جنى الثمر

ولا ريب في ان اكثر المربين في عالمنا قد لاحظوا ظاهرة مقلقة في جيلنا الجديد الا وهي هروبه من العمل الجدى سواء في مرحلة الدراسة او في ميدان العمل على الرغم من توفر اسباب الراحة والرفاهية في حياتنا العصرية بالقياس الى عنت الحياة في ايام آبائنا وأجدادنا ، ولا ريب كذلك في انهم يلاحظون تعجل هذا الجيل بالوصول الى مراتب العلم والتقدم دونما جهود صحيحة اذ انه اضحى قليل الصبر على البحث والمطالعة ، والعمل الجدى والمثابرة عليه ، فان حب الوصول باقل قسط من التعب والبذل صفة بارزة من صفاته غير الحميدة . واما الطموح فانه للاسف قليل بين صفوة ابنائنا لان القدوة الحسنة ،والتوجيه الصحيح ، والمثل الاعلى ، عوامل حياتية هامة أخذت بالانحسار في افق مجتمعنا في السنوات الاخيرة .. وكلنا يعلم أن دون الطموح (وبالتالى التفوق والابداع) حب العلم ، ونوع من الصوفية في العمل الجدى المتواصل ، وهذا ما يقتضى تدريبا قوميا وفرديا واعيا ، وشجاعة لدى الفرد في الاكتفاء بمصاحبة الذات والانصراف الى الاختصاص لتحقيق الهدف الذى يصبو اليه الانسان الطموح .

شبابنا يهرب من نفسه

ان العصر الذى نعيش فيه عصر قلق مضطرب اصبح الانسان فيه يعيش مشكلات نفسه ومشكلات غيره ، يتأثر بها بسبب تقريب المسافات بين الدول والقارات ، وانتشار وسائل الاعلام ، مما ادى الى خروج الفرد من اقليميته الضيقة ، فكرا ومشاعر ، الى الحياة العالمية بآفاقها الواسعة . ولكننا نلاحظ مع ذلك انكباب جمهرة الشباب على العلم والعمل والابداع في البلاد المتحضرة التي تتبارى باحراز السبق في المجالات العلمية والثقافية والفنية ، بينما نجد شبابنا قانعين بالحلول المتوسطة ان لم نقل خاملين يشكون من الفراغ الموحش في مختلف بيئاتهم ، فينزعون الى التسلية العميقة لملء أوقاتهم ، والى الهروب من النفس . والهروب من النفس دليل على فقرها ، اذ لولا الفقر الفكرى والجدب الروحي لما انقاد ابناء جيلنا الجديد الى الانجراف بتيار التقليد ، ولما اقبل على استيراد رأى الغير ، وجبن عن مواجهة الحقيقة ، حقيقة أوضاعه وحقيقة رسالته ومصيره، فان من يخشى مواجهة نفسه يخشى مواجهة الحياة والموت على حد سواء .

جمهرة شبابنا لا تطيق الوحدة

وهل يختلف اثنان في أن معظم الشباب والشابات في يومنا هذا لا يطيقون الوحدة ولا يحتملون البقاء في بيوتهم ، وانهم في بحث دائم عن الرفاق والتسلية ؟ اننا نراهم كيف ينفرون من الاختلاء بانفسهم او الاخلاد الى الهدوء مع أعمال فكرية ويدوية (هويات) تتطلب العناية والتأني والصبر ،كما نجدهم في تذمر دائم من الحياة وكأنها خلو من كل جدير بالاهتمام ، ومن كل ممتع وسام وجميل ، وعندهم أن الحصول على الشهادة فريضة لا مفر من تأديتها لكسب القوت وحفظ الكرامة ، وغاية في حد ذاتها ، وغالبا ما يجدونها مقيتة ، لا وسيلة مرغوبا فيها تعينهم على صعود درجات سلم التفوق والمجد درجة اثر درجة ! وهذا لعمري ما يحز في نفوسنا ويدفعنا للبحث عن الداء املا في الاهتداء الى الدواء .

قلة قراء الكتب الرصينة

ولهذا كله يعجب المفكر العربي أشد العجب حين يتبصر بظاهرة مدهشة وهي تقلص عدد قراء الكتب الرصينة في السنوات الاخيرة في حين أن عدد المتعلمين في مختلف البلاد العربية اخذ بالتزايد تزايدا كبيرا ، ولهذا ايضا بتنا نفتقر الى التفوق والنبوغ في صفوف الشباب ونفتقر اكثر الى جهد الافراد والهيئات القادرة على سد ثغرات رهيبة في عالمنا في مختلف المجالات العلمية والثقافية والفنية لاننا نرنو الى وثبات حياتية تقودنا الى اثبات الوجود في هذا العالم وفي هذا العمر النووي المتفجر .

والسينما تنقل الينا صورا من الحياة الغربية عابثة

ولكي نكون منصفين لابد لنا من الاعتراف بان طرفا من المسؤولية يقع على منجزات العصر الحديث نفسها كوفرة الاشرطة السينمائية التي تنقل الينا تطورات المجتمع الغربي العابثة بالقيم، وانتشار الكتب المثيرة والمجلات المصورة المغرية التي تصادف هوى في نفوس شبابنا لانها عامل هام من عوامل انجذابهم اليها وتأثرهم بها .

والموسيقى الصاخبة

ثم هناك عامل مقلق آخر هو ذيوع أنواع الموسيقى والغناء ، تلك الموسيقى الصاخبة ، الداعية للاضطراب ، النابذة لكل هادىء وجميل ، لشبهها بالنفخ بالصور ، وبالزمجرة والصرير وقصف الرعد ، الى جانب الاستغاثة الموجعة والصراخ المتمرد المحموم الذي يسمونه غناء ..

هذه صور من عصرنا الصاخب تشكل سببا وجيها من اسباب تفشي القلق في نفوس الشباب اينما وجدوا ، لان امثال تلك الكتب والاشرطة والمجلات والاسطوانات مما يهيج الاعصاب قطعا ويدعو الى الثورة والاضطراب الفكري والنفساني.

ليس الوزر كله على الشباب وحده

وهنا يجدر بنا ان نتوقف قليلا للدفاع عن جيلنا الجديد ونطرح على انفسنا بعض الاسئلة : كيف نلوم شبابنا على التغذية والارتواء مما نقدمه له وهو شباب جائع ظامىء لا يجد على مائدته غير هذا القلق والاضطراب ، هل جيلنا الجديد مسؤول وحده عن بضاعة الفكر الحديث والفن الحديث في صورهما العابثة الهدامة ، وعن موجات التفسخ التي اجتاحت العالم الغربي وتسربت في مجتمعاتنا ؟ كيف نجيز لانفسنا ان نطلب اليه العودة الى حظيرة الصفاء الروحي والاتزان الذهبي ، وأن يميز الخبيث من الطيب ، ونحن نقدم له الخبز الملوث غذاء فكريا ، والماء العكر شرابا ؟ نحن مقصرون في حق هؤلاء الابناء ولاهون عنهم وعن مشكلاتهم . فقلما فكرنا بتوفير وسائل التثقيف والتشجيع والتسلية لهم على الصعيدين الخاص والعام . والا فاين النوادي الرياضية والثقافية والفنية في مختلف العواصم والمدن والقرى ، واين المكتبات التي تساعدهم على شغل اوقات فراغهم ، وعلى اكتشاف المواهب ، وتدربهم على العمل الجماعي المنظم الخلاق ؟ فالمسؤولية الاولى تقع ، حين نقر بتقصيرنا كامة نامية ، آمالها أكبر من أعمالها ، على المربين في البيوت والمدارس ، اي على مجتمعنا ذاته وعلى الوزارات المختصة ، لاغفال معضلات الشباب ، وللتقصير في تفهمها والتحري عن اسبابها ونتائجها، مع انها في الواقع معضلة الامة برمتها . ■■

سلمى الحفار الكزبري

طعامُ الأنس

يختزنه له النبات اختزانا

حَبّـاً
أو بقـلاً
أو جَـوزاً

العدس
والفول
طعام
الفقراء

ثم أطعمة أُخرى دون هذه قيمة يحفظها له:

في جُـذُرٍ
وفي سـاقٍ
وفي ورقٍ
وفي ثمـرٍ



ـانِ

بقلم الدكتور أحمد زكي

اصول الطعام ثلاثة

■ الطعام هو كل ما يسوغ في الحلق ، وينهضم في قناة الهضم ، وتمتصه الامعاء ، ويأخذ منه الجسد كل ما يحتاج اليه من طاقاته .

وبالتجربة الطويلة ، وبالتحاليل العلمية الكثيرة ، اهتدى الانسان الى ان مكوّنات الطعام الاصيلة ثلاثة :

البروتين وهو مادة اللحم والبيض والجبن وما اليها .

والنشا وهو ينحل الى السكر .

والدهن وهو الشحم والزيت اصنافا شتى .

ثلاثة اصول ، هي اصول الحياة الاولى ، كلها موجودة في النبات . فبالنبات وحده ، دون شيء سواه ، يستطيع الانسان ان يعيش . وبسبب هذا كان النباتيون الذين يرفضون اكل اللحوم .

اين نجد هذه الاصول في النبت وفي الشجر

تجدها حيث شاء النبات أن يحتفظ بها ذخيرة .

وهو يحتفظ بها ذخيرة في جذر ، او في ساق ، او في ورق ، او في ثمرة ، أو في بذرة .

والطعام الذي يحتفظ به النبات في ثمرة او في بذرة هو اهم الاطعمة التي يسعى وراءها الانسان . ونعم قد يجد الانسان في ورق طعاما هاما ، وقد يجد في ساق ، وقد يجد في جذر ، ولكن اكثر

الطعام هو الذى يحفظه النبات فى بذوره والثمار .

الحبوب تحتل المرتبة الاولى من مراتب الاطعمة

تأتي الحبوب فى المرتبة الاولى من مراتب الاطعمة ، وهي تؤلف فى العادة اكثر ما تحتويه وجبات الانسان على اختلاف مواقعه ومساكنه من سطح هذه الارض ، وعلى العموم ، فلا ندخل فى حسابنا أقواما شذوا ، لمواقع لهم شذت عن سائر مواقع الارض ، كان لا يكون بها ارض تزرع ، وان يكون بها بحر او بحار ليس بها غير السمك حصادا .

وابو الحبوب القمح . ثم الذرة والشعير والجاودار Rye ، والشوفان Oats ، وما اليها . وكذا الارز .

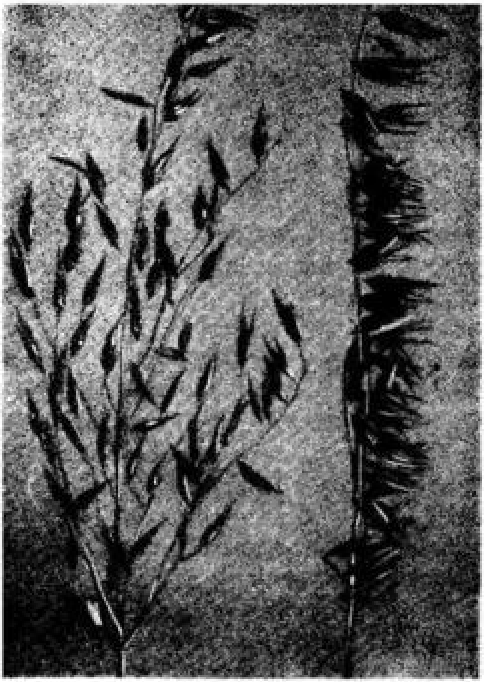
وقد سبق ان عالجنا منها ما عالجنا بما فيه الكفاية فى صفحات العربي *

ومع هذا نزيد فنقول انها جميعا ، من الوجهة النباتية ، بذور لحشائش Grasses تؤلف فصيلة كبيرة تعرف بالفصيلة النجيلية Gramineae ، وتشترك جميعا فى ان حباتها يلتحم فيها جدار البذرة بجدار المبيض لتتكون منهما قشرة الثمرة Karyopsis .

ومما زاد فى ذيوع هذه الحبوب ان زراعتها تأتلف واجواء الارض المختلفة ، فالمناطق الشمالية لها الشعير والجاودار ، والمناطق المعتدلة لها القمح ، وللمناطق الاستوائية والحارة الذرة والارز . وزراعتها لا تحتاج الى جهد كبير ، ومحصولها الناتج وفير .

والحبوب محتواها من الماء قليل ، فهي لا تفسد سريعا على التخزين . وعند النقل لا ينقل الانسان شيئا أكثر ماء .

واخطر من هذا ما تحتويه من اصول طعام . وهذه امثلة من بعض التحاليل :



نبات الشوفان
ويتراوح طوله ما بين ٢ الى ٥ اقدام

دقيق القمح الابيض يحتوى على ماء ما بين ١٠ و ١٢ فى المائة ، وعلى بروتين ما بين ١٠ و ١٢ فى المائة ، وعلى دهن ما بين ١ و ٢ فى المائة ، وعلى نشا ونشويات ما بين ٧٢ و ٧٦ فى المائة .

والارز الحب الخام خرج تحليل عينة منه بالارقام الاتية : ١١٫٦ فى المائة من الماء و ٨٦٫٦ من النشا وما اليه ، و ٦٫٢ من البروتين .

المهم فى هذه التحاليل ان ما بالحب من نشا هو الذى يعطى الجسم طاقته ، ثم البروتين وهو الذى يعطيه بناء جسمه .

البقول

وان يكن للحبوب المحل الاول فى غذاء الانسان

فللبقول المحل الثاني .

* راجع العربي عدد ٢٧ ، ١٠٩ ، ١٢٨

ونضرب للبقول المثل بالبسلة (البازلاء) والفول .

والبقول تؤلف فصيلة من فصائل النبات كبيرة تعرف بالفصيلة البقلية ، تضم نحو ١١٠٠ نوع . وثمرتها عبارة عن قرن يحتوى البذور ، وينشق عنها جانباه عندما ينضج ويطيب . ومن اجل هذا تعرف ايضا بالفصيلة القرنية .

وهي سهلة الزراعة ، سريعة النمو . وتجف بذورها ، ويقل محتواها من الماء ، فيسهل خزنها الى ان تكون اليها حاجة .

ولكن البقول تمتاز بأكثر من هذا :

تمتاز بغذائها الممتاز ، ففيها النشا ، وفيها الدهن ، ولكن اخطر من هذا أن بها البروتين اكثر مما فى اى محصول آخر من المحاصيل النباتية .

ومن اجل هذا كانت البقول ضرورية فى كل بلد تقل فيه اللحوم .

وزيادة مقدار البروتين فى البقول يرتبط بوجود دَرَن على جذور الكثير من البقوليات يحتوى على بكتير من شانه أن يأخذ من هواء الجو أزوته ، ويحوله الى مركبات ازوتية يعطيها للنبات ليصنع منها البروتينات ، وهو يعطيها الى النبات عن طريق جذوره . وهذا البكتير ينتفع فى نفس الوقت بما يأخذ من النبات ، من جذوره ، من طعام لنفسه . وهذه الظاهرة ، ظاهرة التعايش هذه ، بين البكتير والبقول ، تعرف بظاهرة التكافل Symbiosis .

وزيادة البروتين فى البقول لا تقتصر فقط على تركيب ثمارها ، فهي تعم تركيب النبات كله ، ومن اجل هذا يستخدم هذا النبات علفا للحيوان .

والنبات اذا حرث فى الارض حرثا ، وبه من البروتين ما به ، عمل فى الارض ما يعمل السماد الازوتي ، فالبروتين يتحول فى الارض نتيجة للتحلل فيكون سمادا .

البسلة
ضرب" منها عادى
وترى فى الصورة قرونها الطويلة



البسلة
نوع آخر وقد انفتح قرن فيه



البسـلة

او ان شئت فالبازلاء Peas .

وهو اسم لعدة نباتات ، متشـابهة الثمر ، متشابهة البذور .

وهي صنوف منتشرة في كل بقـاع الارض . فبعض نجد مواطنه في جنوب اوروبا قبل الميلاد المسيحي ، وقد عرفه الرومان وعرفه اليونـان . ومنها مـا يزرع في كندا والولايات المتحـدة ، وفي الاغريق والشرق الاوسط صنـوف . والهند تزرع من البسلة الحمص Chick Peas في ارض مساحتها تساوي مساحة ما يزرع العالم من قصب السـكر ، وتحصل منه على نتاج يقدر بنحو ١٠٠ مليون دولار .

ولاعطاء فكرة عن مكونات البسـلة الغذائية نقول ان عينات منها جافة ، حللت ، فخرج التحليل منها على الارقام الاتية ، في المتوسط : ١٣٫٣ ماء و ١٦٫٧ كربو ادراتات غير نافعة و ٢٫٤ سـكر و ٤٧٫٦ نشا و ٢٠ في المائة بروتين .

المهم هنا كثرة البروتين

الفـول

وكما البسلة صنوف ، فكذلك الفول صنوف .

ومنها فول مصر الذي يستخـدم في التدميس .

ومنها اللوبيا ، ومنها الفاصوليـا . وكلها اسماء اجنبية تدل على ان اصولها ليست عربية . ومنها ما ليس له اسم عربي . وكلها بقول ، بها كمية البروتين عالية كما في البسلة .

فول الصويا

وفول الصويـا Soya Beans ، وقـد كانت تزرع الصين شجرته في عام ٢٨٣٨ قبل الميلاد ، فهكذا دلت السجلات . وموطنه الجنوب الشرقي من آسيا ، ويوجـد منه في هـذه المناطـق نحـو ١٠٠٠ صنف .

ومنشـوريـا تحتل مكـان الصدارة في تصديره ، تليها كورية ، فاليابـان ، فالصين ، فاندونيسيا .

وهو اشهر بقل في الشرق الاقصى . وطعامهم هناك الارز . واذن لابد مـن تعزيزه من حيث نقص بروتينه ببقـل يحتوي البروتين . فكان هذا البقل هـو فول الصويا .

وفـول الصويا من اكمـل الانتجـة النباتية غذاء . وهو يحضر للمائـدة بطرق شتى . ويصنع منه لبن يستخدم في الطبخ ، ويوصي به الطب للاطفـال ولمرضى السكر ، وذلك لهبوط محتواه النشوي وارتفاع محتواه البروتيني .

ويستخرج الزيت من فول الصويـا فيعطي نحـو سـدس وزنـه زيـتا ، والمتخلف طحين .

وحللوا دقيقا من فول الصويا ، كامل الدهن ، فأعطى التحليل الارقام الاتية : ٧٫٠ من الماء و ١٣٫٣ من النشا وما اليه و ٣٩٫٥ من البروتين .

وبروتين هذا الفول يشبه البروتـين الحيواني في تركيبه كثيرا . وهو اشبه ببروتين الجبن المسمى بالجبنين .

ولهذا الفول في الصناعة كذلك خطر .

وزاد اهتمام الولايات المتحدة به في ربع القرن الاخير ، واحتل مكانا خطيرا في زراعتها .

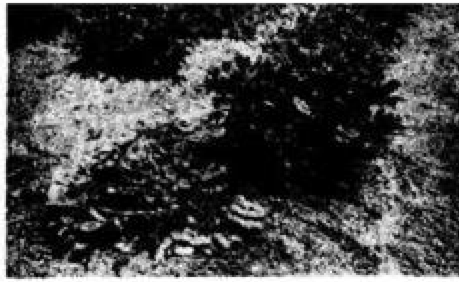
وقد كان في النية ان يستزرع في بلاد الشرق الاوسط . في البلاد العربية ، ثم لم نسمع بعد ذلك ما تم في ذلك .

بقي أن نزيد بان نقول ان نبات الصويا نبات صفير حولي كثيف .

والفول السوداني

وهو من البقول الحقة ، ولو اختلفت قشرته عن قرن الفول ان هذه القشرة ليست الا قرنا .

والفول السوداني نبات حولي كثيف



الفول السوداني
حقل مزروع به ، صفوفا ، صفوفا

الورق ، به خاصة غريبة ، انه ينضج ثماره فى بطن التربة .

وموطن النبات الاول امريكا الجنوبية، ثم حمله المكتشفون البرتغاليون من هناك الى الدنيا القديمة . وهو يزرع الان بكثرة فى الهند ، وشرق افريقيا وغربها ، وفى الصين ، وفى اندونيسيا . وحمله الى الولايات المتحدة الارقاء من زنوج افريقيا، وهو الان من اكبر محاصيل جنوب الولايات المتحدة .

ويحصد النبات بحرث الارض ، واخراج ما بطن فى التربة ومنه الثمر ، وينتزع الثمر بعد ذلك عن النبات وينظف ويصقل . اما النبات فيستعمل علفا ، او هو يخلط بالتربة ليكون منه سماد ازوتي نافع على نحو ما سبق ان ذكرنا .

والفول السوداني مغذ ، فالرطل منه ينتج فى الجسم ٢٧٠٠ سعر حرارى، بينما ينتج رطل اللحم العجالي ٩٠٠ سعر .

ومن الفول يستخرج الزيت ، وهو يستخدم للمائدة ، وللسلطة ، وفى الطبخ. وكذلك يضاف الى السردين فى مختوم علبه .

العدس

والعدس Lentils ، من اقدم البقول المعروفة ، ومن اكثرها غذاء ، اما موطنه الاول فالجنوب الغربى من آسيا ، ومن هناك دخل مصر واليونان .

ونبات العدس نبات حولي رفيع ، له شوشة ، كثير الفروع .

اما قرونه فقصيرة وعريضة .

واما بذرته فمستديرة . وفى علم الضوء صنعوا من الزجاج قرصا ، كوروا سطحيه ، واسموه عدسة . وما سمي بهذا الاسم الا لشبهه ببذرة العدس .

وفى الافرنجية نجد اسم هذه العدسة الزجاجية واسم العدس واحد . فهي فى الانجليزية Lens ، وهي فى الفرنسية Lenti ومن حيث التغذية ينطبق على العدس ما ذكرنا عن سائر البقول ، اى ان زيادة مقدار البروتين الذى فيه تغنى آكليه ، لاسيما الفقراء ، عن اللحم اذا عز وجوده او عز ثمنه .

ان العدس والفول هما غذاء الفقراء المستطاب .

النقل
البندق . واللوز . والجوز
وما اليها

ومن البقول ننتقل الى طائفة اخرى من اغذية الانسان لها خطرها ، ونعنى بها النقل وسائر صفوفه .

والحق انه ليس فى العربية اسم صالح يجمعها .

فالنقل هو ما كان العرب تتنقل به على الشراب ، ما بين شربة فشربة. وكان هذا بندقا حينا ، وكان لوزا وجوزا . ولكن جاز ايضا ان كان من فواكه وغيرها . ومع هذا فقد صح استخدامنا لفظة النقل تغليبا لها على ما كان اكثر استخداما عند العرب .

وفى بعض البلاد العربية تجمع هذه الاصناف فى لفظ مكسّرات . لانها لا تؤكل الا بعد كسرها .

والاسم الانجليزى الواحد لها هو Nuts ، وهو اذا استخدم علميا وبدقة كان الثمر الجاف الذى احتوى على خلية واحدة وبذرة واحدة يطويها غلاف جامد . واصح مثل له البندق . ولكنه

امتد فى الاستعمال العادى الانجليزى الا ما وراء ذلك بحكم العرف .

ونحن نسير على ما جرى عليه العرف بين الناس .

ومن الدارسين من اطلق على النقل لفظ الجوز ، لفظا عاما يشمله جميعا .

والنقل ليس غالي الثمن حيث يزرع، لان شجره يجود بالكثير ، وزراعته سهلة ، وهو غذاء مركز لقلة مائه ، وهو من اجل ذلك صالح للخزن . وهو يطيب مخزونا فى الاجواء الباردة ، اما فى الاجواء الحارة فقد يفسد ويسوء طعمه ويصيبه الدود .

والنقل غذاء قيم ، فنسبة البروتين به مرتفعة ، وكذا مقدار ما به من دهن . وهو مع هذا يحتوى على النشويات واحيانا السكر ايضا . وهو من اجل ذلك جمع من اصول الغذاء ما جعل منه غذاء متزنا . وبه كذلك من الاملاح ما يفيد الاجسام .

ومن اجل هذه الصفات يتغذى به العديد من الناس ، لاسيما بين سكان المناطق الاستوائية حيث تقل اللحوم . وهو من اجل هذا بالناس اليه حاجة لحاجتهم الى البقول .

وبسبب قيمة النقل هذه اتجه الزراع الى دراسة توسيع نطاق زراعته ،لاسيما وانه يصلح فى الارض التي لا تصلح للمزروعات العادية .

والنقل انواع ثلاثة :

(١) ما نسبة الدهن فيه عالية .
(٢) ما نسبة البروتين فيه عالية .
(٣) ما نسبة النشويات به عالية .

جوزة البرازيل

ومن النقل ، اتباعا للعرف ، جوزة البرازيل Brazil Nut ، وهي من شجرة برازيلية برية عملاقة .

والجوزة مثلثة الشكل بنية الظاهر ، لها قشرة تكسر بقوة . والجوزة التى تنكشف عنها القشرة لهـا مكسر تحت الاسنان اشبه بمكسر جوزة الهند ولها طعم قريب منها .

وتحتوى الجوزة على ما بين ٦٥ الى ٧٠ فى المائة من الدهن .

جوزة كاشو

ثم جوزة كاشو Cashew Nut ، وهي من شجرة موطنها الاول البرازيل ، ولكنها الان تزرع فى كثير من البلاد الاستوائية ، من المكسيك الى بيرو ،الى موزمبيك والهند ، والهند الشرقية .

والجوزةالمقشورة بيضاء ، صغيرة بطول عقلة الاصبع ،منحنية بعض الشيء يذكر شكلها بشكل الكلية . ولها طعم مستطاب . وقد ازداد اقبال الناس عليها فى السنوات الاخيرة اقبالا كثيرا .

ومن هذا الجوز يعتصر زيت له قيمة غذائية طيبة .

وجوزة الهند

ثم جوزة الهند Coconut ، وهي لا تحتاج الى تعريف . وهي من المحاصيل النباتية ذات القيم الاقتصادية الكبيرة ، وهي من المحصولات اللازمة فى حياة ملايين البشر الذين يعيشون فى البحار الجنوبية وفى كثير من البقاع الاستوائية .

شجرة جوزة كاشو
وترى فيها الاوراق ثم الثمرة كاملة
وبداخلها الجوزة



وشجرتها كالنخلة السامقة . ولها قامة جميلة معروفة .

وعدا الطعام ، فالجوز مصدر عظيم للزيت ، زيت جوز الهند .

البندق

ثم البندق Hazel Nuts ، وهو كذلك لا يحتاج الى تعريف . وهو من شجيرات وشجر ، فى امريكا وفى اوروبا .

والجوز او عين الجمل

ثم الجوز او عين الجمل Walnuts ، وهو من شجر موطنه الولايات المتحدة واوروبا . وهو شجر قيم بسبب جوزه، وكذلك بسبب خشبه .

ونسبة الدهن الذى فيه ، كنسبته فى سابق ما ذكرنا من الجوز ، كبيرة .

ونكتفي بهذا القدر من تلك الاصناف كثيرة الدهن .

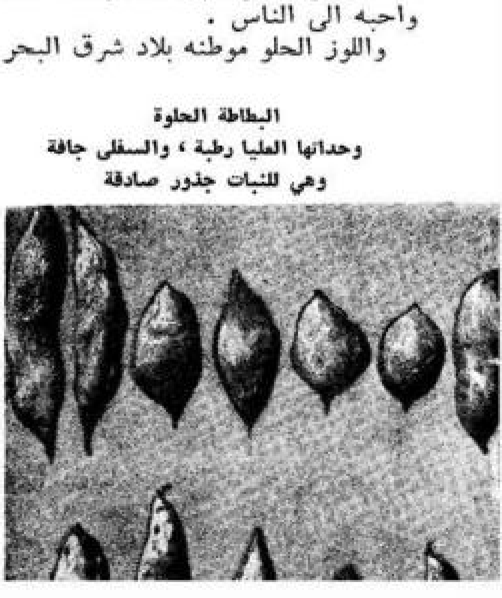
اللوز

وبانتقالنا الى اللوز ننتقل الى النقل الذى نسبة البروتين فيه كبيرة .

وهو من اشهر الجوز واكثره انتشارا واحبه الى الناس .

واللوز الحلو موطنه بلاد شرق البحر

البطاطة الحلوة
وحداتها العليا رطبة ، والسفلى جافة
وهي للنبات جذور صادقة



المتوسط ، ويزرع شجره ، وهو شجر صغير ، فى جنوب اوروبا ، وكذلك فى كلفورنيا ، واستراليا ،وجنوب افريقيا .

الفستق

ومن الجوز كثير البروتين الفستق Pistachio Nuts ،وشجرته صغيرة، وموطنها بلاد غرب آسيا ، وهي تزرع فى ايران وافغانستان ، وفى جنوب الولايات المتحدة وكلفورنيا .

الكستنة او ابو فروة

وهو الثمر المعروف . وهو من الثمر الذى ينطلق عليه تعريف الجوز من الوجهة النباتية .

وهو شجر يزرع فى اوروبا والولايات المتحدة واليابان ، وهو كثير النشا ، وهو من حيث التغذية خطير كخطر القمح والذرة .

عود" الى بدء

ذكرنا فى مطلع هذه الكلمة ان النبات يحتفظ بالطعام ذخيرة فى :

جذر ، او فى ساق ، او فى ورق ، او فى ثمرة او بذرة .

وقد اتينا بسرعة على امثلة من خزنه الغذاء فى ثمرة او فى بذرة ، وبدانا فيما يتصل بالبذر بالحبوب لانها الاخطر فى حياة الانسان وفى انطلاق الحضارة ، ثم جئنا بالبقول لان لها المحل الثاني ، ثم اتينا بالجوز على اطلاقه لما فيه من عنصرى الطعام البروتين والدهن .

وبقي ما يخزنه النبات فى الثمر ،وتلك هي الفواكه ، وهي شيء كثير . ومنها البرتقال والتفاح والكمثرى والخوخ والمشمش والبرقوق وما اليها . والناظر فيها يجد انه ليس بها من اصول الطعام ، اعنى البروتين والدهن ، ما يستحق الذكر ، وان السكر والنشويات هي الاصل الثابت الواحد الذى بها ، وحتى

هذا ينزل بنسبته ما بالفاكهة من ماء كثير .

وامر هذه الفاكهة معروف مشهور .

بقي ان نذكر على عجل امثلة مما يخزن النبات من غذاء :

فى جذر
وفى ساق
وفى ورق

لكي نستكمل الصورة العامة التي عليها يخزن النبات الغذاء .

الفجل واللفت ، والجزر وما اليها

فهذه امثلة من النباتات التى تخزن غذاءها فى جذرها . وقد كان الجذر مكانا طيبا للخزن بسبب انه فى بطن الارض فالارض له وقاء . وكلها نباتات قديمة قدم الدهر .

ونضيف اليها البنجر وخطره فى انتاج السكر عظيم .

ونضيف اليها البطاطة الحلوة Sweet Potatoes ، وموطنها الاول امريكا الاستوائية ثم انتقلت الى العالم القديم وانتشرت فى كل بقاعه ، ولكن خطرها بقي حيث زرعت فلم تصبح للتجارة غرضا .

البطاطة او البطاطس

وفرقنا بين البطاطة (البطاطس) Potato ، والبطاطة الحلوة ، لان البطاطة الحلوة جذر احتوى مخزونا من الطعام فى الارض ، ولكن البطاطة غير الحلوة (البطاطس) فسيقان ارضية تعرف بالدرن Tubers . وتنظر الواحدة منها فتجد فيها « عيونا » غائرة تخرج منها البراعم Buds ، وتقطع الدرنة قطعا ، لكل منها عين فبراعم ، وتدفن فى الارض فتاخذ تستقر فيها وتنمو نباتا جديدا .

والبطاطة (البطاطس) Potato ، موطنها الاول امريكا ، ونقلها الاسبان الى اوروبا فالعالم القديم بعد عام ١٥٨٠ .

والبطاطة (البطاطس) من أهم نباتات التغذية للانسان .

وتحتوي البطاطة (البطاطس) نحو ٧٨ فى المائة من الماء ، ونحو ١٨ فى المائة من الكربوادراتات (النشويات وما اليها) ، و ٢ فى المائة من البروتين ، و ١ر. من الدهن . فالبروتين هو تسع مابها من نشا ، وهذا له خطره .

واوروبا تزرع ٩٠ فى المائة من محصول البطاطة (البطاطس) فى العالم . وهو يزاحم القمح بعض الشيء ، فطحين القمح الكامل به نحو ٥ر٧٣ فى المائة من النشويات ، ونحو ٥ر٩ فى المائة من البروتين اى ان نسبة البروتين الى النشوى فيه هي فوق الثمن بقليل ، بينما هي فى البطاطس نحو التسع . فقد تشابها .

الخس والكرنب و « السبانخ » وما اليها

ثم الى امثلة للنباتات التى تخزن الغذاء فى اوراقها ، وكذا فى السيقان كما فى الخس والكرنب .

والهليون او الاسبرجس Asparagus ، يختزن غذاءه فى ساقه .

وهذا الغذاء المخزون كثير الماء ، قليل ما به من نشا . وبه بعض البروتين لا سيما فى الاوراق فهي مصنع النبات الذى تصنع فيه المواد .

والخضراوات جميعا ، واكثرها الورق الاخضر ، ان فقدت القيم من اصول الاغذية بالقدر الذى تعودناه ، فقد احتوت على كثير من الاملاح التى يحتاجها الجسم ، وعلى الفيتامينات . ومن اجل ذلك كانت اساسية فى الطعام .

ثم هي من بعد هضم تترك فى القناة الهضمية بقايا من الطعام لا تهضم ، كبقايا السليولوز ، بها من الخشونة ما يساعد على تحريك الغذاء فى القناة الهضمية .

●●

احمد زكي

نتيجة مسابقة العدد ١٤١

الشمس أقرب النجوم إلى الأرض

■ كانت مسابقة العدد ١٤١ تتلخص في ١٢ جملة كل واحدة منها بها معلومات معينة . وكان المطلوب هو ذكر ما اذا كانت هذه المعلومات صحيحة ام خاطئة . ويبدو ان القلة من القراء هم الذين استطاعوا الاجابة اجابات صحيحة على كل الجمل الاثنتي عشرة . ولذلك فقد رأينا ان نتغاضى عن خطأ واحد في الاجابات وبذلك ادخلت في القرعة كل الخطابات التى جاء فيها أحد عشر جوابا صحيحا . ومن بين الاخطاء التى شاعت ان الشمس ليست اقرب نجوم السماء الينا في حين ان الشمس فعلا هى اقرب النجوم الى الارض ، ومتوسط بعدها عن الارض يبلغ ٠٠٠ ٠٠٠ ٩٣ ميل في حين أن النجم الاقرب الينا من بعد الشمس يبعد عنا ٣٠٠ الف مرة مثل بُعد الشمس .

وهذا هو نموذج للاجوبة الصحيحة .

١ ــ اللون الاصفر احد الوان الطيف الاصيلة . (صح)

٢ ــ كارل ماركس كان يهوديا روسيا . (خطأ)

٣ ــ البطريق طائر لا يطير ولكنه يسير على قدميه . (صح)

٤ ــ الموجات الصوتية تسير في الماء بسرعة اكثر من سرعتها في الهواء . (صح)

٥ ــ علم الجمهورية العربية المتحدة ، وعلم الجمهورية العراقية ، وعلم الجمهورية العربية السورية ، كلها اعلام واحدة . (خطأ)

٦ ــ سرعة باخرة ٣٠ عقدة ، تعادل سرعة سيارة تسير في الارض بسرعة ٣٠ ميلا في الساعة. (خطأ)

٧ ــ جزيرة سيلان مشهورة بزراعة البن .(خطأ)

٨ ــ الشمس هى اقرب نجوم السماء من الارض . (صح)

٩ ــ الصحراء الكبرى في شمال افريقيا ، أطلق عليها هذا الاسم لأنها أكبر صحراء فى العالم .(صح)

١٠ ــ أبو الحسن بن الهيثم العالم العربي الذى كان له أثر كبير في علم البصريات ولد في مدينة البصرة . (صح)

١١ ــ المحيطات والبحار تكون نحو ٧١٪ من مجموع مساحة سطح الكرة الارضية . (صح)

١٢ ــ هناك الآن طريق برية سريعة تربط بين جميع البلاد العربية ، في المشرق والمغرب . (خطأ)

اسماء الفائزين

وهذه هي اسماء الفائزين في هذه المسابقة :

- **الجائزة الاولى** : وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها : **صالح عبد الرحمن حريرى** ــ مكة المكرمة ــ السعودية.
- **الجائزة الثانية** : وقيمتها ٢٠ دينارا فازت بها : **سعاد الكعبي** ــ تونس .
- **الجائزة الثالثة** : وقيمتها ١٠ دنانير فازت بها : **وسام محمد محمود شديد** ــ الكويت .

٨ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا كل منها خمسة دنانير فاز بها كل من :

١ ــ **عبد اللطيف السعيد** ــ حمص / سوريا .
٢ ــ **فيصل عبد الوهاب الربيعي** ــ بصرة ــ معقل ــ العراق .
٣ ــ **محمود محمد جمعه ابو زغريت** ــ عمان / الاردن .
٤ ــ **ابراهيم النصرى محمد** ــ الخرطوم ــ السودان .
٥ ــ **نيازى يسين بابوخان** ــ عدن ــ جمهورية جنوب اليمن الشعبية .
٦ ــ **محمد علي حماده** ــ المنامة / البحرين .
٧ ــ **فاروق عبد اللطيف مرسى** ــ ميت غمر ــ ج ٠ ع ٠ م
٨ ــ **زهير زهر الدين** ــ بيروت / لبنان .

■■

١٦ سفينة ضخمة

تستعد للرسو على الأرصفة الجديدة لميناء الكويت



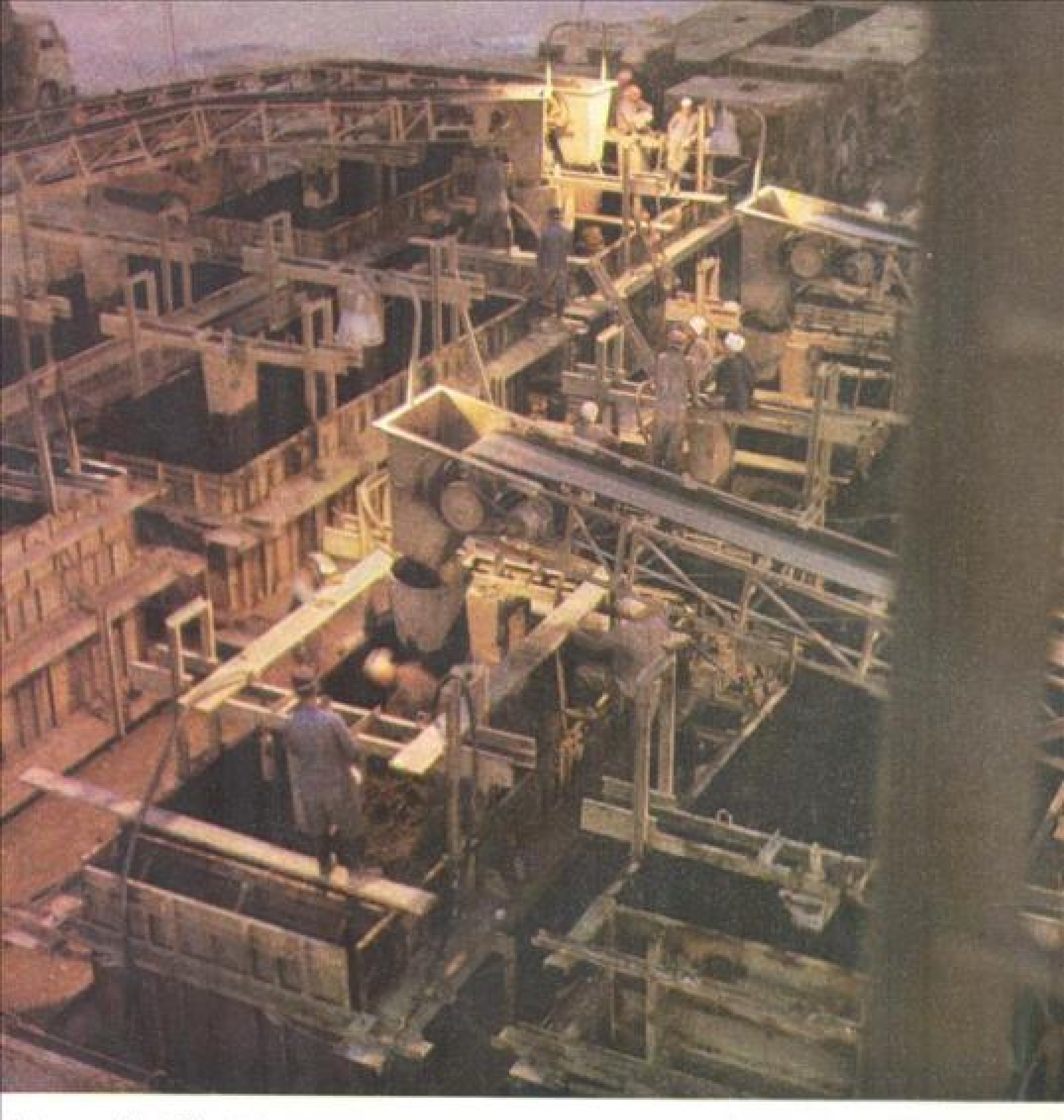
الميناء الحالي.. ازدحام وحركة دائمة وسرعة هائلة في التفريغ، ومع ذلك لا بد من توسعة الميناء!



يستمر العمل ليل

• مشروعات جديدة لإنشاء ثلاثة موانئ أخرى بالكويت
• نوافذ على مياه الخليج هي جسور إلى العالم الحديث

بقلم : سليم زبال



نهار من صب الكتل الخرسانية .. وكل يوم تأخير في موعد تسليم الميناء ، يكلف المقاول الفي دينار !

الى اسفل : احد الصنادل المحملة بالاحجار ، يصبها في البحر لتقوية قاعه ، قبل وضع كتل الخرسانة المسلحة .



■ « اننا نقوم بتوسيع الميناء الرئيسي للكويت ليستطيع مواجهة الحركة التجارية المتزايدة ، خلال السنوات العشر القادمة .. »

هذه العبارة التي رددها الاستاذ خالد العيسى وزير الاشغال العامة بالكويت ، تعكس صورة الوضع التجاري للكويت ، فمنذ خمس سنوات كان استيراد الكويت اقل من مليون ونصف مليون طن من البضائع ، واليوم قفز هذا الرقم الى اكثر من مليوني طن ، في السنة الماضية ١٩٦٩ . الوف متزايدة من الاطنان تستوردها البلاد يوميا ....

عين المال

ان التجارة هي المهنة الاولى لاهل الكويت .. كانوا يجوبون البحار والمحيطات ، قاصدين عمان وافريقيا والهند وسيلان .. يشترون ويبيعون ، وهم على ظهر سفنهم ، تلك التي كانت حتى سنوات قريبة خلت، قوارب شراعية تسير بقوة دفع الهواء .. ثم تحولت هذه القوارب الى سفن كبيرة تمخر عباب البحار .. فنشأت الحاجة الى انشاء ميناء يستقبل تلك البواخر الضخمة ، وينظم جباية الرسوم والجمارك على البضائع .

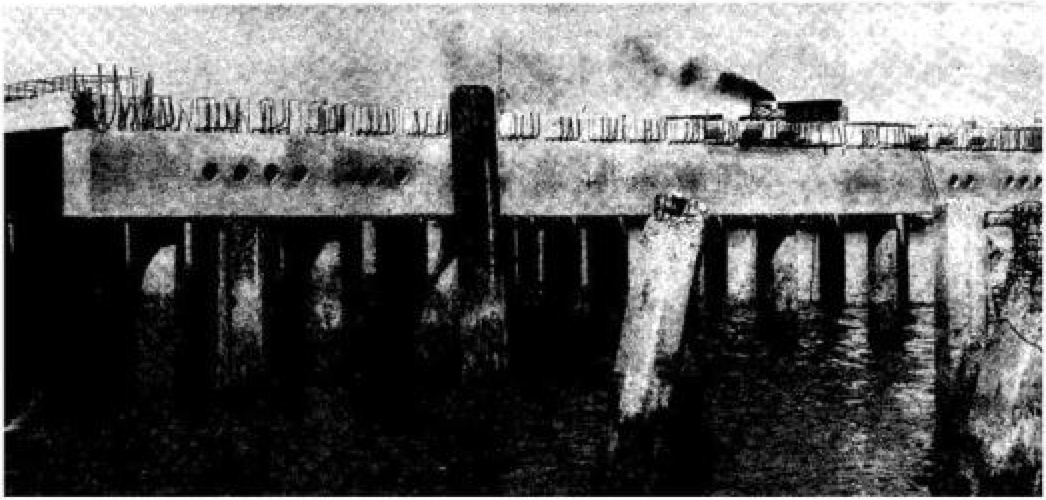
ومنذ سبعين عاما تقريبا ـ في عهد المغفور له الشيخ مبارك الصباح ، سابع حكام الكويت (١٨٩٦ ـ ١٩١٥) اقيم مبنى صغير على شاطىء السيف ، كان يجلس فيه المرحوم (امان) يتقاضى رسوم الجمارك على طريقة « الرسم العيني » ..

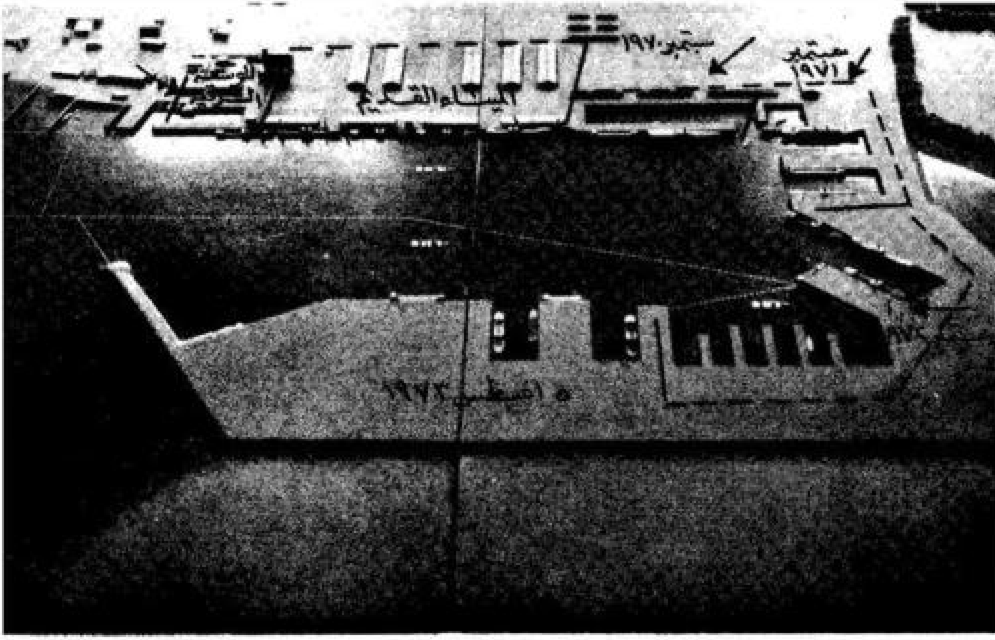
الاهالي يطالبون بزيادة الضريبة !

وفي عهد المغفور له الشيخ سالم الصباح (١٩١٧ ـ ١٩٢١) دعى وجهاء التجار الى الاجتماع وطلب منهم اقرار رسوم ثابتة تبرعا واختيارا ، تفرض على كافة البضائع المستوردة لتغطية نفقات الحكومة .. فقرر المجتمعون فرض رسوم جمركية بنسبة ٤٪ من قيمة البضاعة .

واستمرت الرسوم على هذه النسبة حتى عهد المغفور له الشيخ احمد الجابر الصباح (١٩٢١ ـ ١٩٥٠) وكانت البلاد في بداية مرحلة التطور الكبير ، واجتمع التجار ثانية ، وفرضوا على

٣٤ الف متر ، هو الطول الاجمالي للاوتاد الخرسانية « السابقة الاجهاد » ، التي ستدق في قاع الخليج لتحمل قواعد الارصفة ، كما ترى في الصورة .





ميناء الشويخ .. أكبر الموانيء التجارية في الكويت .. نموذج يبين مراحل العمل في أرصفة الميناء حتى اكتمالها نهائيا في عام ١٩٧٣ .

انفسهم ضريبة اضافية جديدة مقدارها ٢/١ ٢٪ توزع بهذه الكيفية : ١٪ للصحة و ١٪ للمعارف و ٢/١٪ للبلدية .

تخفيض الرسوم

وظل الرسم الجمركى ٢/١ ٦٪ حتى ١٥ مايو ١٩٥١ عندما صدر اول نظام للرسوم الجمركية في عهد المغفور له الشيخ عبد الله السالم الصباح، وبموجبه خفض الرسم الى النسبة القديمة ، اى ٤٪ .. وما تزال هذه النسبة هي المعمول بها حاليا على جميع المواد ، ما عدا ١٧ نوعا معفاة تماما من الضريبة .. انها الماكولات على مختلف انواعها ، والاغنام ، والذهب .. بينما تفرض ضريبة ١٠٠٪ على الغاز الطبيعي المعبأ .. وكادت الدراسات تنتهي من اجل رفع الضرائب بنسبة ١٥ الى ٢٥٪ على ١٧ سلعة مختلفة ، لحماية الصناعية المحلية الناشئة ..

قصة الميناء

وكان ميناء الكويت ـ في ذلك الوقت ـ لايتعدى رصيفا صغيرا يستقبل السفن الخشبية التى تجوب الخليج ، اما السفن الكبيرة فكانت تقف في عرض البحر ، تنتظر بالايام والاسابيع حتى يأتي دورها لتفريغ شحناتها في الصنادل الصغيرة ..

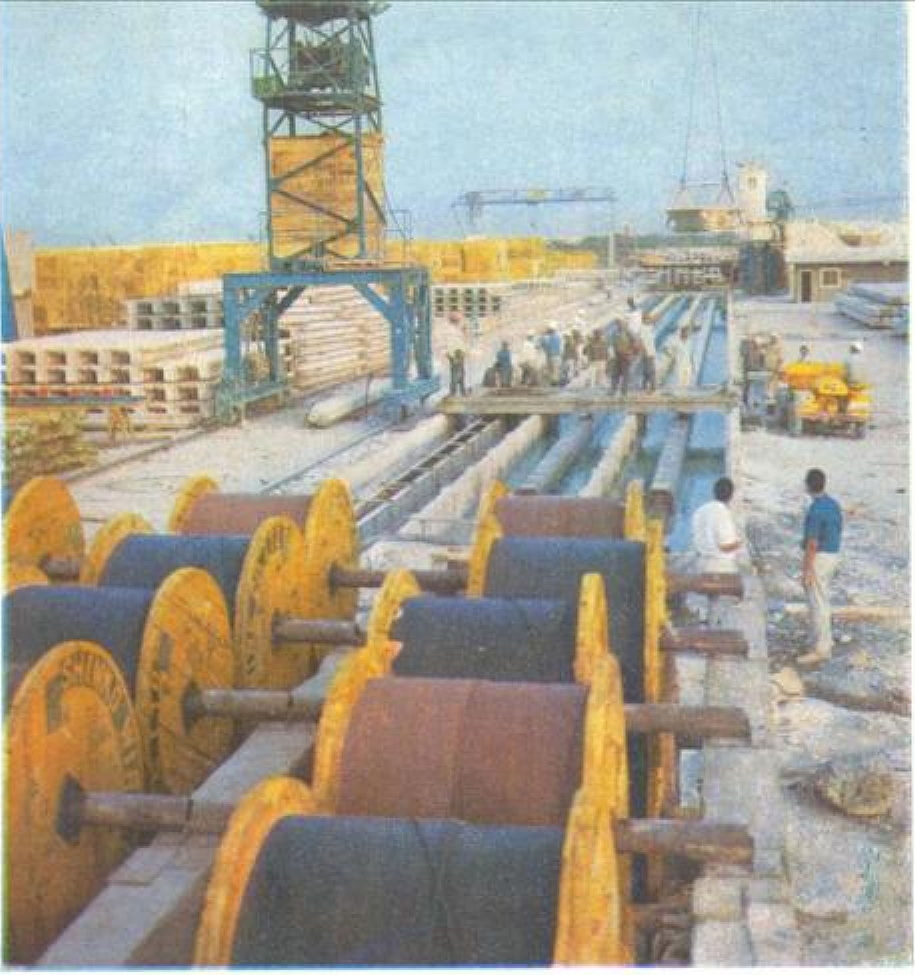
ولم يكن في وسع هذه السفن الكبيرة الاقتراب من الساحل الضحل الذى كان يظهر للعيان في وقت الجزر ..

وكانت ادارة هذا الميناء الصغير تابعة لشركة اهلية للتفريغ ، قامت الدولة بتأميمها في شهر يونيو (حزيران) ١٩٥٣ .

وبعدها بدأت الدولة تفكر في انشاء ميناء كبير حديث ، ترسو البواخر بمحاذاته ، وتفرغ بضائعها على ارصفته .

يومان بدلا من ٤٥ يوما

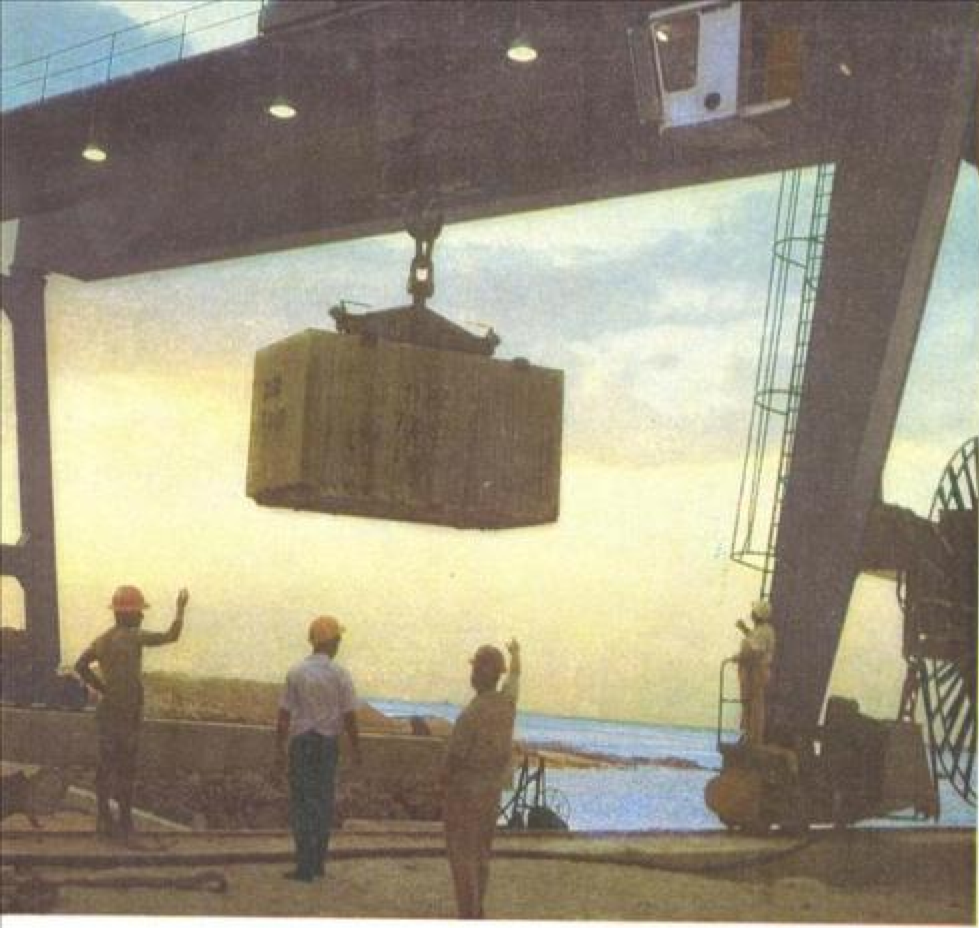
واكتمل العمل في الميناء الجديد ، الذى تكلف ٢٩ مليون دولار ، في صيف عام ١٩٦٠ واطلق عليه اسم ميناء الشويخ ، لانه اقيم في منطقة الشويخ ، احدى ضواحي العاصمة .. وبدأت اربع سفن من عابرات المحيطات تقف على ارصفته،



طريقة عمل الاوتاد من الخرسانة السابقة الاجهاد .. تسحب اسلاك الصلب من البكرات الكبيرة ويصب فوقها الاسمنت المسلح .. وطول الوتد ١٨ مترا ، يثبت في قاع البحر لحماية الارصفة من ارتطام البواخر بها .



الى اليمين : تتم عملية خلط الخرسانة المسلحة باحدث الطرق، فالسيارات القلابة تحمل الاسمنت والحصى والرمال والماء وتخلطها مع بعضها ، ثم تصبها على حزام متحرك



هذه الرافعة الهائلة تحمل احدى كتل الاسمنت المسلح التى وزنها ٨٠ طنا ، لتضعها في الماء لعمل الرصيف الجديد .



الى اليمين احدى البواخر التجارية الكبيرة ، تقف على الرصيف الجديد الذى انتهى بناؤه ، وهو يمتد مسافة ٢٠٠ متر من الجهة الشرقية للميناء .

وقامت ١٦ رافعة كهربائية ضخمة ، تفرغ لاول مرة البضائع مباشرة من الماء الى اليابسة ..

وارتفع معدل التفريغ اليومي اضعافا مضاعفة .. وانخفضت مدة الانتظار للبواخر التي تزور الكويت الى يومين كحد اعلى ، بينما بلغت في وقت ما من عام ١٩٥٩ خمسة واربعين يوما ..

عودة المشكلة

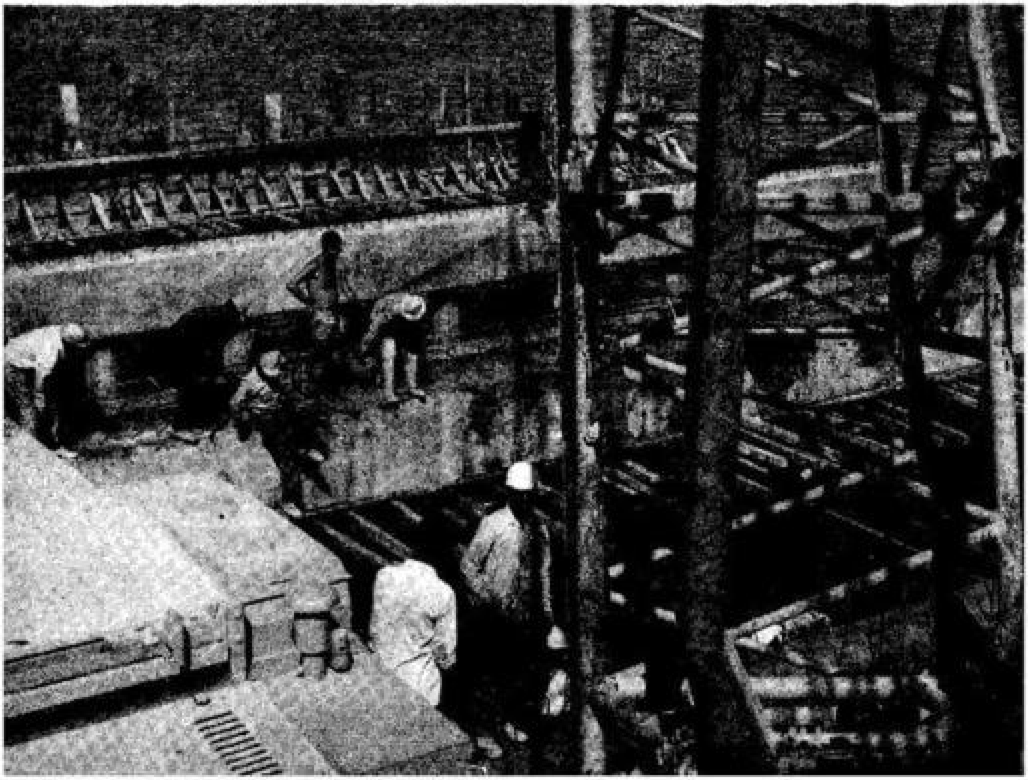
واعتقد اصحاب السفن ان مشاكلهم قد انتهت .. ولكن سرعان ما وجدوا انفسهم ينتظرون دورهم مرة اخرى في وسط البحر ، حتى يفرغ الرصيف من الباخرة الراسية بجواره .

لقد ازدحم الميناء الكبير مرة ثانية بالسفن .. وعادت المشكلة القديمة تطل براسها من جديد ..

رصيف لباخرة خامسة

وكان رجال الميناء يلاحظون هذا التزايد في عدد السفن التجارية القادمة الى الكويت ، والتي بلغ عددها ٩٤٣ سفينة في عام ١٩٦٦ فقرروا توسعة الميناء الجديد من الناحية الشرقية .. وكان اقصى ما يمكن بناؤه في هذا الاتجاه هو رصيف طوله ٢٠٠ متر تقف عليه سفينة واحدة كبيرة .. واستغرق بناء هذا الرصيف ٢٧ شهرا ، وبدات السفينة الخامسة تقف بمحاذاته .. ولم يكن بالامكان زيادة طول الرصيف الى اكثر من ٢٠٠ متر بسبب وجود محطة تقطير المياه بجواره ..

حديد .. واسمنت وعمل .. وعرق .. ان الرجال ماضون في انجاز مهمتهم دون ان يعرفوا الراحة لحظة واحدة، حتى خلال فترة الصيف حيث تصل درجة الحرارة الى اكثر من ٧٠ درجة مئوية في الشمس،





منظر من الجو يوضح طريقة العمل .. الكتل الخرسانية تحدد الارصفة .. اما الجزء الخلفي فسوف يتم ردمه بالرمال والطين والصخور ، التى ستستخرج من امام الارصفة لتعميق مياهها الى عمق ٣٢ قدما .

ارصفة لـ ١٦ باخرة !

ولكن هذا الرصيف الجديد الصغير ، لم يكن كافيا .. فقد ظلت السفن تقف في صف طويل في عرض البحر ، تنتظر دورها لتنزل شحنتها ..

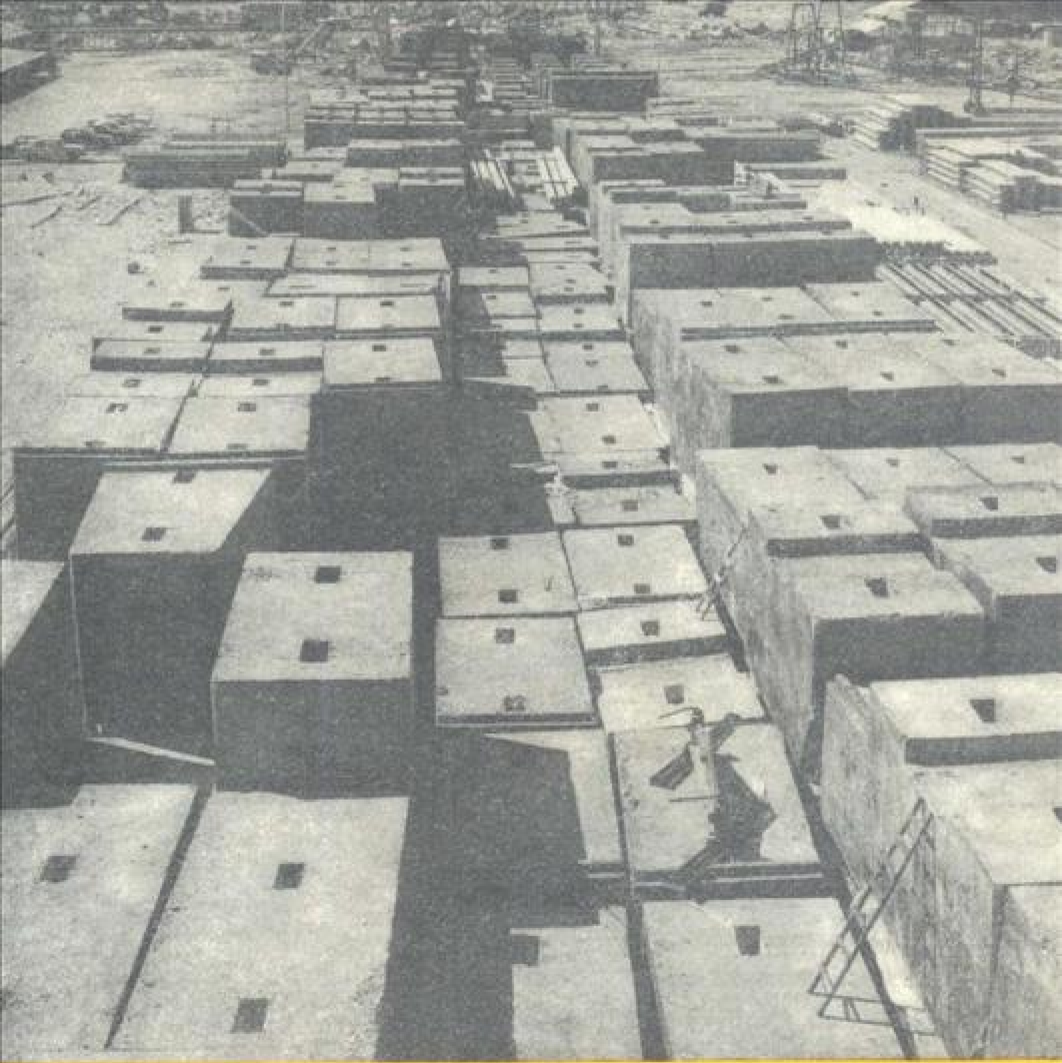
وفي هذه المرة كان تحت يد المسئولين دراسة كاملة لمشروع ضخم كبير ..

وفي مطلع شهر مارس (آذار) ١٩٦٨ طرح عطاء دولي لتوسعة الميناء من الناحية الغربية .. توسعة تتيح لستة عشر باخرة تجارية كبيرة فرصة الوقوف على الارصفة ، وتفريغ حمولتها على اليابسة ..

يوغوسلافيا تفوز ..

وقدم ١٣ عطاء دولي ، من تسع دول مختلفة .. من اليابان وفرنسا وايطاليا ، والمانيا ومصر ويوغوسلافيا ، ورومانيا وبلغاريا وامريكا .. للاشتراك في مناقصة التوسعة الجديدة الهائلة لميناء الشويخ ..

وفتحت المظاريف ، ورسا العطاء على نفس الشركة اليوغوسلافية التي قامت بانشاء الرصيف في الجهة الشرقية .. لقد تقدمت بسعر اجمالي قدره تسعة ملايين ونصف مليون دينار .. في حين تقدمت شركات اخرى باسعار خيالية زادت عن ١٤ مليون دينار للقيام بالتوسعة الغربية المطلوبة ..



٨٣٥٠ قالب خرسانة ، مجموع اوزانها ٦٢٠ الف طن ، سوف تلقى في البحر لعمل الارصفة الجديدة لميناء الشويخ .

بداية العمل

وبدأ العمل حثيثا في اول الشهر التاسع من عام ١٩٦٨ .. كان لا بد من احضار الات خاصة جديدة من يوغوسلافيا .. وجاءت رافعة كهربائية هائلة تحمل قطعة الاسمنت المسلح التى تزن ١٠٠ طن ، وكأنها لعبة من لعب الاطفال !

ووصلت حفارتان لتزيلا ٧ ملايين و ٦٠٠ الف متر مكعب من الرمال والطين والصخر من قاع الخليج .

ربط الجزيرة بالساحل

وعلى مسافة ١٤٠٠ متر من ساحل الشويخ ، كانت تمتد جزيرة القرين الرملية المرجانية المهجورة ، وكان بعض أهل الكويت يذهبون اليها في الصيف قبل ظهور البترول ، وفي الشتاء يقصدها بعض الصيادين .. كانت الخطوة الاولى مد جسر لربط ساحل الكويت بهذه الجزيرة .. جسر طوله ١٤٠٠ متر وعرضه ٢٠ مترا ، وكانت عملية شاقة .. ففي كل مرة كانت تيارات الخليج

الشديدة تجرف الرمال والاتربة والاحجار .. وبعد عدة محاولات تم ربط الجزيرة بالساحل ..

تلال الشمال لاتكفى !

تم بدأ البحث عن احجار لتسوية قاع الخليج الرملى الطينى .. والمعروف ان الكويت بلـد صحراوى ليس فيه جبال .. ثم وجدوا في منطقة المطلاع ، بشمال الكويت تلالا حجرية .. وقدروا كمياتها ، فوجدوا انه لو ازيلت كل هذه التلال الحجرية ، لما استطاعت ان تسد الكمية المطلوبة من الاحجار ، ومقدارها ٧٥٠ الف متر مكعب ! !

وبدا البحث عن تلال اخرى ، فوجدوا في جنوب مدينة الاحمدى احجارا تحت الرمال على عمق سبعة امتار ، تكفى حاجتهم .. وشرع اسطول من السيارات الكبيرة ، حمولة ١٤ طنا في نقل هذه الاحجار التى تقطعها المتفجرات .. ان الكميـة المطلوب نقلها هي ٧٥٠ الف متر مكعب ، تنقل من مسافة ٥٢ كيلو مترا لتلقى في قاع البحر مكان التوسعة الغربية للميناء .

لقد نشطت السيارات في نقل هذه الاحجار ليلا ونهارا ..

٦٢٠ الف طن من الأسمنت !

وما كاد قاع البحر يغطى بالاحجار ، حتى حملت الرافعة الضخمة كتلة من الاسمنت المسلح وزنها ٨٨ طنا .. انها واحدة من ٨٣٥٠ قطعة من هذه الكتل الاسمنتية التى يبلغ مجموع اوزانها ٦٢٠ الف طن ـ حملتها لتضعها على صندل حملها بدوره الى عرض البحر ، حيث رفعتها رافعة اخرى ، والقتها في قاع البحر في المكان المحدد لها .

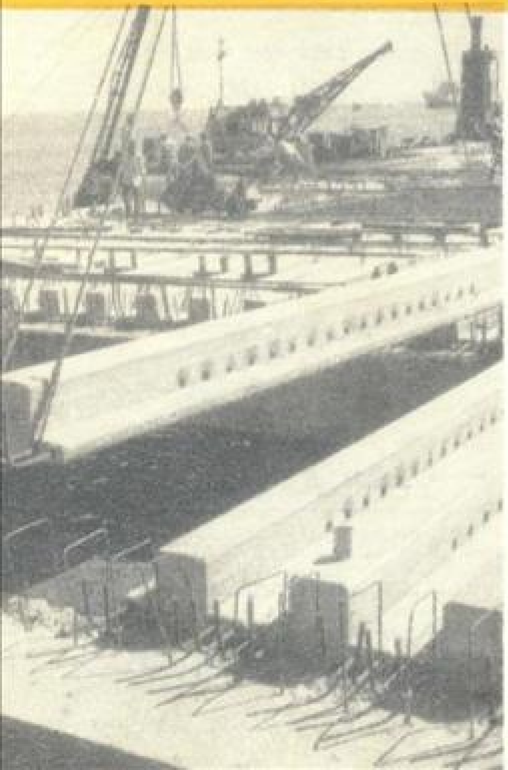
والهدف من كل هذه الاعمال ـ وغيرها ـ هو اكتساب ارض صلبة من البحر ، مساحتها كيلومتر مربع واحد ، لتحويلها الى ارصفة ومراس ، طولها ثلاثة كيلو مترات ونصف ..

ولن تقف هذه الكتل الاسمنتية وحدها ، بـل سيحيط بها اكثر من اربعة ملايين متر مكعب من الرمال والصخور التى ستستخرج من قـاع البحر بعد تعميقه الى ٣٢ قدما .

« القرين » تصبح محجرا للاغنام

اما جزيرة القرين الصغيرة فسوف تصبح جزءا من ارض الميناء ، ترتبط به عبر طريق طوله ٢٤٠ مترا وعرضه ٣٠ مترا .. لتكون محجـرا للحيوانات التى تستوردها الكويت ، والتى يبلغ عددها السنوى ٨١٤٠ بقرة و ٢٥٤ الف راس ضان وغنم ، نصفها يرد من استراليا ، والباقي يستورد من سوريا والارجنتين والصومال وبلغاريا وتركيا .

بعد ان تم تثبيت الاوتاد في قاع الخليج بـدأ تكوين القاعدة الصلبة لتصبح رصيفا تثبت عليه الرافعات ، وتنزل عليه البضائع .



تسليم اول مرحلة

ان حركة العمل في التوسعة الجديدة تسير بسرعة فائقة ، وفي شهر سبتمبر الماضي انتهى تسليم اول جزء من اعمال التوسعة .. انه رصيف كبير باستطاعته استقبال سفينتين كبيرتين ، عمق غاطس كل منهما ٣٣ قدما ..

وهكذا سيتم تسليم بقية اجزاء الميناء .. في سبتمبر ١٩٧١ سينتهي العمل من بناء رصيف يتسع لثلاث سفن .. وفي سبتمبر ١٩٧٢ سينتهى بناء رصيف يستقبل ٥ سفن ، ومرسى لوقوف ٥٠٠ مركب صيد ..وفي ٥ اغسطس ١٩٧٣ سينتهي العمل تماما من جميع ارصفة الميناء ، وبعدها تبدا عملية وضع الرافعات وبناء المستودعات ، وغيرها من الاعمال ليصبح الميناء كاملا ومستعدا لاستقبال جميع البواخر مباشرة دون حاجة الى انتظار دورها في عرض البحر ..

منافسة بين الموانىء

ان هذا الميناء سوف يقوم بتسهيل الاستيراد والتصدير من الكويت واليها .

وهنا ترتفع علامة استفهام كبيرة .. ونتساءل : ما هي حاجة الكويت ؟ وهل سيستطيع ميناؤها الكبير الصمود امام منافسة الموانىء الجديدة ، التى انتشرت في كل مكان على سواحل الخليج العربي ؟

وهل سيستطيع منافسة التسهيلات التي بدات تقدمها الحكومات وادارات الجمارك في تلك البلاد لتجارها ؟

من الاستيراد الى التصدير

ويجيبنا التقرير الاولى للمخطط الهيكلي لدولة الكويت على هذه الاسئلة ، بصورة غير مباشرة ، اذ يذكر ان الكويت في تقدم مستمر ، ونسبة زيادة السكان فيها تتم بمعدل مرتفع جدا يصل



بهذا الحاجز الحجرى ــ وطوله ١٤٠٠ متر ــ تم ربط جزيرة القرين بميناء الشويخ .. للتخفيف من حدة التيارات المائية الداخلية ، التى تعرقل اعمال الغواصين .

الى ٣٪ سنويا .. وهذا يعنى أن سكان الكويت سيرتفع عددهم الحالي من ٧٣٣ الف نسمة . الى مليونين و ٤٠٠ الف نسمة في نهاية هذا القرن العشرين !

والى جانب هذا بدات المصانع المحلية فيالكويت تتكاثر ويرتفع مستوى انتاجها ، وبدأ استغلال الغاز والنفط في صناعة البتروكيماويات .. وبدأ تصدير الاسمدة الكيماوية بكميات كبيرة تتضاعف مع مرور السنين ..



احد الغواصين يستعد للنزول الى قاع الخليج ، انه يقوم بعملية اللحام تحت الماء ، للتأكد من اماكن تثبيت الاوتاد ، وكتل الخرسانة تحت الماء .

ولا ننسى ازدياد معدل استهلاك الفرد ، نتيجة لانتشار العمران والتطور الحضاري .

والخلاصة انه اذا كانت السفن القادمة اليوم الى موانيء الخليج يعود ٨٨٪ منها فارغا الى بلاده ، لا يجد ما يحمله معه من الخليج .. اذا كان هذا الوضع مقبولا اليوم ، فهو لن يستمر طويلا ، اذ ستتحول الكويت الى بلد مصدر لانواع مختلفة من الصناعات .. وهذا يحتاج الى ميناء ضخم ليواجه هذا التطور ..

وقد بدأت الدول المجاورة للكويت تستورد مباشرة من الخارج ، بعد ان كانت تعتمد على التاجر الكويتي ، ولكن هذا الحال لا يعني انخفاضا في التصدير العام للبلد ، فهو في ازدياد مستمر ، اذ قفزت الارقام من ١٤١ الف طن تم تصديرها عام ١٩٦٥ ، الى ٣٦٢ الف طن تم تصديرها عام ١٩٦٩ .

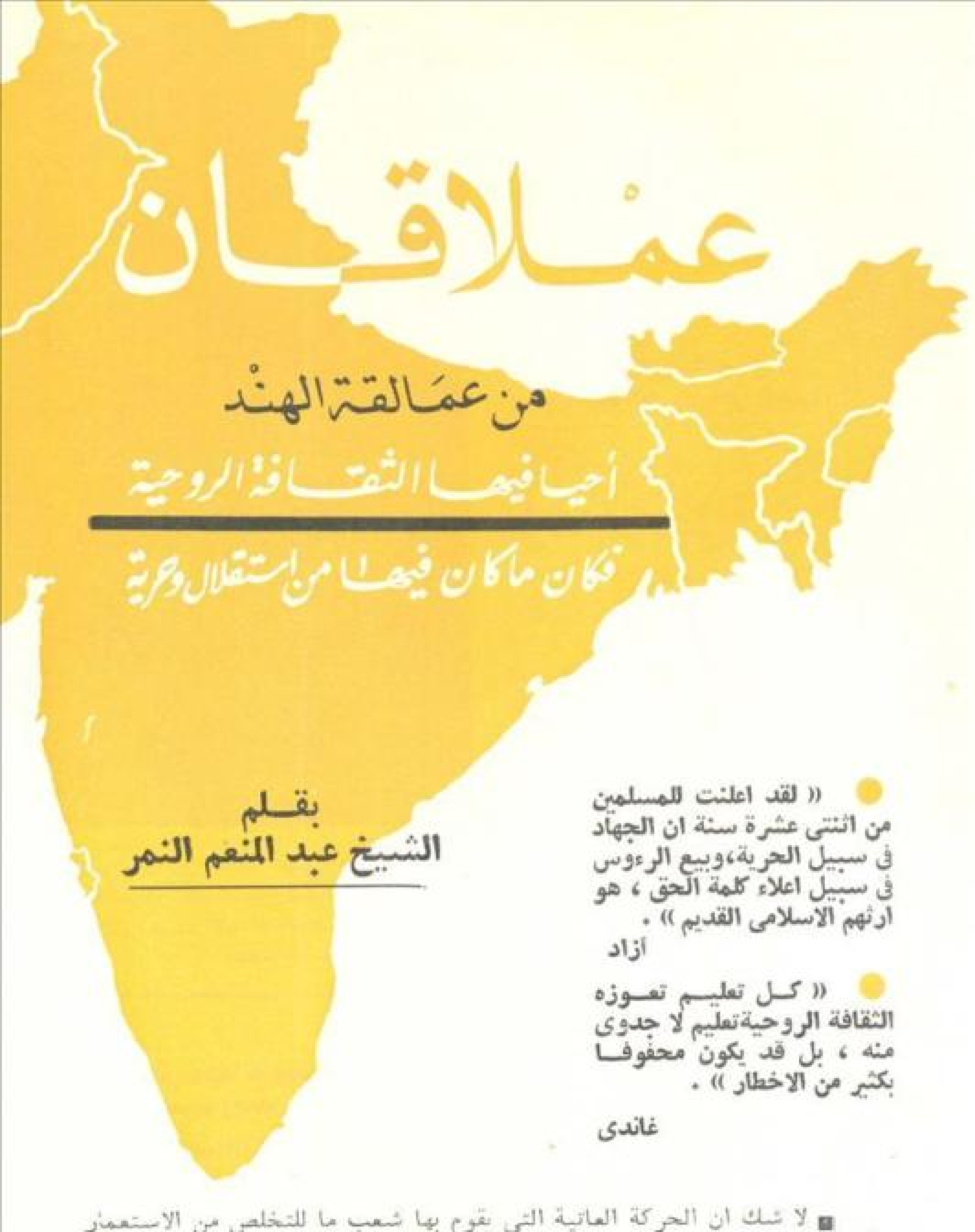
مدينة الكويت
تمتد من الحدود حتى الجهراء !

ان المستقبل امام الكويت واسع وعريض ، ولن يكفي ميناء الشويخ الحالي ـ حتى بعد توسعته ـ لسد حاجة البلاد بعد تطورها وتوسعها .. ومن امثلة هذا التوسع ، ان المخطط الهيكلي للبلاد يتوقع امتداد مدينة الكويت العاصمة على طول الساحل ، حتى تشمل المنطقة الفسيحة الواسعة الممتدة من حدود الكويت الجنوبية ، حتى قرية الجهراء في وسط البلاد .. ولمواجهة هذا التوسع الهائل ، يقترح المخطط الهيكلي انشاء ثلاثة موانيء جديدة : في راس عشيرج ، وراس الارض ، والسالمية .. مع توسعة ميناء الشعيبة الحالي الواقع في جنوب الكويت ، والذى اقيم لخدمة منطقة الشعيبة الصناعية وتصدير منتجاتها .. ويتسع هذا الميناء حاليا لرسو خمس سفن تجارية كبيرة على رصيفه ، الممتد ٧٨٥ مترا في عرض البحر .

جسور الحياة

ان مستقبل الخليج العربي مستقبل زاهر مشرق ، وكلما فتحت نافذة جديدة على البحر ، بدأت معها حياة مليئة بالخير .. فالموانيء هي الجسور التى تنقل البلاد الى العالم من حولها .. والكويت بتوسعتها لمينائها الحالي ، تفتح الباب واسعا امام جسر من جسور الحياة كبير . ■■

سليم زبال



عملاقان

من عمالقة الهند

أحيا فيها الثقافة الروحية

فكان ما كان فيها من استقلال وحرية

بقلم
الشيخ عبد المنعم النمر

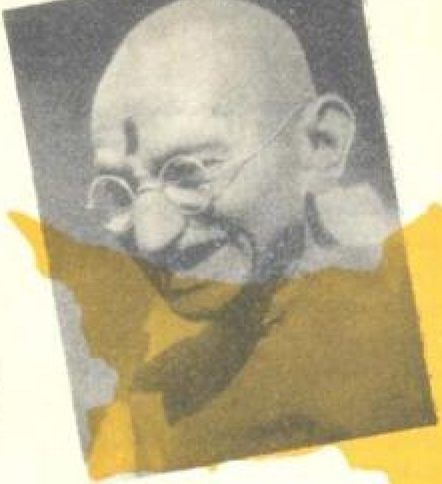
● « لقد اعلنت للمسلمين من اثنتى عشرة سنة ان الجهاد فى سبيل الحرية، وبيع الرءوس فى سبيل اعلاء كلمة الحق، هو ارثهم الاسلامى القديم » .

آزاد

● « كل تعليم تعوزه الثقافة الروحية تعليم لا جدوى منه ، بل قد يكون محفوفا بكثير من الاخطار » .

غاندى

■ لا شك ان الحركة العاتية التى يقوم بها شعب ما للتخلص من الاستعمار والاستعباد يكون من ورائها عدة عوامل .. ولكن مما لاشك فيه ايضا ان هناك من بين هذه العوامل عاملا مهما او عاملا اساسيا فى هذا التحرك .. فالقطار حينما يتحرك تكون هناك عدة عوامل تساعده على التحرك ، ولكن العامل الاول الذى جعل كل هذه العوامل تؤدى وظيفتها انما هو الوقود ، هو طاقة النار او الكهرباء التى امتدت يد القائد اليها ليطلقها ، وليطلق بعد ذلك المارد الجامد ، او الجسم الهامد ..



غانـدى



ابو الكلام آزاد

ومن اخص الخصائص للقائد الناجح الماهر ان يهتدى الى « الزرار » او المفتاح الذى يطلق بـه هذه الطاقة ، وبدون ذلك يظل يتخبط ، ويبذل الجهد والعرق بدون ثمرة او نتيجة .. والهند التى كانت تحت يد الاستعمار ، هي الهند الكبرى التى تشمل باكستان والهند الان ، تضم شعبا من اضخم الشعوب عددا في العالم ، يتكون من اغلبية هندوسية ، واقلية كبيرة تصل الى نحو مائة مليون من المسلمين ، وكانت قبل ان تصبح من مستعمرات التاج البريطانى تعيش في ظل حكم اسلامي امتد عدة قرون وانتهى سنة ١٨٥٧م ..

وعاشت الهند بعد ضمها لمستعمرات التاج ، النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، واوائل القرن العشرين وهذا الصراع الـداخلى ، بين الهندوس والمسلمين ، يفتتها مع استسلام للاقدار، وفقدان امل في المستقبل ، والانجليز يخططـون ويعملون مطمئنين ، وكأن الهند ستبقى للابد درة في التاج البريطانى حتى اصبحت الهند في خضوعها للاستعمار ،مثلا يضرب فيالاستخذاء والاستسلام .

ازاد وغاندى :

حتى كان العقد الثاني من القرن العشرين ، وبدأ مولانا ازاد ثم غاندى يدخلان ميدان السياسة، ويتجهان للعمل على انصاف الشعب من مستعمريه، وتخفيف قبضته عنه ، وتحريره نهائيا .

ولكن الجسم الضخم الغارق في نومه . مـا الذى يحركه ، ويفتح عيونه على الحياة التـي يستنشق فيها هواء الحرية والاستقلال ؟

وجهود المستعمر الضخمة كذلك للتمكن من عنق هذا الجسم ، اى شيء يقف امام قوتها العاتية ويقنع الشعب او يغرس في روحه ، عدم المبالاةبهذه القوة ، وهو اعزل فقير مريض لا حول له ولا سلطان في اخص اموره ؟ .

هنا نجد رجلين كتب لهما تاريخ الهند انضر الصفحات في الاهتداء الى « الزرار » الذى يحرك هذا الشعب ويطلق طاقاتـه ، ويجعلـه ينتفض ليطالب بحقه ، غير مبال بالقوة الانجليزية الرهيبة التى امامه ، فضغطا عليه وتحرك الشعب معهما .

كان الرجلان « ازاد » ، « وغاندى » .. وكان « الزرار » الذى اهتديا اليه ، وضغطا عليه هـو الدين . الروح الدينية المستقرة في اعماق هـذا الشعب ، على اختلاف في اتجاهه الدينى ..

ابو الكلام أزاد

بدا ابو الكلام ازاد وهو يناهز العشرين مـن عمره يتجه الى الجماعات السرية الهندوسـية التى تعمل في خفاء ضد الانجليز في المنطقةالشرقية من الهند .. واقنع بعض الشباب المسلم بالاشتراك معه في هذه الجماعات ..

ثم لم يلبث ان قام سنة ١٩٠٨ برحلة الىبعض البلاد العربية : العراق ، وسوريا ، ومصر ، والى تركيا .. واتصل في مصر برجال الحزب الوطنـى بعد وفاة مصطفى كامل وبتلامذة جمال الديـن ومحمد عبده ـ كما اتصل بشباب تركي يعمل ضد استبداد السلطان .

وعاد من رحلته متأثرا بما رأى وسمع ، ولكنه

كان اكثر تاثرا بمدرسة جمال الدين ومحمد عبده التى تعتمد على احياء روح الدين الصحيح في النفوس ، كوسيلة من وسائل محاربة الاستعمار .

وكان ازاد عالما من علماء الهند المسلمين ، نشا في بيت علم وتصوف ، واضاف الى ثقافته الدينية ما اكتسبه بجهده الخاص من ثقافة حديثة ، اتاحتها له اللغة الانجليزية التى تعلمها بعد تخرجه من دراسته الدينية .

ولهذا كله تاثر بآراء جمال الدين ومدرسته .. وعاد الى الهند لا ليواصل نشاطه في الجمعيات السرية التى كان قد انضم اليها قبل رحلته ، او يقبع في مسجد او مدرسة دينية يعلم فيها ، بل ليتجه اتجاها جديدا في ايقاظ المسلمين ، كان امتدادا لاتجاه الافغاني ومحمد عبده في تنبيه المسلمين الى واجباتهم في التحرر والنهوض عن طريق الدين ، وتبصير المسلمين بتعاليمه ، وتقوية العقيدة في نفوسهم ، بالوسائل التى كانوا يملكونها وهي التربية الاسلامية عن طريق الدروس والخطب .

يقول ازاد : ـ رأيت من الواجب الحتمى انشاء حركة جديدة بين المسلمين الهنود ، وازددت حماسا ، لذلك ، وقر عزمي على الاعتناء بالاعمال السياسية بعد رجوعى الى الهند ، وفكرت بعض الوقت فيما يكون عليه منهاجي في العمل للمستقبل ، وانتهيت الى ضرورة تربية الرأى العام . وتحقيقا لهذه الغاية لم يكن بد من اصدار مجلة » .

ترك الجماعات السرية الثورية ، واهتدى الى المنهج الاصيل في ايقاظ المسلمين .. الى تربيتهم تربية دينية ، واثارتهم عن طريقها ، وتنبيهم الى واجباتهم التى القاها دينهم على عاتقهم ، من العيش الحر الكريم او الجهاد حتى يموتوا او يصلوا اليه .. وكانت الاعمال السياسية التى قر عزمه على الاشتغال بها هي ايقاظ المسلمين ، وتبصيرهم بحقائق دينهم وموقفه من الاستعمار حتى يهبوا للتخلص منه .

دعوة للحرية او الموت

وتنفيذا لخطته انشا مجلة « الهلال » وصدر العدد الاول منها في شهر يونيو سنة ١٩١٢م وكانت كما يقول : « انيقة الطباعة ، قوية الدعوة ، ليست على غرار ما يصدر من الصحف والمجلات الاردية المحرومة من مميزات الصحافة الحديثة » وكان صدور « الهلال » نقطة تحول في تاريخ الصحافة الاردية حيث نالت اقبالا منقطع النظير ، واعجب بها الشعب ، لا من ناحية طباعتها فقط ، بل من ناحية دروسها الدينية الوطنية التى تاثروا بها تاثرا بالغا ، بحيث خلقت بين المسلمين عامة حركة ثورية جديدة ، بلغ من تلهفهم عليها ان اضطررنا خلال الثلاثة الاشهر الاولى الى طبع الاعداد السابقة . مرة ثانية »

وقد اتخذت الهلال من يوم صدورها خطة مهاجمة الاستعمار والاستبداد ، وبيان رأى الاسلام فيهما ، وتوجيه المسلمين بذلك الى التخلص منهما ، وكانت بذلك تنحو نحوا مضادا لاتجاه جماعة « عليكره » التى تزعمها سير سيد احمد خان وكان يدعو الى مسالمة الاستعمار والسير في ركابه ، حتى لا يظل المسلمون مبعدين عن الوظائف الحكومية وعن الاشتراك في ادارة شئون البلاد .

وقد رحب المسلمون بالهلال وخطتها بينما احست جماعة عليكرة والمستعمرون بالخطر عليهم منها ، يقول مولانا ازاد : « فما ان وجهت الهلال دعوتها الجديدة وتضاعفت شهرتها ، وزاد انتشارها حتى شعرت هذه الجماعة (عليكرة) ان زعامتها في خطر ، وكلما خالفت الهلال « الزعامة القديمة » ازداد المسلمون اقبالا عليها حتى بلغ انتشارها ورقم توزيعها (٢٦ الفا)

ولذا كان من الطبيعي ان يعمل الاستعمار على التخلص من هذا الصوت الجديد الخطر فاخذ يفرض الغرامات على المجلة لاعجازها عن الصدور ، ومولانا ازاد والمحيطون به يقاومون ، حتى اضطرت الحكومة اخيرا الى اغلاقها ومصادرة مطبعتها .

لم يستسلم ازاد

ومع ذلك لم يستسلم ازاد ، فاصدر سنة ١٩١٥ وبعد خمسة شهور مجلة اخرى باسم « البلاغ » وسار على الخطة نفسها ، وظل يدعو المسلمين الى التحرر من قبضة الاستعمار والى مقاطعته حتى ضاق الانجليز به ذرعا فاعتقلوه ، وظل معتقلا اربع سنوات حيث خرج سنة ١٩١٩م .

ومن على منبر الهلال والبلاغ اخذ مولانا ازاد يلهب الثورة في نفوس المسلمين عن طريق الدين .

ومن كلماته يخاطب المسلمين : « السنا من اتباع الدين القويم ، وحاملين امانة الله وخلفائه في الارض ، فما بالنا نخاف ونتخاذل ولا نجاهد لكى نصبح احرارا ذوى سيادة نتمتع بالكرامة ، ونخطو خطوات واسعة في سبيل تخليص الامم المستعبدة ؟ واذا اعرضنا ولم نستغل مواهبنا

فسيطوى التاريخ ما خصه لنا من باب حافل بالمجد والشرف ، ويفتح لنا بابا آخر يسجل فيه امام الاجيال ان الهند سعت الى الحرية .. فلبى قوم نداءها واحجم آخرون .. واحسرتا حين يقول : ان هؤلاء كانوا امة مسلمة تزعم انها قائدة الامم وزعيمة الاقوام ! ! »

وفي الوقت الذى كان يثير في المسلمين روح الدين للتحرر من الاستعمار كان يدعوهم الى فهم الاسلام فهما صحيحا ، ونبذ التقليد والجمود ، والتخلص من البدع والخرافات .. الخ .. وهي الطريقة نفسها التى كان يسير عليها الافغانى ومدرسته في مصر ، والزعماء الاصلاحيون في كل مكان : الدين السليم المتحرر من الجمود والبدع والخرافات ، هو الطريق الوحيد لتحرير المسلمين واعادة مجدهم وحضارتهم .

ويقف مولانا ازاد في القمة من الدعوة للتحرر عن طريق الاسلام حين قبض عليه الانجليز في ديسمبر سنة ١٩٢١ بتهمة الدعوة الى مقاطعة الانجليز ومقاطعة زيارة ولى عهد انجلترا للهند .. وقدمته للمحاكمة ، وتولى امر الدفاع عن نفسه في مرافعة طويلة ، وكانت فرصة انتهزها ، لا ليقنع المحكمة ببراءته ، فقد قدم الدليل على ادانته حسب قوانين الحكومة ـ بل ليتخذ من هذه المرافعة التى كان يتتبعها الجمهور ، وسيلة للدعوة من داخل المحكمة الى الثورة على المستعمرين ، مستمدا من القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف ، وتاريخ المسلمين سلاحه في هذه الدعوة ـ وهذه المرافعة تعتبر بحق الثمن وثيقة تكشف عن موقف الاسلام من الاستبداد والاستعمار.

الاسلام والاستبداد

انى اقتطف منها هنا بعض العبارات التى توضح لنا ما نريد ان نسوقه في هذا المجال الضيق يقول : « انى مسلم ، ولانى مسلم وجب على ان اندد بالاستبداد وقيمه ، واشهر بمساوئه ، وليعلم ان الاسلام لا يعترف بالحكومة الشخصية (الفردية) ولا بحكومة عصبة من الموظفين .. لانه نظام كامل للديمقراطية ، ولانه جاء ليرد الى النوع الانسانى حريته المغصوبة. ان الاسلام بمجرد ظهوره اعلن ان الحق ليس في القوة ، ولا هو القوة ، بل الحق هو الحق ، وانه ليس لاحد من البشر ان يستعبد عباد الله » .

ويقول : « ما دام الاسلام ينهى المسلمين عن قبول حكومة اسلامية لم تشكل برأى الامة ورضاها فما تكون قيمة هذه الحكومة الاجنبية المستبدة في نظر المسلمين ؟ »

« ولعمرى ان المطالبة من مسلم ان يسكت عن الحق ، ولا يسمى الظلم ظلما ، مثل مطالبته بان يتنازل عن حياته الاسلامية » .

« الاسلام من اوله الى آخره دعوة عامة الى التضحية والبسالة والجراة والاستهانة بالموت في سبيل الحق » .

« وقد ابيضت عين الدهر ولم تر مثل هذه الضحايا الكثيرة العظيمة التى قدمتها الامة الاسلامية في كل دور من ادوار حياتها في سبيل اعلاء كلمة الحق » .

« ان الاسلام اعلن حقوق الانسان قبل ثورة فرنسا باحد عشر قرنا ، وليس مجرد اعلان بل وضع نظاما عمليا له بالغا في الكمال منتهاه ، وطبقه » .

« لقد اعلنت للمسلمين في الهلال « من اثنتى عشرة سنة ان الجهاد في سبيل الحرية ، وبيع الرؤوس في سبيل اعلاء حكمة الحق ، هو ارثهم الاسلامي القديم » .

« وانى اصرح هنا بان « الهلال » لم تكن الا دعوة للحرية او الموت » ، وان ما يعمله المهاتما غاندى الان من بث الروح الدينية بين الهندوس ، كانت « الهلال » قد فرغت منه سنة ١٩١٤ ، وان من المصادفات العجيبة ان المسلمين والهندوس ما قاموا بالحركة الجديدة القوية الا بعد ان حلت فيهم الروحانية القديمة محل المدنية الغربية المادية» .

غانـدى

وقد يتساءل القارىء هنا : وكيف اعتمد غاندى في حركته على احياء الروح الدينية في الهندوس ولم نعرف عنه انه رجل دين ؟

واحب ان الفت النظر الى آخر عبارة وردت في كلام مولانا ازاد « الا بعد ان حلت فيهم الروحانية القديمة محل المدنية الغربية المادية » لعله يلمح الجواب السريع .

ففى المدنية الغربية المادية ، وتهالك الناس على الاخذ بها وترك تراثهم ، كان يكمن الداء في نظر غاندى ، ولهذا كان يركز جهوده على العودة بالناس الى الروحانية القديمة ، وابعادهم عن المدنية الغربية المادية ، التى تجرهم جرا الى تعظيم الغرب والخضوع له ، والتخلى تبعا لذلك عن

حضارتهم وخصائصهم كأمة شرقية مغايرة في خصائصها ومقوماتها للامم الغربية .

ولهذا يقول غاندى :

« انني مقتنع بان الذى سحق الهند ليس الانجليز ، وانما الحضارة الحديثة ، وهي تئن تحت ثقل هذا الوحش المخيف » .. ان الدين عزيز جدا على ، واذا كان هناك ما آسف له فهو كون الهند قد ابتعدت عن الدين ، وتردت في الكفر والالحاد ، وانا هنا لا اقصد الديانة الهندوسية او الاسلامية او الزرادشية بل التى تجمع بين هذه كلها اننا الآن ندير ظهرنا لله (١) » .

ويفسر الدكتور رادها كريشنا رئيس الجمهورية الهندية الاسبق اتجاه غاندى في حركته فيقول في ندوة عقدت عن غاندى قريبا من بومباى ونشرتها جريدة ستيتسمان في عدد ٣ اكتوبر سنة ١٩٦٣ ص ٣ : « ان غاندى كان اولا واخيرا رجل دين ، وانه كان سياسيا فقط من ناحية المظهر العام لحركاته المشهورة ، ولا يعنى بقولنا انه رجل دين ، ان هذا الشعب كان يتبع دينا كهنوتيا له طقوس خاصة ، لان غاندى اعلن ان كل تصرفاته موجهة لرؤية الله .. وان الغاية من الدين هي الوصول الى المثل العليا بعيوننا وارواحنا ، واننا يجب ان نعترف بكل طريق يؤدي الى ذلك ونمدحه . هذه كانت نظرية غاندى الدينية » .

وهذا التفسير الذى قاله رئيس الجمهورية العالم يوضحه كثيرا كلام غاندى في مذكراته واحاديثه فهو يقول « اذا انفصلت السياسة عن الدين فقدت معناها او روحها .. كل طفل في مدرستنا يدرى الانظمة السياسية فى الهند ، ويعرف كيف ان بلاده تتقيد باحساسات جديدة بآمال جديدة ، ولكننا ايضا في حاجة الى الضوء الثابت المستقر ، ضوء الايمان الدينى » .

لماذا نحن فى حاجة الى هذا الضوء

نجد اجابة لذلك في مذكرات غاندى ايضا فيقول فيها (٢) عن تجاربه في جنوب افريقيا : « ولقد كنت ادرك قبل ان اتولى تعليم الصغار في مزرعة تولستوى ان المران الروحى ناحية قائمة بذاتها ، ذلك ان تربية الروح تستهدف تكوين الخلق السليم ، وتساعد صاحبها على تحقيق ذاتيته وزيادة معرفته بالله ، ولذلك كنت مؤمنا بان التربية الروحية لابد منها للشباب ، وان كل تعليم تعوزه الثقافة الروحية هو تعليم لا جدوى منه ، بل هو تعليم قد يكون محفوفا بالاخطار » .

وغاندى يتحدث في هذا عن تجاربه التى قضاها في افريقيا ، قبل ان ينتقل الى ميدان الهند للجهاد من اجل امته .. ومن اجل هذا حرص في حركته على احياء الروح الدينية ، او تقوية الدعامة الروحية التى لابد منها لكل نهضة .

وقد نجح غاندى كما نجح ازاد في بعث الامة الهندية الضخمة عن طريق احياء الروح الدينية فيها على اختلاف نزعاتها « وكان من المصادفات المجيبة – كما يقول ازاد – ان المسلمين والهندوس لم يقوموا بالحركة الجديدة القومية الا بعد ان حلت فيهم الروحانية القديمة محل المدنية الغربية المادية » .

هذا هو أثر الدين

ان حركة النهضة والتحرر في البلاد العربية وفي الهند اثر من آثار الروح الدينية وبعثها في النفوس ، ولا اظن احدا درس التاريخ القريب لهذه البلاد يعارض فى هذا .

وقد عنيت بتتبع حركة التحرر في هذه البلاد كشاهد حى قريب ، على أثر العقيدة او الروح الدينية في نهضتها الحديثة ، حتى لا يقول قائل من « طويلى اللسان » على الدين والغض من شانه : ان اثر الدين كان في الماضى البعيد ، ولم يعد له ذلك الاثر في مجتمعنا الحديث . .

والى هنا نصل الى ما اردت ان ننبه جميعا وهو : ان الدين او الروح الدينية لا بد منها في ايقاظ الامم لتحررها وبناء حضارتها . وانه عامل تحرر ونهضة كما راينا في تاريخنا الحديث .. وان كل امة تجهل هذه الناحية ، او تهملها في تحركها .. سيكون مصيرها – ان عاجلا او آجلا – الى التقهقر والتحطم .. كالسفينة الضخمة تفقد طاقتها المحركة وسط الامواج العاتية ، فتظل تحت رحمتها حتى يبتلعها البحر ، او يأتيها الانقاذ بمدد جديد ، او طاقة تبعث فيها الحركة والحياة .

ونعوذ بالله ان نكون من الجاهلين .

عبد المنعم النمر

(١) ص ٦٨ من كتاب « حضارتهم وخلاصنا » للمهاتما غاندى .

(٢) ص ١٧٤ من كتابه « فى سبيل الحق » .



طبيب الأسرة

يجيب على هذه الاسئلة نخبة من الاطباء

اضطرابات الدم النزفية

● لدى استعداد كبير للنزف ، فانا انزف من انفي واجد بقعا زرقاء كثيرة في انحاء متفرقة من جسمي وتنزف لثتي لاقل سبب مما اضعفني كثيرا ، وقد استشرت احد المختصين ، فقال لي ان ذلك سببه اختلال بعض مكونات الدم ، فما هى هذه الحالة وما اسبابها وعلاجها ؟

ــ اذا حدث جرح وسال منه الدم فى الرجل السليم فالذى يحدث طبيعيا ان يقوم الدم بسد هذا الجرح بصنع جلطة تسده وبذلك يتوقف النزيف .

ولتوقف النزيف يتعين وجود ثلاثة عناصر رئيسية :

١ ــ صفائح الدم Blood Ploblets التى تحتوى على مادة الثرمبوبلاستين .

٢ ــ بلازما الدم بما تحتويه من عناصر ضرورية كالبروثرومبين والكالسيوم والفيبرينوجين .

٣ ــ جدار وعاء الدم .

ويكون التفاعل كالآتى :

ثرمبوبلاستين + كالسيوم + بروثرومبين = ثرومبين

ثرومبين + فيبرينوجين = فيبرين (الجلطة) .

واى نقص او اختلال فى اى من هذه العوامل والعناصر يؤدى الى عدم تجلط الدم وبالتالى الى النزيف .

فعدد صفائح الدم من ٢٠٠٠٠٠ ــ ٥٠٠٠٠٠ بالملم المربع بالدم فاذا نقص عددها عن هذا المقدار ادى ذلك الى النزيف .

كذلك نقص الكالسيوم فى الدم او مادة الفيبرينوجين يؤدى الى النزيف .

كذلك حالات ضعف جدار اوعية الدم يؤدى ايضا الى عدم تجلط الدم وعلاج النزيف يكون كالآتى :

١ ــ علاج موضعى : بالضغط على الوعاء الدموى النازف ان امكن او استعمال مادة تؤدى الى انقباضه مثل ابينفرين ــ ثرومبين ــ رغوى الفيبرين .

٢ ــ علاج عام : نقل دم او بلازما للمريض .

٣ ــ استئصال الطحال فى بعض الاحيان فى حالات نقص صفائح الدم الاولية .

٤ ــ الاشعة السينية X - Ray فى بعض حالات نقص صفائح الدم الثانوية .

٥ ــ العقار : كورتيزون/ فيتامين ج/ فيتامين « ك »

٦ ــ مركبات الحديد والكالسيوم .



ألم عند بلع الطعام

● **عندما اتناول الطعام اشعر بالم شديد عند البلع .. فما هو سبب ذلك ؟ .**

ـ صعوبة البلع والشعور بالألم اثناء مرور الطعام بالمرىء لهما أسباب عديدة، منها التهاب البلعوم ، والتهاب اللوزتين ، او التهاب المرىء الذى يكون فى بعض الأحيان ، نتيجة لتعاطى مواد مهيجة ، تسبب التهابا فى الغشاء المخاطى له مثل تعاطى الأحماض والقلويات الكاوية خطأ ، او اكل المواد شديدة السخونة ، او الغنية بالمواد الحريفة ـ واكثر الأحيان نتيجة لخروج الحامض من المعدة ، وصعوده الى اعلى فى المرىء ، مما يسبب التهابا وضغطاًفى الجزء الأسفل من المرىء، وهذا يسبب الما خلف عظم القص،وكذلك الشعور بالحموضة .

فى بعض الحالات يصاب المرىء بما يسمى « بالفتق » Hiatus Hernia وهو أن جزءا من المعدة يصعد من فتحة الحجاب الحاجز لأنها اوسع من الفتحة الطبيعية ـ وهذا الفتق على أشكال عدة ـ والذى يهم فى ذلك أنه يحدث احساسا بالضغط خلف عظم القص مع الم فى بعض الأحيان ينتشر الى الذراع الأيسر او الذراعين ـ خصوصا عندما ينحنى الانسان الى الأمام بعد تناول الطعام ـ أو اذا تناول العشاء ونام على وسادة واحدة ، فان الفتق يصعد الى اعلى ويسبب هذا الالم مع الشعور بحموضة ايضا ـ ويحس المريض بالراحة اذا جلس وتعاطى ادوية لتتعادل مع الحامض ، وهى كثيرة منها بيكربونات

تشوه الاطفال هل هو وراثى ؟

● **رزقنا بأول طفلة مصابة بتشوه بالشفة العليا ، فهى مقسومة بالجهة اليمنى حتى قاعدة فتحة الأنف . نحن فى قلق من تكرار هذا فى اطفالنا ، فهل من وسائل وقاية ؟**

ـ هذه الطفلة احد امثلة التشوهات الخلقية التى تصيب المولودين من الجنسين وتؤثر على استكمال تكوين الوجه فى الأشهر الثلاثة الأولى من الحمل .

الأسباب الحقيقية لهذا النقص الخلقى غير معروفة بالتحديد ولكن هناك عوامل يشتبه فى انها تؤدى الى هذه الحالات مثل بعض الحميات وخاصة الحصبة الالمانية ونقص التغذية وخاصة الفيتامينات والصدمات العصبية والنفسية والأدوية المهدئة .

ويتوقف نوع التشوه الذى يصيب الجنين ضمن عوامل اخرى على مرحلة النمو الذى يتم خلاله هذا التأثير اما عامل الوراثة فهو احد العوامل الفعالة فى هذه الحالات وخاصة الاطفال من زوجين من عائلة بها مثل هذه الحالات أو التزاوج بين زوجين عندهما شخصيا

الصودا أو Aludrox الودركس أو ميوكين Mucain أو جليوسيل Gelusil أو مركب سلفات المغنسيوم وينام على وسائد عالية .

فى بعض الحالات وهى نادرة ، تكون عضلات المريض مصابة بتيبس ، فلا تدع الطعام ينفذ من المرىء بسهولة ويبقى فى المرىء مدة الى ان يقوى الطعام بثقله على فتح الجزء الأسفل من المرىء عند فتحة الفؤاد وهى انفتاح المرىء على المعدة ، وهذا المرض يسمى Acalasia وفى بعض الحالات يكون مصحوبا بقىء. وفى الحالات النادرة فى المتقدمى السن يكون السبب فى صعوبة البلع ، والالم هو تورمات فى المرىء .

على ان كل سبب من هذه الأسباب يكون مصحوبا بأعراض مختلفة ، ويمكن الوصول للتشخيص ، بالكشف وبعمل الفحص الشعاعى للمرىء والمعدة ــ وعلى اساس هذا الفحص يكون تشخيص المرض والعلاج .

هذا التشوه ولكنه ليس من الضرورى أن يصاب كل أطفال عائلة بهذه الحالة .

لا داعى لشدة الانزعاج لهذه الحالة فهى حسب وصفها تعتبر من الحالات البسيطة ويمكن اصلاحها بعملية جراحية بوحدة جراحة التجميل . ويتم اجراء هذه العملية خلال السنة الاولى من العمر .

اما اذا كان التشوه شاملا لسقف الحلق فان الحالة تحتاج الى عملية على مراحل وكذلك علاج تقويم الاسنان لضمان سلامة الفك العلوى وسلامة وضع سقف الحلق مع جدار البلعوم حتى يتم تعلم النطق السليم الطبيعى .

تقرحات في الفم ما أسبابها ؟

● تعتريني تقرحات بالفم ــ وتكون شديدة الالم وتمكث معي اياما ثم تختفي لتظهر بعد فترة وهكذا ، وهي مؤلمة جدا حتى انها تمنعني في بعض الاحيان من الاكل ــ فما السبب؟ وما هو العلاج؟

ــ ان السبب بالتحديد فى حدوث هذه التقرحات ما يزال غامضا والبعض يعتقد أنها نتيجة لاضطرابات نفسية ــ أو اضطرابات فى الجهاز الهضمى . وربما كان للحساسية ايضا سهم فى حدوث التقرحات ــ والبعض اعتبر انها ناتجة من التهاب بسبب فيروس .

لذا نرى ان العلاج فى هذا المرض صعب ــ لأنه لا يعرف السبب المباشر له شأنه شان اى مرض آخر لا يعرف سببه ، والذى يجعلنا فى حيرة بشأن هذه التقرحات أنها تظهر وتختفى فى فترة وجيزة ــ وفى بعض الحالات لا يكون المريض قد عولج بشىء ولا يمكن معرفة اذا كان العلاج الذى يعطى هو العلاج الناجح لهذه الحالة .

وفى معظم الحالات يعالج الارتباك المعوى وسوء الهضم يجعل حدوث هذه النوبات ــ نوبات التقرحات بعيدة بعضها عن بعض ، وفى بعض الحالات تعطى الفيتامينات ــ ثم اقراص ضد الحساسية مثل البيريتون (Periton) ــ وتعطى كذلك اقراص مهدئة . اذا كانت حالة المريض النفسية مضطربة ــ وفى الحالات الشديدة تعطى مركبات الكورتيزون .

وفى بعض الحالات تستعمل مراهم تغطى هذه التقرحات لمحاولة تقليل الالم الذى يحدث منها ، خصوصا عندما تلمس بالطعام أو حتى باللعاب .

ومن هذا يتضح أن علاج هذه التقرحات ما زال فى دور التطور والملاحظة الى أن يكتشف سببها ، واكتشاف العلاج الناجع لها . ■■

سلفاتوري

أو

النفس الطيبة

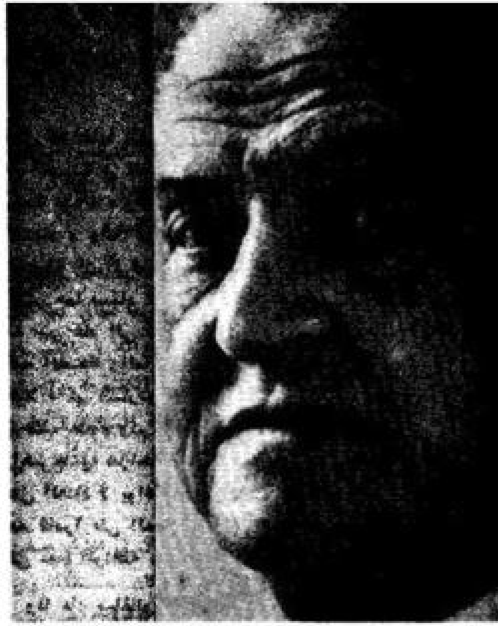
للكاتب الروائي البريطاني سومرست موم

بقلم : على أدهم

■ كان الكاتب البريطاني سمرست مـوم Samerset Maugham ، الـذي توفى في ديسمبر سنة ١٩٦٥ من الكتاب البارزين في الأدب البريطاني الحديث ، وبرغم عزوفه عن المجتمعات ، وميله الى العزلة وتقصيره في أساليب الدعاية لأدبه ، فانه قد نال من الشهرة ما كان يرجوه ، وبلغ المكانة الأدبية التي كان يطمح الى بلوغها ، وقد يسر له ذلك اجادته في كتابة الرواية والقصة والمسرحية والنقد وأدب الرحلات ، وكان من دواعي اتساع شهرته والاقبال على أدبه قدرته الفائقة في كتابة الأقصوصة ، فقد استمتع بقراءة أقصوصاته في مختلف المجلات الأدبية عدد من القراء لم تكن تتاح لهم فرصة الذهاب الى المسرح لمشاهدة تمثيل مسرحياته او قراءة رواياته المطولة او فصوله في الرحلات والنقد الأدبي . وفي تقديري ان موم من اقدر كتاب الأقصوصة في الأدب البريطاني قاطبة .

وربما كان اقدر كتاب القصة والأقصوصة في الأدب العالمي الكاتبان المعروفان موباسان الفرنسي Maupassant وتشيكوف الروسي Tchekov ، ولكل منهما طريقته الخاصة في كتابة القصة والأقصوصة ، وتمتاز قصص موباسان باحكام البناء والخلو من الاستطرادات الضعيفة الصلة بجوهر القصة . واحداث قصصه مرتبط بعضها ببعض ارتباطا شديدا ، وخاتمتها في الغالب مثيرة للدهشة . وتمتاز قصص تشيكوف بوصف الجو النفسي والسمات الأخلاقية . وكلاهما أستاذ متمكن في ميدانه .

وطريقة موم في معالجة كتابة القصة أقرب الى طريقة موباسان . وقد أدمن موم قراءة أدب موباسان ،



وتأثر به ، وقد صرح بذلك في كتابه الحافل بآرائه في النقد المسمى « الخلاصة » ، وكثيرا ما كان يتهم النقاد موم بأنه في رواياته وقصصه فظ غليظ القلب ، ورماه بعضهم بالكلبية في وصف الطبيعة البشرية والعمل على كشف ما بها من نواحي الضعف والتهافت . وقد حاول موم أن يرد عن نفسه هذا الاتهام بقوله ان كل ما عمله هو ابراز سمات خاصة في النفس الانسانية اغمض كثيرون من الكتاب عيونهم عنها . والقصة القصيرة التي أقدمها من أدبه هنا للقراء تبين أن هذا الاتهام ربما كان لا يخلو من المبالغة ، وان الرجل حينما كان يصادف النفس الطيبة الراضية المطمئنة يقدر ما تنطوى عليه من خلق كريم ، وطيبة صادقة ، واخلاص محض ، وهذه هي الأقصوصة التي يمكن أن نستبين من خلالها جانبا من جوانب نفسية موم نفسه :

سيكون من الخوارق لو استطعت ذلك !

لقد عرفت سلفاتورى اول ما عرفته وهو غلام يافع في الخامسة عشرة من عمره ، له وجه سمح دميم ، وثغر باسم ، وعينان يبدو فيهما عدم الاكتراث ، والخلو من الهم ، وقد اعتاد أن يقضي فترة الصباح مستلقيا على الشاطىء الرملى ، متخففا من الثياب . وكان جسده الأسمر نحيفا كقضبان السكة الحديد . وكان رشيقا خفيف الظل ، عذب الروح . وكان طوال الوقت يدخل في مياه البحر ، ويخرج منها ، ويسبح بتلك الطريقة غير المتقنة التي لا يبذل فيها مجهود كشأن ابناء الصيادين . وكان يتسلق الصخور زاحفا بقدميه الصلبتين ، لأنه كان لا يلبس الحذاء الا في يوم الأحد ، ثم يلقى بنفسه في أعماق المياه وهو يرسل صيحات السرور والابتهاج . وكان والده صيادا يملك كرمه الصغير .وكان سلفاتورى بمثابة الحاضنة لأخويه الصغيرين ، فكان يصيح بهما ، ويدعوهما الى العودة الى الشاطىء حينما يرى أنهما قد امعنا في البحر ، ويساعدهما في ارتداء ملابسهما حينما يحين وقت تسلقهما التل الذى جلله الكرم ليتناولا وجبة الغداء المتواضعة .

ولكن الصبية في تلك الأنحاء الجنوبية سريعو النمو ، وفي مدى قصير أصبح سلفاتورى متيما مفتونا بفتاة حسناء تقيم في الجراند مارينا ، وكانت لها عينان مثل غدران الغابات ، وكانت في سلوكها كأنها ترى نفسها احدى بنات القياصرة . وتمت خطوبتهما ، ولكنهما لا يستطيعان الزواج الا بعد أن يؤدى سلفاتورى الخدمة العسكرية .

وحينما ترك الجزيرة التي لم يغادرها قبل ذلك قط ليصبح بحارا في أسطول الملك فيكتور عمانويل بكى بكاء الأطفال ، وكان من الصعب على من كان طليقا طوال حياته أن يصبح رهن اشارة الغير وطوع أمره ، وكان مما يزيده ضيقا وتبرما أن يعيش في احدى السفن الحربية مع قوم غرباء بدلا من أن يأوى الى الكوخ الابيض اللون الصغير بين الكروم ، وحينما كان ينزل الى البر كان يمشي في شوارع مدن ليس بها صديق ، تضج بالضوضاء وتزدحم طرقها بالسابلة . وكان وهو الذى تعود السير في الدروب الصامتة وتسلق الجبال والسباحة في البحر يخشى عبور تلك الشوارع الغاصة بالخلق ، وأحسب أنه لم يخطر يوما بباله قط أن اسكيا التي كان ينظر اليها في كل مساء ـ وكانت

مثل جزيرة يسكنها الجان في غروب الشمس ـ ليرى ما سيكون عليه الطقس في اليوم التالى ، أو جبل فيزوف وهو يبدو في الفجر ناصع البياض. اقول انه لم يكن يخطر بباله انه كان لهما أى صلة به على الاطلاق ، ولكنه حينما اصبح لا يبدو لناظره هذا المنظر ادرك بصورة غامضة انهما جزء منه مثل يديه وقدميه. واشتد شوقه الى الجزيرة التى عاش بها حتى برّح به ، وكان اقسى من ذلك كله عليه مفارقة الفتاة التى احبها بكل عواطف قلبه الشاب ، وكان يكتب اليها بخطه الذى يشبه خط الاطفال خطابات طويلة ملأى بأخطاء في الاملاء يبثها فيها شوقه اليها ويصف حنينه الى العودة . وأرسل الى اماكن شتى ، فذهب الى سبتزيا والبندقية ، بل زار الصين ، وهناك اصابه مرض خفى اضطره الى البقاء في المستشفى شهورا ، وقد تحمل ذلك المرض صابرا محتسبا . ولما علم أن هذا الموضوع نوع من الروماتزم يجعله غير صالح للبقاء في خدمة البحرية لم يسؤه ذلك ، لأنه سيمكنه من العودة الى الجزيرة . ولم يبال حين قال له الأطباء انه لن يعود سليما معافى كما كان قبل أن يهاجمه هذا المرض ، وكل ما كان يهمه هو العودة الى الجزيرة التى أحبها ، والى الفتاة التى كانت تنتظره !

ولما ركب قارب التجديف الذى حمله من السفينة التى عاد بها الى الشاطىء رأى والده ووالدته واقفين على رصيف البحر ، ورأى أخويه وكانا قد أصبحا صبيين يافعين، ولوّح لهم بيديه ، وبحثت عيناه بين الجمع الحاشد الذى كان ينتظره عن الفتاة فلم ير لها أثرا . وتلقاه الكثيرون بالقبلات حينما وثب على الدرج ، ورحبوا بقدومه ترحيبا حارا ، فهم قوم معروفون بقوة العاطفة . وسأل عن الفتاة ، فاخبرته والدته انها لا تعرف شيئا عن عودته ، وأن أسرته لم ترها منذ أسبوعين او منذ ثلاثة أسابيع . فلما حان المساء وأرسل القمر نوره على البحر الهادىء وأومضت أضواء نابولى على مبعدة منه سار في طريقه الى الجراند مارينا حيث تقيم الفتاة ، وكانت جالسة على عتبة باب دارها مع والدتها . وخالجه الحياء لأنه لم يرها منذ زمن ، وسألها هل تسلمت الرسالة التى بعث بها اليها وذكر فيها خبر عودته الى الجزيرة، فقال له أهلها انهم تلقوا الرسالة ، وانهم سمعوا من الصبية في الجزيرة انه مريض ، وأن هذا هو سبب عودته ، وأنهم سمعوا أن مرضه غير مرجو الشفاء ، وأنه لن يعود كما كان . فقال لهم ان الحقيقة أن المرض كان سبب عودته ، وأنه سمع الكثير مما سماه ثرثرة الأطباء ، ولكنه كان يعتقد انه متى عاد الى الجزيرة زال عنه المرض ،وعادت اليه الصحة والعافية . ولزم أهل الفتاة الصمت قليلا ، ثم اشارت الأم الى ابنتها اشارة خفيفة لم تغب عنه ، ولم تحاول الأم تلطيف وقع الصدمة، وأخبرته في صراحة مكشوفة عرف بها قومها أن أهل الفتاة لا يوافقون على زواج ابنتهم برجل لم يعد قادرا على العمل ، وأنهم عقدوا العزم جميعا على عدم الموافقة على اتمام الزواج .

ولما عاد سلفاتورى الى داره عرف أن الجميع كانوا يعرفون ذلك ، فقد أخبرهم والد الفتاة بما استقر عليه رأى أسرته ، ولكنهم جميعا أحجموا عن مصارحته بجلية الأمر فبكى من التأثر ، وتألم وشقى ، ولكنه برغم ذلك لم يلم الفتاة ، فحياة الصياد حياة قاسية ، وفي حاجة الى سلامة البنية وقوة الاحتمال ، وكان يعلم علما ليس بالظن أن اى فتاة لا تقبل أن تتزوج من رجل لا يستطيع أن يعولها ، وعلت وجهه ابتسامة حزينة ، وبان في عينيه الشعور بالم الهزيمة وخيبة الرجاء ،ولكنه لم يشك ولم يتعتب ، ولم تبدر منه كلمة واحدة نابية عن الفتاة التى أحبها . وبعد اشهر قلائل حينما استقر وعاد الى مالوف حياته في مباشرة كرم والده ، ومشاركته في الصيد أخبرته والدته ان امراة شابة في القرية تريد أن تتزوج به ، وأن اسمها اسسونتا .

فقال : « انها تشبه الشيطان في الدمامة » .

وكانت أكبر منه سنا ، اذ كانت في الرابعة والعشرين او الخامسة والعشرين من عمرها ، وكانت مخطوبة لرجل قتل في الخدمة العسكرية بافريقية ، ولم تكن تملك سوى قليل من المال ، ووعدت بأنها اذا قبل سلفاتورى أن يتزوجها فانها ستشترى له قاربا خاصا ، وأنهما يستطيعان أن يأخذا كرما لم يكن له مستأجر في ذلك الوقت ، وقالت له والدته :

« ان اسسونتا قد رأته في احتفال العيد وأحبته». فابتسم سلفاتورى ابتسامته العذبة الصافية ، وقال لوالدته « انه سيفكر في الموضوع » .

وفي يوم الأحد التالى ارتدى ملابسه السوداء الخشنة التى كان يبدو فيها سليما معافى كما كان يظهر حينما يلبس قميصه وسرواله في الايام العادية ، وذهب الى القداس في الكنيسة ،واختار مكانا يستطيع فيه ان يرى المراة الشابة ، ولما عاد ادراجه الى داره أخبر والدته انه موافق على الزواج .

وتم الزواج ، واستقر الزوجان في منزل صغير نظيف في وسط كرم جميل ، وكان سلفاتورى حينذاك قد أصبح رجلا طويل القامة ، عريض الالواح، ولكنه كان لا يزال صاحب البسمة الدالة على نبل النفس ، وصفاء القلب ، وذا العينين اللتين تشعان عطفا كما كان وهو طفل ناشيء ،وكان في عاداته وتصرفاته احسن وارق من عرفت في حياتى ، وكانت اسسونتا امراة تبدو في وجهها الصراحة ووضوح السمات ويخال من يراها انها أكبر سنا من حقيقتها ، ولكنها كانت طيبة القلب، حسنة التدبير. وكنت أسر حينما أرى ابتسامتها الخفيفة التى تنم على فرط اخلاصها لزوجها وتعلقها به حينما يحاول أن يبدو رجلا صارما ، وسيدا آمرا ، وكانت لا تنفك متأثرة بعذوبةنفسه، ورقة طباعه ، ولكنها كانت لا تطيق رؤية الفتاة التى رفضته ، وبرغم احتجاجات سلفاتورى الضاحكة لم تكن تملك سوى توجيه الكلمات القارصة لهذه الفتاة . وسرعان ما وُلد لهما أولاد.

وكانت حياتهما حياة شاقة ، ففى موسم الصيد كان يخرج الى قاربه في الماء ، ومعه احد اخوته الى منطقة الصيد ، وكانت هذه المنطقه تمتد الى مسافة تقرب من ستة أميال أو سبعة أميال ، ويقضي الليل في الصيد ، ثم يعود مجدفا لكى يبيع السمك الذى اصطاده في الوقت المناسب الذى يسمح بذهابه في القارب الذاهب مبكرا الى نابولى ، وفي الأوقات الاخرى كان يظل يعمل في الكرم منذ تبلج الفجر حتى تضطره حرارة الشمس الى التماس الراحة . وحينما تخف حرارة الجو يستانف العمل حتى اقبال الليل . وفي كثير من الأوقات كان مرض الروماتزم يقعده عن العمل ، وكان حينذاك يستلقى على الشاطىء الرملى،وبشعل السجاير ، ويلقى كل انسان بكلمة سارة برغم الالم الذى يعانيه في ساقيه . وكان القوم الأجانب الذين يجيئون للاستحمام ويرونه يقولون ان هؤلاء الصيادين الايطاليين شياطين كسالى .

وفي بعض الاوقات كان يحضر معه ابنيه ليتيح لهما فرصة الاستحمام ، وكان أحدهما في الثالثة من عمره ، والآخر لم يتم بعد السنة الثانية من عمره ، وكانا يلعبان على أطراف الماء وهما عاريان من الثياب . وكان سلفاتورى وهو واقف على احدى الصخور يلقى بهما في الماء ، وكان ابنه الأكبر يحتمل ذلك في جلده ولكن الأصغر كان يصيح بقوة . وكانت يدا سلفاتورى قويتين خشنتين من العمل المتواصل ، ولكنه كان حينما يحمل ولديه يحملهما في رفق ولين ، ويعمل على مسح جسديهما الصغيرين بعناية حانية . وكان الطفلان بغير ادنى مبالغة كالزهرتين ، وكان يجلس الطفل العارى على راحة يده ويمسك به ، ويضحك قليلا لضؤولته وخفة وزنه ، وكانت ضحكته كضحك الملائكة وكانت عيناه حينذاك تبدو فيهما الصراحة كعيون طفلتيه .

وقد بدات بقولى انه سيكون من الخوارق لو استطعت ذلك ـ وساذكر لكم ما حاولت الكشف عنه ، لقد أردت ان أرى هل استطيع ان اجتذب انتباهكم واسترعى نظركم لصفحات قليلة وانا اقدم صورة لرجل من صيادى السمك الايطاليين العاديين لا يملك من الدنيا سوى صفة واحدة هى أندر الصفات ، وهى أثمن وأغلى وأحب ما يمكن أن يملكه أى انسان ، ولا يعلم الا الله لماذا كان يملك هذه الصفة على غير توقع ، وبشكل عجيب، وكل ما اعرفه هو أن هذه الصفة كانت تضيء في نفسه وتشع اشعاعا لو لم يكن هو جم التواضع وغير شاعر بها لكان يصعب على معظم الناس العاديين احتمالها ، واذا كنتم لم تدركوا هذه الصفة التى حدثتكم عنها فانى اقول لكم انها طيبة النفس ، ولا شيء سواها . ■■

على أدهم



الفكاهة في الشعر العربي

بقلم : طاهر أبو فاشا

ضحك يضحك :

■ الاصل فى مادة « ف.ك.هـ » هو الدلالة على الثمر الحلو الذى نعرفه بالفاكهة . والفاكهاني بائعه . والفاكه صاحبه . وفكههم تفكيها اذا اتاهم بالفاكهة ، وتفكه تفكها اذا تناولها .

فالمادة تدل على ما يتفكه به الطاعم من حلو الثمر . ثم من الحلواء ــ بعامة ــ لان الطاعم يتفكه بها أيضا . فكل ما يحلو فى فم الطاعم فهو فاكهة على سبيل التعميم .

ثم تطورت الكلمة فاصبحت تدل على هذا المضمون في المعنويات . شان أكثر المفردات : تدل ــ اولا ــ على المحسوسات المادية . ثم تنتقل لعلاقة المشابهة غالبا ــ للدلالة على هذا المعنى في المدلولات المعنوية . وهكذا انتقلت كلمة « التفكه » الى ما يطرف به الانسان من ملح الكلام . والاسم منه « الفكيهة » و « الفكاهة » .. والعرب يقولون : فكه الرجل فكها ــ كفرح فرحا ــ اذا كان طيب النفس ضحوكا .

حقيقة الضحك

وقد عرف المناطقة الانسان بانه « حيوان

ناطق » . اي مفكر . فالتفكير خصيصة ينفرد بها الانسان ويمكن ان يتميز بها عن غيره من المخلوقات التي تشاركه الحياة .

وعرفه بعضهم بانه « حيوان ضاحـك » لان الضحك عرض خاص بالانسان .

ولسنا نرى فرقا بين التعريفين لان الضحـك عملية فكرية اولا . ثم حالة جسمية يتحـول فيها الاحساس من الاعصاب الى العضـلات .. فالانسان يرى المنظر المضحك ، او يسمع النكتة فيفهمها اولا ، ويدرك وجه المفارقة فيها ،ويتحول هذا الادراك من المراكز العصبية الـى اجهـزة الضحك في جسمه . وعندئذ تحدث له حالـة « التفريغ » التي نسميها قهقهة .

واذا كان الضحك عرضا انسانيا فهو ـ ايضا ـ ظاهرة اجتماعية . لان الضحك ـ كأي انفعال ـ لابد له من مثير . وهـذا المثير لابـد ان يكـون انسانيا .

وانت تلاحظ ان ضحك الانسان يشتد اذا كان في جماعة يشتركون معه في معاناة التجربة .. بل قد يضحك احيانا من باب « التقليد التلقائي » ، فقد تجد نفسك ضاحكا تجاوبا ـ غير مقصـود ـ مع جماعة يضجون بالضحك . حتـى قبـل ان تتبين سبب هذا الضحك .

★★★

وكثيرة هي التفسيرات التي حاولت تحليـل الضحك وتعليله وتفسيره .

وقيل : ان الضحك وراثة متطورة لعمليـة « التفريغ » او القهقهة التـى كان يقـوم بهـا انسان الغابة القديم ، حين كان يختفي ويتربص باعدائه من حيوان الغابة وفي يديه حجر أو عصا غليظة ، فاذا مرّ عليه هوى بها على راسـه حتى اذا صرعه وقف فوق جثته ورفع يديه وقد انتابه هذا « التفريغ » او القهقهة .

وعلى هذا الاساس فان اسباب الضحك يفسرها الشعور بانتصار مفـاجيء مع اختفاء الشـعور بالشفقة وما اليها ..

فاذا رايت شيخا عجوزا واهن القوى ، يتوكأ على عصاه ، ولا تكاد تحمله قدماه ، فاذا هـو يتعثر ويقع على الارض .. فانت ـ في هذه الحالة ـ لا تضحك . بل قد تنهض الى مساعدته .

ويحدث عكس ذلك اذا مر بك رجل قوى مفتول الذراعين ، مبروم الشارب ، يمشى في خطـوة رائعة . ثم تزلق قدمه فيسقط على الارض .. فعندئذ تنفجر ضاحكا .

وهم يرجعون تفسير الضحك ـ في مثل هـذه الحالة ـ الى رواسب ما كان يفعله الانسان الاول عندما يشعر بانتصار مفاجيء مع غيـاب عنصر الشفقة .. لان هذا الرجل الذى يدل بقوته ، ويختال في مشيته كأنه يقـول لـك ـ بلسـان الحال ـ : « انا اقوى منك » ، فاذا سـقط على الارض انهارت هذه الصورة ، وداخلك شـعور مفاجيء بالانتصار وعندئذ ، تفعل ما كان يفعلـه انسان الغابة القديم في مثـل هـذا الموقـف : القهقهة . او « عملية التفريغ » بعد هذا التجمع الذى ظلت تعبئه هيئة الرجل ومشيته المعجبة .

وظيفة الضحك

وايا ما كان الخلاف حول تفسير ظاهرة الضحك ودواعيه واعراضه فان هناك اتفاقا حول وظيفته ، واثره على الصحة النفسية والجسمية : تجديد النشاط ، ودفع الكآبة ، والتعبير عن حاجـة النفس الـى الانطـلاق ، وتصويـر المفـارقات الانتقادية ـ وما اكثرها ـ كما يتناولها الكاريكاتير. بل ان الرسوم الكاريكاتيرية ليست ـ في حقيقتهـا الا نكات مرسومة .. وكأن النكتة حاجة انسانية او ضرورة وجدانية يعبر عنها الانسان بمختلـف الوسائل والاشكال الفنية : بالكلمـة مرسلة ، ومنظومة ، وبالرسم ، وربما النحت والموسيقـى ايضا .

ولا يزال الناس يلتمسون في الفكاهة نسـمة طرية ترطب هجير الحياة ، فهم يتفكهون ويمزحون. لا فرق في ذلك بين كبير وصغير الا في تلاؤم المزح ـ شكلا ومضمونا ـ مع مكانة المتمازحين وثقافتهم ومستوياتهم الفكرية والاجتماعية .

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسـلم يمزح فلا يقول الا صدقا ، وكان يضحك حتى تبدو نواجذه . وحكاية العجوز التى سألته الدعاء بالمغفرة معروفة . فقال لها : اما علمت انه لا يدخل الجنة عجوز . فلما تفزّعت تبسم الرسول وقال لها : اما قرات قوله تعالى : « انا انشاناهن انشـاء فجعلناهن ابكارا عربا اترابا . »

وقد اهتم الانسان حيثما كان بالفكاهة يتحراها، ويسمعها ، وينقلها ، ويتفكه بها . ويضحك منها .

وكانت الفكاهة تقع بالانسان عرضا . مرتجلة ،

يصادفها الانسان في المفارقات التي تصادفه في هذه الحياة . ثم ما لبث ان تنبه الى قيمتها كضرورة اجتماعية ، فاعدها اعدادا وسعى اليها سعيا . واتخذ مختلف وسائل التعبير والصيغ الفنية اشكالا لها .

★ ★ ★

واذا كانت هذه هي قيمة الفكاهة بعامة فهي في الشعر اوزن وارجح . لان الفكاهة عندئذ تضم الى جمالها كفكاهة .. جمالها كشعر . لان الفكاهة جميلة من حيث هي . فاذا دخلت في مجال التجربة الشعرية الفنية كانت اكثر جمالا.

وقد ترك لنا شعراءالعربية مائدة حافلة بالاطايب من الشعر الفكاهي .. ولو اننا جمعنا شعر الفكاهة وحده لكان بين ايدينا حصيلة ضخمة من هذا اللون الطريف . وهي - على ضخامتها - تعتبر قليلة اذا وضعناها الى جانب الشعر الجاد ..

على ان الفكاهة ليست هزلا صرفا يخلو من جد الحياة . ولو قد ذهبنا الى تصنيف النكات والفكاهات من حيث موضوعها وحجمها لوجدنا ان الفكاهات الانتقادية هي الاولى بعد نكات الجنس .

وكثيرا ما تستعمل الفكاهة في التنفيس عن الكبت . والتعبير عما يشغل الناس ، وعندئذ تصيب الفكاهة وتصل الى مالا يصل اليه الجد والزمانة .

كان على مصر المملوكيةواحد مناولئك المماليك. وكان يتصرف في النقيضين فهو يبالغ في المحافظة على اداء الفريضة في وقتها ، ويكثر من ذكر الله وتسبيحه . ولكنه - في الوقت نفسه - يشتط ويبالغ في ظلم الناس وسلبهم اموالهم . وكانما وقر في نفسه ان يمحو السيئات بالحسنات . فخلط صالحا وآخر سيئا .. فقال « ابن المعمار »

قد بُلينا بمليك
ظلم الناس وسبّح
هو كالجزار فينا
يذكر الله ويذبح

فكان لهذا التصوير الساخر فعل السحر في نفوس الجماهير التي جعلت تردد البيتين وتتمثل بهما .

وشبيه بهذا ما وقع للسلطان المؤيد - وهو من سلاطين المماليك ايضا - عندما بنى جامعه عند باب زُويلة بالقاهرة . فقد ظلم الناس واستعمل طرقا غير مشروعة للحصول على رخام المسجد واثاثه حتى بهظهم واثقل عليهم . فاستغل الشاعر وجه المقارنة للتعجيب ممن يرتكب جريمة ليجعل منها مادة لحسنة يقدمها :

بنى مسجدا لله من غير كدّه
فجاء - بحمد الله - غيرَ موفّق
كمطعمة الايتام من بيع جسمها
فليتكِ لم تزني ولم تتصدّقي

شعراء الفكاهة

وقد طرق شعراء الفكاهة بشعرهم الضاحك جميع الاغراض والفنون : يتواصفون الحياة ، ويصورون مجتمعاتهم . ويسخطون علىالمتناقضات والمفارقات . ويتبادلون الاهاجي والاحاجي ، ويناقدون الحكام ويسلقونهم بالسنة حداد .. الى جانب المداعبات ، والمعابثات ، والاخوانيات .. والسخرية ، والتهكم . فيكون لشعرهم الضاحك صدى بعيد ، لانه فضلا عن خصائص الشعر الجمالية . يحمل خصائص النكتة : في طرافة الفكرة ، او غرابة الصورة ، او التخلص الفكه ، او التحامل ، او الرد بغير ما يتوقع ، او قلب المعنى ، او التلاعب اللفظي ، او التقسيم الفكه ، او استعمال عبارة شائعة في غير معناها .. وكثيرا ما تاتي التورية ،والكناية في ابرع واطرف صورهما في هذا الشعر الفكاهي .

ونحن نحفظ قول امرىء القيس :

وقوفا بها صَحْبي على مَطيّهمْ
يقولون لا تهلكْ اسىً وتجمّلِ

وقد ورد هذا البيت في معلقة اخرى بهذا النص :

وقوفا بها صحبي على مطيهم
يقولون لا تهلك اسى وتجلد

فاستغل الصفدي الشطر الثاني من البيت الثاني استغلالا ضاحكا ، فقد كان عنده كتاب قيم ولكن غلافته ممزقة ، فلامه احدهم على تركه هذا الكتاب الجيد دون « تجليد » فقال في ذلك :

ملكتُ كتابا اخلق الدهرُ جلدَه
وما احدٌ في دهره بمخلّد
اذا ما رأتْ كُتْبي الجديدةَ حالَه
« يقولون لا تهلك اسى وتجلد »

وقد تاتي النكتة في الشعر من طرافة المقابلة .



كان احد الشعراء مسافرا على حماره . فوجد في طريقه خيمة منصوبة ، وقد رُبط اليها مهر جميل ، ووضعت امامه علائفه .. واذا صاحب الخيمة يخرج ، ويدعو الشاعر الى طعامه ، بينما اخذ خادمه حمار الشاعر وربطه بعيدا عن المهر . ودار بينهما الحديث ، فاذا صاحب الخيمة اديب شاعر متحدث ، وكبر على الشاعر ان يرى حماره جائعا محروما ينظر الى المهر امام علائفه وحماره الجائع ينظر اليه .. فقال :

يا سيدي : نثري يُعاب بنثركا
وكذاك شعري لا يقاس بشعركا
انا في ضيافتك العشيةَ كلها
فاجعلْ حماري في ضيافةِ مهركا

وقد تاتي النكتة من المشاكلة اللفظية . وهي استعمال لفظ في معنى لفظ آخر .

كان ابو حامد الانطاكي المعروف بابي الرقعمق ـ وهو من شعراء القرن العاشر الميلادي ـ ينادم ثلاثة من الاصدقاء . فارسلوا اليه يوما يدعونه اليهم ويقترحون عليه ان يقترح عليهم ما شاء من اطايب الطعام .. وكانت حاله سيئة حتى انه لم يكن يملك الملبس الذي يلبسه ليذهب اليهم . فارسل اليهم مع الرسول الذي ارسلوه اليه يقول :

اخواننا قصدوا الصَبوح بسحرةٍ
فأتي رسولهم اليّ خصيصا
قالوا انتخب شيئا تجد لك طبخه
قلت اطبخوا لي جبّة وقميصا

وقد تاتي الفكاهة في الشعر من لطف الاشارة ورشاقة الحركة . كما جاء في وصف قينة « عوادة » تعزف على العود واسمها « عوادة » .

عوادةٌ عوادةٌ
بالنغم الملذذِ
قالت لنا اوتارها
انطقنا الله الذي

او تاتي من طرافة الصورة ودقتها مع ما فيها من السخرية المقلقلة اللذاعة كما في بيتي ابن الرومي المشهورين :

قصُرتْ أخادعُه وطال قذالُه
فكأنّه متوقّعٌ ان يُصفعا
وكأنما صُفعت قفاه مرةً
واحسّ ثانيةً لها فتجمّعا

و « القفا » مؤنث . وقد يذكر .

ومن ذلك قوله في ضارب عود سيىء العزف :

واذا تربع ـ لا تربّع بعدها ـ
وغدا يحرّك عوده متقاعسا
فكأن جرذان المدينة كلها
في عوده يقرضن خبزا يابسا

وقد تاتي الفكاهة من قلب الصورة .

وكان لنا صديق من الادباء الظرفاء ، ايام كنا طلبة نتعاطى العلم في المعاهد الثانوية ، فشغب صديقنا في احد الدروس . فاستاء منه الاستاذ ، وصفعه على وجهه ، ولم يكتف بذلك بل تقدم بمذكرة شاكية يطلب فيها معاقبته بخصم جزء من درجات سلوكه . فكتب له قصيدة اعتذار مشهورة منها قوله :

ألا اعتذروا لي عنده فأنا الذي
صفعتُ بوجهي كفّه فتألما

ووجه المفارقة هنا هو قلب الصورة . فالاستاذ هو الذي صفع بكفه وجه صديقنا ولكن الشاعر جعل وجهه هو الذي (صفع) يد الاستاذ ، فآلمته يده . ولهذا هو يعتذر . وقد فعلت هذه القصيدة الفكاهية فعلها ، وعفا عنه الاستاذ بل اصبح قريبا من نفسه .

ومثل هذا قول الشاعر القديم :

قوم اذا صفع النعالُ قفيَّهم
شكت النعالُ : باي ذنبٍ تُصفع

فقد قلب الصورة وجعل النعال مصفوعة بهذه القفي . وانها لذلك تشكو .

وقد تاتي الفكاهة في الشعر من طرافةالتقسيم. كما في قول الشاعر القديم يصف طبيبا يداوى العيون فيعميها ويداوى الاجسام فيتلفها :

أفنى واعمى ذا الطبيبُ ـ بطبه
وبكحله ـ الاحياءَ والبُصراء
فاذا مررت رأيت من عُميانه
أمَماً على امواته قرّاء

ووجه الطرافة هنا في التقسيم . واللف والنشر المرتب . ثم تاكيد المعنى بهذا التذييل الساخر الذى جعل من الذين اعماهم الطبيب قراء يقرءون على قبور الموتى الذين راحوا ضحية علاجه الفاسد .

وقد تعتمد الفكاهة في الشعر على التلاعب باللفظ ، والتورية البارعة .

وقد كان الشيخ الليثي ورياض باشا من



حاشية الخديوى ، وكان رياض يقوم بوظيفة « المهردار » ، فامر رياض باشا ان يكتب على باب كل حجرة من الديوان اسم وعمل من فيها . فلما جاءوا الى حجرة الشيخ الليثي امر ان يكتبوا على بابها « انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا » . واغتاظ الشيخ الليثي . واسرها في نفسه حتى اذا جمعهم مجلس الخديوى استاذن الشيخ الليثي في الانشاد والقى هذين البيتين من الشعر العامي :

ساقيــة ابويــا من عَجَبْ
تَسقِي ريــاضْ الجُلنــارْ
علقت فيهــا الثــورْ عِصِي
علقت فيهــا « المُهــرْدارْ »

وكثيرا ما تعتمد الفكاهة في الشعر العربي على التورية فتاتي معجبة محكمة .

ارسل بعضهم الى ابن نباتة الشاعر المصرى هدية من تمر ردىء فكتب اليه :

اهديت تمرًا بــل نــوًى فقبلته
بيد الوداد فمــا عليك عتاب
واذا تباعدت الجسوم فودّنا
باق ، ونحن على (النوى) احباب

وقد تعتمد الفكاهة على المعابثة .

كان لبشار حمار . وكان لجاره الاصفهانى اتان .. فمات حمار بشار فطالب به أتان جاره . فسئل في ذلك ، فقال انه رأى حماره في النوم : فقال له : لم مت . الم اكن احسن اليك واقدم لك اجود العلف . واصفى الماء .

قال الحمار : بلى يا سيدى ولكنى عشقت اتان الاصفهاني . فشفتني غرامها فمت . وانشد (اى الحمار) :

سيّدى خـذْبي أتــانــا
عنــد بــاب الاصفهــانــي
تيّمتنــي يــوم رُحنــا
بثنــايــاهــا الحســان
ولهــا خــدٌ اسـيــل
مثــل خــد « الشّنفراني »
فلــذامــت ولــو عشــتُ
اذن طــال هــوانــي

فقيل لبشار : وما الشنفراني يا أبا معاذ ؟ فقال : ومن ادراني.هذا من لغويات الحمار .. او قال : انه شيء يتحدث به الحمير فاذا لقيتم حمارا فاسالوه عنه .

الشعر الفكاهي في عصر المماليك

ولم يخل عهد من العهود من الشعر الفكاهي . ولم تخل العصور المتتابعة من هذه الصور الفنية الضحاكة . الساخرة .. ولكنه لم يزدهر في عهد من العهود كما ازدهر في عصر المماليك .

وقد كنا ندرس لابنائنا ان الادب في العصر المملوكي . والعصر المملوكي التركي كان ادبا هابطا تخنقه المحسنات المفتعلة .

واقرر ان هذا التعميم ليس على شيء من الصواب . فقد ازدهر الادب الشعبي في هذا العصر وبلغ قمته كفن يعبر عن جوانب النفس وعن الحياة في هذه الفترة التي هبط فيها الادب الرسمي التقليدى ..

وبحسبك ان تعلم ان كثيرا من الملاحم الشعبية قد ظهر في هذه الفترة كملحمة الظاهر بيبرس وخضرا الشريفة . وجمال الدين شيحا .

وبحسبك أن تعلم ان جذور المسرح العربي قد عرفت طريقها الى الحياة في هذه الفترة برواج « خيال الظل » على يد ابن دانيال الكحال ..

ولكن . لماذا ازدهر الشعر الفكاهي في هذه الفترة ؟

ولماذا في مصر بالذات ؟

لقد ازدهر الشعر الفكاهي بمصر خاصة في اعقاب الاحداث التاريخية الكبرى التي المت بالعالم العربي بعد اجتياح التتار لعاصمة الخلافة العباسية ، ثم هذه الحروب الاستعمارية التى تنكرت وراء ما عرف « بالحروب الصليبية » واستمرت زهاء قرنين من الزمان .. فكان من اثر ذلك هجرة العلماء والشعراء والكتاب . والفقهاء ، واللغويين ، والمحدثين ـ الى مصر . وهكذا اصبحت القاهرة المملوكية عاصمة العلوم الدينية الاسلامية واللغوية . وعاصمة للفنون والاداب ـ ايضا .

وكانما تنفس العالم الصعداء بعد أن وضعت هذه الحروب اوزارها ، فانطلق الناس الى اللهو والمجانة يعوضون بها ايام الشدة والعبوس . فالتمسوا الاضاحيك والافاكيه والسخرية في فترة من فترات التاريخ ازدحمت بالمفارقات والمتناقضات .

وكانت « خفة الدم » التى شاعت عن المصرى هي المناخ الذى افرخت فيه هذه الظروف اعلام

الفكاهة الادبية . وظهر في سماء هذا الفن نجوم واقمار من امثال : أبي الحسين الجزار . وابن دانيال الكحال ، وابن سودون ، والوراق ، والحمامي .. ومن الى هذه الطبقة من شعراء وظرفاء العصر المملوكي .

ولقد كان جهل سلاطين المماليك باللغة العربية هو السبب المباشر في نزول الشعر الى الحياة العامة ، ومعايشة الجماهير .. فحيث كان السلاطين لا يعرفون العربية ، ولا يتذوقونها ، فان الشعر لم يجد له مكانا في تقديرهم ، كما أن الشعراء لم يجدوا لانفسهم مكانا بين حاشيتهم . هذا في الوقت الذي دعاهم فيه حب الظهور - ووفرة ما كانوا يجبونه ويحصلون عليه من مكوس التجارة بين الشرق والغرب - الى الاغداق على فن العمارة ، وتشجيع العلماء والمؤلفين على نحو معين ليرسموا كتبهم ومؤلفاتهم باسماء هؤلاء السلاطين .

★ ★ ★

ولهذا التمس الشعراء اسباب الرزق في كدح الحياة . فكان منهم الجزار ، والوراق، والسراج . والحمامي . والحائك ، والكحال .. وحتى « الفرانين » كان منهم شعراء ظرفاء ، يتحامقون كابن وهيب الفارسكوري الفران .

واشتهر اولئك الاعلام بحرفهم اكثر من اشتهارهم باسمائهم ، فكان اذا ذكر اسم احدهم غير مقترن بحرفته تساءل الناس عنه . فيقال لهم : الجزار . او الوراق . او الحمامي .. وعندئذ يعرفونه ..

ثم كانت حرفهم هذه موضوعا يتداولونه في اشعارهم . فكانوا يتمدحون هذه الحرف ويفتخرون بها . او يذمونها ويتهاجون بها .

ولنسمع الى مجاهد « الخياط » يهجو ابا الحسن « الجزار » وستلاحظ طرافة التورية في قوله :

ان تاه جزّاركم عليكم
بفطنة عنده وكيس

فليس يرجوه غير كلب
وليس يخشاه غير تيس

أما أبو الحسن الجزار . فلم يثبت على راى واحد بالنسبة لحرفته « الجزارة » ، فمرة كان يفخر بها ، ومرة كان ينعى حظه ان كان قصابا يحترف الجزارة . واخيرا وقف حائرا بينها وبين حرفة الادب :

الا قل للذي يسأل عن قومي وعن أهلي
لقد تسأل عن قوم كرام الفرع والاصل
يريقون دم الانعام في حَزْن وفي سهل
وما زالوا لما يبدون من ناس ومن بذل
يرجّيهم بنو كلب . ويخشاهم بنو عجل

ولما ترك الجزارة وانقطع للشعر ادركته حرفة الادب ، واكتشف ان صناعة القلم لا تقوم بالاود . فرجع الى الجزارة وعاد قصابا كما كان :

لاتلمني باسيدي شرف الد
ين اذا ما رايتني قصّابا
كيف لا اشكر الجزارة ما
عشت حفاظا ، وارفض الآدابا
وبها اضحت الكلابُ ترجّيني
وبالشعر كنت أرجو الكلابا

ولكن باب الرزق يضيق عليه ، ولا تدر عليه الجزارة ما يسد حاجته كشاعر تتفتح نفسه للحياة . فيقف حائرا بين الجزارة وبين الشعر :

اصبحت في أمري - ولا
اشكو لغير الله - حائر
فاللحم يقبح ان اعو
د لبيعه ، والشعر بائر
ياليتني لا كنت جزا
را ، ولا اصبحت شاعر

وكانوا يتعابثون ، ويتحامقون . ولهم في وصف فقرهم ، وجفاف ايديهم ، وجدب الحياة وشدتها - اشعار فيها كل معجب مطرب .

وانظر الى هذا الشاعر الذى يضطر الى البقاء داخل منزله حتى يغسل ويجف ثوبه الذى لا يملك غيره ليخرج به . واسمع اليه وهو شبه عار تصطك اسنانه من البرد :

لبستُ بيتي وقد زررْتُ ابوابي
عليّ حتى غسلت اليوم اثوابي
وما تراقصت الاعضاء في بدني
الا وقد صفقت بالبرد انيابي

ومما سمعناه من شيوخنا ان شاعرين من هؤلاء كانا يملكان ثوبا واحدا . فكان اذا لبسه أحدهما لزم الاخر البيت ، فاذا رجع خلعه ليلبسه صاحبه ليخرج . وهكذا كانا يتداولانه بينهما . وواحد

منهما في البيت لا محالة . الا يوم غسله فانهما يبقيان معا في البيت :

قوم اذا غسلوا الثياب رأيتهم
لبسوا البيوت وزرّروا الابوابا

وعندما نفق حمار احدهم تناولوا تأبين الحمار في مطولات ، وقالوا فيه شعرا لا سبيل الى نشره .. وفي الحمار يقول صاحبه :

كم من جهول رآني
امشي لأطلب رزقا
وقال لي : صرت تمشي
وكل ماش ملقّى
فقلت : مات حماري
تعيش انت وتبقى

وفي هذه الاونة دخل « الحشيش » مصر كمادة مخدرة ، ادخله المتصوفون الذين نزحوا الى مصر - في موجات الهجرة التى حدثت بعد تخريب بغداد على ايدى التتار - فيمن نزح اليها من العلماء والادباء واهل الفكر .. ولذلك عرف باسم « حشيشة الفقراء » .. والفقراء من اسماء المتصوفة ، وانتشر تعاطيه في مصر منذ اوائل القرن السابع الهجرى . فشغل جانبا كبيرا من شعر هذه الفترة . مدحا . او ذما . او مقارنة بينه وبين الخمر .

ووقف الخمريون للحط من هذه الحشيشة وبلادة آكليها - فقد كانت تؤكل اكلا - وتفضيل الخمر عليها :

لحا الله الحشيش وآكليها
لقد خَبُثَتْ كما طاب السُّلاف

ويقول الشاب الظريف في ذمها ، وتصوير اعراضها :

ما في الحشيشة فضل عند آكلها
لكنه غير مصروف الى رشده
حمراء في عينه ، خضراء في يده
صفراء في وجهه ، سوداء في كبده

وفي عهد الظاهر بيبرس البندقدارى ، صدر اول قانون في التاريخ لابطال الحشيش وامر باحراقها ، ومنع زراعتها .. ولم يكن الامر خاصا بهذه المادة المخدرة وحدها ، فقد امر بتخريب المسكرات ، ومنعت الحانات - وعندئذ انتقل الشعراء الى رثاء مجالس الانس والطرب .. ولابن دانيال بكائية" مشهورة يرثي فيها الخمر والحشيش ويبكى ايام المجانة والخلاعة يقول في اولها :

مات ياقوم شيخنا ابليس
وخلا منه ربعه المأنوس

وبعد . فقد يخطر للناقد ان يقارن بين الخمريات ، والحشيشيات . فهل ارتفع اصحاب الحشيشة الى الافاق التى حلق فيها شعراء الخمريات ؟ لا اظن ذلك .

★ ★ ★

ولم يخل عهد من العهود المتتابعة من الشعر الفكاهي ، ولا اتصور شاعرا مهما كان واينما كان تخلو حياته من المرح والفكاهة مهما كان جهما ، ومهما تجهمت له الحياة . فشوقي - مثلا - له اشعاره الفكاهية المكتوبة والمروية . وكذلك الشان في حافظ ابراهيم . وخليل مطران ، ومحرم . وناجي .. ولكن احدا من هؤلاء لم يغلب عليه هذا اللون ويعرف به كما كان ظاهرة في العصر المملوكي ، وكما ظهر في الجيل الماضي على يد امام شعراء الفكاهة المصريين حسين شفيق المصرى .

فقد احيا حسين شفيق المصرى هذا اللون من الشعر ، وجعل منه مدرسة من مدارس الادب والفكر في مصر .. ونقول « احياه » لان هذا اللون من الكاريكاتير الشعرى كان موجودا حتى قبل ان يزدهر في عصر المماليك .

بل ان الطريقة التى اتبعها حسين شفيق المصرى في اختيار عيون القصائد العربية المشهورة .. ومعارضتها على طريقته « الحلمنتيشية » فقد كان يسميه الشعر الحلمنتيشي وكان يسميها « المشعلقات » معارضة للمعلقات - هذه الطريقة بعينها نجدها عند شعراء العصر المملوكي .

ونحن نقرا وصفا دقيقا ، ونشاهد صورا طريفة في معارضة « الجزار » لمعلقة امرىء القيس المشهورة . اذ يقول « الجزار » في وصف فقره وسوء حاله وقد اقبل الشتاء :

قفا نبك من ذكرى قميص وسروال
ودراعة لي قد عفا رسمها البالي
وما أنا من يبكي لاسماء ان نأت
ولكنني ابكى على فقد اسمالي

ولاسيما والبرد وافى بريده
وحالي على ما اعتدت من عسرة الحال
ترى هل يراني الناس في فرجية
اجر بها تيها على الارض اذيالي
ولو ان ما اسعى لتفصيل جبة
كفاني — ولم اطلب — قليل من المال

وكان اكثر معارضاتهم يدور حول وصف فقرهم ، وسوء حالهم .

واسمع الى ابن دانيال وهو يعارض معلقة طرفة المشهورة :

لخولة اطلال ببرقة ثهمد
تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

فجاءت معارضة ابن دانيال في وصف بيته وفقره ، اذ يقول :

في منزلي لم يبق غيري قاعدا
فاذا رقدت رقدت غير ممدد
لم يبق فيه سوى رسوم حصيرة
ومخدة كانت لام المهتدي
ملقى على طراحة في حشوها
قمل شبيه السمسم المتبدد
والبق في حجم الصراصر خلقة
من منهم في حشوها او منجد
وترى الخنافس كالزنوج تصففت
من كل سوداء الاهاب واسود

وتذكرنا هذه القصيدة بقصيدة عبد الحميد الديب المشهورة في وصف حجرته :

تراني بها كل الاثاث ، فمعطفي
لحاف على جسمي ، وقاء من البرد
واما وساداتي بها فجرائد
اذا بليت يوما تجدد من بعد

بل تذهب بنا الى قول ابن الرومي :

من نظرت عينه الي فقد
احاط علما بما حوت داري

وتذكرنا بقول شاعر يصف حجرته التي يشاركه السكن فيها امم من هذه المخلوقات المزعجة .

يا حجرة عابوا علي اقامتي
فيها ، وقالوا ، اردا الحجرات
فرددت لوم اللائمين لانني
اتممت فيك دراسة الحشرات

★ ★ ★

وانت تلاحظ ان النماذج التي قدمتها في هذه الدراسة تكاد تكون عربية خالصة سليمة . وقد تعمدت ذلك . لان دخول العامية « عامية العصر المملوكي » والمفردات التركية يجعل من اشعارهم الغازا بالنسبة لقارىء اليوم . ولهذا فان قراءة شعرهم العمودي الفصيح اسهل من قراءة شعرهم « الحلمنتيشي » وقراءة هذا اسهل من قراءة ازجالهم .

ان هذا اللون من التعبير الضاحك الساخر الذي يقع من الشعر موقع الكاريكاتير من الفنون التشكيلية كان موجودا ، وسيظل موجودا طالما وجدت دواعي الضحك والسخرية ، وطالما وجد الاحساس الفني سبيله الى التعبير الفكاهي الذي يسميه النقاد بالشعر العامي او الشعر الشعبي ويسميه تلاميذ حسين شفيق المصري الشعر الفكاهي .

واذا لم يكن لحسين شفيق المصري فضل ابتكار هذا اللون الطريف من الوان التعبير ، فان له — من غير شك — فضل احيائه ، والافتتان فيه . والاتيان بعيون الشعر العربي وبالمعلقات في هذا الاطار الضاحك . وتسميتها « بالمشعلقات » .. حتى لقد ترتب على ذلك تقريب الشعر الجاهلي الذي كان يعارضه حسين شفيق ،وتيسير تذوقه. وخلق مدرسة عرفت باسم : « مدرسة الشعر الفكاهي » .

هذه جولة سريعة في آفاق الشعر الفكاهي .

ولا نريد ان نضع القلم قبل ان نورد هنا ملاحظتين :

اولاهما : قلة شعراء الفكاهة وندرتهم بالنسبة لجمهرة الشعراء بعامة . وليست هذه ازمة خاصة بالشعر الفكاهي وحده وانما هي ظاهرة عامة في مختلف الوان التعبير الفني . واعتبر ذلك في كتاب المسرح فانك ترى ان كتاب المسرحية الفكاهية اندر من الكبريت الاحمر بالنسبة لجمهرة كتاب المسرح .

واخرى : ان هذا الشعر الفكاهي ، او « الحلمنتيشي » من شانه ان يعتمد على الرواية اكثر من اعتماده على الكتابة والنشر . والسبب في ذلك ان كثيرا منه من الادب المكشوف الذي لا يمكن نشره . ولذلك بقي على السنة الرواة . ولذلك — ايضا — تعرض اكثره للضياع .. وهو اجوده . للاسف . ■■

طاهر ابو فاشا





تمثال مرمرى للملك « أبى حيل » ملك مارى الذى عاش خلال سنة ٢٥٠٠ ق.م تقريبا



الحضارة العربية فى ماري

فى عصر سيدنا ابراهيم

بقلم : الدكتور محمد اسماعيل الندوى

■ كانت تقع مملكة « مارى » فى وسط نهر الفرات حيث موقع مدينة « تل حريرى » على بعد ستة او سبعة اميال من شمالى « ابى كمال » . لقد بدات عملية الحفر فى هذه المنطقة منذ عام ١٩٣٣ برياسة الاستاذ الفرنسى اندرى باروت . وثبت من خلال الحفريات ان « مارى » كانت مدينة مزدهرة ومتقدمة فى أرض الرافدين كلها خلال الالف الثالث قبل الميلاد .

لقد كان سكان مارى من القبائل البدوية العربية التى سميت بالامورية ، تلك التى زحفت من « مدين » فى شمال غرب الجزيرة العربية على المناطق الخصبة فى العراق خلال الالف الثالث قبل الميلاد ، فاستولت موجة كبيرة من موجاتها اثناء زحفها على منطقة «مارى» وانشات فيها حضارة عربيبة راقية ، واتجهت موجة اخرى منها الى « يور » عاصمة السومرية الثانية ، وقضت عليها ، واقامت على انقاضها الحضارة البابلية فى عام ١٨٣٠ ق.م ، ثم اندفعت موجة ثالثة منها على مصر واكتسحتها وسميت بالهكسوس . وقد ثبت ذلك بالبحوث الاثرية الحديثة لمنطقة الشرق الاوسط .

ومن الجدير بالذكر ان الدولة السومرية الثانية قامت فى عام ٢٠٦٠ ق.م على يد ملكها الشهير « يور ـ نمرود » ، وذلك على انقاض الدولة الاكادية السامية . ولكن هذه الدولة السومرية هى الاخرى واجهت ضربات عنيفة فى عهد ملكها الاخير « ابى ـ سن » (١٩٧٦ ـ ١٩٥٢ ق.م) من قبل العيلميين (سكان ايران القدامى) الذين استولوا على « يور » (او اور) عاصمة السومريين . كما انقض ايضا على المملكة السومرية ملوك « مارى » ، وبالاخص « اشى ـ ارا » و « نابلانوم » وهما اللذان اتخذا «اسن» و«لارسا» عاصمتين لهما . ولقد سجل الملك الاخير للسومريين حزمه واسفه فى مرثية عثر عليها علماء الاحفار ، وقد جاء فيها : « ان مدينتي واجهت الضربات ، ودمرت بدون سبب . ان الكلمات القوية التى نطقت بها الآلهة لصيانتها وحفظها ، لم تمنع الطوفان العارم . ويابيتى لاله القمرق يور ، ان الدمار الذى حل بك قاس جدا » .

دولة امورية سامية

وكان هذا يعد اول زحف للاموريين (اى ملوك مارى) على العراق . ثم زحفت موجة اخرى منهم على هذه المنطقة وانشأت دولة امورية سامية على يد زعيمها « شوموابوم » فى عام ١٨٣٠ ق.م، واتخذت بابل عاصمة لها . ومع ذلك ظل العيلميون يحكمون فى « لارسا » و « اسن » . ولكن حمورابي (١٧٢٨ ـ ١٦٨٦ ق.م) اعظم ملوك الاسرة البابلية الامورية هو الذى قضى على جميع ملوك الطوائف فى هذه المنطقة وهزم « ريم ـ سن » آخر ملك عليمى فى « لارسا » ، وانشا امبراطورية بابلية قوية تشمل جميع ارجاء أرض الرافدين .

وفى هذا العصر ظهر فى ارض الرافدين اعظم نبى شهدته هذه المنطقة الا وهو سيدنا براهيم ابو الأنبياء . تذكر التوراة فى هذا الصدد : واخذ « تارح » ابرام ابنه ، ولوطا ـ ابن هارن ـ ابن ابنه ، وساراى كنته ـ امراة ابرام ابنه ـ فخرجوا معا من « أور الكلدانيين » ليذهبوا الى ارض كنعان . فاتوا الى « حاران » واقاموا هناك . وكانت ايام « تارح » مائتين وخمسين سنين . ومات تارح فى « حاران » (التكوين ٣١/١١ ـ ٣٢) .

وبعد ان عرفنا مدينة « اور » (او يور) مسقط راس ابراهيم وموطنه الاصلى ، ينبغى لنا الآن ان نعرف « حاران » مهجره الاول مع اسرته وعائلته .

ومن الجدير بالملاحظة ان اليهود يعتقدون ان الاسفار الخمسة الاولى من التوراة وهى : التكوين ، والخروج ، واللاويين ، والعدد ،



انا « لامجى مارى » ملك مارى العظيم ، وهو « اسالك الخامس » ذلك الذى يعبد الاله عشتر .

والتثنية من تاليف سيدنا موسى . ولن نتعرض هنا لنتائج البحوث الاثرية الحديثة التى اثبتت ان هذه الاسفار كلها قد الفت قبل تدمير القدس على ايدى الرّومان في عام ٧٠م وذلك بنحو قرنين. ولكننا سنكتفى هنا بالاشارة الى كلمة « اور الكلدانيين » التى وردت في هذا النص من التوراة .

الأمة الكلدانية

ومن الثابت تاريخيا ان « يور » كانت عاصمة السومريين والاكاديين والاشوريين . ولم تظهر الامة الكلدانية السامية على مسرح السياسة الا بعد سقوط اشور في عام ٦٢٦ ق.م .وهذه الامة الكلدانية هى التى دمرت القدس في عام ٥٨٧ ق.م ، ونفت اليهود الى العراق وايران . واذا كان الادعاء بان سفر التكوين من تاليف موسى ، فكيف استطاع موسى وهو الذى عاش خلال القرن الخامس عشر قبل الميلاد ان يعرف تلك الامة التى ظهرت على مسرح الوجود بعده بالف عام ؟ وهذا يدل دلالة قاطعة على ان هذه الاسفار قد الفت بعد عودة اليهود من منفاهم ، وذلك بعد مضى زمن طويل من سقوط العراق على يد الفرس في عام ٥٣٩ ق.م .

كانت مدينة « حاران » غير معروفة من الناحية التاريخية حتى عصر مبكر . وتبدأ قصة كشف هذه المدينة سنة ١٩٣٣م حينما كانت تحتل فرنسا سوريا . وهناك تقاطعات بين الموصل ودمشق حيث تقع مدينة تسمى « ابو كمال » . لقد عرف القائد العسكرى الفرنسي في هذه المنطقة وهو « ليونانت كايان » من الاعراب عن وجود قبور في ناحية المنطقة الجبلية فى «تل ــ حريرى». فلما شاهدها تاكد من وجود آثار تاريخية هامة في هذه المنطقة . فارسل برقياتفورية الى السلطات الرسمية في فرنسا ، ولا سيما الى المتحف الفرنسي « اللبو » . وبعد بضعة اشهر وصلت بعثة اثرية براسها اشهر علماء الحفريات ، وهو البروفيسور باروت المذكور . فبدات عمليات الاحفار في « تل ــ حريرى » منذ ٩ من ديسمبر سنة ١٩٣٣ .ولم تكد تمر بضعة ايام حتى ظهر اول تمثال ابيض نقى في ٢٣ من يناير سنة ١٩٣٤ ، يحمل كتابات على ظهره ، مكتوبة بالحروف المسمارية تقول : « انا لامجي ــ مارى ملك مارى العظيم وهو « اسالا الخامس » ذلك الذى يعبد الاله عشتر » .

قد اثار كشف هذا الملك وبلاده « مارى » دويا كبيرا في انحاء العالم ، ولا سيما في فرنسا ، اذ انه لاول مرة كتب تاريخ جديد لمنطقة الشرق الاوسط الذى كان مجهولا حتى الآن .

مواصلة عملية الحفر

ثم واصلوا عملية الحفر وعثروا في فصل الشتاء في عام ١٩٣٤ على تماثيلمزخرفة واصداف فسيفسائية رائعة في احد المعابد ، احدها للآلهة عشترت ، وهي التى تجلب الخصوبة ، والثاني للملك لامجي ــ مارى، والثالث لـ «ابن ــ ال » ، والرابع لـ « ادى ــ ناروم » .

وفي الشتاء الثاني وجدوا قصرا شاهقا للملك مارى ، يتضمن ٦٩ غرفة ، وديوانا ، محاطا بجدران قوية ، كما عثروا على لوحات طينية مكتوبة بالحروف المسمارية عددها ستين الف لوحة .

ثم بدات تتكشف من سنة ١٩٣٥ الى سنة ١٩٣٦ بقايا آثار هذا القصر وجدرانه ومحتوياته ، ثم اكتشفت غرف اخرى بلغ عددها جميعا ٢٢٠ غرفة ، كما وجدت من جديد ٨٠٠٠ لوحة طينية جديدة .

كان هذا القصر الشاهق يغطى مساحة تقرب من خمسة عشر فدانا من الارض ، ومكونا من اجنحة وغرف ومكاتب ومدرسة للكتاب والنساخ، كما كانت جدرانه مزينة بابدع انواع الزخارف .

ثم تمت معرفة عصر هذا القصر العظيم وهو انه شيد في سنة ٢٠٠٠ ق.م تقريبا . وكان هذا القصر يمثل اعظم فن معمارى وصل اليه الشرق حتى ذلك الحين . وقد ذاع صيته في انحاء العالم في ذلك الحين . وتدفق كثير من الناس لمشاهدته من آفاق البلاد . وسجلوا انطباعاتهم واعربوا عن افتخارهم بانهم شاهدوا هذا القصر الشاهق.

كان بلاط مارى عظيما جدا ، يتضمن الوزراء



بعد سقوط يروشلم على يد الكلدانيين في عام ٥٨٧ ق.م قبض الملك الكلداني على « صدقيا » ـ الملك اليهودي الخائن ـ وقلع عينيه وقيده بسلسلتين من النحاس وامر بحمله الى بابل ، كما ادخل الحلقات الحديدية في افواه مرافقي صدقيا ، وقطع شفاههم ، وذلك وفقا للقانون الاشوري والكلداني .

وكبار الموظفين . وقد ازدهرت البلاد من الناحية التجارية ازدهارا كبيرا ، وارتبطت ارتباطا وثيقا بالبلدان المجاورة . وتملأ اخبارها آلاف اللوحات الطينية .

تقدم عمراني عظيم

ان الزخرفة والوان الزينة بالدهن تدل على مجد هذه البلاد ، وقمة الصناعة التي وصلت اليها في هذا الصدد . وتبدو روعة هذه الرسوم وكأنها رسمت بالامس . وهذا الامر يشير الى الفن الزخرفي العظيم الذي بلغته ماري حينذاك .

وقد تقدمت ماري تقدما عظيما من الناحية العمرانية الحضارية ، لان اللوحات الطينية تشير الى وجود نظام منسق للدولة ، وجاءت فيها التفاصيل عن القنوات التي شيدت في الدولة ، والسدود التي بنيت ، والجسور التي انشئت في انحاء البلاد ، ومشروعات عمرانية ومدنية اخرى كثيرة ادخلت ماري في عصر ذهبي . ان الجسور الكثيرة والسدود العديدة تدل بوضوح على تقدم الري ، ومن شأنه تقدمت الزراعة تقدما ملحوظا . كذلك ظهر نوع من المواصلات وهو ايصال الانباء باسرع وقت وانجح طريق من بلد الى بلد ومن مدينة الى مدينة ، وذلك الذي يشبه النظام التلغرافي في عصرنا ، وهو ان الانباء الهامة كانت ترسل بالاشارات النارية في ظرف ساعات فقط الى اقصى حدود بابل . ووفق الحدود الجغرافية الحالية يمكننا القول بان الاخبار كانت ترسل من دمشق الى تركيا خلال ساعات ، مع ان مسافتها تبلغ ما يقرب من ٣٠٠ ميل .

ومن هنا نعرف مدى نجاح وتقدم العمل التجاري في « ماري » ، وذلك لان البرقيات النارية قد ساعدت مساعدة كبيرة على نقل البضائع التجارية المنتشرة بين ماري وقبرص وكريت وآسيا الصغرى بسرعة وسهولة ، وتبادل المعلومات عنها . وبهذا تيسرت عملية التصدير والاستيراد الى درجة كبيرة جدا .

مملكة مسالمة

وهناك ظاهرة غريبة نجدها في « ماري » وهي ان اللوحات الطينية الكثيرة لا تشير على الاطلاق الى نشوب حرب فيها ، الامر الذي يذهب بنا في الظن الى ان ماري قد ظلت تمارس نشاطها التجاري والعمراني دون خوض اية معركة مع شعب من الشعوب المجاورة لها ، كما ان قوتها

العسكرية والمادية لم تسمح للغزاة بغزوها واحتلالها او شن الغارات عليها .

وبهذا كانوا بعيدين كل البعد عن المعارك الحربية الدامية التي تخرب البلاد وتجلب الدمار والويلات .

وكما حُفر في ماري معبد عظيم للاله عشتر ، وبرج شاهق ، فكذلك عثر على تماثيل عديدة تتضمن الطقوس والعبادات والقرابين بين يدي الآلهة . وقد نال الاله عشتر مكانا بارزا في قلوب سكان هذه البلاد . وقد شوهد في بعض الرسوم الموجودة على جدران القصر ان الملك اتخذ العكاز والخاتم للاله عشتر رمزا للقوة والسلطة .

لقد كان « زمري ليم » اشهر ملوك هذه المملكة ذلك الذي وطد علاقاته مع عديد من الملوك وراسلهم ، وقد عثروا على رسائله ووثائقه التي تبلغ اكثر من ٢٠٠٠٠ لوحة طينية .

أصل ماري

يقول الاستاذ « ورنر كيلر » فيما يتعلق باصل ماري وسلالة سكانها : « كانت تقطن على حدود ماري شعوب سامية كانت تمارس رعاية الغنم والحياة المتجولة والمتنقلة من بلد الى بلد في البحث عن الخضرة لمواشيها واغنامها . وهذه الشعوب وجدت في «ماري» ومدنها وقراها اراضي خصبة خضراء ترعى فيها اغنامها . ولذلك كانت تشن الغارات على البلدان الحضارية ، كما وجدنا فيما بعد في « بابل » . ومن المعتقد ان القبائل السامية التي سميت بالامورية هي التي استولت على ماري ، واصبحت امة حضارية عريقة بعد تركها مهنتها القديمة وهي رعاية الغنم ، واشتغالها بالسياسة والتجارة ، وتطويرها الحضارة القديمة الموجودة في ارض الرافدين تلك التي ورثتها من السومريين والاكاديين .

وثيقة طينية

واهم ما يدل على نزوح القبائل السامية من الجزيرة العربية وشنها الغارات على المدن والقرى والاراضي الخضراء ، انه قد انشئت نقط المراقبة في حدود بلاد « ماري » لمشاهدة زحف هذه القبائل على المدن والقرى ومنعها منه ، وذلك بارسال انبائها وتحركاتها من نقطة المراقبة الى السلطات الرسمية في ماري فور تدفق هذه القبائل عليها ، لكي تضع حدا لها ، وتمنعها من الزحف ، وتقضي على نواياها في مهدها وقبل تنفيذها .

وفي وثيقة طينية في هذا الصدد ترجمت في فرنسا من اللغة المسمارية يكتب فيها مراقب الشرطة في الحدود الصحراوية الى السلطات الرسمية في العاصمة : « وهذه الرسالة من الخادم « باتوم » الى حضرة الملك ، انني غادرت ماري بالامس الى « زوروبان » لقضاء ليلة فيها . وقد وجدت كل البنيامين (طائفة من البدو) يرسلون الاشارات النارية بالاستمرار ، وكذلك كل السكان البنيامين في القرى يردون على هذه الاشارات . وانني أجدّ في البحث عن معرفة هذه الاشارات ، وسوف اخبر جلالتكم عنها قريبا . واني اؤكد لكم بانه من الضروري جدا حراسة الحدود وتقويتها لمنع هؤلاء ، ولا تترك بواباتها مفتوحة على الاطلاق » .

وهذه الوثيقة الرسمية تذكر اسم قبيلة من القبائل السامية وهي « بنيامين » تلك التي كانت تمارس الضغط وتسبب الارهاق والتعب والفتن لعاصمة « ماري » بغاراتها المفاجئة . وهذا الاسم يتردد كثيرا في اللوحات الطينية التي عثر عليها في « ماري » .

قبيلة بنيامين

ان كلمة « بنيامين » في هذا النص تلفت نظرنا الى امر هام جدا ، وهو ان « بنيامين » كان اسما لاحدى القبائل العربية البدوية الساكنة بين صحراء سوريا والجزيرة العربية حينذاك . وهذا يدل على ان ابناء سيدنا ابراهيم سموا اولادهم باسماء العرب القاطنين شمال غرب العراق والشام . وبالاضافة الى ذلك فقد وجدت اسماء الاعلام والبلدان لعائلة سيدنا ابراهيم في مملكة ماري .

كانت حاران تقع في مملكة ماري في وسط منطقة سُميت ب « بادان ـ ارم » (اى سهول

ارم) حيث هاجر اليها والد سيدنا ابراهيم مع اسرته . لقد نالت هذه المدينة شهرة كبيرة خلال القرنين التاسع عشر والثامن عشر قبل الميلاد .

ومن الجدير بالملاحظة ان كثيرا من الاسماء الواردة فى التوراة تشبه ما ورد فى اللوحات الطينية فى مارى ، الامر الذى يدل على أن عصر ابراهيم كان نفس العصر ، واسماء قبيلته تشبه اسماء اهالي مارى وبلدانها . ومن شأنه ان يؤكد لنا ان جميعهم كانوا من بلاد واحدة وعصر واحد. وهذه الاسماء مثل : فالج ، رعو ، سروج ، ناحور ، ابرام ، ناحور ، حاران ، ويعقوب .

كانت « حاران » مدينة متقدمة فى الحضارة في تلك الآونة ، تلك التى التقى فيها سيدنا ابراهيم عصا الرحلة مع عائلته كلها . وكذلك عثر في مارى على مدينة اسمها « ناحور » وهو نفس اسم اخ ابراهيم . وكانت هذه مدينة فخمة خلال العصرين ١٩ ــ ١٨ ق.م ، كما عثر على مدن كثيرة تحمل اسماء افراد عائلة ابراهيم مثل « تل ــ توراحكى » ، يشبه اسم والد « تارح » ، ومدينة « سروج » ، وهي اسم جده .

الاله عشتر

ان الاله عشتر احتل مكانا كبيرا في حياة اهل مارى . وبالاضافة اليه فقد وجدت آلهة كثيرة يبلغ عددها خمسة وعشرين الها . وكان يقام عيد بمناسبة الالهة عشترت ــ الهة الخصوبة ــ من اهم آلهة الساميين . وكانت تقدم القرابين للآلهة.

ظهور عملية الاحصاء السكاني فى مارى وانتشاره فى العالم

كانت « مارى » اول عاصمة فيالعالم بدأت فيها عملية احصاء السكان ، وذلك لجبي الضرائب واعداد الجيش . وقد أحصى جميع سكان المديريات وسجلت اسماؤهم في كشوف على نظام وترتيب ، وذلك لاستدعائهم حسب الظروف، سواء أكان ذلك لمطالبتهم بالضرائب منهم ، او لالحاقهم في الخدمة العسكرية . وكذلك حاولوا تسجيل اسماء القبائل البدوية المسماة بالبنيامين.

وتشير الوثائق الى ان الملوك كانوا متحمسين الى تسجيل اسمائهم ، ولكن حكامهم فى الولايات كانوا يعارضون ذلك نظرا الى خطورتهم .

ومن الجدير بالذكر ان هذا الاحصاء قد ساعد سكان البلاد مساعدة كبيرة ، اذ ان الملوك فى مناسبات الاحصاء التى كانت تستمر سبعة ايام ، يوزعون على الشعب الطعام والمشروبات مجانا .

ومما يذكر ان الامة اليهودية التى نزحت الى فلسطين من مصر بقيادة سيدنا موسى ،قد حاولت احصاء عدد المهاجرين . وهذا الامر يشير الى انها اخذت بنظام الاحصاء المتبع منذ الحضارة المارية . وكذلك احصى سيدنا داود سكان بلاده في عصره ، ثم اخذت بهذا النظام جميع الشعوب مثل اليونانية والرومانية . وبهذا وصل هذا النظام الينا .

توحيد أرض الرافدين

ولا نعرف بالتاكيد هل عاش سيدنا ابراهيم في عصر ملكها العظيم « لامجى ــ مارى » الذى عثر على تمثاله ، او في عصر ملك آخر من اسرته . وفي بلاط احد ملوك « مارى » جرت جميع الاحداث التى يذكرها القرآن ، تلك التى تعتبر هزيمة كبيرة للعقائد الوثنية وانتصارا عظيما للتوحيد . ولكن اقامة سيدنا ابراهيم لم تدم في هذا البلد ، بل سرعان ما انتقل الى مهجره الثاني وهو فلسطين . وقد عاش سيدنا ابراهيم خلال الفترة من سنة ١٩٠٠ الى سنة ١٨٠٠ ق.م . وعاصره من ملوك مصر « سنوسرت الثاني » (١٨٩٧ ــ ١٨٧٨ق.م).

ولكن مجد مارى لم يدم طويلا ، لان اشهر ملوك الاسرة البابلية ، الا وهو حمورابي المذكور قد استطاع توحيد جميع ارض الرافدين . ولما تم له الانتصار في جميع انحاء العراق توجه تلقاء مارى فى العام الثاني والثلاثين من استيلائه على العرش ، وشن عليها غارات وحشية وحطم جدران قصرها الشاهق المذكور . ثم عاد حمورابي الى مارى بعد بضع سنين لهدمها نهائيا ، ثم ضمها الى حوزة بابل . ■■

محمد اسماعيل الندوى

طرائف غريبة

شـرود !

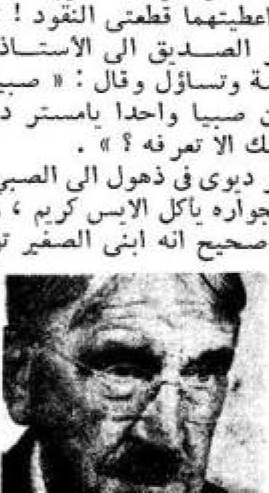
● كـان البروفسور جـون ديوى John Dewey (١٨٥٩ ـ ١٩٥٢) ، الفيلسوف وعالم النفس والمربى الامريكى الشهير . يعانى من شـرود الذهن . حـدث يوما ان كان يسير مع احـد اصدقائه الاساتذة فى حديقة جامعـة كولومبيا التى عمل فيها استاذا لعلم النفس ، عندما اقترب منه صبى صغير وطلب اليه ان يعطيه قطعة من النقود !

ومد ديوى يده فى جيبه واعطى الصبى قطعة من ذات الخمسة وعشرين سنتا .. وانصرف الصبى ، ولكنه عاد بعـد قليل يطلب قطعة اخرى ، فقـدم لـه البروفسور ما اراد !

وهنا التفت ديوى الى صديقه الذى كان يسير بجواره ، وقال له : « مشكلة الصبية فى هذه المدينة انهم يسألون كل من يلقونه ان يعطيهم مالا .. اعتقد ان البيت هـو المسئول الاول عـن سـوء تربيتهم ! هل رأيت هـذين الصبيين اللذين اعطيتهما قطعتى النقود ! » .

ونظر الصديق الى الأستـاذ ديوى فى دهشة وتساؤل وقال : « صبيان ! ؟ لقد كان صبيا واحدا يامستر ديوى ، وهو ابنك الا تعرفه ؟ » .

ونظر ديوى فى ذهول الى الصبي الذى وقف بجواره يأكل الايس كريم ، وقال : « هذا صحيح انه ابنى الصغير توم ! »



وجبة غداء

● جاميسون هو اسم قائد سرب سابق في سلاح الجو البريطاني ، تذكر يوما ان في ذمته لاحد المطاعم في بورتسماوث ، ثمن وجبة غداء تناولها عام ١٩٤٣ فقد اكتشف يومها بعد تناوله طعامه انه لا يحمل محفظة نقوده لانه كان نسيها في جيب بدلة اخرى ، فوعد صاحب المطعم بالعودة اليه بعد ان يحضرها .. ثم غاب ، مهاجرا الى كندا ، حتى اذا عاد اخيرا بعد ٢٧ عاما توجه الى ذلك المطعم وبعد تناوله طعام غدائه اضاف الى الحساب المطلوب منه مبلغ عشرة شلنات وهو ثمن الوجبة القديمة . وشغلت ادارة المطعم بالبحث فى الدفاتر العتيقة العائدة الى عام ١٩٤٣ حتى وجدت اسمه اخيرا فشطبته من خانة المدينين . !

بين القلب والعقل



● هيربرت جورج ولز H.G. Wells ، الاديب العالم الشهير (١٨٦٦ ـ ١٩٤٦) كان من الكتاب القلائل الذين جمعوا بين التفكير العلمي والاسلوب الادبي في كتبهم ومؤلفاتهم .. فقد وصف رحلته الى المستقبل البعيد في كتابه « مكنة الزمان » .

وتحدث عن غزو الانسان للقمر قبل أن تبدأ الصواريخ في الانطلاق محاولة بلوغ هذا الكوكب بربع قرن من الزمان او يزيد .

سألوه يوما : « ما هو العلم ، وما هو الادب ، ثم ما هو الفرق بين الاثنين » ؟

قال ولز : « العلم عقل ، والادب قلب .. وكما أن الانسان لايستطيع أن يعيش بدون أحدهما ، فهو ميت عندما يتوقف قلبه ، وهو حي ميت عندما يتوقف عقله عن العمل ، كذلك الكاتب لا يمكن ان يكتب بعقله وحده ، ولا يمكن ان يفكر بقلبه وحده .. لا بد للعقل والقلب من أن يمتزجا في كل رأي ، في كل فكرة لان هذا هو الفرق بين انسان الامس وانسان القرن العشرين ، فالاخير يصنع بعقله مستقبل البشرية ! » .

كلب تشرشل !

● كان سيرونستون تشرشل السياسي البريطاني الراحل يقتني كلبا اسمه روفوس Rufus ، فقد كان مولعا بالكلاب ، وكان تشرشل يحرص دائما على ان يكون كلبه هو أول من يلقاه كلما عاد من رحلة له بالقطار داخل بريطانيا .

وقد اصدر تعليماته باحضار روفوس الى المحطة ليكون في استقباله دائما عند وصوله .

وفي احد الايام نزل تشرشل من القطار الذى اقله الى محطة لندن ، وكان يرافقه خادمه الخاص نورمان ماكجوان Norman Mcgowan ،وما كاد المستقبلون يرون تشرشل يهبط من عربة القطار حتى افلتوا روفوس من رباطه ، كما تقضي تعليمات سيده لكي يسرع لاستقباله كالعادة ..

ولكن ما كاد الكلب يقترب من تشرشل حتى تجاوزه وراح يقفز الى صدر



خادمه نورمان الذى كان يقف بجواره ويحمل حقيبة سيده ويبصبص له بذيله ، ويلعق وجهه !

واستبد الغيظ بتشرشل ، كيف يتركه هو ويتجه الى خادمه بكل هذا الترحاب ؟ ولكنه كان يحب كلبه ، فلم يشأ ان ينهره او يفعل شيئا يغضبه !

ولهذا فقد تحول الى خادمه نورمان وقال له بلهجة حازمة : « اسمع يا نورمان ، في المرة القادمة ، افضل لو انك بقيت في القطار مختفيا الى ان انتهي انا من استقبال « اصدقائي » ! »

إعرف وطنك أيها العربي



منظر عام لجانب من مدينة المنصورة عاصمة محافظة الدقهلية .

المنصورة

- مدينة دخلت التاريخ بقوة
- فوق أرضها أسر العرب ملكاً باغياً
- وفي مياهها أغرقوا جيشاً عاتياً



لوحة زيتية تمثل المعركة التي انتصر فيها شعب المنصورة على الجيوش الصليبية منذ اكثر من ٧٠٠ عام

- تضم اليوم جامعة وليدة ومصانع عديدة ومزارع بالخير مديدة

استطلاع
منير نصيف

تصوير
عبد الناصر شقره



■ فى دار اثرية صغيرة تتوسط حيا قديما ، اسموه حي الموافى وعلى مقربة من الجامع الذى يحمل نفس هذا الاسم ، وفى قلب منطقة السوق التى تعج بالمشترين والمصلين .. فى هذا المكان القديم الذى دخل التاريخ ، والذى يعرفه أهل مصر كلها واهل مدينة المنصورة خاصة ، وما جاورها من مدن وقرى ونجوع .. فى هذه الدار وقفنا نستمع الى قصة من قصص بطولات العرب وانتصاراتهم الخالدة .. قصة تناقلتها الالسن والاسماع عبر القرون الطويلة ، منذ عام ١٢٥٠ م حتى اليوم ..

انها قصة اسر ملك من اعظم ملوك الفرنج فى ذلك الوقت ، وقصة هزيمة جيش من اقوى جيوش الاستعمار واعتاها . وأخيرا قصة من قصص انتصار الشعب العربي فوق ارضه الطيبة ..

دار ابن لقمان

اما الدار التى سمعنا منها هذه القصة فما كانت غير الدار الشهيرة بدار ابن لقمان ، وهي دار قاضي عرف بمناصرته للحق دائما ، عاش فى تلك الحقبة من الزمن التى ارتفعت فيها اعلام العرب المسلمين عالية خفاقة تزهو بالنصر .. وما كاد الملك يؤسر حتى تنازل ابن لقمان عن داره ليحل بها الملك اسيرا بعد هزيمته .. لقد رأى القاضى ما كان من امر الملك الاسير ، وهو يسير امام جنود مصر منكسرا ذليلا مكبلا بالحديد ، وهم يقودونه اليه فى داره فترك الدار وحمل متاعه ، وحوله الى سجن للملك القائد الاسير ..

واما الهزيمة فكانت تلك التى نزلت بجيوش هذا الملك ، التى جاءت الى مصر ، قلعة العرب المسلمين ، ومركز قوتهم ، وكان هدفهم من غزو مصر ، هو استعادة بيت المقدس من ايدى المسلمين .. بعد تلك الانتصارات الكاسحة التى حققها البطل العربى صلاح الدين الايوبى . ولكنهم كانوا يعلمون ، أن لا سبيل الى تحقيق النصر فى فلسطين ، الا بعد احتلال القاهرة وهزيمة المسلمين فيها والقضاء على قوة العرب الحربية .. ولم تكن جيوش هذا الملك سوى تلك التى اسموها فى التاريخ الجيوش الصليبية ولم تكن تلك الحملة سوى الحملة الصليبية السادسة التى بدأت فى عام ١٢٤٩ وانتهت بالهزيمة لفرنسا وحملتها وملكها فى عام ١٢٥٠ .

الملك الاسير

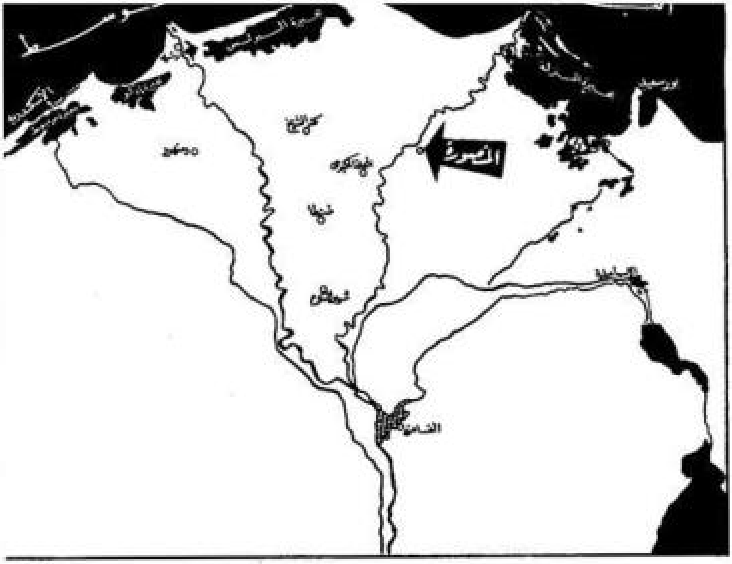
واما الملك ، الذي قاد هذه الحملة الفاشلة فلم يكن سوى لويس التاسع ، ملك فرنسا الذى

مبنى محافظة الدقهلية بالمنصورة،وقد تكلف بناؤه نصف مليون جنيه،ويتألف من ستة طوابق ويضم مكتبة عامة ومسجدا ودارا لحضانة اطفال الزوجات العاملات



مدخل مدينة المنصورة على الطريق الزراعى للسيارات،وهو يربط بين القاهرة ومحافظات دلتا النيل،ويقع المدخل على ترعة المنصورية





خريطة تبين موقع مدينة المنصورة عاصمة محافظة الدقهلية ، احدى محافظات الوجه البحرى في الجمهورية العربية المتحدة .

ظل يحلم بامبراطوريته الواسعة الشاسعة الى ان غرقت هذه الاحلام فى قاع نهر النيل وتحطمت آماله على ضفاف النهر الخالد عند مدينة المنصورة وانتهى به المصير في هذا السجن الصغير ، ولم ينقذه من الذل والعار ، سوى تلك الفدية الكبرى التى دفعها ذهبا ، فخرج يجمع شتات جيشه الكسير ، ليعود به من حيث جاء ..

دخلنا فى الدار مع افواج الزائرين لنعيش لحظات بين صفحات التاريخ ، فقد اصبحت اليوم متحفا افتتحه رئيس الجمهورية العربية المتحدة يوم ٧ مايو عام ١٩٦٠ بعد ان رمموها وجددوها وطلوا جدرانها ، وملأوها بذكريات هذا اليوم التاريخى الذى يزهو به كل عربى ويفخر .

ابطال المعركة

لقد غطيت جدران المتحف من الداخل بصور زيتية سجلتها ريشة كبار الرسامين من اساتذة كلية الفنون المصرية من وحى المعارك الدامية التى خاضها العرب ضد قوى الغزو والبغى التى جاءت تستعمر ارضهم العزيزة .. وفى ركن من قاعة المعرض الرئيسية قامت التماثيل لابطال هذه المعركة .. تمثال للسلطان الصالح نجم الدين ايوب .. سلطان مصر فى ذلك الوقت ، تمثال لزوجته شجرة الدر التى اصبحت ملكة على مصر بعد موت السلطان ، تمثال ثالث لتوران شاه ابن السلطان ، الذى كان عند ذاك ينوب عن والده في حكم الشام ، فلما بلغه نبأ الغزو الذى تتعرض له بلاده ، عاد مسرعا ليقود القوات العربية ويقاتل معهم فى المقدمة .

وفى الطابق العلوى ، دخلنا غرفة صغيرة ، وقال مرافقنا : « هنا امضى الملك فترة الاسر ، وعلى كرسى خشبي مثل هذا الكرسى الذى ترونه امامكم ، كان يجلس ، وعلى مثل هذه الكنبة التى تتوسط الغرفة كان ينام ! »

لقد كان الكرسى والكنبة صورة طبق الاصل ، لما كان موجودا في بيت القاضى ابن لقمان منذ اكثر من سبعة قرون من الزمان او يزيد ..

وتركنا المتحف ، وفى رؤوسنا تلك الصورة الرائعة لهذا النصر الذى سجل به اجدادنا امجادهم ..

احتفالات المنصورة

وفى شوارع المنصورة ، كان الشعب ما يزال يحتفل ، فقد جاءت زيارتنا لهذه المدينة بعد اسبوع واحد فقط ، من الاحتفالات التى تقام بمناسبة عيدها القومى وهو يوم ٨ مايو من كل عام ، يوم خروج الملك لويس من مصر بعد أسره ، اى قبل شهر تقريبا من موعد حلول ذكرى العدوان الاسرائيلي على ارضنا العربية ..

كان احتفالا كبيرا اشترك فيه الشعب بكل فئاته ، ولم تستطع القرون الطويلة التى انقضت على ذكرى هذا اليوم العظيم ولا الاعتداءات الجوية المتكررة التى يشنها العدو الاسرائيلي يوميا على ارضهم العزيزة .. لم يستطع شيء من هذا كله ان يثبط من حماس الجماهير ، وهي تخرج الى











ثلاث من طالبات جامعة المنصورة في زيارة لدار ابن لقمان التى كانت معتقلا لملك فرنسا الاسير ، وقد تحولت الآن الى متحف **(الصورة العليا الى اليمين)** ، وقد امتلأ المتحف بصور تحكي قصة المعركة بريشة كبار الفنانين المصريين، وترى في **الصورة التى الى اليمين** جنود مصر وهم يسوقون أمامهم الملك لويس التاسع بعد هزيمته ، اما **الصورة العليا** فتمثل حاشية الملك وهم يقدمون الفدية ذهبا ، مقابل اطلاق سراح الملك الاسير ، بينما ظهر في **الصورة التى الى اليسار** طالبة جامعية ، وقد وقفت تتأمل تمثالا نصفيا لتوران شاه ابن الملك الصالح نجم الدين ايوب ، احد ابطال معركة المنصورة .



طريق الجامعة ويجرى فيه خط منتظم لسيارات الاوتوبيس التى تنقل الطلبة من وسط المدينة الى الكليات الجامعية وهي تبعد ثلاثة كيلو مترات تقريبا . ويجرى العمل الان في استكمال المدينة الجامعية .

شوارع المدينة تهتف بالنصر .. النصر الذى حققوه قديما ، والنصر الذى يتطلعون اليه اليوم وهم يخوضون معركتهم الكبرى ضد قوى البغي والشر ، تلك التى تتربص بهم ، وبالعرب جميعا فى كل بقعة ، فى كل ركن من اركان وطنهم العربى الكبير .. افليسوا هم انفسهم احفاد هؤلاء الابطال الذين سجلوا اسماءهم بحروف من نور فى كتب التاريخ القديم والحديث ..

وعشنا اياما مع اهل المنصورة وافراحهم ، حتى كدنا ننسى المهمة التى جئنا من أجلها .. وهل هناك ما هو اعذب على النفس ، فى تلك الايام الدقيقة الحرجة التى تمر بها بلادنا ، من رؤية مواكب النصر ، واعلام العرب تتقدمها عالية خفاقة ، وسط التكبير بذكرى الخالدين احياء كانوا ام امواتا ..

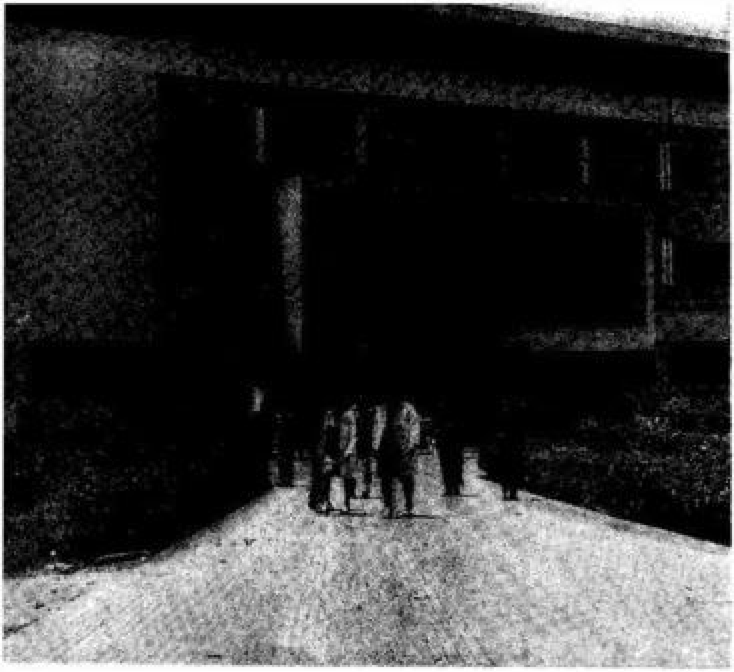
ومن مدينة المنصورة هذه ، وهى عاصمة محافظة الدقهلية ، احدى محافظات الوجه البحرى بالجمهورية العربية المتحدة ، عدنا لنقدم لك هذا الاستطلاع ، ذلك الذى بداناه بتلك الصفحة المشرقة من تاريخها القديم ..

ابناء المنصورة

انها مدينة غنية بمناظرها الطبيعية التى ساهمت مياه النيل فى صنعها ، وغنية بمبانيها الحديثة وكازيناتها تلك التى قامت على شارع الكورنيش الذى يمتد بمحاذاة النيل لمسافة

طبيب شاب تخرج في جامعة المنصورة هذا العام ، ولكنه ليس طبيبا عاديا ، فقد تمكن هذا الشاب ويدعى محمد محمود الزبادى قبل تخرجه من اكتشاف علاج لمرض الصدفية ، وهو مرض جلدى يظهر على شكل بقع حمراء فى الجلد تنتشر في الجسم كله وتغطيها قشور بيضاء على شكل الصدف ، ولم يكن لهذا المرض علاج ، كما لم يتمكن الطب من معرفة اسباب الاصابة به . ولكن الدكتور الزبادى ، وقد كان هو نفسه احد ضحايا هذا المرض ، تمكن بعد عمل متصل استغرق عاما ونصف عام من فصل المادة الفعالة في نبات الترمس فصلا كيمائيا ، وعالج نفسه اولا ، وشفى من مرضه ثم عالج غيره من المصابين الى ان ذاعت اخبار الاكتشاف الجديد وتحدثت عنه الصحف ، فسارعت شركة النيل للادوية الى شرائه ..





مدخل كلية طب المنصورة ، وقد تخرج فيها حتى الآن دفعتان، وهي تضم اليوم ١٥٠٠ طالب وطالبة،والالتحاق بها ليس مقصورا على أبناء محافظة الدقهلية وحدها ، فقد فتحت الكلية ابوابها للطلبة والطالبات من مختلف أنحاء الجمهورية ومن الدول العربية الشقيقة .

ثمانية كيلو مترات .. وغنية بعد ذلك بابنائها من أهل العلم والفكر ، فهي قد قدمت لمصر اعلاما تعتز بهم بلادهم وتفخر ، انها بلد احمد لطفى السيد (باشا) استاذ الجيل ، وعبد الحميد بدوى الذى كان رئيسا لمحكمة العدل الدولية ، ومحمد حسين هيكل رئيس مجلس الشيوخ (باشا) سابقا ، واحمد نجيب هاشم وزير المعارف الاسبق ، ثم هى بلد الشاعر الرقيق على محمود طه الذى يعتبر بحق من أشهر شعراء مصر المعاصرين صاحب الجندول ، قصيدته العاطفية التى تحولت الى اغنية مشهورة وصاحب قصيدة « فلسطين » الرائعة التى مطلعها : اخي جاوز الظالمون المدى .

كيف تبدو هذه المدينة اليوم ، وكيف يعيش اهلها ، وما هى أهم انجازاتها ..

نصف مليون نسمة

لا تكون مغالين ، اذا قلنا ان المنصورة من اجمل مدن الوجه البحرى ، بل قد تكون اجملها على الاطلاق ، اذا استثنينا بطبيعة الحال مدينة الاسكندرية ، عروس البحر المتوسط .. فموقعها الجغراف فى الدلتا حيث يحتضنها فرع دمياط من جانب والبحر الصغير (وهو قناة طويلة تسير بمحاذاة النيل) من الجانب الآخر ، ثم مركزها الاقتصادى كعاصمة تضم ما يزيد على نصفمليون نسمة ، لمحافظة كبيرة تمتد من قلب الدلتا حتى شواطىء البحر المتوسط ، ثم انتاجها الوفير من القطن والقمح والارز .. الذى يزرع بكثرة ويضرب ويصدر لجميع انحاء الجمهورية والخارج واخيرا جامعة المنصورة التى قامت بين ارجائها الرحبة .. كل هذه العوامل مجتمعة ميزتها عن بقية مدنالوجه البحرى،وعواصم المحافظاتفيها..

جامعة المنصورة

وقد كان طبيعيا ان تشدنا الجامعة اليها ، قبل اى وجه آخر من اوجه الانجازات فى هذه المدينة، فقيام منارة للعلم فى اى بلد عربى ، هو حصن نبنيه لنحمى به ابناءنا وبلادنا ، فى عصر اصبح فيه العلم امضى سلاح فى اية معركة تخوضها البشرية ..

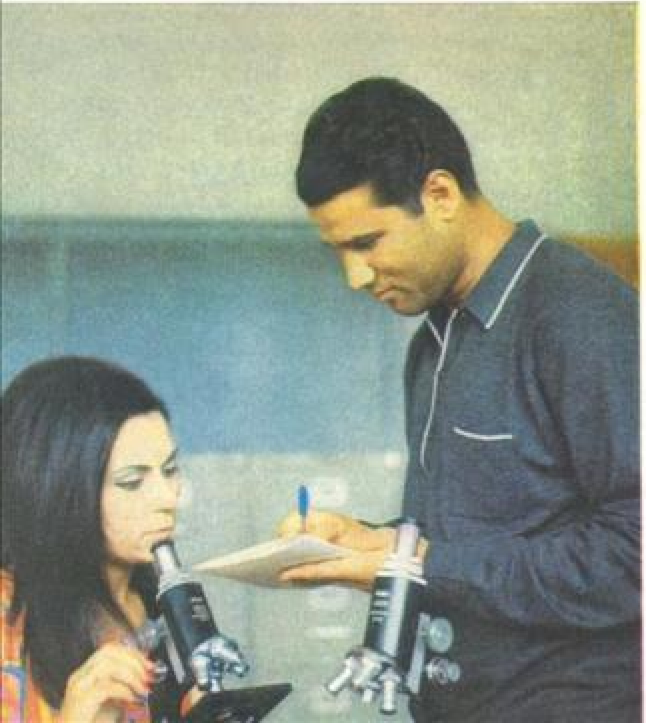
وذهبنا الى الجامعة، وهى تقع بمبانيها الضخمة التى اكتمل البعض منها ، وما زال العمل يجرى لاستكمال بناء بقية اجزائها ، فى اطراف المدينة وسط المزارع والحقول ويربط بينها وبين قلب المنصورة وما حولها ، خط اوتوبيس منتظم لنقل الطلبة واساتذتهم من الجامعة واليها ..



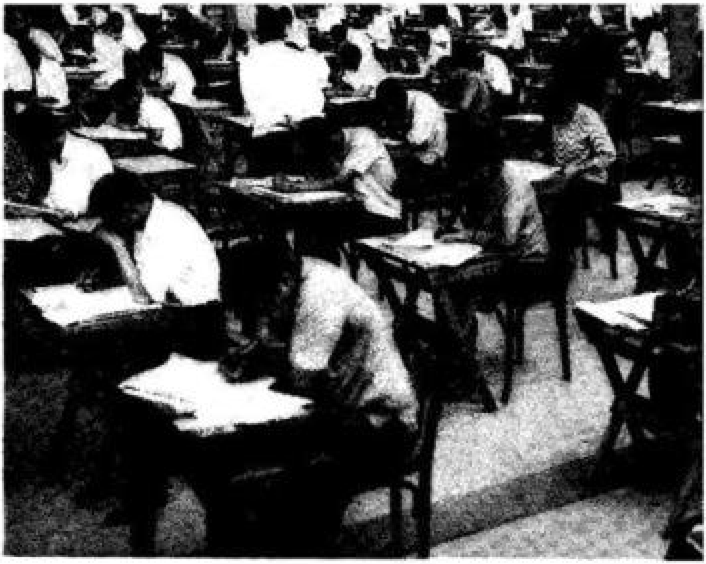
طالبتان تدرسان الطب في جامعة المنصورة ، وقد ظهر وراءهما
جانب من مباني كلية الطب التي انشئت في عام ١٩٦٢ .







الى اليمين : طلبة وطالبات المعهد الزراعي ، الذى تحول الى كلية للزراعة في هذا العام الدراسي الجديد، وهم يستمعون الى محاضرة في علم الوراثة . بينما ظهر في « **الصورة العليا** » بعض طلبة وطالبات كلية الطب في درس عملى بمتحف الباثولوجي ، Pathology او علم الأمراض ، حيث تحفظ العينات المرضية داخل اوعية امتلأت **بمحلول** الفورمالين . وفي **الصورة التى الى اليسار** ، طالب وطالبة يفحصان عينة من دم مريض تحت عدسة الميكروسكوب.



جاءت زيارة بعثة العربي للمنصورة في بداية موسم الامتحانات .. وفي الصورة طلبة وطالبات الصف الثالث بالمعهد العالي الصناعي (شعبة الكهرباء والميكانيكا) ، أثناء تأدية الامتحان .. وسيتحول هذا المعهد الى كلية للهندسة في هذا العام الدراسي الجديد..

كلية الطب

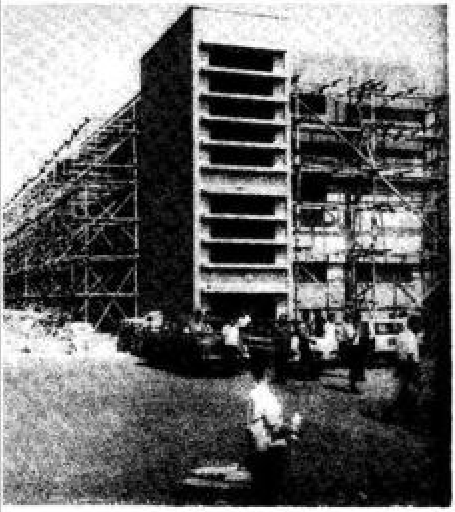
اما قصة انشاء الجامعة ، او بمعنى اصح انشاء كلية طب المنصورة التى كانت نواة لهذه الجامعة الوليدة ، فتبدأ في عام ١٩٥١ ، عندما بدأت حملة واسعة بمحافظة الدقهلية كلها لجمع التبرعات لانشاء جامعة بالمنصورة ، الا ان الفكرة ما لبثت ان رقدت بضع سنوات ، حتى كان عام ١٩٦٠ عند بدء نظام الحكم المحلى ، عندما تبنت جامعة القاهرة مشروع انشاء الجامعة ، وبعد عامين من البحث والدراسة ، صدر القرار الجمهورى بانشاء كلية طب المنصورة على أن تكون تابعة لجامعة القاهرة ، وبدأت الدراسة بالكلية في العام الجامعى ١٩٦٢ ـ ١٩٦٣ في جناح من مباني المدرسة الثانوية للبنين ، الى ان تم اعداد مبانى المرحلة الاكلينيكية الاولى بمبنى الكلية الدائم الذى تكلف بناؤه ما يزيد على ٨٠٠ الف جنيه تقريبا ، كما صدر في نفس الوقت قرار وزارى بنقل ادارة مستشفى المنصورة العام الى كلية الطب ، وتحويله الى مستشفى جامعي .

١٥٠٠ طالب وطالبة

وقد تخرج من الكلية حتى الآن ، دفعتان واصبحت الكلية تضم اليوم ما يزيد على الالف وخمسمائة طالب وطالبة تبلغ نسبة عدد الطالبات بينهم حوالى ٣٥٪ ، وهى نسبة كبيرة ، لعلها



اهتمت ادارة الجامعة بتوفير السكن الصحي للطلبة والطالبات المغتربين من غير ابناء المنصورة ، وقد استأجرت لطالباتها مبنى حديثا كان من المقرر ان يصبح فندقا ، ويدفع الطالب او الطالبة خمسة جنيهات شهريا مقابل الاقامة والوجبات الثلاث ، وفي الصورة مجموعة من الطالبات بالسكن الخاص بهن ، اثناء تناول طعام الافطار .





يجرى العمل الان لاستكمال مباني المدينة الجامعية ، وفي الصورة (الى اليمين) جانب من مباني المعهد العالى الصناعي الذى سيتحول الى كلية للهندسة ، اما الصورة التى الى اليسار ، فهي للمبنى الرئيسي للمعهد العالى الزراعي الذى سيتحول بدوره الى كلية للزراعة .

تعكس اهتمام الجيل الجديد من فتياتنا بالعلم وتفضيله على غيره من المواد الاخرى ..

ولم يعد الالتحاق بكلية طب المنصورة مقصورا على ابناء المحافظة وحدهم ، فقد فتحت الكلية ابوابها للطلبة والطالبات من جميع انحاء الجمهورية ، ومن ابناء الدول العربية الشقيقة ، فهناك ما يزيد على الاربعين طالبا وطالبة من الاردن ولبنان وسوريا والعراق وكذلك عدد من الطلبة الفلسطينيين .

ولم يقتصر اهتمام المسئولين فى الجامعة على توفير العلم لكل من يطلبه ، بل اهتمت ايضا بتوفير السكن الصحى الملائم لطلبتها وطالباتها المغتربين من غير ابناء المنصورة ..

سكن خاص للوافدين

اما بالنسبة للطالبات ، فقد استاجرت لهن ادارة الجامعة مبنى حديثا كان من المقرر ان يصبح فندقا واما الطلبة ، فقد شيدت لهم مبنى آخر يتألف من طابقين ، ولكل طالب غرفة خاصة به وحده ، ويدفع الطالب او الطالبة مبلغ خمسة جنيهات شهريا مقابل الاقامة والوجبات الثلاث ، وهذا المبلغ لا يتجاوز ربع النفقات الفعلية التى تتحملها ادارة الجامعة الى جانب الخدمات التى تقدمها لطلبتها وطالباتها .. فهي تقدم المساعدات المالية للطلبة المحتاجين ، وتتم هذه بصورة سرية عن طريق الاخصائيين الاجتماعيين ، كما تنظم لهم الادارة الندوات الثقافية والدينية فى المناسبات وكذلك الرحلات لزيارة معالم الجمهورية من اسوان الى الاسكندرية ، كما تعمل على اقامة معسكرات الاصطياف في المصايف على شواطىء مصر ولا يكلف الاصطياف ، اكثر من جنيه ونصف لمدة ١٥ يوما ، بما في ذلك أجر السفر والاقامة الكاملة .. ويسافر الطلبة والطالبات الى هذه المصايف في افواج ، يضم كل فوج منها مائة طالب وطالبة ، وتعطى الاولوية في هذه الرحلات للطلبة المتفوقين ..

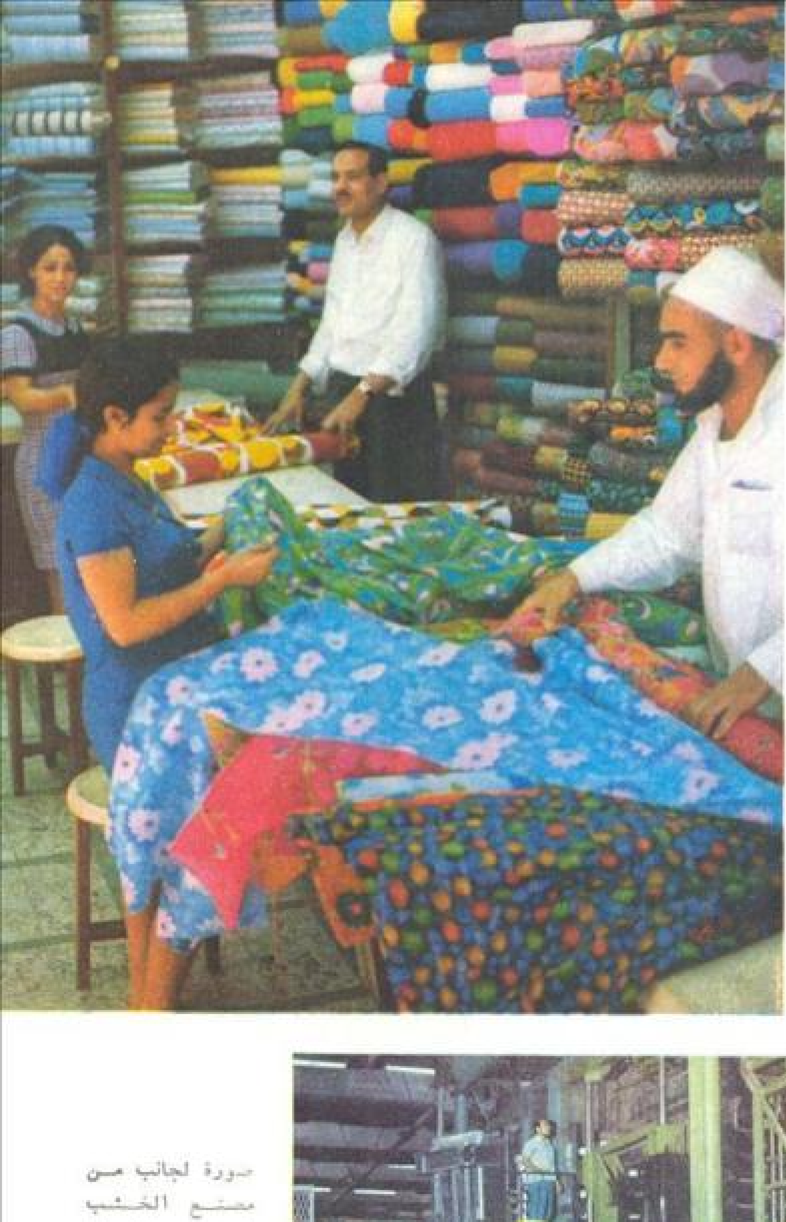
ثلاث كليات جامعية

لقد تحدثنا عن كلية الطب طويلا ، بينما هي في الواقع ليست سوى كلية واحدة من الكليات الجامعية الموجودة الان ، والكليات التى ستضاف الى الجامعة ابتداء من العام الدراسى المقبل .. فهناك اليوم الى جانب كلية الطب : كلية العلوم وكلية المعلمين وكذلك ثلاثة معاهد عليا ، هي المعهد الزراعى والمعهد الصناعى والمعهد التجارى وسوف تتحول هذه المعاهد الثلاثة الى كليات الزراعة والهندسة والتجارة ابتداء من العام الدراسى المقبل ، هذا الى جانب الكليات الاخرى التى ستضاف الى الجامعة في العام القادم وهي كلية الصيدلة ، وكلية طب الاسنان وكلية العلوم الانسانية ..





مدرسة الجمعية اليونانية بالمنصورة وقد انشئت عام ١٩٢٥ وهي تعد ابناء الجالية اليونانية للحصول على الشهادة الثانوية ثم الالتحاق بجامعة القاهرة او بجامعة اثينا .. وفي المنصورة جالية يونانية كبيرة ، يعمل معظم افرادها في التجارة وادارة الفنادق .



الى اليمين: طالبات مدرسة المنصورة الثانوية للبنات ، مع مديرة المدرسة، وهن يقمن باعداد صناديق الهدايا التي اشتريتها من مصروفهن الخاص ، لارسالها الى الجنود المرابطين في خط النار ..

الى اليسار : محل لبيع اقمشة السيدات ، في سوق المنصورة ، اما صاحب المحل فهو الحاج يوسف محمد يوسف ، سألناه : « لماذا اخترت تجارة اقمشة السيدات ؟ » قال: « لان المرأة اكثر استهلاكا ، واكثر انفاقا من الرجل على ملبسها ! »



صورة لجانب من مصنع الخشب الحبيبي والغراء العثاني من الداخل ، ويبلغ انتاج المصنع حوالى عشرة آلاف ونصف طن سنويا ، وهو يصدر جزءا من انتاجه للخارج .

وتضم الكليات والمعاهد الستة الان ما يزيد على الستة آلاف طالب وطالبة في مختلف مراحل الدراسة ، من مصر ومن الدول العربية الشقيقة.

ونترك الجامعة لنستعرض بسرعة بقية الانجازات التي حققتها المنصورة خلال السنوات العشر الاخيرة .

مستشفى الصدر

وفي شهر مايو من عام ١٩٦٨ ، وهو نفس الشهر الذي تحتفل فيه المنصورة سنويا بعيدها القومي ، تم افتتاح مستشفى لعلاج الامراض الصدرية وهو من احدث المستشفيات في الشرق الاوسط فقد زود بمعامل بكتريولوجية واجهزة اشعة حديثة ، ويضم ٢٠٠ سرير .. وبلغت تكاليف انشاء هذا المستشفى حوالى نصف مليون جنيه .

كما تضاعف عدد المدارس الثانوية والمتوسطة او الاعدادية ، وكذلك المدارس الابتدائية في المدينة وفي ريفها وقراها .. حتى قيل ان نسبة الاميين بين ابنائها لا تتجاوز ١٨٪ ، وهي اقل نسبة بين مدن الجمهورية كلها ..

الجهود الذاتية

وفي نفس الوقت الذى كانت الجهود تبذل فيه لتوفير العلم للجميع ، كان هناك عمل آخر كبير يجرى لاعادة تخطيط المدينة وبناء العمارات السكنية لذوى الدخل المتوسط والدخل المحدود ، وازالة المباني القديمة ، ورصف الطرق والشوارع الحديثة .. ولعل ابرز مشروع حققه ابناء المنصورة بايديهم ، هو مشروع بناء نفق المنصورة الذى يربط شرق المدينة بغربها .. فقد شيد هذا النفق بالجهود الذاتية ولم تزد تكاليف انشائه على ٥٠ الف جنيه ، وقد ساهم هذا النفق الجديد في تخفيف زحام السيارات ويزيد طوله على خمسمائة متر .

مجمع الخضر والفواكه

وفوق مساحة من الارض تبلغ حوالي ثلاثة افدنة ، وفي وسط منطقة زراعية واسعة ، اقيم اخيرا مجمع جديد لتجار الخضر والفاكهة عند مدخل المنصورة وقد افتتح هذا السوق في عام ١٩٦٩ وهو يحوى ٧٩ متجرا ومخزنا ومكمرا للموز، وتكلف انشاؤه حوالي المائة الف جنيه . ويضم المجمع مركزا للشرطة ، ونقطة للمطافىء ، ومصرفا لاتمام المعاملات التجارية .

وقد كان الهدف من انشاء هذا السوق ، هو تجميع التجار في مكان واحد ، لتسهيل عملية نقل الخضراوات والفاكهة من المزارع والبساتين القريبة ، وكذلك تسهيل عملية البيع لتجار

بعض المبانى السكنية الحديثة التى تنتشر في المنصورة ، وقد شيدها اصحابها على مقربة من نهر النيل ، فهي تشرف على مياهه ، وتقع على امتداد الكورنيش .



بعض طلبة المعهد الصناعي العالي، اثناء محاضرة عملية في ورشة ماكينات الخراطة ،التي زودت باحدث الآلات المستوردة من الخارج .





كورنيش النيل ، ويمتد لمسافة ثمانية كيلو مترات بمحاذاة الشاطيء مباشرة .. وهو طريق جميل يبدأ من المنطقة الواقعة امام مبنى دار الكتب ، وينتهي عند جزيرة الورد التى تقع وسط مياه نهر النيل حيث يجرى الان بناء فندق سياحي كبير .. وعلى الكورنيش تجاه الشاطيء مباشرة تنتشر الكازينات التى تزدحم بروادها في المساء .. وقد اقامت المحافظة منذ عامين كازينو سياحيا حديثا يقدم لرواده الوجبات الثلاث ، مساهمة منها في تشجيع السياحة الداخلية والخارجية .

التجزئة ، ومراقبة الاسعار لمنع التلاعب باقوات الشعب .

قال لنا الحاج عامر ابراهيم سيد احمد ، احد تجار الفاكهة بالسوق ، وهو في الخمسين من عمره ، متزوج وعنده ستة من الاولاد ، يذهبون جميعا الى المدارس لتلقى العلم ، قال : « انني ابيع لحساب المنتجين ، مقابل عمولة تصل الى ٥٪ ، اما دخلى فهو يبلغ في المتوسط مائة وخمسين جنيها شهريا ، ادفع منها خمسة جنيهات ايجارا لهذا المتجر ، واسكن شقة جديدة تتالف من خمس حجرات وادفع ثمانية جنيهات ايجارا لها ! ».

صناعة الخشب

والمنصورة ليست بلدا زراعيا فحسب، بل هى بلد صناعى ايضا ، فقد قامت فيها صناعة الخشب الحبيبي والراتنجات او الغراء الصناعي .. ويستخدم هذا النوع من الخشب في صناعة الاثاث وصناديق التعبئة لتصدير مختلف السلع والمنتجات ، كما يستخدم في بناء الشاليهات على شواطيء المصايف والمنازل الجاهزة » .

ويبلغ انتاجه حوالى عشرة آلاف طن سنويا .

والمادة الاولى المستخدمة فى صناعة هذا النوع



صورة لنفق المنصورة ، والجسر الذى اقيم فوق فرع دمياط لنهر النيل ويسير عليه قطار السكة الحديد الذى يربط بين القاهرة ومدينة دمياط ، وترى في الصورة ايضا مدينة طلخا ، المدينة التوأم للمنصورة على الضفة الغربية لنهر النيل .

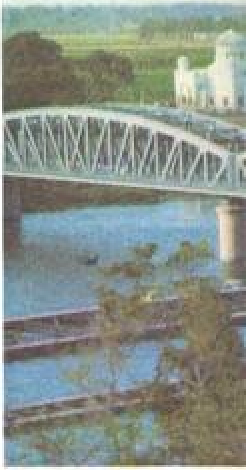


شارع السكة الجديدة ، وهو المركز التجارى للمنصورة ، ويعتبر من اقدم الشوارع التى تم رصفها وتعبيدها منذ اكثر من قرن ونصف قرن من الزمان ، وهو يزدحم بالباعة والمشترين طوال ساعات النهار والليل .

الى اليسار : صورتان ، العليا للشاطىء الشرقى للنيل (مدينة المنصورة) ، **اما السفلى** فهي لمدينة طلخا ،المدينة التوأم للمنصورة على الشاطىء الغربي للنيل .. ويربط بين المدينتين جسران ..



محافظ الدقهلية السيد عبد الفتاح علي احمد مع ثلاثة من ابنائه في غرفة مكتبه بالبيت ؛ لقد جلس يحدثنا عن مشروعاته للمستقبل ، قال : ان النهوض بالريف ورفع مستوى القرية هو شغلي الشاغل .





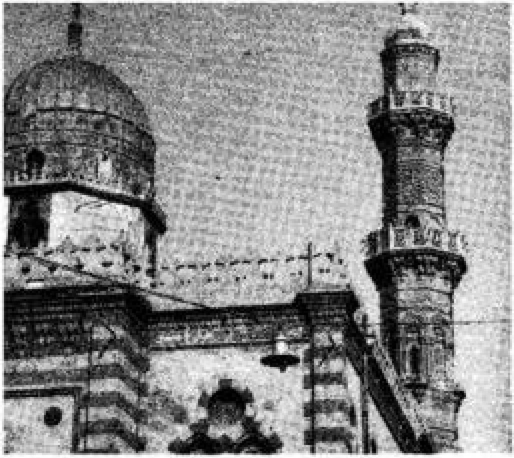


من الخشب الذى انتشر استعماله في اوربا ، هي ساس الكتان او حطب الكتان ، وكذلك اخشاب الاشجار المحلية مثل الكافور والجازولينا .

وقد تعاقدت اسبانيا وبولندا على استيراد بعض انتاج هذا المصنع الذى افتتح في شهر يوليو من عام ١٩٦٢ وتكلف انشاؤه ٦٥٠ الف جنيه وهذه هي المرة الاولى التي يصدر فيها انتاجه للخارج ، اما مصنع الراتنجات فقد بدا انتاجه في شهر مارس من هذا العام ١٩٧٠ وبلغت تكاليفه ٨٥٠ الف جنيه وقامت احدى الشركات اليابانية بتوريد الاته ، وجاء مع الآلات فريق من المهندسين اليابانيين لتركيبها والاشراف على تشغيلها .. ويبلغ عدد العمال الفنيين في المصنعين حوالي ٧٥٠ عاملا وعاملة ، من بينهم ٣٠ فتاة يشغلن وظائف ادارية في المصنعين ..

وقد اهتمت ادارة الشركة بتوفير التامين الصحي والتامين الاجتماعي لعمالها ، كما اهتمت بتقديم الخدمات الاجتماعية وتشجيع النشاطات الرياضية بينهم .

قال لنا مدير مصنع الراتنجات : « ان الهدف من انشاء هذا المصنع هو توفير المواد اللازمة لصناعة الاخشاب الاصطناعية ، وكذلك بودرة الكبس المستخدمة في صناعة البلاستيك ، وقد كانت الدولة تستوردها من الخارج،وتدفع ما يزيد

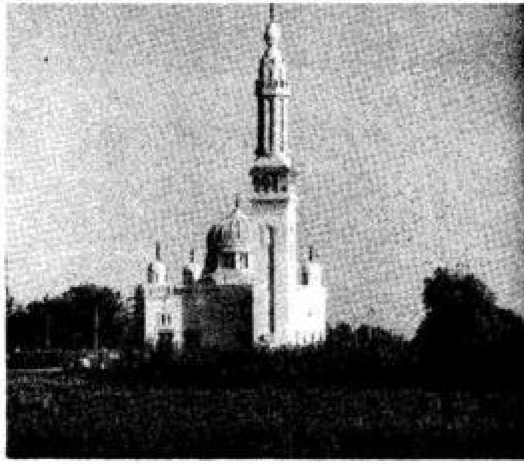


قال لنا محافظ الدقهلية : ان العمل يجرى الان لاعادة دميانة الذى وضع حجر الاساس لاعادة بنائه يوم ١٦ مايو بكل مسجد جديد ، مدرسة لتحفيظ القرآن ، ايمانا من (الى اليمين) ، جامع الصالح ايوب وهو من أجمل جوامع الصورة الثالثة فهي لمسجد سيدى حسنين الذى مضى



في الاحتفال بالمولد النبوى الشريف ،استضافت المحافظة بعض كبار المقرئين ، وفي الصورة لفيف من أبناء المنصورة وسيداتها يستمعون الى الشيخ عبد الباسط عبد الصمد. وهو يرتل القرآن الكريم .





بناء وتجديد المساجد القديمة بالمدينة وقراها على السواء وكذلك ترميم الكنائس والاديرة التاريخية ، مثل ديرسانت عام ١٩٧٠ ، كما يجرى العمل ايضا في انشاء المعاهد الدينية الاسلامية في مختلف مراكز المحافظة وسيلحق المسئولين ببث القيم الدينية والروحية ، وفي المنصورة وحدها اكثر من ٥٢ مسجدا وجامعا .. وفي الصورة الاولى المنصورة واقدمها ، وفي الصورة الوسطى جامع القرنان ويقع على الشاطىء الغربي للنيل في مدينة طلخا ، اما على بنائه الان ١٥٠ سنة ، وتجرى الان عملية تجديده ، وهو مسجد كبير يتسع لاكثر من الفي مصل .

على المليون جنيه بالعملة الصعبة ، ثمنا لما تستورده » .

غزل القطن

وعلى مقربة من مصنع الخشب والراتنجات ، قامت صناعة اخرى ، هي صناعة غزل القطن .. وقد بدا التفكير في انشاء مصنع الغزل بالمنصورة في عام ١٩٦٣ عندما بدات عملية الانشاءات ، وتركيب المغازل ، وبدا المصنع انتاجه بحوالى ٢٥ الف مغزل ، اما اليوم فقد اصبح عدد المغازل يزيد على الستين الف مغزل .. وقد تم انشاء هذا المصنع بقرض من اليابان ، وتكلف حوالي ثلاثة ملايين من الجنيهات المصرية ، بما في ذلك ثمن الارض والمباني والالات .

ويقوم المصنع الان بتسديد هذا القرض من انتاجه الذى يصدر ٦٠٪ منه للخارج ، الى الدول العربية مثل سوريا والعراق ، وبعض الدول الافريقية وأمريكا وسويسرا والمجر وايطاليا . أما باقى انتاج المصنع فيصدر لمصانع النسيج في دمياط وميت غمر ، حيث تستخدم هذه الخيوط من الغزل الرفيع فى انتاج الاقمشة القطنية الممتازة مثل اللينو والتريكولين .

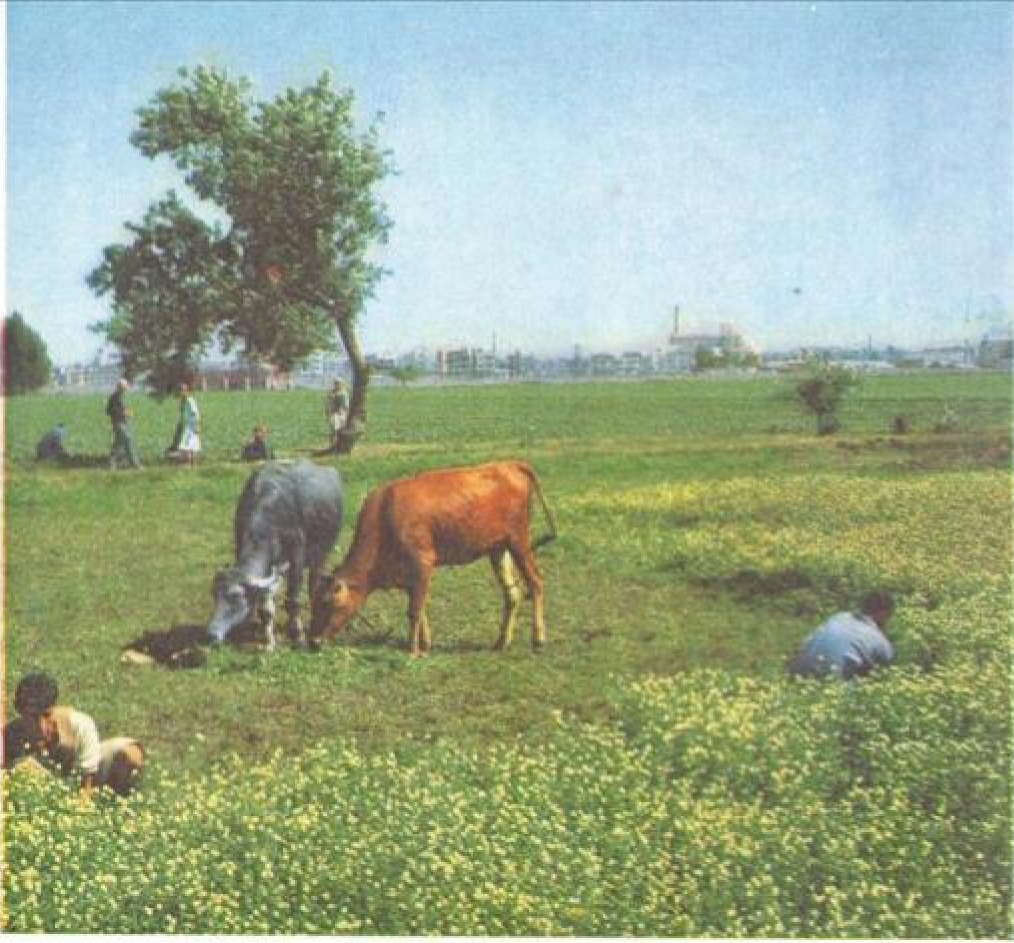
وتبلغ قيمة ما ينتجه مصنع الغزل في المنصورة سنويا ، مبلغا يزيد على الاربعة ملايين ونصف مليون جنيه مصرى . اما عدد العمال الذين يعملون فيه فيصل الى الفى عامل فنى تتراوح اجورهم في المتوسط بين ١٥ و ٢٠ جنيها شهريا . الى جانب بعض المزايا العينية التى يتمتع بها العمال مثل العلاج المجانى ، وتوفير وسائل النقل من بيوتهم الى المصنع وبالعكس ، وتناول وجبة خفيفة من اللبن والفطائر اثناء العمل .

مصنع ومدرسة

قال لنا مدير مصنع الغزل : « لقد درب عمالنا على العمل في المصنع .. انهم جميعا من المزارعين الذين جاءوا من الحقل الى الآلة مباشرة دون ان يكون لهم اية خبرة سابقة بهذه الصناعة .. وقد علمناهم ودربناهم هنا في هذه المدرسة العملية الكبيرة .. ولكننا رفضنا ان نرفع أجر أى عامل منهم الا اذا تعلم القراءة والكتابة .. ولم تنقض بضعة شهور ، حتى كان كل عمال المصنع قد اصبحوا تلاميذ في مدرسة محو الامية التى انشأتها ادارة المصنع لعمالها الذين يريدون ان يرفعوا من مستواهم الاجتماعي . »

المنصورة فى مواجهة المعركة

ورغم الظروف التى تمر بها المنصورة اليوم فى مواجهة هذا التحدى الذى يتمثل في بقاء قوات العدو الاسرائيلي على مقربة منها في الضفة الشرقية



تشتهر المنصورة وقراها بانتاجها الوفير من الارز والقطن والقمح .. وتحيط بالمدينة مزارع واسعة خصص منها حوالى مائتى فدان للمعهد الزراعى العالى الذى يجرى فيها اساتذة وطلبة المعهد تجاربهم الزراعية لتحسين سلالات المحاصيل الزراعية، وفى الصورة منظر عام لبعض الحقول التى تحيط بالمدينة ، بينما ظهر فى الصورة التى الى اليمين ، بعض طلبة وطالبات المعهد الزراعى فى درس عملى وسط بستان للزهور .







صورتان لتجار الفاكهة في سوق الجملة ، الذي تم بناؤه حديثا عند مدخل مدينة المنصورة ، وفي **الصورة العليا** الحاج عامر ابراهيم تاجر الموالح ، الذي يعمل لحساب المنتجين مقابل عمولة تصل الى ٥٪ بينما ظهرت في **الصورة السفلى** السيارات تنقل البطيخ من المزارع الى السوق .



لقناة السويس ، ورغم الاغارات الجوية المتكررة التى تقوم بها طائرات العدو على منطقة القنال ، والمعارك الضارية التى تنشب بين القوات المعتدية، والقوات العربية المدافعة عن ارضها وترابها .. فقد كانت الحياة تجرى كالعادة في المدارس والمصانع ودور الحكومة والشركات والبنوك ، وفي كل مكان حتى فى اسواق المدينة المزدحمة ، المكتظة بالبائعين والمشترين . .

كانت صفارات الانذار تنطلق معلنة عن وقوع غارة جوية ، فيختفى الناس من الطرقات والشوارع ، ثم تنطلق صفارة الامان ، فتعود الحياة الى طبيعتها ..

كلنا جنود ..

قال لنا عامل في مصنع : « كلنا جنود ، اذا دعا الداعي ، وكلنا قادر على حمل السلاح للذود به عن وطننا ، ولكننا نترك مهمة الدفاع في هذه المرحلة ، لاخواننا الذين يرابطون على خط النار ، فلا بد لنا من أن نعمل ونتتج .. يد تحارب ، ويد تبنى » .

ماذا فعل ابناء المنصورة من اجل اخوانهم الذين يضحون بحياتهم كل يوم في معركة الكرامة والعروبة .. لقد تبرع الاهالي باموالهم وقدمت النساء حليهن ، حتى لقد بلغت قيمة التبرعات التى قدمتها المنصورة وبقية مدن المحافظة تطوعا ما يزيد على النصف مليون جنيه مصرى .

هدايا للجنود فى الجبهة

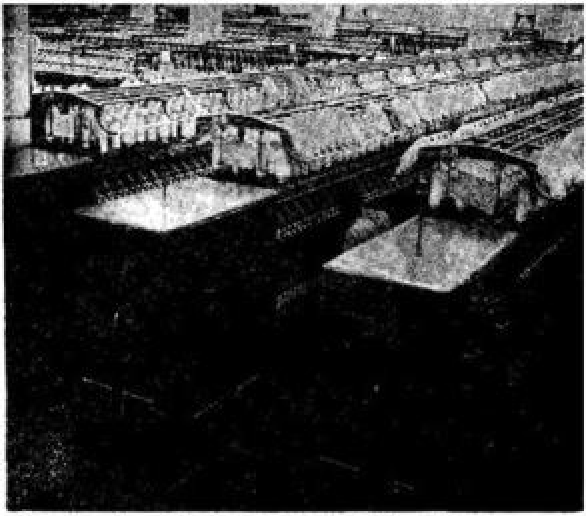
ذهبنا لزيارة احدى المدارس الثانوية للبنات في المنصورة ، فاستقبلتنا مديرتها السيدة حكمت احمد الشربيني ، قالت : « تعالوا معي لتروا ماذا تفعل بناتنا من اجل اخوانهم في الجبهة ؟ »

ودخلنا قاعة القراءة والاطلاع بالمدرسة ،فوجدنا مائدة كبيرة امتلات بالهدايا وحولها مجموعه من الطالبات وقد امسكت كل واحدة منهم بصندوق صغير راحت تملاه بالهدايا التى اشترتها الطالبات من مصروفهن الخاص ، ليرسلنها الى اخوانهن المحاربين في الجبهة » .

منظر عام لسوق الجملة الذى افتتح في العام الماضى ، بهدف تنظيم تداول الخضراوات والفاكهة وتثبيت اسعارها . وقد أدى انشاء هذا السوق الى تخفيف الضغط على الشوارع المزدحمة بعد أن تركزت حركة البيع والشراء للخضراوات والفاكهة فى هذه المنطقة التى ألحق بها مركز لاطفاء الحريق ومصرف ومكتب للبرق والبريد .







قامت في المنصورة صناعات هامة من بينها صناعة غزل القطن ، وصناعة الخشب الحبيبي ، والصورة التى (الى اليمين) لجانب من مصنع الغزل الذى يضم اليوم ٦٠ الف مغزل . اما الصورة الى اليسار ، فهي لأحد العمال وهو يقوم بصف الواح الخشب الحبيبي الذى ينتجه مصنع الخشب ، وتصدر كميات كبيرة من انتاجه للخارج .

وتركناهن مع هداياهن الصغيرة التى اردن بها ان يعبرن عما يجيش في صدورهن من مشاعر ، فقد كنا على موعد مع الرجل الذى يقود معركة البناء فوق ارض المنصورة ، مع محافظ الدقهلية السيد عبد الفتاح على احمد ، الذى فتح ابواب المدينة امام بعثة العربى ، ويسر لها مهمتها في هذه الظروف غير العادية ، من اجل العرب والعروبة .

الريف ثم الريف

وجلس المحافظ يحدثنا عن مشروعاته للمستقبل، قال : « انا رجل ريفى .. من الريف جئت ، وفي الريف تعلمت ، وعشت سنوات حياتى الاولى .. واهل الريف كما تعلمون يؤلفون السواد الاعظم من الشعب ، فلا غرو اذن ان يستحوذ الريف على تفكيرى ويستغرق كل وقتى .. ان النهوض بالريف ورفع مستوى القرية الى مستوى الحضر ، هو شغلى الشاغل الان .. اننا نقوم اليوم بتخطيط القرى تخطيطا حديثا ، كما نمضى في مشروعاتنا لانشاء القرى النموذجية في كل مركز ادارى ، كخطوة اولى ، لكي تصبح هذه القرى نموذجا يحتذى به في بقية القرى التى تجرى فيها يد الاصلاح ..

رفع مستوى القرية

وقال المحافظ : « اما الخطوة الثانية فهي انارة القرية وتطوير الصناعات البيئية فيها ، بعد دخول الكهرباء ، لرفع مستوى المعيشة نتيجة لرفع دخل الفلاح .. فسوف تستخدم الكهرباء في ادارة وسائل الانتاج كلها ، وبذلك يتحقق توفير الثروة الحيوانية ، لانتاج اللبن ومنتجاته من الزبد والجبن ..

« وتأتي بعد هذا الخطوة الثالثة .. لقد دخل التعليم القرية منذ سنوات بعيدة ، ولكنه ما زال على المستوى الابتدائي ، الامر الذى لا يشجع الكثيرين من ابناء الريف على اتمام تعليمهم ، لان المدارس الثانوية تبعد عنهم كثيرا .. ونتيجة لذلك ، فقد رأينا ان نقيم مدرسة ثانوية لكل مجموعة من القرى الصغيرة ، وبدأنا بتنفيذ هذا المشروع في مراكز ميت غمر وكوم النور وبشلا ودكرنس وغيرها .. وكانت كلها تفتقر الى التعليم الثانوى حتى سنوات قريبة وسوف تعمم هذه التجربة في جميع مراكز المحافظة باذن الله .

عمارات سكنية في الريف

« بقي بعد هذا توفير المدرسين والاطباء والمهندسين الزراعيين الذين سيعملون في القرى

الحديثة . وقد حسبنا لكل شيء حسابه .. سيشكو هؤلاء المهنيين الذين تعودوا حياة المدن ، من انهم لن يستطيعوا احتمال حياة الريف ، وقد عملنا على تلافي هذه الشكوى قبل حدوثها ، فقد بدأت المحافظة تقيم عمارات سكنية حديثة مزودة بالكهرباء والماء لسكنى المدرسين والاطباء والمهندسين الذين سيعملون في بناء الحياة الجديدة في ريفنا الجديد .. »

ان الخبرات لا تنقصنا .. وادارتنا ومؤسساتنا



الصورة العليا : الشيخ شلبي محمد سالم جالس يقرأ في كتاب الله الكريم ، وقد وقفت احدى تلميذاته بجواره ، أمام البيت الذي كان أول مدرسة تعلمت فيها أم كلثوم علم الاصوات والتجويد . بينما ظهر في الصورة السفلى البيت الذي نشأت فيه مطربة الشرق بقرية طماى الزهايره .



الحكومية متخمة بالشباب المؤهل المتخصص ، وفي كل عام يتخرج الالوف من الشبان في مختلف فروع العلم والمعرفة بجامعاتنا .. وفي الريف مجال لاستيعاب الالوف المؤلفة من اصحاب المؤهلات والخبرات .

بلد أم كلثوم

هذه لمحة سريعة عن مدينة المنصورة ، تلك التي اسموها قديما « دقهلة » ، ثم « اشمون الرمان » واخيرا المنصورة ، تيمنا بالنصر الكبير الذي حققه ابناؤها منذ اكثر من سبعة قرون ..

ولكن هل نسينا شيئا ؟ نعم نسينا كثيرا ، فليس من المعقول أن تتسع هذه الصفحات الصغيرة للحديث عن المنصورة كلها .. ولكننا مع هذا لن يفوتنا ان نذكر ان المنصورة هي البلد الذي انجب ام كلثوم ..

فقد ولدت ام كلثوم في ريف المنصورة في قرية طماى الزهايرة ، وهي قرية صغيرة تابعة لمركز السنبلاوين وتبعد عن المنصورة بحوالي ٢٢ كيلو مترا ، وفي بيت ريفي صغير نشأت هذه الفتاة الريفية ، وفي حي الحوَّال بالسنبلاوين دخلت الفتاة الكُتّاب الذي تعلمت فيه علم الاصوات والتجويد على يد المرحوم الشيخ ابراهيم جمعه.. وكان هذا الكتاب هو أول مدرسة تخرجت فيها مطربة الشرق ، قبل ان تبدأ رحلتها الطويلة الى قمة المجد .

التقينا بشيخ وقور كان في طريقه لتأدية الصلاة ، وكان يمر في تلك اللحظة امام « الكُتّاب » القديم ، وبادرناه التحية ، ثم قلنا نسأله : « هل تعرف هذا المكان ؟ »

وابتسم الشيخ ابتسامة هادئة ، ثم نظر الينا وقال : « أعرفه ؟ وكيف لا أعرفه ، وقد كنت فيه تلميذا اتعلم كتاب الله ، هل تعلمون انني كنت زميلا لام كلثوم في هذا الكتاب ! »

انه الشيخ شلبي محمد صالح .. الرجل الذي يحفظ كل اغاني زميلة طفولته ، ويتغنى بها .. تماما كما تحفظ ام كلثوم كل شيء عن ذكريات طفولتها وايام حياتها الاولى في قريتها الصغيرة التي لم تنسها ابدا ..

منير نصيف

قصة

الجريمة و العقاب

بقلم : الدكتورة

حياة محمد شرارة

■ تعتبر رواية « الجريمة والعقاب » ، لا من روائع دوستويفسكي فحسب ، بل ومن روائع الادب العالمي بمضمونها الاجتماعي الفني وقوتها الفنية وعمق التحليل النفسي والتتبع الدقيق البارع لعواقب الجريمة النفسية والمعنوية والفكرية على بطل الرواية . و « الجريمة والعقاب » تختلف عن الروايات البوليسية التي تدور حول الجريمة ونتائجها ، انها تتميز بابعاد فلسفية واجتماعية واخلاقية ترتكز عليها الرواية . فالجريمة التي يقدم عليها البطل تخلق في نفسه صراعات فكرية وعاطفية ذات مدلول انساني كبير .



بدأ دوستويفسكي في كتابه «الجريمة والعقاب» في فترة اشتدت فيها التناقضات الطبقية بعد الغاء نظام الرق عام ١٨٦١ . وقد اجتاحت الصراعات الاجتماعية مختلف الطبقات على اثر انهيار النظام البطرياركي القائم وبدء حلول النظام الراسمالي مكانه . ان تفكك النظام الاجتماعي الذي اعتاده الناس وتدهور قيمه ومثله وفلسفته وقوانينه ، وعدم ولادة نظام جديد متكامل ذي اسس فكرية واضحة وقيم اخلاقية متبلورة ، احدث هزة كبيرة في الحياة الاجتماعية وفي تفكير الناس . وبالرغم من افول النظام العبودي فان العلاقات العبودية والاقطاعية لم تمح تماما وظلت بقاياها واضحة المعالم . فالطبقة البورجوازية الناشئة زادت اساليب الاستثمار الجديد كما زادت في افقار الفقراء واغناء الاغنياء ، وهكذا اصبح الفرد ينوء تحت نوعين من الاستغلال الاقطاعي والراسمالي .

وقد كان لهذا الوضع تأثيره الكبير على الطبقة المتوسطة بشكل خاص لان حالها الاجتماعي كان معرضا للهزات أكثر من غيرها . وقد كان ابناء الطبقة المتوسطة يفقدون غالبا كل ما يملكونه وينحدرون الى مهاوي البؤس ويعملون عمالا يشتغلون لدى ارباب المصانع . وكان الحظ يبسم لهم في بعض الاحوال النادرة فيفتنون ويتحولون الى مستغلين ومستثمرين لجهود غيرهم واتعابهم .

لقد صاحب هذا الوضع انتشار الجريمة والقتل والسرقة والبغاء وتزعزع اركان العائلة وتفكك علاقاتها . وقد اهتم الكتاب بتصوير حياة فقراء المدينة وحالتهم المعاشية المفجعة واظهار صعوبة تحقيق الانسان الفقير لذاته ومطامحه وكيانه في المجتمع ولجوئه احيانا الى القوة والعنف لتحقيق اهدافه .

ينتمي غالبية ابطال رواية « الجريمة والعقاب » الى هذه الطبقة المتوسطة المهزوزة الكيان الواقعة بين براثن الفقر والعوز .

ان ازقة بطرسبورغ واحياءها القذرة وبيوتها الضيقة وحاناتها مسرح الاحداث الهامة التى تنطوى عليها الرواية . ومنها نطلع على صور مرعبة للتعاسة والشقاء والبؤس التى يعيشها فقراء العاصمة . فالبيوت التى يعيش بها ابطال القصة مثل راسكولينكوف ومارميلادوف وصونيا ضيقة معتمة تقع في احياء مكتظة بالسكان . بيد ان احتشاد الناس في البيوت وتجاورهم وانعدام الفواصل فيما بينهم لا يخلق عندهم روح التقارب والتعاون ، بل نلمس التباعد والتنافر والبغضاء تهيمن على علاقاتهم . فالفرد يشعر بالغربة والوحدة بين الاخرين اذ يحاط الانسان عادة في روايات دوستويفسكى بجو بارد يجمد اوصاله ويشوه حياته ، فلا نلمس ذلك الدفء الانسانى والعواطف الحارة الفياضة اللذين يتميز بهما عالم ابطال تولستوى فالانسان غريب عن غيره وعما يحيطه .

ان راسكولينكوف بطل الرواية ذكى نبيل وطيب القلب ويحب مساعدة الناس في الاوقات العصيبة التى تمر بهم كما حدث بالنسبة لعائلة مارميلادوف . وينتمي راسكولينكوف الى عائلة فقيرة تناضل من اجل سد حاجاتها المادية مع المحافظة على كرامتها وتلقى عناء كبيرا في الذود عن شرفها بالرغم من انهم يعيشون في عوز شديد . وتقع اخته وامه تحت تهديد رجال محتالين مثل سفيدر يجالوف ولوجين . وحيثما التفت راسكولينكوف يرى صورا من ضروب الاهانة والتحقير التى يتعرض لها الانسان الصغير والتى تترك آثارا اليمة في نفسه .

يزداد ضغط الاحداث على راسكولينكوف ويزداد ضيقه بالوضع الراهن . اذ يعرف في هذا الوقت ان شخصا غنيا يريد ان يتزوج اخته ويذلها ويهينها ، ثم يسمع بعصبية خائفة يطاردها احد الرجال في شارع كونوجفارديا للاعتداء على شرفها. ويروى له مارميلادوف قصة حياته المفجعة وحال عائلته المرير . فتترك هذه الاحداث ظلالا من الحزن والنقمة والتمرد في نفسه وتلعب دورا في اقدامه على قتل العجوز المرابية. فالدوافع التى تكمن وراء اراقة دماء المرابية ليست مجرد دوافع ذاتية محضة بل تنبع ايضا من الوضع الاجتماعى المرير ومن الآم الآخرين وتعاستهم وتنطوى على مشاعر انسانية .

بيد ان تعليل دوافع الجريمة بالعامل الاجتماعى وحده يبعدنا عن مضمون الرواية وروحها ، لان هذا العامل احد الحوافز المشجعة على قتل المرابية وهناك عوامل ذاتية وشخصية دفعت البطل الى هذا العمل . ان راسكولينكوف بطبيعته انسان مرهف المشاعر شديد التأثر ذو حساسية كبيرة ، وهو بالاضافة الى ذلك ينزع الى الانطوائية والعزلة الاجتماعية ولا يحب الاختلاط بالناس والتحدث معهم عما يعتلج في داخله من افكار ومشاعر . ولم يكن لديه اصدقاء عندما كان في الجامعة . ويزداد شعور الغربة والوحدة عنده لدرجة يتخذ فيها طابع الاشمئزاز من الاخرين وحتى اقرب الناس اليه فنسمعه يقول عن عائلته « آه كم احببت امى واختى ! فلماذا اكرههما الآن ؟ اجل اننى اكرههما كرها جسيما ولا اطيق وجودهما قربى » . وكان راسكولنيكوف يعيش في غرفة ضيقة لا يملك نقودا تمكنه من دفع اجرتها الشهرية ولذلك كان يخشى

رؤية صاحبة البيت أو الدائنين لدرجة انه عندما خرج للشارع ليذهب الى بيت المرابية ويقتلها « تعجب من الخوف الذى تملكه خشية الالتقاء بالدائنين عند الخروج الى الشارع . »

يرفض راسكولينكوف ان يكون انسانا بائسا مغمورا يتحمل المآسي والهموم بصمت وصبر كالاخرين ويسعى لاثبات ذاته وكيانه وتحقيق تفوقه على الآخرين انطلاقا من عقيدة معينة ووجهة نظر فلسفية تبيح القتل للفرد العظيم الذى يعلو بتفكيره وقـوة ارادتـه وقدرته على الآخرين . يطرح دوستويفسكى فكرة ان الافراد العظماء هم الذين يصنعون التاريخ. وهؤلاء العظماء لا يلتزمون بالقيم الاخلاقية والاعراف الاجتماعية التى تتمسك بها الجماهير ، بل يخرقونها في سبيل تحقيق اغراضهم ومآربهم . يريد بطل القصة ان يمتحن صحة فكرة الناس العظماء امثال نابليون وهل ينتمى اليهم ام انه انسان عادى مسحوق ، فهو يقول : « اقملة انا مثل الآخرين ، أم مخلوق وضيع ، أم ملـك حقا ؟ » .

ان ايمان راسكولينكوف برسالة الفرد العظيم ليست من بنات افكاره بل هى تعبير عن رسالة الفرد في المجتمعات البورجوازية الناشئة التـى حقق البعض فيها شيئا من الانتصارات كما حدث بالنسبة لنابليـون في فرنسـا . وقـد دارت مناقشات متشعبة في سنوات الستين حول هذا الموضوع ، فالجريمة واسبابها ومكانها في المجتمـع تصور روح العصر .

الفرد العظيم عليه ان يتحدى قوانين المجتمع وان لا يخضع لها.ويقول راسكولينكوف في حديث مع المحقق عن مقالة كتبها « حول الجريمة » ان اكثر العظماء في التاريخ كانوا « مصاصي دماء رهيبين .. وعليهم ان يكونوا بطبيعتهم مجرمين لدرجة معينة والا صعب عليهم الخروج من الحياة العادية.وهم يرفضون بطبيعتهم ايضا هذه الحياة وعليهم علـى ما اعتقد ان يرفضوها » . يصبو راسكولينكوف لاثبات مقدرته وقوته وتفوقه على الناس العاديين وسموه عليهم ثم يمتحن صمود افكاره فى المجال العلمى . يقول في حديث له مع صونيا « ان الحرية والسلطة بصورة رئيسية » هدفه الأول ومنطلق تحقيق مراميه واغراضه .ومن اجل الوصول للسلطة والسمو على الآخرين لا بد من الدوس على الاعراف الاخلاقية والقوانين ، فالعظماء في راى راسكولنيكوف سفاحون ومصاصو دماء . ويذكر البطل رأيه في معرض حديثه مع اخته عندما تسأله عن اراقة دم المرابية فيقول « لقد ارقت الدم الذى يريقه الجميع والذى اريق وسيراق في العالم كله كالشلال . ان الذين يسمونهم مصلحى البشرية يريقونه كما يريقون الشمبانيا عند تتويج الملوك في الكابيتول». يبرر راسكولينكوف سفك الدماء باعتباره الطريق الوحيد لتحقيق مآرب الفرد وله في التاريخ الطويل الذى عاشته البشرية امثلة كثيرة على ذلك .

ان مبدا اراقةدم الاخرين لا يمكن تبريره مهما كانت الافكار والعقائد التى تكمن وراءه ، وهو خروج عن القيم الانسانية والاخلاقية ويقود صاحبه الـى الانحدار والتدهور والاضمحلال .

ولذلك نلاحظ بعض التقارب بين راسكولينكوف وسفيد ريجالوف ، الشخصية المنحلة الفاسقة ، على الرغم من التباين الكبير في مثلهما وافكارهما. فكلاهما مصدر شر وخراب للغير ، وكلاهما بحاجة الى القيم الاخلاقية السامية . وقد لاحظ سفيد ريجالوف هذا التماثل في بعض الخصال بينـه وبين راسكولينكوف ، فهو يقول موجها حديثه للاخير « يبدو لي انه يوجد بيني وبينك شيء من الشبه » .

يعاني راسكولينكوف بعد قتل المرابية من تأنيب الضمير ومن التمزق الداخلي والحيرة والقلق . ومما يزيد في تعقيد الحالة النفسية انه لم يقتل المرابية وحدها بل اضطر الى قتل ابنتها التى لم يكن ينتظر وجودها في البيت ، وذلك لاخفاء آثار الجريمة . وهكذا فقدت الجريمة احد اركانها . فقد اراد راسكولينكوف قتل مرابية بالذات لانها تستغل الآخرين وتستنزف قواهم ، غير انه قتل انسانا بريئا ايضا .

ان راسـكولينكـوف شانـه شأن ابطال

دوستويفسكي لا يحتجون فقط على سلطة المال بل ينجذبون نحوها ويسعون لاستخدامها والافادة منها . ويندفع البطل في مجرى دفاعه عن نفسه ضد الآخرين الى الدوس عليهم والصعود على حطامهم . ان دفاع الفرد عن ذاته وانسانيته ينقلب غالبا ضد انسانية الآخرين وحريتهم .

لم تصمد نظرية الفرد العظيم للتجربة ، واخذ راسكولينكوف يعي تدريجيا عدم جدوى افكاره وعبثها . ويبرهن على انه « قملة » لا انسان عظيم . لان الوساوس والكوابيس المرعبة التي سيطرت عليه ونوبات الحمى والهذيان التي كانت تنتابه والازمات النفسية التي هزت كيانه قادته في النهاية الى الاعتراف بجريمته ، بعد أن زعزعت علاقاته بكل من يحيطون به ، وزادت من وحدته وعزلته الروحية والاجتماعية . ويتخذ الصراع بين نظرية وفلسفة البطل الحية من جهة ، وبين طبيعته الانسانية من جهة اخرى ، طابعا دراميا حادا . غير ان التوتر الشديد الذي يتملك راسكولنيكوف بعد الجريمة ينبعث من افكاره التي يريد امتحانها في الواقع الحي والتي تظل محور الرواية الى الاخير .

يهتم دوستويفسكي باظهار « ديالكتيكية » افكار البطل وصراعها المستمر . اما مشاعره فتعتريها تغيرات سريعة وتبدلات مفاجئة وانقلابات مستمرة تطحن البطل وتهزه هزا . ولذلك نرى شخصية البطل غير ثابته امامنا بل تصطبغ بالوان عاطفية وفكرية مختلفة . ونسمع رازوميخين يعلق على تغير راسكولينكوف المستمر قائلا « عرفت راديون راسكولينكوف منذ سنة ونصف متجهم الوجه متكبرا وفخورا . وفي الفترة الاخيرة ــ وربما قبل ذلك ــ رأيته يعيش تحت وطأة الاوهام المرضية السوداوية . انه كبير النفس وخيّر .. غير منقبض المزاج احيانا ، وان كان باردا متبلد الاحساس لدرجة القسوة ، تماما كما لو كان يضم شخصيتين متناقضتين تتعاقبان على الظهور . » ان التغير الذي يطرأ على البطل لا يأخذ طابع التطور الطبيعي والتغير التدريجي بعد الاحداث التي تمر في حياته ، بل ينطوي على تعاقب حالات نفسية فكرية تهز كيان البطل وتلون شخصيته بالوان مختلفة كلما ظهر امامنا .

تختلط الامور والاشياء احيانا في ذهن راسكولينكوف بحيث لايستطيع التمييز بين الحقيقة والخيال ، بين الواقع والتصور . فبعد ان يتحدث حديثا طويلا مع سفيدر يجالوف يشك في وجود مثل هذا النقاش وفي وجود محدثه نفسه فنسمعه يناجي نفسه « لقد تخيلت او تصورت هذا ، وربما يكون مجرد فانتازيا » . يعكس هذا الالتباس بين الحقيقة والخيال التوتر العاطفي والحمى الفكرية والهزات العصبية التي يعيشها البطل باستمرار لدرجة يفقد احيانا قابلية التمييز بين الاشياء .

ويبلغ الوضع النفسي المتأزم للبطل حدا يجعله يفقد السيطرة على نفسه ويشعر انه مدفوع دفعا غريزيا للاعتراف بالجريمة امام صونيا . لقد كان سابقا يقاوم هذا الشعور الغريزي ويصارعه محاولا كبته ولكنه فجأة يشعر انه اصبح مسيرا لا مخيرا في اعترافه وان هناك حتمية في الامر لا يستطيع الصمود امامها ، فكان عليه أن يفعل ما تمليه مشاعره لا فكره . « احس فجأة بضرورة الاعتراف وبعدم امكانية تأجيله لفترة قليلة . لم يعرف لماذا لا يمكنه تأجيل الاعتراف ، بيد انه شعر بذلك وقد سحقه تقريبا وعيه المؤلم بضعفه امام حتمية الامر . »

اراد دوستويفسكي تصوير حياة انسان مدقع ادمن على شرب الخمر في قصة « السكارى » ثم اصبحت هذه القصة جزءا هاما في رواية « الجريمة والعقاب » وتمثل حياة عائلة مارميلادوف . ان الاب مارميلادوف رجل سكير يقضي وقته في الحانات . وقد انجرف الى طريق السكر من شدة بؤسه وتعاسته . وهو يشرب الخمر لا بحثا عن السلوان وهروبا من الواقع بل لغرض الامعان في زيادة شقائه انه يقول « انا لا ابحث عن السرور بل عن الحزن فقط ، فانا اشرب لكي اضاعف آلامي » . ان مارميلادوف انسان محطم شقي يائس من الحياة وليس لديه بصيص امل في تغيير وضعه البائس و تخلص من العذاب الذي يرافقه طول حياته .

اما صونيا ابنةمارميلادوففانها نموذجللانسان المعذب المتالم الذى يحترق من اجل الآخرين . ولذلك يجعل منها دوستويفسكى تجسيدا للمثل الاخلاقية فهى مستعدة للتضحية ونكران الـذات لدرجة بيع جسدها وتحمل عار هذا العمل . ويخلق منها شخصية تمحى فيها الفوارق بين الخطيئة والبراءة ، بين الاثم والطهارة ، بين الفسق والشرف . وتتمثل في تصرفات صونيا الاخـلاق المسيحية الحقيقية ، فهى للصفح والتسامح مع المسيئين لها والاستسلام للوضع المهين الذى تعيش فيه دون التفكير بالتمرد عليه والبحث عن طريق الخلاص منه. فالتعليمات المسيحية تجد لها تعبيرا في تفكير صونيا وسلوكها .

وتبدو لنا ماساة صونيا منذ اللحظة الاولى التى تظهر في الرواية .. اذ نراها في ساعة وفاة والدها مارميلادوف خارجة في ملابس هفهافة ساطعةالالوان تتنافى مع حدث الموت . وتتجسد في هذا التناقض الصارخ بين مظهر صونيا الخارجي وجو الموت المخيم على الغرفة حياتها التراجيدية المفجعة . يقول الكاتب « توقفت صونيا عند عتبة البـاب لا تتخطاها ونظرت كالتائهة كانها لا تعى شيئا ونسيت ان ثوبها الحريرى المورد الذى ابتاعته عتيق لا يليق بالوضع الراهن . لقد سد الباب طرفه الخلفى الطويل المضحك وشكله الواسع . وقد نسيت كذلك الحذاء الملون وقبعة القش المدورة ذات الريشة الحمراء الفاقعة . وبدا من تحت القبعة التى وضعتها جانبيا على راسها مثل الاطفال وجهها النحيل الشاحب الخائف وفمها المفتوح وعيناها الجاحظتان من الرعب . »

ان وضع صونيا المأساوى وحياتها القاسيةتجد بعض الشبه لها في راسكولينكوف وتصرفاته . ان ضغط الانطباعات التى ولدتها حالة عائلته البائسة، ووضع عائلة مارميلادوفـهي منجملة العوامل التى قادت راسكولينكوف الى الجريمة . اى ان حافز انقاذ اهله زاد في تصميمه على القتل رغم ضموره بعد وقوع الجريمة . تتقدم صونيا على احتراف البغاء من اجل ان لا تهلك عائلتها جوعا ، ولكى توفر لها اسباب الحد الادنى من العيش . وعلى الرغم من التشابه فانالدافع الرئيسي ليس واحدا في كلتا الحالتين . ان راسكولينكوف يقتل ليثبت اولا وقبل كل شيء تفوقه على الاخرين واستعلاءه عليهم ، اما صونيا فتصبح مومسا انطلاقا من نكران الذات المحض في سبيل الاخرين .

ان الـــروح الفرديـــــة التي ينطلق منهـــا راسكولينكوف ، والتعليمات المسيحية التي تؤمن بها صونيا ، لا يكتبلهما الظفر او النصر في النهاية بل ان الحب الذىيربطهما هو الذىيعلو وينتصر . يقول الكاتب في خاتمة الرواية « لقد بَعثا ـ اى صـونيا وراسـكولينكوف ـ بالحب . ان قلب احدهما ينطوى على ينابيع متدفقة حياة وشوقا للقلب الاخر » .

يمثل سفيدريجالوف الملاكين الذين يحيون حياة طفيلية . وينحصر اهتمامه بالنساء فهو يوقع بهن ويقسو عليهن . وقد كان مصدرا لكثير من الكوارث التي نزلت بهن . فقد تسبب في موت زوجته واعتدى على شرف صبية مسكينة انتحرت على اثر ذلـــك . بيد ان دوستويفسكي لا يصـــور سفيدريجالوف كانســان سيىء فقط . فهـو ليس متبلد الاحساسيس بل لديه المقدرة التامة على المعاناة والتجاوب مع مشاعر الآخرين رغم انه يتسم باللامبالاة والفقر الروحي في الوقت نفسه . فلديه ميول نحو الخير والشر . ويضفي الكاتب عليه شيئا من المظهر الجذاب ومن كرم النفس . وتعكس صورة سفيدريجالوف الصـفات المتباينة التي تنطوى عليها شخصيته . فهو جميل الهيئة ومخيف في الوقت ذاته . « ان وجههلغريب ويشبه القناع . فهو ابيض احمر ذو شفاه قرمزية ولحية شقراء وشعر كثيف وعيون غامقة الزرقة ونظرة ثقيلة وجامدة . وهناك شيء مرعب وقبيح في هذا الوجه الجميل الفتي » .

يتصف سفيدريجالوف بقابلية كبيرة علىالحدس وفهم الناس ومعرفة دفائن نفوسهم . وقد تكون علاقاته الواســعة مع افراد متباينين من شتى الطبقات والفئات الاجتماعية سببا في ذلك . فهو

يفهم طبائع وافكار مختلف ابطال الرواية . اذ يحس الجريمة التى يرتكبها راسكولينكوف ويعرف الدوافع النظرية التي تكمن وراءها والتي تقوم عليها . فنسمعه يقول « هناك نظرية خاصة تقسم الناس الى عوام ، وخاصة متميزة يبيح لها وضعها السامي أن لا تعترف بالقانون وان تسن القوانين للعوام القذرين ! » .

يقود الصراع الذى يعانيه سفيدريجالوف والذى يتمثل في حبه للحياة التي يحياها وفي اشمئزازه من نفسه التي يدرك ضحالتها وسطحيتها الى انهاء حياته بيده شنقا .

يتسم المحقق بافيرى بتروفيتش بقوة الحدس واليقظة والحساسية . فهو يتتبع خيوط الجريمة ويمسك بتلابيبها بدهاء وذكاء فريدين . فهو لا يدرك ان راسكولينكوف هو القاتل فحسب بل يبدى فهما عميقا لمشاعره ونزعاته وآرائه الفلسفية. وقد اطلع على آراء راسكولينكوف في مقال له «حول الجريمة » . استطاع بافيرى بتروفيتش تحليل طبيعة راسكولينكوف ومعرفة شمائله وخصاله . ولم ير فيه قاتلا عاديا ، بل تمكن من الاحاطة بمختلف الملابسات والدوافع والاحداث التى دفعته الى القتل . وهو يقول لراسكولينكوف « ان مقالتك خيالية وغير معقولة ، بيد أنه يومض فيها الاخلاص وكبرياء الشباب وشجاعة يائسة ، انها قاتمة وجيدة » . لا يلقى بافيرى بتروفيتش القبض على راسكولينكوف حالا بعد ارتكاب الجريمة مع تأكده من اقترافه لها ، بل يستعمل معه اسلوبا نفسيا حذقا ، ويوجه له اسئلة محرجة ويناقشه في مختلف آرائه وأفكاره . ويكشف عن الصراع النفسي العنيف الذى يعانيه البطل . ان طريقة الاستجواب الذكية التي اتبعها بافيرى بتروفيتش تجعل راسكولينكوف نفسه يعترف بجريمته .

يتحرك ابطال دوستويفسكي في جو غامض مبهم . ان كل شخصية في الرواية تشكل لغزا يستعصي فهمه بوضوح وجلاء بالنسبة لبقية الأبطال . وتصدر عن الأبطال تصرفات غريبة وغير متوقعة . فمثلا ينتحر سفيدريجالوف في النهاية في الوقت الذى لا يقود مجرى تفكيره ونظرته للحياة وسلوكه المشين الى مثل هذه الخاتمة . وبالاضافة الى ذلك يخصص كمية من المال الى كل من راسكولينكوف ودونا وغيرهما من الأشخاص الذين لا يتفق معهم في المثل والاخلاق . ويكمن سر الابهام في ابطال دوستويفسكي في الانعزال والحياة الفردية الانطوائية التي يحيونها،فالبطل يعيش حياته الداخلية الخاصة التي تبقى خفية أو غير ظاهرة في تصرفاته اليومية وسلوكه المرئي ، ولكنها تطفو احيانا الى الخارج وتفصح عن نفسها في اعترافاته ومونولوجاته الداخلية .

ان كل بطل من ابطال روايات دوستويفسكي له طريقته الخاصة في التفكير والعيش والسلوك مستقلة تماما عن آراء الكاتب وفلسفته . وقد اشار الناقد الروسي م.م باختين الى ان دوستويفسكي قد خلق نوعا جديدا من الرواية وهي الرواية المتعددة الاصوات . فدوستويفسكي لا يعبر عن افكاره عبر بطل معين من الأبطال كما يفعل تولستوى مثلا ولا يفرض آراءه عليهم بل يفسح امامهم المجال للتعبير الحر عن ذواتهم وافكارهم . ولذلك تتطور كل شخصية روائية تطورا مستقلا وتنمو نموا داخليا طبيعيا نابعا عن طبيعتها الخاصة دون أن يقحم الكاتب نفسه عليها . ان ابطال روايات دوستويفسكي يشبهون فرقة في الاوبرا . وكل مغن في الاوبرا يغني اغنية خاصة تختلف عن اغنية الآخرين . غير أن جميع هذه الاغاني تصل الينا في نغم واحد متناسق ومنسجم . كذلك يحدث في روايات دوستويفسكي اذ تتلاقى اصوات الأبطال المتباينة في جوقة واحدة متناسقة . ■■

حياة شرارة

كلية الآداب ــ جامعة بغداد



الطوب عند قدماء المصريين

■ قد لا يخطر ببال ان لفظ طوبة ، وجمعها طوب ، منقول عن اللغة المصرية القديمة . فذلك ما تؤكده معاجم اللغة العربية ، وذلك ما يدل عليه الشبه الكبير ، بل التطابق بين اللفظ المذكور (طوبة) وبين اللفظ الفرعوني Dobe . ولو علمنا أن اللفظين لهما معنى واحد ، هو الآجر ، او الطين الذى يشكل ، ويجفف ، ويبنى به ، لما بقي لدينا شك أن لفظ طوبة فى العربية منقول عن الأصل الفرعوني .

وقد لا يخطر ببال ايضا ان الامام الشافعى (٧٦٧ - ٨٢٠ ميلادية) هو الذى نقل اللفظ المصرى القديم الى لغة الضاد . فقد كان اول من استعمل لفظ طوبة في اللغة العربية كما يقول بذلك معجم لسان العرب .

وجدير بالذكر ان لفظ Abode في اللغة الانجليزية ولفظ Adoba في الاسبانية ، يدلان على نفس المعنى الذى يحمله اللفظ الفرعونى Dobe .

وتدل هذه المقابلات اللغوية ، ان هي دلت على شيء ، تدل على ان قدماء المصريين قد سبقوا غيرهم الى صناعة الطوب، وان العرب والاوروبيين الذين نقلوا عن الفراعنة الالفاظ اللغوية المستعملة في تلك الصناعة قد نقلوا عنهم ايضا ، وفى الغالب، تلك الصناعة نفسها .

الطوب عند الفراعنة

واللوحة التى تراها على الصفحة الثانية في هذا العدد تبين لك ما كانت عليه صناعة الطوب عند الفراعنة في عهد الأسرتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة ، اى (سنة ١٥٠٠ - ١٢٠٠ قبل الميلاد) . ولعلها تبين لك ايضا ان صناعة الطوب، كما نعرفها في الوقت الحاضر ، لا تختلف عما كانت عليه في مصر قبل اكثر من ٣٠٠٠ سنة .

فالقوالب الخشبية التي تستعملها هذه الصناعة حاليا هي نفسها التى كانت تستعملها في ذلك الماضي البعيد . ومثل ذلك يقال في الطريقة التى يضغط الطوب بها ويجفف ، وكذلك في الخامة او المادة الاولية التى يصنع الطوب منها .

فقد وجد قدامى المصريين، منذ ان عرفوا صناعة الطوب قبل حوالى ٦٠٠٠ عام ، ان في طمي النيل الخامة المثالية لتلك الصناعة . ودرجوا منذ القدم على مزج الطمي بالرمل والقش ثم عجنه بعد ذلك بالماء .

ويتساءل المرء بعد ذلك عن مادة البناء الاولى عند قدماء المصريين، اكانت الطوب ام الحجارة.. ؟ وقد يجد البعض في الأهرامات الدليل على ان الحجارة كانت هي تلك المادة الاولى .

بناء المساكن والمعابد والقلاع

والحقيقة خلاف ذلك ، فقد كان الطوب هو مادة البناء الرئيسية فى مصر القديمة . اذ استعمل الفراعنة الطوب في بناء المساكن واكثر المعابد والأسوار والقلاع والمخازن وجدران الهياكل . اما الحجارة فقد قصروا استعمالها على المقابر وبعض المعابد .

أضف الى ذلك كله ان قدماء المصريين لم يبدأوا في استعمال الحجارة لاغراض البناء الا في وقت متاخر ، بعد مباشرتهم استخدام الطوب لتلك الاغراض بنحو الف عام .

وجدير بالذكر أن اتقان البناء بالطوب ليس بالأمر اليسير . فهو يتطلب خبرة طويلة ومهارة فائقة ولقد توفرت هذه وتلك لقدماء المصريين كما تدل على ذلك آثار الجدران والأسوار السميكة فضلا عن السدود التى كثيرا ما بنوها ، بالطوب ، والتى بلغ سمكها احيانا اكثر من ٢٥ مترا .

ويرى اهل الخبرة في اتقان البناء بالطوب هذا مجدا آخر من امجاد مصر القديمة ، قد لا يقل شانا عن سائر امجادهم العمرانية الاخرى .

يوسف زعبلاوى ■■

أنباء الطب والعلم والاختراع



دليل جديد على صلة التدخين بالسرطان

● دليل جديد قدمه الاطباء ـ اخيرا ـ على وجود صلة بين التدخين والاصابة بسرطان الرئة .

احضروا ٨٦ كلبا ، وعلموها التدخين . وبعد مرور ٣٠ شهرا وجدوا ان ١٤ من الكلاب ـ اى نسبة ١٧٪ ـ اصيبت بسرطان الرئة .

واستخلص الاطباء الذين قاموا بهذه التجربة ـ وهم الدكتور سيلرهاموند (S.Hammond) ، والدكتور اوسكار اورباش (O.Auerbach) ـ عدة نتائج هامة منها :

■ السجائر المزودة بمرشح (Filtre) التى دخنتها الكلاب ، قللت من النيكوتين الذى يدخل الرئة بنسبة ٣٧٪ . ورغم ان هذه النسبة قليلة الا انها سببت هذا التفاوت الكبير بين سرعة اصابة اغشية الرئة لدى الكلاب التى تدخن بدون فلتر ، وبين التى تدخن بالفلتر .

■ نسبة الوفيات بين الكلاب التى تدخن كانت أعلى من نسبتها بين الكلاب التى احتفظ بها فى نفس الوقت ونفس المكان ، ولم تتعلم التدخين .

كما ينوى الطبيبان اجراء الفحوص على الكلاب ، لمعرفة تاثير التدخين على اعضاء اخرى من الجسم ، مثل المخ والمثانة .

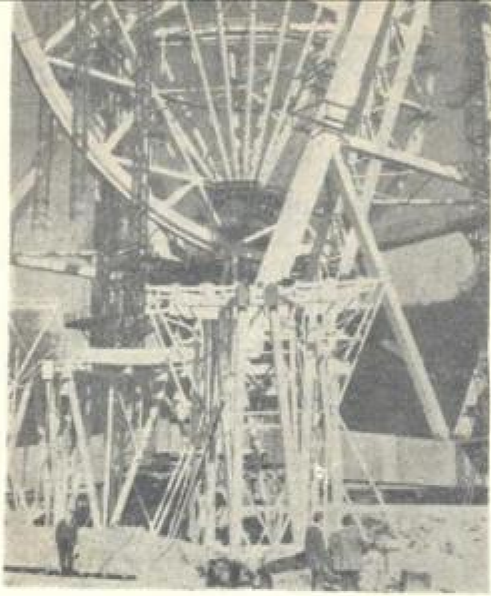
الطريف ان الكلاب تعودت على التدخين بعد فترة قصيرة . ومن بينها كلاب دخنت ـ خلال التجربة ـ ما يقرب من ٦ آلاف سيجارة .

الحرب البيولوجية

● الحرب البيولوجية Biological Warfare تستخدم فيها المكروبات الحية للفتك بالانسان والحيوان والنبات . وقصة تلك الأسلحة لها بداية ترجع للسنوات الثلاثينيات من هذا القرن : ـ

■ **فقد بدات اليابان تجاربها عليها منذ سنة ١٩٣٥ وحتى قبيل نهاية الحرب العالمية الثانية . وقد توصلت تلك التجارب لانتاج اول قنبلة بيولوجية يمكن حملها بالطائرة وقذفها لتملأ الجو بالاحياء الدقيقة التى تسبب الامراض . وكانت تلك القنبلة تزن ٢٥ كيلوجراما ، ومغلفة بغلاف من الخزف الصينى القابل للكسر وبداخلها السائل الذى يحتوى على تلك الكائنات .**

■ **واستطاع علماؤهم تحضير قنابل بيولوجية تحتوى على مكروبات تسبب امراض التيفود والكلرة والطاعون ، بجانب الامراض الاخرى التى تصيب الحيوانات مثل مرض الرعام Glanders**



اضخم تلسكوب لاسلكي تصنعه المانيا

● فى سنة ١٩٧١ ينتهي العمل لانشاء اضخم تلسكوب لاسلكى فى العالم ، ويقام فى افلسبرج (Effelsberg) على بعد ٤٠ كيلومترا من مدينة بون بالمانيا الغربية .

سيتكلف المشروع نحو ٤٠ مليون مارك ، تشترك فى دفعها وزارة البحث العلمى فى حكومة المانيا الاتحادية ، مع شركة السيارات المعروفة فولكس فاجن .

وسيبلغ قطر القرص نحو ١٠٠ متر ، اى يزيد بمقدار الثلث على قطر تلسكوب جودريل بانك « مارك (١) » البريطاني الشهير . وان كان هناك مشروع لاقامة تلسكوب جديد أطلق عليه « مارك (٥) » تابع لجودريل بانك ، ويبلغ قطره نحو ١٢٠ مترا .

وتلسكوب افلسبرج الألمانى سيكون أكثر دقة من « مارك (١) » ، وقد صمم بحيث تكون له كفاية كبيرة .

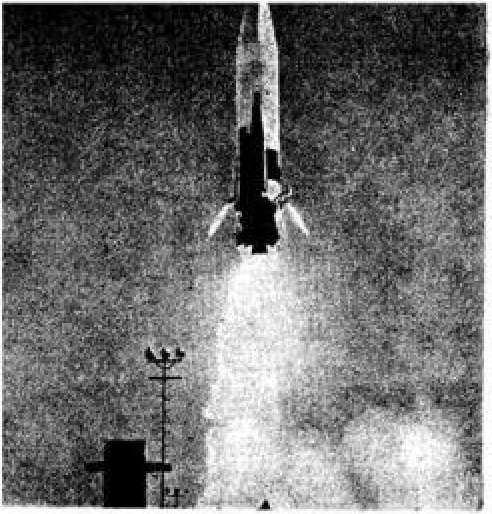
ما كان منها وما ينتظر

ومرض الجمرة Anthrax الذى يصيب الماشية والانسان .

■ وكانت المشكلة الكبيرة التى تواجه العلماء هى كيفية الابقاء على حياة تلك المكروبات لاكثر من ٣ اشهر . فقد كانت الامكانات العلمية التى تضمن المحافظة على حيوية تلك الكائنات الدقيقة ، محدودة للغاية في هذا الزمان . وعندما انتهت الحرب العالمية الثانية بهزيمة المانيا وبالتالي هزيمة اليابان ، توقفت فيها كل تلك التجارب .

■ ولم تكن اليابان وحدها الباحثة عن الاسلحة البيولوجية . فقد شاركتها المانيا في هذه التجارب . وبعد نهاية الحرب ذهب العلماء الالمان الى الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ، وهناك واصلوا التجارب على انتاج تلك الاسلحة بتشجيع من الدولتين . وقد نشطت التجارب فى امريكا ابتداء من سنة ١٩٥٠ . فاختيرت منطقة نائية مساحتها عشرات الاميال المربعة ثم حلقت فوقها طائرة قامت برش ٥٠٠ لتر من الكائنات الحية التى لا تسبب مرضا . وكانت النتيجة أن الرياح ساعدت على انتشار تلك الكائنات لتغطى منطقة تتراوح مساحتها بين ٣٠ و ٥٠٠ ميلا مربعا .

■ وما زالت التجارب مستمرة على انتاج هذه الأسلحة الخطرة ، في مختلف الدول . فالى الآن لم تتفق جميع الدول على تحريم هذه التجارب رغم خطورتها . على أن الأمل ضعيف في استخدامها مستقبلا ، وذلك لأن العلماء يرون أن الدولة التى تبدأ بهذا السلاح ستجد الرد حاضرا من الدول الاخرى . فالذى يمنع من الحرب البيولوجية هو نفس الذى يمنع من الحرب النووية . وعدا هذا فالمرض الذى تنشره هذه الأسلحة البيولوجية والذى يصيب دولة ، ليس فيه الضمان بأن لا يخرج عن هذه الدولة الى دول اخرى قد تكون من بينها الدولة البادئة بالعدوان .



الصواريخ أضداد الصواريخ العابرة للقارات

● اكثر الاسلحة النووية خطورة هي الصواريخ الذرية عابرة القارات .. لذلك اهتمت بصناعتها روسيا ، حتى أصبح لديها الآن مايقرب من ١٢٠٠ من تلك الصواريخ . الولايات المتحدة تنبهت الى خطورة هذا السلاح البعيد المدى ، وكانت تهتم أساسا بالصواريخ المتوسطة المدى من طراز « بولاريس » ، ويقال ان انتاج امريكا من الصواريخ عابرة القارات قد أوشك ان يلحق بعدد صواريخ روسيا . فقد حدد معهد الدراسات الاستراتيجية البريطانى العدد فقال ان الولايات المتحدة تمتلك اليوم ما يقرب من ١١٠٠ من تلك الصواريخ .

ولأن الصواريخ عابرة القارات متوفرة حاليا لدى الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة ، فقد بدأ التخطيط فورا لانتاج وسائل دفاعية ضد هذه الصواريخ الهجومية . اى التوصل الى صواريخ مضادة للصواريخ وهى التى يرمز اليها بحروف : A.B.M (أنتى ـ باليستيك ميسيل) .

وهذه الصواريخ الدفاعية يمكن تعريفها بانها :

■ بسرعتها الفائقة تندفع الى السماء . ويتولى جهاز الرادار الذى يحمله الصاروخ الدفاعي مهمة توجيه الصاروخ الى خط سير الصاروخ الهجومى القادم من القارة الاخرى . ويعترضه وينفجرا معا فى السماء وتنجو البلاد من الدمار .

■ والصواريخ المضادة للصواريخ مختلفة الأنواع ومتعددة الاستخدامات . فهناك صواريخ ضخمة مخصصة لطبقات الجو العليا . فعلى ارتفاع مئات الكيلومترات تستطيع تلك الصواريخ اعتراض الصواريخ المهاجمة وتنفجر معها قبل دخولها المجال الجوى . وهناك صواريخ مضادة اخرى اقل ارتفاعا ـ عشرات قليلة من الكيلومترات ـ ومعدة لاعتراض الصواريخ الهجومية فور اختراقها المجال الجوى فى طريقها الى أهدافها المحددة .

لاهمية هذه الصواريخ الدفاعية قام الاتحاد السوفيتي باحاطة موسكو بشبكة من قواعد اطلاق الصواريخ المضادة للصواريخ . وهى مادفع الخبراء فى الولايات المتحدة الى تصميم السلاح الجبار الجديد الذى يرمز اليه بحروف (Mirv) .

Multiple Independant Reentry Vehicle

وسلاح « ميرف » المنتظر يتميز باجهزة تمكنه من التشويش على أجهزة الرادار الخاصة بشبكة الصواريخ المضادة للصواريخ . اى ان صاروخ « ميرف » يمكنه أن يهرب من الصواريخ المضادة التى انطلقت لاعتراض طريقه وتفجيره فى الجو .

والعادة ان الصواريخ عابرة القارات تحمل رأسا نوويا واحدا ، تختلف قوة تدميره من صاروخ الى آخر . أما صواريخ « ميرف » فانها تتميز بان

الصاروخ الواحد منها يحمل من ٤ الى ٥ رءوس نووية فى وقت واحد . واهمية تعدد هذه الرؤوس ان كل راس يعمل منفصلا بذاته . فعند دخول الصاروخ الى المجال الجوى لمنطقة الهدف سينطلق كل راس نووى نحو هدفه المحدد ، والذى يبعد كثيرا عن اهداف باقى الرؤوس الاخرى . فبهذه الطريقة يتمكن « ميرف » من خداع الصواريخ المضادة التى انطلقت لتدميره . فاذا استطاعت تلك الصواريخ الدفاعية ان تعترض راسا نوويا وتدمره فى الجو ، فهناك اكثر من فرصة لهروب باقى الرؤوس ومواصلة خط سيرها حتى اهدافها مباشرة .

كما ان سلاح « ميرف » يحقق اكثر الاهداف باقل ضجة ممكنة . فالصاروخ عابر القارات العادى يمكنه ان يدمر مدينة واحدة كهدف واحد . اما صاروخ ميرف المنتظر ، فانه يستطيع ـ بتعدد رؤوسه النووية ـ ان يدمر اكثر من مدينة تمثل اكثر من هدف .

أضخم محطة كهرباء تحت الارض

● يجرى فى منطقة لابرادور ـ بكندا ـ بناء أضخم محطة كهرباء فى العالم . ستستمد المحطة طاقتها من مياه شلالات تشرشل ، التى تقاس درجة تدفقها بحوالي ١٢٠٠ متر مكعب فى الثانية .

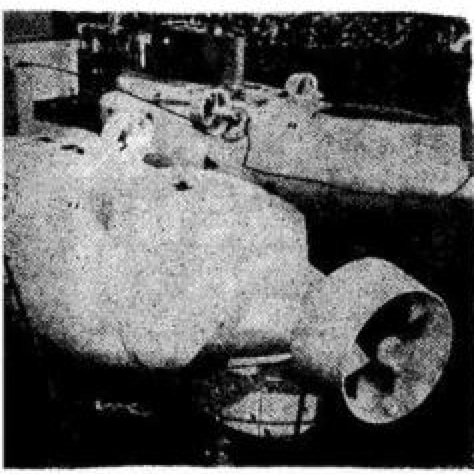
وشلالات تشرشل ارتفاعها ٨٢ مترا والمعروف ان شلالات نياجرا الشهيرة ، يبلغ ارتفاعها ٦٠ مترا فقط .

ومحطة الكهرباء الجديدة ينتظر ان تبلغ قوتها ٥ مليون و٢٢٥ ألف كيلووات .

وستبنى على عمق ٣٣٠ مترا تحت الارض ، وبارتفاع يصل الى ٥٠ مترا ، وتزود بأحد عشر توربينا .

يتكلف المشروع ٥ مليار فرنك ويعمل فيه ٤٥٠٠ عامل . وينتهى العمل فى المحطة فى اول مايو ١٩٧٢ .

تجارب في أعماق البحار



● صممت البحرية الامريكية سفينة اعماق صغيرة الحجم ، يبلغ طولها ٨ امتار ، ويمكنها أن تغوص حتى عمق ١٦٠٠ متر ، وتسير بسرعة ٢٫٥ عقدة ، وبحمولة ١٩ طنا ، ومزودة بجميع الاجهزة اللازمة لدراسة وتسجيل مايجرى فى هذه الاعماق البعيدة حتى يمكن تصميم سفن اعماق وغواصات كبيرة ، تستطيع الغوص حتى هذا العمق الكبير مستقبلا ، وهي صممت خاصة لدراسة التغييرات التي تحدث على الاعماق البعيدة وتاثيرها على قوة الدفع والتوازن ووسائل الاتصال والاجهزة الالكترونية التى تحتويها الغواصات المنشودة .

بقى أن تعرف ان سفينة التجارب هذه يتكون طاقمها من رجلين فقط !

مُحَمَّد الشُّرَيْقي

١٨٩٥ ـ ١٩٧٠

رائِدٌ مِنْ رُوَّاد القَضِيَّة العَرَبِيَّة

بقلم : البدوى الملثم

■ لا بدَّ للباحث المتعمق فى مراحل القضية وأدوارها أن يقف أمام صفحات نيّرة تمطرها أسماء زكية لنفر من الشبان العرب الذين انتضوا أقلامهم ، وحاربوا صنما جاثما على ضفاف البوسفور ، يعبد جهرا ، ويلعن سرا . وفى فمه الحياة والموت ، وحملوا أرواحهم رخيصة على أكفهم ، ورفعوا مشاعل الوطنية ، ونادوا بانصاف امتهم ، ودفع عوادى الظلم والجور عنها !

ومن الأسماء الفواحة الشذى «المعطرة الأرج» فى تاريخنا السياسي المعاصر المحفورة على لوحات التضحية والفداء: الدكتور عبد الرحمن شهبندر، سعيد حيدر ، حسن الحكيم ، يوسف العظمة ، عادل العظمة ، ابراهيم هنانو ، فؤاد سليم ، احمد مريود ، عادل نكد ، سعيد عمون ، يوسف ياسين ، الدكتور احمد قدرى ، الأمير عادل ارسلان ، الدكتور صالح قنباز، صبحى الخضراء، واخوان هذا الطراز .

والمؤرخ المنصف سيقف امام اسماء اعلام فى الوطنية والبذل والجهاد ، عمّر الايمان قلوبهم ، وطهرت العقيدة نفوسهم ، وفى طليعتهم محمد الشريقى الذى تميّز منذ فجر شبابه بصفات بارزة اربع ، تمكنت من نفسه ، وظلت ديدنه فى كفاحه المتواصل ، ودستوره فى جهاده المضنى ، وتلك الصفات هى :

١ ـ صفة العربى الواعى .

٢ ـ صفة المسلم المؤمن بربّه ، الفخور بنبيه ، المعتز بكتابه .

٣ ـ صفة الخطيب الموهوب .

٤ ـ صفة الأديب الاصيل فى شعره ونثره .



وُلد محمد الشريقي في مدينة اللاذقية بسورية سنة ١٨٩٥ ، وتلقى علومه في مسقط رأسه ، وفي سلطاني بيروت فمعهد عينطورة (بلبنان) فمكتب عنبر فالكلية العلمية بدمشق فالجامعة المصرية بالقاهرة (١٩١٣ ـ ١٤) في أول نشأتها ، وهناك تلقى محاضرات في تاريخ الأمم الاسلامية على الشيخ محمد الخضري ، ومحاضرات في تاريخ الآداب العربية على الشيخ محمد المهدي وعلى الأستاذين احمد عاصم واسماعيل رافت ، ومن زملائه في الجامعة المصرية ، عهد ذاك ، « معرّي القاهرة » الدكتور طه حسين .

وبعد الفراغ من سماع المحاضرات كان الشريقي يتردّد على دروس السيد رشيد رضا (١) والدكتور محمد توفيق صدقي (٢) في (دار الدعوة والارشاد) ومن رفاقه فيها سماحة الحاج محمد أمين الحسيني والسيد يوسف ياسين والشيخ صبحي الطويل (وكلاهما من اللاذقية) .

وفي القاهرة انتسب الشريقي الى جمعية سرية اسمها (الجامعة العربية) .

وكان من أعضائها البارزين السيد رشيد رضا ورفيق العظم (٣) والشيخ عبدالحميد الزهراوي . (٤)

ومن أرض الكنانة عاد الشريقي الشاب المجاهد الى بيت المقدس فنابلس فدمشق فطرابلس فاللاذقية يصحبه يوسف ياسين . وفي بيت المقدس

---

(١) (١٨٦٥ ـ ١٩٣٥) رجل وطنية ودين ، ولد في القلمون (بسورية) ، هاجر الى مصر ، وتتلمذ على الشيخ محمد عبده ، وكان من المجددين ، عمل في الحركة العربية وترأس (المؤتمر السوري) بدمشق ١٩٢٠ وانشأ في مصر مجلة (المنار)(١٣١٤ ـ ١٣٥٤ هـ) ترك مؤلفات أهمها : تفسير القرآن (المعروف بتفسير المنار) ، تاريخ الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده ، نداء للجنس اللطيف ، حقوق النساء في الاسلام ، الوحي المحمدي ، الوحدة الاسلامية ، الخلافة أو الامامة العظمى ، الوهابيون والحجاز ، السنة والشيعة ، المسلمون والقبط ، رسالة في الصلب والفداء .

(٢) (١٨٨١ ـ ١٩٢٠) طبيب مصري ، من العلماء الباحثين في الاصلاح الاسلامي ، ولع بالابحاث الدينية وتطبيقها على العلوم العصرية ، فنشر مقالات في المجلات والجرائد الراقية كالمنار والمؤيد واللواء والشعب والعلم بالقاهرة .

(٣) (١٨٦٧ ـ ١٩٢٥) عالم باحث من رجال النهضة الفكرية في سورية . ولد في دمشق واقبل على كتب التاريخ والادب ، وزار مصر في صباه واشترك في كثير من الاعمال والجمعيات الاسلامية والسياسية والعلمية ، ونشر بحوثا قيمة في كبريات الصحف والمجلات ، ومن أبرز مؤلفاته (أشهر مشاهير الاسلام في الحرب والسياسة) في اربعة اجزاء .

(٤) (١٨٥٥ ـ ١٩١٦) من زعماء النهضة السياسية في سورية وأحد شهداء العرب في ديوان عاليه . ولد بحمص وناهض السياسة الحميدية قبل الدستور العثماني فأصدر جريدة (المنير) كان يطبعها على الجلاتين ويوزعها سرا ، وسافر الى الآستانة فساعد في انشاء جريدة (معلومات) التركية فنفته السلطة الى دمشق فاقام يكتب الى جريدة المقطم فارسله ناظم (باشا) والي دمشق مخفورا الى الآستانة .

قاما بالدعوة للانضمام الى (الجامعة العربية) وحلا ضيفين على الشيخ كامل الحسيني مفتي القدس انذاك ، وفي المدن التي زاراها وُفقا الى تاسيس فروع لجمعية (الجامعة العربية) وبعد فترة قصيرة أعلنت الحرب الكبرى فلم يتمكنا من العودة الى القاهرة بل ظلاّ في اللاذقية .

وفي مطلع الحرب الكبرى وتولى جمال السفاح قيادة الجيش الرابع جاء الشريقي الى دمشق انجازا لغرضين هما :

الاول : سياسي خفي ، هو المساهمة في توحيد تيارات الحركة العربية .

الثاني : صوري ، هو مطالبة سلطات الجيش العثماني باستحقاقات والده المرحوم يوسف الشريقي وشركائه .

وفي دمشق فقد استطاع هذا الوطني المؤمن ان يوحّد حركة (الجامعة العربية) مع (العربية الفتاة) (١) التي نقلت مركز نشاطها من بيروت الى دمشق ، وبهذا الاعتبار أصبح الشريقي مؤسسا في (العربية الفتاة) .

وبعد مدة وجيزة حدثت فتنة جمال السفاح ، فبينا كان التفكير متجهانحو توحيد تيارات الحركة العربية لمصلحة الدولة العثمانية والامة العربية معا ، كان تفكير الاتحاديين منصبا على تصفية الحركة العربية !

وفي عام ١٩١٥ مرّ بدمشق في طريقه الى الآستانة الشريف فيصل نجل شريف مكة الحسين بن علي ، وحلّ ضيفا على عطا (باشا) البكري ، والد المرحوم نسيب البكري ، وفي منزل آل البكري تمّت اتصالات (العربية الفتاة) بالشريف فيصل وانضمّ الى عضويتها .

وبعد فترة وجيزة بدأ جمال السفاح يتذكر رجالات العرب العاملين في حركة التحرّر ، المقيمين في سورية ، فجرت بعد ذلك محاكمات عالية ، وسيق محمد الشريقي ورفيقه نجيب بليق (من بيروت أصلا) . وفي ليلة وصولهما الى سجن عاليه كانت القافلة الاولى من شهداء العرب قد اتخذت العدة لاعدامها ، وهي مؤلفة من الشهيد عبد الكريم الخليل وصحبه الاحد عشر .

شرع المجلس العرفي العسكري ، برئاسة القائم مقام العسكري فخر الدين (بك) في محاكمة الشريقي فحكم عليه بالاعدام ، وخفف الحكم الى اثنتي عشرة سنة وذلك لصغر سنّه ونقل مع رعيل من اخوانه السجناء السياسيين العرب الى قلعة دمشق وظلوا فيها ثلاث سنوات .

وبعد تنفيذ حكم الاعدام بالقافلة الاولى ، نُفّذ حكم الاعدام بالقافلة الثانية وقوامها : سليم الجزائري ، امين الحافظ ، شفيق المؤيد ، الأمير عمر الجزائري ، السيد عبد الحميد الزهراوي ، عبد الغني العريسي ، عبد الوهاب الانكليزي ، شكري العسلي ، رشدي الشمعة .

وبعد ان سُحب جمال السفاح من قيادة الجيش الرابع ، تحت ضغط الالمان ، وتعيين جمال (باشا) الصغير (من مرسين اصلاً) خلفا له ، صدر عفو عن الشريقي ورفاقه السجناء السياسيين ومنهم الشيخ سعيد الكرمي والأمير طاهر الجزائري ،فلم

---

(١) أعظم الجمعيات العربية السرية شأنا التي نشأت بعد اعلان الدستور ، أسّسها في باريس ثلاثة من الطلاب العرب بعد اتمامهم الدراسة في الآستانة وهم : الدكتور أحمد المحمصاني وعبد الغني العريسي وجميل مردم ، وقد ارادوا أن تكون للعرب بمثابة (جمعية الاتحاد والترقي) وكان من خططها الداخلية أن لا يعرف الداخل فيها سوى الذي ادخله ، وشعارها عند بدء تكوينها العمل للنهوض بالامة العربية الى مصاف الأمم الحيّة .

وبعد عودة مؤسسيها الى بلادهم سنة ١٩١٢انتقل مركز هذه الجمعية الى سورية ، واتخذت بيروت مقرا رئيسيا لها ، وتولى الدكتور احمدقدري ادارة فروعها في دمشق فاتسع نطاقها وكثر عدد المنتمين اليها . ومن الذين انضموا اليها ،بعد انتقالها الى دمشق وقبل اعلان الحرب الكبرى : نسيب البكري ، الامير عارف الشهابي ،توفيق الناطور ، محمد الشريقي ، عمر حمد ، توفيق البساط ، رفيق رزق سلوم ، سيف الدين الخطيب ، صالح حيدر ، ابراهيم حيدر ، الشيخ كامل القصّاب . ودخل فيها ، بعد اعلان الحرب الكبرى : فيصل بن الحسين ، علي رضا الركابي ، ياسين الهاشمي وغيرهم .

يسعه ، وهو العربي الأصيل الذاكر للجميل ، الا ان يشكر والي سورية عهد ذاك تحسين (بك) على العفو الصادر بحق السجناء الموجودين في قطاع الجيش الرابع ، واعادة الأسر العربية التي اقصيت الى مجاهل الاناضول ، رجالا ونساء واطفالا ، حبا بتتريكهم ، فخاطبه بقصيدة كان مطلعها :

قفْ بالرابع واستمع انشادي
فالشعر قد يروي غليل الصادي

الى أن يقول :

كم من فتاة في الربوع ومطفلٍ
لبست من الباساء ثوبَ حدادِ
شربتْ كؤوس البؤسِ بعد نعيمها
صرفا بمحض سعاية الأوغادِ
لما قدمتَ الشام صينَ حجابها
وانجابَ عنها كلُّ ليلِ فسادِ
تلك المروءة لا مروءة بعدها
صونُ الربابِ وزينبٍ وسعادِ
انت الذي اغلى الدموعَ وصانها
وسواكَ ارخصها بسوقِ مزادِ
يا بُعدَ بين يدٍ تكفكفُ ادمعا
ويدٍ تشقُّ حشاشة الاكبادِ !

وعاد الشريقي الى اللاذقية واستانف حركة النضال الخفي ، الى ان عمت الثورة العربية امهات المدن السورية كدمشق وبيروت واللاذقية وانطاكية ، وذلك قبل دخول الجيش العربي الى دمشق ، وكان من نصيبه ان اعلن حركة الانقلاب العربي في اللاذقية وملحقاتها ، ورفع العلم العربي فوق دار الحكومة وخطب في جماهير الشعب معلنا استقلال البلاد العربية . وبعد دخول الجيش العربي الى سورية قامت الاتصالات لتوحيد الحركات العربية المحلية مع الادارة المركزية في دمشق ، وعقد مؤتمر عام في اللاذقية حضره جميع الفئات والطوائف ، واصدر توكيلا عاما باسم الشريقي لانجاز هذا التوحيد بالنيابة عن اللاذقية وملحقاتها .

وفي دمشق عيّن الشريقي سكرتيرا خاصا بالحاكم العسكري العام علي رضا (باشا) الركابي فامينا عاما للمجمع العلمي العربي ، وانضمَّ الى المركز العام لجمعية (العربية الفتاة) وكان شاعر الانقلاب وخطيب الثورة مع الخوري يوسف اسطفان(١) ، وكان يخطب في (النادي العربي) بدمشق وفي حمص وحماه وفي (النادي العربي) بحلب ، وعند انعقاد المؤتمر السوري(٢) كان عضوا فيه عن اللاذقية وملحقاتها .

وبعد زوال الحكم العربي الفيصلي في سورية لجا الشريقي الى غوطة دمشق مع نفر من المجاهدين السياسيين لتغذية المقاومة السرية للاحتلال الفرنسي ، لكن بعد وصول الامير عبد الله بن الحسين الى عمان لاسترداد سورية من ايدي الفرنسيين أصبحت عمان مركزا للتجمع العربي ، وانتظمت حركة المقاومة المناوئة للفرنسيين ، وتمَّ الاتصال بينها وبين حركات المقاومة داخل سورية وخارجها .

وبعد فترة وجيزة صدر عفو عن المحكومين السياسيين في سورية فعاد الشريقي الى دمشق واسّس مع رهط من اخوانه الادباء (جمعية الرابطة الأدبية) واسهم في تحرير المجلة التي تحمل اسمها .

واثناء الحكم الفيصلي في سورية مرّت بدمشق لجنة الاستفتاء الدولية(٣) واقيمت لها حفلات التكريم في دمشق وكبريات المدن السورية ، وقامت مظاهرة عند وداعها ، وهنا اضطرب الفرنسيون لتلك الحفاوة واعتقلوا زعماء هذه المظاهرة وعلى راسهم الدكتور عبد الرحمن شهبندر وسعيد حيدر وحسن الحكيم .

واحتجاجا على هذه الاعتقالات نظّم الشريقي مظاهرة شعبية تخرج من الجامع الاموي بدمشق

---

(١) راجع مقالنا عنه في العدد ٥٦ من مجلة (العربي) .

(٢) في ربيع عام ١٩٢٠ عقد المؤتمر السوري في دمشق ، وبايع اعضاؤه الامير فيصل بن الحسين ملكا على سورية .

(٣) وصلت اللجنة الامريكية الى دمشق في ٣ يوليو ١٩١٩ برئاسة تشارلي كراين وعضوية هنري كنغ .

وتقتحم جميع الحصارات والقوات التي ستواجهها، وخطب في المتظاهرين خطبة نارية ألهبت المشاعر ، فاندفعوا في أثره اندفاعا عرما كان الاول من نوعه بعد الاحتلال الفرنسي ،وقاومته السلطات الفرنسية بقوة السلاح ، وافلت الزمام من أيدى رجال الأمن، ونزل الجيش الفرنسي بالياته الى ساحات المدينة، واتخذ الشريقي من مكتب المحامين : عادل العظمة، سعيد حيدر ، عبد الوهاب الجابي ، في المرجة، مركزا لتوجيه حركة الشبان وتوزيع المناشير والاحتجاجات لدى قناصل الدول ، ومن ثم توجه الى (المزة) حيث اقام في منزل المرحوم خليل القباني ، ومنه انتقل الى منزل مسلكم (باشا) العطار . وفي تلك الفترة كان الديوان العسكرى الفرنسي قد التأم في دمشق وأخذ يحاكم زعماء المظاهرة، وكان دولة المرحوم فارس الخورى محامى الدفاع ، وقد اشار على الشريقي بصورة خفية الا يمثل أمام الديوان العسكرى لان — الحديدة حامية ! — وظل يراقب سير المحاكمات الى أن حكم عليه الديوان العسكرى الفرنسي بالسجن عشرين سنة ، حكما غيابيا ، فرأى مع اخوانه ان يواصل النضال في حركة التجمع العربي في عمان (بالاردن) ، فبلغها على صهوة جواده ، والتقى فيها باخوانه الساسة المناضلين ، وعهد اليه بوظيفة سكرتير مجلس المستشارين (سكرتير مجلس الوزراء بلغة اليوم) وعند اعلان استقلال امارة الاردن تولى اصدار جريدة (الشرق العربي) وهي أول جريدة عربية صدرت في عمان ، وأصبح اول مدير للمطبوعات في حكومة الشرق العربي (١٩٢٣ — ١٩٢٧) فالمفتش الأول في مديرية المعارف العامة (١٩٢٨ — ١٩٣٩) .

ولخلاف سياسي نشب بينه وبين بعض المسؤولين احيل على التقاعد فقصد دمشق واستأنف دراسة الحقوق في الجامعة السورية وحصل على الشهادة سنة ١٩٤١ وعاد الى عمان وزاول مهنة المحاماة ،

ومثل الاردن في مؤتمر المحامين العرب الاول المنعقد في دمشق سنة ١٩٤٤ وفي سنة ١٩٤٥ انتخب عضوا في المجمع العلمى العربي بدمشق فعضوا دائما في المجمع السياسي الدولي بجنيف فمديرا للمعارف في الاردن فوزيرا للخارجية والمالية والاقتصاد (١٩٤٥ — ٤٧) .

ونتيجة لتعديل وزارى أصبح وزيرا للخارجية والمعارف فرئيسا للديوان الملكى الهاشمى (١٩٤٧) فوزير دولة لشؤون الشرق الاوسط ، فرئيسا للهيئات السياسية في كل من افغانستان وباكستان والهند وايران ثم عاد الى عمان وزيرا للخارجية (١٩٤٩ — ٥٠) فوزيرا للعدلية . فوزيرا للبلاط (١٩٥٠) وفي عام ١٩٥١ عين عضوا في مجلس الاعيان فسفيرا لدى الجمهورية العربية المتحدة (١٩٥٩ — ٦١) فسفيرا لدى الجمهورية التركية (١٩٦١ — ٦٢) .

كان الشريقي شاعرا موهوبا وخطيبا ملهما وله ديوان اسماه (اغاني الصبا) صدر في دمشق سنة ١٩٢١ وقد ضمنه باقة من شعره الوطنى والوجدانى ، وجمع جل منظومه في ديوان ما زال مخطوطا ، بالاضافة الى مجموعة تشمل مذكراته السياسية واخرى تشمل خطبه ومقالاته ومحاضراته. ويوم كان الشريقي يصدر في عمان جريدة (الشرق العربى) نشر فصولا قيمة بعنوان (مسألة السكان والوطن العربى) .

وصباح الثلاثاء المصادف ١٩٧٠/٣/١٠ وافاه الاجل المحتوم في مدينة عمان بعد أن حمل راية النضال واستهدف للشنق في سبيل عزة امته ، ورفعة شأنها ، وتخليدها على خارطة الدنيا ، ودفع عوادى السياسة عنها !

■■

« البدوى الملثم »
عمان — الاردن

---

(٢) أول جريدة رسمية لامارة الاردن ، ولم تقتصر على نشر الانباء والبلاغات والقوانين بل كانت بالاضافة الى ذلك تنشر المقالات السياسية والأدبية والعلمية والانباء العالمية ، وقد صدر العدد الاول منها في ٢٨ أيار ١٩٢٣ واستمرت في الصدور اسبوعية واحيانا نصف اسبوعية حتى اكملت عامها الثالث وفي مطلع عام ١٩٢٦ اصبح اسمها (الجريدة الرسمية : لحكومة شرقي الاردن) واقتصرت موادها على نشر القوانين والانظمة والبلاغات الرسمية ، وبعد اعلان استقلال الاردن أصبح اسمها (الجريدة الرسمية : للمملكة الاردنية الهاشمية) .

ملخص

من تاريخ حياة الدكتور احمد زكي

رئيس تحرير مجلة "العربي"

١) ولد بالسويس عام ١٨٩٤ .

٢) انتقلت الاسرة الى القاهرة نحو عام ١٩٠٠ ، وتعلم هو بمدرسة عباس الابتدائية ، فمدرسة التوفيقية ، ثم مدرسة المعلمين العليا وتخرج في القسم العلمي منها مدرسا عام ١٩١٤ .

٣) اشتغل بالتدريس من عام ١٩١٤ الى عام ١٩١٨ بالمدارس الثانوية وفي السنتين الاخيرتين من هذه الاربع كان ناظرا لمدرسة وادى النيل الثانوية بالقاهرة (المدرسة الالمانية بباب اللوق حاضرا) .

٤) استقال وثورة سعد زغلول قائمة ، **وذهب الى انجلترا للدراسة وقضى فيها عشر سنوات متصلة ونال درجة البكلوريوس العلمية B. Sc. ، ودرجة الدكتوراه الفلسفية Ph. D. من جامعة ليفربول ، وانتقل يكمل بحوثه العلمية الى جامعة منشستر ثم الى جامعة لندن ، ونال من جامعة لندن الدكتوراه العلمية D. Sc. عام ١٩٢٨ وهي اعلى ما تعطيه الجامعات من درجات . وفي اثناء ذلك عمل مع الاستاذ بريجل Pregl في جامعة جراتس بالنمسا .**

٥) عاد الى مصر فشغل وظيفة استاذ الكيمياء المساعد بكلية العلوم بجامعة القاهرة (جامعة فؤاد عند ذاك) ثم وظيفة استاذ الكيمياء، وانتخب وكيلا للكلية وعمل وكيلا واستاذا لمدة ٣ سنوات . ثم انتخب بالاجماع عميدا لها . وتدخلت السياسة عند ذلك بمثل ما تدخلت في امر عمادة صديقه الدكتور عبد الرزاق السنهورى بكلية الحقوق ، فكان لا بد أن ينتقل صاحب الترجمة ليكون مديرا لمصلحة الكيمياء المصرية ، وذلك عام ١٩٣٦ .

٦) في عام ١٩٤٥ اختير صاحب الترجمة ليكون مديرا لمؤسسة البحوث العلمية المصرية الجديدة التي سميت باسم مجلس فؤاد الأول للبحوث العلمية ، بمرتبة وكيل وزارة ، وفي هذه الأثناء قام المترجم له ببناء المختبرات الشهيرة بحى الدقى بالقاهرة تلك التي يطلق عليها اليوم (المركز القومي للبحوث العلمية) . وهي مفخرة من مفاخر مصر .

٧) اختير الدكتور زكي بعد ستة أعوام في مجلس البحوث ليكون وزيرا ، ومن الطريف انه عهد اليه بوزارة الشؤون الاجتماعية .

٨) عاد الدكتور زكي الى مجلس البحوث بعد سقوط الوزارة ، ثم غامت السماء واغبرت الحوادث ، فلم يجد بدا من الاستقالة .

٩) بعد الاستقالة بايام عينته حكومة الثورة في عام ١٩٥٢ مديرا لجامعة القاهرة .

١٠) وبعد التقاعد زاره في بيته بالمعادى بالقاهرة رجل كريم من رجالات الكويت يعرض عليه العمل في الكويت في سبيل انشاء مجلة تكون هدية الكويت للعالم العربي كله ، فكانت مجلة « العربي » .

١١) اعمال الدكتور زكي العلمية منشورة في المجلات ذات الاختصاص الاوروبية ، ولكنه مارس الكتابة حتى منذ تخرجه من مدرسة المعلمين عام ١٩١٤ وانشا مع اخوان كرام له لجنة التاليف والترجمة والنشر عند ذلك .

ولما عاد من اوروبا عاد يمارس الكتابة ، فكان منها قصة المكروب ، وجان دارك ، ومرجريت او غادة الكمليا (مع المرحوم احمد حسن الزيات) ، وبواتق وانابيب ، سلطة علمية ، بين المسموع والمقروء الغ ، واخيرا كتاب « مع الله في السماء ».

وعاش الدكتور زكي حياة مركزة مليئة بجهود متنوعة شتى ، فمن اعمال جامعية ، الى اعمال علمية ، الى اعمال رسمية ، الى كتابة في المجلات، الى اذاعات طالت سنوات . **ونذكر** انه قام برئاسة تحرير الهلال ، عملا جانبيا من عام ١٩٤٦ الى عام ١٩٥٠ ورأس الجمعية الكيماوية المصرية ربع قرن . **وهو عضو قديم في مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، وفي غيره من المجامع . وهو الآن في السادسة والسبعين من عمره ، قوى البنية ، مشحوذ الراى ، يجد الراحة ، اطيب الراحة ، بين الفئة القليلة من الاصدقاء ، والفئة الكثيرة من الكتب ، وهو حيثما حل في مكتبة عامرة .** ■■

عُودِي ..

بقلم : عبد المنعم عواد يوسف

■ عـودي ، فإنك إن تعـودي　　يَخضرّ بعد الموت عُـودِي
يهتزّ فـيـه دم الحيـا　　ة بنشوة البعثِ الجـديد

★★★

عودي ، لقد ذبلت أزا　　هيري ذوَى سِحْـر الـورود :
دبّ الفَنَاءُ بـها وغـا　　لتْها يد الغَدْرِ العنيـد :

★★★

عـودي ، فإن الطـير يـ　　ـلو واجما من فـوق عُـودي
مـا عـاد يصدح بالغنـا　　ء يتيه بالنغم الشّـرود

★★★

عُودِي ، فإنّ جَـداولي　　غاضَتْ بأفـراح النشـيد
صَمَتَ الخَرِيرُ بهـا ورا　　ح الماء يسرِي في هُمُـود

★★★

عودي ، فـإن الـروض يشـ　　ـوى في حِمَى الصمْت المـديد
حتّى النسائم غلّلتـ　　ـها للثّرى ، كفُ الرّكـود

★★★

عودي ، فإنك إن تعـودي　　يخضَـرُّ رَوْضِي مِن جـديد
ينساب فيه دم الحيـا　　ة بمطلـع الفجـر السعيـد
بنقاوة الصبح الطّليـ　　ـق ببسمـة الطـفل الوليـد
بتألّـق الأنـداءِ بالأ　　فراح في إصبـاح عيـد



عودى ، فإنك إن تعودى ... يَفْتَرّْ لى ثَغرُ الوجود
تتَبَسَّم الأزهار يَسْـ ... ـرِي السِّحر في شَفَةِ الورود
وتُرَدّد الأطيار بعْـ ... ـد الصمت ألحانَ السُّعود
والجَدول المِنْراح يَصْـ ... ـدح بالغناءِ ، وبالنشيد
ونسائمى ، بعد الخمو ... ل تَهبُّ تُرَقِّصُ كلّ عود
وتشيع أفراح الحيا ... ة بهزّة الغُصْن النَّضيد

★★★

عودِي ، فقد بُحَّ الندا ... ء فلا رجاءَ لمُستزيد
عودى ، إذن أولا تعودى ... أنا لن أناديَ من جديد
أنا قد سئمت ، مللت يا ... هذى مُراوغةَ الوعود
أنا لن أعود إلى الندا ... ءِ تأكَّدِي ، لن تَستَعيدى
أنا واحد يا هذه ... من فتيةِ الجيلِ الجديدِ
أحيا هنا في قرننا الـ ... ـعشرين كالجَبَل الوَطيدِ
لا لن يزلزلنى الغرا ... م فأننى مثْل الشريد
إنا نُحبُّ فإن نَضِلّ ... السَّعْىَ نَهْوَى من جديد
ونعود نحتضن الحيا ... ةَ نعود نضحك للوجودِ ■■

ركن الاسرة والمرأة

لماذا لا يتزوّج الرّجل ؟

■ انتهى الحفل وبدا المدعوون ينصرفون ، عندما تقدم رجل وسيم فى منتصف العمر الى صديقه صاحب البيت ومد اليه يده شاكرا ، ثم تحول الى مضيفته وزوجة صديقه وقال لها مودعا : « لو أنني التقيت بفتاة مثلك منذ خمس أو عشر سنوات مضت ، لكنت اليوم اسعد زوج فى العالم !! »

كلمات ، كثيرا ماتتكرر على شفاه هؤلاء الرجال الذين فاتهم موكب الزواج او فاتوه . .

ولقد كان صديق الاسرة الاعزب صادقا فيما قال .

وهو لا يكف عن ترديد تلك العبارة التقليدية : « لم اعثر على الفتاة التي تصلح زوجة لي . لقد فاتنى القطار ولن استطيع اللحاق به ! »

وقد يحدث ان يلحق به ولكنه لا يكاد يصل اليه حتى يكتشف أن رجلا آخر قد سبقه الى ضالته !

ولكنّ هناك اسباب اخرى ادت الى بقاء مثل هذا الرجل ، وغيره من ملايين الرجال بدون زواج ، فما هي هذه الاسباب ؟

العزاب والمتزوجون !

قبل ان نمضي فى سرد العوامل الاساسية التى ادت وتؤدى الى بقاء عدد كبير من الشباب والرجال والشيوخ ، بلا زواج ، نود ان ننقل احصاء قامت به احدى الهيئات العلمية الكبرى التى تبحث فى مشاكل الاسرة والزواج منذ بضعة شهور مضت . .

واسفرت نتيجة هذا الاحصاء عن حقيقة تؤكد ان فى كثير من الدول ازمة زواج ، فقد ثبت ان عدد الشباب الذين بلغوا السن التى تؤهلهم للزواج ، وبقوا بلا زواج ، يبلغ ثلاثة اضعاف الذين تزوجوا واصبح لهم اسرة وبيت . .

ولقد اختار القائمون على هذا الاحصاء ، مائة رجل تتراوح اعمارهم بين الخامسة والعشرين



والخمسين . وينتمون الى عشرين دولة في اوربا واسيا وافريقيا والامريكتين .. وكانوا جميعا يتمتعون بصحة جيدة ويزاولون مهنا وحرفا تدر عليهم كسبا يسمح لهم بالانفاق على اسرهم بعد الزواج .. ولكنهم مع هذا لم يتزوجوا !

الاسباب الحقيقيه

لماذا ؟

لقد توصل الباحثون من خلال مناقشاتهم مع هؤلاء الرجال الى الاسباب الحقيقية وراء ازمة الزواج التى تعانى منها كل الدول النامية والمتقدمة على السواء ..

قال بعض الذين شملهم الاستفتاء ، وكانوا من الشباب الذين اكملوا تعليمهم الجامعى ، والتحقوا بوظائف في الحكومة او الشركات او البنوك ، قالوا : « ان الزواج مسئولية ، لم تعد انفسنا لها بعد . فلكي نتزوج ، لابد لنا ان نجمع مبلغا من المال يكفي لسداد النفقات الباهظة التي يتطلبها مثل هذا المشروع . ونحن لم نبدأ حياتنا العملية الا منذ فترة وجيزة ، ولم تتح لنا الفرصة للادخار بعد ، بسبب نفقات الحياة الباهظة ..

فالاسعار في ارتفاع مستمر ، بينما الاجور باقية على مستواها لم تزد بالنسبة التى تتطلبها الزيادة في تكاليف المعيشة .. »

ازمة المساكن

وقال البعض : « لقد كانت ازمة المساكن هي السبب الرئيسي في استبعاد فكرة الزواج من اذهاننا .. اننا لا نستطيع ان نتصور ان نبدأ حياة جديدة بعد زواجنا في منزل اسرنا او اسر زوجاتنا .. فالزواج استقلال عن الاسرة ، ونحن لا يمكن ان نستقل في حياتنا اذا عشنا مع اسرنا تحت سقف واحد ! »

وقال فريق من المهنيين : « ليس لدينا وقت للزواج .. ان اعمالنا تستوعب وقتنا وتفكيرنا وحياتنا ! »

وقال استاذ جامعي : « الا يكفيني ما لدى من ابناء في الجامعة ؟ ! »

وقال طبيب : « ان مرضاى هم ابنائي وبناتي لقد تزوجت مهنتى ! »

وقال روائي شهير : « ترى لمن اترك ابطال

قصصي ورواياتي ، اذا انا تزوجت واصبح لي ابناء وبنات .. ان هؤلاء هم ابنائي الذين اعيش معهم ولهم ! »

يخشون التجربة

وقال البعض انهم يخشون التجربة ويشفقون على انفسهم من النتائج التى قد تترتب على فشلهم فيها الا انهم لم يذكروا سببا واحدا يبرر هذه المخاوف .. كل مافي الامر انهم يهابون الزواج ويعدونه مقامرة قد تعود على صاحبها بالخير او بالشر .. على أن نسبة كبيرة من هؤلاء العازفين عن الزواج ، قالو ا انهم تمنوا لو أن ظروفهم العائلية سمحت لهم بالزواج ، ولكنهم مضطرون الى استبعاد هذه الفكرة من رؤوسهم الان بسبب اعتماد أسرهم عليهم في اعالتهم والانفاق عليهم .. والبعض منهم كان يرعى ابا مريضا او اما بلغت سن الشيخوخة ، وليس لها من عائل سواه .

هل ارادا له ان يبقى أعزب بلا زواج ؟

بالعكس ، فهما طالما تمنيا لابنهما أن يتزوج ، ولكنه يحس بان التزامه امامهما ، وارتباطه بهما اقوى من أن يترك له الفرصة في التفكير في حياة زوجية جديدة ، حتى لو كانت معهما وبجوارهما . فاين هي المراة التى ترضى بان ترعى زوجا وتخدم أبا أقعده المرض او اما هدتها الشيخوخة فلم تعد تقوى على الوقوف على قدميها !

لم يعثروا على ضالتهم

تلك كانت اجابات الشباب منهم ، اما هؤلاء الذين جاوزت اعمارهم الاربعين واشرفوا على الخمسين ، فقد جاءت اجابتهم واحدة : « لقد فشلنا تماما في العثور على ضالتنا ! »

ـ ولماذا لا تعيدون الكرة وتبحثون من جديد . ؟ من يدرى فقد يلقى القدر بضالتكم في طريقكم .. ان زيجات كثيرة سعيدة بدات بعد سن الاربعين .

وكان ردهم واحدا في هذه المرة ايضا ..

قالوا : « لقد اعتدنا حياة العزوبة .. فالزواج عادة ، ومن الصعب على رجل بلغ منتصف العمر او تجاوزه ان يتعود على شيء جديد .. لقد امضينا اجمل سني حياتنا بلا رفيق ، دعونا نكمل ما تبقى لنا من اجل في وحدتنا التي تعودناها !

كيف نعالج هذه الازمة ؟ ثم كيف نشجع الشباب على الزواج ، ونزيل من طريقهم تلك العقبات التى ادت وما زالت تؤدى الى ارتفاع مستمر في عدد العزاب والعوانس في معظم دول العالم كما تؤكد نتيجة الاحصاءات التى اجرتها اكثر من هيئة وعلى فترات متباعدة .

بحث ودراسة

لقد اجتمع لفيف من العلماء والباحثين الاجتماعيين لدراسة التقرير الاخير الذى اعدته الهيئة العلمية عن مشاكل الاسرة والزواج ، وما تضمنه من حقائق عن الاسباب الرئيسية لعزوف الشباب عن الزواج وهربهم منه ، وحاول المؤتمرون من خلال بحوثهم ومناقشاتهم علاج هذه الظاهرة التى تهدد المجتمع وتهز بناءه من اساسه ..

وننقل فيما يلي خلاصة لاهم الاراء التى اجمع عليها الباحثون في مؤتمرهم :

« ان الزواج مسئولية لا شك في ذلك ، ولكنه مسئولية طبيعية تفرضها التقاليد والدين والمجتمع ، ولكن ليس صحيحا ان الزوج وحده هو الذى يتحمل هذه المسئولية ، فالزوجة ايضا تشارك في تحملها ، بعملها في البيت او في خارج البيت ..

« ان بعض العقبات التى ذكرها الشباب الذين اظهروا ترددا في الاقدام على الزواج ، لا تمت الى الواقع بصلة .. بينما هناك عقبات اخرى قد تستحق الدراسة فعلا ..

المال مشكلة

« مشكلة توفير المال اللازم لبدء الحياة الزوجية لا شك مشكلة جديرة بالاهتمام ، ولكنها ليست مشكلة بغير حل . . فكل شيء يبدا صغيرا ثم يكبر ، حتى الحياة نفسها .. فلماذا لا يبدا بيت الزوجية بابسط الضروريات وارخصها .. وخاصة اذا كان الشاب يعمل وعروسه بدورها تعمل وتكسب

رزقها ، والاثنان يتعاونان في سبيل توفير حياة افضل ..

« وهنا لابد ان نفرق بين الرغبة في اشباع الجنس ، وبين الرغبة في بناء الاسرة .. حقيقة ان الاثنين متصلان ومرتبطان .. ولكن هناك فارق بين الشباب الذى يمارس الجنس لاشباع شهواته ، والذى يمارسه من اجل عملية الخلق ، أقدس واسمى واجب لكل كائن حي في هذا الوجود ..

تشجيع الزواج المبكر

« ولم يكن هناك من حل امام هؤلاء الا تشجيع الزواج المبكر بين الشباب ..

ولكن كيف نشجع الشبان على الزواج ؟

لقد اقترح المؤتمرون ان تصرف الحكومات مكافاة تشجيعية لكل شاب ينوى الزواج ، حتى في الدول التى تعاني من تزايد عدد السكان ، فهي تستطيع ان تساهم في تنظيم الاسرة اذا كانت هذه المكافاة مشروطة ، اى ان الزوجين لا يكونان ملزمين بسدادها الا اذا انجبا اطفالا قبل مضى خمس سنوات على الاقل من الزواج .

وليس هذا الاقتراح بجديد ، فقد اخذت به فرنسا بعد الحرب العالمية الثانية عندما كانت تعاني من قلة عدد سكانها ، وعدم زيادتهم .. ولم يكن هدفها تشجيع الزواج فحسب ، بل كان هدفها زيادة عدد المواليد ، فمنحت الام التي تنجب اكبر عدد من الاطفال وساما بوصفها الام المثالية ، وقدمت لها المساعدات المالية في كل المناسبات .

المسكن الصحي

واوصى الباحثون ايضا الحكومات بتوفير المساكن الصحية لكل زوجين شابين ، بايجار يتناسب مع دخلهما البسيط ، وان تعطى الاولوية دائما في استئجار مثل هذه المساكن للازواج الجدد ، وتتولى بعض الشركات تاثيث بيت الزوجية تاثيثا بسيطا وجميلا ، على ان يقوم الزوجان بسداد ثمن هذا الاثاث على اقساط شهرية متباعدة لا ترهق ميزانيتهما ..

قال الباحثون ان الزواج واجب يؤديه الفرد ازاء نفسه وازاء المجتمع ولكن ليس صحيحا انه يتعارض مع واجب الطبيب والاستاذ الجامعي والعالم والروائي ، وغيرهم من اصحاب المهن الاخرى ، الذين احبوا مهنتهم واعطوها كل وقتهم وجهدهم . .فعزوف هؤلاء عن الزواج بدعوى ان وقتهم لا يتسع له ، قول ينطوى على الانانية ، حتى لو كانوا يعملون من اجل المجتمع الذى ينتمون اليه .. امثال هؤلاء يسعون الى النجاح والى الشهرة والى المجد ، ولا باس في ذلك فطموح الانسان لا يقف عند حد ، ولكن لماذا لا يكون هناك شخص آخر قريب منه عزيز لديه ، يشاركه هذا النجاح وهذا المجد !

اما هؤلاء الذين يخشون التجربة ويفزعون من احتمال فشلهم في الزواج ، فهم يعانون من عقدة نفسية ، فهم لا بد عرفوا فشلا قريبا منهم او عاشوا التجربة عن كثب بكل تفاصيلها .. ولا سبيل لعلاج هؤلاء الا عن طريق تجربة حظهم وقبول مبدا المغامرة رضوا بذلك ام لم يرضوا ..

بقي هؤلاء الذين ارتبطوا باب مريض او ام عجوز تقدمت بها السنون ، واعتمدت على ولدها في رعايتها واعالتها .. انهم يتصورون انه ليس هناك امراة تقبل الزواج بهم ومشاركتهم حياتهم.. وهو تصور خاطيء ، مبعثه الاساسي ، المسؤولية التي يشعر بها مثل هذا الابن تجاه والده المريض او امه المقعدة .. ولكن هذا الرجل لا يعرف طبيعة المراة .. فالمراة التى تحب على استعداد لان تفعل كل شيء في سبيل من تحب ..

هل هناك بعد هذا سن للزواج !

ان بعض الذين شملهم الاستفتاء ممن جاوزوا عامهم الاربعين يقولون ان قطار الزواج فاتهم ولا سبيل للحاق به ! .. لقد اجمع الباحثون على ان الزواج المبكر في العشرين وما بعدها ، وربما قبل العشرين بالنسبة للفتاة ، هو انسب سن للزواج ، ففي هذا حماية للشباب وصيانة لاخلاقهم .. ولكن ليس صحيحا ان من جاوز الاربعين ، لم يعد صالحا لهذه التجربة ... حقيقة ان الزواج عادة .. ولكنها عادة يستطيع الرجل ان يكتسبها حتى ولو بلغ السبعين .

■■

أمراض شائعة

القُرَاع

TINEA CAPITIS

بقلم : الدكتور ابراهيم محمد الفشلان

اخصائي الامراض الجلدية والتناسلية

■ القراع مرض فطرى معد يؤثر على شعر الراس والرموش والحواجب ، وهو منتشر في جميع انحاء العالم ، وقد كانت هناك اصابات كثيرة جدا به في أوائل القرن التاسع عشر اخذت تقل تدريجيا نظرا لسرعة العلاج وطرق الوقاية ، الا انها ازدادت زيادة ملحوظة أثناء وبعد الحرب العالمية الثانية حتى أصبحت على شكل وبائى في بعض البلاد ، ثم بدات تقل تدريجيا .

والقراع يحدث نتيجة فطريات تسمى Dermatophytes وهناك أنواع كثيرة منها أهمها نوعان رئيسيان هما Trichopyton و Microsporon والفطر اما ينمو داخل ساق الشعرة او خارجها حسب نوعيته .

ويختلف نوع الفطر المسبب للقراع من بلد الى بلد ومن دولة لاخرى ، ويختلف الشكل الاكلينيكى للمرض تبعا لنوع الفطر المسبب لهودرجة مقاومة الشخص .

كما أنه يمكن تقسيم الفطر الى قسمين تبعا للعائل الاصلى :

١ ـ فطر انسانى Anthropophilic حيث يكون العائل الطبيعى له هو الانسان ، وهذه الفطريات عادة تؤدى الى اصابات فطرية غير ملتهبة كما في القراع الافرنجى .

٢ ـ فطر حيوانى Zoophilic وفيها يكون العائل الطبيعى حيوان آخر مثل القطط والكلاب والخنازير والبقر والارانب ثم تنتقل العدوى للانسان ، وهى عادة تسبب اصابات فطرية ملتهبة وقد يصحبها طفح جلدى فطرى .

والقراع هو مرض الاطفال قبل سن البلوغ وشفاؤه يحدث تلقائيا عند البلوغ وينتشر في الذكور أكثر منه في الاناث ، ونادرا ما يحدث المرض في الكبار أو الرضع ، ولكن ليس هناك مناعة بمعنى الكلمة وانما مقاومة الكبار للمرض تحدث نتيجة التغيرات التى تحدث في الجلد جاعلة اياه

غير قابل لنمو الفطر عليه مثل زيادة الاحماض الدهنية للفطر في الجلد .

وتحدث العدوى مباشرة من شخص لآخر باستعمال الفرش والأمشاط المشتركة والقبعات أو لباس الراس والفوط والمخدات ، وقد لوحظ بانه لا بد من وجود احتكاك او خدوش لحدوث العدوى حيث ينمو الفطر في الطبقة القرنية للجلد ثم يهاجم الشعر وينمو فيه ، وكلما ازداد نمو الشعر امتد الفطر داخله بمعدل ٣ر٠ م يوميا . ويظهر فوق سطح الجلد بعد أسبوعين من العدوى ويظهر الشعر المقصف في الأسبوع الثالث حيث يمكن اكتشافه اكلينيكيا ، وتمتد العدوى في الشعر المجاور لمدة شهرين ، وفي هذا الوقت ، تكون سعة الرقعة المصابة بين ٣ ـ ٥ سم .

وهناك ٤ أدوار للمرض ممكن ملاحظتها في الشخص المصاب :

١ ـ فترة حضانة : من ٢ ـ ٥ أيام .

٢ ـ فترة انتشار : بين ٣ ـ ٤ شهور حتى تصل ذروتها .

٣ ـ فترة انكسار : وهذه تختلف مدتها وفيها يبقى الفطر داخل الشعرة .

٤ ـ فترة تراجع ذاتي : وفيها تخف حدة المرض.

أنواع القراع

واكثر أنواع القراع انتشارا هو القراع الافرنجي، ويظهر على الراس على شكل رقعات بيضاوية او مستديرة رمادية اللون بها احمرار خفيف وقشور رمادية ، والشعر في الرقعات المصابة يتقصف عند اتصاله بسطح الجلد تاركا جزءا قصيرا طوله حوالي ٢ مم وعدواه سريعة الانتقال ويسمى Grey patch ring worm وفي بعض الحالات يتقصف الشعر في هذه الرقع مباشرة على سطح الجلد او حتى تحت سطح الجلد فتظهر جذور الشعر على شكل نقط سوداء ولذا تطلق عليها القراع النقطي الأسود Black dot ring worm .

وهناك نوع اخر من القراع يسمى القراع الجبلي Favosa Typs وهو منتشر في بلاد الشرق الاوسط وايران وافريقيا وشرق أوروبا ولكنه نادر في بريطانيا ، ولا يزال موجودا في بعض مناطق امريكا ، وهو يحدث في اى عمر ولكنه عادة يبدأ في الاطفال ويستمر حتى الكبر اذا لم يعالج، ويظهر عادة على الرأس ، ولكنه يصيب الاظافر والاجزاء الاخرى من الجسم وتتكون الاصابة من قشور سميكة على شكل القرح لونها أصفر كبريتي تختلف في الحجم من راس الدبوس الى حبة البسلة وقد تظهر على شكل بقع صفراء رمادية او في مجموعات سميكة لونها اصفر مغبر ولها رائحة مميزة تشبه رائحة الفئران والشعر في الرقعات المصابة يصبح جافا ويفقد لمعانه ويتخلخل، وكلما تقدم المرض فانه يؤدى الى ضمور في الجلد وصديد وندبات مؤديا الى صلع دائم .

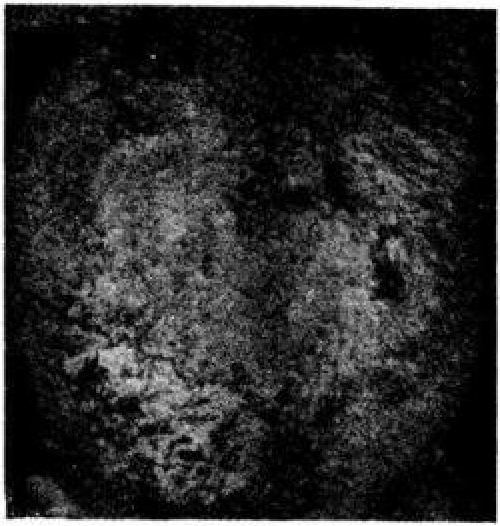
واكثر أنواع القراع التهابا هو النوع المسمى Kerion وهو ياخذ شكل ورم صديدى على الراس مستدير أو بيضاوى ملتهب تظهر فيه فتحات الشعر متمددة بسائل لزج او سائل صديدي سببه الفطر نفسه وليست عدوى ثانوية ولا تحتاج الى اى تدخل جراحي لتصفية الصديد، ويتساقط الشعر في المناطق المصابة ، وعادة يتكون ورم واحد ولكن قد تتكون عدة أورام وفي هذه الحالة يصحب المرض ارتفاع في درجة الحرارة ويشفى المرض في النهاية تاركا ندبات وصلعا .

ويلاحظ في بعض حالات القراع خاصة الحالات الملتهبة والشديدة منها ، ظهور طفح جلدى فطرى على الجسم يسمى Dematophytide Reaction وهو يحدث نتيجة حساسية للمولدات التى يفرزها


بذيرات الفطر داخل ساق الشعرة بالميكرسكوب



قراع افرنجي



قراع جبلي

الفطر وتذهب للدم مؤثرة فى الجلد ، وعادة يظهر على الصدر والبطن وقد يمتد للاطراف على شكل بقع او حبيبات حمراء ويلاحظ عدم وجود الفطر فى هذه البقع ، وقد يكون مصحوبا بارتفاع فى درجة الحرارة وتضخم فى الغدد الليمفاوية وفقدان الشهية ، وبانتهاء القراع يخف هذا التفاعل من تلقاء نفسه .

التشخيص والوقاية

من السهل تشخيص المرض اكلينيكيا فى الحالات المتقدمة ، ولكن هناك تشابه كبير بين القراع وبعض الامراض الجلدية الاخرى التى يجب التمييز بينها قبل بدء العلاج ومن امثلتها الثعلبة ، الحصف ، دمامل الراس وغيرها ، ولذلك يجب ملاحظة مواصفات كل مرض وما يتميز به عن المرض الآخر ، وعلاوة على ذلك فهناك مصباح خاص من الأشعة فوق البنفسجية يسمى Wood's Light للكشف على القراع وتفرقته من الامراض الاخرى ، وباستعمال هذا الضوء فى حجرة مظلمة فان الجلد يضيء ويشع بلون أزرق ويظهر الاشعاع على شكل خرزات مضيئة على الشعر والمناطق القشرية تظهر بلون أزرق « تركواز » ، وباستعمال هذه الطريقة يمكن كذلك تحديد موضع وسعة العدوى على الراس ، كما انه يمكن متابعة تقدم المرض وشفائه .

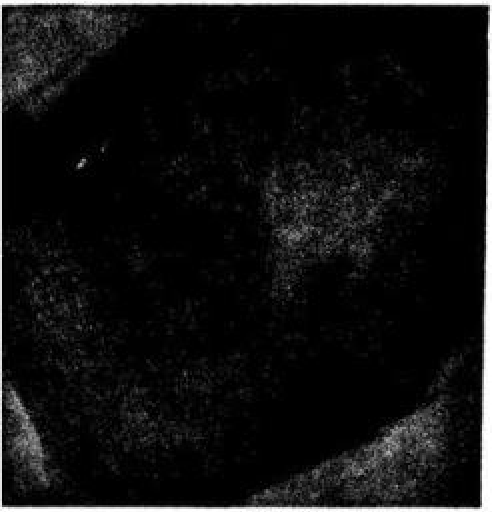
وفى الحالات الوبائية يتم فحص جميع تلاميذ المدارس ومخالطيهم بهذا الضوء .

كذلك يمكن عمل فحص ميكرسكوبي للفطر بأخذ بضع شعرات مصابة بواسطة ملقط ويفضل اخذها من منطقة لم تعالج قبلا ، وفى حالة بداية العلاج باستعمال الدهانات الموضعية يفضل وقف العلاج لمدة اسبوعين ثم اخذ العينة المطلوبة وفحصها تحت الميكرسكوب لرؤية بذيرات الفطر ، كما انه يمكن عمل مزرعة للتمييز بين فصائل الفطر المختلفة .

والوقاية مهمة خاصة في المدارس ، ففي اشتباه وجود عدوى بالمدرسة يفضل الكشف على جميع الطلبة بواسطة مصباح الاشعة البنفسجية. والطفل حامل المرض يجب علاجه فورا ويستحسن ابعاده عن الاماكن العامة مثل المدرسة والسينما والحلاق، كذلك يجب الكشف على الحيوانات الأليفة المخالطة للمريض مثل القطط والكلاب والأرانب وكذلك البقر والخنازير لربما تكون هى مصدر العدوى وعلاجها ان وجد بها شيء . كما يجب فحص المرافقين والمخالطين وكذلك دكان الحلاق الذى يحلق عنده الشخص المصاب ، والمريض يجب ان تخصص له ادواته الخاصة به من فوطة وموسى



قراع ملتهب Kerion Type



قراع افرنجي بعد نزع الشعر بواسطة أشعة اكس

حلاقة وفرشاة ذقن ومشط ، وينام على سرير بمفرده ويعقم فراشه يوميا .

العــلاج

المهم هو سرعة العلاج ومنع انتشار العـدوى في الاجزاء الاخرى من الراس او الجسم ولكن يجب التاكد من المرض ووجود الفطر فيه قبـل بداية العلاج . والعلاج يعتمد على نوع الفطـر المسبب للمرض وامتداد العدوى ومدى الالتهاب الموجود ، ففي حالة الالتهاب يكتفي بالعلاج الموضعي ولا تستعمل الدهانات القوية التى تزيد الالتهاب . ومن المراهم الموضعية المعروفة دهان اليود ومرهم راسب ابيض والتيمول والسالسيلك والبنزويك والكبريت وغيرها كثير من المستحضرات الحديثة مثل الاستيرول والفيوفوردم وغيرها .

ولكن ثبت أن العلاج بالدهانات الموضعية وحدها لا يكفي ، ولذلك كانوا قبل استعمال الدهـان ينزعون الشعر كلية من الراس ، وكذلك القشور السميكة اما باستعمال الموسى ، او الملقط ، او المواد الكيماوية مثل التاليوم ، ولكن افضلها كان نزع الشعر باستعمال اشعة اكس حتى يتاكد الطبيب من سقوط الشعر كلية ، يغسل الراس يوميـا بفرشاة بالماء الساخن والصابون ، ولازالة القشور تعمل مكمدات برمنجنات البوتاسيوم او بوريك او محلول بيرو ثم تدهن بالدهانـات المضـادة للفطريات صباحا ومساء على المواضع المصابة ، وكذلك غير المصابة لمنع انتشار العدوى اليهـا . واذا كانت هناك التهابات صديدية تستعمل مضادات الحيويات . ويلاحظ الكشف اسبوعيا ثم شهريا بمصباح الاشعة البنفسجية لتتبع المرض والتاكد من انتهائه .

وفي عام ١٩٣٩ تم اكتشاف دواء الجريزوفولفين: Griso Folvine وهو من احدث العلاجات التى ظهرت حتى الآن لعلاج القراع وبعض الامراض الفطرية الاخرى ، وباستعماله امكن القضاء على المرض في فترة قصيرة كما انه امكن الاستغناء عن اشعة اكس والمضاعفات التى قد تصحبها ، وهو يؤخذ عن طريق الفم لمدة حوالي ٦ اسابيع مـع ملاحظة قص الشعر واستعمال المراهم الموضعية لضمان نجاح العلاج ، وهذا الدواء يمتص ويصل الدم خلال ٤ ساعات ، ويزداد امتصاصه ، اذا اخذ مع غذاء دهني ، ومن خلال الدم يصل الى الجلد حيث يدخل في المادة الكيراتينية للجلد والشعر ويجعله غير قابل لنمو الفطر فيه .

ولا تزال هناك ابحاث جارية لايجاد دواء يؤثر على هذه الفطريات في فترة اقصر حتى يمكـن القضاء على المرض بسرعة وعدم ترك الفرصة لانتشاره ■■

ابراهيم محمد القشـلان



بقلم : عبد المعطى المسيري

■ هذا العنوان للكاتب الروسى الخالد مكسيم جوركى ، كتب تحته قصة قصيرة صور فيها مدى ما كان للرقابة من وقع ورهبة في نفوس كتاب روسيا ابان الثورة .

والقصة كما رواها الكاتب العظيم ـ وعلى ما اذكر ـ تتلخص في أن الشيطان طاب له ذات يوم ان يمزح مع الاموات فراح يطوف في المقبرة ، وطفق يستعرض اسماء المتوفين المحفورة على مقابرهم فاستلفت نظره اسم احد الكتاب فاخذ ينبش قبره الى أن صار والميت وجها لوجه ، ثم ايقظه وصاح به : « من تظننى ؟

لم يخطر ببال الكاتب الميت الا نفر من الناس كانوا يلحون عليه بفنون من الكيد والوبل فقال : لعلك الرقيب » !! ؟

وهكذا اختار جوركى الشيطان بما له في الاذهان من هيئة بشعة ، وصورة مخيفة ، واختار الميت وما يتوقع في قبره من هول ليصف لنا ما كان للرقيب من اثر في نفوس الكتاب .

وقد خطرت لى الآن هذه القصة وانا اعالج تدوين ما وقع لى مع الرقيب ، فقد كانت لى معه قصة !! او على الاصح كانت لى قصة عرضت على الرقيب ليجيز نشرها فكانت لها معه قصة الذ وامتع منها ، ولولا ما كان للرقابة من سلطان لارجات القصة الاصلية ، ونشرت قصة الرقيب .

★ ★ ★

وتفصيل ما حدث انى في السنة الثالثة من الحرب العالمية الثانية قدمت الى المطبعة مجموعة قصصية وكان على المطبعة قبل أن تشرع في العمل

ان تعرض كل قصة تتهيا لطبعها على الرقابة لتجيز النشر ، حيث النظام يقضى بان تدس الرقابة انفها بين حروف الطباعة اذا تحركت حتى ولو كانت حركتها شروعا في طبع اعلان وفاة . !!

وذهب صبى المطبعة الى الرقابة فقدم القصة الاولى من المجموعة مع ما قدم من اصول ثم رجع ليعود بعد ساعات فياخذ اوراقه من الرقيب مؤشرا عليها منه كالعادة .

وعاد الصبى فلم يسلمه الرقيب الاصول ، وانما سلمه لجنديين ليرشدهما الى المؤلف . !!

وبينما كنت في القهوة ، جاء الصبى فظننت انه يحمل الى « البروفة » ولم اعر الجنديين التفاتا اذ ظننتهما آتيا ليحتسيا شيئا من الشراب ، ولكن ما بال الصبى يشير الى ؟! وما باله بدل ان يقدم الى « البروفة » قدمنى الى البوليس . ؟!

★ ★ ★

وكانت القصة التى بين يدى الرقيب تدور حول رجل متعطل ولكنه كان يجتهد في اخفاء تعطله عن زوجه لانها مريضة ، وهو لا يريد أن يضيف الى الم المرض هم العوز والحاجة ، واقبل شهر رمضان ، واقبل معه زياط ولدهما وعياطه ، فهو يريد كعكا ، ويريد حلة للعيد ، فاما الكعك فقد تكفل مرض الام بالاعتذار عنه ، واما الحلة فقد اهتدى الرجل الى حل لها ، ذلك انه كشف حالته لخياط الحى ، ورجاه العون على تضليل الغلام بان يزعم له أن أباه قد ابتاع له قماشا ، وان الحلة ستكون في حوزته ليلة العيد ، من يدرى لعل فرج الله يدركه قبل ذلك فيحقق للغلام امنيته ! ؟!

وهكذا تيسر للرجل أن يسير بسفينته بين انواء المرض وعواصف الحاجة ، الى ان اقبلت ليلة العيد فاذا بالمرأة يساعدها شبابها على التماثل للشفاء ، واذا بالغلام يمنى نفسه بالحلة ويحلم بما سيمنى به أترابه من غيرة ، وبين الاثنين كان الرجل يرزح تحت الاعباء ، كان يفكر فيما سيحل بزوجه عندما تفجع بتعطله وخلو يده ، وفيما سيبوء به الغلام من خيبة وحسرة .

..... ولمح الرجل وهو في طريقه حلل الصغار في دكان الخياط فحدثته تلك الحلل عما ستشيعه في نفوس اصحابها من اشراق وبهجة ، وعما ستثيره في نفس ولده من مرارة ولوعة . وحدثته ايضا عما ستبثه في نفوس الغلمان من ذل وشماتة بولده، وعما ستحدثه بزوجه من ضنى ونكسة .

وعاد الرجل الى نفسه فوجدها قد تعطلت عن التفكير الا في شيء واحد : ذلك هو ان يسرق الحلل او يحرقها ، فيروح ويجيء ، ويمضي ويعود مترقبا الفرصة التى لم تسنح الا قبيل الفجر ، فقد دلف صبى الخياط الى الحارة يحمل شيئا على يديه ، وانثنى الخياط الى القهوة المجاورة ليعالج مغالبة النوم والاعياء فينام !! ويتلفت العاطل يمينا وشمالا فلا يجد احدا ، لقد تكفل له البرد والشتاء بخلو الطريق فيمرق الى الدكان ويجمع الحلل فوق بعضها ويشعل فيها النار ، ويلوذ بالفرار .

ثم يعود فيشارك الذين تجمعوا في مواساتهم للخياط ، ويمضي الى بيته ليعتذر لاهله بما حصل للخياط .... ولكنه يرى عجبا !! يرى أن امراته تساعد الغلام على ارتداء حلة زاهية والسرور يغمرهما ، ثم يسمع المرأة تقول له : « أول مرة تفلح يا رجل في نقاوة القماش ؟! شف ، شف جمال سعيد فيها !؟

وتنثنى الى سعيد وتقول : « قم يا سعيد ، قم قبل اباك »

ثم تعود الى الرجل فتناوله ورقة ، ولكنه قبل ان يفتحها تقول : « اعط الصبى بقشيشه ، لقد اقسم انها اول حلة تطلع من الدكان »

ويفتح الرجل الورقة فيجد مكتوبا فيها : ان الخياط .... الخياط الذى حرق دكانه ، وفجعه في كده وجهده يقول له : « انه قد صنع الحلة لسعيد هدية خالصة اليه ، فاذا لم تقبل « يا ابا سعيد » فعليك ان تقبل ارجاء الثمن الى أن يفتح الله عليك » .

ونترك هذه القصة وشانها لنعود الى قصة الرقيب .

كانت قصة « حلة العيد » المعروضة على الرقيب العزيز تدور حوادثها على لسان المتكلم ، والمتكلم فيها هو بطلها العاطل الذى أحرق الحلل ، فلما قراها رقيبنا العتيد تذكر انه من رجال المباحث الجنائية وأن في المكتوب بين يديه اعترافا بجريمة ، واذن فليدع الرقابة وليشرع في التحقيق!!

فلما مثلت بين يديه كنت خالى الذهن عما

يشغل ذهنه ، ولذلك لم يفتني ان اباده بالتحية ولكنه تجاهل تحيتي ، وبعد ان شبع تفرسا في وجهي قال : « انت فلان ؟ فاجبت : نعم يا افندم » .

فتناول أصول القصة ولوح بها في وجهي وقال : « وانت صاحب هذا ؟ فاجبت « نعم يا افندم » .

ثم نشر الورقة وأمسك بالقلم وهو يقول : « صدق من قال ـ اتق شر من احسنت اليه » ثم التفت الى وسألني عن اسمي وسكني فلما فرغ من هذا كله قال : « في اى جهة دكان الخياط وما اسمه ، ومتى كانت الحادثة ! ؟

اقسم لك يا سيدى القارىء انني ساقول الحق ، ولا شيء غير الحق ، وهذا الحق هو انني الى هذا الحد من كلام صاحبنا كنت خالي الذهن عما يشغل ذهنه ، كنت احسبه يبالغ في تشجيعي وتقديرى بان يدخل في روعى ان قصتي قد اثرت فيه الى مدى بعيد . وانه يراها تكاد تكون من واقع الحياة ، وان ابطالها قد لعبوا دورهم بمهارة وان هـذا الرقيب من القـراء الممتازين الذيـن يتجاوبون مـع ما يقرأون . والذيـن لا يبخلون بالتقدير والعطف على الكتاب المساكين امثالي ، ولذلك تناثرت من فمي الفاظ ، : « العفو يا افندم ، انني اقدر تشجيعك يابك ، ارجو ان استحق هذا العطف يا افندم ... كذلك اخذت اسارير وجهي حظها من التعبير عن السرور والفرح ولكني لم البث ان سمعت الرقيب يحدث نفسه فيقول بصوت لم يحاول أن يخفيه : « الظاهر انه مجنون !! » .

ثم انثنى الى وصاح بى : « اتكلم يا جدع ، فين الدكان ؟ ومن صاحبه ؟ ومتى حرقته ؟؟ » .

واقسم مرة اخرى بان اقول الحق ، ولا شيء غير الحق ، لقد امسك فمي عن ترديد الشكر ، وجمد وجهي عن التعبير عن السرور ولكن نفسي ظلت مزهوة ، بل لقد تضاعف زهوها الى حد الغرور ، الم اكتب فيظن الرقيب ـ وما ادراك من الرقيب ؟ ـ انم اكتب فيخيل اليه انخيالي حقيقة ، وان ابطالي لم يضطربوا فى الوهم ، وانما عاشوا في دنيا الناس ؟ وماذا اريد فوق هذا ، وهل بقيت زياده لمستزيـد ! ؟

وحلا لى التمادى في العبث بالرقيب فراحت اسارير وجهي تعبر عن الذل والتوبة ، وطلب الصفح والعفو والغفران .واخذت عبارات التوسل والندم تتشاجر على فمي ، ثم اعترفت فحققت رغبة صاحبنا وجعلته يكتب اسم خياط موهوم ، وعينت له المكان والزمـان ... واخيرا أصـدر امـره فاقتادني الجنديـان الى قسم البوليس لتتميـم الاجـراءات بعد ان زودهمـا باوراق التحقيق !!

وغادرنا مكتبه فلما توسطنا الصالة كان على يميني مكتب « مدير الاقليم » فقلت لنفسي : يكفي هذا ولاحاجة بنا للقسم !!

وبدون ان يدرى حارساى ، وبلا استئذان من الحاجب ، دفعت باب المكتب ودخلت وفي اثرى الحارسان ، وكنت لحسن الحظ على معرفة بالمدير فقد كان محبا للادب ، بارا برجاله ، فما لبث ان رآني والجنديان كل منهمـا قد امسك بكتفـي باحدى يديه ، ورفع الاخرى بالتحية ، حتى اشار اليهما بان يدعاني ، فتركاني واعتدلا في وقفتهما انتظارا للاوامر !! وامرهما المدير بالانصراف .

ولست بحاجة الى القـول انني قد سـردت الحكاية على سعادته ، وانا قد اتيح لنا أن نضحك على الرقيب فنسرف في الضحك ، وأن نرثى له فنمعن في الرثاء .

وطلب المدير الرقيب ، فلمـا حضـر ، راى ما اربكه واذهله . رآني جالسا الى جانب المدير نتناول القهوة وندخن اللفائف . !!

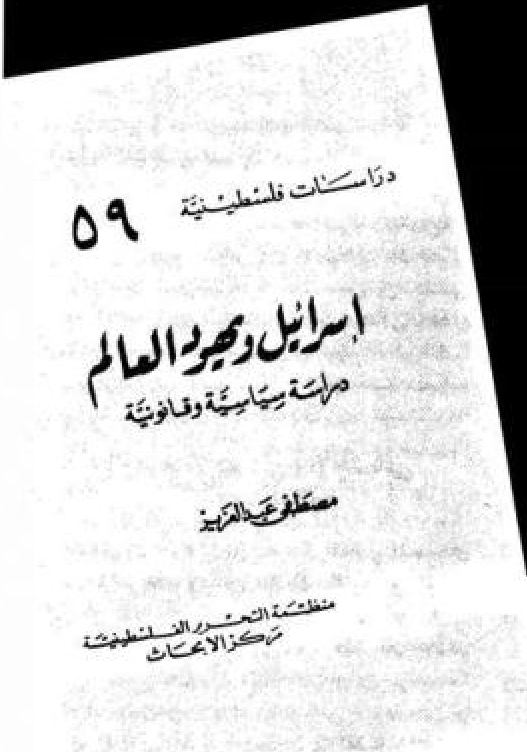
واراد سعادته ان يضحك من جديد ، وأن يرثى من جديد فسأل صاحبنا عن المسألة ، فحدثـه الرقيب بشأنها وعن رأيه فيها ...

سانسى اشياء كثيرة قبل ان انسى لباقة المدير وهو يدرس للرقيب فنون الادب فينبئه أن مـن القصص ما يكـون على لسـان المتكلم دون ان يلتزم المؤلف باعمال ابطاله !! ودون ان يتحمل مسئوليتها ! ؟

واذن المدير للرقيب فانصرف وهو لا يصدق ما رآته عيناه ولا ماسمعته اذناه ، ولكن الشيء الذى سيصدقه وسيسمعه انني قد ضمنت تأشيرة اجازة النشر فوق ضماني لتقديره واحترامه ، وان كان للأسف لم يكن لفني ، وانما لصلتي بالمدير !! ■■

عبد المعطى المسيرى

٧٨٪ من يهود العالم موزعين بين أمريكا وإسرائيل وروسيا



يهود العالم بين الالتزامات الوطنية والالتزامات الاسرائيلية

بقلم : الدكتور محمود السمره

■ هذا كتاب صدر فى ابريل (نيسان) ١٩٦٩ عن « مركز الابحاث » التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية ، وميزته انه وعى من المصادر والمعلومات الكثير ، وجهد المؤلف فيه واضح ، وكنت اتمنى لو انه خلا من امرين : اولهما تكرار الحقيقة الواحدة فى اكثر من موضع مما اخل ببناء الكتاب ككل ، وثانيهما كثرة الاخطاء اللغوية والنحوية .

والكتاب في : تمهيد ، وخمسة ابواب هي : المفهوم الاسرائيلي للشعب اليهودى وعلاقته بيهود العالم ، مهمة تجميع يهود المنفى والمجتمعات الدولية ، عزل اليهود عن مجتمعاتهم الدولية وربطهم باسرائيل ، يهود العالم بين الالتزامات الوطنية والالتزامات الاسرائيلية ، ادعاء اسرائيل حق الوصاية على يهود العالم . ويلي هذا خاتمة ، وملحق هو جدول يوضح توزيع يهود العالم مقارنا بعدد سكان كل دولة . وأخيرا تجد ثبتا بمصادر البحث .

الوضع الاحصائي والاجتماعي ليهود العالم

يعالج المؤلف هذا الموضوع في الفصل التمهيدى معالجة سريعة ، وينتهي فيه الى النتائج التالية :

ـ كان ثلثا يهود العالم ، قبل الحرب العالمية الثانية ، يعيشون في أوروبة . فقد كان عددهم عشرة ملايين منهم : ثلاثة ملايين في بولنده ، وثلاثة ملايين في الاتحاد السوفيتي ، ومليونان في دول البلقان والمجر ، ومليون في المانية والنمسة وتشيكوسلوفاكية، ومليون في دول أوروبة الغربية .

ولكن هذا الوضع تغير بعد الحرب العالمية الثانية ، واصبح مركز ثقل اليهود هو في فلسطين ودول غرب اوروبا ، والولايات المتحدة . والكتاب السنوى لاسرائيل لعام ١٩٦٨ يقدر عدد اليهود في الولايات المتحدة بنحو ٥٫٧٢٠٫٠٠٠ اى ما يقرب من ٤٢٪ من يهود العالم ، وفي الاتحاد السوفييتي ٢٫٤٨٦٫٠٠٠ وهذا يساوى ما يقرب من ١٩٪ من يهود العالم ، وفي فلسطين المحتلة ٢٫٤٣٩٫٠٠٠ يهودى اى ١٧٪ من يهود العالم . اما باقي اليهود فموزعون على حوالي مائة بلد ، وهم في مجموعهم يبلغون ثلاثة ملايين يهودى على وجه التقريب .

ومن الواضح للدارس ان اليهود ، في كل بلد يعيشون فيه ، يتمتعون بمستويات اقتصادية وثقافية افضل من سكان البلدان التى ينتمون اليها .

المفهوم الاسرائيلي للشعب اليهودى وعلاقته بيهود العالم

لقد استحدث زعماء اسرائيل والصهيونية مفهوما جديدا لربط كل من يدينون باليهودية بأهدافهم ، فاستخدموا مصطلح « الشعب اليهودى » وبه يعنون يهود اسرائيل ويهود العالم، وبهذا اعتبروا ان لهذا الشعب كيانا قانونيا وسياسيا واحدا متكاملا . ومعنى هذا ان سلطة دولة اسرائيل تمتد لتشمل جميع يهود العالم .

ويستند ادعاء اسرائيل هذا على منطلقات فكرية متعددة : بعضها قانوني كوجود اتفاقيات ووعود تشير في نصوصها الى « الشعب اليهودى » ومثال ذلك وعد بلفور ، وبعضها ديني بحيث تحاول ان تفسر المعتقدات الدينية في اليهودية لتجعل منها دينا وقومية ، وبعضها عنصرى يجعل من اليهود شعبا يشكل عنصرا جنسيا متميزا ، وبعضها تاريخي يرى ان تاريخ اليهود الفريد يكفي وحده ليجعل منهم شعبا له صفاته الخاصة به .

وهذه المنطلقات الفكرية واضحة في اقوال زعماء اسرائيل والصهيونية .

يقول « بن جوريون » : « ان العقيدة اليهودية لاتتمثل في الايمان بالتوحيد ووجود اله واحد فحسب ، ولكن يلازمها دوافع قومية واقليمية هي التي ادت الى ارتباط اليهود ارتباطا روحيا عميقا بارضهم القديمة حتى اثناء اقامتهم في المنفى . »

ويقول « أبا ايبان » في خطاب له القاه في اجتماع المجلس الصهيوني العام الذى عقد في القدس المحتلة في ١٩٦٦/١/١١ ما يلي : « اننا نرى انفسنا محورا وقلعة لشعب عالمي ، لا دولة صغيرة فقط محدودة بحدودها الجغرافية » .

وقد اكدت اسرائيل هذا المفهوم ، فقد تضمن اول قانون اصدرته عام ١٩٥٠ ، وهو قانون العودة ، « ان دولة اسرائيل تعتبر نفسها من خلق وابداع الشعب اليهودى . » وقد علق « بن جوريون » ، رئيس الوزراء انذاك في اسرائيل على هذا القانون ، فقال : « ان قانون العودة هو قانون البقاء التاريخي لليهود ، واستمرار للصلة القائمة بين اليهود في اسرائيل وخارجها . وان هذا القانون يضع المبدأ الاساسي الذى تم بفضله احياء دولة اسرائيل ، كما سيعود اليه الفضل في بقائها ، ونموها ، وتحقيق رسالتها في الخلاص القومي . »

★ ★ ★

وقد اكد المؤتمر الصهيوني العالمي الخامس والعشرون على ما يلي :

١ ـ كل يهودى في العالم هو جزء من مجموعة قومية واحدة هي « الشعب اليهودى »

٢ ـ على كل يهودى التزامات قومية تجاه اسرائيل .

٣ ـ هجرة كل يهودى الى اسرائيل واجب قومي ، وهذا الواجب القومي منبثق عن العقيدة الدينية .

٤ ـ لا يمكن لاى يهودى أن يعيش حياة يهودية كاملة ، خارج اسرائيل .

٥ ـ هجرة اليهود الى اسرائيل واجبة ، لانهم اذا لم يهاجروا فانهم معرضون لخطر الذوبان في البلاد التي يعيشون فيها ، أو الاضطهاد .

الرد على هذه الادعاءات

وبعد هذا ياخذ المؤلف في الرد على الادعاءات السابقة :

فالقول ان صك الانتداب البريطاني على فلسطين ووعد بلفور قد اعترفا بوجود شعب يهودى له كيان سياسي وقانوني ، مردود من عدة وجوه : فهو يتناقض مع التحفظين الصريحين الواردين فيهما وهما ينصان على أن هذا الوعد يجب ان لا يضر بمصالح الطوائف الفلسطينية غير اليهودية. واضيف فاقول : وهل الشعب يوجد بوعد يعطى ، ومعاهدة تكتب ؟! ومن أعطى بريطانيا الحق في أن تعطي مالا تملك الى من تريد ؟!

والتفسير الاسرائيلي هذا ، بان هناك شعبا يهوديا يدين بالولاء أولا لاسرائيل ، ضار باليهود والعرب : فهو يفرض مفهوم ١٧٪ من اليهود ، هم الذين يوجدون في فلسطين المحتلة ، على الكثرة الساحقة من اليهود المنتشرين في العالم . وهو يسلب عرب فلسطين حقهم في وطنهم .

★ ★ ★

ويثير المؤلف السؤال التالي : هل توفر الديانة اليهودية الرباط القومي الشامل ، الذى يؤكد وجود امة يهودية وشعب يهودى بالمدلول السياسي الذى تدعيه اسرائيل ؟

ونحن نجد الرد على جانب من هذا السؤال في البحث الذى كتبه « نورتون مزفنسكي » Norton Mezvinsky المتخصص في التاريخ اليهودى ، وعنوان البحث : « هل تعني الديانة اليهودية وجود شعب يهودى ؟ » فقد جاء في بحثه ما يلي : « ان الانقسامات الحادة ، في الماضي والحاضر ، بين الفروع المختلفة لليهودية تناقض فكرة وجود الديانة اليهودية الشاملة التى يكون الافراد المنتمون اليها تجمعا عرقيا واحدا ... فاليهود الامريكيون ، مثلا ، توجد بينهم اختلافات اجتماعية وعرقية شاسعة ، واختلافات في المفاهيم والطقوس الدينية . » وتوضيحا لهذا فاننا نجد ان اليهودية الاصلاحية للدين اليهودى على انه عقيدة دينية فقط ، بينما نجد ان اليهودية الارثوذكسية تتمسك بالشرع القديم وترى في اليهودية دينا وقومية .

ومن ناحية اخرى فان النصوص الدينية اليهودية لم ترد فيها عبارة « الشعب اليهودى » أبدا ، وانما ورد فيها « شعب اسرائيل » وهو مصطلح يشير الى أولئك الذين اتخذوا اليهودية دينا ، دون أية اشارة الى ارتباط هذا المفهوم بان لهذا الشعب قومية واحدة . وهذا هو ما قاله ايضا بعض رجالات اليهود ، مثل الدكتور « سلومون شختر » Solomon Schechter ، الذى ورد في مذكرته التى قدمها للمجلس الامريكي لليهودية بتاريخ ١٩٥٣/٤/٨ ، ما يلي : « يجب ان نتذكر ان لفظة « اسرائيل » لاتعني « أمة » بالمعنى العام لهذه الكلمة . »

وورد في الكتاب الذى نشره المجلس الامريكي لليهودية بعنوان « اليهودية دين لا قومية » ان الشعب اليهودى ، بالمعنى السياسي والطائفي ، ليس له وجود ، وانما كان يرمز بعبارة « الشعب اليهودى » و « شعب اسرائيل » ، الى الناحية الروحانية .

★ ★ ★

ويرى « تيودور هيرتزل » في كتابه « الدولة اليهودية » ان اليهود يشكلون شعبا واحدا وجنسا متميزا . فهل حقا يوجد ، من الناحية العلمية ، ما يثبت ان اليهود يشكلون جنسا وشعبا واحدا ؟

ان الواقع العلمي يثبت عكس هذا ، فقد اثبتت الدراسات الانثروبولوجية ان بين الجماعات اليهودية المنتشرة في بقاع الارض ، فوارق جنسية واضحة ، بسبب انحدارها من شعوب وسلالات متباينة ومتعددة . ومن هذه الدراسات الهامة التى تشرح بالتفصيل كيف أن اليهود لا يكونون جنسا واحدا ، الابحاث التى قام بها « جوان

كوماس » Juan Comas ، استاذ التاريخ الطبيعي للاجناس البشرية في الجامعة الوطنية بمكسيكو ، وعنوان بحثه « اسطورة الجنس اليهودى » ، والباحث « سلامان » R.N. Salaman و «فشبرج» Fishberg . ومن النتائج التى توصلوا اليها ان الانف المعقوف الذي يعتبر احد الخواص المميزة لليهود لا يوجد الا بين ٤٤٪ من اولئك الذين يعتنقون اليهودية ، بينما يظهر الانف المستقيم بين ٤٠٪ منهم ، والانف الروماني بين ٩٪ منهم ، والانف المنحرف الى اعلى بنسبة ٧٪ وهذا دليل على انعدام وحدة الظواهر الجسدية بين الذين يسمون « الشعب اليهودى » .

ويقول « سلامان » : « ان نقاوة الجنس اليهودى أمر خيالي ، حيث تظهر بين اليهود مختلف العناصر السلالية . » ثم يورد بعد هذا تفصيلات حول تركيب الجمجمة ، ولون الشعر .

★ ★ ★

ولكن : ما هو تفسير وجود بعض اليهود الذين يمكن التعرف عليهم دون خطأ من النظرة الاولى ؟

يرى « جوان كوماس » ان تفسير هذا هو أن هؤلاء اليهود من الذين احتفظوا ببعض مميزات اليهود الساميين ، مثل الانف المعقوف ، والجلد الباهت اللون ، والشعر الاسود ، والعيون السوداء . ولكن هذه الصفات توجد ايضا بين سكان منطقة الشرق الاوسط عامة ، وجلهم ليسوا يهودا ، ولم يكونوا في يوم ما يهودا . ويضاف الى هذا ان النسبة الكبرى من اليهود لا يمكن التعرف عليها من الظواهر الجسدية .

★ ★ ★

ويرى بعض زعماء الصهيونية ، وهو « ناحوم جولدمان » ، ان « تاريخ الشعب اليهودى الفريد ، قد خلق وحدة جماعية فريدة . » ولكن الواقع التاريخي يقول ان اليهود لم يكن لهم تاريخ مشترك ، فهم لايقطنون جميعا على ارض واحدة ، ولا يتكلمون لغة واحدة . وقد عاش اليهود خلال السنوات الالفين الماضية منتشرين في دول مختلفة .

ولا يحس بهذه الوحدة التاريخية التى يتحدث عنها « ناحوم جولدمان » ، حتى سكان اسرائيل ، وقد فصل هذا الجانب الكاتب الاسرائيلي « ميخائيل سلزر » فى كتابه « منيوذو اسرائيل » حيث تحدث عن التميز القائم بين اليهود فيها .

وقد احسن التعبير عن نفسية اليهودى فيها حين قال : « ان اليهود المهاجرين الى اسرائيل يفكرون ويتصرفون ويتحدثون بحسب البلاد التى جاؤوا منها ، واذا كان هناك عامل يجذبه اليها هو اليهودية ، فان هناك عاملا آخر يدفعه الى الخارج، هو الاصول الحضارية والاجتماعية والعرقية التى ينتمي اليها . واليهود في اسرائيل على السنتهم القول التالي : حين كنت في المجر او ... كنت اعتبر نفسي يهوديا ، والآن وانا في اسرائيل اشعر بانني مجرى او ... »

اسرائيل وسياسة تجميع « يهود المنفى »

بعد أن حددت اسرائيل مفهوم « الشعب اليهودى » ، شرعت في اتخاذ خطوات عملية من اجل تجميع « يهود المنفى » في الارض المحتلة . ومن اجل تحقيق مخططها ، اخذت في خلق المبررات التى بها تقنع اليهود بضرورة الهجرة الى فلسطين: فالهجرة بالنسبة لليهود الذين يعيشون في بلاد مختلفة ، عملية انقاذ جسدى لهم . وهي بالنسبة للذين يعيشون في بلاد متقدمة ، عملية انقاذ روحي .

وواضح من هذه السياسة ، انها تقترن بمخططات توسعية على حساب الدول المجاورة ، وهذه حقيقة عبر عنها بوضوح ودون مواربة زعماء اسرائيل ، واكتفي هنا بالقول التالي للصهيوني « بن غوريون » : « انا لا استطيع أن أتصور كيف تضاعف اسرائيل عدد سكانها خمس مرات ، ثم تظل في اطار حدودها الحالية . » !!

ومن أجل تجميع اليهود في فلسطين المحتلة اصدرت اسرائيل قانون العودة عام ١٩٥٠ ، وهو قانون يعطي لاى يهودى في العالم الحق في المجيء الى اسرائيل بصفة مهاجر عائد والاستيطان فيها في اى وقت يشاء ولا تشترط اسرائيل ان يتنازل اليهودى المهاجر عن جنسيته الاصلية . وهكذا فان اليهودى ، حتى في موطنه حيث يسكن من العالم يعتبر ذا ولاءين ، وولاؤه لاسرائيل يأتي اولا ، ولعله هو الولاء الاوحد الذى هو ملزم به ، في نظر زعماء اسرائيل والصهيونية .

وليس الايمان بالدين اليهودى هو ما يجعل

اليهودي يهوديا ، لان كثيرين جدا من اليهود لا يؤمنون بالدين اطلاقا ، ولكن الذى يجعل منهم يهودا انهم يعدون انفسهم كذلك ، أو كما قال النائب العام الاسرائيلي غداة الموافقة على قانون العودة : « انه لا يوجد تعريف قانوني لكلمة يهودى ، ونحن نعد من اليهود كل من يعد نفسه يهوديا . »

ومن اجل اغراء اليهود بالهجرة الى فلسطين المحتلة فان اسرائيل والمنظمة الصهيونية تحاولان دوما ان تشعرا اليهود بانهم معرضون لخطر الاضطهاد في البلاد التى يقيمون فيها ، ولذلك فان عليهم ان ينجوا بانفسهم بالهجرة الى الارض المحتلة . وقد عملت الاجهزة الصهيونية المختلفة فعلا على خلق هذا الجو من الارهاب وعدم الاستقرار في البلاد التى يريدون من يهودها ان يهاجروا ، كتدبير حوادث انفجار في اماكن العبادة اليهودية . وقد عبر أحد محررى جريدة « دافار » الاسرائيلية عن هذا الاتجاه بوضوح ، وذلك عند ما قال : « أنا لا أشعر بالخجل وانا أعترف هنا انه لو كانت لدى السلطة لاخذت عشرات من الشباب الاذكياء ، المخلصين لمثلنا العليا ، ثم أرسلتهم متنكرين الى البلاد التى استكان فيها اليهود الى رغد العيش ، وذلك من أجل نشر شعارات معادية للسامية ، وما شابه هذا من الشعارات ... وانا على يقين بان هذه ستؤدى الى نتائج ، بشأن الهجرة الى اسرائيل ، أفضل بكثير من النتائج التي حققتها حتى الآن البعثات التى نرسلها لتصب وعظها في آذان صماء . »

تهويد وصهينة البرامج الثقافية ليهود العالم

وتلجا اسرائيل والاجهزة الصهيونية المختلفة الى وضع خطط لربط يهود العالم باسرائيل ، ومن ذلك صهينة برامج التعليم عن طريق التدخل المباشر في الشؤون الثقافية والتعليمية ليهود العالم ، وايفاد المدرسين الاسرائيليين للعمل في المدارس اليهودية في الخارج ، وتقديم المنح الدراسية ليهود لكي يدرسوا في اسرائيل،وارسال حاخامين اسرائيليين للعمل في المعابد اليهودية ..

وقد عارض العديد من اليهود الاساليب والوسائل للتدخل في شؤونهم ، ومثال ذلك ان «بن غوريون» زار الدانمرك سنة ١٩٦٢ ، واخذ يحث يهودها على الهجرة الى اسرائيل ، فوقف « اوتوليفيسن » رئيس الجالية اليهودية في الدانمرك ليقول له : « اننا نحن اليهود الدانمركيين لا نريد مكانا آخر لنعيش فيه حياة أسعد من حياتنا هنا في الدانمرك . اننا جزء اصيل من الشعب الدانمركى،فنحن دانمركيون اولا ثم يهود . » ورد عليه رئيس حاخامي الدانمرك قائلا : « ان اى فرد مهما علا مركزه ، ومن اى مكان جاء ، ليس له الحق ان يغير ،ولو مثقال ذرة ،من الوضع الذى ظل عليه اليهود الدانمركيون سنين طويلة . يعيشون سعداء جنبا الى جنب مع باقى اخوانهم الدانمركيين » .

وبعد هذا العرض لصلة اسرائيل بيهود العالم، احب ان اقف أخيرا عند موضوع هام ، هو :

دعم يهود العالم لاسرائيل ماليا وفنيا

ومن الحقائق الواضحة ان الاقتصاد الاسرائيلى يعتمد اعتماد جوهريا على المساعدات الخارجية التى تحصل عليها اسرائيل من يهود العالم . ولتوضيح هذا نقول : ان المساعدات التى حصلت عليها اسرائيل من اليهودية العالمية خلال المدة من ١٩٤٩ – ١٩٥٩ بلغت ١٤٦٩ مليون دولار ، او ما يعادل ٤٧٫٣٪ من رأس المال المستورد . وترى اسرائيل ان استمرار هذه التبرعات أمر حيوى لبقائها وتوسعها . وهى لا ترى ان هذه التبرعات حسنة او منة يجود بها يهود العالم عليها ، بل هى في نظرها ضريبة قومية الزامية ، مفروضة على المتبرعين . ولهذا نجد زعماء اسرائيل والصهاينة يلجاون لكل الوسائل ، والضغوط ، من أجل دفع اليهود الى التبرع لاسرائيل .

ويسهم يهود العالم ايضا بتزويد اسرائيل بخبراتهم الفنية .

واختار هنا مثالا واحدا لبيان كيف أن يهود العالم يقفون وراء اسرائيل بكل اندفاع وتفان : لقد جاء في بيان لوزارة التجارة الامريكية ان تحويل الاموال من الولايات المتحدة الى اسرائيل، منذ شهر يونية (حزيران) الى أواخر شهر

سبتمبر (أيلول) ١٩٦٧ ارتفع بما لا يقل عن ٢١٠ ملايين دولار ، والسبب في هذه الزيادة يعود الى قيام اليهود الامريكيين بتحويل مبالغ كبيرة الى اسرائيل عقب حرب حزيران ٠ واعلن المشرفون على صندوق بريطاني لجمع التبرعات لاسرائيل بتاريخ ١٩٦٧/٦/٢ انهم جمعوا ثلاثة ملايين ونصف مليون جنيه استرليني في اسبوع واحد . واسهمت اسرة روتشيلد وحدها بمبلغ مليون جنيه استرليني . واعلنت الوكالة اليهودية انها جمعت ستة ملايين جنيه استرليني وذلك تلبية لنداء اسرائيل من اجل جمع ٥٠٠ مليون دولار لمساعدتها. كما قرر اكثر من ٤٠٠ زعيم يهودي امريكي وكندي تغطية قسم كبير من ميزانية دائرة الاعمار الاسرائيلية التي تبلغ ٢٨٩ مليون دولار ، وذلك عن طريق شراء سندات الدين الاسرائيلية . وقد تبرع يهود مدينة تورنتو وحدهم بأكثر من ١٠ ملايين دولار أثناء عدوان ١٩٦٧ وبعده .

وقدرت وكالة اليونيتدبرس للانباء بتاريخ ١٩٦٧/٦/٢٥ التبرعات التى جمعت في الولايات المتحدة لصالح اسرائيل بحوالي ٨٥ مليون دولار ، وذلك في الايام الاولى للعدوان فقط . وذكرت الوكالة ان ما جمع في ولاية نيويورك وحدها بلغ ٢٢ مليون دولار . كما تم جمع ٨٥ مليون دولار في اوربة في الايام الاولى للعدوان ايضا . وتم جمع ١٢ مليون دولار اثناء احدى الحملات التى قام بها النداء اليهودى الموحد في كندة ..

هذه ارقام تغنى عن كل تعليق وبيان .

وهذه هي سبيل الامم التى تخطط من اجل البقاء والازدهار ، بالاعمال لا بالخطب والاقوال .

■■

محمود السمره



ثلاثية الزمن
سجل الزمن ـ دليل الزمن ـ مفاتيح الزمن

تأليف : احمد محمد السيد عنبر

المفتش بوزارة التربية ـ الكويت

● ثلاثة كتب في مجلد واحد ٦٣٠ صفحة من القطع الكبير .

١ ـ سجل الزمن : للسنوات والاشهر والاسابيع والايام والساعات ، لمن يريد ان يخطط للمستقبل او يسجل احداث الماضي او الحاضر .

٢ ـ دليل الزمن : بحث علمي عن الزمن الميلادى والزمن الهجرى وعن اقترانهما ، وجداول لكل السنين منذ نشأة التاريخ الى ما شاء الله موزعة على ايام الاسبوع وقواعد تكرار السنين ودوائر ضبطها وتسلسلها .

يعتبر بحثا كاملا ، استنادا للمراجع التى اوردها المؤلف في آخر المجلد ومنها الآثار الباقية للبيروني وجداول سير ولسلي هايج .

ويحتوى ايضا النتيجة السنوية الدائمة هجريا وميلاديا .

٣ ـ مفاتيح الزمن : وصفها المؤلف فقط وذكر انها ستعمل في المصانع والمطابع عن التقويمين الهجرى والميلادى في لوحات ودوائر واسطوانات سجلها بوزارة التجارة والصناعة بالكويت .

الناشر : المؤلف ـ ثمن النسخة ٤ دنانير كويتية .

عدالة السماء

تأليف : محمود شيت خطاب . الناشر : دار الارشاد ـ بيروت/لبنان

● مجموعة قصص واقعية قصيرة .

حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب

تأليف : خلف الشيخ خزعل / الناشر : مطبعة دار الكتب / بيروت

● دراسة عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب المصلح الديني الكبير والدعوة الوهابية التي اقترنت باسمه في فترة من اشد الفترات صعوبة حيث الانحلال الخلقي والروحي ، وحيث اهملت تعاليم الدين الصحيحة وتوسيت طقوسه وحيث الوازع الديني معدوم وضعيف، والبدع متفشية والجهالة عامة ، فوجد ان السبيل الى الاصلاح هو الرجوع الى الاسلام بعد ان يجرد من البدع والتأويلات ويصقل من الصدأ والترسبات التي خلقتها الاجيال ، والعودة بالدين الى ما كان عليه أيام النبي وخلفائه الراشدين ، فاعلن الثورة على كل ما احاط بالكتاب والسنة من بدع وزيادات ، وقد قسم المؤلف كتابه الى قسمين تناول القسم الاول سيرة محمد بن عبد الوهاب ، أما الجزء الثاني فقد تناول فيها حياته المعنوية الروحية والامثلة الرفيعة التي قدمها خدمة للدين الاسلامي .

الوطنية في شعر كربلاء

تأليف ـ توفيق حسن العطار

الناشر : مطبعة النعمان ـ النجف الاشرف

● دراسة لشعراء كربلاء الذين كتبوا في الشعر القومي الوطني ، ويجد القارىء سيرة لمجموعة من الشعراء البارزين والمغمورين ممن تناولوا في شعرهم القضايا الوطنية ، ونماذج حية من نتاجهم ، كما حوى الكتاب ما سجله هؤلاء الشعراء في حركات التحرر القومي في الوطن العربي الكبير ، صوروا فيها الثورات الشعبية التي اندلعت ضد الغزاة المحتلين .

زهـرة في قـبـر

تأليف : محفوظ أيوب

الناشر : دار الاجيال ـ دمشق ـ سوريا

● قصة طويلة .

الشوق والرصاص

تأليف : زياد نجيب ذيبان

الناشر : مطابع دار الكتب ـ بيروت / لبنان

● مجموعة مقطوعات شعرية وطنية .

المخطوطات اللغوية في مكتبة المتحف العراقي

تأليف أسامة ناصر النقشبندي

الناشر : وزارة الثقافة والاعلام ـ بغداد

● قوائم بأسماء المخطوطات اللغوية الموجودة في المتحف العراقي ، وهي في النحو والصرف والبلاغة والعروض والقوافي ، قام المؤلف بوصف هذه المخطوطات من ناحية عنوانها ، واسم المؤلف وشيئا من اولها ومحتواها وسنة نسخها ، واسم الناسخ ان وجد ورقم المخطوطة ، وقياساتها وهل طبعت أم لا . .

شهداء الاسلام في عهد النبوة

تأليف : الدكتور علي سامي النشار

الناشر : دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت / لبنان

● دراسة عن تاريخ شهداء الاسلام في ثوب أدبي يتحرى جانب الحقيقة التاريخية وقد استقى المؤلف مادة كتابه من شتات كتب السير والمغازي وطبقات الرجال وكتب التاريخ . كما حاول المؤلف أن يلتزم قاعدة زمنية في عرضه لاخبار هؤلاء الشهداء وهو يتناول دراسة بضعة افراد من الشهداء مثل شهداء آل ياسر وشهداء بدر وسيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن الزبير وجعفر .

سنتان في المغرب

تأليف : جابر الفؤادي

الناشر : المؤسسة العامة للصحافة والطباعة ـ دار الجمهورية ـ بغداد

● دراسة مستوفية عن مظاهر الحياة في المغرب قديما وحديثا والكتاب مقسم الى فصول خمسة يتناول في الفصل الاول التعريف بالمغرب من الناحية التاريخية والجغرافية ، واهم مدن المغرب . اما الفصل الثاني فيدرس الاحوال الثقافية مثل التعليم والدين والخط والفنون كما يدرس الفصل الثالث الادب المغربي ورجالاته، اما الفصل الرابع فيدرس الاحوال الاجتماعية للسكان والمرأة المغربية والناحية الصحية والجيش والقضاء . اما الفصل الاخير فيدرس الاحوال الاقتصادية والصناعة والتجارة والزراعة والثروة المعدنية . ■■

أنت تسأل .. ونحن نجيب

غلة العالم زادت على زيادة السكان

● قرأنا في الصحف مؤخرا ان البشرية لم تعد مهددة بخطر المجاعة وانفجار السكان وذلك وفق ما اكده آخر تقرير لهيئة التغذية والزراعة FAO التابعة للمنظمة الدولية ، فكيف يستقيم هذا مع الشائع من ان المجاعة واقعة لا محالة .

ع.ك ــ دمشق

ــ لا ريب في ان التقرير الذى اصدرته هيئة التغذية والزراعة مؤخرا يبعث على كثير من الاطمئنان . فالارقام والاحصائيات التى يعطيها تبين ان زيادة المحاصيل الزراعية قد فاقت الزيادة في عدد السكان لعام ١٩٦٨ . فقد بلغت الاولى ٣٪ ولم تزد الثانية على ٢٪ وهذا يعنى ان موارد غذاء الانسان قد زادت بنسبة تفوق نسبة تكاثره ، وذلك لاول مرة في العصور الحديثة على ما نعرف. وهو يعنى ايضا أن المستقبل ليس مظلما كما كنا نتصور ، وان في الامكان العمل على تدارك خطر المجاعة وانفجار السكان وما الى ذلك مما أثار قلق الكثيرين من العلماء .

ولعل أكثر ما يبعث على الاطمئنان والاستبشار في هذا الصدد هو ان هذا الفائض ، فائض زيادة المحاصيل على تكاثر السكان ، قد بلغ ذروته في بعض اقطار آسيا النامية التى طالما شكت قلة المحاصيل وزيادة السكان ان لم تتعرض فعلا للمجاعات . نذكر من تلك الاقطار الهند والباكستان ، كما نذكر تايلاند وماليزيا ، وقد سجلت في السنة المذكورة (١٩٦٨) زيادة كبيرة غير

ابن الأثير من هو ؟

● اقرا في كثير من المؤلفات الحديثة اسم شخص يتكرر في كتب التاريخ وفي كتب اللغة وفي كتب الادب ، ذلك هو « ابن الاثير » فمن هو ذلك العالم الذى يرجع الى مؤلفاته اكثر المؤلفين .

حسن العايد ــ بغداد

ــ ابن الاثير يطلق على اخوة ثلاثة ، كلهم كانوا ذوى فضل وعلم ومكانة .

اكبرهم هو المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزرى ، نسبة الى جزيرة ابن عمر بالقرب من الموصل لقبه مجد الدين وكنيته ابو السعادات ، ولد سنة ٥٤٤ وتوفي سنة ٦٠٦ هـ (١١٥٠ ــ ١٢١٠) ، له كتاب مشهور في غريب الحديث والاثر يسمى « النهاية » وهو شرح للالفاظ اللغوية التى وردت في احاديث رسول الله وما يؤثر عن الصحابة وغيرهم . وهو كتاب مطبوع عدة طبعات ، في اغلبها اربعة أجزاء . وله ايضا كتاب « المرصع » في ذكر الآباء والأبناء والامهات والبنات ، وله غير ذلك مما لم يطبع .

والثاني هو علي بن محمد كنيته ابو الحسن ، ولقبه عز الدين ، ولد سنة ٥٥٥ وتوفي سنة



متوقعة في محاصيلها تراوحت نسبتها بين (٥٪ و ١١٪) .

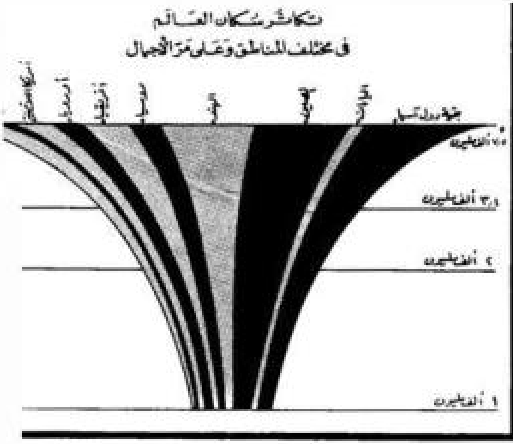
وتجدر الاشارة هنا الى ان هذا التحسن الكبير ، بل التحول الخطير ، الذى بدا يظهر في بعض اقطار آسيا انما يعزى الى البذور الجديدة من القمح والارز والذرة وغيرها تلك البذور التى انتجوها بطريقة التهجين والانتخاب ، (انتخاب السلالات الجيدة) والتى تعطى اضعاف المحاصيل التى كانت تعطيها البذور القديمة .

على أن هذه البذور الجديدة لم تنتشر بعد في امريكا اللاتينية وبلاد الشرق الاوسط وافريقيا . ففى هذه البلاد التى اشتهرت بتكاثر السكان ، لم تزد نسبة زيادةالمحاصيل الزراعية فيسنة ١٩٦٠ على ٢٪ ، باستثناء امريكا اللاتينية التى سادت فيها الاحوال الجوية بحيث لم تزد محاصيلها وانما نقصت بنسبة ٢٪ .

فانتشار هذه البذور المهجنة في هذه المناطق الثلاث ، وانتشارها ايضا في سائر بلدان آسيا التى لم تقبل بعد على زراعتها ، ضرورى لتحاشي المجاعة التى باتت تهدد البشرية عامة وسكان البلاد المتخلفة خاصة في غضون السنوات الثلاثين القادمة .

اذ سيصبح عدد سكان العالم نحو ٥ر٧ الف مليون نسمة في سنة ٢٠٠٠ ميلادية وهو لا يزيد حاليا على ٥ر٣ الف مليون . وهذه زيادة كبيرة جداً في عدد السكان ، وهي كفيلة بجر العالم الى الكارثة مالم تتضاعف محاصيل العالم الزراعية بنسبة كبيرة ايضا . وتقدر منظمة التغذية والزراعة FAO هذه النسبة الاخيرة ٤٪ كحد ادنى ، وتؤكد ان المجاعة المرتقبة واقعة لا محالة مالم تزداد المحاصيل الزراعية في العالم اجمع بنسبة ٤٪ سنويا أو تزيد . ولا سبيل الى تحقيق هذه الزيادة ، على ما يبدو في الوقت الحاضر ، الا بتعميم زراعة البذور المهجنة التى ذكرنا .

(ى . ز)



---

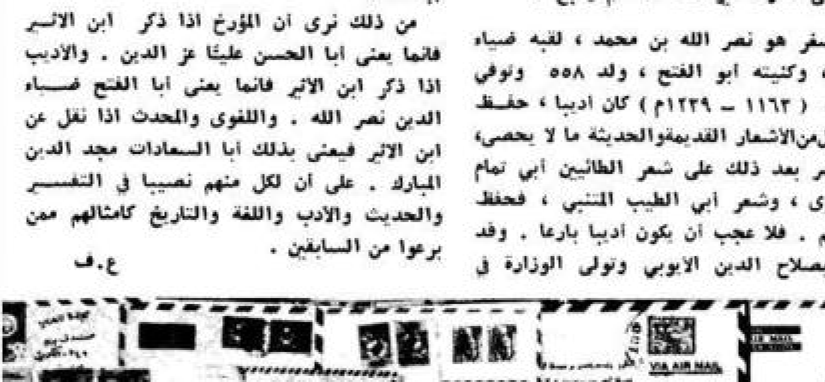
٦٣٠ هـ (١١٦٠ - ١٢٣٣) له اشهر كتاب في التاريخ ، وقد طبع في اكثر من عشرة اجزاء اسمه « الكامل » يعد مرجعا للمؤرخين . وله ايضا اهم مرجع فيالصحابة « اسد الغابةفي معرفة الصحابة» طبع في خمسة اجزاء . ومن كتبه « اللباب في الانساب » وهو مختصر لكتاب الانساب للسمعاني ، وله غير ذلك مما لم يطبع .

والأصغر هو نصر الله بن محمد ، لقبه ضياء الدين ، وكنيته أبو الفتح ، ولد ٥٥٨ وتوفي ٦٣٧ هـ (١١٦٣ - ١٢٣٩م) كان اديبا ، حفظ كما يقولمنالأشعار القديمةوالحديثة ما لا يحصى، ثم اقتصر بعد ذلك على شعر الطائيين أبي تمام والبحترى ، وشعر أبي الطيب المتنبي ، فحفظ دواوينهم . فلا عجب أن يكون اديبا بارعا . وقد اتصل بصلاح الدين الايوبي وتولى الوزارة في دمشق لابنه الملك الأفضل بن صلاح الدين . له كتاب « المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر » مطبوع ، وله غير ذلك من الكتب .

وكلهم من جزيرة ابن عمر بالقرب من الموصل وتعلمهم أولا كان ببلدهم ، ثم بالموصل ، واكبرهم وأوسطهم توفيا بالموصل ، اما اصغرهم فتوفي ببغداد .

من ذلك نرى ان المؤرخ اذا ذكر ابن الاثير فانما يعنى ابا الحسن عليًا عز الدين . والأديب اذا ذكر ابن الاثير فانما يعنى ابا الفتح ضياء الدين نصر الله . واللغوى والمحدث اذا نقل عن ابن الاثير فيعنى بذلك ابا السعادات مجد الدين المبارك . على أن لكل منهم نصيبا في التفسير والحديث والأدب واللغة والتاريخ كامثالهم ممن برعوا من السابقين .

ع.ف



الحبشة .. والقبائل العربية

● هل يوجد في الحبشة قبائل من أصل عربي ؟؟ ولماذا سموا الحبشة بأثيوبيا ؟!

محمد عبده – ج.ع.م

– تقع الحبشة شمال شرق افريقيا بين خطوط العرض ٥ر٣ – ١٨ شمالا ، وخطوط الطول ٣٣ – ٤٨ شرقا . وقد أتى اسم اثيوبيا وهو الاسم الرسمى الآن من الحكايات التقليدية التى تقول ان اثيوبس Ethiops ابن كاش Cush ، الذى ورد ذكره في الانجيل ، هو والد اكسوماوى Aksumawi الذى اسس ابناؤه الامبراطورية القديمة التى كانت عاصمتها مدينة اكسوم التى تقع في الجزء الشمالى من اثيوبيا .

اما اسم الحبشة Abyssinia فقد اشتق من اسم قبائل الحبش Habastat وهى واحدة من قبائل الجنوب العربى التى اسست امبراطورية « اكسوم ».

وقد هاجرت بعض القبائل من جنوب الجزيرة العربية الى الحبشة في ازمان قديمة جدا ، ولا يوجد أى دليل عن الزمن الذى بدأت فيه هذه الهجرة ، ولكن هناك بعض الآثار العربية التى وجدت في بلدة ييها Yeha بالحبشة ويعود تاريخها الى القرن الخامس قبل الميلاد . وقد أثرت القبائل العربية التى هاجرت الى الحبشة تأثيرا كبيرا على البلاد .. فمن قبائل الحبشاشتق اسم البلاد ، ومن قبائل الجيز Geez أخذ اسم اللغة السامية القديمة التى كانت اللغة الرسمية لمملكة اكسوم .

ودخل الاسلام الى الحبشة بعد ظهوره في الجزيرة العربية ، وبانتشاره تكونت عدة سلطنات اسلامية صغيرة في الجزء الشمالى الشرقى للبلاد، وكذلك في جنوب الحبشة . وقامت حروب بين هذه السلطنات أدت الى توحيدها في القرنالثالث عشر الميلادى تحت رياسة السلطان عفت .

ولا يزال الاسلام منتشرا في الشمال والشرق والجنوب من الحبشة وتعتبر مقاطعة «هرر» مركزا للمسلمين الاحباش .

(م . ط)

أخفض مكان ، وأعلى مكان

● اختلفت مع اصدقائي في تحديد اكثر سطح الارض انخفاضا على كرتنا الارضية ، بعضنا قال انه وادي الموت في امريكا ، وبعضنا قال انه البحر الميت ، أو بحر قزوين ، أو منخفض القطارة .. وانتقلنا بعد ذلك الى الحديث عن أعلى مكان على الارض ، هل هو جبال الالب ، ام جبال التبت ، ام جبل كليمنجارو ؟

وحتى نقطع الشك باليقين قررنا التوجه اليكم لتعطونا الرد الصحيح .

احمد علاوى – بغداد

– ما من شك ان البحر الميت هو اكثر الاماكن انخفاضا على سطح الارض ، اذ ينخفض بمقدار ١٢٩٦ قدما عن سطح البحر ، ويليه منخفض القطارة في ج.ع.م وينخفض ٤٣٦ قدما .. ثم وادى الموت في كاليفورنيا بالولايات المتحدة ، الذى لا يزيد انخفاضه عن ٢٨٢ قدما .. اما بحر قزوين فينخفض بمقدار ٩٢ قدما فقط عن سطح البحر .

وبخصوص الجزء الثاني من سؤالك نقول : ان قمة جبل افرست في نيبال بالتبت هي اعلى قمة في العالم ، ويبلغ ارتفاعها نحو ٢٩.٢٨ قدما عن سطح البحر ، في حين لا يزيد ارتفاع اعلى قمة في سلسلة جبال الالب – وهي اعلى جبال اوربا – عن ١٥٧٧١ قدما .. اما جبل كليمنجارو في تانزانيا بافريقيا ، وهو اكبر جبال افريقيا ، فلهقمتان : كيبو وارتفاعها ١٩٣٤٠ قدما ، وماونزى وارتفاعها ١٦٨٩٦ قدما ..

(س . ز)

لاتكونوا نحلاء

اذا كنتم نحلاء الجسم ناقصي الوزن جرّبوا هذا الاكتشاف الذي هو آخر ما توصل اليه علم التغذية. انه يدعى "سوبر ويت - اون". هناك اناس بصحة جيدة جرّبوه فزاد وزنهم ثلاثة كيلوغرامات أو أربعة أو خمسة.... بسرعة مدهشة.

بادروا الى زيادة وزنكم بسرعة وبطريقة مأمونة

"سوبرويت-أون" طعام اضافي جديد مغذٍ سهل الهضم ذو قيمة كالورية عالية، يحتوي على الفيتامين د١ والفيتامين ب ١٢ (لبناء الدم) بالاضافة الى الفيتامينات ب١ وب٢ وب٦. وهو يعيد الشهية ويصحح عسر الهضم ويعطيكم المزيد من الغذاء. "سوبر ويت - اون" ينشئ الانسجة الصحية المتينة في الجسم ويزيد في نشاطكم وحيويتكم فيزول شعور التعب والارهاق، وخلال بضعة اسابيع تبدون اقوياء الجسم مفعمين بالنشاط.

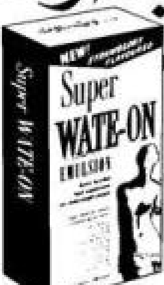
النساء يكتسبن شكلاً جذابا

باستعمال "سوبر ويت - أون" يزداد وزنكِ في الاماكن اللازمة خلال بضعة أسابيع.

الرجال يكتسبون قواماً جديداً

سوبر ويت - اون" يملأ الجسم الرقيق، ويكتسب الرجل انسجة متينة فيزداد قوة وعزماً.

جديد! سوبر ويت - اون



Super WATE-ON

بطعم الفريز

- يزيد في وزن الجسم بصورة واسعة
- زيادة ٥٠٪ في مقدار الكالوريات
- اكثر تركيزاً للحصول على افضل النتائج

17/AR

مستحضر عجيب لازالة بقع الوجه



"ازال د.د.د. البقع الجلدية عن وجهي في وقت قصير"

هذا ما قاله كيث نيكولس (١٧ سنة)

" رأيت د. د. د. في الصيدلية وقررت ان اجربه. استعملته على بقع وجهي فزالت، طبعا لم تزل كلها في مرة واحدة ولكن بصورة تدريجية. انه يعطي مفعولا سريعا شرط ان يستعمل بانتظام.

انني مرتاح تماما لعلاج د. د. د. ولم أزل استعمله حتى الان. انه لا يحتوي على مواد دهنية كغيره ".

وقد اكتشف كيث نيكولس كيف ان مستحضر د.د.د. ينفرد بخمسة عناصر علمية مطهرة وقوية ذات مفعول ملطف ومهدىء يزيل البقع الجلدية بصورة اكيدة.



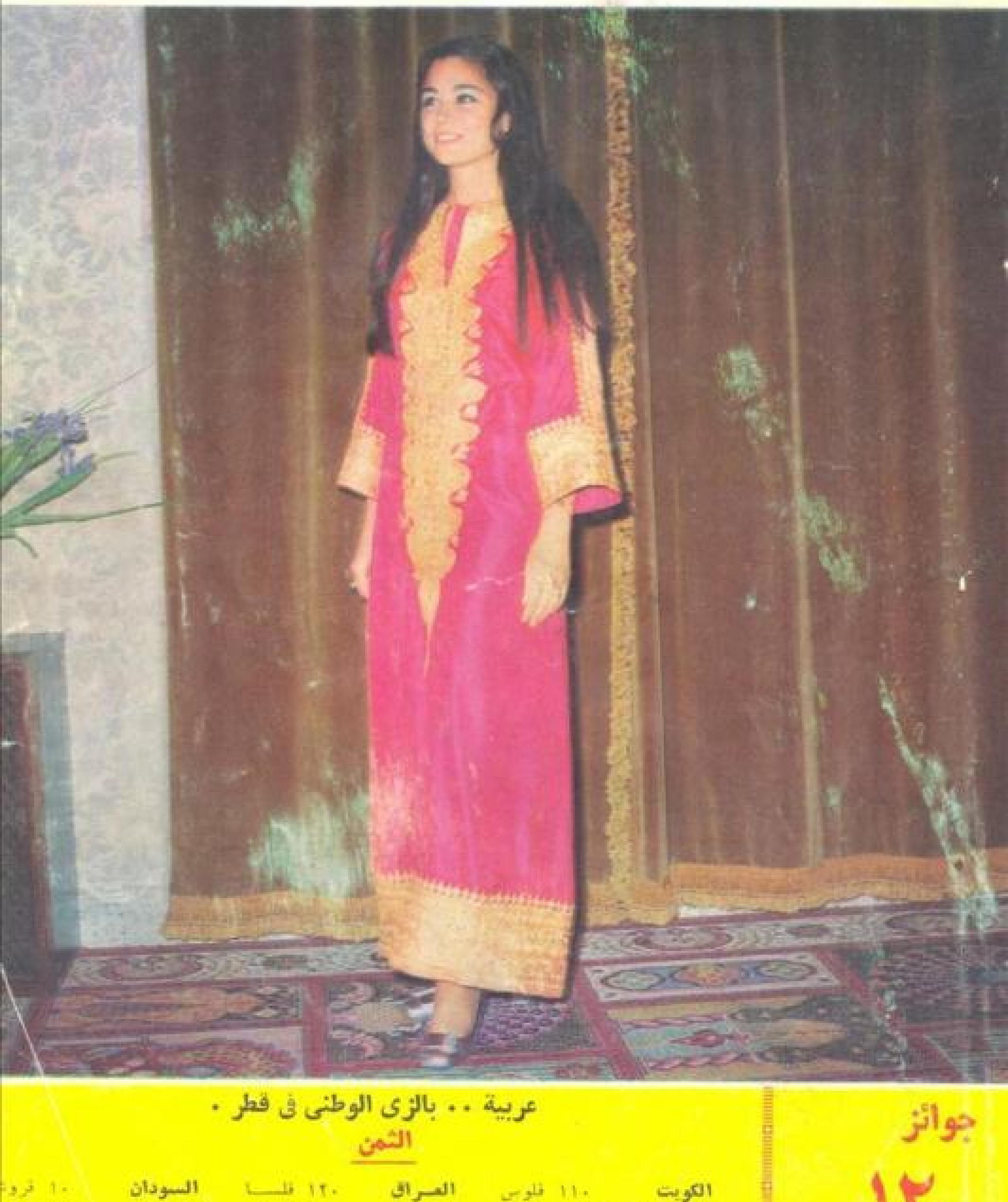
DDD
PRESCRIPTION

سائل - مرهم - صابون

متوفرة الآن بغلافات جديدة

العربي

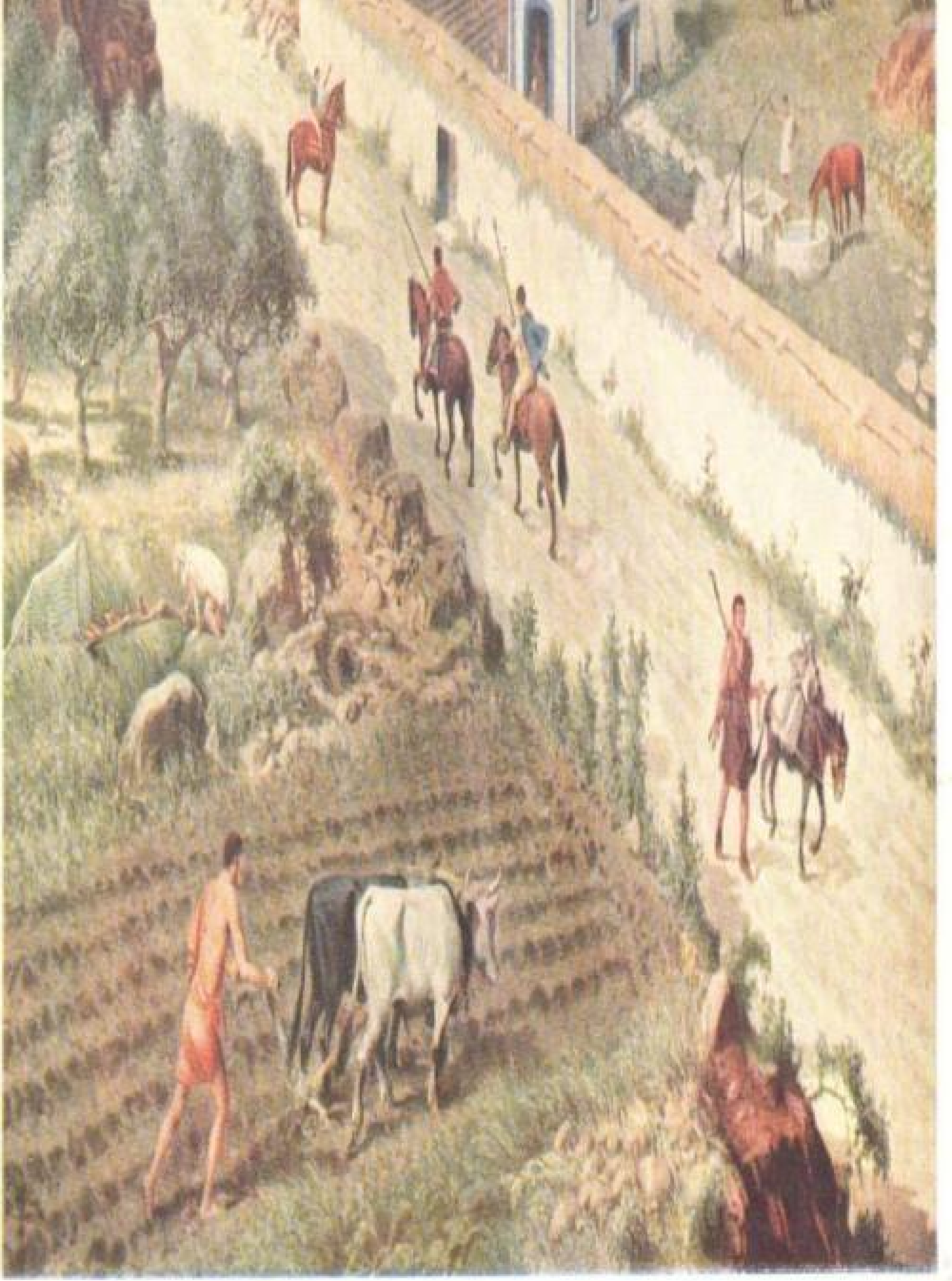
العدد ١٤٤
رمضان ١٣٩٠
نوفمبر
تشرين الثاني) ١٩٧٠



عربية .. بالزى الوطنى فى قطر .

الثمن

الكويت	١١٠ فلوس	العراق	١٢٠ فلسا	السودان	١٠ قرو
الخليج العربي	٢ ريال ق	لبنان	١٠٠ قرش	ليبيا	١٥ قرش
السعودية	٢ ريال	الاردن	١٠٠ فلس	تونس	٢٠٠ مليم
البحرين	٢٠٠ فلس ب	سورية	١٠٠ قرش	الجزائر	٢٠٠ مليم
اليمن	٥ر٢ شلن	ج٠ع٠م٠	١٠ قروش	المغرب	٢ درهم



حضارات سادت .. ثم بادت

● تمثل هذه اللوحة مزرعة كانت لأحد الرومان في تونس، وتجدر الاشارة هنا الى ان مدينة قرطاجة التي كانت قريبة من مدينة تونس، كان لها فضل كبير على الرومان في شؤون الزراعة . فالمزارع الكبيرة التي يملكها مموّلون كبار ويعمل فيها مزارعون خبيرون لم يكن يعرفها الرومان وقد نقلوها من قرطاجة بعد الانتصار عليها واحتلال اراضيها .

[انظر صفحة ١٥٢]



عزيزي القارئ

● كان لا بد لعجلات المطابع ، وهي تطبع آخر صفحات من هذا العدد من ((العربي)) ، ان تتريث . ولو قد ضاق بها الوقت ، فقد وجب عليها ان تتوقف ، ليحمل ((العربي)) معه ، وهو يخرج الى الوطن العربي كله ، مشرقه ومغربه ، صوت كاتبيه وقارئيه ، يشاركون به في العزاء أصوات الملايين وقد هزّهم الخبر المفاجئ الفاجع الأليم بوفاة الراحل الزعيم ، جمال عبد الناصر .

كان زعيما عظيما ، لا شك في هذا .

وكان خطيبا يرج الجماهير العربية رجًا لا شك في هذا .

وقد تستمع اليه على شيء من حذر ، فلا يتم خطابه حتى تكون قد أسلمت له كل محاذيرك ومعاذيرك .

وكان ينزل به الخطب ، ينزل به ، وبشعبه ، فتقول هذا آخر المطاف ، فاذا هو يصمد على الخطوب صمود الجبل الصلد الأصم ، وتمر عليه الزوبعة فلا تزحزح منه حجرا .

حدث هذا يوم رفضت الولايات المتحدة بناء السد العالي ، بعد قبولها اياه .

وحدث هذا يوم أمّم ، على رغم أمم الغرب ، القناة .

وحدث هذا يوم تآمرت اسرائيل وانجلترا وفرنسا عام ١٩٥٦ ، على استرداد القناة بالقوة ، وغزو مصر بما لا طاقة لها به من سلاح .

وحدث هذا يوم الفجيعة الكبرى فجيعة الخامس من حزيران .

وحدث هذا يوم أخذت اسرائيل ، بفنتوم امريكا ، تضرب مصر في الأعماق .

واخيرا حدث هذا يوم وقع ما وقع في عمّان من انشقاق .

وانت تنظر وتحسب انه انما وقف في هذه الأعاصير وحده .

وما وقف فيها وحده .

كانت معه عناية الله .

ومن بعد عناية الله في الدنيا ، ذهب الى رعاية الله في الآخرة .

فاطلبوا له الرحمة اوسع الرحمة ، واطلبوا لمن خالطوه ، ومن عرفوه ، ومن استمعوا له وعاصروه وأحبوه ، الصبر والسلوان .

((كلٌ من عليها فانٍ ، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام)) .

المحرر

آخر صورة للفقيد
في مطار القاهرة وقد عصره الداء عصرا

ولقد نظرتك والردى بك مُحدقٌ
والـداء ملءُ معالم الجثمان

العربي

رئيس التحرير: الدكتور أحمد زكي

القسم العام :

دين :

فلسفة :

ادب ولغة :

استطلاعات مصورة :

عروبة :

طب وعلوم :

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة
تصدرها وزارة الارشاد والانباء بحكومة الكويت
والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABY — No. 144 Novemter 1970 P. O. B. 748 — KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٢٧١٤١ ـ تلغرافيا « العربي »
الاعلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات
المراسلات : تكون باسم رئيس التحرير



صورة الغلاف :

● قالوا لنا هل ترون هذا الزى الوطنى الطويل الذى ترتديه نساء قطر ؟ . قلنا : رايناه .. قالوا : اليست هذه آخر صيحة في ازياء النساء ؟ .. ان المراة في قطر تصر على ان موضة الماكسى انطلقت من هنا .. وهذه فتاة عربية تعيش في قطر ، وترتدى الزى الوطنى « الماكسى » .. ما رأى مصممى الازياء .

(انظر استطلاع قطر ابتداء من صفحة ٩٢)

تاريخ .. وتاريخ اشخاص :

تربية وعلم نفس :

ركن الاسرة والمراة :

شعر وشعراء :

كتــب :

قصص وجرائم :

منوعات :

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربى ٢ ريال قطرى ، البحرين ٢٠٠ فلس بحريني، العراق ١٢٠ فلسا ، سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش الاردن ١٠٠ فلس ، السعودية ٢ ريال ، السودان ١٠ قروش ، ج٠ع٠م ١٠ قروش ، تونس والجزائر ٢٠٠ مليم ، المغرب ٢ درهم ، اليمن ٣٫٥ شلن ، ليبيا ١٥ قرشا .

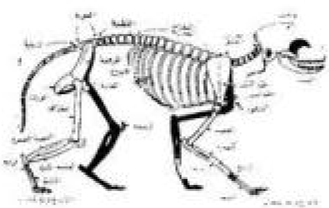
الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت ـ ص٠ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربي .



بريد القراء

(وحدة الله تتراءى فى وحدة خلقه)

● قرأت في العدد ١٣٨ من العربي ، تحت عنوان « وحدة الله تتراءى في وحدة خلقه » بقلم الدكتور أحمد زكي ، الذى عوّدنا الافادة والامتاع .. قرأت ان هياكل الحيوانات تكشف عن الوحدة الجارية بينها . فارجو الافادة عما اذا كان يفهم من ذلك أن ما جاء بالمقال المشار اليه يتمشى من حيث المبدأ مع مذهب النشوء والارتقاء الذى ظهر في القرن الماضي على يد العالم الفرنسي لامارك والعالمين الانجليزيين شارل دارون وزميله الفريد والاس ، وهل يتفق مع ما جاء في كتاب الاستاذ عباس محمود العقاد رحمه الله « الانسان والقرآن » ، من أن مذهب النشوء والارتقاء لا يتعارض مع الدين ؟



وزير سعيد وزير
بنا – ج٠ع٠م

العربي : لم يمس رئيس التحرير في مقالاته في وحدة الخلق مذهب النشوء والارتقاء لا من قريب ولا من بعيد . وبعد الانتهاء من هذه المقالات فربما كان له في هذا رأى يراه ان شاء الله ، وافق في ذلك صديقه المرحوم الاستاذ عباس محمود العقاد او خالفه .

اللوحات الفنية في ظهر غلاف العربي

● لدى سؤال اعتقد انه يدور في اذهان الكثير من قراء مجلتكم العظيمة ، وهو في الواقع لا يدور حول شيء جديد ، وانما هو عود لخير تركتموه دون ما سبب ظاهر .

السؤال هو : « لماذا عدلتم عن نشر اللوحات الفنية الرائعة التى كانت تظهر على ظهر غلاف العربى ؟ » لقد كانت هذه اللوحات من روائع الفن العالمى ، وكانت تحوى ترجمات قصيرة لحياة كبار الفنانين وكنا نفيد منها كثيرا ، وخاصة بعد هذا المستوى الرفيع الذى وصلت اليه مجلة « العربى » من طباعة الصور الملونة .

انا نتساءل : « لماذا اتجهتم مرة اخرى الى الموضوعات التاريخية القديمة ؟ » . نرجو ان نطالع قريبا روائع مايكل انجلو ، ودافنشي وغيرهما من فنانى العصر الحديث والقديم .

محمود حسن – الاسكندرية

العربى : اتجهنا مرة اخرى الى ما اسميته « بالموضوعات التاريخية القديمة » بناء على طلبات كثيرة جاءتنا من القراء .

(تزمت أب)

● والدنا رجل متزمت الى درجة انه يعارض في شراء جهاز تلفزيون ، زاعما ان الم هذا الجهاز اكبر من نفعه ، ويقول ان تأخر تلاميذ الكويت سببه التلفزيون ، وهو يقسو علينا فيضربنا ويرفسنا برجله ، ويقتر علينا ، وعبثا حاولنا ان نقنعه بخطاراية هذا ، كما فشلت كل محاولاتنا لكي نشرح له فوائد التلفزيون ، وكيف اصبح اليوم مدرسة علمية ثقافية في كل بيت ، وخاصة خلال العطلة المدرسية في اشهر الصيف الطويلة . هل يغفرالله لنا ، اذا مددنا ايدينا الى جيوبه « ناخذ » منها ثمن التلفزيون ونشتريه ؟

ابناء من بنيد القار

العربي : لو فعلتم هذا ، ووقفتم انتم وابوكم ،أمام قاضي المأمون يحيى بن اكثم ، فقد والله يجار ايقضي لكم أم لابيكم !

عطارد يومه يساوى ٨٨ يوما من أيام الارض

● وردتنا عدة رسائل يتسائل فيها اصحابها عما اذا كانت الهدية التى وزعها العربى مع عدده الممتاز الاخير (يناير ١٩٧٠) قد اوردت بعض المعلومات الخاطئة المتصلة بالكوكب عطارد وخاصة قطره وطول يومه وطول سنته .

وقد راجعنا الخريطة المهداة «الشمس وكواكبها» ووجدنا ان كل المعلومات التى تضمنتها ولا سيما تلك الخاصة بعطارد صحيحة . فقطر هذا الكوكب ٣١٠٠ ميل ويومه يساوى ٨٨ يوما من أيام الارض وسنته تساوى كذلك ٨٨ يوما من أيام الارض . وقد لا يستغرب المرء لطول سنة هذا الكوكب وقد يستغرب لطول يومه ، اما السبب في ذلك فهو قربه من الشمس اذ لا يزيد بعده عن الشمس على ٣٦٠٠٠٠٠٠ ميل وهذه مسافة تساوى ٣٩٪ من بعد الارض عن الشمس .

على ان عطارد ليس الكوكب الوحيد الذى يتساوى يومه بسنته . فهذا التساوى يصدق ايضا على القمر .

وجدير بالذكر ان اكثر المعلومات التى لدينا عن عطارد يعود الفضل في الكشف عنها او تثبيتها الى العالم الفلكى الايطالى جيوفانى شياباريلى *Giavanni Schiaparelli* وقد توصل اليها في أواخر القرن التاسع عشر .

استطلاع البصرة

● لدى مطالعتي الاستطلاع للعدد رقم ١٤٠ من مجلة « العربى » الغراء الخاص بالبصرة، استرعى انتباهي ما نشر وصوِّر عن (قضاء الزبير) الذي يعتبر اكبر اقضية البصرة مساحة وسكانا ، حيث انه بالرغم من قيمته وموقعه بالنسبة للعراق ارى انكم لم تسهموا بالقدر الكافي في اظهار معالم هذا القضاء وحياة مجتمعه واهملتم جزءا كبيرا من معالمه والتطرق لحياة سكانه . ولا أرى في الصورة المنشورة بالعدد المذكور اى ارتباط بماضي وحاضر سكان الزبير وهى في الحقيقة لا تحتل اى جانب من جوانب حياة سكان الزبير ، واننى استغرب كيفية اختياركم لصورة ذلك السوق الذى لا يظهر باى شكل من الاشكال اى جانب من معالم وحياة ذلك البلد ، وكم تمنيت ان تكون « العربى » قد اتيحت لها زيارة كافة احياء مدينة الزبير ليتسنى لها اختيار صور افضل وانسب من تلك لمعالم الزبير . واني اذ اعتز بزيارة « العربى » للزبير ارجو ان يحظى الزبير مستقبلا بزيارة تمكن القارىء التعرف عن ذلك البلد ككل .

عبد الرؤوف جاسم الجامع ــ السعودية

العربى : كان الاستطلاع لمدينة البصرة كلها ، اما الحديث عن قضاء الزبير ، فقد جاء ضمنا ، ونرجو أن تتاح الفرصة للعربى لعمل استطلاع مستقل لهذا القضاء مستقبلا .



المغرب اللغة

حديث الشهر

من وحي رحلة
في المغرب العربي
بصيف عام ١٩٧٠

بقلم رئيس التحرير

■ الوطن العربي يكاد يكون له شكل الطير : جسم وجناحان . أما الجسم فأوسط هذا الكيان ، مصر والسودان ، وأما الجناحان فالمشرق العربي والمغرب العربى . هذا من الوجهة الجغرافية . ولا نريد بهذا التقسيم لا رفعا ولا خفضا . ولا يتصل هذا التقسيم حتى بوظائف كيان الطير ، ما وظيفة الجسم أو وظائفه ، وما وظيفة الجناحين . ومع هذا فلا يستطيع دارس أن ينكر أثر هذا الوضع الجغرافى فى تاريخ المشرق العربى، وتاريخ المغرب العربي . وبما أن حاضر اليوم انما هو ميراث ماضى الأمس ، وقد اختلف الأمس جغرافيا فتاريخيا ،وجب أن نتوقع اختلاف اليوم. اختلاف مابين مشرق عربي ومغرب عربي .

ان وجوه الشبه بين المشرق العربي والمغرب العربي من الكثرة ، ومن العمق، بحيث لا تظهر للناظر وجوه الاختلاف ظهورا بينا . فهى كضياء الشموع أخفتها وطفت عليها حتى كسفتها اضواء المصابيح العاتية .

واقتصر فى كلمتى هذه على وجه واحد من وجوه هذا الاختلاف .

الاستعمار الذى كان

ان أوروبا بسطت سلطتها الاستعمارية



إنْ شَقَّتِ الوَطَنَ العَرَبِيَّ شِقَّتَيْنِ :
فَشِقٌّ يَنْطِقُ بالضَّادِ ،
وَشِقٌّ يَنْطِقُ بِغَيْرِ الضَّادِ ،
فَذَلِكَ قَضَاءُ اللهِ لا دَافِعَ لَهُ .

على المشرق العربي في القرن الحاضر والذى سبقه بمعنى سواء .

واقول بمعنى سواء ، ولا اقول بدرجة سواء ، ولا بهدف سواء . استعمار المشرق كان استعمارا بريطانيا ؛

واستعمار المغرب كان استعمارا لاتينياً . استعماران كريهان كراهة كل استعمار ، ولكن ما كان أبعد ما بين الاستعمارين ؛ هدفا وغاية ، وكذلك مزاجا .

الاستعمار البريطاني ، في اجماله .

أخذ ما أخذ من الدولة المستعمَرَة ، وبسط من سلطانه عليها ما بسط ، في الحقل السياسي والحربي والاقتصادي وغير ذلك من الحقول ، ولكنه ابقى على المقوّمات القومية للبلد المستعمَر ما بقيت لا تتعارض مع اهدافه ، ومن أول هذه المقومات لغة البلاد وتاريخ البلاد، وحتى ثقافة البلاد الى حد كبير ، ما جرّع البلد المستعمر من الثقافة البريطانية المقدار الكافي لتسهيل أمور الاستعمار .

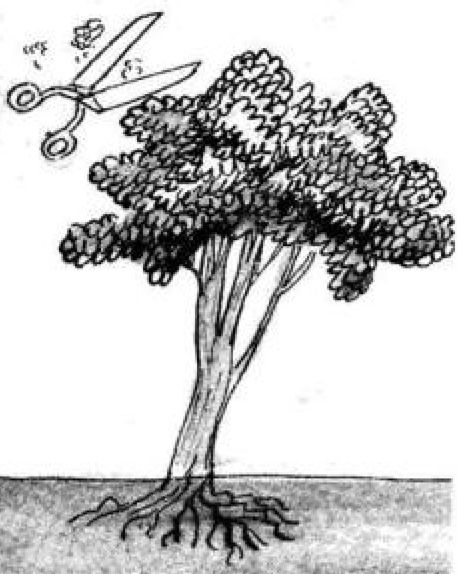
وغيرُ ذلك كان الاستعمار اللاتيني . فهذا الاستعمار هدف الى اقتلاع جذور القومية في الأمة المستعمَرة اقتلاعا . أراد أن يبدّل بهم قوما غير القوم ، وناسا غير الناس ، وأن يقطع بينهم وبين التاريخ ، وأن يبدّل بلغتهم لغة اخرى هي لغة المستعمِر ، وحضارةً اخرى هي حضارة المستعمِر ، على أن يقفَ بهم من هذه الحضارة عند حد دنيء معلوم . ثم هو بعد ذلك يجعل لهم مرتبة من مراتب القيِّم لا ترتفع الى مراتب الدولة المستعمِرة ، الدولة الأم ، أبدا .

من اجل هذا قامت ثورة الجزائر ، وكانت ثورة من امجد الثورات ، تذكر في التاريخ فتحمد الحمدَ كله .

ومن أجل هذا قامت ثورة المغرب الأقصى ، وتزعمها ملك ، وكان غريبا في أحداث التاريخ أن يجمع رجل بين مُلك وثورة . ونزل محمد الخامس من المحبة في قلوب الناس منزلا قل أن يحتل مثله ملك أو زعيم . وقدّر المغرب الأكبر ثورته الوطنية هذه ، وانت لا تكاد تزور منه مدينة الا وتجد بها شارعا يذكر اسمه بالملك الزعيم .

وتونس قامت بها ثورة مذكورة ردّت مقاليد الأمور الى أبنائها .

واخير جاءت ثورة الفاتح من سبتمبر، ثورة ليبيا ، وانا أنظر اليها من هنا ، من

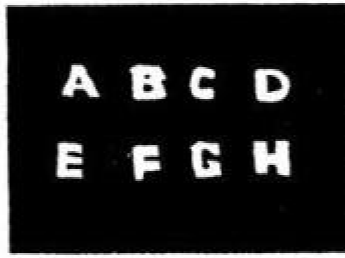


الاستعمار البريطاني يحش من الشجرة بمقصه ما يشاء ، ويبقى غالبا على الجذور



الاستعمار اللاتيني يقتلع الشجرة من جذورها لتفرغ له الارض .





سبورتان ، في صف دراسي عربي ابتدائي ، في عهد استعمار لاتيني .

ـ مُرحَّب بها شائعة

ـ ممنوعة محرمة

حيث أنها امتداد لثورة شعبية كبرى ضد اكثر صنوف الاستعمار بشاعة. استعمار لاتيني من نوع يستحل ابادة الشعوب ، ولا اجد شبيها له في حاضرنا الا الاستعمار الاسرائيلي لفلسطين . كلاهما ينتزع الأرض من اهلها ، وينتزع كل موارد العيش منهم ويرمي بهم في الصحاري ، رميَ الكلاب الضالة أو الذئاب المسعورة.

محمد الخامس

الملك الزعيم

ثار على الاستعمار اللاتيني

فحل في قلوب العرب محل اكبار واعزاز ومحبة



أثر الاستعمار في اللغة

وتأثرت دول المغرب بهذا الاستعمار على درجات . واذ اراد المستعمر أن يمحو شخصية اهل هذه الأوطان ، واذ كانت شخصية الأوطان تتمثل أكثرَ ما تتمثل، واشدّ ما تتمثل في لغة الناس، عمد الى محو هذه اللغة ، واحلال لغته مكانها . وفي بعض هذه الأوطان حرّمت اللغة العربية لغة دراسة في المدارس ، حتى الابتدائية ، تحريما .

وكان أكثر هذه الأوطان نصيبا من امّحاء لغة ، الجزائر ، وتلتها في ذلك ، المملكة المغربية ، وكانت الجمهورية التونسية أقل من أختيها نصيبا ، وتأتي ليبيا في آخر المطاف ، لا لأن هذا الاستعمار اللاتيني كان اقل قسوة عليها، بل لأن الاستعمار اللاتيني كان أكثر قسوة ، فهو نزل بهم في حسبانه السقيم الى مرتبة لا تستاهل لغة ، ولا تستاهل حضارة ، وانما هو الفناء اراده لهم لتخلو له الأرض وليكون له وحده الزرع ويكون الضرْع .

ونجت اللغة العربية في أوسط الوطن العربي وفي مشرقه من ابادة . نجت في مصر وفي السودان وفي فلسطين والأردن وفي سورية والعراق ، وفي الكويت

والخليج العربي ، وفي الجزيرة العربية من المملكة السعودية الى اليمن شماله وجنوبه الى سائر ما هنالك من امارات. نجت لأن الاستعمار كان بريطانيا ، وهو استعمار ، وان كان يهدف الى السيطرة التي تهدف اليها سائر صنوف الاستعمارات ، الا انه لم يكن من اهدافه ابدال خلق بخلق ، ولا لسان بلسان .

اللغة العربية في المشرق العربي

من اجل هذا صحا اهل المشرق العربي من نومهم الطويل على لغة عربية ميسرة سائرة . لغة الناس في الشوارع ،ولغتهم في الأسواق ، ولغتهم في البيت ، وعند الدرس ، وفي مدارس التعليم جميعا . وفي المدارس كانت اللغة العربية اكثر يسرا في التعليم العام ، وكذلك في العلوم التي عرفت بالعلوم الانسانية، وقد تضم الآداب وتضم التاريخ والجغرافيا والفلسفة وعلم الاجتماع وما الى ذلك . وعندما احتاجت العلوم الطبيعية كالطبيعة والكيمياء وعلم الحيوان والنبات والجيولوجيا الى مصطلحات ، اخذت الدول العربية المشرقية المختلفة ، على هوادة ، في احياء ما كان عند الآباء من هذه المصطلحات ثم درّس ، ثم في استجداد المصطلحات . ولم تجد في ذلك عسرا. حتى اذا بلغوا الى التعليم الجامعي تابع بعض هذه الدول تدريس العلوم الطبيعية بالعربية ، ومضى آخرون يدرسونها بلغة اوروبية .

ورضي هؤلاء عن اولئك،ورضي اولئك عن هؤلاء .

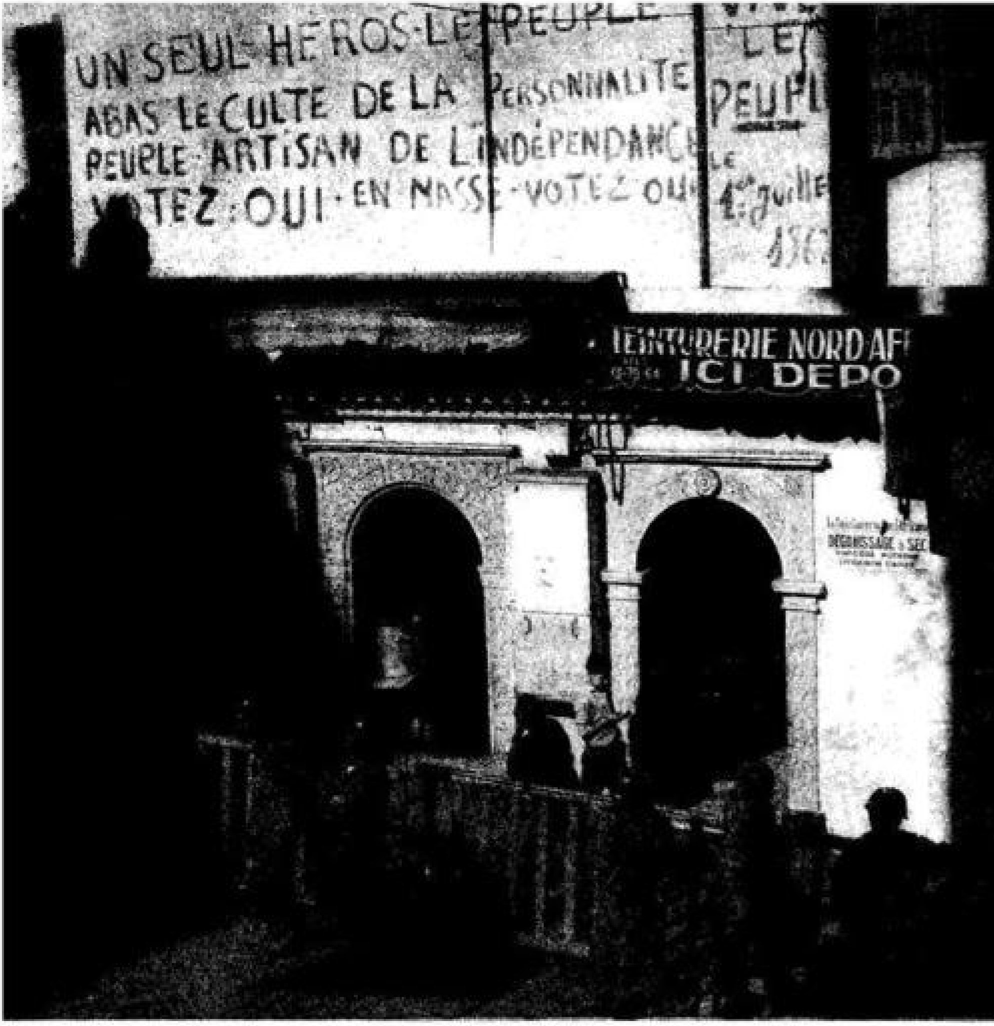
ولم تتأثر اللغة العربية في المشرق العربي بسبب هذا الخلاف في المسلك لسبب بيّن ظاهر سوف نأتي عليه .ولم يقل احد ان الوطن استبدل بلغة لغة . ولم يقل احد ان وطنا بذاته فرّط في لغته العربية بسبب اتخاذه لغة أوروبية يدرّس بها بعض العلوم المتخصصة الطبيعية . ولم يخش عربي في المشرق العربي على لغته من تعلم لغة اجنبية : فعنده ان لغته العربية تقبع بين سائر لغات الأرض في مكان حصين رصين ، وعنده ان تعلم لغة اخرى ، فأخرى ،انما هو كسبٌ للغته يزيدها معاني جديدة، وافكارا جديدة ، وآفاقا جديدة ، وعنده انه سحقا للغة لا تتسع ابعادها مع اتساع الزمان .

اللغة العربية في المغرب العربي

وغير ذلك اللغة العربية في المغرب العربي .

انهم حاربوا المستعمر،وكسبوا حربا. وهم كانوا حاربوه لانه اراد ان يستبدل بشخصيتهم شخصية اخرى ، وبلغتهم لغة اخرى . ولكن لما انتصروا ، وجاءت سنوات يحصون فيها ما خلفت الحرب، وما خلف الاستعمار ، وجدوا ان الاستعمار كانما رضي بالزوال بعد ان مسخ لغة الناس مسخا ؛ وأحل مكان لغتهم لغته هو ، وبثها في مدرسة ، وبثها في شارع،وفي سوق ، وفي محكمة ، وفي شرطة ، وفي كل ادارة حكومية ؛ وكل بيت تجاري او صناعي .

خرج المستعمر من هذه البلاد وهو يضحك في اكمامه . خرج وهو يقول : لانْ كنت خرجت من ديارهم ، انا المستعمر ، فقد والله خلفت فيهم لغتي وستقوم نيابة عني تستعمر .لقد ربطتهم بها ربطا لا ينفصم على الدهر ابدا ، فانا دائما امشي ، وهم دائما ورائي ، على السلم يسيرون ويتبعون. الدراسة بها، فالدرس درسي . والقراءة بها ، فالغذاء غذائي . والكتب كتبي واذن فالفكر فكري . وعلى الزمن ، المجدُ مجدي وينسَى مجدهم . والتاريخ تاريخي ، وينسَى تاريخهم . ولن يرتفعوا الى



الاستعمار اللاتيني هدف الى اقتلاع جذور القومية في الامة المستعمرة ، اراد ان يبدل الناس وان يقطع بينهم وبين التاريخ ، وان يبدل بلغتهم لغة أخرى هي لغة المستعمر . ومن اجل هذا (قامت ثورة الجزائر)

مرتبتي ابدا ، فالدماء ، كالوجوه ، لن تتغير ، فدماؤهم ستبقى دائما سمراء او سوداء .

صورة عن تلك البلاد خرج بها المستعمر ، واخذت تراوده على السلم ، خالفها الواقع كل مخالفة . فالمستعمر ، طوال استعماره ، لم يبثّ بلغته علماً . ما كان فى تخطيطه ان يبث علما وهو يريد أن تكون له على البلاد سيطرة دائمة .

وسيطرة المستعمر لا تدوم الا مع جهل الشعوب . ثم ان اللغة التى بثها عندما ترك لم تغطّ كل البلاد . العواصم : نعم . ولكن نجا الريف وهو اكثر البلاد سكانا . واهل العواصم استخدموها فى شئون الحياة العادية الجارية ، حياة الطعام والشراب واصطياد الارزاق ، فهي لم تصب منهم عمقا . انها الضحالة كل الضحالة . وميزة اللغات انما تكون فى اعماقها . وما اراد المستعمر ان يصل

بالقوم الى هذه الأعماق ، بالعلم والفكر وبسائر صنوف المعرفة . تلك ان وصوله فى الجماهير المستعمرة الى هذه الأعماق، ينسفه هو .

كنت اتحدث هناك الى جرسون المقهى بلغة المستعمر فى شئون المقهى ، فأراه يحسن الحديث . فأخرج به الى شيء يسير من ترف المعرفة ، فأجد فيه امية بالفة . انه يريك بحديثه بلغة المستعمر بريقا تحسبه بريق الذهب ، فاذا تحسسته لم تجد هناك ذهبا . انه بلغة المستعمر يؤدى حاجة العامة من العيش. فلو انه استبدل بلغة المستعمر لغة اخرى غير ذات حضارة كبيرة ، او اى حضارة



ان لغة المستعمر لم تصل فى الناس ، لقضاء حاجات العيش الجارية ، الى الاعماق .

حاضرة ، لأدّت نفس الأغراض التى التى تتطلب لها فى الحياة العادية اللغات.

والى جانب سائر عوامّ القوم ترك المستعمر طائفة من اهل البلاد وجب عليه وهو فيها ان يستعين بها ، فثقفها ، واعتنى بتثقيفها ، ثم هو بعد ذلك وزعها على سائر ادارات الحكم والفن فى البلاد.

فهذه الطائفة هى التى اصابها ، فى ذواتها، بخروج المستعمر ، اكبرُ الضرر. انها نشأت نشأة اجنبية ، واكثر رجالها لا يستطيع ان يقرأ كتابا عربيا . فهؤلاء هم بحق الضحية . عندهم المعرفة ؛ وعندهم الخبرة ، ولا امنع عنهم حب الأوطان ، ومنهم الكريم اكبر الكرم ، والشريف أكثر الشرف، ولكن فعل الزمان بهم شيئا لم يخالوه ابدا .

المسألة عند هؤلاء مسألة ارزاق ، وحقٌ لهم ان يدفعوا عن رزق . وحق لأمتهم ان تضمن لهم بالتحول الى لغة البلاد ان لا يضارّوا بذلك ابدا .

التحول الى لغة البلاد

ان الذى يتجول فى المغرب العربى الكبير ، ولا يسمع من افواه الناس الا لغة المستعمر الذى كان ، لا سيما فى العواصم ، يخرج وهو يقول لنفسه : كيف يمكن تحوّلُ البلاد الى لغة البلاد ؟

وصعوبة هذا التحول قد تظهر جسيمة للزائر العابر . ولكنها تخف حتى تصبح املا سريعا ناجزا اذا ما ذكرنا :

(١) ان الريف ، وهو أكثر البلاد ، لا يتكلم الا العربية ولو عامية محلية .

(٢) ان الذين يتكلمون لغة المستعمر فى العواصم من الجمهور لا يتكلمون من هذه اللغة ، ولا يعرفون منها الا القدر الذى تستوفى به حاجات الشوارع والأسواق والجارى السارى من المعاملات .

(٣) ان المستعمر خلف البلاد فى جهالة غامرة ، واذن لا بد من ان يبدأ تعليم السواد من جذوره . وحيث بدانا من الجذور وجب أن تكون البذور عربية .

(٤) ان طائفة الوطنيين المثقفين ثقافة فرنسية ، وهم قلة ، وهم الضحية ، ولهم كل عطفى بحسبانهم ذلك ، فهؤلاء امرهم يسير . ليس فيهم من يعجز عن ان يستدرك من لغة آبائه ما فات . ولن ينساء احد بسبب اختلاف الدهور وتقلب الحظوظ .

اللغة العربية
لغة من اقدر لغات الأرض

نعم هى كذلك ، ولا داعى الى ان اقول كما يقول الكثيرون انها اقدر لغات الأرض.

ان اللغة العربية كفاها دليلا على قدرة ، ووصفا بنباهة ، انها كانت لسان حضارة من حضارات الانسان فوق ظهر هذه الأرض ، وهى حضارة دامت قرونا ، وهى حضارة كانت فى زمانها سيدة الحضارات. وهى لغة بلغت الذروة فى التعبير عما يختلج فى عقول أو نفوس . وقد سجلت حضارة العرب بلغتهم، ولكن ضاع اكثر هذه السجلات . ولكن فى القليل الذى بقى شاهد وشواهد على انها اسعفت كل قائل فيما اراد ان يقول، وكل كاتب فيما اراد ان يكتب ، وبلغت من دُرَر المعانى والتعابير ما تستطيع به أن تفاخر اى نتاج اوروبى فى عصرنا هذا الحاضر ، ما استقامت المقارنة من حيث الصنف والفن والبيئة القائمة .

والذين يقولون فى اللغة العربية غير ذلك لا يدرون . انهم لم يقراوها ولم يدرسوها ، وبعض الأخوة الكرام الذين لقيتهم فى المغرب العربى وسمعتهم يقولون ان اللغة العربية لغة متخلفة ، هم فئة من لا يدرون . ولقد وجدت منهم من لا يستطيع أن يقرأ من العربية سطرا . الا ما اسهل الحكم على ما لا نعلم ، لا سيما اذا ارتبطت بهذا الحكم منافعنا والأرزاق .

وآخرون من هؤلاء صدقوا النية . قالوا ان اللغة العربية لغة تخلف ، وهم انما ارادوا أن يقولوا انها لغة قوم متخلفين . واهل المغرب العربى فى ريبة كبرى من اهل المشرق العربى . وساء اهل المشرق حالا ، فساءت لغتهم (عند اهل المغرب العربى) وسيلة ، وساءت سمعة .

وعندى ان هذا الربط ، بين قوم ولغتهم ، ربط كثيرا ما يكون خاطئا . نعم ان اللغة ترقى برقى اهلها، وتنخفض بانخفاضهم ، لكن اللغة العربية فى المشرق العربى مضت تؤدى فيهم ما تؤديه اكثر اللغات نبضا بالحياة ، وذلك فى كل مرفق من مرافق الحياة ، وهى لعبت فى الخصومات السياسية المقيتة الكريهة دورا كان شديد الوبال على الأمة ، وذلك بسبب ما فى هذه اللغة من قوة ، ومن فنون فى التعابير بارعة .

اللغة العربية
فى المدارس والجامعات

وسمعت فى اهل المغرب العربى من يقول ان هذا العصر عصر علم وتكنية واللغة العربية لا تصلح لتدريس علم طبيعى ، ولا تكنية .

واجد من العبث رفض هذا القول على الفور . اذن هى العاطفة تعمل حين وجب ان يعمل العقل .

ولتمحيص هذا القول يجب ان ننال بالبحث ذلك الجانب من العرفان الذى تعطيه المدارس لتلاميذها وطلابها ، ذلك الذى ليس بالعلم ولا بالتكنية . واضرب بذلك مثلا اللغة العربية ذاتها ، وآدابها . والتاريخ . والجغرافيا . وعلم الاجتماع وعلم النفس . والتربية والدين والأخلاق واختصارا كل ما نسميه بالعلوم الانسانية Humanities . فهذه لا يمارى

احد فى ان تدرس بلغة البلاد ، من حيث تبدأ والى ان تنتهى . بعينها فى النهاية مصادر لا بد أن تكون أجنبية . بدليل اننا سميناها انسانية . ومعنى هذا انه لا بد ، ولو فى النهاية ، من لغة أجنبية . وما اختصم احد فى ذلك. ولكن الخصومة فى ان تدرس هذه العلوم بغير لغة البلاد . هل تدرس انجلترا تاريخ بلادها بالألمانية، او تدرس روسيا جغرافيتها لصبيتها ولشبابها باليابانية . أم هل يدرس دين محمد بالفرنسية .

ثم اعود الى العلوم الطبيعية والتكنية.

اللغة العربية فى العلوم الطبيعية والتكنية

اما فى المدارس الابتدائية فلا أحسب أن يكون فيها من العلم الطبيعى ، كمًا وكيفًا ، ما يستدعى الاستعانة عليه بلغة أجنبية .

ثم تأتى المدارس الثانوية بحظ من العلوم الطبيعية ذى بال .

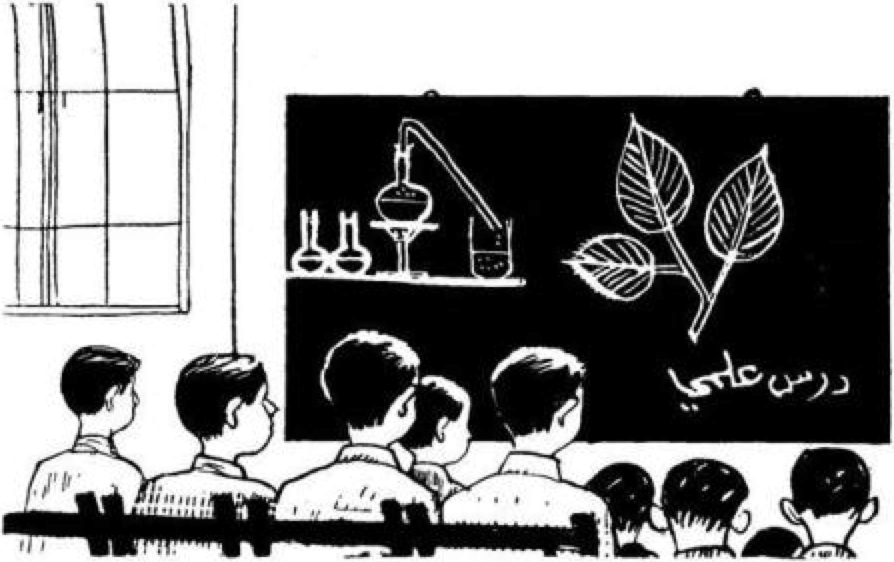
ثم تأتى الجامعات بحظ من العلوم الطبيعية والتكنية اكبر واكثر ، وهنا يجب أن نفرق بين العلمين الطبيعيين ، علم المدارس الثانوية وعلم الجامعات .

العلم الطبيعى للمدارس الثانوية هو العلم الطبيعى العام . العلم الذى لا بد أن يعلمه جمهور الأمة. العلم الذى يتصل بالحياة الجارية وأحداث السياسة ووقائع الأيام . العلم الذى لا بد منه ليتفهم المواطن العصر الذى يعيش فيه .

وهذا علم بطبيعة الحال لا تخصص فيه .

ان نصيب المواطن منه طرف من الكيمياء ، فهذا حامض وهذا قلوى ، وهذا عنصر وهذا مركب . وهذه ذرة تنشق فتعطى الطاقة،وهذه ذرة لا تنشق وتقف عند هذا .

وان نصيب المواطن من هذا العلم ، علم الجماهير ، طرف من الطبيعة (الفزياء) أو علم الفلك . فهذا كوكب



سبورة فى درس علمى بمدرسة ابتدائية عربية لصبية صغار لاتحتاج الى لفظ علمى خطير .

وعدا نجم . وكيف تدور الكواكب وكم تدور ، وكيف تفعل النجوم ، وما عدد النجوم والكوكبات . وما القمر والمريخ . وهلم جرا .

علم لا تخصص فيه . والمواطن من اجل هذا يجمع منه انصبة كثيرة من كل اطرافه . فهذا علم طبيعى ، هو اصلا للجماهير .

فيجب أن يدخل لغة الجماهير . واذن يدرس بلغة الجماهير ، اللغة العربية .

وكل هذه العلوم الطبيعية تدرس فى جميع المدارس الثانوية بالمشرق العربى باللغة العربية منذ سنين طويلة . والمصطلحات العربية فيها كثرة كاثرة . ولم يشك احد من لفظ أعوزه .

ومن شاء من تلاميذ المدارس الثانوية ان يقرا طرفا منها بلغة أجنبية ، فله ذلك ، عن طريق اللغة الأجنبية التى يتعلمها فى ثانويته .

ونأتى الى الجامعات ، فهذه علومها متخصصة . انها ليست للصحف العامة ، ولا المجلات الشائعة ، ولا لأحاديث الناس الجارية .

ومن اجل ذلك انت لا تجد المهندس ، خريج الجامعة ، يتحدث الى الطبيب ، خريج الجامعة ، فى علمه الهندسى بلغته الهندسية . ان الطبيب لا يفهمها . والجيولوجي لا يتحدث الى القانونى بلغته الجيولوجية . ولا استاذ الفلك يتحدث الى أستاذ الزراعة فى الفلك بلغته الفلكية . فى مشرق الارض او مغربها .

ان كل علم متخصص فى حظيرته ، ولكل حظيرة مصطلحاتها .

فلغة الجامعات لتكن من أجل ذلك ، فى دراسات العلوم الطبيعية وما اليها ، الانجليزية او الفرنسية او الالمانية او العربية .

ولمن يشاء العربية صاغت مجامع اللغة العربية ، لا سيما مجمع القاهرة ، من

حجر احيائى	Biolith
عميد	Columella
صدفة عينية	Dextral Shell
فونة السحنة	Facies Fauna
طبقات متزامنة	Heteropics
سحنة بحرية	Marina Facies
خوية	Whorl

مثل للالفاظ الجامعية ، فى فروع العلم المتخصص ، وهى من احافير الجيولوجيا ، لايفهمها الا المتخصصون فى هذا العلم . واذن لايفهمها الطبيب ، ولا المهندس ، ولا رئيس بنك ، ولا قاضي قضاة .

المصطلحات اللازمة اعدادا غفيرة قاربت مائة الف مصطلح(١) .

واستخدام اللغة العربية فى تدريس العلوم الطبيعية فى الجامعات له منافع ذاتية ، منها سرعة تلقى الطلبة من اساتذتهم ، فهم لما يقولونه افهم ، ومقال الأساتذة يذهب من رؤوس الطلبة ومن انفسهم الى مكان اعمق ، وهم عند الامتحان يجيبون بلغة هي لغة الطبع فهي عندهم أيسر . يقابل ذلك ان استخدام اللغة الأجنبية الحية فى تدريس العلوم الطبيعية ، على المستويات المتخصصة ، يربط الطالب ، لا سيما طالب البحث من بعد دراسة ، بالقوم الذين كان لهم فضل الاختراع الحديث والابتداع الحديث ، ويربطه بلغتهم ليواصل هذه العلوم فى مدارج تقدمها .

والطالب ، من بعد جامعة ، سواء درس باللغة العربية او بلغة اخرى اوروبية ، هو محتاج ، لا الى لغة اوروبية واحدة ، وانما الى عدة لغات . وتزيد حاجته الى اللغات اذا ما دخل عالما يبحث فى العلم . وانا اذكر ، عندما درست العلوم فى جامعات انجلترا ، فى اوائل العقد الثالث من هذا القرن

(١) تفصيل ذلك في العدد القادم ان شاء الله .

الحاضر، وجاء امتحاننا لنيل اول درجات الجامعة التى هى درجة البكالوريوس B. Sc. ، تضمّنت اسئلة الامتحان اسئلة بالألمانية ، واخرى بالفرنسية ، وجب علينا الاجابة عليها لننال هذه الدرجة ، بحسبان انها تؤهلنا لدخول حظيرة البحوث العلمية من بعد ذلك . وقد فعلنا . وكانت اللغة الألمانية من بعد اللغة الانجليزية ، اعون لى على البحث من اللغة الفرنسية . وظللت امارس هذه اللغات جميعا ، هناك ، ست سنوات بعد ذلك لأنال الدرجة الفلسفية فى العلوم Ph. D. ، ثم الدرجة الكبرى ، درجة الدكتوراة فى العلوم D. Sc. .

اذكر هذا ، تعزيزا لما اذكر من امر الحاجة الى اللغات ، ولكننى اذكره كذلك ليعلم القارىء ان صاحب هذه الكلمة ، وهو ينصح فى امر اللغات واستخدامها فى تدريس العلوم الطبيعية ، لم يتقدم بهذا النصح الا وقد علم انه فى هذا المجال ذو مراس قديم فى هذه الشئون ، غير ما تلا ذلك من تدريس وممارسة للعلوم كانت اللغة الانجليزية اداتها سنوات كثيرة طالت .

اللغة العربية هى المكوّن الأول من مكونات العروبة

ان الناس تتحدث عن العرب والعروبة ، ومنهم من يتحدث فيحسن ، ومنهم من يتحدث فيخلط خلطا شديدا . ولست أريد أن ادخل الآن فى العروبة أحدد معناها ، حتى لو جاز انه يمكن تحديده ، ولكنى اريد ان اذكر امرين فيها :

فأول هذين الأمرين **هو ان العروبة ليست عروبة دم أبدا ، ولا عروبة عروق موروثة . واكثر ما يقال فى هذا الأمر ، وأصح ما يقال : ان الدم العربى دخل على القرون الطويلة شرايين الكثير ممن ينطقون اليوم بالعربية . وهو دخل كثيرا او دخل قليلا ، أو حتى لم يدخل أبدا . ودخول الدم الأجسام لا يعنى عند العلماء شيئا . حتى اختلاط الأنساب لا يدوم أثره أكثر من ثلاثة أجيال أو أربعة أو خمسة ، ثم يمّحى .**

وثانى الأمرين **ان اللغة ، لغة الناس ، هى المكوّن الأول لقوميتهم . فهى الوعاء الذى يحمل حاضرهم بكل ما فيه مما يسر وما يسيء ، وهو الوعاء الذى يحمل ماضيهم وما الحاضر الا ارث من الماضى ، وهو الوعاء الذى تجد فيه كل آمال القوم ، وكل آلامهم ، والحوافز التى تحركهم جميعا فى مسالك الحياة جميعا ، كيف يسلكونها والى أى الغايات يسلكون . لكادت اللغة والقومية أن يكونا شيئا سواء .**

اختفاء اللغة العربية من المغرب العربى اختفاء للقومية العربية فيه

هذه نتيجة مستفادة من مفهومى للغة والقومية .

ومن أجل هذا كان خطر هذا الحديث الذى أنا فيه .

ولست ازعم ان المشرق العربى فى الموضع الذى يؤهله لاسداء النصيحة لأحد . فالمشرق العربى ، اكثره ولا أقول كله ، بعروبته وعربيته لم يضرب للمغرب المثل الأجمل الذى يغرى باقتداء . والمغرب العربى ، برجال كثيرين فيه ، وهم عمالقة ، اعرف بالطريق الذى يختارون . وأنا بكلمتى هذه لست بناصح أحدا ، وانما اكشف عن المسالك ، فان رضى المغرب العربى باللغة العربية له لغة ، فأهلا به وسهلا . وان رضى غيرها ، فهذا قضاء الله . ■■

أحمد زكى



الكلمة القرآنية

وسر الاعجاز فيها

بقلم : محمد سعيد رمضان البوطى

■ تقترن كلمة « الاعجاز » بالقرآن ، فى اذهان عامة الناس .

ولكن الذين يدركون العلاقة العلمية بينهما بجلاء ووضوح ، فئة قليلة منهم .

فاكثر الناس انما يتخذون من التعبير بهذه الكلمة مجرد اداة مديح له واعجاب به وهو شيء يحتاج الى التعبير به من يريد أن ينهي اليك اعجابه بالقرآن فى كل ما يتعلق به ، وأن يرتقي فى مدحه له الى ذروة ما يطيقه لسانه من الاكبار والثناء ، سواء كان الرجل ممن يؤمن باعجازه حقيقة أم لا .

ولكن ما معنى أنه معجز .. ؟ وهل هــو في الحقيقة كذلك .. ؟ وما سر ذلك فيه ، وسر عجز الناس عن الاتيان بمثله .. ؟ هذا ما لا شأن لكثير من الناس به عندما يصفونه بالروعة والاعجاز .

ومرد ذلك ـ في اعتقادي الى سببين :

أولهما : ان في الناس من يريد الثنــاء على القرآن بمقدار فهمه له ، فلا يرى لذلك أبلغ من الكلمة الشائعة عنه بين الناس منذ القديم : انه معجز .. وهذا سبب اصطلاحي .

ثانيهما : ان استشعار حقيقــة الاعجاز فيه يتوقف على ملكة راسخة وذوق سليم في اللغة العربية ، واكثر الناس لا يملكون منهما الا ما لا

بد منه في اقامة اسباب معايشهم ونوع علاقاتهم الثقافية بعضهم مع بعض ، فلا مطمع في أن يرتقي فهمهم لمدلول الاعجاز في القرآن الى أكثر من عموم الثناء والاطراء . وهذا سبب يعود الى الضعف في الثقافة العربية .

★ ★ ★

غير أن هناك حقيقة لا مجال للنزاع فيها : هي أن هذا الكتاب معجز في واقعه ، فليس لأحد من سبيل الى صياغة مثله ، أو مثل بضع آيات يسيرة منه .

بل وانها لواحدة من أهم الحقائق العلمية التى تفرض لنفسها ضرورة التبصر والفهم ، على كل عربي يريد أن يتمتع بزاد من الثقافة والعلم .

وليس الذى يعنيني في هذا المجال ، أن اتحدث في الجوانب المختلفة لاعجاز القرآن وانما اريد أن أتناول من ذلك جانبا واحدا هو الاعجاز البلاغي .

دراسة الكلمة القرآنية

بل لست أريد في هذا الحديث أن أتناول سوى زاوية واحدة من هذا الجانب ، هي دراسة الكلمة القرآنية واستجلاء سر الاعجاز فيها .

ونحن عندما نصف القرآن بالاعجاز ، انما نصف أنفسنا من خلال ذلك بالعجز والقصور . فهو في حقيقته وصف للانسان أكثر من أن يكون وصفا لذات القرآن .

ومعنى ذلك أن أيسر سبيل لتحليل الاعجاز القرآني وفهمه ، هو النظر والتأمل في ظاهرة الضعف البشرى عندما يحاول أحدنا التعبير عن أفكاره ومشاعره ، فاذا أدركنا حدود الطاقة الانسانية في هذا المجال ، كان ذلك نفسه ادراكا لسمو القرآن وارتفاعه عن حدود تلك الطاقة ، وليس اعجاز القرآن شيئا أكثر من ذلك .

واذا فلنسلك الى فهم اعجاز الكلمة القرآنية هذا السبيل القريب ، وهو سبيل التأمل في مظاهر الضعف البشرى لدى محاولة التعبير عن المعاني والمشاعر .

يتجلى هذا الضعف في ظاهرتين اثنتين :

الأولى : ما هو ثابت من أن المعاني أسرع الى الفكر من الالفاظ الى اللسان . وسبب ذلك أن المشاعر ألصق بذاتية الانسان من الالفاظ . اذ المشاعر تنبع من داخل نفسه والالفاظ انما تقبل اليه من خارجها .

الافكار والمعانى

ومن نتيجة ذلك ما نعلمه جميعا من أن المعاني والمشاعر أوسع من اللغات والألفاظ الدالة عليها . ولو رحت تطابق بينهما في الدلالة ، لرأيت أن اللغة الانسانية (أيا كان نوعها) لا تغطي الا جزءا يسيرا من الأفكار والمعاني ، بل ولا تدل منه الا على السطح والعموميات .

ورب كلمة في اللغة تستعمل لمعان أو مشاعر عديدة لا علاقة بينها ولا جامع لها الا وحدة التعبير عنها .

فانت تقول : تألمت لوجع ضرسي ، وتألمت لمنظر مؤثر رأيته ، وتألمت لفراق حبيب أو صديق ، والألم في كل من هذه الحالات الثلاث معنى مستقل عنه في الحالات الأخرى . ومع ذلك فان اللغة لا تنجدك بالتعبير عن أي فرق لغوى بينها .

وتصف العسل بالحلاوة ، والعنب بالحلاوة ، والسكر بالحلاوة ، ولكل من هذه الطعوم الثلاثة مذاق مستقل عن الآخر في الحس والشعور ، ومع ذلك فليس من سبيل للتعبير عنها الا بكلمة واحدة هي : الحلاوة .

وتشم رائحة الزنبق ، ثم الورد ، ثم الريحان ، فتشعر بأحاسيس من الانتعاش مختلفة ، وتبحث في فكرك عن تعابير مستقلة عن بعضها ، لهذه الأحاسيس ، فلا تجد أمامك الا التعبير بالرائحة الذكية .

وقس على هذه الأمثلة كثيرا من المشاعر والأفكار والمعاني ، فان اللغة لا تسير معك عندما تعبر عن سطحها وعمومياتها ، فاذا ما رحت تغوص في أعماقها وتدقق في جذورها ، تخلفت عنك طاقة اللغة والتعبير ، ووجدت نفسك تسبح وحيداً في يم متلاطم لا يحيط بك فيه الا ظلام شعور صامت .

فهذه أول ظاهرة لضعف الطاقة البشرية لدى محاولة التعبير .

بحر من الكلمات والالفاظ

الظاهرة الثانية : اننا انما نقف من اللغة العربية أمام بحر عظيم من الكلمات والألفاظ - على ما فيها من القصور الذى ذكرناه - ومعظم هذه الألفاظ ، مما نسميه بالمترادف . ومهما كان الكاتب أو المتكلم بليغا ، ومهما كان يحفظ في ذهنه من متن اللغة وألفاظها ومترادفاتها فانه لا يمكن لهذه المترادفات أن تنتصب جميعها مكشوفة

واضحة امام خياله ، كما تنتصب مضارب الأحرف من الآلة الكاتبة امام ضـاربها ، كي يلتقط من مجموعها ما هو أقـرب الى المعنى الذى يبغيه والتصور الذى يحوك في صدره ، وانما هـو ـ عند التعبير ـ انما يلقي حبال تفكيره وذهنه الى هذا البحر العظيم ليلتقط منه ما تسارع اليـه وسهل على لسانه او اعتاد عليه قلمه وفكره ، وفي اللغة من المترادفات الكثيرة ما ينجده لغرضـه ويقـوم بعضـه مقام بعض في التعبير العام عن مقصوده .

بيد أن هذه الألفاظ انما تعتبر مترادفة ، اذا ما اريد منها الدلالة الاجمالية على المعنى وهي التي يقتنع بها العامة من المتكلمين ممن لا يطمعون باكثر من ايصال خلاصة احساساتهم وافكارهم الى الآخرين .

اما عند من يسبر أغوار هذه الكلمات ويستخرج ما بينها من الخصائص والفروق ، فهي ليست من الترادف في شيء . بل لكل منها دلالته الخاصة واشارته المتميزة وايحاؤه الذى لا يشترك فيه غيره وتصويره الذى ينفرد به عن سائر نظائره .

وقد تحسب انت أن كلا من : مضى وذهب وانطلق ، يؤدى معنى واحدا ، وان كلا من قعد وجلس شيء واحد في الدلالة ، وان كلا من : نام ورقد وهجع ، متحد في المقصود . والحقيقة أن الأمـر ليس كذلـك : ففي كل كلمة من هذه المترادفات وصف تستقل بالدلالة عليه ، وان كان جميعها متفقا في الدلالة على أصل المعنى عاريا عن العوارض والأوصاف ، كما يقول الامام أحمد بن يحيى المعروف بثعلب .

الاسم والصفة

وقد كان جمع من أهل اللغـة في مجلس عند سيف الدولة ، وفيهم أبو علي الفارسي ، وابن خالويه . فقال ابن خالويه : احفظ للسـيف خمسين اسما ، فتبسم أبو علي وقال : أما أنا فلا أحفظ له الا اسما واحدا وهو السيف ، قال ابن خالويه : فأين المهند والصارم وكذا وكذا . فقال أبو علي هذه صفات ، وكان الشيخ لا يفرق بين الاسم والصفة .. !!

فمن هنا تضيق السبيل على من ينشد الدقة في التعبير والصدق في تصوير المعاني والمشاعر ، اذ تسقط فائدة المترادفات من حسابه ، لما يختص به كل منها من دلالة وصفة معينة . ولا يمكن أن يتمثل متن هذه اللغة كلها أمام عينيه ليلتقط منها ما يأتي مفصلا على قدر مشاعره وافكاره ، وانما هو يأخذ منها ـ كما قلنا ـ ما قرب اليه وتبادر .

وعندئذ اما أن يقع في تطويل وتكرار لا فائـدة منه ، واما ان يجنح الى اختصار مفسد مخل ، واما أن يقع في كلامه على الفاظ وتعابير تفسد عليه تصوره وتشوش على السامع مقصـوده . واذا اتسعت أمامه السبيل في معالجة بعض المعاني والتعبير عنها ، ضاقت عليه السبيل لدى محاولة التعبير عن معان أخرى .

وما كاتب من الكتاب أو بليغ من البلغاء ، ممن سـمعت بهم قديما أو حديثا ، الا وفيه هذه النقائص أو واحدة منها .

فهذا مظهر آخر للضـعف البشرى الناتج عما يتمتع به من طاقة محدودة، لا يمكنه أن يتجاوزها.

معنى الاعجاز

والآن ، فان معنى الاعجاز في الكلمة القرآنية ، ليس شيئا اكثر من تحررها وانطلاقها عن قيد هاتين الظاهـرتين اللتين يتجسـد فيهما عجز الانسان . أى ان الكلمة القرآنية في تعبيرها عن المعنى المراد ، لا تمت الى هذا الضعف البشرى بسبب .

فهي أولا : تتناول من المعنى سطحه واعماقه وسائر صوره وخصائصه. ولا تقف عند العموميات التي نقف عند حدودها في تعبيرنا نحن البشر .

وهي ثانيا : تمتاز عن سائر مرادفاتها اللغوية بتطابق أتم من المعنى المراد ، ومهما استبدلت بها غيرها ، لم يسدّ مسدها ولم يغن غناءها ولم يؤد الصورة التي كانت تؤديها .

ولك أن تسأل : ولكن كيف يتأتى للقرآن أن يسخر كلماته لما وراء الحدود التي تقف عندها طاقة اللغة ذاتها ، وهو انما يستعمل في تعبيراته اللغة ليس الا ؟ .

والجواب : أن القـرآن يتناول من الكلمات المترادفة ادقها دلالة وأتمها تصويرا بالنسبة الى نظائرها ، فاذا استنفدت اللغة طاقتها ولا تزال بقية من المعنى أو الصورة شـاردة وراء حدود اللغة ، اتسعت لها الكلمة القرآنية وشملتها عن طريق الجرس والوزن والايقاع .

ولن تعثر مهما حاولت ، على أى ضابط لبناء

الجرس والوزن والايقاع املا في ان تطبقه في كلامك وتعبيرك ، انما هو الاحساس الذي يفيض به شعور القارىء عند تلاوته لهذه الكلمات مسبوكة مع بعضها قائمة ضمن هيكلها القرآني الفريد .

قال الله تعالى

فاغطش ، مثلا ، في قوله تعالى :

« أغطش ليلها وأخرج ضحاها »

مساو من حيث الدلالة اللغوية لاظلم ، ولكن « اغطش » تمتاز بدلالة اخرى من وراء حدود اللغة يستقل بها الوزن وجرس هذه الاحرف متآلفة مع بعضها . فالكلمة تعبر عن ظلام انتشر فيه الصمت وعم الركود وتبدت في انحائه مظاهر الوحشة ، ولست بحاجة – لفهم هذه الصورة من الكلمة – الى وساطة لغة او مراجعة قاموس ، وانما هو احساس ينبعث في نفسك من طبيعة الكلمة ووقع حروفها .

وكذلك « سكنا » من قوله تعالى :

(فالق الاصباح جعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا)

فهي من حيث الدلالة اللغوية مثل قولك « هدوءا » ولكن المعنى الذي تبثه في شعورك الكلمة القرآنية ، لا تجد شيئا منه في الكلمة الاخرى رغم تساويهما في الدلالة اللغوية .

ان طبيعة الاحرف التي تتكون منها كلمة « سكنا » وتوالي الفتحات على حروفها تشعرك بذلك الهدوء الذي يبعث الطمانينة وينشر الراحة في النفس . دون ان تحتاج في ذلك الى معرفة اى اصطلاح لغوى .

ثم حاول ان تحذف كلمة واحدة من كلمات هذه الآية وتستبدل بها غيرها مما يؤدى نفس المعنى ، مستعينا باللغة وقواميسها ، فلسوف ترى ان اللغة كلها اعجز من ان تاتي لها بالفاظ مثلها او خير منها . ومهما غيرت في الآية افسدت بهاءها ونقصت من روعتها واشراقها .

ابحث عن اي كلمة تقوم مقام « فالق » في اداء المعنى وتصوير المراد وتجسيم الفكرة او ابحث عن اى كلمة اخرى تضعها موضع « الاصباح » في دلالتها على الحركة والانبثاق وبث حقيقة المعنى المطلوب . او حاول ان تاتي بكلمة اخرى مكان « سكنا » او بكلمة اخرى اخصر وادل واجمع من هذه الكلمة العجيبة « حسبانا » فانك لن تملك من ذلك كله الا وسيلة افساد الآية وتشويه دلالتها .

★ ★ ★

وربما عجزت اللغة عن اللحاق بالصورة المحلقة التي يريد القارىء ان يبثها في خيال السامع ، فاضطر ان يتنزل عن بساط خياله المجنح ، لحاقا بكلمة هي دون خياله الحالم لا يجد من حوله سواها ، فيفسد بذلك الصورة كلها .

اللغة والمعنى

غير ان القرآن لا يعجزه ان تكون الكلمة دائما في مستوى المعنى المراد على ادق وجه ، فهو يصعد باللغة الى المعنى ، ولا يتنزل بالمعنى اليها في حال من الاحوال .

انظر حينما يصف دعوة امراة العزيز للنسوة اللائي تحدثن ، منتقدات ، عن مراودتها ليوسف عن نفسه ، الى جلسة لطيفة رائقة في بيتها ، لتطلعهن فيها على يوسف وجماله فيعذرنها فيما اقدمت عليه .. لقد قدمت لهن في ذلك المجلس طعاما ولا شك ، ولقد اوضح القرآن هذا ، ولكنه لم يعبر عن ذلك بالطعام . فهذه الكلمة انما تصور شهوة الجوع ، وتنتقل بالفكر الى (المطبخ) بكل ما فيه من الوان الطعام وروائحه واسبابه .

ولكن بماذا يعبر اذا ؟ واين في اللغة الكلمة التي تؤدى معنى الطعام ولا تمس الصورة باى تعكير او تشويه ؟ .

لقد ابدع القرآن لذلك تعبيرا عجيبا رائعا .. فانظر ماذا قال :

(فلما سمعت بمكرهن أرسلت اليهن وأعتدت لهن متكأ ..)

متكا .. كلمة تصور لك من الطعام ذلك النوع الذى انما يقدم تفكها وتبسطا وتجميلا للمجلس ، وتوفيرا لاسباب المتعة فيه ، حتى ان الشأن فيه ان يكون الاقبال عليه في حالة من الراحةوالاتكاء .

والكلمة ، من الالفاظ الكثيرة التي ابدع القرآن صياغتها ، فتعلق بها العرب فيما بعد ولولا ذلك لما اهتدوا اليها ولخانتهم اللغة في هذا الباب عن تصوير ما يريدون .

دلالات الكلمة القرآنية

ومن اجل ان القرآن تنزل خطابا للناس

جميعهم ، على تفاوت ثقافاتهم واختلاف عصورهم ـ فان الكلمة القرآنية تنطوى على دلالات متعددة تستجيب للظروف كلها واحوال الناس كلهم ، طالما كانت الكلمة تتعلق بمعنى يختلف من عصر الى آخر أو من جماعة الى أخرى .

ومكان الغرابة والعجب في هذه الكلمات ان دلالاتها لا تتناقض رغم اختلافها ولا يندّ شيء منها عن قواعد اللغة ومقتضياتها .

والتقاط مثل هذه الكلمات من اللغة يتوقف على جهد لا ترتقي اليه طاقة البشر ، مهما أوتي من قوة الحفظ او خارق الفصاحة والبيان .

لقد تحدث الله عز وجل في بعض آياته عن النار ومنافعها . ومنافع النار تختلف وتتفاوت حسب اختلاف الناس والعصور . فهي لأهل البادية معالم هدى ومنار طريق ، وهي لهم ولأهل العمران وسيلة لا بد منها لتحضير الطعام وانضاجه ، وهي لأمم العصر الحديث اداة صناعة واساس حضارة ورقي .. ولا بد للقرآن ، وقد تحدث عن النار ، ان يوضح لها جميع هذه الفوائد ..

فكم هي الكلمات او الجمل التي تتصور انها تفي بالتعبير عن هذه الفوائد كلها ؟ .

انها ليست اكثر من كلمة واحدة . !!

واسمع في ذلك قول الله عز وجل :

(أفرأيتم النار التي تورون ، أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون . نحن جعلناها تذكرة ومتاعاً للمقوين)

المقوين .. هذه هي الكلمة التي تحمل الدلالة على هذه الفوائد كلها . فالمقوين جمع مقو ، اى نازل بالقواء ، وهو المكان القفر ، فالنار متاع لهؤلاء على طريقتهم الخاصة في الاستفادة منها .

وعليه قول النابغة :

يا دارمية بالعلياء فالسند
اقوت وطال عليها سالف الأمد

والمقوين ايضا من القوى وهو الجوع ، وعليه قول حاتم الطائي :

واني لأختار القوى طاوى الحشا
محافظة من أن يقال لئيم

فالنار متاع للجائع اذ ينضج بها طعامه .

والمقوين أيضا جمع مقو بمعنى مستمتع ، كما قال عامة اهل اللغة ، واطلاق الاستمتاع في هذا المعنى الثالث شيء يفسره مر الزمن وتطور الأحوال وتقدم اسباب الحياة والعيش .

الارض وكيفيتها

وقد تحدث الله عن الأرض وكيفيتها . وخاطب بذلك الناس جميعهم .

وفي الناس من يراها رأى العين ، فلا تزيد معرفته بها عن ذلك ، وفيهم من اتيح له ان يعلم ما وراء ذلك من هيأتها وحالها .

فعبر عنها بكلمة يفيد منها اولئك الذين لم يتهيأ لهم ان يعلموا عنها الا بمقدار ما رأته اعينهم منها كما يفيد منها الذين جاءوا من بعدهم ومعهم الى وسيلة النظر اداة العلم والبحث . فقال : « والأرض بعد ذلك دحاها » .

دحاها : تحمل في اللغة كلا من معنى الاستدارة والعظم والاتساع والانبساط . وهو ادق ما توصف به الأرض بالنظر الى عين الرائي وفكر العالم . وتشترك مادة دحى وداح في الدلالة على كل ذلك ، قال في شرح القاموس : « واندَاح بطنه عظم واسترسل كانداح واندحى ودحى ، وبطن منداح : خارج مدور » وذكر في اللسان نحوه .

ولقد استعملت هذه الكلمة بمعنييها في قول ابن الرومي :

ان انس لم انس خبازا مررت به
يدحو الرقاقة وشك اللمح بالبصر
ما بين رؤيتها في كفه كرة
وبين رؤيتها قوراء كالقمر
الا بمقدار ما تنداح دائرة
في صفحة الماء يلقى فيه بالحجر

ولو انك رحت تقلب اللغة كلها لتقع فيها على كلمة أخرى تقوم مقام « دحاها » في اداء الغرض الذى ذكرناه ، لرجعت من جهدك هذا بدون اى فائدة .

★ ★ ★

وفي ذهني نماذج وامثلة كثيرة ، لظاهرة الاعجاز في الكلمة القرآنية ولكني اجدني قد اطلت . .وفيما ذكرته منها ما يحمل القارىء الكريم على تتبع الباقي ودراسته . ■■

محمد سعيد رمضان البوطي

الفنان و الانسان



طه حسين

اوسكار وايلد





لامارتين

هَل الإنسان، إنسانٌ بالجَوْهَرِ وَفنّانٌ بالعَرَض

بقلم

الدكتور زكريا ابراهيم

قد يكون « الفن » شعرا ، أو نحتا ، او معمارا ، او تصويرا ، أو غير ذلك ، ولكن كل ما تنتجه قريحة « الفنان » لابد من أن يجيء شاهداً على ما فكر فيه ، او آمن به ، أو خاف منه . والحق أن كل شيء ماثل في فنون الانسان : محن الحرب وويلاتها ، اعمال السلم ومنجزاته ، مخاوف البشر واحلامهم ، آمال الانسان وآلامه ، حبه وكرهه ، آلهته وشياطينه .. الخ .. وكم من اناس كان يمكن أن يمضوا مجهولين أو مغمورين ، لو لم يكتب الواحد منهم سيرته الذاتية ، لكي يقول لنا بلغة العمل الفني : « هذا هو الانسان الذي كنته » ! ولم تكن « السيرة الذاتية » Auto-Biographei ، يوما ، مجرد « مرآة » تعكس الحقيقة أو مجرد « محاكاة »

أم هو فنان بالجوهر، وإنسان بالعرض



جان جاك روسو



جورج صانـد

تقتصر على ترديد الواقع، بل كانت دائما ابدا ــ مثلها فى ذلك كمثل اى عمل فنى آخر ــ « شعرا ، وحقيقة » ــ على حد تعبير الشـاعر الالمانـي الكبير جوتـه Goethe .

وهنا قد يحق لنا أن نتساءل : هل يكون « الانسان » الذى يرسم ، أو ينظم ، أو ينحت ، أو يبدع أى شكل من الاشكال ، هو بعينه ذلك « الانسان » الذى ياكل ويشرب ، ويحب ويتزوج ، ويداعب اطفاله الصغار ، ويتردد على بعض المجتمعات ، ويتعامل مع اقرانه من البشر .. الخ ؟ أو بعبارة أخرى : هل يكون الفنان « انسانا » بالجوهر و « فنانا » بالعرض ، أم هو « فنان » بالجوهر ، و « انسان » بالعرض ؟ واذا صح هذا أو ذاك ، فما الفارق بين « الانسان » و «الفنان» ؟ والى أى حد يمكننا القول بأن معرفة « الانسان » ضرورية لمعرفة « الفنان » ، او العكس؟ وبأى معنى قد يصح لنا أن نقول ان « الانسان ــ الفنان » يضع ذاته فى « العمل الفنى » الذى يحققه ؟ وهل ينجح « الفنان » دائما فى تجسيد تلك « القيم » التي ينشدها « الانسان » ، أو يعمل على بلوغها ؟ ... كل تلك اسئلة لا بد لنا من الاهتمام بحلها ، اذا كان لنا أن نحدد نـوع العلاقة القائمة بين « الانسان » و « الفنان » .

« عود الى الانسان » ... !

والرأى الذى يتبادر الى اذهاننا ــ لاول وهلة ــ هو ذلك الذى ذهب اليه الناقد الفرنسي المعروف سانت بوف Sainte-Beuve ، حين قال : « ان عمل اى مبدع لا يفسر الا بحياته » ومثل هذا الرأى يستلزم بالضرورة أن نعلق اهمية كبرى على المنهج التاريخى والسيكولوجى ، فلا نتحدث عن انتاج اى فنان قبل الرجوع الى حياته ، والكشف عن تطوره الروحى . صحيح انه قد يكون فى وسعنا أن نتذوق هذا « العمل الفنى » أو ذاك ، دون أن تكون على معرفة بصاحبه ، ولكن من المؤكد اننا لن نستطيع الحكم على مثل هذا « العمل » دون أن تكون لدينا أدنى معرفة بذلك « الانسان » الذى حققه . واذا صح ما يقال عادة من أنه « على نحو ما تكون الشجرة ، تكون الثمرة ، ايضا » ، فليس بدعا أن تكون « الدراسـة الخلقيـة » ضرورية لكل « دراسة فنية » بصفة عامة ، ولكل « دراسة ادبية » بصفة خاصة . ولعل هذا هو السر فى صيحة سانت بوف المشهورة : « عود الى الانسان » ! ولا غرو ، فان الاصل فى الهام الفنان ، انما هو واقعه الحي أو خبرته التى عاشها . والا ، فكيف لنا أن نفهم « الفنان » ، ان لم نكن على علم بما أثر فيه من أحداث ، وما اختلف عليه من تجارب ، وما مر به من أزمات ، وما وقع فيه من أخطاء وعثرات ، وما اصابه من نجاح او فشل .. الخ ؟ . أليست خبرة الفنان المعاشة هي التى تحدد « شكل » فنه و «مضمونه» معا ؟ واذن افلا يحق لنا أن نقول : « ان الناقد الحقيقى للفنان هو كاتب سيرته » ؟

ولو أننا انعمنا النظر ــ الآن ــ الى هذا المنهج، لوجدنا أنه قد لا يخلو من فائدة : فان الالمام بدقائق حياة الفنان يزود الناقد ببعض الوسائط

اللازمة لفهم انتاج هذا الفنان ، ان لم نقل بانه قد يضع بين يدى الناقد « المفتاح » الضرورى للنفاذ الى « اسرار » قصائد ذلك الفنان او لوحاته او رواياته او موسيقاه .. الخ . وليس من شك في اننا لو عرفنا طفولة روسو وشبابه ، لكنا اقدر على فهم اعماله الادبية ، كما اننا لو اطلعنا على حياة طه حسين ، لكنا اعرف بطبيعة انتاجه الادبي. وقد يكون من الحديث المعاد ان نقول ان قصيدة « البحيرة » لاتكاد تنفصل عن غرام لامارتين بالفيرا Elvire ، كما ان « الليالى » Nuits لاتكاد تفهم في استقلال عن العلاقة المضطربة التى قامت بين الفريد دى موسيه وجورج ساند George Sand والامثلة كثيرة على ارتباط حياة الفنان بانتاجه الفنى ، فلا حاجة بنا الى الافاضة في شرح مثل هذه العلاقة .

بيد اننا نلاحظ - مع ذلك - أن هذه الدراسة التاريخية لسير الفنانين قد استحالت على يد الكثيرين الىمجرد « اعمال مبتذلة » يراد من ورائها اشباع فضول الناس ، وارضاء حبهم للاستطلاع ، فلم تعد كتابة « السير » سوى وسيلة للكشف عن اسرار الفنان الخاصة ، وابراز معايبه ونقائصه ، والعمل على اظهار رذائله ومساوئه ! وقد جاءت دواعى « التحليل النفسى » فسوغت لبعض الكتاب حق التحدث عن عقد الفنانين وامراضهمالنفسية، وانحرافاتهم الجنسية ، وشتى مظاهر شذوذهم العقلى .. ! وهكذا اصبح الفنان مجرد ضحية اخرى لفضول الناس ، مثله في ذلك كمثل نجوم الشاشة ! ولكن من الواضح ان اساءة استخدام « المنهج التاريخي » لا تعنى بالضرورة ان يكون المبدأ الاصلى الذى قام عليه هذا المنهج مبدأ فاسدا او غير مشروع . وكل ما هنالك انه لابد لكل باحث يتصدى لاستخدام هذا المنهج ، من أن يعمل على ابراز علاقة الانسان بالفنان ، والكشف عن صلة حياته بعمله .

وهنا قد يقال ان مثل هذه العلاقة لم تتوافر يوما لدى الكثير من الفنانين : فقد كانت حياتهم الخاصة بعيدة كل البعد عن أن تكون هي الاصل في انتاجهم الفنى . ولعل من هذا القبيل - مثلا - ما نلاحظه لدى بعض كبار رجالات الكوميديا ، فقد كان قوم منهم رجالا عاديين لا يتمتعون بروح فكاهية عالية ، او لا يملكون حياة ضاحكة كثيرة الانشراح! وحسبنا ان نرجع الى سير بعضالفنانين منامثال واتو Vateau وشوبير Schubert لكيتحقق من انه لم يكن ثمة تشابه حقيقى بين حياة الواحد منهم ، ونوع انتاجه الفنى .

هل تكون حياة الفنان هي مصدر فنه ؟

والواقع ان العلاقات التى يمكن ان تقوم بين انتاج الفنان وحياته الخاصة ، علاقات متنوعة متباينة : اذ قد يتكون فن الفنان وتتفتح ازاهيره - في بعض الاحيان - خارج نطاق حياته الخاصة، بينما قد يزدهر هذا الفن ويؤتى ثماره في احضان تلك الحياة الذاتية الدافئة ! وثمة حالات اخرى قد يكون فيها « الفن » مجرد « رجع » أو « رد فعل » ضد حياة الفنان ، بحيث يكون منها بمثابة « بديل » او « اداة تعويض » ، أن لم يكن في بعض الاحيان مجرد وسيلة يتخلص الفنان عن طريقها من شيء يضيق به ، ويحرص على طرده ! ومن هنا فاننا قد نجد في « عمل » الفنان مالا نجده في « حياته » ، بمعنى اننا قد نلتقى في هذا « العمل » بما قد تم كبته تحت تاثير ضروب « الرقابة » الفردية او الاجتماعية . وليس ما يمنع احيانا اخرى من أن يكون « العمل الفنى » مظهرا من مظاهر « الانحراف » او « الفرار » او « الهروب » ، وكان الفنان يريد من خلال « عمله الفنى » أن يتناسى همومه الصغيرة او الكبيرة ، مديرا ظهره لما في الحياة الواقعية من مضايقات وازمات . ولعل هذا ما حدا بالشاعر الفرنسى الكبير « فاليرى » Valery ، الى القول بان « السكينة التى قد تشيع في العمل الادبى لا تعنى بالضرورة ان تكون في حياة الفنان سكينة مماثلة . »

ولو كان المصدر الاوحد للفن هو « الحياة » ، لكان يكفى ان « يحيا » المرء - الى اقصى حد - حتى يعبر تعبيرا فنيا - باعلى درجة - . ولكن الوقائع لا تثبت صحة هذا الفرض . وآية ذلك ان الفن والحياة يتنازعان الفنان ، وهما يضطرانه الى الاختيار : فاما « الحياة » ، واما « الفن » ! وهذا ما عبر عنه اوسكار وايلد Oscar Wilde بقوله : « ان ما تكسبه الحياة لابد من أن يخسره الفن » . ولم يجانب اندريه جيد Gide الصواب حين قال : « انه طالما بقى المرء مشغولا بالحياة ، فانه لا يمكن أن يجد متسعا من الوقت للكتابة او التاليف » .

اما اذا قيل ان هنالك فنانين كانت حياتهم

نفسها قصة او رواية ، وان هؤلاء الفنانين قد اقتصروا على نقل تلك الحياة الى مضمار الفن ، كان ردنا على هذا الزعم ان امثال هؤلاء الفنانين قلة نادرة في تاريخ الاعمال الادبية والفنية . ومهما كان من التصاق فن الفنان (او الاديب) بحياته الخاصة ، فان الملاحظ — في الغالبية العظمى من الحالات — ان هذا « الفن » لا يمكن ان يمتزج تماما او ان يذوب نهائيا في تلك « الحياة » ، بل هو لابد من أن يظل منها بمثابة الصورة المنقحة او الكتابة المختزلة . وكثيرا ما يجد الفنان نفسه مضطرا الى الانفصال عن حياته ، او الخروج عليها ، او التهرب منها ، حتى يتمكن من النظر اليها ، او التامل فيها ، او الحكم عليها . ولولا هذا الانفصال لما كان في وسعه تحقيق اى عمل فنى . وحين قال بودلير « ان الفنان لا يكون فنانا ، اللهم الا اذا كان مزدوجا ، وبشرط الا يجهل شيئا عن هذه الطبيعة المزدوجة » ، فانه كان يعنى بذلك ان مثل هذا « الازدواج » هو الثمن الذى لا بد للفنان من دفعه حتى يصبح « موضوعا » لتأمله الخاص ، ومادة خصبة لعملية « الاستغلال الجمالى » . ومعنى هذا انه لولا عملية « الازدواج » ، لما تحققت ظاهرة « التحول » : Metamorphose ! ولعل هذا ما عبر عنه رفردى Reverdy ، حين كتب يقول : « ان مثل الشعر من الحياة كمثل النار من الخشب : فان الواحد منهما ليصدر عن الاخر ، ولكنه يحوره ويغير منه » !

هل ينبع عمل الفنان من اعماق « شخصيته » ؟

اننا كثيرا ما نتوهم أن هناك تطابقا تاما بين « الانسان » و « الفنان » ، ولكن تجارب الفنانين انفسهم هي التى تعلمنا انه ليس ثمة تطابق مطلق ، بين « الحياة » و « الفن » . وقد بين لنا بروست Proust ، كيف ان « العبقرية » بل حتى « الموهبة » العظيمة لا تصدر عن عناصر عقلية ممتازة ، او عواطف رقيقة تفوق عواطف السواد الاعظم من الناس ، بل هى تصدر عن ملكة خاصة تستطيع تحوير تلك العناصر العقلية والميول العاطفية بحيث تخلق منها شيئا ! والواقع ان الفنانين الذين ينتجون اعمالا فنية رائعة ليسوا اولئك الذين يتمتعون باكبر قسط من الثقافة ، ويعيشون في اكثر الاوساط رقة وامتيازا ، ويظهرون في احاديثهم اكبر قدر من الاثارة والبراعة ، بل هم اولئك الذين يملكون القدرة على تحويل شخصياتهم الى « مرآة » حية ، تنعكس عليها حياتهم . وليست العبرة بنوع « الحياة » التى يعيشها الفنان ، بل العبرة بما لديه من « مقدرة عاكسة » ، لا بالكيفية الخاصة المميزة للمنظر « المنعكس » .

.. اننا قد لا نعرف شيئا عن هوميروس ، وربما كنا لا نعرف الا القليل عن فرجيل ، او هوراس Horace او شكسبير ، فهل كان جهلنا بحياتهم سببا في الحط من قدر اعمالهم الفنية ؟ بل ألسنا نلاحظ — على العكس من ذلك — ان اعمال هؤلاء الفنانين قد انفصلت بوجه ما من الوجوه عن احداث حياتهم ، فاكتسبت طابعا نقيا خالصا ، واستحالت الى روائع خالدة باقية على الايام ؟ الحق انه اذا كان ثمة ماخذ رئيسى يمكن ان ناخذه على الكثير من « سير الفنانين » فذلك انها قد تصرف انتباهنا عن النظر الى « العمل » نفسه ، لكى تركزه حول « صاحبه » ، وكانما هي تريد ان تلغى « المكتوب » لحساب « الكاتب » لكى لا تلبث أن تلغى « الكاتب » نفسه لحساب « الانسان » ! وهكذا يصبح من قبيل الصدفة البحتة ان يكون هذا الروائي قد كتب روايات ، او ان يكون ذلك « المصور » قد رسم لوحات ! وليس المهم ان يعرف المرء أن فان جوج Gogh كان مافونا ، أو ان اوتريلو Utrillo كان سكيرا ، بل المهم ان يتذوق لوحات هذين المصورين اللذين كانا — من جماعات المافونين والسكيرين — فنانين عظيمين ! ومن هنا فقد يصح لنا ان نقول ان العيب الاساسي في « المنهج التاريخى » انه يغفل بسهولة « العمل الفنى » نفسه ، فلا يحدثنا عن سر تكونه ، بقدر ما يحدثنا عن أسرار صاحبه .

اما اذا قيل ان الفنان يعبر — بلا شك — في عمله الفنى عن شخصيته ، كان من حقنا ان نتساءل : « اية شخصية تلك التى يعبر عنها هذا الفنان او ذلك ؟ » . لنرجع الى حياة فاجنر Wagner — مثلا — ولنتساءل : « من هو فاجنر الحقيقى ؟ » اهو ذلك الانسان العادى الذى كان يجرى في اروقة احد الفنادق هربا من اخوانه المزعجين الذين كانوا يؤرقونه ويمنعونه من النوم ، ام هو ذلك الفنان الذى استطاع أن يكتب « تريستان » : Tristan ؟ ، ان الناقد قد يميل الى الاقتصار على النظر الى ذات الفنان الخارجية

في حين ان الابداع الفني ـ كما لاحظ مرة اخرى بروست ـ ينبع من ذات اخرى غامضة هي وحدها التى تتجلى في «العمل الفنى» . ومهما كان من أمر حرصنا على ربط الانسان بعمله ، فان التجربة لتدلنا فى كثير من الاحيان على أن « العمل الفنى » هو نتاج لذات اخرى غير تلك التى تتجلى في عادات الفنان ، ورذائله ، وتصرفاته ، وعلاقاته بالاخرين .. الخ . ولو أردنا أن نفهم هذه « الذات » الاخرى، لكان علينا أن ننفذ الى باطن شخصية الفنان ، لكى نقف على « ذاته العميقة » التى هي الاصل في كل انتاجه الفنى . وعلى الرغم من أن فهم هـذه « الذات العميقة » قد يسمح لنا (في بعض الاحيان) بالحكم على « الفنان » ، الا ان معظم علماء الجمال يميلون الى القول بان«عمل « الفنان » هو وحده الذى يسمح لنا بفهم « الانسان الحقيقى » . واذن فانه لا حرج علينا في ان نتحدث عن حياة الفنانين ، وان نكتب لهم سيرا تاريخية ، ولكن على شرط الا نتحدث عنهم بوصفهم مجرد بشر عاديين ، بل بوصفهم فنانين كانوا يعيشون من فنهم ولفنهم . ومعنى هذا أن بيت القصيد في كتابة سير الفنانين ان نبين ما الذى كان يعجبهم، وما المصدر الاصلي الذى صدر عنه احساسهم برسالتهم ، وما الذى حاولوا محاكاته او التعبير عنه ، وما هي المحاولات التى قاموا بها حتى تمكنوا من الاهتداء الى « اسلوبهم » او « طرازهم » الخاص ، وما هي المكتشفات الفنية (او التكنية) التى سمحت لهم بتحقيق ابداعهم الفنى .. الخ. وهكذا نرى أن كل كلمة ، بل كل خط ، ان لم نقل كل لمسة ، تخطها يد الفنان ، انما تكشف عن سر من اسرار نفسه ، كما تحمل في الوقت ذاته الدليل العينى على أن ثمة مشكلة قد امكنه حلها . وليس يكفى أن نقول ان « العمل » هو المبرر الاوحد لبقاء الفنان ، بل يجب أن نضيف الى ذلك ايضا أن « الانسان » نفسه يجد في هذا « العمل » مظهرا لتحققه ، وتعبيرا عن وحدته ..

... هل يكون « العمل الفنى » « مجرد صورة لشخصية الفنان » ؟

ولو أننا نظرنا ـ مثلا ـ الى « العمل الفنى » الذى يقدمه الكاتب الروائي ، لوجدنا أنه ليس من الضرورى للشخصيات الروائية التى يرسمها لنا في هذا « العمل » ، أن تكون صورة « طبق الاصل » لشخصيته . صحيح أن هذه الشخصيات نابعة من صميم تجاربه الواقعية أو الوهمية ، ولكن هذه « المبدعات الفنية » ليست بالضرورة على غرار « مبدعها » . واذا عرفنا أن لكل منا شخصية او شخصيات اخرى تحيا على هامش الشعور ، او في طوايا اللاشعور ، وان امثال هذه الشخصيات قابلة للظهور الى عالم النور ، امكننا أن نفهم كيف ان في استطاعة الكاتب الروائي ان ينتزع من صميم ذاته كثرة هائلة من الشخصيات. وآية ذلك أن ثمة ظلالا عدة من « الشخصيات » ، تكمن الى جانب « الذات الاصلية » ، فتمثل « تعددا » او « كثرة » في صميم تلك « الذات » ، وعندئذ يجيء الفنان فينتزعها من اعماق نفسه ، وكانما هو يخلق شخصيات اصيلة مبتكرة من صميم لحمه ودمه ! ولعل هذا هو السبب في أن روائيا مثل راسين Racine ، قد استطاع أن يجمع في وقت واحد بين شخصيات متباينة ، مثل اورست Oreste ، وفيدر Phedre ، وباجازيه Bajazet ، واتالى Athalie .. الخ .صحيح أن الروائي الواحد قد لا يستشعر الانفعالات التى تعانيها شخصياته المتعددة لحسابه الخاص ، وفي صميم حياته الخاصة ، ولكنه لابد من أن يكون قد حقق كشفا فنيا حين اهتدى الى تلك الشخصيات ، وحين نجح في اخراجها الى عالم النور ، وحين استطاع أن يخلع عليها حياة خاصة مستقلة عن حياته هو !

وقد سبق لنا أن لاحظنا ـ في مقال سابق ـ انه ليس المهم بالنسبة الى الفنان ، أن يكون انسانا مشبوب العاطفة ملتهب الوجدان ، بل المهم أن يعرف كيف ينظم عواطفه على صورة « عمل فنى ». فالفنان هو ذلك الانسان الذى يملك « حساسية جمالية » يستطيع معها تجسيم الانفعالات وتحقيقها على صورة « وقائع موضوعية » ومن هنا فان الاقتصار على ابراز عواطف الفنان ـ بوصفه انسانا حساسا ـ قد لا يعيننا كثيرا على فهم طبيعة انتاجه الفنى ، او نوع طرازه الفنى . والحق ان الفنان لا يشعر اولا بانفعالاته ، لكي يعمد بعد ذلك الى التعبير عنها ، بل ربما كان الادنى الى الصواب ان نقول ان المصور الذى يتأمل مشهدا لا يراه الا من حيث هو « موضوع جمالي »، بمعنى انه يرى في المنظر اللوحة نفسها . وبالمثل ، يمكننا أن نقول ايضا ان النحات (او المثال) يرى

التمثال في النموذج الماثل امام ناظريه ، بدليل أن ليوناردو دافنشي كان يستمد وحيه من مشاهدة التشققات الموجودة في الجدران القديمة ، وكأنه كان يرى فيها اشكالا جمالية توحي اليه باروع الاعمال الفنية ! واذن فان الفنان لا يستشعر العواطف والانفعالات الا في صورتها الجمالية ، وكأنه لا يعاني تلك الحالات النفسية اللهم الا بوصفها « وعودا » تحمل في طياتها بعض « الاعمال الفنية » !

هل تكشف لنا « السير » عن « الوجه الحقيقي » للفنان ؟

وهنا قد يحق لنا أن نتساءل : ما الذى يجتذبنا عادة الى قراءة سير الفنانين ؟ وحتى لو افترضنا ان تلك « السير » كتابات امينة تضع بين ايدينا تاريخا حقيقيا للفنانين ، فهل يمكننا ان نقول عنها انها تقدم لنا الوجه الحقيقي للفنان؟ وهل يمكننا ـ بعد قراءة تلك السير ـ أن نعرف ـ على وجه التحديد ـ نوع العلاقة التى تكمن بين الفنان من جهة ، وعمله الفنى من جهة اخرى ؟.. الحق انه لو حاولت هذه « السير » أن تفسر لنا نشاط الفنان ، لكان عليها أن تبحث عن العلل الحقيقية للافعال التى عاشها الفنان (بوصفها افعاله الخاصة) . وليس من شك في أن هذه « العلل » ـ حتى لو كانت داخلة في نطاق الشخصية السيكولوجية للفنان ـ لابد مع ذلك من أن تبقى خارجة عن عقدة التصميمات الارادية التي يتعرف فيها المرء على نفسه . ومعنى هذا أن من شأن « السير » أن تفتت وحدة الحياة التى عاناها الفرد ، بوصفها استمرارا زمانيا لمصير فردى ، لكي تحيلها الى غبار من الاحداث والافعال ، وكأننا بازاء وحدة « سلسلة علية » ، لا « وحدة معنى » او وحدة اتجاه . وحين يقول بعض علماء الجمال ان السيرة التاريخية للفنان تذيب فرديته في الكون الموضوعى ، فانهم يتجهون بابصارهم نحو « حياة » الفنان التى يقدمها لنا اصحاب تلك السير على صورة حياة مكتملة لم يعد لها مستقبل ، وكأنما هي قد اندرجت تحت الزمان الكلي، فاصبحت تخضع لاشكال المعرفة الموضوعية. ولكن عبثا يحاول هؤلاء الكتاب ان يعيدوا تكوين « الصورة الحقيقية » للفنان : فان التعرف على بعض القوى المجهولة التى عملت عملها في شخصيته، والوقوف على طائفة من العوامل الجزئية التى ساهمت في تحديد نشاطه ، قد لا يكفيان لابراز « وحدة » اساوبه الشخصي ، او طرازه الخاص : Style Personnel .

اما اذا اعترض معترض بقوله ان الانسان ايضا « موضوع » Object ، (ما دام هناك جانب لا ارادى يدخل في تكوينه النفسي) ، كان ردنا على هذا الاعتراض ان التفسير الموضوعى لا يكفى لفهم الوجود البشرى بصفة عامة ، والفنان بصفة خاصة ، من حيث هو اولا وقبل كل شيء «انسان» او « ذات » ، لا مجرد « شيء » أو « موضوع ». ومن هنا فقد ظهرت الحاجة الى منهج استيعابي ـ او شمولى Comprehensive يحاول الاهتداء الى وحدة الحياة ، عبر الافعال والاهواء التى ينكشف من خلالها الشخص . ولما كان هذا المنهج يمثل محاولة جادة لاسترجاع « الحضرة الفردية » نفسها ، بكل ما تنطوى عليه من عناصر متسقة مباشرة ذات دلالة ، فليس بدعا ان نراه يتجه نحو الامتداد الى ما وراء شتى مظاهر الغموض والالتباس الكامنة في اية شخصية ، من أجل الوصول الى ما اطلق عليه سارتر اسم « الشروع الوجودى » للذات . ومعنى هذا ان المنهج الذى نحن بازائه يريد الوصول الى ذلك « الطابع الشخصى » الذى نلتقى به في كل اعمال الفنان ، وكأنه ثمة « قرابة روحية » تجمع بين كل اعمال الفنان ، وتسم بطابعها كل عمل من اعماله على حدة . وهذا هو السبب في ان كل مؤرخ يحرص على تحقيق ضرب من التواصل الحقيقى بيننا وبين الفنان ، لابد من ان يجد نفسه مضطرا الى التزام هذا « المنهج الاستيعابى » ـ او الشمولي ـ عند تاريخه لسيرة الفنان .

ولكن ، هل يستطيع مؤرخو حياة الفنانين أن يقدموا لنا بالفعل « سيرا » من هذا القبيل ؟ الواقع انهم لا يحدثوننا عن الفنان نفسه ، بل عن الانسان ، والانسان ككل . وليس في استطاعة كاتب السيرة أن يقف على « اللحظات الممتازة » في حياة الفنان ، لانه لا يجد بين يديه مبدأ يسمح له بتحقيق مثل هذا الاختيار (على نحو ما يفعل « الروائي » مثلا) ، ومن ثم فانه قد لا يفطن الى « حقيقة الانسان » الذى يسرد علينا تاريخه ، أن

لم نقل بأنه قد لا يهتدى الى لحظات « الابداع » في حياة الفنان الذى يضع بين ايدينا صورته . واما حين يقدر لاية سيرة تاريخية أن تضع كل ثقلها حول مركز واحد ، الا وهو مركز الابداع الفنى في حياة الفنان ، فهنالك لابد لتلك السيرة من أن تكون قد انبعثت ـ بادىء ذى بدء ـ عن اعجاب بعمل الفنان نفسه ، او عن احتكاك اصلى بانتاج ذلك الفنان . ولاشك أن مثل هذه السيرة لابد من ان تكون قد وجدت الهامها وتبريرها في معرفة سابقة قدمها لنا « العمل الفنى » نفسه عن صاحبه . وهنا لا تكون السيرة هي التى تعرفنا بالفنان ، بل يكون « العمل الفنى » نفسه هو الاصل في تلك المعرفة . وتبعا لذلك فان كل معرفة تقدمها لنا السيرة في هذه الحالة ، ستكون مشروطة هي نفسها بضرب من الاحتكاك المباشر بالعمل الفنى. ولعل هذا هو السر في أن الصفة التى ينعت بها بعض المؤرخين هذا الفنان او ذاك ، انما هي في الحقيقة صفة لعمله الفنى لا لحياته الخاصة . وآية ذلك أن ما يوصف بالمغامرة ، ليس هو « حياة » رامبو Rimbaud بل « عمله » ، وما يوصف بالسخاء او الوفرة ، ليس هو « حياة » بلزاك Balzac ، بل « عمله » ، وهلم جرا . ومن هنا ، فاننا قد لا نجانب الصواب اذا قلنا ان اصدق سيرة يمكن أن تكتب لاى فنان من الفنانين هي تلك التى تبقى مخلصة للعمل نفسه، لا لمجموعة الظروف التى احاطت بعملية الابداع ،ولا للصدف او الملابسات التى اكتنفت حياة الفنان ، بحيث يلتمس الباحث في صميم « العمل » نفسه عونا له على فهم الفنان وتأويل حياته .

هل يستطيع « الفنان » نفسه أن يحدثنا عن حياته كانسان ؟

اننا نعلم ان الكثير من الفنانين قد قدموا لنا « سيرا ذاتية » او « اعترافات » ، أو «مذكرات» ، او « يوميات » ، فهل تكون هذه « الصور الشخصية » اصدق واكثر امانة من « السير التاريخية » التى كتبها في العادة مؤرخون او نقاد او ادباء ؟ وهل من الصحيح أن اصحاب هذه « الاعترافات » او « اليوميات » قد قدموا لنا ذواتهم دون تزيين أو صباغة او مساحيق ؟ او بعبارة اخرى ، هل نجح فنان يوما في الكتابة عن نفسه ، وكأنما هو قد استطاع أن يعرى ذاته امامنا تماما ؟ الحق أننا لا نستطيع أن نتقبل بكل سهولة مثل هذه الشهادة Temoignage ، لاننا على ثقة من صعوبة « معرفة الذات » . فليس مبعث ارتيابنا في امثال تلك « السير الذاتية » هو شكنا في صحة الوقائع التى ترد فيها ، او مجرد حرصنا على التثبت من صحتها قبل التسليم بها ، ربما كان مبعث هذا الارتياب هو حاجتنا الى التساؤل عن مدى شرعية تلك « الصورة الشخصية » Portrait ، التى يقدمها لنا اصحاب تلك « السير الذاتية » . ونحن هنا بازاء مشكلة عادية كتلك التى نلتقى بها دائما حين نكون بصدد «الاخرين». وآية ذلك أننا لا نستطيع ان نثق تماما في كل ما يرويه لنا الاخرون عن ذواتهم . صحيح انهم قد يكونون مخلصين او امناء فيما يقولون ، ولكن هذا لا يعنى بالضرورة ان يكونوا صادقين . وهذا هو السبب في أننا نقف منهم دائما موقف « القاضى » الذى يحكم على اقوالهم ، ويحاول التمييز بين الصحيح والكاذب في اعترافاتهم . ولعل الاصل في هذا الارتياب التلقائي الذى نواجه به اقوال الغير واعترافاتهم ، أننا نشعر بان « الاخرين » عاجزون عن معرفة انفسهم من جهة ، وانه ليس ثمة تواصل حقيقى بين الذوات من جهة اخرى . ومعنى هذا أن من شان كل « ذات » ان تنظر الى « الاخر » على انه غامض بالقياس الى نفسه ، وغامض بالقياس اليها ، في آن واحد. بل ربما كان هذا « الغموض » نفسه هو ما يحدد طبيعة ذلك « الاخر » ! ومن هنا فانه ليس في وسع اية « ذات » ان تعرف « الاخر » ، اللهم الا من خلال « المقارنة » التى تعقدها بين «الصورة» التى تكونها لنفسها عنه ، و « الصورة » التى يقدمها لها (هو) عن نفسه ، دون أن يكون في هذه « المقارنة » ما يعنى بالضرورة ان يكون « الاخر » كاذبا او محتالا او مزيفا . فليس في وسع « الذات » أن تتقبل اعتراف « الاخر » الا بوصفه « وثيقة » ـ ضمن « وثائق » اخرى عديدة ـ او « شهادة » ـ ضمن « شهادات » اخرى عديدة .. تسمح لها بتكوين رأى عنه ، وتمكنها ـ بالتالي ـ من أن تفصل في حقيقته ومدى صدقه او امانته ـ ومعنى هذا ان « الذات » تتخذ من « الاخر » الذى يحدثها عن نفسه ، موقف عالم

النفس او « المحلل النفساني » ، الذى يحاول فض شفرات (اورموز) المضمون الخفى لافكار الناس ، ومعانيهم ، وارتباطاتهم الذهنية ، زاعما لهم انه يعرف خيرا منهم كل ما يفكرون فيه ، وكل ما يودون ان يكونوا عليه في قرارة نفوسهم !وليس معنى هذا ان من شان « الـذات » ان تحيـل « الاخر » الى مجرد « موضوع » ، بل كل ما هنالك انها تضع في مقابل « الحقيقة » التى يقدمها لهـا عن نفسه ، تلك « الحقيقة » التى كونتها هـي لنفسها عنه .

واما اذا تساءلنا عن مصدر تلك « الحقيقـة » التى كونتها « الذات » لنفسها عن « الاخر » ، كان الجواب انها ثمرة لاول احتكاك لها به ، حتى قبل ان يكون قد حدثها بشيء ! والحق انه لما كان « الاخر » يبدو لغيره ـ منذ البداية ـ بمثابة « ذات » حاملة لبعض المعانى او الدلالات ، فان من شان كل « ذات » ان تمتلك عنه فكـرة لا تدين بشيء لاعترافاتهاو تصريحاتهالخاصة.ومعنىهذا ان « الاخر » ينكشف لغيره من الذوات بكل حضرته ، فهي لا تكف عن الحكم عليه بالاستناد الى سيمائه، وكانما هي تجد بين يديها « معرفة سابقة علـى كل تصور » ، تستطيع عن طريقها الحكم عليـه بوصفه « ذاتا اخرى » : Alter Ego . والواقع ان « الذات » حين تواجه « الاخر » ، فانها تجد بين يديها فكرة اولية تستطيع بالاستناد اليها تقدير كل ما يخبرها به عن نفسه ـ ولهذا فانها تقارن ـ باستمرار ـ بين « فكرتها » عن « الاخر » وبين « مقال » ذلك الاخر ، وحين يحاول ان « يعبر » عن نفسه . وكثيرا ما يجيء هذا « المقال » فيحدثنا عن « الاخر » ، من حيث لا يدرى هو نفسـه ، وعندئذ لا تلبث « الذات » ان تصحح « فكرتها » عن « الاخر » ، على ضوء « حديثه » المقصود او غير المقصود !

وعلى ذلك ، فاننا حين نقرا اعترافات الفنان ، نقوم في الوقت نفسه بضرب من المواجهة او المقارنة بين ما يقوله لنا وما نعرفه عنه . وليست هذه « المعرفة » سوى النتيجة التى توصلنا اليها مـن اطلاعنا السابق على بعض اعماله ، ان لم تكن ثمرة لقراءة واعية لما بين السطور في صميم هذا الاعتراف نفسه . وكثيرا ما تكون « اعترافات » الفنان مجرد « عمل فنى » يحدثنا عن صاحبـه بلغة الصور الجمالية والشحنات الوجدانية ، لا بلغة الاحداث الواقعية والملابسات الخارجية . وفي هذه الحالة ، قد لا تكون لاعترافات الفنان قيمة موضوعية اكبر مما لاى عمل فنى اخـر استطاع ان يحققه . ولعل هذا هو السبب فيمـا ذهب اليه بعض النقاد منآن « هلويزا الجديدة» Nouvelle Heloise ، تكشف لنا عن شخصية « روسو » بقدر ما تكشف لنا عنها « اعترافاته » : Confessions او «احلام يقظته » Reveries ، ان لم نقل انها تكشف لنا عن تلك الشخصيـة على نحو افضل مما تفعلـه « الاعترافـات » او « احلام اليقظة » . والحق ان الصـورة التـى تقدمها لنا عن روسو « هلويزا الجديدة » هـي التى تسمح لنـا بالحكـم علـى مـدى صـدق « اعترافاته » .

وهكذا نرى انه لابد لنا من التسليم باننا نعرف الفنان اولا وقبل كل شيء من خلال عمله ، لا من خلال اعترافاته او تصريحاته . ومهما كان مـن امر تلك الظروف او الملابسات التى احاطتبابداعه الفنى ، فان « الخبرة الجمالية » وحدها هـي التى تجيء فتعرفنا بحقيقة الفنان . والحـق ان من شان « الموضوع الجمالى » ان يحيلنا باستمرار الى صاحبه ، فهو لا يكف مطلقا عن التحدث باسم الفنان ، والافصاح عن علاقة الفنان بالانسان . ولكن اللغة الحقيقية التى ينطق بها العمل الفنى انما هي لغة « الطراز » او « الاسلوب » . وحين نتحدث عن « الطراز » او « الاسلوب » ، فاننـا نعنى به مجموع الاجراءات التى يقوم بها الفنان حين ينظم المادة ، ويرفض الصدفة : ويبحث عن انقى الصور . ومعنى هذا ان الفنان الذى يفرض اسلوبه الخاص على المادة ، انما هو ذلك الفنان الذى يجسد فيها الاشكال التى ارادها ، فيضع بذلك صوره الذهنية الخالصة محل تلك الكثرة المضطربة من الاشكال الطبيعية التلقائية التـي لا اثر فيها للقصد او التنظيم او الاتساق ! ولعل كان « الفنان » ـ كما قال بعض فلاسفة الجمال ـ سوى « الانسان مضافا الى الطبيعة » ؟ ■■

زكريا ابراهيم

حق المرأة

في المقال السابق ، بعدد شهر سبتمبر رقم ١٤٢ من العربي ، وضحنا دور المراة داخل الاسرة الاسلامية : زوجة صالحة ، واما مربية . وبينا مدى استقلالها الشخصي والمالي ، واسهامها في الخدمة الاجتماعية ، بقدر طاقتها ، وفي حدود خصائصها وكفايتها .

بقلم
الشيخ زكريا البرى
استاذ الفقه الاسلامي واصوله

■ في هذا المقال نبين الخلاف الذي جرى في شأن تولي المراة الولايات والوظائف العامة التي تتضمن سلطات ملزمة في شئون الجماعة ، وهي السلطات التشريعية والقضائية والتنفيذية .

ونكتفي من فقه السلف الصالح بايرادما يقوله ابن رشد في كتابه « بداية المجتهد ونهاية المقتصد » وهو من كتب الفقه المقارن ، عند بيان من يجوز قضاؤه : « اختلفوا في اشتراط الذكورة ، فقال الجمهور : هي شرط في صحة الحكم ، وقال ابو حنيفة : يجوز ان تكون المراة قاضيا في الاموال » (١) .

وقال الطبري : يجوز ان تكون المراة حاكما على الاطلاق في كل شيء .. فمن رد قضاء المراة شبهه بالامامة الكبرى .. ومن اجاز حكمها في الاموال فتشبيها بجواز شهادتها في الاموال . ومن راى حكمها نافذا في كل شيء قال : ان الاصل هو ان كل من يتاتى منه الفصل بين الناس فحكمه جائز الا ما خصصه الاجماع من الامامة الكبرى (٢) .

رأى لجنة الفتوى الازهرية في مزاولة المراة الحقوق السياسية وتوليها الوظائف العامة

وقد اثيرت مسالة مزاولة المراة للحقوق السياسية ، وتوليها للولايات والوظائف العامة في مصر سنة ١٩٥٢ .

---

(١) مع الم مواليها ـ كما جاء في كتب المذهب .

(٢) وفي شروط الامامة في الصلاة يقول ايضا : « اختلفوا في امامة المراة ، فالجمهور على انه لا يجوز ان تؤم الرجال ، واختلفوا في امامتها النساء ، فاجاز ذلك الشافعي ، ومنع ذلك مالك ، وشذ ابو ثور والطبري فاجاز امامتها على الاطلاق .. »

فى الولايات العــامَّة

وفى الانتخابـات

فافتت لجنة الفتوى بالازهر ، التابعة لجماعة كبار علمائه ، في فتواها الصادرة في شهر رمضان سنة ١٣٧١ (يونيو ١٩٥٢) بمنع المراة من مزاولة هذه الحقوق ، وتولى هذه الوظائف .

وقد مهدت اللجنة الموقرة لرايها بقولها :
ان الاسلام في تشريعاته انما يبنى احكامه على اصول ثابتة ، ويستنبط قوانينه من مصادر معينة ، ولا يجارى ما يستحسنه الناس ولا ما يجرى به عرف امة ، الا ان يكون شيئا تقره تلك المصادر والاصول ، او على الاقل لا يخالفها ولا يهدم ركنا من اركانها ... ومصادر شريعتنا هي الكتاب العزيز والسنة الصحيحة ، وما يرجع اليهما من الادلة ...

وهذه المصادر والادلة ... لا تضعف عن النظر فيما يجد في الحياة من مشاكل ، ولا تابى الاخذ بما فيه من مصلحة ، الا ان تكون مصلحة براقة تلوح لبعض الانظار من بعض النواحي ، على حين تلازمها مفسدة مثلها او اعظم منها ، فمثل هذه المصلحة تلغيها الشريعة ولا تابه لها .

ثم ذكرت ان الولاية العامة ـ ومن أهمها عضوية المجالس النيابية ـ وهي ولاية سن القوانين والهيمنة على تنفيذها ـ قد قصرتها الشريعة الاسلامية على الرجال اذا توافرت فيهم شروط معينــة .

واستندت اللجنة في ذلك الى ما ياتي :

اولا ـ انه قد جرى التطبيق العملي على هذا

للمراة الحق في الولايـات العامـة ، اذا تأهلت لهـا ، وتوافرت فيهـا شروطها ، وقد وصلت المراة الى هذه الاهلية في بعض البلاد الاسلامية



من فجر الاسلام ، فلم يثبت ان شيئا من هذه الولايات قد اسند الى المراة ، لا مستقلة ولا مع غيرها من الرجال ، وقد كان في نساء الصدر الاول مثقفات فضليات ، وفيهن من تفضل كثيرا من الرجال كأمهات المؤمنين .

ثانيا ـ ان المراة لم تطلب ان تشترك في شيء من تلك الولايات ، ولم يطلب منها هذا الاشتراك ، مع ان الدواعي لاشتراك النساء مع الرجال في الشئون العامة كانت متوافرة ، ولو كان لذلك مسوغ من كتاب او سنة ، لما اهملت مراعاته من جانب الرجال والنساء باطراد .

ثالثا ـ ان المنع قد ورد فيما رواه البخارى في صحيحه ، واخرجه احمد في مسنده ، والنسائي في سننه ، والترمذى في جامعه ـ عن ابى بكرة من قوله : لقد نفعنى الله بكلمة ايام الجمل ، لما بلغ النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ان فارس ملكوا ابنة كسرى ، قال : « لن يفلح قوم ولوا امرهم امراة » .

وظاهر أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا يقصد مجرد الاخبار عن عدم فلاح هؤلاء القوم .. لان وظيفته ـ عليه الصلاة والسلام ـ بيان ما يجوز لامته وما لا يجوز ، وانما يقصد نهى امته عن مجاراة هؤلاء في اسناد شيء من الامور العامة الى المراة ، وقد ساق ذلك باسلوب من شانه ان يبعث على الامتثال ، وهو اسلوب القطع بان عدم الفلاح ملازم لتولية المراة امرا من امورهم .

وان هذا النهى المستفاد من الحديث يمنع كل امراة ، فى اى عصر ، ان تتولى اى شيء من الولايات العامة ، وهذا العموم تفيده صيغة الحديث واسلوبه ، كما يفيده المعنى الذى من اجله كان المنع . وهذا هو ما فهمه اصحاب الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وجميع ائمة السلف ، لم يستثنوا من ذلك امراة ولا قوما ولا شانا من الشئون العامة ، كالامامة (رياسة الدولة الاسلامية) والقضاء وقيادة الجيوش وما اليها .

وان هذا الحكم لم ينط بشيء وراء الانوثة ، وواضح ان الانوثة ليس من مقتضاها عدم العلم والمعرفة ، ولا عدم الذكاء والفطنة ، حتى يكون شيء من ذلك هو العلة ، لان الواقع يدل على ان للمراة علما وقدرة على ان تعلم كالرجل ، وعلم ان لها ذكاء وفطنة كالرجل . بل قد تفوق الرجل، فلا بد ان يكون الموجب لهذا الحكم شيئا غير ذلك .

والمراة ـ بمقتضى الخلق والتكوين ـ مطبوعة على غرائز تناسب المهمة التى خلقت لاجلها ، وهي مهمة الامومة وحضانة النشء وتربيته ، وهذه قد جعلتها ذات تاثر خاص بدواعى العاطفة ، وهي مع ذلك تعرض لها عوارض طبيعية ، تتكرر عليها في الاشهر والاعوام ، من شانها ان تضعف قوتها المعنوية ، وتوهن من عزيمتها في تكوين الراى والتمسك به ، والقدرة على الكفاح ... وهذا شان لاتنكره المراة من نفسها .

ولهذا فان الشريعة بنت على الفرق الطبيعي بين الرجل والمراة ـ التفريق بينهما في كثير من الاحكام .

اذ جعلت القوامة على النساء للرجال ، وجعلت حق الطلاق للرجل دونها ، ومنعتها السفر من غير محرم او زوج او رفقة مامونة ، ولو كان سفرها لاداء فريضة الحج .

وجعلت لها حق الحضانة للصغار دون الرجل، واوجبت على الرجل حضور الجمعة والجماعة والجهاد ، ولم توجب عليها شيئا من ذلك .

راى لجنة الفتوى الازهرية فى حق المراة فى الانتخابات

هذا بالنسبة لعضوية المراة في المجالس النيابية، اما اشتراكها في انتخاب اعضائها ، فقد افتت اللجنة ايضا بمنعها منه ، مستندة في ذلك الى ما ياتي :

اولا : من المقرر في الشريعة ان وسيلة الشيء تاخذ حكمه ، فالشيء الممنوع بسبب ما يلازمه او يترتب عليه من مفاسد ، تكون الوسيلة اليهممنوعة لهذا السبب ... وواضح ان المراة ترى في الاشتراك في الانتخاب بابا تنفذ منه الى الولاية العامة ... فان من يثبت له حق الاشتراك في الانتخاب يثبت له حق الترشيح للعضوية متى توافرت فيه الشروط ...

ثانيا : ان ما يلازم عملية الانتخاب والترشيح من سلسلة الاجتماعات والاختلاطات والاسفار وما الى ذلك ، مما تتعرض المراة فيه لانواع الشر

والاذى ... لاينبغي للمرأة ان تزج بنفسها في معتركه غير المأمون .

رأى المخالفين للجنة الفتوى الازهرية

وبجانب هذا الرأى رأى ثان ، يعطي المرأة الحق في الولايات العامة ، اذا تأهلت لها ، وتوفرت فيها شروطها ، وقد وصلت المرأة الى هذه الاهلية في بعض البلاد الاسلامية .

ويستند هذا الرأى الى الادلة الآتية :

اولا : يقول الله تعالى : « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ، يأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ويقيمون الصلاة ، ويؤتون الزكاة ، ويطيعون الله ورسوله ، أولئك سيرحمهم الله ، ان الله عزيز حكيم » **. تلك الآية الكريمة المحكمة تفيد ان الرجال والنساء شركاء في سياسة المجتمع ، فللمرأة كالرجل الولاية العامة « بعضهم اولياء بعض » تأمر بالمعروف كما يأمر ، وتنهى عن المنكر كما ينهى . واعمال السلطات التشريعية والقضائية والتنفيذية ــ ليست الا أوامر بالمعروف ، ونواهي عن المنكر ، احيانا بالتشريع والاجتهاد في معرفة الاحكام ، واخرى بالقضاء والفصل في الخصومات، وثالثة بالتنفيذ والالزام .**

ثانيا : بايعت المرأة رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ كما بايع الرجل ، في بدء الاسلام ، وأمر الله ــ سبحانه ــ رسوله بقبول بيعتها « يأيها النبي ، اذا جاءك المؤمنات يبايعنك ، على الا يشركن بالله شيئا ، ولا يسرقن ، ولا يزنين ، ولا يقتلن اولادهن ، ولا يأتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن ، ولا يعصينك في معروف ، فبايعهن .. »

وقد روى البخارى عن ابن عباس ــ رضى الله عنهما ــ انه ــ صلى الله عليه وسلم ــ كان يتعهد النساء بهذه البيعة في ايام الاعياد .

ثالثا : أجاز الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ للمرأة ان تمثل جماعة المسلمين ، وتتحدث وتعطى الامان الملزم باسمهم ، حين قال لام هانيء : **قد اجرنا من اجرت يا ام هانيء .**

رابعا : شاركت المرأة ــ **بمقدار ما تزودت به** من علم ومعرفة ــ في الحياة العامة ومسئولياتها في عهد الصحابة ــ رضوان الله عليهم ــ ومن تبعهم باحسان ، من غير اختلاط مريب ولا تبرج فاضح .

يروى ابن ابي يعلي : ان عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ ركب منبر رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ثم قال : ايها الناس ، ما اكثاركم في صداق النساء ، وقد كان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ واصحابه والمهور فيما بينهم قليلة ، ثم نزل ، فاعترضته امرأة من قريش فقالت : يا امير المؤمنين ، نهيت عن الزيادة في مهور النساء ، فقال : نعم ، فقالت : اما سمعت ما انزل الله في القرآن ؟ حيث اعطانا بالقنطار في قوله تعالى : « وان اردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا ، فلا تأخذوا منه شيئا ، أتأخذونه بهتانا واثما مبينا ؟ » **فقال عمر :** اللهم غفرا ،أكل الناس أفقه من عمر ؟ **ثم رجع فركب المنبر ، وقال :** كنت نهيتكم ان لا تزيدوا في المهور على اربعمائة درهم ، فمن شاء فليفعل .

فهذه امرأة تحضر مع اخوتها واخواتها الى المسجد الجامع ــ وقد كان مصلى ودارا للشورى والسياسة ــ وتشترك مع اهل الحل والعقد برأيها الصائب ، فيأخذون به من غير ان ينكر عليها احد في ذلك ، مما يعتبر اجماعا سكوتيا منهم على جواز مشاركة المرأة في الحياة العامة وسياستها .

وقد كانت ام المؤمنين : الصديقة بنت الصديق، عائشة ــ رضى الله عنها ــ فقيهة مجتهدة ، تسأل ويؤخذ عنها ، بل انها خرجت تطالب باقامة الحد على البغاة الذين قتلوا الخليفة الثالث : عثمان بن عفان ــ رضى الله عنه ــ اطفاء للفتنة ، واصلاحا بين الناس .

وقد استأذن عليها رسولا امير البصرة ، فأذنت لهما ، فدخلا وسلما وقالا : ان اميرنا بعثنا اليك لنسألك عن مسيرك هذا ؟ أعهد عهده اليك رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ام رأى رأيته ؟ فقالت : بل هذا رأى رأيته ..خرجت في المسلمين اعلمهم ما اتى هؤلاء ، وما الناس فيه وراءنا ، وما ينبغي لهم من اصلاح ، وقرأت « لا خير في كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس ، ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما » **، فهذا معروف نأمركم به ، ومنكر ننهاكم عنه ، غضبنا لكم من سوط**

عثمان ؟ ولا نغضب لعثمان من سيفكم ؟ ! فقال لها ابو الاسود : فما أنت وسيفنا وسوط عثمان ؟ وانت حبيس رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أمرك ان تقري في بيتك ، فجئت تضربين الناس بعضهم ببعض ؟ .. فقالت : وهل أحد يقاتلني ؟.. فقال الاسود : نعم ،ثم تكلمت ـ رضي الله عنها ـ في الناس ، فحمدت الله وقالت : كان الناس يتجنون على عثمان ، ويزرون على أعماله ، ويأتوننا بالمدينة ، يخبروننا عنهم ، فننظر في ذلك ، فنجد عثمان برينا تقيا وفيا ونجدهم فَجَرة غَدَرَة كذبة .. فلما قووا كاثروه واقتحموا عليه داره ، واستحلوا الدم الحرام ، والشهر الحرام ، والبلد الحرام ، بلا ترة ولا عذر . الا ان ما ينبغي ، لا ينبغي لكم غيره ، أخذ قتلة عثمان ، واقامة كتاب الله ، ثم قرأت : « الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ، ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون » .

فهذه زوج الرسول ، وبنت الصديق ، واقرب الناس اليهما ، وهي الفقيهة المجتهدة ـ ترى لنفسها ـ كامرأة ـ ان تشارك في امور السياسة والحكم ، الى حد الخروج على رأس الجيش للقتال ، ومعها الزبير وطلحة وغيرهما من صحابة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ

واذا كانت قد ندمت على هذا الخروج ، فما كان ندمها لانها اخطأت في اجتهادها ، ولا لانها ارتكبت ذنبا واثما ، وانما كان لعدم تحقق مقصدها وهدفها ، وهو اطفاء الفتنة ، وجمع الكلمة .

ثم هذه زوج عثمان ـ رضي الله عنه ـ تسمع مروان بن الحكم يشير عليه برأي غير سديد ، فتعارض وتشير بغيره ، فيقول لها مروان : اسكتي انت ، لا شأن لك . فيقول عثمان : دعها فانها انصح لي منك .

ثم هذه الشفاء بنت عبد الله يوليها الفاروق عمر ولاية الحِسْبة في السوق ، وهي وظيفة عامة، تمنع بمقتضاها الغش والتدليس والربا والاحتكار .

واذا كان التاريخ لم ينقل الينا حوادث كثيرة ، واذا كانت الظروف الاجتماعية السائدة قديما لم تفسح المجال لعمل المرأة في هذا الشأن ـ فان ذلك لا يمنع دلالة هذه الحوادث التاريخية ـ التي لا خلاف في حدوثها وصدقها ـ على سلامة المبدأ ، وعدم مجافاته لروح الشريعة الاسلامية .

خامسا : ان كثيرا من الاحكام الشرعية قد انفردت المرأة بروايتها عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ واصبحت هذه الاحكام ـ عند جميع الفقهاء ـ دينا يتعبد به ، وشريعة يعمل بها واذا كانت مقبولة الرواية الملزمة للمسلمين، كانت اهلا للتطبيق والتنفيذ .

وقد اؤتمنت المرأة وحدها على اقدس المقدسات الاسلامية ، وهو القرآن الكريم ، حيث وضعت النسخة الوحيدة من المصحف الكريم عند أم المؤمنين حفصة ، وبقيت عندها مدة خلافة ابي بكر وعمر وعثمان ـ رضي الله عنهم ـ

سادسا : ان للمرأة قدرة على الحوار والجدل، ورأيا وقولا سمعه الله سبحانه « قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها ، وتشتكي الى الله ، والله يسمع تحاوركما ، ان الله سميع بصير .. » ومن المصلحة الاجتماعية مشاركتها بهذا الرأى في ظل الاداب والكرامة .

ويروى في سبب نزول هذه الاية وما بعدها ان اوس بن الصامت قال لزوجته : خولة بنت ثعلبة انت عليَّ كظهر أمي ، يحرمها على نفسه ـ فأتت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقالت : ان زوجي تزوجني وانا شابة غنية ، ذات أهل ومال ، حتى اذا اكل مالي ، وافنى شبابي ،وتفرق اهلي ، وكبرت سني ، ظاهر مني وقد ندم ، فهل من شيء يجمعني واياه ؟ فقال لها الرسول : « حرمت عليه » فقالت : يا رسول الله ، والذي انزل عليك الكتاب ما ذكر الطلاق ، وانه ابو ولدي واحب الناس اليَّ ، فقال لها الرسول حرمت عليه ، فقالت : اشكو الى الله فاقتي ووحدتي ، قد طالت له صحبتي ، ونفضت له بطني، فقال الرسول : ما اراك الا قد حرمت عليه ، ولم أومر في شأنك بشيء » فجعلت تراجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واذا قال لها : « حرمت عليه » هتفت وقالت : اشكو الى الله فاقتي ووحدتي وشدة حالي ، وان لي صبية صغارا ان ضممتهم اليَّ جاعوا ، وان ضممتهم اليه ضاعوا . وجعلت ترفع رأسها الى السماء ، وتقول : اللهم اشكو اليك فانزل على لسان نبيك فرجي .

كما روى أن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ مر بها في زمن خلافته ، وهو راكب والناس حوله،

فاستوقفته طويلا ووعظته ، وقالت : يا عمر ، قد كنت تدعى عُمَيْرا ثم قيل لك يا عمر ، ثم قيل لك يا أمير المؤمنين ، فاتق يا عمر ، فانه من أيقن بالموت خاف الفوت ، ومن ايقن بالحساب خاف العذاب . وعمر واقف يسمع كلامها ، فقيل له : يا أمير المؤمنين ، أتقف لهذه العجوز ، هذا الموقف ؟ فقال : والله لو حبستني من أول النهار الى آخره ما تركتها الا للصلاة المكتوبة ، أتدرون من هذه العجوز ؟ هي خولة بنت ثعلبة ، سمع الله قولها من فوق سبع سموات ، أيسمع رب العالمين قولها ولا يسمعه عمر !

رد لجنة الفتوى الازهرية على هذا الرأى المخالف

وقد تناولت لجنة الفتوى بالازهر ما استند اليه الرأى الثاني بالرد ، فقررت :

أولا : ان القول بان السيدة عائشة ــ رضى الله عنها ــ تولت قيادة الجيش ، ليس فيه انصاف للحقيقة والتاريخ ، فانها ما خرجت الا داعية للمطالبة بدم عثمان ــ رضى الله عنه ــ وقد دفعها الى ذلك انها كانت ساخطة على خطة التريث وعدم المبادرة بالبحث قبل كل شيء عن قتلة عثمان ، والاقتصاص منهم ، وهذا امر ليس من الولاية العامة في شيء .

على ان هذا الصنيع من السيدة عائشة ليس فيه دليل شرعي ، فانه كان عن اجتهاد منها ، وكانت مخطئة فيه ، وقد انكر عليها بعض الصحابة هذا الخروج ، فاعترفت بخطئها وندمت على خروجها . ومن ذلك أنها ارسلت الى أبي بكرة تدعوه الى الخروج معها ، فقال : انك لأمّ وان حقك لعظيم ، ولكني سمعت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يقول : « لن يفلح قوم تملكهم امرأة » ولم يخرج معها .

كما ورد ان عائشة ــ رضى الله عنها ــ لما نزلت ببعض مياه بني عامر ، نبحت عليها الكلاب، فقالت : اى ماء هذا ؟ فقالوا : الحواب . فقالت : ما أظنني الا راجعة . فقال لها بعض من كان معها : بل تقدمين ليراك المسلمون ، فيصلح الله ذات بينهم ، فقالت : ان النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال لنا ذات يوم : كيف باحداكن تنبح عليها كلاب الحواب ؟

كما روى ان عمار بن ياسر قال لعائشة لما فرغوا من معركة الجمل : ما ابعد هذا المسير من العهد الذى عهد اليكن ــ يشير الى قوله تعالى : « وقرن في بيوتكن .. » فقالت : ابو اليقظان ؟ قال : نعم . قالت : والله انك ما علمت لقوال بالحق . فقال : الحمد لله الذى قضى لي على لسانك .

ثانيا : يضاف الى ذلك ما يقوله انس ــ رضى الله عنه ــ : أتت النساء رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقلن : يا رسول الله ، ذهب الرجال بالفضل والجهاد في سبيل الله ، فما لنا عمل ندرك به عمل المجاهدين في سبيل الله ؟ فقال: « مهنة احداكن في بيتها تدرك عمل المجاهدين في سبيل الله » .

ثالثا : ان مبايعة الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ للنساء ، التى وضع القرآن شروطها ، لا دليل فيها ، لانها ليست الا عهدا من الله ورسوله ، قد أخذ على النساء بعدم مخالفة احكام الله ، وتجنب الموبقات المهلكات ، التى فشت في العرب قبل الاسلام ، فلا تصلح دليلا لمباشرة المرأة الولايات العامة ، بل ان هذه المبايعة تدل على التفرقة في الاعمال بين ما ينبغي ان يكون للنساء وما ينبغى ان يكون للرجال ، ذلك ان مبايعة النساء كانت عقب فراغ النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ من مبايعة الرجال اولا على الاسلام والجهاد ، وعلى الا يفروا من الموت، وهو الامر الذى يليق بهم ، وينتظر منهم ، ولله الحكمة البالغة ، ولا يكلف الله نفسا الا وسعها .

وبعد . فهذه أبرز الاسانيد والمناقشات في هذا الشأن ، نتوقف عندها . وقد منحت بعض البلاد الاسلامية هذه الحقوق للمرأة ، بينما بقيت على المنع غيرها .

ومن الملاحظ ان مشاركة المرأة في هذا المجال ، حتى في البلاد غير الاسلامية ــ اقرب الى المشاركة الرمزية .

وفى المقال التالى نبين أهم القواعد التي تنظم دور المرأة ــ بصفة عامة ــ في المجتمع . ■■

زكريا البرى



لِقَـــاء

■ أأنتَ؟ أم الأوهامُ تُوحي لخاطري   بأنّكَ ترعاني... وأنّكَ زائري
فيافرحةً فاضتْ.. ويانشوةً سرتْ   وياعودةً ردّتْ إليَّ بشائري
ويالحظةً في صحوةِ العمرِ أشرقتْ   سلاماً لمحروم، وأمناً لحائر
رأيت بها الدنيا جمالا وفتنة   وريّا لظمآن، ونجوى لشاعر
رأيتُ الزمانَ الصفوَ من بعدِ وحشة   يعودُ لمشتاقٍ، وأيكٍ، وسامرِ
رأيتُ ليالي الأمسِ عادتْ نديّةً   تفيضُ بأضواءِ النجومِ الزّواهرِ
وتشدو. بألحانِ الربيعِ المباكرِ   وتسبحُ في نبعٍ من النورِ غامرِ
سمعتُ أناشيدَ الحياةِ، سمعتُها   بقلبي، وأحلامي، وسمعي، وناظري
أيا غنوةً للحبِ بين سرائري   وياصحوةً من فجرهِ في مشاعري
ويانورَ أيّامي ولولاك لم أبتْ   من العيشِ إلا في ظلامِ الدّياجرِ
على لهفة حرّى بقلبيَ نلتقي   فأورقَ بالأفراحِ أمسي وحاضري
وغنّتْ لنا الدنيا وغنّتْ بنا المُنى   وعشنا عبيراً في شفاهِ الأزاهرِ ■■

مصطفى عبد الرحمن



الدكتور مُصْطَفى جَوَاد

بمُناسَبة ذِكْرَى وَفاتِه الأولى

بقلم : عبد الكريم جواد

■ (هدية الى حضرة الأستاذ القانونى البارع الأديب الفاضل عبد الكريم جواد حفظه الله) ، بهذه الكلمة الكريمة النبيلة تفضل مشكورا باهداء كتابه القيم (دراسات في فلسفة النحو والصرف واللغة والرسم) اليّ أصيل يوم من ايام الربيع الماضي عندما اسعدنى الحظ بزيارته في داره في « الدورة » لاشكر له ما تفضل به من الرد الصائب السديد على رسالتى التى بعثت بها اليه في ١٩٦٩/٣/٢٧ مستطلعا رايه اللغوى في اى القولين اصح : (هيئة الاصلاح الزراعى العليا) ، ام (الهيئة العليا للاصلاح الزراعى) ؟ فجاء الرد منه بان القول الأول هو الأصح، وهذا الرد وان اعجبنى وسرنى لانه يؤيدنى فيما ارى ، وجاء بما ارغب فيه واهوى ، بيد انه جاء بعد نبا مقيت مفزع ساءنى كثيرا وازعجنى حقا والمنى جدا ، جاء بعد ان قال : (احييكم من على سرير مرضي العضال ودائي العياء الذى لا ارجو منه الشفاء ..) ، ولم يكن هذا اول سؤال اساله اياه ، فلقد سبق لى ان استوضحته اقوالا اخرى عندما كنت اراه في مكتبة (المثنى) التى كان يكثر التردد اليهـا لزيارة صاحبها الوراق القدير الشهير السيد قاسم محمد الرجب ، او لاقتناء امهات كتب اللغة والتاريخ والأدب ، فكان يجيبني ـ في حياء وخفر باسم الثغر ضاحك الوجه طلق المحيا ـ بما يقنعنى ويرضينى ويسرنى ويزيدنى اعجابا بدماثة طبعه ورحابة صدره وكرم خلقه وسعة ذهنه ورجاحة عقله وبعد غوره وغزارة علمه .

وكم احببت ان ازوره بعد زيارتي تلك الا ان اشغالى وضعف بصرى وشدة حرصي على صحته وراحته وضنى بوقته الثمين حالت دون ذلك .

ولقد قضيت معه في تلك الزيارة نحو ساعة ظل الحديث بيننا متصلا متدفقا متفرعا ، وكنت وانا جالس الى يمينه اجاذبه اطراف الحديث اشعر كانني اجلس الى جانب طفل ساذج برىء او قديس طاهر نقى لطيبة قلبه وسلامة صدره وصفاء سريرته ونقاء نيته ، فما اصدق تلميذه

وصديقه الأستاذ الفاضل الأديب الشاعر السيد صبحي محمد جواد البصام اذ يقول فيه :

رُصِّعت نفسه بحلـو السجايا
بانسجـام كمثـل راح وروح
يلتقي كل مـن أتاه ببشـر
مثلما الورد يلتقيـك بنفـح
وكـساه طبـع التواضـع فيه
بسـمات بهن يُمسـي ويُضحي

وقبل أن يصاب بمرضه الذي منعه من مزاولة عمله الرسمي واقعده في بيته رأيته ذات يوم في سيارة من سيارات مصلحة نقل الركاب العامة فسألته عن رد الأستاذ العقاد على بعض ما يراه في اللغة ، فقال لي : (عندما كنت في باريس أطلب العلم في جامعة السوربون لنيل شهادة التخصص (الدكتوراه) في الأدب عرفت الأستاذ الدكتور بشر فارس وتوثقت أواصر الود وعرى الصداقة بيننا ، وظلت هذه الصداقة قائمة بيننا حتى بعد أن غادرنا فرنسا ورجعنا الى الوطن ، وذات يوم وقفت في بعض المجلات المصرية على جدل عنيف وملاحاة شديدة بين الأستاذ عباس محمود العقاد وبين الأستاذ بشر فارس في موضوع لغوي ، ورأيت أن الأستاذ العقاد وشيك الظهور على الأستاذ بشر فارس الذي دفعني ودي له وصداقتي معه الى أن أسعفه بما يرد به ، وبعثت اليه بما عن لي موضع أني لم أقصد مما فعلت سوى خدمة اللغة ونصرة الصديق في موضوع لغوي بحت ، فان الأستاذ العقاد استاء من ردي عليه وعده تحرشا به ..)، وهذه المبادرة منه الى الوقوف الى جانب صديقه والأخذ بيده دون أن يُدعَى الى ذلك انما تدل أقوى الدلالة على ما كان يتصف به من ود واخلاص لأصدقائه وذوي معرفته على نأي الدار وبعد المزار .

★ ★ ★

وهو عالم نحرير ، وباحث أريب ، وأديب ألمعي ، وكاتب قدير ، ومؤرخ ثبت ، ومحدث ذلق اللسان لبق ، وخطيب مدره ، قليل النظير في اللغة والأدب والتاريخ والخطط .

تدل على ذلك كتبه القيمة التي ألفها ، ومنها المعجم المستدرك الذي ما زال مخطوطا لم يطبع ، والصبح النذير للمصباح المنير ، ومن سيدات البلاط العباسي ، وقل ولا تقل ، وفقه اللغة العربية ، والقلب والابدال ، ونهج السداد في كلام النقاد ، وموضوعه تمحيص النقد اللغوي الذي كتبه الكاتب الأديب الأستاذ ابراهيم اليازجي في كتابه (لغة الجرائد) والأديب المعروف الأستاذ أسعد داغر في كتابه (تذكرة الكاتب) ، ودراسات في فلسفة النحو والصرف واللغة والرسم .

وتدل على ذلك مقالاته الممتعة التي نشرها في مجلات : لغة العرب والعرفان والرسالة والثقافة والمقتطف والهلال والعربي والمكتبة وغيرها ، ولم يقعده (مرضه العضال وداؤه العياء) عن الانصراف الى القراءة والعكوف على البحث والانكباب على الكتابة تعقيبا وترجمة وتأليفا وهو يعاني ما يعاني من تدهور صحته وشدة أوصابه وبرحاء آلامه ، فلقد قرأت له مقالا رائعا وبحثا قيما نشره في العدد الـ (١٢٤) من مجلة (العربي) عن الناصر لدين الله الخليفة العباسي العظيم ومقالا ممتعا آخر نشره في العدد الـ (١٢٦) من المجلة نفسها عن الغجر (الكاولية) في المراجع العربية .

وتدل على ذلك ندواته الثقافية التي كثيرا ما كان يعقدها في دار الاذاعة والتلفزيون في بغداد .

ومن آرائه الطريفة في اللغة أن الأسماء الموصولة نشأت من أسماء الاشارة باضافة (ال) اليها ، وأن الأصل في الأفعال التعدي واللزوم طارىء عليها ، وأن لا حاجة الى النحت ، لأن علماء العصر العباسي على شدة احتياجهم الى ألفاظ جديدة لم ينحتوا كلمة علمية واحدة ، وأنه لا يصح النحت في المصطلحات الجديدة لأنه نادر في العربية ويشوه كلمها . وعند الاضطرار الى استعمال كلمة أجنبية يجب أن تعرب تعريبا تاما بأن تفرغ في قالب عربي يسهل من لفظها على الناطقين بالضاد .

وهو شاعر رصين اللفظ متين الأسلوب رائع المعنى ، وقد جمع شعره بخطه (الرقعة) الجميل في دفتر أراد أن يخرجه ديوانا يسمى (الشعور المنسجم في الكلام المنتظم) ، بيد أن المنية أدركته قبل أن يحقق أمنيته ، فما زال هذا الديوان مخطوطا ينتظر الطبع ، ومن أجود شعره قصيدته (باريس قبل الحرب) التي نظمها سنة ١٩٣٩ وفيها يقول :

رمت حسرة بالفجر فارتعب الفجـر
وآهت لآتي البين فاضطرب الصدر

وددت لو الدنيا يزول انتظامها
وبالليلة الليلاء يستنفد العمر

تجلدت حتى حطم الكظم اضلعي
وكاد من العينين ينتثر الجمر

فيا حسرة طال اكتئابي بذكرها
ويا آهة ما زال يعقبها البهر

لئن مزقت قلبي وأوهت حشاشتي
لقد تركت عزما يدين له الدهر

ارى بارق الآمال يدعو عزيمتي
الى خطة خشناء يعقبها النصر

حللت بباريس وباريس جنة
على غير حكم الله يجرى بها الأمر

حدائقها غلب تناهى جمالها
ففاح بها روح الطبيعة والمطر

وفيها ذوات الحسن من كل كاعب
بهالة شعر والمحيا هو البدر

تكللها سود الشعور وشقرها
فاسودها وحف واشقرها تبر

يكاد يطير القلب اما تبالغت
بأنغام صوت حشوه السحر والشعر

فمن شاء حسنا فهو فيها موفر
ومن شاء علما فهي في علمها بحر

ومن شاء آدابا رأى خيرها بها
فان الفرنسيين ما فيهم كبر

ومن شاء ايمانا فللدين حرمة
ومن شاء الحادا فما عدم الكفر

وقصيدته (ولدى) :

يقول : بابا ، اذا ما مضه الألم
أو يذرف الدمع وهو الشاهد العلم

بابا وماما ولا منطوق غيرهما
هما لعمرى لديه المنطق الخذم

بابا فدى لك ياروحي وعافيتي
اذا بقيت وافنى جسمي العدم

لا تحرجوه فبابا عنده وزر
أو تؤلموه فدمع العين يحتدم

كأن بابا هو الدنيا بأجمعها
وأن ماما اله رازق لهم

يقولها راضيا أو غاضبا حردا
فالخير بالشر في باباه ملتئم

يقول : بابا ويومىء لي فأحمله
كما يشاء فانا عنده خدم

وان خرجت ينـاديني بلهجته
بابا فتثبت من تلقائها القدم

ان يحتكم فهو حكم لا يعقبه
نقض وانفاذه فرض وملتزم

يجمجم الصوت في تبيان مأربه
من غير ميز ولكنا له فهم

وطالما كنت استصبى فارقصه
فانما أنسه الترقيص والرنم

وقصيدته (الشاعر) التي منها :

من بني الأرض واصطفته السماء
فتجلى فيما يقول البهاء

عاشق للكمال صب برشد
ضاق عن بعض ما يريد الفضاء

يتحرى الجمال في كل ليلى
فهو مجنونها وليلى الشفاء

كان أحرى بأن يكون نبيا
في سجاياه ما يرى الانبياء

ومن آخر شعره البيتان الحزينان المؤلمان التاليان اللذان يفيضان اسى ولوعة لطول ما عانى من الالام وفرط ما تجرع من العذاب والاحزان وليقينه بدنو منيته وقرب نهايته :

رشحتني الاقدار للموت لكن
أخرتني لكي يطول عذابي

ومحت لي الالام كل ذنوبي
لم أضحت مدينة لحسابي

★★★

ولد في العقد الأول من القرن العشرين في محلة القشلة من الرصافة في بغداد من والد خياط كان دكانه في سوق الخياطين قرب خان مرجان الذي اصبح الآن متحف الآثار العربية في شارع السموءل من محلة باب الاغا ، ولفقد والده بصره غادر بغداد محل عمله ومقر سكنه الى دلتاوة التي تعرف الآن بالخالص حيث اشترى بساتين يعيش من غلتها .

ولما بلغ سن الدرس سلمه والده الى معلمة اطفال لقنته بعض القرآن الكريم ، ثم نقله والده الى مدرسة دلتاوة الابتدائية ، ومن معلميه فيها

عبد المجيد الاعظمي الذى تدرب عليه في خط الرقعة ، وفي هذه المدرسة نجح الى الصف الثالث ، وفي شتاء السنة الدراسية في هذا الصف ، اى في سنة ١٩١٧ ، احتل الجيش الانكليزى دلتاوة معقبا الجيش العثمانى المنسحب نحو الشمال ، وكان والده قد توفي قبل ذلك بقليل فلم يتسن له الاستمرار على الدراسة وانصرف الى العناية بالبساتين التى خلفها والده له ولاخيه الاكبر ولاخوانه الست من زوجي أبيه : امه وضرتها ، ثم حدث نزاع بين والدته وأخيه من أجل الوصية عليه والاشراف على أموره ، لأنه كان حينئذ قاصرا ، فنقله اخوه الى بغداد وأدخله المدرسة الجعفرية الاهلية ، ومن معلميه فيها مديرها الشيخ شكر والحاج محمد حسن كبه رحمهما الله والسيد أحمد زكي الخياط ، ولتلكؤ اخيه عن تسديد أجرة المدرسة ضنا بالنفقة عليه انتقل الى مدرسة باب الشيخ الابتدائية ، وكان مديرها يومئذ السيد هاشم الالوسي رحمه الله ، ومن معلميه فيها السيد جميل الراوى ، ثم ترك هذه المدرسة والتحق بوالدته بعد ان حصلت على حكم الوصاية عليه ، وقد قاسى من الفقر والحرمان والضنك وشظف العيش ما يحزن ويؤلم .

وفي سنة ١٩٢٠ ضاقت عليه سبل العيش في بغداد واشتدت فاقته ، فرأى ان يغادرها الى دلتاوة لينتفع من سهامه في البساتين الموروثة وان كان الغالب على غلاتها التمر اغزر الفواكه في العراق وارخصها ، وكانت الثورة العراقية قد شب أوارها واندلعت نيرانها في بعض انحاء العراق ولا سيما الفرات الاوسط ولواء ديالى ، واستولى الثوار على بعقوبة ونواحيها ومنها دلتاوة ، وكانت الطريق بين بغداد وبعقوبة فدلتاوة تحت سيطرة الانكليز ورقابتهم وقد اتخذوا من الاثوريين والارمن اللاجئين حراسا لحفظ الطريق وقطعها على الثوار وقتالهم ، فلم يجد غير طريق (الجديدة) الشرقية، فسلكها سائرا على قدميه مع قافلة من المسافرين فبلغ قرية (كشكين) المجاورة لدلتاوة مساء وادركه الليل فيها وحار في أمره لأن القافلة سلكت طريقا اخرى ، فاضافه رجل من نسبائه ، وخرج من عنده صباحا وسار قاصدا دلتاوة التى عندما وصل اليها وجد الثوار قد بنوا على الطريق المؤدية الى بعقوبة باب دفاع حصينا ، وبقي في دلتاوة يعنى بالبساتين ، وكان الحكم فيها للثوار وهم في فوضى من أمرهم وقلق من مصيرهم . وكان الانكليز قد استرجعوا بعقوبة من أيدى الثوار ولبثوا ينتظرون الفرصة لمهاجمة دلتاوة ، واخذوا يرسلون عليها وعلى الثوار الطيارات ثلاث مرات في اليوم الواحد تلقى عليهم القنابل ازعاجا وارهابا وتمهيدا للهجوم عليها ، وفي يوم عاشوراء العاشر من شهر محرم سنة ١٣٣٩ الهجرية الموافق ليوم ١٩٢٠/٩/٢٥ ، وكان معظم أهل دلتاوة مشغولين بالعزاء الحسيني أرسل الانكليز ثلاث طيارات القت عليهم القنابل ، وقد حسب الثوار انه قصف بغير هجوم كما وقع قبلا ، ثم أرسل الانكليز الى الثوار من خدعهم بالزعم انهم اسقطوا طيارة في مقاومتهم اياها عند هجومها ، ووضع الانكليز شرذمة من الرجال بايديهم آلات من الخشب تدار فتحدث أصواتا كأصوات الرصاص المنطلق من الاسلحة النارية ، فلما خرج الثوار الى مكان الاصوات كان الجيش الانكليزى يترصدهم وقد كمن لهم في طريقهم وراء اشجار الصفصاف القائمة على ضفاف الأنهار ، فلما صار الثوار على مقربة من الجيش الانكليزى امطرهم بوابل من الرصاص ، فقتل من قتل وجرح من جرح وتشتت الباقون ، ودخل الجيش الانكليزى دلتاوة وفعل باهلها الافاعيل من قتل الرجال وتشريد العيال وقطع الاشجار وحرق الديار ، وكان هو فيمن خرج لمشاهدة الطيارة التى قيل انها اسقطت فلم يجد سوى الخراطيش الفارغة ، ولما رأى دلتاوة قد صارت في قبضة الجيش الانكليزى يصنع بها ما يشاء اشفق من الرجوع الى داره ولاذ هو وصبية آخرون بالبساتين التى قضوا فيها ليلة ليلاء ثقيلة السحاب ماطرة شديدة الريح .. وبعد ان عادت الامور الى مجاريها واستتب الأمن في دلتاوة أمر الانكليز بفتح مدارسها، اما هو فقد انصرف الى العمل في بساتينه عاقدا العزم على المضي في عمله هذا ، ولكن ذات يوم رآه ابن مدير المدرسة الذى حبب اليه دخول المدرسة فدخلها على قلة ما يصيبه من الغلة وضيق ذات يده وشدة حاجته حتى انه لم يكن في وسعه ان يشترى حذاء له بدلا من حذائه القديم البالي المتهرئ ، ولما صار في الصف الخامس علم أن في بغداد « دار المعلمين الابتدائية » تقبل الطلاب فيها بعد الامتحان ، فغادر دلتاوة الى بغداد وبعد أن نجح في الامتحان قبل في هذه المدرسة التى قوى

فيها ميله الى دراسة العربية وظهرت رغبته في نظم الشعر حتى انه اخذ يكتب مواضيع الانشاء نظما ونثرا مما جعل مدرس الانشاء يعجب به ويثني عليه ، وعند تخرجه من هذه المدرسة عين معلما في مدرسة الناصرية الابتدائية التي بعد ان قضى فيها نحو سنة ونصف السنة نقل الى مدرسة السيف الابتدائية في البصرة ، ومنها الى مدرسة الكاظمية الابتدائية ، ومنها الى مدرسة دلتاوة الابتدائية ، ثم اختير للتحرير في وزارة التربية والتعليم التي كانت تدعى حينئذ وزارة المعارف ، ثم اصبح معلم اللغة العربية في المدرسة المامونية الابتدائية خلفا لمعلمها السابق الاستاذ الشاعر محمد مهدي الجواهري . وعندما كان معلما في هذه المدرسة نشر كتاب (الحوادث الجامعة) وبحوثا علمية في مجلة (لغة العرب) ، وفي سنة ١٩٣٢ صار مدرس اللغة العربية في المدرسة المتوسطة الشرقية ، واستمر على نشر آثاره نثرا وشعرا ونظما في مجلة (لغة العرب) ومساعدة صاحبها اللغوي الشهير طيب الذكر الأب انستاس ماري الكرملي في تحريرها مجانا .

وفي سنة ١٩٣٤ سافر الى باريس ودخل كلية السوربون لنيل شهادة (الدكتوراه) في الادب في موضوع (سياسة الدولة العباسية في أواخر عصورها) ، فظفر بما اراد ، وبعد رجوعه الى العراق في سنة ١٩٣٩ عين استاذا في دار المعلمين العالية ، ثم نقل منها الى مديرية الآثار القديمة العامة التي عين ملاحظا فنيا فيها ، ثم رجع الى التدريس في دار المعلمين العالية التي صارت تسمى كلية التربية بعد انشاء جامعة بغداد ، وفي عمله هذا بقي الى آخر ايامه وان اقعده المرض العضال في داره وحال بينه وبين النهوض بعمله الرسمي .

وقد انتخب عضوا مراسلا في المجمع العلمي العربي في دمشق ، ثم عضوا عاملا في المجمع العلمي العراقي ، ونشر كثيرا من شعره في المجلات والصحف ، ونقل الى العربية رباعيات الشاعر الرياضي الفيلسوف عمر الخيام ورباعيات الأديب الايراني المعروف حسين قدسي نخعي ، وترجم وشارك في ترجمة الكثير من الكتب والتعقيب عليها ، وله فصول مستفيضة في التراث الشعبي العراقي ومعلومات واسعة عن المقام العراقي واشهر الذين اتقنوه وبرعوا فيه .

★ ★ ★

وكان من اكثر علماء عصره استقراء واستقصاء في امهات كتب اللغة والتاريخ ومن أوسعهم تعقيبا عليها حتى لقد بلغ تعقيبه على بعضها أوسع وأوفى منها نفسها ، منها تعقيبه على كتاب (فوات الوفيات) لابن شاكر الكتبي ، وتعقيبه على موسوعة (اعيان الشيعة) للسيد محسن امين الحسيني العاملي ، وله بحوث قيمة عن العتبات المقدسة نشرها في موسوعتها التي يتولى اصدارها الكاتب القدير الاستاذ جعفر الخليلي .

ولم تكن جهوده في مضمار التدريس والتعليم باقل منها في مجال البحث والتاليف ، فان تلاميذه اكثر من ان يحصى لهم عد واوفر من ان يحيط بهم حساب .

ذلكم من فقده العراق ، بل الامة العربية ، بل العالم الاسلامي ، ذلكم من فقدنا بفقده العلم الغزير والأدب الجم ، ذلكم من فقدنا بفقده العقل الكبير والخلق الكريم ، ذلكم هو المغفور له العلامة الاستاذ الجليل والرجل النبيل الدكتور مصطفى جواد الذي اختاره الله تعالى الى جواره مساء يوم الاربعاء السابع عشر من شهر كانون الاول سنة ١٩٦٩ .

وان ما انفق من جهد وما اخذ نفسه به من صبر وجلد وما حملها عليه من درس وبحث وتحقيق وتعقيب وتاليف كل ذلك قد حطم صحته تحطيما ، فانهار بعد طول مقاومة وفارق الحياة اشد ما تكون امته حاجة اليه ، من اجل ذلك لم يحزن عليه العراق وحده بل حزن عليه الوطن العربي كله .

انه لم يمت انما ذهب شخصه المادي ، اما شخصه المعنوي فباق خالد فيما ترك من آثار قيمة باقية ما بقيت لغة الضاد .

جزاه الله تعالى احسن الجزاء واكرم مثواه كفاء اخلاقه الكريمة الرفيعة وسيرته النبيلة الحميدة ونظير ما قدم لوطنه وامته ولغته من غرر القول نثرا وشعرا ونافع العمل تعليما وتهذيبا وتعريبا وتاليفا . ■■

عبد الكريم جواد

البُنُّ

وَالقَهْوَة شَرَابُه

بقلم الدكتور أحمد زكى

■ لابد مع الطعام من الشراب .

والاصل فى الشراب الماء القراح .

ولكن الانسان ما برح منذ الخليقة يتفنن فى الاشربة ، ويجرب فى سبيلها نبات الارض وثمراته . وقد اهتدى الى الكثير . ولكن شاع مما اهتدى اليه القليل .

وتقسمت الاشربة الى اشربة مختمرة ، والى اشربة ساذجة بسيطة . اما الاولى فتنتج عن اختمار ، فيها كحول يدخل الى الرؤوس فيلعب بها . واما الثانية فتدخل فى البدن تروى وتوقظ وتنعش .

ومن هذه الاشربة الاخيرة الشاى والقهوة والكاكاو وشراب الليمون ، وشراب العرقسوس ، وتمر الهند ، والدارصيني او القرفة ، ولا ننسى اللبن شرابا . وهي تشرب ساخنة وتشرب باردة على ما تعود الناس .

ولكن بلغ مبلغ الصدارة من هذه الاشربة عند الناس ، **شرابان اثنان : الشاى والقهوة .**

والناس تشرب الشاى اكثر من شربها القهوة ، ومع هذا فالبن اكثر خطرا من الوجهة التجارية ، فقد وصل انتاج



العالم منه فى العام الى ٣٠٠٠ مليون رطل ثمنها اكثر من ٥٠٠ مليون دولار .

وفى العقد الماضى من السنين استهلكت الولايات المتحدة وحدها نصف محصول العالم من البن .

والبرازيل تنتج نصف هذا المحصول العالمى .

استزراع البن
اين بدا ، والى اين وصل ؟

المشهور ان البن شجرة اصلها بلاد الحبشة ، ثم انتقلت الى جنوب الجزيرة العربية .

وكان مصدر العالم من البن ، بلاد اليمن ، وذلك الى ختام القرن السابع عشر الميلادى . ثم انتشرت زراعته الى جزيرة سيلان ، والى جاوة فى اندونيسيا . ثم الى جزر كثيرة فى امريكا وكذا الى المكسيك .

واستبدلت اليمن بالبن زرع القات ، فكان من ذلك استبدال شر بخير كثير .

والآن استمع الى ما صنع رجل واحد لينقل شجرة واحدة من البن ، هى اصل انتشاره فى العالم الجديد ، الى امريكا : —

كان هذا الرجل ضابطا بحريا ، شابا فرنسيا ، عين فى جزيرة مرتينيك . وكان اسمه دى كليو De Clieu . وزار فرنسا فى عام ١٧٢٣ . وفيها علم ان الهولنديين نقلوا زراعة شجرة البن من جزيرة العرب الى جزر الهند الشرقية . وكان لا يوجد فى باريس كلها غير وحدات

قليلة من هذا النبات : في القصر الملكي، قصر لويس الخامس ، في بيت من الزجاج مدفأ . حصل الضابط من هذا النبات على شجيرة غاية في الصغر ، حملها معه الى مرتينيك . وقال في وصفه للرحلة انه كان يقاسم هذه الشجيرة نصيبه من ماء الشرب حتى تبقى حية . ووصل الى الجزيرة واستزرعها . وفي عام ١٧٧٧ ، بعد ٣ سنوات من موت هذا الضابط اليقظ الباسل ،احصوا ما في الجزيرة من شجر البن ، فكان ١٩٠٠٠٠٠٠ شجرة.

شجرة بن لا شجرة قات .

القهوة
كيف انتشر شربها

القهوة ، وهي شراب البن ، لفظ عربي معناه اللبن المحض . او هي الخمر . ولعلها سميت الخمر لانها لما تأصل شربها في العرب ، كان يدار بها في الماعون على الشاربين فكأنما هي الخمر . وهي لما بدات في العرب عارضها قوم بحجة انها مسكر ، ورحب بها آخرون. وانتشارها بين العرب وفي العالم لم يبدأ الا منذ بضعة قرون .

وانتقل شراب القهوة الى اوروبا في القرن الميلادى السادس عشر والسابع عشر .

واشتهرت مقاهي لندن خاصة Coffee Houses في منتصف القرن السابع عشر ، وكانت مراكز يجتمع فيها أهل الادب واهل السياسة ، وأخيرا رجال الاعمال .. ولم يختتم القرن السابع عشر او يكاد حتى كانت المقاهي انتقلت من اوروبا الى الولايات المتحدة ، الى نيويورك وفيلادلفيا خاصة .

واللفظ الافرنجي Coffee او Cofé قريب النسب باللفظ العربي قهوة .

زراعة البن

تزرع شجرة البن على ارتفاعات من الارض ، تتراوح بين ١٥٠٠ الى ٦٠٠٠ قدم ، واحسن البن هو الذى يأتي من الشجر المزروع على ارتفاع بين ٣٠٠٠ الى ٦٠٠٠ قدم ، فعندئذ تكون في البن النكهة المستطابة .

شجرات بن حديثة العمر في مزرعة بكنيا . اما الاشجار الطويلة التى زرعت بينها فلتعطيها حماية من الظل حتى تكبر .



والشجرة تحتاج الى جو دافىء رطب ، ومن اجل هذا تفضل لها التلال والمناطق الجبلية . وهكذا هي اليمن .

وشجرة البن تستنبت من البذور مباشرة ، او من طيّ فرع من فروع الشجرة حتى يمس الارض ، ثم دفن طرفه في التربة ، وتركه فيها . وبعد نحو ٤ اشهر تتكون بهذا الفرع جذور في الارض ، ويصبح نباتا جديدا .

وشجرة البن تبدأ تثمر في السنة الثالثة ، وهي تظل تنتج البن السنوات الطويلة حتى لتبلغ ٥٠ او ستين عاما ولكنها في الاغلب تنتج بوفرة كافية مدة تتراوح بين ٢٥ و ٣٠ عاما .

وشجرة البن تحتاج الى تقليم كل حين لان من عادتها الاتساع والامتلاء حتى ليصبح مظهر شجر البن مظهر النبات البرى .

البن
ورقته وزهرته وثمرته

اما ورقته فخضراء عميقة الخضرة ، لامعٌ سطحها ، بيضاوية الشكل ،طولها ما بين ٤ الى ٦ بوصات ، وعرضها نحو نصف ذلك .

واما زهرته فبيضاء ، كأسها له ٥ اسنان ، وتويج انبوبي مؤلف من خمسة اجزاء ، ولها خمس اعضاء تذكير وعضو تأنيث واحد ، والشجرة تزهر فتكون رائعة الجمال ، الا انه جمال لا يدوم الا اياما قليلة .

وتستبدل الزهرات بمجموعات من ثمرات لحيمة كالكريز او النبق ، تكون خضراء اولا ، ثم بنية ذهبية حتى تنضج ، وعندئذ تكون حمراء تشبه الكريز الا انها اصفر منه ، واقل لحما منه ، واطول .

وتشق الجلد الاحمر الخارجي من ثمرة البن ، فتجد تحته مادة فالوذجية صفراء تحيط حبتي البن ، وقد تواجه سطحاهما المستويان ، كما يتواجه سطحا شقي حبة الفول السوداني . وتجد ان كلا من هاتين الحبتين قد غلّفهما غشاء ، هو غلاف الثمرة الداخلى Endocarp يصبح هشا عند جفاف الثمرة . ومن داخل هذا الغلاف تجد غلافا للحبتين آخر رقيقا ، هو غلاف البذرة Spermoderm .

اما البذرة ، وهي حبة البن ، فصعبة المكسر ، ولونها اخضر ذو ازرقاق .

زهرة البن



ثمرة البن .
وفي كل ثمرة حبتان





تجمع ثمرة البن عندما تصبح ناضجة حمراء وذلك باليد ، ثمرة من بعد ثمرة ، بأيد خبيرة في القطف ، لا تقطف غير الثمرة الناضجة .

حصاد البن

في بعض البلاد يترك الثمر على الشجر حتى ينضج ثم ينكمش ويبدأ يتساقط ، وعندئذ يهزه الزراع ليسقط على اغطية مفروشة فوق الارض .

ولكن البن الجيد يقطف باليد قطفا عندما يبلغ الثمر درجة من النضج كافية . ولا يقطف الا الثمر الناضج . واذن تتعدد القطفات .

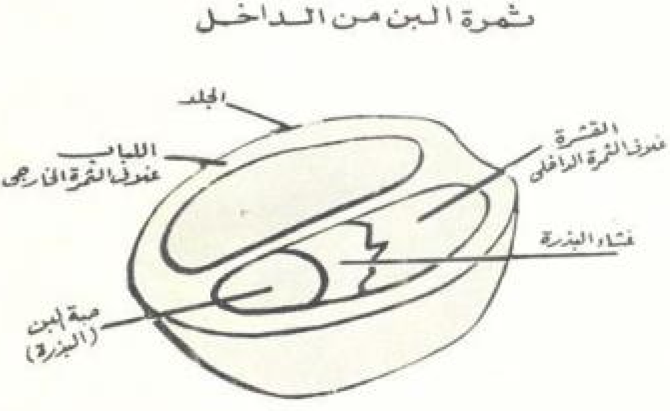
والشجرة الواحدة تنتج في المتوسط ما بين رطل ونصف الى رطلين من حب البن الاخضر ، واذن وجب ان يتكاثر الشجر ويمتد في مساحات من الارض واسعة ليكون منه نتاج ذو بال .

انواع البن

شجرة البن انواع ٢٥ ، ليس منها ماله خطر تجاري غير ثلاثة .

اما هذه الثلاثة فشجرة البن العربي ، وشجرة البن الكنفولي ، وشجرة البن الليبيري .

ولنبدأ بشجرة البن الكنفولية . لنقول انها اكبر واقوى من شجرة البن العربي ، وورقها اثخن ، وثمرها اكثر



ثمرة البن ، وقد شققت نصفين، ظهر نصف منهما في الصورة .

وهي تتفق واجواء كثيرة مختلفة . موطنها الكنغو في افريقيا .

ومنها استنبت اكثر شجر البن في اندونيسيا . وبنها ليس في مستوى البن العربي .

اما شجرة البن الليبيرى فموطنها كما يستدل عليه من اسمها الساحل الغربي من افريقيا . وهي اطول من الشجرة الكنغولية وقد تصل الى ارتفاع ٤٠ الى ٥٠ قدما . والشجرة قوية البنية لا تتعرض كثيرا للامراض وبنها يخلط مع انواع البن الاخرى لان نكهته ضعيفة .

ثم نأتي على الشجرة الاخطر ، شجرة البن العربي ، وهي الاصل الذى منه يستمد اليوم ٩٠ في المائة من انتاج البن في العالم .

والبن العربي شجيرات جميلة ، او شجر يتراوح طوله ما بين ١٥ الى ٣٠ قدما .

ويوجد من شجرة البن العربي نحو ١٥ صنفا منزرعا في شتى الاقطار ، من اجودها الصنف المعروف بمخا Mocka ، ويوجد في مناطق البحر الاحمر .

معالجة ثمرة البن لاخراج الحب

لها طريقتان ، الطريقة الجافة والطريقة البليلة .

وفي الطريقة الجافة يغسل الثمر ، ثم يبسط على سطيحة فوق الارض من الاسمنت ، في الهواء الطلق ، وفي الشمس ، ليجف ، ويكون بمعزل عن الامطار . ويقلب الثمر اثناء ذلك حتى يتم جفاف كل جوانبه . واخيرا ينزع الجلد واللباب عن الثمر بالآلات . اما الغلاف الهش الذى احتوى الحب فيزاح بالدق او بالمكن .

وفي الطريقة البليلة يمرر الثمر في مكنة تهرسه هرسا ، وتزيح جلد الثمر وجزءا من لبابه .

ثم ينقل ما تبقى من الثمر الى اوعية ضخمة ليختمر فيها اللباب المتبقى ، ثم



ثمرة البن منشورة على سطح من الارض معد لذلك ، ونرى العمال يحركون الثمرة من حين لحين حتى تجف من كل جوانبها . وقد تحتاج للجفاف من اسبوعين الى ثلاثة اسابيع .

هو يغسل بالماء . واخيرا يجفف في الشمس او بالحرارة اصطناعيا . وبعد الجفاف يزاح القشر الهش عن الحب بمكنات تقشير . اما غلاف الجنين الاخير الرقيق الذى يغطى الحب فيزاح بمكنة تصقله .

تحميص البن

لابد من تحميص الحب لتنشأ فيه نكهة البن العطرة المعروفة ، وكذلك مذاقه المستحب . والحرارة تغير من تركيب مواد الحب لتخرج منه هذه النكهة العطرة والمذاق الطيب .

ولكن التحميص قد يقل عما وجب . وقد يزيد فيحرق ، ويخرج الحب

لابنيّ اللون ، ولكن اسوده . وفى كلتا الحالتين لا يستطاب البن الناتج .

ويختلف نوع البن الاخضر ، ويختلف معه مقدار التحميص اللازم له .

ومن اجل هذا اخرج أهل الصناعة محمّصات آلية غاية فى الدقة ،تتحكم فى التحميص تحكما يجعله ينتج دائما النوع الواحد من الحب المحمّص ، فلا يزيد ، ولا ينقص . وهذه المحامص الالية تقى الحب من الاخطاء فى التقديرات الانسانية . فالانسان يقدّر ويخطيء ، والآلة مضبوطة على وتيرة واحدة .

والحب الاخضر يفقد نحو ١٥ فى المائة من وزنه بعد التحميص .



هؤلاء الفتيات ينقين حبات البن ويُزحن كل حبة مكسورة ، وكذا يُزحن كل ما امتزج بالحب من غريب الاجسام .

الكافئين فى شتى الاشربة

هو المركب الفعال الذى بالقهوة . وهو يوجد فى الشاى كذلك ،وفى الكاكاو، والكوكاكولا ، والماتية وهي شراب جنوب امريكا .

والكافئين Caffeine مادة بلورية بيضاء تذوب فى الماء .

وتفعل فى الجسم فتزيد فى طاقة القلب ، وتضيق الاوعية الدموية السطحية التى فى الجلد فتزيد فى الضغط الدموى الشرياني ، وتزيد فى مقدار البول .

والكافئين يستخدم ، على صورة عقار ، مقويا للقلب ، ومدرا للبول ، ومنشطا للمراكز العصبية بجرعات لا تزيد على ٥ر١ جرام فى اليوم .

البن تعبئته وبيعه بالتجزئة

فى المدن الصغيرة ، حيث يحمص البن ويطحن بمقادير غير كبيرة ، يباع المطحون الناتج فى الاسواق فلا يبقى فيها مددا طويلة . وهو يباع بالتجزئة .

وقد تغير هذا الحال فى البلاد المتقدمة الكبيرة ، حيث التصنيع يجرى على مقادير ليست باليسيرة ، واذن قد يظل المطحون فى السوق قبل بيعه مددا كبيرة، يكون فيها متعرضا للهواء . وهذا الهواء به الاكسجين وهو يؤكسد بعض مكونات البن فيذهب بنكهته وبطعمه .

لهذا جرى تسويق البن ، فى هذه البلاد ، ولاسيما فى العشر من السنوات الماضية ، بان يعبأ فى علب من المعدن ، او برطمانات من الزجاج صغيرة ، رطلا او اقل او اكثر . وهو يعبأ فى هذه الاوعية ثم يفرغ الهواء منها ، وتسدّ العلبة او البرطمان على الفراغ . واحيانا يستبدلون بالهواء غازا آخر ، غير مؤكسد ، يضغطون به البن فى علبته ضغطا ويسدونها على هذا الحال .

والبن الذى يستهلك اليوم فى الولايات المتحدة يعبأ ثلثاه ، هكذا ، فى الفراغ .. وفى علب من المعدن .

مركبات يتالف منها البن

البن المحمص به على العادة مقدار من جوهره الفعال ، اى الكافئين Caffeine ، يتراوح بين ٧٥ر. وبين ٥ر١ من وزنه . وبه زيت طيار هو الذى يعطيه نكهته . وبه الجلوكوز او سكر

العنب ، والدكسترين ، وبروتينات ، وكذلك دهن غير طيار . وهذا الدهن هو سبب ما يصيب البن من زنخ اذا طال مكثه .

البن
الذائب فى الماء
او قهوة « اللحظة الخاطفة »

العصر الحديث يميل دائما الى تسهيل اعمال المنزل ، ومن اعمال المنزل الطبخ ،ومن الطبخ عمل الشاى والقهوة .

والقهوة اليوم تسهل تحضيرها كل التسهيل باستخلاص البن فى الصناعة قبل ان يصل الى البيوت . فالبن تخلط اصناف مختارة منه معا ليعطى احسن نكهة واطيب طعم ، ثم هو يحمص ، ثم هو يطحن . وبعد ذلك يستخلص بالماء . ثم يبخر الماء للحصول على البن الذائب .وهنا تختلف الطرق ، ويختلف تبعا لذلك نوع البدرة الناتجة من البن . ومن طرق التجفيف تذرير الخلاصة او تجفيفها على الحزام الدائر وهو فى الفراغ .

ويعبأ البن السحيق الناتج فى علب او زجاجات .

ويعرف هذا البن ايضا فى التجارة ببن اللحظة الخاطفة Instant Coffee ، وذلك لان صنع القهوة منه لا يستغرق غير لحظة . تضع الملعقة الصغيرة منه فى الفنجان ، وتصب عليه الماء الساخن، فاذا بالقهوة جاهزة واذا بالبن كله ذائب فى الماء . لم يبق الا السكر او اللبن او هما معا .

وقد شاع امر هذا البن شيوعا كثيرا بين اهل الغرب ، وفى بعضها بلغ نحو الربع او الثلث من البن المستهلك جميعه .

البن
الخالي من الكافئين

كثير من الناس يحب القهوة ، ولكن يخشى فعل عنصرها الفعال ، الكافئين، فى الجسم واذن فقد استجابت الصناعة لصنع بنٍّ خلا من الكافئين تقريبا .

ويصنعون هذا بأن يعالجوا البن الطحين ببخار الماء . ثم يعالجونه بمذيب عضوى يذيب الكافئين . ويبقى الطحين وقد خلا منه او كاد .

ومن البن الذائب فى الماء (قهوة اللحظة الخاطفة) ما خلا من الكافئين . حتى لبلغ المستهلك من القهوة الذائبة الخالية من الكافئين نحو ثمن القهوة الذائبة المستهلكة كلها .

البن
انتاج العالم منه

كانت بلاد العرب ، واليمن خاصة ، وما انتقلت اليه شجرة البن من بلاد آسيا ، هي المصدر الاول والاكبر للبن فى العالم . ودخل القرن العشرون ، وفى اثناء هذا القرن تحول انتاج البن من العالم القديم ، الى العالم الجديد ،حتى لبلغ المزروع فيه نحو ٩٠ فى المائة من محصول العالم .

ثم اخذت بلدان افريقيا تزرع البن ، وكان من نتيجة ذلك ان حظ نصف العالم الامريكى من انتاجه هبط من ٩٠ فى المائة الى ٧٥ فى المائة .

ولكن ظلت البرازيل هي اولى بلاد الارض انتاجا للبن .

وغير البرازيل من الامم التى هي فى الصدارة من انتاج البن كولمبيا ، وساحل العاج ، وتوجو ، والمكسيك ، وانجولا ، وجواتيمالا ، والسلفادور ، واندونسيا ، وكستاريكا ، والهند .

وانتاج العالم من البن الاخضر يبلغ ٧٧ مليون زكيبة ، والزكيبة تحتوى على ٦٠ كيلو جراما .

وحصة البرازيل من هذا الانتاج ٤٠ مليون زكيبة .

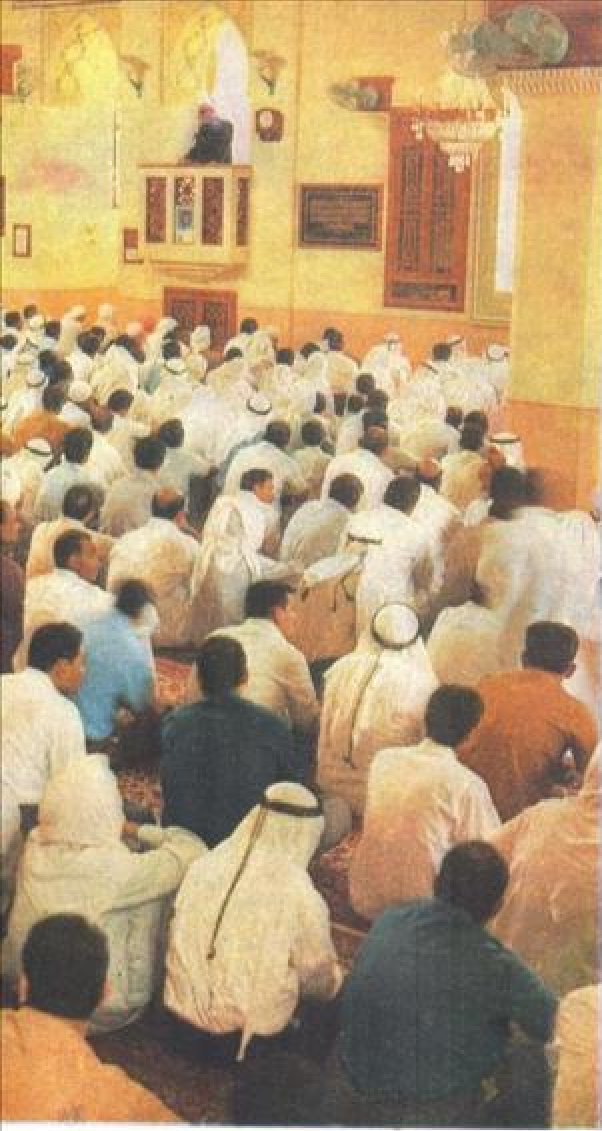
وتسأل عن اليمن ، بين هذه الامم وهي البلد الام ، فتأسف وتأسى .

●●

احمد زكي



مئذنة أحدث مسجد في الكويت وهو جامع الشيخة بدرية في السالمية ويتميز بطرازه الفريد في نوعه



ليالي رمضان هي ليالي الندوات واللقاءات الدينية يحتشد المسلمون في المساجد حيث ينصتون لعلمائهم

«إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر»

بيوت الله

استطلاع

الكويت



على امتداد التاريخ الاسلامي وفي هذه الليالى المباركة وهم يشرحون لهم دقائق هذا الدين الحنيف .



مئذنة مسجد العثمان وقد بدت كشعلة من النور المتوهج تضيء ظلام الليل من حولها

٢٦٠ مسجداً ترتفع مآذنها تحت سماء الكويت

المسجد الكبير يتسع لـ ٧ آلاف مصلٍ
ويبدأ العمل فيه فى أوائل العام القادم

استطلاع : محمد طنطاوى
تصوير : عبد الناصر شقرة

■ المساجد أو الجوامع او بيوت الله هي من أهم المنشآت فى الدين الاسلامي الحنيف ، ففي الماضي كان المسجد هو المدرسة ومكان القضاء ونقطة انطلاق الجيوش ، ومصدر التوجيه السياسي للأمة . ولا يزال المسجد فى حاضرنا يقوم بدور فعال فى اعداد الجماهير المسلمة المؤمنة بدينها وبشعائره ، فهناك ملايين المسلمين الذين يترددون على المساجد طائعين مختارين ليتزودوا من الطاقة الروحية لدينهم الحنيف بدوافع الحياة الحرة الكريمة وليؤدوا فيه شعائر دينهم السمحة .. ففي بيوت الله يقف الناس سواسية لا فرق بين غني وفقير او حاكم ومحكوم كلهم فى بيوت الله سواء .

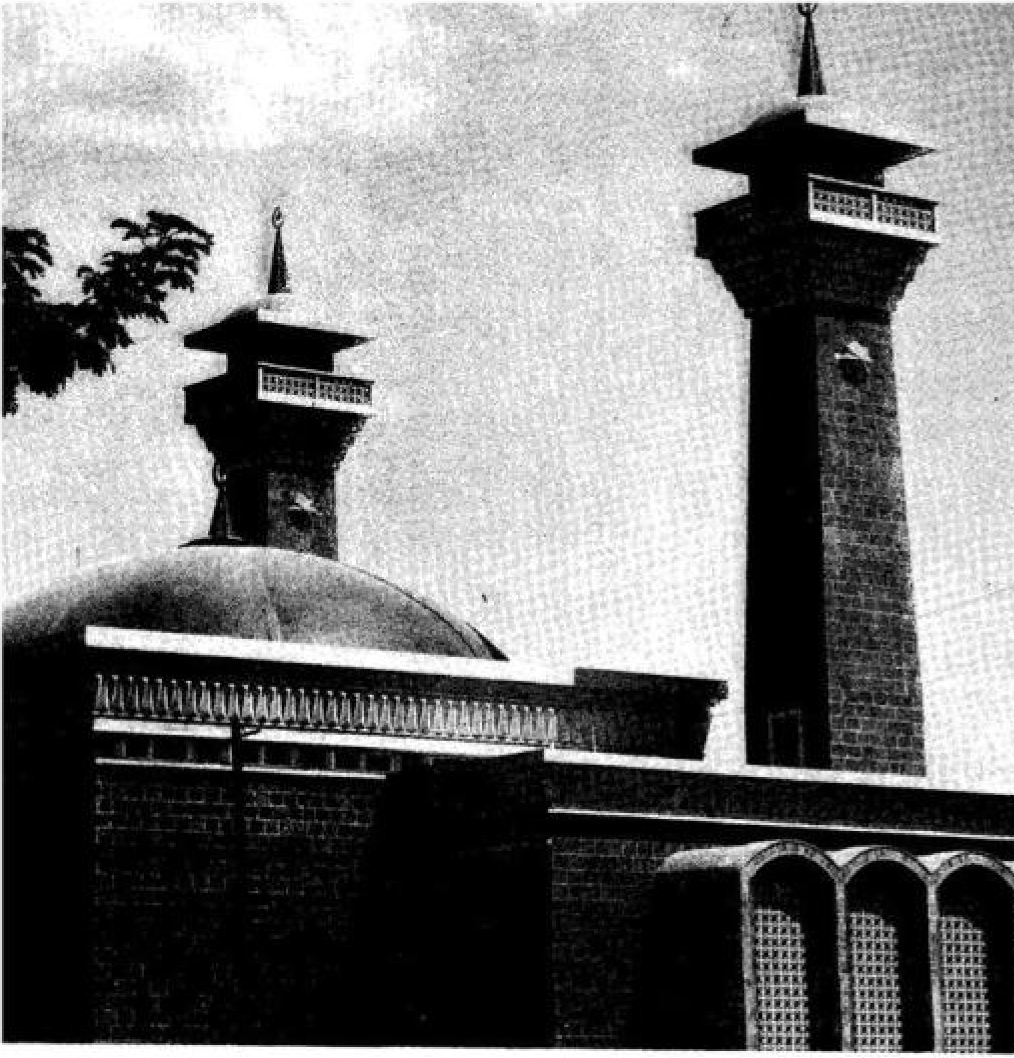
مسجد الكويت الكبير

وفي الكويت عدد كبير من المساجد بين قديم وحديث .. ويبلغ عدد هذه المساجد حوالي ٢٦٠ مسجدا وهو عدد ضخم بالنسبة لتعداد السكان الذى لا يزيد الا قليلا عن ٧٠٠ الف نسمة . وهناك عدد كبير من هذه المساجد بنيت باموال افراد وبدون مساعدات مادية من الحكومة . وتقوم وزارة الاوقاف والشئون الدينية بانشاء المساجد الحديثة والاشراف عليها كما تقوم ايضا بترميم واصلاح وتجديد اى مسجد قديم . وهي التى تزود هذه المساجد بالائمة والمؤذنين .

وتجرى الآن الخطوات النهائية نحو تنفيذ مشروع قديم طالما راود اذهان المسئولين في حكومة الكويت وهو مشروع مسجد الكويت الكبير . لقد بدأ التفكير في هذا المشروع في عام ١٩٦٤ وفي عام ١٩٦٥ ارسل مجلس التخطيط لوزارة الخارجية طالبا ترشيح مهندسين مغاربة لتصميم المسجد على الطراز الاندلسي . وقامت وزارة الخارجية بالاتصال بحكومة المغرب التى رشحت واحدا من أبرع مهندسيها في هذا المضمار وهو محمد بن حاج احمد المرنيس . وقد انتهى المهندس المغربي من الرسومات الخاصة بالمسجد الذى تبلغ مساحة مبانيه ٢٣ الف متر مربع ، ويتسع لحوالي

مع بداية شهر رمضان المبارك تقوم وزارة الاوقاف بدعوة علماء دين مبرزين من جميع انحاء العالم الاسلامي للاشتراك في ندوات رمضان التى تعقد في مسجد السوق الكبير . ويقبل على هذه الندوات الكثيرون من المسئولين ومن جماهير الشعب المؤمن المتمسك بدينه .





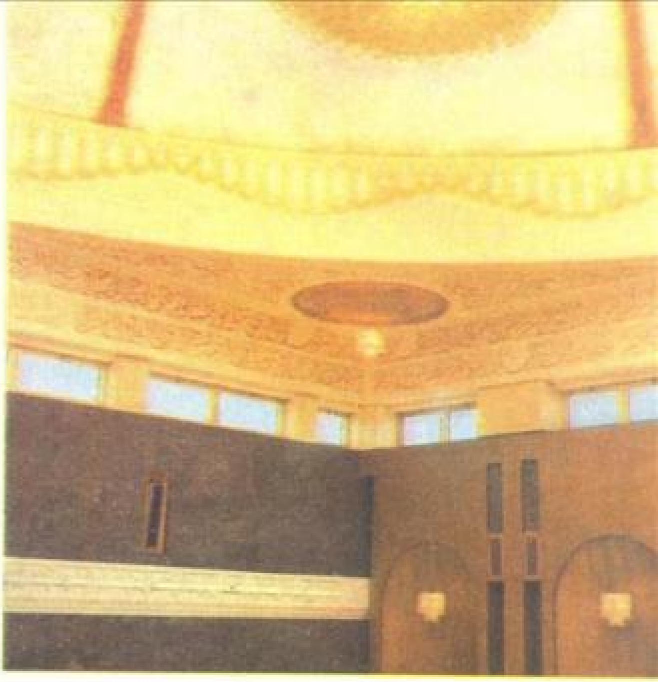
صورة عامة لمسجد الشيخة بدرية في السالمية وهو يتميز بطرازه الفريد وبقبته المصنوعة من لدائن البلاستيك والتي تسمح بدخول ضوء الشمس اليه نهارا وتزيد من قوة انارته ليلا .

٧ الاف مصل وبه مكان مخصص لصلاة السيدات ومكتبة ستضم الاف الكتب الاسلامية في التفسير والحديث والشريعة . وتبلغ تكاليف انشاء هذا الجامع ، الذى سيصبح مسجد الدولة الرسمي ويقع قريبا من قصر السيف ، حوالي ٢ مليون دينار . وينتظر ان يبدأ العمل فيه في أوائل عام ١٩٧١ . وسيقوم باعمال الزخرفة عمال فنيون مهرة من المغرب متخصصون فى الزخرفة الاندلسية .

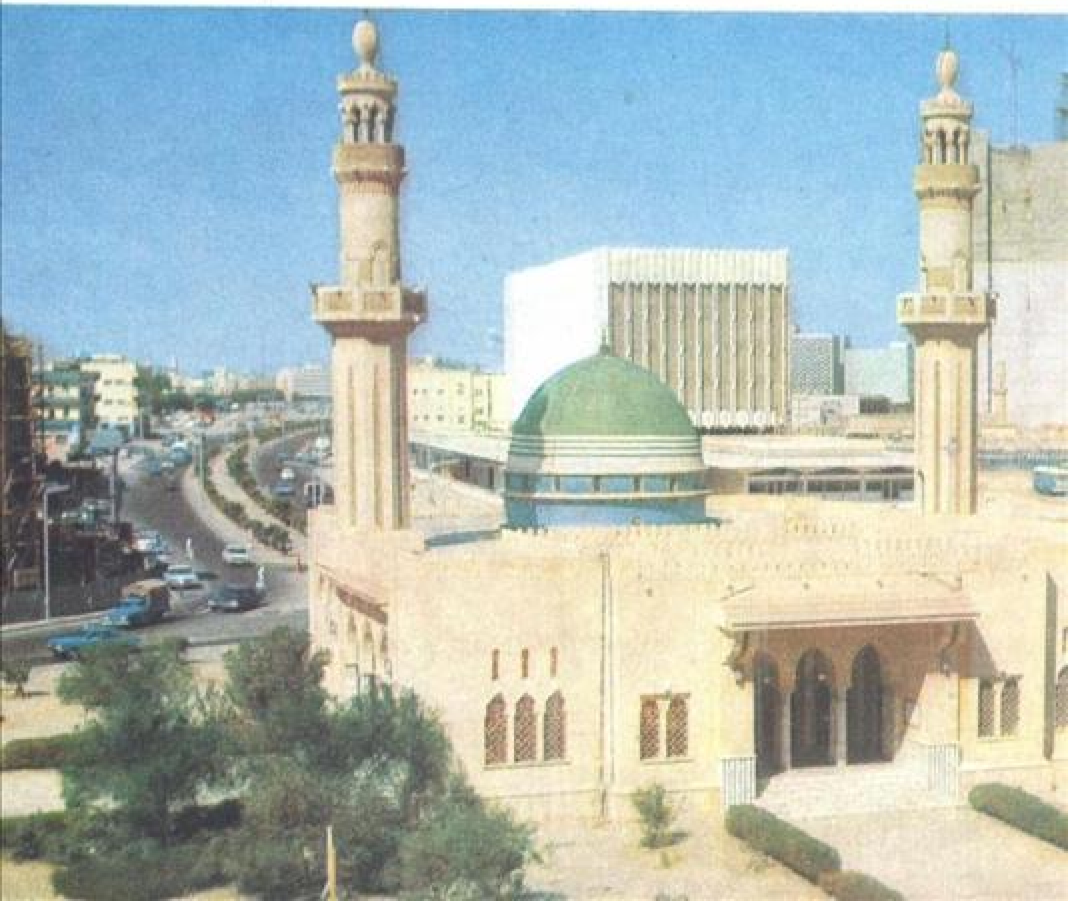
المساجد فى رمضان

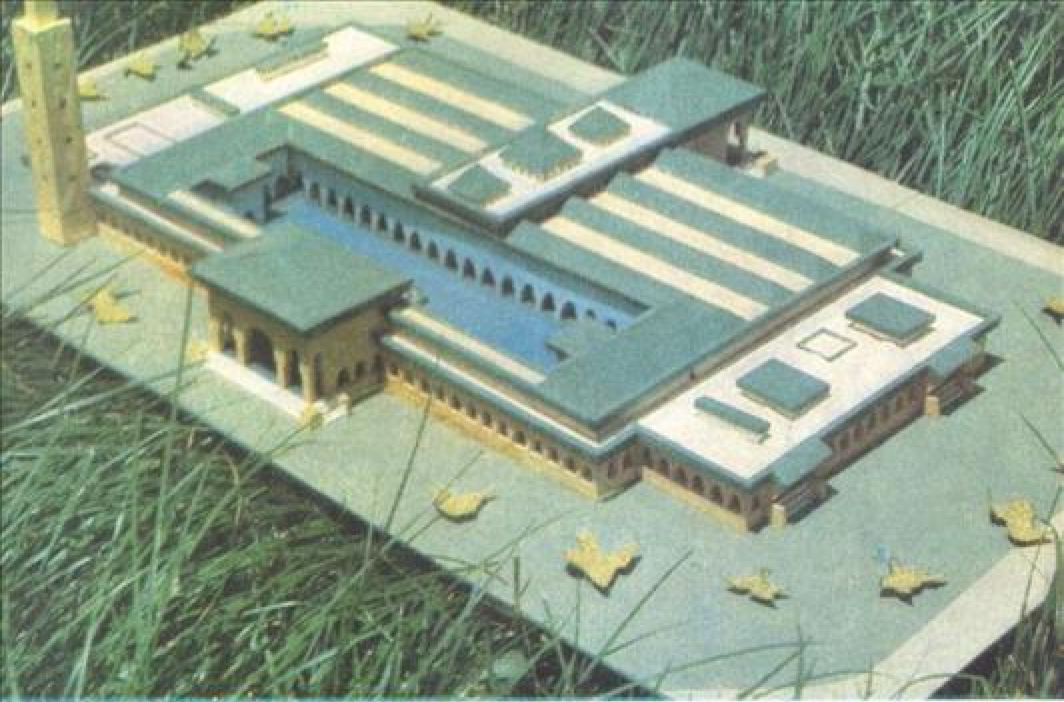
وفى هذا الشهر بالذات يحتفل العالم الاسلامي بحلول شهر رمضان المبارك ، ذلك الشهر الذى تعقد فيه الندوات واللقاءات الدينية .. تلك الندوات التى يصفها شيخ الجامع الأزهر الدكتور محمد محمد الفحام بقوله : « وهذه الندوات واللقاءات ليست بالأمر الطارىء أو التقليد الجديد على المجتمع الاسلامي بل هي طابع قديم

الى اليمين : نقوش اسلامية وآيات قرآنية كتبت بماء الذهب في سقف مسجد الشيخة بدرية وفيها تبدو روعة الفن الاسلامي .

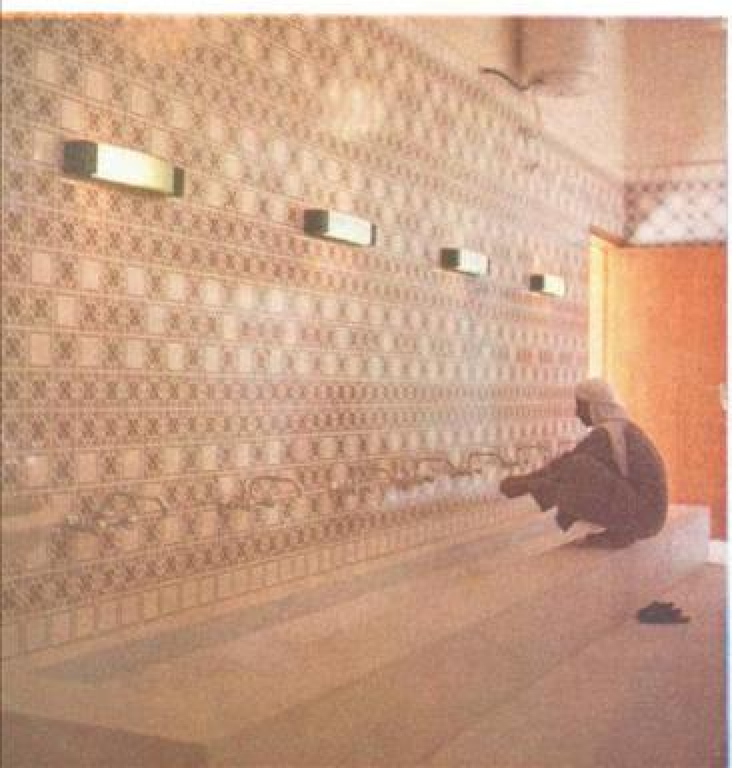


الى اسفل : مسجد الشملان من المساجد الحديثة التي بنتها وزارة الاوقاف وهو على الطراز الفاطمي ويقع في ساحة تتوسط المدينة ويتسع لالف وخمسمائة مصل .





نموذج مجسم لمبنى الجامع الكبير الذي سيبدأ تنفيذه في مطلع العام القادم ويتكلف ٢ مليون دينار ويتسع لحوالي ٧ آلاف مصل .



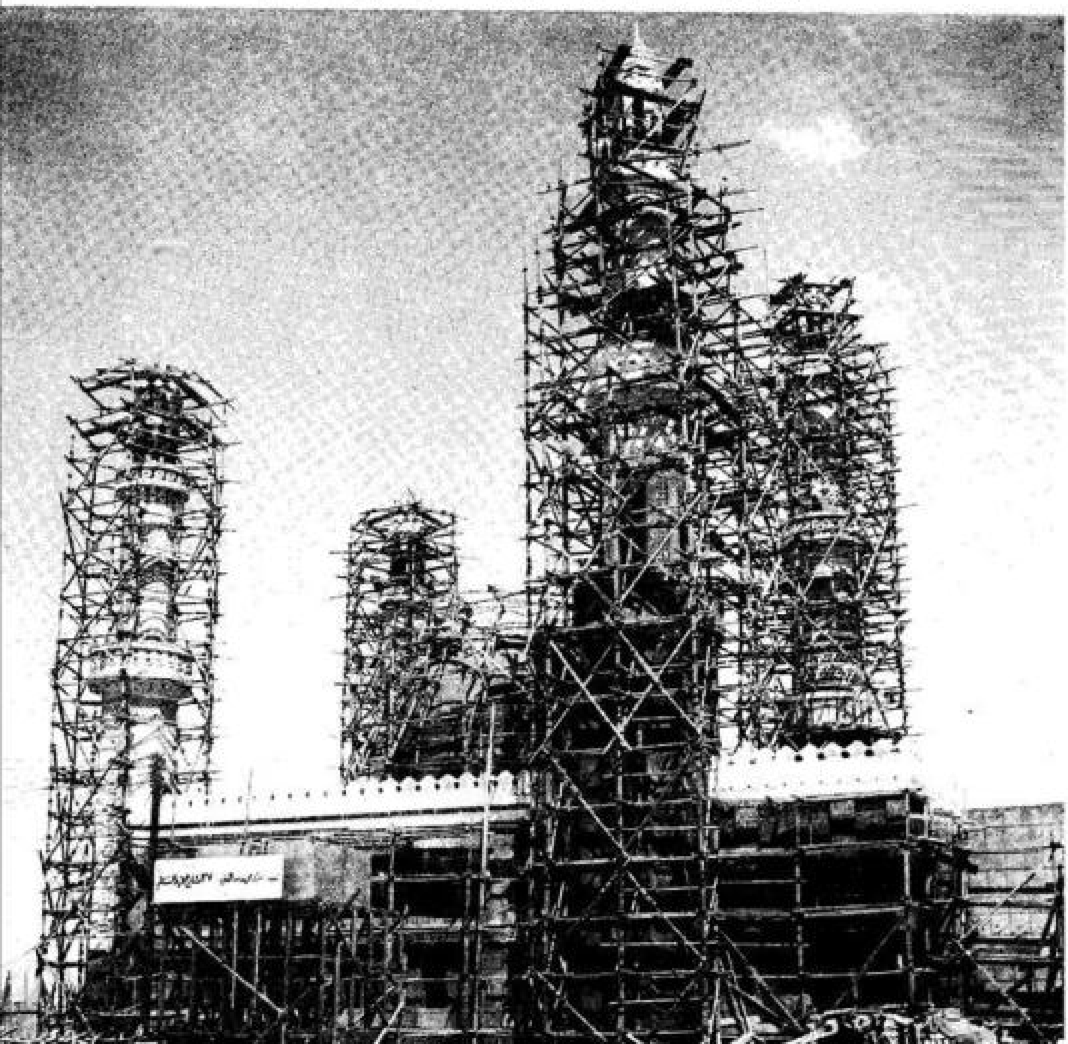
مكان الوضوء بجامع الشيخة بدرية به ماء ساخن وماء بارد والمسجد كله مكيف الهواء وذلك حرصا على راحة المصلين .

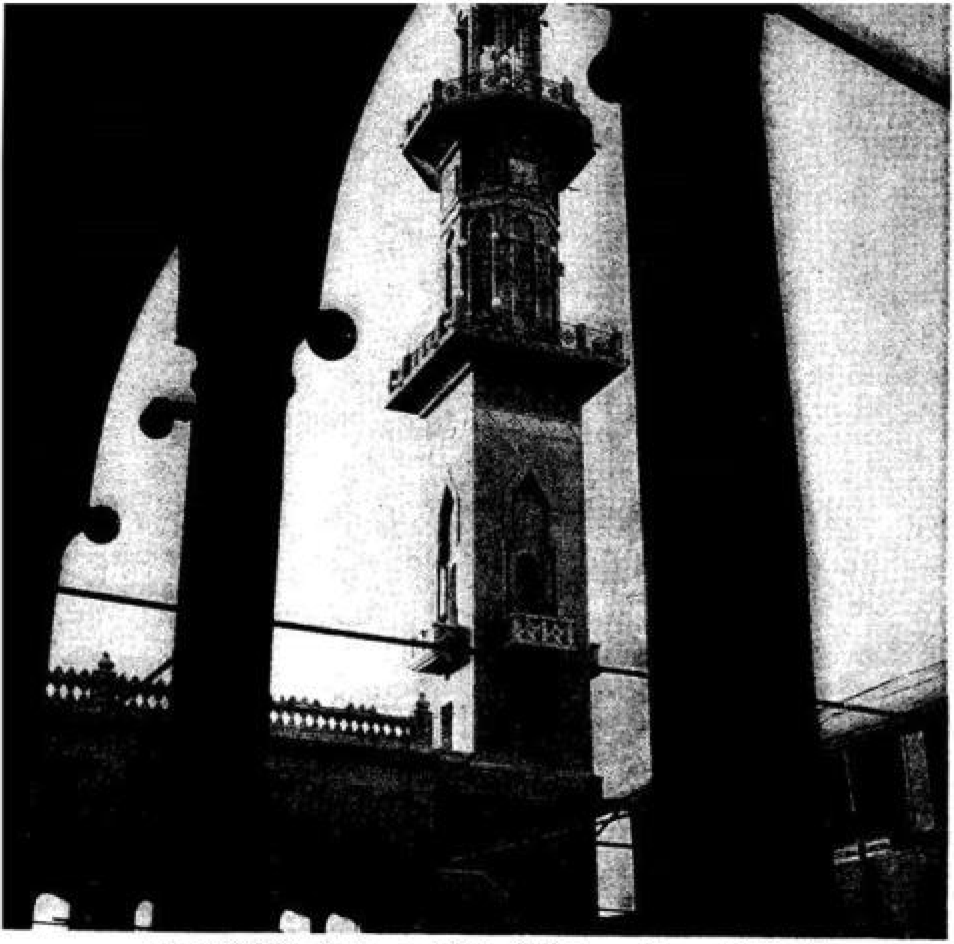
واصيل اصالة الاسلام نفسه ، لقد كانت بدايتها بل قمتها لقاء بين انسان كامل وملك مقرب . بين سيدنا محمد رسول الله (صلعم) وامين الوحي جبريل عليه السلام ، فقد كانت لهما لقاءات دائمة في ليالي رمضان يتدارسان فيها القرآن الذى أنزل في رمضان هدى للناس . فقد روى عن ابن عباس رضى الله عنه قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن فلرسول الله صلى عليه وسلم حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة » .

وقد تتابعت هذه الندوات واللقاءات الدينية في ليالي رمضان على امتداد التاريخ الاسلامي ففي كل ليلة من ليالي هذا الشهر المبارك تزدحم المساجد بجماهير المسلمين وعلمائهم حيث يقوم العلماء بتبصير الجماهير بدقائق دينهم الحنيف .

وتهتم وزارة الاوقاف في الكويت بهذه الندوات الدينية التى تعقد في مساجد الكويت طوال ليالي شهر رمضان المبارك فهي تقوم بدعوة علماء دين

احد المساجد الجديدة التي تشيد في الكويت وهو مسجد اشكناني وتقوم وزارة الاوقاف بالاشراف على بناء مساجد جديدة كل عام .




مسجد السوق الكبير وهو اكبر مسجد في الكويت الآن ويتسع لحوالي ثلاثة آلاف مصل .

مبرزين من جميع انحاء العالم الاسلامي للاشتراك في هذه الندوات واللقاءات ، يجيبون على اسئلة الجماهير المتعطشة لمعرفة دينها حق المعرفة .. ويبصرونهم بدينهم واحكامه .

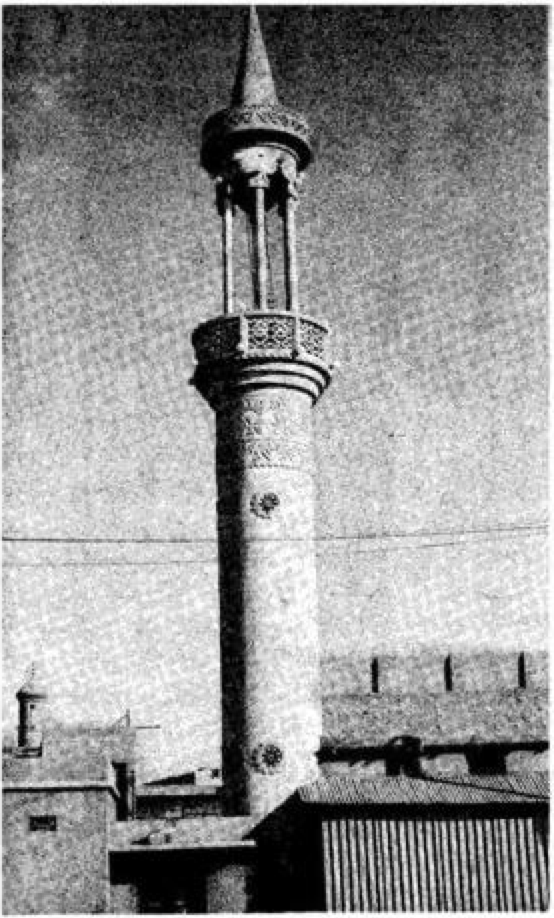
وتبدو مساجد الكويت في ليالي شهر رمضان وكأنها شعلات نور متوهجة تضيء ظلام الليل بالاضواء التى تتلألأ وتضيء ظلام الجهل بنور الايمان والمعرفة .

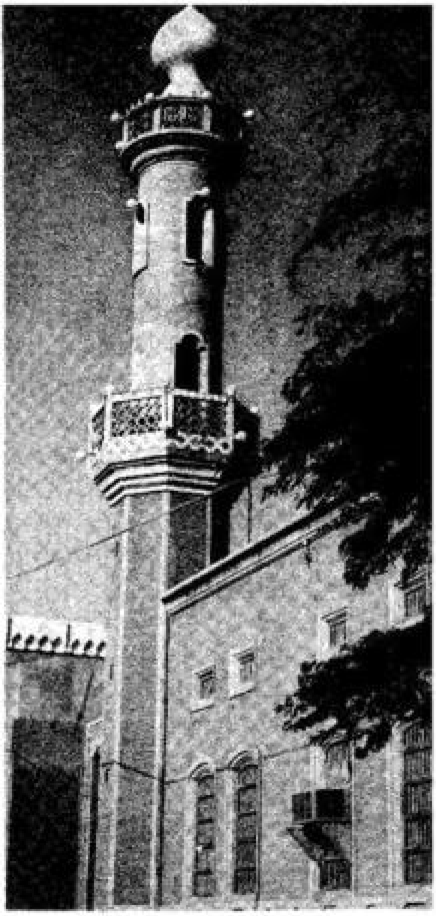
اقدم مسجد في الكويت

واقدم مسجد في الكويت أنشيء حوالي عام ١١٠٠ هجرية وعلى الأرجح انه مسجد « بن بحر » وهو يقع الى الجنوب من دائرة الجمارك ، وقد ورد في احدى الحجج الشرعية القديمة ان : « مسجد بن بحر جدد بناءه عبد الله بن علي بن سعيد بن بحر بن خميس بن ثاني بن خميس بن وسيط بن معن سنة ١١٥٨ هـ . وذلك بعد أن تحصل من قاضي الكويت على الاذن ببيع دار كانت موقفة على ذلك المسجد المذكور . ولما ثبت للقاضي خراب المسجد وخطورة تدهوره على المصلين أذن ببيع تلك الدار ليصرف ثمنها على تعمير المسجد فبيعت الدار بثلاثين قرشا (القرش في ذلك الوقت يساوى مائة فلس من العملة الكويتية) . » (١)

وعلى ضوء هذه المعلومات يتضح انه من الأرجح

(١) من كتاب « من هنا بدأت الكويت » تأليف عبد الله الحاتم .





٤ مآذن لاربعة مساجد في الكويت تبين روعة الفن المعمارى الذى تتميز به المساجد فى الكويت المصورة

ان يكون هذا الجامع هو اول مسجد في الكويت .

واحدث مسجد

واحدث مسجد تم بناؤه هو مسجد الشيخة بدرية في السالمية .. ويتميز هذا المسجد بطرازه الفريد في نوعه . وبه قبة من اللدائن البلاستيكية التى تعمل على ادخال الضوء الى الجامع نهارا ، وزيادة الاضاءة فيه ليلا .

لمحات سريعة عن بعض مساجد الكويت

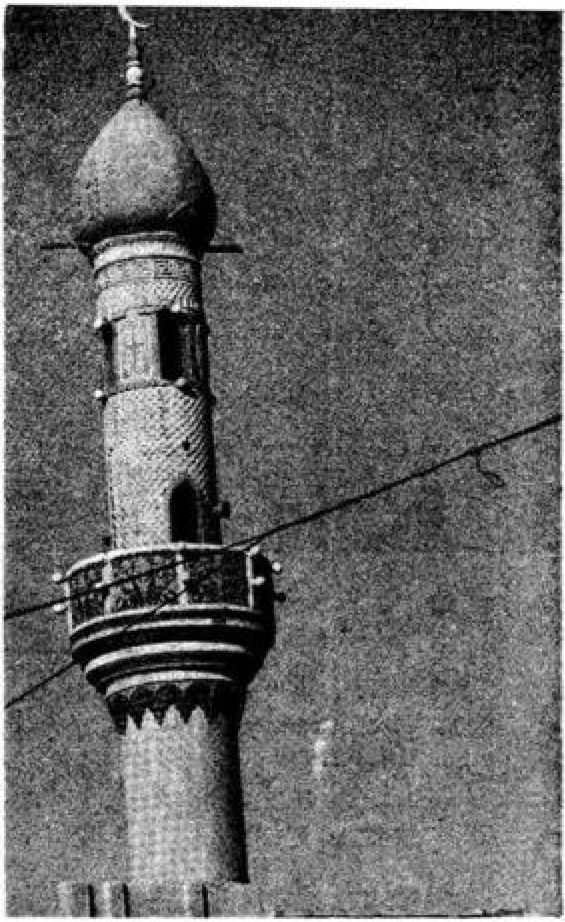
ونورد هنا لمحات سريعة عن بعض مساجد الكويت وضواحيها وكلها تتميز ببساطتها وجمال عمارتها ، ومن ضمن هذه المساجد الكثير الذى قام اهل الخير بانشائه وانفاق الاموال عليه .

* مسجد السوق الكبير : وهو من اكبر المساجد داخل المدينة ويتسع لحوالي ثلاثة آلاف مصل ، ويمتاز بموقعه في قلب الحي التجارى ، وقد بنيت مئذنته على الطراز الفاطمى وزينت جدرانه بالآيات القرآنية الكريمة والنقوش الرائعة .

وتقام الاحتفالات الدينية العامة حاليا في هذا الجامع الى ان ينتهي العمل في الجامع الكبير الذى سيعتبر جامع الدولة الرسمي .

* مسجد الشملان (مسجد عبد الله المبارك) : من المساجد الحديثة التى بنتها وزارة الاوقاف على الطراز الفاطمى ، وهو يقع في ساحة تتوسط المدينة . ويتسع لألف وخمسمائة مصل .





الاولى لمئذنة مسجد الخليفة والثانية لمسجد الفارس والثالثة لمسجد البدر والرابعة لمسجد السوق الكبير.

* مسجد دسمان الكبير : اسسه المغفور له الشيخ احمد الجابر الصباح .

* مسجد الدسمة : يشبه في بنائه مسجد « آيا صوفيا » الشهير في استانبول وهو من الطراز القوطي الذي لاتستند فيه القبة والسقوف على أية أعمدة .

* مسجد العثمان : أسسه الحاج عبد الله العثمان في النقرة يمتاز بارتفاع مئذنتيه وبالزخرفة والنقوش التي تزينه من الداخل والخارج . وبالمسجد قسم خاص للنساء . وهو مبنى على الطراز العربي الاسلامي .

* مسجد الشايع : أسسه محمد الحمود الشايع وعبد الله سليمان النجدي وقد تم تجديده مرتين منذ انشائه حتى الآن .

* مسجد المطوع : أسسه عبد العزيز المطوع القناعي وتم تجديده مرتين منذ انشائه حتى الآن .

ويوجد غير هذه المساجد الكثير ولا يتسع المجال هنا لذكرها كلها .

.. وبعد هذا عرض سريع عن مساجد الكويت.. تلك المساجد التي يتردد فيها ذكر الله صبحا وعشية .. ويدخلها المؤمنون من عباده ليؤدوا شعائر دينهم يتذكرون ربهم ويؤدون صلواتهم .. « أن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا »
(صدق الله العظيم)

■■

محمد طنطاوي



اتجاه التاريخ

إلى أين يمضي تاريخ

بقلم : الدكتور حسين مؤنس

■ التاريخ في المفهوم العام هو سجل الماضي ، أما الحاضر فلا يدخل في نطاقه لأنه زمان حيّ ، وما دام حياً فلا يمكن ان يكون تاريخا ، واما المستقبل فامره محجوب خلف استار الغيب ، وهو لم يبلغ بعد أن يكون زمانا . وقد درجنا على حَصْر التاريخ على الماضي حتى اصبح اللفظ نفسه مقابلا لكل ما فات ، حتى لو أن انسانا مات قلنا انه دخل صفحات التاريخ ، واذا وقع حادث وانقضى قلنا انه اصبح تاريخا .

التاريخ نهرُ الحياة المتدفق منذ الأزل

ومن العسير على الكثيرين منا أن يتصوروا أن الحاضر الحيّ يمكن ان يؤرخ له وهو بَعْدُ حيّ ، واصطلاح « التاريخ المعاصر » لم يعترف به في الاوساط العلمية الجامعية الا من زمن قريب ، وقبل ان ينشر بندتو كروتشي Benedetto Croce (١٨٦٦ - ١٩٥٢) كتابه المسمى « فلسفة وشعر وتاريخ Filesofia, Poesia Estoria » ، سنة ١٩٥٢ الذى جمع فيه خير آرائه في الفلسفة والشعر والتاريخ لم يكن موضوع التاريخ المعاصر يؤخذ موضع الجد من أهل العلم والجامعات .

والحق ان احدا اليوم من المؤرخين لم يعد يقبل تقسيم الزمان الى ماض وحاضر ومستقبل وانما هو في رايهم زمان واحد متصل لا ينفصل فيه عصر عن عصر ، كانه نهر عظيم سائر في مجرى طويل ، وانتَ اذا وقفت على شاطيء ذلك النهر رايت جزءاً من الماء قد مر من أمامك وجزءاً آخر لا يزال امام عينيك وجزءاً ثالثا لم يمر بعد ، ولكنه نفس الماء الذى كان من قليل حاضرا امام عينيك اصبح ماضيا في حين ان ماء آخر لم يمر بعد ، وانت لا تستطيع التفريق بين واحد من هذه الأمواه او وضع حد فاصل بين واحد منها والآخر ، فهي كلها في حركة دائمة ، وما هو ماض بالنسبة لك قد يكون مستقبلا بالنسبة لغيرك ممن يقفون بعدك في اتجاه المصب .

ولقد كان الناس فيما مضى يفرقون بين الزمان والتاريخ ، وفي وقتٍ ما كان موضوع الموازنة بين فلسفة الزمان للفيلسوف ليسنج Lessing وفلسفة التاريخ لهيجل Hegel ، من الموضوعات المستحبة عند اساتذة التاريخ ، وقد تلاشى ذلك الآن ، ولم يعد في التاريخ قديم مضى وانتهى تماما ولا حاضر يمضي امام اعيننا رويدا رويدا ، بل لم نعد ندرس التاريخ القديم على انه قديم وانتهى أمره ، ولم نعد ننظر الى أحداث العصور



هيجل



ارنولد توينبى

البَشَر

- هل يسير فى حلقة مفرغة : كلما دار دورة بدأ من جديد ؟
- هل تمر الأمم والجماعات فى مراحل حتمية كمراحل عمر الأحياء ؟
- ما حقيقة ما يسميه ابن‌خلدون شيخوخة الأمم ؟
- وما معنى نظرية آرنولد توينبى فى التحدى ورد الفعل ؟

الوسطى على أنها أشياء انتهت مع أمس الدابر ، لان شيئا مما حدث في الماضي لا يمكن ان ينتهي نهاية باتة قاطعة ، والماضي حيّ في كياننا دائما مثله في ذلك مثل ما يحدث لنا في سنوات عمرنا ، فان طفولتك لم تمت ببلوغك الصبوة ، ولا مات صباك مع شبابك ، ولو انسأ الله فى عمرك حتى بلغت اقصى منتاكّ من طول العمر فانك وانت في مجلس الشيخوخة ستحس احساسا صادقا بانك لا تزال كهل الأمس وشاب أول امس وصبي أول أول امس ، وانّ كل ما وقع لك في حياتك اشترك في تكوينك وتكييف حياتك .

وحتى عندما يموت الانسان فهو لن يذهب منها بتاتا ، فهو باق في ولده او في تلاميذه او في بعض من صاحبهم ، لان الحياة شيء واحد لا يتجزأ ، والفرق بين ما تسميه حياة وما تسميه موتا قليل ، ولو انك وقفت ذات خريف تتأمل أوراق الشجر تنفصل عن أغصانها ويتعابث بها الريح قبل ان تحط على الأرض وتندرج في التراب ، فانك لن تنسى أن ورقات مثل هذه حية في كيانك فقد تمثلتها الأرض ثم بعثتها لك في فاكهة او خضار او قمح او ارز ، وهذه الورقات التى تعلو وتهبط مع الرياح لم تمت ، فان الله سبحانه سيبعثها فيك او في بنيك .

مسير التاريخ فى دورة مقفلة شريرة محددة المراحل

ولكن هذا التشبيه الاخير لا ينبغي أن يعود بنا الى مفهوم قديم للتاريخ طالما افسد فهم الناس للوقائع المفردة وللتاريخ فى مجموعه ، وهو تشبيه التاريخ بحياة الكائن الحي ، والقول بانه اذا كان الكائن الحي يمر باطوار حتمية في نموه من طفولة وصبوة وشباب وكهولة وشيخوخة ثم موت فكذلك الأمر مع جماعات البشر ، لابد أن تمر بهذه الأدوار وينتهي الامر بموتها لتحل محلها جماعات أخرى .

ومن الواضح أن هذا التصور للتاريخ جذاب ولا يمكن مقاومته ، وللوهلة الاولى يبدو للانسان وكأنه هو التصور الوحيد المعقول لسير التاريخ العام ، فان القول بان الجماعات الانسانية او الدول تولد كما تولد الكائنات الحية : صغيرة ثم تشب وتكتهل ثم تشيخ وتموت ، قول بدهى

يجري به الفكر واللسان دون تردد او شك ، وقد تناوله ابن خلدون و"قننه" في نظريته المشهورة عن دورة العمران ، فقال ان عمر الدولة ثلاثة اجيال ، وقد يبلغ اربعة في النادر ، وهذه الأجيال هي التاسيس والتثبيت ثم الانهيار ، والجيل عند ابن خلدون في هذا المجال انما هو دور أو طور قد يمر فيه جيلان او أكثر من البشر ، وعلى هذا فكل دور أو طور ينقسم ـ او يمكن ان ينقسم ـ الى مراحل تبدأ من قيام الدولة او الدعوة كما يقول ولابد أن تنتهي الى السقوط او انفراط العقد والزوال .

وقد بنى ابن خلدون نظريته تلك على تاملاته في تواريخ دول الاسلام ، وقد سارت كلها علىهذا النمط : قامت ثم بلغت الأوج سريعا ثم سقطت كما قامت ، وانه لمن غريب الامر ان يكون هذا هو السير المحتوم لكل دول الاسلام في العصور الوسطى : هكذا كان الحال معالأمويين فالعباسيين ثم الدول الصغرى في الأقاليم ما بين طولونيين واخشيديين وادارسة وفاطميين وبويهيين ومن اليهم .

وقد انطبقت هذه القاعدة بصورة قاسية حتمية على دول المغرب الاسلامي ، وقد كان ابن خلدون خير عليم بتواريخها وأحداثها . ومنذ قامت في المغرب الأدنى والأوسط دولة الأغالبة (٨٠٠ ـ ٩٠٩) الى أن قامت دولة الحفصيين (١٢٣٦ ـ ١٥٧٤) ـ وفي ظلها عاش ابن خلدون وعمل وكتب فترة من حياته ـ لم يعرف المغرب الا هذا التوالى المحزن لدول تقوم وتسقط بعد أعمار قصيرة ـ في حدود القرن تقريبا ما عدا استثناءات قليلة ، وكلها سارت في نفس الطريق كانما هو منهج لها فلا مفر لها من اتباعه والسير نحو الاضمحلال والزوال سيرا لا مردّ له كما يسير الكائن الحي في مراحل حياته ، وابن خلدون على هذا معذور كل العذر فيما راى واستنتج ،والناس معذورون اذا آمنوا بنظريته واتخذوها قانوناً ثابتا لا مفر منه يتلخص في قول الشاعر :

ماطار طير وارتفع
الا كما طار وقع

وفي حدود هذه النظرية لا مكان للبحث فيما كان وما يكون وما سيكون ، وما الداعي لطول التقصي ما دامت البداية معروفة والنهاية اكثر من معروفة . هنا ، لا معنى لأن يتطاول مؤرخ بعنقه ليرى الغد ويؤرخ له ، لأن الغد معروف مقدما ، فهي ـ أيا كان شأنها ـ دول تتوالى حتى يطوى الله الأرض وما عليها ، وان مَنْ يقرأ مقدمة ابن خلدون وتاريخه لا يزال يصادف كلحين تلك الخاتمة التي كان يجب أن يقفل بها كلامه عن الدول : والله سبحانه يرث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين .

هل الدول والجماعات تشيخ وتموت ؟

بيد أننا لو تمهلنا قليلا وسألنا أنفسنا : ماذا يريد ابن خلدون من قوله « ان الدولة شاخت ودبّ في كيانها الهرم » ؟ هل معنى ذلك أن رجال هذه الدولة ولدوا شيوخا يتمشى الوهن في كيانهم ؟ ام هل معناه أنهم كانوا يعيشون بعقلية شيوخ ضعاف عاجزين عن مواجهة المصاعب والازمات ؟ أم أن الشعب نفسه هو الذي شاخ وهرم ولم يعد قادرا على حمل أعباء الدول العظام والنهوض بكبار المسئوليات ؟

الحق أن هذه كلها افتراضات غير معقولة ، ولا مقبولة ، فان الأجيال كلها تولد أطفالا يتدرجون في أطوار العمر ، ونسبة الشبان في البيت العباسي أيام هارون الرشيد لم تكن أكثر من نسبتهم عندما دخلت الدولة في طور الضعف الظاهر بعد أيام الواثق (٨٤٢ ـ ٨٤٧) أي خلال النصف الثاني من القرن التاسع الميلادي .

ولكننا نشعر رغم ذلك أن الأمور في الدولة كلها أصبحت تسير في بطء كانما خطاها قد ثقلت كما تثقل خطى الانسان عندما تدب الشيخوخة في أوصاله ، فبينما كان ابو جعفر المنصور ورجاله سراعا الى العمل خفافا في الحركة نجد رجال الخليفة المتوكل (٨٤٧ ـ ٨٦١) بطاءً في العمل ثقالاً في الحركة : تظهر المشكلة اليوم فلا ينهضون لحلها الا بعد غد ، وقلما يصلون الى حل ، ويقوم عليهم الثائر في أطراف العراق نفسه فلا ينهضون للقضاء عليه الا بعد أن يعم بلاؤه ويستفحل شره ، وقلما يستطيعون القضاء عليه ، بل قصارى ما كانوا يبلغون هو مطاردته وابعاده أو الاتفاق معه اذا تيسر الاتفاق .

ولكن الحقيقة هي ان هذه المظاهر كلها لاتعنى

شيخوخة البيت الحاكم ولا مشيب الشعب المحكوم ، فقد ثبت ان حيوية الشعب العربي والناتج العام خلال القرن العاشر كانا اعظم واوفر مما كانا عليه أيام هارون الرشيد في الربع الأخير من القرن الثامن الميلادى ، وبينما كان ابو جعفر المنصور يتحسر على انه لا يجد اربعة رجال يثق فيهم ويشد بهم دولته نجد أن بغداد في القرن العاشر حفلت بعشرات الرجال ذوى المواهب ، ولكن الدولة لم تعرف كيف تستفيد منهم .

فاذا نفينا القول بشيخوخة البيت الحاكم والشعب المحكوم ، فما هي حقيقة هذا الوهن الذى دب في كيان الدولة وقعد بها عن السير الى الامام ومواجهة الازمات ؟

اذن ، ما هي العلة في ضعف الدول ثم سقوطها ؟

هذا السؤال طرحه مفكرو اليونان والرومان على أنفسهم قبل أن نطرحه نحن على أنفسنا فيما يتصل بدولنا ، ونكتفي هنا بالنظر في مشكلة الدولة الرومانية التى انحدرت الى الضعف بعد أيام أوكتافيوس (٢٧ق .م الى ١٤ ب.م) فان هذه الدولة بدأت تواجه ازمة السقوط حتى من أواخر أيام أكتافيوس نفسه ، اى وهي في أوج قوتها وثروتها وتدفق الحيوية في شرايينها ، وقد جاء بعد اكتافيوس اباطرة لايقلون عنه مهارة أو قدرة او اخلاصا في خدمة الدولة ، ومع ذلك فقد توالت الأزمات والمصاعب وسار التفكك في طريقه لايكاد يوقف سيره جهد أو علاج ، ولا شك في أن اباطرة من أمثال تراجان (٩٨ ــ ١١٧) وهادريان (١١٧ ــ ١٣٨) وديوقليشيان الذى نسميه نحن دقلديانوس (٢٨٤ ــ ٣٠٥) وقسطنطين (٣١٢ ــ ٣٢٤) كانوا لايقلون كفاية وقدرة عسكرية وادارية عن يوليوس قيصر وأوكتافيوس ، فما الذى اعجز أولئك الاباطرة الاقوياء ورجالهم الاكفاء عن مواجهة الازمات وايقاف تدهور الدولة ؟

هنا نجد انفسنا امام حشد هائل من الآراء والنظريات ، فبينها نجد ادوارد جيبون Edward Gibbon ، يطلق العنان لبلاغته وعاطفيته الشاعرية فيرد سقوط الدولة الى اتساع الرقعة وغلبة الترف وثقل المسئوليات البالغ نجد أن تيودور مومسن Teodor Mommesn ، يعكف على دراسة النواحي الاجتماعية والاقتصادية ويضع يده على بيت الداء في تاريخه العظيم لروما الذى نشره فيما بين سنتي ١٩٠٨ و ١٩١٣ ، وهو ليس مجرد تاريخ بارع بل هو فتح في عالم الدراسات التاريخية لأنه اتجه راسا الى لباب الموضوع ، ثم جاء بعده مؤرخون لايقلون عنه اصالة وعمقا من أمثال ادوارد ماير Eduard Meyer وروستوفتزف M. Rostovtvez ، وفردينان لوط Ferdinand Lot ، ممن شرحوا مشكلة سقوط الدولة الرومانية شرحا شافيا مكن لمؤرخ عالى مثل آرنولد توينبي Arnold Toynbee ، من اصدار احكام سليمة مقبولة فيما يتعلق بقيام الدول وضعفها وسقوطها .

التفسير الحقيقى لسقوط الدول القديمة والوسطى

وخلاصة آراء أولئك الاعلام هو أنه لا صحة لما يقال عن شباب الدول او شيخوختها او موتها ، ولا صحة كذلك للقول بأن الامر كله في التاريخ يرجع الى من نسميهم بعظماء الرجال ، لأن الحقيقة أن الجماعات الانسانية والدول في سيرها مع الزمان تواجه مشاكل لا بد من حلها أولا فأولا ، فاذا اهملت تراكمت وتزايدت مع الزمن حتى تصبح عقبات في سبيل السير الطبيعي للأمور ، فاذا عجز رجال الدولة عن العلاج بدأت الازمات ، ثم يتوالى بعضها في اثر بعض فيعجز رجال الدولة عن العلاج وهنا يسرع الانهيار . وهو اذا أسرع لم يكن هناك سبيل الا ايقافه ، كأنه هيار ثلجي منحدر من اعلى ، كلما انحدر زادت سرعته وثقله ، فلا يزال ينحط حتى يصل الى القاع .

وافضل هذا التعميم بتطبيقه على الدولة العباسية مثلا ، لأن القارىء أعرف بشئونها منه بشئون تاريخ الرومان .

لقد ورث أبو العباس السفاح (٧٥٠ ــ ٧٥٤) وابو جعفر المنصور (٧٥٤ ــ ٧٧٥) ملكا شاسعا يمتد من حدود الصين الشرقية الى ساحل المحيط الاطلسي ، وهو ملك يهول الانسان تصور اتساعه ، ولقد بهر المؤرخين انفساح هذا الملك وضخامة ما كان يمكن أن يفيضه على الدولة من مال جسيم ، ولكن أبا جعفر المنصور ــ المؤسس

الحقيقي للدولة ـ عندما استقر في مدينته المدورة واخذ يسوس الامور لم يفطن الى أن عصب القوة في دولته تلك لا يكمن في شخص الخليفة ولا في مهارة وزرائه من أمثال خالد البرمكي وأبي أيوب المورياني والربيع بن يونس ، وانما العصب الحقيقي يكمن في جماهير الناس ممن كان المنصور وجهابذته يرون أنهم غثاء كغثاء السيل ولا وظيفة لهم الا تقديم المال الى خزانة الدولة ، هذه الجماهير ما بين زراع في الارياف وصناع وتجار في المدن هم الذين يملكون بالفعل زمام الدولة ، وكل مواردها ما بين أراض تزرع ومحصولات تجمع وماشية تربى وطرق تسلك ومدن عامرة بالناس والنشاط ، وموان حافلة بالسفن والمتاجر ، ومصانع ما بين صغيرة وكبيرة ، كل هذه هي الثروة الحقيقية للدولة وهؤلاء هم القوامون عليها ، الداعون لشئونها في حين ان الخليفة نفسه ووزراءه وقواده لا يملكون من هذا كله شيئا على وجه التحقيق .

وموارد الرزق هذه لاتصبح موارد الا بالعمل ، فالارض لا قيمة لها الا اذا زرعت ، والزراعة غير ممكنة الا اذا شقت الترع ونظمت أمور الري وعني بتنظيف الترع عاما بعد عام ، والمدن لاتصبح مدنا الا اذا نشط من فيها من صناع وتجار ، فامتلأت متاجرها بما يحتاجه الناس بسعر معقول، والمتاجر والمحاصيل لاتصل الى المدن بسعر معقول الا اذا كانت هناك طرق ممهدة آمنة ، والموانيء لا تؤدي وظيفتها الا اذا انشقت فيها الأرصفة ودور الصناعة والمخازن وقام رجال الامن بحماية المسافرين والبضائع وأموال الناس .

والذي ادركه ابو جعفر المنصور من ذلك كله قليل ، فهو كان يعرف ان الارض لا قيمة لها الا بالفلاح الذي يزرعها ، ولكنه لم ينظر في أمر الفلاحين ولا هو استقصى أحوالهم بنفسه مرة واحدة ، وكان يعرف أن التجارة لا تزكو الا بالطرق المحروسة والأمن الشامل ، ولكنه لم يدرس أحوال التجار أو شكاواهم ، ولم ينشيء كيلو مترا واحدا من الطرق مع أن الرومان قبله شقوا طرقا يدهش الانسان من طولها واتساعها . كان اهتمام المنصور عظيما بمقادير الجباية ولكنه قلما سأل عن الطريقة التي كانت تجبي اليه الأموال بواسطتها ، ولم نسمع مرة واحدة أنه تدارس مع وزرائه موضوع معاملة الدهاقين ـ حكام الارياف ـ للفلاحين وكيف ينهبونهم ، وربما يكون قد عرف أن الدهقان يسرق الفلاح ، ولكن هذا الامر لم يقلق باله كثيرا ، لان الوزراء من حوله كانوا يؤمنون بأن الامور لا يمكن أن تسير الا على هذا النحو .

واذا نحن اردنا ان ناخذ فكرة عن نسبة ما كان يصل الى خزانة الدولة من الأموال التى كانت تجبى من الفلاحين والصناع والتجار وعامة الناس وجدنا تيودور مومسن يقول ـ فيما يتصل بالدولة الرومانية ـ ان هذه النسبة وصلت الى واحد من ستة ، فكلما وصل لخزانة الدولة دينار كان معنى ذلك أن الجباة أخذوا من الشعب ستة دنانير ، فسرقوا خمسة وقدموا الواحد الباقي للخزانة .

اما ما كان ينفق على الترع والجسور والطرق والموانيء وبقية المرافق فكان أيضا عرضة للسرقة الذريعة على يد الموظفين ، وقد تبين روستوفتزف ـ فيما يتصل بالدولة الرومانية أيضا ـ أن نسبة ما كان يخرج من خزانة الدولة للنفقة عليها الى ما كان ينفق بالفعل كانت خمسة الى واحد ، فاذا قرأنا ان القنطرة الفلانية تكلف بناؤها خمسة آلاف دينار فمعنى ذلك أن ألف دينار فحسب أنفقت في العمل والباقي سرقه المشرفون عليه . وهذا كان المستوى العادي لأمة الموظفين العموميين في العصور القديمة والوسطى .

وهذه المساويء تتجه الى الزيادة مع الزمن ، فكلما طال عمر الدولة زادت نسب السرقات ، ويجيء يوم يصل الامر فيه الى درجة الاستحالة : تعجز الخزانة عن اشباع نهم اللصوص ويعجز دافع الضرائب عن أداء الأموال ، وما نسمعه مثلا عن الشدة المستنصرية ان هو الا حالة من العجز هذه .

وهذا الخلل يكون محتملا أول الأمر ، لأن الدول في أول أيامها تكون أقرب الى العدالة ورجالها أميل الى الفضيلة ، ثم ان رجال الدولة العباسية ـ مثلا ـ ورثوا مالا عريضا عن الأمويين ، من أموال وجدوها في بيت المال وقصور حافلة بالأموال غنموها دون حساب ، فتراخوا شيئا في جباية

الأموال أول الأمر ، ومن ناحية أخرى كان الناس قليلين والأرض واسعة ، فلم يتأذ الناس كثيرا من السرقات ، وهبت على البلاد رياح رخاء ظاهر ، فلما مضت السنون استنفد أرباب الحكم ما ورثوه عن سابقيهم والتفتوا الى الرعايا فأخذوا يطالبونهم بالأموال ، وتعودت نفوسهم الترف فطلبوا المال الكثير ، واشتدوا في ذلك على من يليهم ، وهؤلاء على من يليهم حتى وصل الأمر الى الفلاح الذى يفلح الأرض والصانع الذى يعيش من بيع ما يصنع وصاحب المتجر المتواضع الذى يرضى دائما بالكفاف ، وهؤلاء الثلاثة كانوا ضحية هذا الهرم الذى كان يتصاعد ويتزايد ثقلا حتى يصل الى الخليفة .

وهذه حقيقة ما يسمى بشيخوخة الأمم والدول

هنا تبدأ عملية استنزاف الفلاح والتاجر والصانع ، وفى يوم من الأيام يجد الفلاح انه خير له أن يترك الأرض ويفر الى المدينة ، لأن حاصلاته لا تكفى لمطالب رجال الدولة ، فهو لا يجد ما يقوم بأود نفسه ، ثم هو يضرب بعد ذلك ويعذب ليعتصروا من جسده آخر نقطة من دم .

ويحدث مثل هذا للصانع : يقفل منسجه ولا يعود يعمل الا بالطلب الخاص من صديق أو معرفة ، فتهبط الصناعة ويقل الانتاج ، أما التاجر الصغير فيلجأ الى اخفاء البضاعة ورفع ثمنها لكي ينجو بنفسه من الهلاك جوعا .

ورغم ذلك كله فان نفقات الدولة تتزايد باستمرار : يزداد حجم الأسرة الحاكمة ويحتاج افرادها الى الرواتب العالية،ويزداد عدد الموظفين والمحاسبين والجباة فتتضخم رواتبهم ، واذا لم يجدوا الرواتب لجأوا الى السرقة وقبول الرشوة ، ويتغلغل ذلك في كيان الدولة حتى يصل الى القضاء فيتزعزع صرح العدل والقانون وهو عمود الدولة الفقرى ، وتتزايد الحاجة الى الجند المرتزقة ، ويشتد الجنود المرتزقون في مطالبهم،ثقة منهم في أن الدولة لا تقوم الا بهم ، ويصل الأمر الى أن يتولوا الحكم بأنفسهم مستترين بالخلافة كما حدث في الدولة العباسية في عصرها الثانى ، أو يخلعوا القناع ويحكموا مباشرة كما حدث في عصور المماليك .

ونتيجة لهذا كله تضعف الهمم ويسود اليأس ويزهد الناس في العمل والكسب الحلال ، وتشتد الدولة في طلب المال من الرعية فيلجأ الموسرون الى اخفائه ، ويسود الفقر ، ما بين فقراء حقيقيين ومتفاقرين هربا من مطامع السلطان ورجال السلطان .

ونتيجة لذلك الفقر وقلة الطعام تكثر الأمراض وتتوالى الأوبئة ويكثر قيام الثورات في قلب الدولة والأطراف ، والضحايا الأولى للفقر والمرض والثورات هم الأطفال والصبيان والشبان،فتحصد الأجيال الصغيرة من الأمة ويكثر العجائز والشيوخ.

وهذه الصفات كلها صفات شيخوخة ، فان الأمة تفقد تطلع الشباب وطموحه وهمته ، ويقعد اليأس برجالها عن كبار المطالب ، وتبطىء حركة الادارة بسبب كثرة الموظفين وتعقد الاجراءات ، ويقل الأطفال والصبيان والشبان ويبدو بالفعل وكأن الأمة كلها قد شاخت وهرمت .

واذن فما يسميه ابن خلدون بشيخوخة الأمم انما هو في الحقيقة افلاس اقتصادى وعجز ادارى، والعلاقة قليلة بين هذه الظواهر وما يسميه ابن خلدون بالترف ، لأن الترف طبع وليس ظاهرة عامة ، والترف يولد مترفا فمن الناس من يكون فى افقر حال ولكنه مترف ، كهذا العامل البسيط الذى يكسب القروش بشق النفس ومع ذلك نجده يستحب الراحة والنوم ويكثر من الشاى والدخان وقد يتعاطى المكيف ، ولا تكاد تتجمع عنده قروش حتى يسارع الى طلب امراة ثانية ،ويحدث كثيرا أن يكون صاحب المصنع الذى يعمل فيه هذا العامل رجلا متقشفا ، يقضي معظم وقته في عمله مكتفيا بأقل الطعام وحد أدنى من النوم .

أما الترف الذى يقابل الفسوق ـ وهو المفهوم الغالب عندنا لهذا اللفظ ـ فهو أمر غالى الثمن لا يقتدر عليه الا عدد قليل جدا من الناس ، وهذا العدد القليل لا يمكن أن يسوق الدولة كلها الى حتفها ، ومن النادر على أى حال أن تطول أيام سلطان أو وزير أو قائد من هذا الطراز من المترفين الفاسقين .

ضرورة فصل التاريخ عن الأساطير والعاطفيات والأدبيات

واذن فما تصور ابن خلدون انه شيخوخة تدب في اوصال الدولة مع الجيل الثالث او الرابع ان هو الا مظهر لسياسة اقتصادية سيئة ونظام اداري غير صالح ، وهذان العيبان يولدان مع ميلاد الدولة ، فافلاس الدولة العباسية بدأ في أيام أبي جعفر المنصور، وما يقال من أن هارون الرشيد كان يطلب القليل من المال فلا يجده صحيح ، ولكن السبب لم يكن يرجع الى أن يحيى بن خالد البرمكي كان يخفي عنه الأموال ، بل سببه أن هذا المال لم يكن موجودا ، لأن الدولة كانت مفلسة من ايام الخليفة المهدي ، وهارون الرشيد لم يكن يعلم شيئا عن حقيقة الأحوال المالية لدولته .

ولكن الافلاس لم يظهر بصورة واضحة الا أيام الرشيد ، وهذا ما أفزعه وصور له أن وزراءه البرامكة يسرقون أموال الدولة، فقضى عليهم ليجد أن الافلاس لا يزال قائما ، بل لعل البرامكة كانوا يخففون من حدته ووطأته .

وعندما مات الرشيد ظهر الضعف المالي للدولة، ووقف الخليفة محمد الأمين عاجزا عن القيام بشئون الدولة ، في حين اعتز عبد الله المأمون باموال خراسان ، وهزيمة الأمين أمام المأمون ترجع في آخر الأمر الى افلاس بغداد وعجزها عن اعداد الجيوش القادرة على مواجهة قوات الري وخراسان .

وهذا الكلام ينطبق على الدول الاسلامية التي اعتمد على تواريخها ابن خلدون ليقول بنظريته في دورة العمران ، وينطبق كذلك على كل الدول غير الاسلامية التي قامت في العصور القديمة والوسطى ، وهذه الاخيرة هي التي اعتمد عليها جيامباتيستا فيكو Giambattista Vico في القول بنظرية مشابهة لنظرية ابن خلدون في كتابه المسمى «العلم الجديد Scienza Nuova » فقد قال في كتابه هذا ان تواريخ الأمم تمر في مراحل معينة معروفة .

ولكن فيكو قال في نفس الوقت ان التاريخ في حاجة الى أن يوضع له منهج علمي خاص به ، لكي يخرج من دائرة الأساطير والأدبيات ويدخل في نطاق العلوم الدقيقة . وقد نشر فيكو كتابه هذا سنة ١٧٧٤ .

وجاء بعد ذلك هردر J. G. Von Herder فنشر كتابه المسمى فلسفة تاريخ البشر Philosophia der Geschichte der Menschheit (١٧٩١ — ١٨٧٤) فقال بصراحة ان التاريخ لا ينبغي أن يظل ميدان تاملات شخصية وفلسفات مزاجية او عاطفية وانما هو علم ينبغي أن يدرس على أساس من الزمان والمكان وخصائص كل شعب على حدة .

نهاية نظرية الدائرة المفرغة الشريرة وميلاد فكرة التقدم والمسير الى الأمام

وهنا انكسرت الدائرة المغلقة وبدا بوضوح ان التاريخ لا يمكن أن يدور الى الأبد في نفس الاتجاه، كلما انتهت دورة بدأت أخرى ، وانما هو ينبغي أن ينطلق في خط مستقيم ، وذلك بالبحث عن العلل التي قسرت التاريخ على أن يظل حبيس مراحل النشأة والأوج ، والسقوط ، وهذه العلل اقتصادية واجتماعية . ومن هنا كان الاقتصاديون والاجتماعيون هم الذين حطموا قيود الأمم والتاريخ وعرفوا العلل واشاروا بالعلاج، ونحن هنا مدينون لرجال من امثال كونديلاك Condillac ، وكوندورسيه Condorcet ، واوجست كومت Auguste Comte ، وجون ستيوارت ميل J. S. Mill ، وكارل ماركس Karl Marx وفريدريش انجل Friederich Engels ، في وضع التاريخ في الاتجاه السليم .

ونحن مدينون أيضا لرجال العلم والطبيعيات الذين غيروا نظرة الانسان الى الكون وعلاقة الانسان به ، ولا شك أن اسحاق نيوتن وتشارلس داروين وبنيامين فرانكلين واضرابهم كان لهم من الاثر في علم التاريخ اكثر مما كان لكثيرين من كبار المؤرخين المحترفين .

ولنضف الى ذلك جهود نفر من أهل الفكر والأدب والفلسفة ، من امثال فولتير وجان جاك روسو وجون لوك وجيورج فلهلم فريدريش هيجل George Wichelm Friderich Hegel

(۱۷۷۰ – ۱۸۳۱) ومن اليهم من اقطاب عصر التنوير او الأوفكليرنج die Auflärung ، ممن ادخلوا على مناهج العلوم تغييرا حاسما غير سيرة البشر على الأرض تغييرا حاسما واوقف الى الأبد حكاية الدورة المفرغة الشريرة (The Vicious Circle) وأحل محلها نظرية التقدم (The idea of progress) وهى اليوم اساس من اسس النظرة التاريخية اليوم .

اتجاه التاريخ الى الأمام ونظرية آرنولد توينبي

ولكن، هل معنى هذا أن تفسيرنا للتاريخ على انه ثمرة تفاعل ظروف مكانية وزمانية وطبيعية وبشرية اننا نستطيع اليوم التحكم في سير التاريخ ؟ بعبارة اخرى : هل دراستنا للتاريخ على اساس دراسة الظروف التى توجه الحوادث في اتجاه ما ، هل هذه الدراسة تعيننا على توجيه تاريخ الغد اذا استطعنا دراسة ظروف اليوم والتحكم فيها ؟

هنا يعتذر كبار المؤرخين ويؤكدون لنا ان التاريخ ليس واحدا من العلوم الطبيعية حتى نستطيع التحكم في سيره ، لأن مادة التاريخ هى الانسان ، والانسان مخلوق غريب يمتاز بخاصيتين واضحتين: الذكاء والشخصية، والذكاء لا يمكن قياسه او التحكم فيه ، والشخصية تختلف من انسان الى انسان، ولكننا على اى حال نستطيع ان نقيم الدراسة التاريخية على اساس المنهج العلمي لكي نصل الى نتائج سليمة قد تنفعنا في فهم انفسنا وطبيعة تركيب مجتمعنا البشرى، وعلاقته بالأرض التى نعيش عليها بل الكون الذى نحن ذرات في كيانه .

بهذا يقول فلاسفة التاريخ في العصر العشرين من امثال فلهلم دلتاى Wilhelm Dithey ، وبندتو كروتشي وكولنجوود R.G. Collingwood الذى دحض آراء العقلانيين الذين ارادوا ان يدخلوا التاريخ في نطاق العلوم الطبيعية وزعموا انهم يستطيعون التحكم في مجراه على هذا الاساس ، وخلاصة آرائه ان التاريخ لا يمكن أن يكون نتيجة قواعد وقوانين ثابتة تحكم مجراه وتحدد اتجاهه، وان اقصى ما نستطيع عمله هو أن نعرض حوادث التاريخ على أنها تعبيرات عن أنماط ماضية من تفكير البشر وصور من تصرفاتهم وردود افعالهم في ظروف معينة وامام مشاكل نستطيع التعرف عليها تماما عن طريق الدراسة العلمية الدقيقة .

وهذه الظروف وتلك المشاكل هى التى يسميها آرنولد توينبى بالتحديات ، وهو يرى أن كل جماعة من البشر تجد نفسها أمام ظروف جغرافية وتاريخية وبشرية ولا بد لها أن تحدد موقفها منها : فامّا عجزت عن التغلب على الظروف الجغرافية فجمدت في مكانها وماتت ، وامّا تغلبت عليها وسيطرت عليها ، وازدادت بذلك قوة وسارت الى الامام . وكذلك الحال مع الظروف التاريخية للأمة أو الشعب ، فقد تظهر أمامها قوة معادية فامّا خضعت لها فاندرجت في كيانها ، وامّا نهضت لقتالها فغلبتها وادرجتها في كيانها وسارت في طريقها ، أو انهزمت في الصراع فكان عليها أن تسعى للبقاء بحسب ما في كيانها من الحيوية وما في نفسها من العزم ، وامّا الظروف البشرية فان لكل شعب تكوينه البشرى ، ولكن هذا التكوين البشرى الاصلى لا يمكن أن يقوم بنفسه الى الأبد، ولا بد أن يختلط الشعب بغيره ، فامّا افاد قوة من هذا الاختلاط أو ضَعُفَ أمام الأجناس الاخرى ، اى أن تاريخ اى شعب من الشعوب انما هو تاريخ التحديات التى يلقاها في طريقه وردود الفعل التى يقوم بها امام هذه التحديات ، وهذا هو اساس نظرية التحدى ورد الفعل hallenge and response ، التى ادار عليها دراسته المبدعة للتاريخ .

وهذه النظرية تقوم في اساسها على أن التاريخ سائر الى الأمام ، وان الحضارات يتدافع بعضها مع بعض ، فالغالب منها يجر المغلوب ويمضي الى الأمام ، وفي موكب البشر هذا تكثر السواقط ، امم او قطع من امم لا تصمد للصراع فيزيحها تيار التاريخ المتدفق على أحد شاطئيه ويمضي ، وتلك هى الحضارات التى تجمدت بعد أن أذاب التيار من كيانها كل ما استطاع اذابته ومضي في طريقه الى الأمام الى نهاية لا يمكن ان يتكهن بها مؤرخ.

■■

حسين مؤنس

طرائف

خصال أربع

● عن علي بن ابي طالب رضى الله عنه قال : من أعطى اربعَ خصال فقد أعطى خير الدنيا والآخرة ، وفاز بحظه منها : ورعٌ يعصمه عن محارم الله ، وحسن خلق يعيش به في الناس ، وحلم يدفع به جهل الجاهل ، وزوجة صالحة تعينه على امر الدنيا والآخرة .

اخاف ان

● قيل ان احد الفقراء دخل مجلس النبي صلى الله عليه وسلم وعنده رجل غنى . فكف الغنى ثيابه عنه . فقال رسول الله عليه وسلم : ما حملك على ما صنعت ؟ أخشيت ان يلصق فقره بك

شربها لضعف الاسناد

● اجتمع محدث ونصراني في سفينة، فصب النصراني في زق كان معه شربة وشرب ، ثم صب مرة اخرى وعرضها على المحدث ، فتناولها ، فقال النصراني: انها خمر ؟ فقال المحدث : ومن اين عرفت انها خمر ؟ فقال النصراني اشتراها غلامي من يهودى ، فشربها المحدث على عجل وقال للنصراني : ما رايت احمق منك أحدا ، نحن اصحاب الحديث نتأمل في حديث سفيان بن عينية وسعيد ابن جبير ، فنصدق نصرانيا عن غلام يهودى ! والله ما شربتها الا لضعف الاسناد .

وشاية لم تتحقق

● حكى ابن قتيبة قال كان بين حاتم طيىء وبين أوس بن حارثة الطف ما يكون بين اثنين ، فقال النعمان لبعض جلسائه لأفسدن بينهما . فدخل على اوس وقال : ان حاتما يزعم انه افضل منك فقال : ابيت اللعن ، صدق ، ولو كنت انا واهلي وولداى لحاتم لوهبنا في يوم واحد . وخرج ثم دخل على حاتم الطائي فقال له مثل ذلك فقال : صدق، واين اقع من أوس وله عشرة ذكور ادناهم افضل مني . فقال النعمان : ما رايت افضل منكما .

عربية

يدخلني مدخله

او يلصق غناك به ؟ فقال الفتى : يارسول الله اما اذا قلت هذا فله نصف مالى ، فقال رسول الله للفقير اتقبل منه ؟ قال الفقير : لا . قال : ولم ؟ قال : اخاف ان يَدخلني مَدخَله .

حلم

● سب رجل المهلب بن ابي صفرة وافحش في سبه والمهلب ساكت لا يرد عليه ، فمر رجل فسمعه فرد على السفيه وخاصمه ، ثم التفت الى المهلب وقال : هلا انتصرت لنفسك ؟ فقال المهلب يا ابن اخي ، وجدت النصرة في الحلم ، ولولا حلمي ما انتصرت انت لي .

جبروت الجاحظ

● دخل رجل على الجاحظ فقال له : يا ابا عثمان كيف حالك ؟ فقال الجاحظ : سألتني عن الجملة فاسمعها مني واحداً واحداً . حالي ان الوزير يتكلم برايي ، وينفذ امرى ، ويواتر الخليفة الصلات اليّ ، وآكل من لحم الطير أسمنها ، والبس من الثياب افخرها ، واجلس على الين الطبرى ، واتكيء على هذا الريش ، ثم اصبر على هذا حتى ياتي الله بالفرج . فقال له الرجل : الفرج مما انت فيه ؟ . قال : بل أحب ان تكون لي الخلافة ، ويعمل محمد بن عبد الملك الزيات بامرى ، ويختلف الي ، فهذا هو الفرج .

جواب مقنع

● روى ان الحجاج الثقفي اخذ اخا قطرى بن الفجاءة وقال : لاقتلنك ! قال : لم ؟ قال : لخروج اخيك عليّ . فقال : ان معى كتابا من امير المؤمنين انلا تاخذني بذنب اخي . فقال الحجاج هاته ؟ قال ، ومعي كذلك رسالة من السماء علاوة على رسالة امير المؤمنين . ثم قال معى قول الله تعالى : « ولا تزرَ وازرة وزرَ اخرى » . فتعجب من جوابه وخلى سبيله .

اختبر معلوماتك العامة

■ مسابقة هذا العدد تتألف من ١٢ سؤالا . المطلوب الاجابة على ثمانية فقط من هذه الاسئلة . دقق النظر فى نص السؤال قبل الاجابة عليه ، فلعل فى طياته الجواب الصحيح الذى تريد . وهذه هي الاسئلة :

(١)

● اى الثورتين سبقت الاخرى ، الثورة الفرنسية أم الثورة الامريكية ، او حرب الاستقلال الامريكية كما يسميها آخرون ، علما بأن هذه الحرب وقعت بين بريطانيا وبين عدد من مستعمراتها فى العالم الجديد، وانها انتهت بانتصار هذه المستعمرات واستقلالها وقيام الولايات المتحدة الامريكية اثر ذلك .

(٢)

● هلفسيا Halvetia هو :

(أ) اسم بلدة فى يوغوسلافيا فى منطقة بوسنيا

(ب) اسم بلدة فى اسبانيا تقع بالقرب من مدينة فلنسيا

(ج) اسم ثان لسويسرا يظهر بخاصة على طوابعها

(٣)

● الكوبرا Copra هي :

(أ) الجسر أو الكبرى

(ب) نوع من الحيات يرقص على انغام الموسيقى .

(ج) لب جوز الهند

(د) حمار الوحش

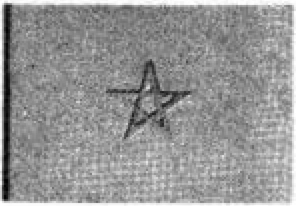
(٤)

● السنة الضوئية هي :

(أ) المسافة التي يقطعها الضوء فى سنة من سنواتنا الزمنية .

(ب) الزمن الذى يحتاجه الضوء لقطع مسافة ... ... ٦٠٠٠ ميل بسرعته الخارقة التى تبلغ ١٨٦٠٠٠ ميل فى الثانية .

(٥)



● يمثل هذا الرسم (اضلاع النجم خضراء والقاعدة حمراء) علم احدى الدول العربية .. فاى دولة تلك ؟

(٦)

● باخرة تسير بسرعة ٢٠ عقدة . فكم تساوى سرعتها هذه بالاميال فى الساعة الواحدة ؟

(٧)

● ينسج العنكبوت خيوطه من :

(أ) مادة كيماوية
(ب) مادة خشبية
(جـ) مادة غضروفية
(د) مادة حريرية

(٨)

● عاصمة نيوزيلاند حاليا ، ومنذ اكثر من مائة سنة ، هي ولنجتون Wellingto فماذا كانت عاصمتها قبل ذلك ؟

(٩)

● فيلبوس العربي هو احد اباطرة الرومان وقد ولد في سوريا وحكم طوال السنوات (٢٤٤ ـ ٢٤٩) فاين ولد على وجه التحديد ؟!

(١٠)

● اشتهر اليابانيون بوطنيتهم وباقدامهم على الانتحار من اجل الوطن وهم يسمون انتحارهم هذا :

(أ) ماتا هاري
(ب) هيروهيتو
(جـ) هاراكيري
(د) جوجيتسو

(١١)

● تدور الارض بطرق ثلاث مختلفة، الاولى حول نفسها ، والثانية حول الشمس . فما هي الطريقة الثالثة التي تدور بها كرتنا الارضية ؟

(١٢)

● من القائل :

اصالة الرأي صانتني عن الخطل
وحلية الفضل زانتني لدى العطل

شروط المسابقة

١ ـ ان يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور في ذيل هذه الصفحة .

٢ ـ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .

٣ ـ ضع اجابتك في مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتي :
مجلة العربي ـ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ١٤٤ » .

٤ ـ آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم الثالث من شهر ديسمبر (كانون الاول) ١٩٧٠ .

٥ ـ كل خطاب يفقد شرطا من هذه الشروط عرضة لان يهمل ولا يدخل عملية الاقتراع على الجوائز .

الجوائز ١٠٠ دينار

يمنح الفائزون جوائز ١٠٠ دينار كويتي على الوجه الآتي :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا .
الجائزة الثانية ٢٠ دينارا .
الجائزة الثالثة ١٠ دنانير .
٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير
وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريق الاقتراع .

كوبون مسابقة
العدد ١٤٤

الأورام الليفية في النساء

■ بصفة عامة تعتبر هذه الاورام من أكثرها شيوعا فى الجنس البشرى كله .

وقد اثبت الفحص بعد الوفاة لآلاف العينات من الارحام أن ٢٠٪ من النساء بعد سن الثلاثين تحتوى ارحامهن على أورام ليفية لم يكن لها اية اعراض مرضية فى كثير من الاحيان .

خصائص عامة

* حجم الورم يختلف اختلافا بينا من ورم لآخر فقد يكون مجرد حبيبات او بذور صغيرة متناثرة فى جدار الرحم وقد يصل الى حجوم هائلة احيانا . وقد سجلت اوزان تصل الى مائة رطل او تزيد .

* العدد : اما ورم وحيد في الرحم او اورام عديدة قد تصل الى مائتين عددا .

* وضع الورم في الرحم : اما في جسم الرحم او فى عنق الرحم :

أورام عنق الرحم :

وهى الاقل نسبة في النوعين ، وغالبا ما يكون في الجدار الخلفي لعنق الرحم ، واذا نما وكبر في الاتجاه الامامي فهو يدفع المثانة امامه ضاغطا قناة مجرى البول مما يؤدى الى احتباس البول في بعض الاحيان . وأورام عنق الرحم الكبيرة تشكل معضلة جراحية عند استئصالها وذلك بسبب انحشارها في الحوض وربما أدى استخراجها الى الاضرار بالحالبين او المثانة .

وهي تنقسم حسب وضعها الى ثلاثة أنواع :

اورام جسم الرحم :

أ ـ أورام سطحيةوهي تحت الغشاء البريتوني المغلف للرحم مباشرة Subserous .

ب ـ اورام « بين العضلات » وتوجد بين عضلات الرحم Intra Mural .

جـ ـ أورام داخلية : وتوجد تحت الغشاء المخاطى المبطن لداخل الرحم Submucous .

سبب هذه الاورام

حتى الآن لا نعرف الا القليل وربما لا شيء على الاطلاق عن سبب أو اسباب هذه الاورام التي

Uterine Fibroids

بقلم : الدكتور سامي عمران

وصفت بانها اكثر الاورام شيوعا في الجنس البشرى .

وقد بحثت عدة عوامل مساعدة او متصلة بهذه الاورام بسبب من الاسباب .

١ ــ الوراثة والجنس السلالى :

ليست بذات اهمية كبيرة ، وقد وجد ان الاجناس السوداء Negros ، اكثر اصابة بهذه الاورام من الجنس الابيض .

٢ ــ علاقة الورم بالعقم :

يعتقد البعض ان للعقم صلة وثيقة بالاورام الليفية فقد وجد انه فى حوالي ٢٥ ــ ٣٠٪ من الحالات يكون العقم مصاحبا للورم الليفي ، وهم يعزون ذلك الى التاثير الميكانيكي لحجم الورم على المساحة الكلية للتجويف الرحمى ، كما ان التموج والتعرج الذى يصيب هذا التجويف قد يكون ايضا عاملا من عوامل العقم .

ولكن وجد بالاحصاء ان الاورام الليفية لا تعطل الحمل في كثيرات من النساء .

كما وجد ايضا ان نسبة الاجهاض المبكر مرتفعة مع الاورام الداخلية .

٣ ــ الدور الذى تلعبه هرمونات المبيض :

غير محدود تماما حتى الآن ولكن مما يوحي بان هنالك صلة ما بينهما حدوث هذه الاورام اثناء فترة اخصاب المراة وضمورها بعد سن الياس او بعد العقم الاصطناعي بواسطة الاشعاع Radiation Castration .

وقد اجريت عدة تجارب معملية بحقن فئران التجارب بكميات معينة من خلاصة هرمون المبيض وادت هذه التجارب الى استحداث اورام صغيرة بالرحم تشبه الاورام الليفية .

وقد يكون لهرمون المبيض اثره غير المباشر على الورم الليفي بتحكمه في غذائه من الدم ، اما زيادة او نقصانا .

من اين تنشا هذه الاورام

من المؤكد الآن ان هذه الاورام تنشا من النسيج العضلى للرحم وليس من النسيج الليفى Fibrous Tissue كما كان يظن في السابق ، ومن هنا اشتق اسمها الذى ما زال شائعا حتى الآن برغم ثبوت خطئه . وقد اختلف الباحثون عن نوع هذه الخلايا العضلية هل هي خلايا عضلية ناضجة وتامة النمو Mature ، أم هي خلايا حديثة السن وغير تامة النضج Immature ؟ وهل لها علاقة بالخلايا العضلية الموجودة في الاوعية والشرايين الدموية التى تجرى في الرحم ؟

كل هذه اختلافات اكاديمية سيتكفل الزمن بحلها .

أثر الاورام الليفية على الرحم

الاورام السطحية الصغيرة او حتى الكبيرة لا تؤثر على الطبقة العضلية للرحم او على حجمه .

الاورام « بين ــ العضلية » وخاصة الكبيرة منها تؤدى الى تضخم الرحم .

الاورام الداخلية الكثيرة تؤدى الى تضخم

الرحم كما انها تغير من شكل التجويف الرحمي فتؤدى الى استطالته وتعوجه .

اعراض الاورام الليفية

معظم الاورام الصغيرة وبعض الكبيرة لا تؤدى الى اية أعراض مرضية ، والقاعدة انه كلما اقترب الورم من التجويف الرحمي زادت الفرصة لظهور اعراض مرضية وخاصة ما كان يتعلق بالطمث (الحيض) كذلك لا يؤدى الورم الى « الالم » الا في الحالات الآتية :

* عند طرد الورم العنقودى من الرحم مسببا مغصا رحميا .
* التواء عنق الورم او التواء الرحم نفسه .
* انواع التحلل المختلفة وخاصة الالتهابية منها .
* التحول السرطاني وهذه علامة من علاماته المميزة .
* التصاق الورم بالاعضاء الاخرى المجاورة Adhesions .
* وجود اورام اخرى مماثلة كاورام الرحم المخاطية Endomitriosis .

الاعراض العامة :

اعراض الانيميا (فقر الدم) كخفقان القلب والضعف العام وفقدان الوزن ـ وهذه في الاحوال التي يكون بها نزيف رحمي .

اعراض تتعلق بالدورة الشهرية : اعراض طمثية :

١ ـ ازدياد النزف الدورى الشهرى Menorrhogia ، ويعتبر من أهم اعراض الورم الليفي وفيه تزداد كمية الحيض الشهرى مع عدم الاخلال بطول الفترات التي تفصل بين الدورات الشهرية ويزداد النزف في اليومين الثاني والثالث .

ولا يسبب الورم الليفي انقطاع الطمث Amenorrhoea ، الا اثناء الحمل وبعد سن اليأس .

٢ ـ الام الطمث Dysmekorrhoea ، وهذه تصاحب الاورام الداخلية التي تسبب انقباضات في عضلات الرحم .

٣ ـ نزف مهبلي مستمر وغير منتظم وهذا يكون فقط في حالات الاورام الداخلية المتقرحة والتحول السرطاني والحمل .

اعراض بسبب ضغط الورم على الاعضاء المجاورة Pressure Symtoms :

* وهذه الاعراض تبدو واضحة عندما يصل الورم بالرحم الى حجم حمل في اربعة عشر اسبوعا .
* الضغط على الجهاز الهضمي يسبب عسر الهضم ونادرا الامساك .
* الضغط على المثانة يسبب تهيجا في المثانة مؤديا بذلك الى كثرة التبول الليلي واحيانا يسبب احتباسا في البول .
* الضغط على الاوعية الدموية ، يسبب ورما « ودوالى » في الرجلين (اى احتقان وتضخم اوردة الرجلين) .
* الضغط على الاعصاب ، وهو نادر الحدوث الا عند حدوث التحول السرطاني .
* الضغط على التجويف البيروتوني ، وخاصة في الاورام السطحية ذات العنق الطويل ويؤدى ذلك الى استسقاء بالبطن *Ascites* .

اعراض تتعلق بالحمل :

١ ـ العقم : وهو اما سبب او نتيجة للورم الليفي وهناك مالايقل عن ٤٠٪ من النساء يحملن بعد عملية استئصال الورم الليفي الذى كن يعانين منه .

٢ ـ الاجهاض او الولادة المبكرة : وهذا يحدث في الاحوال التالية :

* اذا وقف الورم حجر عثرة امام تمدد وارتفاع الرحم .
* اذا ادى الورم الى انقباضات عضلية في الرحم.
* اذا منع الورم المشيمة من الالتصاق بمكان مناسب بجدار الرحم .

٣ ـ وضع غير طبيعي للجنين في الرحم Abnormal Presentation ، كأن يتخذ وضع المقعدة او الوضع المائل او المستعرض .

٤ ـ الولادة العسرة : وخاصة اذا كان الورم الليفي في عنق الرحم فهو اما يمنع تمدد عنق الرحم اللازم لعملية الولادة او يمنع نزول الجنين ويسد عليه الطريق .

كذلك قد يسبب وجود الورم عدم فاعلية انقباضات عضلات الرحم التى تطرد الجنين خارج الرحم مما يؤدى في النهاية الى « خمود الطلق » واطالة مدة الولادة عن الحد المعقول .

التشخيص الاكلينيكي للورم

يجب تفريق الورم الليفي عن كل الاسباب التى تؤدى الى ازدياد حجم الرحم واهمها :

* الاورام القشالية الطمثية Endomitriosis .
* الكيس المبيفي Ovarian Cysts .
* الحمل .
* العيوب الخلقية بالرحم .
* في حالة تكلس الورم يجب تفريقه عن اية اورام اخرى متكلسة في البطن او اورام عظام الحوض.

العلاج

* الاورام الصغيرة التى لا تؤدى الى اية اعراض مرضية قد لاتحتاج الى علاج .
* العلاج بالهرمونات Palliative Treatment ويعتبر من انواع العلاج المهدىء او المسكن ويعطى في الاحوال التى تستدعى تأجيل او الغاء العلاج الجراحي وتعطى بعض انواع الهرمونات لعلاج او وقف النزيف المهبلى .
* العلاج العام : كعلاج الانيميا وربما استدعى ذلك نقل دم للمريضة فيها او بعد العملية .

العلاج الجراحي :

* كحت الرحم ، وعادة يكون لاسباب تشخيصية او اذا اشتبه بوجود اورام سرطانية بالرحم .
* استئصال الورم العنقودى بعملية جراحية بسيطة Polypectromy .
* استئصال الورم الليفي بالطريق المهبلي Vaginal Myomectomy ، وخاصة اذا كان للورم رقبة طويلة .
* استئصال الورم الليفي بالطريق البطني Abdominal Myomectomy .
* وهذه العملية تصلح لمن هن دون الاربعين في السن .
* واذا كان عدد الاورام الليفية قليلا وفي حدود المعقول .
* اذا كانت المريضة ترغب في الابقاء على الرحم حتى وهي بعد الاربعين شريطة التاكد من عدم وجود اى اشتباه سرطاني في اى وقت من الاوقات .

استئصال الرحم Hysterectomy :

ويكون في الاحوال الآتية :

* بعد سن الاربعين .
* كثرة عدد الاورام الليفية في الرحم .
* اشتباه وجود اورام سرطانية بالرحم .
* اذا كان النزيف المهبلي مستمرا وكبيرا بدرجة تهدد حياة المريضة .

وهناك حالة اخرى يوصى فيها اطباء الغرب باستئصال الرحم وهي الحالة التى تكون المريضة فيها تشكو العقم او ان زوجها غير قادر على الانجاب بسبب فقدانه للحيوانات المنوية ولكننا لا نأخذ في الاعتبار مثل هذه الحالة لان الاسلام يبيح للمرأة الطلاق في حالة هذا الضعف في الرجل وعدم قدرته على الانجاب بعكس ما هو متبع في الغرب .

وفي هذه الحالة لاداعي مطلقا لاستئصال الرحم، فربما كان حظها أوفر في الذرية والانجاب بعد استئصال الورم فقط مع زوج آخر . ■■

سامي عمران ـ الكويت

صيحة تطلقها شاعرة إلى بنات جنسها

" اذكري دائماً أنكِ امرأة وأنكِ أنثى ! "

بقلم : منير نصيف

■ هل سعدت المرأة بالحرية التي نالتها .. بالمساواة التي سعت اليها ، بالعمل الذي خرجت اليه تزاحم فيه الرجل ؟

ولكن ، لم كان التساؤل ؟ !

اليست هي التي قادت المظاهرات ، وتزعمت الحركات النسائية في مختلف اركان الدنيا ، من اجل تاكيد حقها في التعليم ، وحقها في العمل ، وحقها في الانتخاب ، وباقي حقوقها التي انتزعتها انتزاعا من هذا المجتمع الذي كان الرجل سيدا له !

انها لا شك سعيدة ، وسوف تتضاعف سعادتها في كل مرة تشعر فيها انها استطاعت ان تغزو حصنا جديدا من حصون الرجل ، أو تعبر جسرا من جسور الحياة ..

انوثة المرأة في خطر

ولكن الشاعرة الانجليزية الشهيرة اديث ستويل (١٨٨٧ - ١٩٦٤) ، وقد عاصرت كفاح المرأة عبر الاجيال ، حتى رأتها تحتل ارقى المناصب واكرمها ، كان لها رأى آخر لم تتردد في أن تجاهر به علانية قبل موتها ببضع سنوات ، قالت :

« لقد انتصرت المرأة في كل المعارك التى خاضتها ، ولكنني لا اظن انها قد سعدت كثيرا بهذا النصر ، لانها لم تعد امرأة .. لان المرأة الحديثة قد فقدت انوثتها ! ! »

وكان لابد ان يحدث رأى شاعرة الانجليز ضجة بين نساء بريطانيا ، فحملن عليها ونعتنها بشتى الصفات ،كان اخفها وقعا على النفس ، انها امرأة « مخرفة » ، اختل عقلها ، وفقدت اتزانها فلم تعد قادرة على ان تفرق بين ما هو خطأ ، وما هو صواب !





المرأة لم تكن في حاجة للمساحيق . كان جمالها في عينيها وفي شعرها الطويل .

وسمعت اديث بحملة بنات جنسها عليها ، فلم يزدها هذا الا اصرارا على موقفها والا تمسكا برايها ، وقررت الا تسكت ..

المرأة منذ ٥٠ سنة

كتبت تقول : « لقد ولدت والقرن التاسع عشر يوشك على الرحيل ، ولكنني عشت اجمل ايام حياتي في مطلع القرن العشرين .. منذ خمسين عاما او نحو ذلك ، كانت امهاتنا يعشن تجاربهن بكل ما فيها من افراح واحزان ، في الخفاء بعيدا عن كل العيون ، حتى اقرب الناس اليهن .. كانت الام تحمل جنينها ، وتضع مولودها في البيت بمساعدة الجيران ، قبل ان يصل الطبيب ، الذى كان وصوله يستغرق ساعات وساعات .. ولم يكن المجتمع منذ خمسين عاما مجتمعا مغلقا ، كما يتصور الذين لم يعاصروه ، وانما كان مجتمعا متفتحا وجدت فيه المرأة مكانها اللائق بها .. ولم تنس ابدا وهي تضطلع بدورها كاملا فيه انها امرأة وانها ام وانها انثى ..

صفات المرأة الجميلة

« كان الرجل ينظر الى امرأته كما لو كانت ملكة تجلس على كرسى العرش ، وكانت الصفات المميزة للمرأة الجميلة ، هي نعومة صوتها عندما تتحدث .. ثم شعرها الطويل الذى ينسدل على كتفيها والذى تغسله بيديها وتتركه يجف تحت اشعة الشمس ، وتسرحه وتصففه امام مرآتها الصغيرة التى كانت ترى فيها دائما وجها نقيا لا يكسوه شيء ، سوى تلك الحمرة الطبيعية الخفيفة على الخدين .. حمرة الصحة ، بلا « مكياج » ، وبلا مساحيق ، وبلا رموش وشعور اصطناعية ..

صوت المرأة

« كانت المرأة اذا تحدثت انصت الجميع الى حديثها ، دون حاجة الى مكبر يحمل صوتها

على الاثير .. كان صوتها اشبه ما يكون بنغم رقيق ينساب من بين شفتي مغنية في الاوبرا ..

« لم تعرف المراة التدخين الذى افسد حنجرة امراة اليوم وترك ظلاله السوداء على رئتيها .. لم تعش امراة الامس وسط الزحام الذى يضج منه سكان الارض بعد ان تضاعف عددهم .. لم تعرف الصخب الذى اصبح من مستلزمات هذا العصر ..

« كانت امراة الامس تعيش حياة سهلة هادئة مع زوجها وابنائها .. حتى دور اللهو والتسلية كانت من الاماكن الهادئة التى يقصدها الناس للترويح .. وفي المطاعم والمحال التجارية كان الحديث يدور في همس بين روادها ، تكفي اشارة بسيطة فياتي الخادم ملبيا ما يطلب منه ..

حفلات الامس واليوم

« كان حفل الشاى ، هو الحفل الوحيد الذى يجمع بين افراد الاسرة والاصدقاء للمجاملة وتبادل الاحاديث الهادئة .. لم تكن الحفلات تقام لتصبح مسرحا لمباريات في الصياح ، كما يحدث في المآدب وحفلات التعارف والاستقبال التى تقام اليوم ، حيث يطغى صوت النساء على كل ما عداه من اصوات !

« كانت امراة الامس لا ترفع صوتها ابدا ،حتى اذا غضبت ، فقد كانت تغضب في هدوء وتكتم غيظها ، وحتى اذا بكت ، فقد كانت تكفكف دمعها بمنديلها ، الصغير الانيق ، المطرز حتى لا يرى الناس دموعها ..

التشبه بالرجل

« انني اشفق على المراة اليوم ، لا لانني اعترض على تعليمها ، فقد علمني والداى وان اختلفت طريقة تعليمي واسلوب هذا التعليم .. لم يكن يسمح للفتاة بالذهاب الى المدرسة ، ومن اجل هذا ، فقد انتقلت المدرسة اليّ في البيت ، فكنت اتلقى دروسا خاصة في الادب والشعر والتاريخ ..

« ولكني اشفق على المراة لانها لم تعد امراة .. لم تعد انثى ..

لقد رايتها في مكتبها اثناء عملها ، والسيجارة لا تفارق اصابع يدها وشفتيها ..

« رايتها تجلس على مقعدها .. وهي تشخط وتملا الدنيا صياحا ..

« رايتها تمشي في الشارع ، ولكن لا كما كنت امشي ، وكانت تمشي امي من قبلي ، فهدفها الاول من المشي هو استعراض اناقتها ، فهي تريد ان تلفت نظر الرجل .. وهي تريد بعد هذا ان تغيظ من هن دونها اناقة وجمالا ..

المساحيق والاصباغ !

« ورايتها في صالونات التجميل ، حيث تنفق مالا طاقة لها به ، وهي جالسة امام المراة ، وقد اسلمت شعرها ووجهها للاخصائيين والاخصائيات وهو يكسونه لها بالمساحيق والاصباغ .. رأيت المراة الحديثة وراء قناع ، تمنيت لو أنها مزقته ، وتركت وجهها يعود الى طبيعته ..

« لم تكن المراة في حاجة الى شيء من هذا كله منذ ثلاثين او اربعين عاما مضت .. كان جمال المراة في عينيها وفي شعرها النامي الطويل .. شعرها الذى كان ينساب ويتموج ، فتجمعه احيانا في خصلة كبيرة تتوج بها رأسها ، او تتركه ينساب فوق ظهرها .

وكان الرجل يعشق الشعر الطويل ، فيداعب الزوج شعر زوجته ، باصابعه ، ولا بأس من أن يطبع على خصلاتها قبلة معبرا لامراته عن اعجابه الشديد بهذه الثروة .. ثم كان جمال المراة في شفتيها القرمزيتين ، بلا الوان .. وكان جمالها بعد هذا كله في انوثتها ..

سلاح المراة

« انني لا اعترض على عمل المراة ، بل انني اعتبر خروج المراة الى ميدان العمل ، وغزوها لمختلف مجالاته ، من اعظم الانتصارات التي حققتها منذ بدات معركتها لانتزاع حقوقها كاملة من الرجل ..

« ولكنني اعترض على المراة التى تلبس البنطال في العمل او في البيت ، فتحاول ان تقلد الرجل في مكتبها ، او تحاول أن تكون هي « سيد البيت » الحاكم الآمر فيه .. الراى رايها والكلمة كلمتها ، ولا مجال لاعتراض احد على تصرفاتها ..

« ان مزاحمة المراة للرجل في العمل ، لا تعنى

اطلاقا انها قد دخلت معه في مباراة او مسابقة .. فانوثة المراة هي أخطر سلاح تستطيع ان تكسب به اية معركة ..

ماذا يريد الرجل

« لقد رأيت المراة الحديثة وهي تشكو من معاملة زوجها لها .. جاءتني زوجة شابة يوما تقول : « انه لا يدعوني لتناول العشاء في الخارج ، ان آخر مرة كانت منذ ثلاثة اعوام ، عندما قضينا سهرة عيد الميلاد في احد مطاعم المدينة .. وكان هذا قبل ان يصل طفلنا الاول .. انني لا ادرى ماذا دهاه ؟ »

ومثل هذا الزوج كثيرون .. ان الرجل الذى يحب بيته ، لا يريد ان يتركه ليقضى سهرة في الخارج ، وخاصة اذا كان لديه اطفال صغار في حاجة الى رعاية .. ومملكة المراة الاساسية هي بيتها .. ورعاية هذه المملكة تحتاج الى ادارة ، والى توجيه .. كل جزء في كل وجبة تقدم ، يجب ان تعدها الزوجة بيديها في مصنعها الصغير في بيتها ، ان مطبخ ربة البيت اليوم ، هو هذا المصنع الذى يجد فيه الرجل كل ما يحب ويشتهي ..

الابنة والجدة

ثم اين ربة البيت اليوم من امها او جدتها .. انها تستخدم الافران الكهربائية ، القادرة على اعداد اشهى الاطباق في دقائق معدودة ، وتستخدم الثلاجات الكهربائية التي تحفظ الاطعمة اياما طويلة .. بينما كانت الاطعمة تفسد بسرعة قبل اختراع هذه الاجهزة الحديثة ، مما كان يضطر سيدة الامس الى قضاء نصف عمرها في المطبخ ، لاعداد اطباق جديدة بدلا من تلك التى فسدت ..

هل فرغت الشاعرة اديث من حملتها على المراة الجديدة الحديثة ؟

والجواب : لا ، وهذا الراى الذى جاهرت به منذ سنوات قبل وفاتها باربعة اعوام تقريبا لم يكن جديدا فهي قد كتبت تتغزل في جمال بنات الامس وفي انوثتهن في كتابها الشهير الجمال الناعس The Sleeping Beauty ، الذى اصدرته في عام ١٩٢٤ بعد الحرب العالمية الاولى ..

المراة فى الحرب الاولى

وقد اعجبها دور المراة في الحرب الاولى ، اعجبتها شجاعتها وهي تحمل مؤونة زوجها وزاده وتسير وراءه تودعه حتى ينضم الى صفوف فرقته .. واعجبها جلدها ووفاؤها ، وهي تراها تخرج من دارها لتقف تنتظر عودة العائدين الاحياء من الحرب ، وتبحث بينهم عن الزوج او الابن او الاخ العائد من الحرب .. اعجبها هدوؤها وصمتها في حزنها على الزوج الذى سقط في ميدان الشرف ..

ثم جرفها الطوفان

ثم عاشت اديث بعد ذلك لترى اهوال الحرب العالمية الثانية .. واحست بكراهية للمجتمع الذى نخره السوس واستشرى فيه الفساد ، ورات المراة وقد انهارت واجتاحها الطوفان امام عوز الحياة وتحت وطاة الجوع .. فوضعت كتابيها الشهيرين اغاني الشارع « Street Songs » في عام ١٩٤٢ ، واغنية خضراء Green Song ، في عام ١٩٤٤ وقد عبرت فيهما عما كانت تشعر به من عذاب والم ..

عالم اليوم والامس

لقد ولدت اديث وعاشت وسط اسرة محافظة ، وكان لها شقيقان شاعران ايضا ، ولكنهما يصغرانها سنا . وكانت اديث اول امراة تحصل على وسام الامبراطورية البريطانية في بريطانيا ..

سالوها قبل موتها باعوام ما رايك في عالم اليوم ، فقالت : « انه عالم مجنون .. اليس غريبا ان تتغير الدنيا على هذا النحو في اقل من نصف قرن .. ولكن هذا هو الفارق بين العربة التى تجرها الخيول .. وبين الطائرة النفاثة انا شخصيا ما زلت احن الى صوت حوافر الخيل وهي تضرب ارض الشارع .. هل هي دعوة للعودة الى حياة الماضي ؟ لا .. وانما هي دعوة للعودة الى فضائل الماضي ، والى مثله العليا ..

دعوة للمراة الزوجة وللمراة العاملة وربة البيت ، بان تذكر دائما وقبل كل شيء انها امراة وانها انثى . ■■

منير نصيف

خداع النفس

نوع من سنة طبيعية لاستعادة التوازن

بقلم : الدكتور عبد العزيز القوصي

■ ذكرنا فى مقال سابق ان خداع النفس للنفس امر خارج فى العادة عن ارادة الانسان وانه يتم بطريقة غير مقصودة . فالبخيل لا يرى فى نفسه صفة البخل وانما قد يرى البخل صفة عند جميع الناس الآخرين . واقصى ما قد يراه فى نفسه انه حريص او غير متلاف ، وبذلك يمكنه أن يعيش مع نفسه راضيا عنها او على الاقل متقبلا اياها .

اعادة التوازن فى الجسم

هذه الحركة النفسية ـ حركة اعادة التوازن ـ تشبه ما يحدث على المستوى البدنى . فاذا حدث اختلال في البدن فان البدن كفيل باعادة التوازن لنفسه ، هذا اذا كان في مقدور البدن ان يفعل ذلك . واذا دخل جسم غريب في كف اليد فان الكريات البيضاء تتدفق من كل انحاء الجسم لمقاتلة الجسم الغريب . ونجد أن موضع الاصابة يتورم ويحمر لان الدورة الدموية من تلقاء نفسها تقوم بمحاولة اعادة التوازن للجسم . ومن مظاهر الجهد الذى يبذل لاعادة التوازن ارتفاع درجة حرارة الجسم عندما يصاب بميكروب او ما يشبهه . وما الالم البدنى الا الناقوس الذى ينادى بالحاجة العاجلة لاعادة التوازن .

كذلك اذا كنت تسير فى الظلام وصدمت عائقا فانك قد تتعثر ولكنك في الغالب لا تقع لان جسمك يعيد التوازن لنفسه بطريقة تلقائية .

واذا دخل الواحد منا مكانا مظلما فان حدقة العين تتسع حتى نرى بوضوح ولذلك تمر بضع ثوان قبل انفساح الرؤية . واذا انتقلنا الى مكان شديد الاضاءة فان حدقة العين تنقبض حتى تتكيف العين لتأخذ من الضوء ما يمكنها تحمله . ولهذا ايضا تمر فترة قصيرة حتى تتكيف العين للانتقال من ظلام الى ضوء شديد . واذا وضعت كمية من الملح الجاف على سطح لسانك فان اللعاب يسيل حتى يذوب الملح وهذا اتجاه نحو التعادل والتوازن .

معنى ذلك كله أن بالانسان قوى بيولوجية تعيد البدن الى اتزانه الطبيعي . ولهذه الظاهرة امثلة كثيرة دقيقة تتناول الغدد وما يحدث في الصوم والحرمان والمرض وفقد بعض الاعضاء وغير ذلك .

اعادة التوازن فى النفس

اما في الميدان النفسي فالامثلة كما قلنا كثيرة واوضحها مثال الفتاة التى ترى الاخريات

- اعادة التوازن فى الجسم كاعادة التوازن فى النفس
- اساليب للتوازن واقعية واساليب اخرى غير واقعية
- التوازن بين الآباء والأبناء
- التوازن فى الاسرة والمجتمع

على جانب من الجمال .. لكنه جمال سطحي فاتر وترى انها هى خفيفة الدم جذابة . ومعنى ذلك انها تعكس نقص جمالها على غيرها وتعوضه لنفسها وبذلك تكون في حالة توازن نفسي .

والامثلة العامة التى تلخص هذه الظاهرة كثيرة منها : ـ

القرد في عين امه غزال
الخنفساء عند امها عطار
ما نادى بائع على زيته انه عكر

وتخضع النفس البشرية في اغلب الاحيان لمؤثرات يحتمل معها اختلال التوازن ، ولكنها تسعى دائما لاستعادة التوازن . ويرى بعض علماء النفس ان الحيوية المستمرة هي في الجهد المستمر المبذول لاستعادة التوازن .

اساليب للتوازن واقعية وغير واقعية

وتكون اعادة التوازن باساليب حقيقية احيانا وباساليب غير واقعية في احيان اخرى . والجانبان الواقعى وغير الواقعي موجودان لدى كل انسان في الغالب ، فمن الجائز ان اشعر بأنني اقل من غيرى في التحدث بلغة سليمة صحيحة ولهذا ابذل جهدا شعوريا واقعيا لاتعلم اللغة الصحيحة .. وهذا تعويض يتم بطريقة شعورية وليس فيه اى نوع من الخداع وذلك لانه واقعي ومقصود ثم ان فيه تقديرا دقيقا للواقع .

ولكن تمر على الانسان احداث يومية متكررة فيها بعض الغرابة لبعدها بعض الشيء عن الواقع ، فهناك السيدة المسنة المتصابية ، وهناك البدينة المترشقة ، والقصير المتطاول ، والغبي المتذاكي ، والعيي المتفاصح ، والجبان مدعي الشجاعة والضعيف مدعي القوة ، والتافه المغرور والجاهل المدعى العلم . وهناك الوان من اساليب اصطياد المديح الذى يعيد الانسان به لنفسه توازنها . فالضيف يؤكد لضيفه انه لم يقم بواجبه نحوه .. ويصف الانسان هذا بكثير من التواضع حتى يتصيد (دون ان يقصد) ما هو عظيم من اوصاف الكرم والضيافة . كذلك الرجل الذى تتقدم به السن ويصبح من عادته ان يقول انني كبرت او ان الزمن قد فاتني فيقال له انك ما زلت شابا فتيا متجددا . .الى غير ذلك من العبارات التي يطرب لها بل ويصدقها او يكاد .

التوازن فى الاسرة

وما رايناه من سنة التوازن في البدن وسنة التوازن في النفس نراه في محيط الاسرة . فيحدث احيانا ان الزوجة تخاف من زوجها . والزوج كذلك يخاف من زوجته . ولكن يظهر كل منهما حبه للآخر ، ويبالغ كل منهما في اظهار هذا الحب ، وذلك لتغطية المشاعر المضادة المدفونة ومنعها (دون قصد) عن الظهور . وهناك بالطبع وسائل اخرى كاظهار الشجاعة ، او عدم الاكتراث او غير ذلك . وقد تكلمنا عن الحب والكراهية في الحياة الزوجية ، لانهما من اكثر الظواهر النفسية تعرضا للتداول اللاشعورى الدقيق . فكراهية الزوجة لزوجها قد لا تكون الا لانه يعرف بعض نواحي ضعفها وقصورها ، والانسان يكره الشخص الذى يعرف حقيقة عيوبه . والزوج كذلك قد يكره زوجته لانها تعرف فيه من نواحي ضعفه ما يمسه في كيانه وتكون النتيجة ان تحدث انفجارات في المناقشات المنزلية ، ثم هدوء سطحي وادب جم ظاهرى ، يبدوان منهما امام الناس بان لهما حياة زوجية سعيدة هادئة هانئة .

ولكي يحكم الغطاء على ما تحته من مشاعر وانفعالات تحدث بعض المبالغة فيما يظهر على السطح . ويكون في الجو بعض التوتر والتكلف وذلك لاحكام الاقفال ومنع ظهور الوان الانفجار .

التوازن بين الآباء والابناء

وكذلك نجد نفس الظاهرة فيما يحدث بين

الاباء والابناء ، فقد يكون هناك ابن يتميز بمعاملة خاصة ، وابن آخر يعامل على مستوى اقل . ونجد ان الاب لا يمكن ان يعترف بانه لا يعدل في حبه ، بل يخدع نفسه ، ويخدع غيره ، في نسبة العدل الى نفسه . نجد الابن الثاني يشعر بالالم وقد يتحول الم الى ثورة . ولكن الثورة قل ان تاخذ طريقها الطبيعي الواقعي للافصاح عن نفسها فتتحول الى احلام او الى امور اخرى . فمعاكسة التلميذ لمعلمه في المدرسة قد تكون تحويلا لرغبته في معاكسة ابيه والانتقام منه . وهي رغبة لا يكون له في العادة قبل بالتعبير عنها فيخفيها وتظهر حيث يمكنها ان تظهر . ويطول الكلام بنا لو حاولنا شرح العوامل النفسية الكابتة واساليب ادائها لوظائفها .

ومن امثلة ما تقدم حالة تلميذ كان والده قد ميز اخاه عليه في اكثر من مناسبة ، فانحرف الولد ـ وكان طبيعيا ان ينحرف ـ فلقي من والده عقابا شديدا . وكان الوالد كثير الجفاء والجهم والمقاطعة لابنه هذا . وكان الولد في قرارة نفسه كارها لابيه ، ولكنه كان بحسب عرف المجتمع وتقاليده محبا له ، مقدرا اياه ، بل معجبا به اشد الاعجاب . فدليل اعجابه به انه كان يجمع ما ينشر عنه في الصحف من صور واحاديث ومقالات ويعني بها عناية خاصة . وللولد ظروف عديدة لا مجال للدخول فيها هنا ، ولكنه رأى في الحلم ـ ذات ليلة ـ أن يوم القيامة قد حل موعده ، ورأى الله سبحانه وتعالى جالسا على عرش كبير عال . ورأى الصالحين والطيبين وامثالهم يمرون امام الله ، ورأى الله يعطيهم سائلا لذيذا ابيض اللون كاللبن يشربون منه ، ثم يسيرون في طريقهم . ورأى غير الصالحين والمذنبين يمرون ورأى الله يرميهم بماء كالمهل يشوى الوجوه ويكتفي بهذا .. ثم .. ثم يصفح عنهم جميعا .

وبعد ان قص الشاب حلمه هذا صمت قليلا ، ثم تنهد تنهدا عميقا وقال من تلقاء نفسه بشيء من التأثر لا ادرى لم لا يكون الوالد هكذا ؟ لم لا يكون غفورا لذنوبنا لماذا يستمر الوالد في تجهمه وجفائه استمرارا لا يقطعه شيء ما ؟

نرى من هذا أن (الله) في هذا الحلم رمز للوالد او رب البيت . (الله ـ الرب) وان الولد يحقق لنفسه في الحلم ما كان يود ان يحققه لنفسه في الواقع بشأن والده ـ رفع والده الى مصاف الالهة ووصفه بالصفات التي يتمنى ان تكون فيه واهمها المغفرة . والصالحون هنا رمز للاعمال الصالحة او الحسنات ، واما غير الصالحين فانهم رمز للاعمال غير الصالحة او السيئات .

وفي الحلم حل لمشكلات عويصة بطريقة تخيلية خداعية .

ومن الامثلة اليومية ما يحدث ان تطلب الزوجة من زوجها نقودا قبل خروجه الى عمله في الصباح فتقوم مناقشة قد يكبت هو اغلب اجزائها . ولكي يعبر عن غيظه قد يدفع الباب بشدة عند خروجه . ولهذا يخرج غيظه في الباب . ويقوم الباب باحداث الصوت العالي الذى كان يريد هو ان يخرجه ليعبر به عن غضبه . ويجوز كما يحدث احيانا ان يتشاجر مع زملائه في العمل عند وصوله اليه . وهناك امثلة كثيرة يمكن ايرادها لبيان اختلال التوازن ثم اعادته في جو الاسرة .

التوازن في المجتمع والتوازن في الدولة

وهناك كذلك التوازن في المجتمع . والتوازن داخل الدولة . وكما يلجأ توازن النفس احيانا الى شيء من الخداع ، ويلجأ توازن الاسرة كذلك الى شيء من الخداع . فان المجتمع في استعادته توازنه قد يلجأ الى شيء من الخداع . كذلك استعادة التوازن في الدولة قد تكون بشيء من الخداع . ويمكننا ان نستعيد امثلة لا حصر لها تبين اختلال التوازن في المجتمع او الدولة ، والاساليب المختلفة التي تتبع لاستعادة هذا التوازن .

فتحت تهمة الخيانة العظمى للدولة يعاقب من يثورون ضد نظام الحكم . وقد يكون في دعوى حماية نظام الحكم حماية لفرد او حزب او طائفة . فيتم التجسس تحت اسم الرقابة والضبط ونجد الجاسوس يصبح مجرما في دولة ما ، ويصبح وطنيا مخلصا في دولة أخرى .

ونجد ان ما يحدث في التوازن داخل المجتمع او داخل الدولة يحدث مثله في التوازن العالمي فهناك ضرورة لاستعادة التوازن بين الكتلة الشرقية والكتلة الغربية . وقصة توازن القوى واختلافها واستعادتها هي قصة تاريخ البشرية منذ ان بدا التاريخ .

ويلاحظ ان استعادة التوازن في العالم واساليب استعادته داخل الدولة وداخل المجتمع ، وداخل

الاسرة ، وداخل العمل واستعادته كذلك داخل الفرد ، سواء اكان نفسيا ، ام بدنيا ام مختلطا . كل هذه ظواهر متشابهة تتم بتفاصيل مختلفة ولكن اشكالها العامة واحدة .

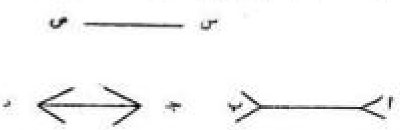
خداع النفس لاستعادة التوازن

وهناك مجال للخداع النفسي كاسلوب من أساليب استعادة الاتزان ، وهو مجال الادراك . فاذا نظرنا للمربعين المرسومين هنا في الشكل (١)



تجد أن الايمن منهما يبدو تقريبا مسطحا ، وأما الايسر فانه يبدو في الغالب بارزا . هذا مع العلم بأن الاثنين مرسومان على ورق مسطح .

ولكن الشكل الذى على اليسار يبدو كانه هرم له قاعدة مربعة ، واربعة أوجه متساوية تماما . ولكن لكي يصل الانسان الى هذا التعبير عن هذا الادراك لا بد له من أن يجسم الرسم فبدلا من أن يبدو الرسم مسطحا كالشكل الذى على اليمين ، فانه يبرز كما في الشكل الذى على اليسار وبروز الشكل غير موجود على الورق المسطح وهو نتيجة لعملية خداعية آلية ترمي الى اعادة الاتزان .



كذلك المستقيم اب في شكل (٢) يبدو أكبر من المستقيم س ص والاخير يبدو أكبر من جـ د . والواقع ان المستقيمات الثلاثة كلها متساوية تماما. ولكن الناظر يرى حول جـ د ما يخل توازنه فيجعله يبدو (خداعا) اقصر من حقيقته . وكذلك يرى الناظر حول المستقيم ا ب ما يخل توازنه فيجعله يبدو (خداعا) اطول من حقيقته . ولهذا نرى خداعا وقصرا أن ا ب اكبر من س ص اكبر من جـ د .

وهناك امثلة عديدة عن اختلال التوازن وأساليب استعادته في مجالات الادراك والفكر والاستنتاج والتذكر وما الى ذلك وليس هذا مجالها الآن .

وانما قصدت بالاشارة اليها أن أوضح الظاهرة في صورها المختلفة وأن أبين ما فيها من وجه التشابه من حيث الحيل اللاشعورية التى تتم خلالها عملية استعادة التوازن . وقد استعرنا كلمة « الحيل » هذه من الاستعمال العربي القديم في اصول علم الحركة الديناميكية .

الاسقاط من حيل التوازن

ويمكننا أن نورد هنا بعض انواع الحيل التى يتبعها العقل بطريقة لا شعورية لاستعادة التوازن. فمن هذه الحيل حيلة الاسقاط ومعناها أن ينسب الانسان ما فيه من صفات سيئة الى غيره . فاذا كان خطي رديئا مثلا فذلك ليس لان هذه صفة ذاتية ، فالانسان لا يقبل أن تكون صفة النقص فيه ، فيسقطها على ما حوله أو من حوله . فانا خطي رديء لان القلم رديء ، أو لان الورق رديء ، او لان الحبر رديء ، أو لان من حولي سببوا لي ارتباكا ، أو لان من علموني في الصغر كان خطهم رديئا . فالرداءة ليست في شخصي ، وانما هي في خارجه . وبذلك يمكنني أن اتقبل نفسي ، وأعيد لها اتزانها ، ولو عن طريق الخداع بواسطة الاسقاط . وعن طريق الاسقاط تجد ظاهرة الحسد . ففلان سقط في الامتحان لان الناس قد حسدوه ، أو لانه سيىء الحظ . أما انه يسقط لانه بليد ، فان هذا لا يكون مقبولا له . ونرى شخصين يتشاجران ويتهم كل منهما الاخر بأن الاخر غضبان ، واما هو فلا .. فهو لا يرى غضبه في نفسه وانما يراه فقط فيمن أمامه . كذلك اذا اتهمت شخصا بانه ، بخيل ، قال « اغلب الناس كذلك » فاسقاط الصفة على غيره يسبب له راحة نفسية .

وللاسقاط الوانه وأشكاله وصوره ، ولا داعي لان نستطرد فيها في هذا المقام .

ومن الحيل النسيان والكبت

ومن الحيل العقلية التى تخدع النفس بها نفسها النسيان والكبت . فاذا كنت مدينا بمبلغ لشخص ما فقد انسى تسديده له . ولكن اذا كان لي عنده مبلغ فاني لا انساه . واذا ارتبطت بموعد محبب الى نفسي فانني لن انساه . أما اذا كانت قرارة نفسي راغبة عن هذا الموعد فاني انساه رغم نفسى .

ومن حيل الخداع العقلي المسببة لاعادة الاتزان حيلة النكوص ، وهو الارتداد الى الخلف . فالطفل في سن السنتين اذا شعر بالغيرة من طفل صغير يعود الى الحبو بعد أن كان يمشي ، أو الى التبول اللاارادي بعد أن يكون قد اكتسب عادة الجفاف ، او الى البكاء ، أو الى مص الاصابع ، او غير ذلك . والكبير الذي يفشل في حبه أو زواجه ، قد يعيش مع امه او خالته ، أو سيدة عجوز ، ومعنى هذا انه اذا لم يجد له في الحياة رفيقا لنفسه ، وجد « اما » شانه شأن الاطفال الصغار . كذلك الشخص الكبير : عندما يجد نفسه فاقد الحيلة فانه يبكي كما يبكي الاطفال ، او يلجأ الى الشرب أو الى التدخين ، وهذه لا تختلف كثيرا عن مص الاصابع غير أن التدخين للكبار ومص الاصابع للصغار ، وهما متشابهان من الوجهة النفسية فوظيفتهما الاساسية اشغال الفم وملء الفراغ النفسي .

والحيل اللاشعورية

والحيل اللاشعورية الخداعية الاخرى كثيرة منها التحويل : فالرجل الذي لا يستطيع أن يعبر عن غضبه من زوجته امامها يعبر عنه في دفع الباب عند خروجه منه أو في اضطهاد مرؤوسيه أو عقاب تلاميذه . ومن امثلته كذلك أن ترى الام أن اولادها ورثوا الذكاء منها فهم يشبهون اخوالهم اكثر مما يشبهون اعمامهم وبذلك يشبهونها ولا يشبهون اباهم .

واذا كان الولد كثير الشغب كثير الكلام قال الاب انه يشبه اخواله وقالت الام انه يشبه اعمامه . وتكون هذه التهم احيانا صريحة واحيانا ضمنية .

والتبرير من الحيل العقلية

ومن الحيل العقلية الخداعية التبرير فقد يقسو الوالد على ابنه فاذا سالته قال ما قاله الشاعر :

فقسا ليزدجروا ومن يك حازما
فليقس احيانا على من يرحم

فقسوة الاب على الابن في نظر الوالد هدفها تربيته ، مع أن سببها الحقيقي الغيظ . فاذا كسر الولد شيئا غير ثمين مثلا مر الحادث بسلام ، واما اذا كسر شيئا ثمينا ثار الغيظ وبدأ الضرب . فاذا كان الضرب للتربية وجب أن يوجد في الحالتين . واما اذا كان لسبب آخر وجد في حالة دون اخرى . وبنفس الطريقة تبرر السرقة ، وتبرر الثورة ، وتبرر جميع التصرفات . ذلك لان التبرير يضفي صفات منطقية على تصرفات ليست في اصلها منطقية ذلك لان من دواعي الشعور برضاء الانسان عن نفسه ان يرى تصرفاته منطقية فيخدع نفسه بتبريرها في سبيل احداث هذا التوازن .

التقمص والتقليد

ومن حيل اللاشعور مما تخدع النفس به نفسها التقمص والتقليد والتعويض والاساليب الهروبية والمرضية . فاذا اراد شخص أن يتجنب دخول الامتحان فقد يتصنع المرض . ولكن يصيبه المرض احيانا دون أن يعرف السبب . والمرض في هذا يؤدي وظيفة اتزانية مريحة . فالمرأة التي تفقد عطف زوجها تمرض فتسترد عطفه . وللمرض النفسي ، أو البدني ، أو النفسي البدني ، أصول نفسية ونتائج نفسية مركبة في اغلب الاحيان .

ولم نقصد بما قلناه في هذا المقال ان نكشف للنفس عوراتها امامها وأن نذلها وأن نضع من قدرها ، وانما قصدنا أن نشرح هذه الظاهرة النفسية الدقيقة وهي ظاهرة استعادة التوازن النفسي بطريقة اوتوماتيكية آلية . وهي من ظواهر الحياة نجدها في النبات ، والحيوان ، والبدن ، والنفس ، والفرد ، والاسرة ، والمجتمع والدولة ، بل وفي علاقات الدول بعضها ببعضها الاخر على المستوى العالمي . ويعبر البيولوجيون عن هذه الظاهرة تحت اسم التوازن البيولوجي Homestatis فظاهرة خداع النفس للنفس حالة خاصة من ظاهرة طبيعية عامة . وقد قصدنا من هذا الشرح ان يجد الانسان مرجعا يحاول على اساسه ان يفهم نفسه . فمعرفة النفس اول مرحلة من مراحل الراحة النفسية . وقد قال فيلسوف الاغريق ابدا بمعرفة نفسك .

وجاء في الحديث « رحم الله امرءا عرف قدر نفسه » . وجاء في القرآن الكريم « وفي انفسكم افلا تبصرون » .

ومن غريب ما جاء في القرآن ما اولته على أن من وجد ربه وجد نفسه ومن وجد نفسه وجد ربه . قال تعالى « نسوا الله فانساهم انفسهم » . — صدق الله العظيم — ■■

عبد العزيز القوصي

علماء الزراعة الأندلسيون

أبو العباس ابن الرومية الأشبيلي ، وابن العوام الأشبيلي ، وابن بصال الطليطلي ، وابن مالك الطغري الغرناطي .

بقلم : محمد عبد الله عنان

■ ان تراث الآداب العربية ، غنى بكنوزه العلمية ، كما هو غني بكنوزه الأدبية . واذا كانت كتب الطب والفلسفة والكمياء والرياضة والفلك العربية ، قد اشتهرت من بين هذه الكنوز العلمية بنوع خاص ، بنفاستها وطرافتها خلال العصور الوسطى ، فان كتب النبات والزراعة ، قد حظيت كذلك بكثير من التقدير والاكبار ، لانها كانت تتسم فى تلك العصور بطابع علمي لم يكن معروفا من قبل ، بل هي ما زالت حتى اليوم ، تحتفظ بكثير من طرافتها وقيمتها العلمية .

ومما هو جدير بالذكر ان معظم علماء النبات والزراعة المسلمين ، قد نبغوا في الاندلس ، وان الزراعة ، لم تصل في اى بلد آخر في العالم الاسلامى ، بل في سائر العالم المعروف يومئذ ، الى ما وصلت اليه في الاندلس من التقدم والازدهار . ويرجع ذلك اولا الى طبيعة شبه الجزيرة الاسبانية ، وكثرة انهارها ووديانها ، وبقاعها الخصبة وتنوع اقليمها وتربتها ، وثانيا الى نبوغ اهل الاندلس في الفنون الزراعية ، وبراعتهم المثالية في فلاحة الارض وغرسها واستخراج ثمراتها .

اجل ، كان اهل الاندلس من انبغ الشعوب في فلاحة الارض وتربية الماشية وغرس الحدائق وتنظيم طرق الرى والصرف ومعرفة احوال الجو ، وكل ما يتعلق بفنون الزراعة وخواص النبات . وكانت مزارعهم وحدائقهم مضرب الامثال في الجودة والنماء وقد نقل العرب من المشرق وشمال افريقية الى اسبانيا ، كثيرا من المحاصيل والاشجار كالقطن والأرز وقصب السكر والزعفران والنخيل الذى ما زالت تزدان به الحدائق والمدن الاسبانية الجنوبية والزيتون الذى غدا فيما بعد ، وحتى اليوم ، اعظم محاصيل اسبانيا ، وكانت بسائط شبه الجزيرة الاسبانية في ايامهم رياضا نضرة ، وكانت حقول القمح وغابات الزيتون وحدائق البرتقال والرمان والكروم ، من ابدع ما ترى العين في وديان الاندلس ومروجها ، واما نبوغ مسلمي

الاندلس في تنظيم وسائل الري والصرف واستجلاب المياه وتوزيعها بالطرق الفنية ، فما زالت تشهد به آثارهم الباقية الى الآن في وديان الاندلس ، من القناطر والجداول الدارسة ، وما زالت ثمة مناطق كثيرة ولا سيما في احواز بلنسية ومرسية ، تقوم في زراعاتها على مشاريع الري الاندلسية القديمة . وكان لأهل الاندلس شهرة خاصة في غرس الحدائق وتنظيمها ، وقد كانت حدائق الرصافة والزهراء والزاهرة وطليطلة واشبيلية بدائع تشهد لهم بوفرة البراعة وحسن الذوق ، وكانت روعتها مستقى لخيال الشعراء والكتاب ، وما زالت هذه البراعة حتى اليوم ، علَماً على جمال الحدائق الاندلسية .

ويجب الا ننسى ان الفنون الزراعية ، انتقلت على يد الرواد المسلمين ، وعلى يد الحملات الاسلامية المتعددة التي قامت خلال القرن العاشر الميلادي في جنوبي فرنسا ، وفي ليجوريا وجنوبي سويسرة ، الى شعوب هذه الاقطار . ويقال ان القمح الاسود الذي يعتبر اليوم من اهم محاصيل فرنسا الجنوبية انما هو أثر من آثار اولئك الرواد ، فهم الذين نقلوا بذوره الى فرنسا ، وهم ايضا الذين نقلوا فسائل النخيل الذي ما زالت تزدان به شواطىء الريفييرا .

واذا كان علماء النبات الاندلسيين ، هم اعظم من نبغ في هذا الميدان ، في العالم الاسلامي ـ ويكفي ان نذكر في ذلك ابا العباس بن الرومية الاشبيلي المتوفى سنة ٦٣٧ هـ (١٢٣٩ م) وتلميذه ابن البيطار المالقي المتوفى سنة ٦٤٦ هـ (١٢٤٨ م) وهما يعتبران اعظم علماء النبات والعشابين بعد ديسقوريدس اليوناني ـ فان علماء الزراعة المسلمين ، هم كذلك اعظم الرواد في هذا الميدان في العصور الوسطى .

ولدينا من هؤلاء الرواد عدة من العلماء الاندلسيين ، الذين انتهت الينا مؤلفاتهم في هذا الميدان . ونستطيع ان نذكر من هؤلاء بالاخص اربعة من انبغهم هم « ابو عبد الله ابن بصّال الطليطلي ، وابن مالك الطغنري الغرناطي ، وابن العوام الاشبيلي وابن لونكو القرطبي .

ولسنا نعرف الكثير عن حياة اولئك العلماء الزراعيين وان كانت كتبهم التي انتهت الينا تشهد بنبوغهم الفائق في هذا الميدان . فاما ابن بصال فقد عاش في طليطلة في عصر بني ذي النون ، ملوكها من الطوائف ، في اواسط القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) وكان يعنى بالاشراف على حدائق بني ذي النون الفخمة التي كانت « بالمنية » الشهيرة التي انشأوها خارج طليطلة على منحنى نهر التاجُه . وقد اشتهر ابن بصال يومئذ بتجاربه العلمية الناجحة في توليد الغراس ، ومكافحة الآفات الزراعية ، وكتابه « الفلاحة » الذي انتهى الينا ،والذي نشر بالمغرب من عهد قريب ، يشهد ببراعته وتفوقه في هذا الميدان . وهو يتناول فيه ذكر المياه والأرضين ، ومختلف اصناف النبات وطبائعها وعلاجها من الآفات .

ولما سقطت طليطلة في ايدي الاسبان في سنة ٤٧٨ هـ (١٠٨٥ م) غادرها ابن بصال الى اشبيلية وهنالك عهد اليه بالاشراف على بساتين بني عباد ، وكانت تنافس في روعتها بساتين بني ذي النون .

واما الطغنري ، فهو ابو عبد الله محمد بن مالك وهو غرناطي ، من قرية طغنر الواقعة شمال غربي غرناطة ، وقد عاش بمملكة غرناطة في اواخر القرن الحادي عشر الميلادي ، وتتلمذ على ابن بصّال ، واخذ عنه كثيرا من علمه وتجاربه ، ووضع كتابا في الفلاحة سماه « زهر البستان ونزهة الاذهان » ، وهو لا يزال مخطوطا لم ينشر .

واما ابن لونكو ، فقد عاش في قرطبة في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري وكان ايضا من تلاميذ تلك المدرسة الزراعية الباهرة ، ولكنا لا نعرف شيئا عن حياته او مؤلفاته . وقد توفي سنة ٤٩٨ هـ (١١٠٤ م) .

واما ابن العوام الاشبيلي ، فهو حسبما يرد ذكر اسمه في كتابه ، ابو زكريا يحيى بن محمد ابن احمد بن العوام الاشبيلي . ولكنا لا نعرف كذلك سوى القليل عن حياته ونشأته ، بل لا نعرف متى عاش بالضبط . وكل ما نعرفه انه عاش في اشبيلية في اواخر القرن الثاني عشر الميلادي ، في ذلك العصر الذي مالت فيه شمس الاندلس الى الغروب ، بعد ان بلغت ذروة التقدم الفكري والحضاري . وكانت الفنون الزراعية تزدهر بنوع خاص في هذه المنطقة ، منطقة الوادي الكبير ، وهي ما زالت حتى اليوم تمتاز بوفرة خصبها ونضرتها . ودرس ابن العوام الفنون

الزراعية في مصنفات من تقدمه منذ العصر القديم واعتمد بالاخص حسبما يذكر في مقدمته على كتاب ابى عمر بن حجاج المسمى « بالمقنع » وكتاب الفلاحة لابن بصال ، وكتاب ابن خير الاشبيلي وكتاب«زهر البستان»للطغترى،وربما اشتغل ابن العوام بالزراعة ، ومارسها بصورة عملية . بيد انه ليس هنالك ما يدل على انه قام مثل سلفه ابن بصال بتجارب علمية وعملية في الغراس والرى ، وفي توليد النباتات ومعالجته آفاتها ، ودراسته التربة ومعدن الارض . وعلى اى حال فان ابن العوام ، يقدم الينا في مؤلفه الضخم ـ « كتاب الفلاحة » ـ عرضا مستفيضا للفنون الزراعية مشتقا من عيون الكتب المتقدمة . وهو يعتبر الزراعة فنا ، ويقول لنا ان من يريد أن يتخذ هذا الفن صنعة يصل بها الى معاشه ، ويستعين بها على قوته وقوت عياله واهله ، فانه يجد في كتابه حاجته ويبلغ فيه ارادته . واما فلاحته الارض فان ابن العوام يوضح لنا معناها وموضوعها فى مقدمته على النحو الاتي :

« ومعنى فلاحة الارض هو اصلاحها ، وغراسة الاشجار فيها وتركيب ما يصلحه التركيب منها ، وزراعة الحبوب المعتاد زراعتها فيها ، واصلاح ذلك ، وامداده بما ينفعه ويجوده ، وعلاج ذلك بما يدفع الآفات عنه ، ومعرفة جيد الأرض ووسطها والدون منها ، ومعرفة ما يصلح أن يزرع او يغرس في كل نوع منها ، من الشجر والحبوب والخضر ، واختيار النوع الجيد من ذلك ،ومعرفة الوقت المختص بزراعة كل صنف فيها ، وكيفية العمل في الزراعة ، وفي الغراسة ، ومعرفة أنواع المياه التى تصلح للسقى ، ومعرفة الزبول واصلحها ، وكيفية العمل في عمارة الارض قبل زراعتها وبعد غرسها » .

ويقسم ابن العوام مؤلفه الى قسمين كبيرين ، يشتملان على خمسة وثلاثين بابا . ويتناول الأول معرفة اختيار الاراضى والاسمدة والمياه ، وصفة العمل ، في الغراسة والتركيب ، وما يتصل بذلك . والثاني يتضمن الزراعة وما اليها ، وفلاحة الحيوان ، او بعبارة اخرى ما يتعلق بتربية الماشية وعلاجها .

وينطوى تحت القسم الاول ، عدد من المسائل الزراعية العامة ، مثل دراسة تربة الارض ، والوقوف على معدنها ، واختيار ما يصلح ان يزرع في كل نوع منها ، وتلحق بذلك دراسة الاسمدة وتجهيزها ،وبيان منافعها للأرض والشجر ، وسقى الاشجار والخضر ، ثم انشاء البساتين ، وتركيب غراسة الاشجار فيها على أحسن وجه ، واختيار الاشجار وانواع الثمار ، واوقات غراسها ، وتطعيم الاشجار وتلقيحها ، ثم علاجها من الآفات واختزان الحبوب والفواكه الغضة واليابسة وغير ذلك . وقد انتفع ابن العوام في هذا القسم المتعلق بالبساتين وغراستها ،بنظريات سلفه واستاذه ابن بصّال ، وتجاربه العديدة الناجحة في ذلك .

ويتناول القسم الثانى من مؤلف ابن العوام تربية الماشية وعلاجها ، ودراسة صفاتها التشريحية ، ومعالجة كل عضو من اعضائها ، وكل مرض من امراضها . ويخصص خلال هذه الدراسة فصلا عن الخيل ، وصفاتها وكيفية تربيتها ، وكيفية ركوبها ، بسلاح او بغيره ثم يتحدث بعد ذلك عن الدواجن وتربيتها ، والعناية بها ، ثم عن النحل والمناحل والخلايا ويبدى في ذلك كله كثيرا من الاستيعاب والدقة والوضوح .

وقد لفت مؤلف ابن العوام نظر البحث الحديث، وقدر له ان يرى الضياء في عصر مبكر ، فنشر في سنة ١٨٠٢ بمدينة مدريد عن نسخته المخطوطة ، المحفوظة بمكتبة الاسكوريال في مجلدين كبيرين ، وقام على نشره العلامة المستشرق الفس يوسف، انطونيو بانكيرى وقرنه بترجمة اسبانية ويشغل النص العربي والترجمة الفا واربعمائة صفحة كبيرة . ومن حسن الحظ ان نشر حسبما تقدم بمدينة تطوان بالمغرب ، ايضا كتاب « الفلاحة » لابن بصال الطليطلي . وهكذا نجد بين ايدينا مؤلفين من اقيم المؤلفات العربية في فنون الزراعة يحمل كلاهما نفس الاسم .

وانه لمايلفت النظر ، ان هذين المؤلفين ،اللذين كتبا عن فنون الفلاحة في العصور الوسطى ،يمتاز كلاهما بنزعة علمية قوية ، وباستيعابه لمختلف المسائل والفنون الزراعية غير بعيد عن مستوى المؤلفات الزراعية الحديثة ، وهو أثر من آثار الطابع العلمي الواضح الذى اتخذته الفنون الزراعية على يد علماء الزراعة الاندلسيين.

محمد عبد الله عنان

طرائف غريبة

المرأة التي سخرت من الملك

● كان الملك لويس الخامس عشر ،ملك فرنسا (١٧٤١ — ١٧٩٣) ، يجاهر علانية برايه فى المراة ، كان يرى انه ليس هناك امراة تستطيع ان تصل الى القمة فى اى فن من الفنون !

واغاظ هذا صديقته مدام دى بارى Madame Du Barry ، فقررت ان تفعل شيئا تثبت له به خطأ نظريته . فدعت الملك الى مادبة عشاء فاخرة ، حفلت بما لذ وطاب ، وجاء الملك وجلس يأكل ويأكل ، وهو يتلذذ بكل صنف من اصناف الطعام التي قدمت اليه . ثم لم يملك فى النهاية الا ان قال يسأل مضيفته : « ترى من يكون هذا الطباخ الماهر الذى صنع كل هذه الاطعمة الشهية ! »

وهنا قالت مدام دى بارى ، وهي تبتسم ، ابتسامة النصر : « انه ليس بطاه يا مولاى ، وانما هي طاهية ، وهذه الطاهية هي انا ، ولن ارضى باقل من « الرباط الازرق » جائزة لهذا التقدير ! »
واسقط فى يد الملك فقد احس بهزيمته امام هذه المراة ولم يجد مفرا من أن يخلع عليها هذا الوسام . ومن هنا اقترن « الرباط الازرق » Cordon Bleu ، بمهارة الطابخين والطابخات ! !


الملك لويس

حكمة صينية

● من صفات الزعيم انه يستطيع ان يدفع الناس الى وضع ثقتهم فيه .. ولكن الزعيم العظيم هو ذلك الذى يستطيع ان يعيد للناس ثقتهم بانفسهم ..

بين الاقطار العربية ، في الاسواق العالمية ، بسبب انتاجها المتشابه المعروض للبيع في تلك الاسواق .

ريال قطر دبي

وقطر عضو في منطقة الاسترليني ولها عملتها الخاصة : « ريال قطر دبي » .. لقد ظهر هذا الريال المشترك بين قطر ودبي عام ١٩٦٦ بعد ان فشلت الاتفاقية الرباعية على اصدار نقد مشترك بين البحرين وقطر وابو ظبي ودبي .. ان تدهور قيمة الروبية الهندية في يونيو ١٩٦٦ هو الذى دعا الى اصدار هذا النقد .. ويتالف الريال القطرى من مائة درهم ، متداولة على هيئة مسكوكات من فئة ١٠ دراهم ، وخمسة ، ودرهم واحد (لم نر له اثرا في قطر !) ومن أوراق نقدية فئة ١٠٠ ريال و٥٠ و٢٥ و١٠ و٥ وريال واحد .

وعندما تدهور الاسترليني بمقدار ١٤٪ في نوفمبر ١٩٦٧ .. لم تخفض قيمة ريال قطر دبي بل ارتفعت بالنسبة للاسترليني من شلن و٦ سنت الى شلن و٩ سنت .. وتبلغ كمية العملة المتداولة في قطر ودبي بنحو ١٥٠ مليون ريال قطر دبي .

الربا حرام !

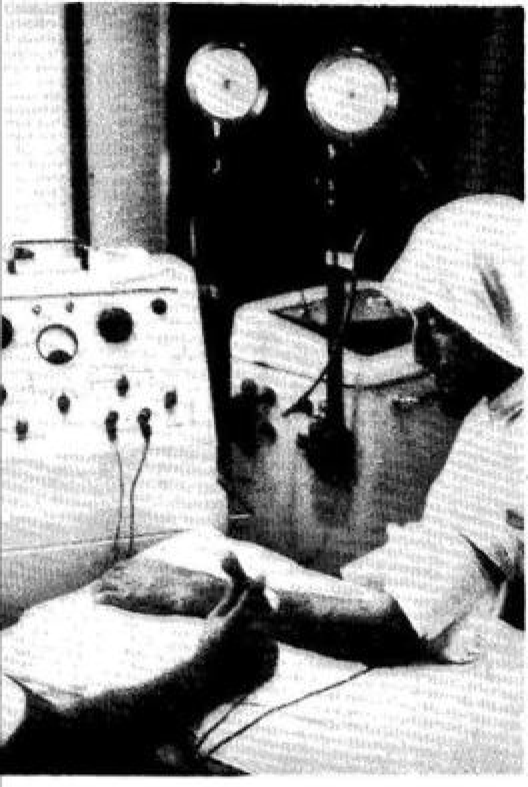
وفي عام ١٩٦٤ ولد في قطر بنك وطني براسمال قدره ١٤ مليون ريال (نحو مليون و٥٥٥ الف جنيه استرليني) ساهمت الحكومة بنصفه ، والباقي طرح على هيئة اسهم للاهالي .. وتعمل حاليا في قطر خمسة فروع لخمسة بنوك عالمية وعربية .

ومما يذكر ان عددا كبيرا من أهل قطر يرفضون استلام اى ربح عن اموالهم التي يضعونها في البنوك ، ويقولون في ذلك : « الربا حرام .. يأثم من يأخذه .. الله قال : « فلكم رؤوس اموالكم » فقط .. اننا نضعها في البنوك بصفة امانة فقط .. »

ونتبهت دائرة المالية في قطر الى هذا الوضع ، فاصدرت أخيرا قرارا يحتم على البنوك ضرورة ابقاء نصف ودائعها في البلاد .. وهذا القرار يعني مساهمة عشرات ملايين الريالات في انعاش الحركة والحياة في قطر ..

وفي نهاية عام ١٩٦٩ فقط ، وقع اتفاق لبناء محطة للبث التلفازى في قطر ، ويتم تنفيذ الاتفاق على مرحلتين : المرحلة الاولى انشاء محطة صغيرة قوتها ٥٠ واط لتغطية مدينة الدوحة وضواحيها فقط .. وهذه تم انشاؤها وبدأت البث فعلا في منتصف يونيو الماضي .. والمرحلة الثانية هي انشاء المحطة الرئيسية ، التي تعطى قوة بث فعالة مقدارها ٥٠ كيلو واط تغطى معظم اجزاء الساحل العربي للخليج ، بما في ذلك امارات ساحل عمان السبع .

ان قرار بناء محطة تلفزيون في الدوحة جاء بعد ان انتشرت الاجهزة التلفازية في كل المنازل تقريبا، لان موقع قطر وسط الخليج العربي ، جعل برامج محطات التلفاز القريبة تتسلل الى منازلها ، فاصبح المواطن القطرى يشاهد برامج محطات



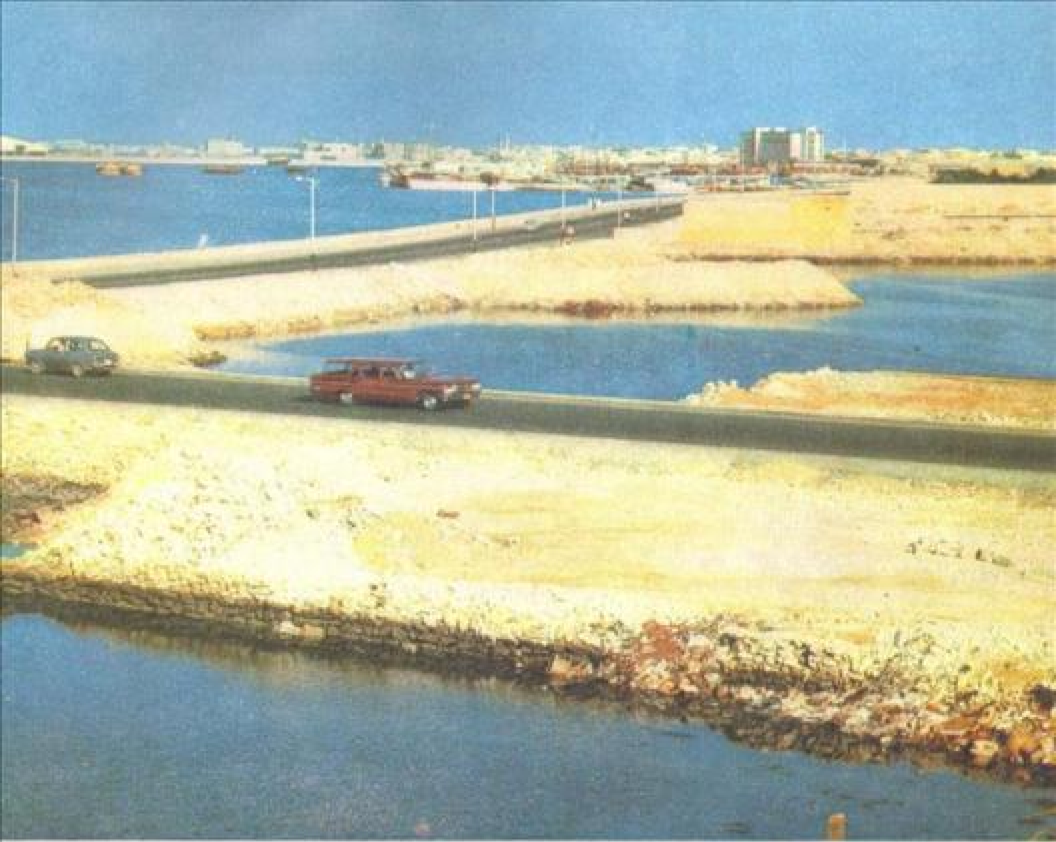
الحساسية هي المرض الرئيسي في قطر .. ويقول الدكتور فؤاد الجويني : كان في مستشفيات قطر ٣٠ سريرا عام ١٩٤٥ أما اليوم فاصبح فيها ٦٢١ سريرا ، وعندنا ٨٣ طبيبا اي بمعدل طبيب لكل ٩٦٤ مريضا في المتوسط ـ اذ قدرنا عدد السكان بنحو ٨٠ الف نسمة ـ ويوجد حاليا ثمانية طلبة يدرسون الطب في الولايات المتحدة ومصر ..

الى اليمين : مصاحف وكتب في كافة الفروع والعلوم ، ترسل مجانا لمن يطلبها من دار الكتب في الدوحة ، التي تقوم منذ ١٤ سنة بتوزيع ٣٠ الف كتاب سنويا بالمجان . انها المكتبة التي اسسها الشيخ علي آل ثاني والد الحاكم الحالي .



الى اسفل: تمارين يومية مستمرة تؤديها فرقة الاضواء الموسيقية .. انهم يعشقون الموسيقى ، فتراهم يغنون ويعزفون لاشباع هوايتهم .

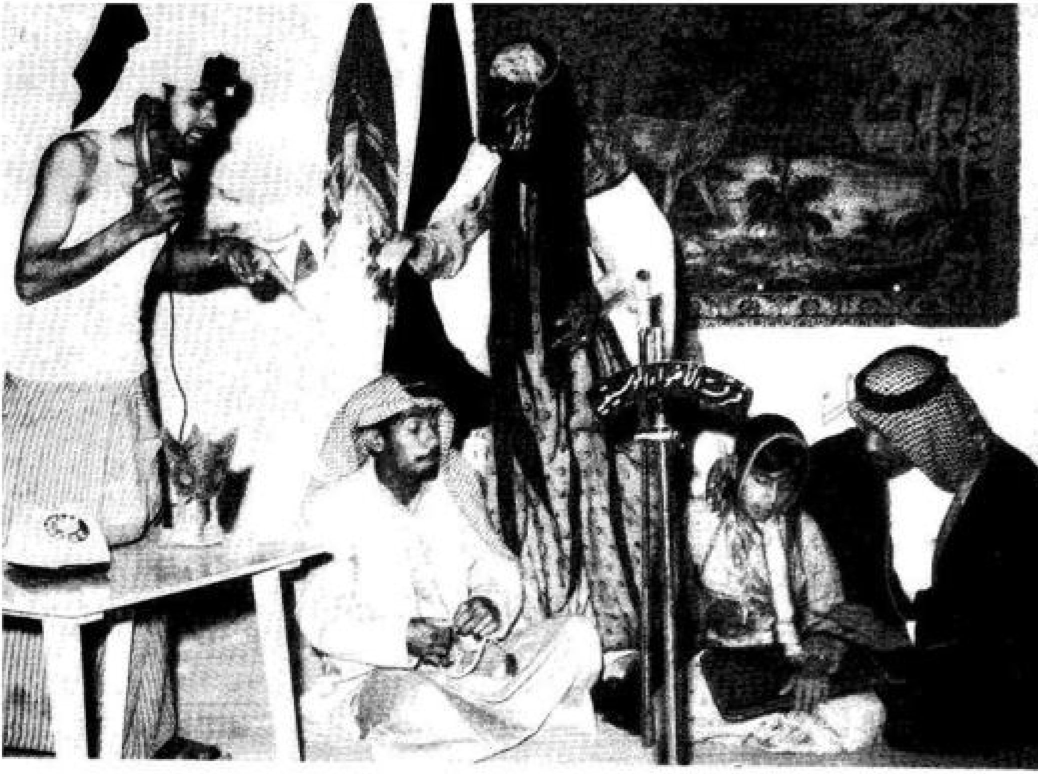




هكذا تتم عملية ردم البحر الضحل في الدوحة ،لكسب ارض جديدة على الساحل ، وعمل كورنيش بعرض ٦٠ مترا .. لقد زحفت وزارة الاشغال الى البحر فاستردت حتى اليوم ، ارضا تزيد مساحتها عن ٥٠٠ الف متر

الى اسفل : انتهى العمل في بناء ميناء الدوحة الجديد، الذى تكلف مليونين ونصف مليون جنيه استرليني ويتسع لرسو ٤ سفن تجارية كبيرة .. لقد ظلت الدوحة محرمة على السفن الكبيرة ، لوجود حاجز مرجاني يمنع الاقتراب من الساحل ، لهذا شقت قناة طولها ثلاثة اميال ونصف ، وعمقها ٢٧ قدما وعرضها ٣٥٠ قدما ، في قلب هذه الصخور المرجانية ، لتسمح للسفن الكبيرة بالمرور .





بدأت فرقة الاضواء باقامة الحفلات الموسيقية ، ثم توسعت وكونت فرقة مسرحية تقدم تمثيليات محلية تعالج مشاكل المجتمع المحلي .. واقبل الجمهور على هذه التمثيليات بشغف زائد .. ومن الطريف ان دور النساء والفتيات يؤديه رجال وشباب ، كما ترى في الصورة .. وهذا امر مألوف في اغلب بلداننا العربية عند بداية مولد المسرح فيها ..

الكويت والدمام ـ والظهران ـ وابو ظبي ـ وحتى البصرة .

دور للسينما فى المناطق الخربة !

لقد دخلت الشاشة الصغيرة الى كل منزل فى قطر ، اما السينما فظلت مقتصرة على الاندية فقط ، حتى تجرأ احدهم وفتح سينما عامة منذ سنة .. ولم يحتج احد .. ففتحت سينما ثانية وثالثة ورابعة .. حتى وصل عدد «دور السينما» حاليا الى ٥٠ دارا للسينما فى الدوحة فقط !!

وكلمة « دار » فيها الكثير من التجاوز ، لان اى مكان خرب او مهجور ، يضع فيه الشخص آلة عرض يسمى دارا،تعرض الافلام الهندية والايرانية بالذات !

ومن هذه الدور الخمسين لايوجد غير دارين يصلحان نوعا ما لتسميتهما سينما .. وقد حدث ان دخل الرجال مع زوجاتهم فى احدى دور السينما لفترة ثلاث حفلات ، وبعدها تقرر منع دخول النساء للسينما .. ولكن فى الثلاث دور الجديدة ـ التي ستفتحها شركة السينما القطرية المساهمة ـ سيسمح بدخول المراة لمدة يومين فى الاسبوع فقط ، على ان تخصص الايام الخمسة الباقية لدخول الرجال !

الرجال يمثلون دور النساء!

والحديث عن السينما يدفعنا للحديث عن المسرح والموسيقى .. ان المسئولين لم يعترفوا بعد بهذين الفنين .. ولكن الشباب منذ عام١٩٦٦ وهم يقومون بصقل مواهبهم بمجهودهم الخاص ، انهم يعشقون الموسيقى والتمثيل ، لهذا وجدناهم يعزفون ويمثلون لاشباع هواية خاصة ورغبة شخصية .. لقد بدأوا يعزفون سرا .. كانوا ثلاثة اشخاص تعلموا الموسيقى سماعا عن طريق الاذاعات العربية .. وبعد ان اشتد عودهم ،

اقاموا اول حفلة موسيقى فى نادى الجسرة ، لم يلق اى تشجيع من الاباء او المسئولين .. ولكنه نجح فى جذب اعداد من الشباب نحو الفرقة الوليدة .. وزادت الحفلات..وزاد التشجيع.. وفتحت الاذاعة ابوابها عام ١٩٦٧ واستدعتهم للعزف .. وكان هذا بمثابة اعتراف رسمى بشخصيتهم ، انتقلوا معه من التقليد الى الانتاج الشعبى القطرى التابع من البيئة .. وزاد عدد المنتسبين الى الفرقة حتى وصلوا الى ٤٣ شخصا ، فكونوا فرقة تمثيلية الى جانب الفرقة الموسيقية .. واصبحت الحفلات : موسيقية ، تمثيلية .. وتجاوب الجمهور بحماس زائد مع التمثيليات التي تعالج مشاكل المجتمع القطرى – وما اكثرها – من غلاء المهور .. والحجاب .. وتعدد الزوجات .. والخرافات والتعاويذ ..

وعلى خشبة المسرح شاهدنا نساء يمثلن واستغربنا ، وعندما اقتربنا منهن وجدناهن رجالا يرتدون ملابس النساء !! ؟ انها نفس المرحلةالتى مرت بها معظم الاقطار العربية منذ سنوات .

لقد اصبح فى قطر حاليا ستة مطربين ، واول من بدأ الغناء هو ابراهيم علي .. انهم حتى اليوم لم يتقدموا بطلب رسمي لاقامة ناد لهم .. لانه جاء من يقول لهم : « اذا تقدمتم بطلب رسمي للاعتراف بكم ، فان طلبكم سيرفض وسيتخذ قرار بحل فرقتيكما الموسيقية والتمثيلية »

لهذا قرروا عدم التقدم بطلب رسمي ، مكتفين باقامة الحفلات .. وقد ارتفع اجرهم من ١٥٠ ريالا الى ٦٠٠ للحفلة الواحدة .

الشباب يتحدث

ان فرقة الاضواء الموسيقية تبحث عنمقر لها.. بينما الشباب في ١١ ناديا يبحثون عن ذاتهم ..لقد جلسنا الى مجموعة منهم نسالهم : « ماهي امانيكم وآمالكم ومشاكلكم ؟ »

وانطلقوا يتحدثون ويتحدثون.. : « الحمد لله ان البطالة شبه معدومة بيننا ، واحصائيات العمل عن عام ١٩٦٩ تشير الى ان عدد العاطلين عن العمل فى قطر ٤٢٠ شخصا فقط .. والطالب المتخرج من الثانوية يجد العمل متوفرا امامه .. والذى يريد تكملة دراستهيرسلفي بعثاتللخارج .

« ان متاعبنا تبدأ مع اللجنة الرياضية التي تشرف على :الاندية .. اننا نعاني نقصا فى الملاعب والمعدات .. والتخطيط الرياضى غير موجود ، والحركة الرياضية جامدة لايعمل احد على تطويرها .. اننا نفتقر الى من يوجهنا ويرشدنا.. نريد تنظيم رحلات الى بلاد العالم .. نريد ان ننطلق من الطوق الذى يحصروننا داخله .. اننا نريد العمل من اجل مستقبل بلدنا ، ولكننا لانجد صدى لاماتينا .. »

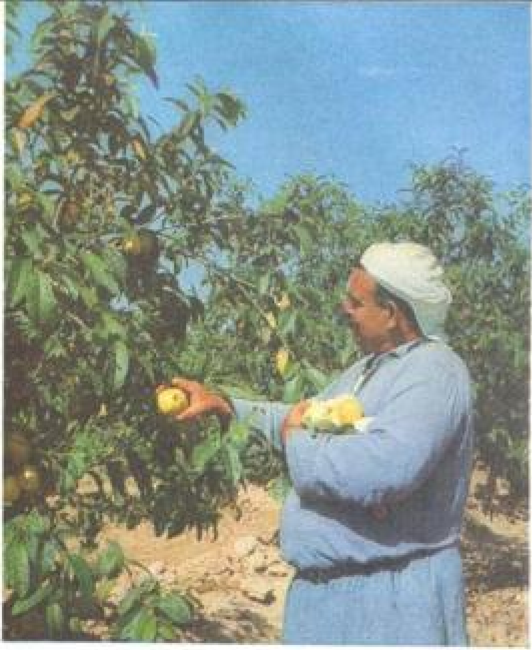
الدوحة هي قطر !

وفى اسواق « الدوحة » القديمة المتداخلة المتنوعة شهدنا صورا متعددة للحياة فى قطر ..

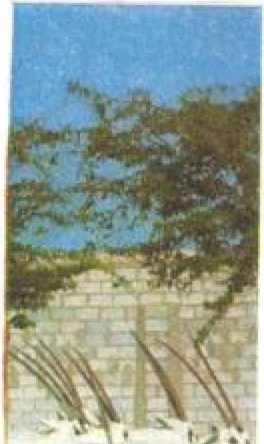


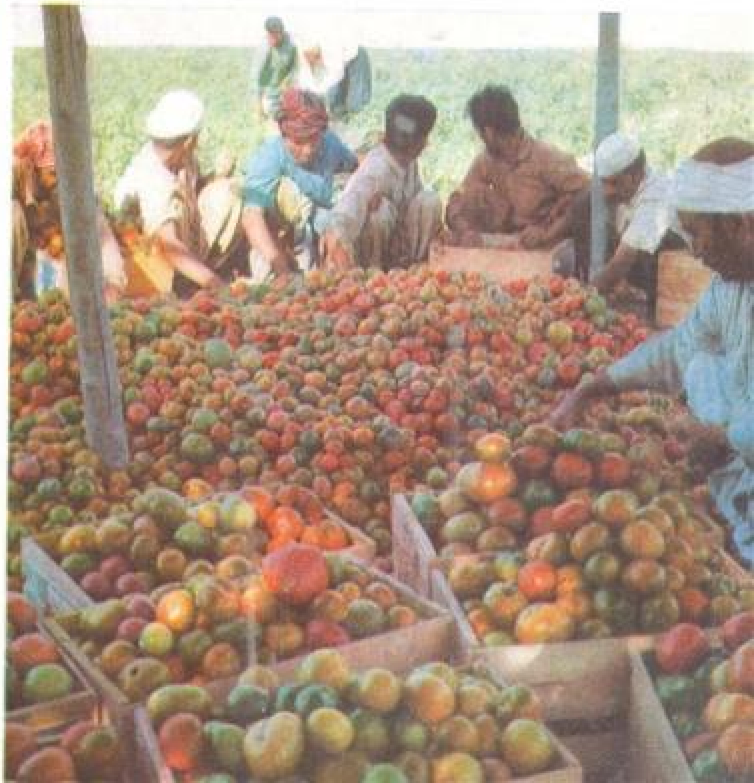
الشباب يقتل الوقت بمطالعة الصحف .. انه يعيش في فراغ كبير ، يسعى لملئه بأية وسيلة .

الى اليمين : نجحت زراعة بعض انواع الفواكه نجاحا مذهلا في شمال قطر ، وخاصة الجوافة ، التي أقام قسم الزراعة مزرعة خاصة بها تضم ١٦٠٠ شجرة منها .. **والى جانب الجوافة** نجحت زراعة اشجار البرتقال والليمون « والجريب فروت » **والعنب .. وقد** بدات اخيرا تجربة زرع **اشجار المانجو ..**



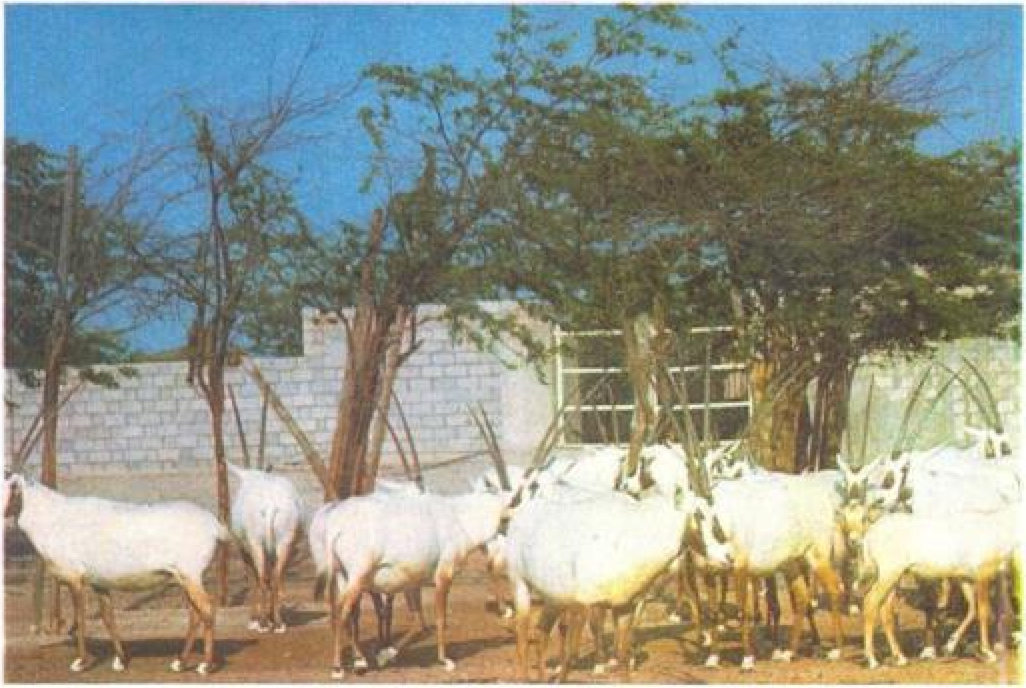
الى اسفل : ١٥٠٠ طن من الطماطم سيتم تصديرها حتى نهاية هذا العام من قطر الى بقية امارات الخليج .. ان الارض في قطر ملك لابناء البلاد ، ولكنهم يؤجرونها للمزارعين القادمين من فلسطين وايران وعمان ، واحيانا يشاركونهم بالنصف ، او بالعمل نظير مرتب شهري .







يمتلك الشيخ جاسم بن حمد الثانى اكبر مجموعة في العالم من « المها » ذلك الحيوان الصحراوى النادر الجميل ، الذى يعيش في منطقة الربع الخالي .. وفي كل عام ينطلق الشيخ جاسم في قافلة لصيد هذا الحيوان الذى اشتهر بجمال عينيه ، فينطلق خلفه بالسيارة حتى يتعب الحيوان، فينزل الجميع ويوثقوا رباطه، ثم ينقلوه الى مزرعة الشيخ في شمال قطر .. ان حدائق الحيوان في العالم تتسابق في طلب هذا الحيوان النادر ، ولكن الشيخ جاسم يرفض ، حتى تتكاثر في مزرعته .. وقد وصل عددها حاليا الى ثلاثين مها ، من بينها ١٨ انثى **(الصورة السفلى)** اما النعامتان اللتان ترى صورتهما فوق هذا الكلام ، فقد اشتراهما الامير ووضعهما في مزرعته ، ولكن الانثى ــ لسبب غير معروف ــ ترفض الجلوس على بيضها الكبير الظاهر في الصورة .



فهؤلاء المدرسات العربيات يسرن بزيهن الخاص المفروض عليهن : الملاءة السوداء ، والمنديل الاصفر فوق الراس .. وهؤلاء رجال جاءوا من البادية يشترون الاقمشة الملونة والمباخر والبطاطين .. وهذا التاجر يجلس عند مدخل متجره واضعا طرف النارجيلة في فمه منتظرا الزبائن .

ولم تعد الاسواق القديمة هي الوحيدة في الدوحة فقد ظهرت مجموعة متلاحقة من المتاجر التي تبيع احدث البضائع .

لقد تركزت جميع مظاهر الحياة في الدوحة حتى قالوا لنا : « ان « الدوحة » هي قطر . انها قلبها النابض ومركز ثقلها ، فيها يتجمع اكثر من ثمانين بالمائة من السكان .. بلديتها يطلق عليها اسم بلدية قطر وليس بلدية الدوحة ، مما يحملها مسئولية كل شيء في الامارة .. ولكنها بلدية وليدة منذ عامين فقط .. انها تحاول ان تجد نفسها وتجمع شتات اطرافها المبعثرة في مختلف الدوائر والمرافق .. »

السيارات تخنق المدينة !

واجتمعنا مع رئيس البلدية الشيخ محمد بن جبر آل ثاني ، ومع مديرها عثمان الخضر عثمان ومع المهندس صدقي خضر من دائرة الهندسة ، وكانت حصيلة الاحاديث :

« من الوجهة العملية لايمكن هدم الدوحة .. حقيقة انها مدينة قديمة ظلت تنمو دون تخطيط ، وخاصة بعد ظهور النفط عام ١٩٥٠ ولكن تنظيم المدن القديمة لايمكن ان يتم بسرعة كما يتخيل البعض .. فالتخطيط تعترضه منازل متلاصقة وآثار وقلاع ومساجد ومقابر واسواق وصناعات قديمة مستقرة .. لهذا بدأنا منذ سبع سنوات باقامة احياء نموذجية خارج المدينة القديمة استعدادا لنقل السكان اليها .. »

« أما الدوحة القديمة فقد اوشكنا على الانتهاء من المشروع الذى يقصف عادة ظهر المدن .. انه مشروع المجارى الذى سينتهي بعد عام واحد .. وقد بدأنا فعلا في توسيع الشوارع والازقة ، لان الدوحة مقبلة على وضع خطير ، وهو اختناق شوارعها بالاعداد المتزايدة من السيارات »

المقابر تتحول الى حدائق

ويتحدث رئيس البلدية فيقول . « كل الشوارع التى استلمناها تم تشجيرها ، واقمنا حديقة عامة مساحتها ٥٠٠ الف قدم مربع .. كما اوقفنا

دبت الحياة في جزيرة حلول ، التي لا يزيد طولها عن ميل ، وعرضها عن نصف ميل .. واصبح سكانها الستون يعيشون في منازل مكيفة الهواء بجانب صهاريج النفط ، وبجانب المائة نخلة التي زرعوها .. ان جزيرة حلول هي توأم جزيرة داس في ابو ظبي ، التي تبعد عنها بحوالي ٤٠ ميلا .



الدفن تماما في المقابر الخمس التي في داخل المدينة ، واقمنا مدفنا كبيرا خارج المدينة .. وقريبا سنشرع في تحويل مقبرة مضى أكثر من ١٠٠ سنة على وقف الدفن فيها ، الى حديقة عامة .. كما سنقوم بتشجير المدافن الاخرى المهجورة ..

« ومن المشاكل الكبيرة التي تواجهنا تداخل الاحياء السكنية والصناعية والتجارية مع بعضها في الدوحة ..وحتى يتم اعداد التخطيط قررنا نقل جميع معامل الطابوق الى خارج العاصمة »

اسباب ردم البحر

وسألنا مهندس التخطيط : « لماذا تردمون البحر لكسب الارض بينما الاراضي ناحية الغرب فسيحة واسعة ! »

فاجاب : « لابد ان يكون لكل مدينة ساحلية واجهة بحرية .. وقديما كانت المخازن والمحلات التجارية ملاصقة لشاطىء البحر ، تسهيلا لعملية نقل البضائع من السفن مباشرة .. لهذا تكدست المتاجر على الساحل الضحل المتعرج ، وحتى يأتي الكورنيش ممتدا دون تعرج ، ردمنا البحر ، فربحنا ارضا مساحتها ٥٠٠ الف متر مربع اقمنا عليها مبنى سكرتارية الحكومة والميناء الجديد ، ومصنع صيد الاسماك ، فضلا عن كورنيش طوله سبعة كيلو مترات وعرضه ٢٠٠ قدم .. »

١٠٠ الف ام ٨٠ الفا ؟

ويقدر المسئولون عدد سكان قطر بنحو ١٠٠ الف نسمة ، ولايوجد اى دليل على هذا .. وتجرى حاليا عملية فرز اول احصاء للسكان تم في القطر .. ولكن من احصائيات المسافرين والقادمين الى قطر نتبين ان عدد المسافرين شهريا من البلاد هو ستة آلاف نسمة ، في حين لايزيد عدد القادمين عن ثلاثة آلاف .. فاذا اضفنا لهؤلاء نسبة المواليد والوفيات لوجدنا ان الولادات المسجلة ٢١٩٢ ولادة في حين تبلغ الوفيات ٢٨٥ حالة شهريا ..

من هذا نستخلص ان عدد السكان ظل ثابتا في قطر .. الولادات الجديدة تغطي عدد النازحين الشهرى ..

لهذا يستبعد الكثيرون ان يزيد عدد السكان عن ٨٠ الف نسمة ..

عقوبة على شركات الطيران !

والدخول الى قطر من الصعوبة بمكان ..



شباب نادي الجسرة وحديث عن مشاكل الشباب في قطر والبلاد العربية .. ان مجتمعاتنا العربية تخوض نضالا على النظم العتيقة الموروثة ، التى لم تعد تصلح لحياة هذا القرن .

وتعاني شركات الطيران متاعب كثيرة من جراء القيود المفروضة ..لانه يمكنك ان تسافر الى اى مكان في العالم على مسئوليتك الخاصة ، الا : « الدوحة » لا تستطيع السفر اليها دون تأشيرة دخول .. ، لانه اذا نقلتك شركة الطيران دون ان تكون معك تأشيرة فان الحكومة القطرية لا تعاقب المسافر ، وانما تعاقب شركة الطيران وتفرض عليها غرامة قدرها ٤٠٠٠ ريال قطرى !!

وقد عانينا الامرين بسبب هذه القيود .

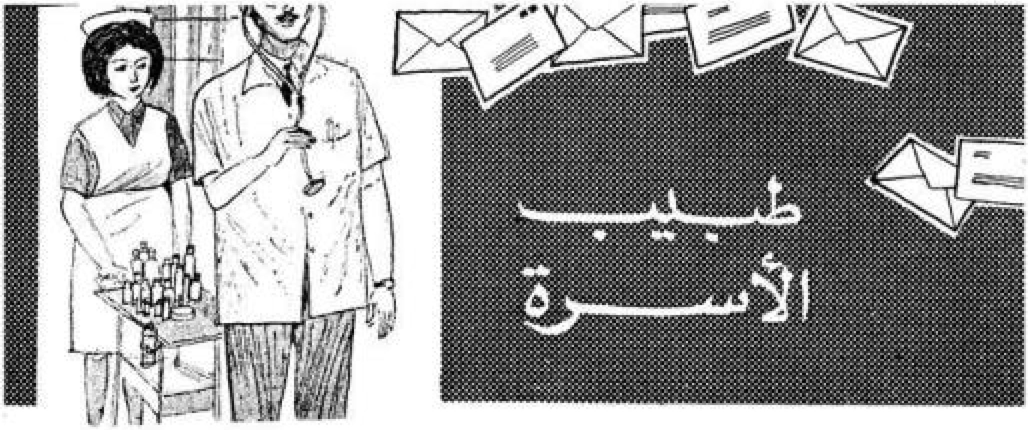
غدا ستفتح قطر ابوابها

ويقول المسئولون في قطر : « لقد فرضنا هذه القيود لان الطب المجاني والتعليم المجاني ، والحياة الرغيدة التى تنعم بها قطر ، كل هذا جعلها تجذب اليها الوف الناس من كل انحاء العالم ..

« الحقيقة اننا نغلق ابوابنا اليوم .. ولكننا نغلقها مؤقتا لننظم امورنا بهدوء .. وصدور القوانين المؤقتة لنظام الحكم الجديد ، يفتح الباب واسعا امام الاصلاح .. لان مجرد انشاء وزارات مختصة ، معناه بداية مراحل جديدة من العمل .. استعدادا لفتح ابواب قطر واسعة امام العالم كله .. »

■■

سليم زبال



الفرق بين الاغماء ..
والصدمة .. والغيبوبة

● **نقرا كثيرا عن الاغماء ــ الصدمة ــ الغيبوبة . فما هو الفرق بينها ؟**

ــ الاغماء Fainting : هو الحالة التى يفقد الانسان فيها الوعى لفترة وجيزة ــ ويحدث نتيجة لهبوط مفاجىء فى ضغط الدم ــ او لأى سبب آخر ، يمنع وصول الدم بالكميات الكافية الى المخ . ويحدث هذا فى الاماكن المزدحمة ، كدور السينما مثلا ــ او فى المواقف المفاجئة كسماع خبر مفاجىء ، سار او محزن ــ او مشاهدة منظر مخيف ــ فلا يتمالك الانسان نفسه ويخر على الارض ، اذا كان واقفا ، وعندما ينزل الى الارض ويكون فى وضع افقى فان الدم يصل بسرعة الى المخ ويفيق من اغمائه ــ اذن العلاج فى هذه الحالة أن يبعد المريض عن الجو الخانق المزدحم ، ويوضع فى مكان هاو وضعا افقيا ، وتفك الأربطة حول العنق والصدر ــ ثم يوضع ماء بارد أو كولونيا على الوجه أو يشمها ، فيفيق وتتحسن حالته بسرعة .

اما الصدمة Shock : فهى الحالة التى يحدث فيها هبوط شديد فى ضغط الدم ولا يفقد المريض وعيه ــ بل على العكس يكون قلقا ، خائفا ، يحس كأنه سيموت ، شاحب اللون مغطى جسمه بعرق بارد ويكون نبضه سريعا وضعيفا .

وهى تحدث نتيجة لفقدان كمية كبيرة من الدم سواء من جرح أو نزيف داخلى ــ أو فى حالات الالم الشديدة كحالات الجلطة فى شريان القلب ــ أو عند ضرب الشخص على مكان حساس يؤلمه ويسبب له هبوطا شديدا فى ضغط الدم . وعلاج الحالة هو علاج السبب . فيعطى دما مثلا اذا كان قد فقد دما ، أو سوائل اذا كان قد فقد سوائل جسمه



فى قيء او اسهال ــ او يعطى مسكنا اذا كانت الصدمة نتيجة لالم شديد .

اما الغيبوبة Coma : فهى فقدان الوعى لمدة طويلة ، دقائق ، أو ساعات أو اياما حتى تصل فى بعض الاحيان الى شهور . وتعتمد طول مدة الغيبوبة على السبب . ففى حالات نقص السكر مثلا تستمر لفترة قصيرة يصحو بعدها المريض اذا اعطى جلوكوز فى الوريد ــ وفى حالات أمراض المخ الشديدة ، تطول الفترة الى شهور ــ وهناك أسباب عدة كثيرة تسبب الغيبوبة : غيبوبة السكر ــ غيبوبة تسمم الكحول ــ غيبوبة التعرض لغاز أول أوكسيد الكربون غاز الفحم ــ غيبوبة أمراض المخ ــ من نزيف فى المخ او التهابات فيه أو أورام . والعلاج فى هذه الحالات هو علاج السبب الذى ادى الى الغيبوبة .



مرض اديسون Addison's Disease

● اصبت منذ مدة بضعف عام يطرد باستمرار واصطبغ جلدى بلون قاتم وخاصة في الوجه والرقبة شوه منظرى ، وقد راجعت المختص الذى اخبرنى بانني اعانى من مرض اديسون ونصحنى بالعلاج في مستشفى فهل هذا المرض خطير لهذا الحد وما علاجه وهل ساشفى منه ؟

ــ يسبب هذا المرض نقصا مزمنا فى افراز هرمون القشرة فوق الكلوية مثل الهيدروكورتيزون والكورتيكوستيرون والاولدستيرون وهى لازمة لتنظيم عملية تبادل الأملاح وخاصة البوتاسيوم والصديوم خارج وداخل خلايا الجسم ونقص هذه الهرمونات الحيوية يؤدى الى فقد ملح الصوديوم بكميات كبيرة فى البول والاحتفاظ بكميات زائدة من ملح البوتاسيوم فى الدم فترتفع نسبته فى البلازما عن ٢٢ ملجم ٪ . (وهى الحد الأعلى للنسبة الطبيعية) كما تهبط نسبة ملح الصوديوم عن ١٣٠ ملجم ٪ (ملم معادل) .

واعراض هذا المرض غير ما ذكرت هو هبوط ضغط الدم ، نقص فى الوزن ، قابلية لفقد سوائل الجسم مع فقدان للشهية ونوبات من القيء والاسهال ، ويلاحظ صغر حجم القلب فى هذه الحالة .

وقد يمر المريض بازمات حادة يهبط فيها ضغط الدم لدرجة الصدمة مع الم حاد بالبطن والظهر والأرجل . وقد تتعطل الكلية عن العمل وتظهر البولينا فى الدم ويشخص المرض كما اسلفنا ، بوجود هبوط فى نسبة ملح الصوديوم فى الدم عن ١٣٠ مم معادل/فى اللتر من الدم وهبوط نسبة البوتاسيوم كما تزيد سرعة ترسب الدم الى ١٥ ــ ٢٠ درجة .

وفى ٥٠ ٪ من الحالات لا يوجد سبب لهذا النقص فى افراز الهرمونات ، وفى الباقى قد يكون السبب اصابة الغدة فوق الكلوية بالدرن ، أو وجود ورم بها أو التهاب .

مستقبل المرض : يستطيع المريض ان يحيا حياة سعيدة بمداومته على استعمال عقار الكورتيزون واهتمامه بمعالجة اى التهاب فى وقته .

الحصبة الالمانية تؤثر في الجنين

● زوجتي حامل في شهرها السابع،اصيبت بحمى اشبه ما تكون بنزلة برد ، ولدهشتى اخبرنا الطبيب انهامصابة بالحصبة الالمانية ، فما هي هذه الحصبة ؟ وما الفرق بينها وبين الحصبة العادية ؟

ـ الحصبة الالمانية يسببها فيروس متناه في الصغر ينتشر بواسطة الرذاذ المتطاير من انف وحلق المريض. وعدواها اقل انتشارا من الحصبة العادية ، وهي تصيب البالغين وكبار الاطفال اكثر من صغارهم ، واعراضها ارتفاع في درجة الحرارة ، مع اجهاد عام مصحوب بصداع وتيبس في المفاصل ، ويمر هذا الطور سريعا ، ثم يبدأ الطفح في الظهور على الوجه والصدر والاذرع مع تضخم العقد الليمفاوية الموجودة في مؤخرة الرقبة والراس .

وتفرق هذه الحمى من الحصبة العادية بعدم وجود بقع كوبليك في الفم (انظر « العربي » عدد ١١٧ ص ٥٤) Koplicks Spots (التي تتميز بها الحصبة العادية) وبغياب الأعراض العامة الخطرة ، وبوجود العقد الليمفاوية في الرقبة وبقصر فترة المرض حتى ليسميها البعض « حصبة الثلاثة ايام » .

واما اثرها على الجنين ، فهذا لا يكون الا اذا اصيبت الحامل بها وهي في الشهور الثلاثة الاولى من الحمل ، وفي هذه الحالة يكون هناك احتمال تشوه الجنين .

وتكون الوقاية من المرض بواسطة عزل المريض لمدة لا تزيد عن أسبوع ، ومن مضاعفاتها ضعف الاخصاب ، والتهاب المخ والاذن الوسطى ، هذا بخلاف تشوه الجنين في الشهور الاولى للحمل .

العلاج : الحالات التي تكون غير مصحوبة باية مضاعفات لا تحتاج لعلاج خلاف المسكنات ومضادات الحرارة ان لزم الامر ، كذلك بعض المراهم والمستحضرات المهدئة لعلاج الحكة الجلدية .

واذا التهبت الاذن الوسطى فتعالج بالمضاد الحيوي المناسب ، وفي حالة الحوامل في الشهور الاولى من الحمل اذا تعرضن للاختلاط بمريض بالحصبة الالمانية ، فيجب حمايتهن بواسطة امبولات جاما جلوبيلن Gamma Globeulin التي تعطى في العضل في الحال وبأسرع ما يمكن .

كما ان الاصابات بالحصبة الالمانية في الاشهر الثلاثة الاولى من الحمل تعتبر سببا كافيا لانهاء الحمل للتخلص من جنين قد ينزل مشوها او بعاهة خلقية .

ولذلك فقد اقترح تمريض الفتيات الصغيرات لكي يصبن بالحمى حتى يكتسبن مناعة كاملة دائمة ضد هذا المرض ، وخاصة بعد زواجهن .

من هذا ترى ان لا خوف على زوجتك ولا على الجنين عند ولادته .



الأمالي

لأبي علي القالي

كان الاستاذ ، فى العهود القديمة، يملى على طلابه دروسهم بلغة فصيحة ، والطلاب يكتبون ما يملى عليهم . فلم تعرف عند ذاك المطابع فيحصل الطلاب منها على نسخ من الكتب التى الفها الاساتذة .

بقلم : عبد الستار فراج

■ كان العلماء ولا يزالون وسيظلون يلقون على الطلاب ما علموه أو حفظوه . شارحين ومفصلين . مع استطراد احيانا ، أو مع اقتصار على ما يتناولونه من دروس .

والفرق بين الحاضر في المدارس والجامعات اليوم ، وبين المتصدين للتدريس في القديم ، هو أن القدامى كانوا يُملون على طلابهم ـ افرادا او جماعات ـ دروسهم بلغة فصيحة سليمة ، وفي بطء ليتيحوا لهم فرصة الكتابة لما يلقونه عليهم كاملا . اذ لم يكن في تلك العهود القديمة مطابع يحصل بسببها على نسخ من الكتاب الذى الفه الأستاذ ، أوسع مما حاضر به أو أقل شمولا ، واذن فليس معهم ما يقابلون عليه ساعة الالقاء والتدريس ، أو يرجعون اليه بعد الاستماع ، للاستذكار ، اما اليوم فالمطابع اراحت الطلاب من الكتابة او اكثر ما فيها من عناء ، والأستاذ يتحدث وطلابه يصغون ليتابعوا حديثه الذى لا يمكن أن يدونه احد منهم كاملا الا اذا عرف طريقة الاختزال ، وهؤلاء قلة لا نظفر بهم الا في المؤتمرات ، أو مجالس الامة ، او المجامع . وكثيرا ما انحدر اسلوب التدريس فصار اقرب الى العامية ، حتى في دروس الادب وما يتصل به ،

فليس هناك اذن ما يغري الطلاب بالتسجيل . ما دام في الوسع الحصول على الكتب ، هبة من الجامعات ، أو شراء بنقود المتعلمين ، وليسوا هم بأقدر من الأساتذة في الصياغة بالفصحى .

ولئن تشعبت الدراسات في عصورنا الحديثة ، فلقد كان في القديم تشحب على قدر ما لديهم من فنون ، أغلبها ديني أو أدبي أو لغوي .

واماكن الدراسة الآن محددة المعالم والبقاع ، ولها نظم وشروط في الأعمار والأجناس والتحصيل ، اما أماكن الدراسة من قبل فكانت مباحة لكل قاصد وراغب ، طالما كان له ميل الى ذلك المعروض . قد يكون هذا في المساجد ، وقد يكون في مجالس عامة أو خاصة ، وقد تكون لدى الحاكمين وذوى الجاه واليسار ، ولكن لا يصل اليها في حال الحاكمين والوجهاء والموسرين الا الصفوة المختارة . وأخيرا يجيز الأستاذ من يرتضى علمه ، ويثق بكفايته فيصير من حقه أن يتحدث ويروى متى آنس في نفسه القدرة على الالقاء والبيان .

الأمالي وأملْ وأملى

والذى يلقى على الطلاب ليكتبوه هو « املاء » أو هو « املال » تقول : أملي عليهم الأستاذ قصيدة يُمليها املاء . ولك أن تقول أملَّ عليهم يملُّ املالا . وهذه كلمة «أمللت أُملُّ املالا» لغة الحجازيين وبنى أسد ، وبها جاء في القرآن في سورة البقرة الآية ٢٨٢ « فليكتب وليملل الذى عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا فان كان الذى عليه الحق سفيها أو ضعيفا أو لا يستطيع أن يملَّ هو فليملل وليه بالعدل».

وكلمة «أملى يُملى املاء» هى لغة بني تميم وقيس ، وبها أيضا جاء في القرآن في سورة الفرقان الآية الخامسة « وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تُملى عليه بكرةً وأصيلا » .

والتلميذ يستملي أستاذه ، تعنى بذلك انه يسأله أن يملى عليه ، ومن هذا قالوا للذى يطلب املاء الحديث من شيخ انه « المستملى » .

والأمالي كما يقول صاحب « كشف الظنون » جمع الاملاء ، وفسرها بقوله « وهو أن يقعد عالم وحوله تلامذته بالمحابر والقراطيس ، فيتكلم العالم بما فتح الله سبحانه وتعالى عليه من العلم ، ويكتبه التلامذة ، فيصير كتابا ، ويسمونه الاملاء والأمالي . وعلماء الشافعية يسمون مثله التعليق » .

ويبدو أن الاملاء وجمعه الأمالي مثل الاعراب في النحو وجمعه أعاريب . وأعاريب أيضا جمع اعراب التي هي قد تكون جمع أعرابي . واملاء « مصدر » لكنه لما صار اسما جاز جمعه ، ومثله احساس واحاسيس ، وعلى وزنه اعصار وأعاصير .

على أن أفاعيل تكون جمعا لمثل أُفعول ، كأُسطول وأساطيل ، وافعيل مثل ابريق وأباريق ، وازميل وأزاميل . وأكثر ما تأتي أفاعيل جمعا لأُفعولة مثل أُسطورة وأساطير وأرجوزة واراجيز وأنشودة وأناشيد .وأُثفية وأثافي وأُغنية واغاني وأحجية وأحاجي . ولك أن تخفف مثل الاغانيّ والاحاجيّ والأثافيّ والأماليّ فتقول الاغاني والاحاجي ..

وقد أورد الأستاذ الحبيب عبد الله بن أحمد العلوى الحسينى الحضرمى مصحح دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد في مقدمته لكتاب أمالى اليزيدى نقلا عن أقرب الموارد للشرتونى أن « أمالي جمع « أُمليَة » ولكن « أُمليَة » لم أجدها في اللسان والصحاح وتاج العروس ولا في أساس البلاغة ، ولم يذكرها صاحب كشف الظنون عند حديثه عن الأمالي . فلعلها قياس على أثفية وأُغنية . الا أن كلمة املال التى على وزن املاء جاء لها معنى آخر هو الابرام والاضجار ، تقول رجل ذو أماليل ، أى مُبرِم ، وهو جمع املال وأُملولة ، كما قال الزمخشرى في الأساس ، أو هو جمع املال واملالة وأملولة كما جاء في تاج العروس ، فلعل الأمالى هي جمع املاءة ، ومثل املاءة وأماليل اطنابة واطانيب .

كتب الأمالي

وكتب الأمالي التى أوردها « حاجي خليفة » صاحب « كشف الظنون » نذكر منها :

أمالي أبى يوسف يعقوب بن ابراهيم الحنفى المتوفي ١٨٣ هجرية وهي في الفقه .

أمالى ابن دُرَيْد في العربية « لغة » .

أمالى ابن الشجري المتوفي سنة ٥٧٢ هـ أملاه

في أربعة وثمانين مجلسا وختمه بمجلس قصره على أبيات من شعر المتنبي تكلم عليها وذكر ما قاله الشراح فيها وزاد من عنده .

امالي ابن حجر المتوفى سنة ٨٥٢ هجرية واكثرها حديث .

امالي الزجاجي في النحو .

امالي ابن الحاجب ابى عمرو عثمان بن عمر النحوى المتوفي سنة ٦٧٢ وهي تفسير بعض الآيات وفوائد شتى عن النحو .

هذا ولما كان ما يملى يكون في مجالس متعددة قيل له « مجالس » . ولما كان اكثره نوادر في اللغة والشعر قيل له نوادر .

ومما هو مطبوع ويتداوله الناس الآن :

امالي اليزيدى ، امالي القالي ، امالي الزجاجي ، أمالي ابن الشجرى ، أمالي الشريف المرتضى ، المسماة « غرر الفوائد ودرر القلائد » ، وهناك مجالس ثعلب . والنوادر لأبي زيد ولأبي مسحل ... وغيرهما .

لكن المتعارف عليه الآن عند اطلاق كلمة « الامالي » هو ما الفه « القالي » وهو المراد بمقالنا هذا .

اما اذا أردت الأمالي الخاصة بغيره فانك تذكرها بالاضافة الى صاحبها ، من ذلك « أمالي ابن الحاجب » وأمالي ابن الشجرى ... ومثل ذلك في المتعارف عليه « الحماسة » ، فاذا ذكرت مطلقة أريد بها حماسة ابى تمام ، اما غيرها فيذكر بالاضافة الى صاحبه ، مثل حماسة البحترى ، وحماسة الخالديين وحماسة ابن الشجرى . او تذكر موصوفة مثل الحماسة البصرية .

تختلف الأمالي باختلاف المملين

ونحن نلحظ ان ما يملى يختلف باختلاف العالم المملي ، وتبعا لميله وما برع فيه . ويغلب في الأمالي أن يبدأ الاستاذ الدرس بآية من القرآن ، او بحديث ، او بالمأثور من الشعر أو النثر ، ثم يتلو ذلك شرح ما أملى ، متناولا اختلاف الاعراب ان كان نحويا ، ويستطرد في الامثلة والشواهد ، او متناولا ما في ذلك من لغة ان كان لغويا ، فيشرح الالفاظ وما يتصرف منها ومعانيها ، محتجا لذلك بالمأثور عن العرب وأقوال الائمة السابقين ، ويحاول ان يأتي بالطريف الظريف ، ومن كان محفوظه الادبى وافرا كان ما يأتي به ويورده أمتع وأجمل ممن كان همه غريب اللغة أو اختلاف الاعراب . ولا يخلو ما يأتي به الأديب من فائدة لغوية يسوقها ، أو ابداء رأى في توجيه اعرابي ، ولكنه يأتى بذلك على فترْتٍ وتندْرة ، كما تأتي التوابل بين الشهى من الطعام ، فلا تغلب ولا تطغى ولا تخلو الامالي من مأثور الخطب ، ولطيف الحكم والأمثال ، وجزل التعابير . يتخلل كل هذا قصار الحكايات والاقاصيص وبعض الفكاهات .

وفي الأزمان السابقة ، حين لم تكن مطابع ، ولا توجد آلات الكتابة ومتطلباتها الا بمشقة ، انعم الله على اولئك السابقين بصفاء الأذهان ، وقوة الحافظة وقلة المشاغل ، والتوجه الى العلم رغبة في العلم ، وعملا بما نصحوا به من ان العلم يرفع دورا لاعماد لها ، وانهم ان كانوا سوقة فبالعلم يسودون ، وان كانوا سادة فبالعلم يتجملون ويفوقون ، فعكفوا عليه يحفظونه ، فارتقوا بين الناس ، وجالسوا ذوى الجاه والسلطان . وصانوا لنا – خلفا عن سلف – كل مانفع وأفاد ، أثبتوه او أثبته تلاميذهم في بطون الكتب . فبقى منه بعض يقاوم البلى والحدثان .

جهد القالي في اماليه

يقول القالي في مقدمة كتابه الأمالي مبينا جهده في التحصيل :

« فاني لما رايت العلم انفس بضاعة أيقنت ان طلبه افضل تجارة ، فاغتربت للرواية ، ولزمت العلماء للدراية ، ثم أعملت نفسي في جمعه ، وشغلت ذهني بحفظه ، حتى حويت خطيره ، وأحرزت رفيعه ، ورويت جليله ، وعرفت دقيقه ، وعقلت شارده ... »

ثم يقول مبينا أماكن املائه ، وانه لم يستعن بالكتب يقرأها ساعة الاملاء ، ذلك أنه وعى كل ما ألقاه على تلاميذه وحفظه :

« فامللت هذا الكتاب من حفظي في الاخمسة بقرطبة ، وفي المسجد الجامع بالزهراء المباركة » .

أما الزهراء فقد كانت مدينة صغيرة قرب

قرطبة بالاندلس ، اختطها عبد الرحمن الناصر من خلفاء بني أمية هناك ، وذلك في سنة ٣٢٥ هـ (٩٣٦ م) وعملها متنزها له ، ومسافة ما بين الزهراء وقرطبة ستة أميال وخمسة أسداس ميل ، كما يقول ياقوت في معجم البلدان .

واما الاخمسة بقرطبة فلم اجد لها تفسيرا صريحا ، لا في لسان العرب ولا في تاج العروس ولا في معجم البلدان ولا في معجم ما استعجم ولا في تقويم البلدان ولا في اساس البلاغة ، على ان اللغة فيها الاخمسة جمع خميس . والخميس هو احد أيام الأسبوع ، ومن معانيه أيضا الجماعة ، تقول : ما ادري اي خميس الناس هو ، اي جماعتهم . والخميس الجيش ، لانه على خمسة اقسام او لانه تخمس فيه الغنائم .

فهل ياترى يريد انه كان يمليه أيام الخميس ، او يريد انه أملاه على الجماعات ، او لعل الخميس ــ وجمعه اخمسة ــ اصطلاح لاهل قرطبة على المكان الذى تلقى فيه الدروس . ذلك ان قوله « في المسجد الجامع بالزهراء » مقابلا لقوله « في الاخمسة بقرطبة » يوحي أن الأخمسة تشبه المدارس او المساجد . لكن الأستاذ محمد عبد الجواد الاصمعي ، في مقدمته للامالي ، فهِمَ الأخمسة على انها جمع يوم الخميس ولهذا اقحم على كلام القالي ــ حين اقتبس منه ــ لفظة «ايام» فجعلها « في أيام الأخمسة » وهذا ولا شك دون دليل ولابرهان ، فنحن غالبا لانقول قرات هذا او عملته في السبت او في الاحد ، وانما نقول قرأته او عملته يوم السبت أو يوم الأحد أو في يوم السبت .. وكما قلت ان مقابلة الاخمسة بالمسجد الجامع توحى انها اصطلاح على مكان .

مزايا الأمالي وميول القالي

والقالي يبين لنا ما في الامالي من مزايا فيقول .

« وأودعته فنونا من الاخبار ، وضروبا من الأشعار ، وانواعا من الأمثال ، وغرائب من اللغات، على انى لم اذكر فيه بابا من اللغة الا أشبعته ، ولا ضربا من الشعر ، الا اخترته ، ولا فنا من الخبر الا انتخلته ، ولا نوعا من المعاني والمثل الا استجدته ، ثم لم أجلِه من غريب القرآن وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم » .

واملاء الكتب من الذاكرة اذا تعدد يجعل بينها بعض الاختلاف في الالفاظ ، وبعض الزيادة أو النقص : ولهذا لانستغرب ان نجد كتابا مخطوطا لمؤلف برواية عالم عنه ، فيه اختلاف عن مخطوط آخر لهذا الكتاب ، لاختلاف الراوى ، فمثلا « التهذيب » للازهرى برواية جُنادة ، يختلف اختلافا كثيرا عن التهذيب للازهرى نفسه برواية غير جُنادة عنه ، ومثل ذلك يقال في « أشعار الهذليين » ، وهذا اشبه بتعدد الطبعات للكتب الحديثة التي يتناولها مؤلفوها وهم احياء بالتعديل والتنقيح .

والقالي ميال الى اللغة ، وله فيها كتاب مؤلف ، ضاع اغلبه وبقي بعضه وطبع ، لهذا كانت عنايته في الامالي تنصب على اللغة ، لكن عنايته برواية المطولات من القصائد الرائعة كانت كبيرة ، فانت تظفر في الامالي بكثير من القصائد النادرة الجميلة التي كان حفظها من اهم ما اقام ألسنة الخطباء ، واجرى اقلام الأدباء ، وحبّبَ في مجالسة الرواة ، وجذب الطلاب الى الاستماع للاستمتاع .

ذكر الفضل لأهل الفضل

والامانة في اسناد الاخبار لأصحابها . وذكر الفضل لاهل الفضل ، والاعتراف بالجميل لذويه، ظاهرة تتمثل في مؤلفات التراث العربي ، لا سيما اوائلهم ، ممن جمعوا لنا الاشتات ووعوها ، والتقطوا المختارات ورووها .

وهذه امثلة مما يصدر به القالي ما يرويه .

« انشدنا ابو عبد الله نفطويه وابو الحسن الاخفش وابو بكر بن دريد ، والالفاظ مختلطة ــ لعبد الله بن سبرة الحرشي .. »

واملى ابو العبد صاحب الزجاج .. وقرات هذين البيتين في عيون الأخبار ..

« املى علينا ابو عبد الله قال « من كلام العرب ووصاياها » جالِسْ أهل العلم ، فان جهلت علّموك ، وان زللت قوّموك ، وان اخطأت لم يفنّدوك ، وان صَحِبْتَ زانوك ، وان غِبْتَ تفقدوك ، ولا تجالس أهل الجهل،فانك ان جهلت عنّفوك ، وان زَللت لم يُقوّموك ، وان اخطأت لم يُثبّتوك » .

حتى ما أُسند لشخص من لفظ أو ترتيب

للسياق لاينسون أن يثبتوه حين يملون ، ابراء للذمة ، واعترافا لصاحب الحق بحقه ، لا كما يفعل بعض الناس في هذه الايام ، حيث يسطون على المقالات والكتب ، وينسبون ذلك لأنفسهم دون رادع ولا وازع .

فمثلا يقول القالي :

« وانشدنا أبو عبد الله نفطويه قال : انشدنا أبو العباس احمد بن يحيى « ثعلب » وأبو العباس محمد بن يزيد « المبرد » لأبى حية النميرى ، يزيد بعضهم على بعض ، وانشدنا ايضا أبو بكر ابن دريد ، واللفظ والترتيب على ما انشدناه أبو عبد الله ... »

تعريف بالقالي

في منازجرد من ديار بكر ، ولد أبو على اسماعيل ابن القاسم بن عيذون بن هارون سنة ٢٨٨ هـ (٩٠٠ م) وبها نشأ ، ثم رحل الى بغداد ، فدخلها سنة ٣٠٣هـ في رفقة اكثرهم من « قالى قلا » وهى قرية من قرى « منازجرد » فلما دخلوا بغداد تُسب اليهم ، لكونه معهم ، فقيل له « القالى » او لعله هو انتسب الى « قالى قلا » لأنها كانت ثغرا من ثغور المسلمين لايزال بها مرابطون والناس يكرمونهم لذلك .

لكنه لما أطال المكث فى بغداد صار يقال له البغدادى .

ووجد في بغداد أئمة الحديث واللغة وكبار الرواة ، منهم أبو داود السجستانى صاحب السنن المتوفى سنة ٣١٦ (٩٢٨ م) وابو بكر بن مجاهد المقرىء المتوفى سنة ٣٢٤ وابراهيم بن السرى الزجاج المتوفى سنة ٣١١ وهو تلميذ المبرد . وابن دريد صاحب الجمهرة في اللغة المتوفي سنة ٣٢١ وغيرهم كثيرون فاخذ عنهم . وذاع صيته في بغداد وتحدثت به الركبان ، ووصل اسمه الى الخليفة الأموى بالاندلس عبد الرحمن الناصر ، فكتب اليه يرغبه في الوفود عليه . واستجاب لهذه الدعوة ، فلما وصل الأندلس استقبل استقبالا عظيما ، وكان وصوله الى قرطبة سنة ٣٣٠ هـ (٩٤١ م) وأكرم الخليفة مثواه ، واسند اليه مهمة تعليم ولى عهده « الحكم » وهناك اقبل عليه العلماء والادباء يأخذون عنه ويروون .

وقد شجعه الحكم على التاليف واغدق عليه ، وافرط في اكرامه ، لينقطع الى العلم والأدب والعكوف على التاليف . ولقد أجمع المؤرخون على انه كان من أعظم الرواة ، وكان أعظم مؤلفاته كتاب « البارع » فى اللغة ، كان يشتمل على ثلاثة آلاف ورقة . وكتاب الامالى . أما البارع فلم يظهر منه حتى الآن غير قطعة صغيرة ولا يعرف اين باقيه .

ولقد توفي القالى بقرطبة سنة ٣٥٦ هـ (٩٦٦م).

هذا وفي طبعة الأمالى سنة ١٣٤٤ - ١٩٢٦ ترجمة له مطولة كتبها الاستاذ محمد عبد الجواد الأصمعى الذى كان موظفا بدار الكتب .

طبع كتاب الأمالي

وفي سنة ١٣٢٢ هـ ١٩٠٤م طبع كتاب الأمالي في مطبعة بولاق الأميرية بالقاهرة ، مشتملا على الجزء الاول والجزء الثاني والجزء الثالث المسمى ذيل الأمالي والنوادر .

وطبع فهرس لشعراء الامالى سنة ١٩١٣ بليدن، وضعه المستشرق كرنكو .

ثم في سنة ١٣٤٤هـ ١٩٢٦م طبع الامالى بمطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة أيضا ، مع اضافة كتاب آخر متصل به اسمه التنبيه على أوهام الأمالى لمؤلفه أبى عبيد البكرى واسمه عبد الله ابن عبد العزيز ، توفي سنة ٤٨٧ هـ والبكرى نسبة الى قبيلة بكر بن وائل ، وهو من أجل العلماء والوزراء والمؤلفين .

يصحب كل ذلك فهرس واف للاعلام والقوافي .

والتنبيه على أوهام الامالى حققه الأب أنطون صالحانى اليسوعى المولود في دمشق ١٨٤٧ والمتوفى في غزير سنة ١٩٤١ .

وقد طبع الأمالى في المرة الاولى والثانية على نفقة ملتزمه اسماعيل يوسف بن دياب الذى سجل حانوت طبعه في المحكمة المختلطة اذ ذاك تحت رقم ٢٠٥ .

ثم في سنة ١٣٥٦ - ١٩٣٦م طبع كتاب متصل بالامالى وللبكرى أيضا ، واسمه سمط اللآلى في شرح امالى القالى ، وكان ذلك في مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر بالقاهرة ، وكان ذلك بتحقيق العالم الجليل عبد العزيز الميمنى .

والحق الأستاذ عبد العزيز الميمنى جزءا

ثالثا لسمط اللآلى وقال انه ذيل للآلى ، كتب على هذا الجزء انه « شرح لذيل امالى القالى ولصلة ذيله وتنبيه على اغلاطه المعدودة فيهما للعاجز عبد العزيز الميمنى » ، ثم الحق بكل ذلك فهارس وافية واستدراكات .

فالامالى ، وذيله ونوادره ، والتنبيه على اوهامه ، وسمط اللآلى ، وذيل اللآلى ، كلها صارت امرا متكاملا ، جمعت من النفع والفائدة مالا يغنى احدها عن الآخر ، لانها توضح ، وتنسب ، وتشرح ، كلها تعاون علمى وثيق وعناية بالتراث تشرح الصدور .

امثلة من الامالى

واليك نصوصا قصيره ، فيها طرائف واشعار رقيقة . اما القصائد الطوال وشروحها ، والنصوص الجزلة الحافلة باللغويات وشروحها فتركنا التمثيل بها .

« وانشدنى ابو بكر بن الانبارى قال : انشدنى ابى عن احمد بن عبيد » .

مالرسول أتانى منك باليـــاس
وقال أظهرْت بعدى جفوة القاسى (١)
إنى أحبك حبا لا لفاحشـــة
والحب ليس به في الله من بـــاس

وقرات على ابى بكر بن دريد (انظر ديوان مجنون ليلى تحقيق عبد الستار احمد فراج) .

ولما أبى إلا جماحا فـــؤاده
ولم يَسلُ عن ليلى بمال ولا أهل
تَسلّى بأُخرى غيرها فإذا الـتى
تسلّى بها تغرى بليلى ولاتسْلى

وانشدنا ابو عبد الله :

يامُنْيَةَ النفْسِ إن أُعطيتُ مُنْيَتَها
وسُؤْلَتى إن دَنَوْنا أو نأينـــاك
هل بِعتِنا بِبَديل منذ لم نَرَكُمْ
فما بشيء من الأشياء بِعنَـــاك
إنْ كنتِ لم تَذْكُرِينا عند فُرْقَتنا
فيَشهد اللهُ أنَّا ما نَسينـــاك

وحدثنا ابو بكر بن دريد رحمه الله قال : اخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال :

تذاكر قوم صلة الرحم ، واعرابى جالس ، فقال « منساة في العمر ، مرضاة للرب ، محبة في الاهل .. »

وطبيعة المراة هي هي من القديم اذ انها لاتعترف بانها كبرت ، وتنسى انها كانت منذ زمن تربا ونديدا لصاحبها ، وهذا شعر يورده القالى لحكيم بن عكرمة ، فيه طرافة ، اذ يقول :

تقولُ بُنَيَّةُ إذ أنكـــرتْ
قُنُوءًا من الشعَـــر الأحمـــر
برأسى : كَبِرْتَ وأودَى الشبابُ
فقلت مُجيبا لها : أبْصـــرى

(١) هذا الشعر هو كما في طبقات الشعراء لابن المعتز تحقيق عبد الستار أحمد فراج في صفحة ٤٢١ ـ ٤٢٢ منسوب الى سكن جارية محمود الوراق . وكانت أرسلت الى المعتصم العباسى خطابا لكى يشتريها ، وقد كان مالكها محمود الوراق ، أعطى ، فيها مائتى الف درهم ، فاحبت أن يشتريها المعتصم الخليفة ، فلما وصلت رسالتها الى المعتصم خرّقها ، اى تطعها فقالت :

مالرّسول أتانى منك باليـــاس
أحدَثْتَ بعد رجاء جفوةَ القاسى
فهَبْكَ ألحقتَ بى ذنباً بظُلمك لى
فما دعاك إلى تخريق قرطاســـى
يامُتْبعَ الظلم ظلماً كيف شِئْتَ فكن
، عندى رضاك على العينين والراس
إنى أحبّك حبا لا لفاحشـــة
والحبّ ليس به في الله من بـــاس

وبعدها خمسة عشر بيتا .

أما كنتِ أبصرتِني مـــرّةً
لياليَ نحن « بذي الجَوْهَـــر »
لياليَ أنتم لنا جِـــيرةٌ
ألا تذكرينَ ؟ بلى فاذكُـــرى
وإذْ أنا أغيَدُ غضُ الشـباب
أجـرُّ الرداءَ مع المِـــئزر
وإذ لِمّتي كجَناح الغُـــراب
تُرجَّل بالمِـسك والعنـبر
فغيَّرَ ذلك ما تعلمــــــين
تغيُّرُ ذا الزمـن المُنكَـــر
وأنتِ كلؤلؤة المَرْزُبـــانِ (١)
بماء شبابك لم يُعْصَـــر
وقد كان مضمارُنا واحـــداً
فأنَّى(٢) كَبِرْتُ ولم تكبَري؟

ونلحظ ان الأدباء القدامى كانوا يذكرون مالهم وماعليهم حتى من كان قبيحا تنفر من طلعته الفاتنات لايتحرج من ان يذكر ذلك عن نفسه،ومن ذلك ما ساقه لنا القالي في كتابه :

« قال : وحدثنى جحظة قال : حدثنى ابو العيناء قال :

تعشقتنى امراة قبل ان تراني فلما راتنى استقبحتنى ، فانشدتها :

وفاتنة لمّا رأتني تنكّـــرتْ
وقالتْ دَميمٌ أحولٌ ماله جِسْمُ
فإن تُنكِرى منّي احْوِلالاً فإنني
أديب أريب لا عَييٌ ولا فَدْمُ

فقالت لى : ياهذا ، لم أُردك لتولية ديوان الزمام ...

وهذا اعرابى قيل له : من لم يتزوج امراتين لم يذق حلاوة العيش ، فتزوج امراتين ، ثم ندم حتى انقلب به الأمر الى ان دعا الى العزوبة ، ومن لم يستطع ذلك فعليه بالقاء نفسه في الحروب يقول :

تزوجت اثنتين لفـرْطِ جهلـي
بما يشقَى به زَوْجُ اثنتـينِ
فقلت أصير بينهما خَـــروفاً
أنعَّمُ بين أكرم نعجتـــين
فصرت كنعجة تُضْحِي وتُمسِي
تُداوَلُ بين أخبثِ ذئبتـين
رضا هذى يُهيِّج سُخْطَ هذي
فما أعْرَى من احدى السَّخْطَتين
وألقَى في المعيشـة كل ضُـر
كذاك الضرُّ بين الضَّرّتـــين
لهذى ليلة ولتلك أخـــرى
عتابٌ دائـــم في الليلتـــين
فإن أحببتَ أن تبقـى كريمـــا
من الخيرات مملوء اليديـــن
وتدرك مُلْكَ ذى يزن وعَمـرو (٣)
وذى جدَنٍ ومُلْكَ الحـارثَين
ومُلْكَ المُنذرَيْنِ وذى نُوَاسٍ
وتُبّعِ القَديـمِ وذى رُعَيْنٍ
فعِشْ عزَباً فإن لم تستطعـــه
فضَرْباً في عِراض الجَحْفَلَيْنِ

■■
عبد الستار احمد فراج

---

(١) المرزبان : التاجر
(٢) انى من معانيها : كيف
(٣) ذو يزن وعمرو . الخ اسماء ملوك من العرب في الجاهلية .

طائرات الغد تتنافس في صنعها فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة وروسيا

• تتسابق الدول الكبرى على انتاج طائرات الركاب المدنية الأسرع من الصوت. وقد حققت فرنسا ـ بالاشتراك مع بريطانيا ـ تقدما كبيرا فى هذا المجال بتجاربها الناجحة على الطائرة الجديدة « كونكورد » Concord التى تنطلق بسرعة ١٤٠٠ ميل فى الساعة . أى بسرعة هى ضعف سرعة الصوت تقريبا. (سرعة الصوت ٧٦٠ ميلا فى الساعة عند سطح الارض،وهى ٦٦٠ ميلا على ارتفاع ٣٦٠٠٠ قدم من سطح الارض) .

أما الاتحاد السوفيتي فقد نجح كذلك فى تجاربه لصنع أول طائرة ركاب سوفيتية ـ من طراز « توبوليف ١١٤ » Tupolev تنطلق بسرعة ١٥٥٠ ميل فى الساعة .

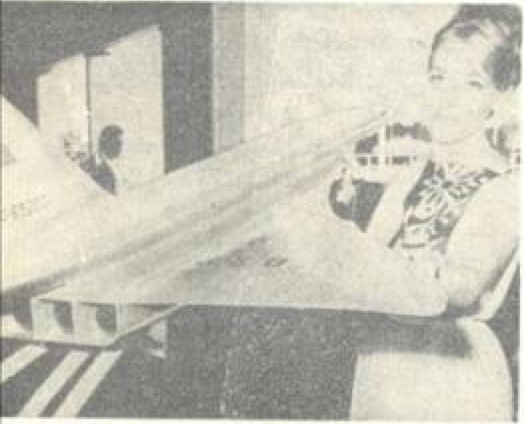
ولم تدخل الولايات المتحدة حلبة السباق حتى الآن . ويقال انها لن تجرب طائرتها الأسرع من الصوت ، قبل سنة ١٩٧٢ . وتعلل شركة «بوينج» الامريكية بأن طائراتها المنتظرة ـ التى أطلقت عليها أسم « بوينج SST » ـ ستختلف عن الكونكورد الفرنسية والانجليزية الصنع . ستكون أضخم وأكبر فالكونكورد تحمل ١٤٤ راكبا أما SST فستحمل أكثر من ٣٠٠ راكب. وستطير بسرعة ١٨٠٠ ميل فى الساعة اى أكثر سرعة من الكونكورد ، ومن التوبوليف السوفيتية .. وغير ذلك من الميزات التي تعددها شركة « بوينج » .

وتحاول الشركة المنتجة لطائرات « كونكورد » الانتهاء بأسرع ما يمكن لانتاج هذه الطائرة تجاريا قبل أن تنافسها الطائرات الامريكية . وكذلك تخشى الطائرة السوفيتية المنافسة .ان الشركة التى تسبق ستفوز بالتعاقد على تزويد معظم شركات الطيران العالمية باحتياجاتها من تلك الطائرات .

وفرصة الكونكورد الكبرى أن تسبق البوينج SST فى التعاقد مع شركات الطيران ، لأن فوزها هذا سوف يحقق ارباحا طائلة للخزينة الفرنسية والبريطانية فمن المنتظر ان تبدأ شركة الكونكورد بيع طائراتها قبل نهاية سنة ١٩٧٢ . واذا سارت الأمور كما تخطط لها الشركة فان مبيعاتها من هذه الطائرات ستصل



الكونكورد – الفرنسية الانجليزية – تطير بسرعة ١٤٠٠ ميل في الساعة .. أي ضعف سرعة الصوت .



الطائرة التجارية السوفيتية – توبوليف ١٤٤ – اخترقت هي الاخرى سرعة الصوت . وترى في الصورة فتاة بجانب «ماكيت» للطائرة السوفيتية

الى رقم ٩٨٥ طائرة – حتى سنة ١٩٨٥ – ثمنها ١٩ مليار دولار .

اما الطائرة الامريكية فلا ينتظر ان تستخدم تجاريا قبل سنة ١٩٧٨ . وقد حدد ثمنها – مبدئيا – بحوالى ٤٠ مليون دولار للطائرة الواحدة . وقد يرتفع هذا الثمن كلما اقترب موعد تشغيلها . فالطائرة المنافسة الاوروبية «كونكورد» قيل انها ستباع بحوالى ١٢ مليون دولار عندما وضعوا تصميماتها ، ثم ارتفع هذا الرقم وقيل انها لن تباع بأقل من ٢١ مليون دولار للطائرة الواحدة . وغير خاف ان كل هذه الطائرات تعتمد على السرعة في الوصول الى الأهداف .

اكثر أنواع السرطان انتشارا

● سرطان الرحم من اكثر انواع السرطان انتشارا ، واسهلها علاجا بشرط اكتشافه في مرحلة نموه المبكر . خصوصا وان تطور هذا الورم ليصبح ورما خبيثا يحتاج لمدة تتراوح بين ١٠ سنوات ، ١٣ سنة . وينصح الاطباء السيدات بفحص خلايا الرحم مرة كل سنة او كل سنتين .

وهناك السرطان الذى يهاجم الثدى . اقل ورم في هذا العضو يجب الا تهمله المريضة . ويتولى الطبيب الأخصائي معرفة ما اذا كان هذا الورم من النوع الخبيث ام لا .

وسرطان الرئة مسئول عن موت ٦٠ الف شخص سنويا في الولايات المتحدة . والمخيف ان هذا السرطان يزداد انتشارا وفتكا بالمرضى سنة بعد اخرى . ونسبة الوفيات بسرطان الرئة كانت ١٨٫٤ لكل

١٠٠ ألف نسمة فى الفترة بين سنة١٩٤٩ وسنة ١٩٥١، ثم ارتفعت الى ٣٩٫١ لكل ١٠٠ الف نسمة خلال الفترة بين سنة ١٩٦٤ وسنة ١٩٦٦ . اى انها ارتفعت الى ١١٣٪ خلال ١٥ سنة . وقد حاول عدد من الأطباء ان يجد علاقة مباشرة بين التدخين والاصابة بسرطان الرئة .

ومن انواع السرطان المنتشرة فى العالم ايضا ، سرطان المعى الغليظ Colon وسرطان المستقيم . ويموت بسببه فى الولايات المتحدة وحدها اكثر من٤٥ الف نسمة سنويا ، رغم ان هذا السرطان – مثله مثل سرطان الفم والرحم – من السهل جدا اكتشافه فى وقت مبكر ، وبالتالي يسهل تقديم العلاج اللازم . ولكن المرضى – أو معظمهم – لا ينتبهون لهذا الخطر ويهملونه. ولعل هذا الاهمال هو من أسباب ازدياد عدد ضحايا سرطان المعدة . فعدد الموتى منهم يتضخم سنة بعد سنة . رغم ان الأشعة العادية للمعدة تستطيع ان تحدد فورا ما اذا كان الالم الذى يحس به داخل بطنه ، سببه زيادة فى الافرازات الحمضية، أم سببه سرطان المعدة فى مرحلته البدائية ؟

تماما كما يمكن اكتشاف سرطان المثانة عن طريق اجراء بعض الفحوص للبول . فاذا جاءت النتيجة بوجود المرض ، امكن علاجه بسهولة ، وقبل أن يستحيل الشفاء .

المهندس السوفيتي كما تراه روسيا نفسها

● هناك مشكلة تواجهها الحكومة السوفيتية . لقد ثبت لها ان المهندس السوفيتي لا ينتج فى عمله بالقدر المطلوب منه . فخلال الفترة من سنة ١٩٢٨ وحتى سنة ١٩٦٩ تخرج فى كليات ومعاهد الهندسة السوفيتية ، عدد من المهندسين يفوق ضعف عدد المهندسين فى الولايات المتحدة الامريكية . ورغم هذا فان المهندس الامريكى ينتج أكثر بكثير مما ينتجه المهندس السوفيتي . وذكرت مجلة (Science & Vie) التى نشرت الخبر ان هناك عددا من الأسباب الرئيسية لهذا الاختلاف بين المهندس السوفيتي والمهندس الامريكى :

(١) ٧٠٪ من المهندسين فى الولايات المتحدة يشغلون مناصب لا تتناسب مع تخصصاتهم العلمية . وفى الاتحاد السوفيتي نشرت احصائية اتضح منها ان ٦٩٪ من المهندسين السوفييت يعملون فى وظائف لا تتناسب مع تخصصاتهم .

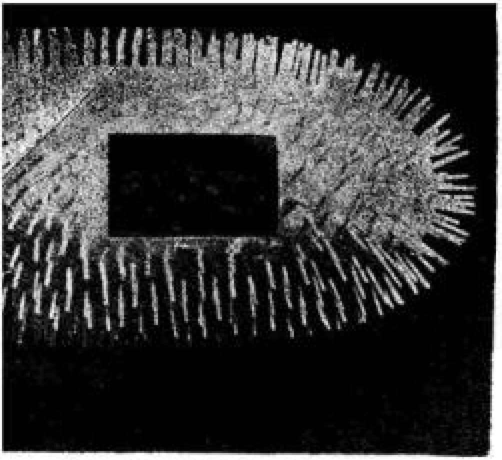
(٢) المهندسون السوفييت يحتاجون لمواصلة تعليمهم ودراساتهم . الكثيرون منهم يكتفون بالدراسات المسائية ، او عن طريق الدراسة بالمراسلة . وذكرت الاحصائية ان ٥٠٪ فقط من المهندسين هم الذين درسوا طول الوقت فى الجامعات والمعاهد العليا .

(٣) ليست هناك حوافز امام المهندس السوفيتي . لذلك لا يقبل الطلبة كثيرا على دراسة الهندسة . فالمهندس المبتدىء يتقاضى اجرا اقل من

داء الكلب
زادوا في مدة حجره

● ظل رجال الصحة الانجليز ـ حتى وقت قريب ـ يعتقدون ان نجاحهم فى وقف انتشار داء الكلب فى البلاد ، يعود لاجراءات الحجر الصحى المشددة . فالحيوانات لا يسمح بدخولها الا بعد حجزها فى الحجر الصحى لعدة شهور .. ضمانا لسلامتها من هذا المرض . كما لا يسمح لأى انسان بالاحتفاظ بالحيوانات الاليفة ـ مثل الكلب ـ الا بعد حقنها ضد داء الكلب .

هذا الاعتقاد تغير الآن . فقد اكتشف رجال الحجر الصحى فى بريطانيا ان اعراض مرض الكلب ظهرت على كلبين رغم حجزهما لمدة تزيد على ٦ شهور . وعلى الفور اصدر وزير الزراعة البريطاني قرارا بمد فترة الحجر الصحي الاجبارية ورفعها من ٦ شهور الى ٨ شهور كاملة . كما عكف العلماء على دراسة هذه الظاهرة الجديدة ، فانتهوا الى ان فيروس مرض الكلب (Raties) ، قد اتخذ له شكلا جديدا بحيث يحتاج الآن لفترة اطول من السابقة ، قبل ان تظهر أعراض المرض الذى يسببه .



فيروس مرض الكلب اتخذ شكلا جديدا بحيث يحتاج لفترة حضانة اطول قبل ظهور أعراض المرض .

ومرض الكلب ، من الأمراض الخطيرة جدا . فعضة بسيطة من حيوان مريض، يمكنها ان تنقل العدوى للانسان ، حتى ولو لم تكن أعراض المرض قد ظهرت بعد على الحيوان .

وتظهر اعراض المرض على الانسان بعد فترة تتراوح بين ١٤ يوما ـ اذا كانت الاصابة فى الوجه ـ ومن شهر الى شهرين اذا كانت الاصابة فى باقى اعضاء الجسم المغطاة بالملابس . وخلال هذه الفترة يكون الجرح قد التأم تماما ، ولم يترك اثرا مميزا على الجلد . ويبقى المرض لتظهر اعراضه المخيفةالتى يعرفها كل انسان وتلك التى تنتهى بموتة زرية كموته الكلاب المسعورة ، او أشد زراية.

اجر العامل فى المصنع ومن اجر سائق الجرار فى المزرعة . كما ان العلاوات والترقيات تحدد على اساس تغيير المنصب او الخط لا على أساس الخبرة او الاجتهاد .

ونشرت المجلة الفرنسية ان هذه المشكلة ـ أو محنة المهندس السوفيتي ـ أصبحت تناقشها اليوم الصحف السوفيتية فى محاولة منها لايجاد الحل السريع ، الذى ينشط المهندس ويزيد من الانتاج .

ولعل فى هذا عبرة للبلاد التى لا تزال قائمة فى تنشئة موظفيها وارباب الفن فيها فمن أخطاء الدول الكبيرة ، ان تكن هناك اخطاء ، تتعلم الدول الصغيرة .

كتاب الشهر

تاريخ هيرودوت

بقلم : على أدهم

■ التاريخ فرع من فروع المعرفة التي كثر فيها اختلاف الآراء ، وتعارض النظريات والاحكام ، ولا يزال موضوعه محفوفا بالغموض برغم تكاثر الفلسفات التاريخية ، والتفسيرات المنوعة ، ولا تزال هناك صعاب قائمة في تحديد مكانته ، واستقصاء معالمه ، والماضي ليس له وجود الا في الصورة التي يصورها لنا خيالنا ، اي في الصورة التي يعيد العقل خلقها ، ولعل هذا هو الذي حدا الفيلسوف الايطالي بندتو كروتشة على أن يقول كلمته المشهورة وهي « ان كل تاريخ تاريخ معاصر » .

وكانت الاساطير والخرافات غالبة على التاريخ في أول امره ، لان الاسطورة او الخرافة تشغل بال الرجل البدائي اكثر مما تعنيه الحقيقة الواقعة ، والخيال والتوهم اشد استيلاء على نفسه من الرؤية العقلية والمشاهدة الحسية ، وليس من الامور السهلة رؤية الحقائق التاريخية كما هي في الواقع ، والقدرة على ذلك ليست من الهبات التي تجود بها علينا الطبيعة في يسر واسماح ، وانما هي ثمرة من ثمرات الثقافة العالية ، ولم يصل اليها شعب من الشعوب الا بعد ان وصل الى مستوى رفيع من النضج الفكرى ، وقد لوحظ في حياة الامم وتاريخ الادب ان الشعر كان على الدوام اسبق من النثر ، وليس ذلك بالمستغرب ، لان الشعر عماده الاخيلة والاحاسيس ، والنثر اكثر اعتماده على الفكر والمنطق ، ولذلك كان الشعر القريب من الانشاء التاريخي رائجا وشائعا عند معظم الامم القديمة قبل ان يكون لها تاريخ ، فالهند تفخر بالرامايانا والمهابهاراتا ، وظهرت عند اليونان الياذة هوميروس والاوديسا قبل ان تعرف الادب التاريخي ، وقد تكرر ذلك في تاريخ اوربا فظهر الشاعر دانتي في مطالع عصر الاحياء قبل ظهور المؤرخين جويكشيارديني وماكيافللي ، واظهر شكسبير براعة فائقة في تصوير الشخصيات لم يستطع الاقتراب من مساماتها المؤرخون الانجليز الا بعد مضي فترة من الزمن .

فن كتابة التاريخ

وقد بلغت بعض الامم القديمة مستوى حضاريا عاليا ، ولكنها مع ذلك لم توفق في اجادة فن كتابة التاريخ ، وقد كانت كتابة التاريخ عند قدماء المصريين والاشوريين مقصورة على سلاسل انساب الملوك والاسر الحاكمة ، ومدونات عن الغزوات الحربية والحملات الظافرة ، والمعاهدات والجزى والاحداث الهامة والمغامرات ، وحوليات البلاط ومدائح الملوك ، والواقع ان ملابسات الظروف والاحوال التى ساعدت على توجيه العناية في كتابة

كتاب خالد تحرص عليه الإنسانية



التاريخ على هذا النمط كانت هي نفسها التي تحول دون تقدم الكتابة التاريخية ، وارتفاع مستواها ، وذلك لان ازدهار الكتابة التاريخية يستلزم وجود قومية قائمة في ظلال الحرية والمساواة ، ولم يكن هذا متوفرا في كثير من الامم القديمة ، ولذلك جاء التاريخ الذي دون في اكثر تلك الامم الخالية سطحيا ضيق المجال ، لانه كان يكتفي بسرد اخبار افراد الطبقة الحاكمة والاحداث العامة ، منفصلة عن بيان اسبابها وعللها .

ولم يصبح التاريخ فنا مستقلا قائما بذاته لاشباع غريزة حب الاستطلاع عند الانسان وحرصه على معرفة ما صنعه اخوانه البشر الا عند اليونانيين ، وقد استهل هيرودوت كتابه عن التاريخ بقوله : « هذه بحوث هيرودوت الهاليكارناسوسي يقدمها قاصدا الا يمحو الزمان ذكرى ما قام به الرجال ، وليحول دون فقد الاعمال العظيمة العجيبة التي قام بها اليونانيون والبرابرة نصيبها من التمجيد الجديرة به ، وليسجل الاسباب التي دعت الى نشوب الحرب بينهما » .

وقد ظهر النثر عند اليونانيين بوصفه ادبا متأخرا عن ظهور الشعر ، واذا استثنينا القوانين والشرائع اليونانية المبكرة وجدنا ان النثر اليوناني كان في بدء ظهوره مصطبغا بالصبغة العلمية ، ولم يكن معروفا قبل القرن السادس ق.م ، وقد ظل اهتمام اليونان الطبيعي بالتاريخ مكتفيا لمدة قرون بالشعر الملحمي ، وكان يبدو لهم ان هذا الشعر يعبر تعبيرا صادقا عن وقائع التاريخ ، ولكن ظهور الروح العلمية معناه انه لا يمكن التسليم بكل ما ترويه الملاحم ، كما انه ليس في مستطاع العالم الباحث ان يضمن كشوفه العلمية شعرا حماسيا ، وكانت هناك عناصر من النثر في الاساطير المجموعة ، وسلاسل الانساب المحفوظة ، والتي كانت تجمع لترضي كبرياء الاسر المعنية باثبات عراقة اصلها ، ونصاعة ماضيها ، ولم تظهر كتابة تاريخية بالمعنى الحديث المألوف الا بعد ان أثارت الحرب الفارسية اليونانية حب الاستطلاع في نفوس اليونانيين ، وبعثتهم على ان يتعرفوا احوال هؤلاء القوم الذين هددوا حضارتهم ، وتعرضوا للكبرياء اليونانية ، وليسجلوا انتصارهم على هذه الامبراطورية الضخمة القوية التي تصدت لهم وناصبتهم العداء .

وكان اول تاريخ حقيقي يكتب باليونانية هو ما كتبه « هيكاتيوس الميليتي » الذي نبه شأنه حوالي سنة ٥٠٠ قبل الميلاد ، وقد صرح في كتابه المفقود قائلا : « ان ما اكتبه هنا هو البيان الذي اعده حقا ، لان الروايات اليونانية متعددة وفي رأيي انها تدعو الى السخرية » ويبدو ان كتابه كانت تغلب عليه صفة الجغرافيا ، ولكنه احتوى مع ذلك على الكثير مما يدخل في التاريخ ، وقد تناول موضوعه من وجهة نظر انتقادية عقلانية ،

ولم يحجم عن تجريح الاساطير الشائعة وحاول ان يذكر عن عصره ما يراه حقا ، وآثر ان يجعل هدف التاريخ ذكر الحقائق لا التسلية والترفيه .

هيرودوت ابو التاريخ تاريخ حياته غير معروف !!

ولم يمض ربع قرن على ازدهار هيكاتيوس حتى ظهر هيرودوت الملقب « بأبي التاريخ » وكتابه من الكتب التي لم يسمح الزمن بضياعها أو التقليل من اهميتها ، وقد شاء القدر أن تكون حياة أبي التاريخ محفوفة بالغموض من شتى نواحيها ، وبرغم كثرة ما كتب عنه فان مسائل كثيرة فـي حياته لا يمكن القطع بصحتها ، فنحن نجهل سنة مولده ، وسنة وفاته ، وكيف واين قضى معظم ايامه ، والسبب الذي حفزه الى كتابة كتابـه الضخم الحافل ، ومتى قام برحلاته ومغامراته ، ولماذا قام بها ، وأكثر معلوماتنا عنه مستمدة مـن كتابه .

والمرجح انه ولد حوالى سنة ٤٨٠ ق.م بمدينة هاليكارناسوس الواقعة في جنوب آسيا الصغرى على البحر الابيض المتوسط ، وهو ينتمي الىأسرة من الأسر الموسرة العريقة الحسب التي اشتهرت بحبها للأدب والفنـون ، وقد غرست فيـه هذه النشأة حب الاستطلاع ، وقوت رغبته في المعرفة ، فاكب على قراءة الادب ، وعني بالاطلاع علىالشعر بوجه خاص ، وحينما ناهز العشرين خاض لجج السياسة ، وشارك في الحركة القومية التيتزعمها عمه الشاعر الملحمي بانياسيس للاطاحة بحكم الطاغية لوجداميس ، وكان لوجداميس قد قتل عمه ونفاه ، وقد اضطر الى أن يهاجر من مدينته الى جزيرة ساموس ، ثم عاد اليها للمشاركة في القضاء على حكم الطاغية « لوجداميس » وتوطيد النظام الديمقراطي في مسقط راسه ، ووجد نفسه مكروها من مواطنين آخرين فآثر فراق بلده مرة ثانية ، واخذ منذ ذلك الوقت يطوف في اقطـار الأرض المعروفة ، فزار بلاد اليونان ، وزار مصر ، وتوغل فيها حتى وصل الى « الفنتين » ، وانتهى في رحيله غربا الى قورينة وشرقا الى سوسة ، وشمالا الى المدن اليونانية الواقعة على شاطىء البحر الاسود ، وقدم اثينا قرابة سنة ٤٤٧ مزودا بمجموعة ضخمة من الاخبار والمعلومات التاريخية والجغرافية عن الدول المحيطة بالبحـر الابيض المتوسطوتاريخها وعاداتأهلها وطبائعهموتقاليدهم، وقد استعان بهذه المذكرات وبما استمده من كتاب هيكاتيوس على تاليف كتابه المشهور ، وقد وصف في هذا الكتاب حياة الناس في مصر والشرق الادنى وبلاد اليونان وتاريخها من ابتداء عصر الخرافـة الى نهاية الحرب الفارسية اليونانية .

وفي بعض الروايات انه حينما ذهب الى أثينـا وقرأ بعض اجزاء كتابه على الجمهور أعجب به الاثينيون اعجابا شديدا ، وراقهم وصفه للحرب ، وما قاموا به من الأعمال المجيدة ، وانهم أثابوه على ذلك .

ويقول جورج رولنسون في المقدمة القيمة التي صدر بها الترجمة الانجليزية لكتاب هيرودوت : « يحتمل أن يكـون هيرودوت قـد ظل مقيمـا في هاليكارناسوس مع قيامه برحلات طويلة لجمـع المعلومات التاريخية والجغرافية حتى قرب عـام ٤٤٧ ق.م حيث صار في حوالى السابعة بعـد الثلاثين من عمره ، وقد وصل بمؤلفه الى درجة معينة من التمام ، ولو أنه كان اقل مما صار اليه اخيرا ، وعندئذ انتقل الى بلاد الاغريق نفسها ، واقام في أثينا ، والظاهر أن هاليكارناسوس كانت قد طردت طغاتها قبيل ذلك ، وانضمت الىالحلف الاثيني ، ولذلك رحب بمؤلفنا الشاب من أجل بلده كما رحببه مناجلذاته ، واذا كان لنا ان نثق باقوال ايزبيوس Eusebius ، فان مجلس أثينا قرر في سنة ٤٤٦ ق.م مكافأة لهيرودوت عـن مؤلفهالتاريخي العظيمالذي قراه على أهل أثينا» .

لماذا هاجر من أثينا ؟!

وقد انتقل هيرودوت مـن أثينـا الى توريـوم الواقعة في جنوب ايطاليا والتي انشئت سـنة ٤٤٤ ق.م ، واستقر بها حتى ادركته الوفاة .

ويعلل جورج رولنسون انتقاله من أثينا الى توريوم بقوله « ليس منالصعب أننستنتجالسبب الذي دفع مؤلفنا الى مغادرة أثينا مع اعجابأهلها به والاقامة في احدى المستعمرات التابعة لها ، فانه لم يكن يستطيع الحصول على حقوق المواطن بها ، وان الاغريقي غير المولع بجمع الاموال او المهتم

بدراسة الفلسفة ليشق عليه الا تكون له حقوق سياسية كي يشترك فيما يكون الحياة اليومية ويشغل الفكر باستمرار فيما حوله ، وقد قال ارسطو « لا يكون الرجل رجلا الا اذا كان مواطنا » وهذا هو الشعور الذى كانت تحس به جميع الامة الاغريقية ، وفضلا عن هذا كانت الحياة في اثينا شانها شان سائر العواصم باهظة النفقات،والثروة التى كانت تعتبر في هاليكارناسوس طائلة اذا لم تكن قد نفدت في اثينا فانها لا تكاد تمكن الانسان من الحياة فيها ، ويدل قبول هيرودوت مبلغا من المال من الشعب الاثينى على أن موارد معيشته كانت قد انخفضت وقت ذاك ، وربما تكون موارده قد نضبت من جراء نفقات رحلاته الطويلة،وتاثرت بمغادرته هاليكارناسوس،وعلى اية حال فان ظروفه دفعته الى الترحيب بالدعوة التى وجهتها اثينا الى المغامرين في جميع انحاء بلاد الاغريق كي يحصل كل منهم على قطعة ارض تجعله فوق مستوى الاحتياج ، وينال فيها حقوق المواطن ، وعلى ذلك انضم هيرودوت في سنة ٤٤٢ ق.م الى فئة المستعمرين الذين ارسلهم بركليز الى ايطاليا ، وصار من اوائل مستوطنى ثوريوم ، وكان قد جاوز الاربعين من عمره حسب اجماع الكتاب القدامى » .

ويرى المؤرخ المعروف ج.ب.بيوى J. B. Bury ان اهم رحلات هيرودوت رحلته الى بابل ورحلته الى مصر ، وانه قام بهاتين الرحلتين في الجزء الاخير من حياته ، وهو من مواطنى مدينة ثوريوم ، وان السنوات التى انقضت بين نفيه من مسقط راسه وارتحاله الى مستقره الجديد كان في خلالها على الارجح في اثينا يجمع اخبار غزو كسيركسيس Xerxes ويرى بيورى انه من المحتمل ان يكون هيرودوت قد زار اثينا وهو في طريقه الى الشرق أو في عودته منه ، ولكن ليس هناك ما يحملنا على الظن بانه ترك ثوريوم واقام في اثينا في السنوات الاخيرة من حياته كما راى بعض الباحثين .

كتاب من تسعة اجزاء

ويدور كتابه في التاريخ حول سرد العلاقات بين اليونان والفرس منذ اعتلاء كرويسوس Croesus عرش ليديا حتى سقوط سيستوس سنة ٤٧٨ ق.م . وتقسيم الكتاب الى تسعة اجزاء لم يقم به المؤلف لان مثل هذا التقسيم لم يكن متبعا في عصره ، وقد قام بذلك احد الناشرين الاسكندريين، والاجزاء الثلاثة الاولى تشمل حكم كيروس وقمبيز واستيلاء دارا على عرش فارس ، وفي الجزء الرابع والجزء الخامس والجزء السادس يتناول عهد دارا ، وفي الاجزاء الثلاثة الباقية يتحدث عن كسيركسيس ، وقد ضمن الاجزاء الثلاثة الاولى تاريخ آسيا ومصر ، وذكر في الاجزاء الثلاثة التالية ما عرفه عن تاريخ اوروبا ، وتناولت الاجزاء الثلاثة الاخيرة تاريخ اليونان ، وقد تحدث في اجزاء الكتاب عن ظهور الدولة الفارسية وانتصاراتها ، ومقاومة اليونانيين لها ، وانتصارهم عليها،واخفاق الفرس في الاستيلاء على اسكوذيا ، وهزيمتهم في ماراثون ، وغزو كسيركسيس وانتصاره في ثرموبولى، واندحاره في سلاميز .

والعنصر الجغرافى ظاهر في شتى اجزاء الكتاب حتى ذهب بعض النقاد الى انه كان يقصد في بادىء الامر ان تكون بعض اجزائه كتابا في الجغرافيا ، ولكنه ادمجها بعد ذلك في كتابه عن التاريخ ،ولكن ليس هناك ما يحمل على قبول هذا الراى ، وكان امتزاج التاريخ بالجغرافيا من سمات المؤلفات التاريخية في اول عهد اليونان بكتابة التاريخ ، وقد اقتدى هيرودوت بالمؤرخ هيكاتيوس في مزج الجغرافيا بالتاريخ ، وعول عليه واقتبس منه ، وان كان من الحين الى الحين يوجه اليه بعض النقدات لكى يثبت تفوقه عليه .

وقد لوحظ عليه انه كثير الاستطراد ، ولا يتردد في عرضه للاحداث من التوقف عن متابعة السرد ليروى قصة شائقة ، او يحكى نادرة طريفة ، او ليورد بعض المعلومات القيمة والملحوظات الهامة التى تنفى الملل عن القارىء ، وتجدد نشاطه ، وتشحذ شهيته لمتابعة سرد الاحداث ، وتصوير الوقائع ، وقد اتبع طريقة هومر في جعل الاشخاص يتحدثون ، فكسيركسيس وماردونياس وارتبانوس يبدى كل منهم رأيه ، ويدلى بحججه قبل البت في غزو بلاد اليونان واتباع هيرودوت لهذه الطريقة جعل مشاهده واضحة متألقة ، وبث في الكتاب حيوية قوية ، واسبغ عليه نفحة ملحمية ، وكان هيرودوت يقصد الى استمالة القارىء واجتذاب انتباهه ، وان يبلغ بنثره ما بلغه استاذه ومثله الاعلى هوميروس بشعره .

الصراع بين الفرس واليونان

وقد رأى هيرودوت في الصراع بين الفرس واليونان معنى أعمق من النتيجة السياسية ،فهذا الصراع كان في رايه احتكاكا وصداما بين طرازين مختلفين من طرز الحضارة ونظامين سياسيين متباينين ، وشعبين لكل منهما عاداته وتقاليده ومزاجه وعقليته الخاصة ، وقد عمل على توضيح الفرق بين الأوتقراطية الفارسية والديمقراطية اليونانية ، ومعظم الاخبار التى ساقها هيرودوت وكانت تعترض سرد الاحداث قصد بها تاكيد هذا الاختلاف بين نظر الفرس الى الحياة ونظر اليونان اليها ، وقد ساعد ذلك على ايجاد الوحدة التى انتظمت المعلومات الكثيرة والروايات المتناثرة التى جمعها الكتاب ، ومن امثلة ذلك الحديث الشائق بين كرويسوس ملك ليديا والذى عرف بثرائه العظيم وبين سولون الحكيم اليونانى الشهير حينما ساله كرويسوس عن من هو اسعد رجل رآه ، وكان كرويسوس يتوقع ان سولون بعد ان شاهد كنوزه وما يتقلب في أعطافه من مظاهر الرغد والعيشة الرافهة والنفوذ الواسع سيعده في طليعة السعداء المحظوظين ، وعجب اشد العجب لما خيب الحكيم اليونانى ظنه ولم يذكره ضمن السعداء ، والحديث الذى دار بين العاهل الشرقى الواثق من مكانته والمعتز بثروته والحكيم اليونانى المفكر الذى يعرف تقلب الايام وتنكر الحظوظ بين النغمة التى يرددها هيرودوت في كتابه ، وهي اظهار الفرق بين العقلية الشرقية والعقلية اليونانية ، وكما ان اشعار هوميروس تقدم لنا صورة حية للثقافة اليونانية القديمة ، فكذلك هيرودوت يعرض لنا وجهات نظر الحضارة الهيلنية في القرن السادس قبل الميلاد ، ويصف لنا ثقافة المشارقة الذين اتصل بهم وزار بلادهم .

الخرافات والأساطير وموقف هيرودوت منها

ولم يتناول هيرودوت تاريخ العصر البطلى ، ولكنه حينما يعرض لبعض الاساطير المتصلة بذلك العصر يبدى بعض الشكوك ، ولكن ليس معنى ذلك انه كان من المؤرخين الذين يخضعون الاخبار التاريخية لمنطق العقل ، او ممن خالجهم الشك في الدين بوجه عام ، فقد كان ينظر الى الحياة البشرية باعتبارها خاضعة لقوى تفوق قدرة الانسان ، وهذه القوى في ممارستها للسيطرة التامة على الحياة البشرية تتأثر بنوازع الحسد والغيرة وحب الانتقام او الغضب الحق ، وهي الى حد ما تتحرى مبادىء العدالة فتثيب المحسن وتعاقب المسيء ، وقد تمد بالمعرفة ، وتفضي بالاسرار الخفية بطريق الهامها للعرافين او بطريق النذر والعلامات والاحلام ، ولم يكن هيرودوت مستعدا للتسليم بوجود اتصالات بين البشر والآلهة أكثر من ذلك ، ولم تكن فلسفته من القوة والتماسك بحيث تنكر الاتصالات بين البشر والآلهة الوارد ذكرها في الملاحم،لان الفصل بين الاشياء الانسانية والاشياء الالهية لم يكن عنده حاسما،ولكن اعتقاده ان الاتصالات المباشرة بين الآلهة والبشر كانت مقصورة على العهد البطلى حماه من التورط في الكثير من الخرافات ، او جعله على الاقل يقف من بعضها موقف الراوى والمتشكك ، وهو في روايته لبعض الاقاصيص التى تتضمن اشتراك قوى علوية يرفض احتمال التبعة ، ويقول انه يروى ما بلغ مسامعه ، او يرويها بطريقة تنم على السخرية الخفية والتهكم المستور كما كان يفعل فولتير في القرن الثامن عشر ، وباسلوب يرضي المؤرخ الكبير جيبون الذى الظهر في اتباع هذه الطريقة براعة ترضي احرار الفكر ، وتقض مضاجع المتشددين في العقيدة ، فهو عندما يروى قصة الثعبان المقدس الذى زعم الاثينيون انه يقيم في الاكروبول يقول « يزعم الاثينيون ان ثعبانا ضخما يعيش في المعبد ويحرس القلعة ، ويقدمون في كل شهر كعكةمحشوة بعسل النحل لمخلوق حي » ، وهي كما يرى القارىء رواية لا تلزمه بشيء !

ولم يرفض هيرودوت فكرة ان الآلهة كانت يوما تمشي في الارض ، وتخالط البشر ، ولكنه مع ذلك انكر انتساب « هيراكليس » و « برسيوس » الى الآلهة ، ويعلل المؤرخ بيورى ذلك بانه تأثر في هذا الشك بالمؤرخ « هيكاتيوس » ، ولم يكن هذا الشك ثمرة الحركة العلمية والفلسفية التي ظهرت في ايونيا وحدها ، وانما كان كذلك ثمرة الاطلاع على الاساطير المصرية ، لان تلك الاساطير التي تلقاها هيرودوت عن استاذه « هيكاتيوس » كانت كانت ترجع بتاريخ الانسانية الى آلاف السنين ، وترد عهد الآلهة الى الازمنة العريقة في القدم ، وقد استخلص هيرودوت من ذلك ان التقاليد

اليونانية التى ترجع عهد الآلهة الى ما قبل قرابة ثمانمائة سنة لا يمكن ان تكون صحيحة ، اذ ليس من المعقول ان مصر كانت في عصر لا يخالط فيه الناس الآلهة على الارض على حين ان الآلهة كانت تماشي الناس في بلاد اليونان ، وقد جعل ذلك الشك يتسرب الى فكرة وجود قوى فوق سيطرة الانسان فى العصر البطلى اليونانى .

ولا يشك المؤرخ بيورى في أن هيرودوت حينما زار مصر كان يحمل معه ما كتبه « هيكاتيوس » عن رحلته لمصر وانه استرشد به في زيارته للمعابد المصرية ، وقد صحح بعض الاخطاء التى تورط فيها « هيكاتيوس » ، واضاف معلومات جديدة ، ولكن كتاب هيكاتيوس كان الاساس الذى بنى عليه ، وان كان لم يذكر ذلك ولم يعترف بما هو مدين به لهذا المؤرخ الرائد ، ولم يكن القدماء يعنون بذكر المراجع التى استمدوا معلوماتهم منها ، ولذلك لم تعد اقتباسات هيرودوت من قبيل السرقة الادبية، وقد اشار هيكاتيوس الى اهمية النيل في حياة مصر بكلمته المشهورة وهى « ان مصر هبة النيل » وقد اقتبس هيرودوت هذه الكلمة ، فنسبت اليه ويقول بيورى ان هناك قليلا من الشك في ان هيكاتيوس كان مرجعه الرئيسي فيما كتبه عن تاريخ الشرق في باكورته ، وانه كذلك كان مرجعه في وصفه لسكوذيا وليبيا ، كما اعتمد كذلك على بعض مراجع من مؤلفات المدرسة الايونية .

يكتب للأطفال والفلاسفة !!

ويقول جيبون عن هيرودوت « انه في بعض الاوقات يكتب للاطفال ، وفي اوقات اخرى يكتب للفلاسفة » والواقع انالاقصوصات والنوادر التى كثيرا ما تعترض سرده للاحداث التاريخية ترضى الفريقين ، وبعض هذه الاقصوصات كان يظن ان لها نصيبا من الحقيقة ، ولم تعتورها الشكوك الا في العصر الحديث .

ويقول بيورى ان هيرودوت كان يميل الى اتباع ثلاثة مبادىء في نقده التاريخى ، ولكنه لم يكن يتبعها بدقة واحكام ، المبدا الاول هو الاشتباه في الاحداث التى تعزى الى قوة فوق سيطرة الانسان او وقوع المعجزات التى تناقض المالوف في الحياة العادية ، ولكنه كان لا يطبق هذا المبدا في تصديقه بالنذر والاحلام وتكهنات الكهان والكاهنات ، والمبدا الثانى ان المؤرخ عندما تواجهه ادلة متعارضة او روايات للحوادث مختلفة عليه ان يتحرى النزاهة والتجرد من الاهواء ، ولكن هذا لم يمنع هيرودوت من التحيز للاثينيين ، والمبدا الثالث هو ايثار الاخبار والمعلومات التى يتلقاها المؤرخ مباشرة من الذين شاهدوا الحوادث واشتركوا في الوقائع ، وتفضيلها على الاخبار المنقولة أو المروية ، ولكن هذا المبدا كذلك لم يحم هيرودوت من الاعتماد على اخبار سدنة المعابد والمرشدين والادلاء والمترجمين في مصر ، على أن هذه المبادىء الثلاثة لها قيمة كبيرة في البحوث التاريخية ، وهى الاسس التى بنى عليها المنهج التاريخي، ومما أخذ على هيرودوت انه كتب تاريخ حرب من الحروب العظيمة دون ان تكون عنده معلومات اولية عن احوال الحرب ، وتنظيم الجيوش وقيادتها ، وكتابه برغم ذلك يقدم لنا صورة جلية عن الحضارة في القرن السادس قبل الميلاد ، وهو يعد من قبيل كتب التاريخ العام، لانه يروى لنا اخبار الجزء الذى كان معروفا من الكرة الارضية في تلك الازمنة على وجه التقريب ، وربما كان من حظ الادب انه لم يكن اكثر مما هو تدقيقا في تحرى الاخبار ، فانه لو كان كذلكلحرمنا من الاستمتاع بقراءة تلك الاقاصيص الطلية والنوادر الممتعة والاساطير المسلية التى تضمنها كتابه ، وهو اوسع مجالا من كتاب توكوتيدس الذى اقتصر على كتابة تاريخ الحرب البليبونيسية ، وفي الكتاب معلومات طريفة عن المجتمعات التى وصف عاداتها ومعتقداتها،وهو لا يقتصر علىتصوير حياة الملوك والملكات والاعيان ، بل يصور كذلك حياة مختلف الطبقات ، وبرغم وطنيته فانه لم يكن بعيدا عن الانصاف ، وهو يحاول ان يوضح في نزاهة وجهة نظر الطرفين المتنازعين ، ولا ينكر على الفرس البطولة والشهامة ، وان كان ياخذ عليهم تملقهم للحكام ، وخضوعهم الشديد لملوكهم وقادتهم .

بساطة الأسلوب وسلاسته

يقول جورج رولنسون في تصديره لترجمة الكتاب الى الانجليزية « اعظم ميزة لمؤلفنا وآخر ما يستحق انتباها خاصا بساطته وسهولته ، فسرده وافكاره وخواطره تنساب في سلاسة طوال مؤلفه ، فتراه يكثر من استعمال الكلمات الشائعة

المألوفة ، ويتحاشى المحسنات اللفظية والصور البلاغية ، الامر الذى استرعى انتباه جميع النقاد ، ونال اعجابهم ، وليس الانشاء فنا عند هيرودوت بل هو تدفق تلقائي للالفاظ والعبارات ، فلا يضفي رشاقة مصطنعة على اسلوبه ولا يتكلف العبارات البلاغية ، بل يكتب كما كان يقوده موضوعه ، ولهذا كان اسلوبه واضحا رقراقا ليس بمتكلف ولا جاف ، ولا يترك مجالا للشك في معانيه».

ولا يسع قارىء كتاب هيرودوت الا أن يوافق جورج رولنسون على وصفه لاسلوب هيرودوت ، وهذه المزايا التى امتاز بها اسلوبه جعلت دراسة كتابه من المسائل الهامة في تاريخ الادب اليوناني ، لانه في طليعة من أثبتوا قدرة النثر على الاداء ، واظهروا انه لا يقل قيمة عن الشعر ، وتعدد جوانبه وسعة اطلاعه وعنايته بجميع نواحي المعرفة جعلت كتابه مرجعا هاما للتاريخ والجغرافيا وسائر العلوم الانسانية ، وقد أخذ عليه ميله الى التعميم القائم على بعض الاحداث الفردية ، واستخلاص نتائج من مقدمات غير كافية ، ولكننا قبل أن نتشدد في محاسبته ونسرف في نقده ، علينا ان نقدر انه رائد سباق في ميدانه ، والتدقيق في رواية الاخبار وعرضها على محك النقد من ثمرات تقدم الحضارة ، وتطور الدراسات التاريخية ، ولم يكن هيرودوت في كل حين يقبل ما يصل الى سمعه على علاته ، وكثيرا ما كان يناقش ما يروى له مناقشة تدل على استقامة التفكير وسلامة المنطق .

ويقول عنه الاستاذ ر . و . لفنجستون « ليس هو محاميا قد نصب نفسه لبيان فضائل احد الاطراف ونقائص الطرف الآخر ، وهو يروى بسرور واضح تعريف كيروس للسوق في بلاد اليونان « بانه مكان خصص ليذهب اليه الناس ويغش بعضهم البعض مع حلف اليمين » وبرغم أن الفرس كانوا اعداء اليونان فانه يشير الى فضائلهم ، ويذكر شجاعتهم وبساطتهم وحبهم للحق ، وولاءهم لامرائهم ، وعاداتهم المعقولة ، وقوانينهم الحكيمة ، ويقول ان شجاعتهم الشخصية لا تقل مثقال ذرة عن شجاعة اليونانيين ، ويعزو هزيمتهم الى نقص في الاسلحة والاعداد وعيب في التنظيم . ويرى لفنجستون في ذلك قدرة هيرودوت على التسامي فوق روح الوطنية الضيقة .

وهو يعجب بالأثينيين ، ولكنه لا يعفيهم من النقد ، ويذكر تفوق الاسبرطيين عليهم في الشجاعة ، ويكره اهل كورنث واهل بوانيا ، ولكنه مع ذلك يذكر براعة الكورنثيين وشجاعة اهل بوانيا .

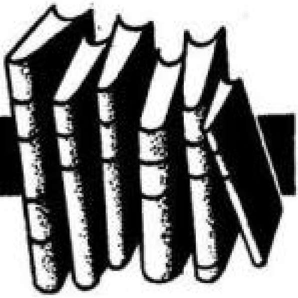
لماذا كتب هيرودوت التاريخ ؟!

وقد كتب فلوطارخس كاتب التراجم المشهور رسالة اتهم فيها هيرودوت بخبث الطوية وسوء النية ، وكان فلوطارخس يعتقد ان يونانيي العصر العظيم كانوا أبرياء من العيوب وارتكاب الاخطاء ، وعاب على المؤرخ ما نسبه اليهم من الاعمال السيئة ، وهو يقول « ما أشد خبثه وهو يقول ان عرافة دلفي كانت ترتشي ، وان فريقا من الاثينيين حاولوا أن يخونوا المدينة بعد معركة ماراثون وأن الفرس كانوا أردا تسليحا من الاسبرطيين في موقعة بلاتيا ، وما أقبح عادته في اتباع ذكر بعض ما يعلي شأن الانسان بالاشارة الى ناحية من نواحي الضعف أو ذكر نقيصة كما فعل مع امينو كليز الاثينى الذى قال عنه انه قتل ابنه ، وكان الاجدر به أن يغفل مثل هذه التفصيلات » وهو نقد لا يخلو من غرابة ، ويقول الاستاذ لفنجستون « ان هذا النقد على غرابته له أساس من الحقيقة ، وكثير من الشخصيات التى نلقاها في هيرودوت نحبها ، ولكننا لا نجد بينهم أبطالا ، واميل الى الظن بانه لا يوجد عنده أبطال نستطيع أن نحترمها احتراما صادقا ربما باستثناء ارستيدز ، وقد لا يكون الخطأ هنا جميعه سببه هيرودوت » .

ونستبين من ذلك ان هيرودوت لم يكن من عباد البطولة على طريقة ليفي وفرود وكارلايل واشباههم من المؤرخين فلماذا اذن كان يكتب التاريخ ؟ كان يكتب التاريخ لانه كان رجلا طلعة ، مطبوعا على الميل الى تصوير الطبيعة الانسانية ، والكلف بالعنصر الشخصي والعامل الانساني في التاريخ ، ولذلك نلتقى في صفحات كتابه بالملوك والامراء والفلاسفة والحكماء والقادة والساسة وبمن هم انزل منهم منزلة ودونهم قدرا ومكانة ، وحب الاستطلاع عند هيرودوت يشمل كل شيء ولا يفلت منه شيء ، ولذلك صار كتابه برغم ما قد يجده فيه النقاد المتشددون من أخطاء وانحرافات وبساطة تصل احيانا الى حد السذاجة من الكتب الخالدة التى تحرص عليها الانسانية ، وتجد في قراءتها فائدة ومتعة . ■■

علي أدهم

من الكتب التي وصلتنا



وحدة القوى العربية التقدمية

تأليف : الدكتور عصمت سيف الدولة

الناشر : دار الطليعة ـ بيروت

● منذ أن ادركت القوى العربية التقدمية أن مصيرها متوقف على مدى وحدتها النضالية طرحت اكثر من صيغة لهذه الوحدة ، فقيل وحدة الصف وقيل وحدة الهدف وقيل الوحدة فى جبهة وقيل حركة عربية واحدة . وكان لابد لهزيمة ٥ حزيران ١٩٦٧ باعتبارها اخطر الاحداث التى طرأت على الوطن العربي أن تصحح كثيرا من تلك الآراء ـ وهذا الكتاب دراسة لصيغة وحدة القوى العربية الثورية على ضوء ٥ حزيران ١٩٦٧ ودعوة الى وحدة القوة العربية التقدمية .

حقيقة البابية والبهائية

تأليف ـ محسن عبد الحميد

الناشر : منشورات المكتب الاسلامى ـ كركوك

● دراسة موسعة عن البابية والبهائية تعطى مفهوما صحيحا عنهما ، وعن الظروف التى ظهرتا فيها،والرجال الذين يقفون وراء البهائية،والايادى التى تحركها في الخفاء . وقد اعتمد المؤلف في كتابه على المصادر الأصلية التى درست البهائية والكتب التى كتبها البهائيون انفسهم ورجالاتهم وتاريخهم وظروف دعوتهم ، حيث أن البهائيــة نحلة باطنية استغلت ـ في راى المؤلف ـ ابشع استغلال للقضاء على مقدسات الامة الاسلاميــة وحريتها واستقلالها .

ظلال من الماضي

تأليف : محمد طلبة رزق .

الناشر : دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ـ القاهرة .

● مجموعة قصص مصرية قصيرة .

بدائع السماء
رحلة مع العلم فى رحاب الكون

تاليف : جيرالد هوكنز

ترجمة : الدكتور عبد الرحيم بدر

الناشر : مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر/بيروت ـ لبنان

● يتناول الكتاب العديد من الامور الفلكية من كواكب ونجوم الى ما وراء ذلك من مجرات ، كما ان الكتاب يعتمد على التجربة والمشاهدة واحدث الاكتشافات العلمية فهو يبين ان للاختراعات الحديثة في علم الفضاء جذورها الاصلية العميقة فى الماضي .

وسيجد القارىء الذى اججت حماسته رحلات الفضاء والاقمار الصناعية ان اقتفاء هذه المعرفة سيقوده الى العصور الوسطى حين بدأ الانسان يتفهم قوانين الكواكب تفهما غامضا .

اما من جذبه تألق النجوم مساء فسيولى اشكال النجوم اهتماما . هذه الاشكال التى وضعها البابليون فى فترة ما قبل التاريخ .

دروس من صور الملاكمة

تاليف : المقدم الطيار حفظى عزيز

الناشر : مطبعة شفيق ـ بغداد ـ العراق

● دروس تعليمية في الملاكمة والاسس والارشادات العامة المتبعة في الملاكمة ، وينقسم الكتاب الى ستة ابواب : يتناول الباب الاول والثانى بيان الكلمات الرئيسية المستعملة فى الملاكمة وطرق استخدامها اما الباب الثالث فيعلم الملاكم كيفية مناورة الخصم واسلوب قهره . والباب الخامس يبحث فى تاريخ الملاكمة فى العراق وتطور هذه اللعبة ، اما الباب الاخير فيبحث فى كيفية التدرب والاستعداد ليوم النزال وصور لاهم الادوات التى يستعملها الملاكمون في هذه الايام .

اثنان في واحد

تأليف : الدكتور على الناصر . **الناشر** : دار الرائد / حلب / سوريا

التدخين
وسرطان الرئة والامراض الاخرى

تأليف : الدكتور نبيل صبحي الطويل

الناشر : دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت / لبنان

● يدرس الكتاب مشكلة التدخين على انها مشكلة الصحة العامة التى تبحث على صعيد الدول والشعوب لخطورتها وشمولها فالازدياد فى عدد الوفيات بحوادث سرطان الرئة وحوادث تصلب الشرايين الاكليكية فى القلب والتهاب القصبات المزمن بين المدخنين جعل العلماء ينكبون على الدراسة المركزة والتجارب المختلفة لحل هذه المشكلة . والكتاب بعد ذلك عرض موجز للمشكلة: نشأتها ومضاعفاتها وابعادها وملخص لأبرز النتائج التى وصل اليها العلماء واقتراحات الحلول التى قدمها الاطباء فى هذا الشأن .

الملكة زنوبيا

تأليف : عدنان مردم بك

الناشر : منشورات عويدات ـ بيروت / لبنان

● مسرحية شعرية تقع فى اربعة فصول تحكي قصة امراة دوخت جيوش روما ردحا من الزمن حتى كادت أن تكون سيرة هذه الملكة اسطورة لروعة ما يذكر من مآثرها ، فهي تسعى لانشاء ملك عظيم في الشرق يضاهى امبراطورية روما . وكذلك تعتني بالناحية العمرانية فأقامت الابنية وفتحت الشوارع ، والمتدبر لسيرتها يجدها امراة فذة قابلت فحول الرجال وحققت جليل الاعمال وهي أم مثالية فى رعايتها لاولادها وزوجة مثالية فى عفتها . والمؤلف يدير اشخاص مسرحيته فى تدمر والاحداث التى عاشتها الملكة زنوبيا .

النصرة فى أخبار البصرة

تأليف : القاضي احمد نور الانصارى .

تحقيق : الدكتور يوسف عز الدين .

الناشر : مطبعة المجمع العلمى العراقى . بغداد ـ العراق .

● تحقيق لمخطوطة تحوى معلومات عن الحياة في البصرة في القرن التاسع عشر وللمخطوطة اهمية كبيرة لان كاتبها كان من قادة الفكر والحياة الاجتماعية فى البصرة حيث انها تكشف عن الناحية المالية والاقتصادية والاجتماعية وتوضح ذلك التفاوت الكبير في الضرائب التى كانت مفروضة على مقاطعات البصرة والاختلاف الكبير بين منطقة واخرى كما وضح الكتاب الخطوط الواضحة لاصلاح البصرة من مناحيها المتعددة .

تشيكوسلوفاكيا
وأزمة الاشتراكية المعاصرة

تأليف : قدرى قلعجى / **الناشر :** دار الكاتب العربى / بيروت

● يعرض هذا الكتاب القصة الكاملة للقضية التشيكوسلوفاكية والأسئلة العملية والنظرية التى طرحتها في ميدان التجربة الاشتراكية ومدى قدرة هذه التجربة على التلاؤم مع الحرية والديمقراطية، ثم التجاوب مع روح العصر ومعطياته والآفاق الرحبة التى فتحها امام الانسان الحديث ومن خلال هذا العرض يرى القارىء صورة واضحة لحياة دول اوروبا الشرقية في ظل النظام الاشتراكى والنتائج التى ادى اليها حكم الحزب الواحد في ميادين الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والفكرية .

النزعة العقلية فى فلسفة ابن رشد

تأليف : محمد عاطف العراقى .

الناشر : دار المعارف بمصر ـ القاهرة .

● يعرض هذا الكتاب لحياة ابن رشد الفكرية واهم معالمها كشرحه لارسطو واشتغاله بالطب ورده على ابن سينا والغزالى ، كما يحلل دور العقل في المعرفة والوجود والانسان والالهيات . والأسس التى قامت عليها كل نظرية من نظريات ابن رشد داخل كل قسم من هذه الاقسام الاربعة ويبين مدى نجاح ابن رشد في هذه المحاولة .

ثم ان الكتاب دراسة للنزعة العقلية في فلسفة ابن رشد ، وتحليل عناصرها وبيان كيف طبقها ابن رشد على دراسته لمشكلات الفلسفة ، حتى اقام صرحه الفلسفى الدقيق وبناءه الشامخ الذى تحار امامه العقول .

الرؤيا

تأليف : جان زكي سالم

الناشر : دار الريحاني للطباعة والنشر / بيروت

● مجموعة قصص قصيرة . ■■

نتيجة مسابقة العدد ١٤٢

موريتانيا كان اسمها شنقيط

■ تركزت مسابقة العدد ١٤٢ فى ١٠ اسئلة غلبت عليها الاسئلة ذات الصبغة الجغرافية . وقد استطاع الكثيرون من المشتركين فى المسابقة الاجابة اجابات صحيحة على الاسئلة العشرة في حين كان المطلوب الاجابة على ٨ اسئلة فقط . واليك نموذجا للاجابات الصحيحة واسماء الفائزين فى المسابقة .

١ ـ مدة عضوية الدول المنتخبة في مجلس الامن هي سنتان .

٢ ـ السودان وتحيط به ٧ دول هي الجمهورية العربية المتحدة ـ الجمهورية العربية الليبية ـ تشاد ـ جمهورية افريقيا الوسطى ـ كونغو ليوبولدفيل ـ اوغندا ـ كينيا ـ الحبشة .

٣ ـ أ : ليبيا وتطل على البحر المتوسط ، ولها حدود مع ٦ دول هي : ج . ع . م ـ السودان ـ تشاد ـ النيجر ـ الجزائر ـ تونس .

ب ـ الجزائر : وتطل على البحر المتوسط ، ولها حدود مع ٦ دول هي :

تونس ـ ليبيا ـ النيجر ـ مالي ـ موريتانيا ـ المغرب .

جـ ـ العراق : ويطل على الخليج العربي ، وله حدود مع ٦ دول هي :

تركيا ـ ايران ـ الكويت ـ العربية السعودية ـ الاردن ـ سوريا .

٤ ـ تقع شلالات نياجرا في اراضي الولايات المتحدة الامريكية وكندا .

٥ ـ موريتانيا كانت تعرف باسم شنقيط .

٦ ـ عاصمة اندونيسيا هي جاكارتا .

٧ ـ يمر نهر الفرات في تركيا وسوريا والعراق.

٨ ـ الكونغو برازافيل كانت تابعة لفرنسا ، بينما كانت الكونغو ليوبولدفيل تابعة لبلجيكا .

٩ ـ جزيرة بريم .

١٠ ـ تقع البصرة على شط العرب ، وجوبا على نهر الجبل ، ودير الزور على نهر الفرات ، وبغداد على نهر دجلة .

الفائزون بالجوائز

الجائزة الاولى وقيمتها ثلاثون دينارا فازت بها : **خديجة فروخ**/بيروت/لبنان .

الجائزة الثانية وقيمتها عشرون دينارا فازت بها : **نيرة سعد احمد حسين**/طرابلس/ليبيا .

الجائزة الثالثة : وقيمتها عشرة دنانير فاز بها : **عبد العزيز سلطان مقطوى**/الشيخ عثمان/ اليمن الجنوبية .

٨ ـ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا كل منها خمسة دنانير فاز بها كل من :

١ ـ **حمود علي اليماني**/مكة المكرمة السعودية.

٢ ـ **عمر ناصر الدين حدة**/يبرود/سوريا .

٣ ـ **سليمان محمد خلف**/الزرقاء/الاردن

٤ ـ **علاء الدين عبد الدايم صالح**/اسوان/ ج . ع . م .

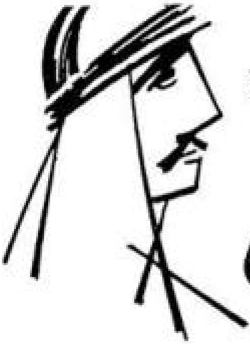
٥ ـ **عباس خلف**/البصرة/العراق .

٦ ـ **فاطمة محمد عبد الرزاق الحسيني**/المرقاب الكويت .

٧ ـ **ابراهيم موسى الزرد**/الدوحة/قطر .

٨ ـ **عدنان أنوس**/لندن/بريطانيا . ■■

آخر قصيدة من ديوان «افواف الزَّهَر»



فَتَاىَ الفَتَى

بقلم : الدكتورة عاتكة الخزرجي

كلية الآداب ـ جامعة بغداد

■ أترحلُ عني ولا أرْحَـلُ ..؟   وتذهبُ مني ولا تُقبِلُ . . ؟
أهانَ الفراقُ وعزَّ الـوداع   فلا عاطفٌ منك أو مأمَلُ .. ؟
وصوتُكَ في مسمَعي مايـزال   وفي خاطري سَمتُكَ الأجملُ
أخاف عليَّ النوى إنـــني   وعينيك كدت بها أقتَـــلُ
وأنتَ ألستَ تخاف النـوى ؟   ألســت تعي بعض ما تفعل . .؟
أما آن ياسيدي أن تُفيـق . . ؟   فقد طال ليل الهوى الأليلُ . . !
فبُعدُكَ قد ضاقَ بي رحبُها   وشوّهَ لي كلُّ ما يجمـل . . !
فأنتَ إذن أنتَ وحبُّ الجمـال   لأنكَ عندي الفتى الأجمـل .. !

★★★

أحبُّكَ لِلنُبلِ في ناظـريك   فإنّكَ أنت الفتى الأنبـل
أحبُّك للمجد يسعى إليك   يقبّل بُرْدَيك إذ يُقبِلُ ..
أحبُّك لشعر يُوحَى إليك   كما أوحيَتْ آيهُ المُنزَلُ
شوارده جائيـاتٌ لـديك   على أنها النُفَّرُ لا تُعقَـلُ
أحبُّكَ يـا صورة تُجتلى   ولا يُجتلى سِرُّهـا الأكمَلُ
ويا آية أفردَتْ في الجمـال   وصانعُها المبدعُ الأول . . !

★★★

أحبُّكَ والحبُّ سِرُّ السمـاء   يُلقّنُهُ المُلهَمُ المُرسَـلُ
بريدٌ تَجاذَبُ فيه القلـوب   فتعلـم فيه الذي تجهـل
تعارفَ بالحبِّ هذا الـورى   وضمَّ لآخـره الأوَّلُ
وصار جميعاً برغم الشتات   وردَّ على المَفصِلِ المَفصِلُ .. !

وأنتَ .. أمِنْ بعضِ وَرْدَ الرُّبى أأنت الصَّبَا رَقَّ والشَّمْأَلُ ؟
أأنتَ الندى ناضحاً بالعبـــير رَوِيّاً به الصَّدْرُ والمَنْهَلُ ؟
أأنت المنى في ثنايا النفـــوس عِذاباً كما رقرق الجدول ؟ !
لَكَمْ طاب غَرْسُكَ في الغارسين وطابَ جَناك بما يحمل . . !
فتىً رَضَعَ المجدَ دون الأنام فَعَزَّ بنا صِنْوُهُ الأمثلِ
تَفَرَّدَ بالعزِّ مثل النجـــوم وفاق النجومَ فما يأفلُ
وضوء النجوم قريب ينـــال وشأوُ النجوم هو الأطولَ .. !

★★★

فتىً كاسْمِهِ فيه سِرُّ الجمال على أنه الأجْمَلُ الأجْمَلُ
فتى الحرب والسلم أنّى بدا له كَبَّرَ الناس أو هَلَّلوا!
خُطاه على حَبِّ كل القلوبِ من الحُبِّ إمّا بدت تُنقَلُ
إليه الوجوه عَنَتْ في الخطوب ومَنْ غيرُه المُحْسِنُ المُفْضِلُ..؟
هو العَلَمُ الفَرْدُ في العالَمين فأنّى اتجهْتَ هو المَوْئِلُ . . !

★★★

فتىً باركَ الله أفعالَـــه وعزّز بالنجح ما يأملُ
وسدَّدَ من خَطْوِهِ للعُلَــى فساعفَ من جَدِّهِ المُقْبِلُ
وجَلَّى على كُلِّ أقرانـــه ومَنْ غيرُهُ السابقُ الأول .. ؟
فتىً ينتمي لأعزِّ الأصول ويبذلُ للمجد ما يَبذُل !
له شرَفٌ باذخٌ كالسحاب وإن فاضلوا إنَّه الأفضل
فتاكَ الفتى العربيُّ السمات فديتُ السمات وما تنقل
بها نقرأ المجدَ تأريخَـــهُ نُعَلُّ به بعدُ إذ نَنْهَل
رقيقٌ كبعض حواشي المساء يكاد بأندائها يخضل
صَبوحٌ كما شَفَّ خدُّ الرياض ألألاؤها بعضُ ما يَنْهَل . . ؟
فسُمْرَتُهُ من سُهوم الرمال وطلعته الفجر أو أنبل
كأنَّ بعينيه سرَّ النجوم إذا مادجا ليلها الأليَل
وفي قَدِّهِ من شموخ السيوف معانٍ بها كلُّ ما يُذْهِلُ . . !
وفي خُلْقِهِ آية للكمال تدلُّ على أنه الأكمل
فتاكَ الفتى العربيُّ السمات فديتُ السماتِ وما تنقَل..! ■■

قصة : مفتاحان

بقلم : الفة الادلبي

■ اتخذ مكانه الى جانب سائق السيارة ، وجلس رفاقه الثلاثة على مقعدها الخلفي . كانوا قد انهوا تدريبهم في دمشق ، وهم الآن في طريقهم للالتحاق بمنظمتهم على حدود الارض المغتصبة . راح ينظر الى بذلته المبقعة ، وخفيه المطاطيين ، يتحسس بيده بندقيته وامشاط الرصاص والقنبلتين فيشيع في كيانه ارتياح ورضا لا عهد له بهما ، ربما لخلاصه من قلق لا يدرى منذ متى بدا يعذبه ، قد يكون منذ تفتح وعيه على هذه الدنيا فاذا هو الفلسطيني اللاجيء .. اليتيم المشرد ...

ـ كان يجب ان افعل ما افعله الآن منذ اشتد ساعدي .. ولكن اين كنا ؟! ...

فجاة يتراءى له وجهها الوديع ذو الغضون العميقة ، يغمض عينيه ليستوعب الصورة الغالية عليه . امه التي عهدها صامدة جبارة ، كيف تشيخ هكذا فجاة بين ليلة وضحاها ؟! . انها لم تتخط الخمسين بعد ، وقد بدت له ساعة الوداع عجوزا ، هرمة ، مستكينة . حين تشبث به صبيانه الثلاثة ، ووقفت زوجه امامه ترقب المنظر هالعة ، وفي عينيها دموع حبيسة ، ظلت امه جامدة ، لا تنبس بكلمة ، ولا تاتي بحركة ، كان شعورها قد تبلد ، وكانها قد اصبحت لا تبالي بشيء . ولكن لما هوى على يدها يقبلها ضمته الى صدرها ، وراحت تتحسس سلاحه بيديها الهرمتين وهي مازال مصممة على الصمت ، لم تفتح شفتاها حتى بكلمة دعاء .

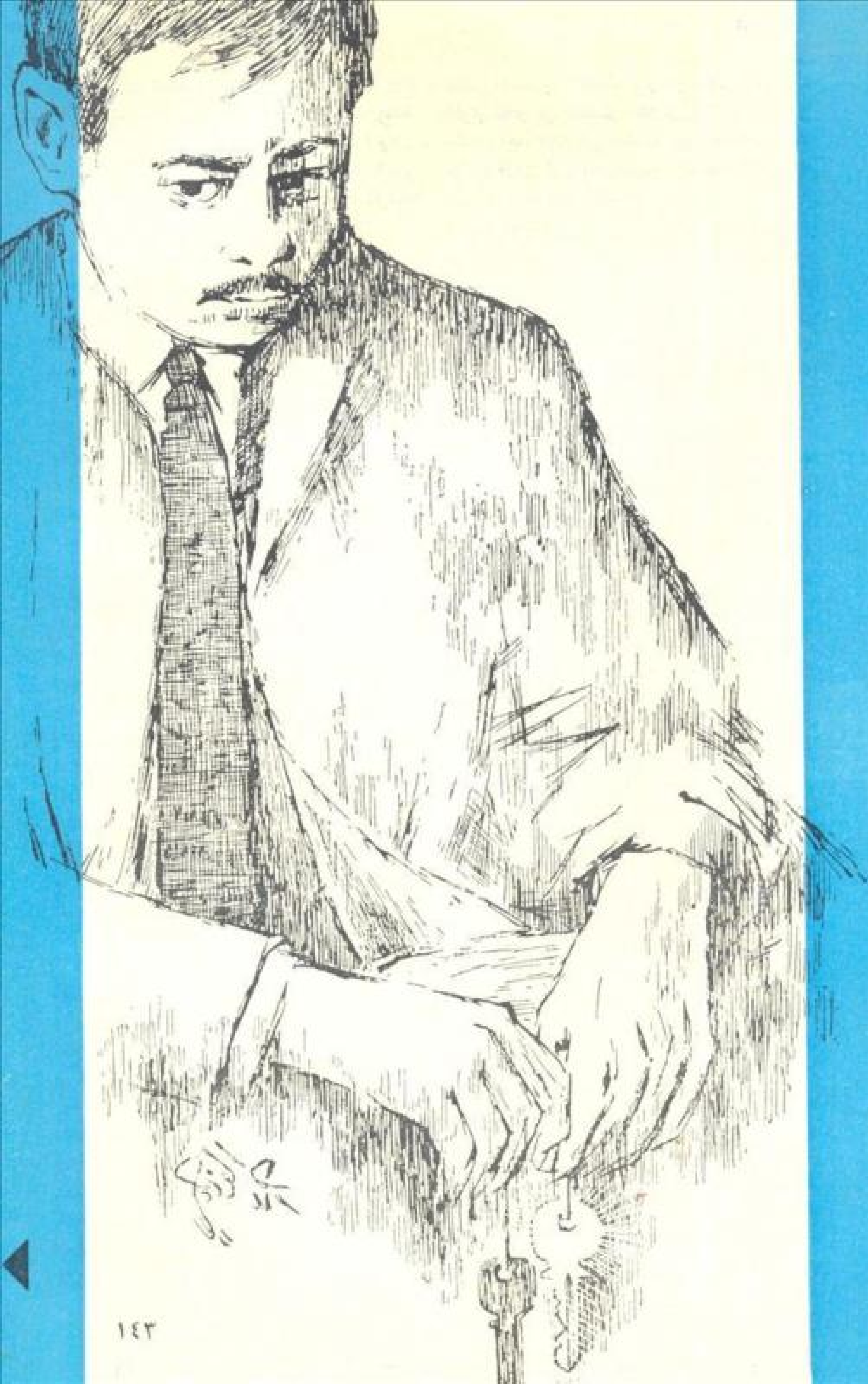
ماذا اصابها ؟ ليتني لم ابعث اليها بتلك الرسالة التي بعثت بها من الكويت الى القنيطرة قبل النكسة بايام قلائل . ما اصعب ان تلوح الآمال الحلوة لامراة معذبة شقية كامي ! ...

امي يا اروع ام .

وراحت تمر في ذهنه بعض مقاطع من تلك الرسالة :

ان اللاجيء اليتيم الذي استطعت ان تصنعي منه بجهدك وجدك مهندسا كبيرا مد يده البارحة ليقبض اول مرتب له ، ثلاثمئة دينار كويتي ، تصوري يا امي ، هذا يعني ثلاثة آلاف ليرة سورية مرة واحدة ! لقد آن لك ان تستريحي بعد ان تعبت كثيرا . ماكينة الخياطة التي ظللت عشرين سنة انام واصحو على هديرها ، وانا ازال مكبة عليها ، تعملين وتعملين دون تذمر او شكوى ، اكسريها يا امي .. ان لي عندها ثارا كبيرا ، لقد احنت قامتك الممشوقة قبل الاوان ، وذهبت بالق عينيك الحلوتين . ولكن لا تنسي ان تحتفظي لي بقطعة صغيرة منها ، ساضعها في اطار ثمين واعلقها في ابرز مكان من بيتنا الذي اهيئه لكم الآن هنا . لنراها دائما انا وزوجي واولادي كرمز لكفاحك الطويل في سبيلنا جميعا . لقد ذهب بك تفانيك في حب فتاك اليتيم الى حد ان اصررت عليه ان يتزوج حين لمحت اول بوارق الحب تشع من عينيه نحو تلك التي كانت تعمل عندك لتاخذ الصنعة عنك . وبدافع من انانية الشباب وطيشه اذعن لمشيئتك حين قلت له :

احب ان ارى اطفالك قبل ان اموت .



وما ادري كيف تمر الايام سراعا فاذا انا زوج واب لثلاثة اطفال ، وما ازال طالبا في الجامعة وانت وحدك تعيلين أسرتنا التى اصبحت كبيرة .

كادت الدموع تطفر من عينيه . غفرانك يا امي اذا خذلتك وانت في شيخوختك فسلبتك الراحة التي وعدتك بها . لطالما سمعتك تقولين :

ما قيمة انسان بلا وطن ؟

وانا اقول لك :

ــ ما حياة انسان يحمل العار على كتفيه ؟ عار حزيران من يمحه ؟ ان لم نمحه نحن ابناء فلسطين ؟؟

كان السائق ما يزال يتفقد السيارة ، حتى اذا اطمان عليها قعد خلف المقود ، وادار المحرك وقال : على بركة الله .

وتنطلق السيارة ، وينطلق السائق يغنى اغنية مرحة ، ثم يلتفت الى الشباب ويقول :

ــ ردوا معى يا شباب ، مالكم ساكتين ؟

كانه قد ادرك ان حمل اربعة شباب الى مصير مجهول يقتضي اضفاء شيء من المرح في لحظة الانطلاق الاولى ، اصعب اللحظات في حياة اي جندي يذهب الى الميدان . ويستجيب له الشباب فيروحون يرددون الاغنية بحماسة ، الا الذى كان جالسا الى جانبه فقد ظل سادرا في تفكيره القاتم . وتنتهي الاغنية ويعود الصمت .

كان الجو صافيا ، ونسمات ناعمة راحت تداعب الوجوه الفتية . قال واحد من الجالسين في الخلف :

ــ اتمنى ان أرسل منذ وصولي في مهمة الى حيفا . انا حيفاوى آبا عن جد ، ولا اعرف حيفا ، كم يحرق قلبي الا اعرف بلدي ! ... تقول أمي ، كان عمري سنة واحدة يوم النزوح عنها .

تنهد الجالس الى جانب السائق وردد في نفسه :

ــ كنت سعيد الحظ يا صاحبي لانك لم تع ذلك اليوم المشؤوم ... يوم النزوح عن حيفا ، ياله من يوم ! ...

وراحت تنداح في ذهنه صورة اثر صورة من ذلك اليوم المزدحم بالصور التى لاتنسى ، فانشغل بها حتى لم يعد يعي ما يدور بين زملائه من احاديث . بعض الذكريات التى لها تاثير كبير على حياة انسان ما ، تزداد وضوحا كلما بعد بها العهد ، فاذا اثار كوامنها شيء ما ، يقوم الذهن على الفور بعملية انتقاء سريعة ، ذكرى تقفز من الماضي السحيق ، واحدة تأتى من الماضي القريب ، اخرى تطفو من اعماق اللاوعى لتنتظم كلها في سلك واحد فاذا هى سلسلة مترابطة كان لا بد لها ان تؤدى الى تلك النتيجة الحتمية التى ادت اليها في حياة ذلك الانسان .

يوم النزوح يعود من مدرسته مع الاصيل ، يحمل محفظته على كتفه ، كان يوما ربيعيا دافئا ، وكان هو يشعر بسعادةتملاكيانه ،ووقف برهة امام البيت يتامله بكثير من الاعتزاز.كانجديدا،لم يمض على سكناهم فيه الا اسبوع واحد . وكم كان يمضه ويزعجه حين كان يسكن مع اسرته في بيت متواضع تتقاسمه مع اسرة ثانية .

يدق جرس الباب دقا متواصلا ، تفتح له امه ، كانت ترتدي ثوبا جديدا ، وقد اتقنت هندامها ، ربما لتنسجم مع البيت الجديد ، فقد عهدها دائما مهملة نفسها ، تخيط ثيابا انيقة للاخريات ، وترتدي هى الثياب الرخيصة البسيطة قالت له :

ــ انتظرتك طويلا ، تعال امسك لي السلم لاعلق ستائر غرفة الضيوف قبل ان يعود ابوك ، ليرى ان كل شيء قد تم اخيرا في بيتنا الجديد .

وضع محفظته على الارض وتبعها الى غرفة الضيوف ، اتكا على السلم بكل ثقله ، وصعدت هي عليه تحمل الستائر ، ثم علقتها ونزلت عنه ، ازاحت السلم وراحت تتاملها بشغف وهى تدمدم باغنية شائعة ، كانت تبدو سعيدة راضية كما لم يرها هكذا ابدا . وكانت الستائر جميلة ، ينسجم لونها الاخضر مع لون الجدران الرمادي ، حقا ان امه كانت ذواقة ، كل شيء في البيت كان يلمع ويشع ، ويشعر بما انطوت عليه ربة البيت من ذوق مرهف وحب للنظافة والترتيب . قالت له :

ــ تعال نقف على الشرفة ننتظر اباك .

كان المنظر من الشرفة بالغ الروعة . عناليمين ينهض جبل الكرمل باشجاره الداكنة الخضراء ، ومن الامام ينبسط البحر ازرق غامقا تتسابق على اديمه موجات صغيرة بيضاء ، ذات هدير خافت ، وفي الافق البعيد غيمة كبيرة ، رمادية داكنة ذات اطار برتقالي حجبت الشمس وهي تتوارى في البحر فاضفت على المساء مسحة حزن وديع .

التفت الى امه ليقول لها شيئا فراى عينيها قد امتلاتا بالدموع ، فصمت برهة مستغربا ذلك ثم قال لها :

ــ اتحبين البحر ؟

ـ أحبه كثيرا .

ـ كيف تحبينه وقد قلت لي انه ابتلع اباك ذات يوم ؟

ـ أحبه لأن أبي كان يحبه .

ـ هل كان جدي صيادا ماهرا ؟

ـ كان امهر صياد في حيفا ، ما عاد يوما من البحر الا وشبكته مليئة بالسمك . وكنت انا ابنته الوحيدة ، ماتت امي وانا صغيرة فدللني كثيرا ، وارسلني الى المدرسة ، كنت الوحيدة التي اذهب اليها من بين بنات الصيادين ، رحمه الله كم كان طيبا ، كنت اسمعه يقول :

ـ اللهم اجعل مثواي هذا البحر ، لأن يأكلني سمك البحر أحب الي من ان يأكلني دود الأرض . واستجاب الله دعاءه فكان له ما أراد .

ـ لماذا تبكين اذا وقد كان له ما اراد ؟

ـ ابكي لأنه مات قبل أن يحقق امنيته الغالية ، وقد ظل طوال عمره يحلم بها .

ـ وما كانت امنيته ؟

ـ كانت امنيته أن يبني هذا البيت ويسكن فيه ، ظل اربعين سنة كما قال لي قبل أن يموت ـ يصارع البحر ، ويجمع ما يكسبه منه قرشا فوق قرش حتى استطاع أن يشتري هذه الارض . انظر ، اليست أجمل مكان في حيفا ؟ لكن البحر غدار ، ابتلعه قبل أن يبني البيت وينعم به .

ـ لكن انت وابي حققتما الأمنية ، الا يسر ذلك جدي ؟ ألم تقولي لي مرة ان الاموات يزوروننا ويعلمون ما يجري في دنيانا هذه فيفرحون لفرحنا ، ويحزنون لحزننا ؟ فعانقته وقبلته وقالت له :

ـ عرفت والله يا شيطان كيف تعزيني .. هذا البيت سيئول اليك يوما ما ، تذكر دائما أن جدك ظل يصارع البحر أربعين سنه حتى اشترى أرضه ، وظللنا أنا وأبوك عشر سنوات نكدح ونقتر على انفسنا حتى بنيناه على هذا الشكل الجميل ، فاعرف أنت كيف تحافظ عليه ، ان البيت يا ابني ستر الأسرة . ها لقد جاء ابوك ، اركض فافتح له الباب .

دخل ابوه مرتبكا ، متجهم الوجه . قالت امه .

ـ خير ، ان شاء الله ، مالك ؟

ـ الاخبار سيئة جدا . ذهب الانكليز ، غدروا بنا ، تركونا للصهاينة دون اي استعداد ، لا بد من نشوب معركة كبيرة ، وقد بدأت بوادرها اليوم في البلد ، منذ الصباح والسيارات الكبيرة تنقل النساء والاطفال من البلد ، بعد دقائق قليلة ستمر السيارة من هنا ، وقد حجزت فيها مكانا لك وللولد ، اسرعي وارتدي ملابسك ، وخذي معك ما يكفيك ليومين او ثلاثة .

وقفت امامه مبهوتة دون حراك .

ـ ما لك جمدت هكذا ؟ ألم تفهمي ما اقول ؟ .

ـ لن اتركك ، ولن أخرج من بيتي ، ان الذي سيجرى عليك سيجري علينا جميعا .

ـ لا تتعبيني يا امراة ، ليس لدينا وقت للأخذ والرد .

ـ وانت لا تتعب نفسك ، لن اخرج ، لن أخرج من بيتي . . .

ـ أعوذ بالله من عنادك ، أنا رجل ، وانت امراة ، اتريدين ان يعتدي عليك الصهاينة كما اعتدوا على الكثيرات؟؟ ارجوك لا تضيعي الوقت ها هي ذي السيارة قد وصلت ، لن تنتظرك لحظة واحدة ، تحركي مالك اصبحت كالصنم ! ؟

ذهب الى غرفتها ، أخذ ملاءتها من الخزانة ، سحبها من يدها ، قاومت ، لطمها على وجهها ، استكانت ، وراحت ترتدي ملاءتها على عجل ودموعها تجرى على خديها ، مد يده الى جيبه ، اخرج منها شيئا دسه في يدها وقال :

ـ مفتاح البيت وهذه النقود قد تحتاجين اليها ، القضية لن تطول أكثر من يومين او ثلاثة ، ستتدخل الجيوش العربية .

دفعها نحو الباب ، ودفعني وراءها .

كانت السيارة مكتظة بالنساء والاطفال والشيوخ ، وكثير من الصغار وضعت كيفما اتفق . جاء رجل يهرول ويلهث حاملا على ظهره امراة ملفوفة بملاءة سوداء ، فتح باب السيارة وقال :

ـ خذوها معكم ياجماعة ، كرامة لله ، هذه آخر سيارة تخرج من البلد ، انها نفساء ومريضة لا تتحمل رجة واحدة ، احسبوها بنتكم .

لم ينبس احد بكلمة ، لم يكن في السيارة مكان واحد ، الاطفال في احضان النساء ، ولم اكن صغيرا . كنت في العاشرة . سحبتني امي الى حضنها ، واشارت الى مكاني . جلست الصبية ، كانت شاحبة جدا ، وانفاسها تتلاحق ، استرخت على المقعد واغمضت عينيها دون ان تنطق ، لوّح ابي لنا بيده ، وابتسم لأمي كأنه يعتذر لها عما فعل ، شملته بنظرة هالعة ، لا انساها عمري كأنها ادركت انها آخر نظرة لزوجها الحبيب ، لم

رنت الى البيت وتنهدت من اعماقها وراحت تشدني الى صدرها ، وتضغط على بذراعها حتى المتني وانا مستكين اليها ، لقد احسست انه لم يعد لها في هذه الدنيا سواي .

وتنطلق بنا السيارة نحو دمشق لتفرغنا عند الفجر في جامع من جوامعها :

بمثل هذه السهولة نزحنا عن حيفا ! ... ومنذ تلك اللحظة اصبح لنا كثير من الأسماء : اللاجئون، المشردون ، النازحون، المطرودون . والمتفائلون جدا صاروا يسموننا العائدين .

صور أخرى راحت تتراءى له ، دموع أمه الغزيرة يوم جاء من حيفا من يخبرها ان زوجها أستشهد على عتبة داره وهو يقاتل اليهود . كان احيانا يصحو بالليل على صوت نشيجها فاذا احست انه استيقظ بلعت دموعها وراحت تهدهده وتطيب نفسه حتى ينام .

ذات يوم وقف معها امام وكالة غوث اللاجئين ساعتين كاملتين في الشمس المحرقة ، ولم يأت دورهما لأخذ نصيبهما من الاعاشة . واذا امه تسحبه من يده وتقول له :

ـ تعال معي، هذه يا بني لقمة مغمسة بالذل، اغنانا الله عنها .

خلعت يومئذ من يديها سواريها الذهبيين ، وذهبت الى السوق واشترت بثمنهما ماكينة خياطة عتيقة راحا يتناوبان في حملها حتى أوصلاها الى غرفتهما التى استاجرتها أمه في بيت امراة عجوز طيبة .

قالت العجوز لأمه عندما رأت ماكينة الخياطة :

ـ يا مسكينة ! اتودين ان تشتغلي خياطة في هذا البلد ؟ وما أكثر الخياطات فيه ! ..

لكن استطيع ان آخذك اذا شئت ، الى بلدة القنيطرة ، ان اهلي يسكنون هناك سأستأجر لك غرفة عندهم ، والبلدة على ما أعلم بحاجة الى خياطات .

لم يمض على سكنهم في القنيطرة الا سنوات قلائل حتى فتح الله على أمه باب الرزق فأصبحت خياطة كبيرة ، واستطاعت من كفاحها ، من كدحها، من غرز ابرتها ، ان تعلم ابنها حتى أصبح مهندسا وأن تبنى هناك بيتا حرصت على ان يكون على غرار بيتها في حيفا ، يا لها من امراة نادرة !

ترى كيف ودعت بيتها يوم نزحت عن القنيطرة؟ أبتلك النظرة الهالعة نفسها التي ودعت بها بيتها في حيفا ؟

يوم النزوح عن القنيطرة كان في الكويت . قيل له ان الصهاينة ساقوا الاهالي كالقطيع الى خارج البلدة وتركوهم هناك في الصحراء بعد ان قتلوا منهم من قتلوا ، وسلبوا منهم ما راق لهم أن يسلبوا .

شعر بانتفاضة تسرى في أوصاله ، وتوقد شعلة الغضب في كيانه حتى راح جسمه يرتجف كله وهو يتصور أمه وزوجته وأطفاله يطردهم الصهاينة من بيتهم ويسوقونهم أذلاء مهانين الى خارج البلدة .

مد يده الى جيبه ليخرج علبة دخانه ، فاذا يده تعثر على شيء غريب في جيبه . أخرجه ، فاذا هو سلسلة معدنية فيها مفتاحان أحدهما كامد والآخر لماع ، وقد ثبت في طرفها ورقة صغيرة ما كاد يفتحها حتى عرف خط أمه :

اغفر لي سكوتي ساعة وداعك يا بني ، لقد صممت أن أصمت خشية ان تخونني شجاعتي فأبكى امام زوجك وأولادك ، الشيخوخة يا بني عجز ، وكنت أعرف أن لا بد لي أن أبكي اذا فتحت فمي لأنطق . وضعت لك في جيبك سلسلة فيها مفتاح بيتنا في حيفا ، ومفتاح بيتنا في القنيطرة ليكونا لك كتميمتين حافزتين لك على الكفاح . وسأضع في عنق كل من أولادك خالد وأسامة وطارق سلسلة فيها مفتاحان أوصيت عليهما على غرار مفتاحيك ، كي لا ينسوا أبدا أن لهم حقا يجب أن يسموا وراءه حتى ينالوه .

لم نصطحب معنا من القنيطرة الا ماكينة الخياطة التى طلبت مني مرة أن أكسرها . ما زلنا يا بني بحاجة اليها . زوجتك أتقنت الخياطة خيرا مني ، وأنا ما زال بي بقية من قوة على الكفاح فليطمئن بالك علينا حفظك الله ، ورعاك .

شعر بارتياح عظيم . قبض على المفتاحين وراح يعبث بالسلسلة يدورها حول سبابته :

ـ ما أعظمك يا أمي ! .. لقد ادركت أن معركتنا طويلة وشاقة، ان لم أفز أنا لا بد أن يفوز أولادي، ويلتفت الى رفاقه ليقول لهم :

ـ اسمعوا يا جماعة ماذا كتبت لي أمي ، امي التي نزحت عن ديارها مرتين ، وقتل الصهاينة زوجها واغتصبوا منها بيتين ، سرقوا جهدها ، وجهد زوجها وأبيها ما زالت على الرغم من شيخوختها مصممة على الصمود والكفاح . وراح يقرأ عليهم الرسالة بكثير من الاعتزاز . ■■

دمشق : **الفة الادلبي**

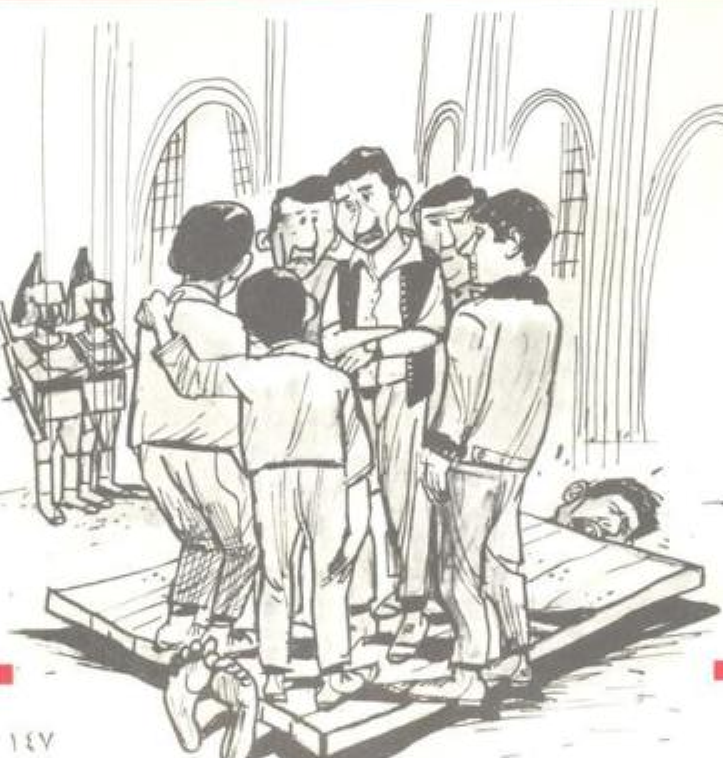
من غرائب القضايا

هذا هو القضاء الإنجليزى منذ ثلاثة قرون

بقلم : حسن الجداوى

■ وقائع المحاكمة التى جرت فى القضية التى نحن بصدد عرضها بلغت من الغرابة والوحشية درجة لا يصدقها العقل .

ولو أنها جرت فى العصر الحجرى او ادغال افريقيا وامريكا بين وحوش الغابات لما استغربناها . ولكنها جرت فى قلب مدينة لندن عاصمة الامبراطورية البريطانية وفى قاعة محكمة « اولد بايلى » العريقة وتحت رياسة كبير القضاة . لقد كنا فى منتصف القرن السابع عشر . فى عام ١٦٥٧ على وجه التحديد . بعد اربعين



سنة من وفاة شكسبير . في وقت كانت فرنسا تعيش عهدها الزاهر يحكمها لويس الرابع عشر (الشمس الطالعة) وبها من الكتاب كورنيل وراسين وموليير وغيرهم كثيرون . وبعد خمسين عاما من وفاة كولومبس مكتشف امريكا وسرفانتس مؤلف دون كيشوت وقرنين من وفاة دانتي مؤلف الكوميدى الالهية وفي أيام سبينوزا الفيلسوف الهولندى الذى درس على كتب الفلاسفة العرب.

ومن غرائب الصدف ان اسم المتهم الميجر استرينجوايز Strangeways ومعناها بالانجليزية « الطرق الغريبة » وكانت الطرق التى استعملت لمحاكمته غريبة حقا .

اننا لا نتصور ـ منذ اربعة عشر قرنا ـ المحاكمات الا عن طريق سماع الشهود الذين رأوا الجريمة ترتكب او تكوين عقيدة القاضي عن طريق الادلة المادية او عن طريق الاستنتاج والقرائن المثبتة للادانة ، وتأصلت فينا فكرة عقيدة ان المتهم بريء حتى تثبت ادانته ، وتأدبنا بادب القرآن « ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا » ، وبالحديث الشريف « ادرأوا الحدود بالشبهات »، الى آخر تلك القواعد التى تحمى الانسان من ظلم الانسان .. لذلك لا نستطيع ان نتصور انه منذ ثلاثة قرون كان القضاء في انجلترا يحكم على المتهم المقبوض عليه بتهمة ، اذا امتنع عن الاجابة ، « بان يعاد المتهم الى المكان الذى جاء منه ـ السجن ـ وان يوضع في غرفة سفلية لا ينفذ اليها النور ، ويطرح على ظهره ، ويجرد من ملابسه الا ما يستر عورته ، وتشد ذراعاه الى حائطين متقابلين في الغرفة ، وكذلك قدماه ، ويوضع على جسمه كمية من الحديد والاحجار بقدر ما يستطيع احتماله وزيادة . ويعطى له من الطعام ثلاث قضمات من الشعير ، وان يسمح له في اليوم الثالث بالشرب ثلاث مرات فقط من البالوعة الخاصة بالسجن . ولكن لا يسمح له بان يشرب من العين او من ماء جار . وان يترك بهذه الحالة حتى يموت . »

★ ★ ★

وحتى نستطيع ان نتبين كيف امكن حدوث ذلك يحسن بنا ان نشرح كيف بدأ نظام القضاء في انجلترا وكيف انتهى الى الوضع الحالى الذى

كان الانجلو ساكسون يطلقون سراح المتهم
ان يصل الى وضعه الحالي ..
لقد مر القضاء في انجلترا بادوار عديدة قبل
بجناية اذا اقسم بانه لم يرتكبها وايده في قسمه
يعتبره الانجليز احدى مفاخرهم .
عدد معين من اصدقائه او على راى المثل « قالوا للحرامي احلف» .. قال جالك الفرج » .

ومن سبل المحاكمات التى سادت عندهم ان يختار المتهم او المدعى عليه ، ان يترك الحكم له او عليه للقرعة . فاذا سحب الورقة الرابحة فهو بريء او محق في دعواه ، واذا سحب الورقة الخاسرة ادين او حكم ضده . او يختار تجربة النار او تجربة الالقاء في الماء مكتوفا . في الحالة الاولى يلعق حديدة محمية ، اذا احرقته فهو مذنب ، وان لم تترك اثرا في لسانه فهو بريء . وفي الماء ان غطس فهو بريء او محق ، وان طفى فهو مذنب او مبطل ، لاعتقادهم ان الماء يرفض ان يقبل المجرم او مدعى الباطل .

واوجد الغزاة النورمانديون نظام التقاضي بالمصارعة او المبارزة والغالب فيهما هو صاحب الحق او البريء .. ومع مرور الزمن صرح للمتقاضين والمتهمين ان ينيبوا عنهم اشخاصا يتولون المصارعة او المبارزة نيابة عنهم ،وتخصص اقوام في هذا العمل ومن هنا فيما يقال نبتت مهنة المحاماة .

وحين تبين الحكام ان المصارعة او المبارزة ليست طريقة معقولة للحكم ظهر نظام المحلفين ولكن التقاضى اليهم لم يكن يتم الا بموافقة المتهم.

فكانت المحاكمة تسير على الوتيرة الآتية :

يؤتى بالمتهم مقبوضا عليه ، ويدخل الى القفص ثم يوجه اليه كاتب الجلسة السؤال الآتي :

« ايها المسجون في القفص ارفع يدك . انك الآن ماثل امام القضاء . متهما بتهمة (كذا) فما قولك ؟ هل انت مذنب او غير مذنب ؟ » .

فان قال انه مذنب اصدرت المحكمة حكمها بغير بحث او تحقيق .

وان قال انه غير مذنب . وجه اليه الكاتب السؤال الثاني :

ايها الجاني كيف تريد ان تجرى محاكمتك؟ » .

ويلاحظ ان المتهم الذى انكر التهمة وقرر انه غير مذنب اصبح في نظر المحكمة « جانيا » وهو تعبير لا يطلق الا على الذى ثبتت عليه التهمة .

وكان المفروض في المتهم ان يقول انه يضع مصيره بين يدى الله او ابناء وطنه .

ومعنى الاولى انه مستعد لتجربة الحديد المحمى او الالقاء في الماء او القرعة . ومعنى الثانية ان يحاكم بواسطة ابناء وطنه .. اى المحلفين .

فان لم يجب وجدت المحكمة نفسها مكتوفة الايدى لانها لا تستطيع ان تطبق عليه احدى الطريقتين الا باختياره .

★ ★ ★

كان لا بد من الالتجاء الى وسيلة لاجبار المتهم على اختيار الوسيلة التى يحاكم بها . كانت المحكمة تامر بايداع المتهمين السجن وابقائهم به حتى يعلنوا قبولهم للمحاكمة .

وكانت السجون في تلك الايام غير مامونة . والسجانون لا يقبضون رواتبهم . ولم يكن السجن مرهقا لمن يوضعون فيه فازدحمت السجون بالنزلاء الذين بقوا على عنادهم وصمتهم مهما طالت مدة حبسهم .

عندها لجا القضاة الى نوع من التعذيب . فكانوا يامرون بوضع المتهم في غرفة مظلمة . وتقديم اردا انواع الطعام له ، ووضع القيود في يديه ورجليه لاجباره على تغيير موقفه . وكانت هذه المعاملة واحيانا مجرد الخشية من تطبيقها على المتهمين تحمل الكثير منهم على قبول المحاكمة امام المحلفين . ولكن مشاغبين منهم جامدى الراى كانوا يستمرون على عنادهم .

وكانت الخطوة التالية ان القضاة بداوا يشيرون بالالتجاء للتعذيب للتغلب على عناد هذا البعض كربط المتهم من اصابع رجليه ورفعه بالحبال ثم تدرجوا الى وضع اثقال فوق المتهم قد تنتهي بازهاق روحه .

ومن ضمن الذين اصروا على عنادهم ورفضوا قبول المحاكمة حتى لقوا حتفهم الميجر جورج استربنجوايز موضوع قضيتنا هذه .

لم يكن صاحبنا بالرجل الهين . كان له مركز اجتماعي مرموق . وكان سيد قومه ، ينظر الى المستقبل في امان واطمئنان . مديد القامة قوى البنية . كريما صريحا . يلتف حوله الناس ويطلبون صداقته لشخصيته المحبوبة ونصائحه الثمينة التى لم يكن يبخل بها على احد . وقد اختار الجندية مهنة واشترك في الحرب الاهلية ايام الملك شارل . واظهر من ضروب الشجاعة والمهارة ما لفت اليه الانظار واوصله بسرعة الى رتبة ميجر .

★ ★ ★

ولما انتهت الحرب الاهلية بهزيمة الجانب الذى كان يسانده لم يقبل التخلى عن مبدئه السياسى واصبح معرضا للقبض عليه ومصادرة املاكه الواسعة التى ورثها عن ابيه . الا انه استطاع ان يجد منفذا بان جعل اخته الوحيدة تستصدر امرا بتعيينها منفذة للتركة ووضع الاموال كلها تحت يدها .

وكانت اخته ـ واسمها مابيللا ، تصغره بعدة سنوات ـ عانسا لا ينتظر لها ان تتزوج ، ولا كان في نيته هو ان يتزوج . فعاش مع اخته في سكن واحد ومضت حياتهما رتيبة لا يشوب جوها شائبة واعتقد الميجر ان هذا الترتيب سيبقى الى ان يحين حينه هو .

ولكن الامور لا تجرى دائما وفقا للتدبير الذى يدبره الانسان . فحدث مالم يكن في الحسبان . جاء الى الحي الذى يسكنان فيه محام ارمل اسمه فوسيل . ما ان تعرف الى الآنسة مابيللا حتى نبتت عنده رغبة جديدة في الزواج . وصادفت رغبته هوى في نفس الآنسة . وافضت الى اخيها بنيتها . فوقع الخبر عليه وقوع الصاعقة . لان فيه القضاء على كل ما رتبه لحياته . وحاول اقناع اخته بالعدول عن هذا الزواج بكل ما في جعبته من حجج . فالخطيب طامع في ثروتها . وهو غير كفء لها . وهو من الحزب المعادى . ولكن لم يكن من السهل اقناع عانس انفتح امامها باب السعادة الزوجية ـ الذى كادت تياس من دخوله ـ ان ترد الباب وتدير له ظهرها .

ولما طالت بينه وبين اخته المناقشة ووجد انها قد اصمت اذنيها عن كل ما يقوله استولى عليه الغضب وقال لها ـ في ثورة غضبه ـ انها اذا تزوجت ذلك الرجل فانه سيقتله .

وتم الزواج وتركت الاخت المنزل وانتقلت الى منزل زوجها . وقامت بينهما قطيعة .

ولا تعرف المحاكم عنفا كالذى تعرفه حين يقوم النزاع بين الزوج وزوجته . او الاب وابنه . او الاخت واخيها . فجميع الصفات التى كانت مقبولة بل ومرضيا عنها حين كان الاتفاق قائما تنقلب الى عيوب يتقاذف بها الخصمان .. وعين الرضا .. الى آخر البيت المشهور .

طالب الزوج المحامي صهره الجديد بتصفية

الحساب واخذ كل طرف يتهم الطرف الاخر بالغش والتدليس والخيانة . وقررا ان ينتقلا الى العاصمة ـ لندن ـ ليعهدا بقضاياهما الى المحامين .

وتصور الميجر ـ متأثرا بتربيته العسكرية ـ انه يستطيع ان يحل هذا النزاع عن طريق المبارزة فارسل الى صهره شاهدين يدعوانه الى المبارزة دون ان يفكر في ان المبارزة بينه وهو الجندي المتمرن على استعمال السلاح وبين محام كبير السن لم يمسك في حياته سيفا ، غير معقولة . ولكنه اعتقد من ناحيته ان المعركة القانونية بين محام اتقن الحيل القانونية ومارسها طوال حياته وبينه وهو الجندي الذى لا يعرف القانون غير متكافئة .

واستمر زوج الاخت في اجراءاته القانونية فقدم بلاغا يتهم الميجر بالتهديد .

ويبدو ان الميجر اعتقد ان من حقه ـ ما دام خصمه قد رفض المبارزة ـ ان يقتله .

★ ★ ★

وبينما المحامي في مكتبه بالدور الارضي يفحص ملف احدى القضايا اصيب بطلقين عياريين لم يسمع لهما صوت حتى ان وكيله الذى كان يجلس على مكتب آخر لم يشعر الا والمحامي قد اتكفأ على مكتبه فلما اقترب منه وجده قد فارق الحياة . واخذ وكيل المكتب يصرخ وخرج الجيران يبحثون في الشوارع عن القاتل بغير جدوى ثم جاء الحراس الخصوصيون الذين كانوا يقومون في تلك الايام بوظيفة الشرطة فانضموا في البحث دون ان يوفقوا .

وتذكر ابن فوسيل من زوجته الأولى تهديد الميجر لاخته فوجه الشكوك اليه وقبض عليه . الا ان صاحبة المنزل الذى يقيم فيه الميجر وجميع السكان شهدوا بان الميجر كان في ليلة الحادث بالمنزل ولم يخرج منه .

ولم يجد الحراس فيما ظهر من شكوك ما يسمح باستمرار القبض على الميجر وطلبوا الى القاضي ـ رئيس المحلفين ـ ان يأمر باخلاء سبيل الميجر . ولكن القاضي لجأ الى اجراء تجربة كانوا يعتقدون في تلك الايام انها لا تخطىء ابدا في اكتشاف القاتل . فكانوا يحضرون المتهم ويجعلونه يمسك بيد القتيل وفي اعتقادهم ان جروح القتيل تدمي من جديد اذا كان الذى امسك باليد هو القاتل .

واحضروا الميجر من السجن وجعلوه يمسك بيد القتيل ولكن شيئا من ذلك لم يحدث وبقي الدم متجمدا في الجروح . فامر القاضي ـ على كره منه ـ باعادة الميجر الى السجن .

ثم فكر القاضي والمحلفون في طريقة جديدة لعلها توصل الى اثبات التهمة . فعرض القاضي فكرة التحري لدى جميع تجار الاسلحة في مدينة لندن لمعرفة ان كان احدهم قد باع او اعار سلاحا في ذلك اليوم . ولم ؟ كانما الذى يريد ان يرتكب جريمة قتل يتحتم عليه ان يشتري او يستعير سلاحه في نفس اليوم . وسفه احد المحلفين ـ واسمه هولواى ـ هذا الراي وقال ان عدد تجار الاسلحة في لندن يبلغ الالاف وانهم يبيعون يوميا او يعيرون اسلحة لعدد اكبر من الزبائن ولا يتصور ان توصل هذه الطريقة لاى نتيجة . وقال انه هو نفسه يتجر في الاسلحة وقد اعار بندقية لاحد العملاء لا يذكر اسمه .

ويشاء القدر ان يهتم رئيس المحلفين بهذه الواقعة ويطلب الى هولواى ان يحاول تذكر الاسم ... وبعد طول التفكير قال هولواى ان اسمه ميجر طومسون اورنسون وانه علم منه انه كان ضمن حرس الملك شارل .

وقد كان هذا السؤال العارض مفتاح الجريمة والخيط الذى قاد الى اثبات التهمة على مرتكبها .

★ ★ ★

تحروا عن شخصية طومسون هذا واستدلوا على مسكنه وحين بعثوا في طلبه تبين انه غادر العاصمة للريف . واعتقد رئيس المحلفين انه هارب من وجه العدالة فامر بالقبض على زوجته التي لا يد لها في الجريمة ولكن هكذا كانوا يفعلون ليضمنوا القبض على زوجها . وصح ما توقعوه فما كاد يعلم طومسون بالقبض على زوجته حتى بادر بالعودة الى لندن وادلى بشهادة قاطعة في الاتهام .

قال انه استعار فعلا البندقية من هولواى وحشاها بطلقين وسلمها لصديقه الميجر استرينجوايز الذى طلب منه بندقية ليصطاد بها غزالا . وانه سلمها للميجر في يوم وقوع الجريمة فيما بين الساعة السابعة والثامنة مساء وردها اليه فيما بين العاشرة والحادية عشرة في نفس الليلة .

عمل ذلك اكراما للصداقة دون ان يفكر لماذا

يكلفه صديقه باستعارة البندقية ولا يستعيرها هو بنفسه ولا فكر في غرابة القول بانه يريد ان يصطاد غزالا في قلب مدينة لندن التي لا يوجد بها غزلان الا في حديقة الحيوان .

ولما ووجه الميجر استريتجوايز بهذه الشهادة اسقط في يده وتمتم بقوله « تلك ارادة الله » . ثم ذكر انه كان قد اعد دفاعا كاملا يثبت به براءته بان طلب الى صديق له - رفض حتى الموت ان يدلى باسمه - بأن ينام في فراشه ثم تسحب هو من المنزل دون أن يراه احد من السكان او صاحبة المنزل . لذلك كانوا صادقين حين شهدوا جميعا له بانه لم يغادر المنزل وكان موجـــودا به وقت ارتكاب الجريمة .

واغلب الظن ان الميجر هو الذى اطلق العيارين ولكنه اصر رغم التعذيب على الانكار واقتصر على القول بانه راض عما حدث .

★ ★ ★

وهكذا اصبحت القضية صالحة لتقدم للمحاكمة . ولو ان المحاكمة كانت تجرى في أيامنا هذه لكانت الادلة الموجودة كافية للحكم باعدام الميجر . فقد ثبت ان البندقية التي استعارها له صديقه هي التي اطلقت العيارين ولكن ما كان يمكن أن تجرى المحاكمة - كما بينا - الا بقبول المتهم .

وانعقدت المحكمة برياسة لورد سارجنت جلين قاضي القضاة ووجه امين السر السؤال التقليدى الى المتهم ولكنه رفض أن يجيب بالاجابة التقليدية الا اذا أخذ وعدا من القاضي بانه سيعدم رميا بالرصاص كجندى ولا يشنق كالمجرمين .

لم يكن هذا الطلب من الميجر طلبا أجوف لمجرد المماحكة . (تعددت طرق الاعدام والموت واحد) . كما قد يتصور القارىء ولكن الفرق الذى كان يتوخاه الميجر كبير . ففي حالة اعدامـه كمجرم عادى تصادر جميع املاكه . اما اذا لم يشنق فتبقى له املاكه يتصرف بها كما يشـاء ويورثها اصدقاءه .

ورفض القاضي تلبية هذا الطلب لأن الجريمة لم تكن جريمة عسكرية . وبذل القاضي جهدا كبيرا لحمل المتهم على العدول عن موقفه بدون جدوى .

وعندها لم يكن أمام المحكمة الا أن تأمر باخضاع المتهم الى تجربة التعذيب - اعمالا للقانون في ذلك العهد المظلم - فصدر الحكم باعادة المتهـم الى المكان الذى جيء به منه - السجن - وتحدد يوم ٢٨ فبراير ١٦٥٧ لاجراء التجربة .

وفي اليوم المحدد احضروه الى حوش السجن بين حراسه وقد احاط بالجميع عدد من رجـال الدين ومن اصدقاء المتهـم المقربين . ولما بدأوا يعدون وسائل التعذيب واعدوا لوحا يطرحونه عليه طلب أن يوضع في اللوح مسمار او خابور بارز لتقصير مدة تعذيبه ولكن القاضي رفض .

وبعد أن طرحوه على اللوح واوثقوا يديه ورجليه ووضعوا فوق جسمه لوحا آخر القوا فوقه الحديد والصخور ، قال انه يموت مؤمنا وقد سامح جميع الناس ويسأل الجميع أن يسامحوه . ثم طلب من اصدقائه ان يضيفوا ثقلهم على الاثقال الموضوعة فوق اللوح الاعلى . ولبى اصدقاؤه رجاءه ووقفوا فوق اللوح لمدة عدة دقائق حتى مات .

والوصف القانوني الصحيح لما عمله اصدقاء الميجر انها جناية قتل عمد مع سبق الاصرار . وكان واجب منفذى التعذيب ان يمنعوهم مــن ارتكابها او ان يقدموهم للمحاكمة بعد ذلك .

ولكنها جريمة ارتكبت بدافع الشفقة ومع ان القانون لا يبررها الا انها كانت عادة متبعة ومتأصلة حتى ان اصدقاء المحكوم عليه بالشنق لجريمـة عادية يتشبثون بساقيه بعد سقوطه من المشنقـة ليضعوا حدا لما اعتقدوه من عذاب ، مع ان الثابت طبيا ان المشنوق يفقد الاحساس بالالم بمجـرد كسر قصبته الهوائية .

وقد حكم في النصف الاول من القرن العشرين - وفي باريس - ببراءة شاب انجليزى قتل امـه بالرصاص لتريحها من آلام مبرحة بسبب مرضها بالسرطان . وفي السنين الاخيرة حكمت محكمـة الجنايات في بلجيكا ببراءة ام قتلت طفلها البالغ من العمر سنتين لانه ولد مشوها - بلا ذراعين ولا ساقين - من اثر تناول الام اثناء الحمل دواء مسكنا ثبت بعد ذلك ضرره وتقرر تحريم صناعته .

ومع وجود عدد من الاطباء في جميع انحاء العالم يطالبون بتبرير القتل للشفقة واباحته بعد وضع جميع الضمانات حتى لا يساء استعماله الا انه لا يتصور ان يصدر تشريع يبيح ذلك لان الاديان كلها تحرم قتل الانسان والحياة سر لا يملك اطفاء نورها الا خالقها . ■■

حسن الجداوى

حضارات سادت .. ثم بادت

الزراعة والمزارعون في حياة الرومان

■ يشعر الناظر الى لوحة الصفحة الثانية برغبة فى معرفة ما كان يزرع الرومان وكيف كانوا يزرعون. وتتضاعف رغبته هذه اذا علم أن الرومان كانوا وثيقى الصلة بالزراعة ، وقد انحدروا عن قبائل اللاتين والسابين وغيرهم ، وجُلّ هؤلاء من الفلاحين .

عرف الرومان الحبوب وزرعوا منها الحمّص والدُخن Millets ، أو الذرة البيضاء ، وزرعوا الشوفان Rye على نطاق محدود .

اما القمح والشعير فقد اقبلوا على زراعتهما فى شتى انحاء امبراطوريتهم الواسعة ، ولا سيما على سواحل البحر المتوسط الشرقية والجنوبية وحيثما سمح لهم الاقليم بذلك .

وكانت الخضراوات التى زرعها الرومان قليلة ، وكادت ان تقتصر على الفاصولياء واللوبياء والخسّ والثوم والكرنب (أو الملفوف كما سمى فى بعض الجهات) .

هذا بالرغم من ان الرومان كانوا نباتيين بالفطرة الى حد كبير . اذ كانوا يفضلون أكل الخضار على اللحوم التى تناولوها على نطاق محدود . يستثنى من ذلك الدجاج وقد شاع اكله وطاب بين الرومان .

نقودهم .. دجاج

ومن طريف ما يذكر هنا ان الدجاج وما اليه من الدواجن كان يستخدم كالنقود عند البيع والشراء . فى المراحل الاولى من تاريخ الرومان .

ومثل ذلك يقال فى الملح ، وقد درجت الدولة الرومانية على دفع رواتب الجنود ، او بعض تلك الرواتب ، ملحاً عاديا ، وذلك فى عهد متأخر نسبيا ، فى القرون الثلاثة او الاربعة التى سبقت مولد المسيح .

ونأتى الآن الى الفاكهة . ولعل أول ما يخطر ببال القارىء فى هذا الصدد هو العنب . وهذا صحيح ، وقد صنع الرومان منه النبيذ . الا ان زراعة الكروم لم تنتشر بين الرومان فى وقت مبكر . هذا بالرغم من أنها انتشرت وشاعت بين اليونان وغيرهم ممن سبقوا الرومان . ويصدق ذلك ايضا على الزيتون الذى صدّر زيته الاغريق واعتمدوه وحدة ثابتة او مقبولة للمقايضة منذ القرن الخامس قبل الميلاد .

ولعل التين هو اول الفواكه التى اعتنى بها الرومان على نطاق واسع . ويأتي من بعد التين التفاح ، فالكمثرى .

بقي علينا ان نشير الى المحاريث وسائر الأدوات الزراعية التي استعملها الرومان فى فلاحة الأرض وحصاد المحصول ودراسته وما الى ذلك . وقد يستغرب المرء بأن الرومان لم يطوّروا هذه الآلات كثيرا وانها لم تختلف فى ايامهم عما كانت عليه قبل آلاف السنين، فى زمن الفراعنة والبابليين .

تحسين وسائل الري

ويصدق هذا ايضا على طرق الزراعة واساليبها ، باستثناء الريّ وقد حسّن الرومان كثيرا فى وسائله واساليبه

بقلم
يوسف زعبلاوى

وذهبوا الى ابعد الحدود فى نشره بدليل ما تركوه من آثار القناطر والمجارى وقد امتلأت بهذه الآثار البلاد التى وصلوا اليها فى الشرق والغرب .

ويعود بنا ذكر هذه الآثار الى تاريخ الرومان الطويل والى الأحداث الخطيرة والثورات التى قامت بها طبقة الفلاحين .

واهم تلك الأحداث الثورة التى قام بها العامة Plebians ، وجلهم من الفلاحين ، واستمرت بضع سنوات وانتهت سنة ٤٥١ ق.م وكانت النتيجة الهامة لهذه الثورة قيام لجنة العشرة التى انيطت بها المهمة التشريعية الخطيرة، مهمة تعديل الأعراف السائدة، والخروج منها بقوانين مكتوبة ، تكون اقلّ اجحافاً بحقوق العامة من الناس والمزارعين .

ووضعت اللجنة ما يعرف بالألواح الاثني عشر ، وهي الالواح التى كتبت عليها قوانين الرومان الأولى ، والتي كانت حجر الأساس لكل ما سنته الدولة الرومانية بعد ذلك من تشريعات .

الا أن قوانين الالواح تلك لم تأت بالاصلاحات التى طمع فيها الفلاحون . فقد تمسكت بالتميز الطبقي ، وحرّمت الزواج بين النبلاء وعامة الشعب ، وابقت على القانون المقيت الذى كان يخول الدائن حق استعباد مَدينه اذا عجز هذا المدين عن الوفاء بدينه .

وهكذا اعتبر الفلاحون الرومان انفسهم فى حلٍّ منها ومن الجمهورية او الدولة الرومانية التى شملت تلك القوانين برعايتها . وعمدوا بعد ذلك الى اقامة مجالس خاصة بهم .

مجالس الرومان

ونخص بالذكر من هذه المجالس اثنين أولهما مجلس العموم الشعبي Concilium Plebis وكان يتخذ قراراته (Plebi Scite) بالتصويت . وكان هذا المجلس ينتخب اعضاء المجلس الآخر ، الذى يشبه مجلس الوزراء فى الانظمة الديمقراطية الغربية الحاضرة وكانوا يسمونه Concilium Plebis Tributum وكانت الصفة التشريعية هي الصفة الغالبة على مقررات مجلس العموم الذى ذكرنا . وقد كانت بحاجة الى أن يقرها النبلاء فى باديء الامر ، الا انها لم تعد بحاجة الى هذا الاقرار بعد سنة ٢٨٧ ق.م .

اما الاصلاحات التى حققتها تلك المجالس الشعبية فنوجزها بما يلي :

١ ــ اباحة الزواج بين الطبقات سنة ٤٤٥ ق.م .

٢ ــ اقامة المجالس العسكرية التى شاركت فى الحكم وفتحت ابوابها للفلاحين سنة ٤٣٣ ق.م .

٣ ــ حق الفلاحين والعوام فى أن يكون احد قنصلي،او رئيسي الجمهورية، منهم ، وقد تم الحصول على هذا الحق سنة ٣٦٦ ق.م .

بيد أن قانون الديون الذى ذكرنا بقي معمولا به ولم تتمكن المجالس الشعبية الرومانية من تعديله .

وتجدر الاشارة الى ان ماركوس روتيلوس كان اول رجل من العوام انتخب رئيسا او بالاحرى احد رئيسي الجمهورية الرومانية ، وكان ذلك سنة ٣٣٧ ق.م .

وتجدر الاشارة ايضا الى ان قيام الامبراطورية الرومانية حوالى سنة ٣٠ ق.م قد حدّ كثيرا من سلطة بعض المجالس والغى بعضها الاخر ، الا ان الكثير من حقوق الفلاحين التى اقرتها تلك المجالس وثبتتها بقوانين بقيت سارية المفعول حتى النهاية . ■■

أنت تسأل .. ونحن نجيب

قنوات العالم الهامة

● هل يوجد في العالم قنوات هامة غير قناة السويس وقناة بناما ..

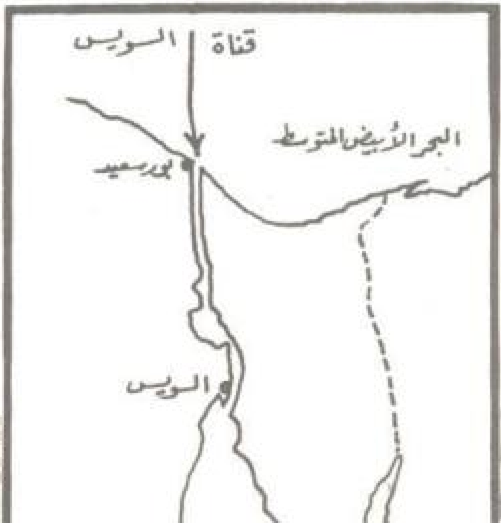
ـ القنوات الهامة في العالم كثيرة ، ويضيق المجال هنا عن ذكرها جميعا . لذلك فقد اخترنا لك الست الكبرى من هذه القنوات ، ومنها قناة السويس التي تأتي في المرتبة الثانية بينها من حيث الطول ، وقناة بناما التي تأتي في المرتبة الاخيرة :

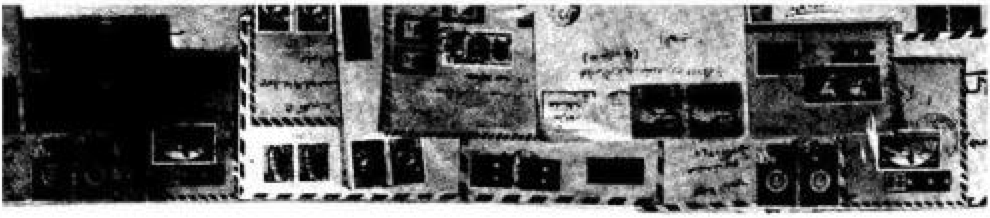
عبد العزيز السروى ـ الاحمدى

		(طول)	(عمق)
قناة ستالين	بحر البلطيق ببحر بارنتز	١٤١ ميل x	٥ر١٦ قدم
قناة السويس	البحر الأبيض بالبحر الاحمر	٦ر١٠٠ ميل x	٣ر٣٩ قدم
قناة لينين	البحر الأسود ببحر قزوين	٢ر٦٢ ميل	
قناة كيل	بحر الشمال ببحر البلطيق	٩ر٦٠ ميل x	٤٥ قدما
قناة هوستون	تصل مدينة هوستون الامريكية بالبحر	٧ر٥٦ ميل x	٣٤ قدما
قناة بناما	تصل المحيط الاطلسي بالهادى	٧١ر٥٠ ميل x	٤١ قدما

وتجدر الاشارة الى أن من القنوات ما هو داخلي يصل بين نهرين أو بحرين كقناة لينين التي ذكرنا فوق هذا الكلام . وقد يضيف المرء الى ذلك ذكر شبكة القنوات الروسية العظيمة التي تبدأ بمدينة لننجراد وتنتهي في استراخان ، مارة بنهر الفولجا وببعض البحيرات قبله . ويبلغ طول هذه الشبكة ١٨٥٠ ميلا . وغير خاف أن أهمية هذه القنوات انما هي في تسهيل الملاحة .

(ى . ز)





نشاط روسي في عمليات البحث عن البترول في بلدان العالم المختلفة

● بدأ الروس التنقيب عن النفط ، على ما نعلم ، في بعض البلاد العربية ، فهل لهذا علاقة بالمذاهب العقائدية ..

احمد مصطفى ـ سوريا



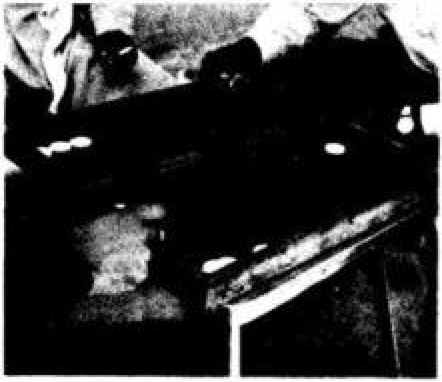
ـ توسع الاتحاد السوفيتي في السنوات الأخيرة في ارسال بعثات فنية للتنقيب عن النفط الى عدد كبير من البلاد في افريقيا وآسيا وأمريكا الجنوبية.

وترتبط روسيا الآن باتفاقيات للبحث عن النفط مع افغانستان، والجزائر ، ومصر،وكوبا ،وايران، والبرازيل ، وباكستان ، وبولندا ، ومالي ، وسوريا ، والعراق ، والهند،وتنزانيا ،وجمهورية اليمن الجنوبية الشعبية .. ويختلف عمل البعثات الروسية من بلد الى بلد حسب الاتفاقيات المعقودة بين الطرفين .. ففي ايران مثلا يقوم الروس باعمال التنقيب بالاشتراك مع شركة النفط الوطنية الايرانية . وفي الهند تقوم الحفارات الروسية بعمليات حفر آبار النفط ، وتقوم فرق المسح الزلزلي الروسية بالعمل في باكستان حيث تم لهم اكتشاف حقلين من حقول البترول هناك .. وفي الجمهورية العربية المتحدة قام خبراء البحث عن البترول السوفيت بعدة عمليات مسح زلزالي لمنطقة واحة سيوه لحساب المؤسسة المصرية العامة للبترول وتقوم الحفارات الروسية الآن بعمليات الحفر في هذه المنطقة .

وفي الجزائر يقوم الخبراء بتدريب الفنيين الجزائريين على اعمال التنقيب والمسح الجيولوجي. وهكذا تقوم روسيا الآن بنشاط ضخم في عمليات التنقيب والبحث عن البترول في عدد كبير من البلدان التي لا تخضع للمعسكر الشرقي .

(م. ط)





"طاولة النرد" عرفها المصريون القدامى والبابليون والرومان

● تكرمتم بذكر شيء عن لعبة الشطرنج ، فهل تتكرمون بتعريفنا عن منشأ لعبة « طاولة الزهر » المنتشرة في الشرق الاوسط؟

سليم فافيش ــ الكويت

ــ لعبة الطاولة هي واحدة من الالعاب التي يستعمل فيها النرد (الزهر) . والنرد على ما يذكر لنا التاريخ كان معروفا منذ عصور بعيدة جدا .. فبالرغم من ان المؤرخ « هيرودتس » قد نسب منشأ النرد الى الليديين (مملكة قديمة نشأت على بحر ايجه بآسيا الصغرى) ، فان الحفريات الأثرية قد كشفت عن أن أصل النرد يمتد الى أبعد من ذلك بكثير ، فقد عثر على نرد ، يماثل تماما النرد الحديث المستعمل الآن ، في مقابر لقدماء المصريين يعود تاريخها الى عام ٢٠٠٠ قبل الميلاد ، وعثر على نرد آخر في حفريات بالصين يعود عهدها الى عام ٦٠٠ ق.م.

من هذا نرى أن « النرد » الذي هو اساس لعبة « الطاولة » قد عرفه الانسان منذ مطلع التاريخ .. ولا أحد يدري على وجه التحديد حتى الآن متى واين نشأت لعبة « طاولة النرد » وكل ما نعلمه أن بعثة اثرية قد عثرت على طاولة نرد في حفريات تعود الى البابليين في العراق ، وقد وجدت الطاولة ومعها احجارها والنرد أيضا .. ويرجع الكثيرون من المؤرخين أن لعبة النرد عرفها ومارسها المصريون القدامى والبابليون والاغريق واليونان . وقد انتشرت هذه اللعبة ، ولها انواع كثيرة وطرق مختلفة في لعبها لا مجال لذكرها هنا ، في اوربا ، في القرن العاشر الميلادى ، ولكنها انقرضت هناك ، لكنها لا تزال منتشرة انتشارا كبيرا في معظم بلدان الشرق الاوسط .

(م. ط)

أسرع الحيوانات

● قرأت في عدد سابق من العربي أن الفهد الهندي هو أسرع الحيوانات .. ترى هل هو أسرع من سمك القرش وان كان كذلك فأي الحيوانات تفوق الفهد الهندي من حيث السرعة .. ؟!

سالم عثمان ــ القاهرة

ــ الفهد الهندي Cheetah ، أسرع من سمك القرش بلا ريب . وهو اسرع ايضا من الغزلان والخيول بكافة انواعها . الا ان بعض النسور وبعض الصقور تفوق الفهد الهندي سرعة . ويصدق ذلك بخاصة على النسر الذهبي Golden Eagle ، وصقر الشاهين Peregrine Falcon

وتجد فيما يلي قائمة ببعض الحيوانات وبالسرعات التي تستطيع الجرى فيها .

صقر الشاهين	١٨٠ ميلا في الساعة
النسر الذهبي	١٢٠ ميلا في الساعة
حمام السباق	٩٦ ميلا في الساعة
الفهد الهندى	٧٠ ميلا في الساعة
الكنغر (نوعه المعروف بالاحمر)	٤٥ ميلا في الساعة



كم عدد سكان الكويت ؟

● هل يوجد احصاء رسمي لسكان الكويت ؟ وهل يمكن ان نعرف مقدار الزيادة في النفوس طبقا للاحصائيات الرسمية ؟ وكم عدد جنسيات السكان غير الكويتيين في دولة الكويت ؟

نبيل بعران ــ القاهرة

ــ اول من قدر عدد سكان الكويت كان الرحالة الدانمركي كارستن نيبور عام ١٧٦٥ عندما قال انهم ١٠٫٠٠٠ نسمة .. وفي عام ١٩١٤ قدروا عددهم بنحو ٣٥٫٠٠٠ نسمة . وفي عام ١٩٤٩ بلغ عددهم ١٥٠٫٠٠٠ نسمة ..

واجرى اول تعداد رسمي في الكويت عام ١٩٥٧ بلغ فيه عدد السكان ٢٠٦٤٧٣ نسمة ، منهم ١١٣٦٢٢ من الكويتيين ، و ٩٢٨٥١ من غير الكويتيين .

وفي عام ١٩٦١ أجرى الاحصاء الثاني وفيه بلغ مجموع عدد السكان ٣٢١٦٢١ نسمة .. كان عدد الكويتيين منهم ١٦١٩٠٩ وعدد غير الكويتيين ١٥٩٧١٢ نسمة .

وفي عام ١٩٦٥ اجرى التعداد الثالث وكان مجموع السكان ٤٦٧٧٨٩ نسمة منهم ٢٢٠٫٠٥٩ كويتي و ٢٤٧٧٢٨٠ غير كويتي .

اما الاحصاء الاخير للسكان في الكويت فقد اجرى في ١٩ ابريل (نيسان) ١٩٧٠ ، وتشير النتائج الاولية الى ان مجموع عدد سكان الكويت هو ٧٣٣١٩٦ نسمة ، منهم ٣٤٥٨٩٨ من الكويتيين و ٣٨٧٢٩٨ من غير الكويتيين .

اما بالنسبة للشق الاخير من سؤالك عن عدد الجنسيات العاملة في الكويت من غير الكويتيين فان النتائج النهائية لتعداد ١٩٧٠ لم تظهر بعد .

(س . ز)

الأرنب البرى (الانجليزي) ٤٥ ميلا في الساعة
فرس السباق ٤٣ ميلا في الساعة
الثعلب ٤٠ ميلا في الساعة
وحيد القرن ٣٥ ميلا في الساعة
الذئب ٣٥ ميلا في الساعة

ولعلك ترغب في معرفة سرعة بعض الحيوانات الاخرى غير المعروفة بسرعتها :

الفيل (الافريقي) ٢٤ ميلا في الساعة
الحوت الأزرق ٢٣ ميلا في الساعة
النحلة (بعض أنواعها) ١٤ ميلا في الساعة
الدبـــور ١٢ ميلا في الساعة
العنكبوت ١٧ر١ ميل في الساعة

وتجدر الاشارة الى ان هذه السرعات لا يمكن الاعتماد عليها بدون تحفظ . فعلى الرغم من الدقة المتناهية التي رافقت قياسها ، فانها ليست بالدقة التي نرجوها . ويعزى ذلك لأسباب عديدة ، منها ان الحيوانات لا تستطيع المحافظة على سرعتها مدة طويلة . فالفهد الهندى مثلا يحافظ على سرعته التي ذكرنا ، مسافة ٥٠٠ متر فقط . اما بعد ذلك فتهبط سرعته من ٧٠ الى ٤٤ ميلا في الساعة ثم تهبط دون ذلك وهكذا .

(ى . ز)

وتحن نجيب

تخطئة الكلمات بدون حجة

● قرأت كتابا في ضوابط الكتابة مطبوع عليه انه اعتمدته وزارة التربية والتعليم لمكتبات مدارسها . فيه أشياء لغوية يحكم بأنها خطأ . فهل رأيتم ذلك الكتاب وهل كل أحكامه في التخطئة صحيحة .

حسن زكي ـ مدرس ـ القاهرة

ـ ان البحث لتجنيب الخطأ امر شاق، وهو في حد ذاته اجتهاد للنفع . لكن اللغة واسعة ، والحكم على الشيء بالخطأ قد يكون أحيانا تسرعا أو مجانبا للصواب ، ويغلب أن يكون اعتمادا على بعض الكتب غير الوافية او اخذا برأى لأحد الرواة . ولنذكر لك بعضا مما جاء في هذا الكتاب الذى اشرت اليه :

١) قال « قارىء القرآن ، والعامة تسمية مقرئا وهو خطأ » مع أن هذا صحيح ففي اللسان وغيره « وأقرأ غيره يقرئه اقراء ، ومنه قيل فلان المقرىء » هذا ولو كان يتتبع كتب التراجم لوجد أنهم يقولون مثلا : ابو بكر بن مجاهد المقرىء .

٢ ـ قال « الجلوس غير القعود فالجلوس هو التحرك من أسفل الى أعلى ، كأن يكون الانسان نائما او ساجدا ثم يجلس ، اما القعود فهو الانتقال من أعلى الى اسفل . . » وهذا كلام ان تفاصح به بعض الناس ، لا قيمة له ، ولا معول عليه ، ففي اللسان وغيره من مادة « قعد » ما يأتي بالنص « القعود والجلوس واحد ، قعد يقعد قعودا ومقعدا ، اى جلس . وقال ابو زيد ، وقعد : جلس » .

وفي مادة جلس « الجلوس القعود » هذا والمجالس التى يقعد فيها الناس لا يعقل أنهم يجلسون فيها من نوم أو من سجود . وفي القرآن الكريم « اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس » فهل مجالسهم لا تعتبر مجالس الا اذا كانوا نائمين او ساجدين ثم جلسوا .

٣ ـ قال عن « الحلقة للباب » انها بسكون اللام وان فتح اللام خطأ مع أنه لو قرأ اللسان وتاج العروس لوجد أن الحلقة بفتح اللام هي بمعنى التى بسكونها وجاءت في شعر وفي نثر ، فليست اذن خطأ .

٤ ـ وقال عن الألية « والطريف أن الية تثنيتها اليان بغير تاء ، خلافا للقاعدة » مع أن الية أيضا تثنيتها اليتان تبعا للقاعدة ، قال عنترة بن شداد :

متى ما تلقَني فرْدَيْن ترجُف
روانِف اليتيك وتستطارا

٥ ـ وقال عن « البتة » « سمع عن العرب في هذا اللفظ قطع همزته تقول لا أفعله البتة » وهذا الذى يقرره يقع في مثله كثيرون مع أن البتة بدون همزة هو الذى صوبوه ، وهو ما ذكر كثيرا في اللسان بدون همزة . وفي تاج العروس » نقل شيخا عن الدماميني في شرح التسهيل : زعم (١) في اللباب انه سمع في البتة قطع الهمزة . وقال شارحه في العباب انه المسموع . قال البدر : ولا اعرف ذلك من جهة غيرهما ، وبالغ في رده وتعقيبه في حاشيته على شرح القطر » .

فمن هذه الامثلة تعلم ان الحكم على بعض الالفاظ بالخطأ هو تسرع يحسن الا يقع أحد في الجزم به الا بعد تثبت ويقين. ولا يحيط أحد باللغة ، فما بالك بمن لا يقرأ امهاتها المشهورة .

(ع . ف)

---

(١) كلمة زعم تستعمل دائما في اصطلاحاتهم في الأمر الذى هو مظنة الكذب .

العربي

عدد ١٤٥
شوال ١٣٩٠
ديسمبر
(كانون الاول) ١٩٧٠



اطلب

العربي الصغير

ع هذا العدد

جوائز

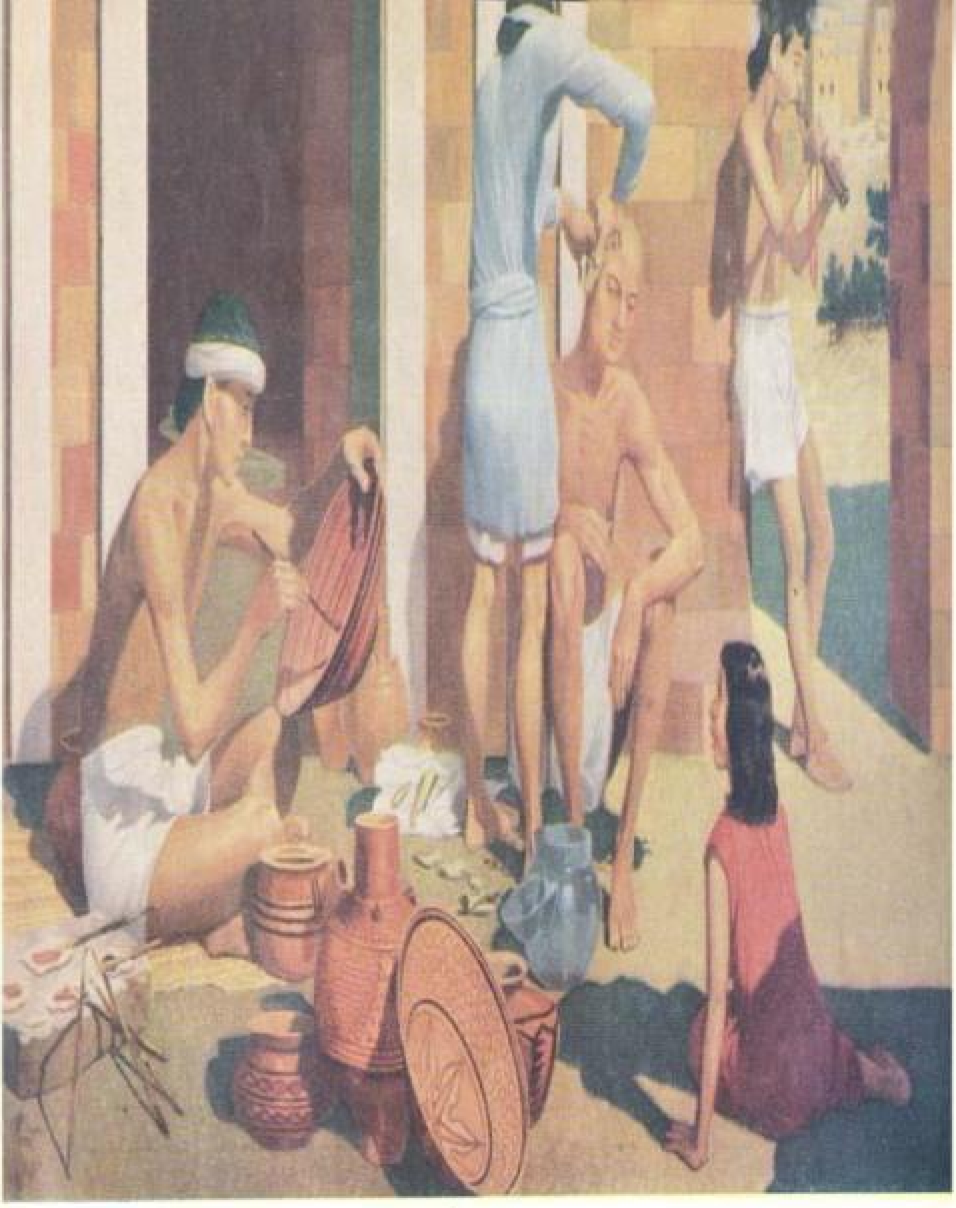
١٣٠٠

دينار سنويا

طالبة من تعز . اتيحت
لها الفرصة فابدعت !

الثمن

ويت	١١٠	فلوس
لليج العربي	٢	ريالات
سعودية	٢	ريال
البحرين	٢٠٠	فلس
اليمن	٣٫٥	شلن
راق	١٢٠	فلسا
نان	١٠٠	قرش
ردن	١٠٠	فلس
سورية	١٠٠	قرش
ع.م.	١٠	قروش
سودان	١٠	قروش
يبيا	١٥	قرشا
تونس	٢٠٠	مليم



حضارات سادت .. ثم بادت

لوحة لطيفة ، تجمع بين الرؤية الفنية والحقيقة التاريخية ، اذ تمثل الصورة حصيلة ما توصل اليه المؤرخون وعلماء الآثار ، عن الحرف والصناعات التي عرفها سكان العراق في العصر الحجري الحديث أي قبل نحو ٥٠٠٠ – ٦٠٠٠ عام .

(أنظر صفحة ١٢٣)

عزيزى القارئ

تسألنى عن حال العرب اليوم

وجوابى :

انها الليلة الظلماء ، « وفى الليلة الظلماء يفتقد البدر »

وتسألنى هذا الظلام كم يطول ؟

وجوابى :

انه لا بد لكل ظلمة من نهاية ، ومن بعد كل عشية ينتصف الليل ، ثم لا بد من طلوع الفجر واشراقة الصباح .

وتسألنى : افما كان عن هذا الظلام مندوحة ؟

وجوابى :

ان الاصل فى الوجود الظلام ، وانه ان سطع نجم او اشرقت شمس فما هى الا طاقة مستحدثة . والحياة مراوحة بين ظلمة ونور ، وما خلق الصبر الا لانه صبر على الظلام حتى تكون اشراقة للحياة بيضاء .

فالصبر ، الصبر

والله مع الصابرين .

المحرر

العربي

رئيس التحرير : الدكتور أحمد زكي

القسم العام :

اسلاميات :

لغة وآداب :

تربية وعلم نفس :

استطلاعات مصورة :

طب .. وعلوم :

فلسفة :

العربي
مجلة عربية مصورة شهرية جامعة
تصدرها وزارة الارشاد والانباء بحكومة الكويت
والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABY — No. 145 December 1970 - P.O.B. 748 — KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤١٤١١ / ٢٠ ـ تلغرافيا « العربي »
الاعلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات
المراسلات : تكون باسم رئيس التحرير

بريد القراء

رحمه الله ..

● وردتنا رسائل عديدة جدا تبيّن مدى الحزن والتأثر الذى غمر قراء « العربى » بسبب الفجيعة التى حلت بالأمة العربية فى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ بوفاة الرئيس جمال عبد الناصر .

ويضيق المقام عن ايرادها، ونقطف منها ما يلي :

❊ لقد كنتُ من ملايين العرب الذين أصيبوا بالذهول لدى سماع خبر وفاة الزعيم الكبير .. شعرت وكأنى لا أعترف بالقدر ، بل ارفض أن أصدق أن خالدا ، وجبّارا ، وعملاقا كعبد الناصر فارق الحياة ..

(حسن محمود يوسف – بيروت)

❊ بعد الفاجعة الأليمةالتى ألمتبالوطن العربى، لفقدانه أحد أبطاله العظماء ، الذين لا يجـود الدهر بأمثالهم الا نادرا ، لا يسعنا الا أن نرجو ونأمل فى أن تتوحد صفوف العرب وان نحقق سائر الأمانى التى طالما سعى الى تحقيقها الزعيمالراحل.

(عربى من لبنان ...)

وحدة الله ..

● وردت الينا عدة رسائل يطلب فيها أصحابها عودتنا الى باب : وحدة الله تتجلى فى وحـدة خلْقه .. كرسالة السيد عبد العبادى ، بغداد ، ورسالة السيد محمد عمر برازى من دمشق . وسنعود الى الباب ان شاء الله .



❊ لقد زرعت فينا روح العزة والكرامة ، ولطالما سمعناك تردد : نحن أمة .. نحن حضارة .. نحن تاريخ .. نحن وحدة .. ويا لتحقيقة ما ردّدتَ ..

(جمعة المستى .. الكويت)

❊ لقد فجع العالم العربى بنبأ وفاة الرئيس جمال عبد الناصر .. ولا عجب فقد سعى الزعيم العربى الى استكمال حـرية البـلاد العربية واستقلالها ، وبذل كل ما يمكن بذله فى سبيل وحدتها .. وعمل من أجل كرامتها ورفاهيتها ...

(صالح محمد المطلق .. الرياض)

❊ لقد مات البطل الرئيس عبد الناصر وهـو يناضل ويكافح فى سبيل صالح العرب .. وان قلمى لعاجز عن التعبير عما يمزق نفسى من حزن وأسى بالغين .. ولعل الوعى الكامن فى الانسـان العربى كفيل بتحويل الحزن الى قوة ، والى عمل دائب من أجل الوحدة وتحرير الأجزاء المغتصبة ، مما ضحى القائد الراحل نفسه فى سبيله .

(فاروق حكيم .. حلب)

❊ شاءت الأقدار ان يكون سمو الأمير الصباح آخر من ودعهم الرئيس جمال عبد الناصر قبل وفاته ، فقد أصر البطل الراحل أن يذهب بنفسه لوداع الضيف الصديق وألّا ينيب عنه أحدا لهذه المهمة .. هذا بالرغم من المرض الذى كان يشعر به والذى كاد أن يفتك به ، وبالرغم من نصح الأطباء .

(جرجس عوض – سوهاج – ج.ع.م)

النسل بين المنع والاطلاق

● شاهدت بشغف المقابلة التلفازية التي اجريت مع رئيس التحرير الدكتور احمد زكي في طرابلس اثناء زيارته الاخيرة لليبيا (الصيف الماضي) . الا انني لم اتمكن من تفهم بعض الاراء التي أعرب عنها * وأرجو ان توضحوا لي ، لو امكن ، المقصود بالعبارة التالية :

ان تنظيم النسل لا يهم كثيرا لو اننا اتجهنا الى الأخذ بوسائل الانتاج المتطورة صناعيا وزراعيا وعملنا على اصلاحها . فسوف يجد كل فرد القوت اللازم له .

خليفة ابو زيد ـ طرابلس ـ ليبيا

العربي : الديمقراطية واجبها ان تخطط كي توفر للشعب المتزايد المتكاثر طعامه وكساءه وسكنه وتعليمه وسائر الخدمات . وقد تبين لاكثر الدول العربية أن تحديد النسل ضعف وقلة في الرجال ، وقلة في الصناع والزراع ، وقلة في الجند ، حماة البلاد . وقد تبين للعرب أيضا ان الكثرة في السكان هي الغاية التي ينبغي أن يطلبوها في عالم كله تفاخر بتكاثر ويرى القوة في الاعداد اعداد أذرع واعداد اقدام قوية وكذلك اعداد رؤوس تحوي امخاخا مفكرة بارعة ..

اما العمل فواجب على الدولة أن تيسره ، مع الكثرة ، والا فهو ضعف التفكير وضعف التخطيط والاستسلام لقوى الشر المحيطة بالوطن العربي التي من عوامل دفعها كثرة الرجال العاملين ، المجاهدين، وكثرة النساء . ولا ننسى أن اسرائيل انما تريد ان تحمي نفسها في الخضم العربي ، بتكثير اهلها تأتي بهم من كل فج .

هدية العدد الممتاز

● جاءنا مقترحات كثيرة بخصوص هدية العربي للعدد الممتاز : ما تكون .. وقد اقترح بعض القراء أن تكون تلك الهدية تقويما لعام ١٩٧١ ، وحثنا آخرون على جعلها خريطة اقتصادية او زراعية للوطن العربي .. واوصت فئة ثالثة بان تكون هديتنا علمية .. وآخرون اختاروا أن تكون الهدية خريطة حديثة للوطن العربي .. وقد استجبنا الى الكثرة الكبرى من القراء .. وستجد ما استجبنا اليه في العدد الخاص ان شاء الله .. وهي بالمجان.

مغامرة غير محمودة

● قرأت في مجلة العربي (عدد يوليو ـ تموز) قصة « السعادة » للكاتب الروسي الكبير ليو تولستوي وترجمة نصيف بقطر ، ولكني شعرت وانا اقرأها بانني سبق ان قرأتها . ورحت أتذكر واتذكر .. حتى تذكرت انني قرأت القصة المذكورة .

وعدت الى مجموعة الرسالة القديمة والى العدد ٧٢٧ الصادر بتاريخ ١٩٤٧/٦/٩ فوجدت ما كنت أبحث عنه . وجدت قصة السعادة المترجمة نفسها بنصها وحرفها . وجدتها مترجمة لا بقلم نصيف بقطر وانما بقلم الأستاذ مصطفى جميل مرسي ..

نزار نجار ـ كلية الاداب ـ دمشق

العربي : راجعنا عدد الرسالة المشار اليه ووجدنا أن ما يقوله السيد نزار نجار صحيح . ونأسف لان يبلغ الخلق العربي هذا المستوى ، ولا حيلة لنا فيه ، لانه ليس في مستطاع العربي ، أو اي مجلة أخرى ، مراجعة شتى المجلات منذ عام ١٩٤٧ .. ولا نظن أن المكافأة التي أخذها السيد نصيف بقطر تستأهل هذه المغامرة .

حَديثُ الشَّهر

دِيمقْ

بقلم رئيس التحرير

جاء يسألني عن الديمقراطية ، حلال هي ام حرام ؟ .

قلت : ليست الديمقراطية بشراب يقال فيه انه حرام وانه حلال .

فعاد يقول : اخير هي ام شر ؟ .

قلت : هذا سؤال احق بأن يجاب .

قال : فالديمقراطية اذن قد تبلغ من الشر مبلغا هو مبلغ التحريم ، يقال عندئذ للشيء فيه انه حرام .

غلبني الرجل ، لولا عادة تعوّدها الناس فى الكلام .

واخذ الرجل يحكي لي من الديمقراطية التي وردت على قومه ما لقي منها ، وانه لم يلق منها خيرا . فالناس كانت فيهم طيبة في العيش فذهبت عنهم طيبته . وكان لهم بالحياة رضى ، على قلّة ما



جاء يسألني عن الديمقراطية على عينيه نظارة ثقيلة ، وفي جيب صدره قلم ، وفي يده كتاب .

راطية مريضة

كسبوا ، فذهب عنهم رضاها . وكانت بهم دماثة خلق فانقلبت الى خشونة ، ومحبة ومسالمة فتحولتا الى اعتداء . وكان بهم لقواعد السلطة وقوانين الدولة احترام فذهب عنهم احترامها . وكان بهم شيء من نظام وانتظام فذهبت عنهم هذه البقية وصاروا يلجون الابواب اقتحاما ، ويفوز الاقوى ويتأخر الضعيف . واللفظ الحلو ضاع من افواههم وحل محله اللفظ القاسي المرير .

قلت حسبك يا صاحبي .

ونظرت اليه فلم أجده في ثوب من اثواب أهل الغنى . ووجدت على عينيه نظارة ثقيلة العدسات ، ووجدت في جيب صدره قلما ، وفي يده كتابا .

في اكثر من دوله

الحق ان هذا الحال الذي وصف صاحبي هذا يوجد في اكثر من دولة . ويوجد على الاكثر في دول هذه الايام ، تلك الدول التي سُميت بالمتخلفة ، وكانت تثقل تحت نير الاستعمار ، ثم ارتفع عنها هذا النير ، فخفت فجاءة ، فلم تصبح على يقين مما جرى لها وحل بها .

كان الكبت ، فحل محله الانطلاق .

وكان الظلم فحل محله ، لا أقول

العدل ، ولكن احتمال العدل أن يكون .

وكان الجهل ، وحل محله ، لا العلم ، ولكن احتمال العلم ان يكتسب .

وانه الضيق ، انفرج ، فخرج منه الناس الى سعة لم يتعودوها . فكان لا بد من التمطي في الهواء وتطويح الأجسام في غير محاذرة .

كل هذا امر مفهوم ، وعلة حاضرة لكل ما راى صاحبنا من الديمقراطية حتى شكاها .

وهي حال وجب أن لا تدوم .

فاذا هي دامت فهي الداء . وليست هي عندئذ بالداء العابر ، بل الداء المقيم . ويخشى الحكام ان يتدخلوا فتمسهم التهمة بانهم اعداء الشعب ، اعداء الانطلاق ، اعداء الحرية .

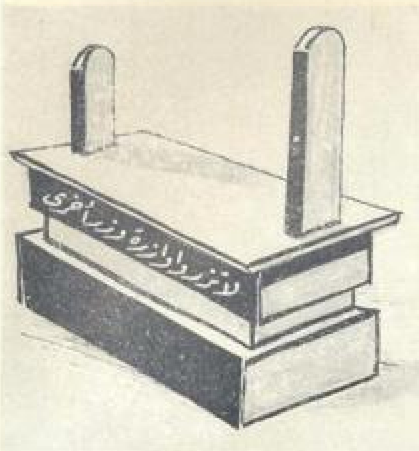
حرية قد تصبح فوضى

والحرية عند هذا الشعب المنطلق قد تصبح لا تفترق عن الفوضى . وهم قد يمارسون الفوضى وعدم الطاعة ، زعما بأن هذا انتقام للذي كان في العهود البائدة من انظمة قاسية لا ترحم ، لا سيما الفقراء ، ومن طاعة وجبت عليهم كانت تعززها السياط وظلمات السجون .

ويتمادى الشعب المتحرر ، حديث التحرر ، في فهم الحرية التي اكتسب . الحرية عنده أن يفعل ما يشاء ، ويزيح من طريقه ما يشاء ومن يشاء ، فان اعترضه معترض سبه باسم الحرية .

وازرة هي اليوم تحت التراب

ويزيد الشعب المتحرر ، الحديث التحرر ، غلواً فيما يأتي من آثام ، خفاف او جسام ، موقف السلطة منه . فالسلطة تلتمس له العذر في يومه هذا بسبب ما كان له في امسه القريب .



وازرة الامس البعيد
هي اليوم تحت التراب

وهذا وجه من الراى له اعتبار . ولكن ان تظل تلتمس له العذر في يومه هذا القريب ، بسبب الذى كان له من غبن وظلم في امسه ذلك البعيد ، منذ سنوات عديدة ، عشر من السنوات وعشر ، فوجه من الراى غير ذى اعتبار . ذلك ان في السنين العشرين مات ناس ، وولد ناس ، ووجه الأرض تغير . ووازرة اليوم ، ان تكن وازرة ، هي غير وازرة الغد البعيد ، فاكثر الظن أن وازرة ذلك اليوم البعيد هي اليوم تحت التراب .

تمييز الفقر
تخذيل للفقير
عن ان يصبح ذا غنى

وتبدا السلطة الديمقراطية الجديدة عهدها الجديد ، بحدب تسبغه على الفقراء ، والمعذبين في الأرض خاصة ، وحق لها ذلك .. حق لعام او لبضعة اعوام . اما ان يصبح هذا الحدب دائما ، وقد ارتفع في العيش فقير ، وانحط غني بمرور السنين ، وتساوى الناس او كادوا ، فحدب هو مظنة الجور ،

وهو اغراء للشعب ، واكثره الفقراء ، بالجنوح الى ميزة مزعومة للفقر على الغنى ، بعد ان كانت ميزة الدهور انما هي للغنى على الفقر . ومعنى هذا تمييز الفقر فى الشعب ، وتثبيته ، وتخذيل للفقير ان يجد ، وان يعمل ، وان يصبح ذا مال وذا غنى .

حماية العامل عند الاساءة

وتبدأ السلطة عهدها الجديد ، فى البلد المتحرر الجديد التحرر ، بحماية العامل من شتى صنوف الغبن . ومن اولها رفع رزقه درجات . وهذا فضل لا بد منه . ولهذا الفضل فضائل امثال واشكال **ولكنها تمضي بعد ذلك فى حمايته الى غاية لا تحمد ، كأن تعفيه من محاسبة رئيس له عن اساءة فى عمل ، او تجعل اثبات ذلك من الطول ، وبه من الجهد ، ما يجعله عقيما . واذن يسيء العامل ما يشاء . ويقتدى باساءة الواحد الف والف . والنتيجة فساد العمل ، وفساد العمال وخراب البلاد .**

حكى لي رجل قال : انه دخل الى مصرف له فيه حساب ، يسأل عن أمر ، وجرى بينه وبين رئيس قسم فيه نقاش . فتعدى هذا الرئيس بقبيح اللفظ فى غير سبب . فما كان من الرجل الا ان ذهب الى مدير المصرف يشكوه . فربت مدير المصرف على كتفه **وقال له :** انس الذى حصل ، فليس لي من التبعة فى هذا الأمر شيء . ولو جرينا فى التحقيق لطال الروتين فيه ، واكثر الظن ان النتيجة تعود عليك بالخسران .

فهذا عامل ، ولو كبير ، لم يأبه لما صنع بهذا الرجل . وظني انه لا يأبه



فربت مدير المصرف على كتف الشاكي، وقال انس ما حصل ، فنحن لو حققنا لعاد عليك التحقيق بالخسران .



ان الديمقراطية لا تزيد رزقا . انما عمل الفرد هو الذى يزيد رزق الفرد . وعمل الجماعات يزيد رزق الجماعات

بالذى يصنع بأى رجل ، وسبل الردع غير قائمة لتردعه .

ولقد اتصور هذا الحال يقوم فى بنك ، ويقوم فى شركة ومؤسسة ، ويقوم فى ادارة حكومية ومصلحة ، ويقوم فى دائرة مدنية أو دائرة عسكرية ، فتقضي بذلك على دعامات الأمن بين الموظفين ، وعلى دعامات الأمن بين أهل الوظائف فى الحكومات وأهل المطالب فى الشعب . اتصور هذا ، فأتصور دولة الى التفسخ صائرة .

ان نمنع العمال ان يجور عليهم احد ، واجب بديهى لا جدال فيه . وان نجعلهم ينعمون بالعمل وينعمون بالحياة ، واجب بديهى لا جدال فيه . ونحن كلنا عمال ، صغيرنا والكبير .

ولكن ان نحمي العمال عندما يجورون أو يفسدون ، فذهاب بصوالح البلاد من آساسها .

ومعنى خاطىء : ان الحياة على الديمقراطية أيسر

ان الانتقال من عهود ظلم الى عهود انصاف ، ومن عهود استبدادية الى عهود ديمقراطية ، يوحي الى الكثير من الناس بأن الحياة ستكون أيسر ، وان الرزق سيكون أوفر ، ومشقات العيش سوف تزول من الطريق ، وكل هذا فى يوم وليلة .



ولا عمل الا من بعد ثقافة . ولا ثقافة الا من بعد تدريب. والثقافة مشقة . والتدريب أشق

وان يكن فى فهم الديمقراطية اخطاء ، فهذا الفهم من اكبر اخطائها .

ان الديمقراطية لا تزيد رزقا .

وانما العمل ، عمل الفرد ، هو الذى يزيد رزق الفرد . وعمل الجماعات هو الذى يزيد رزق الجماعات ويزيدها بنسبة اكبر .

فالديمقراطية تعمل شيئين نافعين اشد النفع :

اولهما ، أنها تهيىء العمل للسواد من الناس ، وهذا واجبها . والديمقراطية التى بها تعطل ، ديمقراطية فاشلة بمقدار ما فيها من تعطل .

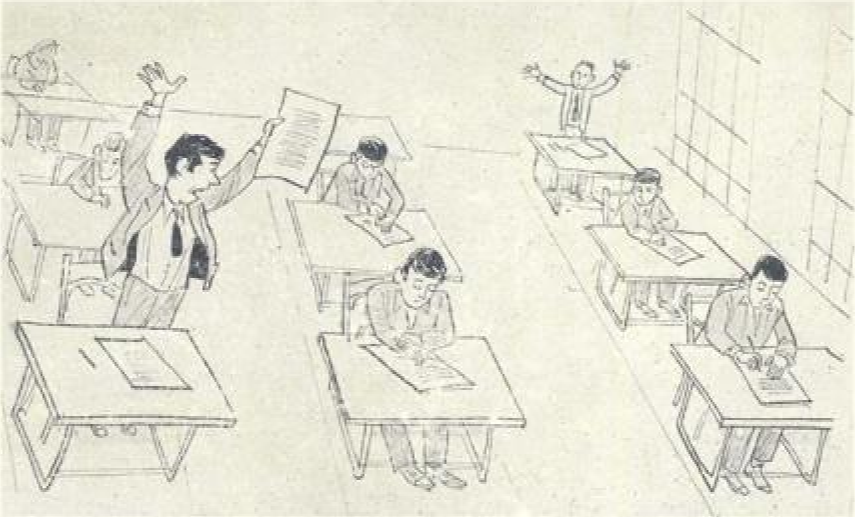
وثانيهما ، انها تؤمن الأمن للناس ، على العمل ، وتؤمن الكسب للعاملين .

فالديمقراطية عمل ، وجهد ، وعرق صبيب .

لا عمل الا بعد ثقافة وتدريب

ولا عمل الا من بعد ثقافة . ولا عمل الا من بعد تدريب . والثقافة مشقة . والتدريب قد يكون اشق من ثقافة .

ولكن شاع فى الشباب رأى خاطىء . وهو رأى شيوعه غريب . فالكثير من الشباب يرى ان عليه أن يعمل فى العهد الديمقراطي أقل مما كان يعمل مثله فى العهد الاستبدادى ، والا ما فائدة الديمقراطية ، او ما الذى كسبناه منها ...



اسئلة صعبة !! برامج ثقيلة ؟؟

وهذا راى أنقله عن لسان شاب وشاب .

نسي هذا الشاب ، ونسي امثاله ، ان الديمقراطية انما هي جو ، وهي انما تهيىء للعامل الجو الصالح . ولكنها لا تنقص مما يجب العامل ان يبذل لبلوغ غاية .

ومن الحكومات الديمقراطية من يعين على تثبيت هذا الراى عند الشباب .

ومن الحكومات الديمقراطية حكومات يعتريها العطف على شبابها ، فلا يكاد يشكو شبابها ثقل برامج الدراسة فيها حتى تعمد الى تخفيفها ، لا بناء على راى فى التربية قائم او يقوم ، ولكن على شكوى قائمة من قلة من الشباب اكثرهم للدراسة الجادة الثقيلة غير متاهلين .

والهدف سياسي : ان لا يتسم العهد الديمقراطي بكراهة الشباب .

وما الذي يحدث بعد الهبوط ببرامج الدراسة ، فى مدرسة او جامعة ؟

يهبط معه مستوى التعليم ، فيهبط مستوى العلم والفن والتكنية فى البلاد . وتنزل البلد دون مرتبتها بين الأمم . وتحاول الأمة من بعد ذلك ان تجد من بين اهلها العلماء والفنيين فلا تجد الا العلم المستخذي والا الفن الضئيل ، وتصبح الدولة قلة فى صراع الأمم وضالة .

ان يكن حقا ان فى الشباب من لا يتاهل ، بسبب قصور طبيعي فيه ، للنهوض بأعباء التأهل للعمل فى الديمقراطية ، فلنجعل الدراسة مراتب : مرتبة ، تنتج آحادا كاملة ، واخرى تنتج انصافا . على ان يؤسس هذا بناء على اسس تربوية علمية وثيقة .

الحياة لا تجنى ثمارها خطفا

ولقد تحدثت الى كثير من الشباب ، وعجبت ان كثيرا منهم يرى ان يجنى

ثمرات الحياة ، باسم الديمقراطية ، خطفا . لأن الديمقراطية تيسير وتسهيل وتبشير .

ففي الآداب مثلا لا يكاد الشاب ان يفرغ من دراسته الثانوية ، او حتى قبل ان يفرغ منها ، حتى تراه يأخذ بنظم الشعر ، ويحاول ان ينشر قصائده، قصارها والطويل . فاذا هي لم تنشر عد ذلك تثبيطا لهمم الشباب ، وزعم انها سيطرة الشيوخ لا تزال قائمة . تسأله عن حصيلته من محفوظ الشعر فلا تكاد تجد عنده اكثر مما حصل فى دراسته . وقد كان الشاعر القديم وغير القديم يخشى الشعر ان يقوله حتى يكون حفظ فيه الآلاف من الأبيات ، واطلع على التواريخ والأحداث التي تفجرت بالشعر الرصين الخالد على السنين .

وفى سبيل الخطف والتسهيل ابتدع الخاطفون نوعا من الشعر اسموه بالجديد، وهو بالديمقراطي احق ان يسمى ، لا تكاد تكون فيه قافية او يكون وزن . وليس فيه طعم الا ما ندر . وطعمه انما يكون ، لا بانه شعر ، ولكن بانه نثر . ويقولون لك ان الوزن قيد ، والقافية قيد ، والديمقراطية تابى القيود .

وكالشاب فى دخوله حظيرة الشعر ، الشاب فى دخول ميدان الأدب ، والشاب فى دخول حقول الصحافة وما اكثرها ، كل يحتاج الى لغة ، وكل يحتاج الى تعمق . وكرهوا التعمق ، وكرهوا الجهد يبذل فيه ، وسموا هذا تقعرا .

وخرجت جماعة منهم تهزا بالأساليب، لأنهم حرموها . واعلم ان فى الأساليب المقيت . وان هناك اسلوب اللفظ ، ولا شيء غير اللفظ . ولكني اعلم كذلك ان هناك اسلوب المعنى ، واسلوب الشكل ، واسلوب الجرس والرنين . لقد قال اهل الفن ان الفنون تشكيلية وغير تشكيلية . وكذلك الاسلوب . انه فن ، يحظى بالشكل اللفظي الجميل ، والتناسق المعنوى الجميل ، ويحظى بجمال الفكرة قبل جمال اللفظ ، وهو فوق ذلك له رنين . ولست ادرى لم نحمد الرنين من الموسيقى وننكره فيما تشدو به الالسنة او تجرى به الاقلام .

والفنان لا يكتسب فنه خطفا ، انها الدربة المتطاولة ، وانها السنون .

وكما فى الأدب ، فى غير الأدب ، وفى سائر احتراف لحياة .

فهناك الطبيب الخاطف .

وهناك المدرس الخاطف .

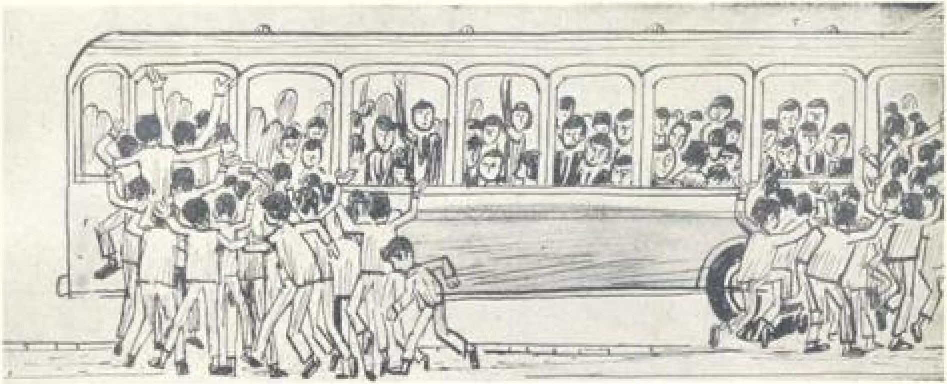
وهناك المهندس الخاطف .

وهناك البراد الخاطف والخراط الخاطف

حتى الزبال الذى يخطف ، اعتقادا منه بان الديمقراطية جاءت للتيسير لا للتعسير ، انما يجنى على قومه ، فقيرهم وغنيهم ، وعلى فقيرهم قبل



شعر ديمقراطى ، كثير المحصول ، قليل العائد



انه لا بديل للنظام غير الفوضى

غنيهم ، يفتح بابا للمرض اذا هو استشرى ، لا تسده العقاقير .

والديمقراطية نظام لا فوضى

ومن الافكار التي تزامن الديمقراطيات الحديثة ان الديمقراطية حرية ، من بعد قيد ، اذن ففي الناس كراهة القيود ، اذن فكراهة القواعد تصاغ للسير عليها او قوانين تتبع . **وقد تبلغ بهم يقظة هذه العقيدة أن تدفعهم الى كسر كل الحواجز ، والفيض كما يفيض النهر وهو زاخر فى عنفوانه فيهلك الحرث والنسل ، فاذا غيض ماؤه انكشف عن خراب واسع .**

وقد يناصرهم فى ذلك بعض الزعماء تظاهرا بأن هذا انما كان بسبب زيادة فى استشعار الحرية ، والحرية محمودة على كل حال .

وقد تصح هذه المناصرة من بعض القوم أو لا تصح ، ولكن يبقى من بعد كل هذا ان الناس فى عهود الديمقراطية هم احوج الى القواعد والى القوانين ، والى تنظيم امورهم ، منهم فى غير هذه العهود .

انه لا بديل للقانون غير الفوضى .

والأمة التي تريد ان تتنشأ من جديد ، وتبنى نفسها من الأساس ، وفى أسرع وقت مستطاع ، لا تستطيع ذلك الا فى سنن قائمة لازمة دائمة ، والسنن لا تقوم ، الا وحولها قلوب الشعب تحميها ، راضية بها مرضية .

الحياة قيود وأغلال

والقواعد والقوانين ليس فيها جمال فى ذاتها .

وهي ، كما يقول بعض المتحررة ، انما هي القيود وانما هي الاغلال .

ولكن من قال ان حياة ما ، تكون بلا قيد ، على ظهر هذه الأرض ؟

ان الحياة الدنيا بدأت بقيد هو اول القيود واكبر القيود ، ذلك ارتباطنا بالجذب الأرضي الى سطح هذه الأرض .

حرية انطلاق حرمناها ، ولو انا أعطيناها ما اطقناها ، والى الأرض ، حيث منابع الحياة ، نعود .

ان جاذبية الارض ضربت مثلا للانسان، ان من القيود ما هو ضرورة لازمة لحياة.

وانت تستطيع ان تكون حرا فى حركتك اقصى الحرية وانت على الأرض البسيطة، ولكن ، مارس نفس هذه الحرية ، وانت عند حافة جبل ، وانظر ما يكون منها . انه الهلاك المحقق .

انها القيود ، وكدت ان اقول ، ولكم فى القيود حياة يا أولى الألباب .

والفرد حر ان يفعل بنفسه ما يشاء، عن علم او عن جهل ، وقد يكون فى بعض حريته هذه الدمار .

وتزيد القيود اذا اجتمع فرد بفرد . وتزيد اذا اجتمع فرد بالف فرد . انه المجتمع . ينزل فيه كل عن قسم من حريته حتى لا تضيق بصاحبه ساحةهى ايضا نصيبه من الحرية . وهذه كلها معان معادة ليس فيها جديد .

ولكن على المجتمع فوق ذلك واجب الطاعة ، واجب قائم على الأفراد فيما استنه المجتمع من خطط ومن نظم . فهذه الحرية المنقوصة ، التى تفرضها الطاعة ، هى أكثر الحريات الم اضاعة. وهى لا تسهل وتهون الا بالتربية والمران.

ان الفرس البرى اعصى ما يكون على السرج واللجام ، ولكنه يستأنس فيستبدل طبعا بطبع ، وطاعة بعصيان . ويبقى فيه مع ذلك القدرة على الحمحمة والصراخ اذا ضاق بأنفاسه لجام .

انه المجتمع وافراده ، ومنهما تتألف الدولة . كالمكنة الهائلة الكبيرة العارمة ، بها العجلات والتروس آلافا ، تدور كلها طيعة ، فى سبيل أن تدور المكنة دورانا هينا سهلا . وبالمكنة زيت للتزييت كثير .

معان لا تسوغ الا فى المجتمع الواعى

كل هذه معان لا تسوغ الا فى المجتمع الواعى ، المجتمع المتربى : المجتمع المثقف . ومن اجل هذا قيل ان الديمقراطية لا تجوز ، ولا تصح ، ولا تنجح ، الا فى المجتمع الواعى المتربى المثقف . ذلك أن علاقة الفرد بالمجتمع وعلاقة المجتمع بالفرد، وعلاقتهما جميعا من حيث قيام الدولة ، قوية ذات نظام ، او ضعيفة ذات فوضى ، علاقات تجل عن فهم السواد فى الأمم التى لا تزال على فطرتها الوحشية الأولى . انها تكون كالأرز غير المقشور ، خشونة ، ولكنها تزول من بعد قشر .

التبعات خفاف وجسام والعاملون مراتب

والدولة لا تقوم الا على مصالح ترعى، وخدمات تنجز ، وزراعات تدار ، وصناعات . وشباب البلاد ورجالها وكهولها ، والكثير من نسائها ، كلهم يجندون لابقاء عجلات المجتمع دوارة بالمنافع والمكاسب ، وزيادة الأرزاق . والجند لا يكون من طبقة واحدة . فمن « الفريق » تهبط الدرجات عبر درجات كثيرة الى الوصول الى الجندى «الفرد». فالعمال اذن مراتب . والأعمال اذن منها الرفيع ومنها غير الرفيع . وافراد المجتمع غير الناضج ، على الديمقراطية، تميل أفراده الى التلكؤ فى الاستجابة لأمر الآمر . وهم أكثر تلكأ اذا جاء هذا الأمر من عل لقوم دون ذلك موضعا .

انها الحساسية البلهاء تنفس على الرجال مراتبهم .

احساس بالمساواة خاطىء : « ليس هذا الأمر احق بالأمر منى . وليس هو العالى وأنا الوضيع . وليس هو الكبير وأنا الصغير . وهو الخطير وأنا الحقير». وتصبح الدعوة الى التعاون بين أهل المراتب صعبة المنال .

ويبلغ برئيس المصنع مثلا أن يلقى عنتا ممن دونه ، ويلقى من دونه عنتا

ممن دونه ، وهكذا حتى تبلغ النفرة العمال جميعا .

معنى من معاني المساواة ينشره بعض العاملين لا يمكن أن يكون .

ان المساواة فى الفرص . لا بد ان تفتح الأبواب لكل دارس ، وكل طالب ، وكل مجتهد ، لا يعوق أحدا عن ذلك فقر ، او وضاعة نسب ، او فقدان جاه .

الناس فى المداخل سواسية .

ولكنهم غير سواسية عند الخروج ، لا فيما حصلوا ، ولا فيما وجب ان يرتزقوا .

ونعم تتقارب الأرزاق ، ولكن لا تتساوى .

وقد أعلم أن روسيا بدأت بالمساواة فى الأجر رغم اختلاف المحاصيل التى حصلها العمال من دراسة ومن تدريب . ثم تبين لها الخطأ الأكبر فى ذلك ، فما أسرع ما قضت بغير ذلك . لا يأخذ أحد ما دون الكفاية ، وهو الأجر الأدنى للعامل ، كان من كان . أما فوق ذلك فيكون بمقدار الكفاية الفنية والتحصيل .

وكذلك المراتب .

والمراتب لا بد فيها من التمييز ، لا لتمييز الفرد ، ولكن لتمايز الأعمال بعضها فوق بعض . انها تبدأ فى المستوى الادنى بالترابط ، ويترابط المترابط بعد ذلك فى مستوى أعلى ، فأعلى ، ووجب اذن أن يقف الرجال عند مستويات شتى .

هذا الفهم يعوز أهل الديمقراطيات الناشئة . وهو قد يعوز العامل الصغير والعامل الكبير على السواء ، فتكون الطامة أكبر .

الرأى الحر

وفى الديمقراطيات الحديثة ، فى الأمم المتخلفة ، قد يخشى الرأى الحر .

وسألت أحد القادة فى هذا ، قال : انه الجهل والتخلف نخشاهما . تخشى ان يسمع الرجل المتخلف الرأى الحر ، فلا يفهمه ، ومن الأشرار من يلبس الحق بالباطل ويطلقه رأيا حرا ، فيزيد الناس بلبلة .

وهذا حق ، لا سيما وأن الأشرار عندهم من الذكاء فوق ما عند الأخيار .

ولكن لا أرى مع هذا ما يمنع رأيا حرا من أن ينشر ، ولو خالف ، ولو كان فيه تضليل السواد . لأن هذا المنع يوحى بأن الرأى الصواب ليس له الا مصدر واحد ، وهذا فى موازين العقول غير صحيح . وفى المنع حرمان الحق يأتى من مصادر عدة ، ترى الأشياء من زوايا عدة ، وفى ظهور هذا الحق من هدى للقادة شىء كثير .

ولست انكر وجود أهل الشر . ولكن الباطل يدفع بكلمة الحق . والرأى الخاطىء يأخذ بتلابيبه الرأى الصحيح . وفى النشر مصاهر الآراء جميعا ، وفيه لها تمحيص .

وان يكن فى الجسم دمل ، فانه يطيب لى أن أرى الدمل ورأسه بارز من جلده . انه خبث أعرف من أين آتيه لأذهب بخبثه . وأضر من ذلك الخبث الخبىء .

الديمقراطية جميلة

ان الديمقراطية جميلة ، ولكن غير الجميل أن يكون الناس غير ديمقراطيين . يدخلون الديمقراطية بمفاهيم غير ديمقراطية . ومع هذا فدخولهم الديمقراطية ، حتى بهذه المفاهيم ، خير من أن لا يدخلوا . انها الديمقراطية المريضة ، ولكن الأمراض لا تدوم ، وما خلقت العقاقير الا للدواء والشفاء .

●●

احمد زكى

نتيجة مسابقة العدد ١٤٣

أفريقيا: جمهورياتها وعواصمها وأنهارها

■ قارة افريقيا كانت مادة لمسابقة العدد ١٤٣ من « العربي » حيث اخذنا القارىء في جولة سريعة نتعرف على جمهورياتها وعواصمها وحدودها السياسية. وكان المصدر الوحيد للاجابة على الأسئلة هو الرجوع الى خريطة تفصيلية لافريقيا، وكان نتيجة ذلك نجاح القراء في الاجابة على أسئلة المسابقة.

واليك ايها القارىء نموذجا للاجابة الصحيحة، واسماء الفائزين بالمسابقة:

١ ــ جمهورية الكمرون عاصمتها **ياوندى**

٢ ــ ابيدجان عاصمة جمهورية **ساحل العاج**

٣ ــ الدول الاربع التى لها حدود مع جمهورية داهومى هى: **النيجر ونيجيريا وتوجو وفولتا العليا**

٤ ــ الجمهورية الصومالية كانت مقسمة الى قسمين وكانت تحكمها **ايطاليا وانجلترا**

٥ ــ النهران اللذان يتكون منهما النيل الأبيض هما: **بحر الجبل وبحر الغزال**

٦ ــ جمهورية النيجر لها حدود مع الدولتين العربيتين: **الجزائر وليبيا**

٧ ــ جزيرة مدغشقر اصبحت الآن **جمهورية مالاجاسي**

٨ ــ بوتسوانا **جمهورية**

٩ ــ اسم هذا النهر المتعدد الأسماء **نهر فولتا**

١٠ ــ عدد سكان نيجيريا **٦١ مليون**.

الفائزون بالجوائز

الجائزة الأولى وقيمتها ٣٠ دينارا فازبها: فيصل حسن ياسين محسن/عدن/ اليمن الجنوبية.

الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فازبها: لطفى الشعبونى / صفاقس / جمهورية تونس

الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فازبها: يحيى سالم محمد الوهيبى / ابو ظبى / الخليج العربى

٨ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا كل منها خمسة دنانير فاز بها كل من:

١ ــ عطية كريم الظفيرى / الجهراء / الكويت

٢ ــ يوحنا شنودة غزاوى/الاسكندرية ج.ع.م.

٣ ــ سناء زكى عكارى / طرطوس سوريا

٤ ــ احمد محمد عشماوى / بنغازى / ليبيا

٥ ــ عباس خلف الجورانى /الهارثة/ العراق

٦ ــ احمد على فقيه / صور / لبنان

٧ ــ اكرم سليم حموده /عمان /الاردن

٨ ــ عبد العزيز حماد شراب/ فرجينيا امريكا

■■

نهضة الشعوب

بقلم : الشيخ عبد المنعم النمر

مدير ادارة البحوث الاسلامية بالأزهر

■ لفت نظرى هذا الموضوع وشدنى اليه شداعنيفا ، وأنا اكتب عن مولانا ازاد ودعوته المسلمين فى الهند للجهاد من أجل تحرير وطنهم ، بعدماطالعت كثيرا عن حركة الزعيم غاندى فى الهند أيضا ، وحركة السيد جمال الدين الافغاني والامام محمد عبده ، ودعوتهما الاصلاحية التي تاثر بها المجتمع الاسلامي ايما تأثر فى خطواته نحوالتحرر من الاستعمار ، وكذلك حركة الاصلاح التي قامت فى الجزائر وغيرها فى وقت اشتد فيه أيضاضغط الاستعمار ... وكانت مقدمة لليقظة الكبرى فى الشرق والغرب العربي .. مما نجني نحن ثماره الآن ..

ولم يغب عن ذهني وهو يجول فى هذا الموضوع ما يتصايح به بعض المفكرين الآن بيننا من محاولة الصاق تهمة التاخر بالدين ، ودعوتهم تبعا لهذا الى التخلص منه كمقدمة للنهوض والتقدم ، وتاثر بعض الأفكار بهم جهلا منها بالدين وآثاره فى بعث النهضة فى كل مجتمع ساد أو يسود فيه ، وغفلة منها كذلك عن نهضتنا الحديثة واسبابها ودعاتها ..

ولهذا رأيت أن اطرح هذا الموضوع أمام شبابنا ليدرسوه مع ما يدرسون من موضوعات . ولست اريد أن اطرح هنا كلمات وعظ ، أو أستعمل الاسلوب الخطابي ، ولكني الجأ الى الحقائق وادعها تتحدث مع قلوب القراء وعقولهم ، وهم وما يرون بعد ذلك فيما يخرجون به من نتائج ..

قواعد للنهضة

ومن المناسب أولا أن نطرق معا قاعدة عامة أعتقد انها مسلمة لدى المفكرين ، المسلمين منهم وغير المسلمين ، فكل نهضة أو كل محاولة لبعث الأمة يجب أن ترتكز على قاعدة تنطلق منها ، أو يجب أن تتخذ ركيزة نفسية لها فى المجتمع الذى تحاول بعثه والنهوض به .

وكلما كانت هذه القاعدة أو هذه الركيزة ملتصقة أو بعبارة أخرى قائمة أو مكونة من العقيدة ــ اية عقيدة ــ كانت أمتن ، وكان أثرها فى تحريك اتباعها أشد وأسرع ، وكلما كانت التشريعات والأعمال المطلوبة للنهوض أكثر التصاقا بهذه القاعدة أو العقيدة ، أو ان شئت فسمها الروح ، كان تقبل الناس لها ، والتزامهم بها ، واستجابتهم لدعوتها أكثر .

فاذا اضيف لهذا ارتباط العقيدة أو العمل القائم عليها بجزاء مترتب عليه أو ثمرة اخرى تتخطى ما يحصل عليه الانسان فى حياته من جزاء عمله ، الى نعيم ومتعة فى الحياة الأخرى ، كان لذلك أثر السحر فى انطلاق المؤمنين الى كل عمل نافع ، والى تخطى الحواجز وتحمل الشدائد والتضحيات فى سبيل ما يؤمنون به ، وما يرجونه. واختصر المصلحون أو الداعون بذلك كثيرا من الجهد والوقت فى اصلاح اممهم والنهوض بها .

وعلى أيِّ أساسٍ تقوم؟

> « ان العرب لا يحصل لهم الملك الا بصبغة دينية ، من نبوة او ولاية ، أو أثر عظيم من الدين على الجملة » .
>
> « ابن خلدون »
>
> « ان الروح المسيحية، ومبدأها الخلقي ، هما القاعدتان اللتان شيدت عليهما اوروبا سيادتها التاريخية » .
>
> « هرمان دى كيسرلنج »
>
> « ان الثقافة بدون قاعدة دينية بناء لا أساس له » .
>
> « لورد كيرزون »

هذه حقيقة نلمسها فى انفسنا وفى انطلاقنا للعمل بما نؤمن به – اى عمل – ، أو تقبلنا للفكر او التشريع ، ويقررها كذلك علماء النفس والاجتماع والخبيرون بنفسيات الأمم والشعوب وبحركاتها فى القديم والحديث . والمتتبعون لهذه الحركات ولقيام النهضات ..

ابن خلدون

وقد عقد ابن خلدون فى مقدمته فصلا تحت عنوان « ان العرب لا يحصل لهم الملك الا بصبغة دينية من نبوة أو ولاية أو اثر عظيم من الدين على الجملة » .

واراد ابن خلدون بالملك هنا القوة والحكم والسيادة ، وهو وان قصر كلامه على العرب لانه يتكلم عنهم فان من الممكن أن تقول : ان هذا يتعداهم الى غيرهم .. لأنه يتصل بعامل الروح والعقيدة فى جمع الامة وبعثها للعمل ، وربط سلوكها بنظام .. وربما كان تعليله لرأيه يعطى هذا الاستنتاج فهو يقول « وذلك بما يشملهم من الدين المذهب للغلظة والأنفة ، الوازع عن التحاسد والتنافس . فاذا كان فيهم النبى أو الولى ، أو الذى يبعثهم على القيام بأمر الله ويذهب عنهم مذمومات الأخلاق ، ويأخذهم بمحمودها ، ويؤلف كلمتهم لاظهار الحق ، تم اجتماعهم، وحصل لهم التغلب والملك، وهم مع ذلك اسرع الناس قبولا للحق والهدى لسلامة طباعهم من عوج الملكات وبراءتها من ذميم الأخلاق ... الخ (١) » .

فكل مجتمع يتحكم توجيهه للعمل قوة عقيدة مرتبطة بقوة فوق قوتهم لا يجد الجميع حرجا فى الخضوع لهذه القوة التي يرجون نفعها ويخشون بأسها .. وذلك بخلاف حالهم لو كان انسان هو الذى يتولى توجيههم من ذاته او من قبيلته وعصبيته . فان الحزازات حينئذ تفعل فعلها ، وتقوم عائقا دون الخضوع والامتثال ..

فالعقيدة أو الروح قوة دافعة فى نفس الفرد والأمة لا توازيها قوة ، وهي ان مست المَوات أحيته، أو هزت الصلب أمامها حطمته .. لاسيما – كما قلت من قبل – ان كانت متصلة بالخالق الحكيم المدبر القادر على كل شيء ..

فالعرب قبل الاسلام لم تكن لهم قوة ولا حضارة ، وان كانوا بطباعهم ذوى استعداد لذلك .. فلما مستهم عقيدة الاسلام أو روحه جمعتهم كما تجتمع الروافد فى مجرى واحد فيكثر ماؤه ،

---

(١) ص ٤٥٦ مقدمة ابن خلدون جـ ٢ تحقيق وتعليق الدكتور على عبد الواحد وافي الطبعة الأولى سنة ١٩٧٠ .

ويقوى تياره ، كما حملتهم عقيدتهم على تكوين أمة وبناء حضارة ..

المسيحية وحضارة أوروبا

واوربا نفسها لم تقم حضارتها الا حين انتقلت المسيحية اليها بعد مدة من الزمن فتشربتها وانطلقت منها وعلى أساسها تخطو في سبيل حضارتها وقوتها ..

وقد يبدو هذا غريبا لدى بعض الناس ولكن المحللين للحضارة الأوروبية ونهضتها يقررون ذلك في صراحة ، وعني الأستاذ مالك بن نبي ببحث هذه الحقيقة في كتابه « شروط النهضة » مستشهدا بأقوال بعض المحللين من المفكرين الاوروبيين مثل « هرمان دي كيسر لنج » في كتابه « البحث التحليلي لأوروبا » حيث يقول « وكان أعظم ارتكاز حضارة أوروبا على روحها الدينية ، ولست أعني بالروح ذلك الشيء الدال على منطق أو عقل ، أو مبادىء مجردة ، وانما هو بصفة عامة ذلك الشعور القوي في الانسان ، والذى تصدر عنه مخترعاته وتصوراته وتبليغه لرسالته وقدرته الخفية على ادراك الأشياء » .

ويقول المفكر الأوروبي نفسه في مكان آخر « ان الروح المسيحية ، ومبدأها الخلقي ، هما القاعدتان اللتان شيدت عليهما أوروبا سيادتها التاريخية » . يعني الكاتب أن الدين هو الذى بعث في الأوروبيين الحركة والنهضة والعمل للسيادة .. وكان الشرارة الأولى لكل ذلك .. فالدين في هذا وذاك ، وفي غير هذا وذاك ، هو « الدينامو » المولد للقوة الكهربية الدافعة للحركة. وقوته في الدفع والتحريك لا توازيها قوة غيرها ..

ولا ريب في أن قوة المحرك الديني المرتبطة بقوة الاله الخالق لا يتصور ان تقاربها في مفعولها وآثارها قوة أخرى يصطنعها الانسان من روابط أو افكار .. ومن هنا كان ربط كل حركة او نهضة أو تشريع بهذه القوة الكبرى أكثر مفعولا وانتاجا .. وهذه الحقيقة لم تغب عن بال كثير من المفكرين ورجال السياسة والقانون ..

فالفيلسوف « بنثام » Bentham يقول متى صارت الأمة من حزب القانون قل أمل المجرمين في الهرب من العقاب ، لأن الأمة نفسها تصبح هي المشرفة على تنفيذ القانون والحامية له .. وهذا يؤدى بالتالي الى وجوب ملاحظة دين الأمة في كل ما يشرع لها من قوانين وأنظمة لأن دينها سيدفعها الى حراسة هذه القوانين والأنظمة ..

ولهذا تراه يقول أيضا « ان ميل الأمة او نفورها ربما كان من أعظم الأسباب التي تجب مراعاتها » أي في كل دعوة لاصلاح وعندما يوضع لها تشريع .. وكلما كان ذلك ملتصقا بدين الأمة ومنبعثا عنه كانت الأمة اكثر له قبولا واستجابة .

والتشريعات دائما هي التي تكون الظاهر السطحي للأمة ، فاذا لم يمتد هذا الظاهر الى الباطن ، وما لم يتصل بشعور الأمة وعقيدتها ظل سطحيا ، لا أثر له يعتد به في تسيير ركب الأمة الى الامام والنهوض ، بل ربما دفع بها الى التقهقر والنفاق بينها وبين نفسها .. اذ لا يعدو في هذه الحالة أن يكون كالفقاعات التي تعلو السطح ، والتي تذهب سريعا .

ومن هنا كان لا بد لكل مصلح أو داعية للنهضة والرقي أن يرتكز في اصلاحه او في دعوته هذه على العمق في الأمة ، وعلى ضميرها الديني ، ان جاز لنا هذا التعبير ، وان يثير فيها هذا العمق ، أو يحركه ويلهبه حتى يولد القوة الدافعة ، ويقبل الناس على دعوته والعمل بها بايمان واقتناع . فالعمل والدعوة اليه ، والتشريع . وكل بناء في الأمة لن يكتب له الصلاح والبقاء ولن يكون له الأثر المرتجى ما لم يرتكز على روح الأمة ويستمد منها كيانه وقوته وأثره ..

الثقافة بغير دين

ومن ايماني بهذا توقفت عند نصيحة وجهها لورد كيرزون Curzon للمسلمين حينما استقال من حكومة الهند سنة ١٩٠٥ وقبل ان يترك البلاد .. قال لهم :

« تمسكوا بدينكم الذى يحمل في جوانبه عناصر النبل العظيم والحقيقة السامية ، واجعلوه أساس توجيهكم ومنطلقه ، لأن الثقافة بدون قاعدة دينية

هي بمثابة بناء لا أساس له ... ولكن هذه المبادىء متلازمة مع جهودكم المستمرة ، حتى تقتطفوا ثمار شجرة المعرفة ، التي كانت في يوم من الأيام أكثر ما تكون ايناعا في بستان الشرق ، وان كانت اليوم قد تحولت الى الغرب (١) » .

وقد تكون هناك دوافع خاصة حملت اللورد الانجليزي على ابراز هذه الحقيقة لكني هنا أتعدى هذه الدوافع ، لأتلاقى معه في هذه الحقيقة « ان الثقافة بدون قاعدة دينية هي بمثابة بناء لا أساس له » وعلى هذا القدر من الحقيقة نتلاقى..

فمن ذا الذي يريد البناء على الهواء ودون أساس متين ؟ .

ويتلاقى مع هذا المستشرق المسلم « محمد أسد » في كتابه « الاسلام على مفترق الطرق » حيث يقول (٣) ان تقليد المسلمين – سواء كان فرديا أو جماعيا – لطريقة الحياة الغربية لهو بلا ريب أعظم الأخطار التي تستهدف الحضارة الاسلامية » وبالتالي يستهدف لها المسلمون في بناء نهضتهم وحضارتهم لان البناء سيكون بلا أساس..

ويقول (٤) : « فالمدنية الغربية اذن لا يمكن ان تكون الوسيلة الصحيحة لايقاظ العالم الاسلامي من سباته العقلي والاجتماعي » ، لأن الذي يوقظه حقيقة انما هو ربطه بالمحرك الداخلي في اعماقه وهو دينه أو عقيدته ..

وينبه الى خطر التقليد والمحاكاة للحياة الغربية ، وقطع الصلة بالماضي ، وبالقوة الأصيلة لنا فيقول : « ولكن العالم الاسلامي – وبه ميل متزايد الى محاكاة أوروبا والى اقتباس الآراء والمثل العليا الغربية – يقطع بالتدريج تلك الصلات التي تربطه بماضيه ، وهو من اجل ذلك لا يفقد شيئا من مركزه الثقافي فحسب ، بل من مركزه الروحي أيضا » لانه سينفصل عن القوة الأصيلة المحركة له من الداخل ، فيتوقف سيره ، وسيبتعد عن النور الذي يهتدى به ، فينحرف عن خط السير الممهد ، وغالبا ما يتحطم ..

هذه الروافد كلها تنتهي الى مصب واحد أو حقيقة واضحة ، وهي أن الطريق السليم المأمون لكل مصلح ، ولكل داع أمته الى النهوض والرقي ، هو أن يربط اصلاحه ودعوته بعقيدة الأمة ، ويستثير فيها روحها الكامنة فيها ، ليضمن السير بها سيرا سليما وسريعا الى هدفه الذي يرجوه..

هذه الحقيقة التي غابت عن بعض مفكرين منا ، فضلوا في متاهات لم يسلكوها من قبل ، ولم يكن لهم بها صلة ولا عهد ، وحاولوا ويحاولون أن يشدوا غيرهم الى التيه الذي يخبطون فيه ، ويسيروا بالناس في طريق معوج ، متطاولين على الطريق السليم ، يرمونه بالأحجار والأشواك .

أقول : هذه الحقيقة وان غابت عن بعض منا لم تغب عن عقول المصلحين الحقيقيين الذين ارادوا بامتهم خيرا ، واخلصوا لها القول والعمل ، وكانوا لها – وسيظلون – نعم الهداة المصلحون ، والقادة الراشدون ..

وهؤلاء هم رواد في النهضة في الشرق ، لا يكفينا هنا أن نذكر هذا ونقف . والا كان ادعاء لا دليل عليه ، وانما نريد أن نعرف الحركات الاصلاحية التي قامت في هذا الشرق وبعثته من مرقده ، ونذكر بعض المصلحين والأسس التي اقاموا عليها هذا البعث لنعرف نوع هذه الأسس ومدى ما اصابته الدعوة القائمة عليها من نجاح .. لنضع أمام الذين غابت عنهم الحقيقة علامة هدى ، لعلهم يهتدون . كما نضع امامهم التجربة التي جرت غير بعيدة عن زمننا لعلهم يرشدون .

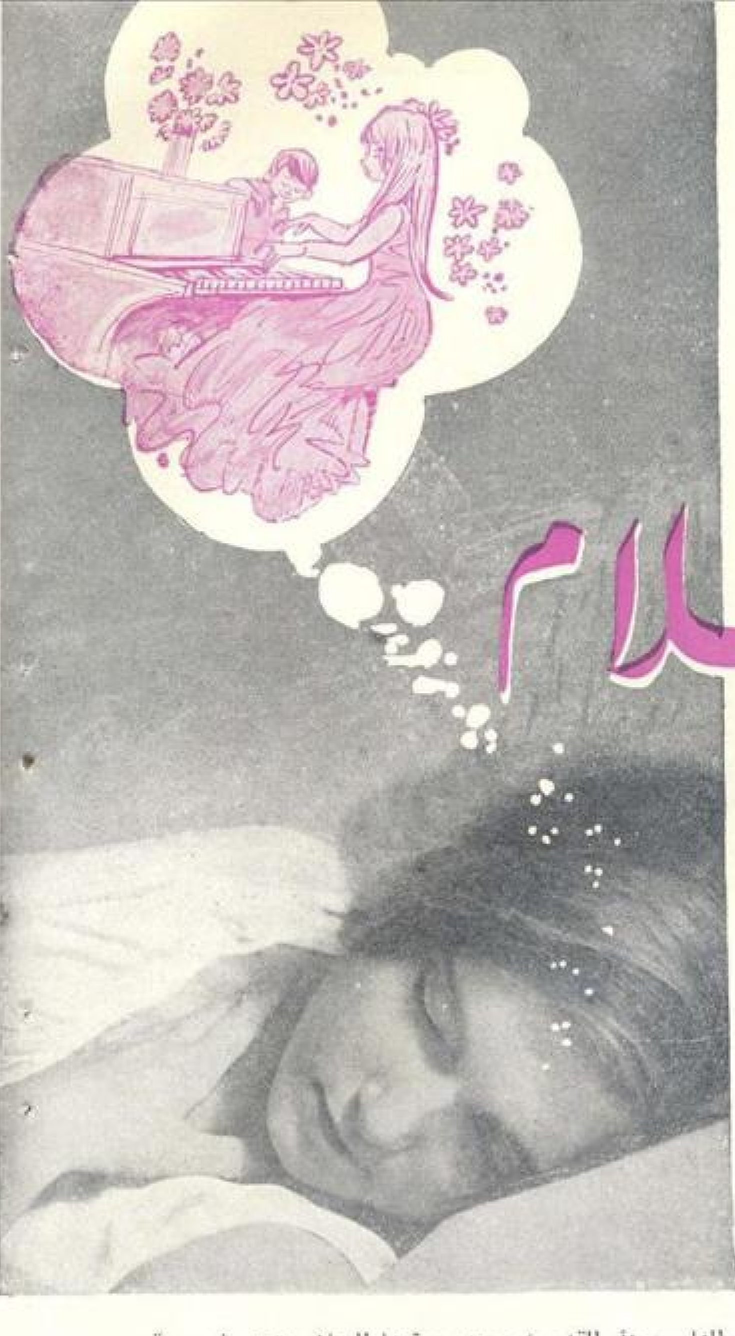
والحقيقة العقلية اذا صاحبتها وايدتها التجربة الفعلية لا يزور عنها الا أولئك الذين جرفهم الهوى بعيدا عن شاطىء السلام والامان ، ولجوا في متاهات الطغيان ..

عبد المنعم النمر

(٢) ص ١٠٥ من كتاب ميلاد باكستان . طبع دار الشروق . بيروت

(٣) ص ٧٧ طبعة ثالثة

(٤) ص ٨٣



● أمثلة شتى من ظواهر الأحلام ومشاكلها ، ومدلولاتها وفوائدها ومضارها وتفاسيرها .

الأحلام

● وجوه اتضحت من بحوثها ، ووجوه ما تزال غامضة .

بقلم : الدكتور

على أحمد على

▣ تشغل الأحلام بال الناس منذ القدم ، وحتى وقتنا الحاضر تهتم نسبة كبيرة من الافراد بأحلامهم ويحاولون ايجاد تفسير لها والتعرف على دلالتها ، وقد تسبب لهم أحلامهم الكثير من الحيرة والقلق . (١)

(١) ـ أتيحت الفرصة لكاتب هذا المقال للاتصال بآلاف الاحلام وذلك عن طريق رده على رسائل المستمعين لبرنامج أحلام بصوت العرب اذاعة الجمهورية العربية المتحدة ، والمتضمنة لاحلامهم

والقرآن الكريم يذكر لنا بعض الاحلام التى كان بها دلالة دينية ، والتى كان لها أثر في حياة الناس في الماضي . ومن هذه الاحلام ما رآه ابراهيم عليه السلام في منامه حين رأى نفسه وهو يذبح ابنه :

« وقال إنى ذاهبٌ إلى ربى سيهدين . ربِّ هبْ لى من الصالحين . فبشرناه بغلام حليم . فلما بلغ معه السعْىَ قال يابُنَىَّ إنى أرى في المنام أنى أذبحُكَ فانظرْ ماذا ترَى . قال يأبتِ افعلْ ما تُؤمرُ ستجدُنى إنْ شاء اللهُ مِنَ الصابرين . فلما أسلَمَا وتلَّهُ للجَبين . وناديناه أنْ يا إبراهيمُ . قد صدَّقتَ الرؤيا إنَّا كذلك نَجزِى المحسنين . إنَّ هذا لهُوَ البلاءُ المُبينُ . وفديناه بِذِبْحٍ عظيم » .

وعندما نتكلم عن الأحلام والرؤى لا يمكن ان ننسى حلم فرعون مصر الذى كان في تفسير سيدنا يوسف له ، انقاذ لمصر من مجاعة مخربة دامت سبع سنوات . وفي ذلك يقول القرآن الكريم :

« وقال المَلكُ إنى أرَى سبْعَ بقرات سمانٍ يأكلُهنَّ سبعٌ عِجافٌ وسبعَ سنْبُلاتٍ خُضرٍ وأخَرَ يابسات يا أيها الملأُ أفتونى في رؤيايَ إنْ كنتم للرؤيا تعْبُرُونَ . قالوا أضغاثُ أحلامٍ وما نحنُ بتأويلِ الأحلامِ بعالمين . وقال الذى نجَا منهما وادَّكرَ بعد أُمّةٍ أنا أنبئكمْ بتأويله فأرسِلُونِ . يوسُفُ أيُّها الصدِّيقُ أفتِنَا في سبعِ بقراتٍ سمانٍ يأكلُهنَّ سبعٌ عِجافٌ وسبعِ سنْبُلاتٍ خُضرٍ وأُخَرَ يابساتٍ لعَلى أرجعُ إلى الناسِ لعلَّهم يعْلمونَ . قال تزرعون سبعَ سنين دأْباً فما حصَدتُم فذَرُوه في سُنْبلهِ إلاَّ قليلاً مما تأكلونَ . ثم يأتى من بعدِ ذلك سبعٌ شِدادٌ يأكلن ما قدَّمتُم لهن إلاَّ قليلاً مما تُحْصِنُونَ . ثم يأتى مِن بعدِ ذلكَ عامٌ فيه يُغاثُ الناسُ وفيه يَعْصِرُونَ » .

تعدد الآراء فى الأحلام وتفسيرها

والواقع ان هناك كتابات عديدة تعرض لآراء بالنسبة للاحلام ودلالتها وأسلوب تفسيرها . ومن أشهر هذه الكتابات ما كتبه سيجموند فرويد في كتابه تفسير الاحلام . والواقع أن سيجموند فرويد قد أسهم في القاء بعض الضوء على جوانب معينة من الأحلام ومنها أثر الدوافع اللاشعورية على الأحلام . ولكن فرويد قد تطرف في اعطاء مضمون جنسى لكل رمز يظهر في الحلم ، وذلك انعكاسا لأفكاره أن الدوافع الجنسية الفريزية وكبت هذه الفريزة الجنسية يعتبران من الدوافع الرئيسية للاحلام . وفرويد قد أعطى تركيزا كبيرا للنواحي الجنسية ، وأغفل الأثر الكبير للخبرات الشعورية على الاحلام . ومن نواحي النقد التى توجه الى كتابات فرويد فى الاحلام انه اعتمد في ذلك على عدد قليل من الاحلام قد لا تغطى الجوانب المتعددة والمختلفة من أحلام الناس . وهذا يجعل الاعتماد على تحليل هذا العدد القليل من الاحلام وتعميم نتائج التحليل أمرا محاطا بالمخاطر .

وهناك أيضا الاتجاه السائد في تفسير رموز الاحلام على أن كل رمز في الحلم يعنى شيئا ثابتا بالنسبة لجميع الناس على اختلاف ظروفهم وأحوالهم . فرؤية الماء أو نوع معين من الطعام أو اخذ شيء محدد من شخص قد مات ، في الحلم، كل رمز من هذه الرموز له دلالة ثابتة ما دام ظهر في الحلم ، ومهما كانت ظروف وأحوال صاحب الحلم والافكار التى تشغل باله قبل النوم . ولكن هذا الاتجاه في تفسير الاحلام ثبت عدم صحته لان

هذا التفسير يتجاهل ويغفل اثر خبرات الشخص وما يشغل باله واهدافه ورغباته على الاحلام . وهذا يجعل من المتعذر اعطاء معنى او مدلول ثابت للرموز التى تظهر في الاحلام . فالرمز الواحد الذى يظهر في احلام عدد من الناس الذين تختلف ظروفهم ، قد تختلف دلالته .

حقيقة الأحلام

الواقع ان من دراسة كاتب المقال لما يقرب من الف حلم لافراد من بلاد متعددة ومن بيئات مختلفة وينتمون لفئات تختلف في ظروفها ، يمكن ان نرجع هذه الاحلام الى ما يأتى :

(١) خبرات الفرد الشعورية :

وهذه الخبرات تشكل جزءا كبيرا من احلام الناس . وكثيرا ما تنعكس هذه الخبرات على الاحلام فتصنع الكثير مما تتضمنه هذه الاحلام . لهذا نجد ان ما يشغل بال الفرد في حياته اليومية وفي يقظته ، يأخذ طريقة الى احلامه . فالطالب كثيرا ما يحلم بالامتحان وبالنجاح او الفشل فيه . وذلك عندما يقترب من الامتحان . والمحب الولهان كثيرا ما يرى نفسه في الحلم في مواقف تجمع بينه وبين من يحب . والشخص الذى يعيش حياة اقتصادية مليئة بالمصاعب والمتاعب كثيرا ما تسرب هذه المصاعب والمتاعب الى احلامه ، وقد يرى في احلامه فرجا قريبا ، وحلولا سعيدة لمشكلاته المختلفة . ولكن لا تظهر خبرات اليقظة في الاحلام بنفس الشكل والصورة والمضمون ، فقد يشملها التغيير والتعديل واحيانا التشويه . وقد تنعكس خبرات اليقظة والحياة اليومية على الاحلام وتظهر بصورة رمزية .

والواقع ان كل فرد قد شهد احلاما زاخرة بخبرات وموضوعات كانت تشغل باله في يقظته . وفي فترة ما قبل النوم .

(٢) دوافع الفرد اللاشعورية :

فالفرد قد يقوم بكبت Repress الخبرات المؤلمة التى تسبب له الما او خجلا او شعورا بالذنب . وعادة ما تغوص هذه الخبرات المؤلمة في اللاشعور بحيث ينساها الفرد تماما . ولكن هذه الخبرات اللاشعورية المكبوتة قد تطفو على السطح في بعض الاوقات لكى تجعل الفرد يسلك او يتصرف بطرق شاذة في حياته ، وكثيرا ما يدهش هذا السلوك وهذه التصرفات الشاذة الفرد ويعجب لها ولا يجد لها تفسيرا منطقيا يرضيه ، كما ان الفرد لا يستطيع ان يتخلص منها . مثل هذه الدوافع اللاشعورية قد تظهر في الاحلام وقد تتكرر بصورة لافتة للنظر . وكثير من الافراد امكن معالجتهم نفسيا وتخليصهم مما تسببه لهم مثل هذه الدوافع اللاشعورية ، وذلك عن طريق تحليل احلامهم تحليلا علميا مناسبا .

(٣) رغبات الفرد وحاجاته واتجاهاته العقلية :

كثيرا ما تؤثر رغبات الفرد وحاجاته على احلامه، وتكون جزءا من محتويات ومضمون هذه الاحلام . فالشخص الذي يرغب في شيء معين ويتمنى الحصول عليه ، قد يتحقق له ذلك في الحلم فيرى هذا الشيء بين يديه وكأنه أصبح حقيقة واقعة .

وكثيرا ما تنعكس مواقف الفرد من الناس والاشياء Attitudes وتشكل اجزاء من احلامه. فالطفل الذى يكره أخاه الاصغر لأن هذا الاخير قد استحوذ على حب واهتمام وانتباه والديه ، وحرم بذلك الطفل الاكبر مما كان يتمتع به من قبل ، هذا الطفل الاكبر قد يحلم بأن أخاه الاصغر قد أصيب بمكروه او انه قد مات ، وفي ذلك تنعكس اتجاهات الطفل الاكبر السالبة نحو اخيه على بعض احلامه .

(٤) مخاوف الفرد :

كثيرا ما تأخذ مخاوف الفرد طريقها الى احلامه بصور واشكال كثيرة . فمثلا الفرد الذى يتعلق تعلقا شديدا بأبيه ويعتمد عليه في نواح كثيرة ، ويحب والده حبا جما ، قد يرى في الحلم أباه وقد مات ، وهذا يعتبر انعكاسا لمخاوف الفرد صاحب الحلم تجاه والده ، وقلقه من أن يصيب هذا الوالد مكروه .

(٥) الادراك الحاضر :

قد يؤثر الادراك الحاضر لصاحب الحلم Present Peception على احلامه . فآلام المعدة التى يعانى منها صاحب الحلم اثناء النوم قد تنسج في احلامه بصورة من الصور .

(٦) حل المشكلات :

قد تأتى بعض الاحلام بحلول لمشكلات الفرد التى تشغل باله في اليقظة . وقد تكون هذه الحلول معقولة ومنطقية وقد تكون بعيدة عن الواقع أو قد تكون غير عملية .

فالنواحى السابقة لها تأثيرها على أحلام الفرد وهى تشكل جزءا كبيرا من مضمون هذه الاحلام .

ويتجه الكثير من علماء النفس المتخصصين في مجال الاحلام على اعتبار الحلم نوعا من التفكير . وقد لا يكون هذا التفكير منطقيا ومرتبا في كل الاحوال . والاحلام عادة ما تظهر في صور بصرية Visual Images ، وحتى النواحى المجردة أو المعنوية التى تتضمنها الاحلام فتظهر في الحلم بصورة ملموسة محسوسة على شكل صور حسية . فركوب الطائرة قد يرمز الى رغبة الفرد الخروج بسرعة من مشكلات يعانى منها في حياته أو يرمز لرغبة صاحب الحلم في الهروب من واقع مؤلم غير سار . والعربة التى يجرها حصان في الحلم قد ترمز للبطء وهكذا .

متى تبدأ خبرة الفرد بالاحلام

الواقع أنه لم يثبت بالدليل القاطع السن التي يبدأ الفرد فيها رؤية الاحلام أثناء نومه ، وذلك بسبب الصعوبات التى يواجهها الباحث في هذا المجال ، ومنها عدم قدرة الاطفال ، وخاصة قبل أن يبلغوا الثالثة من عمرهم ، على أن ينقلوا لغيرهم حقيقة ما قد يرونه من أحلام نظرا لعدم نموهم العقلى واللغوى الكافي للقيام بهذه المهمة . ولكن يمكن القول بأن بداية خبرة الفرد بالاحلام الحقيقية تبدأ بعد العام الثانى من عمره عندما يصل الطفل الى قدر مناسب من النضج العقلى . ولكن معظم أحلام الاطفال في هذه السن المبكرة عادة ما تكون صورا ذهنية بسيطة غير مركبة وقصيرة . كما أن هذه الاحلام ترتبط باشباع حاجات الطفل العضوية كالمأكل والمشرب واشباع حاجاته النفسية كالحاجة للأمن . وأحلام الطفل عادة ما تكون محدودة أيضا باطار خبراته ورغباته ، وكلما تعددت هذه الخبرات والرغبات انعكس ذلك على شكل تنوع أكبر في الاحلام .

وكثيرا ما ينعكس محتوى حلم الطفل الصغير على ملامح وجهه وهو نائم . فقد يبتسم اذا كان الحلم سارا ومحببا ، وقد يقطب جبينه أثناء النوم اذا تضمن الحلم شيئا يزعج الطفل أو يقلقه .

قيمة وفائدة الاحلام بالنسبة للفرد

ثارت الكثير من المناقشات حول قيمة وفائدة الاحلام بالنسبة للفرد صاحب الحلم . وقد اختلفت الآراء في قيمة وفائدة الاحلام ولكن هناك شبه اتفاق بين عدد كبير من الباحثين في مجال الاحلام ، أن الاحلام تحقق للفرد بعض المزايا وتفيده في النواحى الآتية :

(١) اشباع الرغبة :

ففى بعض الاحلام يتحقق للفرد ما عجز عن تحقيقه في اليقظة . فالطالب الذى يتمنى الحصول على مجموع في الثانوية العامة للدخول في كلية الطب ، قد يحلم عندما يقترب الامتحان بانه دخل الامتحان وظهرت النتيجة وكان من اوائل الناجحين . وقد يرى في هذا الحلم مظاهر الفرح الذى يعم الاسرة نتيجة هذا النجاح . والشاب الذى يحب فتاة ويريد الزواج منها ، عندما يدخل معه في منافسة على حب الفتاة والزواج منها شاب آخر ، قد يحلم الشاب الاول بانه يزف الى الفتاة التى يحب ، ويعيش في حلمه أسعد الاوقات . والحقيقة أن هذا الحلم يشبع رغبة لدى الفرد لم يستطع تحقيقها في الحقيقة وفي اليقظة ، فتحققت له في الحلم .

(٢) حل المشكلات عن طريق الاحلام :

فكثيرا ما يكون الفرد مشغولا في أحلامه بايجاد حلول لمشكلاته وللصعوبات التى تواجهه ، وقد ينجح الفرد أحيانا في الوصول الى بعض الحلول لهذه المشكلات والصعوبات التى تواجهه في حياته . فالفرد الذى يقابل مشكلة معينة في حياته تعرضه لصراع نفسى شديد ، قد يجد في أحد احلامه ما يوجه سلوكه بعد اليقظة ويساعده على ايجاد الحل المناسب للمشكلة . ويرى بعض علماء النفس والباحثون في مجال الاحلام ان تفسير هذه الظاهرة يقوم على أساس أن الفرد عندما ينام يكون عقله الباطن مشغولا بالمشكلة التى تواجهه في يقظته ، ويؤدى استمرار النشاط العقلى أثناء النوم — بصورة من الصور الى توصل الفرد الى بعض الحلول التى تكون مناسبة عندما يستخدمها الفرد لمواجهة المشكلة التى يعانى منها .

(٣) الترويح عن طريق الاحلام :

من بين الدارسين لموضوع الاحلام من يرى بأن الاحلام تقوم بوظيفة الترويح عن صاحب الحلم . وقد لاحظ هؤلاء الدارسون انه في حالة النوم بلا احلام يستيقظ الفرد متعبا ومكتئبا ، بعكس ما يحدث بالنسبة للفرد عندما يقوم من نوم مليء بالاحلام المتنوعة . فالاحلام تقوم بوظيفة الترويح عن الفرد وذلك عن طريق مشاهدته اثناء النوم لفلم طويل مليء بالاحداث والصور البصرية . وحتى بالنسبة لبعض الاحلام المحزنة او التى تتضمن قدرا كبيرا من الانفعال فانها تقوم بدورها في الترويح عن الفرد شانها في ذلك شان فلم حزين يستمتع الفرد بمشاهدته بالرغم مما يتضمنه هذا الفلم من نواح غير سارة ومحزنة .

الاحلام التنبؤية

من الافراد من يذكر أن احلامه تتحقق ، أو انه بمكنه التعرف على بعض جوانب المستقبل والتنبؤ بها عن طريق الاحلام . وهذه الظاهرة منتشرة بين بعض الافراد في مختلف البلاد . ويجب ان نقرر هنا أن بعض الاحلام تتحقق لمجرد الصدفة Chance ولا يمكن ان نقول في هذه الحالة أن احلام الفرد قد تحققت فعلا . فمثلا قد يحلم الطالب بالنجاح في الامتحان ، لان عقله عادة ما يكون مشغولا قبل النوم بالامتحان وبالرغبة في النجاح ، فاذا حدث ونجح هذا الطالب حقيقة أذاع بين معارفه بأن احلامه تتحقق وأنه حلم بالنجاح قبل أن يحدث ، مع أن كل ما حدث لا يخرج عن كونه حلما قد تحقق بمجرد الصدفة .

ومن الامثلة الاخرى للاحلام التى تتحقق لمجرد الصدفة حلم احد الافراد بأن شخصا عزيزا عليه قد مات . (وهذا الشخص العزيز قد يكون مريضا لفترة طويلة) وقد يموت هذا الشخص فعلا . ولكن لا يمكن أن نقول بان الحلم قد تحقق او تنبأ بموت هذا الشخص لان موت هذا الشخص لا يتعدى أن يكون صدفة لها ٥٠٪ من الاحتمال في أن تتحقق . فاحتمال موت الرجل يتساوى مع احتمال عدم موته ، وقد يزيد احتمال موته على احتمال عدم موته وذلك نظرا لمرضه الشديد .

والواقع أن ما نقصده بالاحلام التنبؤية أو الاحلام التى تتحقق هى تلك الاحلام التى تدل او تشير الى المستقبل بصورة واضحة وقاطعة ، بحيث لا يمكن أن تعزى او ترجع الى عامل الصدفة السابق الاشارة اليه . وهناك العديد من الامثلة للاحلام من هذا النوع ومنها الحلم التالى الذى ورد في رسالة لمدرس مصرى يعمل بالصومال : انه استيقظ من نومه ذات يوم في حالة اكتئاب بعد أن شاهد في الحلم نعشا يخرج من منزله ببور سعيد ، ويمشي وراء هذا النعش بعض الافراد لابسين السواد . فلما استيقظ ، قص ما رآه في منامه على زملائه المعلمين المصريين الذين يعملون معه فى احدى المدارس الصومالية . وقد أخبره هؤلاء الزملاء بعدم الاهتمام بالحلم لعله يكون اضغاث أحلام . وقد استطاع زملاؤه اقناعه بذلك. ولكن الحلم تكرر في الليلة التالية وسمع صاحب الحلم هاتفا يقول في الحلم ان والده هو الذى مات ، ومن المدهش أن المعلم وصلته برقية بعد مرور يومين من اخيه ببور سعيد يخبره فيها بوفاة والده فجأة دون مرض سابق وفي نفس يوم الحلم الاول .

والواقع أنه لا يوجد أساس علمي يمكن أن يقوم عليه تفسير رؤيا المعلم هذه ، وكيف أنه اخترق حاجز المكان وادرك موقفا حدث في مكان يبعد عنه المئات من الاميال دون استخدام للحواس التقليدية او اية أجهزة من أجهزة الاتصال . كما أنه من الصعب تفسير رؤيا المعلم على أساس أنها مجرد صدفة ذلك لانه لم يكن يفكر في والده - كما يقول - لفترة طويلة قبل الحلم ، كما أن والده لم يكن مريضا قبل وفاته ، وبالتالى لم يكن المعلم قلقا على والده حتى يمكن القول ان هذا القلق انعكس على حلمه في صورة رؤيته لوالده في الحلم وقد مات . فالصدفة وحدها لا يمكن أن تفسر حقيقة رؤيا المعلم ، ولكن رؤياه هذه تمثل نوعا من الشفافية Clairavoyance وتتمثل هذه الشفافية في قدرة بعض الافراد على ادراك بعض الاشياء التى لا يمكن ادراكها بواسطة الاجهزة الحسية العادية . وهذا يمثل قدرة غير عادية والى الآن لم يكن في الامكان التوصل الى تفسير علمي دقيق للاحلام التى تتحقق والتي تتنبأ باشياء أو باحداث تقع في المستقبل .

ومن الاحلام الغريبة ايضا ذلك الحلم الذى يذكره احد الافراد من انه حلم بانه يزور أحد المساجد الشهيرة ورأى في الحلم الذى دام بعض الوقت الكثير من التفاصيل المتصلة بهذا المسجد من

عمارة ونقوش وآيات قرآنية مكتوبة على جدرانه. والغريب في الامر ان هذا الفرد لم تتح له فرصة زيارة هذا المسجد الا بعد فترة من الوقت من الحلم ، وعندما زار المسجد مع أحد اقاربه احس بانه كان هناك من قبل . ومن الطريف أن صاحب الحلم كان يقود قريبه هذا ويوجهه لمشاهدة أشياء معينة في المسجد .

هذا الحلم السابق وعشرات غيره تمثل ادراكا خارقا للعادة عن طريق الاحلام وهي تفسر على أساس قدرة غير عادية أو شفافية يتمتع بها صاحب الحلم . ولكن الى الآن لم يمكن اخضاع هذه الظاهرة للمعايير والمقاييس العلمية .

الأحلام والأمراض

هناك بعض الصلة بين الامراض والاحلام . فالفرد الذى يصاب اثناء النوم بالم شديد في امعائه قد ينسج هذا الالم في الحلم ، فيرى في هذا الحلم وحشا كاسرا ينشب أنيابه في أمعائه ومعدته ، وقد يستيقظ من نومه فزعا .

ومن امثلة الاحلام التى توضح العلاقة بين ما يشعر به الفرد من آلام او أوجاع او اضطرابات عصبية أو عضوية هذا الحلم الذى روته فتاة وهي طالبة في احدى الكليات الجامعية :

« اعانى من حلم يتكرر كثيرا ، احلم بأني اضغط على أسناني حتى اكاد احس بها اثناء الحلم وهي تتكسر ، اصحو من نومي مذعورة من هذا الحلم » . والواقع أن تفسير هذا الحلم كان يقوم على أساس أن الفتاة تعانى من مرض عصبي وهذا يجعلها تضغط على أسنانها اثناء النوم ، فيتسج ذلك في حلمها ، أو أن الفتاة تعانى من التهاب حاد في اللوزتين او الام فيالاسنان نتيجة لتسوسها او لاى سبب آخر . وبالكشف الطبي على الفتاة وبدراسة ظروفها اتضح فعلا انها تعانى من اضطرابات عصبيية ، واحيانا تصاب بنوبات تشنجية حادة .

ومن الاتجاهات الجديدة في العلاقة بين الاحلام والامراض ما توصل اليه بعض العلماء السوفييت من امكانية التعرف على الاصابات المبكرة لامراض القلب وتصلب الشرايين وغيرها عن طريق تحليل احلام هؤلاء المرضى . وقد يرجع سبب وجود هذه العلاقة بين هذه الامراض والاحلام الى أن هذه الامراض تتصل بالدورة الدموية في جسم الانسان وبكمية الدم التى تصل الى المخ مما يكون له أثره على الاحلام . ولكن هذا الموضوع يحتاج الى مزيد من الدراسة والبحث .

لماذا يتعلق بعض الناس بأحلامهم

من الملاحظة والدراسة اتضح أن عددا كبيرا من الناس يتعلقون تعلقا شديدا بأحلامهم ، وأحيانا يكون هذا التعلق لدرجة متطرفة . ومن امثلة التطرف في التعلق بالاحلام حالة الطالب الذى حلم بانه رسب في امتحان هام بالنسبة له . فجلس يبكي حظه واضطرب نتيجة للحلم اضطرابا شديدا حتى اصبح لا يستطيع التركيز في المذاكرة غير راغب فيها . ومن الامثلة الاخرى على شدة تمسك بعض الناس وتعلقهم بأحلامهم حالة الفتاة التى سافر والدها في مهمة خارج بلادها وذلك باستخدام سيارة خاصة . ورأت الفتاة والدها في الحلم وقد أصيب في حادث سيارة اصابة بالغة وكان من نتيجة هذا الحلم ان فزعت الفتاة فزعا شديدا وانخرطت في بكاء مرير لم ينقذها منه سوى خطاب يصل اليها من والدها بعد عدد من الايام يخطرها فيه بانه بصحة جيدة .

ومن الأفراد من يتفاءل بالاحلام أو يتشاءم منها لدرجة أن هذه الاحلام تحرك سلوكه . فحلم معين قد يدفع بمريض على الامتناع عن اجراء عملية جراحية ، وقد يدفع حلم ما بشخص آخر الى الاقبال على مشروع تجارى معين .

والواقع أن الفرد يزداد تمسكه بالاحلام كلما كان قلقا متوترا ، كما أن تمسك الفرد بأحلامه عادة ما يزداد في المجتمعات البدائية التى يسودها قدر كبير من الخرافات والمعتقدات القديمة .

كلمة أخيرة

موضوع الأحلام من الموضوعات الغريبة المحيّرة ، وقد تعرض هذا المقال باسلوب علمى يعتمد على الموضوعية والملاحظة الدقيقة والتحليل لبعض جوانب هذه الاحلام ، ولم يتعرض لبعض جوانب أخرى لم يتسع لها هذا المقال . ولكن ما زال هناك الكثير من الجوانبالمتصلة بالاحلام والتى تحتاج الى مزيد من البحث والدراسة والتقصى حتى يمكن القاء الضوء على بعض هذه الجوانب التى حيرت الانسان منذ آلاف السنين . ■■

علي احمد علي

مسابقة العربي

الأمم المتحدة

ماذا تعرف عنها

■ احتفل العالم بمرور ٢٥ عاما على مولد هيئة الامم المتحدة ... وبهذه المناسبة فان مسابقة هذا العدد تنحصر فى ١٧ سؤالا عن هذه الهيئة الدولية .

والمطلوب منك اختيار الاجابة الصحيحة على عشرة من الاسئلة التالية ، على الاقل . لكي تفوز باحدى الجوائز :



١ ـ في كل عام يحتفل العالم بيوم الأمم المتحدة ، فمتى يقع هذا اليوم ؟

٢٤ فبراير ـ ٢٤ ابريل ـ ٢٤ اكتوبر

٢ ـ ما هي الوان علم هيئة الأمم المتحدة ؟

ابيض واصفر ـ ابيض واحمر ـ ابيض وازرق

٣ ـ من هي اول امراة انتخبت رئيسة للجمعية العامة للامم المتحدة ؟

باندرانيكه ـ مسز روزفلت ـ مسز باندیت نهرو

٤ ـ من هي آخر دولة انضمت للامم المتحدة ؟

البحرين ـ جزر فيجي ـ بتشوانا لاند

٥ ـ يرتفع المبنى الرئيسي لمقر منظمة الأمم المتحدة في :

واشنطن ـ شيكاغو ـ بوسطن ـ نيويورك .



٦ ـ تعقد الجمعية العمومية لهيئة الأمم المتحدة اجتماعا عاديا يستمر ثلاثة اشهر ، وهذا الاجتماع يعقد مرة كل :

ستة أشهر ـ سنة ـ سنتين .

٧ ـ يتولى مجلس الأمن مسئولية المحافظة على الامن والسلام العالميين ، ويتكون هذا المجلس من ١١ عضوا ، تنتخب الجمعية العامة مجموعة منهم ليصبحوا اعضاء في هذا المجلس لمدة عامين ، ولا يصح اعادة انتخابهم مباشرة مرة ثانية بعد انتهاء مدتهم ، ولكن هنالك اعضاء دائمين في المجلس لا تنتهي عضويتهم ، ولهم حق الاعتراض (الفيتو) ، فكم عدد هؤلاء الأعضاء الدائمين ؟ :

سبعة ـ ثلاثة ـ خمسة

٨ ـ في ٢٩ يوليو ١٩٥٧ تكونت اللجنة الدولية للطاقة الذرية المنبثقة عن الأمم المتحدة ، ومهمتها

الاسراع في استعمال الطاقة الذرية للاغراض السلمية .. ومقر هذه اللجنة في :

جنيف ـ فيينا ـ اثينا

٩ ـ من هي الدول الاربع التى وقعت اول مسودة لانشاء الامم المتحدة في عام ١٩٤٤ ؟

روسيا ـ الولايات المتحدة ـ المانيا ـ بريطانيا ـ فرنسا ـ الصين ـ سويسرا .

١٠ ـ من هو سكرتير الامم المتحدة الذى نال جائزة نوبل للسلام بعد وفاته ؟

تريجفى لي ـ همرشلد ـ الكونت برنادوت

١١ ـ من هو الشخص الذى عين وسيطا دوليا في فلسطين عام ١٩٤٨ بعد اغتيال الكونت برنادرت؟

اود بول ـ يوثانت ـ رالف بانش

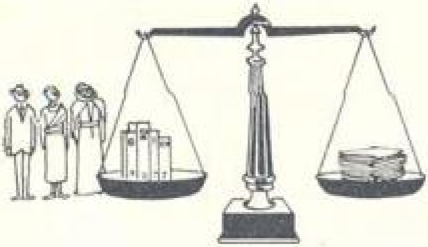
١٢ ـ اين يقع مقر البنك الدولي التابع للامم المتحدة :

لوكسمبرج ـ لاهاى ـ واشنطن

١٣ ـ ما اسم الشخص الذى انتخب سكرتيرا عاما للامم المتحدة عام ١٩٦١ ؟

همرشلد ـ يوثانت

١٤ ـ في عام ١٩٥٤ نالت احدى لجان الامم المتحدة جائزة نوبل للسلام ، ما اسم هذه اللجنة ؟



لجنة الطاقة الذرية ـ لجنة حقوق الانسان ـ لجنة غوث اللاجئين

١٥ ـ اين يقع المقر الدائم لمحكمة العدل الدولية ، التابعة للامم المتحدة ؟

بروكسل ـ لاهاى ـ كوبنهاجن

١٦ ـ من هي آخر دولة عربية انضمت للامم المتحدة ؟

مسقط ـ البحرين ـ جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية .

١٧ ـ فى اى مكان استعملت الامم المتحدة القوة العسكرية لاول مرة من اجل وقف الاشتباكات المسلحة ؟

فيتنام ـ كوريا ـ فلسطين

شروط المسابقة

١ ـ ان يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور في ذيل هذه الصفحة .
٢ ـ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكاملين بخط واضح .
٣ ـ ضع اجابتك في مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتى :
مجلة العربي ـ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ١٤٥ » .
٤ ـ آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم الثالث من شهر يناير (كانون الثانى)١٩٧١.
٥ ـ كل خطاب يفقد شرطا من هذه الشروط عرضة لان يهمل ولا يدخل عملية الاقتراع على الجوائز .
٦ ـ يمنح الفائزون جوائز ١٠٠ دينار كويتي على الوجه الآتى :

الجوائز ١٠٠ دينار

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا .
الجائزة الثانية ٢٠ دينارا .
الجائزة الثالثة ١٠ دنانير .
٨ جوائز مالية مجموع قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منهاه دنانير
.. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريق الاقتراع . وترسل لاصحابها بالبريد .

كوبون مسابقة

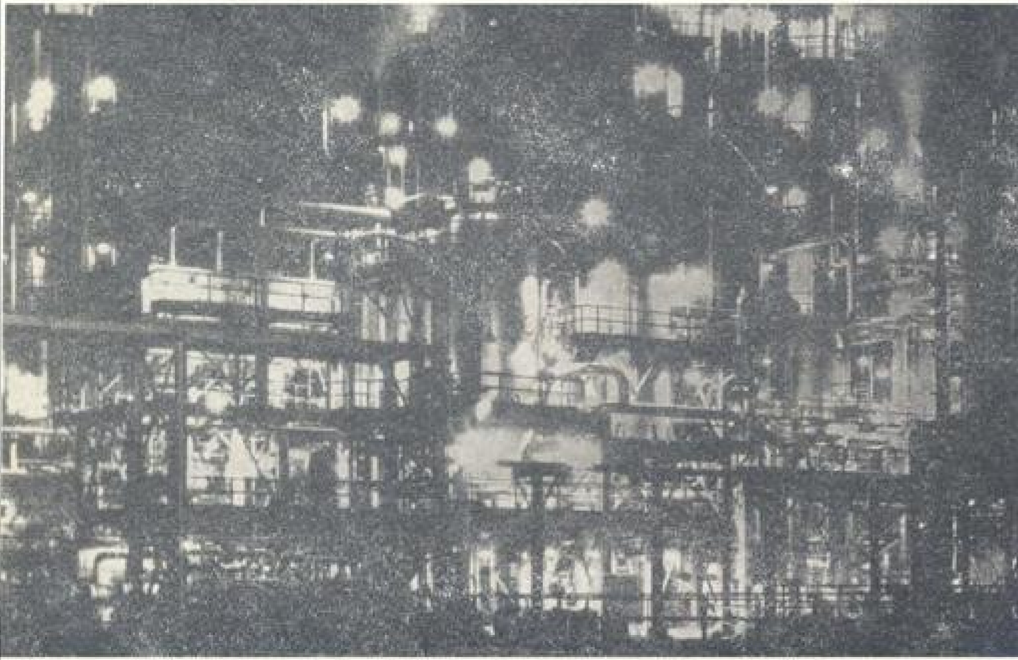


الكيماويات البترولية

في سبيل موسوعة علمية

هى مركبات كيماوية ، اصطنعها الكيماويون من قطارات البترول اصطناعاً ، ثم راحوا يحولونها إلى طوائف من مواد نافعة فى الحياة جديدة ، كاللدائن والأصباغ والأنسجة والأسمدة والعقاقير ، فزادوا بذلك المدنية الحاضرة ثراءً ، وزادوا الإنسان الحاضر غبطة ورفهاً .

بقلم الدكتور أحمد زكى



هكذا يبدو مصنع تقطير البترول فى الليل

■ انك لو حدثت شابا أزهريا ، يبالغ فى التعصب لصفاء اللغة، فى أمر البترول لاستوقفك وقال لك بل هو زيت الصخر.

ذلك أن اللفظ الافرنجي Petroleum مقطعه الأول بترا Petro معناه الصخر ، ومقطعه الثانى أوليَم Oleum ومعناه الزيت .

ونحن درجنا على ذكر البترول ، لفظا واحدا ، وسَلِس علينا لفظا .

ومنا من يقول زيت البترول ، واذن يصبح معناه زيت زيت الصخر ، وفى هذا من خطأ التعبير ما فيه .

وسمى العرب هــذا الزيت ، زيت الصخر ، بالنَّفط ، وبالنِّفط ، وكذلك سماه الرومان ، ومن قبلهم الاغـريق Naphta ، وكذلك سماه الأشوريون والبابليون ، وعلى الأخص ما كان منه سريع التطاير له فى الأنف شَميم .

زيت وزيت

وسموا البترول بالزيت لشبه ظاهر بينه وبين زيت النبات ، كزيت الزيتون، وزيت القطن،من حيث ما به من سيولة، وما به من مسٌ كمس الدهن . تشابها مسا ، واختلفا تركيبا .

وزيت الزيتون، وزيت القطن ،كلاهما غذاء ، ولا غذاء فى زيت الصخر ، فى البترول . ومن البترول جزء يُستقطر وينقّى ويصفّى،ويعرف بسائل البرَفين Liquid Paraffin ، ونشرب منه الجرعة ، فيزلّق الطعام فى الأمعاء ويسهل مروره

فيها فيشفى من بعض امساك . وهذا الزيت يخرج من الجسم كما دخل ، لا تغيّر رحلته القصيرة فيه من تركيبه شيئا .

البترول
ما أصوله العتيقة الأولى ؟

لم يكشَف عن هذه الأصول كشفا يرضى كل العلماء . ونختصر فنقول ان الراى المقبول الشائع ان البترول مشتق من مواد عضوية ، من كائنات بحرية ، واخرى نباتية ، ترسبت في الارض ودفنت دفنا بين طبقاتها . ثم فعلت فيها عوامل كثيرة غيرت من كنهها . وهذه العوامل هى الحرارة والضغط ، وفعلُ البكتير ، والنشاط الذرى لبعض عناصر الارض المشعة . ولاننسى فعل الزمان المتطاول .

ومعنى هذا أن زيت الصخر ، او البترول ، جاء ابتداء من نفس الأصول التى جاءت منها سائر زيوت الطعام ، اى من أصول حية من نبات وحيوان .

من الكيماويات البترولية يصنع الكثير من العقاقير .



وان شئنا ذهبنا الى الوراء ابعد من ذلك ، الى الأصول الاولى ، الى ثانى اكسيد الكربون الذى فى الجو ، وبعض ملح الارض ومائها ، ثم اشعة الشمس تجمع بين كل هذا وتنسج فى اوراق الشجر من المركبات الأعاجيب .

البترول الخام
فى مظهره العام

يختلف مظهر البترول الخام من بلد الى بلد، وقد يختلف من حقل الى حقل .

فمن حيث اللونْ هو يختلف من اللون البنى الأصفر الى اللون الأسود .

ومن حيث المزاج ، فبعض ظاهر اللزوجة ثخين ، وبعض كثير الميوعة والسيولة .

ونضرب مثلا لذلك خامة المكسيك من البترول . انها سوداء ولزجة نسبيا .

وزيت الصحراء الكبرى وزيت بنسلفانيا ، انه بنى اللون ذو اصفرار ومنخفض اللزوجة .

اما زيت الشرق الأوسط فوسط بين هذين .

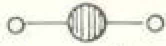
تركيب البترول

هنا لا بد من الدخول فى الكيمياء دخولا هيئنا ، نقضى به حق القلة من القراء التى لم تدرس الكيمياء ، أو هى درستها ونسيتها .

ليس من القراء من لا يعلم أن العناصر تتركب من ذرات ، وأن هذه الذرات تتحد فتكون المركبات ، وأن اصغر شىء من المركب يسمى بالجزيء .

فالماء يتألف جزيْئه من ذرتى ادروجين متحدتين بذرة اكسجين . والقدر القليل

من الماء فيه ملايين الملايين من هذه الجزيئات .



والبترول يتألف من مركبات كيماوية شتى ، ولكن يجمعها جميعا ان جزيئاتها تتألف من عنصرين اثنين: ذرات كربون ، وذرات ادروجين .

ومن اجل هذا سمينا هذه المركبات بالكربونات المؤدرجة او المهدرجة، اى التي اتحدت بالادروجين او الهدروجين. وهى بالانجليزية Hydrocarbons .

واصغر هذه المركبات الغاز المعروف بغاز البرك لانه يخرج من مائها بسبب تحلل بعض المواد العضوية فيها. واسمه العلمى الميثان Methane .

وهو اسم علَم لا يترجم .

والميثان هو اصغر مركب يوجد فى البترول . بل هو اصغر مركب كربونى عضوى . والعضوى هو كل شيء جاء اصلا من جسم حيّ ذى اعضاء من نبات او حيوان .

ويلاحظ فى الميثان اول حقيقة تتعلق بالذرات : تلك هى أن الذرة لها مشابك معلومة تمدها الى الذرات الاخرى لتتحد بها . وعدد هذه المشابك ثابت . وتعرف بمشابك الاتحاد .



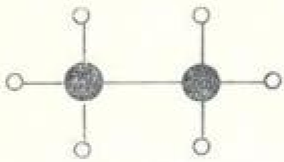
وذرة الكربون لها ٤ مشابك .

وذرة الادروجين (وهى اخف الذرات جميعا) لها مشبك واحد .

فلما أرادت ذرة الكربون فى الميثان ان تتحد بالادروجين ، اتحدت بأربع ذرات من الادروجين .

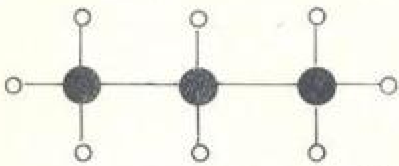
وبذلك نقول ان ذرة الكربون قد أشبعت اشباعا .

والمركب الأكبر الثانى بعد الميثان هو الايثان Ethane ، وجزيئه هكذا :



اى به ذرتان من الكربون (كرتان سوداوان) تشابكتا فى اتحاد معا . واذن بقى من مشابكهما ٣ مشابك لكل ، فهذه استخدمتاها لاتحاد كل بثلاث ذرات من الادروجين (كرات صغيرة بيضاء) .

والمركب الذى بعد الميثان هو البروبان Propane وجزيئه هكذا :



اى ثلاث ذرات كربون ، مع ٨ ذرات ادروجين .

وهلم جرا .

انها سلسلة متوالية من مركبات عضوية ، يزيد جزيء المركب منها عن جزيء المركب الذى سبقه بذرة كربون (ك) وبذرتين من الادروجين (يد$_{٢}$) . فهى اشبه بالمتوالية الحسابية لمن عرفها فى دراسة الحساب بالمدارس الثانوية .

واذا بلغنا المركب العاشر من هذه المتوالية Series ، كان جزيئه يتألف من ١٠ ذرات كربون و٢٢ ذرة ادروجين، ويصبح رمزه الكيماوى ك$_{١٠}$ يد$_{٢٢}$.

وكلما صعدنا فى هذه المتوالية ، صار جزيئها اثقل وزنا ، واذن اقل تطايرا وتبخرا، والواقع ان الميثان غاز فى الاحوال

العادية ، وكذا الايثان ، وكذا البروبان ، وكذا المركب الرابع البوتان Butane فاذا جئنا الى الخامس ، وهو البنتان Pentane (بنتا فى الاغريقية معناها خمسة) وجدناه سائلا يتبخر عند درجة ٣٦° مئوية. والسادس الهكسان Hexane (هكسا فى الاغريقية معناها ستة) سائل يغلي عند درجة ٦٩° مئوية ، والسابع الهبتان Heptane ويغلي عند درجة ٩٨° مئوية ، اى قريبا من درجة غليان الماء . ونقفز الى المركب الثالث عشر فى المتوالية فنجده سائلا يغلي عند درجة ٢٣٤° مئوية . فاذا وصلنا الى المركب الذى بجزيئه ٢٥ ذرة كربون وصلنا الى مركبات صلبة فى درجة حرارة الجو العادية . انها المركبات التى يتألف منها الشمع .

انها المتوالية البَرَفينيّة ومن مركباتها يتألف معظم خامة البترول

اولا اسمها .

نحن نسميها بالمتوالية البَرَفينية .

والبرفين لفظ اغريقي يشير الى ثبات هذه المركبات كيماويا عندما تلتقي بالاحماض الكيماوية وغيرها ، فهي لا تغير منها بسهولة ، لأن ذرات الكربون فى مركبات هذه المتوالية ، قد اشبعها الادروجين اشباعا ، فليس بذرة من ذرات الكربون مشبك واحد خلا من ارتباط بذرة ادروجين ، واذن فهو يطلب ارتباطا كيماويا آخر .

ان اشباع الكربون باتحاده الكامل بذرات الادروجين اعطى هذه المركبات الثبات والاستقرار ، ومع الثبات والاستقرار قلة النشاط الكيماوي ، الا ان يكون المهاجم لها عنيفا ، فى ظروف تقلل من ثباتها واستقرارها .

والبترول الخام يتألف اساسا من مركبات هذه المتوالية البرفينية Paraffin Series * انه اخلاط عديدة منها . بعضها سريع الغليان عند التسخين، وبعضها لا يغلي الا عند درجة حرارة مرتفعة . وكثيرها بين هذا هذا .

ومن اجل هذا كان تقطير الخامات البترولية . وهو يفصلها الى اجزاء ، يسبقها فى الغليان ، ففي الانفصال ، الخليط الاسرع غليانا كبنزين السيارات مثلا ، ويسمى كذلك جاسولين Gasoline وهو يغلي بين نحو درجة ٣٠ الى ٢٠٠ مئوية . وكالكيروسين او الجاز ، ويستخدم فيما يستخدم زيتا للمصابيح، فهذا يغلي بين نحو ٥٠ الى ٢٨٠ درجة مئوية . وكالاجزاء التي تلي ذلك من

* في البرفينيات قد تتفرع السلسلة الكربونية في المركب ولكن تبقى كل الذرات الكربونية مشبعة. وتوجد هذه البرفينيات المتفرعة في البترول . وقد تستدير السلسلة بذراتها الكربونية المؤلفة من خمس ذرات او ست ذرات مثلا ، ثم يلتقي طرفاها بالاتحاد معا فيكونان مركبات حلقية كل ذراتها الكربونية اشبعتها ذرات الادروجين ، وتسمى هذه الطائفة الثانية بالنفثينات Naphthenes . وتوجد مركباتها في خامة البترول ايضا . والمركبات الكيماوية العطرية Aromatic التى هي مثل البنزين الذى تعودنا الحصول عليه من تقطير الفحم الحجرى ، قد توجد في خامة البترول ، ولكن بنسبة ضئيلة جدا . ومع هذا فتوجد في الصناعات البترولية عمليات اعادة تشكيل المركبات ، عن طريقها نخرج بالكثير من المركبات النافعة التي لا توجد في الخامة البترولية ، ويكون لها في الصناعة شان عظيم . ومن هذه المركبات البنزين المشتق من الفحم Benz . وجزيئه حلقيّ ، وغير متشبّع ، فهو يختلف اختلافا جذريا عن بنزين السيارات ، بنزين النفط Benzine ، فهذا خليط من مواد ، ومن هذا كان اختلاف الهجاء في الانجليزية . والامريكيون يسمون بنزين السيارات جاسولين Gasoline ، تفاديا من هذا اللبس . فهذه ثلاث طوائف من الكربونات المؤدرجة ، البرفينات، والنفثالينات ، والكربونات المؤدرجة الحلقية غير المشبعة الناتجة اصلا من تقطير الفحم الحجرى .

زيوت للديزل ، وزيوت لتزييت المكنات وغير ذلك . وفى آخر المطاف يأتي الشمع او القار .

ونعيد هنا التوكيد بان هذه القطارات البترولية ، من بنزين الى كيروسين الى زيوت للتزييت ، الى شمع ، لا يمثل ايها مركبا واحدا بذاته ، وانما مركبات عدة مختلطة .

ولسنا بصدد شرح تقطير البترول فى مقطراته ومصافيه . ولكن بصدد ان نذكر من اى المركبات الكيماوية يتألف البترول تمهيدا للدخول الى الساحة العلمية التكنية الجديدة ، الموسومة بالكيماويات البترولية ، تلك التى اتخذت لها من مركبات البترول اساسا تقفز منه تكنية جديدة تعطى العالم المتحضر من الانتجة الجديدة ما لم يكن له بها علم سابق .

تلك التكنية التى سخرت البترول ومركباته لتخليق مواد لسماد الأرض ، واخرى كالمطاط ، واخرى كاللدائن على شتى صنوفها وانواعها ، وكالانسجة التى منها نصنع اقمشة ، وكبدائل الصابون ، وما الى ذلك .

مواد ما كان يصلها الخيال بالذى خاله من امر السوائل البترولية التى عرفها والفها ، فاذا العلم يربط بينها ، ويخلق ما لم يكن قد سبق اليه خيال .

كيف انفتح باب البترول الى الكيماويات البترولية

ان اول دراسة دقيقة لتقطير خامة البترول انما قام بها فى الولايات المتحدة بنيامين سلمان Beniamin Silliman فى عام ١٨٥٥ ، اى من نحو قرن او يزيد قليلا . وكانت الناس تستخدم البترول للحريق ، ثم ظهر من تقطير بنيامين ان بالبترول مركبات ثخينة تصلح لتزييت العجلات والآلات .

ولم تستخدم مشتقات البترول لادارة

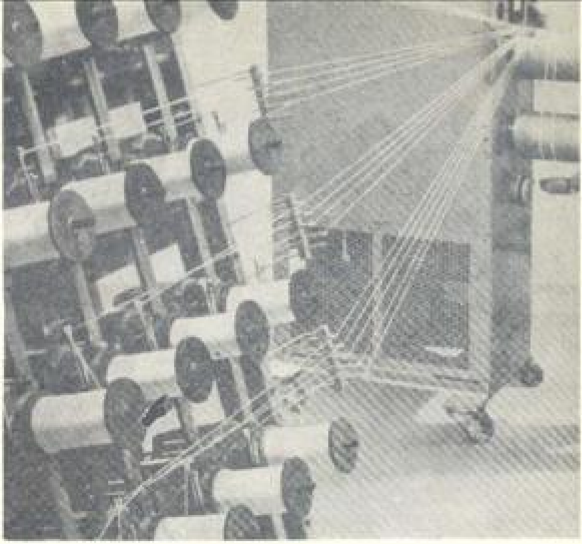


هذا اطار من المطاط الاصطناعى لعجلة سيارة مصنوع من الكيماويات البترولية

محركات السيارات الا عند نحو ختام القرن الماضى وابتداء الحاضر ، عند ظهور هذه السيارات .

تحطيم البترول او فرقعته

عقب ذلك ان اشتدت الحاجة الى بنزين السيارات (الجاسولين) . ولكن كان المقدار الذى احتوته الخامات البترولية من هذا البنزين (الجاسولين) ، القريب الغليان ، قليلا . وسعوا الى الحصول على مقدار اكبر من هذا البنزين من الخامات فكان ان دخلت صناعة البترول عهدا جديدا مذكورا ، هو عهد تحطيم جزيئات القطارات الثقيلة ، ذات الجزيئات الطويلة ، التى نحصل عليها من البترول فى درجات الغليان العالية ، وذلك بالحرارة وبالضغط ، وكذلك «بالعوامل المساعدة» Catalytic Agents مثل السلكا واكسيد الالمنيوم ، وهى طريقة ايسر .



خيوط من اللدين المعروف ب بولى بروبلين Polypropylene تختبر في المختبرات ومن هذا اللدين تصنع الحبال المتينة،واغطية مقاعد السيارات وهو كما يدل عليه اسمه مخلق من كيماويات البترول .

ان المركب الذى بجزيئه ١٤ ذرة كربون مثلا ، اذا تحطم الى مركبات ذات عدد من ذرات الكربون اصغر ، كانت درجة غليانها اوطأ ، فهى اقرب للتطاير، واذن انفع بنزينا للسيارات .

واسموا هذه العملية الخطيرة Cracking وهو لفظ انجليزى معناه التحطيم والتكسير، ومع التحطيم صوت يخرج .

وجاز ان نسميها القرقعة مجاراة للفظ الافرنجى . ونحن نقرقع البترول بالحرارة والضغط فيتقرقع ويخرج منه مركبات ابسط واسرع تطايرا .

وبهذه العملية وصل العلماء والتكنيئون الى ما ارادوا من زيادة مقدار البنزين (الجاسولين) الذى يخرج من مقدار من خامة البترول فيصلح وقودا لمحركات الاحتراق الداخلى ، تلك محركات السيارات عامة .

بلغ الكيمايون هذا الهدف . ولكنهم بلغوا هدفا آخر . وجدوا ان هذا البنزين الجديد المتحطم اذا هم اضافوه الى البنزين الذى حصلوا عليه بغير تحطيم كان احسن احتراقا فى محركات السيارات . انه قلل من ارتجاج حركة المحرك برفع ما يصفه المهندسون برقم الأكتان Octane Number .

والتحطيم يجرى ، لا على الخامة ، ولكن على القطارات الثقيلة التى خرجت منها بالتقطير ، او حتى على الأخف ثقلا اذا اردنا ما هو أخف .

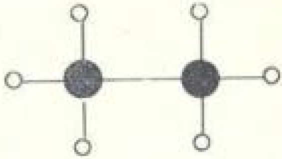
التقاء
ابحاث بابحاث

ومتابعة لوصف كيف انفتح باب البترول وأدّى الى الكيماويات البترولية نقول ان بحوث الكيمياء العضوية كانت تجرى عند ذلك فى طرائق شتى .

ومن هذه البحوث بحوث تتصل ، لا بالمركبات العضوية المشبعة التى يتألف منها البترول ، تلك التى سبق ذكرها ، ولكن مركبات قريبة الشبه بها تعرف بالمركبات الألفينية Olefines .

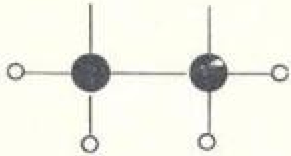
ونعنى بها المركبات التى تتألف من كربون وادروجين ، مثل المركبات البرفينية التى ذكرناها (ميثان،ايثان ، بروبان ، بوتان .. الخ) ولكن بطرح ذرات ادروجين منها .

ان المركبات البرَفينية تامة الاشباع مثال ذلك الايثان

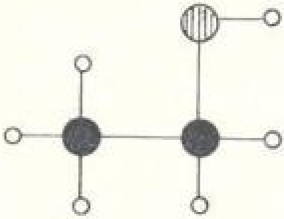


وقد مرّ ذكره

ولكن اذا طرحنا منه ذرتي ادروجين صار



ويعرف هذا المركب بالاثيلين Erhylene وهو مركب غير مشبع . اذن هو يطلب الاشباع . اذن هو يطلب الاتحاد بشيء . اذن هو مركب به نشاط كيماوى . وقد نضيف اليه الماء ، فى ظروف كيماوية خاصة (والماء ذرة اكسجين وذرتان من الادروجين) فينتج من ذلك المركب المشبع :



وهذا هو الكحول ، الذى يتهالك عليه شاربو الخمور .

هكذا هى الكيمياء : اعطِني ذرات ، او اعطني جزئيات مركبات ، او اعطني حطاما من جزيئات بعد أن تكون حطمتها ، اصنع لك منها ، كيماويا ، ما يمكن ان يخرج منها من المواد . فقد اصنع لك العسل من الفحم ، وقد اصنع لك السم من الترياق ، والترياق من السم .

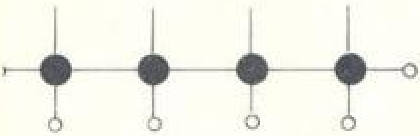
ان مركبات الحياة ، المركبات العضوية ، كلها تتكون من ذرات كربون اساسا ، وذرات ادروجين ، وذرات اكسجين ، وقد يدخلها كذلك ذرات آزوت . وذرات العسل ، كذرات القطن ، كذرات النشا ، ولكن اختلفت اعداد ذرات ، واختلفت اشكال ذرات ونظام ذرات ، فاختلفت اجساما

. كان الميثان اول المتوالية البرفينية .

وصار الاثيلين Ethylene اول المتوالية الالفينية Olefines . وثانيها البروبيلين ، وهو البروبان Propane بعد طرح ذرتى ادروجين منه .

وهلم جرا .

وقد نطرح زوجين من ذرات الادروجين فيخرج "الفين" به اربع مشابك خالية ، فيكون انشط فى التفاعل الكيماوى . مثال ذلك :



وهو البوتاديين Butadiene . وهو من البوتان بعد طرح ذرات الادروجين الاربع .

وباستخراج هذه المواد غير المشبعة ، الاكثر نشاطا كيماويا ، بدات طلائع عصر الكيماويات البترولية .

ففي نحو عام ١٩٣٥ امكن الكيمائيين اضافة الماء على كل هذه المركبات الالفينية ، اى اضافة ذرة اكسجين وذرتي ادروجين ، فحصلوا من كل على الكحول الذي يوافقه . كالمثل الذى ضربناه سابقا .

فكانت هذه اولى الخطوات الكبرى فى استهلال العصر الجديد .

(ولا باس ان نذكر هنا ان مركب البوتاديين ، هذا الذى ذكرنا ، منه

خلق الكيماويون المطاط الصناعي ، ولكن بعد هذا الزمن) .

ملاحقة كان لا بد منها

ان البحوث يلاحق بعضها بعضا ، ويدفع بعضها بعضا .

وهذه البحوث التى ذكرنا توا ، اعانها ، ومازجها ، وزاوجها ، بحوث تحطيم الخامة البترولية التى سبق ذكرها .

وكان من تحطيم الخامة البترولية ان خرج منها ، فوق ما سبق ذكره ، مركبات آلفينية غير مشبعة ، واذن نشيطة ، اعانت فى سرعة تخليق المركبات الكيماوية العديدة منها .

هذه المركبات الآلفينية غير المشبعة ندر ان يوجد منها شيء فى خامات البترول . فخروجها من تحطيم قطارات البترول الثقيلة فتح بابا للكيماويين جديدا .

وزاد الكيماويون بذلك اتجاها وتحوّلا الى هذا المصدر الكبير ، البترول ، زيت الصخر ، اتجهوا اليه طلبا للكيماويات التى يبدأون منها صناعات جديدة ، كانت غير معروفة ، او معروفة ولكن متعذرة ، بسبب تعذر الحصول على موادها الاولية : المركبات الكيماوية العضوية النشيطة التى منها يبدأون .

ان البترول يتألف من مركبات هي فى ذاتها اولية . وهي فى ذاتها بسيطة لم يتعقد تركيبها كثيرا . سلاسل منبسطة ، او هى متفرعة ومشبعة ، او حلقات صغيرة مكتملة التشبع . ومنها القليل غير ذى اكتمال . ودخل الكيماويون هذا الحقل كما يدخل النجّار مخزن الخشب . ان به الأخشاب الطويلة ، والأخشاب القصيرة ، والأخشاب السميكة . النجار يريد ان يصنع منها الصناديق والقمطرات والمقاعد والموائد وما هو اعقد من ذلك . الا ما اسهل ان يحول هذه الأطوال الى زوايا ، والى مربعات ، والى مكعبات ، والى ممسوك بمسمار ، او ممسوك بغراء .

ان خامة البترول كثيرة المقدار جدا ، وهي بسيطة . والعلم الكيماوى وافر . فيه خلع الذرات من مركباتها لتصبح غير مشبعة . وفيه اضافة الذرات الى المركبات التى لم تشبع . وفيه ضم اطراف السلاسل الطويلة لتصبح حلقات . وفيه فك الحلقات لتصبح سلاسل من ذرات . وفيه تحطيم هذه السلاسل لتعطى الأليفينات .

دخل الكيماوى هذا المستودع الكبير ، بعلمه الوفير ، وعلمه المتزايد على الزمن ، فاستنبط من زيت الصخر ، من قطاراته ، خفيفها والثقيل ، مركبات عضوية كيماوية اولية ، سميناها بالكيماويات البترولية يصنع منها بعد ذلك ما لم يكن خطر على بال بشر .

توجد لعبة للصبية تعرف بالميكانو . انه صندوق به عشرات القطع المعدنية من شتى الأشكال والأطوال والأعراض ، يحاول منها الصبي ان يصنع سلّما يرتفع به على حائط ، او جسرا يمر به فوق قناة ، او حظيرة يسكنها بقر . وكل هذه الأشياء هو يصنعها من تلك الاجزاء الاولية . وتختلف النتيجة باختلاف الأجزاء التى يختار ، وباختلاف تراكيبها .

وهكذا هو الكيماوى فى المستودع البترولي .

كيمياء الفحم الحجرى وكيمياء البترول

ان كل كيماوى يعلم ان دارس الكيمياء يبدأ بدرس الكيمياء وكأنها نوعان من الكيمياء :

كيمياء اسموها كيمياء الشحوم Aliphatic Chemistry ، وتحتوى على

المركبات البرفينية التي ذكرناها ، وعلى مشتقاتها . وهي سلاسل من ذرات كربون مشبعة (برفينات) او غير مشبعة (الفينات) . وهكذا هو تركيب جزيئات الدهن والزيت وما شاكلهما . ومن اجل هذه سميت بكيمياء الشحوم .

وكيمياء اسموها الكيمياء العطرية Aromatic Chemistry ، وتحتوى على المركبات التى اساس ذراتها حلقات غير مشبعة تتمثل فى ابسط هذه المركبات ، فى البنزين ، وهو المركب الناشىء من تقطير الفحم الحجرى . وسميت بالعطرية لان كثيرا من مركباتها له رائحة عطرية او يأتى من اصول لها عطر .

وسارت الكيمياء فى القرن الماضي واوائل القرن الحاضر ، والكيمياء العطرية اوسع دراسة ، واكثر مساحة ، وذلك لأن قطارة الفحم الحجرى أتحفتنا بمواد كالبنزين ، ومشتقاته من تلوين Toluen ، وزيلين Xylenes ، وما استطعنا ان نشتق منها من مواد عدد الرمل ، ادت بنا ، بعلماء الكيمياء ، الى فتح صناعات كثيرة ما كان لانسان بها علم سابق . فكان ما كان من عقاقير ، وكان ما كان من اصباغ ، وكان ما كان من طوائف من مواد كيماوية نافعة فى كثير من مرافق الحياة الانسانية .

وظل البترول كما سبق ان ذكرنا موردا للوقود زمانا .

وبتقدم الكيمياء كشفنا من البترول ما كشفنا . فاذا بالصناعات تتحول الى البترول لتأتينا بالذى ذكرنا من مركبات اسميناها بالكيماويات البترولية . وزاد تحولها عندما استطاع الكيماويون ان يأتوا من البترول بنفس المواد التى كانوا يأتون بها من تقطير الفحم الحجرى .

وقد دل احصاء عام ١٩٥٧ على ان الولايات المتحدة حصلت من هذه المواد (بنزين ، تلوين ، زيلين) على ٣٨٦٠٠٠٠ الف جالون ، وذلك من البترول ، بينما



هذه المظلة مصنوعة من النيلون المصنوع بدوره من الكيماويات البترولية ان النيلون قوى ، وخفيف ، ومرن ، وهى صفات اهلته لما يستخدم فيه من خدمات .

حصلت من هذه المواد على ٢٧٠٠٠٠ الف جالون فقط من مصدرها القديم ، قطارة الفحم الحجرى .

ولقد ذكرنا ان هذه المركبات العطرية التى مصدرها الفحم لا توجد شيئا مذكورا فى البترول ، واذن فكيف جاءوا بها ؟

جاء بها العلم الكيماوى ، والفن الكيماوى ، والتكنية الكيماوية . بها حوّل القوم مركبات البترول ، رضيت او لم ترض ، الى ما ارادوا منها . الى المركبات التى ظلوا السنوات الطويلة لا

يجدون لها مصدرا غير الفحم . فانفتح لهم عنها باب البترول ، وما اوسعه بابا ، وهو باب اوسع لأن حظيرة البترول واسعة ومقاديره فى العالم لا تزال دافقة .

المركبات التي تستخرج من البترول او الكيماويات البترولية

البرفينات الشحمية :

مثل الميثان . الايثان . البروبان . البيوتان .

والالفينات المشتقة من هذه :

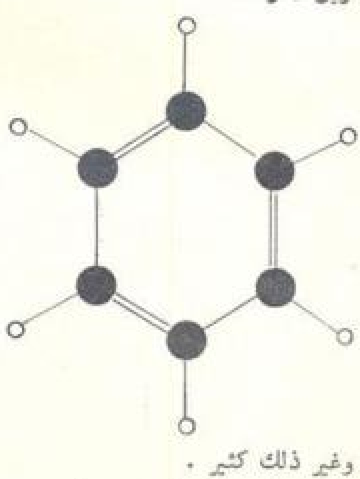
مثل الايثيلين . البيوتولين . البوتادين .

والبروفينات الشحمية التي تحتوي على ذرات أكثر من ٤ :

مثل البنتان Pentane ، والهكسان Hexane . وما يشتق منها بحذف الادروجين لتصير غير مشبعة .

والنفثينات الحلقية مثل الهكسان الحلقي .

والكربونات المؤدرجة العطرية : البنزين . والتلوين . والزيلين . وجريئى البنزين رمزه :



وغير ذلك كثير .

وكل مركب كيماوي يستخرج من البترول بالتقطير والقرقعة واعادة التشكيل ، وكذلك كل ما تتحول اليه هذه المواد بالطرق الكيماوية (ولا ننسى الغاز الطبيعي واكثره الميثان) يعرف بالكيماويات البترولية .

ومثال ما يتحول من ذلك اننا من البيوتان نأتي بحامض الخل ، والكحول المثيلي ، والفرم الدهيد Formaldehyde ، المعروف بالفرمالين ، والبيوتيلين Butylene .

فهذه كيماويات بترولية لأننا حصلنا عليها من البترول ، مصدرا أولا لها .

ومن الكيماويات البترولية نخلق مواد أخرى جديدة تدخل بها عالم الأسمدة ، او العقاقير ، او الفيتامينات ، او مبيدات الحشرات ، او الاصباغ ، او اللدائن ، او الاقمشة ، او المطاط وما الى ذلك .

ولنضرب لذلك الأمثال بادئين بالنشادر ، فاليورية ، فالمطاط الصناعي فالنيلون .

النشادر

ويتألف جزيئها من ذرة آزوت ، وثلاث ذرات ادروجين .

وهي تصنع بادئين بغاز الميثان ، وهي فى الغاز الطبيعي للبترول ، اذ يخرج من مخابئه فى الأرض . فهذا الغاز يحرق فى جو من الاكسجين (من الهواء) وبخار الماء . وهذا الحريق يعطي اول اكسيد الكربون وثاني اكسيد الكربون ، والادروجين وهو غاية فى النقاء .

ونجمع بين الادروجين وازوت الهواء . ومع الضغط والحرارة ، والعامل المساعد ، ينتج النشادر .

اليورية

واسمها ايضا البولينة . وهو اسم مشتق من البول .

وهو سماد شهير ، رمزه (زيد ٢) . ك ا . (زيد ٢) . فهو سماد أزوتي . وهو يصنع من تفاعل النشادر وثاني اكسيد الكربون . وكلاهما مصدره الغاز الطبيعي للبترول .

واليورية تستخدم كذلك في صناعة اللدائن . وكثير من سطوح الموائد يصنع من لدين اليورية الجميل .

المطاط الصناعي

ومواده الاولى مواد عضوية غير مشبعة كالتي ذكرناها في الالفينات .

وهو ينشأ بالعملية التي قد تعرف بالتكاثف السلسلي ، وفيه يبدأ المركب العضوى في المادة الأولية بأن يمدّ مشابكه الى خارجه يطلب الاتحاد بجزيء ثان ، وهذا بثالث ، ثم برابع وهلم جرا . الى اعداد كثيرة من الجزيئات، تتسلسل في جزيء واحد طويل .

ويعرف هذا التفاعل في الافرنجية بال Polymerisation ، ولعل في التكاثف السلسلي ترجمة موفقة .

فان لم تكن ، فلنقل البَلمرة ، وذلك بتعريب اللفظ الافرنجي . ومن مزاياه اشتقاق الفعل منه : بَلمَر يُبَلمر ، وتَبلمر .

النيلون

وهو مثلٌ لخيط النسيج الذى لا صلة له بالنبات ، وله الصلة أكبر الصلة بالبترول . فمن البترول يفصل الهكسان الدائرى Cyclohexane وهذا يؤكسد فيعطي حامض اديبيك Adipic Acid ، ومن هذا يصنع النيلون .

صناعات كثيرة شتى

والصناعات التي تستخدم فيها الكيماويات البترولية كثيرة ، وشتّى .

ونكتفي بالامثلة القليلة التى ذكرنا . وقد ذكرنا اننا نستنبط بنزين قطارة الفحم الحجرى ومشتقاته من البترول . وهذا البنزين ومشتقاته هو المصدر السابق لاكثر ما عرفنا من المركبات والصناعات الكيماوية . واذن قد أصبح البترول باستنباط هذا البنزين ومشتقاته منه مصدر كل هذه الكيماويات والصناعات .

الكيماويات البترولية والدول العربية

الدول العربية بها اكثر بترول العالم . وهي تصدر البترول ، هذا البترول الذى ينتج لمشتريه هذه الثروات الهائلة المعروفة .

والدول العربية لا تملك الا الآبار وما فيها .

فهي اذا ارادت أن تشرك سائر الامم فيما تجنيه من البترول بعد خروجه منها ، فلها أن تفعل ذلك . لها ان تتعلم التسويق والنقل وان تدخل الأسواق وتزاحم .

اما ان تشارك فيما وراء الأسواق ، فهذا شأن آخر . ان هذه الأمم المتقدمة تجنى من ذلك ما تجنى بعلمها وبتكنيتّها فمشاركة هذه الأمم في هذه المكاسب الأخيرة الجديدة الطائلة لا يكون الا بمشاركة في علم ، وفي تكنيّة .

والى اليوم لم نسمع بأن هناك معهدا متقدما قام في الدول العربية ، او يقوم بالتحضير لهذه الصناعات ، بشريا وجهازيا ، وعلما كيماويا .

اكثر الذين يقولون انما يتشدقون . ولكي يزيدوا كلامهم فخامة وضخامة ، هم لا يقولون « الكيماويات البترولية » ، وانما يقولون « البتروكيماويات » . ان لم تكن فخامة علم ، فلا اقل من فخامة لفظ وانف اللغة راغم . ●●

أحمد زكي

الامتحانات المدرسية

شر لا بد منه

بقلم : الدكتور سبع أبو لبدة

■ عندما نرغب في التأكد من كفاية معلومات شخص ما او من مقدار مهارته في اداء عمل معين فاننا نطلب منه الاجابة على مجموعة من الاسئلة او القيام بعمل ما او حل مشكلة معينة ثم نقوم اداءه او ما فعله وبعبارة اخرى فاننا نخضعه لامتحان .

الصينيون أول من ابتدع الامتحانات

ابتدع الصينيون الامتحانات الكتابية الرسمية واستعملوها كوسيلة لانتقاء الموظفين لمدة تقرب من ٣٠٠٠ عام . وفي حوالي عام ٢٢٠٠ ق.م . كان امبراطور الصين يفحص موظفيه مرة كل ثلاث سنوات وبعد تسع سنوات كان اما ان يرقيهم او يفصلهم من الخدمة وذلك حسب نتائجهم في الامتحان كما انه كان على رئيس الوزراء أن يبرهن على انه جدير بمنصبه وذلك بالتنافس مع الاخرين والحصول على اعلى رتبة ممكنة .

وكانت الامتحانات الصينية تتطلب من الراغبين في تولي الوظائف الحكومية والمناصب القيادية ان يبرهنوا على مهارتهم في الموسيقى والرماية والفروسية والكتابة والحساب ومعرفة الطقوس الاجتماعية وجغرافية الامبراطورية والقانون المدني والمسائل العسكرية والزراعة وادارة العوائد .

وقد حددت الامتحانات ملامح المجتمع الصيني وشكل الجهاز الحكومي لمدة قرون وبقيت مستعملة في الصين حتى عام ١٩٠٥ .

الامتحانات في التربية العربية الاسلامية

وقديما امتازت التربية العربية الاسلامية بانها كانت حرة خالية من القيود ولم تتطلب من المتعلمين عادية امتحانات كالتي نعرفها . الا أن ابن اصيبعة يذكر في كتاب طبقات الاطباء انه قد عقد مرة امتحان لاطباء بغداد في عهد الخليفة المقتدر « في القرن العاشر الميلادي » بحضرة سنان بن ثابت وكان هذا يمتحنهم شفويا .

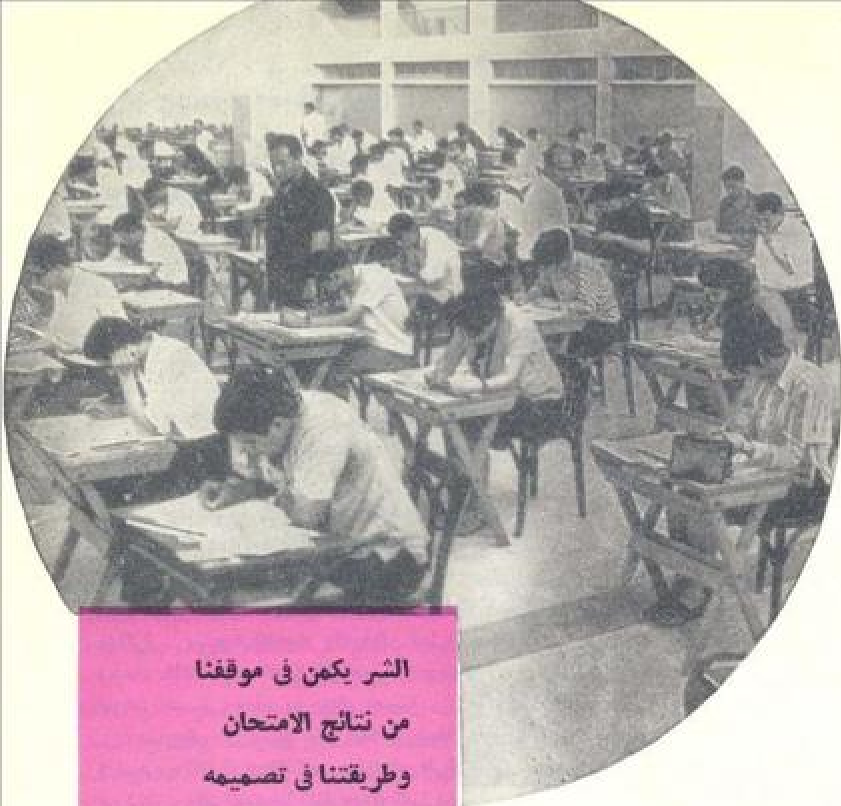
وكانت الشهادات تمنح من قبل الاساتذة للطلبة الاكفياء دون امتحان وينص فيها على ان الطالب اتم دراسة كتاب او منهج معين على الاستاذ فلان .

وفي أوروبا

كانت الامتحانات السائدة في العصور الوسطى وفيما بعد امتحانات شفوية اما الامتحانات التحريرية في الجامعات فقد ظهرت في القرن الثامن

● تعاظم دور الامتحانات حتى اصبحت غاية .. بعد ان كانت وسيلة !

ـهُ !



الشر يكمن فى موقفنا من نتائج الامتحان وطريقتنا فى تصميمه وادارته وتصحيحه وهى عيوب خلصته منها بعض البلاد المتقدمة

عشر في كمبردج ومنها انتشرت الى اكسفورد وغيرها من الجامعات وقد شاعت في القرن التاسع عشر واصبحت تستعمل في التعليم والصناعة واختبار الموظفين فساعدت في الكشف عن الاداريين الاكفاء وعلى تحقيق مبدأ تكافؤ الفرص في التعيين اذ اصبح يتم بناء على المقدرة وملاءمة الشخص للعمل وليس تبعا للنفوذ والمحسوبية .

أهمية الامتحانات

تلعب الامتحانات دورا هاما في العملية التربوية في بلادنا فنحن نتخذ نتائجها مقياسا للمفاضلة بين الطلاب واساسا للنقل من صف لاخر وتمنح الشهادات بموجبها ، كما نختار الطلاب لمدرسة أو دراسة او مهنة معينة بناء عليها .وقد تعاظم الدور الذى تلعبه الامتحانات حتى انها اصبحت غاية بعد ان كانت وسيلة ، فاصبح هم المدرسة اعداد الطالب للامتحان بدلا من تربيته . كما أخذ المدرسون يوصون طلابهم بدراسة هذا الموضوع وحذف ذاك ، لانه غير مهم اى ان الامتحان لن يتعرض له . وظهر في الاسواق الموجز والملخص والمنجد وسلاح الطالب ورفيقه وغير ذلك من كتيبات تختصر المنهاج وتقدم له المعلومات اللازمة لاجتياز الامتحان في شكل برشامات . وقد ساعد هذا الطلاب على الكسل وعدم الاهتمام بالعلم وارجاء المذاكرة حتى نهاية العام ، او قبل موعد الامتحان ببضعة ايام . يسهرون فيها محاولين استظهار نتف من المعلومات ليخدعوا بها المصحح ويوهموه بجدارتهم في اجتياز الامتحان . وقد ادى هذا الاتجاه الى محن وكوارث فردية وعائلية واجتماعية مما حمل البعض على القول بان الامتحانات شر ويجب الغاؤها .

الامتحانات شر لا بد منه

يعتبر بعض المربين الامتحانات شرا لما تسببه

من اضرار صحية ونفسية واجتماعية وتعليمية . من ذلك ما يلي : -

١ - تؤدى الى شرور خلقية كالتباغض والتحاسد بين الطلبة وتشجع التنافس غير الشريف وكثيرا ما ينحرف بعض الطلبة فى سبيل الحصول على علامة اعلى لينجحوا أو ليتفوقوا على زملائهم . ونظرا لعدم سلامة اسس التصحيح يفقد الطالب ثقته بالعدل والعدالة ، وقد يستعمل الغش وسيلة للنجاح فيتعلم بذلك عدم الامانة والتحايل ، والكذب ان ضبط . أو يكذب على اسرته مبررا عدم نجاحه .

٢ - تدمر صحة الطالب : ان مصير الطالب في بلادنا يتوقف على الامتحانات النهائية ، فيهمل طيلة العام ويبدأ في السهر المضنى واستعمال المنبهات في آخر لحظة كي يعوض ما فاته من مذاكرة . ونتيجة للاجهاد والارهاق تذبل صحته ويزداد قلقه لعدم كفاية المراجعة ، ويتعرض لهزات نفسية ، وبعضهم ينهار عصبيا .

٣ - يمكن ان تسبغ على الطالب صفة عقلية لا تمحى ، كالغباء أو الذكاء ، بينما هو على النقيض من ذلك . وقد اثبت لنا التاريخ ان كثيرا من العلماء والقادة العظام كانوا في عداد الفاشلين مدرسيا ، كما ان الابحاث التربوية قد اثبتت ايضا ان رسوب الطلاب لا يعنى بالضرورة عدم توفر القدرة العقلية لديهم ، وقد أيدت ذلك الاختبارات النفسية وخاصة اختبارات الذكاء فكشف لنا عن ان حوالي ١٠٪ من الطلاب اللامعين يرسبون . وان ٧ر٧٪ ممن يتراوح ذكاؤهم بين ١٢٢ - ١٢٧ (وهم يتفوقون على ٩٠٪ من الطلاب تقريبا) يرسبون ايضا وبالمقابل فان عددا كبيرا ممن لا تتوفر لديهم المقدرة العقلية الكافية ينجحون .

٤ - ان اسس تصحيح الامتحانات في بلادنا غير سليمة ، ففي معظم الاحيان نجد ان الامتحانات العامة لم تستطع ان تميز الغث من السمين ، اذ يرسب فيها طلاب يستحقون النجاح وينجح آخرون وهم يستحقون الرسوب . وهذا أمر يلحق اذى نفسيا واقتصاديا بالطلاب وباسرهم ويهز ثقتهم بالقائمين على شئون التربية والمجتمع ويلحق بهم ظلما فادحا اذ يترتب على رسوبهم ان يبقوا في الدرك الاسفل من المجتمع بينما يمضى من هم اقل كفاءة منهم في تسلق السلم التربوى ويستقرون نهائيا في اعلى المجتمع ويحظون بارفع المناصب واغزر الرواتب . وهكذا فان الامتحانات تعرقل عملية وضع الرجل المناسب في المكان المناسب وتؤدى الى حرمان المجتمع من استغلال ثروته البشرية على الوجه الاكمل .

٥ - تعيق التعليم : تصرف المدارس وقتا كبيرا في الامتحانات بينما يجب ان يستثمر هذا الوقت في التعليم والتعلم كذلك فان من يرسب في بعض المواد لا يستطيع الانتقال الى مرحلة اعلى أولا يتمكن من طلب العلم في المجال الذى يروق له وقد يحرم من الدراسة نهائيا . ورسوب الطالب لا سيما اذا تكرر يثبط همته ويجعل اليأس يدب في نفسه فيكف عن بذل الجهد لتحسين مستواه . وقد يولد الفشل في نفس الطالب كراهية الدراسة والمدرسين ويحمله على الهرب أو الابتعاد عن هذه البيئة المؤذية ويغرس في نفسه الكراهية الابدية للعلم والمطالعة .

٦ - سوء التكيف الاجتماعى : يؤدى فشل الطالب في الامتحان الى تشويه علاقته مع مدرسيه واقرانه وافراد أسرته وقد تلفظه المدرسة فيبقى بدون شهادة مما يجعل حصوله على وظيفة امرا صعبا ، ومن ثم يعرضه للخروج على القانون والمجتمع .

٧ - تشجع التطابق وتقتل روح الابداع وتنمى التحيز للثقافة السائدة ، فالطالب الذكى أو الممتاز هو الذى يردد آراء المسئولين في ميدان التربية ، وهؤلاء بالطبع يرددون وجهة نظر الطبقة الحاكمة . اما الطالب ذو الفكر الحر المبدع الذى لا يقبل الا الحقيقة ويهتدى الى آراء وافكار جديدة فقد يتعرض للرسوب اذ أن الامتحان لا يقيس الابداع بل التطابق او الاتفاق مع الاراء السائدة والمعلومات المدونة في الكتب وكل انحراف عنها يفسر على انه عجز وقصور .

٨ - تمنع تحقيق اهداف التربية : تهدف التربية الحقة الى بناء شخصية الانسان ، بمساعدته على ان ينمو نموا سليما فى النواحي الجسدية والنفسية والاجتماعية ، ثم باكسابه المعارف والمهارات اللازمة له وخلق حس المواطنة السليمة لديه ، بيد ان هذه جميعها امور لا يهتم بها الامتحان . انه يهتم فقط بزاوية صغيرة الا وهي اكتساب الطفل للمعلومات وقد يكون معظمها غير مرتبط بحياته الحاضرة ولذا نجد الطلاب يتهربون من حصص التربية البدنية والالعاب والموسيقى والتربية الفنية مع انها تساعدهم على النمو الجسدى السليم والاتزان الخلقى والاجتماعى

وتنمي ذوقهم وترهف حسهم . يتهربون منها لانها لا تدخل في تقويمهم او لا تساعدهم على الحصول على الشهادة . وتشاركهم ادارة المدرسة عدم الاهتمام بهذه المواد فتعمد قبل نهاية العام الى الغاء حصص الموسيقى والتربية الفنية واحلال حصص بعض المواد كالرياضيات واللغة الاجنبية محلها لتساعد الطلاب على النجاح في تلك المواد وهكذا نجد ان الامتحانات عقبة في سبيل تحقيق اهداف التربية الا اذا اعتبرنا ان الهدف من التربية الاعداد للامتحان .

هذه بعض الاسباب التي تجعل بعض المربين يعتقدون ان الامتحان شر لابد منه والواقع ان الامتحان بحد ذاته ليس شرا فالشر خارج عنه ، وهو يكمن في موقفنا من نتائج الامتحان ، وطريقتنا في تصميمه وادارته وتصحيحه ، وهذه عيوب خلصته منها بعض البلدان المتقدمة تربويا كالولايات المتحدة . وعلى العموم يمكن القول بأن الامتحان اشبه بالسكين . وهذه ليست شريرة ولا خيرة انها وسيلة لغاية والشر او الخير يكمن في نفس مستخدمها .

لقد طالب بعض المربين بالغاء الامتحانات كوسيلة من وسائل التقويم Evaluation نظرا لما تسببه من اضرار وخيمة ولكنا لا نستطيع ذلك اذ انها وسيلتنا الوحيدة .

واذا كان للامتحانات اضرار فنحن نستطيع ان نخفف منها بتحسين الامتحانات وايجاد سبل اخرى للتقويم تساعدنا على اتخاذ قرارات أسلم واصوب. هذا بالاضافة الى ان فوائد الامتحانات تفوق اضرارها بكثير . من هذه الفوائد ما يلي :

أ ـ قياس مردود العملية التعليمية ، أو مدى اتقان الطالب للمادة ، بطريقة موضوعية فاذا حصل الطالب على ٣٠٪ من العلامة النهائية يفترض انه اتقن ٣٠٪ من المادة وهذا الكلام صحيح فيما لو كانت الاسئلة عينة ممثلة لجميع الاسئلة التي يمكن ان توضع على مختلف اجزاء المادة . اما اذا كانت الاسئلة عينة غير ممثلة فمعنى ذلك انه يعرف ٣٠٪ من اجوبة اسئلة الفحص .

ب ـ تقييم اهداف التعليم : يجب على كل نظام تربوي ان يحدد اهدافه ويضع المناهج المناسبة التي تمكنه من تحقيق هذه الاهداف وان يوفر المناخ الدراسي الملائم للوصول لها ولا يعني انهاء المناهج اننا حققنا ما وضعناه من اهداف تعليمية بل علينا أن نتأكد من أن ذلك وهذا يتم بواسطة الامتحانات التي تكشف لنا ايضا عن مدى مناسبة هذه الاهداف لقدرات التلاميذ وامكانياتهم .

ج ـ معرفة مواطن ضعف الطالب وقوته : يكشف لنا الامتحان عن حاجة التلميذ التعليمية ويساعدنا على تحديد عيوبه واخطائه ومن ثم معالجتها فاذا اعطينا طفلا امتحانا في الحساب ووجدنا انه يخطىء في قسمة الكسور فبوسعنا معالجة ذلك بواسطة منهاج نصممه لمعالجة ضعفه في هذه الناحية .

د ـ قياس تقدم التلميذ : عندما نبدأ في التعليم نقيس ما يعرفه الطالب في مادة ما بواسطة الامتحان وبعد بضعة شهور نقيس من جديد ما اكتسبه في هذا الميدان ، فالفرق بين هذه المرة وسابقتها يمثل لنا تقدم التلميذ ، وهذه القياسات المختلفة ستقودنا بالطبع الى الاهتمام بظروف تعلم الطالب ومعرفة ما يعرقل او يسهل تعلمه .

هـ ـ تحث التلميذ على العمل : من الملاحظ ان التلاميذ ينشطون للدراسة والمذاكرة عندما يقبلون على امتحان او يطالبون به ، كما ان بعضهم لا يدرس الا اذا كان هناك امتحان . بيد أن استعمال الامتحان كوسيلة لحمل التلميذ على الدراسة امر لا يقبله كثير من المربين اذ انه مؤثر خارجي يحمل التلميذ على الدراسة بدافع الخوف وهذا مناف لابسط القواعد التربوية . فالتربية الحقة هي التي تجعل التلميذ يدرس بتأثير دافع داخلي كحب المعرفة والرغبة في التعلم .

و ـ توجيه الطلاب الى الدراسات المناسبة والمهن الملائمة : تبين لنا الامتحانات مدى كفاءة كل طالب في مختلف المواد ومن ثم تمكننا من الحكم بصلاحيته لدراسة او مهنة معينة ان رغب في ذلك .

ز ـ تحقيق اهداف ادارية مختلفة كالمحافظة على مستوى معين للدراسة وتقسيم الطلاب الى فصول متجانسة والمفاضلة بين الطلاب وبيان احقية الطالب في الترفيع أو الشهادة المدرسية ، او الحصول على منح مالية او بعثة مدرسية . وتساعدنا كذلك على الاختيار من بين الطلاب المتقدمين للدراسة في معهد ما .

ح ـ الهندسة الاجتماعية : تمكن المجتمع من ملء الوظائف حسب الكفاءة والقدرة بدلا من الوساطة او المحسوبية مما يساعد على تقدم المجتمع .

ط ـ البحث التربوي : تساعد الامتحانات على مقارنة طرق التدريس والمدارس وتقويم جهود المدرس وطرق تدريسه ومن ثم تحسين مستوى الهيئة التدريسية وتحملنا على انعام النظر في اسباب الضعف والقصور ومن ثم الكشف عن موانع التعلم ومعرفة اثر التنظيمات الادارية المختلفة على اداء الطالب .

انواع الامتحانات

قد تكون الامتحانات شفوية او تحريرية او عملية . واكثرها شيوعا هي الامتحانات التحريرية او الكتابية فهي مستعملة في معظم المواد . اما الامتحانات الشفوية والعملية فتستعمل في المواد التي تتطلب تنمية مهارات معينة ، كاللغات والموسيقى والرسم والعلوم التطبيقية عامة . وكثيرا ما نجمع بين هذه الانواع من الامتحانات بقصد التأكد من مستوى الطالب في مادة ما . فقد تبهرنا سعةاطلاعه وغزارة علمهفي الالكترونيات مثلا ولكنه يعجز عن اكتشاف سبب العطل او الخلل في جهاز الراديو . وفي امتحانات اللغات نحادث التلميذ ونطلب منه قراءة نص ما وكتابة موضوع معين او تركيب بضع جمل . وفي مواد كالفزياء والكيمياء لابد من الجمع بين الامتحانات الكتابية والعملية اذ ان القيام بالتجارب امر اساسي . اما في الفنون كالرسم والموسيقى فقد يكتفي المدرس بانتاج لوحة او معرفة مقدرة الطالب على عزف قطعة موسيقية وقد يمتحنه كتابة لمعرفة مدى المامه بالتراث الموسيقي ثم يسمعه قطعة موسيقية ويطلب منه التعرف عليها وتحليلها وقد يطلب اليه العزف على آلة او تلحين قصيدة.

ان افضل طريقة للحكم على مستوى اداء الطالب هي تقويمه بعدة طرق (كتابيا ، شفويا ، عمليا) بيد أن ذلك أمر باهظ التكاليف ونحن دوما نتوخى الاقتصاد في النفقات والوقت كي ننتج دون تبذير ونتحرك بسرعة ولابد لنا من اتخاذ طريقة تكفل لنا معظم المزايا وتقلل من العيوب وهذا ما يتوفر في الامتحانات التحريرية .

الامتحانات الكتابية أو التحريرية

تعتبر الامتحانات الكتابية اكثر انواع الامتحانات استعمالا في العالم العربي لاسباب فنية وادارية واقتصادية . ومن هذه الاسباب ما يلي :

١ ـ انها اقتصادية من حيث الوقت ، فانت تستطيع ان تفحص بضعة آلاف من الطلاب في ساعه فقط بينما يتعذر ذلك في الامتحانات الشفويه والعملية .

٢ ـ وهي اقل اثارة للقلق والخوف من الامتحانات الاخرى فالطالب يوجد ضمن جماعة تمر بنفس التجربة او الخبرة دون ان تسلط عليه الاضواء وهو احد عشرات الافراد الذين يراقبهم فاحص أو مراقب يقف بعيدا عنهم . بينما في الامتحانات الشفوية والعملية يحيط به مجموعة من الفاحصين .

٣ ـ في الامتحانات الكتابية ، يتاح الوقت الكافي للطالب للتعبير عن افكاره ومراجعتها وتشذيبها او تنقيحها ثم اعادة تنظيمها بينما لا يتاح له ما يكفى من الوقت لتجميع افكاره والتعبير عن نفسه في الامتحانات الشفوية .

٤ ـ في الامتحانات الكتابية يجيب الطالب على بضعة اسئلة قد يجهل بعضها ولكنه ملم بمعظمها اما في الامتحانات الشفوية والعملية فهو امام سؤال او تجربة فقط فان كانت مما يجهله او الشيء الوحيد الذى لا يتقنه من المادة فانه يرسب بالرغم من كونه ممتازا في المادة نفسها .

٥ ـ انها اكثر موضوعية من الانواع الاخرى للامتحانات فنحن امام شيء مكتوب نستطيع تقييمه واعادة النظر فيه مرارا وتكرارا اما في الامتحانات الشفوية والعملية فقد تخوننا الذاكرة وننسى بعض الجوانب الحسنة في اجابة الطالب ونتحيز ضده او معه متأثرين بشخصيته وطريقة تصرفه في الدخول او الخروج او الجلوس او تجميعه الاجابة .

انواع الامتحانات الكتابية

تختلف الامتحانات الكتابية عن بعضها البعض سواء من حيث الشكل او الهدف او طريقة ادارتها وقد جاء كل نوع ليعالج عيوب ما سبقه ، وهذه الانواع هي : ـ

أ ـ الامتحانات التقليدية او المقالية Essay Tests وهذا هو النوع الوحيد المستعمل في مدارسنا وامتحاناتنا العامة ، وهو يتألف احيانا من سؤال فقط كما يحدث في بعض الجامعات او بضعة اسئلة يطلب الى المفحوص الاجابة عليها

متقيدا بصحة المعلومات التي يسردها وعلاقتها بالسؤال .

ب ـ الامتحانات الحديثة او الموضوعية : جاء هذا النوع من الاختبارات لعلاج امراض الامتحانات التقليدية وهو بالفعل قد خلصها من امراض كثيرة ، واهم ما يمتاز به انه يريح الطالب من الكتابة ويجعله ينفق معظم وقته في قراءة الاسئلة التي يتراوح عددها بين ٥٠ سؤالا في حصة الدرس العادية و ٣٠٠ سؤال في الامتحان العام . والطالب في هذا النوع من الامتحانات يملأ فراغا بكلمة ويعارض أو يوافق مضمون جملة معينة بوضع اشارة صح او خطا ، او يختار الجواب الصحيح من بين اربعة اجوبة متشابهة تكتب بعد السؤال مباشرة . ويمتاز هذا النوع من الامتحانات بان اسئلته تشمل جميع اجزاء المادة . ان تصحيحه قد لا يتعدى دقيقة واحدة ، اذ ان ارقام الاجوبة المختارة توضع على بطاقة خاصة ثم توضع فوقها بطاقة اخرى مثقبة فوق اماكن الاجوبة الصحيحة فقط .

جـ ـ امتحانات الكتاب المفتوح Open Book Examination تكون هذه امتحانات تقليدية او موضوعية يسمح فيها المدرس للتلاميذ باصطحاب ما يريدونه من كتب ومصادر الى قاعة الفحص واستعمالها ابان الامتحان ان شاؤوا واهم ما تتصف به : ـ

١ ـ الامتحان مصمم بحيث لا توجد لاسئلته اجوبة جاهزة في الكتاب . وهي عادة تتطلب شرحا أو تفسيرا لرأى معين وتطبيقا للمعرفة على مشاكل حياتية ولا تهتم اطلاقا بالحفظ او التذكر .

٢ ـ قيمة الكتب والمصادر معنوية فهي تساعد على تخفيض التوتر النفسي والخوف . وقد يرجع اليها الطالب للتأكد من صحة قانون أو معادلة رئيسية سيستعملها في حل مسائل الامتحان . وقد يرجع الى تفاصيل بعض النظريات التى سيشرحها او يتأكد من صحة نص يريد ان يقتبسه ليؤيد به حجته .

٣ ـ منع الغش فالطالب حر بالرجوع الى ما يشاء من مصادر .

٤ ـ شعار دعاة هذا الامتحان هو معرفة قدرة الطالب على مواجهة مشاكل الحياة بنجاح وهم يرون ان الامتحان اشبه بمشكلة نلقاها في حياتنا اليومية . فكما نحن احرار في الرجوع الى من وما نشاء لحلها فكذلك يجب ان تتوفر الحرية في الامتحان للرجوع الى ما يلزم من مصادر وهذا يعنى ان وظيفة المدرسة ليست تحفيظ المعلومات بل تعليم الطالب وتعويده الاهتداء الى المراجع الضرورية واتقان تطبيق المعلومات او استعمالها .

د ـ الامتحان البيتى Take Home Examination هذا النوع على الأغلب في الجامعات او المراحل العليا من التعليم عندما تكون بصدد تطبيق المعرفة وعندما يكون هناك اساتذة قديرون يستطيعون التمييز بين التلاميذ بدقة وذلك من خلال مناقشاتهم وامتحاناتهم السابقة والتقارير التى يرفعونها . ويمكن هذا الامتحان المدرسى من اصابة عصفورين بحجر واحد . فهو يوفر الحصص للتدريس ، ويحمل الطالب على التعليم ، فالمدرس يعطى التلميذ الاسئلة ويمنحه مهلة كافية قد تمتد اسبوعا مما يمكنه من الرجوع الى المكتبة والاتيان بجواب كامل .

هـ ـ الامتحان المبرمج Programed Examination يهدف هذا الامتحان الى تعليم الطالب فى نفس الوقت الذى يمتحن فيه وذلك بايقافه على خطئه في الحال واعطائه الجواب الصحيح في نفس الوقت اما الحكم على مقدرة الطالب فهو أمر متروك له ، فاذا آنس من نفسه عدم الكفاءة عاد الى المادة يطالعها من جديد ويركز على الاجزاء التى اظهر الامتحان قصوره فيها .

واسئلة هذا الامتحان هي اسئلة موضوعية او حديثة ، تعرض على الطالب بواسطة آلة كهربائية ويبدى الطالب موافقته أو معارضته لمضمون جمله أو يختار الجواب الصحيح من بين اربعة اجوبة متشابهة وذلك بواسطة ازرار كهربائية ، وللتأكد من سلامة اختياره يضغط على زر آخر فتظهر له الآلة الجواب الصحيح وفي نفس الوقت يكون هناك عداد يحصى اخطاء التلميذ ويعطيه علامته النهائية .

وقد تعرض الاسئلة او الجمل في بضع صفحات متتابعة بحيث يوجد السؤال او الجملة على الصفحة الاولى مع اجوبة احدها صحيح ، كما يوجد الجواب الصحيح بمفرده ايضا على هامش الصفحة الثانية وبعد ما يختار الطالب الجواب يقلب الصفحة وينظر في الهامش ليرى هل كان اختياره صحيحا أم لا . وهناك كتب مبرمجة تستعمل بالاضافة الى الكتب المقررة لتكون عونا

للطالب وموجها له في دراسته. ونظرا لان الهدف هو تعليم الطالب كما اسلفت فان الالات الممتحنة اصبحت تعرف بالالات المعلمة Teaching Macgines والكتب المصممة على شكل اختبارات مبرمجة اصبحت تعرف بكتب التعليم المبرمج Programed Instruction او التعلم المبرمج Programed Learning ويعتقد ان وسائل التعليم المبرمج والتلفزيون التعليمي ستؤدى في المستقبل الى اختفاء المدرسة وستتولى الاسرة من جديد وظيفة تربية الطالب وتعليمه وذلك بعد ان تبرمج المواد الدراسية على قياس واسع وتنتج الافلام التعليمية التى سيمكن استعمالها في تلفزيون الاسرة بعد ادخال تعديل طفيف عليه .

مقارنة بين الامتحانات المقالية والموضوعية

١ ـ الامتحانات المقالية اقل ثباتا وصدقا من الامتحانات الحديثة أو الموضوعية .

٢ ـ وهى تشجع الحفظ والتذكر بينما تشجع الامتحانات الحديثة الفهم والتعرف والتطبيق ولكن ذلك يتوقف على قدرة مصمم الفحص .

٣ ـ وتصحيحها شاق ويستغرق وقتا طويلا فتصحيح الورقة الواحدة قد يستغرق من ١٥ ـ ٣٠ دقيقة أما تصحيح اجابة امتحان حديث فلا يتعدى دقيقة واحدة .

٤ ـ وتمكن الطالب من تغطية جهله وذلك بالتحايل في الاجابة أو اللف والدوران حول الموضوع دون الاجابة على السؤال أما الامتحانات الحديثة فلا تسمح بذلك اذ انها تتطلب منه ان يختار الجواب الصحيح فقط .

٥ ـ وفيها تلعب الصدفة دورا كبيرا . فالامتحان المقالي يتالف احيانا من سؤال او بضعة اسئلة يحدث ان يكون معظمها من جزء من المادة يجهله الطالب فيرسب ، أو تكون من ذلك الجزء الذى يتقنه فينجح . وبعبارة أخرى ان الاسئلة ليست موزعة توزيعا عادلا على مختلف اجزاء المنهاج . وهذا لا يحدث في الامتحانات الموضوعية اذ ان اسئلتها لاتقل عن الخمسين مما يمكنها من تغطية كل نقطة في المنهاج . لكن الصدفة تلعب فيها دورها عند اختيار الصحيح . وهذه المشكلة تعالج عادة بتحذير الطلاب من التخمين وخصم علامة على كل جواب خاطىء مما يجبر الطلاب على الاختيار عن علم ومعرفة فقط .

٦ ـ ومن ميزاتها انها سهلة الوضع فالمدرس يضع الامتحان في بضع دقائق بينما يحتاج الى عدد كبير من الساعات ليصمم امتحانا حديثا .

٧ ـ وهى اقتصادية من حيث التكلفة المادية . المدرس يكتب اسئلته على السبورة ويجيب عليها الطلاب اما الموضوعية فتحتاج الى كمية كبيرة من الورق ولا بد ان تطبع طباعة دقيقة .

٨ ـ وتمنح الطالب حرية في التعبير عن فرديته بواسطة الكتابة اما في الامتحانات الحديثة فان الطالب يفقد حريته تقريبا اذ تصبح مقصورة على اختيار الجواب الصحيح فقط ولعل هذا ينسجم مع غرض الامتحان وهو قياس ما هو مشترك بين الطلاب او مدى اتقانهم للمادة وقدرتهم على تطبيقها .

متى تستعمل الامتحانات المقالية

١ ـ اذ كان عدد الطلاب صغيرا بحيث لا يتعدى العشرة تقريبا . ان الاسئلة المقالية سهلة الوضع صعبة التصحيح فاذا كان عدد الاوراق قليلا فان الوقت المنفق في تصحيحها سيكون اقل من الوقت المنفق في تصميم الامتحانات الحديثة .

٢ ـ اذا كنا لن نستعمل نفس الامتحان مرة أخرى . اما اذا كنا سنستعمله مرارا وتكرارا في السنوات القادمة مع بعض التغيير ليلائم الظروف فتفضل الامتحانات الحديثة .

٣ ـ عندما لا يكون هناك وقت لتحضير الفحوص الحديثة أو لا توجد ميزانية لذلك .

٤ ـ ومتى اراد الفاحص ان يتعرف ايضا الى خبايا نفسية الطالب واتجاهاته واهتماماته ولكن الطالب قد يغرر بالفاحص ويظهر خلاف ما يبطن لا سيما اذا كان يعتنق آراء وأفكارا سياسية تتعارض مع ما هو مقبول وكان الامتحان في مواد فلسفية واجتماعية .

٥ ـ اذا أراد المدرس تعويد الطالب على الكتابة والتعبير عن افكاره ضمن وقت محدد .

٦ ـ واذا كان الطلاب كبار السن وقادرين على استعمال اللغة اما اذا كانوا صغارا فتفضل

الامتحانات الحديثة نظرا لقلة محصولهم اللغوى .

٧ ـ اذا كان المدرس او الفاحص يهدف الى تصنيف الطلاب تصنيفا غير دقيق كتقسيم الفصل الى فئات ممتازة واخرى متوسطة وثالثة ضعيفة. اما اذا كان يهدف الى ايجاد رتب الطلاب (أول ، ثان ، ثالث .... الخ) . او تشخيص ضعفهم في المادة او انتخاب اكفاء الطلاب للترشيح لبعثة او الحصول على مكافاة فيفضل استعمال الامتحانات الحديثة نظرا لدقتها وموضوعيتها .

٨ ـ اذا كان الحصول على النتيجة أمرا غير مستعجل وكان الوقت المتبقى كافيا للتصحيح . اما اذا لم يكن هناك وقت أو كان عدد الطلاب غفيرا كما هو الحال في الامتحانات العامة بحيث يقتضي التصحيح تجنيد قوى بشرية هائلة لتنتهى في الوقت المحدد فان الامتحانات الحديثة تفضل اذ انها بمساعدة بعض الالات وبضعة اشخاص تعطينا النتيجة في اليوم نفسه .

تصحيح الامتحانات

تسير لجان التصحيح في الامتحانات العامة وفق قواعد مرعية تقلل من ذاتية المصحح ، اى انها تحد من الهوى الشخصى وعدم موضوعية المصححين . اما مدرس الفصل فهو رقيب نفسه وغالبا ما يتبع هـواه وهذا يضـعف ثقتنا بنتائجه واحكامه . ويعالج هذا العيب عادة اما بتصميم الامتحانات على الطريقة الموضوعية فلا يختلف في تصحيحها اثنان او اتباع ما يلى .

١ ـ اخف اسم الطالب حتى لا تتاثر بفكرتك عنه . اطلب منه ان يكتب اسمه على طرف ورقة الاجابة ثم اثنه ودبسه أو الصقه بالورقة ولا تفتحه الا بعد التصحيح أو عند توزيع الاوراق .

٢ ـ ضع قواعد للتصحيح ، اى حدد كم درجة أو علامة يستحق كل جزء من جـواب السؤال الواحد .

٣ ـ يستحسن ان تاخذ شيئا واحدا بعين الاعتبار عند التصحيح كصحة المعلومات مثلا . اما الغلطات الاملائية والنحوية فاتركها لمدرس اللغة ولا تحاسب التلميذ عليها ولكن يفضل ان تلفت نظر الطالب اليها اذا كنت ستعيد اليه الاوراق .

٤ ـ قرر منذ البدء نوع الطريقة التى ستتبعها في التصحيح هل سيكون تصحيحك تحليليا اى يهتم بالتفاصيل ويحاسب عليها أم تصحيح الطباع فاذا كان الاخير فاتبع ما يلى .

أ ـ اقرا الاوراق ثم صنفها الى ثلاثمجموعات : ممتازة ، متوسطة ، ضعيفة .

ب ـ خذ كل مجموعة او كومة واعد قراءتها ثم صنفها الى ثلاث مجموعات ايضا كما فعلت في الخطوة السابقة .

جـ ـ قارن الكومة الثالثة بالرابعة وغير وضع بعض الاوراق من كومة لاخرى لتكون في مستواها الصحيح . افعـل ذلك في الكومتين السادسة والسابعة ثم اعط كل كومة علامة مثل ممتاز ، جيد جدا ، جيد ، فوق الوسط ، وسط ... الخ

٥ ـ اذ كان تصحيحك تحليليا فاتبع ما يلى :

أ ـ اقرا جواب سؤال واحد في جميع الاوراق لترى هل ذكر بعض التلاميذ نقاطا لم تخطر على بالك ومن ثم عدل سلم التصحيح او قواعده . ابدا بتصحيح ذلك السؤال فقط في جميع الاوراق والق نظرة بين الحين والاخر على سلمك ثم عد الى الاوراق التى صححتها في البدء لترى هل لا تزال تستعمل نفس السلم .

ب ـ اتبع نفس الطريقة في تصحيح اجابة كل سؤال .

جـ ـ ضع الاوراق جانبا ثم اعد النظر فيها بعد يوم أو اثنين .

٦ ـ حلل علاماتك احصائيا لتكشف عن مدى مناسبة الفحص للطلاب . استخـرج متوسـط العلامات مثلا ، فاذا كان يقل عن ال ٥٠٪ بكثير او كان معظم الطلاب دون المتوسط فان الامتحان صعب ، ونفس الشيء يقال اذا كان معظم العلامات منخفضا . اما اذا كانت العلامات عالية فمـن المحتمل ان الطلاب غشوا أو أن الامتحان سهل اى انه دون مستوى الطلاب أو انهم طلبة متفوقون . وبالطبع ان مدى التحليل ودقته يتعلق بمعرفتك بالاحصاء . ■■

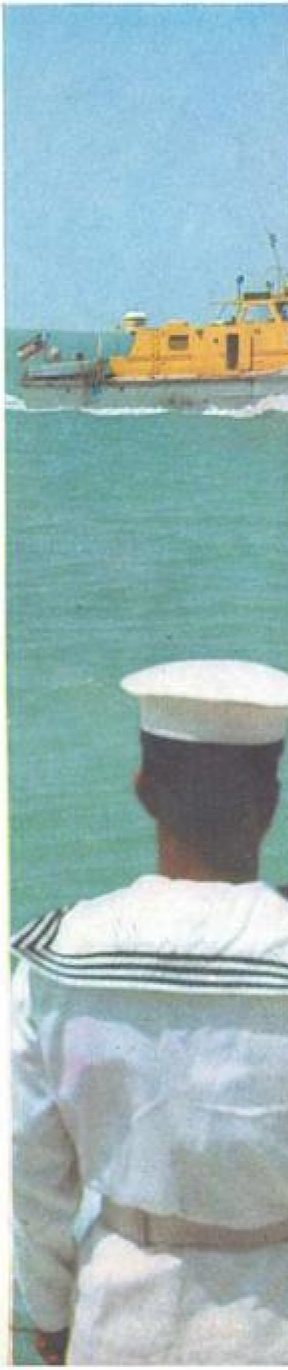
سبع ابو لبده

استطلاع الكويت



العيون الساهرة التي تحمي سواحل الكويت

تصوير
عبد الناصر شقرة



خفر السواحل

عمره ٣٠ عاماً



الى أعلى : بعض قطع أسطول اللنشات الحديثة الخاصة بخفر السواحل الكويتي وهي تجوب مياه الكويت الاقليمية في رحلة روتينية من رحلاتها المستمرة **والى أسفل** اللنشات بعد عودتها الى قاعدتها في الميناء .



الزمان : ليلة عاصفة من ليالي شهر ديسمبر عام ١٩٦٩ .

المكان : سفينة شراعية صغيرة فى عرض الخليج العربى ، وعلى وجه التحديد فى الشمال الشرقى من الخليج بين جزيرة بوبيان وجزيرة « وربة » داخل المياه الاقليمية لدولة الكويت .

كان الخليج العربي في هذه الليلة ، على غير عادته ، لا يتمتع بالهدوء والسكون ، الرياح عاصفة عاتية والامواج تتلاطم هادرة وهي تتقاذف السفينة الصغيرة من كل ناحية ، وعلى سطح السفينة كانت هناك حركة غير عادية الربان والبحارة يحاولون جاهدين السيطرة على سفينتهم امام غضب الطبيعة القاسي ، والامواج الهادرة العالية كالجبال تصطدم بعنف وقوة مع هذه السفينة الصغيرة وكانها تريد أن تمزقها اربا .. ومع اشتداد الرياح وقسوة الامواج فقد البحارة سيطرتهم على سفينتهم وبدأ شبح الموت يلوح فى ظلام الليل مع كل موجة من موجات البحر .

وبدأت اشارات الاستغاثة تتردد من السفينة كمحاولة أخيرة لعل المعجزة تحدث وتأتى النجدة من اى طريق .

واستجاب الله لدعاء بحارة هذه السفينة التى اوشكت على الغرق .. فقد استطاع رجال خفر السواحل في الكويت التقاط اشارات الاستغاثة

وعلى الفور انطلقت سفنهم السريعة وعلى ظهرها فرق الانقاذ المدربة لكى تتولى انقاذ ارواح بحارة السفينة الغارقة .

ووسط الامواج العاصفة . وتحت اقسى الظروف استطاع هؤلاء الرجال البواسل تادية واجبهم الانسانى وتم انقاذ عشرات الارواح من موت محقق .

قصة خفر السواحل الكويتي

ولهؤلاء الرجال البواسل قصة تبدأ منذ اكثر من ٣٠ عاما .

فالكويت بحكم موقعها على الخليج العربى بلد بحرى ، وتتبعه ايضا عدة جزر تقع في الخليج ، ومن أهم هذه الجزر فيلكا وهى ماهولة بالسكان ، وبوبيان ، ووربة ، وكُبَّر ، وقاروه ، وأم المرادم .. وغيرها من الجزر الصغيرة التى تقع امام شواطىء الكويت .

وفي عام ١٩٣٩ قامت السلطات في ذلك الوقت بوضع أول لبنة في بناء سلاح خفر السواحل الكويتي .. وكانت هذه اللبنة الاولى تتمثل في « لنش » واحد يقوم بعمليات الدورية لحماية الساحل الممتد امام مرفأ البضائع من التهريب . وكان أفراد هذا اللنش هم اول نواة لخفر السواحل في الكويت وكانوا يتبعون دائرة الامن العام .

وبدأت عجلة التطور وأصبح اللنش لنشين ، فثلاثة .. وهكذا .

وجاء عام ١٩٤٨ ووجدت دائرة الامن العام

هنا مقر قيادة خفر السواحل في الكويت ومن هذا المقر يتم توجيه القطع البحرية والاتصال بها في كل قواعدها وفي عرض البحر .





قائد خفر السواحل ونائبه يقومان بتفتيش سلاح بعض افراد القوة وهى عملية تتم بين حين وآخر

نفسها مضطرة الى ايجاد سلاح بحرى لحماية الكويت من المتسللين عن طريق البحر وحماية السواحل من المخالفات الجمركية .. وهكذا بدا خفر السواحل يتسع ويتطور منذ ذلك الحين .

ولكن التطور الحقيقى بدا في عام ١٩٥٩ عندما تم توحيد دائرتي الشرطة والأمن العام في دائرة واحدة سميت دائرة الشرطة والأمن العام تحت رئاسة سعادة الشيخ سعد العبد الله السالم الصباح وزير الداخلية في الوزارة الحالية .

وبدأ التطور

ويتحدث اللواء عبد اللطيف الثويني وكيل وزارة الداخلية عن قصة تطور خفر السواحل في الكويت فيقول : « لقد اولى معالي الشيخ سعد العبد الله السالم الصباح عنايته لقوة خفر السواحل فقام بالعمل على تطويرها وتم تزويد خفر السواحل بقطع بحرية حديثة تتميز بالسرعة والقدرة على تحمل التقلبات الجوية والرياح والعواصف .

ولا تزال قوة خفر السواحل في دور التطور والاتساع .

وقد تم انشاء مراكز برية لهذه القوة على طول السواحل الكويتية لمساندة القوة البحرية في حماية السواحل من التهريب ومن اية اغراض منافية للقوانين .

وهناك قواعد لسفن خفر السواحل في جزر الكويت المختلفة وكذلك نقاط اتصال لاسلكية لتسهيل مهمة الدوريات وتمكين القيادة من ايصال اوامرها الى كل سفينة من سفن السلاح ومراقبة حركات السفن » .

دور هام

واستطرد وكيل وزارة الداخلية في حديثه عن خفر السواحل فقال :

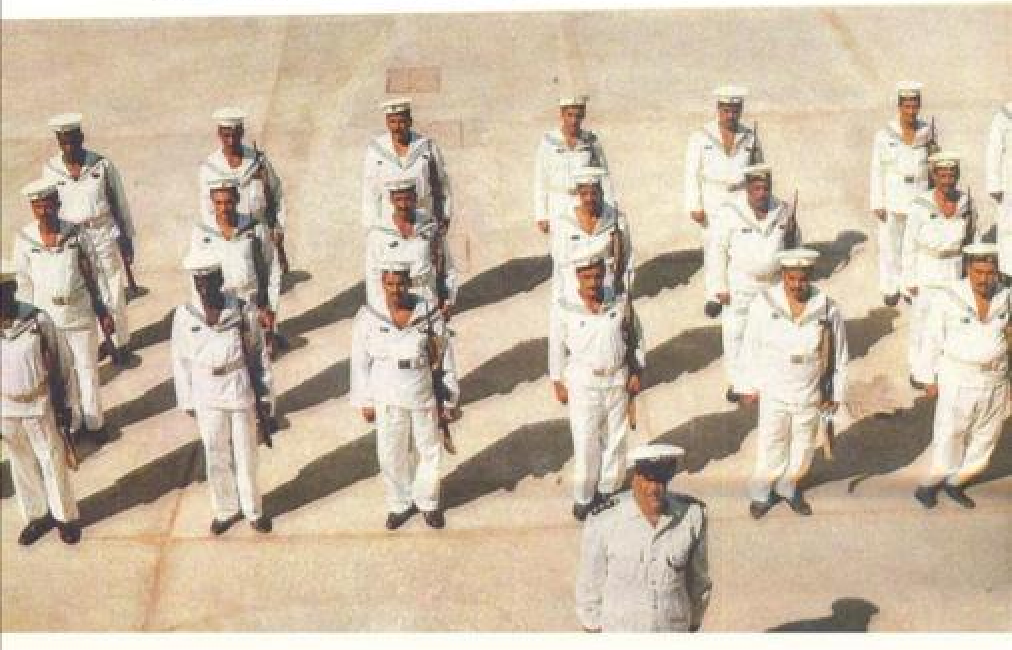
« لقد لعب خفر السواحل ، كقوة من قوى وزارة الداخلية القائمة على حماية البلاد ، دورا



واحد من القطع البحرية لخفر السواحل يمخر عباب الخليج العربي انه مزود باجهزة اللاسلكي والرادار ومعدات الانقاذ .

● ● ●

طابور الصباح يبدأ به العمل صباح كل يوم في الفناء الواقع داخل مقر قيادة خفر السواحل بالشويخ .





القطع البحرية لخفر السواحل لها قواعد في أغلب جزر الكويت ، وهي دائما في حالة استعداد للانطلاق لتأدية واجبها .



غرفة القيادة في احد القطع البحرية لخفر السواحل .. وتتميز هذه القطع الحديثة بسرعتها الفائقة التي تصل الى ٢٥ ميلا بحريا في الساعة.





السيد عبداللطيف الثويني وكيل وزارة الداخلية يروي قصة تطور خفر السواحل في الكويت .

واسطول اللنشات الحديثة الذي يعمل الان هو من احدث اللنشات البحرية التي تستطيع ان تصل سرعتها الى ٢٥ عقدة بحرية في الساعة وهي سرعة كبيرة ، وكذلك تستطيع ان تتحمل التقلبات الجوية وكل لنش مزود بطاقم مدرب على عمليات الانقاذ البحري . وكذلك على العمليات البحرية العسكرية .

تدريب قاس ولياقة تامة

وهناك شروط كثيرة يجب توافرها في كل فرد من افراد خفر السواحل في الكويت . واهم هذه الشروط اللياقة البدنية الكاملة .. والالمام بالفنون البحرية .. ويتم اختيار افراد هذا السلاح من بين المتفوقين في مدرسة الشرطة ثم يتم بعد ذلك تدريبهم تدريبا خاصا لكي يصبحوا بعدها جنودا في خفر السواحل الكويتي .

أهمية خفر السواحل

وخفر السواحل يعتبر جهازا من اهم اجهزة الامن في الكويت ذلك البلد البحري الذي تمتد حدوده الساحلية بطول البلاد كلها . وعلاوة على ان رجال خفر السواحل يمثلون العين الساهرة على امن هذه السواحل فانهم مكلفون ايضا بمهام اخرى كثيرة .

ومن هذه المهام حماية الثروة السمكية في مياه الكويت ، فبعد دراسات قامت بها الجهات المسئولة عن الثروة السمكية في المياه الاقليمية بالكويت وجد ان هناك اماكن معينة داخل هذه المياه يجب ان يمنع الصيد فيها لكي تتوالد فيها الاسماك وذلك حماية للثروة السمكية من الانقراض . وفعلا تم تحديد هذه الاماكن التي يحظر فيها الصيد ، ولكن ظل الكثيرون من الصيادين يقومون بالصيد في هذه المناطق المحرمة .. وهنا يجيء دور رجال خفر السواحل ودورياتهم البحرية فهم مكلفون بتنفيذ ومراقبة امر منع الصيد في المناطق المحرمة. وكثيرا ما يقوم هؤلاء الرجال بضبط مراكب الصيد الشراعية الصغيرة وهي تقوم بالصيد في هذه المناطق الممنوعة ، وقد ادت مثابرة دوريات خفر السواحل على ضبط المخالفين من الصيادين الى

هاما في الضرب على ايدي من تسول لهم انفسهم مخالفة القوانين ، وعلى الأخص قوانين الهجرة والاقامة ، فقد قام خفر السواحل بصد وضبط اكثر حوادث التهريب ومخالفة قوانين الهجرة . ولا يقتصر دور رجال السواحل على تنفيذ القانون بل يتعداه الى دور انساني كبير وهو انقاذ السفن التي تتعرض للغرق في مياه الكويت الاقليمية وقد قام رجال السواحل بانقاذ كثير من السفن الشراعية الصغيرة داخل مياهنا الاقليمية . وكان لهذه القوة الفضل الاكبر في انقاذ ارواح بحارة هذه السفن».

رحلة في مياه الخليج

وقامت بعثة « العربي » برحلة مع بعض سفن خفر السواحل .. انها رحلة روتينية تقوم بها دوريات خفر السواحل ليل نهار .

كل قطعة من قطع الاسطول البحري الذي يتكون منه هذا السلاح لها منطقة معينة تقوم فيها بدورياتها .. وكل سفينة مجهزة بأجهزة رادار حديثة تساعدها في عملياتها المكلفة بها . وكل سفينة بها حجرة للاسلكي تربطها بقطع الاسطول الاخرى كما تربطها ايضا بغرفة اللاسلكي الرئيسية في قيادة السلاح.وعن طريق الاتصال اللاسلكي يتم التنسيق بين الوحدات البحرية وبين القيادة وبين المراكز الارضية لخفر السواحل في جزر وسواحل الكويت .

التقليل من حوادث الصيد في المناطق الممنوعة . وبذلك ادى خفر السواحل خدمة جليلة بالنسبة للثروة السمكية للبلاد .

والتهريب ايضا .. !

وكما يحمى رجال خفر السواحل الثروة السمكية يحمون ايضا اقتصاديات البلاد بمنع التهريب على طول سواحل الكويت . فبالرغم من ان الكويت بلد مفتوح تجاريا والرسوم الجمركية المفروضة على البضائع المستوردة الى الكويت تعتبر من اقل الرسوم في العالم تقريبا ، مما يجعل الكويت اشبه بالاسواق الحرة .. فبالرغم من هذا فان هناك بعض النشاط في التهريب عن طريق البحر وخاصة تهريب المواد التى يحظر القانون استيرادها او ادخالها الى البلاد بطريقة مشروعة .

ويقوم رجال خفر السواحل بمطاردة المهربين وضبط المواد المهربة الى البلاد . وقد كان لجهودهم اكبر الاثر في الاقلال من محاولات التهريب عن طريق الحدود الساحلية للكويت .



جهاز رادار حديث يوجد في كل لنش من لنشات خفر السواحل الحديثة .

فى قيادة خفر السواحل

وفي مبنى حديث بالقرب من مياه الخليج في منطقة الشويخ يقع مقر قيادة خفر السواحل .. ويقوم رجال السلاح بطوابير الصباح في فناء كبير يقع داخل المبنى .. كما يضم المبنى غرفة ضخمة تضم اجهزة اللاسلكى التى يتم بها الاتصال بين القيادة ووحدات السلاح التى تتكون اما من وحدات بحرية او مراكز برية في جزر الكويت وعلى سواحلها .

العقيد عثمان عبد الله الايوبى قائد السلاح وذكريات ٣٠ عاما في خفر السواحل .



وتحدث العقيد عثمان عبد الله الايوبى قائد خفر السواحل عن ذكرياته عبر ٣٠ عاما قضاها في خفر السواحل منذ ان انشيء حتى الان فقال :

« لقد بدانا بلنش واحد واليوم اصبح لدينا ١٧ لنشا حديثا كلها مزودة بالرادار واللاسلكى . واصبح لدينا مراكز برية في الجزر الواقعة في مياهنا الاقليمية ، ولدينا الان ايضا ضباط فنيون وجنود مدربون احسن تدريب .. ان خفر السواحل اليوم يؤدى واجبه على اتم وجه . فهو يقف كالطود امام اية محاولة لخرق قوانين الكويت .. وهو الحارس الامين لسواحل هذا البلد » .. ■■



مسلمات خالدات

أم أنس بن مالك

بقلم : سنية قراعة

■ قريش السادرة في غيها وضلالتها ، مازالت تلهث ، وقد انطلقت تعدو في جنون لتختار نفس الطريق الشائك الذى تعودت سلوكه منذ أجيال .

كانت تشعر انها في السنام من العرب اجمعين ، وانه أبيح لها بحكم هذا المركز المعنوى الضخم ما لم يبح لغيرها من العالمين ، فعكفت على انطلاقها الجنوني في طريق التردى الذى تعشقته بالروح والوجدان .

واذا كانت ارادة الحق تبارك وتعالى قد اقتضت ان ينطلق صوت الداعية من قلب قريش ، فانها ارادت في نفس الوقت أن تكون بين ظهرانى" هذا المجتمع المتردى قلوب" تعشق الخير وتهوى الفضيلة لتستجيب للداعية وتستشعر جلال دعوته في احنائها، تتسارع اليه وتلتف حوله وتكون عونه وساعده .

وحل اليوم الموعود .. واسفر الزمن عن مطلعه السعيد في موعده الذى اراده الحق .

وانطلق صوت محمد ينذر عشيرته الاقربين ويدعوهم الى الوحدانية والهدى .

واستجاب الرعيل الأول من المسلمين والمسلمات لدعوة محمد ، ولم يأبهوا لغضب سفهاء مكة واشرارها ، ولم يقيموا وزنا لغضبة الاهل وثورة العشيرة ، لانهم كانوا يطمعون في رضوان الله ويتمنون أن تكون لهم الجنة التى اعدت للمؤمنين الصادقين ..

ومن هذا الرعيل الاول كانت « أم سليم » بنت ملحان بن خالد .

لقد وجدت أم سليم في دعوة الاسلام صدى لمشاعر كانت تحسها في اعماقها ، فلا عجب ان استجابت لهذه المشاعر وهي التى طالما آمنت بان احساسها دائما كان احساس الصدق ، وان شعورها لم يكذبها طول حياتها وان قلبها ماهداها لغير الحق .. فلا عجب ان اسرعت تدخل في دين الله دون أن تهتم بما كان يحدث في تلك الاونة من ثورة على المسلمين .

آمنت أم سليم بنت ملحان بدعوة الاسلام ، وامتلأ بنورها ذلكم القلب الكبير فشعرت بالطمأنينة واحست أنها اهتدت الى ما قد ظلت تبحث



عنه طويلا وبلا جدوى . وكانت كلما طال بها البحث وتشعبت سبله احست انها لم تصل الى ما كانت ترجوه وتريده.. اما اليوم فقد أحست ـ والراحة تشملها والهدوء يغمر عواطفها ـ ان سفينة بحثها الضالة قد اهتدت اخيرا الى مرساة الامن وشاطىء الخلاص الذى طالما كانت تحلم بالوصول اليه لتثب منه الى الارض الصلبة .. وعلى هذه الارض تستطيع ان تبدا حياتها المستقرة في ظل عقيدة ورعاية دين قويم .

لقد كان دخول ام سليم في حظيرة الايمان بالله وحده ، ضربة قاضية ، لم تصدع احلام عشيرتها واهلها فحسب ، بل كادت تفقد زوجها « مالك ابن النضر » صوابه..وهو يفكر في المركب الصعب الذى تخيرته زوجته ! ويعجب كيف ارتضت هذا الامر وقبلته وحدها ولم تشاركه الرأى او تستشيره فيه !

كان مالك بن النضر يكره دعوة الاسلام من صميم قلبه وكان مع الفئة الباغية التى تربصت بمحمد ومن تابعوه ، وانه اليوم وبعد أن علم بدخول زوجته في دين محمد يحار ويستشعر الثورة مرة والتخاذل مرات ، ثم لا يلبث أن يثور على تخاذله وحيرته ، ويزداد امتلاء قلبه بالحقد والضغينة ويصر على الانتقام ، ويقسم على أن ينال من محمد ومَن تابعوه ، لا لانهم سفهوا دين العشيرة وعابوا اربابها وفرقوا بين الولد وابيه والابن واهله ، بل لانهم عرفوا وبوسائلهم السحرية ان يصلوا الى قلب زوجته فطعنوه بهذا فى صميم بيته واوقفوه موقف الحائر الضعيف الذى ان حارب في الجبهة الخارجية ووقف مع السفهاء ضد المسلمين اتجهت اليه انظار الشامتين الساخرين وكانهم في صمتهم يقولون له ابدا بنفسك يا مالك بن النضر وقوّم اهل بيتك وازجرهم زجرا شديدا .

وصمم مالك بن النضر في نفسه أن يترك التعرض

لن تبعوا محمدا من المستضعفين والرقيق وبعض فقراء مكة . واصر فعلا على أن يبدا بنفسه وان يقوم ما تهدم من بيته بان يعيد زوجته أم سليم الى دين آبائها وأجدادها مرة أخرى . واقبل عليها بالوعيد والتهديد ، فسخرت منه ولم تهتم بكيده وردته عنها ردا غليظا ، ووقفت في وجهه وقوف الصخرة العاتية امام الاعصار المدمر ، الذى تكسرت حدته عندها ولم يستطع ان ينال منها شيئا على الاطلاق .

كان مالك بن النضر يؤمن أن زوجته الشريفة العالية النسب لن تكون أوهى عقيدة ولا أضعف ايمانا من سمية أم عمار ولا من عمار نفسه وابيه ياسر .. هذه العائلة الصغيرة التى لم تستطع قريش برهبوتها وبطشها وجموعها ان تحول واحدا منها عن معتقده او تصرفه عن دينه او ترغمه على ان يعيب دين محمد !

كان مالك بن النضر يعرف في زوجته أم سليم انها لا تؤمن بغير اقتناع .. وانها حين دخلت في دين محمد دخلته عن عقيدة ورغبة .. وما كان لمثلها ان تتحول عما آمنت به واحبته .. فكيف يستطيع ارغامها ؟ بل كيف كان له ان يقف امام زوجته الغالية التى كان يحبها من كل قلبه ويتمنى رضاها ويود لو يدفع حياته ثمنا لهذا الرضاء متمنيا أن تعود اليه مرة أخرى وقد نسيت الاسلام ودعوة الوحدانية .

وحاول مالك بن النضر مع زوجته أم سليم بشتى الوسائل أن يردها فلم يستطع ولم يجد التهديد فتيلا فعاد الى الملاينة والوعد الحلو والكلمة الطيبة وأم سليم تأبى أن تصغى اليه او أن تستمع له ..

وكما كان يؤمن مالك بن النضر بان واجب الزوج يفرض عليه ان يحاول بشتى الطرق ليعيد زوجته الى دين أهلها كذلك كانت أم سليم ترى انه عليها أن تحاول اقناع زوجها بان يدخل في دين الله ويؤمن مع جموع المؤمنين ويشترى الجنة وان يسير في طريق الهدى .

وراح كل من الزوجين يحاول مع صاحبه بشتى الوسائل وهو يرجو أن ينتصر .. حتى لقد طال الجدل والصراع بينهما وبلغ الذروة التى ارغمت مالك بن النضر على التراجع وقد احس انه امام قمة لن يستطيع أن يصل اليها ! وان ينال منها ، وانه من الخير له ان يفر من الجدل فهو اضعف من أن يثبت أو أن يقاوم ..

وانقلبت الآية وراحت أم سليم تحدث زوجها مالك بن النضر عن حلاوة الايمان .. عن رضاء الله وعن حلاوة طاعته .. وعن وعده الحق لمن دخلوا في دينه بانه لن تكون لهم الجنات في الآخرة فحسب ، بل ستكون لهم هذه الجنات في الدنيا حيث سيعظم امرهم وتعلو رايتهم ويعز دينهم .

وكان مالك بن النضر يصغى في ذهول الى حديث زوجته وهو يحس أن ما كان يسمعه هو الحق الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .. ولكن كيف كان يستطيع ان يخرج على اجماع العشيرة فيعيب ارباب اهله ويتنكر للعزى ويسب اللات ويسخر من هُبَل .

وهكذا وجد الرجل نفسه في موقف الحائر المرتبك الذى لا يدرى ماذا يفعل أو كيف يتلمس لنفسه طريقا للخلاص والخروج من هذا الموقف العصيب .. وانه ليصغى الى أم سليم زوجته وهى تقول له ساخرة :

ـ ويلك يا مالك بن النضر ، كيف تريد مني أن اترك جانب الحق وان أكفر بدعوة الصدق واتابعك على دين لا أساس له ولا وجود !

كان مالك بن النضر يطاطىء راسه وقد استشعر العجز والضعة والهوان .. ولكن كيف كان يسلم وهو الذى يشعر في صميم نفسه انه سيد البيت الذى يجب أن يأمر فيطاع ؟! كيف كان يسلم ويتخاذل متنازلا عن عالى مكانته مقرا لزوجته بما اقدمت عليه ؟!

ولكن الرجل أحس ومع مرور الايام أن محاولاته لن تجدى فتيلا ، فقرر بينه وبين نفسه ان يترك أم سليم وما آمنت به ، وليبق كل منهما في الجانب الذى اراده لنفسه لايعتدى على الآخر ولا يحب من الآخر أن يعتدى عليه .

ولكن حدثا جديدا فوجىء به الرجل ذات يوم فكاد يجن له ، فقد سمع زوجته أم سليم المجاهدة المسلمة تهدهد ولده أنس بن مالك وهو بين يديها وهي تلقنه الشهادتين وتقول للصغير (قل اشهد ان لا اله الا الله واشهد أن محمدا رسول الله) .

لقد جن جنون مالك بن النضر وثارت ثوائر نفسه ونوازع الشر فيها امام اجتراء زوجته ، كأنها كانت تمعن في حربه وقتاله وهي تروض الصغير على النطق بالشهادتين وتلقنه شهادة الوحدانية لتتغلغل في دمه وتسرى في عروقه مسرى الحياة .

كيف كان يرضى مالك لولده هذا الامر وهو الذى كان يطمع ان يجعله يقف في صفه على ان تعود هى بعد ذلك الى دين قومها مرة اخرى ؟

ولكنه اليوم ، وامام هذه الطريقة الجديدة من طرق الدعوة التى اتبعتها زوجته مع صغيرها انس، يشعر انه امام اصرار جديد وسلاح جديد من اسلحة القضاء عليه ، فلا يجد غير ان يصيح في أم سليم ان تترك ولده الصغير وشأنه وان لا تحاول ارهاق مسامعه بكلمات لايفهم عنها شيئا .. ولكنها كانت تصر على المضى في طريقها الذى ارتضته مؤكدة لزوجها ان الصغير سيكون له شأن عظيم في غده ، وسيتنبه ذكره ويعظم خطره .. وان على الاب ان يترك ولده فليسا في حاجة اليه ؟ وانهما ليكرهان نصائحه ويبغضان وجوده معهما في هذا البيت الذى اصبحت الشريعة الاسلامية تقضى بانه لا عيش لواحد من الاثنين مع صاحبه بعد اليوم ، فلا أم سليم اصبحت تحل لمالك ولا مالك اصبح يحل لام سليم ، وانه لمن العار ان يضمهما سقف واحد !

ولما اعيت الحيلة مالك بن النضر واعجزه ان يقف في وجه زوجته او ان ينتزع منها ولده لم يجد غير أن يفر هاربا ، لا من البيت بل من هذه القرية بأسرها ، وان يبتعد ما امكنه الابتعاد وان يحاول الاختفاء عن عيون الشامتين الساخرين ليوفر على نفسه ما كانت تحسه من الم وعذاب، وليقضى العمر كما ارادت له نفسه الظالمة بعيدا عن زوجته التى كان يحبها وولده الوحيد الذى كان يتمنى أن ينشأ على غراره ويسير سيرته ، ولكن الامر افلت من يديه فلم يجد غير التسليم والاقرار بالهزيمة !

★ ★ ★

وهكذا خرج مالك بن النضر الى الشام هائما على وجهه لا يدرى هل يغامر في تجارة يسرى بها عن نفسه وينمى ماله أم يقضي ما تبقى له من عمر في ركن بعيد لا يشعر باحد ولا يشعر به أحد ؟!

وراح يناقش الامرين ، واذا به يسخر من نفسه وقد أوحت اليه أن يعمل على تنمية ماله ! فلمن ينمى هذا المال ولمن يكثره وولده الذى سيصبح من التابعين مع غده كما تحلم امه لن يكون في حاجة الى المال ولا الى ميراث ابيه الذى سيبرأ منه ويباعده ويتنساه !

واذا ، فليصرف مالك بن النضر همه الى الفكرة الثانية وهى ان يقضي العمر في ركن بعيد متعزل حتى يوافيه الاجل . .ولكن كيف كان لرجل مثله عالى الهمة أن ينسى وجوده وينكر شخصيته وان يرضى المهانة بان يقبل العيش بعيدا عن الناس ، مقهورا ، برضاه ، مغلوبا على امره بكامل رغبته وهو الذى يحس بان عليه أن يستعيد بناء نفسه وينتقم لامسه ويعوض عليها ما فاتها فهو وان كان قد هزم في عقر داره فيجب عليه أن يحقق نصرا .. اى نصر يفيء الى ظله ويعيش ما تبقى من عمره في ظلال ذكرياته .

وراح مالك بن النضر يغامر بسيفه في مهجره الجديد .. واذا بعدو يتربص به ذات مرة ويتمكن منه فيقتله ويخلصه من أوصاب الحياة .

★ ★ ★

وهكذا وبعد أن اختفى الى الابد مالك بن النضر وجدت أم سليم بنت ملحان نفسها وقد خلصت لأمور دينها ثم شواغل بيتها والاشراف على تربية وحيدها أنس بن مالك فاقبلت عليه تحدوه بالعطف وترعاه .

وذات يوم دق باب أم سليم وحين أسرعت تلبى نداء الطارق راعها أن وجدت نفسها امام ابى طلحة وقد جاء يخطبها .

وابتسمت أم سليم ابتسامة هادئة لم يلبث الفكر أن تشعب بعدها فى أكثر من مسار ، فهذا رجل من اشراف قومه جاء يطلبها لنفسه وهو من الكافرين المتربصين بدعوة محمد ، وموقفها منه معروف ولا شك .

ولكن هل كان لمجاهدة مسلمة عاقلة مثل أم

سليم ان تجعل مثل هذا الصيد الثمين يفلت من يدها دون أن تمسك به وتحاول معه محاولة قد تكون مجدية لصالحه وصالح دينها القويم !

كانت ام سليم تعتبر نفسها مجاهدة في سبيل الله بكل سلاح ، ولما كان الجهاد لاعلاء دين الله خاصة مع بداية الدعوة يتطلب من المسلمين أن يحاولوا جهدهم ضم من يثقون فيهم الى دعوة الوحدانية ليكثر عدد اتباعهم وجدت ام سليم نفسها امام شريف من أشراف مكة ، لو افلحت في ضمه الى حظيرة الاسلام ، لكان في هذا ربح أى ربح. فلماذا لا تحاول والرجل اليوم ببابها وقد جاء يطلبها وهو امام الحاجة في طلبها يفكر بعقله ويحتكم الى قلبه . ويتمنى لو تسعده ظروفه فتكون أم سليم له .

انها فرصة حرام أن تضيع وفي ظروف موانية مثل هذه الظروف ولا بأس من أن تبدأ المجاهدة المسلمة جهادها من ناحية العاطفة وكيفية استغلالها لتجتذب عددا من أعداء الاسلام الى حظيرةالاسلام.

وعاد أبو طلحة وقد راعه صمت أم سليم ـ عاد يطلب يدها من جديد وقد كبر في نفسه أن تظل على صمتها لفترة طويلة دون أن تتنازل بالردعليه، حتى لقد ظن أن في صمتها هذا ما يعني تصغيرها لشأنه وعدم اهتمامها به .. واذا بالمجاهدةالمسلمة أم سليم تسرع لتقول له :

ـ يا أبا طلحة ! اصغ الى جيدا : لقد أتيت تطلب يدى ، وانه ليدهشني أن تتجاسر على التقدم بمثل هذا الطلب وأنت تعلم ما بيني وبينك ، فأنا مسلمة ، وأنت تكفر بالاسلام ، ودينى يحرم على أن أتزوج رجلا يعلم أن الهه من حجر ، لا يضره ولا ينفعه ، أو خشبة يأتى بها النجار فينجرها له .. هل يضرك هذا الحجر أو تنفعك تلك القطعة وهى من خشب .. أيها الرجل العاقل ألا تشعر بالخزى والعار عندما تحتقر عقلك الواعى فتنزل به الى هذه الدرجة ، فتقبل على ممارسة مثل هذه العبادة ! يا أبا طلحة انني أرحب بالزواج بك في حالة واحدة هى قبولك الدخول في دين الله واعتناقك الاسلام وذلك هو الصداق الذى بيني وبينك ..

وسكتت أم سليم وتولت أبا طلحة فترة صمت طويل ، راح قلبه يدق خلالها ، وراحت المرئيات تترى امام عينيه .. وجعل العرض السخى الذى عرضته المجاهدة المسلمة يفرض على نفسه تصورات جديدة .. ان أم سليم لا ترفض الزواج به ولا تشيح بوجهها عنه ، ولكنها تمد يدها اليه وهى لا تسأله غير أن يشهد بأنه لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله .

وكان من الطبيعي بعد هذا أن لا تطول بأبى طلحة حيرته فقد خلص الى الرأى الذى كان يؤمن به فعلا والذى طالما كان يروعه أن يبوح به .

وكاد قلب أم سليم يقفز من بين ضلوعها فرحا، فقد وصل جهادها الى ذروته ، وافلحت في جذب هذا الرجل ، عدو الاسلام الى حظيرة الاسلام الذى دخله بكامل رضاه فتزوجته وكان صداقها اعلان الرجل اسلامه !!

وبقيت أمسليم بنت ملحان على العهد بها دائما: مسلمة مجاهدة ، تتمنى ان تتاح لها الفرصة تلو الفرصة لتجاهد بكل وسيلة وأداة في سبيل نشر الدين واعزاز كلمة الله ..

وكان من الطبيعي وقد بدأت الدعوة الاسلامية تدخل من طور الى طور وتنتقل من ميدان الى ميدان ـ كان من الطبيعي أن تجد أم سليم أكثر من فرصة من فرص الجهاد التىكانت تتمناها وترجوها فقد هاجر النبى من مكة الى يثربمدينته المنورة التى بدأ الاسلام يدخل بها عهدا جديدا .

هاجر محمد ليبدأ جهاده . ثم كان يوم «بدر» .. ثم يوم « أحد » .

وشهدت أم أنس بن مالك يوم « أحد » ثم عادت مع جموع العائدين والعائدات وفي نفسها من النضال صورة ، ومن الرغبة في الجهاد أكثر من صورة ورغبة ، وقد عرفت ما لم تكن تعرف .. عرفت أن الدين القويم أساسه التضحية ، وحصنه الثبات والطاعة

عادت أم أنس بن مالك الى المدينة لتتعلم أكثر مما علمت ولتتفقه في دينها أكثر مما تفقهت .

وبنفس اقبال أم أنس بن مالك على المعرفة

للتزود منها كانت تقبل على رعاية شئون بيتهـا وزوجها اقبالا كانت ترى فيه مرضاة لله ، لأنها عرفت أن الدين طاعة وأن أساس الطاعة الخضوع وخاصة لرب البيت ، فمرضاته مرضاة لله والقيام بفروضه وما يتطلبه من الفرائض الحتمية التى ان لم تتم كاملة اعتبرت المراة مقصرة غير كاملة الايمان ، وقد كانت ام سليم تكره أن تكون ناقصة الايمان ، اذ حرصت على استكماله من شتى نواحيه لتلقى الله بقلب سليم حين يشاء لهـا سبحانه وتعالى أن تلقاه .

لقد بدات هى البداية الموفقة .. وانها لتدفع « انسا » الى أن يسير في نفس الطريق ليغترف من بحر المعرفة ويتزود من زاد الطاعة والعلم ، وليغشى مجالسه وليجالس أهليه وليجعل امامه ومعلمه محمدا رسول الله ، حتى يكون له القدوة والنبراس في مستقبل حياته .

وكان انس بن مالك عند حسن ظن أمه بـه فتبع رايها وعمل بمشورتها وداب على مرضاتها .

وبدات الأيام تسير .. أيام نصر واشراقـات عز للمسلمين وللاسلام .. وجعلت السنون تتابـع ونصر اللـه يرفرف عـلى عباده ويملأ قلوبهم بالتقوى ويدفعهم الى مزيد من الجهاد في اكثر من ميدان .

وكانت ام سليم خلال هذه الفترة لا تكـف عن الداب والجهاد .

وكانت مع المسلمين في شتى مراحل جهـادهم المعنوى والحربى .. ثم اذا بها تقف في النهـاية والمسلمون يتاهبون لغزوة الفتح الكبرى .

الله أكبر .. هذا يوم سعيد كانت تتمناه ، انه لوعد الله الحق . (لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين) .

واليوم يتحقق وعد الله ويستعد المسلمون لغزوة الفتح الكبرى ، وان أم سليم لتجد نفسها تندفع مع غيرها من المسلمات المجاهدات لتكون في خدمة المحاربين الواثقين من نصر الله . وكانت اكثر المسلمات شوقا الى شهود هذه المعركة التى ستعود بها الى مواطن عزها الأولى ومرابع طفولتها وشبابها حيث سيقدر لها أن تعيش بالروح اياما في ظلال الذكريات ..

وراحت ام أنس بن مالك تتخيل وتتخيـل ما شاء لها الخيال والفكر ثم اذا بخيالها الجامح يتوقف في النهاية أمام الحقيقة الناصعة وقد أعز الله دينه وأيد بالنصر رسوله ودخل مكة دون حرب أو قتال ، فحطم الأصنام وأمر « بلالا » أن يعلو سطح الكعبة داعيا الى الصلاة ..

★ ★ ★

وتم النصر . ولم يكد رسول الله يستريح في مكة حتى عاد يتاهب والمسلمون معه لنضال جديد في سبيل الله ، ولم يلبث منادى الجهاد أن دعا المسلمين الأوائل ومن جاء بعدهم الى جهاد جديد في ميدان جديد .

خرج المسلمون الى الجهاد في يوم حُنَيْن ، وخرجت ام سليم معهم ، وهى يومها حامل في ولدها عبد الله بن طلحة . وكان من الواجب عليها أن تراعى جنينها وتلتزم بيتها لتنعم بالراحـة التى من الواجب أن تنعم بها سيدة في مثل حالتها ، ولكنها وهى المجاهدة المناضلة ابت الا أن تخرج الى الموقعة وقد تمنطقت بخنجر لتدافع به عن نفسها ضد أعداء الله .

وبدات موقعة حنين . بدات وقد اختل فيهـا ميزان القوى الروحية ، فالمسلمون اليوم وهم مقبلون عليها غيرهم بالأمس . كانوا بالامس على حال غير هذه الحال .. كانوا يشعرون أنهم قلة يجب أن يعظم أمرها وتعلو رايتها على كثرة طاغية .. أما اليوم فهم يشعرون بأنهم كثرة وأنهم لن يغلبهم غالب مع كثرتهم هذه .. واذا بالله القادر سبحانه وتعالى يأبى الا أن يعلمهم درسا لا ينسونه أبدا ليعرفوا بعدها أن الكثرة لا تغنى أصحابها من الله شيئا ، وأن ثبات العقيدة وقوة المعنويات والمقدرة الروحية على القتال ، هى العدة وهى اداة النصر الذى لم تكن الكثرة اداته ولا وسيلته في يوم من الأيام .

وانقض كفار ثقيف على المسلمين وقد حصروهم في واد تحوطه الجبال ، فتزعزع الصف ، ووهنت القوى وفترت العزائم وضعفت المعنويات،واحست الروح بعجزها عن الكفاح المستميت واذا بالمسلمين يفرون الا قلة منهم .

ووقف رسول الله والقلة المؤمنة القوية الروح حواليه تدافع بحرا زاخرا من الكافرين واستمر الكفاح .. وكانت ام أنس بن مالك بين الصفوف

التى راحت تدافع عن النبى فابلت واحسنت ، وكانت عند حسن ظنها بنفسها وعند حسن ظن النبى بها وفي مكان اراد لها الله ان تكون فيه على الدوام مؤمنة مجاهدة تسعى الى الجهاد ما أمكن وتعمل على أن تجود بالروح لتنال شرف الاستشهاد في مواقع الكرامة والشرف والتضحيات .

وانتصر المسلمون وام انس بن مالك في مكانها والخنجر في يدها وهى تروح به وتجيء تدفع وتدافع حتى التامت الصفوف واتم الله على المسلمين نعمة النصر .

وجاء ابو طلحة الى النبى وكانه كان يشكو ام سليم اليه لانها حملت نفسها أكثر مما يجب أن تحتمل ، ووقفت في مواقف لم يكن لحامل مثلها أن تقفها فشهرت الخنجر وخاضت الموقعة والتحمت مع الصفوف وراح يقول للنبى :

ـ يا رسول الله .. هذه امراتى أم سليم معها خنجر .

واذا بام سليم تسارع لتقول للرسول شارحة موقفها ، مبينة سبب اصرارها على الخروج والخنجر معها :

ـ يا رسول الله انما خرجت والخنجر معى لادافع به فاذا دنا منى احد الكافرين بقرت بطنه .

وابتسم رسول الله ابتسامة تهلل بها وجهه الكريم الذى شاع فيه البشر وشاع النور . وقال للمجاهدة المؤمنة التى كان يعرف مكانتها وحقها في الجهاد :

ـ يا ام سليم ان الله كفى واحسن !

وقد عاشت ام سليم بعد هذا .

وبعد أن تمت الانتصارات والفتوح واكمل الله على المسلمين دينهم وأتم عليهم نعمته وارتضى لهم الاسلام دينا . عاشت أم أنس حياة الداب على الكفاح المستميت، فكانت المؤمنة الصادقة المجاهدة وكانت المسلمة المعتزة باسلامها .. وكانت الصحابية الجليلة التى روت بعد ذلك عن رسول الله اربعة عشر حديثا منها في الصحيحين اربعة احاديث احدها متفق عليه كما انفرد البخارى بحديث ومسلم بحديث آخر .

وكما روت أم سليم بنت ملحان عن رسول الله، كذلك روى عنها ولدها الراوية الصادق أنس بن مالك وعبد الله بن عباس وهما من كبار الرواة الموثوق بصحة روايتهم .. وروى عنها ايضا عمرو ابن عاصم الانصارى وابو سلمة عبد الرحمن بن عوف وزيد بن ثابت .

هذه كانت ام سليم بنت ملحان بن خالد .. أم أنس بن مالك .. مسلمة كانت من السابقات .. ومؤمنة كانت من الرعيل الاول من المجاهدات، وراوية حديث مشهود لها بالدقة والصدق ، ويكفيها بعد هذا عزا وفخرا أن انس بن مالك قد رضع لبانها ونشأ في حجرها ، فكانت هى معلمه الأول الذى أبان له اوضح السبل ، ويسر له الطريق الى الحقيقة والمعرفة ، فاتبع الطريق الذى ارشدته اليه امه فكان خير ابن لاعظم الامهات .. لم كانت بحق من اعظم المسلمات الخالدات . ■■

سنية قراعة

حسن جوار

باع أبو الجَهْم العَدَوى داره بمائة الف درهم ثم قال : بكم تشترون جوار سعيد بن العاص ؟

قالوا : وهل يشترى جوار قط ؟ **قال :** ردوا عليَّ دارى وخذوا مالكم ، فانى والله لا ادع جوار رجل ، ان قعدتُ سأل عني ، وان رآنى رحب بي ، وان غبت حفظنى ، وان شهدت قرّبني ، وان سألته قضى حاجتي ، وان لم اسأل بدأنى ، وان نابتنى الحاجة فرّج عني . فبلغ ذلك سعيدا فبعث اليه بمائة الف درهم .

اللغة العربية

أطول لغات الأرض عمرًا
رفعوا إليها أصابع الاتهام تجنيًا

بقلم : الدكتور محمد محمود الدش

■ يرى الباحثون فى علم مقارنة اللغات ان اللغة العربية لا بد أن تكون قد عاشت اربعة قرون قبل دعوة الرسول عليه الصلاة والسلام ، وهي اقل فترة يمكن ان تعيشها لغة لكي تصل الى ما وصلت اليه اللغة العربية من رقى ونضج ورهافة حس ، وقدرة فذة على تحمل الوان البيان والبلاغة فى التعبير عن ذات الانسان ، افكاره ومقاصده واحاسيسه وعواطفه جميعا .. وهذا ما يبدو واضحا اشد الوضوح فى الآثار العربية قبل الاسلام ، من حكم ومواعظ وامثال وخطب ، ثم فى هذا الكنز الثمين الراقى من فنون الكلام ، المسمى بالشعر الجاهلي .

ويرى رينان ، مثلا (١٨٢٣ ــ ١٨٩٢) Joseph Ernest Renan فى كتابه تاريخ اللغات السامية ، برغم اتهامه وتعصبه ، أن اللغة العربية بدت فجأة على غاية الكمال ، وأن هذا من أغرب ما وقع فى تاريخ البشر وصعب تفسيره ، وقد انتشرت هذه اللغة سلسة اية سلاسة ، غنية اى غنى ، كاملة لم يدخل عليها منذ ذلك العهد الى يومنا هذا اى تعديل مهم ، فليس لها طفولة ولا شيخوخة : اذ ظهرت لأول امرها تامة مستحكمة ، ولم يمض على فتح الاندلس اكثر من خمسين سنة حتى اضطر رجال الكنيسة ان يترجموا صلواتهم الى العربية حتى تكون مفهومة لدى النصارى .

رأى مرجليوث

اما مرجليوث David Samuel Margoliouth (١٨٥٨ ــ ١٩٤٠) فيذهب الى ان اللغة العربية لا تزال حية حياة حقيقية ، وانها احدى لغات ثلاث استولت على سكان العالم استيلاء لم يحصل عليه غيرها (هي والانجليزية والأسبانية) . والعربية تخالف اختيها فى أن زمان حدوثهما معروف ولا يزيد سنهما على قرون معدودة ، على حين ان ابتداء اللغة العربية اقدم من كل تاريخ .

وهذا معناه ان كمال لغة العرب ليس كمالا عارضا ، ولا مؤقتا ، ولا مرحليا ، وانما هو كمال

قديم متصل ، كما أن معناه أن الذين تحدثوا بها كانت لديهم أداة الفكر والانفعال كاملة التكوين ، تامة الكيان والامكان ، حين نزل بها كتاب الله العظيم .

والذين تحدثوا في اعجاز القرآن الكريم متفقون في انه جاء معجزا في بيانه وسمته لهذه الأمة ، متحديا لأوجها الذى وصلت اليه ، ومجدها الذى أوتيت اياه ، حين وصلت في فن التعبير عن ذاتها ، وفي فصاحة اللسان ، وفي بلاغة المنطق ، وفي رقى الابانة الى درجة عالية من البيان والوضوح والقدرة على التأثير ، بما لم تبلغه امة أخرى في لغتها ومنطقها . يقول المولى عزّ وجلّ لرسوله الأمين في الاشارة الى هذا التحدى : « قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين » ـ يونس ٣٨ .

لم يكتب للغة انها عاشت عشرين قرنا من الزمان

وهكذا نستطيع أن نقول : ان هذه اللغة التى حملت على جناحها أكرم دعوة وأعلى نداء ، وأرقى ما يطلب ان يصل اليه الفكر والوجدان من قبس التوحيد والايمان ـ عاشت حتى اليوم نحو عشرين قرنا من الزمان ، وهو مالم يكتب في سطور الحياة والتاريخ للغة أخرى غيرها ، وسوف تظل مرفوفة على كيان الانسان ، أعزّ سمات وجوده الحضارية والعقلية والوجدانية ، ما بقى هذا السجل الخالد لقانون الحياة ونظام الوجود ، الذى نزل بلسان عربي مبين لمن اراد أن يكون انسانا ، يعلم ويفهم ويعقل ويهتدى . « قل هو للذين آمنوا هدًى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمًى أولئك ينادون من مكان بعيد » ـ فصلت ٤٤ .

اصابع اتهام ترتفع الى لغتنا حديثا

ومن عجب أنه منذ مشارف هذا القران واصابع الاتهام ترتفع في عصبية ظاهرة صوب لغتنا القومية ، تريد أن تدل على ظواهر أو كوامن في هذه اللغة تنسب اليها المطاعن والمغامز ، وتلقى عليها تبعة الضعف الظاهر والقصور الواضح عند كثير من مثقفينا في التعبير عن مكنون نفوسهم ومخزون عقولهم .

اتهام رسم حروف العربية

فمرة تتجه هذه الأصابع الى طريقة رسم حروفها وكتابة كلماتها ، لتخرج من بعدها أصوات تنادى باحلال الحروف اللاتينية محل الحروف العربية أسوة بما فعلت تركيا مثلا ، حينما رسمت ذلك لنفسها بقرار من أتاتورك الذى اراد أن يتحلل من كل ما يمت الى العرب بنسب حتى الدين . وليست دعوة المرحومين عبد العزيز فهمي وسلامة موسى وغيرهما ببعيدة ، وليس صوتهم جميعا برغم طول المدة بالذى يضيع في زحمة الأصوات أو توالى السنوات .

ولست أدرى كيف غاب ما تتسم به الحروف العربية من جمال وبساطة يشهد بهما غيرنا من ارباب اللغات الأخرى ، والمتأمل في مقارنة بسيطة بين الحروف العربية وأختها اللاتينية يدرك في يسر قريب البساطة الكبيرة في رسم العربية ، والمخالفة في ذلك مراء بغير غناء . أما اختلاف رسم بعض الحروف العربية حين يختلف مكانها من الكلمة فيقابله في اللغات الأخرى أنماط مختلفة للحرف الواحد بنوعيه الصغير والكبير Small - Capital- وقد صفت لغتنا وبرئت من المفاضلة والتمايز بين كلمات تبدأ أو تكتب بحروف كبرى وأخرى بحروف صغرى ، وكأنها برئت من التمييز المادى حتى في رسم الكلمات ، فكانت بذلك لغتنا لغة مساواة وعدل حقا .

اتهام الاعراب في اللغة العربية

ومرة تتجه الأصابع الى ظاهرة الاعراب في اللغة ، لتعلو من ورائها صيحات داعية الى العدول عن حركات هذا الاعراب الى السكون على مبدأ من نادى « سكّن تسلم » . ومنهم من أشار الى ظاهرة اختلاف النطق عن الرسم في بعض الأحوال ، وطلب المطابقة بين الحالين : النطق والرسم ، وهذه أهون الدعوات خطرا ، وأقربها الى مسالمة هذه اللغة التى تحمل مفاتح كنوز وفيرة لا حصر لها من الروافد الحضارية الثمينة ، والأصول الالهية المقدسة ، والسمات الجمالية العالية . أما ظاهرة الاعراب فهي سمة لكثير من اللغات التى لا يشتكى أهلها فيها قصورا أو ضعفا ، وهي سمة صحة ورهافة حس على أية حال .. وكذلك ظاهرة اختلاف النطق عن الرسم نراها في أكثر

اللغات الحية انتشارا كالانجليزية والالمانية ، اما الفرنسية فيعز فيها التطابق بين الصوت والخط .

اتهام الازدواج فى اللغة

ومرة تتجه الاصابع الى مشكلات ايهامية ،تهرب بالاشارة اليها من الدلالة على المواطن الحقيقية للمشكلة ، وتكاد تحيل الى أمور توقع في الحيرة والاضطراب . ومن هؤلاء الذين يتحدثون عن قضية الازدواج في اللغة ، ويصورون للناس أننا نعاني من الجمع بين لغتين : احداهما للبيت والسوق والشارع ، والأخرى للكتابة والخطابة والانشاء على المستوى الثقافي الخاص .

ولقد ينسى هؤلاء وهؤلاء أن هذه الأمور ليست مشكلات حقيقية يستعصي حلها ، بقدر ما هي ظواهر لغوية طبيعية في كل اللغات وحقائق فسيولوجية عند جميع الأقوام .. وظاهرة الازدواج هذه ، التى يصوّرونها تصويرا غير واقعى ، حينما يلبسونها ثوبا معقدا قاتما بوهم بأن ما تحته مشكلة كبيرة وأزمة خطيرة ليست على هذه الصورة حتى في واقعنا التاريخي اللغوي، منذ كان العرب يتحدثون لهجات شتى ، تختلف من بقعة الى بقعة ، ومن قبيلة الى قبيلة ، ولا تزال حتى اليوم وسوف تظل ظاهرة طبيعية ثابتة ، يلحظها كل فرد يحظى بقدر بسيط من الانتباه دون أن يكون عالما اجتماعيا او انثروبولوجيا او اثنولوجيا أو مورفولوجيا ، فلهجة البدوى تختلف عن لهجة القروى ، وهذا وذاك يختلفان في لهجتهما عن المدنى ، ونحن في حياتنا اليومية نستطيع بملاحظات لغوية عامة ان نفرق بين ابن هذه القرية وابن القرية التي تجاورها .

ولا يستطيع احد ان يقول ان الدولة العربية في أقصى اتساعها من الهند والصين الى فرنسا وايطاليا ، ومن هضبة الأناضول الى أحراش أفريقيا الاستوائية ، كانت تتكلم بمنأى عن هذه الظاهرة الازدواجية التى لم تكن مصدر شكوى في اللغة نفسها في وقت من الأوقات ، ومثل ذلك يصدق على باقى الامم وسائر اللغات الأخرى ولكننا نحس انه كلما ارتفع مستوى الثقافة تقلصت مسافة الخلف بين العامية والفصيحة هناك ، بينما نعاني هنا أزمة ملحة بين الكثرة الكاثرة من المثقفين الذين لا يحسنون التعبير حتى في كتابة خطاب عادى ، فيأتي هذا الخطاب صورة مضحكة ، مؤلمة في نفس الوقت ،لما يعانيه كاتبه من نقص فاضح في اداة التعبير ، اذ تقرأ ما كتب فلا تفهم عنه كثيرا ، وفي معظم الاحيان لا يكاد يبين .

والدارسون في هذه اللغة يعرفون أن أقواما شتى من أمم غير عربية دخلت في الاسلام ، فأصبحت في اطار الدولة العربية الفسيح ،فكانوا يتكلمون لغتهم الأصلية ، الفارسية أو اليونانية أو القبطية أو البربرية او القوطية .. الخ ، وبرعوا في اللغة العربية ، فكان منهم المحدث البارع والكاتب المبدع والشاعر الفحل والعالم النحرير ، وبطول الحصر في هذا المجال ولكننا نشير بصفة خاصة الى أعلام منهم لا تنسى ، من أصول غير عربية ، مثل سيبويه النحوى والبخارى المحدّث ، والبرامكة خطباء وكتابا ، وبشار وابى نواس وابن الرومي شعراء ، وابن المقفع والصابئيْن ابى هلال وابى اسحق ، وبديع الزمان أدباء . ومن عجب أن يوجه الاتهام الى ظاهرة الازدواج من نفر يجيدون لغة أجنبية او اكثر وبرغم هذه الاجادة المتمكنة فانه لا يرقى ادنى اتهام او شبهة الى فصاحة عربيتهم وعلو كعبهم في هذه الفصاحة .

والدارسون أيضا يعرفون أن سيبويه لم يسجل قواعد النحو العربي ، ليعلم بها ابناء اللسان العربي الذين كانوا يملكون ناصيته بالسليقة والطبع والتربية العربية ، في البيت العربي والبيئة الطبّعية للغة وينتجعون البادية لتستقيم لهم سليقة وطبيعة النطق والاداء ، حين لم تعد المدينة بيئة مناسبة لتطويع السليقة والطبع ، منذ أن اختلطت فيها الالسن واللغات واللهجات .

طريقة تعليم اللغة خاطئة

ومن هذا المكان نستطيع ان نضع اصبعنا على وجه التحديد فوق موطن المحنة أو الداء ،وبالتالى فوق قنينة الدواء .. فاذا كان الداء هو اننا نعاني من ضعف في أداة التعبير وقصور لدى المثقفين في الافصاح والابانة عما يدور في صدورهم وعقولهم ، فان ذلك يعني على الفور أن الطريقة التى نعلم بها أبناءنا منذ تفجّر النهضة التعليمية والثقافية طريقة خاطئة ، وحصيلة الجهود التى

بذلت في هذه الاعوام الطويلة هي الفشل .. ويعني ايضا اننا فشلنا في تربية السليقة اللغوية الصحيحة وتهذيب الطبع العربي السليم . وهنا نستطيع ان نهجم على كتب النحو او القواعد التعليمية لنجد انها ادارت رؤوس الاطفال والصبيان في مصطلحات نحوية لا حصر لها ، ولا قبل لهؤلاء الصغار بفهم مضمونها أو هضم محتواها الفلسفي والمنطقي او التفسيري للاعراب ودلالته المعنوية ، وهي أمور أعصى بكثير من تصور هؤلاء الصغار ، ويكاد استعصاؤها يشل حركتهم الفكرية ، بل يفزعهم بغموضها وانبهام مراميها ومقاصدها ، ويدخلهم في مرحلة اليأس الناجمة عن قصور الفهم والادراك ، والحيرة والارتباك .

واذا كان سيبويه وزملاؤه وخلفاؤه من النحويين الذين ملأوا الدنيا نطاحنا وتشاحنا قرونا عدة ، وخلفوا مصطلحات تربو على الحصر وقضايا تعز على التحديد ـ يعتبرون مسئولين عن هذه الزحمة الهائلة التي احاطت بالعربية ، نحوها وقواعدها ، ومثلهم في ذلك مثل قدامة بن جعفر وخلفائه فيما يتصل بهذه اللغة ، معانيها وبيانها وبديعها .. فان خلفاءهم المحدثين يعتبرون مسئولين عما حل بهذه الجوانب في المدارس ، منذ اتخذت الكتب « الواضحة » في البلاغة والنحو مكانا يحظى بالاحترام الى حد القدسية لدى المعلمين ، واصبحت اماما في ميدان التاليف المدرسي ينهج نهجه كل من الف بعده في هذا المجال ، وكل من يحاول الخروج عن القضبان تكال له الاتهامات بالانحراف وقلة البصر او البصيرة وضعف التاليف او عدم الأهلية له . .

النحويون والبلاغيون يتحملون العبء الأكبر في مصير اللغة وتشرب معانيها وتذوق مبانيها ، حينما فصلوا النحو عن البيان ، وفصلوا القاعدة عن السليقة ، وجعلوا القاعدة هي التي تحكم المعنى ، مع أن القاعدة مستنبطة أصلا من هذا المعنى ..

والتربويون والنفسانيون بالغوا في التسهيل

والتربويون والنفسانيون الذين تأثروا قضايا فرويد وتلاميذ مدرسته النفسية فيما يتصل بتصنيف الأعمار والمدارك وطاقات التحصيل ، والتزموا في ذلك نظرية الكبت النفسي وارتعدوا خوفا من الحياد عنها رفقا بالأبناء وحدبا عليهم وشفقة من اجل كواهلهم الصغيرة ونفوسهم الغضة ومداركهم الكليلة ـ أسهموا بنصيب وافر في تسهيل المناهج وتخفيض مستواها ، وتبسيط الاختبارات ، ومراعاة « المستوى » في وضع الأسئلة وتصحيحها وتقويم الامتحانات ، فلجأ واضعو المناهج الى تبسيط بعد تبسيط ، ومقوِّمو الاختبارات الى تسهيل في اثر تسهيل ، واحسب أن الأمور لو سارت على هذا الطريق لوصلنا بعد جيل أو جيلين الى شيء قد لا نجده شيئا .

ولسنا نحب أن نغوص في قضايا نفسية دقيقة في هذا المكان بقدر ما نريد أن ندل على أن التبسيط والتسهيل اديا الى طامة في حياة الأبناء ، وتلك هي مشكلة المشكلات أو هي أمّها جميعا .. ذلكم هو « الفراغ » .. وهو فراغ في الوقت حقا ولكنه أصبح فراغا في العقل وفراغا في النفس جميعا ، وذلك ما تعاني منه الدول الآن الويلات منذ اصبح الشبان والشابات يبحثون عن شيء ، أيّ شيء ، يملأون به هذا الفراغ ، فلا يجدون بعد البحث غير الضياع واليأس والشقاء ، الذي يشقيهم ويشقي اهليهم وذويهم ، ويشقي الدولة بهم .. وليس اشقى للدولة من فراغ يحتوى المتعلمين أو أشباه المتعلمين .

ملء المناهج ، واعداد البيئة الصالحة

وهنا نصل الى مقصدين اساسيين ، أولهما : ملء المناهج واشباعها واثراؤها بما يغني حقا وما يملأ صدقا ، بحيث نقضي على مشكلة الفراغ الزمني والنفسي لدى الأجيال الناشئة ..

والثاني : اعداد البيئة الصالحة في المدرسة او المعهد او الكلية ، التي تؤثل الطبع وتدرب السليقة اللغوية ، التعبيرية ، البيانية .

ولا يقتصر دور هذين المقصدين على المراحل العامة للتعليم ، بل لعله اشد والزم في المرحلة العليا ، ولا سيما مرحلة اعداد المعلمين الذين يقومون بدور المعطاء والمنتج ، والذين اذا عزّ ما لديهم أو قلّ أو شحّ فماذا ننتظر منهم بعد ذلك أن يعطوا ، وأيّ شيء في مقدورهم أن يمنحوه ؟ ؟

ان اللغة ليست لعبا من العاب اللسان

او صدى لموجات صوتية ضائعة في الهواء ، وانما هي أداة فكر وثمرة انفعال ومطلب توصيل وتأثير ، انها قوام حياة ، وبقدر ما تستقيم اللغة يستقيم الفكر ويتضح الانفعال ويسهل التوصيل ويصح التأثير .. فقد يذهب عِلْم العالم بددا اذا لم يملك ناصية اللغة فلم يحسن التعبير ، وهل يمكن ان يعلم بغير لغة ؟ ، وقد ينحرف التأثير ويمضي شططا اذا اختلط النطق وانبهم القول .. لقد اصبحت الكلمة اليوم اشد أثرا في حياة الناس من كل الوان التحريض والاغراء .. وحسبك أن تتلفت في انتباه لتدرك كم تنفق الحكومات والمؤسسات والشركات من اموالها في اساليب الدعاية وفنون الاعلام والاعلان ووسائلها وأجهزتها التي تعتمد على الكلمة قبل كل شيء .. وقديما كان للكلمة فتك أشد من فتك الجيوش ، وكم من رسالة جلبت استسلاما لم يقدر عليه السلاح .. وأحسب أن الأمر لا يزال كذلك .

ومن هذه القوة العارمة للغة ندعو الى استقامتها وصحتها في الفكر والقول جميعا ، بما يمكن من استقامة الحياة وصحتها لدى جمهورها، بله المثقفين والمستنيرين ذوى التوجيه والتأثير ، دون أن ندور في متاهات ضالة أو نحيل الى غيبيات مجهولة ، بأن نبدأ في توفير المناخ الطبعي المشبع ، عن طريق المناهج الفنية المغنية ، القاضية على الفراغ وآثاره الوخيمة ، المؤثلة قبل القاعدة، المدربة على الاستعمال قبل الترديد الأعشى ..

اثراء الحافظة ببليغ الكلام

وليس أقدر على ذلك من اثراء الحافظة لدى الناشئة بالأساليب البليغة والآثار الفصيحة ، وفي مقدمتها ، بلا مراء ، القرآن الكريم ، الذى ينبغي أن يكون مصدرا لسلامة الفكر ومنبعا لصحة النطق ، ويقفوه في ذلك الحديث النبوى الشريف ، ثم وصايا الحكماء ، وخطب البلغاء ، وأشعار الفحول ، وكتب الصادقين الشرفاء . والذين شهدوا جيلنا وسمعوا عن أجيال سبقتنا يعرفون كيف كانت المناهج الفنية أكبر أثرا وأنبل قصدا ، وما ضججنا وما شكونا ، بل لعلنا اليوم أكثر اعتدادا بها واعتزازا بمثلها واشد انكارا لدعاوى المستطين المستهلين سبل الفراغ ووسائل الضياع الى العقل والنفس واللسان .

فاذا اترعت النفس وامتلأت الذاكرة ودرب اللسان بكنوز هذه اللغة ، في سن البضاضة وعمر الغضاضة ، بدأنا مع العقل الواعي والنفس المتنبهة في تلقين الاصول والقواعد ، حين لا يعز على العقول والنفوس قبول الشروح الفلسفية والتفسيرات التجريدية ، عن المقاصد والغايات والاهداف والمرامى ، والاسرار والاصول ، نحوية وبلاغية ، وافضل ما يكون ذلك كله أن يجيء في حقل المتخصصين في مرحلة اعداد المعلمين ، والا يحيط الناشئون في المراحل الدنيا من التعليم الا بالقدر البسيط الذى لا يحمل حملا ولا ينحت نحتا ولا يتكلف تكلفا ، لأن ذلك أدعى الى النفور وادفع الى التقزز بما يؤدى باللغة ومنزلتها من النفوس الى أسوأ مكان .

المنهج الطبيعي لتعليم اللغة

فاذا صنعنا ذلك ، وبدأنا بتدريب السليقة وتنشيط الطبع ثم تربية النطق الصحيح وتنمية التعبير السليم واثراء الذاكرة واشباع الحافظة وانتهينا بتلقين القواعد وتحفيظ الأصول تطبيقا على نص معلوم وتدريبا على تحصيل مفهوم ، فقد سرنا مع منطق الأشياء وطبيعة التطور البشرى ، ومع سنن النمو الاجتماعي الذى يتجلى بأقوى صورة في تدرج اللغة وتسلسل البيان . ذلك هو المنهج الطبيعي الذى يرفض الطريقة الحالية حين تبدأ بتلقين المصطلح الغامض والتسمية المبهمة لمدلولات غير واضحة ومفهومات غير مدركة من الناشئة الصغيرة ، ثم نزعم أننا نشفع هذا التلقين بلون ممسوخ من التدريب والتطبيق بأمثلة منحوتة وشواهد متكلفة ونماذج من القول باردة صمّاء ، فلا يلبث هذا وذاك أن يضيع ، بعد امتحان في المحفوظ والمقروء ممجوج ، واختبار عصابي منفر ، لا يستهدف تربية سليقة ، ولا يستشرف تنمية طبع ، وانما يؤدى الى عجمة تكاد تكون مرسومة ، والى عجز وعيّ واصمين ، فكأن الثقافة بذلك طريق الى الجهالة ، وكأن الدراسة سبيل الى اللسان القاصر والفكر الكليل . ■■

محمد محمود الدش

خلق العالم

عند الفيلسوف الألماني ليبنتس

بقلم : الدكتور محمود قاسم

عميد كلية دار العلوم بجامعة القاهرة

■ فى مقال سابق اشرنا الى بعض الأصول الاسلامية فى فلسفة ليبنتس الفيلسوف الالمانى Leibnitz ، عندما بينا فكرته عن سريان الحياة فى كل شىء يحتوى عليه العالم ، وان هذه الفكرة بعينها توجد على نحو اكثر وضوحا وتفصيلا فى مذهب محيى الدين بن عربى الصوفى الاسلامى الكبير .

وهنا نريد أن نتحدث عن نقط لقاء عجيبة بين هذين الرجلين فيما يتصل بفكرة خلق العالم من ذرات روحية يسميها « ليبنتس » (الموناد‌ات Monades) ويطلق عليها ابن عربى اسم « الاعيان الثابتة » وهى تقابل الذرات المادية التى رآى ديمقريطيس الفيلسوف الاغريقى القديم أن يفسر بها العالم ، مع هذا الفارق ، وهو أن هذا الاخير يهدف بمذهبه الذرى الى انكار وجود الله وخلود النفس والثواب والعقاب فى حياة اخرى : بينما يحرص كل من ليبنتس وابن عربى على تأكيد أن الله هو خالق العالم وانه حكيم وانه يخلق افضل عالم ممكن ، وان هناك عقابا وثوابا فى حياة أخرى .

ويخبرنا ليبنتس كيف اهتدى الى فكرته الخاصة عن خلق العالم من الذرات الروحية اللامتناهية فى الصغر ، فيقول . انه تحرر أولا من تأثير ارسطو الذى ينكر خلق الله للعالم ، ويصف الهه بانه فى عزلة تامة عن الكون ، فلا يعلم عنه شيئا ، مع انه يصف الهه هذا بانه فى غاية الكمال . ثم اطلع ليبنتس على مذهب الذرة لدى ديمقريطس لكنه لم يلبث ان رفضه لانه ينكر وجود الله ويجحد العناية الالهية ، ولانه مذهب مادى بحت .

ويطيب لليبنتس أن يعترف بانه على اثر تأملات عميقة لم يجد أساسا لوحدة الاجسام داخل المادة نفسها ، اذ أن المادة لا تعدو أن تكون أكداسا من الاجزاء التى لا نهاية لعددها ، ولان هذه الاجزاء المادية تشبه النقط الهندسية التى لا يؤدى تراكمها الى وجود أى جسم . وهكذا انتهى الى ضرورة البحث عن الوحدات الحقيقية التى يؤدى تجمعها الى نشأة الأجسام الطبيعية ، ابتداء من الجماد حتى أسمى الكائنات العضوية وهو الانسان . وقد رأى أن هذه الوحدات الأولية يجب أن تكون مزودة بالطاقة أو النشاط أو الحياة ، وقد سماها « الموناد‌ات » ويمكن أن نسميها الذرات الروحية .

واذا نحن أردنا أن ندرك المعنى الدقيق لمصطلح « الموناد » وجب أن نرجع الى ابن عربى الذى يقول ان الله وحده هو الوجود الحق ، وان العالم يشبه أن يكون ظلا له ، اذ لا قوام له بذاته ، بل ليست كائنات هذا العالم سوى كلمات الله اذا أراد شيئا فانما يقول له كن فيكون .



وعند محيي الدين بن عربي

فكل موجودات هذا العالم كانت في العلم الالهي على هيئة أشياء أو جواهر ممكنة . فلما اراد الله لها الوجود أخرجها من حيز الامكان الى حيز الوجود الفعلي . وهو يطلق على هذه الكائنات الممكنة اسم « الاعيان او الجواهر الثابتة من العدم » . ومعنى أنها ثابتة في العدم أنها في حالة ركود أو شلل ، لأن الله لم يشأ بعد أن يمنحها هبة الحياة والوجود . فاذا قضت المشيئة الالهية لبعض هذه الممكنات أن تخرج الى الوجود الفعلي فان الحياة تسرى فيها كذرات روحية تعمل بصفة تلقائية . وعندئذ تظهر جميع خواصها الى الحياة الظاهرة ، بعد أن ظلت راكدة فيها منذ الأزل .

فاذا نحن عدنا الى « ليبنتس » لنتتبع فكرته عن الذرات الروحية وجدناه يقول انها كائنات روحية حية دقيقة جدا ، وهى لا تقبل الانقسام لأنها الذرات النهائية التى تتكون منها أجسام هذا العالم . وتنحصر طبيعة هذه الكائنات في أنها « طاقة او قوة » وفي الجملة يمكن القول أن « المونادات » عند « ليبنتس » « والاعيان الثابتة » عند ابن عربى تحتوى على عنصر القوة الذى يؤدى الى وجود أجسام محددة ، لكل جسم منها وحدته الذاتية ، رغم صغر العناصر الروحية الداخلة في تركيبه .

ويرى « ليبنتس » من جانبه ان هذه الجواهر البسيطة التى تتألف منها كائنات هذا العالم غير متناهية في الصغر ، وانها تنطوى على امكانات مستقبلة لا نهاية لها . ولذا فانها لا تحتوى على اجزاء وليس لها امتداد ولا شكل ، كما أنها لا تخلق من شيء سابق عليها ، اذ لو كان الأمر كذلك لكان معناه أنها تتألف من أجزاء متعددة . ومعنى ذلك أنه ينكر أن تنشأ هذه الذرات الروحية نشأة مادية أو طبيعية ، ابتداء من أجزاء سبقتها في الوجود . ويترتب على ذلك أنها غير قابلة للفساد او العدم عن طريق تحلل العناصر أو الأجزاء التى قد يظن أنها كانت سببا في نشأتها . او نقول بعبارة أكثر وضوحا ان « ليبنتس » يعتقد أن الذرات الروحية لما كانت تفيض من الذات الالهية فانها تستمر في الوجود من الأزل الى الأبد، وان تشكلت بصور مختلفة . ومع ذلك فانه لا يمل التصريح بأن الله وحده هو الذى يخلق هذه الذرات ويعدمها دفعة واحدة ، مما يشعر بوجود نوع من التضارب في مذهبه ، غير أنه يجب أن نشير منذ الآن ، منعا لكل لبس ، الى ان فكرته عن خلق « المونادات » أو اعدامها مختلفة جدا عن الفكرة السائدة القائلة بأن الله يخلق العالم من العدم المطلق . ذلك أنه يفهم العدم فهما خاصا سبقه اليه ابن عربى وبعض المعتزلة ، ويريد به العدم النسبى او الاضافي كما سنوضح ذلك بعد قليل .

وقد عرض « ليبنتس » لفكرة خلق هذه الجواهر الروحية في كثير من كتبه أو مؤلفاته ، فنجده مثلا يقول في مقاله عن الميتافيزيقا(١) : « من الواضح أن جميع الذرات المخلوقة تتوقف على الله الذى يحفظها ويوجدها باستمرار ، على نحو من الفيض ، كما نتنتج نحن أفكارنا ، اذ يمكننا القول بأن الله يقلب النظام العام للظواهر التى يرى من الخير أن يوجدها ، حتى يتجلى مجده فيها ، وهو يقلبها من كل جانب ، وعلى جميع

(١) فقرة ١٤ وفي مراسلته مع أرنولد .

الأشكال ، فيرى جميع وجوه العالم ، وجميع الطرق الممكنة ، وذلك لأنه لا تخفى أى نسبة من النسب على علمه الشامل . وكل نظرة ينظرها الله الى العالم .. تؤدى الى وجود جوهر يعبر عن الكون وفقا لهذه النظرة الالهية ، متى أراد الله ان يكون تفكيره فعالا ، وأن يوجد هذا الجوهر . ولما كانت النظرة الالهية حقة ،انما فان ادراكاتنا نحن تكون حقة هى الأخرى ، لكن احكامنا ترجع الينا ، وهى التى تخدعنا » ، ومعنى هذه الجملة الأخيرة هو اننا لما كنا نتركب من جواهر روحية تسيطر عليها روح مدبرة ، هى النفس الانسانية ، فمن الضرورى أن تعبر حواسنا عن الكون ، أما الخطأ فلا يقع الا عن طريق الأحكام التى يصدرها العقل ، اذ قد لا نعرف الصلة الحقيقية بين الأشياء فنعبر عنها بأحكام خاطئة . »

فاذا نحن انتقلنا الى محيى الدين بن عربى وجدناه لايحتفظ هو الآخر بشيء من المودة لأرسطو، بل رأيناه يذكره بصفة عابرة ليصفه بانه جاهل. كذلك نجده ينقد فكرة الجوهر الفرد عند علماء المسلمين وهى فكرة مأخوذة عن ديمقريطس . وهو ينقد علماء المسلمين ، ويصفهم بأنهم فى لبس من خلق جديد ، لأنهم لم يفطنوا الى أن الجواهر الفردة انما هى فى حقيقتها ذرات روحية ، لا مادية ، وأن جميع خواصها تنبثق من داخلها ، وليست حالات تطرأ عليها ، وأن هذه الخواص كانت راكدة قبل أن يمنحها الله نعمة الوجود . فلما كساها الله حلة الوجود بدأت تدب فيها الحياة ، وجعلت خواصها الذاتية تتجلى شيئا فشيئا . كذلك يأخذ على بعض علماء الكلام انهم لم يدركوا حقيقة الصلة بين الله والعالم ، ولم يفطنوا الى أن الله يخلق الكائنات من عدم نسبى أو اضافي لا من عدم مطلق ، ويريد بالعدم النسبى حالة الموجودات الممكنة عندما كانت فى العالم الالهى السابق . (٢) اى قبل أن تبرز الى الوجود فى العالم عن طريق الوجود او الكرم الالهى . اما العدم المطلق ، الذى قال هؤلاء ان الله يخلق العالم منه ، فلا وجود له . فالله لا يخلق الأشياء من هذا العدم ، لأن العدم المطلق هو الشر المحض والله هو الخير المحض الذى لا شر فيه . فكيف نضع مع الله عدما مطلقا ، اذا كان هذا العدم المطلق شرا محضا لا خير فيه .(٣)

اذن من الأجدر فى نظره أن يقال ان الله خلق العالم من فيض وجوده وكرمه ، بدلا من القول بانه اخترعه من العدم ، لأن الاختراع لا يكون عادة الا من أجزاء سابقة للشيء الذى يخترع . لكن كيف يتم الخلق من فيض الجود والكرم ؟ يقول ابن عربى ان البارى سبحانه كان عالما بالكون منذ الأزل ، بحيث لا يمكن القول بانه جهل هذا الكون فى حالة ما . والله لم يخترع شيئا لم يكن يعلمه بل اراد وجودنا وأوجدنا على الصور الثابتة فى علمه » اذن أوجد الله العالم ، وما فيه من موجودات ، من فيض وجوده وكرمه . وهذا لايشك فيه عاقل ولا مؤمن ، والجود صفة ذاتية لله « فانه جواد كريم لنفسه . فلا بد من وجود العالم . »

فليست الأشياء التى تظهر فى العالم ، عند ابن عربى ، سوى الممكنات أو أفضل الكائنات التى تفيض عليها انوار الذات الالهية ، فتكسوها حلة الوجود، كما يسطع نور الشمس على الكائنات فيخرجها من الظلمات الى النور ، أو من عالم الغيب الى عالم الشهادة . فالعالم فقير الى الله، والله هو الغنى عن العالمين . ويصور لنا ابن عربى ، على نحو شاعرى ، كيف تخرج الكائنات من الظلمات الى نور الوجود فيقول : ان هذه الممكنات مفتقرة الى الله فهى تضرع اليه وتسأله النور الذى يجود به الله عليها وهى تسأله بلسان حالها لا بلسان المقال ، والله جواد كريم يجيب دعوة الداعى اذا دعاه . (٤)

اما سؤالها بلسان الحال أن يمن الله عليها بالوجود فهو ما يعبر عنه ابن عربى بانه هو الاستعداد الذاتى فى الممكنات . فهذا الاستعداد الذاتى فيها هو المعيار الذى يحدد شدة حاجتها الى الوجود ، بحيث لا يخرج منها الى الوجود الا

---

(٢) فكرة العدم النسبى موجودة عند بعض المعتزلة.

(٣) فتوحات مكية ط ١٣٢٩ هـ مجلد ١ ص ٤٦ ،٤٧ .

(٤) فتوحات ٩٠/١

افضلها لتحقيق الخير في هذا العالم . وهذا هو ما عبر عنه « ليبنتس » فيما بعد عندما قال ان الله يقلب النظام العام للظواهر ليختار افضل عالم ممكن ، وان الاشياء الممكنة تنزع الى الوجود بل تزعم أنها جديرة به ، ومن ثم فجميع الأشياء الممكنة تطالب على حد سواء بحقها في الوجود . لكن ظهورها الى حيز الوجود الفعلي يرتبط بدرجة الكمال التي تنطوي عليها ، فلا يتحقق الا افضل عالم ممكن .(٥)

ويحرص ابن عربي على كتمان كيف يتجلى الوجود الالهي على العالم ، فيقول ان هنا سرا ينبغي كتمانه ، وقد يخفى على اهل الطريق من الصوفية أنفسهم . وأيا كان الامر في حقيقة مشروعية كتمان السر أو الكشف عنه ، فانا نجد ابن عربي يصرح بان الفيض الالهي مستمر « وهو تعالى لم يزل موجدا للعالم ولم يزل العالم محدثا» والله هو الذي يرجح وجود الأشياء او عدمها لتحقيق افضل عالم ممكن ، بل أجمل عالم ممكن، وذلك لأن الله جميل يحب الجمال .

ومما يكشف عن اللقاء العجيب بين « ليبنتس» وابن عربي في تفاصيل فكرة الخلق الالهي للذرات الروحية عن طريق النظر الالهي اليها ما وجدناه من نصوص لا تدخل تحت حصر عند محيي الدين ابن عربي ، الذي يعبر عن فكرة الخلق الالهي المستمر للعالم بان الله ينظر الى الجواهر الممكنة، وهي في حال عدمها ، اى قبل ان يخرجها من ظلمة العدم الى نور الوجود . فالله يرتب ظهور هذه الممكنات وفقا لحكمته البالغة ، وهو الذي يحفظها في الوجود ، لأنها في ذاتها غير قادرة على البقاء من تلقاء نفسها ، ولأن العدم صفة ذاتية فيها . ويتجلى هذا الحفظ الالهي في سريان سر الحياة في الموجودات وفي تمجيدها لله وتسبيحها بحمده . وهنا يقول ابن عربي : « واعلم أن الله تعالى » لم يزل ناظرا الى أعيان الأشياء الممكنة في حال عدمها ، وأن الجود الالهي لا يزال يمتن عليها بالايجاد ، على ما سبق العلم به من تقدم بعضها على بعض في الوجود .. ولم يزل الحفظ الالهي يحفظ عليها بقاءها ، وهي في ذاتها لا تقبل البقاء الا زمان وجودها . فلا وجود اذن للعالم الا بايجاد الله للممكنات « فلا يزال الله خالقا على الدوام » ولو انقطع الحفظ الالهي لزال العالم .
ونعترف أننا قد قهرنا انفسنا على عدم الاستشهاد بنصوص عديدة أخرى عند محيي الدين بن عربي، ونعتقد أن ما ذكرناه هنا يكفي في بيان هذا اللقاء المذهل بين آراء « ليبنتس » وابن عربي في فكرة الوجود الالهي الخاصة بخلق الله للعالم خلقا مستمرا ، وفي حفظ الوجود على هذا العالم .

ويؤكد ابن عربي من جانبه انه ليس من هؤلاء الذين يسوون بين الله والعالم ، بل هو ممن يميزون بين الحق والخلق ، اذ « لو كان (العالم) عين الحق ما صح أن يكون بديعا مخلوقا » ، بل يشبه العالم ما يحدث عندما يتجه الانسان نحو المرآة لينظر فيها ، فانه متى قصد النظر اليها رأى أن صورته قد ارتسمت في المرآة . فكان نظره الى المرآة هو الذي خلق صورته فيها أو ابدعها . لكنا نعلم ، كما يعلم هو ، أن هذه الصورة تخفي جزء المرآة الذي ترتسم فيه . أو نقول بعبارة اخرى ، تبعا لما يقرره ابن عربي ، ان النظر الالهي الى الأشياء الممكنة هو الذي يظهرها الى الوجود الحق ويجعلها تصطبغ بصبغته . فالنظر الالهي هو ما يقابل قوله تعالى : « انما قولنا لشيء اذا أردناه أن نقول له كن » وعندما « يكون الشيء » ، اى عندما يظهر الى الوجود الفعلي ، فانه يشبه الصورة التي يدركها المرء عند نظره الى المرآة ، « فالعالم مرئي لله في حال عدمه وفي حال وجوده ، ولا يتصف الحق بانه لم يره ثم رآه ، بل لم يزل يراه » وهكذا تخرج الممكنات الى حيز الوجود كائنات محددة يتميز بعضها عن بعض ، لأن كل كائن هو نتيجة لنظرة الهية .

ويترتب على ذلك اننا عندما نرى الجواهر أو الكائنات واضحة ومتميزة بعضها عن بعض فليس ثم شك في صدق حواسنا ، لأن الحس ادراك ذاتي مباشر ، في حين ان العقل يخطيء ويصيب ، كما قال ذلك « ليبنتس » فيما بعد ، وقد سبقه ابن عربي الى ذلك لانه يقول : « وكل علم موقوف على الحس فليس فيه لبس ، وما ينتجه الفكر فلا يعول عليه فان الشكر يسارع اليه (٦) » ولذلك لما

---

(٥) من كتاب « الأصل النهائي للاشياء » .

(٦) فتوحات ٤/٣٣٥ .

كان الفكر هو الذى يحدد الصلة او التناسبات بين الأشياء ، ولما كان يخطىء فى تحديد العلاقات بينها فقد تركه اصحاب الذوق الصوفى « وانفوا ان يكون حالا لهم ، لأن الفكر لا يعطى العصمة من الخطأ . ولهذا مقامه خطر ، لأن صاحبه لا يدرى هل يصيب أو يخطىء » . كذلك يصرح لنا ابن عربى بأنه يمتنع عن الفكر جملة لأنـه يورث صاحبه التلبيس وعدم الصدق .. والاشتغال بالفكر حجاب" عـلى الحقيقة ، كـما يفهمها المتصوفة ، فى حين ان الكشف عندهم ، وهو طريق المعرفة الحقة فى رايهم ، يقوم على ادراكات حسية مباشرة . ولذا نجد ابن عربى يقول : « وانما المذهب الصحيح أن العين لا تخطىء أبدا ، لا هى ولا جميع الحواس . ذلك لأن ادراك الحـواس للاشياء ادراك ذاتى ، ولا تؤثر العلل الظاهـرة العارضة فى الذاتيات » هذا ويقول ابن عـربى فى موطن آخر ان الادراك العقلى الذى ينبثق فى ذات الروح أو الجوهر الروحى لا يخطىء هو الآخر ما دام لا يعتمد على التفكير . وهذا هو ما يقرره « ليبنتس » أيضا ويسميه الحدس العقلى .

فهل يجوز لنا القول اذن بأن هذا التطابق التام بين فكرة كل من ابن عربى وليبنتس فى مسألة خلق العالم من الذرات الروحية ، وفى ادراكنا لهذا العالم لا يدع مجالا للشك فى وجود عناصر اسلامية فى فلسفة ليبنتس ؟ ان هذا أمر يمكن البرهنة عليه فى مسـائل عـديدة فى هـذه الفلسفة الالمانية الحديثة . وابن عربى مات عام ١٢٤٠م وليبنتس مات عام ١٧١٦م . ■■

محمود قاسم

العربى : طلب الفيلسوف الالمانى ليبنتس أساسا للمادة لا يكون مجرد اكداس ، ورفض الذرة « المادية » التى خال الفيلسوف الاغريقى القديم ديمقريطيس أن يتخذها أساسا للأجسام . وخال ليبنتس أن هناك وحدات أولية أخرى « يجب أن تكون مزودة بالطاقة والنشاط والحياة » ، وقد سماها بالموِنادات » ولو أن ليبنتس ، وهو ابن القرن الثامن عشر ، عاش الى القرن العشرين ، لعلم أن ذرات ديمقريطس هذه التى أنكرها ، « بها الطاقة والنشاط والحياة » كما يريد . وبهذه الطاقة يتم الاتحاد الكيماوى الذى هو سبيل كل خلق جديد .

أتدرى من أنا ؟

● حكى أن المهدى خرج يتصيد فسار به فرسه الى خباء أعرابى فقال له : هل من قرى . قال : نعم ، فأخرج له قرص شعير فأكله ، ثم أخرج له فضلة لبن فسقاه ، فلما شرب قال : يا أخا العرب أتدرى من أنا ؟ قال : لا والله . قال : أنا من خدم أمير المؤمنين الخاصة ، قال : بارك الله فى موضعك ، ثم سقاه قعبا آخر فشربه . فقال : يا أعرابى : أتدرى من أنا ؟ قال : زعمت أنك من خدم أمير المؤمنين الخاصة . قال : لا بل أنا من قواده . قال : رحبت بلادك وطاب مرادك ، ثـم سقاه ثالثا ، فلما فرغ منه قال : يا أعرابى : أتدرى من أنا ؟ قال : زعمت أنك من قواد أمير المؤمنين .. قال لا . ولكنى أمير المؤمنين ، فأخذ الأعرابى الرّكوة ، وأوكأها . قال : والله لو شربت الرابع لادعيت أنك رسول الله . فضحك المهدى حتى غشى عليه ، وما هى الا ساعة حتى أحاطت الخيل به ونزلت اليه الملوك والأشراف . فطار قلب الأعرابى ، فقال له : لا بأس عليك ، ولا خوف ، ثم أمر له بكسوة ومال .



الانهيار العصبي

كسائر الأمراض له أعراض .. وله علاج ..!

■ هذه الظاهرة .. تتكرر آلاف المرات :

المريض يدخل عيادة الطبيب . اى طبيب . ويطلب منه دواء ليعيده لحالته الطبيعية واى منوم يمنحه النوم الذى حرم منه طويلا . فهو يشعر بالتعب . بالارهاق . ورغم هذا لايستطيع النوم .

وعادة يحتار الطبيب امام هذا المريض . فهو لا يعرف سبب علته . هل هو « متعب » لأنه لا ينام ، أم « لا ينام » .. لأنه متعب !؟

وعادة — ايضا — ما يحس المريض بالخجل من نفسه امام طبيبه . فالطبيب لا يحب الغموض . ويتمنى لو كان مريضه يشكو من التهاب حاد فى كبده ، أو بطنه ، أو قلبه . اما المريض الذى يشكو من الارق ومن التعب فهو لا يرتاح اليه ، ولا الى مرضه ! ولا يجد الطبيب سوى ان ينصح مريضه بعرض حالته على احد الأطباء النفسانيين .

ويسمع المريض اسم الطبيب « النفسانى » وتزداد حالته سوءا ..

ويتصور انه قد اصيب بالجنون .. وأن مقابلة الطبيب النفساني ما هي الا خطوة اولى يعقبها ارتداء « القميص » الذي يميز به نزلاء مستشفيات المجانين ..

ويرفض المريض استشارة الطبيب النفساني . ويصر على أن يعطيه طبيبه الدواء المنوم بجانب الحبوب المنشطة .. ويخضع الطبيب . ويكتب له طلبه.

وتمر الأيام . بضعة اسابيع . أو بضعة شهور ، يسمع الطبيب بعدها أن مريضه قد انتحر . فقد يئس من حياته. فلا النوم عرفه ولا النشاط استعاده !

هذا الحادث الذي يتكرر الآن آلاف المرات وبالذات في المجتمعات الصناعية الكبرى يرجعونه لاصابة المريض « بالانهيار العصبي » .

والغريب أن « الانهيار العصبي » اصبح يتردد الآن بين العامة وفي كل مكان وبسهولة خطيرة جدا . وبالذات بعد ازدياد عدد الذين ينتحرون والذين يقدمون على الانتحار لأسباب غير واضحة وغير مفهومة . شخص واحد ينتحر بمعدل كل ساعة في فرنسا مثلاً . أي ٨ آلاف حادث انتحار في السنة ، بجانب ٥٠ الف محاولة انتحار .. وما يحدث في فرنسا يحدث في بريطانيا والمانيا والولايات المتحدة وغيرها . لذلك بدأ علماء النفس يدقون ناقوس الخطر . ويسلطون الأضواء على هذا الرعب الجديد الذي اصطلحوا على تسميته « بالانهيار العصبي » .

اسباب كثيرة للانهيار

وحادث الانتحار هذا — الذي يتكرر آلاف المرات — نتيجة للانهيار العصبي يحمل عدة دلالات هامة منها :

❊ ان الطبيب لا يملك القدرة الكاملة على « الاقناع » . فقد فشل في ان يقنع مريضه بوسيلة علاجه . وعجز عن دفعه دفعا الى عيادة الطبيب النفساني .

❊ اخطأ الطبيب عندما لم يصارح مريضه بحقيقة مرضه ولم يوضح له خطورة هذا الانهيار العصبي . فلو كان المريض على علم بخفايا هذا المرض لما تردد لحظة واحدة في البحث عن المقعد الطويل الذي يتمدد فوقه داخل عيادة الطبيب النفساني ، مستسلما له ومنفذا لاوامره .

❊ ان الانهيار العصبي لا يختلف عن اي مرض آخر له اعراض وله علاج . فالطبيب الفرنسي دكتور بلو فيناج امضى فترة طويلة في دراسة اعراض الانهيار العصبي . فوجد ان الانهيار العصبي قد يحس به المصاب بالأرق ، وصعوبة النوم . وحتى اذا نام فانه يعاني من النوم المتقطع ، والقصير . وقد تكون الاعراض اضطرابا في الشهية . فالمريض تعاف نفسه الطعام ، واحيانا يصبح اكولا يأكل كل شيء امامه ولا يشبع ابدا. وكثيراً ما يحس المريض بآلام شديدة في الراس ، والاكتاف ، ويشعر بالدوار. واكد الطبيب الفرنسي كذلك أن هناك حالات من الانهيار العصبي تظهر اعراضها في عجز المريض جنسيا . واصابة المراة بالبرود الجنسي . وغيرها من الاعراض التي قد تشعر المريض بالام في معظم اجزاء جسمه ، بجانب آلام نفسانية اخرى فيفقد المريض مرحه، وبشاشته، ويحس بأن ذاكرته قد ضعفت ولم يعد يستطيع التركيز الذهني، فيتشتت فكره بين موضوعات مختلفة يتحدث عنها ويفكر فيها في نفس الوقت ..

واسباب الانهيار العصبي كثيرة هي الأخرى ومتعددة :

❊ احيانا تكون الوراثة سببا . فتنتاب المريض « نوبات » وعلى فترات متباعدة ويميل في تصرفاته الى العنف مما يبعد

عنه أصحابه ويسيء الى المجتمع الذى يعيش فيه .

* واحيانا يصاب المريض بالانهيار العصبى فى اعقاب اصابته بأحد الأمراض الجسمانية الخطرة ، او بعد اجراء عملية جراحية حساسة ، او نتيجة لصدمة نفسية مثل الذى ينجو باعجوبة من حادث سقوط طائرة او حادث سيارة .

* واحيانا يكون الانهيار نتيجة لكبت نفسانى . مثل هذا الذى تعانيه الزوجة التى تكره زوجها كراهية عمياء ، فى حين انها مضطرة للاقامة معه تحت سقف واحد حتى آخر يوم فى حياتها او حياته . فتتازم نفسيتها ، ولا تستطيع ان تتحمل استمرار تلك الحياة الكئيبة مع زوج لا تحبه ولا تقدر أن تهرب منه !

* واحيانا يكون الانهيار اصابة عضوية للاعصاب ذاتها .

وخطورة الانهيار العصبى ان الناس لا تعطيه الأهمية الكافية ولا تحرص على البحث عن العلاج منه فى اسرع وقت ممكن . فهناك اعتقاد عام بان الانهيار العصبى من الامراض غير الخطرة ، او من المتاعب البسيطة نتيجة للارهاق وسرعان ما تنتهى بعد القيام بالاجازة السنوية مثلا ! والأطباء يدقون ناقوس الخطر مرة اخرى ويؤكدون ان الانهيار العصبى يجب أن يعالج بمجرد ظهور اعراضه الأولية والا استفحل واستحال بالتالى علاجه . وهناك من بين هؤلاء الاطباء من شبه الانهيار العصبى بالسرطان . واطلق عليه اسم « سرطان الروح » حتى يفرقه عن سرطان « الجسم » فكما أن سرطان الجسم يفتك بالخلايا وبالحياة فيها ، فان سرطان الروح يفتك « بالشخصية » ، وينتزع المريض من بين افراد اسرته ويبعده عن مجتمعه ، وعن عمله، ويدفعه دفعا الى انهاء حياته بيده، او للاقامة الدائمة داخل « مصحة » تعزله عزلا عن اى شيء او اى شخص يذكره بحياته السابقة .

العلاج

والآن .. ما هو المطلوب من المصاب بالانهيار العصبى .. ؟

قبل كل شيء يجب على المريض ان يجرى فحوصا طبية حتى يتاكد الطبيب بصفة قاطعة من أن المريض لا يشكو من اى مرض جسمانى — كالتهاب الكبد مثلا — وحتى يمكن تشخيص الأعراض بعد ذلك بانها أعراض للانهيار العصبى . ثم يبدأ علاجه بواسطة طبيب نفسانى يعالج الروح ، بجانب طبيب جسمانى يعالج الأعصاب . ووقاية للجسم فهناك أدوية ضد حالات الانهيار .. اكتشفت حديثا . واول من اكتشفها الدكتور السويسرى كون *Kuhn* فى سنة ١٩٥٧ ومنها العقار المعروف باسم *Thymo - Analeptique* .

ويحذر الأطباء من أن علاج الانهيار العصبى يتطلب فترة كافية من العلاج البطيء . ويجب على المريض الا يفقد الايمان بالله ولا الثقة فى الشفاء . وبعد الشفاء يحتاج المريض الى فترة اطول من النقاهة حتى يمكن الاطمئنان على الشفاء التام . كما يحذر الأطباء من أن الصيدليات تمتلىء الآن بأنواع مختلفة من الادوية والعقاقير المضادة للتعب والارهاق . ولا يجب أن يقبل عليها المريض بالانهيار العصبى بحثا عن الشفاء، فهذه الأدوية معدة اصلا لعلاج الارهاق الناتج عن اى خلل او مرض جسمانى ، وهى بذلك لا تصلح لعلاج الارهاق النفسانى !

بيتهوفن

● يحتفل العالم بعد أسبوعين بمرور مائتي عام على مولد لودفيج فان بيتهوفن Ludwig van Beethoven الفنان العبقري الثائر الذى عشق الموسيقى واحب الطبيعة، واسعد العالم كله بموسيقاه الخالدة ، وفشل فى أن يسعد قلبه !

■ كتبت امه ماريا ماجدالينا Maria Magdalena ، تصف يوم مولده في رسالة بعثت بها الى شقيقتها ، قالت : « زارني اليوم ضيف غريب وانا راقدة في فراشي وبجوارى طفلى الجديد لودفيج .. كان الزائر عصفورا أصفر جميلا ، وكان يقف وراء زجاج النافذة التى غطتها الثلوج ، وكان العصفور يغرد ويطلق صفيرا طويلا، وكانه ينقل لنا لحنا سماويا ! » .

ففى هذا اليوم من شهر ديسمبر عام ١٧٧٠ ، ولعله اليوم السادس عشر ، او السابع عشر ، لا احد يدرى على وجه التحديد ، وفي مدينة بون الالمانية ، تلك المدينة الصغيرة التى اصبحت اليوم عاصمة للقسم الغربى من المانيا ، وفى بيت صغير عند سفوح تلال سايبنجبرج Siebengebirge ، كان هناك جمع كبير من الاقارب والاصدقاء ينتظر اخبار المولود الجديد في قلق شديد ، فقد كان اطفال ماريا المسكينة يموتون بعد ولادتهم ..

فنان عظيم

لقد انجبت لزوجها جوهان Johann ، سبعة ابناء ، مات منهم اربعة وعاش ثلاثة ، وكان لودفيج هو ثاني اكبر ابناء ماريا الذين كتبت لهم الحياة .. وفى هذا البيت الصغير ، عاشت اسرة بيتهوفن الريفيةالبسيطة التى تتالف من الأب والأم والأبناء الثلاثة ، كارل ولودفيج وجوهان الصغير .. وفى وسط السهول الشاسعة والمراعى الخضراء التى تمتد على مرمى البصر ، نشأ لودفيج ، الذى أصبح فيما بعد أعظم فنان انجبته ارض الراين .. وكل ارض من الفولجا الى الدانوب ..

قال عنه الموسيقار العالمى هايدن Hydn ، وكان لودفيج أحد تلاميذه الصغار في فيينا، مدينة الفن والموسيقى ، قال : « بين مئات السيمفونيات



شكسبير الموسيقى عبقري تزوّج فنه

قضى حياته يبحث عن المرأة المثالية فلما وجدها أشفق عليها من نفسه!

بقلم
منير نصيف

التي كتبت ، بما فيها تلك التي وضعتها أنا ، لم أجد سيمفونية واحدة تستطيع أن تقف منافسا لأعمال لودفيج فان بيتهوفن وسيمفونياته التسع؟!»

هل كان السبب هو جمال اللحن ؟ أم هو ذلك الغموض اللانهائي الذي يحس به المـرء عندما يستمع الى موسيقى هذا العبقرى الموهوب .. الغموض الذي يدفعنا باستمرار الى محاولة سبر أغواره .

رأى هايدن فى موسيقاه

يقول هايدن : « انه هذا وذاك .. ثم هو أكثر من ذلك . فقد رفع بيتهوفن الموسيقى عن منصة الجمال التقليدى، تلك التي كانت ترقد عليها دهورا طويلة ، وحمل هذا العبقرى الحانه في قلبه وفي عقله وفي دمه ، ثم راح يهزها هزا ، الى ان نجح في أن يراها تصنع ما اراده لها أن تصنع .. فقد عبرت موسيقى بيتهوفن عن مشاكل الانسان وآلامه .. رسمت صورا جميلة للطبيعة التى عشقها هذا الفنان في صغره وعبرت أخيرا عن الأحاسيس والمشاعر التى اعتملت في صدره ، كواحد من المئات من البشر الذين كانوا يحسون بمثل ما يحس به ولكنهم يعجزون عن التعبير عما يجيش فى نفوسهم من انفعالات !

بين شكسبير وبيتهوفن

وقالوا عنه : « لقد كان بيتهوفن ، شكسبير الموسيقى ، فكما قدم هذا الاديب العملاق للمسرح، أعمالا خلدت عبر العصور ، كذلك سمت ألحان بيتهوفن فوق كل الالحان التى وضعها الذين سبقوه ، والذين جاءوا من بعده ، هؤلاء الذين اتخذوا من موسيقاه علما يزهون به ويفاخرون بانتمائهم اليه .. »

ذهب الموسيقار العالمي روبرت شومان Robert Schumann (١٨١٠ – ١٨٥٦) في أواخر أيام حياته ، الى طبيبه الخاص ، يشكو العلة التى ألمت به ، وكان شومان يبكى !! وسأله الطبيب : « ولكن لم البكاء .. انها وعكة بسيطة ، ولن تلبث أن تزول ! »

فقال شومان : « ليس من اجل هذا كان بكائي، وانما أبكى لاننى أشعر أننى لم أعد قادرا على الخروج في نزهتى المسائية مشيا على الاقدام ! »

وعاد الطبيب يسأل : « وأين كنت تذهب في نزهاتك هذه ؟ »

وقال شومان في ألم : « الى حيث يرقد بيتهوفن لأعيش مع روحه بضع لحظات ! »

عملاقا الادب والموسيقى

ولم تكن أوجه الشبه بين شكسبير وبيتهوفن مقصورة على أعمالهما فحسب، بل كانت هناك صفات كثيرة اشترك فيها هذان العملاقان .. كان الرجلان يجمعان بين العديد من المتناقضات .. الشعور بالالم والسرور لأى سبب ولأقل سبب ، الانطلاق في الحديث بلا توقف ، والالتزام بالصمت والهدوء، والرغبة في الابتعاد عن الناس لأيام طويلة .. وأخيرا تلك البساطة التى كانت تبدو في مظهرهما

وحديثهما احيانا ، ثم ذلك العمق في التفكير والتعبير في احيان اخرى .. وبالرغم من ان الاثنين كانا يؤمنان بانتصار الحياة ، الا ان بيتهوفن كان يرى دائما ان ارادة الانسان هي التي تصنع الحياة .

وقد صنع بيتهوفن حياته بتصميمه وعزمه وقوة ارادته ..

قصة طفل موهوب

ولنعد قليلا الى كتب التاريخ ، نبحث فيها عن حياة هذا العبقرى .. انها ليست قصة عادية ، انها قصة طفل موهوب ، وشاب تعس ، شاء القدر أن يحرمه نعمة السمع عندما بلغ قمة المجد ، وقصة رجل عاش لفنه وافنى نفسه !

عاش لودفيج الصغير حياة الريف ، وعرف طريقه الى المدرسة التى ارسله اليها والده ليتعلم ، ولكنه عرف طريقا آخر احب الى نفسه من طريق الدرس والتحصيل .. طريق الكنيسة الصغيرة التى يعمل فيها والده مرتلا .. وكان جوهان والد الصبى ، يحب الغناء ويتذوق الموسيقى ، ولكنه كان رجلا سكيرا أدمن الخمر ، فلم يكن يهتم كثيرا بابنائه !

مع عازف الارغن

وظن الاب في بادىء الامر ان الابن يأتى الى الكنيسة من اجل الصلاة ، كما يفعل بقية الاطفال ، الى ان فوجىء بابنه يوما يقف بجوار عازف الارغن ، يتأمل اصابعه وهى تتنقل بين مفاتيحه ، وقد شرد ذهنه ، فلم يعد يشعر بشيء مما يدور حوله ، حتى انه لم يسمع صوت والده وهو ينهره ويطلب اليه ان يعود الى البيت !

وتكررت زيارات لودفيج لعازف الارغن ، الى ان كانت احدى الامسيات عندما انتهت الصلاة ، وخرج الناس عائدين الى منازلهم ، وفجأة صدحت موسيقى الارغن من جديد ، ولكن بانغام اخرى غريبة ، غير تلك التى الفها المصلون ..

وعاد الاب مهرولا ، فاذا به يرى منظرا ، جمل الدم يجمد فى عروقه .. كان لودفيج الصغير يجلس الى الارغن تحت ضوء الشموع ، ويعزف مقطوعة من عنده .. من ابتكاره !

ووقف الاب يرقب انامل ابنه الذى لم يكن قد تجاوز عامه الحادى عشر ، وهى تتحرك في رقة ورشاقة .. حتى اذا ما انتهى من عزفه ، اقترب منه وضمه الى صدره ، ثم تطلع الى وجهه فوجده غارقا في الدموع ..

مولد الموسيقار

في هذا اليوم ولد بيتهوفن الموسيقار العظيم ، فقد صمم لودفيج على ان يمضي في الطريق الطويل مهما كان الثمن ، ومهما كانت التضحيات .. وقد كان من الممكن أن يتعهد الوالد ابنه ، فيرعاه ويوجهه ويعطيه من علمه ما وسعه العطاء ، الا أن الاب كان مشغولا عنه بخمره ، يعب منها حتى يسكر وينام !

حيرة وضياع

وهكذا قضى الصبى الصغير ست سنوات أخرى من عمره ، عاشها تائها حائرا وسط اسرته وفي بلدته الصغيرة بون.. وكان وقته فيها موزعا بين مدرسته ، وبين حبه لامه التى تسهر على تربيته وراحته ، وبين حبه للموسيقى وكل ما يمت لها بصلة .. كان لودفيج يخرج احيانا من البيت يجوب سفوح التلال القريبة ، ثم يقف وسطها ويعقد يديه وراء ظهره متأملا الطبيعة من حوله .. ولكن احدا لم يكن يعرف ما يدور في راس الصبى خلال تلك اللحظات التى يقضيها وحده مع الجبل والسماء والمراعى الخضراء الممتدة على مرمى البصر ..

وكان لودفيج يعود بعد كل نزهة الى داره ، وفي راسه صورة لهذا الجمال الذى ملأ به عينيه ، واستحوذ على عقله وفكره ، وهز كيانه هزا .. فيجلس امام البيانو الصغير الذى اشترته له امه عندما بلغ الرابعة من عمره ، محاولا أن يترجم عليه أحاسيسه فينجح احيانا ، ويفشل في احيان كثيرة .. ولا يلبث ان تشتد به الثورة ، وهو يشعر بعجزه ، فيضرب مفاتيحه بقبضة يده ، ثم يقفز من جلسته هائجا ثائرا !

ماتت امه

وتمضي الايام ، ويكبر الصبى ، ويجيء عام ١٧٨٧ .. لقد اصبح لودفيج شابا في السابعة عشرة من عمره .. وهو ما زال يعانى من حيرته .. انه لا يدرى ماذا يفعل والى اى اتجاه يسير .. وفجأة يحزم حقيبته الصغيرة ، ويذهب الى امه مودعا .. لقد قرر ان يسافر الى فينا ، ليقابل الموسيقار العالمى موزارت Mozart .

وتبكى الام لفراق ابنها ، وتتمنى له رحلة موفقة ، ولكنه ما يكاد يبدأ رحلته الطويلة حتى يبلغه



ام بيتهوفن
تركت وفاتها اثرا عميقا فى نفسه

نبأ مرض امه ، وهو بعد في منتصف الطريق لم يبلغ غايته ، فيعود لودفيج مسرعا ، ويسهر الشاب بجوار فراشها ، يرعاها ويقدم لها الدواء ، ولكن القدر يقلبه ، فتموت الام ، وتترك وفاتها في نفسه اثرا عميقا ..

وتمر خمس سنوات اخرى ، قبل أن يعاود لودفيج الكرة ، ويبدأ رحلته من جديد الى عاصمة الموسيقى ، ويصل الى فينا ، ثم يلحق به شقيقاه بعد وفاة والدهم ..

في مدينة الموسيقى

ويتخذ الشاب من مدينة الموسيقى مقاما له ومقرا ، فهو لم يبرحها ابدا الا ليقوم برحلات قصيرة ، كان لا يلبث أن يعود بعدها الى ضفاف الدانوب ، حيث عمل عازفا على البيانو والكمان ، واختير عضوا في فرقة العازفين في بلاط امبراطور النمسا ..

ثم كان ان تحققت اعظم امنياته عندما اصبح تلميذا للموسيقار العالمي هايدن ، قبل أن يفتتح بيتهوفن مدرسته هو التي اصبح فيها معلم الموسيقى الاول ..

الموسيقار يفقد حاسة السمع

وتمضي الايام ، ويحتل بيتهوفن قلعة الموسيقى في فينا ، عقب ظهور سيمفونيته الاولى في عام ١٨٠٠ ، ولم يكن قد بلغ عامه الثلاثين بعد . كان يشعر وقتها بقوة جارفة عارمة تدفعه دفعا الى العمل والكتابة والتاليف .. ولكن القدر لم يمهله ليتمتع بهذا المجد الذي بلغه .. فقد بدأت حاسة السمع عنده تضعف تدريجيا ، وازعجته هذه الظاهرة المخيفة ، فبدأ يهرب من الناس ، وينطوي على نفسه ويتجنب الاجتماعات العامة .. حتى اذا ما احس انه لم يعد قادرا على اخفاء حقيقة ما حل به ، حمل الامه والحانه ، وذهب ليعيش في تلك العزلة التي اختارها لنفسه في هيليجنستاد Heiligenstadt ، احدى ضواحي فينا القريبة وكان يومها في الثانية والثلاثين من عمره ..

بيتهوفن يصور شقاءه

كتب يصور بؤسه وشقاءه في وثيقة طويلة اسموها « العهد » Testament :

« كان من المستحيل علي ان اطلب الى الناس ان يرفعوا صوتهم ويصرخوا لأسمع ما يقولون ، لانني رجل اصم .. كيف يمكن ان اعترف بفقدان هذه الحاسة ، وهي التي كان يجب أن تتوفر في بصورة لا تتوفر في اى انسان عادى .. ما اعظم الى عندما كنت أرى الناس يطربون لسماع انغام الموسيقى التي تصل الى اذانهم ، وانا واقف بجوارهم لا اسمع شيئا !

« انني اقترب من هاوية اليأس ! »

نعمة لا نقمة !

ولكن بيتهوفن لم يسقط في الهاوية التي رآها توشك أن تبتلع مواهبه .. فقد استطاع هذا العملاق ان يحول الهزيمة الى نصر .. ففي الوقت الذي ظن فيه انه قد انتهى ، وضع سيمفونيته الثانية الرائعة .. واثبت بيتهوفن ان صممه كان نعمة لا نقمة ، لقد اكتشف الموسيقار العبقري انه يؤلف موسيقاه بقلبه وعقله لا باذنه .

واصبح بيتهوفن موضع احترام وحب كل الذين عرفوه والذين سمعوا موسيقاه دون ان يلقوه !

واحاطت به المعجبات . الا انه لم يكن يهتم بالمراة ، فهي لم تستطع أن تغزو حياته الا في السنوات العشر الاخيرة من عمره ، وربما قبل ذلك ولكنها كانت مجرد طيف جميل يلوح بخياله ، ثم لا يلبث ان يختفي في ظلال اللحن الجديد الذي يملأ رأسه ..

رأيه في الزواج

كان رايه دائما ان الزواج وظيفة لا يصلح لها سوى الرجل الذي يعرف كيف ينظم حياته بين عمله وبيته .. وقد كانت حياة بيتهوفن كلها عمل

ونغم .. وكان الشذوذ فيها هو اسلوبه في الحياة، وتصرفاته ومسلكه ازاء نفسه وازاء الآخرين ..

فقد كان غريبا أن تجتمع في هذا الفنان العظيم الذى أطرب العالم كله بفنه ، الكثير من الصفات التي ينفر منها الناس ..

لم يكن يسمح لأحد بان يقترب من غرفته التي اتخذ منها محرابا لفنه ، كان كل شيء في هذه الغرفةالصغيرة يصرخ الما من الفوضى الضاربة بين ارجائها ، فالحانه المسجلة مبعثرة فوق فراشه وعلى المقاعد وفي كل مكان .. وبقع الحبر تملأ ارض الغرفة وتلطخ اصابع يديه وملابسه .. واطباق الطعام النصف فارغة ملقاة هنا وهناك .

الفنان الشارد

وكان الموسيقار الفنان يغلق باب غرفته على نفسه ، فلا يبرحها اياما ، وكثيرا ما كان ينسى طعامه ، فاذا عضه الجوع ، خرج يبحث لنفسه عن كسرة خبز يسد بها رمقه ..

كان يدخل المطعم لياكل ، ثم يتذكر فجاة اللحن الجديد الذى بداه في البيت ، فيخرج قلمه ويكتب، ثم ينسى الطعام الذى جاء من اجله ، فاذا فرغ من تسجيل نغمه ، نادى على الجرسون يطلب منه اعداد قائمة حساب الوجبة التي ظن انه تناولها .. وكان كلما ازداد صمما ، ازداد شرودا ، وشكا في الناس .. كان يشك في نوايا الناشر الذى يتولى طبع موسيقاه ، ويشك في اصدقائه الذين احبوه والذين كثيرا ما كانوا يدخلون خلسة في بيته ، ليضعوا له ملابس نظيفة بدلا من تلك التي لم تفارق جسده منذ اسابيع واسابيع ..

احبته فتاة من تلميذاته في مدرسته ، وكانت الفتاة تاتي في مساء كل يوم الى بيته ، وتقف تحت نافذة غرفته تستمع اليه وهو يعزف الحانه الجديدة .. ورآها يوما وهي تحوم حول البيت، فناداها ، وطلب اليها أن تبحث لنفسها عن مكان آخر تقضي فيه وقتها الضائع ..

قال بيتهوفن يصف لقاءه بهذه الفتاة : «اعجبتني حديثها واعجبني ذكاؤها ، ولكنها ليست لي ، انها فتاة جميلة ، وانا اعشق الجمال ، ولكنني اخافه ، لانني اخاف عليه من عشاق الجمال غيري ! »

حب .. وخوف

لقد كان الرجل يحب المراة ويخشاها .. كان يشعر بحاجته اليها ، ولكنه كان ينفر منها ، كما ينفر من كل غريب يحاول أن يغزو دنياه .. لقد احب بيتهوفن امه ، أول امراة في حياته .. احب فيها جلدها وصبرها على الصعاب .. كانت حياتها مع والده نموذجا لما يجب أن تكون عليه الزوجة المثالية ، فقد تحملت كل شيء في سبيل المحافظة على كيان تلك الاسرة الصغيرة التي ينتمي اليها ..

ثم كانت عقدته من المراة بعد ذلك ، عندما مات شقيقه كارل ، فقد كره بيتهوفن أرملة شقيقه بنفس القوة التي احب بها امه .. لانها كانت امراة مستهترة ، اساءت الى سمعتها ، والى سمعة زوجها الراحل .. واتسع نطاق كراهيته لامراة اخيه ، ليشمل كل امراة عرفها !

أب رغم أنفه

لقد كان لشقيقه الراحل طفل من هذه المراة ، فلم يجد بيتهوفن الا ان ينتزع حضانة الطفل من امه .. وجاء الصبي ليعيش في بيت عمه ، الذى احسن تربيته ، ولكنه نسيه واهمله ، كما كان ينسى نفسه ..فكثيرا ما كان الصبي يجوع فلا يجد شيئا ياكله، وكثيرا ايضا ما كان يشعر بالبرد ، فلا يجد غطاء ثقيلا يلتحف به . كان مصيره مرهونا بما يتذكره العم ، فهو لا يجد ما يملأ به معدته ، الا عندما يجوع عمه ، ولا يحس بالدفء الا عندما تخبو النار في المدفاة ويشعر عمه بالبرد ، فيسرع لاشعال النار من جديد .حتى كبر الابن ، وحانت فرصته للهرب من هذه الحياة ، عندما قرأ اعلانا عن حاجة الجيش النمسوى الى الرجال ، فاسرع يقدم نفسه ، ثم ما لبث أن اختفى بين صفوف المقاتلين ..

اللحن الحزين

وحزن بيتهوفن على فراق ابن اخيه حتى انه عندما علم بوفاة ابن صديقته البارونة ايرتمان Eartmann اسرع الى بيتها يعزيها ، ويعزي نفسه !

ولكنه ما كاد يصل الى البيت ويصافح صاحبته معزيا حتى وقف حائرا وسط بقية المعزين لا يدري ماذا يقول أو ماذا يفعل ! وفجاة رأى بيانو في ركن منها ، فاتجه اليه وجلس أمامه ، ثم راح يعزف ويعزف ، وجاء لحنه ترجمة صادقة لما كان يعتمل في صدره من حزن وألم !



تريزا مالفاتي

كان يجد الراحة الكبرى في اللحظات التي يقضيها الى جوارها يعزف لها موسيقاه

وعندما توقف عن العزف ، نظر الى من حوله فوجد عيونهم غارقة في الدموع !

وتمر الايام ، ويشتد احساس بيتهوفن بالوحدة ، ويزداد شعوره بالحاجة الى رفيق . حقيقة كانت موسيقاه تملأ حياته ، ولكنه كان يعيش في فراغ روحي .. وكان احساسه بهذا الفراغ يزداد كلما تمادى في عزلته وازداد بعده عن الناس !

البحث عن زوجة

وفي عام ١٨١٠ ، وكان وقتها قد جاوز عامه الاربعين ، فكر الموسيقار العبقري اخيرا في البحث عن امرأة تشاركه حياته ، وفي ذهنه صورة اول امرأة احبها . .صورة امه ..

كانت امنيته أن يعثر على امرأة ترعاه وتعنى به وتسهر على راحته ، كما كانت تفعل امه معه في طفولته وصباه ، فقد بدا يشعر ان التعب قد استبد به ، وان الفوضى قد شاعت في حياته .. وانه قد فقد قدرته على مزيد من الاحتمال .. كان يريد امرأة تستطيع ان تفهمه ، وتستطيع ان تنقل الى رأسه ما عجزت اذناه عن سماعه ..

وساق القدر في طريقه ، فتاة حلوة ، ذكية هادئة كالنسيم على حد وصفه لها .. وكان اسمها تريز مالفاتي Therese Malfatti ، وكانت ابنة لواحد من صغار اصحاب الاراضي الزراعية .. واحبها بيتهوفن ، وتكرر لقاؤه بها ، وزياراتها لبيته مع ابيها .. وكان يجد الراحة الكبرى في تلك اللحظات القصيرة التي كان يقضيها الى جوارها يعزف لها موسيقاه .. ولكنه لم يعدها بأكثر من أن يكونا صديقين !

● ركن الاسرة والمرأة

أشفق عليها من نفسه

لقد اشفق بيتهوفن على فتاته الرقيقة من نفسه .. لم يشعر ان هناك امرأة تستطيع ان تحتمل ثوراته وتقلباته ، تلك التي كانت تجتاحه بين الحين والحين ، ثم لا يلبث بعدها ان يهدأ ويشعر بالندم على فعلته !

لم يكن واثقا من انه سيصبح قادرا في يوم من الأيام على تغيير اسلوب حياته الذي تلفه الفوضى ويشيع فيه الاضطراب ..

ولم تكن تريز وحدها التي فكر في ان يتخذ منها زوجة له . فقد احب بيتهوفن فتاة اخرى هي الكونتيسة ماري اردودي Marie Erdody رغم انتمائها الى الطبقة الارستقراطية ، فقد كان يكره هؤلاء النبلاء ويؤمن بالديموقراطية والحرية حتى انه عندما علم ان نابليون الاول او نابليون الفاتح قد نصب نفسه امبراطورا مزق الصفحة التي كانت تحمل كلمة الاهداء التي قدم بها اليه احدى سيمفونياته !

الرسالة الاخيرة

ولكن صورة تريز لم تفارق مخيلته لحظة واحدة ، حتى بعد ان استبعد فكرة زواجه منها ، وحتى بعد ان اشتد به المرض واوشك على الموت .. لقد ظل شبحها يطارده في صحوه ونومه في كل لحظة من لحظات حياته ، وعندما مات وجدوا على مكتبه خطابا الى تريز يقول لها فيه : « الى معبودتي .. الى حبي الذي لن يموت ابدا .. اصفحي عني ، واذكريني .. اذكري انني احببتك وانني تمنيت لو انك شاركتني ما تبقى لي من ايام عشتها على هذه الارض ! »

ولكن تريز لم تقرأ رسالته ، اذ كانت قد رحلت بعيدا عن فيينا وعن الناس الذين عرفوا قصة حبها الضائع !

مات عملاق الموسيقى

ومات عملاق الموسيقى في ليلة عاصفة ممطرة اشتد فيها البرق والرعد وقبل أن يلفظ آخر انفاسه ، رأى البرق يضيء السماء ، فرفع راسه عن الوسادة ، ثم لوح بقبضة يده مهددا متوعدا ، وقال وقد اشتدت ثورته : « حتى هذا الصوت الشاذ لن يستطيع ان يفسد موسيقاي ! »

ثم مال برأسه واغمض عينيه الى الابد ■■

منير نصيف



عندما قذفوا لنكولن بالبيض الفاسـد

● كان ابراهام لنكولن ، Abraham Lincolon ، محرر العبيد فى امريكا (١٨٠٩ – ١٨٦٥) يقوم باحدى جولاته الانتخابية ، قبل انتخابه رئيسا للولايات المتحدة ، فى عام ١٨٦١ ، عندما فوجىء بحشد كبير من الزنوج يلتفون حوله فى مظاهرة ليعبروا عن آلامهم واحزانهم ، وهم يحملون اللافتات التى تطالب بانقاذ انسانيتهم ، ومعاملتهم كما يعامل البشر . .

واشتد الحماس بواحد منهم ، فاخرج من جيبه بيضة فاسدة ، قذف بها لنكولن ، فاصابته فى وجهه !

وتجمهر حوله فريق من المتظاهرين ، محاولين ان يفتكوا به ! وهنا ارتفع صوت لنكولن محذرا :

« اتركوا الرجل وشانه ! »

ثم نزل من فوق المنصة التى اعتلاها ليلقي خطبته ، واتجه فى هدوء الى حيث يقف الرجل ، وقال له وهو يربت على كتفه : « انني ادافع عنكم ، واحاول ان اعطيكم حقوقكم ، ولو انك كنت تحمل هذه اللافتة كما يجب ان تحمل لما ارتكبت هذا الخطأ وقذفتني بهذه البيضة ! » ومد لنكولن يده وانتزع اللافتة المقلوبة من يد الرجل الاسود ، وعدل من وضعها ، واعادها اليه . .

وهنا قال له : « الان استطيع ان اقراها ! »

وضج المتظاهرون بالهتاف بحياة الرجل الذى حررهم من قيود العبودية !





صيغة الجمع فى حديث موزارت !

● يروون عن الموسيقار العالمي موزارت Mozart (١٧٥٦–١٧٩١)، انه كان يستخدم دائما صيغة الجمع عندما يتحدث عن نفسه، حتى ان البعض فسروا ذلك بانه محاولة منه لتفخيم نفسه وتعظيمها الا ان طالبا بوذيا استطاع اخيرا ان يكشف سر استخدام موزارت لصيغة الجمع عندما يكون الحديث عن نفسه، فقد التقى به الطالب اثناء احدى رحلات الموسيقار الكبير فى اوربا، ونقل اليه ما سمعه عنه، فابتسم موزارت فى هدوء؛ وقال: « ليس هناك من عمل يستطيع المرء ان يؤديه وحده، وخاصة اذا كان هذا العمل ناجحا. ونحن عندما نعمل ونستغرق فى عملنا، نشعر بان هناك كثيرين غيرنا شاركوا بطريق مباشر او غير مباشر فى هذا العمل.. خذ عملي انا على سبيل المثال.. حقيقة انا الذى اصنع موسيقاى ولكن هناك من قدم لي الورق لاكتب عليه، والقلم لكي اكتب به، ثم هناك صانع البيانو الذى اعزف عليه، وبقية العازفين وآلاتهم.. حتى الصوت والهواء من حولنا ليس من صنعنا.. فكيف اتحدث عن نفسي وعملي بضمير المفرد.. انه نتاج لمجهود مشترك كما ترى.. وانا اتحدث بلسان كل الذين ساهموا فيه !! »

★ ★ ★

● المديح هو الهدية الوحيدة التى يشعر ازاءها المرء بالامتنان !

« ايمرسون »

حتى الزهور .. ! رفض ان تكون ملكا له

● بيير بول Pierre Boulle، الكاتب الفرنسي، مؤلف قصة **« جسر فوق نهر كواى »**، كان يفخر دائما بانه لم يملك شيئا فى حياته، حتى ماله الخاص لم يكن يتصرف فيه الا بقدر ما كان يحتاج اليه منه ثمنا لغذائه وملبسه. وكان يكره دائما ان يكون له شيء يملكه غير تلك النسخ التى يقدمها له الناشر **« هدية »** من كتبه ومؤلفاته.

وفى احد الايام كان بول يحتفل بعيد ميلاده، وجاء الاصدقاء ليتمنوا له حياة سعيدة مليئة بالانتاج، ولكن زوجة صاحب دار النشر التى تتولى طباعة وتوزيع مؤلفاته ارادت ان تقدم له هدية بسيطة، رغم علمها بانه يكره « الهدايا » ! وحارت ماذا تقدم له ! واخيرا قررت ان ترسل له باقة من الزهور، ووضعت عليها بطاقة تقول فيها: « لا تنس ان هذه الزهور سوف تذبل وتموت، فهي اذن ليست هدية باقية ! » وكم كانت دهشتها عندما اعاد الرسول هديتها مع بطاقة يقول فيها بول: « اشكرك فقد كانت رائحتها جميلة، وقد نعمت بها للحظات، ولكنني لا اريد ان اكون مالكا لها، لانني اكره ان اراها تموت !! »

أنباء الطب والعلم والاختراع

بصمات ((الصوت))
بعد بصمات الاصابع

● المعروف ان بصمات الأصابع تختلف من شخص لشخص . لذلك فرجال الشرطة يحرصون على رفع تلك البصمات من مكان الحادث ، كدليل هام على الجريمة .

عالم امريكي اسمه لورانس كيرستا (L. Kersta) ، اكتشف « بصمة » جديدة يؤكد انها لا تتكرر لشخصين فى العالم . فقد راى ان لكل انسان نبرة صوتية تميزه عن باقى البشر . فالطفل له طريقة خاصة يتعلم بها النطق وطريقة لا يشاركه فيها أحد يستخدم بها جهازه الصوتي أى الأحبال الصوتية والحنجرة والفم والأنف واللسان والأسنان وعضلات الفك . لذلك فان « النغمة » او «الرنين» الذى يصدر عن الكلمة التى ينطقها ، لا يمكن أن تصدر عن نفس الكلمة التي ينطقها اى شخص آخر .

ويقول كيرستا ان الاذن البشرية لا يمكنها بالطبع ان تفرق بين هذا الرنين وذاك . وانما هناك جهاز اخترعه بنفسه، عن طريقه يستطيع ان « يرسم » رنين كل صوت .

واجرى تجربة، اشترك فيها ٥ افراد، ونطقوا جميعا كلمة واحدة هى (You) ـ أى أنت باللغة الانجليزية ـ ما عدا واحدا منهم نطق بهذه الكلمة مرتين . وكان الجهاز يرسم آليا « رنين » كل صوت . وبمضاهاة الصور الست وجد انها تختلف فيما بينها ماعدا الصورة الاولى والسادسة التى صدرتا عن شخص واحد .

ويبدو ان الشرطة الجنائية الامريكية (FBI) قد اقتنعت بنظرية لورانس كيرستا واخذت تستعين بها تماما كما تستعين برفع بصمات الأصابع .

فمن التجارب الناجحة ، انه حدث ان ابلغ مدير احد المصانع رجال الشرطة عن مكالمة تلفونية تلقاها من مجهول يحذره فيها من وجود قنبلة زمنية على وشك الانفجار داخل مصنعه . وبحث رجال الشرطة طويلا عن القنبلة دون فائدة . فرجحوا ان يعود صاحب البلاغ الكاذب للاتصال بمدير المصنع مرة أخرى . وتقرر الاستعانة بجهاز « رسم الرنين » الالكترونى . وفعلا اتصل هذا المجهول بالمدير مرة ثانية ، وفى هذه المرة تمكن كيرستا من تسجيل رنين صوته .

وعلى الفور تم تسجيل أصوات جميع العاملين بالمصنع وعددهم ٢٢٠٠ شخص .



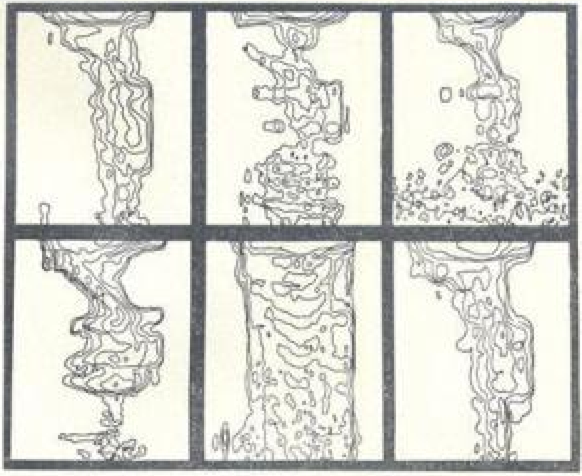
لورانس كيرستا امام جهاز « رسم الرنين » الالكترونى عن طريقه يمكن الكشف عن شخصية صاحب الصوت المجهول ، فلكل انسان رنة صوت تميزه عن باقى البشر !

وبمضاهاة رسم رنين اصواتهم جميعا ، برسم رنين الصوت المجهول ، وجد كريستا ان هناك صورة واحدة من بين ال ٢٢٠٠ صورة ، التى تتشابه مع الصورة المجهولة .

واحضر صاحب الصوت، وبالتضييق عليه اعترف بانه نفسه الذى اتصل بمدير المصنع وابلغه بوجود القنبلة ، حتى يحدث هرج فى المصنع ويتوقف العمل فى هذا اليوم .

ومنذ هذا اليوم ورجال الشرطة والفضاء الامريكى يستعينون بجهاز كيرستا للكشف عن شخصية أصحاب الاصوات المجهولة .

كذلك بدات شركات الطيران تهتم بهذا الجهاز واصبحت تستعين به للكشف عن شخصية هواة الاتصال التلفوني والابلاغ عن وجود قنابل مزعومة داخل الطائرات مما يتسبب فى



نتيجة التجربة المثيرة التى اجراها لورانس كيرستا . لقد احضر ٥ اشخاص ، ونطلقوا جميعا كلمة واحدة هى كلمة You – اى انت بالانجليزية – ماعدا واحدا منهم نطق بهذه الكلمة مرتين . ورسم الجهاز « رنين » كل صوت. وبمضاهاة الاصوات وجد انها تختلف فيما بينها ماعدا الاولى والسادسة التى صدرتا عن شخص واحد !

الغاء الرحلات الجوية وتعطيل اعمال الناس بالاضافة الى الخسائر المادية الكبيرة .

احد الصحفيين سأل لورانس كيرستا عن الدليل الذى يقدمه ويثبت ان لكل انسان رنة صوت لايشاركه فيها احد .

فأجاب كيرستا – : سأقول لك نفس الاجابة التى تقدمها الشرطة والخاصة باهمية دليل بصمات الأصابع . .

سيقولون : لا نملك دليلا مطلقا على وجود اكثر من شخص واحد يشتركون فى بصمات اصابعهم . الا اننا رفعنا حتى الآن ما يقرب من ٩٣ مليون بصمة ، ولم نعثر بين هذه البصمات كلها عن بصمتين متشابهتين !

تارك التدخين ، لماذا يزيد وزنه ؟!

● لاحظ الاطباء ان الشخص عندما يقلع عن التدخين يزداد وزنه . وكانت النظرية الشائعة ان زيادة الوزن تأتى نتيجة لاقبال المقلع عن التدخين على الاكل كوسيلة من وسائل التعويض عن لذة التدخين .

ولكن الدكتور ستانلى جلاوسر Stanley Glauser وهوعالم امريكى اثبت خطأ هذه النظرية الشائعة عندما قام باجراء تجارب على ٧ اطباء من زملائه اقلعوا عن التدخين اخيرا .

واثبتت التجربة التى قام بها ان عملية الـ Metabolism ، وهى عملية بناء وتأمين الطاقة الضرورية للنشاطات الحيوية للجسم والتى تمثل المواد الجديدة للتعويض عن المندثر منها، تتم بكفاءة اكبر فى حالة غياب مادة النيكوتين التى تدخل الى الجسم عن طريق تدخين السجائر .

وقد وجد الدكتور « جلاوسر » ان عدد نبضات القلب فى الاشخاص السبعة قد هبط بعد ابطالهم التدخين عن معدله اثناء ادمانهم على التدخين . كما ان نسبة السكر فى دمائهم كانت تهبط فى وقت اسرع بعد تناولهم الطعام عن الوقت الذى كانت تستغرقه اثناء التدخين . وهذا هو الذى يؤدى الى زيادة الوزن .

الفيناسيتين يضر بالكلى

● اخيرا تنبه الاطباء الى خطورة الادوية المسكنة والمخففة للأوجاع ، التى اقبل الناس على تعاطيها بدون رقابة ، وبصفة مستمرة . فقد انتجت معامل الادوية أنواعا كثيرة من تلك العقاقير وترك للصيدليات بيعها لمن يشاء وبدون « وصفة » الطبيب .

ففى مدينة هوسكفارنا Huskvarnna — وهى مدينة صغيرة بالسويد تعداد سكانها حوالى ١٣ الف نسمة وبها مصنع للأسلحة يعمل فيه ٣ آلاف عامل — فوجيء الدكتور جريملوند (Grimlund) بتزايد الاصابة بالتهاب الكلى بين السكان ، وقد ادى هذا لتفاقم المرض فى الكثير من الحالات ، وعجزت الكلى عن تأدية وظيفتها ، فتسمم الدم وانتهى بوفاة الكثيرين من المرضى . لدرجة ان الطبيب اطلق على هذه الظاهرة اسم « وباء التهاب الكلى المزمن » وعكف مع غيره على معرفة اسباب انتشار هذا المرض القاتل بين السكان .

وتبين ان سكان المدينة ، قد تعودوا على تعاطى عقار مسكن يدخل فى تركيبه الفيناسيتين (Phenacetin) — ٥٠ر. جرام — ، والفينازون (Phenazone) — ٥٠ر. جرام — وكافيين (Caffeine) — ١٥ر. جرام — ، وذلك بصفة مستمرة . وبعملية حسابية قام بها الاطباء تبين لهم ان كل مريض كان يتناول بمعدل ١٠٠ كيس من هذا الدواء المسكن فى السنة . اى أن الجسم كان يمتص نحو ٥٠ جراما من مادة الفيناسيتين سنويا .

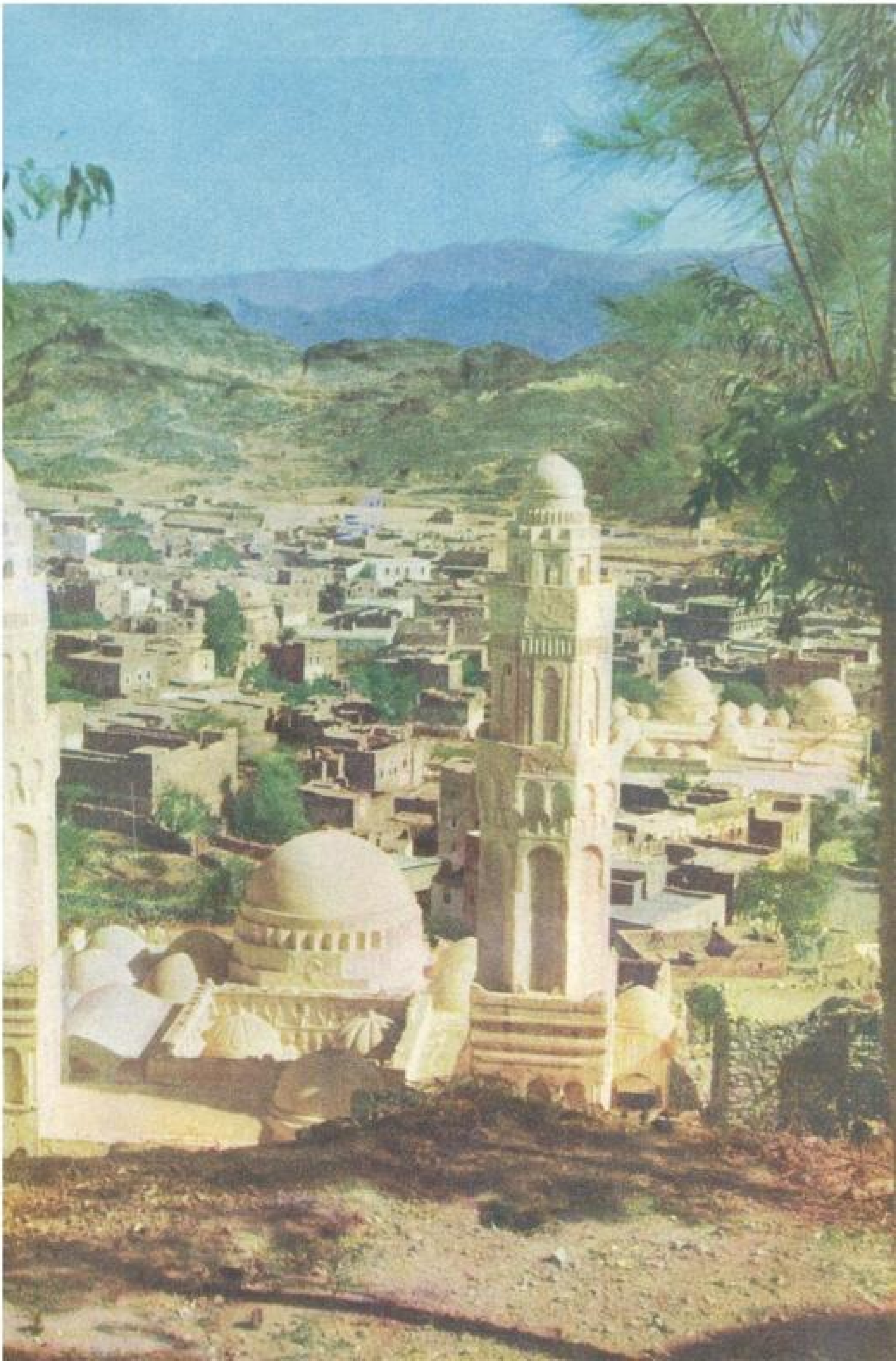
وأجرى الاطباء فحصا عاما بين جميع عمال مصنع الاسلحة ، فاتضح ان جميع مرضى الكلى منهم يواظبون على تعاطى



هذا الدواء المسكن يوميا . وعندما منع الاطباء هؤلاء المرضى من تناول الدواء المسكن ، أحس الكثيرون منهم بتحسن واضح فى الكلى ، واكد تحليل الدم تخلصه من مادة البولينة (Urea) التى تتراكم فيه فتسمم الجسم .

وتجربة أخرى لتأكيد تأثير الفيناسيتين على الكلى ، قام بها الاطباء بين ٦٩٨ من مرضى احد المستشفيات خلال ٦ شهور كاملة . تبين أن ٢٩٫٤٪ من المرضى يتناولون الأدوية المسكنة يوميا ومنذ سنوات . وأن ٢٢٫٣٪ منهم يتناولونها بصفة غير منتظمة . وبفحص الفئة الاولى وجد ان ٣٣٫٢٪ منهم يعانون من مرض الكلى ، فى حين ان النسبة فى الفئة الثانية لم تتعد ١٠٫٩٪ فقط . فخطورة تلك العقاقير المسكنة ترجع الى مادة الفيناسيتين على الانسجة الحية ، وبالذات فى حالة امتصاصها لمدة طويلة .

●●



الى اسفل : شيء غريب لمسناه في هذا الشعب ، فهو رغم بداوته الا انه يتميز بحس مرهف ، انه يعشق الزهور ، فتراه يشتريها ويتزين بها ويضعها وراء اذنه ..



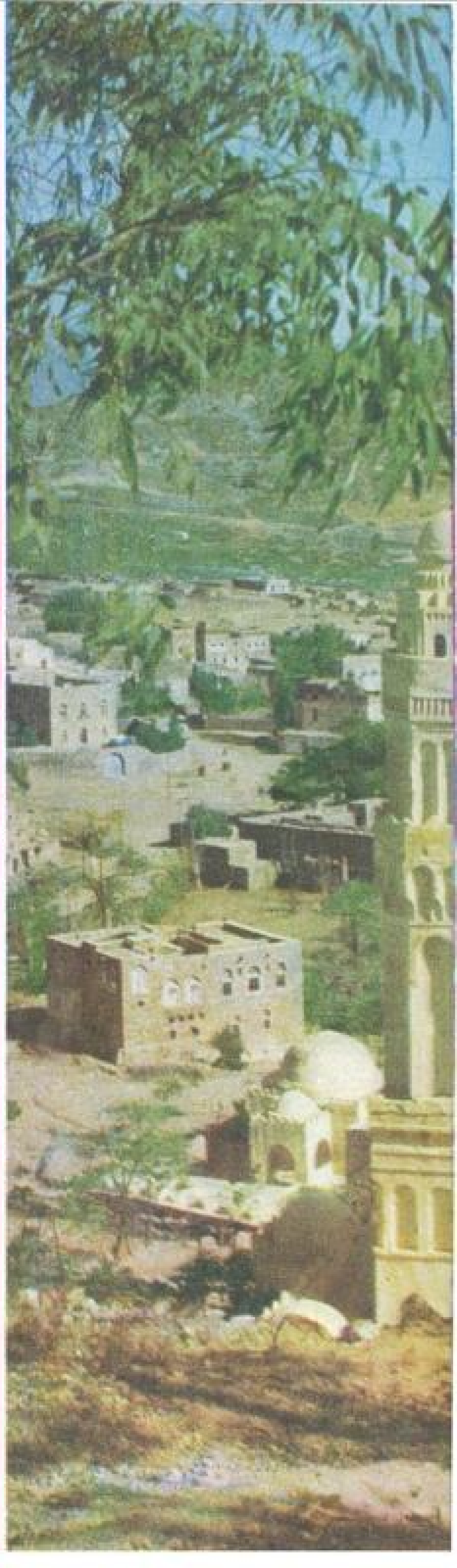
اعرف وطنك أيها العربي

تَعِزْ

جنة .. فوق قمة جبل زرعوه بالسموم

استطلاع
سليم زبال

تصوير
أوسكار متري



الى اليمين : هكذا تبدو مدينة تعز من بين مئذنتي جامع الاشرفية ، الذي بناه الاشرف الكبير في القرن الثاني الهجري . ولتضم تعز ٢٢ جامعا ومسجدا .

■ تحت ظلال جبل صبر المكسو بالاشجار الخضراء ، تقبع « تعز » .. ثانية مدن اليمن .. على ارتفاع ١٢٠٠ متر عن سطح البحر ..

وكونها ثانية المدن اليمنية ، اكسبها مركزا مرموقا ، مع اختلاف كلى عن صنعاء ، أولى مدن اليمن .

فالناس فى تعز غير الناس فى صنعاء .. هنا فى تعز ، تشعر انك تعيش فى مجتمع متفتح بعض الشيء ، نتيجة لكثرة أسفار أفراده ورحلاتهم .. بينما مجتمع صنعاء مجتمع محلى قبلى منغلق على نفسه ! .

وفي تعز لم يعد احد يحن الى اسلوب البناء القديم او يتحسر عليه ، بل اتجه الناس الى استعمال الحديد والاسمنت والاصباغ ، بدلا من حجر البازلت والاخشاب .. تلك التي تراها في معظم بيوت صنعاء القديمة ..

وصنعاء تقوم على ارض مسطحة مستوية ، بينما تمتد تعز فوق خمسة تلال ، وتتلوى طرقها وسط الوديان وحول الجبال .. انها طرق جبلية ترهق الانسان والحيوان على السواء ..

والتعليم في تعز متقدم بمراحل عن التعليم في صنعاء . وكذلك الماء فهو نقي عذب ، بعكس صنعاء التي تشرب ماء ملوثا يميل الى الملوحة .

اوجه التشابه بين المدينتين

واذا كانت الاختلافات كثيرة بين المدينتين ، الا انهما تشتركان فى امرين :

اولهما : شغف اهلهما الزائد بتخزين نبات القات ، اى مضغه ..

وثانيهما : الانتشار المريع للامراض بين السكان ، مع انعدام الوعى الصحى !

اما الحديث عن القات فهو حديث طويل سنرجع له في استطلاع آخر مستقل .. ولكن الحديث عن الامراض لا يتحمل التاجيل ، فهو حديث يرجع بنا الى قرون خلت ، ويرتبط ارتباطا وثيقا باسم تعز .. فقديما كانت تعز تعرف باسم العدينة ، وهو الاسم الذى يطلقه البعض على جامع المظفر حتى اليوم . وكانت هذه البلدة تشرب من مياه العيون المنحدرة اليها من جبل صبر .. تأتيها في قنوات مكشوفة فتتلوث بالجراثيم ، فانتشرت الامراض في المدينة .. حتى ان الطاعون الذى اكتسح اليمن عام ٨٤٠ هـ (١٤٢٠ م) بدأ انتشاره من هذه

الصعود الى جبل صبر على ظهر البغال .. اما تعبيد الطريق وتمهيده فقد توقف بسبب مزرعة قات !!





خريطة الجمهورية العربية اليمنية،وتظهر مدينة تعز في جنوبها قرب الحدود الجنوبية

البلدة ، لهذا اطلقوا عليها اسم تعز ، لانها بلدة تعز الصحة فيها على ساكنيها .

رواية اخرى !

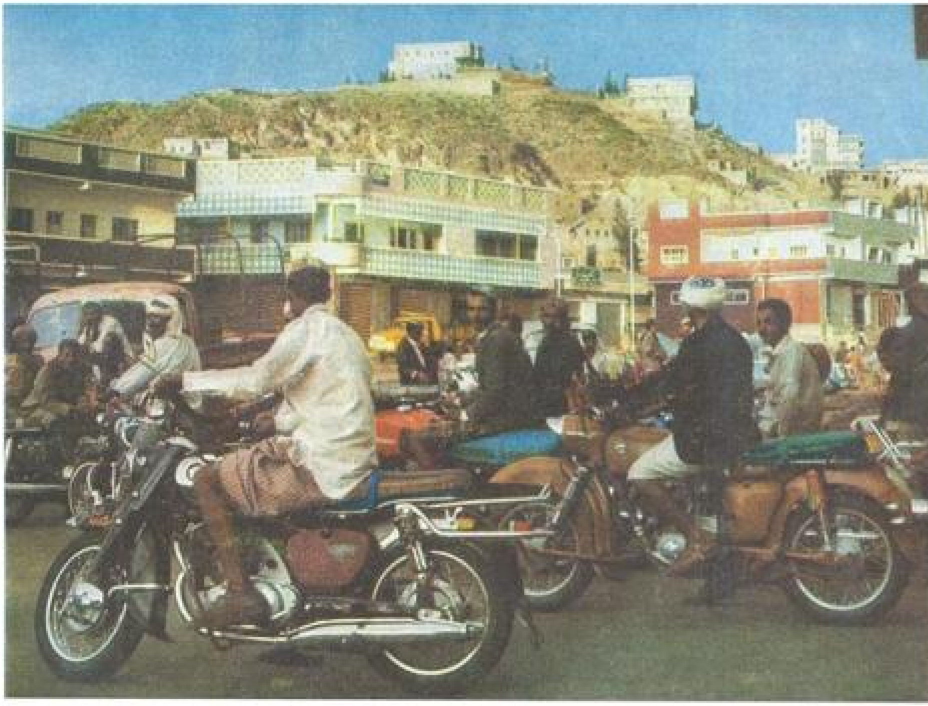
ولكن أهل تعز يرفضون هذا القول ،وينسبون اسم المدينة الى قصة بطولية يقولون فيها : « نشبت في قديم الزمان حروب كثيرة بين سلاطين بني رسول وائمة الشمال حول منطقة المدينة .. وقرر الاهالي الدفاع عن قريتهم ، وقالوا : « تعز علينا ان نسلمها .. » وقاتلوا باستماتة حتى انتصروا .. فاطلقوا على قريتهم اسم تعز .

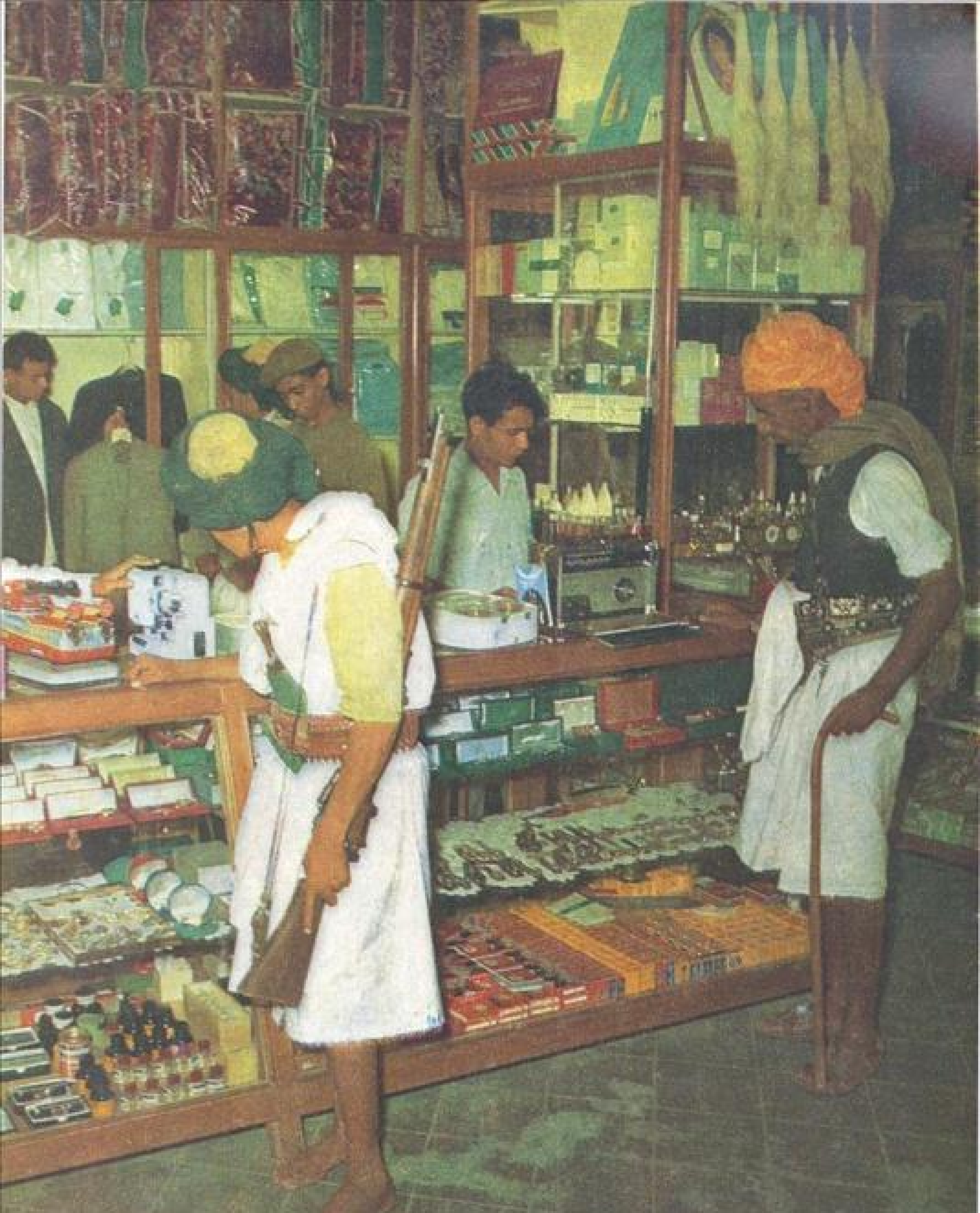
الى اليمن : مبنى الركاب في مطار تعز الجديد .. ان شركات الطيران تعقد الاتفاقيات من الآن لهبوط طائراتها في هذا المطار الذى سينتهي العمل فيه بعد سنتين .



الى اليمن : جفت الآبار السبع التي كانت تمد تعز بالماء ، فحفروا ثلاث آبار أخرى ، ولكنها ما لبثت أن جفت بدورها لزيادة الاستهلاك فعادوا يحفرون ، وسلموا ادارة مشروع المياه لهيئة التعاون الاعلى فقامت بحفر آبار جديدة في منطقة الحوجلة ، تكفي حاجة المدينة لمدة ٨ سنوات اذا استمر الجفاف .







الى اليمن : « تاكسي » موتوسيكل ، بدلا
من السيارة ، وهذه محطة انتظار الركاب
الذين يجلسون دائما وراء السائق .

تمتلىء متاجر تعز بمختلف السلع والكماليات ..
وينزل ابن الجبل الى المدينة ، ويدخل هذه المتاجر
ويتعجب مما يرى .. انه عالم جديد لم يألفه من قبل.

ونحن نذكر اسم تعز بالتاء المفتوحة ، بينما الواقع ان كلمة تعز تقرأ بالتاء المكسورة والعين المكسورة ايضا ، والزاى المشددة ، حسب ما ذكر الشيخ الواسعى في كتابه « تاريخ اليمن » .

لكل طريق قصة !

لقد ظلت تعز منزوية عن العالم ، لافتقارها الى الطرق المعبدة المؤدية اليها .. حتى كانت السنوات القليلة الاخيرة ، التى شهدت شق العديد من الطرقات الموصلة اليها .. لكل طريق من هذه الطرق مشكلة ، يرويها السيد محمد الملفى ، مدير مصلحة الطرقات في تعز بقوله :

« لقد انتهينا من تعبيد الطريق الذى يربطنا بعدن ..عبدناه حتى حدودنا مع جمهورية اليمن الجنوبية ، التى قامت بدورها بتعبيد الطريق من عدن حتى حدود اليمن ، ولكنها تركت قطعة من الطريق غير معبدة بالمرة ، طولها ٤٠ كيلو مترا ، يمر بها السيل عندما ينهمر فيخرب الطريق ،لهذا تتعطل السيارات في تلك المنطقة ، فتقطع المسافة من تعز الى عدن ، ومقدارها ٢٠٠ كيلو متر ، في ٨ ساعات ونصف ساعة ، بدلا من ساعتين ونصف فقط ! !

« اما الطريق المؤدى من تعز الى صنعاء ــ وطوله ٢٦٥ كيلو مترا ــ فقد تم شقه دون رصفه ،وتجرى حاليا الدراسات لتعبيده ، وفرشه بطبقة من « الاسفلت » .. في حين ان الطريق المؤدى من تعز الى ميناء المخاء على البحر الاحمر ، ما زال دون اسفلت حتى الان ..

اما الطريق الرابع ، فهو الطريق الذى يربط تعز بميناء الحديدة ، فما زلنا نعمل في شقه وتعبيده .. »



شجرة البن .. مشاريع كثيرة مقترحة لاعادة سابق مجدها اليها ، وجعلها الثروة الزراعية الاولى في البلاد .. ترى هل سترى هذه المشاريع النور ؟

مليون يمنى فى المهاجر

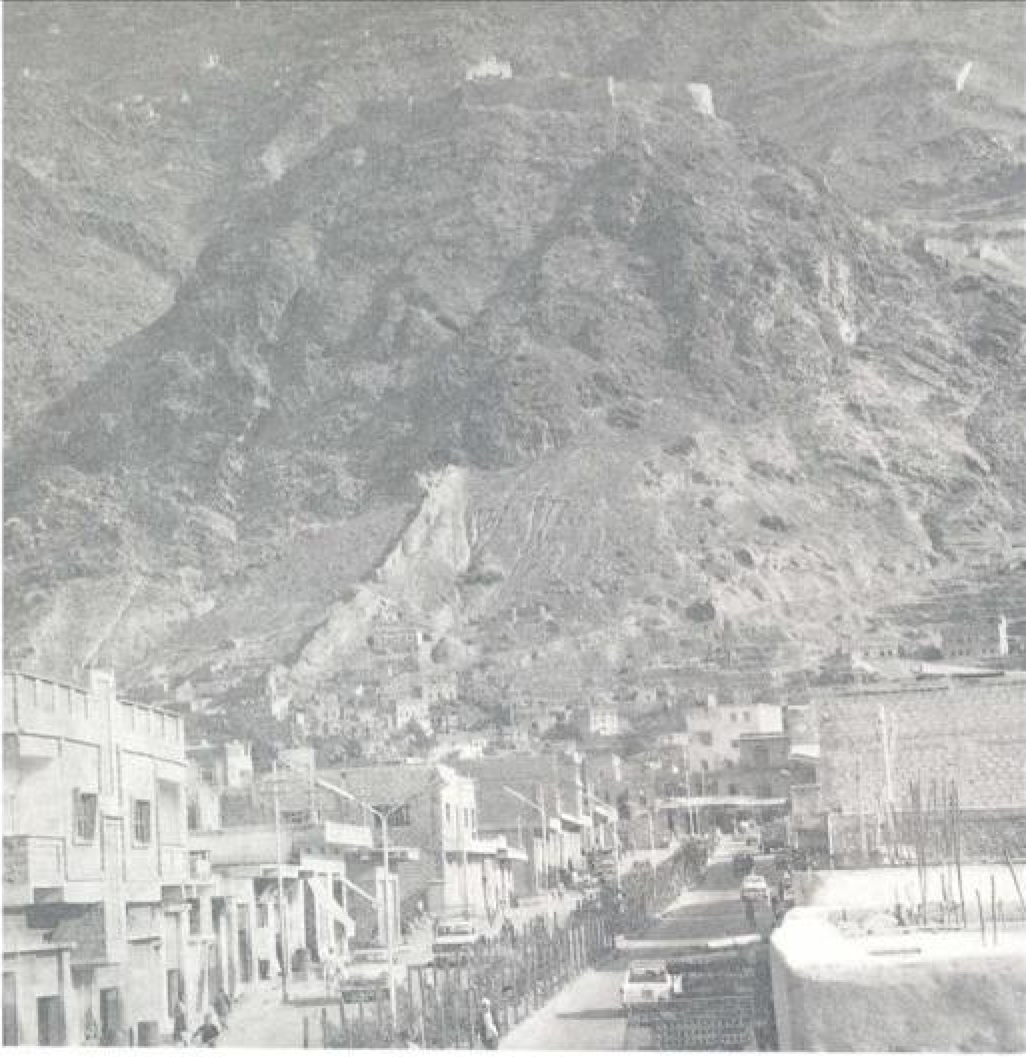
ان كثرة الطرق المؤدية الى تعز جعلت المدينة تحتل المركز التجارى الاول في اليمن ، فظهرت فيها الاحياء الحديثة،وعمرت أسواقها القديمة ..

ويرجع الفضل في جزء كبير من هذا الانتعاش التجارى الى المهاجرين اليمنيين ، الذين بدأوا يعودون لبلادهم ..

قوافل من السيارات تأتي يوميا على الطريق القادم من عدن .. تحمل عشرات العائدين .. لقد اشتهر اليمنيون بهجراتهم الاربع القديمة : ٣ هجرات سامية ، وهجرة قحطانية اتجهت عام ٣٥٠٠ وعام ٢٥٠٠ ق.م الى العراق وسوريا والاردن ونجد .. اما الذى لم يعرف عن اليمنيين فهو هجرتهم الحديثة ، التى ترجع الى بضع عشرات من السنين .. هجرة طلبا للرزق والثروة، وهربا من التخلف والجهل ..

لقد اتجه ابناء اليمن في هجرتهم هذه الى بلاد العالم الواسعة : ٨٠ الف اتجهوا الى اندونيسيا ، ١٤ الفا اتجهوا الى فرنسا ، في منطقة بوردو بالذات .. سبعة الاف يعيشون فيالولايات المتحدة ، في حي بروكلين .. عشرة الاف هاجروا الى انجلترا ، وعاشوا في لندن وكارديف وساوثمبتون ..

ثم تدفق النفط في بلادنا العربية ، فاتجه اكثر من ربع مليون شخص الى المملكة العربية السعودية .. والى بلدان الخليج العربي جاء ٥٠ الف نسمة .. ومجموعات اخرى عبرت البحر



مدينة تعز تقبع تحت ظلال جبل صبر .. وقد ظهرت فوقه قلعة القاهرة التي شيدها توران شاه،شقيق السلطان صلاح الدين الايوبي

الاحمر .. الوف اتجهوا الى اليوبيا .. والوف قصدوا الصومال ، والسودان .. والوف تفرقوا في مختلف الاقطار ...

وقدروا اعداد المهاجرين اليمنيين بحوالي ٧٥٠ الفا .. وقدرهم البعض باكثر من مليون .. بعضهم هاجر مع اهله .. وبعضهم سافر وترك عائلته في اليمن ، يرسل لها الحوالات شهريا .

وعندما بدأ ابناء اليمن ينادون اخوانهم الى العودة للمشاركة في بناء اليمن ، بدأ الموظفون والتجار الصغار في العودة ، وظل اليمني الناجح في المهجر ، وصاحب راس المال الكبير ، مترددا ، حتى انتشر السلام في ربوع اليمن ، فبدأت في الشهور الاخيرة عودة بعض اصحاب رؤوس الاموال الى بلادهم ..

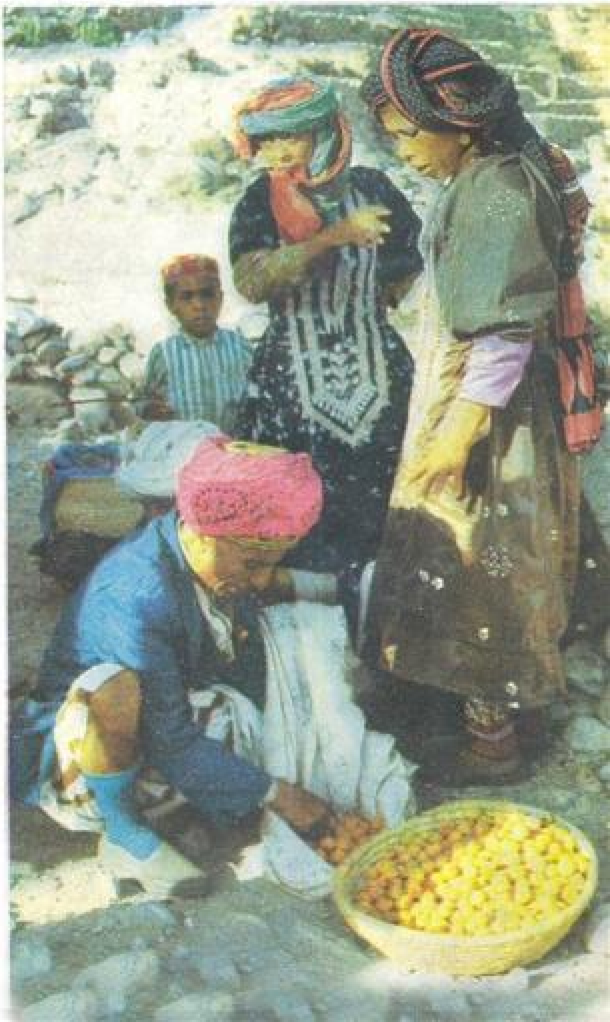
خمسة ملايين مشكلة !

ان العائدين ليسوا من المحاربين ، بل اغلبهم



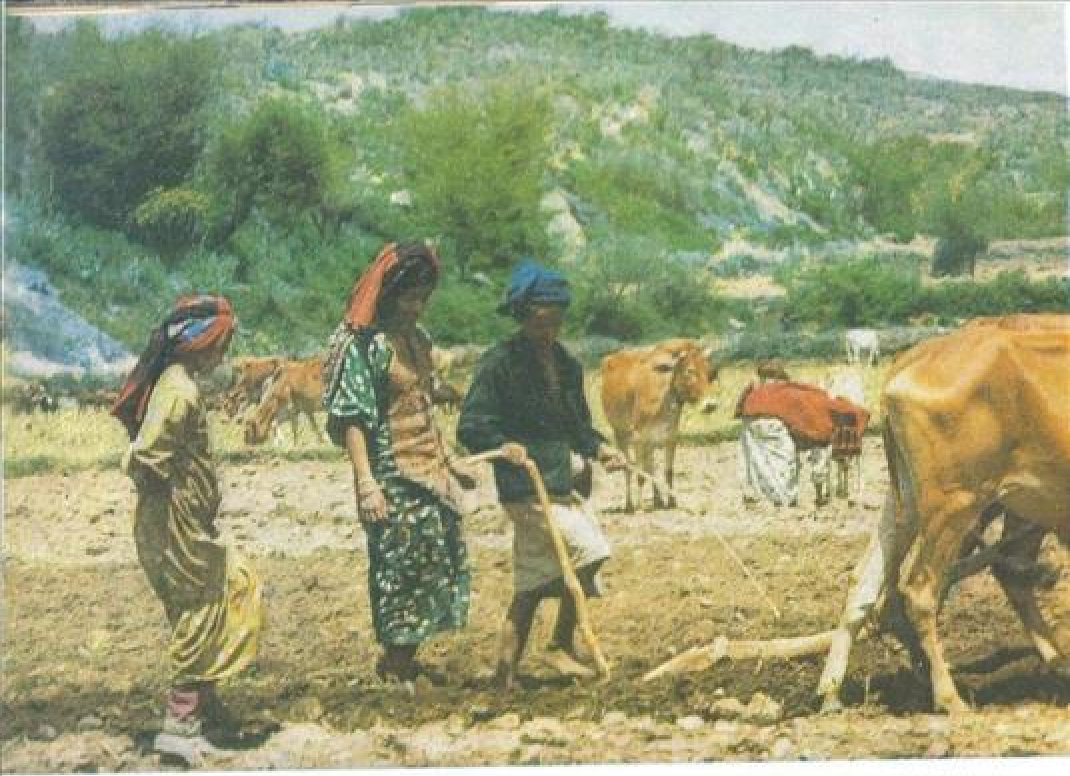


طفلة من جبل صبر تتعلم في المدرسة الوحيدة الموجودة في رأس الجبل .. لاحظ رسوم الكحل فوق حاجبيها وعلى وجنتيها ..



المرأة في المدينة تطالب بالمساواة مع المرأة في الريف :

الى اليمن : كانت المرأة في جبل صبر تجلس قديما في منزلها ، والرجل يحمل القات والفواكه وينزل بها الى تعز ليبيعها ، وكان يتعرض اثناء نزوله لقطاع الطرق ينهبون القات والفواكه .. ففكر الرجال في ارسال النساء للنزول الى المدينة مع منتجات الجبل .. ولم يتعرض احد للمرأة لان لها « حصانتها » !! وظل الحال على هذا المنوال الى يومنا هذا .. المرأة تجمع المحصول وتبيعه (كما ترى في الصورة) والرجل جالس في مسكنه يمضغ القات !!



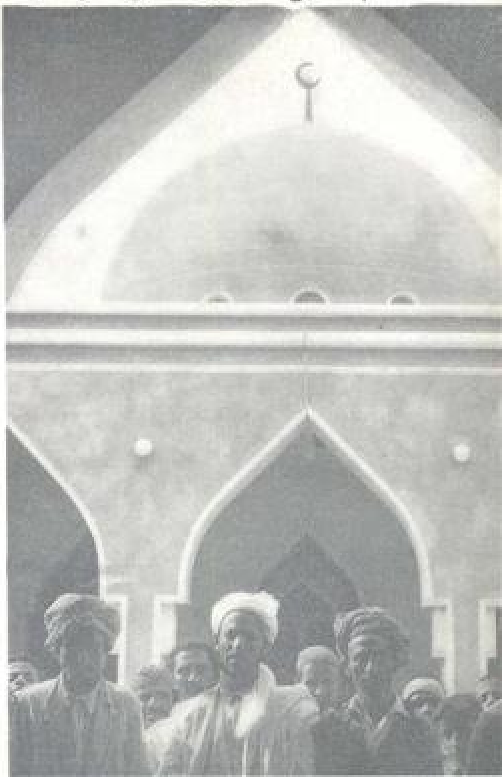
تعمل المرأة في الريف الى جانب الرجل ، تساعده في حرث الارض وجني المحصول وبيعه .. وهذه صورة نادرة تبين المرأة وهي تعمل الى جانب الفلاح في الحقل.. بينما توضح الصورة السفلى بعض نساء جبل صبر في سوق تعز ، ومعهن انتاجهن من « التنور » الفخاري الذي يعدون فيه الخبز في المنازل .. ان المرأة الريفية والجبلية تسير سافرة بعكس المرأة في المدن اليمنية ..



من التجار الذين عاشوا في عالم متفتح ، وجاءوا معهم بافكار جديدة لبلادهم ، لابد لها من ان ترى النور قريبا في ظل السلام والاستقرار ..

ولكن المشاكل في اليمن لا حصر لها ولا حدود.. وقدرنا عددها بخمسة ملايين مشكلة .. اى نفس عدد السكان !! فما من شك ان لكل يمنى مشكلة مختلفة عن الآخر .. ولكن اليست هذه هي حال الناس في كل ارجاء الارض ؟ نعم .. ولكن المشاكل هنا اكثر تعقيدا .. فقد عاش اليمنى في ظل الاستبداد والخوف والذل والحروب قرونا عديدة .. ثم بدأ يخرج من الظلام الى النور .. انه في حاجة الى من يأخذ بيده ويرشده ، ولو لفترة بسيطة ، حتى ينطلق في مسيرته نحو الطريق الصحيح .. ولكننا نجده اليوم ،وللاسف الشديد، يقف وحيدا ، محاولا ان يبدأ من النقطة التى توقفت عندها عقارب الساعة فى بلاده ، بدلا من

الى اسفل : هذا المسجد الكبير في تعز ، تولى الانفاق على بنائه المغفور له الشيخ عبد الله السالم الصباح ، امير دولة الكويت الراحل .



تلك التى كان يجب ان تكون قد وصلت اليها عقارب الساعة لو انها استمرت في حركتها !

انها ـ كما قال لنا احد كبار المسئولين ـ : « عقدة الاستقلال .. التخوف من الخبراء وكراهيتهم .. والسبب المباشر لهذا الخوف هو الميل الى العزلة ، ثم الشعور بالكرامة الزائدة بعد الاستقلال ، والاحساس الخاطيء ـ عند البعض ـ باننا قد وصلنا الى الكمال بمجرد حصولنا على حريتنا » .

مكابـرة ..

وتستطيع ان تلمس صدق هذا الكلام وانعكاسه في الفنادق الحديثة التى بدات تظهر في تعز وصنعاء على حد سواء .. العاملون فيها يديرون الفنادق مثلما يدير صاحب الخان خانه ، يعتقدون انهم يتعاملون مع قرويين في حين ان نزلاءهم من رجال السلك السياسي والخبراء الاجانب والسياح ، يقدمون لهم الماكولات التى تقدم في المطاعم البلدية بالاسواق ،وفي اوان تنقصها النظافة وتنقص مقدمها اللباقة واللياقة .. انه معذور لأنه لم يتعلم هذه المهنة من قبل .. ولكنه لا يعترف بهذا النقص ، وانما يكابر ويغالط نفسه .. انه يريد ان يتعلم من تجربته هو ، ولا يريد ان يتعلم من تجارب الاخرين ! !

كارثة ..

وقد يهون هذا الامر بعض الشيء بالنسبة للفنادق ، وقد يهون الحديث عن الفنادق ، وما هي عليه من حال ، ولكن الامر يتحول الى مأساة وكارثة عندما نخوض في الحالة الصحية السيئة التى يعاني منها أهل هذا البلد !

وفي مستشفى الجمهورية بتعز شهدنا صورة من صور هذه المأساة ، فقد حدث ان تغيب اخصائي الاسنان وسافر الى صنعاء ، ولم يكن هناك طبيب آخر في المستشفى .. وجاء المرضى يشكون من آلام اسنانهم .. فتألم الممرض بدوره لآلامهم ، ثم كانت المفاجأة عندما وجدناه يشمر عن ساعده ويمسك بالكلابات والحفارات ، ويبدأ بمعالجة أكثر من ٣٠ مريضا يوميا ، بينما وقف معه من يساعده في نفس الغرفة احد الطلبة

الذين يدرسـون طب الاسنان في موسـكو !! ؟ (انظر الصورة) .

تنافر بدلا من التنسيق

وفي تعز تعمل عدة هيئات صحية جاءت بعثاتها الطبية الصغيرة من مختلف اقطار العالم .. من الصين .. وايطاليا .. وروسيا .. والسويد .. وفرنسا .. والامم المتحدة ، الى جانب الاطباء اليمنيين .. وكل هؤلاء يعملون في تعز ، كل منهم حسب اجتهاده ، فليس هناك اى تنسيق بينهم ، بل تنافس وتنافر .. كل منهم يغلق بابه على نفسه ، يحتفظ بمعلوماته وملفاته ونتيجة دراسته ، دون ان يطلع عليها احد ..

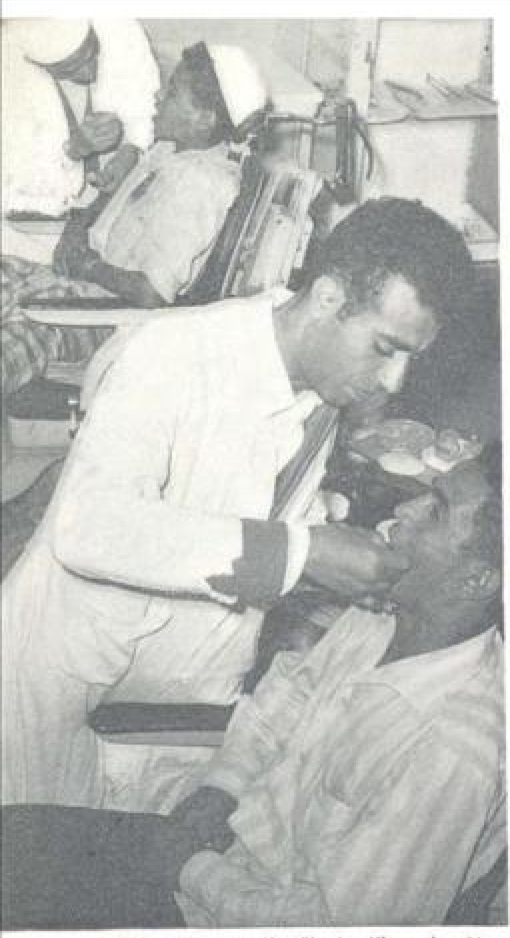
بابا اندريه يتحدث

وجلسنا الى الدكتور اندريه الفرنسي عميد الاطباء الاجانب في اليمن .. لقد مضى عليه ١٥ عاما في اليمن يعالج مرضى السل ، حتى اصبح اليمنيون يسمونه بابا اندريه لفرط حبهم له .. وعندما يتحدث هذا الطبيب عن انتشار السل في اليمن ينتابك نوع من الخوف والفزع .. فتعال نسمعه معا وهو يقـول : « يعتبر السل من الكوارث الوطنية التى تصيب البلاد المتخلفة .. واكثر البلاد تقدما في القضاء عليه هي هولندا حيث تصل نسبة المرضى هناك واحدا في الالف فقط .. واعلى نسبة نجدها في الهند ، حيث تصل الى ثلاثين مصابا بهذا الداء بين كل ألف مواطن .. أما هنا في اليمن فتتراوح النسبة بين ١٤ و ١٦ في الالف .. وهذا رقم مخيف .. اذا اخذنا بعين الاعتبار الامراض العديدة الاخرى المنتشرة في البلاد ..

« فاذا قلنا ان عدد سكان اليمن خمسة ملايين نسمة، فان عدد مرضى السل يصبح ٨٠ ألف مريض يجب أن يوضع ربعهم على الاقل في المستشفيات ، اى يلزمنا ٢٠ الف سرير ، ولكن كل ما لدينا في اليمن لا يتعدى ٣٦٠ سريرا فقط !! »

ويمضي بابا اندريه في وصفه لهذه المأســاة فيقول :

« ان حالات كثيرة جاءتني واصابني الهلع عندما كشفت على أصحابها فلم أكن أجد أثرا لرئاتهم .. لقد أكلها المرض اللعين .. وفي اليمن ثمانية آلاف مسلول في مثل هذه الحالة الخطرة .. انهم في



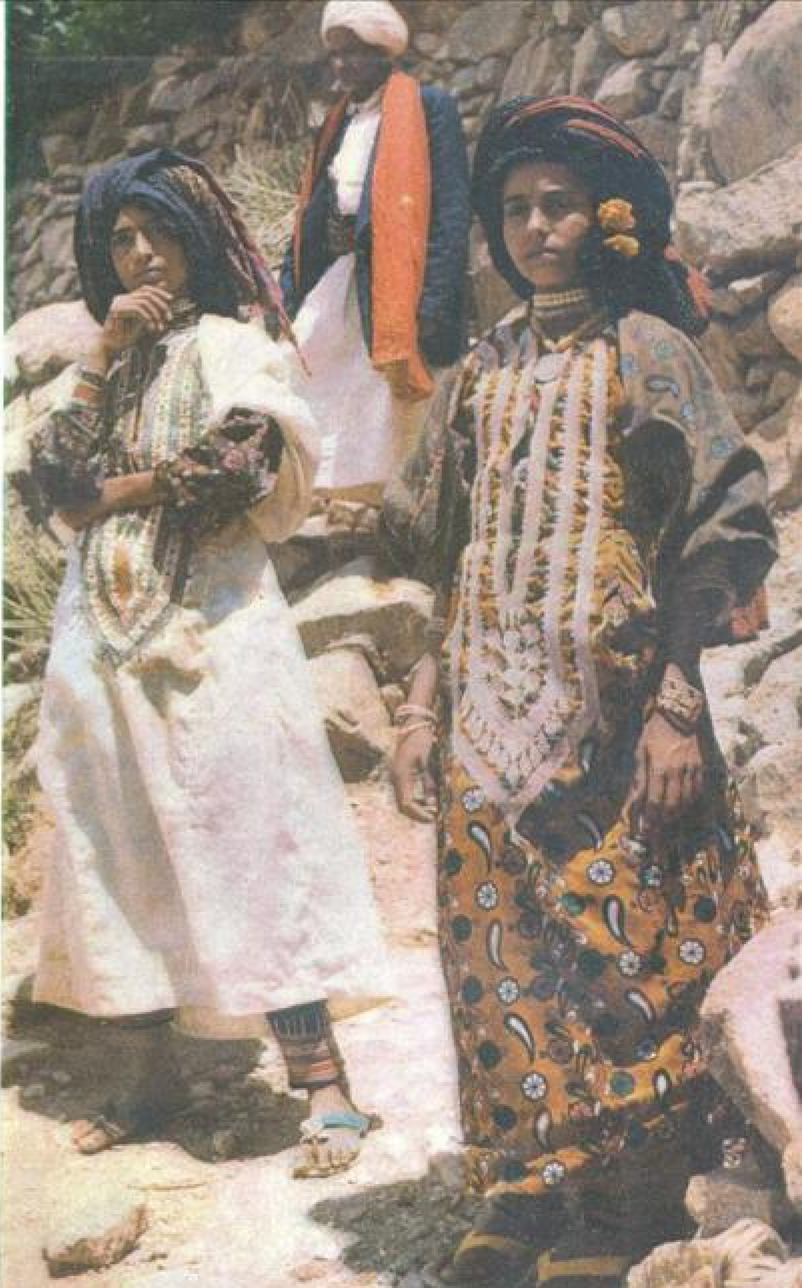
غاب طبيب الاسنان فقام الممرض وطالب الطب في جامعة موسكو ، بمهمته أثناء غيابه !!

حاجة ماسة الى جراحة صدر .. ولكن المؤسف انه لا توجد في اليمن كله ، غرفة خاصة لجراحة الصدر ! .. ان الخطر ـ كل الخطر ـ هو العدوى السريعة التى يمكن ان ينشرها هؤلاء الثمانية الاف شخص الى الاصحاء المعافين .. »

اجرام دولى فى اليمن

وانفعل الدكتور اندريه عندما سألناه عن الامم المتحدة وما تقدمه من مساعدات ، وقال في حدة .

« اذكرها على لساني صريحة واضحة، ان منظمة الصحة العالمية لم تقم بأى عمل حتى الآن من أجل اليمن المسكين ، انه اجرام دولى .. خبراؤها





في جبل صبر .. تجوع المرأة ، وتأكل الخبز الجاف ، وتعمل من الصباح حتى المساء لتجمع المال اللازم لشراء الطبخ والقرط والشكة الذهب .. والملابس الملونة الجميلة .. وهاتان فتاتان بكامل زينتهما تتجهان لجمع الحطب من رأس الجبل !! ان هذا الجبل الجميل ليس فيه مستوصف او حتى صيدلية ، واذا اصيب احدهم فعليه النزول الى تعز للعلاج !



كيف تدخل الفتاة اليمنية الى المدرسة لم تبقى فتاة صالحة لمجتمعها وبيئتها !؟ اننا نريد تجنب الاخطاء التى وقعت فيها البلاد العربية ، نريد من فتاتنا ان تهتم باللب دون القشور .. ! وينقسم المجتمع اليمنى الى قسمين ٥٠٪ يؤيدون تعليمها ، و ٥٠٪ يعارضونه .. البعض يريدها ان تسير مغطاة « بالستارة » ، كما ترى في الصورة التى الى اليمين .. والبعض يريدها عضوا عاملا فى مجتمعها ، كما ترى في الصورة العليا لبعض الفتيات وهن يتدربن على مهنة التمريض في المركز الصحي بتعز ..





توزيع الهدايا على العمال في عيدهم ، وترى محافظ تعز الشيخ امين عبد الواسع نعمان ، الذى نزل بلباس المرض للمشاركة في هذا الاحتفال ، والى يمينه محمد الملقى ، مدير مصلحة الطرقات ..



الفصل مكتظ بالطالبات بينما المعلمة تلقى عليهن درسا نظريا فى العلوم ، لعدم الى اليسار الآنسة حورية عبد الله المهدى

يأتون ويجلسون في الفندق يلعبون الدومينو ويتنقلون بين صنعاء وتعز .. انهم يريدن من اليمنيين أن يقولوا لهم شكرا جزيلا مقابل لا شيء !! »

نداء ..

ويرفض الدكتور اندريه انهاء حديثه قبل ان يحملنا رسالة للمحسنين .. فيقول : « ان مبنى مستشفى السل موجود .. والاخصائيين الجراحيين ستتولى احضارهم من فرنسا .. ولكن المطلوب هو الالات والادوات الجراحية التى تبلغ قيمتها ٣٢ الف دولار لانقاذ حياة ٨ الاف مريض بالسل في حالة خطرة ، ينشرون العدوى في طول اليمن وعرضها دون ان نستطيع عمل اى شيء لهم .. اننا نأمل ان نحصل على هذا المبلغ في اقرب وقت .. »

نداء نرجو ان يلقى جوابا ..

بؤرة قذارة ..

اما عن نظافة شوارع تعز ومستشفياتها فنكتفى بما اورده تقرير المركز الصحي العالمي بتعز في شهر مارس الماضي .. يقول التقرير :

« ان جميع انواع الفضلات والاوساخ تلقى الى الشوارع والطرقات من المستشفيات والمنازل والمتاجر والمطاعم ، وهذه الاوساخ تعطى المدينة منظرا سيئا .. فضلا عن الاوبئة والامراض التى تساهم في نشرها .. ويعمل في البلدية ١٥٠ عامل نظافة ولكنهم يكنسون الاماكن التى تحلو لهم ، ويتركون المناطق التى يجب كنسها ، وسبب هذا انعدام الرقابة عليهم .. اما اسواق اللحم والخضار فقد تحولت الى بؤرة لنشر الامراض ، لا يوجد في المدينة مرحاض واحد عام ، لهذا يقضي الناس حاجتهم في اماكن معينة اصبحت مركزا لتوالد الذباب .. » .



لجين صلاح الدين القادمة من العراق ، وجود مختبرات في المدرسة .. وقد وقفت ناظرة المدرسة ، ومن اوائل الخريجات .



في ورشة التجارة بالمدرسة الثانوية وقف المدرس الروسي نيقولاى شوكين يلقى الدرس على الطلبة باللغة الروسية بينما مساعده يترجم ما يقول .. والى اليمين مدير التعليم الاستاذ ياسين عبد العزيز

اما نظافة المستشفى الجمهورى فقد اختصه التقرير بثلاث صفحات كاملة تضمنت حملة شعواء على انعدام النظافة فى المكان الذى يجب ان يكون مثالا للنظافة يحتذى به .

يرفض محاسبته ! ؟

واتجهنا الى بلدية تعز وتحدثنا الى مديرها ، الذى قال : « انها بلدية مشلولة تماما عن العمل، ولا يمكن محاسبتها على شيء .. لان ميزانيتها لا تتعدى ٨ الاف ريال في السنة (كل ستة ريالات = دولارا) اى ٤٧٥ دينارا فقط ، هو مجمل ميزانية بلدية ثاني مدن اليمن .. وبهذا المبلغ الضئيل مطلوب منا فتح طرق جديدة وتعبيد الطرق القديمة ، وانشاء حدائق واسواق ، .. ومجار للسيول والامطار ، كل هذا في مدينة جبلية تقوم على تلال ووديان .. واقرب ارض مستوية اليها تبعد عنها بحوالي ٢٠ كيلو مترا .. لهذا اقاموا مطار تعز الجديد بعيدا عن المدينة . »

افتتاح المطار بعد عامين

واتجهنا الى المطار الجديد ، فقد هبطت بنا الطائرة في مطار رملى قديم عندما وصلنا تعز .. اما المطار الجديد فمطار انيق كبير ، انتهوا من تاثيث مبنى المسافرين فيه قبل ان ينتهوا من تعبيد ورصف مدارجه ! . انفقوا عليه حتى اليوم مبلغ ستة ملايين ريال ، والمطلوب ثلاثة ملايين ونصف مليون ريال اخرى لتنتهي وزارة الاشغال من مدارجه ، وتعلن افتتاحه رسميا بعد سنتين .. وحتى ينتهي المدرج الثاني تقوم الطائرات الصغيرة بالهبوط في المطار القديم .

جبل صبر ..

ويتطلع اهل تعز عاليا الى جبل صبر المطل





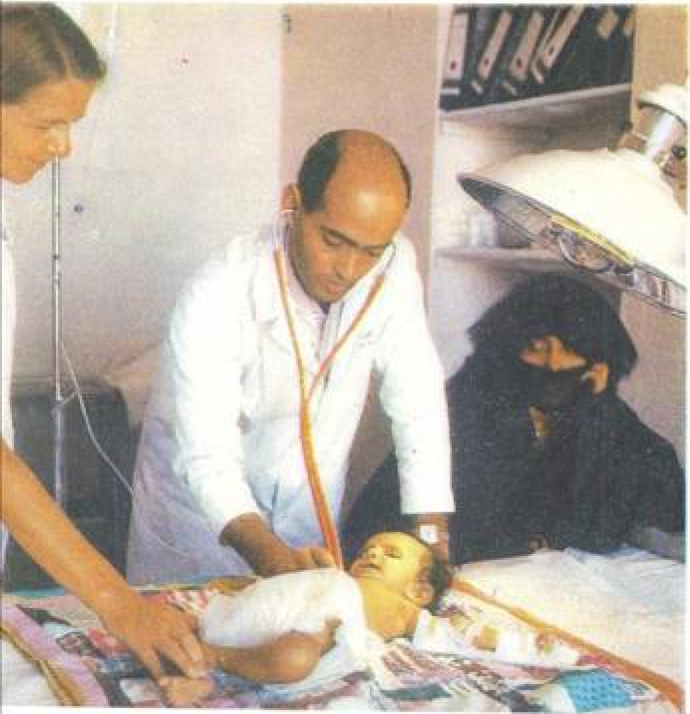
بابا اندريه .. الطبيب الفرنسي الذي مضى عليه ١٥ عاما يعالج مرضى السل في تعز .. انه يقف مع مساعده وسط صالة المستشفى الجديد ، الذي لن تفتح ابوابه لعدم وجود ادوات الجراحة .. (راجع المقال) .

الى اليسار : الممرضة السويدية ايد ستروم تشرح للآباء والامهات كيفية العناية باطفالهم وبغذائهم في مختلف مراحل نموهم . ان انعدام الوعي الصحي ، مع تضخم عدد الاطفال ، الذين يتراوح عددهم بين ٥ و٨ أطفال في كل اسرة ، اضف الى ذلك سوء التغذية ، يجعل نسبة الوفيات بين الاطفال ترتفع الى أكثر من ٥٠٪ وهو رقم مخيف .. وعندما سألنا ابا ناصر ، الرجل الجالس مع طفله في يمين الصورة ، « كم عدد اطفالك ؟ » قال : « ثمانية مات منهم اربعة ! » .. ماتوا من سوء التغذية ، فقد كان يطعمهم الخبز الجاف والماء ..



الى اليمين : ٢٠٠ الف دولار تجمع سنويا في شوارع مدن مدن السويد لاعانة اطفال اليمن عن طريق جمعية رعاية الاطفال السويدية ... وهذه احدى الممرضات السويديات تقوم بزيارة قرية بجوار تعز لتطعيم اطفالها





الى اليسار : ١٥٠ طفلا يتم علاجهم يوميا فى المستشفى السويدى بتعز .. ويحتاج هذا المستشفى الى ثلاثة اطباء آخرين ، بجانب الطبيبين الموجودين لمواجهة الضغط الزائد عليه .. والى جانب الاطباء يحتاج المستشفى الى المال لشراء الدواء ..

عليهم .. انهم يحسدون سكانه على مائهم وهوائهم وزرعهم .. من الفواكه و « القات » .. كما يحسدونهم على جمال بناتهم الذى يضرب به المثل في اليمن كلها ! اذ تقول الاغنية الشعبية التى تذاع باستمرار من الاذاعة ، ويتغزل صاحبها في بنات جبل صبر .. فيقول :

« ما احلى بنات الجبل عندما يطفن المدينة بالثياب الدمس » .

« خدود مثل الورد .. ضوء الفجر ارواها واعطاها المشاقر حرس .. »

حتى الرحالة الدانمركى الشهير كارستن نيبور،



نبوغ فني على الفطرة .. انه الفنان هاشم علي ، الذى ما يكاد يفرغ من رسم لوحة حتى يشتريها منه رجال السفارات الاجنبية في الحال .. ان امنيته أن يقيم معرضا للوحاته الزيتية الجميلة في البلاد العربية ..

عندما جاء الى تعز عام ١٧٦١ سحره جمال هذا الجبل فقرر الصعود اليه ، وكتب يقول :

« انه جبل اخضر مغطى بجميع انواع الزهور التى تنمو في العالم .. »

رحلة على ظهور البغال !

ولم يكن ممكنا بعد كل هذا الاطراء الذى سمعناه الا ان نصعد الى الجبل ، الى « صبر » .. وامر المحافظ بتجهيز البغال ، ومع تباشير الفجر وشقشقة العصافير ، كنا نصعد الجبل فوق ظهور البغال ، نتارجح ذات اليمين وذات اليسار ولكنها كانت تعرف طريقها ..

وبدأت البغال تصعد الى ارتفاع ٦٦٠٠ قدم فوق سطح البحر .. الطريق كله احجار جرانيت وتين شوكى .. ولكن البغال تعرف الى اين تتجه .. وكلما ارتفعنا احاطت بنا مزارع « القات » من على الجانبين .. بينما الفتيات يقفزن بملابسهن الحريرية الجميلة برشاقة وخفة فوق الصخور ، وكأنهن ظبيات شاردات .. لقد كن يسرن سافرات حاملات السلال التى امتلأت « بالقات » والمشمش بيعنه لاهل تعز الذين ينتظرونهن عند سفح الجبل ..

ان جبل صبر هو القات .. وشجرة القات تعطى اكثر من الف ريال في العام ، في حين ان شجرة البن لاتعطى الا اقل من ربع هذا المبلغ !!

والمرأة في هذا الجبل تعمل بجد واخلاص .. والرجل مزواج ، يتزوج اربعا ويجلس في المنزل يخزن (اى يمضغ) القات في الصباح والمساء ، معتمدا على المرأة تزرعه وتجمعه وتبيع محصوله في السوق .

فشل شق الطريق

ان جبل صبر يمكن ان يصبح مصيفا رائعا فمناخه طيب ، وبه ١٥٠ غيل (نبع ماء) وكل قطعة أرض فيه يملكها افراد لا يريدون التنازل عنها مهما كان الثمن .. فهي تدر عليهم من القات ذهبا صافيا على مدار السنة ..

وعندما بدأت وزارة الاشغال محاولتها لشق طريق طوله خمسة كيلو مترات تربط به جبل صبر بتعز ، اصطدمت بمزرعة قات بعد تعبيد



من الغريب ان الفتاة عندما تتزوج ترتدى الملابس السوداء ، وتقوم زميلاتها وقريباتها بمصاحبتها من منزلها حتى تصل الى منزل العريس وهن جميعا مرتديات السواد ، وحاملات الشموع والزهور .. ويتم اختيار الزوجة بمعرفة الاهل ، دون أن يعرف العروسان بعضهما البعض ..

كيلو مترين فقط .. وحاولت الوزارة التفاهم مع صاحب المزرعة ، ولكنه تمسك بارضه ورفض التنازل عنها مهما بلغت قيمة التعويض ، وفشلت جميع المحاولات .. وتوقف مشروع مد الطريق من تعز الى جبل صبر بسبب مزرعة قات !!

عاصمة الصليحيين وبني رسول

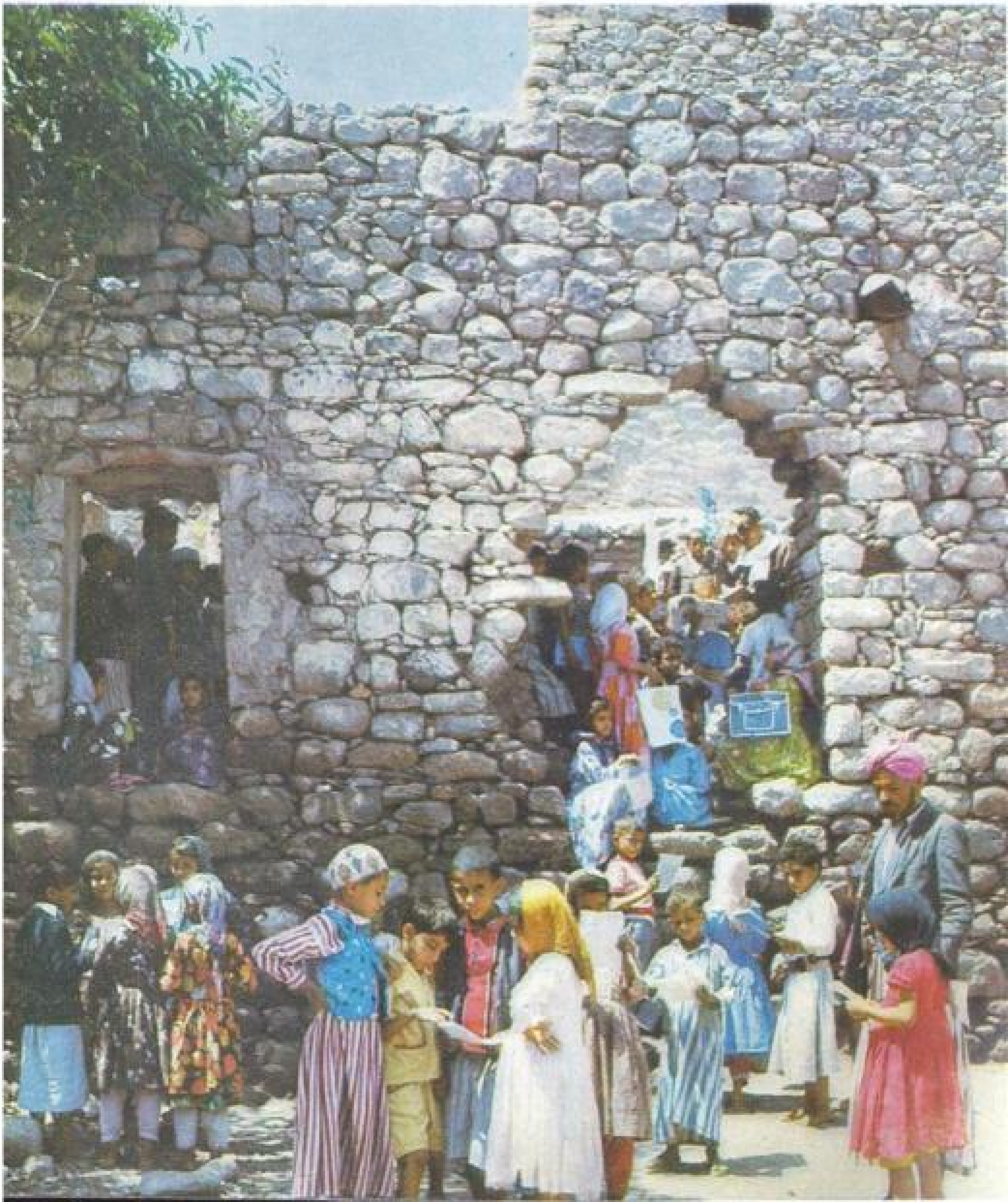
ان جبل صبر يرتفع ٦٦٠٠ قدم ـ كما ذكرنا ـ وارتفاع مدينة تعز لا يتعدى ٣٩٣٤ قدما بينما نجد ان ارتفاع صنعاء يصل الى ٩٦٠٠ قدم .. ويعيش في تعز نحو ٤٠ الف نسمة ، وتاريخ هذه المدينة ، ومن بناها يشوبه الكثير من الغموض .. لكن الذى لاشك فيه ان المدينة في بداية تاريخها لم تكن اكثر من مجموعة من القلاع التى انتشرت فوق جبل صبر .. ثم شيدت المنازل عند سفحها ايام حكم الصليحيين (٤٣٩ ـ ٥٢٢ هـ) (١٠٤٧ ـ ١١٢٨ م) ثم جاء توران شاه شقيق صلاح الدين الايوبي من مصر ، ومعه ثلاثة الاف مقاتل لنجدة الشريف قاسم بن يحيى لفتح اليمن ، ودخل تعز وشيد قلعة فوق جبلها اسماها قلعة القاهرة ، ما زالت قائمة الى اليوم .

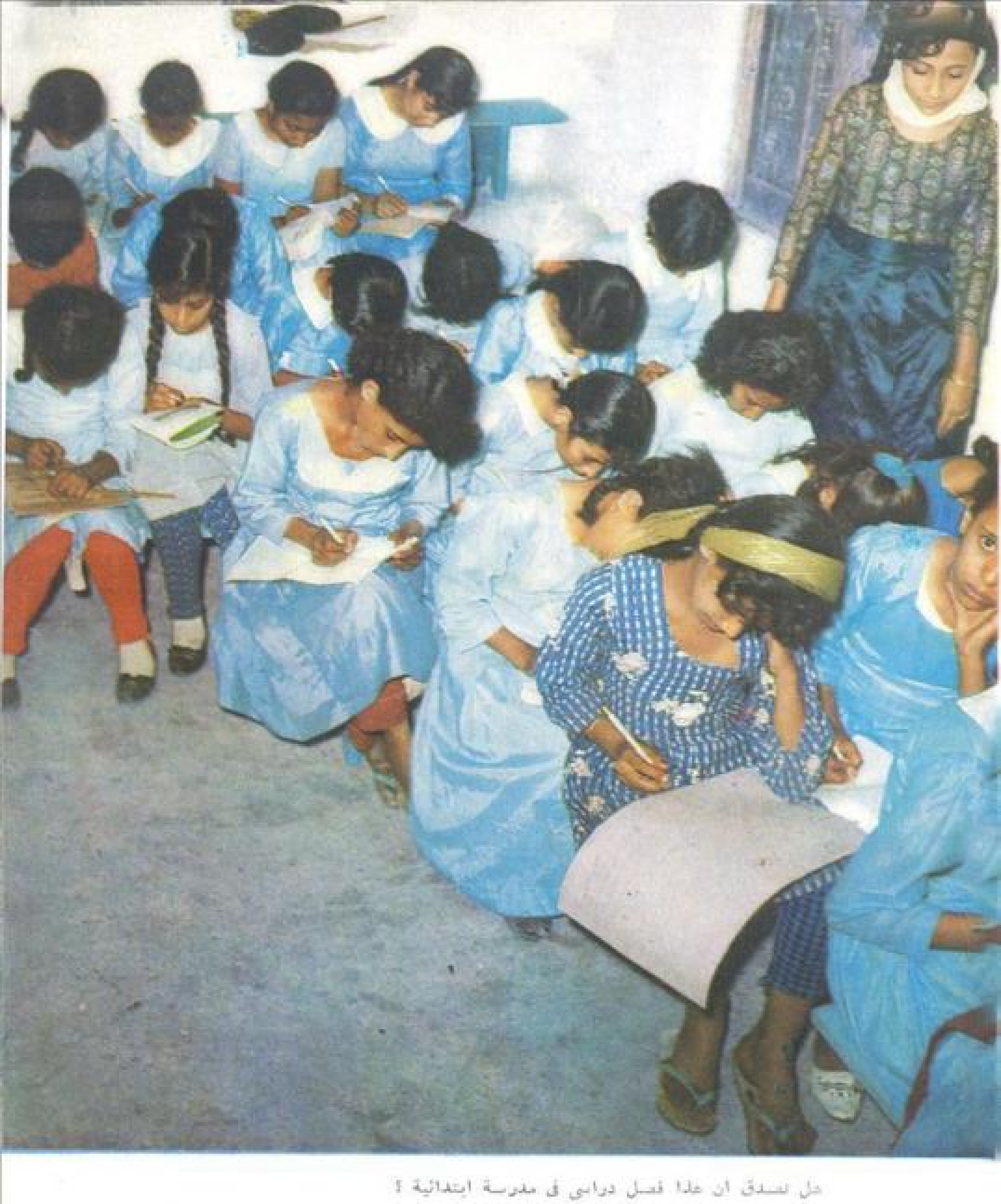
وشهدت تعز عهدها الذهبي أيام سلاطين بنى رسول ٦٢٦ ـ ٨٥٨ هـ (١٢٢٩ ـ ١٤٥٤ م) . فقد شيدوا فيها جامعيها المشهورين المظفر والاشرفية .. وشيد المؤيد داود بن يوسف قصر المعقلى الخيالي الوشى سقفه بالذهب ،والذى كانت تضم حديقته ٣٠٠ تمثال لطيور وحيوانات تتدفق المياه من افواهها .. ولم يبق اى اثر لهذا القصر الجميل الفريد من نوعه .

« الاكليل » الضائع !

ويهتم اهل اليمن بتاريخهم وكتبهم القديمة ،

الى اسفل : لا يشكل نقص المبانى المدرسية عقبة امام التعليم فى تعز ، فهم يختارون اى مكان خال مهجور فيحولونه الى مدرسة ، كما ترى فى الصورة .. ونظرا لعدم وجود مبان كافية صالحة ، فقد تحول التعليم الى تعليم مختلط ، البنات مع الاولاد فى نفس « الفصل » .. ان الطالب الذى ينتقل من فصل الى فصل يترك كتابه ليستعمله زميله فى السنة التالية .. لقد فتح باب التعليم فى اليمن بعد ان كان مغلقا فى الماضى ، فاندفع اليمنيون على اختلاف طبقاتهم وتقاليدهم يعلمون ابناءهم وبناتهم ..





هل تصدق ان هذا فصل دراسي في مدرسة ابتدائية ؟
لقد جلست الفتيات على الارض يكتبن .. نظرا لعدم وجود مكاتب يجلسن عليها .. واحس طلبة المدرسة الثانوية بمشكلة اخوتهم فصنعوا لهن ٣٥ مقعدا خشبيا في ورشة الثانوية .. وهكذا استطاعت الفتيات الجلوس على المقاعد الخشبية ، اما نقص المكاتب فهو في هذه الحالة يعتبر من الكماليات .. ان كل الذى نستطيع ان نقوله في هذا الصدد : « كان الله في عون هؤلاء الفتيات !! » اما المعلمة التي تعلمهن فهي ما زالت طالبة في الاولى الثانوية !!!

وخاصة كتاب الاكليل لابي محمد الهمداني .. انه موسوعة علمية كتبت في القرن الرابع الهجري ، وعدد اجزاء هذه الموسوعة عشرة .. لا يوجد منها الا اربعة اجزاء ، هي : الاول والثاني والثامن والعاشر .. اما بقية الاجزاء فمفقودة تماما .. لا يوجد لها اى اثر في مكتبات تركيا او اوربا .. ومع ذلك فابن تعز لا يكف عن البحث عنها في كل مكان في العالم ..

طوفان ..

والاقبال على العلم والتعليم في تعز يشبه الطوفان في اندفاعه ، وهم يقيمون المدارس في اى مكان يجدونه ، لا يهمهم شكل المبنى ، وانما المهم هو التعليم .. وكل مبنى حكومي يتم التخلى عنه يتحول مباشرة الى مدرسة !

ورغم كل ذلك رُفضت طلبات ..٤ طالب ابتدائي في العام الماضي..وتضم مدارس تعز حاليا ٢٠ الف طالب و ..٩٠ طالبة ، منهن ١٥ طالبة في القسم الثانوى .. وتقوم حكومة الكويت ببناء مدرسة اعدادية وثانوية كبيرة للبنات .. اما ثانوية البنين فتضم ٦١٨ طالبا ، وهي مدرسة حديثة للغاية قدمها الاتحاد السوفيتي بآلاتها ، هدية للشعب اليمنى ..

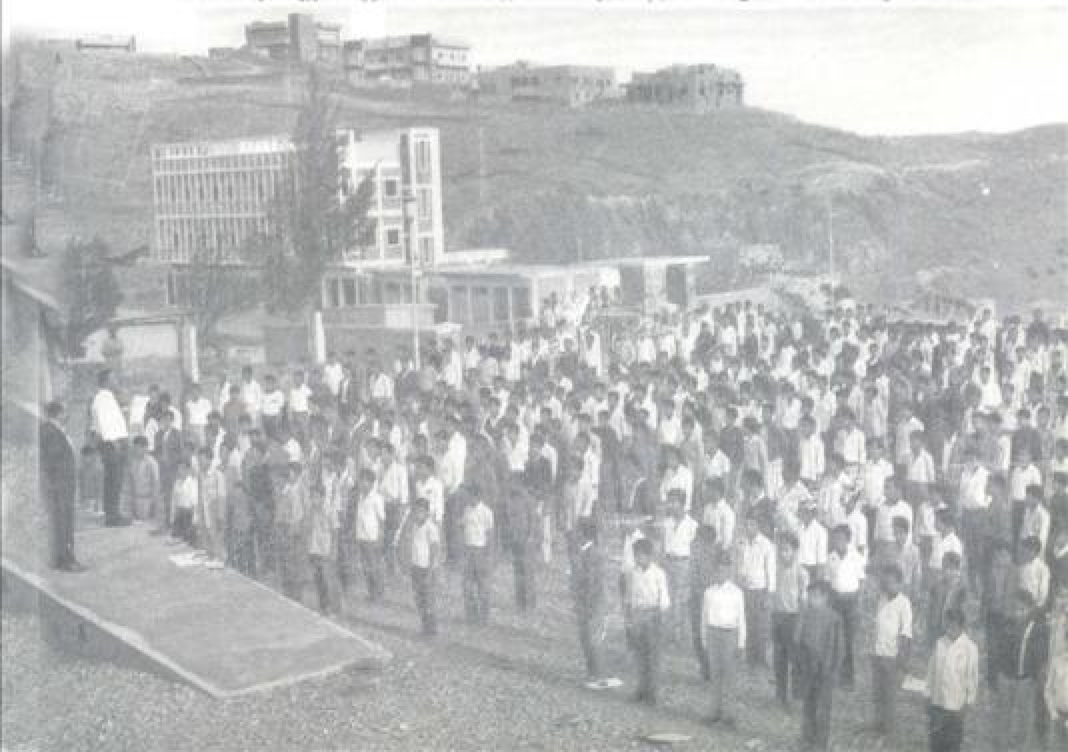
هجرة من الريف ..

ويحدثنا الاستاذ احمد جابر عفيف وزير المعارف اليمنيعن مشاكل التعليم الرئيسية في تعز فيقول:

المشكل الرئيسيهو زحفابناء الريفالىمدينة.. الاب يرسل ابنه بمفرده محملا اياه خطابا لصديق في المدينة ، مع بعض النقود .. ويسير الابن اياما طويلة وسط الجبال حتى يصل تعز .. وتتولى وزارة التربية مهمة اسكانه واطعامه ليتعلم .

ويتكلف الطالب ستين ريالا في الشهر ، الى جانب مكافاة تصرف له شهريا ، تتراوح بين

طابور الصباح في فناء ثانوية تعز التى تضم ٦١٨ طالبا .. انها مدرسة كبيرة حديثة قدمتها روسيا هدية للشعب اليمني .. وتقوم الكويت حاليا ببناء مدرسة ثانوية كبيرة للبنات ..





فائزة احمد ياسين .. احدى الطالبات اللواتي يتعلمن في مدرسة التمريض وعددهن ١٨ طالبة



بعض طالبات السنة الثالثة الاعدادية يؤدين الامتحان . ان عددهن ٦٧ طالبة ..

٥ و ١٥ ريالا (كل ٦ ريالات = دولارا) .. وينام هؤلاء الطلبة ، وعددهم ٣١٦٦ طالبا ، في اماكن متعددة .. بعضهم ينام عند اصدقاء العائلة ، بينما ينام ما يزيد عن ٧٠٠ طالب مكدسين في مبان حكومية تكاد تسقط عليهم !

اما الحاجة الى المعلمين والمعلمات فحدث عنها ولا حرج رغم وجود بعثتي مدرسين عراقيين وسوريين » .

مشاكل التعليم

ان معالجة مشاكل التعليم في تعز لا يمكن حلها بين يوم وليلة بميزانية لا تتجاوز ٤٣ الف ريال هي عبارة عن مرتبات واجور للمدرسين والموظفين ، و ٢٤ الف ريال مصاريف تجديد وبناء ..

والمشاكل المطلوب معالجتها هي :

اولا : بناء مدارس في الريف ليخف الضغط عن مدارس تعز .

ثانيا : عمل منهج موحد في بداية العام الدراسي .

ثالثا : الحاجة ماسة الى مدرسين ومدرسات مؤهلين تأهيلا تربويا عاليا ، ومن ذوي الاختصاص .

رابعا : زيادة منح الدول العربية لتعليم ابناء اليمن ، اسوة بالمنح التي تغدقها الدول الاجنبية على ابناء اليمن ..

* * *

وقد قام الاستاذ احمد جابر عفيف وزير التربية اليمني بجولة على بعض البلاد العربية طالبا مساعدتها ، ولم نعرف نتائج اتصالاته بعد .

نعيم وجحيم

واذا تركنا التعليم بمشاكله وانتقلنا للزراعة وجدنا تعز تقوم وسط عدة وديان زراعية تحيط بها .. وادى المحبة .. وادى المسل .. وادى الموادم . وادى عصيفرة ..





هكذا تمتد تعز الجديدة ، فوق جبل الضبعة .. وترى الفندقين اللذين فتحا ابوابهما حديثا ، فندق الاخوة وفندق الهيلتوب ، وبهما ٦٥ غرفة تضم ١٠٠ سرير .

١٠ آلاف شجرة برتقال ويوسفى ، تم في أرض الحوجلة في تعز ، قرب آبار المياه في تعز ، للقضاء على الغلاء الفاحش لاسعار

اسماء تدل على النعيم الذى كان يعيش فيه أهل المنطقة .. عيون المياه المتدفقة من الجبل تروى خطا رفيعا من الارض ، لا تزيد نسبته عن ٥٪ أما الارض الباقية ـ ونسبتها ٩٥٪ ـ فتعتمد على مياه الامطار .. وكثيرا ما تتعرض للجفاف لعدم سقوط هذه الامطار .. لهذا يحتاج الامر الى تعميم الآبار الارتوازية وحفرها في كل مكان ..

ومن مشاكل الريف ، ارتفاع اجرة اليد العاملة الى أربعة ريالات يوميا .. واستعمال طرق الزراعة القديمة العقيمة ، وانعدام وجود طرق تؤدى الى الاراضى التى تسقى بماء الغيول (الينابيع) لنقل منتجاتها من فواكه وخضراوات ..

اعادة مجد البن !

أما عن المشاريع التى تقوم وزارة الزراعة وهيئة الامم المتحدة بدراستها فالكلام عنها يملأ مجلدات باكملها ، وتبحث عن التنفيذ فلا تجد له اثرا ..

ومن أمثلة هذه المشاريع السريعة : مشروع اعادة الحياة الى شجرة البن .. ستخصص مساحة ٢٥٠ هكتارا في تعز واب وفي منطقة صنعاء ، لزراعتها بشجيرات البن ، وسيتقاضى المزارع مساعدة مالية خلال فترة خمس سنوات ، حتى تعطى شجرة البن ثمارها .. وسوف يستمر التوسع التدريجي في مساحة الارض ، حتى يعود مجد البن الى سابق عهده ..

مشروع رائع جميل ، لو وجد طريقه الى التنفيذ ! ؟؟

« زنبيل الشركة » !

والواقع ان مشكلة الجهاز الحكومي الوظيفي تأتي في مقدمة مشاكل اليمن .. وفي تعز يندر ان تجد موظفا جالسا على مكتبه طول فترة العمل ، ففي الصباح الباكر يترك الكوفية او العمامة في المكتب ، وعندما يطلبه المدير يقولون له : « معه زنبيل الشركة » !

وتعجبنا من هذا التعبير وسألناهم ، فقالوا لنا : معناه سلة من سعف النخيل ، يحملها الموظف ويذهب بها الى السوق يشترى اللحم والقشمي (الفجل) والحلبة وبعض الفواكه ، ويضعها في



استيراد شتلاتها من لبنان ، وانتهى غرسها .. انه احد مشاريع هيئة التعاون الاهلى الفاكهة .



وهذا مشروع سياحي آخر لهيئة التعاون الاهلى .. ان بدء وصول افواج السائحين ، جعل من الضرورى انشاء فندق كبير ، يضم مسبحا وسينما ومسرحا ، وحديقة ، لاستقبالهم ، وتوفير الراحة لهم .

الزنبيل ويوصلها الى المنزل ، ثم يعود الى عمله .. ولكنه لا يمكث فيه كثيرا ، اذ تتكرر القصة .. فيترك الشال على المكتب ويخرج في الساعة الحادية عشرة والنصف الى .. سوق القات .. يشترى حاجته منه ! !

وعندما كنا نسال عن الموظف الغائب كان يقال لنا : ذهب الى وزارة اخرى ليتجز بعض الاوراق المتأخرة !

نفس المشكلة التى يعاني منها جهازنا الوظيفي فى اغلب ارجاء الوطن العربي ..

القات يعيد المتفرجين !

وحياة الليل في تعز بدات تتغير وتتبدل بعد افتتاح الفندقين الجديدين .. وكذلك توجد ثلاث دور للسينما تضم ٢٧٠٠ مقعد ، تعرض الافلام الهندية والامريكية ، ونادرا ما يعرض الفيلم العربى الا القديم منه جدا .

وعدد الحفلات مقصور على حفلة واحدة يوميا ، تبدأ من الثامنة والنصف مساء ، اى بعد انتهاء جلسة تخزين القات في المنازل .. لقد حاولت ادارة السينما منع ادخال القات مع المتفرجين ، فكانت النتيجة ، ان احدا لم يعد يذهب الى السينما .. فعادت الادارة وسمحت بادخال القات ، فعاد الرواد يملؤون الدور الثلاث .. !!

★★★

وتركنا تعز واتجهنا الى صنعاء على الطريق الجبلى الطويل .. وشاهدنا القرى .. متناثرة هنا وهناك .. فوق كل جبل منزل شيده صاحبه في اصعب موقع .. لا يوجد طريق يوصل اليه .. لقد تعود على حياة العزلة .. حياة حرة طليقة ، لا يتقيد فيها بشيء ، ولا يسمع كلام احد .. انه يكتفي بقطعة ارض صغيرة يزرعها من ماء النبع الطبيعى الصغير الذى يقع بجوار منزله ..

ان اليمن ليس في مدنه وانما في قراه .. ان عدد سكان صنعاء ١٧٠ الف نسمة وعدد سكان تعز ٤٠ الف نسمة ، فاين هذا من مجموع سكان اليمن الذى يقدرونه باكثر من خمسة ملايين نسمة ؟ ؟

سليم زبال

عيون الاخبار

بقلم : عبد الستار فراج

اقتبس العرب من الدول التي فتحوها ، ومن الامم المجاورة لدولتهم الواسعة ، كثيرا من الحكم والاقوال والثقافات .

وهم لهم من قبل حكم وامثال ، وليدة التجارب وممارسة الحياة ، فاضافوا الى ماثورهم ثروة ، والى تراثهم كنوزا .

ثم اكتسبوا بالمخالطة معرفة اخرى . فنتجت عن الاقتباس والاكتساب فنون وآداب .

وكان لما ترجم من المؤلفات الفارسية والهندية واليونانية اثر في التاليف العربي ، ظهرت سيماته في القرن الثالث الهجري بوضوح .

وكان ابن قتيبة من اولئك الذين انتفعوا فنفعوا ، واستفادوا فافادوا . حيث قدم في مجال التثقيف مؤلفات كثيرة من بينها كتابه « عيون الاخبار » .

وهذا الكتاب يظهر فيه تحديد الموضوعات التي سيتكلم عنها ويبسط القول فيها . وقد سمى كل موضوع « كتابا » . وتسمية الموضوع كتابا لم ينفرد به ابن قتيبة ، بل تلك ظاهرة واضحة في المؤلفات السابقة ، ففي كتب الحديث مثلا « كتاب الصلاة » « كتاب الزكاة » « كتاب الصيام » « كتاب الحج » .. الخ

وهذه هي الكتب او الموضوعات التي يحويها « عيون الاخبار » : ـ

١ ـ كتاب السلطان .
٢ ـ كتاب الحرب .
٣ ـ كتاب السؤدد .
٤ ـ كتاب الطبائع والاخلاق المذمومة .
٥ ـ كتاب العلم والبيان .
٦ ـ كتاب الزهد .
٧ ـ كتاب الاخوان .
٨ ـ كتاب الحوائج .
٩ ـ كتاب الطعام .
١٠ ـ كتاب النساء .

كل كتاب من هذه العشرة فيه عناصر مترابطة ، فمثلا كتاب السؤدد فيه الاخبار عن مخايل السؤدد ، وعن الهمة السامية ، والخِطار بالنفس لطلب المعالي ، والتواضع ، والكبر والعجب ، والحياء والعقل والحلم والغضب ، والعز والهيبة والذل والمروءة .

وكتاب النساء فيه الاخبار عن اختلاف النساء في اخلاقهن وخَلْقهن ، وما يختار منهن وما يكره ، واختلاف الرجال في ذلك . والحسن والجمال . والقبح والدمامة .. وسياسة النساء ومعاشرتهن..

موضوعات فيها الطريف والبديع

ولا تحسب ان هذه موضوعات انشائية جافة بل فيها طريف الحكايات ، وبديع الكلمات ،

لابن قتيبة

من نظم ونثر ، مما هو مأثور عن العرب وغيرهم ، في القديم ، وما كان في عهده أو قريبا منه ، فهو لا يقتصر على القديم بالنسبة لعهده ويعلل ذلك فيقول :

« وكذلك مذهبنا فيما نختاره من كلام المتاخرين واشعار المحدثين ، اذا كان متخير اللفظ ، لطيف المعنى ، لم يزر به عندنا تأخر قائله ، كما انه اذا كان بخلاف ذلك لم يرفعه تقدمه . فكل قديم حديث في عصره .. ومن شأن عوام الناس رفع المعدوم ، ووضع الموجود ، ورفض المبذول ، وحب الممنوع ، وتعظيم المتقدم وغفران زَلته ، وبخس المتاخر والتجني عليه . والعاقل منهم ينظر بعين العدل لا بعين الرضا ، ويزن الأمور بالقسطاس المستقيم . »

« كتاب » ، مذهبنا فيما نختاره له ، من كلام المتاخرين، واشعار المحدثين : انه اذا كان متخير اللفظ لطيف المعنى ، لم يزره عندنا تأخر قائله ، كما انه اذا كان بخلاف ذلك ، لم يرفعه عندنا تقدمه » .

انه كتاب يجد كل انسان فيه ما يعجبه ، مهما تختلف الأمزجة وتتباين الثقافات . قد تنكر شيئا او تعجب له ، لانه كان في عهد غير عهدك . وبيئة غير بيئتك ، ولكن هناك اشياء مشتركة ، ترتاح اليها النفوس السليمة في كل زمان ومكان .

يرضى مختلف الاذواق

وكتابه « عيون الأخبار » ألفه بحيث يرضى مختلف الأذواق الطبقات ، ويقرر هو ذلك فيقول:

« ولم أر صوابا ان يكون كتابي هذا وَقفا على طالب الدنيا دون طالب الآخرة ، ولا على خواص الناس دون عوامهم ، ولا على ملوكهم دون سوقتهم، فوفيت كل فريق منهم قِسْمَه ، ووفرت عليه سَهْمه ، أودعته طرفا من محاسن كلام الزهاد في الدنيا وذكر فجائعها ، والزوال والانتقال وما

يتلاقون به اذا اجتمعوا ، ويتكلمون به اذا افترقوا .. ولم اُخلِه مع ذلك من نادرة طريفة ، وفطنة لطيفة . وكلمة معجبة ، واخرى مضحكة ولأُرَوّح بذلك عن القارىء من كدِّ الجِد ، واتعابِ الحق ، فان الأذن مَجّاجة ، وللنفس حمضة ، والمزح اذا كان حقا او مقاربا ، ولأحايينه واوقاته واسبابٍ اوجبته مُشاكلاً ، ليس من القبيح ، ولا من المنكر ولا من الكبائر ، ولا من الصغائر ، ان شاء الله » .

وهو حين ينفي عن المزاح انه قبيح وانه منكر ، ويبعده عن الكبائر بل الصغائر انما يريد ان يُسكت المتزمتين والذين يُضَيِّقون واسعاً . ويعرفهم أن الناس ليسوا جميعا مثلهم ، وفي ذلك يقول :

التجهم رياءٌ وتصنّع

« وسينتهي بك كتابنا هذا الى باب المزاح والفكاهة ، وما روى عن الاشراف والأئمة فيهما ، فاذا مر بك ايها المتزمت حديث تستخفه ، أو تستحسنه ، أو تعجب منه أو تضحك له ، فاعرف المذهب فيه وما أردنا به ، واعلم انك ان كنت مستغنيا عنه بتنسكك فان غيرك ممن يترخص فيما تشددت فيه محتاج اليه . وان الكتاب لم يعمل لك دون غيرك فيهيأ على ظاهر محبتك . ولو وقع فيه توقّي المتزمتين لذهب شَطْر بهائه وشَطْر مائه ، ولأعرض عنه من أحببنا أن يقبل اليه معك ... واحببت ان تجرى في القليل من هذا على عادة السلف الصالح في ارسال النفس على السجية ، والرغبة بها عن لبسة الرياء والتصنّع. ولا تستشعر ان القوم قارفوا وتنزّهت . وتَلَموا اديانهم وتورّعت » .

فهو يرى اذنْ ان العابسين الذين لايبسطون وجوههم بالبشر ، ولايحلون شفاههم بالبسمات ، انما هم يراءون ، ويحسبون أنهم يفعلون ذلك ورعاً ، فيذكرهم أن السلف الصالح لم يكونوا كذلك . فهم مزحوا وتفكهوا ولم يقترفوا بذلك اثما ولمْ يمسوا دينهم السليم .

كل مفيد موصل الى الله

ومن راى ابن قتيبة الذى يقدمه نحس انه يدافع قوما كانوا يرون ان كل كتاب لا يؤلف في التفسير والحديث والفقه لا ثواب فيه ، ولا منفعة ترجى من ورائه . ولقد احسن فيما ساقه « فان هذا الكتاب ـ وان لم يكن في القرآن والسنة وشرائع الدين وعلم الحلال والحرام ـ دالٌ على معالي الامور ، مرشد لكريم الأخلاق ، زاجر عن الدناءة ، ناهٍ عن القبيح ، باعثٌ على صواب التدبير وحسن التقدير ورِفقِ السياسة وعمارة الأرض . وليس الطريق الى الله واحدا ، ولا كل الخير مجتمعا في تهجد الليل ، وسرد الصيام وعلم الحلال والحرام. بل الطرق اليه كثيرة . وابواب الخير واسعة . وصلاح الدين بصلاح الزمان . وصلاح الزمان بصلاح السلطان . وصلاح السطان بعد توفيق الله بالارشاد وحسن التبصير » .

مصادر عيون الاخبار

وعيون الاخبار جُمعت معلوماته من مختلف الثقافات ، انه رواية عن الأئمة ، واستدلال بالآيات والاحاديث . وتطعيم بالحكم والامثال ، سواء أكان ما يروى عن العرب أم عن غيرهم من الامم ، فمثلا يقول : « قرات في كتاب للهند : ليس من خَلّة يُمدَح بها الغنيُّ الا ذُمّ بها الفقير ، فان كان شجاعا قيل اهوج ، وان كان وَقورا قيل بليد،وان كان لَسِناً قيل مهذار،وان كان زِمّيتا ـ اى قليل الكلام ـ قيل عَيِيّ » .

وقرات كتابا من ارسطاطاليس الى الاسكندر ، وفيه « امْلِك الرعية بالاحسان اليها تظفرْ بالمحبة منها ، فان طلبك ذلك منها باحسانك هو ادوم بقاءً منه باعتسافك . واعلم انك انما تملك الابدان ، فتخطّها الى القلوب بالمعروف » .

ومثلا يقول : قال كسرى : احذروا صولة الكريم اذا جاع ، واللئيم اذا شبع . وقال الشاعر

خُلُقَـانِ لا أرضَى اختلافَهمـا
تِيـهُ الغِنَى ومذلّةُ الفَقْـرِ
فإذا غنيتَ فلا تكن بَطِـراً
وإذا افتقرتَ فتِـهْ على الدَّهْرِ
واصبرْ فلستَ بواجـدٍ خُلُقـاً
أدْنَى إلى فَـرَجٍ منَ الصَّبْرِ

وهو ينقل عن كتب ابن المقفع وعن كتب

الجاحظ ، يقول : « وفي كتاب كليلة ودمنة ». أو يقول : وقال ابن المقفع وقرأت في آداب ابن المقفع . وعن الجاحظ يقول قال عمرو بن بَحْرٍ ، او قال الجاحظ أو يقول: وفيما اجاز لنا عمرو بن بحر من كتبه .

ومما يرويه بطريق السند قوله حدثنا الرياشي عن ابي زيد قال : دخلنا على ابي الدُقيش وهو شاكٍ ، فقلنا له : كيف تَجِدُكَ ؟ قال : أجدني أجِدُ مالا أشتهي ، واشتهي مالا أجِدُ . ولقد أصبحتُ في شرِّ زمانٍ وشرِّ اناس ، من جاد لم يَجِدْ ، ومن وَجَدَ لم يَجُدْ » .

انها حكمة رائعة ، تستحق أن تُروَى ، فيها دقة المعاني وتقرير الحقائق ، في أسلوب بديع خلاب .

العلم ضالة المؤمن

والعلم يطلب في كل مكان ، والحكمة تلتقط ولو من أفواه المجانين ، ولا ينبغي أن يتعالى المرء مهما يبلغ من المراتب ووفرة المعلومات ، فالعاقل من يشعر أنه كلما ازداد معرفة تفتحت امامه آفاق أوسع تبهره وعرف انه فوق كل ذى علم عليم ، وما أحسن ما نسب الى الامام الشافعي :

وإذا مـا ازددْتُ علـمـاً
زادنـى علمـاً بجهـلى

وابن قتيبة يُلِمُّ بهذه الناحية في تقديم كتابه فيقول :

« واعلم أنّا لم نزل نلتقط هذه الاحاديث في الحداثة والاكتهال ، عمن هو فوقنا في السن والمعرفة ، وعن جلسائنا واخواننا ، ومن كتب الاعاجم وسيرهم ، وبلاغات الكُتّاب في فصول من كتبهم . وعمن هو دوننا ، غير مستنكفين ان نأخذ عن الحديث سنّاً لحداثته ، ولا عن الصغير قدرا لخساسته ، ولا عن الامة الوَكْعاء (١) لجهلها فضلا عن غيرها . فان العلم ضالة المؤمن ، من حيث أخذه نفعه . ولن يُزرى بالحق أن تسمعه من المشركين ، ولا بالنصيحة ان تستنبط من الكاشحين . ولا تضير الحسناءَ اطمارها » .

تعريف بابن قتيبة

في الكوفة او بغداد ولد أبو محمد عبد الله ابن مسلم بن قتيبة ، في سنة ٢١٣ هـ ٨٢٨ م وفي بغداد نشأ وتثقف . أخذ عن المحدثين واللغويين والأدباء وتوفي سنة ٢٧٠ أو ٢٧١ وقيل سنة ٢٧٦ هـ .

ولما كان أبوه من مدينة « مرو » قيل له « المَرْوَزِيّ » هكذا النسبة الى مَرْو الشاهجان باضافة زاى اليها ولما كان قد تولى القضاء مدة في مدينة « الدِّيْنَور » قيل له « الدِّينَوَرِى » وكانت له صلة بالوزير العباسي عبيد الله بن يحيى بن خاقان ، ومن اجله صنف كتابه « أدب الكاتب » وله غير كتاب « أدب الكاتب » وغير «عيون الاخبار» كتب كثيرة منها ما هو مفقود ، ومنها ما هو موجود وطبع . فمن المطبوع كتاب « المعارف » ، كتاب « المعاني الكبير » ، كتاب « تأويل مشكل القرآن » كتاب « الأشربة » كتاب « الشعر والشعراء » كتاب « الميسر والقداح » .

ولقد كان ابنه أبو جعفر أحمد بن عبد الله ابن مسلم عالما أيضا ، وتولى قضاء مصر ومات بها سنة ٣٢٢ هـ .

ونحن نجد في أول الجزء الرابع من « عيون الاخبار » طبع دار الكتب ، حوالى أربعين صفحة تعريفا بابن قتيبة ، ووصفا للنسخ الخطية التى اعتمد عليها محققوه بالقسم الادبي بدار الكتب ، كتبَ ذلك المرحوم أحمد زكي العدوى الذى كان رئيسا للقسم الادبي بدار الكتب المصرية .

طبع الكتاب

في سنة ١٨٩٩ الى ١٩٠٨ طبع من عيون الاخبار في « جوتينجن » الكتب الاربعة الاولى وهي « كتاب السلطان » « وكتاب الحرب » « وكتاب السؤدد » « وكتاب الطبائع والاخلاق » بتحقيق المستشرق الالماني « بروكلمن » . وطبع في القاهرة الكتاب الاول وهو « كتاب السلطان » سنة ١٩٠٧ . ثم بدأت دار الكتب في اخراج عيون الاخبار فطبعت كتبه العشرة في أربعة مجلدات ، المجلد الاول ظهر سنة ١٣٤٣ هـ ـ ١٩٢٥ والمجلد الثاني ظهر في

(١) الوكعاء : الحمقاء

(٢) اطمارها : ثيابها البالية .

(١٣٤٦ – ١٩٢٨) والمجلد الثالث في (١٣٤٨ – ١٩٣٠) والمجلد الرابع في ١٣٤٩ – ١٩٣٠ .

وفي نهاية الجزء الرابع فهارس متنوعة لجميع اجزاء عيون الاخبار تبدأ من صفحة ١٥١ الى صفحة ٢٩٧ ويلي ذلك اصلاح للخطأ واستدراكات تصل الى صفحة ٣١٥ ، اما ما بين التعريف بابن قتيبة في أول المجلد الرابع وبين الفهارس والاستدراكات فهو الكتاب العاشر المسمى « كتاب النساء » .

نماذج مما في عيون الاخبار

مثل في السخاء بدون تظاهر

حدثني سهل بن محمد عن الاصمعي قال : اخبرني شيخ من مشيختنا – وربما قال : هارون الاعور – أن قتيبة بن مسلم قال :

ارسلني ابي الى ضرار بن القعقاع بن مَعْبَد ابن زُرارة فقال : قل له : قد كان في قومك دِماءٌ وجِراح ، وقد أحبوا أن تحضر المسجد فيمن حضر ، قال : فاتيته فابلغته ، فقال : يا جارية ، غَدّيني . فجاءت بارغفة خُشْنٍ ، فثردتْهن في مَرِيس – المَرِيس تمر وزيت – ثم بَرَّقَتْهن – اى خلطتهن – فاكل ، قال قتيبة : فجعل شأنه يصغر في عيني ونفسي ، ثم مسح يده وقال : الحمد لله ، حِنطة الاهواز وتمر الفرات وزيت الشام ، ثم أخذ نعليه وارتدى،ثم انطلق معى وأتى المسجد الجامع ، فصلى ركعتين ثم احتبى ، فما رأيت حَلْقَةً الا تقوّضت اليه . فاجتمع الطالبون والمطلوبون فاكثروا الكلام فقال الى ماذا صار أمرهم ، قالوا : الى كذا وكذا من ابل ، قال : هي عليّ . ثم قام .

ومثل في الحلم وتقدير الوحدة

قيل للاحنف : ما احلمك ، قال : تعلمت الحلم من قيس بن عاصم المِنْقَرِيّ ، بينا هو قاعد بفنائه ، مُحتبٍ بكسائه ، أتته جماعة فيهم مقتول ومكتوف ، وقيل له : هذا ابنك قتله ابن أخيك . فوالله ما حلّ حُبْوَتَه حتى فرغ من كلامه ، ثم التفت الى ابنٍ له في المجلس فقال له : قم فاطلِقْ عن ابن عمك ، ووارِ أخاك ، واحمل الى امه مائةً من الابل فانها غريبة . ثم انشأ يقول :

إني امرؤٌ لا شائنٌ حَسَبي ... دَنَسٌ يُغَيِّره ولا أَفْنُ

من مِنْقَرٍ في بيتِ مَكْرُمَة ... والغُصْنُ يَنْبُتُ حولَه الغُصْنُ

خُطَباءُ حين يقول قائلهم ... بيضُ الوجوهِ أعِفّةٌ لُسْنُ

لا يَفْطُنون لعيب جارِهم ... وهمُ لِحِفْظِ جِواره فُطْنُ

ثم اقبل على القاتل فقال : قتلتَ قرابتَك ، وقطعت رَحِمَك واقللت عَدَدَك لا يُبْعِد الله غيرَك .

ومثل في الفهم والحق

« وحدثني أبو حاتم عن الاصمعي عن العمْرى قال :

قال رجل لعمر بن الخطاب رضى الله عنه : ان فلانا رجلٌ صِدْقٍ . قال : سافَرْتَ معه ؟ قال : لا . قال : فكانت بينك وبينه خصومة ، قال : لا . قال فهل ائتمنته على شيء ؟ قال : لا قال : فانت الذى لا عِلم لك به ، أُراك رأيته يرفع راسه ويُخفضه في المسجد .

ومثلان فيهما فهم للشريعة

سمع الحسن رجلا يعيب الفالوذج فقال : فتات البُرّ بلعاب النحل . بخالص السَّمْن . ما عاب هذا مسلم . وقال – اى الحسن البصرى – لفرقد السبخى ، يا ابا يعقوب ، بلغني انك لا تاكل الفالوذج . فقال : يا ابا سعيدٍ أخاف الا أُودّى شكرَه فقال . يالكع ، وهل تؤدّى شكرَ الماء البارد في الصيف ، والحارّ في الشتاء ؟ اما سمعت قول الله تعالى « يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم » (سورة البقرة الآية ١٧٢) .

عبد الستار أحمد فراج

حضارات
سادت
ثم
بادت

الصناعة
في العصور الحجرية الحديثة

بقلم : يوسف زعبلاوى

■ تحدثنا لوحة الصفحة الثانية من هذا العدد عن الجانب الصناعى من حياة سكان ما بين النهرين فى العصر الحجرى الحديث ، وقد حدثتنا لوحة سابقة عن الجانب الزراعى من حياة اولئك الأسلاف . ولعل موضوع اليوم لا يقل خطورة عن موضوع الأمس ، ولعله يفوقه طرافة على كل حال .

الحلاقة

والطرافة مقرونة هنا بالدهشة التى تبعث عليها معالم الصورة ومحتوياتها . فأنت ترى ، أول ما ترى ، حلاقا محترفا وقد مضى يحلق شعر احد عملائه فى جد واهتمام . وقد لا تجد غرابة فى ذلك بحد ذاته . اما أن يكون مشهد هذا الحلاق من مشاهد ماضى العراق البعيد ، وان تكون الحلاقة حرفة عرفها الانسان فى عصور ما قبل التاريخ ، اى قبل حوالى ٥٠٠٠ ــ ٦٠٠٠ سنة ، فذلك ما يثير الدهشة ويبعث على العجب !

ويزداد المرء دهشة اذا علم ان الموسى التى استعملها ذلك الحلاق كانت موسى حجرية ، لا نحاس فيها ولا حديد . فمقبضها مصنوع من حجر الاردواز ، الذى تصنع منه بعض الواح الكتابة المستعملة فى المدارس . اما شفرة الموسى التى ثبتت فى مقبضها والصقت بمادة اسفلتية، فقد صنعت من الزجاج البركانى Obsedian . ومن طريف ما يذكر هنا ان احد علماء الآثار اختبر بنفسه تلك الامواس ، ولعله جرب احداها بذقنه ، وهو يؤكد بأن شفراتها الزجاجية حادة وصالحة لحلاقة الرأس والذقن حلاقة جيدة

الأواني الزجاجية

ويستطيع الناظر الى الصورة أن يرى الاناء الجميل الذى يبدو فى أوسطها ، والذى يعطينا فكرة أوضح عن الزجاج البركانى الذى ذكرنا. فهذا الاناء مصنوع من الأوبسيديان أيضا . وقد أثبتت الحفائر أن سكان العراق الأوائل كثيرا ما صنعوا مثل هذا الاناء من ذاك الزجاج . ولعل فى هذا دليلا على المستوى الرفيع الذى بلغته تلك العصور فى المجال الصناعى. ذلك ان مادة الزجاج البركانى مادة هشّة ، تنكسر بسرعة ، ويصعب على الانسان أن يصنع منها الأشياء البسيطة ، ناهيك بالاوانى المجوّفة الجميلة . ولولا القيمة الكبيرة التى تحسسها اهل تلك العصور الغابرة فى الأوانى عامة ، ولولا اعتقادهم بأن فى تلك الأوانى ما يرضى آلهتهم ، ويكمّل لهم دينهم .. لولا هذا وذلك لما كلفوا انفسهم عناء أعمال الحفر والتجويف والصقل فى كتل الأوبسيديان الهشّة ، ليخرجوا منها بالأوانى المطلوبة .

الأواني الفخارية وانماطها

ولا يخفى على الناظر الى الصورة الأوانى الفخارية الظاهرة فيها ، وقد اختلفت أشكالها وتنوعت رسومها . ولا يخفى عليه كذلك الخزّاف أو لعلّه الفنان الذى راح يزين تلك الأوانى برسومه وأصباغه .

وتجدر الاشارة الى أن علماء الآثار يعلقون اهمية كبيرة على الأوانى الخزفية. فهى المراجع الرئيسية التى يعتمدونها فى التأريخ للعصور الحجرية الحديثة . شأنها فى ذلك شأن الأحافير والمتحجرات بالنسبة الى العصور الحجرية القديمة



هذه رسوم لآنية فخارية تشبه بعض الأوانى التى تراها فى لوحة صفحة (٢) ويتمثل فيها العهد الحضارى المعروف باسم عُبيد . ويلاحظ ان زينة هذه الآنية تعتمد فى الغالب على الاشكال الهندسية .. الا انها قد تتضمن منظرا من مناظر الطبيعة ، كالطيور التى تراها فى الصورة ، والمنطقة التى سادتها هذه الحضارة هى منطقة بابل نفسها . الا أن بعض آثارها وجدت ايضا فى ديالة ، وتقع شمال شرق بغداد .



وتمثل هذه الرسوم اشكال الفخار فى العهد الحضارى المنسوب الى « تل حلف » ، وهى اكثر اشكال الفخار انتشارا في منطقة الشرق الادنى، بما فيها سوريا . وجدير بالذكر ان بعض آنية « تل حلف » صبغت باصباغ عدة من الكروم . وميزة هذا النوع هي في اكتسابه بريقا ولمعانا فائقا لدى شيّه في درجة حرارة مرتفعة .

وكشأن النصوص والوثائق المكتوبة بالنسبة الى عصور التاريخ ، وقد بدأت هذا العصور الأخيرة فى العراق بظهور الكتابة (حوالى سنة ٣٠٠٠ ق.م) .

ويميز المؤرخون وعلماء الآثار بين انواع واشكال مختلفة من الآنية الفخارية ، حصرها اكثرهم فى خمسة ، وردوها الى انماط حضارية متباينة ظهرت فى اقاليم وازمنة متفاوتة . ونكتفى بالاشارة الى نمطين من تلك الأنماط ، هما نمط تل حلف ، ونمط العبيد ، وذلك لأن اوانى الصورة تنتمى الى هذين النمطين .

الفتى والمزمار

ولا يفوتنا بعد هذا ان نشير الى الفتى الذى تراه واقفا فى الصورة وهو يعزف على مزماره . ومن طريف ما يذكر ان مشهد هذا الفتى قد استوحاه راسم اللوحة من آثار عثروا عليها فى الحفائر التى حفروها فى شمال العراق ، وكانت تلك آثارا لفتى من عصور ما قبل التاريخ ، أحكم قبضته على مزماره ، فبدا وكأنه من أهل الأمس القريب لا من أهل الماضى البعيد .

فن البناء

أما القوس الجميل الذى يبدو بوضوح فى صورة صفحة (٢) وكذلك الجدار المحكم البناء ، ناهيك بالمبانى المرتفعة التى تراها من خلال الباب ، فلا ريب فى ان هذه جميعا تقيم الدليل القاطع على مدى ما بلغته العصور الحجرية الحديثة فى العراق من تقدم فى اعمال البناء . ولعل فى هذه المعالم العمرانية أيضا ، كما فى سائر معالم اللوحة الأخرى ، شاهدا على مدى ما تعرضت له تلك العصور فى السابق من غمط وسوء تقدير . ■■

يوسف زعبلاوى

ابن طفيل وفلسفته

■ ابن طفيل : هو ابو جعفر ، او كما يسميه آخرون بابي بكر ابن طفيل . اندلسي المولد ، اذ ولد في «كوادیش» قرب غرناطة . او كما يذكره العلماء باسمه الكامل عندما يقولون : هو ابو بكر محمد بن عبد المالك بن محمد بن محمد بن طفيل القيسي القرطبي الاشبيلي ، كما انهم يذكرونه بابي جعفر بدل ابى بكر .

اننا نعرف عن ابن طفيل مكان ولادته ولا نعرف تاريخها بالضبط ، (في اوائل القرن الثاني عشر الميلادى) . اما مكان وفاته فقد كان بمدينة مراكش المغربية سنة ١١٨٥م ، وخرج الملك المغربي آنذاك في جنازته ، تقديرا للمكانة العظيمة التي كان بها يحظى عنده . ان حياة ابن طفيل لا نعرف عنها الا القليل ، ولقد قام احد المستشرقين بمحاولة التنقيب عنها والبحث فيها ، فكان ذلك من نصيب المستشرق الفرنسي الذى كان استاذا بجامعة الجزائر هو الاستاذ السيد ليون جوتييي . اما عن حياته فاننا نعلم انه كان اديبا وكاتبا وفيلسوفا وشاعرا وطبيبا واشترك في تسيير دفة الحكم في بلاده او البلاد التي عاش بها كالمغرب . ولقد كانت هناك محاولة للتعريف به ــ من جانبي ــ كمربي ، وذلك بانتقاء افكاره التربوية العظيمة من خلال كتابه « حى بن يقظان » وهو الكتاب الوحيد الذى نعرفه ، في رسالة جامعية كان موضوعها « النظريات التربوية عند ابن طفيل » مع تمحيص لهذه النظريات ومقارنتها بالنظريات التربوية العالمية الموجودة الآن .

ومن الناحية الشعرية والطبية ، فقد وجد له صدفة بخزانة القرويين قصيدة شعرية في الطب تجاوزت الثلاثمائة بيت ، وكان ان عرضت هذه القصيدة في المؤتمر الذى عقد في لبنان عن « ابن طفيل » في اواخر الخمسينيات من هذا القرن .

اما من ناحية كونه كاتبا واديبا فهو الى جانب كتابه المعروف ، فقد كان كاتبا لحاكم غرناطة ، وطبيبا خاصا لثاني ملوك الموحدين بالمغرب وفي مدينة مراكش بالذات هو ابو يعقوب يوسف . وهو الذى قدم لهذا الاخير الفيلسوف العربي الكبير الذائع الصيت في العالم اجمع ابن رشد الذى كتب ببلاط هذا الملك العظيم وعلى ارض المغرب الطيبة كتابه الشهير في جزءين شارحا وناقدا

كما نراها في كتابه الوحيد "حي بن يقظان"

بقلم : الدكتور
محمد احمد المليجي

الاستاذ بجامعة محمد الخامس بمدينة فاس

ومخالفا لنظرية « بطليموس » في الفلك . مما يدل ايضا على الحفاوة والتكريم والتقدير الذى كان يمنحه ملوك المرابطين والموحدين للعلماء والفلاسفة والمفكرين ، ذلك التكريم الذى حباهم بشرف المحافظة للحضارة الاسلامية العربية : في هذه الارض الطيبة الكريمة العربية الاسلامية .

اننا لا نعرف بالضبط المدة التي عاشها بالمغرب ، لكننا نعرف انه من بين فلاسفة الاندلس : ابن باجة ، ابن طفيل ، وابن رشد . اما ابن طفيل فكان اصغر من الاول واكبر من الثاني ، وكان تلميذا للاول وصديقا حميما ومعاصرا لمدة طويلة لكليهما ، مما يدل على مستواه الفكرى ، رغما عن ان الحظ لم يساعده في التمتع بالشهرة والصيت الذائع الذى يتمتع به كل من صديقيه .

هذا الثلاثي يعد من اكبر فلاسفة الاندلس والعرب والمسلمين ، وهم لم يكونوا فلاسفة فقط ، بل كانوا مفكرين احرارا وقادة للراي في زمانهم وبيئتهم ، وهذا سبب لهم كثيرا من المضايقات والشدائد التى يمر بها المفكرون في كل زمان وعصر ومكان .

ان ابن طفيل لم يكن اشراقيا ، كما انه لم يكن صوفيا ، ولا زاهدا متنسكا ، ولا بداعية الى فكرة معينة يريد ان يلفت نظر المجتمع والناس اليه . ليس هو بالمسلم المتزمت ، ولا بالجاحد الملحد الثائر على ما يعتقده الناس في عصره . بل هو عالم نظرى ، يكتب للخاصة دون الكافة ، ويبحث بكل نزاهة واخلاص وصدق عن التوفيق بين العقل والايمان .

ان روح ابن طفيل كانت زكية طاهرة شفافة ونفسيته متزنة تتمتع بتكامل الشخصية ونضج العاطفة والتفكير ، وذلك لانه كان اكثر ايمانا وتدينا وعقيدة من كل من ابن باجة وابن رشد .

ان ابن طفيل فيلسوف تاملي ، وليس جدليا . انه ليبحث عن الحكمة الخالصة الصحيحة ويعتقد جازما ان العقل وحده والعلم والبديهة والحدس العقلى هو الطريق الوحيد للوصول الى الحقيقة. ولهذا كان في هذا المضمار المبدع الاول والمكتشف الاول في علم التربية لمبدا « التربية الذاتية » قبل غيره من العلماء سواء منهم الاوربيون او غيرهم .

كتابه : حي بن يقظان

انه قصة ادبية فلسفية اخلاقية تربوية ، فقد كان له الاثر الكبير على كل هذه النواحي من التفكير البشرى سواء في اوربا او العالم العربي والاسلامي او غيرهما من اقطار المعمورة .

انه الكتاب الذى يقول عنه العلامة الاسباني الكبير « منيندث ابيلايو » : ان كتاب حي ابن يقظان هو العمل الفلسفي والادبي والديني

والتربوى والنفساني الاكثر اصالة وعمقا في تاريخ الادب الاسباني العربي على الاطلاق . ان هذا الكتاب لا يهم الفلاسفة فحسب ، بل يهم كل من يهتم بتاريخ الفكر الانساني قاطبة » .

ويقول عن هذا الكتاب المستشرق المعروف « رينان » : « ان هذا الكتاب قد يكون الكتاب الوحيد عن الفلسفة الشرقية اطلاقا الذى يستطيع ان يملك اهتمامنا بطريقة متواصلة دون ان يقودنا الى النواحي التاريخية » .

ان كتاب ابن طفيل اول ما عرف ، عرف كمخطوط من بين مخطوطات « الاسكوريال » فترجمه اولا الى :

١ ـ العبرية : موبسيس ناربونة ـ سنة ١٣٤١ ميلادية .

٢ ـ اللاتينية : ا . بوكوك ـ سنة ١٦٧١ .

٣ ـ الانجليزية : اشويل ، جورج كيث ، سيمون اكللي ـ سنة ١٧٠٨ ميلادية .

٤ ـ الهولندية : مترجم مجهول ـ سنة ١٦٧٢م ـ وترجم مرة اخرى الى هذه اللغة سنة ١٧٠١م .

٥ ـ الالمانية : ج. جورج بيريتيوس سنة ١٧٢٦ م ـ وترجمة اخرى سنة ١٧٨٣ م .

٦ ـ الفرنسية : ليون جوتييي ـ سنة ١٩٠٠م.

٧ ـ الاسبانية : فرانثيسكوبونس ـ سنة ١٩٠٠ م ـ وترجمة اخرى : كونثليث بالينثيا سنة ١٩٣٤م .

ويرجح جدا ان يكون هذا الكتاب قد ترجم الى غير هذه اللغات المذكورة ، كما ان الدراسات والابحاث القيمة قد تعددت واختلفت جدا ، عدا المؤتمرات العالمية التي عقدت عن ابن طفيل سواء في تشكوسلوفاكيا ، او لبنان ، او غيرهما .

ومن الدراسات المهمة الجديرة بالذكر ، الكتاب الذى الفه الاسباني : خوسي بيبرجو ليفارنبين : « ديكارث وابن طفيل » . لم يذكر تاريخ نشره في مدريد .

مقدمة الكتاب وموضوعه

بدا ابن طفيل كتابه كما ياتي :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما ـ ذكر سلفنا الصالح رضى الله عنهم ، ان جزيرة من جزائر الهند التى تحت خط الاستواء وهي الجزيرة التي يتولد بها الانسان من غير ام ولا اب ، لانها اعدل بقاع الارض هواء واتمها لشروق النور الأعلى عليها استعدادا . وان كان ذلك على خلاف ما يراه جمهور الفلاسفة وكبار الاطباء .. » .

ان قصة « حى بن يقظان » معروفة الآن للخاص والعام ، ويقصد ابن طفيل بكلمة « حي » ، كائن حي ، بشر ، انسان . وبكلمة « يقظان » ـ الله ـ الخالق المبدع لهذا الوجود وجميع الكائنات الموجودة فيه .

ان ابن طفيل جعل « حي » يولد بلا ابوين في احدى جزر الهند التى تحت خط الاستواء ، وترضعه وتربيه وتشرف على تنشئته ظبية ، الى ان ماتت هذه الظبية ، فكان هذا الحدث بمثابة تغير جذرى في حياة الصبى ، الذى بدا اول الامر بتربية لحواسه . ولما بلغ سن الاحدى وعشرين بدا يعرف طبخ اللحم وصنع لباسه من جلود الحيوانات ، وصنع آلات الصيد والقنص ، وبناء كوخ من القصب اقتداء ببعض الطيور . ثم بدا في استئناس الحصان وحمار الوحش وبعض الطيور الكاسرة . ثم بعد ذلك تطور تفكيره الى التفكير في مملكات الحيوانات والنبات والمعادن الى ان وصل الى فكرة انه لابد من وجود وحدة بين هذه العوامل في الحياة المادية . فوجد ان لكل جسم مادته ومظهره ولكن ما الذى يكون ذلكم الشكل وتلكم المادة . ثم بعد ذلك بدا « حي » يتدبر هذا الكون الفسيح بما فيه من اجرام سماوية ونجوم وكواكب ورياح وامطار وعواصف ورعد وبرق . الى ان وصل عن طريق الملاحظة والمشاهد العلمية الدقيقة الى معرفة الله جل علاه ، وقدرة الخالق الاوحد تعالت قدرته .

ان « حي » عن طريق التامل والزهد والتنسك والملاحظة والحدس العقلى يصل الى معرفة وجود الذات العلوية . ثم يتصل فى تلكم الجزيرة بـ « آسال » وهو عالم جليل عاش مع الناس وتعلم منهم الى ان وصل الى معرفة وجود الله عن طريق الايمان والتدين . هذا الاخر بدا يعلمه اللغة

لينقل اليه افكاره ، فاتفقا اتفاقا كليا في كل شيء على الاطلاق . فيتفق بذلك ايضا العقل والايمان للوصول الى هدف واحد .

(ملاحظة : كلمة آسال شركسية معناها اسد ، وهو اسم شركسي ما زال يستعمل الى الان .)

ان ابن طفيل ، ليُعتبر السبّاق الاول الى نظريات « النشوء والارتقاء » وغيرها من النظريات البيولوجية التى نادى بها كل من « داروين » و « لا مارك » وغيرهما . وكذلك مبدأ « الشك المنهجي » الذى نادى به « ديكارت » . ومبدأ « التربية الذاتية » التى ينادى به الان كثير من علماء التربية والتحليل النفسي ، وكذلك مبدأ تربية الحواس عند الاطفال قبل تعليمهم العلوم المختلفة الذى نادت به المربية الايطالية الشهيرة « مونتيسورى » .

اما من الناحية الادبية فان قصة ابن طفيل لتعتبر المثال الذى احتذاه الكاتب الانجليزى « دانييل ديفوى » عندما كتب كتابه « روبنسن كروزو » الشهير . وكما شهد بذلك ايضا المستشرق الاسباني المعروف « كارثيا كومث » عندما برهن في « مجلة الوثائق والمكتبات والمتاحف » سنة ١٩٢٦ . ان قصة « الكّاريطِكُون » التى كتبها العالم الاسباني المعروف « كرَاسْيَان » ، ماخوذة عن قصة ابن طفيل « حى بن يقظان » .

اما « جان جاك روسو » في قصته « اميل » فلا شك انه تأثر بقصة ابن طفيل ، لكن ابن طفيل كان اصدق منه عندما برهن ان الاطفال لا يتعلمون من الطبيعة بقدر ما ينبهرون بها ، وهذا الانبهار هو الذى ياخذهم الى التعلم . وهذا خلافا لمبدأ « جان جاك روسو » الذى يدعو الى شريعة الغاب و « التربية الطبيعية » وهذا ايضا هو المبدا التربوى الحديث المجرب . ان النظرة الى التربية عند ابن طفيل كان لها ايضا الاثر الواضح على « ليبسين » الذى دعا الى « التربية التقدمية للجنس البشرى » .

وكذلك ايضا على فلسفة الدين والتدين لمدرسة واتباع « هيجيل » . ان ابن طفيل يرى انالانسان يمر في حياته بمرحلتين : الاولى تحليلية والثانية تركيبية . وفي جميع الاديان هناك دين للعامة وآخر للخاصة من العلماء والمفكرين . وهو يفضل الانسان الذى يصل الى الاعتقاد عن طريق العقل ، على المؤمن عن طريق التلقين . ان الاخلاق الدينية عنده هي حرية التفكير من اجل الوصول الى الحقيقة .

ومن الناحية الاجتماعية ، يعتقد جازما ان الانسان يجب ان يساير ويتعايش مع المجتمع الذى يعيش فيه وياخذ بيده الى طريق الحق والايمان ، وبهذه الافكار لا شك انه الى جانب تعايشه مع ابن رشد وغيره من الفلاسفة ، اثرا تأثيرا بالغا في مفاهيم التربية المغربية ، باعتبار انهما عاشا في المغرب لمدة طويلة كما يذكر بعض العلماء ، الامر الذى طبع العقلية المغربية بطابع الايمان والمحافظة على التراث العربى الاسلامى ، والجدية ، وطابع الاصالة في التربية الدينية على مر العصور .

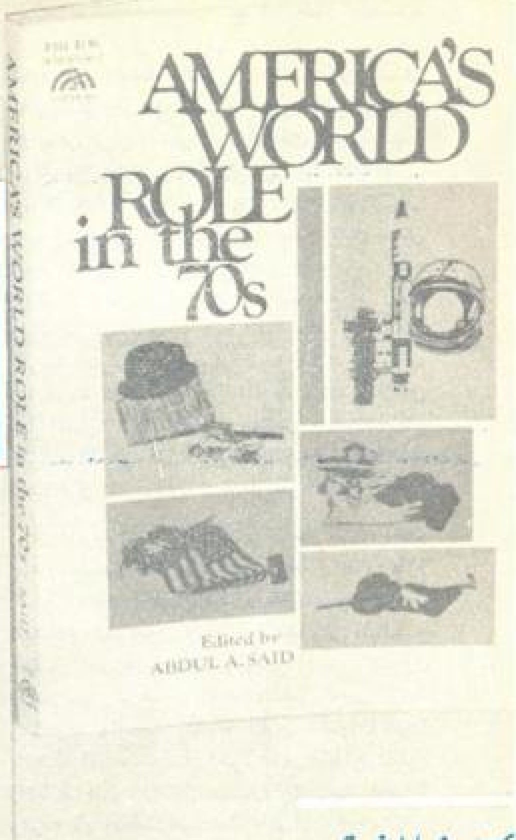
ان المغرب اشتهر منذ قديم الزمان بعلماء اجلاء امتازوا بباعهم الطويل في علوم الفقه واللغة وعلوم الدين والفلك والجغرافية ومحاولات في ميدان الفلسفة والتربية . ونحن نرد هذا الى التأثر بافكار ابن طفيل وابن رشد وابن خلدون والادريسي وغيرهم من علماء الاندلس الذين عاشوا في المغرب والعلماء المغاربة الذين عاشوا وتاثروا بالحياة الاندلسية الزاخرة بشتى انواع العلوم والمعارف التى أثرت فيالحضارة الاوربية الحديثة وغيرها من الحضارات العالمية .

ان تطبيق نظرية ابن طفيل الاخلاقية في الحياة لا نراه الا من خلال ما يقوله هذا المفكر العربي الفذ ، الا وهو ضبط النفس،وجعلها تقوم بمجهود نفسي جبار شاق ينبعث من اعماقها لتستكشف كنه نفسها بنفسها بقصد الوصول الى مرحلة الاشراق والفيض الرباني ، والتعبير عن ذلك بلغة سليمة تكشف العبقرية العربية الاسلامية .

ان ابن طفيل وكأنه يعيش بين ظهرانينا الآن في هذه المرحلة العصيبة الحالكة من تاريخ امتنا العربية الاسلامية ويدعونا الى الرَّوِيّة في تفكيرنا وَسَبْر أغْوَار نفسيتنا العربية ، ويدعونا الى الحُبِّ والأصالة والخير والجمال والايمان بالله العلي القدير جل علاه ، وما احوجنا الآن الى مفكرين مثل ابن طفيل رضي الله عنه وأرْضَاه .

■■

محمد أحمد المليجي



دور أمريكا العالمي في السبعينيات

بقلم : محمد طنطاوي

● لماذا نقدم هذا الكتاب ؟ هذا هو السؤال الذى رأيت أن أجيب عليه قبل عرض هذا الكتاب الذى قام عدد من رجال الجامعات الأمريكيين بكتابة فصوله عن دور الولايات المتحدة الامريكية في العالم خلال السبعينيات من هذا القرن . ان هذا الكتاب بما يحتويه من بحوث مختلفة كتبها أساتذة مختلفو المذاهب والتفكير يتيح للقارىء العربي معرفة اتجاهات المفكرين الامريكيين بالنسبة لدور امريكا في السياسة العالميه . ان احدا لا يستطيع أن ينكر الدور المتزايد التأثير لكل من الدولتين العملاقتين امريكا وروسيا في السياسة العالمية وعلى العالم كله . وبالرغم من أن هنالك الكثير من الاراء التى تضمنها بعض فصول هذا الكتاب والتى لا تتفق مع آرائنا او افكارنا الا انه من المفيد لنا كعرب أن نعرف تفكير الدول الاخرى بالنسبة لنا وبالنسبة للعالم كله .

والكتاب يتكون من ١٤ فصلا كتبها اساتذة في الجامعات الامريكية متخصصون في العلوم السياسية والشئون الدولية ، كل كتب في اختصاصه . وتتناول هذه الفصول : الأمن القومي

ان العالم كله ينظر الى مستوى المعيشة في امريكا كهدف مرغوب فيه ، الا ان العالم لايتعاطف مع الدور الامريكي في الشئون العالمية والدولية .

الامن القومي والدبلوماسية الامريكية

المحافظة على الامن القومي الامريكي ، هي الحجة التي نسمعها دائما لتبرير التدخل الامريكي العسكري في فيتنام او في اى بقعة أخرى من بقاع العالم . والامن القومي والمحافظة عليه هو الأساس الذي تقوم عليه سياسة امريكا الخارجية. ولكن ما هو الأمن القومي ؟ لقد اختلفت آراء مؤلفي الكتاب في مقالاتهم المختلفة عن الامن القومي.

فيقول البروفيسور هويتل جونستون Whittle Johnston ، وهو استاذ العلاقات الدولية في الجامعة الامريكية بواشنطن ان : الامن الخارجي لدولة من الدول ياتي عن طريق وسيلتين اساسيتين هما :

١ ـ الأمن عن طريق الاتفاق والاعتماد على حسن نوايا الدول الاخرى .

٢ ـ الأمن عن طريق الردع بتكوين قوة رادعة تمنع الدول الاخرى من الاعتداء عليك .

وان هناك نسبا مختلفة للمزج بين الوسيلتين لتحقيق الأمن ، وتختلف هذه النسب باختلاف الزمن والظروف .

ويستطرد « جونستون » فيقول : **« انه يوجد في امريكا فريقان أحدهما يوصى بزيادة نسبة الوسيلة الاولى في المزيج وذلك باستعمال مزيد من الوسائل الدبلوماسية والاقتصادية ، بينما يوصى الفريق الآخر بزيادة نسبة الردع عن طريق استعمال الوسائل العسكرية الصارمة لتحقيق الامن القومي الخارجي » .**

ويهاجم جونستون السياسة الامريكية ويقول : **« انه بالنسبة لظروف الحرب الباردة بين المعسكرين الشيوعي والغربي ، يجب اعادة النظر في سياستنا ذات النظرة المحدودة والتى تجعلنا ننظر الى كثير من الانظمة والحكومات الفاسدة ، التى تشاركنا العمل ضد الشيوعية على انها شريكة لنا في مشروعاتنا للمستقبل .. لقد عانت المصالح الامريكية ، على المدى البعيد ، في كل من الحرب العالمية الثانية والحرب الباردة من ضحالة نظرتنا الاستراتيجية المحدودة . وعلينا**

« لقد حاولنا مرتين خلال النصف قرن الحالى ان نصلح العالم وفشلنا .. وعلينا الآن ان نحاول شيئا اقل بريقا ولكنه اكثر أهمية وضرورة .. وهو اصلاح المجتمع الامريكي .. »

« رونالد ستيل »
« من مقال عن فيتنام ونهاية عصر القوى العظمى » .

لعدة مؤلفين من أساتذة الجامعات الامريكية

الامريكي ، ودور امريكا بالنسبة لكل من اوربا الغربية ، والبلقان ، وامريكا اللاتينية ، ودول افريقيا (باستثناء شمال افريقيا) ، والشرق الاوسط ، وجنوب وجنوب شرق آسيا ، ثم ينتهى الكتاب بمقال عن التكنية العسكرية في السبعينيات.

وسنحاول هنا أن نلخص اكثر ما جاء في هذا الكتاب من بحوث مع اعطاء أهمية خاصة للبحث الخاص بالشرق الاوسط .

وقد جمع هذه البحوث وحررها عبدول ا . سعيد Abdul A. Said ، استاذ العلاقات الدولية في الجامعة الامريكية بواشنطن .

ويقول المحرر في مقدمة الكتاب انه بالرغم من

لتلبية حاجتنا للامن في المستقبل المليء بالمتاعب ان ننظر الى هذا المستقبل بعينين لا بعين واحدة .. »

الأمن .. حجة الاستعمار الجديد

اما البروفيسور « صمويل شارب » « Samuel Sharp » ، وهو ايضا استاذ في الجامعة الامريكية بواشنطن فيهاجم في بحثه حجة الأمن في رسم السياسة الدولية ويقول : « ان كلا من امريكا وروسيا لا يمكن لاحد أن يدمر استقلالهما او يمس امنهما القومي ، حتى ولو كان هناك مجنون يحاول ذلك » .. ويتساءل اذن لماذا تقوم هاتان الدولتان العملاقتان بانفاق اموالهما ، وجهود رجالهما ومصادرهما الاخرى لتحقيق ما يسمونه بالأمن القومي ؟!

ويجيب شارب على هذا التساؤل مستشهدا بما كتبه استاذ علوم سياسية آخر هو « كارل دوتش » Karl Deutsh ، في كتابه « تحليل العلاقات الدولية » : « شعور دولة بعدم الامن يؤدى الى تعزيز وتوسيع قوتها ، وعندما تكون الدولة كبيرة وقوية ، يزداد قادتها ، وصفوة شعبها ، بل واحيانا شعبها ، في تطلعاتهم بالنسبة للأمور الدولية . وكذلك يزداد شعورهم ورؤيتهم لانفسهم كقادة اختارهم القدر لوضع الامور الدولية في نصابها ، أو على الاقل وضعها في قالب معين يظهر لهم سلامته ... والدول العظمى والاقوى هي التي تكون ، على الاقل ، صورة لعالم يمكن ان يوضع في قالب ، أو يتغير ، أو يصمد ككل او كاغلبية ، طبقا لرغبات هذه الدول العظمى ، ومخاوفها ، ومتاعبها ، وجهودها .. »

ويستشهد البروفيسور شارب في بحثه بأقوال عدد من الاساتذة الامريكيين عن الأمن القومي ومن بينها ما قاله آرنولد ولفرز (Arnold Wolfers) الذى يقول : « ان مسألة الأمن تتعدى مجرد الدفاع فهي من الممكن ان تصبح شيئا طموحا بحيث يمكنها أن تحول نفسها الى هدف توسع غير محدود » .

وايضا ما قاله رونالد ستيل Ronald Steel ، في مقال عن فيتنام ونهاية عصر القوى العظمى :

« لقد حاولنا مرتين في خلال نصف القرن الحالى أن نصلح العالم وفشلنا .. وعلينا الآن انحاولشيئا اقل بريقا ولكنه اكثر اهمية وضرورة .. وهو اصلاح المجتمع الامريكي .. » ويختتم « شارب » بحثه متسائلا .. هل ستقبل الدول العظمى بتغيير سياستها الحالية بمجرد أن مجموعة من الباحثين السياسيين ينتقدون هذه السياسة ويقول : « لقد قال العلماء انه ما كان على « الديناصور » ، ذلك الحيوان الضخم العارم الذى انقرض منذ زمان طويل ، ما كان عليه لكى يعيش تحت الظروف المتغيرة سوى أن يفقد بعض وزنه .. فهل فعل هذا ؟ الظاهر أن هذا المجهود كان اكثر مما يستطيع .. وكذلك فان التحول المباشر من السياسة العدوانية القائمة على الانانية الى سياسة منطقية متجردة تبدو اكثر مما يستطيع الانسان ان يحققه وبذلك قد لايجد الانسان الوقت الكافي لكى يغير طبيعته على مراحل تماما كما حدث للديناصور !! » .

حجاب تخفى وراءه الاعمال

اما البروفيسور لورانس وادسورث « Lawrence Wadswarth » ، استاذ القانون الدولى في الجامعة الامريكية في واشنطن فيهاجم سياسة الأمن الامريكية ويدمغها بانها قد تسببت في زيادة التوتر الدولى بدلا من حل الخلافات الدولية . يقول ان حجة الأمن هذه اصبحت حجابا يختفى وراءه كثير من اعمال الدفاع الامريكي غير العادلة والتى تناقض المبادىء التى كانت تعتنقها امريكا في أوائل القرن الحالى .

سياسة امريكا تجاه أوربا الغربية

عن سياسة امريكا تجاه أوربا الغربية يركز البروفيسور هانز مورجنتاو Hanz Morgenthue استاذ العلوم السياسية والتاريخ الحديث في جامعة شيكاغو ، بحثه حول حقيقة الموقف بالنسبة للتهديد السوفيتي باجتياح أوربا الغربية ويقول في هذا الصدد : « منذ مدة كان هناك ايمان بان الجيش الاحمر في وسط اوربا سيقوم باكتساح أوربا الغربية ، وان لاشيء سوف يقف في طريقه سوى قوات حلف الاطلنطى . وفي السنوات الاخيرة تحول هذا الايمان الى أن تهديد السوفيت لاوربا الغربية لم يعد له وجود ، بل وظهرت المناقشات التى تقول ان هذا التهديد لم يكن له وجود اصلا . »

ويزيد « مورجنتاو » رأيه وضوحا فيقول

ان امريكا تهتم بالدرجة الاولى بالمحافظة على ميزان القوى في اوربا الغربية وان لاتقوم دولة اوربية واحدة تتمتع بقوة كاسحة مما يهدد بقية الدول في تلك الارجاء .. وترتكز سياسة امريكا ايضا على نظرية مواجهة ومجابهة الخطر الشيوعي وخطر الاتحاد السوفيتي ولهذا انشات امريكا حلف شمال الاطلنطي . ويناقش « مورجنتاو » اهمية حلف الاطلنطي وكيف ان السياسي الاوربي الوحيد الذى استطاع ببعد نظره السياسي ان يكتشف تعارض وتضارب المصالح بين امريكا وبين دول اوربا الاعضاء في الحلف على المدى البعيد لم يكن الا الزعيم الفرنسي شارل ديجول .

ويختتم « مورجنتاو » بحثه بان على امريكا الآن ان تنظر بعين الاعتبار الى الدور الرئيسي الذى تلعبه المانيا في السياسة الاوربية وان تبني سياستها وامنها على اساس التغيرات المتوقعة .

بين الولايات المتحدة .. وامريكا اللاتينية .. او الرجل الثرى .. واقاربه الفقراء

يرسم جون بلانك « John Plank » الزميل في معهد بروكنجز بأمريكا صورة كاريكاتورية للعلاقة بين الولايات المتحدة الامريكية ودول أمريكا اللاتينية . فيشبه الولايات المتحدة بالرجل الثرى الذى يقع على قريب نسيب له فيخصص له مكانا بالقرب من المطبخ في قصره ، ويوفر له الطعام والكساء كما هو جدير باى رجل ثرى محسن ، ولكنه في نفس الوقت يطالب قريبه الفقير بان يقوم ببعض الاعمال التى يطلبها منه وان لايبتعد عن مكانه المخصص له بالقرب من المطبخ .

ويقول « بلانك » « ان امريكا غير مستعدة لقبول الراى الذى يقول ان امريكا اللاتينية قد اصبحت الآن في موقف يمكنها من اتخاذ قراراتها بنفسها وان تتولى دولها مسئولية تقرير مصيرها بايديها . ويقول ان الراى السائد في الولايات المتحدة ان مثل هذا اليوم سياتي ولكنه لايزال بعيدا . اما بالنسبة للأمن الامريكي فان الاعتقاد السائد هو ان امن الولايات المتحدة يصبح مهددا عندما تبتعد دول امريكا اللاتينية عن الولايات المتحدة في مواقفها بالنسبة للمسائل الايديولوجية او الاقتصادية او الاجتماعية او السياسية . وذلك لان الأمريكيين يعتقدون ان نصف الكرة الغربي نصف قائم بذاته ، منفصل عن بقية العالم .. وان هذا النصف هو نصفهم هم . !! »

ويطالب « بلانك » بتغيير سياسة الولايات المتحدة الامريكية بالنسبة لامريكا اللاتينية حيث انه لا يوجد اى تهديد استراتيجي أو عسكرى من الخارج ، وبذلك أصبح لا وجود لمشكلة الأمن .. ويقول انه يجب اتاحة الفرصة لكل شعوب امريكا اللاتينية لكى تقرر مصيرها بنفسها بعيدا عن وصاية الولايات المتحدة .. ويشير الى أن اغلبية كبيرة من الجيل الجديد في امريكا اللاتينية لن تذكر للولايات المتحدة الا مواقفها المشئومة في خليج الخنازير - والتدخل العسكرى في الدومنكان ، ودورها في انقلاب البرازيل عام ١٩٦٤، والانقلابات المتتالية في الارجنتين وبنما وبيرو التى كانت الولايات المتحدة وراءها .

امريكا وافريقيا

يقصر شارلز بيرتون مارشال Charles Burton Marshall ، وهو مدير مركز الابحاث السياسية الخارجية في واشنطن حديثه على الدول الافريقية التى تقع جنوب خط عرض ٢٠° شمالا ، وبذلك يفصل بين الدول الافريقية الواقعة فى منطقة الشرق الاوسط وبين دول افريقيا الاخرى. وتتكون الدول الافريقية التى يتحدث عنها « مارشال » من ٣٥ دولة اغلبها منضم الى ما يعرف بالعالم الثالث وهي تضم ١/١٠ من مجموع سكان العالم كله ، ويذكر أن هذا الجزء من العالم قد شاهد ٢٣ انقلابا عسكريا منذ عام ١٩٦٠ حتى عام ١٩٧٠. وان الظروف التى تركها الاستعمار بعد رحيله من هذه البلاد الحديثة الاستقلال قد جعل عدم الاستقرار مشكلة رئيسية تواجه هذه الدول . ويذكر « مارشال » في بحثه ان أهم جزء بالنسبة لامريكا في قارة افريقيا هو راس الرجاء الصالح بصفته احد مفاتيح الامن للطرق الثلاثة المؤدية للمحيط الهندى وقد ازدادت اهمية راس الرجاء الصالح بعد أن اغلقت قناة السويس بعد حرب ١٩٦٧ . ويقول ايضا ان سياسة امريكا تقوم على اساس عدم التدخل العسكرى في القارة السوداء ، ويخصص الباحث السياسي اغلب بحثه حول مشكلة جنوب افريقيا وقرارات الامم المتحدة حول فصل اقليم جنوب غرب افريقيا والتى لم

تتحول من مجرد قرار على الورق الى حقيقة نافذة . ويذكر ان مشكلة جنوب افريقيا قد تؤدى الى توريط امريكا عسكريا في القارة السوداء وان كان هذا مجرد احتمال ضعيف ولكن من يدرى .. ؟ !

الشرق الاوسط .. وامريكا

في هذا البحث ، الذى يعتبر من أهم البحوث بالنسبة للقارىء العربي لانه يمس صميم الواقع الذى يعيشه الآن وسط امواج المحيط الدولى المضطربة « يقول عبدول أ . سعيد Abdul A. Said — ويبدو من اسمه انه ذو أصل عربي — وهو استاذ العلاقات الدولية في الجامعة الامريكية بواشنطن : انه بالرغم من أن الكثير من الدارسين ورجال السياسة الامريكيين قد انفقوا اكثر من ربع قرن في محاولات جادة لفهم الشرق الاوسط ، فقاموا باتقان اللغات العربية والتركية والفارسية والعبرية ، ودراسة الاسلام ، وتاريخ المنطقة بمختلف وجوهه ، الا أن هذا الاهتمام والتقدير العميقين للشرق الاوسط لم يات باى تحسين لمستوى انجازات امريكا في المنطقة .. » .

المتطرفون

ويقسم صاحب البحث الدبلوماسيين الامريكيين الى فريقين بالنسبة لمواقفهم من الشرق الاوسط فيقول : « ينقسم الدبلوماسيون الذين يحاولون تطبيق النتائج التى استخلصوها من عدد كبير من المجلدات التى تحتوى على تقارير عن مشاكل الشرق الاوسط ، الى فريقين .. المعتدلين والمتطرفين .. وهو نفس التقسيم الذى يميز طريقة التفكير في مؤسسات السياسة الامريكية بالنسبة لمختلف انحاء العالم . ويقول المتطرفون ان الاتحاد السوفيتي قد استطاع أن يحسن مركزه في منطقة الشرق الاوسط تحسينا كبيرا منذ منتصف الخمسينيات من هذا القرن ، وانه بالرغم من ان موسكو قد لاتستطيع الآن أن تقوم بالاستيلاء على اى مكان في المنطقة الا انها تستطيع أن تقوم بالتأثير على سياسة اتخاذ القرارات في عدة حكومات في المنطقة ، وانها في موقف يسمح لها بان تستفيد من اى تطورات غير محتملة ، ويؤمن المتطرفون أيضا بان هناك جيلا من ابناء الشرق الاوسط يقبل القيم السياسية والصداقة التى يعرضها عليهم الاتحاد السوفيتي . وبمقارنة موقف الدولتين القويتين امريكا وروسيا ، فان الولايات المتحدة باعدت بينها وبين هذا الجيل ، وقد فشلت واشنطن في اقامة أسس تستطيع أن تبنى عليها سياستها في المنطقة ، بل وكثيرا ما تقوم امريكا بافعال تضر باهدافها ومخططاتها . وكنتيجة لهذا فهناك شعور متزايد ضد الولايات المتحدة الامريكية في الشرق الاوسط ، وهذا يضاف الى رصيد الاتحاد السوفيتي . » ويقول المتطرفون : « اذا كان هدف امريكا ان تساعد على تطوير الدول المتجاوبة معها ، وأن تمنع تحكم الشيوعيين في المنطقة ، فانها — اى الولايات المتحدة — قد فقدت الكثير وليس لديها سوى أمل ضئيل لتجنب خسارة اكبر وافدح . والمطلوب من امريكا ان تضع برنامجا هادفا عدوانيا يهدف الى ثلم قوة الضغط السوفيتي في اى موقع يوجد ، وهذا يعني برنامجا ضخما من المساعدات الاقتصادية والعسكرية لحلفاء امريكا في المنطقة ، واستعدادا تاما لمنافسة الاتحاد السوفيتي في الشرق الاوسط ، وبذل جهد لكسب جهود اضافية من بلدان أوربا الغربية » .

.. والمعتدلون ..

اما الفريق الثاني وهم ما يسمون بالمعتدلين « Minimalists » فهم يجادلون بان الشرق الاوسط ليس بمنطقة حيوية بالنسبة لمصالح الولايات المتحدة الامريكية ، وان الجهود السوفيتية في المنطقة ما هي الا نتاج طبيعى للتقارب الجغرافي ولتجاوب القوى المحلية ، وانه يوجد اساس معقول للتعايش الغربي والشرقي في المنطقة . ويستطردون في مناقشتهم : « انه لن توجد قوة او سلطة أجنبية تستطيع أن تمارس او تفرض نفوذها على المنطقة كما كانت بريطانيا وفرنسا تفعلان في الماضي القريب . ان الشرق الاوسط سيكون في المستقبل المرئى — ساحة تمارس فيها القوى الكبرى بعض النفوذ ولكن لن تستطيع واحدة من هذه القوى ان تتحكم في المنطقة » .

« ويؤكد هذا الفريق ان القومية المحلية ستتغلب حتما على الشيوعية . وانها سترفض سيطرة موسكو .. وانها ستصبح قوة تستطيع واشنطن أن تجد لنفسها معها اتفاقا معقولا » .

وباختصار يمكن للولايات المتحدة ان تقامر على

ان القومية المحلية سوف تقاوم تغلغل الاتحاد السوفيتي . وبذلك يجب على امريكا ان تتجنب توريط نفسها في كل مشكلة أو ازمة في المنطقة وان تعمل على تدعيم وتقوية صلاتها باصدقائها في الشرق الاوسط . وان تترك الطبيعة تأخذ مجراها الحتمي » .

سياسة التردد

بعد أن يستعرض د . سعيد اتجاهات المعتدلين والمتطرفين يقول : « وبسبب تارجح الدبلوماسية الامريكية بين هذين الاتجاهين فانها تقف الآن موقف التردد حيال الشرق الاوسط ، خاصة وقد شاهد الدبلوماسيون الامريكيون جهودهم في السنوات الاخيرة وهي لا تثمر سوى الفشل والقلق في الشرق الاوسط » .

هل تتجدد عصور الاستعمار ؟!

ويسرد المؤلف تاريخ امريكا في منطقة الشرق الاوسط ، وكذلك تاريخ الاتحاد السوفيتي واهتمامات الدولتين العملاقتين بهذه المنطقة . ثم يقول : « ان كلا من الاتحاد السوفيتي وامريكا قد جذب الى المنطقة نتيجة الفراغ الذى نتج عن انسحاب القوى الاستعمارية .. » ثم يتساءل : « هل يا ترى ستقوم الدولتان العملاقتان اليوم بادعاء شرعية القيام بدور مماثل للقوى الكبرى في عصور الاستعمار ؟! » .

ويقول د . سعيد في هذا الصدد ايضا : « في عالم اليوم ، وحيث انه بمقدور القوى العظمى ان تواجه بعضها البعض من داخل اراضيها وحدودها ، فانه من الصعب على أحد أن يبرر وجوده في أماكن كالشرق الاوسط .. حيث يكون التفسير الوحيد لوجود هذه القوى هو الأطماع وليس فعل الخير » .

مشكلة اسرائيل بعد عام ١٩٦٧

وعن مشكلة اسرائيل يقول الكاتب « انه بعد يونيو ١٩٦٧ ورثت واشنطن وموسكو تركة مثقلة من المتاعب في المنطقة فقد فقدت كلٌ من القوتين الكثير من قدرتهما على التحكم في احداث الشرق الاوسط .. »

ويقول ايضا : « ان هدف امريكا وتمسكها بحدود مأمونة لاسرائيل ، جعل الاسرائيليين يتجاهلون الاسباب القهرية العديدة التى تجعلهم يتبينون حقائق البيئة الاقليمية ... وفي نفس الوقت زودت مساعدات امريكا المتزايدة والتزاماتها ، لاسرائيل ، القيادات العربية بكبش فداء ، تلقى على عاتقه كل أسباب امراض العرب ومشاكلهم وكبش الفداء هذا هو الاستعمار الامريكى الصهيونى .. » .

وبعد أن يستعرض الكاتب ٧ عوامل اسماها الثوابت والمتغيرات في الشرق الاوسط وهي :

(١) الخلافات الطائفية .

(٢) النظم غير الديمقراطية .

(٣) عدم ثبات الاحلاف في المنطقة .

(٤) الوحدة العربية كعامل خلاف لا وحدة .

(٥) حل مشكلة اسرائيل بين الفلسطينيين والاسرائيليين .

(٦) دخول فرنسا والصين الشعبية الى المنطقة .

(٧) مشكلة خلق ايديولوجية تتجمع حولها الجماهير العربية .

يقول : « ان سياسة امريكا في المنطقة يجب ان تعتمد على مراقبة هذه العوامل السبعة وانه يجب على امريكا ان تعترف بان سياستها الخاصة بالاحلاف لم تحقق الا انها ادخلت اضطرابات الحرب الباردة الى المنطقة ، واستقطبت الشرق الاوسط الى معسكرين واحد موال للغرب والآخر ضد الغرب .

وعلى امريكا ان تعترف بان تكاليف وجودها العسكرى في المنطقة تزيد عن مكاسبها . وانه على امريكا ان تؤيد أو تعادى أى دولة من دول المنطقة دون التأثر بالتزامات هذه الدولة العقائدية الداخلية منها والخارجية » .

الشرق الاقصى وجنوب شرق آسيا

بعد هذا يستعرض الكتاب سياسة الولايات المتحدة في كل من الشرق الاقصى وجنوب شرق آسيا . ويتعرض لمشكلة فيتنام وينادى ريتشارد باتول Richard Batuell وهو ايضا استاذ للعلاقات الدولية بالجامعة الامريكية في واشنطن

بان على امريكا ان تبحث امكانية التعاون مع كل من روسيا والهند واندونيسيا واستراليا واليابان لتكوين ما يسميه « مجلس امن لجنوب آسيا » وتنضم اليه بقية دول المنطقة وذلك حتى يتجنب العالم فيتنام اخرى ..

★★★

هذا عرض سريع لاهم ما جاء في هذا الكتاب من بحوث .. وهي بحوث تمثل طريقة التفكير الامريكي بالنسبة لدور امريكا الحالي في الماضي والدور الذي ينتظر ان تلعبه في السبعينيات على ضوء سياستها بالنسبة للامن القومي .. وقد ظهر واضحا جليا من التحليل الذي قام به هؤلاء الاكاديميون الامريكيون ان الولايات المتحدة تستغل حجة الامن لعدة أغراض اهمها : (١) خداع الراي العام باقناعه ان ما يتخذ من قرارات بالتدخل في الشئون الداخلية لبلدان العالم انما هو من أجل امنه وسلامته .

(٢) حجة الامن ما هي الا شعار للاستعمار الجديد للوصاية التي تريد القوى العظمى فرضها على الدول الاخرى . ■■

محمد طنطاوي



من الكتب التي وصلتنا

عبير من دمشق

تاليف : عدنان مردم بك .

الناشر : منشورات عويدات ــ بيروت/لبنان .

● **مجموعة قصائد متنوعة .**

اسرار العسكرية الاسرائيلية

تاليف : معين احمد محمود .

الناشر : دار الصادق / بيروت ــ لبنان .

● **يدرس هذا الكتاب انواع وكميات الاسلحة التي هي بحوزة العسكرية الاسرائيلية ، او التي هي في طريقها اليها ، ثم الربط بين خطة التسليح الاسرائيلية ومخططاتها العسكرية .**

ويقول المؤلف ان نسبة المعلومات العسكرية الموجودة في هذا الكتاب تقارب ٧٥٪ ، ورغم هذا فهي نسبة عالية لا يستهان بها . اذا ما اخذت السرية المضروبة بعين الاعتبار ، كما يدرس الكتاب الحياة العسكرية داخل اسرائيل مثل التجنيد والتدريب والطيران والبحرية والصواريخ والسلاح الذري والاسلحة الكيماوية والبيلوجية ثم صناعة الاسلحة في اسرائيل .

بريطانيا والعراق حتى عام ١٩١٤

تاليف : الدكتور زكي صالح .

الناشر : مطبعة العاني ــ بغداد .

● **دراسة في التاريخ الدولي والتوسع الاستعماري لبلاد ما بين النهرين ، غير ان البحث اوسع نطاقا وابعد مآلا مما قد يوحيه الاصطلاح الجغرافي ، فالعراق كاي بلد عربي آخر يمكن أن يكون موضوعا علميا لدراسة التوسع الأوروبي وما يعنيه من الامبريالية والاستعمار وعلى هذا الاساس درس المؤلف التوسع البريطاني منذ بدايته في الشرق الاوسط اجمالا واستقراره بعد ذلك في بلاد الرافدين حتى الحرب العالمية الأولى.**

الفجر الجديد

تاليف : محمد ياسر شرف .

الناشر : مطبعة الاندلس ــ حمص ــ سوريا .

● **مجموعة قصائد متنوعة .**

احلام لا تكذب

تاليف : عزت محمد ابراهيم .

الناشر : مطبعة المثنى ــ بيروت ــ لبنان .

● **قصة عربية طويلة .**

عقيلة بنى هاشم

تاليف : على بن الحسين الهاشمى الخطيب .
الناشر : مطبعة الاداب ـ النجف الاشرف ـ العراق .

● دراسة تاريخية مقتضبة عن زينب بنت على بن ابى طالب تتناول نشأتها وتسميتها وكنيتها وعبادتها ، ثم خطبها فى الكوفة والشام بعد مصرع اخيها الحسين بن على بن ابى طالب في كربلاء ، كما ناقش المؤلف وتحقق من موضع قبرها هل هو في الشام ام في مصر ، ثم بعض القصائد التى قيلت فيها .

التاريخ السرى للعلاقات الشيوعية الصهيونية

تاليف : نهاد الغادرى / الناشر : دار الكاتب العربى /بيروت

● دراسة عن التاريخ السرى للعلاقات الشيوعية الصهيونية يسلط الضوء على الصلات التاريخية بين الحركتين الشيوعية والصهيونية . ثم دور الاتحاد السوفييتى في خلق اسرائيل وصلة الشيوعية فكرا وعقيدةونظامابالبهود والصهيونية. والمؤلف يقدم مجموعة من الوثائق تدين الحركة الشيوعية بالعمل والتوافق مع الحركة الصهيونية ولمصلحة الصهيونية ، كما يقدم ايضا مجموعة من الوثائق لتاريخ الاحزاب الشيوعية العربية ودور الصهيونية في انشائها وتمويلها ثم دور الصهيونية في الايقاع ما بين العرب والغرب .

حنين الى فلسطين

تاليف : بلاوى فتحي الحمودى .
الناشر : المطبعة العصرية ـ الموصل ـ العراق .

● مجموعة قصص قصيرة تشتمل على احدى عشرة قصة تتضمن قصصا عن المعركة وصورا عن المجتمع ومشاكل الانسان وقضاياه عالجها المؤلف باسلوب ملتزم موحى فيه همسات شعر ولوعة حقيقية صنع منهما افكارا ناصعة .

اناشيد للانصار

تاليف : خالد محيى الدين البرادعى .
الناشر : وكالة المطبوعات ـ الكويت .

● مجموعة قصائد متنوعة .

اجنحة بلا ريش

تاليف : حسين سرحان ـ مكة المكرمة ـ السعودية .

● ديوان شعر يحوى مجموعة من القصائد المتنوعة في مناح شتى من فنون الشعر .

النبوة
اصلاح تقتضيه رحمة الله

تاليف : سعدى ياسين .
الناشر : دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت / لبنان .

● يشرح هذا الكتاب ادلة نبوية اكبر المرسلين اصلاحا واوفاهم تشريفا ذلك هو سيدنا محمد الذى زينه الله بكريم الخلق ونبالة القصد وجعل ما جاء به منطبقا على الفطرة ، مكملا للمصالح ، مشتملا على النافع ، اذ فيه خير الدنيا والآخرة .

كما ان الانبياء لم يجيئوا بالقوانين والاداب فقط ولكنهم جاؤوا بعبادة الله وحده ، وباحكام هذه العبادة وتعريف الناس بخالقهم وفاطرهم ، ومنها توحيد الله في ربوبيته والوهيته واسمائه وصفاته ، ثم ما يجب اعتقاده من البعث بعد الموت ، والجزاء على الايمان والاعمال . وثالثها التشريع الذى ينزله الله بواسطة رسله للناس والحدود التي يحدها مما لا مجال للآراء والاهواء فيها .

القمر والشياطين

تاليف : عبد المعطى سويد ـ دمشق ـ سوريا.

● مسرحية نثرية تقع في خمسة فصول تعالج مشكلة الشرق .. الشرق الذى يلهو .. ويثرثر .. ويخاف ان يعمل ، فهو يحاول اظهار واثارة مشاكل المجتمع ، ثم ان معالجته لهذه المشاكل تتسم بالسمة الواعية الشاملة والبعيدة عن الخطابة او قوة الانفعال او التوتر النفسي .

الامل الظمآن

تاليف : محمد حسين آل ياسين .
الناشر : مطبعة المعارف ـ بغداد ـ العراق .

● مجموعة قصائد متنوعة .



قصة قصيرة

أبو البنات الخمس

بقلم : محمد سليم رشدان

■ كانت الموسيقى ترتفع من المذياع صاخبة مدوية ، فتمتلىء بها جوانب الحديقة بالمكبرات التي وزعت هنا وهناك بين فروع الاشجار ، حتى لم يخل منها طرف من اطرافها ، وكانت الحديقة الواسعة حول فندق القلعة الجميل قد غصت بروادها ، الذين توافدوا اليها من مختلف ارجاء مدينة (صفد) ليشهدوا عرض الفلم العربي الجديد ، الذى جلبه صاحب الفندق خصيصا من (سينما الحمراء) في (يافا) ، مغامرا بحظه ، فكان ذلك المساء موعد عرضه الاول فى حديقة الفندق ، في الهواء الطلق في تلك المدينة الشاهقة الارتفاع عن سطح البحر .

وجعل الناس يتلاحقون جماعات ووحدانا كلما دنا موعد العرض واقتربت ساعته ، فتزداد بهم الحديقة ازدحاما حتى ضاقت بجموعهم على اتساع رقعتها ، ولم يعد فيها مقعد ليس عليه من يشغله .

وكنت نزيل الفندق في ذلك المساء ، استقبل فيه ليلتى الثالثة ، هبطت المدينة قبل ذلك بيومين ، التمس فيها الراحة والاستجمام ، وكانت هدف المصطافين آنذاك ، يتجهون اليها من سائر انحاء فلسطين .

واتخذت لى مجلسا على شرفة الفندق ، وكانت لا تباح لغير النزلاء فيه ، ومن هناك جعلت استعرض هذا الحشد الكبير من الناس ، الذين جاءوا ليشهدوا الفلم العربي الجديد .

واقبل علي نادل الفندق يحمل قدح الشاى الذى طلبت ، ويهمس في اذنى بصوت خفيض حذر ان يسمعه رجل كان يجلس على مقربة منا ، في الطرف القصي من الشرفة وهو يقول .

ارايت الى هذا الذى يطالع الجريدة هناك ؟ .

قلت : بلى .. رأيته .. ما باله ؟ .

قال وهو ما يزال يخفض من صوته :

انه جارك الذى انزلوه في الغرفة المقابلة لغرفتك ، وبذا لم تعد وحدك في هذا الجناح بعد ان ترحل عنه جماعة (العدسية) من البهائيين .

قلت : ومن اين هو .. هل عرفت ؟ .

قال : بلى .. يقولون انه من اصحاب رؤوس



.. وانتهيت من تطلعي الى النازل الجديد الذى حدثني عنه خليل ، فاذا هو منصرف بكليته الى السيدة الجميلة ، التى كانت تجلس على مقربة منه مع ابنها الصغير ...

الاموال الكبيرة في (يافا) ، ومن رجال الاعمال المعدودين فيها ، وانه هو متعهد (الفلم) العربي الذى سوف يعرضه صاحب الفندق في هذا المساء .

وارتفع صوت من بعيد ينادي : يا خليل .. يا خليل ..

وانتصب النادل واقفا وهو يبتسم اليّ كانما هو يستأذن بالانصراف ، ثم رفع عقيرته بصوت ممدود وهو يمضي في سبيله قائلا : « حاضر » .

وبعد أن فرغت من تناول قدح الشاى جعلت التفت يمنة ويسرة ، وانتهيت من تطلعي الى

النازل الجديد الذى حدثني عنه نادل الفندق خليل ، فاذا هو منصرف بكليته الى السيدة البهائية الجميلة ، التى كانت تجلس بكامل اناقتها على مقربة منه فوق الشرفة مع ابنها الصغير ، وهي ترد على أسئلته الكثيرة عن خالته وابنائها الذين ترحلوا فى الامس الى (المقدسية) وتعلله بالآمال بأنهم سوف يزورونهم قريبا في (عيد الرضوان) ، حيث يصرفون معهم عطلة العيد في (حيفا) ويزورون برفقتهم (البهجة) المباركة على مقربة من (عكا) ، ويستمتعون هناك بزيارة ضريح (البهاء الابهي) ، وما حوله من منشآت تغص دائما بالوافدين والزوار في مثل تلك المناسبة .

ثم لا تلبث تلك السيدة الجميلة أن تنظر في ساعة معصمها ، وعندها تقول لطفلها : « الآن حان موعد عشائك ، وعليك أن تتناوله لتنام » .وتنهض معه وصاحبي يتابعها بنظراته الجريئة دون أن تنتبه اليه ، وحين يغيبهما باب الشرفة عن الانظار يستدير ناحيتي فاذا بي واياه وجها لوجه ، واذا به يحس كما لو كنت امسك به متلبسا بإثم ، فيبتسم ابتسامة حائرة ويهز رأسه مسلما وهو يتمتم بصوت خافت : « مساء الخير » ...

وابتسم له بمثل ابتسامته وانا ارد عليه بمثل صوته الخافت :

« مساء الخير .. أهلا وسهلا .. » .

وكأنما جرأته بهذا الرد ، ونحيت عنه ما كان يعترضه من تهيب وخشية ، ولذا فقد حمل كرسيه ومشى به مقبلا نحوى حتى وضعه قبالتي فصافحني وجلس عليه ، ومضى يقدم نفسه الي قائلا :

« انا من سكان (يافا) واسمى فلان (وذكر اسمه واسم ابيه) وكنيتي أبو علي ، ولقد عرفني بك صاحب الفندق ظهر اليوم ونحن فى صالة الطعام ، وذلك بعد أن تناولت غذاءك ، وصعدت الى الطابق العلوى ، فرغبني بجيرتك ، وطمعت ان تكون هذه الجيرة وسيلة للتعرف اليك .. » .

فقلت وانا اعجب لهذه المقدمة الطويلة : «تشرفنا يا سيدى .. وأهلا وسهلا بك » .

وصمت صاحبي قليلا ، ثم ابتسم وكأنما ذكر حاله الذى كان عليه منذ قليل ، اذ بدت فى وجهه علائم الخجل ، وهو يقول :

« لعلك تنتقدني لما بدر مني الساعة ، حين نظرت الى النزيلة الجميلة واطلت النظر ، ولكني ارجوك أن تعذرني ، وأن تعلم بصدق ، انني انسان ذوّاقة" اهيم في بديع صنع الله ، ولا املك أن ارد نفسي عن ذلك ، على انني عف الضمير .. نعم .. عف الضمير والله يشهد .. » .

فضحكت لما سمعته من صاحبي ، وقلت : « لقد ذكرتني يا أخي .. » .

فهب يقاطعني وجلا وهو يقول : « ذكرتك ؟ . وبماذا ذكرتك يا ترى ؟ . » .

فقلت : « على هونك .. ليس فى الامر ما يفزع ، لقد ذكرتني بشاعر عباسي كان يقول مثل قولك ويفعل مثل فعلك .. » .

وعندها رأيت علائم الارتياح تشيع فى وجهه الواسع ، واذا هو يسأل : « ومن هو هذا الشاعر العباسي ؟ . » .

قلت : « انه شاعر مغمور يسمونه (شهوات)» وهي كنية غلبت عليه حتى عرف بها ، وذلك لقوله :

هل تأذنون لصب في زيارتكم
فعندكم شهوات السمع والبصر

لا يكشف السر ان طال المقام به
عف الضمير .. ولكن فاسق النظر !! ..»

فطرب صاحبي للشعر واستعادني انشاده ، ثم قال : « ذلك والله حالي ، وان كنت لا أسيغ كلمة (الفسق) التي ينعت بها نظره ، وما ضره لو قال بدلا عنها مثلا : ولكن جارح النظر ؟ .. » .

قلت : « لانه ـ يا حفظك الله ـ كان يبحث عن المحسنات البديعية بين (عف) و (فاسق) ، وذلك ما لم تتنبه اليه على ما اقدر .. » .

فبدا عليه الارتباك كما لو كنت قد احرجته بردي ذاك ، وقال متلعثما : « صحيح ... صحيح .. ذلك ما لم أتنبه اليه بالفعل .. » .

واردت أن اغير اتجاه الحديث ، حتى اجنبه الحرج فيما لو تمادينا فى ذاك الذى وصلنا اليه . وتناولت متمهلا المنفضة من طرف المنضدة لاضعها فوق جريدته التي كان يعبث بها نسيم الغروب أمامه ، وقلت : « الآن دعنا من (العف) والفاسق ، وهات حدثني عن المحروس (علي)

اقر الله به عينك ، في اية مرحلة من مراحل الدراسة هو ؟ » .

وغام وجه صاحبي ، وما كنت اعلم انني بذلك السؤال قد نكأت له جرحا غائرا ، فقال وهو مرتجف الشفتين : « علي .. علي اسم والدى ، وليس لي ولد بهذا الاسم ، انهن بنات فقط .. خمس بنات .. نعم .. خمس بنات .. كبراهن في السابعة من عمرها .. وليس لهن اخ .. لم يأت (علي) بعد يا سيدى .. ايه .. من يدرى ؟ ربما يأتي .. ان ما عند الله قريب .. وان زوجتي على وشك الوضع ، وانا موعود بواحدة من اثنتين ، اما البنت السادسة .. واما (علي..) ومن يدرى .. ؟ . » .

قلت : « سيأتى (علي) ان شاء الله .. وان ما عند الله قريب كما قلت ، فاجعل ثقتك بالله وحده .. » .

ورأيت ان اقف بالحديث مع صاحبي عند هذا المدى ، وان اجنبه عثرات لساني ما دمت لا اعرف شيئا عنه ، فنهضت مستأذنا وانصرفت الى بعض شـاني ..

وفيما يقارب الساعة الواحدة من منتصف تلك الليلة ، سمعت نداء عاليا عند جهاز الهاتف ، الذى كان موضعه فى الممر الذى يفصل غرفتي عن غرفة جارى . وكان هذا الهتاف عاليا ــ كما قلت ــ الى الحد الذى أيقظنى من نومي ، وسمعت جاري أبا علي يردد :

« هالو .. يا (يافا) .. نعم .. نعم .. انا (أبو علي) .. ماذا ؟ . (مستشفى الدجاني) يطلبني ؟ . طيب .. طيب .. يا مستشفى من يتكلم ؟ . ماذا تقول ؟ . زوجتي انجبت غلاما ؟ بارك الله فيك .. شكرا يا سيدى .. سموه عليا .. العقبى لك ان شاء الله .. » .

ورأيتني أهب من سريرى وانتصب واقفا .. لاهرول نحو جارى اهنئه ، فلا يكاد يراني حتى يعانقني ــ لشدة فرحته ــ دامع العينين ، وهو يردد : « لقد جاء (علي) أخيرا .. جاء بعد خمس بنات يا أخي .. وبعد انتظار استمر سبع سنين ، الحمد لله رب العالمين .. » .

فقلت وانا اشارك جارى فرحته : « الم اقل لك ان الذى عند الله قريب .. هنيئا لك به ، وجعله الله من ابناء السلامة ، وأمد فى عمرك وعمر والدته حتى ينشـــأ على أيديكما النشأة الصالحة سندا لكما ولاخواته الخمس » .

ومرت الايام بعد ذلك مسرعة غير متمهلة ، وبعد عام واحد نزلت النازلة فى فلسطين ، وفي الصيف التالى مباشرة ، وخرج معظم أهلها من القسم الذى احتله الاعداء ، وتفرقوا فى أرجاء الارض ، ولم أعد أعرف شيئا عن ذلك الجار الطيب ، الذى صرفت على مقربة منه سواد تلك الليلة فى فندق القلعة فى مدينة (صفد) .

ومنذ أيام كنت أتصفح احدى جرائد الصباح عندنا ، فاذا بها تطالعني بصورة شاب في ريعان شبابه يرتدى ملابس الثوار ، وقد كتب تحت صورته ما يلي : « ينعى (آل فلان) بكثير من الفخر والاعتزاز شهيدهم الغالي (عليا) أبا نضال، الذى لقى ربه مدافعا عن تراب وطنه ، وتقبل التعازى فى بيت أبيه (ويذكر اسم الشارع والحي) فى عمـان .. » .

وهرعت الى بيت أبيه ، لاقدم اليه أحر العزاء بالفقيد الغالي ، وكنت أتوقع أن اجد هناك رجلا هدمته المصيبة بعد أن فقد فى ولده الوحيد أمل العمر كله .

وذهلت حين وجدت غير الذى توقعت ، لقـد استقبلني الرجل على الباب ، فاذا هو يأخذني بالاحضان ، كأنما كنت فى الامس معه ، وعلى وجهه ابتسامة اعتزاز وفخر ، وهو يقول : « أرأيت يا اخي كيف كنت على حق في انتظاره الملح ؟ انه رفع رأسي ، واعلى قدرى ، وشرّف اسمى ، فلقد مضى شهيدا فى سبيل الله والوطن ، فاي فوز بعد هذا الفوز ؟ .. » .

فقلت وانا اكفكف دمعة ذرفتها رغما عني : « هنيئا له بشهادته يا أبا علي ، وهنيئا لك بما سجله من فخار وبطولة ، وهنيئا للوطن بما خصه به من تضحية وفداء » .

وانصرفت من هناك وانا اقول لنفسي موقنا : « ما دام فينا من بلغ الى مثل هذا المستوى من البذل السخي ، فلن نغلب على أمرنا ، ولـن تضيع منا فلسطين أبدا .. » . ■■

عمان ــ الاردن : **محمد سليم رشدان**

طرائف

فيه رقي

● ارسل عثمان بن عفان مع عبد له كيسا من الدراهم الى ابي ذر الغفاري وقال له : ان قبل هذا فانت حر لوجه الله ، فاتى الغلام بالكيس الى ابي ذر والح عليه في قبوله فلم يقبل فقال له : اقبله ، فان فيه عتقي ، فقال الغفاري : نعم ولكن فيه رقي .

انقطع

● قدم احد الحكماء الى مدينته بعد سفرة طويلة فلقيه غلام في الطريق فقال الحكيم : ما فعل ابي ؟ قال : مات قال : ملكت امري .

قال : ما فعلت امرأتي ؟ قال :

تطيُّر وربح

● ركب طاهر بن الحسين احد قادة المأمون العباسي ذات يوم الى الصيد والقنص ، وكان طاهر بن الحسين أعور العين ، فلما مر بباب المدينة وهو خارج تلقاه حطاب اعور وهو داخل المدينة ، فتطير منه طاهر بن الحسين ، وامر بحجزه قرب باب المدينة الى حين رجوعه من الصيد .

فلما كان المساء رجع ومعه صيد كثير ، فلما دنا من باب المدينة ناداه الحطاب وقال : يا طاهر ، اينا اشأم على صاحبه؟ أصبحت بوجهك فحجزت . وأصبحت انت بوجهي ففتح الله عليك هذا الرزق ، فضحك منه وانعم عليه .

خابية تمشي

● وهب احد الموسرين الى الكناني المغني خابية فارغة ، فلما كان عند انصرافه وضعوها له على الباب ، ولم يكن عنده كراء حمالها ، وادركه ما يدرك المغنين من التيه فلم يحملها ، فكان يركلها ركلة ، فتتدحرج وتدور بمبلغ قوة هذه الركلة ، ثم يختفي هو بين حيطان المنازل حتى لا يراه انسان فيشمت به ، ويرى ما يصنع . حتى اذا وجد الطريق خاليا دنا منها مرة ثانية وركلها بقدمه لمسافة اخرى فتتدحرج وتدور ، ويتوارى من الانظار . فلم يزل يفعل ذلك الى ان بلغ بها المنزل .

عربية

ظهرى

ماتت ، قال : جدّد فراشي .
قال : مافعلت اختي ؟ قال : ماتت
قال : سُترت عورتي .
قال ما فعل اخي ؟
قال : مات . قال : انقطع ظهري .

حكمة بليغة

● قال ابن المقفع: "ابذلْ لصديقك دمك ومالك ، ولمعرفتك رفدك ومحضرك، وللعامة بشرك وتحيتك ، ولعدوك عدلك ، وضنّ بدينك وعرضك عن كل احد .

مخايل السيادة

● مر المهلب بن ابي صفرة بحي من أحياء همدان ، فرآه شاب من اهل الحي وقال : هذا المهلب ! فقالوا : نعم قال : والله ما يساوي خمسمائة درهم . وكان المهلب رجلا اعور . فسمعه المهلب ، فلما كان الليل اخذ المهلب في كمه خمسمائة درهم وأتى الى الحي فراقب الشاب الى ان رآه فاتى اليه وقال : افتح حجرك ففتح الشاب حجره ، فسكب خمسمائة درهم . وقال : خذ قيمة المهلب ، ووالله يا ابن اخي لو قومتني بخمسة آلاف دينار لاتيتك بها . فسمعه شيخ من الحي وقال : والله ما اخطأ من جعلك سيدا .

التين تحت كسائه

● اقبل اعرابي على احد البخلاء وبين يديه سلة بها تين . فغطى البخيل التين بكسائه ، فجلس الاعرابي قبالته ، فقال له البخيل : هل تحسن من القرآن شيئا ؟ قال : لقد حفظته منذ الصغر ، وانا اعرف بكل آياته وسوره . فقال البخيل : اقرأ لي شيئا منه ؟ فقال: (والزيتون وطور سنين وهذا البلد الامين) فقال : واين التين ؟ فقال : هو تحت كسائك ..





يجيب على هذه الاسئلة نخبة من الاطباء

« الهيموفيليا » مرض ينتقل بالوراثة

● **لى صديق كثيرا ما ينزف وقيل له انك تعانى من مرض الهيموفيليا ـ فما هو هذا المرض ؟**

ـ الهيموفيليا مرض من امراض الدم، وهو مرض وراثى يصيب الذكور وتحمل الاناث المرض لتوصله الى الذكور دون ان تعانى هى من المرض ـ وهو عبارة عن نقص مادة فى الدم تساعد على عملية التجلط ، والتى هى لازمة لوقف النزيف ـ لذا نرى المصاب بهذا المرض ينزف لفترة طويلة اذا حدث له جرح ـ ويحدث النزيف أيضا من الأنف ، ومن الفم خصوصا بعد خلع ضرس ـ ومن اى جزء فى الجهاز الهضمى . وفى بعض الأحيان يحدث نزيف تحت الجلد وتظهر كدمات زرقاء ـ وفى الحالات الشديدة يحدث ذلك داخل المفصل خصوصا الركبة مسببا تورمها ، وآلاما شديدة بها بحيث لا يمكن للمريض تحريكها ـ ثم يلاحظ النزيف ايضا بعد عملية استئصال اللوزتين او الطهارة ، وفى بعض الحالات المميتة ربما يحدث النزيف داخل المخ ، او النخاع الشوكى .

ويبدأ المرض فى الظهور فى سن الثانية ـ وفى بعض الحالات يحدث تحسن فى حالة المريض ـ ويقترب وقت التجلط الى الطبيعى ـ ولا يحدث النزيف .

العلاج : الوقاية هامة هنا ويجب ان ننصح بنات او اخوات المصابين بهذا المرض عدم انجاب أولاد ـ لأن فى أولادهن الذكور سيكون منهم من يصاب بهذا المرض .

ـ ويجب على المصاب ان يمتنع ما امكن عن الاسباب التى تعرضه للخطر حتى لا يجرح وان يعلق فى رقبته ما يدل على انه مصاب بمرض الهيمو فيليا ، حتى اذا حدث له حادث واحتاج الى جراحة، وهو ليس فى وعيه ، عرف مرضه واعطيت المادة الناقصة فى دمه ليعود الدم الى حالته الطبيعية فى التجلط ، اما اذا حدث له نزيف ، فان هذا يعالج باعطائه المادة الناقصة سواء بحقنها ، او وضعها على الجرح لو امكن .



جرب الحلاقين !!

● اصبت في شاربي وذقني بحبيبات وتقيحات حتى اني لا استطيع الحلاقة وقد مر عليها الآن ثلاثة شهور دون جدوى من العلاج ، وقد اخبرني البعض انها نتيجة الموسى عند الحلاق ، فما هو هذا المرض ، وهل من علاج لهذه التقيحات ، وهل هي معدية ؟



ــ ان ما تشكو منه هو التهاب صديدي بالجلد يسمى Sycosis Vulgaris or Barbae ويطلق عليه البعض « جرب الحلاقين » . وهو مرض مزمن نتيجة الاصابة بالميكروب المكور العنقودى Staphylococcus . وعادة يحدث فى منطقة الشارب والذقن وكذلك فى الحواجب والرموش ومنطقة العانة ونادرا ما يصيب المناطق المشعرة الاخرى فى الساق والذراعين . ويتكون عادة نتيجة الحلاقة بموسى ملوثة خاصة اذا كانت مناعة الشخص ضعيفة او هناك دمل بالوجه او افرازات صديدية من الانف وقت الحلاقة . ويبدأ المرض بحكاك او حرقان واحمرار بالجلد ثم تظهر بثرات صديدية صغيرة حول الشعيرات وهذه البثرات تتمزق بعد الحلاقة او الغسيل تاركة سطحا ملتهبا تتكون فيه عدة بثرات بعد ذلك ، وهكذا تنتشر العدوى وتزمن فى الوجه وتصبح الشعرة وسط البشرة ضعيفة سهلة الخلع ، وفى النهاية تؤدي الى ندبات فى الوجه مع بقع ضامرة وخالية من الشعر بينها حويصلات ملتهبة . وهذا المرض نادرا ما يعدى الاشخاص الآخرين ، ولكنه معد للشخص نفسه حيث ان الشعرة تعدي الشعيرات الاخرى فى نفس المنطقة مؤدية الى امتداد المرض وازمانه لعدة شهور واحيانا الى سنوات .

ومما يؤدى الى انتشار المرض فى الشخص هو البشرة الدهنية واذا كان يعمل او يسكن فى اماكن ضعيفة التهوية .

وهناك نوع آخر من «جرب الحلاقين» سببه فطرى ، وعادة يصيب منطقة الذقن ويكون قشورا أو حبيبات او اوراما تحت الجلد ولكنه نادرا ما يصيب الشفة العليا ولا يؤثر على الرموش او الحواجب ويمكن استخراج الفطر من الصديد وعادة يكون فى جانب واحد من الذقن . والعلاج كلما كان مبكرا كان افضل حتى لا يتكرر او يزمن المرض ويتلخص فى ازالة الشعيرات المصابة بالملقط واستعمال مكمدات مطهرة ساخنة او حمامات بخار ساخنة ثم وضع مراهم مطهرة مثل الفيوفورم او النيومايسين ، وغسل الوجه بالصابون المطهر عدة مرات يوميا ، وجعل الحلاقة خفيفة ويوما بعد يوم وبموسى جديدة فى كل مرة مع استعمال كريم حلاقة مطهر بدون فرشاة ويبادر بعد الحلاقة بوضع المرهم المطهر . كما تستعمل مضادات الحيويات بالفم او الحقن

واحيانا يستعمل اللقاح الذاتي .
كذلك يجب الاقلال من الحلويات والنشويات والمشروبات الكحولية كما يجب علاج اى بؤرة صديدية بالجسم مثل اللوز او الجيوب الانفية . واعطاء المقويات لرفع مناعة الجسم وعلاج فقر الدم او مرض السكر اذا كان المريض مصابا به .

اسبح في الفراغ ! !

● اشعر احيانا بدوخة شديدة ويتولد الاحساس بانني اسبح في الفراغ او كانما الاشياء تدور .. وتدور .. من حولي حتى لاكاد افقد توازني ، في كثير من الاحيان ..

ـ ان ما تشكو منه تسميه مرض « الدوخة » Vertigo الذى يتسبب من خلل بجهاز التوازن فى الجسم الموجود بالاذن الداخلية ، واسباب هذا الخلل كثيرة ومتنوعة منها :

١ ـ اسباب تتعلق بامراض الاذن : كالتهاب الاذن المتوسطة المزمن او الاورام التى تصيبها . كذلك التهاب الاذن الداخلية اوانسداد قناة السمع الخارجية او مرض منيير Meniere Disease .

٢ ـ اسباب تسممية Toxic **:** كالاضطرابات الناتجة من شرب الكحوليات (المشروبات الروحية) او الافراط فى استعمال عقار الساليسلات او الاستربتوميسين (الذى يصيب العصب الثامن بالشلل) والمواد المخدرة كمادة الافيون ونيكوتين السجائر والكافئين الموجود فى القهوة والمهدئات العصبية .

٣ ـ اسباب تتعلق بالبيئة : كدوار البحر وضربات الشمس والتغير المفاجىء فى الضغط الجوى .

٤ ـ اسباب خاصة بالعين : مثل اجهاد العين ، ومرض ارتفاع الضغط داخل العين اى « جلوكوما » .

٥ ـ اسباب متصلة بالقلب والاوعية الدموية : كارتفاع الضغط وتصلب الشرايين وهبوط القلب .

٦ ـ امراض الدم : كالانيميا وسرطان الدم .

٧ ـ الأمراض المعدية والحميات : كالانفلونزا والدفتريا والتيفود والزهرى والحصبة ، والنكاف (والتهاب الغدة النكفية المعدى) .

٨ ـ الاورام المختلفة : كأورام المخ والمخيخ وأورام العصب الثامن واورام التيه (جسم موجود فى الاذن الداخلية) .

٩ ـ أسباب منوعة : كالنزيف والاضطرابات النفسية والصرع ، وبعض الامراض العصبية .

العلاج : ويكون اولا بمعرفة السبب ثم بعلاجه . وانصحك بعرض نفسك على أحد الاخصائيين .





إلى صَديقٍ مُهَاجِرٍ

■ اليومَ يدعوني الهوى فأجيبُ … ويلَـذُّ طعمُ حديثِنا ويَطيبُ
وأقول لاظَـنٌّ يُحيط بقَوْلِـي … لاخشيةٌ حَولي ولا ترغيـبُ
فلقد تَخَيّرْتَ الفِـراق، أردْتَه … ولعلَّةٍ يجفـو الحبيبَ حبيـبُ
فهجرْتَنا وتركْـتَ في أعماقنـا … قلبـاً يكاد من الحنين يـذوب

★★★

ماكان ضَـرَّكَ لو صبرْتَ وطالما … هانَتْ لصبْرِ الصابريـن خُطوبُ
ولطالما اشتدَّتْ بها أزَمَاتهـا … وتحيَّرتْ بالسالكيـن دروب
حتى ترُدَّ الحقَّ حِكْمَةُ صابرٍ … وبكلِّ قـومٍ مخطئٌ ومُصيـب

★★★

كنّا نُريدُ حبالَ صبرِك طولُهـا … دَهرٌ وأمّا صَدْرُها فرَحيـبُ
عقلي يقول بأنَّ رأيَـك صائبٌ … لكـنَّ قلبي عنده تَعقيـبُ
وإذا تَحدَّانا الفِراقُ يَخونُنـا … عقلٌ وتَصحو في الصُّدورِ قلوبُ
وتَسيلُ آياتُ العِتابِ رقيقـةً … كالعِطْرِ يذكو عَرْفُه ويَطيـبُ
وعلى ترانيمِ العِتاب وسِحرِهـا … يَشكو المُحِبُّ ويَسعدُ المحبوب

★★★

ياطالَمـا قد قُلْتَ إنّا أُمّـةٌ … تَبْني وكَم عهْدُ البناء عَصيبُ
ولكلِّ بنّاءٍ يَمُدُّ يَمينَـه … مِن هَوْلِ أعباءِ البِناءِ نَصيـبُ
وعلامةُ البانينَ أنّ أكُفَّهـم … فيها رُضوضٌ جَمَّةٌ ونُـدُوب
والفارسُ البَنّاءُ أيْنَ وضعْتَـه … يَبْني، فليس من البِناءِ هُروبُ
سِيّانِ إن ألقَى عصاه بـداره … أو راحَ في كُلِّ البلادِ يَجوبُ ■■

محمد التهامي



والد سيمون

قصة للكاتب الفرنسي جي ده موباسان

■ الساعة تعلن الظهيرة ، وباب المدرسة يفتح ، والتلامذة يخرجون منه ويتدافعون ويتزاحمون متلهفين الى الخروج ، وبدلا من ان يتفرقوا هذه المرة بسرعة على مألوف عادتهم ، وينطلق كل منهم الى حيث تستحثه معدته ، تجمعوا على بعد خطوات من الباب ، في حلقات عديدة ، يتلغطون ويتهامسون .

ذلك ان سيمون ، ابن السيدة بلانشوت ، ذهب الى المدرسة ذلك الصباح للمرة الأولى ..

كان كل منهمقد سمع شيئا عنالسيدة بلانشوت من احاديث اسرته ، وعلى الرغم من ان الجميع كانوا يرحبون بها علنا وفي كل مكان ، فقد كانت الامهات يعاملنها ، فيما بينهن ، في كثير من حقد واحتقار تسربت بذورهما الى اولادهن من غير ان يفقه هؤلاء الاولاد لذلك سببا على الاطلاق .

اما سيمون نفسه فكان مجهولا لديهم ، فهو حبيس داره ، لم يشاركهم اللعب في طرقات القرية ، ولا على ضفتي النهر الصغير . فلا عجب ان لم يحتل في قلوبهم الصغيرة منزلة حلوة ، ولا عجب انهم تجمهروا في حلقات يتهامسون هذا الصباح ، في مزيج من غبطة حقيقية ودهشة شديدة ، بما رواه صبيٌ كبير في الرابعة او الخامسة عشرة من العمر يعرف ــ فيما يبدو ــ خفايا الامور كلها ، ما دام قد كشف لهم بكل دهاء ، وهو يغمز بعينيه :

ــ انتم تعرفون سيمون .. حسنا ، ليس له اب .

وظهر ابن بلانشوت على عتبة الباب ..

كان في السابعة او الثامنة من العمر ، شاحب الطلعة ، نظيفا ، شديد الخجل ، يتملكه ارتباك دائم .

راح يخطو في اتجاه بيت امه حينما شرعتجموع التلاميذ العديدة تحدق به ، وهم يغمغمون ، ويرمقونه بعيون خبيثة قاسية ، عيون اطفال ينوون النيل منه والاساءة اليه .. واطبقت عليه هذه الجموع في دائرة مغلقة شرعت تضيق الخناق عليه . وهكذا وجد نفسه ، في قلب تلك الدائرة ، مشدوها مرتبكا ، لا يدري ما يريدون منه ، الى ان اندفع ذلك الصبي الكبير الذي اذاع خبره زهوا بما اصاب من نجاح ، وابتدره قائلا :

ــ ما اسمك ؟

ــ سيمون .

ــ سيمون . سيمون ماذا ؟

ــ فكرّر الصغير حائرا :

ــ سيمون .

فزعق الكبير في وجهه :

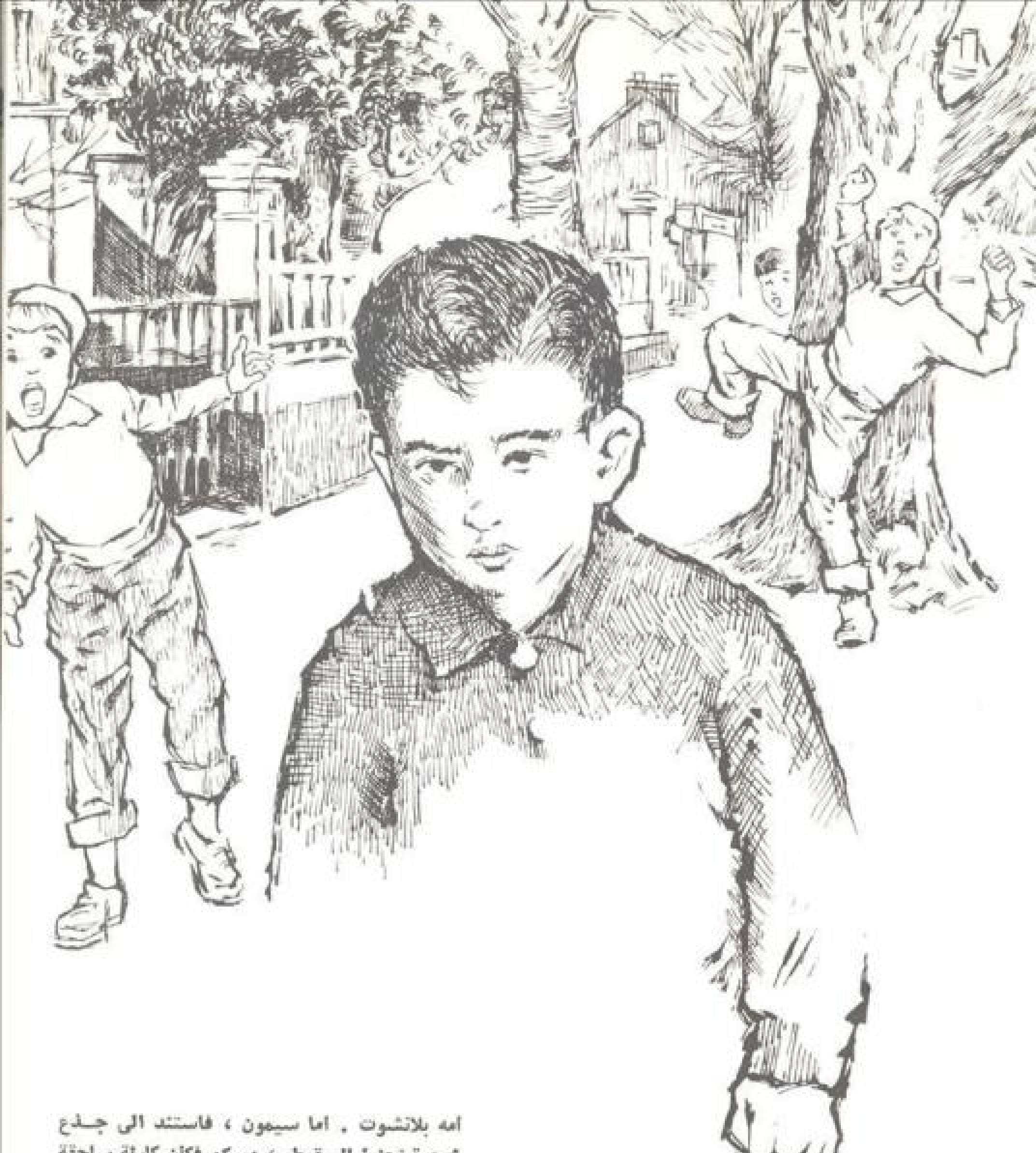
ــ ينبغي ان يكون اسمك سيمون كذا ! ان سيمون فقط ليس اسما كاملا !

فاعاد الصغير للمرة الثالثة ، والدموع تترقرق في عينيه :

ــ اسمي سيمون .

وانفجر الجمع ضاحكا ، في حين رفع الصبي الكبير صوته عاليا ، مزهوا بانتصاره الجديد :

ــ اأرايتم كيف انه بدون اب ؟ ..



فخيم صمت عميق .. ذهل الاولاد من ذلك الحادث الغريب ، المستحيل ، الفظيع ـ ولد لا أب له ! ورفع الجميع ابصارهم اليه فكأنه اعجوبة ، او مخلوق غير طبيعي ،وشعروا بالاحتقار يدب في نفوسهم ، احتقار امهاتهم الغامض نحو امه بلانشوت . اما سيمون ، فاستند الى جذع شجرة تجنبا للسقوط ، وسكن فكأن كارثة ساحقة شلت جميع اعضائه .اراد أن يوضح الأمر لهم ، ولكنه لم يجد جوابا شافيا او وسيلة ينكر بها التهمة الرهيبة الهائلة بانه بدون اب . واخيرا صاح فيهم في عجلة وطيش :

ـ بل ان لي ابا !

فسأل الكبير : واين هو ؟

واعتصم سيمون بالصمت ، فهو لا يعرف أين يوجد أبوه ! وراح الاطفال يزعقون وقد عصف بهم الجنون . وفجأة ، اختلس سيمون نظرة

الى قرين له ابن ارملة ، كان يراه دائما وحيدا مثله مع امه ، وقال :

ــ وانت ، انت ليس لك اب ايضا .

فاجاب الآخر : بلى ، ان لي ابا .

فاستفسر سيمون : واين هو ؟

فردّ الصغير في خيلاء :

ــ لقد مات ابي ، وهو الآن في المقبرة ..

وسرت همهمة استحسان بين الاشقياء ، وكان وجود والد رفيقهم في المقبرة رفع من قدر الصغير وضاعف قواه لسحق هذا الذى لا اب له على الاطلاق . واخذ اولئك الطائشون ، واكثر آبائهم رجال من السفلة يدمنون الخمرة ، ولصوص ، او قساة على زوجاتهم ، يتدافعون مضيقين الخناق اكثر فاكثر على سيمون وكانهم يودون ، هم الأبناء الشرعيون ، ان يخنقوا هذا الصغير الخارج على القانون .

وعلى حين غرة ، مدّ الصبي المجاور لسيمون لسانه هزءا وسخرية ، وصاح :

ــ لا اب لك ! لا اب لك !

فامسكه سيمون من شعره بكلتا يديه ، وانهال على ساقيه رفسا ، وعلى خديه لكما وعضا مؤلما ، ونشبت معركة حامية بين الولدين ، وما أسرع ان الفى سيمون نفسه منهوك القوى ، ممزق الثياب ، مرضوض الجسم ، يتدحرج على الارض في قلب تلك الحلقة من الاشقياء الصغار . وفيما هــو ينهض وينفض بصورة آلية قميصه الصغير الملطخ بالوحل تناهى الى سمعه صوت احدهم يصيح في وجهه :

ــ هيا ، امض واخبر اباك بهذا الذى اصابك !

شعر بقلبه ينهار .. انهم اقوى ساعدا منه واشد بنية ، وقد اشبعوه ضربا ، وهو لا يملك جوابا يردّ به عليهم لانهم على حق فيما يذهبون اليه . حاول جهده ، في كبرياء ، ان يمنع العبرات التى تكاد تخنقه من الانهمار . احس غصة مؤلمة في حلقه ، فبكى ، ونشيجه يهزّ جسده باكمله هزا شديدا . اما الصبية ، فاخذ كل منهم بيد جاره ، وراحوا يرقصون في دائرة حوله ، وهم يرددون هذه الكلمات في نغمة غنائية :

ــ لا اب لك ! لا اب لك !

وتوقف سيمون عن الشهيق على حين غرة ، وسيطر عليه جنون مغيظ . لاحظ وجود شيء من الحجارة عند قدميه ، فانقض عليها يلتقطها ، وراح يقذف بها في اتجاه مضطهديه بجمع قوته . واصاب منهم اثنين او ثلاثة ولوا هاربين يبكون ويعولون ، في حين انشب الذعر اظفاره في قلوب الباقين ، فاسرعوا يلوذون بالفرار ، انه اليأس بلغ به هذا الحدّ . وما ان اصبح ذلك الشيء الصغير الذى لا اب له وحيدا ، حتى انطلق راكضا في اتجاه الحقول تلمع في خاطره ذكرى قديمة ملأت نفسه قوة وعزما . سوف يغرق نفسه في النهر .

لقد تذكر أن شحاذا مسكينا كان يستعطي الناس طوّح بنفسه في الماء قبل ثمانية أيام لانه لا يملك شيئا من المال . وكان سيمون موجودا عندما انتشلوه ، فاثر فيه كثيرا منظر ذلك الشاب ،الذى بدا له وقتئذ في حال يرثى لها من الفاقة والبؤس بوجنتيه الشاحبتين ، ولحيته المبللة الطويلة ، وعينيه المفتوحتين الزاخرتين بالسكينة .

قال بعض الواقفين :

ــ لقد مات .

فاضاف آخر :

ــ ما أسعده الآن !

لذلك رغب سيمون في أن يغرق نفسه أيضا لانه بدون اب ، تماما مثلما كان ذلك البائس المسكين بدون مال ..

ودنا من الماء ، وراح يراقب تدفق جريانه .. كانت بعض الاسماك تسبح بخفة في المجرى الصافي، وتقفز من وقت الى آخر فتلتقط بعض الذبابات عن سطح الماء . وكفّ عن البكاء وجعل يراقبها ، فقد أثار اسلوبها في الغذاء اهتمامه . وبين الفينة والفينة ، كانت هذه الفكرة تراوده وتثير فيه ألما شديدا ، مثلها مثل ثورات الريح ، في فترات هجوع العاصفة ، حين تلفح الاشجار ، ثم تنأى لتموت في الأفق البعيد .

ــ اني اوشك ان اغرق نفسي لاني بدون اب ..

كان الطقس دافئا ، والشمس الحلوة تصبّ الحرارة في العشب الاخضر ، والمياه تلتمع كالمرآة ، وسيمون يتمتع بتلك اللحظات من السعادة المضنية التى تعقب مرارة البكاء ، متمنيا لو يرتمي فوق تلك الاعشاب ويغفو طويلا في حرارة شمس الظهيرة اللافحة .

وقفزت ضفدعة صغيرة خضراء بين قدميه .

فحاول أن يمسك بها ، فافلتت منه ، فلاحقها ، واخطأها ثلاث مرات متوالية . امسكها ، اخيرا ، من نهاية أحد طرفيها الخلفيين ، وراح يضحك وهو يرى الجهد الكبير الذى تبذله تلك المخلوقة لتستطيع الافلات من قبضتيه . كانت تجمع نفسها متراكمة فوق فخذيها الضخمتين ، ثم تقفز بعنف وشدة ، مادة قائمتيها الخلفيتين ، فاذا هما قاسيتان مثل قضيبين من الحديد .

وراحت عيناها ، في محجريهما الذهبيين المستديرين ، تحملقان مذعورتين فيما حولهما ، وهي تضرب الهواء بطرفيها الأماميين ، وكأنهما يدا انسان .. واخذ يفكر في امه ، وداره ، وما لبث ان انفجر باكيا وهو تهزه حزن جارف . وراحت شفتاه ترتجفان ، فجثا على ركبتيه ، واخذ يتلو صلواته كما يفعل قبل أن ينام . ولكنه لم يستطع الانتهاء منها ، لان نشيجا حادا متلاحقا اكتسح اعضاءه جميعها وارهقها تحت ثقل وطاته . ولم يعد يفكر في شيء ، ولم يعد يرى شيئا مما يحيط به ، بل استسلم الى عبراته دون ادنى مقاومة على الاطلاق . .

وعلى غير انتظار ، ارتمت يد ثقيلة على كتفه ، وسمع صوتا خشنا يتوجه اليه سائلا :

ـ ما الذى يسبب لك هذا الحزن العظيم ، ايها الفتى ؟

التفت سيمون فأبصر عاملا طويل الجسم ، لحيته سوداء ، وشعره مجعد ، يرمقه بنظرات طيبة ، فاجاب ، وعيناه تطفحان دموعا يغص بها حلقه :

ـ لقد ضربوني لانى .. انا .. بدون اب .. بدون اب ..

فقال الرجل مبتسما :

ـ ماذا ؟ ولكن لكل انسان على الارض ابا !

فاجاب الطفل مكتئبا من بين غصات المه العنيف :

ـ ولكني .. انا .. انا .. لا اب لي .

فهم العامل اخيرا حينما عرف في الصغير انه ابن بلانشوت ، فارتسمت على وجهه سيما الجد . لقد تناهى الى سمعه شيء من قصة بلانشوت رغم انه لم يقطن تلك الناحية الا من زمن قريب . قال للصغير :

ـ حسنا ، لا تيأس يا صغيري . هيا معي الى امك في البيت ، وسوف تعطيك ابا ..

وهكذا سارا على الدرب ، وقد امسك الكبير الصغير من يده . كان العامل يبتسم مغتبطا اذ لم يكن يسوؤه أن يرى هذه المراة ، التى كانت كما يقولون ، أجمل نساء المقاطعة على الاطلاق ـ ولربما كانت نفسه تحدثه ، في اعماق قلبه ، ان الفتاة التى ضلت مرة يمكن أن تضل مرة أخرى .

وبلغا أخيرا بيتا صغيرا ، نظيفا ، ابيض اللون ، وقف الصغير تجاهه وهو يقول :

ـ ها نحن قد وصلنا ..

ثم هتف :

ـ اماه !

فظهرت امراة على العتبة لم تكد عينا العامل تقعان عليها حتى اقلع لساعته عن الابتسام . لقد ادرك انه لا يستطيع العبث والمجون مع هذه الفتاة الشاحبة الطويلة المنتصبة على الباب مقطبة الجبين ، وكأنها تريد أن تمنع رجلا عن عتبة الباب الذى سبق ان خانها فيه رجل آخر ..

واتجه اليها العامل ، وقبعته في يده ، وقال متلعثما :

ـ انظرى ، يا سيدتي .. جئتك بابنك الصغير الذى ضل طريقه بالقرب من النهر .

ولكن سيمون احاط عنقها بساعديه ، وقال لها ، وهو يجهش في البكاء من جديد :

ـ كلا ، يا اماه ! لقد اردت ان اغرق نفسي لان الاولاد ضربوني .. ضربوني .. لاني لا اب لي ..

فعلت وجنتى المراة الفتية حمرة ملتهبة ، واذا هي تعانق ولدها بتأثر ، وقد تضعضع جسدها كله ، في حين انهمرت الدموع على وجهها . ووقف الرجل ، مضطربا متأثرا ، لا يدرى كيف يعود ادراجه . فاسرع سيمون اليه على حين غرة ، وهتف به قائلا :

ـ اتريد أن تكون أبي ؟

خيم صمت عميق .. واستندت بلانشوت الى الجدار ، كئيبة ، عاقدة يديها فوق صدرها يعتصرها خجل شديد . ولما لم يتلق الصبي جوابا عاود يقول :

ـ ان كنت ترفض ذلك ، فسامضي واغرق نفسي ..

فحمل العامل القضية محمل المزاح ، وقال ضاحكا :

ـ ولم لا ؟ بلى ، ارغب في ذلك من دون ريب .

فتابع الصغير :

ـ ما اسمك اذن ؟ حتى اخبر الآخرين عندما يسالونني عنه !

فاجاب الرجل :

ـ فيليب .

صمت سيمون لحظة كي يحفظ الاسم جيداً في ذاكرته ، ثم مدَّ ذراعيه منشرح الصدر هاتفا :

ـ حسنا يا فيليب ، انت والدى اذن .

فرفعه العامل عن الارض وقبله في وجنتيه ، وقفل راجعاً باقصى ما يستطيع من سرعة .

عاد الصبي الى المدرسة في اليوم التالى ، فاستقبله التلاميذ بضحكة خبيثة لاذعة . وما ان حانت سرعة الخروج ، وارادوا تمثيل المأساة ذاتها مرة اخرى ، حتى رماهم سيمون بهذه الكلمات على رؤوسهم ، كما يفعل ببعض الحجارة :

ـ اسم ابي فيليب .

فارتفعت من كل جانب هتافات وضحكات :

ـ فيليب من ؟ فيليب ماذا ؟ اى فيليب على الأرض هذا ؟ ومن اين التقطت هذا الفيليب ؟

فلم يحر سيمون جوابا .. بل وقف ، ثابتا في ايمانه ، يتحداهم بعينيه ، مفضلا ان يتحمل كل شيء على ان يفر من امام وجههم . وانقذه المعلم من براثنهم ، فرجع الى بيته وامه .

ظل العامل الطويل فيليب ، طوال اشهر ثلاثة ، يكثر من المرور بالقرب من منزل السيدة بلانشوت ، ويقدم احيانا على محادثتها عندما يلقاها تخيط الثياب قرب النافذة . كانت ترد عليه في ادب ، ورزانة ، دون ان تمازحه ، او تسمح له يوما بدخول بيتها . ومع ذلك ، فقد كان ـ لغروره واعتداده بنفسه كسائر الرجال ـ يتخيل ان حمرة جميلة كانت تصبغ وجنتيها كلما تحدثت اليه ، او تطلعت في وجهه .

ولكن السمعة الحميدة يصعب استردادها دوما اذا ما ضاعت مرة ، وهي تظل ابدا هشة سريعة العطب ، بحيث ان اللغط ، بالرغم من تحفظ بلانشوت الشديد ، ابتدا يرتفع في الجوار مرة اخرى ..

اما سيمون فقد احب اباه الجديد حبا جما ، وطفق يتنزه معه كل مساء تقريبا عندما ينتهي هذا الاخير من عمله اليومي وصار يذهب الى المدرسة بانتظام ، ويمر بين اقرانه مزهوا ، مختالا ، دون ان يرد عليهم ابداً .

وذات يوم ، خاطبه ذلك الصبي الكبير الذى كان اول من اعتدى عليه قائلا :

ـ لقد كذبت . فليس لك اب اسمه فيليب .

فساله سيمون في اضطراب عظيم :

ـ ولم تقول هذا ؟

فاجاب الكبير ، وهو يفرك يديه :

ـ لانه ان كان لك اب فيجب ان يكون زوج امك اذن !

فاحتار سيمون امام صحة هذا الراى ، ولكنه اجاب :

ـ ولكنه ابي على اية حال .

فقال الكبير ، وهو يغمز بعينيه :

ـ هذا ممكن كل الامكان ، ولكنه ليس اباك بكل ما في الكلمة من معنى .

فطاطا ابن بلانشوت الصغير راسه ، وسار ، وهو يحلم ، في اتجاه مَصْهر لوازون العجوز ، حيث يعمل فيليب .

كان المصهر محاطا بالاشجار من كل جانب بحيث تخيم فيه ظلمة شديدة ، اللهم الا اللهب الاحمر المنبعث من الكور تضيء شعاعاته الحمراء خمسة حدادين يضربون بمطارقهم على سنداناتهم بدويٍّ عظيم مخوف .. كانوا يقفون هناك ، مغمورين باللهب ، يعملون كالشياطين ، وعيونهم مثبتة في الحديد الاحمر الحامي الذى يطرقونه ، وافكارهم الكئيبة ترتفع وتهبط مع مطارقهم في صعودها ونزولها الدائبين .

ولم ينتبه احد الى سيمون عندما دخل واتجه نحو صاحبه ، يشدُّه بكل لطف من كمِّ قميصه . التفت فيليب اليه ، وسرعان ما توقف العمل ، وراح القوم يراقبون المشهد بكل انتباه . وعندئذ ، ارتفع في وسط ذلك السكون الشامل غير المهود صوت سيمون الرقيق اللطيف :

ـ فيليب ، اوضح لي ما اطلعني عليه الآن الصبي الكبير من انك لست والدى تماما .

فسأل الحداد : ولم ذلك ؟

فاجاب الصغير بسذاجة وبراءة :

ـ لانك لست زوج أمي .

لم يضحك احد .. ظل فيليب واقفا ، تستند

جبهته على ظاهر يديه السوداوين المسكتين بمقبض مطرقته القائمة على السندان ، غارقا في لجة من الافكار ، بينما راح رفاقه الأربعة يراقبونه ، وسيمون ينتظر ـ بجسمه الضئيل ـ قلقا بين أولئك العمالقة . وفجاة ، قال احد الحدادين ، معبرا عن عواطف الجميع ، وموجها الحديث الى فيليب :

ـ وعلى أية حال فان بلانشوت ابنة طيبة ، امينة ، يقظة ، جديرة أن تكون زوجة رجل شريف بالرغم من مصيبتها .

فوافق الآخرون الثلاثة صالحين :

ـ هذا صحيح !

وتابع الحداد يقول :

اهو ذنب الفتاة ان خانها رجل دنيء ، وضعت به كل ثقتها ، فعبث بها ؟

ووافق الثلاثة الاخرون بصوت واحد :

ـ هذاصحيح !

وتابع الحداد :

ـ مسكينة : لكم قاست وتالمت لتعلم ولدها دون معونة من احد ! ولكم بكت منذ اغلقت على نفسها الباب في دارها ، لا تخرج الا الى الكنيسة . الله وحده يعلم ذلك .

وقال الآخرون :

ـ وهذا صحيح ايضا !

وخيم الصمت ثانية اللهم الا صوت المنفاخ الذى يؤجج النار في الكور . وانحنى فيليب على سيمون ، وقال :

ـ امض وقل لامك ان لي حديثا معها هـذا المساء .

ثم دفع الصغير الى الخارج من كتفيه . ورجع الى عمله ، فاذا المطارق الخمس تهبط من جديد على سنداناتها متوافقة النغم . وهكذا ظلوا يطرقون الحديد بقوة وعزم ومرح حتى هبوط الليل . وكان كلا منهم اله النار فولكان رافلاً في حال من لرضى والابتهاج وكما كانت دقات ناقوس الكاتدرائية الكبير تعلو ، في أيام الاعياد ، على دقات سائر الأجراس ، فهكذا كانت مطرقة فيليب تسيطر على ضجة المطارق الاخرى ، ورنينها يرتفع ، ثانية بعد ثانية ، حتى اصبح هديرا يصم الآذان . وكان بلوى ، وعينه مثبتة في النار ، حديدة بشدة وعنف ، وهو منتصب القامة بين لمعان الشرارات المتلاحقة .

كانت السماء تعج بالنجوم عندما قرع باب بلانشوت . وكان يرتدى بدلة نهار الأحد ، وقميصا نظيفا ، وقد حلق لحيته . وظهرت المراة الشابة على العتبة ، وقالت بصوت مجروح :

ـ ان من السوء ان تاتي هكذا ليلاً ،ايها السيد فيليب .

فرغب في الجواب ، ولكنه تلعثم ، وظل واقفا مضطربا امامها .

وتابعت :

ـ وانت تعلم تماما انني لا أريد ان يتحدث الناس عني مرة أخرى .

ولكنه قال دون مقدمات :

ـ وما يهمني ذلك منهم ان كنت ستصبحين لي زوجة ؟

فلم يسمع لكلامه جوابا .. ولكن ، خيل اليه انه سمع صوت سقوط جسم على أرض الغرفة المظلمة ، فدخل مسرعا .. واستطاع سيمون ، وكان نائما في سريره ، ان يميز رنين قبلة ، وبعض كلمات تفوهت امه بها في صوت خافت رقيق . ثم وجد نفسه يرتفع ، على حين غرة ، بين يدى صديقه الذى قال له وهو يمسك به بطرف ذراعيه الجبارتين :

ـ ستقول لرفاقك غدا ان والدك هو فيليب ريمي الحداد ، وانه سيخلع اذن كل من تسوّل به نفسه انزال الاذى بك .

وفي الغداة ، عندما امتلات المدرسة بطلابها وحان وقت ابتداء الدرس ، نهض سيمون الصغير شاحب الوجه ، مرتجف الشفتين ، وقال في صوت واضح جليّ :

ـ ان ابي هو فيليب ريمي الحداد ، وقد وعد أن يخلع اذني كل من تسوّل له نفسه الحاق الاذى بي ..

هذه المرة لم يضحك احد ، لان فيليب ريمي الحداد كان مشهورا ، وكان يحق لاى طفل ان يفخر بابوّته ..

ترجمة : نينا دادا



أَنْتَ تَسْأَلُ .. وَنَحْنُ نُجِيبُ

حدائق الحيوانات تاريخها يعود إلى ٣ آلاف سنة

● حدائق الحيوانات .. هل هي بدعة جديدة .. أم أن لها جذورا تاريخية !!

فارس سلطي ـ الزرقاء/الاردن

ـ يعود تاريخ حدائق الحيوانات الى القرن الثانى عشر قبل الميلاد .. فقد قام الملك وين Wen » أول ملوك أسرة شو في الصين بانشاء أول حديقة حيوانات أتى ذكرها في التاريخ .

أما في مصر القديمة فان الامبراطورة هاتاسي ، من ملوك الاسرة الثامنة عشرة قامت بارسال بعثة صيد الى أرض « بنط » Punt (وهى مكان الصومال حاليا) لاحضار مجموعة من الحيوانات من بينها الزراف والقردة والزواحف ، وعندما عادت البعثة بهذه الحيوانات تم وضعها في حديقة عامة حيث اقبل الجمهور على مشاهدتها . ولا يقتصر الأمر على ذلك بل ان الملك سليمان كان يحتفظ بمجموعة كبيرة من القردة والطواويس . وكان نبوخذ نصر ملك بابل يحتفظ بعدد من الاسود وبطليموس الثانى احتفظ بمجموعة كبيرة من الحيوانات المختلفة في الاسكندرية .

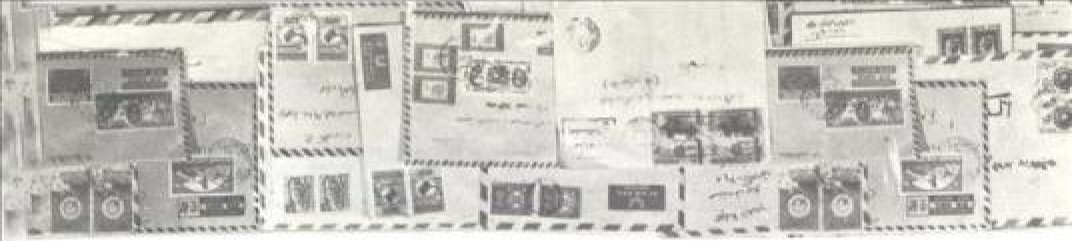
ويذكر لنا التاريخ ايضا أن الخليفة العباسي هارون الرشيد قام في عام ٧٩٧ ميلادية باهداء فيل وبعض القردة الى الامبراطور الفرنسي شارلمان .. وأن شارلمان احتفظ بهذا الفيل والقردة في حدائق قصره .

وانشئت أول حديقة حيوانات في انجلترا في عهد الملك هنرى الاول (١١٠٠ ـ ١١٣٥) في المكان الذى يوجد فيه الآن برج لندن الشهير London Tower ، وبعد ذلك انتشرت حدائق الحيوان في العالم كله ، وخاصة في البلدان التى لا توجد فيها غابات تمتلىء بالحيوانات او الزواحف .

وتحتفظ أغلب حدائق الحيوان في العالم بالحيوانات خلف أسوار واقفاص مغلقة . ولكن توجد بعض الحدائق التى تعيش فيها الحيوانات في قطعان دون اقفاص او قضبان وفي جو يشبه الجو الطبيعى الذى كانت تعيش فيه قبل وضعها في حديقة الحيوان . ومن اشهر هذه الحدائق الحديقة البريطانية ويبسنيد Whip - snade وتبلغ مساحتها حوالى ٦٥٥ فدانا . وتوجد أيضا حدائق حيوان طبيعية كبيرة تحتفظ بها الحكومات وترعاها مثل حديقة حظيرة الدندر في جنوب السودان ، وحديقة كينيا وهى في الواقع مناطق ممنوع فيها الصيد لحفظ الأنواع والسلالات المختلفة من الحيوانات التى تعيش فيها من الانقراض نتيجة عمليات الصيد بالجملة او بسبب القحط والعطش .

(م. ط)





التنجيم في أمريكا

● هل التنجيم منتشر في أمريكا ،حقا .. ؟ لقد أكد لي ذلك صديق كان يدرس في الولايات المتحدة الامريكية . الانني أشعر بالدهشة واكاد لا أصدق أن تكون البلاد التي غزت القمر قد غزاهاالتنجيم ..

عثمان علي ـ البصرة

ـ التنجيم منتشر حقا في الولاياتالمتحدة الامريكية . ولعل في المعلومات التالية ، وقد أخذناها لك من مجلة تايم الامريكية ، ما قد يزيدك دهشة واستغرابا .

فعدد المنجمين المحترفين في امريكا يزيد على ١٨٥٫٠٠٠ ، حسبما تذكر المجلة . وقد بلغ عدد المتفرغين تفرغا تاما للتنجيم من هؤلاء أكثر من ١٠٫٠٠٠ منجم . أما المنجمون المحترفون الذين لا تسمح لهم اعمالهم الاخرى بالتفرغ التام للتنجيم فلا يقل عددهم عن ١٧٥٫٠٠٠ منجم .

وتضيف مجلة تايم الى ذلك قولها بأن الاهتمام بالتنجيم في امريكا لا يقتصر على الافراد ، فهو يشمل عددا من الهيئات ، بما فيها أجهزة الاعلام . من ذلك أنمحطات التلفاز تخص برامج التنجيم بمزيد من عناياتها ، ودور النشر لا ترى غضاضة ، ان لم ترحب ، بنشر الكتب والمؤلفات فيه . ويذكر هنا على سبيل المثال كتاب «مذكرات ساحرة» Diary of a witch ، من تأليف العرافة سبيل ليك Sybil Leek ، وقد نفدت الطبعة الاولى من هذا الكتاب لدى صدورها فسارعوا الى اعادة طبعه .

ويرى بعضهم صلة وثيقة بين التنجيم وبين حركة (الهيبيين) وما اليها من البدع التي شاعت وتكاثر اتباعها في أمريكا في المدة الاخيرة . ويرى آخرون أن الطابع الميكانيكي أو التكني الذي يغلب على الحياة الامريكية



الحاضرة هو الذي يفسر لنا هذه الانحرافات أو الظواهر الغريبة . وفي ذلك يقول وليم سلون كوفن ، من جامعة ييل ، « ان في الاهتمام المتزايد في التنجيم (في امريكا) دليلا على حالة اللامبالاة التي خلفتها التكنية في نفوس الكثيرين من الامريكيين . والحالة المذكورة لا تخلو من آفات عقلية لا سبيل الى معالجة بعضها بغير جراحة المخ .. »

(ي . ز)



الأيام والشهور العربية

● هل اسماء أيام الاسبوع ، واسماء الاشهر العربية المعروفة لدينا الآن هي أسماؤها في الجاهلية او كانت لها اسماء اخرى غير هذه التي نعرفها ؟

شعبان الصاوى ــ القاهرة

ــ ايام الاسبوع التي هي : ايام السبت والاحد والاثنين .. الخ كان لها في الجاهلية القديمة اسماء اخر . ولكن لاندرى متى تغيرت أسماؤها الى ما نعرفه الآن . واليك اسماءها التى كانت تعرف بها في الجاهلية .

يوم الأحد هو أوّلُ ويوم الاثنين هو أهْوَنُ
ويوم الثلاثاء هو جُبَار ويوم الأربعاء هو دُبَار
ويوم الخميس هو مؤْنِس ويوم الجمعة هو عَرُوبَةُ
ويوم السبت هو شِيَار

وقد جمعها احد شعراء الجاهلية في بيتين ، هما على الترتيب :

أؤمّل أن أعيش وأن يومي بأولَ أو بأهونَ أو جُبارِ
أو التالى دُبَارِ فإن أفُتْه فمؤْنِسٍ أو عَروبةَ أو شِيارِ

اما الاشهر ، فان ما يروى عن المفضّل الضبّى وابن الكلبي ان اسماءها كانت كما يلي :

المحرم اسمه مُؤْتمِر . صفر اسمه ناجِر . ربيعُ الأوّلُ اسمه خُوّان ، رَبيع الآخر اسمه وَبُصَان أو اسمه بُصّان .

أوسع المجلات انتشارًا

● ما هي اوسع المجلات انتشارا في العالم وما هو مقدار ما توزع ؟

خليل قريطم ــ بيروت

ــ مجلة لايف الامريكية هي اوسع المجلات انتشارا في الغرب . ولكن الحديث عنها مرتبط بالحديث عن شقيقاتها . وشقيقات مجلة لايف ثلاث هي : مجلة تايم ومجلة فورتشن ومجلة سبورتس . وكل هذه المجلات الاربع تصدر في الولايات المتحدة عن دار للنشر واحدة هي :

Time , nc .

واليك فيما يلي آخر الارقام الخاصة بتوزيع هذه المجلات :

مجلة لايف	**٨٫٦٠٠٫٠٠٠ نسخة اسبوعيا**
مجلة تايم	**٣٫٨٠٠٫٠٠٠ نسخة اسبوعيا**
مجلة سبورتس	**١٫٥٠٠٫٠٠٠ نسخة اسبوعيا**
مجلة فورتشن	**٤٧٥٫٠٠٠ نسخة اسبوعيا**

وجدير بالذكر ان مجلة فورتشن مجلة اقتصادية تجارية ، ومجلة سبورتس مجلة رياضية كما لا يخفى . اما مجلة لايف ومجلة تايم فمصورتان ولا تختصان بناحية واحدة بل تعنيان بشتى الشئون الحيوية والعامة التى تهم اكثر الناس .

جُمادَى الأُولَى اسمه رُنَّى أو رُبَّى . جُمادَى الآخِرَة اسمه حَنِين . رَجب اسمه الأصمّ . شَعبان اسمه عاذِل . رمضان اسمه ناتِق . شوَّال اسمه وَعِل ، ذو القَعْدَة اسمه وَرْنَة . ذو الحِجَّة اسمه بُرَك .

وبعض الرواة قد يذكر اسما مكان آخر في الترتيب . والملاحظ ان جمادى الاولى وجمادى الاخرة يخطيء كثيرون فيقلن فيهما جماد اول ، وجماد ثان ، او جمادى الثانية ، وصحة نطقهما هو جُمَادَى الأولَى . وجُمَادَى الآخِرَة . وكذلك يخطئون في ربيع الاول وربيع الآخر فيقولون ربيع اول وربيع ثان . وصحة نطقهما ربيع" الأوّل ورَبيع" الآخِر .

وبعض الاسماء القديمة للاشهر استعملها شعراء اسلاميون ، فالشاعر ذو الرمة وكان في العصر الاموي يقول :

صَرًى آجِنٌ يَزْوِى له المرءُ وَجْهَه إذا ذاقه الظمآنُ في شَهْرِ ناجِر

« الصَّرَى » : الماء الذى طال مكثه وتغير . والآجِن : المتغير الطعم .

ومعلوم أن الاشهر القمرية تنتقل على مدار السنة ، فتارة تأتي في الصيف وتارة تأتي في الشتاء ، لنقص السنة القمرية عن الشمسية حوالي احد عشر يوما ، بخلاف الاشهر السريانية « كانون اول وكانون ثان .. » والاشهر الافرنجية « يناير وفبراير » والاشهر القبطية « توت .. بابه .. » فهي تلزم جوا واحدا كل عام .

الا ان العرب حين وضعوا اسماء لشهورهم صادف ان كان بعضها في الحر او في البرد فجاءوا له بتسمية ناسبت ذلك ثم لزمته حتى مع تغير الفصل الذى وقع فيه سابقا .

فمثلا شهر ناجر المقابل لصفر كان ميعاده متحدا مع الحر . وربيع الاول وربيع الاخر صادف حين تسميتهما ايام خضرة ونبات وجمادى الاولى وجمادى الآخرة صادفا ايام برد وامطار ، ورمضان صادف ايام حرّ ورَمْضَاء ، وليس هذا ملحوظا في كل شهر . وعلى كل حال ، فان التعليل للاسماء غير مطرد ، وقديما قالوا « الاسماء لاتعلل » .

ع.ف

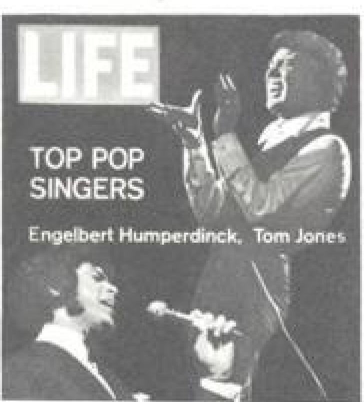
ولعلك ترغب بعد هذا في ان تكون فكرة عن الدخل او الربح الذى تجنيه دار النشر التى ذكرنا . فقد بلغ مجمل دخلها من المجلات الاربع مجتمعة في سنة ١٩٦٨ مبلغ ٥٦٨ مليون دولار !

وبلغت ارباحها الصافية ضمن هذا المبلغ ٢٧ مليون دولار . الا ان هذا الدخل لم يكن كله بنتيجة التوزيع وبيع اعداد المجلات ، وقد كان بعضه ، بل قل اكثر من نصفه ، حصيلة ريع الاعلانات . اذ بلغ هذا الريع ٢٩٤ مليون دولار .

يلاحظ ايضا ان كل هذه المجلات ، مجلات في الولايات المتحدة . وهذا امر منتظر لان الولايات المتحدة هي اكبر دول اهل الغرب سكانا . فلو ان سكان عدد الولايات المتحدة تضاعف لتضاعف تبعا لذلك توزيع المجلات فيها بسبب واحد فقط هو تضاعف السكان .

وتجدر الاشارة بعد هذا كله الى ما تردد ذكره مؤخرا في ان دار النشر التي ذكرنا تعاني حاليا ، هي ومجلاتها الاربع ، من ازمة مالية لا يستهان بها .

(ى . ز)



المذهب المعروف باسم كرستيان سيانس، متى وأين نشأ؟!

● سمعت عن طائفة مسيحية تسمى بالمسيحيين العلميين Christian Scientist ، فهل تختلف هذه الطائفة عن الطوائف المسيحية الاخرى ، ومتى واين نشأت ومن هو منشئها؟!

عادل متى – ج. ع. م.

– تختلف هذه الطائفة عن الطوائف المسيحية الاخرى في تفسيرها لمعنى وماهية الله والمسيح والجنة والخلاص والتثليث . وقد نشأ مذهب « العلم المسيحي » في عام ١٨٦٦ على يد السيدة مارى بيكرادى « Mary baker eddy » في مدينة بوسطن بالولايات المتحدة الامريكية .

وتتلخص مبادىء هذا المذهب بان الخطيئة والمرض والموت يمكن القضاء عليها بفهم تعاليم المسيح فهما كاملا والايمان بها ايمانا تاما . ويؤمن افراد الطائفة بان الانسان يستطيع ان يشفى من اى مرض دون ان يلجأ الى الاطباء او الى تناول الادوية .

وهناك تقاليد خاصة تتحكم في حيات من يؤمن « بالعلم المسيحي » فهم يميلون الى المثالية والطهر والتحكم في رغباتهم الدنيوية . شرب الخمر حرام بالنسبة لهم وكذلك التدخين . وهم يقبلون على الحياة بتفاؤل ويؤمنون بان التفاؤل وسلامة الجسم والروح عوامل هامة بالنسبة للحياة الصحية .

وللمسيحيين العلميين كتاب يحتوى على تعاليمهم كتبته مؤسسه المذهب اسمه « العلم والصحة » Science and Health، وهي تنادى فيه بقوة الايمان كعامل من عوامل الشفاء

وقد تاسست اول كنيسة لهذه الطائفة في بوسطن عام ١٨٩٢ وهي تدعى بالكنيسة الام . وقد انتشر هذا المذهب في كثير من البلدان الآن وله اتباع في اكثر من ٤٨ دولة . (م . ط)

مساحة قارات العالم

● هل يمكن ان تعطونا فكرة عن مساحة كل قارة من قارات العالم ؟

فهد المتروك – الكويت

– هذه هي آخر احصائية نشرت عن مساحة قارات العالم المختلفة :

❋ آسيا (وتشمل الجزر)
١٦٩٠٠٠٠٠ ميل مربع

❋ أفريقيا
١١٥٠٠٠٠٠ ميل مربع

❋ امريكا الشمالية (وتشمل الجزر)
٩٣٠٠٠٠٠ ميل مربع

❋ امريكا الجنوبية
٦٨٠٠٠٠٠ ميل مربع

❋ القارة المتجمدة الجنوبية
٥٣٠٠٠٠٠ ميل مربع

❋ أوربا
٣٧٥٠٠٠٠ ميل مربع

❋ استراليا
٢٩٥٠٠٠٠ ميل مربع

(س . ز)




مَايسترو الجوقة الموسيقية في خدمتكم
إنه المنغم الستيريو صنع توشيبا
ان المنغم الستيريو لِتوشيبا
يَعني ، بالنسبة لهواة الموسيقى،
قمة القناعة والرضاء التام.
فهو مركب من جراموفون،
ومكبرين منفصلين للصوت،
وجهاز راديو. انه
الجهاز المثالي الذي
يناسب مساحة
كل غرفة أوصالة.
SM-130
يمتاز باحتوائه على ١٧ ترانزستور و ٩ صمامات ثنائية.
FM / AM / SW
SM-290
أفضل جهاز لامتلاك متعة الاستماع.
FM/AM/SW
مكتب لبنان :
غرفة رقم ٥٠٣ ، الطابق الخامس
عمارة شاكر وعويني ، ميدان
رياض الصلح ، شارع موريس باريس
بيروت ، لبنان ، هاتف ٢٩٧٤٤٧
توشيبا
Toshiba
TOKYO SHIBAURA ELECTRIC CO., LTD.
Tokyo, Japan
طوكيو شيبورا اليكتريك كومباني ليمتد
طوكيو - اليابان

مستحضر عجيب
لازالة بقع الوجه



"ازال د.د.د. البقع الجلدية عن وجهي في وقت قصير"

هذا ما قاله كيث نيكولس (١٧ سنة)

« رأيت د. د. د. في الصيدلية وقررت ان اجربه . استعملته على بقع وجهي فزالت ، طبعا لم تزل كلها في مرة واحدة ولكن بصورة تدريجية. انه يعطي مفعولا سريعا شرط ان يستعمل بانتظام .

انني مرتاح تماما لعلاج **د. د. د.** ولم ازل استعمله حتى الان . انه لا يحتوي على مواد دهنية كغيره » .

وقد اكتشف كيث نيكولس كيف ان مستحضر **د.د.د.** ينفرد بخمسة عناصر علمية مطهرة وقوية ذات مفعول ملطف ومهدىء يزيل البقع الجلدية بصورة اكيدة .



DDD
PRESCRIPTION

سائل - مرهم - صابون

متوفرة الآن بغلافات جديدة

لاتكونوا نحلاء

اذا كنتم نحلاء الجسم ناقصي الوزن جربوا هذا الاكتشاف الذي هو آخر ما توصل اليه علم التغذية. انه يدعى "سوبر ويت - اون". هناك اناس بصحة جيدة جربوه فزاد وزنهم ثلاثة كيلوغرامات أو أربعة أو خمسة... بسرعة مدهشة.

بادروا الى زيادة وزنكم بسرعة وبطريقة مأمونة

"سوبر ويت - أون" طعام اضافي جديد مغذ سهل الهضم ذو قيمة كالورية عالية، يحتوي على الفيتامين د١ والفيتامين ب ١٢ (لبناء الدم) بالاضافة الى الفيتامينات ب١ وب٢ وب٦. وهو يعيد الشهية ويصحح عسر الهضم ويعطيكم المزيد من الغذاء. "سوبر ويت - اون" ينشئ الانسجة الصحية المتينة في الجسم ويزيد في نشاطكم وحيويتكم فيزول شعور التعب والارهاق، وخلال بضعة اسابيع تبدون اقوياء الجسم مفعمين بالنشاط.

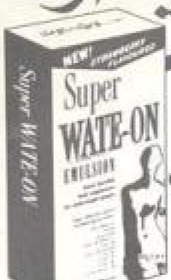
النساء يكتسبن شكلاً جذابا

باستعمال "سوبر ويت - أون" يزداد وزنك في الاماكن اللازمة خلال بضعة أسابيع.

الرجال يكتسبون قواما جديدا

"سوبر ويت - اون" يملأ الجسم الرقيق، ويكتسب الرجل انسجة متينة فيزداد قوة وعزما.

جديد! سوبر ويت - اون



Super WATE-ON

بطعم الفريز

- يزيد في وزن الجسم بصورة اسرع
- زيادة ٥٠٪ في مقدار الكالوريات
- اكثر تركيزا للحصول على افضل النتائج

17 / AR

مِنَ المسرح العالمِى

سِلسلة ثقافية جديدة

تصدرها فى مطلع كل شهر

وزارة الإرشاد والأنباء فى الكويت

أول ديسمبر ١٩٧٠

العدد الخامس عشر

"تواضعت فظفرت"

تأليف : أوليفر جولد سميث

ترجمة وتقديم : على زكريا الأنصارى

مراجعة : د . محمد إسماعيل موافى

أحبُّ الرَّجُل الذي
يَعتني بمظهره

وَهوَ يستعمِل دهان
الشعر ڤازلين .





راديو اپ

راديو ترانزيستور نقال
بأربع موجات عادية وقصيرة

ماعند هذه الحسناء ماليس عندك !
جهاز راديو يتميز بهوائي تلسكوبي مفرط الطول ! ١٥١ سنتيمتراً ! الفضل بذلك يعود الى مهندسي هيتاشي المبدعين. بامكانك ان تلتقط اذاعات الموجة المتوسطة من ٥٢٠ إلى ١٦٢٠ كيلوسايكل بوضوح تام ! واذاعات الموجة القصيرة من ١،٦ إلى ٢٧ مغاسايكل ! كما انه بامكانك ان تستمع وحدك الى الاذاعات بواسطة سماعة الراديو الخاصة وتخفت ضوءه عند الضرورة ! وبامكانك ان تسلي الجماهير به. فهو مزود بمكبر صوت قوي يضخم الاصوات والموسيقى ! وبالاضافة الى ذلك فهو خفيف الوزن، صغير، متناسق وسهل الاستعمال. اختر الراديو ذو الهوائي الطويل حالاً. أطلب موديل WH-1060 واطلب ايضاً مسجلة كاسيت موديل TRQ-220 الصغيرة المتناسقة. فهي جهازك النقال الآخر. واطلب مسجلة كاسيت موديل SCT-1150 المزودة بجهاز راديو من ثلاث موجات. فسيكون لك عالم موسيقى نقال خاص بك.



هيتاشي
HITACHI





EDOX
MON 15



تجولوا بسياراتكم حول العالم واذهبوا حيثما شئتم مع راديو السيارات المتفوق هندسياً في ٨ موجات ! انه "كلاريون" المصنوع باشراف الخبراء في راديوات السيارات ، بطرازه RE-707 A ، الجديد كلياً ، يوفر لكم ٧ " اختيارات مثيرة من الموجات القصيرة SW ، بالاضافة الى الموجة المتوسطة الاعتيادية MW ، وهذا كله مجرد بداية مؤثرة فقط !

فقد صمم قوياً ليحقق قمة في الاداء وخدمة لحياة أطول ، حتى لو كانت قيادتكم للسيارات فوق أكثر الطرق وعورة . ان طراز RE-707 A موثوق بصورة استثنائية . وتوفر دوائره الحديثة والصلبة الالتقاط الواضح القوي من اي مكان على الاطلاق. كما أن الدرجة العالية من الانتقاء والحساسية المتناهية تؤمن الرضى التام أثناء الاستماع حتى أن أحدث أجهزة (الدوائر المتكاملة) "IC" قد تم ادخالها عليه لتكون النتيجة مؤثرة حقاً ولتسارعوا الى مشاهدة فوراً والاستماع الى هذا الطراز المذهل RE-707 A الجديد كلياً.

CLARION

CLARION SHOJI CO., LTD.

3-5 Chome, Kojimachi, Chiyoda-ku, Tokyo Tel: (265) 2931

دع نقودك تربح فائدة مأمونة

٧٪

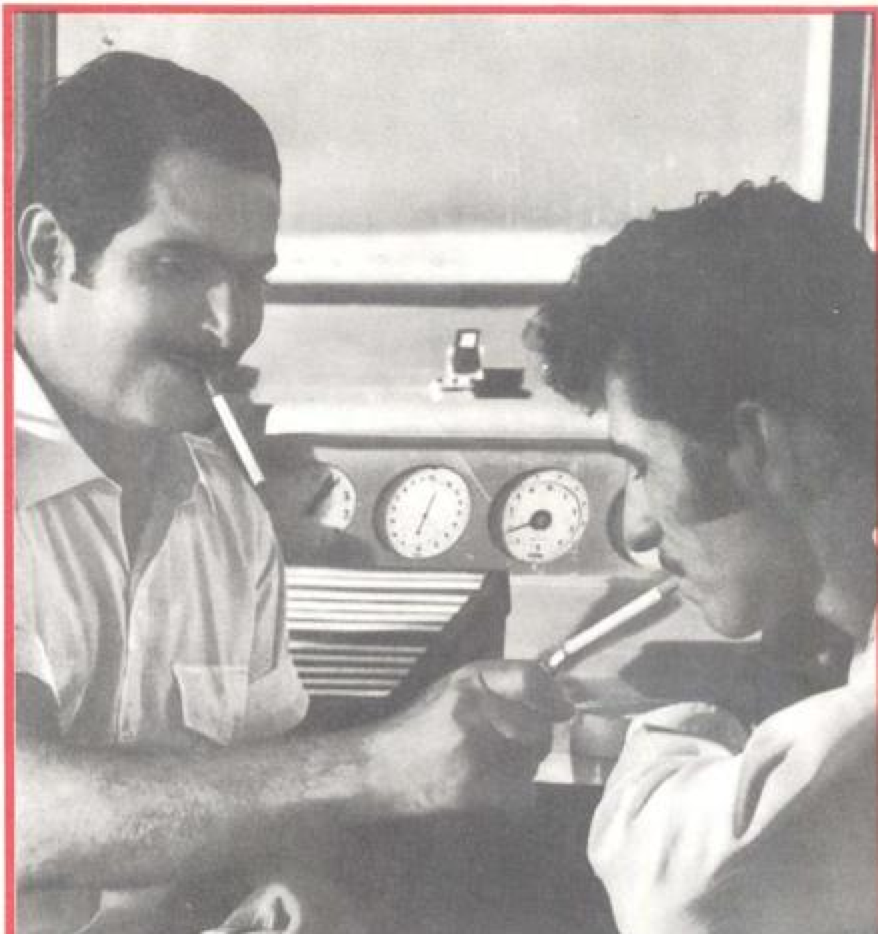
في حساب الودائع

يدر عليك حساب الودائع في بنك لومبارد فائدة بنسبة جيدة مع سلامة تامة لرأس مالك تضمن لك الطمأنينة المالية. وطالما نقودك مودعة في هذا الحساب، فإنها تحظى بفائدة على الدوام، وتستطيع ان تسحبها بسهولة وفقاً للشروط التي تتفق عليها عند فتح الحساب. لا تخصم منها أية ضريبة دخل في المملكة المتحدة. ويمكنك ان تودع مبالغ اضافية في الحساب في اى وقت تشاء، مما يتيح لك طريقة ممتازة لاستثمار رأس مالك.

وتربح ٧٪ سنوياً، يبلغ الحد الأدنى لمهلة السحب ٦ أشهر، سوى ان المائة جنيه الأولى يمكن سحبها لدى الطلب. ويدعم ودائعك في مؤسسة لومبارد المصرفية رأس مال مدفوع واحتياطات تتجاوز ١٣،٨٠٠،٠٠٠ من الجنيهات الاسترلينية. أطلب من المدير العام مزيداً من التفاصيل، ونسخة من كتيب حساب رقم AO.182

LOMBARD BANKING
LIMITED

Head Office: LOMBARD HOUSE, CURZON ST., LONDON, W1A 1EU, ENGLAND. Tel: 01-499 4111 (30 lines)
City Office: 31 LOMBARD ST., LONDON, E.C.3, ENGLAND. Tel: 01-623 4111 (10 lines)


إمباسي
الجديدة
طويلة ومشبعة سيجارة الرجل الإيجابي
سيجارة العصر في كل مكان
Embassy



نيسان
تمد يد الصداقة

خلال معرض أكسبو ٧٠ ، التقت جمعية منتجي السيارات اليابانية بعدد كبير من الزوار العرب ، ونيسان - منتجة سيارات داتسون ، باعتبارها أحد الأعضاء الرئيسيين في تلك المنظمة ، أقامت لها علاقات مع الكثير من الأصدقاء العرب تحت شعار أكسبو ٧٠ « التعاون والتقدم لخير البشرية » إن التعاون هو التعامل المتوازن بالتساوي بين فريقين على أساس الثقة المتبادلة ، ومن جانبنا فإننا نحاول أن ندعم قضية الشعوب العربية . ونبين لها بأنه في الإمكان أن توليها ثقتنا التامة ، إننا نحقق ذلك بالتأكد من أن جميع منتجاتنا تتفق مع المواصفات العربية من حيث المتانة والوثوق والجودة .

إن تقدم الأمة يقوم على جهود متعددة الجوانب ، أبرزها تلك الجهود الناجمة عن بلد متطور ، إننا نأمل بما لنا من ماض حافل بالثقة المعتمدة أن نواصل العمل المشترك ، والتقدم مع الشعوب العربية . وها نحن ، منذ الآن ، نقوم بتخطيط مصنع تجميع جديد ، كمثال آخر لرغبتنا في العمل المشترك والتقدم مع الشعوب العربية .
نعم ، قد ينتهي أكسبو ٧٠ ولكن شعار « التقدم والتعاون » المكرس من قبل أكسبو ٧٠ ، يجب أن يستمر .

NISSAN MOTOR CO., LTD.

الرحالة سانيو

مسجل كاسيت نقال، مع راديو بثلاث موجات.

إن جهاز سانيو الجميل طراز "M-458"، هو عبارة عن مسجل كاسيت سهل التشغيل، وراديو بثلاث موجات MW، SW، FM. يعمل بالتيار الكهربائي الإعتيادي أو بالبطاريات. يسهل حمله إلى كل مكان، فالرحالة سانيو يعشق الرحلات.

حيثما تذهبون، فإنكم تتمتعون بالإستماع إلى أشرطة كاسيت الجاهزة التسجيل، أو بإمكانكم تسجيل أشرطتكم الخاصة: من الراديو، أو من مصادر أخرى للموسيقى أو من الميكروفون.

وكذلك تستمتعون بجهاز الإستقبال الحساس للراديو، سواءً محلياً على الموجة المتوسطة، أو عالمياً على الموجة القصيرة، أو موسيقياً على موجة FM، كل ذلك بفضل هوائيات سانيو والدائرة الكهربائية "AFC" المثبتة في الجهاز. إن إقتناء جهاز "M-458" الجميل يدعو للفخر، فهو مزود بغطاء خشبي وإطار أبيض وأسود. وفوق ذلك كله فهو من صنع سانيو.



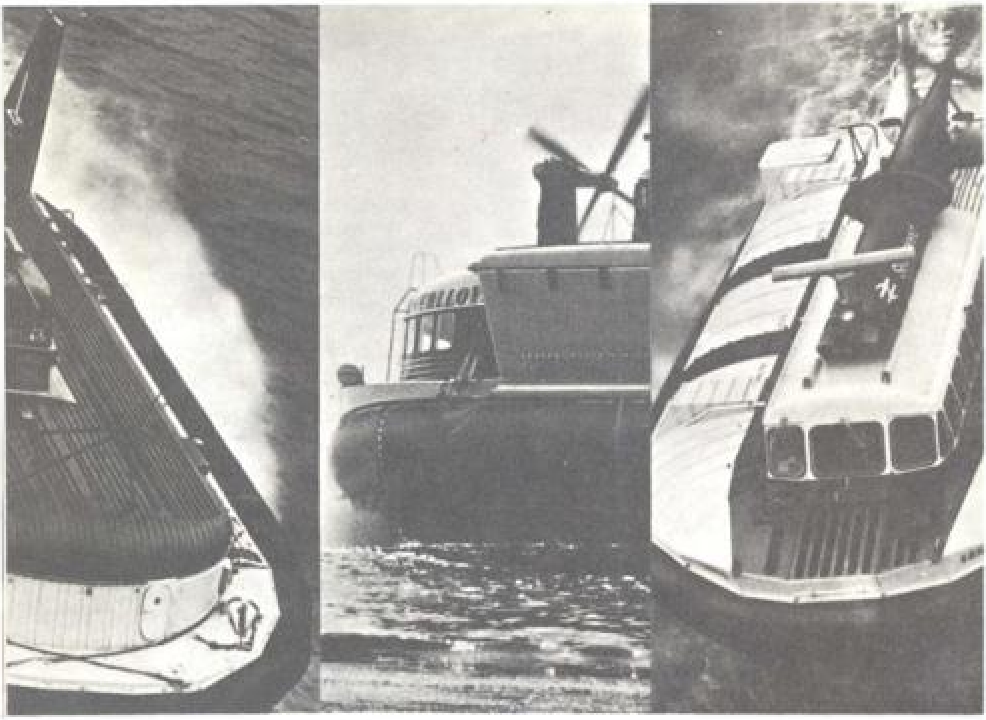
M-458

سانيو **SANYO**

سانيو اليكتريك كومباني، ليمتد - اليابان

SANYO ELECTRIC CO., LTD. Japan


THE BEST TOBACCO MONEY CAN BUY
تبغ زاهر. ناضج. غني. مزروع في أعظم أقاليم التبغ.
منتقى بعناية شديدة. معدّ بحرص فائق. لسيكارة
صنعها أيادي ماهرة تعمل في أحدث مصانع العالم.
وفق أعلى المستويات. روثمان كنك ساين. أوسع
سكاير كنك سايز فرجينيا رواجًا في العالم. تعطيك
نعومة وإشباعًا لا تحصل عليهما من أية سيكارة أخرى.
Rothmans
KING SIZE
BY SPECIAL APPOINTMENT
FILTER TIPPED
ROTHMANS OF PALL MALL LONDON EST
الأولى في العالم



عائلة
حوامة هوفركرافت الحقيقيه

حوامة هوفركرافت الحقيقية

أو اليابسة ، لذا فانها تملك حرية حركة
غير معروفة لدى وسائل النقل الأخرى ..
فهي تعمل على اليابسة وعلى الجليد وعلى
الحوامات الحقيقية لا تمس سطح الماء
الطين وعلى المستنقعات وعلى الصخور وعلى
الأعشاب،بالاضافة الى أنها تعمل على الماء.

- طريقة عمل حقيقية ـ المسيّر الهوائي يعطى سر:
هائلة .
- السلامة الحقيقية ـ الحواشي المرنة تنزلق فو
الموانع السطحية ولا تصدمها .
- صيانة حقيقية ـ على الارض اليابسة ، لا حاج
لبناء احواض غالية التكاليف .
- خبرة حقيقية ـ اكثر من كل الحوامات الاخر:
مجتمعة .
- حرية الحركة الحقيقية ـ بالخدمة في خم
- قيمة حقيقية للنقود ـ تعمل في حالات لا يمكن لا
واسطة نقل اخرى ان تقوم بها .
قارات .

BHC WORLD HOVERCRAFT LEADERS

ritish hovercraft corporation
ST COWES · ISLE OF WIGHT · ENGLAND



أصبح بامكانكم الآن
حيازة مسجل ستريوفوني كامل في بيوتكم

الآن وقد نزل المسجل الستريوفوني SD ٧٠٠٠ الى الاسواق اصبح بامكانكم الاستمتاع بجهاز ستريوفوني كامل في بيوتكم من انتاج "سانسوي". ثلاثة محركات، اربع رؤوس، شريط ذو اربع قنوات مع انطلاق مزدوج، لامثيل له في الاسواق نسبة الى قوته وسعره، وسهولة استعماله، وهو مجهز بطريقة لم تظهر في غيره من الاجهزة حتى الآن. ينفرد بحمايته ومحافظته على الاشرطة المسجلة. وكغيره من منتجات "سانسوي" الشهيرة فانه يتمتع بالجودة والدقة التي اشتهرت بها مصانع "سانسوي". شكل انيق وتجهيز دقيق، مكبرات للصوت صافية تشنف الاذان.

اذا كنت ترغب شراء جهاز ستريوفوني كامل يحوز على رضاك فما عليك الا ان تتوجه فوراً الى اقرب موزع لـ "سانسوي" وتطلب اليه ان يريك ما لديه من منتجات سانسوي الستريوفونية.

Sansui

Kuwait: **MORAD YOUSUF BEHBEHANI** P.O. Box 146, Kuwait / Jordan: **JORDAN AUTO PARTS** P.O. Box 281, Amman / Iran: **TEHERAN ELECTRIC CO., LTD.** Aluminium Bldg. Shah Av., Teheran / Southern Yemen: **BHICAJEE COWASJEE LTD.** Steamer Point, Aden / Bahrain: **AMBASSADOR STORES** P.O. Box 237, Bahrain Is. / Qatar: **AHMAD ALUTHMAN & BROS.** P.O. Box 218, Doha / Trucial States: **VITHALDAS V. & SONS** P.O. Box 105, Dubai, P.O. Box. 784 Abu Dhabi / Morocco: **ETS. GEORGES BAYLE** 61, Bd. Lalla Yacout, Casablanca / Lebanon: **KAMERA PHOTOCINE** P.O. Box 2248, Beirut / Saudi Arabia: **AHMED ALI BADOGHAISH** P.O. Box No. 65, Alkhobar, P.O. Box 815 JEDDAH, P.O. Box 238 RIYADH / Libya: **BROTHERS TRADING CO.** P.O. Box 733, Tripoli / Muscat-Oman: **YAHYA MOHAMMAD NASIB & BROS.** P.O. Box 22 / **SANSUI ELECTRIC CO., LTD.** 14-1, 2-chome, Izumi, Suginami-ku, Tokyo, Japan



موديل
ناجح
عالميـًا ...
جديد
رومر الكترونيك ٦٠٦
فخر صناعة
التقدم،
وبالوقت ذاته
صورة الوجه
الحديث للتصميم
النقي.
ضد الماء ١٠٠٪ وضد
الكسر.
كفالة من المصنع.
خدمة عالمية
ROAMER ELECTRONIC
ROAMER WORLD ORGANIZATION
ROAMER
GO FOR ROAMER
GO FOR SUCCESS
الوكيل العام : مراد يوسف بهبهاني
المعرض : ساحة الصفاة تليفون ٣٣٧٧٠
universe


مارلبورو
رمز الجودة
FILTER CIGARETTES
Marlboro
Marlboro
Marlboro
SELECTED
FINE TOBACCOS
Soft Pack or Flip Top Box.
أفخر سجاير كنج سايز فيلتر
AMERICA'S FINEST FILTER
A quality product of Philip Morris Inc. Richmond, Va., USA

للتمتع بأطيب الأوقات

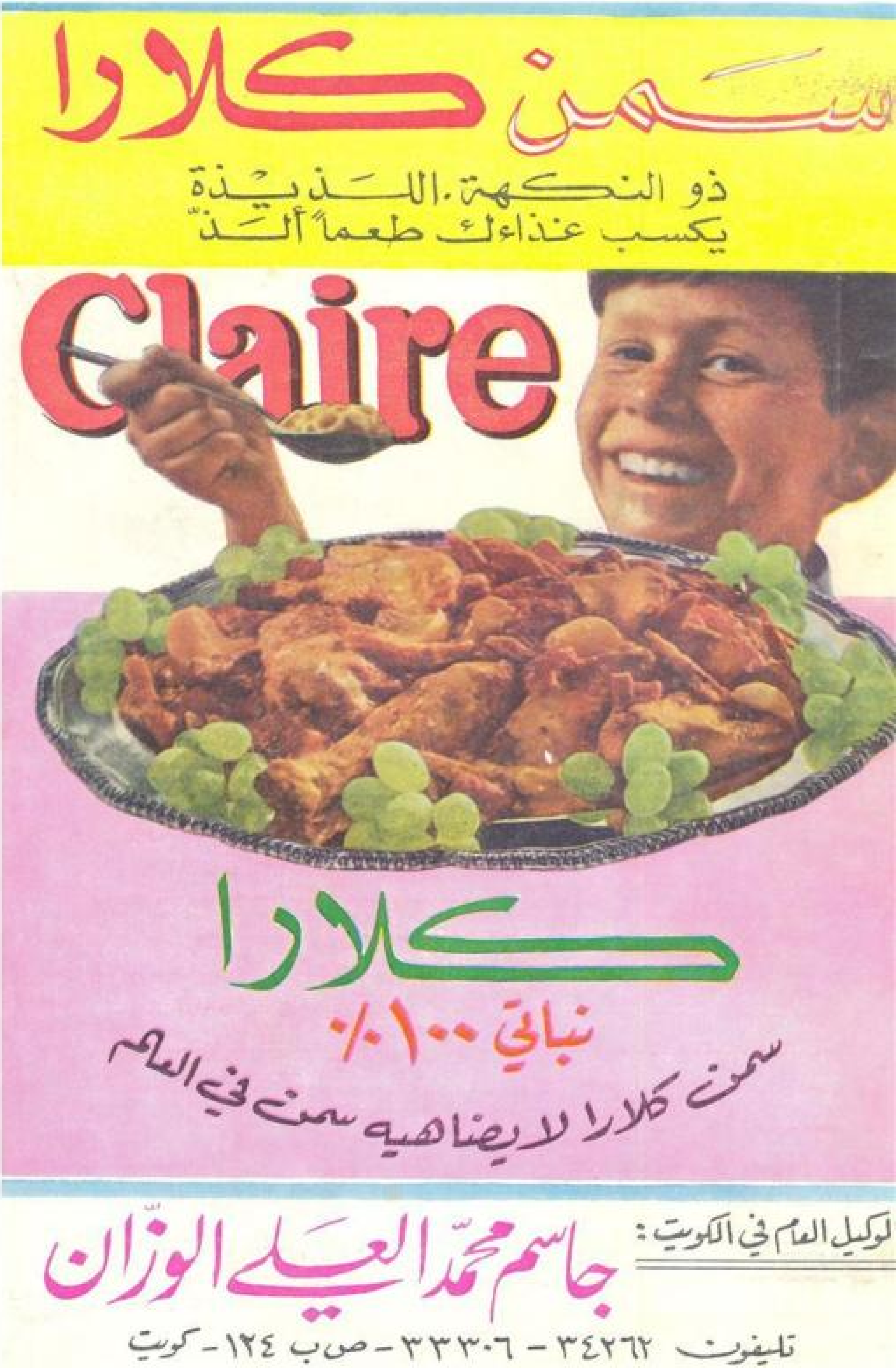


"كنت" نكهتها الذ

KENT

CIGARETTES

دي لوكس ١٠٠ مليمتر أو كينغ سايز


سمن كلارا
ذو النكهة اللذيذة
يكسب غذاءك طعماً ألذ
Claire
كلارا
نباتي ١٠٠٪
سمن كلارا لا يضاهيه سمن في العالم
الوكيل العام في الكويت :
جاسم محمد العلي الوزان
تليفون ٣٤٢٦٢ - ٣٣٣٠٦ - ص ب ١٢٤ - كويت